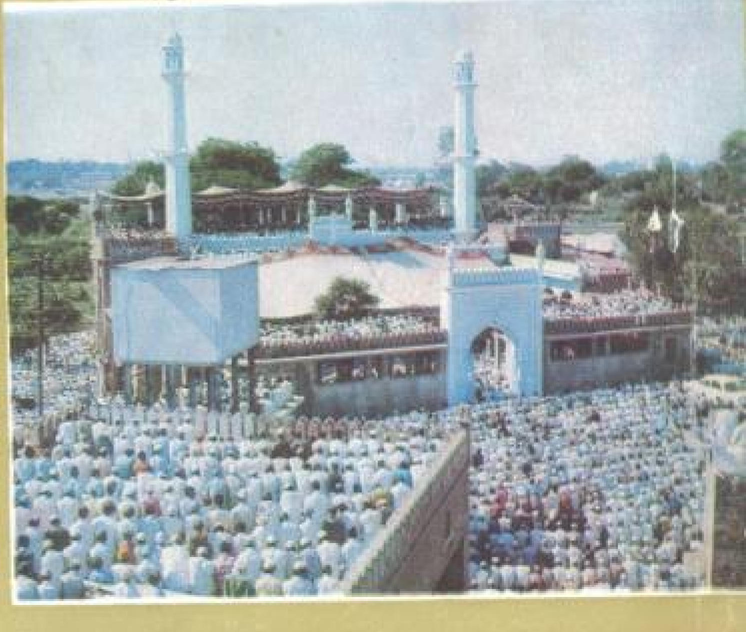
عدد ممتاز

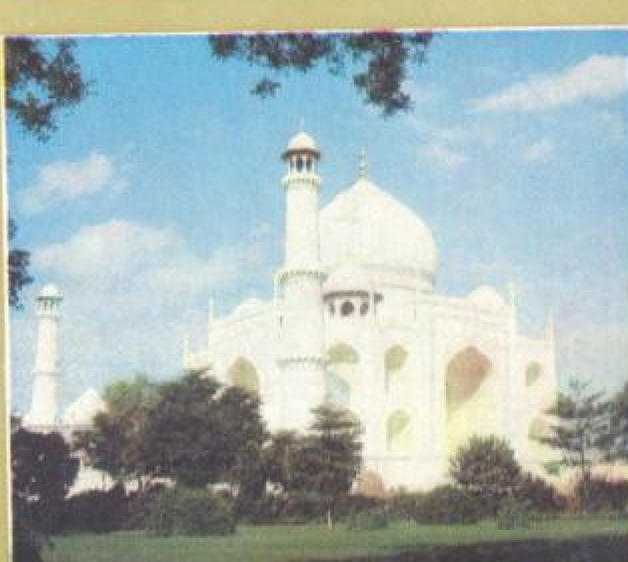
العربي

العدد ٢٠٦ ـ محرم ١٣٩٦ هـ • يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦

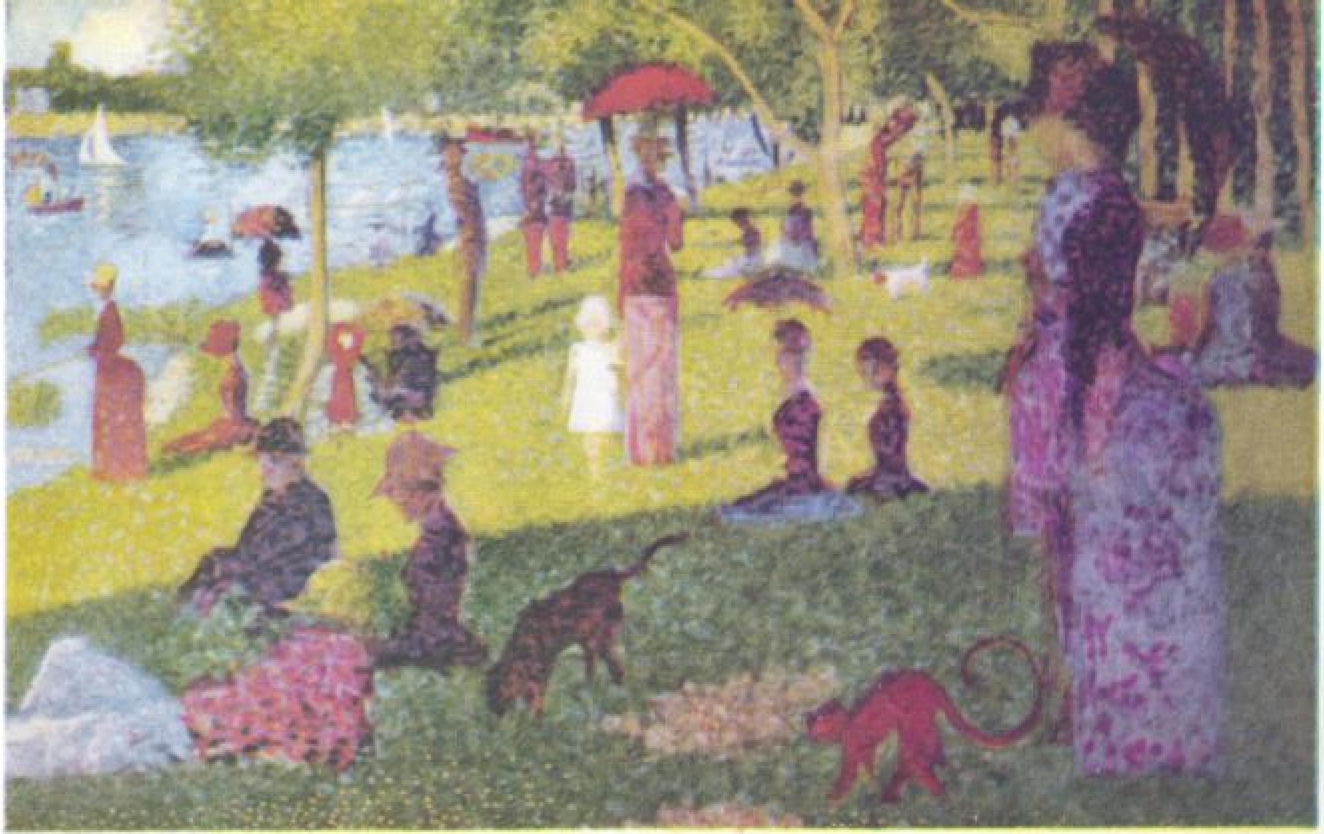




هديّة خريطة الوطن العربي وافريقيا بالألوان



السنة ١٧



العصـــيرة

لوحة لها قصة

● لوحة للرسام الفرنسي جورج سورا (١٨٥٩ ـ ١٨٩١) اسماها « العصيرة » في حديقة جزيرة « لاجراند جات » . Lagrande Jatte . وهي جزيرة صغيرة في نهر السين بضواحي باريس .. واللوحة ملك لمعهد الفنون بمدينة شيكاجو الامريكية ، اما صاحبها فهو ينتمي الى مدرسة الانطباعيين ، وهو من تلاميذ الفنان الكبير انجري ، وقد تاثر به ، كما تاثر بروفائيل وبوسان وغيرهما ، عشق الفن ، وامسك بفرشاته ، وهو صبي في الخامسة عشرة من عمره .. وتتميز اعماله بالتركيز في الدراسة العلمية للالوان !

عزيزى القارىء

« العربى » فى عامه السابع عشر

يستفتي قراءه

■ تعتز مجلة « العربى » بقرائها ، ويهمها دائما معرفة رايهم فيما ينشر لهم بمجلتهم ، لهذا اتيناك ايها القارىء العزيز برجاء :

ان تكتب الينا عن رايك فيما نقدمه لك من ابواب فى المعرفة شتى ، تبلغ بضعة وعشرين بابا هى :

١ ـ حديث الشهر
٢ ـ ادب ولغة
٣ ـ شعر
٤ ـ قصص
٥ ـ تاريخ
٦ ـ تاريخ اشخاص
٧ ـ اسلاميات
٨ ـ عروبة
٩ ـ تربية وعلم نفس
١٠ ـ فلسفة
١١ ـ التصاد
١٢ ـ طرائف عربية
١٣ ـ طرائف غربية
١٤ ـ ركن الأسرة والمرأة
١٥ ـ انباء الطب والعلم والاختراع
١٦ ـ امراض شائعة
١٧ ـ طبيب الأسرة
١٨ ـ من روائع الفن
١٩ ـ انت تسال ونحن نجيب
٢٠ ـ كتاب الشهر
٢١ ـ بريد القراء
٢٢ ـ استطلاعات مصورة
٢٣ ـ استطلاعات مصورة خارج الكويت
٢٤ ـ مكتبة « العربى »

ونرجو ان تقترح علينا ما تود من ابواب جديدة ، تريدها فى « العربى » .

اننا نكرر لك ما سبق ان قلناه : « ان العربى يرحب بكل نقد بناء ياتى من القراء ، فالمائدة مائدتهم ، والوان الطعام ، طعام لهم » .

ولا تنس ان تكتب على الظرف الذى متضمنه رأيك ، كلمة :

اقتراحات

العربى ■■

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABI — No. 206 JANUARY 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



● مرة اخرى نعود بك الى الهند لننقل صورا جديدة للاسلام والمسلمين وآثارهم التاريخية في شبه القارة الهندية تلك التي بقيت تروى قصة حضارة الاسلام العريقة في هذه البلاد التي تضم اليوم ٧٠ مليون مسلمٌ ••

صور الغلاف : وجه لفتاة مسلمة من كشمير ، وصلاة الجمعة في مسجد دار العلوم « بلكنو » و « تاج محل » قمة العمارة الاسلامية •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص • ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي • وبالنسبة لبلدان المغرب العربي يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص•ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب •

بريد القراء ونعرض آراءهم



الملك فيصل بقيت مآثرة بعد ذهابه

● شهدت الحفل الذى اقيم فى بروكسل ببلجيكا بمناسبة تشييد المسجد الجامع هناك ·· وهذا المسجد يعتبر نواة لمركز اسلامى ثقافى هناك ·· وقد رأيت بأم عينى الفرح الذى عم الجالية الاسلامية والعربية هناك لهذا الحدث العظيم ·· اذ سيصبح لهم بعد حين بيت من بيوت الله ··· لصلاتهم ·· وسيكون لهم ايضا مكتبة فيه، تغذى عقولهم وتكون منتدى لتجمعاتهم··

ويقع مبنى هذا المسجد الجامع والمركز الاسلامى الثقافى فى اجمل حدائق بروكسل ، فى مواجهة مقر السوق الاوروبية المشتركة ، بالقرب من مبانى الوزارات والادارات الحكومية البلجيكية ·

وقد تبرعت الدولة البلجيكية بارض هذا المسجد للجالية المسلمة ، وتعهد ببنائه وانجازه المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز ، وقد قدرت تكاليفه بما يزيد على اربعة ملايين دولار ·

محمد العلويني

الامام المدير للمركز الاسلامى الثقافى ببلجيكا

استطلاع البهرة

● اهنئكم على الاستطلاع الجميل الذى كتبتموه فى « العربى » عن « البهرة » ·· والحقيقة التى لابد من الاعتراف بها هى ان هذا الاستطلاع الطيب ، انفرد بالنظرة الدقيقة ، والمشاهد العميقة والاسلوب اللطيف ، والاخراج الفنى الذى ساهم فى نقل جو المهرجان للقارىء · فالاستطلاع لم يترك شاردة وواردة عن البهرة الا تناولها ··

اهنئكم مرة اخرى ، واقول ان كثيرا من الذين لقيتهم ـ بعد صدور المجلة ـ ممن شاركوا فى المهرجان اوغيرهم ـ من رجال الفكر والادب والعمل ـ وجدتهم معجبين بالاستطلاع كلمة وصورة·

وياحبذا لو كنتم اضفتم الى الاستطلاع :

١ـ كلمات واقتباسات من الخطب التى القاها رئيس جمهورية الهند ·

٢ـ نبذة موجزة عن المعهد العالى للدراسات الاسلامية والعربية المزمع انشاؤه ·

٣ـ نبذة يسيرة عن عقائد طائفة البهرة الاسلامية ، وهو امر اختلط على كثير من المهتمين بها ·

محمد شاكر

الامارات العربية المتحدة

« العربى » :

● نشكركم على ملاحظاتكم التى لم تفت علينا ، ولكن ضيق المكان حال دون نشرها ·

المقالات العلمية

● نلاحظ ان ما تنشره « العربى » من مقالات علمية يتركز معظمه على علوم الاحياء ، وخاصة علم الحيوان فحبذا لو نشر « العربى » الى جانب علوم الاحياء بعض المقالات فى علم النبات ·

ابراهيم محمد امين

الرياض ـ السعودية

الكويت
عبر مرآة « العربي »

● قبل صدور « العربي » منذ عشرين عاما او اقل قليلا لم تكن معلوماتنا عن الكويت تزيد عن معرفتنا لاسمه ، وانه بلد النفط فحسب .. الى ان صدر « العربي » ففتح اعيننا على حقائق عن الكويت كنا نجهلها .. واخذنا نطالع في كل عدد من اعداده وجها من وجوه الكويت الحديثة الناهضة ، حتى اصبح الواحد منا ، وكانه يعرف الكويت معرفة المقيم فيه .

وما قلته عن الكويت يصدق على معظم اجزاء وطننا العربي الكبير .

ولا شك ان هذا يبرز الدور الذى يمكن ان تلعبه الصحافة الهادفة في تقريب البعيد ، ولم الشعث ، وتضييق الشقة من خلال الكلمة الصادقة، والصورة الحية الناطقة .

مصطفى صبرى

مصراتة / ليبيا

العربي الصغير

● اهتمامكم « بالعربي » وتطويره اصبح امرا ملموسا لكل قارىء ... ولكن « العربي الصغير » مازال بحاجة الى مزيد من الاهتمام .. من حيث عدد صفحاته .. وتنوع موضوعاته .. وتشكيل احرفه .. ونوعية ورقه ..

ان امر الاهتمام بالطفل العربي من الامور التي باتت تشغل بال الامم المتقدمة .. لان الطفل هو ذخيرة المستقبل .. بل هو الذى يجدد المستقبل العربي .. وليس اولى من مجلة « العربي » بادراك هذه الناحية الخطيرة .. كى تعد للمستقبل جيلا مسلحا بالعلم والاخلاق .

ولا اغالى اذا قلتبان تطوير «العربي» الصغير، يعتبر خير هدية يمكن لمجلة « العربي » ان تقدمها لقرائها .

بابا عزت

حلب / سوريا

استطلاع الأردن

● قرات باعجاب بالغ استطلاعكم عن بلدكم العربي الاردن ، وعن منطقة عربية منسية هي « عجلون » .

واننى واهل المنطقة جميعا نشكر مجلة « العربي » على ما تحملته من مشاق السفر ، ومتاعب البحث في جبالنا .. لتصور قسما كان منسيا من ايام صلاح الدين .

والحقيقة ان عجلون لاينقصها – لتصبح منطقة سياحية يؤمها القاصى والدانى – الا الوعي السياحى والاستغلال الوطنى .. وانا ارحب بكل مخلص يرغب في استغلال هذه المنطقة سياحيا ، مع استعدادى لتقديم قطعة ارض لبناء اى مشروع سياحى يبرز جمال عجلون وروعتها .. اننى مواطن اردنى اعيش اليوم في بلدنا الشقيق مصر .

الدكتور عادل احمد المومنى

٣٦ شارع صلاح الدين / شقة ١٤ / مصر الجديدة

رسالة من باكستان
تستنكر ما تفعله اسرائيل
بالمسجد الابراهيمي

● ان محاولة اسرائيل للاستيلاء على الاماكن المقدسة الاسلامية ، وتدنيسها ، لامر يبعث على الحزن والكآبة في قلوب مسلمي الباكستان ، فبعد ان ولع المسجد الاقصى اسيرا يئن من معاول الهدم والتخريب ، نجدهم اليوم يتجهون صوب الحرم الابراهيمى الشريف فيدنسوه .

وباكستان جمهوريةاسلامية نذرت نفسها للاسلام والتضامن الاسلامي وهى تدعو المسلمين في جميع اصقاع المعمورة ان يحتفلوا بيوم الجمعة ١٥ اغسطس من كل عام ، كيوم للدعاء والتوجه الى الله تعالى ، كيف ينقذ الاسلام والمسلمين وكذلك اقامة الصلوات في هذا اليوم .

فنرجو ان تلبى دعوتنا .

مولانا كوثر نيازى

الوزير الفيدرالى للشئون الدينية

الباكستان

« بقية بريد القراء ص ٨٧ »

بقلم : أحمد بهاء الدين

العرب ...

■ لست أحب ان أجعل القارىء العربى راضيا عن نفسه سعيدا بها ، عن طريق تملق صفات الفرد العربى والمجتمع العربى ، والاكتفاء بالتغنى بمحاسنه وامجاده . ولست أحب للقارىء العربى ، وبالتالى للمواطن العربى بصفة عامة ، ان يركن الى هذا الرضا عن النفس الذى اشبه ما يكون بأريكة وثيرة يعتاد المرء الجلوس عليها حتى يصعب عليه الوقوف على قدميه .

ولعل العرب فى شتى اقطارهم كانوا فى حاجة ملحة الى استعادة الذكريات المجيدة واستذكار مناقبهم العديدة ، وهم بسبيل تحقيق استقلالهم ، وبدء نهضتهم الجديدة . ولكن الآن ، وقد صارت أمور العرب وثرواتهم فى أيديهم وصار عليهم ان يواجهوا تحديات الربع الأخير من القرن العشرين .. لم يعد هناك فى تقديرى مجال لتملق الذات ، والرضا عن النفس ، والقاء كل المسئولية دائما على الغير .. انما صار المطلوب ، دون ان نتنكر لصفاتنا الاصيلة التى رفعتنا يوما الى القمة ، ان نعرف ايضا عيوبنا ، وما ينقصنا . وبغير ذلك لن نحل مشاكلنا التى مازالت مستعصية ، ولن نقتحم الآفاق التى يمكن ان نقتحمها ، ولن ناخذ مكاننا الذى نريد تحت الشمس .

ونحن كشعب عربى لسنا شعبا معصوما او خاليا من العيوب . ولست اريد ان أزعج القارىء العزيز بان انقل له مثلا عن « ابن خلدون » اعظم فلاسفة التاريخ العربى ، وأحد مؤسسى علم التاريخ والاجتماع فى العالم ، ما قاله





شاتوبريان

ابن خلدون



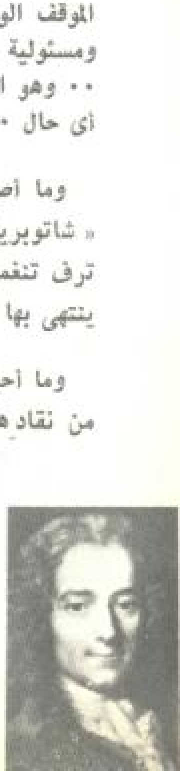
ولبنان

عن العرب والحضارة من نقد لاذع مرير . فلعل السبب انه كتبه والامبراطورية الاسلامية العربية فى مرحلة تفكك .. ولكن يكفى ان أقول أن هذا الموقف الناقد الفاحص لصفات القوة والضعف معاً فى المجتمع ، هو الموقف الوحيد الجدير بأمانة القلم ومسئولية الفكر فى كل مكان وزمان .. وهو الجدير بالامم الحية حقا على أى حال .

وما أصح قولة الكاتب الفرنسى « شاتوبريان » من ان « الجهل هواغلى ترف تنغمس فيه الشعوب .. لأنه ينتهى بها الى الكارثة » .

وما أحيا الامم وجدد شبابها ، اكثر من نقادها ، مثل فولتير فى فرنسا

ان ما حدث ويحدث فى لبنان الشقيق محنة يعيشها العرب جميعا .



فولتير

وامثاله في غيرها من دول اوروبا ابان عصر النهضة ٠

اقول هذا تحت وطأة ما ارى ويرى كل عربى على خريطة الأمة العربية من أمور ٠

انني لا اعرف كيف ستكون الصورة عندما تصل هذه السطور الى يد القارىء ٠٠ ولعل الصورة ان تكون خيرا مما هي عليه الآن ٠٠ ولكن الصورة التى اراها ساعة كتابة هذه السطور صورة مرعبة حقا ٠ دول المواجهة مع اسرائيل في خلاف شديد ٠ دول المغرب الأقصى ـ الجزائر ، المغرب ، موريتانيا ـ في خلاف آخر شديد ينذر بالخطر ٠ ثم لبنان ٠٠ لبنان الواقعة في قلب الامة العربية ، والملاصقة لاسرائيل والنموذج العربى للتعايش بين العناصر والاديان ، مازال يدور فيها من الاقتتال والمذابح ما لم يكن يخطر ببال احد ولو في أسوأ الاحلام ٠ وهذا كله يحدث في مرحلة من أخطر مراحل التاريخ العربى ، مرحلة قيام الامة العربية من رقادها الطويل ، ومن عثرتها الحضارية ، مرحلة بدء انتباه العالم الى كوامن القوة العربية ، واعادة تقييمه لمكاننا ومستقبلنا الممكن في هذا العالم ٠

ان ما يحدث في لبنان العزيز ساعة كتابة هذه السطور هو اخطر ما يهدد الامة العربية بكارثة لا تقل عن كارثة فلسطين ٠

ولست من الذين يستسهلون القاء المسئولية على اسرائيل ـ مرة اخرى ، من باب التنصل من المسئولية والراحة السريعة للضمير ـ ولكننى رغم كل التناقضات والعوامل التى سهلت الانفجار في لبنان ، واثق ان اسرائيل لها يد في اطالة المحنة ، واستمرار الانهيار ، مستغلة سهولة العمل في لبنان ٠

٠٠ ولكن ، أليس على العرب جزء من مسئولية نجاح اسرائيل مهما كان دورها في هذه الفتنة ، وأليس على شعب لبنان بالذات مسئولية ؟ ٠٠

٠٠ وقد يقال ايضا ان الزعامات المتناحرة ، ذات المصالح الضيقة والانانية ، هي المسئولة عن اطالة المحنة بل وعن قيامها ٠ نعم ٠٠ ولكن من الذى ينتج الزعامات في اى بلد الا الشعب الذى ينقاد لها ؟ او يبقيها في مكانها اكثر من اللزوم ، او يسمح لها بخداعه واستغلاله ؟ ٠٠٠

٠٠ طبعا ، ليس هذا مجال تحليل اسباب المحنة اللبنانية ، مما يجده القارىء في صحافته اليومية ، والاسبوعية ، كل يوم ، ولكن اقل ما نستخلصه من عبرة هي :

ان الرأى العام فى لبنان ليس بالقوة الكافية حتى يفرض ارادته التى عبّر عنها باشكال شتى لوقف الاقتتال ورفض دعوة التقسيم ...

وان الرأى العام العربى بوجه عام ليس ايضا بالقوة الكافية لكى يركز الاهتمام على لبنان ، ولكى يدفع حكوماته ومؤسساته العربية للحركة نحو ايقاف التدهور فى لبنان .

وقيمة الشعوب فى هذا العصر تقاس بقوة الرأى العام فيها وقدرته على التأثير فى امورها . ولكننا ككثير من الدول النامية ما زال الرأى العام دون هذا . ويؤخر قوة الرأى العام ممارساتنا السياسية احيانا ، وانتشار الضحالة فى وسائل التثقيف العام احيانا ، وتربية الرأى العام عندنا على العاطفية ، التى هى اندفاع مفاجىء وفتور مفاجىء ، وعدم تربيته على العقلانية والحساب ، وموازنة العقل والعاطفة معا ، وتلك مسئولية الكثيرين من بينهم حملة الاقلام !

★ ★ ★

.. سؤال للإنسانية !

تطرح الحياة على الانسان اسئلة لا حد لها .. وتواجهه بمواقف تتصادم فيها القيم تضادما دراميا عنيفا ...

روت الانباء ان ابنة فرانكو الوحيدة وزوجها الطبيب ، تشاجرا مشاجرة عنيفة فى الايام التى سبقت وفاة الحاكم الاسبانى . الطبيب يستخدم كل وسائل العلم لاطالة عمر فرانكو ـ كمجرد جسد فيه نبض ـ يوما بعد يوم . وزوجته ـ ابنة فرانكو ـ تطلب من الاطباء ايقاف محاولتهم ، لانهم يعرفون انها غير منتجة ، وانها لن تطيل عمره الا اياما او اسابيع ، يعيشها ولا يعيشها ، فهى تطلب انهاء عذابه وتركه للقاء ربه المحتوم .

وفى امريكا قضية مشابهة تهز الضمائر والمشاعر والافكار والفلسفات منذ شهور .. عن أب وأم لهما ابنة فى ريعان شبابها ، ولكنها اصيبت بمرض ادخلها فى اغماء الموت منذ شهور . وقال الطب انها لن تشفى . ولكن من الممكن باستخدام الاجهزة والآلات ابقاءها « حية » فى فراشها ، تتنفس وتتغذى ، ولكن دون وعى ولا شعور ولا حياة بالمعنى الحقيقى ، فهى ستكون اشبه بنبات حى منها بانسان او حتى حيوان .

وطلب الأب والأم ايقاف هذا كله وترك ابنتهم تموت وتستريح ..

ولكن هذا قرار ظهر ان الأطبـــاء لا يمكنهم تنفيذه ، الا بحكم من المحكمة يعطى الابوين حق اتخاذ قــرار بموت ابنتهما العزيزة !

وطال نظر القضية امام المحـــكمة شهورا ،حتى ساعة كتابة هذه السطور ٠

واجريت استفتاءات للرأى العام ٠٠

وانقسم الناس من اطباء وســاسة ومفكرين واخلاقيين ورجال دين حول هذه القضية : استمرار عذاب الفتـاة طالما كان ممكنا ابقاء قلبها ينبض ام اعطاء الابوين فى مثل هذه الحالة التى بدأت تتكرر مع تقدم العلم ، حق اتخاذ اقسى قرار ممكن تصوره : قرار ايقاف حياة بنت لهما ، رحمة بها ، ورضوخا لحظها وقدرها ؟ ٠٠٠

★ ★ ★

... كفة الميزان

السفير الأمريكي « موينيهان » عين رئيسا لوفد امريكا فى الامم المتحدة بسبب مقال كتبه فى احدى المجلات !

قال فيه : « ان امريكا ــ فى الأمم المتحدة ــ سكتت طويلا على حملات دول العالم الثالث عليها ، ودعا الى ان ترد امريكا الصاع صاعين بأن ترد على دول العالم الثالث معلنة عيــوبهم ومالديهم من نظم دكتاتورية، وحركات قمع او عدم احترام لحقوق الانسان ٠٠ »الى آخره ٠

واعجب الرئيس فورد بالمقال ،فعينه رئيسا لوفد امريكا فى الامم المتحدة ٠٠

ولكن موينيهان فوجىء بالأمم المتحدة تصـــــدر قرارها الشهير باعتبـــار « الصــهيونية » من بين الحــركات العنصرية ٠

هذا القرار أقام الدنيــا فى عالم الغرب بوجــه خاص وفى كل مــكان للصهيونية فيه صوت بوجه عام ٠ فقد عاشوا هذا الزمن على ان الصـهيونية حركة تحررية تقدمية ، ولكن بعد كفاح سياسى واعلامى طويل ، وصلت الحقيقة الى الأذان ٠٠ ورأت الامم المتحدة ــ اومعظم دولها ــ ما فى الصــهيونية من صفات عنصرية واضحة : قيام القومية على وحدة الدم والدين ، التفرقة بين الناس على اساس سلالاتهم ، الزعم بوحـــدة الجنس اليهودى وخصوصيته كزعم النازية بوحـــدة الجنس الآرى وتميزه ٠٠ الى آخره ٠



موينيهان ·· حاول أن يرد
الصفعة فخابت محاولته ·

ولعلنا فى البلاد العربية لم نهتم كثيرا بهذا القرار لاننا نقول بما فيه منذ زمن ، ولكن الهزة العالمية التى أحدثها جديرة بأن نستخدمها وان نطرق والحديد ساخن ، وباسلوب علمي ، ولا نترك الصهيونية تمحو أثره ونحن سكوت يوما بعد يوم ···

وقرر موينيهان ان يقدم قرارا يرد به الصفعة للكتلة التى اصدرت القرار ·· فقدم مشروع قرار تصدره الامم المتحدة بالافراج عن كل المعتقلين السياسيين فى العالم !

وكان القرار يعرف ان دول الغرب ليس فيها اعتقال سياسي بينما دول العالم الثالث فيها نظم حافلة بالمعتقلات السياسية ،فهو يريد ان يكشف عورتهم!

عظيم !

وكل مفكر يرحب باخلاء كل المعتقلات فورا حيثما كانت ·

ولكن عند مناقشة المشروع فوجيء بأن هذا القرار يعني ـ مثلا ـ ان تطلق اسرائيل سراح كل المناضلين الفلسطينيين لانهم معتقلون سياسيون يدافعون عن وطن محتل ! وفوجيء بأن معنى القرار ايضا ان حكومات روديسيا وجنوب افريقيا العنصرية عليها ان تطلق سراح المواطنين الافريقيين المناضلين عن حريتهم !

وظهر ان العورة فى كل مكان وفى الجانبين !

وأسرعت الخارجية الامريكية تطلب سحب مشروع القرار بسرعة من جدول الأعمال !

■■

٢ / ١٢ / ٧٥ احمد بهاء الدين

أحمد بن ابراهيم الجزار

بقلم : الدكتور محمد محمد زيتون

■ هذا عالم من نبغاء القيروان كان له اثر كبير فى نهضة الطب فيها ، وهو « احمد بن ابراهيم الجزار » الذى ولد بالقيروان سنة خمس وثمانين ومائتين من الهجرة وهو من اسرة اشتغلت بالطب ، واشتهرت به فكان ابوه ابراهيم طبيبا وكذلك كان عمه ابو بكر طبيبا ، وقد تلقى عليهما العلوم الطبية كما تتلمذ على اسحاق بن سليمان واستفاد من علمه وخبرته . وقد برع احمد فى الطب والطبيعة والفلسفة ، والتاريخ ، ووصفه ابن جلجل بانه من اهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم .

عيادة للمرضى ، وصيدلية للأدوية

وكان لابن الجزار عيادة خاصة للمرضى جعلها فى مكان مستقل بجوار بيته ، كما خصص قسما للصيدلة ، أجلس فيه غلامه رشيقا ، واعد له الادوية من معجونات واشربة ومراهم ونحوها .. فاذا فحص هو المريض وشخص له العلاج تحول المريض الى غلامه رشيق ، لياخذ منه العلاج ، وكان ابن الجزار يراقب الصيدلية كل يوم ليكمل ما ينقصها .

وكان ابن الجزار يتحلى بسمت خاص يسير عليه فى حياته ، فلم يكن يخلد الى لذة ، او يرتكب زلة ، ولم يكن يفعل ما يؤاخذ عليه ، وكان يشاطر الناس افراحهم واحزانهم ، فكان يشهد الجنائز والاعراس ولا ياكل فيها . وكان لايذهب الى الرؤساء والحكام او يتقرب اليهم ، مع عنايته بالفقراء والمساكين ، فكان يحسن اليهم ويداويهم بدون اجر تقربيا الى الله تعالى ، وقد اكسبه ذلك منزلة عالية فى القيروان .

وقد تلقى الطب عن ابن الجزار عدة تلاميذ ، من اشهرهم ابو حفص عمر بن بريق الاندلسى ، فقد لازمه فى القيروان مدة ، روى عنه فيهامؤلفاته، ثم عاد الى الاندلس ، والتحق بخدمة الامراء الامويين ، وخاصة الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد نشر تلميذه ابو حفص كتبه فى الاندلس،حيث ترجم بعضها الى اكثر من لغة .

مؤلفاته

وقد الف ابن الجزار كتبا كثيرة فى الطب ، والتاريخ والجغرافيا والادب وغيره ، ذكر منها ابن ابى اصيبعة اثنين وعشرين مؤلفا واوصلها الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب التونسى الى سبعة وثلاثين مؤلفا ، من هذه المؤلفات فى الطب :

- زاد المسافر وقوت الحاضر : وهو من اهم الكتب التى الفها المسلمون، (ويوجد منه نسخ فى مكتبة الشعب بباريس وفى الجزائـــر ، والمانيا الغربية واكسفورد والهند وهولندا ، وقد ترجم الى اللاتينية فى اواسط القرن الخامس الهجرى كما ترجم الى اليونانية ، ويوجد منه نسخ بمكتبة الفاتيكان فى روما كما نقل هــذا الكتاب الى العبرية) .
- كتاب العدة لطول المدة .
- كتاب الاعتماد فى الادوية المفردة (ويوجد بالجزائر والمتحف البريطانى ، وترجم الىاللاتينية والعبرية) .   - كتاب البغية .
- كتاب نصائح الابرار .- كتاب قوت المقيم
- كتاب المعدة وامراضها ومداواتها .
- اصول الطب .   - مجربات فى الطب .
- كتاب البلغة فى حفظ الصحة .
- كتاب الفرق بين العلل التى تشتبه اسبابها وتختلف اعراضها .   - كتاب المختبرات .
- كتاب أبدال الادوية (رسالة موجودة بمجموعة طبية فى خزانة السيد احمد خيرى بك بالبحيرة بمصر) .
- كتاب التحذير من اخراج الدم من غير حاجة دعت الى اخراجه .

نابغة من نوابغ الطب فى القيروان

ـ كتاب طب الفقراء والمساكين (موجود فى مكتبة السيد عبد الحى الكتانى بفاس ، وترجم قديما الى العبرية) •

ـ كتاب النصح : جمع فيه ادوية الملوك والخواص •

ـ كتاب طب المشايخ : عالج فيه الحالات التى تعترى المسنين والمعمرين (وهو موجود فى مجموع طبى مخطوط محفوظ فى مكتبة السيد احمد خيرى بك ، بالبحيرة بمصر •)

ـ كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم •

ـ الخواص (وقد ترجم قديما الى العبرية •)

ـ كتاب الزكام : اسبابه وعلاجه •

ـ كتاب الجذام : اسبابه وعلاجه •

ـ كتاب الوباء ونعت الاسباب المولدة له فى مصر وطريق الحيلة فى دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه •

ـ المقعدة واوجاعها (رسالة)

ـ كتاب الحمامات منافعها ومضارها(مقالة)

ـ كتاب اسباب الوفاة (رسالة •)

وقد ذكر له الاستاذ حسن حسنى علاوة على ذلك خمسة كتب فى التاريخ والجغرافيا ، وسبعة كتب فى الادب وغيره •

عنايته بالاطلاع ومكتبته الضخمة

واذا كان ابن الجزار قد الف هذه المجموعة فى الطب وغيره مما يدل على علو كعبه وتفوقه ،فقد كانت تعينه على بحوثه ومقالاته مكتبة ضخمةكان يملكها ويرجع اليها وقد قدرت بخمسة وعشرين قنطارا من كتب طبية وغيرها • وهذا يبين لنا عنايته واهتمامه بالقراءة والاطلاع ، وتسجيل تجاربه ، حتى وصل الى ماهو عليه من منزلة عالية جعلته فى المغرب يعادل الفارابى وابن سينا فى المشرق •

ومع كثرة مساعدة ابن الجزار للفقراء ومداواتهم مجانا ، فقد وجد له بعد وفاته ثروة كبيرة قدرت باربعة وعشرين الف دينار ، عدا الكتب ، مما يدل على شهرته وعلى الأجر الذى كان يتقاضاه • وقد استمر ابن الجزار يؤدى واجبه الى ان ادركته الوفاة سنة ٣٦٩ هـ (١)

ثقافة الطبيب

ولعل الحديث عن حياة اولئك العلماء يبين لنا طرفا عن الطب والصيدلة فى القيروان آنئذ، ثم مدى التاثير والتاثر بين مصر وبغداد والقيروان والاندلس ، ويذكر المؤرخون ان الطب كان يدرس فى القيروان نظريا وعمليا ، حيث كان الطلبة يتمرنون فى المارستانات (المشافى) وكانوا يتخصصون فى الأمراض الباطنية ، وفى الجراحة ،ومنهم الكحالون الذين يعالجون امراض العيون• •

وكان من مستلزمات الطبيب ان يكون ملما باللغات الأجنبية ، وخاصة السريانية ،واليونانية ،بجانب معرفة الطب • كما يسجل المؤرخون ان الأطباءكانوا يزورون مستشفى الدمنة بالقيروان للكشف على المصابين وتتبع سير مرضهم وعاهاتهم ، وكان يشرف على مستشفى الدمنة مسئولون عنه ، يسهرون على نظامه ، وعلى راحة المقيمين فيه ، كما كان هناك نساء سود من السودان يخدمن المرضى ويقمن بشئونهم داخل الغرف وخارجها •

وقد بلغ من تقدم الطب فى القيروان ان المعز لدين الله الفاطمى عند رحيله الى مصر سنة ٣٦٢ هـ (٢) اصطحب معه بعض الأطباء من القيروان الى القاهرة (٣) •

محمد محمد زيتون

كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

(١) انظر ابن جلجل «طبقات الأطباء»ص ٨٨ـ٩٠ ابن ابى اصيبعة «عيون الأنباء» جـ ٢ /ص ٣٨ ، ابن عذارى «البيان المغرب» جـ ١ ص ٢٣٧حسن حسنى عبدالوهاب «الورقات» ص ٣٠٦ ـ ٣٢٢ •

أزمة الإسكان

أكثر الأزمات تعقيداً في عالم اليوم

- التصنيع وما واكبه من نزوح الى المدن وراء الأزمة .
- انها ليست مشكلة اقتصادية فحسب ، بل هي مشكلة اجتماعية ذات أبعاد خطيرة .
- سبيلنا الى الخروج منها ووسائل علاجها .

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

■ جاء القرن العشرون ومرت أعوامه ، ومعها ظهرت مشكلاته ، ويبدو انه تجمع فى هذا القرن من المشكلات ما لم يتجمع لقرن من قبله ، ولا عجب طالما ان هذا القرن هو حصيلة ما قبله من القرون الغابرة والعهود الماضية . فى هذا القرن ظهرت مشكلات عديدة وخطيرة نذكر منها على سبيل المثال: مشكلة الانفجار السكاني ، ومشكلة تلوث البيئة، ومشكلة الاسكان التى نحن الآن بصددها ، والتى باتت تهدد الانسان وتقلقه في كل مكان . ومن الطبيعى ان لكل مشكلة أصولا هى بمثابة جذور تعود الى ما قبل الظهور ، وعلى سبيل التوضيح نقول : ان مشكلة الاسكان تجلت على حقيقتها فى زماننا هذا ، ولكن بوادرها ظهرت قبل هذا القرن، وهى تهدد البشرية كلما تقدم بها الزمن .

يقولون أن معظم مشاكل الانسان وليدة الانسان نفسه ، وكلما تقدم فى مدارج المدنية والرفاهية دفع الثمن من سعادته . فمثلا كان الانسان فى الماضى يسكن القرى والارياف ولا ينعم بما ينعم به انسان اليوم من وسائل الرفاهية المادية . ولكنه



● العالم يحتاج في الخمس والعشرين سنة القادمة مقدار ما بناه من مساكن منذ بدء الخليقة وحتى الان ٠

● مليونان من البشر في الدول النامية يقطنون مساكن وصفتها هيئة الامم بانها طعنة لكرامة الانسان ٠

كان هانيء البال مطمئن الحال ، ولا يشعر بمثل القلق والخوف الذى نشعر به اليوم ٠

جاذبية المدن بداية المشكلة السكانية

كان من ابرز النتائج الاجتماعية الثورة الصناعية التى اجتاحت اوربا فى القرون الثلاثة الماضية هجرة السكان من الريف الى المدن ، حيث الاعمال متوفرة ، والاجور مرتفعة ٠ ونجم من هذه الهجرة ان ازدحمت المدن بسكانها ، فارتفعت أجور المساكن لشدة الطلب عليها وتناقص المعروض منها ، فسكن الوافدون من العمال فى الاحياء الفقيرة ، وتكدسوا فى غرف صغيرة ، ومساكن بسيطة ، فكان هذا بداية ظهور الاحياء الفقيرة والمهملة Slum Areas ، والتى تفتقر الى كثير من الخدمات والوسائل الصحية ، وكانت الامراض والاوبئة تحصد الكثير من سكانها ٠ وقد استغل الكثيرون هذه الظاهرة الاجتماعية فى الدعاية والترويج لمختلف المبادىء والنظريات التى تنادى بالاصلاح ، وتحسين الاوضاع لهذه الفئة من السكان ٠

لقد بلغت حركة النزوح الى المدن فى الاقطار الصناعية اوجها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولكن حدتها خفت اليوم حتى كادت تتلاشى ٠ ونشهد اليوم فى بعض البلاد هجرة معاكسة ، اى من المدينة الى الريف الذى يقصده الناس هروبا من ضوضاء المدينة* وجوها الملوث ٠٠٠ ويختلف الحال في البلاد النامية ، فهي لا تزال في المراحل الاولى من التصنيع ، وغالبية شعوبها لا تزال تعمل في الزراعة وتسكن الارياف ٠ ولذلك فان الهجرة من الريف الى المدن قائمة اليوم على أشدها ٠٠ ففي خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٠ قدر عدد الاشخاص الذين نزحوا الى المدن في آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية بنحو مائتى مليون شخص ٠ وهذا من شانه ان يزيد الطلب على المساكن بشكل لم تشهده تلك الاقطار من قبل ٠

النوم على الأرصفة ومساكن العشش ظواهر للمشكلة الاسكانية

كان من نتائج النزوح الجماعى الهائل الى المدن ان ضاقت هذه المدن بسكانها ، ولم تعد المساكن تكفى لايواء هؤلاء الوافدين ، وكلهم من اصحاب

الدخول البسيطة الذين لا يستطيعون بناء مساكن خاصة بهم او حتى استئجارها ، فصار العديد منهم يلجأ للنوم على الأرصفة • ففي كلكتا بالهند يوجد اليوم اكثر من نصف مليون شخص يفترشون الأرصفة والطرقات •• وقد دلت الاحصائيات الرسمية على ان شخصا واحدا من كل ٦٦ شخصا بلا ماوى في مدينة بومباي ، علاوة على نحو ٧٧٫٠٠٠ شخص يعيشون في مداخل المباني وحظائر الماشية وما شابه • هذا بالاضافة الى الاعداد الغفيرة من العمال الذين لجأوا الى بناء اكواخ على اطراف المدن ومداخلها ، وهي التي نطلق عليها « مساكن العشيش » Shanty Houses والتي تشوه وجه المدينة ، وتكون مبعث القذارة ووكرا للامراض والاوبئة •

وهكذا اصبحت الغرفة الواحدة التي لا تزيد مساحتها عن ١٥٠ قدما مربعا بمدينة بومبي يسكنها ما بين ستة وعشرة اشخاص بالمتوسط • اما في بناما ، فقد بلغ عدد سكان الغرفة الواحدة التي لاتزيد مساحتها عن ٢٢٥ قدمامربعا عشرين شخصا بالمتوسط ايضا ، مما يجعلهم ينامون فيها بالتناوب • وفي جزيرة جمايكا تكثر الاكواخ الصغيرة التي لا تزيد مساحة الكوخ الواحد منها على ستين قدما مربعا ، ولا يقل عدد ساكنيه عن تسعة اشخاص • وفي اكرا عاصمة غانا وصل معدل سكان الغرفة الواحدة عشرين شخصا •وفي لاغوس في نيجيريا ،حيث بلغت نسبة النازحين الى المدن ثلث السكان تقريبا ، يشترك كل ثمانين شخصا في منزل صغير لا يصلح للسكن ولا تتوفر فيه مقومات الحياة ومرافقها كالمياه والكهرباء والمراحيض •

الأبعاد الاجتماعية لمشكلة الاسكان

وكان من نتائج حركة النزوح الى المدن ايضا تردي الاوضاع المعيشية للسكان • فلم يعد الانسان بقادر على الاختلاء بنفسه ، او حتى مجرد التحرك بحريته •• ففي هونج كونج مثلا حيث يقيم كل ستة اشخاص فيما يشبه العلب ، وحيث تبلغ الكثافةالسكانية الفي شخص للفدان الواحد، يعيش الكثيرون في اكواخ ليس فيها ماء او كهرباء او مراحيض ، وتشاركهم في نفس الكوخ دواجنهم وخنازيرهم ودوابهم •

ان من المؤلم حقا ان نجد اليوم في امريكا اللاتينية وافريقية وآسيا او اقطار العالم الثالث التي يقطن بها نصف سكان العالم اكثر من مليون من البشر ، اغلبهم بلا ماوى ، وبعضهم يعيش في مساكن وصفتها بعثات الامم المتحدة بانها مساكن تشكل خطرا كبيرا على الصحة ، وتعتبر طعنة واهانة لكرامة الانسان •

ومما يزيد الامر سوءا ، ان تردي الاوضاع السكنية في الاقطار النامية مستمر بل متزايد ، وذلك نظرا لان الدخول منخفضة ، فلا تستطيع الاسر دفع اجور المساكن المرتفعة وتوفير حاجياتها وضرورويات حياتها • وهذا يعني ان النزوح الى المدن سيظل مستمرا ، وان الضغط على السكن سيزداد حدة وضراوة • وقد قدر احد خبراء هيئة الامم المتحدة بأن العالم سيحتاج من المساكن في الربع المتبقي من هذا القرن ما يعادل كل ما شاده الانسان من ابنية منذ ان سكن ادم هذا الكوكب، وعمره بحرثه ونسله ، حتى زماننا هذا •

ومن اهم النتائج الاجتماعية التي ظهرت من جراء ازمة الاسكان عزوف الشباب عن الزواج وتكوين الاسرة ، التي هي اساس المجتمع وكثرة الحالات التي يهجر فيها رب الاسرة اسرته،وارتفاع نسبة الجريمة والاجرام بين الشبان في الاحياء الفقيرة المكتظة بسكانها ، وتفشي ظاهرة الانحلال الخلقي والتفسخ الاجتماعي ، وانتشار الفساد والرذيلة،والاقبال على تعاطي المخدرات والمسكرات، وشيوع ظاهرة البغاء وهتك الاعراض الذي يقدم عليه من هم في مقتبل الاعمار ، والتحلل من كل قيمة خلقية ودينية ، والتمرد على كل سلطة أبوية ، حتى أصبحت هذه الاحياء بمثابة اوكار لشتى انواع الجرائم والآثام •

ومن نتائج الاكتظاظ السكاني نذكر ايضا انتشار الامية والجهل ، وتفشي البطالة وغلبة الفاقة ، وتولد الحقد بين الناس • هذا الى جانب زيادة نسبة الطلاق ، واصابة الناس بالامراض العقلية،وانخفاض مستوى الذكاء وعدم الاستقرار في المكان الواحد ، بالاضافة الى انخفاض المستوى التعليمي •

ولعل من اخطر تلك النتائج ان الاحياء المكتظة



تكون مبعثا للثورات والاضطرابات وعدم الاستقرار في البلاد • فالشعور بالمرارة كامن في نفوس سكان تلك الاحياء ولا يحتاج الا الى قليل من التحريك لتفجيره • انه شعور بالحقد والكراهية بين ابناء الوطن الواحد الذين يشعرون باختلاف كبير في مستويات الحياة ، فاذا ما اختل حبل الامن في البلاد يكون من السهل استغلال الشعور الحاقد فيهم ، فيرتكبون الكثير من الاعمال الاجرامية بغية تصحيح الاوضاع الاجتماعية كما يدعون •

تضخم المدن يعني زيادة الطلب على الاسكان

في العالم اليوم ست وثلاثون مدينة يتراوح سكان كل مدينة منها ما بين مليوني نسمة الى ثلاثة عشر مليونا ، وهذه تشكل نحو ٥٪ من سكان العالم الذي يقترب سكانه اليوم من اربعة آلاف مليون نسمة • ان هذه المدن الضخمة ظاهرة من ظواهر القرن العشرين • وفي عام ١٩٥٠ كان نحو خمس سكان العالم يعيشون في مدن تعداد كل منها لا يزيد على عشرين الف نسمة • واذا ما اخذنا في الاعتبار تزايد سكان العالم بنحو ستين مليونا كل عام ، جزمنا بان حركة النزوح الى المدن ستزداد • ومن المتوقع ان يصل عدد سكان المدن في كل من آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية في عام ٧٦/١٩٧٥ الى ضعفي ما كان عليه في عام ١٩٦١ • لذلك ولكي نتلافى تفاقم مشكلة الاسكان في اقطار العالم الثالث ينبغي ان تزداد المساكن في مدنها في عام ٧٦/١٩٧٥ الى اربعة اضعاف ما كانت عليه في عام ١٩٦١ •

الانفجار السكاني ومشكلة الأرض

قيل انه في عام ١٦٥٠ كان عدد سكان العالم ٤٧٠ مليون نسمة ، وفي عام ١٨٥٠ زادوا الى ١٠٩١ مليون نسمة ، اي ان سكان العالم تضاعف مرتين ونصف تقريبا في بحر مائتي عام • وفي عام ١٩٥٠ بلغ عدد سكان العالم ٢٥١٧ مليون نسمة ، اي انهم تضاعفوا في مائة عام فقط • وفي عام ١٩٧٠ وصل عدد سكان العالم الى ٣٦٥٩ مليون نسمة ، اي بزيادة قدرها ٤٥٫٣٪ في غضون عشرين عاما • ومن المقدر ان يصل سكان العالم في نهاية هذا القرن الى سبعة الاف مليون سنة ، ومعنى هذا ان زيادة السكان في الخمسين سنة الاخيرة من هذا القرن تبلغ نحو ضعف سكان العالم لعام ١٩٥٠ •• وهذه لا شك ظاهرة خطيرة ومخيفة لا ندري مدى نتائجها ، ولكن

الذى يهمنا فى هذا المقام ان هذا التزايد السكانى الرهيب سيحتاج الى مزيد من المساكن ، وهذه ستبتلع معظم الاراضى ، فتنكمش بالتالى الرقعة المزروعة • وقد بدات هذه الازمة بالظهور بوجه سافر من مدة ليست بالقصيرة ، فالمدن تمتدوتتسع على حساب الريف ، وكثير من الاراضى التى كانت تحيط بالمدن وتمدها بالانتاج الزراعى اصبحت اليوم تشغلها مشاريع الاسكان • وما لم يفكر الانسان فى حلول لهذه المشكلة فان النتائج ستكون رهيبة •

ويجرنا هذا الى مشكلة الارض ، فالظاهر ان هناك نقصا فى الارض الصالحة لامتداد المدن وتوسعها • وقد لا تتجاوز مساحة الارض التى تقوم عليها المدن مساحة بلد صناعى متطور ،لكن التنافس على هذه الارض شديد من حيث نوعية الاستعمال وكيفيته وشكله،وما لم تجد حلا مرضيا لهذا التنافس ، فقد يؤدى الامر الى صراع خطير لا يقل عن خطورة ازمة نقص فعلية فى الارض نفسها •

ان سبب مشكلة الارض الحالية ناجمة عن رغبة الانسان بل وحاجته الى العيش قرب مكان عمله • وعلى الرغم من وجود الارض احيانا فى بعض البلدان وتوفرها نسبيا ، الا ان المساحات التى يمكن ان تلبى جميع احتياجات الانسان لاتزال محددة بعامل الزمن ، وسهولة الوصول ، والمسافة، ونفقات التنقل وسرعته • ومن الطبيعى انه كلما تدفق الناس على المدن ارتفعت اسعار الارض فى الضواحى • ولعل اسباب ارتفاع الاراضى يعود الى عوامل عديدة متشابكة منها :

١ ـ المواصلات من حيث توفرها وندرتها •

٢ ـ الطلب المتزايد على الاراضى لاقامة المنافع العامة عليها وشق الطرق •

٣ ـ تفتيت الملكية فى بعض الاقطار بحيث يتعذر احيانا تجميع الملكيات المتعددة فى وحدة واحدة تصلح للاستغلال •

٤ ـ التزام بعض الحكومات بسياسات غير سليمة فيما يتعلق بملكية الارض ، وانعدام الاجراءاتالمناسبة الخاصةبشراء الارضواستثمارها •

٥ ـ عدم الثقة بالعملة وانخفاض القيمة الشرائية للنقود مما جعل الناس فى الاونة الاخيرة يقبلون على شراء الاراضى لانها استثمار مضمون ومامون •

ان فى وسع اى انسان ان يلمس مشكلة الارض اينما ذهب ، فالمناطق المدنية فى الهند مثلا اخذت فى الامتداد حتى اصبحت تهدد بابتلاع اراض زراعية ، وكذلك الحال فى باكستان حيث تهدد مشاريع اعمار الضواحى بابتلاع اراض تنتج اربعة محاصيل فى العام • وفى تركيا يعادل ثمن الارض نصف نفقات المنزل بكامله • وفى كاليفورنيا تبتلع مشاريع الاسكان مزرعة من مزارع منتجات الالبان فى كل اسبوع •

عقبات فى وجه الاسكان

تظهر مشاكل الاسكان بشكل واضح فى الاقطار الصناعية اكثر منها فى البلاد الزراعية نتيجة تركز السكان فى المدن فى الحالة الاولى وقلتهم فى الثانية » ففى بريطانيا على سبيل المثال يبلغ سكان المدن اكثر من ٨٠٪ من مجموع السكان • ومن المعلوم ان متطلبات سكان الريف الاسكانية اقل من متطلبات البيئات الصناعية ، ولذلك كلما بدا البلد فى النمو الصناعى تظهر مشاكله السكنية ، وكلما زادت نسبة التصنيع فيه زادت مشاكل السكن تعقيدا • ويمكننا ان نعزو تعثر الاسكان وتقدمه فى اقطار العالم الى مجموعة من العوامل مترابطة لعل منها :

١ ـ الدخل المنخفض لكثير من افراد الشعب وهو عائق رئيسى يقف حجر عثرة فى وجه توفير السكن • ففى البلاد النامية ، حيث لا يزيد متوسط دخل الفرد فى كثير من الحالات عن مائة دولار فى السنة ، لا يستطيع رب الأسرة بناء مسكن لائق باسرته •• وفى الهند مثلا لاتتجاوز نسبة الاسر التى تحظى بدخل يكفى لشراء مسكن ٢٪ من مجمل عدد السكان •وفى الولايات المتحدة يصرف المواطن فى المتوسط ٢٠٪ من دخله فى آجر المسكن • وهذا يجعل كثيرا من الاسر فى بلدان عديدة تفكر فى الاختيار بين المسكن والماكل •

٢ ـ عجز الدول ، وبخاصة النامية منها ،عن توفير المساكن لشعوبها لنقص فى رؤوس الاموال،

وعجز فى المهارات تحتاج الى ما لا يقل عن ٢٤ مليون وحدة سكنية سنويا اى نحو عشرة مساكن لكل الف شخص فى العالم ، بينما الدول المتقدمة لا تحتاج لأكثر من ستة او سبعة مساكن جديدة لكل الف شخص بسبب النقص فى الاسكان وتزايد السكان تزايدا كبيرا فى الأولى عن الثانية .

٣ ـ ارتفاع اسعار الاراضى من شدة المضاربة عليها . وهذه المشكلة تظهر فى الاراضى القريبة من المدن .

٤ ـ تخلف صناعة مواد البناء فى كثير من الاقطار النامية وعجزها عن سد متطلبات الاسكان ففى كثيرمن البلدان توقفت حركة الاعمار منذ سنوات طويلة لنقص فى الاسمنت او الحديد او الاخشاب . وقد يكون من اسباب هذا النقص ان الحكومة تعطى الأولوية لبناء المصانع ، واقامة السدود والخزانات ، وتشييد المرافق والمبانى اللازمة للتنمية الاقتصادية ، واستكمالها لمقومات الاطار الهيكلى للبلاد Infrastructure ، اعتقادا منها بان المساكن وبناءها يدخل فى القطاع الاستهلاكى غير المنتج ، وهو فى رأينا اعتقاد خاطىء .

٥ ـ تعدد ورثة الارض يؤدى الى صعوبة بيعها وهذا يتركها بدون استغلال او استثمار .

٦ ـ قوانين الايجار فى بعض الاقطار قد تعطى حقوقا للمستاجر اكثر مما يتمتع به صاحب الملك مما يجعل اصحاب رؤوس الأموال يعزفون عن اقامة المبانى لغرض الاستئجار . علاوة عن ان البعض يخشى من التاميم .

٧ ـ اضطراب الأحوال فى بعض البلاد وقيام الحروب التى تدمر المساكن ، وتجعل الناس يخشون من الاقدام على البناء . وعالمنا اليوم قلق مضطرب تندلع فيه الحروب لأتفه الأسباب فى كل مكان مخلفة وراءها الخراب والدمار ، واناس يسكنون العراء .

٨ ـ الكوارث الطبيعية كالزلازل التى تدك الارض ومن عليها دكا ، والفيضانات وموجات المد البحرية التى تغرق القرى الآمنة ، كما حدث فى بنغلاديش فى ١٢ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٧٠ (باكستان الشرقية انذاك) . فبين يوم وليلة هب اعصار عنيف مصحوب بموجة مد عاتية كانت نتيجتها نحو مليون قتيل وتدمير مساحة ماهولة تبلغ نحو ٢٨٠٠ ميل مربع ، وسقوط عشرات الألوف من المساكن .

متى بدأ الاهتمام بالاسكان عالميا ؟

يمكننا القول بأن الاهتمام العالمى بمشكلة الاسكان بدأ فىمنتصف الخمسينات من هذا القرن عندما انشأت الأمم المتحدة مكتبا للاسكان والبناء والتخطيط تابعا لدائرة الشئون الاجتماعية وقد انحصرت اعماله فى تشجيع القيام بمشاريع اسكانية فى بعض البلدان ، ونشر دراسات عامة عن استخدامات الأراضى والاسكان والتمويل والتخطيط ، كما قدم المشورات المفيدة للدول المعنية ، وساهم فى اعداد مشاريع كبيرة للمدن فى آسيا والشرق الادنى وامريكا اللاتينية . وفى الآونة الأخيرة اتجهت الامم المتحدة الى التدريب والتعليم بدلا من اسداء المشورة ، وساهمت فى اقامة جامعة تكنية للشرق الأوسط فى تركيا ، الى جانب مدارس صغيرة للتدريس فى غانا واندونيسيا .

وعلى الرغم من عدم وجود وكالة دولية تختص بمعالجة مشاكل الاسكان وتخطيط المدن ، الا ان هناك منظمات دولية للاسكان،مثل الاتحاد الدولى للاسكان وتخطيط المدن . ولكن اهتمام هذه المنظمات الرئيسى ينحصر فى جمع المعلومات وتوزيعها .

انجلترا رائدة الاصلاح الاسكانى

انجلترا كما نعلم مهد الانقلاب الصناعى ، وفيها بدأت الهجرة من الريف الى المدن وما نجم عن ذلك من اكتظاظ المدن بسكانها كما سبق واشرنا فى بداية المقال . ولذلك كانت انجلترا اول بلد يقوم بالاصلاح الاسكانى وكان هذا فى القرن التاسع عشر ، ونظرا للخبرة الطويلة هذهاصبحت التجربة البريطانية نموذجا تحتذى به كثير من

الدول التي تريد اصلاح الأوضاع الاسكانية ، وطبقت بالتالي معظم قوانين التخطيط الانجليزية.

وفي مطلع هذا القرن ، وحينما زاد الضغط على الاسكان ظهرت في بريطانيا وزارة خاصة بالاسكان قدمت المعونات والمساعدات لقطاع التشييد والبناء ، بعد ان عجز هذا القطاع عن تلبية حاجة السكان من المساكن ، وزادت المعونات بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية نتيجة تهدم الكثير من المساكن .والمبدأ المعمول به في بريطانيا اليوم ترك القطاع الخاص يبني على قدر استطاعته وامكانياته ، كما تقوم الحكومة من جانبها بتشييد المباني وبيعها لمن يريد الشراء او تؤجرها لمن يريد الاستئجار ، ولا يقدر على الشراء ، شريطة ان تكون هذه الأبنية على شكل وحدات سكنية .. وتقوم الحكومة بهدم البيوت المتداعية ،وازالة الأحياء الفقيرة المكتظة بسكانها، واقامة مجمعات سكنية مكانها .

اما في الولايات المتحدة فلم تنفذ الدولة برامج الاسكان بشكل فعال الا في الثلاثينات من هذا القرن. وقد اتخذ العون الحكومي شكل مساعدات للبنائين في القطاع الخاص ، وظلت مشاريع الاسكان الحكومية عند الحد الأدنى .

في بريطانيا والولايات المتحدة

ويبدو ان برامج الاسكان في كل من بريطانيا والولايات المتحدة تسير اليوم على النحو التالي :

١ ـ ازالة الأحياء الفقيرة والمكتظة بسكانها .

٢ ـ بناء مساكن جديدة في الضواحي .

٣ ـ الحد من تضخم المدن بانشاء مدن متعددة الأغراض » المدن التابعة Satellite Towns وهي التي تقام على مقربة من المدن الكبيرة وتكون مهمتها امتصاص الزيادة السكانية منها ولكنها تظل تابعة لها ومعتمدة عليها في كثير من الخدمات والأغراض . وهذا النمط من المدن موجود حول مدينة لندن . ومنها المدن العنبرية Dormitory towns وهي مشتقة من كلمة عنبر النوم ، ومهمتها للسكن فقط ، يغادرها سكانها في الصباح للعمل في مدن اخرى ويعودون اليها في المساء ،ومنها المدن المتكاملة او المعتمدة على نفسها اقتصاديا Self contained towns اى المدن التي يجد فيها سكانها كل متطلباتهم من مسكن وعمل وخدمات وترفيه ، وهذه تقام بعيدا عن المدن الكبرى ، وتكون بمثابة نقاط جذب واحياء للمناطق الكاسدة كما هو الحال في مدن الشمال بانجلترا . واخيرا المدن الحدائقية Garden Cities وهي المدن المخططة جيدا ، والمؤلفة من مساكن تحيط بها الحدائق ، ويسكنها اشخاص من ذوى الدخول المرتفعة والذين يرغبون في الابتعاد عن ضوضاء المدن وضجيجها .

٤ ـ اقامة مراكز الضواحي Central business District C.B.D. وتقع على حواف المدن واطرافها وتتالف من عدة ضواح فيها سوق مركزي، وعيادة طبية ، ومسجد او كنيسة ، وغير ذلك مما يحتاج اليه سكانها .والهدف من اقامة هذه المراكز هو اراحة المواطنين من مشقة قضاء حاجاته بالذهاب الى وسط المدينة المكتظ ، ومن الطبيعي ان في اقامة هذه المراكز تخفيف عن الازدحام والسير في وسط المدينة . وهذا النظام مطبق ومعمول به في الكويت .

٥ ـ نقل الصناعة من قلب المدن ووسطها لتخفيف وطأة الازدحام وشدته ، على شرط ان يتم اختيار مواقع بديلة للصناعة في مناطق خاصة في اطراف المدينة ، بعيدا عن المناطق السكنية لما قد تسببه هذه الصناعة من تلوث وازعاج وضوضاء وذبذبات تضر بالسمع .

تلك هي المشكلة ، فما هو الحل ؟

من استعراضنا السابق لمشكلة الاسكان نكاد نلمس مدى الخطورة التي نحن بصددها على جميع المستويات من محلية وقومية وعالمية . وقد آن الأوان لقيام نوع من التعاون الجماعي لحل هذه المشكلة وتفادى المخاطر التي يمكن ان تؤدى اليها، خاصة وان السكن ضرورة ملحة من ضروريات الحياة ، واحدى دعائمها الهامة . وينبغي على هيئة الأمم المتحدة ان تولى الاسكان مزيدا من اهتمام ، وتخصص له البرامج العملية التي

تتناسب وطبيعة كل بلد واوضاعه الاجتماعية والاقتصادية • كما ينبغي على الدول ان تعطى هذه المسالة ما تستحقهمن عنايه ، وتعتبر الاسكان استثمارا منتجا ، شانه شان اى قطاع من قطاعات الاقتصاد الهامة •

وفيما يلي نستعرض بعض المقترحات النافعة ، والتي طبق بعضها في بلدان كثيرة ، قطعت شوطا بعيدا في هذا المضمار •

١ ـ هدم المساكن القديمة وبناء اخرى جديدة كثيرا ما تلجا الدول الى هدم المساكن القديمة والآيلة للسقوط على اعتبار انها شر لابد من القضاء عليه • ولكن ينبغي قبل هدم هذه المساكن توفير غيرها لقاطنيها • والا زادت مشكلة الاسكان سوءا • ويبدو ان مشاريع الاسكان الحكومية ليست الحل المرضي الوحيد لسكان الاحياء الفقيرة ، فليس كل من يجلو عن مسكنه يرغب فيان يصبح مستأجرا لدى الحكومة، كما انه قد لا يسمح لبعض الأسر بالحصول على مسكن حكومي لان دخلها قد يكون اكبر مما يجب، او لأنها اسر كبيرة اكثر مما ينبغي ، او هي صغيرة اكثر مما يجب • وقد يرى البعض انموقع السكن الجديد بعيد عن مكان العمل • ويبدو انه من الأفضل ان تقوم الحكومة ببناء مساكن ، وتعطي للأسر الخيار بين شرائها او استئجارها ، وذلك بحسب قدرتها المالية ، وبخاصة اذا كانت الأرض الموجودة غير كافية • وينبغي ان يكون هذا الحق لأسر الدخل المنخفض والمحدود كما هو معمول به في بعض الاقطار ففي الكويت مثلا تقوم الحكومةببناء المساكن وتمليكها لذوى الدخل المحدود على ان يقسط الثمن على عشرين عاما بدون فوائد •

٢ ـ تجديد المدن ، وهذا يتم اذا استولت الحكومة على مساحات كبيرة من الأرض ، فتعيد تخطيط المناطق ،وتستخدم جزءا منها في مشاريع عامة كبناء المدارس والمستشفيات والمستوصفات ، وشق الطرقات ، ثم تبيع او تؤجر الاقسام الباقية لشركات القطاع الخاص ، وهذه الشركات اما ان تعيد بناء المنطقة ، او تعمل على تحسين وضعها •

٣ ـ بناء مدن جديدة ، وهذا اجراء لازم للحيلولة دون تضخم المدن وما ينتج عن هذا التضخم من مشاكل كالاسكان والمرور وغيره •

ولكن ينبغي توفير الاعمال لسكان هذه المدن الجديدة والا اضطروا للجلاء عنها والنزوح الى المدن الكبيرة التي تتوفر فيها ظروف العمل • وحتى تقوم هذه المدن الجديدة على اسس سليمة يجب ان يعين لها مواقع مناسبة لتكون بمثابة نقاط جذب للقرى الواقعة عليها ، شريطة الا تقام هذه المدن على الاراضي الزراعية الخصبة المنتجة •

٤ ـ العمل على نقل الصناعة من وسط المدن، لأن في هذا الاجراء تخفيفا من الاكتظاظ السكاني واراحة للوضع الاسكاني وتنقية لجو المدينة من التلوث والقاذورات • لقد تبين بأن كثيرا من مشاكل الاسكان في بعض الاقطار ناجمة منتداخل المصانع في المناطق السكنية وفي قلب المدن بالذات •

٥ ـ مد المقاولين بالقروض والمساعدات ، ومساعدة الأفراد على البناء ، وتشجيع قيام مؤسسات او بنوك للاسكان تقوم باقراض المواطنين الراغبين في البناء بفوائد معتدلة ومقبولة • كما ينبغي تشجيع قيام شركات خاصة بالبناء تطرح المباني على الراغبين في التملك •

٦ ـ اعفاء مواد البناء من الرسوم الجمركية ان امكن ، او تخفيضها الى ادنى حد ممكن •

٧ ـ العمل على اقامة مصانع لمواد البناء تستغل الخامات والموارد المحلية التي يستفاد منها في هذه الصناعة •

٨ ـ عدم تشجيع بناء المساكن الفخمة التيتقام على متسع من الأرض ، لأنها تبتلع الاراضيبدون مبرر ، وتستنزف موارد البلاد ، وبدلا من ذلك ينبغي تشجيع اقامة المباني البسيطة التي تتوفر فيها الراحة والتي تشغل اقل قدر من الحيز الارضي ، وهذا ما نطلق عليه البناء الاقتصادي •

٩ ـ دراسة امكانية تشييد المساكن التي تمتاز بمرونة التحول من غرفة واحدة الى عدة غرف عن طريق وضع قواطع وفواصل ساترة على نحو ما هو شائع اليوم في اليابان •

محمد على الفرا
قسم الجغرافيا / جامعة الكويت

معنى الانسانية

ما أشق أن يكون الإنسان

قلت لصاحبي وانا احاوره : « ما أشق أن يكون الانسان انسانا • » قال : « وله ؟ » قلت : « لانه لا يجب عليه أن يعيش فقط ، بل وان يسمو الى انسانيته أيضا • » قال : « وما معنى سموه لانسانيته ؟؟ » قلت : « اسمع أشرح لك مفهومي عن الانسانية ولك ان تناقشني فيه وأن تصحح لي خطئي ، ان وجدت أني قد اخطأت :

جسد ونفس

ان الانسان جسد ونفس ، انه مخلوق يشبهه الفلاسفة بعملاق انغرزت رجلاه في التراب وتطلعت باصرتاه الى عل ، الى المثل الاعلى • انه حيوان يأكل ويشرب ويمارس فاعليات جنسية ويتصف بما يتصف به اي حيوان من حب للبقاء وجهد للحفاظ على هذا البقاء ونزاع مع غيره من الناس والحيوانات من اجل ذلك البقاء • ولكنه في الوقت ذاته يحب ويبغض ، يريد ولا يريد ، يؤمن ويتعصب ، يعطي ويأخذ ، يضحي ويستأثر •

ان لجسد الانسان حقوقا ومطالب ، وله دوافع وحوافز ، تنتج عن حاجات ومتطلبات ، ولكن له الى ذلك نفسا هي عقل ، وهي ارادة وهي عاطفة • انها معرفة وعمل وانفعال ، وهي قادرة على السمو بصاحبها الى آفاق المثل العليا ، آفاق الحب والحق ، والخير والجمال ، كما انها قادرة على الهبوط بصاحبها الى درك الحيوانية ومهاوى الشر والاذى •

ان الانسان عاجز عن الانفلات من جسده والتحرر منه ، وهو لذلك ملزم بتلبية حاجات هذا الجسد ، والالتفات الى مطالبه ، ولكنه قادر على التسامي بجسده والتنسيق بين مطالبه ومطالب النفس الطيبة بحيث لا يطغى الجسد على النفس ولا تميت النفس الجسد • وقديما قيل : « ان لجسدك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا • » والسعيد السعيد من يوفق بين نفسه وجسده ، بين روحه وبدنه فلا يضطهد جسده ويميته ، ولا يجعل من نفسه عبدا لاهوائه الجسدية وشهواته البدنية • ان جسدا متناغما مع الروح ، وان نفسا متسقة مع الجسد هما غاية الغايات وطريق الانسان الى الراحة النفسية والراحة الجسدية وبالتالي الى السعادة الابدية •

أخلاق وسلوك أخلاقي

ان جوهر انسانية الانسان ضمير حي ذكي واع يأمر وينهى ، يسمح ويمنع ، يرضى ويغضب ، يمدح ويوبخ • ومهما اختلفت آراء الفلاسفة في أصل هذا الضمير وفيما اذا كان وراثيا أم مكتسبا فانهم متفقون على أن للتربية الصحيحة والممارسة الذكية دخلا كبيرا في تنمية هذا الضمير ، واذكاء شعلته والابقاء عليها متوهجة • طوبى للذين يملكون ضميرا حيا يحاسبهم حسابا عسيرا ، ويشعرهم بالسعادة اذا رضي وبالشقاء اذا غضب ، طوبى للذين رؤوسهم على وساداتهم في المساء الا

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

إنسانا

واستعرضوا ما مربهم في يومهم ، وحكموا عليه بالصلاح ، فرضوا وعاهدوا نفوسهم على ان يستمروا فيه أو حكموا عليه بالطلاح ، فاسفوا وندموا وعاهدوا نفوسهم على ان يكفروا عنه



ويتركوه • طوبى للذين يخافون ضمائرهم وترتعد فرائصهم من حسابها ، انهم جديرون بان يسلكوا الصراط المستقيم واذا ماصدف اوخرجوا عنه ـ لسبب من الاسباب ـ عادوا اليه تائبين مستغفرين •

ان الخلق الحسن صفة الانسان المميزة وسمته الاعظم ولقد وصف الله عز وجل رسوله الكريم فقال له «انك لعلى خلق عظيم » •

واذا كان صحيحا ان الاخلاق التطبيقية تختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان فان المبادىء الاخلاقية الصحيحة واحدة في كل زمان ومكان وهي خالدة سرمدية ، واضحة وبينة • ويهمني في هذا المجال ان اؤكد ان الاخلاق ليست مبادىء تقال ولا شعارات تطلق وانما هي سلوك وتصرف يوميان • فصاحب الخلق القويم هو صاحب التصرف الاخلاقي الصحيح • وكل محاولة للفصل ـ في الاخلاق ـ بين القول والعمل غش صريح ومخادعة بينة •

واذا كان صحيحا ان صاحب الخلق القويم يخطيء ويصيب ، كغيره من الناس فانه صحيح ايضا ان صاحب مثل هذا الخلق يتمتع بضمير يقظ يحاسبه حسابا عسيرا ، ويؤنبه تأنيبا شديدا ، ويدفعه الى التوبة والتكفير عن ذنبه •

ثم انه يهمني في هذا المقام ايضا ان اؤكد انه لاصحة لما يعمد اليه بعض الناس من التفريق بين الاخلاق الخاصة والاخلاق العامة مؤكدين ان الانسان قد يرتشي ـ مثلا ـ ويكون مع ذلك انسانا صادقا وصاحب ضمير حي • ان هذا التفريق خطأ واضح ، بل هو خطأ خطير ، ذلك بان الاخلاق وحدة لا تتجزأ ، فاما أن يكون الانسان أخلاقيا او لايكون ، ومن كان في تصرفاته العامة غير أخلاقي كان كذلك في تصرفاته الخاصة والعكس على العكس •

وليس معنى هذا الذي أقول أن سلوك صاحب الخلق القويم يكون أخلاقيا دوما ، فالكمال لله وحده ، ولكن معناه أن صاحب الخلق القويم ان أخطأ ندم وتاب وعاد عن خطئه مستغفرا ، وحريصا على أن لايعود الى الخطأ أبدا •

ويتصل بهذا الذي أقوله السلوك في السر والسلوك في العلن ، ان صاحب الخلق القويم لا يفعل في السر ما يستحي منه في العلن • ان سلوكه واحد في الخفاء والعلن ، وان رقيبه واحد الا

وهو ضميره الحي اليقظان الذي لا يتسامح في شاردة او واردة •

المثالية

والانسان الحقيقي الذي يستحق صفة الانسانية، انسان مثالي • انه يؤمن بالمثل الاعلى ويعيش للمثل الاعلى ويتصرف بوحي من المثل الاعلى•

وها هنا امر لا بد من الوقوف عنده وقفة قصيرة، الا وهو الالتباس في اذهان العامة بين المثالية والخيالية• ان الخيالية تعني بمعناها البسيط البعد عن الواقعية ، والابتعاد عن العملي الممكن • اما المثالية فشيء مختلف تماما • انها تقوم على فهم ووعي عميقين كما تقوم على ايمان شديد وارادة حديدية • اما الوعي والفهم فللمثل العليا : مثل الحق والخير والعدل والجمال وغيرها من المثل• ان الذي لا يفهم هذه المثل ويعيها وعيا عميقا لا يستطيع ان يؤمن بها ، فالايمان لا يقوم الا على اساس من الفهم والوعي • ثم ان الايمان معناه تقبل المثل الاعلى وتوحيده مع الذات بحيث يصبح جزءا منها لا يتجزأ • والايمان بالمثل الاعلى بعد ذلك قمين بان يدفع المؤمن الى البذل والتضحية والاندفاع في سبيل المثل الاعلى •

المثالية قمة الانسانية وزينتها ، ولا يستطيع انسان أن يكون انسانا بالمعنى الصحيح اذا لم يكن مثاليا : يتفهم المثل العليا ، ويؤمن بها ويعيش من اجلها • وما البطل الا الانسان الذي امن بمثل اعلى ، وعاش له ، وضحى في سبيله ، حتى حقق مثله الاعلى او استشهد دونه •

ثم ان المثالية هي الصفة الوحيدة التي تميز الانسان عن الحيوان ، ذلك بان الحيوان يستطيع ان يكون كل شيء يكونه الانسان ولكنه يعجز عن ان يكون مثاليا •

الغيرية

كون الانسان مثاليا معناه كونه غيريا ولذلك فانا اذ افضل مفهوم الغيرية انما اشرح منحى من مناحي كون الانسان مثاليا •

يقول بعض العلماء ان الانسان اناني بطبعه ، وهو قول على شيء كثير من الصحة،ولكنه ليس صحيحا كل الصحة ، ذلك بان الانسان مضطر لان يكون انانيا لكي يحفظ بقاءه ويبقي على ذاته ، وحفظ البقاء هو اقوى الدوافع الانسانية ان لم يكن اقواها على الاطلاق وهو بطبيعة الحال ميل اصيل (حتى لقد قال بعض العلماء انه غريزة) لا يمكن ان تستمر الحياة بدونه • ولكن هذا جميعه لا يمنع أن الغيرية ايضا ميل قوي ودافع أصيل من دوافع الانسان • ويرى علماء النفس ان الغيرية موجودة أصلا في ميل الام للحفاظ على مواليدها ميل الاب الى مثل هذا الحفاظ وان كان بدرجة اقل • ولقد دلت دراسات علمية فاضلت بين الدوافع عند الحيوان ـ ولا سيما الانثى منه ـ على أن ميل الام للاتصال بمواليدها والحفاظ عليها هو أقوى الميول بل انه اقوى من الطعام والشراب وهما اداتان من ادوات الحفاظ على البقاء اساسيتان •

واذن فان الغيرية ليست ميلا طارئا على النفس ولا دخيلا عليها ، بل ان الانسان غيري بطبعه تماما كما هو اناني بطبعه • ولكن بعض الناس يغلبون انانيتهم على غيريتهم لدرجة تفقدهم مثاليتهم وبالتالي انسانيتهم •

ان الانسان الحق انسان غيري ، كما هو انسان اناني ، انه على الاصح انسان يوازن بين انانيته وغيريته فلا يغلب انانيته على غيريته ولا يجعل من نفسه محورا للعالم يدور حوله وحده •

ويتصل بهذه الغيرية مفهوم اجتماعي هام ، هو مفهوم التعاون والتكافل والتراحم بدلا من التنافس والتضارب والتزاحم • ان الانسان الحق انسان يتمتع بروح رياضية ، لا يزاحم غيره الا مزاحمة شريفة عادلة ويتعاون مع غيره كلما كان ذلك ممكـــنا •

المحبة والتسامح

ومن صفات المثالي ان يكون محبا ومتسامحا ، ولكنه لا بد من وقفة قصيرة عند هاتين الصفتين لانهما تقعان من الانسانية في الصميم •

يجمع علماء النفس على ان حاجة الانسان للحب حاجة اساسية لا تقل اهمية عن حاجاته الاخرى الجسدية منها والنفسية والاجتماعية • ان الانسان بحاجة لان يُحِب (بكسر الحاء) وان يُحَب (بفتح الحاء) • وهم يرون ان هذه الحاجة ضرورية لحسن البقاء النفسي وللصحة العقلية• ان انسانـــا يشعر بأن من حوله غير راضين عنــه انسان لا يكون تعيسا فحسب بل هو انسان محكوم

عليه بان يضيع توازنه النفسي اذا استمر معه الحال على هذا المنوال ٠

ثم ان الانسان بحاجة الى ان يحب غيره وان يعطيه وان يضحي في سبيله ٠ والحب هو الشيء الوحيد في الدنيا الذي يتعاظم كلما بذلت منه المزيد ٠

ولذلك كله فان الانسان هو الذي يحب (بكسر الحاء) وبالتالي يحب (بفتح الحاء) ان انسانا يكره الناس ويبني علاقاته معهم على البغضاء والحقد يفقد سمة من اهم سمات الانسانية وعنصرا جوهريا من عناصرها ٠

ثم ان الذي يحب ويحب يكون سعيدا هانئا راضيا ، بخلاف الذي يبغض او يكون مبغوضا انه انسان تعيس شقي بائس ٠

والمحب الحقيقي لا يكون الا متسامحا ٠ انه يرى العيوب ، ويعرف الاخطاء ، ويدرك الهنات ، ولكنه يغفرها ، ويتجاوز عنها ، ويتسامح فيها ٠

واحب ان افرق بين التسامح والتهاون ، فالتهاون تقصير وهو يقوم على اساس من جهل وغفلة وعدم اكتراث ، بل انه قد يقوم على أساس من كراهية وبغضاء ٠ اما التسامح فيقوم على اساس من الفهم والتقدير والادراك والمحبة ، وشتان ما بين الاثنين ٠

ان المحب المتسامح هانىء سعيد ، اما المبغض الكاره المتهاون او المتزمت فتعيس يعيش في الكراهية ويتنفس البغضاء ٠

المواطنة الصالحة

والانسان الحقيقي لا يمكن الا ان يكون مواطنا صالحا ٠ يعرف حقوقه ويطالب بها ولكنه يعرف قبلها واجباته ويؤديها ٠

كيف يستطيع انسان ان يكون انسانا حقيقيا دون ان يحب وطنه ويضحي في سبيله ويعمل على رفعته وتقدمه ويدافع عنه حين يلزم الدفاع ويحميه حين تكون الحماية ضرورية ويقدم له خير ما عنده من عقل ووجدان وفعل ؟؟

كيف يستطيع انسان ان يكون انسانا اذا لم يكن وطنيا يعرف واجباته معرفة دقيقة ويحرص على القيام بها بامانة واخلاص وشرف وتجرد دون حاجة الى حافز خارجي او دافع مفروض ؟

كيف يستطيع انسان ان يكون انسانا بالمعنى الصحيح للكلمة اذا لم يعرف حقوقه ويطالب بها ويحافظ عليها ويموت في سبيلها اذا لزم الامر ؟

كيف يستطيع انسان ان يكون انسانا اذا لم يؤمن بحقه في الحرية والعدالة والديمقراطية وتكافؤ الفرص ؟ ؟

كيف يستطيع انسان ان يتمتع بانسانيته اذا لم يكن على استعداد لان يدافع عن حق غيره في الحرية والعدالة والديموقراطية وتكافؤ الفرص ، دفاعه عن حقه هو سواء بسواء ؟؟

ان المواطن الصالح انسان يوازن بين أناه وغيره ، بين وطنيته وانسانيته بين حقه وواجبه ٠

الثقافة وحب المعرفة

والانسان الحقيقي انسان مثقف ،محب للمعرفة، مؤمن بالعلم ، باحث عن الحقيقة ٠ انه الانسان المتعلم الذي يواصل تعليمه مواصلته لحياته ٠ انه المثقف الذي يعرف شيئا عن كل شيء وكل شيء عن شيء ٠ انه الطلعة الذي يحب المعرفة ويؤمن بالحقيقة ويتحلى بالروح العلمية وما تستتبعه من منطق سليم وموضوعية تامة وفضول ذكي ٠

ان الانسان الحقيقي يملك شوق العلماء الى المعرفة وتواضع المثقفين الحقيقيين وفضول الباحثين الاذكياء وصبر العارفين للحصول على مزيد من المعرفة ٠

حب النضال

واخيرا فان الانسان الحق لا يمكن الا ان يكون مناضلا ٠ انه يرفض ان يقف من الاحداث وقفة المتفرج ، ويصر على ان يناضل في سبيل الحق، وان يضحي من اجل الخير وان يهب ما يملك من اجل الجمال ٠

انه انسان ينخرط في الحياة ويخوض عبابها ويناضل من اجل سيادة الاخلاق ورفعة المثل العليا واحقاق الحق حتى لو كلفه ذلك راحته الجسدية وتضحيته بكثير من الوقت والجهد والمال ٠

وسمع لي صاحبي ولم يعترض ولكنه اصر على ان يختم حديثنا بقول شاعرنا الفيلسوف ، ابي العلاء المعري ، حين يقول :

ولتفعل النفس الجميل لأنه
خير وأحسن لا لأجل ثوابها

■■

فاخر عاقل

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٣

نيبور .. ابن حزم .. لنكولن

■ قامت مسابقة العدد ٢٠٣ من « العربي » على عشرة اسئلة متنوعة انحصر نصفها فى شخصيات عالمية قدمت للانسانية خدمات جليلة فى ميادين شتى من المعرفة ، اما الأسئلة الخمسة الاخرى فكانت تدور كلها فى مجالات متنوعة من المعرفة الانسانية .

ونورد فيما يلى الاجابات الصحيحة على اسئلة المسابقة ، ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز فى المسابقة :

١ ـ الفيلسوف الاندلسى الذى عايش انحلال الخلافة الاموية فى الاندلس هو ابن حزم .

٢ ـ الثعابين تبيض .

٣ ـ روبرت كوخ اكتشف جرثومة مرض السل .

٤ ـ الدولة التى تشبه خارطتها هيئة اصبع رفيع هى شيلى .

٥ ـ كارستن نيبور هو الرحالة الدنماركى الذى نشر قصة رحلته الى بلاد العرب شارحا شئون العرب وطبقاتهم الاجتماعية وانسابهم ومذاهبهم .

٦ ـ اسم الدول الثلاث التى ظهرت فى شبه القارة الهندية هى : جمهورية الهند وعاصمتها دلهى ثم باكستان وعاصمتها روالبندى ، ثم بنجلادش وعاصمتها دكا .

٧ ـ اسم هذا الطبيب الاغريقى القديم ابقراط .

٨ ـ برافدا وازفستيا من صحف الاتحاد السوفييتى .

٩ ـ القائد الذى حرر العبيد من الرق فى الولايات المتحدة هو ابراهام لنكولن ..

١٠ ـ تتنفس الحيوانات اللافقارية وبعض الحيوانات الفقارية عن طريق الجلد .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها :معزوزة محمود عبد الهادى / عمان / الاردن

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :محمد عبد الله احمد مقطرى / صنعاء / اليمن

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :محمد على محمد المهندى / الخور / دولة قطر

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ ناهد عبد العظيم السعدنى / الزقازيق / مصر

٢ ـ الشيخ ابراهيم على الهاشمى / امدرمان / السودان

٣ ـ مساعد عبد الله مساعد / المرج / ليبيا

٤ ـ جورج تيروز / حلب / سوريا

٥ ـ هادى حسن سلطان / الاحمدى / الكويت

٦ ـ رياض عثمان خضر محسن / عدن / اليمن الديمقراطى

٧ ـ عبد الخالق على محمد / كركوك / العراق

٨ ـ حمد ناصر الدخيل / الرياض / السعودية ■■



افريقيا والعرب

هدية

العدد

■ ان الروابط بين افريقيا والعالم العربي ، ليست روابط تاريخية وجغرافية فحسب، بل هي روابط سياسية واقتصادية في المقام الاول ، وقد شهدت السنوات الاخيرة منذ أوائل الستينيات وما بعدها تطورا هاما في علاقة العرب بافريقيا في شتى المجالات ، انها القارة التي تحتل المكانة الثانية من حيث المساحة في العالم ٠٠ القارة التي نفضت عن نفسها غبار الاستعمار ، وبدأت شعوبها تاخذ مكانها تحت الشمس ٠

اما الروابط التاريخية ، فهي روابط قديمة منذ الاف السنين ، فالدماء العربية قد امتزجت بدماء السكان الافارقة ، وقد خرجت كثير من الهجرات العربية الى افريقية ، ويرى المؤرخون ان هذه الهجرات تمت في ثلاث فترات زمنية رئيسية يمكن تمييزها وذكرها على النحو التالي :

١ ـ الفترة الاولى وكانت في الالف الاولى قبل الميلاد ، وفيها عبرت جماعات عربية من جنوب شبه الجزيرة البحر الاحمر عند مضيق باب المندب، ونزلت القارة الافريقية واتجهت صوب الشمال قاصدة الهضبة الاثيوبية ، ومن اختلاط العرب بالحاميين في هذه المناطق نتج ما يسمى بالنمط او النموذج الحبشي ٠ اما في منطقة الجبال فقد انعزلت اللهجات السامية وتطورت فيما بعد الى اشكال خاصة ذات خصائص معينة ٠

٢ ـ الهجرات العربية التي جاءت نتيجة انتشار الاسلام في القرن الاول لظهور هذا الدين ، وقد نتج عنها تعريب مصر وغيرها وظهور المدن العربية في الشمال الافريقي كالقيروان على سبيل المثال٠

٣ ـ هجرات العرب الرحل فيما بين القرن الحادي عشر ، والخامس عشر وقد ادت الى تعريب القسم الاكبر من اقطار المغرب ، وتلا ذلك تعريب الجزء الشرقي من النطاق السوداني الاوسط الذي يمتد من البحر الاحمر شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ومن اطراف الصحراء المجاورة لاقليم البحر المتوسط شمالا حتى شمال الاستواء جنوبا٠ وتجدر الاشارة هنا ان قبائل بني هلال وسليم ، وقبائل اخرى يمانية نزحت الى مصر العليا في العهد الفاطمي ثم تحركت الى المغرب ، واتجه قسم منها الى الجنوب حيث منطقة سيادة البربر ٠ وقد نجم عن هذا التحرك العربي تعريب موريتانيا٠

انتشار العرب صوب الغرب

وفي نفس الفترة انتشر العرب صوب الغرب من القارة الافريقية وكانت حصيلة ذلك تعريب السودان النيلوتي (١) Nilotic Sudan ، فقد استقرت قبائل من بني ربيعة منذ القرن العاشر في بلاد النوبة والبجة وامتزجوا بالسكان الاصليين

(١) النيلوتي ، هو جنس بشرى نتج من اختلاط وامتزاج الحاميين في القسم الشمالي من افريقية بالزنوج في وسط القارة ، ويكثر النيلوتيون في المناطق الوسطى الفاصلة بين افريقية الزنجية وافريقية الحامية وهم يجمعون بين الخصائص والملامح الزنجية والحامية ٠

وذابوا فيهم بعد ان اتخذوا لغتهم وعاداتهم الافريقية. ويبدو هذا واضحا اليوم في اهل النوبة الذين تبدو على وجوههم دقة التقاطيع العربية، والبشرة الداكنة الافريقية ولغتهم المطعمة بالكلمات العربية •

وبعد سقوط دويلة ماكورارا Maqurara ،عبرت قبائل جهينة العربية الى مراعي دار فور وكردفان والوادي متخذة لها طريقا لا يمر بالاراضي النوبية الصعبة ، وتوغلت في داخل القارة حتى بحيرة تشاد ، وكان ذلك في القرن السادس عشر •

ان هؤلاء العرب الذين عبروا السودان النيلوتي امتزجوا بالحاميين امتزاجا قويا وبدرجة اقل بالزنوج ولذلك تغيروا وفقدوا الكثير من ملامحهم وشخصياتهم ومقومات حضارتهم • اما الذين استقروا في السودان الاوسط فتزاوجوا بالزنوج فنتج عن ذلك نسل له بشرة سوداء او سمراء داكنة وتأقلموا في البيئة الجديدة وغيروا انماط حياتهم ، وصاروا يرعون الماشية بدلا من الابل مع احتفاظهم بدينهم ولغتهم ومظاهرهم الحضارية، وبعض انماط حياتهم وهذا ما يميزهم عن غيرهم من الاقوام التي تسكن المنطقة •

الاسلام والتعريب

لقد ساعد انتشار الاسلام على تعريب كثير من الاقطار الافريقية في الشمال والوسط ، ويمكن القول بان دور العرب في تاريخ افريقية كبير جدا لا يتسع المقام لسرده ، فاللغة العربية انتشرت في القارة بحكم انها لغة القرآن ، وتعلمها الحاميون وجعلوها لغتهم القومية ، في حين ان الزنوج الذين دخلوا الاسلام حافظوا على لغتهم الاصلية ، ولكن دخلت الكثير من الكلمات العربية في لغاتهم ، وهذا نجده واضحا في اللغات الافريقية كما في اللغة السواحلية •

وبحكم قرب شرق افريقية من الجزيرة العربية كان التأثير العربي فيه قويا جدا ، فقد انشأ العرب الكثير من المدن الساحلية التي اصبحت بمثابة مراكز تجارية هامة ولا تزال تحمل اسماءها العربية مثل دار السلام • وفي وقت من الاوقات خضع معظم الشرق الافريقي للحكم العربي المباشر وكان جزءا لا يتجزأ من دولة مسقط وكانت جزيرة زنجبار آخر ما تبقى للعرب من نفوذ مباشر في شرق افريقيا •

٧٥٪ من الوطن العربي بافريقيا

وعلاقة العرب بالقارة الافريقية لا تقوم فقط على العامل التاريخي الذي اشرنا اليه اشارة موجزة ، فهناك من عوامل التقارب والالتقاء ، ما يقوي ويعزز هذا الارتباط ، ومن ذلك ان الاقطار العربية الواقعة في القارة الافريقية وهي مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال تحتل مساحة قدرها ٩٫٩٨٦٫٥٥٤ كيلومترا مربعا وهذا يعادل نحو ٧٥٪ من مساحة الوطن العربي بكامله • كما ان الجناح العربي الافريقي يبلغ تعداد سكانه اليوم نحو ٩٢ مليون نسمة اى ٧٢٪ من مجموع سكان الوطن العربي بجناحيه الاسيوي والافريقي• ومن هذا نرى بان الوطن العربي افريقي بالدرجة الاولى ، اسيوي بالدرجة الثانية •

مناصرة العرب لحركات التحرر الافريقية

وادراكا لهذه الحقيقة وتنفيذا لها نشطت الدول العربية في العصر الحاضر لتقوية الروابط بينها وبين بقية الاقطار الافريقية فناصرت حركات التحرر في القارة السوداء وايدتها في جميع المحافل الدولية والتزمت بموقف موحد ازاء القضايا الافريقية ، وقطعت علاقاتها مع الحكومات العنصرية سواء في جنوب افريقية او في روديسيا، وسمحت للمنظمات الافريقية التحررية بفتح مكاتب لها في الدول العربية وامدتها بكل عون ومساعدة • وقد ساهمت الدول العربية بكل ثقلها في ايجاد تقارب وتعاون بين قارتي اسيا وافريقية وكان للعرب دور بارز في المؤتمرات الافريقية ـ الاسيوية والتي نجم عنها كتلة اصبح لها وزن كبير في هيئة الامم المتحدة ، عملت بكل ما وسعها من قوة لاحباط مخططات الاستعمار وعملت على تحرير هذه المنظمة الدولية من نفوذ الدول الكبرى وتسلطها ، ولا ننسى في هذا المقام


عمر بونجو
رئيس جمهورية الجابون


عيدى امين
رئيس جمهورية أوغندا


ليوبولد سنجور
رئيس جمهورية السنجال

الدور البارز الذى قامت به الكتلة الافريقية ـ الاسيوية وتصديها للعدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ودعمها لمصر والعرب فى تحرير ارضهم من كل احتلال .

مولد منظمة الوحدة الافريقية

ومما لا شك فيه ان للدول العربية دورا اساسيا فى انشاء منظمة الوحدة الافريقية فى ٢٥ مايو ١٩٦٣ ، وذلك حينما وقع ثلاثون رئيسا من رؤساء الدول الافريقية فى اجتماع عقد فى اديس ابابا على ميثاق هذه المنظمة . وكان من بين هؤلاء رؤساء الاقطار العربية الافريقية . وتهدف هذه المنظمة الى تدعيم الوحدة الافريقية وتماسكها ، والتعاون فيما بينها فى المجالات السياسيةوالاقتصادية والثقافية والصحيةوالعلمية، وتحرير افريقيا من الاستعمار ، والدفاع عن استقلال الدول الاعضاء .

وتمشيا مع هذه الاهداف وقفت دول منظمة الوحدة الافريقية مع الدول العربية فى صراعها مع اسرائيل والصهيونية فشجبت عدوان عام ١٩٦٧ وطالبت بضرورة انسحاب اسرائيل عن جميع الاراضى العربية التى احتلتها بعد هذه الحرب ، وضرورة نيل الشعب الفلسطينى لحقوقه فى ارضه ووطنه .

وبلغ وقوف المنظمة مع الحقوق العربية العادلة اوجه فى حرب ١٩٧٣ حيث انكشفت حقيقة اسرائيل لافريقيا والعالم ، وعلى الفور بادرت دول افريقيا الى قطع علاقاتها مع اسرائيل احتجاجا على سياستها العدوانية ولكونها راس جسر للاستعمار والامبريالية .

طرد اسرائيل من الامم المتحدة

وفى عام ١٩٧٥ هددت الدول الافريقية بالتقدم الى هيئة الامم المتحدة بمشروع قرار بطرد اسرائيل من هذه المنظمة العالمية ان هى ظلت متصلبة فى موقفها ضد السلام ، وكان هذا القرار الذى اتخذ فى كمبالا صدمة عنيفة لاسرائيل ومن يقف وراءها، وحاولت كل القوى ان تثنى الدول الافريقية عن عزمها ولكنها لم تفلح .

ومن مظاهر التعاون والتقارب بين افريقيا والعرب تلك الزيارات المتبادلة بين زعماء الطرفين، فقد زار بعض القادة العرب اقطارا افريقية ، وبالمقابل قام كثير من رؤساء الدول الافريقية بزيارة بلدان الوطن العربى لعل آخرها زيارة عيدى امين وليوبولد سنجور وعمر بونجو رؤساء اوغندا والسنجال والجابون ـ لمعظم الاقطار العربية ومنها الكويت .

وأخيرا وليس آخرا هناك تعاون اقتصادى يقوم اليوم بين افريقيا والعرب يتمثل فى البنك العربى الافريقى الى جانب المؤسسات الاستثمارية العربية التى تعمل على المساهمة فى التنمية الاقتصادية فى بلدان هذه القارة ، ويقوم الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية بمد بعض الدول الافريقية بالقروض اللازمة لتمنيتها،بعد ان زاد من رأسماله وتعدى نشاطه البلاد العربية ليشمل الاقطار الافريقية الصديقة والشقيقة . ■■

(م . ع . ف)

التشريع الاسلامي

أيديولوجية

ثلاثة مبادىء تحدد حكم الاسلام

تجاه سائر المذاهب والانظمة الاجتماعية

تمهيد :

يراد باصطلاح «ايديولوجية» مجموعة المبادىء او الاصول التي يتطوى عليها تشريع او مذهب معين ، والخطة العملية التي يضعها ذلك التشريع او المذهب لاحالة هذه المبادىء والاصول الى واقع مادي يعيش المجتمع في اطاره •

والاسلام لا يقتصر على كونه عقيدة دينية وتوجيها خلقيا وروحيا ، وانما هو ايضا شريعة ونظام سياسي واداري واجتماعي واقتصادي للمجتمع • ومن ثم يتعين أن نعرف ايديولوجية الاسلام كشريعة ونظام •

وتقوم ايديولوجية التشريع الاسلامي ، بحسب تصورنا ، على ثلاثة مبادىء او – أصول رئيسية ، هي التي تحدد موقف الاسلام او حكمه بالنسبة لسائر المذاهب والانظمة الاجتماعية السائدة ، كما تحدد موقف الاسلام او حكمه بالنسبة لمختلف المسائل التفصيلية التي تثور في الحياة •

المبدأ الاول :

الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية :

في كافة المذاهب والنظم الوضعية ، فردية كالرأسمالية او جماعية كالاشتراكية ، يقتصر النشاط البشري ايا كان لونه اجتماعيا او اقتصاديا او سياسيا او اداريا •• الخ على تحقيق المصالح المادية سواء كانت هذه المصالح المادية هي تحقيق اكبر قدر من الربح حسبما تذهب النظم الرأسمالية، او اشباع الحاجات العامة وتحقيق الرخاء المادي حسبما تذهب النظم الاشتراكية •

فالنشاط البشري ايا كانت صورته ذو صفة مادية بحتة ، وان اختلفت اهدافه باختلاف النظام المطبق رأسماليا كان هذا النظام او اشتراكيا •

اما في الشرع والنظام الاسلامي ، فان النشاط البشري وان كان ماديا بطبيعته الا انه مطبوع بطابع ديني او روحي • هذا الطابع قوامه الاحساس بالله تعالى وخشيته وابتغاء مرضاته • وأساس ذلك انه بحسب الاسلام لا يتعامل الناس بعضهم مع بعض فحسب ، وانما يتعاملون اساسا مع الله تعالى ، فاذا كانت المذاهب والنظم الوضعية تقوم على اساس المادة وهي وحدها التي تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض ، فان الاساس في الشرع والنظام الاسلامي هو الله سبحانه وتعالى وان خشيته وابتغاء مرضاته والتزام تعاليمه هي التي تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض •

ويترتب على هذا المبدأ الاول او الخاصة الاولى للتشريع الاسلامي ، – وهي تقوم على اساس الاحساس بالله تعالى ومراقبته في كل نشاط يباشره الانسان– عدة آثار ينفرد بها الشرع والنظام الاسلامي نجملها فيما يلي : –

اولا – الطابع الايماني والروحي للنشاط البشري

في ظل المذاهب والنظم الوضعية ، فردية كالرأسمالية جماعية كالاشتراكية ، لا يتجاوز النشاط البشري حدود المادة • وخطأ هذه المذاهب والنظم انها تصورت الانسان مادة فحسب ، وان حقيقة العالم تنحصر في ماديته ، وان الكسب

بقلم
الدكتور محمد شوقى الفنجرى

المادى او الكفاية المادية هى كل حياة البشر • ومن ثم كان هذا الفراغ الروحى او ذاك الافلاس النفسى الذى تعانيه المجتمعات التى تدين بهذه المذاهب والنظم •

وفى ظل الشرع والنظام الاسلامى ، فانه الى جانب ايمانى بالعامل المادى ، وان النشاط البشرى لا يمكن الا ان يكون ماديا ، غير انه لا يغفل الجانب الروحى فى الكيان البشرى • وكل ما يفعله الاسلام بهذا الخصوص هو ان يتجه المرء بنشاطه الى الله تعالى ابتغاء مرضاته وخشيته ، اذ يقول الله تعالى:(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم)(١) ، ويقول الرسول عليه السلام : (ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه) (٢) ، والامر كما يقول الحديث النبوى : (انما الاعمال بالنيات) (٣) ، وهو ما عبر عنه الاصوليون بقولهم : (الامور بمقاصدها) •

ومؤدى ذلك ان ثمة عاملا مميزا فى الشرع والنظام الاسلامى ، هو اتجاه الفرد الى الله سبحانه وتعالى فيما يباشره من نشاط ايا كان نوعه سياسيا أو اجتماعيا او اقتصاديا،مما يضفى على ذلك النشاط الطابع الايمانى والروحى وشعور الرضا والاطمئنان •

وهنا تبرز نقطة هامة كثيرا ما تدق على الكثيرين ومنهم المتخصصون ، وهى ان الاسـلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادى وما هو روحى،ولا يفرق بين ما هو دنيوى وما هو اخروى • فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الانسان هو فى نظر الاسلام « عبادة » طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى • ويحكى ان بعض الصحابة راى شابا قويا يسرع الى عمله ، فقال بعضهم : (لو كان هذا فى سبيل الله) ، فرد النبى (ص) : (لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) •

ثانيا ـ ازدواج الرقابة وشمولها

فى ظل المذاهب والنظم الوضعية ، الرقابة فى مباشرة النشاط البشرى هى اساسا رقابة خارجية مناطها القانون •

وفى ظل الشرع والنظام الاسلامى ، فانه الى جانب رقابة الشريعة او القانون يحرص فى نفس الوقت على اقامة رقابة اخرى ذاتية اساسها عقيدة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر • ولا شك ان فى ذلك ضمانة قوية لسلامة السلوك الاجتماعى وتنوع النشاط الاقتصادى ، لشعور الفرد المؤمن بانه اذا استطاع ان يفلت من رقابة ومساءلة القانون او الشريعة ، فانه لن يستطيع ان يفلت من رقابة ومساءلة الله تعالى • ومن هنا كان اساس المسئولية فى الاسلام (ان اعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) (٤) • وكان تاكيد الرسول عليه السلام بانه (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)(٥) •

ومؤدى ذلك ان ثمة عاملا مميزا فى الشرع والنظام الاسلامى ، وهو اعتداده بالوازع الدينى فى توجيه النشاط البشرى باستشعار المسلم رقابة الله تعالى فى كل تصرف من تصرفاته ومسئوليته عنه ، بحيث يلتزم المسلم تعاليم الاسلام تلقائيا بباعث العقيدة والايمان اى عن رغبة واختيار بغير حاجة الى سلطان الدولة لانفاذه • وهذا بعكس ما هو سائد فى المذاهب والنظم الوضعية حيث لا تهتم بل ينكر بعضها الوازع الدينى فى توجيه النشاط البشرى • ويبدو اثر ذلك فى محاولة الكثيرين فى ظل هذه النظم التهرب من

---

(١) سورة الحشر ، الآية ١٩ •
(٢) أخرجه ابو داود والنسائى •
(٣) البخارى ومسلم •
(٤) مسند الامام احمد بن حنبل الجزء التاسع تحت رقم ٦١٦٥ •
(٥) اخرجه البخارى ومسلم •

التزاماتهم او الانحراف بسلوكهم كلما غفلت عين الدولة او عجزت اجهزتها عن رقابتهم ومساءلتهم.

ثالثا : تسامى هدف النشاط البشرى

فى كافة المذاهب والنظم الوضعية ، المصالح المادية سواء كانت فى صورة تحقيق اكبر قدر من الربح (كالنظم الفردية) او تحقيق الكفاية والرخاء المادى (كالنظم الجماعية) ، هى مقصودة لذاتها • وقد ادى ذلك الى هذا الصراع المادى المسعور الذى تعانى منه المجتمعات الراسمالية ، والى اتجاه التحكم والسيطرة الذى هو طابع المجتمعات الاشتراكية • وانه رغم ما حققه الاقتصاد المادى السائد فى العالم ، راسماليا كان او اشتراكيا ، من مكاسب ورخاء مادى ، الا ان هذه المكاسب وذلك الرخاء اصبح هو فى ذاته مهددا بالضياع بحكم هذا الصراع العنيف الدائر بين هذه المذاهب والنظم الوضعية المادية ذاتها ، طالما ان المادة فيها مقصودة لذاتها •

وفى الشرع والنظام الاسلامى ، المصالح المادية وان كانت مستهدفة ومقصودة الا انها ليست مقصودة لذاتها ، وانما كوسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية • ذلك انه بحسب التصور الاسلامى ، الدنيا هى مزرعة الآخرة والانسان هو خليفة الله فى ارضه،وانه مطالب دائما بان يرتفع الى مستوى الخلافة بتعمير الدنيا واحيائها وتسخير طاقاتها لخدمة الانسانية • وصدق الله العظيم : (وابتغوا من فضل الله)(٦) ، وقوله : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة)(٧) ، وقوله : (انى جاعل فى الارض خليفة)(٨) • وقول الرسول عليه السلام : (نعم العون على تقوى الله المال) ، وقوله : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) ، وقوله : (ان الدنيا حلوة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون) (٩) •

ومؤدى ذلك أن ثمة عاملا مميزا فى الشرع والنظام الاسلامى ، هو أن المادة وان كانت مطلوبة، الا انها ليست مقصودة لذاتها • كما أن الهدف من النشاط البشرى هو تعمير الدنيا واحياؤها وان ينعم الجميع بخيراتها ، وليس هو التحكم او السيطرة الاقتصادية ، أو استئثار فئة او دولة معينة بخيرات الدنيا ،كما هو الشان فى كافة المذاهب الاقتصادية الوضعية • وفى ذلك كله مساهمة فعالة فى القضاء على كافة صور الانحراف، وفى حل مشكلة الاقتتال والحرب ، وليسود العالم امله المنشود فى التعاون والمحبة والسلام •

المبدأ الثانى :

الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة اوخاصة التوفيق والموازنة بين المصالح المتضاربة :

تستهدف كافة المذاهب والنظم الوضعية تحقيق المصلحة بجذب النفع ودفع الضرر ، ولكن المصلحة قد تكون خاصة او عامة ، وقد تتعارضان • ومن هنا تختلف المذاهب والنظم بحسب سياستها من هاتين المصلحتين •

ا) فبعضها كالمذهب الفردى والنظم المتفرعة عنه كالراسمالية ، تجعل الفرد هدفها فتهتم بمصلحته اولا وتقدمه على المجتمع •

ب) وبعضها كالمذهب الجماعى والنظم المتفرعة عنه كالاشتراكية ، تجعل المجتمع هدفها فتهتم بمصلحته أولا وتقدمه على الفرد •

جـ) وينفرد التشريع الاسلامى منذ البداية بسياسة خاصة متميزة فهى لاترتكز اساسا ، على الفرد شان المذهب الفردى والنظم المتفرعةعنه،ولا على المجتمع فحسب شان المذهب الجماعى والنظم المتفرعة منه ، وانما قوامها التوفيق والمواءمة والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، وهو ماقد نعبر عنه بانها سياسة وسط اخذا من قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم امة وسطا) (١٠) • ويهمنا هنا ان نبين ان هذه الوسطية التى تعنى الاعتدال والملاءمة ، ليست وسطية حسابية مطلقة فى كافة نواحى الحياة ، بل هى وسطية اجتماعية نسبية • اذ الاعتدال وهو سمة الاسلام واسلوبه فى كافة نواحى الحياة ، لايمكن أن يوضع فى قالب جامد او صيغة معددة ، ولكنه أمر اعتبارى يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان •

ذى انه فى الظروف الاستثنائية أو غير العادية

---

(٦) سورة الجمعة ، الآية ١٠ •

(٧) سورة القصص ، الآية ٧٧ •

(٨) سورة البقرة ، الآية ٣٠ •

(٩) انظر المستدرك للحاكم •

(١٠) سورة البقرة ، الآية رقم ١٤٣ •

كحالات الحروب والمجاعات او الاوبئة ، حيث يتعذر التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة ، فانه بالاجماع تضحى بالمصلحة الخاصة من اجل المصلحة العامة . تلك المصلحة الاخيرة التى هى حق الله الذى يعلو كل الحقوق .

وتخلص من المبدأ الثاني او الخاصة الثانية للتشريع الاسلامي الى ثلاث حقائق رئيسية نوجزها فيما يلى :

اولا : المصلحة مناط الشرع الاسلامي

فالشرع والنظام الاسلامي ، مناطه هو المصلحة وقد عبر عن ذلك الاصوليون بقولهم (حيث وجدت المصلحة فثم شرع الله) . ويقول فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فى كتابه السياسة الشرعية (انما تربط جميع الاحكام بالمصالح اذ الغاية منها جلب المنافع ودرء المفاسد ، حتى ان الرسول كان ينهى عن الشيء لمصلحة تقتضيه ثم يبيحه اذا تغيرت الحال وصارت المصلحة فى اباحته .. فغاية الشرع هى المصلحة ، والسبيل الى تحقيق المصالح حيث لانص من قرآن أو سنة هو اجتهاد الرأى (١١)) .

وتحقيق المصالح يختلف باختلاف الظروف ، فما يعتبر مصلحة فى ظروف معينة لايعتبر كذلك فى ظروف اخرى ، وفى هذا المعنى يقول الامام الشاطبى فى كتابه الموافقات (ان الشان فى معظم المنافع والمضار ان تكون اضافية لا حقيقية فهى منافع ومضار فى حال دون حال ، وبالنسبة الى شخص دون شخص ، أو وقت دون وقت (١٢)) .

وترتب المصالح التى يقصدها الشارع ، بحسب اهميتها ، فيقدم ما هو ضرورى على ماهو حاجي، ويقدم ما هو حاجي على ما هو تحسيني . بل ان الضرورات ليست فى مرتبة واحدة ، فلا يراعى ضرورى اذا كان فى مراعاته اخلال بضرورى اهم منه ، وبالمثل الحاجيات والتحسينات . ومن ثم فقد ابيح شرب الخمر اذا اضطر اليها كظما شديد محافظة على النفس ولم يراع حفظ العقل ، لان حفظ النفس ضرورة اهم من ضرورة حفظ العقل . وابيح كشف العورة اذا اقتضى هذا علاج طبى لان ستر العورة تحسيني والعلاج ضرورى .

ثانيا : التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في حالة التعارض

أ) التشريع الرأسمالي : يجعل الفرد هدفه فيهتم بمصلحته اولا ويقدمه على المجتمع . ومن ثم فهو يمنحه الحرية الكاملة فى ممارسة النشاط الاقتصادى وفى التملك واستعمال الملكية . وهو يبرر ذلك بانه حين يرعى مصلحة الفرد وحدها انما يحقق بطريقة غير مباشرة مصلحة الجماعة ، اذ ليس المجتمع الا مجموعة افراد مجتمعين .

واذا كانت هذه السياسة الرأسمالية قد أدت الى مزايا أهمها : اطلاق الباعث الشخصى والمبادرة الفردية وبواعث الرقى ، فضلا عن انطلاق النشاط الاقتصادى وتعدده وسرعة نموه . الا انها أدت الى مساوىء اهمها : اتجاه النشاط الانساني الى تحقيق اكبر قدر من الربح بغض النظر عن الحاجات العامة الاساسية ، وانتشار البطالة والازمات الاقتصادية ، فضلا عن ان افراد المجتمع ليسوا على درجة واحدة من الكفاية والذكاء او القدرة مما أدى الى سيطرة الاقوياء واستئثار الاقلية بخيرات المجتمع ، وبالتالى سوء توزيع الثروة او الدخل والصراع بين الطبقات .

ب) اما التشريع الاشتراكى : فهو يجعل المجتمع هدفه فيهتم بمصلحته اولا ويقدمه على الفرد . ومن ثم تدخلت الدولة فى كل نشاط اقتصادى ومنعت الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . وهو يبرر ذلك بانه حين يرعى مصلحة المجتمع وحدها انما يحقق بطريقة غير مباشرة مصلحة الفرد ، اذ الفرد لا يعيش الا فى مجتمع وان قيمته هى بحسب قيمة مجتمعه ، وان تقدمه وتفتح ملكاته هى بحسب درجة نمو هذا المجتمع وتطوره .

واذا كانت هذه السياسة الاقتصادية الاشتراكية قد ادت الى مزايا اهمها : ضمان اشباع الحاجات العامة وتنظيم الانتاج ، وتلافى البطالة والازمات الاقتصادية ، فضلا عن رعاية مصلحة الاغلبية العاملة ومعالجة سوء توزيع الثروة . الا انها ادت الى مساوىء اهمها : ضعف الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية وبواعث الرقى الاقتصادى فضلا عن الضغوط المختلفة والتعقيدات الادارية

(١١) انظر فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف ، السياسة الشرعية ، طبعة القاهرة المطبعة السلفية سنة ١٣٥٠ هـ ص ٦ ، ٧ .

(١٢) انظر الموافقات للامام الشاطبى الجزء الثاني ص ٢٠٩ ، ٢٤١ ، ٢٦٨ ، ٣٠٦ .

وتحكم البيروقراطية ، وضياع الحرية الشخصية التي هي جوهر الحياة الانسانية .

جـ) اما التشريع الاسلامي : فان له سياسته المتميزة التي لا ترتكز اساسا على الفرد شان التشريع الراسمالي ، ولا على المجتمع شان التشريع الاشتراكي ، وانما هو يرعى المصلحتين الخاصة والعامة ويحاول المواءمة بينهما . واساس ذلك عنده هو ان كلا المصلحتين الخاصة والعامة يكمل كلاهما الآخر ، وفي حماية احدهما حماية للآخر ومن ثم كفل الاسلام كافة المصالح الخاصة والعامة ، وحقق مزايا رعاية كل منهما وخلص من مساوىء اهدار احدهما .

فقوام التشريع الاسلامي هو حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله تعالى : (لا تظلمون ولا تظلمون) (١٣) . وقول الرسول عليه السلام : (لا ضرر ولا ضرار)(١٤) . وقد اعطانا الرسول صلى الله عليه وسلم صورة بسيطة ولكنها عميقة المعنى في التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة بقوله : « ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقالوا له ماذا تصنع ، قال هذا مكاني اصنع فيه ما اشاء ، فان اخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا »(١٥) .

وتطبيقا لذلك فان حلول مختلف المشكلات ايا كانت سياسية او اجتماعية او ادارية تعتبر حلولا اسلامية بقدر ما تحقق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، دون اهدار احداهما، وهي بذلك تتميز عن الحلول الراسمالية التي لا تهتم الا بمصلحة الفرد ، كما تتميز عن الحلول الاشتراكية التي لا تهتم الا بمصلحة الجماعة .

واذا كان في السياسة الشرعية «فردية» فهي فردية تختلف عن فردية الراسمالية ،اذ لاتذهب الى اقرار الحرية المطلقة للفرد في النشاط الاقتصادي وفي استعمال الملكية . واذا كان في هذه السياسة « جماعية » فهي جماعية تختلف عن جماعية الاشتراكية ، اذ لا تسلم بحق الدولة المطلق في التدخل في النشاط الاقتصادي او الحد من الملكية الخاصة .

ثالثا : تقديم المصلحة العامة على مصلحة الفرد اذا لم يمكن التوفيق

واذا كان قوام سياسة التشريع الاسلامي هو التوفيق او الموازنة او الملاءمة بين المصلحتين الخاصة والعامة، الا انه اذا تعذرت هذه الملاءمة لظروف غير عادية كحالة الحرب او المجاعات او الاوبئة ، فانه بالاجماع يضحى بالمصلحة الخاصة وتقدم المصلحة العامة باعتبارها حق الله الذي يعلو فوق كل الحقوق . وهذا ما يعبر عنه الاصوليون بقولهم (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) او قولهم (يتحمل الضرر الادنى لدفع الاعلى).

ولا شك انه في مثل هذه الاحوال الاستثنائية وهي حالات الحروب والمجاعات والاوبئة ، قد يتجاوز التطبيق الاسلامي اكثر المذاهب والنظم الجماعية تطرفا . وليس معنى ذلك أن التشريع الاسلامي يتفق مع هذه المذاهب والنظم ، طالما الثابت أن مثل هذا الحل لا يكون الا في الظروف غير العادية ، أي لا يلجأ اليه الا استثناء وكعلاج مؤقت وبقدر الضرورة .

ومن هنا ندرك ماهية تلك الاجراءات الخاصة التي اقرها جمهور الفقهاء لنزع الملكية الخاصة لتوسيع المساجد او للمنفعة العامة ، وكتسعير الخليفة عمر بن الخطاب لبعض السلع ومصادرته لصالح بيت المال كل زيادة غير معقولة في اموال ولاته بما فيهم سعد بن ابي وقاص بطل القادسية وخال الرسول عليه السلام وابو هريرة صاحب الرسول والمحدث المشهور ، وما ذهب اليه الامام مالك بانه (يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك اموالهم)(١٦) . وما ذهب اليه الامام ابن حزم بانه (اذا مات رجل جوعا في بلد ،اعتبر اهله قتلة ، واخذت منهم دية القتيل) (١٧) .

المبدأ الثالث

الجمع بين الثبات والتطور

ان اغلب نصوص القرآن والسنة ، هي في مجال

---

(١٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧٨ .

(١٤) مسند الامام احمد بن حنبل .

(١٥) البخاري والترمذي .

(١٦) انظر تفسير القرطبي الآية (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) .

(١٧) انظر محمد الغزالي ، الاسلام والاوضاع الاقتصادية ، الطبعة الثالثة ١٩٥٢ ـ ص ١٢٠ .

العقيدة والعبادات والاخلاق ٠ وهذه ليست محل اجتهاد او تغيير او خلاف ٠

اما في مجال الشريعة وتنظيم المجتمع ، فلم يرد بالقرآن والسنة سوى مبادىء عامة وقليلة ٠ فهي اصول الهية لا يجوز فيها اجتهاد او تغيير او خلاف ، وبحيث يلتزم بها كل مجتمع اسلامي ايا كانت ظروفه وايا كانت درجة تطوره ، وذلك كمبدأ الشورى بقوله تعالى : (وشاورهم في الامر) ، او مبدأ استغلال كافة الموارد المتاحة بقوله تعالى : (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) ، او مبدأ ضمان حد الكفاية او المستوى اللائق لمعيشة كل فرد بقوله تعالى : (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ٠ اما كيفية اعمال هذه الاصول وتطبيقها ، فهي مما يجوز ان يختلف فيها كل مجتمع اسلامي بحسب ظروف زمانه ومكانه ، اذ ترك الشرع الاسلامي ، اعمال هذه المبادىء وتفاصيل تطبيقها للاجتهاد فرديا كان او جماعيا في كل قطر وفي كل عصر ، ككيفية اخذ الشورى وتحديد حد الكفاية ٠٠ الخ ٠ وهو ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم : (تغير الاحكام بتغير الازمنة والامكنة) ، وقولهم : (هذا خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان) ٠

ونخلص من المبدأ او الخاصة الثالثة للتشريع الاسلامي الى ثلاث حقائق رئيسية هي :

أولا : التشريع الاسلامي الهي الاصول ، اجتهادي التطبيق :

فالاصول الاسلامية اجتماعية كانت او اقتصادية او سياسية انما تستقى من نصوص القرآن والسنة، ومن ثم فقد استلزم الاسلام الاجتهاد في اعمالها وملاءمة تطبيقها باختلاف ظروف الزمان والمكان ٠

والانظمة او التطبيقات الاسلامية ، وان كانت «وضعية» باعتبار جهود الائمة في استنباطها واستقرائها ، الا ان مرجعها ومصدرها هو الله تعالى ٠ فعمل الباحث في المجالات الاسلامية هو تطبيقي لا انشائي ، ذلك لانه لا ينشىء ولا يثبت حكما من عنده ، وانما هو يظهر ويكشف حكم الله في المسألة المطروحة وذلك حسب ظنه واعتقاده ٠

ولما كانت حياة كل تشريع، تتجلى في تطبيقاته، فقد حث الاسلام على الاجتهاد وكافأ عليه ، حتى جعل للمجتهد اجرين ان اصاب ، واجرا ان اخطأ ، وهو اجر اجتهاده ٠ بل لقد ذهب الاسلام اكثر من ذلك ، فاعتبر الاجتهاد هو مصدره الثالث بعد القرآن والسنة ٠ ولاشك أن اكبر ضربة وجهها المسلمون انفسهم الى الاسلام ، هي قفل باب الاجتهاد منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، فمنذ ذلك الحين توقفت الدراسات الشرعية وتجمدت التطبيقات الاسلامية عند مرحلة تاريخية معينة ٠

حقا لا توفق بعض الاجتهادات الشرعية فلا يكون سبيل ابطالها التنديد بقائليها او تجريحهم ، وانما مقارعتها بالحجة من ذات نصوص القرآن والسنة واظهار فسادها بالطرق الشرعية المقررة من قياس واستحسان واستصلاح ٠ ويظل المعول عليه دائما هو ما تتبناه السلطة الشرعية في البلاد ٠ وهو ما يتعين أن تتضافر كافة الجهود لتاييده ان كان صحيحا ،وتصويبه ان كان فاسدا٠

ثانيا : الاصول الالهية الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان :

وهذا لا يعني كما تصور البعض أن الاسلام يضع قيودا على العقل تحد من حركته ، وذلك متى لاحظنا امرين اساسيين :

اولهما : ان هذه الاصول او المبادىء الاسلامية في مجال المعاملات قليلة ومحدودة وجاءت عامة كلية لا تتعرض للتفاصيل ٠ وقد قررها الاسلام كخاتم الاديان لتكون دليل الانسانية للحركة المتطورة نحو اهدافها ٠ فهي ليست الا نورا يستضيء به العقل عند تفكيره ٠

ثانيهما : ان هذه الاصول او المبادىء الاسلامية، لا تتعلق الا بالحاجات الاساسية اللازمة لكل فرد او مجتمع بغض النظر عن درجة تطوره أو مدى النشاط الاقتصادي او نوعية ادوات ووسائل الانتاج ٠

فهي اصول لا يجوز الخلاف حولها ٠

ثالثا : الاجتهادات التطبيقية الاسلامية تختلف باختلاف الزمان والمكان

فليس في التشريع الاسلامي صورة تطبيقية معينة يلتزم بها كل مجتمع اسلامي ٠ بل بالعكس ينبغي أن تتعدد النظم والتطبيقات الاسلامية بحسب ظروف كل مجتمع ، وذلك في اطار مبادىء واصول الاسلام الثابتة ٠ ■■

محمد شوقي الفنجري

طرائف

ما البــلاغة

● قيل لجعفر بن يحيى البرمكي « ما البلاغـة » ؟ قال:« التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يقدر على مثلهـا ، فاذا رامها استصعبت عليه »٠

بين علي

●قيل : ان أمير المؤمنين على بن ابى طالب عاد صعصعة بن صوحان في مرضهـ وكان من شيعته الاقربين،فقال: «ياصعصعة لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك » فقال صعصعة:« بلى والله اعدهامنةمن الله

اعــداء المروءة

● قال رؤبة بن العجاج اتيت النسابةالبكرى فقال لى : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا ابن العجاج » قال : « قصرت وعرفت، لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني، وان تكلمت لم يعوا عني » قلت : « ارجوألا اكون كذلك » قال:« ما أعداء المروءة؟» قلت : « تخبرني » قال : بنو عم السوءاذا رأوا حسنا ستروه ، وان رأوا سيئا اذاعوه » ٠ ثم قال : ان للعلم آفة وهجنةونكدا ، فآفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره عند غير اهله » ٠

الحســـــد

● قال الجاحظ عن الحسد : « الحسدـ ابقاك الله ـ داء ينهك الجسد ، علاجه عسير ، وصاحبه ضجر وهو مسلك خفـي يعسر الخروج منه ، وما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء ٠ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسـدوالبغضاء » ٠

الحسد عقيد (قرين) الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق،ومنه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة،وقاطع كل رحم من الاقرباء ، ومحدث للتفرق بين القرناء ، وملقح « مولد »الشر بين الحلفاء » ٠

عربية

مكارم الاخلاق

● قال احد الاعراب : « قدم علينا فلان ــ وسماه ــ ولا مال معه ، فاغنانا » ، فقيل له : «وكيف ذلك يا اخا العرب ؟ قال : « علمنا مكارم الاخلاق فعاد غنينا على فقيرنا فغنينا كلنا » .

وصعصعة

على وفضلا » فقال له الامام على : « انى كنت ما علمتك لخفيف المؤنة ، حسن المعونة » فقال صعصعة : « انت والله ــ يا أمير المؤمنين ــ على ما علمتك بالله عليما ، وبالمؤمنين رؤوفا رحيما » .

ما جاء بك ؟

● كان ابو جعفر المنصور ايام بنى امية يجلس فى حلقة ازهر السمان المحدث، فلما افضت الخلافة اليه قدم أزهر عليه ،فرحب به وقربه ، وقال له : « ما حاجتك يا ازهر ؟ » قال : « دارى متهدمة ، وعليّ اربعة آلاف درهم ، واريد تزويج ابنى محمد » ، فوصله باثنى عشر الفا ، وقال له : « قد قضينا حاجتك فلا تأتنا طالبا »، فأخذها وارتحل وبعد سنة أتاه فلما رآه ابو جعفر قال : « ما جاء بك يا ازهر » قال : جئتك مسلما ، فأمر له بصلة وقال : « لا تأتنا طالبا ولا مسلما »

وبعد سنة اتاه فقال له ابو جعفر : «ما جاء بك يا ازهر ؟ » قال اتيت عائدا » فأمر له بصلة ، وقال « لا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا » .

فلما مضت سنة اقبل فقال له : « ما جاء بك؟» قال : « دعاء كنت اسمعك تدعو به ــ يا أمير المؤمنين ــ جئت لاكتبه»فضحك ابو جعفر وقال : « انه دعاء غير مستجاب وذلك انى دعوت الله به ان لا اراك ، فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك بصلة ، وتعال متى شئت،فقد اعيتنى فيك الحيلة».

سقط من عيني

● قال الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انى لارى الرجل منكم وقد لبس فاخر ثيابه ، وتعطر بأغلى العطور فيعجبنى شكله وهندامه فأقول : « هل لهذا الرجل حرفة » يقتات منها » ، فان قالوا : « لا » سقط من عينى » .

في عصر الذرة وغزو الفضاء

تتغلب المعرفة على الخبرة ويصطدم المبدأ بالسلوك

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

■ أول المعرفة الادراك ، والادراك يأتي من بوابات الحس • فاذا امتزج الحس بالتجربة اصبح معلومة • ومن المعلومات تتكون المعرفة •

المعرفة والثقافة

الحواس تتلقى المعلومات فتكون المعرفة ، والمعلومات تتفاعل مع الملكات فتكون الثقافة •

ان من الفلاسفة من يعرف كثيراً من المعلومات ولذلك يقدر على تعليل كثير من الظواهر العلمية، ولكن معلوماته تبقى في استقلالها عنه طافية فوق ذهنه فلا تتفاعل معه •

ومن الأميين من لهم فضل كبير على البشرية مثل « محمد » صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من ساد في قومه مثل عبد الحميد شومان (مؤسس البنك العربي ورئيس مجلس ادارته) ، ومنهم من حقق لنفسه خيرا كثيرا مثل بعض التجار •

ان المعرفة كم والثقافة كيف • ولا تصبح المعرفة ثقافة الا بعد ان تتكيف مع استعدادات الشخص وظروف البيئة • فالمعرفة من اكبر ادوات الثقافة، ولكنها ليست مرادفا • ذو المعرفة جامع معلومات، والمثقف متوازن العقل يجيد الحكم على الاشياء ، ويحسن استخلاص النتائج منها • ان عنده استعدادا ذهنيا لانتقاء احسن الحلول من بين البدائل •

وانسياقا وراء هذا المعنى اقول ان الفن ثقافة قبل ان يكون معرفة • فالدكتور الحنفي كان عالما موسيقيا، ولكنه لم يكن موسيقيا مثل عبد الوهاب• وبيكاسو وصلاح طاهر وبيار صادق لايحكمون عقولهم في رسم اللوحات قبل أن يحكموا أمزجتهم• والنحات الذى نحت تمثال (رياض الصلح) في بيروت لم يخرجه على هذا النحو كنتيجة حتمية لبحث علمي ، وانما اخرجه من وحي انفعال فني طارىء • وعبد السلام شريف (مدير معهد التذوق الفني بالقاهرة) انتقد زخرفة شارع الهرم وبرر انتقاده بان القيشاني لايستخدم الا في حمام او عند شربتلي ، وهو اتجاه فني وليس بحثا علميا •

الخلاصة ان الثقافة غير المعرفة •• وان كان الفصل بينهما صعبا كما رأينا •

المعرفة والسلوك

والمعرفة غير السلوك • فالمعرفة معلومات يغذى بعضها بعضا • وهى مقدمات عقلية تؤدى الى نتائج منطقية • أما السلوك فهو نزوع : قد يكبته العقل بعض الوقت أو يخفف منه ، ولكن النزوع يظل مستكنا فى اللاشعور يبحث عن فرصة للانطلاق • ومتى انطلق ترك للعقل ان يبرر تصرفه فيختلق له المسوغات لتصلح أسبابا •

ان السلوك هو الشجاعة او الجبن • هو الكرم او البخل • هو الرزانة او الحمق • ولكن المعرفة هى التى تكتب النجاح للعالم فى معمله، وللفيلسوف فى بحثه ، ولعالم الفضاء فى اطلاق مركبته •

ومعظم القادة ينجحون بالسلوك اكثر مما ينجحون بالمعرفة ، فنابليون وهتلر وموسوليني وستالين ومصطفى كامل وسعد زغلول ورياض الصلح وجمال عبد الناصر لم يكونوا أعلم اقوامهم وانما كانت شجاعتهم هى التى جعلت منهم قادة • ولعل عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقي وعلى ماهر كانوا اعلم من سعد زغلول ، ولكنه تفوق عليهم لانه كان اكثر منهم وطنية وشجاعة •

على أن كلا من المعرفة والسلوك لاغنى له عن الاخر • فالمعرفة لاتستغنى عن السلوك ، لانه هو الذى يصوبها نحو ما تريد، وهو الذى يكيفها ليلائم بينها وبين اهدافها • وكذلك لايستغنى السلوك عن المعرفة • فالسلوك من غيرها طيش ، بل هو انفعال حيوانى يصدر عن غريزة دون ان يأخذ جرعة من العقل تؤصله وتحدد مساره •

واذا كانت المعرفة بطبيعتها موضوعية تقوم على قواعد ثابتة ، فان السلوك ذاتى يتقلب بتقلب الظروف والملابسات •

ان المعرفة سكون والسلوك حركة • ولذلك لاتتغير المعرفة بتغير الاحداث ، على حين تفرض الاحداث نفسها على السلوك • وهذا القول نفسه هو من قضايا المعرفة لانه ينبثق من منطقها • ومادام كذلك فهو قابل للتأييد وللتنفيذ ، وهذه القابلية تجعل المعرفة مرنة تحتكم الى العقل ولا تستبد باتجاهها كالسلوك حين يصدر عن انفعال •

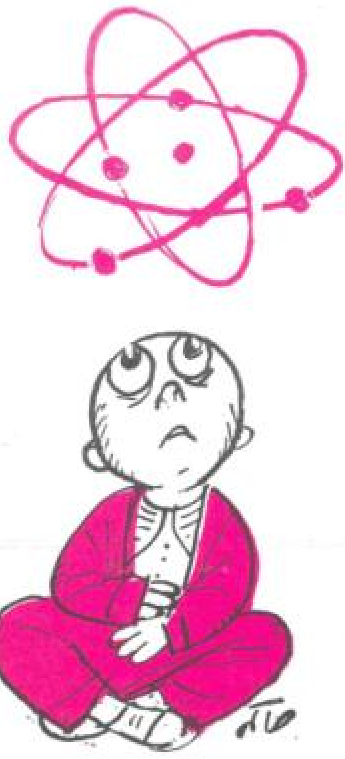
المعرفة والمعطيات

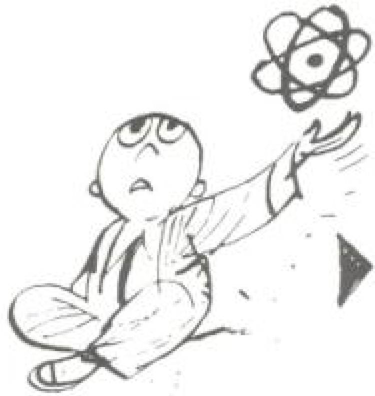
ان المعطيات تصل الى من يستقبلها عن طريق السمع أو البصر أو الشم أو الذوق أو اللمس أو عن طريق اثنين أو اكثر منها • وهى فى حاجة الى الفهم لكى تتفاعل مع التجربة فتتحول الى معرفة • وقديما قال « الجاحظ » فى وصف انسان غبى : ـ

يسمع غير ماقيل
ويفهم غير ما سمع
ويكتب غير ما فهم
ويقرأ غير ما كتب

ان المعرفة الحقة تقتضى التدقيق فى استقبال المعطيات، وتستلزم فحصها وتقليبها ومقارنة بعضها ببعض : القديم منها والجديد ، قبل ضمها الى حصيلة المعارف التى هى رأس مال المفكر •

والانسان الذى لا يشبع من المعرفة تزداد معارفه بمضى الزمن فتزداد مقدرته على استيعاب كل جديد





لان نسبة ذكائه المكتسب تتعاظم بتعاظم المعارف التى تكونه فيقل الوقت الضرورى لقراءة كتاب أو حل مشكلة ، وبذلك تتسع احاطة الانسان بالاشياء شيئا فشيئا فى متوالية هندسية .

وبما أن المعطيات تحتمل الصدق والكذب فان على مستقبلها أن يستوثق من صدقها بالرجوع الى مصدر آخر على الاقل لاعلاقة له بالمصدر الذى تلقاها عنه . ان مرسل المعطيات يتأثر ببيئته ومزاجه ومصلحته دون ان يشعر ، فهو فى حديثه أو كتابته موضوعيا بحتا . واقصى ما ننتظره منه أن يتمتع بمرتبة عالية من التجرد .

ومن الناحية الاخرى قد لا أذهب بعيدا اذا قلت أن المعطيات لاتترك بالضرورة نفس المحتوى الذى أراده مرسلها ما دام مفهومها النهائى يتوقف على ثقافة من يستقبلها ، فهى قد تتطور فى معناها بمجرد أن تنتقل من شخص الى شخص .

لقد قال علماء الادارة : أن المدير لايستطيع أن يعتمد اعتمادا كليا على التقارير التى تصله من مرؤوسيه لانها تتلون بلون كل منهم شاء أولم يشأ ، فعليه ـ لكى يسمعويرى بنفسه ـ أنيتجول فى منشاته وان يحتك بالعاملين وبالجمهور ليعرف « الواقع » .

ولكننا نعود فنقول أن المدير يترجم ما يسمعه وما يراه فى ضوء تجاربه الشخصية وهى غير محايدة ، فحكمه لايمكن أن يكون مضبوطا وهو يقيسه بمسطرة هذه التجارب .

وبالمثل لايستطيع المرء أن يثق فى المنطق وحده ، فالمنطق صناعة تحق الحق وتبطله ، والعبرة فى النهاية بمهارة المنطق . وكثيرا ما يستمع القاضى لوكيل النيابة فيقتنع بان المتهم مجرم ، ثم يستمع للمحامى عنه فيقتنع بان المتهم برىء ، وقد يحكم فى النهاية عن انطباع يستريح له ضميره لا عن معرفة تتفق مع الحقيقة .

بين العلم والخبرة

تلقينا ونحن شباب أول درس من استاذنا وهو أن مهمة الجامعة هى أن تعلمنا كيف نتعلم ، فنحن نتلقى العلم فيها ولكننا نحتاج فى تطبيقه الى التجربة . وخرج الطبيب فوجد أنه يفتح الدمل فيمتلىء بعد ذلك بالصديد ، وخرج المهندس فوجد انه يقيم الحائط فلا يلبث ان يميل ، وخرج التجارى فلم يدر ان كان الاعتماد الذى لارجوع فيه يفتح بمفتاح او ببرقية الى بنك آخر .

لقد وجد الجميع أن ماقاله الاساتذة صحيح ، فقد قدم العلم لهم قواعد عامة تصح فى مجموع الحالات ولا تصح فى جميعها ، وعلى كل منهم أن يطور القاعدة ويطرقها فى ضوء تجاربه قبل أن يعملها لتلائم كل حالة بخصوصها .

وانطلاقا من هذا المفهوم طورت المعاهد برامجها وافسحت فى وقت الدراسة للمعمل وللورشة والمشرحة ، واشترطت مجامع المحاسبين أن يتدرب الطالب ثلاث سنوات عند أحد المحاسبين المجازين ، ومجامع الاعلان أن يتدرب فى احدى وكالات الاعلان المعتمدة .. وهكذا . بل اتجهت بعض الجامعات اتجاها عمليا فظهرت فى امريكا كلية الاعمال (Faculty of Business) وظهرت فى مصر جامعة حلوان التطبيقية .

ثم تواضع الناس على التفرقة بين رجل القانون والمحامى ، وبين أستاذ الادارة ورجل الاعمال ، وبين أساتذة التربية والمربية . يريدون بذلك أن الاوائل علماء والآخرين ممارسون .

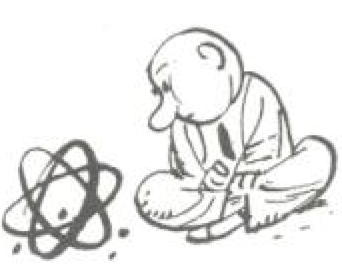
وانأنسى فلست أنسى بحثا اجتماعيا قام به مركز علمى فى القاهرة فوجد استاذا كبيرا حاصلا على الدكتوراه من امريكا فى محاربة الشواذ طلق امرأته الاولى لانه كان يعد رؤوس الثوم فىالمطبخ فوجد واحدة ناقصة . وطلق امرأته الثانية لانه كان قد عاقب ابنته منها بالوقوف الى جانب الحائط ثلاث ساعات مرفوعة اليدين وانصرف الى عمله ثم تعمد الرجوع قبل انتهاء مدة العقوبة فوجد

أمها قد افرجت عنها بعد أن رأت اعياءها • ووجد المركز فى هذا البحث أن أحد أساتذة التربية قد فشل فشلا تاما فى تربية ابنائه الثلاثة فاكبرهم رسب ثلاث مرات فى الشهادة الاعدادية ، والثانية مهتزة الشخصية ، والثالث ناجح لانه كما قال ثار على تعاليم والده !

والواقع أن العلم هو حصيلة خبرات كثيرة انصبت آخر الامر فى قواعد ، ولذلك قالوا ان القاعدة الصحيحة هى التى تصح عند التطبيق (Good Theory is good Practice) ولكن العلم يبقى مع ذلك فى برجه العاجى ما لم يتفاعل مع التجربة المتجددة ليصبح خبرة •

وهنا يجب التفرقة بين العلوم الطبيعية كالحساب والعلوم السلوكية كالاقتصاد ، فالاولى تقرر قواعد مضبوطة تقول : اننا اذا ادرنا آلة بسرعة كذا فى الساعة لمدة كذا ساعات فانها تخرج لنا فى آخر الامر كذا مترا من القماش • على حين تقرر الثانية إتجاهات تقريبية تقول : اننا اذا رفعنا ثمن السلعة او الخدمة فان من شان الطلب عليها أن ينخفض • وتاسيسا على هذا تبدو الحاجة ملحة الى العلم فى الحالة الاولى ، وتبدو الحاجة ملحة الى الخبرة فى الحالة الثانية لان الضبط يستغنى بنفسه الى حد كبير عن التجربة، والتقريب لا يجد بدا فى سد نقصه من الاعتماد على بصيرة الخبرة •

لقد بقيت الخبرة مقدمة اذن على العلم ، حتى جاء عصر الذرة وغزو الفضاء وهو عصر لم يكن استمرارا لما سبقه من عصور ، وانما أصبح حضارة مستقلة متقدمة ، انشاها العلم ولم يكن للخبرة فيها نصيب كبير •



لقد انتقلت البشرية من عصر الطائرة الى عصر الصاروخ فوصلت اخيرا الى القمر ، وهكذا اصبح الوالد عاجزا عن أن يتابع ابنه لينفعه بخبرته • ولذلك انعقد اخيرا مؤتمر للهيبيين فى احدى العواصم الاوربية ، فاوصى الابناء بان يهتموا بتعليم آبائهم ليجدوا جسرا من التفاهم بين الجيلين • وليس أدل من هذا على انتصار العلم على الخبرة •

بين المبدأ والسلوك

ولما انتصر العلم بترتيب النتائج على المقدمات بدا على الناس عزوف عن التسليم بمبادىء الاخلاق الا اذا كان لها مبرر واضح من المصلحة الفعلية ، فاصطدمت الارقام بالغيبيات ، وتحدى الواقع الروحانيات ، وتصدى رجال الآخرة لرجال الدنيا ••• ولاتزال المعارك ناشبة بين الفريقين •

لم يعد الصدق عند الناس منجيا فى السياسة والاعمال • ولم تعد النظافة من الايمان كواقعة منتشلة ، وانما اصبحت ماء نقيا ومنظفات صناعية• ولم يعد التناسل مباحا كما كان ، وانما أصبح خاضعا لقوانين وضعية تنظمه فى كثير من الدول• لم تطور مفهوم الجريمة فعبر الشاعر العربى عن ذلك فى سخرية حين قال : ـ

قتل امرىء فى غابة
جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن
مسألة فيها نظر !

وهكذا انقلبت المفاهيم بسرعة الصواريخ ، فتغلب العلم على الخبرة ، واصطدم المبدأ بالسلوك • واذا كان غزو الفضاء يهدف الى الخير فان الذرة تهدد أمن العالم • والبشرية بين هذا وذاك مزدوجة الشخصية تقلب أنظارها بين واقعها على الارض وأملها فى السماء عسى أن يكتب الله لها الهداية وهى تجرى فى هذه المظاهرة العلمية الصاخبة •

■■

السيد أبو النجا



الاخلاق والسياسة

بقلم : على ادهم

■ الحديث عن اتباع شريعة الآداب وقواعد الأخلاق فى الامور الدولية والمشكلات الاممية وسائر العلاقات بين الحكومات ـ يكاد يبدو من المسائل التى يثيرها الخيال ،وتمليها على المفكرين الامانى والاحلام ، واذا نحن ـ فى خلال حديثنا مع احد كبار رجال السياسة ، أو احد الناجحين فى نواحى الحياة العملية ومجالاتها المختلفة ـ أشرنا الى ضرورة مراعاة الوصايا الاخلاقية ، وفضائل الامانة ومزايا الاخلاص ، وأن يحب الانسان لاخيه الانسان ما يحب لنفسه ، فان حديثنا سيبدو له سمجا مملا وتافها عديم القيمة، ويدل عنده على ان المتحدث لم يخض غمار التجارب، ولم يدخل ميادين المباريات والمنافسات واغتنام الفرص السانحة والظروف المواتية .

واذا كان الحديث عن الفضائل الاخلاقية غير مستحب فى مسائل الحياة العادية قليلة الشان ، فانه سيكون اكثر اثارة للضيق والملل حينما يوجه الى المشتغلين بمعالجة المشكلات الدولية ،والعلاقات الاممية ،وسيبدو لهم انه حديث الذى يجهل خفايا الامور ، ودخائل السياسة ، والمعروف ان كل دولة من الدول تسترشد فى علاقاتها مع غيرها من الامم بمصلحتها الخاصة ، وهذا هو ما يعنيها قبل كل شيء ، واذا كان الامر كذلك ، فما هى مكانة الاخلاق فى هذا التعامل الدولى والتهافت الاعمى على المصالح الذاتية ، والاهداف الخاصة .

سياسة المصلحة الذاتية

وكون الدول تتمسك بالمحافظة على مصالحها ، وتتحرى هذا السلوك فى سياستها ـ ليس من الامور المستحدثة او البعيدة عن طبائع الاشياء ،



ويروى البحاثة الفيلسوف ستيس فى احد فصوله الادبية ان الوزير البريطانى اوليفر ليتلتون اجترأ مرة على ان يقول ان الولايات المتحدة لم تدخل الحرب الكبرى الثانية بدافع مصلحتها الذاتية وحدها ، بل كذلك بدافع العطف على الامم التى هاجمها النازيون ومشاركتها لها فى شعورها ـ ومن هذه الامم الامة البريطانية ـ وان سلوك الولايات المتحدة هذا المسلك وما نشا عنه كان السبب فى تصميم اليابانيين على مهاجمة الولايات المتحدة ، واغضب ذلك الرئيس كوردل هل الامريكى ، وأثار ثائرته ، وحرصت انجلترا على استرضاء الامريكيين بارغامها الوزير البريطانى على تقديم الاعتذار ، ومعنى ذلك ان مصلحة الوطن الخاصة من الاصول المسلم بها فى التفكير الدولى .

ولكن برغم ذلك لم يكف المتحدثون عن متابعة البحث فى العلاقة بين الاخلاق والسياسة الدولية، وكان الامريكيون انفسهم يقولون ان الاهداف الاخلاقية كانت من الاعتبارات التى لها مكانتها فى دخول الولايات المتحدة الى جانب الحلفاء فى الحرب الكبرى الثانية ، وما يزالون يرددون انهم شاركوا فى هذه الحرب دفاعا عن العدالة ، لان النازية نبذت العدالة الدولية ، والآداب الاممية، وتنكرت «للمبادىء الديمقراطية» ، وانهم ارادوا بذلك ابطال قانون الغابة فى العلاقات الدولية .

■ المصلحة الذاتية وحدها ، عودة الى شريعة الغاب

■ قوة الجيوش لا تجدى الا اذا كان هناك مثل أعلى يستحثها

■ هل يتحقق حلم «الحكومة العالمية» لانقاذ البشرية من الهلاك

القانون الدولي

وهناك مجموعة من المبادىء والقواعد يطلق عليها اسم « القانون الدولي » ، وبعض الامم في بعض الاوقات وفى علاج بعض الخلافات الدولية تعترف باحكامه ، وتتبع قواعده فيما يقع بينها من خلافات ولكن كثيرا ما أهمل شأنه وأعرض عن وصاياه واحكامه ، لانه ليس هناك قوة تنفيذية لمقاومة الخروج على احكامه ، وهو لم يزد على كونه مجموعة من المبادىء الاخلاقية اتفقت الامم المتحضرة على ان تتبعها ، واتبعتها بعض هذه الامم فى بعض المواقف ، ولكن عدم وجود عقوبة محددة للخارجين عليه جعلت مخالفته من الامور التى لا تخشى عواقبها ، ولا يحسب لها حساب .

والتسليم بان الامم فى علاقاتها الدولية لا تراعى سوى مصلحتها الخاصة معناه الاعتراف بأن اداب الغابة هى السائدة فى تناول الخلافات الدولية ، وربما كانت خطورة هذا الرأى لا تبدو واضحة للعيان فيما مضى من الأزمنة ، ولكنها فى العصر الذى ظهرت فيه القنبلة الذرية ، وزادت فيه وسائل التدمير والتخريب ـ تصبح من المسائل التى تستلزم اعادة النظر ، واستيفاء البحث والعلاج ، حتى لا يتعرض مصير الانسانية للزوال والفناء ، ويتم القضاء على الحضارة فى نوبة من نوبات المخاطرة فى الجرى وراء المصلحة الذاتية ، واهدار حقوق الغير ومطالبه ، وعدم معالجة الامور فى ضوء العدالة وحسن التفاهم والنية الحسنة .

الدافع الأخلاقى

وقد يكون من بواعث الامل فى نجاح هذه المحاولات والحد من خطورة هذه الاتجاهات أن الدافع الاخلاقى يكمن وراء الكثير من محاولات حب التسلط وفرض السيطرة والسعى وراء المصلحة الذاتية ، واكثر القادة والزعماء يستعينون على اثارة حماسة الامم واستنهاض عزائمها بمثل عليا اخلاقية يجعلونها امامهم ، والزعيم الالمانى هتلر يكرر فى كتابه « كفاحى » ان قوة الجيوش لا تنفع الا اذا كان هناك مثل اعلى يستحثها ويحرك نشاطها ، والامم لا تقدم على الحرب ـ او على الاقل لا تحارب حربا ناجحة ـ لمجرد البحث عن المطالب المادية والتماس المصلحة الذاتية ،ولذلك كان هتلر يحاول اقناع الالمان بانهم يريقون دماءهم ويضحون بارواحهم من اجل غايات نبيلة يتطلبها وطنهم لاسعاده وتطويره ، وقد يكون هذا الدافع الاخلاقى قائما على بواعث سيئة ، ولكنها مشوبة فى الوقت نفسه بالدوافع الاخلاقية ، ومحاولة تمجيد الامة الالمانية ورفعة شأنها .

وحينما غزا الالمان بلجيكا سنة ١٩١٤ كان فى ذلك تهديد خطير لمصالح الانجليز ومكانتهم ،فانه ليس من مصلحة انجلترا ان يكون للالمان سيطرة على القناة المواجهة لبلادهم وشاطىء القارة الاوروبية القريب منهم ،ولكن السير ادوارد جراى وزير خارجيتهم فى ذلك الوقت وضع اعتداء الالمان على البلجيكيين فى الاطار الاخلاقى واعلن ان المانيا نقضت العهود ولم ترع الذمام ، وانها اعتدت على دولة سبق ان تعهدت بريطانيا والمانيا بحمايتها والدفاع عنها ، وقد قام بذلك السير ادوارد جراى لانه يعرف ان الصالح المادى وحده لا يكفى لحمل الامم على بذل اقصى ما فى وسعها للدفاع عن حياتها ، وانه لا بد من اثارة الحماسة الاخلاقية ، والتلويح بالمثل الأعلى .

ويمكن أن نستخلص من ذلك ان الافكار الاخلاقية والقوى الادبية والمثل العليا ـ لها تأثيرها فى تحريك الامم للذود عن كيانها ، وانه من الخطأ الاعتقاد بان الدوافع المادية وحدها هى

المحرك الوحيد ، والدافع الاصيل ، وذلك صحيح حتى اذا اعتقدنا ان القادة والزعماء يعملون على اثارة الحماسة الاخلاقية ليخفوا وراءها السعي وراء الغايات الدنيوية ، وحب الغلبة والاستعلاء والسيطرة .

الانســان الاقتصادي

وكثيرا ما تحدث المتخصصون في الاقتصاد عن « الانسان الاقتصادي » ، وهو الانسان الذي لا تحكمه سوى اعتبارات الكسب والخســارة ، اي المصلحة الذاتية ، وعقله ليس سوى جهاز دقيق لحساب الربح والخسارة ، فلا يقدم على عمل الا بعد ان يقدر ما يعود عليه فيه من الارباح والفوائد ، فاذا لم يظهر له هذا الربح في ميزان تقديره احجم عن القيام به ، فلا يحركه شيء الا حركة سوى الربح والخسارة .

ولكن هذا التصور للانسان الاقتصادي يسرف في تبسيط الطبيعة الانسانية ، مع ان الشخصية الانسانية اكثر تعقيدا من ذلك ، وليست بهذه الدرجة من البساطة ، والكائنات البشرية ليست كذلك ، واشد الرجال انغماسا في ميادين الاعمال ومجالات الاقتصاد ليس مجرد آلة حاسـبة للربح والخسارة ، وانما تعمل في نفسه بواعث جمة ، بعضها يمتاز بالكرم والاريحية ، وبعضـــها قد تشوبه بواعث البحث عن المصلحة الخاصة وحب السـيطرة الذاتية ، وقد يخرجه العطف على اصدقائه او محاباة اقاربه وذويه عن الحســاب الاقتصادي الدقيق ، وهذا يبين لنا ان الدوافـع الاخلاقية لها مع ذلك تاثيرها الملحوظ ، لان الكرم والصداقة من الدوافع الاخلاقية .

الاخلاق في العلاقات الفردية والدولية

ومسالة ان السياسة الخارجية للامم قائمة على دوافع المصلحة الذاتية ،وانها يجب ان تكون كذلك، تنطوي على تبسيط لنفسية الامم يشبه التبسيط القائل بان الافراد لا يتوخـون سوى مصـلحتهم المادية ، فبواعث الامم النفسية كثيرة الاختلاط والتعقيد ، وفي هذا الخليط مزيج من الافــكار الاخلاقية ، ولــكننا مع ذلك يمكن ان نقول ان المستوى الاخلاقي في سلوك الافراد وعلاقاتهم بعضهم ببعض أسمى من المستوى الاخلاقي في علاقات الامم بعضها ببعض ، ويتضمن ذلك بطبيعة الحال ان العلاقات الامية لا تخلو من الصبغة الاخلاقية ، اي ان الدوافع الاخلاقية تعمل في المستوى الدولي وان كان هذا المستوى من الناحية الاخلاقية أدنى منزلة من مستوى الاخلاق في العلاقات بين الافراد، وهذه الحقيقة هي سبب نشوء الفكرة القائلة بان الافكار الاخلاقية لا شان لها على الاخـلاق في العلاقات الدولية ، وان الامم لا تسترشـد في سياستها الا بدافع المصلحة الذاتية ، وهو امر لا يخلو من الاسراف في المبالغة ، ويبعث على انكار وجود الدافع الاخلاقي في العلاقات الامية انكارا باتا ، وسوء مستوى الآداب الدولية يغري بالتعلق بهذا الراي ، ويكاد يقتنع المفكرين في السياسات الدولية بصوابه .

التباعد بين الامم

ولكن ما سبب الفارق الكبير بين معايير الاخلاق في العلاقات بين الافراد ومعايير الاخلاق في علاقات الامم بعضها ببعض ؟

الاسباب في ذلك واضحة ، اولها التباعد بين الامم ، فان الفرد يعمل وهو في نطاق مجمــوعة كبيرة من الافراد على مقربة منه لا يسـتطيع ان يتجاهلهم ، او يقطع صلاته بهم ، وما بين الامم من التباعد يغري بعدم الاكتراث وفقدان الحرص على توثيق العلاقات ، وعلى تيسير سبل التفاهم والتقارب .

والفرد يعرف انه فرد في امة لها قوانينهــا وان هناك سلطة عليا وقوانين مرعية تسيطر على تصرفاته ، وتحد من نزواته ، وتنزل به العقوبة اذا عبث بحرمة هذه القوانين ، وابى الانقيــاد لاحكامها ، والتزام طاعتها ، ولكن الامم لا تعمل في نطاق مجموعة من الامم لها قوانينها المرعيــة واحكامها التي يجب اتباعها .

وآداب الفرد يسندها النظام الاجتماعي ،وتتمثل في القوانين والنظم المختلفة ، ولكن ليس هناك دولة للدول تفرض القوانين والشرائع ، وترغم الدول على اتباعها ، والخضوع لاحكامها .

وهناك انواع اخرى من النظم والتقاليد المتبعة مثل نظم الجمعيات المختلفة والاتحادات والمدارس والجامعات ونظام الاسرة وعاداتها وتقاليدها .

ومعنى ذلك ان الآداب التى لايجد الفرد مناصا من التزامها واحترام احكامها تواجهه من كل ناحية ، وتوحى اليه ، وتمتزج بشخصيته ،وتكون من عوامل تكوينها وانضاجها وتوجيهها ، ولكن الآداب الدولية لا تظفر بمثل هذه المميزات التى تعين على توطيد مكانتها ، ولذلك تظل فى مستوى متخلف يعرضها لاهمال شانها ، وعدم العناية باحكامها .

الدولة العالمية !

وليس من الميسور رفع مستوى الاخلاق الدولية الا اذا وجدت الدولة العالمية ، ومثل هذه الدولة العالمية اذا تهيات لوجودها الظروف المناسبة تستطيع ان تتولى البت فى القضايا الدولية ، والخلافات الناشئة بين الدول والحكومات ، وتفرض احكامها ، وتقضى على الفوضى السائدة فى تناول المشكلات الدولية ، والمنظور ان حركة التطور العالمى اذا استمرت فى سيرها المعهود فانها ستعمل على ايجاد هذه الدولة التى سيكون لهامن القوة واتساع النفوذ والسيطرة ما يمكنها من كبح جماح المطامع الدولية ، وقد يكون لوجود القنبلة الذرية وما ينطوى عليه من تهديد لوجود الانسان فى الكرة الانسانية ما يدعو الى الاسراع فى العمل على تكوين هذه الحكومة الدولية التى تعمل على احلال التفاهم بين الامم محل الخلافات التى كثيرا ما ادت الى نشوب الحروب المخربة الهدامة والثورات الدامية .

ولما كان وجود مثل هذه الحكومة العالمية رهنا بالمستقبل المجهول الذى قد يقرب امده او يطول ، فان على الانسانية ان تفكر فى وسائل تقريب الاتجاه الى ايجاد هذه الدولة العالمية المنشودة التى يتوقف على وجودها انقاذ العالم من الدمار والابقاء على البشر وحضارتهم التى كلفهم ايجادها مجهود الاف السنين ، والكثير من التضحيات واحتمال الجهود الشاقة المتصلة والآلام المبرحة .

الوقوف الى جانب العدالة

والعمل على تحقيق هذه الغاية يتطلب من كل امة ان تتحرى الوقوف الى جانب العدالة فيما يعرض من المشكلات والخلافات بين الامم المختلفة ، والامة التى تناصر الحق وتؤيد العدالة تقدم خير الامثلة لغيرها من الامم ، وتكون قدوة صالحة .

والصعوبة هنا هى اننا قد لا نتبين وجه الصواب فى المشكلات الدولية ،او نهتدى الى معرفة المحق من المبطل الا بعد دراسة وافية ، واحاطة شاملة، وبخاصة مشكلات الامم التى تفصلها عنا مسافات بعيدة وعادات وتقاليد غير مالوفة لنا ، ولكن الحرص على مناصرة العدالة قد يذلل الصعاب ، ويعين على احتمال المشاق .

ورجال الاعمال العاديون كثيرا ما يدركون فى مجالهم المحدود صواب الحكمة القائلة ان الامانة خير سياسة ، ووجود الدولة العالمية ادعى الى اطمئنان الامم على ضمان استقلالها ورعاية مصالحها الخاصة .

ولم تكن عصبة الامم حكومة عالمية ،وانما كانت خطوة فى الاتجاه الى ايجاد هذه الحكومة العالمية، ولكنها اخفقت فى اداء رسالتها لانها لم تظفر بالتاييد اللازم من الدول القوية ،فان هذه الدول لم تقبل ان تفضل المصلحة الدولية الامية على مصلحتها الخاصة القومية .

والواقع ان المشكلة هنا هى ان الدولة العالمية لا توجد الا اذا ارتفع مستوى الآداب الدولية ، ومستوى الآداب الدولية لايرتفع الا اذا وجدت الدولة العالمية ، وليس امام الانسانية تلقاء هذا المشكل سوى العمل على الخلاص من تاثير بعض الافكار والمعتدات التى اصبحت غير ملائمة لروح العصر ومعطلة لحركة التقدم ، وعلينا ان نفكر فى المحيط العالمى بقدر ما نفكر فى حدود التفكير القومى ، واذا الفنا هذا النوع من التفكير الدولى العالمى استطعنا ان نقدر مشكلات غيرنا من الامم وقضاياها ويمكن تيسير ذلك عن طريق التجديد فى اساليب التربية والتعليم ، ودراسة التاريخ وتجارب الامم ،والافادة من ذخيرة هذه التجارب من اقوم السبل لتقريب قيام الدولة العالمية التى يسمو بوجودها مستوى الاخلاق والآداب الدولية ، ويتجنب ١١-العالم ـ قبل فوات الاوان ، وضياع الفرصة ـ ويلات الحروب التى اصبحت فى العصر العاضر تهدد مستقبل الانسانية ، ومصير الحضارة فى كرتنا الارضية .

■■

علي ادهم

الصحف والمجلات من أهم اجهزة الاعلام .. وفي الكويت أكثر من ٣٦ صحيفة ومجلة





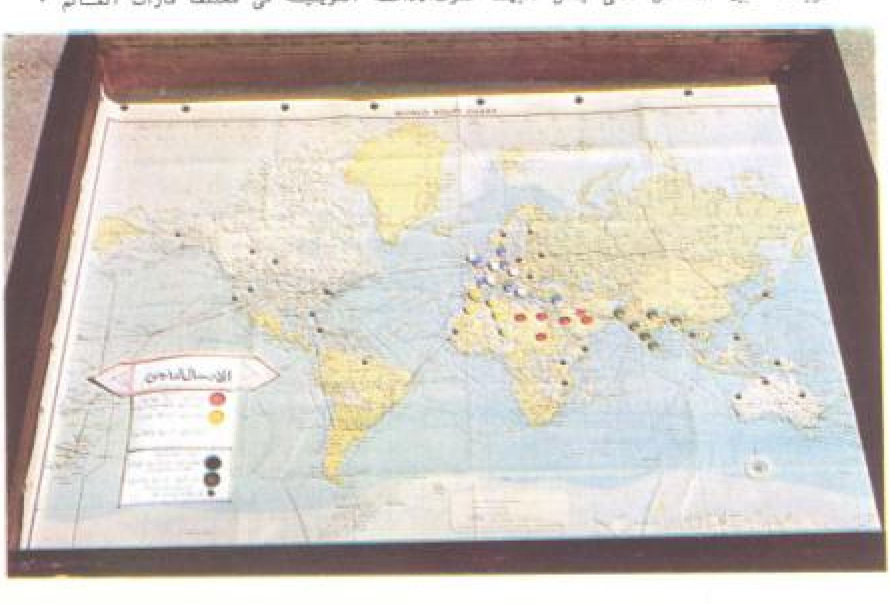
الشيخ جابر العلي الصباح نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الاعلام: « بقاء وحدة الصف العربي امنيتي للعام الجديد » .

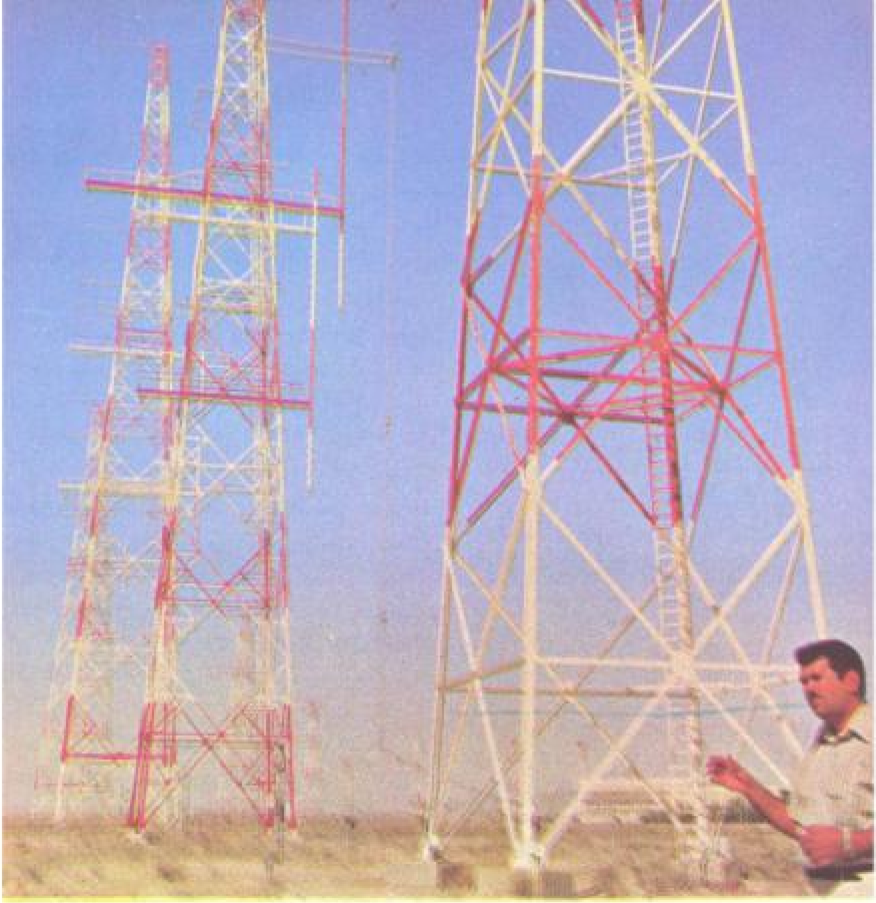
استطلاع
الكويت

دور الإعلام في الكويت

استطلاع بقلم : منير نصيف تصوير : اوسكار وعبد الناصر

خريطة تبين المناطق التي يصل اليها صوت الاذاعة الكويتية في مختلف قارات العالم .





صوت الكويت تنقله الهوائيات التي تحملها هذه الابراج الشاهقة بمحطة الارسال الرئيسية فى الصليبية الى شتى انحاء العالم القريبة والبعيدة .. وقد ظهر أمامها السيد جواد المزيدى رئيس مهندسي الاذاعة .



نموذج مجسم للمشروع الكبير الذى يجرى العمل فيه على قدم وساق ويتوسطه مبنى وزارة الاعلام ثم مبنى الاذاعة ومبنى التلفزيون والعديد من المبانى الاخرى الخاصة بالاعلام .

■ الاعلام فن وعلم ومعرفة ·· وهو كلمة مسموعة ومقروءة قبل ان يطورها العلم ، ويجعل منها ايضا صورة حية تدخل كل بيت ، ويشاهدها الملايين في جميع انحاء الدنيا في وقت واحد ، او في اوقات متقاربة ·· حتى اصبحت حلقة متصلة ظلت تضيق وتضيق ، وكأنها تنطلق من نقطة واحدة ·· تماما كما لو كانت شعاعا من نور ينبعث بقوة ، فيضيء ما حوله ، ويبدد ما يحويه من ظلام ·

وعندما يكون الحديث عن الاعلام وعن اجهزة الاعلام الحديثة ، نجد انفسنا ، وبالرغم منا ، قد عدنا فورا الى هؤلاء الرواد من العلماء الذين استطاعوا ان يحققوا هذه المعجزات العلمية ·· مثل جوتنبرج واديسون وماركوني وجراهام بيل ··

واي معجزة اكبر واعظم من تلك التي استطعنا بفضلها ان نرى ونسمع ما يقع من احداث على بعد عشرات الالوف من الكيلومترات ، دون ان يكلفنا الامر اكثر من مجرد الضغط على زر صغير في جهاز صغير ، اصبح في متناول يد السواد الاعظم من الناس ·

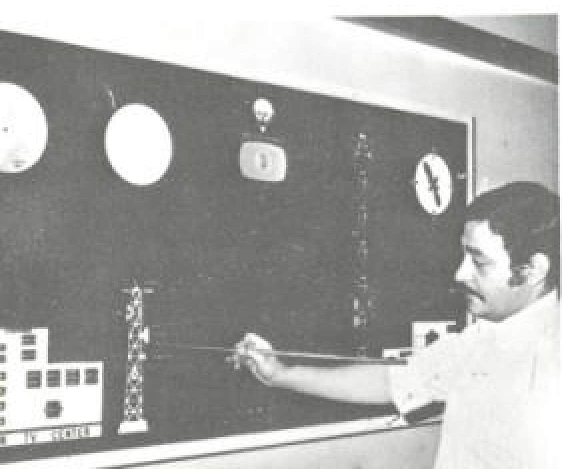
مع نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الاعلام ·

حدثنا الشيخ جابر العلي الصباح نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الاعلام عن الجهود التي بذلتها الكويت وما زالت تبذلها في سبيل اقتناء احدث ما توصل اليه العلم للنهوض بدور الاعلام في بلاده، ولعل اهمها اطلاق محطة الاقمار الصناعية(١) التي ربطت الكويت بكل اطراف العالم البعيدة والقريبة من حوله ·

ومضى الشيخ جابر العلي يقول : « ان ما اريد ان اؤكده لكم هو ان في الكويت اليوم نهضة اعلامية تحمل لواءها اجهزة الاعلام الثلاثة ، الصحافة ، والاذاعة ، والتلفزيون ، وهي تشمل شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ·· وفي الكويت جهود ومحاولات جريئة لعلاج المشاكل التي يشكو منها الشعب ، وهي ليست ، كما تعلمون ، مشاكل تنفرد بها الكويت وحدها ·· انها مشاكل تواجه العرب ·· كل العرب ، في كل بلد عربي ، بل هي مشاكل فرضت نفسها فرضا على النطاق العالمي ، بحكم الظروف الاقتصادية السيئة التي تعاني منها الدول الغنية والفقيرة،على حد سواء ·· واود ان اؤكد لكم مرة اخرى انني سوف ابذل كل ما في وسعي ، وساقدم كل ما لدي من امكانيات ، لتشجيع هذه النهضة الاعلامية وتطويرها وتنميتها » ·

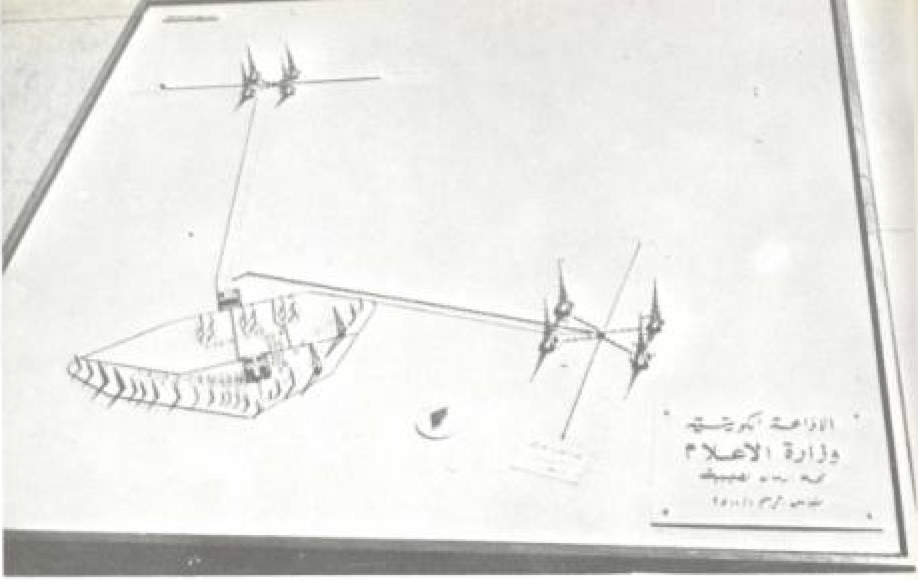
انجازات اجهزة الاعلام

ومضى نائب رئيس مجلس الوزراء يقول : « انني سعيد بالانجازات التي حققتها اجهزة الاعلام في بلادي ، سواء كانت من خلال الكلمة المذاعة ، او الصورة المنقولة عبر اجهزة التلفاز ، او عن طريق الرأي الحر في مجال الصحافة والكتب والمؤلفات ، او ما يقدمه لنا المسرح من صور لتراثنا وتقاليدنا وعاداتنا العربية الاصيلة



لوحة تبين المراحل الرئيسية التي يمر منها الصوت منذ لحظة خروجه من شفتي المذيع ، ووصوله الى اذن المستمع ·· ان هذه المراحل جميعها لاتستغرق سوى جزء بسيط من الثانية، لان الموجات الكهرومغناطيسية تنتشر بسرعة توازي سرعة الضوء وهي ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية ·

(١) انظر استطلاع العربي / العدد رقم ١٣٥



مجسم يبين المجموعات الثلاث للابراج التى تحمل الهوائيات فى محطة الارسال الرئيسية للاذاعة والمجموعتان الصغيرتان للموجة المتوسطة ، اما المجموعة الكبيرة فهى تحمل هوائيات الموجة القصيرة٠

ولقضايانا الاجتماعية التى يعالجها المسرح باسلوب ساخر حينا ، جاد احيانا ٠٠ فقد حقق المسرح قفزات كبيرة يستحق عليها كل تقدير واعجاب ، رغم حداثة عهد الكويت بالحركة المسرحية والفن التمثيلى ٠ هذا فى مجال الاعلام الداخلى ، او مجال الاعلام على المستوى الاقليمى والقومى ، فهناك تبادل ثقافى واعلامى بين الكويت والدول العربية الشقيقة ، كما تعلمون ٠

تقصير فى مجال الاعلام التاريخى

« اما فى مجال الاعلام الخارجى ، على المستوى الدولى ، فاننى اشعر بالاسى وانا اقرر ان هناك تقصيرا شديدا من جانب كل الدول العربية مجتمعة، فنحن لم نوفق حتى الآن ، برغم المؤتمرات والاجتماعات العديدة التى انعقدت ، وما زالت تعقد داخل نطاق جامعة الدول العربية ٠٠ اقول اننا لم نوفق حتى الآن فى اعداد وتنفيذ خطة اعلامية مدروسة تستهدف اول ما تستهدف تقديم صورة مشرقة عن واقعنا اليوم ، وعن النهضة الثقافية والصناعية والعمرانية والحضارية التى حققتها اقطار امتنا العربية من الخليج الى المحيط ٠٠ وربما تقرأون وتسمعون عن الصورة التى ما زالت ماثلة عند الكثيرين من اهل الغرب ، والامريكتين ، عن العرب، وعن حالهم وحياتهم ٠٠ وكيف يرونهم اليوم ، رغم القفزات الهائلة فى شتى مجالات الحياة العصرية ٠٠ والصورة كما نقلتها وتنقلها لنا صحفهم وكتبهم ، صورة مشوهة لا تمثل واقعنا اليوم ٠٠ فهى ما زالت فى اذهانهم صورة البدو الرحل الذين يسكنون الخيام ويركبون الجمال فى قلب الصحراء الساخنة » ٠

حرب اكتوبر والصورة العربية

« اننى اريد ان اسجل هنا ان حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، كانت نقطة تحول فى تاريخ العرب ٠٠ فقد ساهمت هذه الحرب فى تغيير الصورة ٠٠ صورة العرب ، فى العالم الخارجى من حولنا ٠٠ فقد استطعنا بفضل هذه المعركة التى خاضتها القوات العربية ضد العدو ، وبفضل توحيد جهودنا وكلمتنا ، ان نثبت وجودنا كقوة عسكرية واقتصادية فى وجه التحدى الاسرائيلى ، والدول المائلة لسياسة اسرائيل التوسعية العدوانية ٠٠ لقد نجح سلاح البترول فى ان يؤكد وجوده كقوة مؤثرة فى صراعنا مع اسرائيل ، ومن يقف وراءها ٠

« اقول ان حرب اكتوبر جعلتنا نشعر بما يمكن ان تحققه وحدة الصف العربى ٠ لقد كسب العرب كثيرا خلال العامين الاخيرين ٠٠ كسبنا اصدقاء جددا ، وكسبنا اصواتا كثيرة ارتفعت تدافع عن

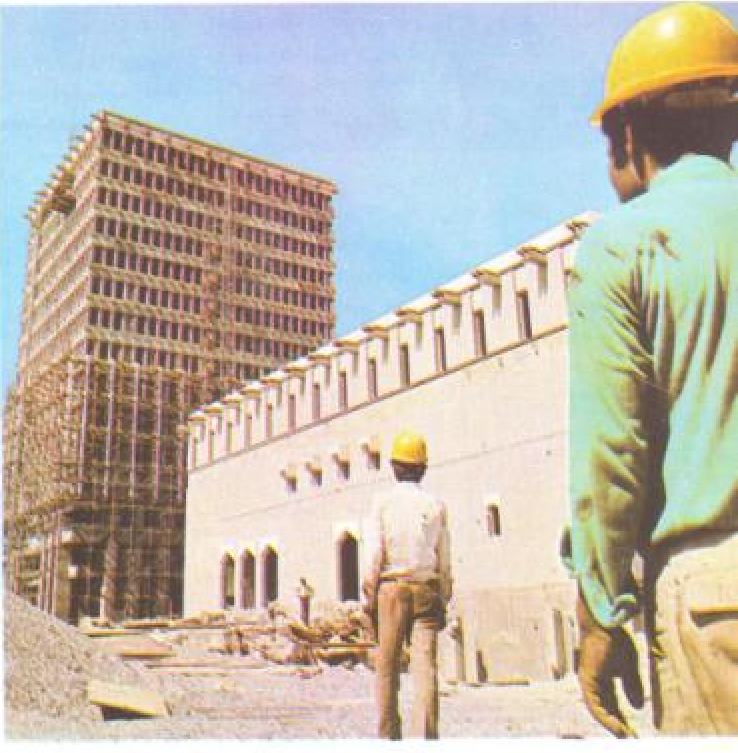


« صقر قريش » اول مسرحية قدمها المسرح الكويتي ..
وعلى المسرح نرى صورا لتراثنا وتقاليدنا وعاداتنا
العربية الاصيلة ..

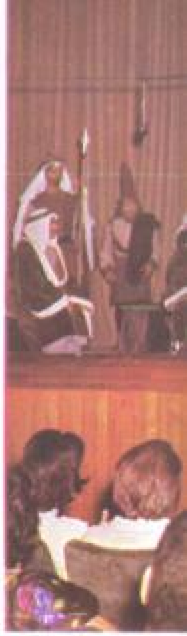


الاستاذ سعدون محمد الجاسم وكيل
وزارة الاعلام وحديث عن الخطة
الخمسية .. ان التخطيط السليم
اساس لكل عمل يراد له النجاح .

المبنى الجديد لوزارة
الاعلام ويتالف من
اربعة عشر طابقا ..
وهو يتوسط مشروع
المباني الخاصة بالاعلام
الذى اقيم فوق ارض
تبلغ مساحتها ٩ آلاف
متر مربع .. والمبنى
الثاني ، هو مبنى
الاذاعة الجديد .







جانب من المباني الخاصة بالاعلام التي يجري العمل الآن على قدم وساق لاتمامها ٠٠ وفي الصورة مبنى التلفزيون الجديد ٠٠ ان هذا المشروع الكبير سيتكلف اكثر من عشرة ملايين دينار كويتي ٠٠

الموسيقى ، فن وعلم ، والموسيقى حياة ٠٠ وقداولت وزارة الإعلام الدراسات الموسيقية اهتماما خاصا ، وانشأت معهدا لهذه الدراسات للجنسين ،وستنشيء معهدا عاليا في العام القادم







حجرة تحويل الهوائيات ، وهي تحوي مائة وخمسين مفتاحا لتحويل الهوائيات المختلفة من جهاز
بتحويل الهوائي يدويا . (الى اليمين) والصورة الوسطى للمبنى الرئيسي لمحطة الارسال
للموجات المتوسطة وقوة كل منهما ٧٥٠ كيلو وات ويميلان للبث المباشر الى شرق الكويت او غربها
اما الصورة الى اليسار فهي لغرفة المراقبة الرئيسية في محطة الارسال للموجات القصيرة بمنطقة

الحق العربي وهي التي كانت بالامس القريب بعيدة عنا ، غريبة علينا .

« وهي فرصة ، يجب الا نضيعها ، بل يجب ان نعمل على دعم هذه الصورة الجديدة التي قدمها العرب لانفسهم بجهودهم وبطولاتهم .. ولكن كيف ؟

سبيلنا الى تحقيق الهدف

« اننا نستطيع ان نعقد الندوات في بلادنا وندعو اليها اهل الفكر من كتاب وصحفيين ، وكذلك ممثلي الشعوب في برلمانات العالم .. ثم هناك بعد ذلك الحملات الاعلامية في الصحف والاذاعات وبرامج التلفزيون في الخارج ، والتي يمكن من خلالها ان نخاطب رجل الشارع ونشرح له قضيتنا ، ونؤكد له اننا لسنا ضده ، كما تزعم اجهزة الدعاية الصهيونية ، وانما نحن نقف بجانبه ونتعاون معه ، وان ما صنعه العرب ببترولهم هو حق لهم ، ونحن لا نستغل هذا السلاح ضده ، كما يريدون ان يصوروا له ، وانما نحن نوجهه ضد الحكومات التي تساند اسرائيل بالمال والسلاح في عدوانها ضد العرب .

« ثم اقول بعد ذلك ، ان العالم العربي مليء بالكفايات ، ولكنها كفايات غير مستغلة الاستغلال الكامل .. اننا نستطيع ان نستعين بكل صاحب كفاية لشرح القضية العربية للاساتذة والطلبة في الجامعات والمعاهد في مختلف انحاء العالم ..

التنسيق والدراسة

« لا اريد ان استرسل ، فالوسائل كثيرة ومتعددة ، ولكن ينقصها التنسيق والدراسة والتنفيذ .

واختتم نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الاعلام حديثه قائلا : « يقولون انني ابتعدت عن الحياة العامة لفترة من الزمن .. وهذا القول يجانب الواقع ، فالبعد هو بعد الفكر ، وانا لم ابتعد لحظة واحدة بفكري عن تتبع ما يجري من احداث وتطورات في بلدي وفي الامة العربية كلها .. لقد ابتعدت اذن ولم ابتعد .. كنت مع الكويت ومع كل بلد عربي طوال هذه السنوات التي قضيتها خارج جهاز الحكم في بلدي ..

امنية في العام الجديد

ثم كلمة اخيرة اريد ان اتوجه بها الى اخواني العرب في كل بلد عربي .. انها امنيتي بمناسبة حلول العام الميلادي الجديد ، واحسب انها امنية





...لمر وتدار بصورة آلية ، من غرفة المراقبة الرئيسية ، الا اذا حدث خلل مما يضطر المهندس المختص
...منطقة الصليبية ، وقد تم بناؤه في عام ١٩٦٨ ، وهو يحوى أجهزة الارسال ، وهى ثلاثة ، اثنان منها
... اما الجهاز الثالث وقوته ايضا ٧٥٠ كيلو وات فهو للبث الى شمال او جنوب الكويت .
...الصليبية ، وأحد المهندسين يقوم بعملية ضبط مستوى الصوت المرسل الى اجهزة الارسال .

كل عربي مخلص لأمته وبلاده : « انني أتمنى ان يتحقق التعاون بين الاقطار العربية في شتى المجالات .. اتمنى ان ارى تعاونا سياسيا وتعاونا عسكريا وتعاونا اقتصاديا ، فهذا هو سبيلنا الوحيد الى حياة افضل لهذا الجيل والاجيال القادمة من بعدنا .

« واخيرا أتمنى ان يستقر السلام في لبنان الشقيق ، وتسود روح الاخوة الصادقة بين ابناء البلد الواحد .. ويتوقف سيل الدماء التي خضبت ارض لبنان الخضراء » .

وكيل الوزارة يتحدث

وفي لقاء مع الاستاذ سعدون محمد الجاسم وكيل وزارة الاعلام ، قلنا نسأله : « لقد خطت الوزارة خطوات سريعة موفقة في مجال الاعلام خلال السنوات القصيرة التي انقضت على تأسيسها .. فهل لكم ان تحدثونا عن مشروعاتكم للمستقبل ، وما هي الخطوات التي تنوون الاقدام عليها من اجل النهوض بهذا الجهاز الحيوي ؟ » .

قال الوكيل : « ان التخطيط السليم هو اساس كل عمل يراد له النجاح . وقد اعددنا خطة للاعلام سوف تنفذ على مدى السنوات الخمس المقبلة باذن الله . وقد شملت هذه الخطة الخمسية بين ما شملت جانب التثقيف والتعليم ، واولته اهتماما خاصا ، ولكن الذي اريد ان اوضحه هنا ان مسئولية الاضطلاع بهذه المهمة لا تقع على وزارة الاعلام وحدها ، فهناك هيئات ومؤسسات رسمية وغير رسمية لا بد لها وان تشارك في هذه المسئولية الكبرى » .

ثم قال الاستاذ سعدون : « اما دور وزارة الاعلام في هذا المجال فيتلخص فيما تقدمه الاذاعة والتلفزيون واجهزة الاعلام الاخرى من برامج تثقيفية وتربوية تتناول تراثنا الثقافي والحضاري ونتاج الفكر المعاصر في شتى الميادين . ولن ننسى في هذا المجال بطبيعة الحال برامج التوعية بخطط التنمية الشاملة بالدولة في شتى مجالات الحياة ، وتوجيه عناية خاصة بتثقيف الشباب والاسرة وهي برامج نرجو أن تساهم فيها صحافتنا التي نمت وازدهرت وانطلقت تؤدي رسالتها كاملة في ظل الحرية التي كفلها لها دستور البلاد .. فالصحافة كما لا يخفى عليكم من اهم اجهزة الاعلام في البلاد ، ان لم تكن اهمها اطلاقا .

« وما دمنا في صدد الحديث عن الكلمة المقروءة ، فلا بأس من الاشارة الى دور الاعلام عن طريق الطباعة والنشر ، وهو دور لا يقل اهمية في رأيي عن الكلمة المذاعة والصورة المنقولة . وقد

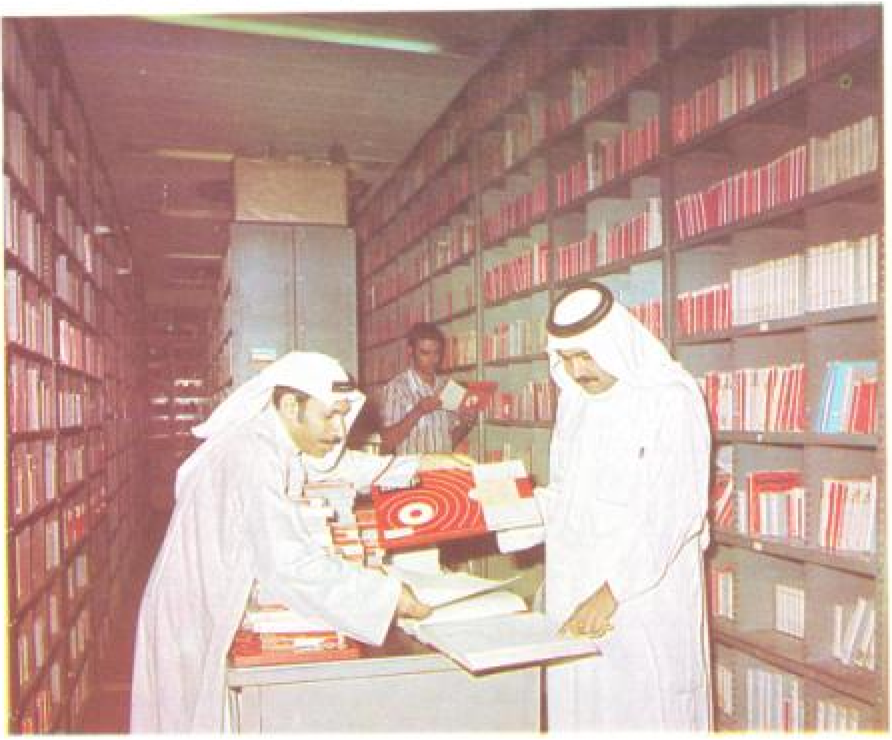




الاستاذ عبد العزيز جعفر وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون الاذاعة ، ان عام ١٩٧٥ ، هو العام الذهبي للاذاعة الكويتية ..

قسم الالتقاط باذاعة الكويت ، والعمل يجرى فيه طوال الاربع وعشرين ساعة ، ومهمة العاملين فيه التقاط الاخبار لحظة اذاعتها من شتى انحاء العالم .

مكتبة التسجيلات بالاذاعة ، وتضم حوالي مائة الف شريط مسجل للاحاديث والتمثيليات والقران الكريم والخطب الهامة للزعماء العرب فى المناسبات الرسمية والقومية .





قسم الآلات المبرقة Tickrs ، وتشترك الاذاعة الكويتية في جميع وكالات الانباء العربية والعالمية وتنقل الآلات الاخبار باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية .

هوائي محطة الاقمار الصناعية بام العيش .. المحطة التي ربطت بين الكويت واطراف العالم القريبة والبعيدة ..



قسم تحرير الاخبار التي تعد للاذاعة ، ورئيس التحرير السيد فارس الوقيان يقرأ خبرا هاما اعده المحررون للاذاعة في نشرة الاخبار .





ورشة محطة ارسال الصليبية ، وفى الصورة احد الفنيين الميكانيكيين امام آلة الخراطة ، حيث تتم خراطة العديد من قطع الغيار التى تحتاج اليها اجهزة محطة الارسال ، وامام المخرطة مجموعة من القطع التى تصنع محليا فى الورشة ٠



فى الاستوديو رقم (٢) البرنامج الثانى والاوروبى والاذاعة باللغة الاردية ٠٠ وتذيع منه احدى المذيعات ، وهى باكستانية مسلمة ، باللغتين الانجليزية والاردية ، وفى الصورة اثنان من الفنيين يراقبان عملية التسجيل ٠

اعدت الوزارة فى خطتها الخمسية برامج تعنى بانشاء المعاهد الفنية المتخصصة ، وتنمية وتطوير الهيئات والمراكز التى تعنى بالبحث العلمى ، والاهتمام بالمعارض الثقافية والفنية » ٠

احياء التراث العربى

« ويمضى وكيل وزارة الاعلام فى حديثه فيقول :

« وتحوى هذه البرامج بين ما تحوى ، جهودا لاحياء التراث العربى ، ويتمثل ذلك فى اصدار مسلسلات من تراثنا العربى ودراسات فى هذا التراث ، مما يتصل باتجاهات الفكر المعاصر وانجازاته ٠٠ ويتجسد هذا العمل فى اصدار مجلة «عالم الفكر» التى تعنى باطلاع المثقفين المتخصصين على نتاج الفكر المعاصر ، وتختار من تراثنا كل ما له صلة بواقعنا وحاضرنا الثقافى والفكرى ٠

« ثم هناك بعد هذا مجلة « العربى » التى تصدرها ايضا وزارة الاعلام ، والتى استهدفت منذ صدورها نشر الثقافة والمعرفة بين المثقفين عامة من غير المتخصصين ، وقد اثبتت هذه المجلة قدرتها على اشباع حاجة مختلف المستويات الثقافية بفضل اسلوبها الذى يجمع بين العمق والبساطة فى عرض الموضوعات ومعالجتها ، هذا الى جانب شمولها وتنوع موضوعاتها ٠

الثقافة المسرحية والموسيقية

« ننتقل بعد ذلك الى ناحية اخرى من النواحى



الثقافية التى تتصل اتصالا مباشرا بدور الاعلام وهي الثقافة المسرحية ، وقد سارت الوزارة فى انجاز هذه المهمة فى اتجاهين ، ويتمثل احدهما فىاصدار مسلسلات من « المسرح العالمى » ·· التى تعنى بترجمة روائع المسرح العالمي ، وكذلك تشجيع المؤلفين الكويتيين عن طريق طبع ونشر مؤلفاتهم المسرحية ، اما الاتجاه الثانى فيتمثل فى انشاء المعهد العالى للفنون المسرحية ، وتشمل الدراسة فى هذا المعهد ، فن التمثيل والاخراج والادب المسرحي والنقد والديكور » ·

وقال الاستاذ سعدون الجاسم : « ثم الثقافة الموسيقية ·· فنحن عندما نتحدث عن المسرح لا بد وان نذكر الدور الكبير الذى تلعبه الموسيقى مع الممثلين على خشبة المسرح ، ومع الناس فى حياتهم الخاصة ·· فالموسيقى فن وعلم ، والموسيقى حياة ·· وقد اولينا اهتماما خاصا بالدراسات(١) الموسيقية، ونحن نرجو ان نصل الى هدفنا الاساسى فى النهاية ، وهو انشاء معهد عال للموسيقى ، كما حرصنا – فى نطاق خطتنا الخمسية – على الاهتمام بتراثنا الشعبى ورعاية الفنون الشعبيةمن خلال مركز رعاية هذه الفنون ، الذى يقوم العاملون فيه بجمع عناصر التراث الشعبى وتصنيفه وتبويبه واجراء الدراسات والبحوث ·

« كما اهتم الاعلام ، فى نطاق خطته ، بالاثار والمتاحف ، حيث عملت الوزارة على توفير المبانى المناسبة ودعمها بالمتخصصين فى علوم الاثار ، وكذلك تقديم التسهيلات للبعثات الخارجية والجامعات المهتمة بالتنقيب عن الاثار ، مع الابقاء على المبانى القديمة التى لها قيمة تاريخية ·

الاعلام
ليس اذاعة وتلفزيونا وصحفا فحسب

ثم قال وكيل وزارة الاعلام : « والحديث طويل ومتشعب ، فالاعلام ليس اذاعة وتلفزيونا وصحفا فحسب،فهو اوسع منذلك واشمل ·· ولكننى اكتفى بهذا القدر الآن · واود ان أؤكد لكم ان الوزارة تعنى اكبر عناية باصدار المجلات والكتب والكتيبات والنشرات المتنوعة التى تستهدف التوعية والتثقيف، مثل مجلة الكويت ونشرة فلسطين،والكتاب السنوى، ونشرة الصحف الاجنبية ، ونشرة العلاقات العامة ، الخ ··

« ويهمنا فى هذه المرحلة تشجيع الكتاب المحليين عن طريق طبع ونشر ما يقدمونه من انتاج جيد ، ايمانا منا بدور الكلمة المقروءة فكرا وعلما وادبا ·

البرامج التعليمية

« كلمة اخيرة اود ان اضيفها الى اهتمامات الاعلام ، وهى البرامج التعليمية ووسائل تنميتها

(١) أنظر استطلاع معهد الموسيقى (العربى العدد١٩٣) ·

الى اليمين السيد يحمد المطوع رئيس قسم المذيعين ، داخل الاستديو رقم (١) مع الآنسة رحاب ميقاتى وهى من اقدم المذيعات فى اذاعة الكويت ·· وهما يشتركان فى تقديم نشرة الاخبار ·



رئيس اذاعة البرنامج الثانى السيد عبد الرزاق السيد ، وهو من الاذاعيين الرواد فى اذاعة الكويت حيث قضى ما يزيد على العشرين عاما ،ومعه احد المذيعين الجدد ·· لقد بدأ الشباب الكويتىالمثقف يحتل مكانه فى اجهزة الاعلام فى الدولة·
(الصورة الى اليسار)



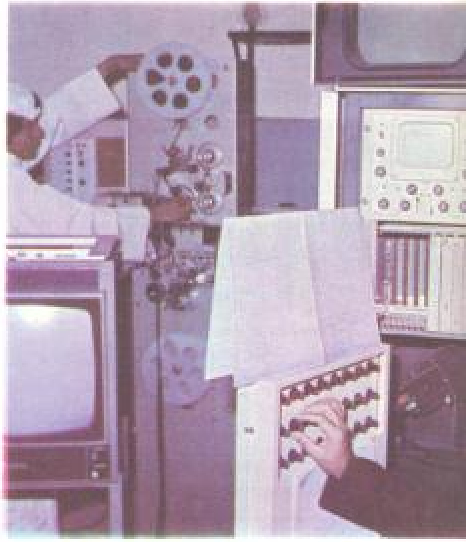
غرفة المونتاج حيث تتم عملية تنقية الشرائط مما يكون قد سجل فيها من نشاز واضافة الموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية ، ويظهر فيها السيد فهيد الظفيري والمذيع ماجد الشطي اثناء قيامه بتنفيذ برنامج صباح النور ٠





احد اجهزة الارسال ، بمحطة الارسال الرئيسية بمنطقة الصليبية ٠٠ وفي المحطة ثلاثة من هذه الاجهزة ٠





السيدة الطاف العيسى ، سيدة كويتية مثقفة وهي من الوجوه التي يستعين بها التلفزيون والاذاعة في تقديم البرامج الثقافية .

تلفزيون الكويت زود باحدث اجهزة عرض الافلام الملونة .. وفي الصورة رئيس المهندسين يعقوب يوسف دشتي مع احد هذه الاجهزة .



مراقب عام البرامج باذاعة الكويت السيد عبدالعزيز المنصور يطلع على خطة البرامج مع مراقب قسم التنسيق السيد عبد الرحمن الهادى .



السيدة امل عبد الله ، من اوائل المذيعات الكويتيات وهي من نجوم التلفزيون والاذاعة .



جهاز تسجيل الصوت حيث تتم عملية تسجيل الصوت وضبطه مع الصورة • ويوجد هـذا الجهاز في القسم المختص بعملية التصـوير والمونتاج والتسجيل الصوتي للافلام الاعلامية والمسرحيات والتمثيليات والمقابلات التي تصور سينمائيا •

صيانتها والمحافظة عليها ، وتجنب الاخطار التي قد تنجم عن سوء استخدامها • وفي سبيل تنفيذ هذه البرامج سوف تستعين وزارة الاعلام بالكفايات المتخصصة في شتى هذه المجالات ، ودعم جهازي الاذاعة والتلفزيون بالمتخصصين في برامج الاطفال والشباب والمرأة والبادية •• ولا بد بعد هذا من ايجاد تنسيق تام بين وزارة الاعلام ووزارة التربية لاعداد البرامج التعليمية الموجهة للطلبة، والتعاون فيما بينهما من اجل النهوض ببرامج محو الامية وتطويرها •

واختتم الاستاذ سعدون حديثه بقوله :

« **ان وزارة الاعلام لن تتوانى في الاستعانة بكل الكفايات المتوفرة في الوزارات الاخرى ، والهيئات والمؤسسات وعلى مستوى الافراد في سبيل تادية رسالتها والنهوض بها •• فهي رسالة الكويت ، وهي رسالة الامة العربية كلها »** •

وتطويرها في الاذاعة والتلفزيون • وهي برامج كما تعلمون خاصة بالطلبة في مختلف مراحل التعليم ، والهدف منها مساعدة المدرس في تادية رسالته الطبيعية •

« وهناك ايضا برامج لمحو الامية ، وهذه الاخيرة من الاهداف الرئيسية التي تتضمنها خطة الوزارة الانمائية ، واخيرا برامج تستهدف تعريف المواطن بالاستخدامات الصحيحة للاشياء المادية التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية ، وكيفية

اليوبيل الفضي للاذاعة

وفي المبنى المؤقت للاذاعة •• نفس المبنى الذي انطلق منه صوت الكويت لاول مرة منذ ربع قرن من الزمان •• في هذا المبنى الذي يضم اليوم احدث اجهزة الارسال التي توصل اليها العلم ، التقينا بالاستاذ عبد العزيز جعفر وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون الاذاعة •• وجلس الرجل يحدثنا عن هذا الجهاز الاعلامي الذي تولى ادارته والاشراف عليه منذ اكثر من عشر سنوات ، قال :

« لقد حققت الاذاعة الكويتية انتصارات ضخمة،



محطة تلفـزيونية متنقلة تحملهـا سيارتان زودتا باحدث اجهزة التسجيل الملون والبث وتستخدم هذه المحطة المتنقلة في نقل البرامج والاحداث السياسية والاجتماعية والرياضية خارج استوديوهات التلفزيون ، وسيارة البث الملون استخدمت لاول مرة في عام ١٩٧٤ ، لنقل مباريات دورة الخليج العربي لكرة القدم • ويقدر ثمن هذه المحطة باكثر من مائتي الف دينار كويتي (**الى اليمين**) السيارتان من الخارج، والصورة الاخرى للاجهزة والمعدات من الداخل •

المبنى الجديد لوزارة الاعلام

وجهازى الاذاعة والتلفزيون

قلنا مبنى الاذاعة المؤقت ، وقلنامبنى التلفزيون المؤقت ، ذلك ان العمل يجرى اليوم على قدم وساق ، للانتهاءمن بناء المجمع الذى ستنتقل اليه وزارة الاعلام بجميع اقسامها وادِاراتهاوفى مقدمتها الاذاعة\ والتلفزيون ، باستثناء المطابع التى سوف يشيد لهامبنى مستقل فى المنطقة الواقعة على طريق مطار الكويت الدولى ٠ ومبنىالوزارة الجديد يتالف من اربعة عشر طابقا ، وهو يتوسط مبنيين اخرين احدهما للاذاعة والاخر للتلفزيون ، ويقوم المشروع على ارض تبلغ مساحتها ٩ الاف متر مربع فى قلبمدينةالكويت، وستصل تكاليفه عند الانتهاء منه الىعشرة ملايين دينار كويتى ٠ ومن المقرر ان ينتهى العمل فى بنائه فى اوائلعام ١٩٧٧ ٠ (انظر صورة النموذج المجسم للمشروع) ٠

اذا قيست بسنوات عمرها القصير ٠٠ يكفى ان تعلموا انه لم يمض على انشاء الاذاعة فى الكويت اكثر من خمسة وعشرين عاما ، فقد احتفلنا فى شهر فبراير من العام الماضى ١٩٧٥ ، باليوبيل الفضى ٠٠ احتفلنا بذكرى اول يوم انطلق فيه صوت الكويت عبر الاجواء من حولنا ٠٠ وكانت مدينة الكويت وحدها هى دائرة ذبذبات الاذاعة ٠

« الى ان جاءت الستينات ، اى اعوام ما بعد الاستقلال ، وبدات الدائرة الصغيرة الضيقة تتسع وتتسع ، حتى كان عام ١٩٧١ ، وهو بداية عهد الانطلاقة فى الاذاعة ٠٠ فقد بدا صوت الكويت فى هذا العام ، يصل الى العالم كله من اقصاه الى اقصاه ، وقد تحققت هذه القفزة الكبيرة فى تطوير الارسال بعد ان انتهى العمل فى محطة اجهزة الارسال اللاسلكى فى منطقة الصليبية التى تبعد ٣٥ كيلو مترا عن قلب مدينة الكويت ، والى الجنوب الغربى منها ، وهى محطة البث الرئيسية لاذاعة الكويت ، وتحوى ٢٩ « هوائيا » موجهة الى مختلف انحاء الدنيا لنقل برامجنا الاذاعية » ٠



« لقد بدا جهاز الاذاعة فى الكويت بمجموعة من العاملين الذين لم يكن يزيد عددهم على عدد اصابع اليد الواحدة ، واليوم اصبحت اذاعة الكويت تضم اكثر من خمسمائة موظف بين مذيع ومقدم برامج ومهندس وادارى ، وغيرهم من الفنيين الذين دربوا على العمل على الاجهزة الحديثة ٠٠ تلك التى ضاق بها هذا المبنى المؤقت لاذاعة الكويت ٠٠

الطريق امامنا طويل

« لقد ذكرت فى بداية حديثى معكم ان الاذاعة قد حققت انتصارات كبيرة ، وهذه حقيقة ، فقد شهد العام الماضى ، ١٩٧٥ ، قمة هذا النجاح ، اذ حصلت الاذاعة على المركز الاول فى دورة الفن



الاستاذ محمد السنعوسي وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون التلفزيون .. اننا نعمل ونعمل كثيرا من اجل تنويع البرامج وتجديدها .. ولن نتوقف فنحن مستمرون في مسيرتنا من اجل تجديد وتطوير البرامج ، ولا نكف بعد هذا عن استفتاء جمهور المشاهدين فيما يعجبه وما لا يعجبه .. انني متفائل لمستقبل هذا الجهاز الاعلامي الحيوي .



من بين الآلات الحديثة التي استوردها تلفزيون الكويت آلة تحميض الافلام الملونة . التي تقوم بتحميض ٨٠٠ قدم يوميا ، وكانت هذه الافلام ترسل للخارج لتحميضها قبل وصول هذه الآلة

السيدة هدى المهتدي من اوائل المذيعات غير الكويتيات التحقت بالتلفزيون عام ١٩٦٣ .



السيدة فاطمة حسين ، من سيدات المجتمع الكويتي البارزات ، ومقدمة برامج مع الاسرة والمرأة .



الآنسة امينة الشراح ، من اوائل الفتيات الكويتيات اللواتي اقبلن على العمل في هذا الجهاز الاعلامي .







معمل تحميض الافلام التلفزيونية العادية ، وهي تقوم بتحميض الافلام مقاس ٣٥ ، ١٦ ملليمترا ‥ وهناك اقسام اخرى في مبنى التلفزيون لعمليات المونتاج وغيرها ، وهي التي تسبق عملية عرض الافلام باحدث الاجهزة ٠

السيد احمد مشاور رئيس قسم الاخبار بالتلفزيون ، ومن انشط الشبان الكويتيين، وهو يعشق عمله ٠

• السيد **فهد اللويله** من المذيعين الكويتيين القدامى للنشرات الاخبارية ‥





يهتم التلفزيون بالمشاكل الاجتماعية والقضايا الانسانية ، وتقوم السيدة عواطف احمد البدر بتقديم برنامج مشكلة وحل ، فتعرض المشكلة في قصة قصيرة مصورة ، ثم تبحث عن الحلول مع الاخصائيين الذين يستضيفهم التلفزيون



الاذاعي التي اقيمت في دولة قطر ، كما حصلت على احدى الجوائز في مهرجان اونداس Ondas الدولي، وهو المهرجان الذي تقيمه اذاعة برشلونة، عميدة اذاعات اسبانيا ٠

« وقد تفضل ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، بتوجيه تحية خاصة للاذاعة على الجهد الذي بذله العاملون ، فامر بصرف مكافات تشجيعية ، لجميع العاملين المجدين ٠

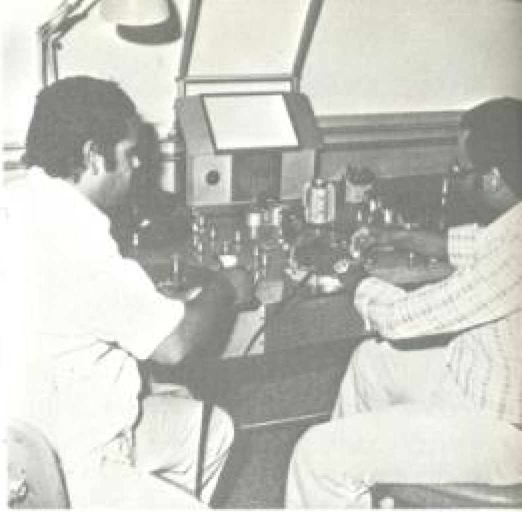
« ثم هناك شيء اخير اود ان اسجله قبل انهي حديثي القصير معكم ٠٠ انني استطيع ان اقول ان الاذاعة قد نجحت في تادية رسالتها ، وهي رسالة كبرى ، ولكننا لم نبلغ بعد حد الكمال ٠٠ ان بيننا وبين الهدف الذي نسعى لبلوغه خطوات وخطوات ٠٠ ان الاذاعة مقبلة على عهد جديد بفضل ما توجهه اليها الوزارة من اهتمام وتشجيع ٠٠ وقد اصبحت اليوم في ايدي مجموعة من الشباب الكويتي المؤهل المثقف ، وهم يسترشدون في عملهم باخوانهم الذين سبقوهم في المساهمة في بناء هذا الصرح الاعلامي الذي يعتبر مفخرة لبلدنا » ٠

مع المسئول عن الشاشة الصغيرة

ومع وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون التلفزيون ، الاستاذ محمد السنعوسي ، كان لنا لقاء ، قلنا نسأله وهو يستقبلنا في مكتبه بالمبنى المؤقت ايضا لتلفزيون الكويت : « لقد اصبحت الشاشة الصغيرة رفيقا لكل اسرة ولكل مواطن في الكويت ، وفي غير الكويت ٠٠ ان التلفزيون يلعب اليوم دورا هاما في حياة الناس ، وفي احصاء اجري في الولايات المتحدة الامريكية اخيرا ، اتضح ان الفرد العادي يقضي من يومه امام جهاز التلفزيون ، ضعف ما يقضيه في النوم ! ترى هل استطاع التلفزيون في الكويت ان يشد الناس اليه بهذه القوة ٠ هل نجح هذا الجهاز الحيوي في ان يؤدي رسالته ؟ » ٠

وقال الاستاذ السنعوسي : « انا شخصيا لا اعدو ان اكون اكثر من مجرد مشاهد ، ومن هنا ترون انني لا استطيع ان اجيب على سؤالكم بنعم او لا ٠٠ لان الحكم في ذلك للجمهور ، حقيقة انني اشرف على العمل في هذا الجهاز الاعلامي الحيوي ونحن





قسم المونتاج ، من أهم اقسام التصوير السينمائي ، ففي هذا القسم تجرى الخطوات التي تسبق عرض الافلام (والصورة الى اليمين) للآنسة شكرية محمود حسن ، من الفتيات الكويتيات اللواتي اقبلن على هذا العمل الجديد في قسم مونتاج السلبيات (نيجاتيف) • والصورة الثانية (الى اليسار) المصور عبد الرحمن عبد الكريم يستعرض الافلام الايجابية (البوزتيف) مع زميله سالم الثويني المختص بالمونتاج

نحاول بكل ما في وسعنا من جهد ، وبفضل تعاون اسرة العاملين ان ننوع في البرامج التي نقدمها ، وان نبحث عن كل ما هو جديد ونافع لجمهور المشاهدين ، واضعين في اذهاننا دوما المعنى الكبير للرسالة التي تنقلها الشاشة الصغيرة •• فهي كما تعلمون ، رسالة تربوية علمية ، ثقافية ، ترفيهية •• هي اذن الوان متعددة من المعرفة ، نحاول ان نجمعها في صورة واحدة او صور متعددة، ثم هي ليست بعد هذا صورا جامدة ، وانما هي صور حية تتحرك وتتكلم ، وتحدثنا عن ماضينا وحاضرنا وعن المستقبل الذي نتطلع جميعا اليه •

تركيب المجتمع الكويتي

«وهنا لا بد لي ان اتوقف قليلا عند ظاهرة هامة، وهي ظاهرة الهجوم على التلفزيون ••

وانا اعتب على هؤلاء لسبب بسيط وهو انهم نسوا او تناسوا حقيقة ثابتة وهي تركيب المجتمع الكويتي الذي يجمع العديد من الاجناس المتباينة الى جانب الاخوة العرب الذين يعملون معنا ويعيشون وسطنا •• وحتى هؤلاء الاخوة الذين ينتمون بدورهم الى الاقطار العربية الشقيقة ، تختلف امزجتهم وتتباين •• فنحن اذن نحاول ان نرضي كل هذه الاذواق مجتمعة » •

« كل هذه الاعتبارات ، غابت عن اذهان الذين يحملون على برامج التلفزيون ويهاجمون التلفزيون• ولو ان الهجوم كان مركزا على برنامج محدد لكان امرا مقبولا •• فنحن نرحب باي نقد يوجه للبرامج التي نقدمها •• ولكننا لا نقبل ان يقال ان تلفزيون الكويت كله لا يعجبنا !

« اننا نعمل •• ونعمل كثيرا من اجل تنويع البرامج وتجديدها •• ونحن نضاعف ساعات الارسال في الصيف وفي المناسبات والاعياد كما تعلمون ، كما اننا نولي اهتماما كبيرا بالبرامج التثقيفية والتعليمية ، وقد دخلنا عصرا جديدا ••



صورتان لاجهزة المراقبة ، وهما تعملان في مراقبة محطة الارسال والاستقبال الرئيسية (الى اليمين) وكذلك في مراقبة البرامج المسجلة (الى اليسار) ويقول المهندس يعقوب يوسف دشتي رئيس مهندسي التلفزيون ، ان هناك محطتي بث ، واحدة في الروضتين والثانية في جزيرة فيلكا ، والاولى لتغطية منطقة شمال الكويت ، اما محطة فيلكا فهي في الواقع تحوي جهازين للارسال ، احدهما لتغطية منطقة الجنوب والثانية لتغطية منطقة الشمال ايضا وتقويتها •



جهاز حديث لعرض الافلام السينمائية وهناك اربعة اجهزة من احدث ما وصل اليه العلم . ويعمل عليها مجموعة من الشباب الكويتي المثقف المدرب ٠

عصر التلفزيون الملون ، ونحن نضاعف اليوم من البرامج التي تقدم بالالوان ، انها قفزات كبيرة استطاع تلفزيون الكويت ان يحققها خلال هذه الفترة القصيرة من عمره التي لا تتجاوز الخمسة عشر عاما ٠٠ ★

« ولم نتوقف ٠٠ اننا ما زلنا في مسيرتنا من اجل تجديد وتطوير برامج التلفزيون ، ونحن نجري الآن دورات تدريبية للشباب الكويتي المثقف ، وللاخوة العرب العاملين معنا ، وقد استضفنا في العام الماضي اساتذة وخبراء في مختلف فروع العمل في ال B.B.C. ، هيئة الاذاعة البريطانية ، وقد افدنا منهم ، كما سوف نفيد من غيرهم في المستقبل .

١٥٠ الف جهاز تلفزيون

« ان في الكويت الآن ما بين ١٢٠ و ١٥٠ الف جهاز تلفزيون ، فاذا قدرنا متوسط عدد افراد كل اسرة بين اربعة وخمسة ، فاننا نستطيع ان نقول ان معظم سكان الكويت يشاهدون برامج التلفزيون ٠

« ونحن من جانبنا نهتم بهذا الجمهور ٠٠ فنحن نتوجه اليه ، ونسأله فيما يعجبه وما لا يعجبه ٠٠ وقد اجرينا العديد من الاستفتاءات ، كان آخرها في نهاية سنة ١٩٧٥ ، تلك التي ودعناها لنستقبل بعدها سنة جديدة ٠٠ وهذه الاستفتاءات تؤكد التباين الذي اشرت اليه في امزجة ورغبات المتفرجين ٠٠ ولكننا مع هذا نحاول ولا نكف عن المحاولة لارضاء اكبر عدد ممكن من جمهور المواطنين الكويتيين وغير الكويتيين ٠٠

دور التلفزيون في الاعلام الخارجي

قلنا : « وما هي مشروعاتكم لدور التلفزيون في مجال الاعلام في الخارج ؟ » ٠

قال الاستاذ السنعوسي : « ان لدينا اليوم خطة سنوية تستهدف ابراز وجه الكويت الحضاري ، وقد اعددنا بالفعل عدة افلام ، من بينها فيلم عن الحياة الديموقراطية في دولة الكويت ، وفيلم اخر عن محطة الاقمار الصناعية التي ربطت ما بين الكويت والعالم الواسع من حولنا ، وفيلم ثالث عن الكويت الحديثة ، ونحن نخاطب فيه المشاهد الاوروبي والامريكي ٠

« وبهذه المناسبة اتمنى لو اننا اسندنا مهمة الاعلام عن الكويت وعن العالم العربي ، الى شركات متخصصة تتولى تصوير هذه الافلام وتوزيعها ، لانني اعتقد ان اضفاء الصبغة الرسمية على الفيلم الذي يصور اية ناحية من نواحي التقدم في وطننا العربي ، قد لا يشجع الكثيرين من الناس على مشاهدته ٠٠ ولقد اهتمت بعض الشركات السينمائية والتلفزيونية بالفعل ، بايفاد مصوريها ومنتجيها الى الكويت ، لاعداد افلام عن بعض نواحي التقدم الذي حققته بلادنا في شتى المجالات ، وقد بلغ عدد هذه الافلام التي تعرض اليوم في مختلف انحاء العالم ، ما لا يقل عن خمسين فيلما ، ساهمت الى حد كبير في ترك الر طيب في نفوس المشاهدين الذين يتعرفون من خلالها على صور الحياة في الكويت الحديثة الناهضة » ٠

واختتم الاستاذ السنعوسي حديثه معنا متسائلا : « لا ادري اذا كنت قد استطعت ان اجيبكم على السؤال الذي طرحتموه في بداية هذا الحديث ، ولكنني اود ان اضيف الى ما قلته ، انني متفائل لمستقبل هذا الجهاز الاعلامي الحيوي في اطار الخطة الخمسية التي اعدتها الوزارة ، ثم انني اتوقع قفزة كبرى في برامج التلفزيون بفضل جهود العاملين فيه وتشجيع الدولة الادبي والمادي المستمر ، وهو شيء نفخر به ونعتز ٠٠ » ■■

منير نصيف

★ اقرأ استطلاع التلفزيون (العدد رقم ٩٨ من العربي) ٠

الدكتور أحمد زكي

■ مسافرٌ أوفى على غايتِه وآن أن يرتاح من رِحلتِه
وفارسٌ شاكي يراعِ الهدى ينقشع الجهل لدَى كرَّته
كبا به العيشُ، فما ضرَّ لو يحمله الموتُ على صَهْوتِه
والموتُ عيشٌ.. لافناءٌ به الاّ فناءُ الحَبِّ في غرْسَتِه
كم ميْتٍ شيَّعه أمسنا ويومنا يَقْبِس من شعلته
وما قضى مَنْ لم يزَل فكرُه يُنير للأجيالِ من أمّتِه
آمنت بالله وما خطَّه في سفرِ هذا الكون من قُدْرتِه
وما استوى في شرعه عالمٌ وجاهلٌ يَخبط في ظُلْمتِه
قد كنت – يا أحمدُ – تروِي لنا وتقرأ المكتوب فى صفحته
هدَيْتَ بالعلم إليه، وما أجْرَى عليه الخلقَ من سُنَّتِه
وربما سقْتَ الدليلين من مَجَرَّةِ الكون، ومن ذَرَّتِه
فهذه الأفلاكُ في قبضته وهذه الكيمياء من صنعته
والعقلُ والايمانُ أوفي الذى يُسبِغُه الخالق من نِعمته
نصحتَ قوما ربما آدَهمْ نصح الذى يصدُق في قولته
جزْتَ الثمانين فما طامَنَتْ من عَزمةِ الفكر، ومن وقدَتِه
وربما طاشت سياماتهم فلمبطشٌ فكرُك عن وِجهته
وربما صُودرْتَ أو صودرَتْ صحائفٌ كالبرق في وَمضته
ما كلُّ من ذاق صريحَ الهدَى في كأسه يقوَى على لذعته
ما «العربيُّ» الفظُّ في سطوته كـ«العربيِّ» السمْحِ في حكمته
ويصبر المصلحُ في أمته كصبر «أيوبَ» على محنته
لا السد، لا القيد، ولاغيرُها تدور بالمؤْمن عن قِبلته
أحمدُ، حدِّثنا، أو اكتُبْ لنا عن أوبةِ الانسان من غُربته
رحلتَ والكفُّ بها طِرْسُها فليته امتأنفَ من قصته
هجرتَ داراً غير محمودة فابلُغْ مُنَى قلبك من هجرته
عشتَ مع الرحمن في أرضه نعِشْ مع الرحمن في جنته ■■

الكويت : **الدكتور حسان حتحوت**



اذا وضع الفلاح رجليه فى ماء الترعة التصقت بجلده ديدان البلهارسيا ،ثم اخترقت جلده لتدور فى دمه افسادا

أمراض شائعة

البلهارسيا

بقلم : الدكتور سعيد عبده

■ ضحايا البلهارسيا فى العالم الزراعى النامى فى افريقيا واسيا ، وبعض اصقاع امريكا اللاتينية ، يقدرون اليوم باكثر من مائة وخمسين مليونا ، يختص العالم العربى منهم بنصيب كبير• وبعض هؤلاء الضحايا يتبولون الدم بصفة مستمرة او تكاد ، جعلت بعض القدامى يظنون أن الرجال يحيضون كالنساء فى هذه البلاد ، وبعضهم يتغوط الدم وآخرون يفعلون هذا وذاك ، حسب النوع من ديدان البلهارسيا الذى يستوطن أجساد هؤلاء المصابين •

ماذا تفعل البلهارسيا بمرضاها

واشد مصابى البلهارسيا معاناة ، وتاثرا بها هم الاطفال ، والصبيان والشباب •• اى هم الاجيال المرتقبة لهذه البلاد النامية فى المستقبل القريب والمستقبل البعيد •• انها لا تستنزف دماءهم فحسب ، ولكنها تسلبهم كذلك قواهم فى ذروتها، وشبابهم فى ميعته ، وجمالهم فى عنفوانه ، كما انها تجعل استفادتهم من العلم والتعليم اقل ما تكون ، وتجعل انتفاعهم من الغذاء السيء بطبعه أسوأ ما يكون ، وتخلخل فيهم قواعد المناعة من كثير من الامراض ، وتؤدى بهم الى اضعاف قدرتهم على العمل والانتاج ، وقابليتهم للمتعة بالحياة •

ما تفعله البلهارسيا بالشعوب

فهى من اجل ذلك معول هائل لتقويض الثروة القومية والرخاء الاقتصادى والاجتماعى للشعب الذى تنتشر فيه••• ولقد كان يقدر ما تخسره مصر

مثلا ، نتيجة لانتشار هذا المرض فيها ، بمائـة مليون من الجنيهات كل عام ، وهو تقدير بخس اذا تاملنا قليلافى افاعيل المرض ، وآثاره المباشرة وغير المباشرة في مرضاه من حيث القدرة والطاقة وتخفيض معدل الاعمار ...

شيء من التاريـخ

انني ،وانا فلاح وابن فلاح ، لم اصب بالبلهارسيا قـط ، وان كنت قـد ولـدت ـ في الدفعة الاولى من هذا القرن ـ في بقعة تعد الآن من اكثر بقاع مصر اصابة بمرض البلهارسيا ،وبالقواقع الناقلة لعدوى هذا المرض ، كما كانت تعد الى عهد قريب من افقرها في المرافق التي كان يمكن ان تحول بين اهلها وبين الخوض في الماء الملوث بالجراثيم المعدية لديدان البلهارسيا ، او اللعب او الاستحمام في هذا المـاء ، او التبـول والتبرز فيـه ، واعدائه ببويضات هذه الديدان .

وما كانت نجاتي من البلهارسيا وانا في عرينها قصدا ، ولكن لاني كنت اخشى الغرق ، واخاف على

اكتشاف البلهارسيا وديدانها

وما كان من احد في ذلك الوقت يعرف الكثير عن ديدان البلهارسيا .. لقد اكتشف تيودور بلهارز Belhartz العالم الالماني والاستاذ المسـاعد بمدرسة الطب المصرية هذه الديدان في احشاء بعض المتوفين سنة ١٨٥٠ .وبهذا سمي المرض باسمه.

واكتشف ليبـار Leiper ، القواقـع الناقلـة للبلهارسيا البولية سنة ١٩١٥ ، كمـا اكتشف دورة حياة هذا النوع من البلهارسيا سنة ١٩٢٥ (من المريض ، الى الماء الى القوقع المناسب ، الى الماء ثم الى جلد الاصحاء) . اما علاج البلهارسيا بالطرطير المقيء فقد اكتشف في سنة ١٩١٨ (وكان يحتكره طبيب واحد في مصر يعطي الحقنة الواحدة منه في الوريد بجنيه ، في وقت كان اجر الطبيب قلما يتجاوز عشرة قروش !)

بين عهدين

ان لانتشار البلهارسيا في الريف المصري فـي

اخطبوط الدول النامية غير المنظور

ثيابي ان تتسخ من الطين . ثم لان البلهارسيا لم تكن منتشرة في تلك البقاع في ذلك الحين ، فقد كان الفلاح يعتمد على زرعة واحدة ، تبقى الارض بعد حصادها جافة حتى نهاية العام ، وكان هـذا الجفاف يجهز على اغلب القواقع التي تستوطن مسالك الماء ، وتعيش على بعـض ما ينبت على ضفافها من اعشاب .. شانها في ذلك شان بلاد الصعيد المصري الاعلى ، التي كانت تعيش على ري الحياض اي الاعتماد على زرعة واحدة، تزرعها بعد انحسار فيضـان النيـل ، فلما انشيء السـد العالي في اوائل الستينات ، وتحول ري الحياض الى ري دائم ، والمحصول الواحد الى عدة محاصيل، ارتفع معدل الاصابات بالبلهارسيا بعـد بضعـة اعوام ، في هذه البقاع من ١٥ بالمائة الى ثمانين .

وذلك ما حدث في تلك القرى بعد ان تحول فيها الري الى ري دائم ، واعطيت قواقع البلهارسيا كل الظروف الملائمة للحياة .

السنين الاولى من هذا القرن كان يكاد يشبه معدل انتشارها فيه ايام الفراعنة ، فقد عرفوا هم كذلك المـرض ، ووصفوه ، ووجـدت بويضـات ديـدان البلهارسيا في احشاء بعض الموميات ، ومع ذلك فلم تتاثر مصر القديمة بالمرض كما تاثرت به مصر الحديثة لنفس الاسباب ..

وفي القرية التي اشرت اليها ، والتي كانت مسقط راسي ، كان المرء كثيرا مايرى في القرية في اوائل سني هذا القرن عمالقة من الفلاحين ، ومعمرين ، وشبابا يركضون وراء مطايا العمد والاعيان عشرين اوثلاثين كيلو مترا لاينتابهم فيها لهاث ، ومسابقات على العاب القوى ، كثني الحديد بالايدي ، اورفع الاثقال تندهش لها الالباب . . وماطول ماكان يدوم جمال الصبايا ، وفتوة الشبان ! ؛

ثم كان الري الدائم في القرية ، وكانت تقع في نهايات عدد من الترع الصغيرة ، حيث تمتليء

بالاعشاب التي تقتات عليها القواقع وتتكاثر وتمتد بها الحياة .. وظلت مرافق القرية على ماكانت عليه الى مابعد اواسط القرن العشرين ، وتهيات للبلهارسيا كل الفرص الذهبية للانتشار .

وفي سنة ١٩٤٢ قدر للكاتب ان يفحص عينية من ذوى الاعمار الصغيرة من سكان هذه القرية فوجد معدل انتشار البلهارسيا بين من فحصوا فوق التسعين بالمائة ، بعضهم مصاب باكثر من نوع واحد من الديدان وهو لم يجد بالقرية عمالقة ، ولا معمرين ، ولا متسابقين في الجرى او حمل الاثقال ، ولا عمالا بالفاس في الارض من مطلع الشمس الى مغربها دون كلال ولا لغوب ... السمة الغالبة على الجميع هي الشحوب والذبول والكلال الذهني والبدني ، والشباب العاجز والجمال المؤوف .

ومما يذكر في هذا الصدد أن كلوت بك الطبيب الفرنسي الذى استقدمه محمد على الكبير لينشيء مدرسة طبية تمد الجيش المصرى بالأطباء ، والذى انشا اول مصلحة للصحة في مصر ، وجعل التحصين على مرضى الجدرى اجباريا على كافة الاطفال .. كتب كلوت بك هذا في مذكراته أن سائسي الخيل الذين كانوا يركضون مشاة أمام فرسان المماليك ، لم يكن يوجد لهم نظير في العالم من حيث القدرة على الركض بلا تعب ولا اعياء .. هؤلاء السائسون الذين كان يمثلهم في القرية اتباع العمد والاعيان وهم يركضون وراء مطاياهم بلا لهاث .. لم يعد لهم هم الآخرون وجود !!

الاكذوبة الكبرى

وحين يراجع المرء سجلات الوفيات واسبابها في مصر ، لا يجد مرض البلهارسيا بين العشرة الاوائل من هذه الاسباب ..

هل لان البلهارسيا لا تقتل مرضاها ؟

هل لان البلهارسيا التي تعيش على دم المريض ، وتستنزف دم المريض ، تعف في النهاية عن سلب القطرة الاخيرة من دم المريض ؟

كلا .. ولكن لان البلهارسيا تمثل نوعا من اخبث انواع التطفل على جسم الانسان .

كيف تتطفل البلهارسيا على جسم الانسان

ان دودة البلهارسيا تغزو جسم الانسان خفية وهو يخوض في الماء الملوث ، او يستحم او يلعب او يتوضا او يغسل ثيابه فيه ، فلا يحس من آثار هذا الغزو ـ ان احس شيئا ـ الا حكة بسيطة بعد ان يغادر الماء ، وما اكثر ما تعزى هذه الحكة لسبب من اسبابها الكثيرة في الريف ، ما عدا سببها الاصيل .

ثم ان الدودة تعيش في جسده قانعة بما تاكل منه وما تعيث فيه من فساد ، لاتتظاهر كما تفعل الكوليرا مثلا او الملاريا او الطاعون ، وهي لاتتكاثر في جسم عائلها كما تفعل الميكروبات وانما تتكاثر بتكرار وتوالي العدوى وتكرارها .

يضاف الى ذلك انها تعيش ازواجا ازواجا ، ذكورا واناثا ، في اطول واروع قصة غرام بين الكائنات الحية ، مسرحها الوريد البابي الذى يحمل الدم من احشاء البطن كافة الى الكبد ، حيث ينتقل منها الى القلب ثم الى الرئتين ليلقى بشحنته من الفضول ، ويتزود بشحنة جديدة من الاكسجين .. فاذا اخصبت الانثى وبدات تبيض انفلتت من حضن زوجها ، وسبحت ضد تيار الدم في الاوردة الصغيرة بقدها الاهيف الرشيق ، حتى تصل الى اقرب مخارج الفضلات من الجسم ، الى المثانة والامعاء ، فتضع بويضاتها ذات الشوكة المعروفة هناك ، فلا يبقى امامها الا مرحلة بسيطة للخروج من الجسم والوصول الى الماء ، والى القواقع التي تنتظرها فيه .

بيد ان قلة من هذه البويضات ، بل وبعض الديدان يجرفها تيار الدم الى الكبد ، فيعزل اكثرها هناك ، ويمضي اقلها مع الدم الى القلب ثم الى الرئتين وربما لغيرهما من الاعضاء ، وفي كل مكان تسجن فيه البويضة او الدودة يحاول الجسم ان يتخلص منها كجسم غريب ، وتنشا معارك بين الجسم وبينها تنتهي باورام صغيرة ، تضغط على ما حولها من خلايا حيوية هامة كخلايا الكبد والرئتين ، وتعرقل مسار الدم في الكبد ، فيتضخم الطحال ، وتمتليء الانسجة بالماء ويحدث الاستسقاء الى غير ذلك من الوان الفساد الذى كثيرا ما ينتهي بضمور الكبد ، وعجزها عن القيام بوظائفها الهامة هي وسواها من الاعضاء .

وما اكثر ما تتكون حصيات المجارى البولية ..

وما اكثر ما تحدث القروح وتتكلس وتستحيل الى سرطان .

ويتم كل ذلك دون ضجة ولا ضوضاء ، وتظل البلهارسيا بصاحبها ـ اذا لم يعالج ـ تتودد الى القبر في هوادة ولين ، فاذا اصبح وليس بينه وبين القبر الا خطوة ، تركته بغير كلمة وداع ،

تركت لسواها من الامراض الطارئة دفعه الى القبر ببساطة ، واهالة التراب على بقاياه .

من اجل ذلك لا تظهر البلهارسيا كثيرا فى السجلات العامة للوفيات فى اى بلد من البلاد .

ليس جزافا ما اقول

لقد عشت اكثر من عشرين عاما مع مرضى البلهارسيا فى مستشفى قصر العينى (٦٠٠٠ سرير) طالبا ، وطبيبا ومعيدا فى قسم الامراض (الباثولوجيا) الذى تحال اليه جثث المتوفين فى هذا المستشفى ، للتاكد من سبب الوفاة ، ومدى تمشى العلاج الموصوف للمرضى مع الدواء المزعوم انه ادى الى الوفاة ..

ولقد اتيح لى فى القسم الاخير ان اشرح مئات من الجثث وارى الوفا اخرى من جثث شرحها الزملاء، ورغم ان البلهارسيا لم تكن سببا مباشرا فى موت هؤلاء المرضى الا انها كانت تشترك بمضاعفاتها فى فتح الثغرات للامراض المؤدية الى الوفاة ، فى اكثر من اربعين فى المائة من الحالات.

وفى اكثر من هؤلاء الاربعين بالمائة كانت البلهارسيا تكتب الفصلين الاولين عادة من المأساة، وتترك لسواها من « الغربان والرخم » كتابة الفصل الثالث واسدال الستار الاخير على المأساة .

خبث فى الفعل ولؤم فى الكفاح

ان كفاح اى مرض من الامراض المعدية يتوقف على ثلاث قدرات قد تكفى منها واحدة ، وقد تكفى اثنتان ، وقد نضطر الى ممارسة الثلاث :

القدرة على السيطرة على مصادر العدوى .

القدرة على قطع طرق العدوى .

القدرة على حماية الاصحاء .

ففى مرض كالجدرى مثلا استطاعت القدرة على حماية الاصحاء باللقاح الواقى من المرض فى مواقيت معينة ان تقطع دابر هذا الوباء ،ولقد حدث ان نزل ثلاثة من المرضى به فى مدينة نيويورك فى اوائل الاربعينات ، فجندت السلطات الصحية كافة الممرضات والاطباء لعمل تلقيح شامل لعشرة ملايين من السكان ، وقطعت شأفة المرض تماما فى ثلاثة ايام .

وفى مرض كالملاريا استطعنا بالقدرة على علاج مصادر العدوى وهم المرضى ، وقتل البعوض الذى



مناطق الارض الاشد تعرضا لمرض البلهارسيا

نقل منهم جراثيم العدوى،ان نقضى على هذا المرض الذى كان يفوق البلهارسيا اضرارا بالرخاء الاقتصادى للشعوب ، فى مشروعات لم يتجاوز مداها خمس سنوات .

وفى مرض كمرض الحمى المخية الشوكية امكن بسرعة علاج المرضى ومخالطيهم ، والسيطرة على اوبئة هذا المرض الخطير فى ايام .

بيد أن ثمة أمراضا نعرف مصادر عدواها ، ونعرف طرق عدواها ونعرف طرق حماية الاصحاء منها ومع ذلك تراوغنا فى كفاحها بلؤم منعدم النظير ...

والبلهارسيا على راس هذه الامراض !

القدرة على مصادر العدوى

فى ترسانة العقاقير الطبيةالتى تعالج البلهارسيا الآن علاجا شافيا عشرات من العقاقير ، وان كان الطرطير المقىء ما زال له مكان الصدارة بين الجميع، ويقول الاستاذ الدكتور أحمد حافظ موسى استاذ امراض المناطق الحارة بكلية طب القاهرة سابقا ، ورئيس جمعية مكافحة البلهارسيا ، واشد علمائنا تحمسا للتخلص السريع من هذا الداء الوبيل .. أن الطرطير لو أعطى بجرع متباعدة قد يصبح أكثر جاذبية للمرضى ، واشد فاعلية فى الشفاء ، وأبلغ أثرا فى تقليل فرص العدوى للماء وبالتالى للاصحاء وابعث على تقوية عوامل الحصانة على المرض بين الاطفال والشبان .

بيد أنه رغم ذلك كله ورغم أن الشفاء يمكن أن



ديدان البلهارسيا : ذكر وانثى

يكون حاسما ، فان ليلى وان قرب مزارها ما زال يعترض طريقها كثير من الصعاب والاهوال !

ما زال من الصعب الحصول على عينات من فضول جميع السكان للفحص

وما زال من الصعب السيطرة على المرضى حتى يكملوا العلاج .

ومازال بعض المرضى الذين يعالجون حتى الشفاء الظاهر ينتكسون بعد قليل .

وما زال اكتشاف الاصابات الحبيسة اى التى لا يوجد فى فضولها بيض اثناء الفحص ، يتحدى قدرة العلاج الشامل على مصادر العدوى ...

والأمر ما فى البلهارسيا أن أقل عدد من المرضى ممكن أن يلغم اكبر عدد من مسارب الماء ، لان المريض الواحد قد يخرج فى البولة الواحدة عدة آلاف من البويضات ، تفقس منها أجنتها فى الماء ، وتصيب بمثل عددها قواقع ، وعلى الحاسب الالكترونى أن يخبرنا كم يبقى من القواقع بريئا من الداء !

القدرة على قطع طرق العدوى

قدرتنا على قطع طرق العدوى فى البلهارسيا مرهونة باستئصال القواقع من الماء ...

وقد جربنا هذا المدخل فى مصر وانجاب عن بعض النجاح فى المناطق المنعزلة كالواحات والفيوم، بيد أن من القواعد البيولوجية المعروفة أن استئصال جنس بعينه من الكائنات غاية قلما تدرك ، وطالما بقى عدد من هذه القواقع فى الماء ، دافنا نفسه فى الطين ليتخلص من فعل المبيد ، فسرعان ما يتكاثر بعد التراخى فى استعمال المبيد .. بل لقد ثبت أن وجود ٢٪ فقط من القواقع فى الماء الملوث ببويضات البلهارسيا كفيل بان ينشر المرض كما كان ، لان كل بويضة يفقس منها كما قلنا جنين وكل جنين يستطيع أن يغزو القوقع المناسب اذا وجده ، ويدمر كبده (وللبلهارسيا فى كل ادوار حياتها ولع بالكبد شديد) ثم تتكاثر فيه ، وينجلى الجنين الواحد عن ما يقرب من ربع مليون من مذنبات البلهارسيا المعدية ... (المدد المدد ايتها الحواسب الالكترونية فى العالم أجمع لمعرفة ما يتجلى عنه هذا الغزو البسيط لعدد ابسط من القواقع الناقلة للداء) .

ويفكر العلماء الآن لتدعيم مبيدات القواقع بتغطية مسالك الماء ، ولا سيما فى وسط القرى حيث تكون شحنة العدوى افدح ما تكون ، وتغطية مصارف مياه الرى كسبا للرقعة الزراعية ومنعا للعدوى بالقواقع والبويضات ، وتكسية ضفاف مجارى المياه كلها بالحجر حتى لا تنبت عليها الاعشاب فتموت القواقع من الجوع .. وهنا أيضا ما أكثر ما دون مزار ليلى القريب من صعاب وأهوال !

القدرة على حماية الاصحاء

قد تكون هذه اقوى حلقة من سلسلة عدوى البلهارسيا ، وأصلبها مكسرا ، لان التعامل مع الناس أصعب كثيرا من التعامل مع القواقع أو الديدان ... ولكنها مع ذلك قد تصبح الثغرة الكبرى لفك الحصار الذى تضربه البلهارسيا على الناس .

لقد جربت فى مصر حماية الاصحاء :

عن طريق تعميم المياه النقية فى قرى الريف ،

لتقفى الفلاحين عن ارتياد المياه الملوثة بالاخطبوط في المنظور ٠٠ ومع ذلك فما زال كثير من الريفيين يؤثرون عليها مياه الترع الملوثة لقربها في المأخذ، او وجودها في متناول اليد في جميع الاوقات ، او رواسب العقائد القديمة في ان الجسم البشرى يقوى على ما تقوى عليه الارض حين تشرب من ماء النيل !!

عن طريق محاولة تشجيع انشاء المراحيض في مساكن القرويين للحيلولة بينهم وبين ارتياد الماء وعدواهم منه أو اعدائهم اياه ٠٠٠

محاولة مساعدة الشبان في القرى على تزجية اوقات الفراغ ، لابعادهم عن السباحة واللعب في الماء ، وتوجيههم نحو نشاطات أجدى ، وانفع وأبعد عن الضرر من السباحة في الماء ٠

بالتربية الصحية العملية في البيت والمدرسة والمسجد ، في محاولة جدية علمية لا لتغيير مفاهيم الناس عن البلهارسيا وحسب ، فان في تلاميذ المدارس الابتدائية من يعرف كل شيء عن البلهارسيا ومع ذلك يفعل ما كان يفعله أبوه الجاهل من نفض الفضول في الماء ثم الاستحمام فيه ، وانما كذلك لمحاولة تغيير عاداتهم وسلوكهم واتجاهاتهم نحو المرض والعلاج ، بالطرق التي تتبع في البلاد المتحضرة على أيدى المعلمين والآباء والأطباء ٠٠ وما أكثر ما يتطلب هذا من نفس مستديم لاقفية المشرفين على التعليم الطبي ، وعلى تنشئة المعلمين عندنا ، لتنبيههم الى هذا الواجب، الذى يغمضون اعينهم عنه بمنتهى الغفلة والسذاجة والغرور ، وربما الجهل الغطي بما يمكن أن ينجاب عنه من مزايا في كافة ميادين التنمية ومشروعاتها التي لا يمكن أن تقوم على أكتاف ملايين من المرضى بالبلهارسيا في كل مكان ٠

اشعة الهية من الضوء

ان مشكلة البلهارسيا ستظل تبحث عن خطة أكمل واشمل لمحاولة حلها حلا جذريا من جوانبها الثلاثة على ان يكون الحل شركة بين الحكومات وبين قادة الرأى من بين الناس، بلا املاء من تلك، ولا ضجيج بالشكوى من هؤلاء ٠

ومع ذلك ففي وسط هذا الظلام الدامس توجد خيوط من النور الالهى كثيرا ما تتدخل لحماية التشرين من الاصحاء من هذا الداء الوبيل ٠

ان في غلى الماء الذى نضطر الى امتياحه من الترعة ما يكفى لحمايتنا من العدوى لو استحممنا به في بيوتنا اذا الجأتنا لذلك الظروف٠

ان الفترة التي تعيشها مذنبات البلهارسيا في الماء لا تزيد على ٤٨ ساعة ، ولو اخترنا الماء في بيوتنا هذه الفترة لماتت فيه كل هذه المذنبات ٠

ان قدرة اكبادنا على التجدد قدرة يتجلى فيها اعجاز الله ٠٠

لقد رأيت مريضا من قريتي في اواخر العشرينات يتنبأ له الاطباء بالموت في غضون بضعة أسابيع ، فقد كان مصابا بضمور فاحش في الكبد ، وتضخم هائل في الطحال ، واستسقاء جعل بطنه اكبر من بطن الحامل في شهر حملها الاخير ، وهزال شديد جعله يبدو أشد نحولا من شبح المتنبى الذى قال فيه انه اذا لم يخاطبك لا تستطيع أن تراه ٠٠٠ وكانت غاية المريض من العلاج استئصال الطحال ، وكان استئصاله في مثل هذه الحالة مستحيلا بمعايير ذلك الزمان ، ورحلوه الى قريته كشخص محكوم عليه بالاعدام ، وفي الطريق أصيب بنزف دافق من فمه كان خليقا ان يقضى عليه ولكنه وصل الى القرية ، وعولج علاجا بطيئا من الاستسقاء والبلهارسيا بالعقاقير والطعام ، وجيء به الى قصر العيني باسم آخر فاستؤصل طحاله وكان يزن احد عشر كيلوجراما ونصح وانتصح بالتبكر في علاج نفسه كلما رأى قطرة من الدم في بوله، وهو لا يزال حيا حتى الآن، أى بعد حوالى نصف قرن من الحكم عليه بالاعدام، وهو موجود بالقرية التي كانت مسقط رأس لمن يريد ان يراه ٠

ان السر في بقاء هذا الرجل حيا الى اليوم ليس فقط انه من ذرية قوم تعرضوا على مدى اجيال متعددة لعملية تنازع البقاء وبقاء الاصلح٠٠ الذرية التي تتمتع بكثير من مزايا المناعة على الامراض ، ولكن كذلك لان قدرة الله التي تصل الى حد الاعجاز تمنح بعض احشاء الانسان ، ومنها الكبد ، في بعض الظروف قدرة خارقة على التوالد والتجدد من بقية صغيرة منها كانت اضال من ان تستقيم عليها او تطرد الحياة »

وتبارك الله احسن الخالقين ٠

سعيد عبده

مسابقة العربي

تولستوي والشجرة الخضراء الباكية

■ مسابقة هذا العدد تضم عشرة اسئلة مختلفة متنوعة٠٠ والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لثمانية منها على الأقل ٠٠ لتفوز بواحدة من الجوائز المالية التى يبلغ مجموعها ١٠٠ دينار كويتي ٠

١ ـ شنقيط ٠٠ مدينة العلم والعلماء منذ زمن قديم ٠٠ هذه المدينة التي شيدت عام ١٦٠ هـ اندثرت تحت رمال الصحراء ، لتقوم على مسافة ميلين منها شنقيط اخرى ، شيدت عام ٦٦٠ هـ ٠٠ ففي اى بلد تقوم شنقيط:

المغرب ـ الجزائر ـ موريتانيا

٢ ـ كانت حياته عذابا لايحتمل ٠٠ ترك بيئته الارستقراطية ، وهجر زوجته ، ووزع ثروته واملاكه على الفقراء والفلاحين ٠٠ كان هدفه احداث ثورة اجتماعية في اعماق الانسان ٠٠ لانه كان يعتقد ان المادة هي مصدر الشرور في هذا العالم ٠٠ مهدت افكاره وكتاباته وقصصه للثورة الشيوعية ٠٠ من اشهر مؤلفاته : الحرب والسلام :وانا كارانينا ٠٠ ولد عام ١٨٢٨ وتوفي عام ١٩١٠ فمن هو :

تولستوي ـ تشيكوف ـ تورجنيف

٣ ـ سريلنكا Srilanka جمهورية مستقلة تقع فوق جزيرة مساحتها اكثر من ٢٥ الف ميل مربع ، يعيش فوقها ١٤ مليون نسمة ٠٠ على مسافة ٢٠ ميلا من الطرف الجنوبي للهند ٠٠ عاصمتها كولومبو ٠٠ عرفها العرب قديما باسم سرنديب ، والاجانب عرفوها باسم اخر ، حتى كان يوم ٢٢ مايو ١٩٧٢ وفيه استبدل اسم الجزيرة ، فاصبح جمهورية سريلنكا ٠٠ فماذا كان اسمها السابق :

سيلان ـ سيشل ـ مالديف

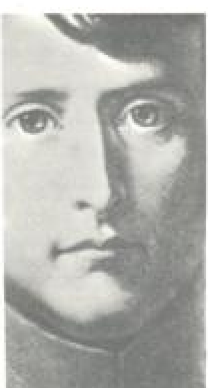
٤ « صقر قريش » يتوسط الاعلام الموحدة لجمهوريات مصر وسوريا وليبيا ٠٠ والخنجر العربي « الجنبية » يحتل ركنا في علم سلطنة عمان ٠٠ وهناك علم عربي آخر يحتل وسطه رسم شجرة خضراء تبكي اليوم حزنا على ما يحدث بين ابنائها ٠٠ فما اسم هذا البلد الذي يكرم ابناؤه الشجرة برسمها على علمهم ؟

٥ ـ نهر طوله ٨٢٠ ميلا ، يعتبر اهم الطرق البحرية في اوربا فهو يخترق المناطق الصناعية الرئيسية فيها ٠٠ ومنابع هذا النهر تبدأ من جبال الالب الوسطي ، وهو عند بداية مسيرته يشكل الحدود الفاصلة بين المانيا وسويسرا ، ثم يخترق الاراضي الالمانية والهولندية قبل ان يصب في بحر الشمال ٠٠ فما اسم هذا النهر الكبير :

اللوار ـ الرون ـ الراين

٦ ـ نابليون بونابرت ٠٠ امبراطور فرنسا الكبير ٠٠ قاد الجيوش الفرنسية في حملات عسكرية كبيرة ، وصل الى مصر فاحتلها ٠ ولكنه عجز عن فتح عكا ٠٠ واثر انهزامه في معركة واترلوا الشهيرة غاب نجمه ٠٠ ونفي الى جزيرة سانت هيلانة ٠٠ حيث توفي عام ١٨٢١ ومن المصادفات ان مولده كان ايضا في جزيرة ، فقد ولد عام ١٧٦٩ في جزيرة :

سردينيا ـ كور سيكا ـ صقلية



نابليون



الافغاني



محمد عبده



تولستوى



ابقراط

٧ ـ ابو القاسم الشابي ‥ بدر شاكر السياب ‥‥ علي احمد باكثير ‥‥ ثلاثة من شعراء العرب المحدثين الراحلين ‥ فالى اى قطر عربى من بين الاقطار الآتية كان ينتمى كل واحد منهم :

المغرب ـ مصر ـ العراق ـ لبنان ـ اليمن ـ تونس

٨ ـ مصلح كبير جال فى الشرق والغرب ‥ كان لتعاليمه اثر كبير فى صحوة العرب ، رغم انه من مواليد افغانستان عام ١٨٣٨ كان يدعو الى الوحدة الاسلامية ، ولكنه توفى عام ١٨٩٨ قبل ان يشهد ثمار دعوته تتحقق فى اجتماعات الدول الاسلامية ‥ فما اسمه :

محمد عبده ـ جمال الدين الافغانى ـ شكيب ارسلان

٩ ـ مالطا ‥ ليست جزيرة واحدة ، بل ثلاث جزر هى مالطا ‥ جوزو‥ كومينو ‥ مجموع مساحتها ١٢٢ ميلا مربعا ، يعيش فوقها نحو ٤٠٠ الف نسمة ‥ تعاقب على حكمها مستعمرون اجانب طول فترة ٣٥ قرنا من الزمان حتى اعلنت جمهورية مستقلة فى ٢١ سبتمبر ١٩٦٤ وعاصمة مالطا هى :

كاسينا ـ بالتا ـ فاليتا

١٠ ـ فى الصين اليوم ثورة على تعاليم واحد من اعظم الرجال الذين عرفتهم الحضارة الصينية ، وابعدهم اثرا فى حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية ‥ ولد هذا المعلم عام ٥٥١ق٠م وكانت تعاليمه المأثورة وحكمته العميقة اقوى حافز للصينيين على طلب التثقيف الذاتى ، والعناية بتحصيل المعرفة ، والاستزادة من العلم والتعمق فى البحث ‥ وشدة اكبار الصينيين لمكانته جعلتهم يحيكون حول حياته الاساطير ، ويعزون اليه اقوالا لم تصدر منه ‥ فمن هو هذا الفيلسوف الكبير الذى يعمل المسئولون الصينيون اليوم على هدم كل تعاليمه وافكاره :

كونفشيوس ـ بوذا ـ جين

● شروط المسابقة ●

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٠٦ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر مارس ١٩٧٦ ٠

● الجوائز ١٠٠ دينار ●

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ‥ وعند تعدد الاجابات تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

■ ■

كوبون مسابقة
العدد ٢٠٦

المبالغة

داء في السلوك يحتاج إلى علاج

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ قد يكون من الحديث المعاد ان نقول : ان « المبالغة » سمة بارزة من سمات سلوكنا لفظيا كان او فكريا ، او عاطفيا ، او اراديا ، او غير ذلك . اننا « نبالغ » في احاديثنا وروايتنا ، « نبالغ » في احكامنا واستدلالاتنا ، « نبالغ » في افراحنا واحزاننا ، نبالغ » في قراراتنا وتصميماتنا .. الخ . ، بل لعل المبالغة ان تكون نمطا مرضيا من انماط السلوك الاجتماعي . واية ذلك اننا – في العادة – عاجزون عن رؤية الواقع كما هو ، مفتقرون الى روح الموضوعية القائمة على توخي الدقة ، ميالون الى اسقاط اهوائنا وعواطفنا على مجرى الاحداث .

... المبالغة سمة من سمات العقلية الانفعالية ..

لقد سادت عندنا – امدا طويلا من الزمن – اساليب عاطفية في التربية ، تقوم على استثارة الانفعالات لدى النشء ، وتنمية روح المبالغة في نفوس الصغار ، بدلا من تزويدهم بضرب من النضج الوجداني الذي يكفل لهم اسباب الاتزان والاعتدال والتكامل وضبط النفس . ومن هنا الف أبناؤنا – منذ نعومة اظفارهم – أسلوب المبالغة والتهويل،حتى اصبحوا عاجزين – او شبه عاجزين – عن مواجهة الحقيقة بروح « الواقعية الموضوعية » . وليس ادل على ذلك مما تطالعنا به بعض صحافتنا اليومية : فكل « حدث » – عندها هو – « حدث خطير » ، وكل « لقاء » تتحدث عنه هو « لقاء تاريخي » وكل « قرار » تورده هو « قرار هام » ... الخ . ولماذا لانقول ان بعض الصحفيين لم يعودوا يملكون ان يسوقوا « الاخبار » كما هي ، بل اصبحوا يرون ان من واجبهم ان يحيطوا كل « خبر » بهالة مختلقة من المبالغات والتهاويل ، حتى يستثيروا انفعالات الناس وعواطفهم ؟

صحيح اننا لم نعد نصدق بعضا مما ترويه لنا الصحف ، ونقتصر على القول بانه مجرد « كلام جرايد » ، ولكن من المؤكد – مع ذلك – اننا على استعداد لترويج الكثير من الاشاعات التي نسمعها ، كما اننا قد لانجد مانعا من الاسهام بدور – كبير او صغير – في عملية تزييف الواقع ! ومن هنا فان الذي يشهد طائرة واحدة في السماء، يقول لك انه قد شهد مظلة هوائية ضخمة ، والذي يسمع ان جارا له قد استشهد ابنه في المعركة ، يقول لك ان عدد ضحايا الحرب الاخيرة قد بلغ الالاف المؤلفة ، وهلم جرا ! ولا شك ان العقلية التي تحرص على التزام حدود الواقع ، لايمكن ان تكون الا عقلية انفعالية اندفاعية ، تستهويها المبالغات والمفارقات والتهاويل .

دور « المبالغة » في حياتنا السياسية .. !

ولنتوقف لحظة – على سبيل المثال – عند بعض

اشكال المبالغة في حياتنا الاجتماعية لنرى الآثار الخطيرة التى كثيرا ما تنجم عن التطرف فى الحكم على الناس ، او المبالغة فى تقدير قيم الرجال . من القبيل مثلا ان الرجل الواحد قد يكون « بطلا » و « عاهلا عظيما » ، لكن لانلبث ان نحكم عليه - بعد حين - بانه « خائن » و « عاهر حقير » ! وكم من زعيم سياسى اكبرناه لم عدنا فاضفينا عليه صورة الطاغية البغيض واذا كان اليهود - بعد طردهم من ارض مصر - قد صنعوا لانفسهم فى صحراء سيناء « عجلا ذهبيا » راحوا يتعبدون له، فاننا ايضا كثيرا ما عفرنا جباهنا عند اقدام « الأوثان » السياسية التى صنعناها بايدينا ! وآية ذلك ان السياسى الواحد قد ينشأ فينا ليجد من حوله جمهرة يؤلهونه وينزهونه ، فلا يلبث ان يتحول - من حيث يدرى او من حيث لايدرى - الى « طاغية » مستبد لا يملك احد ان يناقشه الحساب! ويعجب البعض كيف يتحول الزعيم الثائر الى دكتاتور جائر ، الحقيقة انه حين تصبح « حناجر الجماهير » هى « العقول التىتحكم » فلا بد لمبالغات « المحكومين » ، من ان تخلق طبقة من « العبيد »، تحكمها طبقة من « السادة » المستبدين ! ولسنا هنا بصدد الحديث عن زعيم سياسى بعينه ، ولكننا بصدد ظاهرة سياسية عامة تدلنا بوضوح على ان « تطرف » الحكام كثيرا ما يكون مجرد صدى لـ « تطرف » المحكومين ، لان المبالغة فى التقديس والتاليه تفضى الى المبالغة فى الاستبداد والطغيان!

المبالغة
فى تقييم المفكرين والفلاسفة ..

حتى لو انتقلنا الى مضمار الاحكام العلمية (فى الدراسات الاكاديمية مثلا) ، فسوف نجد انفسنا ايضا بازاء « مبالغات » خطيرة من هذا القبيل . فان الذى يدرس - عندنا - مفكرا ما من مفكرى الشرق او الغرب ، لابد من ان يجد نفسه مدفوعا الىالاعلاء منشان الشخصية التى يدرسها، لكى يخلق منها مركز الثقل كله ، ومحور التاثير الفكرى باسره . ومن هنا فان المفكر الذى تتعرض لدراسته لابد من ان يصبح « رائد الفكر الحديث»، او « ابا الفكر المعاصر » او « شيخ مفكرى الجيل » ! ... الخ . وليست هذه المبالغة فيتقدير قيم الفلاسفة والمفكرين سوى مجرد مظهر من مظاهر تلك « العقلية الانفعالية » التى تسارع الى التعاطف والتناغم الوجدانى مع الشخصيات التى تعاشرها فكريا ، فلا تلبث ان تقع ضحية لضرب من « التحيز العاطفى » الذى هو مجرد ثمرة من ثمار التطرف ، والشطط ، والسبق الى الحكم قبل النظر ! وهكذا تجيء صيغ « التفضيل » ، وعمليات « المقارنة » واحكام « المبالغة » ، فتكون بمثابة تعبير عن « تطرف » الباحث ، او «اندفاعه» وكانما هو قد شاء لنفسه ان يزن الامور بموازين ذاتية عاطفية ، دون ان ياخذ على عاتقة التزام مبدأ « الحياد العقلى » او العمل على « استبعاد الذات » ...

والمبالغة هى التى تخلق منا « مجتمع عباقرة » !

واما حين تكون « المبالغة » وليدة التسامح والتساهل ، ان لم نقل الاستهتار والتهاون ، فهناك قد نجد انفسنا بازاء ظواهر شاذة - غير عادية - كما هو الحال مثلا حين تمتد روح المبالغة الى عمليات تقدير الدرجات ، فى امتحان الشهادات والدبلومات ، لكى تضع بين ايدينا نسبا خيالية لاعداد « الممتازين » من الناجحين والناجحات ! نحن نعرف ان « المتوسطين » عادة هم الذين يمثلون الاغلبية الساحقة (فى اى تحليل احصائى) ، بينما يمثل « الممتازون » من جهة ، و « الضعفاء » من جهة اخرى ، نسبة ضئيلة فياعلىالسلم او اسفله . لكن عدد « الممتازين » عندنا قد يفوق نظيره فى اى مجتمع آخر ، وكاننا قد اصبحنا « مجتمع عباقرة » ! ويتساءل المرء عن السر فى هذا التزايد الشاذ لاعداد « المتفوقين » ، و « الممتازين » ، و « النوابغ » فلا يكاد يجد تعليلا لهذه الظاهرة الغريبة الفريدة فى نوعها الا ان تكون روح التهاون والاستخفاف قد دفعت بالقائمين على التقدير الى اصطناع اساليب المبالغة

والاغراق في الاغداق على الطلاب بالدرجات والتقديرات!ولعل هذا هو السر في ضعف المستويات العلمية في بعض الجامعات العربية ، على الرغم من وفرة اعداد الحاصلين على تقديرات ممتازة او جيدة بين صفوف الخريجين الجامعيين !

« المبالغة »
بين « الافراط » و « التفريط » !

على ان « سلوك المبالغة » كثيرا ما يتذبذب بين قطبين متضادين ، الا وهما : قطب « الافراط »، وقطب « التفريط » . ولنضرب لذلك مثلا من سلوك الآباء والمربين : فانهم اما ان يبالغوا ويتطرفوا في سياسة القسوة والتشدد والصرامة، واما ان يمعنوا ويفرقوا في سياسة التسامح والتساهل والتهاون ، ولا شك ان الابناء حين يقعون ضحايا لامثال هذه الاساليب التربوية المتناقضة ، فانهم لابد من ان يجدوا انفسهم عاجزين عن القيام بالسلوك التوافقي الملائم ، ماداموا لا يعرفون ـ مقدما ـ نوع الاستجابة التي سيلقونها من جانب ابائهم وامهاتهم (او القائمين على شؤون ترتيبهم) .

والحق ان اخطر نوع من انواع التربية انما هو ذلك الاسلوب المتطرف الذي يمعن في التدليل والتسامح والتساهل تارة ، ويبالغ في القسوة والعنف والعقاب تارة اخرى ! واذا كان كل من « الافراط » ـ كما لاحظ ارسطو من قديم الزمان ـ « شرا » بغيضا لايمكن قبوله اخلاقيا ، فان الخطورة الاخلاقية التي يمكن ان تترتب على كل من « الافراط » و « التفريط » ـ في مضمار التربية ـ لهي اعظم شرا من كل ماعداها . والسبب في ذلك ان سلوك المربين ، حين يتراوح بين هذين القطبين المتضادين ، فانه يولد في نفوس الصغار ضربا من « التنافس الوجداني » الذي قد يحول دون اكتمال نضجهم النفسي . وقد دلتنا التجارب على ان الكثير من الاطفال العصابيين قد نشاوا في كنف آباء متناقضين متذبذبين ، كانوا يمعنون في تدليل ابنائهم تارة ، والقسوة تارة اخرى ! ولا شك ان هذه المبالغة التربوية ـ في تراوحها بين قطبي الافراط والتفريط ـ هي المسئولة ـ الى حد غير قليل ـ عن الكثير من حالات « الجناح » و « العصاب »، و « الاجرام » لدى الاحداث .

نكات « المبالغة »
صورة من صور « النقد الذاتي » ..

لو اننا انتقلنا الان الى دراسة اكاذيب المبالغة او التهول ، لوجدنا انها السر في اقبالنا على نوع من الفكاهة ، الا وهي « فكاهة الفشر » ! فالناس عندنا يرحبون بالنكات القائمة على المبالغة او التهويل : لانهم يشعرون بانها تمثل اسلوبا فكاهيا من اساليب « النقد الذاتي » . ! والواقع اننا كثيرا ما ننفجر ضاحكين حينما يروى لنا احدهم نكتة ساذجة تجمع بين التهويل والاستحالة ، وكانما نحن نجد لذة كبرى في الارتداد بعقولنا الى مرحلة الطفولة التي كنا نستمتع فيها باحاديث الجن والعفاريت ، واخيلة الف ليلة ولية !

ولعل من هذا القبيل مثلا ما رواه احد الممثلين الهزليين عندنا ـ في معرض التدليل على بدانة سيدة ـ من انه تعب في اللف حولها ، دون ان يتمكن من اكمال الدورة ! ويدخل في هذا الباب ايضا ما قاله احد رواد الفكاهة في مصر ـ في معرض التدليل على بطء حلاقه الكسول ـ من انه ما كاد يفرغ من حلاقة ذقنه ، حتى كان شعره قد نبت من جديد !

ونحن نعرف كيف ان « نكات الفشر » اكثر تداولا بين النساء بصفة خاصة ، نظرا لما عرف عنهن من نزوع نحو المبالغة والتهويل ، وحب للتفاخر والتباهي ، وميل نحو الاسترسال في احلام اليقظة ، واستعداد للخلط بين الواقع والحلم ! ولكن الملاحظ بصفة عامة ان ترحيبنا بنكات التهويل والمبالغة شاهد على اعتراف لاشعوري ـ او ضمني ـ بميلنا الخفي الى تضخيم الاحداث والاشياء والاشخاص ، مع اتجاهنا ـ في الوقت ذاته ـ الى لوم انفسنا على هذا المسلك الاخلاقي الخاطيء الذي هو مظهر من مظاهر عجزنا عن « التكيف مع الواقع » !

ومعنى هذا ان « نكات المبالغة » هي ضرب من

« النقد الذاتي » الذى يتخذ من التنافر والمفارقة والتهويل ، ادوات فعالة للخروج بالموقف كله الى عالم الاستحالة ، وكان «الفكاهة» نفسهاسلاح اجتماعي يذكرنا باننا نمزج الواقع بالحلم ، ونخلط الحقيقة باحلام اليقظة ! وليس من شك في ان « الوعي » الذى كثيرا مايلتجىء الى الفكاهة القائمة على المبالغة انما هو وعي متيقظ يريد تنبيه ذويه – من خلال الدعاية البريئة والنكتة الساذجة – الى خطورة الارتماء فياحضان الخيال ، والاسترسال في احلام اليقظة ، والخلط بين الواقع والحلم ! واذا عرفنا ايضا ان « نكات المبالغة » تبرز بوضوح اكاذيب الادعياء من اهل الغرور ، والكبرياء ، وحب العظمة ، والميل الى الافتخار (وما الى ذلك) ، امكننا ان نفهم كيف ان هذا النوع من الفكاهة قائم اصلا على التصوير الكاريكاتورى الساخر لبعض ادوائنا الاجتماعية والاخلاقية •

الاطار الحضارى لروح المبالغة عندنا •••

ولو اننا تساءلنا – في خاتمة المطاف – عن السر في انتشار « روح المبالغة » بين افراد مجتمعنا لوجدنا ان ثمة مبررات حضارية عملت علىاشاعة جو من « التطرف » في كافة مظاهر حياتناالفكرية، والاخلاقية والاجتماعية •• الخ • والواقع ان مجتمعنا قد غالى – امدا طويلا من الزمن – في التفرقة بين طبقة الحكام وطبقة المحكومين، والتميز بين الرجال والنساء ، وعزل طبقة الاثرياء عن طبقة المعوزين •• الخ • وليس من شك في ان هذه المغالاة في « الافراط » و « التفريط » قد تسببت في اشاعة « روح المبالغة » في صميم بنية المجتمعات،حتى اصبح من المألوف ان نرى الاستبداد المطلق يحيا جنبا الى جنب مع الخضوع الذليل ، وان نشهد دكتاتورية الرجال جنبا الى جنب مع عبودية النساء ، وان نجد الثراء الفاحش جنبا الى جنب مع الفقر المدقع !!

ان هذه المتناقضات العديدة التي طالما حفل بها مجتمعنا هي المسئولة – الى حد كبير – عن اشاعة « المبالغة » في اجواء حياتنا الاجتماعية وكان طابع « الاغراق » او « التطرف » قد اصبح هو السمة الاساسية المميزة لكل مظاهر سلوكنا الاجتماعى •

والآن : ما هو العلاج ؟

واما بعد ، فاننا نحسب اننا قد لانكون « مبالغين » كثيرا اذا قلنا ان داء « المبالغة » هو على رأس ادوائنا الاجتماعية والاخلاقية • وليس من علاج لهذا الداء – فيما نرى – الا بالعمل على توخي« الدقة » ونشر روح « الموضوعية »، ومحاولة القضاء على « العقلية الانفعالية » ••• وقد لا يكون فياستطاعتنا – بينعشية وضحاها – تثبيت دعائم « العقلانية العلمية » – التي هي الكفيلة وحدها بالقضاء على المبالغات العاطفية والتهاويل الوجدانية ، ولكن حسبنا ان نعمل بطريقة تدريجية، على فضح شتى مظاهر التطرف الفكرى، والاخلاقي ، والسياسي ، والاقتصادى ، فيمجتمعنا العربي المعاصر ، حتى نسهم في كسر شوكة « روح المبالغة » التي تغلب على كل مظاهر سلوكنا •

ولاشك ان رجالات التربية – عندنا – مطالبون اليوم (اكثر من اى وقت) بالعمل على بث « الروح العلمية » في نفوس ابنائنا، حتى لا تبقى احكامنا على الاشياء والاشخاص والاحداث مجرد احكام ذاتية ، عاطفية ، تغلب عليها روح التطرف والمغالاة • ونحن نميل الى الظن بأن الجيل الجديد قد اخذ – بالفعل – يتجه هذا الاتجاه ، بدليل اننا نشهد اليوم نزوعا واضحا نحو « النقد الذاتي » القائم على الموضوعية والعقلانية •• واملنا ان يسير المجتمع العربي بخطى سريعة نحو هذا « الافق العلمي » الذى تتراجع عنده شتى مظاهر العاطفية المتطرفة ، وكافة اشكال المبالغة والاغراق •

زكريا ابراهيم



المدرسة

لماذا فشلت ومن المسئول عن فشلها ؟

بقلم : محمد حسن التيتي

■ تحديد المسئولية Accountability واحد من أحدث واخطر الموضوعات التربويةواشدها اثارة للجدل والخلاف في الغرب ، واكثر ما يكون هذا الجدل احتداما بين مؤيدى هذا الاتجاه من المسئولين فى الادارات التربوية والاجهزة المهيمنة عليها وبين معارضيه من المدرسين والعاملين فى حقل التربية والتعليم .

وموضوع المحاسبة وتحديد المسئولية موضوع جديد كل الجدة ، لم يمض على ظهوره فيالولايات المتحدة اكثر من سنوات ثلاث . ولكن هذا المولود الجديد قد بدأ يزحف بخطوات سريعة واكيدة جملته يطغى على كل ما عداه منالموضوعات والقضايا التربوية المعاصرة ، ويستأثر دونها بحصة الاسد فى الدراسة والبحث والمناقشة والاهتمام .

ويرجع الاهتمام المفاجيء بهذا الاتجاه الى الآثار الخطيرة التى تترتب على تبنيه فى مستقبل التربية ومستقبل كل من ينضوون تحت لوائها طلبة ومدرسين ومخططين تربويين واداريين .

تحديد المسئولية وكيف بدأ

لا مناص من الاعتراف بان الدوافع الاساسية من وراء هذا الاتجاه دوافع مادية صرفة ، فقد هال الشعب الامريكى مثلا ضخامة المبالغ التى ينفقها على التعليم سنويا ، وبدأ يتساءل ان كان لهذه النفقات الباهظة ما يبررها . وما من شك فى ان الشعب الامريكى ينفق على تعليم ابنائه بسخاء كبير ، اذ يبلغ مجموع ما ينفق على التربية سبعين بليونا من الدولارات سنويا ، وهو ضعف ما ينفقه عليها العالم اجمع (١) وبالرغم من كل ذلك فان خمسة عشر مليونا من حملة الشهادة الثانوية من الطلبة يعدون فى نظر الكثيرين اميون .

---

(١) انظر « العربى » العدد ١٧٨ صفحة ١١١ .

لاغرابة اذن ان اهتزت ثقة الناس هناك بالمؤسسة التربوية وراح اولياء الامور يتساءلون عن السبب، ويطالبون بمحاسبة المقصرين • وفي احصاء لمعهد جالوب جرى عام ١٩٧١ تبين ان ثمانين بالمئة من افراد الشعب الامريكي غير راضين عن حالة التعليم في البلاد ويطالبون بنوع من المحاسبة عن العشرين سنتا التي تنفقها الدولة على التربية من كل دولار يدفعونه ضريبة لها •

وهكذا فاننا نرى بان المسئولين والآباء واعضاء لجان التربية قد بدأوا يميلون بشكل جدي الى القاء التبعة على اشخاص محددين تجرى محاسبتهم عن النتائج التي تحققها التربية • ومن هذا يتبين ان اهم العوامل في دفع الاتجاه نحو « تحديد المسئولية » هو الارتفاع الهائل في كلفة التعليم، والشعار الذي يردده الآباء حين يطالبون بتحديد المسئولية ومحاسبة المقصرين ، وهو ـ ان اختلفت صيغته ـ لا يخرج عما يلي :

« بما اننا ندفع هذا الثمن الباهظ في التربية فان لنا الحق في المطالبة بنتائج » •

وهنالك من الآباء من ذهبوا الى أبعد من ذلك وبدأوا يطالبون بمحاسبة المدرسين لا على نتائج تعليمهم فحسب ، بل على اساءة السلطة الممنوحة لهم ، اذا ادى ذلك الى الاساءة العاطفية او العقلية للطالب ناهيك عن الاساءة الجسدية • وحجة المطالبين بذلك هي ان المدرس لا يختلف عن الطبيب او المحامي ، فالطبيب الذي ينسى اسفنجة صغيرة في بطن مريضه قد يجد نفسه ماثلا امام القضاء ، وكذلك المحامي الذي يسيء ادارة الاملاك المعهودة اليه • فاساءة التصرف من هؤلاء امر معترف به وظاهرة طبيعية من مظاهر الحياة اليومية •

وعليه فقد بدأ الناس يطالبون بتحديد دقيق للخدمات المهنية والوظيفية التي يقدمها المدرس، ووضع المقاييس والمواصفات الدقيقة للواجبات التي يؤديها ليتم بموجبها محاسبته واحالته الى القضاء ان اساء او اهمل استخدامها •

ومن الامور الاخرى التي ساعدت على الاتجاه نحو تحديد المسئولية التطور الكبير الذي حدث في وسائل التقويم والقياس والذي بات يسمح بدقة اكبر في التقويم وقياس النتائج ولا يقل عن هذا اثرا التطور الذي حدث في نظم واساليب الادارة والذي ادى الى زيادة الاهتمام والتركيز على قيمة التخطيط والدقة في تحديد الاهداف •

الدولة تتدخل

واستجابة لالحاح الشعب المتزايد فقد كلف الرئيس الامريكي نكسون في مطلع السبعينيات لجنة خاصة بدراسة اوضاع التعليم في البلاد واقتراح الحلول لمعالجة مشكلاته • وبعد عامين من الدراسة والبحث خرجت اللجنة بتقرير مفصل ضمنته توصياتها ومقترحاتها • وقد طالبت اللجنة ضمن ما طالبت به محاسبة المجالس المحلية للتربية عن مستوى التعليم ونتائجه واعتبارها مسؤولة مسئولية مباشرة امام دافعي الضرائب واولياء الامور والطلبة والدولة •

ومن اهم التوصيات التي صدرت عن اللجنة مايتعلق باخضاع العملية لنظام المحاسبة وتحديد المسئولية ، والذي تعنيه اللجنة بذلك هو وضع فهارس ومعايير دقيقة وموحدة لفعالية التعليم وتطوير الاساليب التي يمكن بموجبها قياس التقدم المدرسي والنجاح التعليمي الذي يحققه خريجو المعاهد الثانوية ووضع نتائج هذا القياس في متناول عامة الشعب ليكونوا على بينة مما تستطيع المدارس تحقيقه ومالا تستطيع • كما ان هذه الاساليب يجب ان تحدد الكلفة النسبية للبرامج التعليمية المختلفة مع ايضاح فوائد كل منها ومزاياه، لكي يتمكن مخططو المناهج من المفاضلة بينها وانتقاء ما يتمشى مع حاجاتهم ويحقق افضل النتائج باقل التكاليف •

تحديد المسئولية ، وماذا تعنيه

على ضوء ما تقدم يمكن تعريف «تحديد المسئولية» بانه وسيلة لتحميل فرد اومجموعة من الافراد مسئولية تحقيق مستوى معين من مستويات التحصيل، لفئة محددة من الاطفال ، والشبه بينها وبين التقويم Evaluation كبير ، فالاثنان يهدفان لمعرفة مدى تاثير المؤسسات التربوية على الطفل والفرق بينهما ينحصر في فعالية التعليم • فبالرغم من أن المفهوم الجديد لايغفل قيمة الكفاية والفعالية ، الا ان همه الاكبر ينصب على القدرة على تحقيق افضل النتائج باقل قدر من الدولارات، ، فخبراء «تحديد المسؤلية » لايهتمون فقط بما

تحققه المؤسسة التربوية بل بالقيمة المادية التي انفقت لتحقيق ذلك وبالتالي ما اذا كانت المنجزات تستحق المال الذى انفق في سبيلها •

اما فيما يتعلق بمسئولية المدرسين فان هناك شكوى عامة من اولياء الامور بان عددا كبيرا منهم لايؤدون واجباتهم بالشكل الذى يؤمن مصلحة اطفالهم ، ونتيجة لذلك فان المؤسسات التربوية تخسر تاييد الآباء والامهات بشكل ملحوظ ، هذا امر له خطره في بلد كالولايات المتحدة ، وليس ادل على ذلك من التاييد الشامل والاتجاه العام نحو تحديد المسئولية ومحاسبة المدرسين على نتائج عملهم •

المحاسبة وتحديد المسئولية ـ لماذا ؟

يعتقد دعاة هذا الاتجاه بانتبني مفهوم المحاسبة وتحديد المسئولية سيكونله نتائج ايجابية متعددة• واهم الحجج التي يسوقونها على ذلك هي الحجة التالية : « لو افترضنا انمدرسا ما اعتبر مسؤولا من نتائج عمله وعلم بانه سيحاسب على ذلك ، وان هذه النتيجة ستؤثر على مستقبله سلبا او ايجابا فمما لا شك فيه ان هذا المدرس سيبذل مجهودات كبيرة لتفهم المنهج واهدافه بشكل اشمل وادق ، ولا ريب أن هــذا سينعكس على أدائــه وفعالية تدريسه لانه سيسعى لمعرفة الاهداف وراء كل خطوة يخطوهــا ، والنتائج التي يطلب منــه تحقيقها وهذا في حد ذاته كسب كبير فالمدرس الذى يعي اهداف المادة التي يدرسها جيدا اقدر بكثير من زميله الذى تكون اهداف المادة لديه مشوشة مضطربة لا يكاد يستبين طريقه في متاهاتها فيضل ويضل معه العشرات من تلاميذه •

هذا من ناحية المدرس ، اما من ناحية مخططي المناهج وواضعيها فان تبني هذا الاتجاه سيملي عليهم ان يضعوا اهداف برامجهم بوضوح ودونما ابهام او غموض وبشكل يمكن قياسه موضوعيا مبتعدين عن العموميات والتعاريف الغامضــة • ومن شان هذا الوضوح ان يدفع مخططي المناهج الى التوصل الى اهداف سلوكية Behavioral objectives محددة لكل مهارة من المهارات ويجعل من السهل قياس هذه المهارات ومدى فعاليتها • وللوصول الى هذا المستــوى الرفيع من الدقــة والتحديد والوضوح يجب على المخططين التربويين ان ينموا مهاراتهم في وضع الاهداف وتحديدها بدقة ويقوموا بتشخيص احتياجات المجتمع التربوية وتحليل مشكلات التعليم تمهيدا لوضع البرامج التي تلبي هذه الاحتياجات •

وهذا ولا شك سيؤدى الى اثراء التربية وتوسعة افاقهــا وتوجيهها في النهاية لتلبيــة القدرات والاستعدادات الفردية للطلاب •

ويامل دعاة هذا الاتجاه ان يؤدى هذا النوع من البرامج الى المزيد منالتفاعل والاتصال والمشاركة بين الطلبة والمدرسين واولياء الامور ويقوىالصلات ويوثق عرى التعاون بينهم ، وما من ريب ان قيام هذا النوع من الصلات الجديدة سيخدم التربية ويضاعف من اهتمام الآباء بالمدرسة ويؤدى بالتالي الى دعمهم لبرامجها •

الاهداف السلوكية

ان التحديد الدقيق للاهداف كما رأينا جزء لا يتجزأ من مفهوم المحاسبة وتحديد المسئولية ولا يمكن الوصول الى هذه الدقة في التحديد الا عن طريق ما يعرف بالاهداف السلوكية ، فلو اعتبرنا ان الهدف العام للتربية هو تمكين الطالب من التعلم فان ما يعنينا هنا هو معرفة نتيجة هذا التعلم ، وتبسيطا للامر يمكننا ان نعرف التعلم على انه شيء جديد ليستطيع المتعلم ان يفعله نتيجة للتعلم والذى لم يكن يستطيع ان يفعله من قبل، وعليه فان من الطبيعي انتحاول التعرف على نتيجــة التعلم بقياس القدرات والمهــارات التي اكتسبها الطالب نتيجة للتعلم•فالاهداف السلوكية اذن ترمي الى التحديد الدقيق المفصل للقدرات والافعال والمهارات التي نريد اكسابها للمتعلم مع توضيح الاداء المحدد الذى يمكن انيجعل اكتساب هذه القدرات ممكنا وعلى هذا فلا يكفي عند تحديد الاهداف لمادة الفيزياء مثلا ان نقول ان قانون اوم مقرر على طلبة سنة كذا لما يحتوى هذه العبارة من الابهام والغموض لان هدفا كهذا لا يوضح ما اذا كنا نتوقع من الطالب ان يتمكن من مجرد التعرف على القــانون او حفظــه والقدرة على استعادة منطوقه ، او استخدامه في توزيع الدارات الكهربية ، فالاهداف السلوكية تتطلب تحديدا دقيقا للقدرات والمهارات التي نرمي الى اكسابها لطلبتنا •

ومن الواضح ان الطالب الذى يدرك الهدف مما يدرسه ومما يقوم به مناعمال وانشطة مدرسية

سيتقدم فى دراسته بشكل افضل من الطالب الذى لا يعرف الهدف المراد تحقيقه ٠

وهكذا فاننا نرى ان مؤيدى هذا الاتجاه يؤكدون على النواحي الايجابية التيتشمل الطالب والمدرس والمخطط التربوى وحتى دافع الضرائب العادى ٠

مع المعارضين

ولاستكمال الصورة فان من الضرورى ان نعرض لآراء المعارضين ومعظمهم من المدرسين كما سبق ان ذكرنا ونتيح لهم الفرصة للدفاع عن انفسهم فالمدرسون يرون فى المحاسبة وتحديد المسئولية تهديدا كبيرا لمستقبلهم ومستقبل طلابهم واكثر ما يضايقهم هو الاسلوب الذى يطبقبه هذا المفهوم الجديد والذى لا يخلو فى نظرهم من التعسف ٠ والشكوى العامة للمدرسين هى ان المقاييس والمعايير لهمولطلبتهم توضععلىالاغلب منالسلطات التربوية العليا البعيدة عن ميدان التعليم مما يجعل المستويات المطلوبة للانجاز عسيرة التحقيق وبعيدة عن الواقع والذى ولا ريب سيؤدى الى ايقاع العقوبات بهم وبطلبتهم ، ومدرس الفصل يرفض ان يكون كبش الفداء عندما يفشل النظام التربوى فى تحقيق ما يطلبه اولياء الامور ومجالس التربية واداراتها ٠

ويرى المدرسون ان محاسبتهم على امور لا سيطرة لهم عليها ينافى روح العدل والمنطق فهم لا يملكون الامكانات او القدرة على تغيير سياسات التعليم او الاساليب والممارسات التى من شانها احداث التقدم المطلوب وهم لا يستطيعون شراء المواد او الوسائل اللازمة لعملهم كما انهم لا يملكون تكليف المستشارين او تبنى المناهج الجديدة اذا كان التطوير والتطوير الىالافضل هو المطلوب٠

ومنالنقاط الهامة الاخرى التى يثيرها المدرسون ما يتعلق بالخلفية الثقافية Cultural backgro-und للطفل ، فالمدرسة لم تعد العامل الوحيد فى تعلم الطفل، فالكثير مما يتعلمه الاطفال يعتمد على التجارب والخبرات التى تقدمها جهات اخرى غير المدرسة كالبيت والبيئة واجهزة الاعلام والتى لا سلطة للمدرسة عليها ، فالمدرس الذى يعتبر مسـؤولا عن الاداء الاكاديمى لطفل من مستوى ثقافى واجتماعى متخلف يواجه مهمة اصعب بكثير من مهمة زميله الذى يتعهد طلبة ياتون من مستوى اجتماعى وثقافى متقدم ٠

ومن الاعتراضات الاخرى التى يثيرها المدرسون ما يتعلق بمهمة التربية بشكل عام ومهمة المدرس بشكل خاص ، فهم يرون ان مهمة المدرس ليست تشكيل سلوك الطلبة بشكل مباشر بل ان مهمته الحقيقية هى تزويد الطالب بمعين من التجارب والخبرات التى يستطيع الاعتماد عليها فى اختيار التصرف المناسب فى الوقت المناسب وهذا المعين او هذه الحصيلة تتالف منمجموع المهارات والمواقف والاتجاهات والقدرات التى تمكن الطالب منالتكيف مع المحيط الذى يعيش فيه ومن اصدار الاحكام السليمة ٠ فمهمة التربية اذن هى اعداد الافراد الذين يستطيعون التكيف مـع محيطهم ويملكون القدرة على التكيف والمعالجة السليمة للمواقف الجديدة التى يواجهونها ٠

اما ان نطلب من المدرسين ان يشكلوا سلوك طلبتهم فى نطاق الاهداف السلوكية المحددة مقدما وبالاخص ما يمكن اخضاعـه للقياس منها فهذا يعنى اعتبار التربية والتعليم علىانهما شىء واحد وهو امر يجافى الحقيقة والواقع،فضلا عن المساوىء التى يؤدى اليها تركيز المدرسين على النتائج الآنية قصيرة المدى واهمال النواحى التراكمية فى التربيـة والاهداف الطويلة المدى ، وهكذا فان التركيز سيقتصر علىما يستطيع الطالب أن يفعله مواهمال كلما يتصل بالشعور والوجدان والتفكير، وخطورة ذلك لا تخفى على احد فالتركيز على الامور ذات النتائج المحسوسة والتى يمكن تحديدها وقياسها ونعنى به التحصيل الاكاديمى سيتم على حساب الاهداف الاخرى والاهم للتربية ، كالتكيف الاجتماعى وتنميـة الشعـور القومى والوطنى ٠ وبالتالى فان هذا الاهتمام البالغ بالنتائج سيضع المدرس والطالب على حد سواء تحت ضغوط لا قبل لهما باحتمالها وينتج عن ذلك التوجه التام نحو التعليم من اجل الامتحان للتاكد من حصول التلاميذ علىافضل النتائجحمايةلانفسهمومدرسيهم٠

تحديد المسئولية عبر الأجيال

بالرغم من ان معظم المؤلفين الذين يتحدثون عن « المحاسبة وتحديد المسئولية » يؤكدون انه مفهوم حديث ويشيرون الى ليون ليسنجر Leon Lessi-nger كاب لهذا المفهوم ، الا ان له سوابق كثيرة منها ما ظهر حتى فى روما القديمة واليونان ،

وتروى احدى الاساطير اليونانية القديمة عن احد الصوفيين انه تعهد ان يعلم تلميذا فضيلة الشرف وقد اخرج هذا الصوفى من الحكمة مشيما بضحكات الاستهزاء عندما اشتكى على تلميذه بانه قد خدعه ورفض ان يدفع له اجره ٠

ومن الامثلـة الاخرى على ذلك مـا حدث فى انجلترا الفكتورية عام ١٨٥٨ عندما جرى اول مسح شامل لاوضاع التعليم الابتدائى فى انجلترا، وكان الهدف الاساسى لهذا المسح Survey تقليص نفقات التعليم ٠ وقد اوصت اللجنة المكلفة بالمسح باستمرار الدعم الحكومى للتعليم العام ، ولكنها اقترحت لزيادة الفعاليـة التربوية اجراء تغيير شامل فى طريقة توزيع منح الدولة التى تقدمها للمدارس والمدرسين بحيث تذهب هذه المنح للمدارس والمدرسين الذين يستطيعون ان يثبتوا ان معدل حضور الطالب السنوى فى مدارسهم لا يقل عن مائة واربعين يومـا وان طلبتهم على قسط من المعرفة يمكنهم من اجتياز امتحان مبنى على معايير محددة للاداء ٠

والواقع ان هذه التجربة قد اثبتت نجاحا كبيرا من الناحية المادية فقد انخفضت نفقات الدولة على التعليم من قرابة المليون من الجنيهات الى ستة وسبعين الفا فقط فى عام ١٨٦٥ ولكنها فشلت فشلا ذريعا فى تحقيق التعليم السليم بل كانت وبالا عليه وقد كتب ماثيو ارنولد (١) Mathew Arnold يقول عام ١٨٦٧ وكان مفتشا للمدارس فى ذلك الحين :

« ان النظام الحديث للمنح يسىء للتعليم اساءة كبيرة عندما يقصر المنح على النجاح فى الامتحان الذى يضعه المكتب المركزى مسبقا ، ويجب ان تعمل على الغاء ذلك بدلا من التوسع فيه ، فقد ثبت للجميع ان مبدا منح المكافأة على النتائج قد اصبح فشلا قوميا وادى الى انحطاط التعليم » ٠ وقد بين ماثيو ارنولد السبب بقوله : « ان المدرسين قد باتوا يقتصرون على تلقين الحد الادنى المطلوب من المعلومات التى حددها القانون بوضوح وبالتفصيل مما ادى الى انخفاض مستوى التدريس انخفاضا كبيرا » ٠

والواقع ان التجربة الانجليزية قد اهملت عاملا هاما جـدا عندما قصرت محاسبتهـا على المعلم والمدرسة الا وهو دور الطالب فى عملية التعلم وقد كتب جون جروت عام ١٨٦٢ عن دور الطالب فى عملية التعلم قائلا : « ان النجاح فى التعليم يعتمد الى حد كبير على المتعلم نفسه » ٠

« لامراء فى ان جون جروت على حق لان ما يفعله المتعلم والحافز الذى لديه للتعلم هما اللذان يقودانه الى التعلم (٢) ٠

نهاية المطاف

ومهمـا يكن من امر ومهما احتـدم الجدل بين المؤيدين والمعارضين لهذا المفهوم الجديد فان عملية التربية بشكلها الصحيح هى عبارة عن حوار بين الناس الذين يؤلفون المجتمع المدرسى ، وهو حوار يشجع فيه المدرسون تلاميذهم للدخول فى افعال تقودهم الى التعلم الذى ينمى شخصياتهم ويحقق ذواتهم وهذه هى التربية فى اعلى مستوياتها ، ومن المستبعد ان يكون للاهداف السلوكية المحددة دور كبير فى دفع عجلة التربية فى هذا الاتجاه ٠

الا ان تبنى المفهوم الجديد يحمل فى طياتـه التغيير والتغيير الشامل،ويملى على جميع العاملين فى حقل التربية ان يعملوا وفق طرق واساليب جديدة وان يتعلموا مهارات جديدة وان يطوروا اتجاهات ومواقف جديدة وان ينشئوا علاقات جديدة وهذه الناحية من « تحديد المسئولية » هى اخطرها واكثرها ايجابية فى نفس الوقت ٠

وما من شك فى ان هذا المفهوم الجديد لن يقتصر على الولايات المتحدة الامريكية وانه سيمتد ليشمل العالم اجمع ان لم يتخذ المدرسون وغيرهم من العاملين فى حقل التربية مواقف اكثر ايجابية من حاجات مجتمعهم ومصلحة طلبتهم ورغبات اولياء الامور ٠ ■ ■

محمد حسن التيتي

---

(١) الاديب والشاعر والناقد الانجليزى المعروف(١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) وقد عمل مفتشا للتعليم فى الثلاثين عاما الاخيرة من حيـاته وكان لكتاباته التربوية اكبر الاثر على التربية والتعليم فى ذلك العصر ٠

(٢) انظر كتاب Language Teaching Analysis تاليف William F. Mackey



(بقية المنشور على صفحة ٧)

وحدوا اسماء مراحل الدراسة

● لايكفى ان نطلب توحيد اسماء الشهادات الجامعية ·· اذ لابد من التفاتة اخرى الى اسماء مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية ·· وخصوصا السنوات الست التى بين الابتدائية والثانوية ·· فبعض الدول العربية تسميها اعدادية ·· وثانوية·· والبعض الاخر يسميها متوسطة واعدادية··والبعض يطلق اسم التوجيهية على انهاء المرحلة الثانوية··

ان توحيد الاسماء فى المجال التربوى لايثير الحساسية التى يثيرها فى المجال السياسى ··

فلماذا لا نعمد الى هذا التوحيد ؟!

مقداد احمد

الدوحة / قطر

آن الأوان لفهرسة « العربى » منذ صدوره

● تعلمون ان العدد الاول من مجلة «العربى» صدر فى كانون الاول من عام ١٩٥٨ ، وتعتبر هذه المجلة الشهرية باعدادها الكثر ، مرجعا اساسيا فى عالم المراجع العربية فى كافة حقول المعرفة ، سيما وان المركز المرموق الذى احتلته هذه المجلة فى عالم المطبوعات العربية يقر به القاصى والدانى·

ولا شك ان تعدد ما يصدر من هذه المجلة من اعداد ، وتكاثره على مر السنين ، يجعل من الصعب على الباحث او الدارس او المراجع ان يجد المعلومات المطلوبة من المجلة بالدرعة واليسر المنشودين،كما هو الحال مثلا فى المجلات الاجنبية·· لذا فانى اقترح اصدار « فهرس » (كشاف) Index لهذه المجلة يكون شاملا لعناوين المقالات والمؤلفين وكذلك الموضوعات ·· والكشف عن ذلك بالاعداد والصفحات المحتوية للمعلومات المبحوث عنها ··· انكم بهذا العمل تقدمون خدمة عظيمة للباحث والدارس على السواء

محمود الاخرس

رئيس قسم المكتبات / عمان / الاردن

تاريخ تأسيس جامعة بغداد

● اشار « العربى » فى استطلاعه الذى نشر فى العدد رقم ١٩٨ تحت عنوان (بغداد كما نراها اليوم) الى ان قانون جامعة بغداد صدر فى عام١٩٥٨ ، والحقيقة ان هذا القانون صدر برقم ٦٠ فى ايلول من عام ١٩٥٦ فى الفترة التى كان فيهاالدكتور عبد الحميد كاظم وزيرا للتربية ·· واتخذت فى عام ١٩٥٧ خطوات لبدء اعمال الجامعة ·· وعين الدكتور متى عقراوى اول رئيس لها ، يساعده « مجلس تاسيس » قوامه خمسةاعضاء هم الدكاترة : صائب شوكة ، ومحمد ناصر، وعبد العزيز الدورى ، وعبد الجبار عبد الله ،وطه باقر ، وكان الدكتور ابراهيم شوكة اول امين عام لها ·

وفى تموز من عام ١٩٥٨ صدر تعديل لهذاالقانون برقم ٢٨ ، الغى « مجلس التاسيس » واناط مسئولياته بمجلس الجامعة ·· التى ضمتالكليات « والمعاهد » التى كانت قائمة قبل ذلك · وهى وفق ترتيبها الزمنى : كلية الحقوق (١٩٠٨)وكلية التربية (١٩٢٣) وكلية الطب (١٩٢٧)،وكلية الصيدلة (١٩٣٦) وكلية الهندسة (١٩٤٢) وكليةالبنات (١٩٤٦) وكلية التجارة (١٩٤٧) وكلية الاداب (١٩٤٩) وكلية العلوم (١٩٤٩) وكليةالزراعة (١٩٥٢) وكلية الشريعة (١٩٥٢) وكلية طب الاسنان (١٩٥٣) وكلية الطب البيطرى(١٩٥٥) ··

احببت ان اوضح هذه النقط؛ خدمة للتاريخ ··

سعدى خليل عزيز

كلية التربية / بغداد

طرائف غريبة

قصة رينوار مع الألم

● اوجست رينوار Auguste Renoir (١٨٤١ ــ ١٩١٩) ، الرسام الفرنسي الشهير ، الذى كان يعاني في شيخوخته من التهاب في المفاصل ، كان يجد صعوبة كبيرة في الامساك بفرشاته بسبب الآلام الشديدة التى كان يشعر بها في اصابعه ، كلما جلس امام لوحة جديدة يريد ان يرسمها حتى انه كثيرا ما كان يضطر الى الاستعانة بأسنانه يمسك بها الفرشاة ويحركها على اللوحة ٠

واستمر رينوار يرسم ويرسم بالرغم من الآلام المبرحة التى ظلت تلازمه في شيخوخته ، وفى احد الايام زاره صديقه الرسام هنرى ماتيس ، وجلس في أسى وحزن شديدين يرقب صديقه العجوز وهو يسم باصابعه الضعيفة المريضة ، ويتألم لكل حركة يأتي بها ، فقال له : « لماذا تصر على الاستمرار في الرسم على حساب صحتك ٠ انني اراك تتعذب مع كل حركة تأتي بها اصابعك ؟ » فأجاب رينوار : « حقيقة انني اتألم يا صديقي ولكن الألم لا يلبث ان يزول ، بينما يبقى الجمال حيا لا يموت ابدا ! عزائي الوحيد في انني اشارك في صنع هذا الجمال ! » ٠

شباب الشيخوخة !



● قال برنارد شو فيلسوف الانجليز الساخر (١٨٥٦ ــ ١٩٥٠) ، وهو يحتفل بعيد ميلاده التسعين وكان قد عاده طبيبه ليطمئن على صحته ، وقد امتلأ بيته بالاصدقاء وهو يقف وسطهم ويستعد لاطفاء الشموع الكثيرة التى اختفت تحتها كعكة عيد ميلاده قال « من الذى يقول بأن الشيخوخة قد أصبحت مشكلة ؟ الستم انتم ، معشر الاطباء الذين تفعلون كل ما في وسعكم اليوم لاطالة عمر الانسان ؟

« ان المشكلة الحقيقية ليست في بلوغ الانسان هذه السن المتقدمة ، ولكنها في فشلكم في ان تجعلوا من هذا الانسان شيئا نافعا في شيخوخته ٠٠ أو أن تجعلوه يشعر بأن تلك السنوات التى أضفتموها الى عمره تستحق أن يعيشها ٠٠ انظروا الىَّ كيف أعمل في شيخوختي ، اسألوني ، فقد تجدون عندى الجواب لما تسمونه انتم مشكلة ! »

والمعروف عن هذا الفيلسوف أنه كان يعمل ويكتب ويفكر حتى آخر يوم في حياته ، وقد مات عن ٩٤ عاما !



مزاج المرأة

● جين اوستن Jane Austin

الكاتبة والمؤلفة الانجليزية (١٧٧٥ ـ ١٨١٧) ،كتبت يوما تحدثنا عن المرأة، قالت : « اليس غريبا انني لا اعرف نفسي ٠٠ لعل الشيء الوحيد الذي كنت واثقة منه في نفسي هو تلك القدرة على التعبير عما يعتمل في صدري من انفعالات ٠٠ لقد رأيت الحياة بعيني المرأة ، وعشتها بقلب المرأة ، ولكنني سجلتها بأحاسيس المتفرج الذي يتوقف فجأة عند اول صورة غريبة من صورها، ولا يتركها قبل ان يعرف كل شيء عنها ٠٠ من هو صاحبها ، وكيف رسمها ، وما الذي اوحى اليه بصنعها ٠٠ ولماذا اختلفت عما حولها من صور عادية،تمر بنا وتمر بها،فلا نكاد نحس بوجودها!»٠

سألوها : « متى تضعف المرأة أمام الرجل ؟ » ٠

قالت : « اذا وجدت فيه رجلا جديرا بحبها » ٠

وعادوا يسألونها : « ومتى تصفح المرأة ؟ » ٠

قالت : « انها على استعداد لان تصفح دائما للرجل الذي تحبه اذا خطأ في حقها ، ولكنها قد لا تصفح له ابدا اذا حاول ان يقدم على عمل ، اى عمل، في وقت غير مناسب ، حتى لو كان مصيبا مائة في المائة ٠٠ ان عقل المرأة وقلبها وكل مشاعرها تنصهر في بوتقة واحدة صغيرة ، هي « مزاجها » ٠٠ ان مزاج المرأة هو سر غموضها ٠٠ »

اطول رحلة في التاريخ !

● جان كوكتو Jean Cocteau

الكاتب والفنان الفرنسي الشهير (١٨٩١ ـ ١٩٦٣) انتخب عضوا في الاكاديمية الفرنسية في عام ١٩٥٥ ، وكان يتميز باسلوب ساخر وفلسفة خاصة وعين فاحصة مدققة في كتاباته ولوحاته الشهيرة ٠

وكان كوكتو بعد هذا صاحب مدرسة ، فقد كانت له ندوات ولقاءات مع العديد من الشباب الفرنسي المثقف الذي يبحث عن المعرفة !

سألوه يوما عن هوايته ، فقال : « الكتب ! » وسألوه عن امتع لحظات حياته ، فقال : « هي تلك التي اقضيها مع كتاب جديد ممتع ! ان فرحتي بما اجده بين صفحاته من افكار جديدة ، لا تعادلها فرحة ! انني اشعر وانا اقرأ مثل هذا الكتاب انني اعانق اجمل امرأة في الدنيا ! »

وسألوه : « وماذا تصنع في اوقات فراغك ؟ » فقال : « ابحث عن كتاب جديد اقرأه ! »

ـ ومتى تكتب اذن ؟

ـ عندما اشعر ان رأسي قد امتلأ وانه لم يعد يتسع للمزيد من المعرفة . عندئذ فقط أبدأ في تفريغ الوعاء ، لكي افسح مكانا للون من الوان العلم والمعرفة جديد ٠٠ ان الكتابة هي المحطة التي يتوقف عندها الجواد المتعب لكي يستريح ، ثم لا يلبث بعدها ان يستأنف نشاطه من جديد٠٠ان القراءة هي اطول رحلة في التاريخ ! »





لحظات من السعادة

تمر بنا ونعيشها ولكننا ننساها ، وكأنها طيف عابر تركنا وتركناه •

■ نحن نذكر احزاننا •• وننسى دائما ايامنا السعيدة ••

نحن نقف دائما عند اول حادث ينغص علينا حياتنا ، ولا نكف عن صب لعناتنا على حظنا العاثر •• نحن نبكي دائما مع همومنا ، بينما تمر بنا اللحظات السعيدة التى تملأ نفوسنا وقلوبنا فرحا وبهجة ، وكأنها شيء عادى لا يستحق منا وقفة تأمل !

غريب هذا الانسان ، واغرب منه طبيعته !

يقول روبرت لويس ستيفنسون : « بين الدموع والبهجة شعرة••فالمرء يبكى اليوم ويضحك غدا•• اقل شيء يؤلمه ، واى شيء يسعده •• ولكن هناك ايضا رحلة طويلة كثيرا ما نجد انفسنا مضطرون للقيام بها لكي ننتقل من حال الى حال •• وبعضنا يقف عند بداية الطريق اليها واجفا مترددا ، وكأنه يرى امامه بحرا متلاطم الامواج •• وبعضنا يلقي بنفسه فيه ، لانه يعلم ان لا سبيل للخروج من احزانه وآلامه الا اذا صارع الموج وغلبه ، لم لانه يجد بينه وبين هذا الماء الغاضب ألفة ،

ولانه يعرف ان الوقوف على هذه الارض الثابتة تحت قدميه ، لن يخرجه من همومه ٠٠ ولانه يعرف بعد هذا ان هناك نهاية لرحلة عذابه مع البحر الثائر ٠٠ وانه سوف يصل حتما الى تلك الجزيرة الصغيرة التى تبدو للبعض منا وكانها فى كوكب اخر !

« ولو اننا جميعا ذقنا طعم السعادة التى سوف تحتوينا بعد ان نبلغ جزيرتنا الهادئة ، ونلقى باجسامنا التى هدها التعب فوق رمالها الدافئة لالقينا بانفسنا وسط المياه الهائجة ورحنا نسبح ونسبح بقوة وعناد ٠٠ فهذه هى نهاية رحلة العذاب وهذه هى الحياة فى اروع صورها ٠٠ راحة من بعد تعب ٠٠ وسعادة من بعد شقاء ٠٠ وبهجة من بعد حزن ! »

ليلة مع الطوفان

يروى الكاتب الانجليزى جون كوبر بويز John Cooper Powys قصة الزوجين اللذين التقى بهما يوما فى احدى رحلاته القصيرة الى الريف الانجليزى يقول : « لا ادرى بالضبط كم من الوقت انقضى على وانا قابع فى هذا الكوخ الصغير بعد ان تعطل محرك سيارتى عن العمل٠٠ لقد كان يوما من ايام الخريف وكانت السحب الداكنة تغطى السماء فتحجب وراءها اشعة الشمس ، ولكننى لم اعبا كثيرا بتحذيرات المذيع فى الراديو من الامطار والعواصف المتوقعة ٠٠

وانطلقت بسيارتى فى طريقى الى الريف ابحث بين احضانه عن الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة فى هذا البيت الصغير الذى كنت املكه ، ولكنى لم اكد ابلغ الطريق الطويل الى الريف ، حتى بدات الامطار تتساقط بغزارة ، كانها الطوفان ٠٠ وفجاة توقف محرك سيارتى ، ونزلت اخوض فى الماء الذى كان يرتفع ويرتفع ، والسيول تهطل فوق راسى حتى بلغت هذا الكوخ المهجور ، فاسرعت بالدخول اليه لاحتمى تحت سقفه ، وخلعت معطفى وحذائى ، واشعلت النار فى كومة من الحطب محاولا ان اعيد الدفء الى اطرافى ، وجلست قابعا ، فى مكانى بلا حراك ، وانقضت ساعات وساعات من الليل المظلم الطويل قبل ان يتوقف هذا السيل العارم ، وكان يدا قد امتدت لتغلق هذا الصنبور الهائل الذى كانت المياه تتدفق منه بهذه القوة فتغرق كل شىء حولها٠٠

٠٠ وانقشعت السحب

« وفتحت باب الكوخ اخيرا ، واتجهت الى سيارتى التى كنت قد تركتها فى عرض الطريق بعد ان تعطل محركها ٠٠ كنت احمل حذائى فى يدى ، واحاول ان ابعث الدفء الى جسمى الذى كان يرتجف تحت معطفى الثقيل المبتل ٠٠ كنت اشعر بتعاسة تملأ صدرى ، وانا امشى وسط الوحل والماء بخطوات متثاقلة ٠٠ حتى اذا ما اقتربت اخيرا من السيارة التى تركتها بالامس على قارعة الطريق ، وجدت منظرا لم اكن اتوقعه ٠٠ لم تكن السيارة وحيدة تعسة على اية حال ٠٠ فقد وجدتها مسرحا لضحكات مرحة تنطلق من شفاه زوجين شابين وكانهما قد عثرا على الجنة داخل هذه السيارة الصغيرة ٠٠ كانا يتناولان طعام الافطار ، فما ان اقتربت منهما حتى صاحا فى وقت واحد : « تستطيع ان تشاركنا طعامنا اذا شئت ! »

قلت : « شكرا » ، ولكننى لا اشعر بالجوع !

قالت الزوجة الصغيرة : « لقد امضينا الليلة فى هذه السيارة ، وكان الله قد ارسلها لنا حتى لا نغرق فى هذا الطوفان من حولنا ٠ ترى لمن هى ؟ لقد حاصرتنا الامطار ، وفجاة وجدناها امامنا ! ليتنا نعرف من هو صاحبها لكى نشكره على ايوائه لنا ! »

قلت : « انا صاحب السيارة يا سيدتى ! »

ـ ولماذا تبدو تعسا كئيبا هكذا ؟

ـ وماذا تتوقعين منى بعد هذه الليلة العصيبة التى قضيتها وحدى وسط الامطار والعواصف فى هذا الكوخ الحقير ٠٠

ـ الا تظن انك كنت اسعد حالا منا ؟ ثم لقد بدات السحب تنقشع ٠٠ وتوقفت الامطار انظر !

لحظات مع السعادة

ورفعت بصرى الى السماء ٠٠ واحسست برعشة

قوية تسرى فى جسمى .. كان هناك خيط رفيع من الضوء يتسلل من وراء السحب التى بدأت تختفى وتتلاشى ، بدا وكأنه شعاع من ذهب يلمس فى رفق غصون الاشجار العارية من حولنا .. وعلى الارض تحت اقدامنا بدت الحشائش الصغيرة تلمع وتضىء كلما اتسع نطاق هذا الشعاع الذهبى فوق قطرات الماء التى كانت ترتجف وتتساقط على الارض بعد ان ظلت عالقة بها .. حتى الطريق نفسه بدا مضيئا نظيفا بعد ان اغتسل تحت هذه المياه المتدفقة .. وفجأة شاهدت تلك الالوان الرائعة الجميلة التى حملها لنا قوس قزح ، وكأن هذا القوس بالوانه الحية قد صنع من اجلنا وحدنا ..

« وعدت مرة اخرى ، اتطلع الى وجهى هذين الزوجين الشابين .. فوجدتهما يضيئان ببريق الحياة .. واحسست بالحياة تعود الى ، والدفء يسرى فى اطرافى .. وفجأة امتلأ المكان من حولنا بالضحكات !

وعادت الينا الحياة

« لقد عادت الحياة الى الارض..الى السماء.. وعادت الحياة الينا .. حتى محرك السيارة الذى سكت عن الدوران بالامس ، انطلق يهدر من جديد .. وانطلقت بنا السيارة .. الزوجين الشابين وانا .. ولم نعد الى المدينة .. لقد مضينا نكمل رحلتنا الى الريف .. ونغنى مع الطيور !

« وانقضت الايام القصيرة التى اردت ان اهرب خلالها من المدينة ، وصخبها وضجيجها .. ولكننى قضيتها كلها افكر فى تلك الليلة المظلمة الباردة مع الطوفان .. لم استطع ان اطرد من رأسى شبح تلك الساعات الطويلة التى امضيتها قابعا فى هذا الكوخ الصغير امام نيران المدفأة ..

« وعدت الى بيتى فى المدينة اخيرا .. وجلست اسجل مذكراتى ، كما تعودت دائما .. ورحت اصف رحلة العذاب بكل تفاصيلها ودقائقها .. وفجأة دق جرس التليفون ، ورفعت السماعة ، واذا بى اسمع صوتا مألوفا كدت انساه تماما .. لقد كان صوت السيدة الشابة التى قضت الليلة مع زوجها فى سيارتى .. وكانت تدعونى الى العشاء .. ومع هذا الصوت الذى كدت انساه ، قفزت الى رأسى ، تلك اللحظات السعيدة المرحة التى قضيناها معا بعد ان صفت السماء وانقشعت السحب .. وعدت الى مذكراتى اكمل القصة ! واضيف اليها تلك اللحظات السعيدة التى عشناها بعد رحلة العذاب .

المليونيرة الحزينة

روى سكرتير المليونيرة الامريكية باربارة هاتون، وهى من اغنى نساء العالم ، تجربته مع المرأة التى لم تستطع ملايينها ان تشيع الدفء والبهجة يوما فى قلبها ، قال : « كانت تشكو الوحدة .. وكانت تجد سلواها فى تلك المجموعة الهائلة من اللوحات التى رسمها كبار الفنانين والتى كانت تزين قصرها .. ولكنها كانت صورا جامدة لا حياة فيها .. وكانت تقف امامها وتقضى الساعات الطويلة تتأملها .. ثم لا تلبث ان تتركها وتفترق عنها لتبحث لنفسها عن كتاب جديد تعيش مع صفحاته جانبا من النهار .. ثم لا تلبث ان تلقى بالكتاب لتعود مرة اخرى الى وحدتها والامها ..

« الى ان كان مساء احد الايام عندما رأيتها تخرج من البيت وحدها على غير عادتها ، وتشق طريقها ، وسط حديقة البيت الفسيحة حتى اقتربت من شاطىء البحر .. وتبعتها فى هدوء، دون ان اجعلها تشعر بى .. وعلى الشاطىء الرملى المظلم ، وجدتها تقف فجأة وقفة تأمل ، وقد اتجهت ببصرها الى مياه البحر وراحت ترقبها وهى تلمس فى رفق رمال الشاطىء ، ثم لا تلبث ان ترتد لتعود اليه من جديد ..

لوحة الحياة

« وانقضت اكثر من ساعة كاملة ، وقد تعلقت عيناها بهذا العناق الابدى بين مياه البحر والرمال.. ثم ما لبثت ان القت بنفسها على الشاطىء وبدا لى انها احست بالتعب ، ولكن سرعان ما وجدتها تقفز واقفة على قدميها من جديد ، وتطلق ساقيها وتجرى فوق الرمال ، وقد خلعت حذاءها ، ورفعت

ذراعيها، وهى تغنى وتضحك، كما يفعل الاطفال..

« ولما احسست انها تتجه فى طريق عودتها الى قصرها ، انطلقت اجرى امامها لكى اصله قبلها ، حتى لا تشعر اننى كنت ارقبها ..

« وعندما لقيتها امام الباب الخارجى ، لم اعرفها .. كانت تبدو اسعد امرأة فى الدنيا !

قلت : « ماذا حدث ؟ هل انت بخير يا سيدتى ؟ »

قالت : « لم اكن اسعد حالا منى اليوم .. لقد جلست تحت ضوء القمر .. ونعمت بمنظر مياه البحر وهى تقترب وتبتعد من الشاطىء واحسست بدفء الرمال وانا جالسة فوقها .. كلها كانت ملكى اليوم .. كلها كانت معى ، وفى صحبتى ، وكانها قد خلقت من اجلى وحدى .. انا سعيدة فرحة .. اننى لم اشعر بمثل هذه البهجة من قبل فى حياتى ! الليلة ، احسست باننى اقتنى اروع لوحة حية فى الوجود !

وانقضت بضعة ايام ، توقعت ان ارى فيها السيدة هاتون تعود الى « لوحتها » ، ولكنها لم تفعل .. لقد عادت الى وحدتها ، ونسيت «لوحتها» الضالة ! لقد كانت مجرد لحظة من تلك اللحظات السعيدة التى احست بها ثم غابت عنها !

عندما نجد أنفسنا

يقول علماء النفس : « ان كل واحد منا مرت وتمر به مثل هذه اللحظات عندما نحس باننا قد وجدنا انفسنا،ورأينا جمال الدنيا من حولنا،ولكنها لحظات قصيرة لا تلبث ان تختفى من مخيلتنا بنفس السرعة التى تعلق بها..ولو اننا نجحنا فى ان نكتشف قيمة الجمال فى كل شىء من حولنا،لاستطعنا ان نخلص انفسنا من هذا الشعور الذى ينتابنا بالتعلق بتلك الصور العابرة الزائفة التى قد تثير فينا الاحساس بالضيق والكآبة او الحزن فى بعض الاحيان .. فلم تكن هذه الصور ابدا هى الحياة ..

صور من السعادة

كتب احد كبار علماء النفس فى سجلاته يصف الحياة ، ويروى صورا من تلك اللحظات التى تملأ قلوبنا وصدورنا بهجة وفرحا .. قال :« انها صورة الام التى تصحو من نومها فى ساعة مبكرة من الصباح لتعد طعام الافطار لزوجها واطفالها الصغار ، وقد ملأوا البيت بصياحهم ووجوههم النضرة المشرقة وراحوا يحتسون اقداح اللبن التى اعدتها لهم امهم بعد ان تعلموا انهم لن يحصلوا على مصروف جيبهم اليومى ، الا بعد ان يشربوا اللبن ..

« واى لحظة اسعد من تلك التى تجدها هذه الام ، وهى تتأمل هذه الوجوه الصغيرة الجميلة فى ضوء الشمس الذى بدأ لتوه يتسلل الى البيت مع ساعات الصباح الاولى .. واى فرحة اعظم من تلك التى تغمر قلب الام ، وهى ترى هذه الحياة التى ساهمت فى صنعها ..

الحب فى أروع صوره

« وهى صورة الاب الذى جاوز منتصف العمر ، وخرج مع اسرته يقضى اجازة الصيف ، تلك التى ظل يترقبها بعد شهور طويلة من العمل المضنى .. اى سعادة اكبر من تلك التى يجدها ، وهو يلقى بجسده المتعب فى مياه البحر ، او وهو يجلس على الشاطىء ينعم بدفء الشمس وحرارتها .. انها لحظات من السعادة لا تنسى ، لانها تملأنا بالاحساس بالحياة وجمالها .

ثم هى فى « العروس » التى وقفت تزف الى عريسها بين دموع الفرح التى ملأت عينى الام ، وهى ترى شبابها فى ابنتها التى كبرت وتزوجت .. واى سعادة اكبر من تلك التى تجدها الام وهى ترى قصة حياتها تتكرر امامها ..

« ونحن قد نعيش لحظات من السعادة فى صور اخرى كثيرة .. مع صرخة مولود جديد وهو يستقبل الحياة ، او مع بريق نجم فى السماء ، عندما تلتقى به عيوننا ، ونحن نرفع رؤوسنا وايدينا فى ابتهالنا الى الله .. او فى لحظة حب ووفاء فى الزواج عندما تتسلل يد الزوج فى هدوء ورفق لتحتضن يد زوجته مؤكدة لها شعوره نحوها .. انه حديث اليدين .. حديث القلوب .. انه الحب فى اروع صوره ! ■ ■

منير نصيف

منزلة ابن خلدون من تاريخ علم الاجتماع



بقلم : عبد الكريم اليافي

علم السكان علم حديث ، ازدادت مكانته في السنوات الاخيرة ، ويكفي في بيان هذه المكانة ان السنة المنصرمة دعيت « سنة السكان العالمية» . ولاشك ان الحضارة العربية السالفة تتمثل في ثناياها على اعتبارات علمية متقدمة في هذا المضمار . ونحن هنا نريد ان نبين منزلة ابن خلدون بالنسبة لهذا العلم الحديث .

تاريخ ميلاد علم السكان عند اهل الغرب

عقدت بباريس صيف ١٩٦١ الدورة الثالثة عشرة لمعهد الاحصاء العالمي بحث خلالها بعض العلماء الديمغرافيين تاريخ ميلاد علم السكان ، فنسبوا انشاءه الى التاجر الانكليزي جون جرونت John Graunt ، وبعد امد نشر «بوريس ارلانس» احد الاساتذة في معهد الاقتصاد باكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي — مقالا في مجلة « بريد » اليونسكو بعنوان « ميراث جون جرونت » تحدث فيه عن ميلاد ذلك العلم . فلنتعقب أولا ملامح هذا المقال .

يرى مؤلفه من الصعب معرفة تاريخ ميلاد علم من العلوم معرفة دقيقة تامة ، اذ يكون على الغالب مبعثرا او مطويا في غياهب الماضي السحيق . ولكنه يستثني من هذا التعميم علم السكان او « الديمغرافية » ، اذ اعتبر العلماء الحديثون كانون الثاني (يناير) سنة ١٦٦١ تاريخ ميلاد ذلك العلم ، حين نشر جون جرونت احد رجال الاعمال في لندن كتابا بعنوان « ملاحظات طبيعية واجتماعية حول لوائح الوفيات Natural and Political Olservations made upon the Bills of Mortality

(السياسي Political هنا بمعنى اجتماعي) ،

فكان هذا السفر اول عمل علمي في مجال الديمغرافية • ويكون قد مضى على نشوء هذا العلم ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة •

الديمغرافية علم يتضمن اليوم عدة فروع

على ان الديمغرافية في العصر الحاضر علم اتسع نطاقه شيئا فشيئا ، ويشمل اليوم فروعا عدة نذكر منها :

١ ـ انساب الناس •

٢ ـ التعداد ، اى جمع احوال السكان الشخصية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها (وتقوم به الحكومات عادة •)

٣ ـ ضبط الاحوال المدنية كالولادات والزواج والطلاق والمرض والوفيات والهجرة وامثالهـا وتطبيق الطرق الاحصائية عليها •

٤ ـ المسوح السكانية ، وهي طرق تعتمـد « عينات » جزئيـة تختار بين السكان ، للحكم على المجموع ، ومعرفه بعض خصائصه •

٥ ـ القياسات الحيوية التي تتناول بالدراسة والتقدير نمو الانسان وخصائصه ، من قوة ،وقامة، وابعاد جمجمة وتركيب وتمعير ، وتعرض للامراض، وما الى ذلك •

٦ ـ تسجيل الامراض الانسانية ، وتقوم بها دوائر الصحة والمشافي في شركاتالضمانوامثالها، ودراسة احتمال التعرض لها •

٧ ـ بحوث تحسين السلالات الانسانية ، وقضايا الوراثة المتعلقة بها •

٨ ـ الظواهر الاجتماعية والاقتصاديةوالسياسية والصحية والثقافية والنفسية المرتبطة بما سلف ذكره •

شذرات من هذا العلم فيما كتبه الاقدمون

ونحن واجدون شذرات متفرقة من فروع علم السكان فيما كتبه الاقدمون من يونان كافلاطون في « الجمهورية » وارسطو في « السياسة » ، ومـن مؤلفين عرب كثيرين • ومن المعروف ان العرب كانوا يعنون بالانساب وتسجيلها وانهم انتبهـوا للعوامل المؤثرة في نمو السكان وتنقلهم ووفياتهم•

ولكن ذلك كله كان متصلا باعتبارات فكرية مختلفة فلسفية او دينية اوحربية او غيرها ، ولم تكن لـه الصفات العلمية المحضة •

ابن خلدون في مقدمته

وقد تغير الامر تماما حين جاء ابن خلدون ،فعالج في مقدمته التي كتبها عام ٧٧٩هـ (١٣٧٧ م) مختلف القضايا التاريخية والاجتماعية والادارية والاقتصادية والثقافية ، واولى الشئون السكانية عناية فائقة •

ومن امثلة ابن خلدون لما اراد في « مقدمته » ان يلمع ـ على حد تعبيره ـ بما يعرض للمؤرخين من المغالط والاوهام ، وينبه على وجوب تمحيص اخبارهم وان بلغوا القمة من الشهرة والذروة من الحصافة ، اورد مثلا على ذلـك مـا نقلـه المسعودي وكثير من المؤرخين وغيره في جيوش بني اسرائيل من « ان موسى عليـه السلام احصاهم في التيـه بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقهـا فكانوا ستمائة الف او يزيدون » • ثم ينقد هذه الرواية من جملة وجوه منها دراسة عدد السكان بالتناسل وما يكون منها وما لا يكون •

اوليس مؤلف المقدمة فيموقفه المتامل لمدىازدياد السكان واعتماده اياه مقياسا لدحض بعض الارقام التاريخيةهو واضعحجر الاساس قبلمئات السنينفي الصرح الحديث للديمغرافية التاريخية ؟ !

ابن خلدون يربط بين عدد السكان والرزق

ويولي ابن خلدون عدد السكان مكانة كبيرة ويربط بينه وبين سعة الرزق ورفاهية الناس وازدهار التجارة • فقد عقد فصلا في « ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثـرة والقلة » • وينبغي ان نفهم من لفظ العمران هنا عدد السكان مع كثرة الاعمال التي يقومون بها والتنظيم الذي يشملهم • ولا بد من ايراد شطر من هذا الفصل ، يقول ابن خلدون :

« والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشـه وانهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلـك •

والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تسد ضرورة الاكثر من عددهم اضعافا • فالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه • واذا انتدب لتحصيله الستة او العشرة من حداد ، ونجار للآلات ، وقائم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح، وتوزعوا على تلك الاعمال او اجتمعوا ، وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لاضعافهم مرات • فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم • فاهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالاقل من تلك الاعمال ، وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورات ، فتصرف في حالات الترف وعوائده • وما يحتاج اليه غيرهم من اهل الامصار يستجلبونه منهم باعواضه وقيمه ، فيكون لهم بذلك حظ من الغنى • وقد تبين ••• ان المكاسب انما هي قيم الاعمال ، فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمها بينهم ، فكثرت مكاسبهم ضرورة ، ودعتهم احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته: من التانق في المساكن والملابس ، واستجادة الآنية والماعون ، واتخاذ الخدم والمراكب • وهذه كلها اعمال تستدعى بقيمها ، ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها ، فتنفق اسواق الاعمال والصنائع، ويكثر دخل المصر وخرجه ، ويحصل اليسار لمنتحلي ذلك من قبل اعمالهم • ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ، ثم زاد الترف تابعا للكسب ، وزادت عوائده وحاجاته ، واستنبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها ، وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية ، ونفقت سوق الاعمال بها اكثر من الاول ، وكذا في الزيادة الثانية والثالثة ، لان الاعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش • فالمصر اذا فضل بعمران واحد ففضله بزيادة كسب ورفه ، وبعوائد من الترف لا توجد في الآخر • فما كان عمرانه من الامصار اكثر واوفر كان حال اهله في الترف ابلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف •• »

ثم يقول : « واما حال الدخل والخرج فمتكافيء في جميع الامصار • ومتى عظم الدخل عظم الخرج ، وبالعكس • ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر • كل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل والايثار على مبتغيه » •

لقد اطلنا في ذكر هذا النص • ويشفع لنا في الاطالة اهميته في الديمغرافية الاقتصادية التي تتبين العلاقة الواشجة بين السكان والاقتصاد•

ابن خلدون يتحدث عن اتساع العمران بزيادة السكان

ثم ان الاقطار عند ابن خلدون كالامصار تقدما او تاخرا بسبب العمران واتساع السكان • فهو يعقد فصلا آخر « في ان الاقطار في اختلاف احواله بالرفه والفقر مثل الامصار • » فيقول : «انما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله ، وكثرت اموالهم وامصارهم ، وعظمت دولهم وممالكهم • والسبب في ذلك ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما ياتي ذكره من انها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته • »

ويضرب مثلا اقطارا في المشرق وفي المغرب لعهده : « واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم ، وعظمت دولتهم ، وتعددت مدنهم وحواضرهم ، وعظمت متاجرهم واحوالهم • واعتبر حال هذا الرفه من العمران في قطر افريقية وبرقة (تونس وليبيا) لما خف ساكنها وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها ، وانتهوا الى الفقر والخصاصة ، وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها •• »

والاسعار تتفاوت بتفاوت المدن واتساعها

ونجد ابن خلدون يتنبه في هذا الصدد لتفاوت اسعار المدن في الضروري والكمالي بتفاوت اتساعها • « فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت اسعار الضروري من القوت وما في معناه ، وغلت اسعار الكمالي من الادم والفواكه وما يتبعها ، واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس • »

وتعليل ذلك ان الدواعي تتوفر على اتخاذ الضروري في الامصار الواسعة ، وعلى تامينه للحاجة الملحة اليه ، فيفضل وفر منه وترخص اسعاره ، على حين ان الكمالي فيها يشتد الطلب عليه فيقصر الموجود منه عن الحاجات قصورا بالغا ، ويكثر المستامون له ، وهو قليل في ذاته نسبيا ، فيقع فيه الغلاء .

وعلى خلاف ذلك « الامصار الصغيرة والقليلة الساكن . فاقواتهم قليلة لقلة العمل فيها ، وما يتوقعونه،لصغر مصرهم من عدم القوت ،فيتمسكون بما يحصل منه في ايديهم ويحتكرونه ، فيعز وجوده لديهم ، ويغلو ثمنه على مستامه . واما مرافقهم فلا تدعو اليها حاجة لقلة الساكن وضعف الاحوال، فلا تنفق لديهم سوقه ، فيختص بالرخص في سعره» .

الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

ومن المناسب هنا ان ننوه ان ابن خلدون حين يتحدث « في حقيقة الرزق والكسب » ويشرحهما يرى ان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية . فهو يقرر أن « ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله ، وهو القصد بالقنية ، اذ ليس هناك الا العمل ». وعلى هذا فان « المفادات والمكتسبات كلها او اكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية . »

ولا يغفل ابن خلدون دخول الضرائب في قيمة السلع فيقول : « وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة ما يفرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الاسواق وابواب المصر ، وللجباة في منافع يفرضونها على البياعات لانفسهم » .

كذلك يربط صاحب المقدمة بين اتساع العمران وتقدم الحضارة ورسوخها ، ويولي الدولة شانا في هذا المجال ، فيقول : « واكثر مايقع ذلك في الامصار ، لاستبحار العمران ، وكثرة الرفه في اهلها ، وذلك كله انما يجيء من قبل الدولة». ولا شك أن المال عنصر أساسي في هذا التقدم .

والعلوم تكثر بكثرة العمران

ثم ان « العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة » ، وذلك ان الصنائع انما تكثر في الامصار . وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف ـ تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لانه امر زائد على المعاش . فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ماوراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع . ومن تشوف بفطرته الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه . ولا بد من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبحرة شان الصنائع كلها .

واعتبر ماقررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها في صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة ـ كيف زخرت فيها بحار العلم ، وتفننوا في اصطلاحات بالتعليم واصناف العلوم ، واستنباط المسائل والفنون ، حتى اربوا على المتقدمين وفاتوا المتاخرين . ولما تناقص عمرانها وابذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة ، وفقد العلم بها والتعليم ، وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام » .

وينتبه ابن خلدون منذ القديم الى دورة الظواهر الديمغرافية . ذلك ان للدولة اعمارا وللعمران مراحل . ان الدولة في اول امرها اذا كانت « رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا ، وانتشطوا للعمران واسبابه فتوفر ويكثر التناسل » . حتى اذا انتهت الدولة الى غايتها في الترف والنعيم تقع المجاعات بسبب عوز الاقوات لقبض الناس ايديهم عن الفلح ، للعدوان في الاموال والجبايات، وللفتن ، كما يكثر الموتان بسبب المجاعات انفسها والفتن والازدحام وانتشار الامراض والفساد .

الزحام وانتشار الامراض

اما قضية الازدحام وانتشار الامراض فهذا صحيح . لقد كان معدل الوفيات لامد قريب في الريف حيث تنبسط الحقول وتتشبك الغابات اقل منه في المدن ، بيد ان الامر قد انقلب في عقود السنين الثلاثة الاخيرة ، فاصبح في المدن اقل منه في الارياف بوجه عام او لاعمار معينة .

ذلك ان احوال المدن في العصر الحاضر قد تغيرت عما كانت عليه في غابر الدهر . فقد اتسعت الشوارع وزادت الخدمات الصحية، وتحسنت مرافق الحياة ، وجرت المياه النقية الى البيوت ، وانتشرت النظافة ، وطفقت الهيئات المسؤولة تبذل جهودها

في تنظيم الخطط المناسبة لانشاء المدارس والحوانيت في افضل الاحوال المريحة .

وقد نبه ابن خلدون قديما على « ان تخلل الخلاء والقفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح، ولهذا ايضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران اكثر من غيرها بكثير » .

ان ذكر ابن خلدون لفظ مخالطة الحيوانات التي كانت مطايا الركوب لعهده ينبغي ان تستبدل به في عصرنا مخالطة السيارات وما تنفثه في الجو من بقايا المحروقات . واذا كان معدل الوفيات قد تبدل في العصر الحاضر فنقص بالمدن عنه بالريف فلقد كان ذلك العالم العربي حريصا على الاحتياط والتنبيه الى اختلاف الاحوال حين كتب في مقدمة « مقدمته » هذه الفقرة الرائعة :

« وذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال . وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات والامصار فكذلك يقع في الآفاق والاقطار والازمنة والدول . »

سبب المجاعات عند ابن خلدون

واما المجاعات فيهمنا هنا ، من بعض اسبابها التي ذكرها ابن خلدون ، الاسراف في العناية بزراعة ما ليس فيه فائدة غذائية للشعب المزدحم. لنترك هذا المؤلف يتحدث ايضا فيقول : « وهذا معنى ما يقول بعض اهل الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج تأذنت بالخراب . حتى ان كثيرا من العامة يتحاشى غرس النارنج بالدور، وليس المراد ذلك ، ولا انه خاصية في النارنج . وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة . ثم ان النارنج والليم والسرو ، وامثال ذلك مما لاطعم فيه ولا منفعة هو من غاية الحضارة ، اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط، ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب الترف. وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه . ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى . وهو من هذا الباب ، اذ الدفلى لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين احمر وابيض ، وهو من مذاهب الترف » .

العمل ابو الثروة ، والارض امها

يمكن مقايسة هذه الآراء الاخيرة المتعلقة بزراعة الارض مالا يغذي ، بما جاء عند فريق من الاقتصاديين الغربيين . نختار منهم اقتصاديا طريفا هو اوتو افرتز Otto Effertz ، فلقد ارتكز هذا الاقتصادي الحديث الى قول المفكر الانكليزي « وليم تبي » الذي مر ذكره، والذي عاش في القرن السابع عشر ، وهو « ان العمل ابو الثروة والارض امها»، فاعتبر ان « الانسان يتغذى من التراب » وان « الانسان يأكل ترابا » على حد تعبيره ، وحقا تندر السلع الغذائية التي لا تأتي من الارض .

فاستهلاك الخيرات التي تعتمد خاصة على الارض ولا ينفع استهلاكها الناس انما هو« تحطيم لارواح بشرية » على حد دعواه ، اذ لو لم تستهلك تلك الخيرات في تربية خيل السباق مثلا او حدائق التجميل لعاشت بها اناس . فاستهلاكها يحرمهم من الوجود . وهنا تتجلى بعض العبارات المستقلقة التي يوردها اوتو افرتز ، فيقول مثلا : « ان الاسرة المتأنقة التي للزوج فيها رياضته، وللزوجة زينتها ـ لتزرع الموت والاستعباد بين طائفة من الكائنات الانسانية . » .

وهكذا نتفهم موقف ابن خلدون في الحكم على المغالاة في ترف المزروعات التجميلية ، اذا لم يقصد بها التجارة عند ازدحام الشعب في اكتمال الحضارة لدى وقوع المجاعات .

الخلاصة

في بحوث السكان الحديثة اربعة انواع من النظريات :

١ ـ النظريات الثبوتية التي تقتضي ثبوت عدد السكان .

٢ ـ النظريات المتفائلة بنمو السكان .

٣ ـ النظريات المتشائمة ، ورائدها في العصور الحديثة مالتس .

٤ ـ نظريات الحد الامثل، وهي ترى ان ثمة حدا امثل لعدد السكان بالنسبة لمساحة الارض .

كل من هذه الانواع الاربعة مشتبك العناصر مستهدف لنقاش مستفيض .

وابن خلدون في بحوثه موضوعي الى حد كبير . فهو يتجاوز التفاؤل والتشاؤم الى تقرير

علاقات موضوعية علمية بوجه عام . ولكنه حين يبحث اتساع العمران وكثرة الاعمال التى هى قيم المكاسب نستطيع ان نعتبره في زمرة الراضين عن ازدياد السكان ، المتفائلين بكثرة الاعمال . فاذا نظرنا اليه وهو يندد بالمجاعات وكثرة الموتان عند الازدحام في نهاية الحضارة امكن ان نعتبره من اصحاب النظريات الحديثة .

بين ابن خلدون ومالتس

وقد تفيد مقارنته ـ ولو لماما ـ بكثير من المشاهير في هذا الميدان ، لبيان مكانته . ولكننا نقتصر هنا على مقابلته بمالتس .

لقد شاع اسم مالتس في عالم الاقتصاد والسكان . وهو الوجه المنيف في مراحل نشوء هذين العلمين . رأى هذا القس ان ازدياد النوع البشري اشد من ازدياد الثروة.كما راى الارتباط حتميا بين هذين المتغيرين ، ورد على مبادىء جودوين الاشتراكية وعلىمزاعم كندروسي المتفائلة في تطور الانسان ، وادعى ان القوانين الثابتة للطبيعة البشرية تجعل من المتعذر تخليص طبقات المجتمع الدنيا من نير الفاقة . فلاح ان كتابه لا يدعو الى فلاح ، وكانه نعيب غراب على شرفات جدران المدينة .

وفي المقابل نجد ان ابن خلدون اكثر نفوذا في تفهم عناصر المجتمع ، واوسع انتباها لمختلف « المتغيرات » الاجتماعية ، وارجح موقفا في بيان العلاقات المتطورة بينها ، واشد الحاحا على اهمية الاعمال في تحصيل الثروة العامة ، واصدق تحديدا لمعالم الحضارة ، واوكد تمييزا لمقاييسها ، وذلك في سياق بحثه للحوادث التاريخية والظواهر الانسانية .

وانه لمن الظلم لابن خلدون ـ علىتقدم عهده ـ ان يوازن بينه وبين مالتس واشباهه .

اوليس جديرا بعد ما قدمناه ان يعتبر مؤلف المقدمة واضع الحجر الاساسي في الديمغرافية الاقتصادية ايضا ان لم نقل في الديموغرافية كلها ؟ !

لقد ترجمت مقدمة ابن خلدون منذ امد الى بعض اللغات الاجنبية . وعلى هذا ليس صحيحا انه من السهل الحسم بتاريخ ميلاد الديمغرافية كما فعل فريق من الباحثين . بل انه من الضروري الانتباه للتراث الحضاري الانساني اجمع ، لا الى جزء ضئيل وضيق منه . ولما كانت الديمغرافية ذاتها تهتم بالاعمار وجب ان نصحح لها عمرها .

وهكذا يكونميلادها الحقيقي مقرونا بميلادمقدمة ابن خلدون ، وقد مضى عليه خمسمائة وثمان وتسعون سنة لا للثمانة وثلاث عشرة .

■■

دمشق ـ **عبد الكريم اليافي**

محاورة

● كان جارية بن قدامة السعدي منقادة الامام على بن ابى طالب وكان شجاعا مقداما فصيحا ، قيل انه وفد على معاويةابنأبى سفيانفقالله معاوية : انت الساعى مع على بن ابى طالب ؟ والموقد النار فيشعلك . تجوس القرى العربية تسفك دماءهم ؟ فقال يا معاوية دع عنك عليا فماابغضنا عليا منذ احببناه . ولا غششناه منذ نصحناه ، فقال معاوية : ويلك ياجارية ما كان أهونك على اهلك اذ سموك جاريةفقال : وانت يا معاوية ما كاناهونكعلى اهلك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب فقال : لا ام لك ، قال : اميولدتني للسيوف التى لقيناك بها ، وهى فى ايدينا ، قال : انك لتهددني ؟ قال :لم تفتحنا قسرا ، ولم تملكنا عنوة ، ولكنك اعطيتنا عهدا وميثاقا واعطيناك سمعاوطاعة فان وفيت لنا وفينا لك. وان ترغب غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا مداداوادرعا شدادا والسنة حدادا فقال معاوية : لا اكثر الله في الناس امثالك فقال جارية:قلمعروفا وراعنا ، فان شر الدعاء المحتطب

المسلمون

العالم الاسلامي

لبى الالاف نداء الصلاة ووقفوا خاشعين وضاق بهم المسجد الكبير وساحته .. غصت بهم الطرقات .. مشهد ملأ القل



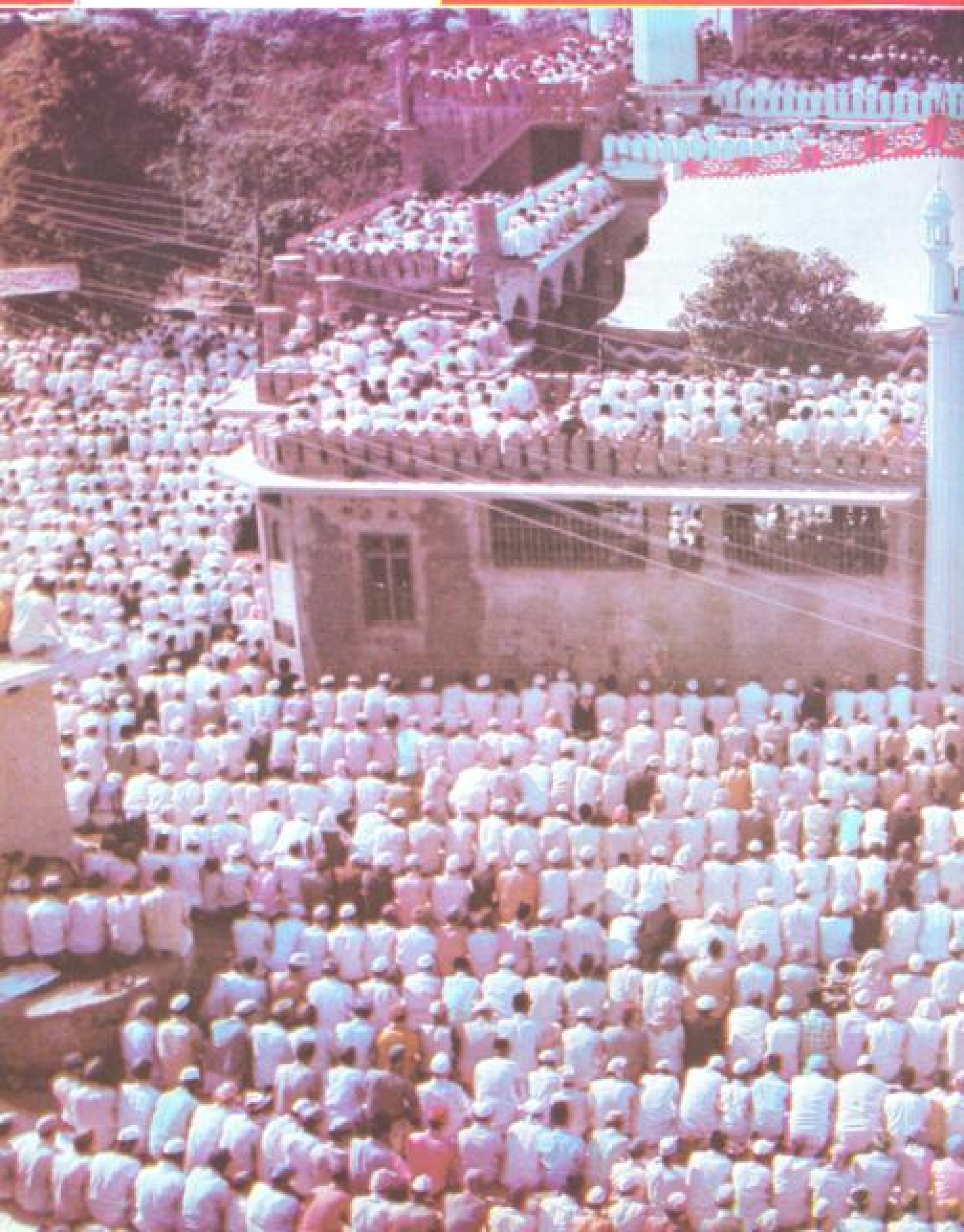
في الهند

استطلاع

محمد حسني زكي

تصوير

صلاح آدم



انهـا رحلـة جديدة ، رحلة بعيـدةرحلة تختلف منتلك التيعودناك عليها٠٠ انها تبدأ من هنا ٠٠ مـن الارض التى شهدت مولد الاسلام وتمضى فى طريقهـا الطويل الى الشرق البعيد ٠٠ الى شبـهالقارة الهنديـة ٠٠ الى ارض النسـاك الزاهدين٠٠الى الارض التى تضم اليومسبعين مليون مسلم ٠٠ انها قصة الاسلام والمسلمين فى الهند ٠٠ انها اطول رحلةفى التاريخ ٠ رحلة استمرت اكثر مـن ثمانية قرون ٠٠

■ كنا معهم على موعد ٠٠ هناك على بعدمئات الاميال من ارضنا ووطننا

كنا على موعد مع المسلمين الذين جاءوا منكل حدب وصوب ٠٠ فى « لكنو » Lucknow ،عاصمة الولاية الشمالية فى شبه القـارة الهندية شهدنا هذا الحشد الهائل من المسلمين ٠٠ الذين تجمعوا فى ساحة ندوة العلماء ٠٠الاف مؤلفة منهم جاءوا يسـتمعون وجاءوا يتعارفون ٠٠ وجاءوا اخيرا يصلون لربهم فى هذا المسجد الذى ضاق بهم٠٠

لقد افتتح هذا المؤتمر الاسلامى التربوى فى اليوم الحادى والثلاثين من اكتوبر الماضى ، وكان الهدف الاساسى منه بناء الانسان المسلم وتعليمه فى الهند ،وكانت وفود الدول العربية والاسلامية فى مقدمة الذين حضروا هذا المؤتمر الاسـلامى الكبير ٠٠ وكنا هناك نشهد هذا الحدث الهـام ونسجل بالكلمة والصورة قصة الاسلام والمسلمين فى الهند ، وافتتح المؤتمر ثم جاء موعد الصلاة ٠٠ ونادى المؤذن ٠ الله اكبر ٠٠ الله اكبر ٠٠ ومع هذه الكلمات ٠٠مع نداء الرحمن لبى الجميع ووقفوا فى صفوف متراصة مستقيمة ٠٠ فلمـا ضاق بهم المسجد الكبير وساحته الشاسعة ـ غصت بهم الطرقات ، وسطوح المنازل والدور ٠٠ووقفوا خاشعين يؤدون الصلاة وقد ولوا وجوههم شطر المسجد الحرام ، مشهد ملأ قلوبنا بالحب والـود ونحن نرى اخوانا لنا فى الدين والانسانية فىهذا البلد العريق الذى يضم اليوم سبعين مليونا من المسلمين ويعتبر ثالث دول العالم من حيث عدد المسـلمين فيه ٠٠ ولكن تعالـوا بنا نقف وقفـة قصيرة ،مع التاريخ تعود بنا ونعود بها الى الماضى ٠٠ الى قصة الاسلام فى الهند وكيف بدأت ؟ ٠ وكيف حكمت الهند حكما اسـلاميا زهاء ثمانية قرون ونصف متواصـلة ؟ وكيف تاسست هذه الامبراطورية الاسـلامية العظيمة ؟ التى تركت بصماتها الحضارية على معالم الحياة التى تعيشها الهند اليوم ، انها تعيش اليوم فى اطـار هـذه الحضارة الاسلامية !! قبل ان يتسلل الاستعمار الانجليزى ليقوض هذه الامبراطورية الاسلامية٠٠ وكيف كافح المسلمون مع اخـوانهم من المواطنين من اجل الاستقلال والحرية والحياة ؟

المنارتان المهتزتان اعجوبة العمارة فى مدينة احمد اباد ٠٠ لقد عجز عن اكتشاف سرهما فن العمارة الحديث ٠٠ وهما فى مسجد بشير الذى صممه وبناه سنة ١٤٥٠م المهندس العبقرى حافظ بشير شهاب ٠٠ اما العجيب فى هاتين المنارتين فهو أنه اذا صعد شخصان كل الى احداهما ودفع الاول بيديه جدار المنارة شعر الثانى باهتزاز المنارة الاخرى التى صعد اليها ، وتحاول ان تتاكد من هذا الذى يحدث امامك فتنظر الى كرات صغيرة علقت حول شرفات المنارة فتجدها تهتز ٠





الى لقاء فى عدد آخر

تاريخ الاسلام والمسلمين فى الهند هو موضوع استطلاعنا اليوم ·· والتاريخ حضارة ·· والحضارة عقيدة وفن وعلم وحياة ·· والحديث عن هذا كله يستغرق كتبا . لا كتابا واحدا ، فما بالك بجمعه فى بضع صفحات ·· لقد اشفقوا علينا ونحن نجول بين الجامعات والمعاهد والمراكز الاسلامية التى انتشرت فى جميع انحاء شبه القارة الهندية ·· وما كدنا نبدأ حتى احسسنا بأن محاولتنا ، اشبه ما تكون بمن يحاول ان يجمع مياه البحر فى فنجان . فاكتفينا بزيارة تسع مدن هى بومباى وسورت واحمد اباد ودلهى (العاصمة) وعليجره واجرا وسريناجار عاصمة ولاية كشمير، واخيرا لكنو ·· تاريخ الاسلام والمسلمين فى الهند اذن هو موضوع استطلاعنا لهذا العدد . وسنرجىء الحديث عن مظاهر الحضارة الاسلامية الى استطلاع قادم باذن الله ·

متى دخل الاسلام الى الهند

يرجع تاريخ العلاقات بين العرب والهند الى العصور المتوغلة فى القدم وهى علاقات تمتد عبر الاف السنين ، فالتجار والبحارة العرب متنقلون قبل الاسلام ، كانوا ينقلون محاصيل ومنتجات افريقيا والشرق الاوسط الى الهند وسيلان وبورما والصين واليابان وغيرها وكانوا بالتالى ينقلون منتجات هذه البلاد الى افريقيا والشرق الاوسط ·· وكانت لهم مراكز تجارية فى سواحل الهند الغربية عند شواطىء مليبار ومستعمرات مستقلة فى جنوبها ·· وكانت تروق للعرب كلمة هند فسموا بناتهم بهذا الاسم ·· يقول الشاعر

أخالد قد ملئتك بعد هند
فشيبنى الخوالد والهنود

وقال آخر :

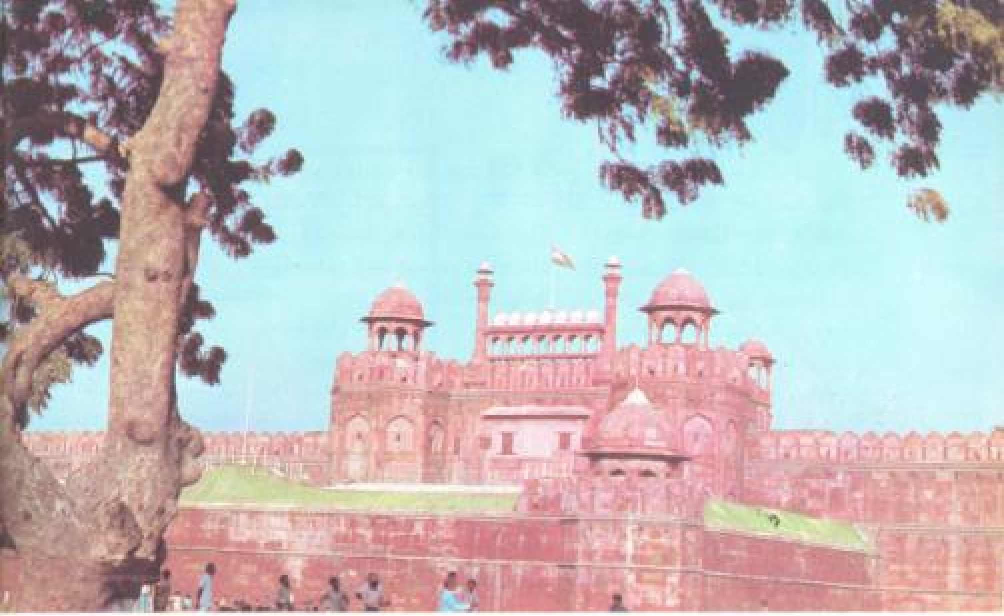
الا لا ابالى اليوم ما فعلت هند
اذا بقيت عندى الحمامة والورد

ولما انبثق نور الاسلام ، علم ملوك الهند وفلاسفتها بالدين الجديد وقيل ان ملك مليبار سافر لمقابلة الرسول وفى اثناء عودته مات واوصى الدعاة الذين كانوا فى رفقته بان يمضوا فى حمل الدعوة من بعده ، وكان من بين هؤلاء مالك بن دينار واقاربه ولما وصلوا نزلوا بلدة كدنجلور ومنحهم وزير الملك الحدائق والحقول ولما استقروا بنوا مسجدا وتوجه بعضهم الى عدد من البلاد يدعون الناس للاسلام ويبنون المساجد ، وفى مكتبة المكتب الهندى بلندن مخطوطتان باللغة العربية تشرحان قصة اسلام الملك السابق وبدأ العرب القادمون من الجزيرة العربية يقومون بالدعوة مع المواطنين الذين اعتنقوا الاسلام ويتعلمون العربية ليفهموا القران والحديث . وتكونت مراكز اسلامية جديدة ، تحدث عنها ابن بطوطة عندما زار الهند قائلا : ومدينة « هيلى » معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع فانه عظيم البركة ومشرق النور ·· وركاب البحر ينذرون له النذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة تحت نظر الخطيب حسين حسن الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم · ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخ فيه الطعام للوارد والصادر ، ولاطعام الفقراء من المسلمين بها ·

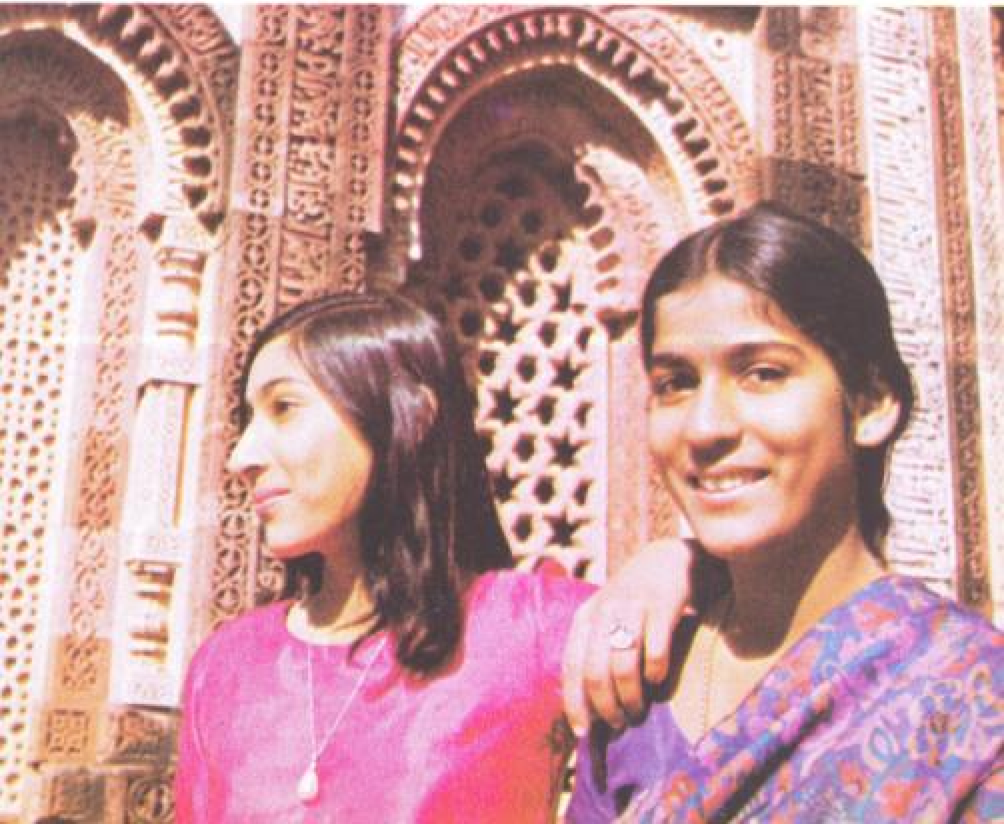
وساحل مليبار هذا لم تمتد اليه الفتوحات الاسلامية ولم تدخله الجيوش وانتشر الاسلام فيه على يد التجار العرب والمتصوفين وهم الذين شيدوا المساجد والمدارس التى رآها ابن بطوطة·

الفتح الاسلامى

بدأ التفكير فى فتح بلاد الهند فى عهد الخلفاء الراشدين فوصلت طلائع المسلمين الى « تانه » و « بروش » على الساحل الغربى فى الهند وظل القواد المسلمون يطرقون ابواب الهند حتى توجه القائد الشاب محمد بن قاسم الثقفى سنة ٩٢ هـ سنة ٧١١م على رأس حملة اعدها له عمه الحجاج ابن يوسف الثقفى فى زمن الوليد بن عبد الملك فوصلت الى ملتان وارست الحملة قواعد اول دولة اسلامية عربية فى الهند ، وتوالت حملات



القلعة الحمــــراء في قلب دلهي القــديمة بناهاشاهجهان سكنا ومقرا لحكمه وحاشيته وجنوده وبها الديوان العام والديوان الخاص الذي وصفه الشاعر الفارسي قائلا « اذا كان ثمة فردوس على وجه الارض فهو هذا » لقد بقيت شامخة ترمز لحضارة الاسلام وسموه حتى يومنا هذا ·





المسجد الجامع اضخم مساجد الهند. ويتجلى فيه امتزاج الفن الاسلامي بالفن الهندى ·· وفى الصورة اسراب الحمام تطير أمام بيت الصلاة ويتكون من ثلاثة اواوين يعلوها ثلاث قباب بصلية الشكل ·· ارضه وجدرانه مكسوة بالمرمر الابيض وعلى جدرانه واعمدته زخارف آية فى الابداع والجمال ·





منارة قطب ·· ذات طراز فريد وصفها ابن بطوطة بانها احدى عجائب الدنيا التى ليس لها نظير فى بلاد المسلمين وقد بدىء البناء فيها فى عهد قطب الدين لتخلدانتصاره وفتح مدينة دلهى · واكتملت فى عهد خلفائه وهى تعتبر اعلى برج فى دلهى (٥٥ر٧٢ مترا) وقد زينت جدرانها الخارجية بخطوط عربية تمثل كلمات الشهادة الاسلامية (**الصورة فوق**) · وقد ظهر بجوارها « بوابة علاء » وهى احدى البوابات التى بنيت لمسجد « قوة الاسلام » ·· والصورة (**اقصى اليمين**) عذراء وخميرة وهما فتاتان هنديتان مسلمتان تتطلعان الى الزخارف الاسلامية على بوابة علاء

المسلمين في عهد العباسيين حتى فتحت السند وكشمير .

الغزنويون والغوريون

ويعتبر الفاتح الحقيقي للهند هو البطل الاسلامي المجاهد محمود الغزنوي الذي امضى ربع قرن من الزمان من حكمه في حرب وجهاد حتى ضم شمال غرب الهند والبنجاب لامبراطوريته في وسط آسيا واصبحت دلهي عاصمة ثانية له .وقد كان محاربا بطلاوسلطانا اديبا ضمبلاطه الفارابي والفردوسي والبيروني الذي الف كتابه « القانون المسعودي في الرياضة للبيروني » في عهد مسعود ابن محمود الغزنوي واشتق اسم كتابه من اسمه. وجاءت بعد ذلك دولة الغوريين التي انفصلت عن الافغانيين واصبحت بذلك اول دولة اسلامية مستقلة في الهند

دولة المماليك

واقتصر الحكم على عهد غياث الدين واخيه شهاب وبعد مقتله شغل الغوريون بالخلافات والحروب فاستقل بالحكم المملوك قطب الدين (بدا حكمه سنة ٦٠٢ هـ ــ ١٢٠٦ م) وتجلت مواهب قطب الدين في الحكم والادارة واهتم باصلاح البلاد وبناء المساجد وخاصة في عاصمة دهلي التي انشا فيها مسجد قوة الاسلام تخليدا لذكرى استيلائه عليها .

اول امراة تحكم في الهند

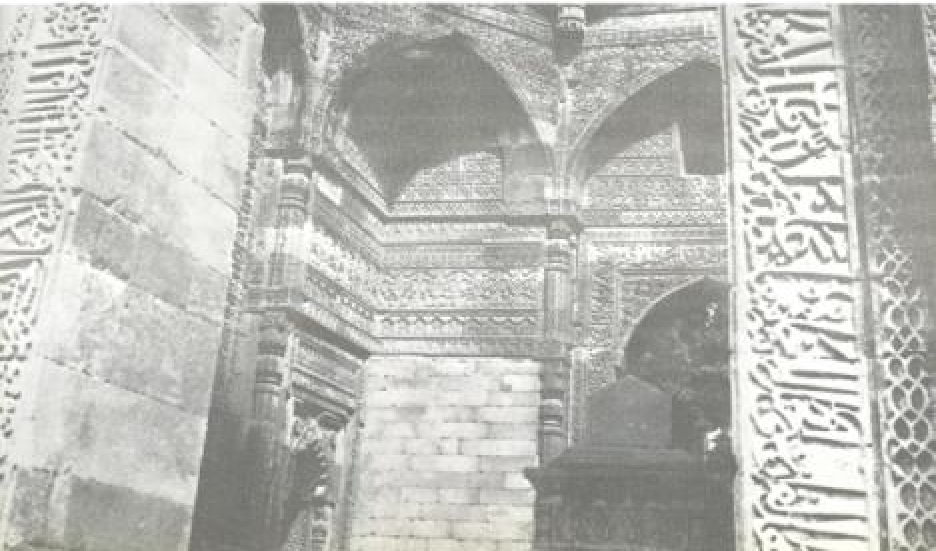
وظل المماليك يحكمون شمال الهند بعد قطب الدين واختار رجال الدولة شمس الدين التمش وتولت بعده اول امراة حكمت الهند وهي «رضية» التي لبست ملابس الرجال ولم تلبث ان خلعت عن العرش عندما انكشف امرها وتولى مكانها اخوها الاصغر وانتقل الحكم بعد وفاته الى اسرة غياث الدين بلبن ثم جاء جلال الدين فيروز شاه فقتله ابن اخيه علاء الدين الخلجي واستولى على العرش سنة ١٦٩٦م واضاف الى مسجد قوة الاسلام البوابات الضخمة التي مازالت احداها باقية وتسمى علائي دروازة ، وهكذا حكمت الهند حتى القرن الخامس عشر حتى بدا الحكم المغولي.

دلهي ودهلي

ولنبدا القصة من اولها .. من لحظة وصولنا الى ارض الهند للمرة الثانية (١) خلال العام

(١) رحلتنا الاولى كانت في شهر سبتمبر حيثقدمنا استطلاعنا من طائفة البهرة العدد رقم ٢٠٢ . العربي .

ضريح شمس الدين التمش ويقع بجوار « مسجدقوة الاسلام » بدلهي ، وقد نقشت على جدرانه بحروف بارزة بالخطين الثلث والكوفي ايات كريمةويبدو الارتباط والتناسق والتكامل بين الخط العربي والزخرفة الاسلامية في هذا الضريحالذييعد من اقدم الآثار الاسلامية في الهند .





المتصرم عندما حطت بنا الطائرة فى مطار دلهى الجديدة عاصمة الهند وخرجت بنا السيارة تنطلق فى طرقات فسيحة حديثة منبسطة تظللها الاشجار والخمائل تختبىء بينها بيوت حديثة الطراز ودلهى مدينة واسعة شاسعة ‥ امتزجت فيها على مر الزمن سبع مدن قديمة أولها بنيت سنة ٩١٨ م وكان اسمها الاصلي دهلى وهى كلمة تعنى التربة اللينة ، ثم جاء الانجليز فحرفوا الاسم « دهلى » الى دلهى ‥

وتمضى بنا السيارة وتلوح لنا من بعيد قبتان شامختان فى السماء ‥ أولاهما كانت قبة القصر الجمهورى حيث يقطن الرئيس فخر الدين على احمد رئيس جمهورية الهند ، والقبة الثانية قبة بيضاء ناصعة البياض هى قبة المسجد الجامع اكبر مساجد الهند اطلاقا واعظمها ‥وتمضى بنا العربة قدما وتدخل دلهى القديمة ، ونقف فى الساحة الشاسعة الخضراء التى تتوسط بين المسجد الجامع ‥ والقلعة الحمراء ونقف مشدوهين نشم عبق التاريخ العتيق ‥ ونسمع صدى الاذان هذا الصوت المحبب الى القلوب اينما اتجهنا واينما حطت بنا الرحال تردده منارات المساجد المنتشرة فى سماء دلهى ٠ وتنهال على خيالنا صور الماضى التليد وصفحات الامجاد الخالدة لامبراطورية اسلامية عظيمة وطد اركانها ورفع رايتها ابطال عظماء اختلفت جنسياتهم والسنتهم ولكن ظللتهم جميعا الراية الاسلامية التى وحدت بين قلوبهم وغاياتهم وساوت بينهم فلا فرق بين عربى واعجمى ‥ ورفرفت الراية على ربوع الهند كلها ‥

الامبراطور الفنان

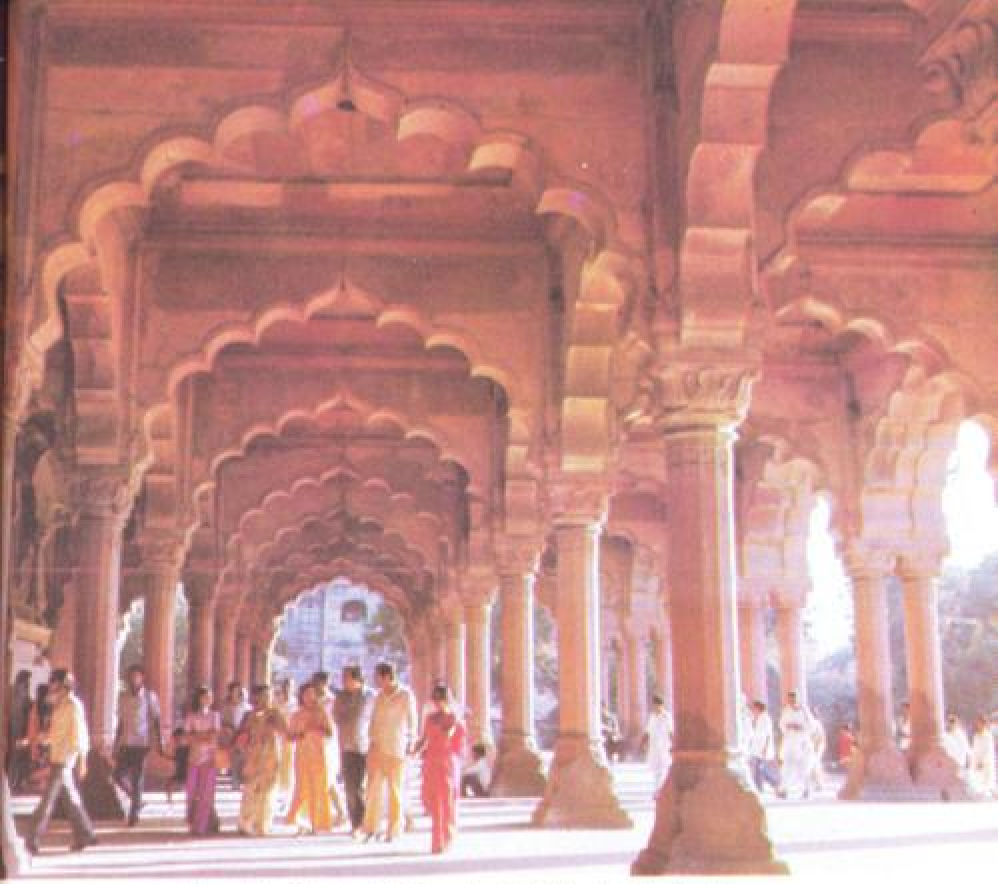
وتتقدم نحو اسوار القلعة الحمراء‥بين المروج الخضراء ‥ قلعة شامخة ببوابتيها العاليتين وقبيها السبع الصغيرة ‥ تحكى قصة امبراطور مهندس فنان ‥ كان يحمل بين جنبيه قلبا مترعا بالحب والوفاء والحنان ، ويتملك ذوقا مرهفا يحس الجمال ويعشقه سواء اكان الجمال امرأة حسناء تتحرك وتتبختر ، او بناء شاهقا يزهو ويترفع ، ولكن هذا القلب المرهف الحساس كان سرعان ما يتحول الى قلبأسد هصور ،اذا دارت رحى الحرب ونازل الاعداء ‥انه « شاهجهان » Shah jahan خامس الاباطرة المغول وبانى اجمل العمارات الاسلامية ‥ ترى ما هى قصته ؟

القلعة الحمراء

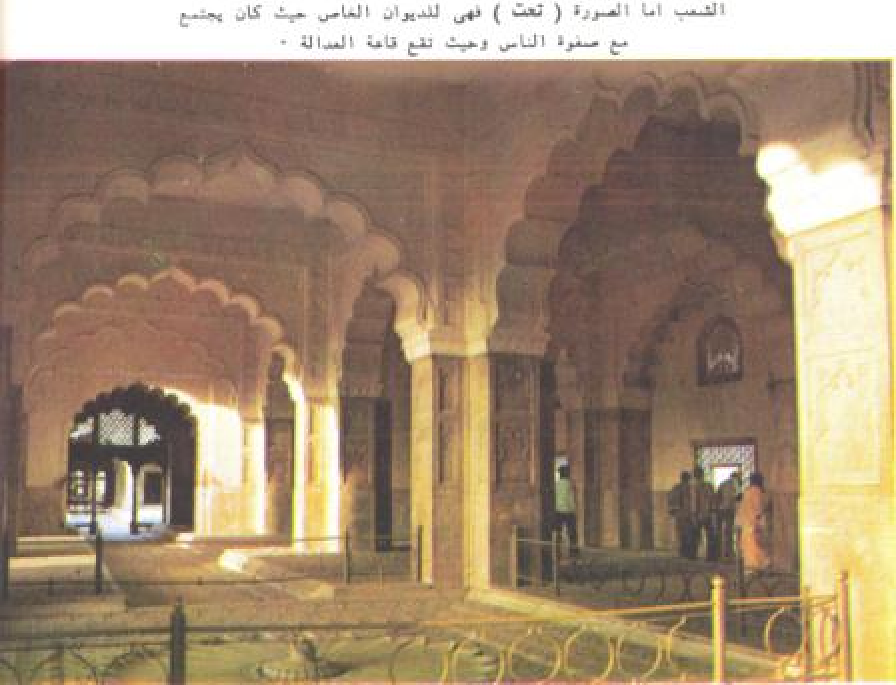
لقد كانت « اجرا » عاصمة حكم « شاهجهان » وكان يسكن قلعتها التى اضاف اليها قصورافاخرة لكنها ضاقت بجيشه الكبير من الموظفين والعسكر ‥ او ربما اراد ان يبتعد عن ذكرياته العزيزة بعد موت زوجته فاختار دلهى عاصمة له واختار موقعا جديدا عند منعطف نهر « جمنا » Jumna ووضع الحجر الاساس سنة ١٦٣٩م للقلعةالحمراء التى سميت كذلك نسبة للاحجار الحمراء التى جلبت من « فتح بورسكرى »وفى خلال تسعة اعوام ونصف تم تشييد القلعة وجاءت النتيجة كاجمل ما يكون فن البناء ‥ تمثل الابداع والكمال ‥ وتعكس ذوق الامبراطور الفنان ٠

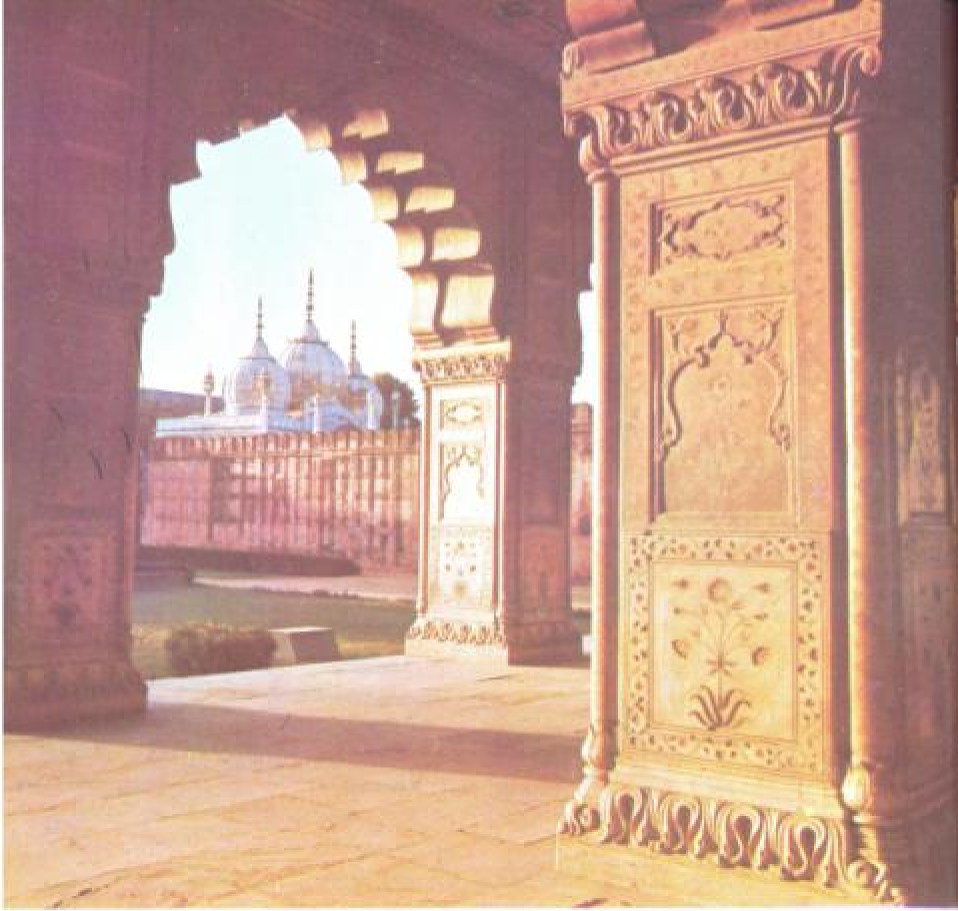
لقد كانت مرآة لعصر الرخاء الذى كانت تعيشه البلاد ‥ فالقلعة تسجل قصة الامبراطورية وظروفها واحوالها :‥ هى الفن والتاريخ هى الشعر والحياة ‥ هى الهندسة والنحت ‥ هى العواطف والناس وهى نتاج امتزاج عدةحضارات ‥ هى مجموعة من المبانى فى اطار واحد محاط بجدار من الاحجار الرملية الحمراء تعلوه عدة شرفات متفرقة وكان لايفصلهاعن النهر الا منطقة رملية تتصارع فيها الوحوش ويتسلى الامبراطور بضراوة صراعها وفيما عدا هذه الناحية كان يحيط بالقلعة خندق عميق يملأبالماء ‥ وللقلعة بوابتان رئيسيتان بنفس التصميم والطراز بوابة دلهى وكانت مواجهة للمدينة وينتصبعند مدخلها تماثيل الفيلة يعلو كلا منها بطل من الابطال تشعر بالرهبة وانت تقف تتأملها ، اما البوابة الاخرى، فهى بوابة « لاهور » يرتفع قوسها ٤٠ قدما عن سطح الارض وعلى جانبيها برجان مثمنان يعلو كلا منهما جوسق صغير بينهما سبع قباب من المرمر الابيض ، وكانت بوابة « لاهور » هى البوابةالتى يذهب منها الامبراطور لاداء الصلاة فى المسجد الجامع الذى يقع الى الجنوب الغربى من القلعة ويمتد الى الغرب منهذه البوابة الطريق الرئيسى المشهور باسم سوق ضوء القمر Chandi chauk ويلى البوابة من الداخل سوق مسقوف تباع فيه الآن الهدايا التذكارية ٠ وكان الطابق الثانى مخصصا للحراسوفرق الموسيقى الملكية التىكانت تعزف خمس مرات فى اليوم حينما يدخل اويخرج الامبراطور ٠

ويؤدى الطريق بعد السوقوسط الخضرةاليانعة



الديوان العام في القلعة الحمراء حيث كان يجتمع الامبراطور بعامة الشعب اما الصورة (تحت) فهي للديوان الخاص حيث كان يجتمع مع صفوة الناس وحيث تقع قاعة العدالة ٠



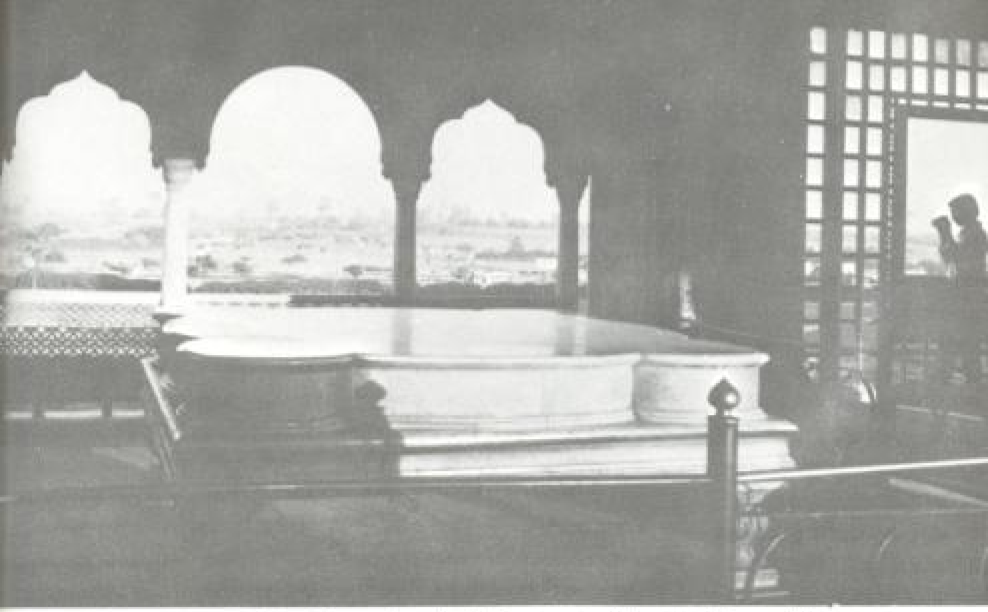




صورة التقطتها عدسة العربي من بين اعمدة الديوان الخاص لمسجد اللؤلؤة بقبابه المرمرية وقد كسيت الاعمدة بالمرمر المزخرف بالزهور والمطعم بالذهب والاحجار الكريمة ٠



راضية سلطانة فتاة مسلمة من خريجات الجامعة الملية بدلهى وحائزة على شهادة « اللسان العربي » تستعد لتقديم رسالة الدكتوراه ، لقيناها فقالت : وهل بعد الاسلام وما يحمله من رسالة اجمل وانسب لرسالتي ٠



الديوان الخاص بقلعة دلهي الحمراء حيث كان الاباطرة يلتقون بكبار الزوار وتبدو في الصورة القاعدة التي كان يعلوها عرش الطاووس الذي سلبه نادر شاه سنة ١٧٣٩ م ٠

والاشجار الباسقة الى الديون العام ٠٠ الى قاعة كبيرة مربعة مفتوحة من الشمال والجنوب والغرب تزينها عدة صفوف من الاعمدة الحمراء طعمت بالذهب وكذلك السقف ٠

وفي الجدار الشرقي توجد مقصورة الامبراطور على ارتفاع اعلى من قامة الانسان وهي من المرمر المزخرف بالزهور الملونة والمزينة بالاحجار الكريمة والمطعمة بالذهب والفضة وتحت المقصورة كان يجلس رئيس الوزراء على مقعده الرخامي يتلقى اوامر الامبراطور ٠٠ اما الامبراطور فكان يلتقي بدوره بافراد الشعب ليستمع لشكاويهم ويحكم بينهم ٠

روح الاسلام

ومن وراء هذه القاعة يقع القصر الخاص في مواجهة النهر تدخل فيه فتواجهك قاعتان تعبرهما الى مبنى الاستحمام Ghosi khanah الحمام البارد والحمام الساخن من المرمر الابيض المزخرف، فجاء قمة للابداع الفني بزخارفه المطعمة بالجواهر والاحجار الكريمة في شكل زهور وبراعم ملونة ٠٠ ان الحمام تجسيم للروح الاسلامية التي تعنى بالنظافة ٠٠ نظافة البدن ونظافة الروح واستطاع الفنانون تجسيم هذا المعنى في لوحة فنية فيها روائع الفن كله ٠٠ وكذلك كانت غرفة الملابس تقع على النهر ، وعلى حائطها المواجه له علقت المرايا المستوردة من « حلب » لتنعكس الى داخل الحجرة جمال المناظر الطبيعية ٠٠ انها الحضارة الاسلامية في اجمل صورها تلك التي تجعل النظافة من الايمان ٠٠ والجمال من مطالب الحياة ٠

وبعد ذلك نتجه الى الديوان الخاص حيث كان يلتقي الامبراطور بالنبلاء والامراء ٠٠ قاعة انيقة ترتفع عن الارض وتتوسطها قاعدة من المرمر كان عليها عرش الطاووس الذي سلبه « نادر شاه » سنة ١٧٣٩م واخذه معه الى ايران (ومحفوظ الآن في خزانة البنك المركزي بطهران لقيمته التي تقدر بالملايين) ٠٠ وكانت ستوق هذه القاعة مزخرفة بالذهب والفضة وتجري فيها «قناة الفردوس» من المرمر ينساب فيها الماء رقراقا صافيا وتسبح فيه الاسماك الملونة التي طوقت راس كل واحدة منها بطوق محلى بفصوص الياقوت واللؤلؤ وفرشت القاعات بالسجاجيد وعلقت على الابواب ستائر من المخمل المطرز بوشي من خيوط الذهب والفضة ٠٠ وبين كل قاعة واخرى وضعت ستائر من المرمر المحفور والمفرغ كزخارف « الدانتيلا » وهناك البرج المثمن حيث كان يجلس الامبراطور ليرى شروق الشمس ٠٠ لقد كانت القاعات مسارح لروائع الفنون التقت فيه روائع الفن الاسلامي ومشخصاته العظيمة من زخارف



ونقوش ومنحوتات مرمرية لامعة واحجار كريمة ملونة ..

وكان يحيط بهذه الروائع الهندسية حديقتان متصلتان احداهما كانت تسمى حديقة « متعة الحياة » والثانية حديقة « ضوء القمر » .. وقد تفنن المهندسون في هندسة هذه الحدائق وشقت فيها القنوات والبحيرات .. والشلالات الصناعية وركبت عليها النافورات العديدة التي يبلغ عددها ثلاثمائة نافورة واصطفت على جوانبها اواني الزهور من الذهب والفضة، وبالليل كانت توضع «الشمعدانات» المضيئة .. وكان عبيق الورود والرياحين والازهار المختلفة الالوان مثل البنفسج والنرجس والياسمين يملأ جو المكان ويملأ انوف الزائرين عطرا ..

لقد كان المكان كله قطعة من الجنة حتى لم يتمالك شاعر فارسي عندما رآه فصاح قائلا ..

اذا كان ثمة فردوس على الارض

فهو هذا .. فهو هذا .. فهو هذا !!

IF there is a Paradise on the Face of this Earth . It is this ... It is this .. It is this !!

ولم يكن بالقلعة مسجد وكان شاهجهان يؤدي الصلاة في المسجد الجامع ولما جاء خلفه الامبراطور الزاهد العابد « اورنجزيب » بنى «مسجد اللؤلؤة» بالقرب من جناحه الخاص وهو مسجد صغير لكنه تحفة فنية من المرمر الابيض اللامع يتألق كاللؤلؤة وله ثلاث قباب بصلية الشكل فوق بيت الصلاة ..

المسجد الجامع

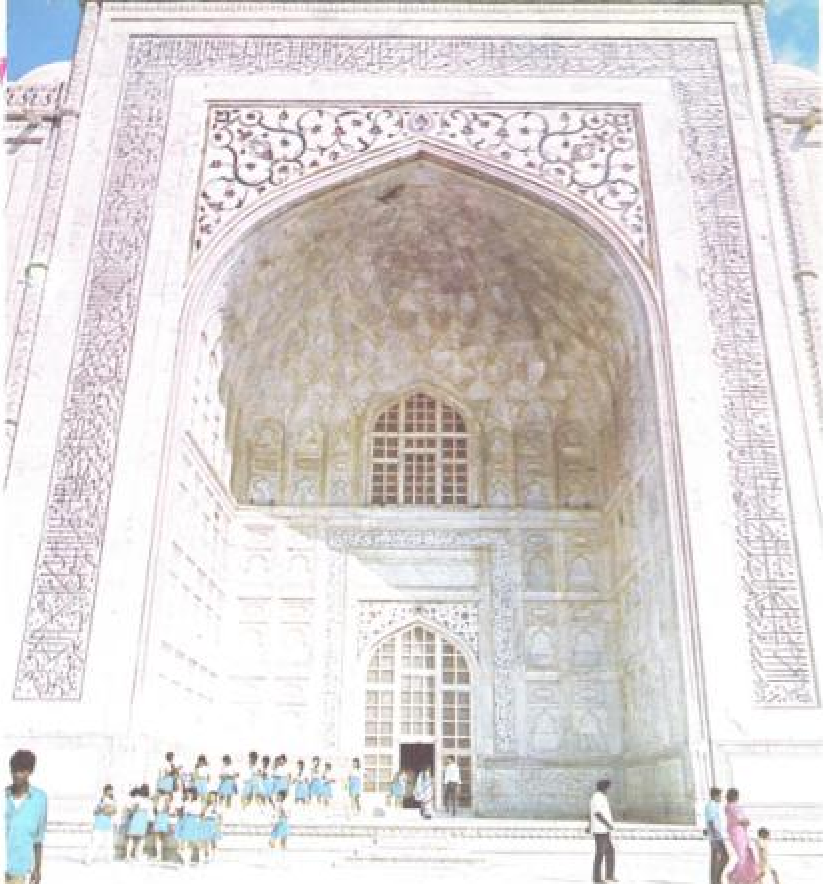
اما المسجد الجامع اكبر مساجد الهند ومن اعظم مساجد الدنيا واجملها، فقد امر ببنائه شاهجهان سنة ١٥٦٠ م واكتمل بعد ٦ سنوات وهو قائم في الطرف الاخر من الساحة امام القلعة الحمراء فوق قاعدة عالية تصعد اليه على درجات عريضة يبلغ عددها الاربعين وله سور عال وثلاث بوابات كبيرة في الشمال والجنوب والشرق واذا صعدت الدرج ودخلت من البوابات الكبيرة وجدت الصحن الرحيب الفسيح المربع المساحة .. وهنالك ما سوف ترى .. اعداد هائلة من الحمام يطير في موجات بين الحين والآخر فيحجب السماء .. ويتوسط الصحن حوض كبير مملوء بالمياه للوضوء وتحيط بالصحن بوائك عديدة واما بيت الصلاة فهو في الناحية الغربية ويتكون من ثلاثة اواوين ، الاوسط منها اصغر من الآخرين وهو ايوان القبلة وفي صدره تجد المحراب الفسيح الكبير الذي يبلغ عرضه خمسة امتار والمنبر صغير من المرمر الابيض وهو بسيط ولا يزيد على عدة درجات وارضية بيت الصلاة من المرمر ايضا ومقسمة الى مستطيلات محددة لكي يقف كل مصل في مكانه في صفوف منتظمة

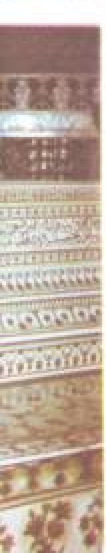
ويعلو بيت الصلاة ثلاث قباب بصلية الشكل وعلى جانبيها تقوم المنارتان وهما من اجمل المنارات الهندية فهي مغطاة بالمرمر الابيض ومزينة بخطوط مستقيمة سوداء وكذلك القباب وفي كل ركن من الصحن يقوم جوسق صغير جميل . ويوجد بناءان صغيران في الصحن احدهما مصلى خاص لنساء القصر واما الآخر فهو غرفة صغيرة بيضاء معبقة برائحة البخور تضم في خزائن ما يعتقد بانه شعره من لحية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وخفه من جلد الغزال مغطى بالورد ، كما يوجد ايضا صفحات من القرآن الكريم كتب على جلد الغزال بالخط الكوفي بيد الامام علي كرم الله وجهه ، كما توجد ايضا صفحات اخرى بخط يد ابنه الحسين ، ورفض الشيخ المكلف برعاية هذه الآثار الشريفة ان نصورها ، واخبرنا ان عائلته تتوارث رعايتها جيلا بعد جيل .. ويقول ان هذه

مقصورة الامبراطور في وسط الجدار الخلفي من الديوان العام في قلعة دلهي حيث كان الامبراطور يستمع الى شكاوى الشعب وفي المقعد تحتها كان يجلس رئيس الوزراء ليستمع الى اوامر الامبراطور وينفذها وهو من المرمر المنقوش والمزخرف بالذهب والاحجار الكريمة.









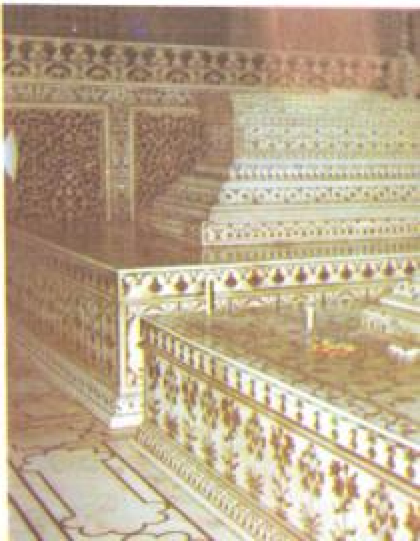
تاج محل ·· قصة حب ·· وقصة وفاء وقصة حضارة زاهرة اكتملت فصولا على ارض الهند انه احدى عجائب الدنيا السبع والصور الثلاث لمنظر عام من الخارج (**فوق يسارا**) ثم البوابة الرئيسية (**فوق**) ·· والى اليمين ·· منظر جانبي ظهر الباب الصغير الذى يؤدى الى المصطبة التى شيدت عليها عمارة التاج ·



الشاهدان من المرمر وقد زخرفا بزهور مصنوعة من الاحجار الكريمة واحاط بهما ساتر من المرمر المفرغ بدقة تثير الاعجاب







القبران في الطابق الاسفل وظهر قبر
شاهجهان اكبر من قبر ممتاز محل الذي كسر
التوازن الدقيق الذي روعي في المبنى كله .

الآثار انتقلت من خزائن الخلفاء العباسين الى الهند وحافظ عليها الاباطرة حتى تم بناء المسجد الجامع فنقلت اليه ولا تزال الى الآن ..

وقد كان هذا المسجد كما كان الازهر الشريف في القاهرة ملجأ الثائرين فقد كان الثائرون المسلمون في سنة ١٨٥٧ يجتمعون ويخطبون ويعلنون القرارات ضد المستعمرين الانجليز ولما فشلت الثورة وانتصر الانجليز على الثائرين في دهلي احتلوه ، ومنعوا الصلاة فيه لمدة خمس سنوات

وهو الآن يغص بالمصلين ولا سيما في صلاة الجمعة ويمتلىء الى اخره في ايام الاعياد ..

وامام المسجد ساحة كبيرة يجرى تنظيمها وفيها حديقة شاسعة مليئة باحواض الماء والنافورات وقد اقيم في وسطها مدفن للزعيم الهندى المسلم « مولانا ابو الكلام ازاد » ، في نفس المكان الذى كان يخطب فيه قبل وفاته باسبوع ، في مؤتمر شعبي ، وقد اختار زعيم الهند العظيم « نهرو » هذا المكان التاريخي مدفنا لصديقه ورفيق كفاحه من اجل الحرية والاستقلال .

الى اجرا

والآن تعالوا بنا ننتقل معكم الى مدينة اجرا حيث قلعتها الحمراء التى حكم منها اباطرة المغول السابقون .. وحيث بنى شاهجهان تاج محل .. اجمل واروع ما شيد الانسان على وجه الارض .. وما زال الى اليوم وهو من اهم عوامل جذب السياح من شتى انحاء العالم .. فالآثار الاسلامية في الهند عموما هي احدى عناصر التراث الحضارى الاسلامى .. وهي تثير اعجاب الناس على اختلاف الوانهم ودياناتهم لما تتضمنه من قيم حضارية وانسانية وابداعية ولها ميزاتها الخاصة الاصيلة وسماتها الفريدة لانها نتاج تمازج عدة حضارات وانصهار ثقافات عديدة .

والطريق الى اجرا سهل فانها ترتبط بمواصلات سهلة حديثة متعددة بكل انحاء الهند .. فيها مطارات لشركة الطيران الداخلية تطير في مواعيد دقيقة .. وتصل اليها قطارات السكك الحديدية من اربع جهات كل قطار ينتهى الى محطة في المدينة خاصة به ، واليها يسير من دلهى قطار خاص يسمونه تاج « اكسبريس » وطريق السيارات سهل مريح ، والمنطقة حول اجرا هي منطقة آثار فهى تضم القلعة الحمراء .. وعلى بعد ٤٢ كيلومترا الى الجنوب الغربي تقع فتح بورسيكرى المدينة التى انشاها سنة ١٥٧٤ الامبراطور « اكبر » جد « شاهجهان » .. والملقب بالامبراطور العظيم .. وهو ثالث امبراطور في دولة المغول الذين حكموا الهند .

متى بدأ حكم المغول في الهند ؟

ان حكم المغول في الهند بدأ حينما قام ظهير الدين محمد بابر Babur ، بغزو شمال الهند ودخل دهلي

اختار الزعيم الهندى « نهرو » مكانا يتوسط الساحة بين المسجد الجامع والقلعة الحمراء بدلهى ليكون ضريحا للبطل الاسلامى مولانا ابو الكلام ازاد رفيق كفاحه من اجل استقلال الهند .







فاتحا يوم الجمعة ١٥ من رجب سنة ٩٣٢ هـ ـ ابريل سنة ١٥٢٦ م واستطاع هذا القائد الشجاع ان يؤسس امبراطورية اسلامية كبرى في الهند وكان رجل دولة وفي الوقت نفسه كان اديبا وشاعرا الف عدة كتب وكان يعرف العربية والفارسية والتركية التي كتب بها مذكراته (بابرنامه) وقد خلفه ابنه همايون Humayun سنة ٩٣٧ هـ ـ ١٥٣٠ م ٠

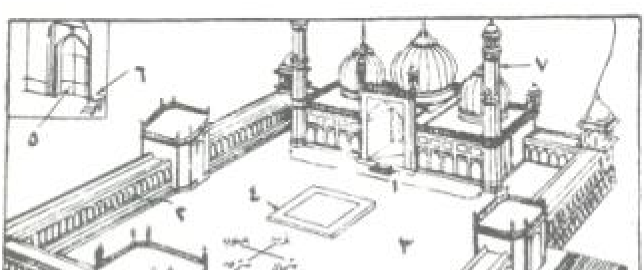
وكان شاعرا متمسكا باهداب الدين مثل ابيه ، بارعا في الرياضيات والفلك محبا للفن والفنانين· وكان قد تعرف بهم اثناء اقامته في ايران ، وقام بتشجيع المصورين الايرانيين عبد الصمد الشيرازي ومير سيد علي ليصوروا (مخطوطه الامير حمزة) وكان يقضي اكثر وقته في مكتبته ومات بين كتبه فقد زلت قدمه وهو نازل من مكتبته ودفن في مقبرة تعد من اجمل الآثار الاسلامية بنيت سنة ١٥٦٥ في عهد ابنه اكبر ٠

اكبر العظيم

نودي به سلطانا سنة ١٥٥٦ ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره بعد ولم يكن قد تلقى قدرا كافيا من التعليم في هذه السن المبكرة ولكنه كان ذكيا جريئا بدا حياته بالتقرب للعلماء ورجال الدين يزورهم في بيوتهم ، وكان له تقدير كبير للشيخ سليم السيكروى فكان يذهب اليه في « سيكرى » على بعد ١٢ ميلا من اجرا ٠٠ يذهب اليه ويسأله الدعاء ، وزاد تعلقه به بعدما نقل اليه الشيخ بشرى رآها في منامه اذ قال له : « ان الله سيرزقه بثلاثة اولاد وقد رزق بهم فعلا بعد حرمان طويل وسمى اولهم باسم « سليم » تبركا بالشيخ ٠٠ وزيادة في تقديره ٠ بنى مدينة في مقر الشيخ اسماها « فتح بورسيكرى » وجعلها عاصمة ملكه وانفتح على العالم الخارجي فبدا التسلل الاجنبي، واحب النقاش والمجادلة فكان يجمع العلماء ورجال الدين المسلمين من جميع الطوائف والمذاهب برجال الدين من اليهود والمجوس والمسيحيين ليتناقشوا ويتباروا ، ويحضر مجالسهم فاختلطت عليه امور العقيدة ٠٠ وزين له المتزلفون والمنافقون ابتكار دين جديد سماه « الدين الالهي » وشاعت البدع والخزعبلات ، وابتدعت في عهده سجدة التحية للملك فكان العلماء والامراء يخرون له ساجدين كلما دخلوا عليه ، ولكنه وطد دعائم ملكه على اساس قومي هندي وساوى بين المسلمين والهندوس وصاهر كل الطوائف والاديان فكانت له زوجة هندوسية واخرى مسيحية وثالثة مسلمة تركية وفي عهده بدأت اللغة الاردية (المشتقة من الهندية والفارسية والتركية والعربية) تاخذ مكانها بين اللغات ٠ وفي عهده ايضا نشطت حركة التاليف والترجمة وانشئت مدرسة كانت من اعظم المدارس الفنية وكان يصحب الفنانين الى المعارك الحربية ليصوروا حوادثها وقد اكتمل في عهده تصوير مخطوطة (الامير حمزة) التي بلغ عدد صورها الفا واربعمائة صورة تعتز بها متاحف اوروبا وامريكا وقد انفق ما يزيد على الاربعين الف جنيه استرليني لتزيين كتاب رزم نامه (اى كتاب الحرب) بالصور ٠

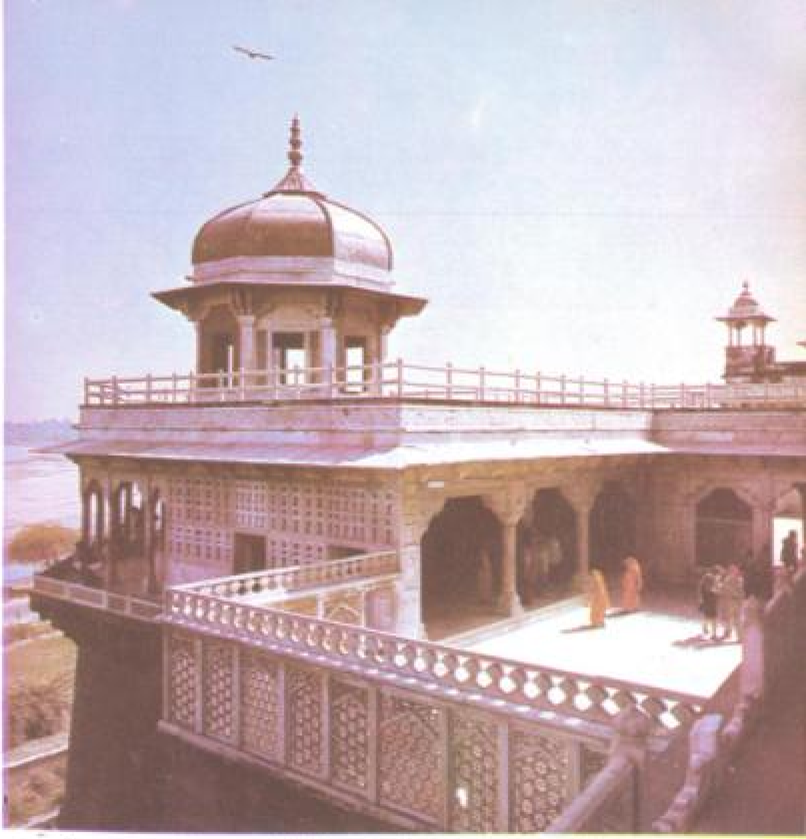
الامبراطور الشاعر

وتولى بعد اكبر ابنه جهانجير Jahangir الذى بدا حكمه بالغاء فكرة « الدين الالهي » ليهدىء من ثورة المسلمين وكان جهانجير فنانا مصورا واديبا مرهف الحس مكن له استتباب الامور بان يقوم برحلات في طول البلاد وعرضها يكتب يومياته باسلوب شاعرى جميل وكان يقضي الصيف في



رسم يبين نظام المساجد في عهد المغول

١ ـ بيت الصلاة
٢ ـ الصحن
٣ ـ الرواق
٤ ـ حوض الوضوء
٥ ـ المحراب
٦ ـ المنبر
٧ ـ المنارة

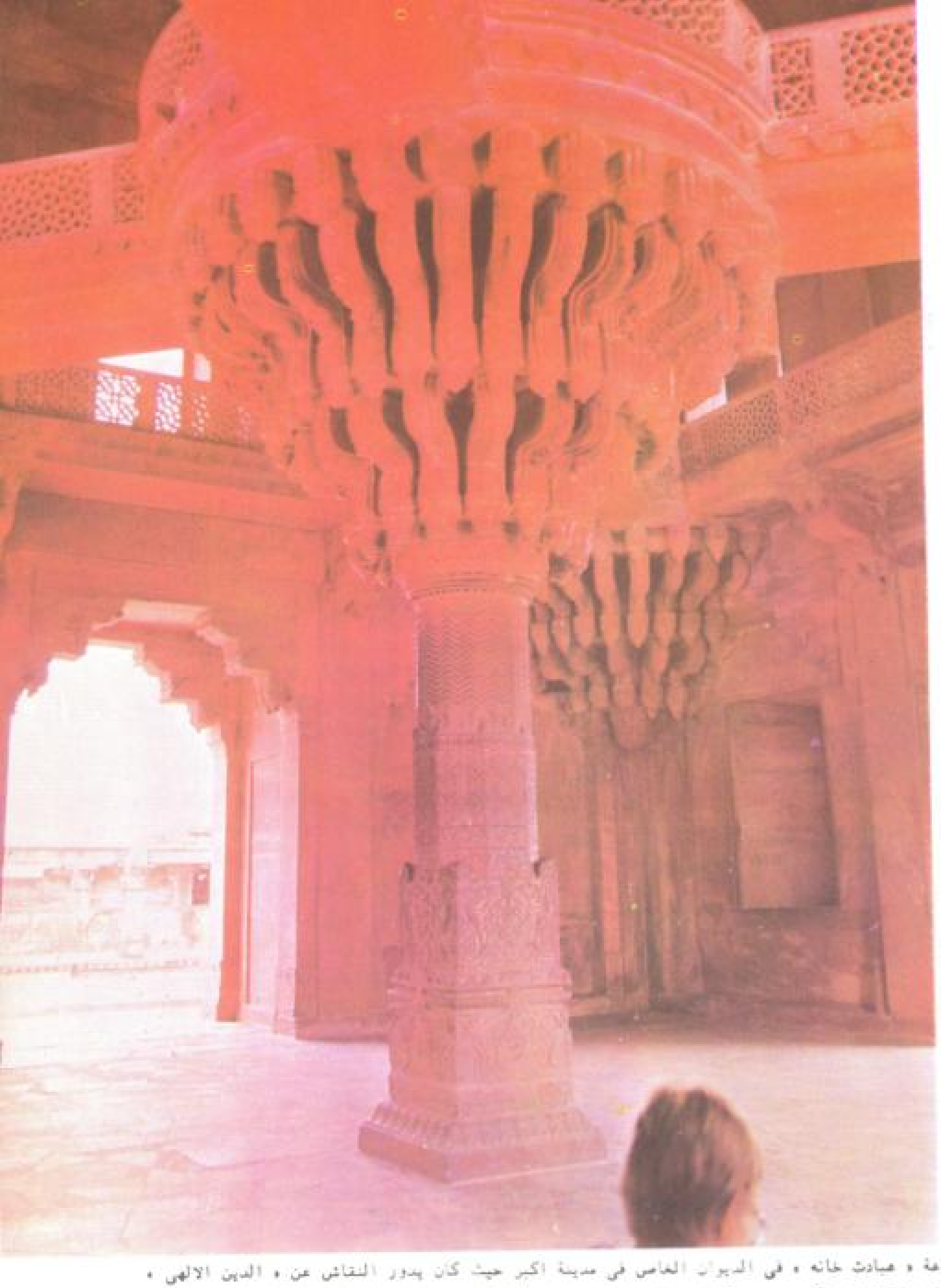


انشأ الامبراطور اكبر قلعة حمراء في اجرا (وهي غير القلعة الحمراء بدلهي) .. واضاف اليها شاهجهان الكثير من القاعات وبنى فيها مسجدا « مسجد اللؤلؤة » بلغ اوج الروعة .

« برج الياسمين » ـ الصورة ـ هي قاعة خاصة.. في هذه القلعة قصيدة شعرية ذات اضلاع مثمنة لم تكتب بالكلمات بل شيدت بالمرمر وزينت بالجواهر قيل عنها انها جوهرة العمارات المغولية بسقفها الذهبي وفيها عاشت ممتاز محل أحلى سنوات عمرها .

روضة الشيخ سليم شيستي المتوفى سنة ١٥٧١ شيدت في صحن مسجد أكبر في مدينة « فتح بور سيكري » وجاءت احدى تحف الروضات بلونها العاجي التي اشتهر ببنائها المغول ويقف امامها المنشدون عصر كل يوم يرتلون أناشيد دينية حزينة ويلجأ الى زيارة هذه الروضة النسوة العاقرات للتبرك والدعاء لله أن يرزقهن بالابناء .. فالشيخ هو الذي بشر الامبراطور اكبر بأن الله سيرزقه بالاولاد وكان قد حرم منهم .





قاعة « عبادت خانه » في الديوان الخاص في مدينة اكبر حيث كان يدور النقاش عن « الدين الالهي » الذى ابتدعه « اكبر » بعد أن فسدت عقيدته ولهذه القاعة هندسة فريدة تعكس الخلل الفكرى الذى أصاب هذا الامبراطور · والقاعة مرتفعة السقف . وفي وسطها عمود منتفخ يعلوه شرفة مستديرة كان يجلس فيها « اكبر » بينما يجلس رجال الدين يتجادلون ويتناقشون في شرفات اخرى من حولها ملاصقة لجدران القاعة وتتصل بشرفة الامبراطور بممرات ·· ويقف اسفل الشرفات من اراد متابعة النقاش ·

« كشمير » فبنى فيها كثيرا من الحدائق الجميلة المنسقة ٠ وفى عهده بدأ التنافس على اشده بين الدول : الانجليزية ، الهولاندية ، البرتغالية متسترين تحت شعار التجارة وجاء سفير جديد لبريطانيا استطاع بمكره ودهائه ان يحظى بثقة الامبراطور فاعفيت التجارة الانجليزية من الضرائب وراحوا ينافسون التجار الهنود وباعوا باقل مما كانوا يبيعون فافلست التجارة الهندية بينما انتعشت التجارة الانجليزية ٠ التى شجعها الامبراطور وساندها بان سمح لهم ايضا بميناء « سورت » يتحصنون فيه ٠٠ ولم يكن يدرى جهانجير انه دق بعمله هذا اول مسمار فى نعش امبراطورية المغول ٠٠

الامبراطور الولهان

ويروى التاريخ قصة تذكرنا بقصص الف ليلة وليلة ٠٠

ففى عهد اكبر جاء الى الهند رجل اسمه غياث الدين الطهرانى من ايران انتهز فرصة انفتاح الامبراطور على الناس والعالم واخذ يتقرب اليه فنال الحظوة لديه واخذ يتدرج فى مناصب الدولة ٠٠ وكانت له ابنة رائعة الحسن والجمال ممشوقة القوام تعرف كيف تختار الثياب الانيقة وتتقن التزين بالحلى والجواهر وكيف تمزج عطورها ٠٠ وفى عهد جهانجير تزوجت الفتاة الحسناء الصغيرة احد ولاة الاقاليم ٠٠ وذاع صيت جمالها ، ووصل الى مسامع الامبراطور الشاعر وكان ان قتل زوجها ، واصبح الطريق امام الامبراطور ممهدا فطلبها زوجة له فترددت وتمنعت فهام بحبها ولما قبلته زوجا فى النهاية سماها « نورجهان » او « نور محل » اى نور الدنيا وكانت قوية الشخصية فشاركت الامبراطور الحكم واستقبلت معه عظماء البلاد وامرائها وسكت النقود باسمها واسمه ٠ واصبح ابوها رئيسا للوزراة واخوها « آصف » رئيسا للتشريفات الامبراطورية وتولى ولاية « جونبور » وامتلأ القصر باقاربها ٠٠ ولم يكن يشغلها شاغل الا ولاية العهد وهى التى لم تنجب ولدا من الامبراطور بينما كان له ثلاثة اولاد من امرأة غيرها اكبرهم « خرم » يتمتع بشخصية قوية وكان قائدا محنكا محبوبا بين رجال الجيش والامراء وقد تزوج ابنة اخيها آصف ارجمنت بانو ArJumand Banu التى سميت فيما بعد «ممتاز محل» واصبحت بطلة قصة اعظم حب فى التاريخ ، اما

الولد الثانى للامبراطور « جهانجير » فكان اسمه « شهريار » عملت الامبراطورة الماكرة على استمالته فزوجته ابنتها من زوجها الاول ٠٠ واخذت تفكر بدهاء وذكاء لكى تكون ولاية العهد له ٠٠ لكن الامبراطور خيب ظنها وما رسمت فاوصى بالملك للابن الثالث « برويز » فغضب « خرم » الوارث الشرعى لابيه فما كان منه الا ان انشق عليه ، ومات برويز فى « برهانبور » وبذلك انحصر الصراع بين زوج ابنتها « شهريار » وزوج بنت اخيها « خرم » لكن اخاها « آصف خان » حسم الامر عندما مات جهانجير فقبض على اخته وزوج ابنتها شهريار فور وفاة الامبراطور ووصل خرم زوج ابنته ممتاز محل وتولى الحكم سنة ١٦٢٨ م وتسمى باسم محمد شهاب الدين « شاهجهان » ومعناها « ملك الدنيا » اما زوجته « ارجمنت بانو » فقد اختار لها اسم « ممتاز محل » ٠٠ وكانت ذات شخصية نافذة مؤثرة كعمتها « نورجهان » وكانت بعد ذلك ترافق الامبراطور اينما ذهب حتى الى ميادين الحرب ، ولم تمض سوى ثلاث سنوات على حكمه حتى بدأت المتاعب فى منطقة الدكن فى جنوب الهند وقرر الامبراطور السفر بنفسه على رأس الجيش تصحبه زوجته الحبيبة « ممتاز محل » وقد تخفت فى زى امير وكانت حاملا فى الطفل الرابع عشر ٠٠ وتحقق للامبراطور النصر على المنشقين عليه ٠٠ لكنه رزىء بشىء لم يكن فى الحسبان ٠٠ لقد تعبت

شاهجهان الامبراطور الفنان وقصة حب ووفاء ٠







ممتاز محل بطلة قصة الحب ٠

الامبراطورة فى الطريق وهى تضع مولودها واحست بدنو الاجل المحتوم فطلبت من زوجها الملهوف ان يعاهدها الوفاء لها بعد رحيلها فلا يتزوج من بعدها ، وان يبنى لها ضريحا ليس فى العالم ما يماثله ليخلد هذا الحب الذى ربط قلبيهما طوال ١٩ عاما ٠٠ وماتت الزوجة الحبيبة سنة ١٦٣٠ م، وكانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها فى مدينة « برهانبور » شمال الدكن ودفنوها فى بلدة (زين اباد) ثم نقلوا الجسد بعد ستة شهور الى اكبر اباد بجوار اجرا ٠٠ حتى يتم بناء تحفة العمران التى خلدتها على مر الزمان ٠٠

تاج محل

وجلس الامبراطور الحزين يبكى زوجته الراحلة ويشارك بدموعه وافكاره المهندسين ، فقد كان البناء والتصميم هوايته، انه يريد ان يخلد حبيبته باثر جميل يضاهى بهاءها ، وجمالها ٠٠ ليكون رمزا خالدا للوفاء والحب ٠٠ وحضر « عيسى افندى » المهندس التركى المشهور وبدا العمل سنة ١٦٣٢ ومعه عشرون الف عامل عملوا اثنتين وعشرين سنة وكان فى النهاية هذا الانجاز الرائع الخالد الذى يتجلى فيه جمال التصميم واتزان الابعاد والتناسب بين الاجزاء ٠٠ والتناسق فى الزخارف والالوان ٠٠ انه اروع الآثار الاسلامية فى الشرق والغرب على السواء ، لقد جاءت هذه التحفة الفنية الرائعة نتاجا للتعاون بين اخذ وعطاء لفنانى الوطن الاسلامى فى ذلك الزمان ، فقد وفد على اجرا ٠٠ الخبراء فى القباب من القسطنطينية، وفى بناء الابراج من سمرقند ، والبناؤون المهرة من كندهار ، والنقاشون من بخارى ، والخطاطون من بغداد ٠٠ انه خلاصة ازدهار الحضارة الاسلامية فى ذلك الوقت ٠

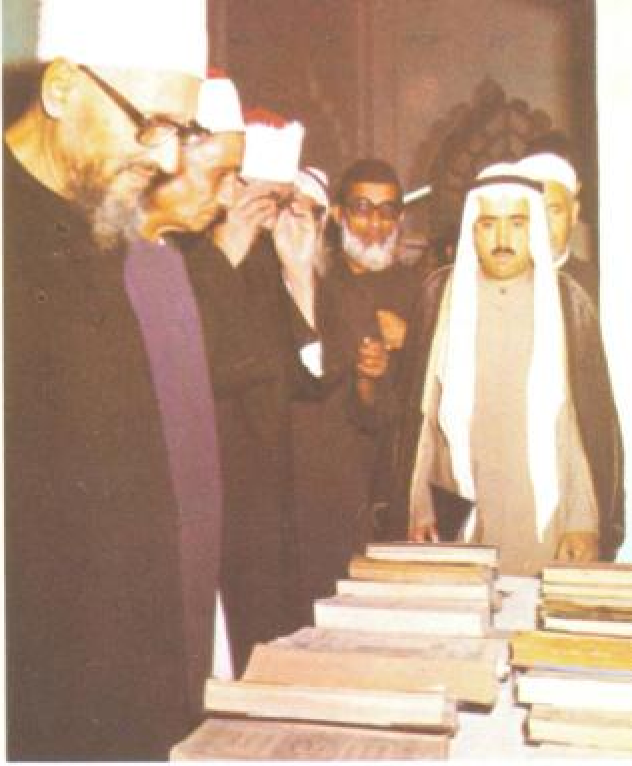
يقع تاج محل على الضفة اليمنى من نهر « جمنا » وعلى بعد ميل ونصف من مدينة «اجرا» ٠٠ وعندما تخطو اول خطوة نحوه يواجهك المدخل الخارجى الضخم من الحجر الاحمر والمرمر الابيض وقد حفر بالحجر الاسود على اطار مرمرى ابيض حول البوابة الضخمة وبالخط الثلث المتداخل ، المتشابك وباتقان معجز « سورة الفجر » حتى انتهت بقوله تعالى « فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » وقد راعى الخطاطون المهرة عند كتابة الخط انه كلما ارتفع وبعد عن العين كبر حجم الحرف بالتدريج حتى تبدو الكلمة المكتوبة على علو شاهق للعين فى حجم الكلمة القريبة منه ٠

وعندما تخترق البوابة الضخمة المظلمة وتنظر الى بعيد ترى تاج محل مضيئا لامعا براقا بهى الطلعة جميل التكوين دقيق التصميم تمتد امامه حديقة مزهرة جميلة فى رصيف طويل وعريض ، فى منتصفه بحيرة صناعية قامت فى وسطها نافورات عددها اربع وعشرون كانت فى السابق تنثر ماء الورد فيملأ شذاه الجو من حولها وتنظر الى الماء فترى صورة تاج محل وقد انعكست على صفحته ٠

ويتوسط تاج محل اربعة مبان قامت فى الحديقة الفسيحة من حوله وقد شيدت بالحجر الاحمر وتتميز بزخرفة فريدة من نوعها وطعمت بالذهب والاحجار الكريمة ٠ وتسال عن المبنى الذى يقع الى يمينك وانت مقبل على هذا القصر الذى يحنو على رفات « ممتاز محل » فيقولون انه المسجد ، اما المبنى الآخر الى اليسار فهو بيت للضيافة ووراء هذين المبنيين قاعتان للموسيقى وهى متماثلة فى البناء والتصميم والزخرفة ٠

ونصعد الى الضريح وندخل فى احد بابيه الجانبيين ونصل الى مصطبة صغيرة نخلع عندها احذيتنا ونصعد درجات اخرى قليلة فترى المبنى العام للضريح وقد بنى فى سط مصطبة واسعة مربعة شيدت فى كل زاوية منها منارة شاهقة ارتفاع كل منها ١٩٠ قدما يعلوها جوسق بديع وكسيت بالمرمر الابيض والاسود فى خطوط متعرجة ثابتة يخيل للرائى انها بارزة او مجوفة ولكنه خداع البصر فهى ملساء ناعمة نعومة المخمل ،





شيخ الازهر ومعه الوزير المصرى والامين العام للندوة ورئيس الوفد الكويتي الاستاذ عبدالرحمن الفارس يتفقدون المرض العلمي للندوة.



المهرجان التعليمي لندوة العلماء في خمس صور · لقد كان هذا المؤتمر الاسلامي فرصة للقاءات بين رجال الفكر والدين والعلماء من شتى انحاء العالم الاسلامي في الشرق والغرب فحضره الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور عبد الحليم محمود ، ووزير الاوقاف المصرى الدكتور محمد حسين الذهبي ورأس وفد الكويت الاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل وزارة الاوقاف المساعد ، ووفد كبير من رجال الفكر والعلم والادب من الشقيقة المملكة العربية السعودية · ووقف الامين العام لندوة العلماء الشيخ أبو الحسن على الحسن الندوى يرحب بضيوفه في كلمة الافتتاح مشيدا بالروابط القوية التي تجمع بين المسلمين في الهند واشقائهم العرب ، شارحا تاريخ الندوة والدعوة التي حملت رسالتها مدة خمسة وثمانين عاما ··
لقد كان المهرجان للمسلمين اينما كانوا ·

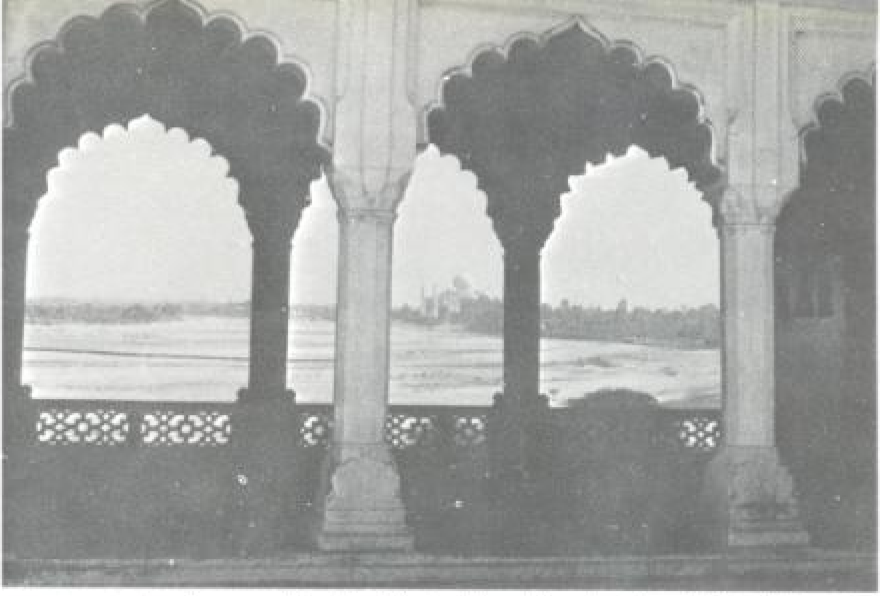
امين عام ندوة العلماء سماحة ابو الحسن الندوي في جلسة الافتتاح·







السيد هاشم الرفاعي الوزير الكويتي السابق مع بعض كبار الضيوف المسلمين العرب من المملكة السعودية ودولة الامارات المتحدة (الى اليمين) وفي الصورة الثانية ممثل الاتحاد السوفيتي الاستاذ شرف الدين محمود في حديث ودي مع الاستاذ يوسف جاسم الحجي رئيس جمعية الاصلاح الاجتماعي .



يؤدى هذا الممر فى البرج المثمن (برج الياسمين) الى جناح الامبراطور الخاص، ويبدو تاج محل من بعيد.. وضاء ناصعا لامعا مشرقا .

وتميل اطراف المنارات الى الخارج اى الى الناحية المضادة للبناء الرئيسى حتى اذا تعرضت احدى المنارات للسقوط بسبب الزلازل فتسقط بعيدا عن الضريح .. والآن لنتجه الى المبنى الرئيسى.. انه لوحة فنية من المرمر الابيض اللامع وقد غطته نقوش على شكل زهور وبراعم وزنابق مصنوعة بدقة متناهية ومطعمة بالاحجار الكريمة . يتوسط هذه اللوحة الفنية المدخل وحوله وفوقه نوافذ اخرى على شاكلته ولكنها اصغر حجما والمدخل عبارة عن بوابة ضخمة على شكل قبو تعلوها قبة كبيرة تمشى تحتها خطوات فتجد البـاب الذى يؤدى بنا الى الداخل وقد كتب على واجهة القبو « سورة يس » وعلى الباب الصغير كتبت سورة « اذا الشمس كورت » بنفس الخط الثلثى وبنفس الشكل على البوابة الخارجية .. البناء كله تصميم جميل روعى فيه التناسق والتشابه ، هو نموذج للتوازن فالضريح هو المركز لهذا البناء الضخم الذى يشكل الجانب الايمن منه صورة دقيقة للجانب الايسر حتى فى ادق التفاصيل والزخارف والنقوش .

وعندما ننفذ الى الداخل نجد قاعة الضريح يتوسطها « شاهد » ممتاز محل وبجانبه شاهد اكبر منه قليلا هو لضريح زوجها شاهجيهان الذى عاش بعدها ستة وثلاثين عاما مع احزانه يتعذب ويتضح انه لم يكن فى التصميم فقد وضع بجانبها اعتباطا ولعل هذا الشاهد الذى وضع للزوج الوفى كان الشىء الوحيد الشاذ فى تصميم هذا البناء من الداخل فقد كسر التوازن الدقيق الذى روعى فى هندسة المبانى كلها، ويحيط «بالشاهدين» ساتر مثمن الاضلاع صنع من الرخام المحفور والمفرغ بدقة مدهشة وقيل انه صنع اولا من الذهب ولكنه استبدل بهذا الساتر الرخامى خوفا عليه من السرقة .. وقد زخرف المكان كله بزخارف على شكل زهور وكلها من الاحجار الكريمة ذات الالوان البديعة . وفى اعلى « الشاهدين » كتب ياحى ياقيوم برحمتك استغيث . « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » . الى آخر الآية وعلى جوانب « الشاهد » كتبت الآيات الكريمة . « ان الابرار لفى نعيم ، على الارائـك ينظرون » . الى بقية الآيات الكريمة .

ويقع بجوار هذه القاعدة ثمانى حجرات مثمنة المساحة متشابهة خصصت لقراءة القرآن والادعية..

ثم نخرج من هذه القاعة لنهبط الى اسفل من فتحة ضيقة على درج داخلى الى الطابق الارضى .. على الزائر ان ينحنى حتى لا تصدم رأسه ، وقد تعمد المصمم ذلك حتى يضطر كل من يزور القبر ان ينحنى بقامته تحية واجلالا .. وندخل لنجد الضريحين بنفس نظام الشاهدين اللذين فى الطابق العلوى .. وهى عبارة عن نصب بشكل صندوق مستطيل من المرمر عليه نقوش على شكل زهور من الاحجار الكريمة الثمينة وقد كتب على



قبر ممتاز محل قوله تعالى « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الآية » وقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت٠٠». وعلى الجوانب كتبت اسماء الله الحسنى وعلى واجهة المقبرة كتب عليها « مرقد منور ارجمند بانو بيجم مخاطب بممتاز محل توفيت سنة ١٠٤٠ هـ ٠

تخرج من المكان وقد استولت عليك الدهشة والاعجاب ٠٠ لقد رأيت شيئا عجبا ٠٠ لا يستطيع اى انسان ان يصفه مهما اوتى من قوة بيان ٠

الابن يسجن أباه

اصيب شاهجان في آخر حياته بسوء الحظ ٠٠ فقد اقعده المرض واختلف اولاده الاربعة ودب الخلاف بينهم،ولم يحسمه الا حرب ضروس كان النصر فيها لابنه « اورنجزيب » Oarangzeb الذى تقدم الى العاصمة « اجرا » ، واعتقل والده شاهجان ، وحدد اقامته في القلعة التى امضى فيها حياته كسير القلب ينظر من بعيد الى قبر زوجته ممتاز محل ٠٠

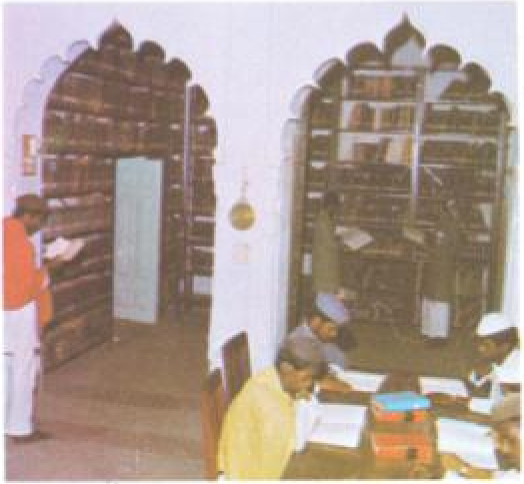
وبعد ان استتب الامر لاورنجزيب ، احتفل بجلوسه على العرش في رمضان سنة ١٠٦٩هـ ـ ١٦٥٩ م ٠ وبالرغم من ان عهده بدأ بالحروب وسفك الدماء ، فانه حكم البلاد حكما عادلا ، وكان متقشفا متعبدا زاهدا ، على عكس ابيه ، فلم يذق طعم الخمر في حياته ، ولما كان قد تربى تربية دينية على يد العلماء المتفقهين في الدين ، فقد الغى كل المظاهر المنافية لروح الاسلام وقضى على عادة السجود للملك ، وقد امضى فترة حكمه في بناء الكثير من المدارس والمستشفيات والمساجد، وعمل على تدوين الاحكام الشرعية للعمل بموجبها وبانتهاء عهده بدأ حكم المغول بالاضمحلال ، فاختلف الابناء وبدات الثورات والفتن تظهر بين طوائف الشعب ، وتولى بعده ابنه شاه عالم بهادور ٠٠ وتلاه ملوك ضعاف مختلفون متهالكون ، هدتهم الحروب والثورات ، واصبحت البلاد نهبا للجيران والاعداء في الداخل والخارج ٠٠ فيما بدأ الانجليز يعدون الخطط للاستيلاء على شبه القارة الواسعة المترامية الاطراف ، ولما تمت لهم السيطرة عليها ، بلغ بهم الامر ، بعد ان انتزعوا السلطة الفعلية ، ان عين الانجليز لآخر حاكم

شرفات برج الياسمين المثمن المساحة حيث عاشت ممتاز محل احلى ايام حياتها مع زوجها شاهجيهان وتطل على نهر جومنا في القلعة الحمراء في اجرا٠٠لقد ماتت ممتاز محل٠٠ومات شاهجيهان وبقيت هذه الآثار الجميلة تحكى قصة الوفاء العظيم ٠





.. واحة العربية فى الهند انها دار العلوم الجامعة الاسلامية التى يدرس فيها الطلبة من الهند وشتى انحاء العالم اللغة العربية وادابها.



المسلمون هم اول من احضر ورق الكتابة للهند وقد شغفوا منذ القدم باقتناء المكتبات وتنظيمها والعناية بها واتقنوا فن زخرفتها وتنسيقها ولما كان الحاضر امتدادا للماضى فقد اهتمت ندوة العلماء بانشاء مكتبة حديثة جمعت فيها الكتب التى كانت تضيع هنا وهناك ونمت المكتبة على مر السنين فقد انشئت منذ خمسين عاما وهى تضم الآن اكثر من ثمانين الف كتاب بينها عدد من المخطوطات الثمينة التى تعد ثروة فكرية لا تقدر بمال وفى الصورة الى اليسار ركن من اركان المكتبة ..





فوق مجموعة من الصحف والمجلات التى تصدر باللغة العربية عن الندوة .

(يسارا) لوحة تبين مشروع انشاء الدار الجديدة



انجبت الهند عددا كبيرا من العلماء الافذاذ الذين اتحفــوا المكتبة العربية بكثير من المؤلفات في شتى فروع المعرفة والثقافة الاسلامية وقد عرض الكثير منهذه المؤلفات في المعرض الذي اقيم بمناسبة انعقاد المهرجان التعليمي . كما اشتمل المعرض كذلك على لوحات احصائية تبين نمو حركة التعليم الاسلامي وكذلك عدد المراكز الاسلامية كما ضم لوحات اخرى باسماء نوابغ العلماء المسلمين الهنود وكذلك شعراء الهنود الذين الفوا دواوين الشعر بالعربية والصورة (فوق) لقاعة المعرض .

ثار الشعب الهندي على المستعمرين الانجليز الذين تحصنوا في [illegible] ولكن يد الثوار امتدت اليهم واحرقت قصورهم وما زالت اطلالها باقية حتى اليوم تحكي قصة الثورة في لكنو .



مغولى سراج الدين ابو ظفر بهادور شاه مرتبا سنويا بعد ان اصبح لا نفوذ له، ووجهوا اليه انذارا بانه آخر ملك يسكن القلعة الحمراء بدلهي، وان مخصصاته المالية ستنتهي بانتهاء حياته ٠٠ وازداد طغيان المستعمرين الذين اخذوا يستنزفون ثروات البلاد، ولم يجد الشعب بدا من الثورة ٠٠ فثار ثورة عارمة سنة ١٨٥٧ ساهم فيها المسلمون والهندوس، وتوجهوا الى القلعة الحمراء مقر الملك المغولي وجعلوه قائدا للثورة ورمزا للكفاح، ولكن الانجليز استطاعوا ان يبطشوا بالثورة، وقبضوا على الملك وعائلته وقتلوا اولاده على مرأى منه ٠٠ ثم نفوه هو وزوجته الى « رانجون » في بورما، حيث مات طريدا شريدا يكتب شعرا حزينا، وانتهى الحكم الاسلامي في الهند الذي ظل يحكم البلاد نحو ثمانية قرون ونصف من سنة ١٠٠١ م الى ١٨٥٧ م ٠

وهكذا اسدل الستار على عهد من اكثر عهود التاريخ ازدهارا، ترك بصماته على الحياة في الهند ٠٠ حتى انك تجده واضحا في ملابس الناس وهندامهم، وفي حياتهم الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية ٠

فقد دخل المسلمون الهند يحملون دينا جديدا يدعو الناس الى اله واحد، ويحترم انسانية الفرد، فلا يقر الطبقات ٠٠ ويحترم المرأة ويعترف بحقوقها وكرامتها ٠

يقول جواهر لال نهرو الزعيم الهندي في كتابه « اكتشاف الهند Discovery of India » ان دخول الاسلام له اهمية تاريخية كبرى، فقد كشف الفساد الذي كان يعيش فيه المجتمع الهندي واظهر انقسام الطبقات والعزلة التي كانت الهند تعاني ويلاتها ٠٠ ان دعوة الاسلام الى التآخي والمساواة التي يؤمن بها المسلمون ويعيشونها، كان لها تأثير عميق في تفكير الهندوس، وخصوصا في هؤلاء التعساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية » ٠

وعبر احد قادة حركة التحرير ورئيس حزب المؤتمر الوطني الهندي سابقا رامايا Sila Ramyya بقوله « ان المسلمين اثروا ثقافتنا، وقووا ادارتنا، وقربوا اجزاء البلاد البعيدة بعضها الى بعض ٠٠ لقد كان تأثيرهم عميقا في آداب البلاد وحياتها الاجتماعية » ٠

كفاح المسلمين من اجل الحرية

استطاع الانجليز ان يخمدوا ثورة سنة ١٨٥٧ وقتلوا الرجال والنساء والاطفال واستطاعوا ان يسيطروا على البلاد، وتعرض المواطنون للقتل والتعذيب والتشريد والظلم على يد المستعمر الطاغي ٠٠ وكان المسلمون بصفة خاصة هدفا





استخدم المرمر المنقوش بزخارف اسلامية بديعة في اكثر المباني الاسلامية في الهند ويظهر الفن العربي واضحا جليا ممثلا للاحساس المرهف والذوق الرفيع ذلك الذي يبدو واضحا في دقتها وجاذبيتها ومهارة صانعها ٠٠



لحرب ابادة ، فقد اعتقد المستعمرون انهم مخططو ثورة سنة ١٨٥٧ ..

لقد استطاع المستعمر ان يسيطر على البلاد ، لكنه لم يستطع ان يقضي على جذوة الحرية المشتعلة فى قلوب الوطنيين الذين ما فتئوا يجاهدون ويفكرون حتى قام المؤتمر الوطني العام سنة ١٨٨٤ وشارك المسلمون فيه ، وطفق المتعلمون منهم ينشرون الوعى السياسى بين كافة المواطنين وصدرت عدة صحف وطنية .. اصدر ابو الكلام ازاد صحيفة « الهلال » ، واصدر محمد علي جناح بجلة Comrade باللغة الانجليزية واصدر ظفر على مجله .. باللغة الانجليزية ، واصدر ظفر على خان جريدة « زميندار » .. واتحد الوطنيون المخلصون .. لا فرق بين مسلم وهندوسى .. الكل هندى يريد ان يطهر وطنه من المستعمر الظالم .. اخذ غاندى ومحمد علي وشوكت علي وابو الكلام آزاد ، اخذوا يطوفون البلاد ، محرضين الناس ، باعثين الحماس في قلوبهم .. فراع الانجليز ذلك الاتحاد الوطني ولجاوا الى اسلوبهم التقليدى الذى اتقنوه .. « فرق تسد » فكان له بعض الاثر فى شل حركة التحرير الوطني وألهائها عن المعركة المصيرية في حياة الامة .. ولكن الى حين ، فقد انكشفت الخدعة ولم يفت ذلك فى عضد ابطال الكفاح ، فلم يهنوا ولم يتهاونوا ، وفوتوا على المستعمر حيلته .. وبقى في «المؤتمر الوطني » الكثيرون من المسلمين امثال ابو الكلام آزاد ، ومحمد البهارى ، وكفاية الله المفتى الاكبر ، وحفظ الرحمن وغيرهم كثيرون ظلوا مخلصين لفكرة « المؤتمر » الذى رأسه الزعيم الوطني ابو الكلام آزاد .. وفي عهد رئاسته تكللت جهود الوطنيين بالنجاح .. ونالت الهند استقلالها في شخص رجل ضعيف .. يشرب لبن الماعز ويعيش حياة الناسك المتصوف « غاندى » .

عودة الى لكنو

ونعود من حيث بدانا الى لكنو ، تلك التى كانت مدخلنا الى هذا الاستطلاع ، حيث عقد المؤتمر الاسلامى الكبير تحت شعار « المهرجان التعليمي لندوة العلماء » ، فما هى ندوة العلماء؟ ولماذا كان هذا المؤتمر التعليمي ؟ ان قصة هذه الندوة تبدأ فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى الموافق اواخر القرن التاسع عشر الميلادى..

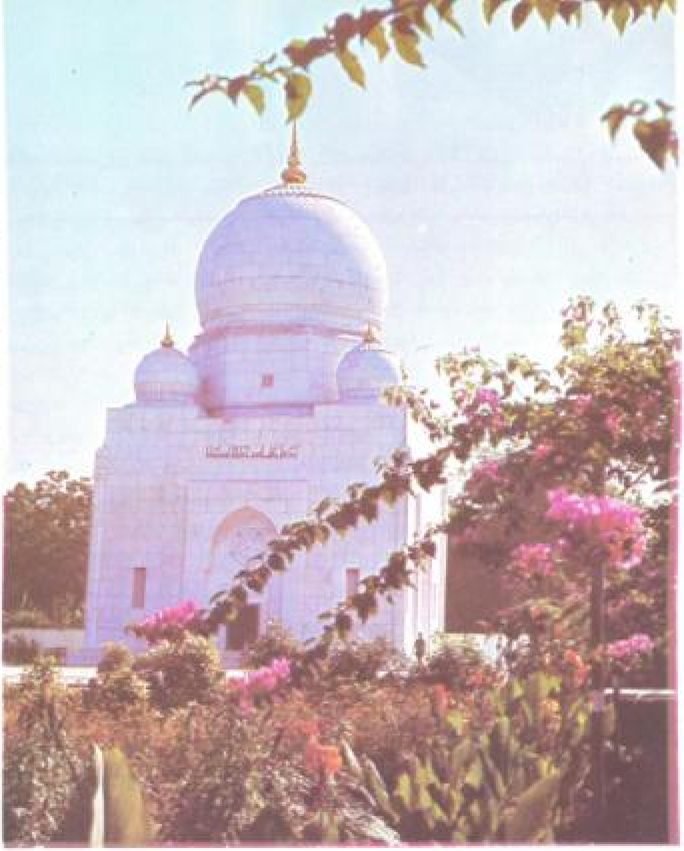
وكان الاستعمار جاثما على صدر الشعب الهندى .. عاملا على تخلفه وتعطيل مسيرته الحضارية .. فقد كان من صالحه ان يبقى الشعب متخلفا جاهلا .. مزعزع العقيدة ، غير ان وهج الحضارة الغربية بما صاحبها من بريق غشى العيون فانبهرت به وصاح كثيرون .. فلنتجه الى الغرب نغترف من علمه الحديث ولنترك القديم سر تخلفنا وتاخرنا ، وهب المعارضون وقالوا : لا لا .. يجب ان نبقى على القديم فهو تراث اجدادنا وعليه نشانا ، واحتدم النقاش وطال .. ووقف الشباب حائرا فى اى طريق يسير ، فالجو ملبد بالغيوم ، والرؤية الصحيحة مبهمة .

واجتمع نفر من اهل العلم والدين وفى مقدمتهم رجل جليل هو الشيخ محمد علي المونكيرى ،وانشاوا سنة ١٨٩٢ «ندوة العلماء» ، كحركة اسلامية علمية اصلاحية جامعة،ويقول الامين العام للندوة ابو الحسن على الحسنى .. « بدات الندوة كفاحها فى جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وتنسيق جهودهم فى انهاض المسلمين واصلاح مناهج التعليم الدينى وتطويرها وتكييفها مع الزمن فى نطاق المبادىء الاسلامية ، ورفع مستوى العلماء الذين يتمتعون بثقة الجميع ، وياخذون مكانهم الطبيعى فى قيادة المسلمين الدينية والفكرية والعلمية ».. واسسوا سنة ١٨٩٨ لتحقيق هذه الغاية مدرسة نموذجية سموها « دار العلوم » .

وسرعان ما نمت مدرستهم واصبحت اليوم جامعة كبرى تقوم بتزويد النشء النافع من ثقافة الغرب مع الحفاظ على ثقافة الاسلام .. والتعليم فى دار العلوم فى جميع مراحله من ابتدائى وثانوى وعال ، وفى اقسام التخصص والتكميل (الاخيرة تعادل الدكتوراة) بالمجان مع السكن وتزويد الطلبة بالكتب ، وتمنح ندوة العلماء اكثر منتسبيها حاجاتهم من الطعام والغذاء .. ولغة المقررات الدراسية فى المراحل العالية وفى السنوات الاخيرة من المرحلة الثانوية هى اللغة العربية ولغة التدريس فى المراحل الاخرى هى الاوردية والانجليزية .

بعثات الى الخارج

وتقوم ندوة العلماء بايفاد خريجيها الى جامعات اخرى فى الدول العربية لمن يرغب فى المزيد من



الانسان يسعى دائما للخلود .. ولذلك يهتم ببناء الاضرحة وقد اشتهرت الهند بكثرة الاضرحة التي تفنن المسلمون في هندستها وتنسيقها واحاطوها بالبساتين والحدائق النضرة وانشأوا فيها البحيرات والنافورات واحواض الزهور .. ومن المزارات الشهيرة في أحمد أباد مزار قطب الدين الداعي الفاطمي الثالث والثلاثون وهو بديع في هندسته يجمع بين الوداعة والرقة . كما بدت فيه فنون العمارة الاسلامية متأثرة بالطراز الفاطمي .



تقاليد الزواج في الهند طريفة .. يغطى العريس بالزهور ويركب حصانا يزينوه ايضا بالزهور ويسير في موكب تحيط به فرقة الموسيقى النحاسية بملابسها الزاهية حتى يصل الى المسجد ليصلي صلاة الشكر ثم يتوجه الى بيت عروسه حيث تستضيفه لمدة اسبوع يأخذها بعده الى بيته .



• لكنو ، مدينة الفن والفنانين بقدر ما هي مدينة العلم والادب ، فقد اشتهرت بانتاج الحرير الذي يصنع منه الزي القومي «الساري» وزخرفته بالتطريز . واشتهر المسلمون وحدهم بأجادتهم وتوارثهم لهذه الحرفة وغيرها من الحرف اليدوية التي تتميز بالدقة والجمال.

مسجد أصف الدولة من أضخم مساجد لكنو وأروعها هندسة وجمالا ويقوم في وسط حديقة جمعت بين أحواض الماء الرقراق والنافورات البديعة وقد شيدت عدة أبنية ضخمة عبارة عن صالات فسيحة تقيم فيها طائفة الشيعة احتفالاتها الدينية.
(الصورة الى اسفل)



العلم ، فهناك بعثات ارسلت الى السعودية ومصر وسوريا وليبيا والى جامعات انجلترا وامريكا ، وقد قدمت جامعة الازهر اثناء انعقاد المهرجان التعليمي ، ذلك الذي حضرناه ، عشرين منحة دراسية ، واعلن شيخ الازهر الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود ان الازهر لن يكتفي بهذا ، بل سيوفد عشرين مدرسا الى دار العلوم .. خطوة نود لو حذت الدول الاسلامية الاخرى حذوها .

ويقصد دار العلوم الطلبة من اقطار شرق آسيا وغربها فيتوافد عشرات الطلبة من التبت ونيبال والهند الصينية ، ومن افريقيا الشرقية والجنوبية ، وتقدم لهم الدار التسهيلات وتيسر لهم سبل العلم والمعرفة .

وللندوة مكتبة عامة ، مضى على تأسيسها اكثر من نصف قرن ، تحوى كتبا جامعة تبلغ اكثر من لمائتين الف كتاب في عدة لغات ، منها مخطوطات لمينة تعتبر كنزا علميا نفيسا .. وتعد هذه المكتبة من اهم مكتبات العلوم الشرقية في العالم، يفد اليها الدارسون والباحثون من انحاء شتى .

وقد انبثق عن الندوة عدة مجامع علمية لخدمة العلم والادب والبحوث كدار المصنفين باعظم كره، المجمع الاسلامي العلمي بلكنو ، واكاديمية البحوث الشرعية ، وتقوم هذه المجامع العلمية بوضع الكتبونشرها ليستفيد منها الباحثونوالدارسون.

فروع في انحاء الهند

واسس الخريجون عدة مؤسسات علمية في انحاء الهند مثل دار العلوم في بهوبال ، ومثل الجامعة الاسلامية في مدينة بهاتكل .. وفي عدد كثير من المدن في جنوب الهند وشمالها .

وعندما اتسعت حركة النشر والتاليف وبدأ الطلبة يحسون بحاجتهم الى الكتب الدراسية سارعت الندوة الى انشاء مطبعة خاصة بها .. كما نشطت حركة الصحافة العربية ، فيصدر عن الندوة مجلة « البعث الاسلامي » الشهرية ، وجريدة «الرائد» وهيتعنيباخبار العالم الاسلامي» عادة وبشئون المسلمينفي الهند خاصة،كماكانت تصدر من قبل مجلة « الضياء » تحت اشراف القسمالعربي بالندوة ، كما تصدر ايضا عدة صحف ومجلات اخرى باللغة الاوردية ، منها مجلة « الندوة » وهي مجلة فكرية ، كما تصدر جريدة « تعمير حياة » تزودان المسلمين بالثقافة والفكر الاسلامي ..

اتحاد للطلبة وناد عربي

ولطلاب دار العلوم اتحاد عام وينتخب اعضاؤه في مستهل العام الدراسي وله نشاطات ادبية ورياضية ، ويتبعه قاعة للمحاضرات ومكتبة خاصة ودار للصحف ، كما انشيء للاتحاد ناد اطلق عليه اسم « النادي العربي » ، تحت اشراف اساتذة الادب العربي .

ولا يقتصر النشاط في دار العلوم على النشاط العلمي فقط .. فهي تعمل على خلق المسلم القوى روحا وجسدا ، ولذلك انشات ناديا رياضيا يزاول فيه الطلبة مختلف الالعاب الرياضية .

وحتى يتفرغ الجميع للدراسة والعلم فقد يسرت الدار للجميع من طلبة واساتذة السكن والاقامة كما انشات المطاعم لاعداد الطعام .. ويسرت لهم كذلك العلاج الطبي .. ويتبع الندوة مسجد كبير ليؤدى فيه الطلبه وابناء الحي الفروض الدينية وتقام فيه الاحتفالات الدينية .

ويعتز خريجو الندوة بمعهدهم فيضيفون اسمه الى القابهم فيقولون فلان الندوى .. فهم يعتبرون انفسهم من اسرة واحدة ، فرابطة العلم والثقافة مثل رابطة العرق والدم .

علم الحرية

ونعود ، وفي طريقنا الى ارض الوطن نمر على القلعة الحمراء ..

لقد كفت الموسيقى عن العزف .. وقنال الفردوس جفت ، وبريق الالوان على الجدران خفت .. والدرع الذى كان يحمله المغول العظام فقد الى الابد ... ولكن ..

ما زالت القلعة الحمراء راسخة مرفوعة الهامة .. فما زال في الهند مسلمون يحفظون تراثهم ويناضلون لتكون كلمة الله هي العليا .. ويشاركون مع كافة المواطنين في صنع المستقبل ..

ولم تنل المحن من القلعة الحمراء .. ولم تستطع معاول الحاقدين ان تزيل مجدها .. فبقيت - والمغول موتى - كلمتهم مسموعة..فبقيت دلهي المسلمة عاصمة الهند ، وعلم الحرية يرفرف خفاقا على بوابة لاهور .

محمد حسني زكي

صفحة فى اللغة

لغة الضاد حروفها اكثر وفاءً وشمولا

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ لكل لغة حروفها المحددة لها ، او المحدودة بها • ومن الحروف ماهو مشترك بين اللغات ، ومنها مايخص بعضها دون بعض • ومهما تكثر الحروف نطقا ورسما فى اى لغة فانها لايمكن ان تستوعب الاصوات التى تصدر اويمكن ان تصدر عن جهاز الصوت البشرى الذى يبدأ من الجوف فالحلق ، وينتهى بالخيشوم والشفتين •

الطفل ينطق أكثر من ٢٠٠ حرف

فقد احصى بعض العلماء اللغويين الاصوات التي ينطق بها الاطفال في اوائل عهدهم بالنطق فاذا هى تزيد على المئتين ، وليس فى لغة من لغات العالم المعروفة قديما اوحديثا مثل هذا العدد من الحروف نطقا اوكتابة •

واذا كان الطفل فى بداية عهده بالنطق قادرا على نطق مثل هذا العدد من الاصوات فانه كلما كبر صار اميل الى التقيد بالاصوات التى يسمعها من كلام المحيطين به ، فتقل بالتدريج الاصوات التى ينطق بها حتى تكاد تقف عند الاصوات او الحروف التى ينطق بها مخالطوه ، وهى حروف لغته القومية او الوطنية ، او المحلية ، وان كانت تبقى له قابليته الخاصة للنطق بحروف اخرى غير مافى لغته •

ومهما تتسع هذه القابلية الخاصة به ، ويمتد امدها عنده ، ومهما يتصل بآخرين غير قومه ممن لهم اصوات لغوية غير اصوات لغته ، فان هذه القابلية ـ على اية حال ـ لاتتسع للنطق بكل ما يسمع من الاصوات اومعظمه كما كانت حاله طفلا حديث العهد بالنطق، ومخارج الحروف او الاصوات فى الجهاز البشرى قليلة ، واقل منها المخارج المستعملة فعلا فى نطق اى لغة ، وبعض الاصوات له مخرج واحد خاص ، كما هو الحال فى جميع اصوات لغتنا الفصيحة ، وبعضها يشترك فيه مخرجان متقاربان ، وقد برئت لغتنا من هذا الخلط او اللبس،ومن هنا كانت فصاحتها او وضوح اصواتها ، لان كل صوت مفروز ومتميز من غيره فى النطق والسمع • وكل صوت له حرف واحد ، وكل حرف يؤدى صوتا واحدا ، وليس الامر كذلك فى لغات اخرى كثيرة •

الحروف الأصلية وترتيبها

واغلبية اللغات السامية التى تنتمى اليها لغتنا لا تتجاوز حروفها اثنين وعشرين فى الرسم ، وهى فى هذه الاغلبية مرتبة ومجموعة على وفق الحروف فى الكلمات الآتية : « ابجد ، هوز، حطى، كلمن ، سعفص ، قرشت » وتزيد لغتنا ستة حروف تجمعها الكلمتان « ثخذ ، ضظغ » وهذه الحروف الستة تسمى « الروادف » ، لانها تاتى « رادفة » ـ اى تالية فى هذا الترتيب ـ للحروف الاثنين والعشرين الاولى المشتركة فى اللغات السامية ، ويسمى هذا الترتيب « ابجديا » ، لنسبته الى اول كلمة فيه وهى « ابجد » ، وقد جمعه القدماء كلمات على النحو السابق تسهيلا لحفظه وتذكره، وهذا الترتيب الابجدى هو الشائع عندنا فى المشرق(١)

والشيع منه عندنا ترتيب آخر ، هو : « ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ

(١) للمغاربة ترتيب آخر لهذه الحروف ، ابجدى ايضا ، يتفق مع ترتيب المشارقة فى الاربعة عشر حرفا الاولى « ابجد ، هوز ، حطى ، كلمن » ثم تكمل هكذا « صعفض ، قرست ، ثخذ ، ظغش » •

ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى (٢) وقد لوحظ فى هذا الترتيب ضم الحروف المتشابهة فى الرسم بعضها الى بعض،ويسمى هذا الترتيب « تعليميا » او « هجائيا » لانه الترتيب الذى يلتزم عند « تعليم » هذه الحروف او « هجائها » للجاهلين بها من الصغار والكبار .

ولا بد فى تعلم اى لغة من البدء بتعلم كل حروفها ، والتشدد فى تذوق كل حرف منها ، اى اخراجه من مخرجه الصحيح على صفته الصحيحة كما ينطقه اهله . ولا يمكن ان تؤخذ لغة على صحتها الا بقوة،والزم ما يلزم ذلك فى البداية،حتى يدرب عليها اللسان ، فتصبح عادة له ، راسخة .

وكيفما كان ترتيب هذه الحروف فكل ترتيباتها تسمى « الفبائية » نسبة الى الحرفين « الف باء » اللذين يبدأ بهما كل ترتيب لهذه الحروف .

الحروف الاصلية ٣١ حرفا

وبين حروفنا الثمانية والعشرين ، ثلاثة حروف، هى (اوى) تسمى « حروف المد » او « الحروف اللينة » . ولكننا عند التأمل لا نجدها للمد دائما، بل ان كل حرف منها يكون ممدودا حينا ، وصامتا حينا . فالالف الصامتة هى الهمزة ، وتسمى الالف اليابسة ، كما فى « أخذ ، سأل ، كفء » والالف المد ـ ولا بد ان يسبقها فتح ـ تكون متوسطة كما فى « كتاب » ، او متطرفة ، كما فى « سما » و « جرى » . والواو تكون صامتة ، وذلك حين تشكل بفتح (وَلد) او ضم (وُعِد) او كسر (وِزر) ، كما تكون للمد فى مثل (سرور) . والياء تكون صامتة اذا كانت مشكولة ، اما بفتح (يَقف) او ضم(يُباع) او كسر(جدِي) وتكون للمد (عيد) . فاذا كانت الواو ، او الياء مشكولة بالسكون بعد فتح سميت حرف لين ، مثل « خوف » و « قيد » .

ومن هنا يظهر لنا ان « الالفباء » العربية ثمانية وعشرون حرفا فى الرسم او الكتابة،ولكنها واحد وثلاثون حرفا فى النطق ، وهى تسمى « حروف المعجم » وكلها حروف اصلية، ولكل حرف منها صفاته اللازمة ، (٣) وقد سميت اصلية لانها كانت شائعة على السنة العرب،واما غيرها من الحروف او الاصوات ـ مع انه عربى ايضا ـ فلم تبلغ حدها من الشيوع،بل كان خاصا ببعض القبائل دون بعض.

حروف فرعية

وتتفرع من هذه الحروف الاصلية حروف اخرى،(٤) بعضها مما استحسنه اللغويون عندنا ، لانهم وجدوه فى كلام الفصحاء الذين ارتضوا عربيتهم، وتقيدوا بها دون سائر العرب ، ولورودها ايضا فى بعض قراءات القرآن الكريم ، وفى الشعر المأثور ، كما استقبحوا بعض الحروف مع عروبتها، ولا عيب فيها ، او فى بعضها على الاقل الا قلة ورودها فى المصادر التى ارتضوا بها ، وبعض هذه الحروف قد استحسنوه فى موضع دون موضع.

الحروف المستحسنة

والحروف المستحسنة عندهم ستة :

١ ، ٢ ، ٣) تختص بالهمزة المسهلة على وفق حركاتها الثلاث من فتح او ضم او كسر ، فاذا كانت الهمزة المسهلة مفتوحة (ويناسبها الالف) نطقت بين الهمزة والالف ، واذا كانت مضمومة (ويناسبها الواو) نطقت بين الهمزة والواو ، واذا كانت مكسورة (ويناسبها الياء) نطقت بين الهمزة والياء ، وتسمى الهمزة فى هذه المواضع الثلاثة « الهمزة بين بين » اى بين الهمزة وحرف من حروف المد الثلاثة .

ومعروف فى تاريخ اللهجات العربية ان قريشا التى نزل القرآن بلهجتها كانت تخفف من الهمزة، ولا تنبرها (اى لا تحققها نطقا) ، وكذلك كان معظم اهل الحجاز ، او اهل المدن منهم بخاصة ، وربما كان من اسباب عدولهم عنها ان نبرتها فى الحلق كحركة التقيؤ،واما القبائل الاخرى ـ ولا سيما البدو فكانت تنبر الهمزة ، وقد روى ان رجلا جاء

---

(٢) وقد ترتب الثلاثة الاخيرة هكذا « و هـ ى ».

(٣) تعرف هذه الصفات من كتب « علم التجويد »واهم مباحثه تجويد نطق الحروف اواصواتها ، ومن هنا سمى علم التجويد .

(٤) انظر كتاب « تاريخ الادب او حياة اللغة العربية » للاستاذ المرحوم حفنى ناصف وباب الادغام فى « الكتاب » لسيبويه .

النبي ـ عليه السلام ـ فخاطبه « يا نبيء الله » فكره منه ذلك ، وارشده ان يقول « يا نبي الله » لان قريشا لا تهمز ، وفي رواية عن الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ ان قريشا ما كانت لتقرأ ايات القرآن بالهمز ، لولا نزول القرآن بذلك على النبي ، ومن هنا التزام قريش به .

ومن هنا يظهر ان الهمزة المسهلة توفق بين الاهمال والتحقيق في هذه المواضع او الحروف الثلاثة .

٤ ـ حرف بين الالف والواو ، ويسمى الالف المفخمة ، وكان شائعا في قريش وسائر الحجاز ، كما في الكلمات « الصلاة » و «الزكاة» و «الحياة» ولهذا كتبوها في المصحف هكذا « الصلوة » و « الزكوة » و « الحيوة » وهي تنطق كنطقنا في الدارجة لكلمة « صوم » و « نوم » .

٥ ـ حرف بين الالف والياء ، وهو ينطق كنطقنا في الدارجة للياء في كلمة « عين » و « ليل » ويسمى هذا الحرف « الف الامالة » ـ وهي الامالة الكبرى ـ نظرا لان الحرف ممدود ـ والاصل فيه امالة الفتحة الى الكسرة ، فتميل الالف الى الياء لزاما ، لان كليهما حرف مد ، ويسمع في بعض القراءات القرآنية مثل كلمة « مجريها » في قوله تعالى « باسم الله مجريها » وتكتب في المصحف ياء فوقها الف ، سواء كانت متوسطة او متطرفة .

ولم تكن الامالة في لهجة قبائل الحجاز ، ولكنها كانت عامة في سائر العرب ، ولم تزل هذه الالف الممالة تسمع حتى اليوم في بعض لهجاتنا الدارجة.

٦ ـ حرف بين الزاي والصاد ، وينطق كالزاي المفخمة ، وهو شائع بل مطرد في عامية كل المصريين واهل الشام حين ينطقون الظاء ، في مثل الكلمات « ظهر ، وظلم ، وظرف » كما ان هذا الحرف شائع بين الاتراك والايرانيين والاكراد حين يتحدثون بالعربية ، ويحاولون نطق الظاء الفصيحة عندنا فيعجزون ، لانهم في لغاتهم لم يالفوه .

وقد تذبذبت هذه الاصوات الثلاثة (ز،س،ص) على السنة العرب احيانا لان مخرجها واحد . ومن شواهد ذلك ما يروى ان اعرابيا مر باعرابيين يختصمان فدعياه للحكم بينهما في نطق كلمة ، ايهما اصح في نطقها : احدهما يقول «الصقر» والاخر يقول « السقر » فقال الاعرابي الحكم : كلاكما مخطيء انما هو « الزقر » وعلى هذا النحو نسمع من بعض القراءات كلمة « الصراط » .

الاحرف المستقبحة

وهي سبعة حروف

٢،١ ـ حرفان منها بين الباء والفاء الخالصتين، ينطق بهما بدل الباء الخالصة والفاء الخالصة في الفصيحة ، (ويوجدان في العبرية) ، احدهما يميل الى الباء ، ونطقه كالحرف الافرنجي P ويرسم عندنا اليوم باء بثلاث نقط تحته ، والآخر يميل الى الفاء ونطقه كالحرف الافرنجي V ويرسم اليوم عندنا فاء بثلاث نقط فوقه وهما شائعان اليوم بيننا في الفصيحة محاضرة وكتابة في نطق الاعلام الاعجمية ونحوها اذا كان هذا الحرف او ذاك في اصل الكلمة الاعجمية ، ولا نميل بأيهما الى ما هو اقرب اليه من حروفنا كما فعل العرب القدماء ، في نطقهم بالباء الخالصة او الفاء الخالصة في مثل قولهم : « الاصبهاني » او « الاصفهاني » وقد اقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هذين الحرفين في كتابة الاعلام الاجنبية ونحوها بيننا ، اذا وردا في تلك الكلمات .

٣ ـ حرف بين الجيم والكاف ، ويسمى « القاف المعقودة » وقد كتبه الفرس (گ) ذات خطين بدل خط واحد حين استعملوا الحروف العربية لكتابة لغتهم ، وقد كان هذا الحرف ـ ولم يزل ـ شائعا في معظم لهجاتنا حتى اليوم ، نسمعه بدل القاف الخالصة في معظم الصعيد وبعض محافظات الدلتا في مصر وفي اقاليم الجزيرة العربية والعراق ، ونسمعه بدل الجيم الخالصة في اللهجة القاهرية ، ونسمعه بدل الكاف الخالصة في بعض كلمات في العراق ، مثل كلمة « بنك » Bank ، فهم ينطقونها قافا معقودة ، كانها g وليتنا تبنينا لها الكاف ذات الخطين في الرسم كما هو شائع اليوم عند الاعاجم الذين يكتبون لغاتهم بالحروف العربية .

٤ ـ حرف بين الطاء والتاء ، وهو شائع على السنة الاعاجم حين ينطقون الطاء العربية الخالصة، لانها ليست في لغاتهم ، واعجب من ذلك شيوع هذا الحرف المتوسط في اللهجة القاهرية فالمتظرفون هناك ينطقون الطاء تاء خالصة احيانا ، لا سيما عند نطق بعض الكلمات الاعجمية ، فيقولون « ايتاليا ، وبريتانيا » وتكاد الطاء العربية الخالصة لا تسمع هناك الا في صعيد مصر ، فان لها هناك تفخيما كانها تفرقع ، وكذلك تسمع

فى كثير من البلاد العربية ـ ولا سيما بواديها ـ لاخراجهم اياها من مخرجها الفصيح (ويلاحظ ان الحروف الثلاثة : « ط » د » ت » ذات مخرج واحد ، بين طرف اللسان واصول الثنايا صاعدا الى الحنك،ولكن الطاء ادخل فى الفم،والتاء اخرج، والطاء على كل حال مفخمة فترقيقها على اى درجة غير صواب ، وهى اقوى الحروف ، لان صفاتها كلها قوية) .

٥ ـ حرف بين السين والصاد ، بتفخيم السين قليلا ، او ترقيق الصاد قليلا كما فى كلمة : « سطر » ، « وسلطان » ، و « سيطر » و « سلاطين » .

٦ ـ حرف بين الضاد والظاء ، وتسمى الضاد الضعيفة ، لانها كالضاد ولكن مخففة ، وهى لا تعتمد على مخرج الضاد فى الفصيحة ، ومعروف ان لغتنا تسمى « الضاد » او « لغة الضاد » لتميزها بهذا الحرف ، وهو صعب النطق لخروجه من بين جانب اللسان قرب طرفه وما يقابله من الاضراس العليا ، فتشترك فيه معظم حافة اللسان

واغلبية العرب الذين ينطقون الضاد اليوم متميزة من الظاء ينطقون الضاد من طرف اللسان وما يقابله من اصول الثنايا (الاسنان) العليا . وبعض العرب اليوم يجعلون للضاء والظاء نطقا واحدا ولذلك فهم يكتبون احدهما مكان الآخر .

٧ ـ حرف بين الثاء والظاء ، وهو ثاء مفخمة وسببه المبالغة فى اخراج اللسان (بارزا من الاسنان)

حرفان بين الاستحسان والاستقباح

وهناك حرفان يستحسنان فى موضع ويستقبحان فى موضع،احدهما حرف بين الواو والياء مثل الحرف (U) فى الفرنسية ، كما فى كلمة Tu (بمعنى انت) وهو شائع فيها ، ولذلك لا يحسن اخراجه غير من نشأ على النطق به الا بعد تدريب دقيق ، وهو سبب الحيرة لنا فى كتابة الكلمات الاعجمية حين يرد فيها ، فنكتب مثلا « هوجو » و « هيجو » اسم الكاتب الفرنسى Hugo وصوابه ان ينطق ممدودا بين الواو الخالصة والياء الخالصة بدلا من احداهما .

ومن شواهده فى الشعر القديم كلمة « بوع » فى هذا البيت لشاعر يتحسر على شبابه :

ليت وهل ينفع شيئا ليت
ليت شبابا « بوع » فاشتريت

وكلمة « حوك » فى بيت آخر لشاعر يصف حلة بانها نسجت على نيرين ، وانها صفيقة لا ينفذ منها الشوك اذا خبطت به :

« حوكت » على نيرين اذ تحاك
تختبط الشوك ، ولا تشاك

ولصعوبة نطق هذا الحرف تنطق الكلمتان بالياء الخالصة بعد كسر « بيع » و « حيك » او واوا خالصة بعد ضم (بُوع ، حُوك) وقد كان هذا الحرف شائعا فى لهجة بعض القبائل كقيس واسد، ولكن هذا الحرف يستقبح اذا استعمل بدل الواو الممدودة حين يقع بعدها حرف مكسور ، مثل الراء فى قولنا « عبد الصبور ، عميق الشعور »، والاصل فى ذلك امالة الضمة (قبل الواو) الى الكسرة (بعدها) ، فيستلزم ذلك امالة الواو الى الياء وكلاهما حرف مد .

اما الحرف الثانى المستحسن حينا والمستقبح حينا فهو حرف بين الجيم والشين ، او هو جيم شديدة التعطيش ، وهى شائعة حتى اليوم فى بعض ربوع الشام ـ لا سيما لبنان ـ وفى ربوع العراق والجزيرة العربية ، وينطق استحسانا بدل الشين الخالصة حين تقع ساكنة قبل حرف الدال ، كما فى كلمة (يشدو ، مشدوه) ، ويستقبح نطقه بدل الجيم الخالصة اذا كانت ساكنة بعدها دال مثل (يجدى ، يجدل) او كانت ساكنة بعدها تاء، مثل : اجتر ، ولهذا تنطق فى الدارجة «اشتره» ، ويلاحظ هنا ان الجيم الفصيحة الخالصة تكاد لا تسمع اليوم فى اللهجات الدارجة الا فى صعيد مصر الاعلى (٥) .

ومهما تبلغ حروف لغة من الكثرة والشمول فانها لا تغنى فى تسجيل شتى الأصوات اللغوية ، وكذلك تعلم القراءة لاى لغة لا يغنى عن تلقيها مشافهة ـ ولو فى البداية ـ على من يحسن نطقها الصحيح .

■■

محمد خليفة التونسى

(٥) يلاحظ ان الحروف الجيم والشين والياء غير الممدودة تخرج ثلاثتها من وسط اللسان وما فوقه من الحنك ، ولكن الجيم ادخل فى الفم والياء اخرج .

أنت تسأل ... ونحن نجيب

نصر جديد للقضية العربية
أمام المجتمع الدولى

● كان اكبر نصر حققته المقاومة الفلسطينية فى عام ١٩٧٤ ، عندما استمع العالم كله ممثلا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة لصوت فلسطين ، حيث وقف ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يشرح قضية بلاده ويناشد الضمير العالمى العمل على اعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . لقد انقضى عام او يزيد على هذا الحدث التاريخى . ترى هل شهد هذا العام المنصرم عام ١٩٧٥ انتصارات جديدة للشعب الفلسطينى ، انه سؤال يلح علينا ، ونحن نودع عاما ونستقبل عاما جديدا ، نرجو ان يكون حافلا بمزيد من الانتصارات للأمة العربية كلها ..

قاسم محمد / عمان

ان اكبر نصر حققه العرب خلال العام المنصرم ، عام ١٩٧٥ ، هو ذلك القرار التاريخى الذى اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة والذى ادانت فيه الصهيونية ، واكدت انها لون من الوان التفرقة العنصرية ، فهو اول قرار من نوعه يدين الحركة الصهيونية منذ ظهورها على المسرح الدولى ، ويثير الشكوك فى ولاء الصهيونيين للدول التى ينتمون اليها . وسوف يكون لهذا القرار آثار هامة على المدى البعيد . ولذا فاننا نستطيع القول بان هذا العام الجديد ، عام ١٩٧٦ هو بلا شك عام فلسطين والقضية العربية .

ولم يكن هذا القرار فى واقع الامر مفاجأة لاحد ، فقد سبقته قرارات اخرى كان لها اثر كبير فى التحول الواضح على مستوى الرأى العام العالمى نحو قضية فلسطين ، او قضية المصير العربى .

فمما لا شك فيه أن احساس العالم بالوجود الفلسطينى تضاعف عقب تلك الجلسة التاريخية للجمعية العامة للأمم المتحدة خلال دورتها التى انعقدت فى الربع الاخير من عام ١٩٧٤ عندما وقف ياسر عرفات يشرح ابعاد قضية بلاده امام المجتمع الدولى . فمنذ ذلك التاريخ والاصوات تتزايد مطالبة باعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .. اصوات الحكومات والشعوب على السواء .

ومن اهم الانتصارات التى حققتها القضية الفلسطينية ، فى رأى المراقبين السياسيين خلال العام المنصرم ، هو ذلك الذى تمثل فى موافقة الاتحاد البرلمانى الدولى على قبول حضور ممثلى المجلس الوطنى الفلسطينى ، كمراقبين خلال جلسات مؤتمر الاتحاد الذى عقد فى العاصمة البريطانية .

فقد تمكنت المجموعة العربية البرلمانية بفضل تنسيق جهودها وتكاتفها من الوصول الى هذا القرار الذى يعتبر الاول من نوعه فى تاريخ المؤتمرات البرلمانية الدولية ، وفاز القرار العربى باغلبية ٤٨٣ صوتا ضد ٢١٥ صوتا ، وامتناع ٥٧ عن التصويت .

وبذلك نجح وفد المجلس الوطنى الفلسطينى فى حضور اجتماعات المؤتمر ولجانه ، رغم المعارضة الشديدة والمظاهرات الصاخبة التى نظمتها العناصر الصهيونية فى لندن .

وقد احتل موضوع الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية مكان الصدارة بين الموضوعات المطروحة

على المؤتمر ونجحت الوفود العربية في ان تحصل على افضل قرار من المؤتمر في موضوع الشرق الاوسط ، ولأول مرة يصدر القرار متضمنا النص الصريح على وجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة ، ومؤكدا في الوقت نفسه الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني معلنا ان الامن والسلام في الشرق الاوسط كل لا يتجزأ ، وانه لا يمكن ان يتحقق هذا السلام ، اذا لم يتم الوصول الى حل كامل وعاجل للمشكلة برمتها ٠

كما طالب القرار الذي اصدره المؤتمر بالتطبيق الفوري لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الامن ، الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، وان تضع اسرائيل حدا للاعتداءات على حريات المواطنين في الاقاليم العربية المحتلة ، كذلك طالب القرار برلمانات العالم واعضاءها بالعمل على ارغام اسرائيل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، ودفع المنظمة الدولية الى اتخاذ الاجراءات المناسبة لتحقيق ذلك طبقا لما يقضي به ميثاقها ٠

واخيرا دعا القرار الى عقد مؤتمر جنيف للسلام في اسرع وقت ممكن ، كما طالب بالضمان الكامل لحقوق شعب فلسطين ، طبقا لما جاء في قرارات الامم المتحدة ، مطالبا بضرورة اشتراك شعب فلسطين كعضو اساسي في مؤتمر جنيف ، ممثلا في منظمة التحرير الفلسطينية، مؤكدا حق هذا الشعب في تقرير مصيره ، وفي الاستقلال وفي السيادة الوطنية ، وكذلك حقه في العودة الى وطنه ، واسترداد حقوقه وممتلكاته طبقا لمبادىء الامم المتحدة ٠

وهكذا ترى قضيتنا ، وهي تحقق كل عام نصرا جديدا ٠

(م ٠ ن)

جزيرة كريت والفتح الاسلامي

● هل عرف العرب جزيرة كريت قبل الاسلام ، وهل فتحها المسلمون ، وكيف كانت احوالها عند الفتح ؟

عبد القادر الطرابلسي
طرابلس ـ ليبيا

ـ كريت جزيرة معظم سطحها جبلي ، تقع في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، مقابل بلاد اليونان شمالا ، والحدود الليبية المصرية الآن جنوبا ، وهي من اهم الجزر هناك لقربها من افريقية وآسيا واوربا ، وهي دول العالم القديم كله قبل كشف امريكا واستراليا ٠ وكريت من أهم مراكز الحفريات الحديثة عند الباحثين في تاريخ علم الانسان وتاريخ الحضارات القديمة وتاريخ اللغات ، وقد كانت لها حضارة عريقة بلغت ذروتها في القرن ١٦ ق ٠ م ثم بادت فجاة ، وكانت ذات صلات قوية بكل الحضارات القديمة القريبة منها في القارات الثلاث ، ومن مزاياها بين مراكز الحضارة انها جزيرة صغيرة تنعزل عن جيرانها تارة ، وتتصل بهم تارة ٠

ومن المعروف تاريخيا الآن ، اكثر من ذي قبل ، ان سواحل الشام في تلك الحقبة كانت مواطن امم خرجت من جزيرة العرب ، ثم أسست في تلك السواحل حضارات سامية كالكنعانيين والفونيين (الفينيقيين) واهل « اوجاريت » Ugarit ومنهم جماعات انطلقت بسفنها من تلك السواحل تجوب البحر المتوسط ، وتتاجر مع اهل جزره وسواحله ، بل تقيم مستعمرات تجارية هناك ، وتنشر مع التجارة نفوذها وحضارتها ، وكان لكريت حظها الوافي من تلك الحضارات ونقلها الى اليونان ، وتعد حضارة كريت من اقدم حضارات العالم القديم ، واكثرها صلة بها ، منذ اربعة آلاف سنة ، وكان ممن سكنها ايضا قديما اليونان (الدوريون) ثم استعمرها الروم (الغربيون) سنة ٦٨/٦٩ ق٠م حتى انتزعها منهم المسلمون سنة ٨٢٦ (٢١٠ هـ) بعد معارك متطاولة في ظروف مختلفة ٠

وبعد ظهور الاسلام استطاع المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ان يغلبوا الروم (البوزنطيين)

---

(١) اصاب اسمها تحريفات كثيرة ، فسميت ايضا :اكريت Krete وكريتا Creta واكريتي Krētē وجريت Girit ، وجريد (ولهذا ينسب اليها فيقال بالتركية « الجريدلي ») ومن اعجب التحريفات : كندية وقنديا Candia ٠

على الشام ومصر ثم امتدت فتوحاتهم غربا حتى المحيط الاطلسي والاندلس ، وكل هذه البلاد تقع على سواحل البحر المتوسط ، ومنذ ان انهزم الروم حاولوا استرداد ما فقدوا ، واعتمدوا على اسطولهم في الهجوم على سواحل الشام ومصر ، وشجعهم على ذلك انه لم يكن للمسلمين اسطول في البدء ، ثم انشاوا اسطولا استطاع في موقعة بحرية (ذات السواري) أن يهزم الاسطول الرومي ، ثم تشجع فطارده الى حيث كان يلتجىء في موانىء الجزر الرومية في البحر المتوسط ، ومنها ارواد ، وقبرص ، وكريت ، وقد بدأ غزو الجزر في خلافة عثمان بن عفان وولاية معاوية على الشام ، فلما خلص الملك لمعاوية زاد اهتماما بالاسطول الاسلامي، وشجعه على مدافعة الاسطول الرومي حتى موانيه في تلك الجزر ، ومن حملاته حملة بقيادة جنادة ابن أبي أمية الازدي سنة ٦٧٤ (٥٤ هـ) غزت ارواد ، ثم كريت (وقد سماها العرب «اقريطش»)، ثم أعيد غزو كريت ايام عبد الملك بن مروان الاموي ، ثم غزاها ايام العباسيين ، حميد بن معروف الهمداني ، وكان ذلك في عهد هرون الرشيد ، ولكن في عهد ابنه المامون سنة ٨٢٥ (٢١٠ هـ) جاءتها حملة من الاندلس غربا بقيادة ابي حفص عمر بن عيسى الاندلسي (ويقال له « الاقريطشي » ايضا ،نسبة اليها) فتتبع حصونها، حتى فتحها جميعا ، وطرد منها الروم ، وهدمها واستقر في كريت ، ثم حكمها اعقابه اكثر من قرن ، وكانت « كاعظم البلاد الاسلامية نكاية في الروم » كما قال ياقوت في كتابه معجم البلدان ، وعاد الروم الى استرجاعها سنة ٩٦١ (٣٤٩ هـ) بجيش عدته ٧٢٫٠٠٠ مقاتل ، منهم ٥٫٠٠٠ فارس ، فحاصروها نحو سنة ، حتى فتحوها بالقتال والتجويع ، فقتلوا ونهبوا وسبوا ، وكان من السبق اميرها من اتباع ذلك الفاتح ، كما اخذوا معه اقاربه وامواله الى القسطنطينية،وقيل ان ما حمله الروم من غنائم كان ملء ٣٠٠ سفينة ، ثم خربوا الحصون والقوا حجارتها في الميناء لسد باب الجزيرة في وجوه غزاة المسلمين ، ثم استولت عليها البندقية سنة ١٢٠٤ ، ثم ملكها الاتراك المسلمون سنة ١٦٦٩ فبقيت في حكمهم ، وخلال ذلك حكمها المصريون في ايام محمد على باشا ، حتى اذا كانت سنة ١٨٩٦ ثار اهلها بتحريض اليونان وتشجيع الدول الاوربية التي احتلت قواتها كريت ، واجلت القوات التركية عنها سنة ١٨٩٨ ، وصارت لها حكومة مركزية ، ثم اعلنت كريت اتحادها مع اليونان سنة ١٩٠٨ ، واتحدت معها فعلا سنة ١٩١٣ وكانت ايامحكم الاتراك منفى لمن يغضب عليهم الحكام

(م ٠ خ ٠ ت)

شركة « بان أمريكان »

هل اصبحت ايرانية ام انها ما زالت امريكية ؟ !

● سمعنا قبل حين عن مساهمة ايران فيشركة بانامريكان للطيران ٠٠ نرجو ان تفيدونا عن حصة ايران منأسهم هذه الشركة المالية الكبيرة ٠٠ وتعطونا فكرة عن الاسباب التي حدتبشركة البان امريكان على مشاركة الدولة الشرقية الشقيقة ٠٠

— / —

ـمن المعروف ان اعمال شركات الطيران لم تكن مربحة في المدة الاخيرة ٠ ويصدق هذا بخاصة على الشركات الامريكية وعلى شركة بان امريكان بالتحديد ٠

ومن المعروف ايضا ان ايران ، وقد قفز دخلها البترولي حتى بلغ ٢٠٫٠٠٠ مليون دولار سنة ١٩٧٤، كانتماضية فيتوظيف دولاراتها البترولية، سواء في الداخل او الخارج ، على اوسع نطاق ممكن، وانها كانت تبحث دوما عن فرص للاستثمار جديدة ٠

لا عجب اذن ان التقت مصالح الدولة الاسلامية الطموح بمصالح الشركة الامريكية العملاقة ، علما بان تعاونا ما كان قائما بين الطرفين منذ سنة ١٩٦٤ ٠

وما أسرع ما انتهت المفاوضات التي بدات بين الجانبين مع بداية هذه السنة (١٩٧٥) الى اتفاق مبدئي يمكن ايجازه بالنقاط التالية :

ـ مبلغ ٢٤٥ مليون دولار تقدمه ايران الى الشركة قرضا ٠

ـ مبلغ ٥٥ مليـون دولار تدفعـه ايران الى

احتضرت زيلع فانتعشت بربرة !

● تردد فى الانباء ذكر اسم ميناءبربرة ٠٠ الامريكان يدعون أن فيه قاعدة صواريخ روسية ٠٠ وابناءالصومال ينكرون هذا الادعاء ٠٠ والواقع انكل معلوماتى عن هذا الميناءهي بقايا ما كنا نتعلمه فى المدرسة عن زيلع وبربرة ، فهل يمكن انتزودونا بمعلومات حديثة عن هذين الميناءين ؟

جعفر التهامي ــ القاهرة

ــ زيلع وبربرة ميناءان صوماليان، لهما تاريخ قديم عريق ٠٠ وتعتبر زيلع اقدم ميناء فى الجزء الشمالي من الجمهورية الصومالية ، فقد كانت منفذا للفراعنة الى ارض الصومال،او بلاد (بنت) كما كانت تسمى ، ولا تزال آثار الفراعنة موجودة حتى اليوم فى منطقة عمود القديمة ٠٠ وكانت زيلع منفذا للعرب فى القرن السابع عشر ، وقد تركوا فيها جالية عربية كبيرة تعمل فى التجارة ونشر تعاليم الاسلام ٠٠ وتقع شمال زيلع جزيرة « سعد الدين » التى اتخذها صيادو الاسماك مقر اقامة لهم ، كما استعملت منفى للمعتقلين السياسيين ايام الاحتلال البريطاني للصومال الشمالي ٠٠

وتقع زيلع على مسافة ٣٥ ميلا من الحدود مع الصومال الفرنسي ٠٠ وهي اقرب النقاط الى الجزيرة العربية وعدن ، وكانت المواشي تاتي من الصومال والحبشة الى زيلع لتنقل الى اسواق الجزيرة العربية ، قبل انشاء خط سكة حديد (اديس ابابا ــ جيبوتي) عام ١٩١٨ وميناء زيلع كان يشتهر بمياهه العميقة ، الا ان تعرضه لحركتي المد والجزر بدرجة كبيرة ، جعل الرمال تتراكم في مدخل الميناء وتغلقه ، فانهار نشاطه التجارى وهجر معظم السكان مدينة زيلع، واتجهوا الى ميناءي جيبوتي وبربرة ٠٠

وتاريخ بربرة مرتبط بتاريخ زيلع، فبعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ افتتحت مصر مراكز لها

الشركة لقاء امتلاكها ٥٥٪ من اسهم فنادق الانتركونتننتال التيتملكها شركة البان امريكان ، وعددها ٦٦ فندقا منتشرة فى شتى انحاء العالم ٠

ــ تعين ايران مندوبا واحدا يمثلها فى مجلس ادارة الشركة البالغ عدد اعضائه ١٧ عضوا ٠

ــ تعطى ايران الخيار لشراء ١٣٪ من اسهم شركة البان امريكان الفائضة ٠

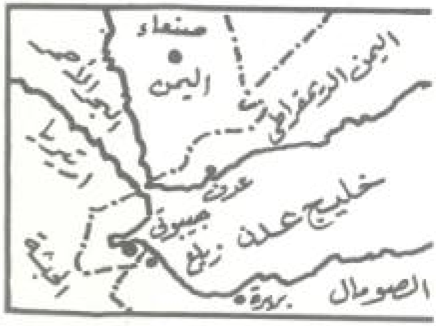
ــ تسهم الشركة فيتعزيز اساطيل ايران الجوية، التجارية منها والعسكرية ٠

ولا تسل عن الفرحة التى غمرت الشركة الامريكية ، ومعها البيت الابيض نفسه ، بسبب هذا الاتفاق المبدئي ٠ ذلك ان الشركة الامريكية الكبيرة كانت تعاني من ضائقة مالية كبيرة ٠ فقد رهنت اكثر ممتلكاتها لدى المصارف للحصول على الترتيبات الائتمانية التى تكفلها السيولة النقدية التى افتقدتها ٠ وجاء هذا كله نتيجة للخسائر المتلاحقة المزمنة التى تكبدتها الشركة سنة تلو سنة طيلة الفترة : سنة ١٩٦٨ ــ ١٩٧٤ ، وقد بلغت تلك الخسائر بمجموعها ٢٥٦ مليون دولار٠

وقد يذكر المرء ، من اسباب هذه الضائقة ، سوء الادارة الذي طالما اعتبر ماخذا على شركة بان امريكان ، وقد يستشهد بالطائرات الكثيرة التى اقدمت على شرائها ادارة الشركة ، بالرغم من عدم وجود حاجة ملحة اليها ، وبالرغم من اثمانها الباهظة ٠ واكثر هذه الطائرات جاثم على ارض المطارات دون استعمال ٠

وقد يذكر من اسبابها ايضا الارتفاع الكبير الذى طرأ على اسعار البترول فى السنتين الاخيرتين ، وهو الموضوع الذى يحلو لصحافة الغرب التركيز عليه فى هذا الصدد ٠ ومهما يكن من امر فقد بلغت قيمة ما استهلكته طائرات البان امريكان من وقود ١٩٤ مليون دولار سنة ١٩٧٤ ٠

على ان فرح شركة البان امريكان بالاتفاقية لم يطل امده ٠ فقد ارجات ايران توقيع تلك الاتفاقية الى اجل غير مسمى ، او لعلها صرفت النظر عنها



في كل من زيلع وبربرة ، فقد كانت تتولى ادارة ساحل البحر الاحمر من السويس حتى راس جاردا فوى ٠٠ وامتدت سيطرتها في فترة حتى وصلت الىمدينة كسمايو على خط الاستواء ٠٠ واستمرت السيطرة المصرية على هذا الساحل الطويل ، ومدينة هرر حتى عام ١٨٨٨ ٠

اما بربرة فميناؤها العميق ، الذى انتهى العمل فيه عام ١٩٦٩ يمكنه استقبال ٢٠٠ الف طن من البضائع سنويا ٠٠ وهذه الخطوة سببت انتعاشا اقتصاديا كبيرا للمنطقة ، وللصومال عامة ، فالاغلبية العظمى من المواشي الصومالية يتم تصديرها من بربرة ٠٠ كما اصبح بالامكان استغلال المعادن الصومالية باسلوب اقتصادى وتصديرها من هذا الميناء ٠٠ ومما يذكر ان هناك كميات هائلة من مادة « الجبسون » موجودة قرب بربرة ٠٠

وتستطيع اربع سفن ان ترسوا مرة واحدة ملاصقة لارصفة ميناء بربرة ، الى جانب مساحة كبيرة من المياه العميقة خارج الميناء ، تستطيع استيعاب عدد اخر من السفن ٠٠ وتجرى حاليا عملية توسيع كبيرة للميناء ليستقبل سفنا اكبر حجما واكثر حمولة ٠٠

ومما يذكر ان سكان بربرة يتضاعف عددهم في الموسم البارد فيصل الى نحو ٥٠ الف نسمة ، لينخفض الى نحو ٢٥ الف نسمة خلال فترة القيظ ٠٠

ان قصة زيلع وبربرة، هي تكرار لقصة سواكن وبور سودان في جمهورية السودان ٠٠ واحدة تندثر واخرى تنتعش ٠٠

س ٠ ز

كلية ، كما يعتقد المسؤولون في الشركة وفي مقدمتهممديرها العام، المستر وليام سيول Mr. W. Sea well، وقد تكررت زيارته لطهران في الصيف الماضي ، بلا طائل ٠

وتجدر الاشارة هنا الى ما اضطلعت به ايران في السنتين الاخيرتين من مشاريع ضخمة والتزامات مالية جسيمة ٠ ولعل اخطر ما يذكر من هذه جميعا اقبالها على اعادة تسليح جيشها ٠ وحسبنا ان نذكر أن ايران اصبحت تحتل المرتبة الخامسة او السادسة بين الدول جميعها من حيث ميزانية دفاعها ٠ فقد بلغت هذه نحو ٥٠٠٠ مليون جنيه استرليني (بالضبط ٤٩٥٤ مليون جنيه استرليني) في سنة ١٩٧٤ وحدها ٠ وهكذا سجلت الدولة الشرقية الصديقة تفوقا في هذا الشان على بريطانيا نفسها ، صاحبة الامبراطورية التى سادت ثم بادت، وكذلك على سائر دول العالم، باستثناء الدول الاربع او الخمس التالية ، حسبما صنفها كتاب ميزان القوى لسنة ١٩٧٥/١٩٧٦ وهو الكتاب السنوى الذى يصدره معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن ٠

الاتحاد السوفياتي ، فالولايات المتحدة الامريكية، فالمانيا الغربية ، ففرنسا ، تليها ايران (والصين الشعبية) ثم تاتي بريطانيا ٠

ولو ذكرنا بعد هذا كله ان ايرادات ايران البترولية قد نقصت في المدة الاخيرة بنسبة ٢٠٪ تقريبا ، لشعرنا بثقل الاعباء التى باتت تنوء بها ايران ٠ فهل من عجب بعد هذا ان بدات حكومة طهران في اعادة النظر في شتى التزاماتها المالية ومن بينها اتفاقية البان امريكان ، التى لم تلتزم ولم تقطع عهدا بتوقيعها على كل حال ٠٠ !

بقي ان نذكر ان شركة البان امريكان ما زالت تشرف على الغرق وتنتظر بفارغ الصبر المنقذ الذى قد يحل محل ايران في العمل على نجدتها ، والسعي الى دخول ثابتة وارباح طائلة بقروض ومبالغ محدودة ٠

(ى ٠ ز)

تخطيط التنمية



بقلم : علم الهدى حماد

■ ان ما يمر به عالمنا العربي الآن من محن وشدائد انما يعكس المتناقضات التي يعاني منها اقتصادنا ، كما يعاني منها اقتصاد العديد من دول العالم • فهناك غني وفقر ، وقوة وضعف ، وعلم وجهل ، وزيادة ونقص ، وجوع وشبع ، ووفرة وعدم • متناقضات وجدت مع وجود الانسان ، وستستمر مع وجوده على ظهر الارض • واذا قبلنا صحة هذا الافتراض ، وحتمية الواقع الاليم فعلينا الا نقف مكتوفي الايدى • علينا ان نجد الحلول للموازنة بين تلك المتناقضات ••

ولا ننكر أن ما يمكن اعتباره حلا مناسبا لدولة ما ، قد يتناسب مع دولة اخرى • الا اننا بتعميم الملاحظة انما نقصد التفهم العاجل بدون الدخول الى مسالك لا يتسع مجال البحث لها •

لا شك أن جميع دول العالم تقدر اهمية التخطيط كوسيلة فعالة لتحقيق اهداف تختلف بحسبما تراه الدولة في مصلحتها • وللتخطيط مكانته في الدول الغنية وفي الدول الفقيرة ، وان اختلف هدف استخدامه فالحاجة اليه ماسة في جميع الاحوال •

وقد يلتبس على البعض مفهوم التخطيط لخاصيته المعقدة واختلاق ابعاده • وتوجد عدة من التعريفات التي في حد ذاتها تخلق بعض الالتباس ، الى الدرجة التي تستخدم بها كلمة « التخطيط » بدون اعتبار صحة الاستخدام •

التخطيط وصفاته

يرى اغلبية المتخصصين بانه يمكن تعريف التخطيط بالمحاولة الذكية المنظمة لاختيار انسب الحلول المتوفرة لتحقيق هدف معين •

ويستخدم التخطيط لخدمة اهداف عديدة : كاعداد وتنفيذ برامج انزال انسان على القمر ، أو ادارة دولة او مدينة او حتى منشاة صغيرة •

وقد يكون التخطيط مؤقتا كما يحدث في الفترة التي تلي الحروب او الكوارث ، او طويل المدى مثل التخطيط القومي • ونورد هنا ان التخطيط الاقتصادى لا بد وان يضمن استغلال الموارد المتوفرة بالطريقة التي تعود علينا باكبر درجة اشباع • ولذلك فان اى اختيار لوسيلة تعود علينا بدرجة اشباع اقل من وسيلة اخرى يعتبر تصرفا غير اقتصادى ، وكذلك التخطيط •

وعلى اى الاحوال مهما اتخذ التخطيط من اشكال فهناك صفات عامة للتخطيط نوردها كما يلي : النظر الى المستقبل ، والاختيار لافضل الحلول ، ومحاولة تنظيم الاحداث بالشكل الذى يضمن مسارها في اطار محدد • وتوجد هذه الصفات في جميع الانواع المتعددة للتخطيط مثل زمن الحرب ، وتخطيط ما بعد الحرب ، وتخطيط المدن ، والتخطيط المضاد للدورة الاقتصادية ، وتخطيط التنمية •

تاريخ التخطيط

يجدر بنا الاشارة الى ان تاريخ الحضارات

فاعلية المؤسسات القائمة
ومدى ما حققته الدولة من تقدم
عاملان رئيسيان يحددان شكل ودور التخطيط

العريقة فى مصر وبابل (العراق) والصين والهند يؤيد معرفة هذه الحضارات لتخطيط التنمية ، كما توجد الادلة بصفة خاصة فى نظم الرى والزراعة وتعبيد الطرق • وقد كان التخطيط من اهم العوامل التى ساهمت فى نجاح الغزوات الاسلامية وبناء اكبر امبراطورية ويتربع الرسول صلوات الله عليه وسلامه على قمة رجال التخطيط ببراعته فى المعارك ، ومهارته فى ادارة الدولة الاسلامية ، وتدبره لمواجهة المستقبل ، واختياره دائما لانسب الحلول ، وقدرته على سبر اغوار الامور ومعرفة دقائقها ، والحنكة فى استخدام ما توفر له من موارد • ولا شك ان الاسلام منذ بدايته دين تخطيط ، لم يترك الامور تجرى فى اعنتها • ويسعفنى قول الرسول « اعقلها وتوكل » ، وهذا العقل خطة• ولا شك ايضا ان ما قدمه لنا الاسلام كاسلوب عمل فى حياتنا اليومية يتصل اتصالا وثيقا بالتخطيط كما نفهمه الآن فى عالمنا المعاصر • وقد جاء فى الاثر « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » •

يمكن اعتبار حكومة بلجيكا رائدة فى مجال التخطيط الحديث بما نفذته من خطة استثمار عامة فى الكونجو سنة ١٩٠٦ • كما يمكن اطلاق تعبير « أول خطة تنمية متكاملة » على ما قدمه الحاكم البريطانى فى ساحل الذهب (غانا) سنة ١٩١٩ لتنمية المستعمر • الا ان الاتحاد السوفيتى يعتبر الدولة الوحيدة التى استخدمت تخطيط التنمية بانتظام قبل الحرب العالمية الثانية، وذلك بتطبيقها للخطة الخمسية فى سنة ١٩٢٩ ، باعتبار التخطيط صفة رئيسية للاشتراكية •

ولقد كانت الحرب العالمية الثانية عنصرا اساسيا لظهور الحاجة الشديدة الى التخطيط • ولا شك ان خطة مارشال سنة ١٩٤٨ وضعت حجر الاساس لعدد كبير من دول اوروبا لاستخدام التخطيط • بينما بدات دول شرق اوروبا فى اتباع النمط السوفيتى للتخطيط •

تخطيط زمن الحرب

استخدمت الولايات المتحدة وبريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية التخطيط المركزى ، واحكمت الرقابة على النشاط الاقتصادى بالشكل المتبع فى الاقتصاد الاشتراكى المعاصر • وهكذا وجدت تلك الدول أن التخطيط هو الوسيلة التى يمكن ان تتحكم فى قوى المعروض والمطلوب وايقاف تاثيرها على الاسعار وكميات السلع المتداولة •

وقد شكلت زيادة المطلوب على المعروض خطرا كبيرا فى بريطانيا مما حتم وضع الخطط ووسائل رقابة العمالة ، والمواد الخام ، والمستوردات لتوفير احتياجات الجيش ووحدات الانتاج الهامة فى الوقت المناسب وبالكميات المناسبة • ولذلك كان لابد من وجود نظام الحصص التموينية حتى يمكن ضمان عدم زيادة المطلوب على المعروض من السلع • ولكون بريطانيا جزرا تعتمد على المستوردات ،فقد وضع استخدام السفن فى اطار خطة تضمن شحن السفن باهم السلع واكثرها حيوية لخدمة الاهداف الحربية • وعلى هذا الاساس قامت قرارات الحكومة مقام نظام السوق والاسعار •

اما فى الولايات المتحدة الامريكية فقد حاولت الحكومة وضع عدة من النظم المختلفة بهدف وضع ميزانية ولتحديد الاولويات • واختلفت الولايات المتحدة فى نظامها الرقابى عن بريطانيا بان كانت اقل رسمية واكثر اعتمادا على نظام الاسعار ، ووضعت حدا اعلى للاسعار لا يمكن تفاوته •

ونوضح بان نجاح وجود نظام التخطيط وتنفيذ وسائل الرقابة واحلالها لنظام الاسعار وقوى السوق فى الولايات المتحدة وبريطانيا اعتمد اساسا على اقناع الشعب بانها الوسيلة الوحيدة لكسب

العرب . ومن الطبيعي ان تكون هناك اخطاء ولكن تلك الاخطاء وتعددها قد محاها تحقيق الهدف المرجو وهو الانتصار . وبذلك حتى مع فداحة الاخطاء فقد كان المكسب اظهر واعم .

التخطيط المضاد للدورة الاقتصادية

يمكن تقسيم التخطيط الاقتصادي الى تخطيط مضاد للدورة الاقتصادية ، وتخطيط تنمية . وينحصر النوع الاول في الدول الصناعية المتقدمة التي هي ذات قطاع خاص قوي وسوق كاملة التكوين. والغرض الرئيسي من هذا النوع من التخطيط هو الوصول الى مستوى فعال للمطلوب يسمح بالاستغلال الكامل لرأس المال ، والقوى العاملة ، والموارد الاخرى ، وذلك في اطار النظام الاقتصادي والاجتماعي القائم وبالحدود التي تسمح بتوفير الاستتباب الاقتصادي .

وتتكون السياسات والمعايير المحددة لاغراض واهداف الخطة المضادة للدورة الاقتصادية من وسائل رقابة نقدية ومالية. وتهدف هذه السياسات الى زيادة معدل نمو الدخول ، ولا يتم هذا بتدخل حكومي بقدر ما يتم برغبة القطاع الخاص . ولما كان هناك عديد من المشاريع فان الامر لا يستدعي تشجيع الزيادة وانما يستدعي تاكيد عدم ارتفاع معدل الزيادة الى الحد الذي يهدد الاستقرار الاقتصادي ـ بارتفاع في الاسعار او صعوبات في ميزان المدفوعات .

وتعتبر هولاندا من الامثلة الحية لتطبيق التخطيط المضاد للدورة الاقتصادية . وهذا ما فرضه مركز هولاندا في التجارة الدولية لقابليته للتاثر المباشر بالتقلبات في السوق العالمية ، التي لا يمكن السيطرة عليها الا بالحزم الاقتصادي . وفي الوقت نفسه وجدت هولاندا انه لا يمكن جني اكبر الفوائد الاقتصادية الا بتشجيع القطاع الخاص ، والحد من التدخل الحكومي الا بالقدر الذي يساعد على الاستقرار الاقتصادي فقط .

وكانت الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية فترة بناء وتعمير ، وضعت فيها هولاندا اهدافا رئيسية تلخصت في الوصول الى مستوى من العمالة الكاملة ، وتلافي الزيادة في الاسعار ، والموازنة في ميزان المدفوعات وانتقال بعض الدخول الى العمال عن طريق رفع مستوى التعليم والرعاية الصحية وتحسين الاسكان . وكانت الوسيلة التي تمكنت هولاندا خلالها من تحقيق هذه الاهداف هي خطة سنوية وضعت فيها ما تتوقعه سنويا والسياسات المقترحة لتحقيقها . وتمثلت هذه السياسات في أساليب نقدية منفذة خلال البنك المركزي ، ومعايير للضريبة والمصروفات الحكومية منفذة خلال الميزانية، ورقابة الاجور والاسعار والاسكان . وقد مرت هولاندا بظروف الدورة الاقتصادية ، ولكنها نجحت باستخدام الخطة في خلق اقتصاد مستقر وتحقيق معدل نمو اقتصادي مناسب .

تخطيط التنمية

تلتبس خطة التنمية عند بعض الناس لما لها من صفات الخطة المضادة للدورة الاقتصادية ، وذلك لان الخطتين تهدفان عادة لزيادة العمالة والدخول . الا ان هناك عديدا من الفروق ، كما تاخذ خطة التنمية اشكالا عديدة وتنفذ على مستويات مختلفة . وسنستعرض لخطة التنمية المنفذة على المستوى القومي والمستوى الاقليمي .

الخطة القومية

من المعروف ان الخطة المضادة للدورة الاقتصادية في الدول المتقدمة تهدف الى الاستغلال الكامل للموارد الاقتصادية ، ودفع عجلة التقدم الاقتصادي والاجتماعي خلال المؤسسات القائمة . ولا يخفى ان تلك المؤسسات تعمل بكفاءة عالية ، كما ان القطاع الخاص على قدر كبير من النمو والتقدم وعلى استعداد للتوسع والدخول في انشطة جديدة . كما ان نظام الاسعار على قدر من المرونة بحيث يسمح للسوق بقدر كبير من الكفاءة في العمل. وهذه هي أسباب اعتماد الخطة في البلاد المتقدمة على المؤسسات القائمة .

ولكن هذا ليس بالوضع المعهود في الدول غير المتقدمة . فيلاحظ ان هذه الدول تعاني من عدم التوازن في انحاء شتى من اقتصادها . وبينما تجد بعض الموارد الاقتصادية مستغلة تجد البعض الآخر غير مستغل . ويعاني ميزان مدفوعاتها من صعوبات جمة . كما توجد اختناقات عديدة في نظم الانتاج والتوزيع . كما يلاحظ عدم احسان

استغلال المصادر الطبيعية ، ويعاني النظام الضريبي من الثغرات، والاخطر من هذا سوء توزيع الدخول • ونضيف الى ذلك ان الدول غير المتقدمة تعاني من عجز الجهاز الحكومي وضعفه ، وعدم قدرة القطاع الخاص على التوسع في الانتاج او اضافة انشطة جديدة ، وتتركز الاستثمارات الاجنبية في الصناعات الاستخراجية والمواد الخام التي تصنع في الخارج •

ولذلك فان هذه الظروف تقف حائلا دون التقدم، ولا بد من تغيير التكوين التقليدي الاجتماعي والاقتصادي كمرحلة اساسية في السعي للتقدم والنماء • وتعتبر هذه الظروف من الاسباب الرئيسية التي تجعل حكومات الدول غير المتقدمة في تحفظ تجاه ترك قوى السوق تحدد استخدام الاستثمارات ومعدل النماء ، ولهذا تلجأ هذه الحكومات لتخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية •

من الواضح اذا انه بينما يهدف التخطيط المضاد للدورة الاقتصادية لزيادة المطلوب عن طريق السوق ومؤسساته القائمة ، نرى أن هدف تخطيط التنمية يرمي الى تحطيم المعوقات التي تحول دون النماء •

ونورد هنا أن أهداف الخطة وتطبيقها تختلف من دولة لأخرى ، الا انه يمكن التعميم بان تخطيط التنمية هو الذي تتبعه حكومات الدول كمحاولة مستمرة لزيادة معدل التقدم الاقتصادي والاجتماعي ويهدف تغيير دور المؤسسات القائمة والتي تعتبر من المعوقات لتحقيق التقدم • ولا بد أن تصدر الخطة من طرف الحكومة ، فهذا ليس بدور المؤسسات الخاصة او الافراد • ولاشك ان اغلب حكومات العالم متقدمة وغير متقدمة ، راسمالية واشتراكية تستخدم تخطيط التنمية كاداة في خدمة التقدم وان اختلف مستوى التنمية المطلوب • وتستثنى هنا الولايات المتحدة والمانيا الغربية لعدم بذلهما اى محاولات في هذا الصدد •

الخطة الاقليمية

قد يوجه تخطيط التنمية نحو اقليم بالتحديد سياسيا كان او اقتصاديا • ويتكون الاقليم السياسي من مناطق جغرافية تمثل وحدة حكومة ادارية او مقاطعة او محافظة • ويتكون الاقليم الاقتصادي من مناطق ذات تشابه في المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن الظروف الطبيعية مثل حوض نهر او منطقة صحراوية • وينقسم التخطيط الاقليمي الى :

١ ـ تخطيط اقليمي جزئي القومية •

٢ ـ تخطيط اقليمي متعدد القومية •

ويمكن فهم المجموعة الاولى ـ التخطيط الاقليمي جزئي القومية على انها واحدة من التعريفات الثلاثة الآتية :

اولا : التخطيط لمدينة أو لولاية ، أو لمحافظة ، اوللعاصمة ، او لجزء صغير للدولة ، له خصائص اقتصادية منفصلة عن باقي الدولة •

ثانيا : سلسلة من الخطط الاقليمية التي تشمل في مجموعها كل الدولة، وتمهد لوضع الخطة القومية•

ثالثا : صلاحية المشاريع المخصصة في الخطة القومية بغرض تامين افضل المواقع للمشروعات المقترحة ، وتخفيض الفارق الاقتصادي بين الاقاليم•

ويمكن فهم المجموعة الثانية ـ التخطيط الاقليمي متعددة القومية على انها واحدة من التعريفات الثلاث الآتية :

اولا : التخطيط لاقليم اقتصادي يترامى الى اكثر من دولة واحدة • ومثال ذلك خطة حوض نهر الهندوس حيث يشمل أجزاء من الهند وباكستان •

ثانيا : التخطيط لقطاع اقتصادي واحد او اكثر لدولتين او اكثر •

وهكذا نرى ان خطط مجموعة الفحم والصلب الاوروبية E.C.S.C. تشمل قطاعات الفحم والصلب في ست دول اوروبية •

ثالثا : التنسيق بين الخطط القومية لعدة دول ، أو وضع خطة تكاملية تشمل اقتصاد جميع الدول الاعضاء في المجموعة الاقليمية • ومثال ذلك السوق الاوروبية المشتركة ، ومجلس المعونة الاقتصادية المتضامنة في شرق اوروبا (Comecon) ، وجمعية أوروبا للتجارة الحرة (Efta) ، وجمعية أمريكا اللاتينية للتجارة الحرة (Lafta) •

مراحل تخطيط التنمية

تتخذ خطط التنمية اشكالا عديدة ، ولا تتشابه في جميع الدول كما لا تتشابه في الدولة الواحدة

في الفترات المختلفة . وتتأثر طبيعة خطة التنمية بتوفر عدة عناصر : وهي الموارد الطبيعية ، والعمال المهرة ، والتكنية ، وكفاية الادارة .

ولا بد ان نوضح ان العاملين الرئيسيين اللذين يحددان شكل ودور التخطيط للدولة هما :

١ ـ فاعلية المؤسسات القائمة .

٢ ـ الدرجة التيوصلت اليها الدولة من تقدم.

ولذلك نجد أن هناك فروقا كبيرة في تخطيط التنمية بين الاقتصاد الاشتراكيوالاقتصاد المختلط. كما نجد أن التخطيط في المراحل الاولى من التقدم فيكلا الاقتصادين يختلف تماما عنهفيالمراحل التالية

ويمكن ملاحظة أن تخطيط التنمية القومي في الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية يستند الى بيانات تفصيلية دقيقة تشمل اصغر وحدات الانتاج، كما انه على درجة عالية من المركزية ، وليسللسوق والاسعار أي دور في توازن المعروض والمطلوب من السلع .

وتعطي الدول ذات الاقتصاد المختلط اهمية اكبر للسوق والاسعار والارباح ، بالاضافة الى أن خطة تنميتها تبدأ دائما بجزءواحد ويليه جزء بعد آخر، كما أنتكوين المشاريع العامة للاستثمار يتم واحدا تلو الآخر وهذايدونوضعها فياطار موحد يجمعها.

الفرق بين الخطة والتخطيط

تعتبر بعض الدول أن وضع خطة التنميةالخطوة النهائية بدلا من اعتبارها الخطوة الرئيسية في عملية التخطيط . ولا شك أن التخطيط لا يعتمد على وجود خطة ، ولذلك فعلينا الا نخلط بين الخطة والتخطيط . ونوضح ذلك بانه في امكان الدولة وضع خطة تنمية بدون محاولة فعلية للتخطيط ، كما يمكن للدولة التخطيط بدونوجود خطة مكتوبة .

الفترة الزمنية للخطة

تفضل اغلب الدول الخطة ذات الفترة الزمنية التي تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات ، الا ان هناك دولا تفضل اجالا اقصر . وهناك دول مثل لاوس ورومانيا تفضلالخطة نصفالسنوية ، بينما تستخدم تشيكوسلوفاكيا وتركيا ويوغسلافيا خطة سنوية .

وتستخدم المانيا وبلغاريا وبورما والمغرب وكوستاريكا خطة السنتين . اما الكونجو وجابون وغينيا والمجر وكوريا ومالي وبولندا وتانزانيا فيستخدمون خطة ثلاث سنوات . واستخدمت كينيا خطة ثلاث سنوات ونصف سنة،وقد يصل اجل الخطة الى سبع سنوات مثل خطط الاتحاد السوفيتي وبنما ومصر وسوريا . واستخدمت اندونيسيا خطة الثماني سنوات . ويتراوح اجل الخطة في بلاد اخرى بين عشر سنوات وخمس وعشرين سنة وقد تزيد على ذلك .

وعادة ماتقسم الفترة الزمنية للخطة الى : قصيرة الاجل ، ومتوسطة الاجل ، وطويلة الاجل . وتعتبر الخطة السنوية وخطة السنتين خططا قصيرة الاجل . وتعتبر الخطط التي تتراوح بين ثلاث وعشر سنوات خططا متوسطة الاجل ، وما زاد على ذلك طويل الاجل .

وتظهر مشكلة جديرة بالذكر باعتبار ان للخطة فترة زمنية محددة ، ولان التخطيط عملية مستمرة، وتتمثل في الربط بين الخطط بعضها وبعض . ويندر ان نجد دولة تستطيع الانتقال من خطة الى اخرى بالكفاءة المطلوبة .

الهدف القومي

يحتاج التخطيط الى تعريف واضح للهدف السلوكي للدولة . فاذا لم يكن الهدف القومي ذا وضوح كامل لواضعي الخطة فاناهدافهم ستكون عشوائية وبغير اساس .وللاسف الشديد يلاحظ ان اغلب الحكومات لا تستطيع او لا تريد احيانا ان تحدد اهدافها القومية في التنمية . ودائما ما يؤدي هذا الى التباس واضعي الخطة فيما تتوقعه الحكومة .

ويمكن وصف الاهداف كميا ، وتشير التجارب في مجال التخطيط بانه كلما زاد عدد الاهداف زادت صعوبة تطبيق الخطة وتنفيذها . واذا لم يستند الهدف الى قاعدة سياسية واقتصادية فان الخطة لن تزيد على توقعات بدون اساس .

حجم الخطة

توجد ثلاثة اساليب لتقدير حجم الخطة :

١ ـ ان يترك تقدير حجمها الى احتياجات الدولة .

٢ ـ ان تقدر حسب الموارد المتوفرة للدولة .

٣ ـ ان يمزج الاسلوبان الاول والثاني .

والذي لا شك فيه هو ان احتياجات الدول غير المتقدمة ليس لها نهاية ، وبذلك فانه من الصعوبة الاخذ في الاعتبار الاسلوب الاول المعتمد على احتياجات الدولة . ويظهر اسلوب الموارد المتوفرة اكثر صلاحية وملاءمة ، ويتم تقدير حجم الموارد المالية المحلية والاجنبية وتوزيعها على القطاعات المختلفة من الاقتصاد القومي بالدرجة التي تضمن افضل النتائج .. الا ان هذا الاسلوب لا يلقى قبولا لدى حكومات الدول غير المتقدمة لاعتبارها بأن معدلات النماء الناتجة عن هذا الاسلوب منخفضة . وعلى العموم يعتمد اغلب المخططين في تحديد حجم الخطة على اكثر من مجرد الموارد المتوفرة ، ويختلف ذلك التحديد حسب الدولة ونوع الخطة والاهداف المرجوة. الا انه من الملاحظ ان الدول غير المتقدمة تضع حجم الخطة على أسس غير عملية . وهكذا نرى خطة المغرب الخمسية (١٩٦٨ ـ ١٩٧٢) تطالب بزيادة سنوية بمتوسط ٦ر٢٪ بينما كانت تلك الزيادة ٥ر١٪ لمدة ثماني سنوات سابقة . وخطة الثلاث سنوات لغينيا (١٩٦٠ ـ ١٩٦٣) التي كانت مطالبها زيادة الناتج المحلي الكلي بما لا يقل عن ١٦٪ ، وزيادة الانتاج الصناعي بنسبة ٧٠٪ ، وزيادة تكوين راس المال بنسبة ٦٠٪ .

وكان من الواضح منذ البداية ان خطة بهذا الحجم مستحيلة التنفيذ .. ولم تنفذ !

وقد يكون من السهل على دولة مثل اليابان ان تنفذ الخطة والاهداف الموضوعة مثل مضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات ، وذلك لقوة اقتصادها وارتفاع معدل الادخار . ولكن من الصعوبة على دولة مثل مصر باقتصادها النامي ان تضاعف دخلها القومي كما تفعل اليابان . فاذا ارادت مصر ان تضاعف الدخل القومي خلال عشر سنوات فعليها بزيادة معدل الادخار لتصل به الى ٢٠٪ من الناتج القومي الكلي ، وهو مالا يمكن تحقيقه .

وغالبا ما يحدث ان تبدا الدولة في خطة معينة ولكنها تتراجع لاكتشافها بان اهداف الخطة اكبر مما يمكن لموارد الدولة ان تحققها وتتحول الى خطة اخرى . وهذا ما حدث في خطة الاتحاد السوفيتي الخمسية (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) ، اذ كانت الاهداف طموحة ، واضطرت الدولة الى تعديلها بخطة اخرى في منتصف الفترة . وهناك امثلة عديدة على ذلك مثل يوغسلافيا وبوليفيا وكوريا وتشيكوسلوفاكيا .

اهمية القيادة السياسية

ان الخطا الذي يقع فيه المخططون كما تدل التجارب السابقة ، ينحصر في وضع اهداف لاتتوافق مع الواقع ، او لا تتلاءم مع متطلبات الدولة . وبذلك فان فشل الخطة قد ينتج عن سوء فهم المخططين ، الا ان اللوم سيقع على عاتق القيادة السياسية .

ان وضع اهداف الخطة ليس من وظيفة المخططين، بل مسئولية تقع على عاتق القيادة السياسية في الدولة . تمثل اهداف الخطة امال الحكومة والشعب في التنمية ، وتتصل اتصالا وثيقا بالسياسية القومية للدولة . فاذا فشلت الخطة فهو فشل للقيادة السياسية ، واذا نجحت الخطة فهو نجاح للقيادة السياسية .

ولذلك فان وظيفة المخططين هي معاونة القيادة السياسية بوضع مجموعة اهداف مستندة الى حلول تقع في دائرة امكانيات معينة ، وعلى القيادة السياسية ان تختار انسب الاهداف ووسائل تنفيذها . فاذا لم تتحمل القيادة السياسية هذه المسئولية ، فانها تتخلى بذلك عن القيام بدورها تجاه الشعب .

ان ما تشكو منه الدول غير المتقدمة من عجز وتخلف ، وما ترزح تحته من مشاكل وصعوبات ، لا تحله المساعدات ولا تدخل الدول الاجنبية بقدر ما يكمن في قدرة الدولة نفسها على مواجهتها بتخطيط فعال يتناسب مع احتياجاتها وقدراتها . وعلى الدولة الا تنتظر التغيير بل تعمل لاجل تحقيقه . ■■

علم الهدى حماد

اليوجا

فلسفة قديمة
وهى مبدأ وعـ
صفاء النفس



بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ (اليوجا) Yoge اصطلاح قديم جدا يدل على فلسفة قديمة هى احدى الفلسفات الهندية الستة • وتعنى اليوجا شيئين اساسيين :

الاول ـ الالتحام الروحي مع الرب • فالاشتقاق اللغوى للكلمة هو من الجذر (يوج) Yuj الذى يعنى : ارتبط ، واتصل To Yoga • فالنفس البشرية فى الحياة الدنيا منفصلة عن الروح العليا ، وتطبيق اليوجا يؤدى بالنتيجة الى الالتحام مع الرب والوصول الى السعادة الحقيقية وخلاص النفس البشرية من الام الحياة •

الثانى ـ وتعنى اليوجا ايضا بمفهوم (باتا نجالى) Patanjali مدون ومؤسس احد انواع اليوجا : السبل والجهود المضنية المؤدية الى كمال الشخصية عن طريق التحكم فى الجسم والعقل • اى انها مبدأ وعمل يقود الى خلاص النفس • ويدعى كل من يمارس اليوجا بال (يوجى) Yogi.

تاريخ اليوجا وتطورها

يختلف المؤرخون فى اصل وموعد تدوين اليوجا كمبدأ ومنهج متكامل • فقسم منهم يعزوها الى القرن الثانى قبل الميلاد ، واخرون الى القرن الرابع الميلادى • والصورة القديمة (الكلاسيكية) لليوجا تستند بالاصل الى نص Text ينسب الى (باتانجالى) المذكور آنفا ، وكانت آنذاك بال (يوجاسوترا) Yoga-Sutra لكنها اصبحت معروفة فى العصور الوسطى باسم (راجا يوجا) او (يوجا الملكية) Royal Yoga

وظهرت اشكال اخرى تفرعت عن اليوجا الاصلية واصبحت شبه مستقلة عنها • كما اصبحت ممارسات اليوجا مختلفة ايضا نذكر منها: ال (هاتا ـ يوجا) Hatta- Yoga بمعنى يوجا القوة ، وهى التى اشتهرت فى العالم بشكلها السائد وباسمها الوحيد (يوجا) •

ويتبين ان الهاتا ـ يوجا هى تطور متقدم من الهندوسية ، اذ ان اول النصوص المدونة حول الموضوع ظهرت قبل الفتح الاسلامى للهند

بقليل • ويظهر كذلك ان ممارسات وتعاليم اليوجا بصورتها الاخيرة قريبة جدا من فلسفة الملاحم الهندوسية الدينية tantrism على الرغم من ان معظم ممارسي اليوجا ليسوا من اتباع تلك الفلسفة •

فلسفة اليوجا

تعتمد فلسفة اليوجا على تقسيمات متعددة للعقل والروح والجسد • فللروح purusa بضعة اشكال ، فاذا ما التحمت مع المادة prakrti نقلتها من دائرة اللاوعي الى الوعي ونفخت فيها شتى الطاقات والفعاليات •

وكبقية فلسفات الهند تعتبر اليوجا الوجود

ورياضة حديثة مل يقود الى السعادة والراحة



وضعية الجلوس (اللوتس)

الانساني مرتكزا على حقيقة كون الدنيا مليئة بالشقاء • فالالام ، والافراح الام ايضا مغلفة بمظاهر السعادة • والمقاساة الموجودة في كل مكان ناشئة عن رغبات الفرد في المتعة الدنيوية بسبب الجهل avidya بطبيعة الاشياء وبعدم امكانية التفريق بين اللذة الظاهرة والشقاء الحقيقي ، او بين الوجود المادي والرابط الابدي مع الله •

والعقل في اليوجا citta هو شيء مادي غير خالد، يموت مع الجسد ويقع في نطاق اللاشعور ، ولكنه يصبح شعوريا اذا ما اتحد مع الروح المتواجد معه في جسم الفرد •

وتهتم اليوجا بالشعور او (الوعي) • كما تقسم الشعور الى خمس درجات بالنسبة الى نوعية التركيز • فالدرجة الاولى للشعور تكون بتركيز اعتيادي هو اقرب الى الفعالية الاعتيادية للحياة اليومية الدنيوية لمعظم الناس • وهكذا تتدرج حدة التركيز الى الدرجة الخامسة حيث التركيز الكامل والقابلية المستمرة للعقل على تثبيت اتجاهه في نقطة او مسالة واحدة لمدة طويلة جدا• وبالسيطرة الناجحة على عمليات العقل الطبيعية يستطيع الانسان التغلب على آلام الحياة وان يتخلص من دورات البعث من جديد Rabirths حسب مفهوم تناسخ الارواح •

فاليوجا مثل علم النفس الحديث تعترف بوجود الشعور واللاشعور ، وباثر اللاشعور في الشعور اي في سلوك الانسان • ولذلك فان مبدا اليوجا يقول باحتمال فشل الانسان في السيطرة على عقله اذا ما افسح المجال لتاثيرات اللاشعور على شعوره او مشاعره •

ويقول المؤسس باتا نجالي ان الشعور والوعي الطبيعي الذي نفهمه هو ليس بارفع درجات الشعور، فالعقل يمتلك من القوى ما يؤهله للكشف عن اسرار الارض ومغاليق السماء ، وان الانسان يمكن ان يربي في ذاته ويطوي القوى العليا الخارقة، اي ان يدرك ويرى اشياء بعيدة دون وساطة اجهزة سمعه وبصره وحواسه البشرية عن طريق التمرين والايمان • فبالتمرين يجتاز العقبات والحواجز ويصل الى البعد والعمق الذي لا يصله الانسان العادي •

وتقول مدرسة اليوجا ان باستطاعة اي انسان سلوك هذا الدرب اذا امتلك ومارس الارادة التامة وأبدى استعداده لدفع الثمن والتضحية •

بالالتزام بالمبادىء العقلية والاخلاقية في اليوجا • والغاية من كل ذلك هو ليس امتلاك القوى الحسية بل الحرية او (تحرير الروح من المادة) •

النظرية الفسلجية لليوجا

تعتمد اليوجا على نظرية فسلجية غريبة وهي الاعتقاد بوجود قوةمقدسة سابقة (مستقرة) تدعى (كوند الينى) Kundalini » او قوة الافعى The Serpent Power في اسفل العمود الفقرى من الظهر ، وان احد الاوردة الدموية المسمى (سوشومنا) Sushumnaيجرى في العمود الفقرى ويربط بين الكونداليني والمراكز العليا للطاقة الروحية في الدماغ بواسطة ستة مراكز نفسية فرعية في الراس • ويطلق على هذا المركز النفسي العلوى اسم (ساها سرارا) Sahasrara ويشبه زهرة اللوتس (عرائس النيل) ذات الالف تويجة او ورقة •

وممارسة اليوجا تتلخص بمحاولة الوصول الى المركز النفسي العلوى والالتحام به ابتداء من اسفل المناطق في الظهر وانتقالا الى المراكز اوالمحطات الفرعية الستة • وعند الوصول الىالقوة النفسية العليا في الدماغ يتم « الخلاص » المنشود • لكن هذه العملية الشاقة تتطلب اقصى واصعب تمرين للارادة ومحاولة السيطرة على الفعاليات الآلية لأجهزة الجسم بالفكر والعقل • ويعني ذلك ان على اليوجى من خلال عقله السيطرة على : دقات ، قلبه وان يصوم اياما دون طعام وشراب ، وان يعيش اطول فترة ممكنة بدون تنفس •

طرق وفنون اليوجا

ان الروح معرضة الى انواع المعانات والضغوط منجراء الانفعالات فيهذه الحياة،لان العقل يتعرض لاغراءات اللذة • وتجربة اللذة تؤدى الى خلق ميول لاشعورية تؤدى بدورها الى ميول اخرى نحو المتعة • وهكذا تستمر الحلقة المفرغة • وبما ان العقل هو مصدر المشاكل فعلينا التعامل معه بصرامة وضبط •

والسيطرة على انشطة العقل ليست بالامر الهين ، لذا يتقدم (باتانجالي) بحلول ثمانية للتوصل الى السيطرة المطلوبة وهي فنون ومناهج اليوجا التالية :

١ ـ تجنب بعض الافعال Yamas : كايذاء الاخرين ذوى الاحساس والطيبة ، وتجنب الكذب والسرقة والطمع والشراهة والبخل • اما القناعة والاكتفاء عند اليوجا فيقتضي الاقتصاد بالجهد والنشاط الجنسي الذى يضيع ويشتت اثمن طاقات العقل • فالطهارة الجنسية تساعد على التركيز وصفاء الفكر •

٢ ـ ممارسة بعض الافعال niyamas : اى الاصرار والعمل الايجابي نحو بعض الاعمال ، كنظافة الجسم والعقل ، والقناعة ، والتقشف ،ودراسة الكتب المقدسة والاخلاص للرب •

ويتضح ان الخطوتين الاولى والثانية هما تعليمات اخلاقية اولية ممهدة للخطوات التالية:

٣ ـ اتخاذ الوضع المريح asana : اى ان يحاول الفرد اتخاذ وضعية مناسبة ومريحة تساعده على التامل والتركيز •

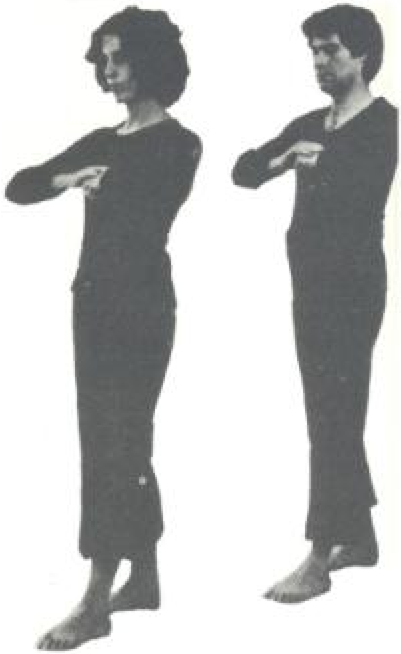
٤ ـ تنظيم عمليات التنفس pranayama : وهي التي تساعد على التاثير الاعمق في العقل •

٥ ـ السيطرة على الحواس : pratyahara اى سحب الحواس البشرية الاعتيادية من اتجاهاتها الخارجية وحصرها في الذات • فاطباق الاجفان مثلا تمنع النظر الى الخارج ، وكذا عدم الاصغاء والالتفات الى مجريات الامور • وهكذا يحجب اليوجي حواسه عن الملهيات والحوافز التافهة •

٦ ـ التركيز على نقطة معينة dharna : وهو تمرين عقلي يوقف سلسلة الافكار العادية ليوجه العقل باجمعه نحو موضوع معين • فتجريد العقل في الخطوة السابقة عن مصادر الاحساس يؤهله لاحقا مستوى من الوعي والشعور واعلى مرحلة لغبطة الروح •

٧ ـ التامل dhyanaوهيعملية الصفاء الفكرى التي لا يزعجها شيء ••

٨ ـ التركيز العالي samadhi : وهيالخطوة الاخيرة التي تاتي بعد تمرين طويل على الاجراءات السابقة • وفي هذه الحالة يكون (اليوجى) قد استطاع فقدان الشعور بذاته وجسمه واصبح عقله سدا منيعا ضد كل الانطباعات الخارجية ومتفرغا للتامل المكثف • وفي هذه المرحلة يكتسب العقل قوى خارقة من الفعاليات : كقراءة افكار



مشية التأمل

الآخرين ، او الاختفـاء عن انظارهم او رؤيـة ماهو الجدران والابواب ، او اكتساب قوة عضلية خارقة .

على ان الغاية من التوصل الى المرحلة الثامنة هذه ليست في مجرد امتلاك القوى الهائلة لانها اغراءات بشرية ونزواتقدتضعف من ايمان اليوجي وتقوده الى الانحدار والانحلال .. ، بل ان الغاية الاعظم والاسمى هي ان يكون التركيز الى الكمال التالي وهو تحرير الروح والامتزاج بالخالق .

والتمارين الجسمية لليوجا متعددة ، ولها اسماؤها واوضاعها الخاصة . ومنها الصحيحة ومنها الخاطئة يرتكبها المستجدون . ومن جملة التمارين الجسمية نذكر على سبيل المثال :

ا ـ وضعية الجلوس والتأمل (Zazen) ، وهي من اسس التأمل والابتهال التي اقتبسها البوذيون في عبادتهم . ويلائم هذا التمرين كثيرا من الغربيين الذين يجدون فيه راحة بدنية واستعداد للهدوء والتفكير المركز .

ب ـ وضعية المشي والتأمل (Kin hin) ، اي التأمل اثناء المشي البطيء لمدة ١٥ دقيقة ، تتبعها ٤٥ دقيقة جلوس ، تليها ١٥ دقيقة من المشي ، .. وهكذا يستمر التمرين تدريجيا حتى يستغرق النهار باكمله . ويعاني المبتدئون الاما مبرحة من جرائه . وهنا يكمن سر وفلسفة اليوجا : اي تحمل مالا يمكن تحمله،لان من يستمر في التمرين يعبر مرحلة الالم الى ما بعد الالم .

اليوجا .. والتحليل النفسي

أصبحت اليوجا في العصر الحديث وسيلة للعلاج النفسي عن طريق التحكم بالعقل وتقوية الارادة . ومن البديهي مقارنتها بالتحليل النفسي (الفرويدي) وغيره من العلاجات النفسية التي تعتمد على مساعدة المريض في الكشف عن افكاره وعقده المكبوتة في (اللاشعور) كي يطلع عليها بنفسه ويدركها بوعي منه فيتمكن من تقويم وتصحيح انحرافاتها ، ويشق طريقا جديدة على ضوء ماظهر له في خبايا عقله الباطن . ويتضح مما تقدم من اساليب ورياضة اليوجا ان هنالك نقاط تشابه بينهما ونقاط اختلاف ايضا في تفسير وعلاج الامراض النفسية . اما نقاط التشابه بين اليوجا والتحليل النفسي فهي :

١ ـ اليوجا والتحليل النفسي يقران تأثير اللاشعور على الشعور والسلوك الشخصي .

٢ ـ كلاهما يعتبر العقل ظاهرة معقدة وغامضة ومليئة بقوى متعددة متضاربة .

٣ ـ كلاهما يهدف الى الكشف عن خبايا العقل.

٤ ـ وكلاهما يروم التوصل الى كمال الذات وسعادتها ..

الا ان نواحي الاختلاف اكثر واوسع وهي :

١ ـ ان اليوجا تعتمد على التركيز حول موضوع معين ، اما التحليل النفسي فيعتمد على « تداعي الافكار » .. وجولانها من موضوع لآخر ..

٢ ـ اليوجا تقسم الوعي الى بضع درجات اعلاها هو « ما فوق الشعور » Superconscious وهو مالا وجود له في نظرية فرويد .

٣ ـ تعتبر اليوجا الطاقة الجنسية مبعثرة للطاقة العقلية فتوصي بالزهد فيها ، اما نظرية فرويد فتعتبر الحافز الجنسي من الاعمدة الاساسية في سلوك الانسان ومن حاجاته الطبيعية والضرورية،

ولكنها بالطبع لاتوصي بالتفرغ لها او ترك العنان لها .

٤ ـ مفهوم اللاشعور عند فرويد يقوم على أنه مخزن كبير للانفعالات والتجارب المكبوته ، وهو مصدر الام الانسان وخاصة انواع امراض العصاب . اما اليوجا فتعتبر اللاشعور مخزنا لكل التجارب الدنيوية وسببا في عدم التوصل الى الكمال الروحي .

٥ ـ تعتمد اليوجا على الوعي والشعور وتصعيده في عملية التركيز للتوصل الى السعادة وهي القوة الخارقة للعقل والاتصال بالرب . والتحليل النفسي ، يعتبر السعادة مجرد الشفاء والوصول الى حالة الانسان الطبيعي وليس « الانسان الخارق » ـ السوبرمان .

٦ ـ اتجاه اليوجا نحو الرب ، وقدسية الدين . اما التحليل النفسي الفرويدي فله اراء اخرى في الدين وعقدة اوديب وعواطف الانسان تجاه الاب والام .. الخ .

اليوجا في العصر الحديث

يمارس اليوجا كثير من الهنود انفسهم وسكان آسيا والعالم الغربي دون التزام بعقيدة دينية .



الجلوس .. والتأمل

فقد اجتذبت مناهج اليوجا التربوية ـ الرياضية انظار العالم الغربي وكذلك الهواة من سكان العالم الشرقي . ونسي هؤلاء او تناسوا الاسس الفلسفية والدينية للمذهب. فالتقطوا منه تمارينه الجسمية والعقلية فقط دون التطلع الى الهدف الاساسي للفلسفة . واصبحت بعض التمارين « مقاطع » مستقلة للهواة من العالم الغربي ، كما اضاف اليابانيون على تمارين اليوجا متوعات اخرى ذات نكهة وتاثير في العقل الغربي : كالمبارزة واستعمال القوس والسهم ، والمصارعة والجودو Jude بصورة عامة .

واصبحت رياضة اليوجا تتصدر صفحات المجلات الاسبوعية والشهرية . وعلى سبيل المثال ، تصدر في انكلترا مجلة دورية بعنوان (اليوجا .. والصحة) ، وتباع اسطوانات تعليمية وكتب متعددة لهواة اليوجا اضافة الى الدروس الخصوصية التي يلقنها معلمون متخصصون . كما اصبحت اليوجا « موضة » المشاهير واذكر مثلا ما نشرته مجلة (المرأة Woman) الانكليزية الشهيرة في عدد مايو ١٩٧٣ بعنوان « ماذا تعني اليوجا لمشاهير الناس ؟» وذكرت مجموعة من الممثلات والممثلين الذين يمارسونها . ويصرح كل ممارس لليوجا بالشيء الذي استفاده منها : من رشاقة او جمال او قوة او ارادة وصبر وصحة جسمية ، لكنهم يتفقون جميعا على انها مصدر للصفاء الفكري والنشاط الجسمي وقوة الذهن .

واذا اهملنا المبالغة والاشاعات والدعاية الغلابة عن مدى تاثير اليوجا،فان الادلة الواقعية تشير الى ان بعض (اليوجيين) توصلوا فعلا الى سيطرة مذهلة غير طبيعية على فعاليات اجسامهم . والرياضة المبسطة لليوجا تؤدي بالحقيقة الى حالة صحية جيدة والى صفاء ذهني واطالة العمر .

وفي السنوات الخمس الاخيرة ، جرت ابحاث علمية ودراسات احصائية حول تاثير اليوجا على بعض الامراض النفسجسمية وخاصة ارتفاع ضغط الدم ، وتبين ان الاسترخاء والتامل واليوجا قد نجحت فعلا في خفض ضغط الدم لدى المصابين الى الحدود الطبيعية .وقد نشرت هذه الابحاث في مجلات علمية طبية رصينة في انكلترا وامريكا . ■■

الدكتور فخري الدباغ
كلية الطب ـ جامعة الموصل

أنباء الطب والعلم والاختراع

الديناصور المنقرض
اكتشفوا شبيها له في اسكتلنده

منذ اكثر من اربعين سنة وسكان المنطقة المحيطة ببحيرة نس Loch Ness في اسكتلندة يشعرون بأن حيوانا ضخما غير عادي يختفي في مياه بحيرتهم .. وقد اقتنعوا بوجوده وقدروا كبر حجمه (١٠ أمتار طولا) ، تبعا لما لاحظوه من حركاته التي كثيرا ما احدثت الامواج في مياه البحيرة التي يغلب عليها السكون . الا ان تلك الحركات كانت قليلة وغير مقيدة بزمان او مكان .

ولم تقف الامور عند الحركات .. فقد لمح بعض اهل المنطقة ذلك الوحش الهائل، ولكن لبرهة وجيزة ، وفي ظلمة الليل في الغالب .. وهكذا تباينت الاقوال وتضاربت الاوصاف حتى اتجه العلماء الذين أولوا الامر اهتمامهم الى تجاهل اخبار ذلك المخلوق الضخم باعتبارها اشاعات من نسج الخيال .

واتفق ان زار المنطقة طبيب جراح من لندن سنة ١٩٣٤، وذلك لقضاء اجازته في تلك المنطقة السياحية الجميلة . والظاهر ان هذا الطبيب كان من هواة التصوير، يحمل كامرته على كتفه في ذهابه وايابه ، على الاقل اثناء اجازته .. فقد تمكن من التقاط صورة خاطفة للوحش في اللحظة التي لاح له فيها ، فكانت الصورة الوحيدة الناجحة التي أخذت له حتى ذلك التاريخ، بل وحتى



الصيف الماضي أيضا . وكانت الباعث على اهتمام الهيئات العلمية بظاهرة بحيرة نس الغريبة .

وهكذا اخذت البعثات العلمية تزور المنطقة بكثرة وتقوم بدراسة ما يمكن دراسته وتسجيل ما يمكن تسجيله من حركات الوحش ، حتى جاء دور اكاديمية بوسطن للعلوم التطبيقية ، واذا بها تظفر بالتقاط صور عديدة (لديناصور) بحيرة نس ، وكان ذلك في الصيف الماضي، وبعد جهود دائبة بذلها اعضاء البعثة .. والصور التي مازالت قيد التحميض والتي نرجو نشرها حالما تنشرها البعثة، لا تظهر الوحش بكامله .. نظرا لطوله البالغ ..

حوض السباحة مركز هام لتجميع الحرارة الشمسية

■ ما زال العلماء فى الغرب يقومون بالدراسات والابحاث الخاصة بالطاقة الشمسية ، بغية تقصى احتمالات استغلالها والاستغناء بها عن البترول ، ما أمكن ٠

ومن اطرف ما يذكر فى هذا الصدد ما نشرته مؤخرا مجلة جنوب افريقيا للعلوم ٠ فأحواض السباحة وبرك الماء التى تعتبر الآن مظهرا من مظاهر الترف قد تصبح فى مستقبل غير بعيد ضرورة من ضرورات الحياة ٠ ذلك ان بركة السباحة يمكن ان تتحول الى مركز تجميع لاشعة الشمس حسبما قالت المجلة ٠٠ وهى لا تحتاج الى اكثر من تغطية سطحها بقشرة رقيقة شفافة من البلاستيك لتعمل تلك القشرة عمل البيت الزجاجى فى المزارع ٠٠ ذلك ان القشرة البلاستيكية المذكورة قادرة على مضاعفة حرارة مياه البركة تقريبا٠فلو كانت البركة بمساحة ٤٥ مترا مربعا وبعمق ٥ر١ متر ، وكانت حرارتها بدون القشرة تتراوح بين ٨ـ٢٢ درجة مئوية،لارتفعت هذه الحرارة واصبحت تتراوح بين ١٨ ـ ٣٨ درجة مئوية فى حالة تغطيتها بالقشرة التى ذكرنا ٠

ولا يخفى ان العمل على استغلال هذه الزيادة فى الحرارة فى مختلف المجالات ليس بالامر العسير ٠ ويصدق هذا بخاصة على التدفئة المنزلية وعلى نقل تلك الحرارة من مياه البركة الى مياه التدفئة ٠٠

سفن هجوم برمائية جديدة

● بدأ الاسطول الامريكى بتسلم سفن جديدة ضخمة ، مصممة خصيصا لانزال الجنود على الشواطىء ، وتعرف باسم سفن الهجوم البرمائية Amphibious Assault Ships ٠وكانت سلطات الاسطول قد اوصت على صنع خمس من هذه السفن قبل ست سنوات (سنة ١٩٦٩) ولكن مصانع لتون Litton Corp's Ingalls Shipbldg تأخرت فى صنع السفن ، ولم تتمكن من البدء فى تسليمها الا فى شهر سبتمبر الماضى ٠ اما السفن الاربع الباقية فسيجرى تسليمها فى غضون السنوات الاربع القادمة ٠٠ سفينة واحدة فى السنة الواحدة ٠

اما سبب التأخير فالصعوبات التى اعترضت سبيل تصميم هذه السفن ، وفق المواصفات الدقيقة التى وضعها لها الاسطول الامريكى ، ونذكر هنا ان هذه

حبوب منع الحمل وعلاقتها بالنوبات القلبية

● نشرت المجلة الطبية البريطانية Tha British Medical Journal فى عددها الصادر فى شهر مايو الماضى ، بحثين علميين خطيرين لفريق من كبار العلماء الانجليز الوبائيين Epidemiologists واعتمد هذان البحثان على دراسات وبحوث ميدانية واسعة ٠٠ واقاما الدليل على مخاطر لحبوب منع الحمل كانت تنسب الى هذه الحبوب على سبيل الترجيح ٠٠ منذ اواخر الستينات ٠

واسترعى هذان البحثان اهتمام اللجنة الاستشارية المختصة والمتفرعة عن وزارة الغذاء والدواء الامريكية Food & Drug Adminietration ، وهى اللجنة التى تتولى



حصل عليها الأسطول الأمريكي

السفن الخمس ستحل محل حاملات الطائرات الخمس التي كانوا قد حولوها قبل سنوات لاغراض انزال الجنود ، وكانها سفن هجوم برمائي ٠

والسفن الجديدة ضخمة كما قلنا ٠٠ ويبلغ طول الواحدة منها ٧٧٨ قدما ٠٠ وتستطيع حمل ٣٠ طائرة هليكوبتر كبيرة، تتسع كل واحدة منها لأربعين جنديا ٠ وهذا يعني ان سفينة الهجوم البرمائي تستطيع انزال الجنود على الشواطيء بأعداد كبيرة وبسرعة كبيرة ايضا ٠ هذا وتستطيع هذه السفن ان تحمل بدلا من طائرات الهليكوبتر طائرات هاريير Marine AV-8 Harrier التي تقلع وتهبط عموديا دون حاجة الى مدارج طويلة ٠ وهذه طائرات نفاثة مقاتلة تستطيع الاشتراك على نحو فعال في عمليات الهجوم ٠ فهي مزودة بالصواريخ وبامكانها توفير غطاء جوى صاروخي لتلك العمليات٠

ويبلغ ثمن السفن الجديدة الخمس ٣ر١ مليون دولار اى ٢٦٠ مليون دولار لكل منها ٠

شئون التوليد والامراض النسائية عامة ٠٠ ومضت هذه اللجنة تدرس بعناية النتائج التي انتهى اليها البحثان ٠٠ وما لبثت وزارة الغذاء والدواء ان اصدرت تعميما ضمنته تلك النتائج نفسها ووزعته على اكثر من نصف مليون من الاطباء والعاملين في ميدان الطب والصحة العامة ٠٠

اما النتائج التي تضمنها البحثان البريطانيان ، واستند اليها هذا التعميم الامريكي، فيمكن ايجازها بالقول ان تعاطي حبوب منع الحمل يزيد من احتمالات التعرض للنوبات القلبية المميتة Fatal Heart Attacks فيمن تجاوزن الثلاثين من العمر، وبخاصة فيمن تخطين الاربعين ٠٠

واليك فيما يلي جدولا بتلك النتائج ، بشيء من التفصيل :

فئات النساء	نسبة الاصابة بالنوبات القلبية المميتة
٣٠ ــ ٣٩ سنة لا يتعاطين حبوب منع الحمل	٩ر١ امرأة من كل ٠٠٠ر١٠٠ من النساء
يتعاطين حبوب منع الحمل	٤ر٥ امرأة من كل ٠٠٠ر١٠٠ من النساء
٤٠ ــ ٤٤ سنة لا يتعاطين حبوب منع الحمل	٧ر١١ امرأة من كل ٠٠٠ر١٠٠ من النساء
يتعاطين حبوب منع الحمل	٧ر٥٤ امرأة من كل ٠٠٠ر١٠٠ من النساء

ومعنى هذا ان امرأة واحدة فقط معرضة للموت بسبب النوبات القلبية من كل ٢٠٠٠ امرأة تتعاطى حبوب منع الحمل ممن هن في سنة ٤٠ ــ ٤٤ سنة ٠



قصة قصيرة

على الدهر الملامة

بقلم : ألفت الادلبي

■ كانت صبحة تدير الرحى وتغني بصوت حنون اغنية تناجي فيها امها ، وهي لم تطلب معونتها على الطحن ، والرحى ثقيلة عليها ، ولا تدرى هل اضعفها الحب ؟ ان يدها تدير الرحى ، التى لا تدرى هل تطحن روحها ، او تطحن طحينتها :

ما تلتلش يمـا على الرحـى عينيـى
مدرى الرحى ثقيلة مدرى العشق راميني

ما تتسمـع رحـاى بس ايـدى تديــر
بتطحن ببقـايا الروح ، والا بطحيـنى

ويتناهى الصوت رخيما حلوا الى « ام صبحة » التى كانت جالسة فى فناء الدار تخيط ثيابها ، فتتوقف قليلا عن الخياطة ، وهى تنصت الى غناء ابنتها الحنون وقد افسدت حشرجة الرحى شيئا من جميل انسيابه ، وتفكر بكلمات الاغنية فتتمتم بخفوت كانها تخشى ان يسمعها احد :

يا نار قلبي ، ربما تكون البنت عاشقة ! ..

ويمر بخاطرها كيف عشقت ـ عندما كانت فى مثل عمر ابنتهـا ـ معلم مدرسة القرية عشقـا جنونيا ، دون ان يدرى بها احد، حتى المعلم نفسه، ثم زوجها ابوها مرغمة من الحاج منصور الذى كان يكبرها بثلاثين عاما .

وتهز راسها وهى تتنهد من اعماقها وتقول بحسرة :

يحسدونني على الحاج منصور . الأنه غنى ولم يتزوج عليَّ ، انا التى لم انجب له الا بنتا واحدة؟ انهم لا يدركون ان العجز منه هو ، لا مني انا ، لقد تزوج قبلى اربع نساء فلم ينجبن له لا بنتا ولا صبيا . ولكن سرعان ما تتذكر انها ام ، ويجب عليها ان تقف من ابنتها موقف الرادع الناصح كما سبق ان وقف منها اهلها ، فتصرخ بها منددة: يا مقصوفة العمر ! .. انتبتطحنى والا بتغنى ؟..

ويخرس الصوت الحنون فورا ، لتظل الرحى تحشرج متباطئة، وكانها تطحن بقايا روح معذبة..

وتمر لحظات ، ثم تهب الصبية واقفة ، وكان صوت امها قد حفزها على النهوض ، فتنفض ثيابها مما علق بها من غبار ، ثم تحمل جرتها وتنسل من الدار ميممة شطر العين ، دون ان تتحدث الى



«.. تلكأت بالذهاب متعمدة ذلك كي تخلو الطريق وملأت الجرة وعادت تتهادى في مشيتها متباطئة وهي تشعر بالخيبة لانها لم تره . لا تدري كيف باغتها ، خرج من منعطف كانه كان يترصدها ».

امها ، او تطل على ابيها الذى كان جالسا على اريكته فى المضافة ، يدخن مفكرا وكأنه يدبر مؤامرة خطيرة .

وحين تعود من العين ، تتنهد بارتياح وغبطة حين تدخل الدار فتجدها خالية من ابويها .

انها لا تدرى اين ذهبا ، ولاول مرة تشعر انه لا يهمها ان تدرى ، كأنها اليوم قد بدات تتحرر منهما وتفرغ لنفسها .

تنزل الجرة التى ملأتها من العين ، لم تضعها فوق منصبها عند عتبة المخدع .

كانت بحاجة قصوى لتخلو الى نفسها ، وتتحدث اليها عن ذلك الحدث العظيم الذى وقع لها اليوم على طريق العين ، الحدث الذى انتظرته طويلا ، وطويلا جدا ، لم تعد تذكر منذ متى بدات تنتظره . قبل ان تاتى باى شيء اسرعت الى المرآة الصغيرة المعلقة على الحائط ، فعدلت وضعها المائل ، لم تفرست فى وجهها بامعان لتطمئن على جمالها ،

وتبتسم بزهو ورضا .. لم تر وجهها اجمل منه فى تلك اللحظة كانت عيناها تغزلان اشعة فرحية فتبدوان كنجمتين زمرديتين تشعان فيوجهها الاسمر المورد . وثمة شيء لا تدرك كنهه كان يضفى على قسماتها كلها القا لم تعهده فى وجهها قبل الآن ، فراحت تدمدم باغنية

انا لك وانت لى
يابا العيون المسلية

وتطربها الاغنية لحنا ومعنى ، فتظل ترددها ، وتتلاعب بالنغم ، وهى واقفة قرب الشباك ترقب هبوط الليل منتشية سعيدة ، كعصفور يمارس الطيران اول مرة .

عندما ذهبت اليوم تملأ الجرة كانت موقنة انها ستراه ولو من بعيد،كشانها دائما كانهما علىموعد لم يتفقا عليه مرة ، ولكنهما لم يتخلفا عنه ابدا .

كانت دائما تتسقط اخباره ، البارحة تناهى اليها ان « سعيد فياض » صاحب الاسم الذى له

رنة حلوة في سمعها ـ قد عاد من المدينة حيث يدرس هناك في الجامعة ليمضي يومي العطلة في قريته بين اهله وذويه . ستجده حتما كما هي عادته جالسا تحت الصفصافة التي تظلل العين وهو يقرا في كتاب .

وكان من عادته اذ يراها قادمة من بعيد ان يطوي الكتاب ويقوم يتمشى ، فاذا حاذاها راح يحييها مبتسما، وكانه في كل مرة يحاول ان يتحدث اليها ، كانت ترد التحية مرتبكة ، وهي تشعر ان خديها يتوردان ، فتتحاشى النظر اليه ، خشية ان يفتضح امرها . كانت تتهرب منه ، لا تريد ان يعرف انها تحبه . ما الفائدة ان يعرف ؟ .. ما دامت تعتقد انه لن يبادلها هذا الحب ، بل يريد ان يتسلى فقط شان غيره من الشبان العابثين ، ان من يعرف بنات المدينة ، لا سيما اللواتي يدرسن في الجامعات الى جانب الشباب ـ كما قيل لها ـ لن تعجبه فلاحة ساذجة مثلها ، ولو كانت احلى بنات الضيعة ، والبنت الوحيدة للحاج منصور اغنى اهل القرية واكثرهم وجاهة .

كانت طريق العين خالية اليوم من الناس ، وتعترف لنفسها انها تلكات بالذهاب متعمدة ذلك كي تخلو الطريق ، وملات الجرة وعادت تتهادى في مشيتها متباطئة وهي تشعر بالخيبة لانها لم تره . لا تدري كيف باغتها ، خرج من منعطف كانه كان يترصدها . قبض على يدها وهو يقول لها : « الى متى تتهربين مني ؟ .. منذ زمن بعيد وانا احاول ان اتحدث اليك وحدك » .

ويسحبها من يدها ، لم تجرب ان تتملص منه، تبعته مستسلمة وهي تصغي الى حديثه ، راح يتكلم ببساطة وعفوية ، كانه قد سبق لهما ان تبادلا الحديث ، يقول لها اشياء حلوة تكاد تدوخها ، ولا تعرف بماذا ترد عليه . لم تعد تذكر من حديثه سوى قوله لها : « انها في نظره احلى من راهن من الصبايا ، وان حبها يعذبه ويؤرقه ليالي طويلة ، وكم يتمنى ان يخطبها لتكون رفيقة عمره ، ولكنه لن يقدم على ذلك قبل ان يعرف رايها فيه » .

يعرف رايها فيه ؟

يا لروعة الكلمة .. متى كان يؤبه لراي البنات في القرى ؟

هذه الكلمة الصغيرة احيت انسانيتها المقتولة، ايقظت فيها شخصية المراة القوية المخدرة في مجتمعنا منذ آلاف السنين .. وتواتيها الشجاعة فورا لتنظر في عينيه وتغرق في الحنان الذي يشع منهما ، لتضغط على يده كما كان يضغط على يدها،لتقول له دون تلكؤ:«انا احبك اكثر..»

شعر ان الزمن قد توقف عن سيره حين راحا يحدقان بعضهما الى بعض في ذهول . كانت تقف امامه مشرئبة كتمثال الهة ، يمناها في يمناه ، يدها اليسرى تسند الجرة على كتفها .لحظات صمت ليس اروع منها .

كانت الشمس تتوارى متباطئة خلف الجبل وهي تلملم الوانها الارجوانية عن سطوح البيوت وذوائب الأشجار ، وكانت السماء صافية الزرقة توشيها عند الافق غيوم قرمزية شفافة ، وتسري نسمة كسلى تحمل عبق زنبقة تتفتح في مخبا ما ، وتمنح عطرها البكر بسخاء مجنون .

لماذا تكلم ؟ يا ليته منحها صمته قليلا لتعب من هذه السعادة التي تهبط عليها كالندى على النبتة العطشى . لقد افسد كل شيء حين قال لها بصوت متردد :

« اخشى ان يرفضني ابوك ... انا لست غنيا ، وهو يحب المال كما يقال عنه » .

اجابته وكانها واثقة مما تقول : ولكن ابي معجب بك ، طالما سمعته يقول عنك لزواره في المضافة :

انك انجح شباب ضيعتنا ، لانك تعمل وتدرس في آن واحد ، ومع ذلك كله تتفوق على شباب المدينة .

الحاج منصور معجب به ؟ هذا ليس بقليل .

قال لها وقد شاب لهجته شيء من الاعتزاز : « سانتهي من دراستي بعد شهور قلائل ، وساشغل وظيفة مرموقة وعدت بها من الآن ، وعندما يعود ابي من الحج ساطلب منه ان يخطبك لي من ابيك».

وما يكاد يتم كلامه حتى يلوح لهما من بعيد راع يسوق قطيعه نحو العين ، فيفترقا قبل ان يراهما ويشيع خبرهما فى الضيعة • ويسير كل واحد منهما فى درب •

نعمة الحب هبطت على بنت السابعة عشرة فاصبحت تحب ان تخلد الى نفسها ، وان تتحدث اليها ، وكانت مولعة بجدى صغير ذى لون اسود فاحم وغرة بيضاء ، فكان يحلو لها ان تضمه فى حجرها وتجلس تحت ظل شجرة بعيدة عن ذويها ، تداعب الجدى الوديع بيدها ، وتطلق العنان لخيالاتها الجامحة •

بعد شهور قليلة ستصبح زوجة الموظف « سعيد فياض » الرجل الذى أحبته ، وكتمت حبه ، وظلت تحلم به ليالى طويلة ، وستسكن معه فى المدينة ، فى بيت جميل ستختاره مدهونا باللون الاخضر الذى تحبه ، وارضه مفروشة ببلاط ابيض ، وسترتدى الالبسة المدنية كبنات المدن ، وستبزهن بجمالها ، وستطبخ لزوجها طعاما لذيذا ، ثم تقف كل يوم وراء الشباك تنتظر عودته ، فاذا رأته من بعيد هرعت الى الباب تستقبله فاتحة له ذراعيها وكأنه قد عاد من سفر بعيد • وستطلب منه أن يعلمها القراءة والكتابة ، وستقرأ مثله فى الكتب وتتحدث اليه بكلمات حلوة كما يتحدث اليها • لم يعد لها من هم سوى أن تسال الناس متى سيعود الحجاج ؟ ليعود أبو سعيد ويخطبها من ابيها •

ذات مساء هبط على ابيها زوار فناداها لتعد لهم الطعام ، ثم ذهب الى الزريبة فلم تقع يده الا على جديها « مسعود » ، سحبه ووضعه على حجر امام الزريبة ، رأته هى من بعيد ، هلع قلبها ، ركضت صوبه وهى تنادى : « بابا ٠٠ بابا »

لم يلتفت اليها ، وقبل ان تصل كان قد سحب مديته الماضية من زناره ، ثنى احدى ركبتيه ، ويده الاخرى تضغط على الجدى الصغير ، تمتم : الله اكبر ٠٠ وحين مر السكين على العنق الطرى، نفر الدم ، واضطرب الجدى قليلا ثم جحظت عيناه، واستسلم الى الموت •

بكت ، وراحت تندد بأبيها كيف لم يختر من الجديان الا جديها مسعود • الا يعلم انها تحبه ، ومولعة به ؟

انتهرها ابوها بقسوة ، وشتمها ونعتها بالجنون وصغر العقل، ولما شكت امرها الى امها ضحكت هى الاخرى منها ، مما زادها غيظا ، فانصرفت الى غرفتها ، واوصدت بابها ، ولم ترد على نداءات امها لتعينها على خدمة الضيوف • شعرت فى تلك اللحظة بكره لابويها ، ولم تعد تنسجم معهما أبدا، وفارقتها فى تلك الليلةاحلامها الحلوة ، وانتابتها كوابيس مفزعة •

لما اصبح الصباح واستيقظت من نومها كانت حزينة وخائفة كمن يوجس شرا ، تمنت لو انحبيبها سعيد بقربها لترتمى بين ذراعية وتجهش بالبكاء • وتسمع صوت امها وأبيها وهما يتحاوران فى مخدعهما ويرددان اسمها • كان باب المخدع مواربا فتوارت خلفه لتسترق السمع •

شهقت امها وقالت : « ويلك يا حاج منصور هل جننت ! ؟ ٠٠ اتريد ان تزوج بنتك صبحة من ابن اخيك سويلم ؟؟لا لا ياحاج ، سويلم ولد غبى كما تعرف ، وهو اصغر من صبحة بسنتين ، لا لا يا شيخ بنتك حلوة وناصحة تليق والله بامير هل تزوجها من ولد غبى اصغر منها بسنتين ؟؟»

شعرت صبحة ان نارا قد اشتعلت فى راسها ، ثم راحت تنساب الى جسمها كله فكانها قد وقعت فى اتون ، واخذ جسمها ينضح عرقا باردا فقبضت على عارضة الباب خشية ان تقع على الارض ، وكزت على اسنانها ، وظلت واقفة مكانها تنصت الى كلام ابيها وهو يقول لامها ساخرا منها : «والله انك انت الغبية يامراة !٠٠ الم اقل لك انه بلغنى ان ام سويلم ستزوج ابنها سويلم من بنت اخيها،معنى ذلك أن الصبى سيخرج من تحت وصايتى ، وسيتولى خاله ابو زوجته شؤونه كلها ، وربما طالبنى بميراث الصبى وماله منذ مات ابوه الى يومنا هذا • وانت تعرفين انه اذا حصل ذلك سافقد ثروتى كلها ووجاهتى ايضا • لكن انا الحاج منصور ٠٠ لن يلعب

على احد •• ساعرف كيف افسد تدابيرهم كلها•• بعد غد سازوج بنتي صبحة من ابن اخي سويلم ، وساسكنهما معنا في بيتنا هذا ، وسيظل الصبي تحت وصايتي طولعمره ، ولتفعل امهوخاله ماشاءا • وماله سويلم ؟ اليست بنت عمه اولى به وبثروته الطائله من غيرها ؟

قالت ام صبحة : « والله انه تدبير مليح : اذا كانت ام سويلم ماكرة فانت والله امكر منها بكثير ياحاج منصور : لكن اذا رفضت صبحة الزواج من سويلم ، فما انت فاعل ؟ »

تجهم وجه الحاج منصور وقال : « هيه •• ما تقولين يا امراة ؟ القرية كلها لا تخالفني ، وبنتي تخالفني ؟؟ والله لو فعلت لاذبحنها مثل النعجة واحسبها ما كانت ••

وتتصوره صبحة ، وهو يذبح جديها مسعود فيقشر جلدها ،سيذبحها هي ايضا بنفسالسهولة، وربما في نفس المكان ، وفي اية لحظة يريد ، ان سكينه الماضية دائما في زناره ! ••

لقد وقعت الغزالة فيالشرك حيث لاخلاص!•••

لكن لا لا ، لن تدع اباها يصل الى ماربه ، ولن تلتجيء الى حبيبها سعيد فتعرضه لخطر انتقام ابيها ، العجوز الذي لا يرحم ، ولن تدع اباها يذبحها ذبح النعاج ، الموت ذبحا موت وضيع •• هي ايضا بنت ابيها ، بنت الحاج منصور ، تعرف مثله تماما كيف تضع الخطط،كيف تحبط المؤامرات، كيف تنتصر ••

قامت القرية ولم تقعد حين فوجئت بعرس صبحة احلى بنات القرية على ابن عمها سويلم الصبي الغبي • لم تخف اللعبة على احد ولكن من يستطيع ان يعترض ؟ ام العريس وخاله كمن نزلت عليهم صاعقة • شباب الضيعة يسخرون من الصبي الغبي الذي [illegible] باحلى بنت •

والصبايا تلوح في عيونهن شماتة تشوبها شفقة • اما العروس فكانت تبدو بين الجمع ساهمة شاردة ، شاحبة اللون كانها في غير هذه الدنيا •

تحلق الناس حول عازف الربابة كان يغني بصوت حنون وكانه ينوح ، اذ يناجي غزلان الصحارى بانهسيرسل معها رسالةالىالحبيب لتؤديها اليه كاملة ، وتقول له ان البنية لم تخن عهد الهوى فلا لوم عليها ، بل الدهر هو الذي خان ، فهو وحده يستحق الملامة :

ياغزلان الفلا راح ابعث معكم رسالة
بحق السما تنطوها للحبيب كاملة

قولو له البنية ماخانت الهوى
الدهر خان على الدهر الملامة

الى ان قالت له احدى الصبايا : « مالك اليوم ياشعبان ؟ انك تغني وكانك تنوح في ماتم ، انسيت انه عرس صبحة ،غن لنا غنية حلوة مفرحة كي نرقص عليها •

اقترب عازف الربابة من الصبية وهمس اليها : « العروس لاتريد الا هذه الغنية ، وقد اعطتني دينارا ذهبيا على ان لا اغني غيرها » •

فكرت الصبية قليلا ثم قالت لرفيقة لها : « شيء شك في قلبي •• اين هي العروس ؟ انها ليست في مكانها وقد قرب ميعاد الزفة ، تعالي معي نبحث عنها » •

بعيدا عن الناس ، وراء الزريبة وجدناها ، كانت النار تاكلها بشراهة ، وكان بالقرب منها قنينة بترول وعلبة كبريت •

وتولول الصبيتان وتصرخان :

يا ناس العروس احرقت نفسها •• العروس احرقت نفسها ••

ويختلط صوتهما بصوت عازف الربابة الذيكان ما يزال يردد اغنيته الباكية •

قولو له البنية ما خانت الهوى
الدهر خان على الدهر الملامة •

■ ■

دمشق ــ الفت الادلبي

النجوم في الشعر العربي

وكأن الهلال طوق عروس
جُليت لي على غلائل سود

بقلم : عبد القادر عابد

■ كان الشعر وعاء لحياة العرب اليومية ، يجد المستقرىء بين جنباته الكثير من المواضيع الطريفة الشيقة .. وحديثا وضعت كتب عن كثير من هذه المواضيع ، فمن وصف الخيل او الجمال او الظباء الى شعر الصيد والصلعكة والخمر ... وساحاول أن اذكر طرفا مما قالته العرب في مشهور النجوم كفاتحة على مااعتقد في هذا الموضوع .

ومما شجع العرب على قرض الشعر فيالنجوم صفاء سماء الجزيرة وما جاورها في الصيف والشتاء . فان انت اضفت الى ذلك انعدام وجود الكهرباء في ذلك الوقت ، سهل علىالبدوى او الحضرى أن يقف امام بيته لينظر الى قبة مرصعة بالنجوم .

ومن أجمل المناظر التي يمكن أن يستمتع بها الانسان قبة السماء في ليلة مظلمة في الصحراء . سيرى نفسه محاطا بقبة فعلية ملتصقة باطراف الارض موشاة بكبير النجوم وصغيرها . فما بالك ان كان هو يعرف هذه النجوم . انه سيبدأالحديث اليها . وسيكون حديثه اروع واعمق ان كان يحمل منظارا مقربا .

ومن الطريف في هذا الصدد أن العرب كانت تستعمل بعض النجوم في قياس قوة الابصار فتجربة الكور والمئزر (وهما النجمان المكونان للنجم الاوسط من مقبض المحراث) تجربة مشهورة في الكتب الغربية .فبينما كان في الامكانرؤيةهذين النجمين منفصلين أيام العرب الاقدمين اصبح الآن مستحيلا رؤيتهما الا بالمنظار المقرب . والثريا تجمع نجمي يستطيع الانسان العادى أن يرى منها ستة أنجم . اما ذو البصر الحاد فيرى اثنى عشر نجما ، وفي ذلك يقول المبرد :

اذا ماالثريا في السماء تعرضت
يراها الحديد العين سبعة أنجم
على كبد الجرباء وهى كأنها
جبيرة در ركبّت فوق معصم

ولقد حظيت بعض النجوم بمكانة اكثر من غيرها. فبعضها ذات طالع سعيد وبعضها نحس . واليك امثلة من تلك النجوم .

الثريا PLEIADES

الثريا مصغر ثروى . محببة للعرب . فهى طالع سعد وتيمن . وهى فى الواقع عنقود نجمى (S arcluster) حيث يستطيع المنظار المقرب العادى أن يكشف اعدادا كبيرة من النجوم فيها .

والعناقيد النجمية تكثر في جنوب السماء في اتجاه مجموعة العقرب اى فى اتجاه مركز المجرة . ولذلك تعليلات فلكية عن نشاة المجرة ليس هذا موضوعها .

ولقد وصفت الثريا باوصاف كثيرة نظرا لحب العرب لها :

فقال ابو الاشهب الاسدى :

ولا حت لساريها الثريا كأنها
على الافق الغربي قرط مسلسل

اما يزيد بن الطثرية فيصفها بالجمان :

اذا ماالثريا في السماء كأنها
جمان وهي من سلكه فتبددا

ويقول ابو قيس بن الاسلت :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن يرى
كعنقود دملاجية حين نوّرا

ويقول ابن المعتز :

زارني والدجى أحم الحواشي
والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
جليت لي على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بوصل
طوّل الله فيك غمّ الحسود

والعرب كانوا وما يزالون (على الأقل بدو فلسطين والاردن وسيناء) يستعملون الثريا في معرفة الطقس . فاذا اقترن القمر وهو ابن خمس ليال مع الثريا (في الافق الغربي) دل ذلك عندهم على انتهاء الشتاء . يقول احدهم .

اذا ماقارن القمر الثريا
لخامسة فقد ذهب الشتاء

والقران هذا لا يحصل الا في اواخر نيسان تقريبا من كل عام .

AL DEBARAN الدبران

وهو نجم احمر لامع يقع بجانب الثريا الى الخلف . وهو نجم مجموعة الثور الرئيسي .والاسم كما ترى عربي يستعمله الغربيون كما هو . اما سبب التسمية فقد اختلف فيه . ويبدو ان راى ذى الرمة كاف في هذا الصدد . فهو يشتق الاسم من كون هذا النجم ياتي دبر الثريا اى خلفها :

وردن اعتسافا والثريا كأنها
على قمة الرأس ابن ماء محلق
يدف على آثارها دبرانها
فلا هو مسبوق ولا هو مابق

لعشرين من صغرى النجوم كأنها
واياه في الخضراء لو كان ينطق

قلاص حداها راكب متعمم
الى الماء من قرن التنوفة مطلق

والعرب لاتحب هذا النجم ، فهو عندهم نحس . وفي ذلك يقول الشريف الرضي :

نجوتُ من الغمّاء وهي قريبة
نجاء الثريا من يد الدبران

سهيل CANOPUS

ولقد نالت فيه العرب اشعارا جميلة ، فهو عندهم محبوب كالثريا . وهو من نجوم الشتاء . ويقبع وحده في طرف السماء الجنوبي مقابل نجم القطب الشمالي في الطرف الآخر من السماء . وهكذا بدا لابن هرمة كراع يرعى النجوم :

وبدا سهيل كالشهاب مشبها
راع على شرف العرينة سائر

ويرتفع سهيل نحو قبة السماء كلما سار الانسان جنوبا . فالذي يلاحظ سهيلا من عمان في الاردن مثلا يراه اقرب الى الافق الجنوبي من الذي يلاحظه من جديد في السعودية . يقول مالك بن الريب عندما دنت منيته في مرو وهو قافل من خراسان وقد ادرك هذه الحقيقة :

أقول لأصحابي ارفعوني لانني
يقر لعيني ان سهيل بدا ليا

روى ان والي الطائف قد زوج فتاة تدعى ثريا كان يحبها عمر بن ربيعة المخزومي من فتى يدعى سهيل . فانشد عمر قائلا .

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا مااستقلت
وسهيل اذا استقل يماني

مشيرا الى الفكرة الفلكية العربية في تقسيم النجوم الى شمالية (شامية) وجنوبية (يمانية). ولقد وفق في تشبيهه و ابدع من انه لايمكن جمع

هذين الشايين كاستحالة التقاء النجوم الشامية باليمانية ٠

ولقد نقل المرزوقي صاحب كتاب (الازمنة والامكنة) قولا غريبا للهنود في سهيل ٠ قالت الهنود في اسطورتهم : (اذا نظر ناظر الى سهيل عند نهيق الحمار وبه صداع عوفي) ولعمري ان ذلك لما يزيد صداعه ٠

النجم القطبي POLE STAR

ويسميه العرب احيانا الجدي ، وهو غير الجدي Capricornus البرج المعروف الذي تحل فيه الشمس في مسارها ٠ ومعروف ان النجوم تبدو وكأنها تدور حول هذا النجم ، النجم القطبي وسبب ذلك طبعا هو حركة الارض حول محورها ٠ ولقد وصف الكميت دوران النجوم هذا مادحا رجلا بقوله :

مالت اليه طلانا واستطيف به
كما تطيف نجوم الليل بالقطب

هذه امثلة فقط مما قالته العرب في النجوم ٠ وقد روعي فيها أن تكون الابيات الشعرية معبرة ٠

عن فكرة فلكية او نجمية ٠ غير ان هناك اشعارا كثيرة قيلت في وصف النجوم ٠ وهي جيدة ٠ من ذلك مثلا قصيدة مهلهل بن ربيعة التغلبي الذي وصف ليلة حصل فيها عراك بين قبيلته تغلب وقبيلة بكر ٠ فافتتح رائيته :

أليلتنا بذي حسم أنيري
اذا انت انقضيت فلا تحوري

ثم يشرع في وصف النجوم :

كأن الفرقدين يدا مُفيض
ألحّ على افاضته قميري
كأن الجدي جدي بنات نعش
يكبّ على يد كالمستدير
كأن النجم اذ ولى سحيرا
فصيل حُنّ في يوم مطير
كأن كواكب الجوزاء عوذ
معطفة على ربع كسير
تبدى فاستقل لنا سهيل
يلوح كقمة الجبل الكبير
كأن مجرة الشعرين هيج
لكل حديقة تهدى وعير

كأن التابع المسكين شيخ
يواخي أحلف الشيخ الوقير

ويبدو ان ليلته تلك كانت من ليالي الشتاء ، اذا لايمكن ان يبدو سهيل والجوزاء والثريا (النجم) مساء الا في ليالي الشتاء ٠

ولقد قال بعض المحترفين في علم النجوم مثل عبد الرحمن الصوفي مصنف كتاب (صور الكواكب الثانية والاربعين) وشهاب الدين احمد بن ماجد البحار الشهير وصاحب المؤلفات في علوم البحار اشعارا اقربماتكون الى الفية ابن مالك في النحو٠ فلقد عمل الاول ارجوزة في كل مجموعة وصفها في كتابه وتقع في صفحات عديدة ٠ اما الثاني فعمل قصائد كثيرة سماها باسماء كالنونية والحاوية والذهبية ٠٠٠ وبعض شعره ركيك جدا لايستقيم فيه حتى الوزن ٠ ومن جيد اقواله :

حضر المدام ومنيتي والماء
فلحا العذول وعذله اغراء

أين الملام من المدام وشربها
بمهفهف ماذا وذاك سواء

بالماء يحيي كل غصن ناضر
وكذا الملاح حياتهن الماء

اني وفيت لمن آلام به ولو
قيل الغواني مالهن وفاء

لاغرو ان ملك الحبيب مقاودي
هذا السماك تقوده العواء

فالابيات الاربعة الاولى وضعت من اجل الفكرة الاساسية وهي ان نجم العواء يقود نجم السماك وهما نجمان يطلعان من الشرق وقت المغرب في اواخر الربيع واوائل الصيف ٠

خلاصة

من كل ماتقدم يبدو جليا واضحا ان العرب الاقدمين والمتوسطين كانوا على معرفة وثيقة وجيدة بالسماء،وبحركة النجوم فيها حتى درجت على السنة شعرائهم ٠ فاين من ذلك عرب اليوم ٠ ان النجوم لغالبيتهم لاتعني اكثر من مجموعة نقاط مضيئة في السماء ان هم كلفوا انفسهم عناء النظر ٠■■

عبد القادر عابد

رحيل مفاجيء

(اليها في أكرم جوار)

عزيزةٌ أعزُّ من عينيّا — حبيبةٌ ، أحبُّ من في الدنيا
بحبّها الحافزِ كنتُ أحيا — اليومَ -إذْ ماتت- فلستُ حيّا

كسقْطة الصاعقةِ المزمجره — كرجفة الزّلزلة المدمّره
كصرخة القنبلة المنفجره — قد كان وقعُ نعيها عليّا

عجزت أن أصرخ ،وارتميتُ — وغبتُ عن وعيي ، فما عقلتُ
تسألني ، لم أدر ما صنعت — فان عقلي لم يكن لديّا

وحينما عاودني رشادي — وحسرتي تأكلُ في فؤادي
عييتُ أن أسعى الى أولادي — بنعيها ، وحقّ لي أن أعيا

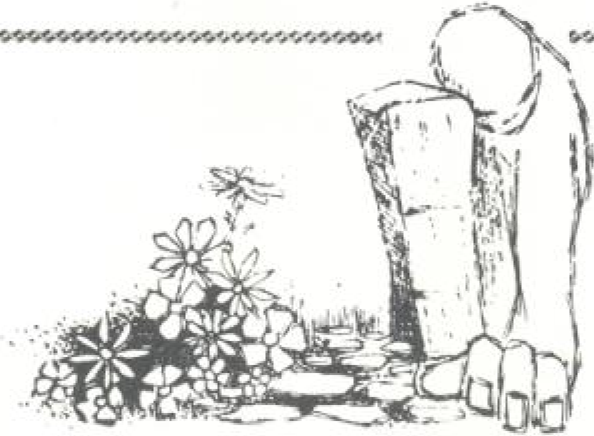
سيلطمون صارخين فزَعا — وينحبون صاخبين جزَعا
وليس لي من حيلةٍ فأمنعا — قد ضاع كلُّ الأمر من يديّا

لو كان لي حولٌ منعت نفسي — من أن يدور في الفضاء رأسي
كمن أصيبت فجأةً بمسٍّ — فعذرُ أطفالي غدا جليّا

حبيبتي قد تركت آفاقي — لربها ، ويالي من الفراق
فرُحت استفسر من أعماقي — ألست بالموت - إذن - حريّا ؟

طارت الى الغيب بلا جناح — تُقلها زعازع الرياح
وما درَتْ أن سنا مصباحي — يخفت شيئا بعدها فشيا

أفنت قواها رحلةٌ سخيفة — فسقطت في هوة عميقة
تائهة في نومها غريقة — وقد أمضّ السهد مقلتيا



بخنجرٍ في خافقي مسموم   بغصة تنشب في حلقومي
تعصرني الكروب كالمحموم   أقضي حياتي بعدها شقيّا

خيالها في ناظري اذ يمثُلُ   أرنو له مجسّماً فأذْهلُ
أهمّ ان ألمسه فيجفِلُ   وقد بدا مؤتلق المحيا

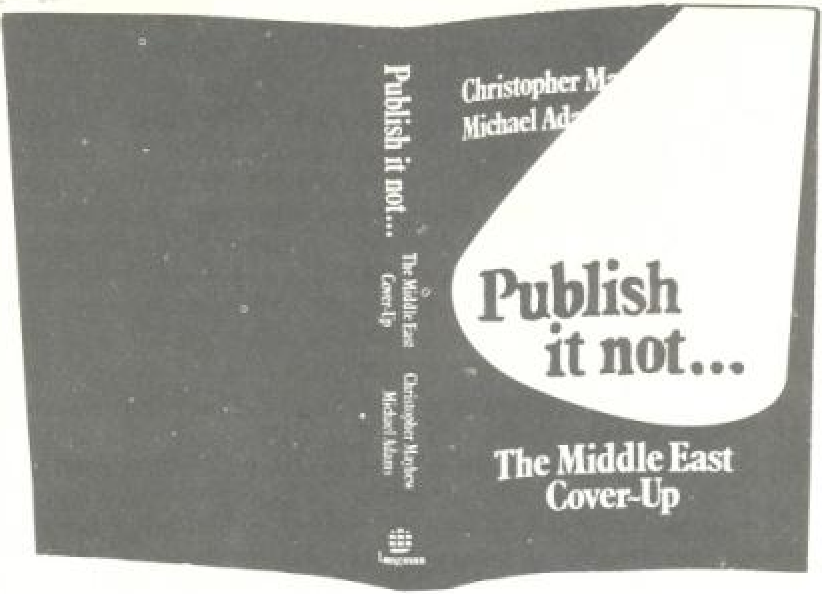
ملاحقٌ لخُطوتي قريبُ   أغمضُ عيني ، ثم لايغيبُ
مباعد – وان دنا – جنيبُ   فكيف بالله سعى اليا ؟

تشبّ كالتنور ذكرياتي   صاهرة بوقدها حياتي
وصحبتي في حرجٍ موّاتِ   ويلّ الشجيّ إذ يرى الخليّا

أسأل : هل تعلم ما لاقيت   منذ تهاوى فوق رأسي البيت؟
أو أن من سطّا عليه الموت   كنائم لم يدر مافي الدنيا ؟

لعلها – ان شهدت عذابي –   تسأل ربّي ان يزيل مابي
دعوته ، ولستُ بالمُجاب   فان دعت ، كان بها حفيّاً ■■

الدكتور محمد رجب البيومي
الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض



لا تنشروه ...!

كتاب جديد يفضح حقيقة نفوذ الصهاينة في بريطانيا وسيطرتهم على الصحف ودور النشر والاذاعة والحكومات نفسها •

بقلم : كريستوفر ماهيو ومايكل آدمز

عرض : يوسف زعبلاوى

■ هذا كتاب فريد في موضوعه ونهجه • فهو يظهر ما تتمتع به الصهيونية من سيطرة على الصحف واجهزة الاعلام البريطانية ، ويكشف النقاب عما تمارسه من نفوذ وضغوط على الاحزاب والحكومات البريطانية المختلفة • وما كان هذا ممكنا لولا الوثائق الرسمية ، وثائق الحكومة البريطانية ، التي كانت طي الكتمان ، والتي افرج عنها مؤخرا ، وسمح بنشرها لدى مرور الزمن القانوني عليها ، وهو مقدر حاليا بخمس وثلاثين سنة •

فهذه الوثائق هي المرجع الرئيسي الذي اعتمد عليه الكتاب واخذ عنه ما يسرده لنا من وقائع حدثت في الستين سنة الماضية • ولو قلنا ان هذه الوقائع والحوادث لا تترك مجالا للشك في اذعان الصحف وخضوع الحكومات والاحزاب في بريطانيا للصهيونية ، لما كنا مغالين • ولعلنا نستطيع ان نذهب الى ابعد من ذلك ، فنقول : ان في هذا الكتاب ما يكفي لقلب معلوماتنا راسا على عقب وما يستوجب اعادة كتابة تاريخ النزاع العربي الاسرائيلي من جديد •

وعنوان الكتاب هو « لا تنشروه » Publish it not ، وهو بقلم كاتبين انجليزيين هما كريستوفر ماهيو Christopher Mayhew ومايكل ادمز Micheal Adams • والاول نائب عمالي وسياسي معروف، والثاني كاتب وصحفي بارز •

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الصهيونية اضطلعت منذ ظهورها في مطلع هذا القرن العشرين، باعباء مهمتين اثنتين : مهمة الاستعمار ، واستيطان الاراضي العربية •• وطرد اهلها العرب،وتشريدهم،

ليحل محلهم المهاجرون اليهود ، القادمون الى المنطقة من روسيا وامريكا وغيرها ....

ومهمة اخرى ثانية ، غير مهمة السطو هذه .. انها مهمة التمويه والتستر على ذلك السطو ، وتزيين الباطل والتضليل على اوسع نطاق ممكن .

وهكذا نرى الشبه الكبير بين فضيحة ووترجيت والصهيونية .. فقوام كل منهما عمليتان : عملية سطو وعملية تستر على ذلك السطو .. الا ان الفارق بينهما اكبر كثيرا من الشبه .. فالضحية في السطو الصهيوني انما هي الشعب العربي الفلسطيني برمته .. والمشرق من العالم العربي باسره ، بينما ضحيته في فضيحة ووترجيت وقفت عند حد تنحية الرئيس نكسون من الحكم وتقديم بعض اعوانه للمحاكمة . اضف الى ذلك ان التستر والتضليل في الصهيونية واسع النطاق ويشمل الصحف الحية واجهزة الاعلام في الغرب كله .. بينما التستر الذي تسنى للرئيس نكسون وصحبه وقف عند الصحف واجهزة الاعلام في الولايات المتحدة ان لم نقل في العاصمة واشنطن وحدها .

فهذه المهمة الثانية التي توليها الصهيونية جل عنايتها .. مهمة التستر والتضليل ، هي نواة الموضوع الذي يتناوله كتاب « لا تنشروه » ..

فصول الكتاب ومواضيعه

لقد ظهر كتاب « لا تنشروه » ، في اسواق لندن في شهر سبتمبر الماضي عن دار لونجمان Longman. وهو يقع في ٩ فصول ويملأ ١٧٩ صفحة من الحجم المتوسط ما عدا ملاحقه الاربعة وتقع في ٨ صفحات .

والفصلان الاول والثاني يتحدثان عن صلة المؤلفين بالنزاع العربي الاسرائيلي ، ويرويان كيف انهما كانا خاليي الذهن حول هذا النزاع قبل دخول معتركه ، معتركه الكلامي طبعا ..

ويدور الفصل الثالث حول ضغوط الصهاينة على الحكومات والاحزاب وكبار رجال الدولة في بريطانيا ..

لذلك كان هذا الفصل الثالث في رأينا اهم فصول الكتاب جميعا .. على الاقل بالنسبة لنا نحن العرب .

ويتناول الفصل الرابع ، وعنوانه الضغوط الشخصية ، سيطرة الصهاينة على دور النشر البريطانية . ويبين قدرتهم على الحيلولة دون نشر الكتب التي لا تروق لهم .. وعلى الانتقام من الناشرين اذا هم خالفوا تعليمات الصهاينة ، ونشروا من الكتب ما قد يتصف بالنزاهة ناهيك بالتعاطف مع العرب ..

وتجدر الاشارة الى ما يحدثنا به هذا الفصل عن مجلس الصداقة العربية البريطانية C.A.A.B.U. وهو المجلس الذي تم تأسيسه في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ والذي يساهم الكاتبان في نشاطه مساهمة فعالة والذي يضطلع مايكل آدمز باعباء ادارته ونشاطه الاعلامي .

اما الفصل الخامس فيتحدث عن الصحف البريطانية وعن مدى خضوعها للصهيونية وتعرضها وتعرض محرريها لأذاها اذا هي عصت الاوامر .

ولعل الكاتبين يعلقان اهمية كبرى على هذا الفصل بدليل ان العنوان الذي اختاراه للكتاب اجمالا ، « لا تنشروه » ، انما يعبر اكثر ما يعبر عن هذا الفصل الخامس .

ويتحدث الفصل السادس عن الكنائس ورجال الدين ويذكر كيف كان في وسعهم الكشف عن الحقائق التي حرص الصهاينة على اخفائها والتضليل بصددها .

ويتناول الفصل السابع حرب اكتوبر والانقلاب الذي احدثته في تفكير اهل الغرب حول العرب واسرائيل ، وفي موقف الصحف البريطانية من النزاع العربي الاسرائيلي واتجاهها الى النزاهة والروح الموضوعية في تغطية هذا النزاع ، نقول « اتجاهها » نظرا لان ما حدث الآن حتى لم يكن سوى بوادر التحول المرجو ..

ويعالج الفصلان الاخيران ـ الثامن والتاسع ـ موضوعين حيويين خطيرين .. اولهما متصل باسرائيل ويدور حول السؤال : « هل في مقدور اسرائيل ان تغير اتجاهها .. ؟ » ويتطلع الفصل التاسع الى المستقبل ويستشف منه ما يمكن استشفافه ..

اما نهجنا في عرض هذا الكتاب فقوامه الوقوف عند بعض الوقائع والحوادث التي يسوقها الكتاب والعمل على نقل اهمها الى القارىء بدقة وامانة.

صحيفة التايمز
بين كرٍّ وفرٍّ

اوفدت صحيفة التايمز احد كبار محرريها الى المنطقة ، بغية تقصى الحقائق ، وموافاة صحيفته بمقال موضوعي واف • كان ذلك في شهر اكتوبر سنة ١٩٦٩ ، وكان المحرر الكبير هو المستر هودجكين E. C. Hodgkin وهو كاتب بريطاني قدير ، عرف بخبرته الواسعة بشؤون الشرق الاوسط وقضاياه ، واشتهر بحياده ونزاهته •

ونشرت التايمز (١٩٦٩/١٠/٢٨) مقال المستر هودجكين ، وقد وصف فيه حياة الفلسطينيين المقيمين في ظل الاحتـــلال الاسرائيلي ، وعرض لحالتهم النفسية بالتحليل،واورد حصيلةمشاهداته ومقابلاته وتحقيقاته التى نوجزها في السطور التالية :

ـ اكثرية سكان الضفة الغربية غير راضين عن الاحتلال الاسرائيلي •• وذلك خلافا لما تردده الدعاية الصهيونية ••

ـ الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية انما بقي واستمر بفعل القوة العسكرية لا نتيجة تقبله من جانب السكان العرب •

ـ تعمل اسرائيل في الخفاء على ضم الاراضي العربية المحتلة وتكريس استعمارها لها ••

ـ اعمال المقاومة العربية انما تمثل رد العرب الطبيعي علـى استمرار الاحتـلال الاسرائيلي لاراضيهم •

وثارت ثائرة اليهود في كل مكان ، واقاموا الدنيا واقعدوها ، بسبب ذلك المقال • فقد قال الحقيقة ورسم بوضوح صورة لاسرائيل تتنافـى والصورة التى حرصت الصهيونية على تثبيتها في اذهان اهل الغرب ••

وانصبت نقمـة الصهاينة على كـاتب المقال وفتحوا النار عليه على اوسع نطاق ، في الصحف اليهودية التى تصدر في بريطانيا وفي امريكا ، فضلا عن اسرائيل •• وما اسرع ما وجهوا الى المستر هودجكن التهمة الهدامة الخطيرة التى يفزع منها اهل الغرب جميعا •• والعاملون منهم في السياسة والصحافة بخاصة •• تهمة اللاسامية •• تلك التهمة التى يسهل توجيهها دون اثبات ، وتصديقها دون تحقيق ، ويتعذر نفيها ويصعب التبرؤ منها مهما بلغت حجج الدفاع من قوة ••

وما لبثت الحملة المسعورة ان انتقلت الى مجلس العموم البريطاني بالذات ،فعالت الاصوات، وبخاصة صوت عضوين عماليين هما اللورد عمانويل شنويل Shinwell ، ومستشار هيئة الاذاعةالبريطانية في شؤون الشرق الاوسط حاليا ، والمستر جوليان سنو Snow متهمة المستر هودجكن بالنازية فضلا عن اللاسامية • والرت صحيفة التايمز ان تضع حدا لتلك الحملة في تلك المرحلة ، فاعتذرت بلباقة ، في احدى افتتاحياتها اذ قالت :

« في الحرب الهائلة القائمة بين العرب واليهود •• كانت صحيفة التايمز تخص اسرائيل بعطفها وتاييدها •• » •

ولكن الحملة ضد المستر هودجكن لم تتوقف بعد هذا الاعتذار الضمني ، بل انها تضاعفت وتفاقمت •• عندئذ طفح الكيل ، ولم تجد التايمز مفرا من الدفاع عن محررها ومجابهة الصهيونية وجهـا لوجه ، والرد على دعاتها ردا صريحا قويا ، نادر المثال • وقد جاء ذلك الرد في مقال افتتاحي نشرته الصحيفة في ١٩٦٩/١١/١ وقالت فيه :

« ما دام الكاتب يتهم باللاسامية والنازية اذا هو تحرى الحقيقة وتحدث بنزاهة وموضوعية عن احوال العرب في الاراضي المحتلة •• كان لا بد من ان تحظر الكتابة في مثل هذه المواضيع على الكتاب الحياديين جميعا لتصبح وقفا على ابواق الدعاية الصهيونية ••

« اما المستر شنول ، عضو البرلمان البريطاني ، فقد حفلت اقواله بالمبالغات الى حد يبعث على الضحك ، وقد اثبت ان لغته في شيخوخته ليست اقل بذاءة مما كانت في شبابه •• ومن المؤسف ان تتمثل في المستر شنول ، وزميله المستر سنو تلك النعرة التى لا مفر لاحد منشرها اذا هو تعرض بالنقد لاى جانب من الموقف الاسرائيلي •• » •

وتشير الصحيفة بعد ذلك الى ان العاملين في امور السياسة ـ كاعضاء البرلمان والصحفيين ـ يتوقعون ولا ريب العراقيل والمجابهات التى تعترض سبيلهم الوعر •• الى ان تقول :

« ونحن نستمتع بذلك •• الا اننا لا نستسيغ ان ندعى لاساميين •• وما ذلك الا لاننا بعيدون عن هذا الوصف بعد السماء عن الارض •• ولعل هذه التهمة لا تلحق بنا ضررا كبيرا •• ولعلها تلحق الضرر البالغ ، ولو على نحو غير مباشر ، بمصالح

اسرائيل نفسها .. فليس اكثر وبالا على اسرائيل من ان ينظر اليها وكأنها من نسيج فريد ، معصومة من ارتكاب الخطأ ، ومنزهة عن النقد ، اذا هي ارتكبته .. وذلك كله بحجة ما لحق اليهود من اضطهاد ، وما عانوه من الام على يد شعوب أوربا على مر الايام .. » .

كلام جميل ولا ريب .. وكله حقائق ولا شك ، الا انه كلف صحيفة التايمز ثمنا باهظا! اذ ما لبثت ان فقدت محررها المستر هودجكن . اى ان التايمز اذعنت للضغوط الصهيونية ففصلت محررها الكبير، وقطعت علاقتها به ، وذلك فى غضون سنة او اقل من ذلك ..

ومهما يكن من امر فقد دفع المستر هودجكن ثمنا اغلى بكثير مما دفعت التايمز .. اذ اغلق الصهاينة شتى ابواب الصحافة والكتابة والنشر فى وجهه ، ونجحوا فى اقصائه عن الحياة العامة كلية .. حتى لم نعد نقرأ ولا نسمع عنه شيئا ..

صحيفة الجارديان تتنكر لاحد محرريها

ولم تكن الجارديان ـ وهى صحيفة كبيرة اخرى تصدر فى لندن ومانشستر ـ اقل من التايمز رضوخا للصهيونية وتنفيذا لتعليماتها . وليس ادل على ذلك من القصة التالية ، قصة احد محررى الصحيفة الذى كلف بزيارة اسرائيل والاراضى المحتلة بقصد موافاة صحيفته بسلسلة من المقالات تنقل الى القراء مشاهداته وحصيلة دراسته .

ولم يكن ذلك المحرر سوى مايكل ادمز، احد مؤلفى هذا الكتاب الذى نعرضه .. ولم يمض زمن طويل على وصوله الى المنطقة (وكان ذلك فى اوائل سنة ١٩٦٨) حتى اكتشف ما اكتشف، وذهل لما اكتشف..

اكتشف ان السلطات الاسرائيلية كانت تمارس شتى الضغوط المادية والنفسية على المدنيين العرب وتواصل الضغط عليهم حتى يتخلوا عن ديارهم ..

اكتشف ان الاحتجاز او السجن الجماعى Mass Arrests ، والسجن بدون محاكمة ، وفرض منع التجول ـ الرادع ، كما يقولون ـ امور عادية فى الارض المحتلة ..

واكتشف المستر ادمز ان السلطات اليهودية لم تتوقف عن استملاك الاراضى قسرا ، ولم تكف عن هدم المنازل ونسف المبانى .. العربية طبعا ..

وهال المحرر ما لمسه من مشاعر الفلسطينيين المقيمين فى ظل الاحتلال الاسرائيلى .. فقد شعروا بان حجابا بل سورا منيعا يفصل بينهم وبين العالم .. وان الحقيقة نفسها بدت عاجزة عن اختراق ذلك السد ، بالرغم من انه لم يكن مصنوعا من حديد واسمنت ، ولكن من الاعلام والكراهية التى يضمرها اليهود المستعمرون لهم ..

واكتشف صاحبنا كذلك ان شبانا من العرب كانوا يختفون فجأة تحت جنح الظلام او فى وضح النهار .. وان الكثيرين من النساء والاطفال كانوا يسجنون بلا حساب ..

وذهل المستر ادمز لاعمال السلب والنهب التى طالما قام بها اليهود ـ المدنيون منهم والعسكريون ـ فى شتى البلدان العربية التى احتلوها ..

وبدأت الجارديان فى نشر مقالات المستر ادمز . فنشرت رسالته الاولى دون تردد . وما اسرع ما ثارت ثائرة اليهود .. فقاموا بحملة واسعة النطاق اشتركت فيها الصحف اليهودية فى بريطانيا ولعبت دورا رئيسيا فيها السفارة الاسرائيلية فى لندن وملحقها الصحفى ..

ووجهت التهمة الهدامة ـ تهمة اللاسامية والنازية ـ الى المحرر بقصد تحطيمه شخصيا . فقد بلغ من عقدة الذنب فى الانجليز والالمان وغيرهم من الاوروبيين ، بسبب ما الحقوه باليهود فى الماضى البعيد والقريب من اضطهاد وتعذيب ، ان اصبح مجرد الاتهام باللاسامية النازية كافيا لانزال الحكم بالمتهم دون محاكمة .

وشملت الحملة صحيفة الجارديان ، فتعرضت هذه للنقد اللاذع .. وتذكرت الصحيفة دورها سنة ١٩٥٦ ، ذلك الدور الرائد ، وقد وقفت فيه موقف الناقد من العدوان الثلاثى على مصر .. وتذكرت كذلك كيف انتقم اليهود منها انذاك فامتنعوا عن الاعلان فيها ، بل وعن شراء اعدادها، حتى خشيت الافلاس .. لاعجب اذن ان بدأت الجارديان تذعن لتلك الحملة وتتردد فى نشر مقالات المستر ادمز ، اولا تنشرها الا بعد ان تخفف من حدتها او تحذف منها .. لتحد من غضب الصهاينة عليها ..

وسارت الامور على هذا النحو الى ان بعث المستر ادمز بتقرير له يختلف عن سائر التقارير ..

هذا والتقرير لا يذهب الى ابعد من تسجيل ما تسنى للمحرر مشاهدته ..

فقد لاحظ ان طريقا يخرج من بلدة رام الله اغلقته السلطات الاسرائيلية في وجه السيارات .. وطال تعطيل ذلك الطريق نحوا من ستة شهور .. وسمع المستر آدمز ان سبب التعطيل كان اعمال النسف والتدمير التي كانت تقوم بها السلطات الاسرائيلية في قرى عربية ثلاث ، تبعد ١٢ - ١٥ ميلا عن القدس ، هي : عمواس ويالو وبيت نوبا . ولكن صاحبنا لم يكتف بما سمع عن تلك الاعمال ، وقد نقله اليه احد اصدقائه العرب ، وقد يكون مبالغا فيه .. فسعى الى زيارة الموقع والتأكد بنفسه مما سمع .. وتسنى له ذلك بعد جهود .. ورأى بأم عينه كيف اصبحت تلك القرى القديمة ، قدم التوراة ، اصبحت قاعا صفصفا ..

الا انصحيفة الجارديان رفضت نشر المقال..بحجة ان الصحف البريطانية الاخرى لم تنشر لمراسليها اي خبر عن تدمير تلك القرى .. ولكن هذه حجة مفتعلة واهية كما لا يخفى .. اذ تعرف الجارديان كما تعرف غيرها ان اكثر مراسلي الصحف البريطانية في اسرائيل هم من اليهود الصهاينة .. فتلك الصحف التيحرصت علىالا يكون لهامراسلون من مواطني البلاد التي يعملون فيها ، شذت على القاعدة ، فحرصت على الا يكون مراسلوها في اسرائيل الا من اليهود الصهاينة .. وتعرف الجارديان ان هؤلاء المراسلين لا يكتبون الا ما يخدم مصالح اسرائيل ويخضعون لرقابة شديدة جدا على كل حال .. ولعل الصحيفة تدرك ايضا انها في امتناعها عن نشر مقال المستر آدمز انما تسعى الى ارضاء الصهاينة او على الاقل عدم اغضابهم ..

وعاد المحرر الى لندن وحاول اقناع المسؤولين في صحيفة الجارديان بضرورة نشر المقال .. ولكن محاولاته باءت بالفشل وادت في النهاية الى فصل المستر آدمز عن عمله .

وتوجه المستر آدمز بمقاله بعد ذلك الى صحيفة التايمز ، فوافقت على نشره .. الا انها ما لبثت ان عدلت عن قرارها في اللحظة الاخيرة ..

ونشرت المقال في النهاية صحيفة الصنداي تايمز ، وهي الصحيفة الاسبوعية الجريئة الغنية التي لا تقيم وزنا كبيرا للاعلانات التي قد تفقدها بسبب غضب الصهاينة .

وعد بلفور ملابساته وخلفياته

قد لا يستغرب المرء كثيرا نفوذ الصهاينة على الصحافة البريطانية .. فالصحف مؤسسات تعتمد على ايراداتها من المبيعات والاعلانات .. وليس اسهل على اليهود من العبث بموارد الرزق هذه ، وتأديب الصحف البريطانية وغير البريطانية ، اذا هي خرجت على تعليمات الصهاينة وتنكرت لاهوائهم ..

اما ان يكون للصهيونية مثل ذلك النفوذ على السلطة التنفيذية نفسها ، وان ينجحوا في السيطرة على الحكومات البريطانية المتعاقبة كلها بلا استثناء ، فذلك ما يبعث ولا ريب على كثير من الدهشة وخيبة الامل .

والوقائع التي يسوقها الكتاب للتدليل على ذلك كثيرة .. نكتفي هنا بثلاث منها .. تدور الاولى منها حول وعد بلفور ، وهو حجر الاساس الذي قامت عليه اسرائيل ، وقد صدر ذلك الوعد ابان الحرب العالمية الاولى ، وعن وزارة اللويد جورج ، وكان من حزب الاحرار .

ونبدأ اول ما نبدأ بالصيغة التي صدر بها وعد بلفور .. فهي من صنع الصهاينة .. كما يستدل من وقائع احدى جلسات مجلس الوزراء في تلك الايام ، وقد قال فيها وزير الخارجية بالحرف الواحد :

« لقد طلبت من اللورد روتشيلد والبروفسور وايزمن ان يضعا لنا صيغة الوعد .. » .

تلك هي القوة التي بلغها اليهود في بريطانيا آنذاك .. وقد حملت الحكومة البريطانية على الا تولي اهتمامها لاي اعتراضات على وعد بلفور الا اذا صدرت تلك الاعتراضات من اليهود انفسهم ، كما يفهم من احد القرارات التي اتخذها مجلس الوزراء البريطاني في هذا الصدد .. اذ يقول :

« قبل اتخاذ اي قرار يجب الاستماع الى آراء الصهاينة اولا ، ثم الى آراء الذين لا يجارون الصهاينة من اليهود.وينبغي عرضالوعد بالصيغة

التى تلى بها علينا .. ينبغى عرضه فى تكتم شديد على :

١ ـ الرئيس ولسون ٢ ـ زعماء الحركة الصهيونية ٣ ـ رجال من اليهود الانجليز المناوئين للصهيونية » .

واتخذ مجلس الوزراء البريطاني بعد ذلك (١٩١٧/١٠/٣١) القرار التالى :

« وذكر وزير الخارجية (البريطانية) ان اغلبية اليهود الساحقة فى روسيا وامريكا ، بل فى العالم اجمع ، راضون عن الصهيونية على ما يبدو .. فلو تمكنا من اصدار وعد مرض لهذه الحركة المثالية ، (اى الصهيونية) لعاد علينا ذلك الوعد بدعاية مفيدة للغاية فى كل من روسيا وامريكا..»

اذن فاعتبارات الحق والعدالة ومصير الشعب العربى فى فلسطين .. كل هذه الاعتبارات وامثالها ضربت الحكومة البريطانية بها عرض الحائط ..

واقدمت الحكومة البريطانية ، بعد اصدار الوعد فى ١٩١٧/١١/٢ على اتخاذ الاجراءات والخطوات العملية الكفيلة بتحقيق مضمون الوعد .. فانشات دائرة للدعاية اليهودية فى وزارة الخارجية البريطانية نفسها .. واسندت رئاسة تلك الدائرة الى صهيونى معروف هو المستر هيامسون A. Hyamson ، وانطلقت هذه الدائرة تصدر البيانات والنشرات الدعائية وتوزعها على الجاليات اليهودية فى شتى اقطار العالم .. لا بقصد سوى تشجيع اليهود على الهجرة الى فلسطين ..

ومن جهة ثانية عمدت الحكومة البريطانية الى ايفاد لجنة الى فلسطين غايتها « التمهيد لتنفيذ وعد بلفور واتخاذ الاجراءات الكفيلة باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .. على الا تتجاوز اللجنة سلطات الجنرال اللنبى .. » .

ولعلك تسال عن اعضاء تلك اللجنة .. لا داعى لذلك ، وحسبك ان تعلم ان رئاستها اوكلت الى الدكتور وايزمن ، كبير زعماء الصهاينة آنذاك .

وعاد الدكتور وايزمن من مهمته وشعر بوجوب تزويد وزير الخارجية البريطانية بلفور بملاحظاته وتوجيهاته فيما يتصل بالعرب وطبيعتهم وكيفية التعامل معهم .. فوجه اليه رسالة فى ١٩١٨/٥/٣٠ تتضمن من تلك الملاحظات والتوجيهات ما تتضمن، وتبين الصلة الوثيقة التى ربطت بين الزعيم الصهيوني والوزير البريطاني .. لقد كانت صلة الصديق بالصديق بل الاستاذ باحد تلاميذه المريدين .. ومما جاء فى تلك الرسالة قوله : « يتصف العرب بالحذق وسرعة الخاطر ، ولكن بمفهومهما السطحى . وهم يعبدون شيئا واحدا فقط ، ولا شيء سواه ، القوة والنجاح .. وعلى البريطانيين وهم ادرى بما فطر عليه العربى من نزعة للخيانة .. عليهم ان يحرصوا على عدم اعطاء العرب اساسا للتظلم والاحتجاج .. بعبارة اخرى يجب التظاهر باحتضان العرب ورعايتهم والا طعنوا الجيش البريطانى فى الظهر .. والعربى الذى يستطيع فهم الظروف بسرعة لن يدع الفرصة تفوته .. فهو يصرخ ما وسعه الصراخ ويسعى الى ابتزاز المال ما وسعه الابتزاز .. وهو يزداد غطرسة بقدر ما يلقى من لين المعاملة التى عرف بها الانجليز .. ولو ذكرنا ان الموظف العربى يعرف لغة اهل البلاد ، العربية ، ويعرف عاداتها وتقاليدها ، لوجدنا فيه ما يميزه على الموظف البريطانى للاسهام فى ادارة البلاد » .

تلك هى النصائح التى وجهها وايزمن الى بلفور والتى تبناها الوزير البريطانى بامانة واخلاص .. بحيث اسقط من اعتباره العرب جميعا ، عرب فلسطين وغير فلسطين ، كما يتضح من المذكرة الرسمية التى وجهها الى اللورد كرزون فى ١٩١٩/٨/١١ ، وقد قال فيها :

« .. نحن لا ننوى فتح باب استشارة (العرب) سكان البلاد الحاليين ، والوقوف على رغباتهم وطلباتهم ، بالرغم من ان اللجنة الامريكية فعلت ذلك ..

« فالدول الاربع الكبرى كلها ملتزمة بالصهيونية. ذلك ان الصهيونية ، صوابا كانت او خطا ، خيرا كانت او شرا ، ذات جذور طويلة ضاربة فى صميم تقاليدنا ، وراسخة فى اعماق نفوسنا .. وهى ذات صلة وثيقة بحاجاتنا الحاضرة وبآمالنا ومستقبلنا .. والصهيونية فوق ذلك ذات قيمة وخطورة اعمق من الرغبات التى قد يشعر بها ٧٠٠,٠٠٠ عربى ، يسكنون فلسطين حاليا .. »

كتاب ابيض :
يقلب الصهاينة بياضه سوادا

وهذه قصة اخرى تبين مدى قدرة الصهاينة فى بريطانيا على قلب السياسة البريطانية رأسا

على عقب ، فيما اذا وضعت تلك السياسة في غفلة منهم ، وجاءت مخالفة لرغباتهم ومصالحهم • انها قصة كتاب باسفيلد الابيض The Passfield White Paper الذى اصدرته الحكومة البريطانية العمالية ـ حكومة رمزى مكدونلد سنة ١٩٣٠ •

وتبدا القصة باضطرابات سنة ١٩٢٩ التى قام بها عرب فلسطين وعمت البلاد وذهب ضحيتها ٢٤٠ قتيلا و ٦٠٠ جريح •• فقد شمرت الحكومة البريطانية وبخاصة وزير المستعمرات فيها المستر سيدنى وب Sidney Webb بضرورة الوقوف على الاسباب الحقيقية لتلك الاضطرابات •

وهكذا شكلت لجنة للتحقيق برئاسة السير جون سمبسون •• وقامت اللجنة بتحرياتها وتحقيقاتها واستمعت الى الشهود واجرت المقابلات وما لبثت ان رفعت توصياتها الى وزير المستعمرات • وكان المستر وب هذا على جانب كبير من رجاحة العقل وحرية الضمير بحيث تركت توصيات اللجنة اعمق الاثر في نفسه •• لا عجب اذن ان سعى المستر سيدنى وب الى اقناع حكومته باصدار الكتاب الابيض ، كتاب باسفيلد الذى ذكرنا ، في شهر اكتوبر سنة ١٩٣٠ •

وقد اكد هذا الكتاب ، فيما اكد ، ان الاستيطان اليهودى لفلسطين هو السبب في عدم الاستقرار بل التشرد الذى حل بعرب فلسطين ، وقد اجلوا عن اراضيهم وديارهم بطريقة او اخرى ، ليحل محلهم المهاجرون اليهود ••

واشار الكتاب الى ازدواج التعهدات المتناقضة التى قطعتها الحكومة البريطانية للشعب اليهودى من جهة ولعرب فلسطين من جهة اخرى ، ثم حذر من مغبة :

« •• اى قرار مرتجل يشجع على المضى في السماح للهجرة اليهودية غير المحدودة الى فلسطين •• » •

وفوجيء اليهود بهذه المقررات والتاكيدات التى لم تنسجم واهواءهم •• فاقاموا الدنيا واقعدوها •• وعمت المظاهرات اليهودية شتى العواصم الاوروبية والامريكية •• وطفقت الصحف بحملات الصهاينة ضد الكتاب الابيض •• ونشط اعضاء مجلس العموم الموالين لليهود في التنديد بكتاب باسفيلد •• وساهم في الضغط على الحكومة البريطانية كبار انصار الصهيونية •

وخطا وايزمن خطوته الحاسمة •• فالمستر مكدونلد ، رئيس الوزراء آنذاك ، لم يكن من انصار الصهاينة ، حتى ذلك الحين ، ولم يكن من معارف وايزمن او اصدقائه • وشعر الزعيم الصهيوني بالثقة من انه لو تسنى له الوصول الى المستر مكدونلد من عل لامكنه التاثير عليه والظفر بتاييده بما يكفل له زوال العقبات من طريقه ••

وتم اللقاء بين الرجلين على نحو ما تمنى وايزمن • وما اسرع ما فعل السحر فعله •• اذ ما لبث مكدونلد ان تراجع وطاطا الراس لمطالب وايزمن والصهاينة •• وحسبنا ان نذكر ان رئيس الوزارة البريطانية الغى كتاب باسفيلد الابيض (في مطلع سنة ١٩٣١) ، ولم تمض سنة واحدة على اصداره •• ولم يقف المستر مكدونلد عند هذا الحد •• فقد امر بانتزاع الاشراف على حكومة الانتداب في فلسطين ، من وزارة المستعمرات ، ومن وزيرها سيدنى وب بالذات ، واسنده الى لجنة خاصة تابعة لمجلس الوزراء ••

والادهى من ذلك كله ان المستر ماكدونلد كلف تلك اللجنة الوزارية بالتشاور والتعاون مع الوكالة اليهودية •• وهكذا اصبحت حكومة الانتداب في فلسطين العوبة في يد الوكالة اليهودية •• فنشطت الهجرة اليهودية الى البلاد المقدسة نشاطا كبيرا •• وفي ذلك يقول وايزمن في مذكراته :

« لقد كان خطاب مكدونلد (وهو الخطاب الذى وجهه رئيس الوزارة الى وايزمن واعلن فيه الغاء الكتاب الابيض) نقطة تحول في موقف الحكومة البريطانية •• بل وفي تاريخ فلسطين نفسها •• فهو الذى مكننا من تحقيق مكاسب ممتازة في مطلع الثلاثينات •• والفضل انما يعود الى ذلك الخطاب في مضاعفة الهجرة اليهودية الى فلسطين بحيث بلغت ٤٠٫٠٠٠ سنة ١٩٣٤ و ٦٢٫٠٠٠ سنة ١٩٣٥ ؛ وهى ارقام لم تكن نحلم بها سنة ١٩٣٠ •• » •

تستر الحكومة البريطانية تهرب اليهود من القانون

وهذه قصة ثالثة تدور حول تهرب اليهود من دفع الضرائب للخزينة البريطانية ، وحول ظهور

حكومة المحافظين بمظهر المتواطيء في ذلك التهرب .. بالسكوت والتستر عليه .

وتجدر الاشارة اولا الى ان القوانين المرعية في بريطانيا تفرض الضريبة على التبرعات التي تجمع في بريطانيا وتحول الى بلد اجنبي.ولا يعفى من تلك الضريبة سوى التبرعات التي يثبت انها تستهدف اغراضا خيرية انسانية .

ولا يخفى ان اسرائيل تعيش الى حد كبير على التبرعات التي تجمعها لها هيئات ولجان مختصة في بريطانيا وغيرها ، وبخاصة في امريكا . ولا يخفى ايضا ان هذه التبرعات خاضعة للضريبة التي ذكرنا لانها تبرعات لا تستهدف اغراضا انسانية خيرية بل قل تقدم اغراضا عسكرية طالما ادانتها القوانين والاعراف والهيئات الدولية . ولكن نسبة الضريبة كبيرة وتصاعدية ودفعها يعني تقلص تلك التبرعات بحوالي النصف .

لا عجب اذن ان عمل الصهاينة في بريطانيا على التهرب من دفع تلك الضريبة . والغريب هنا ليس اقدامهم على خرق الانظمة والقوانين او نجاحهم في خرقها وانما سكوت كبار المسؤولين الانجليز وتسترهم على تلك الاعمال .

ويعود الفضل الى المستر ماهيو النائب العمالي واحد مؤلفي هذا الكتاب الذي تعرض،في فضح تلك الاعمال ، او محاولة فضحها على الاقل . وكانت نقطة البدء في اطلاعه على نشرات الصندوق القومي اليهودي ـ وهي الهيئة التي تقوم بجمع التبرعات لاسرائيل في بريطانيا . وقد تضمنت تلك النشرات التي كانت توزع على اوسع نطاق في اعقاب حرب ١٩٦٧ ، تضمنت العبارات التالية وامثالها :

« يعمل صندوقنا جنبا الى جنب مع الدبابات العسكرية .. فالدبابات اعادت الى اسرائيل اراضيها ، والمحاريث انطلقت تحرث تلك الاراضي .. فمهمة الصندوق الاولى انما هي استصلاح هذه الاراضي .. مهمته تهيئة تلك الاراضي واعدادها لقيام المستوطنات الاسرائيلية عليها .. » .

وهكذا ثبت للمستر ماهيو ان التبرعات التي كانت تجمع في بريطانيا وتحول الى اسرائيل كانت تستهدف اغراضا استعمارية ، بدليل ان الصندوق القومي اليهودي نفسه لم يحاول اخفاء تلك الاغراض ، بل انه اعلنها وفاخر بها .

وعز على المستر ماهيو ... بصفته عضوا مسؤولا من اعضاء البرلمان البريطاني .. عز عليه ان تحول تلك التبرعات بالملايين الى اسرائيل دون ان تدفع للخزينة البريطانية الضريبة القانونية التي تخضع لها .

وهكذا بدأ صاحبنا محاولاته .. فكتب ١٥ رسالة الى وزارة الخزانة البريطانية وطرح في مجلس العموم ٥ اسئلة وذلك في غضون السنوات الثلاث او الاربع : ١٩٦٧/٦/٢١الى١٩٧١/٦/٢٨ .

وجاء الرد على كل هذه التساؤلات مموها ومتسترا وهذا مما زاد المستر ماهيو صلابة في متابعته الموضوع .. ووضعه النقاط على الحروف.

واستجوب المستر ماهيو وزير الخزانة حول الموضوع نفسه ، في احدى جلسات البرلمان ، في ٢٨ يوليو سنة ١٩٧١ ، فكشف رد الوزير ـ وكان جديدا ـ عن بعض الحقيقة التي تعمد اسلافه اخفاءها .. قال ما معناه :

« لا ريب ان وزارة الخزانة اخطأت في عدم التمييز بين صندوقين يهوديين كانا يعملان في بريطانيا جنبا الى جنب ، ويستعملان نفس المقر ويحملان نفس الاسم..الصندوق القومي اليهودي J. N. F.

ولا يختلفان الا في ان احدهما يزعم انه يستهدف اغراضا خيرية ، وهو غير فعال ولم يؤسس الا للتغطية ، بينما الآخر ـ وهو الصندوق الفعال ـ يستهدف اغراضا سياسية .. ولما كانت الهيئتان هيئة واحدة في واقع الحال ، جمعت التبرعات وحولت باسم الصندوق الخيري غير الفعال . والمؤسف ان وزارة الخزانة لم توضح ذلك الالتباس في ردودها العديدة على رسائلك ».

وازدادت شكوك المستر ماهيو بسبب هذا الرد الذي اشعره بان الحكومة البريطانية تعرف الكثير عن تهرب اليهود من دفع الضريبة ، وتعمل على التستر عليه وكانها متواطئة فيه .

لذلك رفع تقريرا وافيا الى رئيس الوزارة المحافظة المستر هيث ، طالبا تشكيل لجنة مستقلة، لاجراء التحقيق في ذلك الموضوع الخطير .

الا ان المستر هيث اكتفى بالتقرير المفصل الذي وافته به وزارة الخزانة .. ذلك التقرير الذي رفض رئيس الوزراء نشره او اطلاع احد عليه .

ملكيون اكثر من الملك نفسه

ما كانت الصهيونية لتحرز ما احرزت وتسيطر على اجهزة الاعلام والحكومات في بريطانيا لولا الجاليات اليهودية المنتشرة في شتى دول الغرب ٠٠ فافراد هذه الجاليات اكثرهم ـ ان لم نقل كلهم ـ صهاينة ملتزمون لاسرائيل التزاما عاطفيا جارفا ٠٠ وهم منظمون تنظيما بالغ الاحكام ، حتى باتت هذه الجاليات أشبه بالخلايا التي تعمل لصالح اسرائيل على نحو من التنسيق نادر المثال ٠ أضف الى ذلك ان اكثرهم أغنياء ومثقفون، والكثير منهم يحتلون مناصب قيادية في ميادين مختلفة ٠٠ في التجارة والقانون والاعلام ٠٠ ناهيك بالسياسة ٠

على أن هذه الجاليات اليهودية مدينة بفضل كبير وحاسم لعدد من رجال الدولة والوزراء الانجليز من غير اليهود ، نذكر منهم على سبيل المثال : لويد جورج ، ونستون تشرشل ، والجنرال سمطس ، بلدوين ، تشامبرلين ، ورتشارد كروسمان ، الخ ٠

ولعل المستر هارولد ولسن ، زعيم حزب العمال ورئيس الحكومة الحالية فيبريطانيا ، هو فيالطليعة بين هؤلاء ايمانا بالصهيونية وولاء لاسرائيل ٠

لقد بلغ هذا الرجل في كرهه العرب واحتقاره الدول العربية قمة لم يبلغها الا في حبه اسرائيل وتفانيه في خدمة الصهيونية ٠ ويتجلى ذلك في تصرفات المستر ولسن بقدر ما يتضح في خطبه وتصريحاته ٠

وأول ما يتبادر الى الذهن هنا قصة المستر بول جونسون Paul Johnson ، محرر صحيفة النيو ستيتسمان الاسبوعية ، فقد وجه هذا المحرر في احدى مقالاته تهمة اللاسامية الى المستر كريستوفر ماهيو ٠٠ ورد المتهم على ذلك برسالة٠٠ ونشر المحرر الرسالة محرفة مشوهة وقد حذف منها اهم عباراتها ٠ وفعل ذلك دون استشارة صاحبها ٠٠ ولجا المستر ماهيو الى مجلس الصحافة الحكومي ، فشكا اليه تهجم المستر جونسون عليه ، وخرقه قوانين الصحافة ، ولكن المستر ماهيو ما لبث أن أسقط في يده٠٠ فقد سارع المستر هارولد ولسن وأصدر في الوقت المناسب مرسوما بتعيين المستر جونسون عضوا في هيئة الصحافة الملكية٠٠ أعلى جهاز حكومي من نوعه في بريطانيا ٠ وهكذا صدق قو الشاعر العربي :

فيك الخصام وانت الخصم والحكم ٠٠

وقل مثل ذلك فيما انتهى اليه امر اللورد شنول والمستر سنو، عضوى البرلمان اللذين تهجما على المستر هودجكن ، محرر التايمز ، واتهماه باللاساميه والنازية ، وذلك في جلسات مجلس العموم بالذات ، وقد اوردنا تفاصيل ذلك فيما سبق ٠

فبدلا من ان يوجه المستر ولسن الى هذين العضوين التوبيخ او العتاب او على الاقل يتجاهل امرهما ، عمد الى ترقيتهما وتعيينهما في مناصب في مجلس اللوردات ٠٠ وكان فعلتهما عمل من اعمال البطولة التيتستحق المكافات والاوسمة ٠

وقد يتوقع المرء تصرفا مختلفا من المستر ولسن ، بصفته عالم اقتصاد ، في الشؤون الاقتصادية والتجارية ، وبخاصة تلك التي تخدم مصلحة البلاد التي يترأس وزارتها ٠ الا ان كراهية ولسون للعرب انسته الاقتصاد كله ، واعمته عن مصلحة بلاده ٠٠ وانحرفت به عن ابسط اصول اللياقة وآداب المعاملة ، كما تظهر القصة التالية ٠

في سنة ١٩٧٠ اتجه التفكير في بريطانيا ، وعلى اعلى المستويات ، الى تنشيط التجارة بين بريطانيا والعالم العربي ، والى السعي من اجل زيادة الصادرات البريطانية الى اسواقه الواسعة ٠ وضم الوفد الذي شكل لهذا الغرض رؤساء ثلاثة من كبريات المؤسسات البريطانية ومجموعات الشركات هي :

- متشل كوتس The Mitchell Cotts Group
- انشكاب The Inchcap Group
- البنك البريطاني للشرق الاوسط

وطلب هذا الوفد مقابلة رئيس الوزراء قبل القيام برحلته ٠ الا ان المستر ولسون رفض هذه المقابلة ٠٠ وعجب الوفد لهذه المعاملة ٠٠ ولعله ادرك السبب ، كما يتراءى لنا من الخطاب الذى وجهه الى المستر ولسون وقال فيه :

« من الطبيعي ان نشعر بالقلق والدهشة ٠٠ فالمهتمون بالعلاقات الطيبة بين هذه البلاد وبين الشرق الاوسط ، والحريصون على تنشيط مالبريطانيا من مصالح تجارية ومالية خطيرة في

العالم العربي ٠٠ لجديرون بان يلقوا اذنا صاغية منك ٠٠ كالاذن التي تعيرها الى الهيئات اليهودية والصهيونية في هذه البلاد ٠٠ اننا نعتقد ان مصلحة بريطانيا تقتضي الحياد فيما يتصل بالشرق الاوسط وبالسياسة التي ترسمها تجاهه ٠٠ وهي تستوجب ان تاخذ بعين الاعتبار وجهات النظر جميعا دون تمييز » ٠

بقي ان نذكر ان المستر ولسن لم يجد لابنه جايلز Giles خيرا من المستوطنات الاسرائيلية مجالا لعمله وصقل شخصيته ٠٠ فقد عمل جايلز في احدى الكيبوتزات الاسرائيلية فترة من الزمن زاره ابواه اثناءها زيارة واحدة على الاقل ، كما اشارت الى ذلك يومئذ اكثر الصحف العربية ٠

ناتي الآن الى آراء المستر ولسن التي اعرب عنها في شتى خطبه وتصريحاته ٠٠ ونبدأ برأيه في القرار الذي اتخذته الجمعية العامة للمنظمة الدولية ، بالاجماع تقريبا ، وذلك في ٨ ديسمبر ١٩٧٢ ٠ فقد دعت الجمعية العامة اسرائيل في ذلك القرار الى اقرار مبدأ عدم ضم الاراضي بالقوة ، واكدت ان احترام حقوق الفلسطينيين ضروري لاي سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط ٠٠ وطالبت المنظمة الدولية اسرائيل في قرارها هذا ايضا بالامتناع عن الاعمال التي قد تؤثر على الكيان الديمغرافي والبنية الطبيعية للاراضي العربية المحتلة ٠٠

الا ان هذا القرار الذي لا يذهب الى ابعد من تاكيد مبادىء في السياسة الدولية مسلم بها وذلك في صيغة مخففة ومقبولة لدى الجميع ، حتى صوت الى جانبه ٨٦ دولة ، من بينها بريطانيا نفسها ، وكانت حكومتها آنذاك محافظة ، ولم يعارضه الا ٧ دول لم تكن الولايات المتحدة من بينها ٠٠ هذا القرار اثار ثائرة المستر ولسن ٠٠ فعمد زعيم المعارضة الى مهاجمة القرار بحجة انه لا ينسجم وسلامة اسرائيل ولا يكفل المزيد من استقرارها ٠ ثم هاجم الحكومة البريطانية لتصويتها الى جانبه، واعتبر موقفها هذا تواطؤا شبيها بترضيتها هتلر في اتفاقية ميونيخ سنة ١٩٣٨ ٠

وقد يجد المرء للمستر ولسن بعض العذر في مواقفه هذه التي سبقت حرب اكتوبر ١٩٧٣ – تلك الحرب التي قلبت المفاهيم والموازين حتى في اسرائيل نفسها ٠ الا ان آراء رئيس حزب العمال ومواقفه لم تختلف بعد حرب اكتوبر عما كانت عليه قبلها ٠٠ وحسبنا الاشارة الى الخطاب الذي القاه في مجلس العموم البريطاني ، في ١٨ اكتوبر ١٩٧٣ ، والذي برأ فيه اسرائيل من كل عدوان واعتبر العرب المعتدين الوحيدين ٠ وانصرف المستر ولسن بعد ذلك الى وضع الصيغة السياسية التي كفلت حظر الاسلحة البريطانية عن العرب وضمنت تدفقها على اسرائيل ٠

ثم آخرا
وليس آخرا

والسؤال الذي يطرح نفسه في ختام عرضنا كتاب « لا تنشروه » متصل بموقفنا من هذا الكتاب وما يترتب علينا نحن العرب ازاءه ٠٠

ولعل اول ما يترتب علينا هو اعادة طبع هذا الكتاب، واعادة نشره في بريطانيا وامريكا وغيرهما على اوسع نطاق ممكن ٠

ويجدر بنا ثانيا ترجمة الكتاب الى العربية والى الفرنسية والالمانية واليابانية وغيرها ، وذلك من اجل تعميم الكتاب في اطار هذه اللغات ٠ ويشترط في هذه الترجمات ان تتولاها هيئات رسمية وان يقوم بها المترجمون الاكفياء وذلك في اقرب فرصة ممكنة ٠

وعلينا ثالثا ان نقيم اوثق الصلات مع المؤلفين، فننفي تهمة نكران الجميل التي طالما وجهت الينا ٠٠ ثم نستكتبهما ، منفردين او مجتمعين ، في شتى المواضيع التي يلمان بها والتي تخدم القضايا العربية ٠

وعسى ان يكون لنا في ذلك نقطة بدء في تدعيم اعلامنا في الغرب، بل اعادة بنائه من جديد بناء واسع النطاق في اوروبا وامريكا وغيرها ٠٠ اعلام يقوم على حشد الكفايات العربية كلها ، دون استثناء وتعبئة ما يحتاجه اعلامنا من كفايات اخرى اوروبية وامريكية وغير ذلك ٠

ولئن خاض البترول المعركة الساخنة سنة ١٩٧٣ فاعطى من النتائج الباهرة ما اعطى ، فلعل باستطاعة دخل البترول وايراداته خوض المعركة الباردة ، معركة الاعلام ، فيعطي من النتائج ما هو اخطر وابعد اثرا ٠٠ ■■

يوسف زعبلاوي



من الكتب التي وصلتنا

مواضيع عملية في تشريح وفيزيولوجيا النبات

تاليف : الدكتور عدنان قشلان .

الناشر : جامعة حلب ـ سوريا .

● يعنى هذا الكتاب بارشاد الطالب لانجاز التمارين العملية لمواضيع متنوعة في نطاق علم الحياة النباتية ، وقد اعتم الكتاب ب ٨٥ موضوعا عمليا وزعت على ابواب تهتم بالطرق العملية لدراسة الخلية النباتية ومحتوياتها الحية والعاطلة. وطرق التعرف على التنسج النباتية ، وهنالك تفصيل واضح عن مسورفولوجيا النبات في الباب الرابع ، وقد تخصص الباب الخامس في دراسة الزهرة واجزائها والهيئات المختلفة للازهار .. ويعرض الباب السادس طرقا للتعرف على الزمر النباتية اعتبارا من النباتات الدنيا Thallophyta الى النباتات المزهرة مغطاة البذور Angiospermge

اما الباب الاخير فيضم حوالي ٣٠ موضوعا متنوعا في الفيزيولوجيا النباتية تهدف الى تمكين الدارس من التعرف على الظاهرات الحيوية في النبات .

وقد طرق المؤلف في معالجة كل تمرين عملي ترتيبا يجعل الدارس ملما بالموضوع الماما شاملا ، فهو يرشده الى ما يحتاجه من عينات ومواد وادوات، ويمده بأساس نظري مختصر لتفسير مهمته،ثم يعرفه بما هو مطلوب انجازه . واخيرا يعرض له مراحل العمل لتحقيق غايته .

العرب واليهود في التاريخ

تاليف : الدكتور احمد سوسة

الناشر : وزارة الاعلام / مديرية الثقافة العامة / بغداد / العراق

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث تاريخ فلسطين القديم قبل ظهور بني اسرائيل حيث كانت فلسطين قبل ذلك موطنا للاقوام السامية العربية التي سبقت اليهود الى استيطان فلسطين وبلاد الشام، كما تناول تاريخ فلسطين القديم وحضارتها وثقافتها ودور العرب في تنميتها وازدهارها ، وذلك على ضوء المكتشفات الحديثة ، لآثار هذه المنطقة .

والمؤلف يحلل هذه الاسباب التي ادت الى انتشار بعض الآراء الخاطئة عن تاريخ العرب واليهود مفندا خطأ ما الي فيها وحولها ، فقد تكلم عن بلاد كنعان السامية العربية الاصل ، شارحا حضارتها وثقافتها ومدنها وقراها قبل ظهور اليهود على مسرح الاحداث بزهاء الفي عام ، كما يجيب المؤلف في هذا الكتاب على هذه الاسئلة من هم العبرانيون ، والاسرائيليون الموسويون ، واليهود ؟ ومتي وكيف واين وباية لغة كتبت التوراة الاصلية والتوراة الحالية ؟ وماهي صلة ابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب بعصر موسى واليهود ؟ هل لليهود حضارة خاصة بهم ؟ ثم ما هي صلة بني اسرائيل بفلسطين ؟ وما هي صلة احكام التوراة بالشرائع القديمة وبخاصة شريعة حمورابي ؟ ثم ما هي علاقة الصهيونية بالتوراة اليهودية .

واخيرا يثبت المؤلف في اجوبته حقوق اهل فلسطين في ديارهم منذ اكثر من خمسة الاف عام، ويبرهن بأدلة من التوراة ذاتها على ان بني اسرائيل واليهود غرباء طارئون على فلسطين في كافة ادوارها.

الوسيط في القانون البحري الكويتي

تاليف : الدكتور ابراهيم مكي

الناشر : جامعة الكويت

● لا شك ان صلة الكويت وثيقة بالبحر ، فمنذ القدم وحتى الحرب العالمية الثانية كان البحر مصدر رزق لاهل الكويت ، فقد كانوا يعتمدون في ذلك على ثلاثة موارد هي : الصيد ، وتجارة اللؤلؤ ، والنقل البحري وصيد الاسماك ، وقد استمر اعتماد الكويتيين اساسا على هذه الموارد الثلاثة حتى اواخر الاربعينات من القرن الحالي .

وبالرغم من هذا النشاط الكويتي في ميدان الملاحة البحرية ، فانه حتى بداية عام ١٩٤٠ لم

تصدر عن المشرع الكويتي اية تشريعات تنظم امور الملاحة البحرية . فكان العرف وحرية التعاقد المصدرين الوحيدين للقواعد التي تحكم العلاقة بين المشتغلين في ذلك الميدان .. وقد صدر اول تشريع بحرى فى ٢٩ مايو ١٩٤٠ تحت اسم (قانون الغواصين) وهو يتالف من احدى وخمسين مادة تضمنت تقنينا لبعض الاعراف التي كانت تسود العلاقات بين مالكي السفن والرياينة والغواصين وسائر العاملين على سفن الغوص ، ثم تلاه في العام نفسه قانون آخر سمي (قانون السفر) وهو يتالف من احدى وخمسين مادة ، وهو يقنن كذلك بعض الاعراف المتصلة بالنقل التجارى البحرى .

وقد نشطت الحركة التشريعية في الكويت ابتداء من اول عام ١٩٥٩ في مجال الملاحة البحرية بالذات وقد صدرت لها عدة قوانين ومراسيم ، الا أنها ما زالت قاصرة عن معالجة اغلب مشاكل الملاحة ، كما في النصوص التي تحكم عقد النقل البحرى .

اما الكتاب فيتكون منجزءين : يبدأ الاول منهما بباب تمهيدى يعرف فيه القانون البحرى واقسامه ونشاته وموضوعه ، ومصادره ، ويليه الباب الاول، وهو يتحدث عن اداة الملاحة البحرية (السفينة) . اما الباب الثاني فيتكلم فيه عن اشخاص الملاحة البحرية .. وأما الباب الثالث فيختص بدراسة مشارطات ايجار السفن .

اما الجزء الثاني من الكتاب فيتكون من بابين كبيرين : يدرس الباب الاول النقلالبحرى للبضائع طبقا للقواعد العامة .. اما الباب الثاني فيدرس النقلالبحرى للبضائع طبقا لمعاهدة سندات الشحن التي عقدت في بروكسل والاحكام القانونية التي انفردت بها .

الاسلام
في عصـر العلـم

تاليف / محمد احمد الغمراوى

اعداد : الدكتور احمد عبد السلام الكرداني

الناشر / دار الانسان للتاليف والترجمة والنشر القاهرة / مصر

● هذا الكتاب يسلط الضوء على الصراع الذى وفد الى شرقنا المسلم عن طريق الغرب ، هذا الصراع بين العلم والدين ، فاذا المؤلف يلقى الضوء على جوانب الدين والعلم ، لتبدو الحقيقة في تكاملها ، أن الدين دعوة الى العلم ، والعلم طريق الى الايمان .

ولقد لفت المؤلف نظر القراء الى ان القرآن يخاطب الناس على قدر عقولهم من غير مخالفة للحقائق العلمية ، فيفهمون نصوص الآيات بقدر ما يتيسر لهم من العلم في كل زمان ، حتى اذا قيض الله لبعض رجال العلم اكتشاف حقائق جديدة وجدوا في معاني القرآن ما ينم عن تلك الحقائق .

والكتاب بالتالي مجموعة مقالات جمعها الدكتور احمدعبد السلام الكرداني احد زملاء المؤلف ،وقام بتنسيقها وترتيبها .. وقد قسمها أربعة كتب : الكتاب الاول يبين أن الاسلام دين الفطرة ، فيستعرض التطابق التام بين الاسلام والفطرة ، والتحدث عنالاسلام بوصفه دين العزة ودينالكرامة ودين الوفاء ، وعن صلته بالمدنية وبسنن العلم وسنن الاجتماع . والكتاب الثاني يوضح أنمحمدا رسول الهدى يستعرض عظمته صلى الله عليه وسلم واحاديثه ويبين انها كانت تبيانا وتفصيلا لما اجمله القرآن .

اما الكتاب الثالث (القرآن المعجزة الخالدة) فيستعرض ثناء الله سبحانه وتعالى على القرآن وعظمته ، وحفظ الله اياه ، وجعله مهيمنا على غيره من الكتب ، وما حواه القرآن من اعجاز بياني وبلاغي وقف العرب حياله مبهورين عاجزين عن ان ياتوا ولا بمثل اقصر سورة فيه . والكتاب الرابع الاعجاز العلمي للقرآن ،ومن مظاهره ما في القرآن من وسائل الاقناع للناس على اختلاف اجناسهم ولغاتهم ، وما يقرء كل ذى عقل مجرد من الهوى والتعصب ويراه دليلا على ان القرآن من عند الله .. فالمؤلف يتصدى لتفسير كثير من الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم على ضوء ما اثبته العلم الحديث ، فيبين انها تنبأت بكثير مما لم يعرفه الانسان الا بعد نزول القرآن بعدة قرون ، ومن العجيب ان القرآن يورد هذه الحقائق فياسلوب حكيم خاص به يفهم منه الناس وقت نزوله على قدر عقولهم وما يبدو لهم في الكون ثم بتقدم العلوم ، والوصول الى حقائق جديدة، نجد آيات القرآن الحكيم تتفق معها وبذلك يتجدد ايمان الناس باعجاز القرآن كلما ظهرت لهم حقائق جديدة ، اذ يرون القرآن قد اشار اليها او عبر عنها .

« بقية كتب وصلتنا على ص ١٩٤ »

تشارلز ديكنز



بقلم : جمال الكنانى

■ غاية ما يستطيعه أى مؤلف مسرحى لكى يصل بمسرحيته الى ذروة الاثر الدراماتيكي هو ان ينهي حياة بطل التمثيلية بصورة مؤثرة ٠

واخر ما يتيسر لأىروائي يريدالوصول بروايته الى قمة المليودراما هو انيكدس المصائب فوقراس بطل روايتـه حتى يستدر عطف القراء ويسيل دموعهم وهذا هو الذى حاوله تشارلز جون هوفام ديكنز Charles John Huffam Dickens بعد ما اعتزل مهمة القراءة على الجماهير وعكف اخر ايامه على كتابة آخر مؤلفاته ـ روايةبوليسية ـ على نحو ما كان يكتب صديقـه ويلكى كولنـز Wilkie Collins ، وهى التى كانت تبدا عادة بسؤال عنبطل الرواية ٠٠ ثم يسرد الكاتب وقائع القصة ليصل الى جواب على السؤال ، على ان ديكنز لم يعشليتم روايتهاو يجيب علىالسؤال لان ملاك الموت ارتفع بالدراما الى قمة لا يبلغها كاتب او روائى ٠٠ فقد استـطاع ان يقضى على بطل الرواية وكاتبهـا جميعا ، اذ مات ديكنز فى جادز هل Gad's Hill ، فى يوم ٩ يونيو عام ١٨٧٠ ٠

ودفن فى ركن الشعراء فى كنيسة وستمنستر Westminister ، بعد ان ترك وصية وهب فيها روحه للرب واسلمها لرحمة المخلص يسوع المسيح عليه السلام ٠

وكان ديكنز فى تلك الوصية صادقا مع نفسه امينا على مبادئه فهو الـذى كان لا يحفـل بالماضى ويسخر من مؤسساته العتيقة الباليـة ويعتمد فى تصرفاته وكتاباته على ما يسميه البعـض بالقيم المسيحية ويطلق عليه البعض الآخر اسم الفلسفة الانسانية Humanism ، وتبدو هذه القيم ممثلة فى الشخصيات الخالدة التى رسمها قلمه وجسمها بيانه مثل شخصية آرثر كلنمان Arthur Clenman فى رواية Little Dorriz وشخصية جو جار جرى Jo Gargary ، فى رواية Great Expectations وشخصية رمتى ويلفر Rumpty Wilfer, Our Mutual Friend وغيرها من الشخصيات التى اكسبت ديكنز شهرةعالمية وحدت ببعضالنقاد ان يقسموا عرشالروايةبينه وبين تولستوى ٠

المبالغة عند ديكنز

ولكن على الرغم من ذلك فقد رمى بعض النقاد هذا العبقرى بالتبذل والمبالغة ٠ ومن الجائز انه كان يتبذل حينا او انه كان يبالغ احيانا ، ولكنه كان يتبذل او يبالغ بطريقته الديكنزية الخاصة

روائى .. أصلح مجتمعاً وخلق أدباً وأضاف إلى الحياة معنى

حيث لا يكون التبذل تبذلا ولا مبالغة ... فقد نصف بالمبالغة قول من يقول مثلا انى رايت رجلا بلغ من الطول اربعة امتار او قول قائل بان البرد جمد الكلمات على شفة المتكلم ولكن كيف نصف بالمبالغة كاتبا احال شخصية عادية نراها ونمر بها كل يوم الى ينبوع من الفكاهة او مصدر من مصادر الرعب ؟

والرد على من يوجهون مثل هذا النقد الى ديكنز هو ان نطالبهم بتعيين الناحية او الصفة التى بالغ الكاتب فى رسمها او افرط فى تلوينها ، وهم لاشك يعجزون عن الرد لان ديكنز كان يرسم شخصيات متكاملة متماسكة .. لا يزيد او ينقص فى طولها او عرضها ولا يجسم تفاؤلها او تشاؤمها ولكنه يحيلها نماذج حية لهذه الصفة او تلك الخصلة ...

وصحيح ان الشخصيات المتعددة المتباينة التى تزخر بها روايات ديكنز تضم بينها من هو ممل ، ولكنك تقرأ ما يكتب ديكنز عن هذه الشخصيات فلا تمل القراءة بل انك تطلب المزيد ، ذلك لان ديكنز لا يمل شخصيات رواياته وان كانت مملة .

ويتميز ديكنز بقدرة خارقة على تقديم شخصياته على هيئة صور كاريكاتورية متعاقبة يجمعها فى فقرات تشبه وحدات شريط السينما .. تقرأ ما يكتب عن المستر بكويك Pickwick ، مثلا فيدور امامك هذا الشريط .. شريط الكارتون Cartoon الذى سبق به ديكنز اشرطة وولت ديزنى بسنوات .. وفى هذا كانت تكمن عبقرية هذا الكاتب ، بل ولعل هذا نفسه هو ما ظنه البعض مبالغة او مغالاة..

كان ديكنز يرى فى الفرد العادى اكثر مما يرى غيره او يرى النقاد انفسهم .. زد على ذلك ان النقاد لم يعيشوا فى البيئة التى قضى فيها ديكنز ايام طفولته فلم توجعهم « سجون الدائنين » التى عاش فيها ابوه بعض وقته كما قرحت روح ديكنز ولم تترك الازقة والخرائب اثرها على خيالهم كما طبعت صورها المتنافرة على خياله .

فلم يعش ديكنز فى قصر ريفى كذاك الذى عاش فيه تنيسون Tennyson ، الشاعر ، ولا كان لكوخه الصالون الذى كان يزين بيت الروائى ثاكارى Thackeray فللفقر الذى زامله ديكنز فى طفولته خلانه واقرانه ممن لا يعرفهم الا من عضه الفقر وعايش الفاقة وزامل الحرمان ..

سلطانه على الحوار

صحيح ان ديكنز كانت تعوزه ثقافة سويفت Swift او رابيليه Rabelais ولكنه كان اصدق منهما حسا وانفذ بصرا واوسع افقا ... وكان فوق كل شيء كاتبا عظيما له على الحوار سلطان وعلى التعبير الرشيق قدرة ودالة ... او ليس هو الذى انطق باركس Barkis ، بكلمات الرسالة السهلة الممتنعة التى بعث بها يطلب فيها يد حبيبته ويقول له فى بساطة تاسر « باركس راغب » ...

وهو نفسه الذى رسم شخصية ميكوبر وجعلها رمزا للطيبة والتفاؤل والفوضى ومع كل فقد نصبه ناصحا يقول لديفيد كوبرفيلد David Copperfield فى بساطة منعشة «دخل» مستوى قدره عشرون جنيها ، ومنصرف مستوى قدره تسعة عشر جنيها ـ النتيجة ـ سعادة ... دخل سنوى قدره عشرون جنيها ومنصرف قدره عشرون جنيها وثمانية شلنات وستة بنسات ... النتيجة ـ بؤس وشقاء ...

تصاب الزهرة وتذبل الورقة وتعرض عنك الاقدار .. وباختصار .. تصرع الى الابد .. كما صرعت !

وليس فى عالم الادب كله اديب آخر استطاع ان يغير المجتمع الذى عاش فيه ويصلح عيوبه ومساوئه بقدر ما استطاع ديكنز الذى يرجع اليه الفضل فى الغاء « سجون الدائنين » وتحسين نظم الصحة العامة فى بريطانيا ..

فلقد اختار هذا الروائى العظيم اصعب المشكلات الاجتماعية واخذ يهاجمها بسخرية لاذعة فاصاب من

النجاح في الميادين التي لم يستطع تغيير ادواتها قسطا أوفر مما أصاب في الميادين التي قضى بقلمه على ما فيها من عيوب ... فهو الذي هاجم مثلا فكرة احترام الاغنياء لا لشيء الا لانهم يملكون الكثير من المال .. وهو الذي حطم أصنام الماضي واظهر ما كان فيه عيوب .

نشأته وحياته

ذلك هو تشارلز ديكنز أعظم الروائيين الانجليز وهو ابن جون ديكنز الذي كان يشغل وظيفة كتابية متواضعة في وزارة البحرية البريطانية ..

وكان جون ديكنز هذا قلقا لا يستقر له قرار ينتقل من عمل الى بطالة ، ومن بطالة الى بطالة ... ولكنه كان ابدا سعيدا مغبورا متفائلا .. ولعل تشارلز ديكنز خلد اباه اذ رسم شخصية المستر ميكوبر التي اشرنا اليها من قبل ، وقيل كذلك انه رسم شخصية امه حين صور المسز نكلبي Mrs. Nickleby ... على أن من يعرف ديكنز ويقدر فنه يدرك انه لا ينقل في كتبه شخصية من الحياة بنصها وتفصيلها، ولكنه ياخذ من شخصيات الحياة خطوطها العريضة ويضفي عليها من الوانه وخياله وفنه ما شاءت له عبقريته ومواهبه .

فقد ينتهي وجه الشبه بين جون ديكنز ــ والد الكاتب ــ وبين المستر ميكوبر عند ميلهما جميعا الى السفر والتنقل .. فنحن نعلم ان شهوة السفر ساقت جون ديكنز الى لندن ــ وابنه تشارلز في السنة الثانية من عمره ، وبعد ذلك بثلاث سنوات رحلوا جميعا الى بلدة تشاتام ، وكان الطفل تشارلز الذي ولد في ٧ فبراير ١٨١٢ قد بلغ الخامسة من عمره .. ولعل هذه المنطقة الجميلة من مقاطعة كنت Kent قد تركت اثرها في نفس الكاتب وهو بعد في طفولته المبكرة ، فكانت هي مربى احلامه ومسقط رأس خياله وما ان بلغ تشارلز ديكنز سن العاشرة حتى دخل ابوه « سجن الدائنين » واضطر الطفل الى كسب القوت ليعين امه واخواته السبعة ، فالحقته امه بمصنع لصبغة « النيلة » فكانت تلك الايام على حد قوله « اسود ايام حياته » تلك الايام التي تستطيع ان تقرا وصفها واضحا جليا مبينا قويا في كتابه « ديفيد كوبرفيلد » .

ديكنز الصحفي

وبعد عامين خرج الاب من السجن فعاد تشارلز الى المدرسة لم اشتغل صبيا عند احد المحامين واخذ يدرس ليثقف نفسه فتعلم الاختزال وعمل مراسلا صحفيا يطوف المحاكم ويزور مجلس العموم ويزود الصحف بما يكتب حتى عين في صحيفة True Sun وبعدها في Morning Chronicle واخذ يكتب اسكتشات يوضحها بالرسم فنان معروف اسمه كوركشانك . وكان ديكنز يكتبها تحت اسم مستعار هو Boz . وحدث ان رساما كبيرا اسمه روبرت سيمور اراد ان يرسم مجموعة من الصور الكاريكاتورية يسخر فيها من مغامرات او مساوىء نادي نمرود Nimrod فسعى الناشرون حتى تعرفوا على شخصية ديكنز الحقيقية وطلبوا منه ان يكتب تعليقاته الفكهة على تلك الصور .. ووافق هو على ذلك فكانت كتاباته هذه هي الجنين الذي تطور الى ما يعرف باسم بكويك فيما بعد .

وتمكن ديكنز من اقناع الناشرين بالسماح له بتطوير ما يكتب واسمى تعليقاته نادي بكويك ومخاطرات بكويك .. فطغت الكلمة المكتوبة على الكاريكاتور المرسوم .. وقيل أن الرسام روبرت سيمور انتحر لهذا السبب .

أب لعشرة اطفال

وكما كان بكويك اساس حياته الاجتماعية والادبية كان زواجه من كاترين هوجارث ابنة جورج هوجارث (محرر Evening Chronicle) اساس حياته الخاصة .. ولاكت الالسن هذا الزواج ودار حوله همس ولغط على الرغم من ان الزوجة اصبحت اما لعشرة اطفال انجبتهم على مدار ١٥ سنة . وحدث أن شقيقة كاترين اختارت أن تعيش معاشرة ديكنز بعض الوقت ولكنها ماتت فجاة فحزن عليها الكاتب وافرط في حزنه وخلدها في شخصية Little Nell في كتابه The Old Curiosity Shop وحلت محل الاخت التي ماتت اخت غيرها ظلت تشاطر الاسرة مسكنها حتى بعد ان هجرته كاترين زوجة ديكنز .

قلنا ان ديكنز بدأ اعماله الادبية بكتابه بكويك،

لم تثني بكتاب على نقيضه اسماه اوليفر تويست Oliver Twist • فبينما كان بكويكرمزا للفكاهة والمرح جاء اوليفر تويست مزيجا من الميلودراما والواقعية وكان في ميلودراما وفي واقعيته معتما كئيبا ظهر فيه نوع من الرعب سرعان ما سرى في غيره من كتب ديكنز مثل Black House حيث مات Krook نتيجة لافراطه في شرب الخمر •

وقد نصف التحول من بكويك الى اوليفر تويست بانه انتقال من الكوميديا الى التراجيديا او انه مجرد تغير من الهزلة الى الميلودراما ، ولكن المهم في الامر هو أن ديكنز استطاع بعد ذلك أن يجمع بين العنصرين جميعا بنسب متساوية في كتاب واحد فعل في كتابه نيكولاس نيكلبي Nicholas nickleby حيث السواد أسود من الليل والبياض أبيض من اللبن الحليب •

زار ديكنز امريكا لاول مرة عام ١٨٤٠ فكان لتلك الزيارة اثرها على كتاباته وخاصة رواية مارتن تشزلويت Martin Chuzzlewit ، التي انتقد فيها العالم الغربي وما فيه من مساوىء وعدم ضمان لحقوق المؤلفين مما شجع الناشرين في امريكا على سرقة حقوق طبع كتبه فنشروها دون اذن منه .وبرمديكنز كذلك بمعاملة الأمريكيين للزنوج والعبيد فالهب ظهورهم بقلمه •

ويجب ان نقف هنا وقفه قصيرة لنذكر ان ديكنز كان يكتب كل ما سبق رواية مارتن تشزلويت على حلقات مسلسلة تنشر تباعا في الصحف ، فلما احس وهو يسلسل هذه الرواية ان حماسة جمهور القراء قد بدات تخبو تجاه بكسنيف Pecksniff ، وتجاه مسز جامب Mrs. Gamp وان الناس لا ترحب بهما ترحيبهم بالمستر بكويك مثلا اقدم في شجاعة على قطع سياق القصص واقحم في الرواية بابا نسجه من ذكرياته عن زيارة امريكا فاصاب نجاحا مباشرا وادرك الناس حلاوة تلك اللفتة الديكنزية التي الهمته ان يبعث بمارتن Martin بطل قصته عبر الاطلنطي في زيارة لامريكا •• فهل كان يخطر ببال الروائي تاكاري مثلا ان يقذف بشخصية بندنيس Pendennis ، من حي ماي فير في لندن الى مجاهل استراليا ؟ او هل كان يجول بخاطر جورج اليوت ان ينتزع فيليكس هولت Felix Holt من مستقره ويبعث به الى القطب الشمالي ؟

تطور أدب ديكنز

وبدا ديكنز منذ ذلك الحين يخطط لرواياته ويحدد لكل منها فكرة معينة تدور القصة حول محورها وكان في هذا الاتجاه ما يشكل تطورا ملحوظا في حياة ديكنز الادبية •• وليس ابلغ في التعبير عن ذلك من قوله في آخر باب في احدى رواياته : « وهذا الشريط السحري الذي كان يدور امام المشاهدين من قبل قد وصل بقصصنا الى هذا الحد فبدأ يبطىء في دورانه حتى انه كاد ان يتوقف ويرقد امام الهدف فالطراد قد انتهى » وهذا الطراد هو لحمة القصة عند ديكنز وهو سداتها •• فهو لذلك يختار الطريق مسرحا لعدد من قصصه •• ديفيد كوبرفيلد ـ نيكلبي ـ بكويك •• اختار الطريق وما عليها من مركبات وما يجري على نواصيها من حوار •• اختار الطريق بمواكبها ومشرديها ، بحاناتها ومقاهيها ، حتى اسماه البعض فنان الطريق فلم ينافسه من الادباء في اللقب سوى تشوسر Chaucer ، امام الشعر الانجليزيالقديم فيما كتب بعنوان « بعيدا جدا عنه » وسوى الشاعر رديارد كبلنج Rudyard Kipling ، الذي تحدث عن الطريق في كتابه Kim •

وفي عام١٨٤٤ قرر ديكنز ان يهجر الوطنلاسباب مالية ، فاختار جنوا بايطاليا •• والغريب أن ما كتب وهو في المهجر كان اكثر تاثرا بالطابع الانجليزي الفح من غيره •• كتب اذ ذاك كتابه The Chimes ، وكتب كذلك اغنية عيد الميلاد A Christmas Carol •

والظاهر ان داء التجول داء وراثي ، أصاب الابن كما أصاب الوالد من قبل ، فلم يستقر قرار ديكنز في ايطاليا وعاد الى انجلترا بعد سنتين واستأنف الكتابة باسلوب جديد فاخرج درةمؤلفاته ديفيد كوبرفيلد ، فبدا وكان ديكنز قد ادار التلسكوب الذي كان ينظر للحياة من خلاله واذا

به ينظر الى الحياة نفسها ولكن من العدسة المقابلة لتلك التي كان ينظر خلالها من قبل ، كان هذه المرة ينظر الى مرآة .. أو لعله كان ينظر الى الحياة من نافذة جديدة .. كان ينظر الى الحياة كما رآها .. الى حياته هو كما عرفها .. كما عاشها .. او بعبارة اخرى ، كانت الحياة التي يكتب عنها مادة يتخيلها دون ان تكون ضربا من ضروب الخرافة ... كان في بكويك ونيكلبي Nickleby قد نفخ من روحه في شخصيات عادية مألوفة ولكنها كانت شخصيات مسرحية رغم كل شيء ، اما الاسلوب الجديد الذي نهجه بعدها فكان رغم ما فيه من اسراف واقعيا غير مسرحي .. ففي الحياة الجديدة رجال مثل Steerforth نراهم في حياتنا اليومية وفيها بنات مثل دورا نمر بهن كل يوم .

وهذه السيرة الشخصية التي كتبها ديكنز تحت عنوان ديفيد كوبر فيلد وملأها عاطفة تعتبر بالحق وثيقة انسانية .

ثورته على الحياة الصناعية

واتبع ديكنز ذلك الكتاب الخالد بكتابه Black House الذي قال عنه « لقد عمدت في هذا الكتاب الى الاسهاب في الجانب الرومانسي للاشياء المألوفة » ... والكتاب في جملته هجاء لاذع للمجتمع بكامله ، ولكن الكاتب يستمد الوحي كعادته من ميله الشديد الى اصلاح ذلك المجتمع نفسه اما كتاب Hard Times فيعتبر بحق ثورة على الفردية الاقتصادية. فهو لا يعتبر هجوما على المجتمع الراسمالي فحسب ، بل على الحياة الصناعية الملوثة وما جلبت في اذيالها من الام . ونرى في هذا الكتاب مدى سيطرة ديكنز على صناعة القلم ونلمس مدى اتقانه لفن الكتابة ، على أن من النقاد من يرى أن الابواب الاولى من كتاب Great Expectations تعتبر اروع وابدع ما سطر قلمه فلقد استطاع ديكنز في تلك الابواب الاولى ان يخضع خياله لمستلزمات فكرة الكتاب وحبكته القصصية .

احس ديكنز في السنوات الاخيرة من حياته انه غير قادر على أن يقاسم زوجته بيت الزوجية فقرر الانفصال عنها في عام ١٨٥٨ . والظاهر انه حتى قبل ذلك التاريخ كان قد وقع في غرام ممثلة تدعى ايلين ترنان Ellen Ternan ، فاتخذها خليلة وهيأ لغرامها عشا لم وزع وقته بينها وبين عمله الجديد كقارىء شعبي وبين ما بقي من حطام اسرته .

بداية النهاية

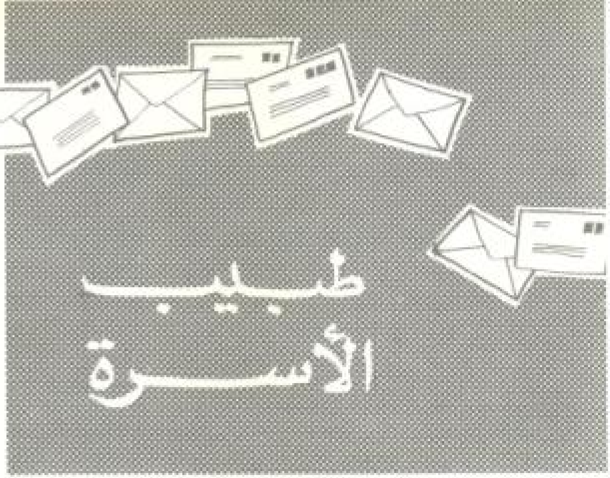
ويمكن ان نقرأ بين سطور ما خلف من رسائل انه اصيب في تلك الايام الاخيرة بالارق وان القراءات التي كان يقوم بها في القاعات العامة كانت تدر عليه رزقا وفيرا كما انها اكسبته شهرة جديدة ، ويمكن أن نقرأ سطورها ، كذلك ان اعباء عمله الجديد وغرامه الجارف بايلين ترنان كانت اثقل مما يطيق او يحتمل ولكنه كان فيما يبدو يستمرىء الخطر الذي كان يهمه ويهدد حياته حتى انه لم يتردد في زيارة امريكا للمرة الثانية فطاف بالقارة الجديدة وضرب في ارضها من مشرق الى مغرب ... على انه لم يعمر طويلا بعد عودته من امريكا .

ليست عبقرية ديكنز في حاجة الى دليل او تدليل ولكن نذكر استجابة لسياق الحديث ان تولستوي قال عنه « ان كل شخصياته اصدقاء مقربون لي » اما دوستوفسكي فقد اشار في كتاباته الى ذلك المسيحي العظيم .. ديكنز » .

فعلى الرغم من ان ديكنز قد ابدع في وصف الدنيا التي عاش فيها وعلى الرغم من انه اسهب في ذلك الوصف الا انه خلق كذلك عالما خياليا له حياته الخاصة .. وسيبقى ديكنز ابد الدهر شعلة عبقرية عارية تنير كل قارىء وتدفىء قلب كل محب للادب .. سيبقى ديكنز خالدا لانه كان في الادب خلاقا مبدعا اضاف الى الحياة شيئا لا يمكن للزمن ان يسلبه .

لندن : جمال الكتاني





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الضعف الجنسي

● **رغم انني اتمتع بصحة جيدة ،الا انني اشعر بضعف قواي الجنسية معا يؤرقني ، ويتركني فريسة للتفكير ٠٠ فهل من علاج لحالتي هذه؟**

ـ يمكن تعريف الضعف الجنسي بأنه عدم القدرة على القيام بعملية الجماع ، وذلك لعدم انتصاب عضو الذكورة٠ ولقد وجد ان حوالي ٨٠٪ من الحالات تعود الى الاضطرابات النفسية التي تكتنف هذه العملية ٠٠ والخوف من انها لاتتم بنجاح ، خصوصا عند ممارستها لاول مرة٠٠ ويمكن التغلب على هذه الحالة بشرح هذه الاسباب ، وخلو الشخص من اى مرض عضوى يسبب ذلك ،وتبسيط عملية الجماع، خصوصا لحديثي الزواج ، والمضطربة اعصابهم ٠

وفي بعض الحالات القليلة يرجع ذلك الى وجود مرض عضوى مثل مرض البول السكرى ، او التهاب الجهاز العصبى ، او ضعف فى افراز الغدد الصماء ، واهمها الغدة النخامية التى تؤثر على افراز الهرمونات الذكرية ٠٠ ويمكن معرفة ذلك بالفحوصات الطبية اللازمة ، ووجود اعراض اخرى لهذه الامراض ٠

وليس صحيحا ان العادة السرية تضعف الناحية الجنسية ، وتضعف عضو الذكورة، اللهم الا اذا استعملت بافراط يؤدى الى انهيار الجسم عامة ، او ان هذه الحالة اصبحت متملكة لصاحبها بحيث يصبح اسيرا لها دون الاكتراث بالجنس الآخر وعدم الرغبة فيه ٠

الرضاعة من الثدى

● **ما هى الفترة اللازمة لارضاع الوليد الصغير ٠٠ ومتى يمكن التوقف عن ارضاعه من الثدى ٠٠ والتحول الى الرضاعة الاصطناعية ٠٠ وهل تؤثر الرضاعة المستمرة من الثدى على صحة الأم ؟**

ـ لا يوجد شيء افضل من الرضاعة الطبيعية من ثدى الأم ، بالنسبة للوليد ، على الأقل لمدة الستة شهور الأولى من عمره ٠٠ وحليب الأم يحوى كافة العناصر الغذائية المطلوبة لنمو الوليد فى هذه المرحلة من العمر ٠ وبالطبع لا تؤثر الرضاعة مطلقا على صحة الأم ، واذا اقتضت الضرورة القصوى ـ كما فى حالة المرأة العاملة ـ الانقطاع عن ارضاع الوليد من الثدى ، فيجب على الأقل ان

تقوم الأم بارضاعه اطول مدة ممكنة من الثدى فى شهور الاجازة التى تصاحب الولادة ، وبعدها يمكن مساعدة الوليد بالرضاعة الاصطناعية فى حالة غياب الأم عن المنزل اثناء العمل ٠

ويمكن ارضاع الطفل من الثدى حتى نهاية العام الأول من عمره ، على ان تتم تغذيته تدريجيا بواسطة عصير الفاكهة ، وبعض انواع الطعام الاخرى ،مثل البطاطا او صفار البيض « المح » اذا لم يسبب له اى نوع من الحساسية ، وذلك لأن الطفل يحتاج الى عنصر الحديد بعد الشهر السادس من العمر ، وهو يتوفر فى الكثير من الاغذية ، ومنها صفار البيض ٠ واذا لم يتقبل الطفل هذه الأنواع من الأطعمة فيمكن اعطاؤه الأدوية التى تحوى مركب الحديد على هيئة نقط تعطى بعد الرضعات ٠ وبشكل عام ، فان الطفل يتقبل بعض الأغذية المتنوعة فى السنة الأولى من عمره ويمكنه التعود عليها بصورة افضل فى السنوات التى تلى ذلك خصوصا عندما تتطور لديهخاصيةالتذوق٠ فيقبل على بعض الأطعمة ويرفض البعض الآخر ولهذا السبب يحسن ان تقوم الام باطعامه بالأغذية المتنوعة خلال السنة الاولى من العمر ٠

الدوالـــى

● منذ مدة ليست بالطويلة شعرت بالم فى ساقى اليسرى ، مع تورم بسيط ، وزرقة ٠٠ فما علاج هذه الحالة ، وبماذا تنصحون ؟

ـ ظهور الدوالى ينتج عن استعداد شخصى عند بعض الناس ، واحيانا نجد ان طبيعة بعض الوظائف او الاعمال التى تستدعى الوقوف مدة طويلة يؤدى الى وجود ضغط مستمر من الدم فى الأوردة على أوردة الساق التى تكون ضعيفة من الاساس فتتورم هذه الاوردة ـ وهى ليست بشرايين ـ بالساقين ، وخاصة فى آخر النهار ٠٠ وغالبا ما تختفى هذه الأعراض فى النهار عند القيام من النوم ٠٠ وهناك حالات نادرة تحدث نتيجة لبعض الأمراض الداخلية ٠٠ وكثيرا ما نشاهد هذه الأورام التى تكون عادة زرقاء اللون فى سيقان بعض السيدات نتيجة للضغط على الأوردة الداخلية مما يعرقل سريان الدم ويجعله يضغط على جدران اوردة الساقين ٠

وللوقاية من الدوالى ننصح بالأمور التالية :

١ ـ تجنب الأمساك ٠

٢ ـ وضع الساق المصاب دائما فى وضع افقى كلما امكن ذلك ٠

٣ ـ ارتداء الجوارب المطاطية الخاصة بذلك معمراعاة الطريقةالسليمة لارتدائها وهى: عند الاستيقاظ منالنوم صباحاترفع الساق المصابة الى اعلى فى وضع رأسى وتدلك من القدم الى الركبة لمدة خمس دقائق لتفريغ الأوردة المتورمة من الدماء المتجمعة ، ثم يلبس الجورب فى الساق وهى بهذا الوضع ، وليس كما يرتدى الانسان الجورب العادى والساق مدلاة الى اسفل ٠ ويترك الجورب طوال النهار ويخلع عند النوم ٠

٤ ـ تجنب حمل الأشياء الثقيلة ٠

اما العلاج بالعقاقير فننصح باستعمال عقار Glyvenol بمعدل كبسولة ثلاث مرات يوميا لمدة شهر ٠٠

اما اذا كانت الدوالى مسببة لتشوه ظاهر فى الساقين او تقرحات او تكرر منها النزيف ،فيستحسن استشارة الجراح اذا لزم الأمر ٠

قصر القامة

● انا شاب في مقتبل العمر ،اتمتع بصحة جيدة ، رزقني الله الذكاء ، الا انني اشكو من قصرقامتي ٠٠ ولا يخفى عليكم ما تسببه لي هذه الحالة من متاعب نفسية ،فهلمن علاج عندكم للقصر ٠٠ وما هي العوامل التي تسببه ؟

ـ ربما يكون قصر القامة وراثيا ، فتجد معظم افراد العائلة قصيرى القامة ، ويتمتع افرادها بالصحة وعدم نقص في أى من هرمونات الجسم ٠٠ وفي هذه الحالة ليس هناك علاج لزيادة طول الجسم٠

ويكون قصر القامة قبل البلوغ ، ناتجا عن اضطرابات في الجهاز الهضمي ، مع حدوث اسهال ،وعدم القدرة على امتصاص المواد اللازمة لنمو الجسم ٠٠ وفي هذه الحالة فقط ـ وقبل البلوغ ـ يمكن ان يزداد طول القامة ، اذا عولج السبب ٠ ويتبع ذلك النوع من قصر القامة ، قصر القامة الناتج عن تشوه في عظام الجسم نتيجة لنقص فيتامين د ٠

ثم هناك قصر القامة الذى يصحب عدم افراز هرمونات النمو في الغدة النخامية، ويتبع ذلك نقص في هرمونات الجنس ، فينتج عن ذلك قصر في القامة مع ضعف وعدم نمو الاعضاء التناسلية ٠٠ وفي بعض الحالات لا يحدث هذا فتكون الأعضاء التناسلة طبيعية مع قصر في القامة ٠٠ ويتمتع الشخص بقوة بدنية طبيعية ٠

وهناك قصر القامة الناتج عن اضطراب في نمو الغضاريف الموجودة في الأطراف ، فيكون المصاب طبيعيا في رأسه ، وصدره، وبطنه ، واعضائه التناسلية ، الا ان ذراعيه وساقيه يكونان قصيرتين ، وهذا ما يشاهد في الاقزام المعروفين ، وهو مرض وراثي ٠

وهناكقصر القامةالناتج عن امراضفي الكلى ، ويمكن علاجه قبل البلوغ ، وقبل تقدم المرض في الكلى ٠ وقصر القامة الذى يصحب قلة افراز او عدم افراز الغدة الدرقية ، اذا حدث ذلك في صغار السن وقبل البلوغ ويمكن علاجهذه الحالة مبكرا باستعمال هرمون الغدة الدرقية ٠

الزائدة الدودية

● اشكو من التهاب الزائدةالدودية ٠٠٠ فهل من علاج لها غير الجراحة ؟ نظرا لاصابتي بالذبحةالصدرية ٠

ـ لايوجد علاج للزائدة الدودية الحادة غير الجراحة ، وتعتبر الجراحة عاجلة في هذه الحالة ٠

والالتهاب المزمن علاجه النهائي هو الجراحة ٠٠ ولكن اذا وجدت ظروف مؤقتة تمنع الجراحة فقد يعطى المريض مضادات حيوية للالتهاب حتى يمكن اجراء الجراحة ٠

والذبحة الصدرية لاتمنع العلاج الجراحي،ووجود الذبحة الصدرية لايتسبب عنه مضاعفات خطيرة كما يقول القارىء بل قد تساعد على تحسن الحالة ٠٠

بل ان ترك الزائدة الدودية الملتهبة هو الذى قد يتسبب عنه مضاعفات اخرى كأن يحدث خراج ، حول المصران الأعور ، أو التهاب في الغشاء البريتوني Peritonitis ٠ وكلاهما يزيد من خطورة الحالة ٠

لذلك انصح بضرورة العمل برأى الطبيب الجراح الذى يشرف على العلاج والذى يجب ان يكون على علم بحالة الذبحة الصدرية التي تشكو منها ٠

قصة مترجمة :

الوجه الذي اراه في مرآتي

بقلم : باتريشيا ماكجير

ترجمة : عيسى سليم المصو

■ احيانا لااتاكد من وجودي الا عندما انظر الى مراتي ، ذلك انه بعد ان عشت مع زوجي (تد كنجلسي) مدة ستة عشر عاما اشعر انه لا بد وان اكون غير مرئية • فمنذ سنين عديدة لاحظ زوجي شحوب وجهي في احد فصول الشتاء فسالني من حالي ، وكنت عندئذ على وشك الاصابة بالانفلونزا •

ولكني اذ لم امرض منذ ذلك الوقت لم يقم بالتعليق على مظهري • وربما لم اكن لاقوم باي عمل في هذا الصدد لو لم اصمم في الاسبوع الماضي على ترتيب ادراج المكتب ، وكان احدها يحوي ظرفا اخذا في الاصفرار ، فيه صور التقطت سنة التقائنا اول مرة ، فاخذت امعن النظر غارقة في ذكريات قديمة حينما كان (تد) يلاحظ اي تغيير مهما صغر في مظاهر زينتي • وعثرت على صورة لنفسي وانا اقف على الشاطيء واحملق في البحر في عيد ميلادي العشرين ، ولم اكن في حاجة الى قلب الصورة لاقرأ العبارة التي كتبها (تد) وهي ان الفتاة التي ساتزوجها يجب ان تكون انت • ولكنني اليوم رغبت في البكاء بجد، نظرا لما انا فيه من واقع • وكنت ارتدي سراويل ابني البالية ، كما التف شعري وراء اذني ، وانتشرت على وجهي بقعة من دهان كنت اعمل به • فاين ما انا عليه الآن من ذلك السحر والغموض ؟ ولماذا قر كل هذا من يدي ؟

انها لم تختف مع شهر العسل ، ففي السنة الاولى كنت اعتني بلبسي ، للترحيب به في نهاية اليوم ، بكل تلك العناية التي كانت تبدو مني في ايام خطبتنا • وكنت استشعر مكافاتي التامة في لمعان عينيه ، وفي كلماته الرقيقة ، وهو يثني علي ••ورزقنا بطفلنا (مارك) وبعد ثلاثة اعوام بطفلتنا (ديبورا) ، والآن اخذ (تد) ينظر الى نظرته الى بيته واثاثه وسيارته •

وصممت على شيء وانا اقلب الصور القديمة يجب ان ارى مرة اخرى ذلك اللمعان في عينيه واسمع تلك الكلمات ، فمن الضروري قبل فوات الاوان ان اجتذب انتباهه الى تلك الفتاة التي تزوجها •

وقمت بوضع مخططي بكل تلك العناية التي يبديها القائد قبل حملة عسكرية كبرى • ففي مساء يوم الجمعة سيقيم ال (برتون) احدى الحفلات • وكنت انوي ارتداء فستاني الاسود الذي شاهد حفلتين متتابعتين من حفلات اعياد راس السنة ، كما شاهد الحفلة السنوية للشركة التي يعمل بها (تد) • ولكن بدل ذلك ذهبت الى احد المغازن الفاخرة واخترت احد الفساتين الرائعة ، وكان عبثا لقيلا ارهق ميزانيتنا ، ولكني كنت متالقة عند مغادرتي للمكان •

وامضيت بعد ظهر يوم الجمعة عند ماشطة الشعر حيث طبقت علي جميع فنونها ومهارتها • وقلت في نفسي والماشطة جاهدة في الاتيان



« ولم ارتد الفستان حتى وجدته حاضرا ينتظرني في غرفة الاستقبال ، فقد كنت اريد أن أصعقه في لحظة واحدة وانا في اتم زينتي . »

بالمعجزات على شعري : يا زوجي العزيز ساجعلك تلاحظني هذا المساء .

وعندما عاد زوجي الى البيت اسرع في الاغتسال وتغيير ملابسه وتعمدت ان لا يراني وكانني عروس لا يجوز لزوجها رؤيتها قبل اجراء مراسيم الزفاف ، ولم ارتد الفستان حتى وجدته حاضرا ينتظر في غرفة الاستقبال ، فقد كنت اريد ان اصعقه في لحظة واحدة وانا في اتم زينتي .

وقلت مخاطبة خيالي في المرآة : ليس هذا

منظرا قبيحا . واستشعرت بشعور دافيء من الغبطة وانا اتوقع دهشته واعجابه . واذ كنت اتوقع ان الانطباع سوف تتضاعف قوته اذا ما رآني وانا اهبط الدرج برشاقة فقد ناديته وانا واقفة على اعلى الدرج ، بينما كان يفتش في جيوبه عن شيء ، فلم يلمحني ، بل قال :

ـ هل لك يا اماه ان تفتشي على المفاتيح في الخزانة ؟

قلت بازدراء : هل منظري كمنظر امك ؟

قال بمرح ولكن دون ان ينظر الي:كلا ، ولكنك تظهرين كام اطفالي ، احضري المفاتيح يا عزيزتي فقد تأخرنا .

ـ لن افعل الا اذا نظرت الي .

وباشر في التطلع الي مبتدئا من طرف الفستان الى اعلى ثم الى اسفل وقال انه قصير قليلا ولكن ....

ـ قصير ؟ لقد انفقت مبالغ طائلة من المال عليه وعلى تصفيف شعري . ان هذا الفستان وحده كلفني عشرين جنيها .

وهزه ذلك قليلا ولكنه استعاد رشده بشجاعة وقال : لا تهتمي بذلك يا عزيزتي ، فالانفاق عن سمعة احيانا لن يضيرنا ، فهل شكوت يوما من اي مبلغ تنفقينه على نفسك ؟

وجمحت بي رغبة قوية لان اقول : ليس هذا من اجلي ولكن من اجلك . ولكن كل ما قلته كان : ساحضر المفاتيح .

اما الحفلة فكانت ميداني الحقيقي لتحقيق النصر ، فقد كانت النساء يهذين ، وكان الرجال يبدون الاهتمام والتملق ، وعندما تطلعت حولي لارى اذا كان (تد) مهتما بي ، رأيته في احد الاركان وقد انهمك في الحديث عن الجولف مع احد الضيوف .

وعند نهاية المساء الفيت نفسي غارقة في اليأس ، وفي طريق رجوعنا الى البيت قال : هل انت متعبة يا عزيزتي ؟

قلت أجل ، انني متعبة من سماع كلمات الاعجاب .. من الغرباء .

قال ضاحكا : انني استمعت الى (جورج بتيجرو) وهو يطريك ببلاغة ، ولا غرابة في ذلك ، فقد اعتبرت بالمقارنة مع امرأته شيئا نادرا .

اذن فلقد حصلت على ما كنت استحقه ، فاذا قورنت مع زوجة (بتيجرو) التي تكبرني بعشرين عاما ، والتي هي شديدة السمنة ، اعتبرت جميلة .

وفي عطلة آخر الاسبوع كان الجو ماطرا ، فاعتكف (تد) في مكتبه لمراجعة بعض الحسابات بينما اخذت انا في اعداد بعض الحلوى .

وجاءني (تد) الى المطبخ مغتبطا بما يراه من تحضيراتي وعاد الى مكتبه . ثم جاء ابني (مارك) يشكو من ان الجو بدل من خططه ، وقال انه ذاهب الى المكتب ليستعيد رسالة تركها هناك .

وما هي الا برهة حتى سمعتهما يتحدثان عن الرياضة وبعد ذلك سمعت ابني يقول بصوت مرتفع : ما هذا ، صورة قديمة ؟ ذلك انه بينما كان ينقب في ادراج مكتبه عثر على مغلف كنت قد اكتشفته قبل ايام . وقال ابني باستغراب التاريخ على الصورة ١٩٥٢ ـ قالها بلهجة وكأنه يقول مليون قبل الميلاد .

قال (تد) : دعني ارى هذه الصورة . لقد اخذناها على ساحل كورنوول بعد التقائي بامك باسبوع .

ـ هل هذه هي امي ؟

هكذا سأل ابني بصوت يدل على عدم التصديق.

واستطرد يقول : انظر الى هذا ، يا لله ، ان امي كانت رائعة الجمال حقا .

اجاب (تد) : بالطبع هي جميلة ، واذا لم تلاحظ ذلك الا الآن ، فانك لست بالولد الشديد الملاحظة .

لاحظت قوله « هي جميلة » . لا «كانت جميلة». ولكن الذي ارضاني هو تلك النغمة في صوته ، النغمة التي تدل على القناعة ، والتي اوحت بان الامر شيء لا يحتاج الى تدليل ، وكأنه يقول ان الشمس تغرب في الغرب فما الامر الغريب الجديد في ذلك ؟

وماذا يضير ، اذا هو لم يعبر عن اعجابه ، ما دام يحمل الصورة الحقيقية عني في قرارة نفسه ■■

عيسى سليم المصو

موعد لم يتم ...

« .. هذا هو الطور .. وهذه هى النار
.. ولكن .. اين الرؤية اين .. »

حافظ الشيرازى

■ ميعادُنا الآنَ ، ياحبيبي   ولفحةُ النار في حشابـــا
وقد دنت ساعة التلاقــي   لكنني ، لا أرى صوابـا

★★★

فهل تساميتَ عن لقائــي   يا باعثَ الحب في كياني ؟
أم أنت أشفقت من حنيني   وفرحتي ساعة التداني ؟

★★★

وقفتُ في وحدتي حزينا   وللدجى حولَ ارتيـاب
أسائلُ الليل عن حبيــبي   وأين من ليلَ الجـواب

★★★

وعدت ،والوجدُ ملءُ روحي   وفي دمي يطفُرُ النُّـواح
تطوف بالقلب ألفُ ذِكرَى   وكل ذِكْرَى لها جِراح

★★★

ياقلب .. غاليتَ في الأماني   وغرَّكَ الوهمُ والخيـال
شقيتُ بالواقع المرجَّــى   فهل ترى بُسعد المُحال؟

■■

الاسكندرية ـ عبد العليم القبانى

شفيتزر

الطبيب .. العالم .. الفيلسوف

اعتنق افكار ومبادىء تولستوى ، وحمل رسالة الانسانية الى افريقيا ، وافنى حياته فى التخفيف عن آلام البشرية

بقلم : محمد كامل ضاهر

■ تعود ليو تولستوى ان يتلقى رسائل كثيرة من اصدقائه وناقديه والمعجبين بادبه وفنه فى جميع انحاء العالم ٠ لكن رسالة مؤرخة فى ٢٧ يوليو ١٨٨٣ شغلت تفكيره واثارت عواطفه بسبب نداء من القلب حملته اليه من صديقه الاديب المعروف ايفان تورجنيف يقول فيه : « عد ثانية الى عالم الادب يا ليو نيقولاى فيتش ،تلك هى موهبتك الحقيقية يا فنان ارضنا الروسية العظيم٠٠ استمع الى رجائى وعد الينا فنحن بحاجة اليك »٠ ولم يكتب تولستوى ردا على هذه الرسالة لان تورجنيف مات بعيدا عن ارض روسيا بعد اسابيع قليلة من كتابتها (١) ٠

كانت هذه الكلمات تعبر عن اعتقاد تورجنيف وكثيرين غيره بان ليو تولستوى يسير فى طريق الافلاس العقلى والجنون بعد ان رأوه يتحول الى عالم آخر غير العالم الذى يألفه معظم البشر فيحيط نفسه بطبعات كثيرة من الكتاب المقدس والاناجيل وبعض الكتب الدينية الاخرى ، ويكتب بغزارة عن الاخلاقيات الروحية الغامضة ، لم يهجر حياته الارستوقراطية الصاخبة وثروته وزوجته واولاده ويقرر توزيع املاكه وامواله الكثيرة على الفلاحين والفقراء ، ويتهم جميع المظاهر الاجتماعية بالكذب والخداع لانها تلوث معنى الحياة وتزيف حقائقها ٠

لم يكن احد يعرف شيئا عن حقيقة ما كان يجرى فى اعماق هذا الرجل من تحولات خطيرة فى موقفه من الانسان والعالم والحياة ٠ كان يواجه العاصفة وحيدا كالغريب،وينساب بعقله القلق الى المناطق المهجورة فى اعماق النفس الانسانية ليبحث عن مخرج من المحنة الرهيبة التى شدته اليها اسئلة خطيرة ومعقدة طرحت نفسها عليه بالحاح : لماذا احيا ؟ ما معنى ان يعيش الانسان فى نعيم وترف ، وغيره يقتله البؤس والشقاء والمرض ؟ ما معنى ان امتلك الدنيا كلها واصبح اشهر من شكسبير وبوشكين وموليير وجميع ادباء العالم ؟ ما معنى الحياة والموت ؟ ما اسباب الفلاق بين الخير والشر فى العالم ؟ ٠

وحولت هذه الاسئلة المثيرة حياة تولستوى الى عذاب لا يحتمل ٠ ولم تقدم له دراساته الفلسفية والعلمية والدينية اية مساعدة للحصول على اجوبة شافية وحاسمة عليها ٠ وكاد اليأس يمزقه ويدفعه الى الانتحار لو لم يقتنع فى النهاية باستنتاجات دينية جعلها محور فلسفته ومؤداها ان المادة هى مصدر الشرور فى هذا العالم المليء بالظلم والآلام والخطايا ، وان الوسيلة الوحيدة لانقاذه وتغييره هى الايمان والعمل بالمحبة والاحسان بين البشر ، لان هذه المحبة التى هى قانون الله ـ تعطى لحياة الانسان معنى ساميا تستطيع بواسطته القضاء على كل أنواع الحروب والمظالم التى تشل التقدم الانسانى وترهقه او تشقيه ٠

لقد كان هدف تولستوى البعيد احداث ثورة هادئة فى اعماق الانسان تقوم على المحبة والاخلاق من اجل اعادة تنظيم الحياة والعالم ليصبحا مصدر خير وسعادة لجميع البشر ٠ لكنه مات حزين النفس

---

(١) توفى تورجنيف فى فرنسا بتاريخ ٣ سبتمبر ١٨٨٣ ٠



« الكفاح من أجل الحياة شغلنا عن التفكير في المثل العليا للحضارة »

شفيتزر

لان فلسفته لم تستطع حتى انقاذ الاف الفلاحين الروس الفقراء الذين كانوا يموتون بصمت كالحشرات في اكواخهم الحقيرة دون ان يساعدهم او يدرى بهم احد ...

وفي اوربا ظهر رجل يدعى البرت شفيتزر واعتنق افكار هذه الفلسفة التولستوية وحملها الى اعماق القارة الافريقية ليساعد سكانها على التخلص من الجهل والمرض والشقاء، في زمن كانت فيه آمال الاوروبيين وجهودهم مشدودة الى التوسع فيما وراء البحار لنهب ثروات الشعوب واستعبادها وكانت افريقيا تستقطب قسما كبيرا من تلك الجهود والآمال بسبب خيرات ارضها الوفيرة لقد شد الطبيب العالم شفيتزر رحاله الى افريقيا وعاش فيها وافنى حياته في خدمة اهلها والتخفيف من آلامهم .

حياة البرت شفيتزر واتجاهاته الانسانية

ولد البرت شفيتزر في ١٤ يناير ١٨٧٥ في قرية جونسباخ بالالزاس الالماني (٢) من سلالة انجبت من ناحية الاب والام نوابغ في الموسيقى واللاهوت . وقد واجه البرت منذ ايامه الاولى مع الحياة ظروفا صحية قاسية سببت لوالديه قلقا مريرا رغم العناية الدقيقة التي احيط بها . لكنه تخطى هذه الظروف وتعافى تماما ، فتلقى تعليمه في مدرسة القرية وفي غيرها من مدارس اقليم الالزاس . وفي سنة ١٨٩٣ التحق بجامعة ستراسبورغ لدراسة الموسيقى واللاهوت ، ثم قصد باريس لدراسة الفلسفة في جامعة السوربون ولزيادة تحصيله في الموسيقى على يدي الموسيقى الفرنسي المشهور شارل فيدور . ولما عاد الى ستراسبورغ عينته جامعتها استاذا لمادتي « الفلسفة واللاهوت ». وبدأت شهرته تتسرب الى العواصم العلمية في اوروبا واصبحت آراؤه الفلسفية واللاهوتية تتمتع باحترام عظيم بعد الابحاث القيمة التي نشرها عن العصور الاولى لنشوء المسيحية وعن حياة المسيح والرسل ومصدر الاناجيل . وكانت قدراته الذهنية العظيمة في حقل الموسيقى موضع اعجاب كبار موسيقيي هذا العصر . فاشتهر كافضل عازف على الارغن في اوروبا وخاصة لمؤلفات جون سيبستيان باخ الموسيقية وكان مرجعا وحجة في الاطرزة القديمة للارغن .

وعندما بدأ شفيتزر دراسة الطب للذهاب الى افريقيا لتكريس حياته لمساعدة سكانها ، سخر منه اهله واصدقاؤه واتهموه بالخبل والجنون ، وذهلوا كيف ان هذا الرجل الذي يحتل مكانا مرموقا في عوالم اللاهوت والفلسفة والموسيقى يدمر بلحظة واحدة كل امجاده ليبدأ حياة جديدة مليئة بالغموض والمصاعب والتحديات في قارة كانت حتى ذلك الزمن تمثل عالما غريبا ومثيرا للرجل الابيض .

(٢) انتزع الالمان الالزاس من فرنسا سنة ١٨٧٠ ثم عاد اقليما فرنسيا بعد معاهدات الصلح عام ١٩١٨ .

لكن شفيتزر اصر على اختيار هذا الطريق وعلى ان تكون افريقيا بالذات ميدانا لتنفيذ فكاره .. ومن الصعب فهم هذا التحول العميق في حياته الا على ضوء الظروف والذكريات التي رافقت طفولته . الظروف الصحية القاسية التي واجهته بها الحياة منذ ايامه الاولى معها وكادت ترميه في العدم ، ثم ذكرياته عندما كان يرى كثيرا من رفاقه في المدرسة وقد رسم الفقر والبؤس على وجوههم وفي عيونهم خطوطا صارخة من التعاسة والاحزان الصامتة .

لقد زرعت هذه الظروف والذكريات في قلبه شعورا عميقا بالحب والرحمة لجميع المخلوقات الحية التي تتصارع بعنف من اجل الحياة والبقاء، وخاصة البشر الضعفاء الذين يواجهون ظروف الحياة القاسية ومتاعبها الكثيرة بلا سلاح او امل .

ويصف شفيتزر تلك الفترة الحرجة من حياته في كتابه « حياتي وفكري » فيقول : « في ليلة من صيف ١٨٩٦ استيقظت من نومي وقد تملكتني فكرة هادئة تدعوني الى عدم اعتبار سعادتي شيئا طبيعيا ، وانما عليّ ان اعطي منها الى من هم اقل مني سعادة . واخذت هذه الفكرة تنمو في نفسي يوما بعد يوم الى ان استقر رأيي على أن أكرس من عمري ثلاثين سنة للعلوم والفنون . واكرس الزمن الباقي لعمل يخفف من عذاب البشر وآلامهم» .

وفي عام ١٩٠٦ بدأ دراسة الطب وسط دهشة زملائه وتلامذته .

وبعد سبع سنوات تخرج طبيبا متخصصا في امراض البلاد الحارة . ولما عقد العزم على التوجه الى افريقيا، ثار عليه كثير من رجالات الارساليات التبشيرية المنتشرين في هذه القارة وحاربوه محاربة قاسية ، بسبب آرائه حول مصدر الاناجيل، وحياة المسيح التي ينفي عنه صفة الالوهية . ولم يسمح له بالسفر الى ارض احلامه الا بعد تعهده بعدم نشر اي شيء من افكاره وارائه حول هذا الموضوع . (٣)

الابحار الى أرض المستقبل

وفي ابريل ١٩١٣ وصل شفيتزر الى ارض الجابون Gabon بافريقيا الاستوائية وتوجه الى قرية لامبرينيه الوضيعة وسط الغابات الكثيفة. وشعر بغبطة روحية عظيمة عندما استقبله المواطنون استقبالا طيبا . وبعد استراحة قصيرة شرع يستقبل المرضى في كوخ صغير قرب المنزل الذي قدم اليه للسكن ، واستطاع خلال بضعة شهور تشييد بعض الاكواخ الواسعة بمساعدة مواطنين افريقيين ،لكن اندلاع الحرب العالمية الاولى عرقلت اعماله : فصرخ قائلا : « اننا حيال شيء فظيع يعجز المرء عن فهمه » .

وامام هذا الوضع المحزن نشط فكر شفيتزر في البحث عن الاسباب الحقيقية التي دفعت العالم الى هذه الحرب المروعة . وكان ثمرة ذلك مؤلفه المشهور « فلسفة الحضارة » Kultur Philosophie الذي عرض فيه قضية انحلال الحضارة واعادة بنائها ، وعلاقاتها بالاخلاق ، والنظرة العالمية في تجميد الحياة ومعنى الدولة المتحضرة . ونشر هذا الكتاب عام ١٩٢٣ . وخلال الحرب العالمية الثانية تعهدت الدول المتحاربة للدكتور شفيتزر بعدم المساس به او بمستشفاه لعلاج المصابين بالجذام ليتمكن من اداء رسالته الانسانية بسلام.

ذاعت شهرة شفيتزر في جميع انحاء الأرض وخاصة في العالم الانكلو سكسوني . وفي سنة ١٩٤٩ دعي الى زيارة الولايات المتحدة الامريكية لالقاء بعض المحاضرات في الذكرى المئوية للشاعر الالماني غوته . فاستقبل بحفاوة بالغة من جميع الاوساط الثقافية والعلمية فيها . وخلال حفل التكريم الذي اقامته له جامعة « برنستون » رحب به صديقه العالم المشهور «البرت اينشتين» : قائلا : «في هذا العالم الحزين الذي نعيش فيه، اليكم هذا الرجل العظيم» . اما مجلة «لايف» فقد وصفته بانه « اعظم انسان في هذا العصر » كما فاز بلقب « رجل القرن العشرين » (٤) . وفي عام ١٩٥٣ منح جائزة نوبل للسلام تقديرا لجهوده من اجل مستقبل افضل للانسان وللحياة وللحضارة . وامضى شفيتزر في مستشفاه في لامبرينيه نحو ٥٠ عاما ،قدم خلالها من حياته وعلمه وانسانيته الى سكان افريقيا ماجعله موضع احترام عظيم لدى جميع شعوب العالم ، حتى شبهه البعض بالقديسين . وفي الخامس من سبتمبر ١٩٦٥ انطفأ آخر قبس من نور الحياة في جسده على سرير متواضع في

(٣) راجع كتاب J. Lenzman L'origine du Christianisme 2èm. éd. Moscou 1958. P. 18

(٤) راجع كتاب Donald Robinson. The 100 Most Important Peaple. 1953. P. 334

مستشفاه على ضفاف نهر «اوجوويه» فى لامبرينيه وله من العمر ٩٠ عاما .

لقد كان شفيتزر ، مثل تولستوى ، يريد احداث ثورة فى اعماق الانسان بواسطة الحب لانقاذ الحياة وتغيير العالم وانتشال الانسان من التيه الروحى المنبثق عن التقدم المادى الاعمى ، الذى رفض قيادة المثل والقيم الاخلاقية كجوهر يحفظ الحياة ويحترمها ويشجعها . لكنه مات وفى نفسه شعور بخيبة امل كبيرة لانه لم يحقق اى شىء من هذه الثورة .

شفيتزر الفيلسوف العالم

لم تنتصر شهرة شفيتزر على اعماله كطبيب ، وانما شاركت مؤلفاته الفلسفية والموسيقية واللاهوتية فى تكوين هذه الشهرة . ومن الصعب فهم حياته الخصبة الا على ضوء اتجاهاته الفكرية . فهو قبل كل شىء لم يقصد الى بناء نسق فلسفى كبقية الفلاسفة ، وانما استطاع التخلص من البحث فى النظريات المجردة والشكليات الفلسفية التى تتسم بالغموض والتناقض . واتجه مباشرة الى الحياة الواقعية تحركه الرغبة فى ان يكون نافعا وخيرا وسارت به اتجاهاته الفكرية نحو الاخلاق التى كرس لها حياته وفكره فاستعرض اولا حالة الحضارة الغربية فى ايامه ، واسباب التدهور فى قيمها،وارجع ذلك الى الكارثة الت بالفكر الاوروبى : « يجب الاعتراف اولا بان فساد الروح هو السبب الرئيسى لهذا التدهور،وان مثل الحضارة الحقيقية اصبحت عديمة القدرة فى يومنا هذا لان المفهوم الايديولوجى الذى تمتد فيه جذورها اختفى شيئا فشيئا . وان مدينة تعيش فى المظاهر التافهة لا بد وان ينتهى بها المسير الى كارثة لانها انقطعت عن القانون الجوهرى الوحيد الذى يغذيها وهو قانون الاخلاق . ومهما تكن الاهمية التى نعطيها للعلم والقوى المادية ، يبدو واضحا ان الانسانية التى تتبع اهدافا اخلاقية تستطيع وحدها ان تستفيد الى حد بعيد من التقدم المادى والسيطرة فى الوقت نفسه على ما يرافق هذا التقدم من اخطار . وترى ان هذا الجيل الذى آمن بالتقدم العلمى يحدث آليا ، والذى فكر بامكانية الاستغناء عن المثل الاخلاقية للتقدم ، والاقتصار على العلم والقوة وحدهما ، قد اعطى البرهان الرهيب ، من خلال الوضع الذى يعيشه اليوم على انه كان مخدوعا . فالتقدم المادى وحده لا يعد الجوهر الخالص لهذه الحضارة لانه يحمل للعالم فى ثناياه بذور الخير والشر على السواء » (٥) .

لقد فهم شفيتزر الحضارة على انها فكر وعمل، كلاهما يكمل الآخر ويلازمه ، ومن المستحيل الفصل بينهما .«وان الحضارة تعنى بجوهرها بذل جهودنا بوصفنا كائنات حية من اجل تكميل النوع الانسانى وتحقيق التقدم فى جميع المجالات الانسانية والعالم الواقعى . هذا الموقف العقلى يتضمن استعدادا مزدوجا . فمن ناحية علينا ان نكون مستعدين للعمل ايجابيا فى العالم والحياة، وعلينا من ناحية اخرى ان نكون اخلاقيين . ولا يمكن لهذا العمل ان يوصلنا الى نتائج حقيقية وقيمة الا اذا كنا قادرين على اعطاء الحياة والعالم معنى حقيقيا . اى ان يكون عندنا نظرية متفائلة فى الكون ، لان النظر فى وجودنا على انه عديم المعنى ، لايخلق فينا الرغبة لاحداث اى اثر فى هذا العالم . فالحضارة لم تتكون وتنشأ وتنضج الا عندما عقد الناس عزما واضحا وصادقا على بلوغ التقدم ، وكرسوا انفسهم من اجله ، لان المنجزات العظيمة القيمة لم تتحقق الا بالحماسة والتضحية بالنفس . وهذا الدافع الى التقدم لا يمكن أن نجده الا فى الاخلاق ، لانها تحت تأثير المعتقدات الاخلاقية وحدها تتكون مختلف العلاقات فى المجتمع البشرى على نحو يسمح للافراد وللشعوب بالنمو والتطور بطريقة مثالية » .

لم ان المعرفة تقودنا الى السيطرة على قوى الطبيعة لنضعها فى خدمتنا فتزداد امكانياتنا على الحركة والعمل ، وبالتالى يحدث تغيير عميق فى كل ظروف حياتنا » لكن هذا التقدم الذى يصحب المعارف ليس دائما فى صالح الانسانية . فعندما نحرر انفسنا من قوى الطبيعة نكون فى الوقت نفسه قد قطعنا مابيننا وبينها من صلات روحية مما يؤدى الى اضطراب فى حياتنا . فنحن نخضع قوى الطبيعة لخدمتنا عن طريق الآلة ، ولاظهار خطر الآلة على حياة الانسان يستعير شفيتزر وصفا جميلا كتبه احد حكماء الصين فى القرن الخامس قبل الميلاد يقول: اذا استعمل الانسان آلة ادى اعماله

(5) A. Sceweitzer. Mavie et ma pensée. éd. Albin Michel. Paris 1960. P, 162 - 163.

كالالة ، ومن يؤدي اعماله كالالة يصبح قلبه شبيها بالالة ، واذا صار قلبه شبيها بالالة فقد البساطة والحقيقة » (٦) ٠

المثل العليا للحضارة

والذي يقصده شفيتزر من هذا الكلام ان العمل الآلي الصرف قد غزا حياتنا على نطاق واسع وجعلنا ، بدرجات متفاوتة ، في خطر من التحول الى « اشباه انسانية » بدلا من كائنات تتمتع بشخصية وارادة وفكر،ونتج عن هذه الظاهرة اصابة الوجود الانساني بانواع كثيرة من الاضرار المادية والروحية التي تشكل الجانب المظلم من انجازات الكشف والاختراع ٠

وكان شفيتزر يعتقد بان الكفاح في سبيل الحياة قد شغلنا عن التفكير في المثل العليا للحضارة وجعلنا نخلط بين هذه المثل ومثلنا الذاتيـــة الانانية ٠ وامام هذه التحديات التي تواجهنا بها الالة لا بد من ان نفكر في مثل عليا للانسانية نسعى الى تحقيقها لتجنب السقوط في الهاوية ٠ فالمثل العليا للرجل المتحضر ليست سوى المحافظة على الطبيعة الانسانية الاصيلة في كل شان من شؤون الحياة ٠ ومعنى ان نكون متحضرين هو ان نبقى دائما انسانيين رغم الظروف القاسية التي ولدتها المدنية الحديثة ٠ فالانسانية تعني توفير الاعتبار لوجود افراد الجنس البشري وسعادتهم ٠ وهذا الاعتبار لن يوجد الا اذا كنا اخلاقيين٠ وهذا ما قصده شفيتزر بقوله : «مهما كان وسيكون دور لا مبرينيه في حياتي، فستبقى تجربة اخلاقية ويجب الا تفسر على غير ذلك » ٠ فما هي هذه الاخلاقية التي يتكلم عنها ؟

يقول شفيتزر ان الاتصاف بصفة الاخلاق يعني البدء في التفكير باخلاص ٠ والتفكير هو العجة بين الارادة والمعرفة في ذاتنا ٠ وهذه الارادة لا تعرف الا حقيقة واحدة وهي ان ارادة الحياة تكمن في كل الكائنات الحية ٠ والفعل الاخلاقي يحثنا دائما على انماء وحفظ كل ارادة حية مثلما ننمي ونحفظ هذه الارادة في ذاتنا ٠ وهذا التحليل لارادة الحياة قاده الى المبدأ الاساسي في الاخلاق الذي يعتبره ضرورة من الضروريات الفكرية : « ان الخير هو كل ما يحمي الحياة ويشجعها، والشر هو كل ما يعارض هذه الحياة ويؤذيها » ٠ واكد شفيتزر هذا المبدأ في جميع مؤلفاته ومعاضراته التي صدرت بعد الحرب العالمية الاولى وخاصة في كتابيه « فلسفة الحضارة » و « كبار المفكرين الهنود » وقد توصل الى هذا المبدأ الاخلاقي بعد تحليل تاريخي شامل ومقارنة بين النظم الفكرية المختلفة مرورا بفلسفة عصر التنوير وغيرها من الفلسفات الحديثـــة والمعاصرة ٠ وبعد هذه الجولة الطويلة في اعماق الفكر بدأ في تحديد موقفه الشخصي ووضع اسس مذهبه الفلسفي والاخلاقي الذي يتلخص بمبدأ احترام الحياة وتشجيعها ٠ وفي كتابه « حياتي وفكري » يصف اثر هذا المبدأ في حياته فيقول : « هناك تجربتان تلقيان ظلهما على حياتي : الاولى ادراكي ان العالم لغز معقد وملـــيء بالالام،والثانية ولادتي في عصر الانحطاط الروحي للانسانية ، وكان تعرفي الى مبدأ احترام الحياة الذي يؤدي الى الاقرار بالاساس الاخلاقي للعالم هو القاعدة التي ارتكز عليها وجودي ووجـــه حياتي ، ونتيجة لذلك صممت على ان اعمل لاجعل الناس اكثر عمقا ومعرفة بانفسهم » ٠

مبدأ احترام الحياة

ويتخذ مبدأ احترام الحياة عنده معنى عميقا وشاملا ٠ فهو ينبثق من ارادة الحياة الكامنة في كل ذات حية ٠ وهذه الارادة ترتبط مع العالم بعلاقة روحية تجعل الانسان يلتزم بمبدأ احترام الحياة ٠ واذا غزا هذا المبدأ فكر اي انسان فانه يعمل فيه بقوة واستمرار ويلقي به في قلق عظيم ناشىء عن الشعور بالمسئولية تجاه جميع المخلوقات، ويلازمه هذا القلق في اي زمان ومكان ، ولا بد لارادة الحياة في الانسان من ان تجد طريقها الى العالم بنفسها ٠ فتربط هذا الانسان مع العالم وما فيه من الكائنات وتجعله يشعر بان كل ما حوله هو « ارادة حياة تريد ان تحيا » ٠ ويصل شفيتزر من ذلك الى نتيجة ، وهي ان مبدأ احترام الحياة يستطيع ان يعالج كل وقائع الوجود الانساني لان جذوره تتغذى من تربة لا تجف ابدا وهي الاخلاق ٠ فالاخلاق في جوهرها احترام لارادة الحياة في ذات الانسان وخارجها ، ومنها تنبثق مسئوليته التي لا حدود لها تجاه جميع المخلوقات وتصبح جزءا مكملا لها ٠ وهذا الشعور بالمسئولية هو الذي ينظم حياة الفرد مع العالم بما فيه من

٦ ـ البرت شفيتزر ـ فلسفة الحضارة ـ ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ـ ص ٥ ـ ٦ و ص ٤٠٧

مخلوقات ، ويدفعه الى وضع كل امكانياته في خدمة اخوته من البشر الذين يحتاجون الى العون والمساعدة .

فمبدأ احترام الحياة يعني استمرار الحياة وانتصارا دائما لها وانهاء لانقسامها .(هذا المبدأ الاخلاقي نفسه الذي يتحدث عنه شفيتزر كان مصدر ذلك القلق العظيم والتحول العميق في حياة ليو تولستوي الذي ادى به الى الايمان بان لا معنى لحياة الانسان الا في خلق معنى لحياة اخوته في الانسانية الذين يستعبدهم الجهل والمرض والجوع).

وهذا الفهم لمبدأ احترام الحياة قاد شفيتزر الى الحديث عن الاستعمار وآثامه (٧) . فهو يقول : « بان القوة التي بواسطتها سيطر الانسان الغربي على قوى الطبيعة قد استخدمها للسيطرة على كائنات بشرية اخرى سيطرة ظالمة ومشؤومة نتج عنها الاستعمار الذي نشر مزيدا من البؤس المادي والروحي بين الشعوب . كما ان شفيتزر حمل الحضارة الغربية مسؤلية هذا التمزق الروحي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي يسود العالم المعاصر ، واتهمها بسلب ذلك التفاؤل الذي زرعه الفلاسفة العقليون في الفكر الانساني خلال القرن الثامن عشر والذي قال بامكانية تنظيم كل شؤون الحياة ومشاكل البشر بواسطة العقل . وكان هؤلاء الفلاسفة قد جعلوا من كمال الانسان والمجتمع الانساني مثلهم الاعلى وكرسوا فكرهم من اجل تحقيقه . وكان مصدر هذا المثال نظرتهم العقلية والاخلاقية المتفائلة الى العالم والحياة ، اذ كانوا يعتقدون بان هذا العالم تحكمه غاية هدفها انجاز الكمال ، ومن هذه الغاية يستمد الافراد مجهوداتهم من اجل تامين التقدم المادي والروحي للحضارة . لكن هذه الافكار بدات بالافول والتراجع عندما اخذت الثورة الصناعية تشد الناس الى التفكير تفكيرا ماديا في الحياة والعالم ، واصبحت المثل منذ القرن التاسع عشر تستمد من الواقع بدلا من العقل ، ونتج عن ذلك انحدار تام نحو المادية والآلية والضياع الروحي للانسان . ويعبر شفيتزر عن هذه المأساة بقوله : « انا متخاصم مع روح هذا العصر لانه شديد الاحتقار للفكر لدرجة قادتنا الى الشك بقدرة هذا الفكر في الرد على الاسئلة المتعلقة بالكون وبعلاقتنا به ، وفي اعطاء معنى ومحتوى لوجودنا . فانسان هذا العصر لا ثقة له بنفسه ، وتحت مظهر مفعم بالثقة يخفي قلقا روحيا عميقا . وبالرغم من مقدرته التكنولوجية وقوته المادية الهائلة فانه مخلوق ذابل لا يستعمل ملكته الفكرية . ومن الغريب ان يكون جيلنا الذي يبدو عظيما في اكتشافاته وانجازاته العلمية لم يستطع تجنب الانزلاق الى هذا الدرك المخيف في المجال الروحي .. انني متشائم في حكمي على الموقف الذي يجد فيه الجنس البشري نفسه في الوقت الحاضر ، ولا استطيع ان احمل نفسي على الايمان بان هذا الموقف ليس من السوء الى الدرجة التي يبدو عليها . بل انني اشعر في اعماق ضميري باننا نسير في طريق ستقودنا ، اذا واصلنا السير فيها ، الى عصور وسطى من طراز جديد .. ومع ذلك فانا متفائل » .

ولكن على اي اساس يبني شفيتزر هذا التفاؤل؟.

لقد فهم الحضارة على انها حصيلة نظرية اخلاقية متفائلة في الكون وفي الحياة . وجوهر المشكلة في رايه اننا نفتقر افتقارا كاملا الى هذه النظرية . هذا هو المصدر الرئيسي لكل الكوارث والوان الشقاء التي يعج بها العصر الحاضر . وامام هذا الوضع يقول شفيتزر ، لا بد من ان يحدث ردة فعل معاكسة في اعماق ضمير الانسان تعيده الى حظيرة الاخلاق والفكر ، وتصبح الاخلاق موضوع اهتمام الكائنات البشرية المفكرة ، ويسعى الافراد الى تاكيد انفسهم في المجتمع على انهم كائنات اخلاقية تحافظ على الطبيعة الانسانية الحقيقية في كل ناحية من نواحي الحياة ، وتكافح بقوة لتنعتق من القيود السياسية والاقتصادية والنفسية والايديولوجية التي تستبد بها وتشل امكانياتها على التفكير والتامل الذاتي الهادىء .. وبهذا تتكون عند الانسان نظرية متفائلة في الكون تتسم بتوقير الحياة لان هذه النظرية « نوع من التصوف يصل اليه الانسان بالتفكير المنطقي مع نفسه . فاذا اسلم المرء زمام اموره الى هذا التصوف وجد لحياته معنى يدفعه الى المساعدة في مظاهر التقدم المادي والروحي التي يجب انجازها في هذا العالم » .

بيروت : محمد كامل ضاهر
ماجستير في الفلسفة

---

٧ ـ راجع كتاب J. Feschotte. Albert Seweitzer. Paris 1958. P. 95

من الكتب التي وصلتنا

• بقية المنشور ص ١٧٣ •

من هدى الجمعة

تاليف : كمال الدين الطائي

الناشر : مطبعة سلمان الاعظمي/ بغداد / العراق

● يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة من الخطب المنبرية تحوى معلومات دينية وتاريخية واجتماعية وسياسية فالخطابة فن وموضوعها فن والالقاء فن وشد الاذهان فن ، والسيطرة على المستمعين فن ، فاذا لم يتهيا الخطيب للتمسك بهذه المعايير،ولم يجعلهافي حسابه نفر المستمعون منه، او حملهم على التهاون به ، بل التهاون بشخصه وقدره، وربما يفض اليهم الصلاةوراءه والاستماع اليه ، وقد يرون أن بعدهم عن المحراب وراءه خير لهم من حضورهم اليه •

كما يحوى الكتاب موضوعات تتصل بحياتنا اتصالا طيبا ، وتؤدى غرضها المنشود في المسجد وخارج المسجد لما فيها من ثقافة ومرونة وتوجيه دقيق سليم •

نسف الأضاليل : مرحلة اساسية في ازالة اسرائيل

تاليف : أنيس فاخوري

الناشر : مؤسسة ج فاخوري / بيروت / لبنان

● يدرس هذا الكتاب الوشائج الدينية الغامضة القائمة بين المسيحية واليهودية والعلاقة غير الواضحة تماما القائمة بين العهد القديم والعهد الجديد في الكتاب المقدس للكنيسة المسيحية وهي الامور التي جعل منها التضليل اليهودي ركائز دينية وادبية قوية ومتاصلة في ذهن الغرب المسيحي •

وهذه الزاوية من النظر الى المشكلة الصهيونية من خلال علاقتها الدينية بالغرب المسيحي هي الشيء الجديد في هذا الكتاب ، درس كتابنا الصهيونية كتكوين سياسي فعرفنا كثيرا عن مؤتمراتها ومؤامراتها ،وخداعها وتسلطها الماكر على الاعلام• لم تكلموا عنها كمغامرة وكعملية استعمار استيطاني للمنطقة العربية كلها ، تحدثوا عن هذا كله ، ولكنهم لم يبحثوا جانبها الديني ، اما كيف يقف الغرب المسيحي فيؤيد يهوذا الاسخريوطي ، ثم كيف يرى المجمع المقدس في الفاتيكان براءة اليهود من دم السيد المسيح فهو ما يحتاج الى بحث•

والمؤلف هنا يحاول ان يسد هذه الثغرة فيسلط الكثير من النور عليها ، ولقد واجه هذه المسالة بايمان المسيحي المسئول امام قومه وارضه وتراثه، وكبر مقتا عنده ان ياخذ التضليل اليهودي هذا المنحى الذي اخذه •

ومما لا شك فيه ، ان هذا الباب يعتبر ركيزة فكرية واعلامية كبرى لم تزل مهملة حتى اليوم ، ويجب ان تاخذ مكانها اللازم من الاستراتيجية الدفاعية العربية ، بل ان هذا الباب دعوة الى الالتفات الى هذا السلاح الذي تستخدمه الصهيونية والذي يضرب في القلب ، بل انه دعوة واسهام واع لا شك فيه في معركة التحرير •

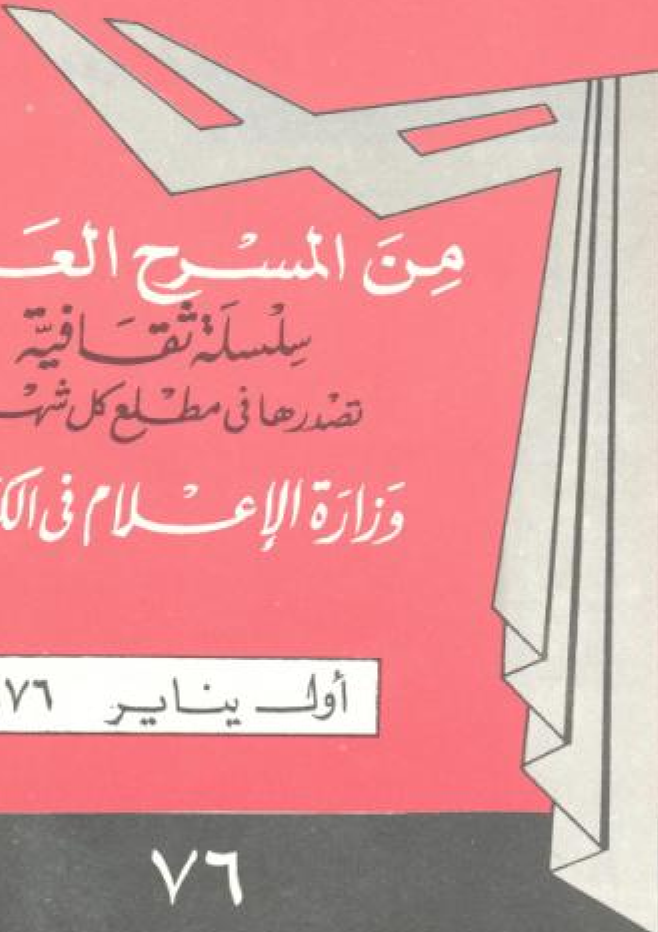
الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى الجزء الاول التمدن والحضارة والعمران

دراسة وتحقيق : محمد عمارة

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت / لبنان

● توضح هذه الدراسة أبوة الطهطاوى لحركة اليقظة العربية الحديثة وريادته لمسالك الصحوة الوطنية والتنبيه القومي ، وبناءه الاعمدة الراسخة لليقظة القومية التي انتقل بها العرب للعصر الحديثة ، ووصله عصر اليقظة التي صنعها بعصر المجد العربي ، وفترات ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، وقيادته للعقل العربي وارشاده كي يتخطى عصور الظلام في العهدين المملوكي والعثماني، وقد ساد هذا الظلام عالمنا العربي لاكثر من خمسة قرون •

ان هذه الاعمال وتلك الانجازات تطالعنا دائما عندما ننظر في أعمال رفاعة الطهطاوى الفكرية التي أبدعها وهذه النوافذ الحضارية التي فتحها والآثار العلمية والفلسفية والادبية والتاريخية والجغرافية التي ترجمها والجيل الذي صنعه كي ينهض معه بعبء صناعة الحضارة العربية الحديثة والمستنيرة ، ويواصل من بعده احتراف هذه الصناعة التي هي أشرف الصناعات •



مِنَ المسرح العالمِى

سِلسلة ثقافيّة

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يناير ١٩٧٦

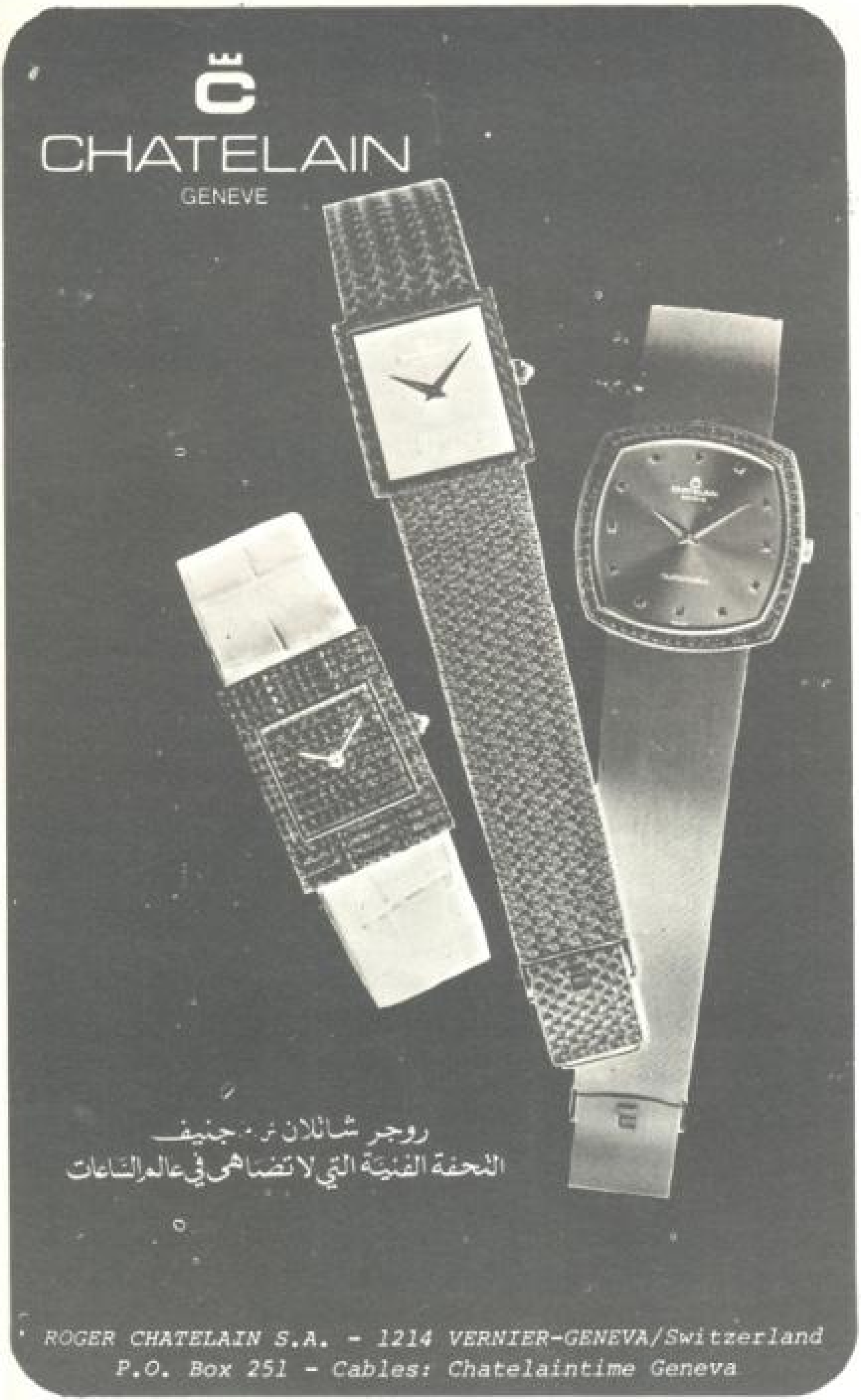
٧٦

الملك لير

تأليف : وليم شكسبير

ترجمة : د. محمد مصطفى بدوى

مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافى


CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
ROGER CHATELAIN S.A. - 1214 VERNIER-GENEVA/Switzerland
P.O. Box 251 - Cables: Chatelaintime Geneva



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من أكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠¾٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠¾٪ في السنة لمدة محددة طولها سنة واحدة. الفائدة تدفع شهرياً.

١١½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١١½٪ في السنة لمدة محددة طولها سنة واحدة. فوائد ممتازة لمدد محددة ٢-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد:

Lombard North Central

Bankers

Head Office : Lombard North Central Ltd , Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU, England

الاسم : ______________________

العنوان : ______________________

____

L182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.


طباخات فيليبس
آخر ما توصلت اليه
التقنية وجمال المظهر
مع فيليبس آخر معطيات وتطورات
طباخات الغاز الحديثة مطبقة بأكبر
مجموعة طباخات فيليبس المكونة من
موديلات تعمل على الكهرباء أو على
الغاز أو على الكاز. جميعها مصممة
بثلاث أو أربع عينات جميلة المظهر وقوية
الصنع، فسيحة الأفران والعينات مع أغطية للعينات مطلية وسهلة التنظيف.
خذ مثلاً موديل الـ المصنوع مع قاعدة لدوران الشواية، توليفه على الكهرباء
ويحتوي على ساعة لتوقيت وفرن ينظف تلقائياً وأوتوماتيكياً أي كل التسهيلات
التي تحتاجها سيدة البيت وهي تحضر أي نوع من الطعام.
هذه الطباخات تفرح النظر وتزيد من غنى ورونق المطبخ. جودتها وتصميمها
يحملان الشعار الذي لا يخطئ - خبرة فيليبس العالمية.
ومع فيليبس أيضاً الصيانة سريعة وموثقة أينما كانت.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوماً



اجعل هذا اليوم يومًا خاصًا لشخص تعزه

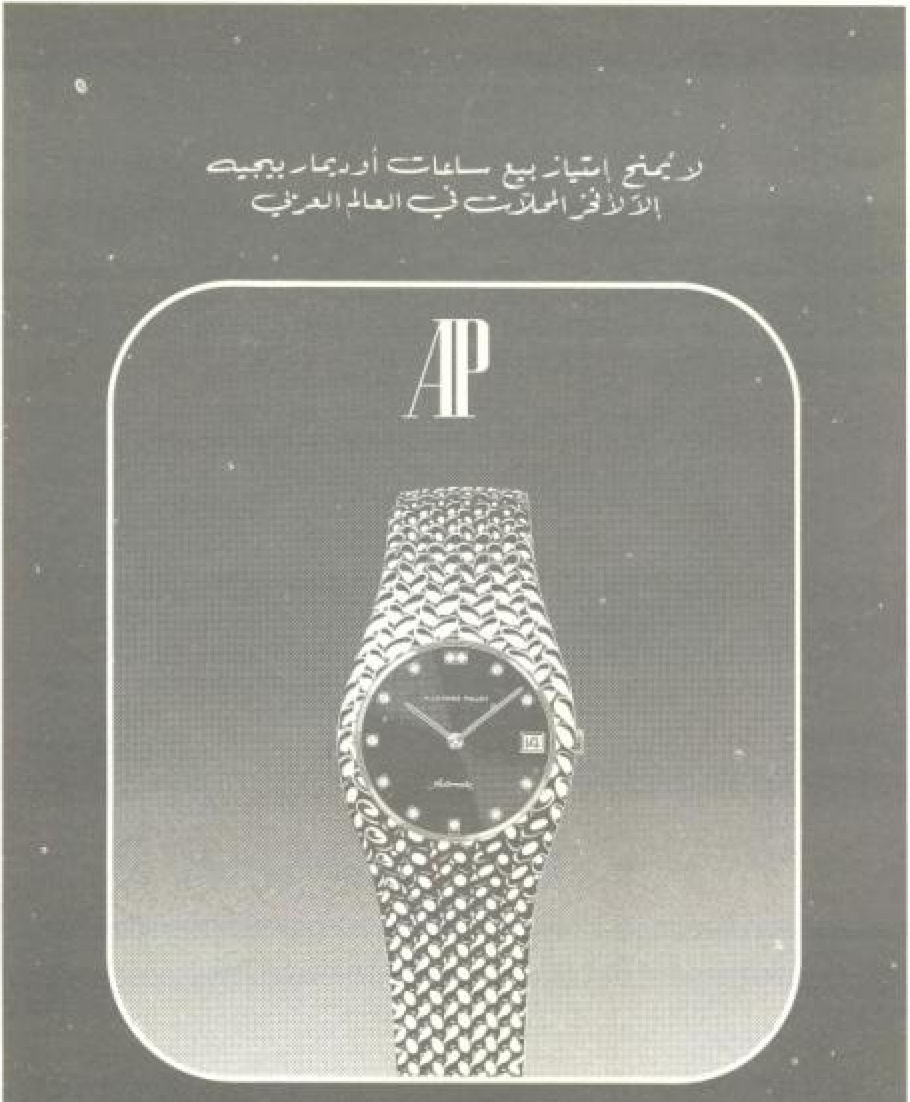
قدم لـه ولاعـة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الأعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، أن تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.



ولاشك في أن ولاعة رونسون هي خير ما يذكر بشخص محترم ومحبوب.

رونسون
RONSON

قدم أكثر من هدية ... قدم رونسون


لا يمنح امتياز بيع ساعات أوديمار بيجيه
إلا لأفخر المحلات في العالم العربي
AP
Audemars Piguet
la plus prestigieuse des signatures

العربي

فهرس سنة ١٩٧٥

من العدد ١٩٤ إلى العدد ٢٠٥

حديث الشهر

بقلم رئيس التحرير الدكتور أحمد زكي

شعر وشعراء

أدب ولغة

علوم

صفحة في اللغة

بقلم محمد خليفة التونسي

تاريخ

تاريخ أشخاص

دين ورجال دين

تربية وعلم نفس

سياسة واقتصاد

مجتمع واجتماع

فلسفة

استطلاعات الكويت المصورة

الاستطلاعات العربية المصورة

أمراض شائعة

طبيب الأسرة

بقلم نخبة من الأطباء

أنباء الطب والعلم والاختراع

فى سبيل موسوعة علمية

بقلم الدكتور أحمد زكى

وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه

بقلم الدكتور أحمد زكى

الموضـــوع	التاريخ	العدد	الصفحة
الدورة الدموية فى سائر الحيوانات ـ الدورة الدموية فى ابسط الحيوانات ذات الخلية الواحدة ـ الدورة الدموية والحيوانات المتعددة الخلايا كالاسفنج ونحوه ـ الدورة الدموية فى الدود المفرطح ـ الدورة الدموية فى ما فوق ذلك من احياء ـ الدورة الدموية المفتوحة ـ الدورة الدموية المغلقة ـ قلوب الحيوانات ذوات الفقار خزانتان ، فثلاث ، فاربع ، وبالاربع تبلغ الكمال فى قلب الانسان ـ قلب الاسماك ـ قلب الحيوانات البرمائية ممثلا فى الضفدع ـ قلوب الزواحف ممثلة فى السحالى ـ ويستكمل القلب خزاناته الاربع فى الطيور والحيوانات ذوات الثدى وعلى راسها الانسان ـ حيوانات دافئة الدم فاخرى باردة	٧٥/١	١٩٤	٥٠
التنفس فى الانسان والحيوان مظهر من مظاهر الوحدة فى الخلق رائع ـ التنفس بالرئات والخياشيم وكذلك عبر الجلود ـ الانسان يتنفس برئتيه ـ هواء الرئتين يتجدد ـ الرئات والخياشيم اساس التنفس فى الفقاريات عامة ـ والجلد جهاز للتنفس بسيط ، اول ـ وفى الحشرات	٧٥/٢	١٩٥	٣٦
نفايات الاجسام الحية واشهرها البول واشهر الاجهزة البولية الكليتان ـ والطعام الذى ياكله الانسان له نفايا ـ نفايا من السكريات والنشا وما اليها ـ نفايا من البروتين والبروتينات ـ اجهزة التخلص من نفايا الاجسام فى الحيوانات اللافقارية الاميبة ـ الاسفنج ـ دودة الارض ـ الجندب ـ اجهزة التخلص من نفايا الاجسام فى الحيوانات الفقارية	٧٥/٤	١٩٧	٣٨
اجسام الناس مثل المدن التى يعيشون فيها بها اجهزة للحكم والادارة كاحسن ما يكون الضبط والتدبير ـ الجهاز العصبى فى الانسان وفى سائر الحيوان ـ الجهاز العصبى السطحى ـ الفعل المنعكس ـ الجهاز العصبى الذاتى او التلقائى ـ الاجهزة العصبية فيما دون الانسان من حيوان ـ الاميبة ـ الحيوانات متعددة الخلايا ـ الدود المفرطح ـ الحيوانات الرخوية ـ الحيوانات الفقارية ـ وحدة مع تطور	٧٥/٦	١٩٩	٣٦
الهرمونات تحكم الاجسام وتضبطها وتناسق بين عمليات الحياة التى تجرى فيها على اصولها المرسومة وفى اوقاتها المعلومة ـ الجهاز العصبى منسقا ـ الجهاز الهرمونى منسقا ـ الجهازان سبيلهما مختلفان ـ الغدد الصماء ـ الهرمونات ـ الغدد الصماء والهرمونات فى سائر الحيوانات	٧٥/٧	٢٠٠	٢٨

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
اقدم استعمار اوروبي في افريقيا ـ الجفاف ينقل موريتانيا من البداوة الى الحضارة ـ مارجريت تاتشر ونصر جديد للمرأة في عامها الدولي ـ جزاء ستعار •	٧٥/٥	١٩٨	٥٨
تشاد مسرح الانقلاب الاخير جمهورية افريقية مستقلة ـ لا تزال نسبة الامية في الوطن العربي بين ٧٠ و ٧٥ في المائة ـ قلق امريكا من النفوذ الصهيوني ـ المسيحيون في مكة ، في عصر الرسول •	٧٥/٦	١٩٩	٤٥
الطلقاء في الاسلام ـ حرب رمضان البتت عقم الدبابات في وجه الصواريخ ـ كمبوديا وسنوات الحرب الخمس التي انتهت بتحريرها ـ سكة حديد الحجاز •	٧٥/٧	٢٠٠	١٣٨
منظمة حلف شمال الاطلسي الى اين ؟ ـ مهرجان اسلامي كبير ـ ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية ـ قصة سكيم لم تنته بعد	٧٥/٨	٢٠١	١٢٧
خطوط انابيب التابلاين ماذا حل بها ؟ ـ « افني » منطقة مغربية بعد احتلال دام نحو ٤٠ عاما ـ هل من حق الزوجة العاملة ان تقتصد مرتبها كله ـ جمعية ابولو الادبية في مصر •	٧٥/٩	٢٠٢	١٠٨
الحبشة تستعمر ارضا عربية صومالية ـ اكتشاف الفايكنج امريكا اكذوبة يكتشفها العلم ـ زواج منفعة وزواج متعة •	٧٥/١٠	٢٠٣	١١٠
ايمون ديفاليرا محرر ايرلندا وزعيم ثورتها ـ هارولد ولسن ذو نزعة ديكتاتورية في نظر وزرائه ـ بورتوريكو هل هي امريكية ؟ ـ ... ... ابن حزم	٧٥/١١	٢٠٤	١٢٠
٣٥٠ مليون دولار ، الايرادات السنوية للدول العربية النفطية ، معدل الزيادة في الدخل يصل الى ٣٢٣٪ ـ سميراميس ملكة اشور ـ نظام الشرطة ومتى ظهر في التاريخ ـ مورس مبتكر شفرة التلغراف ، هو نفسه مخترع التلغراف في امريكا •	٧٥/١٢	٢٠٥	١٠٤

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
الكفايات العربية البعيدة اليوم عن بلادها لماذا لا تعود اليها	د • هاشم اسماعيل ظاهر	٧٥/١	١٩٤	٤٢
نحن علماء العرب وخبراؤها لماذا تركنا البلاد العربية	عبد الرزاق ابو الشيخ	٧٥/٢	١٩٥	٤١
القضية العربية في الشعر الكويتي	عبد الرزاق البصير	٧٥/٢	١٩٥	٦٠
خط بارليف : شاهد عيان يصف ما رآه وسمعه	د • احمد شوقي الفنجرى	٧٥/٣	١٩٦	١٠٠
الشرطة نظام في الادارة والحضارة عربي اصيل	ابراهيم محمد الفحام	٧٥/٤	١٩٧	١٢٠
تعريب الجزائر امال قامت وقائمة كم تحقق منها؟	سلامة عبد الرحمن	٧٥/٤	١٩٧	١٤١

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الوجود الاسرائيلي والمستقبل العربي	د . ابراهيم دسوقي اباظة	٧٥/٦	١٩٩	٢٤
الطرق ووسائل النقل في الوطن العربي	د . أحمد خالد علام	٧٥/٧	٢٠٠	٢٠
٤ الاف طبيب مواصل عربي	د . أحمد خالد علام	٧٥/٧	٢٠٠	٢٣
المياه في الوطن العربي وضرورة التخطيط لحسن استعمالها	د . أحمد خالد علام	٧٥/٩	٢٠٢	١٠٣
العروبة ترابط والتقنية تفكيك في العمل ؟ ...	د . السيد ابو النجا	٧٥/١٠	٢٠٣	٢٨

قصص وجرائم

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الاعمى	ترجمة : حسني محمد بدوي	٧٥/١	١٩٤	١٧٧
اغتيال « بول لويس كوربيه » واهدار دمه ...	حسن الجداوي	٧٥/١	١٩٤	١٩٢
هـوان	حسن فتحي خليل	٧٥/٢	١٩٥	١٣٨
لغز السنديانات السبع	حسن الجداوي	٧٥/٣	١٩٦	١٣٢
ام تفرغ للكاتب ما افعم قلبها من احزان ...	ترجمة : سليم الاسيوطي	٧٥/٣	١٩٦	١٤٨
دموع في ليلة الزفاف	سعد حامد	٧٥/٤	١٩٧	١٣٢
لا بد من الهدم بعد بناء	ترجمة : د . عيسى المصو	٧٥/٤	١٩٧	١٤٨
جريمة الاوتستراد	حسن الجداوي	٧٥/٥	١٩٨	١١٤
عروس سيد العرب	محمد الزيات	٧٥/٥	١٩٨	١٣٦
المعجزة	محمود منسي	٧٥/٦	١٩٩	١٣٢
اليونورا	ترجمة : رمزي يسي	٧٥/٦	١٩٩	١٤٨
من سخرية الاقدار	لطفي ملحس	٧٥/٧	٢٠٠	١٢٧
التقرير السري	غبريال وهبه	٧٥/٧	٢٠٠	١٤٦
انا وهي على مائدة الفداء	ترجمة : جمال الكناني	٧٥/٨	٢٠١	١٢٤
الزعيمـة	سمير عطا	٧٥/٨	٢٠١	١٣٢
زهرة الخريف	حسين القباني	٧٥/٩	٢٠٢	١٣٢
طريد المفرزة	غبريال وهبه	٧٥/٩	٢٠٢	١٤٤
كفارة الشرف	ترجمة: سليم طه التكريتي	٧٥/١٠	٢٠٣	١٣٢
زوجتي انجبت طفلة	محمود احمد ابو الرب	٧٥/١٠	٢٠٣	١٤٨
الجنين والمطفأة	سمير وهبي	٧٥/١١	٢٠٤	١٣٠
اعتراف اب قسيس لماذا ترهب	ترجمة: حسني محمد بدوي	٧٥/١١	٢٠٤	١٤٦
الهدية	حسين القباني	٧٥/١٢	٢٠٥	١٣٠
غسق	ترجمة : د . عيسى المصو	٧٥/١٢	٢٠٥	١٤٦

ركن الأسرة والمرأة

بقلم سنير نصيف

الموضوع	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
بنكهرست اول امراة ارتفع صوتها مدافعا عن حقوق المراة •	٧٥/١	١٩٤	١١٠
فلورنس نايتنجيل ، حاملة الشعلة •	٧٥/٢	١٩٥	١٠٢
رسالة الى امى •	٧٥/٣	١٩٦	٦١
حياة بلا مبالاة ، حياة لا روح فيها •	٧٥/٤	١٩٧	٥٨
بعد خمسين عاما من زواجهما •	٧٥/٥	١٩٨	٦٢
عاش لها فى حياتها وعاش مع ذكراها بعد رحيلها •	٧٥/٦	١٩٩	١٠٨
كان ثريا فاشقاها ثم عاد اليها فقيرا فاسعدها وشفاها •	٧٥/٧	٢٠٠	٦٠
على طريق الوحدة والالم عادت الشمس تشرق بعد ليل طال •	٧٥/٨	٢٠١	٦٨
الحياة لا تهدى اهداء : انها عمل وكفاح وثمار يجنيها الزوجان بالجهد والعرق	٧٥/٩	٢٠٢	٦٤
وفـاء •	٧٥/١٠	٢٠٣	٦٢
مع الزوجين فى منتصف العمر ، هل هى حقا نهاية المطاف ؟ •	٧٥/١١	٢٠٤	٦٢
الحياة عندما تقسو علينا ، ترى كيف ننعم بشمسها من بعد ظلام	٧٥/١٢	٢٠٥	٦٢

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
كيسنجر ومنافع ممارسة القوة تاليف لانداو ...	بقلم : محمد طنطاوى	٧٥/١	١٩٤	١٨٤
تحرير المراة لقاسم امين	محمد خليفة التونسى	٧٥/٢	١٩٥	١٢٦
صدمة المستقبل ، تاليف الفين توفلر	د • محمود السمرا	٧٥/٣	١٩٦	١٢٠
القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى	د • محمد على الفرا	٧٥/٤	١٩٧	١٠٢
الدراسات العربية ـ تحرير ر • ب • سرجنت ، ر • ك • بيدول	بقلم : محمد طنطاوى	٧٥/٥	١٩٨	١٢٢
عرب معاصرون تاليف الدكتور مجيد خدورى ...	د • محمود السمرا	٧٥/٦	١٩٩	١٢٠

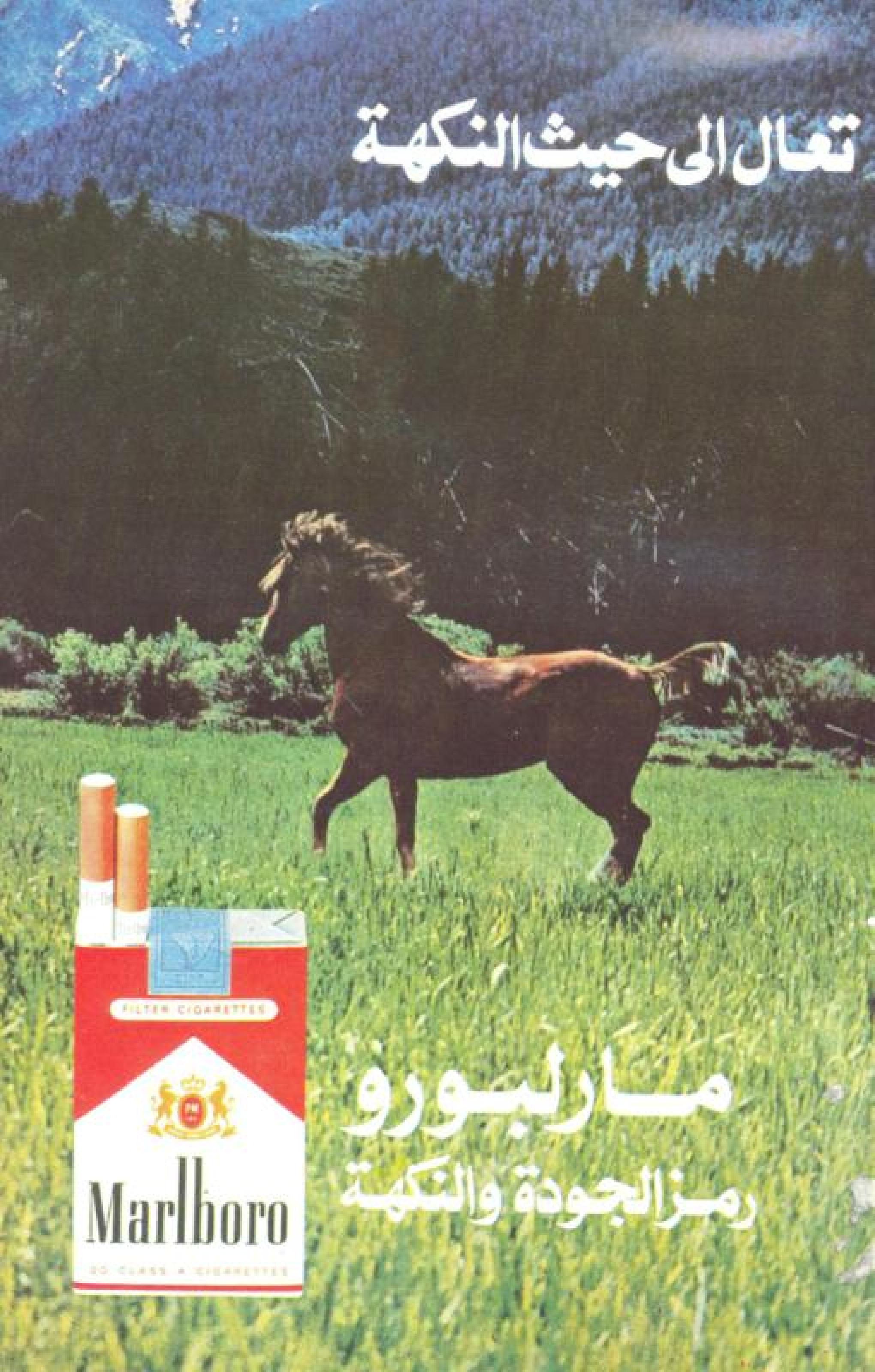
الفنون واللوحات الفنية

نذكر فيما يلي الابواب التي أغفلها هذا الفهرس العام ، لتعذر فهرستها ، ونذكر الى جانبها اسماء محرريها :

طرائف عربية ... ... صادق يلي أحمد
بريد القراء ... ... عبد الحفيظ يونس
طرائف غربية ... ... منير نصيف
المسابقات ... ... سليم زبال

يضاف الى ذلك العربي الصغير وهو من اعداد يوسف زعبلاوى .


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت:
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣


تعال الى حيث النكهة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
مارلبورو
رمز الجودة والنكهة


أثناء العمل أو أثناء اللهو" سانيو"
كاسيت تغمر أيامكم بالسعادة
M 2470NMW
راديو ، مسجل كاسيت ديلوكس
مع ذاكرة التشغيل الآلي
TRC 2000
المفكرة الالكترونية
جهاز املاء / وتسجيل المذكرات للمكاتب
SANYO
سانيو

العربي

العدد ٢٠٧
صفر ١٣٩٦ هـ
فبراير (شباط) ١٩٧٦





لوحة
لها قصة

● كان فنانا كبيرا ،ولكنه لم يكن يرسم للفن ،وانما كان يرسم ليعيش.. فقد كان يعول اسرة كبيرة .. انه الرسام الهولندى الشهير جان فيرمير Jan Vermeer (١٦٣٢ ـ١٦٧٥) .. وقد عاش فيرمير ومات فقيرا ، حتى ان زوجته اضطرت ان تفترق عن لوحتين من لوحاته الرائعة اللتين قدمتهما لبائع الخبز سدادا للديون التى تراكمت عليهما لم يكتشفوا فنه الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. وهذه احدى لوحاته النادرة ، وقد اسماها « سيدان وامرأة »نام احدهما او كاد على المائدة ، غير عابىء بما يدور حوله ، اما الثانى ، فقد انشغل بتحية السيدة واطراء محاسنها .

عزيزي القارئ



هذا الشهر ، تمر خمسة عشر عاما على استقلال دولة الكويت •

وكل تجربة عربية ناجحة ، يكون نجاحها لحساب الأمة العربية كلها • لان الأمة العربية ، وان كانت تربطها كل وشائج القومية الواحدة والتراث الواحد والمستقبل الواحد ، الا انها اختلفت عبر القرون باختلاف البيئة ، والموضع الجغرافي، والتعرض لاحتلال الأجنبي،وتوفر مصادر الثروة• وبالتالي فلم يكن هناك بد من ان تختلف اقطارها في درجة التقدم ، وسبل التطور ، على الأقل الى ان تعود ظروفها الىدرجة اكبر من التشابه والتماسك •

وفي هذه الفترة القصيرة استطاعت الاسرة الكويتية الصغيرة ان تصبح دولة حديثة في مجالات كثيرة ، ليس في مجرد شق الطرق والبنايات الحديثة والسيارات • ولكن نظام الحكم البرلماني في المنطقة التي تقع فيها الكويت تجربة ناجحة • والصحافة المتنوعة الحرة تجربة ناجحة • والخدمات التعليمية والطبية وغيرها التي تقدم للمواطن ، وغير ذلك كثير •

واكبر دليل على نجاح تجربة الكويت ، عدد المنظمات العربية والدولية التي اتخذت الكويت مقرا لها • والنخبة من أبناء العالم العربي كله التي تعيش وتعمل فيها • والوجود الايجابي للكويت في كل قضية عربية قومية

ولقد يقول قائل أن الفضل في هذا كله يرجع الى ما وفرهلها البترول من مال وامكانيات • ولكن ، ليس هذا كل شيء • فالمال كما قالوا قديما خادم جيد وسيد سيىء •وبالتالي فكما ان المال الوفير يمكن ان يكون عنصرا مساعدا فانه يمكن ان يكون مفسدة • كذلك فان المال كما انه ميزة للدولة ، فانه من جهة أخرى يعرضها للمطامع من الأقوياء ، خصوصا اذا كانت دولة صغيرة •

ولكن دولة الكويت اجتازت هذا كله واستطاعت ان تجد التوازن الدولي والعربي والداخلي ، الذي جعلها واحةتقدم وتطور ورخاء ،فيعالم مضطرب•

المحــــرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 207 FEBRUARY 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● ان البحث عن الاصول العريقة الجذور للفن الجزائرى ، يسوقنا الى التوقف عند مصدرين أساسيين : الفن التقليدى ذو الأصل الاسلامى ، والفن الشعبى الحى • ولوحة الغلاف للفنان الجزائرى « راسم » الذى يعد من أشهر الرسامين العرب المعاصرين ،وهى تمثل فارسا عربيا أصيلا يمتطى صهوة جواده•

(انظر المقال ص ٦٦)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص • ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى • وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص•ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب •



بريد القراء
ومعرض آرائهم

نداء الى المسلمين

● هذا النداء اوجهه من كينيا الى المسلمين باعتباري مسلما عربيا ، اقوم بالتدريس فى بعض المدارس الاسلامية هناك ٠٠ وقد صادفنا النجاح فى عملنا ، الا ان هذا النجاح لم يكن كاملا بسبب بعض العوائق المالية التى تقف حجر عثرة فى سبيل تقدمنا فى اداء رسالتنا ٠

وتوجد هنا فى كينيا مؤسسات اسلامية كثيرة ،وكلها تشكو من العائق المادى دون ان تجد لها حلا ،رغم ان المملكة العربية السعودية تقوم مشكورة بارسال بعض المنح للاساتذة المتطوعين الذين يقومون بتدريس الدين الاسلامى فى القرى ،كراتب شهرى ، الا انها طريقة غير مجدية من حيث التوزيع ، فبعض هذه المنح لايصل الا بعد ستة اشهر ٠

لذا ، رأيت من واجبي ان اوجه هذا النداء الى المسلمين والهيئات الاسلامية فى كل مكان ، لمساعدة اخوانهم المسلمين فى افريقيا الشرقية لمكافحة الامية المتفشية هناك ٠٠ ولم اجد منبرا يحمل عبء هذا النداء الا مجلة « العربى » ٠٠

احمد محمد عمر العمودى
مدرسة الهدى الاسلامية
لامو / كينيا

أحسنوا اختيار القصص المترجم

● لاحظت ان معظم القصص المترجم الذى ينشره « العربى » على صفحاته ليس جديدا ٠٠ بل سبق ان نشر فى مجلات اخرى ٠٠ وهذا لايليق بمجلة ك « العربى » رائدة المجلات العربية التى لا تنشر سوى كل جديد لم يطرق من قبل ٠

والذى ارجوه هو دقة اختيار القصص المترجم ما امكن ، ونشر قصص من الآداب العالمية باقلام عربية بلغت سن الرشد ، ولم يسبق نشرها من قبل ، سواء القديم او الحديث ٠٠ ولا شك انكم ستجدون الآلاف المؤلفة من هذا القصص القديم الذى لم يترجم بعد ٠٠

د ٠ ابراهيم ابو النيل ـ القاهرة

شعر للعقاد لا لأبى تمام

● فى صفحة « عزيزى القارئ » من العدد ٢٠٥ ورد سهوا شطر بيت من الشعر ـ هو « جد كجد الحياة المر ، لالعب » ـ منسوبا الى شاعرنا ابى تمام ، ونحن نأسف لهذا السهو ، والصواب انه للاستاذ عباس محمود العقاد ، من قصيدة يحيى فيها الزعيم المصرى سعد زغلول ، عند عودته من منفاه فى جزيرة « سيشل » و « جبل طارق » ، وكان الانجليز قد نفوا الزعيم بعد الثورة المصرية عليهم سنة ١٩١٩ ٠ وكان نفيه سنة ١٩٢١ ٠



المركز الاسلامى في واشنطن

● كنت منذ مدة وجيزة في زيارة لامريكا ٠٠ وشاء حسن طالعى ان أزور المركز الاسلامى فى واشنطن ، فأحسست عند زيارته بأثر مجلة « العربى » كوسيلة اعلامية متقدمة فى وجه الاعلام الصهيونى الذى يسمم افكار الشعب الأمريكي٠٠

فالدعاية الصهيونية تنشر سمومها هناك لتشويه الوجه الحضارى الاصيل للامة العربية٠٠ ولا اغالى اذا قلت انهذه الدعاية تشبه الاخطبوط الهائل الذى يفرض على اجهزة اعلامنا العربية ان تتنبه لاحتوائه قبل ان يفلت الزمام ٠٠ فالشعب الأمريكي متعطش الى المعرفة بالشعوب الاخرى وخاصة الشعب العربى ٠

وقد تألمت عندما علمت ان اعداد « العربى » التى تصل الى هذا المركز قليلة جدا ٠٠ والذى ارجوه منكم ومن كل العرب قادة وشعوبا ، ان يمدوا هذا المركز الاسلامى بما لديهم من نشرات وكتيبات ومجلات ، وعلى راس هذه كلها مجلة « العربى » ٠٠ اذ ان الشعب الامريكى لا يؤمن بالكلام المجرد ٠٠ فلابد من ان نضع بين يدى ابنائه الحقائق مدعمة بالصور والوثائق والارقام٠

محمد النسور
الاذاعة الاردنية / عمان / الاردن

صحافة الكويت ولدت فى الغربة

● الاستطلاع الذى نشره « العربى » فى عدد اكتوبر / ١٩٧٥ عن صحافة الكويت أوفى على الغاية التى ينشدها القارىء٠٠الا ان لنا ملاحظةنود تدوينها ، فقد أوردتم فى الصفحة ٥٤ جدولا بالصحف والمجلات التى تصدر فى الكويت ،واغفلتم ذكر « مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية » التى صدر عددها الرابع فى شهر اكتوبر من هذا العام ٠

لذا اقتضى التنويه ،

محمد عبد الرحمن البسام
دولة الكويت

أفسحو مجالا للثقافة القانونية

● ارجو ان يتسع صدركم لاقتراح يقترحه احد قرائكم ٠٠ الا وهو افساح المجال لنشرمقالات تنمى ثقافتنا القانونية ٠٠ فعلم القانون علم مهم فى عصرنا الحاضر ٠٠ ويجب الا يقتصر فهمه على دارسى القانون فحسب ٠

خالد المزيني
كلية الحقوق والشريعة / جامعة الكويت

العربى » ٠٠ وقضية فلسطين

● المأمول ان تنال القضية الفلسطينية مناهتمام مجلة « العربى » الشىء الكثير ٠٠ ونحن لاننكر انكم تنشرون احيانا مقتطفاتتعالج بعض جوانب القضية ٠٠ وما نطلبه هو المزيد من الموضوعات التى تبرز الحق العربى ،والتركيز على الخطوات التى تخطوها القضية فى المحافل الدولية ٠٠ ومشاركة الاقلام العربيةالمخلصة فىمعالجة الجوانبالعديدة منهذه القضية٠٠ التى هى ـ بحق ـ قضية العرب الاولى ٠

كما نأمل ايضا ان تبرزوا قدسية العمل الفدائىاكراما لأرواح الشهداء الذين سقطوا دفاعا عن العروبة ٠

ان الذى يحدونى لمثل هذا القول هو ايمانى بانمجلة «العربى» هىالصوت العربى الذى وصل ابناء العروبة بعد تفرق ، فعرفهم ببلادهم رغم بعدالشقة ٠

سمير خالد / دمشق

بقلم : أحمد بهاء الدين

لُغةُ الكلام وَلُغةُ العمل

ولماذا لا يَهْتَمُّ العربُ الا بالعلاقاتِ السياسية بين الحُكَّام فقط ؟

■ كلنا سمعنا عن مشروع شق قناة تحت بحر المانش ، لتربط الجزر البريطانية لاول مرة بالقارة الاوروبية • وهو مشروع كفيل باحداث انقلاب هائل في حياة الاثنين • وكلنا سمعنا عن مشروع انتاج طائرة الكونكورد ، اول طائرة نقل مدني اسرع من الصوت ، وقد تم انتاجها بمساهمة من المال والخبرة الفرنسية والانجليزية معا • وقد تم هذا عندما كان ديجول يحكم فرنسا ، ويخالف انجلترا ، ويعارض دخولها السوق الاوروبية المشتركة • وكلنا نعرف ان نهر الدانوب في اوربا يمر بحوالي ست دول اوروبية ، وان كل المشروعات الخاصة به كطريق للملاحة تتم بالاتفاق بينها ، ولم نسمع مرة عن خلاف في هذا الشأن ، رغم انه يمر بدول شيوعية ودول رأسمالية ودول محايدة كالنمسا •

وهذه الايام، اعلن عن مشروع جديد هام ، سوف يبدا تنفيذه هذه السنة ، لشق قناة بحرية تربط انهار فرنسا المفتوحة على البحر الابيض بنهر الراين - المانيا وبلجيكا وهولندا - المفتوح على بحر الشمال، وبذلك يخلق طريق ملاحي جديد من البحر الابيض الى بحر الشمال مباشرة دون الالتفاف حول اسبانيا من جبل طارق ••

•• اكثر من ذلك اننا نرى مشروعات ضخمة جديدة ، مثل مد أنابيب تنقل الغاز بين دول بينها توترات مثل ايران وروسيا ، ومشروع آخر لخط انابيب ينقل البترول الروسى الى غرب اوربا، رغم ان كلا منهما فى معسكر ••

لماذا اسوق هذه الامثلة التى يوجد الكثير غيرها ؟ وما هى العبرة المطلوبة من هذا السرد ؟ ••

•• اريد ان أقول ان هذه الدول التى سبقتنا فى مضمار النضوج السياسى والاقتصادى والفكرى ، أدركت ان الخلافات السياسية لا يجوز ان تحول دون وجود مصالح مشتركة ، اذا كانت تعود اقتصاديا بالنفع على شعوبها • فالحكام يروحون ويجيئون • والسياسات تتغير وتتبدل • ولكن مصالح الشعوب باقية ومستمرة وهى الاساس فى كل سياسة • ومشروعات التعمير الكبرى التى تغير الجغرافيا نفسها احيانا هى التى غيرت وجه الحياة على مر الزمن •

•• فاذا جئنا الى بلادنا العربية ، لا نجد شيئا من هذا •• وانما نجد منطقا عكسيا تماما •

والبلاد العربية تقول انها تمثل امة واحدة • وان طريقها الطويل الى الوحدة هو سبيلها الوحيد الى التقدم • وان التكامل العربى فى كل المجالات الممكنة هو الذى يضاعف ثروة العرب وقوتهم وتاثيرهم على العالم •

ومع ذلك فالحكام والحكومات يسلكون مسلكا آخر تماما •

فاذا اختلف حاكم مع آخر، او حكومة مع اخرى على قضية سياسية ما، سرعان ما ينعكس هذا فورا على القليل النادر من هذا النوع من الروابط العضوية • اما ان تغلق الحدود • واما ان تقفل المكاتب التجارية او المعارض الصناعية لدى الدولتين المختلفتين • واما ان توضع القيود على حركة المواطنين • واما ان يوقف تنفيذ الاتفاقات التجارية •

وتعود الاوصال القليلة الى التقطع • وتعود الدورة الدموية – فيما نزعم انه جسد واحد – الى التوقف • ولاتشعر المشروعات المشتركة بالامان • وقد تطمئن دولة عربية فى تخطيطها الى دول غير عربية اكثر من اطمئنانها الى دول عربية، لان الاولى غير معرضة للهزات بينما الثانية معرضة دائما للهزات ، واحيانا للامزجة •

•• ودعك بعد ذلك من ان الجانب الايجابى ، وهو المشروعات المشتركة وخطط التكامل ، كلها مشروعات على الورق ، او عناوين فى الصحف ، تمر السنين دون ان ترى النور فى قليل اوكثير •

ان اجهزة التخطيط فى اسرائيل ، قامت بعد حرب ١٩٦٧ باعداد كتاب شهير عن المنطقة سنة ٢٠٠٠ على اساس ان اسرائيل صارت مفتوحة تماما على العالم العربى • ونترك جانبا هذا الجانب السياسى • ولكن المهم انهم حين طرحوا على انفسهم هذا السؤال ، نظروا للمنطقة نظرة واحدة شاملة ، ودرسوا اين يكون المال وأين توجد الثروة الطبيعية ، واين توجد الثروة البشرية واين توجد الاسواق •• الخ • وتصوروا منطقة تتخصص اقطارها فيما يناسبها وفيما يتكامل مع غيرها •

وقد ردت مؤسسة الدراسات الفلسطينية بوضع كتاب مقابل تعرض

لنفس الموضوع عن دور اسرائيل. ولكن المرء يشك فى ان المسئولين العرب قد اطلعوا مجرد اطلاع على هذه الدراسة.. دعك من محاولة الدعوة لها والعمل من اجلها .

ونحن نقول ان بلادنا العربية فيها كل شيء . الغامات . المعادن . المياه . الاراضي الصالحة للزراعة . المناطق الصالحة للسياحة . الايدى العاملة والسوق المستهلكة . الشواطىء التى تطل على عدة بحار ومحيطات . ولكن ما قيمة هذا كله اذا كان مبعثرا ؟ ..

ان احد اسرار قوة امريكا من جهة وروسيا من جهة اخرى ، ان كل دولة منهما تتميز بوجود كل هذه المقومات جميعا داخل حدودها . بعكس الدول القوية التى هبطت للدرجة الثانية ، اذا كان لديها شيء وليس لديها اشياء.. فانجلترا لديها الفحم والصناعة ، ولكن ليس لديها الزراعة . واليابان لديها الخبرة واليد العاملة ولكن ليس لديها لا فحم ولا حديد ولا بترول . والمانيا فيها الحديد ولكن ليس فيها بترول اومواد اخرى كثيرة .. وهكذا ..

وهذا الشرط غير متوفر الآن بعد روسيا وامريكا الا فى العالم العربى. وهو حقا ليس دولة واحدة ، ولكن هاهي دول اكثر تباعدا كدول اوروبا تعوض نقصها بالتكامل رغم الخلافات وتغير الحكومات واختلاف النظم .

والعرب لا يتحركون فى هذا الاتجاه.

موضوع قديم ؟ .. ولكنه الى ان يبدا فى التحقيق فهو جديد !

والامر يحتاج فوق الامكانيات الى خيال . خيال مبنى على العلم والتنبؤ الصحيح والتجرد من الهوى ..والارتفاع عن الاقليمية ..

ويحتاج قبل ذلك الى ان نعرف ان هذا حق الشعوب . وحق المستقبل العربى فى عالم يتحرك بسرعة مذهلة.

ويحتاج على الاقل الى ان لا تكون هذه الامور صريعة الخلافات السياسية ..واحيانا تغير الامزجة .. والوسيلة؟

ان يوجد رأى عام عربى قوى يضغط فى هذا الاتجاه، ويرفض كل تصرف سواه!

★ ★ ★

توفيق زيــــاد

مدينة الناصرة الفلسطينية العربية العريقة ، والمقترنة بذكرى السيد المسيح ، والتى تركز اسرائيل جهودها منذ احتلتها سنة ١٩٤٨ على تهويدها. المدينة الوحيدة فى اسرائيل التى لم يزرها دافيد بن غوريون ، وقال بعض مؤرخيه انه كان يتجنبها حتى اذا كانت فى طريقه من مكان الى مكان .. لانها تحمل هذا التاريخ المسيحى ، ولانها استعصت طويلا على التهويد .

مدينة الناصرة ، أجريت فيها انتخابات المجلس البلدى الشهر الماضى، ففاز برئاسة المجلس عربى فلسطينى ،هو الشاعر المعروف توفيق زياد .

واهتزت اسرائيل للنبأ ...

وبينما هى تواجه من الخارج ضغوطا ضخمة عليها ، وتواجه بين

يهودها خلافات عنيفة حادة ، اذا بهاتتلقى هذه الطعنة الجديدة ٠

ذلك ان هذه اول مرة يفوز فيهاعربى فلسطيني برئاسة بلدية مدينة كبيرة في قلب اسرائيل ٠ صحيح أنهعضو منتخب في الكنيست (البرلمان) الاسرائيلي ٠ وصحيح انه مرشحالحزبالشيوعي ٠ ولكن الكل يعرف أن العرب في اسرائيل بوجه عام ، الذين منهم فيالحزب الشيوعي ، انما هم فيه أساسا لأنه الاطار « الشرعي » الوحيد الذييسمح لهم بنوع مختلف من النضال ، وهو النضال بأسلحة القوانين والنظمالاسرائيلية ذاتها ٠ فضلا عن أن توفيق زياد ترجع شهرته الأوسع الى شعرهالذى يمجد المقاومة ، ويناضل عن الهوية العربية للفلسطيني حيثما كان ،ويهاجم الدولة الصهيونية الى أقصى حدود المستطاع ٠

وقد حدث في مناسبات سابقة أناعترض البعض على هذا النوع من النضال ، لأنه يدور في اطار الشرعيةالاسرائيلية ٠٠٠

ولكننا حين ننظر الى الأمور نظرةأرحب ، نجد أن النضال خصوصا في القضايا التي تستغرق أجيالا ، لهأشكالكثيرة من البندقية الى الكلمة ٠ ومن الحرب الى الدبلوماسية ٠ ومن الخارجومن الداخل ٠ والا ، فهل كان الأمر يكون أصعب على اسرائيل ، لو استسلمالعرب الفلسطينيون فيها لقدرهم ، وللظلم الواقع عليهم ، ولمعاملتهمكمواطنين منالدرجة العاشرة، فالتزموا الصمت وتقبلوا تقهقر أوضاعهم وتآكلحياتهم وهويتهم بالتدريج ؟

قطعا ، لا ٠

ومن يقاوم هذا من الداخل خير منالصامت العاجز ٠٠٠

ولا يجوز لنا نحن في بلادنا العربيةأن نحاسب الذين بقوا أو أبقتهم الظروف ، بمعاييرنا ٠

★ ★ ★

٢٤ فبراير

سوف يكون يوم ٢٤ من هذا الشهر يوما هاما ، على مستوى السياسة الدولية ٠ ففي هذا اليوم سوف يقع حادثان هامان ، أحدهما في الاتحاد السوفييتي ٠ وثانيهما في الولايات المتحدةالامريكية ٠ومايقعفي الدولتينالأكبر ،يهمالعالم كلهويؤثرفيهبغير شك٠

في موسكو ، سوف ينعقد في هذااليوم المؤتمر الخامس والعشرونللحزب الشيوعي هناك٠ وسوف يلقىبريجينيففي هذا اليوم تقريره عن السياسة العامة لروسيا بوصفه السكرتير الأولللحزب ، وبالتالي الرجل الأول في السلطة هناك ٠ وسبب ترقب العالملهذا اليومهو كثرةالاشاعات ـ ومعظمها صحيح ـ عن أن بريجينيف يعاني منمرض خطير ، فوق انه يقترب من سن السبعين ، وبالتالي فهناك من يتوقعونأن يتخلى بريجينيف في هذه المناسبة عن منصبه ، ويتقاعد ٠ ولأن اسم بريجينيف ارتبط بسياسة الوفاق مع الولايات المتحدة فالتساؤلات كثيرة عن مستقبل هذه السياسة من بعده ، اذا

بريجينيف



فورد



حدث وتقاعد فعلا ٠ وهل يكون من يأتي بعده أكثر تساهلا أم أكثر تشددا مع الطرف الآخر فى هذه السياسة ٠

وفي أمريكا تجرى فى نفس اليوم أول انتخابات تمهيدية ـ فرعية ـ على طريقة سلسلة الانتخابات الفرعية التى تسبق عندهم انتخابات الرئاسة ٠ ففى هذا اليوم سيختار أعضاء الحزب الجمهورى لاول مرة بين جيرالد فورد الرئيس الحالي وبين منافسه رونالد ريجان للفوز بترشيح الحزب الجمهورى لاحدهما فى انتخابات الرئاسة ٠

وحتى الآن تقول الاستقصاءات الأمريكية ان الكفة بين الاثنين متعادلة ٠ واذا حدث وخسر فورد هذه المعركة الأولى أو فاز فيها فوزا ضعيفا ، فهذا لا يسد بالضرورة الطريق أمامه فى المعارك التالية ، ولكنه قطعا سيؤثر فى فرصة نجاحه بالرئاسة من جديد تأثيرا حادا ، كما أنه بالتأكيد سوف يضعف سلطته ويقيد حريته خلال المدة الباقية له فى الرئاسة ، وهى عشرة شهور ٠

ومرة أخرى يتساءل الناس أى زعيم سيكون رئيس أمريكا فى الأربع سنوات التالية ، وما أثر خروج فورد ـ اذا خرج ـ وبالتالى خروج كيسنجر معه على الاستراتيجية السياسية العامة لأمريكا ٠

طبعا سياسات الدول ـ خصوصا كلما كبر وزنها ـ لا تتأثر فقط بشخص الحاكم ٠ فهناك المواقف المستمرة وهناك الظروف الواقعية التى تحكم علاقة أى طرف ٠ فسياسة الوفاق مثلا لن تتخلى عنها روسيا بسرعة وهى فى حاجة الى القمح الأمريكى بكميات ضخمة لعدة سنوات مقبلة ٠ كذلك لن تتخلى عنها أمريكا بسرعة وهى تحتاج الى تهدئة الموقف الدولى وتثبيته وعدم اتاحة فرصة واسعة للصراع والتغيير فيه ٠ ولكن مع ذلك ، فهناك فى كل من الدولتين المتشددون والمتساهلون أو الصقور والحمائم كما يقول التعبير الذى شاع ٠ فقد خرج شلسنجر وزير حربية أمريكا مثلا من منصبه لأنه من أنصار التشدد وزيادة انتاج السلاح لمواجهة روسيا فى « معركة الوفاق » اذا جاز التعبير ، وبقى كيسنجر الذى يخالفه فى الرأى ويرى أن أمريكا يجب أن تقدم تنازلات ٠ كذلك ففى روسيا خرج « شيليبين » عضو المكتب السياسى ، أعلى سلطة فى روسيا ، لأنه من المتشددين ، والذى يرجح الكفة عادة هو الرئيس ٠

خصوصا ، وان سياسة الوفاق تمر بمحنة جديدة طارئة فوق ما سبقها من محن ٠ فى انجولا ٠ فهناك تتدخل روسيا وحليفتها كوبا مباشرة لمناصرة فريق ، وتتدخل أمريكا عن طريق حكومة جنوب افريقيا لمناصرة الفريق الآخر ٠ والحرب الأهلية الدائرة تهدد بمواجهة مسلحة أكبر وأكبر كل يوم ٠

لقد جاء استقلال انجولا مفاجئا للطرفين عقب الانقلاب غير المتوقع فى البرتغال ٠ ولعله لذلك لم يكن فى حسابات الوفاق ٠ وانجولا ذات موقع أفريقى مهم ٠ فهى ممتدة فى قلب القارة ٠ وفيها ثروات طبيعية كثيرة ٠ وأهم من ذلك انها تطل على المحيط الاطلنطى ، فلو قام فيها نظام متحالف مع روسيا فسوف يعطيها هذا أول قاعدة بحرية روسية على المحيط الاطلنطى ٠٠ فى مواجهة نصف الكرة الغربى ، وهو ما تحاول أمريكا منعه ٠

الاعـــلانــات

من المعروف أن في داخل الصحف دائما صراع بين التحرير والاعلانات • فالتحرير يرى في كل مساحة يأخذها الاعلان عدوانا على حقه في ملء الصفحات بالانباء والتعليقات ، وقسم الاعلانات يرى أنه يزود الجريدةبايراديساعدها على تحسين خدماتها ، وأن الاعلانات صارت « أخبارا » يهم الناسمعرفتها •••

الكاتب السياسي الامريكي المعروف« جيمس رستون » ، رئيس تحرير جريدة النيويورك تايمز سابقا ،والكاتب فيها الآن ، وجد أن للاعلانات في عالم اليوم مهمة أخرى •••

لقد نظر الى ما تنشره الصحفيوميافوجده حافلا بالهموم والغموم • حروب اهلية هنا وهناك • ومجاعات •وأحاديث مستمرة عن تطور أسلحة الفتك والدمار من ذريةوهيدروجينية•وارتفاع أسعار مستمر • وتزايد في أرقام البطالة مخيف • وتضاعفميزانيات التسليح ، حتى الأدباء والشعراء ، انتشرت بينهم موجاتالتشاؤم • وصار المبشرون بنهاية الحضارة أكثر منالمبشرين بمستقبلها•ولم نعد نجد قصة مشرقة بحب ناجح ولكننا نجد مئات القصص عن الجنسوالجريمة والجوانب السوداوية من الحياة !

هنا ـ يقول جيمس رستون ـ نجد أن المتفائلين الوحيدين في الصحافة والاعلام صاروا هم المعلنين !! فالايمانبالله ينحسر في قلوبكثيرةولكنأصحاب شركة سيارات بويك يقدمونها فياعلاناتهم تحت شعار شيء تؤمن به ! • واذا ضاقت بك الحياة وجدت اعلاناآخر يرسم السيارة الجميلة تحت عنوان كبير « تجعل العالم الصعب يبدو لكجميلا » !

هل فقدت الثقة في الحياة « شركةتكساكو (للبترول) تعمل لتوفر لك الثقة ! »

شركات التأمين تقول لك « نحننضمن لك المستقبل ! »
شركات الطيران تقول لك « نحننقلك الى الجنة الموعودة في جزر كذا »
« اذا عرفتنا ، احببتنا » تقول مجلةتايم
« من اجل تقدم الانسان » تقولجنرال الكتريك
« نحن نضع لك اجنحة » تقولايستر ـ للطيران ••
« مطعمك فوق السحاب ! » تقولبان امريكان للطيران !

دعاية ؟ تجارة ؟ لا يهم !

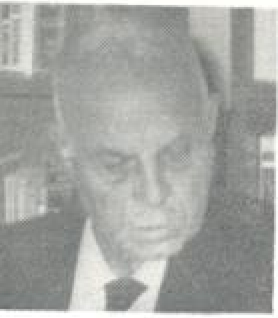
المهم اننا في وسط انباء الكوارثوصور القتلى والحروب والضحايا ، نجد عناوين وصورا تبعث على التفاؤلوتتحدث عن الجانب المشرق من الحياة ، حتى ولو كان غير صحيح !

انه « قرص مهدىء » للاعصاب معكل جريدة !

انه أهم للانسان ـ عصبيا ـ منالاخبار والتعليقات !! ■■

احمد بهاء الدين

انها أمنية ، وما اكثر ما كان يتمني للعرب والعروبة ٠٠ انها احدى امنيات الدكتور احمد زكي ٠٠ ولكن احدا لا يعرف متي واين سجلها بقلمه ٠٠ لقد عثرنا عليها مع ما عثرنا من اوراق امتلات بها أدراج مكتبه ٠٠ اننا ننشرها اليوم كما كتبها استاذنا الراحل ٠



د ٠ احمد زكي

أمنية

تمنيت ، وما أكثر ما تمنيت ، أن يكون سكان هذا البلد الكريم عشرين مليونا ، ان تكون ثروته مئات البلايين ، وان يكون لكل احد يعيش فوق هذه الارض ، وتحت هذه السماء، نصيب من هذه الثروة واحد، على اختلاف لون ، واختلاف دين ، حتى واختلاف لسان ٠

وسوف تظن انه يحفزني الىهذا التمنى حب المساواة ، وبقية من عدالة في الصدر وحب للانسان ، وسوف تصدق ظنا ٠ ومع هذا يفوتك الحافز الاول في هذا التمنى : ذلك ربط كل ساكن فوق هذه الارض بها، وبما تنبت ، وبالخيرات جميعا في كل مصنع وبكل سوق ٠

انه لا يربطك بأرضك ، وبحب بلدك ، وبالسهر عليه ، وبالدفع عنه ، كأن يكون لك فيه نصيب ٠ وان تساوت الانصبة كان هذا كل المنى ٠

لو تساوى الناس ما تساووا

ولكنها ، على الاسف الشديد ، لو تحققت يوما ، فقسمنا ما قسمنا، وساوينا ما ساوينا ، وكان هذا عشاء ما طلع الصباح الا وذهبت مساواة ، واختلفت أقسام ٠

ذلك لاختلاف مقادير الناس في حفظ ثروة، على التساوى، والاحتفاظ بأنصبة ٠ فمن الناس المقتصد ، ومنهم المبذر ٠ ومن الناس العادل ، ومنهم الجائر ٠ ومن الناس القادر، جسما وعقلا وقلبا،ومنهم العاجز ٠ ومن الناس العامل ، ومن الناس المجتهد النشيط ، ومن الناس الكسول المتواكل ٠ ومن الناس من يزيد الخير ويربيه ، ومن الناس من يحرقه ويفنيه ٠

المساواة المطلقة اذا ، لو بدأناها ، ما دامت ٠

وحقوق النــاس الظاهرة فى المساواة المطلقــة ، سوف يعارضها حقــوق اخرى ليست أقل ظهورا ، تلك حقوق العمل ، والقدرة على العمل ، والذكاء فى العمل ، والعرق الصبيب الذى يتصبب من جبهة ، ومن ابط ، عند العمل ·

وهذا امر لا خلاف فيه وان اختلفت المذاهب ·

ربط المواطن بوطنه

ومع هذا يبقى ربط المواطن بوطنه ، وبخيرات بلده، زراعة او صناعة او تجارة، هدفا يستهدفه المواطنون لصالح الاوطان ·

ان شر الاوطان ما يقول فيه المواطـن « لا ناقة لى فيه ولا جمل » ·

من اجل هذا احمد كل الحمد ما كان ويكون عند انشاء صناعة او تأسيس بنك، ان يترك الجانب الاكبر من اسهمه، لا أقول لصغار الناس ، فالناس لا تصغر وتكبر بصغر ما عندهم من مال وكبره ، ولكن اقول لاكبر عدد من الناس · وعندى أن أثبت المؤسسات هى التى يحملها من الاكتاف الف والف والف · كل يحس بأنها له · وانهــا تمده بشريان حياة · فيرعاهــا ، ويستيقظ لها ، ويسهر على خيرها ·

وعلى هــذا الاسلوب أود ، ويود آلاف معى، ان تقوم صناعات، وان تقوم متاجر·

ثم وداد آخر : ان ييسر لعمــال تلك المؤسسات ، من صناعية وزراعية وتجارية ومالية ، ان يساهموا فى تمويلها ليكون لهم نصيب فيها ، فيحس كل عامل فيهــا بأنه عــامل وصاحب عمل معا · فتقــل الخلافات التقليدية بين العمال وأصحــاب الاعمال · ولن يضرب العامل عند ذاك خشية ان يتعطل ماله · ويتحفز للعمــل رجاء زيادة الغلة ، فهى غلة ماله · ويسود السلام ، وما أهنأ الحياة على سلام ·

وفى هذا للوطن ثبات اى ثبات ·

وتجربة اذكرها لرجل ثرى اشتراكى · كان صاحب مصنع كبير · ولم يكن له ولد يرثه · فرأى ، وما اوفق ما رأى ، ان يوزع هذا المصنــع بين عماله · وجعله اسهمــا ، وفرق هذه الاسهم بين هــؤلاء العمــال · واختلفت الانصبــة باختــلاف كفايات الرجال · واحتبس لنفسه نصيبا يوفر له رفاهة فى ما بقى من حياته من سنوات · وكان فردا · وما أقل ما يحتاج الفرد ، حتى والهدف رفاهة حياة ··

ونجحت التجربة ·

زاد انتاج المصنع على سنوات قليلة حتى صار ضعفا ·

واشتبك عمــال آخرون ، فى مصانــع اخرى ، فى خصومات تتصل بأجر العمل وساعات العمل ، وبقى عمال هذا المصنع لا يضربون ، ولا يختصمون ·

وساعات العمل لم ينقصوها، بل زادوها كلما برقت للمصنع بارقة من سوق جديدة تتطلب انتاجا زائدا ·

وعرف العمال ، وكانوا مثقفين ، فليس منهم من لم يواصــل التعليم الى عامه الخامس عشر ، عرفوا ان الديماجوجية لا تنفع فى تيسير الاعمال ، وان الصناعة فن،وتدبير المال حنكة ،وكذا تدبير الاسواق، فعهدوا بكل ذلك الى اهل ثقة فيهم وفى غيرهم ·

وصارت حياة العامل من اجل ذلك عملا راضيا ، وسلاما شاملا ·

ومات الرجل الخيِّر ، فمشى وراء نعشه الف والف من العيون الباكية ·· وكم من صاحب مال يموت فلا تذرف من ورائــه دموع كثيرة ·

عربي في لندن

بقلم : فؤاد جبور حداد

■ لم يكن يعلم يوما ما انه سيصل الى هذه الحالة التي هو فيها الان مع انه خصب الخيال ، ويعيش في عالم المثل العليا اكثر من عيشه في عالم الحقيقة • ولكن الحقيقة في بعض الاحيان تكون اغرب من الخيال • وحالته الآن واحدة من هذه «الاحيان» الخاصة • ها هو بعد زواج دام سنتين فقط يقف على عتبة الشارع ينادي على تاكسي ليأخذه الى محكمة الطلاق وبعد ساعة او ساعتين سيكون قد انتهى من فصل مهم من كتاب حياته ، فصل لم يكن يريد كتابته بالطريقة التي كتبه بها ولكن متى كان الانسان يكتب تاريخ حياته ويقرره ! فهذا مايبدو له انه قادر عليهفي عهود الشباب الاولى عندما يكون ممتلئا باهميته ومعتزا بقدرته وعنفوانه ، ولكن ما ان تسير سفينة حياته في بحر الحياة المتلاطم حتى يعرف يقينا انه «تجري الرياح بما لاتشتهي السفن» •

ويجلس في التاكسي بعد ان يوجه السائق في مسيره ويقبع في زاوية المجلس الخلفي منطويا على نفسه وافكاره وتاملاته ، يكاد ان يسمع صوت امه تتضرع اليه (لاتتزوج من اجنبية يابني ، من طين بلادك حط على خدادك) ويسمع اصوات اهله تقول (من يتزوج من غير ملته يموت في علتـه) وتذكر سامي كيف كان يرد على هذه الامثال التي هي نتاج تجارب المجتمع عبر الازمنة الطويلة بقوله (تغيرت الحياة في هذه الايام تغيرا جذريا ، نحن الشباب طليعة هذا الجيل نريد ان نوجد عالما جديدا صالحا لامكان فيه للعصبيات القبليـة والحزازات العرقية) •

واحس سامي عند ذاك بسذاجة قوله هذا ، تلك السذاجـة التي كانت توحي اليـه ان الرصيد الانساني عند الناس اقوى من الرصيد القومي او الديني ، لعله كان يعبر عن نفسه فقط وليس عن نفوس الآخرين • وتذكر سـعاد صـديقة طفولته واخذ وجهها تتكامل ملامحه في ذاكرته من ضباب الماضي وقال لنفسه « ليته تزوجها » ، كل الاهل والاصحاب كانوا يقولون ان سامي يصلح لسعاد وسعاد تصلح لسامي • ما كان اجمل الجلوس اليها والحديث معها ، كان بينهما تفاهم عميق على كل شيء حتى على تحدي المجتمعومقاومة ارادته •

وابتسم سامي ابتسامة ساخرة عندما خطر على



باله كيف أن الشباب اليوم يتحدون المجتمع باطالة شعور رؤوسهم ولحاهم وارتداء الملابس السخيفة وقال في نفسه : هؤلاء اطفال بالنسبة لنا ، اما نحن فكنا نتحدى المجتمع باعمق افكارنا واحلامنا وبتوجيه مسيرة حياتنا توجيها اساسيا مخالفا للتوجيه التقليدي • كان يطيب لسعاد ان تتفق معه على كل افكاره ، وعض على شفتيه عندما تذكر انه هو صاحب الفكرة التي بدت له انذاك جريئة مغامرة ، لقد قال لها يوما (لو تزوجنا يا سعاد فستكون حياتنا رضية هانئة ولكنها ستكون ايضا ذات نمط عادي ومن وتيرة واحدة مثل حياة والدينا ومن سبقهما ، فيها رتابة المألوف وملل التكرار وترجيع الماضي ، فما رأيك في أن نقتحم آفاقا جديدة وأن يحاول كل منا اكتشاف عالم جديد ، أن يكون عندنا حب الاستطلاع كمن يريد أن يصل الى كوكب آخر) •

وتذكر سامي كيف نظرت اليه سعاد بعينيها الحنونتين الدافئتين وقالت : (أخاف أن يسير كل منا في طريق فلا نلتقي) •

وهذا بالضبط ما حدث فقد تزوج هو من أجنبية وتزوجت هي من أجنبي وسار كل في طريقه فلم يلتقيا •

واخذ سامي وهو جالس في التاكسي يحاول تقييم هذه التجربة التي سيسدل الستار اليوم على آخر منظر فيها ، لاشك انها كانت فاشلة فنتيجتها تفصح عنها ، ولكن التجارب الفاشلة كثيرا ما تكون تعليمية ومفيدة ويطرق رأسه عندما يستنتج أن كل ما تعلمه من هذه الخبرة الاليمة في حياته هو صدق كلام والدته وصدق الامثال التي كان يرددها الناس انذاك • اما الثمن الذي دفعه لهذا الدرس العادي البسيط فقد كان باهظا جدا ذلك هو سعادته مع سعاد وسعادة سعاد معه ، فالخسارة كبيرة والربح ضئيل والتجارة لذلك يمكن اعتبارها صفقة خاسرة •

ويقف التاكسي ويخرجه السائق من تأملاته الافلاطونية عندما يعلن له أنه وصل محكمة الطلاق، فينزل سامي ويسير الى بهو المحكمة ويجلس مع الجالسين الذين ينتظرون دورهم لنفس القصد الذي هو في شأنه • ويأخذ يهدىء روع نفسه فيقول : (لست وحيدا في حالتي التي انا فيها ، كل هؤلاء يشاركونني ما انا فيه هذا وهذا وهذه وهذه)

وعندما قال (هذه) الاخيرة حدق بعينيه وبلع ريقه وهز رأسه غير مصدق لما يراه فقد رأى سعاد بين الجالسين ، وعندما تيقن انه غير واهم ذهب وجلس بجانبها وقال : (القدر يهزأ بنا يا سعاد)

فنظرت اليه سعاد وكأنها معه على ميعاد وقالت: (بل يهزأ بتجاربنا)

ونظر في عينيها الحنونتين فرأى فيهما انها عانت من نفس ما عاناه هو • ومرت الشكليات القضائية وخرج كلاهما من المحكمة فذهبا الى أقرب مطعم لتناول طعام الغداء ، وعندما استقر في مكان مريح قالت سعاد :

ـ ما هي التجربة الجديدة التي تنوي القيام بها الآن يا سامي •

ـ اريد ان اتزوجك •

ـ ولكن ستكون حياتنا رتيبة مملة مثل حياة من سبقنا دون تغيير او تبديل ، وفيها ـ اذا سمحت لي باقتباس كلامك ـ رتابة المألوف وملل التكرار وترجيع الماضي •

ـ نعم ولكنها ستكون رضية سعيدة •

ـ هل تعبت من الحياة الى هذا الحد •

ـ في الحياة الرضية مجال واسع للتجارب يا سعاد ، تستطيع ان تكتشف مثلا آفاق السعادة ومقوماتها لقد تعلمت من تجربتي الاخيرة ان الانسان يحتاج الى ركيزة قوية في الحياة تكون محورا ثابتا ينطلق منه ويبنى عليه ، وعندئذ فقط يستطيع أن يتعلم ويفهم ويدرك ويختبر •

ـ لو عاد الزمان القهقرى واعطاك مجال الاختيار من جديد فماذا كنت تختار ؟ المضي بالزواج من اجنبية ام زواجنا التقليدي •

ـ لعلها العناية الالهية او رضى الوالدين هو الذي عاد فجمعنا من جديد • اختار ان لا ابتعد عنك فلا شك ان الذكي هو الذي يتعلم من تجاربه ، ولكن الاذكى منه هو الذي يتعلم من تجارب الآخرين •

لندن ـ **فؤاد جبور حداد**

مركز الدراسات العربية

مؤسسة جديدة
عقدت أول اجتماع لها فى يناير بالكويت

اجتمع عدد من الشخصيات العربية من كل الأقطار العربية وأصدروا بيانا بتأسيس مركز جديد ، غير تابع لأى جهة حكومية ، للدراسات العربية ، بقصد احياء قضية الوحدة العربية بطريقة علمية مدروسة ومحايدة ٠

وقد انعقد هذا الاجتماع التأسيسى لهذا المركز يوم ١٠ يناير الماضى فى الكويت ٠

وهذا هو نص بيان الهيئة التأسيسية:

كان للنكسات التى لحقت بقضية الوحدة العربية اثر عميق على التقبل الفكرى والعملى لهذه القضية القومية ، وعلى مقدار الاهتمام بها ٠ فبعد ان كانت قضية الوحدة تحتل المكان الاول فى اهتمام الرأى العام والمركز الرئيسى فى نشاط المثقفين العرب ، اصبحت بعد تلك النكسات ـ خاصة بعد فشل الوحدة المصرية السورية والمشاريع الوحدوية التى تلتها ـ فى مكان ثانوى يدل عليه فيما يدل كمية ونوعية الانتاج الفكرى الذى يدور حول هذه القضية المصيرية ٠

ان الصراع الذى تخوضه الامة العربية ضد الاستعمار الصهيونى الاسرائيلى والامبريالية ، بما يمثلانه من تحد خطير لمصير الامة العربية على الاصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية ، يتطلب اهتماما عميقا وجادا بتحقيق خطوات وحدوية عملية ٠ والى جانب هذا الحافز السلبى فى طبيعته هنالك حوافز ايجابية تنطلق من مزايا الوحدة وقيمتها الذاتية ، اهمها توق العرب الى الحضور الفعال فى مجالات التطور العلمى والتكنولوجى واستعجال الزمن فى عملية التنمية الاقتصادية الاجتماعية والتطوير الافضل للطاقات والقوى العربية الهائلة من بشرية ومادية ـ وبالتالى بلوغ تحقيق افضل لانسانية الانسان العربى ٠

ان هذا التوق الذى يتململ فى ضمير الوطن العربى ، فى عالم يشهد التطور السريع والمذهل فى قدرات البلدان الصناعية وانجازاتها فى مختلف

الحقول ، الى جانب الرغبة العميقة فى مجابهة التحدى الصهيونى والامبريالى ، يطرح بالحاح وجوب التوجه الى الوحدة العربية المتكاملة عبر السبل الثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، بخطوات عملية ثابتة مدروسة،كحل جذرى للمسائل والمشاكل التى خلقتها ظروف التجزئة والتخلف ٠

ولكن الى جانب الايمان العميق بما تختزنه الوحدة من جدوى وفائدة وقيمة ذاتية ، ومن تلبية للتوق العربى للتقدم والمنعة والكرامة ، لا بد من القول ان قضية الوحدة ليست مسالة بسيطة ٠ ففيها من عوامل الجذب والدفع ، ومن الاعتبارات الايجابية والسلبية ، مايوجب ان يوجه اليها جهد فكرى كبير ومتصل ، من أجل توضيح الفكرة على نطاق واسع ومن اجل ايصال ندائها بقوة الى الجماهير العربية الواسعة الى الاوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها ٠

ولتحقيق كل ذلك اجتمع عدد من المواطنين العرب ، الموقعين ادناه ، من اقطار عربية متعددة واتفقوا على تاسيس « مركز الدراسات العربية » والذى سيكون مركزه حاليا فى بيروت ، ليتخصص فى هذا النوع من العمل الثقافى والفكرى المتجه رئيسيا نحو مسائل الوحدة العربية ، آملين ان تتسع حلقة المساهمة فيه لتشمل اكبر عدد ممكن من المواطنين العرب من ذوى الكفايات والاهتمام المؤمنين بجدوى هذا العمل الثقافى والمستعدين لتحمل مسؤوليات الاشتراك فى نشاطه ٠

ومن الجلى ان هذا الجهد العلمى والثقافى سيعنى ، فيما يعنى ايلاء الواقع العربى ما يستحقه من الاهتمام كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة ، وسيعنى بالتالى دراسة القضايا النفسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ذات العلاقة وتحليل اوجه العلاقة وحجمها ونوعها وكيفية تاثيرها وستكون مقاربة كل ما يخضع للدرس مقاربة علمية لا عاطفية ، علمية لا طوباوية تجنيبا لفكرة الوحدة لاية نكسات او منزلقات جديدة وتمتينا لقواعدها ٠

وبالتحديد ، فان « مركز الدراسات العربية » سيعتمد الاسس والقواعد التالية فى عمله :

١ ـ ان وسيلة المركز فى تنمية الوعى الوحدوى هى اعداد دراسات وبحوث ، او القيام بترجمة بحوث ، تحلل الواقع العربى فى شتى مظاهره وجوانبه خاصة النواحى الاقليمية والعراقيل الحقيقية والتصورية التى تعترض سبيل الوحدة العربية ، واستجلاء وسائل توحيد اجزاء الوطن العربى وصيغها فى مختلف الحقول ٠

٢ ـ ويعمل المركز على تهيئة المعلومات والبيانات الاحصائية والوثائق ومصادر البحث عن مختلف شؤون المجتمع العربى باعتباره كيانا واحدا ، والقيام باعدادها وتهيئتها بحيث تكون صالحة لمختلف اغراض البحث العلمى فى الوحدة بما فى ذلك تكوين مكتبة وافية لهذا الغرض ٠

٣ ـ ان توحيد الوطن العربى ليس عملية متعددة الجوانب فحسب ، بل متعددة المراحل كذلك ٠ وليس التوحيد السياسى سوى الشكل الاكثر اكتمالا للوحدة ٠ لهذا ستتجه عناية المركز الى تناول كافة الجوانب والصيغ وتحليلها بغية استكشاف

الاولويات والمراحل الممكنة في مقاربة الوحدة ، من منطلق ضرورة قيام الوحدة على أسس وقواعد منيعة لا تتعرض لخطر الانهيار امام التجارب والازمات ـ وبالتالي قيامها متدرجة وبالصيغ الاكثر ضمانة لسلامة استمرارها .

٤ ـ انالتجارب الوحدوية المعاصرة خارج الوطن العربي ذات فائدة ودلالة في دراسات المقارنة وتستوجب الدرس والتمعن من أجل تعميق فكرة الوحدة وجعل عملية التوحيد اكثر عقلانية وامتن أسسا .

٥ ـ ان غايات المركز واهدافه تتطلب ان يعمد الى مخاطبة جميع فئات المجتمع العربي بمختلف شرائح الاعمار والاختصاصات بالشكل والاسلوب المناسبين ، وباستخدام افضل وسائل الاتصال الثقافي الممكنة .

٦ ـ سيحاول المركز ان تمتد المشاركة بنشاطه الى جميع الاقطار العربيـة من خلال قيام اكبر عدد ممكن مـن المثقفين العرب الاخصائيين فـي مختلف الحقـول بمجهودات فكرية ضمن نطـاق مهمته .

٧ ـ ومن الضروري الاشارة بتاكيد جازم ان هذا العمل لا يهدف اطلاقا الى تكوين تجمع سياسى او حزب اوجبهة سياسية ، وانما هو يهدف فحسب الى اعادة الزخم الى التيـار الفكرى الوحدوى املا في ان تترجم الجماهير والمؤسسات والقوى العربية هذا التيار الى حقيقة ملموسة .

٨ ـ ان المساهمـة في عمل المركـز لاتشترط شروطا مسبقة من حيث هوية المثقف ولاتتطلب الا ان يكون مؤمنا بالوحدة العربية ، بغض النظر عن المعتقدات والنظريات التى يؤمن بها .

لذا فان المثقفين العرب من مختلف الاتجاهات والآراء والاختصاصات مدعوون للمساهمة ، فمجال العمل يتسع لمختلف الاجتهادات ويتحمل وجود اكثر من رأى في كيفية تحقيق الوحدة وبذلك سيكون المركز مفتوحا للحوار العلمي العقلاني .

٩ ـ ان ابحـاث المركز ونشاطاته لا تتنـاول الاوضاع السياسية القائمة في الوطن العربي ، كما انالمركز لا يتخذ ايةمواقف سياسية مباشرة ولا يساهم فيالنشاط السياسي ولا يدخل في الصراعات والخلافات السياسية . ولا يرتبط بأية حكومـة ولا يتبنى اى نظام ولا يدخل في محاور او تحالفات او جبهات .

١٠ ـ ان المركز سيعتمد في تمويل نشاطاته وفعالياته على التبرعات والمساعدات المادية التى يمكن ان يحصل عليها من الحكومات والمؤسسات والاشخاص فيالوطن العربى التى تبدى الرغبة فى تقديم تلك المساعدة بدون فرض شروط وقيود على عمل المركز واهدافه وخطه الثقافي .

ان مركز الدراسات العربية يباشر عمله وكله امل في ان يواكبه تعاون جميع المؤمنين بالوحدة العربية وعطفهم ومساندتهم ، لكي ينطلق تيار الوحدة بالمزيد من الزخم على الطريق العلمي والعقلاني السليم صوب هدفه الثابت .

احمد السويدى (ابو ظبي) ، احمد بهاء الدين (مصر) ، الاخضر الابراهيمي (الجزائر) الدكتور سعدون حمادى (العراق) ، اديب الجادر (العراق)، الدكتور انطوان زحلان (فلسطين) ، برهان الدجاني (فلسطين) ، الدكتور بشير الداعوق (لبنان) ، جاسم القطامي (الكويت) ، الدكتور جمال احمد (السودان)، جوزيف مغيزل (لبنان) ، الدكتـور طاهر كنعان (فلسطين) ، الدكتـور خير الدين حسيب (العراق) الدكتور سهيل ادريس (لبنان) ، شفيق ارشيدات (الاردن) ، الدكتور طاهر كنعان (فلسطين) ، الدكتور عبد العزيز الاهواني (مصر) ، (عبد القادر غوقه (ليبيا) ، عبد اللطيف الحمد (الكويت) ، عبد الله الطريقى (السعودية)، الدكتور عبدالله عبد الدائم (سوريا)،عبد المحسن قطان (فلسطين)، محمد الميلى (الجزائر) ، الدكتور على فخرو (البحرين) ، مانع العتيبة (ابوظبى) ،الدكتور محمد سعيد العطار (اليمن) ، منصو الكيخيا (ليبيا) ناجى علوش (فلسطين) ، الدكتور نديم البيطار (لبنان) ، هانى الهندى (سوريا) ، الدكتور هشام نشابة (لبنان) ، وليد الخالدى (فلسطين) ، الدكتور يوسف صائغ (فلسطين).

سيطرت الكويت على نفطها كله

ثم ماذا ؟

■ منذ حركة مصدق النفطية في ايران عام ١٩٥٢ م ، ومرورا بتاميم قناة السويس عام ١٩٥٦ م ، ثم ما اعقب هاتين الحركتين من عمليات تاميم نفطي في كثير من دول العالم النفطية ، مثل نيجيريا والعراق وفنزويلا وغيرها ٠٠ وآخرها السيطرة الكويتية على الثروة النفطية سيطرة كاملة ٠

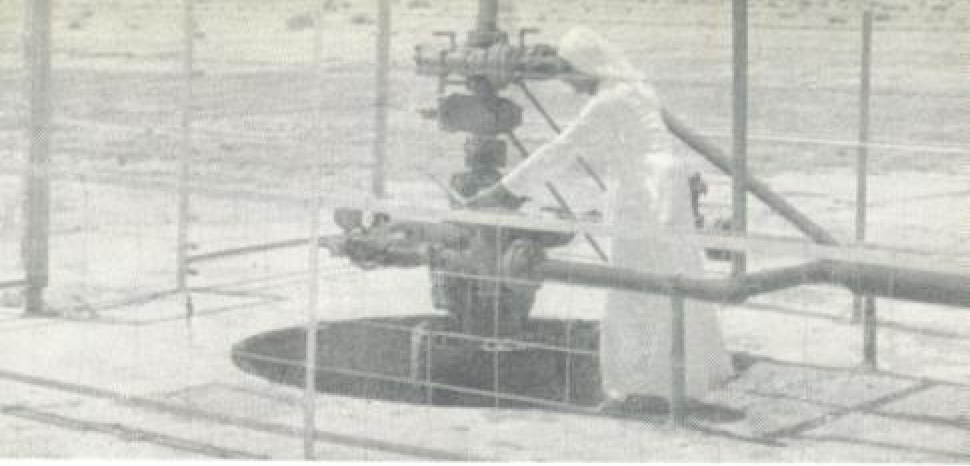
منذ ذلك كله ، اصبحت الشركات الاجنبية تضع اكثر من علامة استفهام امام مستقبل وجودها في دول النفط وبالتالي احتكارها لثروات شعوبها بشكل او باخر ٠ وخشيت هذه الشركات ولا تزال تخشى انتفاضة هذه الدول ، والمطالبة بتحررها الاقتصادي ، والتحكم بثرواتها على الشكل الذي يضمن لها مزيدا من الرفاهية والانتعاش الاقتصادي والحضاري ، ثم ضمان استمرار تدفق هذه الثروة، وباطول فترة من فترات حياتها ، مع الحفاظ على الاسعار الموحدة بين كافة الدول المنتجة ٠ وجاءت هذه الانتفاضة في دول ، وهي قادمة في دول اخرى بلا ريب ٠

وحينما رفعت الكويت المشاركة النفطية مع الشركات الى ٢٥٪ عام ١٩٧٣م و٦٠٪ في مارس ١٩٧٤م ، كانت تفكر جديا في السيطرة التامة ، لكنها في الوقت ذاته كانت تفضل سياسة «التدرج» لياتي كل شيء في موعده ، وبالوقت المناسب ، وجاءت السيطرة النفطية في اوائل ديسمبر الماضي (١٩٧٥) على كافة الثروات والمنشات التابعة لشركتي « بريتش بتروليوم » و « جالف »نظير٥ر٥٠ مليون دولار تدفعها الحكومة الكويتية تعويضا للشركتين ٠

هذه الخطوة نبعت من شعور وايمان الكويت



في ديسمبر الماضي وقع الاتفاق التاريخي بين الكويت وشركات النفط الاجنبية ٠



•• وسيطرت الكويت على ثروتها النفطية •

بضرورة الاشراف الكلي والتصرف في اهم عنصر من عناصر الاقتصاد الكويتي الحديث ، وتوفير المزيد من الاستمرار لبقاء تدفق هذه الثروة ، ولاطول مدة ـ حتى يأخذ كل جيل حقه من الثروة••

والدور الذي قامت به الحكومة ـ بتوجيه من امير البلاد ، وولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، خلال المراحل الطويلة والصعبة من المفاوضات مع الشركات ـ هو دور كان يتسم بالروح الكويتية الطيبة ، وبرحابة صدر ونفس طويل ، سعيا وراء الوصول الى الغاية المنشودة التي بدأ تحرك الكويت من اجلها •• ووصلت اليها بعد رحلة مفاوضات شاقة وعسيرة مع الشركات •

ولا جدال ان كفاح الكويت الاقتصادي بعد تحقيق السيطرة على نفطها سيكون اكبر واشق من الكفاح الذي خاضته خلال المفاوضات •

صحيح ـ اولا ـ ان الشركات التزمت بموجب الاتفاق بأن تحصل على ٩٥٠ الف برميل يوميا من النفط الكويتي لتسويقه على امتداد الخمس السنوات القادمة •

وصحيح ـ ثانيا ـ ان الكويت سوف يزيد دخلها السنوي ٧٥٠ مليون دولار بعد هذه الاتفاقية •

وصحيح ـ ثالثا ـ ان الشركتين تعهدتا بموجب الاتفاق على مساندة الكويت بخدماتهما التقنية والبشرية •

صحيح كل هذا واكثر ، لكن السؤال المطروح كيف سيكون التصرف في ثرواتنا مستقبلا ؟؟

وكيف يمكن ان تحدد الطريق الذي يمكن ان نضمن به نجاح الادارة الكويتية النفطية في عمليات الاستخراج النفطي والتسويق وغيره •

وفرص النجاح للوصول الى هذا الطريق تتطلب جهدا شاقا ، وتخطيطا تشارك فيه كل الاطراف ذات العلاقة بميدان النفط • والنجاح ينحصر في اكثر من نقطة منها ••

توفير اليد الكويتية المتخصصة :

وهي ذات دور كبير في مرحلة ما بعد السيطرة، فاليد الوطنية هي وحدها التي تستطيع ان تصنع التاريخ النفطي لبلادها ، وهي وحدها ايضا القادرة على معرفة كمية وكيفية الاستهلاك النفطي• واعداد اليد الوطنية يتطلب وقتا طويلا ، تسعى في تحقيقه الآن جامعة الكويت بافتتاحها « قسم البترول » في العام الدراسي القادم ، فالايدي التي ستخرجها الجامعة بعد سنوات سيكون وجودها ضروريا من حيث الاستخراج ، وصناعة مشتقات النفط وعمليات التكرير والتسويق ، ولعل تدعيم بعض مكاتب الكويت البترولية في عدد من العواصم الاجنبية بالطاقة البشرية الكويتية دليل على تفهم الكويت ضرورة تسلم ابنائها مسؤولية التسويق في هذه المكاتب ـ ثم ان الايدي الكويتية تحتاج الى رعاية من حيث الاشراف عليها، وتوفير الخبراء الذين يمكنهم ان يفيدوها •

التسويق :

والتسويق ايضا من العناصر الضرورية لنجاح دور الكويت في ادارة ثروتها ، فالعرض اذا لم يكن عليه طلب تبقى الاسواق تشكو الكساد • وعلى الكويت الآن البحث عن اسواق تناسبها من حيث الاسعار ، وكميات الطلب ، ومستوى هذه الاسواق• وقد تكون كثيرة ، لكنها تختلف بين دولة واخرى ،



خزانات البترول .. التي ملكيتها للكويت وحدها.

فهناك دول متقدمة واخرى نامية ، وثالثة متخلفة وفقيرة ، والتباين المعيشي والحضاري بين هذه الدول واضح بدون شك ..

ولعل الحوار النفطي الاخير في فرنسا بين الدول المنتجة والمستهلكة نوع من انواع الطرق الكفيلة بضمان استمرار التدفق النفطي للدول المصدرة، وباسعار توفق بين رغبات كل الاطراف ، ثم لعل زيارة وزير النفط الكويتي في ديسمبر الماضي للهند عامل آخر من عوامل البحث عن اسواق جديدة لتصريف هذه الثروة بعد فترة الخمس السنوات التي تنتهي بها مسؤولية الشركات النفطية من تسويق الكميات المتفق عليها ، ولذلك فان اختيار السوق يجب ان يخضع للمصلحة الكويتية ، وضمان هذه الاسواق لفترة طويلة ، فالنفط الكويتي قد يعاني بعض الصعوبات في حداثة تسويقه نتيجة الكساد الموجود حاليا في العالم ، وتعرضه لضغوط في الاسواق الدولية لزيادة نسبة زيت الوقود فيه ، وكذلك بروز اسواق جديدة قد تعرقل عمليات التسويق ، لكن كل هذه لن تدوم بكل تاكيد .

وعملية تخفيض الانتاج قد تبدو مفيدة ، لكن الامر هنا كما قال وزير النفط الكويتي ، ان التخفيض او الزيادة في الانتاج لا يتم أي منهما لمجرد الرغبة،وانما يخضع لعدة امور متداخل بعضها في بعض ، فالقول بان انتاج الكويت ينبغي ان لا يزيد على مليوني برميل يوميا هو عملية احتساب للاحتياطي المحتمل من النفط ، ولمدة اطول ، حتى تستفيد الاجيال القادمة من هذه الثروة الوطنية، والتخفيض للانتاج قد يواجه صعوبات في المستقبل اذا لم يكن هذا التخفيض مسبوقا بتنسيق بين الدول المنتجة ، حتى لا تجد الشركات اسواقا اخرى يمكن ان تسد عن طريقها ما تعانيه من نقص في النفط الكويتي ، بل قد تكون زيادة الانتاج هدفا اساسيا تسلكه الكويت في المستقبل ، نتيجة مردود الاستثمار الحالي مقارنا بمردوده في المستقبل ، وتوقعات استبدال البترول كطاقة محركة ، واستعمالات الغاز المطلوبة وحدود هذا الاستبدال كما قال وزير النفط الكويتي ..

الغاز ومسألة الاستفادة منه

وهي الخطوة التي سوف تخطوها الكويت في عام ١٩٧٨م ، باستغلال هذا الغاز ، بنسبة ١٠٠٪ . لكن هذا الاستغلال كيف سيكون ؟

ثم كيف يتم اختيار الاسواق التي يمكن ان نسوّق هذه المنتجات فيها ؟

هذا هو المهم .

والصعوبات قد تظهر ، بل قد تكون واردة فعلا ، والمهم كيفية الاستعداد من الآن لمواجهتها .

والادارة الكويتية التي حققت اتفاق السيطرة قادرة على تخطي الصعوبات التي ستواجه استغلال الغاز ، عن طريق التخطيط والاعداد لكل ما سبق ذكره .

هذا هو الطريق الذي يتحقق به مستقبل الكويت النفطي واستغلالها لثرواتها وخيرات اراضيها .

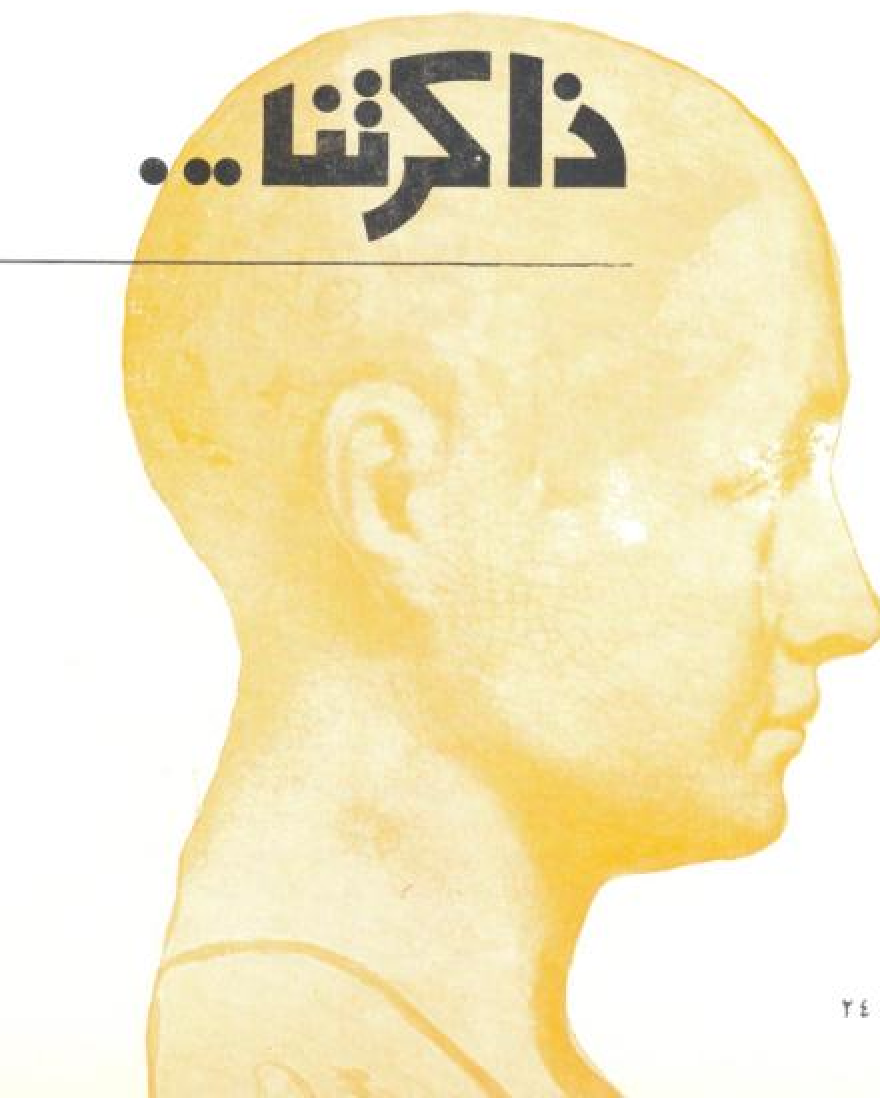
وانها ــ بخاصة ــ لهي الدولة العربية الاولى التي سيطرت على نفطها سيطرة كاملة ■■

ي . ش

كيف تعمل الذاكرة ؟

حتى وقت قريب ، لم تكن لدينا سوى قلة من المعلومات حول طبيعة عمل المخ فى هذا المجال • لم تكن نعلم بالتحديد اى خلايا المخ ، البالغ عددها ١٢ بليون خلية ، تتخصص فى حفظ الذكريات ؟ الى اى مدى يمكننا ان نواصل الاحتفاظ بذكرى معينة ؟ وهل تختفى الذكريات ؟ ولماذا يسهل استدعاء بعض الذكريات اكثر من غيرها ؟

كانت الاجابة على كثير من هذه الاسئلة تعتمد اساسا على الملاحظات الخارجية للسلوك الانسانى، دون التمكن من اجراء تجارب علمية ، يعتمد عليها فى الوصول الى حقائق او نظريات علمية ثابتة • الى ان ظهرت الابحاث التى قام بها دكتور وايلدر بينفيلد ، عالم جراحة الاعصاب بجامعة ماكجيل فى مونتريال • ففى عام ١٩٥١ استطاع بينفيلد ان يقدم من الحقائق المثيرة ،



ما جعله يعتبر احد الرواد المرموقين فى هـذا المجال ، وتمكن من تقديم الاجابات الشافية عن الكثير من التساؤلات التى طرحناها ٠

خلال احدى جراحات المخ ، لمريض مصاب بنوع من الشلل ، استطاع بينفيلد أن يجرى عده تجارب على مخ المريض ، عن طريق لمس اجزاء معينة من مخ المريض بواسطة قطب كهربائى يحمل تيارا ضعيفا ٠ وعلى مدى عدة سنين تراكمت ملاحظاته حول هذه التجارب لتصل به الى فهم عدد من الحقائق حول موضوع التذكر ، بل والى اعادة النظر فى طبيعة التذكر ذاتها ٠

كان بينفيلد فى تجاربه هذه يكتفى بتخدير المريض تخديرا موضعيا ، بحيث يكون فى كامل وعيه اثناء اجراء التجربة ٠ وبحيث يتمكن من التحدث الى الدكتور بينفيلد ، شارحا ما يشعر به، كلما لامس القطب الكهربائى الضعيف موضوعا من القشرة الرمادية بالمخ ٠ وبهذا تحصل العالم الكبير على كثير من الحقائق المثيرة ٠

فى احد هذه التجارب ، قام بينفيلد بلمس نقطة معينة من المخ بالقطب الكهربائى ، فقال

هــذه المكتبة الضخمة الذاخرة

كيف يؤثر الماضى على حاضر حياتنا؟
قصة "الأغنية" التى أثارت حيرة العلماء!

المريض « كان هناك بيانو ٠٠ شخص ما يعزف عليه ٠٠ اننى اسمع الاغنية » ٠ وعندما جدد اثارة نفس النقطة مرة ثانية دون اخطار المريض، قال « شخص ما يتحدث الى شخص آخر » وفى المرة الثالثة صاح المريض « نعم ٠٠ انها اغنية ٠٠ وانا احفظها ٠٠ وهناك من يغنيها » ٠ وعندما تمت اثارة نفس النقطة من المخ للمرة الرابعة، سمع نفس الاغنية ، ووضحت له ارتباطاتها ، فقال مفسرا ، انها كانت اللحن المميز لبرنامج اذاعى خاص ، اعتاد منذ زمن طويل ان يتابعه ٠

وعندما انتقل القطب الكهربائى ، مع نفس المريض الى نقطة اخرى ، قال « اشعر بذكرى قديمة تتضح ٠٠ استطيع ان ارى مصنعا لشركة تعبئة زجاجات المياه الغازية ٠٠ » واجرى بينفيلد تجربة اخرى مع نفس المريض ، قال له انه سيلمس نفس النقطة السابقة بالقطب الكهربائى ، ولكنه فى نفس الوقت ، قطع الاتصال الكهربائى عـن القطب ، وعندما سأل المريض عن رد فعل هذه الملامسة قال « لا اتذكر شيئا ٠٠ »

وفى تجربة مع مريض آخر ، وعند لمس نقطة خاصة من المخ ، قال انه يرى رجلا يسير مع كلبه، فى طريق ريفى ، قريب من البيت الذى كانت تسكنه عائلته منذ زمن طويل ٠ وعند اجراء التجربة مع مريضة اخرى ، وبعد ملامسة اولى لنقطة معينة من المخ ، قالت انها سمعت صوتا

لكنها لم تتبينه بوضوح • وجرى بعد ذلك لمس نفس النقطة ، فسمعت الصوت بشكل واضح ينادي « زوجها » باسم التدليل الذي تطلقه عليه•

نقطة •• لكل ذكرى

من هذه التجارب وغيرها • توصل بينفيلد الى عدد من الحقائق العلمية ذات الاهمية الخاصة • فقد ثبت ان ملامسة نقطة بذاتها في المخ تثير ذكرى خاصة وحيدة ، وليس خليطا من الذكريات المتداخلة •

كما اثبت ان استجابة المريض لا تكون اختيارية فهو لا يستطيع ان يفرض رغبته الخاصة بالتذكر من عدمه • وهو مرغم على ادراك الذكرى الخاصة بالنقطة التي جرى لمسها ، حتى لو لم يكن راغبا في ذلك ، وهو يعي هذه الذكرى كاملة ، بكل ما يرتبط بها • فالاغنية مثلا ، تدخل الى وعيه، في الغالب كما سمعها في مناسبة خاصة وعند التذكر يجد نفسه يعيش موقفا معينا ، وهذا الموقف ، ينمو ويتطور ، بالضبط كما نما وتطور الموقف الاصلي الذي تستدعيه الذاكرة • فيبدو له الامر كما لو كان مشهدا من تمثيلية مألوفة ، يلعب فيها دور المتفرج والممثل في نفس الوقت •

الجديد في هذا الاكتشاف ، ليس فقط كون ذكريات الاحداث القديمة تكون مسجلة بتفاصيلها، بل كون المشاعر التي صاحبت تلك الاحداث تكون مسجلة على نفس الشريط • وهذا يعني اننا عندما نتذكر شيئا ما ، فاننا نمارس نفس المشاعر التي اثارها ذلك الشيء يوما ما •

في هذا يقول الدكتور بينفيلد « الذكريات المثارة ، لا تكون على شكل صورة بصرية او صوتية للحدث القديم،لكنها تكون عملية استرجاع كامل لكل ما رآه المريض ، وسمعه ، واحسه ، وفهمه » •

التعايش والتذكر

على نفس هذه الطريقة ، تتم استعادة الذكريات في حياتنا اليومية ، بمثيرات طبيعية ، تقوم بنفس العمل الذي تقوم به المثيرات الصناعية التي اعتمد عليها الدكتور بينفيلد • وفي كل من الحالتين ، يمكن ان توصف الذكريات المثارة ، بشكل اكثر دقة ، باعتبارها معايشة جديدة اكثر منها استعادة او استدعاء • فالشخص باستجابته للمنبه ، يجد نفسه على التو داخل الحدث القديم•« انا هناك ! » ، وهذا الشعور قد يستمر لمدة جزء من الثانية فقط ، وقد يمتد الى عدة ايام ، بعد هذه الخبرة أيا كان مداها الزمني ، يمكن فقط للشخص ان يتذكر بشكل واع ، انه « كان هناك»•• وعلى هذا يكون التتابع في عملية التذكر الاجبارية هذه على الوجه التالي :

(اولا) المعايشة ، معايشة الحدث مرة ثانية ، وهذه تكون مصحوبة بمشاعر تلقائية اجبارية •

(ثانيا) التذكر ، ويتم هذا عند التفكير الواعي الاختياري في الحدث القديم الذي تمت اثارته •

وفي كثير من الحالات ، نتمكن من معايشة ذكرى قديمة ، دون ان تكون لدينا القدرة على تذكرها •

وفي التقريرين الطبيين التاليين ، تصوير يوضح طبيعة هذه الآليات التي تتميز بها الذاكرة•

قالت سيدة في الاربعين من عمرها لطبيبها النفسي ، انها كانت تسير في احد الشوارع ذات صباح ، عندما مرت بمتجر للآلات الموسيقية ، فاستمعت الى لحن معين يصدر عن ذلك المتجر •• وعلى الفور تملكتها حالة من الحزن والاكتئاب الذي لا يمكن مقاومته •• وشعرت بحالة من الاحباط واليأس الكامل ، بشكل يصعب تفسيره • واكدت للطبيب النفسي ان هذه « الحالة لا يمكن احتمالها » ، لم تجد لديها اي تفسير لها • عند ذلك سألها الطبيب اذا كان هناك ما يرتبط بهذه الاغنية في حياتها الماضية • فافادت انها غير قادرة بتاتا على ايجاد اي رابطة بين هذا النغم ، ومشاعر الحزن •

بعد عدة ايام ، اتصلت السيدة بالطبيب ، قائلة انها تعمدت خلال هذه الايام ، التغني بهذا النغم بصفة مستمرة ، حتى حدث فجأة ، ان التمع

فى ذاكرتها ، مشهد تظهر فيه أمها وهى تعزف نفس ذلك اللحن على البيانو .

وبدراسة تاريخ هذه السيدة ، عرف الطبيب انها كانت فى الخامسة من عمرها ، عندما توفيت الام . وقد تسبب لها فقد الام حينذاك فى حالة من الاكتئاب الشديد . استمرت معها لوقت طويل بعد ذلك،على الرغم من كل جهود العائلة لاخراجها من هذه الحالة ، التى جدت باقامة خالتها معها فى نفس البيت لتحل محل الام ، وعلى امل ان تتحول عواطفها نحو امها بشكل طبيعى الى هذه الخالة . منذ ذلك التاريخ لم تطرأ هذه الاغنية على ذاكرتها ، حتى كان ذلك اليوم الذى مرت فيه بمتجر الآلات الموسيقية .

وعندما سألها الطبيب النفسى بعد ذلك ، اذا كان تذكرها لهذه العلاقة قد خلصها من شعور الاكتئاب الذى تعانى منه . قالت السيدة ان طبيعة مشاعرها قد تغيرت ، فرغم ان شعور الاكتئاب مازال باقيا كلما تذكرت وفاة أمها ، الا ان هذا الشعور لايقاس بحالة اليأس الطاغى ، التى عانتها عندما استمعت الى نغمات الاغنية صادرة من متجر الآلات الموسيقية . انها الآن تتذكر المشاعر التى سيطرت عليها وفاة الام بشكل واع اما فى المرة الاولى ، فقد كانت تعانى نفس المشاعر التىعانتها عندما كانت فى الخامسة من عمرها .

المشاعر المفرحة

وبنفس الاسلوب يتم استدعاء المشاعر الطيبة المفرحة . فكلنا يمارس السعادة التى تتدفق على النفس ، اذا ما شممنا عطرا ما ، او استمعنا الى صوت معين . وفى كثير من الاحيان يتم هذا التداعى بطريقة غاية فى السرعة ، بحيث يفوتنا ان نلحظ هذه المشاعر او نتذكر ارتباطاتها . ومالم نبذل الحد الادنى من الجهد العقلى ،فلن‌نصل الى تذكر الخبرة التى ترتبط بتلك الرائحة ، او بذلك الصوت ، او بهذه الصورة .

وفى‌التقدير الثانى‌روى‌المريض‌لطبيبه‌هذه‌الواقعة. كان يسير فى احد الشوارع الذى يخترق حديقة عامة ، وعندما شم رائحة الجير والكبريت التى تطلى بها سيقان الاشجار لحمايتها من الآفات الزراعية ، غمرته سعادة متدفقة لايعرف لها سببا.

وكان من السهل فى هذه الحالة كشف الحدث الاصلى المتسبب فى هذا الشعور ، باعتبار ان شعوره نحوها‌كان‌طيبا.فقد‌تذكر المريض‌أن هذه‌المادة كان والده يطلى بها شجرة التفاح التى بمنزلهم الريفى القديم قبل ان يحل فصل الربيع ، عندما كان فى طور الطفولة . لقد ارتبطت هذه الرائحة بكل المشاعر المبهجة التى يثيرها حلول الربيع بالنسبة الى طفل صغير ، اخضرار الاشجار، والمباهج التى يستمتع بها الصغار ، بانطلاقهم خارج الدور بعد انقضاء فصل الشتاء الطويل . وكما فى حالة السيدة الاخرى ، يختلف الشعور بالتذكر الواعى للحدث ، عن تفجر المشاعر الاصلية التى ترتبط بذلك الحدث . فالتفكير الواعى لايصل بنا الى نفس المشاعر التلقائية المبهجة العظيمة التى شعرنا بها قديما . الامر يبدو كما لو كنا نحس ببعض المشاعر حول مشاعرنا السابقة .

وهذا يصور استخلاصا آخر من الاستخلاصات التى توصل اليها الدكتور بينفيلد وهو ان : تسجيلات الذاكرة تبقى على حالها من القوة ، حتى بعد أن تغيب قدرة الشخص على تذكرها .

الذاكرة .. وعنصر الزمن

كما اكتشف بينفيلد ان الشخص العادى كلما ابدى انتباها واعيا باى شىء يدخل فى محيطه ، فان ذاكرته تعمل فوريا على تسجيل كل ماتنبه لوجوده .

من هذا ، يمكننا استنتاج ان تسجيل الذكريات يتم على صورة مشاهد متتابعة ، وفى هذا يقول بينفيلد :

« عندما يتصل القطب الكهربائى بمنطقة من مناطق التذكر فى المخ ، قد ينتج عن هذا تذكر صورة ما ، غير ان هذه الصورة لاتكون عادة ثابتة ساكنة ، بل تتغير وتتحرك ، بنفس الطريقة التى تغيرت وتحركت بها عندما تم التسجيل فى المخ . فالشخص يتذكر المشهد ثانية بثانية وتتابع كامل، كما يتذكر الاغنية فى تتابعها كلمة بكلمة ، منذ ان

يرددها المغني ، وحتى ترددها خلفه المجموعة » .

ويستنتج منذلك ان خيطالاستمرارفى الذكريات المثارة ، يتركز فى عنصر « الزمن » . فمجموعة الذكريات يتم تداعيها فى تلاحق زمنى . كما يقول انه توصل من خلال تجاربه ، الى ان مايتم تسجيله من الحدث ، يقتصر على المحسوسات التى تلفت انتباه الشخص عند وقوع الحدث ، وليس سيل المؤثرات الحسية التى تتدفق بصفة مستمرة على الجهاز المركزى العصبى عند الانسان. وعند اثارة تتابع من الذكريات المركبة ، يظهر ان كل من هذه الذكريات له مجراه العصبي الخاص .

والتجارب التى قام بها بينفيلد ، كشفتجانبها من الطريقة التى يؤثر بها الماضى على الحاضر فى حياة كل شخص . فيقول :

« الأوهام والخيالات ، يمكن ايضا ان تستدعيها عند الشخص ، باثارة نقطة معينة من المخ . وعادة ما يتم الحكم على هذا الخليط المضطرب من الاحاسيس المثارة ، قياسا على الخبرة الراهنة للشخص . فيكون بامكانه ان يحكم ويقرر اذا ما كانت الخبرة المستثارة ، مالوفة ام غريبة ، ام انها عبثية لامعنى لها . كما يمكنه ان يحكم بخبرته الراهنة علىمدى مطابقة المسافات والحجوم للواقع . وعما اذا كان الموقف الطارىء مريحا ام مفزعا .

وهذا دليل على ان الخبرات الجديدة ، يجرى على الفور تصنيفها قياسا على الخبرات الشبيهة السابقة ، حتى يمكن الحكم على اوجه الاختلاف او الاتفاق بين الحديث والقديم .

مثال ذلك ما يجرى عندما نبغى استدعاء التفاصيل الدقيقة لملامح زميل قديم بعد مرور فترة طويلة من الزمن على آخر لقاء به ، فنجد صعوبة فى ذلك . ومع هذا ما ان نلتقى به مصادفة ، حتى نتمكن على الفور من ادراك ادق التغيرات التى طرات على شكله خلال ذلك الزمن . ندرك على الفور بشكل كامل ، التجاعيد التى طرات على وجهه ،والتغيير الذى تم فى شكل ولون شعره ، والتحول فى مدى استقامة الكتفين .

كون الذكريات محفوظة بتفاصيلها فى فى مجموعات مصنفة ، كما لو انها كانت مجلدات ضخمة تذخر بها مكتبة كبيرة ... هذه الحقيقة هى اولى الخطوات نحو معرفة دقيقة بفسيولوجية المخ ، وطريقة عمله .

بهذا يتمكن العلم يوما ما من الوصول الى ترجمة علمية - فى شكل معادلات فسيولوجية وليس اصطلاحات سيكلوجية فقط - لطبيعة هذه المجموعات من الذكريات ، وآلية تشكيلها واستخداماتها ، وطبيعة العمليات المتكاملة التى تكمن خلف خبايا وجذور عملية الادراك » .

■■

القاهرة - راجى عنايت

سخاء عائشة

حدثت جارية لام المؤمنين السيدةعائشة رضى الله عنها ، قالت : « كان عبدالله بن الزبير قد بعث الى عائشةبمائة وثمانين الف درهم فى غرارتين (كيسين كبيرين) فدعت بطبق فجعلتتقسمه بين الناس حتى فرغت منه ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، فلما أمست قالت :« يا جارية ، هاتى فطورى » ، فجاءتها بخبز وزيت ثم قالت الجارية لها : ألميكن فى وسعك ان تأخذى درهما مما قسمت اليوم ، وتشترى لنا به لحما نفطرعليه . فقالت لها عائشة : « لو كنت ذكرتنى لفعلت » ..

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٤

ايزنهاور قاد جيوش الحلفاء

قامت مسـابقة العـدد ٢٠٤ من« العربي » على اسئلة متنوعة في مجالات شتى من المعرفة فقد كانت الاسئلة سهلة ميسرة لا تحتاج الى كثير عناء واعمال فكر ، كما كانت رسائل المشتركين بالمسابقة في زيادة ملحوظة ٠

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة ٠

١ ـ من أهم المساجد التي صار اسمها يطلق على جامعات

ا الازهر بمصر ب ـ جامعة القرويين بالمغرب جـ ـ جامعة الزيتونة في تونس د ـ مدرسة النجف في العراق ٠

٢ ـ ذرات الكربون هي الوسيلة التي يستعملها العلماء لتقدير الاعمار القديمة على هذه الارض ٠

٣ ـ اسماء الامينين السابقين لجامعة الدول العربية هما : عبد الرحمن عزام وعبد الخالق حسونة ٠

٤ ـ اولى معارك الحرب العالمية الاولى بدات بين صربيا واوستريا ٠

٥ ـ الكاتب الروائي الذي توفي سنة ١٩٦٥ هو سومرست موم ٠

٦ ـ عندما نحرق قطعة من الماس الشفاف تتحول الى مادة الكربون ٠

٧ ـ الموضوع المشترك الذي يربط بين ستالين وتشرشل وروزفلت وهتلر وموسوليني هو الحرب العالمية الثانية ٠

٨ ـ نهر الليطاني هو الذي يخترق الاراضي اللبنانية ٠

٩ ـ القائد الذي قاد قوات الحلفاء الى النصر في الحرب العالمية الثانية ومن ثم تولى رئاسة جمهورية بلاده هو دوايت ايزنهاور ٠

١٠ ـ معركة القادسية الشهيرة وقعت بين جيش العرب الصغير حيث انتصروا فيها على جيش الفرس الكبير ٠

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها :حسن جعفر محمد صالح ـ الخرطوم/السودان ٠

الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها :خالد الحاج قدور ـ الرقة/سوريا ٠

الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها :جواد محمود المقداد ـ تونس/الجمهورية التونسية ٠

٨ جوائز مالية قيمتها (٤٠) دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ العروصي محمد ـ مكناس/المغرب ٠

٢ ـ على العابد المبروك ـ طرابلس/ليبيا ٠

٣ ـ احمد موسى عبد الرحمن ـ عمان/الاردن ٠

٤ ـ حسب الله امين عبدالرحمن ـ جدة/السعودية

٥ ـ موسى عمران ـ بغداد/العراق ٠

٦ ـ فاطمة ناصر الباذر ـ الرميثية ـ الكويت ٠

٧ ـ عبود مساعد يسر عبدالله ـ عدن/اليمن الديمقراطي ٠

٨ ـ محمد عبدالله مقطرى ـ صنعاء/اليمن الشمالي ٠

طرائف

القلم

● قال ابو حفص بن برد الاندلسي : ما اعجب شان القلم ، يشرب ظلمة ، ويلفظ نورا ، وقد يكون قلم الكاتب امضى من سيف المحارب ، القلم سهم ينفذ في المقاتل ، وشفرة تطيح بها المفاصل ·

رسالة

● كتب ابرويز رسالة الى ابنه شيرويه: انتخب لخراجك أحد ثلاثة رجال : اما رجلا يظهر زهدا في المال ويدعي ورعا في الدين· فان من كان كذلك عدل على الضعيف وانصف من الشريف، ووفر الخراج واجتهد في العمارة · او رجلا عالما بالخراج غنيا في المال مأمونا في العقل ، فيدعوه علمه

وليمة

● كان الاشعث بن قيس سيد اهل اليمن ، قيل انه جيء به اسيرا بين يدي ابي بكر لانه ارتد عن الاسلام فقال لابي بكر استبقني لحربك وزوجني باختك فاطلق ابو بكر سراحه وزوجه اخته · فلما انتهت مراسم الزواج اخترط الاشعث سيفه، ودخل سوق الابل في المدينة،فجعل لايرى جملا ولا ناقة الا عرقبها وصاح الناس يومها : لقد كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه جانبا وقال : اني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل اخته . ولو كنت باليمن لكانت لي وليمة ، ثم صاح يا اهل المدينة انحروا وكلوا ويا اصحاب الابل تعالوا وخذوا اثمان ابلكم ، فما رؤيت وليمة مثلها ·

ايستأثر عليهم !

● روى ان الربيع بن زياد الحارثي وفد على عمر بن الخطاب ايام خلافته في المدينة ، وكان وقت الغداء ، فأمر عمر أن يحضر غداؤه وكان قرصين من خبز الشعير، وقدحا من لبن وملحا جريشا فقال الربيع لعمر : يا أمير المؤمنين : ان احق الناس بمطعم جيد وملبس لين ومركب وطيء لأنت ، فقال عمر : والله ما اردت بهذا القول الا مقابلتي ومداهنتي . وان كنت لأحسب ان فيك خيرا · يا ربيع الا اخبرك بمثلي ومثل هؤلاء ، انما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا : انفقها علينا ، فهل له ان يستأثر عليهم بشيء فقال الربيع : لا ·

عربية

الخراج

بالخراج الى الاقتصاد فى الحلب والعمارة للارضين والرفق بالرعية ، ويدعوه غناه الى العفة ، ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه ، والرهبة مما يضره · او رجلا عالما بالخراج معروفا بالامانة مقترا من المال فتوسع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق، ويستكثر لفاقته اليسير،ويزجى اليك كل الخراج ، ويعف بأمانته عن الخيانة ·

الرئيس الأمثل

● سال عمربن الخطاب اصحابه ان يدلوه على رجل يوليه امارة الكوفة فقيل له : « فلان » · فقال: « لا » · فقيل له : « فلان » · فقال : « لا » · فقيل له : « ما شرطك فيه » ؟ فقال : « اريد رجلا » اذا كان في الناس ـ وهو اميرهم ـ كان كانه احدهم ، واذا كان في الناس ـ وليس اميرهم ـ كان كانه اميرهم » ·

اين الصديق ؟

● بينما كان الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يسير فى طرق مكة يوما ، اذا بشيخ يرتجز بين يديه ، ويقول

ما أن رايت كفتى الخطاب
ابر بالدين وبالاحساب
بعد النبى صاحب الكتاب

فاقترب منه عمر ، وضربه بالدرة على ظهره حتى اوجعه ، وقال : ويك يا شيخ السوء : اين صاحب رسول الله؟اين الصديق؟ فقال له الشيخ : « والله مالى بأمره علم يا أمير المؤمنين » فقال له عمر : « اما والله لو كنت عالما ، وقلت هذا ـ لاوجعت ظهرك بهذه الدرة مرة ثانية ·

وسادتي

● كان حكيم بن جبلة من أنصار الامام على بن ابى طالب يوم الجمل قيل انه قطعت رجله فأخذها وضرب بها الذى قطعها فقتله وهو يرتجز بهذه الابيات :

يا ساق لا تراعى
ان معى ذراعى
احمى بها كراعى

ولم يزل يقاتل حتى نزف دمه فاتكأ على الرجل الذى قطع ساقه وهو قتيل · فقال له قائل : من فعل بك هذا ؟ قال : وسادتي · وتكلم حكيم يومئذ وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم فما يتقعقع ويقول : انا خلفنا هذين (يعنى طلحة والزبير) وقد بايعا عليا واعطياه دم عثمان ففرقا بيننا ، ونحن اهل دار وجوار · اللهم اشهد انهما لم يريدا الطاعة ، ثم اقبلا مخالفين محاربين يطلبان دم عثمان ، ففرقا بينهما ، ونحن أهل دار وجوار · اللهم اشهد انهما لم يريدا عثمان ، فما رؤى اشجع منه ·

العمل والعاملون



بقلم : الدكتور على أحمد على

■ لا شك أن من الاهداف العامة لدراسة سلوك العاملين فى مجال العمل حفزهم نحو مزيد من العمل الجيد والانتاج المفيد عن طريق رفع روحهم المعنوية • وهذا يمكن العاملين من تحقيق الاهداف المرسومة باقل جهد وفى اقل وقت ويجعل من العمل متعة للعاملين ،ووسيلة لاشباع دوافعهم المادية والنفسية والاجتماعية •

وفيما يلى عرض لبعض وسائل حفز العاملين ورفع روحهم المعنوية :

أولا :

اشعار العاملين بقيمتهم وقيمة ما يقومون به من عمل

يؤدى الكثير من العاملين أعمالا قد لا يحسون هم بقيمتها أو لا يقدرها المجتمع الذين يعيشون فيه • وعدم احساس العاملين بقيمة ما يقومون به من عمل ينصرف الى عدم احساسهم هم بقيمة انفسهم ، لانه عن طريق العمل يشتق العامل احساسه بالقيمة فى المجتمع الذى يعيش فيه • ويكون من نتيجة عدم احساس العاملين بقيمة ما يقومون به من عمل عدم اقبالهم على هذا العمل او ادائهم لهذا العمل عن غير دافع وغير رغبة •

وعلى الادارة فى أية منشاة أن تستخدم كافة السبل للوصول الى مختلف قطاعات العاملين واشعارهم بقيمة الاعمال التى يقومون بها مهما بدت هذه الاعمال لهؤلاء العاملين أو لغيرهم ضئيلة ومحدودة القيمة •

ومن المهم ايضا ان نطهر مجتمعنا والثقافة التى تسوده من بعض القيم الزائفة والاتجاهات الفاسدة التى تعطى قيمة كبيرة لبعض الاعمال دون غيرها ، مع أن المجتمع فى حاجة لتقدمه ولرخاء ابنائه الى كل عمل وكل جهد • فمثلا يمكن رفع الروح المعنوية للعمال الصناعيين اذا أعطى المجتمع الذى نعيش فيه قيمة كبيرة للعمل اليدوى وأعطى لهذا العمل الاحترام الكافى والقيمة المناسبة • فهذا ولا شك سيؤثر على سلوك العاملين فى هذا المجال ويجعلهم يحسون بقيمة ما يقومون به من عمل ويعتبر حفزا لهم نحو مزيد من العمل والانتاج •

ثانيا :

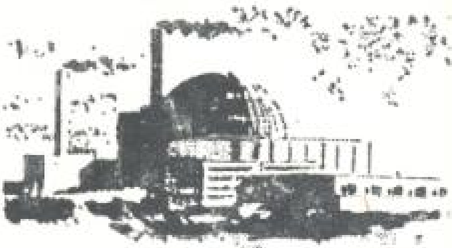
اشباع الحاجات الاساسية للعاملين عن طريق الاجر وغيره

يعتبر الاجر من الحوافز الهامة لسلوك العاملين ومن المهم استخدام الاسلوب المناسب لدفع هذا الاجر • فقد يدفع هذا الاجر محسوبا على اساس القطعة وقد يعطى هذا الاجر على اساس الوقت الذى يقضيه العامل فى عمله • وقد تستخدم أساليب أخرى فى دفع هذا الاجر •

ويعتبر أجر الوقت من أبسط نظم الاجور وهو

حفز وتحريك العاملين ودفعهم لمزيد من العمل والانتاج

طريقنا الوحيد للوصول بامتنا العربية الى آفاق جديدة



غالب الاستخدام فى الاعمال غير الانتاجية مثل الاعمال المكتبية وأعمال الصيانة وغير ذلك من الاعمال التى يأتى فيها الاهتمام بالجودة قبل الكمية ـ ولكى ينجح أجر الوقت لابد من اختيار العاملين بدقة بحيث تتوافر فيهم المهارة والخلق ، وأن يكون هذا الاجر كافيا لسد حاجات العاملين الاساسية بما يسمح لهم بالعيش الكريم ، وأن يوجد نظام اشرافى رقابى سليم يمنع التكاسل أو التلاعب أو الانحراف ، وأن يتوفر نظام أجر اضافى عن الوقت الذى يقضيه العامل فى عمله اذا اشتغل زيادة عن الوقت المحدد له أو مارس عمله فى أيام العطلات مثلا .

اما نظام الاجر بالقطعة فيعتبر حافزا ماديا بحق اذ يمنح العامل اجره على قدر ما ينتجه من عمل . ويترتب على الاخذ بهذا النظام أن يزداد الانتاج وتنخفض التكاليف ، ويزداد دخل العامل مع زيادة الجهد الذى يبذله فيحقق العدل له وللعمل . ويقل عدد المشرفين والملاحظين فتنخفض النفقات الثابتة. ولكن هذا النظام يقتضى ضرورة وجود نظام دقيق للرقابة على جودة الانتاج ، ووجود مقاييس عادلة ودقيقة للانتاج ، وضمان حد أدنى ثابت يدفع للعامل لكى يتحقق له قدر من الدخل يعينه على تغطية نفقات الدورية الثابتة على الاقل ، ووجود نظام للامن الصناعى يضمن الحد من الاصابات وحوادث العمل بسبب انهماك العاملين فى العمل واحتمال تعرضهم للاصابة .

ويعتبر نظام الاجر بالقطعة من اقدم نظم الحوافز وأكثرها عدلا وأيسرها تطبيقا ، وبخاصة اذا توافرت فيه الاشتراطات السابقة . بيد أنه من الاكثر ملاءمة ـ فى أحوال كثيرة ـ أن يطبق النظامان معا ذلك بان يمنح العامل أجرا ثابتا عن الوقت الذى يقضيه فى العمل ، الى جانب أجر عن كل قطعة ينتجها أو عملية يتمها . وفى العادة يطلق على أجر القطعة نظام العمولة اذا اتخذ الاجر شكل نسبة من قيمة انتاج العامل . وبالاضافة الى هذين النظامين الاساسيين لدفع الاجر ، هناك المكافاة التشجيعية التى تمنح للعامل اذا زاد انتاجه عن قدر معين أو أدى الى وفر فى النفقات ، كان يبذل جهدا فائقا غير عادى فى عمله، أو يمنع حريقا أو حادثة ضارة ، أو يبتكر شيئا يطور العمل والانتاج . وفى العادة يترك امر تقدير المكافاة التشجيعية للمديرين حيث يقدرون ما يمنح للعامل وفق مايرونه ملائما وفى حدود الامكانيات المتاحة .ولكى لاتفقد هذه المكافات التشجيعية قيمتها وقدرتها على حفز العاملين وتحريك سلوكهم تحريكا موجبا لا بد من وضع معايير ثابتة ومعلنة تمنح هذه المكافات على اساسها ، حتى لا يقع المديرون تحت تاثير التحيز الشخصى وعدم مراعاة الموضوعية .

ولكى يكون للاجر عموما قدرته على دفع سلوك العاملين فى العمل يجب أن يكون كافيا لاشباع حاجات العاملين الاساسية من ماكل ومشرب وملبس ومسكن ، كما يجب أن تكون هناك سياسة واضحة معلنة للاجور ويفهمها العاملون .

ومن المهم أيضا تحقيق عدالة الاجر دائما على قدر العمل والجهد الذى يبذله العامل والمسئولية التى يتحملها فى عمله . وقد اثبتت بعض الابحاث التى أجريت على الاجر وأثره على العاملين ان هؤلاء العاملين لا يهمهم الاجر نفسه قدر اهتمامهم

بالعدالة في هذا الاجر • فاكثر ما يسيء الى نفسية العاملين والى روحهم المعنوية أن يجدوا افرادا آخرين يؤدون أعمالا اقل صعوبة واقل مسئولية من الاعمال التي يؤدونها ولا تحتاج هذه الاعمال الى خبرة ولا يبذل فيها جهد كبير • ثم بعد ذلك يحصل الآخرون على أجر أكبر من الاجر الذي يحصلون عليه •

ثالثا :

الاستخدام المناسب لاساليب الثواب والعقاب في مجال العمل

عادة ما يتحرك الانسان طمعا في ثواب أو خوفا من عقاب • وهناك أساليب كثيرة مستخدمة للثواب والعقاب في مجال العمل لتوجيه سلوك العاملين • وهو ما يطلق عليه أحيانا الحوافز الموجبة والحوافز السالبة • فمن الحوافز الموجبة : الترقية المادية والترقية الادبية والمكافآت التشجيعية والمزايا المختلفة التي تمنح لبعض العاملين • ومن الحوافز السالبة أو ما يدخل تحت وسائل العقاب المستخدمة في مجال العمل : الحرمان من الترقية المادية أو من الترقية الادارية وتخفيض الاجر والانذار ولفت النظر والوقف عن العمل بعض الوقت وأحيانا الفصل من الوظيفة أو من العمل •

ولسنا هنا في مجال السرد التفصيلي لكل هذه الحوافز السالبة والموجبة فمجالها كتاب متخصص في هذا المجال • ولكن من المهم عند استخدام اساليب الثواب والعقاب في مجال العمل أن يتوافر فيها الشروط الآتية حتى تترك اثرها المفيد في حفز العاملين وتحريك سلوكهم في الاتجاه المرغوب فيه :

(١) أن يكون الثواب والعقاب على قدر الفعل الذي صدر عن العامل ويستحق عليه ثوابا او عقابا دون مغالاة أو تقليل •

(٢) أن يكون الثواب والعقاب الموجه للعاملين عاجلا لا آجلا بقدر الامكان •

(٣) أن تكون هناك سياسة ثابتة ومعلنة للثواب والعقاب يدركها العاملون •

(٤) أن نكثر من الثواب بقدر الامكان ونقلل من العقاب فهذا أدعى لحفز سلوك العاملين وحسن توجيه هذا السلوك •

رابعا :

تزويد العاملين بالمعلومات الكافية عن أعمالهم وعن المنشأة التي يعملون بها

من الضروري توافر نظام اتصال فعال داخل أية منشأة يهدف لجعل العاملين ملمين الماما تاما بحقيقة ما يجري داخل هذه المنشأة من أمور يهمهم معرفتها •

ويمكن للادارة عن طريق نظام الاتصال هذا من أن تقيم علاقات مع العاملين على أساس من التفاهم والثقة ، كما تستطيع هذه الادارة ان تزيد من انتاجيتهم عن طريق تزويدهم بالمعلومات اللازمة لحسن سير العمل • ويؤدي احاطة العاملين بكل ما يجري داخل المنشأة التي يعملون بها الى شعورهم بالانتماء لهذه المنشأة والى احساسهم بقيمتهم وذلك يؤدي بدوره الى رفع روحهم المعنوية وزيادة كفايتهم الانتاجية •

ومن الملاحظ أن أكثر ما يؤثر تأثيرا سيئا على نفسية العاملين أن يعرفوا أخبار منشآتهم من خارجها عن طريق أفراد لا يعملون بها • وفي هذه الحالة ينطبق على العاملين قول القائلين « الزوج آخر من يعلم » • ولا شك أن تزويد العاملين بالقدر الكافي من المعلومات يؤدي الى التقليل من الشائعات في مجال العمل وتضييع الوقت في الاحاديث التي لا تقوم على أساس كاف من الحقيقة والواقع •

وهناك أربعة مجالات واسعة يمكن في اطارها أن تأخذ المعلومات طريقها الى العاملين في منشأة صناعية أو تجارية كبرى وهذه المجالات هي :

- معلومات عن المنشأة • فالعاملون يهمهم أن يعرفوا شيئا عن عمليات ونشاط المنشأة : انتاجها ومستقبلها • كما أن العاملين يريدون معرفة ما يجري في الاجتماعات الهامة التي تعقد في المنشأة كما يهمهم معرفة القرارات الهامة التي تتخذ على المستوى الاداري الاعلى لان مثل هذه القرارات تؤثر عليهم وعلى مستقبلهم ومستقبل المنشأة التي يعملون بها •

- معلومات عن سياسة المنشأة ، لا سيما تلك التي تتصل بالعاملين وتؤثر عليهم وعلى وظائفهم • فالعاملون يريدون أن يخطروا مقدما وفي الوقت

المناسب بكل اجراء قد يكون له اثر على عملهم أو على مستقبلهم الوظيفي .

● معلومات تتصل ببعض المشكلات والصعوبات الطارئة التي تقابل المنشأة ، وقد وجد أن تعريف العاملين بهذه المشكلات والصعوبات يؤدي الى زيادة تضامنهم مع المنشأة في مواجهتها والى زيادة جهدهم المبذول في هذا الاتجاه .

● معلومات تتصل بالنشاط الوظيفي للعاملين: فكل نشاط اداري أو فني في المنشأة له علاقة بغيره من الانشطة ، لذلك يجب ان يكون من أهداف الاتصال داخل المنشأة تزويد العاملين بكل ما يحتاجون اليه من معلومات وبيانات وخبرات تساعدهم على القيام باعمالهم على وجه أكمل .

وكلما كان الاتصال في المنشأة نشيطا أسهم ذلك في رفع الروح المعنوية للعاملين وحفزهم وتحريك سلوكهم في الاتجاه المرغوب فيه .

● اعطاء العاملين الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتوصيل مقترحاتهم وشكاياتهم الى المستويات الادارية العليا . ولا شك ان الاتصال الفعال الذي سبق أن تحدثنا عنه لا يكتمل الا اذا كان هذا الاتصال ذا اتجاهين : من الادارة للعاملين ومن العاملين للادارة . فمن المهم اعطاء العاملين الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتوصيلها الى المستويات الادارية العليا .ويمكن ان يتحقق ذلك عن طريق اللقاءات التي تتم بين العاملين وبين القادة الاداريين في المنشأة وعن طريق اجتماعات مجلس الادارة واجتماعات اللجان المشتركة بين الادارة والنقابات وعن طريق صندوق المقترحات وعن طريق غيرها من الوسائل ولابد ان يجد العاملون دائما من بين رؤسائهم والقادة الاداريين في المنشأة من يستقبل آراءهم وأفكارهم ويعطيها الاهتمام الكافي . وهذا يؤدي بلا شك الى احساس العاملين بالانتماء للمنشأة وبقدرتهم على المساهمة بالفكر والرأي في تطور المنشأة والعمل الذي يؤدى فيها .

خامسا :

تحسين ظروف العمل

لا شك أن لظروف العمل تاثيرها على الروح المعنوية للعاملين .وتختلف ظروف العمل من عمل الى آخر ومن منشأة الى أخرى . وهناك ظروف عمل قاسية بطبيعتها كان يعمل العامل في جو حار جدا أو مترب أو في ظروف تعرضه أو تعرض صحته للخطر .

وأسلوب الادارة لرفع الروح المعنوية للعاملين هو محاولة تحسين ظروف العمل بقدر ماهو ممكن ومستطاع بحيث تصبح هذه الظروف انسانية . ومن الممكن مواجهة الظروف القاسية للعمل ببعض الاحتياطات التي تحفظ على العامل حياته وصحته . فمثلا بالنسبة للاعمال التي يتعرض فيها العامل لمخاطر الاصابة او الحريق أو غير ذلك يجب اتخاذ كافة احتياطات الامان والامن الصناعي . كما يجب الاهتمام بتغذية العاملين وتزويدهم باطعمة معينة في حالة قيامهم ببعض الاعمال التي تعرض صحة العاملين لمخاطر معينة ، كما هو الحال بالنسبة لصرف كمية من اللبن كل يوم للعمال الذين يتعرضون لاستنشاق بعض الابخرة الضارة والسامة اثناء العمل .

والمهم من ناحية ظروف العمل أن يشعر العاملون أن الادارة تبذل ما في استطاعتها لتحسين هذه الظروف وتطويرها .

وقد يكون تحسين ظروف العمل عن طريق ادخال بعض الآلات الحديثة التي تخفف عن كاهل العاملين عند القيام ببعض العمليات المتعبة او المرهقة أو المملة . وقد لا يحقق ادخال مثل هذه الآلات الحديثة وفرا ماديا للمنشأة ولكن يكون القصد الاساسي من استخدامها تحسين ظروف العمل ومحاولة ان يكون أداء العمل بأسلوب أفضل يريح العامل ويحقق انسانيته .

ويهم العاملين ايضا أن تكون ظروف العمل مناسبة تمكنهم من حسن القيام باعمالهم وأعبائهم الوظيفية .أو تزويد بعض العاملين الذين يعملون في ظروف صعبة بالامكانيات التي تمكنهم من مواجهة هذه الظروف الصعبة . ونضرب مثالا لذلك موزع البريد والمهندس الزراعي الذي يقوم بالارشاد الزراعي لعدد من القرى في الريف ، يتطلب عمل كل واحد منهما التنقل يوميا من مكان الى آخر تحت مختلف الظروف الجوية الصعبة لذلك فان تحسين ظروف العمل بالنسبة لهما يعني أن يزود كل منهما بوسيلة انتقال مناسبة تمكنهما من مواجهة بعض مطالب العمل الذي يقوم به كل منهما .

وتختلف الظروف التي تعتبر مناسبة للعمل بالنسبة للموظف الذي يقوم بعمل مكتبي • فظروف العمل المناسبة في هذه الحالة هي ان يعمل الموظف في جو هادىء يساعده على التركيز والتفكير ، وان يعطى الامكانيات المادية المناسبة من اثاث مكتبي وادوات مكتبية ومعدات الحفظ وغيرها بما يمكنه منحسن القيام بالاعمال المكتبية المعينة المطلوبة منه •

وخلاصة القول ان ظروف العمل كلما امكن تحسينها ادى ذلك الى رفع الروح المعنوية للعاملين وزيادة اقبالهم على العمل وتفانيهم فيه ويقدر العاملون دائما جهد الادارة في تحسين ظروف العمل بالنسبة لهم حتى اذا لم توفق الادارة توفيقا كاملا في هذا الاتجاه ، نتيجة للظروف الخارجة عن ارادتهااو لنقص الامكانيات او لغير ذلك من عوامل •

سادسا :

تمكين العاملين من استغلال خبراتهم وقدراتهم

من العوامل الرئيسية التي ترفع من الروح المعنوية للعاملين وتحفزهم للعمل الجيد هو شعورهم أن العمل الذي يقومون به يتطلب قدرا كبيرا من خبراتهم كما أن هذا العمل يستثير امكانياتهم وطاقاتهم العقلية •

وكثيرا ما تجد المنشآت صعوبة في تحقيق هذا الاتجاه • فتقسيم العمل في العصر الحديث ادى الى قيام بعض العاملين باعمال نمطية متكررة بسيطة طول اليوم • وهذه الاعمال لا تحتاج الا الى قدر بسيط من مهارة وقدرات العاملين • كما أن زيادة العمالة في بعض الاعمال وخاصة الاعمال المكتبية اضطر رؤساء العمل والمشرفين الى تفتيت بعض الاعمال وتقسيمها دون داع لتوزيعها على هذه الاعداد المتزايدة من العاملين مما افقد بعض هذه الاعمال قيمتها وقدرتها علىاستثارة قدراتهم• وهذا يفسر لنا السأم والملل الذي أصاب قطاعا من العاملين المكتبيين في بعض بلادنا العربية والتكاسل الذي أصبح صفة لسلوكهم وتصرفاتهم داخل العمل • فالكثير من الاعمال الآن وخاصة الاعمال المكتبية اصبحت روتينية مملة لا تغطي الا جانبا بسيطا من وقت العمل • مما يضطر بعض العاملين الى قضاء جانب كبير من وقت العمل في القيل والقال وفي قراءة الجرائد والمجلات والقيام بالزيارات في مكان العمل وغيرها من امور تخل بالعمل وبنظامه وبقدسيته • وتكون النتيجة النهائية لذلك انخفاضا فيالروح المعنوية للعاملين وتسيبا في السلوك الاداري لهؤلاء العاملين •

سابعا :

تنمية مهارات وقدرات العاملين

عادة ما يسعد العامل بالعمل الذي يضيف كل يوم شيئا الى قدراته وخبراته • فالعامل يحس في هذه الحالة بأنه يتقدم وينمو يوما بعد يوم • ومن الممكن تنمية مهارات وقدرات العاملين عن طريق برامج التدريب الجيدة التي يشترك فيها هؤلاء العاملون وعن طريق الاشراف والتوجيه الجيد اثناء العمل • فالمشرف الناجح دائما يعمل على تطوير خبرات ومهارات العاملين معه • كما ان تنمية مهارات وقدرات العاملين قد تكون عن طريق اتاحة الفرصة للعاملين المجتهدين لمواصلة انواع معينة من الدراسة في المدارس والمعاهد والكليات خارج المنشأة بتشجيع وتأييد من جانب المنشأة ، او ارسال الممتازين من العاملين في زيارات ميدانية او في دراسات معينة في الخارج قد تطول أو تقصر تحت اشراف المنشأة •

ولا شك ان شعور العاملين بأنهم ينمون وأنهم يضيفون كل يوم جديدا الى قدراتهم وخبراتهم ومهاراتهم يدعم اتجاهاتهم الموجبةنحو المنشأة ونحو ادارتها ويرفع من روحهم المعنوية ويحفزهم الى مزيد من العمل والانتاج الجيد •

ثامنا :

تنقية جو العمل من الاتجاهات غير المرغوب فيها

فالاتجاهات ـ كما سبق أن ذكرنا ـ تدفع سلوك العاملين في الاتجاه المناسب أما الاتجاهات السالبة غير المرغوب فيها فعادة ما تعطل العمل وتؤثر تأثيرا سيئا على سلوك العاملين وعلى العلاقات الانسانية داخل المنشأة •

واتجاهات القادة الاداريين لها تأثيرها الكبير على سلوك العاملين وعلى روحهم المعنوية •

فالقائد الادارى الذى يتبنى اتجاها أن كل عامل له قيمة وأن هذا العامل يمكن أن يسهم بفكره أو بجهده فى تطوير العمل بصورة من الصور . لا شك أن هذا الاتجاه سينعكس أثره الموجب على العلاقة بين هذا القائد الادارى وبين العاملين فى المنشاة .

والقائد الادارى الذى لديه اتجاه موجب نحو المرأة العاملة ويعتقد فى قدرتها على العمل الجيد والانتاج اذا وفرت لها الظروف المناسبة ، لا شك أن مثل هذا الاتجاه سيظهر فى شكل اعطاء الفرصة المتساوية للمرأة العاملة مع الرجل لاداء عملها على أكمل وجه واعطائها حقها من الترقيات المادية والادبية والأجر المتساوى وغير ذلك مما ينعكس أثره الموجب على سلوك العاملات فى المنشاة .

والقائد الادارى الذى يسوده اتجاه موجب نحو الشباب ، هذا الاتجاه سيجعله يتصرف مع العاملين الجدد من الشباب بأسلوب معين محاولا دائما توجيههم والاخذ بيدهم وتنميتهم واعطائهم الفرصة لاستغلال قدراتهم وامكانياتهم وتفويض بعض الاعمال الهامة لهم . وهذا بعكس ما كان يمكن أن يحدث اذا كان القائد الادارى لديه اتجاه سالب نحو « شباب اليوم » بحيث يظهر هذا الاتجاه السالب فى شكل كلمات يتفوه بها هذا القائد كان يقول : ان هذا الشباب لا يتحمل المسئولية ـ أو لا يمكن الاعتماد عليه أو أن هذا الشباب قليل الخبرة محدود البصيرة وغير ذلك من عبارات قد يتفوه بها القائد الادارى عاكسة اتجاهاته السالبة نحو الشباب .

وهذا الاتجاه السالب نحو الشباب يوجه سلوك هذا القائد الادارى عند تعامله معهم داخل المنشاة . فلا يعطيهم الفرصة لاثبات وجودهم واستغلال قدراتهم فى العمل ، ولا يعتمد عليهم فى الاعمال الهامة ويختار القيادات فى العمل دائما من العاملين كبار السن . وقد يؤدى ذلك الى أن يوكل لهذا الشباب أبسط الاعمال وأتفهها ولا يحاول أن يتفهم مشكلاتهم ولا أن يتعرف على آرائهم ووجهة نظرهم . مما يكون له تأثيره السيىء على نفوس هؤلاء الشباب وعلى روحهم المعنوية وعلى انتاجيتهم وسلوكهم فى العمل .

وهكذا نجد أن الاتجاهات التى تسود القادة الاداريين نحو العمل ونحو العاملين تؤثر تأثيرا واضحا على سلوك العاملين . فاذا كانت هذه الاتجاهات موجبة ومرغوبا فيها ساعدت على سيادة جو فى العمل يساعد على زيادة الانتاج ورفع الروح المعنوية للعاملين ، وأدت مثل هذه الاتجاهات المرغوب فيها الى تدعيم العلاقة بين القادة الاداريين وبين التابعين فى المنشاة .

ويمكن تعديل وتغيير الاتجاهات غير المرغوب فيها التى تسود القادة الاداريين المتصلة بالعمل وبالعاملين وذلك باستخدام كافة الوسائل والاساليب .

وتؤثر الاتجاهات التى تسود العاملين على سلوكهم فى العمل وعلى روحهم المعنوية . فاذا ساد معظم العاملين اتجاه موجب نحو ادارة المنشاة فان كل ما يصدر عن الادارة من افعال وما تتخذه من قرارات تستقبل استقبالا حسنا من جانب هؤلاء العاملين .

واذا ساد غالبية العاملين اتجاه موجب نحو العمل فان هذا الاتجاه الموجب عادة ما ينعكس على شكل اقبال من العاملين على العمل واخلاصهم فيه وعدم تغيبهم عنه الا لاسباب قوية .

ومن المهم أن تكون ادارة المنشاة يقظة بالنسبة لاية اتجاهات سالبة غير مرغوب فيها تسود العاملين فى أى وقت من الاوقات ، بحيث يمكن رصد هذه الاتجاهات فى الوقت المناسب محاولة تغييرها للاتجاه المرغوب فيه .

ولا شك أن سيادة قدر كبير من الاتجاهات المرغوب فيها غالبية العاملين فى منشاة معينة يعنى بلغة أخرى ارتفاع الروح المعنوية لهؤلاء العاملين .

تاسعا :

وضع سياسة واضحة عادلة للترقى

من الحاجات النفسية الاجتماعية التى يريد الفرد أن يحققها عن طريق العمل حاجته للتقدم والنجاح . فالفرد يسعد عندما يجد نفسه يتقدم ويحقق نجاحا فى مختلف الاعمال التى يقوم بها .

ومن الضرورى أن تكون للمنشاة سياسة واضحة

وعادلة للترقي والتدرج في مختلف الوظائف وتكون هذه السياسة معلنة بالنسبة للعاملين • كما أنه من الضروري أن يكون لكل وظيفة سلم للترقي بحيث لا يجد الفرد نفسه قائما بعمل لا يعطيه فرصة للتقدم والترقي مما يؤثر تأثيرا سيئا على روحه المعنوية • فخير الوظائف والاعمال تلك التي يلتحق بها الفرد صغيرا في المستوى الوظيفي والمرتب ثم يتدرج فيها حتى يصل الى أعلى المستويات الوظيفية ويحصل على أعلى المرتبات •

ولا بد من وضع معايير ثابتة ودقيقة وعادلة يتم على اساسها ترقية العاملين بحيث يحصل على هذه الترقية من يستحقها • وبذلك لا تفقد الترقية قدرتها على حفز العاملين وعلى تحريك سلوكهم تحريكا موجبا •

ولا شك أن قيام العامل بالعمل الذي يناسبه ويتفق مع قدراته العقلية والجسمية وشخصيته وميوله وظروفه يتيح الفرصة أمام هذا العامل للنجاح في هذا العمل والتقدم فيه ، مما يكون له أكبر الاثر في رفع الروح المعنوية لهذا العامل وحفزه لمزيد من العمل والانتاج • وهنا تبرز أهمية التوجيه التعليمي والمهني للافراد في المجتمع • فهؤلاء الافراد اذا وجهوا لنوع التعليم الذي يناسبهم والتحقوا بعدذلك بالاعمال والمهن المناسبة فان ذلك يزيد من فرصة نجاحهم في أعمالهم واستمتاعهم بالقيام بهذه الاعمال •

عاشرا :

تطوير أسلوب القيادة والاشراف

دائما يقال ان القائد الاداري والمشرف Supervisor في العمل يعتبران من صانعي الانتاجية والروح المعنوية للعاملين ويتوقف على سلوك القادة الاداريين والمشرفين في العمل قدر كبير من النتائج التي تحصل عليها في هذا العمل• والقائد الاداري له وظائف كثيرة في جماعة العمل فهو يساعد الجماعة على تحديد وصياغة أهدافها كما يساعدها ويزودها بالقدرة على تحقيق هذه الاهداف • ويقوم القائد الاداري بتنسيق جهود أفراد الجماعة وتوجيهها حتى لا تتعارض هذه الجهود أو تزدوج • والقائد الاداري يساعد أفراد الجماعة على الانتماء لهذه الجماعة والارتباط والتمسك بها • كما يعمل على دعم جو العلاقات الانسانية في مجال العمل •

والواقع ان نجاح القائد الاداري أو مشرف العمل على تحقيق الامور السابقة في العمل يتوقف على ذكائه وشخصيته وخبراته الفنية ومهاراته السلوكية وقدرته على التصور •

كما يتوقف نجاح القائد الاداري في عمله على أسلوب القيادة الذي يتبعه • وكثيرا ما يتراوح القادة الاداريون بيناستخدام الاساليبالديمقراطية والاستبدادية في القيادة • ففي واقع الحياة قد لا نجد قيادة ديمقراطية مائة في المائة أو قيادة استبدادية مائة في المائة • فمن الملاحظ أن القائد الذي يستخدم عادة الاسلوب الديمقراطي فيالقيادة قد يضطر أحيانا لاستخدام أساليب استبدادية في حالات الطوارىء والخطر وفي الحالات التي يكون من الضروري اللجوء الى الحسم والسرعة في اتخاذ بعض القرارات • وكثيرا ما يتوقف أسلوب القيادة على نوعية التابعين • فالاسلوب الديمقراطي للقيادة يصلح أكثر من غيره مع التابعين الذين يتمتعون بقدر كبير من التعليم والوعي والفهم والتقدير السليم للامور • كما يتوقف أسلوب القيادة على نوعية وطبيعة المواقف التي يقابلها ويتعامل معها القائد الاداري •

ولكن يمكن القول بأن الروح المعنوية عادة ما تكونأكثر ارتفاعا اذا استخدمالاسلوب الديمقراطي في قيادة العاملين حيث تزدهر في ظل هذا الاسلوب المشاركة من جانب العاملين في صناعة مختلف القرارات الهامة في مجال العمل ، كما تزدهر في ظل القيادة الديمقراطية الاتصالات بين كافة المستويات الادارية وفي الاتجاهات المختلفة • كما أن العاملين في ظل القيادة الديمقراطية يشتقون معظم الاشباع لحاجاتهم المادية والنفسية من الجماعة التي عادة ما تكون قوية متماسكة • بعكس ما يحدث في حالة القيادة الاستبدادية حيث يحاول الكثير من العاملين نفاق القائد نظرا لانه وحده هو مصدر كل ثواب وعقاب ولان الجماعة عادة ما تكون ضعيفة متخاذلة غير متماسكة في ظل هذه القيادة الاستبدادية •

ومن المتوقع في حالة استخدام الاسلوب

الديمقراطى للقيادة بفهم وبحذر ومع تابعين واعين قادرين فاهمين للظروف ان تنجح هذه القيادة فى رفع الروح المعنوية لهؤلاء التابعين وفى زيادة قدرتهم على العمل والانتاج •

حادى عشر :

مساعدة العاملين على حل المشكلات التى تصادفهم

الواقع ان المشكلات التى تواجه العاملين اذا زادت وتراكمت عليهم اثرت تاثيرا سيئا على انتاجيتهم وعلى روحهم المعنوية •

ويجب أن يجد العاملون فى العمل من يمد لهم يد العون بالنسبة للمشكلات التى تصادفهم• وتعتبر هذه وظيفة رئيسية لمشرف العمل ، ان يتعرف على مشكلات العاملين وخاصة المتعلقة بالعمل ويبذل جهده لحلها •

والكثير من المشكلات السلوكية التى تظهر فى العمل يكمن وراءها دوافع معينة ولا بد من دراسة هذه الدوافع كمدخل أساسى لتقديم سبل العلاج المناسبة لهذه المشكلات فمثلا مشكلات مثل كثرة التغيب او التكاسل من جانب بعض العاملين والعدوان والرشوة وكثرة الشائعات والقلق ،اذا سادت جموع العاملين فلا بد من البحث عن دوافعها ومحاولة ايجاد حلول مناسبة لها •

ومن المهم ان يجد العاملون فى المنشاة من يستمع الى مشكلاتهم بفهم وتقدير فهذا يريحهم الى حد بعيد ويخفف من الضيق والتوتر الذى يعانونه •

والواقع ان كبر حجم المشكلات السلوكية للعاملين وتعدد مظاهرها وعمق بعض هذه المشكلات جعل من الضرورى الاستعانة بخبرة الاخصائيين المتخصصة وقت الضرورة ، خاصة ان وقت المديرين اصبح ضيقا وحدود خبراتهم بالمشكلات السلوكية اصبح مقصورا على مواجهة هذه المشكلات •

لذلك يجب أن يكون فى المنشات الكبيرة عدد من الاخصائيين النفسيين ذوى الكفاءة المرتفعة لاحالة العاملين المشكلين اليهم ، ومحاولة تقديم العون المادى والنفسى لهؤلاء العاملين ومساعدتهم بالنسبة للمشكلات السلوكية التى يعانونها ، وزيادة بصيرة هؤلاء العاملين بحقيقة هذه المشكلات• على ان تكون مقترحات هؤلاء الاخصائيين بشان هذه المشكلات السلوكية موضع اهتمام وتقدير الادارة • وان يخصص لهؤلاء الاخصائيين النفسيين مكان مناسب به اثاث جيد يمارسون فيه عملهم حتى يجد فيه العامل القلق والمضطرب الراحة والهدوء والامن الذى يمكنه من التعبير عن نفسه وعن مشكلاته •

وهناك قضية تثار عند مناقشة مشكلات العاملين وهى تتصل بمدى الاهتمام الذى يمكن ان توجهه ادارة المنشاة للمشكلات الخاصة للعاملين ، وهل من الممكن ان يتلقى العاملون رعاية من المنشاة بالنسبة لهذه المشكلات الخاصة •

وبالنسبة لهذه القضية يرى البعض ان المشكلات الخاصة للعاملين تخص العاملين وحدهم وليس للمنشاة ان تشغل نفسها بهذه المشكلات او بحلها لان ذلك فوق طاقتها واستطاعتها •

ولكن الراى الغالب بالنسبة لهذا الموضوع انه لا يمكن للمنشاة او لقادتها ان يهملوا اهمالا تاما الاهتمام بمشكلات العاملين الخاصة لان هذه المشكلات تؤثر على سلوك العاملين فى العمل • ولا يمكن ان نطلب من العامل ان ياتى الى العمل تاركا كل مشاكله الخاصة ومشاكله الاسرية وراء ظهره • فهذه المشكلات عادة ما تشغل باله وتقلل من جهده وانتباهه فى العمل وتؤثر على انفعالاته وسلوكه اثناء العمل •

وكل ما يمكن قوله فى هذا المجال ان على المنشاة اعطاء بعض الاهتمام بمشكلات العاملين الاسرية والخاصة وذلك فى حدود استطاعتها وامكانياتها لاننا نعلم ان هذه المشكلات كثيرة متعددة فى بلادنا مما يجعل من العسير على المنشاة مواجهتها وحلها • وبهذا تعترف المنشاة بوحدة حياة العامل : حياته فى العمل وحياته فى الاسرة وفى خارج العمل • ■■

القاهرة — على أحمد على

طرائف غريبة

جون كنيدى وحياته مع المرض والموت !

● جون كنيدى رئيس الولايات المتحدة الامريكية الاسبق (١٩١٧ ـ ١٩٦٣) الذى ارتفعت الاصوات اليوم تطالب بالتحقيق فى ظروف اغتيـاله التى ما زالت لغزا بلا حل ، كان يعاني من انزلاق غضروفي يسبب له آلاما شديدة ، كثيرا ما حاول اخفاءها وراء ابتسامته التي لم تكن تفارق وجهه الا فيما ندر !

قال شقيقه روبرت ، الذى اغتيـل هو الآخر اثناء حملة انتخابات الرئاسة في عام ١٩٦٨ ، يصف آلام شقيقه التي لازمته وعاشت معه ، قال : « ان نصف الايام التى عاشها جون على الارض ، كانت اياما مليئة بالالم الذى حرمه من كثير من متع الحياة !»

اما جون كنيدى نفسه ، فقد كان يسيطر عليه شعور غريب بانه لن يعيش طويلا ، بل اكثر من هذا فقد وقف يوما يقول للصحفيين ، عندما كان عضوا في مجلس الشيوخ قبل انتخابه رئيسا : « لقد قال لى الاطبـاء اننى اعـانى من مرض اديسون ، وهو نوع من انواع سرطان الدم البطىء



Leukaemia ، ولكنهم ـ اى الاطباء ـ يتوقعون ان اعيش حتى الخامسة والاربعين ! »

وامتد العمر بجون كنيدى عاما آخر ‥ ولم يقتله السرطان، فقتله الرصاصتان اللتان استقرتا فى راسـه وعنقه ‥ وبقى صاحب اليـد التى اطلقتهما لغزا لم يكشفه احد حتى اليوم !»

متى نضحك ومتى نبكى ؟

● هل نحن الذين نصنع شخصيتنا، ام اننا نولد بشخصية مرسومة محددة الملامح ؟

يقول توماس هكسلي : « اننا نولد جميعا بوجه واحد ، ثم نجد انفسنا بعد ذلك نضحك ونبكي ، كلما كبرنا وكلما تقدمت بنا السن ‥ ويبقى بعد هذا السؤال ‥ متى نضحك ؟ ومتى نبكى ؟ وهل نفكر قبل ان نطلق ضحكة او نذرف دمعة؟ كثير من المواقف المبكية يضحك لها الناس‥ وكثير من المواقف المضحكة تبكيهم ‥ وهذا هو الفرق بينى وبينك ‥ وبين الناس !

راسل ، والسلام ٠٠ والفردوس !

● برتراند راسل الفيلسوف الانجليزى الكبير (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) الذى حارب الحرب ، وحمل رسالة السلام وراح يبشر بها ، وقف يلقى خطابا وهو يتسلم جائزة نوبل تقديرا لجهوده من اجل منع الحروب ، قال راسل : « اذا كان الانسان بطبعه ميالا للحرب ، فاننا نستطيع ان نرضى هذه النزعة فيه دون ان يكلفنا ذلك الكثير من الارواح ٠٠ اننا نستطيع ان نشيد حمامات السباحة ونملأها باسماك القرش التى يطيب لها اكل لحوم البشر ، او ان نبنى حولها الشلالات الاصطناعية التى تتدفق منها المياه بقوة وعنف ، ثم ندعو بعد ذلك كل داع للحرب بان ياتى بقاربه ويجدف فى مياه الحوض الذى امتلأ بهذه الوحوش والمياه المتدفقة !! » .

وما اكثر ما قال راسل ، وما نقله عنه الكتاب والمفكرون ٠٠



سألوه يوما وهو يحتفل بعيد ميلاده التاسع والثمانين : « كيف تجد السعادة على هذه الارض ؟»

فقال : « اذا استطعنا ان نجد فى عالم اليوم اعدادا كبيرة من الناس تسعى لاسعاد نفسها ، اكثر مما تسعى لاتعاس غيرها ، فسوف يتحول عالمنا المريض خلال سنوات قليلة الى جنة على الارض » ٠

اورويـل والحـرمان

● جورج اورويل George Orwell مؤلف مملكة الحيوان The Animal Farm (١٩٠٣ ـ ١٩٥٠) وعام ١٩٨٤ Ninteen Eighty Four ، اللذين اكسباه شهرة واسعة ، عرف الفقر وذاق مرارة الحرمان عندما عاد الى اوروبا من الهند التى ولد فيها عن ابوين انجليزيين ٠ لقد سجل آلامه مع فقره فى كتابه « الطريق الى رصيف ويجان The Road to Wigan pier حيث مضى يتنقل فى عيشه خلال تلك الفترة بين مدينتى باريس ولندن ٠

كتب يصف حياة الحرمان التى عاشها، قال : « لم يؤلمنى الجوع بقدر ما آلمنى فراق تلك المرأة العجوز الطيبة القلب التى دعتنى الى بيتها وقدمت لى طبق الحساء الساخن فى تلك الليلة الباردة من ليالى الشتاء فى حى مونمارتر فى باريس ٠٠

هناك لقيتها عندما كانت تريد ان تعبر احد الشوارع المزدحمة بالسيارات ٠٠ وكانت تقف على الرصيف وكأنها تبحث عن شىء ، واقتربت منها ومددت اليها ذراعى وعبرنا الشارع معا ٠٠ ولكنها لم تتركنى ٠٠ لقد ظلت متعلقة بذراعى الى ان وصلنا الى بيتها٠وقدمتنى الى زوجها الضرير العجوز ٠٠ لقد كان لهما ثلاثة ابناء كبروا وتزوجوا ورحلوا ٠٠ وعاش الابوان فى وحدتهما على المساعدات الصغيرة التى يرسلها لهما الابناء ٠٠

واصرت على ان اكون ضيفهما كل مساء على مائدة العشاء ، فقد كانا يجدان فى وجودى معهما سلوى فى هذه الوحدة ٠٠ واستمرت صداقتنا ثلاثة اشهر كاملة ٠٠ كنت اجد فى كل ليلة من لياليها طبقا شهيا يملأ معدتى ٠

وبالامس ، ذهبت كعادتى فى المساء ، ولكنها لم تكن هناك لتستقبلنى كما تعودت ان تفعل ، فقد كان باب البيت مفتوحا ، لقد ماتت السيدة العجوز الطيبة ، وتركت زوجها مع آلامه ووحدته ٠٠ وتركتنى بدورى فى وحدتى وفقرى ٠٠ وكانت دموع الزوج تسيل من تحت نظارته السوداء ٠٠ كان يبكى فى صمت ٠٠ وبكيت معه ! »

وفى صباح اليوم التالى كنت اقف على محطة القطار انتظر صديقا لى وعد بأن يقرضنى ثمن تذكرة السفر الى لندن ، فلم اعد اطيق باريس بعد رحيل صديقتى العجوز الطيبة !

دور الوقف في بناء الحضارة الإسلامية

الوقف حقق التعليم بالمجان والعلاج وعون الفقير

بقلم : عبد السلام الترمانيني
الاستاذ بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت

أوجد الاسلام نظام « الوقف » · ولكنه عبر القرون تعرض لتقلبات كثيرة · الغته بعض الدول وفي دول أخرى يدور نقاش حاد حول بقائه ، أو الغائه ، أو تطوير الاستفادة منه ·

■ تقوم فكرة الوقف على مفهوم الخير، والخير في التصور الاسلامي هو العمل الصالح الذى يرتد نفعه على الجماعة ، وهو الجانب العملى الذى يؤلف مع الايمان الاساس الذى يقوم عليه الاسلام : عقيدة وشريعة · وبذلك يكون العمل الصالح هو التطبيق العملى للايمان · فالمؤمن يقاس ايمانه بما يفعل من خير ، يؤمن مرافق المجتمع ويؤدى الى ازدهاره·وافضل العمل الصالح أدومه ، وعلى هذا الأساس قامت فكرة الوقف ، وهو حبس المال المملوك ورصد غلته على جهة من جهات البر الدائمة ، ليكون الانتفاع به متصلا جيلا بعد جيل ·

وفي هذه الفكرة نجد صورة صادقة للمجتمع الانساني كما اراده الاسلام ، بناء مرصوصا بالتعاون والتكافل والبذل ·

واذا كانت الحضارة هي مجموع القيم الانسانية التى حققتها أمة من الامم ، أو ساهمت فيها فان الوقف الاسلامي قدساهم بقدركبير في انشاء هذه القيم التى تميزت بها الحضارة الاسلامية وتسامت بها على الحضارات الاخرى ·

الصدقات في الاسلام

ولعل أهم ما يتميز به الاسلام انه رتب على كل نوع منأنواع القدرةاو الاستطاعة المادية او المعنوية حقا من الحقوق · فالقدرة في التصور الاسلامي فضل من الله يجب فيه الشكر ، وقد حض الله تعالىعلى شكره فى أيات كثيرة (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) (وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) (ولتبتغوا من فضله ولعلكم



تشكرون) ويتجلى الشكر بامرين متلازمين : الاول ان يكون اداء الشكر متجسدا بعمل ينتفع بـه الناس ، ولا يجزى النطق بالشكر مع القدرة على ادائه عملا صالحا.والثاني ان يقوم الشاكر بالعمل الصالح على انه واجب الاداء ، وهذا ما عناه الله تعالى بقوله (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . ومتى كان العمل الصالح اداء لحق، فلا تجوز فيه المنة ، لأن اداء الحق واجب لايحتمل المنة ، وقد اعتبر الله تعالى المنة التى يبطل بها معنى الخير المقصود بالعمل الصالح وفي ذلك يقول (ياأيها الذين امنو لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) .

وعلى أساس هذا المبدا قامت الصدقات على اختلاف أنواعها في الاسلام ، وكانت الغاية منها التعاطف والتراحم ، فلا يسوغ لأحد ان يكتنز طاقة ، مادية كانت او معنوية ، ويستاثر وحده ، وما دام لايستطيع ان يفيد منها او ينعم بهـا الا داخل المجتمع الذى يعيش فيه فيكون للمجتمع نصيب منها يجب ان يؤديه ، وهنا تتميز الشريعة الاسلامية في جعل هذا الحق مقرونا بالايمان ، فهو لايتقرر ولا يؤدى باكراه القانون ، فلا يأتي من خارج الانسان ، وانما يتقرر من داخل الانسان ويؤدى بدافع من ايمانه .

الوقف اهم انواع الصدقات

ويعتبر الوقف اهم انواع الصدقات لانه صدقة جارية تعمل في مجالات مختلفة تتجلى فيها قيم الحضارة الاسلامية ،ويتعلق اكثرها بمرافق عامةهى من صنع الافراد لا من صنع الدولة ، وفيها يحل التعامل الاجتماعي محل العصبية في بناء المجتمع ورص بنائه .

ومن هذه المرافق ، مرفق العبادة وهى الاساس الجامع لافراد المجتمع الاسلامى ، ومرفق التعليم، ومرفق الاسعاف الاجتماعي ، ومرافق اخرى لتامين خدمات عامة مختلفة .

الاوقاف اقامت المساجد

ففي مجال العبادة كانت تقام المساجد ويعين لها الائمة والخطباء والوعاظ والمؤذنون والخدم ، وتجهز بكل ما يحتاج اليه العابدون من مياه جارية

للوضوء والاغتسال والتطهر • وكان اكثر هذه المساجد واعظمها من اعمال الخلفاء والملوك والسلاطين ، كالجامع النبوى فى المدينة ، وجامع بنى امية فى دمشق ، والجامع الكبير فى حلب ، والجامع الازهر وجامع ابن طولون فى القاهرة ، وجامع القيروان فى تونس ، وجامع اصبهان فى فارس وجامع القرويين بمدينة فاس بمراكش،وجامع قرطبة باسبانيا ، وغيرها من الجوامع والمساجد التى تزدان بها العواصم والمدن الاسلامية • وفى العهد العثمانى اعتنى الخلفاء العثمانيون ببناء الجوامع العظيمة ، وكان كل جامع منها يرمز الى انتصار فى معركة حربية ، فكان الخليفة العثمانى اذا عاد مظفرا بنى جامعا باسمه اعترافا بفضل الله وتقربا له • ومازالت استانبول عاصمة الخلفاء العثمانيين عامرة بكثير من مساجد اولئك السلاطين •

الأوقاف اقامت معاهد التعليم

وفى مجال التعليم كانت الجوامع والمساجد هى المدارس الاولى فى الاسلام ، وفيها كانت تعقد حلقات التدريس ، ثم اخذت المدارس تبنى الىجوار الجامع وتكون جزءا منه ، ومنها ماكان يبنى مستقلا ويخصص لتدريس الفقه على مذهب من المذاهب ، هو فى الغالب مذهب الواقف ،كالمدرسة النظامية التى بناها عام ٤٥٩هـو١٠٠١م الحسنابو على الطوسى وزير السلطان الب ارسلان وابنه ملكشاه هذا الوزير هو الملقب بنظام الملك ،وكان شافعيا ، فبنى هذه المدرسة لتدريس الفقه على المذهب الشافعى ، وقام ببناء امثالها فى بلخ ونيسابور ومرو وهراة وهمذان والبصرة والموصل، حتى قيل ان له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة (١) •

والى جانب المدرسة النظامية بنيت فى بغداد مدارس اخرى اهمها مدرسة ابى حنيفة ، بناها السلطان مغيثالدين بنمحمدملكشاه (٥١١ـ٥٢٥هـ) (١١١٧ـ١١٣١م) وجعلها لتدريس الفقه الحنفى(٢) والمدرسة المستنصرية التى بناها الخليفة المستنصر بالله عام ٦٣١هـو١٢٣٣م لتدريس الفقه على المذاهب الاربعة (٣) •

وفى العهد الايوبى والمملوكى بنيت فى مصر والشام مدارس كثيرة كانت تسمى باسم بناتها من الملوك والسلاطين كالمدرسة الصلاحية،والكاملية والصالحية ، والمنصورية ، والمؤيدية ، والناصرية فى القاهرة،والمدرسة الظاهرية فى القاهرة ودمشق والمدرسة النورية والعادلية فى دمشق وحلب • وهناك كثير من المدارس الاخرى درست معالمها فقد روى ابن جبير فى رحلته التى طاف بها انحاء الشرق الاسلامى فى القرن السادس للهجرة انه شاهد عشرين مدرسة فى دمشق وشاهد ثلاثين مدرسة فى بغداد •

وفى الاندلس انشا المسلمون فى قرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة كثيرا من المدارس ، وقد بلغ عدد المدارس فى غرناطة ١٧ مدرسة كبرى و١٢٠ مدرسة صغرى (٤) ، ولا بد من التنويه بالمدارس التى انشاها العرب فى جزيرة صقلية والتى ساهمت مع المدارس الاندلسية فى نقل الحضارة العربية الى اوربا •

والأوقاف اقامت دور الكتب ومراكز البحوث

وقد اهتم الخلفاء والملوك والوزراء بانشاء دور الكتب،لتكون مركزاللبحوث العلميةومن اشهرهادار الكتب التى انشاها الرشيد ،و دعيت (بيت الحكمة) وجمع فيها كتب الهند والفرس والروم • ولما تولى المامون انشا فيها مجالس الترجمة وجمع فيها كتب العلم فى لغاتها وفيها اليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية فضلا عن العربية (٥) • وفى عام ٣٨١هـ (٩٩١م) انشا سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة البويهى دارا للكتب فى بغداد سماها (دار العلم) ونقل اليها كثيرا من الكتب ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرسا ووقفها على العلماء ، وبقيت سبعين سنة واحترقت

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية طبع مصر ١٩٦٨ ج٣ ص ١٣٥

(٢) ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى :المنتظم ج١٠ ص ١١

(٣) الحافظ الذهبى : العبر فى خبر من غبر طبع الكويت ١٩٦٠ ج٥ ص١٢٢

(٤) امير على : الوجيز فى تاريخ العرب (معربعن الانكليزية)

(٥) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامىطبع دار الهلال ١٩٣١ ج٣ ص٢٠٧

عند مجيء طغرلبك الى بغداد عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨م) (٦) • وقد روى ابن الجوزي ان عضد الدولة أنشأ في البصرة دارا للكتب احرقت في حريق البصرة عام ٤٣٨ هـ (١٠٤٦م) (٧) ، كما روى ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة ان احمدبنطولون أنشابجانب البيمارستان الذى بناهفى القاهرة خزانةكتب فيهامايزيد عليمائةالفمجلد في سائر العلوم (٨) •

وفي الصحة كان للأوقاف مجالات

وفي مجال الاسعاف الصحي اخذ المسلمون من الفرس بنظام البيمارستان والبيمارستان مؤسسة تقوم على تعليم الطب والتمريض وعلاج المرضى ، فهي مدرسة ومستشفى معا • وتعتبر المؤسسة التى بناها الملك سابور الاول في مدينة جنديسابور اقدم المؤسسات الطبية واشهرها ، وقد استقدم لها الاطباء من بلاد الروم ، وفيها تخرج الاطباء العرب بعد فتحها عام ١٧هـ (٦٣٨م) •

ويعتبر البيمارستان الذى بناه الوليد بن عبد الملك في دمشق اول مستشفى في الاسلام ، وقام من بعد ذلك الخلفاء والملوك والوزراء ببناء المشافي ، فبنى الرشيد اول بيمارستان في بغداد ثم أقام البرامكة بيمارستانا اخر ، واشتهر البيمارستان الذى اقامه الخليفة المقتدر بالله وبيمارستان امه (شغب) وقد افتتحهما الطبيب المشهور سنان بن ثابت عام ٣٠٦هـ (٩١٨م) (٩) كمااشتهر كذلكبيمارستان ابنالفراتوبيمارستان عضد الدولة بن بويه والبيمارستان المؤيدى الذى بناه بواسطة مؤيد الملك ابو على الحسن الرخجي وزير مشرف الدولة البويهي عام ٤١٣هـ (١٠٢٢م) (١٠) • وفي الشام اشتهر البيمارستان النورى في دمشق ونظيره في حلب ، وقد بناهما الملك العادل نور الدين محمد بن زنكي عام ٥٤٩هـ (١١٥٤م) (١١) وقد عدد المؤرخون كثيرا من البيمارستانات الأخرى التى كانت تتولى تامين الاسعاف الصحي وتعنى بعلاج المرضى ومكافحة الامراض •

وفي الاسعاف الاجتماعي كان للاوقاف نصيب

وفي مجال الاسعاف الاجتماعي نجد الوقف يقوم بالوان مختلفة من الخدمات المطبوعة بالطابع الانساني الرفيع ، منها انشاء ابنية لايواء الغرباء والفقراء من طلاب العلم ، يطلق عليها اسم (خانقاه) واخرى لايواء الزهاد والمتعبدين ويطلق عليها (الزوايا) (١٢) •

وهناك انواعاخرى من الوقفتتعدد غاياتها بتعدد وجوه البر ، ويكاد يحار المرء في دقة خواطر الواقفين في ابتداعها ، فقد روى ابن بطوطة انه شاهد في دمشق اوقافا لاتحصر انواعها ومصارفها لكثرتها ، فمنها اوقاف على تجهيز البنات الى ازواجهن اذا كان اهلهن من الفقراء ، ومنها اوقاف لفكاك الاسرى ، ومنها اوقاف لمن ينقطع في العودة الى بلده ، ويذكر ابن بطوطة حادثة شاهدها بنفسه وهى انه بينما كان يمر ببعض أزقة دمشق ، رأى مملوكا صغيرا قد سقط من يده صحن من الفخار الصيني فانكسر ، فاخذ المملوك يبكى خوفا مما قد يناله من سيده من ضرب او تانيب ، فاجتمع عليه الناس وقال له احدهم : اجمع قطع الصحن واحملها لصاحب اوقاف الاوانى فيدفع لك ثمنه او يشترى لك مثله ففعل • وقد أنشأ الواقف هذا الوقف وخصص غلته لمثل تلك الحوادث حتى يحمى المماليك والارقاء من اسيادهم (١٣) •

ومثل اخر رواه التنوخي في نشوار المحاضرة عن تاجر في بغداد سافر في تجارة له في بلاد الروم فرأى مايعانيه اسارى المسلمين من قسوة البرد وشدته ، فاتفق مع راهب كنيسة ان يرسل اليه في كل سنة أكسية واغطية للأسارى في مقابل

(٦) ابن الجوزى المنتظم ج٧ ص١٧٣ وج١ص٢٢ـ الحافظ الذهبى : العبر في خبر من غبر طبع وزارة الاعلام في دولة الكويت ١٩٦٠ • ج٣ص٢٢ •

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ج٩ ص٥٣ •

(٨) ابن تغرى بردى:النجوم الزاهرة ج٩ ص٧٢•

(٩) المنتظم ج٦ ص ١٤٦ •

(١٠) المنتظم ج٨ ص ١٠١ •

(١١) الدكتور احمد عيسى : البيمارستانات في الاسلام • طبع دمشق عام ١٩٣٩ ص١٠٩ •

(١٢) رحلة ابن جبير ص ١٥ ـ ١٦ •

(١٣) رحلة ابن بطوطة ـ طبع بيروت ١٩٦٤ ص١٠٤ •

ان ينفق على بيعة فى بلد الاسلام ، وقد انشا وقفا لتامين هذه المبرة (١٤) .

ومن الاوقاف الغريبة واجملها (قصر الفقراء) الذى بناه فى ربوة دمشق نور الدين محمود بن زنكى ، فانه لما راى فى ذلك المتنزه قصور الاغنياء، عز عليه الا يستمتع الفقراء مثلهم فى الحياة ، فعمر القصر ، ووقف عليه قرية داريا ، وهى اعظم قرى الغوطة واغناها (١٥) .

وقد عنى المسلمون بانواع اخرى من الاوقاف لتامين خدمات عامة ، منها انشاء الحمامات العامة، وحفر الآبار فى طريق الاسفار ، وانشاء السبل لسقاية المارة ، ومنها ماكانت تنفق غلته لتوسيع الطرق الضيقة ، وانشاء المصانع (الاحواض) لخزن مياه الرى ، وتعهد الاقنية التى تجرى فيها ودواليب المياه التى ترفعها (١٦) .

ولم يهمل الواقفون رعاية الحيوان والرفق به، فانشاوا وقوفا لرعاية الحيوانات المريضة ، او العاجزة ، او التى تخلى عنها اصحابها ولا تجد ماتاكله ، بل ان بعض الواقفين فكر برعاية الطيور فشرط صنع آنية توضع فى رؤس المآذن ، وتملا بالحب فيلتقط منها الطير مايشبعه فى ايام القحط او البرد الشديد .

وقد رصد الواقفون لتامين هذه المنافع والمرافق الاموال من ابنية وأراض وبساتين ، وشرطوا فى وقفياتهم طرائق صرف غلاتها بدقة بالغة لتحقق الخير الذى ابتغوه . فان كان الموقوف عليه جامعا عينوا عدد القائمين على الصلوات والشعائر وحددوا رواتبهم التى تفى بمعاشهم ، وأمنوا كل ما يتصل بدوام العبادة .وان كان الموقوف عليه مدرسة ، خصصوا العلوم التى تدرس فيها وعينوا عدد الاساتذة ، وجعلوا لكل استاذ معيدا ليتدرب على التدريس وينوب عن استاذه فى غيابه ، وقد ذكر السبكى ان ابا بكر الشاشى الذى لقب فيما بعد بلقب الامام الكبير فخر الاسلام كان معيدا لدروس شيخه ابى اسحاق الشيرازى فى المدرسة النظامية ، وذكر اسماء المعيدين الذين أصبحوا فيما بعد كبار الائمة (١٧) .

ويعين الواقفون رواتب المدرسين والطلاب ، ومن الواقفين من كان يقيم اجنحة فى المدرسة لسكنى الطلاب واطعامهم ويقف دورا لسكنى الاساتذة والمدرسين .

وان كان الموقوف عليه مستشفى فتصرف غلة الوقف على تمريض المرضى وخاصة الفقراء والغرباء، وصرف الادوية لهم . وقد جهزت هذه المستشفيات بمخازن للادوية (صيدليات) .وان كان الموقوف عليه رباطا او زاوية او خانقاه ، فتصرف غلة الوقف على تعهد من اعدت لاستقبالهم وايوائهم وتوفير طعامهم وكسائهم . وان كان الموقوف عليه حماما او بئرا او سبيلا او اقنية ومصانع فتصرف غلة الوقف على تامين خدماتها وحسن سيرها .

الوقف قام بدور كبير فى بناء المجتمع الانسانى

ومما تقدم نجد ان الوقف قام بدور كبير فى بناء المجتمع الاسلامى ، وعن طريقه تحققت مجانية التعليم والتطبيب والعلاج واسعاف الفقراء والمحتاجين ، ومن خلال فكرة البر والخير التى تجلت فى الوقف ارتسمت ملامح الحضارة الاسلامية وقامت قواعدها . فقد كان القاعدة الاصيلة للفن الاسلامى فيما أبدع المهندسون المسلمون من روائع الابنية ، وكان القاعدة الاصيلة للفكر الاسلامى فى تخريج زمر العلماء فى كل فن وعلم ، كذلك ان القاعدة الاصيلة للشعور الاسلامى المعبر عن عقيدة الاسلام واهدافه .

وما عددنا من الوقوف هو غيض من فيض ، او قليل من كثير ، ففى العالم الاسلامى من الوقوف مالايحصى عددا ونوعا ، حتى قيل ان ثلث عمران العواصم الاسلامية كان موقوفا على المبرات التى كانت تتامن بها المرافق العامة ، وقد اخذ دور الوقف يخف ويضيق حين اخذت الدولة على عاتقها القيام بهذه المرافق ، فاضحت الوقوف الخيرية مقصورة فى اكثرها على بناء المساجد ومرافقها ، وتحول مالم يندثر من المدارس والمستشفيات الى دور آثار لتشهد بالدور الذى ادته فى انشاء الحضارة الاسلامية . ■■

الكويت ـ عبد السلام الترمانينى

(١٤) التنوخى : نشوار المحاضرات . طبع بيروت ١٩٧٣ ج١ ص ٥٦ بند ٢٠ .
(١٥) محمد كردعلى : خطط الشام طبع دمشق ١٩٢٧ ج٥ ص١٠٩ .
(١٦) المنتظم : ج٩ ص ٥٣ .
(١٧) رحلة ابن بطوطة ص ١٠٤



آلام الأذن

أثناء السفر بالطائرة أسبابها وعلاجها

بقلم الدكتور : جمال احمد الصواف

■ من منا لم يشعر يوما وهو مسافر في الطائرة بالضغط في اذنه او بالم شديد فيها ثم لايلبث ان يختفي الالم في لحظات او يستمر حتى بعد النزول من الطائرة .

وقد سالني الكثيرون عن اسباب هذا الالم وكيفية معالجته وتفادي حدوثه بصفة متكررة .

ولما كان الطيران اليوم من اهم وسائل المواصلات ان لم يكن اهمها لما يوفره من السرعة الفائقة والراحة والامان . ولاهمية الموضوع وشيوع هذه الحالة نسبيا واستجابة للسائلين ، لا بد من توضيح الاسباب التي تكمن وراء هذا الالم وكيفية التغلب عليه وتحاشي تكراره .

الأذن الوسطى

ولنبدا بتوضيح موجز لتركيب الاذن الوسطى وكيفية اتصالها بالجو الخارجي وتفاعلها مع تغير الضغط الجوي الخارجي اذ ان ذلك هو حجر الزاوية في موضوعنا :

اذا تتبعنا قناة الاذن الخارجية نجد انها تنتهي بذلك الغشاء الرقيق الذي نعرفه جميعا باسم طبلة الاذن Tympanic membrane ، والى الداخل من طبلة الاذن تقع الاذن الوسطى Middle Ear ، وهي عبارة عن غرفة دقيقة تحتوي على مجموعة العظيمات الدقيقة التي تقوم بتكبير وتضخيم الموجات الصوتية وتوصيلها من طبلة الاذن الى « الاذن الداخلية » .Internal Ear وهي التي تحول الموجات الصوتية الى موجات عصبية وتوصلها الى مراكز السمع بالمخ .

اختلاف الضغط

وحتى تقوم الاذن الوسطى بوظيفتها على الوجه الصحيح يجب ان تكون مملوءة بالهواء وبضغط يوازي الضغط الجوي الخارجي المؤثر على طبلة الاذن من الخارج اذ لو اختلف الضغط بداخل الاذن الوسطى عن الضغط الواقع على طبلة الاذن من الخارج ارتفاعا وانخفاضا لكان ذلك عائقا لحركة طبلة الاذن وبالتالي يتاثر توصيل الموجات الصوتية .وكذلك لو ملئت الاذن الوسطى بسائل بدلا من الهواء لكان ذلك ايضا عائقا لحركة العظيمات الدقيقة وبالتالي لتوصيل الموجات الصوتية الى الاذن الداخلية .

قناة استاكيوس

فاذا علمنا ان طبلة الاذن تفصل الاذن الوسطى عن الجو الخارجي تماما فلا بد ان تكون هناك واسطة توصل الهواء الموجود بالاذن الوسطى بالهواء الخارجي ومعادلة الضغط الواقع على وجهي طبلة الاذن تلك التي تعرف بـ « قناة استاكيوس » Eustschian tube ، وهي قناة دقيقة توصل بين الاذن الوسطى والجزء العلوي من البلعوم ــ الذي يعرف بالبلعوم الانفي Nasopharynx ، والذي يقع خلف الانف مباشرة ــ بفتحة محاطة ببعض العضلات الدقيقة تنفتح تلقائيا اذا ارتفع ضغط الهواء في الاذن الوسطى عن الضغط الخارجي فتسمح للهواء بالمرور الى الخارج حتى يتعادل الضغطان ، ولكن اذا

ارتفع الهواء الخارجي عن ضغط الهواء بالاذن الوسطى فلابد من الانقباض النشيط لهذه العضلات حتى تنفتح وتسمح بمرور الهــواء من الخارج الى الاذن الوسطى ، وستوضح أهميــة هـذه العملية فيما بعد •

ماذا يحدث اثناء الطيران ؟

ما الذي يحدث اذن اثناء الطيران ليسبب هذا الالم الذي يعكر علينا احيانا متعة الرحلة بالطائرة؟

المعروف ان الضغط الجوى يخف كلما ارتفعنا عن سطح الارض فى طبقات الجو العليا ولـذا فعندما تبدأ الطائرة فى الصعود يخف الضغط الجوى الخارجي ويصبـح الضغـط داخـل الاذن الوسطى اعلى نسبيا ، وهذا يدفع الهواء تلقائيا الى الخارج عن طريق قناة استاكيـوس حتـى يتساوى الضغـط بالاذن الوسطى مـع الضغـط الخارجي (انظر شكل ١) ويستمر ذلك حتى تاخذ الطائرة ارتفاعها المقرر فيستقر الضغط عند حد ثابت •

وما أن تبدأ الطائـرة فى الهبوط حتى تبدأ الدورة ثانية وبطريقة عكسية ولكنها اصعب بعض الشيء عما يحدث اثناء الصعود ، فمع هبـوط الطائرة ياخذ الضغط الجوى الخارجي فى الارتفاع، ولابد من انقباض العضلات المحيطة بفتحة قنــاة استاكيوس بالبلعوم حتى تنفتح وتسمح للهواء الخارجي بالدخول الى الاذن الوسطى حتى يتعادل الضغط فيهامع الضغط الخارجي (انظر شكل٢) وقد تحتاج للقيام بذلك الى مساعدة ارادية لتحريك عضلات البلع او التثاؤب • وخير طريقة لمساعدة ذلك هي امتصاص قطعة حلوى او مضغ قطعة من اللبان او ما شابه ذلك •

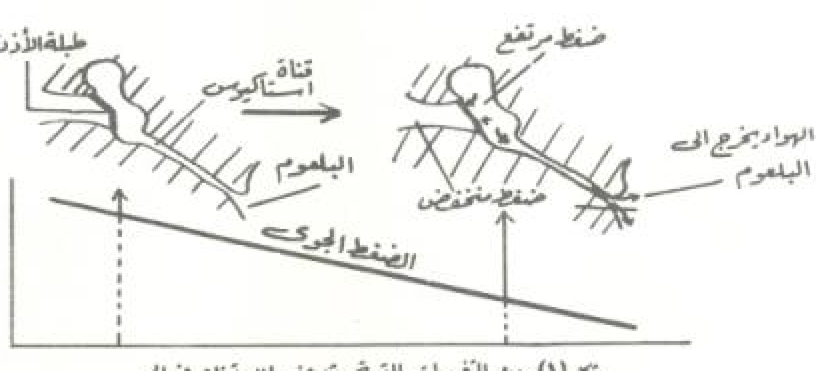
تكييف الضغط فى الطائرات

مما تقدم يتبين لنا التسلسل الطبيعي لما يحدث فى الاذن اثناء الطيران فى الصعود والهبوط بحيث يستمر التوازن بين الضغط الداخلي والخارجي ، ويساعد فى ذلك ان جميع الطائرات الحديثة بالاضافة الى ما تحتويه من وسائل الراحة والامان فهي كذلك مكيفة الضغط بمعنى ان الضغط داخل الطائرة مثبت الى حد كبير بحيث لا يتاثر كثيرا بالتغيرات التى تحدث بالضغط الجوى الخارجي مع تغير مدى ارتفاع الطائرة فى الجو بعيدا عن سطح الارض ولهذا فاننا لا نشعر عادة باى الم بالاذن اثناء الطيران فيما عدا الشعور ببعض الضغط او الالم الخفيف بالاذن الذى سرعان ما يختفي اذا ما قام المسافر بابتلاع لعابه او امتصاص قطعة من الحلوى او مضغ قطعة من اللبان كما ذكرنا مما يساعد على فتح قناة استاكيوس وسرعة معادلة الضغط وخصوصا اثناء هبوط الطائرة •

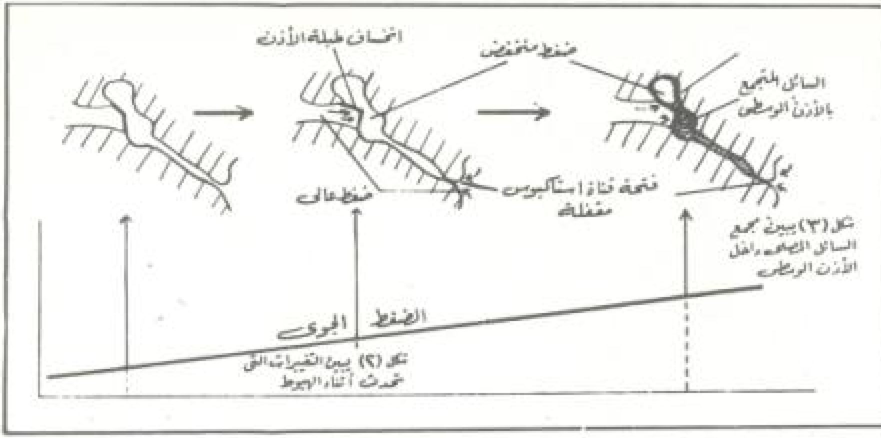
اذن ما الذى يسبب ذلك الالم الشديد فـى الاذن الذى قد يصيب بعض الاشخاص اذا سافروا بالطائرة ولماذا يتكرر ذلك لبعضهم كلما ركبوا الطائرة بل قد يستمر معهم بعض الوقت - الذى قد يطول - بعد نزولهم من الطائرة ؟

أسباب الألم الشديد بالاذن

يتضح لنا مما سبق وبيناه عن قناة استاكيوس وفعاليتها فى توازن الضغط فى الاذن الوسطى



شكل (١) يبين التغيرات التى تحدث عند الارتفاع فى الجو



مع الضغط الجوى الخارجى ، انه يمكن القول بصفة اجمالية ان السبب المباشر لحدوث ذلك الالم بالاذن اثناء الطيران هو دائما عدم قدرة قناة استاكيوس على التجاوب السريع لاختلاف الضغط داخل الاذن الوسطى عن الضغط الجوى الخارجي وغالبا ما يحدث ذلك اثناء الهبوط ، فاذا لم تنفتح قناة استاكيوس وتسمح للهواء بالدخول الى الاذن الوسطى فان الهواء الموجود فيها يمتص وينتج عن ذلك انخفاض الضغط داخل الاذن الوسطى فتنخسف طبلة الاذن الى الداخل وتقل حركتها ويشعر المسافر بالالم فى اذنه وبضعف واضح فى قوة السمع ، واذا استمرت الحالة اكثر من ذلك فان الضغط السلبى ، داخل الاذن الوسطى نتيجة امتصاص الهواء بداخلها يدعو الى ارتشاح سائل مصلى Transudation of Serum (راجع شكل ٣) فيملأ ذلك السائل المصلى الاذن الوسطى لتعويض انخفاض الضغط فيها وهنا يزداد الالم والشعور بالصمم ولكن ذلك كله سرعان ما يزول كليا عندما تعود قناة استاكيوس الى عملها الطبيعى فيخرج السائل المتجمع ويدخل الهواء الى الاذن الوسطى .

ولا بد لى هنا من التنبيه الى ضرورة عدم اهمال العلاج الفعال بمعرفة الطبيب الاخصائى اذا لم تعد الاذن الى حالتها الطبيعية بعد فترة معقولة اذ ان اهمالها وقتا طويلا قد يؤدى الى تحول السائل المرتشح داخل الاذن الوسطى الى تليفات مزمنة يصعب التخلص منها .

كيف نتجنب حدوث هذه الآلام

ناتى الآن الى وسائل تجنب حدوث هذه الحالة واول واهم نصيحة اوجهها الى اى مسافر بالطائرة هى ان يتجنب السفر بالطائرة اذا كان مصابا بزكام او رشح بالانف لانه فى مثل هذه الحالات يكون الغشاء المخاطى للانف والبلعوم الانفى فى المنطقة المحيطة بفتحة قناة استاكيوس محتقنا ومتورما يمنع مرور الهواء من والى الاذن الوسطى .

ولنفس السبب ايضا انصح المصاب بالتهاب اللوزتين الحاد والتهاب الجيوب الانفية بعدم السفر بالطائرة اثناء الالتهاب النشيط حتى يختفى الالتهاب الحاد .

وكل مسافر بالطائرة يستطيع ان يتجنب اى مضايقة اذا ما عمد الى امتصاص قطعة من الحلوى وبالذات عند بدء هبوط الطائرة لمساعدة قناة استاكيوس على الانفتاح والقيام بوظيفتها الطبيعية .

أمراض اخرى تسبب الآلام

أما الاشخاص الذين تتكرر لهم هذه الحالة كلما سافروا بالطائرة فانه غالبا ما يكون هناك عيب ما فى منطقة الانف او الحلق يسبب ذلك ، ومن هذه العيوب نذكر الحالات الاتية :

١ ـ وجود حساسية بالانف
٢ ـ وجود الزوائد اللحمية بالانف .
٣ ـ انحراف الحاجز الانفى .
٤ ـ التهاب الجيوب الانفية المزمن .
٥ ـ تضخم اللحمية خلف الانف خاصة فى الاطفال .

ولهذا فاننى انصح الشخص الذى يتكرر له حدوث الم فى الاذن كلما سافر بالطائرة باستشارة الطبيب الاخصائى بالانف والاذن والحنجرة لمحاولة اكتشاف العيب المسبب للحالة وعلاجه . ■■

الكويت ـ جمال احمد الصواف

"اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"

● لم تعد رسالة التعليم اعداد التلميذ لمواجهة الحياة • اصبحت الرسالة تطويراً للذات وتنمية لها وللمجتمع • ترى هل نجد فى « التعليم المستمر » الحل لمشكلات التعليم فى مجتمعنا العربى ؟ ••

التعلم

بقلم : علي بركات

لا شك ان المتغيرات التى تلاحقت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية قد تمخضت عن عدم توافق بين النظم التعليمية ومجتمعاتها ، وادت الى « ازمة تربية عالمية » World Educational Crisis كما اصطلح على وصفها •

ويقر قادة الفكر التربوى العرب انه لامناص من مواجهة متغيرات العصر ، واعداد الابناء لمواجهتها بصورة مستمرة ، مما يقتضى التخلى عن كثير من المفاهيم والمسلمات التربوية التى انحدرت منذ القدم ، لتحل محلها الآراء والافكار التعليمية والتربوية التى تفى بحاجات المجتمع ، ومتطلباته ، وتدفعه الى التقدم •

ونجم عن التطورات الجذرية فى المجتمعات حركة استهدفت اعادة النظر فى التربية السائدة بغية الوصول الى مفاهيم « ديناميكية » تحقق تطلعات الفرد والمجتمع ، وتزود المواطنين بامكانات « التعلم المستمر » Continuous Learning. و «التربية مدى الحياة» Lifelong Education

ومن ثم ظهر فى الربع قرن الاخير مفهوم «التعلم المستمر » ليحل فى تضاعيفه آمال المستقبل ، واحتمالاته فى مجال التربية وفلسفتها ،وتطبيقاتها، ووسائلها •

والنهوض بالتعليم فى العالم العربى ،والسعى نحو حل مشكلاته يقتضى الا نكون بمعزل عن الاتجاهات التربوية والتعليمية المعاصرة •

نشأة وتطور التعليم المستمر (١)

تمتد جذور « التعلم المستمر » المتكامل مدى الحياة الى مطلع الحياة البشرية منذ ان واجه

---

(١) هناك فرق بين التعلم Learning الذى يقوم به الفرد بنفسه ، والتعليم Teaching وهو مجهود فرد لحمل آخر على تعلم شىء ما •

الانسان بيئته باحوالها وظروفها ، فحاول السيطرة عليها ، والتكيف معها ، لينال ماربه ، فاخذت خبراته تنمو ، وحاجاته تتزايد ، مما الزمه ان يتعلم جديدا كل يوم ، ليطور نفسه ، ويؤثر فيما يحيطه ، فكان « التعلم المستمر » فى حياته واقعا ملموسا ، وحقيقة معاشة ، غيران « التعلم المستمر » لم تتحدد سماته ، وتتضح خصائصه الا منذ عام ١٩٦٠ ، حينما عقد المؤتمر الدولى الثانى « لمنظمة اليونسكو » لتعليم الكبار Adult Education ، فى مدينة مونتريال بكندا ، وفيه صيغت لمسائه الاولى اذ تقرر انه « لم يعد كافيا ان يقضى الفرد سنوات محددة فى التعليم

مفهوم « التعلم المستمر »

تعددت المصطلحات التى تطلق على هذا الضرب من التعلم ، فمنها « التربية المستمرة » Continuing Education ، و « التربية مدى الحياة » Lifelong Education ، و « التعلم بالمبادرة الذاتية » Self-initiated learning او « الترجيه الذاتي » Self-directed Learning ، وشاع فى الفرنسية بالتربية الدائمة L'Education Permanente ، وفى العربية « بالتعلم المستمر » Continuous Learning وكلها تؤكد ان التربية عملية مستمرة تدوم مدى

المستمر

أعظم ثورة تربوية فى القرن العشرين

المدرسى ليتمكن من ان يسلك طريقه فى حياة قد تمتد لاكثر من خمسين عاما ، اذ ان ما تعلمناه فى الصغر قد اصبح اليوم عتيقا فى حاجة الى ان نضيف اليه جديدا » .

وفى عام ١٩٦٤ وافقت ١١٨ دولة فى المؤتمر العام لليونسكو على توصية مفادها ان « الاشكال المختلفة للتعليم خارج المدرسة، ولتعليم الكبار ، يجب اعتبارها جزءا لا يتجزا فى نظام التعليم لتتاح الفرص للذكور والاناث ليستمروا فى التعلم مدى حياتهم » .

وفى عام ١٩٧٢ قدم « ادجار فور » Edgar Faure ،رئيس اللجنة الدولية لتطوير التربية والتعليم بمنظمة اليونسكو ،تقريرا عنوانه «التعلم بهدف ان نكون» Learning to be ، محتويا ٢١ توصية تضمنت الاولى مبدأ « ضرورة ان يكون التعلم مدى الحياة ركنا أساسيا فى رسم السياسات التعليمية فى السنوات القادمة » وذلك لتطبيق « التعلم المستمر بأساليب متنوعة باختلاف الدول» .

وبلورت هذه المناشط التربوية والتعليمية على المستوى العالمى مفهوم « التعلم المستمر » فامكن تحديد مضمونه .

الحياة ، وتتضمن اكتساب الفرد المعلومات والاتجاهات والقيم والمهارات بالتعلم حتى يحقق التكيف مع نفسه وبيئته الطبيعية والاجتماعية . وبالتالى يتصف التعلم بالاستمرارية ، ولايقتصر على مرحلة من العمر ، او ينحصر فى سنوات دراسية محددة ، وانما يستمر باستمرار الحياة متلاحما معها ، وفى سياقها . وكان المفهوم التقليدى للتعلم يقصره على الطفولة والشباب ، ثم الممارسة والتطبيق اثناء العمل حيث يتوقف التعلم ، ولكن التعلم المستمر يقرر انه لا محيص من استمرار تطوير المهارات ، واثراء الخبرات باستمرار التعلم .

وقد ارهص « جون ديوى » John Dewey بهذا النوع من التعلم حينما قال : « ان التعلم الحقيقى ياتى بعد ان نترك المدرسة ، ولا يوجد مبرر معقول لتوقفه قبل الموت » .

والتعلم المستمر يحرر الفرد من قيود المهارات الجسمية والعقلية التى يتوهم انها تحددت منذ بواكير حياته ولا فكاك منها ، اذ لا حدود لاستثارة استعداداته ، وبحثه عن الخبىء من قدراته ، ولئن كانت « اعرف نفسك » المقولة المأثورة عن

« سقراط » فان ما ينادي به اليوم دعاة التعلم المستمر هو « اعرف قدراتك » .

وبذلك يصبح الفرد « المعلمَّ المستمر لنفسه » The Continuing Learner ، ويصبح « التعلم هو التعلم للتعلم Learning is learning to learn كما يقول ر . ج . بلاكلي R. J. Blackely

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » .

مجالات متعددة للتعلم

وتتضمن ميادين « التعلم المستمر » التعلم غير الشكلي informal في البيت والمجتمع ، والشكلي قبل المدرسة Pre-school ، (الحضانة والروضة) والتعلم الابتدائي والاعدادي والثانوي والعالي ، والبرامج التدريبية للعمال والفلاحين والخدمات العامة بالمعاهد التعليمية . وتشمل كافة مراحل الحياة في الرضاعة والطفولة والمراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة ، للذكور والاناث . ولا تفرق بين الذين يتفرغون للدراسة ، ومن يعولون انفسهم في اثنائها ، ولا مفاضلة بين التعليم النظري والعملي .

أهداف التعليم المستمر

واذا كان لا مندوحة من اعادة صياغة التعليم النظامي ليتوائم مع « التعلم المستمر » مدى الحياة ، ففي صدارة مايتاثر بذلك اهداف العملية التعليمية والتربوية . فقد شاع ان رسالة المدرسة اعداد تلاميذها للحياة في المستقبل Preparation for future Living ، على افتراض ان ايقاع الحياة في مجتمع مستقبلهم يماثل مجتمع الاباء والمعلمين ، ولكن طبيعة التغير الدائم ، والتطور المستمر ، فرضت ان يكون التعلم « امتزاجا جوهريا بالحياة المعاصرة » فيما يقول اكسندر تشارترز Alexander Charters

والحق ان علاقة التعلم المستمر بالحياة ـ قوامها سهولة الانتقال من احدهما الى الآخر في اى وقت ، وفي كل المراحل ، ولكافة انواع العلوم ، وبذلك يتحتم ان يكون هدف العملية التعليمية جعل التعلم المستمر مدى الحياة « حاجة » a need ، و « طبيعة ثانية » Second nature ، و « اسلوب حياة » Style of living ، مما يمكن الفرد الا ينقطع عن تطوير ذاته ، ومجتمعه بفضل فاعليته ، وتنمية قابلياته ، وتعليمه نفسه بنفسه .

اهمية التعلم المستمر

يعتبر « التعلم المستمر » ملمحا بارزا في الاتجاهات التعليمية والتربوية المعاصرة ، ويصفه « روبي كيد » Robby Kidd احد رواده ـ بانه « اعظم ثورة تربوية في القرن العشرين » ، ولذا دارت حوله المناقشات ، ودونت فيه البحوث والدراسات ، وعقدت بشانه المؤتمرات .

وترتب على نمو المعدل العمري للانسان في الربع الاخير من القرن الماضي ان اصبح يعيش عمرا اطول ، ويعمل لفترات اكثر ، مما اقتضى استمرار تعليمه . ولم يعد من المستساغ ان يمضي طيلة حياته في المهنة التي بدا بها حياته العملية ، اذ كثيرا ما يضطر الى مزاولة مهن متعددة ، كما قد يؤدي التطور الصناعي الى الاستغناء عن مهنته ، او يعجزه المرض عن الاستمرار فيها ، ولذا كانت الحاجة الى التعلم والتدريب لاتحدها حدود الزمان والمكان ، ولم يعد يتحتم الانفصال عن تيار الحياة للتعلم .

واستمرار التعلم يفسح فرص الحصول على التعليم لعدد اطول من السنين ، اذ يقرر « والتر سميث » Walter Smith ان الكثيرين قد لاتتضح قدراتهم ، وتظهر مواهبهم الا في عمر متاخر ، او يكونوا بطيئي النمو العقلي في طفولتهم ، او قد صادفهم الفشل الدراسي ، ولكنهم بعد ان ينقطعوا عن التعلم النظامي يتطلعون الى التعلم في لهفة مدفوعين بحوافز جديدة ومثيرات فعالة في محيط حياتهم ، بالاضافة الى شحذ ارادتهم لاكتساب المعارف ، واكتساب المهارات ، واجتناء الحقائق .

وقد تعددت المنظمات والجماعات التي ينتمي اليها الفرد بسبب تعدد المتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وصار عليه ان يجيد الدور Role الذي يفرضه عليه المركز Status في المواقع المختلفة ، وهذا يحث على استمرار تربيته ليتفهم ماهو المطلوب منه على نحو افضل .

الاسس السيكولوجية لاستمرار التعلم

يكتسب التعلم المستمر اسسه السيكولوجية من عناصر الاستمرار فى التربية التى تبدا فى الظهور منذ ميلاد الطفل حيث يولد مزودا بالدوافع والنشاط مصدر حركته وتلوين نشاطه وتغييره كيفا وكما على مدى نضجه ، ولذا فهو فى مهده يميل الى الاستطلاع ، ويتوق الى الاستكشاف ، ويداب على اقامة علاقات اجتماعية مع الاخرين ، وياخذ فى صوغ قدراته الجسمية فى صورة مهارات حركية فيما يوضح « ارثر جيتس » Arthur Gates

والتفاعل بين الطفل وبيئته مستمر لايتوقف ، اذ لاينقطع عن ممارسة الخبرات ، كما انه ينتقى منها العناصر التى ينقلها من خبرة الى خبرة تليها ، وهذا « الانتقاء » المستمر يزداد كلما زاد نضجه وقدرته على اداء حركاته ، واشباع حاجاته، والاعتماد على ذاته ، وهذه كل الاسس التى تقوم عليها التربية المستمرة فى تحقيق « الدوام » Duration ، و« والتواصل » Continuing للتعلم المستمر . والطفل يتعلم منذ ولادته فيربط بين لفظ « ماما » كمثير Stimulus ، وشكلها كاستجابة Response ، وبذلك يحدث التعلم عند الارتباطيين association الذين يرونه نتيجة ارتباط بين مثيرما ، واستجابة معينة ، ثم ياخذ فى تعميم المثيرات Generation Stimulus ، فاذا كانت الاستجابة (س) قد تعلم القيام بها فى مواجهة المثير (١) لتحقيق هدف معين ، فانه يكررها فى مواجهة المثيرات المتشابهة ، فالطفل الذى يتجنب الموقد المشتعل فى بيته يميل الى تجنبه فى اماكن اخرى . ومن الدافعية Motivation والممارسة Practice ، والنضج Maturation والتعميم ، وهكذا تتكون شروط التعلم الجيد .

والتعلم خبرة طبيعة تشكل معظم وقت الطفل، وتتمثل فى النشاط الذاتى الذى يتجه به نحو « اللعب » و « الاسئلة » التى تعبر عن الرغبة فى اشباع « الجوع العقلى » الذى اذا احسن تغذيته بالمعارف والحقائق ، زاد النهم الى الجديد، وغرست اسس التعلم المستمر .

نمو الشخصية واستمرار الخبرة العربية

لاشك ان النمو عملية مستمرة تبدا منذ حياة الطفل الرحمية ، لان ميلاده لايعنى بدء تكوينه ، انما هو علاقة ترقيم فى تسلسل نموه ، وانتقاله من بيئة العالم الخارجى ، اذ يسبق الميلاد فترة ما قبل الميلاد ذات الاثر الهام فى دورة نموه النفسى التى لاتنتهى بانتهاء الحياة .فلا يخضع الجنين فى تكوينه لعوامل الوراثه فحسب ، ولكن يتاثر بالعوامل البيئية وهو فى الرحم ، ولذا فان سلوك الفرد حصيلة عوامل وراثية بالاضافة الى عوامل بيئية قبل الميلاد مثل حالة الام الحامل الصحية ، وبعد الميلاد مثل طريقة تربيته فى الاسرة وتعليمه فى المدرسة ، ومن هنا يقول رونالد لولى Ronalled Lally ، « ان التعلم عملية نمو مستمرة تبدا فى الرحم وتنتهى عند الموت فحسب». Starting in the Womb and end only at Death.

والتربية المستمرة تؤمن ان النمو يجب ان يكون مستمرا،ليحقق النماء الشخصي المستمر Continuous Growing فلا يتصور الفرد انه بلغ مستوى من التحصيل يجب ان يقف عنده ، اذ يلزم ان يمر بعملية نضج مستمرة ، تزيد من ارتباطه بالحياة.

والتعلم المستمر ينطوى على الخبرة التربوية التى تصاحب الانسان فى مختلف مراحل حياته ،

واهم خصائصها « الاستمرار » الذى يعنى ان الخبرة الحاضرة مستمدة من الماضية ،وتؤثر فى اللاحقة ، ويرتبط الاستمرار « التفاعل » لان التفاعل بين الانسان وبيئته يستمر باستمرار الحياة ، واتصالها . فالخبرة التربوية تؤدى الى النمو ، وهو ترق جسمانى وعقلى ، ويدعم استمرار الخبرة استمرار الحياة ، كما ان التربية الحديثة تؤكد ضرورة استمرار التربية لنماء الفرد ، واستغلال قدراته

لتطوير نفسه ومجتمعه ، وبذلك لاتنقطع حاجته الى التعلم المستمر .

آفاق جديدة لتعليم الكبار

ساد الاعتقاد لفترة من الزمن ان عقل الطفل مرن ، في حين ان عقل الكبير جامد غير قادر على اكتساب الجديد من المعارف ، وان الطفولة هي فترة التعلم ، والقدرة عليه تتجه نحو النقصان بنسبة عكسية مع التقدم في العمر ، الى ان ظهر عام ١٩٢٨ مؤلف « تعليم الكبار » الذى احتوى نتائج بحوث ثورنديك Thorndike ، وزملائه حول قدرات الكبار، واوضح ان في استطاعتهم الاستمرار في التعلم ، لان العقل لايتوقف عن التحصيل في سن معينة ، ومنذ ذلك الحين اخذ مفهوم تعليم الكبار يكتسب مضمونه ليزداد ارتباطا بالتعلم المستمر باعتباره « مجموعة المجهودات التربوية التى ينبغى ان يستفيد منها الشباب والكبار خارج حدود انشطة التعليم النظامى هادفة الى زيادة كفاءة الفرد ، وقدراته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، لتقدم المجتمع ورفاهيته في شتى جوانبه البشرية والطبيعية » .

واتسع مجال تعليم الكبار ليشمل محو الامية ، والتربية الاساسية ، والتدريب المهنى ، والتثقيف الصحى ، والتعليم الوظيفى ، وتعليم المراة ، والنشاط الترويحى ، وشغل اوقات الفراغ .

التعليم النظامى وتنمية التعليم المستمر

ظلت المدرسة تعنى بالمواد الدراسية التى تحشو ادمغة التلاميذ بالمعرفة Knowledge عن طريق التلقين ، واغفلت الاهداف التربوية للعملية التعليمية التى صنفها « بلوم » Bloom بالاضافة الى المعرفة ، في الفهم Comprehension والتطبيق Application ، والتحليل Analysis والتركيب Synthessis ، والتقويم evaluation مما قيد حرية البحث والكشف لدى التلاميذ ، ثم ارتفعت دعوة المدرسة التقدمية لجعل الصدارة للتلميذ ، فصار محور العملية التربوية التى عنيت بخصائص نموه وحاجاته وميوله .

ولاشك ان للمدرسة تاثيرها في غرس التعلم المستمر لدى تلاميذها ابتداء من سنوات الحضانة حينما يشجعون على اظهار نشاطهم الذاتى ، وقيامهم عن طريق « اللعب » بتمثيل الدور الذى يبعث عندهم تفهم المراكز الاجتماعية والسلوك المناسب لها ، بالاضافة الى الالعاب الحركية التى تؤدى الى التفكير بالايدى مما يشكل بداية التفكير العلمى القائم على الخيال .

وقد ظهر اتجاه نحو تطوير المدرسة الابتدائية منذ ان صدر قانون التعليم العام الانجليزى عام ١٩٤٤ الذى نص على ان التعليم عملية مستمرة هدفها تنمية الفرد واعداد المواطن ، وضمان طفولة سعيدة ، فصار من حق الفرد ان يحصل على تعليم يتناسب مع عمره ، وقدراته ، واستعداداته ، وبذلك حلت المفاهيم الثلاثة 3As وهى Age, Ability, Aptitude (العمر ، والقدرة والاستعداد) محل مفهومات غيرها ثلاثة (3Rs) Reading, Writing, Arthmatic اى القراءة والكتابة ، واتيح للتلاميذ ان يمارسوا النشاط الذى ينمى فيهم الميل نحو الاستمرار التلقائى في التعلم ، واصبح التعليم في كافة المراحل يتطور نحو تزويدهم باسس المعرفة لتكون قاعدة التربية الذاتية ، وتعليمهم كيف يتعلمون Learning How to learn ، في ظل مجتمع معلم Educative Society .

الجامعات سبيل للتعلم المستمر

يصرح « ف.كومبز » Ph.H. Coombs ان اعظم الجامعات لاتستطيع ان تامل في تخريج اشخاص متعلمين ، بمعنى انهم قد اتموا تعليمهم ، اذ ينبغى ان يكون هدفها تخريج اشخاص قادرين على التعلم ، اى لديهم استعداد ليعيشوا حياة التعلم المستمر .

ويقرر الدكتور ف.س جيمس رئيس جامعة ماكجل McGill ، ان هناك اتجاها متزايدا نحو اعتبار ما تم تعلمه في الجامعة سوف يصبح قديما وباليا عندما يصل الخريج الى منتصف حياته المهنية ، اذ سيحتاج الى الجامعة مرة اخرى خلال فترات لاتزيد على عشر سنوات للتعلم من جديد. كما ان هناك مجالات جديدة من العمل ستظهر في

المستقبل ستحتاج منهم ان يؤهلوا انفسهم لها ٠

وبذا اصبح الهدف الذى تصبو اليه الجامعات تخريج متعلمين ليتحملوا مسئولية المبادرة والتوجيه ليعلموا انفسهم فى الجامعة وخارجها ٠

انماط من التعلم المستمر

١ ـ التعلم البرنامجى

وقد ظهرت انماط متعددة من التعلم طبقت لتنمية التعلم الذاتى لدى الدارسين ، منها التعلم البرنامجى « المبرمج » Programmed الذى يمكن الدارس من ان يعلم نفسه بنفسه ، وبجهده الذاتى ، ويتابع خطوات تقدمه او تكوصه مباشرة، وساد هذا النوع من التعلم فى السنوات العشر الاخيرة فى مدارس امريكا وانجلترا واليابان وروسيا ٠ وترجع فكرته الى عام ١٩٢٦ عندما ابتكر « برسى » Pressey آلة تتضمن مجموعة من الاسئلة واجابتها الصحيحة ، ويقوم الدارس بتحريكها بنفسه لتظهر الاسئلة ، فاذا سجل الاجابة الصحيحة ظهر السؤال التالى وهكذا ٠ وتطورت هذه « الالة المعلم » ـ كما اطلق عليها « سكينر » Skinner ، الذى نشر مقالا عنوانه « علم التعلم وفن التعليم » ـ مما لفت الانتباه الى هذا الاتجاه الذى يحقق فاعلية الدارس ، ومعرفته نتيجة استجاباته ، واتاحة الفرصة ليتعلم كل فرد حسب قدراته ، مما يؤدى الى مواصلة دراسته بفاعليته الشخصية ٠

٢ ـ التعلم بالمراسلة

وجاء انتشار التعلم بالمراسلة من اجل الاستمرار فى التعلم نتيجة عوامل ، اهمها ـ فيما تقول « رينيه اردوس » Renee Erdos، مديرة مدرسة الدراسات الخارجية بكلية سيدنى باستراليا ، فى بحث لها عنوانه « التعلم بالمراسلة » ونشرته « منظمة اليونسكو » ـ ان التقدم التكنولوجى يتطلب اعداد عناصر بشرية صالحة لمتابعته ، وان اوقات الفراغ التى صارت من حقوق العمال دفعتهم الى البحث عن اعمال مفيدة يستثمرون فيها اوقاتهم ، والمعزولون جغرافيا بعيدا عن معاهد العلم احوج مايكونون الى هذا النوع من التعلم ، بالاضافة الى الذين يعملون فى نفس الوقت ، والمرضى والمسنين ونزلاء السجون ، كل هؤلاء فى حاجة الى استمرار تعلمهم ٠

٣ ـ الجامعات المفتوحة

واستجابت النظم الجامعية فى السنوات الاخيرة، لدعوة الديمقراطية فى التعلم العالى ، ليصبح جزءا من ديمقراطية التعلم فى كافة انواعه ،حتى تتيح تعلما مدى الحياة للذين حرموا منه بسبب وضعهم الاجتماعى او استغراقهم فى اعمالهم اليومية ، او عدم مرونة اللوائح والقوانين وجمودها ، وبذلك فتحت الجامعات ابوابها لنظام الخدمة العامة الذى يستقبل الدارسين من مستويات تعليمية مختلفة ليقدم لهم انواعا من الدارسات تقتضيها تطورات الفرد والمجتمع الى جانب نظام الاستماع الذى يتقيد بمؤهل دراسى ويمكن من مواصلة الدراسة فى الاقسام والصفوف المختلفة٠

وهكذا عمدت الجامعات والمعاهد الى تطوير نفسها لتجعل من التعلم المستمر غاية لها ٠

مستقبل التعلم المستمر فى العالم العربى

ان التطورات فى العالم العربى تتطلب الا يرتبط مصير الفرد بمرحلة تعليمية معينة ، عليه ان يجتازها فى بواكير حياته ، بل يجب ان يكون التعلم فرصة مستمرة مدى الحياة ، موزعة على كافة افراد المجتمع ، لاتقتصر على الصغار دون الكبار ، ليتاح للجميع ان يعملوا على تنمية مجتمعهم ، وذلك لايتحقق الا اذا امكن رؤية النظام التعليمى السائد بموضوعية تيسر تقييم مدى صلاحيته وتطويره ، ليرتبط « حق التعليم » بديمقراطيته Democratization و « تجديده » بتعصره (٢) Modernization فى « مجتمع يعلم ويتعلم » ٠ ■■

علي بركات

---

(٢) اسماعيل مظهر ـ قاموس النهضة ـ القاهرة،مكتبة النهضة المصرية ، جـ١ ص٣٣١ ، جـ٢ ص١٣٣٧٠

تلاعب الأصوات اللغوية المتجاورة وأثر بعضها في بعض

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ في جميع اللغات — على اختلاف لهجاتها — كلمات وعبارات كثيرة ، تتوالى في كل منها مقاطع واصوات يثقل نطقها معا على اللسان ، لتماثلها او تقاربها او تنافرها ، فيميل الى تغيير بعضها ، اما بحذفه (او الصمت عنه) او يستبدل به غيره •

وايا كانت لغة الكلام او لهجته ، منثورا كان اسلوبه او منظوما (كالشعر) ، وادبيا كان موضوعه او غير ادبي — فلا بد له من حظ من الانسجام الموسيقي لافكاك له منه ، والا تكلف اللسان في نطقه فوق طاقته فيضطر الى التأني او التوقف ، وقد يتلجج ، او يضل طريقه ، عجزا عن الافصاح • فاذا لم يتحقق للكلمة او العبارة حظها من هذا الانسجام فاولى بنا ان نعدل عنها مهما يكن حظها من الصواب او الاصالة في لغتها الخاصة •

ومن امثلة الثقل عندنا في كلمة واحدة (استشزر) و (يستشزر) و (مستشزر) — اي مرتفع — لتنافر حروفها •

ومن امثلة الثقل في عبارة ، ماورد في شعر رثي به حرب بن امية (جد معاوية بن ابي سفيان) وكان قد مات في رحلة خلال الصحراء ، فدفن حيث مات ، فقبره هناك لا يجاوره غيره من القبور

فقال شاعر يرثيه :

وقبرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرِ
وليس قربَ قَبرِ حَرْبٍ قَبرُ

كانما القبر او دفينه يستشعر الوحشة في وحدته ، ويستشعر الانس في مجاورة امثاله ، والشطر الثاني هنا « وليس قرب قبر حرب قبر » هو المثل الذي يضربه البلاغيون على تنافر الحروف في الكلام • وفي لهجاتنا العامية كثير من امثال هذه العبارة المعقدة ، تتخذ احاجي او الغازا للاختبار والتعجيز ، ولو للهو والفكاهة •

وكما نجد الماء — وغيره من السوائل — يجري طليقا حيثيتهيأ له مجرى سهلمن اي جانب حوله• ثم يتشكل بشكله — كذلك تجري اصوات الكلام حين ينطلق بها اللسان من مخارجها في اجهزتنا الصوتية،فتلتمس اسهل المخارج واخفها ، ثم تتشكل بشكلها • ولا بد ان تبقى هذه الاصوات متمايزة بقدر الاستطاعة ، لكي يتيسر للكلمات او العبارات اداء وظيفتها ، وهي الدلالة على المعاني المختلفة ، ولولا هذا التمايز المستطاع في الاصوات لاختلطت معاني الكلمات والعبارات في الاذهان ، لاختلاط الاصوات في الآذان •

ان الكلمات بحكم تجاورها في النطق تشبه العناصر حين تتفاعل في الجسم ، فيقترب بعضها من بعض ، او ينفر منه ، وقد يكتفي بتنحيته ، او يستبدل به غيره في موضعه ، لكي يتخلص من الثقل ، وليس الكلام بنية حية ، ولكن الجهاز الصوتي — ومنه اللسان — بنية حية ، ذو طاقة محدودة ، ولابد من انسجام الاصوات بين مخارجه ، لتيسير مجراها •

ويصدق هذا على الاصوات الصحيحة ، كما يصدق على الاصوات المعتلة ، سواء كانت قصيرة (كالفتحة والضمة والكسرة) او طويلة (كالالف والواو والياء الممدودات) •

اي ان المتكلم يحاول نطق الاصوات بايسر ما يستطيع من تكلف ، وهذا ما يسميه علماء الالسن او الالسنيون « ادنى الجهد » في النطق او « الجهد الادنى » The Least Effort ، وهذا قانون لغوي عام في جميع اللغات كيفما اختلفت لهجاتها، ولكن ما يثقل في لغة او لهجة قد لا يثقل في

غيرها ، طوعا لما الفه اهلها فيما ينطقون ، فاللغة العربية مثلا لا تبدأ بحرف ساكن ، ولا تجمع بين ساكنين ، بخلاف الانجليزية التى تبدأ بالحرف الساكن ، وتجمع بين ساكنين ، كما فى كلمة Spring ، (اى الينبوع ، او اللولب او الربيع)، ولذلك يعجز بعضنا ـ بحكم عادتنا اللغوية ـ فينطقها « سبرنج » بكسر السين خالصا او مائلا او يسبقها بهمزة وصل كانها « اسبرنج » كما قيل « افلاطن ، او افلاطون » فى تعريب Platon و «اكسانوفنس» فى تعريب « Xanophanes »(١)، و « استراتيجية » فى تعريب « Strategy » ، وامثالها فى لغتنا قديما وحديثا كثير ٠

التخلص من السكون فى أول الكلام

ويقال فى لغتنا « مرء » (انسان) ومؤنثه « مراة » ولكننا حين نسكن الميم (اول صوت فى الكلمة) فى بداية النطق يقال : « امرؤ » و « امراة » باستجلاب همزة (للوصل) كى نتمكن من النطق بالميم ساكنة ٠

ونزيد هنا ـ استطرادا ـ ان الحرف الاخير فى الاسماء المعربة هو وحده الذى يقع عليه الاعراب ، ولكننا فى كلمة « امرىء » نصادف حالة نادرة ، هى ان حركة الراء تتبع حركة الهمزة الاخيرة فى اعرابها ، فنقول « امرؤ القيس شاعر » و « ان امرأ القيس شاعر و « لامرىء القيس شعر » ، بضم الراء وفتحها وكسرها تبعا لحركة الهمزة فى آخر الاسم رفعا ونصبا وجرا ٠

همزة الوصل وأول حرف متحرك بعدها

كما نلاحظ ان حركة همزة الوصل فى اول الكلمة « امرىء » تنسجم مع حركة اول حرف متحرك بعدها وهو الراء ، فتضم حين يضم ، وتكسر حين يفتح او يكسر ، فتقول : « امرؤ » و « امرأ » و « امرىء » ٠

وعلى هذا النسق الاخير يجرى فعل الامر ،

التخلص من التقاء الساكنين

لا ينطق العرب بصوتين ساكنين اذا اجتمعا متجاورين ، فضلا عن عدة اصوات سواكن ، ويستثنى من اجتماع الساكنين حالتان :

الحالة الاولى ان يكون اول الساكنين حرف مد فى وسط الكلمة الواحدة وثانى الساكنين حرف مدغم فى حرف متحرك مثله ، كما فى « الحاسة ، والضالين » وقد يتجاوران فيما هو كالكلمة الواحدة ، كما فى « لتكتبان » ٠

والحالة الثانية عند الوقف ، فيسكن الحرف الاخير للوقف ، ويكون قبله حرف ساكن اصلا ، كما فى الآيات الكريمة الآتية عند الوقف فى نهاية كل آية : « والفجر وليال عشر ٠ والشفع والوتر ٠ هل فى ذلك قسم لذى حجر » ٠

وفيما عدا هاتين الحالتين ، لا بد من التخلص من التقاء الساكنين او السواكن ٠

تقول : « هذا سمك فى ماء » ولكنك تقول « يعيش سمك فى الماء » فياء حرف الجر (فى) ساكنة والالف فى « ال » بعدها تهمل فى النطق (وان كانت تكتب) ، ولهذا نجد ان ياء (فى) تجاور فى النطق لام (ال) وهى ساكنة ايضا ، ولهذا تحذف الياء فى النطق لالتقاء الساكنين (الياء واللام) ، فلو كتبناها كما ننطقها لصارت (فِلماء) ٠

ونقول « نزلت عن حصانى » والنون فى (عن) ساكنة ، ولكننا نقول « نزلت عن الحصان » فتحرك النون بالكسرة لانها ساكنة تجاور لام (ال) الساكنة ٠

ويلاحظ دائما ان الف (ال) همزة وصل ، فاذا وقعت وسط الكلام كانت مهملة فى النطق لا فى الكتابة (والمهم فى اللغات نطقها لا كتابتها ، لانها نطقت قبل ان تكتب ، وليست الكتابة فى شتى اللغات الا تسجيلا للنطق باصواتها ، وهذا النطق يكون وافيا حينا ، وقاصرا حينا آخر) ٠

وتقول : « اخذت كتابا من جارى » ، والنون فى (من) ساكنة ، ولكنك تحركها بالفتح حين تقول « اخذت كتابا من الجار » لاجتماعها ساكنة مع لام التعريف ساكنة ، ولهذا حركناها بالفتح ٠

هذه بعض العادات الصوتية فى لغتنا ، نكتفى بها هنا لتوضيح معنى « الجهد الادنى » فى النطق، وامثال هذه العادات فى لغتنا كثير ٠ ■■

محمد خليفة التونسى

---

(١) افلاطون (حوالى ٤٢٧ ـ ٣٤٨ ق٠م) واكسانوفنس (؟ ـ ٥٧٠ ق٠م) فيلسوفان يونانيان ٠

أنباء الطب والعلم والاختراع

جبـل افـرسـت ليس اعلى جبال العالم

● نعم ، لقد دالت دولة افرست ، اعلى الجبال فى سلسلة جبال هملايا ٠٠ واعلى جبال العالم ، حتى أثبتت الاجهزة الحديثة مؤخرا خلاف ذلك ٠٠

والمقصود هنا هو الاجهزة العلمية الحديثة المسماة بالانجليزية (Geoidal) ٠ فهذه اجهزة تعمل على افتراض ان سطح الكرة الارضية منبسط أو مسطح ، بلا أودية ولا جبال ٠ وهى تأخذ بعين الاعتبار شكل الارض الاهليلجى (Ellipsoid) ثم تمضى فى قياس ارتفاع الجبال وانخفاض الاودية اعتبارا ، لامن سطح الارض ، وانما من مركزها ٠ ولما كانت الكرة الارضية مفلطحة ، مضغوطة قليلا عند القطبين وسمينة قليلا عندخط الاستواء ، كان لابد للاجهزة الحديثة التى ذكرنا من أن تأخذ بعين الاعتبار مواقع الجبال والاودية على سطح الارض ٠٠ بعدها او قربها من خط الاستواء او القطبين ٠ والعلماء ماضون فى اعادة قياس معالم سطح الارض بهذه الاجهزة الدقيقة الحديثة ٠

أما الجبل الذى أثبتت هذه الاجهزة تفوقه على جبل افرست من حيث الارتفاع فهو جبل شمبورازو Chimborazo ، الواقع فى الاكوادور فى سلسلة جبال الانديز ٠ ويبلغ علو هذا الجبل ٣٦٠٨٦ قدما اى بزيادة ٧٠٥٨ قدما على ارتفاع افرست٠ وذلك وفق الاجهزة والمقاييس الجديـدة

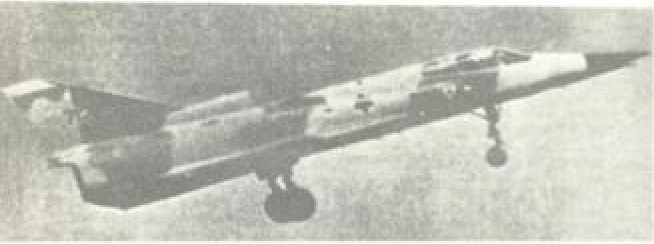


اجهزة تقطير صغيرة لتحلية المياه المالحـة

صنعت هـذا الجهاز احدى الشركـات الفنلندية،وبدأت تسويقه فى مطلع الصيف الماضى ٠ وهو مصنوع من الفولاذ الذى لا يصدأ ولا يتآكل بتأثير الحوامض ، سواء فى ذلك صفائح الجهاز وأنابيبه ٠ وهـو باحجام مختلفة وطاقة متفاوتة واسعاره تختلف تبعا لذلك ٠

ويعمل هذا الجهاز على اساس التبخير ايضا ٠ تبخير ماء البحر المالح ٠٠ وصغر حجمه يجعله الجهاز الملائم ، بل المثالى ، لتوفير المياه العذبة فى المواقع البعيدة التى تكون مياهها الجوفية مالحة ، وكذلك فى الاماكن التى تضربها الكوارث ، فتهـب لنجدتها حملات الانقاذ ٠٠ والجهاز مناسب بصفة خاصة لاغراض السفن ، وهى فى عرض البحر ٠

ذلك ان الحرارة التى تخرج من محرك السفينة كافيـة لتشغيل جهـاز التحليـة الفنلندى، فالجهاز قادر على القيام بوظيفته حتى فى الحالات التى لا يزيد الفارق بالحرارة بين مياه التبريد التى تمر عبر الانابيب والمياه المراد تحليتها على عشر درجات مئوية ٠



طائرة كفير الاسرائيلية بين الحقيقة والتضليل

● لم يكد يمضى ستة شهور على ظهور طائرة اسرائيل المقاتلة القاذفة (كفير - Kfir) أو (شبل الاسد) ، فى عرض عام أقيم فى النصف الثانى من شهر ابريل الماضى ، حتى تبين مدى التضليل الذى انطوى عليه ذلك العرض ٠ فقد جاء فى تصريح أخير لوزير الدفاع الاسرائيلى شمعون بيريز ان مازعمه المسؤولون من ان اسرائيل قادرة على تصدير تلك الطائرة على نطاق واسع هو من قبيل ذر الرماد فى العيون ٠ فمصانع الطائرات فى اسرائيل غير قادرة على تلبية حاجة الجيش الاسرائيلى نفسه، وتقدر بمائتى طائرة ٠ وهى لاتستطيع انتاج طائرة كفير هذه بأكثر من ٤ طائرات شهريا ٠٠٠ هذا فى الاحوال العادية ٠٠ لا فى الازمات الاقتصادية الخانقة كالتى تمر بها اسرائيل حاليا ٠

والطائرة الاسرائيلية المذكورة قد صنعت على اساس الوثائق والاسرار التى سرقت من مصانع الطائرات الفرنسية داسو (Dassault) فهى اذن مصنوعة على غرار طائرات الميراج المعروفة ٠ اما محركها فامريكى من طراز 79-J 6 ، وسرعتها تبلغ كما يزعمون ، ٢ر٢ سرعة الصوت، اى ٢٤٦٠ ميلا فى الساعة ٠ وقد ادعى الاسرائيليون فيما ادعوا ان طائرتهم تزاحم الطائرات الامريكية المماثلة من حيث الثمن ٠ فسعرها يتراوح بين ٥ر٣ مليون - ٤ مليون دولار مقابل ٥ مليون دولار لطائرة الفانتوم الامريكية F-4 ٠

العالم يزداد فقرا ويزداد جهلا

● تقريران سنويان خطيران ، صدرا فى أواخر السنة الماضية ٠٠ أولهما عن البنك الدولى والثانى عن هيئة الامم المتحدة ٠٠ وكلاهما كئيب ، ويبعث على التشاؤم بقدر ما يثبت ان عالمنا المتقدم المتطور ، لايتقدم ولايتطور ، بل يرجع الى الوراء ويتأخر ٠٠ على الاقل فى المجالين اللذين تناولهما التقريران ٠٠

والفقر والغنى موضوع التقرير الاول ٠٠ وقد اكد ان حوالى ٦٥٠ مليون نسمة ، اى نحو ١/٦ مجموع سكان العالم ، لايزيد دخل الفرد الواحد منهم على ٥٠ دولارا ٢٤ جنيها سنويا ٠٠!

والبنك الدولى كما هو معلوم ، يضطلع باعباء مشروع ضخم للتنمية الريفية على نطاق واسع بقصد تنفيذه خلال السنوات الخمس التالية ٠ الا ان هذا المشروع عاجز عن تحقيق أهدافه نظرا للفقر المدقع المتفشى الذى ذكرنا ٠٠ وبسبب الزيادة السكانية التى ستشهدها المناطق الريفية فى العالم فى غضون السنوات الخمس القادمة ، وستبلغ ٧٠ مليون نسمة ٠

اما موضوع التقرير الثانى ، فهو

قناة الراين ـ الرون
وقناة الراين ـ الدانوب

● اعلن الرئيس الفرنسي ديستان في أواخر شهر نوفمبر الماضي وفي بلدة ديجون بالذات عزم الحكومة الفرنسية شق قناة تصل بين نهر الرون ونهر الراين، ابتداء من مدينة ديجون وانتهاء بمدينة مولهاوس.
وهذ مشروع قديم بدأ الحديث فيه قبل اكثر من ٢٠ عاما، كان خلالها مبعث امل وخيبة أمل لسكان المناطق الوسطى في فرنسا. فهو يبشر بالقضاء على جانب كبير من المستنقعات المنتشرة هناك. وهو يبشر ايضا بمورد لايستهان به، اذ ان القناة المرتقبة ستكون صالحة للملاحة، بحيث يصبح من السهل النقل والسفر عبر الانهار، من مرسيليا الى روتردام، وهي مسافة لاتزيد على ١١٣٠ ميلا، او مايقارب ١/٤ المسافة بين المدينتين عبر البحار..

وستكون القناة المرتقبة مدرجة (كقناة بناما) بأربع وعشرين بوابة وسيبلغ طولها ١٢٧ ميلا.. اما أكلافها فتقدر بحوالي ٦٠٠ مليون جنيه استرليني.. وهو مبلغ ضئيل جدا نسبيا.. وسيباشر في شقها بعد عامين، سنة ١٩٧٧.

ومن يدري فقد يسبق الالمان الفرنسيين في شق قناتهم التي تصل بين نهر الراين (مدينة نورمبرغ) والدانوب والتي لايجاوز طولها ٦٥ ميلا..

الامية.. وقد تبين أن مجموع عدد الاميين في العالم ممن يبلغون ١٥ سنة أو يزيدون يجاوز ٨٠٠ مليون نسمة، في الوقت الحاضر، وان هذا المجموع لم يزد على ٧٣٥ مليون نسمة سنة ١٩٦٠. أي أن عدد الاميين في العالم لم ينقص، بل زاد ٦٥ مليون نسمة خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة.

ويتحدث التقرير، الذي استغرق اعداده ست سنوات وكلف ٣٢ مليون دولار، يتحدث عن مشاريع مكافحة الامية في ١٣ قطرا من اقطار العالم، ويؤكد ان اكثر هذه المشاريع لم تكن فعالة وانها لم تحرز أي تقدم يذكر في سبيل محو الامية.

ويعترف التقرير بانه لم يول اهتمامه بقدر كاف للبرامج الحكومية الجماعية التي نجحت في القضاء على الامية في بعض الاقطار. ويشير في هذا الصدد الى كوبا التي تمكنت بواسطة تلك البرامج من تخفيض نسبة الامية فيها من ٢٣٪ الى ٤٪ فقط.

مستشفى شفايتزر في الجابون

● جاءنا هذا النبأ في الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر الماضي. فقد قررت الجمعية الباريسية المشرفة على مستشفى الجذام هذا اغلاق ابوابه لاسباب مالية. اذ احجم الكثيرون عن التبرع له ولقرية المجذومين المجاورة له، بالرغم من الحملات الواسعة التي قامت بها الجمعية لهذا الغرض.

وتجدر الاشارة الى أن الدكتور البرت شفايتزر هو الذي بنى هذا المستشفى بيديه وقد ساعده في ذلك زوجته وبعض الافريقيين، وذلك قبل نحو ستين عاما، بالضبط سنة ١٩١٤/١٩١٥. وظل ينفق عليه وعلى قرية المجذومين، حتى موته سنة ١٩٦٥، وذلك مما جناه من حفلات موسيقية كان يقيمها في اوروبا، ويعزف على الارغن فيها، وكذلك من

القناتان المقترحتان
وكيف تختصران المسافة بين قناة السويس وروتردام



قرروا اغلاقه نهائيا

الايرادات الوافرة التى حصل عليها شفايتزر من كتبه العديدةومن محاضراته ·

وتجدر الاشارة ايضا الى ان الاسبوع الأخير من شهر نوفمبر الماضى حمل الينا نبأ آخر وثيق الصلة بالنبأ الاول · جاءنا هذا النبأ من لندن حيث طعن المختصون بالعقار المألوف ، بل الوحيد ، فى معالجة الجذام حتى الآن ، وقوامه الدابسون Dapsone ، مضافا اليه فى بعض الحالات (التاليد وما يد) Thalidomide · فقد ثبت ان الثانى يسبب التلف لاطراف الاعصاب بينما يترك الاول آثارا جانبية ضارة ·

اما المتحدى الرئيسى لعقار الجذام هذا فهو الاخصائى الطبيب النيوزيلاندى الدكتور كولن كروفورد Colin Crawford

امراض السرطان وهرمونات الانوثة

● نشرت مجلة لانست Lancet الطبية البريطانية المعروفة فى عددها الصادر فى ٦ ديسمبر ١٩٧٥ ، مقالا افتتاحيا على جانب كبير من الخطورة · فهو يؤكد احتمالات الاصابة بامراض السرطان فى النساء اللواتى يبلغن سن اليأس ويعالجن لمدة طويلة بهرمونات الانوثة Oestrogen ،بديلا وعلى سبيل التعويض Replacement ·

ومع ان المقال لايربط بين مخاطر الاصابة بالسرطان وبين مركبات معينة من هرمونات الانوثة التى ذكرنا ، الا انه يؤكد وجود الصلة على كل حال ، وينصح باجراء عملية استئصال الرحم Uter كلية فى الحالات التى درج الاطباء فيها على العلاج الذى ذكرنا ، علاج التعويض واعطاء الهرمون الانثوى البديل ·



سلوكنا في الحياة

قناع زائف نخفي وراءه حقيقة نفوسنا

بقلم : منير نصيف

■ لم يجد الطبيب شيئا جديدا فى حديث الرجل الذى جلس امامه يشكو له متاعبه مع الحياة .. « لقد مللت عملى .. مللت الوجوه التى التقى بها ، وكاننى معها على موعد فى صباح كل يوم .. مللت القناع الذى اضعه على وجهى واحرص دائما على أن أجعله يبدو صارما متجهما كلما لقيت واحدا من الموظفين الذين يعملون معى حتى لا يساورهم الاحساس بان رئيسهم رجل طيب متهاون يمكن ان ينسى اخطاءهم وهفواتهم ! مللت الحياة يا سيدى ، فلم اعد اجد فيها شيئا يمتعنى ! حتى عندما اعود الى بيتى وزوجتى واطفالى ، اجد صعوبة كبيرة فى التخلص من هذا « الرجل الغريب » الذى تقمصت شخصيته طول النهار .. فانا لست انا .. ليست هذه طبيعتى .. اننى رجل بسيط احب الحياة واحب المرح .. واعد الدقائق التى اعود بعدها الى اسرتى .. ولكننى لا أكاد أجد نفسى وسطها حتى اشعر باننى قد اصبحت غريبا عنها !

« قل لى ، كيف اجد نفسى .. كيف اعود اليها ؟ ماذا اصنع لكى استعيد احساسى بالحياة ؟ »

الحياة داخل العلب

انها ليست مشكلتك وحدك يا سيدى .. انها مشكلة المئات من الرجال الذين يعيشون فى هذه العلب الصغيرة المبنية بالاسمنت والحديد .. اننا

نقضى معظم ايام حياتنا فيها ٠٠ فى المكتب ٠٠ وفى البيت ٠٠ وفى الشارع الذى يعج بالناس والسيارات ويمتلىء بصخب المدينة وضجيجها ٠٠ الاختلاف الوحيد الذى نحسه ونحن ننتقل من علبة الى علبة ٠٠ هو الوجوه ٠٠ وجوه الناس التى نلتقى بها فى مكاتبنا او فى المطاعم التى نقصدها، او فى بيوتنا التى لا نعود اليها الا عندما يستبد بنا التعب ونشعر بحاجتنا الى الراحة والنوم ٠٠ ونحن نفعل هذا كله بصورة الية لا حياة فيها ، وكانه واجب نؤديه ، لاننا تعلمنا اننا لا بد ان نعمل لكى نرتزق ، ولا بد أن ناكل لكى نعيش ، ولا بد بعد هذا ان ننال قسطا من الراحة والنوم ، لكى نستطيع ان نبدا بعده يوما جديدا ٠٠

« ولو اننا توقفنا قليلا وتاملنا اسلوب حياتنا هذا الذى بدأنا نمله ، ونشكو الرتابة التى سيطرت عليه وحوته ، لوجدنا ان السر فى هذا كله يكمن داخل نفوسنا نحن ٠٠ ولم يكن لاحد او لشىء دخل فى هذا الشعور الذى تملكنا ٠٠ فقد فقدنا كل صلة تربطنا بالطبيعة وجمالها ٠٠ قطعنا كل الجذور التى كانت تصل ما بيننا وبين الحياة وصورها، تلك التى لم تفسدها بعد التغيرات الهائلة السريعة التى جاءت بها الحضارة فغيرت كل شىء من حولها حتى ملامح الانسان نفسه!

العودة الى الطبيعة

« لو عرفنا كيف نعود الى طبيعتنا ، ونعود بانفسنا الى الطبيعة ذاتها ٠٠ الى الهواء الذى لم يفسده دخان المصانع ٠٠ والى الشمس التى لا تحجبها عنا تلك الجدران العالية من الطوب والاسمنت والحديد ٠٠ والى السماء الزرقاء الصافية التى تظلل كل ما تحتها من مظاهر الحياة البسيطة غير المعقدة ٠٠ والى الماء فى القنوات او الانهار أو البحار ٠٠ اذا عرفنا طريقنا الى هذه الصور الرائعة التى ما زالت قائمة تتحدى الزمن ٠٠ واذا تعلمنا كيف نعود اليها من وقت لآخر ، كلمامللنا هذهالحياةالمصطنعةالمليئة بالاقنعةالزائفة فى المدن التى اكتست بثوب الحضارة ٠٠ احسسنا بجمال الحياة ، وتغيرت نظرتنا اليها ، وربما وجدنا اننا لم نعد فى حاجة مرة أخرى لكى نخفى طبيعتنا وراء تلك الاقنعة التى نضعها على وجوهنا كلما لقينا الناس واقبناهم ! » ٠

موعد مع الربيع

يقول الفيلسوف والشاعر الاسبانى الكبير جورج سانتايانا George Santayana ، فى كتابه « حياة العقل » The Life of Reason « أروع دروس الحياة هى تلك التى تتعلمها من الطبيعة حولنا » ! كان استاذا للفلسفة فى جامعة هارفارد الامريكية التى تخرج فيها ، وكانت كتبه ومحاضراته تملأ كل ساعة من ساعات يومه ، وكانت امتع لحظات عمره هى تلك التى يقضيها مع طلبته، ينقل اليهم فيها وقفاته وتاملاته فيما قرأ وفيما رأى من صور للحياة التى كان يحلو له أن يفلسفها !

الى أن كان يوم جلس فيه يلقى محاضرته كما تعود ان يفعل لاكثر من ثلاثين عاما ٠٠ وقد بدأت حركته تضعف ، وخطواته تثقل ، فقد تقدم به العمر ٠٠ وفجاة ترك مقعده ، فقد احس بشىء غريب يشده شدا الى النافذة ، ونظر من وراء زجاجها ، فرأى الزهور الجميلة التى امتلأت بها حديقة الجامعة ٠٠

ووقف يتامل هذا الذى وقعت عليه عيناه بضع دقائق وكانه يراه لاول مرة ٠٠ وفجاة مرة اخرى عاد الى طلبته ، ولكن لا ليكمل حديثه الذى بداه وانما ليقول لهم : « اخشى يا أبنائى الا أستطيع ان انهى معكم درس اليوم ٠٠ فقد اكتشفت اننى على موعد مع الربيع ! »

ثم ترك قاعة المحاضرات ، ولم يعد اليها ٠٠ لقد قضىبقية سنى حياته متنقلا بينمدن اوربا٠٠ وكانت هذه الفترة الاخيرة من عمره هى اخصب فترات انتاجه الادبى !

اكسير الحياة

راوه يوما يهيم على وجهه فى شوارع باريس ، وقد بدا اصغر من عمره بعشرين عاما ، وكان وقتها قد جاوز عامه السبعين ٠٠ فقالوا يسالونه : « اى معجزة تلك التى اعادت اليك شبابك ؟ لا بد وانك قد عثرت على اكسير الحياة فى مياه نهر السين ؟ » فقال الفيلسوف الكبير : « لا ليس

هذا شبابا كما تتصورون ! ولكنه الطفل الصغير الذى يكمن داخل كل منا .. لقد عدت طفلا ، وانطلقت ابحث لنفسى عن مكان الهو فيه والعب مع الصغار .. اننى فى طريقى الآن الى الحديقة العامة ، فقد وعدت اصدقائى الصغار بان اشاركهم فى مباراة لكرة القدم ! »

يقول المشتغلون بعلم النفس : « اننا نكبر ويتقدم بنا العمر .. ومع هذه السنين التى تمر بنا وتنقلنا من الشباب الى الرجولة ثم الى الشيخوخة ، نفقد اشياء كثيرة .. نفقد القدرة على ان نسلى انفسنا بانفسنا .. نفقد المتعة التى كنا نجدها فى تلك الالعاب الصغيرة التى نمارسها ونحن صغار .. نفقد التخيلات التى كنا بفضلها نستطيع ان نحول اى شىء صغير لا قيمة له ، الى شىء كبير يملأ قلوبنا سعادة ..

النضج والعقد النفسية

« فنحن ننضج ، ومع النضج تتغير نظرتنا الى هذه الصغائر التى كانت فى يوم ما تثير شتى الانفعالات فى نفوسنا .. فنجد انفسنا نرتد خجلا عن القيام باى عمل يثير ضحك الناس وسخريتهم .. ونعزف عن المشاركة فى اى لعبة يقوم بها الصغار من حولنا رغم توسلاتهم ، ورغم ما قد يربطنا بهم من علاقة وصلة قريبة ، حتى لو كانوا ابناءنا ، وحتى لو لم يكن هناك احد يرقبنا ونحن نشاركهم مرحهم ولهوهم .. لاننا كبار ، ولا يجوز للكبار ان يتصرفوا كما يتصرف الصغار !

« هذا القناع الزائف الذى نحاول ان نخفى وراءه حقيقة مشاعرنا ، نعرف كلنا انه اكذوبة .. فنحن نخدع انفسنا ، ونخدع الآخرين ، عندما نحاول ان نبدو بمثل هذا الجد والصرامة .. فمن منا نحن الكبار لم يقف فى هذا الطابور الطويل امام شباك التذاكر ليحجز لنفسه مقعدا فى المسرح الذى ظل يعرض احدى المسرحيات الفكاهية الناجحة التى اضحكت الملايين !

« من منا لا يذهب الى دور السينما ليرى آخر افلام الموسم الهزلية .. اننا نبحث عن الضحك اذن ، نبحث دائما عن آخرين لكى يدخلوا البهجة والسرور الى قلوبنا ونفوسنا التى اغرقناها بايدينا فى هذا البحر الواسع المليء بالهموم .. فلا نتردد فى قضاء الساعات الطويلة امام شاشة التلفزيون الصغيرة فى البيت فنجلس وسط ابنائنا نضحك معهم على هذا الحوار الممتع الذى يدور بين ابطال الكوميديا ..

« نحن نبحث اذن عن الناس لكى نضحك معهم وعليهم .. وننسى اننا نستطيع ان نجعل كل ساعة من عمرنا ، مناسبة يمكن ان نضحك فيها من انفسنا ومن الآخرين ، مع من نحب ، ومع من نعيش معهم حياتهم !

الاديب العملاق

كان الدكتور صاموئيل جونسون الكاتبالانجليزى وواضع اول قاموس فى اللغة ، من اكثر ادباء انجلترا انتاجا ، وكان يتميز بصفات غريبة متناقضة ، فهو رجل سريع الغضب ، لا يتورع عن استخدام عضلاته فى تاديب اى انسان اذا احس بانه اساء اليه ! ولكنه كان فى الوقت نفسه رجلا مرحا يضحك للنكات ويلقيها ، وكان له اسلوب خاص فى معالجة مشاكله .. حدث يوما ان وقف شاب مفتون يتحداه ويسخر منه وهو يتباهى امامه بقوته البدنية !

وانصت الدكتور جونسون وهو يغلى غضبا ، ولكنه لم يشأ ان يعبر عن غضبه بطريقته التقليدية . فقد اكتفى بان دعا منافسه الى مباراة فى الجرى !

وذهل الشاب ، فقد كان يتصور ان يحدث اى شىء الا هذا لسبب بسيط ، وهو ان السماء كانت تمطر بغزارة فى ذلك الوقت من الخريف !

ولم يجد الشاب بدا من قبول التحدى .. وخرج الاثنان الى الشارع تحت مياه المطر .. وتجمع الشهود تحت المظلات ، واطلقت اشارة البدء ، وانطلق الرجلان فى سباق استمر نصف ساعة، كانت نقطة البداية والنهاية فيهى بيت الكاتب الكبير !

وفاز الدكتور جونسون .. فقد وصل قبل منافسه باربع دقائق .. وكان يومها شيخا جاوز عامه الستين .. قالوا له عندما انتهى من وضع قاموسه

الذى طبع فى عام ١٧٥٥ : « كيف نجحت فى تحمل هذا العمل الضخم الذى استغرق اكثر من عشر سنوات من عمرك ؟ »

قال : « كنت اعمل اربع ساعات ، واقضى بقية يومى فى اللعب والضحك وتبادل النكات مع اطفال الجيران » .

ايزنهاور مع اصدقائه الصغار

التقى الرئيس الامريكى الاسبق دوايت ايزنهاور يوما بمجموعة من الاطفال الصغار فى حديقة البيت الابيض وما كاد الاطفال يرونه حتى اقبلوا عليه يصافحونه ، ثم ما لبث ان فوجىء بكلب كبير يقترب منه هو الآخر ، وقد راح يبصبص بذنبه قبل ان يستعد لرفع ساقيه على صدره !

وارتد ايزنهاور الى الوراء مذعورا ، فقد كان منظر الكلب وضخامته لا يوحيان بالاطمئنان اطلاقا .. ولكن رئيس امريكا عاد يتوقف فجأة ويترك الكلب يفعل به ما يفعل عندما وصلت الى اذنيه تلك الصيحة البريئة التى اطلقها احد الاطفال الصغار وهو يقول له فى لثة : « لاتخف .. دعه يقبلك . انه كلب لطيف يحب كل اصدقائى ، وانت واحد منهم ! »

ولم يكتف الكلب بقبلة واحدة ، فقد راح يلعق وجهه بلسانه الكبير ، ويدفعه امامه بقوة جعلته يسقط على الارض !

واسرع الاطفال الى ايزنهاور يساعدونه على النهوض ويعتذرون له ، وينهرون الكلب الذى تمادى فى تحيته متجاوزا العرف والتقاليد !

ولكنهم فوجئوا عندما راوا الرئيس الامريكى ينهض بسرعة وينفض التراب عن ملابسه ، ثم ينطلق امامهم وهو ينادى الكلب باسمه ليلحق به !

لقد قضى ايزنهاور اكثر من نصف ساعة فى سباق مع الكلب واصدقائه الاطفال وسط الحديقة، قبل ان يدعوهم الى حفل صغير قدم لهم فيه الأيس كريم وقطع الكعك والشيكولاته !

ذكريات الطفولة

قال ايزنهاور فى مذكراته يصف تلك اللحظات القصيرة التى امضاها مع اصدقائه الصغار وكلبهم الكبير : « لقد ذكرنى هؤلاء الاطفال بما كنت اصنعه مع شقيقى دافيد ، عندما كنا فى مثل سنهم .. لقد كانت لحظات ممتعة لن انساها .. لحظات اعادت الى الشعور بجمال الحياة .. لقد احسست باننى مازلت طفلا .. اليس غريبا ان يحن الانسان الى طفولته وهو يقترب من نهاية رحلة العمر »

وقد ظل هذا الحنين يملاقلبه ، حتى آخر ايام حياته ، فكان يحرص على قضاء عطلة نهاية الاسبوع وسط احفاده .. فيجلس معهم على الارض ويلعب معهم بلعباتهم ، ويقضى الساعات الطويلة يتامل الانفعالات التى تظهر على وجوههم البريئة الصغيرة ، وهو يحكى لهم قصصا من تلك التى كانت ترويها له امه قبل ان يذهب الى فراشه لينام !

طفل كبير

سالوا الكاتب الدانيمركى المعروف كريستيان هانز اندرسون الذى قضى عمره يكتب للاطفال : « كيف استطعت ان تنفذ الى قلوب هؤلاء الصغار .. كيف نجحت فى ان تستحوذ على عقولهم وتفكيرهم ، حتى اصبحت مؤلفاتك من اعظم الكتب رواجا فى دنيا الصغار والكبار على السواء ؟

قال : « لقد عشت حياتى طفلا .. كنت العب مثلهم .. وافكر بعقولهم .. واكتب باناملهم الصغيرة .. لقد كنت دائما طفلا كبيرا .. اما زوجتى ، فقد كانت لى اما وكانت لى اختا ، وكانت بعد هذا تشاركنى فى كل فكرة جديدة اريد ان اقدمها لقرائى الصغار ! »

تعالوا نقلد الاطفال .. تعالوا نعش حياتهم بلا اقنعة .. ونعود معهم الى الطبيعة فهم وحدهم الذين يستطيعون ان يروا ما فى دنيانا من جمال .. هم وحدهم الذين يحسون بجمال الدنيا ويتذوقونه ويلمسونه .. لا تتردد فى ان تمسك بايديهم عندما يمدونها اليك .. ولا ترفض دعوتهم عندما يوجهونها لك .. دع القناع يسقط عن وجهك ، واترك لهذا الطفل الكامن فى داخلك ان ينطلق ما شاء له الانطلاق .. ■■

منير نصيف

مصادر الفن الجزائري المعاصر

■ لعب الفن الجزائري المعاصر دورا تاريخيا هاما في الحفاظ على الشخصية الوطنية من التفتت والضياع ابان الحقبة الاستعمارية المظلمة، وساهم الى حد كبير في ابراز الطابع العربي الاسلامي الاصيل للشعب الجزائري بما يملكه من مصادر متعددة ومتنوعة واهمها الاسلام بالدرجة الاولى ، وكما يقول البشير الابراهيمي أحد رواد النهضة الجزائرية الحديثة : « في هذا الوطن الجزائري شعب عربي مسلم ، ذو ميراث روحي عريق هو « الاسلام » وآدابه واخلاقه • وذو ميراث مادي ، شاده اسلافه لحفظ ذلك التراث وهو المساجد بهياكلها واوقافها • وذو منظومة من الفضائل العربية الشرقية ، متنقلة بالارث الطبيعي لحفظ خصائصه الجنسية من التحلل والادغام ، وذو لسان وسع وحي الله ، وخلد حكمة الفطرة ، وجرى بالشعر والفن ، ثم خدم العلم ، وسجل التاريخ ، وشاد الحضارة ، ووضع معالم التشريع ، وحدا بركب الانسانية حينا فاطرب » •

فن الخط

ان التركيز على مصادر الفن الجزائري المعاصر بحثا عن أصوله العريقة الجذور يسوقنا للتوقف مع مصدرين أساسيين : الفن التقليدي ذو الاصل الاسلامي حيث تطور منذ زمن بعيد في المغرب العربي والفن الشعبي الحي الذي لا يزال يثري التراث الجزائري •

ففن الخط هو أول حركة معبرة عن رسم استطاع ابراز العوامل الاساسية ، التي انبثق منها الفن الاسلامي المحض فالحرف العربي في المشرق مثلا كان النشاة الاولى لفن النقش الملون ولسهولته فقد ظل على امتداد القرون الماضية يخضع للتجدد الدائم في الشكل وساعد بذلك على بعث الزخرفة العربية بمختلف اتجاهاتها التجديدية ، وهذا الفن العربي الاسلامي بدقته وزخرفته البنائية والهندسية والزهرية والحيوانية يبرز تقنية واضحة وتناسقا رائعا متقنا في هندسة التزيين ، وهذا النقش المزخرف ـ يرتبط ارتباطا وثيقا بفن الخط الذي هو أداة الزخرفة • وانطلاقا من المفهوم الديني باعتبار أن الجزائريين مسلمون مئة بالمئة وليس هناك ديانات أخرى يعتنقها الجزائريون فان الكتابة تكاملت مع الزخرفة كتلك الكتابة المتداخلة بعضها في بعض والتي تتحد مع تعاريج وانحناءات لتكون فيما بعد اشكالا جميلة واضحة • وهذا النوع من الفن قد تطور واتسع واصبح غنيا عبر العصور الى اليوم •

ومن اشهر رسامي هذا النوع « راسم » الذي يعتبر مدرسة فنية تقليدية لازال اثرها يشع بنوره الى يومنا هذا بفضل الاستمرار وتواصل العمل وتناقله الدائم • فكما هو معروف فان المعنى العميق للوسط الاجتماعي المرتبط بمسالة الايثار الموجودة في النقوش المزخرفة والاعتقاد الداخلي لماض خلاب تاريخي ، يرجعان في الاصل الى خاصية اللغة الشعرية : ذلك ان زخرفة

بقـــلم
سلامة عبد الرحمن
(ابن الدوايمة)

العروف الثمينة كانت دائما تبعا لاحساسات عميقة تتميز بثرائها القزير ولا سيما في النقوش المزخرفة • والنتيجة ترجع الى روعة تقديم آيات قرآنية والى دقة العمل وعظمته الفنية • والتقنية والتطور الفنى لم يحولا دون تطور هذا الفن واستمراره بل العكس هو الاصح : فالاوراق الذهبية التى غالبا ما تحول الى شكل الدنتيلا ومسحوق الذهب الذى ينثر على خطوط الزخرفة العربية يضيفان الى النقوش ميزة فاخرة •

والنقوش على المجوهرات تجعل المنظر رائعا وهذا يعنى ان النقش المزخرف يشكل مع الخط فنا تقليديا اسلاميا عريقا فى الجزائر •

الرسم الدقيق

ان الاختيار الرابع للمواضيع ، وثراء التقاليد، قد أسهما جدا فى تنمية الرسم الدقيق ذلك ان الرسام الدقيق لا يستطيع الابداع دون معرفة المعنى العميق للوسط الاجتماعى فالخاصية الثمينة للوحة صغيرة جدا كافية لان تضع وحدها النقاط على الحروف بالنسبة لعديد من أنواع التقنية التى يكتسبها عمل حيث يكون الجمال فيها مرتبطا بانجاز شاق مدفوع من اسـفل السلم • وهذا الفن الصورى المنظم تبناه ايضا الرسام الجزائرى (محمد راسم ١٨٩٦) فقد كان متاثرا منذ حداثة سنه باجداده وآبائه حيث ورث اسم راسم (الذى يدل على هوايته) كما ورث منهم العلم ، وقد تطور ذوقه فى زخرفة التزين وسيطر على الالوان وحدد اتجاهه • وبفكره التحليلى البصير، واحساسه العميق استطاع ان ينقل خلال كل عمل من اعماله الفنية جوا من الاجواء التى كانت ثرية بزخرفة صرفة تنتمى الى الوسط الاجتماعى آنذاك • فتعميق التفاصيل وتجانس الاعمال الفنية هى دليل على موهبته الفذة ومحافظته على التقاليد الفنية المتجددة كما يرجع الفضل اليه فى اثراء المواضيع القديمة بخيالات معتصرة وينفخ فيها روحا جديدا تكشف عن مدى تعلقه بوسطه الاصلى، وهذا ما يكسب اعماله ميزة الصدق والصحة • فراسم قد فتح ابواب العالم العصرى للرسم الدقيق محتفظا فى مجموعها الكامل على القيم الجمالية • وساهم بذلك فى تكوين جيل مـــن الرسامين الجزائريين الاوفياء لهذا النوع من الفن من بينهم : محمد تمام ، ومحمد غانم اللذان بصفاء اسلوبهما وعمق تفهمهما لهذا النوع ، نظرا لشعور حاد فى ملاحظاتهما استطاعا تصوير الاعمـال والحركات اليومية والالـوان المتعددة للحياة المحلية فى الجزائر •

فاذا كان « محمد راسم » قد مس جانبا من المذهب الطبيعى الذى لا يخلو من النبل واللطافة فان « محمد تمام » قد اتجه اكثر نحو البحث عن اعمال تتعلق برسوم الفنانين القدامى وهكذا نجد عاملا مشتركا بين هذين الاتجاهين فى الاهمية التى خصت بها رسوم للزخرفة والزهرية وتناظر المواضيع المختارة حيث الفكرة تاتى من الاصل : (الحياة اليومية ، زخرفة ، المجموعات الاجتماعية، الحياة الخاصة بالعصر ، التاريخ المحلى) • ويتميز اسلوب تمام بانه أسلوب فردى، متعلق كثيرا بالمظاهر التى تميز اتجاه العصر •

التيارات المعاصرة الخارجية

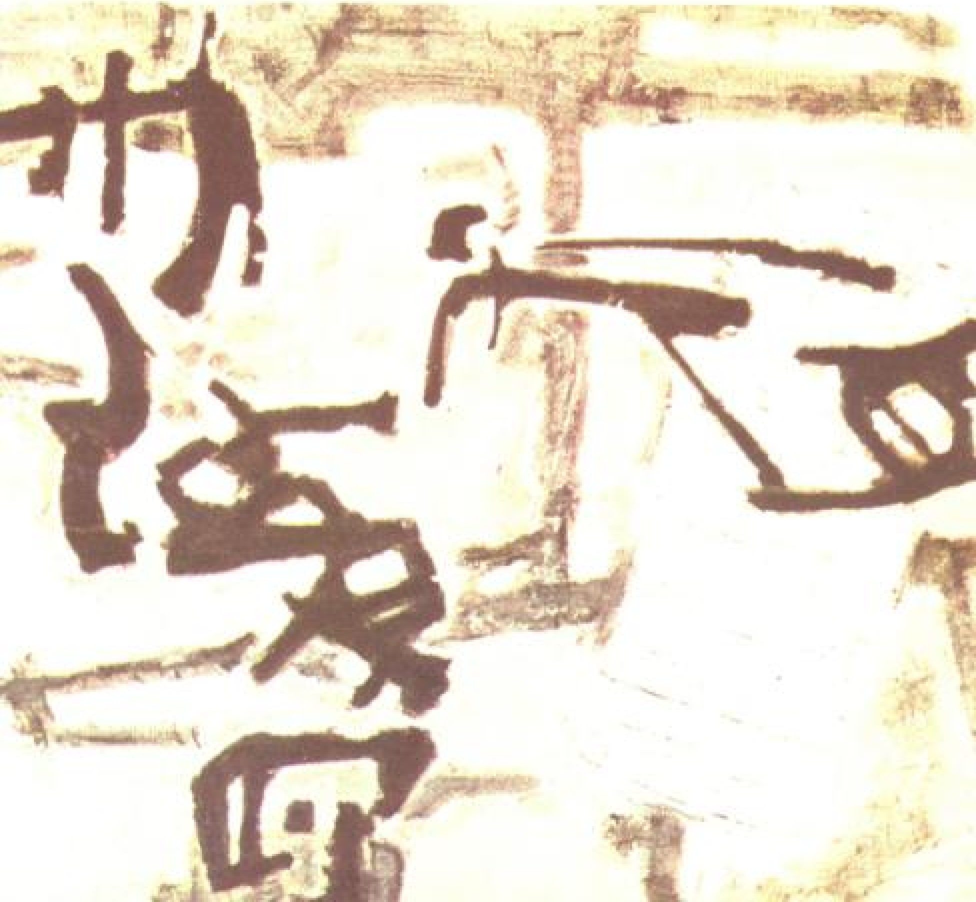
ونجد ان الرسام الجزائرى « على خوجة » الذى هو تلميذ محمد راسم قد مثل مناظر طبيعية من «حقول ومشاهد شعبية للتقاليد الداخلية لمدينة الجزائر » وتحول فيما بعد نحو الرسم المسندى وقام بابحاث مادية لكى يحصل على تموج الملونات الطبيعية وتقسيم شخصى لبقع ملونة وقام بانجاز بعض اعلانات الاشهار ذات النوع الجيد • ولكن

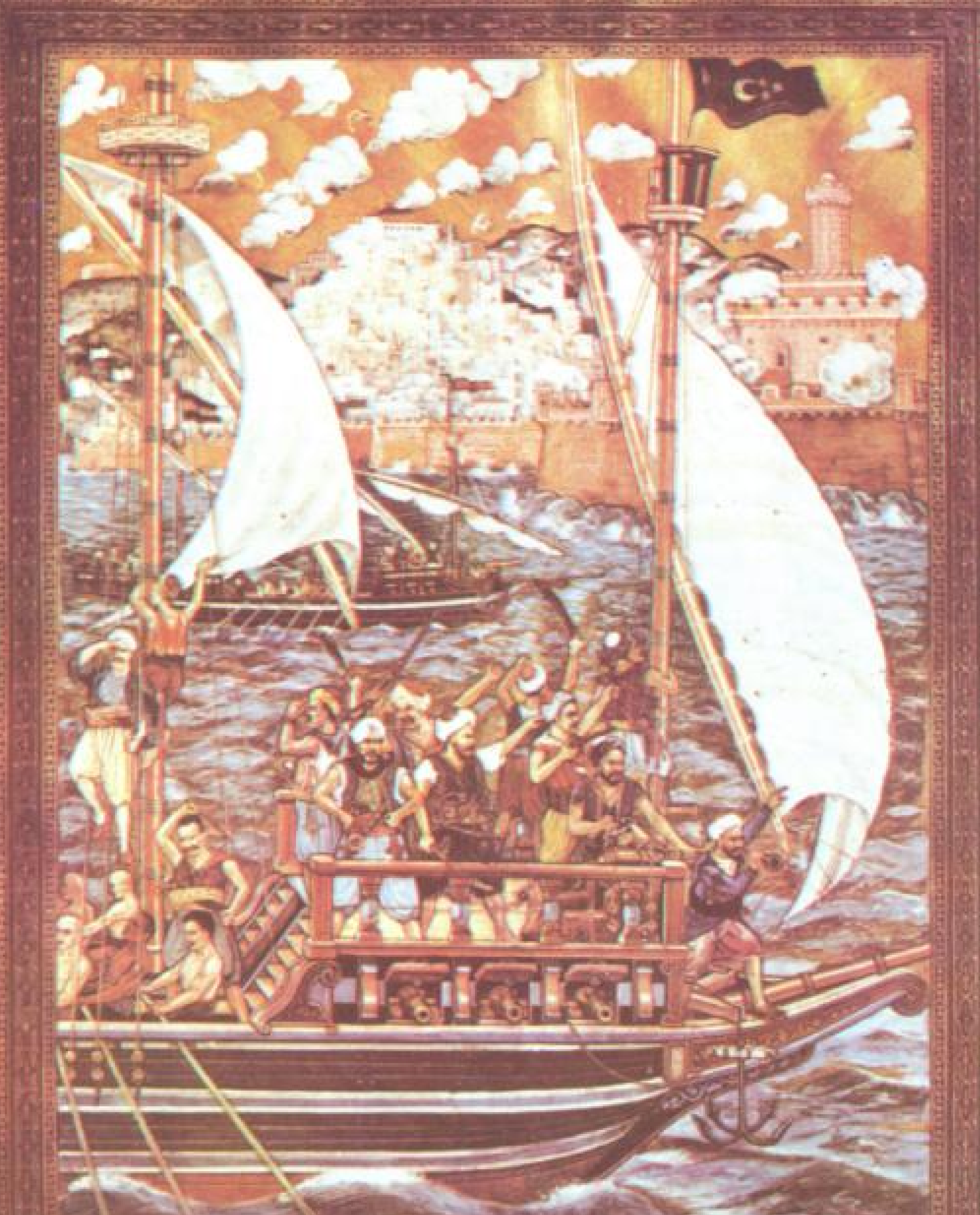
في مقابل نمو الفن التقليدي بالمغرب العربي عامة والجزائر على الاخص فقد جاءت حركة فنية اخرى من الخارج ، فقد اقام بعض كبار رسامي القرن التاسع عشر والمستشرقين مدة في الجزائر ، فخلف « دولاكروا » و « فرومنتين » و « سكاسريو » لوحات هامة يمكن رؤية البعض منها في المتاحف الجزائرية حاليا • واقامة هؤلاء الرسامين وخاصة «لدولاكروا»مكنته من وضع قواعد الرسم العصري وبالفعل اكتشف لطاقة النور وسترة الالوان وفرطها • غير انه من الطبيعي ان يكون نتاج هؤلاء الرسامين الاجانب بعيدا عن واقع المجتمع الجزائري ولا يصوره بعمق بقدر ما هو تعبير عن احاسيس ومشاهد مرتبطة بوسط يختلف عنه في كل شيء • لكن الرسام « ديني Dinet » ، ـ الذي سمي «الحاج نصرالدين ديني» بعد أن اسلم واستقر ـ ارتبط اكثر بالحقائق فصور الوسط الجزائري بعمق وتفهم واضحين فالرسام « ديني » ذو الاحساس المرهف لطبائع الشعب الطبيعية قد نجح في ترجمة حدة المناظر وصحة الاوضاع وذلك بتقنيته الخاصة فاختلاف المواضيع ومظهرها الانساني تخلق على القماش « اللوحة » ـ التي لا تتعلق بالطريقة الغصبة للماهرين في التلوين وبالمولعين بالضوء ـ احساسا مليئا بالحرارة والحياة •

فالاتجاه الجزائري في الرسم التمثيلي لا يزال مدينا لهذا الرسام الكبير الذي برهن على تفهمه العميق للوسط المحلي •

و « معمري » و « همش » ذوي التقاليد

حروف حرة •• للفنان خدة محمد





الفنان محمد راسم .. وصورة مصغرة لاسطول بابا عروج امام الجزائر
(مجموعة المتحف الوطني للفنون الجميلة ، الجزائر)

الكلاسيكية الجديدة حيث الايحاء سيبقى جزائريا ـ يعتبران على ابواب التيارات الجديدة ، فهما اللذان رسما عدة اوجه ومناظر طبيعية بطريقة متقنة ، وتعلقا باستعمال الحجم والضوء في آن واحد • فهذه العوامل قد بدت هامة في التعبير عن الجو العالي •

بيد أن الرسامين الجزائريين في الوقت الحالي يعملون على ابعاد التيارات الاستشراقية ويكونون مدرستهم الادبية الفنية الجزائرية القادرة على التفاعل مع الواقع الجديد للجزائر العربية من خلال البحث المستمر ، ولكن طرق البحث هـذه ليست بالضرورة متطابقة فبعضهم يعبرون عـن خواطرهم تبعا لوسط العصر : ترجمة بعض المناظر الخارجية او الباطنية ، والمواضيع التى لها سيطرة اجتماعية او التى تتعلق بالكفاح الثورى •

الرسم التشكيلي

ومن بين الذين يمارسون هذا الرسم الرسام الجزائرى «يللس» الذى يرسم المناظر الطبيعية بمهارة ودون ان يهمل الانواع التقليدية للرسم الدقيق بادخال اساليب وزخرفة عربية ، و « يللس » له شهرة واسعة فى التصوير على الجدران ولوحاته الجدرانية موزعة هنا فى كبريات المدن الجزائرية ولاعماله اثر فى مختلف اشكال النشاطات الخاصة وتكشف عن مطابقة فنه للبنيات الجديدة فى الجزائر الجديدة وكذلك الرسام « بوزيد » الذى يبرهن عن نفس الرغبة لتثبيت مناظر من نوع الحياة الريفية للتعبير عن « الحيوية ، اللون ، النور » فهو يترجم بلوحة ذات فرق صغير عن مختلف حالات الحياة القروية التى يتعلق احساسه بها بعمق •

وفى اطار الفن التشكيلي نجد ايضا الرسام «اسياخم» بابداعاته ذات الطاقة والقوة المعبرة • فاشكاله المتناقضة تضيف دائما حيوية ورونقا لكل المواضيع المعالجة • ان الالوان معتدلة فى غالبها وتكونها سطحى وفى بعض الاحيان باهتة لتترجم حقيقة الحالة الانفعـالية والدرامية ، وزيادة على المواضيع الشخصية فان رسمه مصبوغ بخواطر اجتماعية •

و « فارس » المترجم لويلات الحرب فى لوحاته الحية والصارخة ، يقدم فى ذلك محن الشعب الجزائرى طيلة كفاحه التحريرى • فالاعمال البطولية واعمال الزور تشكل المواضيع الرئيسية، فالشعور الوطنى يطبع ميزة قوية فى مختلف ابداعاته ففضى الحركة عند هذا الرسام عنصر يميزه عن الآخرين •

واما « صمصوم » فبواسطة مجموعة ملونة ومقيدة باسلوب هندسى فى مواضيعه وباجزاء مساحات قد كسب دقة فى تشكيله ، واضفى بذلك على اعماله الفنية مظهر العظمة • كما ان اعمال « فارة » تكشف عن اصالة خلاقة لا شك فيها ، فاحساسه الكبير هو الذى يبعث الحركة فى المناظر الطبيعية التى احسن اختيارها •

الجيل الجديد

وانه لمن الممكن ان نضع « مسلي » عند نقطة النقاد التصويريين الكبار والكلاسيكيين للرسم التشكيلي والتجريدى لانه يشهد على رغبة مبادرة وتلقائية لترجمة المواضيع انطلاقا من العالم الملموس فهذه المناظر تكشف بهذه الطريقة الذهنية على تحويل الحقيقة الى عناصر مجردة ، مجاراة للمذهب الطبيعى الغربى فى هذه العشر سنوات الاخيرة • فهو يهتم باظهار الحقيقة المحلية ، وليس فقط بالوسائل العادية لميزات الرسم التشكيلي او خطوطه الكلاسيكية ، ولكن بالتغلغل فى العناصر الملموسة التي تملأ رسومه الشائعة •

ان الايقاع الذى يتصف به اسلوبه يتفق والترتيب اللطيف للمساحات الملونة بحيوية مصطبغة بالتناقضات • فمسلي « الذى يتهرب دائما من الاشياء المملة والالوان ذات النمط الذى يتغير ، لا يجد نفسه مرتاحا الا اذا قام بانجاز تلك الخطوط المائلة والعمودية والمنحنية •

ان الاشارات التى تخرج من أعماق العصور الغابرة ـ حيث أن القيمة الجمالية والدلائل لا تزال تفاجئنا ـ قد أدت ببعض الرسامين الى أبحاث متعمقة لوسائل التعبير وهكذا نجد « خدة » انطلاقا من العناصر البسيطة ، يكون تعبيرا شاملا ولكنه حازم • ان هذه الشمولية مصطبغة بفوارق بسيطة ذات الخواص الافريقية المحضة • ان التجريد الرمزى الذى يميز أساسا انتاجه الفني ، يستعمل

اشكالا تذكرنا بالخط الهيروغليفي فمن هذه التكوينات التى تشبه في بنيتها سمفونيات حية ينطلق الانطباع عنالمقدرة وغزارة المادة، فاستقامة الاشارة المركزية حول مركز واحد للقائمة تذكرنا تارة بالصورة المكبرة لخلية حية وطور التفاصيل لفن جغرافي جزائرى •

هذه الطريقة توجد ايضا لدى ابداعات «بنتود» و « قرماز » • فالتقنية الكاملة والناضجة بالنسبة اليهما لا تخفى الشعور الاصلى الباطنى ولا تخفى جو الظروف • فتشكيلاتهما مبنية ومؤسسة بجراة على تشابك الاشكال البسيطة • اما بنتور فبالاضافة الى انجذابه الى الرسم فهو يمارس النقش والزخرفة • فلوحة الالوان عند هذا الاخير تتوقف عند حد لون المغرة ، .والاسمر اما « قرماز » ليستعمل دائرة متسعة ذات الالوان الزاهية ، عليها لمسات لطيفة تضفى على مجموعة اللوحات نبضات حساسة واصيلة •

ونجد تجربة رسم رمزى وخيالي كذلك لدى « زوارتى » فبطريقة شخصية لطرق الموضوع يريد ان يعكس علي لوحاته الآلام والمحن التى مرت طيلة الفترة الاستعمارية ، فلوحاته تتماسك انطلاقا من الاشكال الهندسية اللامتناهية التى يربطها بدلائل روحية وشخصية • فعالم هذا الفن المتلاحم والمستقل بذاته ينتظم بطريقة ثابتة تبعا لفعل توازن خاص •

الرسم الساذج

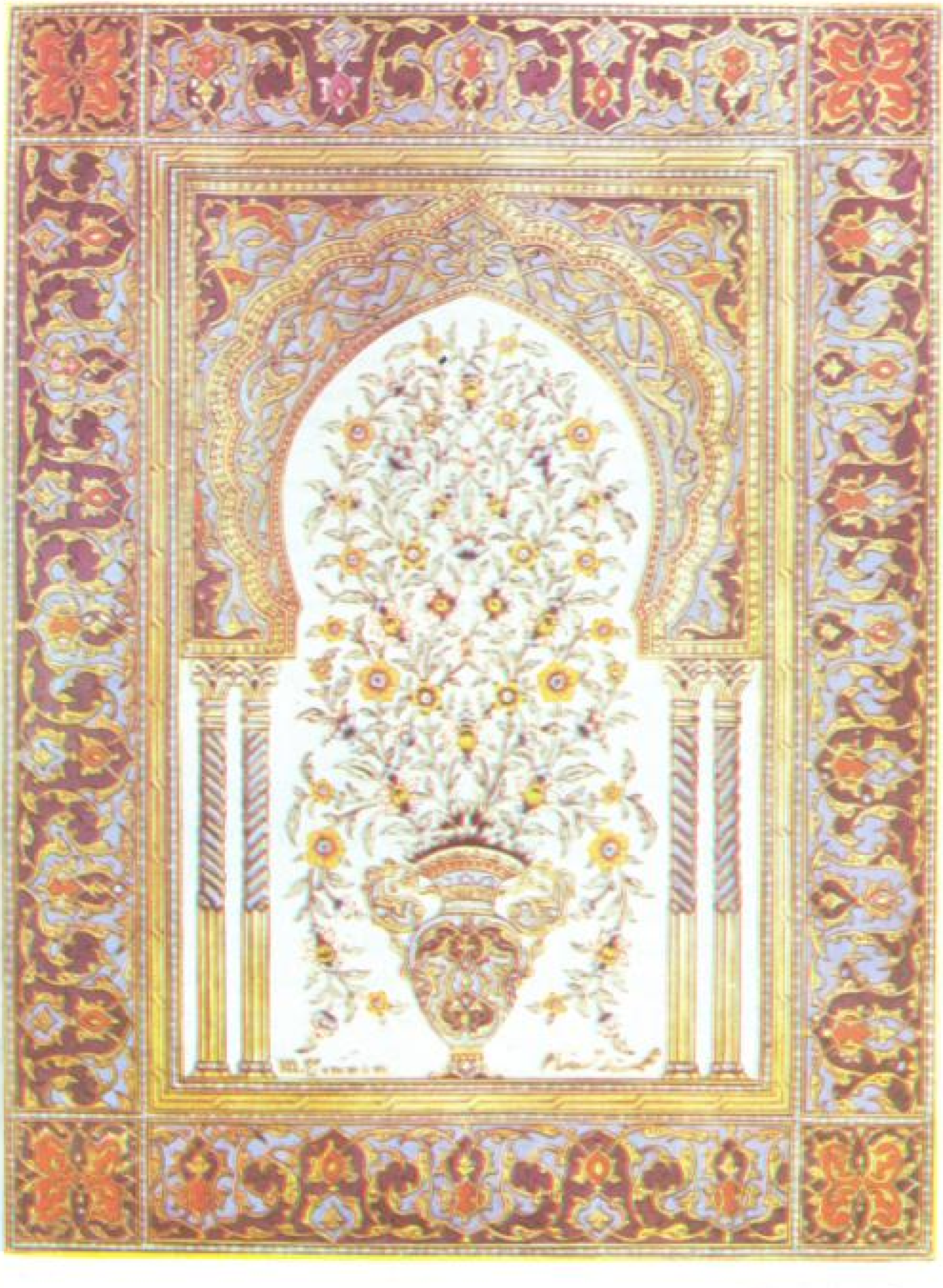
ان الرسم الساذج (العفوى) فى الجزائر ـ وليد ارادة التعبير المستقل عنالتاثيرات الخارجية ـ ليس باقل تاثيرا وثراء فى ابداعاته •

ان اسم « باية » يوضح جيدا الحركة التى ولدت من فنناضر غض وفطرى وفيهذه الرسومات المائية توجد اول اشارة للزخرفات القديمة على الآنية الغزفية لا سيما اذا نظرنا بتمعن حيث تؤثر الفرشاة بلمسات مستقيمة فى مختلف الاقواس

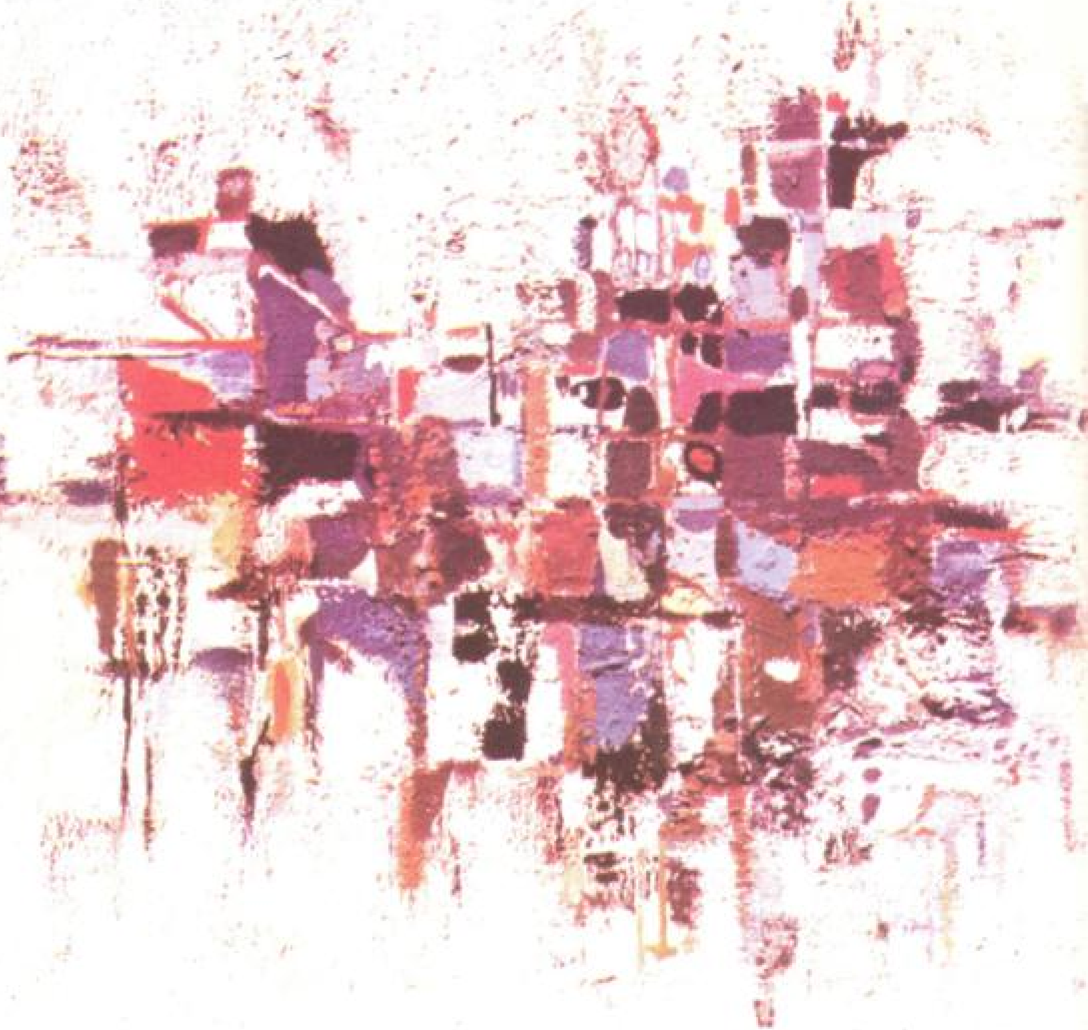
وفاء الاحرار

● دخل الاحنف بن قيس يوما مجلسمعاوية بن ابى سفيان ، فلما استقر به المجلس قام احد الشاميين خطيبا فافتتحخطابه بسب الامام على بن طالب ـ كرم الله وجهه ـ فثقل ذلك على الاحنف بنقيس ، وكان من اصحاب الامام على • فالتفت الى معاوية قائلا : ان هذا القائللو يعلم ان رضاك فى لعن الأنبياء المرسلين للعنهم، فاتق الله يامعاوية، ودع عنكعليا، فقد لقى ربه ، وافرد فى قبره ، وخلى بعمله ،وقد كان ـوالله ـ مبرورا فىسبقهللاسلام ، طاهر الثوب ميمون النقيبة •

فالتاع معاوية من هذا التقريع امـاماهل الشام ، فالتفت معاوية الى الاحنف قائلا : « ياحنف اما والله لتصعدن المنبر ،وتلعن عليا كرها او طوعا »• فقالالاحنف: «ان تعفنى فهو خير لك ، وان تجبرني علىذلكفوالله لاتجرى شفتاىبه أبدا مابقيت» فلم يبال معاوية بكلامه ، وقال له : « قمفاصعد المنبر »فقال له:« اما واللهلانصفنك فى القول والفعل » فقالله معاوية :« ومانت قائل ان انصفتنى » ؟ فقال : «اصعد وأقول : أيها الناس ان معاوية امرنى انالعن عليا وان عليـا ومعاويـة اختلفـا واقتتلا ، فادعى كل واحد منهما انه بغىعليه وعلىّ فئته،فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله،ثم اقول اللهم العن الباغى منهما علىصاحبه ، والعن الفئة الباغية،اللهم العنهم لعنا كبيرا ، أمنوا رحمكم الله ، يا معاويةلا أزيد على هذا ولا انقص ، ففكـر معاوية سويعة ثم قال : « تعفيك يا ابـابحر » •



زخرفة عربية للفنان محمد تمام



اوزان مجردة .. للفنان قرماز عبد القادر

والشرائط التي تحيط بالشكل . ان اغلبية لوحات (باية) تقدم مشهد احتفالات كبيرة ، ولهذا الاسلوب الزخرفي والساذج - الناتج عن الطريقة القريبة للتشعبات والخيالات الجميلة - ثراء ملىء بالاناقة والاتزان .

فالمناظر المتعددة والمفصلة لميناء الجزائر ، والمناظر الطبيعية والمناظر الفاتنة والدروب ، كلها كانت مواضيع محببة حيث يسيطر البحث عن الدقة وعن حركة الجماعة وان انطباع الحيوية والنضارة هي التي تجذب امام فرط التفاصيل .

ان الفن الجزائري المعاصر وجه آخر من الجزائر العربية التي تشهد اليوم بناء ما خربه الاستعمار الأفل على امتداد وجوده وتبعث نهضتها العربية على اصولها التليدة وتوظف كل ادواتها الثقافية الحضارية لاعادةالاعتبار للغتها العربية وشخصيتها القومية .

■ ■

الجزائر - سلامة عبد الرحمن
(ابن الدوايمة)

مسابقة

العربى

من الذى صرخ .. وجدتها .. وجدتها ؟

١٠ أسئلة و ١٠٠ دينار هدية

■ تشتمل مسابقة هذا العدد على عشرة اسئلة مختلفة متنوعة ٠٠ والمطلوب منك الاجابة الصحيحة على ثمانية منها على الاقل لتفوز بواحدة من الجوائز المالية التى مجموعها مائة دينار :

الاسئلة

١ ـ فى بهو السباع فى قصر الحمراء نافورة شهيرة ، تتدفق مياهها من افواه تماثيل مصنوعة على هيئة سباع ٠٠ ويحيط بهذه النافورة بهو يعتبر اروع وارق الاثار الهندسية التى خلفها العرب فى الاندلس ٠٠ ويقع قصر الحمراء فى مدينة :

اشبيلية ـ قرطبة ـ غرناطة

٢ ـ الامم المتحدة هى الهيئة العالمية الثانية التى تكونت من نوعها ٠٠ فما اسم الهيئة العالمية الاولى ؟

٣ ـ ثلاث جمهوريات عربية تحمل اعلامها رسم الهلال والنجمة ٠٠ مرة وسط مساحة خضراء ، واخرى وسط بقعة حمراء ، وثالثة وسط مساحتين : خضراء وبيضاء ٠٠ والدول العربية الثلاث صاحبة هذه الاعلام هى:

المغرب ـ الجزائر ـ عمان ـ موريتانيا ـ تونس ـ الصومال

٤ ـ البحر الاحمر يكاد ان يكون بحرا عربيا ، فمن الجنوب ، تطل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية على مياهه عبر باب المندب ، وعند الطرف الجنوبى الغربى المقابل تطل ارتيريا على مياه هذا البحر ٠٠ والى جانب هاتين الدولتين توجد اربع دول عربية تطل على مياه البحر الاحمر ٠٠

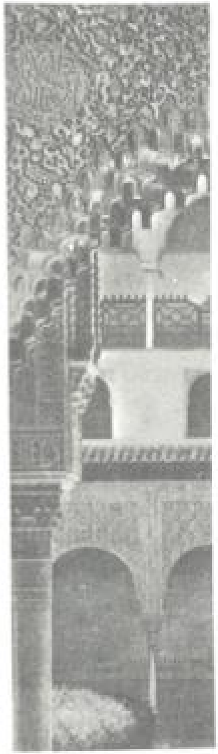
فما هى اسماء هذه الدول الاربع ؟

٥ ـ فى عام ١٩١٣ وصل رجل المانى الى الجابون فى افريقيا ليعالج اهلها من الامهم ٠٠ ومكث هذا الطبيب الانسان اكثر من ٥٠ عاما يعالج ابناء افريقيا فى مستشفاه ٠٠ وفاز بجوائز عالمية كثيرة تقديرا لجهوده منها جائزة نوبل للسلام ٠٠ فمن هو هذا الطبيب الانسان الذى توفى عام ١٩٦٥ والذى اعتبرته مجلة لايف : « اعظم انسان فى هذا العصر » ؟

ليو تولستوى ـ البرت شفيتزر ـ سيجموند فرويد

٦ ـ دعاء الكروان ٠٠ ماجدولين ـ غادة كربلاء ـ ثلاث قصص عربية شهيرة الفها ثلاثة من بين هؤلاء الكتاب فاستخرج من بين اسماء هؤلاء المؤلفين الثلاثة ٠

محمد حسين هيكل ـ مصطفى لطفى المنفلوطى ـ محمد عبد الحليم عبد الله ـ طه حسين ـ محمود تيمور ـ جرجى زيدان





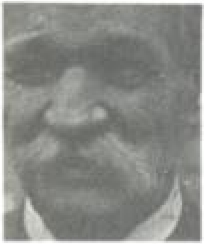
فرويد

٧ ـ اذكر اسما آخر تعرف به هولندا :

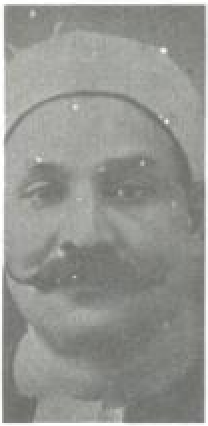
بينيلوكس ـ هلفيسيا ـ نيدرلند

٨ ـ حرب المائة عام نشبت بين فرنسا وبريطانيا منذ عام ١٣٣٧ اصيبت خلالها فرنسا بهزائم منكرة اجبرتها على توقيع معاهدات مخزية مع بريطانيا . وفي عام ١٤٢٩ استطاعت فتاة ريفية فرنسية أن توقظ الشعب الفرنسي بغيرتها وحماسها ، ففكت حصار مدينة اورليانز ، وحاولت الزحف على باريس لتخليصها من ايدي الانجليز .. ولكن ملك فرنسا منعها من ذلك . واستمرت الحروب وزادت شجاعة الفرنسيين فطردوا آخر محتل بريطاني من فرنسا في عام ١٥٥٨ ..

فما اسم هذه الفتاة الفرنسية التي ايقظت شعبها ؟



شفيتزر



المنفلوطي

٩ ـ مثل الفاظ اللغة مثل الناس يعتريها ميلاد وممات .. وفي المعاجم الاوروبية نجدهم ينبهون الى ان هذه الكلمة ميتة .. ولغتنا العربية كذلك تولد فيها كلمات وتموت كلمات .. والمؤسسات التي تتولى امور لغتنا هي مجامع اللغة العربية .. وفي عام ١٩٦٩ وافق مجلس جامعة الدول العربية على انشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .. والعمل الاساسي الذي يستحوذ على اهتمام المسئولين فيه هو اصدار معجم علمي باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية يشمل كل المفاهيم الانسانية، وذلك خلال السنوات العشر المقبلة .. والمقر الدائم لهذا المكتب موجود في :

مصر ـ سوريا ـ المغرب

١٠ ـ ما اسم العالم الذي قفز من حمامة منذ ٢٢٠٠ سنة (أي قبل الميلاد بـ ٢٢٥ سنة) ، وهو يصرخ اوريكا اوريكا .. وجدتها .. وجدتها ؟

افلاطون ـ ارشميدس ـ ابقراط

● شروط المسابقة ●

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشورفي ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٠٧ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الاول من شهر ابريل ١٩٧٦

● الجوائز ١٠٠ دينار ●

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■■

كوبون مسابقة العدد ٢٠٧

الخدمة الاجتماعية فى المدارس

رسالة انسانية، من أجل خير الفرد والمجتمع الكويتي

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب

تصوير : حسن الصفار

فى هذا الشهر تحتفل الكويت بعيد استقلالها الخامس عشر ، وفي خلال هذه الفترة تقدمت الكويت فى مجالات كثيرة • ولكن كان من أعظمها عنايتها الهائلة بالفرد ، وهذا الاستطلاع يعطى لمحة عن هذا الجانب الهام •

اربع صور للعلاج فى ادارة الخدمة •• الى أسفل •• تبدو الاخصائية سعاد البدر تعالج احدى الطالبات بمقياس « وكسلر » لذكاء الاطفال ، والى اليسار الصورة العليا ثم السفلى الى اليمين تبدو الاخصائية وفاء العيسى مع طفلتين وطفل لمعرفة ميول الاطفال واتجاهاتهم وفى اقصى اليسار (الى اسفل) تبدو فضة الخالد ـ اول باحثة واول مديرة لادارة الخدمة الاجتماعية ، ثم هى اول مديرة ادارة بالكويت •









■ الاسرة عماد المجتمع ، ومقياس قوته وضعفه ، وعندما يصلح الفرد تصلح الاسرة والمجتمع ، وحين ينحرف الفرد يضعف هذا المجتمع .. والدولة ـ حين اوجبت على نفسها مسئولية رعاية الفرد خلال دستورها انما انطلقت من احساسها بواجبها تجاه ابنائها الذين يعيشون داخل حدودها الاقليمية ،فقدمت لهم الخدمات الاجتماعية بشتى صورها حرصا منها على ان ينمو المواطن صالحا نافعا لوطنه وامته .

والخدمة الاجتماعية المدرسية ، هي احدى هذه الخدمات التي توفرها الدولة لمواطنيها . ولهذا اوجدت ادارة تحمل على عاتقها مسؤولية رعاية هذا النشء من الاطفال والشباب ، وراحت هذه الادارة تستقطب الاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين . ليضعوا ايديهم وخبراتهم في اصلاح اولئك الذين شاءت لهم الاقدار ان يكونوا اسرى المشاكل العائلية واقدار الحياة .

وتسعى هذه الادارة دائما للتعاون مع الهيئات الحكومية الاخرى ، من اجل اختيار افضل السبل الكفيلة بتحسين هذه الخدمة من حيث الكم والنوع فساهمت في اكثر من مؤتمر وحلقة ..

وكان من اواخر نشاطها في ذلك حلقة التطوير الاجتماعي التي اقامها قسم الاجتماع بجامعة الكويت مؤخرا ، وقد تعاونت في ذلك مع الهيئات الاخرى ، كوزارة الشئون وديوان الموظفين ومجلس التخطيط .

ما هي الخدمة الاجتماعية المدرسية ؟

ان الخدمة الاجتماعية تستهدف توفير الرعاية الفردية والجماعية للطلاب ، والعمل على صقل شخصياتهم وتنمية مواهبهم . كما تستهدف مساعدتهم على تخطي العراقيل وحل المشكلات التي تعترضهم في شتى مراحل حياتهم ، وهي ـ وان كانت تعنى بالطلاب وتتجه نحوهم اساسا ـ الا انها ترتبط ارتباطا تاما في مبدأ عملها او ميدانها بالمؤسسات التعليمية التي تضم هؤلاء الطلاب ولاسيما الأسر التي يعيشون فيها والمجتمع الذي ينتمون اليه ويزاولون نشاطهم فيه .

ويتوقف نجاح الخدمة الاجتماعية المدرسية على استكمال مقومات وعوامل اساسية تؤثر في مستوى الجهود او الخدمات ونتائجها ، فهناك التلميذ ذاته ومدى استعداداته وقدراته وميوله وخبراته المختلفة وهناك المدرسة بمدرسيها وامكانياتها ومناهجها وظروفها ، وهناك عنصر آخر هام هو اولياء الامور واسرهم وبيئاتهم ومدى تعاونهم مع هذه المؤسسات .

ولهذه العوامل اثرها الواضح في تحديد نوع الخدمات الاجتماعية ومستواها .

تطور هذه الخدمة

شهدت الكويت في السنوات الاخيرة تطورا سريعا واسع النطاق في شتى الميادين العمرانية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد صاحب هذا التطور انطلاقة حضارية وتغير عميق في اوضاع المجتمع الكويتي، الذي انتقل من مجتمع بسيط متواضع في معيشته،



جهاز الكمبيوتر .. ادخلته ادارة الخدمة ضمن اجهزة عملها ، وفي الصورة الاخصائية هند العبد الرزاق، تقوم باختبار نموذج علاجي للحالات النفسية التي ترد من مدارس الدولة

زينب حافظ الموجهة الاولى بالادارة ، ومعها الاخصائية لطيفة المدسانى تبحثان شئون العمل ، ان دور التوجيه الفنى كبير (الصورة الى اقصى اليسار)



احد الاخصائيين يقوم بعلاج طالب يعاني من « اللجلجة » باستخدام الميكروفون والسماعة ..

معتمدا على التجارة ، وارتياد البحار ، وعلى الرعي ، الى مجتمع ، ياخذ باساليب الحضارة والتقدم ، كما اصبحت الكويت مركزا لجذب الراغبين في العمل من خارجها لا سيما الاقطار العربية الشقيقة .

كل ذلك ادى الى تعدد النشاطات ، والى تغير انواع العلاقات بين افراد المجتمع ، ونشا عن ذلك احتكاك الاسرة الكويتية بالكثير من الجنسيات العربية وغير العربية . ونتيجة للتغير المادي السريع الذي لم يسايره على مستواه تغير اجتماعي وثقافي ، في الاتجاهات والقيم والتقاليد — وجد بعض الابناء انفسهم في صراعات بين الحياة الحضارية التي يعيشونها اليوم ، وتقاليد الاسرة وعاداتها التي عاشها الكبار في الفترة السالفة على التطور الحضاري ، وامام ذلك الصراع برزت الحاجة الى الاهتمام بهذه المشكلات وحلها عن طريق التفكير الجاد في ادخال الخدمة الاجتماعية المدرسية بمدارس الكويت كاسلوب علمي لدراسة



ومواجهة المشكلات الطلابية بصفة خاصة الى جانب دورها في عمليات التربية التي تقدمها المدرسة بوجه عام .

اول بحث .. واول اخصائية

حدثتنا السيدة فضة الخالد اول سيدة كويتية تعمل اخصائية اجتماعية ، ومديرة لادارة الخدمة الاجتماعية ، فقالت : « لم تكن هناك خطوة ايجابية قبل ثلاثة عشر عاما في الاخذ بنظام الخدمة الاجتماعية المدرسية بالكويت . اذكر انني في عام ١٩٦٠ م قمت باجراء اول بحث اجتماعي ميداني على ابناء الكويت ، تناولت فيه الظروف والاوضاع المدرسية والاسرية لطالبات المدارس المتوسطة والثانوية وكانت نتيجة ذلك ان حصلت على بكالوريوس المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة . ولقد البت هذا البحث اهمية الخدمة الاجتماعية المدرسية بالكويت لمواجهة المشكلات التي يتعرض لها الطلاب . مثل كثرة الغياب والتعثر الدراسي والمشكلات الاسرية والاقتصادية والنفسية والسلوكية واضطرابات الكلام وغيرها مما يستلزم وجود اخصائيات واخصائيين اجتماعيين في المدارس لاستخدام الاساليب العلمية للخدمة الاجتماعية بما يساعد على تخطي الصعوبات التي تواجه الطلاب في حياتهم الدراسية .

وتتابع اول اخصائية كويتية حديثها فتقول : وفي عام ١٩٦١ عينت بوزارة التربية كاول اخصائية اجتماعية بثانوية المرقاب ، وبدات تجربة الخدمة الاجتماعية في شكل محاولات متصلة لانشاء ناد للطالبات ، وتنظيم بعض الرحلات ، مع



احدى الاخصائيات في حديث مع اسرة طفل ٠

الى اليسار (فوق) اخصائيتان تشرفان على طالبات مكتب الفئات الخاصة ، (الى اليسار وسط) العاب التسلية لطلبة دار الضيافة ٠

اخصائي يباحث احد الآباء في علاج ابنه ٠

(الى اليسار) الدكتور النفساني محمد غالي ، يقوم بالعلاج الجماعي لطلبة يعانون من « اللجلجة » ٠









الاهتمام ببعض الحالات الفردية كلما وجدت الى ذلك سبيلا •

«هذه التجربة المحدودة ساعدت على اهمية ادخال الخدمة الاجتماعية في المدارس ، فكان أن شعر المسؤولون في وزارة التربية بضرورة انشاء مكتب الخدمة الاجتماعية المدرسية بمدينة الكويت عام ١٩٦٢ ، وتوليت رئاسته ، ولم يكن يعمل معي يومئذ غير باحثة اجتماعية واحدة ، ولكن ما لبث المكتب ان زود بعد ذلك بعدد من الاخصائيات الاجتماعيات •

وكان دور هذا المكتب مقتصرا على تلقي ودراسة الحالات الفردية للطلاب والقيام بزيارات منزلية لاسرهم ، للتعرف على الظروف التي يتعرض لها الطلاب ، وللعمل على تحقيق التعاون بين المدرسة والبيت في مواجهة مشكلاتهم واحتياجاتهم العلاجية •

مولد ادارة الخدمة الاجتماعية

ونظرا لما حققه المكتب من نتائج اثبتت ضرورة الأخذ بنظام الخدمة الاجتماعية المدرسية لمقابلة احتياجات الرعاية المتزايدة في مجالاتها رأت وزارة التربية عام ١٩٦٥ تحويل تلك الخدمة الاجتماعية الى ادارة للخدمة ، فتكونت هذه الادارة في بادئ الامر من ثلاثة اقسام للخدمة الاجتماعية : الاول للطلبة ، والثاني للطالبات ، والثالث للمدرسات •

وحدد قرار من الوزارة مهام هذه الادارة ،وهي:

معالجة الحالات الفردية للطلبة والطالبات التي تحول للادارة من المدارس •

وتوثيق الصلة بين المدرسة والاسرة بهدف التعاون في توجيه الطلاب ورعايتهم عن طريق تعميم تجربة مجالس الاباء والامهات •

وغرس روح المسئولية في الطلبة وتنمية مواهبهم وقدراتهم من خلال اشتراكهم في هيئات المجتمع المدرسي : كمجالس الفصول ومجلس ادارة المدرسة ، ثم ممارستهم لالوان النشاط الاجتماعي، كالمشاركة في الجماعات والاندية المدرسية،والرحلات، وما الى ذلك من الانشطة الداخلية •

التخطيط للخدمة الاجتماعية المدرسية

واعدت ادارة الخدمة الاجتماعية ـ بالتعاون مع خبير اجتماعي ـ تخطيطا شاملا لتنظيم الخدمة الاجتماعية المدرسية ينفذ على مدى خمس سنوات، بقدر ما تتهيا الامكانيات اللازمة له ، وقد اشتمل التخطيط على الجوانب الاساسية للخدمة الاجتماعية المدرسية بالكويت ، كالخدمات الاجتماعية داخل المدرسة،ومكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية في مناطق الكويت ، وبيوت الضيافة والاقسام الداخلية للطلاب ، والبحوث والتدريب وجهاز التوجيه الفني للخدمة الاجتماعية وشئون المدرسات•

وفي سبيل نشر الخدمات ودعم القوى العاملة من الاخصائيات والاخصائيين الاجتماعيين بالمدارس ، صدر في ٢٧ يونية ١٩٧١ و ١٩ مارس ١٩٧٢ قراران من مجلس الوزراء الكويتي يقضي الاول بالعمل على تعميم نظام الاشراف الاجتماعي بالمدارس ، على اساس تخصيص اخصائي او اخصائية لكل ٥٠٠ طالب او طالبة على الاكثر بينما يقضي الآخر بالعمل على انشاء دور للضيافة لرعاية الطلاب المعرضين للانحراف ، وهم الذين يعيشون في ظروف اسرية غير ملائمة ، حيث يفتقدون بسببها اوجه الرعاية والرقابة او القدوة الصالحة، ويخشى عليهم من السير في اتجاه غير صحيح •



في دار الضيافة التابعة لادارة الخدمة الاجتماعية يتهيا لكل الطلبة والطالبات ما يسد حاجاتهم الدراسية والسكنية والمالية ، بالاضافة الى العاب التسلية (وبعضها كويتية) •



مكتب الفئات الخاصة ـ التابع لادارة الخدمة الاجتماعية ـ يستقبل الطلبة والطالبات من جنسيات عربية مختلفة ، على الا يقل ذكاؤهم عن ٥٠٪ وهم يلقون الرعاية تحت اشراف الاخصائيات لعلاجهم من التخلف العقلي ·

جهاز التوجيه الفني للادارة

وتقول السيدة زينب حافظ الموجهة الفنية الاولى : « ان هذا الجهاز يتكون من سبع موجهات فنيات وثمانية موجهين ، مهمتهم الاشراف الاجتماعي على ٤٠٠ اخصائية واخصائي اجتماعي في جميع المراحل بالمدارس على اختلافها ، بالاضافة الى عشر اخصائيات اجتماعيات التحقوا حديثا بمرحلة رياض الاطفال · وواجبات التوجيه الفني تنحصر في توجيه الاشراف الاجتماعي بالمدارس في ضوء الخطة العامة للاشراف الاجتماعي التي تعد في بداية العام الدراسي ·

« كما يقوم الجهاز بحصر الاخصائيين الجدد ، وتعريف الاخصائي الاجتماعي مهمته ومسئوليته تجاه تطوير اساليب العمل المهني بما يلائم ظروف المجتمع الكويتي في واقعه وخلفياته الثقافية ، والعمل على ان يدرك الاخصائي الاجتماعي اهمية المهنة والالمام بالجديد في ميدان عمله فكرا وتطبيقا ·

وتمضي السيدة زينب في حديثها فتقول : « ومن مهام الجهاز الفني ايضا تحديد سمات كل منطقة وامكانياتها واستثمارها ومحاولة خلق التعاون بين اولياء الامور لبلوغ اهداف الرعاية الطلابية وهي تكوين المواطن الصالح ، آخذا بمبدأ « الوقاية خير من العلاج » ، ومن ان الخدمة الاجتماعية هي المسئولة اساسا عن تكامل هذه المهن لبلوغ



صومالية واندونيسية وفلسطينية طالبات ينتمين الى ثلاث جنسيات تضمهن دار ضيافة الطالبات ، حيث وفرت الدولة كل ماتحتاجه الطالبة فى حياتها اليومية ٠

جانب من حلقة التطوير الاجتماعى التى اقامتها جامعة الكويت مؤخرا ، لاختيـــار الطـرق العلمية الحديثة لتطوير الخدمات الاجتماعية ٠





تسهيلا لطالبات جزيرة فيلكا ، اللاتي يتلقين دراستهن في معاهد الكويت اقامت وزارة التربية بالتعاون مع ادارة الخدمة بيتا للطالبات ، وهنا تبدو اربع منهن وقد انصرفن لقراءة الصحف•

شاركت ادارة الخدمة الاجتماعية المدرسية في حلقة التطوير الاجتماعي التي اقامتها جامعة الكويت ، ووضعت هذه الادارة كل خبراتها الاجتماعية والنفسية من اجل خير الابناء وتطوير المجتمع•





شيخة المسلم .. رئيسة قسم الخدمة الاجتماعية .



دلال المشعان مراقبة الخدمة النفسية بالادارة .



سبيكة الفهد ـ مراقبة الخدمة الاجتماعية .

الهدف النهائي من الرعاية ـ لهذا كانت هي المسئولة عن التنسيق ، وليست هي قيادة التنسيق، والمهم ان يكون التنسيق من قبل الاخصائيين الاجتماعيين ، وعلى وفق مبادىء واساليب العمل المهني،ضمانا لنجاح هذا التنسيق حتى يبلغ غايته.

دور الاخصائي والاخصائية بالمدرسة

وتوضح الموجهة الفنية السيدة زينب دور الاخصائي والاخصائية بالمدرسة قائلة ـ ان هذا الدور يتلخص في العمل على اكتشاف الحالات الفردية ، ومتابعتها ، وتحويل ما يلزم منها الى جهات الاختصاص ، ثم تلقى الحالات الفردية التي تبلغ اليه من ادارة المدرسة ، والمعلمين ، ورواد الفصول ، ومشرفى الجماعات والانشطة المدرسية، وطبيب المدرسة ، واولياء الامور والطلاب انفسهم كما ان دور هذا الاخصائي هو تحقيق التعاون بين البيت والمدرسة في خدمة الحالات الفردية ، والتعرف على حالات صعوبات النطق بالتعاون مع مدرسى اللغات والمواد التي تستخدم النطق الجهرى او التسميع ، وكذلك التنبه الى حالات ضعف السمع والبصر واضطراب الكلام،والشلل ،والصرع وحالات الاضطرابات النفسية التي لا يستجيب فيها الطالب لاساليب التوجيه ، وتحويلها الى الصحة المدرسية عن طريق طبيب المدرسة .

مراقبة الخدمة الاجتماعية للادارة

وهذه المراقبة ـ كما تقول السيدة سبيكة الفهد ، مراقبة الخدمات الاجتماعية ـ تتكون من قسم للخدمة الاجتماعية للطلبة والطالبات ، وقسم لشئون المساكن الداخلية ودور الضيافة للطلبة والطالبات ، وقسم للخدمة الاجتماعية خاص بالمدرسات ، اما ضيافة الطلبة فقد بدىء فيها بعد موافقة مجلس الوزراء على توصيات احدى لجان مجلس التخطيط حول وجوب اتخاذ تدابير انتقالية لرعاية الاحداث الجانحين ، وكذلك الحال بالنسبة للطالبات .

ويتم الالتحاق بهذه البيوت ـ كما تقول المراقبة ـ وفقا لشروط :

منها موافقة اولياء الامور على ايواء ابنائهم لفترة انتقالية تتخذ فيها الاجراءات العلاجية لازالة اسباب سوء توافقهم الاسرى ، باشراف الاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين التابعين لوزارتي التربية ووزارة الشون الاجتماعية ، ومن الشروط ايضا ان يكون الملتحق كويتى الجنسية ، ولا يقل عمره عن سبع سنوات ولا يزيد على خمس عشرة سنة ، وان يكون خاليا من اى تخلف حاد وامراض معدية .

قسم الخدمة الاجتماعية للطلبة والطالبات

وتتراس هذا القسم السيدة شيخة المسلم ، وهى خريجة جامعة عين شمس بالقاهرة ، وقد تحدثت الينا عن مهام هذا القسم فقالت « اننا نقوم بدراسة الحالات الفردية التي تاتينا من المدارس ، ومن ادارة الامتحانات وشئون الطلبة بوزارة التربية ، ومن الجهات الاخرى » . ونحن كذلك نقوم بزيارة المدارس الغالية من الاشراف الاجتماعى للاطلاع على الحالات الفردية ودراستها ، والعمل على مواجهة احتياجاتها ومتابعتها . وكذلك نبحث طلبات الالتحاق بالاقسام الداخلية ودور الضيافة

وكيفية القبول بها ، كما ترتب الزيارات المنزلية بمعرفة الاخصائيات ، والمشاركة في اعمال البحوث بالادارة واللجان التي تتناول بحث الاوضاع الاجتماعية للطلاب خلال مخاطبتهم - والتاخر الدراسي والتخلف العقلي ثم التوجيه المهني والتربوي ٠

اما كيفية الاهتمام بمشكلة الطالب - كما تقول السيدة دلال المشعان ، مراقبة الخدمة النفسية - فهي تبدأ في المدرسة حيث يقوم الاخصائي بملاحظة الطالب بين اقرانه ، وتحويل ملفه بعد ذلك الى الاخصائي بالادارة لدراسة حالته ، ثم يقوم الاخصائيون النفسانيون عند استكمال الدراسة من نواحيها المختلفة بتشخيص نواحي القوة والضعف في شخصية الطالب محاولين معرفة أسس المشكلة نفسية كانت او دراسية ، وبعد ذلك يوضع برنامج علاجي او توجيهي ، يهدف الى تحسين توافق الطالب وقد يظهر التشخيص احتياج الطالب الى نوع آخر من الخدمات المتخصصة ، مثل تحويل المتخلفين عقليا الى معاهد التربية الخاصة ، اما حالات الاضطراب النفسي الشديد فتحول الى الصحة المدرسية ٠

مراقبة الخدمة النفسية

اما دور هذه المراقبة - كما شرحته دلال المشعان - فينحصر في تقديم الخدمات النفسية للطلاب مع الاهتمام بنوع خاص بشخصية الطالب او الطالبة ومدى تفاعلها مع العملية التربوية ٠

ومحور الخدمات يدور حول دراسة حالات الاضطراب السلوكي والاجتماعي وعلاجها ٠

اقسام مراقبة الخدمة النفسية

هذه الاقسام ثلاثة :

١ - قسم الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية :

وتراس هذا القسم السيدة اقبال عبد الجليل ، التي قالت : « ان دور هذا القسم يكمن في دراسة التاخر الدراسي للطالب ، وتقديم توصيات العلاج ، وكذلك دراسة حالات بطء التعلم والتخلف العقلي ، والقيام بعمليات التوجيه المهني والتربوي ، وتحويل حالات التاخر الى معاهد التربية الخاصة » ٠

ويتبع هذا القسم اكثر من علاج ، وفي ذلك تقول الاخصائية وفاء العيسى : « ان هذه الطرق عديدة ، منها مقياس وكسلر لذكاء الاطفال ، ثم متاهات بورتيس ، ولوحة الانسجام ولهذه الاختبارات اهميتها في قياس القدرة على ادراك العلاقات المكانية والتمييز بين الاشكال المختلفة » ٠

٢ - قسم الارشاد النفسي :

وواجباته - كما تقول رئيسته السيدة لولوة حمادة - « تتلخص في دراسة وعلاج حالات الاضطراب السلوكي ، ودراسة وعلاج مشكلات التوافق الاجتماعي ثم علاج اضطرابات النطق وآفاته ، ويتلقى القسم معظم الحالات من المدارس ، بعد ان يقوم الاخصائي الاجتماعي باكتشاف الحالة ودراستها وارسال تقرير عنها الى مراقبة الخدمة النفسية » ٠ ثم تضيف الاخصائية النفسانية سعاد البدر قولها : « هناك مشكلات اخرى معينة كالخوف او القلق او العدوان الزائد او الانسحاب الزائد او مشكلات التوافق الاجتماعي كالسرقة والكذب والهروب من المدرسة وغيرها من المشكلات»

٣ - قسم البحوث النفسية والاجتماعية :

وواجباته كما تقول رئيسته السيدة فاطمة الرشيد ، تكملة عمل القسمين السابقين : قسم الاختبارات النفسية ، وقسم الارشاد النفسي ، فهو يهدف الى حل بعض المشكلات التي تبرز اثناء دراسة الحالات التي يتولاها القسمان السابقان ، فجانب من البحوث النفسية يهدف الى دراسة المشكلات التربوية والنفسية المرتبطة بالطالب في المدرسة ، ولذلك يمكن الاستفادة من نتائج هذه البحوث في التخطيط التربوي بالمدارس ، ولقد قام القسم بعدة بحوث مثل بحث مشاكل كبار السن في المرحلة المتوسطة ، والعوامل المؤدية لذلك ، ثم تحديد نسبة المتخلفين عقليا في المجتمع الكويتي ومشروع دراسة المتفوقين في المرحلة الثانوية ٠٠

هذا هو دور الخدمة الاجتماعية المدرسية ، وهو دور انساني ، كرست له الادارة جل طاقتها وخبراتها من اجل اعادة الابتسامة الى شفاه تلك الفئة التي شاءت لها الاقدار ان تتعثر ، ومن اجل ان تضع هذه الفئة يدها مع يد المجتمع لتسهم في تقدمه وتطوره ٠ ■■

يوسف الشهاب



في الساعة العاشرة والنصف من صباح ٦ نوفمبر ١٩٧٥ تحرك ٤٠٠ الف مغربي في المغرب مسيرة سلمية لتحرير الصحراء التي تحتلها اسبانيا منذ ٩٠ عاما ...

عدسة العربي تسجل

المسيرة الخضراء

هل انتهت قضية الصحراء (الاسبانية سابقاً) أم تتحول الى مشكلة بين المغرب والجزائر ؟

استطلاع : سليم زبال

تصوير : اوسكار مترى



تميزت مسيرة المغرب بكونها سلمية هادئة منتظمة ٠٠ حمل كل فرد فيها بطانيته الصوفية ووعاء مائه ، وغطى رأسه ، وانطلق بدون سلاح ، مخترقا خطوط الاسلاك الشائكة ، هاتفا « الكفاح الكفاح ٠٠ القرآن هو السلاح »٠٠٠ ٠٠ ولكن اذا تأخر تحقيق هذا الهدف فاننا نريد استرجاع اجزائنا السليبة كلها » وكان افراد المسيرة يستريحون بعد كل خمسة كيلو مترات ٠



■ ان الشعب المغربي ليس من هواة السير اوالمشي، ولكنه اتخذ من هذه المسيرة أسلوبا سياسيا لاقناع اسبانيا باسترجاع بقية الاراضي ..

جيش غريب .. جيش بدون سلاح .. جيش قوامه اكثر من ٤٠٠ الف رجل وامرأة ، جاءوا من مختلف قرى المغرب ومدنه ، لينطلقوا في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٥ في مسيرة فريدة من نوعها ، ليسترجعوا الارض العربية التي احتلتها اسبانيا منذ ٩٠ عاما !

وما كادوا يعبرون نقطة الحدود الاولى ، حتى خروا ساجدين على الارض الطيبة يلثمونها ويقيمون فوق رمالها شاكرين الله على نعمته ..

وتابعت المسيرة انطلاقتها غير عابئة بالاشواك ولا بالاعشاب او الاحجار .. ولا حتى بعواصف الرمال ، نحو الهدف المحدد لها : وهو الوصول الى مدينة العيون ، عاصمة الصحراء ..

ترى هل كانت المسافة طويلة ؟ .. ان التسعين كيلو مترا التي تفصل بين الحدود ومدينة العيون، كان من الممكن قطعها في خمس ساعات فقط ، اذا اطلق العنان للمسيرة .. ولكن المسئولين كانوا يريدونها مسيرة سلمية خضراء ..

خصومات الاقارب

ان مسيرة المغاربة لم يكن المقصود بها محاربة الاسبان ابدا .. الم يقل لهم ملكهم الحسن الثاني عندما اعطى اشارة الانطلاق: « اذا لقيتم اسبانيا، عسكريا كان ام مدنيا ، فصافحوه وعانقوه ، واقتسموا معه ماكلكم ومشربكم، وادخلوه مخيمكم، فليس بيننا وبين الاسبان غل او حقد ، ولو اردنا ان نحارب الاسبان لما ارسلنا عزلا ، بل جيشا باسلا .. »

حتى المعارضة المغربية الممثلة في حزب الاستقلال ذكرت في صحيفتها « العلم » : « ان ما يحدث بين المغرب واسبانيا كان يعتبر دائما خصومات الاقارب .. والتاريخ يذكر ان المغاربة ارتدوا ملابس الحداد في زمن المرينيين ، عندما توفي الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة ، احتراما لمشاعر اعدائهم الذين يحاربونهم ! »

وهكذا كانت العلاقات دائما مع اسبانيا .. عائلات مغربية باسماء اسبانية .. وعائلات اسبانية باسماء مغربية ..

بالك .. خطر الموت !

وانطلاقا من روح « خصومات الاقارب » اكتفى الاسبان بارسال طائراتهم العمودية ، والنفاثة للتحليق فوق المسيرة المنطلقة نحو العيون ، لارهابها ، فكان المتطوعون يلوحون لها بالايدي كما لو كانوا يحيونها !

وجاء الكشافة المتقدمون يعلنون وجود لافتات مكتوب عليها بالعربية والاسبانية « بالك .. خطر الموت » لقد زرع الاسبان « سبخة أم الضبع » بالالغام ، وتمركزوا خلفها .. ومن خلال المنظار المقرب ، شاهدنا المصفحات والدبابات الاسبانية تتجول عند الطرف الآخر من السبخة ..

وعندها قلنا للمشرف على المسيرة القومندان عبد الكريم عدول : « لماذا لا تطلقون القردة عليهم ؟ » فاجابنا مستغربا : « أي قردة تقصدون؟»

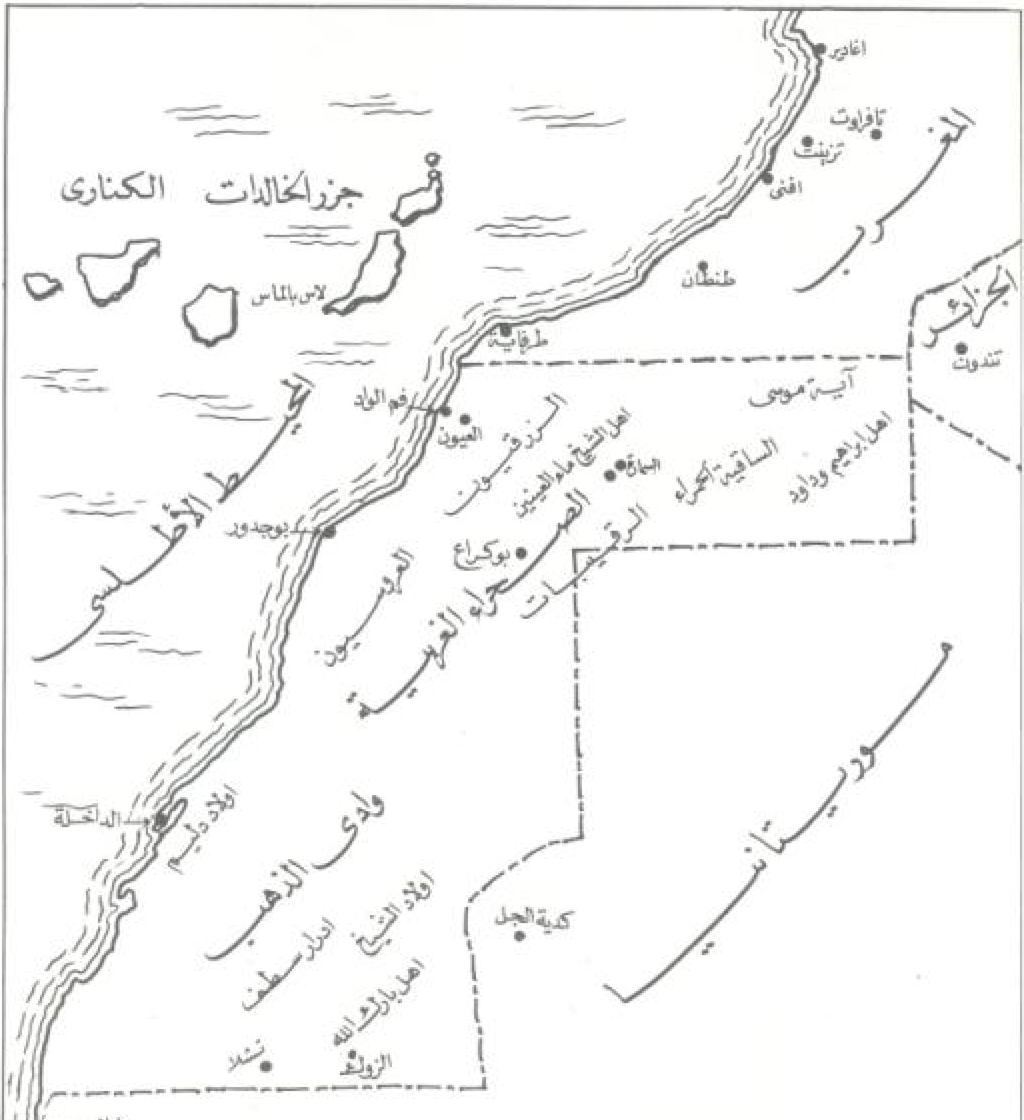
قلنا « ألم ترسل لكم حكومة الجابون ١٥٠٠ قرد لاطلاقها على حقول الالغام فتنسفها بأجسامها وتفتح الطريق سالما امام المسيرة » .

وضحك القومندان ، وقال : « لا قردة ولا فئران .. وانما حركة التفاف حول حقول الالغام تكفي .. وهذا ما يجرى حاليا ، فهناك افواج أخرى من المتطوعين انطلقت في اتجاه الشرق لتتفادى حقول الالغام .. »

وعسكر المتطوعون امام حقول الالغام الاسبانية ، وفي الليل اطلق الاسبان الصواريخ المضيئة ، وفجروا بعض الالغام ، في محاولة أخرى للارهاب ..وكان رد المغاربة زغاريد وتصفيقا حماسيا منقطع النظير ، وكأنهم في حفل للالعاب النارية !!

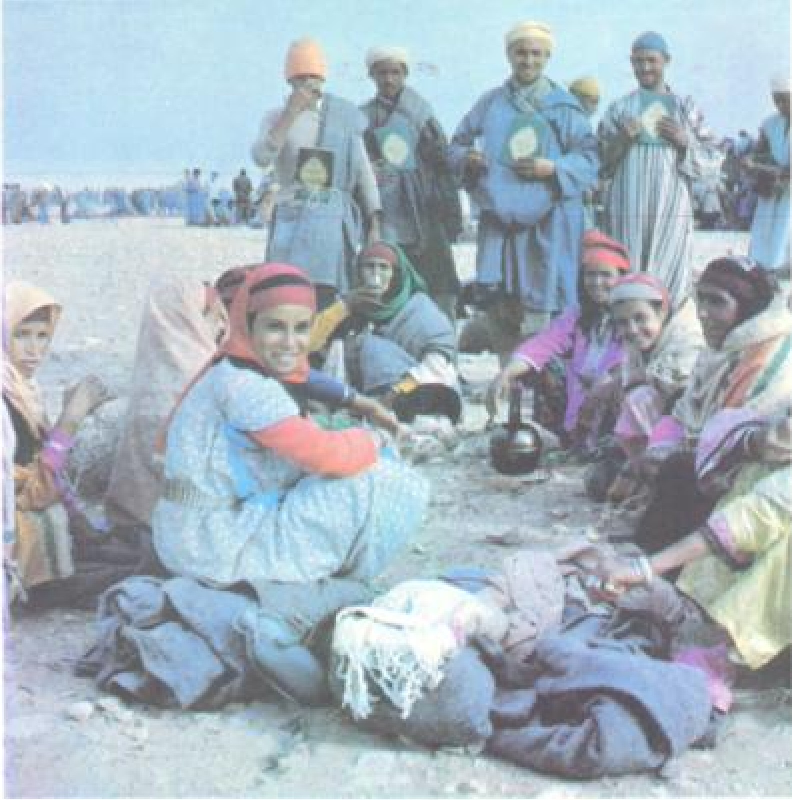
« دعهم يزرعوا الالغام .. ودعهم يقتبلونا بطائراتهم ومدافعهم .. ان الموت لا يهمني في سبيل الصحراء » .

شعور بدوية ، جاءت من ورزازت لتشترك في

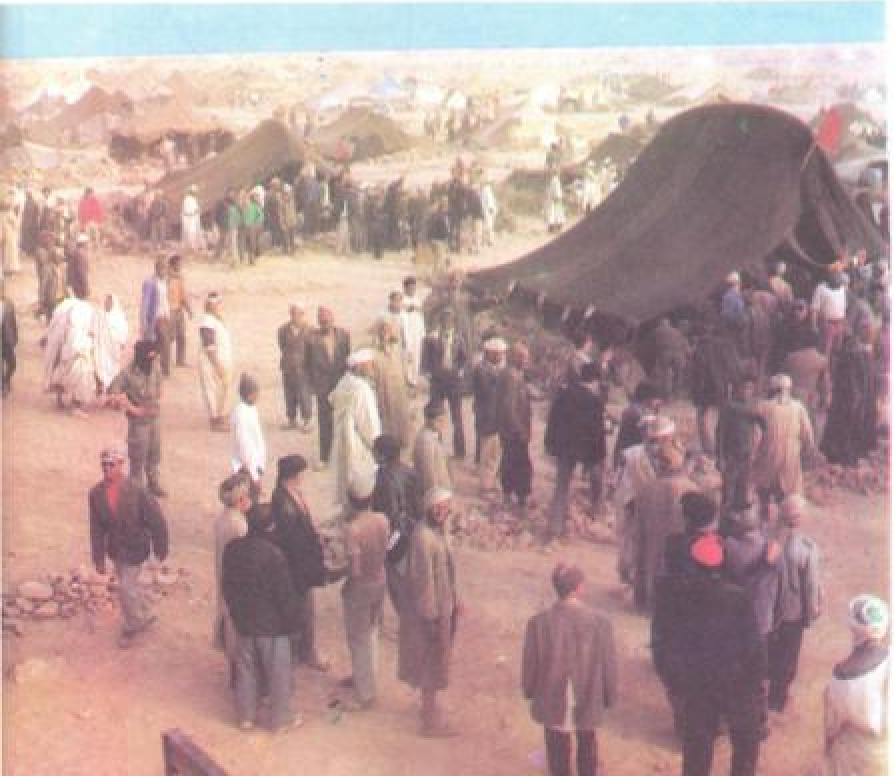


تنقسم الصحراء الغربية قسمين رئيسيين :الساقية الحمراء فى الشمال (ومساحتها ٨٢ الف كيلو متر مربع) ٠٠ ووادى الذهب فى الجـــزءالجنوبى (ومساحته ١٨٤ الف كيلو متر مربع)٠٠ ومن الطريف ان الساقية الحمراءسميت بهذا الاسملوجود الرمال الحمـــراء فى المنطقة ٠٠ اما وادى الذهب فهو ترجمة محرفة لريودى اورو وتعنى نهرالذهب ٠٠ فى حين انه لا يوجد نهر ولا ذهب فى المنطقة ٠٠

وللصحراء الغربية حـدود مشتركة طولها الفميل مع موريتانيا ، و ٣٠٠ ميل مع المغرب ، و ٥٠ ميلا مع الجزائر ٠٠ وعدد سكانها ٧٤ الف نسمةطبقا لاحصاءات الاسبان ٠



مدينة هائلة من الخيام ، اقيمت على ارض مساحتها ٧٠ كيلو مترا مربعا بجوار بلدة طرفاية .. وتحت هذه الخيام عاش ٤٠٠ الف مغربي ، تجمعوا من ٣٠ اقليما مغربيا .. لقد تعرف ابن الشمال على المناطق الجنوبية لاول مرة ، فاحبها وابدى الكثيرون رغبتهم في الاستقرار بالمناطق الجنوبية الصحراوية ، بدلا من قمم جبال اطلس الباردة .





لم تستطع حرارة الجو ولا عواصف الرمال ان تنال من تصميم المتطوعين ‥ ان روح التضحية وتحمل الحياة القاسية تحت الخيام لمدة عشرة ايام زادت من حماسهم وتصميمهم على متابعة مسيرتهم السلمية‥
وساعد وجود المرأة بين المتطوعين على طهو الخبز وصنع الشاي الاخضر ‥





المسيرة .. انها واحدة من ١٣ الف امرأة اشتركن مع الرجال جنبا الى جنب .. وبين المتطوعات اندست ثلاث نساء حوامل ، لم يشعر بهن احد الا عندما فاجاتهن آلام الوضع ، فنقلن فى الحال الى مستشفى تارودنت ..

مراكش تخطف الاضواء !

وفى نفس الوقت الذى كانت المسيرة تستريح فيه ، كان العمل الدبلوماسى والسياسى على أشده لقد اختطفت مراكش واغادير الاضواء من الرباط والبيضاء ، وتحول مركز الثقل السياسى الى الجنوب حيث كان الناس يحتفلون بالنصر قبل أن يتحقق !

كل الدول العربية ساندتنا

وكان وزير الاعلام المغربى أحمد الطيب بن هيمة يجتمع يوميا اكثر من مرة بالصحفيين السبعمائة الذين جاءوا من كل مكان فى العالم ، حتى من اسبانيا ليرد على الاسئلة المحرجة التى كانوا يوجهونها اليه .

ساله احدهم : هل انتم راضون عن موقف الدول العربية تجاه قضية الصحراء ؟

فقال :« قبل انطلاق المسيرة استقبل الملك سفراء الدول العربية ، وعرض عليهم فكرة المسيرة ، وسلمهم رسائل الى ملوك ورؤساء بلادهم تبين قرار المغرب .. لقد ساعدتنا جميع الدول العربية وساعدتنا بما يرضينا حتى لو كان دعاء فى مسجد فهو مساندة لنا .. اننا لا نقيد أحدا بأى طلب..»

ومن بين الأسئلة التى طرحوها عليه قولهم : « ان المغرب يسعى لاحتلال الصحراء من أجل الحصول على الفوسفات الصحراوى فقط ، فمارأيكم ؟ »

فاجاب الوزير : « استرجعنا شمال المغرب وهو فقير .. واسترجعنا أفنى وهى فقيرة .. واسترجعنا طرفاية وهى أفقر .. اننا نطالب بأرضنا العربية كما خلقها الله .. واذا كانت أرضنا غنية ، فمن باب أولى أن نستعيدها حتى لا نترك ثروة العرب فى يد غيرنا .. »

مساحة سوريا والاردن !

ان هذه الصحراء الغربية العربية كانت تعيش وكأنها معزولة خلف ستار حديدى ، بالاضافة الى انها أرض قاحلة ، لا يستقر فيها الانسان طويلا ، بل يتنقل خلف ابله الى موريتانيا والمغرب والجزائر.

لهذا نجد أن الكثافة السكانية لا تتعدى ٢٪ فى كل كيلومتر مربع .. فاذا كانت مساحة الصحراء نحو ٢٨٠ الف كيلو متر مربع ، أى ما يوازى تقريبا مساحة سوريا والاردن معا ، فان عدد سكانها يبلغ حاليا نحو ٥٣ الف نسمة ، ولو أن الاحصاءات الاسبانية تقول ان عددهم اكثر من ٧٤ الف نسمة !

والصحراء الغربية ما هى ـ من الناحية الجغرافية ـ الا جزء من الصحراء الكبرى التى تغطى ما مساحته ٨ ملايين كيلو مترا مربعا موزعة على ١٣ دولة افريقية .

وأهل الصحراء يدينون بالاسلام ويتكلمون



كيف يمكن اطعام ٤٠٠ الف شخص يقيمون وسط الصحراء ؟ كانت هذه اكبر مشكلة تواجه المسئولين عن المسير .. ففى كل يوم كانت الطائرات العربية تنقل مليون رغيف خبز من الدار البيضاء والرباط ومراكش حتى طرفاية والباقى كان يأتى بالسيارات الكبيرة بهذه المعدلات لكل متطوع :١٥٠ جرام زيت ، ربع كيلو سكر ، ١٠٠جرام شاى ، علبة سردين ، علبة سجاير ٥لترات ماء ، قطعة صابون ، علبة حليب صغيرة ..



٧٠ طبيبا حكوميا وخاصا ، و٢٢٠ سيارة اسعاف ، ونحو الف ممرض وممرضة كانوا مع المسيرة للمحافظة على صحة المواطنين ، والحمدلله انه لم يظهر بينهم اى مرض وبائى .
هذا ماقاله لنا الدكتور الدرويش احمد ، طبيب مستشفى اسفى ، الواقع على مسافة ١٥٠٠ كيلو متر من طرفاية .

هذا الذى بدا ينحسر عندما اصدرت الامم المتحدة قرارها بتصفية الاستعمار من العالم فى منتصف الخمسينيات ..

ثروات بالجملة

ولكن سبانيا ظلت متشبثة بالصحراء تراوغ وترفض التخلى عنها .. كانها تريد تعويض ما فاتها فى التنقيب عن ثرواتها واستغلالها .

ان ساحل الصحراء الممتد ١٠٦٢ كيلو مترا يعتبر من اغنى سواحل العالم بالثروة السمكية ، وفى العام الماضى صيد منها ٢٧٠ الف طن من الاسماك ،ثمنها ١٣٢٠ مليونبيزيتا (الدولار = ٦٠ بيزيتا) ولهذا السبب اقاموا ثلاثة مصانع لتجميد وتعليب الاسماك فى العيون وفى الداخلة .. والحديد والنفط اكتشفوهما بكميات متواضعة ولكن ، يمكن ان تشكل قاعدة طيبة لتوسع صناعى محلى مستقبلا ، لقد انفقوا ٤ مليارات بيزيتا بحثا عن النفط والمعادن حتى الآن .. ولكن عمليات المسح لم تغط الا اقل من نصف مساحة الصحراء ، والباقى ما زال مجهولا يحوى احتمالات كبيرة جدا من الثروات ..

فتش عن الفوسفات

وكانت قمة الاكتشافات هى الفوسفات .. فمن كان يصدق ان تلك الصحراء تضم واحدا من اكبر مناجم الفوسفات فى العالم ، يحوى نحو مليارى طن من الفوسفات ذى النوعية الممتازة ..

ومن امريكا جاء بنك تشيس مانهاتن.. واعقبه شركة كروب .. ثم ممولون اسبانيون .. كونوا شركة فيما بينهم ، وبدأوا بانفاق ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى من اجل منشآت استخراج وتصدير الفوسفات من منطقة بوكراع ، على مسافة ٨٠ كيلو متر من مدينة العيون .. اقاموا حزاما ناقلا طويلا من المناجم حتى الرصيف البحرى ممتدا ٩٠٠ متر على ساحل العيون ، ليستقبل بواخر نقل الفوسفات الجبارة حمولة ٦٠ الف طن ..

وبدا الانتاج سنة ١٩٧٠ وفى عام ١٩٧٤ وصل الى ثلاثة ملايين طن ، وفى عام ١٩٧٥ ارتفع الى

الحساينة ، اللهجة التى تحوى ٧٥٪ من الكلمات العربية الفصحى ..

لقد ظل ابن الصحراء يعيش هائما فى ارضه الواسعة ، يقتفى اثر الامطار بحثا عن الكلا لحيواناته .. لقد عرف اياما مجيدة فى تاريخه القديم .. جاءه عقبة بن نافع (٦٢هـ ـ ٦٨١م) فكان اول فاتح وصل الى الساقية الحمراء .. ثم حلت بالبلاد بقاياتغريبة بنى هلال وبنى سليم..

وفى مطلع القرن العشرين جلس مفاوضو اسبانيا مع مندوبى فرنسا ـ التى كانت تحتل المغرب ـ وشرعوا فى رسم حدود غريبة بالمسطرة والبرجل ليقيموا داخلها مستعمرة اسبانية جديدة على الارض العربية .. ولكن اسبانيا لم تستقر بصورة شاملة فى الصحراء الا فى عام ١٩٣٤

قصة طويلة تروى تاريخ الاستعمار للصحراء ،









بمجرد ما اخترق المتطوعون الحدود، تيمموا، وصلوا ركعتين شكرا لله.

الى اليمين : ارض الصحراء لم تعد قاحلة !! لقد زرعوها باجسامهم !

٥ ملايين طن ٠٠ وفي عام ١٩٨٠ سيرتفع الانتاج الى عشرة ملايين طن ٠٠

ان الصحراء اصبحت تحتل المرتبة الرابعة في قائمة الدول المنتجة للفوسفات ٠٠ الاول : الولايات المتحدة تنتج ٣٧ مليون طن ٠٠ روسيا تنتج ٢٥ مليون طن ٠٠ والمغرب ٢٠ مليون طن ٠٠ الا ان الولايات المتحدة تستهلك معظم انتاجها ولا تصدر الا ٥ ملايين طن ٠٠ وروسيا تستورد ١٠ ملايين طن ، لان انتاجها لا يكفيها ٠٠ اما المغرب فهي المصدر رقم واحد في العالم ، اذ تصدر ١٩ مليون طن من انتاجها سنويا ٠٠

وقد تضاعف ثمن الفوسفات بما يوازي ٤٠٠٪ خلال سنتين ٠٠ من ١٤ دولارا للطن الواحد في عام ١٩٧٣ الى ٦٨ دولارا في ١٩٧٥ ٠

انكشف السر

ان وراء قصة الفوسفات يكمن سر تشبث اسبانيا بالصحراء ، فهي تاخذ كل انتاج الصحراء من الفوسفات لحاجتها اليه في زراعتها ٠٠ فاسبانيا ما زالت تعتمد كثيرا على الزراعة وربع القوة العاملة هناك تعمل في الزراعة ٠٠

وضياع فوسفات الصحراء ،معناه خلل فيالنظام الاقتصادي الاسباني ،ومن هنا كان تجاهل اسبانيا لنداءات الامم المتحدة منذ عام ١٩٦٢ باجراء استفتاء من اجل تقرير المصير لابناء الصحراء ٠٠

ومن اجل توحيد كلمتهم اجتمع الحسن ، وبومدين ،وولد دادة في اغادير عام١٩٧٣ ووحدوا سياستهم وطالبوا بحق تقرير المصير لابناء الصحراء ٠٠

مشاكل الاستفتاء

وعندما بدات دراسة تفاصيل الاستفتاء حول تقرير مصير الصحراء ، اشتعلت الخلافات واتسعت ٠٠ وارتفعت علامات استفهام رئيسية حائرة :

ما هي الاسئلة التي تطرح في الاستفتاء ؟ ٠٠ ومن الذي يشترك في الاستفتاء ؟

الاسبان يقولون : تكون الاسئلة مقصورة على سكان الصحراء الحاليين فقط : هل تريدون الاستقلال ام الانضمام للمغرب او لموريتانيا ؟ ويعترض المغاربة على هذا الراى بشدة، ويقولون: الاسئلة يجب ان تنحصر في سؤالين : هل تريدون العودة للوطن الام المغرب ، او تفضلون البقاء تحت الحكم الاسباني ؟

والجزائر تقول : يجب ان نتيح للشعب الصحراوي ان يعبر عن رأيه ، ويقرر مصيره بنفسه ٠

ويطرح الموضوع على المحافل الدولية ، ويأتي كورت فالدهايم ، ويسافر رئيس وزراء المغرب الى اسبانيا ، ويصل سكرتير الحزب الاسباني الى المغرب ، ويموت فرانكو ، ويطير خوان كارلوس الى العيون ٠٠ مفاوضات ومشاورات على كل المستويات في محاولة لايجاد مخرج لهذه الازمة ٠٠

اتفاقية غير معلنة

واشتدت حمى المفاوضات التي ظلت مستمرة على مدار الساعة ٠٠ وفي مدريد عاصمة اسبانيا اجتمع رئيسوزراء المغرب ووزيرخارجية موريتانيا مع رئيس الحكومة الاسبانية ، وخرجوا باتفاق ثلاثي يعلنون فيه ان الوجود الاسباني سوفينتهي من الصحراء الغربية في موعد اقصاه نهاية شهر فبراير الحالي (شباط) ١٩٧٦ وان ادارة ثلاثية مؤلفه من اسبانيا والمغرب وموريتانيا سوف تتولى ادارة الصحراء حتى هذا التاريخ ٠

ولكن الجزائر ما زالت ترى ضرورة تطبيق قرارات الامم المتحدة التي سجلت حق شعب هذه الصحراء في تقرير مصيرهم ٠

ووكالات الانباء العالمية تذيع كل يوم انباء عن التوتر بين الجزائر والمغرب حول هذه القضية ٠

ولكن كل عربي مخلص يتمنى ان تنطوى صفحة تلك الصحراء بالاتفاق ،ودون ان تتفتح فيصفوف العرب ثغرة اخرى من ثغرات الخلاف ■■

سليم زبال



دراسات عربية رائدة

حول عادات اللصوص والمحتالين وأساليبهم

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

■ تعنى بعض العلوم الاجتماعية الحديثة ، بدراسة عادات اللصوص والمحتالين ، والاساليب التي يتبعونها في ارتكاب جرائمهم .

ويستهدف الباحثون في هذا المجال ، تاصيل البواعث الاجتماعية ، للنزعات الاجرامية لتحديد الوسائل الملائمة لكبح جماحها ، واتقاء شرورها .

ويجد بعض الكتاب القصصيين ، فيما تكشفه هذه الدراسات من المعلومات الشائقة ، مادة خصبة لمؤلفاتهم الرائجة ، التي يقبل عليها القراء بشغف بالغ .

غير أن بعض العلماء ، يوصى بالتزام الحذر ، في نشر هذه المعلومات ، لما قد تتيحه للمجرمين الاحداث ، من الافادة بتجارب المجرمين العتاة ، وارشادهم الى الاساليب المثلى ، للتغرير بالضحايا ، وتضليل رجال الامن ، والافلات من يد العدالة .

ولقد حظى هذا اللون من الدراسة ، باهتمام بعض العلماء والادباء العرب ، منذ قرون عديدة ، فكانت لهم فيه اسهامات رائدة ، سجلوا فيها الكثير من الوقائع المثيرة ، التى تكشف أسرار تلك الجماعات المنحرفة .

كتاب في كشف أسرار المحتالين

ومما انتهى الينا ذكره ، من المؤلفات العربية في هذا المجال ، كتاب (كشف أسرار المحتالين) للعلامة الجوبرى الدمشقى، من علماء القرن السابع الهجرى .

ومن اعجب ما تضمنه من الوقائع ، واقعة محتال استطاع أن يخدع السلطان (نور الدين محمود ابن زنكى) المتوفى سنة ٥٦٩ هجرية . بادعاء التفوق فى علم الكيمياء ، والقدرة على صناعة الذهب من مواد رخيصة ، وانه اقسم الا يصنعه الا لحاكم يعده بالا ينفقه الا على الجهاد ، وغيره

من المصالح التي تعود بالخير على المسلمين .

ولما كانت الحرب ناشبة ـ في تلك الآونة ـ بين السلطان نور الدين والفرنجة ، فقد استدعاه واتفق معه على الافادة من خبرته في تلك الصناعة، مع الالتزام بانفاق ما يصنعه من الذهب ، في الغرض الذي اشترطه .

تظاهر المحتال بصنع سبيكة كبيرة من الذهب ، في فترة وجيزة ، بيعت بالف دينار ، ولما طالبه السلطان بالمزيد ، أفهمه انه يحتاج الى استحضار مادة معينة ، لا تتوافر الا في غار بجبل خراسان ، فكلفه السلطان بالسفر لاحضارها ، وزوده بمال وفير ، وبكتاب يقدمه الى الامراء والحكام الذين يمر بهم ، للمحافظة عليه ، وتقديم كل عون له ، فاخذ ذلك كله واختفى .

كتاب اللصوص

ولعل أشهر ما صنف في ذلك المجال ، (كتاب اللصوص) للجاحظ ، الذي ضاع للاسف ـ وان بقيت لنا اشارات اليه في كتابيه (البخلاء) و (الحيوان) وقد أسماه في بعض هذه الاشارات (كتاب حيل اللصوص) . وذكره (البغدادي) في حديثه عن مؤلفات الجاحظ بقوله « منها كتاب في حيل اللصوص ، وقد علم به الفسقة وجوه السرقة » .

ووصف موضوع ذلك الكتاب بانه « في تصنيف حيل لصوص النهار ، وفي تفصيل حيل سراق الليل » ، وأنه « جمع فيه لطائف الخدع ، وغرائب الحيل » . وتنطوي عبارته الاولى ـ كما ترى ـ على تحذير مبكر من نشر حيل اللصوص واساليبهم .

القيم الخلقية للصوص

وقد كشف (الراغب الاصبهاني) في كتابه (محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) عن بعض طباع أولئك الاشقياء واساليبهم الذكية، نقلا عن علم من أعلامهم يسمى (عثمان الخياط) وقد منح ذلك اللقب لانه نقب على أحذق الناس داره ، وسرق منه ما طاب له ، ثم خرج من النقب، وسده باحكام ، فكانه خاطه .

وقد نقلت عن ذلك اللص المشهور بعض الاقوال، التي تصور القيم الخلقية ، التي كان يلتزم بها بعض اللصوص في عهده، متاثرين في ذلك بمبادىء الفتوة والفروسية ، التي شاعت في ذلك العصر في أوساط العامة ـ حتى الدنيا منها ـ وكان لها اثر واضح في تلطيف طباعهم .

ومن ذلك قوله « ما سرقت جارا ، وان كان عدوا ، ولا كريما ، ولا كافأت غادرا بغدره » .

ومن التوجيهات والنصائح التي كان يزجيها الى أعوانه « اضمنوا لي ثلاثة أضمن لكم السلامة: لا تسرقوا الجيران ، واتقوا الحرم ، ولا تكونوا اكثر من شريك مناصف » .

ومن نصائحه التي أودعها خلاصة تجاربه ، وعصارة أفكاره « جسروا صبيانكم على المخارجات، وعلموهم الثقافة،وأحضروهم ضرب الأمراء لأصحاب الجرائم ، لئلا يجزعوا اذا ابتلوا بذلك ، وخذوهم برواية الاشعار عن الفرسان ، وحدثوهم بمناقب الفتيان ، وحال أهل السجون ، واياكم والنبيذ ، فانه يورث الكظة ، ويحدث المثقل » .

تصنيف اللصوص

وقد قدم (عثمان الخياط) تصنيفا للصوص بحسب حيلهم وأساليبهم ، فجعل (المحتالين) أدناهم قدرا ، وذكر ان سائر اللصوص يعتبرونهم دخلاء ، ويتعالون عليهم . اما اشدهم خطرا فهم (الخناقون) الذين يقتلون ضحاياهم ـ وان لم يكن ذلك بالخنق وحده ـ وغالبا ما يصحبون القوافل في جماعات صغيرة، ويتخيرون ضحاياهم من الافراد .

وروى أن جماعة منهم تبعوا في قافلة شيخا معه مال كثير ، فلما عجزوا عن الانفراد به ، وأعياهم امره ، حتى كاد يبلغ الركب غايته ، خافوا أن يفلت منهم ، فتحينوا فرصة انشغال القوم ، وطعنه احدهم في عنقه ، ثم غطاه بثوبه ، وأخذ يؤذن في اذنه ، فلما أخذ يغور ، اجتمع القوم حوله وقالوا « مالكم والرجل . خلوا عنه » .

فقال أحد الخناقين « سلوا ربكم العافية ، وتباعدوا عنه ، فانه اذا افاق ورآكم استحيا » .

فلما خمدت حركته ، وبرد جسده ، وتأكدوا من موته ، قالوا « دعوه، فقد نام ، وفي النوم راحته» .

ولما تفرق القوم ، أخذوا ماله ، وتركوه .

ومن (الخناقين) من يستدرج الرجل الى داره باحدى الحيل ، فاذا خلا به ، وبدأ في قتله ، ضرب أصحابه الطبل والصنج وتصارعوا كما تفعل النساء في البيوت لاخفاء صوت استغاثته ٠

وكما يمنى الباحثون الاجتماعيون المحدثون ، وخبراء الشرطة،بتصنيف اللصوص بحسب مستويات خطورتهم ، وتخصصاتهم الاجرامية ، فقد كان أسلافنا العرب ـ كما يتضح من كتاب أبي منصور الثعالبي (فقه اللغة) ـ يقسمونهم ايضا الى أصناف عديدة، يطلقون على كل منها اسما خاصا:

فاذا كان اللص يسرق المتاع من الاحراز فهو (سارق) ٠

واذا كان يقطع على القوافل فهو (لص) او (قرضوب) ٠

واذا كان يسرق الابل فهو (خارب) ٠

واذا كان يسرق الغنم فهو (أحمص) ٠

واذا كان يسرق الدراهم بين أصابعه فهو (قفاف) ٠

واذا كان يشق الجيوب وغيرها عن الدراهم والدنانير ، فهو (طرار) ٠

واذا كان داهيا في اللصوصية ، فهو (سبد أسباد) او (هتر أهتار) ٠

واذا كان له تخصص بالتلصص والخبث فهو (طمل) ٠

واذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس فهو (داعر) ٠

واذا كان خبيثا منكرا فهو(عفر وعفرية ونفرية)٠

واذا كان من أخبث اللصوص فهو (عمروط)٠

واذا كان ياكل ويشرب معهم ، ويحفظ متاعهم ولا يسرق فهو (لغيف) ٠

واذا كان يدل اللصوص ويندس لهم فهو (شص)٠

وقسم (الراغب الاصبهاني) أعوانه اللصوص الى الفئات الاربع التالية :

١ ـ العين :

(وهو الذي يلزم الصيارف ، ويتامل كل مال محمول ، وياتي السفن ، فيتعرف موضع الحرز ، وياتي دار قوم يتطلب انه يتوضا ، فيتعرف خزائنهم ، والموضع الذي يقعدون فيه) ٠

٢ ـ المؤتي :

(وهو الذي يتولى البيع والابتياع لهم) ٠

٣ ـ الشاغل :

(وهو الذي يشغل القوم عن اللص) ٠

٤ ـ الطرار :

(وهو الذي اذا ظفروا به، يجيء اللص فيضربه مالا يضربه السلطان، ويقول : هذا والله صاحبي، هو الذي ذهب بمالي ٠ ويضربه ، ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم ، فاذا تشاغلوا عنه ، افلته ، وتاسف القوم) ٠

من حيل اللصوص

ومما يروى من حيل اللصوص التي تجمع بين الجراة الفائقة ، والذكاء الخارق ، أن احدهم اتى بزازا واقفا ، يبيع سلعه المعروضة خارج حانوته ، وطلب منه أن يبيعه جرابين كانا معلقين بجانبه ، فلما اجابه الى طلبه ، طالب بالمزيد ، فدخل الحانوت لاحضار ما يطلب ، فتبعه اللص وراح يلتفت الى السلع المتناثرة فيه ، وهو يعاتبه على تركها هكذا ، معرضة للسرقة ، وتظاهر بشرح ما يمكن أن يفعله أحد اللصوص اذا دخل المحل ، فتناول بعض السلع ووضعها في أحد الجرابين ، ثم تناول البعض الآخر ووضعه في الجراب الثاني ، وهو يتراجع في خفة نحو الباب حتى غادره وهو يقول : « لو أن انسانا اخذ متاعك هكذا ، ثم خرج من الباب هكذا ثم اقفله وراءه هكذا » ٠

قالها وهو يقفل الباب وراءه ، مستانفا حديثه قائلا : « فماذا كنت تفعل » ٠

ولما لم يفتح الباب ثانية ، لحق به البائع ، وهو يظن انه يهذر ، غير انه وجده قد اختفى بما حمل ٠

واجتمع احدهم بقوم فقال لهم « ما في الدنيا

اعجب من فلان ، ترمي بخاتمك في الهواء، فان شئت اتاك به ، وان شئت بغيره » .

واقبل في تلك اللحظة رجل - لعله كان شريكه - فقال لهم « انا اريكم ما هو أعجب من هذا .. هاتوا خواتمكم » .

فاخذها كلها ، وجعلها في أصابعه ، وجعل يمشي القهقرى ، ويصفر ، وهو ينظر الى عين الشمس ، حتى غاب عن اعينهم ، فطلبوه فلم يجدوه . فقالوا : « هذا والله أعجب » .

ومن اشهر من برع في سرقة الابل (شيبان بن شهاب) الذى كان يتبع أسلوبا فريدا في ذلك اذ كان يجمع عددا كبيرا من حشرة (القراد) ويأتي بها مرابط الابل ، فيطلقها عليها ، فتهتاج لشدة قرصها ، وينطلق كل منها بعيدا عن غيره ، فيسرقها واحدة بعد الاخرى .

أمثلة لذكاء اللصوص

ويروى لنا الامام (أبو الفرج ابن الجوزى) فى الباب الثامن من كتابه (الاذكياء) الذى خصصه (لذكر طرق من فطن المتلصصين) بعض حيلهم وعاداتهم وتقاليدهم ، والقيم التى يعتزون بها ، ويحرصون عليها ، والروابط الخفية التى تجمعهم، مهما تباعدت ديارهم ، أو فرقت بينهم المحن ، وسلطان رؤسائهم عليهم .

ومن اطرف ما روى من حيل اللصوص - نقلا عن (ابى القاسم عبد الله بن محمد الخفاف) أنه شاهد لصا قد ضبط واشهد عليه انه كان يكسر الاقفال ، فى بعض الدور اللطاف التى تماثل (الفيلات) فى زمننا هذا .

وكان ذلك اللص اذا دخل الدار - وصاحبها غائب عنها ، حفر حفرة صغيرة كأنها (خانة النرد) وطرح فيها جوزات كأن انسانا يلاعبه ، واخرج منديلا فيه نحو مائتي جوزة ، فتركه الى جانبها ، ثم جمع من الدار ما خف حمله وغلا ثمنه ، فان لم يفطن له أحد ، غادر الدار بما حمل، واذا جاء صاحب الدار القى حمله ، وحاول الافلات ، فان تغلب صاحب الدار وامسكه ، واجتمع الجيران على صياحه ، أقبل عليه اللص معاتبا (ما أبردك . أنا اقامرك بالجوز شهورا ، حتى افقرتني، واخذت مني كل ما املكه ، واهلكتني ، ولما غلبتك الان ، تصيح وتدعى علي باللصوصية ؟ والله لافضحنك بين جيرانك . بيني وبينك دار القمار التى تعارفنا فيها) .

ولا يملك الجيران الذين تجمعوا الا تصديق اللص ، فيلعنون صاحب الدار ، ويحولون بينه وبين خصمه حتى ينصرف .

وروى (ابن الجوزى) سير بعض أعلام اللصوص مثل (ابى بكر النقاش) و (عباس بن الخياطة) اللذين ظلا يسيطران على اتباعهما ، بعد ضبطهما وايداعهما السجن ، وكان ضحايا اتباعهما يتقربون اليهما فى سجنهما بالهدايا ، لمعاونتهم على استرداد مسروقاتهم ، كما كان اتباعهما يترددون عليهما في السجون ، لاستشارتهما ، والائتناس بارائهما فيما يضعون من الخطط والمشروعات الاجرامية .

بل كان بعض اولئك اللصوص العتاة يغادر سجنه أحيانا - بالرشوة او بالحيلة - لارتكاب بعض السرقات التى تحتاج الى خبرته وجرأته ، وقد يحمل المسروقات الى السجن ، لاخفائها فيه ، باعتباره آخر موضع يخطر لرجال الشرطة تفتيشه.

فمما رواه (ابن الجوزى) عن عباس بن الخياطة ، انه حدث ذات مرة ان قبض عليه ، واودع سجن البصرة مقيدا بنحو مائة رطل من الحديد ، بعد ان دوخ حكامها واهلها ، زمنا طويلا.

وبعد عام دخل قوم على تاجر وسرقوا منه جوهرا بعشرات الالوف من الدنانير،برغم الاحتياطات المحكمة التى اتخذها ، والتى كانت تستعصى على أعتى اللصوص .

فشكا التاجر الى امير المدينة ، وتوجه معه سائر التجار للاحتجاج على اختلال الامن بها فاستدعى رجال الحراسة ، وهددهم بالانتقام منهم، ما لم ترد تلك المسروقات الثمينة .

فتوجه احدهم الى ابن الخياطة فى سجنه ،وظل يتفانى فى خدمته شهرا كاملا ، وقدم له أشهى الطعام ، وأجود الشراب ، حتى قال له أخيرا « وجب حقك علي ، فما حاجتك » .

فقال له الحارس « جواهر فلان • فلا بد ان يكون عندك منه خبر » •

فرفع ابن الخياطة طرف ثوبه ، وسلمه علبة بها ذلك الجوهر • وقال له « قد وهبتك اياه

فاستعظم الحارس ذلك ، وتوجه بالعلبة الى الامير ، وروى له ما حدث ، فاعجب بمروءة ابن الخياطة ، واستدعاه الى مجلسه ، وطلب منه ان يروى له كيف حصل على ذلك الجوهر – بعد ان وعده بالصفح عنه – فروى له ما حدث منه تفصيلا ، منذ احتال على الخروج من سجنه ، لارتكاب تلك السرقة ، وما اقدم عليه من الحيل والاساليب ، التى تكاد تقرب من المعجزات، حتى حقق بغيته وعاد الى سجنه •

فعفا الامير عنه ، وجعله من اصحابه – بعد ان اعلن توبته – واغدق عليه الرزق •

ومن الوقائع الاخرى العديدة ، التى رواها (ابن الجوزى) فى ذلك الباب ، أن رجلا نام فى مسجد ، وتحت رأسه كيس فيه الف وخمسمائة دينار ، فما شعر الا بانسان قد جذبه من تحت رأسه فانتبه فزعا ، فاذا بشاب قد اخذ الكيس وجرى ، فلما نهض ليتبعه ، وجد قدميه مشدودة بخيط فنب الى وتد فى آخر المسجد •

من حيل المكدين

وكشف الجاحظ فى كتابه (البخلاء) بعض الاساليب الاحتيالية التى كانت تتبعها طائفة المكدين ، لاستلاب اموال الناس ، بادعاء العته والبلاهة ، أو الاصابة بعاهة ، أو الظهور بمظهر غريب نفـذت – أو سرقت – نقوده ، أو عزيز قول ذل •

وكان ذلك الكتاب من أهم المصادر التى استقى منها العلامة البيهقى ما رواه منالمعلومات والوقائع المثيرة فى كتابه (المحاسن والمساوىء) عن تلك الطائفة العجيبة ، التى قسمها الى عشرين فئة ، تتبع كل منها أسلوبا خاصا فىالخداع والاحتيال، كما روى بعض الوقائع التى تنسب اليهم ، وما نقل عنهم من الشعر •

وقد روى بعضهم احدى الحيل التى اتبعهـا لابتزاز اموال السذج البسـطاء من رواد احـد المساجد فقال : « دخلت بعض بلدان الجبل، ووقفت فى مسجدها الاعظم ، وعلى فوطة قد ائتزرت بها وتعممت بحبل من ليف ، وبيدى عكازة من خشب الدفلى ، وقد اجتمع الى عالم من الناس • كانى الحجاج بن يوسف على منبره وانا اقول • يا قوم، رجل من اهل الشام ، ثم من بلد يقال لها المصيصة من ابناء الغزاة والمرابطين فى سبيل الله ، من ابناء الركاضة ، وحرسة الاسلام ، غزوت مع والدى أربع عشرة غزوة ، سبعا فى البحر ، وسبعا فى البر ، وغزوت مع (الارمنى) – قولوا رحم الله أبا الحسن – ومع (عمر بن عبيد الله) – قولوا رحم الله أبا حفص – وغزوت مع (البطال بن الحسين) و (الزبرداق بن مدرك) و (حمدان بن أبى قطيفة) وآخر من غزوت معه (يا زمان الخادم) ودخلت القسطنطينية ، وصليت فى مسجد (مسلمة بن عبد الملك) من سمع باسمى فقد سمع ، ومن لم يسمع فانا اعرفه بنفسى ، انا (ابن الغزيـل بن الركان المصيصى) المعروف المشهور ، فى جميع الثغور ، والضارب بالسيف ، والطاعن بالرمح ، سد من أسداد الاسلام ، نازل الملك على باب طرسوس ، فقتل الزرارى وسبى النساء، واخذ لنا ابنان ، وحملوا الى بلاد الروم، فخرجت هاربا على وجهى ، ومعى كتب من التجار • فقطع على ، وقد استجرت بالله ثم بكم ، فان رايتم أن تردوا ركنا من اركان الاسلام الى وطنه وبلده •• فوالله ما اتممت الكلام حتى انهالت على الدراهم من كل جانب ، وانصرفت ومعى اكثر من مائة درهم » •

والمكتبـة العربية ملأى باخبـار تلك العناصر المنحرفة الماكرة ، المتمردة على القيم والاوضاع الاجتماعية ، والتى يكاد لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات البشرية،على اختلافمواطنها ومستوياتها الاقتصادية والحضارية •

ولا شك أن ما كتب – من عادات تلك العناصر وطبائعها وأساليبها وأحوالها ، يغرى بجمعها ، من مصادرها المتعددة، لاجراء دراسة خصبة وممتعة تراعى فى تناولها النظريات والمعايير السائدة ، للعلوم الاجتماعية الحديثة ، وخاصة ما يعنى منها بالجريمة • ■■

القاهرة – ابراهيم محمد الفحام

المشروبات الروحية

آفة اجتماعية اقتصادية صحية خطيرة

■ سوف لا أخوض فى الامراض التى تسببها المشروبات الروحية قبل ان اقدم للقارىء فكرة موجزة بالاحصائيات التى تصدر من آن الى آخر من دول تفشت فيها هذه المشروبات ، واصبحت تعانى منها ، ليقف القارىء معى على ما تسببه هذه المشروبات من أثر على المجتمع الانسانى ٠

ففى الولايات المتحدة يوجد اكثر من تسـعة ملايين نسمة مدمنين على المشروبات الروحية ، اى ٥٪ من البالغين ٠

وفى تقرير خطير أصدره المعهد الوطنى لدراسة اخطار الخمور فى الولايات المتحدة يقـول « ان الصبايا والصبيان الامريكيين يشربون خمرا بمـا قيمته ٢٥ مليون دولار سنويا ٠ » ٠

ويتراوح سن الصبيان ما بين ١٢ و ١٥ عاما ٠٠٠ و ٥٤٪ من الصبايا الامريكيات المدمنات على الخمر تتراوح اعمارهن بين ١٢ و ١٣ سنة ٠٠ اما الصبيان المدمنون فان ٦٣٪ منهم فى مثل هذه المرحلة من العمر ٠

وفى احصائية اخرى حديثة وجد ان :

٥ ملايين دولار تنفق يوميا على المسكرات ٠

٤٠ مليون دولار تنفق يوميا لمعالجة المرضى من المدمنين ٠

٥٠ مليون دولار تضيع يوميا بسبب الغياب عن العمل وقلة الانتاج من جراء العمال المدمنين على المخدرات والمسكرات ٠

٣٠ شخصا يموتون يوميا من جراء المسكرات ٠

هذه احصائية من افكار العالم المتمدين تصـل الى الامم المتحدة ، وبعض الدول لا تقوم بمثـل هذه الاحصائيات ٠٠ وبالاضافة الى ما ذكرنا من هلاك ، فهناك الامـوال الباهظة التى تنفق على المكافحة ، والحوادث وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمسكرات ٠

الأمراض المزمنة

وسـوف لا أتعرض فى موضـوعى هذا الى الأمراض الحادة التى تسببها هذه المشروبات ، من اضطراب فى الجهاز العصبى ومن الغيبوبة ، والام المعدة الحادة والقىء وغيرها ٠٠ والصداع الذى يأتى فى صباح حفلة صاخبة كثر فيها الشراب ، ثم الحوادث التى تحدث من سائق شرب حتى دار رأسه فضل الطريق وآذى من فى الطريق وغير ذلك من الامور التى تعتبرها مؤقتة تزول عندما يتخلص المصاب من الكحول الذى يسرى فى دمه ٠٠ ولكنى سـأتعرض للأمراض المزمنـة التى تسببها هذه المشروبات بعد ان يكون الشخص قد ادمن واصبح لا يستغنى عن الشراب ليل نهار ، ولا يمكنه ان يعمل دون ان يكون فى دمه نسبة من الكحول تدفعه لأى عمل يقوم به ، واذا ذهبت هذه النسبة توقف عن عمله ذهنيا وجسمانيا ٠

والعلى لا اكون مبالغا اذا قلت : ان معظم اجهزة الجسم تتأثر فى مدمنى المشروبات ، وليس من عجب مادام الجهاز العصبى المسيطر على اجهزة الجسم فى طليعة المتأثرين ٠



بقلم : الدكتور محمد محمد ابو شوك

وللمشروبات الكحولية تاثيرات على الجسم مؤقتة تزول بتوقف الشخص عن شربها ..

والجهاز الهضمى اول ما يتاثر ، فيحدث ما يسمى بازالة الكابة ، ويتبع ذلك تاثر الجهاز الحركى فيتاثر الكلام وحركات العينين مع عدم القدرة على التحكم فى الحركة والدقة فى القيام باى عمل ،فيحدث الترنح وعدم التمكن من الاتزان اثناء السير .

وتتاثر كذلك القوى العقلية للجسم ، فيفقد الشخص القدرة على استيعاب ما يقال له ، ثم يفقد القدرة على تكوين الكلمات التى يود أن يلفظ بها ، وعدم القدرة على التركيز .

وتؤثر المشروبات الروحية على قدرة المرء على تقييم الامور ، والتفكير السليم ، مما يؤثر على حياة الشخص والمجتمع الذى يعيش فيه . وما حوادث المرور وقتل الابرياء عنا ببعيد ، وذلك لعدم تحكم المخمور فى قيادة سيارته .

اما الجهاز الدورى فان له نصيبا ايضا فى هذا المضمار فيرتفع النبض ، ويحس الشخص بقوة دقات قلبه ، مع انخفاض فى ضغط الدم ،وتتمدد الاوعية الدموية فى اليدين على حساب عدم وصول الدم الى الاحشاء الداخلية وما يتبع ذلك من عدم قيامها بوظائفها على الوجه الأكمل . فتحمر اليدان ويحس الشخص بسخونة فى جسده ،ويزداد العرق واذا ما تبخر هذا العرق أحس الشخص ببرودة فى جسده مع رعشة .

والجهاز الهضمى يعانى الكثير من تعاطى المسكرات ، فنجد ان هناك زيادة فى كمية الحامض بالمعدة مع زيادة فى تركيزه ، مما يسبب التهابات حادة فى المعدة .

والشعور فى زيادة الشهية للأكل راجع الى تنبيه حاسة المذاق فى اللسان والشعور بالسعادة جسمانيا ونفسيا اثناء الشراب ، وذلك بسبب التاثير على الجهاز العصبى .

والادمان على تعاطى المشروبات الروحية يؤثر اقوى ما يؤثر على الجهاز الهضمى والجهاز العصبى .

امراض الجاز الهضمى

لعل اول ما يلاحظ المريض هو شعوره كل صباح بغثيان وقىء يزداد هذا بتناوله الطعام او اشعاله دخينة .. ويعود ذلك لا الى تاثر الغشاء المخاطى للمعدة، ولكن من المحتمل ان يرجع ذلك الى التاثير على مراكز الغثيان والقىء بالمخ .

ويعانى المدمن كذلك من اضطرابات معوية اخرى ، كانتفاخ البطن والآلام وعدم الراحة فى منطقة المعدة ، والتجشؤ .. وفى الحالات الشديدة



يحدث تقرح في المعدة والاثنى عشري . وما يتبع ذلك من نزف فيها احيانا . ولعل من اخطر الامور التي يعاني منها المريض وجود تقرحات في اسفل المرىء سرعان ما تتعمق وتصل الى وعاء دموى كبير وتسبب نزفا شديدا .. ويحدث ذلك عندما تتكرر عملية الغثيان والتجشؤ والشعور بالقيء ومحاولة التقيؤ .

والكبد يتاثر بالمسكرات ، فبعد شهور من كثرة التعاطي يتضخم ،ويسبب آلاما يشكو منهاالمريض، والشعور بشيء لقيل في اعلى البطن . ولكن سرعان ما يتحسن هذا بالامتناع عن المشروبات .. ويعود الكبد الى حالته الطبيعية.. اما اذا استمر المدمن في تعاطي المسكرات ، مع وجود ضعف في التغذية وعدم الاهتمام بالغذاء الصحي الكامل ـ كما هو الملاحظ في هذه الحالات ـ فان الكبد يصاب في النهاية بمرض تليف او تشمع الكبد وتتبع ذلك مضاعفات خطيرة يعاني منها المريض، ومن هذه المضاعفات : فقدان الشهية ، واستسقاء في البطن ، ونزف من المعدة والمرىء ، ثم هبوط في عمل الكبد ربما ادى الى غيبوبة في بعض الاحيان .

التهاب البنكرياس

وفي بعض الحالات وبعد سهرة ممتعة يحتسي فيها الشخص ما طاب له ان يحتسي من انواع الشراب نراه يتلوى من الم في بطنه مع قيء .. ويشتد هذا الالم وتتصلب عضلات اعلى البطن حتى يظن الطبيب ان ذلك راجع لانثقاب في قرحة بالاثني عشري .وفي الحالات التي تجرى لهاعملية جراحية وجد ان ذلك يرجع لالتهاب حاد في البنكرياس ، مع تورم واحتقان به ، بل ربمايكون هناك تاكل في انسجته .

وفي بعض الحالاتتكون هذهالنوبة خفيفةنوعا ما ولكنها تتكرر بين آن وآخر ، وتؤدي في النهاية الى التهاب مزمن في البنكرياس مما يسببهبوطا فيعمل هذا العضو الهام الذي يحتوي على خمائر للهضم ، واهمها الدهنيات والبروتينات . فلا تهضم هذه المواد ، وتظهر المواد الدهنية بكثرة في البراز .. واذا تاثرت الغدة التي تفرز مادة الانسولين في الدم وضمرت وقل افراز الانسولين، بسبب هذا مرض البول السكري المعروف .

امراض الجهاز العصبي

وتاثير المشروبات الروحية على الجهاز العصبي معروف ، ويزداد هذا سوءا مع الادمان .. وتظهر اعراض التسمم بالمشروب، وكذلكاعراض الامتناع عنه او الاقلال منه للتهيؤ للاقلاع عنه ..

فاذا زادت كمية المشروب في ليلة عند مدمن نراه متهيجا ويتغير سلوكه ، ويقوم باعمال غير عادية ، مع التلعثم في الكلام ، وعدم السيطرة على نفسه ، وفقدان القدرة على الاتزان ، ثم الهياج الشديد ، وربما ازدادت حالته سوءا ، واصبح لا يدري ما حوله ، ثم في النهاية يدخل في غيبوبة .

وفي بعض الحالات يظهر التسمم بكميات كبيرة من المشروبات على هيئة نوبة حادة تعتري المريض فيتمثل هذا في القيام باعمال غير طبيعية ، مع عنف شديد والقيام باتلافوتكسير ما يراه امامه. وتنتهي النوبة بان يدخل في نوبة شبه اغماء يفيق بعدها دون ان يتذكر شيئا مما قام به .

واحب ان انوه هنا انالحد بين غيبوبةالمشروبات الكحولية والتاثير على الجهاز التنفسي هذا التاثير الذي يفقده القيام بوظيفته ويفقد بعدها الانسان حياته نتيجة لتوقف عملية التنفس .. هذا الحد الفاصل ضيق جدا ، لذا كان الواجب على من يكون قريبا من المريض اسعافه في اسرع وقت ممكن حتى لا يتاثر الجهاز التنفسي .

امراض الاقلاع
عن شرب المشروبات الروحية

ولعله من دواعي الأسى ان تظهر امراض ذات اعراض شديدة تهز كيان المدمن عندما يحاول

الاقلاع عن المشروب ، مما يجعله في كثير من الاحيان يحيد عن الاقلاع ويعيد سيرته الاولى ليقاسي من اهوال المضاعفات الاخرى ·· ولست اقول هذا لأثبط من عزيمة من له رغبة اكيدة في الاقلاع عن المسكرات ··فلهذه الاعراض والامراض علاج، وسرعان ما يتغلب عليها المريض ·· ولكن اقول هذا لمن تحدثه نفسه لينخرط في سلك المدمنين وليكون على علم بانه اذا احس بالسعادة في ايامه الاولى فسوف يقاسي الامرين في الايام القادمة ، والاولى له ثم اولى ان يبتعد عن هذه المشروبات ·

واول ما يظهر من هذه الاعراض هو الرجفة او الرعشة التي تصيب الجسم ، وتزداد حدة هذه الاعراض بعد التوقف عن تعاطي المشروبات الكحولية بمدة ٢٤ ساعة الى ٣٦ ساعة ·والملاحظ في هذه الحالة ان الشخص يعتريه وهج في جسده مع احمرار في عينيه وجسده ، وسرعة في نبضه، والشعور بالغثيان والقيء وفقدان للشهية ·· كما انه يشكو من القلق ، ولا يحب ان يجيب على سؤال يطرح عليه ·او اذا اجاب او قام بعمل كان ذلك بغلظة وخروج عن المألوف ·· وفي بعض الحالات يتعذر عليه معرفة الوقت ، وتختلط عليه الامور ، ولكنه يكون واعيا لسوء حالته ··ويعرف من" حوله والمكان الذي هو فيه ·

ومن الملاحظ ان هذه الاعراض تكون هينة عندما يكون المريض في حالة هدوء نسبية ، اما اذا تهيج واضطرب فان الاعراض تظهر واضحة ، حتى انه لا يمكنه السيطرة على نفسه ويهتز كل جسمه ، ويحتاج الى من يرتكز عليه اثناء المشي خوف ان يقع على الأرض ·

ومع ان معظم الأعراض تقل تدريجيا عند التوقف عن تعاطي المسكرات ، ويحتاج ذلك الى اسبوع او اكثر ،الا ان المريض لا تعود اليه ثقته بنفسه الا بعد مرور اسبوعين، لذا كان من الواجب ابقاء المريض بالمستشفى خلال هذه الفترة الى ان يتغلب على هذه الصعاب ، ولا تراوده نفسه مرة اخرى بالرجوع الى عادته بعد خروجه من المستشفى ·· ولكن مع الاسف نرى ان بعض الاشخاص ممن تخونهم عزيمتهم ، بعد ان يتعرضوا لهذه الاعراض وقسوتها ، ويرجع ذلك في معظم الحالات الى اختلاطهم باقرانهم ممن يهيئون لهم كل فرصة لا يلبثون ان يعودوا بعدها الى ما كانوا عليه بل وربما اشد ·

الهلوسة الكحولية

ويصف المريض هذه الهلوسة بالمعاناة من احلام مزعجة ، تؤرقه اثناء الليل ،وتجعله لا ينعم بنوم هادئ، فتارة يرى اشياء غير عادية ولا مألوفة لديه ·· وفي الحالات المزمنة تظهر حالات هلوسة في السمع ،فيحس وكأنه يسمع اصوات سيارات تجري او اصوات موسيقى او نباح كلاب او رنين الهاتف ·· كلها لاشياء غير موجودة ، ولكنه يسمعها ، ويظن انه يسمع اصواتا من احد افراد العائلة او من الجيران او من راديو او رادار او حتى من عند الله ·· ويحس انها آتية اليه عبر الطرقات او من خلف الابواب او حتى من وراء الجدران·· وتزداد تبعا لذلك مخاوف المصاب حتى انه في بعض الحالات يستعين بالشرطة او يسلح نفسه ·· وفي الحالات الشديدة التي تؤرقه ربما يحاول الانتحار ليتخلص من هذه الاصوات ·· وتستمر هذه الهلوسة – هلوسة السمع – لفترة قصيرة ، وقد تطول لساعات او ربما لايام او اسابيع ·· واذا طرأ تحسن على المريض فانه يحس ان هذه لم تكن سوى اوهام ، ويرجع الى حالته الطبيعية·

مرض الصرع يصاحب المشروبات الروحية

لقد لوحظ ان مدمني المشروبات الكحولية يعانون من نوبات صرعية كبرى تعتريهم من آن الى آخر ·· خصوصا اذا اسرفوا في تناول المشروب، فتعتريهم تشنجات شديدة مع فقدان للوعي · والبعض يعتقد ان هذا يرجع الى ان الشخص عنده استعداد للنوبات الصرعية ساعد على اظهارها كثرة المشروب ·· ولكن الأرجح ان ذلك يعود الى تأثر المخ بالمشروبات وحدوث النوبات ، ويعتمد ذلك على ان تخطيط المخ يكون طبيعيا بين نوبات الشرب بكثرة ·

على انه يجب ان تفحص كل حالة بدقة ،فلعل

سبب نوبات الصرع يكون نتيجة لوجود مرض عضوى بالمخ ، وليس للمشروبات الروحية دخل بها ٠

الهذيان

ولعل ذلك من اشد المضاعفات التى تعترى المصابين بالادمان ، فهو ياتى بغتة ٠٠ وربما كان مميتا فى بعض الحالات ٠٠ وفى احصائيات وجد ان نسبة الوفاة بين الذين يصابون بهذا المرض هى ١٥٪ ، ويحدث ذلك للمدمنين عندما يتعرضون لحادثة ، او التهاب شديد أو اثر عملية جراحية ٠٠ ففجاة تختلط الامور على المريض ، ولا يدرى اين هو ، وفى اى وقت ، كما لا يدرى بمن حوله، ويعتريه الهياج الشديد مع قيامه باعمال غريبة ٠٠ وفى بعض الحالات يكون شرسا ، ويخرب كل ما حوله ٠٠ وفى معظم الحالات تكون هذه نوبة واحدة تستمر ٧٢ ساعة ، ثم تذهب ولا تعاود المريض ٠٠ ولكنه لوحظ انه فى ٢٠٪ من الحالات تعاود النوبات المريض وتؤثر عليه تاثيرا شديدا ربما اودى بحياته ٠

التهابات الاعصاب الطرفية

وهذا ينتج عن نقص نسبى فى فيتامين ب ، اذ انه لوحظ ان من يتعاطون المشروبات الروحية ، اما ان تكون شهيتهم للاكل ضعيفة ، او لا يهتمون بالتغذية الصحية ، فنراهم يعانون من الامراض المختلفة بسبب نقص هذا الفيتامين فى الجسم ٠٠ ففى امريكا مثلا نراهم يعانون من مرض يشبه البلاجرا ، والذى ينتج عن نقص فيتامين ب ٢ ، او مرض التهاب الاعصاب الطرفية مع شلل فى عضلات العين ، واضطرابات فى الحالة العقلية ٠٠ وهو مايسمى ب (فيرونكى Werruchi Disease وسببه نقص فيتامين ب ٠ او التهابات فى الاعصاب الطرفية وما يصحب ذلك من ضعف فى العضلات ، مع سريان خدر او تنميل فى الاطراف وكذلك الالم الشديد الذى يحدث فى هذه الاطراف خصوصا فى الليل ٠٠ وهذا يرجع الى نقص فى فيتامين ب ١ ٠

ولا تقتصر اصابة الجهاز العصبى على ذلك ، بل قد يصاب الجهاز العصبى بتاكل فى المخ مما يسبب اضطرابا فى الحالة العقلية ، وتاكل بالمخيخ يؤدى الى فقدان التوازن ٠٠ وتاكل فى النخاع الشوكى ينتج عنه تيبس فى الاطراف السفلية ٠٠ وتاكل فى عصب الابصار مما يسبب ضعف النظر وضعفا فى العضلات بما فى ذلك عضلات القلب وما يترتب على ذلك من مضاعفات٠

وخيرا وليس آخرا ، فقد اتضح لاحد الباحثين فى المانيا حديثا ان نسبة العقم تزداد بين مدمنى المشروبات الروحية اكثر ممن لا يتعاطون هذه المشروبات ٠

كل هذه امراض تصيب الجهاز العصبى واجهزة الجسم الاخرى نتيجة للادمان ، فلا عجب اذن ما نراه فى الدول التى كثرت فيها هذه الامراض ، من محاربة المشروبات الروحية بشتى الطرق ، ومنها من تنذر بالخطر المحدق اذا لم تقم بمحاربتها ٠٠ ولست هنا فى مجال التعرض لما يلاقيه المدمنون من اضطرابات فى حالاتهم الاجتماعية ، وتفكك اسرهم او اصابتهم بنزعة للاجرام ، وتعرض غيرهم لاخطارهم وما يجرون عليهم من بلاء ٠٠٠ فهذه من اختصاص علماء الاجتماع ٠٠

العلاج

ليس عجيبا اذن بعد هذا العرض ان يركز الفرد بل والمجتمع جهوده على علاج نافع لهذه الحالة ، فعلاوة على الاموال التى تنفق فى هذا السبيل ، وعلى تفكك الاسر وبالتالى تاثر المجتمع ، فهناك التاثير على صحة الفرد وعلى انتاجه ٠٠ ثم على حالة المجتمع ككل ٠٠

والعلاج فى هذه الحالة من الامور المستعصية على المريض وعلى الطبيب ، ولكن ليس معنى ذلك الاستسلام للواقع ، بل لا بد من محاولات ٠٠ وكم من محاولات كللت بالنجاح فاقلع المدمنون عن الشرب وأصبحوا سعداء أصحاء ٠٠ وهناك حقائق لا بد أن يعرفها كل مدمن ٠٠ منها انه ليس هناك حل وسط ، فاما ان يقلع كلية عن احتساء الخمر، أو انه سيلاقى مضاعفاته يوما ما ٠٠ آما ان يقلل

تدريجيا فهذه من الامور التي يفشل معها العلاج ·· ولا بد أن يكون عند المريض الرغبة والاقتناع بانه سيترك هذه العادة · فليس هناك جدوى من أن نفرض عليه ذلك فرضا او ان نقنعه بان يعرض نفسه على أخصائي الامراض النفسية ، فهذه أمور ليس وراءها طائل ونتيجتها الفشل ·· فلا بد من عزيمة قوية وتحمل شديد لمضاعفات توقف المشروب لفترة ، حتى يعود المريض واثقا من نفسه ·· وهو يستطيع أن يساعد نفسه اذا دخل المستشفى ·

ولقد لوحظ انه في الحالات التي يبحث اصحابها عن شيء يعينهم على التخلص من المشروب ، فان معظم هؤلاء يستجيبون للعلاج ·· باعطائهم أدوية تساعدهم على ذلك منها المواد المقيئة عندما يتعاطون المشروب ، أو عقارا يسبب هبوطا في ضغط الدم مع تعب شديد عندما يتعاطون المشروب مع هذا العقار ·

ولقد اخذت الجمعيات في الخارج تفتح ابوابها على مصراعيها لتساعد كل من له رغبة في العلاج، وأصبح يقضي المريض في بعض مصحاتها اسابيع أو شهورا حتى يشفى ·

ولعل خير ما أختتم به هو قصة ذلك المدمن الذي اتى آخر الليل ومعه زجاجتان مملوءتان خمرا ·· ووجد زوجته وهي في حالة يرثى لها وبجوارها وليدها ولم تجد من يعاونها أو يستدعي لها طبيبا او حتى جارتها لتبعد الطفل عنها ، فاخذته النخوة والشهامة ، واقسم أن لا يعود للخمر مرة اخرى ولكنه لم يحطم الزجاجتين بل أبقاهما في مكان بارز في بيته حتى يراهما كل يوم دون أن يمسهما بعد أن اكتشف في نفسه هذه الثقة وهذه العزيمة ·

محمد محمد ابو شوك

سخاء عثمان

● اصاب الناس قحط في خلافة ابي بكر الصديق ، وبينما كان الناس في ضيق وحاجة شديدين اذ قدمت من الشام ألف راحلة طعام لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأسرع التجار اليه يساومونه شراءها ، وكلما اربحوه على شرائها قال لهم قد زادني فقالوا له : من زادك ونحن تجار المدينة قال لهم : « الله زادني بكل درهم عشرة فهل عندكم زيادة ؟ » قالوا : لا » قال : « اشهدكم أنها صدقة على فقراء المدينة » »

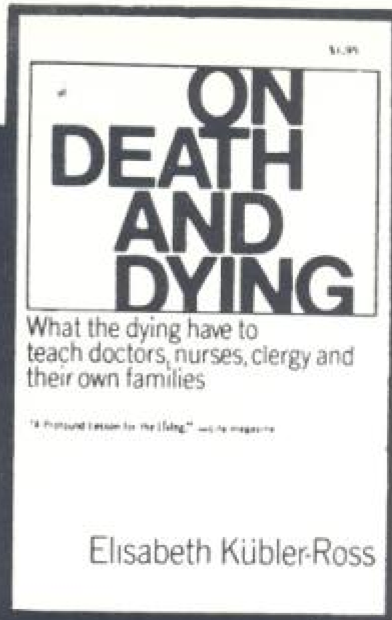
وقيل : ان عثمان بن عفان تصدق بتجهيز نصف جيش العسرة الذي كان يبلغ ثلاثين الف مقاتل ·

لابأس علينا

● حكى ان احد البخلاء اشترى دارا، وانتقل اليها ، فوقف ببابه سائل ، فقال له البخيل : « يفتح الله عليك » ثم وقف ثان ، فقال له : « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ، ثم وقف ثالث فقال : « ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » ثم التفت البخيل الى ابنته فقال لها : ماأكثر السؤال في هذا الحي فقالت : « ما دامت الاعطيات على هذا المنوال ـ ياابي ـ فلا بأس علينا » ·

كتاب الشهر

فى الموت والممات



مع المرضى على فراش الموت •• انها محاولة لفهم نواحى الضعف والقوة فى أحرج لحظات الحياة •

تاليف : الدكتوره اليزابيت كوبلر ـ روس

عرض : الدكتور عبد الاله ابو عياش

■ عندما راودتني فكرة عرض هذا الكتاب ، انتابني تردد مبعثه الرهبة التى يتركها البحث فى هذا النوع من المواضيع • وعلى الرغم من ان الموت حق على كل انسان ، فهو فجيعة بانسان لا يعوض • فمن هنا كان منطلق الآلية اللاشعورية عند الانسان ، هذه الآلية الرافضة لفكرة موت الذات • ومن هنا ايضا كان مبعث الرغبة لدى الانسان فى تناسى الموت واغفاله • الا اننى اعتقد ان الانسان المؤمن اقل الناس فزعا بالموت • فالموت فى نظره ليس اكثر من زيارة ومرور من عالم لآخر • والحياة والموت متصلان ، يكمل احدهما الآخر •

وليس هناك اجمـــل وادق من قوله تعالى فى وصفهما .

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقنـــاكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مســـمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا اشـــدكم ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى ارذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » .

« من سورة الحج » .

فى الخوف من الموت

هكذا يبتدىء الكتاب بمقطوعة لطاغور :

دعنى أصلى ليس من أجـــل ان تقينى من الاخطار

بل من أجل ان لا يعترينى الخوف فى مواجهتها

دعنى اصلى ليس من اجل ان يسكن الالم فى اعماقى

ولكن من اجل ان تمنحنى قلبا لهزيمته

لا تدعنى انظر الى حلفـــاء فى معركة الحياة ، بل الى قوتى الذاتية

لا تدعنى أتمنى فى خوف المضطـــــرب انقاذ نفسى

بل أملا فى صبر يعطينى حريتى

لا تتركنى جبانا أشـــعر برحمتك فى نجاحى فحسب

وانما لتمد لى يدك حينما يعترينى الفشل .

جاء هذا الكتاب ثمرة جهد المؤلفة وخبرتها التى امتدت لسنتين ونصف ســـنة مع مرضى فى حالات النزع الاخير . وهذا العمل بداية تجربة . وتامل الكاتبة ان يشجع هذا العمل الاخرين ان لا يبتعدوا عن اولئك الذين لا أمل فى شفائهم ، ولـــكن ان يقتربوا منهم لمساعدتهم فى ساعات محنتهم الاخيرة. ان الذين يفعلون هذا سيتعلمون الكثير من هذه الخبرة . سيتعلمون كثيرا عن وظيفة العقـــــل الانسانى وعن جوانب وجودنا الفريدة . وربمـــا خرجوا بتجربة غنية تســـاعدهم على تقليـــــل اضطرابهم فى نزعهم الاخير .

ردود الفعل للكتاب

ليس من شك فى ان صدور هذا الـــكتاب كان مفاجاة لآلاف القراء الذين يفجعون يوميا بفقدان عزيزيضطربون ويصدمون بفقدانه . فلاهم يريدون التخلص منه ، ولا هم قادرون على ابقائه بينهم. فتهزهم الصدمة حينما يرون الشمعة تحترق الى نهايتها ، وعندما يصبح انطفاء ضوئها امرا لا مفر منه . فكيف يواجه الانسان نهايته ؟ هـــل يتقبلها ام يرفضها ؟ هل ييأس ام يبقى للأمـــل مكانة فى نفسه ؟ هل يبقى دائم التوتر أم يتحلى بالصبر ؟ انه صراع الحياة من اجل الحياة ذاتها. انه صراع الروح مع الجسد حينما تشـــتد رغبة الروح فى لقاء خالقها فتودع الجسد البالى الى عالم الخلود .

وتلقفت الايدى الكتاب ، فنفدت طبعاته الاولى، واعيد طبعه فى ثلاث سنوات سبع مرات .ورحبت به الصحف والمجلات الثقـــافية والعلمية . فقد علقت مجلة Medical Opinion Review ، بقولها : « ان هذا الكتاب العظيم فى الموت والممات يمكنه مساعدتنا فى مواجهة نهاية حياتنا من النـــاحيتين الحرفية والشـــخصية » . وكتبت مجلة تايـــم Time الامريكية : « لقد ازاحت حلقـــة شيكاغو الدراسية الستار عن مؤامرة الصمت التى اكتنفت اجنحة النهاية فى المستشفيات .لقد اتى الكتاب بالموت من المجهول ، وهو بعمله هذا اوضح كيف تجمع الروح الانسانيـــة نفســـها للنهاية » .

وقالت مجلة American Journal of Psychiatry تبدى « الدكتورة روس » فهمها العميق وبراعتها وحساسيتها فى كل صفحة من صفحات الكتاب . كتاب ممتاز فى ادارة المرضى الميؤوس منهم ، وهو يقدم املا لفهم نواحى الضعف والقوة فى أحرج لحظات الانســـان » . اما مجلة Journal of the American Medical Association فقد قالت : نرجو ان يقرأ هذا الكتاب اكبر عدد من القراء . انه يلقى الضوء والفهم، ليعمل الذين لهم اتصال مع المرضـــى الميؤوســـين منهم علـــى بـــذل المزيـــد لمساعدتهم » .

المحتـــوى

يقع الـــكتاب فى اثنى عشر فصـــلا ، وتتعلق

الفصول السبعة الاولى مباشرة بالمريض الميؤوس منه • اما بقية الفصول فتبحث في عائلة المريض، ومقابلات استبيانيةمع المرضى ، وردود الافعال التي اثارتها الحلقة الدراسية المختصة بموضوع الموت، ثم علاج المرضى الميؤوس منهم • وتركز الفصول الاولى على خمسة مراحل يمر بها المـريض في حالات النزع الاخير • وسنتناول هذه المراحل بعد القاء نظرة على ما يثيره الموت من حزن وفزع •

النظر الى الموت

عندما ننظـر الى الـوراء وندرس ثقافـات الشعوب القديمة نجد ان الموت موضوع غير محبب عندها•والاشمئزاز من الموت يمكن فهمه من الناحية النفسيـة • ويمكن ان يفسر في ضوء حقيقة ان العقل الباطني للانسان يعتبر الموت بالنسـبة للشخص ذاته امرا غير وارد مطلقا • اي انـه بالنسبة للعقل الباطني فان الموت ممكن لاشخاص اخرين اما بالنسبة للشخص ذاته فهو غير وارد •

عندما يتقدم الانسان في العمر يبدأ شعوره بان طاقاته وقدراته ليست كما كانت سابقا ،وان اقوى رغباتنا لم تعد قوية الى درجة جعل المستحيل ممكنا • والانسان عندما يشعر بقرب انتهاء اجل شخص عزيز عليه يتولد عنده رد فعل للتكفير عن ذنب يشعربه في داخله •ومبعث هذا الذنب احساس الشخص بانه لم يفعل ما فيه الكفاية لانقاذ هذا العزيز • وكأنه هو في حد ذاته جزء من مسؤولية موته • هذا بالاضافة الى ان الموت في حـد ذاته تذكرة بان مايحدث لذاك الشخص يمكن ان يحدث له • وعلى الرغم من ان اللاشعور يرفض قبول موت الذات ، الا انه يقبل امكانية وجود خطـر خارجي يمكن ان يؤدي الى موت الانسان • فالموت مقبول من خارج الذات الا انه مرفوض من داخلها•

فزع وحزن

وحادث الموت يثير في الانسان الخوف والفزع• فيرتعد الفرد لنبأ الموت وتزداد حدة الفـزع مع ازدياد الارتباط العاطفي بالشخص المتوفى • ولان موت العـزيز كما قلنـا يرتبط بنوع من الذنب العقابي في ذهن الانسان ، فان الانسان يعمل على تخفيف هذا الشعور باللجوء الى الحزن • ويتمثل الحزن بضرب الصدر وشد الشعور ، والصراخ والعويل ، ورفض الطعام والشراب مشاركة للحدث الاليم وتكفيرا لذنب في قرارة شعوره وعقـابا للتصور الذي يستشعره الفرد تجاه هذا العزيز • ان العادات والتقاليد والتراتيل انعكاس لنوع من الغضب المقترن بحدث الموت ذاته • ولان الانسان يعلم ان النهاية امر لا محـالة عنها ، وانه من المستحيل خلق الممكن ، فانه يضعف أمام غضب ذاته، فيلجأ الى الدموع والاحزان تعويضا للغضب المقموع في ذاته • غضب مهزوم اصلا امام قدر محتوم لا رجعة فيه •

الارتباط البيتي

ان من اغرب رغبات الانسان في نزعه الاخير هو رغبته في العودة الى البيئة التي نشأ فيها ، الى مسقط رأسه ، الى الارض التي عاش عليها وترعرع في كنفها • انها رغبة في الاحتواء وفي ان يحتوي وسط ذكرياتـه ، وكـان المكـان استمرار للحياة في ذاته • وتقول الباحثة انه حينما يسمح للانسان بان يقضي نحبه في بيئـة عشقها واحبها ، فان ذلك يتطلب منه تكيفا اقل• ولكن مع الاسف فان الايام التي كان فيها الانسان يقضي نحبه في بيته بسلام قد ذهبت•وتقصد الباحثة ان المستشفيات ودور العجزة اصبحت بيئات ممقوتة للمسنين لانها تجتثهم من بيئاتهم التي احبوها وعشقوها • وهذا يذكرنا بالكثيرين من مشـاهير العالم الذين تكون رغباتهم الاخيرة دائما ان يدفنوا في مساقط رؤوسهم •

وتتسائل الدكتورة روس : « لماذا كلمـا تقدم العلم ازدادت مخاوفنا ونكراننـا للموت ؟ » • ان ذلك يعود في نظرها الى اسباب عديدة اهمها ان الموت في ايامنا هذه تشيع في جوانبه العديدة، فهو موت فردي ميكانيكي لا انساني • وفي كثير من الاحيان يصعب تحديد الوقت الذي تمت فيه الوفاة • ان الموت اصبح يتم في وحـدة قاتلـة مفتقرا الى العلاقات الشخصية والانسانية •

انسانية المريض

كثيرا ما يعامل الشخص حينما يشتد عليه المرض بطريقة لا انسانية ، فلا يهتم برأيه ، وهناك في العادة شخص يتخذ القرار المتعلق به • وكل ما نحتاجه هو القليـل لنتذكر بان المـريض له احاسيسه ورغباته وآراؤه ، وحقه في ان يسمع• يجب ان يشعر المريض اولا وقبل كل شيء اننـا نعالجه كانسان • ان لا نتخذ القرار نيابة عنه •

الا ان الامر المؤسف له انه كثيرا ما يقمع المريض وتطرح آراؤه جانبا ، ويزج فى غرفة العمليات ويصبح مصدر استثمارات مالية مربحة •

هكذا اذن راح الانسان فى الغرب الحضارى يتحول الى حرفة تدر الربح الوفير والى حطام تنقله عربات الاسعاف ، مقيدا فى غرف العمليات فاقدا قدرته على ابداء رأيه وبالتالى معرفة مصيره •ويذكرنى هذا الوضع بفضيحة طبية اطلق عليها سور ثروت Soar Throat ونقلتها احدى اعداد مجلة « تايم » الامريكية حديثا • وتتعلق الفضيحة بارتباطات سياسية للجمعية الطبية الامريكية وبرشوات وتحيزات سياسية وعلاقات بصناعات الادوية جريا وراء الربح مهملة بذلك الانسان المريض ، وذلك سعيا وراء مصالح الاطباء فقط •

النظرة الى المريض

هل من المستحسن ان نخبر المريض بدنو اجله ؟ ان الانسان كما قلنا يكره الموت ، وهو موضوع يشمئز منه • لذلك فان اغلب المرضى لا يريدون سماع دنو اجلهم • والسؤال ليس هو ان نخبر المريض بالحقيقة ، وانما ان نشارك المريض معرفتنا عنه بطريقة تعكس انبل احاسيسنا تجاهه• وعلى الطبيب ان يستمع الى المريض وان يستنتج منه فيما اذا كان يرغب فى مواجهة الحقيقة • والمريض المخطر عادة يشعر بالواقع الذى يواجهه عندما تبدأ قواه بالانهيار وعندما يتحول الاهتمام عنه • انه يعرف ذلك من نظرات من حوله وتعابير وجوههم • وعلى المختصين ان يركزوا على ان العلاج مازال ممكنا وان هناك املا وان بامكانه ان يعيش لسنين قادمة • فاذا عاملنا المريض بهذه الطريقة فستستمر ثقته بطبيبه ، وسيكون اقدر على مواجهة واقعه المؤلم •

ان مشاركة المريض لهذه الحقائق المفجعة هو نوع من الفن الذى لابد لكل طبيب ان يفهمه •

ويجب ان يتم نقل الخبر اليه بابسط الطرق واكثرها سلاسة • فبهذه الطريقة نعطى المريض المجال والوقت للتفكير بحالته تلك • ولكى يكون تفهمنا للمريض كاملا فلا بد من معرفة المراحل الرئيسية التى يمر بها المريض فى رحلته نحو النهاية •

المرحلة الاولى : انكار وعزلة

لقد كانت ردود أفعال معظم المائتى مريض الذين تمت مقابلتهم حين علموا بحالاتهم الميؤوس منها : « لا ، ليس انا ، لا يمكن ان يكون هذا صحيحا »• ان هذا النوع من الانكار المضطرب نموذجى فى حالات المرضى الذين يبلغون بحالاتهم اليائسة بشكل فجائى ، وقبل ان نكون قد مهدنا لهم النبأ المفزع • ان هذا الانكار اللاشعورى من قبل المرضى لفكرة الموت يستمر من المراحل الاولى للمرض وحتى مراحله الاخيرة •

ويقول أحد هؤلاء المرضى : اننا لا نستطيع التحديق فى الشمس طول الوقت ولا نستطيع أيضا مواجهة الموت كل لحظة • » ان المقصود بذلك ان المرضى ياخذون الموت بالحسبان الا انهم لا يستطيعون التفكير به بشكل دائم • يقوم الانكار بمثابة العاجز الذى يتحمل صدمة الخبر غير المتوقعة ، وهو يعطى المريض الفرصة لتجميع ذاته• وتفضل الباحثة ان يتم الحديث عن الموت مع المريض فترة طويلة قبل تدهور حالته ، انه من الافضل مواجهته وهو على بعد اميال منه قبل ان يصبح على باب المريض •

الحاجة الى الانكار

ان الانكار عبارة عن مقاومة مؤقتة سرعان ما يحل محلها موافقة جزئية • ان الحاجة الى الانكار موجودة عند كل مريض ميؤوس من حالته • وهى تحدث قوية وجامحة فى البداية ، وفى الحالات المتاخرة يذهب الرفض ويعاوده • ان المشكلة التى تسود معظم المستشفيات ان موظفيها من اطباء وممرضات وعاملين اجتماعيين غير مؤهلين لمعالجة اللحظات الاخيرة للمريض • ان رتابة الوظيفة تغطى على حياة المرضى والاطباء فيصبح التعامل مع المرضى ميكانيكيا • فتفتقد العلاقة بين المريض والمعرض الثقة الضرورية لراحة المريض النفسية، ويخسر هؤلاء فرصا نادرة لمعرفة المزيد عن السلوك الانسانى ، تكيفاته ، والاساليب الدفاعية التى يستخدمها المريض فى محاولته لتحدى التوتر الذى تخلقه فكرة الموت •

المرحلة الثانية : الغضب

« اننا نفهم العالم خطأ ونقول انه يخدعنا » •

ان عبارة طاغور هذه لها علاقة مباشرة بالطريقة المفزعة التي يتلقى فيها المريض نبأ حالته • فهذا الرفض الذي يبداه المريض « لا ، ليس أنا » يتحول في النهاية الى حقيقة تفرش جناحيها فوقه • وهو مع اعترافه بالواقع المفجع الذي يعيش فيه يتحول من الرفض الى الغضب • ويصبح السؤال الملح في ذهن المريض : لماذا أنا بالذات ؟

ان هذه المرحلة بمقارنتها مع المرحلة السابقة يصعب التكيف لها من قبل عائلة المريض أو مستخدمي المستشفيات • والسبب هو أن الغضب يكون موجها نحو الجميع وبشكل عشوائي • فهو ضد الطبيب الذي لم يستطع تشخيص علاجه بشكل اتاح له مقاومة المرض في مراحله الاولى • وهو ضد الممرضات اللواتي تقاعسن عن خدمته ، وضد العائلة التي لم تعد تعتني به • ينظر المريض الى اهله في مثل هذه الحالة باحتقار • ويكون رد فعل العائلة نوعا من الحزن العميق الذي يترك آثاره على وجوههم • فيفسرها المريض على انها علامات لحالته الخطيرة فيزداد غضبه لان هذا الحزن البادي على الوجوه يدعم في نفسه حقيقة حالته المتهارة• ويكون رد فعل بعض أعضاء العائلة الدموع ،وهذا ينعكس مرة أخرى على المريض الذي يستشيط غضبا • ولهذا يعمد المريض للتصرف بطرق مختلفة لجلب الاهتمام لذاته • ويعمد أيضا الى الصراخ وارهاق المستخدمين بالطلبات المتزايدة • ويرفع صوته كما لو أراد القول : « انني ما زلت حيا ، لا تنسوا ذلك ، انكم تستطيعون سماع صوتي ، انني لم أمت » • ان اقل قدر من العناية الممنوحة للمريض تؤدي الى خفض صوته واشعاره بانه مازال انسانا له نفس المكانة والاعتبار •

ان الفاجعة التي تواجه مثل هذه الحالات هو ان الكثيرين يحملون غضب المريض محملا شخصيا فيزيدون من عداء المريض لهم •

المرحلة الثالثة : المساومة

ان هذه المرحلة ليست معروفة جيدا •ولكنها في نفس الوقت تساعد المريض على الرغم من انها تكون لفترة قصيرة •فاذا كنا غير قادرين على مواجهة الحقائق الحزينة في المرحلة الاولى،فربما كنا قادرين على الدخول في نوع من الاتفاق الذي يؤدي الى تأجيل الامر الذي لا مفر منه • انها مرحلة تتسم برغبة المريض في ان تستمر حياته لايام اطول خالية من الالم والقلق والاضطراب •

ان المساومة في الواقع عبارة عن محاولة لتأجيل الحدث المفزع • انها تتضمن نوعا من الوعد من قبل المريض بانه لن يطلب ذلك مرة اخرى اذا ما قبل تاجيل الحدث • ومن الناحية النفسية ، فان الوعود ترتبط بنوع هادىء من التكفير عن الذنب• وليس من شك في ان ذلك سيكون مفيدا اذا ما اخذت رغبات المريض بعين الاعتبار • انها الرغبة الاخيرة في اللحظات الاخيرة • فماذا يضر لو منحت للمريض كاملة ؟ •

المرحلة الرابعة : الكآبة

عندما تزداد اعراض المرض ويضعف جسم الانسان ، لا يستطيع الاستمرار في نكران واقعه المؤلم • ولهذا يتحول غضبه وتمرده الى شعور حاد بالخسارة • تلقي الباحثة الضوء على نوعين من الكآبة، تطلق على الاول كآبة رد الفعل وعلى الثاني الكآبة التحضيرية • فالكآبة من النوع الاول تكون ملازمة للمراحل الاولى من المرض عندما يعرف المريض بحقيقة وضعه الصحي • اما الكآبة من النوع الثاني • فهي المصاحبة لتسليم المريض بالامر الواقع ، فينتهي المريض من التركيز على الماضي وياخذ بتحضير نفسه لايامه المقبلة • ويخيم على المريض في هذه الحالة نوع من الصمت ، ويعبر المريض عن حالته المفجعة بنظرات حزينة ، وبسمات ملؤها الالم ، وتسعده في هذه الحالة لمسة يد حانية ، او مسحة على شعره وجبينه•ان اعز طلبات المريض في مثل هذه الحالة دعاء وصلاة تبعث في نفسه الرضى والطمانينة • فهو في هذه المرحلة يكون بحاجة ماسة الى الصمت والسكون والخشوع •

المرحلة الخامسة : الرضى

« لا بد ان اترك ، قولوا لي وداعا يا اخوتي •• انني اعطيكم مفاتيح بابي •• فامنحوني بعض الكلمات •• فانا مستعد لرحلتي » • ان كلمات طاغور هذه تعكس صورة المرحلة الاخيرة عندما ينتهي الاجل المحتوم للانسان •

في هذه المرحلة يكون المريض منهكا خائر القوى وتكون مقاومته ورفضه قد فترتا واحس بدنو اجله• وتشتد لديه الرغبة في اطالة ساعات نومه بطريقة مشابهة لحالة وليد جديد ولكن بصورة معكوسة • ويشعر كما لو ان آلامه قد انقضت وان الصراع

انتهى . وهكذا تقترب الساعات للراحة الاخيرة. انها الفترة التى تحتاج فيها عائلة المريض الى تفهم ودعم اكثر من المريض ذاته . ويكون المريض قد قبل ورضي بواقعه ، ولهذا يسدل الصمت خيوطه فوق المريض وتصبح النظرات وقسمات الوجوه اقوى وسيلة للتعبير . وتصبح النظرة الحانية وضم يده من اسعد لحظاته الاخيرة ، فهي تزوده بشعور من الاستمراريه والالتصاق والاحتواء .

الا ان هناك بعض المرضى الذين يصعبوصولهم الى مرحلة الرضى هذه ، وهم لهذا يستمرون فى المقاومة حتى النهاية ، ان هذا الوضع يجعل الوصول الى هذه المرحلة الاخيرة ضربا من المستحيل .

أمل

ان المراحل الخمسة التى القينا عليها الضوء غير منفصلة فى الواقع العملى عن بعضها بطريقة واضحة المعالم . وانما هى متصلة ومترابطة مع بعضها . ان الشيء الوحيد الذى يستمر خلال هذه المراحل وبشكل دائم هو الامل والرجاء . فالامل هو زاد المريض ودرعه الواقي من الالام النفسية التى تتراكم مع تقدمه فى المراحل الخمسة المذكورة . ويوجه احد المختصين هذه النصيحة الى جميع المعنيين : « ان علينا ان نعطى المريض اى مريض افضل انواع العلاج المتوفرة لدينا ، وان لا نعتبر كل مريض صاحب حالة ميؤوس منها ، فنهمله نهائيا .علينا ان لا نهمل اى مريض مهما كانت حالته ، فالمعروف الآن فى دوائر الطب انه ليس هناك تعريف مقبول للحظة وقوع الموت من الناحية الفنية » .

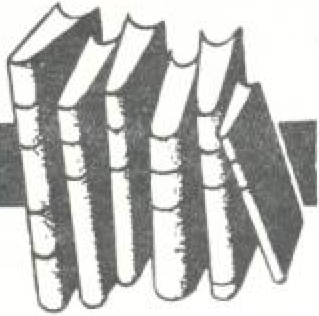
عائلة المريض

اننا لا نستطيع مساعدة المريض الميؤوس من حالته بطريقة ذات معنى اذا لم تدخل عائلته فى الحسبان ، ان العائلة تلعب دورا اساسيا فيحالة المريض خلال المراحل المذكورة . فمساعدتهم له تساعده الى حد كبير فى الاستجابة لمرضه . ان العائلة جزء لا يتجزأ من تركيب المريض النفسى. فاعباء العائلة وتفكيره بها تزيد من أعباء مرضه. فالزوج المريض يكون قلقا على وضع زوجته وابنائه ، على اعماله ووظيفته . توجه الباحثة نصيحتها الى العائلة بان لا تجعل مرض عائلها يعكر صفو واستمرارية حياة الجميع . وهى ظاهرة غير صحية ان يلازم احد افراد العائلة المريض بشكل مستمر . فكما ان المريض لا يستطيع مواجهة فكرة الموت بشكل دائم ، فان افراد العائلة لا يستطيعون البقاء حبيسى وضعية المرض هذه . ان فترة المرض هذه تكون عادة منهكة . وعندما تاتى اللحظة التى ينتهى فيها اجل المريض ، تكون طاقات افراد العائلة قد اهدرت. ولذلك تنصح الباحثة اهل المريض ان يقتصدوا فى اهدار طاقاتهم حتى لا ينهاروا عند مواجهة اللحظة المفجعة من حياة المريض . ان اكبر خدمة يقدمها اصدقاء واقرباء العائلة ان يواسواالعائلة ويتحدثوا الى افرادها . فهم بهذه الطريقة يساعدونهم على تقبل الامر المفجع تدريجيا والتخلص من الصدمة التى يتركها حدث الموت .

الخلاصة : ردود الفعل للحلقة الدراسية

لقد كان رد فعل مستخدمى المستشفيات والاطباء عندما طرحت فكرة الدراسة عن الموت تمتاز بالرفض والعداء . ولقد كان من المستحيل تقريبا فى البداية السماح للباحثة باجراء مقابلات مع المرضى . ولقد كان الاطباء الاكثر تدريبا وخبرة اقل الاشخاص اهتماما بالموضوع . الا ان هذه النظرة تجاه الفكرة راحت تتغير عندما تم انشاء الحلقة الدراسية . وبدأ الاطباء والحاضرون فى ابداء آرائهم وآراء مرضاهم . ولقد كان الطلبة والممرضات اكثر العناصر مساعدة فى تشجيع هذا النوع من الدراسة . ولقد تميز الاطباء الذين ساعدوا على تحقيق مهمة الحلقة الدراسية بانهم صغار السن او من الاطباء المتقدمين فى العمر الذين ينظرون الى المريض نظرة انسانية . وعلى الرغم من رفض الكثيرين من المرضى التجاوب مع الباحثة فى البداية ، الا انها عندما نجحت فى اقامة علاقات شخصية خلال جهود صابرة متانية . فقد فتحت الاغلبية صدورها للباحثة وطلبتها - بل ان كثيرين من المرضى شعروا بالسعادة الغامرة عندما وجدوا لاول مرة من يستمع اليهم بصبر وعناية يهتم بحالاتهم ويشاركهم اراءهم ويلبى الكثير من طلباتهم ورغباتهم . ■■

الكويت — عبد الاله ابو عياش



من الكتب التى وصلتنا

الأدب فى خدمة الحياة والعقيدة

تاليف : عبد الله خمد العويشق

اشراف : الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا

الناشر : الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / لبنان

● تحاول هذه الدراسة أن تبين الصلة الحقيقية بين الادب وكل من العقيدة والحياة ، ووظيفته فيهما ، ومقدار مشاركته فى خدمتهما ٠

والدراسات التى تناولت هذا الموضوع من جميع جوانبه قليلة جدا ، بل انها نادرة ، ومن أهم الكتب الرائدة فى هذا المجال كتاب الاستاذ محمد قطب (منهج الفن الاسلامى) وكذلك كتاب الدكتور نجيب الكيلانى (الاسلامية والمذاهب الادبية) ٠

أما المنهج الذى سار عليه مؤلف هذا الكتاب فبدأ بدراسة تمهيدية عن مفهوم كل من الحياة والعقيدة والادب ليتسنى تحديد مدلولاتها التى يرتكز عليها البحث ٠٠ أما الباب الاول فيدرس وظيفة الادب الهادف ، وتعدد وظائفه ، باحثا فى الصدق الفنى ، ورسالة الاديب والكاتب ، أما البابان الثانى والثالث فيتعرضان لدراسة الاتجاهات والفنون الادبية وخدمتها للحياة والعقيدة والباب الرابع يحاول أن يرسم صورة لخدمة الحياة والعقيدة فى الامم القديمة لمعرفة موقفها من وظيفة الادب ، وكيف نظرت اليه وسخرته فى خدمة عقيدتها ٠٠ اما الباب الخامس فقد خصص للادب الاسلامى ، وخدمته لعقيدة الاسلام وحياته ٠

الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمى فى البصرة الى القرن الهجرى

تاليف : جاسم السعدى ٠

الناشر : مطبعة النعمان / النجف الاشرف / العراق

● خلال القرن الاول الهجرى حتى نهايته كانت بداية الاهتمام والعناية بدراسة اللغة العربية بوصفها وعاء الفكر العربى الاسلامى ، ومن هذا المنطلق كانت دراسات اللغة والنحو وتاريخهما تحتل مكانا مرموقا بين دراسات الادب العربى ، وكانت هذه الدراسات منبثقة عن عوامل رئيسية ، أولها العامل الدينى ويتمثل فى المحافظة على القرآن الكريم بالمحافظة على لغته ، فكان نقطه واعجامه ، ثم عامل قومى يتمثل فى محافظة العرب على لغتهم من اللحن وما يتبع ذلك من دخول الفساد الى اساليبها ، ثم عامل حضارى نتج عن نمو الفكر العربى الاسلامى وعن اتصال العرب بالامم الاخرى وتفاعلهم مع حضارات تلك الامم ٠٠ فاكتسب الفكر العربى المسلم طاقات خلاقة أبدعت فى كل ميادين المعرفة التى ولجتها ٠٠

وقد قسم المؤلف كتابه الى فصول خمسة قدم له بتمهيد تناول فيه بالبحث مسالة نشوء البصرة وتمصيرها والمؤثرات الحضارية فى نموها ، ثم تنافسها مع الكوفة كما درس فى الفصل الاول اللحن وأثره فى التفكير وفى دراسة اللغة وأساليبها وتعريب الدواوين الذى أوجد حركة تعليمية ملحوظة ٠٠ أما الفصل الثانى فقد كرسه المؤلف لرصد الاثر الذى خلفته الترجمة والاعتزال كعوامل أثرت فى سير دراسات اللغة والنحو ٠٠ أما الفصل الثالث فقد بحث فيه آثار الدارسين الاول من آراء ومؤلفات كما درس أثر علاقاتهم بالسلطة وعلاقة بعضهم ببعض ٠ أما الفصل الرابع فهو يبحث فى المناهج التى احتذاها الدارسون البصريون ٠٠ أما

الفصل الخامس والاخير فهو خاص باثبات أصالة النحو العربي ، وبحث المسالك العقلية التي سلكها الدارسون المتاخرون في فلسفتهم لهذا العلم وتعقيدهم اياه •

القانون والعلاقات الدولية في الاسلام

تاليف : الدكتور صبحي محمصاني

الناشر : دار العلم للملايين / بيروت / لبنان

● هذا الكتاب سلسلة محاضرات أعدها المؤلف باللغة الانجليزية بناء على طلب اكاديمية القانون في لاهاي ، والقيت على طلابها في صيف عام ١٩٦٦ . اما الغاية من هذه المحاضرات فهي أن تثبت ان المبادىء الاساسية للقانون الدولي الحديث موافقة في جوهرها لتعاليم الاسلام وقواعده العامة •

ولما كان من الضروري شرح مبادىء القانون الدولي الاساسية في الاسلام شرحا كافيا ، لا لمقارنتها بالمبادىء الحديثة ولا لاظهار الشبه فيما بينها فحسب ، انما لتبين أيضا ان مثل هذه المبادىء الشاملة باستنادها الى الوحدة الانسانية هي من صميم التعاليم الاسلامية •

والكتاب يعرض في المقدمة لتطور القانون الدولي في الاسلام ، ولمصادره المختلفة ، ثم يخصص ـ طوعا لذلك ـ قسما لاحكام السلم وقسما آخر لاحكام الحرب •

وينبغي لدراسة أحكام القانون الدولي الاسلامي التفريق بين النظرية الشرعية والواقع العملي ، أي بين القواعد التي وضعها الشرع وبين تصرف بعض ولاة العرب والمسلمين عندما جاء هذا التصرف مخالفا لتلك القواعد ، ولاجل تجنب هذا الالتباس انصرف جهد المؤلف الى حصر البحث على قدر الامكان في التعاليم الاصلية التي تصور النهج الشرعي الصحيح في القانون •• والعلاقات الدولية ، ومن ثم اهمل كل تفسير أو استدلال بني على وقائع ماضية او حاضرة خالفت هذه التعاليم الاصلية . وحسنا فعل . فكثيرا ما خالف الولاة المسلمون قواعد الشرع ، واذن فليس من العدل اعتبار تصرفاتهم اسلامية . أو حمل مسؤلياتهم على الاسلام •

فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والامويين

تاليف : بسام العسلي

الناشر : دار الفكر / بيروت / لبنان

● دراسة تعالج موضوع تطور فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والامويين . وقد بدأ المؤلف دراسة كل معركة بشكل مفصل ، ثم درس الوضع العام الذي سبقها وسير العمليات وتطورها خلالها . ثم وضح الموقع على الخرائط وتابع تطور كل معركة في اطارها الزمني وفق جدول توقيت الاحداث .

جيوش قليلة تنطلق من الجزيرة العربية تتحدى اقوى قوى العالم فتزيل أعظم دولتين لهما أمجادهما العسكرية ، وقواتهما الجرارة ، وتتطور هذه الجيوش في عددها وتسليحها ، وبذلك يتطور تنظيمها القتالي ، وأسلوبها الحربي وتزداد ميادين القتال بعد ذلك ، وتصبح ساحات العمليات واسعة غير محدودة . ويتطلب ذلك ادارة للحرب ، وقيادة للقتال على مستوى عال من القدرة والكفاية ، وهنا تبرز شخصيات العمالقة من القادة في عهد الخلفاء الراشدين والامويين • كان هؤلاء القادة يعتصمون وراء رمال الجزيرة فيعلنون التعبئة ، ويحشدون الجيوش ، ويطلقونها الى اهدافها ، ويرسلون الامدادات ، ويتابعون سير العمليات ، ويعملون على تحديد محاور الثقل ، وينقلون القوى من جبهة الى جبهة ، وفاقا لمخطط مدروس بدقة وشمول ، بعيد عن الارتجال والعفوية ، وهذا أروع ما في الصورة لتطور فن الحرب عند العرب •

لقد كانت معركة اليرموك معركة حاسمة ، تبعتها عمليات فتوح سهلة نسبيا ، وهذه العمليات شاهد على نجاح العرب المسلمين في تحقيق مبدأ استراتيجية الهجوم غير المباشر • وتكرر ذلك بعد معركة القادسية حيث تبعتها سلسلة من المعارك القصيرة والحاسمة ، وكانت هذه العمليات شاهد أخرى على نجاح هذه القوات في تحقيق مبدأ استراتيجية الهجوم غير المباشر ، وقد عمل العرب المسلمون على اتباع اسلوب جديد في الردع ، يتلخص في محاولة القضاء على اوكار التآمر ، وتحصين الثغور وتنظيم الصوائف (غزوات الصيف) والشواتي (غزوات الشتاء) ، ثم كان بعد ذلك تطور فن الحرب في البحر وارتباطه بالمخطط العام للعمليات •

الحياة أخذ وعطاء

« بقلم : محمود منسى »

■ كانت الغرفة بيضاء ناصعة ، ولولا بابها ونافذتها العريضة ، لبدت كعلبة بيضاء مستطيلة، وانتصبت أعواد من الزهور فى اناءين جميلين بين الاسرة الثلاثة البيضاء التى رقدت على أرض الغرفة الصقيل ...

وقد كانت الغرفة واحدة من غرف مستشفى الولادة الحديث بالمدينة الكبيرة يقع فى ضاحية هادئة ، بعيدا عن الضوضاء والصخب ، تحتضنه حديقة بديعة التنسيق ، تنتثر فيها الزهور والورود على بساط من الحشائش السندسية الخضراء ..

وكانت نزيلات الغرف الثلاث قد حضرن الى المستشفى قبل موعد ولادتهن بأيام معدودة انتظارا للحادث السعيد ..

أما أصغرهن فقد وفدت تنتظر تجربتها الاولى، ولذلك كانت تبدو حائرة مضطربة ، تكثر من الاسئلة عن المخاض ، وما يصحبه من آلام كما سمعت من الكثيرات .. وكانت قليلا ما تستقر فى سريرها لكثرة ما يستبد بها من القلق ، وتهرب من افكار واخواطرها بالحديث الى زميلتيها بالغرفة البيضاء .. وقد تهرب من الغرفة بأسرها الى غرفة الممرضات أو رئيسة الجناح لتثرثر معهن ، وتسائلهن عما سيحدث لها وهو ما زال فى ضمير الغيب .. لعلها تظفر بعلاج لقلقها الذى يلاحقها ، ولا يدع لها فرصة للافلات من قبضتيه . وكانت هموم الثانية تسير فى اتجاه آخر ، فهى تدور حول الوليد القادم ونوعه ، وهل القادم ذكر أم انثى ؟

لقد رزقت ثلاثا من البنات .. حقا انهن ذكيات وجميلات ، ولكنها تريد أن ترى لهن أخا تقر به عينا ، وتتيه به عجبا ودلالا كغيرها من النساء..

وترتاح له نفس زوجها التى طالما تصورت انه فى شوق ملح لان يسمع هذا الخبر ، وأن يطرب لهذه البشرى ..

وكثيرا ما كانت تتلمس هاتفا فى أحلامها يهتف بها فى منامها ويزف اليها ذلك الخبر السعيد ..

أما الثالثة فكانت أكثرهن صمتا ، وأعمقهن استغراقا وحزنا ، وكانت تظلل وجهها الاشقر كآبة دائمة ، فقد كانت نادرا ما تتحدث ، واذا تحدثت فهى لا تذكر شيئا مما عرى زميلتيها فى



الغرفة ، او مما اثار قلقهما ، او استحوذ على اهتمامهما ٠٠

كانت الثالثة تعيش داخل نفق طويل من الذكريات مع ولدها البكر ، فقد رجعت بها ذاكرتها الى الوراء سبع سنين ، عندما أحست بآلام المخاض في منتصف الليل ٠٠ وحملها زوجها الشاب سعيدا في سيارته الى مستشفى الولادة القديم ، والذي كان يقع في قلب المدينة ٠٠

ولم تمكث الا ساعات قليلة حتى سمعت اول صيحة يطلقها طفلها الصغير ، وهو لا زال كتلة من اللحم الاحمر الجميل ٠٠

وغاص قلبها بالسعادة ، وامتلأ بالامل ، واحست بفروعها تمتد وارفة مورقة داخل اعماق الحياة ٠ وارتسمت على شفتيها ابتسامة واهية عندما تذكرت المناقشة الطريفة التي دارت بينها وبين زوجها حول اختيار اسم الوليد الصغير حين قال :

ـ ما رأيك ؟ نسميه مروان تخليدا لذكرى جدي، لقد كان يحبني ، وقد وعدته عندما كنت صغيرا ان أسمي اول مولود باسمه ٠٠ فما رأيك ؟

فاجابته عابسة عاتبة :

ـ حقا انكم معشر الرجال أنانيون ، ولم لا نسميه باسم جدي أنا ؟ لقد حملته تسعة أشهر بين أحشائي ، وهو لا شك قطعة مني ٠٠ وأمتلك فيه اكثر منك ٠٠

وضحك فؤاد من أعماقه ، وفوض اليها الامر ، في اختيار الاسم الذي تريده ، وبعد أن انصرف الزوج جاءت رئيسة الجناح تسالها عن الاسم الذي اختارته لطفلها حتى يتم استخراج شهادة ميلاده ٠٠ فاجابتها بلا تردد :

ـ مروان ٠٠ سجليه باسم مروان ٠٠ اليس اسما جميلا ٠٠ ؟

وخرجت رئيسة الجناح ضاحكة ، وهي تهنئها بسلامتها ، وباختيارها الموفق ٠٠ وانتقلت الى منزلها بعد أيام، بصحبة مروان كنز صباها ، وحلم عرسها وشبابها٠٠ ومرت الايام وتحول الطفل الى صبي أشقر جميل ٠٠ ووفد على الاسرة بعده قادمان جديدان طفل وطفلة بالتتالي ٠٠

ولكن مروان بمواهبه ووسامته كان الاول في كل شيء ، وازداد تعلق والده به ، وتوثقت بينهما العلاقة ٠٠ فهو يحب أن يصحب اباه في غدواته



وروحاته ، بعد أن يعود من المدرسة ويفرغ والده من العمل ..

وفي أحد الايام صحب والده ، وكان يوم عطلة الاسبوع ، لانتقاء بعض الملابس ، وكان والده يحب أن يصحبه معه ليترك له حرية اختيار اللون والذوق الذي يريد ..

وبعد جولة طويلة في السوق عادا الى السيارة، وقد احتضن كل منهما بعض الاكياس التي احتوت كثيرا من البضائع التي وفقا اليها ، وارتضاها ذوقاهما ..

وخلال عودتهما برزت لهما سيارة قادمة من طريق جانبي ، واندفعت أمامها تريد قطع الطريق بسرعة خاطفة وبصورة غير متوقعة ..

وأراد فؤاد أن يتفادى الخطر فانحرف بسيارته يريد الهرب والنجاة بنفسه وبولده ولولا بقية من اجل لانقلبت بهما السيارة ..

وبعد أن افلت فؤاد من هذا الموقف العصيب شعر بجسمه ينتفض ، وبان يديه لا تستطيعان القبض على مقود السيارة .. فاخذ يمين الطريق وتوقف ..

وعندما توقف رأى ولده الصبي الذي ادرك كل شيء بفطرته يقترب منه في لهفة ويعانقه باكيا ، وقد سالت الدماء من بين أسنانه عندما ارتطم وجهه بجسم السيارة قائلا :

ـ بابا .. أحبك يا بابا .. لا تخف يا بابا .. انني أحبك يا بابا ..

واهتز قلب فؤاد ، واحتضن ابنه الحبيب ، واخذ يقبله في حنو بالغ ليشعره بالامان .. وليزيل آثار الرعب الذي طفا على وجهه الصغير..

وربط هذا الحادث بين قلب الوالد ، وابنه الصغير برباط من الحب العميق المتبادل ، والتعلق الزائد ..

وحل الصيف بحرارته اللاهبة ، ورطوبته الخانقة ، ولمحت الام احتقان وجه الصبي الصغير .

وبعد أن أبدت الام هذه الملاحظة بساعات كان فؤاد يعرض ابنه على الطبيب الذي طمانه بقوله:

ـ ان الامر لا يعدو أن يكون التهابا بسيطا بسبب حرارة الصيف ، ثم اعطاه بعض الادوية المهدئة ..

وعدلت الاسرة من خطتها بشان الصيف ،وسافرت لقضائه على شاطيء البحر رغبة في أن تعود للصبي حيويته ، ويزول احتقان خديه ، وترجع اليه نضارته الهاربة ..

وعادت الاسرة في نهاية الصيف الى المدينة ، ولكن هما ثقيلا أخذ يجسم على قلب الوالدين ، فقد تحول الاحتقان الى شحوب ، ثم تحول الشحوب الى صفرة وهزال عام ..

وأسرع الوالد الى عرض ابنه على الاطباء ، مرة ثانية ، وقد اخذ بعضهم يهون عليه الامر ، وأكثرهم يهز رأسه يائسا ، ولا يعرف سبب المرض الذي هد كيان الصبي الصغير ..

وتحولت حياة الاسرة من هناء الى تعاسة ، ومن سعادة الى شقاء ، ومن أمل الى يأس وقنوط ..

ولزم الصبي فراشه كثيرا ، وقلت أوقات صحوه ، وزهد في ملاعبة أترابه ..

وصحا والده في ليلة من الليالي على بكاء ابنهما الحاد ، وقد أخذ يتشبث بهما كالغريق وهو يردد :

ـ ماما .. بابا .. انني أحس بعظامي وكأنها تتكسر .. أنقذني يا بابا .. انقذيني يا ماما ..

وبعد أسبوع من ملازمته للفراش عادت اليه بعض قوته ، فقد ترك فراشه ، واخذ في ملاعبة اخوته .. وفرح الوالدان .. ولكنه بعد مدة وجيزة عاد وانتكس مرة ثانية ..

ووفد على المدينة طبيب زائر اجنبي شهير ، وهرع الاب لعرض ابنه عليه .. وفحص الطبيب الصبي ، وأجرى له بعض التحليلات ، لكل ما في جسمه من سوائل وجوامد واستطاع تشخيص المرض ومعرفته ، ولكنه اتبع أسلوبا حكيما في شرح الامر ، ولم يغلق باب الامل حيث قال بلغته الاجنبية :

ـ ان الامل في الشفاء لم نفقده بعد ، وسوف يكلف العلاج نفقات كثيرة ، ووقتا طويلا ، لان المرض قد تمكن من الصبي ..

فتنازع الخوف والامل قلب الوالدين .. وطلب الوالد من الطبيب أن يطلعه على الحقيقة فاجابه بعد فترة من الصمت :

ـ انه سرطان الدم .. ولكن يجب الا ترتاع .. فسوف نقوم بالمحاولة ، وساعطيك توصية الى رئيس المستشفى الذي سوف يقوم بتفريغ دم الصبي بكامله ، وملء جسمه بدم جديد نقي .

ثم حدد له اسم المستشفى في الخارج .. واعطاه كتاب توصية ..

واغرورقت عينا الوالد ، وامتلأت بالدموع عندما سأله الصبي بذكائه الذي لم يزايله بعد :

ـ ماذا قال عني هذا الطبيب يا بابا ؟ هل سيعطيني دواء حلوا أم مرا ؟ أم ابرا تمزق لحمي وتسيل دمي ..

وكاد فؤاد ينفجر باكيا ،ولكنه تجلد ، واخذ في تهدئته ومضى يربت على ظهره برفق ، ويمسح على وجهه الباهت ، ويزيل عرقه ..

وبعد اسبوع اتخذ فؤاد اهبته للسفر ، وسهرت الام مع ولدها ، واخذت تشجعه ، وهي تتماسك خوفا من أن تنهار أمامه ، ولكنه فاجاها بقوله :

ـ ألست حاملا يا ماما ؟

فاجابته بلا وعي :

ـ بلى .. ولكن لماذا تسأل ؟

فنظر اليها مبتسما وقال :

ـ اذا جاء ولدا .. سمه سامي ..

فقالت وقد نسيت بعض الشيء حزنها وآلامها :

ـ ولكن لماذا اخترت هذا الاسم ؟

فاجاب مروان ، وكأنه أراد ان يؤكد طلبه :

ـ انه صديقي بالمدرسة .. لقد كنا نلعب سويا، وكان يعطيني نصف ما معه من الحلوى .. وكنت أعطيه نصف ما معي .. انني أحبه كثيرا مثل أخي ..

وانحدرت الدموع من عيني الام .. وولت هاربة حتى لا يراها .. بعد أن وعدته بتحقيق رغبته ..

وسافر الوالد وابنه المريض الى الخارج .. وطالت مدة العلاج ، وامتصت النفقات الباهظة مدخرات الاسرة من سنين مضت ، وابتلعت دخلها لسنين قادمة ، والوالدان لا يبخلان على ولدهما بأي شيء .. وأصبح كل شيء هينا في سبيل ولدهما المريض .. وعاد المريض من رحلته ، بعد أن تم تفريغ دمه ، ونقل دم جديد نقي له ..

وقد طلب الطبيب أن ترسل اليه عينة من الدم بعد شهر للتحليل وللاطمئنان على سير العلاج .. وعاش الوالدان بين اليأس والامل .. وفي الموعد المحدد كانت عينة الدم في طريقها الى الطبيب بالخارج .. وقبل أن تعود النتيجة.. كان الطفل قد ووري التراب .. وانتفضت الام في سريرها ، واستيقظت من افكارها على صوت الرئيسة وهي تناديها باسمها .. وتقف أمامها ، وفي يدها بعض الاوراق ، وقد اخذت تقلبها ..

وتقدمت منها ممرضتان ، ووضعتاها على نقالة المستشفى المتحركة .. وتلقت التحيات والقبلات من زميلتيها في الغرفة .. وبعدها انطلقت بها النقالة المتحركة خارج الغرفة البيضاء ..

وما هي الا دقائق معدودة حتى ادخلت الى غرفة واسعة .. غرفة العمليات .. ثم تقدم منها طبيب ملثم ، تبادل مع الرئيسة حديثا قصيرا ، واخذ في اجراء فحص دقيق لها وبعد أن أنهاه صاح في استنكار :

ـ ألا تحسين بشيء ، أو بألم ما ياسيدتي ؟ انه لامر غريب !!

ولكنها ظلت صامتة ، ودموعها تسيل بغزارة .. فظن أن في الامر سرا فقال :

ـ هل تناولت حبوبا مهدئة ؟

ثم عقب :

ـ ان الام المخاض فيك منذ الصباح ، ولا تحسين !! انها الحالة الاولى من نوعها .. وأسرع الى معاونيه في لهجة آمرة ، وطلب سرعة تخديرها حتى لا يفلت الوقت المناسب .

وبعد ثوان اطبقت جفونها ، وغابت عن الوعي..

وعندما استيقظت وجدت نفسها في الغرفة البيضاء مرة ثانية ، وبجوارها سرير صغير اطل منه وجه أحمر دقيق ، فتذكرت على الفور وليدها البكر .. وانطلقت باكية بصوت مسموع..واخذت تجتث حزنها الدفين ..

ووقفت زميلتاها بالغرفة البيضاء تحاولان تهدئتها ، وبعد دقائق انضم اليها فؤاد وبعد فترة هدأت ثائرتها ،واحست ببرد الراحة يملأ قلبها لاول مرة منذ ان فقدت ابنها البكر ..

ثم جاءت الرئيسة ، ووقفت أمام الام ، وهي تقول ضاحكة :

ـ ما اسم طفلك يا سيدتي .. ؟

فردت الام وقد احست بكثير من الراحة والهدوء وأن الحياة أخذ وعطاء :

ـ مروان .. مروان .. أليس اسما جميلا ؟

ولكن زوجها قاطعها ، وقد أراد أن يسدل الستار على آخر المشاهد الحزينة التي مرت بها:

ـ لا .. لا .. بل سجليه باسم سامي

ثم أردف :

ـ انها وصية .. بل وصية مقدسة .. ■■

الكويت ـ محمود منسي



أنت تسأل .. ونحن نجيب

مهرجان لندن
اكبر مهرجان اسلامي شهده العالم
حتى الآن

● قرأت فى عدد سابق من العربي عن المهرجان الاسلامي الذى ينوون اقامته فى لندن .. ترى هل سبق للانجليز او لغيرهم من الاوربيين ان اقاموا مهرجانات اسلامية كمهرجان لندن المرتقب ..

ـ / ـ

ـ مهرجان العالم الاسلامي المزمع اقامته في لندن ، اعتبارا من ١ ابريل والى ٣٠ يونية ١٩٧٦ ، هذا المهرجان ليس الاول من نوعه . فقد اقام الانجليز سنة ١٨٨٥ وفي نادى الفنون الجميلة في برلنجتون (لندن) ، معرضهم الاسلامي الاول الذى كان قوامه مجموعة من روائع الفن الاسلامي ، وبخاصة العربي والايراني .

وتبعهم النمساويون ، فاقاموا فى فينا سنة ١٨٩١ معرضا للسجاد ، سجاد الشرق الاوسط ..

ثم لحق بهم الفرنسيون وقد أقاموا في باريس وفي نفس الوقت تقريبا معرضا خاصا بفنون العالم الاسلامي التزيينية .

وجاء بعد ذلك الالمان فاقاموا معرضهم الشهير في ميونخ سنة ١٩١٠ . وبلغ هذا المعرض من الضخامة وسعة النطاق ما لم يبلغه اي معرض اسلامي سابق .. وهكذا اطلقوا عليه اسم مهرجان ..

ويبدو ان مهرجان لندن المرتقب سيفوق مهرجان ميونخ من حيث الضخامة والاحاطة . فهو مهرجان حضارى ، بمفهوم الحضارة الواسع ، وسيولي اهتمامه النواحي العلمية والفكرية والعمرانية للحضارة الاسلامية فضلا عن النواحي الفنية .

وحسبنا ان نذكر ان المهرجان الاسلامي سيشغل متاحف لندن الرئيسية كلها ، كما تظهر لك الصورة المرفقة بوضوح .

فها هو ذا المتحف البريطاني الذى يطل عليك من اعلى الصورة سيكون معرضا خاصا بمخطوطات القرآن الكريم . وستشمل هذه فيما تشمل مصاحف كتبت بالخط الكوفي على انواع نادرة من الجلد الشفاف ، جمعت من شتى الدول والاقطار الممتدة من المحيط الاطلسي الى مشارق الصين ، ويعود تاريخها الى القرنين الثالث والرابع الهجري . هذا الى جانب المصاحف المخطوطة الموجودة لدى مختلف المكتبات البريطانية ، وستشمل المجموعة ايضا طائفة من المخطوطات الدينية غير القرآنية التى تمثل عهودا متباعدة من التاريخ الاسلامي

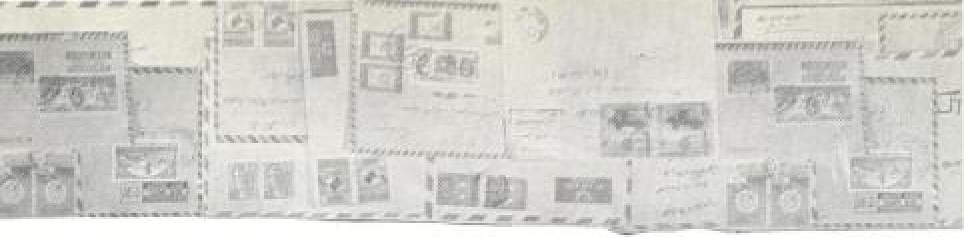
وها هوذا المتحف البشرى ، الذى يلي المتحف البريطاني الى اليسار ، والذى سيعمل على المقارنة وابراز التباين بين حياة البدو وحياة الحضر في الاسلام ، وذلك عن طريق المعارض الثلاثة التى ستقام فيه والتى ستتناول :

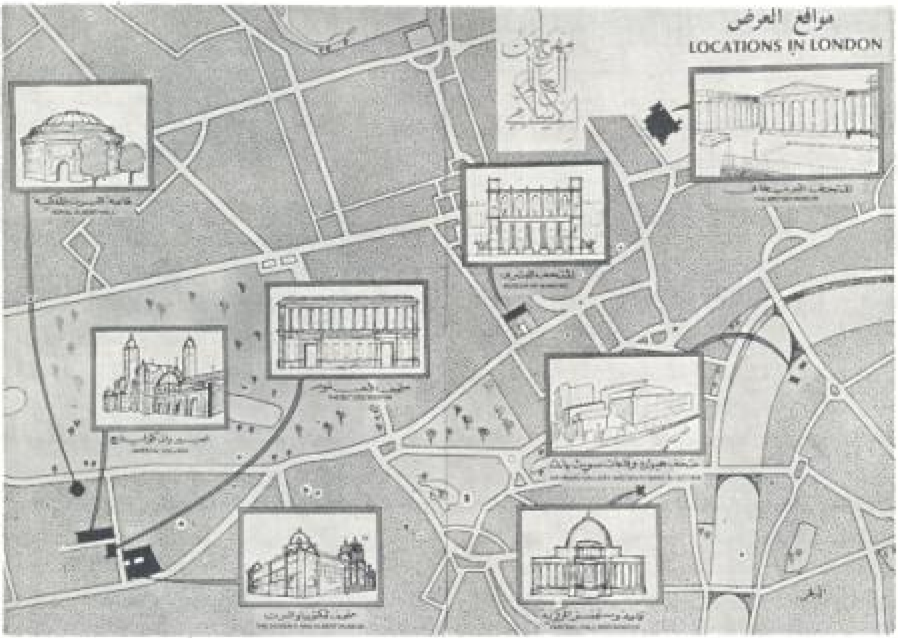
١ ـ حياة البدو بخيامها وبما تنطوى عليه من تقشف ، بصورة عامة .

٢ ـ الحياة في مدينة صنعاء ، وقد تولى اعداد هذا المعرض مركز الشرق الاوسط في جامعة كمبردج .

٣ ـ الحياة في مدينة فاس في المغرب ، وهي في نظر الكثيرين مثل رائع للمدينة الاسلامية المتحضرة .. وقد اشرف على اعداد هذا المعرض الاخير هيئة اليونسكو .

ونأتي بعد ذلك الى متحف العلوم الذى يتوسط





الصورة والذى سيعمل على ابراز فضل العرب والمسلمين فى العلوم والتكنولوجيا وذلك فيما يتصل بالرياضيات والطب والجراحة وفى مجالات اخرى عديدة نخص بالذكر منها الفلك والملاحة·· ويطمح هذا المعرض الى كشف النقاب عما تحقق على ايدى العرب والمسلمين من كشوف علمية ومخترعات ، مما ذكره التاريخ او اغفله · وستشمل المعروضات فى متحف العلوم هذا نماذج ومجسمات، فضلا عن رسوم ومخطوطات ونشرات تم جمعها من مختلف الدول الاوروبية ، بما فى ذلك الاتحاد السوفييتي والفاتيكان ·

تكتفى بهذا القدر ، اذ المجال لا يتسع بالاسترسال ولا يتسع للحديث عن سائر المتاحف ولا عن نواحى النشاط الاخرى التى تشمل فيما تشمل الآثار والمصنوعات الفنية ومعالم التراث الفنى الاسلامى ، بشتى فروعه وشعبه ،وكذلك الموسيقى والآلات الموسيقية وفن التطريز والاوانى المعدنية والسجاد بمختلف انواعه والوانه ·· الخ ·

(ى · ز)

القرويون فى المغرب العربى

● تتردد فى الكتب والمجلات كلمة« القروى » و « القرويين » وصفا لكثير من علماء المغرب وادبائه . فما دلالة هذه النسبة وما اصلها ؟

طارق سليم ـ كركوك ـ العراق

ـ القروى فى معناها العام عندنا نسبة الى « قرية » او « قرى » فى اى ريف من الارض ، وكانت فى الجاهلية واوائل الاسلام تطلق على اى « حاضرة » ولو كانت كبيرة ، وبهذا المعنى استعملت فى القرآن الكريم مفردة ومثناة وجمعا ، ولكنها فى اصطلاحنا الادارى اليوم تطلق على المجتمعات

مونتالى

الشاعر الفنان الفائز بجائزة نوبل للادب

يقدس الحرية ويعشق الموسيقى والصحافة

● قرأنا في الصحف أن أديبا ايطاليا مغمورا هو ايوجينيو مونتالي قد فاز بجائزة نوبل للادب ، فهل لكم أن تقدموا لنا نبذة من هذا الرجل واعماله ؟

محمد عدنان ـ عمان

ـ ايوجينيو مونتالي 'Eugenio Montale شاعر ايطالي مقل ، ولكنه أعظم شعراء ايطاليا الاحياء على الاطلاق . قالوا عن اعماله وعن فلسفته من خلال قصائده الرائعة : « انها تعبر عن رؤية لاسرار الحياة بلا اوهام » .. فهو الذى قال عنها : « كل حياتنا وما فيها من عمل ينجز ، أشبه ما تكون برجل في رحلة يوفد » .

وقد عرف شاعر ايطاليا الكبير بعدائه الشديد للفاشية ، ولم يعبأ مونتالي بما جره عليه هذا العداء من حرمان من المناصب التى رشح لها فى عهد الدكتاتور الايطالي موسوليني فقد كان يحب الحياة ويقدس الحرية ، أروع وأحلى ما يمكن أن يجده الانسان فيها .

ولم يتوقف مونتالي فى التفكير طويلا فيما عساه فاعل من اجل كسب عيشه ورزقه ، طوال فترة اندلاع الحرب العالمية الثانية ، اذ سرعان ما عكف على ترجمة أعمال مجموعة متنوعة من الكتاب مثل شكسبير وايوجين اونيل ودوروثى باركر وغيرهم .

وهو شاعر صبور ، يتميز بالتأني فى تفكيره وانتاجه ، وكان يحرص على انقضاء فترة من الوقت بين صدور الدواوين التىجمع فيها أشعاره، والتى لم يزد عددها على خمسة مجلدات ، طوال

السكانية الصغيرة فى الريف ، ويسكنها الفلاحون ، وترادفها كلمة « الكفر » و « النجع » و « الحِلة » و « المَحلة » ، وتقابلها كلمة « المدينة » لكل مجتمع سكاني كبير ، ومن بين شعرائنا المعاصرين الاستاذ رشيد سليم الخورى الذى يلقب « الشاعر القروى » نسبة الى كلمة « قرية » او « قرى » اى الريف ، وله شعر كثير فى مظاهر الطبيعة .

ولا صلة بين هذا كله وكلمة القروى والقرويين التى يوصف بها بعض توابع المغرب ، بل ينتسبون الى « جامع القرويين » الذى بدأ بناؤه سنة ٢٤٥ هـ فى مدينة فاس بمراكش فى عهد الادارسة العلويين، وهو يشبه الجامع الازهر فى قصته ومهامه وآثاره . واول قصته ان ٢٠٠٠ من عرب القيروان فى تونس هاجروا قبلئذ الى « فاس » فانزلهم اميرها يومئذ العدوة (الضفة) الشرقية من وادى فاس وسماها « عدوة القيروانيين » ومع كثرة استعمال كلمة « القيروانيين » خففت فصارت « القرويين » ، وقد استدعت الحاجة بعد نزول هؤلاء المهاجرين هناك تأسيس جامع لهم ـ كعادة المسلمين حيث استقروا جماعات ـ فتطوعت ببنائه سيدة ثرية منهم وهى فاطمة (ام البنين) بنت محمد بن عبد الله الفهرى القيرواني ، ورصدت له ثروتها الكبيرة التى ورثتها من ابيها وزوجها ، وبدأت بناءه ـ تبركا ـ فى رمضان سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) ، اى قبل بناء الجامع الازهر باكثر من مائة سنة ، وقد صامت منذ بدء البناء حتى انتهائه ، شكرا وتقربا الى الله ، وعقب تأسيسه اتخذ كثير من العلماء هناك مجالسهم تحت اعمدته للوعظ والتدريس ، وكان الطلاب وغيرهم يتحلقون حولهم ، ومن هذه الحلقات نشأت مدرسة كبيرة كالازهر صارت مع اتساع الدراسة فيها كأكبر الجامعات القديمة ، وكانت تهتم اولا بدراسة علوم الدين واللغة ، لكن خلال ازدهار الثقافة الاسلامية فى مصر والعراق وسائر بلاد المشرق الاسلامي وفى الاندلس ايضا اتسعت الدراسة فى جامعة القرويين فشملت علوما اخرى كالرياضيات والطبيعيات والفلك والطب ، ثم انتكست هذه الدراسة فيها وفى سائر المدارس ببلاد الاسلام شرقا وغربا ، حتى اقتصرت على قليل من علوم الدين واللغة العربية تدرس فى متون وشروح وحواش وتقريرات باساليب تلقينيةجامدة.

وكان يتولى التدريس فى القرويين علماء من شتى جهات المغرب والاندلس ، كما كان يفد اليها



ايوجينو مونتالى

حياته الادبية التى بدأت منذ نصف قرن من الزمان عندما أمسك بالقلم ليكتب أول قصيدة فى حياته٠

انه اليوم فى التاسعة والسبعين من عمره ، ولد بمدينة جنوا بايطاليا فى عام ١٨٩٦ ، وكان يعشق الشعر فى صباه فيقرأ ويحفظ لمشاهير الشعراء ، ثم يحاول أن يكتب مثلهم ٠٠ وفى جنوا أكمل مونتالى دراسته ثم بدأ يتفرغ لعمله وهوايته الادبية ٠

ولم يكن شاعر ايطاليا ، شاعرا فحسب ، بل كان يعشق الموسيقى ، وكانت له اذن حساسة مرهفة مكنته من أن يصبح ناقدا موسيقيا ، فقد هوى الموسيقى ودرسها وهو يخطو فى بداية حياته المدرسية ، ولكنه ما لبث أن تحول عنها الى دراسة الادب ، وراح ينهل من كتب الادب الانجليزى والامريكى ٠ كما أجاد الترجمة ونشرت له فى الآونة الاخيرة عدة أعمال مترجمة ، الى جانب تلك التى قام بها ابان الحرب الثانية ٠

ثم هو بعد ذلك يعشق الصحافة، ويفخر بانتمائه الى فئة العاملين فى بلاط صاحبة الجلالة ، وهو يعمل اليوم بعد أن بلغ هذه السن صحفيا وكاتبا فى جريدة « كوريرى ديلاسيرا » وهى أكبر الصحف الايطالية وأوسعها انتشارا ، وهو عضو فى نقابة الصحفيين ٠

ويعيش الشاعر الكبير الآن فى منزل متواضع بمدينة ميلانو ، ذلك أن التواضع من أبرز صفاته ٠٠ يعيش فيه وحده مع كتبه بعد أن ماتت زوجته ، دون أن ترزقه بطفل يملأ ما تبقى له من عمر ٠ هل انتهت مواهب هذا الشاعر الاديب الفنان ٠٠ لا ، فلعل أعظم مواهبه اطلاقا هى تلك التى تجلت فى المعنى الكبير الذى حملته وتحمله أشعاره للناس٠٠ سألوه يوما : « ما هى رسالتك » ؟

قال : « انها دعوة الانسان الى الامل ٠٠ فالامل هو الحياة ٠٠ ولا حياة بغير أمل » ٠ (م ٠ ن)

الطلاب من هذه البلاد ومن غربى افريقية ووسطها وشرقيها ، وبسبب النشاط العلمى لمدرسة القرويين اعتبرت مدينة فاس عاصمة الثقافة الاسلامية غربا، كما ان القاهرة بسبب الجامع الازهر اعتبرت عاصمة الثقافة الاسلامية فى جميع بلاد المشرق ٠ وكان للطلاب هناك بيوت موقوفة لسكناهم ، وجرايات معيشة تؤخذ من ريع اوقاف المدرسة ، وكان الطالب الذى يواظب على دروس شيخه ويظهر نجاحه فى التحصيل يتقدم اليه برسالة (اطروحة) من تاليفه يثبت بها مقدرته العلمية ، فاذا اجازها شيخه استحق ان يتصدى للتدريس والفتيا ، وكان بعض هذه الرسائل يختار بين كتب للتدريس ، كما كان للمدرسة مكتبة من اغنى المكتبات المدرسية فى العالم ، ومع ضياع كثير من كتبها لم تزل تحفل بكثير من المخطوطات النادرة فى معارف شتى ٠

وقد خرجت المدرسه طوال تاريخها حتى اليوم كثيرا من العلماء الذين تولوا التدريس او التاليف او الفتيا او القضاء فى جميع بلاد المغرب ، كما انتشر كثير منهم فى غربى افريقية ووسطها وشرقيها، وسائر بلاد المشرق الاسلامى ، ومنهم من اقاموا المدارس والزوايا حيث استقر بهم المقام ، ومن خريجى القروين كثير من الادباء والشعراء والمصلحين والزعماء الذين ثبتوا دعائم الاسلام والعروبة فى شتى بلاد المغرب وفى جنوبها ، رغم ما صب عليها الاستعمار والتبشير من حملات عنيفة ، لقربها من اوربا وتطرفها من بلاد الاسلام والعروبة ٠

وقد امتد اليها الاصلاح مع النهضة الوطنية هناك ، ففى سنة ١٩٣١ قسمت مراحل التعليم فيها ثلاثا ابتدائية وثانوية وعالية ، ثم اضيف اليها معهد للفتيات ، وبعد الاستقلال صار الجامع جامعة ذات كليات ثلاث : الشريعة والآداب والعلوم، وكان جل اصلاحها فى عهد الملك محمد الخامس بفضله هو و بعض نوابغ المغرب الذين اكملوا تعليمهم فى اوربا ، وكانوا يعولون على اصلاحها لاصلاح البلاد ، وهو الذى نادى بتعليم الفتاة كالفتى ، وقال : لا رقى لشعب نصفه اشل ، واسس مدارس البنات وفتح لخريجاتها جامعة القرويين ٠ وفى سنة ١٩٦٠ احتفل بمرور احد عشر قرنا على تاسيسها ، فهى اقدم جامعة اسلامية باقية ، ومن اقدم جامعات العالم ٠

م ٠ خ ٠ ت

القتل مع سبق الاصرار

● في احدى جلسات محكمة الجنايات طرقت سمعي تعابير قانونية مثل سبق الاصرار .. وكان محامي الدفاع يحاول جاهدا نفي سبق الاصرار من موكله .. فهل لكم ان توضحوا لنا معنى هذا التعبير القانوني ، واثره على العقوبة ،خصوصا في قانون الجزاء الكويتي ؟

- / -

تميز القوانين عادة بين جرائم القتل غير العمد وجرائم القتل العمد .

- ففي جرائم القتل العمد لا بد من توفر القصد الجنائي لدى الفاعل .. والقصد الجنائي يكون متوفرا حسب تعريف المادة ٤١ من قانون الجزاء الكويتي رقم ٣١ لسنة ١٩٧٠ ، اذا « ثبت اتجاه ارادة الفاعل الى ارتكاب الفعل المكون للجريمة ، والى احداث النتيجة التي يعاقب عليها في هذه الجريمة » .. ويفهم من هذا ان القصد الجنائي هو ان الفاعل اراد الفعل والنتيجة .. وهذا ما يسمى بالقصد الجنائي البسيط .

اما في حالة سبق الاصرار ، فيكون الجاني قبل ارتكابه الجريمة قد فكر ورتب ما عزم عليه .. وكانت لديه فرصة للاقدام او الاحجام .. فاذا صمم واصر على ارتكاب الجريمة ، اعتبر اشد خطرا من ذلك الذي يرتكبها دون سابق تصميم او ترتيب .

وليس شرطا لوجود سبق الاصرار ان يمضي وقت طويل بين التفكير في الجريمة والاعداد لها ، وبين تنفيذها اذ لا يمكن تحديد الوقت بالأيام او الساعات.. وانما يترك تقدير ذلك كله للمحكمة.. وتستدل المحكمة على وجود عنصر سبق الاصرار مثلا ، من شراء السلاح والتدرب عليه ، او من اعلان الجني قبل القتل تصميمه على قتل فلان من الناس ، او تهديده بالقتل قبل وقوعه .

ويكون القتل حاصلا مع سبق الاصرار ،اذا كان موقوفا على شرط .. او معلقا على حدوث امر ما .. مثال ذلك : ان يصمم زيد على قتل بكر اذا اقدم الثاني على المرور في ارض الاول .. ولا ينفي وجود سبق الاصرار عدم تعيين الشخص المنوى قتله .. كمن يهدد بقتل اى شخص يمر بارضه مثلا .

وقد اوضحت المادة ١٥١ من قانون الجزاء الكويتي عنصر سبق الاصرار بقولها : « ان سبق الاصرار هو التصميم على ارتكاب الفعل قبل تنفيذه بوقت كاف ، يتاح فيه للفاعل التروى في هدوء » .. واعتبر الشارع الكويتي ان سبق الاصرار يكون متوافرا في حالتين :

الاولى اذا علق تنفيذ الجريمة على شرط ، كمن يقول لآخر : اذا مررت من امام بيتي فسأقتلك .

والثانية : اذا أصاب القاتل شخصا غير الذي صمم على قتله .. كما لو صمم على قتل زيد ، فقتل بكرا .

ووجود عنصر سبق الاصرار في جريمة القتل يؤدى الى تشديد العقوبة .. لان المشرع يرى ان الجاني في هذه الحالة يكون اشد خطرا من ذلك الذي يرتكب الجريمة دون سابق تصميم ..

ومعظم قوانين الجزاء تشدد العقوبة اذا توفر ظرف سبق الاصرار .. فبعضها يصل بالعقوبة الى حد الاعدام أما في حالة تخلف عنصر سبق الاصرار فينزل بالعقوبة الى الحبس المؤبد .. وهذا ما اخذ به قانون الجزاء الكويتي ، اذ نصت المادة ١٥٠ منه على انه « يعاقب على القتل العمد بالاعدام اذا اقترن بسبق الاصرار » .

(ع • ى)



« فنان يستحق التقدير لانه نجح فى أن يوضح من خلال الفن بالذات ، ان الحياة اليومية يجب ان تحكمها المعايير الاخلاقية »

جون رسكين

ومأساة زواجه

١٨١٩ - ١٩٠٠

بقلم : حسن فتحى خليل

■ فنان أصيل ، دبج كتاباته فى أسلوب رصين ، يعتبر نموذجا من نماذج الكتابات الادبية البليغة • واهتم بالفن فكتب عنه الكثير ، وكان ناقدا ممتازا ، وان كان قد تحول فى أخريات أيامه الى الكتابات الاجتماعية ، وانشغل بالاصلاح الاجتماعى ، ولكنه مع هذا معروف فى تاريخ الفن بكتاباته العميقة •

John Ruskin

ولم يكن جون رسكين شاعرا ، بل كان مبشرا للفن ، والواعظ او المبشر يحتاج الى اللغة السليمة البليغة الرصينة ليصل بها الى قلوب الجماهير • ومن اقواله المشهورة عن الفن « أن الفن ليس مجرد تزجية لأوقات الفراغ ، ولا يمكننا دراسته اذا ما شغلنا عنه شىء آخر ، وعلينا أن ناخذ دراسة الفن ماخذ الجد والا وجب علينا أن نتخلى عنه • فانت لا يمكنك أن تغنى أو ترسم لتغدو شخصا مهما ، ولكن بالعكس

يجب أن تكون شخصا له أهميته حتى تصبح فنانا يغني أو يرسم ، وحينئذ ستقدم الالحان والألوان باستكمال شخصيتك المرموقة فلن ينبثق اسلوب فني نبيل الا من قلب مخلص حقا » .

نشأة فنية

الا أن حياته مع ذلك لم تكن متوازنة ، فعاني من الاضطرابات النفسية الكثير . فقد كانت امه شديدة التعلق به ، والتأثير عليه ، فحاولت أن تجعل من حياته جنة ، ولكنها مع ذلك حرمت عليه جني ثمارها ، فخلقت له المتاعب والعذاب .

بينما كان والده الثري تاجر الخمور الناجح أكثر من والدته رحابة في تفكيره وطريقة تربيته ، وكان الوالد محبا للرسم، يقتني اللوحات، ويجوب أنحاء البلاد لزيارة متاحف الفن ، وكان يصحب ولده الصغير معه في هذه الجولات ، مما غرس بذور الاهتمام بالفن في قلب الصبي الصغير . وكان يقرأ مع والده روايات القرن الثامن عشر ، وكان والده يشجعه لان يعبر عن افكاره اما كتابة أو رسما ، وكون بذلك ثقافاته الاولى .

ولما كان في الرابعة عشرة منعمره قامت العائلة بجولة واسعة في بعض مدن أوروبا .. وخاصة فيفرنسا ، وسويسرا، وجبال الالب، حيث استهواه الجمال الذي كان ينشده ويعشقه في أعلى قمم الجبال .. وكان يستهويه هذا الجمال الطبيعي طوال حياته ، سواء في قمة الجبل ، او الوادي المنبسط ، وكان يصف ذلك في كتاباته بأساليبه الفنية الرائعة .

وفي عام ١٨٣٦ التحق بجامعة اكسفورد حيث كانت علاقاته بزملائه والناس محدودة ، فقد كانت والدته ذات التأثير القوي عليه تمنعه من الاختلاط بالكثيرين .

بواكير انتاجه

ولكنه كان دائما مشغولا بزيارة المعارض الفنية وبدا بعدها في كتابة أول جزء من كتابه المشهور « الرسامون المعاصرون » ، وحلل اعمالهم وبخاصة ما يتعلق منها بالمناظر الطبيعية في لغة تكاد تكون رسما فنيا بدورها . وظهر كتابه هذا عام ١٨٤٣ وكان قد بلغ من العمر أربعة وعشرين عاما ، ولاقى الكتاب نجاحا كبيرا .

وفي ابريل عام ١٨٤٥ قام بمفرده برحلة الى شمالايطاليا ارتوىفيها منمجالات الجمال واستمتع بتماثيلها الرائعة ورسم هناك بعض الاسكتشات Skeches التي تعتبر من أهم رسوماته ، وانطبعت هذه المناظر الاخاذة في مخيلته دائما ، وشعر بالسعادة لاول مرة في حياته .

وبعد أن استكمل الجزء الثاني من كتابه الذي ظهر عام ١٨٤٦ بدأ يفكر في الزواج .

بداية حياته الزوجية

وبتشجيع منوالديه تقدم لخطوبة « ايفي جراي » ابنة أصدقاء للعائلة وتزوجها في ابريل ١٨٤٨ وكانت حينئذ في العشرين من عمرها بينما كان هو في التاسعة والعشرين ، وكانت فترة خطوبتهما منامتع الفترات اذ كان رسكين يلقبها في خطاباته اليها بمليكته الجميلة ، ويحبه الوحيد ، وكانت سعادته دافقة واخلاصه حقيقيا . وخطاباته هذه اليها تعتبر من القطع الادبية الخالدة .

وفرح والداه بهذهالعلاقة واظهرا عواطف الحب والمودة نحو ابنتهما القادمة .

وبعد الزواج مباشرة كتبت ايفي الى والديها تخبرهما بسعادتها وهناءتها واختتمت احد هذه الخطابات بقولها « انا وجون سعيدان كما يجب ان يسعد المحبان ، وهو شديد المحبة لي والعطف علي » .

كما كان رسكين بدوره سعيدا ، فقد كتب في خطاب الى احدى صديقاته « انني اعيش مع زوجتي الحبيبة في هدوء بين هذه التلال ، وانني أستعيد الثقة بالنفس وهدوئها . ولقد حدثتها عنك وهي ترغب حقا في لقاء كل اصدقائي لتحبهم وتحترمهم مثلي .. » .

وفي نهاية شهر العسل عادا الى منزل والدي رسكين واقاما معهما واستقبلا استقبالا حافلا على بوابة المنزل ، حتى أن ايفي كتبت الى والديها تقول « حينما وصلنا الى باب القصر كان في استقبالنا والد « جون » واغدم جميعا لتحيتنا ،

واستخف والداه الطرب حين رأياه سعيدا ، وقالت لي والدته انها مسرورة لاقامتي معها ، وانها ترجو أن أشعر أني ابنتها فعلا • »

مضايقات في حياته الزوجية

ولكن للأسف الشديد لم تستمر هذه العلاقات السعيدة بين الزوجين طويلا، فقد كان هناك اختلاف كبير في طباع واهتمامات كل منهما ، فهي تصغره، كما أنها تحب المجتمعات المرحة ودنيا الطبقات الاجتماعية العليا ، تهوى الحفلات ، ولقاءات صفوة أفراد هذه الطبقة ، بينما كان هو منكبا على كتاباته ، مهتما بالفن والادب وبأبحاثه ورسوماته ، حتى انه أنهى في خلال هذه الفترة كتبه الثلاثة « الرسامون المعاصرون » ، جواهر البندقية (فينيسيا) ، « سبعة مصابيح في فن العمارة » وبذل مجهودات عقلية وبدنية ضخمة أثرت تأثيرا مباشرا على صحته •

كما أن الحياة المنعزلة التي عاشها في صباه وتأثير والديه الشديد عليه حتى وهو في سن الرجولة كانا من الاسباب الرئيسية في التعاسة التي بدأت تسود حياته الزوجية• اذ بدأ الوالدان وهو وزوجه يعيشان معهما ، يتدخلان في حياتهما الشخصية ، ولعله كان من الافضل لهما أن يقيما في منزل خاص بهما ويعيشا حياتهما معا فحسب •

ولكن لعل من الاسباب الجوهرية في الأزمة التي قامت بينهما هو ظهور الرسام « ميليه » في حياتهما • ولقد أحدث رسكين ضجة كبرى بأبحاثه وكتاباته عن الفن ، كما أكسبه اهتمامات الجماهير الفنية • وكان « جون افريت ميليه » حينئذ من زعماء الحركة الجديدة في الفن ، فتقرب الى رسكين ، وتعرف عليه ، وقامت بينهما صداقة متينة ، لان رسكين أحب ذلك الرسام الشاب اللطيف وأعجب حقا بمواهبه الفنية •

وأحس ميليه بالتعاسة التي تسود حياة ايفي ، فتقرب اليها ودخل حياتها •

وتتضح طبيعة الامور بين الزوجين في خطابين ، أحدهما أرسله رسكين الى والد ايفي بعد مدة من زواجهما ، وفيه يذكر للمرة الاولى أن ايفي مصابة بمرض عصبي، وجاء في خطابه «لا أذكر متى بدأت شكواها ، ولكن أول مرة لاحظتها فيها حين كنا في أكسفورد بعد رحلتنا الى دوفر، ويومها جعلت تبكي بكاء طويلا ، حسبته أنا أنه نتيجة لمتاعب الرحلة المثيرة ، ولكنه كان يرجع الى شيء أعمق من ذلك ، واذا بها بعد أسابيع تظهر فظاظة غير متوقعة نحو والدتي حتى أني لمتها بشدة حين انفردنا • كانت تغار من نفور والدتي وشدة اهتمامها بأموري • وحاولت الا تتكرر هذه المواقف بينهما ، فأخذتها وقمنا برحلات خارج انجلترا ، راجيا أن تستريح لذلك أعصابها المتوترة ، ولكن بالرغم من هذا كله فقد تفاقم مرضها ، ولو أني لا أعرف حتى الان أسباب هذا التوتر العجيب الذي كان يجتاحها يوميا،وسوء معاملتها لوالدتي دائما»•

أما الخطاب الثاني فقد كتبته ايفي الى والدها بعد سنوات من زواجها تقول فيه : « يمكنني أن أخبرك أني أعتقد أني لست زوجة جون رسكين قطعا وأرجوك أن تساعدني في الخلاص من هذا الموقف غير الطبيعي الذي أواجهه معه • لا أعتقد أن هذا المسكين لديه أية فكرة عن المشاعر الانسانية، فهو وان كان موهوبا أديبا أو فنيا ينال ببلاغته وفصاحته احترام الناس ، الا أنه بارد الاحاسيس لا أحتمل وجوده معي » •

يطلق زوجته ، فيتزوجها صديقه

وفي ابريل سنة ١٨٥٤ غادرت ايفي منزل الزوجية وذهبت لتقيم مع والديها • وفي يوليو عام ١٨٥٤ حصلت على حكم ببطلان زواجها بحجة عجز زوجها، وتزوجت ميليه في العام التالي •

وقد كان لهذا الحادث أثره السيء العميق في حياة جون رسكين، وكتب الى أحد أصدقائه يدحض هذه المثالب التي ألصقتها به زوجته وقال فيه : « خلال ستة الشهور الاخيرة لم يكن همها سوى أن تبدي غضبها الشديد مني ومن والدي، وتتهمنا بأننا قد هدمنا سعادتها ، وبحثت عبثا عن طريقة تعيد لها كبرياءها التي اهتزت ، فهداها تفكيرها السقيم الى أن تطلب من المحكمة التفرقة بيننا على أساس عجزي ، وهذا الهراء الذي تدعيه يمكن اثبات عكسه بالكشف الطبي ، ولكني بعد هذا الذي فعلته كيف يمكنني أن أعيدها الى عصمتي ،

وانجب منها أولادا بعدئذ ؟ في امكاني ان اثبت براءتي حالا من هذه التهمة الشنعاء . ولكني لا ارغب في أن أعيد الى منزلي تلك المرأة التي امانتني هذه الاهانة الكبرى » .

ان قصة زواجهما كانت مأساة .. وأس البلاء فيها أن يتعاشر اثنان يختلفان في كل شيء .. ان خطاب رسكين . وما جاء بخطابات ايفي بعد زواجها من ميليه كلها تنبيء انه كان هناك خطأ كبير في حياتهما .. ولعله خطأ الاثنين معا .

وكان لهذا الحادث أسوأ الاثر في حياة جون رسكين ، فاعتزل الناس جميعا وعكف على كتابة الجزءين الثالث والرابع من كتابه « الرسامون المعاصرون » واهتم بانشاء متحف جامعة اكسفورد.

حب آخر ينتهي بكارثة

ومع ذلك نجده في عام ١٨٦٠ وقع في حب فتاة ارلندية صغيرة اسمها روز لاتوش وتقدم يطلب يدها وهي في السابعة عشرة ولكنها طلبت منه أن ينتظر اجابتها حين تصل الى سن الواحدة والعشرين .. وربما لو كتب لهما هذا الزواج لامكنهما ان يمنعا الانهيار العقلي الذي اصابهما معا واظلم حياتهما .

لا أصيبت روز بمس بالجنون وماتت عام ١٨٧٥.

وكانت هذه طامة كبرى اخرى في حياته. اجهدت اعصابه ، وسافر الى جنيف ولم يعد الا بمناسبة وفاة والده الذي ترك له ثروة ضخمة ، ومجموعة كبيرة من اللوحات الفنية ، ولكنه كان قد فقد الصفاء الذهني والقوة البدنية، فانقطع عن الكتابة في الفن ووهب ثروته التي ورثها عن والده لأوجه الاصلاح الاجتماعي والتعليمي .

وبدا يعاني نوبة عقلية حادة ، ظلت تفاجئه مرة بعد اخرى في السنوات التالية ، ولكنه مع ذلك وفي خلال هذه السنوات القاسية تمكن من ان يكتب اجمل كتبه وهو سيرته الشخصية التي اسماها Praeterita حيث اعتمد في كتابتها على يومياته التي كان يسجلها دائما .

ومن يقرأ كتاب رسكين عن حياته يتأكد فعلا انه ليس مجرد رجل أدب وفن فحسب بل هو رجل اخلاق، فلقد تاثر به تولستوي، كما تاثر به غاندي الذي قال عنه انه كان سببا من أسباب تغير حياته .

وفي ٢٠ يناير عام ١٩٠٠ مات جون رسكين بعد ان فقد الراحة النفسية التي كان ينشدها طوال حياته ، وبعد ان فشل في صلتي حب .. وفي زواج بائس !

حسن فتحي خليل

محاضرة في المال

كان ابو الاسود الدؤلي مشتهـرا بالبخل، على علو مكانته في الفقه والحديث والشعر والادب ، ومما يروى انه كانت بين قبيلة الدؤيل (وهي قبيلة ابي الاسود) وقبيلة اخرى فتنة ، فقد قتلت بنو الدؤيل منهم رجلا ، ثم اصطلحوا بعد ذلك على الدية ، فاجتمعوا الى ابي الاسود يسألونه المعاونة على اداء الدية ، والحوا عليه ، فعارضهم ، فقال غلام منهم : « يا ابـا الاسود : انت شيخ العشيرة وسيدها ، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سؤدد» فلما اكثر عليه الغلام اقبل عليه ابو الاسود قائلا : « لقد اكثرت يا ابن اخي فاسمع مني ، ان الرجل لا يعطي ماله الا لاحدى ثلاث خلال : اما رجل اعطى ماله رجـاء مكافأة ممن يعطيه ، او رجل خاف على نفسه فوقاها بماله ، او رجل اراد وجـه الله وما عنده في الآخرة ، او رجل أحمق خدع عن ماله . والله ما انتم احد هـذه الطبقات وما جئتم في شيء من هذا ولا عمك العاجز ينخدع لهؤلاء وما افدتك اياه في عقلك خير لك من مال ابي الاسود لو وصل الى بني الدؤيل قوموا اذ شئتم » فقاموا يبادرون الباب .





طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الحمى .. وأثرها على حاسة السمع

● انا شابة فى مقتبل العمر ، اصبت منذ عدة سنوات بحمى شديدة، وبعد شفائى منها ، لاحظت ان سمعى اصبح ضعيفا بشكل ملحوظ .. مما سبب لى ضيقا شديدا حتى اننى اصبحت عزوفة عن الاختلاط بالناس، واميل للعزلة والانفراد بنفسى والتفكير بحالتى اليائسة ، خصوصا بعد ان اخبرنى الطبيب الاخصائى ان حالتى نتجت عن اصابة عصب السمع .. وان ذلك لا علاج له سوى استعمال سماعة طبية ... ولكنى لا ارغب فى استعمال السماعة لانها قد تشوه منظرى .. فهل من علاج اخر ؟

ـ من المعروف طبيا ان من مضاعفات بعض الحميات ـ مثل التيفوئيد ، والحمى المخية الشوكية ، والتهاب الغدة النكفية والحصبة وغيرها ـ حدوث اصابة للعصب السمعى ، ينتج عنها ضعف بالسمع قد يكون تاما أو جزئيا .

وعصب السمع هو واحد من اثنى عشر عصبا متصلة مباشرة بمراكز المخ المتخصصة ، وهذه المجموعة من الاعصاب



ليس لها القدرة على تجديد نفسها ، بمعنى انها اذا اصيبت بالضمور لاى سبب ، فان ذلك يكون نهائيا ، ولا ينتظر شفاؤه .. وما دام ما حدث قد حدث ، كما انه لم يكن هناك من سبيل الى منعه ، او التنبؤ به ، فلنواجه الامر بشجاعة ، ولا نلجأ الى اليأس والعزوف عن الناس خصوصا وان بين ايدينا الوسيلة التى تساعدنا على التغلب على المشكلة ، والعودة الى الحياة الطبيعية والتمتع بما فيها من مباهج . وهذه الوسيلة هى استعمال السماعة الطبية .. وهذه السماعة لا تشوه منظر من يستعملها كما تتصورين .. وذلك بفضل التقدم فى صناعة هذه السماعات .. اذ تتوفر الآن فى احجام صغيرة للغاية ، توضع خلف الاذن بحيث لا تظهر للغير ، كما انها تتوفر فى شكل اطار نظارة أنيق ، لا تشوه المنظر بالمرة ، بل على العكس تضفى مزيدا من الاناقة على لابسها .

حساسية الأنــف

● اعاني من حساسية في انفي،وقد راجعت عدة اطباء ٠٠ ولكن دون جدوى ٠٠ فهل من مضاعفات لهذه الحالة ٠٠ وكيف التخلص منها ؟

ـ مرض الحساسية عموما اصبح ينتشر هذه الأيام ، وهو يعتبر احد امراض المدنية وما يصاحبها من قلق نفسي وتوتر عصبي علاوة على المؤثرات الخارجية ٠

واسباب الحساسية كثيرة جدا ، علاوة على ما تسببه من قلق وتوتر ، وهي :

١ ـ اسباب في الجو المحيط بنا ، وما يكون به من ذرات معلقة يحملها الهواء من الأشجار والأزهار والحيوانات والأتربة ٠

٢ ـ اسباب في محيط المريض مثل بعض الحيوانات الأليفة التي تربى في المنازل كالقطط والدجاج وخلافه او بعض الاشياء المستعملة في اثاث المنزل كالقطن والصوف ٠

٣ ـ انواع الروائح المختلفة التي يتعرض لها الانسان ٠

٤ ـ انواع الطعام المختلفة التي قد تسبب الحساسية ٠

٥ ـ بعض الأمراض التي يتعرض لها الانسان ٠

ومن الممكن تشخيص حالة الحساسية نفسها ، ولكن من الصعب جدا تحديد السبب المؤثر الذي تنتج عنه هذه الحساسية ٠

اما عن المضاعفات ٠٠ فليست للحساسية اية مضاعفات ٠٠

ونصيحتي في هذه الحالة هي :

١ ـ استشارة طبيب اخصائي في الانف والاذن والحنجرة كي يجرى الفحص اللازم ويتأكد من عدم وجود مرض موضعي كالتهاب الجيوب الأنفية مثلا الذي يؤدي الى تفاقم حالة الحساسية ٠

٢ ـ العرض على اخصائي في الحساسية لعمل الاختبارات اللازمة في محاولة للوصول الى المسبب لهذه الحساسية ٠

٣ ـ استعمال الادوية الخاصة عند ظهور حالة الحساسية والتي تساعد على انهائها والتقليل من متاعبها ٠٠

آلام الصــدر

● اعاني من آلام في صدري وعرضت نفسي على الطبيب المعالج فقال : ان ما اعاني منه هو التهاب في الغشاء المبطن للرئة او ما يسمى بالالتهاب البللوري ٠ ٠ ٠ ٠ فما اسباب هذا الالتهاب ٠٠ ووسائل علاجه؟

ـ التهاب الغشاء البللوري ثلاثة انواع:

١ ـ التهاب ناشف

٢ ـ التهاب مع انسكاب مائي ٠

٣ ـ التهاب مع انسكاب صديدي ٠

وكل نوع من هذه الانواع له اسباب متعددة سواء كانت هذه الاسباب خارج الغشاء البللوري اى في الرئة او القفص الصدري او في الغشاء البللوري نفسه ٠

واهم انواع هذه الالتهابات هي الالتهاب البللوري مع انسكاب مائي، والتي هي احد اعراض مرض التدرن ٠

وهذا النوع يحدث عادة في اول اطوار المرض واعراضه باختصار هي :

١ ـ ارتفاع بسيط في درجة الحرارة ٠

٢ ـ الم في الجانب الذي فيه الالتهاب ٠

٣ ـ سعال ناشف ٠

٤ ـ اعراض عامة كفقدان الشهية وهبوط في الوزن وقلة الجهد ٠

وعلاج هذا النوع متيسر وسهل وبسيط بواسطة الاخصائي ، وهو نفس علاج التدرن ٠

والنصيحة للقارىء هو ضرورة عرض نفسه على اخصائي امراض صدرية لتشخيص الحالة ومعرفة سبب الالتهاب البللوري ووصف العلاج المناسب لمرضه وتتبع حالته ٠

السـمنة

● اعانى من سمنة مفرطة ··لجأت معها الى طرق عدة لعلاجها ··
ولكن محاولاتى ذهبت ادراج الرياح··فهل من نصيحة او علاج ؟

ـ اسباب السمنة عادة تكون اختلالا فى افرازات بعض الغدد الصماء ·

وهذا الاختلال اذا وجد يكون علاجه علاجا للسمنة ··

واذا لم يوجد خلل واضح يمكن تشخيصه بواسطة الطبيب المختص بالغدد الصماء ، يكون العلاج عن طريق اتباع نظام خاص فى الطعام تقلل فيه الدهون والنشويات والسكريات وتكثر فيه اللحوم والخضروات

ولا يوجد علاج آخر غير ضار ، الا اتباع نظام خاص فى الاكل لان معنى تراكم الشحم فى الجسم هو ان الاكل وما ينتج عنه من وحدات حرارية يزيد عن متطلبات الجسم وبذلك تخزن هذه الطاقة على شكل شحم ، وبذلك تنتج السمنة ··

اما النظام المعقول ، او الريجيم الذى يوصف بواسطة الطبيب المختص ، فلا يمكن ان ينتج عنه اى ضرر او مضاعفات ·

وأما الأدوية والحبوب التى تستخدم فى علاج السمنة فجميعها دون استثناء لها مضاعفات ضارة ، ويجب الامتناع عنها··

ولكن هذه الحبوب قد تستعمل في الفترة الاولى من العلاج اذا كان الوزن زائدا زيادة كبيرة · ثم توقف ، ويستمر السير على النظام الخاص فى الأكل ·

ونصيحتى الى القارىء هو الابتعاد عن تعاطى اية حبوب من هذا النوع الا اذا كان تحت اشراف طبى ، والأفضل والأصح هو اتباع نظام خاص فى الاكل « رجيم » مع استعمال بعض حبوب الفيتامينات لسد اى نقص قد يحدث نتيجة لاتباع هذا النظام فى الأكل ·

كما ان الرياضة البدنية الخفيفة المعقولة مفيدة جدا للمساعدة فى خفض الوزن على الا يصحبها زيادة فى كمية الاكل المتبعة ·

العقاقير المنبهة
تضر بالجهاز العصبى

● قيل لى بان العقار المسمى ريتالين Ritalin يجعلنى اكثر قدرة على استيعاب المعلومات··والتحصيل··فهل هذا صحيح ؟

ـ لايوجد دواء يجعل الطالب اكثر فهما واستيعابا للمعلومات ، ويزيد القدرة على التحصيل ·

وكل الادوية التى يشاع عنها هذا المفعول انما مفعولها هذا وقتى ، ولكن ينتج عن استعمالها اضرار خطيرة بالانسان وبجهازه العصبى مما قد يؤدى الى اسوأ العواقب ··

واذكر على سبيل المثال لا الحصر المضاعفات التى نتجت عن استعمال حبوب الريتالين وهى :

ـ صداع شديد وارق واضطراب فى الأعصاب ·· وعدم انتظام فى ضربات القلب ·· تزداد كلما زادت مدة استعمال هذا العقار ·

ونصيحتى ان يختار الطالب الاتجاه الدراسى المناسب لميوله واستعداده · وتنظيم اوقات الدراسة والفراغ منذ بدء السنة الدراسية مع ترتيب طريقة الدراسة · كذلك بذل الجهد فى المذاكرة ، ثم يدخل الامتحان وهو مقتنع بأنه بذل الجهد الكافى حتى يتجنب اللجوء الى مثل هذه العقاقير الضارة ·

كذلك ان يكون معلوما ان كل انسان له قدرة خاصة على المذاكرة والاستيعاب فهى شىء طبيعى ومن المؤكد اختلاف قدرات كل شخص عن الآخر ·



أحمد شوقي



بيش شيللي

شعراء القمر

في المشرق والمغرب

بين عشاق الطبيعة وعشاق المرأة

بقلم : حسن فتح الباب

■ قمر الشعراء في جزر الشمس المشرقة غير قمر العشاق الذي نعرفه في ديوان الشعر العربي وعند كثير من شعراء الغرب في القديم والحديث • فالعرب والاوربيون يستلهمون ربات قصيدهم من خلال معاني الصفاء والاشراق والسلام والجمال التي تضفيها غلالة القمر الموشاة الرقيقة على ليالي الحب ، وما اكثر ماعقدوا من مقارنة بين الحبيبة والقمر ، وتغنوا بذكرياتهم العذاب الحارة في ضوئه • فهو في اللوحة الشعرية بمثابة « الخلفية » او هو الوتر الساحر الذي يوقع عليه الشاعر معزوفته لمن اختارها قلبه • وهو طيف الملهمة السابح في الفلك ، فاذا مارنا اليه بالعين الشاعر العاشق فانما يرنو بالقلب الى المحبوب الغائب ، واذا خاطبه مغنيا فانما يخاطب فيه من يهوى • يقول شوقي على قيثارة مجنون ليلى اذ يناجيها :

لست كالغيد لا ، ولا
قمر البيد كالقمر

ويترك لنا علي محمود طه قصيدة طريفة انيقة بعنوان « القمر العاشق » ، ولكن القمر فيها اداة مسخرة لخدمة مولاة الشاعر ورداء يكشف عن حسنها تعرى من مفاتنها في شرفة الصيف وتخللته خيوط الضوء • بل ان لنازك الملائكة ديوانا كاملا باسم « عاشقة القمر » •

ويقول صالح جودت في « ليلة الهرم » :

ليلة كابتسامة القدر
كنت فيها أحلى من القمر

فاذا اغرانا عطر القديم فرجعنا الى الاندلس وجدنا انه لايكاد شاعر يصف جمال محبوبته الا ويذكر صنوها القمر مما يرجع الى تاثر شعراء العرب لسحر الطبيعة في اسبانيا الاموية ، فردوس العرب المفقود ، فيقول ابن زيدون (١) :

ياقمرا مطلعه المغرب
قد ضاق بي في حبك المذهب

ويقول :

يا أخا البدر سناء وسنى
حفظ الله زمانا اطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم
بت اشكو قمر الليل معك

وها هو ذا ابن زريق البغدادى الشاعر العراقى يرحل الى الاندلس حيث يستوحي من غربته فيها قصيدة من عيون شعرنا العربى ، يبث فيها حبيبته التى تشبه القمر حنينه الطاغى :

استودع الله فى بغداد لى قمرا
« بالكرخ » من فلك الازرار مطلعه

أما شعراء القمر فى اليابان فهم من عشاق الطبيعة لا عشاق المرأة ، ومن لم كان شعرهم فى القمر من وحيه لا من وحيها ، غير غالبيه ولا غالبيها ، فكلاهما احق بالفن وحده ، ولا باس ان يلتقيا او يتجاورا بعد ذلك ـ معا فى اطار وحد• ومن الحق ان شعراء الطبيعة فى مختلف الاداب قد تغنوا للقمر مثل اليابانيين ، ولا تثريب عليهم ان طافت ذكريات الحب او الطفولة فى قصائدهم طالما كان بطلها القمر • ثم اننا لانستطيع ان نفصل فى الاحداث ما بين منبع الجمال على الارض ومجلاه فى السماء ، وان نفرق بينهما فى ميزان الحب العادل والشوق المقسوم • ولكن الذى لامفر من التفريق فيه هو مدى نصيب القصيدة من النزعة العالمية التى تخلص فى قدرتها على الراء الوجدان الانسانى على مدى العصور • وهذه قصيدة شاعر الطبيعة الانجليزى العظيم برسى بيش شللى (الى القمر) (٢) :

تراكباهت الجبين من عناء
لفرط ماتصعد فى أجواز هذا الفضاء
وتمعن التحديق فوق الثرى

مهوما وسادرا بلا رفيق
بين النجوم التى تفردت بمولدها
وانت دائب التحول
كانك حين لم تقر اذ لم تجد شيئا واحدا
يستحق ان تستقر عنده نظرتها

الا ترى الى تلك الابيات كيف تزداد بمرور الايام اصالة ونضارة •• شبيهة بذلك النقش الفرعونى الذى قال فيه شوقى :

رب نقش كانما نفض الصا
نع منه اليدين بالامس نفضا

لقد قراتها اول مرة فى الربيع الثامن عشر من العمر ، وهانذا اواجه اعصار الخريف وما زال عطرها الفواح يضوع فى قلبى ولا يكشف لى السر كله • انها روح شيللى التى كتبت ، وهذا هوفيصل التفرقة بين هذا الشاعر وبين آخر مثل ابن المعتز فى بيته المشهور فى وصف الهلال :

انظر اليه كزورق من فضة
قد اثقلته حمولة من عنبر

فهو اشبه بغانية تعرض فى ملهى ليلى : اصباغ بلا روح • واذا كان قد بقى فى بطون المصنفات وما زالت تعيه الذاكرة فذلك لكثرة ما تداوله الشراح للدلالة ـ عن قصد او غير قصد ـ على الاعيب النظامين ومهاراتهم اليدوية ، اقصد العقلية ، فقد تشابه علينا الامر ، وعذرنا انه ما هكذا شان الشعر • ولقد يصلح سوق هذا البيت كنموذج لاصطناع التلوين او استخدام الطباق ، لكنه يفسد الذوق الناشئة اذا سبق بوصفه مثالا للجمال الفنى فى الشعر •

ان القمر فى قصيدة شيللى وفى الشعر اليابانى

---

(١) هو الشاعر الكاتب القرطبى الاندلسى أبوالوليد احمد بن عبد الله الشهير بابن زيدون وزير ال جهور وآل عباد من ملوك الطوائف وصاحب الرسالتين الشهيرتين الجدية والهزلية المنسوبتين اليه ، توفى سنة ٤٦٣ هـ بأشبيليه •وقد اشتهر بتغزله بولادة الاميرة الاديبة بنت المستكفى الاموى التى الهمته رائعة شعره التى مطلعها :

أضحى التنائى بديلا من تلاقينا — وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وهى من عيون الشعر العربى فى الاندلس ،وقد صاغ شوقى على منوالها نونيته المشهورة بمناسبة غربته فى موطن ابن زيدون اثناء الحرب العالمية الاولى ، مما كان يطلق عليه معارضات الشعراء • ويحتفل المغرب هذا العام بذكرى مرور الف سنة على ميلاد ابن زيدون ، فيقيم مهرجانا له فى مدينة الرباط العاصمة •

(٢) النص من كتاب « الكنز الذهبى » وهومختارات من الشعر الانجليزى فى مختلف العصور لمصنفه ف • ت • ب ، طبعة جامعة اكسفورد ،والترجمة لكاتب المقال •

روح تخفق لانه ابن الطبيعة الحية ، وهو نفس تحاور الشاعر ويحاورها اذ يحس فيها رجع خلجاته الشعورية وومضاته الفكرية • وهو عالم بذاته يعادل عالم الشاعر الباطن وهو يسرى ويتجول •• ويقف ويتحول •• ويصعد ويهبط • واذا كانت ابيات الشاعر الانجليزى العظيم تحمل شجنه الرومانسي ولا تعكس جمال القمر ، فان قصائد اليابانيين كلها تصور هذا الجمال تصويرا بالغ الروعة والبهاء • فالقمر هو الملك الجميل يشق طريقه ليبلغ الذروة لم يتربع عليها متخذا عرشه بين اغصان اجمل شجرة متالقا مفردا كما يقول « رانكو » (٣) لايعبأ بسقوط الامطار :

امطار ايار مستمرة الهطول
لكن القمر تسلل
خلف احدى الليالى
واستوى على صنوبرة

وبدأ القمر بلا شريك في جماله وجلاله • ولكنه جواد مضياف •• دارته تحتضن الكون جميعا حين يهجع الاحياء ويلتمسون بين يديه الراحة من تباريح النهار في الصيف • فيمد اليهم ضياء ليتلقاهم فى احضانه النورانية •

والشاعر « كيوراى » احب اضياف القمر اليه :

على صخرة الجبل
معى شاعر آخر
ضيف زميل
قمر الصيف

ترى أكان الشاعر « باشو » هو زميل كيوراى الذى جالسه على الصخرة فى ضيافة القمر ؟ انه مثله من عشاق قمر الصيف والبحر :

الشلالات الصغيرة
الصافيـــة
تغسل فى الامواج
قمر الصيف

وهو مثله من عشاق الجبال المضاءة بالقمر :

الغيمة السوداء انشقت
وتناثرت فى الليل ••
انظر الآن الى الجبال
المضاءة بالقمر

اما ثالثهما فهو « شيراو » عابد الجمال فى محراب قمر الصيف وعاشق الجدول الذى يسبح فيه القمر :

فى الصيف تحت ضوء القمر
الجدول اللألاء
ينحـــدر
فى دروب ضيعتنا

والطبيعة تعلم بنيها المخلصين جهرا وسرا ، فاذا جاء الربيع

تبرجت بعد حياء وخفـــر
تبرج الانثى تصدت للذكر (٤)

والبلبل من اخلص ابناء الطبيعة وهو يعشق مثل امه الضياء • فلا عجبا ان يتالق فى اغنيته كلما استدار الهلال • والقمر يعشق الحب ، فلا غرو ان يزيد فى تالقه كلما التام شمل اهل الهوى • يقول « سامبو » :

القمر يأتلق للحب
التصقى بى
دثرى
بردى الثائر !

وحينما يتالق القمر للحب لايحنو بنوره على العاشقين وحدهم ، ولكنه يحتضن احباب الارض جميعا لايفرق بين احد منهم ، فكلهم ابناؤه • يقول « اتسوجين » :

ايها القمر المتالق للحب !
اصغ للفلاح
تحت ذاك الصنوبر
يدرس رزه الحبيب

وربما يطل من عليائه في وجوم ويرسل ضوءه باردا شجيا اذا راعى قلبا مثل « تايجى » وحيدا على الارض غارقا فى بحر السكون السرمدى الا من وقع خطاه :

تحت ضياء القمر البارد
الجسر العتيق

---

(٣) النصوص الشعرية اليابانية التىاخترناهامن ترجمة الاستاذ عدنان بغجاتى فى كتابه « رؤية شرقية » •

(٤) هذا البيت لبشار بن برد وان كان ينسبخطأ لابن الرومى بسبب تضمينه له فى شعره وكان شديد الاعجاب ببشار •

وأنا أعبره
يردد صدى خطاى ..

والقمر غض الاهاب في عيني الشاعر «ايسا» بيد انه ولد يوم ولدت امــه الأرض قديما منذ ملايين السنين ، وعلمته الكتاب وآتته الحكمة ، كما ورثته الشحوب في ضوئه ، والشموخ في جبهته ، وسخرية الامومة الوادعة من عبث الاطفال بالجمال الحالم في احضانها والعبير الذائع من مصدرها :

فوق الجبل
يأتلق البدر الشاحب
ويسخر الآن
من سارق الأزهار

ويطوف القمر مع الفصول فتخلب الوانه واشكاله الباب الشعراء اليابانيين ، وتفجر ينابيع الهامهم نظراته وائتلاقاته وخطواته بين السحائب والغمائم. وياخذوننا معهم فيعالم الرؤيلا حد لابداعه وثرائه، فاذا بقلوبنا ترق ونفوسنا وارواحنا تمتزجبالوجود وتكاد ان تطلع على بعض اسراره الخفية . وتتلاشى اصواتنا الارضية ، ونشعر كان لنا اجنحة تسبح بنا فى رؤى نورانية من رفيف اشعة القمر . الا يثير لول « تايتوكو » كل هذه الخوطر ؟ :

ماأكثر الليالي المهيبة
التي نقف فيها
مأخوذين بالقمر الاشقر
ونتخلص من الظهيرة بالنوم

نعم .. ان ساعات القيلولة لاتستحق عناء يقظتنا .. انها ليست من الزمن الجميل الجدير بنا .. فلنطوها على عجل .. ولننتظر .. فلسوف يطلع القمر علينا من ثنيات السحب الليلية . وحينما تهل طلعته فلنبتسم فى وجهه ، ولتتلامح عيوننا ، فكم هو بهى وجميل .. وليغنه شاعرنا « اونيتسورا » ان استطاع الى تصويره سبيلا :

انظر واتعجب
أى شاعر يقدر
أن ينحى ريشته
يأله من قمر بديع

ولكن سقوط الاوراق فى موسم الخريف يثقل قلب « ايسا » ويشجيه ، فينقل وجومه وسامه الى الاعالى .. هناك فوق وجنة القمر ، فيراه قمرا باهتا بلا قلب :

قمر اصفر فى الخريف
دونما تأثر
تقف نواطير الحقول
باديا عليها الضجر

اما « بوسون » فيرى الخريف مزهرا متلالئا .. « بوسون » لايشكو ، لانه يرى الوجود جميلا ، وكل همسة اغنية .. كل ورقة عشب .. كل حشرة :

قمر لامع فى الخريف
وفى ظل
كل ورقة عشب
همهمة حشرة

ويأتى صوت آخر يختلف عن سائر الاصوات التى استمعنا اليها وسحرتنا باغانيها فى القمر.. صوت لايشدو لصاحب الجلالة وانما يريد أن ينزله من عليائه ويجعله بين أيدى اليابانيين على الارض ، اداة تسرهم وتروح عنهم ... ولا يصنع هذا بالقمر وحده ، وانما بالغصن أيضا .. انه « سوكان » اسمع اليه يقول :

خذ دائرة البدر
واجعل هذا الغصن
مقبضـــا
ماأحلاها مروحة !

ولا تكتمل هذه الباقة الموفقة اليانعة من زهور الشعر اليابانى اذا لم تضم اليها وردة «باشو» ، فتضع بها اللمسة الاخيرة فى رسم لوحة القمر التى ابدعتها ريشة شعراء كبار فى فنهم وفكرهم قريبين الى انفسنا وان كانت اصواتهم تجىء من جزر آسيوية بعيدة :

القمر رائع
أخيرا جاءت ، والحمد لله ،
الغيوم السوداء
كى تريح أعناقنا

ماأرق وما أبهى .. لقد تعبت اعناقنا من طول ما اشرأبت الى القمر فى أعاليه . وها هى ذى الغيوم تأتى فتحجب جبينه الوضاء لحظات نسترد فيها انفاسنا اللاهثة من فرط ما سكبناه لهفة ونشوة لسحره حتى اذا ما عاد بعد انقشاع السحب عن قريب عدنا الى متابعة موكبه الجميل بانفاس تتجدد لتردد وتعبد الحسن فى مليكه . ■■

القاهرة ـ حسن فتح الباب



الافريقي المسلم الذى حكم مصر سنوات طويلة

كافور الإخشيدى

هل كان بطلاً .. أم ظلمه لسان "المتنبى"؟

بقلم : عبد الوهاب احمد الافندى

■ كثيرا ما طرق ذهني التساؤل - وانا اقلب امر كافور والمتنبي - اى الرجلين ياترى كان اعظم؟ اذلك الاعرابي الذى اصبح الدهر من رواة قصائده، ام ذلك العبد الذى اصبحت تجيء اليه الخيل واصبحت ...

تهب الدولات راحته
ولا يمن على آثار موهوب

كما قال المتنبي ؟

كلاهما لم يكن مستهانا بقدره ، ولكن عصرهما كان عصرا يمجد الشعراء ويعطيهم مناهم ، ولم يكن اطلاقا يمجد غير العرب حتى ولو كانوا ملوكا وعظماء في بلادهم ، فقد كان في الناس انذاك ما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم «جاهلية» حين قال لابي ذر : (وسب بلالا معيرا اياه بامه : انك امرؤ فيك جاهلية .

حتى انه كان يكفي المرء شتما بيتان من الشعر يصفانه بانه غير عربي الاصل ، حتى يسقط ويخمل ذكره الى الابد ..

وكان كافور عبدا اسود لبعض اهل مصر اشتراه منه الاخشيد .

وروى صاحب الوفيات ان شراءه تم بثمانية عشر دينارا ، وكان ذلك في سنة ٣٢١ هجرية . فلم يلبث طويلا لدى الاخشيد حتى اصبح من رجاله المقربين وكبار مستشاريه ، فعين « اتابكا » لولده ابي القاسم انوجور ولي العهد ، فاستقل بتصريف الامور بعد وفاة الاخشيد ، وان لم يعلن ذلك رسميا ، وانما ابقى انوجور في منصبه الاسمي .

وبعد وفاة ابي القاسم انوجور عام ٣٤٩ هـ ، عين كافور علي بن الاخشيد مكانه ، وكان صغيرا قاصرا ، فاستمر في تصريف الامور بنفسه . ثم توفي علي بن الاخشيد سنة ٣٥٥ ، وطارت الشاعات بان كافور سممه ، بعد ان شعر هو باستقلال كافور بالامر دونه ، فاراد ان يتامر عليه مع بعض القواد .



ابو المسك كافور

واستقل كافور بالامر رسميا بعد وفاة علي ابن الاخشيد ، واظهر خِلعا وردته من بغداد ، وركب بها ، ويقال ان الخليفة كاتبه من بغداد ، واقره ، وبعث اليه بلقب وهدايا ، فرفض اللقب، واحتفظ باسمه وكنيته (ابو المسك كافور) ٠

ولم تطل فترة استقلاله اذ انه توفي سنة ٣٥٦ هـ ٠

ولكنه لم يمت حتى كان قد مد سيطرته الفعلية على الشام ومصر ، واصبح يدعى له على المنابر في الحجاز وفي مكة نفسها ٠

ولم تكن فترة حكمه فترة هادئة ، ولكنها كانت صراعا مريرا مع منافسيه على سلطان مصر من خارجها أمثال سيف الدولة ، ومن الداخل امثال فاتك الاسدى وبعض قواده ، ولكنه خرج من كل تلك المعارك منتصرا نصرا مؤزرا ، مسجلا بذلك مقدرة عسكرية وحنكة سياسية بارعة ، ودهاء منقطع النظير ، وما ظنك بمن يهزم سيف الدولة ويقضي - وهو فرد مستضعف - على كل خصومه الداخليين وليس له منعتهم وسلطاتهم والقبول الذى يجدونه عند المجتمع ولا يجده هو بأصله ؟

فكيف خلق التوازن بين موقعه الرفيع واصله الذى كان يعتبر غير رفيع ؟

رأى المتنبى فى كافور

كان فى كافور عدة صفات نادرة ٠

فقد كان ذكيا ، داهية لا يشق له غبار ٠

قال المتنبي ، كنت كلما دخلت على كافور يهش فى وجهي ويضحك لى حتى انشدته :

« فلما صار ود الناس خبا
جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فى من اصطفيه
لعلمى أنه بعض الانام »

فلم يضحك لى بعدها حتى افترقنا ، فعجبت من فطنته ٠

وكان احد قواده بالشام يحدد مركزه بنزعته الاستقلالية ، فمات فجاة ، وكان كافور قد دس له من سمّمه فتخلص منه ٠ وفى ذلك يقول المتنبي:

« لو الفلكُ الدوار ابغضتَ سعيه
لعوّقه شيء عن الدوران »

وكانت له طريقة ذكية فى التعامل مع خصومه، تتجلى فى ميله الى الدهاء والسرية فى تصرفاته، فلم يصمد له خصم ٠ وقد وضح دهاؤه ايضا فى الطريقة التى استقل بها بالحكم عن ولدى الاخشيد مع تمسكهما الاسمى بالخلافة ٠

وكان مع ذلك متواضعا شديد التواضع٠سقطت منه عصاه مرة وهو راكب ، ومعه رجل يتصل نسبه بالامام علي - رضي الله عنه - فناوله اياها ، فحزن لذلك حزنا شديدا ، واحتج عليه ، ولما رجع الرجل الى منزله وجد كل الدواب التى

كانت في ذلك الموكب امام بيته ولجم بعضها من الذهب وسروجها ، هدية له واعتذارا .

وقال مرة لعبدالله بن جابار المتصدق : « ومن كافور العبد الاسود ؟ » .

كرمه وحذقه

ولكنه مع ذلك كان يعرف قدر نفسه . دخل عليه مرة غلام فسأل : « ما اسمه ؟ » فقيل له : « كافور » . فقال : «ليس كل من اسمه محمد نبياء وكان كريما جدا . قال محمد وكيله : وليت الجرايات للأستاذ ، وقد بلغت ثماني عشرة جراية كل يوم ، ومات وقد بلغت ثلاثة عشر الف جراية في اليوم .

وكان يوزع على جميع المحتاجين في القاهرة ليلة عيد الاضحية ما يكفيهم مئونة العيد ، وكان ينشغل بذلك الانشغال كله ، وقد عرف المتنبي ذلك حين انتهز فرصة ذلك الانشغال ، وهرب من كافور في تلك الليلة .

وقد كان المتنبي اتاه لانه سمع انه اعطى رجلا مدحه الف دينار في قصيدة .

وقد كان يحسن وزن الرجال ، ولهذا رفض ان يولي المتنبي « صيدا » كطلبه ، وقال : هذا حاله وهو لم يتول ، فاذا وليناه « صيداء » فمن يطيقه ؟ » .

وقد كان المتنبي تياها متكبرا كما هو معروف عنه ، ولعله كان يريد ان يتخذ من ولاية صيداء نواة يسعى منها للسيطرة على كل العالم الاسلامي . وقد قال له احد النقاد مرة : « ان قولك لكافور :

وفؤادى من الملوك وان
كان لسانى يرى من الشعراء

مقالة منافس وليس مقالة مادح » .

استاذ التصوف

وكان كافور تقيا ورعا مشهورا بالتدين ، وظهر ذلك جليا في حبه لكل من يمت للرسول صلى الله عليه وسلم بنسب .

وقال عنه عبدالله بن جابار : لقد علمنا الاستاذ التصوف .

وقصة ذلك ان كافورا كما روى صاحب نفقاته ابو بكر المحلي كان يبعثه في كل عيد ومعه قائمة باسماء فقراء القاهرة ، وشرطي ودليل يعرف البيوت ، فيقتادون دابة محملة بالذهب والفضة ، فياتون كل بيت من البيوت المحددة في القائمة ، فيقولون لصاحبه : « ابو المسك كافور يهنئك بالعيد ، ويقول لك : استعن بهذا على نفقة عيدك » .

وفي ذلك العيد وجد ابو بكر في القائمة اسما جديدا هو اسم عبدالله بن جابار ـ وكان قد جاء القاهرة حديثا ـ فلما اتوه خرج اليهم رجل عليه اثر السهر ، فقال له ابو بكر : « ابو المسك كافور يهنئك بالعيد » . فقال له : « الله يعلم انني ادعو له وللمسلمين بما الله سامعه ومجيبه» فقال ابو بكر « وهو يقول لك استعن بهذا على نفقة عيدك » ، ودفع اليه مائة دينار . فرفضها ابن جابار قائلا : « لا تخلط محبتنا له بشيء من الدنيا ، انما هي لله » . فاراد ابو بكر ان يراجعه ولكنه راى على وجهه التلهف والانزعاج ، فكره ان يشغله عن عبادته وعاد .

فلما جاء كافور ساله عما فعل ، فقال له : « استجاب الله لكل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة » . فقال كافور : « الحمد لله الذى جعلني سببا لايصال الراحة الى عباده » . فقص عليه ابو بكر هنا قصة ابن جابار فقال كافور : « ليس عبدالله من اهل الدنيا ، ولم يسبق له منا شيء . ولكن ارجع اليه ، واطرق الباب ، فاذا نزل فسيقول لك : « الم تكن عندنا » فلا ترد عليه ، ولكن استفتح سورة طه فاقرا : « طه ما انزلنا عليك القران لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى . الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » . ثم قل له : يقول لك كافور : من انا ومن كافور العبد الاسود ؟ ومن الخلق جميعا ؟

وهل بقى لاحد مع ملك الله شيء ؟ فانظر من اعطاك وعلى من رددت ؟ انت ما سالت وانما هو اعطاك » .

ويواصل ابو بكر الحكاية فيقول : وطرقت الباب فاتاني ، فقال لي مثل ما توقع كافور . فلم ارد عليه حتى قرات الابيات ، وبلغته الرسالة . فبكى ثم قال لى : « اين ما عندك » ، فدفعت اليه المال . فقال : « لقد علمنا الاستاذ التصوف » . فعدت الى كافور فاخبرته ، فسجد شكرا لله ، وقال : « الحمد لله الذى جعلني سببا الى وصول الراحة لعباده ... ثم ركب » .

وكان كافور قد اخر ركوبه للصلاة حتى يعرف ما فعل ابن جابار . ونلاحظ ان مهمة ابى بكر التى كانت تبدا بعد صلاة العشاء قد استغرقت الليل بطوله ، مما يدل على كثرة من كان ينفق عليهم كافور ليلة العيد .

قائد عظيم

لم ارد بهذا الحديث ان اؤرخ له او ان احلل جوانب شخصيته . ولكنني اردت ان يبدا الناس السير فى الطريق نحو انصاف هذا القائد العظيم الذى كان مؤهلا للحكم ، وقادرا على ان يبقى فى الحكم ، وقلما اجتمعا لرجل . وان بعض صفاته، بله كلها ، تؤهله لان يقف فى مصاف عظماء القادة المسلمين بل يفوقهم ، فهو فاق المنصور مثلا ، والرشيد فى مقدرته العبقرية للتعامل مع كبار رجال الدين امثال ابن جابار ، بينما عجز المنصور ــ وهو من هو ــ عن اقناع ابى حنيفة بتولي القضاء له ، حتى استعمل السياط فلم تغنه .

لماذا لم ينصفه التاريخ ؟

فلماذا لم ينصفه التاريخ ؟

كان لذلك سببان : سواد لونه وهجاء المتنبي له.

اما السواد فانه ما وضع احدا .

واما المتنبى فقد هجاه باربع : سواد لونه ، وعبوديته ، وبخله ، ونسبه .

اما السواد فان كان هجاه به فقد مدحه به حين قال فى خيله :

« قواصدَ كافورٍ ، توارِكَ غيره
ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه
وخلَّت بياضا خلفها ومآقيها »

واما العبودية فان رجلا تمطى واستطال فارتفع من عبد قيمته ثمانية عشر دينارا ، الى ملك يدعى له على المنابر فى الحجاز ومصر والشام ، لعملاق فارع الطول ، وانها للعظمة الحقيقية .

واما بخله فان المتنبى لم يزره حتى سمع بكرمه فى الامصار النائية ، وعنه يقول اول ما زاره :

« وقد تهب الجيش الذى كان غازيا
لسائلك الفرد الذى جاء عافيا

وليس غريبا ان يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا »

وقد زاره المتنبى عافيا ، وغادره فى غنى ملوك العراقين .

ولئن كان المتنبى هجاه . لقد مدحه باكثر واصدق واروع مما هجاه به ، فقال :

وما زال أهل الدهر يشتبهون لى
لديك ، فلما لحت لى لاح فرده

وان كان هجاه بضعة نسبه ، لقد قال فيه غير ذلك ، اذ قال :

« ويغنيك عما ينسب الناس أنه
اليك تناهى المكرمات وتنسب

واى قبيل يستحقك قدره
معدُّ بن عدنان فداك ، ويعرب »

ولعمري لقد صدق ، فقد كان كافور واحد عصره ، تشرف به اى قبيلة شاء . ■■

السودان ــ عبد الوهاب احمد الافندى

الحلم

بقلم : سمير عطا

● هى متأكدة تماما من ان احلامها لا تخيب .. هناك ارتباط بينها وبين المجهول فلطالما رات فى احلامها صورا او احداثا تطابقت مع ما يقع لها فى دنيا اليقظة بعد ذلك . وكانت تعجب لذلك اول الامر وتسمع من هنا وهناك تعليقات تعبر عن الدهشة وان كانت تنتهى بكلمة اخذ صداها يتزايد على مر الايام داخل نفسها : يا سلام .. انها شيخة .. مكشوف عنها الحجاب ..

واصبح العجب ثقة .. ثقة فى انها شيخة مكشوف عنها الحجاب مع انها لم تكن لتستريح الى ما قد تحمله كلمة « شيخة » على وجه عام من معان يردفها البعض بالبله او الطيبة الزائدة او الجهل بامور الحياة .. وهى على ما ترى عكس ذلك تماما .. هى مفتحة .. طيبة الا فيما يتعلق بكرامتها وحقوقها .. فاذا اضيف الى ذلك كله انها مكشوف عنها الحجاب فليس من الغريب ان تبلغ ثقتها فى نفسها وفيما تراه فى احلامها مبلغا يكاد يبلغ حد اليقين .

وحين استيقظت صباح يوم من الايام وقد رات فيما يرى النائم ان زوجها بعد ان غادر منزله لم يتوجه الى عمله رأسا وانما انعطف الى محل معين لبيع المجوهرات فى شارع سليمان باشا بالقاهرة حيث اشترى خاتما ثمينا .. وفى المساء تغيب قليلا حيث تقابل مع امراة وقدم لها هذا الخاتم وهو يطبع على جبينها قبلة حارة .

هبت من نومها فزعة ونظرت الى حيث ينام زوجها فرات وجهه هادئا رتيبا يتنفس فى راحة وانتظام . لكن آثار الحلم ما زالت معلقة بفكرها وكانها كانت تتابع زوجها فى رحلته هذه لتصدم به وهو يقدم الخاتم لتلك المراة ، ورات نفسها تنظر اليه فى شك قاتل واشمئزاز وغضب .. كيف ينام هكذا هادئا رتيبا وهى ترى مثل هذا الحلم المرعب ؟ .. لكنها .. مع هدوئه المستمر عادت الى التمدد الى جانبه وحاولت ان تسترجع احداث الحلم فقرة فقرة .. تستعرضها من جديد .. وشعرت بالغضب والسخط يتزايد فى نفسها وشعرت انها لم تعد تتحمل هذا الهدوء وتلك الرتابة منه فى نومه فهزته وهى تكاد تصيح به : لقد قارب الصبح انيطلع .. الا تريد انتستيقظ؟

واستيقظ الزوج .. وقبل ان يغادر الفراش طبع على جبين زوجته قبلة طويلة كانت مثار ازعاج لها فليس من عادته ان يطبع على جبينها مثل هذه القبلة عند استيقاظه .. فلماذا هذا اليوم ؟ .. آه .. لقد بدات اللعبة .. انه ينوى عمل شىء ما ، ويحاول ان يغطيه بالتودد اليها .. لطالما سمعت ذلك من بعض صاحباتها ومن امها .. ان الزوج اذا اراد خيانة زوجته كان اقرب ما يكون ودا لها . اذن .. ايمكن ان يكون ما تراءى لها فى الحلم هو سبب ذلك التودد ؟ .. هل يدبر امرا فى الحقيقة ؟ .. انها اذن لتعلم ما يدبره .. لانها .. شيخة .. مكشوف عنها الحجاب .. ويا لبؤسه معها .. اين يستطيع ان يفر او يذهب منها ؟ هذا قدره معها .. ان تعرف عنه كل شىء .. لكنها ليست بهذه البلاهة التى يتصورها ولا بد ان تضع حدا لكل ذلك .. هى ليست لعبة فى يده بل ليست كغيرها من النساء يستهويهن مثل هذا التودد بينما ازواجهن يعملن كل ما يحلو لهم من وراء ظهورهن وهن راضيات قانعات .. مخدوعات.



« ولم يبد عليه انه فهم فهز رأسه متسائلا فقالت ربنا .. ربنا الذى ارانى فى الحلم كل ما فعلته انت هـذا اليوم .. وما سوف تفعله هذا المساء »

ستتركه يبدى لها من التودد ما يريد .. ثم .. لتكن مفاجآتها الكبرى معه هذا اليوم .. وتحقق ظنها .. او بدا لها ذلك . فلقد عاد الزوج يقبلها قبل ان يغادر البيت وبعد أن أتم ارتداء ملابسه وتناول طعامه . وهذه لفتة اخرى على غير عادته . ثم ها هو يشير اليها بيده مودعا رغم انها لم ترد تحيته . ولم يكد يغيب عن بصرها حتى قفزت وراءه .. كانت قد استعدت لذلك على غفلـة منه فى الصبـاح ولذلك استطاعت اللحاق به فى الشارع .. لم تقترب منه ، وانما ظلت على مسافة تستطيع بها ان تراقبه ولا يراها .. وكادت تصعق وهى تراه فجاة يتوقف امام محل لبيع المجوهرات .. انه نفس المحل الذى رأته فى الحلم .. انه ليس غريبا عليها بالمرة .. انها تعرفه جيدا فلقد سبق ان اشترى لها من هنا هدية او اثنتين .. يا لجراته .. لماذا يختار هذا المحل بالذات ؟ طبعا .. لانهما سيان عنده .. زوجته .. وهذه المرأة التى سيهديها الخاتم الذى سيشتريه اليوم ..

شعرت بالدم يغلي في عروقها وودت لو تلحق به فتفاجئه وهو في المحل .. لكنها عادت وكظمت غيظها واقنعت نفسها بان من الافضل ان تنتظر فلربما استطاعت انتجعل المفاجأة اشد .. وتذكرت انها رات في حلمها انه قدم الخاتم لتلك المراة ليلا بعد ان خرج من البيت . وراودهـا بعض التردد .. اتنتظر حتى يهبط الليل لترى ما يكون منه .. اجل .. انها واثقة من نفسها وفيما رأته.

ولكم كانت سعادتها .. ممزوجة بالالموالمرارة والغيظ والغضب حين راته بعد ان عاد من عمله في الفترة المسائية يدخل عليها نشوانا جذلا وهو يصفر ثم يتجه الى الحمام ليبدأ في حلاقة ذقنه من جديد رغم انه حلقها في الصباح . كانت سعيدة حقا لان صور الحلم تتكامل امامها وتحقق مزيدا من الثقة فيما تراه في الاحلام .. وكانت غاضبة حانقة ساخطة مرتعـدة لان صور الحلم تتكامل حقا بما لا توده في الواقع وما لم تكن تود ان يقع في الحقيقة .. لم يعد لديها شك في الامر .. فلسوف يخرج من الحمام ويرتدي ملابس السهرة ثم يخرج بعد ان يعتذر لها باى حجة من الحجج ليقابل صديقته ويهدى لها الخاتم .

وعندما تذكرت الخاتم احست كان لسعة من النار هبت على رأسها ، فقفزت الى دولاب الملابس تبحث في جيوب بذلته التي كان يرتديها فيالصباح وتسمرت يداها في احد الجيوب اذ امسكت اصابعها بعلبة ناعمة الملمس . وفي لمح البصر اخرجتها وضغطت علىجانبها فانفتحت ليطالعها داخل العلبة خاتم ثمين يراق ..

وشعرت بانه على وشك الخروج فاعادت العلبة الى مكانها وصدرها يعلو ويهبـط ودمها يغلي ويفور ، ثم ما كادت ترى زوجها امامهـا حتى صاحت به :

تسمح تقول لى .. ماذا كنت تفعل ؟ ..

ضحك من منظرها وطريقة سؤالها واجاب :

كنت احلق ذقني .

واقترب منها وهو يبتسم .. ووضع اصبعه على ذقنها وهو يقول ببطء :

وسأرتدى الآن البذلة السوداء ..

لم تحتمل اكثر من ذلك فانفجرت فيه غاضبة ساخطة :

هل بلـغ بك جهلك بى ان تظن انى بهـذه السذاجة ؟ .. لا يا استاذ .. اصح من نومك .. انا لست مثلهن .. انالا يمكن ان اقبل ان اكون لعبة في يدك .. الا تعلم انى اعرف كل شيء ؟

ثم اتجهت فجاة الى الدولاب واخرجت العلبـة التي تحتوى على الخـاتم واخذت تلوح به في وجهه صائحة :

انا اعرف ما هذا .. لقد اشتريته من شارع سليمان باشا صباحا .. اليس كذلك ؟ ثم .. تقبلني في الصباح وانت خارج وتصفر وتحلق ذقنـك الآن .. اذا كنت قد عرفت واحدة غيرى وبدات تقدم لها الهدايا .. فلماذا تظل معي تحت سقف بيت واحد ؟ .. كيف تحل هذا لنفسك ؟ .. الا تفكر في انني قد استطيع ان افعل ذلك انا ايضا ؟ .. لكنى لا اريد .. فانا قد ربيت احسن تربية .. انا بنت اصل .. انا لا يمكنني ان افعل ذلك رغم قدرتي عليه ..

ولم يجد الزوج مناصا من ان يضع يده بقوة على فمها ليغلقـه ويمنعها من الاسترسـال في الكلام بعد ان حاول تهدئتها كثيرا فلم يفلح .. وقال يسالها وهو ما زال يضغط على فمها :

قبل ان ارد عليـك احب ان اعرف .. كيف سمحت لنفسك بان تتجسسي على ؟

ثم ازاح يده قليلا ليترك لها فرصة الكلام غير انها انتزعت نفسها منه في عنف وقالت وهي تحاول تصنع الهدوء : الذى سمح لي بالتجسس هو الذى اعلمني بخبيئة امرك وما تنتويه .

ولم يبد عليه انه فهم فهز رأسه متسائلا فقالت: ربنا .. ربنا الذى اراني في الحلم كل ما فعلته انت هذا اليوم .. وما سوف تفعله هذا المساء .

وراعها منه ان انفجر الزوج ضاحكا .. اقرب ما يكون الى رجل اصابه مس .. وبعد ان هدأ قال وهو يجلس على حافة الفراش ويضرب كفا بكف : سبحان الله .. وهل رايت في الحلم ايضا انني اقدم هذا الخاتم اليك ؟

فردت لاهثة :

الي؟ انا ؟ .. لقد رايت في الحلم انك تهديه لواحدة غيري .

اجاب : نعم .. اليك انت .. اليس اليوم عيد زواجنا ؟ اعرف انك ـ كعادتك ـ قد انشغلت عن تذكر ذلك لا سيما في تلك الايام المزدحمة بالزيارات والمقابلات والاستعداد لزفاف اختك .. وكنت اريد ان اجعلها مفاجاة لك .. ولو انتظرت قليلا لكنت قدمت لك انت الخاتم وقبلتك ثانية وطلبت منك ان ترتدي ملابس السهرة ونحتفل بذكرى زواجنا في ركن هادىء لعلك تذكرينه الآن ؟ .. وانت لا شك لم تنسي هذه الذكرى رغم انشغالك عنها وعدم تذكرك لها .. ومن هنا .. انت لم تحلمي بشيء .. وانما هي ذاكرتك استعادت نفس ما فعلناه من قبل حينما قدمت لك خاتما مشابها في نفس ذلك اليوم .. ايتها الشيقة ..

ولم تجد الزوجة امامها الا ان تلقي بنفسها بين احضانه مستغفرة نادمة ، وعيناها مليئتان بالاسف والاعتذار .. وبدت منها نظرة جشعة الى الخاتم بعد ان عرفت انه لها .. بكل بريقه واغرائه . الا ان نظرتها تجمدت فجاة وهي تجد زوجها يبعدها عنه في رفق ثم ياخذ الخاتم منها ويعيده الى جيبه وهو يقول لها في بطء : لكني سوف احقق لك حلمك .. ايتها الشيقة .. فلسوف اقدم هذا الخاتم لامراة غيرك حقيقة وساحرمك منه نتيجة لظنونك واتهاماتك ..

ففغرت فاها دهشة وهي تردد :

امراة غيري ؟

قال بهدوء :

نعم .. لكي احقق النصف الثاني من حلمك .. ثم ابتسم ابتسامة خفيفة هي مزيج من التشفي والاسى وقال : ولكن اطمئني فهي ليست غريبة عنك .. قومي وارتدي ملابسك لنزور اختك ونقدم لها هذا الخاتم هدية مسبقة لزفافها . ■ ■

سان سلفادور ـ سمير عطا

رسالة عطف واعتذار

● كتبت السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد الى الخليفة المأمون بعد أن قتل ابنها محمد الامين ـ تستعطفه وتعتذر : « كل ذنب يا أمير المؤمنين ـ وان عظم ـ صغير في جنب عفوك ، وكل اساءة ـ وان جلت يسيرة لدى حلمك ، وذلك الذي عودكه الله ، اطال مدتك ، وتمم نعمتك وادام بك الخير ، ودفع عنك الشر والضير .

وبعد : فهذه رقعة الوالهي التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي الممات لجميل الذكر ، فان رأيت ان ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي وان تصل رحمي ، وتحتسب فيما جعلك الله له طالبا ، وفيه راعيا ـ فافعل ، وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعي اليك .

فأجابها المأمون جواب المواساة الآتي : « وصلت رقعتك يا اماه ـ احاطك الله وتولاك بالرعاية ـ ووقفت عليها وساءني ـ شهد الله ـ جميع ما اوضحت فيها ، لكن الاقدار نافذة والاحكام جارية ، والامور متصرفة ، والمخلوقون في قبضتها لا يقدرون على دفاعها ، والدنيا كلها الى شتات . وكل حي الى ممات ، والغدر والبغي حتف الانسان ، والمكر راجع الى صاحبه ، وقد امرت برد جميع ما اخذ لك ، ولم تفقدي ممن مضى الى رحمة الله الا وجهه ، وانا بعد ذلك على اكثر مما تختارين ، والسلام » .

لـطــه

بقلم : الدكتور محمد الدسوقى

■ هناك نواح كثيرة فى حياة الدكتور طه حسين لايعرفها الكثيرون ٠٠ كان عميد الادب العربى لايترك مناسبة تمر وهو يستمع الى مايقرأ عليه ، دون ان يدلى بتعليق ٠٠ وكانت له اقوال مأثورة فيما كان ينقل الى فكره ورأسه المليء ، من معلومات حوتها الكتب ٠٠ وما اكثر الكتب التى قرئت ، واعيدت قراءتها عليه ٠ هذا مايرويه كاتب زامله طويلا ٠

اتيح لى ان القى عميد الادب العربى المرحوم الدكتور طه حسين وان أعرفه وانا اعمل معه كسكرتير فترة غير قصيرة ، بدأت فى أواخر سنة ١٩٦٤ وامتدت الى صيف ١٩٧٢ ، اى قبل وفاة العميد بنحو عام ٠

والحقيقة ان السنوات الاربع الاولى لم اعمل فيها مع العميد سكرتيرا ، فقد كان الاستاذ فريد شحاته مازال يعمل معه ، ولكنى كنت اذهب الى العميد فى هذه السنوات يوما كل اسبوع على الاقل وهو يوم اجازة فريد ، بالاضافة الى اجازته السنوية ، وكانت نصف شهر ، وكانت تبدأ عقب عودة العميد من رحلته الصيفية غالبا ، فضلا عن الطوارىء المختلفة التى كانت تحول بين فريد وذهابه الى العميد ، كالمرض وانجاز بعض الاعمال الخاصة ، وما اكثر تلك الطوارىء ، وبخاصة طوارىء المرض ، وكان العميد يعتقد ان سكرتيره يفتعل المرض ، وانه اصبح بهذا السلوك ـ على حد العميد ـ لايطاق ٠

كيف بدأ العمل معه

وبعد ان ترك فريد العمل مع الدكتور طه حسين فى أواخر سنة ١٩٦٨ كان على ان اذهب الى العميد يوميا ، وان اتولى مهمة السكرتير الخاص له ، على الرغم من ان هناك عددا من الشباب جاء ليقوم بهذه المهمة ، غير انهم ماكانوا يستمرون معه ، فقد كان الواحد منهم يعمل اسبوعا او اسبوعين ثم يعتذر لاسباب لامجال للحديث عنها فى هذه المقالة ٠

وكان بعض هؤلاء يعمل مع العميد قبيل سفره الى اوربا ، ويحرص على السفر معه ، ثم لايستمر بعد العودة من الرحلة ، وكان العميد يدفع كل نفقات الرحلة لسكرتيره بالاضافة الى راتبه ، عن مدة الرحلة ، وكان هذا الراتب يدفع عن المدة كلها قبل السفر ، ومن ثم كان حرص بعض هؤلاء الشباب على السفر مع العميد ٠

ماشورة

حسين



الكتب التي قرأتها له

كنت امكث مع العميد كل يوم اذهب اليه فيه خمس ساعات نصفها في الصباح ونصفها الآخر في المساء ، وكنت اقرأ له الكتب والصحف العربية ، وقد قرأت معه كتبا كثيرة اغلبها كتب قديمة يتألف معظمها من عدة اجزاء وقرأت معه بعض هذه الكتب اكثر من مرة ٠

والكتب التي قرأتها مع العميد اهمها ما يلي :

الكامل للمبرد ، قرىء اكثر من مرة ٠ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٠ عيون الاخبار لابن قتيبة ٠ قرىء اكثر من مرة ٠ الامالي للقالي ٠ مختار الاغاني لابن منظور ٠ بعض اجزاء من الاغاني للاصفهاني ٠ العقد الفريد لابن عبد ربه٠ الحيوان للجاحظ ٠ البيان والتبيين للجاحظ ٠ الفرق لابي خلف الاشعرى ٠ اعجاز القرآن للباقلاني ٠ مجالس ثعلب ٠ الادب الجغرافي عند العرب للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي ٠ ١٥٠ صحابي مختلفون ، لمؤلف عراقي معاصر ٠ مع الانسان في الحرب والسلام لفتحي رضوان ٠ النبوغ المغربي في الادب العربي لعبدالله كنون ٠ ظهور الاسلام للشيخ عبد العميد بخيت ٠ قمم ادبية للدكتورة نعمات احمد فؤاد ٠ محمد رسول الله لاحمد تيمور ٠ اثر القرآن الكريم في اللغة العربية للشيخ احمد حسن الباقوري ، قرىء اكثر من مرة ، وقد كتب العميد مقدمة له ، وتعد هذه المقدمة آخر مقال كتبه العميد ٠ بعض مؤلفات الاساتذة يوسف السباعي وثروت اباظة وانيس منصور وطاهر الطناحي ونجيب محفوظ ٠

امثلة من تعليقات طه حسين

وما كان العميد وانا اقرأ معه هذه الكتب سواء القديم منها والمعاصر يكتفي بالاستماع والانصات فقد كانت له تعليقاته وانتقاداته المختلفة ، وما كان ينتهي من كتاب دون ان يومىء الى رأيه فيه ، وكان الرجل في بعض تعليقاته يشركني في الحديث معه ، واحيانا يطلب مني الرجوع الى بعض المصادر لتفسير عبارةاو التأكد من معنى ، ومن ذلك مثلا :

جاء في كتاب مختار الاغاني الجزء الخامس الخبر التالي :

كان خطيب حمص يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في خطبته ، واهل حمص كلهم من اليمن ، فتعصبوا على الخطيب وعزلوه، فقال فيهم الشاعر ديك الجن :

سمعوا الصلاة على النبي توالى
فتفرقوا شيعا وقالوا لا لا

ثم استمر على الصلاة امامهم
فتحزبوا ورمى الرجال رجالا

شاهت وجوهكم وجوه طالما
رغمت معاطسها وساءت حالا

وعقب العميد على هذا الخبر بقوله : هؤلاء قوم سفهاء او جهلاء وهم بعصبيتهم هذه ليسوا من الاسلام في شيء ٠

وورد في كتاب الاغاني الجزء الثامن عشر بيتان لعمران بن حطان هما :

لا يعجز الموت شيء دون خالقه
والموت فان اذا ما ناله الاجل

وكل كرب امام الموت متضع
للموت ، والموت فيما بعده جلل

فطلب مني العميد ان اقراهما اكثر من مرة .

وفي هذا الجزء من الاغاني ايضا جاء ان سعيد ابن حميد حفظ ارجوزة سمعها مرة واحدة ،وهي نيف وعشرون بيتا ، فقال العميد :

« لقد كنت أسمع القصيدة مرة واحدة فاحفظها، وكان استاذي الشيخ سيد المرصفي يقول لي : انت مسئول عن حفظ ما يلقى من النصوص » ثم اخذ العميد يتلو قصيدة طويلة ، وكان ينشدها في هدوء فقلت له بعد ان انتهى من انشادها : « هل هذه القصيدة من قصائد الحماسة » ؟ فقال : «لا، ولكن المبرد ذكر منها بيتين في الكامل ، ثم اكملها الشيخ المرصفي في رغبة الامل » .

والجدير بالاشارة اليه ان هذا الجزء من الاغاني قرىء في شهر مايو سنة ١٩٧٢

وكان العميد في السنوات الثلاث الاخيرة من عمره ينسى بصورة غريبة ، كان ياتيه الزائر ـ وهو صديق حميم له ـ ثم يخرج فيسالني فور خروجه : « من كان هنا ؟ » فاذا قلت له : «فلان» قال : « ولماذا اتى ؟ »

وكان يطلب مني ان اضع في جيبه منديلا او حافظة نقوده ، وما اكاد اجلس حتى يسالني : « ما هذا الذي في جيبي ؟ » وكانت هذه الظاهرة تسبب لي بعض الحرج حين ياتيه زائر في المساء، ويتناول الحديث بينهما ما نشرته الصحف من انباء فيقول العميد :

« ان الدسوقي لم يقرأ لي هذا الخبر او ذاك »، فاذا قلت : « اننا قرانا هذه الاخبار » ، اصر على اننا لم نقراها ، فلا أجد بدا من الصمت .

ولكن هذه الظاهرة كانت تختفي حين نشرع في قراءة كتب الادب ويبدو العميد وهو ينصت لما اقرا وكانه متحفز لقول شيء ، فاذا بدات اقرا قصيدة ذكرت في كتاب قديم او حديث ، اخذ يتلوها ، فامسك عن القراءة وانصت له ، فلا يخرم منها حرفا ثم يقول : لقد حفظت هذه القصيدة وانا طالب في الازهر الشريف او في الجامعة واذا جاءت اشارة الى خبر من الاخبار اخذ يفيض في الحديث عن هذا الخبر افاضة دقيقة شاملة ، فتعجب لهذه الحافظة القوية والذاكرة الواعية .

وردت في كتاب مجالس ثعلب العبارة التالية : قال ابو العباس في قوله عز وجل:«وزرابي مبثوثة» قال : الزرابي : الطنافس ، واحدتها زربية . فعقب العميد على هذا بقوله : ان الزرابي تستعمل بهذا المعنى في تونس .

وقلت للعميد عن كتاب مجالس ثعلب : ان هذا الكتاب لا يختلف في منهجه عن كتاب الامالي للقالي : فقال : « لكن كتاب (الامالي) اخف روحا من كتاب (المجالس) » .

رأيه في كتاب « نهج البلاغة »

ويرى العميد ان كتاب نهج البلاغة ليس كله للامام علي كرم الله وجهه فالنصوص المنسوبة للامام علي في هذا الكتاب يغلب عليها طابع الصنعة ، وما كان الامام يخطب الامر بغلا كعادة العرب جميعا ، ويقول العميد : « ان في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطبا للامام علي وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها اليه ، ثم اليس من الغريب ان تكون الاحاديث قد رويت بالمعنى والمسلمون احرص عليها من اي كلام آخر ، ويقال بعد ذلك ان هذه الخطب المتمقة للامام علي ، فضلا عن شيوع كلمات في هذا الكتاب لم تظهر الا في زمن المتكلمين ، والذي ارجحه ان نهج البلاغة من تاليف الشريف الرضي،والمغفل هو ابن ابي الحديد، لانه يعتقد ان ما يشرحه خطب للامام علي ولذلك يتكلفي شرحه ويستطرد استطرادات لا معنى لها» .

وورد في اثناء شرح ابن ابي الحديد بيتان للمتنبي فقال العميد بعد قراءتهما : لا يعجبني المتنبي ، فقلت له : شخصيته او شعره ، فقال : الاثنان ، لقد كان وصوليا ، مدح سيف الدولة ، فلما لم يعطه ما اراد هجاه هجاء مرا ، وفضل عليه

العلج الاسود كافور ، وهجا هذا ، لانه لم يعطه هو الآخر ما اراد ٠

وكان العميد يعجب اشد الاعجاب بكتاب الادب الجغرافي لكراتشكوفسكي ، ويثني عليه ثناء مستطابا ، فالكتاب يدل على مجهود ضخم ، وصبر على متاعب البحث كما يدل على اطلاع واسع والمام واف بالتراث العربي في مختلف الوانه العلمية ولا يغض من قيمته ان قلم المؤلف زل عن غير قصد لعدم فهمه لبعض الالفاظ القرانية ، ومن ثم لم يستسغ العميد ما كتبته الدكتورة بنت الشاطيء حول هذا الكتاب ، فهي لم تكن منصفة ولا مقدرة لهذا العمل الجليل في بابه ، وكانت تتصيد المثالب وتضخم العيوب ولذا جاء تعليقها الذي نشر ملحقا بالجزء الثاني غير موضوعي ٠

وتطرق الحديث الى الكلام عن الدكتورة بنت الشاطيء ، فقال العميد :

ان عائشة تلميذتي درست على الماجستير فالدكتوراة ، ولكنها عاقة كسائر تلاميذي ، فهي لا تزورني في هذه الايام ، ثم ان ما تكتبه في الاهرام لا يعجبني ، وبخاصة ما تكتبه حول القرآن الكريم وتفسير بعض آياته ، فهي تلف وتدور حول النص القرآني ولا هم لها الا ايراد النصوص القرانية الكثيرة،ثم لا تقدم شيئا ذا بال بعد ذلك٠

رأيه في الاستشراق والمستشرقين

واتاح كتاب الادب الجغرافي للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي فرصة الحديث عن الاستشراق والمستشرقين بوجه عام ، وكان العميد يرى ان المستشرقين خدموا الثقافة الاسلامية والادب العربي خدمة جليلة ، ولكن هذا يجب الا يغمض عيوننا عن نشاطهم المريب في مجال السياسة الاستعمارية ثم قال : اذكر مثلا ان ماسنيون وهو مستشرق فرنسي مشهور ، وكان عضوا في مجمع اللغة العربية ، وله ابحاث في الدراسات الاسلامية ، هذا المستشرق كان موظفا في ادارة المخابرات في وزارة الخارجية الفرنسية ، وكان اذا جاء الى مصر فانه يسعى الى مقابلة الملك فؤاد،ثم من بعده فاروق ، ولكن بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ حاول مقابلة عبد الناصر فلم يفلح ٠

وصمت العميد برهة ثم قال : ان مستشرقا فرنسيا جاء الى القاهرة ومعه زوجه واسلم والتحق بالازهر وادعى انه كفيف ، وكانت زوجتي تعطف عليه وتتالم لحاله ، وقد زارني في بيتي كثيرا ، وقد تبين بعد ذلك ان هذا المستشرق ليس كفيفا ، وانه في سبيل القيام بوظيفة التجسس كاملة وحتى لا يظهر امره ، اجريت له عملية جراحية بدا بعدها وكانه كفيف لا يبصر ، وقد رحل هذا المستشرق عن مصر دون ان يحقق ما جاء هو وزوجه من اجله ٠

طه حسين يحب لحم الخيل

وقال العميد ونحن نقرا عن الخيل في كتاب عيون الاخبار : اظنك لم تاكل الخيل يوما ، قلت: نعم ، قال : لقد اكلتها في باريس وطعمها لذيذ جدا ، وعرضت علينا الضفادع فرفضنا اكلها فقالت لنا مديرة المطعم : انتم لا تعرفون الطعام الجيد ، ثم قال : وقد اكلت لحوم الجمال كثيرا ، واذكر اني كنت بعد ان طلبت العلم في الازهر اطلب من والدتي ان تعد لي لحم الجمال والسويق لاتشبه بالعرب في اكلهم ، لاكون عربيا قحا ٠

وبعد وفاة المرحوم الاستاذ امين الخولي في شهر مارس سنة ١٩٦٦ ، نشر عنه مقال في عدد الاهرام الاسبوعي ، وما كدت افرغ من قراءة هذا المقال حتى قال لي : احضر لنا كتاب المقالات والفرق علنا ننسى هذه الاحزان ، فقلت : اي احزان ؟ فقال : احزاننا على هؤلاء الذين يذهبون واحدا اثر آخر ، ان الاستاذ امين الخولي كنت اعزه جدا واحبه وقد تالمت لموته ، واعلم انني الذي نقله الى الجامعة كما نقلت الدكتور عبد الوهاب عزام ٠

وكتاب المقالات والفرق لابي خلف الاشعري يشتمل على طائفة من الآراء للفرق الاسلامية المختلفة ، وكثير من هذه الآراء تثير الضحك،وكان العميد يضحك من كل قلبه عندما اقرا له رايا غريبا لفرقة من الفرق ، ولهذا طلب مني ان اقرا له في هذا الكتاب عله ينسى الام الحزن على هؤلاء الذين اختطفهم الموت واحدا اثر آخر ٠

وقد ترجمت الدكتورة نعمات احمد فؤاد في كتابها « قمم ادبية » لطائفة من اعلام الادب والفكر المحدثين ، جاء في ترجمتها لاحمد لطفي السيد انه سقط في انتخابات سنة ١٩١٣ ، لان

الانجليز قد اوعزوا بسقوطه . ويعقب الدكتور طه حسين على هذا بقوله : هذا غير صحيح ولكنه سقط لان منافسه ولا اذكر اسمه الآن ـ كان رجلا ماكرا ، استغل سذاجة الناخبين وجهلهم ، فقال لهم : ان لطفي ينادي بالديمقراطية ومعناها ان تتزوج المرأة اربعة رجال ، كما يتزوج الرجل اربع نساء ، وهذا في نظر الناخبين خروج على الدين ، واكد لهم هذا انهم ذهبوا الى لطفي السيد وسألوه : هل ينادي حقا بالديمقراطية ،فقال لهم : نعم،دون ان يسألوه عن معنى الديمقراطية، ومن هنا سقط في الانتخابات •

لا يقرأ عليه كتاب دون أن يعلق عليه

وهكذا كان العميد لا يقرأ كتابا دون ان يعلق عليه او يبدي رأيه فيه ، وما اوردته في هذه الكلمة ليس الا بعضا مما سمعته منه واود ان اشير الى ان العميد ما كان يهش لما يكتبه الادباء المحدثون ، فانتاجهم لم يكن يروقه لضعف مستواه اللغوي والفني ، وكان يضيق كل الضيق بهؤلاء الكتاب الذين يكثرون من الكلمات العامية في اعمالهم الفنية ، ويرجع هذا الى ان الكتاب المحدثين لا يقرأون الادب العربي القديم ، بل هم لا يقرأون الادب الحديث كما ينبغي ان تكون القراءة •

وكان العميد يرى ان العمل الفني اذا نشر مسلسلا في صحيفة يومية ، فان هذا يؤثر على قيمته الفنية ، ومعظم الكتاب المحدثين يفعلون ذلك•

تمتعه بسماع القرآن الكريم

ان العميد في العقد الاخير من عمره كان يجد لذته وراحته في القراءة وسماع القرآن المرتل ، وحين نصحه الطبيب في سنواته الاخيرة بالراحة وعدم الاكثار من القراءة ، قال : هذا مستحيل، لانه لا معنى لحياتي اذا لم اقرأ كما اريد ، ومن لم كان اذا اتاه زائر واطال الجلوس ثم انصرف يقول لي : لقد ضاعت الليلة ، لم نقرأ شيئا ان فلانا هذا كثير « الرغي » (الثرثرة) كما كان لا يرتاح لكل من يعمل معه دون ان يكون مجيدا للعربية اجادة تامة ولديه القدرة على القراءة بها لفترة طويلة ، وقد قال لي يوما ونحن نتحدث عن اخطاء بعض القارئين له : اني اسمع الكلمة فاعرف انها خطأ واتلقاها بالنطق الفصيح الصحيح، فقلت له : ما سبب هذه السليقة اللغوية لديكم قال : لا ادري فقلت : يبدو ان حفظكم للقرآن الكريم ، ثم قراءتكم الادب العربي القديم ودراسته سبب هذا ، قال : يجوز •

وبعد فقد كان العميد يطمع في ان ينسىء الله في اجله ، ليكمل كتابيه الفتنة الكبرى والايام ، ولكن لكل اجل كتاب ، وكنت قد قرأت معه شرح نهج البلاغة من اجل كتابة الجزء الثالث من الفتنة ، وكان قد حدثني قبل سفره الى ايطاليا في صيف سنة ١٩٧٢ بانه يرغب في قراءة بعض اجزاء من تاريخ الطبري ، واتفق معي على ان تكون هذه القراءة بعد عودته من الرحلة ، غير اني لم الق العميد منذ ودعته يوم سفره في شهر يونية سنة ١٩٧٢ الى ان لقي ربه ، وما اظن احدا قرأ له شيئا من تاريخ الطبري •

رحم الله عميد الادب العربي وجزاه كفاء ما قدم خير الجزاء ■■

القاهرة ـ محمد الدسوقي

امرأة جميلة

● كانت عائشة بنت طلحة بن عبيدالله التميمي من اجمل بنات زمانها قيل : انها مرت ذات يوم امام مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة ، فرآها ابو هريرة ، فقال : « سبحان الله كأنها من الحور العين » •

وكانت عائشة هذه لا تستر وجهها من احد فعاتبها زوجها مصعب بن الزبير في ذلك • فقالت : ان الله تعالى وسمني بميسم جمال احببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لاستره عن خلقه ، ووالله ما في من وصمة يقدر ان يذكرني بها احد •



مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول فبراير ١٩٧٦

٧٧

الطريق

تأليف الكاتب النيجيري : وول شوينكا

ترجمة وتقديم : فريدة النقاش

مراجعة : د. عادل سلامة

د. محمد اسماعيل الموافي



برادات تناسب كل بيت
ومصنوعة لتخدم طويلا
من فيليبس
مهما كان حجم مطبخك هناك براد فيليبس الجميل المظهر المتين الصنع يناسبه تماما. فقط انظر الى هذه المجموعة الكبيرة من موديل السطح، طاولة حتى البرادات الفسيحة ذات الباب المكتملة بخزانة تجليد (فريزر) كبيرة منفصلة ترى أن كل موديل منها مصنوع ليناسب مساحات مطبخ ما. جميعها رائعة التصميم والشكل والانجاز يمكنك الاتكال عليها تماما كما تنتظر من أية بضاعة مصنوعة
بناء على خبرة فيليبس العالمية ومصادرها التقنية العديدة. فيليبس تصنع ايضا برادات تجليد عميقة (ديب فريز) مغلفة من داخلها بالفولاذ الستانلس الذي لا يصدأ. كما تصنع برادات صنع قطع الثلج (أيس كوب) الاوتوماتيكية المفيدة في الحفلات والاستقبالات. بالنسبة للخدمة فهي متوفرة اينما كنت. مع فيليبس ذلك موجود دون ان تطلبه.
فيليبس الأفضل لكم دوما
PHILIPS

CARRINGTON

منذ سنة ١٧٨٠ ونحن مصدر هدايا لخلق ثروة ثمينة

لاكثر من قرنين ياتي الناس الى (كارينجتون) لزيادة ممتلكاتهم من الاشياء الثمينة ، ففي اطار ساحر الجمال ، يمكنك ان تشاهد مجموعة من المجوهرات المتقنة الفاتنة • ساعات رائعة ، وفضيات اثرية حديثة فاخرة • اذا كنت في لندن لا تدع الفرصة تفوتك لزيارة (كارينجتون)

يمكن للزوار من الخارج الاستفادة من خصم التصدير الذى يصل الى ٢٠٪ •

من اصنافنا الثمينة



بروش واحجار كريمة على شكل وردة • ٦٥٥ جنيه استرليني

خاتم رجالى ذهبى عيار ١٨ قيراط ومرصع بالماس • ٨٠٥ جنيه استرليني

ساعات رجالية ذهبية مع سوار ذهبى عيار ١٨ قيراط • ١٩٥٠ جنيه استرليني

طوق يد ذهبى رجالى عيار ٩ قيراط ٨٧٥ جنيه استرليني

CARRINGTON only at 130 Regent Street, London, W1R 6HU, England. Tel: 01-734 3727

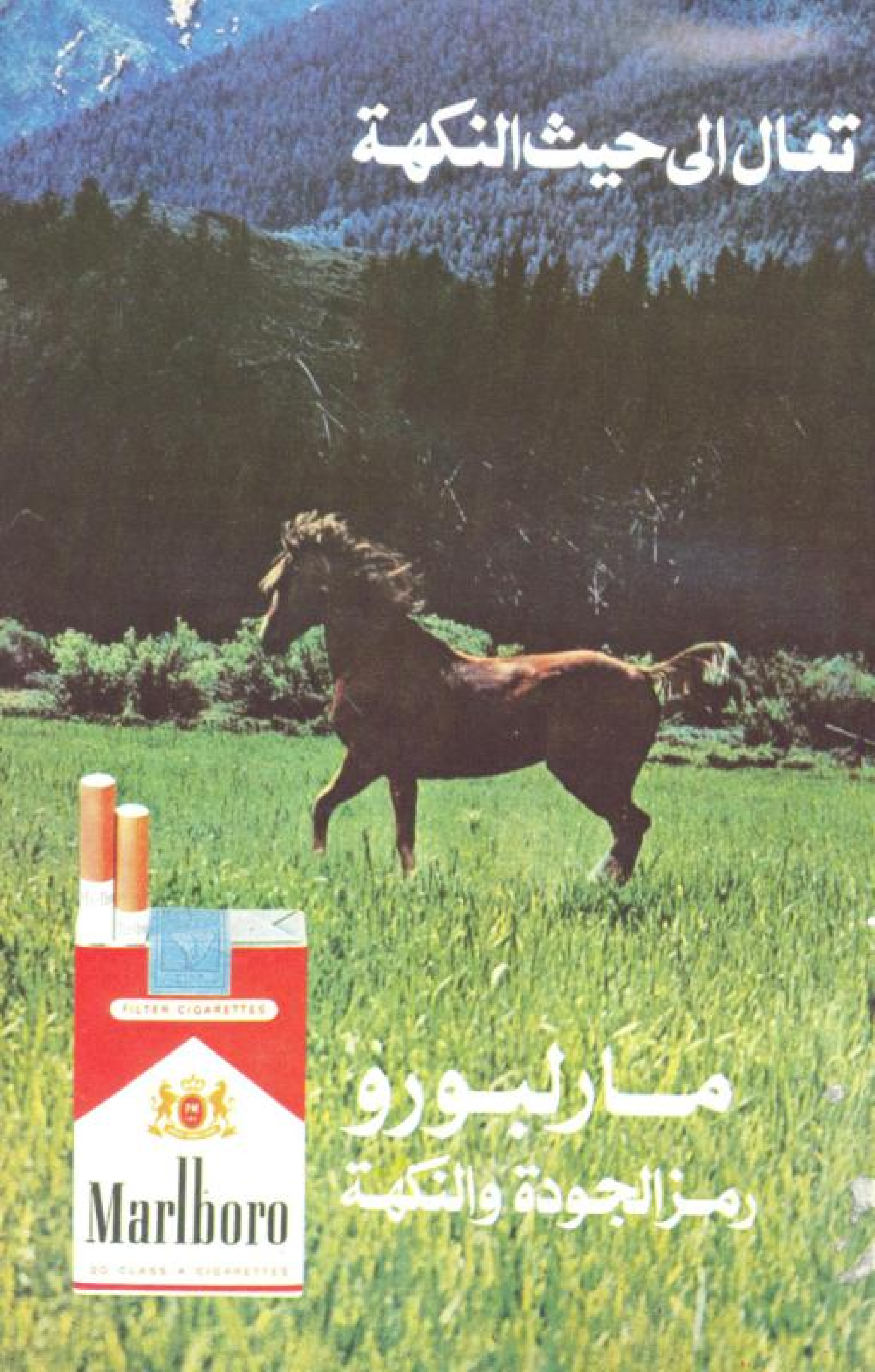



٩½٪
في السنة



وست إند
مضمونه ١٠٠٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقة.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات ـ محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣


تعال الى حيث النكهة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
مارلبورو
رمز الجودة والنكهة

عندَ التشغيل: ألوَان جَميلة وَطبيعيّة
وَبعدَ إنتهاء البرامج: قطعة فاخِرة من الأثاث

ملايين البقع الدقيقة وضعت على خلفية سَوداء في تلفزيونكم الملوّن موديل CTP 6412 قياس ٢٠ بوصة بشاشته المتريكس السوداء ليوفر لكم أكثر الألوان حيوية ووضوحًا. ويحتفظ الجهاز بعد وقف تشغيله بجماله وجاذبيته وعلبته الخشبية الأنيقة وقوائمه القوية وأبوابه المنزلقة لتغطية واجهته بأكملها. انه قطعة أثاث تتناسب مع كافة أشكال الديكور.



الموديل CTP-6412

تلفزيون ملوّن بشاشة متريكس سوداء ٢٠ بوصة

SANYO سانيو

AAA/H/CTP/75

العربي

العدد ٢٠٨
ربيع الاول ١٣٩٦
مارس
(آذار) ١٩٧٦



اطلب

العربي الصغير

مع هذا العدد

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا

الفن الشعبي
في المغرب

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	ريالان
السعودية	٢	ريال
البحرين	٢٠٠	فلس.ب
اليمن	٥ر٢	ريال
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الاردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.م.ع.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٥٠	مليم
الجزائر	٥ر٢	دينار
المغرب	٥ر٢	درهم



لوحة وفنان !

زهور فى اناء من النحاس

● احب الحياة وعشق الطبيعة واحب الناس ، فقد كان فنانا ، ولكن الحياة لم تعط هذا الفنان الانسان شيئا مما اعطاها.. فقد قست عليه فحرمته من كل شيء اشتهاه .. قال في كتابه « شهوة الحياة ».. حتى هذا الحب الكبير الذى ملأ قلبي للدنيا وكل من فيها وما عليها ، قضيت حياتي كلها ابحث عنه فى قلوب الناس فلم اجده .. انه « فنسنت فان جوخ » الفنان الهولندى « التعس » صاحب هذه اللوحة الرائعة ؟ مات فقيرا ، وتباع لوحاته الآن بملايين الدولارات .

عزيزي القارئ

ناقش البرلمان الكويتي المشروع الذي قدمته له الدولة حول تطبيق نظام التجنيد الاجباري ..

وحين ننظر الى بلادنا العربية ـ على اتساعها ـ نجد قوانين التجنيد الاجباري توجد في بعضها ، ولا توجد في بعضها الآخر . وحيث توجد قوانين التجنيد الاجباري ، نجدها اما مطبقة حقا وفي حزم ، واما مليئة بالثغرات التي تسمح باستثناءات لا اول لها ولا آخر ،واحيانا لاتعني الدولة بتجنيد « كل » من ينطبق عليهم القانون ، اما لعدم توفر الموارد المالية ، واما لعدم الشعور بالحاجة الى ذلك .

في حين ان المسألة بالغة الأهمية ، ترقى الى مستوى اعلى الواجبات الوطنية والاقليمية معا ..

فنحن في معركة ، ويكفي هنا ان نذكر ان اسرائيل بملايينها الثلاثة ـ تستطيع ان تدفع الى المعركة مايقرب من نصف مليون مقاتل ومقاتلة ، وهي اعلى نسبة للتجنيد في العالم .

وقد يقال ان اعداد العرب البشرية الوفيرة تجعلهم في غير حاجة الى هذه النسبة العالية من الذين يقضون فترة الجندية وخدمة العلم .

ولكن المسألة لها وجه آخر ، غير الحرب ...

لقد كانت الجندية في تاريخ كل الدول الحديثة وماتزال احد اهم وسائلها في التقدم ، ففي الجندية يكتسب الجيل المجند ، جيلا وراء جيل ، قوة بدنية هامة . ويتم فيها علاج المجندين من الأمراض . ويتم خلالها تعليم الأميين منهم . كما يتم فيها صهر الفئات الاجتماعية المختلفة في مرحلة معينة من العمر ، تجعلهم يشعرون بعد ذلك حتما ، ومدى الحياة ، بشعور الأسرة الواحدة ، مهما تباينت حظوظهم بعد ذلك في الحياة .

وفي البلاد المتقدمة ، نجد الدولة تلجأ الى نشر الاعلانات لتشجيع الناس على الجندية وعلى الانخراط في صفوف الجيش زمنا . وليس هذا هو المهم . المهم ان هذه الاعلانات تركز على الجانب الخاص بالمهارات التي يكتسبها المجند في فروع التكنولوجيا والعلوم المختلفة ، وهي اكثر العلوم تعقيدا ، نظرا لتطور الأسلحة الحديثة . وتركز على ان المتخرج من الجندية تصبح لديه فرص واسعة للعمل في مجتمعات تتحول تدريجيا الى مجتمعات صناعية وانتاجية بحكم تقدم العلم والتكنولوجيا . فما يتاح لهم من تعليم وتدريب في الجيش لايتاح مثله في اى معهد او كلية من حيث الخبرة العلمية والعملية .

ان البلاد النامية في حاجة الى ان تجعل من جيوشها ، لامجرد اداة للحرب ، بل مدارس كبرى لتطوير الفرد وتنمية قدراته وبالتالي الاسراع في التنمية البشرية للمجتمع كله .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

AL-ARABI — No. 208 MARCH 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف :

● سكينة الصفدى تغنى وتعزف على الطبل والبندير ، انها المرأة الوحيدة في فرقة « جيل جلالة » اسم مستمد من الطائفة الجيلالية • نشرت الفرقة اغانيها الفلكلورية في ريف المغرب وحضره •

(انظر تجربة فنية ناجحة من المغرب ص ٨٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص • ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى • وبالنسبة لبلدان المغرب العربى يرجى الاتصال بالشركة الشريفة للتوزيع والصحف ١ ـ ساحة باندونج ـ ص•ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء ـ المغرب •

حديث الشهر

استطرادات حول فتنة لبنان

إعادة كتابة التاريخ الاسلامي والعربي .. من

بقلم : أحمد بهاء الدين

■ بصرف النظر عما سوف تكون عليه الصورة في لبنان ، عندما تصل هذه السطور الى يد القارىء فان هناك جوانب هامة ، باقية ، من آثار الحرب الاهلية اللبنانية ، توحي لكل عربي بالتامل ، فيما هو أوسع منها ..

انني اكتب هذه السطور وقد بلغ عدد القتلى عشرة آلاف ، والجرحى اضعاف هذا العدد . والحرب الاهلية ما زالت تهدأ يوما ويستعر أوارها اياما اخرى واسابيع ..

والصراع بين الاخيار والاشرار مستمر . بين الذين يريدون ان يبقى لبنان الذي نعرفه والذين يريدون تقسيمه . بين الذين يحاربون معركة الحاضر والمستقبل ، والذين يحاربون معارك الماضي .

فقط ، يجب ان نسجل قبل الانتقال الى هذا الجانب ، ان الحرب الاهلية اللبنانية اذا كانت قد اتخذت طابع الحرب الطائفية ، الا ان اسبابها اعقد



لهذه المهمة الصعبة ؟

من ذلك بكثير، باعتراف جميع الاطراف. ولو كان الجانب الطائفى هو الجانب الوحيد فيها ، لامكن التوصل الى حل ،قبل ان يتفاقم القتال الى الحد الذى وصل اليه ...

فهناك القضية الاجتماعية، والاتساع الهائل بين الفقر والغنى ، والذى جاء ارتفاع الاسعار العالمى والتضخم ليزيد من المسافة والمرارة معا .

وهناك العنصر الخاص بازمة الشرق الاوسط ، والذى تمثل فى الوجود الفلسطيني المسلح فى لبنان ، ورضا البعض عن ذلك كحتمية لا مفر منها ورفض آخرين لها .

وهناك استغلال اسرائيل لهذا الواقع، ومحاولتها الدائمة لتفجير الكيان اللبنانى ، املا فى العصف بالوجود الفلسطينى من جهة، وبالعصف بالوجود



ان الدولة العربية العاملة لواء الاسلام لم تقف
هذه الاديان السماوية . كالمارونية المتفرعة من

اللبناني كله من جهة اخرى ، كنموذج حى على قدرة العرب على تحقيق التعايش بين الاديان والطوائف .

وهناك صراع الدول الكبرى ، التى صارت المنطقة العربية بالنسبة لها جميعا قضية هامة ، بل اهم القضايا ، وذلك لموقعها الفريد ، وسوقها الواسعة ، ووجود اهم ثروة استراتيجية ـ البترول ـ فى اراضيها ، واطلالها على كل المواقع الحساسة من المحيط الهندى والخليج الى البحر الاحمر ، والبحر الابيض ، والمحيط الاطلنطى ..

كل هذه العوامل تفاعلت وتداخلت فى ازمة لبنان التى انقلبت الى حرب اهلية مستعصية على الحل ..

.. ومع ذلك ، فاننا يجب ان نواجه المشكلة الطائفية التى يتحرج كل من هو غير لبنانى عن الحديث عنها ..

.. ليس فقط لانها لعبت دورا اساسيا فى الحرب الاهلية فى لبنان ، لانها الاسهل استخداما والاكثر فعالية فى اثارة النعرات المتطرفة لدى الانسان، ولكن ايضا لان العالم العربى ـ بحكم اتساعه وتنوع ظروفه وتاريخه ـ حافل بالطوائف والمذاهب والاقليات ، فهى قضية أبعد مدى من لبنان . وان كان لبنان حتى فى هذا المجال له ظروفه الخاصة ، بحكم التعدد الكبير للطوائف الدينية والعرقية من جهة، وبحكم التقارب الكبير بين الارقام العددية لهذه الطوائف، الوضع الذى لا مثيل له فى اى بلد فى العالم العربى او غير العربى ..

الحقيقة الاولى التى يجب ان تسجل، هى ان « المارونية » دين ، وليست سلالة عرقية . فالموارنة كطائفة ليسوا كالارمن مثلا ، ولكنهم مزيج من مسيحين عاشوا فى الشرق الاوسط قبل الاسلام، ومن قبائل عربية جاءت مع الفتح الاسلامى ، ومن تجمعات عربية مسيحية كانت فى مناطق اخرى ثم تجمعت بسبب الاضطهاد او رغبة التجمع فى جبل لبنان ، ومن بقايا الحملات الصليبية . وان كان يجب ان نسجل هنا ايضا ـ تاريخيا ـ ان ليس كل من بقى من الحملات الصليبية بقى فى لبنان، وليس كل من بقى فى لبنان منهم صار مارونيا. فالكاثوليكية فيها المارونى وغير المارونى. وبقايا الصليبيين توزعت على طول الشاطىء من شمال سوريا الى جنوب فلسطين .

الحقيقة الثانية هى ان الموجة العربية حين شملت كل العالم العربى كما نعرفه اليوم، لم تكن هناك ـ بعد ـ مارونية. بل ان المارونية ـ كفرع من الكاثوليكية ـ ظهرت اول ما ظهرت فى الشام ، فى كنف الدولة العربية الاسلامية ، ثم تجمعت فى جبل لبنان، واقامت مجتمعها الخاص بها فى كنف الدولة العربية





فقط عند حد الابقاء على الاديان السماوية التيكانت موجودة ، بل تكونت بعدها فروع وطوائف من الكاثوليكية المسيحية ٠٠ انه دليل على جوهرالتسامح فى الحضارة العربية والدين الاسلامى ٠

الاسلامية وبعد قيامها بقرون طويلة ٠وتلك حقيقة بالغة الاهمية ، لان معناها ان الدولة العربية الحاملة لواء الاسلاملم تقف فقط عند حد الابقـاء على الاديان السماوية التى كانت موجودة ،بل تكونت بعدها فروع وطوائف من هذه الاديان السماويـة ، كالمارونيـةالمتفرعة من الكاثوليكية المسيحية ، مما يغنى عن اى دليـل آخر على جـوهرالتسامح فى الحضارة العربية والدين الاسلامى ٠

وقصـة عمر بن الخطاب عند فتحالقدس المسيحية معروفة ٠ حين رفض الصلاة فىالكنيسة حتىلا يختلف الشعبالعربي من بعده عليها ، وصلى بجوار الكنيسة ، حيث يقوم مسجده الصغيرملاصقا الكنيسة الى الآن٠ وحتىاليهود الذين طردوا من القدس وحرم عليهمدخولها على يد روما المسيحية لم يسمح لهم بالعودة الى زيارتها وسكناها ، الافى ظل الخلافة العربية الاسلامية ، بعد ان حرموا من ذلك بقرون ٠

الحقيقة الثالثة ، هى ان التاريخ فىالمنطقة لم يخل بعد ذلك من الاضطهاد بكـل انواعـه ٠ الاضطهـاد الديـنىوالاضطهاد العرقي ٠ خصوصا على يد المماليـك احيانا ـ وهم فى الاسـاسشراكسة ليسوا منعنصر عربى، وكانوا ينظرون للعرب ـ مسلمين ومسيحيين ـنظرة اقل ، او على يد الحكم التركى ٠

ولكن فترات الاضطهاد ، والحروبالدينيةاو بالأحرى الحروبباسم الدين، عرفتها كل الحضارات فى فترات معينة منتاريخهـا ٠ وليس اشهر من الحروب

الدينية التي اغرقت اوروبا المسيحيةطوال العصور الوسطى • ولم يعرف جزء آخر من العالم درجة من العسفكالتي عرفتها اسبانيـا مثلا في عصر محاكم التفتيش •

وفي العـالم العربى قامت الحروبالدينية بين المذاهب الاسلامية ذاتها ، وفيفترات الحكم التيسادت فيها عناصرغير عربيـة ، تعرض العرب للاضطهاد مسلمين ومسيحيين على السواء • فلانجد عصرا كان فيه الاضطهاد موجهـا الى الاقليـات المسيحيـة بالذات ، اومطاردة المسيحية كدين منتشر فى شتى ارجاء العالم العربى ، حتى فى ايامالحروب الصليبية المتعاقبة •

ولكن تلك فترة من الزمن ومن القيممرت على العالم كله وانتهت ، ومع عصـور التنوير وما تلاهـا من تقدمحضارى وقيام الدول الحديثة لم يعد لمعارك الامس مكان ، صار الدين للهوالوطن للجميع ••

وحتى حين نجد ، هنا او هناك ،حروبا صغيرة فى مجتمعـات صغيرة ، ذات طابع ديني، كالحرب بين الكاثوليكوالبروتستانت فى ايرلندا الشمالية ، ونجد هؤلاء وهؤلاء يحتفلون ـ نكاية ـبذكرى معارك حربية وقعت قبل خمسة قرون، نجد ان جذورها الحقيقية ليست دينية بقدر ما هي اولا : اجتماعية ، حيث يشعر الكاثوليك ـ الاقلية ـ انهم لا ينالون نفس حقوق البروتستانت ، الاغلبيةالاكثر انتماء لانجلترا• وثانيا:وطنيـة ، كبقيـة لحركـة الاستقلال الايرلندية الشهيرة ، التى انفصلت بهاايرلنـدا عن انجلترا ، وما زال في الشمال من يرى نفسه ايرلنديا ويفضلالالتحـاق بجمهورية ايرلندا ويرى ان الانجليز « غزاة » •

وكلدارس للتاريخ العربى الحديث،يعرف ان المسيحيـين العـرب ـ وفى مقدمتهم الموارنة بالذات ـ كانوا منأول الذين ناضلوا في سبيل استخلاص استقلال العرب من السطوة التركية ،وساهموا فى احياء التعريب ومقاومة التتريك •

لقد عربتالكنيسة العربيةصلواتها•وكانت الاديرة في لبنان اول من ادخل المطابع ذات الحروف العربية فيالمشرق،وهاجر مجاهدون منهم الى مصر خلال حركتها الوطنية الاولى ، وكان صاحبشعار « مصر للمصريين » مهاجرا غير مسلم جاء من « بر الشام » ليجاهد معمجاهـد مسلم عظيم هو جمال الدين الافغاني وسائر تلاميذه •

وانقل عن « الخورى يواكيم مبارك »الماروني اللبناني بعض ما جاء في مقال له فى ذروة الفتنة هناك قوله لمواطنيهالموارنة : « •• اما موضوع الاسلام فقد رافق تاريخ كنيستنا منذ نشاتها•• ولكني الاحظ ان نشاة هذه الكنيسة (المارونية) تحت الضغوط الدينيـةوالسياسية آنذاكلم تكنبسبب الاسلام• فالمارونيـة التى تكونت خلال الفتحالعربى واخذت تستوطن لبنان ، سواء عن طريق الرسـالـة ، ام من طريق الهجرة والعصيان ، تبلورت شخصيتها وتوضحت معالمها فى النضال ، لا مع الاسلام، بلمع الفرق المسيحية الاخرى•

« ان استعراب المارونية الذى سيكلل مسيرتها الطويلـة فى القرنين الثامن عشر والتـاسع عشر ، لم ينتظر هذه الحقبة الحديثة ليبرز صفته المميزة فى

احمد فارس الشدياق




الافغاني


العقاد


محمد عبده


طه حسين

هيكل الجسم الماروني ، غربا وشرقا ،فالتراث الماروني الاصيل والشاهد التاريخي الاول على الروحية المارونيـة والنظـام الماروني معا ، هو عمل لا نعرفه الا في صيغته العربية ، أعني كتاب الهدى ، وكتاب الهـدى هـذا ليس الا نمـوذجا لاسـتعراب الكنائس الشرقية ابتـداء من صدر الاسلام ، موصولة بالكنيسة العربية ماقبل الاسلام ، وبلوغ الجميع على ايام الامويين ثم العباسيين ، مشاركة وثيقةفي تبني ثقافة واحدة » ٠

«٠٠ وحين نصل الى عصر الاستعراب الكامل الذى لاحت بشائره منذ البدء ، نلاحظ تبنى المارونية العميق للحضارة العربية في صيغتها والاسلامية في كثير من مفاهيمهـا ، على يد الملمين في الموارنة،وفي مقدمتهم المطران جرمانوس فرحات ، بل ان الموارنة الذين احسوا بنوع من الانكماش على مجالات العالم العـربي والاسلامي ، لم يترددوا في الانعتاق من هذه الطائفية الضيقة ٠ هذا كان شأن جبار العرب فى القرن التاسع عشر وصقر لبنان « احمد فارس الشدياق » ٠ وقد تبعه ألمع من ظهر في المارونيـة ، كامين الريحاني وجبران خليل جبران » ٠

اننا هنا لا نتناول قضيـة لبنان السياسيـة ، ولكننا نتنـاول احدى خلفيات هذا الصراع الدامى المقيت ،ونتناوله للوصول الى خلفية اكبر ، تهم العالم العربي كله ٠

ان العودة الى دراسة التاريخ مفيدةوهامة ٠ ولكن لكي نستفيد من دروسه ومجمل عبره، لا لكي نعود القهقرى ونحارب معارك فات أوانها وتخطاها الزمن٠

وكل أمة لا بد أن تكون لها ذاكرة ،والا انقطعت عن جذورها ، ولكنهـا ذاكرة تساعدها على تفهم المستقبل ،ولا تغرقها في دوامة الماضي ٠

والعالم العربي الاسلامي ،اولا بحكم اتساعه وترامي أطرافه وتنوع بيئاته وخلفياته التاريخية، وثانيا بحكم ظهور كل الاديان ومعظم المذاهب والفلسفات فيه ، وثالثـا بحكم موقعه الوسط مـن العالم وبالتالي كثرة الهجرات والغزوات فى تاريخه ٠٠ هذا العالم العربي، رغم أن الاسلام صار أساس تراثه وأطـار تجمعه ، الا انه لهذه الاسباب السابقةظل في كل أقطـاره حافـلا بمظاهـر التنوع ، في مجال الاغلبيات والاقليات من داخل الاسلام ذاته ومن خارجه ٠

ولا شك أن اتجـاه العالم العـربي السريع الى مرحلة التمدن ، والاخـذ من جديد بأسباب الحضارة بعد طـول رقاد ، تجعل هذا الواقع المتعدد ينصهر ولا يتباعد ،ولاشك أن ما حدث في لبنان ليس هو القاعـدة في العـالم العربي ولكنه الاستثناء ، ولكن هذا لا يمنع من مواجهـة المشكلـة ،بالعقل المستنير ، وبالروح الاسلامية السمحة، وبمسئولية الاغلبية عن احتضان الاقلية، وتزويدها بالدفء والرعاية والاطمئنان والامان٠

ومن أجل أن ننجح تماما في هذا ،لابد من التطرق الى قضية أخرى بالغة الخطورة والاهمية ، وهى اعادة كتابة التاريخ العربى والاسلامى ٠

لماذا ؟

لا شك أن الحضارة العربية الاسلامية قد عرفت بداياتها الطاهرة ، المثالية ، وينابيعها الصافية الاولى على عهـد النبى وخلفائه الراشدين ٠

ثم بعـد ذلك ، وبعـد أن اكتملت الاسـس والقيـم والمبادىء ، عرفت

الحضارة العربية الاسلامية طريقها الى تكوين الدولة الحديثة بمعايير ذلك العصر ٠٠ على عهد الامويين ثم العباسيين ٠٠ فضلا عن عهود الفاطميين في مصر ، والحضارة الاندلسية الفذة ٠٠

ولكن ، لا شك أيضا أن هذه الحضارة عرفت كل ما عرفته الحضارات الاخرى بعد ذلك من عهود الاستبداد والظلم ، ومن الصراعات السياسية التي ارتدت ثيابا دينية ، حتى دخلت مراحل الجمود ثم الاضمحلال والتحلل والضعف ، حتى تبارى في نهبها الطغاة من الحكام ، والاقوياء من الاجانب ٠٠

وحين نقول « التراث » فان التراث قد مر بدوره بكل هذه المراحل ، سطعت انواره في عصور النهضة ، وخبا ضياؤه في عصور الاضمحلال ٠ وجاءت اوقات كانت حتى الفتاوي الدينية خاضعة لهوى الحاكم ، مبررة لمظالمه وانحرافاته ٠٠٠

هذا التاريخ ينبغي اعادة كتابته بسلبياته وايجابياته ، هذا « التراث » ينبغي اعادة انتقائه واختياره ٠

ففي الذهن العربي العام ، نجد ان كل ما حدث خلال خمسة عشر قرنا هو كتلة واحدة مضيئة من التاريخ ، وكل كتاب مضى على وضعه مئات من السنين ٠٠ تراث !

وكثيرون من الاجانب « المتخصصين » يركزون على الجوانب السلبية من هذا التاريخ والتراث ويستخرجون منها استنتاجاتهم عن الاسلام والعرب ، وكثيرا ما ترتد هذه الآراء الينا والى الشباب المثقف القارىء للغات الاجنبية بالذات ٠٠ على انها النظرة الصحيحة للامور ٠

وهكذا يدرس التاريخ والتراث في المدارس !

وهذا غير صحيح ٠٠٠

فكما أن هناك أمثلة الحرية والتقدم الكبرى فهناك محنة احمد بن حنبل مثلا ايام فتنة « القرآن هل هو قديم أم مخلوق » ٠٠

وكما اننا نجد « أبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل السابق ، واستاذ التاريخ والادب العربي السابق ، يقول في آخر كتاب له « شعبي » ان اليهود عرفوا خلال تاريخهم مرحلتين ذهبيتين : الاولى في الاندلس العربي الاسلامي ، ايام ظهر ابن ميمون (اليهودى) وغيره ، وان تسعة اعشار التراث اليهودي مكتوب باللغة العربية ٠٠ والثانية هي حياة اليهود اليوم في الولايات المتحدة الامريكية ٠٠ فاننا نجد مراحل ضاقت فيها حلقة الفكر على المسلمين اولا ، ونزل الظلم والتزييف بالمسلمين العرب قبل غيرهم ٠

فمن ، لهذه المهمة الكبرى ؟

لقد عرفنا فترة ظهر فيها امثال محمد عبده وطه حسين والعقاد ٠٠ قاموا خلالها بجهود فردية في هذا المجال ، وكانت ميزتهم انه قد تهيأ لهم رسوخ القدم في دراسة التراث القديم من جهة ورسوخ القدم في فنون النقد والكتابة والفكر الحديث من جهة اخرى ٠٠

بعدهم ٠٠ جاءت اجيال قل فيها من يجمع بين الامرين ٠٠ فهو اما خريج الدراسة الدينية المحضة واما نتاج التكوين الاوروبي المحض ، فوقع الانقسام الفكري ، ونقص عدد القادرين على التكامل ٠

ولا اقول ان هؤلاء غير موجودين ، ولكن الامر صار اكبر واهم ، بحيث يحتاج الى جهد جماعي ، ترعاه هيئة او دولة تدرك قيمة هذا العمل ٠٠

فمن ، لهذه المهمة الكبرى ؟ ●●

احمد بهاء الدين

التضخم

هل هو نعمة أم نقمة ؟





بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملى

■ المظهر العادى للتضخم هو ارتفاع المستوى العام للأسعار ، أى ارتفاع متوسط كافة الأسعار لجملة السلع والخدمات ، بصرف النظر عن الاتجاه الذى تاخذه اسعار سلعة او خدمة ما .

ويقترن الارتفاع العام للاسعار عادة بارتفاع الاجور وتزايد مستوى النشاط الاقتصادى ، كما يقترن فى العادة أيضا بزيادة السيولة النقدية وتوافر مصادر التمويل اللازمة للمشروعات الخاصة . ولتمويل النشاط الحكومى فى مختلف الميادين بما فى ذلك ميادين التنمية الاقتصادية أو الخدمات الاجتماعية أو التسليح .

وبسبب هذه المظاهر المتعددة « للتضخم » كان اعتباره نعمة او نقمة امرا يختلف فيه الناس ، سواء أكانوا من الفنيين المتخصصين فى الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أم كانوا من العامة كجمهور المستهلكين أو العمال أو رجال الأعمال ، وذلك بسبب الاختلاف فى النظرة الفلسفية أو فى تقدير الاولويات الاجتماعية او السياسية او بسبب تباين المصالح ومدى بعد النظر فى الحكم على نتائج الاشياء القريب منها والبعيد .

واذا كانت ظاهرة التضخم فى وضعها العادى المؤقت ، الذى عرفه العالم قبل الحرب العالمية الثانية محل خلاف فى الحكم عليها ، وكان ذلك الخلاف قائما الى وقتنا هذا ، الا أن التطور الذى اصاب هذه الظاهرة ـ سواء من ناحية حجمها أم من ناحية مدتها ـ منذ انقضاء الحرب العالمية وبصفة خاصة منذ بدء السبعينيات ، قد جعل الخلاف فى الراى بشان التضخم ياخذ صورا لم نعهدها فى



الماضي . لقد أصبح الخلاف في الرأي بشأن التضخم كالخلاف بشأن العقائد السياسية الكبرى . فبينما يرى البعض أن التضخم سيؤدي الى القضاء على النظام الرأسمالي وعلى المدنية الغربية ما لم يحدث تغيير جذري يؤدي الى مواجهته والقضاء على أسبابه ، يرى البعض الآخر أن الامر حري بالاهتمام منا ولكنه لا يدعو الى كل ذلك القلق والهياج .

ويكفي أن أحيل القارىء هنا الى كتابين أحسبهما أيسر وأوضح تعبيرا عن وجهة نظر الفازعين خوفا من آثار التضخم على مستقبل الاقتصاد العالمي الغربي ، وان اختلفا في تشخيص الداء وطرائق العلاج ، وهما :

كتاب الاقتصادي المشهور :

Irving S. Friedman
" Inflation - A World Wide Disaster "
(1973)

وكتاب الاقتصادي الكبير عضو الاكاديمية الفرنسية :

Jacques Rueff :
L'Age de L'Inflation (1964)

التضخم ظاهرة مؤقتة قبل الحرب العالمية الثانية

ان التجربة الاولى للتضخم على المستوى العالمي ، ترجع الى القرن السادس عشر عند ما أدى الكشف عن مناجم المعادن النفيسة ، التي كانت اذ ذاك هي أساس النقود الى ارتفاع كبير في الأسعار خلال فترة طويلة .

ومنذ ذلك التاريخ لم يعرف العالم الا ظاهرة التضخم خلال الفترات الاستثنائية التي تصحب الحروب أو تقترن بالتطورات الاقتصادية أو الاجتماعية التي تؤدي الى زيادة استثنائية في الاسعار . ولكن لم تكن هذه الظاهرة لتمكث طويلا ، بل كانت تنتهي بانتهاء مسبباتها ، وبعود التوازن الى الاقتصاد الوطني . وكانت سياسة الحرية الاقتصادية ووقوف الدولة بعيدة عن محاولة التأثير في سلوك الاقتصاد الوطني ، واتباع نظم نقدية تؤدي تبعا لقواعدها المحترمة الى احداث تغيرات في كمية النقود والدخل وفي مستوى النشاط الاقتصادي ، تعود بالاسعار الى مستوياتها العادية . كل ذلك كان يقلل من اهمية مشكلة التضخم ، نظرا لسمة التوقيت التي لازمتها ، وبسبب العودة التلقائية الى ثبات الاسعار بعد فترات الارتفاع الاستثنائي أو التضخم .

ذكريات الأزمة الاقتصادية الكبرى

ان المشكلة الاقتصادية الاساسية التي شغلت العالم قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت هي مشكلة الازمة ، وما يقترن بها من انخفاض الاسعار وتدهورها خلال فترة من الزمن . ولا زال الصدى العميق للازمة العالمية الكبرى في الثلاثينيات هو اللحن الجنائزي لتلك الفترة البائسة من تاريخ الانسانية الاقتصادي .

ومن هنا ـ فيما أظن ويظن الكثير غيري ـ يبدأ الغط الذي يهدينا الى تفسير انساني لقلة الاهتمام بمشكلة التضخم حتى السنوات الأخيرة ، سواء أكان ذلك من جانب الفنيين أم السياسيين . فذكريات الماضي عن البؤس والبطالة وتوقف النمو والتقدم وانهيار النظم النقدية القديمة ، انما ترتبط كلها بذكريات انخفاض الاسعار ونقص السيولة وضعف الرجاء في الخروج من مرحلة الازمة .

ولكن اذا كان اللحن الجنائزي لذكريات أزمة الركود والانكماش الكبرى يحجب بعميق تأثيره صور الاضرار الاجتماعية التي تصيب ذوي الدخول الثابتة من انخفاض في مستوى معيشتهم بسبب ارتفاع الاسعار في فترة التضخم ، فان ثمة لحنا آخر أكثر حيوية وتأثيرا ، دفع بكثير من الباحثين والمفكرين الى الاستبشار بقدر ما من التضخم باعتباره السبيل الى زيادة الاستثمار والانتاج ، بل والى زيادة القدرة على الشراء الاستهلاكي من جانب الجمهور . فالدعوة الى ايجاد عجز في ميزانيات الحكومات يستخدم لتمويل المشروعات ، وان كانت قد نبتت من ظروف الازمة العالمية الكبرى ،

الا انها أصبحت مبدأ مقبولا فى الدول المتقدمة والنامية على السواء ، كوسيلة لتحريك العوامل المؤدية الى زيادة الدخل القومى بزيادة الانفاق على الاستهلاك والاستثمار .

سياسة التمويل عن طريق العجز

لقد تطورت فكرة التمويل عن طريق العجز واخذت وضعا عالميا عند ما أخذت الدول ذات العملات الأساسية تمول احتياجات العالم الى السيولة الدولية ، عن طريق ايجاد عجز فى موازين مدفوعاتها باعتبار ذلك هو الوسيلة العادية لخلق السيولة ، ما دامت كمية وسائل الدفع الدولية الاخرى لا تتزايد وفقا لاحتياجات التجارة الدولية وما دام ثبات قيمة العملة الاساسية (الدولار) قائما وفقا لنظام النقد الدولى الذى صيغ فى برتن وودز بعد الحرب العالمية الثانية .

وبصرف النظر عن النواحى الفنية المرتبطة بموضوع التمويل عن طريق عجز الميزانية أو عجز موازين المدفوعات ، وأثر هذا التمويل على وضع بذرة التضخم العالمى ، فان قبول المبدأ والتوسع فيه انما يدل على تغير أساسى فى معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فى الحقبة الحديثة من تاريخ الاقتصاد العالمى .

تفضيل التقدم على الثبات الاقتصادى

يرجع هذا التغير الأساسى فى معالجة المشاكل الاقتصادية الى تطور طويل وعميق يمكن أن ترد أصوله الى الثورة الفرنسية والى كتابات الفلاسفة ورجال السياسة من الداعين الى المساواة الاقتصادية والاجتماعية والى التضحيات التى تحملتها الشعوب خلال الحرب العالمية الاولى والى ذكريات الازمة العالمية الكبرى ، بل وترجع أيضا الى نجاح الثورة الاشتراكية وبلوغ الاتحاد السوفيتى مقام الدولة الكبرى الثانية فى العالم والى نجاح حركة التحرير الوطنى بعد الحرب العالمية الثانية والى قيام الامم المتحدة .

لقد أصبحت أهداف السياسات الاقتصادية ليست مجرد الثبات الاقتصادى بل تحقيق التقدم المتوازن للاقتصاد العالمى وتوفير العمالة الكاملة وضمان أعلى مستوى ممكن لمعيشة الأفراد والشعوب .

كل ذلك قد جعل أمر التضحية بمبدأ الثبات الاقتصادى والمحافظة على قوة شراء النقود ومحاربة التضخم ، أمرا وان كان له محله فى الصدارة ، الا أنه فى المقام الثانى فى نظر الكثير من الحكومات والشعوب .

وقد ظل الأمر هكذا بسبب أن التضخم كان أمرا عارضا ومحدود الحجم وأن الحالات المرضية العنيفة من التضخم انما عرفتها الدول المهزومة فى الحرب الأولى (المانيا) أو عرفتها دول حديثة النشأة مثل دول أمريكا اللاتينية ، أو مارستها الدول الأوروبية واليابان بسبب الحرب أو غيرها من الظروف الاستثنائية .

اما الولايات المتحدة ، فلم تعرف الا قدرا صغيرا من التضخم خلال فترات محدودة . وظل الوضع هكذا الى قيام الحرب العالمية الثانية . بل ان صور التضخم الظاهر لم تبد فى الولايات المتحدة الا فى أواخر الستينيات .

ولقد أدى تطور التنظيم النقابى وتدعيم قوته فى مختلف الدول الصناعية ، بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، الى ايجاد قوة دافعة لتزايد الاجور ، الامر الذى يدعم الاتجاهات التضخمية بزيادة الانفاق وزيادة الطلب الاجمالى .

ومن ناحية أخرى فان تزايد القوة المؤثرة للمشروعات الكبرى بتزايد أوضاعها الاحتكارية ، قد مكن لها من رفع الاسعار كلما تزايدت النفقات ، اما بسبب ارتفاع الاجور أو بسبب زيادة تكلفة عناصر الانتاج الأخرى بما فى ذلك التزايد فيما تجنيه من ربح .

وعلى ذلك فيمكن القول بان الأسباب المباشرة للتضخم تتلخص في تزايد الطلب على السلع والخدمات على نحو يتخطى طاقات الموارد الانتاجية المتاحة ، الأمر الذى يؤدى الى ارتفاع الأسعار • ويرجع أيضا الى ارتفاع الأسعار الناجم عن قدرة المنتجين على نقل الزيادة في التكلفة الى المشترين، وذلك كله بشرط توافر السيولة النقدية •

اما عن الأسباب العميقة والبعيدة التى تكمن وراء الأسباب المباشرة ، فهى كما قدمنا جماع تطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، ونتيجة لتطورات في القوى المؤثرة في سياسة الحكومات والدول وفى الأنظمة والسياسات المأخوذ بها على الصعيد الوطنى والدولى ، بما فيها السياسة النقدية والمالية •

سمات التضخم فى السبعينيات

كان التضخم فى الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية ظاهرة استثنائية ومؤقتة • وجاءت الحرب العالمية الثانية واتسمت مثل الحرب العالمية الاولى بظاهرة التضخم تبدو فى كافة الدول بنسب متفاوتة • وبلغ جملة التزايد فى الأسعار فى الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠٪ فى خلال فترة الحرب • واستمر الارتفاع فى الأسعار بمعدلات متفاوتة فى الفترة من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٧٠ ولكنه كان بمستويات منخفضة ترتفع أحيانا بسبب الظروف الاستثنائية مثل الحرب الكورية لم تعود الى مستوياتها العادية • ولكن الأمر الهام فى ذلك كله هو استمرار الارتفاع السنوى فى الاسعار طوال تلك المدة الطويلة ، دون توقف الا سنة واحدة لم تشاهد ارتفاعا فى الأسعار ، وتلك ظاهرة جديدة جعلت البعض يقول بان الاقتصاد الامريكى اصبح يتضمن فى بنائه العضوى ذاته أسبابا دائمة للتضخم ، الامر الذى حدا ببعض علماء الاقتصاد الى التعبير عن تخوفهم ،كما سبقت الاشارة ، والى مطالبتهم باتخاذ اجراءات جذرية لمعالجة الموقف من أساسه ، دون الاكتفاء بالتصدى لآثاره عن طريق السياسة النقدية او السياسة المالية الضريبية ، او حتى عن طريق فرض الرقابة على الأسعار والأجور على النحو الذى قرره رئيس الولايات المتحدة فى اغسطس سنة ١٩٧١ •

وبجوار ظاهرة استمرارية التضخم ، التى تأكدت طوال الفترة اللاحقة على الحرب العالمية الثانية، فان ثمة ظاهرتين اخريين جديرتين بالتنويه عن الوضع التضخمى •

اما الظاهرة الاولى ، فتبدو فى السبعينات فى الارتفاع الشاهق للأسعار فى مختلف دول العالم على نحو لم يعرف فى الماضى على المستوى العالمى الراهن • فبعد أن كان متوسط الارتفاع السنوى فى الاسعار فى المدة من سنة ١٩٦٠ الى سنة ١٩٦٥ يبلغ فى الدول الصناعية ٢ر٦٪ ويبلغ فى الولايات المتحدة ٤ر١٪ سنويا ، اذا بالارتفاع فى سنة ١٩٧٠ يبلغ ٩ر٥٪ فى الدول الصناعية ويبلغ ٥ر٥٪ فى الولايات المتحدة فى نفس السنة ثم يصل الى ٧ر١١٪ فى الدول الصناعية ويصل الى ٣ر١٠٪ فى الولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٧٤ •

وفى سنة ١٩٧٥ أخذت موجة التزايد السنوى فى الأسعار ينخفض معدلها السنوى بعض الشيء مع بقاء موجة التضخم فى مستويات عالية ، وقد قدر متوسط الزيادة فى الاسعار فى المدة من اكتوبر سنة ١٩٧٤ الى اكتوبر سنة ١٩٧٥ فى الدول الصناعية بنسبة ٩٪ فى المتوسط ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة ٥ر٧٪ •

وتبدو الظاهرة الثانية فى أن هذا التضخم المتناهى الحجم قد اقترن فى نفس الوقت بنقص فى مستوى نمو الاقتصاد العالمى وبارتفاع فى نسبة البطالة ، اى ان التضخم قد لازم الاقتصاد العالمى فى فترة الأزمة الاقتصادية • فعندما زادت الاسعار فى الدول الصناعية فى سنة ١٩٧٤ على المستوى الذى رايناه لم يصحب ذلك اية زيادة فى الناتج الاجمالى بل اقترن التضخم بانخفاض هذا الناتج فى الدول الصناعية فى جملتها وفى الولايات

المتحدة . وبلغ الانخفاض في الناتج القومي الاجمالي للولايات المتحدة الامريكية في سنة ١٩٧٤ نسبة ٢ر١٪ عما كان عليه هذا الناتج في سنة ١٩٧٣ .

وبذلك يجد الاقتصاد الامريكي والاقتصادالعالمي الصناعي نفسه في مأزق ، نظرا لان الاجراءات المعروفة التي تتخذ للخروج من الازمة يكون من شأنها زيادة حجم التضخم ، وأن الاجراءات التي تتخذ لمحاربةالتضخم يكون منشأنها زيادة البطالة وتعطيل حركة النمو الاقتصادي .

ومما يزيد منخطورة المرحلة التضخمية الراهنة، التي لم يكسر الركود الاقتصادي من حدتها ، أن التضخم قد شمل البلاد النامية وان معدلاته فيها تزيد بكثير عن معدلاته في الدول الصناعية ، اذ بلغت نسبة التضخم في سنة ١٩٧٤ في الدول النامية ٢٩٪ عما كان عليه في سنة ١٩٧٣ .

هل ارتفاع أسعار النفط مسئول عن التضخم العالمي

ان الدراسة التاريخية التي عالجت هنا على أساسها مشكلة التضخم العالمي الحاضرة لتدل على ان حركة التضخم العالمي سابقة على ارتفاع أسعار النفط التي حدثت في أواخر سنة ١٩٧٣ ، وأن الارتفاع فيأسعار النفط وان كان يؤثر فيتكاليف الانتاج وفي تكاليف المعيشة في الدول المستوردة للنفط ، الا انه لا يمثل الا نسبة صغيرة في ذلك كله .

التضخم المستورد في الدول النامية وفي دول النفط

ويلاحظ من ناحية أخرى أن الدول الناميةودول النفط تستورد جانبا كبيرا مما تحتاجه من سلع الانتاج وسلع الاستهلاك من الدول الصناعية . وان أهمية الاستيراد من الدول الصناعية أكبر بالنسبة للدول المصدرة للنفط بسبب كبر حجم وارداتها من سلع الانتاج وسلع الاستهلاك ،هذا فضلا عن استيراد المعدات العسكرية .

وبذلك يكون العامل المؤثر الاساسي في الأسعار الداخلية في الدول النامية وفي دول النفط انما هو تطور أسعار الاستيراد . فالتضخم الذي اتينا على وصفه في الدول الصناعية تصدره هذه الدول الى العالم أجمع .

الخلاصة

أسئلة أجبت عليها بطريق غير مباشر خلال هذا المقال والخص الاجابة هنا في :

اولا : أن التضخم في نظري انما يظهر نتيجة لتفاعلات عضوية فيالبنيان الاقتصادي العالمي وفي الاقتصاد الوطني ، وأن نفعه أو ضرره يتوقف على مدى اتساق اثاره مع أهداف المجتمع خلال فترة معينة ، فاذا كانت الاولوية لهدف التقدم على هدف الاستقرار خلال فترة معينة ، فان تحمل بعض الطبقات لتضحيات وقتية يعتبر جزءا من تكلفة التضامن الاجتماعي من أجل المستقبل . واذا كانت الاولوية لهدف الاستقرار كانت محاربة التضخم أولوية سياسية .

ثانيا : ان الدول الصناعية الكبرىهي المسئولة عن معالجة مشكلة التضخم العالمي وأن الدول النامية لا مناص لها من استيراد التضخم مع ما تستورده من سلع وخدمات من العالم المتقدم .

ثالثا : ان فن التخطيط المالي والاقتصادي قد وصل الى مستوى يمكن من كبح جماح التضخم الضار بمستقبل الاقتصاد العالمي .

رابعا : ان مشكلة التضخم العالمية الحاضرة يمكن حلها اذا بلغ التعاون العالمي في صدقه وفاعليته مستوى الأزمة الحالية .

خامسا : ان الوضع التضخمي في أول سنة ١٩٧٦ أفضل منه في أول سنة ١٩٧٥ مما يبشر بنظرة تفاؤلية لمستقبل الاقتصاد العالمي .

الكويت ــ **عبد المنعم الطناملي**



قاعة المؤتمر وقد غصت بالعقول المهاجرة - ووزير الدولة الاستاذ عبد

استطلاع

الكويت

مبادرة لاسترداد

استطلاع : يوسف الشهاب

تصوير : فهد الكوح

■ هجرة الادمغة بين دول العالم المختلفة ، ليست وليدة هذا العصر ، بل كانت منذ سنوات طويلة ، سبقت الحرب الاولى والثانية •• وهجرة الكفاءات ذاتها ليست لحنا من الحان هذا الجيل ، بل هو لحن عزفته المملكة المتحدة مثلا عندما شعرت ان العلماء لديها بدأوا يهاجرون من وطنهم الى الولايات المتحدة بعد ان شعروا ان الاخيرة قد فتحت لهم ذراعيها ، هذه الهجرة التى جاءت بعد الحرب الاولى والثانية جعلت بريطانيا تتخوف من مصير وجودها الاقتصادى باعتبار ان هؤلاء المهاجرين يشكلون الثروة البشرية التى تعتمد عليها •• وكما فتحت الولايات المتحدة ذراعيها للعلماء الانجليز، فتحتها ايضا للعلماء السوفييت ، فاستقطبت « دى سفر سكى » الملحق العسكرى بالسفارة السوفييتية فى بلادها ، وصاحب نظرية خط الانذار المبكر •• وفرشت له الطريق بالورود والرياحين من اجل ان تكسبه كرجل من رجال العسكرية الافذاذ الذين اصبح لاعمالهم الباع الطويل الآن فى علاقات العالم العسكرية •• وصراع امريكا وروسيا بعد الحرب على كسب علماء المانيا امر معروف ، فان « فون براون » مثلا ابو الصواريخ فى امريكا كان فى المانيا الهتلرية يقوم بنفس العمل •

والوطن العربى ، كان مصدرا خصبا لتزويد الولايات المتحدة وغيرها بالعلماء العرب ، وبشتى الاختصاصات العلمية ، وكما قال وزير الدولة الكويتى السيد عبد العزيز حسين الذى افتتح مؤتمر الموارد البشرية لخريجى الجامعات الامريكية نيابة عن سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد رئيس مجلس الوزراء ، لقد كان من القرارات التى اتخذها المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى سويسرا عام ١٩٥٨ قرار خاص بضرورة تشجيع هجرة المهندسين السوريين ، وهناك ثمانية الاف مهندس





العزيز حسين يلقي كلمة الافتتاح في المؤتمر : هنـاك سياسة مدروسة لابقائنا ضعفاء امام اعدائنا .

العقول العربية المهاجرة



الشاعر احمد العدواني ، امين عام المجلس الوطني : لنا في مختلف انحاء العالم علماء اكفاء ..

سوري يعملون خارج وطنهم من اصل ١٣ الف مهندس سوري ، رغم احتياج سوريا الى ٢٠ الف مهندس لمشاريعها الانمائية،ومن خلال البحث الذي القاه الدكتور صلاح الشيخلي رئيس هيئة الاحصاء المركزية بوزارة التخطيط العراقية ، في مؤتمر الموارد ، تبين لنا ان الولايات المتحدة يعمل بها ٣٧ الفا و ٦٠٠ مهاجر من اصل عربي ، ومعظم هؤلاء من المهندسين والاطباء والفيزيائيين ، وهي اختصاصات يشح وجودها في دول الوطن العربي.

الكويت والادمغة العلمية

وانطلاقا من دور الكويت وايمانها بضرورة اعادة هذه الكفاءات العلمية الى وطنها ، فقد دعا المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الى عقد مؤتمر بالكويت عقد في اواخر ديسمبر الماضي ، حضره عدد كبير من خريجي الجامعات الامريكية لمناقشة قضايا الهجرة الى الولايات المتحدة وكندا .

ولعل الاسباب التي تدفع بالعلماء الى الهجرة اسباب مادية او معنوية او فكرية .. فالولايات







د ٠ ابراهيم سعد الدين ٠٠ مركز الامم المتحدة بالكويت ـ (الى اعلا) وامل فلسطين ، ومستقبلها المشرق ابناء اعضاء المؤتمر ٠٠ اطفال اليوم ، رجال الغد ٠ (الى اعلا اليسار) وحرصت المرأة على حضور جانب من مناقشات المؤتمر (الى اليسار)

المتحدة تعطى بسخاء من الرواتب ما هو كفيل ببقاء هذه العقول لديها ، وكفيل باستقطابهم حين يكونون بعيدين عنها ٠

ومن اسباب هجرة العلماء ما ذكره الدكتور محمد عيد مصطفى استاذ ورئيس قسم المحاسبة بجامعة كاليفورنيا والمنحدر من اصل مصرى ، اذ قال ان سبب هجرته الى الولايات المتحدة هو « تحقيق الذات » والاحساس باحترامها وتقديرها ٠ وقد كان من اسباب الهجرة ضياع وطن ٠٠ فهناك الكثير من ابناء فلسطين هاجروا من وطنهم بعد احتلاله ، مع ان العيش فى الولايات المتحدة ليس سهلا كما يقول الدكتور محمد المصرى ، احد المشاركين بمؤتمر الموارد البشرية ، اذ ان معظم المهاجرين العرب المقيمين هناك انطلقوا من الصفر ، لكنهم جاهدوا وكافحوا واشتغلوا فى المجال الصغيرة حتى استطاعوا ان يدرسوا ويقفوا على اقدامهم ٠

واخيرا قد تكون الهجرة نتيجة عدم الاهتمام اللازم بهذه الفئة ووضعها فى المكان الذى يجب ان تكون فيه بين صفوف المجتمع ٠٠ واذا نظرنا الى المهاجرين العرب فى كندا نجد ان عددهم اليوم كما اشار بحث الدكتور بهاء ابو لبن الى مؤتمر الموارد ، بقوله : ان عدد الكنديين من اصحاب الاصل العربى بين ٦٠ و ٧٠ الف نسمة ، والهجرة العربية الى كندا قديمة بدات منذ اواخر القرن الماضى ، وبعد الحرب الثانية شهدت الهجرة العربية الى كندا تغيرات هامة من حيث تخصصات المهاجرين العرب ومواطنهم الاصلية ٠٠ وفى عام ١٩٤٠ على سبيل المثال ، كان كل المهاجرين العرب من سوريا ولبنان ، وفيما بين ١٩٤٦ ـ ١٩٧٢ جاء من مصر اكبر عدد من المهاجرين ، اذ بلغ عددهم ١٦ الفا ، و ٢١٤ مهاجرا ، ثم ياتى بعدهم المهاجرون الذين جاءوا من لبنان وعددهم ١٢ الفا ثم المهاجرون المغاربة وعددهم ٧ الاف ، فالسوريون ٢٧١٤ ، فالجزائريون ١٠٠٠ مهاجر ، فالتونسيون ٥٣٧ مهاجرا ، ثم السعوديون وعددهم ٢٣١ مهاجرا ٠

٨ آلاف مهاجر سنويا

وفى بحث الدكتور محمد الرميحى من جامعة





مناقشة حول كيفية اعادة العقول العربية الى الوطن الام · (الى اعلا) نادية الزنكي ، فتاة الكويت ،شاركت مع زميلاتها فيالاعداد للمؤتمر · (الى اليمين)

الكويت الذى قدمه لمؤتمر الموارد ، تجد احصائية عن عدد المهاجرين العرب وتخصصاتهم ، ويؤكد الدكتور الرميحي ، ان خسارة البلاد العربية من كفاياتها العلمية تقدر بما لا يقل عن ثمانية آلاف مهاجر سنويا من اصحاب القدرات العلمية ·

حالات الهجرة

ولعل الهجرة العربية الى الخارج كانت وما تزال تتنوع فى حالاتها من حيث كيفية هجرتها عن وطنها ، فهناك فئة تعلمت فى اوطانها العربية، لكنها اصطدمت بعد تخرجها بعقبات قد تكون مالية او فكرية او اجتماعية ادت بها الى هجرتها خارج وطنها الام · وفئة اخرى تعلمت فى الخارج ثم عادت لخدمة وطنها لكنها شعرت أنها لم تعط الاهتمام المناسب لتخصصاتها ، فعادت الى حيث اتت لتقدم خبرتها الى وطن غير وطنها ·· وفئة ثالثة تلقت علومها فى جامعات الخارج ، وطاب لها العيش هناك ، خاصة بعد ان وجدت ان الاغراءات امامها كثيرة ، فاحبت العيش هناك وفضلته على العودة الى وطنها الذى خرجت منه، وكيفما تكن حالة هذه الهجرة ودوافعها ، فاننا نصل الى نقطة واحدة،تتلخص فى ان الوطن العربى هو الخاسرالوحيد من وراء هذه العملية دونسواه·

والخلاصة ·· ان الكويت بدعوتها لعقد هذا المؤتمر ، قد قدمت دليلا صادقا على مدى حرصها على عودة هذه العقول الى وطنها الام ·· وهى دعوة تحتاج الى دعم من كافة الدول العربية لاستقطاب هذه الكفاءات التى تعيش بعيدا عن اوطانها ، وتساهم فى تقدم وطن غير وطنها ، والدول العربية على السواء من واجبها ان تفتح الباب لهؤلاء ·

يوسف الشهاب



رأس المال البشري في الخليج طريق للتنمية المستمرة

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

■ تكثر لدى المهتمين بمنطقة الخليج العربي في الآونة الأخيرة المقارنة بين الفترة الحالية التي تمر بها هذه المنطقة مع الثروة البترولية المصاحبة لها ، والفترة الاقتصادية السابقة بين أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، حيث مرت المنطقة أيضا برخاء اقتصادي من جراء تزايد الطلب على اللؤلؤ .

ووجه المقارنة أن كلا الفترتين شهدتا نموا اقتصاديا كبيرا من جراء تصدير سلعة طبيعية جاءت بعائد مالي كبير ، الا أن الافادة من هذا العائد - مع الفارق النسبي - لم تجيء عبر التوظيف الصحيح والمرشد الذي يمكن هذه المجتمعات من الاستمرار في مستوى معيشي معقول.

ففي الفترة الأولى - أي حوالي المئة سنة فيما بين أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين - ذهب عائد اللؤلؤ على كماليات وسلع استهلاكية تستورد من الهند ، أو على مضاربات تجارية اغلبها خارجية في سواحل افريقيا الشرقية والهند ، أو استملاك لاراض وعقارات خارج منطقة الخليج الاقليمية .

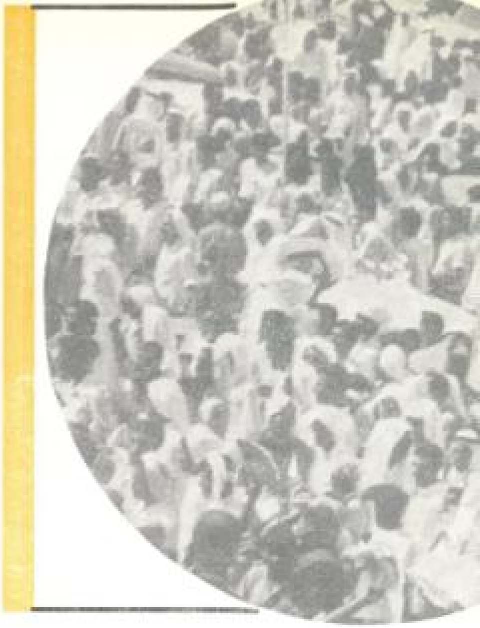
وعندما تغيرت الظروف لم يبق من تلك (الممتلكات) شيء يذكر فعادت المنطقة - خاصة بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعي ومن قبل ذلك تسيير السفن البخارية - الى سابق عهدها تسبح في فقر مدقع .

وهي تشهد الآن - ومنذ ربع قرن تقريبا - ازدهارا اقتصاديا لم تشهده من قبل من حيث الكم والكيف ، الا أن استمرار هذا الازدهار الاقتصادي وتراجعه ليس موقوفا على العوامل الخارجية فحسب - كما كان سابقا - بل انه ايضا محسوب الى الاتجاه للنضوب .

فالبترول والذيهو مصدر الدخل الوحيد والاكبر لشعب الخليج ، والذي زاد استهلاكه العالمي خاما من ٢٩ر٧٪ الى ٤٦ر١٪ في خلال عشرين سنة مابين ١٩٥٠ الى ١٩٧٠ ، يزداد الطلب عليه فيتسارع انتاجه وبالتالي تقصر مدة الافادة منه . علاوة على ما يمكن ان يحدث في حالة استنباط مصادر بديلة للطاقة ، واكتشاف احتياطي أكبر في مكان آخر من العالم ، أو أي عارض اقتصادي او سياسي عالمي أو محلي يمكن أن يوقف تدفق عوائده بشكل مؤقت أو دائم .

واذا كان شعب المنطقة قد تسامح عن الانفاق الاستهلاكي في فترة الازدهار الأولى لاسباب موضوعية منها الفارق الحضاري والبعد التكنولوجي بينها وبين العالم في ذلك الوقت فانه لا يمكن أن يتسامح عن هذا النوع من الانفاق ولنفس تلك الاسباب الموضوعية وببعدها الايجابي، حيث لاحظ أحد الدارسين من أبناء المنطقة أن الفائض الهائل من الاموال الذي تتمتع به امارات الخليج العربي يمكن أن يستهلك من خلال الطلب غير المتناهي على النفقات التحويلية والجارية .

وربما تكون هذه الملاحظة من قبيل الانذار الاولي ، الا أنها تدق ناقوس الخطر للالتفات



بجدية لمعالجة الامر ، والتفكير في استنباط مصادر اخرى ثابتة للدخل المستمر ٠

وربما يكون المدخل الرئيسي لهذه الاستمرارية هو التحول من مصدر دخل نافد الى مصدر دخل دائم ، وحيث ان الواقع الحالي لاقتصاد امارات الخليج هو اقتصاد تبرز فيه بوضوح سمات الاقتصاد المتخلف ،اذ ان النفط هو العمود الفقري والتجارة هي المجال الرئيسي ٠ وحيث يعتمد الاثنان على السوق العالمي فهو اقتصاد مفتوح على الاستيراد ٠ يمكن بالضرورة ان يتاثر سلبا وايجابا بكل مشكلات الاقتصاد العالمي ٠

ومن البديهي أن المشكلة في السؤال لا تتركز على وجود الثروة ، وانما في الاساس تتركز على القدرة على خلق الثروة ، لانها الطريق الى كسر طوق الاستغلال ٠والقدرة على خلق الثروة لايمكن ان تتاتى - مهما كانت المصادر المادية - الا عن طريق الانسان ٠٠ لانه يحول الخامات من خامات غير ذات نفع الى أدوات نافعة ٠ ذلك أن العنصر البشرى المدرب هوالاساس لاىعملية انماء اقتصادى واجتماعي ٠

ولقد قيل ان مستوى المعيشة المرتفع الذى تتمتع به أقطار الخليج الآنهو نتيجة لوجود مؤهلين فنيين غير محليين ، وأن هذا المستوى من المعيشة يمكنأن ينخفض او يتاثر لو افترض جدلا خروج هؤلاء المؤهلين والفنيين من سوق العمل الخليجي بشكل جماعي ، حتى لو استمر الدخل العام لهذهالاقطار بنفس المستوى او زاد عن ذلك ٠

من هنا يمكن ان نجزم ان الثروة البشرية هي القادرة على خلق الثروة الاقتصادية ، والاولى تستثمر بشكل محدود فيالخليج سواء اكانت ثروة بشرية محلية او وافدة ٠

الاتجاهات الاساسية للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية

منذ تدفق الثروة البترولية ونتيجة لظروف تاريخية واجتماعية وسياسية ، اتجهت حكومات امارات الخليج العربي للصرف على الخدمات الأساسية في محاولة لبناء هيكل حكومي حديث ٠

ونظرا لان هذه الادارة وتلك الخدمات كانت تقدم لمجتمع قليل في عدد سكانه ومحدود فيمساحته الجغرافية ، ولوفرة الاموال فقد تبنت هذهالادارات الخليجية سياسات ليرالية منذ البدء وبخاصة في التعليم والعلاج الطبي ٠ فوفرت المدارس للبنين والبنات ، والمستشفيات والمستوصفات بشكل مجاني تقريبا ، وبعض الخدمات الاخرى كالاسكان٠

بل نجد ان الكويت تذهب الى أبعد من ذلك ، ليس فقط في التعليم والعلاج من حيث الكم والكيف ، الا انها تتسع لتشمل السكن ،والتوظيف والضمان الاجتماعي ، وحتى تحمل بعض العبء المالي عن طريق دعم بعض السلع الاستهلاكية الاساسية ، وذلك في اتجاه تامين احتياجات الفرد الغذائية وبسعر معقول ٠

الا ان هذه السياسات الاجتماعية المطبقة في المنطقة هي نمط من انماط السياسات الاجتماعية الاستهلاكية وليست المنتجة ، اى انها تتجه الى مساعدة الناس فقط ، لا الى مساعدتهم كي يساعدوا انفسهم ولا شك في أن هذه السياسات في التعليم والصحة والاسكان والخدمات الاخرى تتجه الى خلق الانسان المستهلك وليس الى خلق الانسان المنتج ٠ وحتى الاساليب والطرق التى استعيرت من مجتمعات اخرى لم تطبق التطبيق الصحيح ٠فمثلا في الاسكان يجرى توزيع الاراضي وتقديم القروض دون أية فائدة تذكر هذه الفائدة لو كانت موجودة لتم استخدامها مكررا في تقديم قروض أخرى ،ولكان قد حد من الميل الاستهلاكي٠

وتوسع القطاع المصرفي في خليج النفط ، فمثلا بلغت شبكة المصارف التجارية في الكويت في اواخر عام ١٩٧٤ ، ٨٤ فرعا بما فيها المراكز الرئيسية ، وبلغت الموجودات لهذه البنوك ٥ر٢٧٢

مليون دينار في مارس من ذلك العام ، وكان ذلك بمعدل نمو لسنة واحدة بلغ ٦١٪ .

أما في البحرين فقد كان هناك احد عشر فرعا لبنوك تجارية فيأواخر سنة ١٩٧٣ بلغتموجوداتها المحلية ١٠٠ر٨٨٥ر٣٣ دينار بحراني وبمعدل نمو خلال سنة واحدة بلغ ٦١ر٣١٪ .

وفي قطر بلغت مؤسسات البنوك والصرافة ١٧ فرعا في نهايةسنة ١٩٧٢ بلغ اجمالي موجوداتها المحلية ٢٠٠ر١٢ر٤١٢ر٢٦ ريال قطري وبنسبة نمو عن السنة السابقة بلغت ٩ر٤٤٪ .

وفي عمان وهي حديثة الدخـول في الاعمال المصرفية ظهر التوسع فيهذه الاعمالبشكل ملحوظ منذ بداية السبعينات ، حيث بلغ اجمالي موجودات البنوك المحلية في اواخر سـنة ١٩٧١ ما قيمته ٠٨٥ر٢٤٦ مليون دولار ، (١٣) بنسبة نمو عن السنة السابقة بلغت ٥ر١٩٪ .

ويتميز التركيب السكاني في الخليج باغلبية شابة سواء السكان الاصليون كما هو الحال في الكويت والبحرين فاننا نجد ان هذه النسبة ترتفع الى ١ر٥٠ ، ٤ر٤٨٪ في المرحلة من واحد الى ١٤ سنة بالنسبة للسكان المحليين .

ويبدو الهرم السكاني طبيعي بالنسبة للسكان المحليين في كل من الكويت والبحرين حيث تتوازن المراحل العمرية والتقسيم الجنسي ، الا ان الهرم السكاني يبدو غير طبيعي بالنسبة للوافـدين ، والذين يكون هرمهم العمرى خفيفا في القاعـدة منتفخا وعريضا في الوسط ومدببا في القمة يكثر فيه الرجال عن النساء .

ومن حيث التقسيم النوعي للسكان فان ظاهرة تواجد الذكور بنسبة أكبر في الامارات في مجمل مجموعة السكان ظاهرة تكاد تعم المنطقة المدروسة. ففي الكويت نجد أن ٨ر٥٦٪ من مجموع السكان هم من الذكور (١٩٧٠) اى بمـا يوازى ٧ر١٣١ لكل مائة من الاناث . وفي البحرين نجد ان نسبة الذكور الى المجموع العام تبلغ ٨ر٥٣٪ اى يوازى ٥ر١١٦ لكل مائة من الاناث (١٩٧١) . وهـذه الزيادة غير الطبيعية فينسبة الذكور ترجع أساسا للنسبة العالية من الذكور الوافدين ، حيث بلغت نسبة الذكور الى الاناث ـ في الوافـدين ـ في الكويت (١٩٧٠) ١٦٦ لكل (١٠٠) انثى .

وهذه الظاهـرة تتضخم في بعض مدن دولة الامارات حيث تصل في ابو ظبي الى ٩٣٣ لـكل (١٠٠) انثى . وقد يرجع السبب لهذا العـدد الكبير من الرجال من جراء الهجرتين الخارجية ـ كما هو الحال في الكويت والبحـرين ـ بجانب الهجرة الداخلية في دولة الامارات حيث يعمـل الرجال في العاصمة وربما يفضلون تركعائلاتهم في مسقط راسهم لعدم توافر الخدمات الاساسية في المدينة (العاصمة) .

تقليديا يقسـم ما يعرف بالقـوى البشرية Man Power في اى مجتمع الى قسمين رئيسين ، تلك الداخلة في قوة العمل وتلك الخارجة عنه. ومن القسم الاخير تتفرع مجموعات هي عادة أولئك الاشخاص الذين لا يبحثون عن عمل ولا يرغبون فيه ، مثلا ربات البيوت ، الطلاب . اما الداخلون في قوة العمل فانهم ينقسمون بدورهم الى قسمين رئيسين العاملون والمتعطلون .

ومع ان البطالة عن العمل تشكل احد أهـم المشكلات في الدول المتقدمة والدول النامية ، الا انها في الخليج لم تخرج بعد الى السطح ـ عدا بعض المهتمين منالمثقفين حول (البطالة المقنعة) . كما ان الملاحظ في الدول المتقدمة ان الفرق بين القوى البشرية والقوى العاملة هامشي ـ الا ان هذا الفارق يبقى كبيرا لاسـباب اجتماعية في منطقة الخليج النفطية . ويمكن ضرب مثال على ذلك الفرق في ان عدد الكويتيين الداخلين في قوة العمل . . Labour force اذ يبلغ عدد العاملين منهم ٣٦٩ر٦٥ فقط . بينما النسـبة الاكبر من قوى العمل الوافدة على الكويت . وهي تساوى ٨ر١٨٪ من مجموع السكان الكويتيين . فيما على النقيض من ذلك تشـكل قوة العمل الوافدة بما نسبته ٥ر٨٧٪ من قوة العمل . وهي تساوى ٢ر٤٥٪ من مجموع السكان غير الكويتيين . وتبلغ نسبة الذكور من القوى البشرية الكويتية حوالى ١ر٣٦٪ اما مشاركة الاناث في قوة العمل فتبدو متدنية لدى الكويتيينفقد بلغت سنة(١٩٧٠) ٦ر ٪ فقط .

من هذه المؤشرات يمكننا ان نتعرف على الاتجاه السائد في قوة العمل الخليجية .

ان قسما كبيرا من الاعمال في الخليج يعتمـد على نسبة كبيرة من القوى العاملة الوافدة ، وان هذه القوى الوافدة ، سوف يحتاج اليها في المدى القصير والمتوسط .

وهـذه المؤشرات يمـكن تتبعهـا من حيث :

القطاعات الاقتصادية ، المستوى التعليمي والمستوى الوظيفي •

القطاعات الاقتصادية :

يستفاد من الدراسات المتوفرة حول هذا الموضوع، ان التشغيل في القطاع الصناعي في الكويت تضاعف من سنتي ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ من ١٧ر٩٤٢ عاملا الى ٣٢ر٠٩١ اما من حيث نسبة العمال في هذا القطاع الى مجموع القوى العاملة فقد ارتفعت من ١٠٪ الى ٧ر١٣٪

كما ان العاملين في الخدمات الحكومية والخاصة يشكلون اقل بقليل من نصف مجموع القوة العاملة، وهي ظاهرة تتكرر باحجام مختلفة ـ الا انها هامة ـ في بقية الامارات • ففي البحرين تشكل نسبة العاملين في الخدمات اكثر من الثلث بقليل من مجموع القوة العاملة • وفي البحرين ارتفع مجموع القوى العاملة من حوالي ٤٧ر٠٠٠ عامل الى حوالي ٥٩ر٦٠٠ بين سنوات ١٩٥٩ ـ ١٩٧١ اي ان متوسط الزيادة قد تبلغ ٢٪ سنويا •

وفي الامارات العربية ، يظهر لنا بوضوح تركيز قوة العمل في قطاعي الخدمات الحكومية والتشييد ، ولا يخفى ان هذين القطاعين هامان في بناء الدولة الحديثة ، بعد ذلك ياتي القطاع التجاري ، ثم الخدمات بشكل عام ، فالمواصلات والاتصالات والبترول الذي هو المصدر الرئيسي للدخل في الدولة ويحوز على ٧ر٥٪ فقط من مجمل القوى العاملة •

وفي عمان ، ومع ان الارقام التي بحوزتنا تقديرية ، الا انها يمكن ان تشكل مظهرا اخر لقوة العمل في الخليج ، حيث يشغل قطاع الصيد والزراعة معظم القوة العاملة في ذلك البلد ، وبالرغم من ان الدخل من البترول يشكل حوالي ٩٦٪ من مجموع دخل الحكومة ، فان قوة العمل الداخلة في هذا القطاع لا تتعدى الـ ٣ر٠٠٠ شخص • والخدمات الحكومية والخدمات الاخرى في القطاع الذي يتطور بسرعة ولا بد ان هذا القطاع الان (١٩٧٥) قد توسع ليحوز على نسبة اكبر من القوى العاملة• وعلى الرغم من ان الزراعة والصيد كما ذكرنا هي التي تشغل اكبر نسبة من القوى العاملة في عمان الا انه يجب الملاحظة هنا ان هذا القطاع مشبع بالبطالة المقنعة والموسمية لذلك فان اعدادا كبيرة من ابناء عمان اخذت تتجه الى المدن في السنوات الاخيرة •

ومساهمة المراة في القوى العاملة قد بدات تتحسن ، يظهر هذا من النسبة العامة في قوة العمل الا انه من حيث العدد فقد قفزت باعداد كبيرة • فحيث نجد ان مساهمة المراة في القوة العاملة في الكويت قد ارتفعت من ٧٨ر٢٪ الى ٤ر٨٥٪ ثم الى ٢١ر٥٪ في سنوات التعداد ١٩٥٧ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ نجد ان الارقام الممثلة هي ١٩١٨ ، ٨٧٧٦ الى ١٦ر٥٩٦ على التوالي •

هذه الظاهرة يمكن تفسيرها بان عددا من النساء اكبر يلحق بالعمل نتيجة لحصولهن على نوع من التعليم •

ان العرض من قوة العمل الوطنية قاصر بشدة عن ملاحقة الطلب على العمل ، هذا القصور يعود الى مجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية منها تزايد الطلب بشكل سريع وموسع على القوى العاملة في جميع المستويات ، دون ان تكون هناك موارد بشرية تشكل احتياطيا لهذا الطلب المتزايد• كما ان وضع المراة في المجتمع الذي يحد من مساهمتها الفعالة في النشاط الاقتصادي والفرص المتاحة للتعليم الى سنوات متقدمة يؤدي الى تاخير قوة العمل المحلية من الدخول في سوق العمل •

التعليم والتدريب كمصدر لقوة العمل

في طريقها لسد النقص الواضح في قوة العمل اتجهت امارات الخليج العربي للتعليم العام والتدريب المهني في محاولة لاخراج قوة عمل محلية في معظم المهن والاعمال التي يحتاجها الاقتصاد الحديث ، والوضع الاجتماعي السائد والمتطور • هذه المحاولات اختلفت من حيث الحجم والمستوى ، وكذلك نقطة البداية • فحيث ان بعض هذه الامارات دخلت الى مجال التعليم من وقت مبكر ـ وحتى قبل ظهور النفط ـ لم تستطع امارات اخرى ولوج هذا الباب الا بعد ظهور هذا النفط وتسويقه • فقد بدات الامارات الشمالية مثلا ـ الكويت والبحرين ـ منذ العقد الثاني من هذا القرن في فتح المدارس لابنائها ـ حتى لو كان ذلك على مستوى محدود ـ وتاخرت الامارات الاخرى الى بعد ذلك ـ قطر في منتصف الخمسينات ابو ظبي في اوائل الستينات ـ وعمان حتى اوائل السبعينات • لذلك فان حجم ومدى مردود التعليم

يختلف بشكل كبير من امارة الى اخرى •

وبتوفر التعليم في الكويت من رياض الاطفال وحتى الجامعة (افتتحت ١٩٦٦) كما يتوفر على حساب الدولة فيما بعد الجامعة لفئات معينة (المبرزين في الجامعة للدراسة العليا) • ولقد خطا التعليم خطوات كبيرة من حيث الكم ، فتوسع التعليم العام في مدارس الحكومة خلال الربع القرن الماضي (٤٨/٤٩ ـ ٧٣/١٩٧٤) فزاد عدد التلاميذ في المدارس من ٤٦٦٥ تلميذ وتلميذة الى ١٦٩ر٤١٧ • اي بحوالي ٣٥٢٧٪ بمعدل زيادة نمو سنوية قدرها ١٤١٪ • وبلغ الانفاق على التعليم العام في سنة ٧٣/٧٤ حوالي (٥٠ مليون دينار)، وهو ما يعادل ٤ر١٧٪ من جملة الانفاق الحكومي لذلك العام •

الا ان هذا الانفاق الكبير والتوسع يبقى اقل من ملاقاة الطلب الاجتماعي على التعليم •

التعليم المهني

والتعليم المهني في امارات الخليج يواجه صعوبات شتى ، منها صعوبات اجتماعية وهي نظرة المجتمع لهذا النوع من التعليم وسواء كانت حقيقية أم وهمية ـ ومنها صعوبات فنية وادارية سواء في كل امارة على حدة ،أو من المنظور العام• وقد قدر أن التعليم المهني لا يشارك الا بمقدار ضئيل في نسبة مخرجات التعليم في الخليج فخريجو هذا النوع من التعليم لا يتعدون الـ ٥٪ من مجموع خريجي المدارس سنويا • ويطالب كثيرون من خبراء التعليم في الخليج بايجاد صيغة ماتربط بين التعليم العام والتدريب وسوق العمل المحلي في كثير من امارات الخليج • ودافع هذه المطالبة ان سوق العمل الخليجية تعاني من نقص واضح في الحرفيين وأشباه الحرفيين • لم تستطع حتى الآن المدارس الفنية أن تسد هذا النقص ـ وليس متوقعا في القريب ـ لان المشكلة ليست في عدد المتدربين ـ انما المشكلة الأساسية في التسرب والاهدار بعد هذا التدريب ، وهي مرتبطة اساسا بالمردود المالي ـ والقيمة الاجتماعية •

ـ أما كيف يمكن تطوير التعليم المهني فبالرغم من ان مخرجات هذا النوع من التدريب / التعليم المهني (ما عدا الجامعة) قليلة نسبيا مقارنة بمخرجات التعليم العام ، الا ان الوظائف التي يمكن ان تؤديها الآن وفي المستقبل ، هذه البرامج مهمة جدا لسوق العمل المحلية في الخليج ـ اذا لم تكن كما فنوعا على الاقل •

ا) من اولى مراحل التطوير هو ربط التعليم بالتدريب أو ايجاد علاقة بين الاثنين لكسر « العار الاجتماعي » المرتبط بالتدريب في ثقافة مجتمعات الخليج ، وحتى يمكن أن يصل هذا النوع من التعليم / التدريب لاوسع القطاعات وحتى يشارك فيه النساء والرجال من المحليين والوافدين •كما انه يربط هذا النوع من التعليم / التدريب بمشكلات محو الامية وتعليم الراشدين •

ب) ايجاد توازن بين هذا النوع من التعليم / التدريب والتعليم العام والجامعي من حيث المرونة في تقدم الفريقين الى مراتب أعلى عن طريق اعادة التدريب أو عن طريق الوصول الى موازنة معقولة من حيث العمل والأجر لكل انواع التعليم والتدريب في الامارة الواحدة • مع وجود نوع من المرونة في البرامج لملاقاة احتياجات سوق العمل المتجددة والمتغيرة •

جـ) مركزية التخطيط لهذا النوع من التدريب• فحتى الآن في كثير من امارات الخليج ما عدا الكويت أخيرا ـ فان الوزارات المختلفة تقوم بادارة برامج خاصة بها بعيدة عن التنسيق مع الادارات والوزارات الأخرى • مما يضيع الوقت والجهد والمال •

د) عن طريق التعاون الاقليمي يمكن حل كثير من مشكلات الاهدار سواء الاقتصادي أو البشري ـ وذلك عن طريق لجان اقليمية للاشراف على انواع مختلفة من التدريب/التعليم المهني والتخطيط له بصورة افضل •

احتياجات منطقة الخليج من القوة العاملة

ان امارات الخليج الاخرى في طريقها الى بناء البنية التحتية للاقتصاد،قد اقدمت على مشروعات اقتصادية كبيرة تمتص القوة العاملة الحالية وتزيد • كما ان امارات الخليج الخمس المدروسة توخيا منها لعدم الاعتماد على مصدر واحد من الدخل القومي هو تصدير البترول اتجهت الى مجموعة من الصناعات المعتمدة على النفط والصناعات الانتاجية في نفس الوقت • ولتحقيق هذا الهدف من الضروري الاهتمام بالقوة العاملة، سواء المحلية أو الوافدة •

لقد انشئت عدة صناعات كبيرة وحديثة فى الكويت كمصانع الأسمدة الكيمياوية ، وشركة الصناعات الوطنية التى تحتوى على مجموعة من المصانع بجانب صناعات تحويلية متوسطة وصغيرة أخرى ، كما اهتمت البحرين بانشاء مجموعة من الصناعات الكبيرة الأخرى - غير البترولية - كصناعة الألمنيوم Alba ويعمل فى هذه الصناعة ما يقارب ٢٥٠٠ عامل ، بجانب شركة البحرين لصيد الاسماك ، والحوض الجاف والمقدران يعمل فيه ٢٠٠٠ عامل بنهاية ١٩٨٢ • بجانب صناعة متوسطة وصغيرة أخرى • تتبع قطر نفس المنهج فقد سعت مجموعة من الصناعات منها صناعة الأسمنت ، وصناعة السماد الكيماوى ومطاحن قطر للدقيق ،وشركة قطر لانتاج الورق والبلاستك• كما يوجد أيضا مجموعة من الصناعات المتوسطة والصغيرة ودولة الامارات العربية لم تتخلف عن هذا الطريق خاصة فى الصناعات المعتمدة على البترول ، كما يوجد حوض جاف يجرى انشاؤه فى دبى بجانب مشروع الالمنيوم - وكذلك مصانع الأسمنت الموجودة فى دبى ورأس الخيمة • ودولة الامارات وعمان التى لم تبدأ فى التصنيع على نطاق واسع بعد مرشحتان للتوسع فى انشاء الصناعات لما تحويه الأرض من مواد خام معروفة ومكتشفة كالرخام - وخامات الحديد •••• الخ•

من هذا الاتجاه يمكن التاكيد بأن الطلب على القوى العاملة سوف يتزايد بنسبة كبيرة فى المستقبل - خاصة القوى العاملة المدربة •

ليس فى الصناعة فقط - انما فى جميع المجالات - لأن التوسع فى الصناعة سوف يزيد على الطلب فى القطاعات الأخرى ، وكذلك الطلب الاجتماعى على الخدمات كالصحة والتعليم ، السكن ••• الخ •

الخلاصة

ان أقطار الخليج الخمسة المدروسة بمليونيها والربع فى سنة ١٩٧٥ ، وثلاثة ملايينها فى ١٩٨٠• ومع ثروتها الهائلة المتدفقة من النفط واحتياطيها منه الذى يتوقع أن يستمر فى بعض الاقطار الى النصف الثانى من القرن القادم ، وانطلاقا من واقعها البشرى والتعليمى والعمالى فى حاجة ماسة الآن الى النظر الى تطوير ثروتها البشرية• ان الطفرة فى أقطار الخليج الآن تعتمد بشكل اساسى على بقاء القوة العاملة الوافدة وسوف تعتمد عليها أيضا فى المدى القصير والمتوسط (حتى نهاية القرن) فمخرجات التعليم العام أو التدريب المهنى كما رأينا - لا يمكن أن تسد الطلب على اليد العاملة الفنية (الماهرة وشبه الماهرة) والتى يزداد عليها الطلب كلما توسعت أقطار الخليج اقتصاديا •

الا أن المعروض من قوة العمل الوافدة والعربية منها خاصة معرضة الى النضوب من مصادرها • حيث بدأت الأقطار العربية فى تطوير خطط تنمية طموحة سوف تحتاج الى الكثير من اليد العاملة الفنية وشبه الفنية والتى بدأ بعض منها بالفعل بالنزوح من أقطار الخليج •

كما أنه مهما كانت خطط التدريب والتعليم فانه لا يمكن الوصول الى اكتفاء ذاتى وتحقيق عمالة محلية كاملة ، ان هذا الهدف لو وضع فانه فى رأيى هدف مضل لان الكثير كما رأينا من قوة العمل المحلية - لاسباب اجتماعية وتاريخية وموضوعية - لا ترضى بتعاطى أنواع معينة من المهن - فهى سوف تتسرب الى مهن أخرى وتبقى الحاجة قائمة فى أنواع معينة من المهن • لذلك فان الاتجاه الامثل هو الاستثمار فى الانسان استثمارا متقدما اى اعداد أكبر قدر ممكن انسانيا وماديا للحصول على قوة العمل العالية •

كما أن وضع خطط مرشدة للاستخدام الامثل لقوة العمل الحالية والمستقبلة عن طريق تغير جذرى فى سياسات التوظيف خاصة فى قطاع الحكومة حيث تزداد البطالة المقنعة ، واستثمارها عن طريق اعادة التدريب •

ان الخيار المتاح لاقطار الخليج أن يكون الخيار الليبرالى الصرف من حيث العمالة - التعليم - السياسات السكانية ••• الخ • بل ان الخيار هو التخطيط لتحقيق أهداف واضحة وانسانية لهذا المجتمع فى اطار تكامل اقليمى وعربى واضح المعالم • كما ان ثمنا سياسيا من المحتم دفعه للحصول على استقرار قوة العمل الوافدة التى بدونها سوف تتوقف عمليات الانتاج • كما أن هذا الخيار - التخطيط - سيجنب مجتمعات الخليج صعوبات كثيرة على رأسها تلوث البيئة - بمعناه الواسع - لو استمرت المدرسة الليبرالية هى الفاعلة • ■■

الكويت - **محمد الرميحى**

حكاية مهرج

بقلم : الدكتور على الراعى

■ يحكى تاريخ المسرح حكاية طريفة ..
ففى عام ٢٨٧ بعد الميلاد أصدر حاكم احدى المدن المصرية الخاضعة لسلطان الرومان أوامره باضطهاد المسيحيين الذين يعيشون تحت سلطانه ، وكان بين الذين اتهموا باعتناق الدين الجديد ، رجل محترم ، يعمل شماسا . ولكنه - على شدة ايمانه - لم يكن يملك العزم ولا الحمية التى تؤهلانه للاستشهاد فى سبيل العقيدة .

وفكر الرجل كيف ينجو بجلده ، دون أن يضحى بدينه ، وهداه التفكير الى حيلة طريفة .



حيلة القسيس مع مهرج

ذهب الى مهرج معروف فى المدينة ، ورجاه ان يلبس ملابس القسس ، وان يقدم ـ منتحلا شخصه ـ القربان المالوف الذى كان يرفع لآلهة الرومان انذاك .

ووافق المهرج ـ واسمه فيليمون ـ من فوره على هذا « التمثيل » الطريف ، ووجد فيه فكاهة تلذ له . غير انه حينما وقف فى مجلس الحاكم ، وراسه منكس ، مغطى بقلنسوة ، وجد نفسه ـ عوضا عن ان يقدم القربان ـ يقول فى رباطة جاش وايمان : « انا مسيحى ، ولن اقدم للآلهة قربانا » .

ورفع راسه وهو يقول هذه الكلمات ، كى يتبين الناس من حوله انه ليس القس العاصى الذى يظنون ، بل هو المهرج « فيليمون » معبود الجماهير .

وضج المجلس بالضحك العالى ، وظن الحاكم ان ما يجرى انما هو مجرد هذر لا غير ، يقوم به ممثل هازل ، اعتاد ان ينتزع الضحك انتزاعا من الاف المعجبين . غير ان فيليمون ظل ساكتا برهة ، ثم عاد يقول : « انا مسيحى ، ولن اقدم قربانا فى هذا المكان » .

ونظر الحاكم فى عينى المهرج ، فراعه ان يجدهما تلتمعان التماعا هادئا ومتصلا ،فاحس من فوره ان من يقف امامه لم يعد ذلك المهرج الذى عرفته المدينة مهذارا ، واحبته .

قال الحاكم لجمهرة المواطنين الذين جاءوا يشهدون الحدث ، وقد علا فى صوته الغضب : « يا قوم ، ماذا نفعل بهذا الرجل ؟ انقتله من فورنا ، ام نسلمه لعذاب بطيء على الصليب ؟» .

وصاح الناس فى صوت واحد : « لا ، لا تجعلوا بهجة حياتنا يموت بهذه الطريقة ، فانا فى هذه المدينة ، نوشك ـ من شدة الحب ـ ان نعبده » .

ثم اخذ الكل يبكون من فرط الرثاء والخوف .

والتفت الحاكم الى المهرج مرة اخرى وقال : « حقا ان لك قلبا من حجر ، اذ تسمع وترى مشهد الحب هذا ، ولا يلين له فؤادك . قدم القربان ، اتوسل اليك ، واعد للناس فرحتهم . ان الاعياد على الابواب ، وانت فيها تمثل للشعب » .

غير ان فيليمون لم يتزحزح ، وانما اعاد ما قاله فى هدوء ووثوق .

وللمرة الثالثة رجاه الحاكم قائلا : « سيحزن الكثيرون لفقدك لا محالة ، وما اشقى اولئك الذين يدخلون المسرح من بعد ، فيجدونه خلوا منك . ولكن هذا التوسل كله لم يجد مع فيليمون نفعا .

وسادت الفوضى المكان وجاءوا بالشماس المسكين والقوه القاء امام الحاكم وسالوه : لماذا لم يختر لحيلته اللعينة هذه شخصا لا يابه له الناس ، بدلا من هذا الممثل الذى تتحلق حوله القلوب ؟

ولم يكن مفر من ان يامر الحاكم ـ والاسى يعصر قلبه ـ بان يبدا تعذيب فيليمون . ومن ثم اخذ ثلاثة من الاتباع يلهبون الممثل بالسياط . ومن جديد تعالى هياج الجماهير وصاح الناس : « لا تقتلوا حبيبنا ، لا تقتلوه » .

ومرة رابعة جعل الحاكم يرجو فيليمون قائلا : « اى فيليمون ، انقذ نفسك وقدم القربان . انظر كيف يحزن الناس لمجرد ان موتك يخطر ببالهم ! فما اعظم حزنهم من بعد ، حينما يرونك على الصليب بالفعل . وربما لم يجل ببالك ـ من قبل ـ ان الناس يحبونك كل هذا الحب . غير انك الآن ـ بفضل الآلهة ـ ترى بعينك الدليل . فاجبر بخاطر احبائك وقدم القربان . انك ان فعلت فسوف تعيد الفرحة الى قلوب من ياسون الآن لك . ولو قد غيرت رايك حقا فلنذهب من فورى الى الحمامات بهجة واحتفالا ..

ولكن فيليمون لم يغير رايه قط . وانما قال مخاطبا الجماهير : « يا اهل بلدى الطيبين . لا تحزنوا لهذه الضربات التى اتلقاها الآن ، فلا اظنكم نسيتم ضربات اخرى كنت ـ واخجلتاه ! اتلقاها فى المسرح ، على ايدى زملائى الممثلين . كنتم اذ ذاك تضحكون لهذه الضربات الفكاهية ، غير ان الملائكة كانت تبكى . والآن ، قد صار حقا وعدلا ان لا ترجح دموعكم كفة الميزان ، فان فى الكفة المقابلة افراحا يضيء بها رهط الملائكة ، وابتهاجا بخلاص ونجاة روحى » .

ولم تجد مع فيليمون اية محاولة من بعد ، فلقى

الموت وهو سعيد ، بينما بكاه اهل المدينة وحزنوا له كما يحزنون لامبراطور عالي الشان •

المهرج يجد نفسه الضائعة فيحتمل لأجلها العذاب

ما الذي حدث للممثل المهرج فيليمون ؟

تقول سجلات التاريخ الديني ـ وهي تبرز المعجزة وتشرحها ـ ان فيليمون سمع صوتا يأتيه من السموات العلا ، فخشع ، وآمن ، وقدم الروح•

ويقول فيلمون ذاته انه وجد نفسه الحقة وهو يواجه الموت في موقف بالغ الجلال •

اما انا فاقول : ان شيئا آخر قد حدث في نفس فيليمون الى جوار ايمانه واستعداده للاستشهاد ،

لقد قارن بين ما كان يجري له على المسرح في مشهد مبتدع ، وبين ما يجري له الآن في واقع الحياة ، فشعر بخجل كبير •

تبين ان له دورا آخر اكبر واجل من دور المهرج على المسرح ، يعيش ليصنع ضحكات الناس ويظل دوما ، رهن رغبتهم في الضحك •

اكتشف انه انسان له روح وارادة ، قبل ان يكون مهرجا ، ومن ثم كان قراره الصارم : « ليبك عليه احباؤه الآن ما شاءوا ، فهم طالما ضحكوا عليه • »

ولينعم هو ـ مرة واحدة ! ـ بحق رفض مشيئة الجماهير !

شقاء الممثلين الكبار

من يقرأ تاريخ المسرح يجد مثل ذلك العناد والغضب والشعور بالمرة لدى كبار الممثلين ، المضحكين منهم خاصة •

يقول شكسبير،الذي كان ممثلا ،وممثلا جوالا ايضا، الى جوار كونه كاتبا وشاعرا :

« واأسفاه ، قد رحلت هنا وهناك »

« وعرضت نفسي مهرجا على المسرح »

« وجرحت اعز مشاعري »

« وبعت رخيصا ماهو ثمين » •

ويشير شكسبير الى الجماهير في مسرحياته اشارات بغيضة : « الوحش ذو الالف رأس » ، هكذا يقول في احداها ، معرضا بالجماهير • ذلك ان المهرج الناجح يحزن لنجاحه بقدر مايفرح • فبقدر مايضحك الناس له او عليه ، يكون شعوره بالهوان • انه دائما اسير رغبات الناس • موكل دائما باضحاكهم ، شاء هذا أم أبى •
لهذا نجد المهرج الحق شديد الحزن في جوهره •

هكذا كان ديبيرو ، الفرنسي في القرن التاسع عشر •

وهكذا نجد شابلن في قرننا العشرين •

ومن ثم يسعى المهرج الى أن يقدم شيئا آخر غير التهريج ، يحاول به ان ينقذ نفسه من الهوان •

قاوم ديبيرو ـ طيلة حياته ـ رغبة ابنه في ان يصبح مهرجا مثل ابيه ، ولم يلن للابن الا وهو على فراش الموت •

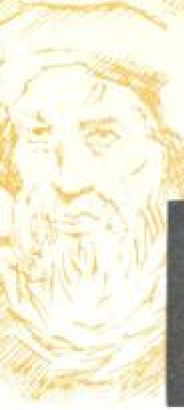
اذ ذاك وصف الاب لابنه فن التهريج بقوله : انه فن مؤلم جدا وطريف جدا ، يرسم على وجه المهرج المسكين كل مايدفع بالضحك الى حافة البكاء •

اما شابلن فقد قدم سخره اللاذع من المجتمع من اول لقطاته القصيرة ، الى افلام شديدة الانتقاد مثل « مسيوفردو » ، ولم يبال ان يوغر هذا السخر صدور اعدائه عليه ، حتى تجمعوا وطردوه •

وقدم الريحاني فرقة مسرحية جادة ، حاول بها ان يدفع عن نفسه لقب المهرج ويزيح قناعه«كشكش بك » ، فجرت الفرقة عليه الافلاس ، ولم تنجح مسرحية كوميدية مرة اسمها « الجنيه المصري » قدمها من بعد ، الا في اغضاب الرقيب وصرف جماهير المتفرجين •

اما فيليمون المسكين ، فلم يجد ما يقدمه ـ انتقاما ممن كانوا يضحكون منه ـ سوى روحه ، فبذلها في سعادة واصرار ! ■■

الكويت ـ علي الراعي



فكرة التقدم

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

- هل تاريـخ البشر يسير في حركة دائرية ؟
- ما مدى صحة قولنـا أن التاريخ يعيد نفسه ؟
- كيف دخلت فكرة التقدم والمسار المستقيم للتاريخ عالم الفكر وسيطرت عليه ؟
- هل صحيح أن التقـدم حقيقة شاملة ٠٠ أم هو تقـدم جزئي فحسب ؟

■ منذ أن تفتح ذهن الانسان واخذ يجيل فكره فيما يرى من أحوال هذا الوجود استلفتت انتباهه حركة الكون حوله : فالنهار يولد رقيقا نديا في الصباح ، ثم يتزايد نوره حتى يبلغ اقصاه ، ثم ياخذ نوره في الخفوت حتى يتلاشى في ظلام الليل ، والشمس تولد قرصا أحمر ضعيف الشعاع ، ثم تمضي في رحلتها في قبة السماء ، وقرصها يزداد بريقا وتوهجا حتى اذا انتصف النهار وقفت في ذروة السماء ، ثم ينتابها الاصفرار وتنحدر نحو المغيب ، وتذبل وتنحدر شيئا فشيئا حتى تختفي وراء الأفق كأنها تموت ، والنبات يولد رقيقـا رطب العود ثم يشتد عوده وينضج ويطرح زهره وثمره ثم يذبل ويموت ، والانسان يولد طفلا ثم يدرج في مراحل العمر حتى يبلغ أشده ثم تتراكم علىظهره السنون ويدركهالشيخ ،وربما رد الى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علمشيئاثم يموت٠٠

واحسَّ المصري القديم بحركة الكون ورسمها على معابده في صورة الشمس ورحلتها في قاربها الذهبي قاطعة قبة السماء ، وريع من قسوة الموت اللاحق لكل شيء في الوجود فتمرد عليه ، وابتدع خياله فكرة البعث بعد الموت ،وامن بانه كسر دورة الحياة والموت الرهيبة ، فتزود في قبره بما يعيش عليه اذا عادت اليه الروح ٠

اما الاغريقي فقد كان واقعيا منطقيا فسلم بأن الموت هو نهاية الدائرة التي لا مفر لكل كائن في الوجود من السير فيها ، وقرر أن كل ما في الكون يسير طبقا لقانون لايرد هو قانون «الكون والفساد» أي أن الاشياء تكون أو توجد ثم تفسد وتبلى لتولد أشياء أخرى تفسد بدورها وتبلى ، ومـن الموت تولد الحياة ، ومن الحياة يولد المـوت ،

والخليقة كلها رحلة دائرية من الكون الى الفساد الى الكون . هكذا قال ارسطو المعلم الأول في كتابه الأشهر عن طبيعة الوجود والحياة في عالمنا السفلي هذا ، وهو في رأيه غير العالم العلوى ، عالم الأفلاك .

ثم جاء الروماني وقد مرت من قبله الحقب وقامت الدول والجماعات وسقطت ، فقال بفكرة دورة الحياة ووصفها بانها دائرة شريرة Circulum Viciosum ، وقال توكيديد وهو يتامل اهداف عصره : ما ارانا الا شهدنا هذه الأحداث منقبل وهذا الزمان يعيد نفسه ! وذهبت مثلا.وبعد قرن من الزمان كتب تاكيتوس كتابه الصغير عن الجرمان وسماه « جرمانيا » وهو اشبه بمرثية لمجد الرومان الذى كانت شعوب الجرمان الفتية تطويه: اقتربتدائرتك يا روما علىالتمام لتبدا بعدهادائرة هذه الشعوب ، وكلها خيل تدور في حلبة ملعب ، وعجلة السباق يركبها شعب بعد شعب وهي ما تنفك تسير ..

المسار الدائرى للتاريخ

ثم جاء الاسلام ونهض اهله في حماس يبنون دولته ، وفي غمرة التفاؤل حسبوا انهم يقيمون على الايمان والعدل والخير دولة تدوم أبد الدهر ، ومضت دولة الراشدين في طريقها ، فاذا هي في عنفوانها اقتحم الفساد دارها ، وقطعت الفتنة مسيرتها ،وسقطثلاثة منالخلفاء الراشدين شهداء الغدر والخيانة وفساد الحياة الذى لامهرب منه ، وعندما استشهد الخليفة الرابع على بن أبي طالب رمز الايمان والفروسية والبطولة ، وانتقل الملك الى معاوية بن أبي سفيان ـ الطليق بن الطليق ـ ايقن الناس بان فساد الزمن جزء من الزمن نفسه ولا مفر من دورة الحياة والموت ، وذروة القوة هي بداية الموت وردد قائلهم قول صالح بن شريف الرندى :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان

وعلى هذا الأساس من تصور حركة الزمن والتاريخ سار المؤرخون المسلمون ، فقالوا جميعا بان التاريخ يسير في حركة دائرية او حلقة مفرغة او سيئة كما قال الرومان ، ويردد المسعودى هذه الفكرة مرة بعد مرة في كتابه المبدع ، « مروج الذهب ومعادن الجوهر » .

ثم جاء ابن خلدون (ابو زيد عبد الرحمن (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦) وهو مؤرخ ومفكر قد وضع ما يمكن ان يسمى بفلسفة كاملة للتاريخ فصلها في مقدمته المشهورة ولكنه ادارها كلها حول الحركة الدائرية للتاريخ واجتهد في وضع هذه الحركة في صورة قانون ينطبق في دقة على تاريخ البشر كله كما تنطبق قوانين الطبيعيات والكيمائيات على كل ما يقع في الكون من تغيرات وتحولات .

وقد وضع ابن خلدون نظريته تلك في اطار ما شاهد وعرف من تاريخ دول الاسلام ـ وهو كثير ـ فقال ان التاريخ يتالف من دول يلى بعضها بعضا ، وقال ان الدول لها اعمار كاعمار الأحياء ، فكما يولد كل حى ثم ينمو ويشب ثم يشيخ ويموت، فكذلك الدول تكون شابة في طور الميلاد والشباب ثم يكتمل بنيانها في سن الكهولة ثم تشيخ وتتدهور وتنتهي لتقوم اخرى محلها .

ابن خلدون ودورة العمران

وهو يسمي نظريته تلك « بدورة العمران » وخلاصتها ان البداوة هي المرحلة الأولى من مراحل تطور كل جماعة انسانية ، ويقول « ان البداوة أصل العمران والأمصار مدد لها » ، ويقول ان الجماعة البشرية تبدا بدوية ثم يشتد عددها وتتزايد قواها فتتجه الى غزو ما يجاورها من بلاد الحضر للاستيلاء عليها ، فاذا تمكنت من ذلك واستقرت في بلد متحضر وحكمته فقد بلغت قمة ما يسميه « بالمجد » او « الشرف » ويعني بهما علو شان الدولة ويقول : « ثم ان نهايته (أى نهاية الشرف) اربعة آباء ، وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التى هي اسباب كونه وبقائه ، وابنه من بعده مباشر لأبيه، قد سمع منه واخذ عنه ، الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاين له ، ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة ، فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ، ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة ، واضاع الخلال

العافظة لبناء مجدهم واحتقرها (١) وهنا تكون فى رأيه نهاية المجد او الشرف أى نهاية قوة الدولة وذبول حضارتها .

ويسير ابن خلدون فى تفسير نظريته سيرا منتظما فيعقد فصلا عنوانه ـ أى موضوعه ـ « فى أن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلابد من عودته الى شعب آخر ما دامت لهم العصبية » ، ثم يستطرد فيقول « ان للدول أعمارا طبيعية كأعمار الأشخاص » . ويفسر كلامه فيقول : « فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع . ولهذا يجرى على ألسنة الناس أن المشهور أن عمر الدولة مائة سنة . وهذا معناه . فاعتبره . واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الآباء فى عمود النسب من قبل معرفة السنين الماضية (٢) .

وابن خلدون فى مقدمته يحمل على الحضارة ويرى أنها السبب فى فساد طباع الناس وتدهور أمورهم تبعا لذلك ، ويرى أن غاية الحضارة هى الترف ، والترف بداية الفساد أو هو الفساد كله .

ونظرية ابن خلدون ـ رغم جاذبيتها وما يظهر من صدقها جملة وتفصيلا خاطئة جملة وتفصيلا أيضا . فليس من الصواب تشبيه الجماعة البشرية بالكائن الحى ، لأن الجماعة ليست كلا واحدا متكاملا كالجسد ، وانما هى جماعات من الافراد تتعاون على شئون المعاش . وقولنا اننا أعضاء فى الجماعة قول غير سليم . لأن العضو فى الجسد جهاز كامل يقوم بوظيفة محددة فى حين أن كل فرد من أفراد الجماعة جهاز كامل يمكن أن يقوم بهذه أو تلك من الوظائف اللازمة للجماعة .

أما الحضارة فليست عيبا اجتماعيا ولا سببا لفساد المجتمع . بل هى قوة له ودعامة تشد بنيانه ، وهى درجة من درجات الرقى ، أما ضرر الحضارة فيأتى من سوء استخدامها . فالسلاح مثلا قوة للجماعة ولكنه ينقلب شرا عليها اذا أسىء استخدامه . والطعام ضرورة للجسد ولكن الاسراف فيه يؤدى الى المرض . وعود الثقاب شىء لا يستغنى عنه البيت . ولكنه يحرق البيت اذا وضع فى يد طفل . فالعيب ليس فى الحضارة نفسها وانما فى موقف الانسان منها . فاذا سادها واستخدمها لصالحه كانت قوة . واذا سادته واستعبدته ادت به الى التدهور .

والترف ليس فسادا وانما هو مطلب انسانى عام . فكل انسان يحلم بالترف ويسعى للوصول اليه . ومن منا يرفض البيت الجميل الأنيق والأثاث الطيب والرياش الفاخرة والسيارة الجميلة ؟ ولكن الأمر فى الترف شبيه بالأمر مع الحضارة ، اى انه متوقف على موقفك من الترف اذا وصلت اليه . ثم ان الترف ليس مستوى ماليا او حضاريا وانما هو خلق . فهناك أغنياء يعيشون فى عمل وتقشف كأنهم لا يملكون شيئا . وهناك متسولون مترفون يقضون النهار مضطجعين دون حركة . فاذا وصل الى أيديهم مال انفقوه فى التبغ والشاى والقهوة وما الى ذلك من أدوات الترف .

المسار المستقيم للتاريخ : فكرة التقدم

واستمرت نظرية دورة الحياة او دورة العمران سائدة حتى مطالع العصر الحديث عندما اتسع افق الانسان وزادت معرفته بأحوال الدنيا والناس، وكان أول من شكوا فى حتمية التدهورهم الباحثون فى علوم الطبيعة والحياة والمفكرون الذين جعلوا دأبهم اعادة النظر فى الآراء المتوارثة عن الاسلاف. ومن أوائل الذين ألقوا الشك فى تلك الآراء فرانسيس بيكون (١٥٦١ ــ ١٦٢٦) ورينيه ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠) . وقد قال كلاهما بأن الفساد ليس حتميا . وانه من الممكن تحسين أحوال البشر وتحريرهم من الكثير من عوامل الفساد عن طريق العلم والكشف عن أسباب العلل والامراض التى تعيب البدن وتسرع بفساده .

وفى النصف الثانى من القرن السادس عشر تبين لبعض العلماء انه رغم ما مر على الانسانية من المحن والحروب والاوبئة وعصور الظلم فان الحياة فى جملتها تتحسن فى بعض الميادين تحسنا ظاهرا . وقال برنارد بوفييه لافونتينيل Bernard de Bovier de Fontenelle (١٦٥٧ ــ ١٧٥٧) وشارل بيرو Charles Pierrot (١٦٢٨ ــ ١٧٠٣) اننا اذا درسنا تاريخ البشر على المدى

---

(١) المقدمة طبعة بيروت ص ٢٤٠ .

(٢) انظر الفصل كله فى المقدمة ص ٣٠٠ ــ ٣٠٤ وهو يريد أن يقول انك اذا عرفت كم مضى من عمر الدولة عرفت الباقى لها، لأن أعمار الدول محدودة على وجه التقريب .

الطويل لاحظنا تحسنا مطردا ـ وان كان بطيئا ـ في الاحوال المادية والمعنوية للجماعات البشرية ،ولكننا لانجد اثرا لأى تحسن أو تغير فى التكوين البيولوجى أو الهيئة الجمالية للانسان من أقدم الازمنة الى اليوم .

ثم جاء الفيلسوف المؤرخ الايطالي جيوفاني باتيستافيكو Giovanni Battista Vico (١٦٦٨ ـ ١٧٧٤) فقال ان تقدم الانسان حقيقة ولكن ذلك التقدم لايتم بصورة مباشرة ولا يسير فى خط مستقيم ، ولكنه يتم فى حركة لولبية أو حلزونية ، أى أن دورات التاريخ المتعاقبة ، يتحقق معها شيء من التحسن المطرد .

وهنا بدأ مصطلح التقدم Progress (من اللاتينية Progossus) يدخل ميدان التاريخ ، وأخذ المفكرون والاجتماعيون يلاحظون أن هناك رغم كل شيء عملية بطيئة تتناول الجانب المادى من حياة المجتمعات المتحضرة فى أوروبا ، فلاشك أن عمارة البيوت فى أوروبا فى القرن السادس عشر كانت أفضل بكثير من عمارتها فى القرن العاشر الميلادى ، وهكذا فى الكثير من نواحى النشاط المادى لتلك المجتمعات وهذا ما جعل المفكر الفرنسي آن روبير جاك تورجو Anne Robert Jaeques Turgot (١٧٢٧ ـ ١٧٨١) يقول ان التاريخ يسير فى خط مستقيم ، وان التقدم ينتج عن تراكم ثمرات التجارب العملية الصغيرة ، وان ممارسة الانسان لعمل ما عاما بعد عام لابد أن تؤدى الى تحسن فى ثمرة هذا العمل ، أى ان العمل نفسه يؤدى الى التقدم .

التفاؤل بعد التشاؤم

ولهذا نجد المفكر الفرنسى المركيز كوندورسيه (انطوان كاريتا) Antoine Caritat, Marquis de Condorcet (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) يؤلف كتابا فى موضوع التقدم يسميه « مشروع لصورة تاريخية لتقدم الفكر الانسانى

Esquisse d'un tableau historique de progres de L'esprit Humain

يقرر فيه حقيقة التقدم ويقول ان وظيفة أهل العلم هى دفع عجلة التقدم الى الامام ويؤكد أن سبل التقدم مفتوحة أمام البشر الى مالانهاية ، ويدحض دحضا قاطعا كل رأى يقول بأن الانسانية تسير فى دائرة سيئة ، وأن كل ارتفاع مصيره الى هبوط ، ويهاجم فى حماس بالغ آراء السفليين الذين يقولون بأن العصور الماضية خير من الحاضرة ،وأن أهلها أقرب الى مكارم الاخلاق،وقال ان ماقطعته الانسانية الى أيامه من التقدم لايقاس الى ماينتظرها فى المستقبل ، وأكد أن الثورة الفرنسية حطمت الاغلال التى كانت تقيد البشر فى الماضى وأطلقت النشاط الانسانى من عقاله .

هكذا اخذت نظرية الحركة الدائرية للتاريخ تختفى امام قول القائلين بأن الانسانية تسير الى الامام وأصبح هذا القول حقيقة ثابتة فى عصر المفكرين العقلانيين من امثال جون لوك وجورج بيركلى وفولتير وديفيد هيوم ، وهؤلاء هم الذين صاغوا مصطلح فكرة التقدم The Idea of Brogress - وجعلوها اساس النظرة التايخية العلمية .

وما دامت فكرة التقدم قد استقرت فى العقول ، وتخلص الفكر الانسانى من عقدة التشاؤم التى تمسك بها القائلون بدورة الحياة والموت والحنين الى الماضى الذى جعل الكثيرين يتصورون ان تاريخ البشر ماهو الا انحدار مستمر ، فقد انتقل التقدم من فكرة الى منهج عند المؤرخين والمفكرين ، ومن نظرية الى سياسة عند أهل الحكم وقادة البشر ، واتجهت همة الناس فى الغرب الى التحسين : كل فى ميدانه ، وظهر ذلك بأجلى صوره فى ميدان الصناعة،فأخذ العاملون فى ميادين الصناعة المختلفة يعملون على تحسين مصنوعاتهم وأدوات صناعاتهم فتقدمت الصناعات اليدوية تقدما سريعا مطردا طوال القرن التاسع ، وتملكت فكرة التقدم والتحسين اذهان الناس فقادهم ذلك الى الاختراع والابتكار ، وتجمع ذلك كله فأحدث الثورة الصناعية التى أخرجت الانسان نهائيا من ظلمات العصور الوسطى ووضعته فى طريق جديد .

وأخذ التفكير فى الغرب وجهة جديدة ، هى وجهة اعادة النظر فى كل التراث الفكرى المتراكم، ولم يمض وقت طويل حتى تبين الناس ان الفكر الانسانى لم يفعل فى الماضى الا قليلا ، وان كل شيء فى عالم الفكر بقى على حاله منذ أيام توما الأكوينى والكتاب اللاهوتيين ، فتركوا ذلك التراث كله وأخذوا يدرسون أحوال البشر وفكرة

التقدم محور تأملاتهم ، وهذا المنهج هو الذى أخرج الرجال الذين قلبوا الفكر الانسانى رأسا على عقب من امثال مونتسكيو Charles De S'econdat Baron de Montesquieu (١٦٨٩ – ١٧٣٥) الذى الف كتابه الاشهر روح القوانين L'esprit Des Lois ، وهو ليس كتاب قانون فحسب وانما هو دراسة مطولة فى ستة اجزاء لكل التجربة الحضارية البشرية ومحاولة للبحث عن القوانين التى تحكم سير الحياة على هذه الارض .

واعقب ذلك عصر تفاؤل فكرى متمثل فى اهتمام الناس بالعلوم على اعتبار انها الطريق الامثل للاسراع بالتقدم ، ويتمثل ذلك فى كتابات الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر (١٨٢٠ – ١٩١٣) الذى اقام تفكيره كله على دراساته فى ميادين العلوم ، ويتجلى فكره فى انصع صورة فى كتابه المسمى « التقدم : قانونه وسببه » Brogress, Its Law and Cause ، وهذا الكتاب يضم حشدا هائلا من الافكار الصائبة تسودها كلها روح التفاؤل ، ولهذا فان سبنسر يعتبر فاتح عصر التفاؤل فى تاريخ الفكر العالمى .

ولكن أكبر المتفائلين دون شك هو سان سيمون (١٧٦٠ – ١٨٢٥) واسمه الكامل كلود هنرى دروفروا كونت سان سيمون Claude Henri de Rouvroy de Saint Simon فقد كان شعلة من الذكاء وطاقة من العمل لا تتصور وآية فى سعة الاطلاع والطموح ، وكان ايمانه بالبشر وبضرورة التقدم عظيما ، وكان عالما طبيعيا يسير فى آثار اسحق نيوتن وقد الف عشرات الكتب وقال ان العلم وحده هو طريق الانسانية الى التقدم ، وان حكومة الغد ينبغى ان يتولاها اهل العلم حتى نضمن اطراد التقدم ، ومن آرائه السابقة لاوانها قوله بان البشر ينبغى ان يتشاركوا فى ملكية مصادر الثروة وتنميتها وتقاسم ثمراتها .

التحول الاجتماعى بدلا من التقدم

ومن فكرة التقدم نبعت نظرية التطور والنشوء والارتقاء وصراع الحياة والبقاء للاصلح ، وروح التقدم هو الذى دفع الناس الى الابتكار والاختراع فانتقلت البشرية الواعية من طور البخار الى الكهرباء الى عصر الذرة .

ولكن الحروب المتوالية التى ابتليت بها الانسانية منذ ايام نابليون الى اليوم ،دلت على أن انسان اليوم المتقدم المتحضر لم يتقدم خطوة واحدة على جده انسان الغيران والكهوف من الناحية الاخلاقية ، بل ان الانسان يسير وراء الحيوان فى هذا الميدان، فان الاسد لا يفترس أسدا ابدا ولكن هناك ناسا اخترعوا قنبلة ابادت مائة وعشرين الفا من اخوانهم البشر فى بضع ثوان .

وهذه التجارب القاسية فتحت اعين المفكرين على حقيقة جديدة ، وهى ان التقدم لا يشمل كل نواحى الحياة الانسانية . بل بين لنا باحث اجتماعى ومؤرخ هو بتريم سوروكين Petrim A. Sorakin (١٨٨٧ – ١٩٤١) كيف أن الحضارة تزيد غرائز الانسان حدة وتدفعه الى الارتداد الى الحيوانية ، ومن ثم فلا محل للقول بأن هناك حركة تقدمية شاملة ومستمرة ، ولا محل لهذا التفاؤل السان سيمونى المطلق الساذج .

وهذا هو الذى اكده الباحث الاجتماعى الالمانى الفريد فيركانت Alfred Vierkandt (١٨٦٧ – ١٩٥٣) فى كتابه المسمى العناصر الثابتة فى التحول الحضارى الذى استبدل فيه لفظ التقدم بمصطلح آخر اقرب الى الحقيقة والواقع وهو التغير الاجتماعى الذى اشتهر عند علماء الاجتماع والتاريخ باسم Social Change وحل محل فكرة التقدم، وخلاصته أن المجتمع البشرى فى تغير مستمر ، ولكن الحركة ليست واحدة فى كل الميادين ، فهى سريعة نشطة فى الماديات وهى بطيئة أو منعدمة وربما تأخرية فى المعنويات والاخلاقيات . وهذا التأخر المعنوى ينتج عنه تأخر اجتماعى فنجد الجماعة الانسانية على أرقى المستويات حينما يتصل باطار حياتها المادى ولكنها تتعثر فى النواحى الاجتماعية والانسانية وهذا هو ما يعرف عند علماء التاريخ والاجتماع فى عصرنا باسم الركود الحضارى Cultural Lag ■■

حسين مؤنس

القصة

اعداد الدكتور : عبدالله محمود شحاتة

■ القصة هي وسيلة للتعبير عن الحياة او قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحـدة أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي ، ويجب أن تكون لها بداية ونهاية (١) .

ويقسم الفن القصصي من ناحية القالب والمظهر الى اربعة اقسام : ـ

(١) ـ الاقصوصة :ـ وهي قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانبا من حياة ، لا كل جوانب هذه الحياة . فهو يقتصر على سرد حادثة ، أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته.على أن الموضوع مع قصره يجب أن يكون تاما ناضجا من وجهة التحليل والمعالجة ، ولا يتهيأ هذا الا ببراعة يمتاز بها الكاتب الاقصوصي، اذ أن المجال امامه ضيق محدود ، فهو يتطلب التركيز الفنى .

(٢) ـ القصة ـ: وتتوسط بين الاقصوصة والرواية ، وفيها يعالج الكاتب جوانب أرحب مما يعالج في الاولى ، فلا بأس هنا أن يطول الزمن وتمتد الحوادث ويتوالى تطورها في شيء من التشابك .

(٣) ـ الرواية :ـ وفيها يعالج المؤلف موضوعا كاملا او أكثر ، زاخرا بحياة تامة أو أكثر ، فلا يفرغ القارئ منها الا وقد الم بحياة البطل أو الابطال في مراحلها المختلفة .

(٤) ـ اما الحكاية فهي سرد واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة ، بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه .

ويفرض العلماء في القصة الفنية بمعناها العام وجود ثلاثة عناصر رئيسية هي الموضوع ، والشخصيات ، والحوار. ثم يضيفون بدقة شروط كل من هذه العناصر ويبينون انواع الخلل التى تطرأ عليها فتحيلها من قصة فنية الى غير فنية . ومن القواعد التى يقررونها ماياتي : ـ

١ ـ أن تكون للقصة وحدة فنية .

٢ ـ أن يراعى في عرضها جانب التلميح ما أمكن .

٣ ـ أن يعنى كاتبها برسم شخصيات القصة .

٤ ـ أن يكون للقصة هدف ومغزى .

٥ ـ الا تظهر فيها الموعظة أو الحكمة ظهورا مباشرا .

٦ ـ الا تخلو من عنصر التشويق .

٧ ـ ان يكون اسلوبها طبيعيا لا هو بالمتهافت ولا بالبالغ الصعوبة .

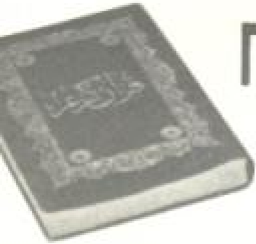
والقصة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه ـ كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمى الى غرض فني طليق انما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة الى اغراضه الدينية ، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة احدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها .

وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها ، وادارة حوادثها لمقتضى الاغراض الدينية ، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض

---

(١) القرآن والقصة الحديثة : محمد كامل حسن المحامى ص ٩

في القرآن الكريم



الدينى لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى غرضها، ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى فى التعبير ، وهى التصوير (٢) •

انواع القصص فى القرآن

القصص فى القرآن ثلاثة انواع : ـ

النوع الاول : قصص الانبياء،وقد تضمن دعوتهم الى قومهم ، والمعجزات التى ايدهم الله بها وموقف المعاندين منهم ، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين ، كقصص نوح وابراهيم وموسى وهارون ، وعيسى ، ومحمد وغيرهم من الانبياء والمرسلين ، عليهم جميعا افضل الصلاة والسلام •

النوع الثانى : قصص قرانى يتعلق بحوادث غابرة ، واشخاص لم تثبت نبوتهم ، كقصة الذين اخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت، وطالوت وجالوت ، وابنى آدم ، واهل الكهف ، وذى القرنين، وقارون ، واصحاب السبت ، ومريم ، واصحاب الاخدود ، واصحاب الفيل ونحوهم •

النوع الثالث : قصص يتعلق بالحوادث التى وقعت فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر واحد فى سورة ال عمران ، وغزوة حنين وتبوك فى التوبة وغزوة الاحزاب فى سورة الاحزاب ، والهجرة ، والاسراء ونحو ذلك(٣) •

اغراض القصة فى القرآن

سيقت القصة فى القرآن لتحقيق اغراض دينية بحتة ، وقد تناولت من هذه الاغراض عددا وفيرا من الصعب استقصاؤه ، لانه يكاد يتسرب الى جميع الاغراض القرآنية،فاثبات الوحى والرسالة، واثبات وحدانية الله،وتوحيد الاديان فى اساسها والانذار والتبشير ، ومظاهر القدرة الالهية ، وعاقبة الخير والشر ، والعجلة والتريث ، والصبر والجزع ، والشكر والبطر ، وكثير غيرها من الاغراض الدينية والمرامى الخلقية قد تناولته القصة وكانت اداة له وسبيلا اليه •

فاذا نحن استعرضنا هنا اغراض القصة القرآنية فانما نثبت اهم هذه الاغراض واوضحها وهى :ـ

١ ـ اثبات الوحى والرسالة ، وبيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح الى عهد محمد • وان المؤمنين كلهم امة واحدة والله الواحد رب الجميع •

وفى سورة الانبياء مظهر واضح لوحدة الرسالات فقد تحدثت السورة عن قصص الانبياء فذكرت طرفا من قصة موسى وهارون وابراهيم ولوط وداوود ، وسليمان وايوب واسماعيل وادريس وذى الكفل وذى النون وزكريا ومريم ، ثم عقبت على ذكرهم جميعا بالاية الكريمة : (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون)، الانبياء ٩٢ • وهذا هو الغرض الاصيل من هذا الاستعراض الطويل • وغيره من الاغراض الاخرى ياتى عرضا وفى ثناياه •

٢ ـ بيان ان وسائل الانبياء فى الدعوة موحدة،وان استقبال قومهم لهم متشابه فضلا عن ان الدين من عند الله اله واحد وانه قائم على اساس واحد •

وفى سورة هود يقول القرآن الكريم ••

(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ، انى لكم نذير

---

(٢) التصوير الفنى فى القرآن للاستاذ سيدقطب ص ١١٧

(٣) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ص ٢٦٠

مبين أن لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ٠٠ الخ الآيات) هود ٢٥ ـ ٤٩ ٠

(والى عاد اخاهم هودا قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ٠ أن انتم الا مفترون ٠» الآيات (هود ٥٠ ـ ٦٠)

(والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ٠٠ ، (هود ٦١ ـ ٦٨)

فنجد في هذه الآيات من سورة هود أن دعوة الرسل واحدة واجابة قومهم تكاد تكون واحدة ، وان قصة كل نبي تتشابه مع الاخرى في الدعوة والجهاد والنضال ، والبداية والختام ٠

٣ ـ بيان ان الله ينصر انبياءه في النهاية ويهلك الكاذبين ، وفي ذلك تثبيت لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلوب الامة المحمدية، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل واهله ٠

لقد نصر الله نوحا واغرق قومه ، وانقذابراهيم من النار ونجاه من كيد الكافرين ، وانقذ لوطا واهلك قومه بالخسف والعذاب ٠ وقصص الانبياء يحكي عاقبة المكذبين بالرسل وما ذاقوا من الوان العذاب ٠ قال تعالى : ـ

(وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات،فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين، فكلا اخذنا بذنبه ، فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا، ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا ٠ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) العنكبوت ٤٠ ٠

وتلك هي النهاية الواحدة للمكذبين ٠

ويقول سبحانه (وكلا نقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود ١٢٠ ٠

٤ ـ تصديق الانبياء السابقين واحياء ذكراهم وتخليد آثارهم وبيان نعمة الله تعالى عليهم كقصص سليمان وداوود وأيوب وابراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى ، فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الانبياء يبرز فيها النعمة في مواقف شتى ٠

٥ ـ وللقصة في القرآن اغراض اخرى متفرقة منها : ـ

بيان قدرة الله على الخوارق : كقصة خلق آدم ٠ وقصة مولد عيسى ، وقصة ابراهيم والطير الذي آب اليه بعد أنجعل على كل جبل منه جزءا، وقصة « الذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها » وقد اماته الله مائة عام ثم بعثه ٠

وبيان عاقبة الاستقامة والصلاح ، وعاقبة الانحراف والافساد كقصة ابني آدم ، وقصة صاحب الجنتين وقصة بني اسرائيل بعد عصيانهم ، وقصة سد مارب وقصة اصحاب الاخدود ٠

وبيان الفارق بين الحكمة الانسانية العاجلة ، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصة موسى والخضر ٠

الى آخر هذه الاغراض الوعظية ، التي كانت تساق لها القصص فتفي بمغزاها ٠

آثار خضوع القصة للغرض الديني

خضعت القصة في القرآن للاغراض الدينية فترك هذا الخضوع آثارا واضحة فيطريقة عرضها بل وفي مادتها ومن أوضح هذه الآثار مايلي :ـ

١ ـ تكرار القصة الواحدة : ـ

وتعني بالتكرار أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى ، ولكن هذا التكرار لايتناول القصة كلها ـ غالبا ـ انما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه اشارات سريعة لموضع العبرة فيها ٠ اما جسم القصة كله فلا يكرر الا نادرا ولمناسبات خاصة في السياق ٠

وحين يقرأ الانسان هذه الحلقات المكررة ملاحظا السياق الذي وردت فيه يجدها مناسبة لهذا السياق تماما ، في اختيار الـ التي تعرض هنا أو تعرض هناك ، وفي طريقة عرضها كذلك ، ويجب أن نذكر دائما أن القرآن كتاب دعوة دينية ، وأن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم ٠

على أن هناك مايشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة ـ يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها ـ فمعظم القصص يبدأ باشارة مقتضبة ثم تطول هذه الاشارات شيئا فشيئا ، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون في مجموعها جسم القصة ، وقد تستمر الاشارات المقتضبة فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات حتى

اذا استوفت القصة حلقاتها عادت هذه الاشارات هي كل ما يعرض منها ٠

ونضرب مثالا على هذا النظام ، قصة موسى ، اذ انها اشد القصص في القرآن تكرارا فهي من هذه الوجهة تعطي فكرة كاملة عن هذا التكرار ٠

وردت هذه القصة في حوالي الثلاثين موضعا في القرآن:من اهمها ماذكر في عشرين سورة سنذكرها حسب ترتيب نزولها ٠

في سورة الاعلى ثم في سورة الفجر ثم في سورة الاعراف ٠٠ ثم الفرقان ثم مريم ثم طه ، ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم الاسراء ثم يونس ثم هود ثم غافر ثم فصلت ثم الذاريات ثم الكهف ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم النساء ثم المائدة ٠

واذا قرأنا الآيات التي تناولت قصة موسى في هذه السور رأينا أن فيها نوعا من التكرار وانه ـ فيما عدا ستة مواضع ـ اشارات وعظية الى القصة اقتضاها السياق ، اما الحلقات الاساسية فلم تكرر تقريبا ، واذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد في تكرارها ٠

وهذه القصة نموذج للقصص الاخرى وعلى ضوئها ندرك أن ليس في القصص القرآني ذلك التكرار المطلق الذي يخيل لبعض من يقرأون القرآن بلا تدقيق ولا امعان ٠

٢ ـ انتخاب اجزاء من القصة : ـ

وكان من آثار خضوع القصة في القرآن للغرض الديني ـ غير التكرار ـ أن تعرض بالقدر الذي يكفي لاداء هذا الغرض ومن الحلقة التي تتفق معه،فمرة تعرض القصة من اولها ومرة من وسطها ومرة من آخرها وتارة تعرض كاملة ، وتارة يكتفى ببعض حلقاتها ، وتارة تتوسط بين هذا وذاك بحسب العبرة في هذا الجزء أو ذاك ٠ ذلك ان الهدف التاريخي لم يكن من بين اهداف القرآن الاساسية كالهدف القصصي سواء ، فسارت القصة وهدفها الاول هو الهدف الديني (٤) ٠ على النحو التالي : ـ

أ ـ نجد قصصا تعرض منذ الحلقة الاولى : حلقة ميلاد بطلها ، لان في مولده عظة بارزة وذلك مثل قصة ميلاد آدم وعيسى ٠لان في مولدهما دليل القدرة الكاملة لله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران ٥٩ ٠

كما عرض القرآن قصة موسى من حين مولده ، ونجاته من القتل وقصة اسماعيل حيث ولد لابراهيم على الكبر ، وقصة ميلاد يحيى حين استجاب الله لدعاء والده زكريا ٠

(ب) ـ ونجد قصصا اخرى تعرض من حلقة متأخرة نسبيا ٠

فيوسف تبدأ قصته صبيا يرى رؤيا تسع حياته كلها ، وتؤثر في مستقبله وابراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء فيرى نجما فيظنه الهه ، فاذا افل قال لاأحب الآفلين ٠ ثم يرى القمر والشمس٠٠٠ ثم يفيء الى ربه ويمضي في رسالته ٠

(جـ) ـ ثم نجد قصصا لاتعرض الا في حلقة متأخرة جدا ٠

فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، وكثيرون غيرهم ، لاتعرض قصصهم الا عند حلقة الرسالة ، وهي الحلقة الوحيدة التي تعرض من حياتهم لانها اهم حلقة منها ، والعبرة كامنة فيها ٠

٣ ـ وكان من اثر خضوع القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة ، قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك ٠

وفي قصة يوسف وقصة آدم ونوح وهود مايوضح ذلك، واذا تتبعنا قصص القرآن وجدنا عقب كل قصة تعقيبا دينيا يناسب العبرة فيها ٠

(لان الغرض الاساسي من سياق القصة في القرآن هو الغرض الديني اولا وقبل جميع الاغراض) (٥) ٠

تنوع المفاجأة وطريقة العرض

ان خضوع القصة في القرآن للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها فقد لمس القرآن الوجدان ، واتبع في ذلك طريقة التصوير ، فبلغ الغاية بمادته وطريقته ، وجمع

---

(٤) التصوير الفني في القرآن ص ١٣٢

(٥) التصوير الفني في القرآن ص ١٣٨

بين الغرض الديني والغرض الفني ، من اقرب طريق ومن ارفع طريق ٠

ومن الخصائص الفنية في القصة القرآنية ماياتي : ـ

تنوع طريقة المفاجأة : ـ

١ ـ فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة ، حتى يكشف لهم معا في ان واحد ، مثال ذلك قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف ، فقد خرق الخضر السفينة ثم قتل الغلام ، ثم اقام الجدار وفي النهاية يبين الخضر لموسى سر هذه الافعال ٠

فالقصة تمثل الحكمة الكبرى ٠ وهذه الحكمة لاتكشف عن نفسها الا بمقدار ٠

٢ ـ ومرة يكشف بعض السر للنظارة ٠ وهو خاف على البطل في موضع وخاف عن النظارة وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة ٠

مثال ذلك عرش بلقيس الذى جيء به في غمضة عين ٠ ثم اسلام بلقيس في النهاية بعد أن رات صرحا ممردا من قوارير فقالت (رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) النمل ٤٤ ٠

٣ ـ ومرة يكشف السر للنظارة منذ أول لحظة مثل قصة اصحاب الجنة في سورة (ن) التي تبدأ بقوله تعالى (انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين) ن ١٧

تنوع طريقة العرض : ـ

من الخصائص الفنية للقصة القرآنية تنوع طريقة العرض ٠

ونشاهد في قصص القرآن اربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة على النحو التالي : ـ

١ ـ مرةيذكر ملخصا للقصة يسبقها ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها الى نهايتها وذلك كطريقة قصة (أهل الكهف) (في سورة الكهف)٠

٢ ـ ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها وذلك كقصة موسى في سورة القصص ، وقريب من هذا النحو قصة يوسف فهي تبدأ بالرؤيا يقصها يوسف على أبيه ثم تسير القصة بعد ذلك ، وكانما هي تاويل للرؤيا توقعه يعقوب من ورائها ٠

٣ ـ ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص ويكون في مفاجاتها الخاصة ما يغني ٠ مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسى ومفاجاتها ، وقصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس في سورة النمل ٠

٤ ـ ومرة يحيل القصةتمثيلية مثل قصة ابراهيم وحواره مع قومه عند تكسير الاصنام وحواره مع ولده عندما امر بذبحه وتعاونه مع ولده في بناء البيت ، قال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم) البقرة ١٢٧ وفي حوار ابراهيم مع ربه يقول القرآن (واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى ٠ قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة ٢٦٠ ٠

تلك بعض سمات القصة في القرآن ، وهي سمات تيسر لنا القول بان (القرآن يجعل من الجمال الفني اداة مقصودة للتاثير الوجداني ، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية ، بلغة الجمال الفنية) (٦) ٠

ولكن مظاهر التنسيقالفني في القصة القرآنية، لاتخضع للقواعد الفنية للقصة الحديثة ولا تتقيد بها ٠

فهي قد تتوافق معها في بعض الاحيان ، وقد تنفرد بابداعها الفني في بعض الاحيان ، لكنها في الاتفاق والاختلاف تبقى دائما قصة قرآنية لها سماتها وخصائصها وميزاتها الخاصة دون أن تكون عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وادارة حوادثه ، ويبقى هدفها الاول والاخير هو هدف القرآن ذاته ٠ قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ٠)٠ يوسف ٣ ■■

عبدالله محمود شحاتة
مدرس بكلية دار العلوم ـ القاهرة

(٦) التصوير الفني في القرآن ص ١٣٩

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٥

حقوق الانسان وتمثال الحرية

■ قامت مسابقة العدد ٢٠٥ من «العربي» على اسئلة متنوعة في مجالات شتى من المعرفة ، وقد قسمت اسئلة المسابقة الى قسمين ، القسم الاول تضمن أسئلة ذات طابع تاريخي بحت ، اما القسم الثاني فتناول شخصيات كان لها أثر واضح في التاريخ الانساني ٠٠ وقد استطاع العديد من القراء ان يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة ، وندر من اخطأ منهم ٠

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم أسماء الفائزين بالجوائز ٠

١ ـ الاسم القديم لبير شيبا هو بير السبع ٠

٢ ـ كرة القدم ١١ لاعبا ، وكرة السلة ٥ لاعبين ، والكرة الطائرة ٦ لاعبين ٠

٣ ـ تمثال الحرية هدية من فرنسا ٠

٤ ـ الشاعر الاسلامي الذي ولد في اقليم البنجاب هو محمد اقبال ٠

٥ ـ القائد الانجليزي الذي دمر الاسطول الفرنسي في ابو قير هو نلسون ٠

٦ ـ وثيقة حقوق الانسان صدرت عام ١٩٤٨ ٠

٧ ـ الدولة التي تحدت روما في عام ٢٧٠ ق٠م هي قرطاجنة ٠

٨ ـ المضيق هو مضيق بيرنج ٠

٩ ـ الجزيرة هي زنجبار ٠

١٠ ـ الشاعر هو النابغة الذبياني ٠

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : **نورة سليمان القاسم** / الرياض / السعودية ٠

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **عصام محمد قاسم** / عدن / اليمن الديمقراطي ٠

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **شفيق محمد يعقوب** / صور / سلطنة عمان ٠

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **دحال احمد** / الجزائر

٢ ـ **شهاب عبد الله سعيد** / صنعاء / اليمن

٣ ـ **ولدان برتو** / دمشق / سوريا

٤ ـ **فتحي محمود احمد** / عمان / الاردن

٥ ـ **ياسين جاسم حمدان** / بغداد / العراق

٦ ـ **حيدر فضل ناصر الدين** / الكويت

٧ ـ **خليل عبد الحسين خلف** / المنامة / البحرين

٨ ـ **سميرة درويش** / نيويورك / امريكا



البحث العلمي

ضرورة قومية ملحة تفرضها ظروف التقدم والتنمية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ يكثر الحديث عن البحث العلمي في هذه الايام ، وتخصص له الدول المتقدمة مخصصات مالية طائلة وتبنى له مراكز ومنشات كثيرة وتقيم له مؤسسات ضخمة • ولا يقتصر الامر على الحكومات وما يتبعها منجامعات ووزارات وادارات بليتعداها الى الشركات والمؤسسات الخاصة التي تخصص له جزءا من ميزانياتها وتفاخر بانها توصلت الى المستحضر الفلاني بعد بحث علمي دام كذا من السنوات واشتغل فيه كذا من الباحثين •

والحق ان البحث العلمي لم يعد ترفا تستاثر به بعض المؤسسات العلمية او التقنية ذات المستوى الاكاديمي الرفيع،بل اصبح ضرورة قومية وعلمية وتجارية تعمل على الافادة منها كل الامم ومختلف المنظمات وكافة المؤسسات والشركات • ومن هنا كان الاقبال علىالبحث العلمي والباحثين العلميين•

وقد سبق لنا ان عالجنا في مجلة العربي القراء مشكلة البحث العلمي في بلادنا العربية وتحضير الباحثين العلميين وهجرة الادمغة وما يتصل بها مما يغنينا عن الخوض في الحديث من جديد •

والذى نطمع في معالجته في هذه العجالة هو تعريف البحث العلمي والتعريف باصوله وطرائقه ومجالاته وما الى ذلك من امور توضح للقارىء الكريم ماهية البحث العلمي ومسالكه •

التعريف بالبحث العلمي

يعرف العلماء البحث العلمي بانه « المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل الى حلول للمشكلات التى تؤرق البشرية وتحيرها • ويولد البحث العلمي نتيجة لحب الاطلاع ويغذيه الشوق العميق الى معرفة الحقيقة وتحسين الوسائل التى تعالج بها مختلف الاشياء • ان البحث العلمي ثمين لانه يمنح الانسان مفتاحا للتقدم الاجتماعى • » (١)

ونعرفه نحن بانه « البحث المنظم المنهجي الناقد في اسباب المشكلات وحلولها • ويقوم على اساس من سؤال او من مشكلة تتطلب حلا وينتقل من الملاحظة الى التعليل فالتجريب فالتعميم واخيرا التطبيق » •

---

(١) فان دالين (ترجمة نوفل وزميليه) : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ، ص ٩ •



« وهو المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل الى حلول للمشاكل التي تؤرق البشرية وتحيرها »

وقبل ان نخوض في شرح ما قدمنا من تعريف وما قدمه (فان دالين) في تعريفه السابق نحب ان نسوق امورا توضح اسس البحث العلمي وتبين قواعده •

١ ـ واول هذه الامور هو ان البحث العلمي يقوم على اساس منُ حب الاطلاع والشوق الى المعرفة واستكناه الحقيقة • وقديما قال الكثيرون من الفلاسفة وعلماء النفس ان الانسان مسؤول بطبعه ميال الى المعرفة حريص على تقصي الاسباب، وهكذا فان الانسان يصادف امرا يحيره ولا يعرف له سببا ، او تصادفه مشكلة معقدة لا يجد لها حلا وحينئذ يبدا بطرح اسئلة من نوع : لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ واين ؟ والى اين ؟ وغير ذلك من عشرات الاسئلة ويحاول ان يجد اجوبة لاسئلته وبذلك يكون قد بدا البحث •• فاذا ما اتبع طريقة علمية في التقصي ومحاولة الاجابة عن هذه الاسئلة يكون قد بدا البحث العلمي •

٢ ـ وثاني هذه الامور ان البحث العلمي قد يكون لغاية نظرية كما يكون لغاية عملية تطبيقية او يكون للغايتين معا وهو الاعم الاغلب • ذلك بان البحث العلمي قد يكون نتاجا للفضول العلمي ومحاولة للاجابة عن اسئلة نظرية تتطلب اجوبة نظرية • كما ان البحث العلمي قد يكون لغاية تطبيقية ومحاولة لايجاد حل لمشكلة عملية لا بد لها من حل عملي • ويتفق العلماء والباحثون على وجود تبادل فعال بين النظر والعمل او التطبيق • فما يبدا بحثا نظريا بحتا قد ينقلب الى بحث عملي وتكون له نتائج تطبيقية ، وما يبدا عمليا صرفا تكون له في الاعم الاغلب نتائج نظرية توضح النظرية بل وقد تقيمها على اسس جديدة راسخة •

٣ ـ وثالث هذه الامور ان الطريقة العلمية واحدة في كل العلوم وان اختلفت اشكالها من علم الى علم • ويرى العلماء ان « كل علم يكون علميا بقدر ما تكون طريقته علمية » • بمعنى ان الطريقة العلمية واحدة في اسسها ومراميها وخطواتها الاساسية ولكنها تختلف من ميدان علمي الى ميدان علمي آخر بسبب من طبيعة الحادثة المدروسة في هذا العلم او ذاك ، وسنعود الى ذلك بالتفصيل في خطوات الطريقة العلمية •

٤ ـ ورابع هذه الامور ان الباحثين العلميين ينتقون ويحضرون لعملهم ويدربون وتيسر لهم سبل العمل ويحرص عليهم حرصا شديدا• وتفصيل ذلك ان البحث العلمي يقوم على اساس من ذكاء

ودربة وتمرين وانه لا بد من انتقاء خير العناصر البشرية للقيام بالبحث العلمي في مختلف مجالاته، ثم انه لا بد من تدريب هؤلاء الباحثين تدريبا علميا وذكيا واعيا ، ويبدأ هذا التدريب منذ المراحل الاولى من الدراسة (اي في المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية) ولكن اهم التدريب يجري في الجامعة وفي مؤسسات البحث العلمي ذاتها • ثم ان هذا التدريب يكون نظريا وعمليا وتحت اشراف اساتذة وخبراء متمرسين ووفق خطط مدروسة منسقة • ومتى تكون الباحث العلمي وصلب عوده يسرت له سبل العمل فانشئت له المختبرات ورصدت له الاعتمادات ووفرت له المراجع بحيث يبقى نابضا بالحياة مندفعا الى الانتاج قادرا على مسايرة ركب العلم والبحث العلمي •

واخيراً فان هؤلاء الباحثين ثروة قومية تحرص عليها الامم فتكرمهم وتعطيهم اعلى المرتبات وتوفر لهم حرية البحث وتحفظ لهم كرامتهم •

٥ ـ وخامس هذه الامور ان الدولة الواعية تجعل البحوث العلمية في خدمة اهدافها الاقتصادية والاجتماعية والقوميـة وهي لذلك تنشيء مراكز قومية للبحوث تنسق بينها وتنظمها وتخدم خططها الاقتصاديـة والاجتماعيـة والقومية وتمنع ازدواج العمل بين مختلف المراكز وتفيد من جميع الامكانات المتوفرة •

وبديهي ان هذه المراكز اذا لم تتحرر من الروتين والبيروقراطية اصبحت ادوات للتعويق بدلا من ان تكون وسائل للتنسيق والتنظيم والتوجيه •

تلك هي بعض مقومات البحث العلمي اوردناها بسرعة لننتقل الى فقرة جديدة من حديثنا هذا وهي عن خطوات البحث العلمي •

خطوات البحث العلمي

يبدأ البحث العلمي عـادة بالشعور بالمشكلـة وينتقل الى حصر هذه المشكلة وتحديدها ثم يفترض الباحث العلمي فرضية او اكثر عن المشكلة وحينئذ ينتقل الى تجريب فرضياته، فاذا ثبتت صحتها قبلها وانقلبت الى حقيقة او قاعدة عامة او نظرية او قانون يطبق ويستفاد منه • وهكذا نستطيع اذن ان نمر بهذه الخطوات مرورا سريعا لنتبين طبيعة البحث العلمي •

١ ـ الشعور بالمشكلة : ويكون هذا الشعور بناء على ملاحظة او ملاحظات ويدعو الى مزيد من الملاحظة • والحق ان الملاحظة امر ضروري للبحث العلمي وهي ترافق البحث العلمي في جميع خطواته ولا تنفصل عنه دقيقة واحدة •

والملاحظة قد تكون عفوية وقد تكون ارادية قاصدة، وقد تكون عامية وقد تكون علمية وقد تكوّن عزلاء وقد تكون مسلحة (باسلحة من مثل المجهر والمنظار وغيرهما من الادوات العلمية) وقد تكون عشوائية كما انها قد تكون منهجية منظمة هادفة • وبديهي ان الملاحظة العلمية تكون ارادية ومسلحة ومنهجية وبذلك فقط تكون مثمرة •

٢ ـ ويتفق علماء النفس على ان (الالهـام) لا يهبط الا على من استعد له بالعلم والمعرفـة ودقة الملاحظة وحسن الربط بين الوسائل والغايات وبين الاسباب والنتائج • واذا ما قام الشعـور بالمشكلة واشتد كان لا بد من حصر المشكلـة وتحديدها ، ذلك بان المشكلات العامة الواسـعة غير المحصورة ولا المحددة صعب حلها ان لم يكن مستحيـلا • ولذلك ينصح الباحثـون العلميون بتحديد المشكلة تحديدا دقيقا يبين معالمها ويحدد حدودها ويوضح وجهاتهـا ، وحينئذ فقط يمكن الانتقال الى المرحلة التالية الا وهي مرحلـة صياغة الفرضية •

٣ ـ الفروض : بعد أن يلاحظ الباحث المشكلة ويحدد معالمها ويحصر مقوماتها يفترض فرضا او اكثر عن اسبابهـا وعللها ومراميها وحلولهـا • وكثيرا ما يكون الباحث مضطرا الى تقسيم فرضه الاساسي الى فروض فرعية يتحقق منها الواحد تلو الاخر ويعود بها الى الفرض الاساسي ليتاكد من صحته أو عدمه •

وها هنا محل التذكير بان الفرض قد يكـون

صحيحا وقد يكون خاطئا كما انه قد يكون ناقصا ، وان من واجب الباحث الذكي الدقيق الموضوعي أن ينظر في فرضياته دون تحيز أو تعصب وأن يكون مفتوح القلب والعقل فلا يعمد الى قبول ما يوافق فرضيته وطرح ما لا يتمشى معها وبذلك يكون قد تخلى عن الموضوعية وهي شرط أساسي من الشروط الواجب توفرها في الباحث العلمي .

وأيا ما كان فان من واجب الباحث العلمي ، اذا ثبت له خطافرضيةما ،أن يتركهاالى فرضية جديدة يتحقق منها من جديد ليقبلها أو يرفضها بدورها . كما أن من واجبه اذا ثبت له أن فرضيته ناقصة او خاطئة جزئيا أن يعمد الى تكميلها او اصلاحها غير آسف ولا هياب .

٤ ـ التجريب : وهو لب البحث العلمي وجوهره، بل ان بعض العلماء يسوون بين البحث العلمي كله وبين التجريب . ويرى بعض العلماء ان التجريب هو الاساس المتين الذي يقوم عليه البحث العلمي.

وأساس التجريب قاعدة بسيطة اساسية هامة ، الا وهي قدرة كل انسان على التاكد من صحة التجربة اذا توفرت فيه وله شروط معينة . وهكذا فان كل انسان يستطيع ان يتاكد من ان (الكلس يفور اذا صببنا عليه حامض الكبريت) وذلك بان يجرب لنفسه صب الحامض على الكلس ومشاهدة فورانه بنفسه . وقل الامر نفسه عن كل تجربة علمية مماثلة .

ويرى العلماء أن التجريب ليس الا ملاحظة في المخبر ، وهي ملاحظة منهجية منظمة تقوم على أساس من حصر العوامل المختلفة للمشكلة المدروسة ثم تثبيت كل العوامل باستثناء عامل واحد يحرك وتلاحظ النتائج .

٥ ـ التعميم : يقول علماء البحث العلمي أن « الفرضية قانون مؤقت » ويعنون بذلك انالفرضية اذا جربت وثبتت صحتها انقلبت الى قانون والا رفضت واستغني عنها واستبدل بها سواها . والحق ان التجريب حين يثبت صحة الفرضية يكون قد توصل الى (قاعدة) أو (قانون) وذلك بحسب درجة اليقين التي تتمتع بها النتيجة التي تم التوصل اليها .

ومعلوم أن الانسان ـ كل انسان ـ حريص على التوصل الى (قواعد عامة) و (نظريات تفسيرية) و (قوانين ثابتة) يتعامل بها مع ما يحيط به من طبيعة وبشر ومجتمع . وهذه القواعد والنظريات والقوانين هي طلبة العلم وهدفه وبدونها لا يكون علم .

ومن نافلة القول أن هذه القواعد وتلك النظريات والقوانين تسهل الحياة وتمكن الانسان من التعامل مع الطبيعة والناس تعاملا ميسورا يقوم على أساس من علم ويقين .

واخيرا فان من الحقائق المعروفة ان التوصل الى القوانين أسهل في العلوم الطبيعية بل والحيوية منه فيالعلوم الانسانية، ذلك بأن الحادثة الطبيعية ابسط وأشد ثباتا في حين أن الحادثة الانسانية شديدة التعقيد متداخلة الاسباب ، ومن هنا كان التوصل الى (القانون) امرا ميسورا في العلوم الطبيعية فيحين أن العلوم الانسانية تكتفي الآن ـ وانكانتتحلم للمستقبل بالتوصلالى ماتتوصلاليه العلوم الطبيعية ـ بالقواعد العامة والنظريات .

٦ ـ التطبيق : اذا ما امتلك الباحث (القاعدة العامة) أو (النظرية) أو (القانون) اندفع الى تطبيقه والافادة منه في مختلف الميادين الممكنة ومن أجل جميع أعمال الحياة ذات الصلةبه . وهكذا فان الانسان حين علم ان (المعادن تتمدد بالحرارة) افاد من هذه الحقيقة افادات نظرية وعملية شتى وفي مختلف ميادين العلم والتطبيق .

وبديهي أن التطبيق العملي غاية كبرى من غايات العلم والحياة وان العلوم النظرية ـ على خطرها وجلال قدرها ـ انما تكون في النهايةلخدمة العمل والتطبيق العملي .

وبعد

فهذه نظرة عجلى القيناها على البحث العلمي : اهدافه وأصوله وطرائقه وخطواته بمناسبةالحديث الذي كثر في أيامنا هذه عن البحث العلمي والباحثين العلميين في عالمنا العربي وحرصا منا على تبصير القارىء بالمقصود من البحث العلمي .

فاخر عاقل

نهاية حب

■ تناسيتِ العهودَ ، وخُنْتِ حبي   ولم ترفقي أبدا بقلبي
وأغراكَ السرابُ فطرتِ نَشْوَى   لآفاق السراب ، بغير لب
وكنتُ أخال قلبكِ – ان دعاه   سوى داعي حبيبك – لايلبي
فمالك والحنين الى سواه   كأنك لم تكوني – امس – قربي
ولم تُشْرِق بلقيانا عَشايا   طويناها على أمل وحب
فما صرف الفؤادَ نذيرُ شكٍّ   ولا عصفت به نزوَاتُ عتْب
وكان الوكر جنتنا ، وكنا   به طفلين في نزق ولعب
تحجبنا ستائره . فنلهو   ونشرب للغرام الذ نخب

وولّى هكذا عامان كانا   كحلم ، في ليالي الصيف ، عذب
فكنت وفية حينا ، وحينا   أراك على مواربة وكذب
فلم اكتمك ما قد حدثتني   به نفسي . ولم يك رجم غيب !
فأنكرت الهواجس من ظنوني   وقلت بان ذلكَ محض ريب
ولم أحفل بما زعموا ، الى ان   رأيتكما معا جنبا لجنب
رأيتكما ، فما صدقت عيني   وخانتني قواي ، وضاق رحبي
اذا انسدل الظلام يطول سهدي   وان طلع الصباح يضل ركبي

فقد بلغت حكايتنا مداها   وقد كشف المخبأ والمخبي
وها قد جئت . ما أرسلت دمعا   ولا أقررتِ ، شاعرة بذنب
فكيف تؤملين لدى صفحا   وكيف وسهمك الدامي بجنبي
فعودي غير آسفة اليه   ولاتخشني – وإن أفظعك حربي
وتيهي في ضلالك ، واحتسيها   كؤوسَ ندامة ، بمرير شرب
وكوني مثلما تبغين . لكن   اعيذك من مفاجأة المهب
وما قد فات ، ليس يعود يوما   وجرحي غير مندمل بطب
إليك ، إليك ، لست فتى لعوبا   ولست الى سواك بمشرئب
وحسبك من غرامي ذكريات   فنهري ليس يرجع للمصب ■■

تونس – الحبيب شيبوب



الصحراء متنفسنا الوحيد بعد ان ضاقت المناطق الآهلة بمن فيها وما عليها .

الصّحراء .. لها مستقبل غير البترول !

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

■ جاءنى صديق لى عابس الوجه ، مقطب الجبين ، متذمرا متأففا ، وبعد ان حيانى وحييته ، بادرته بالسؤال عن حاله ، فقال : « ان حالى كأحوال البشر .. هذه الحياة — يا اخى — لم تعد تطاق او تحتمل ، فالسعادة اصبحت حلما بعيد المنال ، والراحة صارت غاية لا تتحقق ، تخرج من بيتك فيتلقاك الشارع الذى يكاد يختنق بصفوف السيارات تسير رعناء على عجل ، وكأنها براكبيها تقودهم الى الاجل .

« ان هذه الجلبة والضوضاء فى كل مكان جعلت اعصابنا متوترة ، فاصبنا بالنزق ، وشدة الانفعال، وتلك ظواهر لم يعهدها الاجيال من قبلنا التى كانت تنعم باستقرار الحال ، وهدوء البال، وبرودة الاعصاب ، ان السيارة يا اخى انقلبت من نعمة الى نقمة . ان ظل الحال يسير على هذا المنوال فالوضع سيكون فى غاية السوء فى المستقبل.

فقلت : لا تفكر كثيرا فى المستقبل .. انه حافل بالمفاجات .

فقال : ولكن ما تصوراتك عن عالم المستقبل هذا ؟

فقلت : ان عالم المستقبل مختلف عن عالم اليوم ، وقد بدأ العلماء بالفعل فى التخطيط له ، والاعداد لتنفيذه..

فقال : ليتك تذكر لى نماذج عن هذا العالم العجيب ، انماط مدنه ومواصلاته ومرافق حياته ،

فقلت : اليك يا اخي بعض هذه التصورات عن عالم المستقبل ، وهي كما قلت لك اصبحت اليوم قيد الدراسة والتجربة .

الصحاري اكبر مستودع لطاقة المستقبل

يخشى العالم هذه الايام من نفاد مصادر الطاقة، وكلنا يسمع ويقرأ عن الطاقة وازمتها ، وما نجم عنها من مشاكل في مختلف بلدان العالم ، فلولا الطاقة ما تحركت الطائرات في السماء ، ولا السيارات في الارض ، ولا السفن والبواخر في البحار . ولولا الطاقة لتوقفت كل وسائل النقل والمواصلات وبدونها تتوقف الحياة على سطح الارض . والطاقة تحصل عليها اليوم من مصادر شتى منها اخشاب الوقود، والفحم الحجري والنفط، والغاز الطبيعي ، والمعادن المشعة كالراديوم واليورانيوم ، وهذه كلها مصادر محدودة ومهددة بالنفاد في يوم من الايام . وقد اهتدى الانسان الى ان الشمس هي مصدر كل الطاقات . ومن حسن حظه ان الطاقة الشمسية لا تنفد ولا تنتهي ما دامت الدنيا تسير على حالها ونمطها . والشمس كما نعلم تشرق على كل ارجاء المعمورة مع اختلاف في فترات الشروق والغروب ، وطول مدة الاشعاع الشمسي ، ففي المناطق الباردة والقطبية يقل ظهور الشمس ويضعف الاشعاع الشمسي ، ولكن في المناطق الحارة وبخاصة المدارية يطول الاشعاع الشمسي ويشتد ، حيث تكون الشمس دوما فوق السمت ، وفي الصحاري حيث تكون السماء صافية، والارض جرداء تبلغ الحرارة اقصاها ، ويصبح الجو شديد الحرارة . ويفكر علماء اليوم في الاستفادة من الطاقة الشمسية على نطاق واسع . ولكن استخدام الانسان للطاقة الشمسية ليس امرا جديدا ، فقد استغل الانسان قديما طاقة الشمس في توليد النار بعد ان استطاع تجميع الاشعة الشمسية بواسطة عدسات محدبة .

ويحاول العلم هذه الايام التغلب على بعض العقبات الفنية التي تتعلق باستغلال الطاقة الشمسية ويمكننا القول بان هناك بلدانا في العالم تستفيد من هذه الطاقة عن طريق عمل سخانات ضخمة ذات مرايا كبيرة تعكس ضوء الشمس وتجمعه فتحصل على حرارة تسخن المياه . وهذا الاسلوب متبع اليوم في استراليا واليابان وفلوريدا . ولكن استخدام هذا النمط من الطاقة امر لا يخلو من تعقيد في كثير من البلدان التي يقل فيها الاشعاع الشمسي او يكون غير منتظم ، وهذا يؤدي الى رفع التكلفة الاقتصادية .

وعلى ايةحال امكن اليوم تحويل الطاقة الشمسية مباشرة الىطاقة كهربائية وذلك بواسطة امتصاصها بطرق فنية (سلكون Silicon بلوري مقطع ولامع ، اى عبارة من نوع خاص من بطاريات الوقود) ، الا ان هذه الطريقة غير شائعة على نطاق واسع ، ولا تزال مقصورة في استعمالها على تكنولوجية الفضاء .

ضرورة استغلال الطاقة الشمسية

وعلى الرغم من كل تلك العقبات فهناك آراء لبعض الخبراء تركز على ضرورة استغلال الطاقة الشمسية ، ومن بينها فكرة بسيطة يمكن بموجبها اسر الطاقة الشمسية بواسطة سطوح مصقولة خاصة ، تنتشر على طول المناطق الصحراوية كما هو الحال في صحراء « اريزونا » في الولايات المتحدة الامريكية . وهذه السطوح المصقولة يمكن تسخينها بالشمس الى درجات حرارية هائلة ، وبعد ذلك يمكن جمع الطاقة وتحويلها الى خزانات ملحية او معدنية ، ثم الى غلايات بخارية تقليدية ، حيث تلحقها تربينات ومعدات واجهزة توليد كهربائية.

ان انسان اليوم كانسان الامس يفكر في تقليد الطبيعة ومحاكاتها ، فالطبيعة كما نعلم تعمل على توزيع الحرارة على مختلف انحاء المعمورة ،



فالمناطق الحارة تقوم بتصدير الحرارة الى المناطق الباردة بواسطة الرياح والتيارات المائية • ان علماء اليوم يفكرون في اقامة محطات ضخمة للطاقة الشمسية في الصحارى ذات مرايا كبيرة تستقبل الاشعة وتجمعها وتحولها الى طاقة يمكن تصديرها الى المناطق الباردة والمستهلكة للطاقة ، ويكون هذا التصدير بواسطة عدة طرق منها انابيب واسلاك ضخمة أشبه باسلاك العمل الكهربائي ، او يتم التصدير عن طريق الموجات على غرار البث الاذاعي والتلفزيوني ومختلف وسائل النقل اللاسلكي • ومما لا شك فيه ان الاقمار الصناعية ستقوم بدور كبير في هذا الشان ، اذ من الممكن بناء محطات على هذه الاقمار تستقبل الطاقة من المحطات الصحراوية وتقوم بارسالها الى المناطق المحتاجة اليها ، وهذا ليس بغريب ولا مستبعد ، فكلنا يستمتع اليوم بمشاهدة برامج تلفزيونية تاتي الينا من مناطق نائية عبر محطات خاصة في الاقمار الصناعية •

لا شك اذن في ان الصحارى التي هي بمثابة مستودع ضخم للبترول اليوم ستكون اكبر مستودع للطاقة الشمسية في المستقبل ، مع فارق كبير هو ان البترول مصدر قابل للنفاد ولكن طاقة الشمس لا تنضب • ولذلك علينا ان نتوقع قيام انماط جديدة من مستوطنات الصحراء ، تكون على مقربة من محطات الطاقة الضخمة •

مستوطنات الصحراء

وحول محطات الطاقة الضخمة المقامة في اعماق الصحراء ستنشأ مستوطنات ذات انماط ومواصفات خاصة ، يسكنها العمال والفنيون والاداريون الذين يديرون هذه المحطات ويشغلونها • كما يقطنها اناس لهم ارتباط بتلك المحطات يقدمون لهم الخدمات اللازمة كالتجار والباعة واصحاب الحرف المختلفة التي تلزم لاستكمال مقدمات الحياة في كل مستوطنة بشرية • والى جانب التجار والباعة لا بد وان يوجد في هذه المستوطنات رجال ذوو مهن وحرف مختلفة ، كالاطباء والمدرسين، والمحامين، ورجال المال والبنوك والصيرفة يعملون في العيادات والمستوصفات والمستشفيات والمدارس والبنوك ، وغير ذلك مما يلزم لمرافق الحياة وبدونها لا يستقيم الحال في اى مجتمع بشرى •

وحول هذه المستوطنات الصحراوية يمكن للانسان ان يستغل بعض الاراضي لاغراض الزراعة ، بعد معالجتها علميا ، وعلى ضوء استخدام الطاقة الشمسية في الخدمات والاغراض الزراعية • وفي المستقبل يمكن للانسان تحلية مياه البحار بتكلفة اقتصادية منخفضة تتيح له زراعة مساحات واسعة من الشريط الصحراوي المحاذي لسواحل البحار • كما ان امكان تطبيق المطر الصناعي في المناطق الجافة لم تعد مستحيلة ولا مستعصية ، وبهذا ستشهد الصحراء نشاطا بشريا لم تشهده من قبل، وفي امكانها ان تمتص الكثير من الضغط السكاني الهائل في بعض مناطق العالم ذات الكثافة السكانية العالية •

ويبدو ان شكل مستوطنات الصحراء سيكون بسيطا جدا ، فالمساكن ستبنى من المواد العازلة للحرارة ، وفي الغالب سيشيع نمط المباني الجاهزة، التي يمكن اقامتها باقصى سرعة ممكنة ، وباقل قدر من التكاليف •

ومن المحتمل ان تحاط مدن الصحراء بغطاء كامل يقيها من العواصف الترابية ، وفي الوقت نفسه يسهل تكييفها مركزيا ، بحيث تصبح المدينة بكاملها مكيفة الهواء، وسياراتها التي تسير داخل شوارعها لا تستعمل النفط او غيره من المحروقات ، وانما تسير بطاقة لا تولد اى نوع من انواع التلوث.وليس بمستبعد ان يشيع استعمال سيارات تسير بالكهرباء بعد ان اجريت على صنعها تجارب ناجحة فعلا •

■■

محمد على الفرا
قسم الجغرافيا / جامعة الكويت



موازين العظمة وأقدار الرجال عند العقاد

بقلم : عمر الراكشي

■ ليس بغريب على عظيم مثل عباس محمود العقاد ان يفيض فى الكتابة عن العظمة ، عناصرها ومقاييسها ، ويفيض فى تحليل شخصيات العظماء، وارشادنا الى مفاتيح العظمة فى شخصياتهم ، وبين دور العظماء فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، وأثرهم الباقى فى الانسانية كافة •

ونجتزىء من كتب العقاد عشرة ، يجد القارىء الكريم بيانها فى ختام هذا المقال ، نستخلص منها موازين العظمة واقدار الرجال فى رأى العقاد •

غرض العقاد من دراسة العظماء

مهما يقل القائلون فى غرض المؤرخ من سير العظماء ، فالحقيقة التى لا ريب فيها عند العقاد هى ان الغرض الاول او الغرض الذى تنتهى اليه الاغراض ، هو توثيق الصلة بين الانسانية وبين عظمائها ، والنفاذ الى الجانب الانسانى من كل نفس تستحق التنويه والدراسة • وما من علامة اصدق دلالة على السيرة الناجحة من هذه العلامة • فهو يطمئن انه على الجادة فى التعريف بصاحب السيرة اذا نظر فرأى انه قد وصل من تلك السيرة الى صميم الانسان •

العقاد وفلسفة القوة

لم يكن العقاد مؤمنا بفلسفة « نيتشة » ولا معجبا بسوبر مانه على صفته المترددة بين اشتات اقواله ودعواته ، فقد كان مثال القوة المحبوبة عند العقاد، ذلك البطل القوى الذى يعطى الضعفاء من قوته ولا ياخذ من ضعفهم لنفسه،مجتمعين كانوا او متفرقين•

ولم يكن بطل « كارليل » كذلك مثله الاعلى فى تقدير العظماء ، وكان نفوره من استكانة الضعيف اقوى عنده من الاعجاب بسطوة البطولة ، ما لم تكن بطولة فداء وزجر للطغاة من الابطال ، وقد حفزه التفكير اللاعج فى هذه المسالة الى تاليف رسالته عن « مجمع الاحياء » للموازنة بين فلسفة القوةوفلسفة السوبرمانوفلسفةالمثل الاخلاقيةالعليا

التضحية من أجل الانسانية

ولا تتحقق مصلحة الانسانية ــ فى تقديره ــ الا اذا عمل لها كل فرد من افرادها ، وهانت الشهادة من اجلها على خدامها ، وتقدم الصفوف من يقدم على الاستشهاد ومن ورائه من يؤمن بالشهادة والشهداء ، فلا بقاء للانسانية بغير العمل لها ، ولا عمل لها ان لم ينس الفرد مصلحته بل حياته فى سبيلها •

وبهذا المقياس فان « نابليون » ــ فى اعتقاده ــ مهرج الى جانب « باستور » ، و « الاسكندر المقدونى » بهلوان الى جانب « ارشميدس » ، وان البطل الذى يخوض الحرب ذودا عن الحق والعقيدة اكرم جدا من بطل يقتحم الحروب ليقال انه دوخ الامم وفتح البلدان •



مذهبه فى الكتابة عن العظماء

ومذهبه الذى يتوخاه فى الكتابة عن العظماء الذين حسنت نياتهم فى خدمة الانسان ان يوفيهم حقهم من التوقير ، وان يرفع صورهم الى مكان التجلة ، وان لم يمنعه هذا ان يصدقهم الوصف والتصوير .

والمصلحون من عظماء الاديان – فى رأيه – اهل لكل تعظيم واعتراف بالجميل ، لا يعيبهم انهم سبقوا عصر العلم الحديث ، بل يزكيهم ذلك ويضاعف حقهم فى الثناء والعرفان بالجميل ، ويدل على ان الحاجة اليهم كانت امس والزم ، وانهم كانوا فى خدمتهم للانسانية اقدر واعظم ، مع ما هو مفهوم من الفارق بين حاجة الناس الى الدين وحاجتهم الى العلوم ، فهذه حاجة ذهنية وتلك حاجة حيوية او روحية لا تغنى فيها علوم العلماء .

الديمقراطية والعظمة

ثم جاءت الديمقراطية واساء بعض الناس فهمها، كما أساءوا فهم النزاع بين العلم والدين ، فظنوا أن حرية الصغير تجعله فى صف الكبير ،وأن المساواة القانونية تلغى الفوارق الطبيعية ، وان الثورة على الرؤساء المستبدين معناها الثورة على كل عظمة انسانية ، وفشت بدعة الاستخفاف والزراية حتى اوشك التوقير لمن يستحق التوقير ان يعاب .

رد اعتبار العظمة

وتكاثرت على هذا النحو اسباب الغض من العظماء حتى اصبحت العظمة فى نظر العقاد فى حاجة الى ما يسمى «برد الاعتبار» فى لغة القانون، فان الانسانية لا تعرف حقا من الحقوق ان لم تعرف حق عظمائها ،وان الانسانية كلها ليست بشىء ان كانت العظمة الانسانية فى قديمها او حديثها ليست بشىء .

يوقن العقاد بان ايتاء العظمة حقها أمر لازم فى كل اونة وبين كل قبيل ، ولن يتاح لمصلح أن يهدى قومه وهو مغموط الحق معرض للجفوة والكنود .

فان شيوع الحقوق العامة قد اغرى اناسا من صغار النفوس بانكار الحقوق الخاصة ، حقوق العلية النادرين الذين ينصفهم التمييز وتظلمهم المساواة .

هذه الآفة فى رأى العقاد تهبط بالخلق الانسانى الى الحضيض ، وتهبط بالرجاء فى اصلاح العيوب الخلقية والنفسية الى ما دون الحضيض . ويتساءل عما يساوى انسان اذا كان الانسان العظيم لا يساوى شيئا لديه ؟ واى معرفة يناط بها الرجاء اذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف ، واذا ضاع العظيم بين اناس ، فكيف لا يضيع بينهم الصغير ؟

يقول العقاد عن نفسه : « انا قليل الاكتراث للمقتنيات المادية ، فاعجب شىء عندى هو تهالك الناس على اقتناء الضياع والقصور وجمع الذخائر والاموال ، ولم اشعر قط بتعظيم انسان لانه صاحب مال ، ولم اشعر قط بصغرى الى جانب كبير من كبراء الجاه والثراء ، بل شعرت كثيرا بصغرهم ، ولو كانوا من اصحاب الفتوحات » .

فلسفة العقاد فى حياته

وفلسفته تتلخص فى هذه السطور « غناك فى نفسك ، وقيمتك فى عملك ، وبواعثك أحرى بالعناية من غاياتك ، ولا تنتظر من الناس كثيرا تحمد عاقبته بعد كل انتظار » .

والعقاد لم يكن يصادق احدا ولا يعاديه فى مارب من مارب النفس ، ولا صغيرة من صغائر الضعف الذى يبتلى به كل انسان ، فما عرف صديقا فعرف لصداقته سببا غير فكرة يشتركان فيها او مطلبا من مطالب الادب يتفقان عليه ، او غاية من الغايات

العامة يسلكان السبيل اليها ، أو طرفة من طرف الراحة الروحية تعم كل من يستريح اليها،ولا تغص أحدهما بداع من دواعي الاثرة والمحاباة .

وكذلك اعداؤه ، يعاديهم ويعادونه على عقيدة او خطة او مصلحة من مصالح الناس ، فقد حارب الطغيان وحارب الفوضى ، وحارب رؤوس الاموال ، وحارب مذاهب الهدم والبغضاء ، وحارب التبشير، والتقليد الاعمى ، والدجل المريب باسم الدين ، وحارب الجمود والرجعية والانكار والجحود ، وحارب الاحزاب وحارب الملوك ، وحارب هتلر ونابليون ، وحارب المستعمرين فى صفوف الديمقراطيين ، وحارب اعداء الادب المسمى بالقديم، وحارب اصدقاء الادب المسمى بالجديد ، وحارب الصهيونية وحارب النازية اكبر اعداء الصهيونية .

وتصدق موازين العظمة لديه ومقاييسها التى مر ذكرها لدى تحليله لعبقريات بعض الشخصيات المتفردة فى انماطها ، ويوفق غاية التوفيق فى الارشاد الى مفتاح الشخصية فى كل عبقرية من هذه العبقريات .

شخصية خاتم الرسل (ص)

فى كتابه « عبقرية محمد » يقول : انه تقدير لهذه العبقرية بالمقدار الذى يدين به كل انسان ، ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذى يبث له الحب فى قلب كل انسان ، وليس فى قلب كل مسلم وكفى . فمحمد (ص) عظيم ، لانه قدوة المقتدين فى المناقب التى يتمناها المخلصون لجميع الناس ، عظيم فى ميزان الدين ، عظيم فى ميزان العلم ، عظيم فى ميزان الشعور ، عظيم فى فطرته السوية وفى بشريته ، عظيم عند من يختلفون فى العقائد ، ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية ، عظيم لانه « على خلق عظيم » .

شخصية الصديق أبى بكر

شخصية الصديق عند العقاد لها مفتاح قريب المتناول وهو مفتاح « الاعجاب بالبطولة » ، وهذا الاعجاب بالبطولة هو الوسم الذى يتسم به كل عمل من اعماله ، وكل نية من نياته ، وهو السر الذى نراه كامنا فى كل رأى يرتئيه ، وكل قرار حاسم يستقر عليه .

والاعجاب بالبطولة فى التاريخ الانسانى شيء عظيم ، فليس بعد البطولة منزلة يشرف بها الانسان أشرف من منزلة الاعجاب والركون اليها ، لان الفضيلتين معا لازمتان جنبا الى جنب فى كل امر جليل فى تاريخ الانسان ، وكل طور من اطوار التقدم ارتقى اليه .

شخصية عمر بن الخطاب

« .. لم ار عبقريا يفرى فريه .. » كلمة قالها الرسول عليه الصلاة والسلام فى عمر رضى الله عنه ، وهى كلمة لا يقولها الا عظيم عظماء خلق لسيادة الامم وقيادة الرجال ، ويعرف موازين الرجال واقدارهم ، وهو يعرف ميزان عمر من اللحظة التى سأل الله فيها أن يعز به الاسلام .

فقد كان عمر ممتازا بعمله ، ممتازا بتكوينه ، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد فى عرف الاقدمين والمحدثين ، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين . تشهد العيون كما تشهد القلوب انه لمن معدن العظمة ، او معدن العبقرية والامتياز بين بنى الانسان ، فكان نمطا وحيدا فى التاريخ كله لا نظير له فى تفصيل عناصر صفاته وان ساواه فى القدر أنداد وقرناء .

وشخصية عمر من اقرب الشخصيات العظيمة مفتاحا لمن يبحث عنه ، فليس فيها باب معضل الفتح وان اشتملت على ابواب ضخام . والذى يراه العقاد ان « طبيعة الجندى » فى صفتها المثلى هى اصدق مفتاح « للشخصية العمرية » فى جملة ما يؤثر او يروى عن هذا الرجل العظيم .

واهم الخصائص التى تتجمع « لطبيعة الجندى » فى صفتها المثلى : الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة ، وتقدير الواجب والايمان بالحق وحب الانجاز فى حدود التبعات او المسؤوليات .

شخصية الامام علـى

يرى العقاد انه فى كل ناحية من نواحى النفوس الانسانية ملتقى بسيرة على بن ابى طالب وصفاته ـ رضوان الله عليه ـ تنتظم فى نسق موصول : رجل شجاع لانه قوى ، وصادق لانه شجاع ، وزاهد لانه صادق ، ومثار للخلاف لان الصدق لا يدور بصاحبه مع الرضا والسخط والقبول والنفور ، واصدق الشهادات لهذا الرجل الصادق أن الناس قد ألبتوا له فى حياته اجمل صفاته المثلى ، فلم يختلفوا على شيء منها الا الذى اصطدم بالمطامع

وتفرقت حوله الشبهات،وما من رجل تتعسف المطامع أسباب الطعن فيه ثم تنفذ منه الى صميم .

وآداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة ، الذى يفض منها كل مغلق .

وآداب الفروسية هي تلك الآداب التى تتلخص في كلمة « النخوة » وقد كانت النخوة طبعا في « على » فطر عليه ، وأدبا من آداب الاسرة الهاشمية نشأ فيه ، وعادة من عادات « الفروسية » العملية التي يتعودها كل فارس شجاع متغلب على الاقران ، وان لم يطبع عليها وينشأ في حجرها ، لان للغلبة في الشجاع انفة تأبى عليه أن يسف الى ما يخجله ويشينه ، ولا تزال حتى تعلمه النخوة تعلما ، وتمنعه ان يعمل في السر ما يزرى به في العلانية . لم ينس « على » قط الشرف ليغتنم الفرصة ، فاذا فعل ما وجب عليه فلينس من شاؤوا ما وجب عليهم،وان أفادوا كثيرا وباء هو بالخسار.

شخصية برناردشو

وفي معرض استعراضه لامر تأخر منح جائزة « نوبل » لبرنارد شو ، يقول العقاد : انه ليس بين « شو » وبين الذين تقدموه الى الجائزة خلال عشر سنوات أحد يساويه في مقدرته الفنية أو كفايته الادبية ، ومن ساواه في فنه وأدبه لم يكن كفؤا له في غيرته على الحق ، واخلاصه لحب الخير والاصلاح ، فهو الذى تطوع بالحملة الشعواء على السياسة البريطانية بعد فاجعة دنشواى ، وألف في موضوعها كتابه بعنوان « جزيرة جون بول الاخرى » مقدما بتلك الفصول المسهبة ما يثبت بطلان التهم المنسوبة الى الفلاحين ، وشناعة الحكم، وضمنها من التحقيقات الطبية والشواهد العيانية ما لا يحتمل المغالطة والتمويه ، ولم تمض شهور على ظهور هذا الكتاب حتى وجدت الدولة البريطانية نفسها مضطرة الى اعلان توبتها في العالم عن الخطيئة المنكرة ، وحاولت بعد عزلها للورد « كرومر » أن تنهج لسياستها نهجا جديدا للتقرب من ابناء هذه البلاد .

شخصية تاجور

وفي معرض تقييمه للشاعر « تاجور » يقرر أن ايمانه بالمثل العليا في معتقداته وافكاره اكبر واقوى من أن يكون ايمان تفكير او ايمان دراسة ، انما هو سليقة مطبوعة يشع منها الايمان كما يشع النور من الكوكب الساطع . او كما يفوح العطر من الزهرة الزكية ، وكانت حياته الشخصية تطبيقا عمليا لايمان وجدانه وضميره ، بل كانت حياة كل انسان عنده آية من الآيات الكونية على رجاء الله . وهو القائل : « كل مولود جديد يصل عالمنا هذا هو آية حية تقول لنا : ان الله لم ييأس من بني الانسان » .

واجب العظماء ازاء مجتمعاتهم

يرى العقاد ونرى معه أن المجتمع الاسلامي الذى تعيش في كنفه أغلب شعوبنا العربية ، هو مجتمع ضمائر ونفوس يخاطبها الدين ، ولديه سبل الخطاب الذى يراد به صلاح العقول والابدان. ولا يحمد الاسلام من مجتمع انساني ان يخلو من هذه الطائفة التى تناط بها النصيحة ، وتوكل اليها مهمة الهداية الى الرشد ، والتحذير من الضلالة ، وهي أمانة ينهض بها تطوعا من هو أهل لها ، لا يندبه اليها أحد غير نداء الواجب ، ونشدان الامثل ، واراحة الضمير وفاء لحق الله على العظماء والعلماء قبل غيرهم من سائر الافراد .

خاتمة

ستبقى — اذن الطبقات بما فيها العظماء ما بقي الناس مختلفين ، وهي ظاهرة كونية ، لانها قضاء حتم ينفذ فينا وفي الكون كله من اعلاه الى ادناه ، وخير المجتمعات — اذن — مجتمع يسمح للكفايات والمزايا الخلقية بالمجال الذى يناسبها في الحياة العامة ، ولكنه لايسمح لها بأن تحرم أحدا حقه ، أو تقف بينه وبين مجاله الذى استعد له بما هو أهـلـه . ■■

عمر الراكشي

المراجع : عبقرية محمد ص ١٣ . عبقرية الصديق ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٦١ ، عبقرية عمر ص١١ ، ٢١،١٩ ، ٦٧،٢٧ . عبقرية الامام على ص٣٥،٣١ . حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص٢٠٣. جوائز الادب العالمية ص ٦٩ ، ٨٢ . « أنا » ص ١٤ ، ١٥ . رجال عرفتهم ص٦٦ . الحسين أبو الشهداء ص ٧ . الصديقة بنت الصديق ص ٢٧ ، ٢٨ .

حكاية

زرقاء اليمامة

أو

ظاهرة الإحساس الخارق

علم حديث يبحث في أغرب الأحاسيس البشرية

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ اشتهرت « زرقاء اليمامة » من عشيرة جديس فى الجاهلية بحدة بصرها وقيل انها كانت تستطيع الرؤية بوضوح على بعد مسيرة ثلاثة أيام. وقيل انها رات مرة علائم غزو متجه نحو قبيلتها ... فلما حذرتهم سخروا منها ولم يصدقوها ــ ولم يكونوا على علم او يقين بمقدرتها ــ . ثم وقعت الواقعة وجاءهم الغزو .. « ولات ساعة مندم ... » .

هذه الحكاية يسمعها او يقرأها انسان القرن العشرين فيبتسم اذا شعر بمبالغتها ، او يهملها اذا اعتبرها اسطورة خرافية ، الا انها فى نظر علم نفس الخوارق تعتبر واقعة محتملة ودليلا ايجابيا لما يتضمنه من مجالات البحث . فما هو علم نفس الخوارق ؟ ... ومتى بدأ .. ؟ .واين موقعه من العلوم الانسانية والسلوكية الاخرى؟..

علم نفس الخوارق Parapsychology

ولحكاية زرقاء اليمامة مئات الوقائع المتشابهة حدثت على مر القرون . فقد وجد اناس يستطيعون قراءة افكار غيرهم او رؤية محتويات وانواع المواد او الحوادث الجارية والموجودة على بعد كبير منهم .. او التنبؤ بحوادث لم تقع بعد ... وهكذا . وقد جاء ذكر مثل هذه القابليات فى كتابات الفيلسوف (ديموقريطس) Democritus منذ عهد الحضارة الاغريقية .

وروى احد رؤساء الجامعات المعروفين فى امريكا فى هذا القرن قصة حقيقية وهى انه كان عليه اداء مهمة صعبة وعسيرة وهى الذهاب الى دار زوجين من اصدقائه الاعزاء ليخبرهما بان ابنهما قد توفى فجاة فى الصين . فلما سمع الزوج النبأ الفاجع التفت الى زوجته بهدوء وهو يقول :

« كنت على حق يا زوجتي .. » وتبين ان الزوجة كانت قد اخبرت زوجها قبل ايام بانها متاكدة ان ابنهما قد توفي .

وسادت في ريف انكلتره وايرلندة لفترة طويلة من الزمن قضية علاج بعض الماشية المصابة باورام جلدية تدعى (الثؤلول) warts من قبل بعض اشخاص معينين يعالجونها بدون عقاقير او لمس بل بالارادة والعزائم .

هذه الامثلة ، وغيرها كثير ، لم تمر على بعض الباحثين مرورا عابرا بل دفعتهم الى دراستها وتمحيصها وتحليلها بالطرق العلمية وبنظم واصول المنهج العلمي الحديث . ولما كانت تلك الدراسات تتعلق بالسلوك البشري وبالعقل والنفس (والروح) فانها اصبحت اقرب المواضيع الى علم النفس بل محاذية له مع بعض الاختلاف . لذلك اطلق عليها اصطلاح « علم نفس الخوارق » Parapsychology وهو ذلك النوع من المعرفة الذي يبحث في الظواهر الحسية الغريبة . واداة التصدير في اول الكلمة Para تعني باليونانية « محاذي » او « مجاور » او « جنيب » . فعلم النفس الجنيب يعني العلم الذي يدرس الظواهر السلوكية التي تقع خارج نطاق علم النفس الاعتيادي او التي تتميز عن الظواهر الاعتيادية وتشذ عنها . وهكذا اخترنا اصطلاح علم نفس الخوارق للدلالة عليها .

والظواهر الحسية الخارقة التي هي موضوع علم النفس هذا سميت كذلك بال (ESP), extra Sensory perceptions او القابليات الحسية الخارقة للمالوف Paranormal capacities

شيء من التاريخ

قلنا ان الحكايات والوقائع المتفرقة التي كانت تثير الدهشة والاستغراب ، وربما الوجل والحيرة ، ظلت مستمرة منذ عشرات القرون وكانت جزءا من حكايات الاساطير والخرافات أو من الادب الديني او من معجزات الاولياء والقديسين . ولم يتمكن احد من تفسيرها .. ، بل كان الأهون على بعض العلماء مهاجمتها او الطعن بها دون دليل..

الا ان بعض علماء النفس والفلاسفة نظروا الى تلك الحوادث بجد واهتمام اذ رأوا في بعضها حقائق دامغة لا يمكن تجاهلها فاثروا سلوك الدرب الوعر .. وبدأوا يدرسون بصمت ظواهر الاحساس الخارق منذ اواخر القرن التاسع عشر. وشرع البروفسور (وليم باريت) استاذ الفيزياء في كلية العلوم الملكية في دبلن عام ١٨٧٦م يعلن عن تجاربه حول قضايا تواصل وقراءة الافكار .ثم تاسست في لندن عام ١٨٨٢م جمعية ابحاث خوارق الاحساس Society of psychical Research

وقد استخدم اصطلاح Psychic للدلالة على الظواهر غير المادية (او الروحية) تمييزا لها عن الظواهر النفسية Psychological . وقد لاقى (باريت) وغيره من الداعين المتحمسين لتلك الدراسات كثيرا من الهجوم والنقد من قبل زملائهم الآخرين . لكن الابحاث استمرت على نطاق شخصي وعلى مستوى الجمعيات الخاصة والاهلية . الا انه في عام ١٩٣٠م دخلت جامعة (ديوك) Duke University في ولاية (كارولينا الشمالية) الامريكية مغامرة علمية جريئة عندما فتحت شعبة لعلم نفس الخوارق برئاسة الاستاذ الدكتور (راين) J.B. Rhine الذي بدأ ينشر ابحاثه العلمية تباعا منذ عام ١٩٣٤ .وصدر بعدئذ مجلات علمية حول الموضوع .. وامتدت الشعب والاقسام الى جامعات كبرى كجامعة كولورادو ونيويورك وهارفرد ولندن وكمبردج واكسفورد ، وفي نيوزيلنده والسويد وهولنده وفرنسا ويوغسلافيا واليونان . ومن العلماء الذين اشتهروا في هذا المجال : راين ، ويست ، مورفي ، پاوليس ، ميريل ، وكثيرون غيرهم .

وكان انتقال موضوع خوارق الاحساس الى الجامعات العلمية وتحت اشراف اساتذة امناء طفرة كبيرة في ازالة الالتباس والشك الذي يساور كل مثقف متفحص . وكانت الخطوة التالية هي الاقدام وبدون تردد على منح الشهادات العلمية من ماجستير ودكتوراه في هذا الموضوع من قبل جامعات امريكا واكسفورد ولندن وكمبردج .

ما هي خوارق الاحساس ؟

ترى ماذا نقصد بخوارق الاحساس ؟ .ان العلم الحديث توصل الى الكشف عن الاصناف التالية :

١ ـ التخاطر ، او تواصل الافكار telepathy

وهي ان يتمكن شخص وهو في مكانه من معرفة مايجول بافكار شخص آخر لا يراه ولا يمتلك واسطة للاتصال به وعلى بعد امتار او أميال منه. وقد سميت ظاهرة انتقال الافكار ايضا بـ Thought transference

٢ ـ التجلي ، او الاستبصار Clairvoyance وهي القدرة على رؤية الاشياء، والناس والحوادث خارج نطاق البصر ، اي ما وراء الحواجز والجدران او على بعد مئات الاميال وربما على بعد نصف الكرة الارضية . وهنا تغدو قصة زرقاء اليمامة شيئا محتملا جدا او منطقيا لانها ربما كانت ترى الاشياء بقوة الاستبصار وليس من خلال العين وأعصاب الشبكية وبالاضواء والظلال التي ـ ينقلها الجهاز العصبي ، بل بعض القوى الحسية الاخرى . ومثال آخر على ذلك :

كانت طفلة عمرها عشر سنوات تقلب اوراق كتابها المدرسي في الهندسة وهي تسير في حقل القرية عندما شعرت بان الدنيا غامت حولها ،ثم رأت بوضوح ان امها ممدودة شبه ميتة في غرفة مهجورة في دارهم وبجانبها على الارض منديل صغير مطرز الحافة . واسرعت الطفلة رأسا الى طبيب البلدة قبل التاكد من صحة الرؤية ،واقنعت الطبيب بالقدوم معها الى الدار . وعند باب الدار رآها والدها فاندهش وتساءل : ترى من يكون المريض ؟ لكن الطفلة هرولت الى الغرفة المنعزلة وهناك رأى الجميع ان امها مغميا عليها فعلا وبجانبها المنديل . واكد الطبيب انها مصابة بنوبة قلبية ولو تاخر في اسعافها تلك الساعة لماتت .

وروى الفيلسوف (كنط) ان صديقه (سويد نبرج) كان في مدينة (جوتنبرج) عام ١٧٥٩ م وشعر انه يرى حريقا قد حدث في مدينة (استوكهولم) في السويد على بعد ٣٠٠ ميل منه ووصف الحريق للسلطات وسمى لهم اسم صاحب الدار التي احترقت ومتى اطفئت النار . وبعد ايام وصل البريد الملكي واكد حقيقة الحادث بالضبط .

٣ ـ التنبؤ ،او الادراك المسبق precognition وهي قابلية الفرد على استباق الحوادث وتوقع ما سيحدث قبل وقوعه بساعات او ايام او اشهر. واكثر ما يتضح ذلك في الاحلام . ولا يزال الاعتقاد سائدا بين العامة ان الاحلام تتضمن خاصية الاخبار والتنبؤ بالمستقبل على الرغم من ان علم النفس الحديث ، وخاصة نظرية فرويد ، لا تعتبر الاحلام الا مجرد افكار وخواطر ورغبات مكبوتة تظهر اثناء النوم بصورة مموهة ورمزية للتعبير عن اشياء لا تتاح لها فرص التعبير في الواقع .

والامثلة على التنبؤ كثيرة نذكر منها الواقعة التي سجلها العالم اليوناني الدكتور (تاناجراس) Tanagras وهي : ان طفلا رأى شبحا ابيض كلمه وحذره انه سيموت بحادثة دهس بسيارة . فهرول الطفل خائفا ليعيش بين الجدران في دار جدته . وفي يوم من الايام خرج ببساطة ليلعب في الطريق عندما اقتربت منه سيارة . فسارع الطفل الى الرصيف والتصق بالحائط بمنتهى الحذر . لكن السيارة صعدت الرصيف واتجهت نحوه لتسحقه على الحائط .

٤ ـ تحريك الجماد psychokinesis (PK): وهي القدرة على تحويل وتحريك وايقاف المواد الجامدة دون وساطة اوطاقة او جهد وعلى بعد سنتيمترات او مئات الكيلومترات . ولدى البعض القدرة على التأثير ليس فقط في المواد الجامدة بل في الحيوانات وحتى في الناس الآخرين .

وكانت التجارب العلمية على امثال هؤلاء الموهوبين تدور مثلا حول اوضاع وارقام النرد أو كيفية التحكم في تسلسل اوراق اللعب (الكوتشينة) قبل ان يخلطها ويفرزها الفاحص او الآلة الكهربائية التي تدور آليا دون تدخل الفاحص في العملية .

خوارق الاحساس والعلم الحديث

قلنا كيف ان علم نفس الخوارق انتقل الى المختبرات التجريبية وخضع للاسلوب والمنهج العلمي ، وكان المنطق والتفكير المحايد يشير الى امكانية وجود هذه القابليات . والمعروف في علم وظائف الأعضاء (الفسلجة) ان الانسان يشعر بواسطة حواسه المعروفة من سمع وبصر وذوق وشم ولمس . الا ان العمليات الحسية ليست بالبساطة التي نكتبها هنا او نشعر بها .

وقد يكون من الغريب ان تسأل اي انسان لماذا

يرى القطن ابيض اللون ، فعنده ان ذلك امر طبيعي ومفروغ منه،ولكن السؤال يصبح معقولا اكثر لو سالناه لماذا تراءى له القطن الابيض اصفر اللون ؟ والمسالة لدى علماء النفس ووظائف الاعضاء سواء لان رؤية الاشياء الطبيعية والاحاسيس المتفرقة بانواعها تتم خلال عملية عقلية معقدة ٠

والسؤال الفلسفي الاعمق : هل ان البشر يحس ويدرك كل ما يحيطه من اشياء ؟ ذلك امر مشكوك فيه ٠فنحن ندرك ما تنقله الينا حواسنا، وهي عاجزة عن نقل كل شيء ٠ لقد ادرك ذلك الفيلسوف (كنط) Kant قبل عصر التكنولوجيا وقال ان الحقيقة شيء وما نشعر به شيء آخر ٠٠

والعلم الحديث يؤيد ذلك،فالناس ليسواسواءفي ادراك الشيء الواحد ٠٠ كما ان لاجهزة الحواس مستويات عليا ودنيا ، او حدودا Threshold لايتجاوزها الفرد الطبيعي ٠ فالاذن البشرية الاعتيادية تستطيع ان تسمع الاصوات اذا كانت ذبذبة الصوت لاتقل عن ستة عشر (١٦) ولاتزيد عن عشرين الف (٢٠ر٠٠٠) ذبذبة في الثانية ٠ بمعنى ان الصوت الذي تقل او تزيد ذبذبته عن هذين الحدين لاتسمعه الاذن البشرية ولو كان موجودا بقربها فهو فوقحدود السمع Supersonic وهكذا هي الحواس الاخرى للانسان لها حدودها الطبيعية ٠ وبمعنى آخر ان هنالك حوادث وظواهر قد تقع قرب الانسان وحواليه ولا يتمكن من التقاطها وادراكها لعجز حواسه ليس الا ٠٠

من كل ما تقدم نريد ان نقول ان حدود الاحساس لدى البشر لها معدل طبيعي ، ومن المحتمل جدا ان يمتلك بعض الناس قابليات حسية تتجاوز الحدود الطبيعية وهي التي تبدو لنا من جملة خوارق الأحساس المذكورة آنفا ، هذا اذا لم يمتلكوا ايضا وسائل عقلية اخرى لا نعرف ماهيتها ولاندركها تماما ٠

خوارق الأحاسيس ٠٠ هل هي شاذة ؟

الملاحظ في الاشخاص ذوي الاحاسيس الخارقة انها صفات ولادية وطبيعية يمتلكها عقل الموهوب وجهازه العصبي ،او بالاحرى هي جزء من شخصيته دون تمرين او تعلم ٠ فهي بريئة نستطيع وصفها باللاشعورية او غير المتعمدة ٠ وهي موجودة لدى بعض الناس دون الآخرين ، ولو ان العلم الحديث لم يحدد نسبة الموهوبين بين عامة الناس لكن الموهوب بالاحاسيس الخارقة لا يختلف عن غيره من الناس في العواطف والطباع ، والذكاء والمقاييس البدنية ٠

خوارق الاحساس اذن غير شاذة وغير مرضية ، بل هي تجانب الطبيعة المالوفة para ولكنها لا تدخل من ضمن المعدل والمالوف ٠ كما انها لا تاتي بالتمرين مثلرياضة اليوجا ٠والعكسهو الصحيح، اذ وجد الباحثون ان الموهوب الذي يتعرض الى الفحص ويحاول التمرين عليه تسوء كفاءته وتتكرر مرات فشله ٠ اما في رياضة اليوجا فان القوى الحسية الخارقة التي يتوصل اليها (اليوجي) تاتي بالتمرين الشاق والتركيز المستمر وتقوية الشعور والارادة ٠ فالفرق واضح بين الاثنين ٠ ولكن اليوجا تعتبر دليلا غير مباشر يعزز ويدعم علم نفس الخوارق اذ يوضح كيف ان العقل البشري يمكن ان يتطور الى مراتب عليا ويمتلك قابليات حسية خارقة بالجهد والارادة ٠

كما ان العقل البشري دخل في مغامرات حسية طريفة عن طريق علم الادوية (الاقرباذين) ، لان بعض العقاقير لها مفعول تمديد وتعميقالمشاعر والاحساس ، حتى ان المفكر الشهير (الدوس هكسلي) Aldos Huxley جرّب بنفسه بعضها ودون احاسيسه الغريبة التي تخطت الزمان والمكان ٠ وقد سجلها في كتابه الشهير (ابواب الاحساس) The Doors of Perception ٠

وقال في تعليق له على علم نفس الخوارق : ان الانسان يدخل به عالما جديدا مثيرا ٠٠

تجارب الخوارق ٠٠ كيف تتم ؟

من الطريف ان نذكر ان اول تجربة علمية على خوارق الاحساس جرت قبل خمسة وعشرين قرنا ، وعلى وجه التحديد في القرن السادس قبل الميلاد عندما كان الملك الاغريقي (كروسس) Croesus يحاول اختبار الكهنة في معابد اليونان ليعرف أيهم الكاهن(العراف)الحقفكان يرسل مبعوثيه ليسالوه السؤال التالي : « ماذا يعمل كروسيس ابن الايتس الآن ؟ » وفي ذلك اليوم المعين يكون الملكقد

جلب شاة وسلحفاة وقطعهما اربا اربا ثم يسلقهما في قدر نحاسي . ويرجع المبعوثون ليخبروا الملك بما يقوله العراف . واكتشف الملك أن الجواب ـ الصحيح جاء من كاهن واحد هو الذي في معبد (دلفي) Delphi الشهير في اليونان .

وعلى الرغم من قدم ذلك الاختبار فانه كان مثالا للتجربة العملية التي يمكن أن تتم في مختبرات علم النفس . ولم تجر بعد ذلك الاختبار أية تجربة حقيقية حتى أواخر القرن التاسع عشر كما ذكرنا . وفي هذه التجارب العلمية التي تتم الآن توضع مختلف الضوابط على الشخص « الموهوب » تحت الفحص لمعرفة قابليته على قراءة الافكار أو رؤية ارقام واشكال وصور أوراق مختلفة ، وفي غرف وبنايات اخرى أو على امكانيته التحكم في تغيرات ترتيب تسلسل تلك الاوراق أو النرد .. الخ . وتتصف التجارب العلمية الحديثة لخوارق الاحساس بما يلي :

أ ـ ابتكار وخلق حادثة مخططة صالحة للتجربة دون الاعتماد على الصدف .

ب ـ التسجيل الفوري والآني لما يحدث خلال تلك الحادثة أو التجربة .

ج ـ احتساب مجالات « الصدفة » Chance وتكرارها من الناحية الاحصائية كي لا تدخل ضمن الدلائل على نجاح التجربة الظاهرى .

د ـ التاكد من شخصية المفحوص وبانه غير محتال أو ميال الى اثبات مقدرته حبا بالتباهي والغرور .

هـ ـ التاكد من شخصية الفاحص أيضا وعدم تحيزه للتجربة الناجحة وذلك بعرض النتائج على فاحصين آخرين (شهود) اثناء التجربة .

بهذه الضوابط تمكن الباحثون من فرز تلك الغواص عن بعضها وتمكنوا من الكشف عن المحتالين او المهرجين او الذين يستخدمون فطنتهم وذكاءهم لمعرفة النتائج بالاستنتاج والحدس . مثال ذلك ما جرى للاعب المسرح المدعو (ماريون) الذي تبرع ان يكون مادة اختبار لمعرفة محتويات رسائل مقفلة ومحتويات صناديق متعددة . وتبين بعد ضبط التجارب أن ماريون كان ذكيا واستخدم حواسه بتركيز ولاحظ بدقة وجوه وتقاطيع الحاضرين الذين كانوا يعرفون محتويات الصناديق . وقد فشل في التجربة عندما كان الشهود على جهل تام بالصناديق او عندما اجلسوا وراء ستارة كثيفة لا يراهم من ورائها .

تفسير خوارق الاحساس

بعد ما يقارب المائة عام من الدراسات والابحاث ، لا يزال من العسير وضع صيغة علمية او تفسير لهذه الظواهر يتلاءم مع منطق العلم المادي الحديث . وهنالك مجموعة من النظريات والفرضيات التي تقول احداها بوجود موجات مخية تختلف عن الموجات المعروفة التي يسجلها رسام المخ وانها اشبه بموجات الراديو وتقوم بعملية نقل الافكار (نظرية الاستاذ كروكس) . ـ ونظرية اخرى تقول باحتمال انتقال جزيئي الذرة الالكتروني Electron من دماغ لآخر (نظرية الاستاذ السويسري فوريل) . ونظرية اخرى تقول بوجود قوة روحية متنقلة (نظرية الالماني اوستوالد) .

الا ان المتفق عليه ايضا انه ليس بمقدور علم الفيزياء وحده في المستقبل ان يقدم تفسيرا كاملا لظواهر خوارق الاحساس ـ كما يدعي علماء الفيزياء ـ ، كما لا يمكن القول ايضا ان التجارب العلمية لعلم نفس الروحيات ستمهد الطريق امام الفيزياء في مجال التفسير المادي ، بل ان الافضل للاثنين ايجاد تفسير يجمع بينهما يوما ما ولا يناقضهما .

آفاق المستقبل

عندما بدا علم نفس الخوارق لم يفكر القائمون عليه بشيء الا معرفة الحقيقة ووضع حد للخرافة والاوهام وادخال الظواهر تلك في حساب البحث الجدي . وكانت التجارب مشجعة على المضي في هذا المجال . واصبح اول طموح للباحثين هو ان يدخل علم نفس الخوارق على الاقل كفرع من فروع علم النفس « الرسمي » المعترف به ، ووضع حد للذين يتهمون العلم والعلماء بانهم لا يعترفون بغير المادة ..

وقد حصل فعلا اعتبار علم نفس الخوارق جزءا من علم النفس ،ولكن في النصف الثاني من القرن العشرين . وهكذا ظهرت الطبعات الجديدة لكتب علم النفس الحديث وهي تشير الى خوارق الاحساس باطمئنان وتدخلها من ضمن محتويات فصولها وان كانت لا تملك تفسيرا لها . كما اصبح علم نفس

الخوارق قسما خاصا من كيان الجامعات والكليات العلمية الشهيرة • ولا تزال وسائل البحث في هذا المضمار محدودة على الرغم من توسع وطفـرات التكنولوجيا الحديثة ، حتى ان أحد البـاحثين في خوارق الاحساس قال بأسى :

« لو توفرت لنا نصف امـكانية تجارب وادوات الفيزيائيين في مختبراتهم لتمكنا من تقديم خدمات هائلة للجيل البشرى والمدنية •• »

ويحق لنا ان نتساءل : ماذا يمكن ان يفيدناهذا النوع من البحث ، والى اين سيقودنا •• ، وما هي تطبيقاته العملية ؟ • ونستطيع الاجابة اولا بأن التطبيقات العملية لاتزال معدومة ولكن الآمال المعلقة عليها كبيرة • والحادثة التالية توضح فائدة عملية فعلية جرت في حينها :

مات رجل ثرى في احدى مدن امريكا وترك وصية تجعل من احد ابنائه الاربعة الوريث الوحيد لثروته وبعد تنفيذ الوصية باربع سنوات رأى أحد الابناء الثلاثة حلما يقول له والده فيه ان وصية اخرى موجودة في دارهم القديمة • فاذا ذهب هناك وجد جاكتته القديمة معلقة وفي داخلها وتحت بطانتها يجد ورقة تبين له مكان الوصية • وقد عثر الابن على الورقة وكان فيها وصف كيفية العثور على الوصية الاخرى وهي في الصفحة الفـلانية من الانجيل الذى تستعمله العائلة في المكتبة • وقد وجد الوصية الثانية مع محاميه والتى جاء فيها ان الثروة توزع على الابناء الاربعة بالتسـاوى وحكمت محكمة كارولينا الشـمالية في مقاطعة (دافى) Davie بتنفيذ الوصية بعد ان تأكد لديها بأنها صحيحة ومكتوبة بخط الميت •

ان مثل هذه الفوائد العملية محدودة بالطبع ، الا ان ما اثبته علم نفس الخوارق من الحقـائق التالية يمكن ان يفتح امام الانسان ابوابا اخرى من المعرفة :

ـ فقد اثبت ان بامكان العقل الاتصال بعقـل آخر دون واسطة مادية معروفة •••

ـ وان بامكان العقل الاتصال بموجـودات او مخلوقات اخرى يشعر بها دون واسطة •••

ـ وان بامكان العقل تخطى المسافات الشاسعة•••

ـ وان بامكانه سباق الزمن وتوقع الحوادث •••

وان بامكانه التأثير في حركة الجماد والحيـوان دون اثر لواسطة مادية •

ـ وان هنالك شيئا لا يدخل في صفات المادة ، قد يكون طاقة او روحا ، ويدخل في تلك العمليات العقلية •

ـ وان العقل (او الروح) والمادة يتفاعلان بعملية واحدة ذات اتجاهين •••او يسيران في طريق واحد ذى ممرين •

مما تقدم ، نرى ان علم نفس الخوارق يرسم خطوطا جديدة على اللوحة الهائلة للكون وعلاقة وموقع الانسان منه ، كما يضع في ذهن الانسـان مسألة تقول : ان الحقيقة لا تحددها القـوانين الفيزيائية السائدة فحسب بل لابد من وجود قوى اخرى لا تخضع لقوانين المادة•• بل لقوانينها هي• اذن ، فمن الجهالة الجزم بأن كل ظاهرة خارقة او غير مألوفة تعتبر خرافة وتدجيل ، او بالاحرى ان بعض المعجزات الدينية والتاريخية شيء يقبله العقل والمنطق والعلم الحديث •

ان الانسان لا يزال عالما غريبا معقـدا ، فهو والكون المحيط به مجموعة اسرار عظيمة تستوجب التواضع البشرى والحماس العلمي لكشف المجهول والايمان بعظمة الخالق •فعلم نفس الخوارق يحاول تفسير كيفية التوافق بين العقل والبناء العضوى للدماغ بأسلوب يختلف عن الاطار العلمي السائد الآن وبذلك يمكنه ان يسلط اضواء جديدة على علاقة الفكر بالمادة •

الكون في ذاتنا وفي الفضاء حوالينا •• ، وما علينا الا ان نتدبر ونستمد المزيد من البحث والتواضع والايمان •ولا شك ان علم نفس الخوارق هو الذى يحمل راية « الروحيات » ـ وهو الذى ـ سيكون اقرب العلوم الى الفكر الدينى بل انه فعلا يتلاءم مع الدين ويسير معه جنبا الى جنب •• والمستقبل وحده كفيل بجلاء الحقائق • وما علينا الا ان نردد مع (سوفوكليس Sophocles) قوله :

كثيرة هي عجائب الدنيـا ••

ولكن اعجبها هو الانسـان ••

ومن البديهي ان نضيف •• « ان عظمة الخالق تتجلى في مخلوقاته •• » ■■

الموصل : فخرى الدباغ

طرائف

أعرف نفسى

● مر يزيد بن المهلب باعرابية فاهدت اليه عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ،ما عندك من نقود ؟ قال : ثمانمائة درهم قال : ادفعها اليها قال : انها لا تعـرفك ويرضيها اليسير قال : اذا كانت لا تعرفنى فانا اعرف نفسى ٠

امرأة

● ادعت امرأة النبوة فى عهد الخليفة المأمون فأحضرت اليه ، فقـال لها « من انت ؟ » قالت : « أنا فاطمة النبية » ٠ قال المأمون : « اتؤمنين بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام » ٠ قالت : « نعم ،

أتدرى من أنا ؟

● خرج المهدى بن المنصـور العباسىيوما للصيد ، فغلبه فرسه ، حتى انتهى به الى خباء اعرابى ، فقال : « يا اعرابى :هل من قرى (طعام) ؟ » قال : « نعم » واخرج له فضلة من خبز فأكلها ، وفضلةمن لبن فشربها ٠ ثم اتى بنبيذ فسقاه ٠ فلما شرب قال : « اتدرى يا اعـرابى منأنا ؟ » قال : « لا والله » ٠ قال : « انا من خدم الخاصة ٠ » قال : « بارك اللهلك فى موضعك ٠» ثم سقاه آخر فلمـا شربه قال : « اتـدرى من انا ؟ » قال :« نعم ، زعمت انك من خدم الخاصة » ٠ قال : « بل انا من قواد امير المؤمنين » ٠فقال له الأعرابى : « بارك الله لك » ٠ ثم سقاه قدحا ثالثا ٠ فلما فرغ منه٠ قال:« يا اعـرابى اتدرى من انا ؟ » قال : «زعمت اخيرا أنك من قواد امير المؤمنين»٠فقال المهـدى : « لا ٠ ولكنى انا امير المؤمنين ٠ » فأخذ الاعرابى زق النبيـذفربطه ٠ وقال : « والله لئن شربت الرابع لتقولن : انك رسـول الله ٠ » فضحكالمهدى ٠ثم احاطت بهم الخيل فنزل القوم، وسلموا على المهدى بامارة المؤمنين ،فطارقلب الاعرابى ٠ فقال له المهـدى : « لا بأس عليك » ، وامر له بصلة حسنة ٠

تلطف فى المسألة

● وقفت امرأة من اهـل المدينة علىمنزل قيس بن سعد بن عبادة زعيم الخزرج فيها ـ وكان من الأجواد الكرماء ـ فقالت« أشكو اليك قلة الجرذان فى بيتى ٠ » فقال: « ما ألطف ما سألت ؟ والله لأملأنبيتك جرذانا ٠ » وامر قيس بن سعد بن عبادة غلمانه فملأوا لها بيتها رزقا حسنامن الطعام والمؤونة ٠

عربية

صحبة السلطان

● قيل لكلثوم العتابى : لم لا تصحب السلطان على ما فيك من ادب ؟ قال : لانى رايت السلطان يعطى ناسا عشرة الاف فى غير شىء ويرمى آخرين من السور فى غير شىء ، ولا ادرى اى الرجلين اكون.

نبيــة

كل ما جاء به محمد فهو حق » . قال : « انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : لا نبى بعدى » . قالت : «صدق رسول الله» فهل قال : « لا نبية بعدى » . فضحك المأمون حتى غطى وجهه .

خطبــة الجمعة

● قيل ان احد الخلفاء امر أحــدندمائه ان يرقى المنبر فى يوم الجمعة ، ويخطب فى الناس ، فصعد النديم المنبر ،وحمد الله فى البداية ، ولكن هيبة المنبر وجموع المصلين جعلته لا يستطيع ان ينطق بكلمة واحدة ، فحاول الخليفة ان يشجعه فى ان يتكلم . فقال : « يا قوم والله انى لاكون فى بيتى ، فتجىء على لسانى آلاف الكلمات ، فاذا قمت على أعواد منابركم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدرى، ولقد كنت وما فى الايام يوم احب الىّ من يوم الجمعة ، فصرت وما فى الايام يوم ابغض الىّ من يوم الجمعـــة .. وما ذلك الا لخطبتكم هذه » .

مامعنا احــد

● حكى ان احد الخلفاء خــرج يوما للتنزه فى الصحراء ، وكان معه نديم له، فلما حان وقت الضحى اخرج الخليفة رقعة الشطرنج ، واخذا يلعبان ،فاستأذن عليهما رجل من ثقيف ، فأذن له الخليفة ، وستر رقعة الشطرنج بمنديل كان معه ،فلما دخل سلم ثم سأله حاجته . فقال له الخليفة :« أقرات القــرآن ؟ » قال : « لا يا أمير المؤمنين ! شــغلتنى عنه امور الدنيا » .قال : « افتعرف الفقه ؟ » قال : « لست بفقيه . » قال : « أفرويت من الشــعر شيئا ؟ » قال : « لا » . قال : « افعلمت من ايام العــرب شيئا ؟ » قال : « لا » .فكشف المنديل عن الشطرنج وقال : امض فى اللعب يا نديم ، فما معنا احد .

لا أريد أن أتزوج ..!!

« لماذا تعزف الفتاة عن الزواج اليوم ؟
هل تغيرت ، ام هو الرجل الذى تغير ؟ »

■ كان ثمة شيء يؤرقه ‥ انه لم يعد الرجل المرح الذى عرفه اصدقاؤه ‥‥ كان دائم التفكير وكانه يحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسه ‥ انه رجل جاوز الخمسين . وهو أب لثلاث بنات جميلات اكملت اثنتان منهما تعليمهما الجامعى . والتحقتا باحدى الشركات الكبرى ‥ اما الثالثة فهى مازالت طالبة فى المرحلة الثانوية ‥

وربما كان هذا من بين الاسباب التى جعلته موضع اهتمام الكثيرين من الشباب الذين يعملون معه فى مكتبه ‥ انهم لم يقابلوا بناته ، ولكنهم رأوا صورتهن الكبيرة التى يضعها امامه على المكتب، وقد احطن بأمهن بينما وقف الاب فى الصورة ينظر الى بناته فى فخر واعجاب ‥ وقد كانت صورة حديثة لم يمض على انتقالها من البيت الى المكتب سوى بضعة اشهر ‥ ولعل ظهورها فى هذا الوقت بالذات كان يعكس ما يعتمل فى صدر الاب من قلق على مستقبل بناته ‥ من يدرى ربما تقدم الى احداهن طالب زواج من بين الشباب الذين يعملون معه !

لا ‥ ليس الآن !

لقد كبرت الفتاتان . وبلغتا مبلغ النساء ‥ ولكنهما لايريدان الزواج ‥ لقد رفضتا كل الشبان الذين تقدموا اليهما ، والذين رشحتهم لهما الام الطيبة او الاب المحافظ ‥ وكان السبب فى كل مرة يخرج فيها « العريس » حاملا خيبة الامل ، هو هو لا يتغير :« لا يا أبى ‥ ليس الآن ‥‥ان فكرة الزواج لم تخطر لنا على بال ‥‥ هل ضقت بنا ‥؟ ام هى نفقاتنا التى ربما تكون قد تزايدت ! »

الى ان التحقت كل منهما بوظيفة لا بأس بها واصبحت قادرة على ان تتحمل الجزء الاكبر من النفقات التى ظلت تثقل الاب لسنوات وسنوات‥ وكان الوظيفة الجديدة قد اعطتهما السلاح الذى كانا يبحثان عنه لصد كل محاولة تستهدف ربط حياتهما برجل يريد ان يشاركهما هذه الحياة ‥! فقد كان مجرد الفكرة فى حد ذاتها يثير فى نفسيهما النفور والتمرد الذى يبلغ فى بعض الحالات حد الثورة على العرف والتقاليد !

نصائح الأم

وكانت الام المسكينة لاتكف عن ترديد نصائحها: «الزواج مصير كل فتاة ياحبانى ‥ ليس فى الدنيا امرأة استطاعت ان تعيش بغير رجل يحميها ويرعاها ويكون لها زوجا وأبا لاطفالها ‥ هذه هى سنة الحياة ‥ ان والدكم المسكين يريد ان يستريح ويريد ان يطمئن على مستقبل بناته ‥ انه يقترب من الشيخوخة كما ترون ، انكن اليوم تعشن بين احضاننا ، ولكن من يدرى ماذا سيحدث لنا غدا‥لا نريد ان نذهب ونترككن فى هذه الوحدة

التى نشفق عليكن منها ••• انها امنية كل اب وكل أم •• انها امنية العمر كلـه ، ان ترى الام ابنتها تخطر فى ثوب الزفاف الابيض الجميل الذى سيحملهـا به عريسهـا الى بيت الزوجيـة •• حققوا لنا امنيتنا الاخيرة حتى نستطيع ان نشعر اننا قد اكملنا رسالتنا فى الحياة ! »

ويبدو ان حديث الام نجح اخيـرا فى ان يهـز مشاعر الفتاتين •• فهو لم يكن نصيحـة بقدر ما كان توسلا •• وتوسلات الام اقوى من كل سلاح!

الاعتراف !

اتفقت الفتاتان على امر ••• لابد ان يصارحا امهما على الاقل ، فهى اقرب اليهما من الاب •• لابد ان يشرحالها اسباب هذا العناد من جانبهما ••لابـد ان يقولا لها كـل شيء •• لماذا قـررتا الاضراب عن الزواج ! ؟

وفى مساء احد الايام ، وكان الاب مشغـولا كعادته بين كتبه وملفاته فى مكتبه ، كان اللقاء بين الفتاتين والام فى حديقة البيت بعد ان تاكدن ان شقيقتهما الصغرى قد انشغلت عنهن باستذكار دروسها فى غرفتها ••

وبدات الفتاتان تتكلمان ، وجلست الام تنصت باهتمام ولهفة ، وتكلمت كبراهما ، قالت : « نحن لم نعزف عن الزواج يا امى لمجرد عدم رغبتنا فى الزواج •• بالعكس ! فنحن ايضا نتمنى ان نجد الشاب الذى يستطيع ان يعطينا هذا الشعوربالثقة والاطمئنان للمستقبل الذى ينتظـرنا فى حياتنا معه •• ولكننا للاسف الشديد لم نجده •• ! هل يعجبك حال شباب اليوم يا امى •• لقد تقدم لنا الكثيرون ولكننا لم نجد بينهم شابا واحدا استطاع ان يملأ هذا الاطار للصورة التى نريدها «للرجل» الذى سنعتمد عليه ونستند الى ذراعه ونحن نمضى فىطريق الحياة معا بكل ما فيها من عواصف وانواء» •• لقد جلسـنا نتاملهم طويلا ، فلم يزدنا هذا التامل سوى اقتناع بالعدول عن الزواج والهرب منه •• هل يعجبك مظهر شباب اليوم يا امى •• هل تروقك طريقة ملبسهم وما يصنعونه بوجوههم وشعورهم •• البنطلونات الضـيقة التى تلتصق باجسامهم •• القمصـان الملـونة الزاهية التى اصبحت « موضة » هذا العصر•• الشعور الطويلة المرسـلة التى يقضون السـاعات فى تصفيفها وتسريحها •• ! لقد ظلت المرأة يا امى تطـالب



بمساواتها بالرجل .. اما اليوم فقد انقلبت الحال واصبح الرجل يقلد المرأة في كل ما تصنع بنفسها !! .

شباب مفتون

ومضت الفتاة تكمل حديثها : « ثم دعك من المظهر الخارجي ، فهو قد لا يعكس تماما شخصية الشاب الذي ربما يكون متأثرا بما يصنعه غيره من الشبان ، ولا يريد ان يكون نشاذا وسطهم .. تعالي نبحث عن شخصيته ونحاول ان نسبر اغواره، ونصل الى ما يدور في رأسه ، وما يشغل فكره...!

« انه شاب مفتون .. ليس لحديثه طعم ، وليس في فكره رائحة يمكن ان تجذب اليه اية امرأة في الدنيا .. انه لم يعد يهتم بشيء مما يدور حوله من احداث في مجتمعه الصغير او في العالم الكبير من حوله .. ان كل همه يتركز في تلك النظرات الناعسة التي يحاول ان يطلقها ، متصورا انها كفيلة بان تغزو قلب اية فتاة يشتهيها ، حتى لو كانت هذه الفتاة هي التي اختارها لان تكون زوجة له وشريكة لحياته .. فاذا تحدث جاء حديثه عن الحفلات والسهرات والرقصات الجديدة التي تعلمها .. ليس هذا هو « الرجل » الذي تبحث عنه الفتاة يا امي .. اي فتاة .. ليس هو الرجل الذي تريد ان تمسك بيده الممدودة اليها وتسير معه في الطريق الطويل المليء بالعرق والكفاح .. لكي يضعا معا اساس هذا العش الصغير الذي سيكبر وينمو ويصبح بيتا لاسرة !

« هل فهمت يا اماه .. ؟

.. ولم تكن الام في حاجة الى هذا الاعتراف الطويل الصريح لكي تفهم .. فقد كانت ترى ما تراه بناتها وتشعر بحسرة في قلبها على ايام زمان .. ايام كانت الرجولة هي الصفة المميزة للشباب بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان .. ! رجولة في مظهره .. وفي حديثه .. وفي تصرفاته .. وفي كل ما يصنعه من اجل الفوز بقلب الفتاة التي احبها !

استفتاء

هل تغيرت نظرة المرأة الى الرجل حقيقة ؟

يجيب علماء النفس والاجتماع على هذا السؤال بالنتيجة التي توصلوا اليها من خلال الاستفتاء الذي اجروه بين مائة فتاة ممن بلغن سن الزواج او فاتهن قطار الزواج ! .. فتيات من كل لون ، وجنس .. فتيات اكملن تعليمهن الجامعي ، وشغلن وظائف يرتزقن منها في الحياة العامة ، وكانت هذه الفئة هي الغالبة .. وفتيات اكتفين بمرحلة التعليم الثانوي ، وبقين في البيت حيث بدأت مرحلة اعدادهن للحياة الزوجية .. وكن قلة بطبيعة الحال ، فنحن نعيش في عصر العلم الذي تتوارى فيه التقاليد .. وتتساوى فيه فرص التعليم والعمل للجنسين على السواء .. ماذا كانت نتيجة هذا الاستفتاء .

قالت ٤٠٪ من الفتيات انهن يفضلن البقاء بلا زواج .. فلم يعدن يجدن في شباب اليوم الرجل الذي يستطيع تحمل مسئولية هذه التجربة .. تجربة العمر كله ..

وقالت ١٧٪ انهن لم يعثرن على الرجل الذي تتوافر فيه مواصفات الزوج الناجح .

وقالت ٤٣٪ انهن لا يبحثن بين الشباب عن فتى احلامهن .. فلم تعد صورة شباب اليوم تستهويهن .. انهن يبحثن عن الرجل الناضج ، الرجل الذي يكبرهن بعشر سنوات على الاقل .. الرجل الذي يستطيع ان يوحي لهن بتصرفاته وحديثه انه رجل يمكن الوثوق به والاطمئنان اليه .. ويبحثن في النهاية عن الرجل الذي يمكن ان يعطي ويعطي اكثر مما يأخذ ..

الرجل الذي تبحث عنه المرأة

تقول المؤلفة الامريكية جاكلين سوزان التي عرفها العالم من خلال كتابيها « وادي العرائس Valley of Dolls » ثم « مكنة الحب The love machine وهي زوجة سعيدة ، وزوجها هو المنتج التلفزيوني ارفنج ما نسفيلد » .. تقول جاكلين : « ان المرأة تبحث دائما عن الرجل الذي يعرف طريقه .. ويعرف كيف يتحرك في العالم الصغير والكبير من حوله .. انها تريد رجلا يستطيع ان يقرر مستقبله ومستقبل المرأة التي تشاركه حياته

•• رجل يعرف ما يريد •• ويبذل كل ما في وسعه للوصول الى هدفه •• رجل يمسك بيديه عنان الجواد الذى يجر العربة ، وهى جالسة بجواره امنة مطمئنة لمصيرها معه خلال هذه الرحلة الطويلة على الطريق الذى امتلا بالحفر والمطبات •• !

نظرات الرجل !

ثم تقول جاكلين •• : « ان اول شيء يجذب المرأة الى الرجل ، تقاطيع وجهه ، فاذا كانت حادة معبرة ، احست بالاطمئنان اليه ••. ثم نظرات عينيه •• ان المرأة لا تطمئن الى العينين الجائعتين •• لانها تشعر ان صاحب هذين العينين لا يشبع ابدا ••

« ان يدى الرجل ايضا من الاشياء التى تثير اهتمام المرأة •• وهى تطمئن الى اليدين اللتين تمتلئان بالعروق النافرة •• لا تسالونى كيف ، ولماذا ؟ ولكن ربما كان السبب هو انها تجد فيهما شيئا يميزه عنها •• انهما عندها دليل الخشونة والرجولة !

« ثم هى تبحث اخيرا عن الروح الكامنة داخل هذا الرجل •• هل هو انسان طيب بطبيعته •• ؟ هل هو ميال الى حياة البيت والاستقرار ؟ هل هو حقا على استعداد لان يعطيها نفسه وحبه وكل ما يملك ، ام ان هناك من سيشاركها فيه من افراد اسرته ؟ واين سيكون مكانها بين هؤلاء ؟

بين الماضى والمستقبل

وتقول جاكلين : « وهذه كلها اشياء لن يكون من الصعب على المرأة ان تكتشفها من خلال حديثه معها ، ومن رؤوس الموضوعات التى سوف يتطرق اليها •• فاذا كان حديثه دائما عن المستقبل الذى يتطلع اليه والذى سيشتركان معا فى صنعه ، فهو قد وضع حياته الجديدة معها ، فوق كل شيء ، وقبل اى شخص آخر مهما كانت صلته به • اما اذا كان دائم الحديث عن ذكرياته فى طفولته وعن امه واخوته ، فهو رجل ما زال يعيش فى الماضى ، ولن يكون من السهل عليه ان ينسى هذا الماضى وان يعيش فى المستقبل الذى يتطلعان اليه ••

وتقول جاكلين فى نهاية حديثها : « ان اسوا ما يمكن ان يحدث لامرأة هو ان تتزوج رجلا فى مثل سنها او اكبر منها بسنوات قليلة •• انا شخصيا تزوجت رجلا يكبرنى باكثر من عشر سنوات••

منذ قرنين من الزمان

ونعود الى الوراء قليلا •• الى ما قالته جين اوستن Jane Austen المؤلفة الانجليزية الشهيرة ، منذ حوالى قرنين من الزمان •• فنجد ان نظرة المرأة الى الرجل بقيت هى هى لم تتغير •• فهى تضع اصبعها على ثلاث صفات اساسية تبحث عنها كل امرأة فى الرجل الذى تقبله زوجا لها •• النضج •• وطيبة القلب •• والنجاح •• ولو انها تقول ان النجاح ليس شرطا اساسيا ، فهو شيء قد يأتى فيما بعد ، بفضل ما سوف يبذله الزوجان من جهد وهما يقفان جنبا الى جنب بعد الزواج •• ومثل هذا النجاح عندما يجيء يكون اكثر لذة لانه احد ثمار هذا الزواج ••

المرأة هى •• هى لم تتغير

هذا هو رأى المرأة فى الرجل الذى تبحث عنه ليشاركها حياتها •• لقد قالت جاكلين سوزان ما قالت قبل ان ترى ما صار اليه شباب اليوم ••

وسجلت جين اوستن رأيها فى الرجل الذى تبحث عنه المرأة منذ ما يقرب من مائتى سنة ••

واليوم نستمع الى رأى المرأة فى الرجل فنجده لا يختلف عما رأته امها وجدتها من قبلها •• فالمرأة اذن لم تتغير •• لقد تعلمت وخرجت وراحت تنافس الرجل فى شتى مجالات الحياة ، ولكنها بقيت امرأة وبقيت انثى ، وبقيت نظرتها للزواج ، وبقى رأيها فى الرجل الذى يصلح للزواج ، هو نفس ما كانت تراه امها وتقول به !

فالرجل اذن هو الذى تغير •• واكبر دليل على هذا التغيير هو ما نراه اليوم فى شبابنا الذين فقد العديد منهم الاحساس بهذا الخط الواضح العريض الذى اعطى ما للرجل للرجل ، وما للمرأة ، للمرأة ! ■■

(م • ن)

لوحة لها قصة

تأمـــل

للفنان الراحل عبد الهادى الجزار

١٩٢٥ ـ ١٩٦٦

بقلم صبحى الشارونى

● يعتبر الفنان الراحل «عبد الهادى الجزار» أحد الرسامين المصريين القلائل الذين وضعوا علامة واضحة وبارزة فى تاريخ فن « التصوير الزيتى » المصرى الحديث ٠٠ فقد تناول فى لوحاته ورسومه الكثيرة عددا محدودا من الموضوعات ولكن بأسلوب المفكر الفنان ٠٠ فاصبحت له مدرسة محددة الملامح عميقة الاثر فى الفنانين الشباب الذين لا يخلو عمل احدهم مما يذكرنا بلوحات الفنان الذى فقدناه قبل أن يتجاوز ٤٢ عاما ٠

ولد « عبد الهادى الجزار » بالاسكندرية فى شهر مارس (اذار) عام ١٩٢٥ ٠٠ وعاش طفولته وصباه وشبابه فى الاحياء الشعبية بالاسكندرية وبالقاهرة ٠٠ وخلال دراسته بالمدارس الثانوية التقى بالرائد المفكر « حسين يوسف أمين »٠٠ فانضم « الجزار » الى جماعة الفن المعاصر التى كونها ذلك الرائد ، وكان من ابرز اعضائها ٠

التحق « الجزار » بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٥٠ بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف ، فعين معيدا بها ، وظل يعمل بتدريس فن التصوير الزيتى وانتاجه حتى وصل الى منصب « استاذ مساعد » ٠٠ وقد سافر الى ايطاليا عام ١٩٥٨ فى بعثة دراسية لمدة ثلاث سنوات حصل خلالها على دبلوم ترميم اللوحات وشهادة التخصص فى التكنولوجيا من اكاديمية الفنون الجميلة بروما ٠٠ وعاد الى عمله بالقاهرة عام ١٩٦١ ٠٠

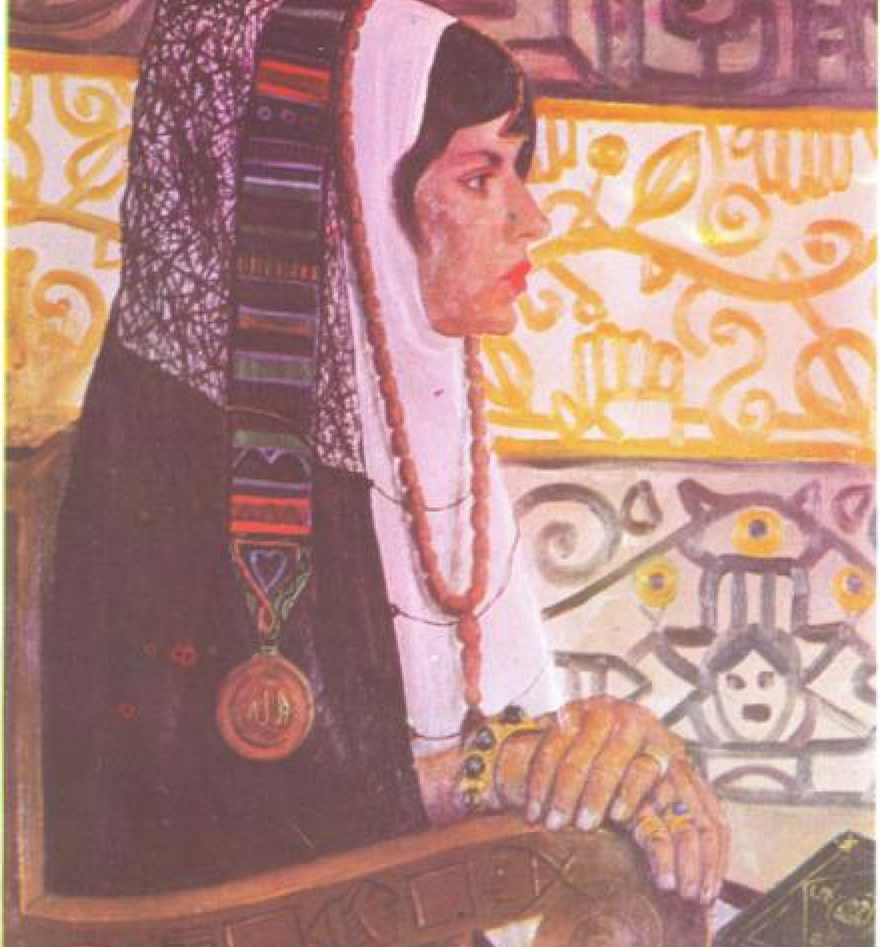
وقد توفى فى مارس (اذار) عام ١٩٦٦ بعد ان اقام ثلاثة معارض خاصة طوال حياته تمثل المراحل الثلاث فى فنه ٠٠ المعرض الاول عام ١٩٥١ لاعماله التى تبحث فى حياة الانسان الاول عند بدء الخليقة ٠٠ والمعرض الثانى عام ١٩٥٦ حول موضوع الحياة الشعبية فى المدن المصرية من خلال الاحتفالات المختلفة والتقاليد والعادات المتوارثة ٠٠ اما معرضه الثالث والاخير فقد اقامه عام ١٩٦٤ للوحاته التى تعالج موضوع غزو الفضاء وعلاقة الانسان بالالات المعقدة الحديثة ٠

حصل فى عام ١٩٦٥ على جائزة الدولة التشجيعية فى التصوير عن لوحته « السد العالى » من مجموعة اعماله التى تدور حول « الانسان والميكانيكا » ٠٠ كما منح وسام العلوم والفنون عن هذا العمل ٠

رسم الفنان لوحة « تامل » عام ١٩٦٠ خلال مرحلة اهتمامه بالحياة الشعبية المصرية وما فيها من زخارف ورسوم ذات دلالات أو تفسيرات عند علماء النفس ٠٠ لقد رسم فيها زوجته ٠٠ لكنه لم يسجل من ملامحها سوى الجزء الظاهر من الوجه ٠٠اما باقى اللوحة فقد ابتدع تكوينه وزخارفه من خياله ومما رآه خلال احتكاكه بالطبقات الشعبية٠

على الحائط الخلفى فى اللوحة رسوم فطرية يمتزج فيها لفظ الجلالة « الله » بالزخارف النباتية وما يوحى بوجه أو كف او ما شابه ذلك ٠٠ والمرأة الجالسة تجسد الوقار والتصوف فى وضع مستقر ثابت كاوضاع الملوك والآلهة الفرعونية ٠٠ وفى عينيها نظرة تطلع وأمل فى الحياة الآخرة ، فامامها مصحف كبير يؤكد هذه المعانى ٠٠ واهتم الفنان بزخارف مسند الكرسى المحفورة لسمكة وثلاثة وجوه ٠٠ اما ملابس المرأة : فان وجهها تحيطه طرحة بيضاء تنحسر عن جانب من شعر راسها ٠٠ ثم عباءة سوداء تغطى الجسم وان كان غطاء الراس من نسيج خاص ٠٠ ويتدلى من فوق الراس شريط ملون بزخارف عرضية وينتهى بميدالية ذهبية محفور عليها لفظ الجلالة ٠٠ ثم مسبحة تحيط بالوجه وتتدلى حباتها وكأنها عقد ٠

ويتميز الكفان بالضخامة والخشونة ، وتحلى الاصابع خواتم ضخمة كما يحيط بمعصم اليد اليمنى سوار كبير ذو فصوص ٠٠ ونلاحظ التباين الشديد بين بشرة الوجه الناعمة الجميلة وتقاطيعه المتناسقة من ناحية ،وضخامة اليدين وخشونتهما من ناحية اخرى ٠٠ وقد قصد الفنان من ذلك الى ادهاش المشاهد والتعبير فى نفس الوقت عن الارتباط بين العمل اليدوى والاحساس بنقاء القلب وحلاوة الايمان والجمال الذى يسبغه على الانسان التامل



فى ملكوت الله . كما يتجلى ذلك فى الوجه النقى الطاهر ..

ولما كان العمل الفنى والفكرى شيئا .. والواقع شيئا آخر . فقد استنكرت زوجته ان تظهر فى هذه الصورة واعلنت رفضها لهذه اللوحة .. وجلست امامه مرة أخرى ليرسم صورتها الشخصية التى تبدو فيها كأى فتاة عصرية .. ورغم هذا فقد اضاف العقد الذى ينتهى « بمدلاة » ضخمة عليها رمز « خمسة وخميسة » التى تستخدم ضد الحسد فى البيئات الشعبية .. وكان هذه المدلاة هى التوقيع الذى يضعه الفنان على لوحته .

ولكنها ادركت بعد فترة مدى ما تتضمنه لوحة « تامل » من قيم جمالية وفنية عالية .. وتحرص الزوجة الآن على تثبيت هذه اللوحة فى مكان بارز ببيتها وتحافظ عليها كواحدة من أثمن وأروع ما خلفه زوجها من اعمال فنية .. وقد رفضت عدة عروض لشرائها حتى بعد ان ارتفعت اسعار لوحاته عدة أضعاف .. ■■

صبحي الشاروني

بعدما فات الأوان

■ والتقينا . . . بعد ليل   طال من عمـر الزمان
نسيتـه طلعـةُ الفجـر   وجـافـاه الحنـان
لِمَ عُدْنـا . . والتقينـا   بعـد أن فـات الأوان
بعد ان لم يبق مـن اسمـ   ـي سوى «كنا» و«كان»؟

★ ★ ★



يوم كنا مثلَ عصفور   يـن نلهو ونطـير
نتلاقى تحت ظلِّ الـدَّ   وح ، أو عندَ الغدير
ونعيش الشـوقَ والأفـ   ـراح والحبَّ الكبير
اينمـا كنا نغـنِّـي   وكما شئنا نسـير

★ ★ ★

يومَ كانت هـذه الـدنـيا ، كما شاء خيـالى
جنـة تَزهـو روابيـ   ـها بعطـر وظـلال
ظلّلتنـا .. وسقتنا من   ينابيـع الجمـال
ثم غابت .. اين غابـت   عن عيونى ياليـالى ؟

★ ★ ★

لم عدنا .. ؟ كيف عدنـا   لأعاصير الـريـاح؟
بعدما أوشك أن يغـمرنى نورُ الصبـاح
بعـدما أغفت جـراحٌ   والأسى القاتـلُ راح !
آه ممـن جـاء يدعـو   نى لصفـح وسمـاح !

★ ★ ★

لستَ قلبى ، أيها السـا   ئل عن امسى البعيـد
لستَ قلبى ، ايهـا السا   عى الى قيـد جديـديد
ما تريد اليـوم ممـن   خـان ودى ماتريـد ؟
يا عنيـداً ، أكذا غيَّـرَكَ الحب العنيـد ؟ ■■

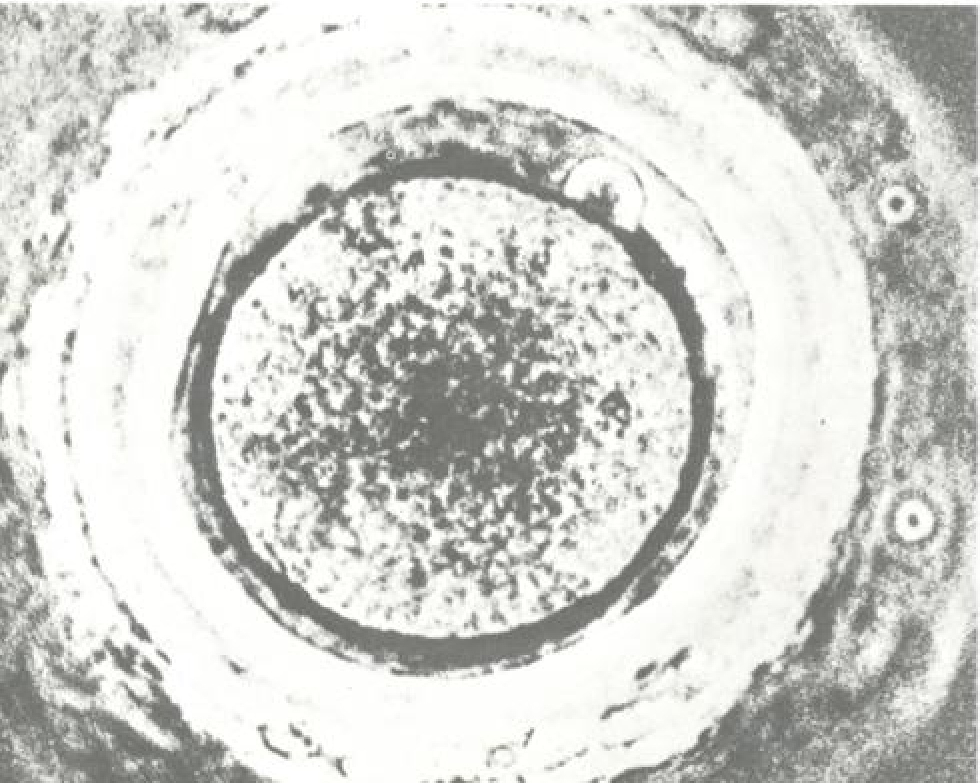
القاهرة ــ **مصطفى عبد الرحمن**

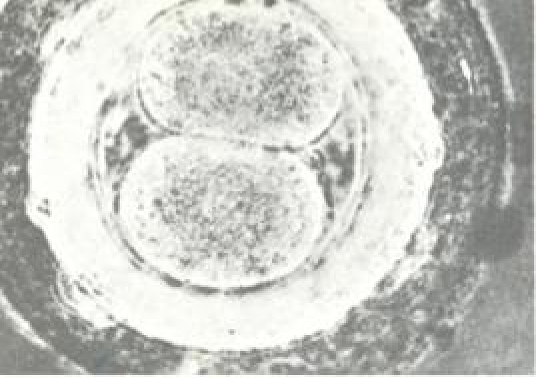
● انها قصة كل يوم .. قصة تتكرر ملايين المرات فى كل أنحاء الدنيا .. انها اعظم قصة فى الوجود ، لانها قصة الخلق ، وقصة الحياة .

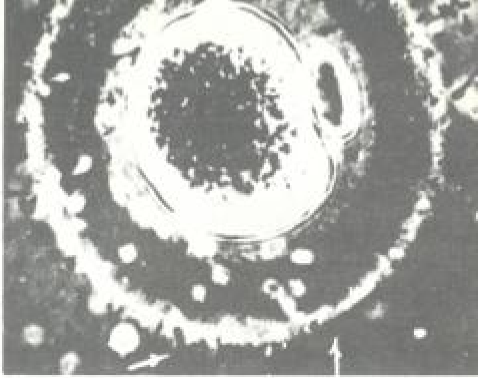
مذكرات جنين

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

بويضة الانثى







بعد التحام الحيوان المنوى والبويضة مكونين خلية واحدة .. انقسمت هذه لاثنتين

البويضة يناوشها عدد من المنويات

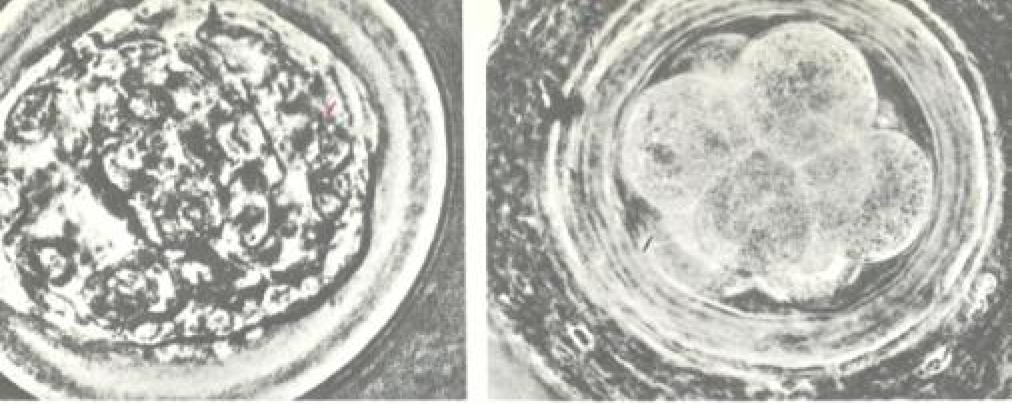




جنين الستة عشر يوما

جنين التسعة عشر يوما بملامح الرأس وفصّى المخ





وتوالى الانقسام الى اعداد اكثر فاكثر من الخلايا ..
حتى استحالت الى مضغة مكونة من كتلة غنية من الخلايا



.. واكتمل له من العمر
ستة وعشرون يوما

عمره شهر .. منحن
كانه الرجل العجوز ..
ولم تنبت اطرافه بعد

■ انا جنين انسان ..

التفت الى ماضيّ فاذا هو ممتد متشابك محجوب عن ادراكي .. واني لبرغم غض على اطراف شجرة ضخمة ان يتتبع ما ضرب في اعماق الارض من جذورها وفروع جذورها وفروع فروع جذورها اجيالا وراء اجيال .

ومع ذلك فلقد استطاع العلم في عنفوانه ان يكشف منذ قريب عن امسي المباشر .. ففي لقاء بين ابي وامي بدأ سباق عجيب بين نحو اربعمائة مليون من المنويات صـعدا من المهبل خلال عنق الرحم لتجويف الرحم فانبوب على كل جانب يصل تجويف الرحم بتجويف البطن ... سباق محموم في اتجاه واحد الى غاية واحدة لا احسب ان هذه المنويات تعيها وتدركها ولكنها تسعى كالمأمورة المقهورة بسنّة ركبت فيها وقوة تهيمن عليها .

ويبدو ان السباق كان من المشـقة بمكان .. فمنذ المرحلة الأولى بدأت الوف والوف تهلك .. بينما المنويات الباقية يضرب كل منها بذيله سابحا ساعيا .. ومن مئات الملايين لم يستطع الوصـول الى الأنبـوبين الا بضعة آلاف ، بينما سـقطت الباقيات صرعى على الطريق .

في ذلك الآن كانت بويضة قد غادرت احدمبيضي امي كما يحدث كل شهر . ولم تكد تدخل تجويف البطن حتى حاطتها زوائد على طرف احد الانبوبين الآتيين من الرحم .. ووجـدت البويضـة الطريق ممدودة الى داخل هذا الأنبـوب فدخلته .. في الوقت الذي كانت فيه طلائع المنـويات قادمة من الجهة الاخرى . ان هذه البويضة كانت اذن الهدف المنشود الذي انعقد لاجله السباق ، ولا غرو ان كانت المنافسة شديدة ، والطريق وعرة ، فلن يكون هناك الا فائز واحد .

وكانت البويضة ككل واحد من تلك المنويات قد نفضت عنها نصف اجسامها الصبغية الستة والاربعين وهي حوامل الصفات الوراثية المحتـواة في نواة الخلية ، واقتربت الآف من المنويات حتى لامست البويضة من كل جهة ، ولكن الفائز والفائز وحده هو الذي استطاع ان يخترق جدار البويضة الى داخلها ، واقترب من نواتها ، واتحدت نواته ونواتها كل باجسامها الثلاثة والعشرين ، لتـكون منهما خلية واحدة بنواة واحدة تحتوى على ستة واربعين جسما صبغيا وهو العدد المميز في الانسان .. نصفها من امي ونصفها من ابي .. ووجدت نفسي !!

لماذا انا ذكر

من بين الأجسام الصبغية الستة والاربعين هناك اثنان موكولان بتحديد جنس الجنين بينما الأربعة والاربعون الاخرى تحمل ميراث الآلاف والآلاف من صفات الجسم غير تحديد الجنس .. والصبغان الجنسيان في نوايا خلايا الانثى متشابهان واسمهما « س س » .. اما في الذكر فمختلفان احدهما « س » ، والآخر « ى » (١) .

وقد قلت ان البويضة والمنوى يطرح كل منهما نصف صبغياته قبل ان يلتحما .. اما البويضـة فلا مناص من ان يبقى بها « س » .. واما المنى فان طرح « ى » وبقيت « س » كان ناتج الالتحام « س س » اى جنينا انثى .. وان طرح « س » وبقيت « ى » كان الناتج « س ى » اى جنينا ذكرا وهكذا كنت .

الانشطار .. خطوة الالف ميل

ومنذ بدأت خلية واحدة لم اعرف الكسل .. انقسمت الخلية فصارت اثنتين متشابهتين تحمل كل منهما في نواتها ستة واربعين صبغيا ، فان كلا من الصبغيات كذلك كان ينشطر الى اثنين يذهب كل منهما الى ناحية .. ثم انشطرت الخليتـان الى اربع ، فثمان ، فست عشرة ، وهكذا حتى اصبحت كتلة مكونة من مئات ثم الوف من الخـلايا .. واخذت خلاياى تفرز سائلا في قطرات دقيقة اول

---

(١) العربي : رمز الى أول الصبغيين الجنسيين بالحرف (س) لانه يشبه الحرف اللاتيني (X) ـ وكلاهما رمز للمجهول ـ ورمز الى الصبغي الثاني بالحرف (ى) لانه يقابل الحرف اللاتيني (Y)

الأمر ، ثم تجمعت القطرات فصارت تجويفا واحدا مليئا بالسائل ، تحتويه طبقة واحدة من خلاياى ، وهى تحده كما يحد جدار الكرة ما فيها من هواء ٠٠ وتجعلنى ابدو من الخارج كالفقاعة ٠٠ اما بقية خلاياى فتبقى كتلة واحدة متماسكة داخل هذه الفقاعة ملامسة لجدارها من الداخل ٠

واذ تنموت من خلية الى هذا الذى وصفت فاننى لم اظل فى مكانى من الانبوب ٠٠ بل يممت شطر الرحم فلم يكد يمر اسبوع حتى كنت قد بلغت تجويفه ، وآن ان انغرس فى بطانته كما تنغرس حبة الذرة فى تربة الأرض ٠

اماطبقة الخلايا التى تكون جدار الفقاعة فانها تقوم بهذه المهمة٠ انها تنبت اذرعا واصابع تتحسس بطانة الرحم وتفرز عصارات تذيب خلايا البطانة السطحية فتفتح لى بذلك طريقا الى « الانغراس »

هذه الاذرع والاصابع هى التى أساهم بها فى تكوين نصيبى من المشيمة ، وهى التى ستفتح بعصاراتها كذلك اوعية دموية صغيرة فى رحم امى لينسكب حولها من دم امى مدد يحيط بها من الخارج ، اما من الداخل فسابعث داخل تلك الاذرع وفروعها باوعيتى الدموية تحمل من دمى فى الحبل السرى ما ارسله الى المشيمة ، لينفذ اليه الاكسجين والغذاء من دم امى ، وتنفذ منه الفضلات الى دم امى ويعود لى دمى مرة اخرى نقيا غنيا بالغذاء ٠٠ كل هذا التبادل دون ان يختلط دمى ودمها ، وانما يتبادلان ما فيهما خلال الجدران كما يحدث عند تنفس الانسان هواء الجو ، فياخذ منه دمه ويعطيه دون ان يختلط الدم بالهواء ٠

وليس هذا قصارى فائدة تلك الطبقة الخارجية التى تكون جدار الفقاعة ، فانها كذلك تفرز من الهرمونات ما ينطلق الى دم امى ليمهد لاستمرار الحمل ونمو الرحم ويمنع المبيض ان يطلق بويضة بعدى ويمنع ان يحدث الحيض ٠٠ ويأتى موعد الحيض وتمر بعده الأيام فلا يجىء ٠٠ وتشك امى انها حامل فتزور الطبيب الذى يفحص بولها فيجده غنيا بهرموناتى تلك ٠٠ويهنئها الطبيب٠٠ ويعلم والداى اننى موجود ٠٠ واكون قد قطعت من عمرى انذاك اسبوعين حتى انغرست بنجاح فى بطانة رحم الوالدة ٠



جنين الاسابيع الخمسة ٠٠بداية تشكل الفم والجهاز الهضمى ٠٠ وانتفاخ صدره يغطى القلب الذى لم يحبسه قفص صدرى بعد، وهو قلب نابض يضخ الدم

التكوين ٠٠٠ ذروة النشاط

اعود الى كتلة الخلايا الكائنة داخل الكيس ٠٠ فهذه الكتلة هى اصلى ٠٠ وهى التى سيتكون منها جسمى اثر مرحلة بالغة النشاط من انقسام الخلايا وتكاثرها ٠٠٠ وهو نشاط يبلغ اوجه فى البداية لم يهدأ ٠٠ حسبك ان تعلم اننى ازداد فى الوزن فى الشهر الأول مليون مرة ، اما الشهر الثانى فيشهد زيادتى فى الوزن اربعاوسبعين مرة،





عمره شهر ونصف ۰۰ نبتت اطرافه ولكنها تقصر عن اللطمات والركلات

بينما تقتصر زيادتي في الوزن في الشهر الثالث على احدى عشرة مرة ، اما الشهر الاخير فلا ازيد في آخره عما كنت في اوله الا ثلاثة اعشار وزني ۰

ويحسب الكثيرون انني اقضي اشهري التسعة في رحم امي في عملية التكوين هذه ۰۰ والحق انني اكمل التكوين والتخلق تماما في الشهرين الاولين ۰۰ فجنين الشهر الثالث هو في الواقع رجـل مصغر تكونت فيه كل اعضائه واحشائه ۰۰ وليس امامه بعد ذلك الا ان تنمو هذه الاعضاء فتكبر في الحجم وتعدل بعض هذه الاعضاء من مواقعها بعض الشيء رويدا رويدا ۰

وفترة التكوين هذه هي في حياتي فترة المعجزة



(كنت ولكن اي شيء كنت قبل ان اكون وقوت مصدري وموردي ضباب وظنون)

الكبرى وان كانت حياتي كلها معجزات ٠٠فما يكاد يتم الانغراس حتى تتكاثر خلايا الكتلة التيتكونني وتصطف خلاياهـا في طبقتين داخلية وخارجية ويكون طولي آنذاك ثلاثة أعشار المليمتر وعمري ثمانية ايام ٠٠ وتتكاثر منى خلايا لتكون كيسا حولي يغلفني ما فيه من سائل ساقظل سابحا فيه او محوطا به طبقة حياتي الرحمية ٠٠٠ كما تنشا بين الطبقة الخارجية من الخلايا والطبقة الداخلية طبقة وسطى ٠٠ وكل من هذه الطبقات صائرة الى تكوين اعضاء معينة من الجسم٠٠ فالطبقة الخارجية على سبيل المثال مالها ان تكون الجلد والمخ والاعصاب والسمع والبصر ٠٠ والطبقة الداخلية مثلا تبطنالمصارين وغيرها منالاحشاء ٠٠ والطبقة الوسطى تكون العضل والعظم والغضروف ٠

ولو شهدتني في بداية التكوين لانكرتني اذ لا سمت لي ولا هيئة ٠٠ وتتكاثر خلاياي ، وكل فريق في طريق ، وما هي الا ايام حتى يصبح طولي اكثر من عرضي ، ويتميز في طرف رأس وطرف ذيلي ٠٠ ويبدو لي ظهر من بطن ٠باخدود على ظهري هو اول امارات الجهاز العصبي ، وعمري ثمانية عشر يوما وطولي آنذاك مليمتر ونصف المليمتر ٠

ثم تبدو على جسمي اختناقات صغيرة تحدثفيه تقسيمات تتكرر منالامام الى الخلف حتى تنقسم جسمي أربعا واربعين قطعة ، وينحني جسمي جانبا الى امام كما يضم الطير جناحيه ٠٠ ولكنهما لا يلتقيان لان الامعاء تكون في طور التكوينخارجهما، فاذا اكتملت انسحبت الى الداخل والتحم الجانبان من الامام ليكونا جدار البطن المتماسك ٠٠ ولو استطردت في وصف التكوين لما اتسع المقام ٠٠ وانما هي خلايا تنقسم وتتكاثر وينحاز بعضها الى بعضها وكل خلية منها تعلم وجهتها فتكون ما هي موكولة بتكوينه من الاعضاء في نشاط دائب ناعم مستمر دقيق ٠

لقد اتممت اسبوعي الرابع فاذا طولي خمسة مليمترات ، وجسمي محني الى الامام ، واذا نظر الى العالم استبان مني الرأس والمخ وندبتين هما بوادر العينين ونتوءات هي بوادر الطرفين العلويين والسفليين ٠٠٠

اما الاسبوع الخامس ففيه استطلت الى ثمانية مليمترات ٠٠ وصار لي ما يوحي بوجه آدمي له فتحة فم،وصار لعيني عدسة ، وبدات بوادر الاذنين، واتم قلبي تكوينه وصلته بالشبكة المنتشرة في جسمي من الاوعية الدموية ٠

اما الفترة بعد ذلك ـ حتى الاسبوع الثامن ـ فهي فترة التشطيبات النهائية في التكوين ،وتكون اعضائي قد تخلقت تماما وطولي في حدود ثلاثة سنتيمترات ٠٠ وبوسع الطبيب في هذا الدور الباكر ان يستمع لدقاتقلبي بجهاز يعمل بانعكاس الأمواج الصوتية ، وقد اسمعه لامي فكادت تطير من الفرح !

من اسرار التكوين

واضح ان عملية التكوين ليست مسالة خلايا تتكاثر فتتناثر ٠٠ فانك ان صببت صخرا على صخر ما كان في وسعك ان تحصل على قصر جميل ٠٠ وان رصصت حروفا الى حروف ما استطعت ان تجني قصيدة عصماء ٠

فاية قدرة هادفة مدبرة محكمة جعلت اجيال الخلايا تتعاقب ، واحاد الخلايا المنبثقة عن خلية واحدة تسلك كل خلية منها اتجاها ، فاذا احداها خلية في المخ ، والاخرى شعرة على رأس او ظفر على اصبع ؟

انها قدرة الله سبحانه وتعالى ٠٠ وقد استطاع العلم الذي اتاه الله الانسان ان يلقي بصيص ضوء على وسيلة الله ـتعالى ـ في الهام الخلايا خطتها ورحلتها التي تجتازها ولا تحيد عنها ٠ والسر كامن في هذه الاجسـام الصبغية الستة والاربعين ٠٠ اذ يحمل كل منها آلافا من الوحدات الوراثية المكونة من جزيئات كيميائية مرتبة ترتيبا خاصا فكانها اشبه الاشـياء بشـفرة البرق

(التلغراف) ·· تلك التى تستطيع ان تؤدى رسالة مطولة مفصلة ،ولا تستعمل الا وحدتين هما النقطة والشرطة او الخط ، تتكرران بترتيب خاص يفضي الى معنى خاص · هذه الوحدات هى التى تفصح عما ركب فيها بتفاعلات كيميائية معينة لا تفضي فقط الى تكون الجنين انسانا بل انسانا خاصا بذاته ، فيه ـ فوق صفات الانسان عموما ـ ملامح تنسبه الى جنس معين ، فامة ، فقبيلة ، فاسرة فوالدين بذاتهما ، ثم تجعل له بعد ذلك ذاتيته الخاصة المفردة التى لا يشاركه فيها انسان ·· ولقد قالوا انك قد تجد من الشبه اربعين ،ولكنهم اعترفوا انك لا تجد من بصمات الاصابع الا نسخة واحدة ·

وطبيعي ان تكون عملية التكوين هذه فى غاية الدقة والتعقيد والحساسية ·· وهذا امر معروف ·· فلو اتيت انسانا يكتب فيتانق فى تحسين خطه ثم ازعجته او هززت يده لبان الر ذلك على ما يكتب ·

كذلك الجنين فى دور التكوين ·· قد تعتريه هذه الهزة ، فتحدث فيه ما يعرفه الناس بالتشوه الخلقى ، طفيفا او جسيما ·· وقد يكون السبب عدوى تصاب بها الام فتنتقل الى الجنين فى دور التكوين فتشوه فيه شيئا ما ، كالاصابة بفيروس الحصبة الالمانية ·· وقد يكون دواء تناولته الام كعقار التاليدوميد الذى صنعوه لعلاج قيء الوحام، فاذا بمئات المواليد تولد ناقصة ذراعا او رجلا ·· من اجل ذلك تعلم الاطباء ان من المهم وقاية الحوامل فى الاشهر الثلاثة الاولى من التعرض للعدوى ، او للاشعة ، او للادوية على قدر الامكان : بل الانفعالات النفسية وتوتر الاعصاب واعتكار المزاج !!

ما بين الثالث والتاسع

ليس بين هذين الشهرين الا نماء فى الحجم ونضج فى الوظيفة استعد بهما للقاء الحياة بعد الميلاد ·· ومع نماء جسمى نمت اطرافى فصرت اسبح فيما يحيط بى من سائل ·· ومع ازدياد حجمى اخذ السائل الذى حولى يضيق بى نسبيا ·· وقد صحوت على هذه الحقيقة اول مرة بعد ان اكملت اربعة اشهر ، فلقد اصطدمت ضرباتى وركلاتى لاول مرة برحم امى ·· واحست امى بهذا الاحساس الذى عرفوه من قديم فحسبوه بداية حياتى وعبروا عنه بنفخ الروح ، وهو اعتقاد ابطله التقدم العلمى الذى ادرك اننى حى ارزق من بدء تكوينى ·

ظللت اغتذى من والدتى عن طريق المشيمة ، وفى الاشهر الاخيرة آنست ان الوضع انسب لى عندما يكون راسى الى اسفل ، ولو لم افعل لادارنى الطبيب الى هذا الوضع لانه فى الميلاد آمن لى ولأمى ·

وجاءت اللحظة المرتقبة ، فاجا امى المخاض بعد اربعين اسبوعا منذ حيضها الاخير ·· وبدات انقباضات الرحم التى تسمى « الطلق » ، وتقاربت، وكل منها تعتصرنى اعتصارا ، وهى تدفع بى الى الاسفل لافتح عنوة رحم امى رويدا رويدا ·

كم هى شاقة رحلة الميلاد تلك ·· شاقة عليّ ولا بد انها شاقة على امى ·· هذا الرحم الجبار الذى وسعنى تسعة اشهر ضاق عليّ الآن بما رحب ·· وصار يلفظنى ويدفعنى حتى لقد تراكبت عظام راسى تراكبا خفيفا بعضها فوق بعض ·

وثبتُ للشدة حتى اذن الله بالخلاص ·· فاذا راسى فى الخارج ·· ثم جسمى ·· وآخذ نفسى الاول من الهواء ·· واصيح صيحتى الاولى ··

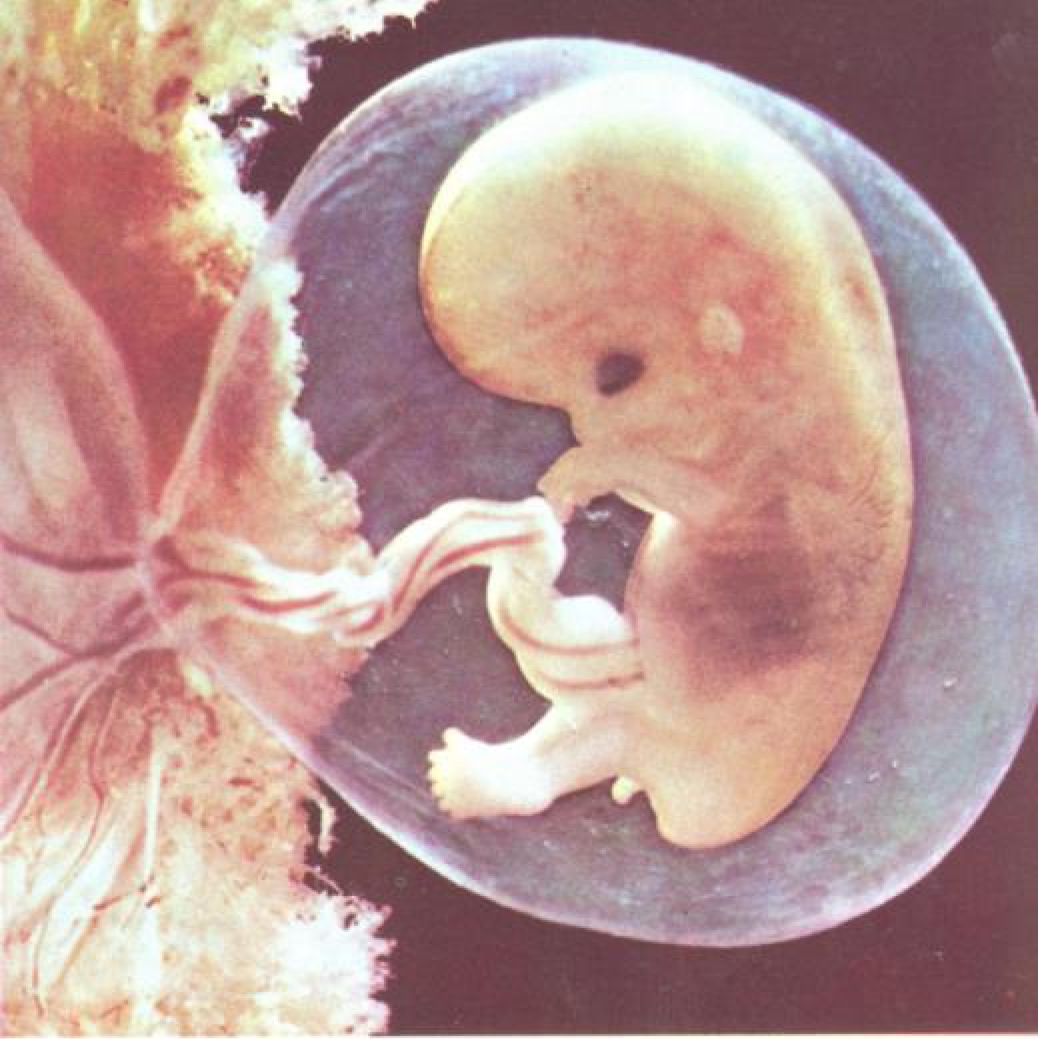
ولكن ·· لأكف عن الاستطراد فى هذه المذكرات· اننى لم اعد جنينا ·· لقد صرت وليدا ··

■■

الكويت ـ حسان حتحوت

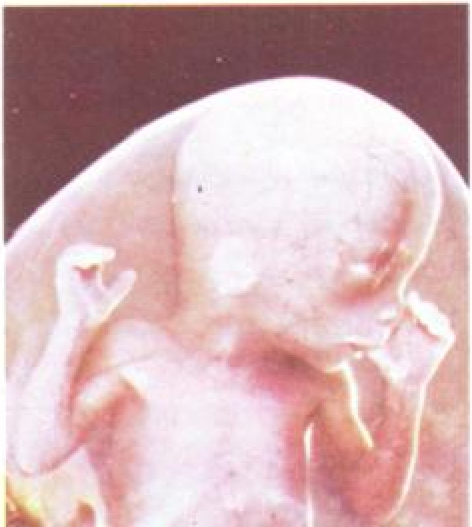
---

(٢) الأحياء تتشابه ، ولكنها لا تتماثل(المعربى)



جنين الشهرين .. مصغر
لانسان سوى مكتمل

على درب النماء





وبعد معجزة الخلق تمت معجزة الميلاد ٠٠ ولم أعد جنينا ٠٠ لقد أصبحت وليدا

تجربة فنية ناجحة في المغرب

الوضع الفكري .. وقصة الخلق الجماعي

بقلم : راجي عنايت

■ عند ختام حفلات مهرجان المسرح العربي بدمشق هذا الصيف ، تعرفت الجماهير العربية لاول مرة على العرض المسرحي الموسيقي الذى تقدمه الفرقة المغربية « جيل جيلالة » ... كانت مفاجاة • تحمس الجمهور واستعاد الفرقة اغلب الاغاني التى قدمتها ، بالرغم من ان الاغاني كانت تقدم باللهجة الدارجة المغربية التى قد يصعب تفهم الكثير من مفرداتها • وانهالت العروض على الفرقة فانطلقت الى عدد من البلاد العربية ،قبل ان تواصل جولتها فى اوربا تنفيذا لتعاقدات سابقة •

غير ان هذا لم يكن لقائي الاول بالفرقة ،ففي عام ١٩٧٣ ، وخلال زيارة للمغرب العربي ، ما أن وصلت الى الدار البيضاء ، حتى وجدت الحديث عن هذه الفرقة الوليدة على كل لسان، بين مثقفي المغرب الذين كنت احتك بهم • كانت الفرقة قد قدمت عرضها الاول قبل عدة شهور ، واثارت اهتماما واسعا بين الجماهير المغربية على مختلف مستوياتها الثقافية أو الاجتماعية ، والمثقف المغربي ، مرفه بعض الشيء ، لا تستهويه الاعمال الثقافية السطحية ، يسانده رصيد من الثقافة الاوربية تصله اولا باول عبر باريس ، نتيجة للموقع الجغرافي للمغرب ، وللصلات القوية بالحضارة الاوربية ، عن طريق الدولة وبواسطة الافراد من المثقفين ، الكتاب ، المجلة ، الجريده الاسطوانة ، المسرحية ، كل هذه الادوات تحمل احدث التطورات فى الثقافة العالمية الى المثقف المغربي ، بالاضافة الى القنوات التلفزيونية المغربية المفتوحة على تليفزيون باريس فى عديد من البرامج والمناسبات • لهذا كله ، احسست ان اهتمام المثقف المغربي بفرقة « جيل جيلالة » ، يعني جدية التجربة ونجاحها ، وضرورة التعرف عليها •

وفي « سجل ماسا » على شاطيء المحيط الاطلنطي ، التقيت بمجموعة الشباب التى صنعت قصة « جيل جيلالة » • أربعة شبان وفتاة واحدة• وكان واضحا منذ البداية ان احدهم، حميد زوغي، هو العقل المدبر والطاقة المحركة،وراء هذه الفرقة• شاب يكاد يقترب من الثلاثين ، اسمر الوجه ، سوى القسمات • هادىء التعبيرات ، قليل الحركة، يبدى الخجل والتواضع ، فتكشف حقيقته عينان يلتمع فيهما الذكاء والطموح والجراة والتصميم •

قال حميد ، فى سبتمبر عام١٩٧٢ قدمت الفرقة اول اعمالها ، امام عدد من المثقفين ، تتنازعها مشاعر الامل والحذر .. فكان استقبالهم مفاجاة

لنا • وعلى الفور حسمنا امرنا ، وقدرنا ترتيب لقاء واسع مع الجماهير في اكتوبر من نفس العام •• وفي ذلك اللقـاء انطلقت الشرارة التي لم تنطفيء حتى الآن •

و « جيل جيلالة » اسم الفرقة مستمد من اسم الطائفة الدينية « الجيلالية » التي تجد لها فروعا في البلاد العربية الاخرى تحت اسم « الجيلانية »، نسبة الى سيدى عبد القادر الجيلاني • والطريقة « الجيلالية » بالمغرب ، شـأنها شان العديد من الطرق والطـوائف الدينيـة المغربية مثـل « الحمدوشيه » و «العيساوى » و « الدرقاوى »، تسعى الى الاصلاح الاجتماعي عن طريق الدعـوة الدينية• ولكل فرقة منهذه الفرق اغانيها الدينية التي تعبر عن فلسـفتها وفكرها • الا ان هذه الاغـاني ، مع مـرور الزمن ، دخلت التراث الفولكلورى المغربي في الريف والحضر •

ذلك التراث الفولـكلورى المغربي ، هو المادة التي نسجت منها فرقة « جيل جيلالة » كيانها كله، كلمات الاغاني ، الحـانها ، الآلات الموسيقية المستخدمة ، الايقاعات السائدة ، وحتى الزى الذى تظهر به الفرقة امام الجمهور •

★ ★ ★

بدأت القصة في المبنى الاسلامي الرشيق الذى يتوسط مدينة الدار البيضـاء ، ويحمل لافتة « المسرح البلدى » • المخرج والممثـل المسرحي الطيب الصديقي ، مدير المسرح البلدى ، كان يسعى دائما ، الى تقديم اشكال جديدة للعرض المسرحي • ومن بين هذه الاشكال ، اسلوب المسرح الشامل الذى يستوعب اشكالا من الفنون التعبيرية الاخرى كالرقص والغناء • من بين اعضاء المسرح البلدى المغربي ، اختار الطيب الصديقي لاداء الاغاني في المسرحيات ، من تؤهلهم لذلك دراستهم في « الكونسرفتوار » او موهبتهم الشخصية من بين هؤلاء ، او بمعنى ادق من ابرزهم ، كان حميد زوغي ، ومولاى الطاهر الاصـبهاني ، ومحمد السعدى ، وسكينة الصفدى ، ودرهم محمد ، الذين قامت على اكتافهم فرقة « جيل جيلالة » •

وكانت البداية الحقيقية للفرقة ، كما قلنا ، في اكتوبر ١٩٧٢ ، عندما قدمت الفرقة أول عرض لها في « جوق الانوار » بمدينة فاس ضمنمجموعة من الفقرات الغنائية ، شارك فيها المطرب المغربي الكبير عبد الهادى بالخياط من بين كل ما تضمنه هذا الحفل من فقرات ، لفتت اغاني «جيل جيلالة» نظر الجمهور الواسع الذى شهد الحفل •• وساعد على ذلك ، وصول الاغاني الى جميع انحـاء المغرب عن طريق التلفزيون الذىكان ينقل الحفل•

وكما يحدث عادة ، تولى التلفزيون اعادة تقديم الاغاني بناء على طلب الجمهور ، فانتشرت الاغاني على كل لسان ، وتعددت العروض على الفرقة لتقديم حفلات في المدن المغربية المختلفة •

نتيجة لهذا النجاح السريع ، تصـاعد حماس الفرقة ، فقدمت ١٢ اغنية جديدة ، طبعت على اسطوانات فحققت رقما قياسيا في التوزيع ، اذ بلغت مبيعاتها فيالاسبوع الاول حوالى ٠٠٠ر١٥٠ اسطوانة •وتوالت جولات الفرقة في المدن المغربية، ثم ظهرت عروض من الخارج ••من فرنسا وبلجيكا وهولندا والمانيا • وسعت شركة فيليبس العالمية الى التعاقد مع الفرقة لاحتكار تسجيلاتها •• و •• وكان النجاح •

★ ★ ★

ماذا فعلت فرقة « جيل جيلالة » لتلقى مثـل ذلك النجاح ؟

لعل أهم اسباب ذلك النجاح ، هو الوضـوح الفـكرى عند هذه الفرقة • الاهداف محـددة ، الوسائل لها تخطيطها الثابت ، المنابع واضحة •

كما سبق ان قلنا ، اعتمدت الفـرقة اعتمادا اساسيا على التراث الفولـكلورى المغربي ، ولم تبهرها التماعات اشكال الغناء الاوروبي المستحدثة التي يسعى العديد من الفرق الى استيحائهـا والتشبه بها • التراث الفولكلورى الذى يمتزج بتراث الغناء الديني بكل ما يفيض به من طاقات روحية • كان الهدف هو الوصول الى الشعب عن طريق لغة هذا الشعب التي تعبر عن وجدانه • هذا عن المنبع ••• اما كيفية تناول ذلك التراث، فقد التزمت الفرقة في هذا ، بمبدأ التطوير في المضمون اكثر من الشكل • فعلى مدى العـالم العربي ، تطالعنا العديد من التجارب الفنية التي تسـتوحي التراث الشعبي ، والتي تقتصر في استيحائها على التقاط بعض اللزمات المتكررة

في التراث ، وادخالها على اعمال فنية قد تكون في جوهرها متناقضة مع هذه اللزمات . والاخطر من هذا ، ان التناول السطحي لعناصر التراث الشعبي دون تفهم جوهرها ومضمونها العضوي ، يقود في بعض الاحيان الى اشاعة اسوأ ما في هذا التراث . فالتراث هو ذاكرة الشعب على مدى الاجيال وهذه الذاكرة تتضمن الكثير من العناصر المتناقضة اشد التناقض نتيجة للظروف الموضوعية المتباينة التي اوجدتها والتي تضمنها تاريخ ذلك الشعب على مدى القرون .

من هنا ، يجيء تميز فرقة « جيل جيلالة » في موقفها من التراث الشعبي . فهي تسعى دائما ، بالاختيار والاستبعاد من رصيد التراث ،الى تقديم مضمون معاصر حتى للتركيبات القديمة التي تميز اغاني ذلك التراث . انهم لا يجدون بعض التحسينات على النص القديم ،بل يعيدون صياغته من الاساس ،كلمة ولحنا، ليعكس مضمونا جديدا، يتفق مع احتياجات العصر . يساند هذا الوضوح في الرؤية ، مبدأ الخلق الجماعي الذى تلتزم به الفرقة . ينطلق الجميع ، للبحث عن الاصول الشعبية ، عند المنشدين الدينيين والفنانين الشعبيين في اقاليم المغرب . ومن بين ما تجمع لدى الفرقة ، يتم اختيار الاصول الصالحة للتقديم والتطوير ، ويبدأ بعد ذلك جهد جماعي متصل ، لصياغة الكلمات الجديدة ،وتقييم اللحن الاصلي، والبحث عن اشكال الاستفادة منه ، ثم تحديد الاسلوب الفنى الذى ستظهر به الاغنية ، من حيث توزيعها على الالات المختلفة ، والاصوات المشاركة في الاداء . ولا شك ان هذا الاسلوب الخاص في الخلق الفنى ، قد لا يتوفر في كثير من الحالات، الا ان وحدة الفكر والفهم والهدف عند هذه المجموعة من الشباب ، هي التي سهلت تحقق مثل هذا الاسلوب في الخلق الفنى .

★ ★ ★

في دمشق ، ولمواجهة سهرة كاملة ، ورغبة في تخفيف وقع تتابع الاغاني الساخنة التي تقدمها

حميد زوقي يغني ويعزف ويدير الفرقة





جانب من فرقة جيل جيلالة في « سجلماسا » على شاطىء البحر في الدار البيضاء.

الفرقة ، لجأت الى تقديم فواصل من المشاهد التمثيلية ، هي اقرب الى الحوار بين شخصين (ديالوج) ، يتعرض بالنقد لبعض النواقص الاجتماعية ، من خلال اسلوب كوميدي . وهو اسلوب شائع في مسارح المنوعات الاوربية . الا انني تخوفت – في اول الامر – من عواقب مثل هذا المزيج ، خاصة ان جمهور العرض من الاخوة العرب ، قد يصعب عليه تفهم الكثير من المفردات المغربية الدارجة ، فتفقد هذه الفقرات شكلها الكوميدي . ومع تتابع فقرات العرض ، تبددت مخاوفي . نتيجة للاستقبال الحماسي الحي الذي قوبلت به تلك الفقرات . ولا ادري اذا كان هذا الشكل له جذوره في الفن الشعبي المغربي ، وبرغم هذا ، فقد جاءت هذه الفقرات منسجمة مع الاغاني نتيجة لخضوعها في شكلها ومضمونها للسياق العام ، والمنطق العام الذي تلتزمه هذه الفرقة .

وخرجت جماهير ذلك العرض ، تردد مع الفرقة:

يا قلبي ازاك

ما انت تابع قوم

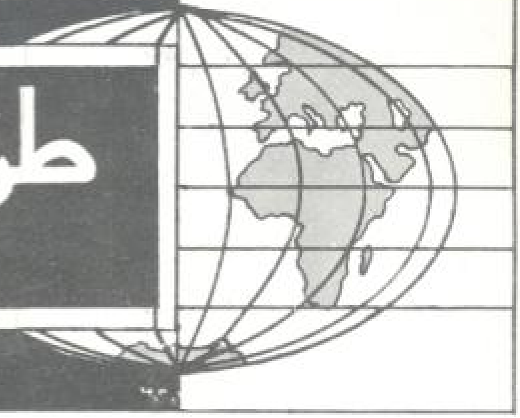
في ظلها تعوم

ولا لقيت سبيل لصلاحك .

■■

القاهرة – راجي عنايت

طرائف غربية



البحث عن الحقيقة



شيلى

●● شيلى Shelly (١٣٩٢هـ ـ ١٨٢٢م) ، الشاعر الذى ملأ الدنيا بقصائده الرائعة فى القرن التاسع عشر ، والذى بدأ ينظم الشعر قبل ان يبلغ التاسعة عشرة من عمره ، اشتهر بآرائه الجريئة ونظرته البعيدة عن التعصب في كل ما كتب وقدم لنا من اشعار امتلأت بها كتبه .. قال يوما يصف مسلك الرجل فى الحياة : « العاقل هو الذى يعرف كل شيء ويبحث عن الحقيقة اينما كانت ومهما بعدت عنه ، اما الرجل الداهية فهو الذى يعرف كل انسان ، واى انسان ، ويحاول ان ينفذ الى اعماقه ليكتشف حقيقة شخصيته وما يخبيء ! »

سألوه : ايهما تفضل !

قال : « البحث عن الحقيقة ، لأن الناس يتغيرون ! »

السعادة الأبدية



سقراط

●● قال الفيلسوف اليونانى سقراط Socrates (٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق.م) وكان زوجا لامرأة سليطة اللسان . تعوّد ان يهرب منها قبل طلوع الشمس ، ولا يعود اليها الا بعد ان يغوص قرصها الهائل وراء الأفق .. قال يوما يصف حياته معها : « انا مدين لهذه المرأة .. فلولاها لما تعلمت ان الحكمة فى الصمت .. وان السعادة فى النوم .. وكنت اجد سلواى مع تلاميذى عندما اجتمع بهم واحدثهم ، ويحدثوننى فى امور الدنيا واحوالها .. ولكننى لم أكن اتوقع يوما ان تكون مكافأتي هى الحكم علىّ بالاعدام .. لقد اتهمونى بافساد الشباب ، وبعدم التقوى .. يومها فقط شعرت بالراحة الأبدية التى تنتظرنى !

« مسكين الرجل .. انه يقف حائرا بين ان يتزوج او ان يبقى عازبا بلا زواج ، وهو فى الحالتين نادم نادم .. »


اوسكار وايلد

زهور وأشواك

●● اوســـكار وايلد Oscar Wilde (١٨٥٤ ـ ١٩٠٠) المؤلف الايرلندى الكبير ، كان من ابرز ادباء عصره ، فقد ساهم فى اثراء المكتبة الانجليزية بفكره وعمله وانتاجه ٠٠ الى ان قدم للمحاكمة فى فضيحة اخلاقية، وحكم عليه بالسجن لمدة عامين بعد ادانته بممارسة علاقات جنسية شاذة !

وتوقع الكثيرون ان ينتهى الكاتب الكبير فى سجنه ، ولكنه خرج عليهم « بأغنية السجين » ٠٠ وكانت مجموعة من القصائد الرائعة التى تغنى فيها بحياته فى سجنه ٠

قالوا له وهو ينفض العار عن اسمه : « ما حكمك انت اذن على اللا أخلاقيات ؟ »

اجاب اوسكار وايلد : « الدنيا مليئة بهؤلاء الذين حذفوا الاخلاق من قاموس الحياة ٠٠ نحن نصف بعض الكتب بأنها مخلة بالآداب ، ونرى فى بعض تصرفات الناس خروجا على الأخلاق ٠٠ ولكن أليست هذه هى الحياة ٠٠ جانب منها اخلاقى ، وهو الذى نراه ، وجانب غير اخلاقى ، وهو الذى نحرص دائما على اخفائه عن عيون الناس ، فاذا انكشف ، رحنا نصب لعناتنا على الحياة كلها بزهورها واشواكها ٠٠ فهذه هى طبيعة الانسان ، لقد قدمت لكم اشجارا وارفة ٠٠ ولكنها لم تستطع ان تخفى بعض الأشواك الصغيرة التى كان من الممكن ان تختفى وسط هذه الحديقة المليئة بالزهور ! »

برنارد شو
والزواج وعبودية الانسان !

●● برنارد شو فيلسوف بريطانيا الساخر (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) ملأت اقواله واحاديثه الكتب والصحف ، ولم يحدث ان نقل الكتاب والادباء عن كاتب مثلما نقلوا عن هذا الرجل الذى سخر من نفســـه ومن الحياة والناس والدنيـا ٠٠


برنارد شو

سألوه عن الزواج فقال : « هو نعمة وهو نقمة ، ولعل اعظم مزاياه ، انه يشجع الشبان على الذهاب الى النوم فى ساعة مبكرة ٠٠ ولكننى لم التق برجل متزوج فى حياتى ، الا ووجدته يشكو حتى قبل ان ينقضى شهر العسل ٠٠ لقد توقف عقله عن التفكير ٠٠ وتوقفت حياته كلها عند لحظة معينة ٠٠ اللحظة التى يجتمع فيها بزوجته ويستخدم كل ما لديه من عبقـــرية لارضائها واسعادها ٠٠ »

وسألوه عن الرقابة ؟ فقال : « الرقابة التى اعرفها هى الرقابة على الفكر والانتاج ٠٠ فقد ولد الانسان حرا ولكنه لم يلبث ان احس بانه يعيش فى عبودية لم يحدثنا عنها التاريخ من قبل ،حتى فى اظلم العهود ٠٠ هذه العبودية هى تلك التى تفرض على الناس الا تقرأ اى كتب ، غير تلك التى لا يستطيع اى انسان ان يقرأها ! »

أرض الاردن الطيبة

استطلاع بقلم :
يوسف زعبلاوي

تصوير :
عبد الناصر شقرة

■ كان الوقت مساء ، وكنا جالسين في بهو الفندق الذى تكرمت وزارة الاعلام الاردنية فاستضافتنا فيه .. كنا نشاهد بعض البرامج الملونة على شاشة التلفاز الاردنى .. والكثير من هذه البرامج جيد ، يبعث على الاعجاب دون العجب ... فقد ألفنا الجودة حيثما ذهبنا فى الاردن .. ألفناها في اعمال الوزارات ، وانتاج المصانع ، وثمرات المدارس ، وألفناها ايضا في الخدمات العامة في الشوارع .. وادركنا ان قلة الموارد لا تستطيع ان تحول دون الجودة ، ما دامت الاعمال منوطة باجهزة للادارة واعية ، فعالة ، همها افساح المجال للكفاءات وتهيئة الجو بما يكفل لهذه الكفاءات العطاء ، اجود العطاء ..

وفوجئنا بأحد كبار رجال الاعلام يدخل الفندق ويتجه الينا .. وفوجئنا بالسؤال الذى طرحه علينا :

ـ هل زرتم وادى الاردن .... ؟

قلت : لا .. ولا ادرى ان كنا سنستطيع ذلك ، نظرا لضيق الوقت ....

قال : ـ ماذا .... ؟ ! اتعودون الى الكويت دون زيارة الاغوار ، والاطلاع على ما يجرى فيها





وحدات من منشآت تعدين الفسفات في مناجم الرصيفة ٠ وتجدر الاشارة الى ان نسبة ما في الفسفات من مادة فسـفات الكالسيوم الثلاثي هي التي تقرر مدى جودة ذلك الفسفات٠ وتجدر الاشارة ايضا الى ان اعمال الكربلة والتكسير تؤدي الى فصل الفسفات الناعم عن المتحجر ٠٠ وتكسير ما يمكن تكسيره منه بقصد استخلاص الفسفات الناعم ، آخر الامر ٠

البيوت البلاستيكية تشبه البيوت الزجاجية ٠٠ والقصد منها وقاية النبات من العوامل الجوية الضارة به ٠ ومن شأن هذه البيوت ان تبكر في المواسم وتحسن المحصول وتضاعف كميته ٠٠ وقد امكن الحصول على ٢٧ طنا سنويا ، من دونم واحد من الطماطم المزروعة داخل بيوت بلاستيكية ٠ وتجد هذه البيوت اكثر ما تجد من رواج في اوربا واليابان ٠

من اعمال تنمية واعمار ... اذن فانتم مخطئون ،وبحق مجلتكم مقصرون ...

قلت : اذن نذهب بعد غد .

قال : بل غدا ... ولن تندموا ...

ولم لا ... وقد كان وادى الاردن منذ البـدءميدان بناء وتعمير تقـوم به الأيدى العربية ، وميدان قتال وتدمير تنزله فيه الآليات والطائرات الاسرائيلية ...

لم لا ... ووادى الاردن كان منذ البدء المسرح الذى توالت عليه فصول ماساة العرب فى القرن العشرين ، تلك الماساة التى ابتلى العرب فيها بالتخلف ، وابتلوا كذلك بعدو غاصب رائده الابقاء على تخلفهم وتدمير ما يعمـرون ، وتخريب مايرممون .. تمهيدا لتشريدهم والاستيلاء على المزيد من ارضهم ..

وفي اليوم التالى انطلقت بنا السيارة الى وادى الاردن . وفجاة شعرنا ببداية الانحدار .. فالمنطقة الجبلية التى تقع فيها العاصمة عمان،والتى كثيرا ما يبلغ ارتفاع قممها ٣٠٠٠ قدم ، وقد يصل الى ٥٠٠٠ قدم ، قد اخذت تتوارى .. فالسيارة ماضية فى الانحدار على سفوح تلك المرتفعات .. ميممة شطر الوادى ، ووادى الاردن .. اكثر بقاع العالم انخفاضا عن مستوى سطح البحر .. وقد يبلغ انخفاضه فى اقصاه نحو ٤٠٠ متر ، عند البحر الميت ، وفى ادناه نحو ٢٠٠ متر ، عند بحيرة طبريا فى الشمال .

ويبلغ طول وادى الاردن ١٠٤ كيلو مترات ، ويتراوح عرضه بين ٤ ـ ١٦ كيلومترا .. اما مساحة الاراضى القابلة للزراعة فيه فتبلغ حوالى نصف مليون دونم ، بالضبط ٤٨١٠٠٠ دونم .. اكثر هذه الاراضى (٧٠٪) يقع على الجانب الشرقى من النهر ، فى الضفة الشرقية ، واقلها (٣٠٪) يقع على جانبه الغربى ، فى الضفـة الغربية .

ووادى الاردن هذا ـ او ان شئت حوضه ـ مقسم الى مناطق ثلاث .. اولاها منطقة السفوح التى سبقت الاشارة اليها .. وثانيتها منطقة الغور المنخفضة ، وهى التى تلى منطقة السفوح الى الغرب .. اما ثالثة تلك المناطق فمنطقة الزور ، المنخفضة ايضا ، والواقعة بين منطقة الغور وبين نهر الاردن . ويفصل بين الاغوار والازوار فى وادى الاردن شريط من ارض وعرة . وباستثناء هذا الشريط الضيق ، فان مناطق وادى الاردن الثلاث كلها ، وبخاصة منطقة الاغوار ، صالحة للزراعة . وهذه المناطق التى تقع على الجانب الشرقى من نهر الاردن يوجد نظير لها على جانب النهر الغربى .

بقى ان نشير الى خصوبة التربة فى وادى الاردن .. فعلى قدم عهد الانسان باستغلال تلك المنطقة ، وعلى افتقارها نسبيا الى الفسفات والنترات ، فان تربة تلك المنطقة خصبة للغاية . وحسبك انها تجود بثلاث مواسم سنويا وتنتج ٧٠٪ من مجموع محاصيل الفاكهة والخضروات فى الاردن

اضف الى ذلك ميزة المناخ . فالطقس فى وادى الاردن معتدل، دافىء شتاء ولا يقل متوسط حرارته



مازالت البيوت البلاستيكية تنتشر فى الاغوار . ومن طريف ما يذكرهنا ما فعله اهل المكسيك فى هذه البيوت .. فقد جعلوا نسبة الرطوبة داخلها ١٠٠٪ ورفعوا نسبة ثانى اكسيد الكربون بالقدر الكافى! وأدت الرطوبة العالية الى الحد من حاجة النبات الى الري واكتفائه بحوالى ١ ـ ٥٪ من كمية الماء التى يحتاجها خارج تلك البيوت . اما ثانى أكسيد الكربون فقد ضاعف نمو ذلك النبات .



عن ١٤ درجة مئوية في شهر يناير/كانون الثاني ، حار وجاف صيفا (متوسط الحرارة ٣٥ درجة مئوية في شهر اغسطس/آب) ٠ فطقس كهذا وتربة بالخصوبة التي ذكرنا انما تعني الخضروات والثمار المبكرة ٠ فمحاصيل الاغوار الشتوية تسبق غيرها الى الاسواق بنحو شهرين ٠٠ ويصدق هذا بخاصة على الطماطم والحمضيات والموز ولكنه يصدق على محاصيل اخرى كثيرة ٠

بيد ان الاغوار تعاني من شح الامطار ، وهي لا تزيد على ٤٠٠ مليمتر سنويا في حدها الاقصى في الشمال ، وتنزل الى ١٠٠ ملم او دون ذلك في جنوب المنطقة ٠

لا عجب اذن ان استأثرت هذه المنطقة بكثير من مشاريع التنمية الزراعية ـ وهي في الدرجة الاولى مشاريع ري تستهدف توفير المياه من اجل سقاية المزروعات ٠

التنمية !
مشاريع شاملة متكاملة

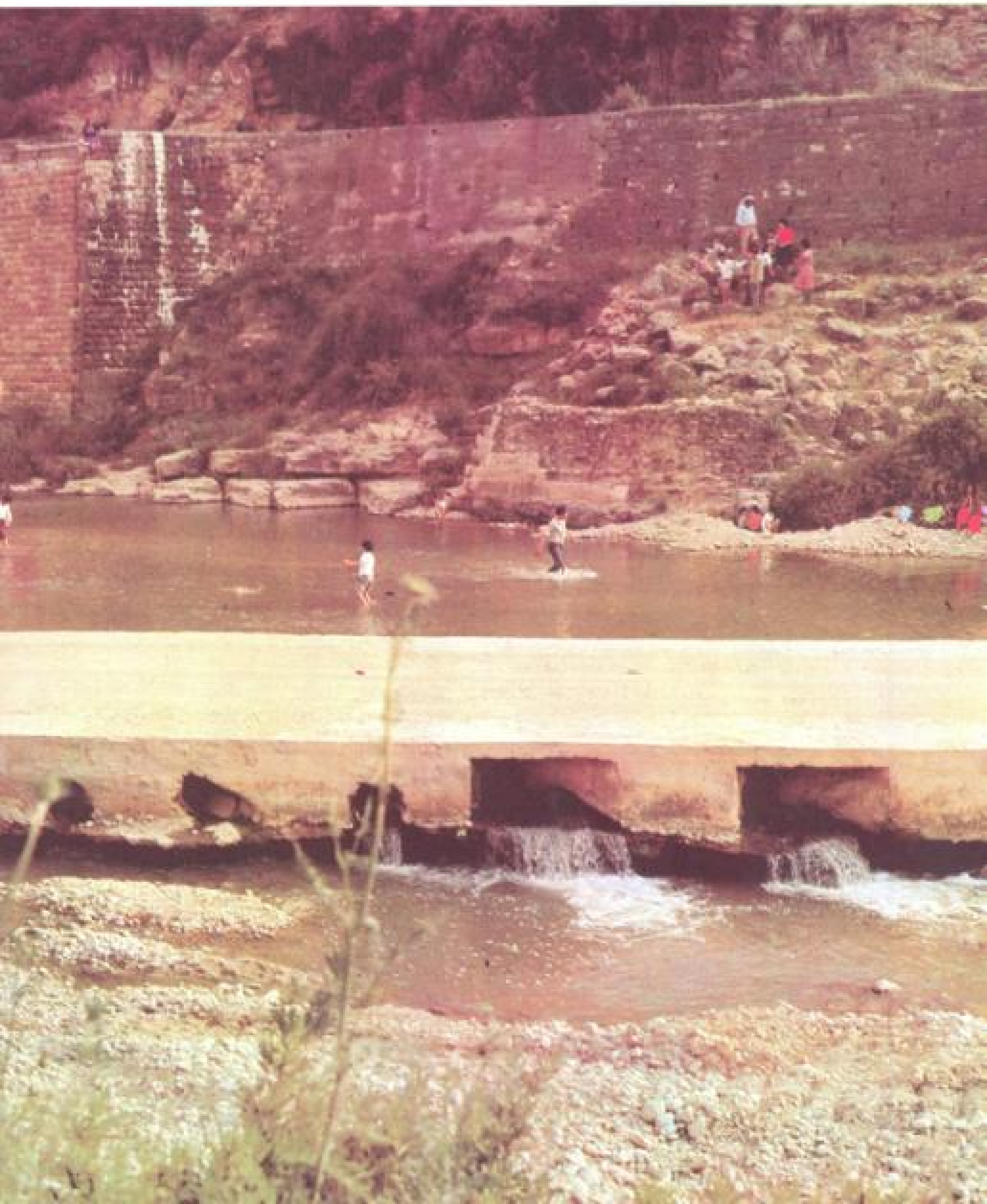
ووصلنا اخيرا الى مقر الهيئة ٠٠ هيئة انعاش وتنمية وادي الاردن ٠٠ وهي هيئة حكومية تضطلع باعباء جسيمة وتتمتع بصلاحيات واسعة ٠٠ ولا ريب في ان موقع مقرها المرتفع المشرف يلائم طابع الشمول الذي تتصف به اعمالها ومشاريعها ٠٠

وسألنا أحد المسؤولين في الهيئة، اول ما سألناه، عما كانت عليه المنطقة قبل ان تشهد مشاريع التنمية وهي مشاريع حديثة نسبيا ٠٠ وأدركنا ان وادي الاردن كان مهملا ، كثيرا او قليلا ، قبل الخمسينات من هذا القرن ، وقد زرعوه قمحا لا

هذه هي الارض التي ترويها حاليا ، وسترويها مستقبلا ، قناة الغور الشرقية ٠٠ والقناة تحد هذه الاراضي من الشرق ـ الى يمينك ، وتنطلق من الشمال الى الجنوب بموازاة نهر الاردن ، الذي يحد تلك الاراضي من الغرب ـ الى يسارك ٠

الخط الافقي الذي تراه في منتصف المسافة تقريبا بين العارضة والكرامة هو بداية التمديد الجديد للقناة ـ ويبلغ طوله ١٨ كم ٠ أما الدوائر السوداء ، الكبير منها والصغير ، فترمز الى القرى الجديدة التي قامت وما زالت تقوم في المنطقة وفق مشاريع الانعاش والتنمية التي تضطلع باعبائها هيئة وادي الاردن ٠

نهر الزرقاء ، اكبر روافد نهر الاردن بعد نهر اليرموك ، تبلغ مساحة حوضه ٣٤٠٠ كم٢ ، اى ما يعادل نصف مساحة حوض نهر اليرموك • ويبلغ تصريف نهر الزرقاء السنوى ٨٣ مليون مترمكعب ماء منها ٣٨ مليون متر مكعب دائمة الجريان • وهذا التصريف يقارب خمس تصريف نهر اليرموك البالغ ٤٥٠ مليون متر مكعب •





نموذج مجسم لسد الملك طلال الذي يجري بناؤه فوق نهر الزرقاء والذي سيعمل على تغذية قناة الغور الشرقية ، ويفي باحتياجات الاراضي الواقعة في جنوب دير علا ، وباغراض الري بالنقط في مناطق مختلفة .. ولا عجب ، اذ ستبلغ طاقته التخزينية ٥٢ مليون متر مكعب .

قناة الغور الشرقية .. وتظهر بمحاذاتها احدى الماكنات التي تعمل من اجل مد القناة مسافة ١٨ كم وبقصد اقامة شبكات جانبية للري والتصريف الخ ..



بقصد سوى الاستهلاك المحلي ، بل قل الفردي .. ولم يجد اولئك المزارعون الاوائل غضاضة في اطلاق ماشيتهم وانعامهم ترعى في الاغوار والازوار ما طاب لها الرعي .

وتركنا مقر الهيئة بعد ذلك لنقوم بجولة شاملة في الاغوار نشاهد فيها باعيننا ما سمعناه باذاننا . ورحنا نطوف بمختلف المنشات ونطلع على شتى المشاريع التي تقوم بها هيئة وادي الاردن في مجالات نشاطها الثلاثة : مجال الري ومجال الزراعة ومجال الاسكان والخدمات .

وما اسرع ما اتضح لنا بان المجال الاول يستاثر بالاولوية بين المجالات الثلاثة .. وبالنصيب الاكبر مما تبذل الهيئة من جهود وما تنفقه من اموال .

ولا عجب .. فالري هو الشرط الاساسي الذي بدونه لا تقوم زراعة ولا يقوم مبرر لبناء المساكن للمزارعين . ويصدق هذا بخاصة على وادي الاردن حيث الامطار شحيحة ، كما ذكرنا ، وحيث المياه الجوفية والسطحية هي الاخرى شحيحة .

ثم ان نهر الاردن وهو النهر الوحيد في المنطقة لم يعد في الامكان الاستفادة من مياهه كالسابق ، وقد عملت سلطات العدو على تحويلها الى النقب ، تمهيدا لمزيد من الاستيطان في تلك المنطقة الصحراوية النائية الواقعة في جنوب فلسطين المحتلة ..

ولكن نهر الاردن ليس بلا روافد . واربعة من روافده الثلاثة عشر تاتيه من الغرب ، وهي لا تعنينا هنا ، وتسعة منها تنطلق اليه لتصب فيه من الشرق . وهذه الروافد التسعة صغيرة ، اشبه بسيول الوديان التي تظهر في فصل الامطار وتختفي في فصل الصيف يستثنى من ذلك رافدان كبيران نسبيا اولهما نهر اليرموك في اقصى الشمال وثانيهما نهر الزرقاء في القطاع الاوسط من الوادي .. (انظر الخريطة)

وهكذا فهمنا ان مشاريع الري في وادي الاردن كانت وما زالت تستهدف تحويل كل ما يمكن تحويله من مياه الروافد التسعة ، وتجميعها بواسطة السدود بقصد الافادة منها في ري المزروعات عند الحاجة .

وفهمنا ايضا ان قناة الغور الشرقية هي بمثابة العمود الفقري من تلك المشاريع . فهذه القناة الطويلة تقطع المنطقة من شمالها الى جنوبها بموازاة نهر الاردن ، وتمدها بالماء .. وبالحياة ..

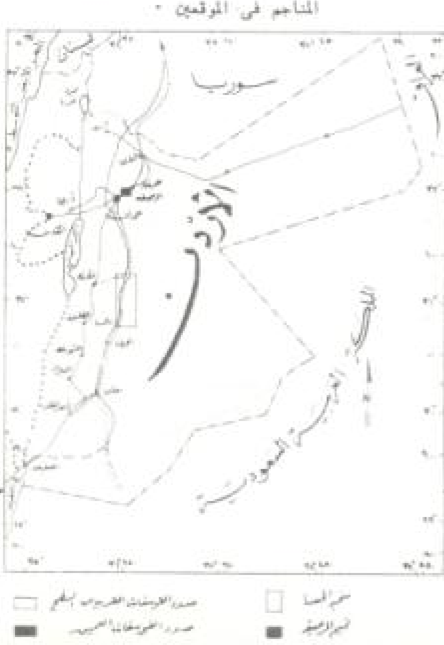
الفوسفات الثروة العربية

ارض الاردن ارض طيبة .. طيبة بخيراتها الخضراء الظاهرة ، وطيبة بثروتها المعدنية الباطنة .. فهي تختزن ما تحتاج اليه التربة والمزروعات من سماد الفسفات ..

وثروة الفسفات هذه كبيرة واكبر كثيرا مما قد يتصور المرء . فخامات الفسفات تغطي نحو الثلث مساحة الاردن .. وتقدر كميات الاحتياطي التي تم اكتشافها حتى الآن بحوالي ١٠٠٠ مليون طن .. والعمل جار على قدم وساق لاكتشاف المزيد من هذه الخامات ، ولا سيما في المناطق الجنوبية من البلاد ..

وتتولى اعمال استثمار الفسفات الاردني كله شركة مناجم الفسفات الاردنية المساهمة المحدودة .. وقد بدأت هذه اعمالها ، شركة خاصة ، في مطلع الخمسينات . بيد ان اكتشاف الفسفات الاردني يعود الى ما قبل ذلك .. الى مطلع القرن العشرين اثناء بناء الخط

مناجم الفسفات في الحسا ويرمز اليها المستطيل الذي تراه في اواسط الخريطة .. اما مناجمه في الرصيفة فيرمز اليها المربع الاسود الواقع بقرب عمان . لاحظ الفرق الكبير بين مساحة المناجم في الموقعين .



الاولى بعد البترول

الحديدي الحجازي ٠٠ والشركة الان ، واعتبارا من ١٩٧٥/١/١ ، شركة عامة ـ خاصة ، تملك الحكومة الاردنية الجانب الاعظم منها : ٩٠٪ ٠

ويبلغ راسمال شركة الفسفات حاليا ١٠ ملايين دينار ، ويبلغ عدد العاملين فيها حوالي ٢٠٠٠ كلهم من ابناء البلاد ، الخبراء منهم وغير الخبراء ، ولا اجانب بينهم ٠

وتتركز اعمال تعدين الفسفات وانتاجه في الوقت الحاضر في منجمين ٠٠ منجم الرصيفة، القريب من عمان ، على بعد ١٥ كيلومترا الى الشمال ، وهو المنجم الذى استطلعناه اثناء زيارتنا الاردن في الربيع الماضي ، والمنجم الثاني ، منجم الحسا ، وهو بعيد ويقع على مسافة ١٥٠ كيلومترا الى الجنوب ٠

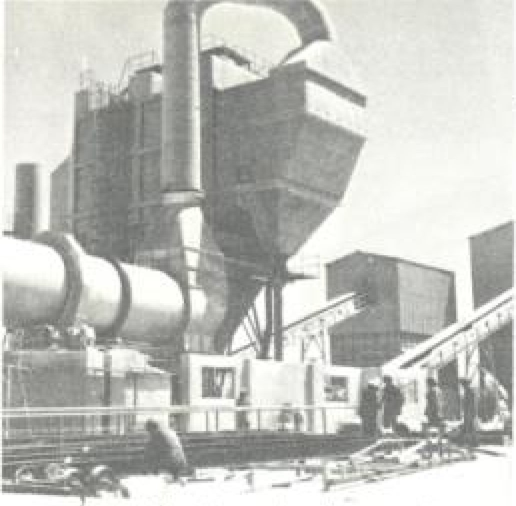
ومنجم الحسا هو الاكبر ، وقد بلغ انتاجه سنة ١٩٧٤ حوالى ١٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من الفسفات ولم يزد انتاج منجم الرصيفة في تلك السنة على ٦٠٠٫٠٠٠ طن ٠ اما انتاج المنجمين لسنة ١٩٧٥ فكان مقدرا بمجموعه بحوالي ٢٫٧٥٠٫٠٠٠ طن ، نصيب منجم الحسا منها مليونا طن ٠

والبرامج موضوعة لمضاعفة انتاج الفسفات بحيث يبلغ ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن سنويا في اوائل الثمانينات ٠٠

والفسفات الاردني جيد بالمقارنة مع فسفات المصادر الاخرى ٠٠ فهو يستعمل في صنع السوبر فسفات ، الاحادي والثلاثي ، وفي صنع حامض الفسفوريك ٠

ولولا جودته لما اقبلت على استيراده دول عديدة في مشارق الارض ومغاربها ٠٠ نذكر منها على سبيل المثال : الهند واليابان وتركيا ولبنان ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ٠٠ وستنفتح امام الفوسفات الاردني اسواق اخرى، قديمة وجديدة، بعد ان تم فتح قناة السويس ٠

وميناء العقبة على البحر الاحمر في جنوب البلاد هو ميناء التصدير الرئيسي ٠٠ وهو مجهز باحدث الاجهزة لتحميل سفن الشحن



تمر اعمال تعدين الفسفات بمراحل ثلاث : الكربلة والتكسير اولا ، وغسيل الفسفات ثانيا ثم تجفيفه ثالثا ٠٠ والصورة تبين وحدة التجفيف ٠٠ اذ لا يجوز ان تزيد رطوبة الفسفات في النهاية على ٢٪ ٠

بالفسفات فضلا عن تخزينه في مستودعات صالحة ٠

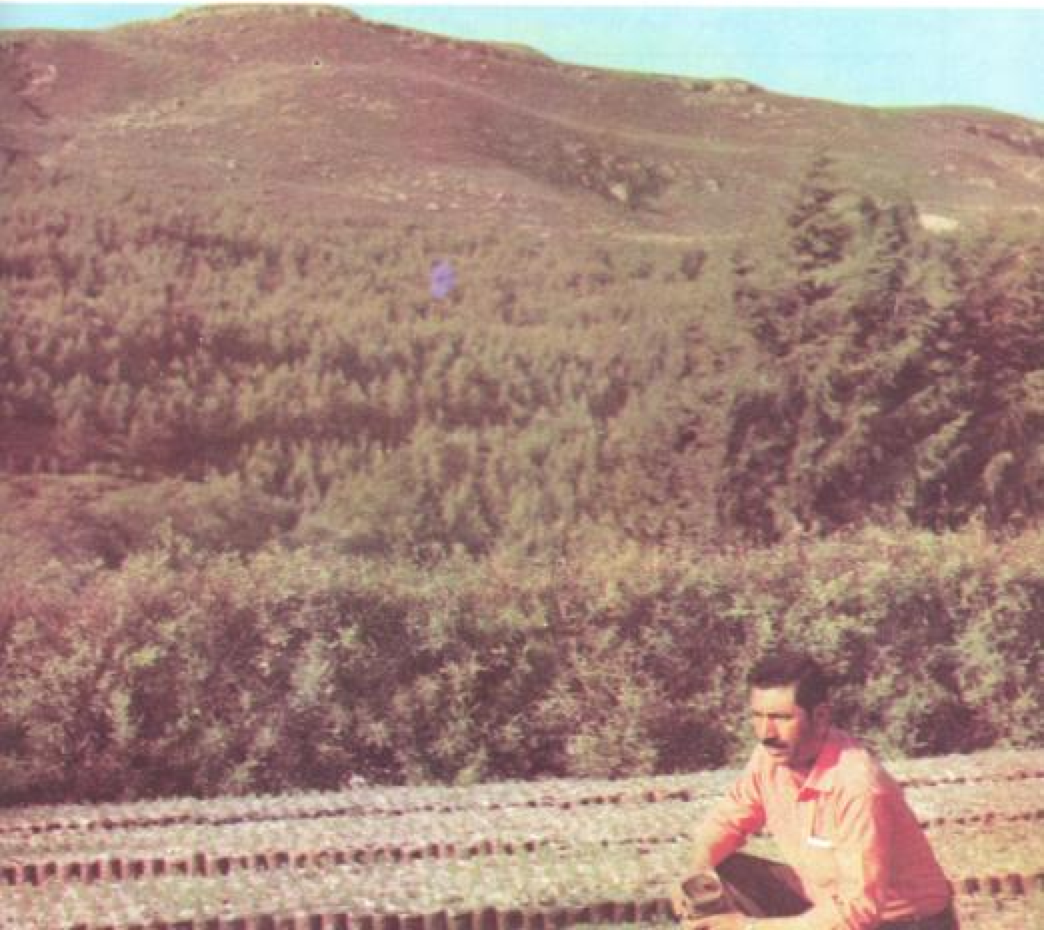
وسيضاف الى المستودعات الاربعة القائمة حاليا مستودعان جديدان قررت الحكومة انشاءهما بحيث تبلغ طاقة التخزين في ميناء العقبة ½ مليون طن من الفسفات ٠ وسيضاف كذلك الى اجهزة التحميل ، تحميل السفن بالفسفات ، جهاز اضافي جديد تبلغ طاقته ٢٢٠٠ طن في الساعة ٠

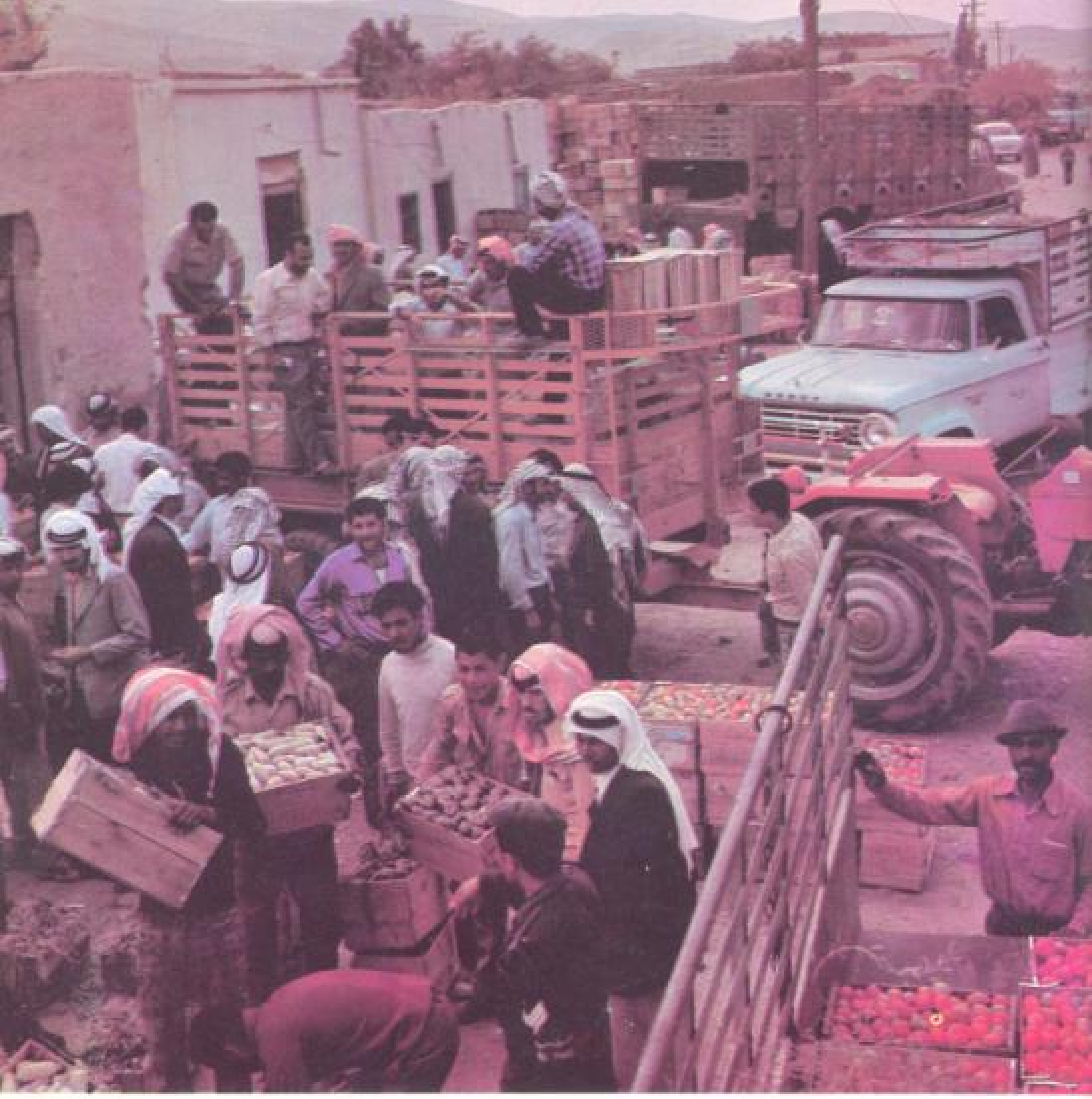
وتجدر الاشارة الى الخط الحديدي الجديد الذي يصل عمان بالعقبة ، والذى كان العمل يجرى فيه على قدم وساق في شهر ابريل الماضي ، اثناء زيارتنا للاردن ٠ فالغاية الرئيسية من انشاء هذا الخط هي نقل الفسفات الاردني من الحسا الى العقبة ، ميناء تصديره٠٠ وهو بطول ١١٦ كيلومترا وبنفس عرض الخط الحديدي الحجازي ، اي ١٠٥ سم ٠ ويتصل به خط حديدي فرعي بطول ٧ كم يصل بينه وبين مناجم الفسفات في الحسا ٠

بقي ان نذكر ان ارض الاردن الطيبة غنية ايضا بالنحاس ، كما اثبتت آخر الدراسات ، ولعلها غنية كذلك بالبترول ، كما توحي بذلك اكثر الدلائل ٠



تبلغ مساحة الاراضي المزروعة موزاً في وادي الاردن حوالي ٦٠٠٠ دونم ويبلغ انتاجها السنوي ١٠٫٠٠٠ طن . أما الحمضيات فتبلغ مساحة اراضيها ١٣٫٥٠٠ دونم ومحاصيلها ٥٥٫٠٠٠ طن. هذا وتتضاعف الارقام بالنسبة للخضراوات لتصبح ٣٠٠٫٠٠٠ دونم و٣٠٠٫٠٠٠ طن سنوياً.





سيارات الشحن تحمّل بثمـــار وادى الاردن وخضراواته لتنطلق بها الى اسواق التصدير ولا سيما الكويت وسائر دول الخليج العربي ٠وتجدر الاشارة الى ان الانتاج الزراعي المحلي لا يغطي من كمية الاستهلاك سوى ٦٠٪ ٠ اى ان الاردن ما زال مفتقرا للاكتفاء الذاتي ٠ فهو يستورد ٤٠٪ مما يحتاجه من مواد غذائية٠

ترمي خطط التنمية الزراعية الى مضاعفـةالمشاتل ومحطات التجارب الزراعيـة فى وادى الاردن ٠٠ وكذلك مراكز التدريب ٠٠

العرق النابض في وادي الاردن

تعتمد قناة الغور الشرقية على المياه المحولة من بعض روافد نهر الاردن الشرقية وبخاصة نهر اليرموك أكبر تلك الروافد •

وتاتيها مياه اليرموك هذه عبر نفق طوله كيلو متر واحد وقطره ثلاثة أمتار •

والقناة مبنية بالاسمنت وتمتد مسافة ٧٠ كيلو مترا ، تقطعها من الشمال الى الجنوب بموازاة نهر الاردن ، كما أسلفنا • وتبلغ طاقتها ٢٠ مترا مكعبا من الماء في الثانية • وتنطلق هذه المياه الى المزارع بواسطة شبكات التوزيع الجانبية • وقوام هذه الشبكات أقنية فرعية •• بعضها يستهدف ري المزروعات والبعض الآخر يخدم أغراض صرف الماء •

وتجدر الاشارة هنا الى روافد او وديان ثلاثة تقوم عليها سدود وخزانات ثلاثة :

سد شرحبيل : وهو سد ترابي يقع على وادي زقلاب وتبلغ أبعاده ٤٤ × ٤٧٥ مترا وسعة خزانه ٤ر٥ مليون متر مكعب من الماء • ومياهه هذه تغذي مياه قناة الغور الشرقية •

سد الكفرين : وهو سد ترابي أيضا ، ويقع على وادي الكفرين ٣٠ × ٤٥٠ مترا وتبلغ سعة خزانه ٣ر٤ ملايين متر مكعب ماء •

سد وادي شعيب : وهو الآخر ترابي • ٣٠ × ٦٥٠ مترا ولكن سعة خزانه لا تزيد على ٣ر٢ مليون متر مكعب •

ويعود انشاء القناة الى ما قبل ١٥ عاما ، وقد بدأ العمل فيها في أواخر الخمسينات واكتملت مراحلها الاولى سنة ١٩٦٣ وجاءت السدود الثلاثة بعد ذلك وقد تم انشاؤها سنة ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٦٩ على التوالي •

وجاءت السبعينات وظهرت هيئة انعاش وتنمية وادي الاردن ، وظهرت معها مشاريعها المختلفة في المجالات الثلاثة المختلفة ، وفي طليعتها مشاريع الري •• تلك المشاريع التي تستهدف توسيع وتحسين منشآت الري القديمة واقامة منشآت للري أخرى حديثة •

أما أعمال التحسين والتوسيع فتشمل اطالة قناة الغور الشرقية ومدها مسافة ١٨ كيلو مترا أخرى، تصل بها الى بلدة الكرامة •• تلك البلدة التي انزلت بجيش العدو ابلغ الخسائر قبل أن يتمكن هذا الجيش الغادر من تدميرها •• ولعل الاسم هنا مطابق للمسمى •• ولعل الكرامة العربية ووحدة الصف العربي في ضرب العدو لم تظهر في أية معركة واحدة ، على نحو ما تجلت في معركة الكرامة •

وتشمل أعمال التحسين والتوسيع أيضا شبكات ري الازوار وشبكات الري بالنقط ••وذلك بواسطة أنابيب ذات ثقوب صغيرة يخرج منها الماء رذاذا فيروي أكبر مساحة من الحقول بأقل كمية من الماء •• وستروى مساحات واسعة ومناطق مختلفة بهذه الطريقة التي انتشرت مؤخرا وعلى نطاق واسع في أمريكا وغيرها ••

وهكذا سيبلغ قريبا مجموع مساحة الاراضي التي ترويها قناة الغور الشرقية وملحقاتها والتحسينات التي أجريت عليها ما يقارب ٢٥٠٫٠٠٠ دونم •

وللكويت نصيب في تنمية الوادي

نأتي الآن الى مشروع سد الملك طلال ، أكبر مشاريع الري التي يجري العمل فيها حاليا في وادي الاردن على قدم وساق • وهو سد يقوم فوق نهر الزرقاء ، أكبر روافد الاردن بعد اليرموك •

ويعود بنا ذكر نهر اليرموك هذا الى الوراء

مئذنة المسجد في الكرامة •• تعرضت للقصف والنسف الاسرائيلي في مارس ١٩٦٨ ،ولكنها أبت أن تخضع أو تنهار فانطلقت في الجو ثم جثمت في مكان غير بعيد عن موضعها الاول وبقيت دليلا على الكرامة العربية ••





بعض البيوت التى تبنى فى وادى الاردن وتوزع على المزارعين .. لن يمضى وقت طويل حتى يصبح عدد ما فى المنطقة من هذه البيوت نحو ١٥٠٠٠ بيت فيحوالى ٣٥ قرية جديدة مستوفية الشروط ..

قليلا ، الى سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٥ ، حين عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمرات قمة ، وقرروا اقامة سد كبير على ذلك النهر ، هو سد خالد بن الوليد . ووضعت الخطط بحيث يتسع خزان ذلك السد لحوالى ٢٠٠ مليون متر مكعب ماء . وبوشر فى بناء هذا السد بالفعل .. ولكن حرب ٦٧ أحبطت المشروع فاحتل العدو ما احتل من الارض العربية بما فى ذلك سد خالد بن الوليد .

واتجهت الانظار بعد ذلك الى نهر الزرقاء والى صندوق التنمية الكويتى . وما أسرع ما وافق هذا الصندوق على تمويل دراسة جدوى المشروع ، مشروع سد الملك طلال أو سد الزرقاء . وذهب المسؤولون الكويتيون الى ابعد من ذلك . فقد وافقوا على تمويل مشروع هذا السد تمويلا كاملا اذا اثبتت الدراسات جدواه الاقتصادية .

وجاءت سنة ١٩٧٢ واذا بأعمال البناء تبدأ فى موقع هذا السد ، على بعد ٢٠ كيلو مترا الى الغرب من بلدة جرش .

وزرنا هذا الموقع وشاهدنا الاعمال القائمة فيه ..وتبين لنا ان سد الملكطلال سد كبير،اكبر كثيرا من السدود الثلاثة القديمة التى سبقت الاشارة اليها . اذ سيبلغ من الارتفاع ٩٢ مترا ومن العرض ، بحده الاقصى (٤٠٠) متر . اما طاقته

التخزينية فستبلغ (٥٢) مليون متر مكعب يخصص ٤٠ مليون منها لاغراض الرى .

ويقدر لهذا السد ان يزيد مساحة الاراضى المروية فى وادى الاردن بحوالى ٦٠و٠٠٠ دونم .

اما تكاليف بناء سد الملك طلال فستبلغ حسب التقديرات ثمانية ملايين دينار .. وقد دفع الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية جزءا كبيرا من ذلك المبلغ ، بالضبط ٥ر١ مليون دينار (وذلك حتى ابريل سنة ١٩٧٥) ..

ويعتبر سد الملك طلال من اكثر المشاريع الانمائية جدوى اقتصادية .. وتؤكد الدراسات السابقة واللاحقة انه سيغطى نفقاته فى سنة واحدة او تزيد قليلا ..

مشاريع اخرى في مجالات اخرى

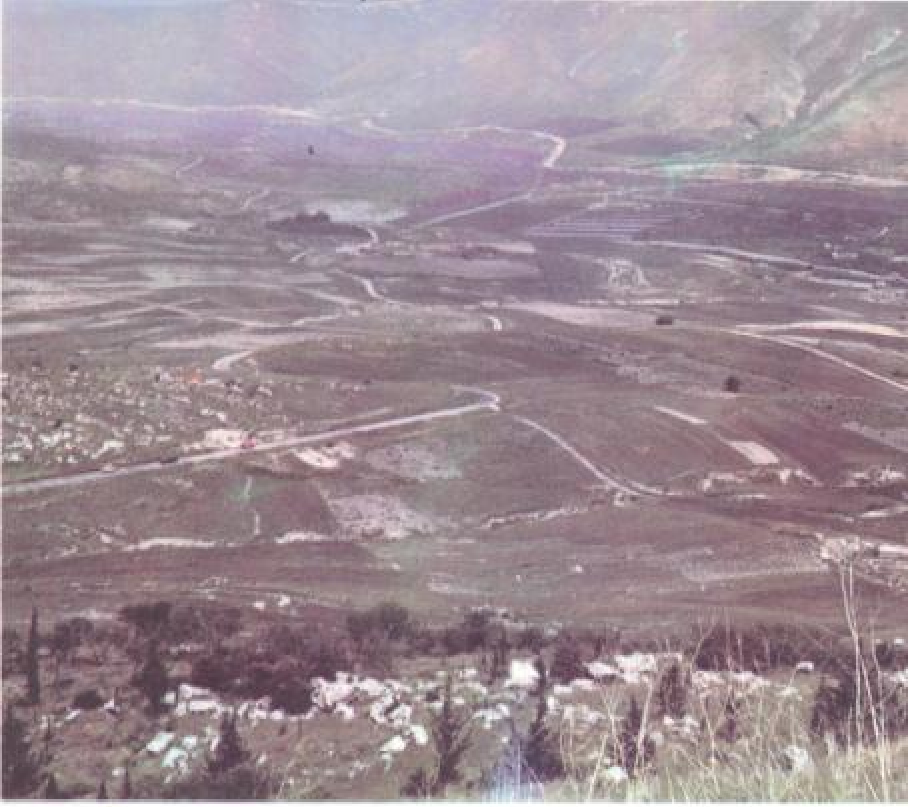
على ان جولتنا شملت ايضا ما يشهده وادى الاردن من اعمال ومشاريع فى مجال الزراعة ومجال الاسكان ..

ففى مجال الزراعة أصبحمزارعو الوادى يحصلون على كافة ما يحتاجونه من اسمدة وتسهيلات ائتمانية ومبيدات وبذور . وذلك بواسطة اتحاد المزارعين ، وأصبحوا ينتفعون من خدمات المركز الخاص بتعبئة المنتجات الزراعية من بعد تصنيفها .. ثم تسويقها وتصديرها .. وهذا المركز تابع بدوره لاتحاد المزارعين الذى ذكرناه .. اضف الى ذلك محطات التجارب والمشاتل ومراكز التدريب .

ولا بد من الاشارة هنا الى البيوت البلاستيكية التى بدأت تنتشر فى الاغوار .. فهذه البيوت التى تشبه البيوت الزجاجية تكلف بالمتوسط نحو ١٠٠٠ دينار للدونم الواحد ، وتكفل للمواسم مضاعفة المحصول ومزيدا من ابكار ومزيدا من جودة .. وقد اكلنا بعض ما ينتجونه فى تلك البيوت من خيار وخلافه وتمنينا لو تسنى لنا اكل المزيد .

واما فى مجال الاسكان فالعمل قائم على قدم وساق لاقامة بيوت ملائمة لسكن المزارعين . وقوام البيتمنها غرفتانومطبخ وحمام وساحة متسعةتسمح بتوسيع البيت وبناء غرف اضافية تلحق به ، عند الحاجة .

وستكون هذه البيوت ضمن احياء سكنية او قرى حديثة يزيد عددها على ٣٠ قرية تتوفر فيها كافة



الهضبة التي تراها في عمق الصورة هي هضبة الجولان .. والسهول المترامية امامك هي جانب من حوض نهر اليرموك . وغني عن البيان أن قوات العدو تحتل الهضبة والسهول بما في ذلك منشآت سد خالد بن الوليد .. الا ان الليل لن يطول اكثر مما طال ولا بد له ان ينجلي ..

الشروط الصحية والمرافق العامة كالطرق والكهرباء والخدمات الاجتماعية والتعليمية .. هذا الى جانب المراكز الادارية والتجارية ..

وقد شاهدنا عددا من تلك البيوت وهي من نوع البيوت الجاهزة ، يجرى صنعها في مصنع خاص اقيم في المنطقة لهذا الغرض .

وتوزع هذه البيوت مقابل مبلغ زهيد قد لا يزيد على ثلث قيمتها الاصلية البالغة نحو ٩٠٠ دينار .. وتتحمل الدولة الثلثين .

والخطة الموضوعة ترمي الى اقامة ١٥٠٠ بيت في هذه السنة ١٩٧٦ ـ وذلك بالاضافة الى حوالي الف من البيوت اقامتها في السنة الماضية .. على ان يصبح عدد هذه البيوت ١٥٠٠٠ بحلول سنة ١٩٨١ .

بقي ان نذكر ان هذه المشاريع المختلفة التي يشهدها وادي الاردن ستكفل للمنطقة تزايد سكانها حتى يصبح عددهم ١٠٠ر٠٠٠ نسمة قبل نهاية العام الحالي (١٩٧٦) .. وسيترتب على تلك المشاريع ايضا ظهور فرص عمل جديدة يقدر عددها بحوالي ٨٠٠٠ فرصة . اما الزيادة المتوقعة في الدخل القومي فتقدر بنحو ٥ ملايين دينار في السنة .

وأخيرا

والآن ، وقد تكللت بالنجاح خطة التنمية الثلاثية ـ وهي الخطة العامة التي شملت كل ما شهده الاردن من اعمال تنمية ومشاريع اعمار ... سواء في الزراعة او التعليم او الصناعة او الخدمات العامة او التجارة ، الى آخر ما هنالك ... طيلة السنوات الثلاث الماضية (١٩٧٣ ـ ١٩٧٥) ، لا يسع « العربي » الا ان يرنو الى المستقبل ، ويامل في مزيد من النجاح للخطة الجديدة ، خطة الخمس سنوات ، وقد بدأت مع بداية هذه السنة .. والله ولي التوفيق ...

« يوسف زعبلاوي »

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

« أنا هارب من اسرائيل •• »
الهجرة المعاكسة بالارقام

ـ كثر الحديث مؤخرا عن الهجرة اليهودية الى اسرائيل • ولو ذكرنا خطورة هذا الموضوع لاستغربنا عدم تناوله بمزيد من تحليل وتعليق • فالهجرة اليهودية كانت تمر في المدة الاخيرة بأزمات خطيرة اقضت مضاجع السلطات الصهيونية في كل مكان •• ترى هل تبشر هذه الازمات ببداية النهاية لاسرائيل وقرب انهيارها من الداخل •• ام انها تنذر بحرب اخرى خامسة ، لا مفر لاسرائيل من شنها ، وحل مشاكلها بها ، على غرار ماتسنى لها في حرب ١٩٦٧ ؟ !

فمن جهة ، نقص عدد المهاجرين الوافدين على اسرائيل حتى بلغ في السنة الماضية حوالي ثلث ما كان عليه سنة ١٩٧٣ كما يتبين من الجدول التالي :

١٩٧٣ بلغ عدد المهاجرين الوافدين	٥٥٠٠٠
١٩٧٤	٣٢٠٠٠
١٩٧٥	٢٠٠٠٠

(أو ١٨٠٠٠ حسب التقارير المحايدة)

ومن جهة ثانية كثر عدد المنشقين المرتدين من المهاجرين الروس الذين يعرون بفينا ، مركز التجمع الذي ينطلقون منه الى اسرائيل • فقد ارتفعت نسبة هؤلاء الذين يتوقفون في العاصمة النمساوية ويستقرون فيها نهائيا بدلا من مواصلة السفر الى ارض الميعاد حتى بلغت نحو ٤٠٪ من اولئك المهاجرين السوفيات • وهؤلاء كانوا وما زالوا يشكلون الكثرة الساحقة من مجموع المهاجرين الى اسرائيل ، وذلك بفضل ضغط الحكومة الامريكية ، بل قل ابتزاز الكونجرس



young mother from Upper Nazareth wrote: "I intend to buy a one-way ticket after I complete my compulsory service. . . . I would be prepared to pay the highest taxes in the world, to live from devaluation to devaluation, to see defilement and corruption and even to devote 90 days a year to reserve duty if there was a purpose for all these things and some basis for viewing Zionism as a solution.

"But the reality is different. . . . The movement which is supposed to give refuge for persecuted Jews has established a state where [illegible] suffer more, and more [illegible] than anywhere [illegible]

الامريكي •• بزعامة احد اعضائه المستر جاكسون ••

ومن جهة ثالثة ازدادت الهجرة المعاكسة وتكاثر المهاجرون الراحلون عن اسرائيل فهبط رصيد الهجرتين حتى اصبح رصيدا مدينا في السنة الاخيرة كما يظهر من الجدول التالي :

	الهجرة المعاكسة	الرصيد
١٩٧٣	١١٠٠٠	٤٤٠٠٠ +
١٩٧٤	٢٤٠٠٠	٨٠٠٠ +
١٩٧٥	٢٤٠٠٠ (وقد يزيد)	٦٠٠٠ ـ

وهذا وضع خطير للغاية • فهو بلا سابقة •• باستثناء سنة ١٩٥٣ حين سجلت احصاءات الهجرة اليهودية ١١٣٢٦ مهاجرا وافدا و ١٣٠٠٠ مهاجر راحل وسجلت بالتالي رصيدا مدينا •• الا ان

مؤسسة عربية تضمن لك اموالك ضد التأميم والمصادرة !

● يا اهل « العربي » اخبروني لماذا لا تقوم البلاد العربية بفتح ابوابها وتأمين رؤوس الاموال العربية المستثمرة ؟! لماذا تتركها تتجه للخارج بينما بلادنا العربية في حاجة ماسة اليها ؟ .. انا اعرف انكم ستقولون ان رأس المال جبان ، وان حالات عدم الاستقرار في بعض الاوطان العربية هي السبب .. ولكن الا يوجد علاج ؟!

احمد الهمشري ـ صنعاء/اليمن

ـ لقد تبدل الوضع حاليا ، ولم يعد بالصورة القاتمة التي ترسمها ، فلاول مرة اصبح للعرب اول مؤسسة من نوعها على المستوى الدولي ، توفر الضمان والتعويض والتأمين لرؤوس الاموال العربية ضد المخاطر غير التجارية اي ضد : المصادرة ، والتأميم ، وفرض الحراسة ، ونزع الملكية ، والاستيلاء الجبري .. وتضمن المؤسسة كذلك للمستثمر امواله حتى في حالة الثورات والاعمال الحربية او العسكرية ، وفي الانقلابات والفتن واعمال العنف ذات الطابع العام .. وتضمن له امواله في حالة تعذر تحويل دخل الاستثمار ، او اصله ، الى خارج الدولة المضيفة بسبب القيود المفروضة على الصرف .

وكذلك اعتبار القروض المرتبطة بعمليات التصدير والاستيراد ، فيما بين الاقطار المتعاقدة ، صالحة للضمان الذي توفره المؤسسة ، حتى لو قل اجلها عن ثلاث سنوات ، بشرط ان تتعلق بتصدير مواد اولية من منتجات احد هذه الاقطار ، او بسلع تم تصنيعها كليا او جزئيا في هذا القطر ، او تم تجميعها او تشكيلها فيه .

لقد ولدت هذه المؤسسة العربية لضمان الاستثمار يوم ٢٧ مايو ١٩٧١ في مدينة الكويت عندما وقع مندوبو خمس دول ، هي مصر ، والسودان ، والاردن ، وسوريا ، والكويت على وثائق انشائها .

وعندما سألنا مدير عام المؤسسة السيد عبدالعزيز المطيري عن التطورات التي طرأت على المؤسسة اجابنا : « لقد ارتفع عدد اعضاء المؤسسة من خمسة اعضاء الى ١٤ عضوا يمثلون : دولة الامارات ، والاردن ، وتونس والجزائر ، وسوريا ، والسودان ،

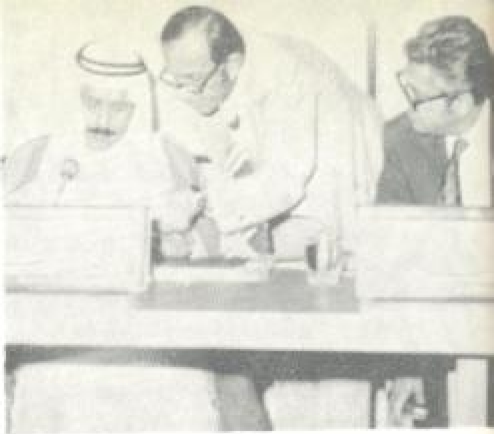
ذلك الرصيد كان ضئيلا ولم يكد يبلغ ٢٠٠٠ نسمة ، اي ثلث ما بلغه في السنة الماضية .

وهو وضع خطير ايضا بقدر ما ينذر بنسف المخطط الصهيوني برمته ، اذا هو استمر واستفحل ، وينذر ايضا بمزيد من تفاقم الآفات الاقتصادية والمالية التي تعاني منها اسرائيل . ذلك ان الكثير من المعونات التي تتلقاها اسرائيل من الهيئات الصهيونية في الخارج انما تتلقاها تبعا لعدد المهاجرين الذين يفدون عليها ، سنة بعد اخرى ، وذلك من اجل توطين اولئك المهاجرين واستيعابهم والانفاق عليهم ريثما يتم توفير الاعمال لهم ..

ولا بد من وقفة قصيرة هنا عند بعض تلك الآفات الاقتصادية والمالية التي تفاقمت كما قلنا تبعا لتأزم الهجرة اليهودية والتي لا بد وان تكون بدورها عاملا في تردي هذه الهجرة وتأزمها ..

ولم لا .. وقد هبطت قيمة الليرة الاسرائيلية حتى باتت لا تساوي الا ١٤ سنتا امريكيا وكانت في سنة ١٩٤٩ تساوي ٤ دولارات كاملة .. ومعنى هذا ان قيمتها الحالية لا تبلغ سوى ١/٢٨ من قيمتها الاصلية .. وقد لا يشعر المستهلك على نحو مباشر بهذا التخفيض وانما فقط بالنتائج المترتبة عليه .. بالغلاء الفاحش ولا سيما في اسعار السلع المستوردة .. فمثلا شريط الكاسيت ، كان ثمنه في اسرائيل ١٨ شلنا سنة ١٩٧٣ ، ثم تضاعف الى ٣٧ شلنا سنة ١٩٧٤ ، ثم ارتفع ثانية حتى بلغ ٤٥ شلنا في سنة ١٩٧٥ .. !

على أن اسرائيل تعاني من ازمة اخرى اعمق وابعد اثرا من هذه الآفات والازمات جميعا .. ولعلها العامل الرئيسي وراء التدهور الذي طرأ على الهجرة اليهودية في السنوات الاخيرة .. تلك هي ازمة الثقة .. فالناس في اسرائيل لم يعودوا



السيد سيف علي الجروان ، سفير دولة الامارات فى الكويت يترأس الاجتماع الثانى للمؤسسة ، وجلس الى يساره مديرها العام السيد عبد العزيز المطهرى .

والعراق ، وقطر ، والكويت ، ولبنان ، وليبيا ، ومصر ، والمغرب ، والجمهورية العربية اليمنية ..

« ان توقيع الوثائق على مستوى الدول ،يؤكد رغبة هذه الدول فى توفير الضمان اللازم من اجل كسر اكبر عقبة تقف فى طريق تدفق رؤوس الاموال العربية ، وانتقالها فيما بينها للاستثمار .. ولا تقتصر اغراض المؤسسة على توفير الضمان لهذه الاموال فقط ، بل تتعداه لتشمل تشجيع الاستثمارات بين الاقطار الاعضاء .. وهذا يعطى للمؤسسة دورا ايجابيا فى قيادة سوق الاستثمار العربى ، ويجعلها حلقة وصل بين رأس المال والمشاريع ..

« ان رأس مال المؤسسة كان عشرة ملايين دينار كويتى عند تاسيسها ، وفى اجتماع مجلس المؤسسة الذى انعقد فى اكتوبر ١٩٧٥ اقترح المجلس زيادة رأس المال الى ٢٥ مليون دينار ، وهذا سيتيح لنا امكانية ضمان عمليات الاستثمار التى يصل حجمها الى مليونين ونصف مليون دينار كويتى او ما يعادلها بدلا من مليون دينار فقط ، بل ويمكن أن يصل الضمان الى مبلغ خمسة ملايين دينار بالنسبة للاستثمارات فى المشروعات المشتركة .

« ان مؤسستنا العربية لضمان الاستثمار هى مفخرة لكل عربى ، فقد نجحنا فيما فشلت فيه الامم المتحدة من اجل انشاء مؤسسة مشابهة ، فلم يسبق فى عالمنا المعاصر ان تآزرت الدول على تقديم فكرة ضمان الاستثمارات مثلما حدث فى مؤسستنا التى تضم ١٤ دولة عربية ، واملنا كبير فى ان تنضم الينا الدول العربية الست الباقية ، ليصبح المشروع عربيا متكاملا .. »

(س . ز)

يثقون بزعمائهم ، بل وفقدوا الثقة بمستقبلهم .. والفضل فى ذلك انما يعود الى حرب رمضان ، التى حطمت فيما حطمت اسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر .. فقضت بذلك على الثقة الواهية التى اوحت بها تلك الاسطورة .

ويحضرنا فى هذه المناسبة ما نقلته صحيفة الصنداى تايمز على لسان احد افراد الجيش الاسرائيلى ، قال : « انوى مغادرة البلاد(اسرائيل) فى اللحظة التى اكمل فيها سنوات خدمتى الاجبارية .. وساشترى حينئذ تذكرة سفر للذهاب دون الاياب ..

« اما دافعى فليس الهرب من الضرائب التى ادفعها ، وهى اعلى ضرائب فى العالم .. ولا من الفساد الذى تفشى فى الطبقات الدنيا وعلى اعلى المستويات وشمل فيما شمل الرشوة والتهريب من دفع الضريبة الخ .. فانا مستعد لتحمل هذه الآفات وامثالها لو امكننى ان اتحسس الغاية من ذلك كله ، او لو استطعت ان اقنع نفسى بان الصهيونية هى الحل . ولكن الحقيقة بخلاف ذلك ، فالصهيونية تعمل من اجل انقاذ اليهود من الاضطهاد ، ولكنها اقامت دولة يقاسى فيها اليهود بل ويموتون اكثر منهم فى اى دولة اخرى .. » .

ونعود هنا الى السؤال الذى طرحناه فى مستهل هذه الكلمة .. هذه الازمات التى تعانى منها اسرائيل ازمة الثقة والازمات الاقتصادية وازمة الهجرة .. ترى هل تبشر هذه الازمات بقرب نهاية اسرائيل .. وقرب انهيارها من الداخل ، ام انها تنذر بحرب اخرى خامسة تعمل اسرائيل لاشعال نارها وتسعى الى تغطى ازماتها بواسطتها .. على غرار ما فعلت فى حرب ١٩٦٧ ..

(ى . ز)

الجغرافى العربى ابو عبيد البكرى

● قرأت فى العدد ٢٠١ من مجلتكم مقالة توضح ان العرب فى عصر نهضتهم كانوا اول من ارسى قواعد الجغرافية والارشاد السياحى ، ومنهم ابن حوقل ، والبكرى ، والادريسى ، وابن فضل الله العمرى ، وابن بطوطة . ارجو نبذة عن حياة البكرى ومؤلفاته .

سعيد محمد حسن/صنعاء/
الجمهورية العربية اليمنية

- كان بيته من بيوتات الاندلس الكثيرة التى توارثت الوجاهة والشهرة هناك اجيالا ، لمشاركتها فى السلطة والثراء والثقافة ، ويكفينا من حسبه ونسبه انه ابو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب البكرى ، نسبة الى قبيلة بكر ابن وائل ، وكانت من اكبر القبائل العربية واشهرها فى الجاهلية ، فلما جاء الاسلام وانتشرت فتوحه انتقل كثير من بطون بكر الى غربى الاندلس مع غيرها من العرب الفاتحين . وقد عاصر جده محمد ابن أيوب احتضار دولة الامويين هناك ثم زوالها ، فكان خلال احتضارها قاضيا على لبلة ، ثم واليا على شلطيش وولبة غربى الاندلس ، فلما زالت دولتهم تمزقت الاندلس دويلات بين المتغلبين هناك - وهذا ما يسمى عهد « ملوك الطوائف » وعندئذ نجح جده محمد بن أيوب فى الاستقلال بولايته أميرا فلما مات خلفه عليها ابنه عبد العزيز حتى غلبه عليها طاغية من جيرانه ، هو المعتضد بن عباد ، أمير اشبيلية ، ففر عبد العزيز باسرته وأمواله الى قرطبة ، حيث أحسن استقباله كسائر الهاربين من جبروت المعتضد ، لادخارهم للشغب عليه عند الحاجة . وفى قرطبة مضى ابنه أبو عبيد (صاحبنا) يتلقى علومه على كبار شيوخها ، وبعد وفاة هذا الوالد سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤م) هاجر صاحبنا أبو عبيد الى المرية فاحسن اميرها استقباله ، وهناك تهيأ له اتمام علومه على أعظم علمائها (أشهرهم بتآليفه حتى اليوم ابن حيان وابن عبد البر) وقد اتخذه اميرها من أعوان دولته ، ويظهر انه استوزره ، اذ يلقب « الوزير » فى بعض الكتب ، وكان أيضا سفيره الى بعض الامراء ، فقد سفر عنه الى ملك المرابطين يوسف بن تاشفين بالمغرب ، مع بقية الوفد الذى أرسله اليه أمراء الاندلس يستنصرونه بجيوشه الاسلامية ليصد عن ولاياتهم غارات أمراء الاسبان المسيحيين عليها واقتطاع اجزائها لا سيما حصونها ، وفرض الاتاوات الباهظة عليها ، فعبر يوسف الى الاندلس ، وكسر جيوش الاسبان فى موقعة الزلاقة ٤٧٩ هـ وتدل أخبار صاحبنا واشعاره على ميل الى الترف وشرب الخمر حتى وفاته هرما سنة ٤٨٧ هـ

ويشيد مترجموه بسعة اطلاعه على اللغة وغريبها والآداب والاشعار والانساب والاخبار ، وحرصه على اقتناء نفائس الكتب المحققة ، وكان أعيان الاندلس حريصين على تواليفه ، يتهاون نسخها بينهم كاغلى النفائس ، وتدل مؤلفاته (او ما بقى منها) على أنه كان أهلا للتقدير بشخصه وثقافته، ولكننا نرى انه كان لغويا ثم أديبا واخيرا هو جغرافى ، مع شهرته الواسعة فى الجغرافية ، ثم ان حظه فى رواية الآداب والاشعار أعظم من حظه فى انشائها وتجويدها ، فنثره التاليفى او الوصفى سهل مقبول ، ولكنه - كمعظم معاصريه ، لا سيما العلماء - متكلف فى نثره الانشائى وفى شعره وفيهما ضحالة وفتور ، فوق ما يثقلهما من زخارف الصناعة البديعية ، ويضيق المقام عن سرد الشواهد على ذلك . وأما مؤلفاته فتبلغ اثنى عشر، هى :

١ - كتاب الاحصاء لطبقات الشعراء ٢ - اشتقاق الاسماء ٣ - اعلام نبوة نبينا محمد ٤ - التدريب والتهذيب فى ضروب أحوال الحروب ٥ - شفاء عليل العربية ٦ - صلة المفصول فى شرح « الغريب المصنف » ٧ - النبات ، أو أعيان النبات والشجريات الاندلسية ٨ - فصل المقال فى شرح كتاب الامثال ٩ - التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ١٠ - اللآلى فى شرح أمالى القالى (جزآن) . ١١ - معجم ما استعجم من أسماء الامكنة والبقاع (٤ أجزاء) . ١٢ - المسالك والممالك .

والسبعة الاولى مفقودة ، والثامن مخطوط ، والتاسع حتى الحادى عشر مطبوعة كاملة ، والاخير وجد جزء منه ، طبع بعنوان : المغرب فى ذكر افريقية والمغرب » ، وكتاباه الاخيران يعدان فى كتب الجغرافية ، وقد نقل عنهما كثير من الجغرافيين عندنا ، لكن الاول يوضح الاماكن الواردة فى التراث العربى من حديث نبوى واشعار ، والثانى ادخل فى الارشاد السياحى ، وهو اهم كتبه فى بيان أحوال الشعوب الافريقية ودولها وتاريخها فى أيامه وقبله • لا سيما شعوب البربر والسودان فى غربى افريقية وأواسطها (كان يؤلفه سنة ٤٦٠ هـ) ، وقد عنى به المستشرقون لا سيما الفرنسيون خلال استعمارهم تلك المناطق حتى عهد قريب ، وترجمه وطبعه بالفرنسية دى سلان De Slane سنة ١٨٥٨ بعنوان :

L'Afrique Septentrionale,

وطبعه بالعربية قبل ذلك بسنة •

(م • خ • ت)

٧ مليون كلب مدلل فى فرنسا !

● نقرأ فى الصحف ان الشعب الفرنسى من اكثر شعوب العالم ولعا بالكلاب • هل هذا صحيح ؟ ولماذا الكلاب بالذات ، لماذا لايحبون القطط مثلا • وماهى مظاهر هذا « الحب » الذى يحمله الفرنسيون للكلاب ؟

محمد طالب ـ بغداد

ـ من المناظر المالوفة فى فرنسا ان ترى الكلاب تشارك اصحابها الطعام على مائدة واحدة ! حتى فى المطاعم الانيقة ، اصبح منظر الكلب بجوار صاحبه شيئا طبيعيا ، بل اكثر من هذا فهناك « دليل للكلاب الصغيرة » يحوى اكثر من الف اسم لفنادق كبرى ومطاعم من الدرجة الاولى ، تعلن عن استعدادها لان تفرش « البساط الاحمر » ترحيبا بالكلاب الصغيرة المدللة • وبين هذه الفنادق الفخمة « اوتيل دى لا بوست » بمدينة افالون ، ومطاعم لوكاس وكارتون وتور دار جان وكلها من المطاعم الفاخرة التى تسيل اللعاب لما تقدمه من اطباق لذيذة شهية !

ويصف السيد كلود تريل صاحب مطعم تور دار جان ما يجده الكلب من معاملة فى مطعمه الفاخر فيقول : « اذا اصطحب احد الزبائن كلبه الى المطعم ، فسوف يلقى منا المعاملة اللائقة بهذا الكلب ، وهى معاملة طيبة جدا !

واقبل الناس على هذه المطاعم المضيافة لكلابهم المدللة ، وبدأ رجال الاعمال يهرشون رؤوسهم بحثا عن وسيلة لاستغلال سوق اطعام الكلاب ، التى حققت رواجا كبيرا • وافتتح شاب فرنسى يدعى جان بول ريتو اول مطبخ لاعداد وجبات الكلاب وتتالف الوجبة من شريحة دسمة من الديك الرومى المحمر مع الارز والجزر والخس والكرات• وثمنها ما يوازى دولارين فقط ! وهناك سيارات خاصة تقوم بنقل وجبات الكلاب حتى باب البيت !

لقد بلغ عدد الكلاب الموجودة فى فرنسا اليوم اكثر من سبعة ملايين كلب يعيشون وسط سكانها البالغ عددهم ٥٢ مليون نسمة !

ويستطيع الزائر لهذه البلاد ان يلمس مدى الحب الذى يحمله الفرنسيون للكلاب بمجرد وصوله الى حدودها •• فبينما تغلق الكثير من الدول ابوابها فى وجه الكلاب ولا تسمح بدخولها قبل ان تقضى فترة معينة فى الحجر الصحى ، للتاكد من خلوها من الامراض ، يسمح الفرنسيون بدخول الكلاب مع أصحابها فورا بعد حقنها بلقاح ضد الامراض المعدية •

لماذا يدلل الفرنسيون كلابهم الى هذا الحد من الرفاهية التى لا يجدها الملايين من البشر الذين يعيشون فى عالم اليوم •• العالم الملىء بالافواه الجائعة ؟!

يقول جان اريك تازاربيه أحد المسئولين بجمعية الرفق بالحيوان فى فرنسا : « ان الفرنسيين يريدون ان يقدموا حبهم لاحد ، ولكنهم لا يجدون أحدا • فاحبوا الكلاب !»

ثم يقول : « نحن نعيش اليوم فى عالم امتلأ بروح العداء التى يحملها الانسان لاخيه الانسان بينما نجد هذا الحيوان المسكين يعطينا كل شىء ، ولا يطلب شيئا ! من أجل هذا أحببناه ودللناه !»

(م • ن)

● مسابقة العربى ●

١٠ شخصيات و ١٠٠ دينار

مسابقة هذا العدد تشتمل على عشرة اسئلة عن شخصيات عالمية ٠٠ والمطلوب منك معرفة الاسماء الصحيحة لثماني شخصيات على الاقل ٠٠ لتفوز باحدى الجوائز المالية ، التي مجموع قيمتها ١٠٠ دينار كويتي ٠





١ ـ امرأة عربية شهيرة ٠٠ اعتبرت من ائمة التصوف الاسلامي ، ولدت عام ٧١٤م ، وماتت وعمرها اكثر من ثمانين عاما ٠٠ باعت الدنيا وهي في عنفوان شبابها ، وفضلت الآخرة وعملت لها ٠٠ فكانت زاهدة متصوفة متعبدة ، حيكت حولها القصص والاساطير ، ونسبت اليها الاعاجيب ، ونالت شهرة واسعة اخرجوا عنها فيلما سينمائيا عربيا ، فما اسمها :

رابعة العدوية ـ زبيدة زوجة هارون الرشيد ـ غزالة الحرورية ٠

٢ ـ منذ اقل من ١٠٠ عام ، كانت الاراضي التي تقوم عليها المانيا الغربية والشرقية حاليا ، مقسمة الى ٣٢ دولة وامارة ذات سيادة ، بعضها كانت مساحته بضعة اميال مربعة فقط ، وظل هذا الوضع مستمرا حتى نهاية القرن التاسع عشر وفيه توحدت هذه الامارات في دولة المانية كبيرة واحدة على يد زعيم كانت سياسته : « لن تصنع المانيا الوحدة بالكلام وانما بالدم والحديد » فما اسم هذا الزعيم الكبير ؟

فون مولتكه ـ بسمارك ـ روميل

٣ ـ كانت طفلة جميلة ، تفيض صحة وحيوية ٠٠ وعندما بلغت من العمر ١٩ شهرا اصيبت بالصمم والبكم والعمى ، وفي سن السابعة تولت مدرسة تعليمها الكلمات بالضغط على كفها ٠٠ وسرعان ما ظهر نبوغ هذه الطفلة المنكوبة ، اذ تعلمت القراءة بلغة بريل ، ودخلت احدى الكليات العليا فكانت أسطورة بين فتياتها ونشرت كتبا ومقالات في الصحف ، ومثلتها السينما ٠٠ وظلت تعمل في خدمة العميان والصم مدة نصف قرن حتى توفيت في ١ يونيو ١٩٦٨ فمن هي هذه المرأة المعجزة :

مدام كوري ـ هيلين كيلر ـ اديث كافيل ٠

٤ ـ عاش ابوالطيب المتنبي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واعتبر من فحول الشعراء العرب وبعد عشرة قرون من وفاته ظهر في مصر شاعر عربي جديد يقارن بالمتنبي ، تغنى الناس بشعره في كل الاصقاع وغنت له ام كلثوم جزءا من قصيدته الشهيرة نهج البردة المؤلفة من ١٩٠ بيتا ٠٠

فمن هذا الشاعر الجديد ؟

٥ ـ في عام ١٩٠٧ خرج رجل عسكري في رحلة الى جزيرة ، مع ٢٥ طالبا بريطانيا ، ونجحت الرحلة تماما ، ففكر الرجل العسكري في تكوين حركة للشباب تعتمد على الحياة في الهواء الطلق ، وكشف جمال الطبيعة ٠٠ وكانت هذه بداية الحركة الكشفية التي عمت اركان العالم كله ٠ وظل هذا الرجل يعمل لخدمة شباب العالم ، كما لم يعمل اى رجل من قبل ٠٠ وفي عام







١٩٤١ توفى مؤسس الكشافة فى كينيا ، ودفن تحت جبلها ، فما اسم هـذا الكشاف الاول :

هـ ٠ ج ٠ ويلز ـ برناردشو ـ بادن‌باول ٠

٦ ـ فى صباح الاثنين ٢١ يوليو ١٩٦٩ حطت اول مركبة فضائية على ارض القمر ، ونزل منها رجلان وبعدان استكشفا سطح القمر عادا ثانية الى الارض ٠٠ واول من لمست قدمه سطح القمر كان :

نيل ارمسترونج ـ مايكل كولنز ـ ادوين الدرين ٠

٧ ـ امراة بريطانية كان ينظر اليها كاسطورة فى زمانها ٠٠ حياتها كانت مليئة بقصص المغامرات الخيالية فى البلاد العربية ، عرفت بعدة اسماء امراة الشرق الغامضة ـ وملكة العراق غير المتوجة ـ ديانا الصحراء ٠
انطلقت من دمشق عام ١٩١٣ فى قافلة مكونة من ٥٠ جملا مخترقة صحراء سوريا ، حتى منطقة حائل بالجزيرة العربية ٠ حيث منعوها من تكملة رحلتها ، فعادت الى العراق حيث توفيت ودفنت هناك عام ١٩٢٦ فمن هى المراة المغامرة التى ولدت عام ١٨٦٨ :

نايتنجيل ـ جرتروود بل ـ بيرل بك ٠

٨ ـ كان الاغريق والرومان يطلقون اسماء الهة على مختلف الاشياء٠٠ فكانت افروديت الهة الحب عند الاغريق ٠٠ وهى نفسها فينوس عند الرومان وكان نبتون اله البحر عند الرومان ٠٠وكان اله الحـــرب وكبير الآلهة عند الاغريق هو زيوس ، فما هو اسم اله الحرب عند الرومان ؟

ديونيسيوس ـ مارس ـ باخوس ٠

٩ ـ قائد تونسى شهير فى التاريخ ، عبر البحر المتوسط مع جيوشـــه ليفتح روما ، فكان اول قائد عبر جبال الالب مع جيش ، فما اســـم هذا القائد ؟

هانيبال ـ هملكار ـ طارق بن زياد ٠

١٠ ـ من الذى اشتهر بلقب « ابو الطب » ؟

ابن سينا ـ جالينوس ـ ابقراط ٠

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠
٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد رقم ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٠٨ » ٠
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر مايو (آيار) ١٩٧٦ ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينـارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينـارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنـــانير ٠٠ وعند تعـدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

كوبون مسابقة العدد ٢٠٨



الأحلام والعلاج النفسي

بقلم : الدكتور عبد العزيز القوصي

■ لكي نفهم العلاقة بين الاحلام والعلاج النفسي لا بد أن نبدأ بمثال أو بعدد من الأمثلة لكي نوضح العلاقة بين الحلم والعلة النفسية ونبين كيف يمكن استخدامهذه العلاقة في التشخيص وفي العلاج ·

وإذا اردنا ان نقدم بمقدمة عن سيكولوجية الاحلام وأصلها وتطورها ومغزاها ونظرياتها قديما وحديثا ونبذة عن الاحلام عند الطفل والبالغ ، وعند الحيوان ، وعن الاحلام التجريبية والكوابيس ، وعن تذكر الاحلام ونسيانها وغير ذلك لطال بنا الامر ، فقد ظهرت في مجال علم النفس مجلدات ضخمة عن الاحلام نرى منها أن عالم الاحلام عالم واسع الأرجاء شديد التعقيد ، ولذلك سنكتفي بأن نقول ان الانسان عندما ينام يتراخى عنده ما يسمى « الرقيب » وتبدأ مكونات اللاشعور في محاولة التعبير عن نفسها وهنا تظهر الاحلام ·

من أمثلة ذلك ولد صغير في السابعة من عمره عرضته أمه علينا لانه كان يتبول في فراشه رغم أنها كانت تضربه وتزجره وتعمل كل ما في وسعها من تشجيع ومن عقاب لتعويده عادات النظافة أثناء النوم · واتضح من دراسة الولد دراسة طبية أول الأمر أنه لا يوجد عنده اي سبب جسمي يمكن أن تترتب عليه هذه الظاهرة فلا بد من اجراء بعض التحاليل وبعض الكشوف بالاشعة حتى نتأكد من سلامة البدن وسلامة العمود الفقري بالذات·· وما الى ذلك من أى عامل يمكن أن يكون سببا · درسنا كذلك تاريخ حياة الولد فاتضح ان والد الغلام كان قد توفي من ثلاث سنوات وكان الولد ووالده متعلقين أحدهما بالآخر تعلقا شديدا · كان للولد أخت أصغر منه وكانت الام أكثر تعلقا بالأخت منها بالولد ، وكان الوالد أكثر تعلقا بالابن منه بالبنت · كان الولد قد تعود

مثل هذا الابن معنى كبير للغاية • ويشعر الولد بان زوج امه عائق فى وجهه وتشعر الام بان ابنها عائق بينها وبين زوجها الجديد •

حب مفقود

فى هذا المجال يعيش الطفل فى السابعة من عمره وخلفه تاريخ طويل ، فيه حب مفقود وعطف مسلوب وفيه جفاء ، وكبت وعدوان ، فكان الولد شديد الاضطراب شديد العصبية • اعطيناه فى يوم من الايام مجلة ليتسلى بالنظر الى ما فيها من صور ورسوم الى أن نفرغ له فطلب قلما فاعطيناه اياه وظل يرسم على صور المجلة فكان يشوه صور النساء ويخزق عيونهن بسن القلم ويرسم لهن الذقون والشوارب واتى على صورة لكل امرأة فى المجلة بهذه الطريقة • وبالتحدث معه قال انه لا يحبهن ، وواضح بالطبع أن كراهيته قد تكون لكراهيته أخته التى تفوز دونه فى مجال الاسرة بمكان طيب ، وقد تكون كذلك لكراهية امه التى اجتذبت للبيت رجلا غريبا يحل محل أبيه المحبوب المتوفى والتى تبتعد بهذا شيئا ما عن مجال اولادها • وكان كارها بالطبع لزوج أمه •

كان الولد يحلم بالليل أحلاما مزعجة •• يرى فيها الثعابين وهى تخيفه وتحدق فيه باعينها ولعل الثعابين المعتدية تمثل زوج الام ، وكان يحلم احيانا أنه يسقط فى هوة عميقة لا قرار لها ويحلم انه يقع فى حفرة بها ماء فاذا استيقظ وجد نفسه مبتلا من أثر التبول ، وكان يشعر به من حوله وهو يتحرك فى قلق ويصيح ويتشاجر ويسب ويشتم ويهدد ويعتدى ، وكان كل هذا موجها عادة نحو سيدة هى فى الغالب امه أو أخته •

وقد استخدمت رسوم الطفل وعبثه برسوم المجلات وسرده للاحلام كما استخدمت ما جمعت عن حياة الغلام واعماله وتصرفاته فى تشخيصه وفى علاجه • والذى يهمنا فى هذا المقام أن هناك علاقة واضحة بين ما يجرى فى احلام الغلام وما يجرى فى حياته من أزمات •



الا يتبول أثناء النوم، ولكن كانت الام قد بدأت تفكر فى الزواج من جديد والولد فى سن السادسة ، ولم يكن الولد راضيا عن زواج امه فكثرت شقاوته وزادت ميوله الاعتدائية خصوصا على امه وعلى أخته • ويبدو أن الام اعتبرت الولد عائقا فى سبيل زواجها واعتبرها الولد (بطريقته) ميالة للابتعاد والاغتراب ولو نفسيا • وبذلك ظهرت بينهما حالة عدم توافق • هى تعتدى عليه بالشتم والضرب وهو يعتدى عليها بالعناد والشقاوة • دللت الام ابنتها واكتسبتها الى جانبها واضطهدت الولد واعتبرته متمردا عليها، واذا حدث خلاف بين الولد والبنت فان الام كانت تاخذ جانب البنت دائما • معنى هذا انه قد نشا فى البيت جو مشبع بعدم الرضا او بعدم تقبل للولد ، وكان الولد يثور على هذا الجو بكل ما فيه •

عندما يثور الولد على هذا الجو فان هذا الجو يكبته بالضرب والشتم والزجر والنصيحة ، ثم ان كل ما فى المجتمع يكون ضده لانه يجب على كل امرىء أن يحب امه وأن يطيعها وأن يرضى بها وان يتقبلها • وقد ظهر له فى جو البيت زوج أم حل محل والده الذى كان يحبه وكان يتعلق به لدرجة تكاد تقرب من درجة التقديس • فللاب فى حياة

وتستخدم هذه العلاقة في الربط بين مشاكل الغلام وبين احلامه وتستخدم كذلك في العمليات العلاجية • ومن مهام المعالج النفسي ان يهيىء للغلام او للمريض الجو الذي يجعل لسانه ينطلق في حرية وانسيابية ليربط بنفسه بين احلامه وبين ازماته في الحياة اليومية • وهذا عمل فني خالص يحتاج الى كفاءة عالية وتدريب ، ولا يتقنه الا المختصون الاكفاء • فاذا رأى الغلام العلاقة السببية بين تبوله في سريره وبين انتقامه من امه وعدوانه عليها وعقابه اياها واذا ادرك العلاقة السببية بين الثعابين المزعجة والعيون الغاضبة المحملقة والتردي في الحفر الممتلئة بالماء وبين ما يجري حوله • اذا ادرك الغلام كل هذا واذا مر في الحالة الانفعالية التي يمر فيها في حياته يتخلص من الشحنات الانفعالية ويدرك شعوريا ما كان لاشعوريا ، وبذلك تخف حدة اعراضه ، ولكن هذا ليس نهاية العلاج • فالعلاج يحتاج الى زيادة الربط بين احلام الشخص وبين مشكلاته ، والى تعميق بصيرة الغلام بنفسه ، والى اعادةتنظيم مفاهيمه ،واعادة تنظيم اتجاهاته، واعادة تنظيم علاقاته بمن يحيطون به ، والى تحسين فكرته عن نفسه ، وتوجيهه لاهداف طيبة كالنجاح المدرسي والعلاقات الطيبة •

يقول بعض الناس اذا ارتبط العرض بالسبب في العقل الواعي تم الشفاء ، ولكن هذا غير صحيح الا في احوال نادرة جدا ، والصحيح ان هذه خطوة اساسية في العلاج النفسي لا بد ان تتلوها خطوات في اعادة بناء الشخصية وتوجيهها توجيهات عملية واجتماعية وذاتية •

الحقد

لناخذ مثالا آخر من شاب كانت سنه ١٩ عاما، وكان في المدرسة الثانوية • كان منصرفا عن المذاكرة متبرما بالحياة عصبيا تصيبه نوبات تشنج واغماء من آن لآخر ، وكان الشاب على درجة كبيرة من العناد والتمسك برايه ، وكان في صغره قليل الكلام اميل الى الانطوائية منه الى الانبساطية ، وكان اخوته على عكسه ، ولذلك كانت شعبية اخوته اكثر من شعبيته • وحدث في يوم من الايام ان عاد والده من الخارج ، وكانت في يده لعبة وزهرية فاعطى اللعبة للاخ الاصغر بعامين وشعر الوالد بان صاحبنا قد اصابته الغيرة فاعطاه الزهرية ثم اخذها منه بعد ذلك بدقائق معدودات حتى لا تتكسر • ولم ينس الشاب هذه الحادثة رغم انها وقعت له وهو في سن الخامسة فقدتركت فيه اثرا غير طيب •

حدث ان الوالد كان قد طلق الام حين كان الشاب في سن الثانية عشرة ، ثم تزوج بسيدة اخرى صغيرة السن • فحنق الولد على والده ، ولكنه لم يتمكن من اظهار هذا ، فقد جرى العرف باحترام الوالد وطاعته •

حدث في يوم من الايام ان تغيب الولد عن المدرسة ، فارسل مدير المدرسة خطابا للوالد يسأله عن سبب الغياب فاعطى الوالد الخطاب لخادم في البيت ليسلمه للابن ، وغضب الوالد وتجهم وصرح بانه لا يعتبر ان صاحبنا ابنه ، وازدادت العلاقة بين الولد ووالده سوءا ، وازداد التجهم وازدادت المقاطعة• ولنذكر هنا انالولد كان في نفس الوقت معجبا بوالده ، فكان والده يحتل منصبا رفيعا جدا ، وكانت اخباره تتردد في الصحف واحتفظ الولد بقصاصات الجرائد عن والده واحتفظ بالصور في اضبارات كان يعتز بها ويطلععليها منآن لآخر ويطلععليها اصدقاءه•

معنى هذا ان نفس الولد كانت ممزقة بين امرين احدهما كراهية الوالد لسوء معاملته ولاقصائه الام ، ولزواجه من غيرها ، وثانيهما حبه لوالده لانه والده ، واعجابه به لتفوقه ولمركزه الرفيع في المجتمع •

وللحالة ظروف كثيرة متشعبة لا مجال للخوض فيها هنا ويهمنا ان نذكر ان الولد رأى في الحلم ذات ليلة ان يوم القيامة قد حل موعده ورأى الله سبحانه وتعالى جالسا على عرش كبير عال ، ورأى اهل الكتاب من مسلمين وغيرهم يمرون امامه ، ورأى الله يرمي على المؤمنين سائلا ابيض كاللبن يلعقونه ويتلذذون من طعمه • ويرمي على غير المؤمنين سائلا متوهجا ساخنا يشوي الوجوه ، ثم وقف آخر الامر وقال « لقد عفوت عنكم جميعا »•

وبعد أن قص الشاب حلمه هذا فى استرسال وانطلاق وانفعال واستغراق صمت قليلا لم تنهد تنهدا عميقا وقال من تلقاء نفسه بشىء من التأثر الشديد : « ولا أدرى لم لا يكون الوالد هكذا »؟ « لماذا يستمر فى التجهم والجفاء وعدم المغفرة ؟ » « لماذا التعذيب المستمر ؟ » •

نرى من هذا أن الله فى الحلم رمز للاب أو الرب : رب البيت الذى يربى ، ويؤدب وان الولد يحقق فى الحلم ما كان يود أن يحققه لنفسه فى الواقع بشأن والده فهو يريد والدا متصلا بولده يعامله بالعطفوالحزموبالتوجيه والمغفرة والتشجيع، يعاقب أحيانا ويصفح احيانا أخرى •

وللحالة جوانب اخرى كثيرة منها انه كان يرى فى احلامه الاخرى عيونا محملقة كثيرة تدور حوله، وهذه تمثل محاسبة الذات ورقابة النفس على النفس او ما يمكن أن نسميه النفس اللوامة •

هنا يشجع المعالج النفسى الشاب على السرد الانسيابى المنطلق الذى ترتبط فيه تفاصيل الحلم واجزائه وعلاقاته بما يوجد عنده فى اللاشعور من رواسب الماضى وأزمات الحاضر ولنتذكر أن رواسب الماضى ليست فى العادة رواسب راكدة وانما هى رواسب حية متحركة تقع تحت ضغط الجوانب النفسية الشعورية والجوانب الرقابية •

نرى من كل هذا أثر الذكريات المؤلمة فى الحياة النفسية ونرى كيف تنفصل هذه الذكريات فتصبح لا شعورية منسية ، ونرى كيف انها تستمر تؤثر فى الحياة النفسية الشعورية • فقد نسى الولد حادث الخوف من الكلب الشرس فى مكان لا يسهل الخروج منه نسيانا تاما ، وأصبح الباقى هو خوف من الانفاق والخنادق والاماكن المغلقة بل أصبح كراهية لهذه المواقف •

ونرى كيف تساعد الاحلام فى الكشف عما يسمى « العقدة النفسية » وكيف أن وصول المريض الى الحادث الاول ومروره بنفس الخبرة الانفعالية الاولى وادراك العلاقات بين الماضى والحاضر تؤدى الى زوال الاعراض وانقشاعها •

ونرى كذلك كيف أن الكشف عن العوامل «اللاشعورية الاساسية يتم بالتدريج وببطء شديد، ويحتاج الى معاونة من المعالج النفسى ، لان هذه العوامل تميل الى أن تهربدائما من شعور صاحب الحالة •

ونرى من كل هذا وجوب تعمق المريض بمعاونة المعالج فى أغوار اللاشعور ووجوب عدم الاكتفاء بالنتائج البراقة السريعة ، ووجوب الصبر والمثابرة والمحاولة والمجاهدة •

وهنا نسأل كيف حدث الكبت ؟ وكيف حدث النسيان ؟ مما أدى الى المرض وما صاحبه من عرض ومن تعقيد • والجواب انا نربى اولادنا عادة على الشجاعة لا على الخوف فنربى الطفل على أنه شجاع لا يخاف الكلاب أو ما شابهها ، فالخوف من كلب فى نظر المجتمع يعتبر جبنـــا لا يليق • فعندما ظهر الكلب وعوى خاف الطفل وذعر ،فاصبح عندنا خوفوذعر من الكلاب وعندنا فى نفس الوقت شجاعة واتجاه نحو عدم الخوف • عندنا اذن اتجاهان متعارضان متناقضان متصارعان احدهما خوف وثانيهما شجاعة وحيث انالمتناقضات لا يعيش بعضها مع بعضها الاخـــر فطبيعى ان نستبقى الشجاعة ونظهر بها فى المجتمع امام الناس لانها هى المقبولة ، ونكبت الخوف ونستبعده، ولكن الخــوف الذى نكبته هــو الخوف الــذى لا يليق وهــو الخــوف من الــكلاب ونستبقى الخوف من مكان مغلق • وحتى هذا الخوف الذى نكبته نكبت بعضه فقط ونستبقى كراهية الاماكن المغلقة • وقد نبررها بتبريرات مختلفة لا مكان للاسهاب فيها هنا •

كذلك نرى مما تقدم كيف ان الحياة الشعورية اليومية تتأثر برواسب لا شعورية حية تأثرا خارجا عن كل العوامل المنطقية أو الارادية فالحياة النفسية أوسع واغنى واروع من هذا بكثير ، وهى حياة تستحق منا الدرس والتأمل قال تعالى فى كتابه العزيز :

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟ » •

« صدق الله العظيم »

■■

القاهرة ــ عبد العزيز القوصى

نقول : أنتم "تُسعدونى" أو "تُسعدوننى" وأنتم "تُسعدونا" أو "تُسعدوننا"

بقلم : محمد خليفة التونسى

● تنطلق اصوات الكلام (اللغوية) من اجهزتنا الصوتية بأيسر ما يستطاع من تكلف ، فاذا نشأ من تجاور بعض هذه الاصوات احيانا شىء من الثقل فى نطقها لجأنا تلقائيا الى حذف بعضها او الصمت عنه او استبداله بغيره من الاصوات المناسبة ، طلبا للخفة ، او تخلصا من الثقل كله او بعضه • وهذا يوافق قانونا لغويا هو قانون « القصد » فى النطق ، او « الجهد الادنى The Least Effort » وهو قانون يعم كل اللغات فى لهجاتها المختلفة •

وقد اشرنا فى صفحة لغوية سابقة (١) الى هذا القانون ، وضربنا له امثلة توضحه ، وتبين اثره او مظاهره فى بعض جوانب لغتنا ، ونضيف هنا بعض مظاهره فى ابواب اخرى ، لتصحيح ما يراه بعضنا خطأ وهو صواب ، ومحظورا وهو جائز •

الافعال الخمسة

ونبدأ هنا بباب الافعال الخمسة المرفوعة ، حين تجاور نونها نون اخرى فيما هو كالكلمة الواحدة •

ويعد من الافعال الخمسة كل فعل مضارع اتصلت به الف الاثنين (يكتبان ، تكتبان) ، او واو الجماعة (يكتبون ، تكتبون) ، او ياء المخاطبة (تكتبين) ، فهذه صور خمس يمكن اخذ صور مثلها من كل فعل ، سواء كان ثلاثيا او رباعيا او خماسيا ، او سداسيا •

ومعروف أن الفعل المضارع ينصب اذا سبقه حرف نصب ، ويجزم اذا سبقته اداة جزم ، ويرفع اذا لم يسبقه ناصب ولا جازم •

والافعال الخمسة تنصب كما تجزم بحذف النون فى آخرها ، وترفع بثبوت النون •

ومن امثلتها منصوبة : لن يسمعا ، لن تسمعا ، لن يسمعوا ، لن تسمعوا ، لن تسمعى •

ومن امثلتها مجزومة : لم يفهما ، لم تفهما ، لم يفهموا ، لم تفهموا ، لم تفهمى •

ومن امثلتها مرفوعة : يعرفان ، تعرفان ، يعرفون، تعرفون ، تعرفين •

وقد يتصل بهذه النون فى آخر الفعل ـ عند رفعه ـ نون اخرى ، هى كلمة ، او هى اول حرف فى كلمة •

أما مثال النون التى هى كلمة فهو ما يسميه نحاتنا « نون الوقاية » أو « نون العماد » وهى تأتى قبل ياء المتكلم ، كما فى قولنا « تسعداننى » و « تسعدوننى » « وتسعديننى » (٢) •

واما مثال النون التى هى اول حرف فى كلمة فهى النون فى (نا للمتكلمين) كما فى قولنا « تسعداننا » و « تسعدوننا » و « تسعديننا » •

الافعال الخمسة مع نون الوقاية

اذا قلنا « تسعداننى » فهذا اللفظ يتركب من « تسعدان » فنون الوقاية ، فياء المتكلم •

فهنا تتجاور نونان زائدتان، وهما مقطعان متماثلان، لا ثقل فى نطقهما معا ، ولكن نطقهما يكون اخف لو حذفنا نونا ، واكتفينا بنون واحدة ، فنقول : « تسعدانى » و « تسعدونى » و « تسعدينى » مع ان الفعل مرفوع ، وهذا جائز ، ويشهد لجوازه امثلة كثيرة من الكلام الفصيح شعرا ونثرا ، ونكتفى من ذلك بقول شاعرنا الجاهلى الاعشى فى توبيخ صاحبته :

« أبا الموت الذى لا بد أنى
ملاق ـ لا أباك ـ تخوفينى »

ولا يصح ان يقال ان هذا ونحوه من ضرورات الشعر ، لكثرة وروده فى النثر أيضا ، ونكتفى

---

(١) العربى : العدد (٢٠٧) ص (٥٦) •

(٢) نون الوقاية تأتى ايضا مع غير الافعال الخمسة، فتأتى مع الافعال الاخرى من ماضية ، مثل سمعنى، او مضارعة ، مثل : يسمعنى ، وللامر ، مثل « اسمعنى » وتأتى مع ان واخواتها ، مثل : « اننى مستعد » وهكذا •

هنا كذلك بشاهد واحد هو اصح الشواهد واشدها حسما ، قوله تعالى : « قل : افغير الله تامرونى اعبد ، ايها الجاهلون » فلفظ « تامرونى » كتب فى المصحف بنون واحدة ، ومع ذلك قراها بعض قرائنا الاثبات بنونين مفكوكتين « تامروننى » وقراها غيره ـ على وفق الرسم ـ نونا واحدة مخففة « تامرونى » (٣) وقراها اكثرهم « تامرونّى » نونا مشدودة (نونين ادغمتا معا) •

وقد اصاب الامام النحوى ابن هشام فى كلامه على نون الوقاية ـ من كتابه « مغنى اللبيب » ـ اذ قال « ونحو تامروننى » يجوز فيه الفك ، والادغام ، والنطق بنون واحدة ، وقد قرىء بهن فى السبعة » ، واذن ففى كل فعل مرفوع من الافعال الخمسة اتصلت به نون الوقاية يجوز لنا ان ننطقه على اى وجه من هذه الوجوه الثلاثة •

نون الافعال الخمسة مع « نا » المتكلمين

وقريب من ذلك ما يجرى فى الافعال الخمسة المرفوعة حين تتصل بها « نا » المتكلمين ، اذ يجوز فيها وجهان : اثبات النونين على حسب الاصل ، فنقول « تسعدوننا » او الاكتفاء بنون واحدة مخففة فنقول « تسعدونا » •

ونكتفى بمثل من النثر الفصيح ، من عصر النبى عليه السلام ، رواه الطبرى فى تفسيره ، خلال حوار بين يهوديين احدهما من بنى قريظة والآخر من بنى النضير ، وكانت بنو النضير تتعالى فى الجاهلية على بنى قريظة ، فاذا نضيرى قتل قرظيا دفع ديته ، ولكن اذا قتل قرظى نضيريا قتيل به ، فحدث بعد اسلام القبيلتين ان نضيريا قتل قرظيا ، فطلبت قريظة القصاص من القاتل ، ولكن النضير أبت ذلك ، ورضيت دفع الدية ابقاء على امتيازها فى الجاهلية ، وقال احدهم ، كنا نعطيهم ستين وسقا ،ونقتل منهم ولا يقتلونا » فقالت قريظة » ولكنا اخوانكم فى النسب والدين ، ودماؤنا مثل دمائكم ، ولكنكم كنتم تغلبوننا فى الجاهلية ، فقد جاء الله بالاسلام » اى ان الاسلام يسوى بين الناس فى الدماء ، فلا فضل فيه لنفس على نفس •

والشاهد هنا فى عبارة النضيرى قوله « ولا يقتلونا » بدلا من « يقتلوننا » •

والسند اللغوى (الصوتى) هنا هو تجاور مقطعين متماثلين (زائدين) ووضوح المعنى فى الذهن مع بقاء احدهما فحسب ، تحقيقا لخفة النطق او لمزيد منها ، وهذه الظاهرة شائعة فى لغتنا الفصيحة وفى لغات اخرى ، وقد مضى بنا شاهد لها فى الفترة السابقة (نون الافعال الخمسة مع نون الوقاية) •

ومما سبق نفهم صواب ما يجرى فى لهجاتنا الدارجة حين تستعمل الافعال الخمسة المرفوعة مع نون الوقاية ، فنقول « تخبرونى » و « تخبرينى » او نستعملها مع « نا » فنقول : « تخبرونا » و « تخبرينا » •

نون الافعال الخمسة مع نون التوكيد الثقيلة

وتتصل احيانا بالافعال الخمسة المرفوعة نون التوكيد الثقيلة (وهى نونان مدغمتان ، اولاهما ساكنة والثانية متحركة) ، وحينئذ تحذف نون الافعال الخمسة ضرورة ، بل يحذف معها ايضا حرف المد (اذا كان واو الجماعة ، او ياء المخاطبة) تخلصا من ثقل التقاء ساكنين (هما حرف المد ، والنون الاولى من نون التوكيد الثقيلة) •

نقول « تكتبُونَ » فاذا وصلنا بهذا الفعل نون التوكيد الثقيلة فاننا لا نقول : « لتكتبونَنّ » بل نقول « لتكتبُنّ » وضمة الباء دليل على الواو المحذوفة •

ونقول ايضا « تكتبين » فاذا وصلنا به نون التوكيد الثقيلة لم نقل : « لتكتبيننّ » بل نقول « لتكتبِن » وكسرة الباء دليل الياء المحذوفة •

ونقول « تكتبانِ » فاذا لحقتها نون التوكيد الثقيلة لم نقل « لتكتباننّ »بل نقول « لتكتبانّ » ولا يجوز هنا حذف الالف ـ تخلصا من التقاء الساكنين ـ حتى لا يشتبه هذا الفعل المسند الى اثنين ، بالفعل المسند الى واحد «لتكتبَنّ يا سعد» ولسبب اخر هو شيوع اجتماع الف المد مع ساكن بعدها مدغم فى مثله فى عشرات من الكلمات ،كما فى قولنا « خاص » و « خاصّة » •

محمد خليفة التونسى

(٣) لايعنينا هنا اى النونين حذفت ، نون الفعل التى هى علامة الرفع ، او نون الوقاية ، وان كان بين النحاة خلاف فى ذلك ، وحسبنا ان احدى النونين تحذف فى نطق العرب الاثبات •



الآنسة الصغيرة

بقلم : سعد حامد

المشرب هادىء كعادته كل ليلة ، والحديقة الجاثمة فى وسط الميدان التى تحيط بها دائرة من المصابيح القوية المتألقة خالية من الناس ، والاضواء المتوهجة فى الليل تتلاشى شيئا فشيئا فى الصحراء الممتدة على مدى البصر ..

وجلس الى جانب الواجهة الزجاجية بعض رواد المشرب .. بعضهم يتحدث فى خفوت ، وبعضهم يرسل نظراته الى الميدان وهو مستغرق فى افكاره وتأملاته ، وبعضهم يشرب الخمر فى صمت وكآبة .. وانا جالس فى ركن منعزل اقرأ تارة فى كتاب ، واشرد تارة مع افكارى .. من بضعة اعوام وانا اتردد على هذا المشرب القريب من بيتى فى « مصر الجديدة » ، فأجلس الى مائدة تشرف على الطريق أطالع كتابا او اتأمل العابرين أو استغرق فى افكاره فاذا تقدم الليل عدت على مهل الى البيت ..

وكان السيد « عباس » وهو من رواد المشرب الدائمين يجلس الى مائدة قريبة ،وهو رجل وسيم فى الاربعين من العمر تفصح نظرات عينيه المتوقدتين عن ذكاء وارهاف حس . كان يأتى الى المشرب كل مساء ثم يجلس منفردا ويطلب خمرا ، ويحتسى كؤوسه فى صمت ، وكان يحيينى كلما رآنى ..

بدا انه اسرف هذا المساء فى احتساء الخمر ، لقد وقع عليه بصرى عفوا وهو يجرع الكاس جرعة واحدة ثم يلحقها بالاخرى ، وبدا ان الخمر اخرجت الرجل من صمته ، فقد رأيته يتطلع نحوى ويبتسم لى ثم قام من مكانه واتجه نحوى وبيده كاسه وقال لى :

هل تسمح لى ان اجلس معك قليلا ؟

فأغلقت الكتاب المفتوح امامى ، وقلت له باسما : يسرنى ذلك ..

جلس السيد عباس امامى .. وقد بدا كنموذج مجسم للضياع ، وقال وهو يتطلع الى وجهى مليا :

ـ اعذرنى ياسيدى اذا رأيتنى ادمن على الخمر فأنا اشرب بحثا عن النسيان ، وكثيرا ما يخيل الى اننى احلم ، وان حياتى حلم طويل .. لكن الحقيقه اننى عشت اياما من عمرى فى حلم سعيد ثم افقت على الحقيقة المؤلمة .. اننى لم احاول من قبل ان اتحدث الى احد عن نفسى ، فالناس يظنوننى سكيرا تافها فلا يعبأون بى .. وسكت الرجل لحظة ، واشعل لفافة ثم استطرد يقول :

ـ دعنى يا سيدى اتحدث اليك عن نفسى ، فأنا اريد ان اتكلم .. اريد ان انفس عن صدرى .. مهنتى ياسيدى سائق ، وانا رجل عزب وحيد ، ولا تظننى جاهلا فقد تعلمت حتى المرحلة الثانوية . كان ابى عاملا لكنه كان رجلا طموحا ، وكان مستعدا ان ينفق على حتى يدخلنى الجامعة لكننى فشلت فى دراستى ، فتركت المدرسة غير آسف ، وتعلمت قيادة السيارات ثم اشتغلت سائقا .

وكنت اقرأ الصحف والمجلات والكتب ، وانا جالس فى مقعدى بالسيارة عندما يكون مخدومى فى عمله او فى مكان ما وانا فى انتظاره ، وهكذا اصبحت على قدر من الثقافة .

كنت اعمل ـ عندما وقع اهم حدث فى حياتى الهادئة ـ لدى احد الاثرياء ويدعى كامل بك ، وكان ارملا ماتت زوجته ، وتركت له ابنه فى الخامسة عشرة من عمرها تدعى سميرة . وكان



رجلا طيبا كريم الخلق .

كانت الحياة فى القصر هى الجنة بعينها .. الثراء والاثاث الفخم والمعاملة الطيبة .. وكانت الآنسة سميرة تشيع بحيويتها الرائعة وضحكتها العذبة فى ردهات القصر الصامتة سعادة متدفقة صافية كمياه النبع .

كانت الشمس تشرق كل صباح فتعكس على حديقة القصر الواسعة المزدهرة ضوءها الذهبى الوهاج .. وفى ايام الشتاء عندما يتوارى قرصها خلف ركام السحب كانت ابتسامات الآنسة سميرة ووميض أسنانها الناصعة يضىء جنبات القصر والأشجار .. كان القصر يبدو حينئذ كانهقطعة من الجنة .. لكن كان هناك شىء اروع من كل هذا .. شىء لايوزن بالمال .. شىء أبدع من خيوط الشمس فى صباح الشتاء ، وأجمل من ضوء القمر فى ليل الربيع .. شىء اعذب وانقى واطهر من كل ذلك .. ذلك هو جمال الآنسة سميرة ..

وكانت الآنسة سميرة فتاة ذات كبرياء ، وعلى شىء من العناد ، وكانت تنتقل فى غرف القصر برأس مرفوع وتلقى الاوامر على الخدم فى صوت آمر عذب .. وكنت استعذب اوامرها، واجد فى طاعتها سعادة لا تعدلها سعادة .. كانت تقول لى فى صوت آمر : « يا عم عباس اذهب الى المكتبة واحضر لى رواية كذا .. يا عم عباس اسرع لتوصلنى الى السينما . تعال هنا يا عم عباس . اذهب الى بائع الزهور يا عم عباس وعد سريعا . ساغمض عينى وافتحها فاجدك هنا .. تحرك يا عم عباس .. انت كسلان جدا يا عم عباس » ..

وكان كلامها عندى أحلى من الشهد ..

وكنت أوصلها بالسيارة الى السينما والى صديقاتها والى « المزين » والى المتاجر الكبيرة لتشترى ما تريده من الثياب والحلى . وكانت تتحدث معى كثيرا وانا جالس أمام عجلة القيادة وهى جالسة فى مكانها فى الخلف . وترن ضحكاتها العذبة فى السيارة فيدق قلبى من فرط السعادة.. كانت تعاملنى كصديق .. وعندما أمرض تهبط من القصر لتتجه الى حجرتى ـ فقد كنت أسكن فى حجرة ملحقة بحظيرة السيارات ـ لتسأل عنى وتستدعى الطبيب ليكشف على . وترسل خادما ليحضر لى الدواء . وتشرف بنفسها على راحتى..

ومرت بضعة أعوام ، وتخيل يا سيدى تلك الفتاة الرائعة التى كنت أتبعها كظلها . وتخيل تلك السعادة التى كنت أعيش فيها . والتى كانت تفيضها على .. فاننى لا أستطيع أن أصور لك

حياتي في تلك الايام السعيدة التي كانت اشبه بالحلم ٠

وكبرت الآنسة سميرة ٠٠ وتالقت انوثتها ، واصبح جمالها سحرا يخطف الابصار ٠٠ وتقدم لها الخاطبون لكنها رفضتهم جميعا ٠٠ في كبرياء وعناد ٠٠ وكانت تقول لابيها امامي وهي تضحك مازحة : « لست ارغب في الزواج يا ابي من هؤلاء الذين يطمعون في مالي ٠٠ واذا كان لا بد من الزواج فلاتزوج عم عباس » ٠٠

فيضحك أبوها ، واشاركهما الضحك ، وانا مطرق في خجل ٠

كنت اتصورها دائما كنموذج خالد للجمال والطهر والنقاء ٠٠ واصارحك بالحقيقة يا سيدي انني احببتها في صمت ٠٠ حب العبادة ٠٠ كاولئك الذين كانوا يعبدون الشمس قديما ، وينظرون الى قرصها الوهاج بعيون والهة على حين تفصل بينها وبينهم أبعاد شاسعة ٠٠

ولاذ السيد عباس بالصمت ورفع كاسه الى شفتيه ورشف جرعة ، واخذت اضواء حمراء في اعلان « نيون » قريب تتراقص على صفحة وجهه ثم اردف يقول :

وذات يوم قرر كامل بك الزواج ، وبدت الآنسة سميرة صامتة حزينة ، ولا ريب انها تذكرت امها الراحلة ، والمها أن تحل محلها امراة أخرى ، وقد تستاثر بابيها ٠

ثم تزوج « البك » وجاء بزوجته الى القصر ، وهي سيدة في الخامسة والثلاثين من العمر ، وانطوت الآنسة سميرة على نفسها ، ولم تعد تغادر حجرتها الا نادرا ، وكنت اراها دائما مستغرقة في القراءة كانما تدفن احزانها بين صفحات الكتب. فكان قلبي يذوب حنانا عليها ٠٠

واصبحت زوجة « البك » السيدة الاولى في القصر ، فهي التي ترافق « البك » في خروجه ودخوله ، وهي التي تلقي الاوامر للخدم ، وبدت غير راضية عن شيء في القصر ، فالاثاث غير معتنى به ، والطباخ يجب أن يستبدل به غيره ، واخذت توجه الى الآنسة سميرة كلمات جافة ، وتنتقد بعض تصرفاتها ٠

وضاقت سيدتي الصغيرة بهذه المراة الدخيلة وتبرمت بها ، وقالت لي يوما وهي في أشد حالات الضيق والحزن : « أنا لم أعد أحتمل هذه المراة٠٠ زوجة أبي » ٠٠

واصبح حديثها يقطر مرارة،وانطفات ابتساماتها الحلوة ، وذبل جمالها ، وزادت قربا مني ، فكانت تتحدث الي كثيرا ، وتبوح لي بالامها وتذكر امها الراحلة وتدمع عيناها فتدمع عيناي أيضا ٠٠

ويوما قالت لي وعلى وجهها مسحة من الحزن :

احضر السيارة حالا يا عم عباس ٠ فانا اريد ان أذهب الى مكان ما ٠٠ وجئت بالسيارة ، وخرجنا معا ٠٠ قالت لي والسيارة تبتعد عن القصر :

اذهب بنا الى مشرب هادىء فانا اريد ان اتحدث اليك حديثا خاصا ٠٠

وفوجئت بقولها لكنني استجبت لرغبتها في صمت،وعندما اوصلتها الى احد المشارب قالت لي: تعال معي ٠٠

وفي ركن هادىء جلسنا وجها لوجه ٠٠

انني اذكر الحديث الذي دار بيننا يومها ٠٠ اذكره تماما ٠٠ ولن انساه مدى حياتي ٠٠

قالت في صوت ثابت قوي :

انا لم أعد أطيق الحياة في القصر ٠٠ مع زوجة أبي ٠٠ وساهجره الى غير رجعة ٠٠ نظرت اليها في دهشة ، ولم أدر ماذا اقول لها ، واردفت هي قائلة :

لم أعد أحتمل الحياة معها ٠ لا بد من ان اغادره ٠٠ والا فسانتحر ٠٠

روعني تفكيرها ، وشعرت بيد تضغط على قلبي ، وقلت لها في اضطراب : ولكن الى اين تذهبين يا سيدتي ؟

بدت في عينيها نظرة تنطق بالحنان ، وعكست تلك النظرة على وجهها اشراقا جميلا ، والتمعت عيناها ببريق خاطف ، وقالت لي وكانها تخاطب نفسها : ساذهب معك ٠٠

ارتجفت ٠٠ ودق قلبي عاليا ٠٠ وقلت في صعوبة وعسر : تذهبين معي الى أين يا سيدتي ؟

فقالت في صوت حاسم لا اثر فيه لضعف او تردد : الى حيث تريد ٠ انني بلغت سن الرشد٠٠ ولي ميراث من امي ٠٠ سنغادر القصر ونذهب بعيدا ونتزوج ٠٠

بهت ٠٠ ونظرت اليها كالماخوذ ٠٠ او كالابله٠٠ فنظرت الى حيرتي بعينين ضاحكتين ، وتالق ثغرها بابتسامة عذبة اروع من بريق الماس ، وقالت كالحالمة :

صدقني .. انا احبك ..

لم اصدق سمعي ، وخيل الى انني احلم .. كانت الآنسة سميرة لؤلؤة لا تقدر بثمن ، وجوهرة نادرة لا مثيل لها .. هل كنت اقوى على النطق بكلمة ؟ كلا مطلقا .. اصبت بالخرس وجف لساني في حلقي .. هل كنت استطيع ان اقول لها لا ؟ كلا ايضا .. كنت افضل ان اقتل نفسي ساعتها من ان ارفض عرضها .. سيدتي هذه الصغيرة التي كان قلبي يعبدها في صمت ، وكان يصرخ في صدري مطالبا بحقه في الحياة .. فلم املك الا ان نكست رأسي ولذت بالصمت ..

وقالت في صوت متزن هادىء : وستكون زوجي امام الله والناس . انا حرة افعل ما اشاء ، ولا يهمني سوى سعادتي .. انت رجل طيب نبيل ، وانا اعرف انك تحبني ولن تدخر وسعا في سبيل اسعادي ..

وبعدهذه المصارحة احسست بان المسافة الشاسعة التي كانت تفصل بيننا قد تلاشت ، وان الحاجز الذي بيننا قد رفع ، وبدت العاطفة التي تربط بيننا واضحة وضوح الشمس ..

ونسينا انفسنا .. وفي نشوة اتفقنا على ان نغادر القصر في اليوم التالي ، ونذهب لنعقد قراننا ، ونعيش معا بقية العمر ..

ثم عدنا الى القصر .. والدنيا لا تسعني من فرط سعادتي ..

واقبل المساء ، وأويت الى حجرتي ، وخلوت الى نفسي، واخذت افكر فيما دار بيننا من حديث..

احسست بالحاجز الذي يفصل بيننا احساسا قويا ، فهي شابة جميلة وثرية ومتعلمة ، ومن اسرة رفيعة الشان وابنة رجل ثري ، وانا اكبرها بسنوات كثيرة ، وفقير ومن اسرة متواضعة .. فالجدار الذي يفصل بيننا عال وسميك جدا .. وهذا التفكير منها يعد نزق شباب .. اما مني وانا رجل عاقل متزن فماذا يسمى هذا التصرف مني ؟ يعد خيانة كبيرة للرجل الطيب الذي وضع ثقته في ، ويعد جناية عليها ايضا فلا يصح لفتاة عريقة المحتد مثلها أن تهرب مع سائق سيارتها..

وظللت مسهدا طيلة الليل تعصف بي الافكار ثم استقر رايي اخيرا على ان اغادر القصر لا مع الآنسة سميرة ، بل وحدي .. فهذا التصرف السليم ، وفي هذا التصرف سعادتها ، وبدا لي ان هذا التصرف مني اعظم دليل على حبي لها، ففي ابقائي على شرفها وسمعتها خير برهان على هذا الحب ..

وفي الصباح المبكر جمعت حوائجي وتسللت من القصر .

وافرغ السيد عباس في جوفه بقية كاسه واردف : وعشت وحيدا .. حزينا .. فانا اعمل في النهار سائق « تاكسي » حتى اذا انتهيت من عملي جئت الى هذا المشرب ، ورحت انسى نفسي ووجودي في الشراب ..

وسكت الرجل .. وساد الصمت .. وما زالت اضواء « النيون » الحمر ترسم على وجهه ظلالا غامضة .. وقلت له : الم تسمع عنها شيئا بعد ذلك ؟

فقال في صوت خفيض يبدو فيه التعب :

سمعت بعد شهور من مغادرتي القصر انها تزوجت .. وانها غير سعيدة في حياتها .. وهكذا الحياة دائما يا سيدي ..

واطرق الرجل برأسه ، واستغرق من جديد في صمته الحزين ، فاستأذنت منه ، وغادرت المشرب..

ومرت الايام .. وشغلتني مشاغل الحياة ، ونسيت السيد عباس وقصته ، فانه لم يعد يتردد على المشرب .. حتى كان ذات مساء في الاسبوع الماضي ، وبينما انا اودع صديقا لي في محطة القاهرة التقيت بالسيد عباس على رصيف المحطة، وبيده حقيبة ، وتقدم يصافحني في اشتياق ، وسألته في فضول : الى اين يا سيد عباس ؟

كان يبدو مشرق الوجه .. باسما .. كله حيوية ونشاط .. واجابني في حرارة :

انا مسافر الى السويس . لقد التحقت باحدى الشركات الكبرى التي ستقوم بتعمير مدن القناة الثلاث . ساعمل سائقا لعربة لوري ضخمة تحمل الحديد والخشب ومواد البناء الى تلك المدن . نحن الآن نبني المستقبل ، ومن يتردد فهو خائن لنفسه ولوطنه . لقد رأيت الكل يعمل ويبني فانضممت الى الركب وتركت الخمر .. تركتها الى غير عودة ..

وقررت أن أساهم في بناء صرح هذا الوطن ..

وخفق قلبي وانا استمع اليه .. وشددت على يده بقوة ..

وانطلق به القطار تاركا على افريز المحطة احزان ماضيه ..

■■

القاهرة ـ سعد حامد

أنباء الطب والعلم والاختراع

التدخين :
هل يسبب الاصابة بالجلطة وسرطان الرئة ؟

● يؤكد الكثيرون من العلماء ان التدخين يسبب سرطان الرئة والجلطة ٠الا انهم لم يتمكنوا حتى الآن من اثبات تلك العلاقة السببية اثباتا علميا قاطعا ٠ هذا فيما يتصل بسرطان الرئة ٠٠ اما الجلطة او « التجلط التيجاني » بالذات ، فالامر فيه مختلف ٠

ذلك ان فريقا من الاطباء العلماء في بلاد السويد قاموا في المدة الاخيرة بتجارب تثبت ان مدخني السجائر اكثر تعرضا للاصابة بالتجلط التيجاني٠

وقد اجريت تلك التجارب على ٥٦٤ رجلا غادروا مستشفى الجامعة في جوتنبرغ بعد معالجتهم من ذلك التجلط ٠٠ واكثر هؤلاء (٨٩٪) كانوا من مدخني السجائر حين دخولهم المستشفى ٠ الا ان ٥٣٪ من هؤلاء اقلعوا عن التدخين في غضون ثلاثة شهور من اصابتهم بالنوبة ٠٠ النوبة التي حملتهم على دخول المستشفى ٠ وتوفي ٣٪ من اولئك الرجال وانقطعت صلة الاطباء عن ٤٪ منهم ٠٠ بحيث بلغت نسبة الذين بقوا على عادة التدخين ٤٠٪ من المجموع ٠

وقد وضع هؤلاء واولئك موضع الفحص والرقابة المتواصلين طيلة سنتين، وكانت النتائج كمايلي :

الاصابة بالنوبات غير القاتلة

المقلعون عن التدخين (٢٠) مصابا اى ١٠٪
المستمرون على التدخين (٣١) مصابا اى ١٨٪

الاصابة بالنوبات القاتلة

(١١) مصابا اى ٥٪
(١٧) مصابا اى ١٠٪

عقاقير الاسهال بعضها خطير !

● اقيمت الدعوى في اليابان على مصانع الادوية السويسرية الشهيرة (سيبا ـ جيجي) (Ciba Geigy) بحجة ان عقارها الشهير ، الانتروفيوفورم ـ Entero - Vioform ،وهو عقار الاسهال المعروف ، قد تسبب بآفات في البصر وبالشلل الجزئي لجموع كبيرة من أهل اليابان ، لايقل عددها عن ١٥٠٠٠ نسمة٠

وتجدر الاشارة هنا الى ان المنظمة الدولية لاتحادات المستهلكين اصدرت في الصيف الماضي تقريرا وافيا حول عقاقير الاسهال والاضرار البالغة ، بل الامراض

السيارة الكهربائية

● هذه هي صورة السيارة الكهربائية التي طورتها مصانع لوكاس البريطانية لتباع في الاسواق في وقت قريب ، ولتكون سيارة المستقبل عن جدارة واستحقاق ٠ ذلك ان المواصفات التي راحت تشترطها اكثر الحكومات في السيارات خلال هذه الايام متوفرة كلها أو اكثرها في هذه السيارة الكهربائية ٠

وتبلغ سرعة هذه السيارة القصوى نحو ٩٠ كيلومترا ٠ اما المسافة التي تستطيع قطعها دون الحاجة الى تجديد شحن بطارياتها فتزيد على ١٦٠ كيلومترا ٠ولا يخفى ان هذه المسافة كانت العقبة الكأداء

التى تترتب على استعمالها • وذكر التقرير من هذه الامراض مايلى :

- بعض الامراض التى تصيب الكلى
- بعض الامراض التى تصيب الكبد
- ضعف البصر
- بعض الآفات الجلدية

على ان التعرض لهذه الامراض لايكون الا بعدتعاطى عقاقير الاسهال لمدة طويلة • فالتقرير يجيز استعمال تلك العقاقير باعتدال لمدة ثلاثة ايام •• اما الاسراف والاطالة فى أخذها فقد يتسبب بأحد الامراض التى عددناها ، وقد يؤدى فى النهاية الى الموت ، كما ينوه التقرير •

وليس عقار الانتروفيوفورم هو العقار الوحيد المقصود فى التقرير •• انه واحد من عدة عقارات قوامها كليوكينول Clioquinol • فهذه هى المادة الفعالة فى الانتروفيوفورم وأمثاله من عقاقير الاسهال • فالى جانب ضرر هذه المادة فانها لا توقف الاسهال كما أثبتت التجارب طوال الاربعين سنة الماضية وكما اكدت ذلك تقارير وزارة الغذاء والدواء فى الولايات المتحدة الامريكية ••

العالم •••
هل هو مجنون حقا ؟ !

● فى سنة ١٩٧٤ بلغ مجموع نفقات التسلح فى العالم ، (٣ر٢١٠) الف مليون دولار • وكانت الولايات المتحدة الامريكية هى الاولى فى هذا الصدد ، يليها الاتحاد السوفياتى فبريطانيا ، ففرنسا ، فدول اخرى متقدمة ، فدول العالم الثالث مجتمعة •• وحصص هذه الدول من المجموع الذى ذكرنا - كالتالى :

الولايات المتحدة	٥ر٣١٪
الاتحاد السوفياتى	٢٩٪
بريطانيا	٢ر٣٪
فرنسا	٨ر٢٪
دول متقدمة اخرى	١ر١٦٪
دول العالم الثالث	١٧٪

ومجموع نفقات التسلح الذى ذكرنا وهو ٣ر٢١٠ الف مليون دولار ، يعادل الدخل القومى السنوى للدول النامية جميعا •• وهو يبلغ ٢٠ ضعفا من المساعدات التى تحصل عليها كافة الدول النامية من الدول المتقدمة •

فى طريقها الى الاسواق

فى طريق السيارات الكهربائية ، كما أشرنا الى ذلك فى هذا الباب (العدد ٢٠٤) •

ويقال ان ثمن هذه السيارة الانجليزية سيزيد على ثمن نظيرتها من سيارات الديزل بنحو ٧٠٪ •• ومعنى هذا انها ستكون غالية الثمن (حوالى ٥٠٠٠ جنيه استرلينى فى بريطانيا) • الا ان تكاليفها اليومية ونفقات صيانتها ضئيلة ، وقد يشفع ذلك لارتفاع ثمن السيارة •

والاهم من ذلك كله ، هو ان السيارة الكهربائية تعمل بلا دخان •• فهى اذن لا تسبب اى تلوث للجو على الاطلاق •





الصلع ٠٠ طريقة حديثة للقضاء عليه

● منذ سنوات والطريقة التى كانوا يعالجون بها الصلع هى طريقة زرع الشعر فى جلد الرأس. ولا يخفى انها طريقة شاقة ومضنية للطبيب ، ثم انها مؤلمة وباهظة التكاليف للمريض ٠٠ وقد عمد الجراح او طبيب التجميل فيها الى زرع الرأس بالشعر ٠٠ شعرة شعرة ٠٠ اضف الى ذلك ان تلك العملية غالبا ما تستغرق مدة طويلة لاجرائها (٥ — ٦ سنوات احيانا ٠٠)

وجاء المؤتمر الدولى السادس لجراحة التجميل الذى عقد فى باريس فى شهر اغسطس الماضى ٠٠ واذا بفريق من الاخصائيين يفاجئون المؤتمر بطريقة اخرى حديثة للقضاء على الصلع ٠٠

وقوام هذه الطريقة الكشط لا الزرع ٠ اذ يكشط الجراح شريطا من جلد الرأس المكسو بالشعر ، من جوانب الرأس السفلى ، وهى غالبا فى منأى عن الصلع ، على الا ينتزع ذلك الشريط تماما ، بل يبقيه عالقا من احد طرفيه ويدير الطبيب ذلك الشريط من طرفه الآخر الى اعلى الرأس ، حيث يغطى جانبا من الصلع ، ثم يلصقه فى المكان المناسب ٠٠ ويكرر الجراح ما فعل فى المرة الاولى فيكشط شريطا ثانيا وثالثا ٠٠ حتى تغطى تلك الاشرطة المكسوة بالشعر اعلى الرأس الاصلع ، او تكاد تغطيه (انظر الرسم) ٠ ولا تلبث ان تصبح تلك الاشرطة جزءا لا يتجزأ من اعلى الرأس ٠ اما الامكنة التى انتزعت منها تلك الاشرطة فما اسرع ما ينبت الشعر فيها ثانية ، كان شيئا لم يكن ٠٠ ذلك ان الكشط فى هذه العملية كشط سطحى ٠

وتجدر الاشارة الى ان الاطباء الذين طوروا هذه العملية كانوا من الارجنتين،وانهم لم يتقدموا بها الى مؤتمر باريس الا بعد احراز النجاح فى حوالى ٥٠٠ عملية اجروها على سبيل التجربة ٠

وتجدر الاشارة ايضا الى ان الكثيرين من اطباء التجميل الاوروبيين الذين اشتهروا بمعالجة الصلع بطريقة الزرع ، تخلوا عن تلك الطريقة القديمة ، وتبنوا الطريقة الحديثة بحماس ، ونذكر من هؤلاء احد الاخصائيين البريطانيين المعروفين ، فيليب ليبون Phillip Lebon ومقره فى شارع هارلى فى لندن ٠

جنس الجنين يستطيع تحديده اهل الصين

● اشتهر اهل الصين بمكتشفاتهم ومخترعاتهم وصناعاتهم فى التاريخ القديم ٠٠ وجاء القرن العشرون واذا بهم يفاجئون الشعوب الاخرى بنجاحهم فى تطوير الاسلحة الذرية ، معتمدين فى ذلك على انفسهم ، بمعزل عن كل مساعدة من علماء الالمان وغير الالمان ٠

ولعل اطرف ما يذكر عن اهل الصين هو قدرتهم على معرفة جنس الجنين ، وهو فى بطن امه ٠٠ فهم يستطيعون تحديد ما اذا كان الجنين ذكرا او انثى فى وقت مبكر ، فى الاسبوع الثامن او حتى السابع من بداية الحمل ٠ وهم يعمدون فى سبيل ذلك الى سحب عينة من خلايا الغشاء الذى يغلف الجنين داخل الرحم ، ويتم السحب بانبوب دقيق يدخلونه الى الرحم عبر عنق الرحم.

وقد اجريت هذه العملية ، بقصد التجربة على ١٠٠ حالة حمل ٠ وتنبأوا بواسطتها ان الاجنة كانت ذكورا فى ٥٣ من تلك الحالات ، واناثا فى ٤٦ منها ٠ نقول ٤٦ لا ٤٧ نظرا لان احدى تلك الحالات انتهت بالاسقاط ٠

وعند الولادة بلغ عدد الذكور بين اولئك المواليد ٥٠ وعدد الاناث ٤٣ اى ان نسبة الخطأ فى هذه الطريقة الصينية لم تجاوز ٦٪ ٠

وجدير بالذكر ان اهل الصين حريصون على تحديد جنس الجنين فى وقت مبكر لا لسبب الا لانهم يحرصون اشد الحرص على تحديد النسل ٠ فالاجهاض مسموح باجرائه فى الصين فى الحالات التى يكون جنس الجنين فيها مخالفا لرغبات الوالدين وهو مسموح به ايضا ، بل يشجع عليه، فى الحالات التى يكون لابوى الجنين فيها ابنان ٠ ■■



حافظ ابراهيم

مقهى الكتبخانة

وما كان بين حافظ ابراهيم والشيخ الشربتلى

بقلم : انور الجندى

■ كان لوجود دار الكتب فى موقعها الحالى فى قلب وميدان باب الخلق اثر كبير فى تاريخ هذا المقهى الذى يواجه الدار مباشرة ،وكان يطلق على هذه الدار فى اوائل القرن اسم (الكتبخانة) ولذلك اطلق على هذا المقهى اسم (قهوة الكتبخانة) فكانها كانت مجمعا ادبيا متفرعا من رجال الدار وروادها على السواء ٠

وكان رجال دار الكتب يتسللون اليها خلال النهار ويلمون بها الماما خفيفا حيث يتناول بعضهم القهوة او الشاى او النارجيلة ٠

وكان حافظ ابراهيم هو ابرز رواد هذا المقهى حيث كان يقيم فيه اغلب فترات النهار وقبل ان يركب قطار حلوان عائدا الى منزله فى المساء ومن حول حافظ ابراهيم كانت تتحلق طائفة من محبيه، واصدقائه وزملائه فى الدار : من امثال الشيخ احمد الزين واحمد رامى ومحمد عبد الجواد الاصمعى ٠

وكان حافظ من هواة النارجيلة ، التى كان يعدها صاحب المقهى بنفسه ويزودها بين آن وآخر بالجمرات الملتهبة ، بينما يكون حافظ غارقا فى فكاهاته واحاديثه ، وخاصة اذا كانت له قصيدة جديدة يرغب فى ان يستمع الى وقعها واثرها فى اصدقائه قبل ان يذهب الى القائها فى المساء ٠ وهو سرعان ما يغير ويبدل ، باحثا عن الجرس القوى ، والعبارة المثيرة ٠ ولطالما قدم الى هذا المقهى كثير من اصدقائه امثال : عبد العزيز البشرى وحفنى ناصف والبابلى وغيرهم ٠ وقد ظل حافظ ابراهيم يتخذ من قهوة الكتبخانة محلا مختارا له حتى اخرج الى المعاش عام ١٩٣١ ومما يذكر ان حافظ ابراهيم عاد ذات ليلة الى منزله فى حلوان بعد ان امضى سهرة طويلة فى القاهرة فوجد اثاث منزله منثورا فاسرع فابلغ الامر الى شرطة حلوان وصدرت الصحف فى اليوم التالى وفيها اشارة الى انه ابلغ عن سرقة مصوغات من منزله وكان هذا الحادث موضع تندر وفكاهة اصحابه ومعارفه ٠

ولم يلبث الشيخ عبد العزيز البشرى ان وجه اليه خطابا مفتوحا نشرته جريدة الاهرام جاء فيه

جواهر حافظ

عزيزى حافظ

راعنى ما وقع الى فى بعض الصحف ان سراق

الليل قد دبوا الى دارك ، راعني هذا وشغلني ، ووالله ما ادري أأرثي لك ام ارثي لهم ٠

ولقد زعموا انه سرق من دارك مصوغات وحلي، ولست اعلم ان كان هذا من مبالغات الجرائد ، ان مجرد اقتحام اللصوص لدارك اجرى على قلم البوليس بحكم العادة (وسرقوا بعض المتاع والحلي) كما يجري دائما بكلمة (بالقضاء والقدر) في حوادث الترام ،من دهس واتلاف وتهشيم واصطدام، ام ان اللصوص انفسهم هم الذين اطلقوا هذه (الاشاعة) عزاء لما لحقهم من طول المشقة والعناء، وسترا لما تقدم لهم من سوء الرأي وما نالهم من خيبة الرجاء ٠

فان كانوا ولابد قد سرقوا (صيغة) فلعلها (صيغة منتهى الجموع) وهي ـ كما علمت ـ لا تروي من ظما ، ولا تسمن من جوع ٠

اشفقت يا حافظ من خجلك امام لصوصك ،ولو قد اذنك هؤلاء المغفلون بنيتهم على هذه الزيارة لكان لك فسحة في التدبير واعداد (ما تيسر) حتى لا يخرجوا من بيتك (العامر) ناكسي الرءوس مكسوري الخواطر ٠

زعموا ان لصا سقط في بعض الليالي الى دار رجل اديب مثلك فرأى صاحب الدار واقفا ووجهه لاصق بالحائط ففتش ما شاء ولما لم يصب شيئا انطلق الى غرفة اخرى فرأى صاحب الدار قد سبقه اليها ووقف ووجهه الى الحائط ، ولم يجد شيئا كذلك ، فعبر الى غيرها حتى اذا نفض يده من تنقيب الدار كلها وهم بالخروج (كما دخل) اقبل على صاحبه ، وقال له :

ـ عزمت عليك الا اخبرتني ، لماذا اراك كلما هبطت الى غرفة سبقتني اليها وجعلت وجهك الى الجدار ٠

فقال له : والله خجلا منك يا أخي ٠

ولعل لك يا صديقي في هذه الحادثة الاليمة درسا يمنعك على ان تعد في دارك العامرة ـ ولو للصوص ـ عدة، فكان لك اذا هبطوا اليها ما يبيض الوجه ويرفع الرأس ويشغل بأمرك العسس والحراس ، ويدير لك حديثا في مجالس الناس ، فان اعوزتك كرائم الحلي ونفائسه فعليك بالذهب الوهاج من محل (الماس ويرا) او شركة الجمل(١)

وبعد فما الذي اغرى اللصوص بك فجرهم الى دارك وتخطى بهم دور الموسرين من اصحاب جوارك٠ لعلهم قد سامو ما عندك من روائع القصائد فحسبوها من فرائد القلائد ولاح لهم من كل يتيمة، مالا تقوم به خزائن الارض بتيمة ، يتلالأ في سمطها المنظوم تلألؤ الشهب ويتألق تألق النجوم ، وقد انتظمها سلك من خالص الذهب ، فهجموا يطلبون الغنى واليسار من هذا اللؤلؤ وهذا النضار ٠

فاذا كانوا قد خرجوا من بيتك صفرا في المال والنشب فلا عجب ، اذا ادركتهم عندك حرفة الادب ٠

صديقك على الفراء : عبد العزيز

الشيخ الشربتلي

ومن رواد قهوة الكتبخانة : الشيخ الشربتلي وقد كان من آيات الصحافة القديمة ، من الكتاب القادرين في باب الهجاء والمدح على السواء ،وكان مكانه في المدخل من المقهى ، وقد اعد عدته وحمل في جيوبه المقالات جاهزة لا ينقصها الا وضع اسم صاحب الامر ومن توجه اليه الرسالة ، فاذا سالته : يا شيخ شربتلي ، اريد مقالا في صاحب السعادة ٠٠٠ باشا بادرك بقوله : امدح ام ذم فاذا كانت مدحا ادخل يده اليمنى في جيب كاكولته فاخرج ما تيسر ، واذا كانت ذما اخرج من جيبه الايسر ما هو معد ٠

وفي هذه الفترة في أواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن كانت هناك صحافة تعيش على هذا النوع من التجارة ٠

وكان الشربتلي يحرر عددا منها في وقت واحد، من مكانه في قهوة الكتبخانة فهو قد حرر المقالات واعدها مسبقا ٠ وصفته احدى الصحف فقالت :

« كان اقدر صحفي في زمنه ، يقبض على زمام

(١) يقصد محلات الذهب الصناعي

التحرير فى ١٢ صحيفة ما بين يومية واسبوعية ، كان يحررها وحده ، ميزته انه كان يكتب للعامة فلا يفهمونه ويطلع على كتابته الخاصة فينكرونه عاش عمرا طويلا وهو يرتزق من قلمه السيال فى جرائد عدة معترفا به كصحفى فذ ٠ لا يهمه من الكتابة الا ان يملأ صفحات الجريدة بكلام لايعول على اتساقه كتب مرة فى احدى الصحف اليومية اكثر من مائة مقال بعنوان (السرطان السياسى) كان ينزل بها الى مجاهل افريقيا يتحدث عن غرائبها وعاداتها دون سابق علم او معرفة ، ثم يصعد بقلمه فيطوف باوربا وامريكا متصيدا اسماء اشهر مدنها ، مخترعا حوادث خطيرة من عندياته ، وكان قراء المقالات يعجبون بها حتى ان الشيخ محمد عبده عندما ذكر فى مجلة اسم الشيخ الشربتلى جاهر بانه رجل فذ وقال : ان رجلا يكتب فيما لا يعلم ١٣٥ مقالا لقادر « لو وهبه الله المعرفة ـ ان يكتب الاف المقالات » ٠

وكان اصحاب الصحف فى ذلك العهد من الجهلاء الذين يستهويهم الربح من هذه الصناعة ، كانوا يعرفون مكانه فيتوافدون عليه حيث يدخن نرجيلته ومعه اوراقه واقلامه يدفنها جميعها فى صدر قفطانه الواسع ٠

والنوع العالى بخمسة عشر قرشا من الصفحة الواحده والمتوسط باثنى عشر قرشا والعادى بعشرة قروش ويروى انه عندما عمل فى جريدة القاهر اليومية كان يستعمل طريقته الخاصة فى ملء انهارها بكل مايجد فى مخليته ، فلما علم ان صاحب الجريدة يدفع مبلغا كبيرا لتلغرافات (روتر) هز الشيخ الشربتلى رأسه وقال : لاضرورة لدفع هذا المبلغ كله فى تلغرافات لاتملأ عمودين من الجريدة فانا اقدر على ان احررها بصورة اعظم !

واحتاج بعض المرات الى خبر يملأ نهرا من الصحيفة والعمال واقفون يستحثونه فحك عنقه بطرف القلم وبدأ يكتب خبر حريق فى متجر كبير فى العاصمة وقدر خسارته بكذا الفا من الجنيهات ثم اثنى على جهود رجال المطافىء وندد برجال البوليس فى تقصيرهم وعدم مبادرتهم الى مكان الحريق فورا ٠

ولكن رئيس العمال عاد اليه بعد ساعة يقول : ان العمود ينقص سطرين حتى يكمل ، فما كان منه الا ان تناول القلم وكتب ما يأتى :

« وبعد كتابة ما تقدم بلغنا عدم صحة هـذا الخبر فحمدنا الله وشكرناه على انه لطف بعباده »٠

وروى الاستاذ فهمى عبد اللطيف ان بعض الموسرين اغروه بالتحرش بالشـيخ محمـد عبده مفتى الديار المصرية وكانت له الايادى البيضاء على الشربتلى فارسل لقلمه العنان الى آخر الشوط وانهال على الامام سبا وسلبا ،وفى مراجعة لجريدة مصباح الشرق فى ١٤ ابريل ١٨٩٧ نجد تفصيلا عن قضية الشيخ محمد عبده ضد الشربتلى عن المقال الذى نشره فى العدد ١٤٩ من جريدة النهج القديم ونسب فيه الى الشيخ محمد عبده عدة مطاعن ٠

ولقد شهدت قهوة الكتبخانة هذا اللون مـن العمل الصحفى الى جوار ذلك اللون الفكه الذى كان يديره حافظ ابرهيم ، فكان هذا يطلب منه مقالا فى ذم فلان فيكتبه له الشيخ فلا يمضى اليوم الا ويكون قد جاء آخر يطلب مقالا فى مدح ذلك الكبير ، ولا يمر اليوم الا ويكون الشيخ قد كتب لعشرات الصحف التى يلعن بعضها بعضا وتصدر تلك الصحف ويطالـع الناس فيها ما يرضيهم وما يغضبهم ٠ اما دخل الشيخ فقد كان لايتعدى ثمن ما يشرب من المشروبات فى المقهى فاذا كانت البضاعة طيبة دس احدهم فى يده بريال مجيدى ٠

ومن تلغرافاته المخترعة :

الاستانه فى ٠٠ منه

لمراسلنا الخاص : ارسل قيصر روسيا الى جلالة مولانا الخليفة المعظم تلغرافا يطلب منـه الصفح والغفران وان يضع تحت يده امرة بلاد القرم والقوقاز فرد عليه صاحب الشوكة قائلا : انه سيأخذ هذه البلاد بحد السيف والنار حتى يكون للاسلام هيبته ومكانته ورفض الصلح معه ٠

■■

انور الجندى

● تعريف بكتاب ●

رسالة الخلود

للشاعر الفيلسوف

محمد اقبال

ترجمة ودراسة :

الدكتور محمد السعيد جمال الدين *

بقلم : الدكتور عبد الله محمد جمال الدين

■ ولد الشاعر الاسلامى الكبير « محمد اقبال » فى اقليم « البنجاب بالهند » سنة ١٨٧٧ وهناك تعلم العربية والفارسية فى صغره كما حفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل الى « لاهور » حيث نال درجتى الليسانس فى الآداب والماجستير فى الفلسفة، وعمل مدرسا للأدب الانجليزى فى نفس الكلية التى تخرج منها ، وفى سنة ١٩٠٥ سافر الى «لندن» فدرس الفلسفة لمدة ثلاث سنوات فى جامعة « كمبردج » بعد ذلك انتقل الى « المانيا » وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة « ميونخ » ثم عاد ثانية الى « لندن » فحضر امتحان الحقوق النهائى وانتسب لمدرسة الاقتصاد والعلوم السياسية وتخصص فى هاتين المادتين • وفى ١٩٥٨ عاد الى « الهند » وفى عام ١٩٢٤ انتخب عضوا بالجمعية التشريعية عن « اقليم البنجاب » وشارك فى نشاط حزب « الرابطة الاسلامية » وفى سنة ١٩٣٠ اختير رئيسا لمؤتمر ذلك الحزب حيث تمت الدعوة الى تقسيم « الهند » بحيث يكون للمسلمين موطن يخصهم ،كذلك زار أوربا عام ١٩٣١ وتولى رئاسة المؤتمر الاسلامى الذى عقد « بالقدس » سنة ١٩٣٢ وفى سنة ١٩٣٤ بدأت تنتابه العلل ثم بح صوته ، وأخذت صحته تتدهور شيئا فشيئا الى ان توفاه الله فى ٢١ أبريل ١٩٣٨ بعد حياة حافلة بالجد والكفاح كان من ثمارها تأسيس دولة باكستان المستقلة عام ١٩٤٧ •

ودور الشاعر الفيلسوف محمد اقبال فى اثراء الحضارة الاسلامية والكشف عن جوهرها وتجليته للناس فى اثبات أصالة الفكر الاسلامى ومقدرته على تخليص البشرية والانسان المعاصر من المشاكل التى يرزح تحت وطأتها وفى النهوض بالبشرية من الكبوة التى تردت فيها بفعل الاستعمار الغربى وبفعل الاهتمام بالمادة وحدها على حساب الروح ، كل ذلك من الوضوح بصورة لاتحتاج الى المزيد والذى نهدف اليه هنا هو لفت نظر

* نشر سجل العرب بالقاهرة سنة ١٩٧٤ •



لقارىء العربى الى ذلك الكتاب البالغ الاهمية ، وان شئت الى واسطة العقد فى كتب « اقبال » جميعها الا وهو كتابه «الخلود » .

ولقد بدات مصر والعالم العربى معها تعرف « اقبال » منذ الثلاثينات من القرن الحالى وذلك من خلال ترجمة لبعض دواوينه واشعاره الى اللغة العربية ومن خلال دراسة لبعض شعره وتقديم شىء من فكره مع جوانب من سيرته قام بها المرحوم الدكتور « عبد الوهاب عزام » لكن ما ترجمه الدكتور « عزام » لم يكن كافيا لتقديم مذهب « اقبال » ولا لشرح افكاره بصورة كاملة ، اضف لهذا ان حرصه على ترجمة الشعر الفارسى الى أبيات عربية منظومة أوقعه فى غموض وافقد الشعر رونقه وبهاءه ، وذهب بتاثيره فى النفوس العربية ، مما حدا بالعلامة الاستاذ « أبى الحسن الندوى » أن يختار من دواوين « اقبال » مقتطعات تقرب فلسفته وأسلوبه من قراء اللغة العربية ، وبعد ذلك اضطلع الشيخ « الصاوى شعلان » بمهمة التعريف بشاعرنا وبقريحته ولكنه فى ميدان الشعر وقدم الكثير فى هذا المجال وما لبث « اقبال » أن عرف فى العالم العربى وتوالت احتفالات الهيئات العلميةوالدينية به ،واهتماماتها باحياء ذكراه فى صورة بحوث وكلمات يلقيها كبار المفكرين من هنا ومن هناك .

ومع ذلك فقد اعتمد كل الدارسين على كتابين اثنين لم يتعدوهما الى غيرهما فى كل ماقدموه من ذلك الفيلسوف الكبير ، هذان الكتابان هما :

١ ــ محمد اقبال تاليف الدكتور عبد الوهاب عزام .

٢ ــ تجديد الفكر الدينى فى الاسلام وهو كتاب الفه « اقبال » نفسه باللغة الانجليزيةوترجم الى العربية .

ومع ان هذين الكتابين لم يتضمنا عن نظرية « الذاتية » فقط من بين النظام الفلسفى الكامل لاقبال ، ومع انه هو نفسه اعترف بان هذين الكتابين لم يتضمنا سوى عرض لفكره وارائه بصورة عقلية لاتخلو من غموض وتعقيد ، فان

احدا لم يحاول تقديم جوانب جديدة في صرحه الفلسفي من خلال كتب جديدة ، ولو حدث ذلك لما أخذ عليه مفكرون عرب آراء سبق له الرجوع عنها في مؤلفات لاحقة ، فقد كان الرجل يتمتع بشجاعة فائقة وما كان يستنكف العدول عن بعض افكاره اذا تبين له ان الصواب جانبه فيها ، ولقد استمر وضع « اقبال » على الصورة التي عرضنا لها في البلاد العربية ، حتى قام مؤخرا الدكتور « محمد السعيد جمال الدين » بترجمة رائعة مع دراسة جادة وعميقة لمنظومة « اقبال » المسماة « جاويد نامه » او « رسالة الخلود » .

ان «جاويد نامه» هي الرسالة التي تجمع شتات افكار فيلسوف باكستان ، وتتضمن كل آرائه بعد أن نضجت واكتمل عودها وتبلورت ، وقد اتخذ شاعرنا موضوع «المعراج» وسيلة او اسلوبا قدم من خلاله فكره وفلسفته ويرجع ايمان اقبال بهذا الاسلوب - اسلوب المعراج - الى الايام الاولى في فترة صباه ، فقد نظم انئذ قصيدة عنوانها «القصيدة المعراجية » باللغة الأوردية عبر فيها عن قيمة المعراج النبوي وكيف انه حل عقدة الحياة فقد اكتسب النبي صلى الله عليه وسلم فيه الصفات الألهية ، وقد قرر «اقبال» في تلك القصيدة ان العشق الالهي الحقيقي يتمثل في ادراك النفس الانسانية امكانية قربها من الله تعالى حتى لتكون منه قاب قوسين أو ادنى ، ففي المعراج التخلص من عقدتي الزمان والمكان ، وتحرر النفس الانسانية من اسرهما اذا هي آمنت بالله حق الايمان، واقتدت بالنبي صلوات الله وسلامه عليه ، واذا حدث ذلك فان حقيقة الذات الانسانية تتأثر وتصبح قادرة على الرقي الروحي والوصول الى أعلى الدرجات ، ولكن ينبغي ان يكون واضحا أن مقدرة النفس الانسانية على تحقيق ذلك انما هو رهن بشيء واحد ، هو التطلع الدائب الى الرقي وعدم ربط القلب الا بالله ، وبالله وحده .

موضوع رسالة الخلود

استرعى موضوع تلك الرسالة انظار الباحثين من المستشرقين فترجموها الى الايطالية والالمانية والفرنسية والانجليزية في الخمسينات من القرن الحالي ، ثم ترجمت الى لغات شرقية في زمن متأخر نسبيا ، وكان وحدة موضوع الرسالة وطول نفسها وتكامل عناصرها هو السر وراء الاهتمام بتلك الرسالة شرقا وغربا انها قصة متناسقة الاجزاء متواصلة الفصول ، وتهدف في نهاية الامر الى غاية واحدة .

ويبدأ الفيلسوف الكبير معراجه بدعاء يعبر عن الاحساس العميق بغربة الانسان في ذلك الوجود ، ذلك الانسان المقيد بحدود الزمان والمكان، ولا يجد الفيلسوف بدا من الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى ، طالبا منه أن يخلصه من هذين القيدين ليتسنى له الاتجاه الى هدفه المتمثل في القرب من الله سبحانه والتجلي امام الذات الالهية ، ذلك فوق رغبته في الخلود والتخلص من تراب هذه الارض ، ويستمر « اقبال » في مناجاته ربه الى أن يلفه الليل بظلامه ، وهنا تبدأ روح الشاعر الفارسي الكبير « جلال الدين الرومي » في الظهور شيئا فشيئا ، ويدور بينه وبين شاعرنا حوار يشرح « الرومي » خلاله حقيقة المعراج بقوله « ان المؤمن لايرضى الا بالذات الالهية نفسها ، فلقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم الكون وما وراء الكون ، واتجه الى الله وحده » . وعلى الفور نرى اقبالا يتوق الى تحقيق تلك الرحلة المعراجية ، فيأتيه ملك يخلصه من أثقال الزمان والمكان وتحدث له خفة ورشاقة يبدأ بعدها رحلته من الارض متجها اول مااتجه الى فلك « القمر » بصحبة « الرومي » وهنا يقدم «اقبال» وصفا رائعا لمشاهداته في ذلك المكان ويحدثنا عن جباله الجرداء ثم يمضي فيه مع مرشده حتى يصلا الى « وادي الطواسين » وهناك يجدا صخرات أربعا كتب عليها التعاليم الاساسية لدستور الاخلاق عند « بوذا وزرادشت والمسيح ومحمد » عليهما السلام ومن خلال عرضه للجانب الاخلاقي عند هؤلاء يعطينا رأيه فيما يتصل بالتطور الانساني، ويبين لنا كيف قامت النبوة بدور رئيسي في توجيه التاريخ البشري مقدما نظريته في التفسير الروحي للتاريخ في مقابل رأي اصحاب نظرية التفسير المادي لذلك التاريخ .

وفي المرحلة الثانية يهبط «اقبال» مع «الرومي» في فلك « عطارد » ويلتقيان باثنين من كبار المسلمين المصلحين هما «جمال الدين الافغاني» «وسعيد حليم باشا» ويشكو لهما «اقبال» من تفرق المسلمين وضعف ايمانهم ومن الاستعمار والشيوعية

اللذين ينخران عظام المجتمع المسلم ، وهنا يتحدث «الافغاني» عن الوطنية الضيقة وما تجلبه من ضرر كما يلقي مزيدامن الضوء على انحرافات الشيوعية والاستعمار ،ثم يتحدث المصلح التركي «حليم باشا» فيهاجم الحركة الكمالية في « تركيا » ويتوجه بحديث الى الاتراك قائلا « ان المسلم عليه ان ينظر في نفسه ثم القرآن اذا اراد خلق عالم جديد»

وعندما يشكو « اقبال » من عدم معرفة المسلمين لعالم القرآن مع تداول الكتاب الكريم بينهم يأتيه الجواب من « الافغاني » موضحا أن الاعمدة التي يقوم عليها القرآن هي :

١ الانسان خليفة الله في أرضه .

٢ ـ الحكومة الالهية هي التفسير لقوله تعالى « ان الحكم الا لله » .

٣ ـ الارض ملك الله .

٤ ـ الحكمة خير كثير .

ثم يتسائل الفيلسوف « اقبال » كيف يمكن لموتى النفوس من مسلمي اليوم،وكيف يتصور من أصحاب القلوب الغربة الآن احياء ذلك العالم الناصع البياض ـ عالم القرآن ؟ فيتبرى «سعيد حليم»للرد عليه مؤكدا أن ذلك ممكن بشرط تحرير الروح المبدعة في نفس المسلم من كل ما يقيدها : ذلك « أن القرآن ينطوي على عوالم لانهائية ، ويبقى عالم في نفس المؤمن فيمنحه القرآن عالما آخر جديدا ، يمنحه عالما له نفس المحكمات ، ولكن صورته متغيرة متجددة أبدا » .

ومن فلك « عطارد » هذا يوجه الفيلسوف « جمال الدين الافغاني » رسالة الى « الروس » يدعوهم فيها الى الايمان بالله تعالى ، ويبكي مع « الرومي » حاضر الامة الاسلامية ، وأخيرا ينشد «اقبال» قصيدة يبين فيها للمجتمع المسلم طريقة التخلص من مشاكله في أن يؤمن بالقرآن ويبحث فيه من جديد ، عندئذ ستتفتح عيونه على عوالم أخرى جديدة خليقة بأن يحياها الانسان .

ويواصل فيلسوف باكستان معراجه فتصل به المسيرة الى فلك « الزهرة » وهو الكوكب الذي يضم الاصنام والآلهة ومعبودات الامم القديمة . وقد شاهدها في حالة سرور وبهجة بسبب فرار الانسان من طريق الله واتجاهه لعبادة المحسوس والماديات وينطق لسان واحد من هذه الالهة شاكرا فضل المستشرقين المستعمرين الذين انعرت بذور تشكيكهم الحادا ، ويعلن ابتهاجه ، فقد أطبقت الجاهلية الحديثة على العالم وتحطمت وحدة المسلمين وهنا يطالب « الرومي » باعادة النظر في الماضي والمستقبل ،فهيا انهض أيها المسلم وتخل عن هذا التقليد الاعمى والجمود فلا بد من تبديل الفكر من الاعماق » وفي فلك « الزهرة » هذا يلتقي اقبال بعدوين لله والدين يعيشان في حالة سيئة هما « فرعون وكتشنر » . وفي هذا الموقف يحاول « كتشنر » الدفاع عن تنقيب « الانجليز » لقبور الفراعنة فيقول ان ذلك لم يكن جريا وراء الذهب والجواهر، وانما طلبا للعلم والحكمة ، حتى يتسنى كتابة تاريخ مصر والعالم القديم من جديد ، ولكن سخرية فرعون تأتيه هنا حين يسأله : ولكن ما رأيك في تربة المهدي ؟مشيرا بذلك الى نبش « كتشنر » لقبر « المهدي » عندما ذهب لاخماد الثورة المهدية في السودان سنة ١٨٩٨ م وهنا تظهر روح «المهدي» فتدعو العالم الاسلامي الى التيقظ والعمل وتقول « الى متى تظلون أسارى الفرقة والتشتت ، لقد آن الاوان لاحياء حرقة المحبة الالهية في القلوب.. يا أرض الحجاز الا فلتنجبي « خالدا » آخر ، الا فلتنشدي لحن التوحيد من جديد .

ثم يتقدم الشاعر « اقبال » مرحلة أخرى في معراجه حتى ينتهي الى فلك « المريخ » وفي ذلك الفلك يعطينا تصوره للمدينة الفاضلة الاسلامية مدينة تتخلق بخلق المصطفى صلى الله عليه وسلم وتطبق الشريعة الاسلامية بكافة حذافيرها.

وبعد ذلك يأتي دور فلك « المشتري » حيث يلتقي الفيلسوف الكبير بأرواح ثلاث شخصيات هي « الحلاج » وشاعر هندي يسمى « غالب » وشاعرة من معتنقي المذهب المادي تسمى « قرة العين » وهي ايرانية الجنسية من اتباع المذهب البابي . وقد حركت أناشيد هؤلاء الثلاثة نفس « اقبال » فأخذ يعرض عليهم مشاكله ، ويتوجه بالقسم الاكبر منها الى « الحلاج » ويناقشه في الحقيقة المحمدية وفي قولته « أنا الحق » وينتهي الى أنها كانت تعبيرا عن الجانب الالهي في النفس الانسانية ، ثم يظهر « ابليس » ويبدي شكواه من ان الانسان المعاصر لم يعد جديرا بخصومته

ويدعو الله ان يهبه خصما جديرا بالمنازلة .
بعد ذلك يمضى « اقبال » مع مرشده « الرومي » الى فلك « زحل » موطن الارواح الرذلة التي خانت شعبها واوطانها وهنا ينصحه « الرومي » الا يهبط على هذا الكوكب ، فعليه يتنزل سخط الله وعذابه في كل لحظة وفي هذا الموطن تنتهي مرحلة الافلاك في معراج « اقبال » لتبدأ بعدها مرحلة ما بعد الافلاك حيث يمضي الرفيقان الى ان يصلا الى جنة الفردوس فيصفاها مع ما فيها من عوالم وقصور ويتقابلان فيها مع الزاهدة الهندية « شرف النساء » التي كانت تحرص على الجمع بين المصحف والسيف في حياتها كلها ، كما يلتقيان مع الملك الايراني « نادر شاه » فيقدم « اقبال » ـ من خلال حوار معه نقدا للنزعات الانفصالية او الوطنية التي عمت العالم الاسلامي. بعد ذلك يلتقيان « باحمد الابدالي » مؤسس دولة « افغانستان » الحديثة والذي يهاجم بعنف اتجاه المسلمين نحو تقليد الغرب في سفاسف الامور ، وكان اللقاء الاخير مع ملك الهند السلطان الشهيد « تيبو » .

بعد ذلك كله يتوجه « اقبال » الى الحضرة الالهية ، وتثور في نفسه تساؤلات يخط التلم الالهي ردا عليها في قلب شاعرنا ، وكلها يدور حول اصلاح العالم الاسلامي . واخيرا ينتهي معراج « اقبال » على صوت يامره بالعودة الى الارض لكن بعد ان حصل على زاد يوجهه الى طريق الحق والى الرقي الروحي .

ويتمثل هذا الزاد في دعوة على شكل خطاب موجه من الشاعر الى الجيل الجديد ، يشرح فيه مفهوم التوحيد ويتحدث عن افلاس المسلمين المعاصرين ـ والشباب منهم خاصة ـ وينصح هؤلاء ان يربطوا قلوبهم بالله وحده ويحذرهم من اليأس بسبب الحقد والنفاق الذي يرونه في المسلمين المعاصرين .

وهكذا يتضح ان الشاعر الباكستاني قد عالج في معراجه او في كتابه هذا كثيرا من القضايا الهامة : تربوية وسياسية واجتماعية واقتصادية، للدرجة التي جعلت بعض المستشرقين يقول عن رسالة الخلود « في كل شطرة يشعرنا الشاعر انه يملك شيئا ليقوله ، وقد بدت ثقافته الاسلامية فيها عميقة وشاملة ، وفيها يرى انه لا اسلوب التصوف في العصور الوسطى ولا القومية والاشتراكية الالحادية ، بقادرة على ان تشفي علل الانسانية البائسة فقد كان الرجل مصلحا يرى في الاسلام العلاج الناجح لآلام البشرية ، والمتنفس السليم لامكانيات الانسان وطاقاته .

ويبدو جليا مما عرضناه ان الاستاذ « سيد عبد الواحد » ـ عالم باكستان ـ كان محقا عندما قال « في مقدورنا ان نعتبر رسالة الخلود أعظم اعمال « اقبال » انها « كوميديا الهية » شرقية وقد عبر فيها بروعة عن افكاره المتعلقة بمختلف القضايا التي تجابه الناس في حياتهم اليومية . ويقدم اقبال فيها تفسيرا لحقائق الخلود ، ويناقش فيهاأكثر القضايا حساسيةوتأثيرا بالنسبةللانسانية بطريقة فنية رائعة للغاية » .

وبعد

فذلك عرض سريع لا يغني عن قراءة أصل هذا العمل الممتاز ، ولا عن الانتفاع مباشرة بالجهد الرائع الذي بذله في الترجمة والتعليقات المثمرة الدكتور « محمد السعيد جمال الدين » المدرس بكلية الآداب في جامعة عين شمس بالقاهرة . انها دراسة جادة ومثالية بحق ، ولا ينقصها ـ والكمال لله وحده ـ الا تخريج الاحاديث النبوية التي اوردها « اقبال » في منظومته : بالرجوع الى الكتب المتخصصة وعرض تلك الاحاديث عليها ، ليتبين الصحيح من المدسوس ، والدخيل من الاصيل ، وفاء بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق كلماته الغراء علينا ، ودفاعا واجبا عن سنته ، وحتى يسلم لنا الاقتداء بهديه صلوات الله وسلامه عليه وفيما عدا هذا فالدراسة مثالية في منهجها وأسلوبها ، والعمل حقيق بان يحتذى والله ولي التوفيق .

عبدالله محمد جمال الدين
عضو البعثة المصرية بجامعة مدريد اسبانيا

من الكتب التي وصلتنا

فى الشعر السياسى

تاليف : الدكتور عباس الجرارى

الناشر دار الثقافة ـ الدار البيضاء / المغرب ٠

● يضم هذا الكتاب مجموعة محاضرات لمادة الادب الاسلامى القيت على طلاب قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الاداب فى جامعة محمد الخامس فى المغرب، وفى هذه المحاضرات يركز المؤلف على الشعر الذى عكس سياسات الاحزاب الاسلامية المتعارضة ، كما يشمل كذلك موضوع أدب الدعوة الاسلامية ، وهو أدب سياسى مرتبط كله بالدين اما مايطلق عليه ادب السياسة فهو ذلك الادب الذى صاحب الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول ، حين دخلت فى طور جديد ، وتعرضت لالوان من المشاكل تتصل فى اساسها بنظام الحكم ، وما نتج عن هذه المشاكل من قيام احزاب مختلفة كان لكل منها شعراء وخطباء كما كان للدولة القائمة شعراء وخطباء ٠

التعلم والتعليم
مدخل فى التربية وعلم النفس

تاليفا : أى ـ جى ـ هيوز أى ٠ هـ ٠ هيوز

تعريب : حسن الدجيلى

الناشر : مطبوعات جامعة الرياض ـ المملكة العربية السعودية ٠

● هذا كتاب لايستغنى عنه طلاب التربية فى معاهد وكليات المعلمين ، كما لايستغنى عنه المهتمون بشؤون التربية من معلمين واداريين وموجهين ،فقد اوضح كثيرا من مفاهيم التربية واساسيات علم النفس ، وما ادى اليه التامل والنظر فى ميدان التطبيق والعمل معا ٠

لقد تناول هذا الكتاب العناصر الرئيسية التى تستند اليها العملية التربوية ، تلك التى تدور حول الطفل المتعلم ومركزه من جهة ، وحول المدرس المعلم ودوره من جهة اخرى ، ابتداء من مصادر النشاط العقلى ، مثل التفكير ، والانتباه ، والتذكر ، والتخيل ، والملاحظة ، والنسيان ، خلالمرور الطالب بعمليات النمو الجسمى والخلقى والاجتماعى ، وانتهاء بمراحل النمو وما يناسبها من خطط ومناهج وطرق تدريس ٠

والكتاب يمتاز أيضا بالبساطة والوضـــوح ، ويعالج الموضوعات النفسية بقدر ما يساهم فـى معالجة المشكلات التى يواجهها المعلمون حيث يضعون طرائقهم التدريسية موضع التطبيق ٠

ان وظيفة التربية كما يراها المؤلفان تهدف الى مساعدةالافراد فى تحقيقاكبر قدر ممكنمنالنمو والتقدم ليصبحوا شخصيات متكاملة منسجمة مع نفسها ومع افراد المجتمع الذى يعيشون فيه ٠

دراسات فى العمارة
والفنون الاسلامية

تاليف : محمد الحسينى عبد العزيز

الناشر : المكتب العربى ـ الكويت ٠

● تبين فصول هذا الكتاب أن الفن الاسلامى ظهر اولا فى بلاد الشرق الادنى ذات الحضارات العريقة ، وقد ازدهر هذا الفن بتشجيع الحكام ورعايتهم له ، وقد استوحاه الفنان المسلم من بيئته وخياله ، وقد تاثر الفن بالدين وتعاليمه فقلما نجد فى النحت والتصوير رسوما ادمية أو حيوانية ، وبدلا من ذلك اعتمد الفنان المسلم على الكتابة العربية والرسوم الهندسية والنباتية كاسلوب زخرفى انفرد به ، واصبحت هذه من مستلزمات الفن الاسلامى ومميزاته ، وبذلك اصبح لهذا الفن انماط جديدة وخطوط وعناصر هندسية رائعة ، اكدت وجود الفنان المسلم ونبوغه ٠

اما فن العمارة فقد ابتكر فيه المسلمون نظام المساجد وتصميمها ، وابتدعوا القباب ، وتفننوا فى تصاميم العقود،وطريقة بناء الحصون والاسوار، بابتكار الابواب المنكسرة وغيرها ٠

ويثبت هذا الكتاب بادلة قوية ان فن العمارة الاسلامية اثر تاثيرا كبيرا على اوربا لعدة قرون وانه مازال موضع تقدير واعجاب مؤرخي العمارة وذلك لما جمع من اسس علمية واساليب زخرفية غاية في الاتقان والروعة والجمال كما ان هذا الفن شاهد على أمجاد الاسلام وما وصل اليه المسلمون من تقدم في هذا المجال •

المرشد في الرياضيات المعاصرة

تاليف : منصور غلوم علي حسين ـ خليل محمد الحنفي

الناشر : وكالة المطبوعات ـ الكويت

● يعتبر هذا الكتاب المحاولة الاولى في الكويت في عرض جزء من مشروع هيئة اليونسكو لتطوير الرياضيات الحديثة في الدول العربية ويعرض الكتاب بالاضافة الى حلول التمارين والمسائل الصعبة ملخصا لجميع القوانين والنظريات والتعاريف الواردة في كتاب الرياضيات المعاصرة للصف الرابع الثانوي العلمي المقرر من قبل وزارة التربية في دولة الكويت ، كما يهدف الكتاب الى تذليل الافكار الصعبة لدى الطالب من جهة ، ثم اعطائه الفرصة للوصول الى حل صحيح لمثيلات الافكار الموجودة في الكتاب المدرسي من جهة اخرى ، تاركا الفرصة للطلاب في تنمية افكارهم وذلك بحل التمارين المتروكة من قبل المؤلفين عن قصد •

في بيت فاطمة

تاليف : عبد الصمد تركي ـ الكويت •

● يتناول هذ الكتاب بالدراسة والبحث سيرة السيدة فاطمة بنت النبي عليه السلام ، والكتاب ينقسم الى خمسة فصول اولها عنوانه « هذا الزواج » وفيه يبين قصة زواج فاطمة من الامام علي بن ابي طالب •

وعنوان الفصل الثاني « بيت لارجس فيه » ، وفيه يبين حياة فاطمة في بيتها مع زوجها ثم ذريتها الطاهرة •

والفصل الثالث بعنوان « حساد مفترون » فيه ينفي المؤلف ان يكون الامام قد أراد الزواج من غير فاطمة في حياة النبي او بعده او ان يكون حدث في حياة الزوجين ما شابها بادنى كدر ،

والفصل الرابع عنوانه « قولوا لا اله الا الله » وفيه يبين مشرق الاسلام في بيت النبي وحضانته للوليدين « علي وفاطمة » ، حتى كبرا ثم تزوجا وعنوان الفصل الاخير من الكتاب « معا على طريق فاطمة » وفيه يبين متاعب السيدة فاطمة بعد وفاة ابيها واعتكافها على همومها حتى وفاتها بعده باشهر قليلة •

والمؤلف خلال كتابه يعرض الوقائع وينقدها حينا، ويمضي في مناجاة بعض شخصيات كتابه بوصف الشخصية من خلال محاورتها حينا آخر ، فهو يجمع بين التاريخ والفن ، ويستخلص العبر التاريخية والاخلاقية •

المطلع التقليدي في القصيدة العربية

تاليف : عدنان عبد النبي البلداوي

الناشر : مطبعة الشعب ـ بغداد/العراق

● يدرس هذا الكتاب المطلع التقليدي للقصيدة العربية ، والاسباب والدوافع التي جعلت اكثر الشعراء يلتزمون به ، وهذا الدافع تتوقف عليه نسبة التعبير الذاتي ، ودور الشاعر من حيث حصيلته اللغوية والادبية والثقافية ، وبروز شخصيته من خلال نتاجه ، فقد درس المؤلف مطلع القصيدة العربية من حيث أصله ، وما احتواه من مراحل ، وكيف استطاع الشاعر أن يتخلص من مرحلة الى مرحلة بقابليته واسلوبه الخاص ، ثم درس موضوع التدرج اللغوي في المطلع ، ليوضح من خلاله اسلوب الشاعر ، ومدى استطاعته استعمال الكلمات الملائمة لاهل زمانه •

وقد درس المؤلف موضوع « الثورة على المطلع » فقد استعرض الاحوال التي مر بها المطلع ،اعتبارا من العصر الاسلامي حتى اعلان الثورة عليه في العصر العباسي ، لان الشعراء في العصر العباسي كانوا يتمتعون بنوع من الحرية ، لتطور الاحوال اولا ، ولان دعاة الثورة على المطلع قد فتحوا لهم بابا للتجديد ، وقد درس المؤلف شعر ابي نواس كاحد زعماء هذه الثورة ، لانه كان اكثرهم دعوة واعلانا للخروج على التقاليد القديمة للقصيدة العربية •

محاضرات
في العقيدة الاسلامية

تاليف : احمد البهادلي

الناشر : مطبعة الآداب في النجف الاشرف/العراق

● يدرس هذا الكتاب اثبات وجود الله تعالى وهي قضية عاش الخلاف فيها مع اعماق تاريخ الفكر الانساني وشمل مختلف مستوياته ، وما زال الصراع الفكري فيها محتدما ، ونحن نعيش عصرا علميا قد انتشرت فيه الفلسفةالحديثةوالاكتشافات الكونية الرائعة سواء في الفضاء الخارجي ام في الارض .

والكتاب ـ بعد المدخل ـ يبحث نظرية المعرفة ، فيستعرض أشهر المذاهب فيها ، ثم يختار المذهب العقلي منها ثم استعرض كذلك الاجابات الاربع على سؤال : كيف وجد الكون ؟ وبعد محاكمة كل اجابة على ضوء ما قدمه المؤلف من ادلةوما اختاره من مذاهب في نظرية تعين الاخذ بالاجابة القائلة بوجود الله الخالق للكون .. ومن ثم استعرض عدة شبه تحوم حول هذه الاجابة وبين ما فيها من مغالطات واوهام .

عقد المضاربة
بحث مقارن في الشريعة والقانون

المؤلف : ابراهيم فاضل يوسف الدبو .

الناشر : مطبعة الارشاد في بغداد .

● هذا الكتاب رسالة نال بها مؤلفها درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية ، والكتاب مدخل ، ومقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة ابواب ، في كل باب عدة فصول ، وفي المدخل يبين المؤلف سبب اختياره موضوع المضاربة.وهو مكانة هذا العقد في الاقتصاد الحديث وتشعب مسائله ، والاشتباه بينه وبين عقود اخرى لا بد من التمييز بينها ، ثم اشار الى منهجه في رسالته ، وفي المقدمة عرض لصور المشاركة في العقود وتاريخها منذ ايام البابليين حتى ظهور الاسلام وانواع المشاركة في الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، واما التمهيد فيوضح معنى المضاربة لغة واصطلاحا وبيان مشروعيتها في الاسلام .

واما الباب الاول فموضوع فصوله الخمسة أركان المضاربة ، وشرائط انعقادها ، ويشمل ذلك طرق انعقادها ، وشروط صيغها ، وشروط الطرفين المتعاقدين : رب المال ، والمضارب به ، ورأس المال فيها وشروطه ، ومهمة المضارب بالمال حرة او مقيدة ، ونصيب كل من الطرفين في الارباح .

واما الباب الثاني فموضوع فصوله الثلاثة احكام المضاربة وآثارها على المتعاقدين ، وهي تبحث في أنواع المضاربة الصحيحة وغير الصحيحة، ووجهات نظر الفقهاء في كل منها ، وآثار كل ذلك بالنسبة لكلا الطرفين المتعاقدين . واما الباب الثالث ـ وهو فصلان ـ فيوضح انتهاء عقد المضاربة لاسباب قهرية او ارادية ، وما يعقب ذلك من آثار على المتعاقدين ، وكل هذا يمضي باسلوب المقارنة بين الشريعة الاسلامية وقوانين البلاد العربية اليوم .

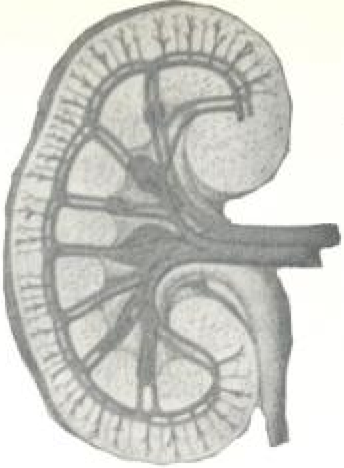
التخطيط التربوي
على مستوى الوطن العربي

تاليف : فؤاد نصحي .

الناشر : دار الكتاب اللبناني ـ بيروت/لبنان.

هذا الكتاب هو حصيلة لعشرات اللقاءات العربية والدولية ، ونتاج للمواثيق والمعاهدات التي عقدها وزراء التربية والتعليم العرب وغيرهم من المسؤولين ، سعيا لتحقيق الوحدة الثقافية العربية ، كما انه يشير الى الاجهزة الثقافية والتربوية في جامعة الدول العربية والى جهودها من اجل التخطيط على مستوى الوطن العربي ، بالاضافة الى انه يدرس بعض التجارب الدولية والاقليمية في مجال التخطيط التربوي ،كالمشروع الاقليمي للبحر المتوسط ، ودور الحكومة الاتحادية في الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة للتخطيط التربوي على المستوى المركزي وعلى مستوى الولايات .

كما أن الكتاب يعنى بالمناهج المدرسية ، والجهود التي بذلت لتوحيدها ، سواء في التعليم العام ، أو التعليم الفني والمهني ، أو في دور المعلمين والمعلمات ، ثم ينتقل الى محو الامية فيحلل دور الاجهزة الاقليمية العربية المعنية بذلك ، ويحلل بعض خطط محو الامية في البلاد العربية كما يشير الى الحملة العالمية لمحو الامية محللا بعض الانشطة الدولية .



أمراض الكلى

أسباب التعرض لها وطرق الوقاية منها

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

■ المواد البروتينية عنصر هام فى غذاء الانسان، اذ تقوم ببناء الانسجة فى فترة النمو : وتجديد مايبلى من الخلايا اثناء قيامها بوظائفها الفسيولوجية .

ويختلف عن عمليات هضم وتمثيل البروتينات مواد أزوتية سامة اتخذت البولينا كمقياس لها . لسهولة الكشف عنها ، وتقديرها كميا .

والكلى عبارة عن مرشحات عضوية . تسمح بمرور الزائد من الاملاح والماء ، والمواد السامة من الدم، وتفرزه على هيئة سائل ملون هو البول.

ولا تسمح الكلى السليمة بمرور الزلال مطلقا .. او السكر طالما كانت نسبته فى الدم لا تتجاوز ١٢٪ .

واهم أمراض الكلى هى الالتهابات والحصى .

اما الالتهاب الكلوى فهو احد المضاعفات الخطيرة لكثير من الحميات . وبخاصة الحمى القرمزية فى الاسبوع الثالث .. وكذلك الحصبة والجدرى والدفتريا .

كما انه قد يعقب التهابا متكررا فى اللوزتين ، او بيوريا مزمنة فى الاسنان ، أو نتيجة اية بؤرة تقيح أخرى فى الجسم .

وقد يحدث كذلك اثناء فترة الحمل والنفاس .

وقد ثبت أن التعرض للبرد وتعاطى المواد الكحولية من العوامل الهامة التى تقلل مقاومة الكلى وتسهل اصابتها بالالتهاب ..

الوقاية

فللوقاية من الالتهاب الكلوى يجب تجنب ذلك ، كما يجب على مريض الحمى العلاج المبكر ، مع تناول كمية كافية من القلويات مثل سترات الصودا وكذلك يحسن علاج بؤر التقيح فى الجسم سواء كانت فى اللوزتين أو الاسنان أو اى عضو اخر .

والتهاب الكلى هو أحد العوامل التى تهيىء الطريق لتكوين الحصاة اذ ان الاغشية المبطنة تفقد نعومتها ، مما يسهل ترسيب الاملاح عليها ، كما أن نقص فيتامين (ا) له نفس التأثير اذ يخشن سطح هذه الاغشية ، كذلك اضطراب التمثيل الغذائى يسبب تركيزا فى الاملاح مما يسهل رسوبها على شكل حصوات ، خصوصا عندما تكون هناك نواة ترسيب ، مثل بويضات البلهارسيا ، او اى عائق اخر .

وللوقاية من الحصوات الكلوية ، او لمنع تكرر حدوثها ، يجب العلاج الكامل لمرض البلهارسيا ، واستعمال مطهرات المجارى البولية وتناول كميات كافية من فيتامين (أ) ، وتجنب الاسراف فى تناول الكبد واللحوم والقهوة والشاى والكاكاو والشيكولاته وغيرها من الاغذية الغنية بقاعدة البورين Purine التى يتخلف عن هضمها وتمثيلها حامض البوليك .

مراعاة الغذاء

ويجب ان يستهدف غذاء مرضى الكلى عدم اجهاد الكلى المريضة ومنع حدوث التسمم البولى

والاستسقاء ، والمحافظة على حيوية الانسجة من الاضمحلال ٠

ولذلك يجب ملاحظة المبادىء الآتية فى غذاء مرضى الالتهاب الكلوى :

- المواد الزلالية : تتغير كميتها حسب مرحلة المرض ، فتارة يجب الاقلال منها ، وتارة اخرى يجب الاكثار منها ٠
- ملح الطعام : يحسن ان يكون قليلا دائما ٠
- الماء : يجب فى بعض المراحل الاقلال منه ، وفى البعض الآخر تكون كميته عادية ٠
- الوحدات الحرارية : تحسب بحيث تكفى حاجة الجسم ٠
- المواد النشوية : ينبغى الاكثار منها ٠
- المواد الدهنية : يلزم عدم الاسراف فى تناولها ٠
- الاطعمة التى تترك تفاعلا قلويا : يجب الاكثار منها ٠
- الخمور : تمنع منعا باتا ٠

ولقد ثبت ان البطيخ من احسن الاغذية التى تناسب مرضى الكلى ، اذ يدر البول وينقص البولينا ٠

مرض التسمم البولى

وهذه الالتهابات المختلفة والحصى المتنوعة هى اهم الاسباب التى قد تعجز الكلى عن تادية وظيفتها الرئيسية ، وهى تحرير الدم من السموم والمخلفات، والا نشا عن ذلك المرض المعروف بالتسمم البولى او داء البولينا ٠

ومن اعراض هذا الداء صداع شديد ، وقىء وتشنج فى العضلات ، وعسر فى التنفس ، واخيرا غيبوبة طويلة قد تعقبها الوفاة ٠

ولا تظهر هذه الاعراض طالما كانت هناك ثلث كلية سليمة ٠

ولا يوجد عقار يشفى مرشحات الكلى التالفة لتستانف القيام بوظيفتها الحيوية كما ان الجراحة لم توفق بعد الى استنباط وسيلة لاستبدال الكلى المريضة بكلى سليمة لحيوان او انسان حديث الوفاة ، قياسا على نجاحها فى استبدال قرنية العين المعتمة بقرنية شفافة ، كما ان زراعة الكلى لا تنجح الا فى التوائم ٠

لذلك اتجه تفكير العلماء الى ابتكار جهاز يعمل على اساس فكرة عزل المواد البلورية السامة (التى تشبه البولينا) عن المواد الهامة كزلال الدم ، بواسطة غشاء شبه نفاذ يسمح بمرور الاولى ولا يسمح بمرور الثانية ٠ وبذلك تستطيع السموم والاملاح المرور خارجة مع الاحتفاظ بيلازما الدم داخله ٠

جهاز الكلية الصناعية

وقد ابتكر جهاز الكلية الصناعية البروفسور كولف الهولندى اثناء احتلال الالمان لبلاده،واحتفظ به سرا طيلة مدة الحرب حتى لا ينتفع به العدو ٠

وهو يتكون من اسطوانة تدار بواسطة محرك كهربائى حولها انابيب من السيلوبدين ، والنصف الاسفل منها مغمور فى حمام به محلول خاص ٠

ويمر الدم من الشريان الذراعى خلال الجهاز ، فيتخلص من السموم والشوائب ويرجع انقى نسبيا الى الوريد الفخذى ، ويعود ثانية من الجهاز واليه وهكذا دواليك ، وهذا الاجراء لا يسبب عناء ، ولا يحتاج الى مخدر ، بل ان كل ما يلزم هو جهاز نقل الدم لتعويض ذلك الجزء من الدم الموجود داخل انابيب الكلية الصناعية الذى هو فى الواقع خارج الدورة ، اما المدة اللازمة لتنقية الدم نهائيا بحيث يصبح طبيعيا،اذ تنخفض نسبة البولينا من الارقام التسممية العالية « ٣٠٠ مليجرام فى المائة » الى الارقام العادية « ٤٠ مليجراما فى المائة » فهى فى المتوسط من ثلاث الى ست ساعات٠

وقد امكن بواسطة الكلى الصناعية انقاذ ضحايا التسمم البولى من موت محقق ٠

واهم الحالات التى تستعمل فيها الكلى الصناعية بنجاح هى التسمم البولى الذى يعقب بعض العمليات الجراحية ، نتيجة توقف الكلى مؤقتا عن افراز البول ، او الذى ينشا عن تضخم البروستاتة ، او عن حصوة فى الكلى او الحالب ، او عن التهاب كلوى حاد ، او تناول مادة سامة للكلى مثل الجرعات الكبيرة من مركبات السلفا ، او التسمم بالمنومات او الساليسيلات ٠

وانه لمن حسن الطالع ان زودت المستشفيات الكبرى باجهزة الكلى الصناعية فى جميع الامم الراقية ، وكثير من البلاد النامية ٠

الدكتور : ابراهيم فهيم
جامعة عين شمس - القاهرة

شخصية الشهر

« عشق التاريخ فلم يفترق عنه ، وبكي وهو يرى الحضارات تموت والانسان من حوله يفنى » .

ارنولد توينبى

الإنسان الفيلسوف مؤرخ عملاق.. علم أجيالا وقضى حياته كلها يتعلم!

بقلم : منير نصيف

■ قالوا عنه : « انه نبي جديد ! » فقد كان يدعو الى نشر ديانة جديدة تجمع كل الاديان !

وقالوا : « لقد كان افلاطون القرن العشرين !» فهو الذى اعادنا الى المدينة الفاضلة او الارض المثالية Utopia ، عندما دعا الى قيام حكومة عالمية !

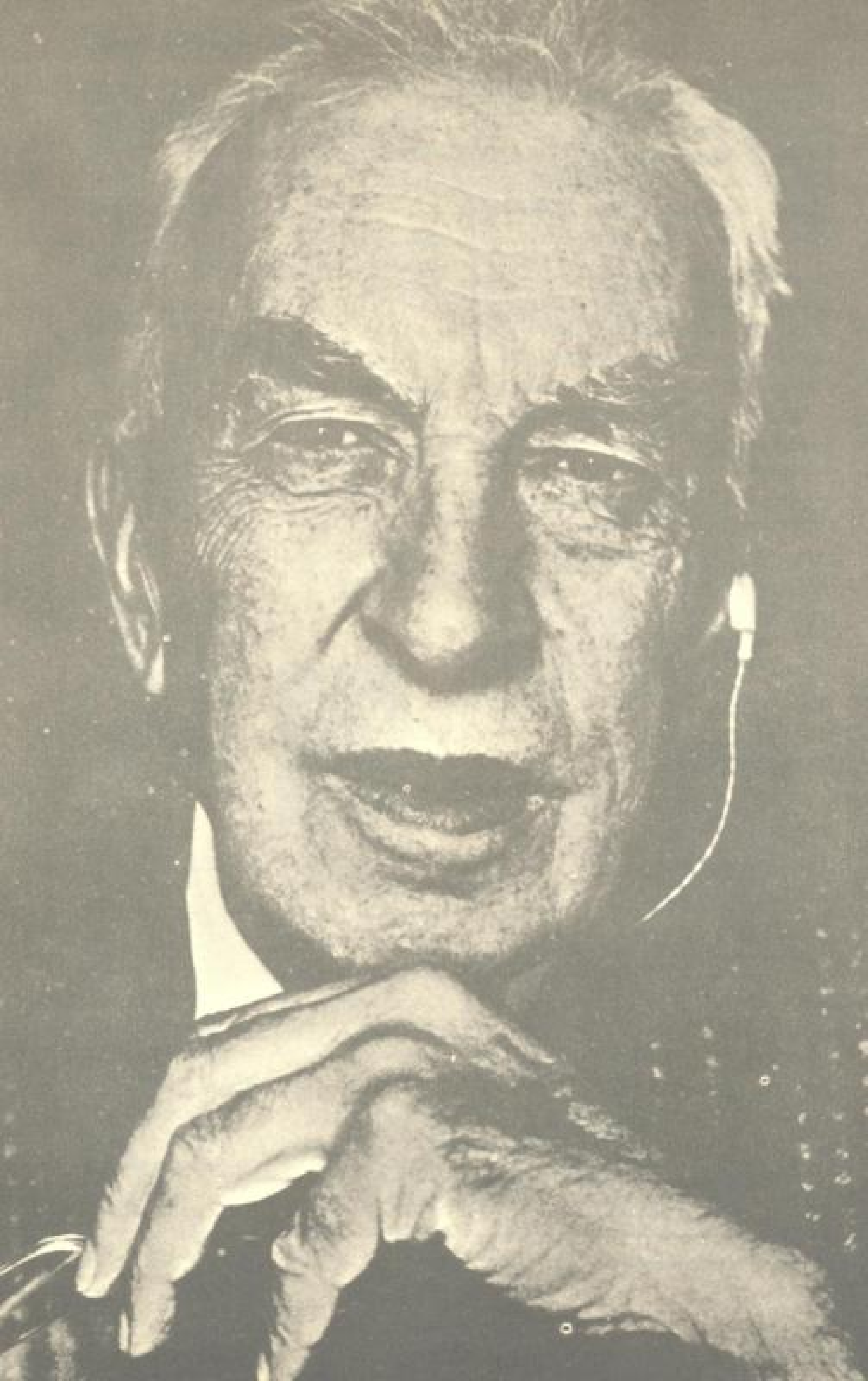
وقالوا عنه : « انه اينشتاين الادب ! » فهو الذى وضع « دراسة التاريخ » Study of History الذى صدر فى عشر مجلدات فى اعوام ١٩٣٤ و١٩٣٩ و١٩٥٤ .. فقد نقل الينا على صفحاته وبين سطوره صورا للحياة منذ ان كانت هناك حياة ، ثم راح يطوف بنا وينقلنا الى الحضارات واصولها، ويصف لنا بعد هذا العوامل المؤثرة فى فكر المؤرخين وكتاباتهم ..

لقد كانت « دراسة التاريخ » ، رحلة ممتعة مليئة بالفكر والتامل والعمق .. ولعلها كانت اطول واعظم رحلة فى تاريخ التاريخ !

ومن خلال هذه الدراسة خرج الكاتب بنتائج عديدة ، فى مقدمتها ان هذه الحضارات التى سادت فى حقبة او فى اخرى ، انما قامت استجابة للتحديات الخارجية ، طبقا لنظرية « التحدى والاستجابة » ، حيث بقى هذان العاملان الاساسيان فيها يتارجحان فى كفتى ميزان مضطرب ، تمسك به وتوجهه زعامة تستمد قوتها ، بفضل هذا الاسلوب الكلاسيكي المعروف .. اسلوب الانسحاب من الميدان والعودة اليه !

صداقته للتاريخ والانسان

وربما كانت رحلاته الى الشرق الادنى هى التى اعطته ذلك الشعور القوى بعدم دوام الحضارات .. فقد كتب يقول فى احدى وقفاته



وتاملاته : « هنا ترقد الحضارات الواحدة فوق الاخرى.. القلاع ، المعابد ، الآثار.. كلها في بقعة واحدة .. حضارات فارسية ويونانية ورومانية وبيزنطية وفينيقية .. لماذا ذابت هذه النظم السياسية الواحد بعد الآخر ؟ »

وكان يقف في حزن وهو يتامل تلك الاطلال من حوله .. تماما كما كان يجلس ويسرح بفكره عندما يخلو الى نفسه ، في هؤلاء الاصدقاء والزملاء الذين ضحوا بارواحهم في الحرب العالمية الاولى وماتوا في ساحة القتال .. وكثيرا ماأخرج منديله من جيبه ليمسح دمعة حاول ان يحبسها حزنا عليهم ..

لقد بقي شبح هؤلاء الرفاق يطارده طول حياته وكان يقول : « لقد كان من الممكن ان اموت مثلهم ، لولا هذا المرض (١) اللعين الذي اصابني،وجعلني غير لائق طبيا للخدمة العسكرية ! » وكان يشعر بغرابة كلما تقدم به العمر ، ورأى سفينة الحياة تقاوم الموج والغرق !

من هو هذا الرجل العظيم ؟

الفيلسوف
الانسان



انه ارنولد توينبي ، المؤرخ الفيلسوف العالم الذي كتب التاريخ كما لم يكتبه احد من قبله ، وربما من بعده ايضا .. الرجل الذي عاش حياته كلها في قلق على البشرية وما ينتظرها من ويلات .. الرجل الذي وقف يدافع عن الحق في شجاعة ، فكان يقول كلمته ويمضي في طريقه دون ان ينظر مرة واحدة وراءه ! ودون ان يبالي بالحملات التي كثيرا ما تعرض لها بسبب تمسكه بالحق ودفاعه عن المظلوم .

قال يوما وهو يرى الشعوب المستعبدة تتململ وتصحو من نومها لتنفض عن نفسها غبار الرقاد الطويل: « ان غطرسة الاوروبيين في معاملتهم للشعوب المستعمرة في آسيا وافريقيا تذكرني بتصرفات الاقلية تجاه طبقة البروليتاريا .. مع فارق بسيط ، وهو ان افراد هذه الطبقة الكادحة يعيدون عن هؤلاء الاقلية ، فهم خارج حدود بلادهم ! لابد لنا من ان نغير موقفنا .. لابد لنا ان نتعلم كيف نتواضع ، وكيف نتعامل مع هذه الشعوب على اساس من الاخوة والمحبة . »

ولد توينبي في لندن عام ١٨٨٩ ، وهو ينتمي الى اسرة ارستقراطية ، فقد كان جده لابيه جراحا مشهورا ، وكان عمه ارنولد الذي حمل اسمه ، من كبار المؤرخين الاقتصاديين ، كما كان مصلحا اجتماعيا .. ولو ان ابويه كانا اقل حظا ، رغم ما حصلا عليه من علم يؤهلهما لشغل مناصب مرموقة في الحياة العامة .. ولعلهما وجدا العزاء فيما حققه هذا الابن من نجاح..فقد تلقى علومه في كلية ونشستر وباليول باكسفورد ، حيث عمل مدرسا للتاريخ من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٥ ، ثم استاذا للآداب واللغة اليونانية والتاريخ في جامعة لندن ، ثم استاذا باحثا للتاريخ الدولي بالمعهد الملكي للشئون الدولية ، واستعانت به الحكومة البريطانية مرتين خلال الحربين الاولى والثانية ، عندما اختير عضوا في الوفد البريطاني لمؤتمر السلام في باريس خلال عامي ١٩١٩ و ١٩٤٥ .

طفولة
قلقة



هذا المؤرخ الكبير الذي فقده العالم ، عرف الخوف في طفولته ، وعرف القلق ، ولكن احدا لا يعرف على وجه التحديد لماذا كان توينبي الطفل خائفا وهو يخطو اولى خطواته على الارض في طريق حياته المليئة الطويلة ..

انه يحكي لنا جانبا من هذه المخاوف التي كانت تنتابه في كتابه « تجاربي » ، يقول : « كان بداية الفصل الدراسي بالنسبة لي اشبه ما يكون بموعد تنفيذ حكم الاعدام في سجين ينتظر الموت ! وكنت كلما احسست باقتراب هذه اللحظة ، تضاعف

(١) اصيب ارنولد توينبي بالدوسنتاريا ،وكان وقتها طالبا يدرس علم الآثار في اليونان.

عذابي حتى يبلغ الذروة . ان هذا الشعور لم يكن مقصورا على العام الاول لدخولي المدرسة..ولكنه ظل يلازمني طوال السنوات الست لدراستي قبل بدء مرحلة الدراسة الثانوية .. فقد كان ينتابني في كل مرة تنتهي فيها العطلة القصيرة التي كنت اقضيها وسط والدي ثلاث مرات في العام !

« كنت اقف دائما موقف المدافع عن النفس كلما بدأت استعد للعودة الى المدرسة الداخلية ، ولم يفارقني هذا الاحساس بالخوف الا عندما اصبحت طالبا في الكلية الانجليزية للآثار في اثينا . وكنت يومها قد جاوزت العام الثاني والعشرين من عمري .. ففي اليونان فقط تعلمت كيف اقف وحدي على قدمي ، وكيف اعتمد على نفسي .. تعلمت كيف اتخلص من مخاوفي .. وجدت في ريفها وفي آثارها القديمة تجربة العمر التي كنت اتطلع اليها ! »

وكان توينبي يسخر من مخاوفه ، ويستبعد ان يكون سبب هذه المخاوف هو بعده عن والديه في صغره ، فقد كتب يوما يروى تجربته مع ابنه فيليب عندما تزوج واصبح أبا ، وقد أرسله بدوره الى مدرسة داخلية ، قال : « في احد الايام تلقيت خطابا من فيليب يقول فيه ان شيئا طريفا قد حدث في المدرسة .. تصور يا أبي ، لقد تألفت جمعية جديدة اسموها « جمعية اعداء توينبي ! » .

ويمضي توينبي في سرد قصة فيليب ورسالته فيقول : « وضحكت وانا اقرأ رسالة ولدي ! وسألت نفسي ترى ماذا كنت افعل لو ان هذه الجمعية تألفت وانا تلميذ في المدرسة ؟ لا شك انني كنت سابتهل الى الله ان يساعدني في ان يشق الارض من تحتي لتبتلعني ! » .



سر نجاحه

وعرف توينبي في طفولته القلق .. ولكنه يقول انه مدين لهذا القلق بنجاحه .. فقد كان قلقه يدفعه دائما الى انجاز واجباته المدرسية قبل الموعد المحدد للانتهاء منها ، وقبل زملائه بوقت طويل ..

وهكذا كان يجد متسعا من الوقت يبحث فيه عن نفسه وعن كل ما يثير اهتمامه فيما يرى من حوله ! كتب يقول : « كنت اقضي هذا الوقت في قراءة كل ما يعجبني ، وما اختاره انا لنفسي بعيدا عن المقررات الدراسية .. وكانت كتب التاريخ هي اكثر الكتب التي اجد نفسي مشدودا اليها شدا ، فكنت امضي معها كل ساعات النهار ، وجانبا طويلا من الليل ! »

« وكانوا يسألونني ، لماذا تضيع كل عمرك مع التاريخ ؟ وكنت اجيبهم : « للمتعة ! » وقد كنت امينا ومخلصا في اجابتي .. ولو انهم سألوني : « لو عادت عقارب الساعة الى الوراء مرة اخرى ، وعشت حياتك من جديد ، هل كنت تفعل ما فعلت ؟ .. لو انهم وجهوا لي هذا السؤال يوما ، لقلت على الفور : « نعم ، ولا شيء غير ما فعلت ! وبكل ثقة وايمان بما اقول ! »

ولكن لماذا التاريخ .. والتاريخ بالذات ، ولا شيء غير التاريخ ؟!



أرضعتني أمي التاريخ

يقول المؤرخ الكبير : « انني اعرف الاجابة على هذا السؤال تمام المعرفة .. فقد احببت التاريخ ، واصبحت مؤرخا لان امي كانت مؤرخة ! لا استطيع ان اذكر على وجه التحديد ، متى ، ولا اين قررت ان اصبح مؤرخا مثل امي .. ولكن الذي اذكره هو ذلك الحادث الصغير الذي بدأ بمناقشة دارت يوما بين أبي وامي ، وكنت وقتها طفلا صغيرا في العام الرابع من عمري ! نعم كنت طفلا ، ولكن هناك اشياء تحدث لنا في هذه السنوات المبكرة من العمر وتبقى تفاصيلها محفورة في ذاكرتنا ، لا ننساها ابدا ، وكأنها تعيش معنا ! لانها تصل ما بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، وما صرنا اليه ! اذكر ان أبي جاء يوما يقول لامي ان ميزانيتنا لم تعد تحتمل دفع مرتب المربية .. ولهذا فلا بد من الاستغناء عنها !

ولكن امي طلبت الاحتفاظ بالمربية لمدة سنة واحدة اخرى .. وقالت لابي انها سوف تشرع في

وضع كتاب «طالما تاقت لاصداره»، وبذلك تستطيع ان تدفع مرتب المربية منذ دخل الكتاب بعد طباعته !

ووافق ابى ..

انني ما زلت اذكر حماس امي وهي تتسلم « بروفات » كتابها الجديد « قصص من التاريخ الاسكتلندي » Tales from the Scottish History لمراجعتها وتصحيحها قبل ارسالها الى المطبعة .. وصدر الكتاب ولم يزد اجرها في ذلك الوقت عن عشرين جنيها ، وكان ذلك في عام ١٨٩٣ .

وانتهت السنة ، وقبضت مربيتي أجرها ، وحزمت حقائبها ورحلت .. وبدأت امي تتولى مهمة رعايتي ، فكانت تحملني الى فراشي كل ليلة، وتفعل كل ما في وسعها لاسعادي بما ترويه من قصص قبل أن اغمض عيني لانام .. ماذا كانت تقص علي امي من قصص الاطفال ساعة النوم ؟ لقد مضت تحكي لي تاريخ انجلترا على حلقات .. كل ليلة حلقة جديدة ، منذ كان لانجلترا تاريخ حتى يومنا في ذلك الوقت !

« واحببت التاريخ الذي ارضعته لي امي .. كانت هي وحدها التي الهمتني .. كانت امي تعشق حقائق التاريخ .. الحقائق الثابتة التي عشقتها انا بدوري ، فهي رصيد المؤرخ في صناعته .. وبغيرها لا يستطيع أن يصبح مؤرخا . ولكنني لم اكن احب هذه الحقائق ، لمجرد انها حقائق فحسب ، بل كنت احبها لانها كانت بالنسبة لي مفاتيح لابواب تخفي وراءها أسرار الطبيعة ، وتكشف معنى الكون الغامض من حولنا .. هذا الكون الذي يصحو فيه شعور كل انسان .. اننا نحاول دائما ان نكتشف هذا الكون .. نحاول ان نعرف مكاننا فيه ، ونمضي في محاولاتنا بلا توقف رغم ادراكنا بان كل ما نبذله لن يقودنا الى اكثر من مجرد بصيص خافت من الضوء ! غير ان هذا لم يمنعنا يوما من السعي نحو مزيد من النور ! » .



التاريخ وحياة الانسان

لقد درس توينبي حياة الانسان .. درس الطبيعة، درس علم النبات، وعلم طبقات الارض ، ودرس كل ما يتصل بالحياة واسرارها .. وكان في دراساته كلها يبحث عن شيء واحد .. عن حقائق التاريخ .. تلك التي اعطاها كل فكره وعمره .

يقول توينبي : « ان اهتمامي بدراسة حياة الانسان مبعثه ذلك الاحساس الذي كنت اجده وانا ابحث وانقب في بطون كتب التاريخ .. فقد كانت هذه الكتب هي النافذة الوحيدة التي استطيع ان اطل منها على الكون الواسع من حولي ! »

لقد انتهت حياة هذا المؤرخ الكبير في الثاني والعشرين من شهر اكتوبر الماضي عن ٨٦ عاما حافلة مليئة ، اوصلته الى واحد من اعظم الرجال الذين امسكوا بالقلم ليسجلوا التاريخ ويفلسفوه!



تواضع العلماء وبساطتهم

لقد استطاع بفكره وعلمه أن يحل الكثير من اعقد المشاكل البشرية ، واستطاع بشخصيته أن يعلمنا كيف يكون تواضع العلماء ، وكيف تكون بساطة شخصياتهم ، واستطاع بحديثه أن يضفي على شخصيته سحرا تلمسه في كل كلمة تخرج من شفتيه ، وفي كل نظرة تراها في عينيه العجوزتين اللتين سجل بهما في طوافه حول العالم أروع قصص الحياة في واحد من كتبه العديدة التي جمع فيها خواطره وتأملاته ودراساته .. لقد حفلت سنوات توينبي الاخيرة من حياته بالانتاج ، فقدم لنا « شخصيات عرفتها » في عام ١٩٦٧ « واهتمام الانسان بالموت » (١٩٦٨) ، « ونصف العالم » الذي نقل الينا فيه التاريخ الثقافي للصين واليابان (١٩٧٣) وغيرها من الكتب التي امتلأت بفلسفته، وتوغل فيها الى اعماق نفسه واعماق التاريخ !

كيف كانت حياته الخاصة ؟



امنية لم تتحقق

لقد تزوج توينبي مرتين ·· المرة الاولى من « روزاليندا » ابنة استاذه جيلبرت موراى ، وهى التى انجبت له ولدين ·· ودام هذا « الزواج السعيد » كما وصفه هو لاكثر من ثلاثة وثلاثين عاما ·· وكان يتمنى لو انه عاش مع زوجته وام ولديه رحلة العمر كلها حتى نهايتها ·· ولكن امنيته لم تتحقق ·· فقد انفصل عن زوجته بالطلاق فى عام ١٩٤٦ ·

واحس توينبي بالوحدة ، فراح يبحث عن زوجة اخرى تشاركه حياته ، وكان يومها فى السابعة والخمسين من عمره ، ووجدها ، وكانت ابنة قسيس طيب ، تدعى فيرونيكا ·· وقد شاركته حياته وعمله ، وكانت عكازه الذى يستند اليه فى شيخوخته !

ولم يبخل توينبي بفكره ورايه على الصحف ، فقد كان يدرك اهمية الدور الذى تقوم به الصحافة فى عالم اليوم ، ولكنه كان يتخير الصحيفة التى يخصها بنشر افكاره على الناس·· فكتب لصحيفة « الاوبزرفر » ، وهى من اكثر الصحف البريطانية اتزانا وحرصا فى بحثها عن الحقيقة ·· لقد ظل توينبي يكتب للاوبزرفر لمدة عشرين عاما متصلة ·· ولم يكن يتعب او يمل حتى عندما تقدم به العمر وهدته شيخوخته ·· كان ياتى الى دار الصحيفة ، ويقدم لها ما سجله بقلمه عن الحضارات القديمة وعن انسان ما قبل الميلاد ·· وكيف كان يعيش ويكافح ويتعذب ويقاتل من اجل البقاء ··



اجمل صور الحياة

وكان توينبي ينظر الى استخدامات الانسان للتكنولوجيا المتقدمة بشىء كثير من الشك ·· كان لا يستريح مثلا لركوب الطائرات النفاثة ، ويفضل عليها الطائرات البطيئة التى تطير بالمحركات المروحية ، وبشرط ان يكون لها نوافذ كبيرة يستطيع ان ينفذ ببصره من وراء زجاجها ليرى ما تخفيه عنه السحب !

وقد كان يشعر بارتياح عندما يحس بقدميه تدبان على الارض ، وكان يرى فى آثار الابل فوق رمال الصحراء صورة تذكره باستمرارية الحياة ·· كان يقول ان آثار حوافر عنزة فوق تل اجمل من اية صورة يمكن ان يرى الانسان مثلها وراء السحب فى السماء ·· نفس السحب التى طالما وقف توينبي ينظر من خلالها الى البشرية وهو يقيم هذا الجيل على ضوء خلفيات الاجيال السابقة ·

لقد مات توينبي ·· ولكن نبوءاته سوف تعيش وتتحقق من بعده ·· ولعل اعظم هذه النبوءات التى هزت اعداء العرب ، هى تلك التى قال فيها ان اسرائيل لن تلبث ان تزول من تلقاء نفسها وسط هذا البحر من العرب الذى تحيط امواجه بكل شواطئها ·· ذلك ان اسرائيل قد قامت على اساس فاسد غير سليم ، ولا يمكن ان تستمر على مدى التاريخ ··

قالت صحيفة الاوبزرفر وهى تنعى الرجل الذى مضى يغذى قراءها بفكره تقول : « حتى قبل نشوب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ·· كتب توينبي يحذر القراء من ان ميزان القوة سوف يميل لصالح دول الشرق الاوسط والدول الاسيوية » ·

وكان توينبي وقتها فى عامه الثالث والثمانين ·· ولم تكد تنقضى اكثر من بضعة شهور على نشر هذه النبوءة حتى بدا العالم كله يشعر بما توقعه ·

لقد دخل ارنولد توينبي التاريخ الذى احبه وافنى عمره فى دراسته ·· تلك الدراسة التى بدات مع طفولته ، ولم تنته ابدا حتى آخر يوم فى حياته ·· فقد ذهب وهو ما زال يقرأ ويدرس ويتعلم ·· وهو الاستاذ الذى علم اجيالا ··

■■

منير نصيف

بريد القراء ومعرض آرائهم



أمة لن تموت

● تلبية للنداء الصادر عن ابناء جيبوتي الذي يدعون فيه اخوتهم العرب للتدريس في مدارسهم والذي تضمنه، استطلاعكم عن جيبوتي .. يسعدني ان اقدم نفسي للذهاب الى هناك لتادية رسالة التعليم .. علما بانني اعمل هنا في الكويت مدرسا .

ابراهيم سعيد غريري
الكويت

روائع الفن العالمي

● قرات الاقتراح الذي نشره « العربي » في باب « بريد القراء » للسيد رياض ناجي على يطلب فيه جمع كل اللوحات التي نشرت على الصفحة الثانية من « العربي » في كتاب خاص مع نبذة من كل لوحة .. وانا اذ اضم صوتي لصوت صاحب الاقتراح ، اقول بان اخراج مثل هذا الكتاب الفني سيفتح نافذة للفنان العربي يطل منها على روائع الفن العالمي .

احمد توفيق فضل الله
السودان

لتكن مسابقة سنوية لأحسن بحث

● حرصي الشديد على ان تصل « العربي » الهدف الذي ننشده نحن القراء ، يدفعني الى ان اتقدم ببعض الاقتراحات كعمل مسابقة سنوية كبرى في اي مجال من مجالات المعرفة .. كالعلم .. او القصة ، او الشعر .. وتخصيص جائزة لاحسن بحث يصلكم في هذا الموضوع .

زينب عبد الله عبد الرحمن
محافظة اسوان

هل زاد سعر « العربي » ؟

● سمعت انكم رفعتم ثمن « العربي » ، وانها بعد هذا الرفع اصبحت عزيزة المنال .. هكذا قال لي موزعها في منطقة الجزيرة في سوريا .. فهل حقا ما قال ؟

محمد حسن احمد
الجزيرة / سوريا

« العربي » ليس صحيحا ما قاله لك الموزع .. فـ « العربي » مازال على ثمنه القديم دون رفع .

الفنون الشعبية العربية

● تعلمون ان وسائل الاعلام في ايامنا هذه ، تلعب دورا لايستهان به.. ومجلة « العربي » اصبحت من وسائل الاعلام العربية المهمة .. لذا فانى اقترح ان تخصص « العربي » بعض صفحاتها لنشر فنوننا الشعبية، لتعطى فكرة للعالم الخارجي عن اصالة حضارتنا ورسوخها .

التجاني عبد الرحيم / الخرطوم

تذكروا « بيحان »

● لاأعدو الحقيقة اذا قلت ، ان مجلة «العربي» قد استطاعت ان تغطي اكثر من ثلاثة ارباع الرقعة العربية على امتدادها ، فنقلت لنا صورا واضحة الرؤية لمعالم حبيبة الى قلوبنا عن واقعنا بكل سوءاته وحسناته .. وهنا نحب ان نشير ونذكر بموقع من وطننا كان مركز اشـــعاع حضـــاري وثقافـي عظيـم .. ومركزا لدولة ذات تاريـخ مجيد .. هذا الموقع في منطقة « بيحان » في الشطر الجنوبي من اليمن .

نامل ان تنقل « العربي » صورة حية عن هذه المنطقة الاثرية حتى يعرف جيل الغد اين كان اجدادنا ، واين كانت حضارتنا ..

عبد القادر عبد الله مساعد
الجمهورية العربية اليمنية

أغيثونا ... أغاثكم اللـه

● انا قارىء من قراء « العربي » ، اعيش في ولاية قالمة في الجزائر .. التي يبلغ عدد سكانها حوالي (٧٠٠) الف نسمة ، ومشكلتي انا وسكان الولاية هي « العربي » .

نبحث عنها في كل مكان فلا نجدها .

لجانا للسوق السوداء فلم نعثر لها على اثر .

كونا صداقات مع بائعي الصحف ، ولكن بلا جدوى .

راسلنا المكتبات الكبرى فلم نحصل على جواب .

اتصلنا بالشركة الموزعة فلم تتعطف علينا بالاجابة .

امنيتنا ان تصلنا المجلة ، ولو بعد ستة اشهر.. فحسبنا ان نحصل عليها .. وكفى .. مهما كان العدد قديما .. اذ ليس في مجلة « العربي » قديم وحديث .

دهمان عبد العزيز
ولاية قالمة / الجزائر

سوق عكاظ
شرقي الطائف لا شماليه

● اطلعت على حديث الشـــهر في العدد (٢٠١) من « العـــــربي » ، والـذي عقدتموه للحديث عن ســـــوق عـــكاظ .. وهـــو لاشك حديث قيم وشامل عن سوق عكاظ فـــي الجاهلية والاسلام .. واكثر ما اعجبت به هو اهتمام مجلة « العربي » بالاحداث الجارية ، ومنها الدعوة لاحياء سوق عكاظ .. ذلك الحدث التاريخي من قبل المملكة العربية السعودية .

والحقيقة ان سوق عكاظ يحمل معاني جميلة من ماضينا التليد ، وهو ايضا ماثرة من المآثر العربية التي يجب الاهتمام بها .

واستميح استاذنا الكريم عذرا في ابداء رأي حول مقاله القيم ، بصفتي اكتب عن قرب من موقع سوق عكاظ ، وكما قيل ، فاهل مكة ادرى بشعابها .. وقد عودتنا « دائما ان نبحث عن الحقيقة ، ونقولها ، ومن هنا اقول بان سوق عكاظ يقع شرقي مدينة الطائف لاشمالها الغربي كما ورد في الخريطة التي صاحبت المقال . ويؤكد ما اقول تلك الآراء التي تضمنتها امهات المراجع الجغرافية لجزيرة العرب ، مثل « معجم ما استعجم» للبكري ، و «معجم البلدان» لياقوت الحموي ، و «الازمنة والامكنة» لابي على المرزوقي .. كلها تؤكد ان سوق عكاظ تقع شرقي الطائف لا شمالها.. وفي ذلك الموقع اقامت الحكومة السعودية السوق.. وسوف يبدأ هذا السوق في موسم الصيف القادم.

مناحي ضاوي القثامي
عضو لجنة التاريخ والآثار / الطائف



● قصة مترجمة ●

سر الحياة

تاليف : ليو تولستوي

■ « حقا ! ان الذى لا يعمر الحب قلبه غير جدير بالحياة !

« ولكن ! اى نوع من الحب ذلك الذى يعمر القلوب !

« هو حب الله .. وما دمنا نحب الله ، فلم لا نحب بعضنا بعضا ..

لو ان جوهر الحقيقة يكمن فى هذا ، فلم هذه الخصومات والاحقاد التى تتحكم فى علاقات الناس بعضهم ببعض . »

هذا ما كان يردده « سيمون » الاسكاف الفقير الذى ودع ارضه ، والالم يعتصره ، واخذ يضرب فى اكثر من ارض حتى بلغ قرية ، لم يبخل عليه اهلها بركن اقام فيه واقامت معه اسرته ، واتخذ من عوامل الحركة التى احدثها فيه منطلقا لحياة لعل الحظ يواتيه فيها فيكفل لاسرته ولنفسه ما يرد عنهم جميعا سهام الجوع التى تنفذ الى الاعماق، فاذا اجسادهم وعزائمهم واهنة لا تقوى على شىء .. وكان سيمون بطبعه سمح النفس ، رقيق الحس ، عذب الحديث ، فتوطدت ـ من ثم ـ علاقات طيبة بينه وبين جيرانه الذين اخذوا ـ مع الايام ـ يتعاملون معه على اساس ان يؤدوا له حقه عندما يتهيأ لهم ذلك ، اذ انهم لم يكونوا افضل حالا منه ، والا فما عسى حمالو الحطب او فلاحو الارض ان يكونوا تماما ..

وذات شتاء ، فكر سيمون فى ان يبتاع معطفا رخيصا لزوجته ، ولم تكن لديه وسيلة غير ان يطرق ابواب مدينيه ، لعله يحصل على ما يحقق رغبته ، غير ان محاولاته ردته خائبا ، فعزم على العودة الى بيته والالم والياس يعتصرانه ..

وفى الطريق قادته قدماه الى احدى المقابر ، وود ان يستند الى جدار ، التماسا للراحة ، واستعادة لقدرة تعينه على مواصلة السعى . وما كاد يقترب من المقبرة حتى روعته هيئة آدمى لا يكاد يكسوه شىء ، ومن عينى هذا الآدمى انطلق بريق حائر اخاف « سيمون » فود ان يبتعد ، لولا ان قوة ما ثبتته فى مكانه لحظة ، تقدم بعدها الى ذلك الجسد العارى وهو يحدث نفسه : « من عسى هذا المسكين ان يكون .. ! ترى .. اى ريح طوحت به الى هنا .. بل اى بؤس »

واذ اصبح منه على بعد خطوة ، وراه بوضوح احس بما يجذبه اليه ، ويدفعه الى ان يخلع معطفه البالى عليه ، ليكسو ذلك العارى .. وانهضه ، وقال له : « هيا بنا الى بيتى ، فالبرد قارس .. ولكن من تكون .. وما الذى اتى بك الى هنا ؟ »

قال المسكين : « حسبك اننى لا انتمى الى هذه القرية . »

واذ ادرك « سيمون » حرص الرجل على الصمت، احترم رغبته ، وصحبه الى بيته .

وفى البيت كانت « ماترينا » زوج « سيمون » مطمئنة الى ان زوجها لاشك عائد اليها بالمعطف الذى وعدها به ، لذا فقد اخذت تهىء نفسها لهذه المفاجاة ..



• •• واذا أصبح منه على بعد خطوة ، وراه بوضوح أحس بما يجذبه اليه ، ويدفعه الى ان يخلع معطفه البالى عليه ، ليكسو ذلك العارى •• وأنهضه وقال له : هيا بنا الى بيتى ، فالبرد قارس •••• •

سمعت « ماترينا وقع اقدام رات بعدها رجلين يدلفان الى البيت • اما احدهما فكان زوجها ،اما الآخر •• فمن عساه ان يكون ! واذ تاملت زوجها وراته لا يحمل ما توقعته، اخذت تصب عليه اللعنة فى صمت ، وابت ان تستجيب الى ندائه •

سيمون : ماترينا ! ماترينا ! الا تسمعين ؟

ماترينا : (فى غضب) أسمعماذا ايها الـ •••

سيمون : اعِدّى طعام العشاء ، فلدينا ضيف

ماترينا : اى طعام اعد ، وقد التهم ما لدينا اطفالك •• ثم ما هذا (وقد رات معطفه الوحيد البالى حول جسد المسكين) •

سيمون : كسوت به جسد المسكين •

ماترين : اى مسكين هذا الذى تهبه كل ماتملك! •• اين النقـــود •• واين معطفى الجديد ؟ •• لعلك بددت ما جمعت ونسيتنى •• ثم تاتينا بهذا الغريب •• اسمع يا « سيمون » •• لاطعا َم أعد ، بل لم يعد لى بقاء معك ••

سيمون : مهلا يا « ماترينا » •• واتقى الله الذى تحبه •• واستمعى الى •• اذ ليس فيما

فعلت شرا .. بل هو كل الخير .. اهدئي قليلا واعدي لنا شيئا . فالضيف جائع .

وبالفعل هدأت « ماترينا » قليلا ، فاخذت تعد شيئا .. واذ رأت الضيف يأكل في صمت ـ اخذت تتامله ، حتى اذا ما انتهى ورآته يلتفت اليها باسما شجعها ذلك على ان تسأله :

ماترينا : ما الذي اتى بك ؟

الضيف : قدري

ماترينا : قدرك ، ألست من ابناء هذه القرية؟

الضيف : . . . .

ماترينا : اتقول قدرك .. ؟

الضيف : اجل ..

ماترينا : لا افهم !

الضيف : حسبك ان الله يعاقبني بذلك

ماترينا : وما اسمك ؟

الضيف : مايكل ! الا يكفي هذا ؟

واستغرق الضيف في صمت

وادركت ماترينا ان سرا ما يخفيه ذلك الضيف، ولا يود الكشف عنه ، فآثرت الصمت بدورها ، وانصرفت الى شؤونها ، بعد ما اعدت له مقاما بالقرب من الموقد يقضي فيه ليلته .

وحين خلت الى زوجها راحت تتساءل عن سر ذلك الضيف ، ولم يكن زوجها بالذي يملك ما يقول .

وانقضى الليل ، واذ اقبل الصباح . وعلى مائدة الطعام قال « سيمون » للضيف :

سيمون : عزيزي مايكل ! لقد انست اليك ، ولعلك بعد ما طعمت واسترحت تدرك حقيقة هامة .. انني اود ان تعيش معنا ولكن بشرط ..

مايكل : اي شرط !!

سيمون : ان تعمل !

مايكل : اعمل ماذا ؟

سيمون : الا تجيد شيئا

مايكل : لم امارس اي عمل في حياتي ، ولكن لدي استعداد لأتعلم .

سيمون : اذن .. اعلمك صنع الاحذية

مايكل : اتفقنا . وستجدني ان شاء الله صالحا

وابتت الايام صدق مايكل ، وكانت مشاركته فاتحة عهد جديد ، اذ بدأت اسرة « سيمون » تشهد الحياة وتعيشها في لون جديد ، فقد بورك في رزقهم ، واستقامت اوضاعهم .. بل ان مهارة مايكل لفتت اليه الاهتمام ولكنه كثيرا ما كان يصمت ..

ومر عام .. وذات يوم من ايام الشتاء ، اذا عربة فاخرة تقف عند باب الحانوت ، ويهبط منها سيد وقور ، وفي صحبته سائق العربة وهو يحمل لفافة من الجلد الفاخر ، واذ بلغ الاثنان«سيمون» قال السيد :

السيد : ايها الحذاء ، اريد ان تصنع لي من هذا الجلد حذاء لا يبلى قبل عام ، والا ....

سيمون : لا داعي الى « الا » هذه ياسيدي ، فزميلي « مايكل » متفنن في صناعة الاحذية المتينة .

السيد : ولا تنس شرطي ! الا يبلى قبل مضي عام .

قال هذا ، و « مايكل » ينظر الى ما وراء السيد ، ويطيل النظر . واذ هو يبتسم في صمت

وما ان غادر السيد المكان حتى شرع « مايكل » في صناعة الحذاء ، غير انه ـ لعجب سيمون وزوجته ـ لم يتقيد بالمقاييس التي اخذها « سيمون » ولا بما اصر عليه السيد . وبدلا من ذلك اخذ يخطط لصناعة حذاء نسائي . ولم يشأ سيمون وزوجته ان يعترضا على ذلك لان اصرار «مايكل» على صناعة هذا الحذاء بالذات اسكتهما، غير انهما احسا بان مصيبته ستحل بهم جميعا ، لان « مايكل » قد افسد الجلد الفاخر بفعله هذا .. واني لـ « سيمون » ان ياتي بمثله ؟

ولكن ما كاد ينقضي الليل ويطلع الفجر حتى كانت نفس العربة تقف عند باب الحانوت، ويهبط منها ذلك السائق نفسه ، ولكن سيده لم يكن في صحبته .

سيمون : مرحبا .. اي خدمة يامر بها سيدك

السائق : سيدي !! لقد مات مباشرة بعد مغادرته حانوتك في الطريق الى قصره . لذا فان سيدتي تامر بان تصنع حذاء يناسبها هي ، بدلا من سيدي ، وهذه مقاييسها ..

ونظر « سيمون » الى « مايكل » نظرة ذات معنى ، ومايكل كعادته صامت لا يتكلم ، ولدهشة « سيمون » وزوجته كان « مايكل » قد اتم بالفعل صنع الحذاء ، هو نفس الحذاء الذي بدا يخطط له بعد مغادرة السيد مباشرة ..

وتسلم السائق الحذاء وعاد به الى القصر .

ومرت سنوات ، كاد « سيمون » وزوجته ان ينسيا خلالها تلك الحادثة .

وبينما كان « سيمون » و « مايكل » مستغرقين - كعادتهما - في العمل ، اذا سيدة انيقة تقبل عليهما وفي صحبتها طفلتان ، تشابهت ملامحهما، غير ان احداهما كانت عرجاء

السيدة : اسعدتم صباحا يا سادة

سيمون : مرحبا بك سيدتي

واستراحت السيدة قليلا قبل ان تلتفت الى « سيمون » و « مايكل » قائلة : « اريد ان تصنعا زوجين من الاحذية لهاتين التوامتين »

وود « سيمون » ان يخبرها بانهما غيرمتخصصين في صناعة احذية الاطفال ، غير ان « مايكل » اشار اليه بان يقبل . وحين تامل « سيمون » الطفلة العرجاء راعه جمالها غير ان اشفاقه على علتها دفعه للسؤال :

سيمون : معذرة يا سيدتي .. طفلتك هذه (مشيرا الى العرجاء) هل ولدتها هكذا ؟

السيدة : ولدتها !! انا لست امها .. بل انني لا امت اليهما بصلة

سيمون : رغم هذا اراانها شديدة التعلق بك، وكذلك الاخرى ، هل يرجع هذا الى ايثارك اياهما بالحب والرعاية ؟

السيدة : هذا حق ، غير ان لذلك قصة :

« كان ابوهما حطابا ، مات قبل ان يولدا بيومين اثنين .. وماتت امهما عقب ولادتهما مباشرة ، ولم يكن لوالديهما اقرباء يعنون بهما . لذا فقد توليت وزوجي العناية بهما ، حتى بلغا هذه السن » .

وما كادت تتم كلامها حتى غمر الدمع وجهها .

الى كل هذا كان « مايكل » يستمع في صمت . ولم يشارك بكلمة في الحوار . غير انه حين روت السيدة الانيقة قصة الطفلتين انفرجت شفتاه عن بسمة عريضة . وكانت هذه هي بسمته الثالثة خلال السنوات التي قضاها في صناعة الاحذية كما لاحظ « سيمون » وزوجته .

غير انه اشار الى « سيمون » ان يستبقيالسيدة حتى يفرغ من صناعة الحذاءين اللذين اتمهما بعد حين قصير .

واذ تسلمت السيدة الحذاءين وغادرت المكان نهض « مايكل » من مكانه ، وخلع رداءه ، وفي انحناءة رقيقة قال :

- والآن .. لتسمحا لي بان اودعكما الوداع الاخير . فقد تحقق ما وعدت به ، واحس الآن بان الله قد غفر لي .... الم اقل لكما انه القدري الذي ساقني الى هذا المكان .. ! ولكن .. قبل ان اغادركما يجب ان اكشف لكم عن سري .. لقد عاقبني الله لانني عصيته .. فانا ملاك .. كلفت بقبض روح ام الطفلتين ..ولما تجليت لها توسلت الى ان ادعها تحيا حتى ترعى طفلتيها اليتيمتين اذ لم يكن قد مضى على موت ابيهما سوى يومين ، واشفاقا عليها عدت الى السماء،دون تنفيذ الامر. وكان غضب الله علي .. ولكن هذا لم يعفني من العودة ثانية لقبض روح تلك الام .. وبينما انا عائد الى السماء سقط عني جناحي ، ومن ثم لم استطع الصعود فهبطت الى الارض حيث وجدني « سيمون » وكان اول انسي اصادفه في وضعي الجديد .. غير ان الله حين فرض علي العقاب شملني برحمته ، اذ وعدني بارجاعي ملاكا بعد ما اتبين حقائق ثلاثا .

سيمون : وهل تبينتها ؟

مايكل : اجل .. خلال بسماتي الثلاث : الاولى حين اطعمتني السيدة « ماترينا » وكانت هذه هي الحقيقة الاولى التي تمثلت في ان الحب الذي يعمر قلب الانسان هو الذي حول غضب «ماترينا» الى شفقة .

سيمون : والحقيقة الثانية !!

مايكل : عندما اصر السيد الوقور على ان لا يبلي الحذاء قبل عام كامل . كنت ارى ملاكالموت وراءه تماما وهو يحدد ذلك . وهنا بسمت للمرة الثانية .

سيمون : والحقيقة الثالثة

مايكل : عندما ابتسمت للمرة الثالثة وذلك حين روت السيدة الانيقة قصة اليتيمتين . فقد كانت امهما تخشى عليهما من الضياع ، غير انالله وحده هو الذي يرعى ، وان مشيئته - حين امات امهما - لم تحل دون رعايته لهما سبحانه ، فساق اليهما السيدة الكريمة وزوجها .

وما ان اتم « مايكل » كلامه حتى انثنى على الله بصوت اهتزت له الجدران ، واختفى تماما .

لقد بدأ بالفعل رحلة العودة الى السماء ..

■■

ترجمة : احمد البشبيشي - الكويت



"حكومة الجماعة" الأندلسية

مثل فريد فى نظم الحكم الاسلامى

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ فى شهر اكتوبر الماضى ٩٧٥، احتفلت وزارة الثقافة المغربية بالذكرى الالفية لمولد شاعر الأندلس الكبير ابى الوليد ابن زيدون ، وشهد هذا الحفل الادبى الكبير جمهرة من اكابر الباحثين والأدباء والشعراء ، والقيت فيه عدة بحوث وقصائد تدور حول حياة الشاعر الكبير وحول شعره وعصره . وبالأخص حول حياته الغرامية ، وهيامه الشهير بولادة ابنة الخليفة الاموى « المستكفى بالله » . ولكن النواحى الادبية وبالاخص النواحى الغرامية فى حياة ابن زيدون وحبيبته « ولادة » غلبت على جو الندوة ، فلم يتحدث احد من الباحثين بصورة شافية عن الخواطر التاريخية ، والاجتماعية للعصر الذى عاش فيه الشاعر وهو عصر الطوائف ، وهو من اواخر عصور التاريخ الاندلس بالغواص المبتكرة المميزة .

واذا كان ابن زيدون - بالرغم من توليه الوزارة فى ظل دولتين من اعظم دول الطوائف ، وهم دولة بنى جهور فى قرطبة ، ودولة بنى عباد فى اشبيلية ، واشتراكه اشتراكا فعليا فى الحياة السياسية - لم يترك لنا لا فى نثره ولا فى شعره اية آثار او تعليقات سياسية على نحو ما فعل بعض زملائه من الشعراء المعاصرين ، امثال ابى بكر ابن عمار ، وابى بكر الدانى (ابن اللبانة) ، وابن عبدون - حيث ينعكس فى قصائدهم صدى الاحداث التاريخية المعاصرة ، وحيث يستطيع المؤرخ ان يستخرج كثيرا من الشواهد التاريخية الهامة ، فان شعره يفقد بذلك الاغفال كثيرا من القيم المعنوية ، وذلك بالرغم من روعته الادبية والفنية .

ولقد عاش ابن زيدون فى قرطبة ، وعمل فى ظل حكومة الجماعة الجمهورية سفيرا ووزيرا ، ومع ذلك فان هذه الظاهرة الفذة فى تاريخ الاندلس ، بل وفى التاريخ الاسلامى كله ، لم تلفت نظره ، ولم تستثر قلمه ، باية كلمة او اشارة او تعليق .. وقد كان حريا به ان يترك لنا عنها الكثير فى رسائله وقصائده العديدة .

دويلات عديدة

لما انهارت دعائم الخلافة الاندلسية فى فاتحة القرن الخامس الهجرى (القـــرن الحادى عشر الميلادى) وانتثرت الدولة الاسـلامية الكبرى بالاندلس الى دويلات عديدة ، هى دول الطوائف، كانت هذه الدول الصغيرة المتنافسة ، تقدم الينا بالرغم من تفرقها وضعفها ، صورا خلابة شائقة. ففى اشبيلية بلاط بنى عباد يسطع بهاء وفخامة ، وفى قرطبة حكومة ارستقراطية من طراز مبتكر. وفى المرية يقوم ابن صمادح على راس دولة من الشعر والشعراء ، وفى بطليـــوس يقيم الامير العالم المتوكل ابن الافطس دولة للعلم والادب . وينافس بنى ذى النون فى طليطلة ، ودولة بنى عباد باشبيلية ، فى البهاء والفخامة .. وهكذا نستطيع ان نلمح فى جنبات اسبانيا المسلمة ،فى هذه الفترة العصيبة من تاريخها ، كثيرا من تلك المناظر الفخمة التى اجتمعت من قبل حول بلاط قرطبة الاموى فى عصور القوة والمجد .

ولقد كان مثل قرطبة ، عاصمة الخلافة القديمة فريدا بين دول الطوائف ... ذلك انه لم تقم بها دولة بالمعنى المفهوم ،ولم يقم بها بلاط على نحو ما وقع فى سائر قواعد الاندلس الكبرى . ولكن قامت بها حكومة او بعبارة اخرى هيئة ادارية من نوع جديد سميت « بحكومة الجماعة » . وكان على راس هذه الحكومة الشورية المبتكرة رجل من ابرع رجالات الاندلس فى الادارة والسياسة ، هو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور . وكان قيامه فى حكم قرطبة فى سنة ٤٢٢ هـ ، خاتمة سلسـلة طويلة من الثورات والانقلابات المتوالية ، التى استمرت منذ انهيار الدولة العامرية وعود الامر الى بنى امية ، زهاء عشرين عاما .

وينتمى ابو الحزم بن جهور الى بيت من اعرق بيوتات الموالى الاندلسية . وقد تعاقب اجداده فى مناصب الدولة الكبرى من الحجابة والوزارة وغيرها . وكان جده جهور بن عبيد الله بن ابى عبدة ، من وزراء عبد الرحمن الناصر . وتقلب ابو الحزم فى مناصب الدولة ،وولى الوزارة غير مرة فى ظل من تقلب فى خلافة قرطبة ايام الفتنة من امراء بنى امية ، وامراء بنى حمود الادارسة. وكان الحكم فى تلك الآونة المضطربة من حيـاة العاصمة الاندلسية سجالا بين البربر وبنى امية. وكانت رياســـة بنى اميــــة احب الى نفوس القرطبيين والشعب الاندلسى قاطبة ، لما كان يغلب على زعماء البربر من العنف والخشونة . وكان آخر من تولى الحكم من بنى امية فى خاتمة هذه الحقبة ، الامير هشـــام بن محمد بن هشـــام ، استدعاه ابو الحزم ، وهو يومئذ زعيم «الجماعة» بقرطبة ، فدخلـها فى ســـنة ٤٢٠هـ . وتلقب بالمعتضد بالله . ولكن حكمه لم يطل سوى عامين، ثم ثار عليه الجند ، ففر من قرطبة ، والتجا الى بنى هود فى سرقسطة . ثم توفى بعد بضعة اعوام دون عقب ، وانقطعت بوفاته الدعوة لبنى امية . وعفا ذكرهم وانتهت دولتهم .

حكومة الجماعة
تجربة جديدة فى الحكم

ولما انهار حكم بنى امية فى قرطبة لآخر مرة ، كان الشعب القرطبى قد سئم تعاقب الحكومات والدول على هذا النحو المضطرب . ولم يحدث من جهة اخرى فى قرطبة ما حدث فى قواعد الاندلس الاخرى من قيام زعيم محلى يقيم لنفســـه دولة جديدة على غرار ما حدث فى اشبيلية وطليطلة وبطليوس وغرناطة والمرية وغيرها . وكان ابو الحزم ابن جهور كبير زعماء قرطبـــة يحظى من الشعب القرطبى بكل عطفه وثقته . وكانت لديه كل فرصة ليقيم لنفسه مثل هذه الدولة . ولكنه لم يجنح الى مثل هذه الغاية . وآثر ان يشـق لنفسه طريقا فذا .فلما اختاره الزعماء والكبراء للرياسة ابى ان ينفرد بها دونهم، وآثر ان يدعو صفوة الرؤساء الى مشاركته فى الحكم وتوجيه الشئون ، وان يجتمع الرؤساء جميعا فى شــبه مجلس للدولة او حكومة للجماعة ، تتولى الحكم باشرافه وتوجيهه ، وتصدر باســمها القرارات

الهامة .. فاذا طلب منه مال او قضاء امر من الامور . قال ليس لى عطاء ولا منع إنما هو « للجماعة » وانا امينهم ، واذا عرض له امر عظيم او اعتزم تدبير مسالة خطيرة استدعاهم وشاورهم . واذا خوطب بكتاب لا ينظر فيه الا ان يكونباسم الوزراء .وهكذا كان جهور يتحدث فى كل امر ، ويمضى كل امر لا باسمه ولكن باسم « الجماعة »، وقرن جهور ذلك كله باجراء بارع، هو انه لم يفارق رسم الوزارة ، ولم ينتقل من داره الى قصور الخلفاء ، واكتفى بان رتب عليها الحجاب والحَشَم على ما كانتعليه ايام الخلافة، وجعل نفسه ممسكا للموضع الى ان يجيء مستحق يتفق عليه فيسلم اليه . وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية ، بايدى رجال رتبهم لذلك ، وهو المشرف عليه . ولم يتخذ اى عنوان او اجراء يبرز رياسته او يحيط نفسه باى مظهر من مظاهر الابهة والفخامة ، بل لبث على سابق عهده من الانزواء والتواضع ، والقناعة ، وخفض الجناح، ومعاملة الجميع بالرفق والحسنى .

وكان جهور فى اتباعه لهذا الاسلوب فى الحكم يتسم بضرب من بعد النظر والدهاء البارع، وكان يرمى بذلك كله الى اكتساب تاييد الزعماء الاقوياء واتقاء ما قد تثيره الاطماع المتضاربةمن الخصومات والمعارك ، وتاييد الامن والنظام بجمع الكلمة وتوحيد الراى ، وتوزيع التبعات ، وهكذا انشا جهور بقرطبة نوعا من « حكم الشورى » فىصورة حكومة دستورية .وقد عرفت هذه الحكومة الفريدة فى صحف التاريخ الاسلامى « بحكومة الجماعة » . واليك كيف يصف لنا ابن حيان ـ عمدة مؤرخى الاندلس، ووزير الدولة فى ظل رياسة ابى الوليد بن جهور ولد الرئيس جهور ـ اجتماع الملأ من اهل قرطبة على تقديم جهور وانشائه حكومة الجماعة :

« اعطوا منه قوس السياسة باريها ، وولوا من الجماعة داهيتها ، فاخترع لهم لاول وقتهنوعا من التدبير حملهم عليه ، فاقترن صلاحهم به ، واجاد السياسة ، فانسدل به الستر على اهل قرطبة مدته ، وحصل على كل ما يرتفع من البلد بعد اعطاء مقاتلته ، وصير ذلك بايدى ثقات من الخدمة ، ومتى سئل : قال : ليس لى عطاء ولا منع ، هو للجماعة ، وانا امينهم » واذا رابه امر عظيم او عزم على تدبير احضرهم وشاورهم . واذا خوطب بكتاب لا ينظر فيه الا ان يكون باسم الوزراء ». فاعطى السلطان حقه من النظر ، ولم يخل من ذلك من ربحه لمعيشته حتى تضاعف ثراؤه وصار لا تقع عينه على اغنى منه .

الرئاسة العليا

« وللجماعة » من الناحية الاصطلاحية ، فى نظم الاندلس ، مكانة ملحوظة ، فهى تعنى « الرياسة العليا » او جماعة الزعماء ممثلة فى الصفوة من اهل المدينة او الدولة . وفى نظام القضاء الاندلسى يقال لرئيس القضاة الاعلى « قاضى الجماعة » ويقابله فى نظام القضاء الشرقى « قاضى القضاة » . ومن ثم فانه من الخطا ان توصف « حكومة الجماعة » الاندلسية بانها جمهورية لان الجمهورية تنصرف الى حكم الشعب ممثلا فى هيئة نيابية ، وانما كانت « حكومة الجماعة » هى حكومة الزعماء المختارين او حكومة « الاقلية الارستوقراطية » الشورية . التى نراها شعارا لكثير من حكومات العصر القديم ، ولا سيما فى المدن اليونانية . وهى فى الواقع حكم « الارستوقراطية » متى وجهالى خير الشعب المحكوم ، او حكم الصفوة او الاقلية المختارة اذا اتجهت سياستهم فى نفس الوقت الى تدعيم سلطانهم وانماء ثرواتهم ، وعندئذ تغدو حكومة « الاولجارشية Oligarchy » وهى اقل اصلاحا من الحكومة الارستوقراطية .

ويمكننا ان نتبين ملامح هذا النوع من حكم الجماعة او حكم الاقلية الارستقراطية ، الذى ابتدعه ابو الحزم ابن جهور فى بعض الحكومات التى قامت فيما بعد ، فى بعض الولايات والمدن

الايطالية ايام عصر الاحياء مثل حكومة « الكوموني Commuse » (الجمعية العامة) في جنوة ،وحكومة « السنيوريا » Signoria « مجلس السادة » في فلورنس ايام حكم آل مديتشي • وقد كان هذا النظام في الواقع اقرب النظم الى حكومة الجماعة، فقد كان آل مديتشي يحكمون وفق ارادتهم حكما مطلقا ، ولكن يحتجبون في نفس الوقت وراء هيئة منتخبة من النبلاء والزعماء الذين يعملون بوحيهم تسمى « السنيوريا » اى جماعة الحكام او السادة • وكانت حكومات « الدوجات » الدكتاتورية، تقوم في البندقية وتحتجب وراء « مجلس العشرة » الشهيرة Consiglio Dieci الذى غدا ـ فيما بعد ـ هيئة مطلقة رهيبة • ولسنا نود ان نقول ان هذه الحكومات الايطالية كانت ماخوذة او مقتبسة من نظام حكومة الجماعة الاندلسية ، فليس ثمة دليل على ذلك ، ولكنا نود ان نقول فقط : انها قامت في ظروف مشابهة ، ولمثل البواعث والظروف التى اوحت بقيامها في قرطبة •

الاستقرار والسلام

وقد استطاع جهور ان يحقق في ظل حكومة الجماعة لقرطبة ولقطرها الذى كان يمتد شمالا حتى جبل السارات وشرقا حتى منابع الوادى الكبير ، وغربا حتى « استجة » ، وجنوبا حتى ولاية غرناطة ، والذى كان يشمل من المدن ـ عدا قرطبة جيان وابدة ، وبياسة والمدور وارجونة واندوجر ـ استطاع ان يحقق لها نوعا من الاستقرار والسلام والامن • وان يعيد اليها لمحة من رخائها الذاهب • ويشيد ابن حيان بخلال جهور وبخاصة في مهمته بقوله :

(وكان مع براعته ورفعة قدره ، وحكمة حديثه من آشد الناس تواضعا وعفة ، واشبههم ظاهرا بباطن ، واولا باخر ، لم تختلف به حال من الفتاء الى الكهولة ، واستمر في تدبير قرطبة ، فانجح سعيه بصلاحها ، ولم شعثها في المدة القريبة ، والمر الثمرة الزكية ، ودب دبيب الشفاء في السقام ، فنعش فيها الرفات ، والحفها رداء الامن، ومانع عنها من كان يطلبها من امراء البربر المتوزعين اسلافها ، يخفض الجناح ، ومعاملة الرفق، حتى حصل على سلمهم ، واستدرار مرافق بلادهم، ودار القاسطين من ملوك الفتنة حتى حفظوا حضرته ، واوجبوا لها حرمة) •

ويقول الحميدى : « وكان يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ، جاريا على طريقة الصالحين ، وهومع ذلك يدبر الامر بتدبير السلاطين المتقلبين • وكان امنا وادعا ، كانت قرطبة في ايامه حريما يامن فيه كل خائف من غيره » .

واستطال حكم الوزير ابو الحزم جهور وحكومته الشورية الارستوقراطية ،حكومة الجماعة زهاءاربعة عشر عاما نجت فيها قرطبة من اهوال الحرب الاهلية المغربية ، ومن عدوان الطامعين في امتلاكها من الامراء الاقوياء ، وتمتعت بفترة من الامن والرخاء لم تعرفها منذ انهيار الدولة العامرية وبداية الفتنة • ثم توفي الوزير النابه في اوائل سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) تاركا حكومة الجماعة تحت اشراف ولده ابى الوليد محمد بن جهور • وكان بالرغم من عدله ورفقه ضعيفا لايستطيع النهوض باعباء الرياسة • وفي ظل حكومة الجماعة ، وفي عهد ابى الوليد عمل في الوزارة المؤرخ الكبير ابو مروان ابن حيان ، حسبما يذكر لنا في حديثه عن الدولة الجهورية ، وكان عمله « ديوان السلطان » • وعمل في ظلها ايضا الكاتبوالشاعر الكبير ابو الوليد بن زيدون ، وعهد اليه الرئيس ابو الوليد اولا بالنظر في شئون اهل الذمة ، ثم رفع مكانته وعهد اليه بالسفارة بينه وبين رؤساء الاندلس والترسل اليهم • فلمع في منصبه واشتهر ببارع رسائله ومحاوراته ، كما اشتهر برائع نظمه ، ولكنه كان يحيا حياة نكدة مضطربة ترتبت قبلكل شيء على هيامه بولادة ابنة الخليفة المستكفى •

حب ابن زيدون لولادة

والواقع ان حب ابن زيدون لولادة كان اعظم حدث في حياته • وكان اعظم وحي لروائع شعره •• وكانت ولادة من اجمل نساء عصرها • وكانت ابنة جارية نصرانية ، وكانت ناصعة المحيا ، زرقاء العينين ، حمراء الشعر ، رائعة الحسن • ويصفها ابن بسام يقول : « وكانت في نساء اهل زمانها واحدة اقرانها ، حضور شاهد ، وحرارة

أوابد ،وحسن منظر ومخبر ،وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار العصر • وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الأدب الى ضوء غرتها •• ويتهافت افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة اثواب ، على انها ـ سمح الله لها وتغمد زللها ـ طرحت التحصيل ، وأوجدت للقول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها » •

وكانت ولادة قد ظهرت يومئذ في مجتمع قرطبة ببهوها الأدبي ، الذي يزينه جمالها الرائع ، وشعرها الرائق • وكان ابن زيدون من المع فرسان هذا المنتدى الساحر ، يضطرم شغفا بسيدته ، وكان هيامه البالغ بها ، وشعره المتيم فيها ، يثير حول سيرته الوزارية كثيرا من الفضائح الغرامية • وكان خصومه فوق ذلك يثيرون حول حياته وحول سلوكه ، كثيرا من الدسائس لدى بني جهور ، ويتهمونه لديهم بنقص في ولائه ، وبانه يجيش بمشاريع لاتتفق مع اهدافهم •• وقد اثار ذلك كله سخط ابي الوليد بن جهور على وزيره الشاعر ، فامر بالقبض عليه والقاه الى السجن • وانفق ابن زيدون في ظلمات السجن عاما وبعض عام ، وهو يستعطف ابا الوليد بقصائد ورسائل تذيب الجماد دون ان يتاثر بها • وفي النهاية حزم امره على الفرار ، وفر من سجنه بمعاونة بعض الاصدقاء الاوفياء • وقصد الى اشبيلية (سنة ٤٤١ هـ ـ ١٠٤٩ م) والتجا الى اميرها المعتضد ابن عباد ، فولاه وزارته ، والقى اليه مقاليد الأمور ، وعلت مكانته لديه • ولما توفي المعتضد ، استمر في خدمة ولده المعتمد ،وتوفي سنة ٤٦٣ هـ + ١٠٧١ م) وقد ترك لنا ابن زيدون ثروةكبيرة منوعة من نظمه الرائق ، ومنها قصائد تعتبر من اروع ما يحتويه الشعر الاندلسي ، وفيها يبلغ النسيب ذروة الابداع الروحي والحسي ، وكان لحبه لولادة بلا ريب اعمق تاثير في نفسه وروحه •• وهو تاثير يشيد به النقد الحديث • يقول لنا الاستاذ نكل « وبغير هذا التاثير كان شعر ابن زيدون يبقى ناقصا بعضا من اثمن جواهره » •

نموذج مثالي

وما نود ان ننوه به في ختام هذا المقال ، وهو ماسبق ان اشرنا اليه في بدايته ، هو ان ابن زيدون وقد خدم في ظل حكومة الجماعة القرطبية وزيرا ، واتصل بعملها ووسائلها واهدافها اوثق الاتصال ، وقد كانت بنظامها وروحها النيابية الاصلاحية مثلا فريدا في نظم الحكم الاسلامية لم تلفت نظره ،ولم تستثر اهتمامه ، ولم يبد لها اى ذكر او اثر في نثره او شعره ، وقد كان حريا به ، ان يحذو حذو زميله في الوزارة ، المؤرخ ابن حيان ، فينقل الينا بعض آرائه ومشاعره • ولكنه القى بجل اهتمامه ومناحي تفكيره وغايات حياته في حب ولادة ، ولم يترك لنا في ذلك سوى بعض مدائحه لبني جهور ، ومنها الأبيات الآتية ، من احدى قصائده :

لولا بنو جهور ما اشرقت همم
غيد السوالف في اجيادها تلع

قوم متى نحتفل في وصف سؤددهم
لايأخذ الوصف الا بعض ما يدع

ابو الوليد قد أستوفى مناقبهم
فللتفاريق منها فيه مجتمع

مهذب اخلصته أوليته
كالسيف بالغ في اخلاصه الصنع

ان السيوف متى طاب جوهرها
في اول الطبع لم يعلق بها الطبع

هذا ، ولقد كان حريا ان تغدو حكومة الجماعة القرطبية في نفس الوقت ، نموذجا مثاليا يحتذى لدول الطوائف فتغدو وقت الفتنة ملاذا لاتفاق الراى ، واجتماع الكلمة ضد العدو الخالد ـ اسبانيا ـ النصرانية ـ ولكن الاطماع والاهواء الجامحة ، كانت اقوى من ان تروضها دعوة الاتحاد والتفاهم ، وكان المصير المحزن الذى لقيته دول الطوائف غير بعيد ، ابلغ جزاء ، لتفرقها وتخاذلها • ■■

محمد عبد الله عنان





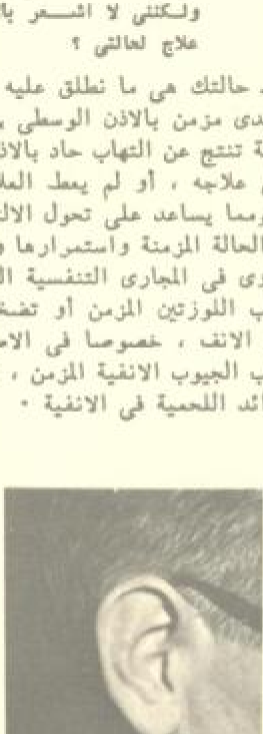
طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

افرازات الاذن

● منذ طفولتى وانا اشكو من خروج افراز يشبه الصديد من اذنى اليمنى ، كما اشعر ان سمعى بهذه الاذن اضعف منه بالاذن الاخرى ٠٠ ولكننى لا اشعر بأى الم او اى اعراض اخرى بالاذن ٠٠ فهل هناك علاج لحالتى ؟

ـ حالتك هى ما نطلق عليه ، التهاب صديدى مزمن بالاذن الوسطى ، ، وهذه الحالة تنتج عن التهاب حاد بالاذن الوسطى أهمل علاجه ، أو لم يعط العلاج الكافى ٠٠ ومما يساعد على تحول الالتهاب الحاد الى الحالة المزمنة واستمرارها وجود بؤرة للعدوى فى المجارى التنفسية العليا مثل التهاب اللوزتين المزمن أو تضخم اللحمية خلف الانف ، خصوصا فى الاطفال ، أو التهاب الجيوب الانفية المزمن ، أو وجود الزوائد اللحمية فى الانفية ٠



وعلاج هذه الحالة يتكون من شقين :

الشق الاول : فحص شامل من قبل طبيب متخصص فى الانف والاذن والحنجرة ، لاكتشاف وجود أية بؤرة للعدوى مما ذكرنا آنفا ، وعلاجها كما يجب ٠

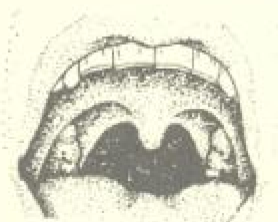
الشق الثانى : وهو علاج الاذن نفسها ، ويبدأ العلاج بتنظيف الاذن من الافراز الصديدى بمعرفة الطبيب واستعمال بعض القطرات المطهرة ، ويستمر ذلك حتى يخف الافراز الصديدى ، وتصبح الاذن فيما نسميه حالة ساكنة ٠٠ وهنا يأتى دور الجراحة ، وهو باختصار شديد يهدف الى اجراء عملية جراحية على الاذن لاستئصال مصدر الالتهاب ، ومحاولة تعويض ما تلف من اجزاء الاذن نتيجة الالتهاب الذى استمر لمدة طويلة ، وترقيع طبلة الاذن حتى يتحسن السمع ٠

ونحب ان نطمئنك ان هذه العمليات تجرى كل يوم بقسم الانف والاذن والحنجرة بمستشفى الصباح بدولة الكويت ، وبدرجة عالية من النجاح تعادل ما يجرى فى اكثر المستشفيات تقدما فى العالم ٠

اللوزتان ٠٠ متى وفى أى سن تستأصلان ؟

● ابنى يبلـغ من العمـر ستسنوات ٠٠ ويصاب بالتهاب اللوزتين بصورة متكررة على مـدار السنة ،وقد نصحنى الاطباء بضرورة اجـراء عملية اسـتئصال اللـوزتين له ٠٠ولكننى اخشى على ابنى من اجـراء العملية فى هذه السن المبكرة ٠٠فهل‌انتظر حتى يكبر ؟ ام انه من‌الافضل اجراء العملية الآن ؟ وهل هناك سن‌معينة يفضـل عندها اجـراء عملية استئصال اللوزتين ؟

ـ اللوزتان نسيج خاص من الجسم ، له مهمة يؤديها فى‌حماية هذا الجسمـ لا سيما المجارى التنفسية والهضمية ـ ضد بعض المؤثرات الخارجية ، وخصوصا فى الاطفال الصغـار حتى ســن الخامسة تقريبـا ٠٠ والطبيب لا يلجأ الى استئصال اللوزتين الا عندما تصبحان‌فى‌حالة لاتسمح‌لهما بالقيام بوظيفتهما ، بل انهما على‌العكس‌تصبحان



مصدر ضرر لباقى الجسم ٠٠ وهذا يحدث نتيجة لحدوث الالتهاب المتكرر ، وتحـول اللوزتين الى بؤرة لتكاثر الميكروبات التى تفرز سمومها فى الجسم ٠

هذه هى العوامل التى يضعها الطبيب فى اعتباره عندما يقرر ضرورة استئصال اللوزتين ، أما سن الطفل فتأتى فى المرتبة الثانية بعد ذلك ، ولا ضرر من اجـراء العملية فى أى ســن ما دام هنـاك السبب القوى لاستئصال اللوزتين ، ولكننا عموما لا نلجأ لاستئصال‌اللوزتين قبل سن‌الخامسة للاسباب التى ذكرناها آنفا ٠

أما بالنسبة لحالـة ابنـك بالـذات ، فالواضح أنه بحاجة فعلا لاستئصال لوزتيه ٠٠ وسنه مناسبة تماما لاجراء العملية ٠٠

حساسية الأنف



● اصبت منذ سنتين بنوبات من‌العطاس الشديد تنتـابنى فى فترات مع انسداد فى الانف ورشح شديد ،وقد لاحظت ان هذه النوبات تصيبنى اكثر ما تصيبنى مع حلـول كل من‌فصلى الخريف والربيع ٠٠٠ وقد قيل لى اننى مصاب بالحساسية ٠٠ فما هى هذه الحساسية وما علاجها ؟

ـ ما تشكو منه يرجح انك مصاب‌فعلا بحساسية فى الانف ٠

أما سؤالك عن ماهية الحساسية ، فأقول لك انه تعبير عن حالة يكون فيها الشخص حساسا لمادة معينة لا تسبب نفس التـأثير فى الشخص العادى ٠٠ وهذا الاختـلاف

فى رد الفعل تجاه التعرض لهذه المادة ينتج من التفاعل بين المادة وبين مانسميه

النحافة وسرعة الخجل

● اشكو من النحافة وسرعة الخجل،وحالة من التوتر والقلق تجعلنى لاانام بسهولة فى الليل ٠٠ فهل من علاج ؟

ـ النحافة في حد ذاتها ليست مرضا وانما هى صفة ، مثل الطول والقصر والسمنة ولون البشرة،وانما هناك امراض مزمنة قد تؤدى الى النحافة، والامثلة على ذلك كثيرة ٠

ولذلك يجب على القارىء ان يتأكد اولا من خلوه من هذه الامراض التى قد تؤدى الى النحافة المؤقتة ، فاذا اثبت خلوه منها فلا يجب ان يفكر فى هذه النحافة ، حيث انها قد تكون افضل بكثير من السمنة ، والتى تؤدى الى كثير من الامراض ٠

والانسان عموما لاتقاس شخصيته بمدى طوله او قصره او نحافته او سمنته، فهذه صفات لاتكون قوة الشخصية اوضعفها وانما شخصية الانسان تتكون من ثقافته وسلوكه ومعاملته مع الآخرين ٠

واما عن القلق والتوتر الذى تقاسيه ، فمن الارجح انه ناتج عن التفكير الكثير فى صفة النحافة هذه ٠



ونصيحتى الى السائل :

١ ـ الا يلقى بالا الى الكلام الذى يسمعه عن صفة النحافة هذه ، لأنه كلما اغفل هذا الكلام قل التوتر النفسى لديه ٠

٢ ـ ان يتأكد من خلوه من الأمراض التى قد تؤدى الى النحافة،وذلك باستشارة احد الأطباء المختصين ٠

٣ ـ ان ينمى شخصيته بالقراءة وسلوك المسلك الطيب الذى يحبب الأخرين به ٠

٤ ـ اذا لم تنجح هذه الوسائل فى ابعاد القلق والتوتر العصبى عنه يجب عليه الاستعانة بطبيب نفسانى لمساعدته فى الخروج من هذه الحالة ٠

بالاجسام المضادة التى يفرزها جسم الشخص المصاب بالحساسية كوسيلةللدفاع ضد هذه المواد ٠٠ بينما جسم الشخص العادى لا يفرز اجساما مضادة لهذه المادة بالذات ٠

والمواد التى تسبب الحساسية هى مواد بروتينية قد تكون فيما نتناوله من طعام أو شراب أو فيما نستنشقه من هواء أو فيما يلامس جسمنا من ملابس ٠ والعلاج الامثل يهدف الى التوصل الى معرفة تلك المادة المعينة التى تسبب الحساسية لمريض بعينه ،ومن ثم تحاشى التعرض لهذهالمادة، او عمل تطعيم خاص من هذه المادة يعطى للمريض بنظام معين ، حتى تختفى الحساسية لهذه المادة ٠٠ والوصول لذلك يستلزم تعاونا تاما بين المريض والطبيب للوصول الىمعرفة المادة المسببة للحساسية واجراء سلسلة منالفحوصات الخاصة ٠٠

وفيما عدا ذلك ٠٠ فالعلاج يتركز فى اعطاء الادوية المضادة للحساسية التىتقلل من تفاعل الجسم عند تعرضه للمادة المسببة للحساسية ٠ ■■



مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول مارس ١٩٧٦

٧٨

عزيزى مارات المسكين

تأليف : الكسي أربوزوف

تقديم : د. فوزى عطية محمد

ترجمة : الشريف خاطر

مراجعة : حسين على الحبيشي



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائده جنابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة

١٠٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهريًا.

١٠½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central
Bankers

Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

الاسم: ____________________
العنوان: ____________________

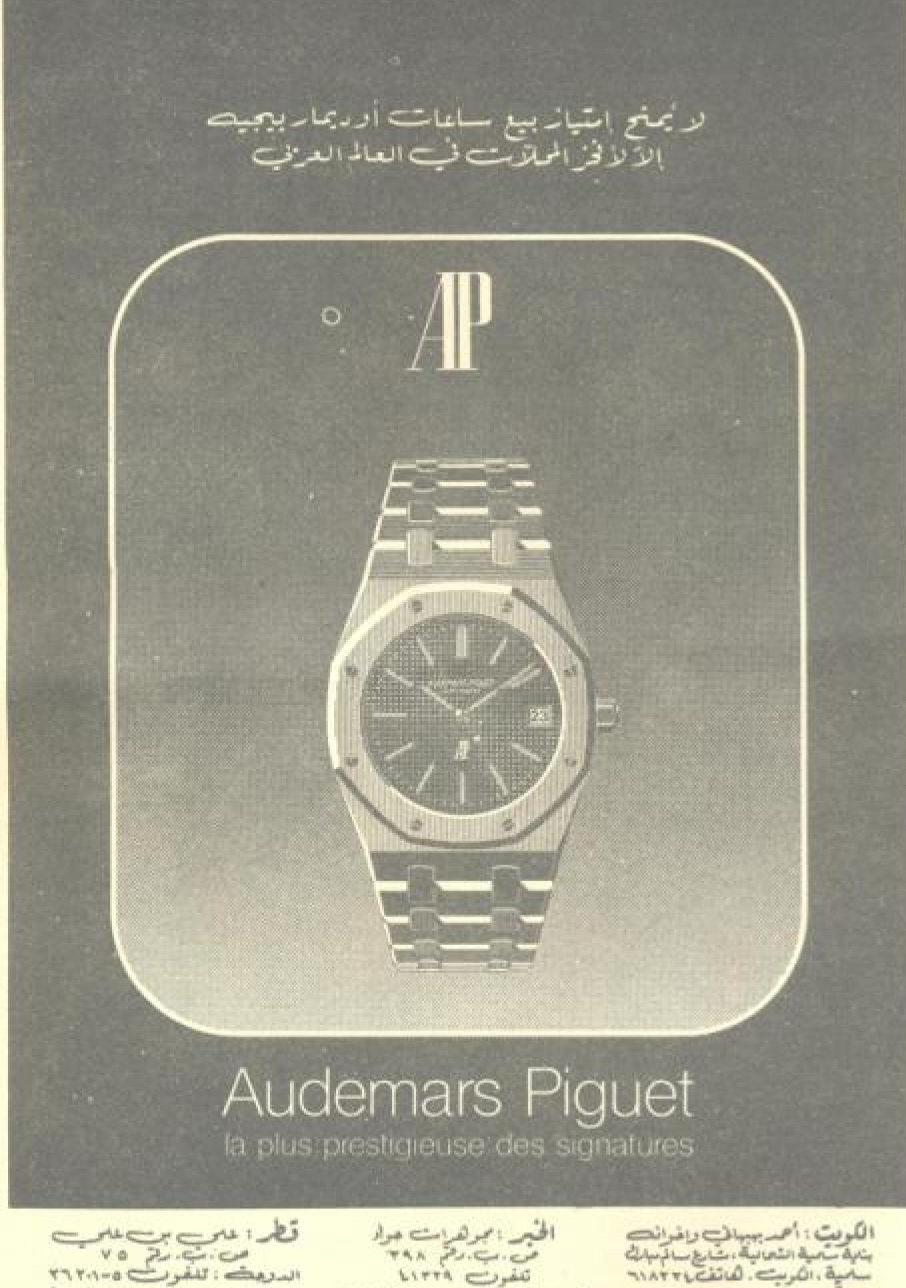
2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.


وست إند
مضمونه ١٠٠٪
تحفظ
الوقت
بدقة
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص.ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٥٨٥



الأدوات المنزلية التي صُنعَت
لتخدم طويلاً من فيليپس
لأول وهلة تظهر جميع الأدوات المنزلية جذابة ولكن من الأفضل قبل الشراء أن تنظر إليها مليا وتتأكد من بعض الميزات الضرورية كسهولة وتعداد وسرعة الاستعمال ومدى إتكالك عليها. خذ ذلك بعين الاعتبار وستندهش أمام مجموعة لا تزاحم.
أنظر مثلاً، مكنسة فيليپس ذات الرأس المتحرك الفخمة، إنها الموفرة للوقت عجيبة متقنة الصنع، مزودة بثلاثة خراطم مختلفة وبجهاز أوتوماتيكي للف شريطها، أكياسها للغبار صحية. كما يوجد منها أيضاً موديلات أصغر حجماً.
هنالك أيضاً المكاوي الخفيفة الوزن والسهلة الاستعمال - مكاوي فيليپس. بما فيه المكاوي على البخار وتحقق من سرعة حماوتها ودقة مراقبتها للحرارة ترى نفسك أمام أدوات تفخر باقتنائها لما تتحلى من جودة وخدمة مضمونة من مؤسسة شهيرة ومعروفة بخبرتها الواسعة وإتقانها بالصنع - فيليپس
PHILIPS
فيليپس الأفضل لكم دوماً


لا يمنح إمتياز بيع ساعات أوديمار بيجيه
إلا لأفخر المحلات في العالم العربي
AP
Audemars Piguet
la plus prestigieuse des signatures





«نموذج رام تشارجر» مع غطاء منزلق

من يحتاج إلى الطرق؟

أحدث عربات كرايزلر قوة ٤×٤ تعمل في خدمتك حيث تندر الطرق المعبدة

هذه العربة المتعددة الاستعمالات الصامدة للأعمال الصعبة هي عربة جديرة بأكثر من ثمنها للقيام بأعمال نقل الحمولات أو نقل لغاية خمسة أشخاص براحة مهما كانت عليه حالة الطريق من وعورة (مع وسائل الترف إذا رغبت فيها). ويمكن الحصول عليها بموديل «دودج رام تشارجر» وموديل «بليموث تريلداستار». والموديل العادي مزود بزجاج أمامي/غطاء واق، مع سقف فولاذي أو غطاء منزلق اختياري — مما يجعل هذا الموديل مثالياً لنطاق واسع من الاستخدامات

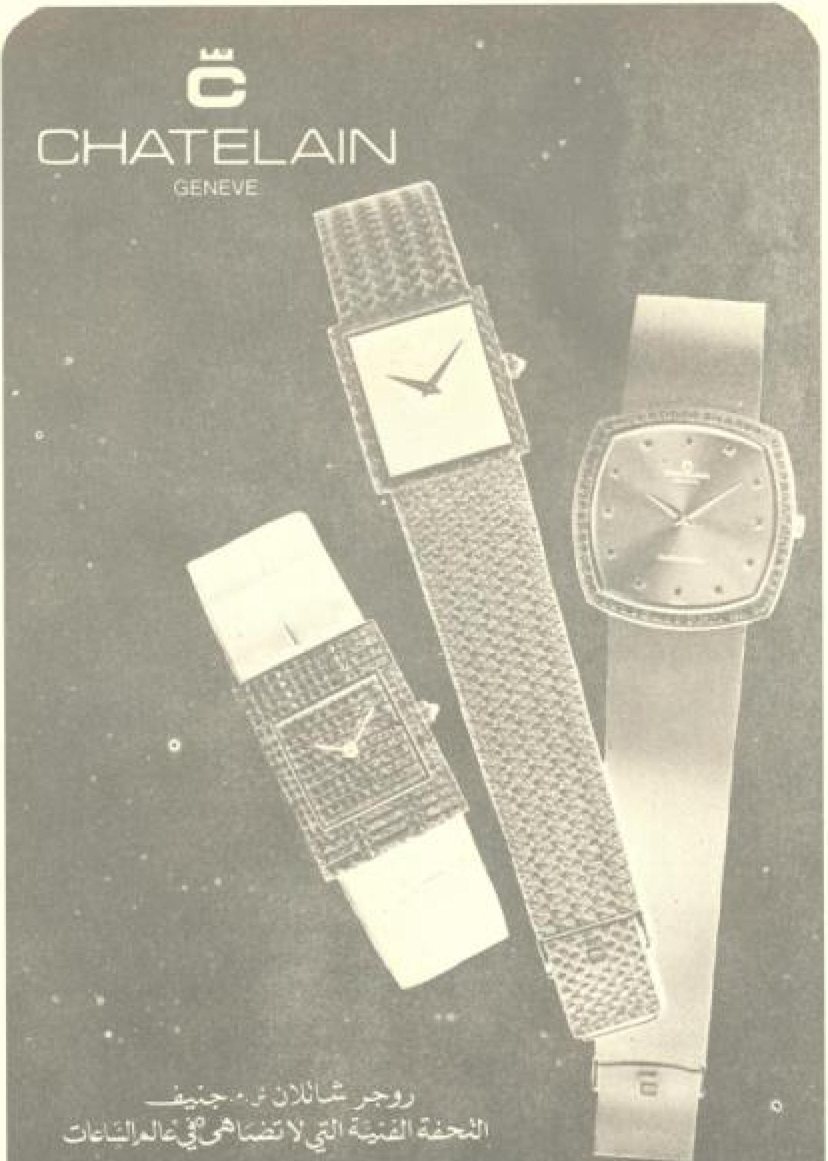
والدفع بالعجلات الأربع يوفر قوة سحب ممتازة (وكذلك الدفع بعجلتين). دواسات معلقة — لا توجد فتحات في الأرضية تسمح بدخول التراب أو وحل الطرق. مجموعة من المحركات القوية للاختيار من بينها. ارتفاع صغير لسلم الركوب عن الأرض. أبواب واسعة لسهولة الدخول. ثلاثة أشكال جلوس مختلفة للاختيار من بينها.

استفسر من وكيل كرايزلار عن كافة التفاصيل

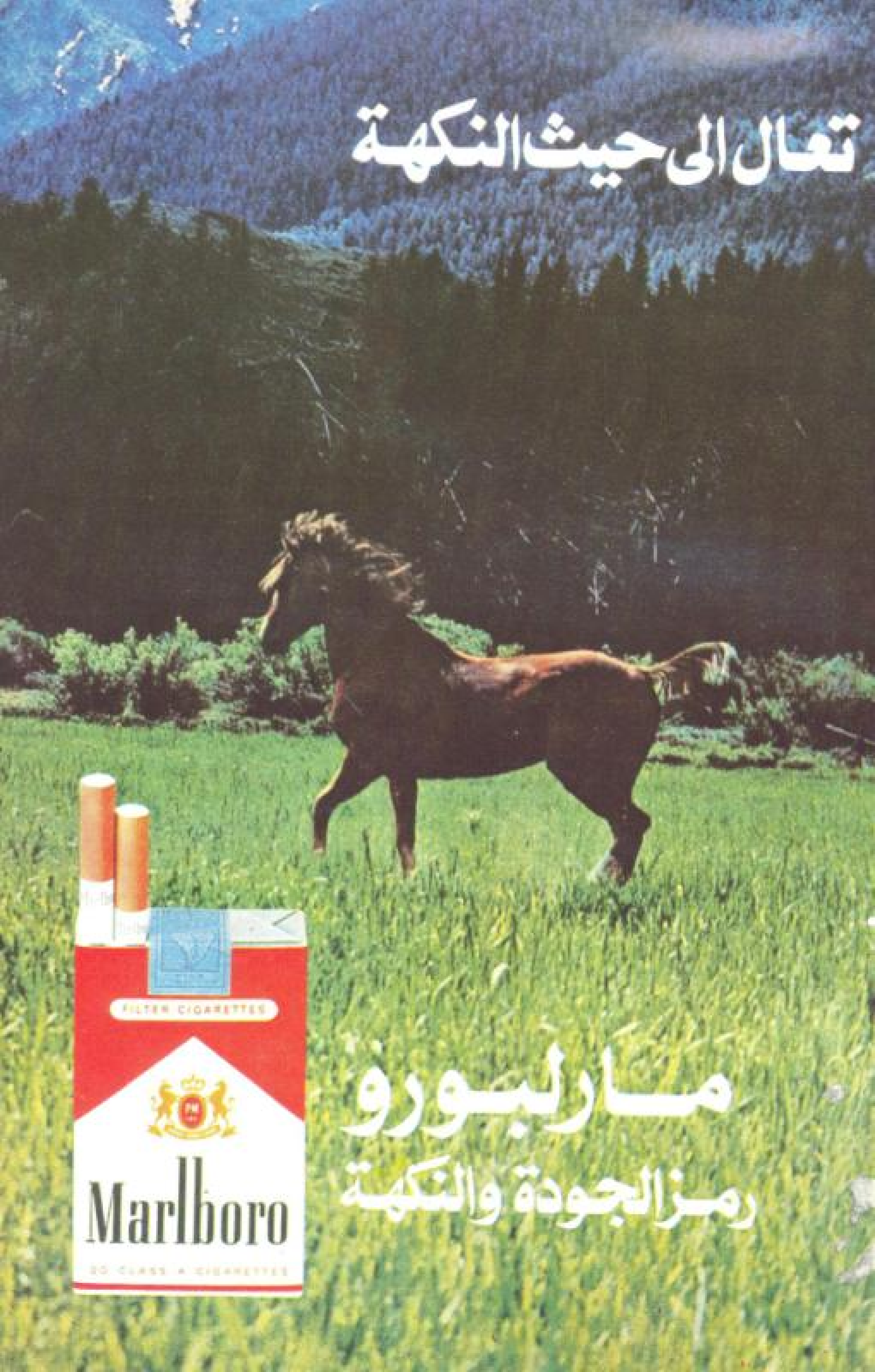


«بليموث تريلداستار» مع سقف فولاذي.

CHRYSLER INTERNATIONAL


CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
ROGER CHATELAIN S.A. - 1214 VERNIER-GENEVA/Switzerland
P.O. Box 251 - Cables: Chatelaintime Geneva


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه .
الوكيل العام في الكويت .
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣


تعال الى حيث النكهة
FILTER CIGARETTES
Marlboro
20 CLASS A CIGARETTES
مارلبورو
رمز الجودة والنكهة

عندَ التشغيل : ألوان جميلة وطبيعيّة
وبعدَ إنتهاء البرامج : قطعة فاخرة من الأثاث

ملايين البقع الدقيقة وضعت على خلفية سوداء في تلفزيونكم الملون موديل **CTP 6412** قياس ٢٠ بوصة بشاشته المتريكس السوداء ليوفر لكم اكثر الالوان حيوية ووضوحًا . ويحتفظ الجهاز بعد وقف تشغيله بجماله وجاذبيته وعلبته الخشبية الانيقة وقوائمه القوية وأبوابه المنزلقة لتغطية واجهته بأكملها . انه قطعة اثاث تتناسب مع كافة أشكال الديكور .



الموديل CTP-6412

تلفزيون ملون بشاشة متريكس
سوداء ٢٠ بوصة

SANYO سانيو

العربي

العدد ٢٠٩
ربيع الآخر ١٣٩٦
ابريل
(نيسان) ١٩٧٦



« عمر الخيام » مع حسناء من كشمير (ص ٧٤)

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٥٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢ر٥ دينار
اليمن	٢ر٥ ريال	ج.م.ع.	١٠ قروش	المغرب	٢ر٥ درهم



لوحة لها قصة :

صاحبة الرداء الوردى

« انظر صفحة ٧٣ »

• عزيزى القارىء •

ان البلاد فى هذا العصر لم تعد تزهو بثروتها المادية فحسب ، ولكن بثروتها المعنوية ايضا • وبقدرتها على الاشعاع •

واذا كانت مصادر الاشعاع قديما محدودة في المخطوطات ثم المطبوعات القليلة ، الا ان ثورة التعليم أدت الى ثورة فى وسائل المعرفة •• فيها الجامعات ومراكز البحث والمدارس •وفيها وسائل الاعلام الحديثة ، من صحافة واذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح •

وفى هذا المجال نجد بلدا صغيرا كالكويت ، يعطى هذه الجوانب حقها الأوفى ، ولننظر الى صحافة الكويت اليوم ، والطفرة التى حققتها خلال عشرة او خمسة عشر عاما ، بحيث صارت من أقوى صحف المنطقة العربية فى خدمتها للقارىء ، وتنافسها ، وحريتها ، بل ونجاحها فى جذب الأقلام من شتى الأقطار العربية ••

•• ونفس الشيء عن الاذاعة والتلفزيون والمسرح •

ولننظر الى المجلات المتخصصة التى بدأت تظهر فيها على مستوى بالغ الرقى •

ان هذا مظهر من مظاهر التقدم وانتشار العمران والعرفان بمعناهما الصحيح ، غير السطحى • فوجود هذه الوسائل معناه وجود القارىء لها •

ومع ذلك فأمام الكويت الكثير مما يمكن ان تقوم به فى هذا المجال • وتأسيس مجلس وطنى للآداب والفنون يؤشر الى هذا الاتجاه • اتجاه الانتقاء من التراث ، واصدار الكتب المعاصرة ، وتبسيط المعرفة بكل فروعها •

•• حتى يعيش المواطن العربى حياة أعمق وأغنى •

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 209 APRIL 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● نعود بك الى الهند من جديد ٠٠الى اقصى شمال شبه القارة الهندية ٠٠ الى كشمير التى ترقد عند سفوح جبال الهيمالايا الشهيرة ٠٠ اننا ننقلك معنا فى جولة بين ودياتها ووسط معالم ارضها الطيبة ، وبين الانهار والبحيرات والحدائق والبساتين ٠٠ والجو الذى يمتلىء بعبق الزعفران

(اقرأ الاستطلاع ص ٧٤) ٠

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلس ، الخليج العربى ٢ ريال قطرى ٠ البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش ، ٠ لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس٠ السعودية ريالان سعوديان٠ السودان ١٠ قروش٠ ج ٠ م ٠ ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليم ٠ الجزائر ٥ر٢ دينار جزائرى ٠ المغرب ٥ر٢ درهم٠ اليمن ٥ر٢ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما٠ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت، وعنوانها : بيروت ـ ص ٠ ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى ٠

حضارات

بقلم : أحمد بهاء الدين

■ هذا الموضوع ، كان دائما ـ ولايزال ـ يحيرني كثيرا·· ويثير اهتمامي في محاولة فهمه والبحث عن أسبابه··

وقد يبدو الموضوع ،للوهلة الاولى،فلسفيا مجردا ، ولكنه ليس كذلك · وهو اذا كان قد ارهق كثيرين منالمفكرين ، فما ذلك الا لأنه موضوع حيوى خطير يتصل بفهم الانسان لحياته،وماضيه وحاضره ومستقبله ، وهل هناك أهم من هذه الاسئلة في تأثيرهاعلى كل مجتمع ؟

الموضوع ببساطة ، هو اننا عندمانستعرض تاريخ الانسانية ، ونتأمل الحضارات التى اقامها الانسان ـبدرجات متفاوتة ـ في مختلف انحاء الدنيا ،نستطيع اننفهم ببساطة ظاهرةنشوء الحضارات وقيامها وثباتها لسنوات طويلة ···

اى أن النمو والتقدم في حياة اىمجتمع ، امر طبيعى ، ومفهوم ···

ولكن السؤال اللغز هو : لماذايحدث العكس ؟ ما الذى يجعل مجتمعا يصل بمقاييس عصره ، الى قمة الحضارة ،ثم يبدأ بعد ذلك في الهبوط والاضمحلال ؟ ـ اى ما الذى يجعل الحضارات تذبل ويجف فيها ماء الحياة بعد ازدهار ؟ ما الذى يجعل نظامامتكاملا للحكم ، وسطوة واسعة للدولة، وازدهارا كبيرا للعلوم والفنون والقيمالسائدة ·· ما الذى يجعل هذا كله ينهار ، ويتهاوى ، فتحل الفوضى محلالنظام والجهل بعد العلم ، وقيمالتخلف والتأخر محل قيم التقدم والاستنارةوالعمل والعرفان ؟

تزدهر ثم تهوى

..وكيف نُحدّد خطواتنا ؟

ظاهرة قيام الحضارات لا تثير الدهشة ...

ولكن ظاهرة انهيارها وانحلالها هي الامر الذى يبدو غريبا .

وأهمية دراسة هذه الظاهرة واضحة . فمنها ناخذ العبرة في النظر والتصرف فى كثير من امور حياتنا . وهي نظرة شاملة لابد ان نتاملها من حين لآخر ، فى عصر مزدحم مضطرب يغرقنا يوميا فى التفاصيل المتلاحقة .

طبعا ، هناك حضارات نشأت ثم لم يكتب لها النمو الثاني ، فلم تلبث ان اندثرت بسرعة .. كحضارة الازتين في امريكا الجنوبية ، وبعض الحضارات في افريقيا .. لظروف كثيرة لم تساعد على نموها وانتشارها بالدرجة الكافية ...

وهناك ايضا حضارات اندثرت تحت وطأة ضربات خارجية من قوى وتجمعات بشرية اقوى ولو بالمعنى الحربى فقط . وان كانت حتى هذه الحضارات التي تهاوت انما مهد لانهيارها ضعفها الداخلى ، وان كانت أكثر حضارة ورقيا ، أكثر مما تسبب فيه عدوها الغارجي . فالمغول والتتار دمروا دولا أرقى ولكنها أضعف فى البنية العسكرية .

وهنا قد يحسن التنبيه الى ان كلمة حضارة تعني أكثر من مجرد القوة المادية والعسكرية . فهي مجموعة من القيم المستقرة التي يشمل ازدهارها وعطاؤها كل شيء من مجالات الحرب والسلاح الى مجالات التنظيم والانتاج

والفكر والارتقاء بالحياة الانسانية نوعا وكما على السواء . فالتتار مثلا كانوا قوة تدميرية ولكنهم لم يؤسسوا ما يسمى حضارة . فلم يتركوا وراءهم للانسانية شيئا يضاف الى تراثها لا فى الهندسة والعمران ولا فى نظم الحكم ولا فى الفكر والفن .

على أن السؤال هو عن الحضارات الجديرة بهذا الاسم ، والتى شملت عددا كبيرا من الناس ومساحة شاسعة من الارض ، وبلغت فى كل المجالات شأوا عظيما ..

حضارة الفراعنة فى مصر القديمة (اندثرت قبل الفتح العربى بل وقبل الغزو الرومانى بكثير) .. حضارة الصين العظيمة .. حضارة روما التى حكمت العالم المعروف وقتها تقريبا قرونا طويلة .. الحضارة العربية الاسلامية الشامخة ..

لماذا حدث الانهيار ؟ ..

السؤال مطروح الآن ، وبشدة ، فى اماكن كثيرة من العالم ، لان هناك من المفكرين من يرون ان الحضارة الغربية الراهنة ـ والتى تحكم العالم ويقلدها ويتطلع اليها الجميع ـ قد دخلت مرحلة الانهيار ..

وهم فى هذا المجال يشيرون الى اشياء كثيرة منها انتشار القيم المادية واختفاء الدين وانحلال الاخلاق ، الاضطرابات الاجتماعية والفضائح المالية الكبرى وانتشار الاسلحة الذرية وبالتالى احتمال قيام حرب ذرية تؤخر الانسانية الف سنة .. الى آخره .

واحب أن اسجل هنا للقارىء العربى عدة امور . الامر الاول اننى لست من المتبنين لهذا الرأى بسهولة . والامر الثانى انه حتى اذا كانت حضارة هذا العصر التى ولدت فى اوروبا قد دخلت مرحلة الانهيار فهذه مرحلة تستغرق فى العادة قرونا ، وقد تقترن بشهوة الى البطش بالغير . والامر الثالث ان بعض العرب بوعى أو بلا وعى يستسهلون الامر ويرون مستقبلنا فى عوامل انحلال الحضارة السائدة وانهيارها وهو تفكير سلبى ، غير صحيح ، ويحطم حماسنا اللازم للجهد الذى يجب ان نبذله فى التقدم ..

ولكن الامر ، على اى حال ، يحتاج الى التأمل ..

وقد كان اول من تنبأ تنبؤا قاطعا بانهيار الغرب ، الفيلسوف الالمانى العظيم « اوزوالد شبنجلر » ، واعلن رأيه هذا قبل ثلاثين سنة ، معززا رأيه بنظرية فى التاريخ تقول أن التاريخ الانسانى ليس خطا مستقيما الى التقدم ، ولكنه دورات متعاقبة من النمو والانحلال ، وان كل حضارة هى اشبه بانسان .. يولد وينمو وينضج ، ثم يشيخ ويذبل ويموت . ثم تبدأ دورة حضارة اخرى فى مكان آخر من العالم وهكذا ..

وبلغ من تعصب شبنجلر لفكرته ، انه كان يرى الخطر آتيا من الشعوب

توينبى
الحضارات .. حلقات



السمراء والملونة ، وهاجم فتح ابواب جامعات اوروبا لابناء هذه الشعوب ، لانهم بذلك يتعلمون لب الحضارة الغربية ليدمروها في المستقبل ، بعد أن يكونوا قد نقلوها الى بلادهم !

وجاء بعده فيلسوف آخر في علم التاريخ ، هو ارنولد توينبي الذي مات منذ شهور • وقد آمن في الاساس بفكرة شبنجلر في ان التاريخ دورات حضارية تولد وتنمو ثم تشيخ وتموت • ولكنه قال ان هذا لن يحدث للحضارة الراهنة ، والسبب في رأيه ان الحضارة الراهنة تعلمت التاريخ وعرفت الخطر فهي سوف تتمكن من ان تتجنب تكراره •

انجلترا ــ وحافة الهاوية

ولنتأمل مثلا دولة انجلترا ، ليس فقط لان مشاكلها تشبه مشاكل كثير غيرها من البلاد المتقدمة ــ على درجات مختلفة ــ ولكن لانها ايضا اول دولة صناعية في العصر الحديث • واقدم دولة في النظام السياسي الديمقراطي الذي يضرب به المثل في الاستقرار ، ولانها حتى عهد زوال الامبراطوريات كانت اكبر امبراطورية عرفها التاريخ ، ولان شعبها فوق ذلك تميز خلال هذا كله وبفضل هذا كله بصفات اشتهر بها في الانضباط ، والاعتدال والقيام بالواجب وحب المغامرة وتحمل الازمات والحروب ••

مظاهر كثيرة نراها على السطح : التضخم • البطالة • الصراع الاجتماعي الحاد بين نقابات العمال وبين الحكومات ، حتى صارت السلطة ليست مقصورة على البرلمان ومحصورة فيه ، بل صارت النقابات طرفا آخر ، يرغم الحكومات على سياسات غير ما يقررها مجموع الشعب « في الانتخابات » • واهتزاز نظام الحزبين العريق الذي ميزها عن سائر اوروبا بحيث صارا متقاربين او صارت كل حكومة هي في الواقع « حكومة اغلبية » • وضربت انجلترا رقما قياسيا في التضخم من جهة وفي هبوط الاسترليني وتزعزعه ونزوله عن عرشه من جهة اخرى • وتميزت باكبر عدد من الاضرابات في العالم ، وبالتالي تخلف انتاجها الذي تعيش عليه وسبقتها دول اخرى كثيرة •

اكثر من ذلك ان هذه الازمات كلها ، التي انقذتها من الافلاس احيانا بنوك اوروبا وامريكا مجتمعة بقروض جعلتها من اكثر الدول استدانة •• دفعت الى السطح فجأة نزعات انفصالية ، واحيت معارك حسمت منذ مئات السنين ، فعاد الكاثوليك يحاربون البروتستانت في شمال ايرلندا ، ووجدت اسكتلندا ان البترول ظهر في بحارها فظهرت فيها حركة انفصالية قوية ، والنزعات المتطرفة في ويلز لاحياء اللغة المحلية والشخصية المحلية التي كان اصحابها يعتبرون مجانين ، صار لها وجود ونواب في البرلمان •• « فالمملكة المتحدة » مهددة بان تعود ممالك غير متحدة ••

وعندما تفاقم اضراب عمال مناجم الفحم ــ الذي ادى الى اسقاط حكومة

المحافظين ـ ظهرت فى انجلترا معقل الديمقراطية ـ منظمات اهلية شبه حربية ، يقودها جنرالات سابقون استعدادا للمواجهة مع النقابات ، وللاستيلاء على المرافق العامة بالقوة اذا دعت الحاجة ونفذ العمال اضرابا شاملا يوقف عجلة الحياة تماما فى البلاد .

تمزقات عنيفة جدا وحادة ، فى مجتمع عرف بخبرته فى تخطى ازماته، بدأت تهدد نسيج الشعب البريطانى ذاته . فظهر زعماء متطرفون مثل « اينوك بويل » يدعو الى طرد كل غير الانجليز من انجلترا ، فى حين ان الانجليز صاروا يستنكفون القيام باعمال يدوية كثيرة لا بد منها ولا يقبل بها الا المهاجرون الافارقة والاسيويون ، وظهر زعيم آخر مثل «كيث جوزيف» يدعو الى حل عنصرى على الشعب الانجليزى نفسه حين قال ان المشكلة هى ان نسبة التناسل بين الطبقات الفقيرة الانجليزية تفوق نسبة التناسل فى الطبقات الاعلى ، وهذا يهدد بالهبوط « بنوعية الشعب الانجليزى » !

وفى نفس الوقت انتزعت لندن من عواصم اخرى الاولوية فى ميدان الاباحية الاخلاقية .. ففيها ظهرت اول مسرحيات للعراة تماما ، وفيها سمح تحت الضغط باستخدام الالفاظ النابية فى الاذاعة والتليفزيون، وصارت لندن بوجه عام عاصمة اللهو سابقة بذلك باريس وغيرها .

وامتلأت الثقافة الانجليزية بالسخرية من تاريخ انجلترا الامبراطورى ، وانتشرت المسرحيات التى تسخر من رموزها المقدسة مثل كيتشنر وغيره ، وجوهر الحملة أن أهداف المجتمع فى الماضى ، المجد والاولوية والتفوق والنفوذ ، اهداف سخيفة ، انما الهدف الوحيد الجدير بالانسان هو : اللذة ! ومن أقصر واسهل طريق .

وهنا فى الحقيقة مربط الفرس ،كما يقولون ...

وباتفاق أهل الرأى فى كل مجال، ان كل الامراض الاقتصادية وغير الاقتصادية تكمن فى أشياء أعمق وأهم .

اولها ان الشعب الانجليزى صار يستهلك اكثر مما ينتج ، وبالتالى فلابد له ان يستدين ، غير حاسب اى حساب للغد ..

وثانيها ان الفرد صار يطالب بحقوقه فى كل متع الحياة ولو كان سبيله الى ذلك الامتناع عن قيامه بواجباته ..

وثالثها انه فى حيرة من هويته ، هل هو مع الكومنولث وما وراء البحار ؟ ام انه جزء من اوروبا التى كان يزدريها ،ولابد أن يتنازل عن جزء من حريته لها؟ ام الاسهل من هذا وذاك ان يستسلم للتبعية الامريكية ويصبح اشبه بولاية من ولاياتها ؟

مسز تاتشر
رئيسة حزب المحافظين



هارولد ويلسون
رئيس حزب العمال





والتنبؤات في هذا المجال قديمة٠٠

فمنذ ما يقرب من مائتي سنة قال نابليون ان اوروبا شاخت ٠ وان القوة الآتية تكمن في مكانين كانا بكرا : امريكا بشبابها الطاغي ٠ وروسيا (القيصرية في ذلك الوقت) بذلها الشديد الذى لابد ان يتفجر عن شيء جديد قوى !

وقبل خمسين سنة نجد في احدى مسرحيات برناردشو مشهدا يدخل فيه السفير الامريكي مبتهجا على ملكة انجلترا يعلنها بخبر مثير : ان امريكا قررت انهاء انفصالها عن انجلترا والعودة الى الولاء للتاج ٠٠ وحين تبدى الملكة دهشتها يرد السفير قائلا : ان هذا سيتم في مقابل امر بسيط هو ان تنتقل الملكة ـ والتاج ـ الى امريكا !

والمعنى واضح في انه يشير الى دخول انجلترا في فلك امريكا وتبعيتها لها ٠٠

المهم ٠٠ نعود الى التشخيص الاصلى وهو ان الشعب الانجليزى ، عبر التطور ، انهارت مجموعة القيم والمثل التى كانت توجه حياته ، ولم تحل محلها ـ بعد ـ مجموعة قيم ومثل اخرى تواجه مشكلة العصر الراهن ٠

وسادت فلسفة اللذة ، تلك الفلسفة « الرواقية » المدونة من ايام الاغريق ، واللذة في المجتمع الانجليزى لم تعد كما كانت ، لم تعد في العمل ، او الكسب ، او الفتح ، او الاستكشاف ، بل لذة الاستمتاع بكل ماتتيحه الحياة الحديثة من سلع استهلاكية ووسائل ترفيه ، وعلاقات حرة خالية من كل ضوابط اجتماعية ٠

وفي هذه الاشياء مايمس مجتمعات متحضرة كثيرة ، وفي تقديري ان سيادة القيم المادية سيادة مطلقة واعتبار عنصر التحضر الوحيد هو اعادة - من مادية القوة المسلحة الى مادية الكسب واقتناء السلع الى مادية غلبة اللذات الحسية على سائر انواع المتع الانسانية والاجتماعية والذهنية •• بل واقتران فكرة الحضارة بالمادة فقط ، فى تقديرى ان هذه العلة هى جذر الجذور فى اختلال دورة الحياة فى شجرة الحضارة ، وبوادر ذبول فروعها واغصانها ، وتساقط بعض اوراقها ••

ولهذه الظاهرة التى تزداد طغيانا كل يوم ، امثال فى نهايات حضارات سابقة ••

برنارد شو
الملكة فى واشنطن



وأد الابناء في اليابان

وننظر الي مجتمع آخر صناعي ،يعتبر بالمقاييس المادية ناجحا جدا ، بل انجح نموذج معاصر،وهو اليابان••

هناك توجد مشاكل انجلترا الاقتصادية بهذا الشكل

وهناك مجتمع ظل متخلفا ، تقليديا،مغلقا ، الى ما يقرب من مائة سنة ، ثم صار خلال قرن واحد فى المقدمة ،ويضرب به المثل فى النجاح والكفاءة••

ولكن من أعجب ما قرأته أخيرا تقرير لجريدة «الاوبزيرفر» الانجليزية من اليابان،يتحدث عن ظاهرة انتشرت فى اليابان ، وهى وأد الاطفال الرضع بأيدى امهاتهم !

ويقول التقرير ان الدولة اكتشفت مائتى حالة على الاقل اقدمت فيها الامهات - وكلهن شابات متزوجات -على قتل اطفالهن قبل ان يتموا سنة واحدة من العمر ، وان علماء النفس والاجتماع فى اليابان فى حالة ذعر وحيرة ازاء هذه الظاهرة !

وقد عرفت بعض المجتمعات ، فى عصور سحيقة ، ظاهرة وأد الاطفال••

ففى بعض القبائل العربية - فى الجاهلية وقبل الاسلام - كان يتم وأد البنات ، اى دفنهن احياء حتى الموت ،لان البنت كانت تقترن بالمسئولية وعدم الكسب واحتمال العار ، حتى جاء الاسلام فحرم الوأد تحريما قاطعا بنص قرآنى صريح ••

وفى اليونان القديمة ، كانوا يضعون الاطفال عرايا على سفوح الجبال ، ليموت الضعيف ولا يعيش الا القوى •

وكان الفقر احيانا هو السبب ٠ففى ايام انحطاط الصين وانتشار البؤس والفيضانات والمجاعات وجدتظاهرة وأد الاطفال او بيعهم لاسر غنية تكفل لهم الرزق ٠٠

ومع ان الجريدة تقول ان عادةوأد الاطفال الرضع وجدت على نطاق ضيق فى تاريخ اليابان القديم ، الاان هذه الظاهرة جديدة تماما ٠ فاليابان الحديثة التى نعرفها اليوم ليس فيها مشكلة الفقر الذى يدفع الام الى قتل طفلها ، ثم ان معظم الامهات شابات ، وعلى درجة من التعليم واكثرهن يعملن الى جانب الزوج ويشاركن فى المجتمع ٠٠

والغريب اننى اذكر عندما زرت اليابان ، اننى كتبت انها البلد الوحيد فى العالم الذى نجح فيه تحديد النسل ٠ فليست هناك موانع دينية تقف فى طريق اى تشريع ٠ وبالتالى استخدمت هناك كل الوسائل ابتداء من اباحة الاجهاض وانتهاء بالتعقيم المطلق ضد الانجاب ٠

ولكن التفسير الذى يعطيه الاجتماعيون لهذه الظاهرة ـ مهما كانت قلتها ـ ان المرأة الحديثة صارت مشدودة الى قيم المجتمع الراهن من رفاهية مادية وحرية واستمتاع انانى بالحياة الى اقصى الحدود ، لدرجة تجعل بعضهن يقدمن هذه الاشياء على عاطفة الامومة الازلية الخالدة ، بأهميتها البالغة فى بناء الاسرة والحياة والمجتمع ٠

٠٠ مرة اخرى ، نموذج صارخ على طغيان المعيار المادى والاستمتاع الشخصى المباشر على اى شىء آخر ٠

هل هو النموذج الوحيد

وهذا كله يطرح على الانسانية سؤالا ، لعله أهم الاسئلة الفكرية اليوم :

هل النموذج الحضارى الذى نراه الآن هو النموذج الوحيد الذى كتب على الانسانية ان تقتفى اثره وتقلده حتى ولو قادها الى الهلاك ؟

ام ان هناك نماذج اخرى وقيما اخرى يمكن البحث عنها ؟

وهذا سؤال يهمنا ، نحن العرب بالذات ٠٠ لاننا ورثة حضارة كبرى ولاننا مؤهلون لان نلعب دورا آخر عظيما ، ولاننا فى مرحلة انتقال ، ولا بد ان نشارك فى النقاش العالمى الدائر حولنا ٠

ولكن هذا سؤال كثير ، قد يحتاج الى حديث آخر ٠٠ ■■

أحمد بهاء الدين

مشاكل المسلم المعاصر

ومسئولية العلماء

بقلم : الدكتور احمد كمال ابوالمجد

نحن نعيش في عصر كثرت فيه التساؤلات ٠٠ علامات استفهام بقيت بلا جواب ! ثم هي كلهاتتصل باحكام الاسلام وتعاليمه ٠ ماذا يقول رجال الدين مثلا في تحديد النسل ؟ ثم ما هو حكم الاسلام في « الفائدة » التي تصرفها البنوك لرؤوس الاموال المودعة فيها ؟ والزكاة ٠٠ زكاة الاموال ، كيف يؤديها المسلم المعاصر ؟ اسئلة كثيرة حائرة ، آن الاوان لكي نستمع الى اصحاب الرأى فيها !

■ لا جدال فى ان الجيل المعاصر من المسلمين يواجه فى حياته اليومية مواقف واسئلة لم يعرض كثير منها للاجيال السابقة من المسلمين ٠ ولا جدال كذلك فى ان هذا الجيل يواجه كثيرا من الحيرة والقلق وهو يحاول أن يجد حلا لتلك المواقف وجوابا عن تلك الاسئلة يحفظ عليه دينه وايمانه ، دون أن يخلعه من عصره وزمانه ٠٠ ولا غرابة فى شىء من ذلك ، فالدنيا تتحرك وتتطور بسرعة هائلة حتى ليكاد احدنا يصبح ـ احيانا ـ على عالم غير الذى نام عنه فى امسه ٠٠ واشعال العلاقات ونظم المجتمعات والمعاملات التى لم تكن معروفة فى صدر الاسلام ولا فى زمن الائمة اصحاب المذاهب تقتحم على هذا الجيل حياته بمزيد من الالحاح مع اتصال الشعوب وسهولة انتقال الناس

وسقوط الحواجز بينهم ..

وفى غيبة الاجوبة المقنعة عن هذه الاسئلة الجديدة يجد ابناء هذا الجيل من المسلمين انفسهم بين موقفين لا ثالث لهما :

اما ان يرفضوا كل هذا الجديد ، وان يعلنوا مقاطعته ، وايثارا للسلامة، وابتعادا عن الشبهات، وانتظارا للفتيا من أهل الذكر ، فتتحرك الدنيا وهم منتظرون ، ويتقدم الناس وهم جامدون ، وينقل التاريخ الذى لا ينتظر المترددين قيادة البشرية من الايدى المؤمنة العاجزة الى الايدى الظالمة القادرة ..

واما ان يغامروا بدينهم فيقبلوا كل جديد على علاته ، ويخوضوا ـ بلا تحفظ ـ مع الخائضين ، فينخلعوا ـ وهم لا يشعرون ـ من كثير مما جاء الاسلام ليعلنه ويثبته ويحافظ عليه ..

وهذا ـ بشقيه ـ حال لايرضى عنه الله، ولا يرضى به المؤمنون ، فاحكام الاسلام وشريعته هي امر الله الذى اوجب اقامته، وتطور الحياة وتجدد اشكالها واختلاف اوضاعها باختلاف الزمان سنة من سنته .. وهيهات ان يصادم شرع الله سنة الله .

وكل من عند الله ..

لهذا كان المسلك الذى لا يقبل العقل بديلا عنه، ان يتصدى العلماء لكل موقف جديد ولكل نظام مستحدث يقيسونه على مبادىء الاسلام ونصوصه ومقاصده العامة . فما شهد له شاهد منها قبلوه والحقوه بها ، ورفعوا عن الناس الحرج فى قبوله والاخذ به . وما منعه مبدأ من مبادئه او اصطدم اصطداما لا سبيل الى رفعه بنص من نصوصه رفضوه وايقنوا ان المصلحة فى رفضه واعلنوا ذلك للناس . وما لم يشهد له شاهد من النصوص ، ولم يصطدم ـ مع ذلك ـ بشىء منها ، تركوه على الاباحة الاصلية التى فهمها العلماء من قوله تعالى : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » وقوله : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » وقوله : « واحل لكم ما وراء ذلكم » ـ فان شاء الناس اخذوا به ، وان شاءوا تركوه ، مسترشدين فى اخذهم وتركهم بما يرون فيه الرعاية لمصالحهم ، ولا اثم عليهم ولا حرج فى الحالين ..

اجتهاد العلماء

والعلماء حين يتصدون لهذا القياس يجتهدون ، اى يبذلون « الجهد » فى امور ثلاثة :

١ ـ يجتهدون فى فهم المبادىء وتفسير النصوص.

٢ ـ ويجتهدون فى فهم الواقع الجديد والموقف المستحدث الذى يقيسونه على تلك المبادىء والنصوص .

٣ ـ ثم يبذلون الجهد ـ مع الجماعة كلها ـ فى اكتشاف وجود المصالح والمفاسد التى تتحقق او تفوت بقبول الجديد من الاوضاع والنظم واشكال الحياة .

والسؤال الذى نطرحه هنا بصراحة ، هو هل يفعل علماؤنا ذلك فعلا ؟

واذا كان بعضهم يحجم عن ذلك او يتردد فيه فهل لذلك من سبب ؟ وهل لهذا السبب من علاج ؟

ولو كان علماؤنا المعاصرون يلاحقون اسئلة هذا الجيل بالاجوبة المقنعة لما كانت هناك ازمة ولما جاز لنا الحديث كله .

وحسبى ـ فى ذلك ـ ان اطرح ـ على سبيل المثال ـ عددا من الاسئلة التى تلح علينا جميعا دون ان تجد ـ بعد ـ من علمائنا جوابا مقنعا ، وليعلم من لا يعلم حجم الحيرة التى يعيشها الجيل المعاصر من المسلمين .

هل يملك مجتمع مسلم معاصر يحرص على اقامة مبادىء الاسلام واحكامه ان يتدرج من جديد فى تطبيق النصوص الثابتة من احكام الاسلام بعد ان اكمل الله الدين واتم النعمة وانقطع الوحى وبين ـ للناس جميعا ـ الرشد من الغى .. ام ان هذا التدرج كان فى زمن النبى (ص) والاسلام لا يزال يتنزل عليه فى آيات القرآن مفرقا آية بعد آية..

واذا صح جواز التدرج من جديد فى معاودة التطبيق فما سند هذا وما دليله ، وما معياره واساس تحديد المراحل والاولويات فيه ؟

ما رأى الاسلام ؟

هذه البنوك والمؤسسات المالية والائتمانية التى تتعامل فى مئات الملايين من الجنيهات ـ بالفائدة ـ الم يحن الوقت ليقول علماء الاسلام كلمة واضحة

فيها ، او على الاقل لادارة حوار علمي وفقهي حولها يشارك فيه علماء الشريعة وخبراء الاقتصاد ورجال السياسة،ام كتب على المسلم المعاصر ان يعيش حياتين او حياة تحكمها الحيرة والقلق ، فاما ان يمسك عليه ماله ويحبسه فى عالم تستثمر فيه الثروات بالفائدة ، واما ان يتعامل مع الواقع وفى قلبه منه شبهة ، وفى نفسه منه شيء ؟ ثم الا يستحق الامر وقفة علمية سريعة وجديدة بعد ان ضاعف الله اموال العرب والمسلمين اضعافا مضاعفة ، واخرج لهم من باطن الارض رزقا حسنا عليهم ان يزكره وان يتعهدوه بالنماء ؟

هذه الحملات الرسمية والعالمية لتنظيم الاسرة وضبط تكاثر الناس فى مجتمعات تكثر فيها الانفس وتقل الثمرات ، هل فى الاسلام ـ حقيقة ـ ما يمنعها ، كما يقول بعض العلماء ؟ واذا لم يكن ذلك صحيحا فلماذا لا يعلنه العلماء فى جسارة وحسم ليطمئن عامة الناس ولتجد برامج تنظيم الاسرة فى هذا الحسم سندا لها يقوى ساعدها وهى تشق طريقها ـ بصعوبة وعناء ـ وسط الناس؟

زكاة الاموال ٠٠ كيف يؤديها المسلم المعاصر ؟ وهل تاثر التزامه بها بما تفرضه عليه الدولة اليوم من ضرائب تجاوز كثيرا ما يجب فى ماله من زكاة ؟

معنى الزكاة !

ولنصارح انفسنا بانه لم يعد كافيا ان نردد على الناس ما نعرفه جميعا من ان الزكاة « عبادة مالية » فيها معنى التعبد الى جانب التكليف المالى ٠ ولو كان ذلك كافيا لادى المسلمون الزكاة ٠ والواقع يصرخ من حولنا بان كثرة من المسلمين ممن يحافظون على الصلاة ويصومون رمضان ويحجون البيت لا يؤدون الزكاة ، وفى نفوس بعضهم شبهة حول استمرار التزامهم بدفعها وهم يدفعون ما يدفعون من ضرائب توجهها الدولة المسلمة الى ما يقترب من مصارف الزكاة ٠٠ وقد يكون ذلك خطا وانما لا عذر لهم فيه ، ولكنه حاصل ، ويحتاج من علمائنا ومجتهدينا الى وقفة والى اكثر من ترديد النصوص٠٠

هذه الخرافات التى استولت على افكار وسلوك ملايين من المسلمين ٠ اعتقادا ـ بلا ضابط ولا رابط ـ فى الخوارق والكرامات للصالحين وغير الصالحين ، الغاء لنواميس الكون ، واسقاطا لسنن الله التى اقامها فى خلقه واعتقادا فى قدرة من لا قدرة له ، وتوسلا بمن لا يضر ولا ينفع وتحديا لحديث النبى (ص) : « اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله » ٠٠ وهذا النسيج الفكري والسلوك الكامل الذى يدور حول هذه الخرافات ، اليس لعلماء الاسلام راى فيه واضح وجرىء يصدعون به لوجه الله تعالى ولو كره الكارهون ٠٠ الم يئن الاوان بعد لتوضع امام عامة المسلمين الخطوط الواضحة الفاصلة بين الزهد الذى يهذب الروح ، ويلين القلوب ، ويؤدب الجوارح ، ويضبط السلوك ، وبين الخرافة الجاهلة التى ترفع الوية حق تريد بها باطلا ، ثم تصل اليه فعلا على هامات وجثث أشباه الاحياء المحسوبين على أمة المسلمين ؟

٠٠ والموسيقى والغناء !

هل يحرم الاسلام حقيقة ـ سماع الموسيقى والغناء والعزف على المعازف والعيدان ؟ ما عرفه المسلمون الاوائل منها ، وما جد مما لم يعرفوه ـ كالارغن والجيتار والآلات الحديثة لتمديد الصوت وتعظيمه « الاستريو » ؟ وهل هناك ضابط لما يجوز من ذلك وما لا يجوز يهتدى به شبابنا وهم يتطلعون الى ترويح قلوبهم المعناة فى هذا الزمان الصعب الذى تثقل وطاته على الاعصاب ؟ تلك قضايا تلح فيها ـ وفى كثير غيرها ـ الاسئلة على المسلم المعاصر دون أن يقدم اليه فيها الجواب ٠٠

فلماذا نتركه فى حيرته ، ثم نتحدث فنحسن الحديث ونطيله عن فتح باب الاجتهاد ، وعن خلود الاسلام وسماحته وصلاحيته لكل زمان ومكان ، وقدرته المتجددة على ملاقاة حاجات الناس ؟؟

تفسيرنا لذلك أمران : ـ

عجز البعض عن الاجتهاد ٠٠ وتردد البعض الآخر فى ممارسته ٠٠ اما العجز عن الاجتهاد فقد لخص العالم الجليل ابن القيم بعض اسبابه بقوله :

«والذى احدث لهم ذلك نوع تعقيد فى معرفة الحق،ومعرفة الواقع ، وتنزيل احدهما على الآخر» (مقدمة الطرق الحكيمة) ٠

واذا كانت معرفة الحق اى اصول الشريعة وفروعها ومقاصدها العامة متاحة لاكثر علمائنا

المعاصرين ٠٠واذا كان الامر كذلك في معرفة قواعد تنزيل هذا الحق على الواقع ، اى قواعد الاستدلال وتخريج الاحكام وفنون التفسير والقياس ٠٠ فان المشكلة الكبيرة التى تواجه كثيرا من المجتهدين هى معرفة الواقع ٠٠ اى معرفة الوقائع والمواقف التى يطلب الناس الرأى فى شانها ٠٠ واذا كانت تلك المعرفة عسيرة فى ايام ابن القيم المتوفى فى نهاية القرن الثامن الهجرى فهى فى زماننا اشد عسرا ، فقد تعقد الواقع تعقيدا شديدا ، وظهر من انواع المعاملات واوضاع المجتمعات ما يحتاج فهمه الى الاستعانة باهل الخبرة فى علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع والاحصاء وطائفة اخرى من العلوم ، وذلك حتى تكتمل للعالم المجتهد صورة الواقع بابعادها كلها ، وآثارها على حياة الناس وتزداد صعوبة هذا الامر ،وضرورة الاستعانة فيه بالخبراء حين يبحث المجتهد عن «المصالح والمفاسد» او حين يفتى او يقضى على اساس مايسميه علماء الاسلام « سد الذرائع » ٠٠ فتلك كلها أمور تقديرية لا يمكن ان يعتمد فيها على تقدير الفرد الواحد ولو كان اعلم العلماء ، ولا يمكن ان يكون الامر فيها كما يتخيل البعض ، مجرد مضاهاة واقع بسيط على نص واضح صريح بل لا بد فيها من احصاء وقياس لاوضاع المجتمع وآثار التشريع على الناس ، ومن الاستعانة فى ذلك بكل ما توصل اليه علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاتصال وعلم الاحصاء ٠٠ وهذا كله يجعلنا نطرح من جديد ، وبكل الالحاح ، قضية تنظيم الاجتهاد والفتيا ، وتدعيم الهيئات القائمة عليها ،وضمان تزويدها بالخبرات وآلات البحث التى تتيح لها « التكامل » الضرورى بين عناصر الاجتهاد ،وتضع بين يديها ثمرات كل العلوم الحديثة التى يحتاج اليها الاجتهاد فى هذا العصر ٠

التردد فى ممارسة الاجتهاد !

ب ـ واما التردد فى ممارسة الاجتهاد فمرده ان الاجتهاد لابد ان يفضى الى اختلاف العلماء واخشى الا يكون علماؤنا المعاصرون متفقين على اسلوب واضح فى معاملة المخالفين ، معاملة تضمن استمرارهم فى ممارسة الاجتهاد الموصل الى معرفة الحق وتحقيق مصالح الناس ٠ وغيبة هذا المنهج هى التى تدفع كثيرا من علمائنا واصحاب الرأى فينا الى ايثار الصمت طلبا للنجاة وخوفا من سهام التجريح والنعت التى قد يوجهها المخالفون٠

ذلك ان صاحب الرأى ان وافق برأيه فريقا فقد خالف فريقا ، وان ارضى طائفة فقد اسخط طائفة ٠ وبعض الذين يسخطون ـ فى امور الدين ـ لا يقولون ـ كما ادب الاسلام اهله ـ اجتهد صاحبنا فاخطأ فهو ماجور او معذور ،وانما يسارعون ـ اجهازا على الرأى الذى يعارضونه ـ فيتهمون صاحبه بالاثم والخطيئة والعدوان ، فيقولون : ضل ، ومرق من الدين ، وكاد للاسلام والمسلمين ٠٠

والخطر الحقيقى فى هذا المنهج او «اللامنهج» الغريب على روح الاسلام وآدابه ومبادئه ان آثاره السيئة تصيب الجماعة كلها ، فانه اذا خاف اصحاب الرأى حبسوا رأيهم ٠٠ واذا اشفق العلماء على انفسهم كتموا علمهم واذا افتقد الناس الرأى والعلم لم يبق لهم الا الهوى الذى تتفرق به السبل وتختلط الامور ، او التقليد الذى تجمد به الفكر ويعم الحرج وتتوقف عند قوالبه الصماء حركة الحياة ٠٠

من اجل ذلك كان تصحيح منهج البحث والاتفاق على قواعد « الخلاف » بين العلماء والمجتهدين « مسألة اولية » كما يقول المعاصرون لابد من حسمها حتى يقبل اولو العلم على ممارسة الاجتهاد ٠٠

وبعد ٠٠

فليذكر علماؤنا الذين نحبهم ونجلهم ونرفع مكانتهم حيث امرنا وادبنا الاسلام ، ليذكروا اننا نلح على هذين الامرين : ضرورة استكمال ادوات الاجتهاد تمكينا من « معرفة الواقع » وضرورة الاتفاق على منهج الاختلاف بين العلماء ٠٠ لان القضية ليست قضية العلماء وحدهم وانما هى فوق ذلك وقبله قضية الجيل الذى ينتظر كلماتهم الهادية حتى يقيم حياته ـ بلا عسر ولا حرج ولا تناقض ـ على امر الله وهى كذلك قضية الامانة التى حملها العلماء يوم حملوا العلم والتى سوف يسألون عنها يوم يرد الامر كله لله ، ذلك ان العلماء ـ كما يقول الامام مالك ـ يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الانبياء ٠٠٠ ■■

احمد كمال ابو المجد

فرصة العرب

بقلم : الدكتور ابراهيم شحاته

■ الفجوة الواسعة بين الدول المتقدمة والدول النامية تزداد اتساعا كل يوم . ويقول الدارسون لتطورات المستقبل انه اذا حافظت الدول النامية على معدلات نموها التى حققتها فى الستينات فقد يصبح فى مقدور المحظوظة منها أن تصل الى المستوى الحالى للدول المتقدمة بعد فترة لا تقل عن مائتى سنة ، وعندئذ سوف تكون الدول المتقدمة قد وصلت الى مستوى ربما يستحيل اللحاق به فى أى وقت ! .

وأمام هذه الظاهرة الحزينة آثر بعضهم الفلسفة، مؤكدا أن الدول المتقدمة ليست متقدمة حتما وأن المهم هو المحافظة على الاصالة والسمات المميزة لكل شعب حتى لو كانت تلك فى حقيقتها هى مظاهر التخلف بعينه . وبدأ بعضهم الآخر فى تصنيف الدول النامية بحسب مستقبلها المنتظر . متنبئا باندثار دول باكملها وبتحول العالم الثالث الى عوالم متعددة فى درجات تخلفها وشقائها .

غير أن عالمنا العربى قد أتته فرصة من السماء، أو ان شئت الدقة من باطن الارض ، ليفلت من هذا المصير وتتحول دوله بسرعة الى دول متقدمة ، وهى فرصة لم تات مثلها للدول النامية الاخرى وليس من شانها أن تتكرر ببساطة .هى اذن فرصة أخيرة . فاما أن يعرف العرب قيمتها ويستغلونها بالكامل فيصعدون من هوة التخلف الى سطح الحضارة كما فعلوا مرة من قبل ، واما أن تضيع عليهم الفرصة الى الابد . وهذا التحدى الخطير يفرض نفسه على هذا الجيل من العرب ولفترة زمنية محدودة للغاية ، حيث يتوقف الامر كله فى الواقع على ما نفعله الآن ولبضع سنوات قادمة فقط .

أين نحن من العالم

والعرب المعاصرون يزيدون عددا على ١٤٠ مليونا من البشر ، غير أشتات فى المهجر ،ويعيشون فى عشرين دولة تشغل مساحة من الارض تجاوز ١٣ مليون كيلو مترا مربعا . أى أنهم يمثلون ٥ر٣٪ من سكان العالم ولهم ١٠٪ من أراضيه و ١٤٪ من الدول ذات السيادة فيه . لكنهم لا ينتجون أكثر من حوالى نصف فى المائة من الانتاج الصناعى للعالم ، وحوالى ٥ر١٪ من الانتاج الزراعى . ولا يزال ثلاثة أرباعهم فى المتوسط أميين لا يقرأون ولا يكتبون ، كما لا يزال مستواهم الثقافى والعلمى أدنى من أن يتيح لهم الاسهام بدور يذكر فى التقدم الانسانى . وباستثناء بعض سكان الدول العربية المصدرة للنفط لازال العرب فى مجموعهم من ذوى الدخل المحدود والامل المحدود. وقد بلغ الدخل الاجمالى للعالم العربى فى سنة ١٩٧٠ قبل ارتفاع اسعار النفط أقل من ٥ر١٪ من الدخل الاجمالى للعالم .ومن بين خمسة وعشرين دولة اعتبرتها الامم المتحدة مؤخرا أقل دول العالم

الأخيرة



تقدما نجد ثلاث دول عربية ، ومن بين احدى وأربعين دولة اعتبرتها الامم المتحدة اكثر دول العالم معاناة من الازمة الاقتصادية الراهنة نجد ست دول عربية يمثل عدد سكانها اغلبية العرب المعاصرين .

•• ويحسبونهم اغنياء

واذا نظرنا في ضوء الحقائق السابقة الى الوضع الخاص للدول المصدرة للنفط بالذات نجد أن الدول العربية السبع الاعضاء فيمنظمة الاوبك قد حققت خلال عام ١٩٧٤ ناتجا محليا اجماليا يبلغ حوالي ٨٤ بليون دولار ،وهو رقم جعل العالم كله يتكلم عن تلك الدول وكأنها ملكت الكون واحتكرت الثراء ، وجعل صورة العربي في العالم رمزا للغنى الفاحش . وتلك لعمري خرافة كبيرة صدقها للاسف كثير من العرب انفسهم . فهناك دول عربية مصدرة للنفط ولكنها من الدول المتخلفة بأي مقياس اقتصادي أو حضاري . كل ما هنالك أن بعضها يتمتع بقدر كبير منالسيولة لفترة من الزمن لن تطول . وهذه السيولة لمتأت كدخل سيتجدد وانما هي شكل آخر لثروة ناضبة. من الجهل اذن ان نردد مع الصحف الغربية ان هذه الدولةاو تلكهي دولةعظيمة الثراء،فيحين ان ايطاليا دولةمفلسة.فالحقيقةأن دولة بتروليةما ان كانت تتمتعبشيء منالسيولة نتيجة التحويل المستمر لثروتها النفطية الى نقود فانها تظل افقر كثيرا في هيكلها الاقتصادي وفي مقوماتها الحضارية من اية دولة اوربية . ويكفي ان نعلم أن كل الدخل القومي السنوي للكويت ، التي توصف كثيرا بانها اغنى دول العالم ،لا زال أقل من المبيعات السنوية لشركة امريكية واحدة هي جنرال موتورز ، وأن الدخل الاجمالي الذي تحققه اكبر الدول المنتجة للنفط من بيع البترول لا زال اقل من الدخل الاجمالي الذي تحققه الشركات الغربية من بيع المشروبات الروحية !!

ولكننا اذا كنا نتكلم عن السيولة ، وليس عن الثراء أو التقدم ، فينبغي أن نعي ان هذهالسيولة نفسها هي التي تشكل بحجمها الكبير الفرصة الفريدة لتقدم العالم العربي ، وذلك بالقدر الذي تسخر فيه الاموال المتدفقة لوضع العالم العربي في الطريق الصحيح نحو التنمية . ويظل السؤال المهم : كيف نتبين معالم هذا الطريق وكيف نخطو أول الخطوات عليه ؟ .

الحلم والواقع

لنفترض ان التنمية التي نريدها تتمثل في زيادة كبيرة في الدخل الحقيقيللعالم العربي ككل (والحديث هنا عن الدخل الناجم عن النشاط الانتاجي في المجالين الصناعي والزراعي وعن الخدمات الفعلية ، وليس مجرد التحول في شكل

الثروة من عينية الى نقدية دون قيمة مضافة تذكر) مع عدالة توزيع هذا الدخل بين المواطنين العرب . وبشرط ان يتحقق ذلك فى اطـار من التقدم الثقافي والعلمى يحتفظ فيه العرب بهويتهم القومية ويلعبون عن طريقه دورا خاصا فى تطور الحضارة الانسانية · ولنفترض ايضا ، وهذا هو الواقع ، أن التنمية بهذا المعنى لا زالت حلما كبيرا بالنسبة للعالم العربى كله وأن ما تم من محاولات جزئية فى كل جانب من الجوانب المذكورة لا زال محدود الاثر وأدى فى بعض الاحايين الى عكس المقصود منه ·

والصورة كما نراها الآن فى العالم العربى ، مع احترامنا للجهود المخلصة التي تبذل هنا وهناك، تؤكد أن الجزء الاكبر من جهد الحكومات العربية، وجزءا كبيرا من مالها ، يتجه الى انشطة غير انتاجية ·كما ان القيادات التى تريد فعلا التنمية السريعة لبلادها كثيرا ما تفشل فى ترجمة هذه الامنية الى خطوات عملية مفيدة اما لانتمائها الاصيل ، أو المستجد لمجموعات ليس من مصلحتها الحقيقية احداث هذه التنمية ، او لفشلها فى ابتداع ايدلوجية مقنعة للجماهير تدفعهم لتحمل تضحيات التنمية ، أو لجهل فى الاساليب وتخبط فى التنفيذ يؤديان الى تعدد التجارب الفاشلة مما يورث اليأس ، وغالبا ما تجتمع هذه الاسباب المتشابكة كلها ، وكثيرا ما تغلب المشاكل اليومية الملحة على كل شىء ويضيع فى غمارها التحدى الكبير لمواجهة المستقبل ·

استراتيجية عربية للتنمية

وليس من الواقعية ، فى ظل الظروف الخاصة بكل دولة عربية ، ان ننتظر انتقال أى منها الى مصاف الدول المتقدمة ان هى تبنت لنفسها استراتيجية اقتصادية منعزلة · فالدول التى تتمتع بقدر هائل من السيولة تعانى من نقص ، لا يقل قدرا ، فى مقومات التنمية الاخرى · والدول التى قد تتوافر لديها بعض هذه المقومات تعانى من عجز شديد فى الموارد المالية · وليس بين الدول العربية كلها من تستطيع ان تعتمد على سوق داخلى يضمن نجاح حركة تصنيع واسعة فيها · لا مفر اذن أمام هـذه الدول لكى تنجح نجاحا سريعا فى تحقيق التنمية من العمل ضمن اطار مشترك · وانا لا اتكلم هنا عن الوحدة السياسية أو حتى عن الوحدة الاقتصادية بمعناها الفنى ، ولكننى اقصد الاتفاق حول استراتيجية عربية للتنمية يتحدد فيها بصورة عامة الدور الذى تلعبه كل دولة فى تحقيق الهدف المشترك فى تنميتها جميعا سواء بما تفعله على انفراد او بما تسهم به فى المجهودات المشتركة · ثم لتختط كل دولة لنفسها بعد ذلك ما شاءت من أساليب فى ضوء هذه الاستراتيجية · ولا أعرف دارسا واحدا لاقتصاديات الدول العربية ينكر ضرورة هذه الخطوة·

صحيح أن الاتفاق على استراتيجية عربية للتنمية ليس بالامر الهين ،واصعب منه الالتزام بتنفيذها· ولكن توافر الفرصة الفريدة التى نتحدث عنها كفيل بان ييسر من ذلك كله بالقدر الذى تبرز فيه المصلحة الذاتية لكل دولة فى هذا التفاهم المشترك ·ولعل الدول العربية المصدرة للنفط هى، لهذا السبب ، المؤهلة أكثر من غيرها لتبنى فكرة الاستراتيجية الاقتصادية الواحدة وفى جذب اكبر عدد من الانصار اليها · وفى مقدور هذه الدول الاستعانة بخبرة المؤسسات العربية للتمويل الانمائى التى انشأتها فى وضع الاسس العامة لهذه الاستراتيجية ·

دور الايدلوجية

واذا توافرت الاستراتيجية العامة فلن يكون من السهل تنفيذها بنجاح دون احداث تغيير شامل فى طريقة الحياة لدى المواطن العربى وبصورة خاصة ادخال عنصر الانضباط فى سلوكه الفردى والجماعى، فالتاريخ علمنا دائما انه لا تقدم مع الفوضى والاتكالية وفقدان الثقة فى المستقبل · والانضباط معناه ببساطة أن نخضع فى تصرفاتنا لقواعد نظامية نعرفها سلفا وتحظى باحترامنا وقناعتنا ، وان تسرى هذه القواعد على الجميع وليس فقط على من ليس لهم اصدقاء فى دوائر التنفيذ · وواضح ان ذلك ليس بالامر الذى يتحقق فجأة وبالاساليب التقليدية · فقد وصلنا الى مرحلة من التسيب لا يرجى معها تحقيق الانضباط السلوكى بغير



عندما اكبر ياأبى • هل من الممكن أن اكـون عربياً !

« عن صحيفة وول ستريت جورنال »

انتشار ايدلوجية شاملة تبدأ بالانضباط الذاتى الذى ينعكس بعد ذلك على تصرفاتنا الخارجية

هكذا حقق العـرب نهضتهم الاولى حين حولهم الاسلام ، بنظامه الصـارم ، من مجموعات غير منضبطة الى أمة من أكثر الامـم الملتزمة فى التاريخ • غير أن التعاليم الصارمة للاسلام التى جعلت من البدو صناع حضارة عظمى ، تحولت مع الوقت الى ممارسات شكلية يندر أن تعبر عن مضمون حقيقى •وضاع جوهر العقيدة لدى العامة فاصبح العربى المسلم من اكثر الناس استهتارا فى عمله بل وفى حياته الخاصة وان التزم الصلاة خمس مرات كل يوم والصوم شهرا كل سنة !كذلك فشلت المحاولات التى تبنتها بعض الدول العربية مؤخرا لادخال ايدلوجيات مستحدثة روج لها فى الاصل مفكرون لا علم لهم بشىء عن العالم العربى• وبدلا من أن تؤدى هذه المحـاولات الى انضباط الانسان العربى ادت فى كثير من الاحـوال الى الارهاب الحكومى وهو ظاهرة يختلف أمرها تماما عن « الانضـبـاط » خاصـة من حيث الاثر على مجهودات التنمية • ولا شك عندى فى أن اكثر الدول العربية حاجة الى العقيـدة الدافعة هى الدول الفقيرة الموارد حيث لا يرجى النجاح بدون قدر كبير من المثالية والتقشف لدى المسئولين خاصة، وبدون استعداد كبير للتضحية لدى سواد الناس، مع التخلى لفترة طويلة عن القيم الاستهلاكية السائدة • أما الدول الغنية فى مواردها المالية فربما تنجح فى تحقيق معدلات عالية من النمو ولو فى غيبة الانضباط المنشود نتيجة الدافع البشرى المعروف فى اغتنام الفرص السهلة المتاحة والاثراء العام عن طريقها (كما يحدث الآن فى دول غمرتها الاستثمارات والمعونات الاجنبيةمثل تايوان وكوريا الجنوبية) •

واذا كان تبنى عقيدة تلزم الناس النظام فى سلوكهم وتدفعهم لقبولتحديات التنمية الاجتماعية

والاقتصادية ضرورة لاكثر الدول العربية وأمرا مفيدا لبقيتها ، فالمؤكد أن نجاح هذه العقيدة وانتشارها الجماهيري لا يمكن ان يتم بتجاهل الاسلام .ومن هنا تظهر الحاجةالماسة لاعادة النظر في التفسير التقليدي لكثير من احكام هذا الدين القيم ، والاخذ بالتفاسير التي تتفق مع متقضيات هذا العصر ومتطلبات التنمية ، وهي التفاسير التي كان سياخذ بها الائمة الكبار ولا شك لو انهم كانوا بيننا احياء . وليس معنى هذا المطالبة بالدولة الدينية بالمفهوم الغربي ، وانما المطلوب ان تنسجم الايدلوجية المطروحة مع تفسير عصري للاسلام يرفع التناقض القائم بين معتقدات المسلم وتصرفاته المعاصرة وما ينجم عنه من ازدواج في شخصيته ومعاييره . وطبيعي أن يتطرق هذا التفسير لكثير من أحكام الاقتصاد والاجتماع مما يجعل من الضروري ان يتصدى له المتخصصون في هذه المجالات والا يظل حكرا على المتخصصين في الشئون الدينية وحدها الذين يميلون عادة بحكم تكوينهم الثقافي الى المحافظة على القديم . ولا خير فيايدلوجية تعيد الناس الى الوراء أو تحثهم على قبول الواقع أو تحرمهم من الامل المشروع في العيش الافضل والعدالة الاجتماعية . كما أنه لا أمل ، من ناحية أخرى ، في ايدلوجية لا تعيد للناس احترامهم لانفسهم ولتراثهم الحضاري وثقتهم بمقدرتهم على التقدم وايمانهم الكامل باهليتهم لصنع الحضارة . غير أن نجاح الاستراتيجية المنشودة سوف يتوقف على السياسات العملية التي تنبثق عنها خاصة في مجالات السكان والتعليم وعلى موقفها منقضية الحرب والسلام .

السياسة السكانية

في غيبة التخطيط الموحد للنمو السكاني على مستوى العالم العربي ككل ،يبدو أنه لا بديل امام الدول العربية المكتظة بالسكان لاتباع سياسة متشددة وصارمة للتحكم في تكاثر السكان فيها مع اعادة توزيع المناطق السكنية بالتدريجعلى مستوى الدولة طبقا لأسس مدروسة بعناية . ويكفي للاقتناع المطلق بهذه الحقيقة زيارة خاطفة لاية مدينة او قرية مصرية او مقارنة عاجلة بين المعدل المرتفع للزيادة السنوية للسكان ، وللاستهلاك بالتالي ، والمعدل المنخفض للزيادة السنوية في الناتج القومي للفرد ، وللادخار بالتالي ، في الدول العربية المكتظة بالسكان . ان تحديد النسل ،وليس مجرد تنظيمه ،هو ضرورة اجتماعية واقتصادية ، على الاقل في مصر والمغرب وتونس. واي تاخير في تطبيقه بشجاعة وصرامة هو خطيئة يرتكبها هذا الجيل في حق نفسه وفي حق الاجيال التي تليه . وقد بدأ الاغنياء والمتعلمون فيتحديد نسلهم بالفعل في حين ظلت الاغلبية من الفقراء وغير المتعلمين تتكاثر بغير حساب ، مما اضاف الى المشكلة بعدا آخر ربما لا يلحظه الكثيرون وهو تفاقم الهوة في مستوى المعيشة بين الاسر المتعلمة والقادرة والاسر غير المتعلمة والفقيرة مما يحمل في طياته اخطر النتائج على تركيب المجتمع واحتمالات الرخاء والاستقرار الاجتماعي فيه . ولا معنى لان يحرم الفرد من ثمار التنمية في مجتمعه ،بل ومن الامل فيالمستقبل ،نتيجة التخاذل المستمر في فرض نظام محكم لتحديد النسل وفي توجيه النظام القانوني والاجتماعي فيالبلاد للحث على التحكم في النسل .

واذا كان تحديد النسل ضرورة للتطور المتوازن في بعض الدول العربية فهو ليس كذلك في دول عربية اخرى ، وبالتالي فان من الخطا ان تناقش المسالة كما لو كانت من امور المبادىء والعقائد ، انما هو علاج لمشكلة عملية ذات ابعاد خطرة ، يؤخذ به حيث تتوافر هذه المشكلة وتعجز الحلول الاخرى عن مواجهتها .

نظام التعليم

ولا يمكن في تقديري ، مهما حسنت النوايا واحكمت الخطط ، أن تنجح مجهودات التنمية العربية اذا ظل نظام التعليم المعمول به قائما بغير تبديل أساسي فيه . فهذا النظام هو ، باختصار ، مضاد للتنمية .

ويعكس الوضع التعليمي في العالم العربي حقائق مؤسفة كثيرة : فلا زالت الاغلبية الغالبة

من العرب تجهل القراءة والكتابة بعد نصف قرن من الحديث عن محو الأمية • والتعليم الرسمي الذي ينتشر بسرعة نسبية يحل في الواقع محل التدريب الذى كان يتلقاه ابناء الزراع وأبناء الحرفيين عن آبائهم • وبدلا من ان يؤهلهم هذا التعليم الرسمي الى اتقان أفضل لحرفة او اكتساب اسرع لمهارة ، تؤهلهم كل مدرسة ، على أحسن الفروض، لدخول مدرسة أخرى حتى يصلوا بعشرات الآلاف الى الجامعات بصرف النظر عن قدراتهم الذهنية وعلى حساب التخصصات الفنية والمهنية التى يحتاج اليها المجتمع • فى الريف تأتى مناهج المدارس غريبة عن بيئة الفلاحين فتجعل أبناءهم غرباء عنهم كل املهم ان يهجروهم الى المدينة • وفى المدينة لا توجد لاكثر الحرف والمهن مدارس متخصصة وتنتشر المدارس الاكاديمية التى لا تؤهل لشىء بالذات • وفى الحالتين يقوم التعليم على التلقين الذى يلغى العقل ويرسخ الارهاب الفكرى • ومع التزاحم الشديد على دخول الجامعات تتبع أنظمة سخيفة للقبول فيها ادت فى حالات كثيرة الى تكالب انبغ الطلاب على كليات مثل الصيدلة وتوجه اكثرهم كسلا واقلهم ذكاء الى كليات الفكر والاقتصاد والقانون ! والامتحان دائما وسيلة لاختبار الذاكرة دون اهتمام بالبحث العلمى والابداع فى مجال التخصص • والجامعات المصرية التى كانت المصدر الرئيسى لكثير من الخريجين النابهين فى المشرق العربى كله اصبحت طوفانا من البشر وهجرها اكثر النابغين من أساتذتها تحت اغراء الوظائف المجزية فى دول النفط وفرص الابداع فى الخارج • ومن شان ذلك كله أن يؤدى بالضرورة الى تخريج اشباه متخصصين ، بل وفى بعض الاحيان اشباه متعلمين ، تلقى بهم الحكومات الى الوظائف دون تفرقة بين الصالح والطالح وبصرف النظر احيانا عن مجالات التخصص مما يقتل لديهم الرغبة فى الانتاج •

ونظام هذا شانه هو بلا شك قيد خطير على مجهودات التنمية ومعوق لتكوين المهارات والاطارات اللازمة للتطور العربى • لابد اذن من التوسع الكبير فى التعليم الفنى والحرفى بحيث يصبح هو الاصل فى نظام التعليم العام ، ومن الاقتصار فى قبول طلاب الثانوى العام (غير الفنى) على الاعداد التى يمكن قبولها فى الكليات الجامعية المتخصصة طبقا للقدرات الحقيقية لهذه الكليات ولحاجات الاقتصاد القومى • ولا بد من ربط المدرسة الفنية بالبيئة وبوظيفة انتاجية محددة بحيث تكون فى نفس الوقت مزرعة او مصنعا ويدرس التلميذ لم يعمل فى المدرسة تحت اشراف علمى ليخرج بعد ذلك وقد اكتسب مهارة لازمة للتنمية • كما لابد أن يكون اساس العملية التعليمية فى المدارس الاكاديمية هو اجراء البحوث وتنمية المواهب وروح الفريق وليس الحفظ والتلقين • أما الكليات المتخصصة فى الجامعات فمن غير المتصور أن ينصلح حالها اذا استمرت سياسة الاعداد الكبيرة مع تجاهل الامكانيات الفعلية • ثمة حاجة الى ترتيب عربى مشترك لتمويل التعليم العالى ، والتكنولوجى خاصة • والى أن يتقلص عدد خريجى الثانوى العام نتيجة التوسع المطلوب فى المدارس الفنية ينبغى ان يقتصر القبول فى الكليات المتخصصة كلها على المتفوقين من خريجى الثانوى العام والفنى • وتوجيه الاعداد الكبيرة الاخرى الى كليات لتخريج المدرسين وكليات لتخريج الموظفين ذوى الاستعداد التام فى المجال الادارى • وسوف نرمى بذلك عصفورين بحجر ، حيث تمتص الاعداد الكبيرة بعيدا عن الكليات المتخصصة التى يقتصر القبول فيها على من لديهم المقدرة الذهنية لمتابعة الدراسة الجامعية الحقة ، وتكفل فى الوقت نفسه تخريج اعداد كافية من المدرسين والموظفين المؤهلين للعمل الذى سوف يمارسونه بالفعل • ويجب ان يستكمل ذلك كله ببرامج مدروسة لنشر اكبر قدر من المعلومات المفيدة ومن الثقافة عن طريق اجهزة الاعلام العربية بدلا من الدور الذى تقوم به الكثير منها فى دعم الخرافات الشعبية السائدة ونشر « الفن » الرخيص والمبتذل • ويبقى ما دون ذلك من اصلاحات صغيرة رسما على الماء !

للجيش دور

بالرغم من أن السلام كفيل بتوفير المناخ الطبيعى للتقدم والتنمية ، وأن المجهود الحربى يشغل حيزا هاما من الجهد والمال دون مردود انمائى على العالم العربى ، فليس من الواقعى ، ونحن نتكلم عما يجب ان نفعله خلال بضع سنوات فقط ، ان

نفترض حلول السلام العادل والدائم خلال الفترة القصيرة التى نتحدث عنها • لا مناص اذن ، رغم ايماننا العميق بالسلام وتطلعنا الدائم اله ، من ان نفترض ان علينا ان نتخطى التخلف فى ظروف لا يتحقق فيها السلام الكامل فى الشرق الاوسط•

وما دام علينا ان نستبقى جيشا اكبر كثيرا من القدرات الطبيعية لاقتصاديات دول المواجهة ، فان المنطق يقضى بان نخفف من العبء الاقتصادى لهذا الجيش على تلك الدول ،وان نحاول بقدر الامكان ان نجعل من الجيش نفسه اداة للتنمية • وثمة وسائل كثيرة لتحقيق الدور الانمائى للجيش • فالجيش هو قبل كل شيء مدرسة للانضباط والنظام ويجب ان يغرس فى نفوس المجندين الايمان بالعقيدة والالتزام بالنظام فى حياتهم العامة والخاصة على نحو يؤثر فى سلوكهم العام بعد ذلك • وبدلا مما يحدث الآن من تحول كثير من الزراع والصناع بعد فترة تجنيدهم الى موظفين غير منتجين ، مما يزيد فى الآثار السلبية للمجهود الحربى على التنمية، يجب أن يكون الجيش مدرسة كبيرة لاكتساب المهارات فى المجالات الانتاجية المختلفة على المستويين الحرفى والصناعى ، وهو أمر يساعد عليه بلا شك انتشار الصناعات الحربية العربية والتوسع فى برامج التدريب المهنى داخل الجيش• كذلك يمكن ان يقوم الجيش بتنفيذ الاعمال المدنية الكبرى اللازمة لاستكمال الهيكل الاساسى للاقتصاد العربى بمعدل اسرع وكلفة اقل • وبعبارة اخرى فان الجيش الضخم يجب الا يكون مجرد شر لا بد منه مادام فى الاستطاعة ان يصبح مدرسة الشعب ومقاول الدولة الى جانب وظيفته الاولى فى حماية الوطن • ويجب الا ننسى انه اذا كانت دول مثل المانيا الغربية واليابان قد بنت رخاءها الاقتصادى الحديث بعد ان اتاحت لها الظروف الغاء الانفاق الحربى ، فان دولا أخرى تشق طريقها فى التنمية بنجاح رغم الانفاق الحربى الضخم • المهم ان يكون الانفاق حيث تقتضيه ضرورات الامن القومى وليس مجرد وسيلة لاكتناز الاسلحة لاغراض التنافس والمباهاة ،وان يتحمل عبئه الجميع بقدر ما يرجى منه من اهداف قومية وفى اطار يتم الاتفاق عليه بصورة مسبقة• والمهم ايضا ان يستغل الجيش بقدر المستطاع لتحقيق الاهداف الانمائية للمجتمع فى مرحلة الانطلاق •على ان يبقى السلام العادل هدفا قوميا اسمى نسعى للوصول اليه باقصى سرعة اطارا للنمو المتوازن لاقتصادنا العربى • وسوف نحسن كثيرا الى انفسنا اذا اتفقنا جميعا على ان « السلام والتنمية » هما الهدف المزدوج الذى ينبغى ان تستهدفه كل المجهودات العربية •

الخلاصة

والنتيجة اذن أن أمام العرب فرصة لن تعوض يمكن ان يشاركوا عن طريقها فى صنع الحضارة من جديد • ويبقى ذلك الى حد كبير رهن الطريقة التى سيتصرف بها العرب فى اموالهم فى السنوات القليلة القادمة والاطار العام لسلوكهم فى المستقبل • فان اتفقت الحكومات العربية على استراتيجية عامة للتنمية وشاعت فى الدول العربية الفقيرة على الاقل ايدلوجية قوية يؤمن بها عامة الشعب وتدفعهم الى تحمل تضحيات التنمية فى مراحلها الاولى والى الانضباط فى سلوكهم الفردى والجماعى وواكب ذلك نتائجه الطبيعية من اتباع سياسة متشددة للحد من زيادة السكان فى الدول المكتظة بهم واحداث ثورة فى التعليم فى الدول العربية من شأنها ان تربط التعليم بالبيئة وتخرج اعدادا كبيرة من الفنيين ومستوى رفيعا من المتخصصين المبدعين ، مع جعل الانفاق العربى فى موضعه السليم والتوسع فى الدور الانمائى للجيش ، نقول ان حدث ذلك كله فسوف يجنى العرب ثمار الفرصة الفريدة المتاحة لهم الآن •

اما ان ظلت طريقة التفكير السائدة تحكم الحياة العربية بما فيها من ضياع وتخبط وظل التفكير فى التنمية والتخطيط لها وتنفيذ مشروعاتها يحظى بالدرجة الثانية من الاهتمام ، وبقيت قضية الحرب والسلام نهبا للمزايدات العلنية ، فان فرصة العرب الاخيرة سوف تصبح ، لا محالة ، فرصة ضائعة •

الكويت ــ ابرهيم شحاته
استاذ القانون الدولى ــ جامعة القاهرة
والمستشار القانونى للصندوق الكويتى للتنمية

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٦

كورسيكا شهدت مولد نابليون !

قامت مسابقة العدد ٢٠٦ من « العربي » على اسئلة متنوعة في المعلومات العامة في نواح شتى من المعرفة ، وكانت اسئلة المسابقة مقسمة الى قسمين ، القسم الاول تناول سير اعلام من الشرق والغرب لعبت ادوارها من مواقعها المختلفة ، أما القسم الثاني فقد حوى اسماء مدن وأنهارا ودولا مختلفة • وقد استطاع القراء ان يجيبوا على أسئلة المسابقة اجابات صحيحة ، كما ان الزيادة في عدد المشتركين في المسابقة كانت ملحوظة •

واليك نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة •

١ ـ تقع مدينة شنقيط في موريتانيا الاسلامية •

٢ ـ صاحب رواية الحرب والسلام وآنا كارنينا هو ليو تولستوي •

٣ ـ الاسم السابق لجمهورية سريلنكا ، هو سيلان •

٤ ـ البلد الذي كرم الشجرة برسمها على علمه هو لبنان •

٥ ـ النهر الكبير هو نهر الراين •

٦ ـ الجزيرة التي شهدت مولد نابليون بونابرت هي جزيرة كورسيكا •

٧ ـ ابو القاسم الشابي ـ تونس •

بدر شاكر السياب ـ العراق •

علي احمد باكثير ـ حضرموت •

٨ ـ المصلح الكبير هو جمال الدين الافغاني •

٩ ـ عاصمة مالطا هي فاليتا •

١٠ ـ الفيلسوف الكبير الذي يعمل الصينيون على هدم تعاليمه وافكاره هو كنفشيوس •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **حسن علي البشاري** ـ صنعاء / اليمن •

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **عثمان مصباح** ـ تطوان / المغرب •

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : **سوسن احمد بركات طه** ـ نابلس/الضفة الغربية الاردن •

٨ جوائز مالية قدرها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **أمنية محمود السمري** ـ جدة/السعودية •

٢ ـ **ماهرة انور ابراهيم** ـ بغداد/العراق •

٣ ـ **فاروق غريب عليوي** ـ الحسكة/سوريا •

٤ ـ **عيسى محمود ابراهيم** ـ عمان/الاردن •

٥ ـ **شعبان عفيفي عبدالعزيز عفيفي** ـ الكويت •

٦ ـ **حسين محمد بن محمد الجنيدي** ـ عدن/اليمن الديمقراطي •

٧ ـ **يعقوب بن عبد الفتاح** ـ نواكشوط/موريتانيا •

٨ ـ **ناظم طالب الحلباوي** ـ باريس/فرنسا •

حينما تتوج النار ذرى الأشجار

قصة : ارسكين كالدويل

نقلها الى العربية : عباس احمد

يعتبر ارسكين كالدويل من أشهر كتاب أمريكا المعاصرين • سجلت الاحصائيات حوالي منتصف هذا القرن ، رقما قياسيا في عدد النسخ التي بيعت من كتبه •• اذ بلغ الثلاثين مليونا • ولد في ولاية جيورجيا ١٩٠٣ ، لأب من رجال الدين ، يعمل قسيسا على المذهب البروتستنتي • « طريق التبغ » و « فدان صغير من أرض الله » •

■ حينما قمت واقفا مرة أخرى في الدغل الذي أقبع فيه ، رأيت « ايرين » قادمة من منحنى الطريق ، وهي تطوح بامتداد ذراعها قبعتها ذات الحواف العريضة • كان وجهها مضيئا ، وخداها في لون التفاح المورد الناضج ، وشعرها يتموج على كتفيها كأنها فرس يتطاير شعر معرفتها حين تخب في ساحة المزرعة • وفي اللحظة التي رأيتها فيها ، جلست بسرعة محاولا أن أختفي بين الحشائش الطويلة على جانبي الطريق • كنت أخشى أن تراني قبل أن تصل الى المكان الذي أختبيء فيه ، فتنثني راجعة ، وتنطلق الى الحقل قبل أن أجد الفرصة للتحدث اليها •

كانت « ايرين » تمشي على مهل ، ولا تنفك تنظر وراءها على الوهج الذي يجلل السماء عند الحافة الشرقية للحقول • ويبدو أن العالم كله ــ كان في ذلك اليوم ــ يتوهج بالنيران •• وكان الهواء محملا بدخان الغابات الازرق • والآن بينما المساء يهبط ، كانت نيران شمس الغروب قد راحت تلون السماء • ولم يكن ثمة مطر منذ شهر مضى، بينما الحقول والغابات لا تفتأ تشتعل ليل نهار ، ولا أحد حاول أن يجعل حدا للنيران ، لان المطر وحده هو الذي يستطيع أن يوقفها عن أن تلتهم الارض في الشرق والغرب على السواء •

ولم أكن أعرف ماذا ستصنع « ايرين » ــ حين قفزت من مكاني وفاجأتها • لم أكن أريدها أن تهرب مني مرة أخرى • ذلك أنه في كل مرة حاولت فيها أن أمشي معها مساء الى البيت ، كانت تهرب مني ، وتنطلق بسرعة فلا أستطيع أن ألحق بها • وكان لا بد لي أن أراها وأتحدث معها • ولقد ظللت أتمنى خلال هذا الصيف كله ــ لو أني قطعت معها هذا الطريق • وفي مرة من المرات قالت انها لا تكرهني ، ولكن بدون أن تعبأ بما أرد به عليها ، كانت تهرب ، وتتركني وحيدا في الطريق •

وحينما بلغت « ايرين » المكان الذي أقبع فيه ، نحيت الحشائش الطويلة جانبا،وقفزت الى جانبها

فى الطريق • كنت متأكدا اننى أسمع دقات قلبها• كانت ترتعد ، ولم تعرف ماذا تفعل •

قلت مستعطفا ، وأنا أمسك ذراعها بشدة •

ـ من فضلك يا « ايرين » ، من فضلك دعينى أمش معك الى البيت •• بل أمش معك جزءا فقط من الطريق • هل تسمحى لى • أرجوك • دعينى احقق ذلك يا « ايرين » •

وكانت ما تزال فى حالة من الرعب لم تمكنها من الكلام أو الحركة • وكان قلبها يخفق بشدة كما لو كان قلب أرنب قبض عليه •

وبينما كنت أنا أيضا انتفض ، حتى لقد أصبح صوتى كأنه يتردد من أبعاد سحيقة قلت :

ـ ارجوك يا « ايرين » ، اسمحى لى هذه المرة فقط •• هل تسمحين لى ••

وكانت انفاسها قد أصبحت أبطأ •• وحركة صدرها اهدأ ، وتوقف اضطراب شفتيها • قالت أرجوك أن تقلع عن الامساك بى يا « سيدنى » •

قلت :

ـ دعينى أمش معك جزءا من الطريق يا « ايرين » •

ارجوك • اسمحى لى هذه المرة فقط •

وسألت ايرين

ـ لماذا تريد ذلك ؟

وراحت تنظر الى ، بينما كنت افكر فى شىء اقوله لها •



ولم استطع أن أجد شيئا أقوله لها الا اننيأود أن أمشي معها • لقد انتظرت طوال الصيف انيحين الوقت الذي تسمح لي فيه أن أصطحبها في الطريق • ولكن ها هي حينما سألتني لماذا أود أن أمشي معها لم أعرف ماذا أقول •

وتشبثت بذراعها اكثر

ـ كان لا بد لي أن امضي معك يا « ايرين » ٠٠أن امشي معك عائدين الى البيت •

قالت :

ـ لايمكنني أن اتركك تفعل ذلك • ويجب أن لاتفعله •

ـ لماذا يا « ايرين » ؟ قولي لي • لماذا لا تسمحي لي ؟ !

وانثنت براسها،ونظرت الى الخلف حيث كانت السماء الحمراء تجلل حافة الحقول • كان الصمت سائدا فلا الرجال في الحقول يصيحون ، ولا طقطقة سقوط أشجار الصنوبر تمزق السكون • ثمة فقط حمرة السماء العميقة في الليل •

ولانني كنت انتظر طوال الصيف منذ انتهت السنة الدراسية في يونيو ، لكي يحين الوقت فامشي معها على هذا الطريق ٠٠ ولانني كثيرا ما استلقيت ليلا بعد ليل في الادغال احملق في الظلام وافكر فيها ٠٠ ولانني لم استطع ان امنع نفسي من لمسها ٠٠ فلقد اطلقت ذراعها ، وارحت يدي على صدرها الخافق ، وكان ذلك لفترة من الوقت قصيرة الى الحد الذي لا يمكن ان اجد لها مقياسا • ولم تبد « ايرين » خلالها اية حركة• ولكنها استدارت براسها ناحية النيران المشتعلة عند حافة المزارع ، فلم البث ان حاولت تطويقها بذراعي ، بينما اغلقت عينيها بشدة ، واشاحت بشفتيها بعيدا ، وعاد وجيب قلبها يعلو ، وفجأة بمجرد ان وضعت يدي على نهديها ، انفلتت مني، وانطلقت تجري هابطة في الطريق الى البيت •

وصحت مستعطفا وانا اجري وراءها •

ـ ارجوك يا « ايرين » • ارجوك ارجعي • انني لم اقصد دفعك الى الهرب • دعيني فقط امش معك الى البيت •

واستطعت ان امسك بذراعها من جديد ،واردها عن الجري ٠٠ ومشيت معها •

ـ سوف اخبر والدك يا « سيدني » • انتظر وسترى • سوف احكي له كل مافعلته بي • فقط انتظر وسترى • ان لم اقل لابيك كل شيء !

ولم اعرف ماذا اقول • ولم اعبا كثيرا بما قد يصيب جسدي من سياط ابي ، اذا نمى الى علمه ماحدث بيننا • ولم اكن اعرف كذلك ماذا افعل ، فانا اخشى ان أطلق ذراعها ، وان اظل ممسكا بها • واستمرت ايرين تقول •

ـ سوف اشكوك لابيك • انتظر وسترى ٠٠ ان لم اقل له كل شيء • انني ساخبره بكل ما فعلته معي في الطريق •

وحينما بلغنا صحن الكنيسة ، حيث يمكن اختصار الطريق خلاله الى بيت ايرين ٠٠ توقف كلانا • وكان الظلام قد اصبح اكثف ٠٠ ولكن انعكاس النار المشتعلة على السماء ، كان ساطعا الى الحد الذي مكنني من رؤية دموع ايرين وهي تدير راسها نحوي•كنا نرتجف في فناء الكنيسة٠٠ ننظر الى السماء المتوهجة ٠٠ وينظر احدنا الى الآخر •

ـ لماذا تفعل ذلك يا « سيدني » •

ـ حينما ذهبت الى الطريق في انتظارك ، لم افكر في شيء من ذلك • لقد رغبت فقط في ان اراك • وان نمشي سويا الى البيت • ولكن حينما امسكت بك ، لم استطع ان امنع نفسي من ان المسك • لم يكن لي اختيار ٠٠ لم يكن لي الا ان المسك •

وجذبت النيران المشتعلة على حافة المزارع نظر ايرين من جديد • ولم تستطع ان تحول عينيها عن الحملقة الذاهلة في الدخان واللهيب٠٠ وفي الوهج الكابي في كبد السماء •

وفجأة ادارت راسها ، ونظرت الي مباشرة

ـ « سيدني » اذا لم تدعني اذهب ، فساصيح، ولسوف اصيح حتى يسمعني كل الناس •

ـ ولقد كنت حريا في اي وقت آخر ، ان اضع يدي على فمها ، ولكن في هذا الوقت اطلقت ذراعيها من قبضتي ، وطوقتها بذراعي • لم تتحرك ايرين • وقفت ساكنة تنظر الى الوراء على النيران الحمراء في آخر المزارع • وكان الليل مضيئا كالنهار ، وكانت الظلال طويلة ورمادية ، وكان الهواء مشبعا بدخان الغابات الازرق ، وبدأت الريح على حافة المزارع تهب

بشدة ، والنيران تثب عالية في جوف الليل . كنا نستطيع ان نرى النيران تصاعد الى قمم الاشجار،وتحرق الاطراف المدببة لفروع الصنوبر. وبعد وقت قصير لم تلبث النار المنبعثة فى الشجيرات النائة والحشائش ان ذوت ، ولكنها على ذرى اشجار الصنوبر ، كانت تشتعل وتتوهج اكثر واسرع من اى وقت مضى .

قالت ايرين

ـ الان هذه هي نيران الذرى .. انظر ان قمم اشجار الصنوبر تحترق .

وجعلنا المنظر الذى رايناه نرتعد . وكنا نقف متلاصقين . وكان وجه « ايرين » وضيئا كما لم يكن من قبل ، وكان صدرها يعلو ويهبط اسرع مما كان حين قفزت اليها من مخباى بين الحشائش الطويلة على جانبى الطريق .

وعادت ايرين تقول :

ـ ان نيران الذرى لايمكن ان تتوقف حتى تحرق نفسها . اننى خائفة .

ووضعت يدها على يدى وضغطتها بشدة ، وكنت احس بجسدها اللدن الدافىء يلامس جسدى وقلبها يخفق بشدة ، حتى لقد كنت اتلقى ايقاع نبضه على يدى دقة دقة .

ولم اعرف كم مضى من الوقت وانا اريح وجهى فى عنقها ، حينما رفعت ايرين رأسى اليها وقبلتنى فجاة .

ثم خلصت نفسها من بين ذراعي . ولعل الوقت كان قد تاخر .. فقد كانت نيران الذرى تذوى، ولعلها تلاشت نهائيا فى الافق البعيد .

ـ لا بد ان اعود الان الى المنزل يا سيدتى ، فقد ياتون للبحث عنى اذا لم افعل .

ولقد مشيت ورابها ، ثم وقفنا . كنا الآن فى الجانب الآخر من فناء الكنيسة ، على آخر الممر . وكنت استطيع من خلال الاشجار ان ارى اضواء بيتها وسالتها

ـ هل تسمحين لى ان اوصلك فى مساء الغد الى بيتك يا « ايرين » .. وفى كل مساء .

وانتظرت جوابها وانا انتفض . وكنت اخشى ان تقول انها لن تسمح لى بذلك مرة اخرى .

وبينما كنت انتظر مستندا الى شجرة بالقرب منى ، لاحت منها التفاتة على آخر المزارع حيث كانت النيران قد جفت تماما . لم يكن ثمة ضوء فى السماء حينئذ . وكان الهواء قد صفا من الدخان ، واقتربت منها خطوة واصابعى تتضاغط على قطعة لحاء شجر الصنوبر

ـ هل تسمحين لى يا ايرين ؟

وبدون ان تنبس بكلمة انثنت ، ثم جرت خلال الممر الضيق نحو الضوء الذى يشيع من بيتها .

وبعد ان ذهبت ، وقفت بجانب الشجرة انصت. لقد حدانى الامل ان تعدنى بتوصيلها الى البيت مرة اخرى . فى المساء التالى ، وفى كل مساء بعد ذلك ، بحيث اننى لم استطع ان اعتقد انها ذهبت دون ان تجيب رجائى . وبعد لاى ، كررت راجعا خلال فناء الكنيسة المظلم . وخرجت الى الطريق عابرا دغل الحشائش الطويلة حيث اختبات فى انتظارها .

لم تعد هناك اضواء فى السماء تجلل نهاية المزارع. لقد احرقت نيران الذرى نفسها ، والى ان تتوهج النيران مرة اخرى على حافة المزارع ـ ولعل ذلك لن يكون الا فى الصيف القادم ـ فان «ايرين» كما اعرف عنها ، ستظل تهرب منى فى كل مرة . وكنت على يقين من اننى لن استطيع ان امسك بها مرة اخرى ، كما فعلت هذا المساء ، لانها بعد ذلك ستكون الى الابد على حذر منى. ثم اننى لوقفزت من خلال الحشائش الطويلة ونجحت فى الامساك بها ، فانها بالتاكيد ستخبر والدى بما كان منى .

وقبل ان ابلغ بيتى ـ بوقت طويل ـ كنت قد عقدت العزم على أن أمسك بها يوما،وان احتضنها قرابة الساعة كما فعلت ذلك المساء . لقد ادركت اننى لن اكون سعيدا ابدا بعد ذلك ، الا اذا امسكت بها ، وشعرت بشفتيها الدافئتين تقبلان شفتى . اننى لن اكون سعيدا ابدا بعد ذلك ، الا اذا اخذت ايرين يدى وضغطتها على صدرها وشعرت عليها بوقع خفقات قلبها .. ففى يوم من الايام ، اثناء هذه السنة او السنوات التالية ، لابد ان تتوهج نيران الذرى على حواف الاشجار ، ولسوف تينع اشجار الصنوبر الجديدة فى مكان الاشجار التى احترقت وسيكون ثمة انسان يلقى باعواد الثقاب المشتعلة على الشجيرات الجافة فى الاحراش ، فتشتعل .

٥٠

يـــدٌ مِنَ السّمَــاءِ وحب أقوى مــــن المـــوت

وسط الحروب واصـــوات الرصاص والقنـــابل تمتد يدتعمل للخيروينبض قلب بالحب ٠٠ بكل الحب من اجل الانسان ومن اجل الله ٠٠ حباكبر من الموت!

■ لايكاد يمر يوم دون ان تطالعنا الصحف بخبر عن قتال نشب فى مكان ما ، او كارثة طبيعية اودت بحياة الآلاف من البشر ، او عملية ارهابية تهدد أمن الناس وسلامتهم ، حتى اصبح المرء يعتقد أن البشرية فقدت ضميرها ، وفقدت احساسها بالخير والحب وكل القيم الاخلاقية والدينية !

يقول سالـبرجر الكاتب الامريكى : « ان من الحقـــائق المؤلمة أن مايربو على نصف الحروب المشتعلة فى العالم اليوم قد اندلعت بسبب صراعات دينية ! وحيث ان جميع الطوائف المعترف بها تؤمن باله واحد فذلك يعنى ان البعض يقتل البعض الآخر فى سبيل نفس الاله وان اختلفوا على تسميته » ٠

الأم تريزا

غير ان الصحف طالعتنا مؤخرا ، ولاول مرة منذ فترة طويلة ، بقصة حب كبير ٠٠ حب الله ٠٠ قصة انسانية اعادت الينا الايمان بالخير ،، والحب فى سبيل الله وليس القتل فى سبيل الله !! ٠٠ وبطلة القصة هى الام تريزا ، او كما يدعونها القديسة تريزا ٠ انها راهبة نذرت نفسها لاسعاد الآخرين والتخفيف من آلامهم وهى راهبة فى الخامسة والستين ، انحنى ظهرها قليلا بفعل الزمن وما تتحمله من ارهاق فـــى سبيل اعادة الامل الى البائسين ، ومازال وجهها يحمل سمات القروية الالبانية ٠ اما مجال نشاطها ففى كلكتا بالهند ٠

ان الام تريزا تنقل الذين يلفظون انفاسهم من الطرقات الى مكان آمن حتى يتركوا هـــذا العالم فى سلام وهم بين أصدقاء وتحت رعايتهم٠

ورغم انها راهبة فانها أبعد ما تكون عن التعصب الدينى فاذا كان الميت مســـلما أحضرت من يقرأ له القرآن ويدفن طبقا للشريعة الاسلامية واذا كان يهوديا تقام



تريزا تصلى من أجل المرضى والبؤساء الذين وهبت حياتها من أجل اسعادهم ٠

له الطقوس اليهودية واذا كان مسيحيا تقرأ له آيات من الانجيل وتقام له الطقوس المسيحية وفقا لطائفته ٠

انها تجمع اللقطاء من بين اكوام القمامة لتعيد اليهم الحياة ، اذا قدر الله لهم ان يعيشوا ، وتهب لهم دفء الحنان ثم تلحقهم بمدرستها أو تجد لهم من يتبناهم ٠ انها تبحث مع زميلاتها عن المرضى والجرحى الذين يفترشون الطرقات لتعطيهم العناية الطبية اللازمة وتضمد جراحهم وتحتويهم بحبها وقلبها الكبير ٠٠ كلهم اطفالها ٠٠ كلهم ابناء الله ٠

لا ، أنا لست قديسة

ان الحب الذى يملأ قلب الام تريزا جعل الكثيرين يطلقون عليها لقب القديسة تريزا ولكنها ترفض ذلك اللقب ٠ ولكلمة قديس مفاهيم كثيرة يرجع بعضها الى القرون الوسطى ولكنها لم تكن تطلق على الاحياء ٠

وفى العصر الحديث اختلف التعريف بين عالم دين وآخر ٠ فتول الاسقف الذى يعمل بمعهد التكنولوجيا بولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة « ان القديس هو شخص يكشف لنا عن حقيقة هذا العالم » ، ولكن هل صفات القديس فى العصور القديمة مازالت كما هى ام انها تغيرت فى عصرنا الحديث ؟

ان روس دولكر وهو من الاستراليين الانجليكان ويقوم باعمال اجتماعية فى كانبيرا يقول : « ان صفات القديس لم تتغير منذ عصر المسيح ٠٠ انهاتتلخص فى افكار الذات والسماحةوالاستمرار فى التضحية ، ورغم انه من سمات القديسين ان يحتفظوا بما يعلمون فى طى الكتمان الا ان شخصيتهم غالبا ما تفصح عنهم ٠ انهم مبعث الالهام ويبدون اعظم من الافراد العاديين وقد يكون افضل تعريف لصفات القديسة هى ان القديس مثل النافذة يرى من خلالها الانسان لمحة من العالم الآخر كما يرى عبرها كيف يضىء نور الله بالمحبة ٠ وهذا الضوء هو الجزء الذى يراه الناس فى الام تريزا ٠

حب ٠٠ وحب

والحديث عن الام تريزا يعيد الى الذاكرة فقرة كتبها الفنان الروسى العظيم ديستيوفسكى من قصته « الاخوة كارامازوف » عندما جاءته سيدة تطلب منه ان يرشدها الى طريق الله والحب ٠٠ الحب بمعناه الشامل فقال لها : « ان هناك نوعين من الحب : الحب الفعال والحب

العالم ، واذا ما قارنا النوعين لوصلنا الى نتيجة قاسية ومؤلمة ٠٠ ان الحب العالم يدفع صاحبه الى التعبير عنه بصورة مباشرة سعيا وراء الاستحواذ على اعجاب الآخرين حتى اننا قد نجد شخصا على استعداد للتضحية بحياته بشرط ان يتحقق ذلك على مرأى ومسمع من العالم وكأنه يقف على خشبة المسرح ٠٠ حتى تقام له حفلات التأبين وتنثر على قبره الزهور ٠ اما الحب الفعال فهو يتطلب من الانسان عملا شاقا متواصلا وصبرا طويلا ٠٠ وذلك هو الحب الحقيقي٠٠حب الانسانية ٠ وقد يأتي الوقت الذي يشعر فيه المرء انه رغم عمله وصبره يبعد عن هدفه الحقيقي بدلا من الاقتراب منه ، ولكنه في الحقيقة يكون قد حصل عليه ٠٠ ذلك انه سيدرك في لحظة ما أن هناك قوة تصل الى حد الاعجاز٠٠ هي قوة الله،تلك التي لم تتوقف لحظة عن رعايته وحبه وارشاده نحو هدفه ٠٠٠ انه حب الله ٠٠ الحب الذي اذا دخل قلبا ملأه بحب البشرية كلها » ٠

واني ارى ان دستيوفسكي عبر اصدق تعبير عن حب الام تريزا الفعال ٠

لقد كتب مالكولم ماجريدج في كتابه الذي لم ينشر بعد عن الام تريزا «شيء جميل في سبيل الله» يصف شعوره عندما ودعها وهي في طريقها الى مدينة كلكتا يقول : « عندما بدأ القطار يتحرك ثم يختفي عن الانظار أحسست انى اترك ورائي كل الجمال والبهجة في هذا العالم ٠ ان شيئا من حب الله قد أضفى على الام تريزا ٠ » ٠

من هي تريزا ؟

ان السيدة التي استلهمت كل هذه الصفات ولدت في يوغسلافيا من عائلة البانية عام ١٩١٠ وعمدت تحت اسم اجنس يوها كسهد ٠ وعندما بلغت الثامنة عشرة ابدت رغبتها في ان تكون راهبة « وان تخرج الى العالم لتقدم له حب الله » ٠ وكان لها ماشاءت ، خاصة بعد ان علمت عن طريق رسائل بعض المبشرين حماسهم

الأم ٠٠ ام كل البؤساء ، تحنو على مريض ٠٠ وكم من المرضى والجرحى والمحزونين ، مدت اليهم يدها وروحها تواسيهم وتخفف عنهم٠



فى العمل فى البنغال ، فانضمت فورا الى دير للراهبات اللواتى يعملن فى كلكتا ، حيث بدات حياتها بالتدريس لفتيات الطبقة الراقية • وفى تلك الاثناء لاحظت الفرق الشاسع بين المترفين الذين يتلقون العلم فى الدير وبين حياة الفقراء المعدمين الذين يعيشون على الكفاف • فشعرت ان واجبها يملى عليها خدمة افقر الفقراء • وفى عام ١٩٤٨ حصلت الام تريزا على اذن بالعمل فى الاحياء الفقيرة • ودرست التمريض ،واقامت مدرسة فى احد الاحياء الفقيرة • وانضم اليها بعض الراهبات من تلاميذها ، وبدان يعملن فى جلد ، ولم تكن حالتهن افضل كثيرا من حياة طلبتهن ، فقد كن يعشن يوما بيوم •

ولم يفارق الام تريزا لحظة ايمانها بان الله سوف يعينها على القيام بالواجب الذى نذرت نفسها له • لم تحسنت حالتهن قليلا عندما اعترف الفاتيكان بنشاطهن وانتقلن الى مكان افضل مازال الى الآن منزلا للام تريزا •

مع المرضى والمصابين

وبعد عامين بدات الراهبات اشق عمل لهن وهو العناية بالذين يلفظون انفاسهم الاخيرة • وكان عملا جديدا بالاعجاب حقا • وتذكر الام تريزا انها وجدت يوما سيدة تحتضر فى الطريق وقد تكاثرت حولها الفئران ونهشت بالفعل جزءا من قدميها وهما مازالتا تدميان فنقلتها الى المستشفى واصرت ان يجدوا لها مكانا ولم تتركها الا وقد اطمانت الى انها تلقى الرعاية اللازمة • ثم اتجهت مباشرة الى مجلس المدينة وطلبت من المسئولين ان يعطوها مبنى لتنقل اليه مرضاها وجرحاها حيث انها وجدت كثيرا من الحالات المشابهة لتلك السيدة اترى كم عدد المحتضرين الذين نقلتهم الام تريزا الى ذلك المبنى خلال ربع قرن ؟ انها لاتحتفظ بسجلات ، ولكنها تقدر عددهم بحوالى خمسين الفا •

وبقدر ماتعتنى الام تريزا بالذين يفارقون هذا العالم فهى تهتم ايضا بالذين يستقبلون الحياة وذلك مادفعها الى جمع اللقطاء من الطرقات وفى ذلك تقول لمراسل مجلة « بارى ماتش» ان الله يعطى الجميع •• انه يعطى للورود وللطيور ولهؤلاء الاطفال •»

ومنذ عام ١٩٥٧ بدات تريزا تهتم بمرضى الجذام ، وكانوا ياتونها بعد ان تضيق بهم الحياة عندمايطردون من اعمالهم •• وكانوا يجدون المأوى والرعاية والحنان عند الام تريزا فى الوقت الذى يلفظهم فيه المجتمع • واليوم اصبح من الممكن علاج حالات الجذام المبكرة بالعقاقير التى تصلها من بريطانيا والولايات المتحدة • وقد منحتها حكومة الهند ٣٤ هكتارا حيث اقيم فيه مركز للتاهيل المهنى • وتقول الام تريزا « اننا نعمل لتاهيل من شفى من مرض الجذام ليتعلم مهنة يكسب منها عيشه بدلا من ان يمد يده الى الناس ! »

وسام القلب الكبير

وقد كرمتها الهند باهدائها وسام اللوتس كما منحها البابا جون الثالث والعشرون ، جائزة السلام ويتساءل الكثيرون : الم تكن الام تريزا جديرة بجائزة نوبل للسلام بدلا من كسنجر مثلا !

وعندما زار البابا بول السادس بمباى عام ١٩٦٤ اهدى الام تريزا عربته الليموزين البيضاء الفاخرة تقديرا لما تبذله من جهد فى سبيل الانسانية وقد دفعوا لها نصف مليون فرنك ثمنا لهذه السيارة الفاخرة ، انفقتها كلها على الفقراء والمرضى • وتقول الام تريزا انها ارادت لنفسها واخواتها ان يضعن انفسهن فى خدمة الفقراء مجانا ،انها نقطة فى محيط حيث نقطة بيضاء رائعة •• ولكن هل يمكن ان تغير من ظروف ثلث العالم وكلهم من المعدمين !

لقد وجدت الام تريزا الله فى ينابيع الحياة والموت • ولاشك انها امراة فريدة من نوعها فى هذا العصر • انها البطلة الوطنية فى الهند •• البلد الذى وهبت له نفسها • انها لاتفرق بين حب الفقراء وحب الله فهما حب واحد •• وياله من حب !

نائله تونى

التفجر السكانى



فى البلدان النامية

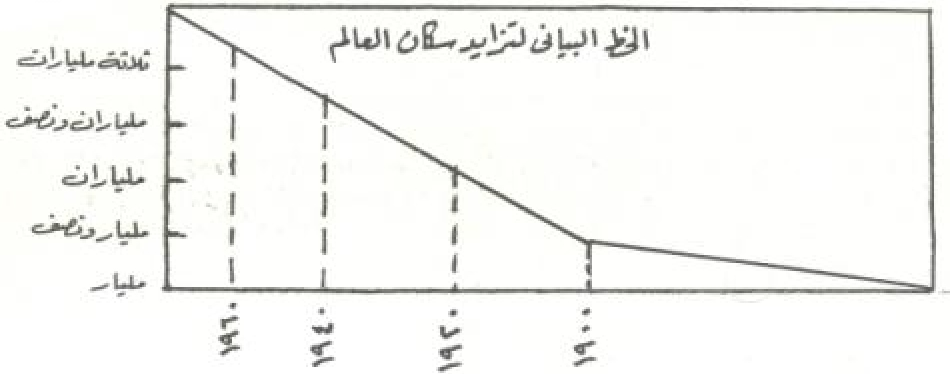
التفجر السكاني مشكلة العصر .. وهى مشكلة تزداد خطورة وتعقيدا فى الدول النامية .. انها مشكلة تتفاقم مع الفقر وتحس بها المجتمعات المتخلفة اكثر من غيرها فهى ترتبط ارتباطا وثيقا بعيشها ورزقها !

بقلم : الدكتور احسان هندى

● لا توجد مشكلة تشغل بال الاقتصاديين والسياسيين اليوم اكثر من مشكلة حفظ التوازن بين تزايد عدد السكان من جهة ، وتزايد الموارد الغذائية بالنسبة نفسها من جهة ثانية .

ورغم ان هذه المشكلة لا تطرح نفسها فى البلاد العربية ـ ما عدا جمهورية مصر العربية ـ على نفس الدرجة من الخطورة ، لاتساع الارض العربية من جهة ، وعدم استغلال جميع خيراتها من جهة ثانية ، فانه من المفيد عرض هذه المشكلة لمعرفة ابعادها السياسية والاجتماعية، وخاصة فى البلدان النامية ونحن منها .

ولقد تحدث قبلى فى هذه المشكلة اقتصاديون وعلماء وفلاسفة كثيرون منهم الراهب الانكليزى (مالتوس Maltus) الذى يعتقد بان قدرة البشر على التكاثر اكبر من قدرة الارض على الانتاج ، وذلك لان السكان يتزايدون ـ حسب رأيه ـ وفق متوالية (سلسلة) هندسية على اساس ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ... بينما تزايد انتاج الارض يكون



حسب متواليه حسابية على اساس ٢،٤،٦،٨،١٠،٠٠ ولذا فان تزايد السكان يسبب نوعا من عدم التوازن لا يمكن القضاء عليه ـ حسب راى مالتوس التشاؤمي ـ الا بالحروب والكوارث التى هى السبيل الوحيد لاعادة التوازن لما كان عليه •

زيادة مخيفة !

ونحن ـ وان كنا لسنا متشائمين الى درجة مالتوس ، نظرا لثقتنا بالتقدم التقني من جهة ، ولامكان استثمار الثروات الغذائية في المحيطات والغابات من جهة ثانية ، لا يسعنا الا ان نشعر بشيء من القلق لما نعلمه من ان عدد السكان الاجمالي في العالم قد تضاعف بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩٧٠ ، اذ ارتفع من مليار ونصف الى ثلاثة مليارات في هذه الفترة ، وينتظر ان يتضاعف مرة اخرى قبل نهاية القرن العشرين وذلك كما يظهر من الخط البياني التالي الموضح باعلى الصفحة •

واما زيادة الموارد الغذائية والمياه الصالحة للشرب والرى فلم تزد بهذه النسبة نفسها ، ولن تجاريها في المستقبل حسب الدلائل المتوفرة حتى الآن ، بالرغم من امكانيات التقدم التقني المنتظر •

واذا اردنا معرفة ارقام تزايد السكان في العالم بشكل اكثر تفصيلا ، يكفي ان نلقي نظرة على الارقام التالية :

ـ زيادة عدد السكان في الثانية : ٢ نسمة وفي الدقيقة : ١٢٠ نسمة وفي الساعة : ٧٢٠٠ نسمة ، حتى تصل الى ان عددهم في العام : ٦٣،١٠٠،٠٠٠ نسمة •

في البلدان النامية

ورغم ان قضية تزايد السكان هى مشكلة مشتركة بين البلدان المتطورة من جهة ، والنامية من جهة ثانية ، والمتخلفة من جهة ثالثة (١) فان هذه القضية لا تطرح نفسها على درجة كبيرة من الحدة الا بالنسبة للبلدان النامية التى تشكل اغلب البلدان العربية قسما منها : اذ بينما نجد نسبة تزايد السكان ـ وهو الفرق بين معدل الولادات ومعدل الوفيات ـ ١٠٪ في البلدان المتخلفة نظرا لازدياد نسبة الوفيات بشكل يمتص جزءا من ازدياد الولادات (كما هو الحال في دولة بنغلادش مثلا) ، ونجد نسبة تزايد السكان في البلدان المتطورة لا تتجاوز ٠٨٪ نظرا لقلة الولادات فيها (فرنسة مثلا) ، نجد ان نسبة هذا التزايد عالية جدا في البلدان النامية ، لان الوفيات تتناقص فيها من جهة بينما الولادات تزيد فيها من جهة ثانية حسبما يظهر من الجدول التالي :

نوع البلد	نسبة الولادات	نسبة الوفيات	تزايد السكان (الفرق)	ملاحظات
البلدان المتخلفة	٤٠ـ٤٥٪	٣٠ـ٣٥٪	١٠٪	تحسب نسبة الولادات
البلدان النامية	٤٠ـ٤٥٪	١٥ـ٢٠٪	٠٢٥٪	والوفيات وتزايد السكان
البلدان المتطورة	٠١٨٪	٠١٠٪	٠٨٪	لكل الف من السكان

(١) البلدان المتطورة هى التى يتجاوز الدخل الفردى فيها ٢٥٠ دولارا في السنة ، والبلدان النامية يبلغ معدل الدخل الفردى فيها ١٠٠ ـ ٢٥٠ دولارا ، والبلدان المتخلفة هى التى يقل دخل الفرد فيها عن ١٠٠ دولار سنويا •

ومن القاء نظرة على هذا الجدول يظهر لنا بوضوح ان البلدان التى تكابد زيادة السكان اكثر من غيرها هى (البلدان النامية) بحيث يصح اطلاق تعبير (التفجر السكاني) على ماتعانيه من زيادة مطردة فى عدد السكان كما هو الحال فى جمهورية مصر العربية مثلا .

لذا تاخذ قضية تزايد السكان ابعادا خطيرة فى البلدان النامية ، لان هذه البلدان تحاول رفع نسبة الدخل القومى فيها لرفع مستوى معيشة سكانها ، ولكن تزايد سكانها بنسبة تعادل نسبة ازدياد الدخل القومى او تزيد ـ يجعل ذلك مستحيلا ، لانه لايمكن التوصل الى اى تحسين فى مستوى المعيشة طالما ان نسبة ازدياد السكان تعادل نسبة الدخل القومى او تزيد عنها .

زيادة السكان والدخل القومي

ففى المجتمع العربى مثلا تبلغ نسبة ازدياد السكان بشكل متوسط ٢٠ر٠٪سنويا ، ومعنى هذا انه لا يمكننا رفع مستوى معيشة الفرد العربى الا اذا حققنا ازديادا فى الدخل القومى معدله اكثر من ٢٪ سنويا .

والجدول التالى يبين لنا معدل هذه الزيادة فى بعض الاقطار العربية بالنسبة للفترة الواقعة بين ١٩٥٠ و ١٩٥٦ (٢) :

فبلد مثل سورية لا يبدو بحاجة ماسة لتحديد النسل على مستوى جماعى ، نظرا لوجود قسم كبير من الاراضى التى لم تستثمر بعد ، ويمكن استصلاحها . بينما نجد بلدا عربيا آخر مثل جمهورية مصر العربية يضطر لاقرار تحديد النسل وتوزيع حبوب منع الحمل مجانا على السيدات ، بعد ان امنت مشيخة الازهر بجواز اتخاذ تدابير وقائية لمنع الحمل اذا كان فى ذلك مصلحة للامة .

وقد قامت دولة عربية اخرى باتخاذ اجراء اشد خطورة وذلك بالسماح بالاجهاض فى بعض الحالات كما فعلت تونس بموجب القانون الصادر فى ١٥ مارس سنة ١٩٦٥ (٣) .

واذا عرفنا ان المجتمعات الشديدة الخصوبة فى الولادات هى المجتمعات التى يزيد فيها عدد الفقراء عن الاغنياء ، وعدد المتدينين عن العلمانيين ، وعدد الريفيين عن السكان المدن ، وعدد الاميين عن المثقفين ـ نستنتج من هذا ان المجتمعات العربية الاسلامية هى مرتع خصب لتزايد المواليد بشكل تتميز به عن بقية مناطق العالم كله .

وكلما اقتربت الدول النامية من مرحلة الدول المتطورة كانت اكثر تمكنا من تحقيق التوازن التقريبى بين تزايد عدد الولادات عن الوفيات من جهة ، وزيادة الدخل القومى من جهة ثانية .

القطر	معدل زيادة الدخل	معدل زيادة السكان	معدل التنمية (الفرق)	ملاحظات
مصر	٦ر٢٪	٤ر٢٪	٢ر٠٪	
سوريا	٥ر٦٪	١ر٢٪	٤ر٤٪	النسب مئوية
العراق	١٢٪	٢ر٣٪	٨ر٨٪	

تحديد النسل

وبالرغم من ان الانقاص فى المواليد هو احدى السبل التى تؤدى بشكل غير مباشر الى زيادة التنمية فان مشكلة (تحديد النسل) لاتفرض نفسها على جميع الاقطار العربية بنفس الحدة :

مقارنة !

والجدول التالى يبين لنا نسب التناقص فى معدل الولادات ومعدل الوفيات فى بلد نام هو يوغوسلافيا بمقارنتها مع بلد متطور هو فرنسا فاذا اضفنا الى هذه الارقام ان يوغوسلافيا تمكنت

(٢) من الطبيعي ان تكون هذه النسب قدتغيرت الآن .

(٣) يجب ان نميز بين « الاجهاض » وبين منع الحمل، فالاول يتم باسقاط الجنين ،والثانى يمنع حدوثه .

البلد	١٩٢٠ـ١٩٣٩		١٩٥٠ـ١٩٥٤		١٩٦٢		١٩٦٣		ملاحظات
	ولادات	وفيات	ولادات	وفيات	ولادات	وفيات	ولادات	وفيات	النسبة لكل الف
يوغسلافيا	٢٧ر٩	١٥ر٩	٢٨ر٨	١٢ر٤	٢١ر٩	٩ر٩	٢١ر٩	٨ر٩	من السكان
فرنسا	١٥ر١	١٥ر٧	١٩ر٤	١٧ر٧	١٢ر٧	١١ر٥	١٨ر٢	١٧ر٧	

من رفع دخلها القومي سنة ١٩٦٤ الى ثلاثة اضعاف ماكان عليه سنة ١٩٤٧ ، عرفنا لماذا وكيف انتقلت يوغوسلافيا من مرتبة الدول النامية الى مرحلة الدول المتطورة •

وليت امر تزايد السكان في البلدان النامية يقتصر على عرقلة عملية التنمية فحسب ، اذ هو يقود ايضا الى جملة من المساوىء الاخرى اهمها مايلي :

١ ـ ان تزايد السكان يؤدي ـ كما رأينا ـ الى انخفاض مستوى المعيشة ، ولاسيما في البلدان المتخلفة صناعيا •

٢ ـ وهذا يؤدي الى انخفاض المستوى الصحي وانتشار الامراض والاوبئة ، نظرا لضعف امكانات الوقاية والعلاج •

٣ ـ وتزايد السكان مع قلة الموارد الغذائية في الوقت نفسه تكون عاقبته الاولى المجاعات والفوضى الاجتماعية •

٤ ـ وكما ان هناك علاقة جدلية (وبالكتيكية) بين الفقر والجهل والمرض ، هناك علاقة من هذا النوع نفسه بالنسبة لمساوىء التفجر السكاني (زيادة عدد السكان بشكل فائق) وذلك كما يظهر من المخطط التالي :



هكذا يبدو لنا وكاننا ندور ضمن حلقة مفرغة لايمكننا التخلص منها الا عن طريق تثبيت معدل تزايد السكان ـ ان لم نقل انقاصه ـ من جهة، وزيادة الدخل القومي من جهة ثانية ، وهذا مايؤدي الى زيادة معدل الدخل الفرد وتحسين مستوى المعيشة طوعا لذلك

بهذا الشكل وحده ، يمكن ان تحقق الدول النامية ـ التي نحن منها ـ جزءا مما نصبو اليه في حقل التنمية الاقتصادية ورفع مستوى معيشة السكان فيها • ■■

دمشق : احسان هندي

المعجم الطبي الموحد

يجب الاتفاق على ترجمة عربية موحدة للمصطلحات العلمية

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

■ وحدة الاصطلاحات العربية هى احد الخيوط العديدة الطويلة التى تكون نسيج الوحدة العربية. ومن اجل اتمام هذا النسيج الدقيق الجميل تسير على الدرب قوافل الهيئات والجمعيات والندوات اللغوية ـ العلمية المختلفة سعيا وراء توحيد الاصطلاحات وايجاد المزيد منها على ممر الايام . وبدون وحدة الاصطلاح تتمزق المفاهيم او تتشتت.. وبدون وحدة الاصطلاحات لن نصل الى هدف التعليم الجامعى اللائق باللغة العربية ..

ورب سائل يقول : ولماذا التدريس باللغة العربية ... وامورنا سائرة دون عرقلة بلغة الاجانب من انكليزية وفرنسية والمانية ؟ بل قد يرتعب اساتذة آخرون من الفكرة ذاتها مبادرين الى الاعتراف ، انهم لا يستطيعون افهام طلبتهم باللغة العربية ـ اى لن يشعروا بامكانية التعبير عن الحقائق العلمية بهذه السهولة الجارية الآن على التدريس باللغة الاجنبية ..

وقد اشبعت هذه المسالة درسا وتمحيصا ، وقال الراسخون فى العلم والمؤمنون بلغتهم العربية الغنية وكنوزها المدفونة ، ان المسالة تعريب التعليم الجامعى ليست حماسا فارغا ، أو تعصبا قوميا أو تقليدا أعمى لامم أخرى تدرس بلغتها القومية من تركية أو فارسية او يابانية او روسية .. وانما هى اعمق واوسع من ذلك بكثير . فالتعليم بلغة الامم هو انفذواسهل هضما للطالب مما لو تلقى العلم بلغة اجنبية مهما بلغت سيطرته على تلك اللغة من قدرة وهذا مالا يضمنه اى خبير حتى من ناطقى تلك اللغة . اما العذر المنطقى فى هذه المرحلة الذى يقول : اننا لا نمتلك المرادفات الكافية لجميع المصطلحات العلمية ، فهو عذر صحيح ظاهريا وخاطىء فعليا . فهو صحيح فى الحاضر السريع الزوال .. ولكنه خاطىء فى المستقبل البعيد الامد لان الارادة والتصميم والمثابرة هى التى تضمن لحاقنا بالركب اللغوى العلمى العالمى .

وعلينا ان لاننسى حقيقة حيوية اخرى وهى ان اللغة كالكائن الحى يحتاج الى غذاء وعناية و « رياضة » . ورياضة اللغة هى استعمالها وتكرار استعمالها .. ثم تكرار استعمالها ، والا جمدت وضمرت وذبلت وجرت خطاها بجهد والم . وانظر الى اليد والذراع المشلولة او التى لايستعملها صاحبها كيف تهزل وتضعف . كذلك اللغة تذوى بالاهمال ، وتنمو وتتغذى وتتطور بالاستعمال والممارسة . ويكون نموها سريعا كنمو الطفل الرافل بالصحة والعافية . وعندما نلتزم باستعمال لغتنا سنضطر الى التنقيب والبحث عن كلمات عريقة واشتقاقات حديثة .. ومن خلال هذهالعملية نعمل على احياء ما اندثر وانماء ما ضمر .ودليلنا على ذلك اننا تطورنا فى مجال الانشاء والشعر والخطابة لان صاحب الحاجة يقلب بطون الكتب

ويحار في ابتكار التعابير والتراكيب • فالحاجة هي الحافز على التنقيب والابتكار دون شك •••

مقدمة طويلة لااحسبها مملة ـ مؤاجل ان اقدم للقارىء العربي الكريم محاولة جديدة في طريق تعريب التعليم الجامعي في ميدان العلوم الطبية الا وهي : « المعجم الطبي الموحد » •

المعجم الطبي الموحد

هذا المعجم من الانكليزية الى العربية صدر بطبعه خاصة في أواخر عام ١٩٧٣ ب ٤٠٤ صفحة ويحتوى مايزيد على ١٩ الف كلمة وقد طبع في مطبعة المجمع العلمي العراقي واستعملت فيه طريقة الاملاء الاجنبية المستعملة في قاموس (دورلاند) الطبي Dorland's Illustrated Medical Dictionary • وقد اشترك في تاليفه كل من الاساتذة الدكاترة حسني سبح • عبد اللطيف البدري محمد احمد سليمان • هيثم الخياط • محمود الجليلي•مروان محاسني•أحمد عبدالستار الجواري • وهم اما اعضاء في مجامع اللغة العربية او رؤساء جامعات او رؤساء اقسام فيها • وتولى رئاسة التحرير الاستاذ الدكتور محمود الجليلي رئيس جامعة الموصل سابقا واستاذ الامراض الباطنية في جامعتي الموصل وبغداد •

وقد كانت مجموعة السادة المؤلفين بمثابة لجنة فرعية من صفوة العلماء والاطباء المتخصصين عهد اليها بتاليف المعجم من قبل اتحاد الاطباء العرب عام ١٩٦٦ • وقد شرح الدكتور عزة مصطفى (وزير الصحة العراقية والامين العام المساعد للاتحاد) في مقدمة المعجم غاية المعجم وجهود لجنة التاليف آنفة الذكر • وقد عقدت اللجنة اجتماعات عديدة في القاهرة وبغداد والموصل ودمشق ولبنان واقرت في كل منها عددا من المصطلحات التي وزعت على الهيئات والمؤسسات العلمية لاخذ رأيها فيها •

القواميس والمعاجم الطبية السابقة

ان المعاجم الطبية العربية كثيرة نسبيا ، الا انها جميعا غير متكاملة من حيث عدم المامها بكل مايروم الطبيب استخراجه من كلمات طبية يقرأها باللغة الاجنبية (وهي الانكليزية او الفرنسية على الاغلب) ، بالاضافة الى انها عندما تصدر فقلما يعاد طبعها او تنقيحها او اضافة مرادفات اخرى عليها • وهكذا تتخلف عن الركب العلمي وتتقلص فائدتها تدريجيا • ويضاف الى هذه المعاجم المستقلة مجموعات كبيرة من الاصطلاحات الاجنبية التي يدرجها المؤلفون في كتبهم اما في اثناء السطور والصفحات المناسبة او بشكل ملحق ايضاحي Glossary في آخر الكتاب لشرح الكلمات • واذكر هنا ماهو معروف لدى ـكطبيب ومتخصص ـ من المعاجم الطبية في البلاد العربية :

معاجم طبية

ـ محمد شرف: معجم شرف الطبي (انكليزي ـ عربي)•القاهرة ، ١٩٢٦ المطبعة الاميرية ـ ابراهيم أبو النجا (مترجم) : الموسوعة الطبية الحديثة • ترجمة : ابراهيم ابو النجا (وآخرين)،القاهرة، الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي • ١٥ مجلدا • (بدون تاريخ) ترجمة كتاب : Modern Medical Encyclopadia

ـ اتحاد الاطباء العربـلجنة المصطلحات الطبية : مصطلحات طبية بغداد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٩ •

ـحسن كمال : قاموس الطب الفرعوني ، القاهرة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ • (٥١٢ ص)

ـد • شفيق عبدالملك : معجم الفاظ علم بنيان جسم الانسان والتشريح • (انكليزيـعربي) • القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ ، (١٥٢ ص)

ـد • شفيق عبدالملك : معجم الفاظ علم تكوين الجنس • (انكليزي ـ عربي) ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٠ •

ـعبدالعزيز محمود : اطلس التشريح • ط٣ ، القاهرة مكتبة النهضة ، ١٩٦٦ ، (٢٨٦ ص) •

ـعوض جرجس عوض : المعجم الطبي الحديث ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٠

ـ كليرفيل ، الكسندر : معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ، (فرنسي ـ عربي) • ترجمة مرشد خاطر (واخرون) دمشق مطبعة الجامعة السورية ، (١٤ + ٩٦٠ ص) (بالاصل موضوع في اربع لغات :فرنسي ـ انكليزي ـ الماني ـ لاتيني)

ـ د • علي محمود عويضة : المعجم الطبي ـ الصيدلي الحديث (انكليزي ـ عربي) ، القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٧٠ ، (٢٥٠٠ ص)

ـ مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والطبية التي اقرها المجمع • ١ ـ ٨ ج ، القاهرة مجمع اللغة العربية ، ١٩٥٧ ـ ١٩٦٦ •

ـ مصطفى الشهابي :معجم المصطلحات الجراحية دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٢

ـ المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي • مجلة اللسان العربي ـ المجلدان السابع والثامن الرباط ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ •

ـ فهيم ميخائيل ابادير :معجم التشريح (انكليزي ـ عربي) ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ • (١٨٨ص) •

ـ د • ميلادي غطاس : القاموس الطبي الحديث • (انكليزي عربي) •
القاهرة ، مكتبة الانكلو المصرية ١٩٦٧ • (٦٣٤ص) •

ـ يوسف حتي : قاموس حتي الطبي ـ (انكليزي ـ عربي) • بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٦٧ ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ •
(١٠٦ + ٧٥٢ ص) •

ـ ميلادي بشاي : المعجم الطبي الحديث ، (انكليزي ـ عربي) •
القاهرة ، مكتبة الانكلوى المصرية ، ١٩٦٧ • (٦٠٧ + ١٨ ص)

ولم ادرج في هذه القائمة المعاجم الخاصة بعلم النفس او الصيدلة البحتة لانها لا تدخل في مجموعة العلوم الطبية الصرفة • ومطالعة سريعة لهذه المعاجم توقع القارىء المثقف وطالب الطب والطبيب الممارس في حيرة وارتباك لتباين واختلاف معانيها واشتقاقاتها وصياغتها • ولو جئنا بالامثلة لاحتجنا الى كتيب مستقل • واكتفي بذكر امثلة متفرقة توضح ماأقصده • فقد جاءت في احد المعاجم كلمة Psychotherapy بمعنى الطب النفسي وهو تعريف خاطىء وترجمة مشوهة لان الكلمة بالانكليزية واضحة وبمقطعين صريحين هما « العلاج النفسي »• اما (الطب النفسي) الحق فهو فرع من علم الطب يرادف كلمة Psychiatry ـ وهو علم الامراض النفسية والعقلية •

اهمية المعجم الطبي الموحد

لاشك ان المعجم الطبي الموحد بصورته الحالية يمتاز عن غيره من المعاجم السابقة بما يلي :

١ ـ انه اختار معنى واحدا من مجموعة المعاني التي سبق وان وضعت في معاجم اللغة الاخرى •

٢ ـ وانه استعمل الكلمات المتداولة المستعملة سابقا وخاصة تلك التي اختارها الاطباء العرب الاقدمون ـ اذا كانت تفي بالغرض •

٣ ـ ترك الكلمات الدخيلة واستعاض عنها بكلمات عربية كلما تيسر ذلك •• ، اي التي وجد مايقابلها في العربية •••

٤ ـ استبعد الكلمات الدخيلة اي المعربة من الاجنبية كما هي الا اذا كانت اسم شخص او مشتقة من اسمه •

٥ ـ التقليل من عملية النحت والتركيب الا في مانذر ، كشيوع استعمال الكلمة او سهولتها وفهمها وانسجامها مع الذوق الحسي دون الاخلال بالقواعد والضوابط •

وقد جاء في مقدمة المعجم شرح لاسلوب تاليف المعجم والنهج الذي اتبعه المؤلفون في ترتيب وتصنيف مفرداته كما بينا انفا •

والحقيقة ان ماورد فيه من كلمات عربية يدل على مدى الجهد المبذول في انتقاء واختيار الكلمة المناسبة • ويكاد الكتاب يخلو من اية كلمة معقدة او منفرة للسمع والذوق • اما الكلمات الغريبة

على السمع فقد جاءت غرابتها عن عدم استعمالها سابقا فى المعاجم الاخرى او عدم تداولها من قبل الاطباء الا ان الزمن كفيل بجعل الغريب اليفا ومستساغا ٠

نواقص المعجم الطبى الموحد

ان المعجم بحجمه الحالى ومجموع كلماته صغير جدا بالنسبة الى العلوم الطبية الواسعة التى يجب ان تضم العلوم الطبية الاساسية من التشريح ووظائف الاعضاء والكيمياء الحياتية وشيئا من العلوم الملازمة للطبية ، كالاصطلاحات الصيدلانية وعلم الادوية وطب الاسنان ، وان امكن ايضا اسماء الاعلام من العاملين فى حقل العلوم الطبية ٠

كذلك يحتوى المعجم الطبى الموحد على اقل مايمكن من اصطلاحات علم الطب النفسانى Psychiatry ،وهو علم طبى لايدرسه غير الاطباء، ويجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار عند تاليف اى معجم طبى لانه يختلف كثيرا عن المقصود بعلم النفس Psychology والذى يمكن ان يدرسه ويتخصص فيه بصورة مستقلة اى خريج من كليات العلوم والاداب والمعاهد التعليمية اى انه يمكن ان لايدخل فى المعجم الطبى ٠ والذى ارمى اليه ان كل مايدخل فى العلوم الطبية يجب ان يشكله المعجم الطبى الموحد وهو ما ليس حاصلا بالوجه الشافى وفى الطبعة الحالية ٠٠٠

مستقبل المعجم الطبى الموحد

ان الطبعة الاولى (الخاصة) تبشر بخير كبير لانه النواة الاولى الصحيحة لتوحيد الاصطلاحات الطبية ٠ ومانتمناه نحن الاطباء العرب ان تستمر هيئة التحرير ومن يحمل رسالتها بعد ئذ على المتابعة والتوسع فى هذا المجال ليكون المعجم شاملا ومواكبا لسرعة نمو اللغة الطبية ٠ واذكر على سبيل المثال انه خلال تسعة اعوام (اى بين الطبعة الرابعة والعشرين عام ١٩٦٥ والخامسة والعشرين عام ١٩٧٤) لقاموس دورلاند الطبى اضيف اليه ١٤ الف كلمة طبية جديدة ، بينما نجد ان كل ما حواه معجمنا الطبى هو ١٩ الف كلمة بصورة كلية ٠

ولاجل ان تكون جهود هيئة التحرير ومشروع اتحاد الاطباء العرب فى هذا الاتجاه ناجحا وراسخا فان من الضرورى ان يكتسب المعجم الصفة « الرسمية » لاستعماله وتصميمه من خلال الجامعة العربية مثلما جرى فى توحيد الاصطلاحات العسكرية والا فان قواميس أخرى ستستمر فى الظهور ومنها المترجم فقط ومنها المنقول والمقتبس بتحوير بسيط، ومنها المعتمد على تفاسير واجتهادات فردية يكون نتيجتها مجرد تشويش فى المعانى وفوضى فى اللغة وارتباك فى التعليم الجامعى والمحيط الثقافى ٠

ان تاليف المعاجم من ادق واصعب التاليف اذ هو مزيج من اللغة والنحو والعلم والتكنولوجيا٠ وهو تجسيم واقعى لعمل الفريق المتكاتف٠ وقاموس (دورلاند) الطبى الشهير الواسع الانتشار يمكن ان يعطينا فكرة سريعة عن حقيقة تاليف المعاجم :

فالقاموس باسم العالم وليم الكسندر نيومان دورلاند (١٨٦٤ ـ ١٩٥٦) ٠ وقد صدرت منه الى الآن خمس وعشرون طبعة منذ عام ١٩٠٠ وحتى عام ١٩٧٤ ٠ وتتالف الطبعة الاخيرة من ١٧٤٨ صفحة ٠ اما هيئة التحرير الدائمة فتتالف من ٢٢ محررا ولها هيئة استشارية تتالف من ٨٤ عالما متخصصا فى شتى الفروع الطبية ٠ وقد استخدمت فى تاليف الطبعة الاخيرة الآلة الحاسبة الالكترونية (الكومبيوتر) ، وبذلك اصبح بالامكان خزن ومراجعة واعادة كل ماجاء فى محتويات القاموس وفى اية لحظة ٠

للقاموس طبعة باللغة الاسبانية وطبعة اخرى للعميان بطريقة (بريل) ٠

هذه اللمحة السريعة عن تكنولوجية وفن علم المعاجم يجب ان ينفخ فينا الحماس والتصميم على ايجاد معجمنا الطبى المنشود ٠ وفى اعتقادى ان (المعجم الطبى الموحد) بشكله الحالى يمكن ان يتطور لو عرفنا كيف نكرس الجهود ونوحدها وندعمها ماديا ومعنويا ٠

وامنيتى ورجائى من كل زميل طبيب يكتب أو يحاضر باللغة العربية ان يضحى باجتهاداته الخاصة ويلتزم بما جاء فى المعجم الطبى الموحد ٠ اما مالم يرد ذكره فيه فهو الذى يحتاج الى التصرف والاجتهاد ٠ ■■

فخرى الدباغ



ماكيافيلي

مع نقاده

سياسي كبير ظلمه التاريخ حياً وميتاً

بقلم : على أدهم

حمل على الاستبداد والطغيان •• ووضع لحياته هدفا « ان يرفع شأن امته » ، فقد كان سياسيا ومؤرخا وأديبا •• وقد نجح فى ان يجمع كل هذه الصفات فى كتاب واحد •• كتاب « الامير » THE PRINCE الذى وقف فيه استاذا ومعلما عملاقا •• فكان جزاؤه ان عاش ومات مظلوما !

■ الكاتب المفكر السياسى « نيكولا ماكيافلى » فى طليعة رواد التفكير السياسى ، وقد كان أحد رجال الدولة الذين خبروا الحياة السياسية خبرة عملية ، وبلوا أحوالها ، وفقهوا أسرارها ، واستنبطوا أفكارهم من الواقع المشاهد ، وتجارب الامم السالفة ، وحوادث التاريخ المأثورة •

كان مؤرخا واسع الاطلاع ، دائم البحث والتنقيب ، وكان الى جانب ذلك أديبا ممتازا ، وكاتبا من الطراز الاول ، وقارىء كتبه لا يعجب بدقة تفكيره وتماسك منطقه وقدرته الباهرة فى التخريج والاستنتاج فحسب ، وانما يعجب كذلك ببلاغة ادائه ، واحكام اسلوبه الذى لا تجد فيه نقطة زائدة على الحاجة ، ولا كلمة فى غير موضعها، وقد اقترن اسمه على الدوام بتلك السياسة التى تتجه الى الغاية مباشرة ولا تعبأ بالوسيلة ، وهى سياسة فى تقديرى لا تصلح لكل زمان ، وانما أملتها على ماكيافلى وفرضتها عليه أحوال زمانه وظروفه العاصفة المضطربة •

غاية ماكيافلى من جهاده

وكانت الغاية التى يرمى اليها ماكيافلى هى رفع شأن ايطاليا ، والعمل على استعادة مجدها القديم ، ومكانتها العظيمة السالفة بين الامم المتحضرة ، ولماكيافلى خصوم كثيرون من المفكرين يحملون عليه ، ويتحمسون فى نقده ، وبرغم أن ماكيافلى واضح صريح فى بيان آرائه الى حد الاسراف فى بعض الاحايين ، فقد تعرض للكثير من سوء التفسير ، واختلاف الآراء فى الكشف عن

اهدافه ، الى حد يندر أن تعرض له كاتب آخر في مثل شهرته ، ونسبت اليه أهداف خفية غامضة، ونسجت حول حياته أقاصيص ، لا سيما كتابه المعروف المسمى بكتاب « الامير » ، وحاول الكثيرون من الباحثين أن يثبتوا أن ما ورد في هذا الكتاب يناقض ما ورد في كتابه الآخر المسمى «بالمطارحات» Discourses ، وكثير من النقد الذى وجه الى ماكيافلي صادر من رجال لهم فهم ودراية ، وساكتفي بالتحدث عن بعضهم لبيان جانب من الاتجاهات المختلفة التي سار فيها، وما قوبلت به آراؤه من نقد ، يصل في كثير من المواقف الى التسفيه والسب والهجاء •

ولم يطبع كتاب « الامير » ولا كتاب « المطارحات » في حياة ماكيافلي ، ولكن الكتاب الاول سرعان ما أذيعت أصوله مخطوطة وشاعت وعرفت ، وفي احدى النسختين المخطوطتين المحتفظ بهما في فلورنسا التي نشأ بها ماكيافلي يقول الذى أرسلها لاحد أصدقائه « أرسل اليك الكتاب الذى الفه حديثا ماكيافلي ، وستجد فيه كل مزايا الامارات ، وجميع طرائق المحافظة عليها ، وشتى عيوبها ، مع بيان محكم عن التاريخ القديم والحديث » ، ويوصي بعد ذلك صديقه بان يكون مدافعا قويا ، يرد هجوم هؤلاء الذين يدفعهم الخبث والحسد الى النهش والتمزيق •

معارضة كتاب « الامير »

وفي سنة ١٥٣١ طبع في روما كتاب « المطارحات » ، وفي السنة التالية طبع كتاب « الامير » وأثار الكتاب حينذاك نقاشا فيفلورنسا، وفي مدى قصير وقعت أحداث وتغييرات جوهرية في نظام الحكم بها ، فقد عادت أسرة « المدتشي » الى حكم فلورنسا ، متعطشة الى الانتقام من الذين سبق أن عملوا على ابعادها عن السيطرة على المدينة ، وشرعت الاسرة في الاضطهاد ، ونفي خصومها ، والحكم على بعضهم بالاعدام ، وبدأت الشبهات والاتهامات توجه الى مؤلف كتاب «الامير» الذى توفي في سنة١٥٢٧فلماذا تقدم رجلجمهورى النزعة لخدمة الطغاة من هذه الاسرة ؟ ولماذا قدم النصائح والوصايا لرجل طاغية مستبد مثل « لورنزومدتشي »،ليحتفظ بنفوذه،ويصون سيطرته؟

وبدأ الذين دافعوا عن ماكيافلي يتراجعون أو يقدمون حججا مستغربة في الدفاع عنه ، لم يسبق أن خطرت ببال أحد ، منها انه اذا كان قد قدم في كتابه كيف يصبح الامراء طغاة مستبدين ، والاساليب التي يتبعونها لتحقيق ذلك ـ فانه في الوقت نفسه قد علم الناس كيف يضعون حدا لطغيان الامراء وقسوتهم ، ونسب الى ماكيافلي انه ذكر فيحديثه مع أحد أصدقائه مثل هذه الحجة، زاعما أن «لورنزو» باتباعه النصائح التي قدمها له يعمل على تدمير سلطته ، وهدم مكانته ، ومن ناحية أخرى بدأ بعض الاثرياء يتهمونه بانه حاول بكتابه ان يعلم الامير كيف يجردهم من ثروتهم ، وبدأ الفقراء يقولون عنه انه حاول أن يسلبهم حريتهم ، وعده رجال الدين من الضالين الخارجين على الدين •

وكانت الاحوال السياسية قد تغيرت في ايطاليا واوروبا جميعها ، لا في فلورنسا وحدها ، التي استطاع فيها الامراء من أسرة « المدتشي » القضاء على الحكم الجمهورى ، وأصبحت معظم الولايات الايطالية تحت السيطرة الاجنبية ، واثارت حركة الاصلاح الديني في المانيا الشعور الديني ، وارغمت الكنيسة الكاثوليكية على أن تعدل الكثير مما كانت تتبعه في العصر الوسيط ، وقد اتهم ماكيافلي الكنيسة بانها سبب الخراب الذى حل بايطاليا ومصدر الفساد الذى شاع في العالم الغربي ، ولذلك بدأ كبار رجال الدين ـ من خلال عملهم على استرداد سلطة الكنيسة واستعادة سيطرتها على الضمائر وتوطيد تاثيرهم في التوجيه السياسي ـ يهاجمون الرجل الذىاستهان بالكنيسة، ونال من سمعتها ، وعزا اليها الفساد والتخلف ، وبذلك أطبق الخصوم على ماكيافلي وأحاطوا به من كل ناحية ، فالذين نفاهم الامراء المدتشيون من فلورنسا لم ينسوا له محاولته استرضاء أسرة « المدتشي » ، والسعي في التقريب من امرائها ، وانصار المدتشي لم يغتفروا له مشاعره الجمهورية التي عبر عنها في كتاب المطارحات ، ولم يرض البروتستانت عن عدم اكتراثه بالدين ، وعدته الكنيسة الكاثوليكية شيطانا مريدا يجب القضاء عليه ، وصب اللعنات على ذكراه •

رجال الكنيسة يهاجمون ماكيافلي وكتابه

والواقع أن أول المهاجمين الاشداء لماكيافلي كانوا من رجال الكنيسة ، وقد استهل الكاردينال

« ريجيلاند بول » هجومه بقوله : أن مؤلفات ماكيافلي كتبت بيد الشيطان ، وانه كان يقصد ايذاء هؤلاء الذين قدم لهم النصائح والقضاء عليهم ، وان حياته الخاصة لابد انها كانت اشد سوءا من آرائه ، وهاجمه على هذا النمط اسقف « كوزنزا » وغيره من الاساقفة ، ولكن الهجوم المتتابع المنظم قام به الجزويت وهم الذين حاولوا اخضاع الدولة للكنيسة ، متبعين الاساليب الكفيلة بتحقيق غايتهم ، وانكروا عليه أشد الانكارمحاولته جعل الدولة متحررة من سلطة الكنيسة ، واحتفلوا في انجولوستادت باحراق دمية تصوره ، وفي سنة ١٥٥٩م أغروا البابا بول الرابع بوضع مؤلفاته في قائمة الكتب المحرمة ، واكد ذلك المنشور الذى اصدره مجلس « ترنت » في سنة ١٥٦٤ ، وكان « بوسسيفينو » مثير هذه الحركة من اشد اعداء ماكيافلي ، واكثرهم تحاملا عليه ، وهو لم ينكر على ماكيافلي مواهبه ، ولكنه زعم ان آراء ماكيافلي تؤدى الى هلاك كل من يعمل بنصائحه وتعاليمه ، ويرى المؤرخ الكبير الاستاذ « بسكال فلارى » أن نقده لكتاب الامير يدل على انه لم يقرأ الكتاب ، وانما كان من قبيل الحرب الهوجاء التي اعلنت على ماكيافلي ، وعد فيها ماكيافلي ممثلا لفكرة معارضته الدولة لسيطرة الكنيسة ، ونسبوا اليه انه مبتدع فكرة « مصلحة الدولة » وهو تعبير لم يرد على الاطلاق في كتب ماكيافلي كما يؤكد الاستاذ « فلارى » ، ورأى رجال الكنيسة انه من اللازم لمقاومة آرائه اثبات ان الامير الذى يأبى الاسترشاد بالكنيسة ، ويرفض الخضوع لها - عدو الله والجنس البشري، وانهيجب الاستعانة بكل الاسلحة لدعم هذه الفكرة، ونصح احد الجزويتيين الامير الاسباني الذى كان سيلي فيليب الثاني بأن يقتدي بفرديناند صاحب قشتالة الذى لم يكتف بالحكم على المهرطقين بالموت ، بل كان يذهب بنفسه الى الوتد المنصوب لاحراقهم ، ليساعد في اشعال النيران ، وذكر له ان الامير الذى يحجم عن ذلك مصيره للهلاك ، وان هنرى الثالث ملك فرنسا الذى اتبع نصائح الساسة والماكيافليين قضى عليه ان يذهب ضحية عدوان قس فقير .

واستمرت محاربة آراء ماكيافلي ، فالف احد القساوسة الجزويت كتاب « الاطاحة برأس الماكيافلية » وكتب احد الجزويت الايطاليين كتابا اسماه « حماقة نيكولا ماكيافلي » وسار على منواله كتاب آخرون اضلت ابصارهم النزعة الحزبية ، وجميعهم لم يقدروا الظروف التي الف فيها ماكيافلي كتبه ، ومن المناسب ان تبحث آراء الكاتب الذى يرى انه في الشؤون الدبلوماسية والقضايا السياسية قد يسمح في بعض الاوقات باخفاء بعض الحقائق ، وانه من الجائز في الحرب خداع الخصم ، وان القانون يجيز استعمال الشدة حينما تضطرب امور الدولة ، والركون الى الاساليب الملتوية لاعادة النظام والاستقرار ، وان على الامير ان يحترم ديانة قومه ويؤيدها ، حتى اذا كان ضعيف الايمان بها، وقد نجحت الحرب التى اعلنت على ماكيافلي وآرائه لانها صورته في صورة المحبذ للخداع والقسوة في جميع الظروف ، ونظر اليه من جراء ذلك على انه عدو للاخلاق والدين والعدالة.

بعض الحكام يقرأون كتاب « الامير »

وقد صادفت هذه الحملة الشديدة برغم ذلك ملابسات عجيبة ، فقد تكاثرت طبعات كتاب الامير وترجمت الى لغات اخرى ، وزادت شهرة الكتاب ، ومن المعروف ان شارل الخامس ملك اسبانيا وامبراطور المانيا قرأ كتاب الامير بعناية ، وان ابنه فيليب الثاني وحاشيته تابعوا قراءته ، وان كاترين المدتشية عنيت بقراءته ، وكذلك ملك فرنسا هنرى الثالث وهنرى الرابع بعده ، وقرأ ريشلييه الكتاب،واعجب به ، وان البابا سكستاس الخامس كتب ملخصا له بيده، واشتد اقبال الساسة ورجال الدولة على قراءته ، لانهم وجدوا في كتابه الكاتب الذى يتحدث عن الواقع ، ويقدم النصائح العملية ، وكل الامراء الذين شغلوا باقامة دول جديدة او المحافظة على استقلال دولهم وجدوا أنهم مضطرون الى اتباع الاساليب التى تحدث عنها ، واوصى في كتاب الامير باتباعها ، واعترفوا جميعا بعبقرية ماكيافلي ، لان آراءه كانت الملائمة لمواجهة المشكلات القائمة في عصرهم، وقد كان من اثر ذلك ان سادت فكرة أن اعجاب الامراء والساسة بآراء ماكيافلي ، واسترشادهم بتعاليمه - هما سبب الاحداث الواقعة ، واستدعى هذا الاعتقاد ظهور اعداء جدد لآراء ماكيافلي وتوجيهاته .

طلاب الحرية يهاجمون كتاب الامير

وحينما توطدت العروش فى أوربا ، وقوى سلطان الدولة ، بدأ الصراع للحد من طغيان نفوذ الدولة ، وسيطرة الملوك والامراء ، وقد تناول ماكيافلى فى كتاب « المطارحات » مسألة الحرية السياسية ، ولكنه اغفل الاشارة الى ذلك فى كتاب الامير ، ولذلك نظر اليه الذين اكتفوا بالاطلاع على هذا الكتاب كانه مؤيد للمستبدين ، وكرهه جميع الذين بدأوا يطالبون بالحرية ، وكان فى طليعة هؤلاء كتاب « الهيجونوت » الذين طالبوا فى فرنسا بحرية العقيدة ، وكرهوا ماكيافلى بوجه خاص ، لضعف عقيدته الدينية ، ونظرته الى الدين من الناحية السياسية الخالصة ، وكان فى طليعة هؤلاء النقاد « انوسنت جنتيلا » الذى زعم ان مذبحة « سان برتلوميو » المعروفة فى التاريخ الفرنسى سببها تعاليم ماكيافلى،وقد هاجمماكيافلى هجوما شديد العنف ، ولم يعف عن استعمال بعض الالفاظ النابية ، وانكر على ماكيافلى امتيازه الفكرى، وزعم ان اطلاعه علىالتاريخ كان محدودا، وان تجربته السياسية كانت مقصورة على الولايات الايطالية ، وسار فى آثار نقده لمكيافلى نقاد آخرون تاثروا بارائه،وكان من اقوى هؤلاء النقاد وأسماهم تفكيرا «جيوفانى بودينو » فى كتابه « الجمهورية » وكان يرى ان رسالته تقوم على الدعوة الى نظام سياسى يعتمد على الآداب المسيحية ، وكان لذلك من الطبيعى ان يقاوم آراء هذا البائس الذىذاعت آراؤه بين الساسة ورجال الحاشية عند الملوك والامراء ، وقد ذكر ان ماكيافلى لم يصل الى اعماق علم السياسة ، وانه اختار نموذجا للحاكم اشد أبناء البابوات خبثا وسوء سيرة ، وكانت نهايته الفاضحة ملائمة لسيرته البغيضة ، وان مثل هذا المصير السيء كان عقبى الامراء الذين اتبعوا سياسته ، وعملوا بتعاليم ماكيافلى ، وهو يشير فى ذلك الى « شيزارى بورجيا » ابن البابا « اسكندر » السادس من اسرة « بورجيا » المعروفة بجرائمها وسوء سيرتها ٠

ومن طراز « بودينو » ـ من نقاد ماكيافلى ـ الفيلسوف « توماسوكا مبنلا » الذى اشترك فى مؤامرة لتحرير « كالابريا » من سيطرة الاسبانيين واحتمل فى صبر وشجاعة سنوات طويلة منالاعتقال والتعذيب ، وقد كان من الرهبان الدومينكيين ، فهو يهاجم آراء ماكيافلى بقسوة وعنف فىكتبه، ومنها كتابه « مدينة الشمس » وهو يرى ان ماكيافلى عنى بمساندة سيطرة الامراء بدلا من ان يوجه اهتمامه الى سيطرة الشعب والعدالة الاجتماعية ، ويتهمه بانه مبتكر نظرية « مصلحة الدولة » ويفسرها بأن معناها عند ماكيافلى مصلحة الامير ، ووضعها فوق مصلحة الشعب ، واتباع سياسة الأثرة بدلا من تحرى العدالة ، وبهذا النقد اتفقت آراء البروتستانت والكاثوليك والفلاسفة على نقد ماكيافلى ومحاربة آرائه ، وكان بعضهم يتصدى لذلك دون الاطلاع على كتبه ، مكتفيا بما كتب عنه وما اذيع عن آرائه ، وما وجه اليه من التهم ، ونسب اليه من العيوب والنقائص ، وقد استمر هذا النوع من النقد لآراء ماكيافلى حتى العصر الحديث ٠

والمحدثون يهاجمونه

فان بارتلمى سانت هيلير فى مقدمة ترجمته لكتاب ارسطو فى السياسة يعلن انه من انصار « افلاطون » الذى تقوم السياسة فى رأية على الاخلاق ، وينقد « ارسطو » لانه يحاول اقامة السياسة على الوقائع والتاريخ ، وقد تبعه فى ذلك المؤرخاليونانى «بوليبياس» ،وهو ممن مهدوا السبيل لماكيافلى ، ويعزو فساد منهب ماكيافلى السياسى الى عاملين ، انحراف قلبه ، ورداءة منهجه الذى لم يبتكره ، بل اقتبسه من ارسطو بوليبياس وسار به الى نهاية الشوط ، واتخاذ اخلاق الكاتب وسيلة للحكم على آرائه لاتجيء على الدوام بنتائج مقبولة فى وزن آرائه وتقديرها ، ومن امثلة ذلك الفيلسوف البريطانى بيكون ، فان ماعرف عن اخلاقه وانحرافها لم يمنع من تقدير آرائه الفلسفية ، والعناية بدراستها ، والافادة منها ، وقد اسهم اسلوب ارسطو فى معالجة المشكلات السياسية اسهاما له اهميته ، لان منهجه قائم على التجربة والافادة من التاريخ ، ونرى من ذلك ان العلامة الفرنسى لم يكن منصفا لارسطو ولا لماكيافلى ٠

وقد اشرت الى ان بعض الملوك وكبار الوزراء ايدوا آراء ماكيافلى وقدروا موقفه ، ولكن تغير الاحوال السياسية ـ مع تقدم القرن السابع عشر الميلادى ـ احدث تغيرا ملحوظا فى موقف

الامراء والساسة البارزين ، فقد توطدت سلطة الملوك والامراء ، وشعروا بانهم فى حاجة الى تقوية العلاقة بينهم وبين شعوبهم ، لضمان تعاونهم معهم فى الحرب ، والازمات الاقتصادية، وكذلك فى ازدهار احوالهم ، وتكاثر ثرواتهم ، ومهد هذا السبيل لظهور الملوك والامراء المستنيرين الذين يعنون بالاصلاحات ، ويشعرون شعورا قويا بواجباتهم بوصفهم قادة ومرشدين وهداة ، وتوحدت بذلك مصلحة الامير الحاكم ومصلحة الشعب المحكوم ، وكانت نتيجة هذا الاتجاه هى انضمام الملوك والامراء والساسة الى الفريق المعادى لآراء ماكيافلى واتجاهاته ، وقد اعجبت ملكة السويد كريستينا ، ابنة جوستافس ادولفس ببعض آراء ماكيافلى ، ونقدت بعضها نقدا شديدا وقالت « ليست هناك عظمة جديرة بان تشترى بالجريمة ، ولايمكن ان يكون عظماء او سعداء بهذه الطريقة ويندر ان يحظى الشرير بالرخاء »٠

وقد الف فردريك الاكبر فى شبابه كتابه فى تنفيذ اراء ماكيافلى الواردة فى كتابه «الامير» وقد قام فولتير بطبع هذا الكتاب فى سنة ١٧٤٠م بعنوان « ضد ماكيافلى » ، بعد ان راجعه وصحح بعض اخطائه ، وقد هاجم فريدريك هذا ماكيافلى فى هذا الكتاب هجوما عنيفا ، وقال عن كتاب الامير « انه كتاب رجل يريد ان يكون معلما للصوص والقتلة ، » وقد سار فى آثار ماكيافلى المتقدمون ، ولم ينظـــر الى آراء ماكيافلى فى ضوء الظروف التاريخية التى الف فيها ماكيافلى كتـــابه ، ودافع عن العـــدالة والولاء وشرف الكلمة وصدق الوعد ، وان هذه الصفات يجب تحققها فى الملوك والامراء والحاكمين ، وان النظام السياسى الذى يشير كتاب الامير عـــلى الامراء باتباعه يؤدى الى اسوا العواقب ، وصدور مثل هذه الآراء من حاكم له وزنه ومكانته مثل فردريك الاكبر الموجد الحقيقى لبروسيا الحديثة، وواضع دعائم الدولة الالمانية ـ كان له تاثيره فى انتقاص ماكيافلى ، ونقد آرائه ، ولكـــن المدافعين عن ماكيافلى تساءلوا بعد ذلك تساؤلا طبيعيا وهو « اى المناهج السياسية اتبعها فردريك الاكبر نفسه فى سياسته ؟ وهل اتبع ماقرره فى كتابه ضد ماكيافلى او اتبع آراء ماكيافلى نفسه؟» وقد كان فى مهاجمة فردريك الاكبر الظالمة للملكة « ماريا تريزا » وغزوه لســـيليزيا وعدم تردده فى نقض المعاهدات مايدل على انه كان من اشد الناس وفاء لآراء ماكيافلى التى نقدها بكلماته واقواله واتبعها فى مواقفه وافعاله ، وقيل فى تعليل ذلك ان عقل فردريك المحلق السامى كان يبصر الخير والصلاح ، ولكن طبيعته المنحرفة كانت تحرضه على الشر وان كتابه « ضد ماكيافلى » كان فى حد ذاته لونا صارخا من الوان الماكيافلية ، لكى يخفى حقيقته ، وانه وجد ذلك كفيلا بتحقيق غاياته ، واهداف سياسته ، وقد حاول المؤرخ « فيلارى » ان ينفى عنه ذلك ، ويعزو كراهته للماكيافلية الى انه كان يضع مصلحة وطنه فوق كل اعتبار ، وان هذا هو اساس عظمته وبطولته، ويؤدى ذلك بموقفه غداة معركة « روسباخ » ، فقد كتب الى رئيس وزرائه يقول « اذا وقعت فى الاسر فانى ارغب ان تستمر المعركة تحت قيادة اخى ، كانى لم اوجد ، وان عليه مع سائر الوزراء ان لايفكروا فى التسليم باى شىء فى مقابل تقديم الفدية من اجل خلاصى ٠٠ والرجل الذى يقدم نفسه فداء لوطنه وقومه غير عجيب ان لاتروقه آراء ماكيافلى فى كتاب الامير ، واذا كان قد اخطا فى تقدير آراء ماكيافلى فهذا لايدل على انه لم يكن مخلصا فى نقدها ، ومن اقواله المأثورة فى كتابه « ان ماكيافلى لم يفهم طبيعة الملك الذى عليه ان يؤثر عظمة امته وسعادتها على كل شىء آخر ، فانه ليس حاكمها المطلق ، وانما هو اول خدامها ، وعليه ان يكون الوسيلة لرخائهـــا كما ان امته هى وسيلته الى المجد » ٠

واكتفى بهذا القدر فى ذكر بعض ماوجه الى ماكيافلى من النقد ، وموجز القول ان ناقد ماكيافلى عليه ان يقدر الخلفية التاريخية التى كتب فيها ماكيافلى ، كتابه ، والبيئة الاجتماعية والسياسية والجغرافية التى فرضت عليه الآراء التى بسطها بصراحة فى كتاب الامير ، وناقض فى كثير منها اتجاهه الجمهورى الذى يبدو واضحا فى كتاب المطارحات ، والواقع ان التوفيق بـين ماكيافلى كتاب المطارحات، وماكيافلى كتاب الامير لم يزل من المشكلات التى لم تجد التفسير المقنع، وقد اشار الى ذلك بعض شراحه ومفسريه ، اذكر منهم العلامة المؤرخ البحاثة كاسيرو فى كتابه القيم « الدولة والاسطورة » ٠ ■■

القاهرة ـ علي أدهم

الشاعر والشعر

قصيدة للشاعر : عبد الله زكريا الانصارى

أضعتُ حلمي في كِبْرى وفي كِبَرى
وتهتُ بينهما في مَهمهٍ وَعِرِ

هذا عن الوجد ينهاني ويمنعني
وذاك يأنف أن أرتدَّ للصغر

والقلبُ بينهما شطّت مذاهبُه
اذ راح يُمعن في قَهْرى بلا حذر

ويستجيبُ لأحلام وأخيلة
ويغرقُ النفسَ في الأحزان والكدر

والوجدُ ألهمني شعرا أردده
ورُحْتُ أرسله في أروع الصور

تنثال فيه طيوفُ الوحي هائمةٌ
من كل معنى رفيعٍ رائع الأثر

والشعر وحيٌ وإلهامٌ نصوغ به
مما نعانيه ألوانا من الفِكَر

تأتي الينا رؤىً من كلِّ سانحة
نشدو بها مثل آياتٍ من السور

تفيض في النفس طورا في تتابعها
وتستهلّ كمثل الماطل المطر

وتارة تتهاوى في تدلّلها
وأن أطلّت ففي دلّ وفي خفَر

تعزّ ، حتى أرى عيني معلقةٌ
أرنو اليها كما أرنو إلى القمر

اهفو اليها كمثل المُزْنِ ساقيةٌ
عطشانَ ، أشربُ ماء ليس بالكدِر

رؤى من الشعر في أسمى تلألئها
يشفها جَيّدُ الأمثال والعبَر

يزّينها من حروف الضاد أجملُها
تزهو بها غُرَرا من أبدع الغُرر

من كل حرف له جرْسٌ أردده ..
كأنه نغمٌ ينساب من وتر

يشع نورا يضيء النفس رونقُه
ويجعل القول معنى طيب الثمر

شواردُ الفكر في أفيائها جُمعت
حتى غدت بينها أحلى من الدُرر

* * *

ما للقوافي أتتني اليوم طائعة
تمشي الهُوينى ، وتبدى كلَّ مستتر

وتسحب الذّيل في تيه وفي غنج
يفوح طيبُ الشذا من ريحها العطر

تجر أثوابها شتى مرصعة
بكل شاردة كالأنجم الزُهُر

من كل قافية عذراءَ حالمـــــــة تفترّ عن لؤلؤ رطب وعن أشـــر
كأنها الخَوْدُ في أحلى غلائلهـــــا لم تبق من دَلّها شيئا ولم تـــذر
طارحتها الحبّ والأشواق في وَلَه ورضتهـــا بخيـــال فيه مزدهـــر
ورحتُ أمعن في الأشواق ،فانتفضتْ ترخي اليّ عنان الواله الحــذِر
ذلّتْ اليّ كمثل الصبّ في شغف حتى أتتنيَ ملءَ السمع والبصـــر
فصُغْتُ منها أناشيدي وأخيلـــتي وعدتُ مؤتزرا بالنصر والظَّفـــر
فما ترشفت شَهْداً من مراشفهـــا الا وعُدتُ بمعنى جدّ مبتكـــر
ولاهَصَرتُ بها غُصنا أعانقــــه الا تمليّتُ فيه أجمل الشجـــر
ولا شربت على أنفاسها قدحـــا الا تذكرت أيامـــا من العمـــر
ألوى بها الدهرُ ، فانجابت غضارتُها وأصبحت كلُّها شيئا من الذّكـــر
ولابصرت بها -غنّـــاءَ زاهـــرةً الا تبدت كمثل الشمس في بصـــري
ولا ذرفت دموعا في تذكرهـــــا الاّ غسلت بها ماشاب من كـــدري
يغشى بها العـــين نورٌ ساطعٌ ولـــه أشعة كخيوط العسجد النضـــر
فرحت أشربها حتى سـكرت بهـــا ولم أكن قبلها بالشارب السَّكِـــر
فما ذهبت أناغيهـــا على حــذر الا-وعدت اليها غير ما حـــذِر
اذا تمليت عينيها ارى بهمـــــا من سحر بابل ما يغنى عـــن الخبَرَ
تشتاقني شاعرا رقّت مشـــاعرُه تهفو اليه عذارَى الشعر من مضـــر
مجنّحٌ لفظُـــه في كل قافيــــة جمٌ المعاني رقيق الحسّ ذو أثـــر
خِصْبُ الخيال سريع اللمح تحسبـــه طيفا رقيقا سرى في شارد الفكـــر
يمط أذنا الى الأصوات صاغيــــةً وفي اقتناص المعاني جدّ مقتـــدر
ويرسل الشعرَ أنفاسا معطـــرة..! تشدو العذارَى به في اللهو والسمر

★★★

يا للقوافي ، وقد ارْخَتْ أعنّتَهـــا اليّ كالحلم في نومي وفي سهـــري
وكنت اشتاقها حبا ، وأرقبهــــا ورضت فكري حتى عيل مصطبري
وبت جمٌ الأسى والحزن منطويـــا في الشعر لم أستطع خطوا ولم أسر
تصارعت فِكَرى في كل جارحة محبوسة بين ناب الهم والظُفُـــر
تدور فيها خيالاتي مطوّفـــــة بحالكات الشجا واليأس والضجـــر

جاشت مراجلها في الصدر عاصفةٌ — حتى لكدت اناديها « الا انفجرى »
أريدها صُوَرا في الشعر صادقة — أبثها الشجو أو أروى لها سِيَرى
حتى أطلّتْ ، فهبّ الفكر منطلقا — يسمو بها فوق هام الشمس والقمر
مغردا راقصا يلهو بها جذِلا . . . . — مرددا سورا من أروع السُّوَر
مرتّلا أبدع الآيات يرسلها — قصائدا خردا اعطيتها عُمُرى
اشدو بها وأناغيها على مهل — وأرقب الوحى في الآصال والبُكَر
تأتى الىّ معانيها محجّلة — مثل البلابل في رأيى وفي نظرى
او كالفراشات حول الفكر حائمةٌ — فيها الجديد وفيها كل مبتكر
من كل شاردة تزهو برونقها . . . — تميس حالمةٌ في الطول والقصر
قد طرت فيها على الدنيا وحلّق بى — شعرٌ رفيع ، ولولا الشعر لم أطِر
شبّابَةُ الوحى ما تنفك صادحة — فيها الأمانى ، وفيها كل مدخر
اصغى اليها ، واحلامى مبعثرةٌ — تأتى وتذهب أفواجا بلا خور
يلفها الصمت إلا أنها أبداً — في الذهن صاخبةٌ فتانةُ الأُطر
والوحى يهبط من عليائه زمرا — في إثرها زمر تأتى على الأثر
اصطاد منه المعانى ثم أنشرها — في الشعر مثل جمان فيه منتثر
والشعر وحى والهام وأخيلة — تَبقى على الدهر معنى خالدَ الأثر
تسمو به الروح في عليائها ، وبه — تروى الأساطير بين البدو والحضر
أبثه في صلاتى كل أخيلتى — وفي نهارى وفي ليلى وفي سهرى
أبثه من رؤى الاحلام أروعَها — كأنها طُرَرٌ من أبدع الطرر

★ ★ ★

يا نائم الليل ، ليلى الشعر ان هجعت — في الليل من كل فج أعينُ البشر
وان تولى استقرت منه باقيةٌ — في القلب ، تذكى لهيبا جد مستعر
تبقى حليفين في جوٍّ له عَبَق — بفائح عَطِرٍ في الفكر منتشر
يا ملهم الشعر ينبوعا يفجره — يدرّ درّا كدرّ السُّحب بالمطر
أروى به غلتى ، أروى به ظمئى — أجنى به يانع الأزهار والثمر
أصوغه من معاناتى وأنشده — في كل مجتمع بالشعر مُؤتزر
ياملهم الشعر حسبى منك أمنية — أهفو اليها وقد جاءت على قدر ■■

الكويت — عبد الله زكريا الانصارى

أنباء الطب والعلم والاختراع

طبيب كويتي
يبتكر طريقة جديدة لتركيب
لوالب منع الحمل

● تصدر في بلاد السويد مجلة طبية خاصة بامراض النساء والولادة Int. J. Gynacecol Obstet وقد نشرت مؤخرا بحثا للدكتور عادل الزهير ، اخصائي امراض النساء والولادة في الكويت ، اقترح فيه طريقة مبتكرة لتركيب لولب منع الحمل • وميزة هذه الطريقة هي في تثبيت اللولب بعنق الرحم ، بعد ان كان يركب بدون تثبيت حسب الطريقة القديمة • ولا تخفى مساوىء تلك الطريقة •• فقد كان اللولب عرضة للسقوط من مكانه الى الداخل او الى الخارج ، فتفقده السيدة دون ان تشعر وتصبح عرضة للحمل دون ان تدرى •• والامل معقود على ان تحد الطريقة الجديدة من حوادث الحمل الناتجة عن تحرك اللولب •• ويبدو ان طريقة الدكتور زهير هذه قد تخطت مرحلة التجارب واحرزت من النجاح ما جعلها موضع اهتمام احدى الشركات الصناعية في بلاد السويد ، شركة كابى Kabi ، التى شرعت ، على ما يبدو ، في صنع لولب جديد ، قابل للتثبيت ، وفق الطريقة المبتكرة ، طريقة الدكتور الزهير •

« الكبش » أخصب الحيوانات !

● أقوى الحيوانات جنسيا هو الكبش ـ على ما يبدو ـ لا الثور ولا القرد •• هذا ، على الاقل ، هو ما توصل اليه مركز الابحاث النيوزيلندى Invermay Research Centres في موسجيل Mosgiel وذلك نتيجة للتجارب التى اجراها على نحو متواصل وباشراف العالم المختص المستر اليسون A.J.Allison طيلة السنوات الاربع الماضية •

فقد اثبتت تلك التجارب ان كبشا واحدا يفى بأعراض التلقيح لقطيع من الشياه عدده بعدد ايام السنة ، ٣٦٥ شاة •• وذلك في فترة التزاوج القصيرة التى لا تزيد على ١٧ يوما في السنة الواحدة • وهذا يعنى ان في استطاعة الكبش العادى ان يلقح بالمتوسط ٤٠ شاة في اقل من ٢٤ ساعة •• وهكذا يتضح ان النسبة التقليدية التى راعاها المزارعون والرعاة بين الذكور والاناث في قطعانهم وهى نسبة ١ الى ٥٠ انطوت على اسراف في عدد الاكباش بلا طائل ، وهدر لطاقة جنسية قيمة بلا مبرر • فالنسبة التى يوصى بها المستر اليسون في بحثه الذى نشرته له مجلة المزارعين الاسبوعية Farmers Weekly مؤخرا هى : كبش واحد لكل ٢١٠ شياه !

وتجدر الاشارة الى ان خصوبة الكبش الجنسية كانت معروفة لقدماء المصريين والكلتيين Celts بدليل القداسة التى احيط بها الكبش لدى هذين الشعبين •





أمل جديد
الضرير يرى بعيون صناعية !

● ساد الاعتقاد منذ اقدم الازمان ان القدرة على رد البصر الى المكفوفين ضرب من ضروب الاعجاز ٠٠ والظاهر أن العلم بات قادرا لا على رد البصر الى المكفوفين او زرع العيون السليمة مكان العيون التالفة فحسب، وانما على «تصنيع» البصر وتزويد الضرير الذى فقد عينيه فقدانا تاما، بعيون اصطناعية ، بل باجهزة آلية تقوم مقام العيون ،وتمكنه من الابصار ثانية ٠

هذا على الاقل هو محور البحث الخطير الذى نشرته المجلة العلمية المعروفة Nature فى مطلع هذه السنة ٠ فقد تناول هذا البحث الجهود الدائبة والتجارب العديدة التى قام بها معهد الهندسة الطبية الحيوية Biomedical Engineering ، فى جامعة اوتاه فى الولايات المتحدة الامريكية، تلك التجارب التى قام بها ٣٥ عالما اخصائيا برئاسة الدكتور وليم دوبل W. Dobelle ٠ وجدير بالذكر ان مجال اختصاص معهد اوتاه الذى ذكرنا هو الخواص الكهربائية للاعصاب الانسانية وبخاصة الصلة بين الاجهزة الكهربائية كالآت التصوير والعقول الالكترونية (الكمبيوتر) الخ ٠٠ من جهة ، وبين اعصاب الانسان من جهة اخرى ٠

واول ما يذكر فى هذا الصدد بعض الحقائق التى شاعت من قبل عن اثر الكهرباء فى بعض اجزاء الدماغ ٠ فقد عرف منذ زمن ان أثارة تلك الاجزاء كهربائيا كفيل بأحداث الشعور « برؤية » ومضات ضوء ضعيفة ، حتى فى الحالات التى يكون فيها الانسان ضريرا ، وتكون الاعصاب التى تربط بين عينيه ودماغه تالفة ٠٠ وعرف ايضا ان تلك الومضات التى اصطلحوا على تسميتها فوسفينات Phosphenes او شرارات العين ٠٠ كانت تزداد لمعانا كلما ازداد تيار الاثارة الكهربائية قوة ٠٠ على ان التجارب التى قام بها معهد اوتاه تجاوزت ذلك كله ،وقد تكللت بالعملية التى اجراها اخصائيو المعهد فى المدة الاخيرة ، والتى نكتفى هنا بالتعرض لها بايجاز ٠

وقوام هذه العملية التى اجريت لضرير فقد بصره قبل عشر سنوات ونتيجة لعيارات نارية اصابته فى عينيه ، عدد من الاقطاب الكهربية الالكترودات Electrodes التى زرعت فى المخ ونسقت فى شبكة شملت ٦٤ أبرة رفيعة ٠٠٠

وقد وصلت تلك الالكترودات بكاميرا تلفازية وعقل الكتروني Computer بحيث كانت الكاميرا ترسل الصور الى الكمبيوتر فتعمل هذه على تبسيطها وتحويلها الى نبضات كهربائية Electrical impulses ، قبل نقلها الى دماغ الضرير، بواسطة الالكترودات التى ذكرنا ٠

وبهذه الطريقة ، وهى احدى طريقتين منفصلتين اجريت بهما العملية ، استطاع الضرير ان يرى شريطا ابيض جعلوه بعرض بوصة واحدة وبخلفية سوداء ٠٠ واستطاع ايضا ان يحدد وضع الشريط الافقى (انظر الرسم) ٠

وفى الطريقة الثانية التى وصلوا فيها بين الالكترودات وبين الصورة على نحو مباشر ، ودون وساطة الكاميرا ، استطاع الضرير ان يميز على الفور بين عناصر تلك الصورة ٠٠ وكانت حروف بريل للمكفوفين٠ بل ان ذلك المكفوف تمكن من قراءةالعبارات التيصاغوها لهبتلكالحروف بالنظر باسرع مما استطاع قراءتهاباللمس

على ان هذه العملية والاجهزة التى تتطلبها لم تبلغ مرحلتها النهائية بعد ٠ فثمة عقبات لابد من تخطيها ٠٠ اهمها التلف الذى قد يتعرض له المخ نتيجة للاثارة الكهربائية المستمرة ٠٠ ذلك ان رؤية الصورة المعقدة كوجه الانسان مثلا تحتاج الى زرع ما لايقل عن ٢٥٦ ابرة فى مخ الضرير ٠ وهكذا يتعرض المخ لاثارة كهربائية قد تسبب له التلف فى المستقبل ٠ لذلك كان لابد من مضى زمن كاف على العملية قبل الاطمئنان الى نتائجها تماما ٠

ويقدر الدكتور دوبل تكاليف العملية بنحو ٢٠٠٠ دولار ، يضاف اليها مبلغ ٥٠٠٠ دولار ثمنا للاجهزة وهى كالتالى :

١ ـ آلتا تصوير تلفازى تثبتان فى تجويفى العينين ٠

٢ ـ عقل الكترونى بشكل نظارات ٠

٣ ـ الالكترودات والابر التى تثبتفى المخ ٠ ولا يخفى ان المبالغ المقدرة قليلة نسبيا ٠٠ فهى اقل مما تكلفه الكلية الصناعية ٠ عسى ان يفرغ الدكتور دوبل واعوانه من تطوير اجهزتهم فى المستقبل القريب ، بحيث يبدأ عهد جديد لمن حرموا نعمة البصر فى العالم، وقد تكاثر هؤلاء المكفوفون فى المدة الاخيرة حتى بلغ مجموعهم نحو ١٥ مليون نسمة ٠

الصوم يغنى عن الانسولين
فى علاج بعض حالات مرضى السكرى

● من المعروف ان مرض السكرى يحدث نتيجة لقلة ما يفرزه الجسم من هرمون الانسولين ٠٠ وانه يعالج بحقن ذلك الجسم بالمقادير الكافية من ذلك الهرمون ، هرمون الانسولين ٠٠

بيد ان الاطباء لاحظوا منذ زمن ان بعض المصابين بمرض السكرى لاتستجيب اجسامهم دائمالعلاج الانسولين ٠٠ويصدق هذا بخاصة على من تغلب عليهم البدانة وعادة الافراط فى الاكل ٠

وفسر العلماء تلك الظاهرة بردها الى آفة طبيعية فى جسم المريض ، او عجز عضوى فيه يحول بينه وبين العلاج الذى يحتاج ٠ وبقى هذا التفسير مسلما به باعتباره التفسير الوحيد لتلك الظاهرة حتى أواخر السنة الماضية حين كشف النقاب عن التجارب العلمية التى اجراها نفر منالاطباء الامريكيين ،على الفئران٠

فقد دلت تلك التجارب على ان عدم الاستجابة للانسولين انما تعزى لسبب بسيط للغاية : هو الافراط فى الاكل ٠

ذلك ان الجسم يفرز الانسولين تبعا لارتفاع نسبة الجلوكوز فى الدم ، وذلك فى اعقاب وجبة الطعام وبعد هضم الجسم لذلك الطعام بقليل ـ ومن شأن الانسولين هذا ان ينشط عملية امتصاص الجلوكوز فى العضلات والدهن والكبد ٠٠ حيث

يحول الجلوكوز الى طاقة تختزن لحين الحاجة • فالافراط في الاكل يؤدى الى ارتفاع في نسبة الجلوكوز في الدم ويؤدى بالتالى الى مضاعفة افراز الانسولين •

وقد اكتشف الاطباء الامريكيون وهم علماء يعملون في المؤسسات القومية للصحة في بلدة Bethesdar في الولايات المتحدة ٠٠اكتشفوا ان تراكم الانسولين في الدم هو الذى يفقد هذا الهرمون قدرته على القيام بوظيفته ٠٠وظيفة التنشيط التى ذكرنا• فهو يسبب نقصانا في مستقبلات Receptors الانسولين ، ويسبب بالتالى مقاومة لفعل الانسولين • والمستقبلات لا تعدو كونها توجد على سطح الخلايا وهى التى تجتذب الانسولين وتبدأ سلسلة التفاعلات التى تنتهى بامتصاص الجلوكوز واختزانه ٠٠ ولا يعرف الكثير عن كيفية ذلك ٠٠ الا ان التجارب السالفة الذكر اثبتت ان هذه المستقبلات تنقص وتتقلص تبعا لتراكم الانسولين في الدم• وهكذا نرى ان فائض الانسولين يبقى على تراكم الجلوكوز في الدم بدلا من ان يحرقه وينشط عملية امتصاصه •

نخلص من هذا الى القول بان قلة الاكل هى العلاج الناجح في تلك الحالات التى يقترن فيها مرض السكرى بالبدانة والافراط في الطعام وهى حالات غالبا ما تحدث في الكهول •

بيننا ٠٠ وبينهم
الفارق ٠٠ فارق جوع وغذاء !

● نشرنا في عدد سابق احصاءات بمايتناوله سكان الدول المتقدمة من غذاء • وكتب الينا بعض القراء يطلبون الاطلاع على احصاءات اخرى مماثلة ، خاصة بالدول المتخلفة ، وذلك بقصد المقارنة •

ولعلهم يجدون في الاحصاءات التالية،وقد اصدرتها منظمة الاغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة في مطلع السنة الحالية،بعض ماكانوا يرغبون في معرفته•

الدول الغنية	الوحدات الحرارية				الدول الفقيرة
استراليا	١٣٢ ٪	٣٢٨٠	٢٠٠٠	٨٥ ٪	انجولا
كندا	١٢٩ ٪	٣١٨٠	١٩٣٠	٨٤ ٪	السلفادور
فرنسا	١٢٢ ٪	٣٢١٠	١٨٤٠	٨٠ ٪	بنجلادش
ارلنده	١٣٩ ٪	٣٤١٠	١٨٣٠	٧٩ ٪	الصومال
بولونيا	١٣٢ ٪	٣٢٨٠	١٧١٠	٧٢ ٪	فولتا العليا
الولايات المتحدة	١٣٤ ٪	٣٣٣٠	٢٠٦٠	٩٣ ٪	زائير
الاتحاد السوفيتى	١٢٣ ٪	٣٢٨٠	٢٥٩٠	١١٢ ٪	زامبيا
المملكة المتحدة	١٣٢٪	٣١٩٠			

وغنى عن البيان ان الارقام ترمز الى الوحدات الحرارية او الاسعار التى يتناولها الفرد بالمتوسط يوميا• اما النسب المئوية فتمثل مقدار مايحصل عليه الفرد من اسعار منسوبا الى مقدار ما يحتاجه او ما ينبغى ان يحصل عليه وهو ٢٥٠٠ وحدة حرارية في اليوم الواحد ، وذلك وفق التقديرات الرسمية للمنظمة الدولية • فالارلندى مثلا يحصل على ١٣٩٪ من حاجة الانسان اليومية الى الوحدات الحرارية بينما لايحصل ابن فولتا العليا على اكثر من ٧٢٪ من تلك الحاجة •

وهكذا تتضح لنا الهوة السحيقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة من حيث الطعام والغذاء ٠٠ ■

سؤال يحير رجال الطب والدين والقانون

للحياة حق

فهل للموت - أيضاً - حق

للدكتور محمد طه الجاسر

في المقال الافتتاحي في عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦ ، وتحت عنوان (سؤال للانسانية) لمست جانبا من موضوع هام ، يشكل تحديا للأطباء والناس ويعتبر واحدا من مشاكل الطب الحديث التي تستعصي على الحل في الوقت الحاضر على الاقل . ويدور نقاش على مستوى عالمي وتنعقد المؤتمرات وتنفض دونما نتيجة ، ويترك للطبيب الذي يواجه المشكلة ان يتصرف في الحكم بوعيه على انسان فقد وعيه .

وقد رأيت ان ابعث اليكم بهذا المقال الذي يطرح المشكلة للقارىء العربي من جوانبها العديدة دونما توغل ، اوخوض في تفاصيل فنية .

★ ★ ★

■ ماهو الموت ؟ وماهي المواصفات التي يشترط توفرها لنقرر بأن الموت قد حدث فعلا ؟ .

هذا السؤال يعاد طرحه من جديد نتيجة للتقدم الهائل في الطب عامة ، وفي فرعين يتعلقان مباشرة بالموضوع ، وهما :

أ ـ الانعاش

ب ـ نقل او زرع الاعضاء

Organ transplantation .

لقد اصبح في الامكان اليوم ادامة التنفس والدوران والتغذية والاطراح بصورة آلية تلقائية لفترة طويلة تمتد لبضعة اشهر ان شئنا او حتى لبضع سنين . اما نقل الاعضاء فقد حقق وماذال تقدما ملحوظا . فنقل او زرع الكلية اصبح في حدود الامكان ، وفي كل عام تجرى المئات من عمليات زرع الكلية واغلبها يتكلل بالنجاح . اما زرع القلب والرئتين والكبد فما زال في طور تجريبي ، وقد لايمضي وقت طويل حتى يصبح زرع هذه الاعضاء عملية معتادة شائعة .

هذا التقدم الهائل في هذين الفرعين يبعث على الاعتزاز وكان من المفروض ان يجعلنا نشعر بالارتياح ، الا ان النتائج المترتبة عليه تدعو للأسف وتصيبنا بشيء غير قليل من الحيرة والذهول . انها تجعل البسيط معقدا ، وماكان يبدو واضحا جليا أمسى غامضا تكتنفه الظلمات فالموت الذي كان يظن انه لاشك فيه حين يقع اصبح موضع شك كبير . وتتكرر المأساة ويجد الطبيب نفسه امام معضلة لايستطيع ان يقطع فيها برأى واية معضلة ؟ ، انها بحق مسألة حياة او موت . ثمة امثلة صارخة تحدثت عنها وكالات الأنباء . جمال كورسال زعيم اول انقلاب في تركيا بعد اتاتورك امكن ادامة فعالياته الوظيفية الدنيا ، بصورة آلية مايقارب الستة اشهر بقي خلالها معلقا بين الموت والحياة ، وآخر الأمثلة (فرانكو) الزعيم الاسباني الذي بقي في غرفة العناية المكثفة اياما لاهو حي ولا هو بميت .

والسؤال الذي كان يطرح باستمرار ويوجه الى كل مسؤول عن مثل هذه الحالات التي تواجه العديد من الاخصائيين كل يوم :

ماهو الأساس الذي نستند اليه بأن انسانا ما قد مات ؟ وانه قد حان الوقت لايقاف معدات الدعم الآلية للأجهزة الحيوية كجهاز التنفس الاصطناعي او الكلية الاصطناعية او ناظم القلب وغيرها ، وانه لامانع من الناحية المسلكية من انتزاع عضو فعال من مثل هذا الانسان لزرعه في انسان آخر .

فى الماضى كان توقف دوران الدم نتيجة لتوقف القلب توقفاغيرقابل للردهو العلامة الاساسيةالمميزة للموت • اما الان فان الجمعية الدولية لزرع الاعضاء تقرر : ان تعريف الموت لفرد ما انماهو موت الدماغ لا موت القلب•من هذا المنطلق وضعت تعاريف ومواصفات عديدة للموت ، نذكر منها : تعريف الكسندر فى (بلجيكا) لعام ١٩٦٦وتقرير هارفارد لعام ١٩٦٨ واخيرا توصيات اللجنةالطبية المؤلفة لهذا الغرض فى جامعة بنسلفانيا ، وكلها تختلف فى التفاصيل وتتفق فى شىء واحد وهو ان موت الدماغ الثابت بمخطط مسطح هوالعلامة المميزة لانتهاء الحياة ، بالاضافة لعدد من العلامات الثانوية الاخرى التى تهمل الى حد ما الدوران وتعتمد على الجملة العصبية ، دون أن تتعرض للتفاصيل • فنحن لايمكننا قطعا الاعتماد على كون مخطط الدماغ مسطحا لتاكيد حدوث الوفاة ، مثل هذا المخطط يصبح مسطحا فى حالات تثبيط الجملة العصبية المركزية بسبب دوائى كحالات التسمم بالحبوب المهدئة او المنومة كمركبات : (الباربيتوريات Barbiturates بالرغم من أن المريض على قيد الحياة ويغلب احتمال انقاذه ، وهنالك تقارير عن حالات متعددة لمخطط دماغى سلبى لاشخاص امكن انعاشهم وما زال بعضهم حيا يرزق • ثم ان ما فى أيدينا من مواصفات للموت لا تحدد الفترة الزمنية التي يجب أن يظل فيها الدماغ صامتا لاعلان الوفاة ، أحد المرضى الذين يعانون من اصابة دماغية نتيجة محاولة للانتحار شنقا ، ظل مخطط دماغه صامتا مدة سنة ونصف ومع ذلك كان يتنفس بصورة عضوية وبقى الدوران لديه سليما •

وهكذا نتخبط فى الظلام ويكتنف موضوع الموت والحياة الغموض •

ونتيجة لهذا الغموض يدور الآن نقاش حاد ، ينقسم فيه المتحاورون الى مجموعتين رئيسيتين :

مجموعة تطالب بالتريث واستنفاد كافة الوسائل، والصبر لاطول فترة ممكنة مهما كلف ذلك من ثمن وجهد •

فى العدد القادم
حكم القانون فى هذه المشكلة

واخرى تنادى بانه لا جدوى من الانتظار والانفاق وضياع الوقت ، ويطالبون بحسم الموضوع توفيرا للمال المهدور ، والوقت الضائع والجهد المبذول للعناية بانسان لا يتمتع بالحد الادنى لمقومات الحياة ، فهو بحق عالة على المجتمع لا يستفيد ولا يفيد •

انصار الرأى الاول يحذرون من اصدار تشريع يتبنى توصيات ومقررات اللجان التى تعتمد على موت الدماغ استنادا لمخطط سلبى ، لتسمح بدفن جثة انسان ما زال قلبه حيا ينبض ولا يستبعد فى بعض الحالات أن يكون تنفسه سليما • وانصار الرأى الثانى يذهبون الى ابعد من ذلك فيطالبون باصدار قانون يعطى الحق للاطباء بالاجهاز على كل مصاب أو مريض لا يتوقع ان يعود الى ممارسة فعالياته الحياتية الدنيا • وفى هذا الصدد يقول السر بيتر ميداور : على المرء أن يكون قادرا على النهوض والدفاع عن حقوقه المشروعة لكى يعتبر حيا •

One must be able to rise up and litigate to be alive .

امام البرلمان البريطانى مشروع قانون يسمى (مشروع قانون الاجهاز Utanaesia bill) يعطى الحق للاخصائيين فى المؤسسات الصحية بانهاء حياة كل انسان لا أمل فى شفائه أو اعادته الى وضع يمكنه من ممارسة الحد الادنى من فعالياته الحياتية ، الا ان القانون مازال موضع جدل ونقاش عنيف ، ويتكرر عرضه فى كل دورة ويكسب كل يوم انصارا وقد لا يمضى وقت طويل حتى يقترن بالتصديق • والى أن ينتهى النقاش فى الدوائر العلمية والتشريعية ويتفق الجميع على صيغة معينة محددة يبقى موضوع الموت معلقا •

ولعل ذلك أحد الاسباب التى دفعت الاثرياء فى الولايات المتحدة الامريكية الى التوصية بحفظ اجدالهم فى برادات ذات درجة حرارية منخفضة جدا ، فى انتظار حدوث تطور عظيم يعيدها الى الفعالية ، أو حدوث اتفاق نهائى على تعريف الموت والحياة • ■■

الدكتور محمد طه الجاسر
كلية الطب ـ جامعة حلب
زميل كلية المخدرين ـ المجمع الملكي للجراحين فى انجلترا F.F.A.R.C.S.

طرائف غربية



ضمير عالم !

● ● كانت مشكلة عالم النفس الامريكي البرت ادوارد ويجام Albert Edward Wiggam الرجل الذى قضى عمره ينقل ما يحويه رأسه الكبير الى تلاميذه ، هى حساسيته الزائدة ، فقدكان دائم القلق والتفكير فى كل تصرف يصدر عنه ، وفى كل عمل يأتى به ، وفى كل كلمة تخرج من شفتيه ! ولا يرتاح باله ، ولا يغمض له جفن ، الا اذا جلس وحده وراح يحاسب نفسه مع غروب شمس كل يوم حتى يتأكد ان شيئا مما قاله او فعله ، لم يجرح شعور احد ، او يسىء الى احد ٠٠ حينئذ فقط يستريح ضميره ، ويذهب الى فراشه وينام !

ولكن كم كانت طويلة وقاسية تلك الساعات التى يقضيها ويجام يتعذب ، لانه احس بأنه قد ظلم واحدا من تلاميذه او زملائه ! فكان يمضى فى جلسته حتى تشرق الشمس ، ثم يسرع بارتداء ملابسه ويذهب الى الجامعة ، ويظل يبحث عن « ضحيته » حتى اذاوجده تهلل وجهه بالسعادة ، ودعاه الى المقصف لتناول قدح من القهوة ٠٠ فاذا احس بانه قد نجح فى استرضائه، عاد الى بيته ، وذهب الى غرفته ، لينام !

اسرار الحياة
اجمل ما فيها !

● ● جوتيه Goethe (١٧٤٩ ــ ١٨٣٢) ، شاعر المانيا وفيلسوفها الكبير ، قال يوما يحدثنا عن الحياة واسرارها : « ان اعظم ما فى الحياة هو غموضها وخباياها ٠٠ لقد تجلت حكمة الله فى اخفاء ما حولنا من اسرار الطبيعة ، لاننا لو عرفنا كل شىء ، فسوف يحتوينا شعور بملل قاتل ، وسنفقد الرغبة فى الاستمرار فى الحياة ، وتجد انفسنا فى نهاية الامر نقف حيث لا ندرى ماذا نصنع بانفسنا ٠٠ تماما كما لو كنا ننتظر الموت بعد مرض يئس الطب من علاجه!



جوتيه



زهور ٠٠ واشواك !

● ● كان الفنان الانجليزى الكبير وليام كنت William Kent (١٦٨٤ ـ ١٧٤٨) الذى امضى حياته يرسم ويصمم الديكور ويبتكر الاساليب الحديثة فى زراعة الحدائق والبساتين ٠٠ رجلا من اكثر الناس تفاؤلا فى حياته الخاصة حتى فى احرج اللحظات التى مرت به ، لم تكن الابتسامة تفترق عن شفتيه ابدا !

قالوا له يوما : « ما هو سر تفاؤلك ؟ هل هناك « وصفة » معينة تستطيع ان تقدمها للناس لكى ترى معك هذا الجمال الذى يجعلك مبتسما دائما راضيا ابدا ؟ »

فقال كنت : « الناس رجلان ٠٠ الاول متشائم ، حتى لو لم يكن هناك سبب يدعوه الى التشاؤم والثانى متفائل ، حتى لو اظلمت الدنيا كلها من حوله ٠٠ فتراه يقول لك انه مازال يرى بصيصا من الضوء ٠٠ والفرق بين الاثنين هو نفس الفرق الذى تسمعه بين الذى يلعن الزهور لان اشواكها ادمت اصابع يديه ، وبين الذى يشكر الاشواك لانه وجد فوقها تلك الزهور الجميلة !! »



اناتول فرانس

اناتول فرانس بالانجليزية

● ● اناتول فرانس Anatol France (١٨٤٤ ـ ١٩٢٤) كان واحدا من أشهر كتاب القصة فى فرنسا ، وقد ترجمت معظم اعماله الى اللغة الانجليزية ! وكان دقيقا فى وصف شخصيات رواياته الخيالية ٠٠ ولكن كثيرا ما كان هذا الوصف يضيع عندما ينقل الى الانجليزية ! او كما قال احد المعلقين الفرنسيين يوما : « انهم يحاولون ان يضعوا قبعتهم الانجليزية فوق رأس « مسيو » اناتول !! اما اناتول فرانس نفسه ، فقد كان سعيدا وهو يرى الانجليز يقبلون على شراء قصصه ورواياته ٠٠ ولم يكن يعبأ كثيرا بأبطال قصصه وهو يراهم يقلدون الانجليز فى حديثهم وتصرفاتهم !

قالوا له يوما : « الا تنوى ان تفعل شيئا لتعيد اليهم فرنسيتهم !

فضحك طويلا ثم قال : « اننى افضل الاخطاء التى تصدر عن التحمس على الشعور باللامبالاة الذى كثيرا ما اراه فى عيون الحكماء !! » ٠



الان بو

توين



قالــوا ٠٠٠

★ اللحظات السعيدة اما ان تجعلنا اكثر تفاؤلا او اكثر جنونا ٠٠

« مارك توين »

★ الحب كالقمر ، فهو قد يبدأ هلالا صغيرا لم يكتمل ليصير بدرا ، او يبدأ بدرا ثم يتلاشى تدريجيا !

« جين اوستن »

★ مسكين هذا الذى يتصور ان الحياة رحلة ممتعة ينعم بكل لحظة فيها ٠٠ فالحياة كفاح ٠٠ والحياة تعب ولا طعم للحلوى فى فم تعود مذاق العسل !

« ادجار الان بو »

● ركن الاسرة والمرأة ●

..عندما تذبل الزهور !!



« مسكينة هذه الزوجة الشابة .. لقد ترملت .. وزوجها مازال حيا .. ! »

« كامو »

بقلم : منير نصيف

■ كانت تجلس على المقعد الخشبي القديم وسط الحديقة العامة ، وقد امسكت بكتاب راحت تقرأ فيه باهتمام وشغف ، ولم تكن وحدها .. كان معها طفلها الصغير الذى لم يتجاوز العام الرابع من عمره ، ولكنه كان مشغولا عنها بلعبته الجديدة التى اشترتها له أمه فى عصر ذلك اليوم من ايام الربيع لكى يتركها مع وقفاتها وتاملاتها مع هؤلاء الذين يفلسفون الحياة .. !

لقد كانت هي ايضا وما زالت في ربيع العمر .. ولكنه كان ربيعا ذابلا ، اشبه ما يكون بالوردة الجميلة التى تقف امامها تتأملها فى اعجاب ، ثم لا تلبث أن تمد اليها يدك لتقطفها ، وتقربها الى وجهك لتملأ برائحتها الحلوة انفك وصدرك ، قبل ان تضعها فى عروة سترتك ، لكى تكون قريبة منك تزهو بها وتنعم بعبيقها .. ولكن لا تكاد الوردة تذبل وتذهب عنها تلك الرائحة الجميلة التى انعشتك ، حتى تمتد اليها يدك من جديد لتلقى بها بعيدا !

كانت هي هذه الوردة ! فقد اصبحت شاحبة الوجه ، غائرة العينين .. وقد بدا عليها الارهاق الشديد..ولو أن هذا كله كان لا يلبث ان يختفى عندما يشرق وجهها بابتسامة حلوة عابرة كلما

التقت عيناها بعيني صغيرها الذى يلهو على بعد خطوات منها !

لم تكن ترى غير كتابها وطفلها ، ولم تكن تحس بشيء مما يدور حولها .. حتى هذا الشاب الذى كان يجلس فى المقعد المقابل لها ويتظاهر بالانهماك فى قراءة صحيفته لم ترفع بصرها مرة واحدة تجاهه !

★ ★ ★

المهم الآن فى الأمر ، من هى صاحبة هذا الوجه ؟ هذا هو السؤال الذى ظل يحيره عندما رآها فجاة امامه وهو يقلب الصفحة التى انتهى لتوه من قراءتها .. فهو لم يقرأ حرفا واحدا طوال فترة تزيد على ساعة كاملة !!

من تكون هذه السيدة الشابة التى تبدو وكانها تحمل احزان الدنيا كلها فوق راسها الصغير المسكين ؟ ان وجهها ليس غريبا عليه ! انه يعرفها .. ولكن لا مستحيل .. ان الفتاة التى عرفها كانت زميلة له فى الكلية منذ حوالى عشر سنوات فقط،وكانت فتاة حلوة جميلة تمتلىء بالحياة ! هل يمكن ان تصنع هذه الفترة القصيرة من العمر كل هذا الذى صنعته بها .. لا .. لا يمكن ان تكون هى ؟ !

وعاد الى صحيفته محاولا أن يشغل فكره عنها بالقراءة .. ولكنه لم يستطع ، فطوى صفحاتها ووضعها بجانبه على مقعده ، وشبك اصابع يديه وحمل بهما احدى ركبتيه ، ومال بجسمه الى الوراء .. وعاد من جديد ، بالرغم منه ، يتطلع الى هذا الوجه الصامت !

وفى هذه المرة ، بدات السيدة تشعر بوجوده .. بدات تحس بان هناك عينين ترقبانها ، فقد اختلفت الصورة الآن .. فى البداية كانت هناك صحيفة ، وكان وراء الصحيفة رجل يقرأ .. شيء عادى لا يمكن ان يثير فضول احد .. اما الآن ، فهناك رجل يجلس أمامها ويتاملها ولا يتحول بنظراته عنها لحظة واحدة ! ورفعت رأسها أخيرا ، ونظرت اليه ، والتقت عيونهما .. وكانت المفاجاة .. لقد عرفته .. نعم انه هو ، زميل الدراسة ، وكيف تنساه ؟ وقد بقيت طوال هذه السنوات تسال عنه وتهتم باخباره وبالنجاح الذى حققه بعد ان افتتح لنفسه عيادة يمارس فيها مهنته ، واصبح طبيبا ناجحا !

وقفزت واقفة من مقعدها وقد اغرق وجهها بابتسامة تحمل أكثر من معنى ، واسرع هو يمسك باليد الممدودة اليه ويهزها فى شوق .. ووقف الصديقان ، لفهما الصمت برهة، ثم تذكرت السيدة صغيرها الذى تركته يلعب ، فنادته ، وامسكت بيده ، وبداوا يسيرون وسط الاشجار فى طريقهم الى خارج الحديقة !

قال يسالها : « حدثينى عن نفسك .. ماذا صنعت بك الحياة وماذا صنعت بها ؟ »

قالت : « انها قصة طويلة ! »

ـ اريد ان اسمعها ! هل انت سعيدة فى زواجك ؟ كم لديك من الاطفال ؟ هل تمارسين مهنتك ؟ وكيف حال زوجك ؟ عشر سنوات ليست بالفترة الطويلة جدا .. ولكن يبدو انها فعلت بك اشياء كثيرة ! »

واسعدها ما لمسته فى حديثه من اهتمام بحياتها .. ولاول مرة احست بهذا الاحساس الذى تتوق اليه كل امراة ، عندما تجد صديقا يسال عنها ويتطلع لسماع اخبارها ! .. ولم يكن صديقا عاديا .. لقد كان من الممكن ان يكون هذا الشاب الذى ظهر فجاة فى حياتها مرة اخرى ، زوجا لها وابا لاطفالها ، لولا تدخل والدها ، الذى أصر على ان يزوجها من ابن عمها!

★ ★ ★

انها ما زالت تذكر هذا اليوم الذى خرج فيه زميلها من بيت ابويها منكسرا خائب الامل ، بعد أن صده الوالد ، ورفض ان يزوجه ابنته !

وسرحت بافكارها ، ولكنها ما لبثت ان عادت من رحلتها الى الماضى ، على صوته وهو يقول لها : « لقد تغيرت كثيرا .. ماذا دهاك ؟ الست سعيدة فى زواجك ؟ حدثينى عن نفسك وعن حياتك ؟

وبدات الزوجة الشابة تحكى له قصتها مع السنوات العشر التى انقضت .. « لقد احببت زوجى ، وما زلت احبه .. انه رجل طيب القلب،

ناجح فى عمله ، ولكنه لم يعد يحس بى .. لم يعد يشعر بوجودى ..

« انه يعطى كل وقته لعمله الذى يعشقه ..انه يخرج من البيت فى الساعة الثامنة صباحا ، ولا يعود الينا قبل ان ينتصف الليل .. انه يعمل مهندسا كما تعلم ، وقد تخصص فى العقول الالكترونية .. وهو يمضى معها كل وقته يرقبها وهى تعمل ، ويسرع لاصلاحها عندما تتوقف ، حتى فى ايام راحته الاسبوعية ! حتى اصبحت هذه الآلة كل حياته !

« لقد تصورت فى وقت من الاوقات ، انه ربما تكون هناك امراة اخرى ، واستبد بى الشك ، حتى قررت أن ازوره يوما فى مكتبه دون ان اجعله يشعر بوجودى، وهناك وجدته منكبا علىعمله فيها، ويومها تاكدت ان منافستى الوحيدة هى تلك الآلة التى اعطاها كل وقته وحبه وحياته ! حتى طفلينا الصغيرين كادا ينسيان ان لهما أبا !

« لقد مارست مهنتى كطبيبة فى سنوات زواجنا الاولى ، ثم جاء طفلنا الاول منذ ست سنوات ، فقررت أن اترك عملى لاتفرغ لواجبى الاول كأم .. ومنذ ذلك اليوم ازداد شعورى بالفراغ الكبير الذى اعيش فيه مع طفلىّ فى البيت ! لولاهما لنسيت انا ايضا اننى قد تزوجت ، وان هناك رجلا يحبنا ويرعانا ! »

وكانا قد وصلا الى نهاية الطريق ، حيث تركت سيارتها الصغيرة ، فوقفت تودعه ، ونظرت الى وجهه فرات فى عينيه دمعة حائرة ، يحاول جاهدا ان يحبسها !

قالت تخفف عنه : « ها انت ترى انه لا ينقصنى شىء .. لقد اشترى لى زوجى هذه السيارة الصغيرة فى عيد ميلادى ، منذ خمس سنوات .. وقد خففت عنى كثيرا الم الوحدة التى اشعر بها .. اننى احاول أن املا الفراغ الذى يحتوينى بتلك الرحلات القصيرة التى اقوم بها مع اطفالى .. ولو اننى لم استطع ان اتخلص من الشعور بالوحدة الذى يلازمنى حتى فى اكثر شوارع المدينة ازدحاما بالناس والسيارات !

ومدت السيدة اليه يدها مصافحة ، فعاد يشد عليها مودعا ، ثم وقف يرقب السيارة الصغيرة حتى اختفت عن عينيه وسط ازحام !

★ ★ ★

واحس بالوحدة بعد رحيلها ، فاستقل بدوره سيارته وهرول مسرعا الى عيادته وراح يغرق نفسه بين المرضى وآلامهم محاولا ان ينسى زميلته التى هام بحبها يوما وتمنى لو انها شاركته حياته وعمله !

وكاد ينجح فى محاولته ، لولا تلك المفاجاة التى كانت تنتظره على مكتبه بعد ان ذهب المرضى وانتهت مواعيد العيادة .. « الكتاب » الذى كانت تقرأ فيه صديقته وزميلته .. لقد كان هناك ملقى امامه على المكتب .. كيف جاء .. ومن الذى اتى به ؟ لا يدرى وحاول ان يتذكر ، واسعفته ذاكرته اخيرا ، لقد نسيته على المقعد ، عندما استعدا لترك مكانهما ومغادرة الحديقة ، فاسرع الى حيث كانت تجلس وجاء به ، ولكنه نسى ان يعيده اليها ونسيت هى ايضا ان تستعيده منه قبل ان تستقل سيارتها مع طفلها فى طريق العودة الى البيت !

ولم يعد الى بيته فى تلك الليلة،فلم يكن يهمه فى قليل او كثير ان يعود الى البيت اولا يعود.. فهو ما زال يعيش وحده .. انه لم يتزوج ، فليس هناك اذن من ينتظر عودته .. لماذا لا يقضى الليلة اذن مع كتابها .. الكتاب الذى كانت تقرأ فيه زميلة دراسته وصديقته !

وغاص بجسمه فى احد المقاعد المريحة وامسك بالكتاب وراح يقلب فيه ويتصفحه ، وكانه يبحث عن شىء . ! ويبدو انه قد وجده اخيرا .. لقد عثر على الصفحة التى طوت عندها الكتاب ، عندما تركته على المقعد الخشبى فى الحديقة ، وقامت تصافحه !

وراح يقرأ .. « ان حياة المراة رحلة قصيرة تبدأ مع بداية ادراكها لحقائق الحياة واسرارها.. ولكنها ليست رحلة عادية .. انها رحلة تبحث فيها عن نفسها ، وعن الرجل الذى تراه فى احلامها .. الرجل الذى تريد أن تربط مصيرها به لتبدأ معه رحلتها الطويلة .. رحلة العمر ، رحلة الحياة !

« وهى قد تنجح فى رحلتها الاولى ..

« رحلة البحث » ، وقد تجد هذا الرجل ، ولكنها لا تكاد تبدأ رحلتها الثانية معه ، بعد الزواج، حتى تشعر ان « رحلة العمر » قد انتهت قبل أن تبدأ !

« هذه الرحلة الثانية .. رحلة العمر كله ، التى تتطلع اليها كل امرأة ، ماذا تريد منها ، وما هو هدفها فيها ؟ .. هل تريد المال ؟ هل هى تبحث عن اسم لامع يجيء وراء اسمها لكى تتعلق به وتستند عليه وتتباهى بالفوز به بين زميلاتها وصديقاتها ؟ هل هذا هو هدف رحلتها الثانية وغايتها منها ؟

« قد تكون هذه بعض اهداف رحلة المرأة فى الزواج ، ولكنها ليست غايتها .. فهى قبل هذا كله تبحث اول ما تبحث فى بداية رحلة عمرها .. منذ البداية ، وفى منتصفها ، وفى نهايتها ، وعلى طول الطريق الطويل الذى تسير فيه مع الرجل الذى اختارته ، او اختاره لها ابواها ، تبحث فى رحلتها هذه عن الحب .. الحب الذى يغدقه عليها زوجها .. فليس هناك شيء يمكن ان يسعد المرأة ويملأ قلبها بالامل والرغبة فى الاستمرار فى الحياة ، مثل شعورها بان رجلها يحبها .. بانها تملأ حياته حتى عندما يبتعد عنها .. فهى دائما فى فكره ، وفى قلبه ، وفى كل تصرف يصدر عنه !

« والمرأة لا تحلم عندما تقول انها تتوقع كل هذا من زوجها ، لان هذا هو شعورها هى .. وهذا هو مسلكها هى تجاه الرجل الذى تزوجته .. فهى عندما تتزوج تعطى وتعطى وتعطى .. انها تعطيه كل حبها .. تعطيه نفسها وحياتها وكل ما تملك .. لانها تشعر بانها لم تعد وحدها .. فقد امتزجت روحها بروح الرجل الذى احبته .. لقد انتهت رحلة البحث بالنسبة لها ! لقد اصبح لحياتها الآن هدف ، واصبح لحياتها معنى .. وهو اسمى واعظم معانى الحياة ..

★ ★ ★

« والرجل يتزوج بحثا عن الهدف نفسه ، ولكنه كثيرا ما يتعثر ، كثيرا ما يتصور ان هناك اشياء يمكن ان تعوض زوجته هذا الحب الذى تنشده ، او يترجم لها عواطفه نحوها بوسائل اخرى لا تمت لهذه العاطفة بصلة .. فاذا كان ثريا مثلا قدم لها الهدايا بمناسبة وبغير مناسبة ، ناسيا ان يقدم لها مع هداياه ، تلك الكلمات الحلوة التى تنتظرها منه ، ولو انه قالها لها بغير هدية وفى كل مناسبة تتوقعها منه ، لكانت اسعد حالا بكثير مما هى عليه مع هداياه الثمينة الصامتة التى تتزين بها امام الناس !

« لا شك انها تستهويها ، ولكنها لا يمكن ان تصنع بقلبها ما تصنعه كلمة رقيقة يهمس بها زوجها فى اذنها وهى تقف مثلا امام مرآتها تتجمل وتتامل صورتها وهما يستعدان للذهاب الى سهرة فى الخارج !

« فلا شيء يسعد قلب المرأة اكثر من اهتمام زوجها بها ، لا شيء يعيد اليها حبها للحياة وحماسها لها ، مثل شعورها بان هناك رجلا يشاركها احاسيسها ومشاعرها .. لا شيء يعيد للمرأة جمالها وحيويتها وشبابها مثل حب زوجها لها واحساسها بانها قد اصبحت كل شيء فى حياته ! »

يقول البير كامو ، كاتب فرنسا الشهير :
« لو لم اكن اعرفها لتصورت اننى اصافح عجوزا بلغت الستين، مسكينة هذه المرأة الشابة .. لقد ترملت وزوجها على قيد الحياة .. انه لم يطلقها .. لم يهجرها .. ولكنه فقط اهملها !».

✱ ✱ ✱

وكان الطبيب الشاب قد وصل الى نهاية الفصل من الكتاب الذى كانت تقرأ فيه زميلته وهى جالسة على المقعد الخشبى فى الحديقة العامة وهى تتنقل بعينيها السوداوين المتعبتين بين سطور الكتاب وبين طفلها الصغير الذى كان يلهو ويلعب امامها !

وطوى الكتاب .. وكانت المفاجأة عندما وقع بصره على اسم المؤلف .. لقد كان اسمها هى ! انها قصتها هى .. قصة رحلة البحث .. وقصة رحلتها مع الحياة .. قصة الورود الذابلة ! قصتها كما فلسفتها هى باحاسيسها ومشاعرها ! ■■

منير نصيف



هــل يمــكن تطبيق
بعض مبــادىء
الادارة العلمــية
على الاســرة ؟

.. في سبيل أسرة سعيدة

بقلم : الدكتور على أحمد على

ان كل فــرد فى الاسرة يحس فى ظــل الروح الديمقــراطية ، بقيمته وبقيمة رأيه وفكره ، ويمكنه ان يشــارك بهذا الرأى والفكر فى مختلف شئون الاسرة ، فى حدود ما يسمح به مستوى نموه ونضجه .

★ ★ ★

■ لاحظ كاتب هذا المقال ان أهم واكبر البحوث فى المجالات العلمية والانسانية قد خرجت من مجال الاعمال Business . فالمؤسسات الصناعيــة الكبرى فى البلاد الاوروبية لديها من الامكانيات ما مكنها من توجيه قدر كبير من الاموال للبحوث فى المجالات العلمية الصناعية والمجالات الانسانية .

وكان من نتيجة هذه البحوث التى انفق عليهـا القدر الكبير من الجهد والمال ، ان ظهرت اتجاهات فى ادارة المنشآت التجارية الكبرى بانواعهـا المختلفة ، وكان ايضا من نتيجة هذه البحوث وهذه الدراسات ان توصل الانسان فى القرن العشرين الى مبادىء محددة يعتمد عليها فى ادارة المنشآت



التجارية والصناعية والحكومية وغيرها واطلق عليها: مبادئ الادارة العلمية • وهذه المبادئ العلمية للادارة اذا طبقت على اية جماعة عمل سعدت هذه الجماعة وتمكنت من الوصول الى اهدافها ومن حفز افرادها للوصول الى هذا الهدف وتحقيقه باقل جهد وتكلفة وفي اقل وقت •

مبادئ الادارة العلمية في الاسرة

وقد ظهر تساؤل في ذهن كاتب هذا المقال • لماذا لا تطبق بعض مبادئ الادارة العلمية على الاسرة؟ اليست الاسرة جماعة كغيرها من الجماعات؟ ولماذا لا تستفيد بجهد وفكر رواد الادارة بتطبيق بعض مبادئ الادارة العلمية على الاسرة ، وذلك في سبيل الوصول الى اسرة سعيدة متماسكة تمكن كل فرد من افرادها من تحقيق ذاته وتحقيق اهدافه واهداف الاسرة وزيادة الكفاية الانتاجية لافراد هذه الاسرة وتدعيم العلاقات الانسانية السليمة بين افرادها •

والواقع ان الاسرة تعتبر جماعة Group كغيرها من الجماعات سواء اكانت جماعات عمل او غيرها• فالاسرة تعتبر جماعة بمعنى الكلمة ويطلق عليها البعض جماعة اولية Primary group نظرا لظروفها الخاصة وطبيعة العلاقات بين افرادها • ولعل ما يعطي الاسرة صفة الجماعة ما ياتي :

١ ــ وجود هدف مشترك يجمع افراد الاسرة : فافراد الاسرة يتعاونون وصولا الى اسرة سعيدة يحقق كل فرد فيها اهدافه • وقد تختلف الاهداف بين كل فرد من افراد الاسرة ، ولكن هدف الجميع الوصول بالسعادة والكفاية الى جميع افراد الاسرة وتنسيق جهود هؤلاء الافراد حتى لا تتعارض او تتضارب •

٢ ــ وجود أدوار يؤديها كل فرد داخل الاسرة : وهذا يعتبر امرا اساسيا بالنسبة لاية جماعة ، ان تتحدد الادوار التي يقوم بها كل فرد في الجماعة، وهكذا الحال مع الاسرة • فالدور الرئيسي للاب هو رب الاسرة وهو كاسب العيش • وقد يكون كاسب العيش الوحيد وقد تشاركه في ذلك الام اذا كانت تعمل وبعض الابناء اذا كانوا يعملون • والابن له دوره الذي يؤديه في الاسرة• فليس مطلوبا منه ان يؤدي دورا سواه • وقد يكون هذا الابن طالبا في احدى المدارس وهنا عليه ان يؤدي دوره كطالب مستذكرا دروسه باذلا الجهد في التحصيل وصولا الى النجاح الدراسي وتحقيق اهدافه •

٣ ــ وجود تفاعل بين افراد الاسرة : فاهم ما يعطي لمجموعة من الافراد صفة الجماعة وجود تفاعل مستمر ودائم بين افراد هذه الجماعة • وهذا ما يحدث بالنسبة للاسرة فالتفاعل بين افرادها مستمر وقائم في كل وقت من اوقات اليوم • وهذا التفاعل يتمثل في شكل المعاملات القائمة بين مختلف افراد الاسرة •



٤ – وجود معايير ونظم تحكم سلوك افرادالاسرة:

الواقع ان لاية جماعة معايير ونظم تحكم سلوك افرادها وتفرض قيودها وحدودها على هـذا السلوك • والمعايير والنظم التى تحكم سلوك افراد الاسرة تختلف من اسرة الى اخرى ، كما انها عادة ما تكون متضمنة وليست صريحة وهى ايضا ليست مكتوبة • واذا حدث وخرج احد افراد جماعة الاسرة على معايير ونظم الاسرة تعرضـ للضغط Pressures من جانبها • وهذا الضغط يظهر فى شكل كافة صور العقاب من ضرب وتانيب وانذار بالعقاب او حرمان من بعض المزايا الممنوحة وغير ذلك من وسائل الضغط • وهذا يهدف اعادة عضو الاسرة الى الخضوع الى نظم الاسرة ومعاييرها•

مما تقدم يتضح ان الاسرة ينطبق عليها كل معايير الجماعات Groups • فلماذا لا نحاول ان نطبق عليها بعض مبادىء الادارة العلمية التى تطبق على جماعات العمل وغيرها من الجماعات وصولا الى مزيد من السعادة لافراد هذه الاسرة وتمكينا لها من تحقيق اهدافها واهداف افرادها•

بعض مبادىء الادارة العلمية مطبقة على الأسرة

الواقع ان هناك مبادىء كثيرة اصبح متفقا عليها فى ادارة الجماعات ، وسنحاول تطبيق بعضها على الاسرة ومن بين هذه المبادىء ما ياتى :

اولا : وضوح الأهداف امام أفراد الأسرة :

اوضحت الدراسات والبحوث ان الاهداف ضرورية لتوجيه سلوك افراد الجماعات • فمن المفروض ان تتضح الاهداف امام افراد هذه الاسرة • فمثلا يجب ان توضع للابناء أهداف تعليمية معينة يسعى كل ابن الى تحقيقها ، ولكن من المهم ان تكون هذه الاهداف واقعية اى يكون فى مقدور هذا الابـن تحقيقها فى حدود جهده وامكانياته وان تزود الاسرة هذا الابن بالسبل والامكانيات التى تساعده على تحقيق هذه الاهداف • ويجب الابتعاد كلية عن الاهداف غير الواقعية • ومن امثلة هـذه الاهداف غير الواقعية انه فى بعض البلاد العربية اذا سالت الابناء فى المدرسة الابتدائية عمـا يريدون ان يصبحوا عليه فى مستقبلهم المهنى لذكر اكثر من ٩٠٪ منهم انهم يريدون ان يصبحوا اطباء او مهندسين او ضباطا فى الجيش وهذا يمثل صورة من صور الاهداف غير الواقعية • فكثـرة من هؤلاء الابناء لا يملكون الاستعداد والقدرة للنجاح فى هذه المهن ، كما انه ليس من المعقول ان يصبح شباب كل الامة اطباء ومهندسين وضباطا، والا فمن يقوم بالاعمال المتعددة والمتشعبة والمتنوعة والضرورية التى تحتاج اليها هذه الامة •

ويجب التنسيق بين اهداف افراد الاسرة حتى لا تتعارض هذه الاهداف او تتضارب •

ومن المهم ان تقسم الاهداف الكبيرة والبعيدة لافراد الاسرة الى اهداف صغيرة وقريبة حتـى يشعر كل فرد فى الاسرة بالسعادة والرضا كلما تمكن من تحقيق واحد من هذه الاهداف القريبة والصغيرة •

ثانيا : التخطيط الجيد لكل شيء في الأسرة:

ويتصل بالاهداف عملية التخطيط لانه طالما ان هناك اهدافا جيدة للاسرة فلا بد من وضع خطة لتحقيق هذه الاهداف والا اصبحت هذه الاهداف مجرد طموح زائف • والكلام عن التخطيط واهميته داخل الاسرة قد يطول ولكن نضرب لهذا التخطيط مثالين : تخطيط الاسرة لعدد اطفالها فكل اسرة يجب ان تخطط لعدد اطفالها ومتى يبدأ الانجاب• مثلا بالنسبة للاسرة التى ظروفها المادية سيئة يحسن ان تؤجل الانجاب بعض الوقت حتى يتحسن حال الاسرة ماديا • ويجب ان يكون هناك تخطيط بالنسبة للمسكن وعلاقة ذلك بعدد الاطفال • فمثلا قد يكون فى الخطة ان تكتفى الاسرة فى اول عهدها بمسكن صغير محدود الحجرات على ان تقوم الاسرة

بتغيير مسكنها الى مسكن اكبر ـ اذا كان ذلك ممكنا ـ بعد انجاب الاطفال وبعد كبر حجم الاسرة. ويتصل بخطة الانجاب تقرير الابوين متى ينجبان الطفلين أو الثلاثة ، هل يكون الانجاب دون فاصل زمني كبير بين كل طفلين ، أو ينجبان الطفل الاول وينتظران عددا من السنوات حتى ينجبا الطفل الثاني ، وما مزايا وعيوب كل حالة من الحالتين السابقتين بالنسبة للاسرة ؟ المهم ان يكون هناك فهم وتخطيط لسياسة الانجاب بالنسبة للاسرة ولا يترك الامر للظروف على أن تناسب هذه الخطة ظروف الاسرة واحوالها •

ومن امثلة التخطيط الذي يجب ان يسود كل اسرة ما ياتي : أثاث المنزل عادة ما يستهلك بعضه او كله بعد عدد من السنوات اذا لم توضع خطة لواجهة ذلك • وهذا ما تحتاط له الشركات الصناعية،فبالنسبة للادوات والآلات التي تستخدمها عادة ما تضعهذه الشركاتجانبا جزءا من دخلها كل عام تطلق عليه « احتياطي استهلاك الآلات » حتى اذا هلكت الآلة بعد انتهاء عمرها وجدت المنشاة المال لشراء آلات جديدة واحلالها محل القديمة •

وهذا القول ينطبق على الاسرة • فالاسرة يجب الا تنتظر حتى تجد كل أثاثها ومفروشاتها قد بليت وهلكت ثم تحاول تجديدها • فالاسرة الفقيرة او دون المتوسطة قد لا تجد المال اللازم لذلك وكان أولى بها ان تضع خطة لذلك من سنوات طويلة بان تدع جانبا جزءا صغيرا من دخلها وتسميه « احتياطي استهلاك اثاث » وتستخدم هذا المال في تجديد اثاث ومفروشات المنزل في الوقت المناسب وحين تشتد الحاجة الى ذلك •

ثالثا : وحدة الأمر داخل الأسرة :

هناك حديث نبوي شريف يقول « اذا كنتم ثلاثة فامروا عليكم احدكم » • أي ان يكون هناك واحد مسئول يوجه ويشير ويصدر الاوامر داخل اية جماعة•وهذا لا يعنيان يصدر الفرد الاوامر منفردا،بل عليه ان يستشير افراد الجماعة ويستنير بارائهم ووجهات نظرهم• فالاسرةيجب انيكونفيها الكلمة لربالاسرة ولكن على ربالاسرة التعرفعلى اراء افرادها ووجهات نظرهم في مختلف المشكلات التي تصادفها ، وذلك في حدود امكانيات كل فرد من افراد الاسرة ومستوى نضجه • ووحدة الامر تعني ان ياتي الامر الى الطفل مثلا من جهة واحدة الاب او الام او الاخ الاكبر حتى لا توقع الطفل في صراع عندما يجد نفسه أمام أمر من جانب الاب وامر من جانب الام في نفس الموضوع ويجد ان الامرين متعارضان وانه في اطاعته لاحدهما مخالفة للامر الآخر مما يعرضه لمخاطر معينة أو يعرضه للعقاب او لغضب احد الابوين •

ومن المهمان تكونالاوامر الصادرة للطفلواضحة ومفهومة ومصاغة باللغة التي يفهمها الطفل ، كما انه من المهم ايضا ان تكون هذه الاوامر معقولة وممكنة التنفيذ والا يتطلب تنفيذها تحميل الطفل فوق طاقته من جهد •

وعلى الآباء ان يضعوا انفسهممحل اطفالهموهم يصدرون مثل هذه الاوامر حتى يتصوروا حال الطفل ومدى تقبله لهذه الاوامر من موقعه هو •

رابعا : استخدام الحوافز بمهارة لتحريك السلوك :

من المبادىء الهامة للادارة العلمية ان الانسان لا يتحرك الا طمعا في ثواب او خوفا من عقاب • واستخدام الثواب والعقاب بفاعلية يحرك سلوك الافراد تحريكا موجبا نحو تحقيق الاهداف • وهذا القول يصدق بالنسبة لجماعات العمل ويصدق ايضا بالنسبة للاسرة • فالاسرة اذا استخدمت الثواب والعقاب « أو ما يطلق عليه حوافز السلوك » بفاعلية ومهارة كان لذلك تاثيره الموجب والمفيد على سلوك وتصرفات افراد الاسرة • وهناك ضوابط معينة تحكم استخدام الثواب والعقاب مع اطفال الاسرة من بينها ما ياتي :

(أ) ان نكثر من الثواب ونقلل من العقاب وخاصة العقاب البدني بقدر المستطاع •

(ب) ان يكون الثواب والعقاب عاجلا بقدر الامكان حتى يتمكن للطفل ان يدرك العلاقة بين هذا الثواب وهذا العقاب وبين الفعل الذي اثيب او عوقب عليه •

(جـ) ان يكون الثواب والعقاب عادلا اي على قدر الفعل دون مغالاة او تقليل •



(د) ان يتفق الوالدان على سياسة موحدة للثواب والعقاب فمثلا الفعل غير المناسب الذى صدر عن الطفل ويستحق العقاب يجب ان يدينه الوالدان وان يتفقا على سياسة موحدة لمواجهته •

(هـ) ان يكون العقاب الذى يوجه للطفل بسبب سلوك غير اجتماعي صدر عنه موجه للسلوك والفعل نفسه وليس موجها للطفل • فالآباء عندما يعاقبون الطفل في هذه الحالة يجب ان يكون واضحا فى ذهنه ان العقاب هدفه ردعه عن القيام بهذا السلوك غير الاجتماعى مرة اخرى ، وليس هدف العقاب ايذاءه او تخريب شخصيته او التقليل من انسانيته •

خامسا : تنشيط الاتصالات داخل الأسرة :

اثبتت الدراسات والبحوث التى اجريت فى مجال الجماعات عن اهمية الاتصال وتنشيطه بين مختلف افراد الجماعة : قادة كانوا ام تابعين • ومن المعلوم ان أية جماعة من الجماعات لا يمكن ان تقوم بجهد مشترك لتحقيق اهداف مشتركة ما لم يقم بين افراد الجماعة اتصال فعال وتبادل مثمر للمعلومات والخبرات والآراء والاتجاهات وغيرها • وتطبيق ذلك على الاسرة : ان الاسرة التى تنشط فيها الاتصالات بين مختلف افرادها والتى تتعدد فيها سبل الاتصال عادة ما تكون اسرة متماسكة وسعيدة • وعادة ما تذوب المشكلات داخل هذه الاسرة او تجد الاسرة لهذه المشكلات الحلول المناسبة فى الوقت المناسب • ونعنى بالاتصالات النشيطة داخل الاسرة ان يجد كل فرد فى الاسرة صغيرا كان ام كبيرا الفرصة للتعبير عن فكره ورأيه وان يجد من بين افراد الاسرة من يستمع الى صعوباته ومشكلاته •

والاسرة التى يسودها جو من الديمقراطية عادة ما يزدهر فيها الاتصال ، وتتحطم الحواجز بين افراد الاسرة بحيث يجد الصغير فى الاسرة الفرصة لكى يقص مشكلته على الكبار المحيطين ويجد منهم اذنا صاغية وعقولا متفتحة • وفى ظل الديمقراطية فى الاسرة يحس كل فرد في الاسرة بقيمته وبقيمة رأيه وفكره ويمكنه ان يشارك بهذا الرأى والفكر فى مختلف شئون الاسرة فى حدود ما يسمح به مستوى نموه ونضجه • وفى هذا كله يجب ان يشجع الآباء الابناء على التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم وان يجادل الآباء الابناء بالحسنى وان يقرعوا الحجة بالحجة ، وان يضع الآباء فى الاعتبار اختلاف زمان الابناء وظروفهم عن زمانهم هم والظروف التى نشأ فيها هؤلاء الآباء •

ونعود فنقول : ان خطوط الاتصال عندما تقطع بين الآباء والابناء يكون هذا بداية فساد وعقوق بعض هؤلاء الابناء حيث لا يجدون داخل الاسرة من يوجههم ويستمع الى مشاكلهم ومتاعبهم • وعادة ما يبحثون عن شخص آخر من بين رفاقهم او من خارج الاسرة يقصون ويعرضون عليه هذه المشكلات والمتاعب وقد لا يحسن هذا الشخص الانصات اليهم وقد لا يصدقهم الرأى والمشورة •

ويعتبر هذا بداية الانحراف من جانب الابناء عندما تتقطع خطوط الاتصال بينهم وبين آبائهم وتفتقد الثقة المتبادلة بينهم •

ولهذا فاننا ننصح الآباء انفسهم على حسن الانصات الى كل ما يقوله الابناء ، وان يتدربوا على فن التحدث مع هؤلاء الابناء ومناقشتهم واستخدام اللغة والمضمون الذى يناسبهم ويتفق مع ظروفهم ومرحلة النمو التى يعيشونها حتى يصبحوا اكثر اقناعا لهؤلاء الابناء واكثر قدرة على التأثير فيهم • ■■

القاهرة ـ على احمد على

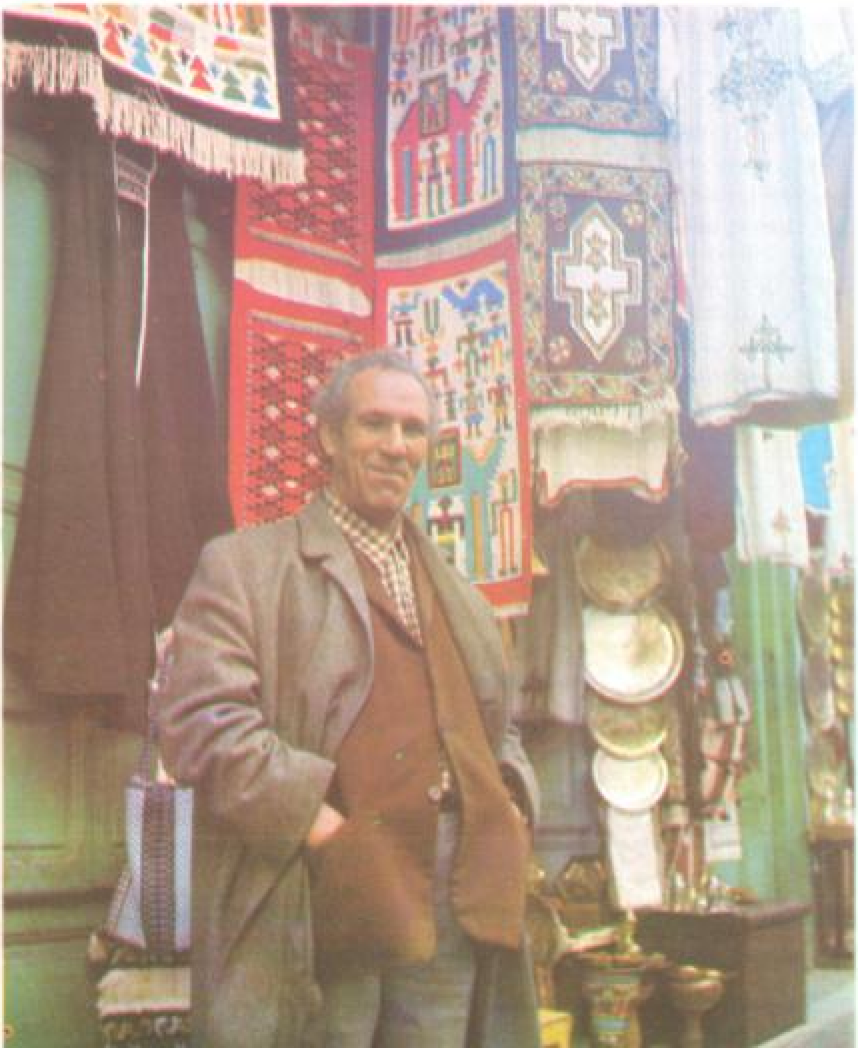
عمار فرحات

فنان عربي أصيل من تونس

- محنة الحرية .. وقرار التفرغ للفن
- خشب الفرن المحترق ، اداته الاولى للتعبير

بقلم : راجي عنايت

عمار فرحات في جولته اليومية بالسوق الشعبي في تونس العاصمة



■ من بين اعمال الفنانين التشكيليين بتونس ، في اى معرض جماعي ، تستلفت النظر على التو، أعمال الفنان المصور التونسي عمار فرحات .ليس هذا القصور في مستوى الحركة الفنية التشكيلية بتونس او لتخلفها ، بل على العكس من هذا ، نتيجة للسباق اللاهث بين الفنانين التونسيين للحاق بركب الحركة الفنية التشكيلية الاوربية ، وتنافسهم على خوض غمار احدث التجارب واكثرها انطلاقا . وسط لوحات الفن التجريدي الممعنة في تجريديتها ، ومن بين تجارب المدارس الاكثر حداثة مثل مدرسة « البوب آرت » و « الاوب آرت » ، تبرز اعمال الفنان عمار فرحات كنموذج لصدق الفنان واصالته ، وقدرته على استنباط لغة بسيطة في مظهرها ، عميقة ومركبة في جوهرها ، تستوعب التراث المحلي وتستنبط قانونه ، وتلقي عينا فاحصة على التراث العالمي المعاصر ، فتقترب منه بحذر ، وتسمح للدخول في عالمها ، بما لا يتناقض مع العناصر الاصيلة للتراث المحلي .

« الفنانين الكبار موجودين .. شو الفايده اعمل مثلهم .. يمكن اعمل شيء اقل ، لكن يحمل قيمة افضل .. » ، بهذه الكلمات البسيطة الصادقة عبر الفنان البسيط الصادق عمار فرحات عن نظرته للفن .

وبهذا الصدق ، استطاع ان يحتل مركز الصدارة بين الفنانين التونسيين ، وخرجت اعماله من تونس لتراها الجماهير في مصر والمغرب وامريكا وسويسرا وهولندا والسويد .

وبهذه الاصالة ، ارتفع اجره عن اللوحة التي يرسمها من ١٠ مليمات عام ١٩٣٤ عندما كان يعمل كخباز .. الى ٦٠٠ دينار عندما باع احدى لوحاته لهيئة السياحة ، حتى تضعها في قاعة فندق البحيرة (اوتيل دى لاك) ، ارقى فنادق تونس العاصمة .

محنة الحرية

كيف كانت البداية ؟ ...

كيف استطاع هذا الانسان البسيط ، وهو يهب حياته للفن التشكيلي ، أن يتبين مواقع اقدامه في طريق ،ضل فيها غيره ممن تزودوا باعلى قدر من التعليم والثقافة ؟

وقد يدهشنا اكثر ، ان الاجابة على هذه الاسئلة ، لا تتضمن من الغرائب والعجائب ما قد نتوقعه ... وان السر يكمن في كلمة واحدة وحيدة ... هي « الصدق » .

بدأ عمار فرحات طفولته ، بحقيقة قاسية لامفر من مواجهتها ، لقد كان عليه في هذا العمر ان يكفل امه واخوته ، وبرجولة مبكرة قرر عمار ان يواجه هذا التحدي بصلابة ، فعمل في متجر لبيع الفلال ، وكان يمضي يومه مستجيبا للاوامر التي تهبط عليه من كل من يحل بالمتجر ، صغيرهم وكبيرهم . كانت متعته الوحيدة في ذلك الوقت هي الرسم، رسم كل مايقع عليه بصره، في بيته بعد ان تنتهي ساعات العمل الطويلة ، او في المتجر عندما تهدأ حركة البيع والشراء ،وتغفل عنه اعين الرقباء.

مع مرور الايام ، يشب الفتى ، ويكتشف ان القروش القليلة التي يحصل عليها من متجر الفلال ، لاتغطي التكاليف الضرورية لحياة عائلته فينتقل للعمل كخباز في احد الافران . وهناك ايضا ، كانت قطع الخشب المحترقة المتفحمة هي اداته الرخيصة لرسم الصور التي يعشقها . وفي هذا يقول عمار فرحات ببساطة وصدق « لم اكن انظر الى نشاطي هذا كنشاط فني ، بل لم اكن ادرك في ذلك الحين معنى كلمة فن .. كانت المسألة لا تتعدى التسلية الطبيعية المستحبة ... كنت ارسم لان الرسم هو التسلية الوحيدة المتاحة والتي احبها » .

وفي عام ١٩٣٤ عندما بلغ عمار الثالثة والعشرين من عمره ، خف عن كاهله حمل الاسرة ، فالاخوة الصغار قد كبروا ، واصبحوا يكسبون رزقهم من اعمالهم .. فتلفت عمار حوله ليرى القيود التي ساقته الى حياة العمل الشاق منذ طفولته قد اختفت .. وصدمته حقيقة غريبة يتمثلها لاول مرة .. انه حر .. حر في ان يعمل .. حر في الا يعمل .. حر في أن يعيش .. حر في ان يرسم .. وكان القرار .

البداية الصعبة

في الثالثة والعشرين من عمره اتخذ عمار فرحات اخطر قرار في حياته.. ذلك القرار الذى ادهش كل من حوله .. لقد قرر ان يكرس حياته



الفنان عمار فرحات ٠٠ أمام لوحة لفتاة تونسية فى مرسمه بالحى الشعبى فى قلب مدينة تونس القديمة

للفن ايا كانت النتائج ٠٠ لقد قرر ان يعيش للرسم ومن الرسم ٠ كيف ؟ لا يدرى ٠

كانت بداية صعبة ٠٠ من اين يبدأ ؟ ٠٠ ماذا يرسم ؟ ٠٠ من يشترى ؟

بالفحم الاسود الذى تعود ان يرسم به رسومه خلال عمله كخباز ، راح عمار يرسم صورا كبيرة لعدد من مشاهير الفن ، عبد الحى حلمى ، وسيد درويش ، و سلامة حجازى ، وعبد الوهاب ، وأم كلثوم ، هذه الشخصيات المحبوبة عند المواطن التونسى ٠ ثم يبحث عمن يشترى هذه الرسوم ، فاستطاع بعد عناء ان يبيع الواحدة مقابل ١٠ مليمات ٠٠ الا ان زبائن المخبز ، وعلى سبيل التشجيع بوازع العشرة القديمة ، رفعوا السعر الى ١٧ مليما !

وبالرغم من هذا ، فقد واصل عمار فرحات طريقه ، متمسكا بقراره ٠ وتوفرت له ما يسمح بشراء بعض الاوان المائية الرخيصة ، التى كان يرسم بها الاشخاص ومشاهد الطبيعة ، فارتفع ثمن اللوحة من انتاجه الى ٥٠ مليما ٠

يقول عمار عن هذه الفترة « كنت كمن يجلس على كرسى به مسمار ٠٠ حلفت بميني ٠٠ نخدم الفن ٠٠ ونكون فنان بصدق واخلاص » ٠

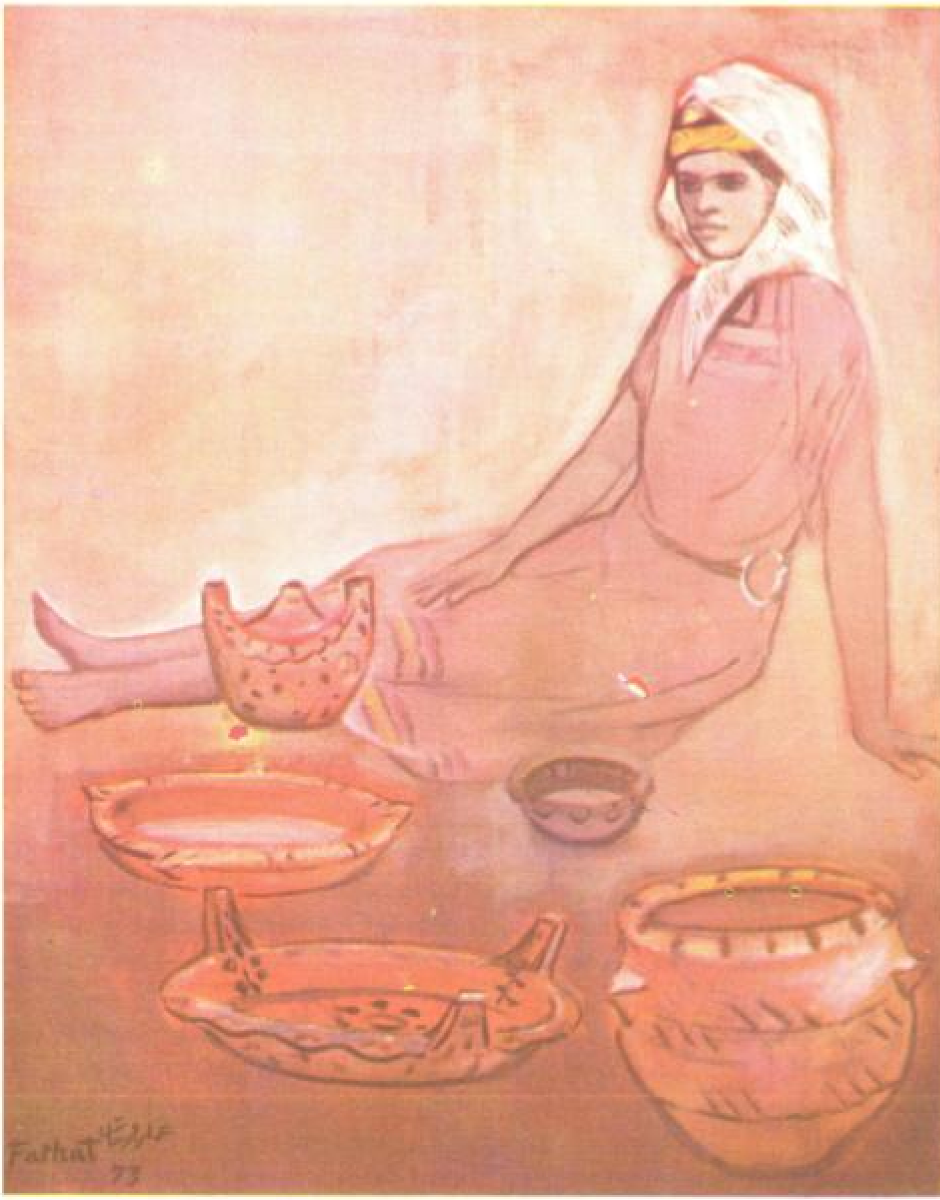
فى عام ١٩٣٧ تعرف عمار على مجموعة من الفنانين الفرنسيين الذين استوطنوا تونس ، واستهوتهم مشاهدها الطبيعية المتنوعة ٠ لفت نظرهم اصراره ، وموهبته التى تشق الصخر ، فاحسنوا استقباله فى مراسمهم ، وشجعوه على مواصلة الانتاج ٠ فى مواسم هؤلاء الفنانين يتم اللقاء الاول بين عمار فرحات والشكل الاكاديمى للفن التشكيلى ، فماذا كانت النتيجة ٠ لاشك ان لوحاتهم الزيتية بالوانها المتراقصة قد بهرته، ولا شك ايضا ان حرفة التصوير والرسم التى اكتشفها فى اعمالهم قد اثارت لديه الف سؤال وسؤال ٠ هل انساق الىهذا العالم المبهر ؟ .هل اربكته المهارات الحرفية التى يطالعها فى لوحاتهم؟ ام انه رفض هذه الاساليب الغريبة عن وجدانه ؟

ردا على هذه التساؤلات يجيب الفنان مرة اخرى بكل الصدق والبساطة « لقد حاولت ان اقلدهم٠٠ فلم انجح ! » ٠ وعاد عمار فرحات مرة ثانية الى نفس الاسلوب الفطرى الذى توصل اليه بحسه

البكر ، وبصيرته الفنية الرائقـة • واحترمت مجموعة الفنانين الفرنسيين موقفه هذا ، وشجعته عليه •

وفي عام ١٩٣٨ ، كان اللقاء الاول بين عمار فرحات ، ومجتمع الفنانين التشكيليين التونسيين • يقول « في الوقت تعرفت باولاد توانسه•• علي بن سالم ، والهادى التركى ، والزبير التركى • وكان هؤلاء يمثلون الصفوة الفنية في الحركة التشكيلية

احدى لوحات الفنان يظهر فيها اسلوبه السـهل الممتنع





موضوعات الفن الشعبي ، من أحب الموضوعات الى قلب الفنان عمار فرحات .

التونسية . الا انهم لم ياخذوه ماخذ الجد ، وكانوا يتصورون ان الرسوم التي يعرضها عليهم، هي من رسم بعض الفنانين الفرنسيين الذين يتردد على مراسمهم . ومع مرور الوقت ،ونتيجة لالحاحه وتصميمه ، تتقبله جماعة الفنانين التونسيين ، وتتاكد من موهبته . وبهذا يتسلم شهادة ميلاده كفنان تشكيلي تونسي .

شهادة الاعتراف

في عام ١٩٤٠ ينضج فن عمار فرحات ، وتتوفر له امكانيات شراء الالوان الزيتية ، فيندفع الى توزيع الالوان على سطوح لوحاته ، منتقما من سنوات الحرمان التي فرضت عليه الرسم باخشاب المخبز المحترقة . وعندما يتصور ان الدنيا قد ابتسمت له ، تحل الحرب العالمية الثانية ، ويعم الكساد ، الذي يبدأ اول ما يبدأ عند الكماليات وبخاصة سوق الاعمال الفنية فيضطر الى الهجرة جنوبا بحثا عن الرزق . وبعد معاناة ، ينجح في بيع اللوحات التي يرسمها بما يكفل له قوته اليومي .

يعود عمار فرحات في عام ١٩٤٣ الى تونس ، ويستانف نشاطه الفني في اصرار ودأب ، وما ان يحل عام ١٩٤٤ حتى تكون قد تجمعت لديه من الاعمال مايتيح اقامة المعرض الخاص الاول لاعماله.

يلفت معرضه الانظار ، ويحقق نجاحا ادبيا وماديا ، فيقتني الزوار من الاجانب عددا كبيرا من اللوحات ٠٠ وتشتري منه الوزارة لوحات اخرى لحسابها ، لتضمها الى مقتنياتها ٠٠ وهكذا يحصل الفنان عمار فرحات على شهادة تخرجه والاعتراف به كفنان مصور تونسي له قيمته ٠

بنجاح هذا المعرض الاول ، تنتهي سنوات المعاناة المالية في حياة الفنان ٠ وتبقى له ضروب المعاناة الفنية التي تستهويه وتسعده ٠

ففي سنة ١٩٤٩ يدخل مسابقة تنظمها الدولة بين شباب الفن التشكيلي ، فيفوز فيها ،ويكسب مائة دينار هي جائزة المسابقة ٠

بهذه الثروة الكبيرة التي هبطت عليه يفكر عمار في تحقيق الحلم التقليدي الذي استعاره ممن حوله من الفنانين التشكيليين ٠٠ السفر الى باريس ٠

وفي باريس يمضي الفنان ثلاثة اشهر يزور فيها المتاحف العامة ٠٠ اللوفر ، وغيره من المتاحف التي تضم اعمال المحدثين ٠٠ ويسعى الى الفنانين التشكيليين الذين تضمهم باريس من كل قطر ، فيزور مراسمهم ويتعرف على اساليبهم الفنية ، وقدراتهم الحرفية ٠ ويبحث بين هذا كله عن طريق خاص ، يتيح له ان يدخل في زمرة هذه الطلائع التشكيلية ٠

الحيرة الكبرى

ويتاجج في نفسه الصراع ٠

باريس هي ملهمة الثقافة في كل الميادين ٠٠ هذا هو ما يراه ويسمعه من كل من يحتك بهم من المثقفين التونسيين ٠ لابد اذا ان يبحث لنفسه عن خط تطور يمر عبر باريس ٠ كيف ؟ ٠٠ هل يتنازل عن الاسلوب الذي التزمه طوال حياته ويجوب احد الاساليب الباريسية الحديثة المتنوعة المغرقة في غرابتها ٠

يتذكر تجربته السابقة ، عندما التقى بمجموعة الفنانين بتونس عام ١٩٣٧ ٠٠ يتذكر محاولة تقليدهم ٠٠ وفشله في هذه المحاولة ٠٠ ثم تقديرهم لاصراره على استلهام نوازعه بصدق ٠

تمر الشهور الطويلة بعد عودته من باريس ، يفكر ويفكر ٠ ولاول مرة في حياته ، يهجر الرسم والتصوير ، نتيجة للحيرة الكبرى التي وقع فيها ٠

واخيرا ،تهدا نفسه عندما يردد صادقا «الفنانين الكبار موجودين ٠٠ شو الفايدة اعمل مثلهم ٠٠ يمكن اعمل شيء اقل ، لكن يحمل قيمة الفضل » ٠٠ بهذا الوضوح ، يعود الفنان الى الانتاج بغزارة وانطلاق ، ومع كل لوحة جديدة يتاكد يقينه بالفهم الذي ارتضاه ٠ ويرى اقبال الجمهور التونسي على اعماله واعجابه بها ٠

ويتسلم عمار فرحات شهادته العالمية ، عندما تعرض لوحاته في معرض بينالي فينيسيا بايطاليا عام ١٩٥٢ ٠ ثم تتوالى نجاحاته ، معارض مشتركة في مصر والمغرب والجزائر وايطاليا وفرنسا والسويد وامريكا وسويسرا وهولندا ٠٠معرض خاص لاعماله بالسويد في عامي ٥٦ ، ١٩٥٧ ٠ ثم تتوالى معارضه الخاصة بعد ذلك ، ويتصاعد اقبال الجمهور على فنه ٠

ويحقق الرقم الاقصى في ثمن لوحاته ، عندما اشترت منه السياحة التونسية احدى هذه اللوحات مقابل ٦٠٠ دينار لتتصدر افخم الفنادق التونسية، فندق البحيرة (اوتيل دي لاك) ٠

وتمضي الايام بالفنان الاصيل عمار فرحات ، يتضاعف جمهوره ، ويتصاعد التقدير المادي والادبي لاعماله ويبقى هو على ما كان عليه دائما ٠نفس البساطة والفطرة الصادقة ، يمضي الساعات الطويلة في مرسمه الذي اختاره وسطحي شعبي بتونس العاصمة ٠ نزهته المفضلة في السوق الشعبي ، يتامل اعمال الحرفيين والفنانين الشعبيين التونسيين ٠ يستمتع بالموسيقى العربية ٠٠ وكذلك السمفونية ٠ يعشق الفن الشرقي ، من مصر او الهند ، او الصين ٠ ■■

راجي عنايت



● لوحة لها قصة ●

صاحبة الرداء الوردى ..!

■ « بنكى » Pinkie او صاحبة الثوب الوردى ، لوحة لفتاة جميلة فى الثانية عشرة من عمرها ، للرسام الانجليزى سير توماس لورانس ، لقد وضع هذا الفنان لمساته الاخيرة على لوحته بدموعه ، فقد ماتت صاحبة اللوحة ، وعصفت الرياح التى اطارت ثوبها ، بجمالها ، فانكفا على لوحته يبكى ، ولم يفترق عنها الا بعد وفاته ! انها الآن فى معرض الفنون بمدينة سان مارينو ، بولاية كاليفورنيا ، تروى قصتها للزائرين الذين يجيئون الى المعرض ، ويقفون طويلا يتاملون هذا الجمال الذى ذوى فى ثوب الزهور وعمرها !

ولكن قصة هذه الفتاة الحلوة الصغيرة لم تنته ! فقد عاشت قصتها ، وعاشت صورتها فى قلب ورأس الرجل الذى انجب لبريطانيا واحدة من اعظم شاعراتها .. اما الاب فهو ادوارد مولتون باريت ، الشقيق الاكبر « لساره » صاحبةهذا الثوب الوردى التى ماتت فى عام ١٧٩٥ عن اثنى عشر ربيعا ، وهى لا تدرى ما الذى صنعه ذهابها بشقيقها !

لقد تزوج باريت وانجب اليزابيت ، وكانت واحدة وسط اثنى عشر ولدا وبنتا خلفتهم له زوجته ثم ماتت تاركة له وحده مهمة رعاية هذه الاسرة الكبيرة !

وعشقت اليزابيت الادب وبدات تنظم الشعر .. قبل ان تبلغ العام الثالث عشر من عمرها .. وكانت اكثر اخوتها قربا الى ابيها .. فقد كان يرى فيها صورة شقيقته التى فقدها ، وكان يحس فى داخله انها تختلف عن بقية اخوتها واخواتها ! فقد كانت فتاة هادئة حالمة تحب الحياة ، وتقضى الساعات الطويلة تتامل صورها الجميلة من حولها .. فقد ولدت شاعرة !

الى ان جاء اليوم الذى بدات فيه ماساتها عندما اصيبت اليزابيت الصغيرة بسعال شديد اثر جرح اصابها فى ظهرها ! وتطور المرض ورقدت اليزابيت على فراشها تشكو آلاما مبرحة فى رئتيها وفى عمودها الفقرى !

وهال الاب ما رأى .. وقفزت الى رأسه فورا الصورة التى لم تغب عن ذهنه لحظة واحدة .. صورة شقيقته « ساره » التى فقدها فى مثل سن ابنته اليوم ! لا .. لن يتركها تموت !

وبقى الاب بجوار فراش ابنته لا يبرحه .. كان يأتى اليها بطعامها .. ويحمل لها الكتب لتقرأ ، والورق والقلم لتكتب .. ومضت السنون ، وكبرت الفتاة ، وقرأ الناس قصائدها الحزينة ، واصبحت اليزابيت باريت شاعرة ولكنهابقيت قعيدة فراشها!

لقد اعطاها الاب كل حبه ، وكل عطفه ، ولكنه لم يستطع ان يعطيها ما تبحث عنه كل فتاة فى مثل سنها ، حتى فاتها قطار الزواج او كاد !

حتى رسائل المعجبين والمعجبات، التى كان يحملها اليها ساعى البريد كل يوم ، كانت طعما لنيران المدفأة التى لم تخمد ابدا فى ليالى الشتاء الباردة، فقد كانت تلقى بها اليها دون ان تكلف نفسها حتى عناء فتحها وقراءتها ولو مرة واحدة !

ولكن رسالة واحدة شدتها اليها شدا قبل ان تفضها ، لماذا ؟ لا احد يدرى ، ولا حتى اليزابيت نفسها .. لعله القدر الذى شاء اخيرا ان ينقذ هذه الفتاة من محنتها ويعيدها الى الحياة ويعيد اليها الحياة ! لقد شفيت اليزابيت من مرضها .. وتركت فراشهاالى غيرعودة ! وكان صاحب الرسالة هو الشاعر روبرت براوننج ، الرجل الذى احبها قبل ان يراها .. الرجل الذى تزوجها ، وطاف معها الدنيا ، وشاركها فى تقديم اروع انتاجها .. ثم اصبحت هى اما لطفليه !

وماتت اليزابيت عن ٥٥ عاما ! ولكن قصتها مع والدها ، ومع « ساره » بقيت حية ، هناك مع صورة الفتاة الجميلة ذات الرداء الوردى فى معرض الفنون بسان ريمو !

(م . ن)





كشمير

زهرة برية على سفوح الهيمالايا

استطلاع
محمد حسني زكي

تصوير
صلاح آدم

المناظر الخلابة الساحرة والتلالوالحدائق المليئة بالزهور ، بعض ما تراه في كشمير « سويسرا آسيا »وخاصة في سيرناجار العاصمة التي تسبح وسط بحيرة « دال » تلك التي تمتلىء بقوارب « شيكارا » .. انها فينيسيا اخرى .. ويتميز اهل كشمير بأزيائهم المزركشة الجميلة





■ وقف يقطف زهور الزعفران في احد الحقول الممتدة عند سفوح جبال الهيمالايا وامتلأ الجو من حوله بعبير الزهرة الحلوة وشذاها العطر .

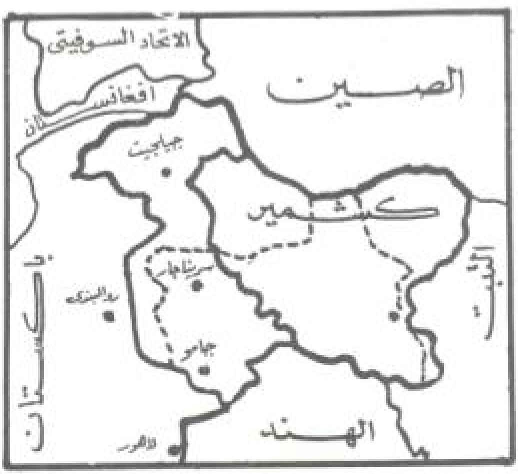
توقف الفلاح عن قطف الزهور وانطلق بعذوبينها وهو يشدو بهذه الاغنية الجميلة ..

انت كالعقيان ★ في اللمعان
يازهر الزعفران
افديك بروحي يازهر الزعفران
انك تلوح كالسراج الوهاج
في الليلة القمراء
افديك بنفسي يا زهر الزعفران

هذا الفلاح الكشميري .. وكل كشميري يذوب وجدا وغراما بالزعفران .. تلك الزهرة التي تنفرد بها هذه البقعة الجميلة من الارض التي تمتليء بمزارعها الممتدة على مدى البصر .. والزعفران لا ينبت في اي بقعة اخرى في العالم الا في هذا الوادي وفي منطقة اخرى مثلها في اسبانيا ، وهو يكثر في كشمير في تلك القرية الصغيرة التي يسمونها « بامفور » وفي شهر اكتوبر من كل عام تتفتح هذه الزهرة وعندها يرحل الفتى الكشميري الى مزارع الزعفران هناك ويترك وراءه فتاته تغني في وحدتها ..

(★) العقيان : الذهب الخالص .

● خريطة اقليم كشمير وجامو ●



الى « بامفور » رحل حبيبي
رحل الى حيث تضمه ازهار الزعفران ضمة حلوة
آه .. لقد ذهب اليها اما انا فلم ابرح مكاني هنا
اريد ان القاه .. ولكن ..
رباه .. متى القاه !! متى القى حبيبي !!

انها تهوى حبيبها لكنها تغار عليه من الزعفران الذي اخذه منها فتحقد على هذه الزهرة التي اصبحت تشاركها في حبه وتخاطبها قائلة :

انت معجبة بنفسك
يا زهرة الزعفران
ولكنني اكثر جمالا منك واكثر سحرا
يا زهرة الزعفران !!

وتجد الصبية الكشميرية ان الفتيان كلهم رحلوا ليقطفوا الزعفران .. غير مبالين بحبيباتهم مثلها فتنشد ..

العالم كله يطل عليك يا زهرة الزعفران
فيا حرقتاه .. الا احظى بواحد يحتفي بي ؟ !

ولا غرو في ان يغرم الكشميري الى هذا الحد بالزعفران فقد اخذ واديه الاخضر اسمه منه فكلمة « كشمير » باللغة السنسكريتية تعني الزعفران .. وهو زهرة بنفسجية اللون رائحتها عطرية ومذاقها طيب تنبت في قلبها سيقان حمراء ، وتقطف هذه السيقان وتجفف وتستعمل في تلوين الطعام وتطييب مذاقه .. انها ليست عطرا اذن فحسب !

ونعود الى الصبية الكشميرية .. لقد جلست تنتظر فتاها وما اقسى الوحدة والانتظار .. ولكي تسلي نفسها ، تغزل لحبيبها شالا كشميريا لا يوجد له نظير في العالم كله ، من حيث النعومة والدفء الذي يمنحانه وتتمتم :

سأغزل صوف الشال بيدي
واصبغ الخيوط بلون الزعفران
وانسج الشال الناعم بأناملي !

ثم ينتهي موسم القطاف ويعود الحبيب ويلبس الشال وياخذ فتاته في نزهة في زورق صغير كالجندول يسمونه « شيكارا » ويغني ..

بالله عليك يابحار .. لتحملني الى الضفة المحاذية اي نعم هاهنا يجري « جهيلم » نهر الحب العميق



كشمير ابنة البحيرات والاودية الخضر والربى والجبال تبدو بنظام من بديع التكوين والتصوير
٠٠ والهواء يداعب اغصان الشجر ٠٠ وتمشى بين الاشجار فتسمع سيمفونية الطبيعة الخالدة
وتملأ صدرك بعطر زهورها وشذاها ٠

ان زورقى يحمل اثنين فقط قرن الحب بينهما
اى نعم ماهنا يجرى « جهيلم » نهر الحب العميق

تلك هى الاغانى التى يغنيها الكشميريون بلغتهم « الكشميرية » الخاصة بهم والتى تجيش بها قرائحهم فى بساطة ، فالجمال كله من حولهم ، والطبيعة الساحرة تلفهم وتلهبهم ٠ يكفى ان نذكر ان هذا الاقليم انجب الشاعر المبدع والفيلسوف الملهم محمد اقبال !

كشمير من الجو

عندما قدمنى الصديق ذؤيب نور الدين الى السيد فيدياشرن شوكلا وزير الاعلام والاذاعة لعموم الهند ٠٠ وهو شاب فى مقتبل العمر وسيم طويل القامة ، رحب بى بحرارة وقدم لى مقعده بجوار النافذة قائلا ٠٠ لا تجعل منظر الوادى من الجو يفوتك ٠٠ فنحن نجتاز الان ممر (بانيهال Banihal) وكنا نطير على ارتفاع تسعة الاف قدم ٠٠ حقا لقد كان المنظر رائعا ٠ كنا نترك الجبال الداكنة الى الوادى الاخضر البديع الشاسع الذى يبلغ طوله ٨٥ ميلا ومساحته تعادل نصف مساحة بريطانيا ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر بمعدل يتراوح بين ٥٠٠٠ ، ٦٠٠٠ قدم ٠٠ والوادى يزهو ببحيراته وتتخلله القنوات والجداول وتقف الجبال الشامخة تكلل هاماتها الثلوج البيضاء ٠٠ تصد عنه الرياح الحارة القادمة من المنطقة الاستوائية فتحد من حرارتها ويظل الطقس لطيفا ، ولكن هذه الجبال المحيطة بالوادى لم تستطع أن تصد الغزاة الطامعين فقد ظل اغراء خضرة الوادى وثرواته الطبيعية وجمال طقسه اقوى من وعورة الجبال ، فبقيت كشمير لاكثر من الفى سنة هدفا للغزاة التتار والمقدونيين والمغول ٠٠ وعندما غزاها الامبراطور المغولى « اكبر »(١) سنة ١٥٥٧م قال عنها ٠٠ « انها جنة الاحلام ٠٠ ستكون حديقتى الخاصة » وحول اهلها الى مزارعين فى البساتين والحدائق ٠٠ وظلت تحت حكم المغول حتى سنة ١٧٥٢ م حينما استولى عليها جيرانها الافغان وحكموها لمدة ٦٧ سنة ثم سيطر السيخ عليها مدة ٢٧ سنة حتى عام ١٨٤٦م ٠

صفقة غريبة

حينما جاء الاستعمار الانجليزى وسيطر على

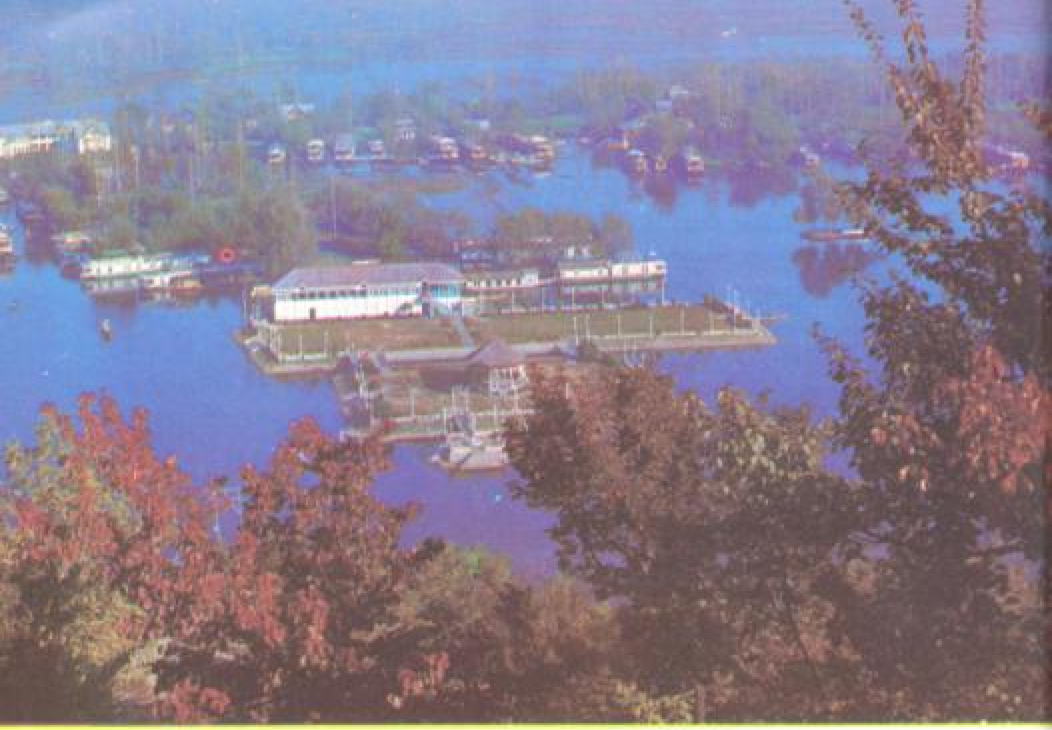
(١) راجع العربى العدد ٢٠٦ يناير ١٩٧٦ ٠



جذبت كشمير بواديها الاخضر وهوائها الجاف المنعش اباطرة المغول
الازهار والنافورات واطلقوا عليها اسماء ساحرة مثل شاليمار (عش
وتكثر فيها البحيرات التى تتخللها الجزرالصغيرة التى تسبح فى ضوء الشمس
أن تزاول رياضتك المفضلة ٠٠ فى المنتجع الشتوى جولمارج مرج الزهور
سريناجار ٠٠ هنا تلقى الكشميرى المضياف بارجيلته المشهورة ٠٠ لقد

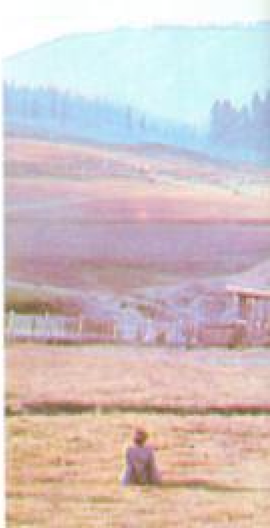






ليقضوا فيها فصلي الصيف والخريف فانشأوا فيها الحدائق الواسعة ذات
الغرام) ونشاط باغ (حديقة السرور) وششمه شاهي (الينبوع الملكي) ..
المشرقة ..وهناك تجد الحياة البكر..الدافقة بالنشاط والحرية وتستطيع
وتقع على ارتفاع ٨٦٠٠ قدم فوق سطح البحر وعلى بعد ٢٥ ميلا من
اجتمعت في كشمير الماء والخضرة والوجه الحسن .





شبه القارة الهندية .. وكانت صفقة غريبة عقدها احد الامراء من اسرة « الدوجرا » الهندوسية مع المستعمرين الانجليز اشترى بموجبها الامير ولاية جامو وكشمير بمبلغ يعادل مليونا ونصف المليون من الدولارات . واستحوذ الحكام من اسرة الدوجرا على كشمير التي اصبحت ضيعة لهم يمتلكونها وكان الحاكم يلقب نفسه ب «المهراجا» ثم فرض الضرائب الباهظة على اهل الاقليم ، وتعرض الكشميريون لصنوف شتى من الاضطهاد والظلم .

الثـــورة

لكن الكشميريين لم يهنوا ولم يدب الياس في قلوبهم ، فاخذوا يثورون ثورة بعد ثورة ويستشهد منهم من يستشهد حتى سنة ١٩٣٢ حيث اجتمعوا في مؤتمر عباوا فيه الجماهير ضد المهراجا وحضر جلسته الاولى ما يزيد على ٤٠ الف رجل ورأسه الشيخ محمد عبد الله (١) الذي اسس سنة ١٩٣٩ حزب المؤتمر الوطني وجعل شعاره (اخرجوا من كشمير) واخيرا نشبت الثورة سنة ١٩٤٦ وارادوا اخمادها ، فحكموا على زعيمها الشيخ عبد الله بالسجن . ثم اعلنت الحكومة الانجليزية ابان منح شبه القارة الهندية الاستقلال وتقسيمها الى دولتين وخيرت الامارات بين الانضمام الى الدولة الهندية المستقلة او الى الدولة الباكستانية المستقلة .. ووجد اخر حكام كشمير من اسرة الدوجرا ، مهراجا سير هاري سنغ ، وجد نفسه في موقف صعب فقد كان هندوسيا يحكم اغلبية مسلمة فطلب المساعدة من الهند التي لبت نداءه بعد ان وقع وثيقة الانضمام اليها واصبحت كشمير مثار مشكلة كبرى بين دولتين شقيقتين وكانت سببا في نشوب الحرب بينهما سنة ١٩٤٧ و ١٩٦٥ كما كانت مسرحا لعمليات حربية سنة ١٩٧١ اثناء حرب انفصال بنجلادش عن باكستان. وتعتبر الهند ولاية جامو وكشمير جزءا لا يتجزأ من اتحاد الهند. ويعيش في جمهورية الهند ٧٠ مليون مسلم منهم خمسة ملايين يعيشون في كشمير ، ويشكلون ٨٥٪ من مجموع سكانها ! وكانت هذه الظروف التي مرت بهذه البقعة من الارض وما صاحبها من احداث سلبية اثرت على حياة الكشميريين .

وهم اليوم يعملون ويكافحون من اجل لقمة

---

(١) راجع صفحة ٨٣ من هذا العدد

صحافة كشمير .. صحافة ناهضة تمكس مايدور في الاقليم من اتجاهات .. وهناك ست صحف يومية تطبع باللغة الاوردية .



ماطيب فاكهة كشمير .. انك تجد فيها شتى انواع الفاكهة والخضروات من تفاح ورمان.. مشمش وموز وعنب .. جوز ولوز .





السيد سونام ناربو

وزير الاشغال والسياحة في حكومة جامو وكشمير ، وهو يعتنق البوذية ، وابن اقليم « لاداك » شرقي كشمير .. قال لنا : « ان عدد السائحين الذين يصلون الى كشمير يزداد باطراد ، والسياحة تلعب دورا حيويا في الانماء الاقتصادي في كشمير .. الذي يتمتع بجاذبية خاصة ، فهو يعرض صورا فاتنة للقديم والحديث .. اكتب على لساني – اننا نرحب باخواننا العرب ، ليتهم يأتون الينا ليشاركونا متعة الطبيعة في كشمير ..

العيش ، فقد عانوا سنوات طويلة من القلق والاضطراب وعدم الاستقرار .

والكشميري بطبيعته تاجر ناجح رغم ان ٨٠٪ من السكان يعملون في الزراعة واهم المحاصيل الزراعية هي الارز والذرة والقمح والشعير والقطن، ثم هناك الزعفران والتبغ والتوت الذي تربى عليه دودة القز ، ويوجد في سريناجار مصنع للحرير يعد من اكبر المصانع في العالم . كما تغطي المراعي والغابات مساحات شاسعة من وادي كشمير حيث ترعى فيها الماعز والاغنام ، ويشكل تصدير الاخشاب مصدرا كبيرا للدخل القومي .

تحف بديعة وحرفيون مهرة

وتشتهر كشمير بالتحف الفنية التي تقوم بصناعتها ايد مدربة ماهرة ويبدا تاريخ هذه الصناعات منذ زمن بعيد ،عندما غزا «تيمورلنك» الهند اخذ معه ابن سلطان كشمير الامير « زين الدين » ليعيش كرهينة في بلاطه في سمرقند ، وذلك لكي يضمن ولاء سلطان كشمير له وهناك اختلط الامير بالفنانين والحرفيين واعجب بالتحف والمصنوعات اليدوية التي يبتكرونها ، وبعد وفاة تيمورلنك عاد الى وطنه كشمير وبرفقته بعض هؤلاء الفنانين والصناع المهرة ، وبدات صناعة التحف والاشغال اليدوية .. التي نمت وتطورت على مدى العصور التي توالت بعد ذلك ، حيث حظيت المواهب الفنية والايدي المبدعة بالتقدير والاعجاب والتشجيع فازهرت واصبح لها سوق رائجة ، وهكذا انتشرت تحف كشمير الفنية في شتى انحاء العالم .

وفي السنوات الاخيرة عملت الحكومة على تنشيطها وتطويرها لتساهم في تنمية الاقتصاد الوطني فانشات مجلس الحرف اليدوية لتحسين وسائل الانتاج واستخدام ادوات اكثر تطورا ، ومن مهمته ايضا توفير المواد الخام ، وابتكار تصاميم جديدة ولتحقيق هذه الغاية تاسس معهد للتصميم والتدريب كما اقيم معرض لعرض نماذج مختلفة من هذه الصناعات كالسجاد الكشميري والمنحوتات الخشبية والاواني النحاسية والفضية والتحف والمجوهرات ، ولكن كشمير حققت تفوقا ملحوظا في صناعة الاواني المصنوعة من الورق المعجن « Papier - mâché » وهو مادة صلبة مصنوعة من عجينة الورق وممزوجة بالغراء وغيرها من المواد الدبقة ، وتطلى الاواني بعد تشكيلها بالالوان الزاهية وتزخرف بالزخارف البديعة ثم تطلى « بالورنيش » مما يكسبها رونقا ولمعانا . انها صناعة تنفرد بها كشمير دون سائر مناطق الهند .

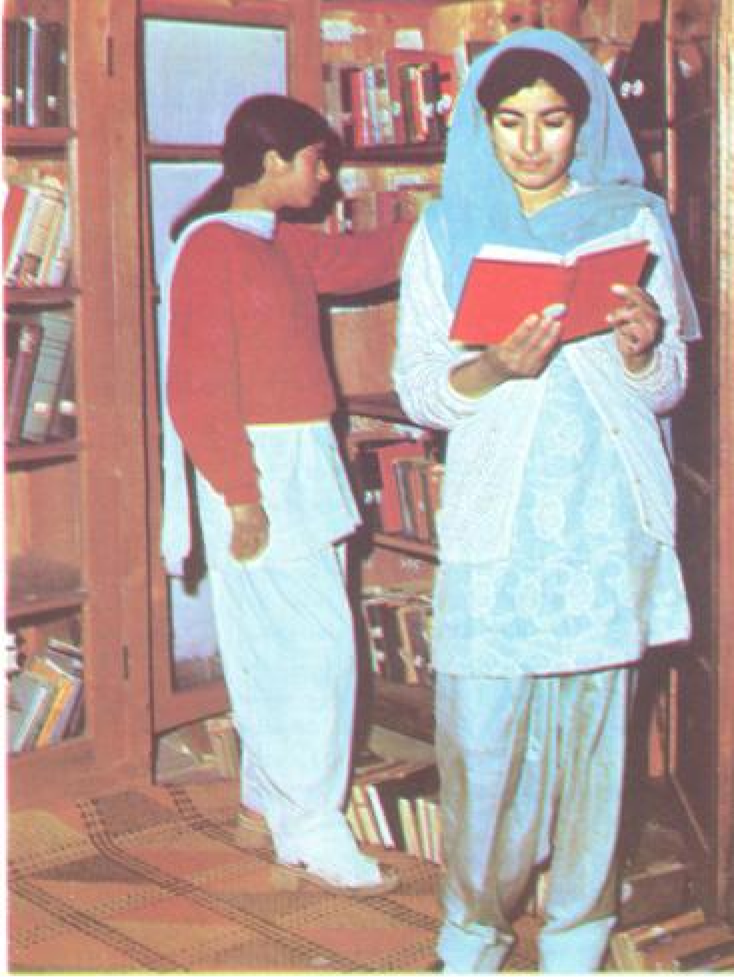
رحلة استجمام في الفردوس الارضي

والآن تعالوا معنا نقوم برحلة نصول فيها ونجول وسط معالم هذه الارض الطيبة التي انتشت مما بها من سحر وجمال .. وفاضت جداولها وانهارها وبحيراتها ،وعانقت روابيها الغضر جبالها الشماء ، وتحت شمسها المشرقة الساطعة التي تضيء جنباتها بنور ينساب في الوهاد والبطاح ، ويغشى القمم وينحدر في اعماق الاودية .. ونبدا اول ما نبدا بمغادرة الفندق الفخم الفسيح الذي نزلنا فيه ضيوفا على حكومة الولاية (اوبيروي Oberai الذي يتميز بهندسته الفريدة الاصيلة .. فقد كان

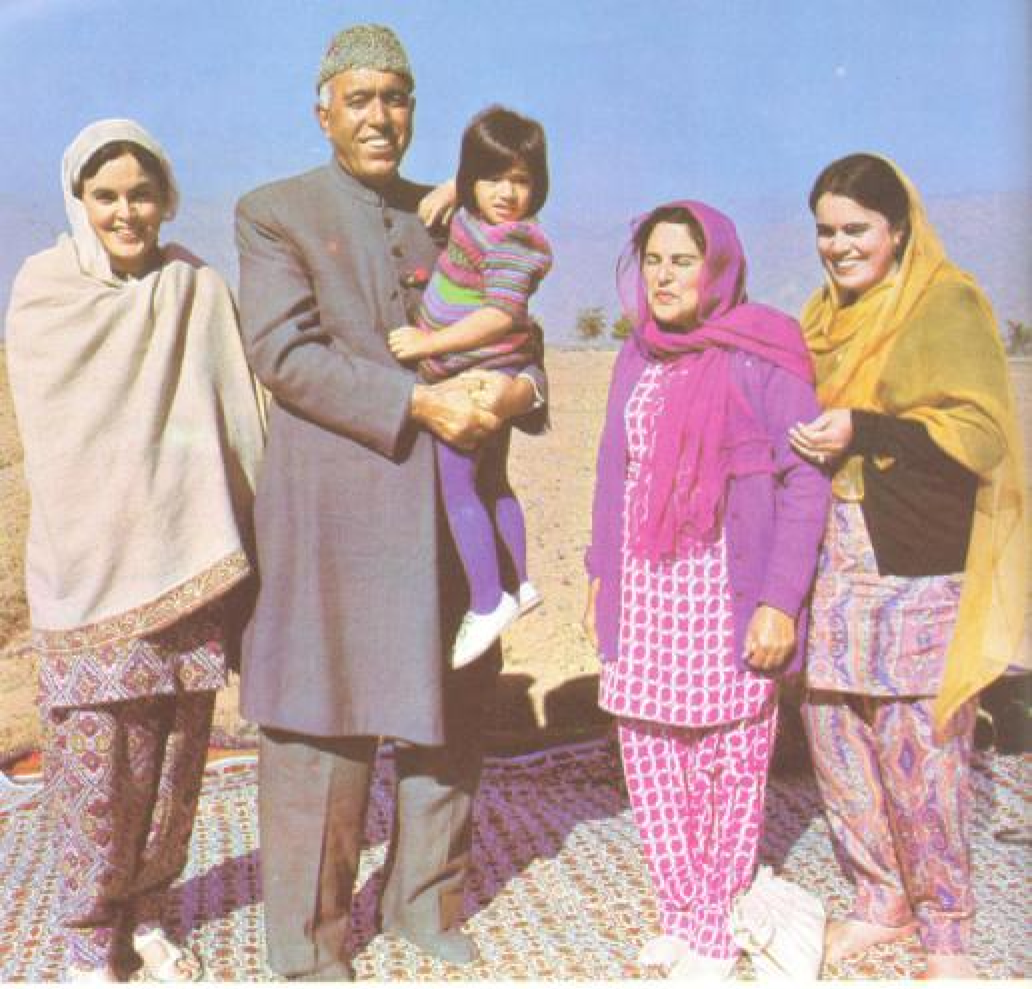
يحظى الشيخ عبد الله الملقب « بأسد كشمير » بحب الشعب انه بطلهم الوطني المخلص قبل دخوله السجن ، وبعد خروجه منه ، وطوال السنوات التي غاب خلالها عنهم وراء الاسوار المظلمة ! وهو اليوم رئيس وزراء الولاية لم يدخر جهدا في العمل على تطوير الحياة في كشمير . لقد دعانا لتناول الغداء في أحد حقول الزعفران، وقدم لنا زوجته وابنتيه وحفيدته !

★ ★ ★

خرجت المرأة الكشميرية الى الاضواء فراحت تنهل من العلم والمعرفة وفي مسيرتها الحضارية هذه لم تتخل عن زيها التقليدي الذي يتسم بالحشمة والوقار .. وهي تتميز بحس مرهف ونعومة ورشاقة تلمسها في حديثها ومشيتها ثم هي ذواقة للفن ، تعشق الموسيقى وترقص على انغامها الحلوة رقصاتها الشعبية الرائعة .









في السابق قصرا لمهراجا تحيط به النافورات وامامه مسطح اخضر فسيح . ويقع على بحيرة دال ٠٠ تعالوا نقفز في « شيكارا Shikara جندول كشمير ، زورق الاحلام الذي ينساب على مياه البحيرة الصافية كبلورة صقلتها يد صانع فنان ٠٠ وتنتعش ارواحنا ٠٠ فالهواء طلق نظيف بارد منعش ٠٠ ومشبع برائحة الورود ٠٠ ونحس باشعة الشمس وكانها تغازلنا برقة وحنان وتبعث فينا الدفء اللذيذ ٠٠ ونمر على « العوامات » الرابضة على الشواطيء ٠٠ بيوت عائمة مصنوعة من خشب الارز الهندي ومجهزة بكل اسباب الراحة والرفاهية ، واستئجار واحدة منها لا يكلف اكثر من ربع تكاليف الاقامة في فندق من فنادق الدرجة الاولى ، يستاجرها المتعبون فينسون الدنيا وما فيها ٠٠ ويسترخون في شرفاتها ويتمدد عشاق حمامات الشمس على سطوحها ، ويأتي اليهم الباعة طوال النهار في شيكاراتهم ٠٠ فهذه واحدة تاتي مع شروق الشمس وهي محملة لآخرها بالورود والزهور ٠٠ وما زالت حبات الندى تتلألأ على اوراقها كالماس ، واخرى محملة بالخضروات الطازجة ، وثالثة بالفاكهة الناضجة الشهية ، وايضا بالجوز واللوز ٠٠ اما صاحبنا هذا ذو الشوارب المفتولة فهو يبيع الشيلان والمجوهرات والثياب المطرزة ٠٠ ان هؤلاء الباعة يبيعون في شيكاراتهم كل شيء ، من قرص « الاسبرين » الى معاطف الفراء الثمين ، وهم مغرمون بالمساومة التي تبدأ هكذا ٠٠ « انظر وتفرج يا صاحب ٠٠ لاتشتر ٠٠ فقط انظر تفرج » ولكن«الصاحب» كثيرا ما تغريه البضاعة فيشتري ويشتري ٠٠واكثر الباعة يجيدون الحديث باللغة الانجليزية ، لكنهم يجهلون كتابتها او قراءتها ٠٠ فالكشميريون عموما يتمتعون بذكاء فطري عجيب ٠

وتمضي بنا « الشيكارا » فالبحيرةشاسعة واسعة تبلغ مساحتها ٢٢ كيلو مترا مربعا وعند الافق ترى الجبال تحيط بها كالسوار من ثلاث جهات فكشمير تقع في منطقة تحيط بها اعلى جبال في العالم من الشرق جبال « كراكورم » وفي الجنوب الشرقي جبال « لاداك » و « سيزكار » وهي امتداد لجبال الهملايا اما في الشمال الغربي فتمتد جبال « هندوكوش » وينقسم الوادي الى قسمين وادي كشمير في الشمال ووادي « جامو » في الجنوب ، وبينهما جبال « بنجال » واهم الانهار نهر السند الذي يخترق منطقة لاداك وسيزكار ويتجه نحو الشمال الشرقي ويتراوح ارتفاع هذه الجبال بين ٣ ، ٤ آلاف قدم فوق سطح البحر تكلل هاماتها الثلوج بينما سفوحها جرداء لاحياة فيها ، وعند اقدامها تنام الحقول والبساتين ، وتقف حارسة لها اشجار الحور الهيفاء واشجار الصفصاف ، وقد تدلت فروعها تداعب مياه البحيرة ، وتلوح لنا في الافق معالم مدينة سريناجار العاصمة بين قمتين ، قمة « بارات » وقمة « سنكارا شايرا » ٠

اننا مازلنا في شيكارتنا ٠٠ نمر على الحدائق الطافية على سطح الماء ٠٠ ثم على متنزه نهرو ونرى السابحات الفاتنات ينعمن بحمامات في مياهها وتحت شمسها الدافئة ٠٠ ثم نمضي تحت جسر

بضعة انفاس من النرجيلة الكشميرية مع نسمات الهواء المعطر بالزعفران ، وبعدساعات من الكد والتعب ، تسري عن النفس ٠٠ واهل كشمير معروفون بكرمهم ومرحهم وطيبة معشرهم ٠





الفتاة الكشميرية الحديثة متطلعة الى آفاق العلم والمعرفة .. تأخذ من المدنية الحديثة مايفيدها فى مسيرتها الحضارية لكنها تحافظ على الحشمة والوقار فى ملبسها وتصرفاتها.

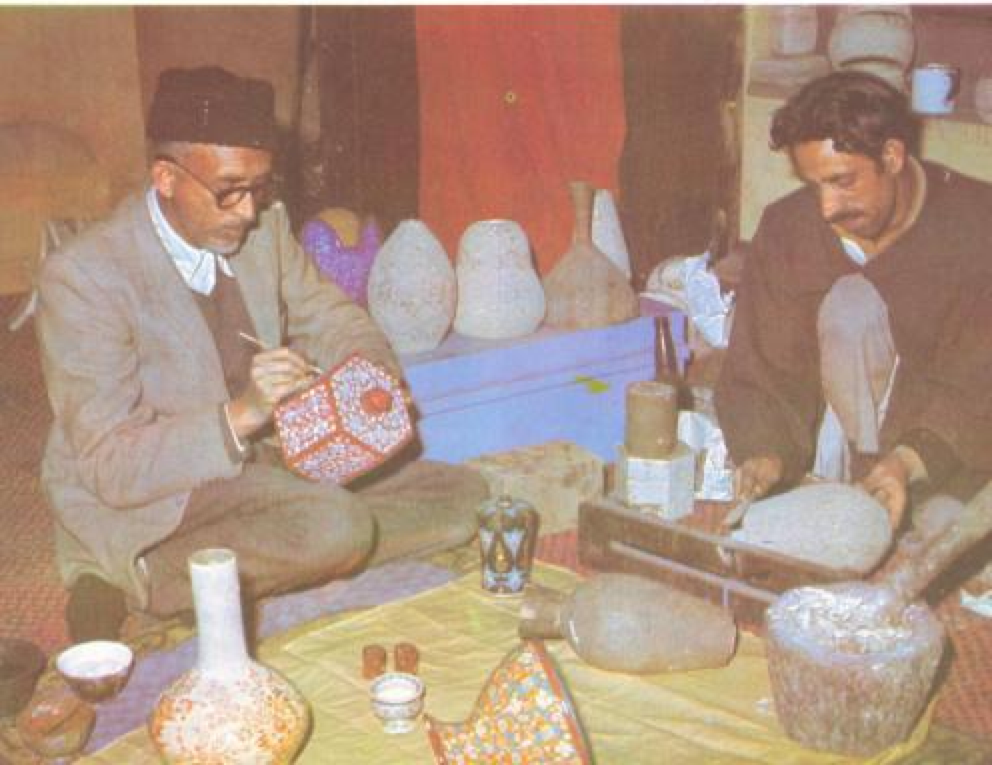
صغير الى بحيرة « ناجين » التى تحيط بها اشجار الشنار الباسقة تمرح فى افنانها طيور ذات الوان عجيبة .. فمن زرق الى صفر الى خضر الى حمر .. تطير جماعات جماعات جذلانة تغرد وهى حرة طليقة .. ونقفل راجعين عبر بعض القنوات الكثيرة التى تربط البحيرات بعضها بالبعض ، وتقابلنا اسراب البط البرى التى يتبارى البعض فى اصطيادها .. ونرى هواة الانزلاق على الماء .. يزاولون رياضتهم فى سعادة غامرة .. وتعرج شيكارتنا الى نهر « جهيلم Jh.lum » ونقترب من بيوت سريناجار العتيقة .. وهنا تشم عبق التاريخ .. تاريخ الازمنة السحيقة فنرى مبانى شيدت خلال القرون ما بين الخامس عشر والتاسع عشر ، تغالب الدهر ، وتكافح من اجل الصمود بجوار المبانى الاخرى الحديثة ، ونرى الاهالى وهم يتحركون فى ازقتها وكانهم اشباح التاريخ .. ولهذه الاحياء القديمة اسواقها المزدحمة العامرة بكل شىء يخطر على بال الزائر القادم اليها .

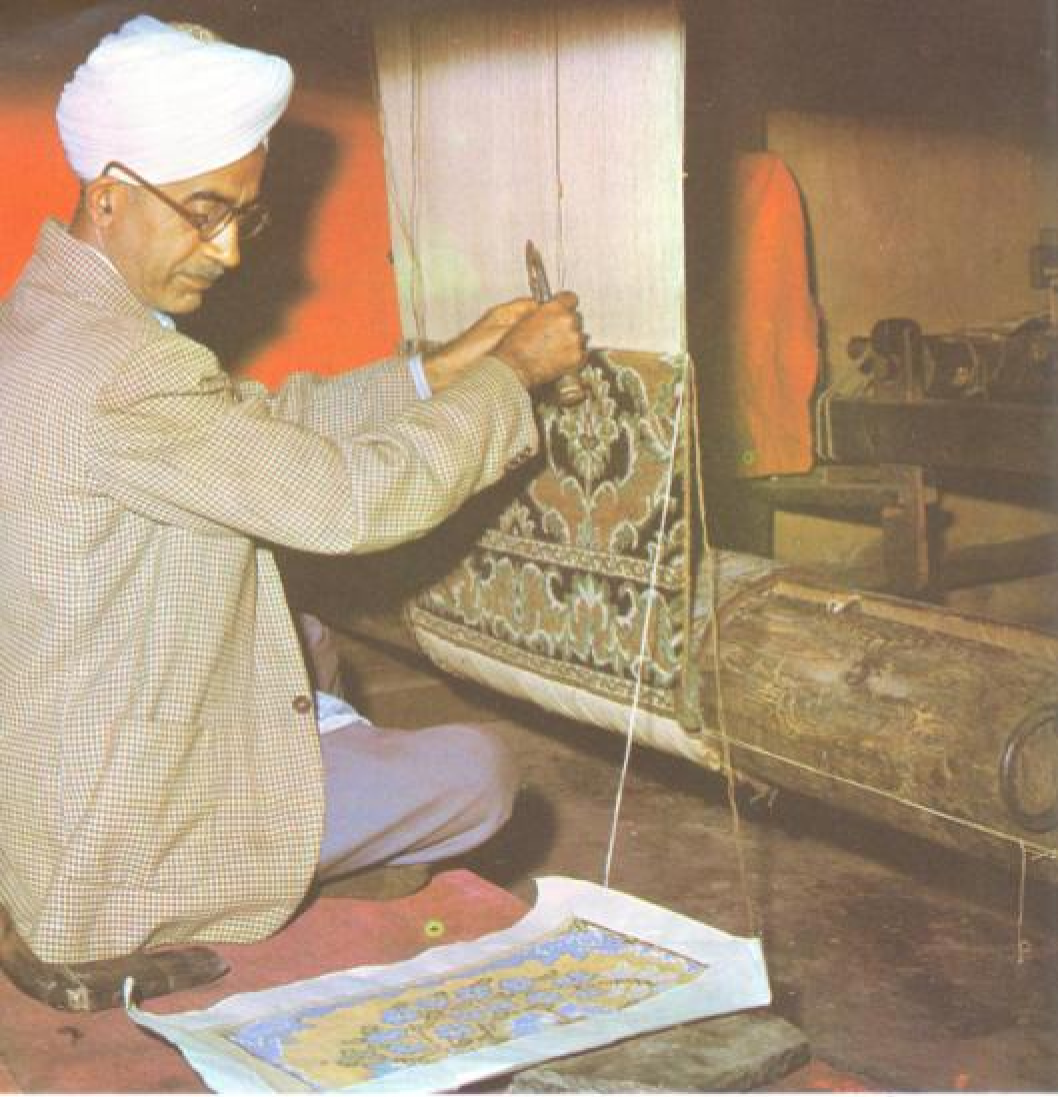
مسجد الشيخ حمدان

ونترك شيكارتنا ونقفز الى الشاطىء وهنا يلوح لنا معبد خشبى قديم ، وفجاة نسمع نداء الصلاة يجلجل فى السماء .. الله اكبر . الله اكبر ، اذن فهذا البناء ليس معبدا انه مسجد .. مسجد شاه حمدان .. بناه مير محمد تخليدا لذكرى والده الشاه حمدان العالم الفقيه والشاعر الصوفى ، وقد شيد من خشب الصنوبر وسقفه على شكل هرمى وهندسته كهندسة معابد التبت ، يعلوه عمود ذهبى يلمع كالشهاب فى زرقة السماء. وليس مسجد شاه حمدان هو المسجد الوحيد فى سريناجار بل هناك عدة مساجد تزدحم بالمصلين وخصوصا عند صلاة الجمعة فالكشميريون مسلمون متدينون وهم يحرصون على صلاة الفجر فى المساجد فتراهم فى الهزيع الاخير من الليل يهرولون شطر المساجد .. وبعض النسوة يشاركن الرجال فى صلاتهم فى المكان المخصص لهن فى كل مسجد .. وهن محجبات فما زالت التقاليد لها سيطرتها على الجيل القديم فترى المراة وهى ترتدى البرقة بينما الفتاة من الجيل الجديد تكتفى بغطاء خفيف كالشال تضعه على راسها وتتعمد ان ينزلق على اكتافها فى خفر وحياء .. وتلبس فستانا تحته سروال ابيض طويل يضيق عند الكاحلين .. والفتاة الكشميرية تتمتع ببشرة بيضاء وبجمال ساحر ، وتمشى الهوينى برصانة ، رافعة الراس فى خيلاء ، وهى لم تتخلف عن ركب الحضارة فاقبلت على التعليم بحماس شديد فى المدارس الابتدائية والثانوية لتعليم البنات ، وهناك كلية خاصة للبنات افتتحت عام ١٩٥٠ وتقول المديرة « شملا مفتى » ابنة مفتى كشمير وهى قد تخرجت فى جامعة عليكره الاسلامية « لقد اسس هذه الكلية وافتتحها الشيخ عبد الله الزعيم الكشميرى رئيس الوزراء الحالى سنة ١٩٥٠ وهى اول كلية للبنات فى كشمير .. ثم تقول « شملا » ان الدراسة فى كليتنا باللغة الانجليزية وتدرس الفتيات ايضا اللغات الاوردية والبنجابية والفارسية .. ولكن للاسف لم ندخل فى منهجنا دراسة اللغة العربية



أكثر ما يميز ولاية كشمير عن بقية الولايات الهندية ما اشتهر به أهلها من اجادتهم للحرف اليدوية فهم يصنعون التحف الفنية والاواني النحاسية ·· والمنحوتات الخشبية وهم يتميزون بعد هذا بذوق خاص وقد حرصت حكومة الولاية على تطوير هذه الحرف والصناعات البيئية وتجويدها بانشاء معهد خاص لتخريج أجيال جديدة من هؤلاء الحرفيين ·





جانب من
معرض التحف
الفنية بالليل ٠





يشكل المسلمون اغلبية سكان كشمير وهم متدينون يحرصون على صلواتهم فى اوقاتها المحددة وكثيرا ما تجدهم فى الحقول وعلى شواطىء البحيرات يؤدون الفرائض فى وقتها . وفى الصورة مسجد من المساجد العديدة التى ترتفع مآذنها فى سماء كشمير .

لغة القرآن الكريم ولو ان جامعة كشمير ادخلت سنة ١٩٧٤ منهجا لدراسة اللغة العربية تمنح فى نهايته للدارس شهادة عند التخرج . وتتبع الكلية معامل حديثة للكيمياء والفيزياء كما تتبعها مكتبة كبيرة تحوى اكثر من ٣٠ الف مرجع وكتاب، ويتلقى العلم فى الكلية ثلاثة آلاف طالبة ..

تقول شملا انها كانت محجبة وترتدى « البرقة » حتى سنة ١٩٦٥ ثم ما لبثت ان خلعتها واعتبرت فى ذلك الوقت خارجة على التقاليد .. وتمضى شملا فتقول : « ان ارتداء البرقة ليس من الدين فى شيء وانا الآن فى رداء اسلامى كامل وكذلك جميع طالباتى ، وعلى المرأة المسلمة ان تساير التطور فى حدود شريعة الاسلام السمحة » وفى نهاية اللقاء دعتنا لحضور حفل تقيمه طالبات الكلية على مسرح كشمير وقد ادت الفتيات رقصات شعبية وتوقيعية رشيقة ،على انغام فرقة الموسيقى فى الكلية .. وحضر الحفل مؤسس المدرسة وراعيها الشيخ عبد الله اسد كشمير .

حدائق المغول

ونعود الى رحلتنا مرة اخرى .. فما زال هناك الكثير ينتظرنا .. وان ننس لا ننس ان نزور حدائق المغول ، فقد كانت كشمير مصيفهم المفضل، وكان الاباطرة : جهانجير ، وشاهجهان ، واورنجزيب ★ يقضون الصيف والخريف فى كشمير ويرحلون اليها على ظهور الفيلة وقد شيدوا القصور وانشاوا الحدائق هنا وهناك فاضافوا بذلك الى جمال الطبيعة روعة الصنعة ونفحة الوحى واشراقة الخيال ، واحاطوها باشجار الحور والسرو والسيكامور والاراجون ..وجعلوها رياضا زاهرة ، ورودها ندية ، وزهورها عطرة ، فمراش النرجس والاقحوان والسوسن والياسمين والزنبق تتمايل مع النسيم فتملأ الجو عطرا وشذى، واطلقوا على هذه الحدائق اسماء موسيقية شاعرية مثل ـ شاليمار « عش الغرام » ، نشاط باغ

★ راجع العربى العدد ٢٠٦ ـ يناير ١٩٧٦

« حديقة السرور » جلو مارج » مرج الزهور »، وستومارج » وادي الجليد »،ششما شاهي «الينبوع الملكي » ، وما اجمل حديقة » نشاط » وهي تطل على بحيرة دال ومياهها تتلألأ تحت اشعة الشمس والاوز والبط يسير في صفوف طويلة منتظمة .

ليالي كشمير

ولقد حالت التقاليد العريقة دون افتتاح علب الليل الماجنة والملاهي الصاخبة في كشمير فلا يوجد في العاصمة«سريناجار» الا دور السينما حيث تعرض الافلام الهندية ومسرح واحد ،فليلها هادئ» يلفه السكون الا من السهرات البريئة حيث يتجاذب سمار الليالي احاديثهم وفكاهاتهم ، فالكشميريون لم يتخلوا عن مرحهم وقدرتهم على صناعة النكتة والسخرية اللاذعة التي اجادها اهالي هذه المنطقة كما انهم فنانون بالفطرة وصانعو الحان عذبة لها طابعها الخاص ، وهي من النوع الكلاسيكي واهم ماتمتاز به هو عدم خروجها على القواعد التي رسمت لها منذ مئات السنين .. والشمال الهندي عموما يتميز بالحانه الرقيقة التي هي اقرب ماتكون للتقاسيم في الموسيقى العربية وافضل مثل لها هي الألحان المعروفة باسم (خيالي) وهي كلمة مشتقة من الكلمة العربية (الخيال) .

والكشميريون يطربون ويتذوقون الانغام العذبة والالحان الخيالية ولذلك اتصف فنانوهم بالانطلاق والتجديد وتنطلق اغانيهم وموسيقاهم من منطلقين هما الدين والحب ويطلقون على الموسيقى الدينية كلمة (بهجن) وهي غير منتشرة انتشار موسيقى واغاني الحب التي يطلقون عليها » غزل » وهي كلمة اصلها عربي .

ودعينا الى سهرة كشميرية .. على ضفاف البحيرة في احدى العوامات التي تسمى » دونجا » وتتميز بانها اصغر من عوامات السكن ، مفروشة ارضيتها بالسجاجيد والوسائد .. وقد تصدرت الفرقة الموسيقية واجهة الصالة الفسيحة ، وتربع الجميع على الارض وامسكوا بالاتهم الموسيقية البسيطة وتتميز بعض الالحان بالايقاع السريع وقد يشارك المطرب بعض الحضور من الكشميريين الغناء .. وهم يتمايلون طربا عندما يغنون للحبيب وللثمار وللزهور وخصوصا للزعفران .. وتجيش اغانيهم بالعواطف الحارة المتدفقة كشلالات الروابي ..

الى جولمارج

والآن تعالوا معا نصعد الى الجبل الى «جولمارج Gulmarg » اي مرج الزهور ويطلقون عليها » عروس الهيمالايا » وتبعد عن » سريناجار » مسافة ٢٨ ميلا وترتفع عن سطح البحر بمقدار ٨٦٠٠ قدم ، ووسيلة المواصلات اليها هي السيارة التي تقطع الطريق في ساعة وبضع دقائق ونسير في طرق جبلية متعرجة مخترقة غابات التنوب العالية الشامخة التي تنمو حتى يزيد ارتفاعها عن مائتي قدم .. وقد جرى تطوير جولمارج لتكون منتجعا لمحبي الرياضة الشتوية .. وعشاق الخلاء والطبيعة فيزاولون رياضتهم المفضلة في تسلق الجبال .. والتزلج على الجليد ، كما يجد هواة الصيد والقنص ضالتهم ، فهي مرتع للوعول والحيوانات . وذلك تحت اشراف المعهد الهندي للتزلج وتسلق الجبال .. وهناك ملاعب للجولف والتنس كما ان ركوب الخيل وسط المراعي الخضراء متعة لاتعادلها متعة .

وقد شيدت عدة اكواخ خشبية وعدة معسكرات عند سفوح الجبال لاقامة السياح .. انها حقا نزهة خلوية بين مناظر جبلية ساحرة لاتبرح الذاكرة .

وعدنا الى سريناجار والشمس في ظل المغيب تلثم الزهر واوراق الشجر ، ونقف عند سفوح جبالها . ونلقي نظرة وداع الى كشمير ابنة البحيرات والاودية الخضراء والربى والجبال وتصدح في الفضاء كلمات شيخ شيوخها شهاب الدين السهروردي تقول :

كان كشمير لسكانها
جنات عدن هي للؤمنين

قد كتب الله على بابها
ساكنها كان من الآمنين

■■

محمد حسني زكي



مع الأيدي والأجهزة

التي تراقب

الطاقة الكهربائية

وتتحكم فيها

استطلاع بقلم :

يوسف الشهاب



لوحة مراقبة الشبكة الكهربائية التى تظهر اشارة ضوئية لكل عطل كهربائى فى أى مكان من الدولة . وهذا العمل فيها يتم بالاشارات الالكترونية السريعة .



خلف مركز المراقبة والتحكم ٠٠ توجدمجموعة ابراج لحمل الخطوط الهوائية التي تنقل الطاقة الكهربائية منمحطة الانتاج في الشعيبة الى محطة التحويل بالجابرية انامتداد هذه الابراج يبلغ ٤٠ كم ٠٠

■ عندما يكون الحديث عن مظهر حضاري جديد.. نجد انفسنا بالرغم منا نعود الى الماضي .. وهو ماض قريب ، ونعود الى ما كنا عليه قبل الطفرة السريعة الهائلة التي شملت شتى مرافق الحياة في الكويت العصرية .

وحديثنا اليوم عن الكهرباء وعن مركز المراقبة والتحكم في هذه الطاقة التي واكبت تدفق النفط من ارض الكويت .. ففي الامس القريب ، كانت الكويت تعيش في الظلام الذي يحتويها بعد غروب الشمس .. ظلام تتخلله تلك الاضـواء الخافتة المنبعثة من مصابيح الجـاز ، كما كان الحال في كل بلد لم تمتد اليه يد الحضارة والتقدم .

واليوم وبعد ان سخت الارض الطيبة وقدمت ما في جوفها من خير عم البلاد .. اصبحت الكويت تسبح في بحر من الضوء .. ومع ضوء الكهرباء ومع القوة الدافعة التي وفرتها هذه الطـاقة ، بدات صورة الحياة كلها تتغير في الكويت الحديثة الناهضة .

ولكن هذه الطاقة الكهربائية لم تترك هكذا بلا رقابة او تحكم ، فقد سعت الدولة ممثلة بوزارة الكهرباء والماء الى اقامة أول مركز للتحكم فيها يعد من أول مراكز التحـكم واكثرها تقدما في الوطن العربي .. هذا المركز الجديد الذي افتتح في عام ١٩٧٢ هو موضوع استطلاعنا اليوم .

داخل مركز التحكم

قمنا بزيارة مبنى هذا المركـز الجديد .. انه يقع عند تقاطع شارع المغرب بالطريق الدائري الخامس في منطقة السره جنوبي مدينة الـكويت (العاصمة) .

وقد شيد هذا المـركز عام ١٩٦٩ على احدث طراز عمراني يتلاءم مع طبيعة عمله .. ويحتوي على غرفة المراقبة والتحكم بكامل اجهزتها وربط المركز بجميع محطات التحويل الرئيسية ، حينذاك .

وعندما دخلنا اليه ، استقبلتنا موظفة الاستقبال التي طلبت تسجيل اسمائنا في سجل الزائرين ، ولفت نظرنا مجموعة « كاميرات تلفزيونية » تنقل صورة كل زائر لعدد من الموظفين يقومون بمتابعة كل ما يدور حول المركز لحمايته من كل عابث .

وحدثنا ناظر المركز المهندس خالد الرزوقي عن دور هذا المركز وعلاقته باقسام الوزارة الاخـرى فقال : هناك اربعة اقسام ترتبط مع المركز هي : قسم محطات توليد الطاقة ، قسم شبكات النقل الكهربائي ، اى نقل الطاقة من محطات التوليد الى مناطق البلاد المختلفة ، قسم شـبكات التوزيع ، قسم الخدمات للتخطيط ،هذا بالاضافة الى اقسام اخرى مثل قسم التخطيط والتطوير وهي ذات علاقة بالمركز للتخطيط على المدى البعيد ، اما الاقسام الاربعة السالفة الذكر فهي ذات اتصال يومي بالمركز . ولقد تم ربط المركز بمعظم اجزاء الشبكة الكهربائية حتى التي استحدث منها في الربع الاول من عـام ١٩٧٤م فبينما كانت خمس عشرة محطة تحويل متصلة به عند انشائه اصبح عدد محطات التحـويل المتصلة به الآن ٣٧ محطة بالاضافة الى محطات التوليد .

ويقف المهندس الرزوقي قليلا عن الحديث ثم يتابعه فيقـول « ان المركز يقوم كذلك بتنسيق انتاج الطاقة الكهربائية من محطات القوى لمواجهة الطلب من قبل المستهلكين ، مع مراقبة عامة للشبكة الكهربائية اثناء ذلك،بحيث يتم تامين ايصال الطاقة للمستهلك دون انقطاع ، مراعين في ذلك سلامة الافراد والمعدات ـ ويقوم المركز ايضا بتنسيق اعمال الصيانة اللازمة سواء على الشبكة او في محطات التوليد بحيث لا يؤدي اى من تلك الاعمال الى انقطاع التيار الكهربائي .

اجهزة مراقبة وحاسب الكتروني

ويوجد في مركز المراقبة والتحكم ، آلات حديثة يمكن بواسطتها التحكم في القواطع الكهربائية المختلفة على الشبكة وتحديد اي عطل بسرعة وبدقة متناهية مما يساعد على اصلاح اى خلل باسرع وقت ممكن ، ويتم بواسطة الحاسب الالكتروني الموجود في المركز اجراء الدراسات المختلفة على

ناظر المركز ، المهندس خالد الرزوقي .



الشبكة من ناحية تشغيلها للوصـــول الى نتائج افضل ٠

ويحافظ المركز على تردد ثابت للطاقةالكهربائية وذلك بالمراقبة التامة وتوجيه محطات التـــوليد لزيادة أو تخفيض الانتاج لتحقيق ذلك على مدار الساعة ٠

ولمركز المراقبة مهام اخرى اضافة الى دوره فى خدمة المستهلكين اذ انه يقوم بضبط مواعيداعمال الصيانة للشبكات الـكهربائية ، ويتيح للوزارة التنبؤ بمعدل ازدياد الطلب على الطـاقة فى المستقبل عن طريق تحليل المعطيات اللازمة لذلك٠ ويعمل المركز دائما على تامين استـمرار الطاقة للمرافق الحيوية مثل المستـشـفيات وبنوك الدم والمطارات وغيرها وذلك فى الحالات الطارئة ٠

مؤشر لكل دائرة كهربائية

ومن ابرز المعالم فى هذا المركز ، غرفة المراقبة والتحكم التى يوجد بها لوحة كبيرة تحتـوى على مؤشر منفصـــل لكل دائرة كهربائية ، وفى حال حدوث اى خلل يقرع احد الاجراس ، ويقوم وميض من الضوء بتحديد مكان الخلل على هذه اللوحة ، ويسارع مهندس المراقبة الى اللوحة ليتاكد من الخلل فيتخذ الاجراء الفورى اللازم لاستعادة الامداد الكهربائى أو تحويله بحسب متطلبـات الشبكة وباقصى سرعة ممكنة ، وبهذا يكون المركز قد وفر الكثير من الجهد والوقت الذى كان يقـــوم به المهندسون فيما مضى عند حدوث اى خلل لاجراء معاينات على المواقع لتحديد مكان الخلل ٠

وتتميز هذه اللوحة بقابليتها لاسـتحداث اى تغيير بطريقة سهلة ويتم التعديل اللازم بسحب الاجزاء القابلة للنزع وتعـديل اللوحة واعادة ترتيبها لتلائم المتطلبات الجديدة للمراقبة ٠

كما يوجد فى غرفة المراقبة والتحكم ، حاسب الكترونى يعطى احصاءات للاحمال الكهربائية فورا او حسب برنامج زمنى محدد وكذلك يعطى اشارة للاعطال ، التى قد تطرأ ٠

وتربط شبكة هاتفية داخلية خاصـة بالوزارة المركز بمحطات توليد الكهرباء والمحطات الفرعية، كما ان هناك شبكة لاسلكية خاصة أخرى بديلة اما فى الحالات الطارئة والخطرة ، فان المركـز يستخدم الخط الساخن او « الاحمـر » المتصل بمحطات توليد الكهرباء المختلفة فى البلاد ٠



منظر عام لمبنى مركز المراقبة والتحكم ٠



اجهزة التلفزيون التى توضح كل معلومات عما يدور داخل المركز وحوله من الخارج ٠٠ كل هذا من أجل الامن والسلامة ٠٠

ومن مهام الحاسبة الالكترونية فى المركز عملية جمع المعلومات الضرورية للتنبؤ بالعمل اليومى والشهرى والسنوى ، ويتم الاتصال اليومى بمكتب الارصاد الجوية لمعرفة درجات الحرارة والرطوبة وكل ما يتعلق بالاحوال المناخية المتوقعة لما بينها وبين استهلاك الطاقة من علاقة طبيعية ٠



الاسيلو سكوب ، وهو الجهاز الذى يستخدمه المركز لفحص الدورات الكهربائية الالكترونية

الحاسب الالكترونى المرتبط بالشبكة ، ومهمته جمع المعلومات من محطات القوى المختلفة وتحويلها كاشارات الى لوحة المراقبة ..





مشهد عام ٠٠ للوحة التحكم والمراقبة والى اليمين مكتب استقبال التعليمات وارسالها ، حتى يتم اصلاح العطل من جانب المختصين ٠

سناء الوطيان ـ من فتيات الكويت اللائى يعملن فى هذا المركز، وهى تقوم هنا بثقب المعلومات اللازمة بثاقبة الكترونية ٠





ليلى حامد ،فتاة كويتية اخرى تعمل على مشغل لفصل الارقام عن طريق العقل الالكتروني .

ويقوم المركز بالتنبــؤ بالاحمــال الاسبوعية المتوقعة على مدار سنة لتمكين محطات التوليد من وضع برامج الصيانة الدورية لوحدات التوليد .

حاسب ألكتروني للدراسات الهندسية

وانتقلنا في تجوالنا بالمركز الى غرفة الحاسب الالكتروني الهندسي ويعمـــل عليه مجموعة من المهندسين مع عدد من الفتيات اللائى اعدهن المركز للعمل على هذا الجهاز ، ويقوم الحاسب بجمع الدراسات الهندسية المتعلقة بالشبكة مثل دراسة كميات الاحمال والضغط الكهربائي على اجزاء الشبكه حسب افتراضات مختلفة لتركيبة الشبكة وكذلك دراسة ما يجرى على الشبكة عند حدوث عطل من الاعطال .

وهذه الدراسات تساعد على سرعة اداء الخدمة للمستهلك وباقصى قدر ممكن ،ولا يسمح بالتدخين فى هذه الغرفة لتاثير الدخان على الآلات الدقيقة فيها .

وتتبع هذا المركز ، غرفة مختبر يعمل بها عدد من مهندسي الصيانة الذين يقومون بفحص اى خلل قد يحدث على اى جزء من الاجهـزة الالكترونية التابعة للمركز ، وفى هذه الغرفة مجموعة من الاوسيلوسكوبات لاجراء الفحـوص على مواطن العطل خلال الصيانة ويتطلب العمل فى هذه الغرفة دقة كبيرة بسبب دقة الاجهزة والاعمال المناطة بهذا القسم ، وهو يعتبر عاملا فى استمرار صلاحية الاجهزة للعمل اليومي دون انقطاع .

انتــاج الطاقة

وعدنا مرة اخرى الى ناظر المركز ، المهندس خالد الرزوقي وسألناه عن كيفية انتاج الطاقة فى الكويت فقال ان ذلك يتم فى محطـات التوليد بتحويل الطاقة الحرارية الى طاقة كهربائية وذلك اما بحرق الغاز الطبيعي أو الزيوت النفطية ، اما الغاز فهو الاكثر استخداما لهذه الغاية .

ثم اضاف قائلا : انه تمشيا مع سياسة الدولة لاستغلال مواردها الطبيعية على الوجه الامثل وذلك بتصنيع الغاز الطبيعي اتجهت الوزارة لاستخدام بدائل عن الغاز الطبيعي لتوليد الطاقة الكهربائية وانتاج المياه كالزيت الخام والزيوت الثقيلة ..الخ

وبعد انتاج الطاقة الكهربائية يتم نقلها الى مناطق الاستهلاك عن طريق الخطوط الهوائية او الارضية وتجدر الاشارة هنا الى ان اعلى ضغط كهربائي مستعمل فى الكويت الان هـو ١٣٢٠٠٠ فولت كما ان اعلى حمل كهربائي سجل حتى الآن كان ١١٢٠ ميجاوات وذلك يوم الاحد ١٩٧٥/٩/٢١ علما بان القدرة المتوفـرة عندئذ كانت ١٣٦٤ ميجاوات .

وفي الكويت ثلاث محطات لانتاج الطاقة هي ، محطة الشويخ وقدرتها ١٦٠ ميجاوات ، ثم الشعيبة الشمالية ٤٠٠ ميجاوات ، منها خمس وحـدات بخارية وتوربينان غازيان ، والمحطة الثالثة هي ، الشعيبة الجنوبية وفيها ٦ وحدات قدرة كل منها ١٣٤ ميجاوات بقدرة اجمالية ٨٠٤ ميجاوات

وسوف تقوم وزارة الكهرباء ايضا بافتتـاح محطـة توربينات غازية استعدادا لفصل الصيف القادم وقدرة هذه الوحدات الجديدة ستكون ٢٠٤ ميجاوات .كما ستبدأ محطة الدوحة الحرارية عام ١٩٧٧ بتوليد الطاقة الكهربائية وستكون قدرة هذه المحطة الاجمالية ١٠٥٠ ميجاوات موزعة على سبع وحدات قدرة كل منها ١٥٠ ميجاوات .

وبهذا تنتهي جولتنا فى مركز المراقبة والتحكم التابع لوزارة الكهرباء وهو الذى يقع عليه العبء فى توفير واستمرار الطاقة الكهربائية لكل مناطق الكويت السكنية والصناعية ، وهو مركز يعتبر الوحيد من نوعه فى كل مناطق الوطن العربي ، سواء من حيث نوعية اجهزته أو من حيث ادائه .

■■

يوسف الشهاب



عودة

■ يا إلهى ، وخالقى ، ومعينى عدتُ من غربتى ، وعاد يقينى
فتقبل - يارب - منى رجوعى واستجب دعوتى ، وبارك حنينى

★ ★ ★

عدتُ - يارب - والصبا عن شمالى وبقاياه تنطوى عن يمينى
عدتُ كالشارد الطريد أثارت وجده خفقةٌ بناى حزين
الجلال الرهيب ملءُ فؤادى والضياءُ الحنون ملءُ عيونى
فتقبل - يارب - منى رجوعى واستجب دعوتى وبارك يقينى

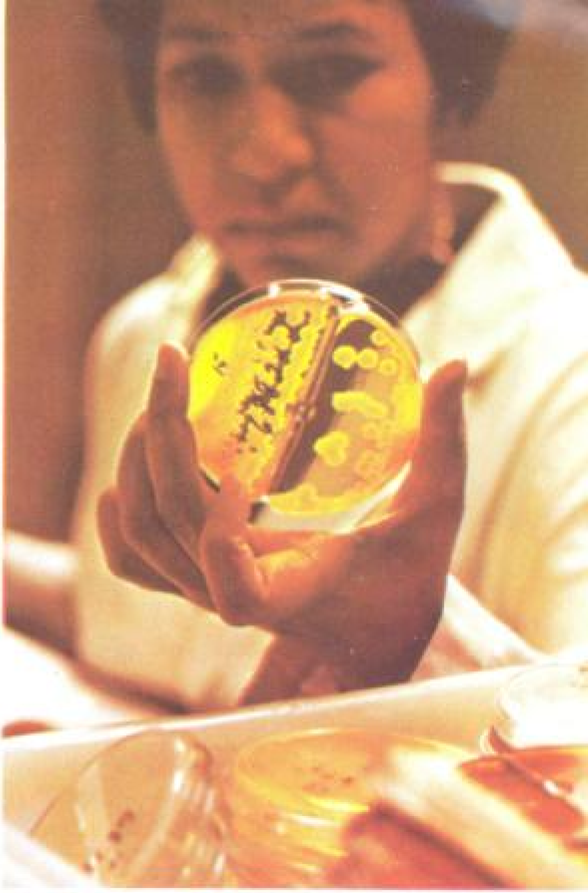
★ ★ ★

انا - يارب - في رحابك أسعى غير أنى أحس قيد السجين
بين ليل مضى ، شقىّ الأمانى وصباح بدا خفىّ الظنون
ظمئت مهجتى لنورك ، فاجعل عفوك السمح رائدا يهدينى
وتقبل - يارب - منى رجوعى واستجب دعوتى ، وبارك يقينى ■■

الاسكندرية - **عبد العليم القبانى**

الجراثيم

صناعة التخمير بدأت منذ ٦ آلاف سنة



■ ثلاثة قرون مضت على اكتشاف الجراثيم وما زالت هذه الكائنات تذكرنا بالامراض ، وقلما نذكر ان حسناتها اكبر من مساوئها . فهناك خمسون الف جرثومة نافعة مقابل كل جرثومة واحدة ضارة بالانسان والحيوان والنبات معا . هذه الكائنات التي لا نراها تملأ الارض والجو والبحار وحتى القفار التي تبدو خالية خاوية . ويقدر الخبراء انكيلو التربة المزروعة يحتوي على خمسين الف بليون جرثومة يعادل وزنها غرامين من المواد الحية . لهذا كان وزن الجراثيم اكبر من وزن ما على الارض من حيوانات .

مختبر فحص ومراقبة الخمائر باستعمال اطباق آجار

مصنع حديث ضخم لانتاج الخمائر على نطاق واسع



الجراثيم النافعة سر الحياة

بقلم : الدكتور رياض العلمي

اهمية الجراثيم

من اهم فوائد الجراثيم انتاج غاز ثاني اكسيد الكربون من الصخور وفضلات الحيوان والنبات وهذا الغاز هو اساس الغذاء للحيوان والانسان الناتج عن التمثيل الكلوروفيلي • والدور الاكبر في هذه العملية يعود الى جراثيم المياه والتربة اذ ان طاقتها التمثيلية تفوق طاقة النبات بعشرة اضعاف • ولهذه الكائنات دور هام في تحويل النيتروجين الى سماد واملاح ضرورية • ثم ان الجراثيم مصدر حيوي للفيتامينات ومن هنا كان وجودها في امعاء الانسان عاملا اساسيا في سلامة كيانه ، ونرى مما تقدم انه لولا هذه الكائنات لاضمحلت الحياة ولصارت ارضنا الغضراء خالية من واحاتها الجميلة ومحاصيلها الحيوية ، ولغلا الهواء من عناصره المفيدة •

ان اقدم استعمال للجراثيم هو تسخيرها في تحضير الخبز والسوائل من الفواكه والحبوب والالبان التي قلبت حياة الانسان ، وغيرت معالم مجتمعه الى حد كبير • فلقد دلت الحفريات الاثرية في جنوب فلسطين (ام القيس) ان التخمير كان معروفا لدى الاموريين منذ ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد • اما احدث الاكتشافات فهي تسخير الجراثيم لتحويل النفط الى مواد بروتينية كالتي توجد في اللحوم والالبان • ان نجاح هذه العملية قد يسد الثغرة في كمية الغذاء العالمية ، اذ ان تكاثر السكان مشكلة كبيرة الآن •

ومن حسن الحظ ان الانسان ما زال حتى اليوم يكتشف في الجراثيم ما هو ضروري لغذائه وكسائه ودوائه • ومنذ ان اكتشف الانسان قدرة الجراثيم على تغيير طعم بعض الاغذية اخذ يسخر هذه الكائنات في صناعة لعلها اقدم ما اختبر الانسان •

وكلمة التخمير اليوم تطلق على كل صناعة تعتمد على الجراثيم • ونظرا لقدرة هذه الكائنات على القيام بعمليات كيماوية غريبة وعديدة اضحت صناعة التخمير من اغزر الصناعات واقواها واجملها • ومع تقدم التكنولوجيا وعلوم الكيمياء الحيوية والجرثومية نمت هذه الصناعة نموا هائلا لا غنى لدولة عنها في السلم والحرب • لهذا تخصص الدول المتقدمة ميزانيات ضخمة لمراكز الابحاث والمختبرات الجرثومية والكيماوية لتكون في خدمة الطب والزراعة والصحة العامة والصناعة ، وفي ذلك كله دعم شديد للاقتصاد الوطني وتنمية لفرص العمل والتجارة على مستويات مختلفة •

تطور الصناعة الجرثومية

بدات صناعة التخمير منذ ستة الاف سنة • ولكن قبل ان يعرف الانسان الجراثيم ، ادرك قيمة الخميرة التي يبدأ بها انتاج الكحول والالبان والخل وتعطين الالياف • وقد دلت حفريات في مصر القديمة (طيبة) على وجود معصرة للخمر وفرن للخبز منذ الفي سنة قبل الميلاد • وفي اثناء الحرب العالمية الاولى استعملت الجراثيم لانتاج الاسيتون (Acetone) والبيوتنول (Butanol) على نطاق واسع • وتلت ذلك عملية انتاج حمض الليمون (Citric Acid) مما حطم كليا الصناعة القديمة التي كانت تعتمد على الحمضيات لاستخراج هذا المركب • وكانت هذه العمليات نقطة التحول نحو الصناعة الجرثومية لسهولة وسائلها ، وبساطة تكاليفها ، وجودة مستحضراتها • وفي الثلاثينيات بدات صناعات مختلفة لحوامض عديدة • ولا شك ان الانسان تاخر قليلا في استغلال هذه الصناعة ،

مع ان انتاج الخل كان من اقدم الصناعات ، وان انتاج حمض الحليب (Lactic Acid) على نطاق واسع قد تم في الولايات المتحدة عام ١٨٨١ • وبدأ انتاج السوربوز (Sorbose) وهو المادة السكرية الاساسية لصناعة فيتامين (س) قبل الحرب العالمية الثانية • كما شرعت الصناعة الاميركية في هذا الوقت ايضا باستخلاص الريبوفلافين (ب٢) من رواسب الخمائر الجرثومية •

اما الحدث التاريخي في عالم الطب والصناعة الجرثومية فلم يظهر الا قبل اربعين عاما تقريبا حين ادرك الانسان قيمة المستحضرات الطبية المستخلصة من الجراثيم ، هذه المستحضرات تعرف اليوم باسم الانتيبيوتك (Antibiotics) ويعود الفضل في ذلك الى العالم البريطاني فلمنج مكتشف البنسلين عام ١٩٢٨ ، والذي ثبتت قدرته على قتل بعض الجراثيم الخبيثة • وتلت ابحاثه تجارب عديدة على الوف الجراثيم من مختلف انحاء الارض في محاولات جبارة وناجحة لاستخلاص هذه المواد الحيوية فبالاضافة الى البنسلين كان الكلور امفنكول ومشتقات التراسيكلين وعشرات غيرها تم انتاجها على نطاق صناعي واسع وكان لانتاج البنسلين عام ١٩٤١ اثر هام على الصناعة الجرثومية لاسباب عديدة منها : ـ

١ ـ قيام التعاون بين فروع مختلفة من العلوم كالكيمياء الحيوية والجرثومية مما ادى الى اكتشافات مفيدة في وقت قصير جدا •

٢ ـ حدوث اشتراك او تقارب بين الصناعة الصيدلانية والجرثومية عاد بالنفع الجزيل عليهما وعلى المجتمع وكان اهم الاكتشافات الحديثة انتاجا غزيرا لهرمونات الستيرويدز (iSterods) •

٣ ـ نمو جبار لهندسة الكيمياء الحيوية التي تلعب الان دورا هاما في تخطيط مصانع الانتاج الجرثومي ولها دورها ايضا في تنمية وسائل الصحة العامة كتنظيف الهواء والماء وتطوير الصناعة النفطية ، واستغلال ما يسمى بالنفايات لان فيها كنزا لا يفنى •

فلا عجب اذا تغلغلت هذه الصناعة في حياتنا فنحن اليوم نستعمل الخمائر التي تطرى اللحم والجلد وتنظف الالياف والجروح والالتهابات وتذيب الجلطة الدموية، وتقدم لنا الفيتامينات والهرمونات والمواد الغذائية المختلفة •

ابواب الصناعة الجرثومية

لقد دخلت الجرثومة حقولا صناعية عديدة • فصناعة التخمير اليوم لا تقتصر على انتاج الخمور فحسب بل لها استعمالات اكثر اهمية ، قد لا تخطر احيانا على بالنا • وتقسم هذه الصناعة الى ابواب عديدة منها : ـ

١ ـ صناعة المحاليل والسوائل الكحولية وغيرها• فالولايات المتحدة تنتج من الخل ما قيمته مئة مليون دولار سنويا •

٢ ـ الصناعة الصيدلانية واهمها مضادات الحيوية (الانتيبيوتيك) حيث فاق الانتاج العالمي الثلاثة الاف طن سنويا •

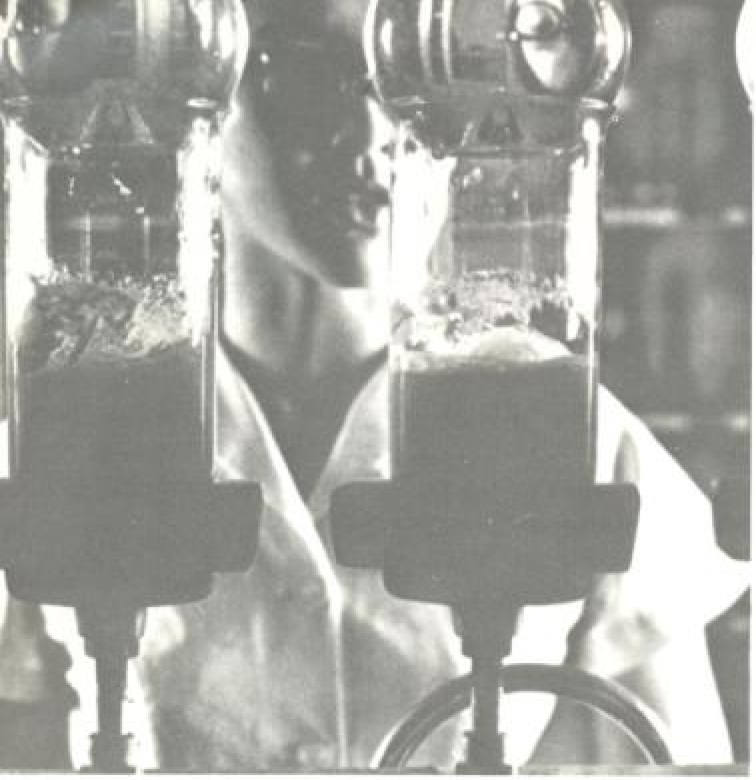
٣ ـ صناعة المواد الغذائية للانسان والحيوان : ـ ويدخل فيها ما عدا النشويات والبروتينات مواد التلوين والنكهة ومشتقات الحليب • اما انتاج البروتينات من النفط فهو اهم التطورات التي سيكون لها اثر بالغ على المجتمع البشري ، فلقد اعلنت احدى الشركات العالمية ان مصنعا لها قرب مرسيليا سينتج حوالي عشرين الف طن سنويا من الخمائر التي تنمو على البرافينيات (احدى مشتقات النفط) • وهذا المصنع سيستعمل نفطا عاديا (١٠٪ بارافين) لزرع الخمائر وتنميتها • ولقد دلت التجارب ان هذا الغذاء الجديد يوازي في قيمته البروتينية اللحم والاسماك ويتفوق على مسحوق الحليب ضعفين •

٤ ـ التعدين : ـ ليس من الغريب ان الجرثومة تستعمل احيانا في التعدين وسبب ذلك عجز الافران والطرق الكيماوية عن استخلاص بعض المعادن من موادها الاولية • فالمعالجة الجرثومية تحدث تغيرات كيماوية تزيد في ذوبان واستخلاص المعادن كالنحاس والحديد وما تزال امريكا حتى اليوم تنتج عشر نحاسها بالمعالجة الجرثومية •

اضف الى ما تقدم العديد من المحاولات لانتاج المطاط وغيره من المواد الكيماوية وانتاج الاكسجين والماء في رحلات الفضاء • اما في حقل الصحة العامة فان البحث يدور حول استعمال الجراثيم النافعة للتخلص من النفايات الهائلة التي تتراكم في المصانع بشكل اخذ يهدد سلامة المجتمع باسره •

لماذا يجب اعتماد الصناعة الجرثومية

ان الاسباب الموجبة لاعتماد هذه الصناعة وخاصة في البلدان النامية كثيرة منها : ـ



وحدة انتاج لتحضير الخمائر على نطاق ضيق لاجـــراء الابحاث عليها

١ ـ مورد اقتصادى ضخم : ـ قد يصعب على المرء تقدير ضخامة الانتاج الصناعي من قبل كائنات غير مرئية • ففي اميركا عام ١٩٤٧ كان انتاج حمض الليمون وحده خمسة عشر الف طن ارتفع عام ١٩٥٢ الى خمسة وعشرين الف طن اما فى عام ١٩٦٤ فاصبح خمسين الف طن فى كل من اميركا واوربا بلغ ثمنها اربعمائة مليون دولار ، بينما انتجت بقية البلاد ١٠ الاف طن فقط •

٢ ـ جودة الانتاج وقلة النفقات نسبيا : ـ الجرثومة عبارة عن « اختصاصي » لا يتطلب رواتب عالية ولا غذاء باهظا ، فتكاليف مصنع حديث لا تتعدى بضعة الاف من الدنانير فان انشاء مصنع ينتج سنويا خمسة الاف طن من مسحوق الكاروتين قد يكلف نصف مليون دولار فقط ويكون نفقة انتاج الكيلو الواحد من هذه المادة اقل من دولار واحد•

٣ ـ سرعة الانتاج : ـ ليست الجرثومة عاملا منوعا وبارعا فقط بل هى تعمل بدقة وبسرعة متناهيتين نظرا لتكاثرها السريع وتركيبها الحياتي• وللمقارنة بين الحيوان والنبات والجراثيم نعطى المثل التالي : ان ثورا كبيرا يزن نصف طن ينتج بروتينات بمعدل نصف كيلو يوميا اما فول الصويا (Soya Bean) فان نصف طن منها ينتج خمسة وثلاثين كيلو من البروتين يوميا ولكن نصف طن من الخميرة ينتج خمسين طنا يوميا • اضف الى ذلك ان مسحوق الخمائر يشكل غذاء كاملا لا يضيع منه شيء ، فلا عظم ولا جلد ولا نفايات ولا مواد غير مهضومة • وابسط المصانع تنتج خمسة اطنان من هذه الخمائر المجففة يوميا • وكيلو هذه الخميرة المجففة يوفر للحيوان غذاء بروتينيا يتفوق ستة اضعاف على ما يوجد فى مراعي الحيوان •

٤ ـ تنويع الانتاج : ـ ان انشاء مصانع كهذه يقدم للبلد خبرات فنية فى حقول مختلفة ، لان تكنولوجية هذه الصناعة تجمع معا اقسام الصيدلة والهندسة وعلوم الجراثيم والكيمياء • وهناك امكانية ربط الصناعة النفطية والجرثومية لان مشتقاتهما تغذيان بعضهما البعض فى كثير من الابواب •

وما احوجنا اليوم الى شبان تقنيين متفهمين لروح العصر العلمي فالتصنيع ضروري حتى ولو ادى مبدئيا الى خسارة مادية ، لان فى التصنيع مدرسة وحصنا يضمنان المستقبل المادى والحضارى، ان عاجلا او آجلا •

الكويت ـ رياض العلمي
رئيس قسم الصيدلة بوزارة الصحة

المؤرخ ابن اياس

بقلم : احمد عبد الباسط حسن

عاش ابن اياس حياته بعيداً عن التنازع على المناصب في الدولة فلم يتقرب الى الامراء ولم يتملقهم .. من اجل هذا جاءت كتاباته بعيدة عن روح التعصب لأمير دون أمير أو حزب دون حزب !

■ لا شك ان منهج المؤرخ في كتابته التاريخية من الامور الهامة التي يجب ان نضعها في اعتبارنا عند الحكم على المؤرخ وعلى كتابته ، اذ ان المنهج التاريخي ليس فقط الوسيلة التي يتبعها المؤرخ في كتابته التاريخية وانما هو ايضا رؤية هذا المؤرخ للتاريخ وموقفه من المادة التي يكتبها ، وقد كان المنهج التاريخي ـ وما يزال ـ موضوعا لعديد من الابحاث والدراسات المختلفة .

ولقد شهد المنهج التاريخي عند مؤرخي العرب في العصور الوسطى تطورا كبيرا على يد مدرسة تاريخية اسسها المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في مصر ابتداء من القرن التاسع الهجري تقريبا،وذلك بفضل آرائه في علم التاريخ والعمران البشري (الاجتماع) تلك التي حوتها مقدمته الشهيرة لكتابه في التاريخ « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ولقد تابع ابن خلدون في منهجه ـ او قريبا منه ـ بعض الاعلام من مؤرخي مصر ، ، وقد كان أول هؤلاء المؤرخين المؤرخ تقي الدين المقريزي تلميذ ابن خلدون . وكان من اقطاب هذه المدرسة ايضا المؤرخ ابو المحاسن ابن تغري بردي والمؤرخ ابن اياس الحنفي احد اعلامها المتاخرين .

ابن اياس

وابن اياس (١٤٤٨ ـ ١٥٢٤ م) هو محمد ابن احمد بن اياس الحنفي ، ينتمي الى اسرة تركية فقد كان جده لابيه اياس الفخري مملوكا تركيا من مماليك السلطان الظاهر برقوق ، ووصل في عهده الى رتبة داوادار ثان(١) وكان جده لامه ازدمر الخازندار مملوكا وقد شغل عدة مناصب عليا ابان حكم السلطان حسن والسلطان الاشرف شعبان(٢) .

وكان ابن اياس من طبقة « اولاد الناس » وهم من سلالة الامراء المماليك وكانت لهم رواتب سنوية او يمنحون قطائع من الارض يتعيشون منها(٣) ولا شك ان انتماء ابن اياس لهذه الطبقة اتاح له الى حد ما الحصول على الاخبار من موظفي الدولة والبلاط ، وخاصة اخبار الجيش والمدفعية التي اهتم بها كثيرا .

كتابه بدائع الزهور

وقد كتب ابن اياس عدة كتب في التاريخ ، ويعتبر كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور »

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١ ، ط دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩ ص ٢١٥ مادة ابن اياس .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) نفسه ص ٢١٦ .

ومنهجه في كتابه • بدائع الزهور في وقائع الدهور

اهمها جميعا ، وهو عمدتنا الاولى في التعرف على منهج ابن اياس في الكتابة التاريخية •

يقول الدكتور محمد مصطفى زيادة ان ثمة ظاهرة شائعة بين مؤرخي القرن الخامس عشر - ومنهم ابن اياس - وهي ان هؤلاء المؤرخين يدعون في مقدمة مؤلفاتهم التاريخية انهم كتبوا تلك المؤلفات لانفسهم خاصة وليس من اجل سلطان او امير ولكن سرعان ما يتبين ان ادعاءهم هذا غير صحيح(٤) • والواقع انه اذا صدقت تلك الظاهرة على مؤرخ كالمقريزي او ابن تغرى بردى مثلا فانها لا تصدق على مؤرخنا ابن اياس الحنفي ، فقد عاش ابن اياس جل حياته بعيدا عن التنازع على المناصب في الدولة ، وهو ما يستدعي التقرب الى الامراء ومدحهم وتملقهم، فلم يتقرب ابن اياس الى امير او سلطان • ولذا جاءت كتابته بعيدة عن روح التعصب او التحزب لامير دون امير او حزب دون آخر ••

واذا كان ابن اياس لم يصدر كتابه بمقدمة توضح منهجه التاريخي او غرضه من تاليف الكتاب فاننا نستطيع ان نستشف من كتابه هذا المنهج ، واذا كنا لا نستطيع ان نعرف غرضه فليس ما يثبت انه كتبه لاحد من حكام عصره •

ويبدأ الكتاب بوصف مصر ، وما ذكر فيها من الفضائل وروى عنها من العجائب ، وهو ما يتكرر في كثير من الكتب التاريخية لذلك العصر • وقد خالف ابن اياس المدرسة القديمة التي كانت تبدا كتبها بذكر الخليقة وتاريخ البشر حتى يصل الى تاريخ المصر الذي يكتب عنه ثم يقتصر في كتابته عليه •

عجائب واخبار يرويها ابن اياس دون تحقيق

وابن اياس في هذا الفصل يروى كثيرا من « العجائب » بالفعل ، ينقلها دون ترو او تحقيق او اعمال فكر • ومن امثلة هذه العجائب ما يرويه « ان مصر بها العرس والنمس ولهما فضيلة لا تنكر في اكل الثعابين حتى قيل لولا العرس والنمس لما سكنت مصر »(٥) ومثل قوله « ليس في بلد اعجوبة الا وفي مصر مثلها او اعجب منها »(٦) وليس هو فقط ينقل مثل هذه « العجائب » بل هو ايضا يذكر بعض الاخطاء التاريخية مثل قوله « كان بمصر من الفلاسفة والحكماء القدماء هرمس وبقراط وجالينوس والينوس وفيداغورس ولما ماتوا دفنوا بمصر »(٧) •

واذا كانت هذه العجائب والاخطاء التاريخية من الشائعات في عصره فان ابن اياس لا يسلم من اللوم لايرادها في كتابه دون تمحيص •

ويتبع ابن اياس هذا الباب بفصل عن « ما قاله الشعراء في وصف مصر من كل معنى غريب » وهذا الفصل حاله كحال سابقه من الاخطاء الشائعة التاريخية والمنطقية التي تكثر في شعر هؤلاء الشعراء عن مصر •

ابن اياس يقسم التاريخ الى عصور ودول

ويقسم ابن اياس كتابه الى عصور او دول ، وكل عصر مستقل بذاته في احداثه • فيبدأ بذكر

---

(٤) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، القاهرة ١٩٤٩ ص٨٧ •
(٥) ابن اياس الحنفي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار الشعب القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٦ •
(٦) نفسه • (٧) نفسه ص ٨ •

فتح مصر على يد عمرو بن العاص ، ثم ما تلاه في حكم مصر من الولاة في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الاموية ثم ولاة الدولة العباسية على مصر حتى ابتداء الدولة الطولونية (٢٥٤ هـ) وابن اياس عند ذكره للولاة لا يقدم لهم بترجمة الا لماما وفقط للولاة طويلي العهد في الولاية مثل عمرو ابن العاص ومحمد بن السري .

ثم يذكر ابن اياس تاريخ الدولة الطولونية باختصار شديد مبتدئا بذكر احمد بنطولون ونبذة من اصله وكيفية بلوغه حكم مصر واستقلاله بها، ثم يتتبع حكامها حتى سقوطها ثم قيام الدولة الاخشيدية التي يورد ابن اياس اخبارها بايجاز كبير كسابقتها الدولة الطولونية . ثم ابتداء من الدولة الفاطمية يورد ابن اياس اخبار كل خليفة على حدة وباختصار اقل .

الفاطميون

وابن اياس يسمي الفاطميين « بني عبيد الله » وقد ابتدأ اخبارهم بذكر نبذة عن اصلهم والاقوال المتضاربة في ذلك ، ولكنه لا يدلي برايه في المشكلة ، وان كان يبدو انه يميل الى نسبتهم الى القداح المجوسي ـ كما يصفه ـ ثم يقول « وهذا الامر عند ارباب التواريخ في نسبهم مشهور واكثر الاتفاق عليه »(٨) وهو في موقفه هذا كابن تغرى بردى(٩) حينما ياخذ بآراء اغلبية المؤرخين ولا يتخذ له موقفا منفردا من المشكلة التاريخية .

ويتبع ابن اياس اسلوبا لا يتغير الا قليلا في ايراد اخبار الخلفاء الفاطميين فهو يبدأ بذكر نسب الخليفة ثم ترتيبه في دولته ، كان يقول في ترجمة الحاكم بامر الله وبعد ذكر نسبه « وهو الثالث من خلفاء بني عبيد الله بمصر »(١٠) ثم يذكر ثانيا تاريخ تولى الخليفة الحكم (باليوم والشهر والعام) ، ثم يذكر ـ غالبا ـ سنة مولد الخليفة ، ثم قد يذكر وزراء الخليفة المترجم له ، وفي نهاية حكم كل خليفة يذكر تاريخ وفاته ويتبعه بسنوات حكمه واحيانا يذكر عمره عند الوفاة ثم يقول « ولما مات تولى من بعده ... » ويذكر اسم الخليفة التالي .

الدولة الأيوبية

وبعد الدولة الفاطمية يذكر ابن اياس اخبار الدولة الايوبية متتبعا ملوكها واحدا بعد الآخر . وهو يبدأ اخبارها بذكر منشأ الايوبيين ونسبهم كما في ابتداء كل دولة يذكر تاريخها . وهو يتبع نفس الاسلوب السابق ذكره في ترجمة كل ملك من الايوبيين ، فيبتدىء بذكر النسب ثم ترتيبه في دولته وتاريخ توليه الحكم وعام مولده . وينهي اخباره بذكر تاريخ الوفاة وعدد سنوات الحكم ثم يذكر اسم الملك التالي له .

دولة المماليك

ثم يبدأ ابن اياس بعد انتهاء اخبار الدولة الايوبية ـ بذكر اخبار الدولة المملوكية وهو يقسمها ـ كما هو معروف ومتبع عادة ـ الى دولتين : الدولة المملوكية البحرية والدولةالمملوكية الجركسية . واسلوب ابن اياس في عرض ترجمة كل سلطان من سلاطين الدولة المملوكية بشقيها يختلف قليلا عن اسلوبه في عرض تراجم الملوك في الدول السابقة على الدولة المملوكية والذى سبق ان عرضناه .

الاسلوب الحولي عند ابن اياس

وقبل ان نعرض لهذا الاسلوب نحب ان نشير اشارة سريعة الى اتباع الاسلوب الحولي عند ابن اياس في كتابه بدائع الزهور .

عرض ابن اياس اخبار الدول السابقة على الدولة المملوكية بايجاز كبير ، ولذا فهو لم يستخدم الاسلوب الحولي في هذا الجزء من الكتاب لان الاسلوب الحولي يستتبع الى حد ما الافاضة في التفاصيل ، وهذا ما يخالف المنهج الذى وضعه ابن اياس لنفسه في هذا الكتاب . فكتاب بدائع

---

(٨) نفسه ص ٣٥ .

(٩) انظر : د . محمود اسماعيل « منهج ابنتغرى بردى كمؤرخ » مقال بمجلة الطليعة عدد سبتمبر ١٩٧٣ ص ٩٤ .

(١٠) ابن اياس نفسه ص ٣٩ .

الزهور يمكننا فى الحقيقة ان نعتبره تاريخا لعصر الدولة المملوكية الى حد كبير ، وتاريخا لعصر السلطان الغورى الى حد اكبر • وما كانت اخبار الدول السابقة على الدولة المملوكية الا تمهيدا لتاريخ هذه الدولة التى استفاض ابن اياس فى ذكر اخبارها بصورة كبيرة • وهو فى الجزء الخاص بعصر الغورى وبداية الحكم العثمانى لمصر — وهو المعاصر للمؤرخ — يكاد يذكر الحوادث شهرا بشهر، بل يوما بيوم ، ويكفى للتدليل على صدق هذا ان نعرف ان هذا العصر قد شغل من الكتاب حوالى سبعمائة صفحة من الف ومائتين واربعة وثمانين من الصفحات ، هى عدد صفحات هذا الكتاب • وكان ابتداء استخدام التاريخ الحولى عند ابن اياس بصورة دائمة منذ عام ٦٥٩ هجرية (١٢٦١)، اما قبل ذلك فقد كان ابن اياس يستخدم التاريخ الحولى بصورة متقطعة ، فكان اول استخدامه لهذا التاريخ من عام ٥٩٥ هجرية (١١٩٨) ولكنه كان استخداما متقطعا كما سبق القول • والملاحظ انه كان لا يستخدم التاريخ الحولى فى الجزء الاول من الكتاب الا فى حالة ذكر اخبار النيل — التى يوليها عناية فائقة فى كتابه — أو ذكر اخبار غزوات الصليبيين • وعدا ذلك فانه لم يلجا الى استخدام التاريخ الحولى حتى عام ٦٥٩ هجرية ، وعنده بدأ استخدامه بصورة دائمة •

وثمة ملاحظة اخرى نلاحظها فى استخدام التاريخ الحولى عند ابن اياس فهذا المؤرخ لا يقرن التاريخ الحولى بسنوات حكم الحكام • فهو يذكر العام بالخط العريض ثم يورد اخبار هذا العام اسفله وذلك بعكس المؤرخ ابن تغرى بردى الذى يذكر العام مقرونا بسنوات حكم الحاكم فى ذلك العام فهو يقول بعد ذكر العام « السنة (كذا) من حكم •• »(١١) وهو ما لا يتبعه ابن اياس •

اسلوب ابن اياس فى عرض تاريخ المماليك

وبعد تلك الاشارة الى استخدام التاريخ الحولى عند ابن اياس نعود لنذكر اسلوب هذا المؤرخ فى عرض تراجم السلاطين المماليك فيما يلى : —

يبدأ ابن اياس ترجمة كل سلطان — بصفة عامة — بذكر نسبه كما هى العادة ثم ترتيب السلطان بين ملوك الدولة المملوكية ، وذلك فى الدولة المملوكية الاولى • وفى الدولة المملوكية الثانية اى الجراكسة فانه يذكر ترتيب السلطان بين ملوك الدولتين بصفة عامة ثم يشفعه بذكر ترتيبه بين ملوك الدولة الثانية بصفة خاصة • مثال ذلك انه عند ذكره لترجمة الملك المؤيد شيخ المحمودى (٨١٥ — ٨٢٤ هـ) وبعد ذكر نسبه يقول « وهو الثامن والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية ، وهو الرابع من ملوك الجراكسة واولادهم »(١٢) •

وبعد ذلك يذكر ابن اياس تاريخ تولية السلطان الحكم ، وقد يذكر شيئا عن حياته قبل ان يلى الحكم • اما فى نهاية حكم كل سلطان فيختلف الوضع قليلا من سلطان لآخر ، وعادة فهو يذكر عدد السنين التى حكمها السلطان مجملة ، ثم يجمل اعماله العسكرية والانشائية ان وجدت ، ويذكر — غالبا — فى نهاية حكم الملوك طويلى العهد مثل الناصر محمد بن قلاوون موظفى السلطان الذين خدموه وعملوا له طوال حكمه مثل النواب ، والوزراء ، والقضاة ، وكتاب السر ، ونظار الجيوش • وقد يصف السلطان خلقا وخلقا ويذكر المظالم التى ابطلها او استحدثها •

وعندما يذكر ابن اياس اخبارا او احداثا حدثت فى عهد ملك ما فانه يقول « وفى ايامه •• » او « ومن الحوادث فى ايامه •• » وهو فى ايراد الخبر او الحدث قد يذكر عام الحدث أو لا يذكره • واذا كانت الاخبار من خارج القاهرة ، كان تكون من الوجه البحرى او القبلى او من البلاد الاسلامية المجاورة فانه يتصدرها بقوله « وفى هذه السنة جاءت الاخبار •• » وعند استخدامه التاريخ الحولى فانه يذكر الاخبار والاحداث بتاريخ حدوثها بدقة تامة ، وقد يلجا الى عدم ذكر تاريخ الحدث اذا كثرت الحوادث فى العام الواحد فيكتفى عادة بذكر عبارة « وفيها (اى السنة) حدث •• » ثم يورد الخبر بدون تاريخه الدقيق • ومنذ عهد قايتباى تقريبا ثم فى عهد الغورى بصفة خاصة

---

(١١) انظر : ابو المحاسن بن تغرى بردى « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » •

(١٢) ابن اياس نفسه ص ٣١٣ •

يكاد ابن اياس يورد الاخبار في نفس يوم حدوثها . وفي نهاية كل قرن وابتداء قرن جديد يتصدر ابن اياس الاخبار بذكر حكام العصر وخاصة الخليفة والسلطان وقاضي القضاة وارباب الوظائف من الامراء والقضاة وقد يذكر اكبر الشعراء عندئذ .

عناية خاصة باخبار النيل والمجاعات والاوبئة

ويولي ابن اياس في اخباره عناية خاصة باخبار النيل والمجاعات والاوبئة والمواكب السلطانية ، وهذا يدل على مدى اثر هذه الظاهرات في حياة المصريين في ذلك العصر . وابن اياس مثله في ذلك مثل غالبية مؤرخي عصره كالمقريزي وابن تغري بردي وغيرهما .

وكثيرا ما يذكر ابن اياس بعض النوادر او الحوادث الغريبة ، وهي نوادر تحدث غالبا بين « العوام » اي الشعب المصري كما يصفه ابن اياس ، ويشيع فيها الايمان بالخرافات والاولياء . وهو يتصدر هذه النوادر بقوله « ومن النكت اللطيفة .. » او « ومن النكت المضحكة .. » .

ويورد ابن اياس كثيرا من الاشعار والازجال في كتابه منذ ابتدائه الى انتهائه ، وتغلب على هذه الاشعار صفة الوعظ او الاتعاظ من تقلبات الامور والايام وتتراوح هذه الاشعار بين القطع الصغيرة ـ بيتين فاكثر ـ وبين القطع الكبيرة التي تشغل عدة صفحات . وكثير من هذه الاشعار من نظم ابن اياس نفسه ، وهو يذكر ذلك ويقول « وقد قلت في ذلك .. » اما اذا كان الشعر من غير نظمه فهو يقول « وقد قيل في المعنى .. » او « فكان كما قيل .. » والقول الاخير يغلب ذكره في مقام الوعظ والاعتبار .

اما التراجم والوفيات فترد في الكتاب مختصرة ، وكثيرا ما يذكر ابن اياس اسماء الوفيات دون ذكر ترجمات لها . وكانت اول ترجمة اوردها ابن اياس هي ترجمة الامام الشافعي في ولاية محمد بن السري ثم لم ترد التراجم بعد ذلك متقطعة مختصرة . وفي الجزء الاول من الكتاب يورد ابن اياس الوفيات والتراجم في نهاية حكم كل وال او ملك ويسبقها بعبارة « واما من توفي في ايامه .. » وذلك دون ذكر العام او تاريخ الوفاة . وابتداء من استخدامه التاريخ الحولي يورد ابن اياس الوفيات والتراجم في نهاية كل عام وفي الجزء الاخير ترد التراجم متباعدة وفي حين حدوثها في كل شهر .

وابن اياس بذلك المنهج في ايراد الوفيات والتراجم يتبع اسلوبا نصفه بانه بين منهج المؤرخ المقريزي ومنهج ابن تغري بردي كما يقول الدكتور مصطفى زيادة فهو « لم يجعل للوفيات ترتيبا زمنيا منفصلا مثل ترتيب ابو المحاسن ، ولم يكتبها عند اواخر السنين من حولياته مثل نظام المقريزي بل اوردها في كثير من الايجاز عند وقوعها حيثما اتفق من شهور السنة »(١٣) .

مصادر ابن اياس فيما استقاه من اخبار

وقد كان ابن اياس امينا الى حد كبير عند نسبة اخباره لمصادرها التي استقاها منها وخاصة في الاجزاء الاولى من الكتاب وتلك التي تتناول عصورا لم يعاصرها المؤلف . وقد اعتمد ابن اياس في استقاء اخباره على كثير من المؤرخين السابقين عليه والمعاصرين له وخاصة المسعودي وابن عبد الحكم وابن الاثير وابن خلكان والذهبي ، وهو غالبا لا يذكر اسم الكتاب الذي اخذ عنه وانما يقول « قال المسعودي .. او روى الذهبي .. الخ » . وفي كثير من الاحيان لا يذكر اي مصدر اخذ عنه او يكتفي بقوله « قال بعض المؤرخين .. » وقد سار ابن اياس على منهج مؤرخي عصره في اغفال الاسناد وايراد الاخبار دون تمحيصها وهو ما يعرف بالجرح والتعديل .

كان لابن اياس شعور ديني قوي

والقارىء لكتاب « بدائع الزهور » لابن اياس يستشف منه شعورا دينيا قويا لدى الكاتب وايمانا راسخا بالقضاء والقدر . فتعليقات ابن اياس على الاحداث لا تتعدى تنبيه القارىء الى تقلب

(١٣) محمد مصطفى زيادة ـ المؤرخون في مصر ، نفسه ، ص ٩٦ .

الاقدار والايام سواء بالقول او بالشعر او تراه يحولق عند حدوث كوارث او اشباه ذلك من المصائب • ومن تعليقاته قوله فى اخر دولة بنى قلاوون بعد وفاة الملك الصالح ، امير حاج آخر ملوكهم « وبه (اى الملك الصالح) زال الملك من بنى قلاوون كان لم يكن •• فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير »(١٤) •

واذا كان لدى ابن اياس شعور قوى بتدهور دولة المماليك واقتراب سقوطها فانه لم يحاول ان يستشف الاسباب التى ادت الى هذا التدهور ، وانما اكتفى بايراد بعض القصائد التى تدور حول معنى تقلب الايام والدهور للموعظة والاعتبار •

تعاطف ابن اياس مع الشعب المصرى

ولا يفوتنا ونحن نكتب عن منهج ابن اياس التاريخى ان نتبين موقف هذا المؤرخ من الشعب المصرى ، فقد يلقى ذلك ضوءا على تفكير ابن اياس التاريخى ومنهجه •

قلنا فيما سبق ان ابن اياس لم يكن ممن يتملقون الحكام او يتقربون اليهم مما جعله يتخذ موقفا متفردا غير متحيز لاحد من العظماء او الحكام • وعلى العكس من ذلك بدا ابن اياس فى كتابه متعاطفا مع الشعب المصرى غير متحامل عليه ، فابن اياس وعلى الرغم من انتمائه طبقيا ـ بصفته من اولاد الناس ـ الى الهيئة الحاكمة بدا متحررا من تاثيرات هذه الطبقة الاستعلائية تجاه الشعب المصرى •

وكان الشعب المصرى حينئذ ينقسم ـ بصفة عامة ـ الى فئتين كبيرتين : فئة المثقفين وتضم العلماء والقضاة والكتاب فى الدواوين الحكومية، وهى فئة ذات ثقافة دينية بحتة اتخذت ـ فى غالب الاحوال ـ موقفا متقربا للحكام اكثر منه للفئة الاخرى من الشعب المصرى وهى فئة المنتجين التى تضم الصناع والتجار والزراع اى غالبية الشعب المصرى •

وفى كتاب بدائع الزهور نلمس من ابن اياس اهتماما واضحا بكلتا الفئتين ، فهو يورد كثيرا من اخبار الفئة الدينية التى انتشر افرادها فى دواوين الدولة ووظائفها ، وهو يحرص على ايضاح موقف السلاطين من هذه الفئة فقد يصف السلطان منهم بانه « منقاد الى الشريعة ، مقرب للعلماء ، مجلا لهم » وقد يصفه بعكس ذلك •

اما الفئة الثانية من الشعب المصرى وهى فئة المنتجين فيصفها ابن اياس احيانا بلفظ «الرعية» واحيانا اخرى بلفظ « العوام » ، ويبدو ان الاسم الاخير لم يطلقه ابن اياس تحقيرا بل هو « تصنيف طبقى » ليس غير ، ودليل ذلك انه يصف الطبقات السفلى او ما يسمى حاليا «قاع المجتمع» صراحة بانهم « حرافيش » او « زعر » ولم يكن لهذه الفئات من عمل سوى النهب والسلب فى ايام الفتن والمنازعات بين امراء المماليك •

ويبدو ابن اياس اكثر ميلا الى فئة المنتجين نظرا لانها كانت الاكثر تاثرا بالكوارث والمحن وظلم الحكام ، ويتبين ذلك من وصفه لبعض سلاطين المماليك فقد وصف الناصر فرج بقوله « وكان الناس معه فى غاية الضنك »(١٥) لم يصف المؤيد شيخ بانه «كان كثير المصادرات للرعية»(١٦)• اما الملك المنصور على بن الاشرف شعبان فكان قليل الاذى فى حق الرعية »(١٧) •

وعلى العموم فقد كان ابن اياس على مستوى خلقى عال ، وصاحب ملكة نقدية لا باس بها ، فكثيرا ما كان ينقد المظالم التى ياتيها السلاطين وعمالهم وخاصة فى عهد الغورى حيث رأى بنفسه كثيرا من هذه المظالم بل كان هو نفسه ضحية احداها(١٨) • وعلى الرغم من حلول السيادة العثمانية على مصر فان هذا لم يمنع ابن اياس من السخرية بالجنود الاتراك واحتقارهم(١٩) •

احمد عبد الباسط حسن

جامعة عين شمس

(١٤) ابن اياس ، نفسه ص ٣١٣ •

(١٥) ابن اياس بدائع الزهور ، ص ٣١٠ •

(١٦) نفسه ص ٣١٩ •

(١٧) نفسه ص ٣٢٠

(١٨) محمد مصطفى زيادة نفسه ص ٥١ •

(١٩) مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ،بيروت ص ١٧٣ •

١٠ أسئلة .. و ١٠٠ دينار جوائز

■ مسابقة هذا العدد هي امتحان لمعلوماتك الجغرافية ·· انها عشرة اسئلة متنوعة مختلفة ، والمطلوب منك معرفةالاجابات الصحيحة لسبعة منها على الاقل ، لتفـوز بواحدة من الجوائز المالية ، التى مجموعها ١٠٠ دينار كويتى ·

١ ـ عاصمتان لدولتين عربيتين تقعان على نهر النيل ·
ما اسم هاتين العاصمتين ؟

٢ ـ جزيرة سقطرى ·· **فى اى البحار تقع ·· والى اى الدول تنتمى ؟**

٣ ـ ما هى اسماء الدول التى عواصمها : **مقديشو ـ المنـامة ـ هافانا ـ مسقط ـ ابو ظبى ؟**

٤ ـ اكبر الجزر فى البحر المتوسط، تفوق مساحتها ضعفمساحة لبنان، سكانها نحو ٣ ملايين نسمة ·
ما اسم هذه الجزيرة ؟

٥ ـ عاصمة هولندا الرسمية هيمدينة لاهاى، ولكن عاصمتها الاقتصادية المليئة بالحركة والحياة هى امستردام ·· وكذلك الحال مع المملكة المغربية لها عاصمة رسمية ، وعاصمة اقتصادية تفوقها حركة ونشاطا ··

فما اسم هاتين العاصمتين ؟

٦ ـ ارتيريا ·· البلد العربى الاسلامى المناضل ، خضع للاستعمار الايطالى منذ عام ١٨٩٠ وبعد الحرب العالمية الثانية تولت بريطانيا ادارته، وفى عام ١٩٥٢ ابتلعته الحكومة الحبشية ـ بعد تحويرها لقرارات الامم المتحدة ·· فما اسم عاصمة هذا الاقليم الثائر :
مصوع ـ عطبرة ـ أسمرة ·



٧ ـ ترمز النجمة الخماسية فى علم الصومال الى الاجزاء الخمسة التى قسمت اليها البلاد ·· فهناك الصومال الحبشى والكينى والفرنسى ·· اما الصومالان الباقيان فكانا تحت حكم اجنبى حتى عام ١٩٦٠ وفى العامنفسه اعلن استقلالهما ودمجهما ليكونا جمهورية الصومال الديمقراطية ··

فما اسم الدولتين اللتين كانتا تحكمان اراضى الصومال قبل الاستقلال ؟





٨ ـ دمشق الفيحاء من اقدم مدن العالم ، فيها الجامع الاموى ، وقبر صلاح الدين ، والكثير من الآثار القديمة ٠٠ ولكن مياه نهرها لم تستطع وقف عملية احراقها على يد تيمور لنك عام ١٤٠٠ ، فما اسم هذا النهر الذى يخترق وسط دمشق الفيحاء :

الليطانى ـ بردى ـ نهر الكلب ٠



٩ ـ يقوم الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية بمساعدة الجمهورية العربية اليمنية لبنـاء ميناء حديث فى منطقة الصليف الغنية بمناجم الملح الجبلى ٠٠ وهذا الميناء قد ينافس ميناء اليمن الرئيسى الذى يعمل حاليا ، واسمه :

المخا ـ مصوع ـ الحُديدة ٠

١٠ ـ مساحة الاراضى الزراعية فى الاردن لا تتجاوز نسبتها ١٢٪ من مجموع اراضى البلاد ٠٠ والبقية جدباء ٠٠ والاردن ليس له الا ميناء واحد فى اقصى جنوب البلاد ٠٠

فما اسم هذا الميناء ؟

● شروط المسابقة ●

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت ، مسابقة العدد ٢٠٩ ،

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٩

● الجوائز ١٠٠ دينار ●

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينـارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينـارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠ ٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

كوبون مسابقة

● قصة قصيرة ●



بقلم : سلمى شلاش

■ ضحكت بمرح ••• نظرت اليه بحب ••• فرحت لانه قال لى ان صوتى جميل ••• لم يقل احد من قبل لى ذلك ••• نسابق السيارات على الطريق الطويل •• لاادرى كيف وضعت نفسى بجانبه فى السيارة ••• وهربنا من الدنيا كلها•• وعدنا كمراهقين •• نسرق المتعة من وراء ظهر الزمن العجوز •• منذ اشهر قليلة لم اكن اعرفه •• وكان فى مكان ما من العالم •• وكنت ابحث عنه دائما •• منذ ان وعيت •• كل انسان يبحث عن نصفه •• قد يلتقى به ويتزوجان •• او لايلتقى به الا بعد الزواج •• ويقعان فى الحب ويسميه البعض خطيئة •• او قد لايلتقى به ابدا •• فيظل الانسان يشعر بالضياع •

انا وجدتك ياحبيبى صدفة فى مكان عملى كعميل •• فى اللحظة الاولى شعرت انى اعرفك وانك ساكن فى احلامى منذ مولدى •• فى تلك المنطقة السرية من اعماقى •• وجهك مالوف لى •• ليس غريبا •• ووجدت نفسى مطبوعة فى عينيك ••• لم اندهش •• لم اغضب •• عندما قلت لى بعد شهر من تعارفنا •• احبك •• كنت انتظر ان تقولها لى •• كانت معلقة فوق رؤوسنا كالقدر •• ولكن رغم استقبالى لها بكل تلك الحفاوة واللهفة •• واعتمادها فى قلبى •• سكت •• خفت منك ! كانت لك عينان جذابتان •• ولكن تسكن فيهما شقاوة •• جميع زميلاتى فى العمل كن معجبات بك •• وكنت اشعر بالغيرة •• كانك لى رغم الخاتم الذهبى الذى يلتف حول اصبعك •• وفى يوم ، رايتك تمزح معهن قلت لك •• وجدت لك اسما رائعا ••• سالتنى بلهفة ماهو ؟ • قلت كازانوفا ! ••

ابتسمت ولم ترد •• وامتلات الغرفة بالعملاء•

وفجاة وامام الجميع سالتنى وابتسامة حلوة معلقة فوق وجهك : لماذا هذا الاسم ؟ وارتبكت لم ارد ! • عيون كثيرة تفحصتنا • احسوا باللغة الخاصة التى نملكها انا وانت ••• لم اهتم • كنت سعيدة بانتمائى اليك •• اريد ان يعرف العالم كله انى حبيبتك وانك حبيبى •• كلماتنا على الطريق قليلة •• حوارنا متقطع •• محتقن بالعواطف ••

عندما طلبت منى ان ارافقك فى رحلة لمدة يوم الى شاطىء البحر لم افكر كثيرا وانا اجيب بلهفة : حاضر ! • وانتظرتك فى الشارع كما اتفقنا وركبت بجانبك •• وانطلقنا ، اضع فوق شعرى باروكة بلون اخر ، واخفى وجهى بنظارة



كبيرة تاكل نصف وجهي ، اتخفى تحت جلدى ! .

عندما تركنا المبانى خلفنا مدت يدك وانتزعت الباروكة من فوق راسى .. كم احبك .. احتضنت رقبتك بكلتا يدى قبلتك تحت اذنك .. اسكنت براسى فوق كتفك .. صمتنا نحن الاثنين ... كان صمتنا رائعا .. احساس قوى تملكنى باننى احيا .. باننى وجدت نفسى .. تشـــدنى اكثر اليك ... ارفع راسى لاتاكد من اننى لست فى

حلم ... اشد سوالفك الطويلة .. تصرخ.. اي!! ياطفلي الكبير !

سؤال معلق في ذهني منذ ان غادرنا القاهرة :

متى نعود ؟ . تضغط باصابعك على كتفي بحنان ، تقول : لو استطيع ان اهرب بك الى مكان بعيد لنبقى معا الى الابد !. كلماتك تلك الرقيقة تغسل كل الحرمان ..تطهر خبايا النفس تجفف الدموع!.

اسألك متى سينتهي حبنا ؟ . لكل شيء بداية ونهاية ! . تنظر الي بعتاب .. كم احب عتاب عينيك ..أصدقه.. يقنعني ..تقول : لقد بحثت طويلا عنك لاجدك .. انت الحب الحقيقي في حياتي .. لن اضيعك ..

اطراف المدينة الصغيرة القابعة على شاطيء البحر تتبدى .. انظر برعب حقيقي .. سنسقط من جديد في زحمة الناس .. زحمة العيون .. ساتخفى من جديد تحت نظارتي تحت جلدي .. اطراف المدينة كشواهد القبور تذكرني بعبثية كل شيء .. افكار قاتمة سوداء .. تطرد كل احلامي البكرية . واتذكر زوجي .. كذبت عليه . قلت ساذهب الى السوق .. واتغدى في مطعم ثم اذهب الى السينما مع صديقتي عفاف .. ضحك بسخرية وقال طول عمرك مجنونة .. انا في نظره مجرد امراة لا تتمتع باي ميزة .. يلتقط يدي يرفعها الى شفتيه .. يقول الى ايـن سرحت بأمر الحب ممنوع ان تفكري في اي شيء آخر ماعداي ! . آه لو تعرف .. كم اعاني كم اتمزق .. الحب الذي اعطيك اياه اسرقه .. اتحدى به العالم .. لو فـكرت لو خفت .. لو ندمت .. سينفرط عقد حبك ويضيع ..

توقف امام شاليه انيق .. قال وصلنا .. اتلصص بعيوني حولي .. افكاري تتدافع .. افكار لها انياب ووجه شيطان .. لو رآني احد ساوصم بالزنى .. وتصبح فضيحة ..

واطفالي بكل حنان تذكرتهم .. ماذنبهم ان يكون لهم ام موصومة .. سـيطرقون رؤوسهم الصغيرة خزيا وعارا .. الهمس بين الناس سيجرح اعز الناس اليهم .. ستنجرح مفاهيمهم .. الام في نظر اطفالي تمثال من نور ارجلها في الارض وراسها في السماء .. يدفعني برفق لندخـل الشاليه .. لا .. اصرخ .. لا ارجوك كان مسامير الدنيا سمرت اقدامي لنعد فورا .. يقبل شعري يحاول ان يهديء خواطري.. يقول نحن لا نسرق.. لا نؤذي احدا .. اقول بحزن معصور .. عيونهم ترجمني .. ستظل تسأل ما الفاصل بين الصح والخطأ ! . هي نقطة لو دخلت الشـاليه معناه السقوط .. وانا في مكاني هذا خارج جدران الشاليه لا زلت على الاقل في نظر نفسي فاضلة . يقول بألم ولقد قطعنا كل هذه المسافة لنخلوا الى بعض ، كوني لي اليوم فقط .. قاطعته بحدة : وهم ما ذنبهم .. حتى يتوهـوا في السراب .. ولا يعثروا ابدا على الحقيقة ؟ .. قال انا احبك .. قلت الحب هو النور .. الصدق .. الحب بـلا هوية يوقع فوقها المجتمع تصبح زنى .. يقول اين حبك ؟ اقول عندما كان بريئا .. عندما كان في قلوبنا .. وليس فوق اجسادنا .. عندما كان يسرح بلا قيود .. ولم يكن ملموسا .. لماذا تريده ان يشيخ ؟ التفاحة انزلت آدم وحواء من الجنـة عندما اكلاها او بالاصح مارسـاها .. لا تلمس التفاحة ! ستحرق كل شيء ! ستدمر نفوسنا ! دع التفاحـة موجودة وغير موجودة ! كم احبك لانك فهمت ! .

مشينا على الشاطيء كفي في كفه .. بعد صمت طويل قال : لنعد ..

ركبـنا السيارة .. وانطلقنا .. وانـا ارمي نظراتي امامي .. قلت لنفسي بهدوء ساعود يـا اطفالي لاظل كما كنت دائمـا في نظركم اقـول الصح ولا اغلط .. سابقى في عيونكم الصغيرة تمثالا من نور .. وغنيت اغنية لفيروز .. شعرت اني حلوة وان صوتي جميل .. انزلني في نفس المكان الذي ركبت منه في الصباح .. قال ساتصل بك غدا لاقول لك صباح الخير .

ابتسمت له قلت : سانتظر مكالمتك ... ■■

دمشق ـ سلمى شلاش

أنت تسأل .. ونحن نجيب

١٨٠٠ مليون دولار ثمن غواصة ذرية واحدة !

● نرجو ان تعطونا فكرة عن الغواصات عامة ،والغواصة التى تسير بالذرة بصفة خاصة ٠

(ابراهيم محمد) عمان

ـ ظهرت الغواصة الاولى فى التاريخ فى امريكا سنة ١٨٧٥ ٠ وقد سميت (هولند) نسبة الى صانعها جون هولند ٠ واثبتت هذه الغواصة كفاءتها على يد الالمان فى الحربين العالميتين الماضيتين ، لاسيما الاولى وقد بلغت حمولة ما اغرقته من سفن الحلفاء ابانها نصف مليون طن بالمتوسط شهريا ٠

وتعتمد هذه الغواصات التقليدية على محرك ديزل او كيروسين او ما الى ذلك من الوقود ، ما دامت فوق سطح الماء ٠ ولما كان هذا المحرك بحاجة الى هواء تعذر على الغواصة استعماله وهى تحت سطح الماء ، وكان لابد لها من محرك اخر ، هو المحرك الكهربائى الذى لا يحتاج الى هواء ،والذى تستطيع الغواصة الاعتماد عليه وهى فى اعماق البحار ٠ ولكن المحرك الكهربائى بحاجة الى بطاريات ، وهذه بدورها بحاجة الى شحن ، ولا سبيل الى شحنها بواسطة المحرك الآخر الا والغواصة فوق سطح الماء ٠ اذن فالغواصة التقليدية مضطرة الى الخروج من مكامنها بين حين وآخر لتشحن بطارياتها وتصبح هدفا سهلا لسفن الاعداء ٠ وتلك كما لا يخفى ، هى العلة الكبرى فى الغواصات التقليدية ٠

وجاءت سنة ١٩٥٥ واذا بالولايات المتحدة الامريكية تصنع الغواصة النووية الاولى نوتيلوس Nautilus ثم اتبعتها بغواصتها النووية الثانية تريتون Triton ، وهى التى تمكنت من ان تلف الكرة الارضية كلها وهى غائصة فى اعماق البحار بصورة متواصلة ، وقد بقيت تحت سطح الماء ٨٤ يوما وقطعت مسافة ٤١٫٥٠٠ ميل ٠

لا عجب اذن انتسابقت الدول الكبرى والدولتان العظميان بخاصة فى صنع الغواصات النووية ، هذا السلاح الخطير الذى يستطيع الفتك بالعدو ويستطيع تحاشى فتك العدو به الى حد كبير ٠

ويقدر مجموع ما فى العالم من الغواصات النووية (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥) بنحو ١٠٠ غواصة موزعة على النحو التالى :

٤٨ غواصة لدى الاتحاد السوفياتى ٠

٤١ غواصة لدى الولايات المتحدة الامريكية ٠

٤ غواصات لدى بريطانيا ٠

٣ غواصات لدى فرنسا ٠

بقى أن نذكر شيئا عن قوة هذه الغواصات التدميرية ، التى لا تقف عند الفتك بسفن الاعداء بل تتعداه الى ضرب شتى الاهداف سواء منها ما كان قريبا من الشواطىء او بعيدا عنها فى الاعماق٠

وحسبنا القول ان الغواصة النووية الحديثة تحمل ١٦ صاروخا ، او قذيفة ، وكل صاروخ من هذه الصواريخ مجهز برؤوس حربية نووية يتراوح



اجاثا كريستى ، سيدة الجريمة مع الرواية الأخيرة !

● نرجو ان تقدموا لنا لمحة قصيرة عن حياة المؤلفة القصصية اجاثا كريستى التى ماتت فى مطلع هذا العام ، بعد ان قدمت لنا عشرات القصص والروايات عن الجريمة واسرارها ٠

محمد سليمان ـ القاهرة

ـ اجاثا كريستى اعظم روائية كتبت فى الجريمة ٠٠ وقد استطاعت هذه السيدة خلال ما يزيد على نصف قرن من الزمان ان تملأ الكتب والمسرح وشاشة السينما الكبيرة والصغيرة باعداد من جثث الضحايا الذين قتلتهم فى رواياتها تلك التى شدت الملايين اليها شداً من اول مشهد الى اخر مشهد فيها ، حتى اصبحت سيدة الجريمة الاولى فى الغرب وفى الشرق على السواء ٠٠ فقد كانت قصصها ورواياتها تترجم الى اكثر من ست او سبع لغات بمجرد ظهورها فى الاسواق !

لقد ماتت اجاثا عن ٨٦ عاما ، بعد حياة حافلة مليئة بالعمل والانتاج ، قدمت فيها ٨٣ كتابا ، من بينها ست قصص غرامية وقعتها باسم مارى وست سكوت ، و ١٧ مسرحية ، وتسعة مجلدات امتلأت بالقصص القصيرة المثيرة ، واخيرا كتابها الشهير : «تعال ٠٠ احك لى كيف تعيش» وهو الذى روت فيه تجربتها مع زوجها عالم الآثار الانجليزى ماكس مالوان ٠٠ وبلغ عدد النسخ التى تم طبعها من كل مؤلفاتها باللغة الانجليزية وحدها ، اكثر من ٣٠٠ مليون نسخة !

وكانت الرواية الواحدة تستغرق منها فترة تتراوح بين ثلاثة اشهر او اربعة ! اما افكار قصصها الجديدة ورواياتها فلم تكن تستغرق اكثر من بضع دقائق ٠٠ وكانت معظم هذه الافكار تقفز الى رأسها وهى راقدة فى المياه الدافئة التى ملأت بها حوض الحمام ، مع تفاحة كبيرة امسكت بها بكلتا يديها وراحت تقضم فيها بكسل حتى اذا اختمرت الفكرة فى رأسها ، تركت الحمام ، وجلست فورا الى مكتبها تسجل فصول روايتها الجديدة !

ولدت اجاثا فى عام ١٨٩٠ فى منتجع توركاى بجنوب انجلترا من اب امريكى وام انجليزية ، ولم تقتصر مهمة الأم على تربية ابنتها وتنشئتها ، فقد حولت بيتها الى مدرسة ، وكانت هى المعلمة ، وكانت اجاثا واختها التميذتين الوحيدتين فيها !

عددها بين ١٠ ـ ١٤ رأسا ٠ ومعنى هذا ان القوة الضاربة للغواصة الواحدة من هذه الغواصات تبلغ ١٦٠ ـ ٢٢٤ رأسا ٠٠ ولو ذكرنا ان قوة كل من هذه الرؤوس تبلغ ٣ اضعاف قوة القنبلة التى القيت على هيروشيما سنة ١٩٤٥ لاتضح لنا ان الغواصة النووية الحديثة تحمل من الصواريخ ما تعادل قوته ٤٨٠ ـ ٦٧٢ قنبلة هيروشيما ٠

اضف الى ذلك ان صواريخ هذه الغواصات تطلق من اعماق المياه ويبلغ مداها فى الغالب ١٠٠٠ ميل وقد يصل الى ٤٥٠٠ ـ ٦٠٠٠ ميل فهى اذن من عابرات القارات ٠ هذا ويمكن توجيه رؤوس الصاروخ الواحد الى اهداف مختلفة قد يبعد الواحد منها عن الاخر نحو ١٠٠ ميل ٠٠ اما اصابة هذه الرؤوس اهدافها فهى شبه مؤكدة اذ لا يبلغ احتمال الخطا هنا اكثر من ١/٤ ميل فى الالف ميل ٠ وهذا احتمال تافه وخاصة اذا ذكرنا ان التفجير النووى الذى يحدثه الرأس الواحد من تلك الرؤوس يشمل مساحة كبيرة تقدر بمساحة مدينة هيروشيما مضاعفة ثلاث اضعاف ـ كما ذكرنا ٠٠ وهكذا تصبح الغواصة النووية الحديثة سلاح المستقبل الرهيب الكفيل بتدمير دولة بكاملها ٠٠ ولعله هو السلاح الذى لمح اليه اينشتين فيما ابداه من تجاهل حين سألوه عن نوع الاسلحة التى سيستعملها الانسان فى الحرب العالمية الثالثة فرد اينشتين قائلا :

ـ لا أدرى ٠٠ ولكن اعرف الاسلحة التى سيستعملها الانسان فى الحرب العالمية الرابعة ٠٠ فستكون هذه نفس الاسلحة او الادوات البدائية التى استعملها الانسان الاول فى العصور الحجرية ٠

(ى ٠ ز)



وتعلمت اجاثا القراءة قبل ان تبلغ العام الرابع من عمرها .

وعشقت الطفلة الموسيقى ، ولكنها سرعان ما تحولت عنها الى الادب عندما اشتد عودها ، وراحت تقرا وتقرا ..وكانت احب الكتب اليها ، هى تلك التى كانت تقدمها لها امها من مؤلفات تشارلز ديكنز وجين اوستن وآرثر كونان دويل !

قالت تصف هذه الفترة من حياتها : « لقدعشت شبابا خاملا .. لم يكن امامى الكثير لاعمله ، وكنت اقضى معظم وقتى فى التنزه وسط حدائق توركاى ! »

وتزوجت اجاثا مرتين : الاولى اثناء الحرب العالمية فى عام ١٩١٤ ، عندما تطوعت للعمل ممرضة وفى المستشفى الذى كانت تسهر فيه على راحة الجرحى ، وهناك التقت بزوجها الكولونيل اوشيبولد كريستى ، الذى ظلت تحمل اسمه حتى آخر ايام حياتها ، وتم زواجها للمرة الثانية من عالم الآثار سير ماكس مالوان ، وكان يصغرها باكثر من ستة عشر عاما .. وقد التقت به اثناء احدى رحلاتها الى الشرق الاوسط .

قالت تحدث اصدقاءها عن مزايا زواجها الثانى : « ان اهم ميزة فى الزواج من عالم الآثار هى هذا الاحساس الذى كنت اشعر به . فقد كان اهتمامه بى يزداد كلما تقدمت بى السن ! »

لقد سجلت احدى مسرحيات اجاثا كريستى رقما قياسيا فى طول المدة التى استمر عرض مسرحيتها خلالها .. لقد كان اسم هذه المسرحية هو « مصيدة الفار » .. وقد ظلت تعرض منذ حفلة العرض الاول عام ١٩٥٢ ، حتى يوم وفاتها ، للمرة الـ ٩٦١١ .. وفى تلك الليلة تلقت ادارة المسرح نبأ وفاة صاحبة المسرحية ، واطفئت الانوار حدادا عليها ..

لقد اهدت اجاثا دخل هذه المسرحية لحفيدها الصغير ماتيو بريتشارد ، وكان يومها فى عامه الثامن .. وهو اليوم فى الثانية والثلاثين من عمره .. وقد بلغت قيمة هذه الهدية اكثر من ثلاثة ملايين دولار !

اما ثروتها هى فلم يتم حصرها حتى الان ، ولو انهم يقدرونها باكثر من ٢٠ مليون دولار !

(م . ن)



الدكتور ابراهيم ناجى صاحب « الاطلال »

● من اشهر الاغانى العربيةالفصيحة لسيدة الغناء العربى ام كلثوم ـ رحمها الله ـ قصيدة « الاطلال » للدكتور ابراهيم ناجى ، نرجو التفضل بكلمة توضح حياتهوشعره ومكانته الشعرية .

اديبة خليل مصطفى ـ الموصل ـ العراق

ـ كان رحمه الله رجلا سمح الخليقة ، سريع الخلطة بامثاله من أهل الادب والفنون ، يأنس بهم كما يأنسون به ، يقبل عليهم بنفس رضية ولسان طلق ، وربما لا يعدم منه صاحبه او صاحبته بين هؤلاء بيتا من شعر الطريق سهلا مرتجلا يداعبه به وهو يحييه ، ولو كان يعرفه لاول مرة ، وربما كان مما يساعد على مداخلته دقة بديهته ، وبساطة مظهره وطلعته ، وان خلت من وسامة او قسامة ، وهذا وما اليه مما جعله يلقى القبول والرضا من كل خلطائه ، ويضمن له منهم كما يضمن لهم منه السلم والسلامة ،دون حقد او حسد او كياد .

ولد فى « شبرا » ـ احد الاحياء الشعبية ـ بالقاهرة ، فى آخر ايام سنة ١٨٩٨ ، وفى شبرا ايضا تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى ، ثم التحق بمدرسة الطب (الوحيدة يومئذ) بالقاهرة ايضا ، وفيها تخرج سنة ١٩٢٢ فعينته الدولة طبيبا فى وزارة المواصلات والصحة



دول امريكا الوسطى المجهولة !

● قرأت في الصحف ، خلال زيارةرئيس جمهورية المكسيك، أن في امريكا الوسطى ٣٠ دولة ٠٠ وقد عجبت لهذاالعدد الكبير من الدول في تلك البقعة الصغيرة ٠٠ فهل هذا الرقم صحيح ام مبالغ فيه ، وما اسماء هذه الدول المجهولة ؟

احمد منصور ـ عدن/اليمن الديمقراطى

ـ ان ما سمعته صحيح ٠٠ فامريكا الوسطى تضم ٢٨ بلدا ٠٠ بعضها لايتعدى مساحة جزيرة صغيرة ، وبعضها يشتمل على ٣٦٠ جزيرة ، مثل « برمودا » التي نزل كريستوفر كولمبس لاول مرة في احدى جزرها عام ١٤٩٢ لقد ظلت هذه المنطقة الحساسة مركزا لتحركات المستعمرين ، وما زال بعضها يرتبط ارتباطا وثيقا بهولندا وفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة على حد سواء ٠٠ والقصص التي تروى حول تاريخ هذا الاستعمار غريبة مثيرة ٠ فالولايات المتحدة مثلا اشترت جزر « فرجين » الغسين بمبلغ ٥٠ مليون دولار من الدنمرك عام ١٩١٧ ٠

ومنطقة قناة بناما ، التي تمتد مسافة خمسة اميال على جانبي القناة ، استولت عليها الولايات المتحدة بموجب معاهدة وقعتها مع سلطات بناما عام ١٩٠٤ ، ودفعت بموجبها عشرة ملايين دولار ، على ان تدفع سنويا مبلغ ٢٥٠ الف دولار ٠٠ كل هذامقابل انتضمن الولايات المتحدة استقلال بناما!!

وتوضح الخريطة العليا ، بالارقام موقع كل بلد ، والشرح التالي يوضح اسماء البلاد الموازية للارقام في الخريطة، مع معلومات عامة عن كل منها:

والاوقاف ، وقد كانت له الى جانبعمله الرسمي عيادة خاصة في حي شبرا أيضا حيث نشأ وعاش معظم حياته ، ولو انه كان ممن يحرصون على المال لجاءته العيادة بغنى بل ثراء ، لشهرته الادبية ولكثرة معارفه ، وحسن علاقاته ، ولكنه لم يولها كل اهتمامه ، ثم انه كان يعالج زوارها من اهل الادب والفن والفقراء دون اجر ٠

ولم يشغله الطب عن التوسع فيما يرضي ميوله الادبية ، فاطلع على ادب العرب القدماء ، والاوروبيين المحدثين ، وما يتصل بذلك من المعارف الفنية والنفسانية والاجتماعيةوالتاريخية، وهذا واضح فيما ترك من شعر ونثر ، وفيه ادلة واضحة على اطلاع حسن في شعر المشهورين من فحول العصر العباسي ، وعلى شعر الحركة « الرومنسية » في انجلترا وفرنسا في القرن الماضي ، ولكن وفاءه لطبيعته السهلة هو الغالب على شعره ، فليس له شيء من فحولة العباسيين قديما ، ولا مما لكبار الرومنسيين الغربيين حديثا من توهج وامتداد ، كأنه يعيش على الشاطيء في جيرة هؤلاء وهؤلاء ، دون ان يغوص فيما يغوصون من غمرات،او كأنه يعارضهم في مجالاتهم المطروقة التي تناسب طبيعته السهلة القانعة باقرب المغانم ، المشفقة من اعباء الجهاد واخطاره ، ولهذا تغلب في شعره « الرقائق » سواء في اختيار موضوعاته او اسلوب نظمه ، وهذا حسبه اخلاصا وامانة ، ويمكن ان نضمه الى أمثاله من شعراء مذهب « الرقة » او « الاستحسان » في الشعر ، ولا سيما الغزل ونحوه ، وقد اكثر من الشدو بمواجد قلبه ولا سيما الغزلية ، ولكننا لا نجد في كل شعره ما يدل على انه عرف الحب المقعد المقيم او نحوه من العواطف العارمة ، وان كان فيه ما يدل على انه عرف فرح الرضا والقرب ، كما عرف الام الجفوة والقطيعة مع من طمح اليهن بهواه ،

الرقم	اسم البلد	الحالة السياسية	عدد السكان الى أقرب مليون	المساحة بالميل المربع	العاصمة
١	المكسيك	جمهورية	٥٤	٧٦١٦٠١	مكسيكو سيتي
٢	كوبا	جمهورية	٩	٤٤٢١٨	هافانا
٣	جواتيمالا	جمهورية	٦	٤٢٠٤٢	جواتيمالا سيتي
٤	هايتي	جمهورية	٥	١٠٧١٤	بورت أوف برنس
٥	الدومينيكان	جمهورية	٤	١٨٧٠٤	سانتودومينجو
٦	السلفادور	جمهورية	٤	٨٢٦٠	سان سلفادور
٧	بورتوريكو	كومنولث مع الولايات المتحدة	٣	٣٤٣٥	سان جوان
٨	هندوراس	جمهورية	٣	٤٣٢٧٧	تجوسيجالبا
٩	نيكاراجوا	جمهورية	٢	٥٧١٤٣	ماناجا
١٠	جامايكا	مستقلة لها حاكم يمثل التاج البريطاني	٢	٤٤١١	كنجستون
١١	كوستاريكا	جمهورية	٢	١٩٦٥٣	سان جوزيه
١٢	بناما	جمهورية	٢	٢٨٧٥٣	بنمـــا
١٣	ترينداد وتوباجو	جمهورية	١	١٩٧٩	بورت أوف سبين

أما بقية الدول فيقل عدد سكان كل منها عن مليون نسمة ، ونكتفي بذكر الاسم الى جانب الرقم الظاهر في الخريطة : ١٤ مارتينيك ـ ١٥ جادلوب ـ ١٦ باربادوس ـ ١٧ الانتيل الهولندية ـ ١٨ البهاما ـ ١٩ بليز ـ ٢٠ سانتا لوتشيا ـ ٢١ جرانادا ـ ٢٢ سانت فنسان ـ ٢٣ دومنيكا ـ ٢٤ انتيجا ـ ٢٥ منطقة قناة بناما ٢٦ جزر فرجن الامريكية ـ ٢٧ سانت كيتس ـ ٢٨ برمودا .

(س . ز)

والشكوى والدموع كثيرة في شعره ، بل هي الغالبة حتى عند حصول ما يوجب الرضا والبهجة، ولكنها شكوى نديم المجالس ودموعه . وقد تكون صادقة ولكنها غير عميقة ولا ممعنة في الجد . واكثر عرائس غزله من المشتغلات بالفنون ونحوهن ، وهن قريبات بعيدات ، وشعره سهل قريب وان كان يميل الى التهويم والتعويم ولا يستقر ، ومعظمه يخلو من حرارة وتوهج ، وقلما يحسن في غير الغزل ونحوه من قريب ، وقصيدته « الاطلال » التي تغنيها أم كلثوم تعد كاحسن نماذج شعره ، وكذلك قصيدته الاخرى « الوداع » وهي تغنيها ايضا :

هل رأى الحب سكارى مثلنا
كم بنينا من خيال حولنا

والبحور القصيرة غالبة على نظمه .

وكان من اشهر « جماعة ابولو » (١) أخرج ناجي في حياته ثلاثة من دواوينه،«من وراء الغمام» و « ليالي القاهرة » و « الطائر الجريح » وقد اعيد طبعها مجموعة بعد وفاته بعد ان ضم اليها ديوان لقصائد اخرى عنوانه « في معبد الليل » وقد وقع في ذلك خلط بين قصائده وقصائد شاعر آخر كانت بين محفوظاته ، ولكنها لم تكن له . وله مؤلفات اخرى طبع منها « مدينة الاحلام» و « في فن القصة » ومن مترجماته « الجريمة والعقاب » لدستويفسكي . واما ما لم يطبع في حياته من مؤلفاته ومترجماته فلا نعلم مصيره . وكانت له محاضرات في النقد وتاريخ الادب وعلم النفس ، كان يلقيها في الاندية الثقافية . وكان خلال فترة يصدر مجلة طبية سماها « حكيم البيت » ، وقد توفي أواخر مارس سنة ١٩٥٣ .

(م . غ . ت)

١ ـ انظر نبذة عن « جمعية ابولو » في مجلة العربي ، العدد ٢٠٢ / ص ١١١ .

العرب عاملوا المثنى معاملة الجمع !

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ فى صفحة لغوية سابقة (العدد ٢٠٠/يولية ١٩٧٥) أوجزنا ـ كعادتنا ـ فى توضيح رأى لغوى ظهر لنا فيما طالعناه من كتب اللغة ، وايده عندنا ما نعرفه من نصوص فصيحة وثيقة ، وخلاصة هذا الرأى أن العرب فى كلامهم قد يعاملون الاثنين معاملة الجمع ، فهكذا يتصرفون فى وجوه الكلام حين يأمنون اللبس ، اعتمادا على فهم السامع ، وقد استشهدنا هناك بنصوص أدبية من مأثورات الفصاحة العربية فى عهد النبى عليه السلام وصحابته ، وعهد التابعين ، كما استشهدنا بنصوص من القرآن الكريم ، ولا شك انه المثل الاعلى فى الصحة اللغوية والبلاغة الادبية ، وكان هذا وحده حسبنا دليلا على ما قررناه ٠

ولكن زميلا باحثا من اللاذقية أرسل يعترض على القاعدة (الجوازية) التى قررناها ، ولم يتناول الا مثالا واحدا من الامثلة التى استشهدنا بها ، بما يشكك فيه ، واتخذه شاهدا للتشكيك فى القاعدة ذاتها ، واول ما فات الزميل الفاضل أننا لو سلمت لنا بقية الامثلة لكفى بها ادلة على صواب القاعدة ٠

وكان من امثلتنا حوار بين الامام الشعبى وعبد الملك بن مروان الاموى ـ وكلاهما تابعى مشهود له بالبلاغة والتمكن من التراث العربى الاسلامى ـ فقد كان الشعبى يتحدث يوما فى مجلس عبد الملك فقال : « رجلان جاءونى » فقال عبد الملك : « لحنت يا شعبى » ، قال : « يا أمير المؤمنين ، لم الحن مع قول الله تعالى : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » فقال عبد الملك : « لله درك ، يا فقيه العراقين ، قد شفيت وكفيت » ٠

وهذا المثال وحده هو الذى اعترض الزميل فيه على الشاهد القرآنى الذى لم يذكره الشعبى الا لبيان انه لم يلحن حين قال : « رجلان جاءونى » بل كان يجرى فيه قياسا على مثال الشاهد القرآنى الذى احتج به ٠

قال الزميل فى اعتراضه ما نصه « ربما كان الشعبى يقصد ما نعرفه عن أن الخصم كان لا يحضر فى العادة ، الا ومعه شهود اثباته ومؤيدوه ، فيبدو الخصمان دائما وكانهم جماعة اختصموا٠٠» وفات الزميل أن ينظر أولا فى سياق العبارة كلها ، فاذا فاته ذلك فليسال نفسه : كيف فات عبد الملك ـ وهو من أوائل الخبراء بالادب ونقده فى تراثنا العربى ـ ما قد ظنه هو فى معنى الخصم ، من شهود يحضرون أحيانا مع كل طرف فى الخصومة ليؤيدوه ، ولو نظر الزميل احدى هاتين النظرتين أو كلتيهما لتوقى التعثر فيما افترضه من عقبات، حالت بينه وبين النفاذ الى لباب الحوار بين

الاديبين البليغين ، ولا تشفع له كلمته « ربما » ، التي أوردها في صدر اعتراضه اذ لا يمليها الا ظن راجح لتفسير لغز ليس له من حل الا هذا الظن بين الظنون . فاما حين تكون الامور واضحة فلا حاجة الى ظن ، ولا الى « ربما » وما في معناها .

وننبه هنا الى ضيق الحيز المقدر لهذه الصفحة، وما يلزمنا معه من ايجاز ، ولهذا يغلب في كلامنا على تقرير اي قاعدة او راي ان نكتفي ببعض ما لدينا من الشواهد ، ولا نقدمها جميعا .

ونزيد هنا شواهد اخرى مما لدينا نؤيد ما قررناه في تلك القاعدة .

١) من ذلك ابيات من قصيدة لشاعر فارس من اوائل عصر بني أمية ، هو مالك بن الريب المازني التميمي يرثي بها نفسه ، وكان قد خرج في غزوة الى خراسان ، ثم أحس عند عاصمتها « مرو » أن الموت يقترب منه ، فكان مما قال :

ولما تراءت عند « مَرْوَ » منيَّتي
وخَلَّ بهاجسمي ، وحانت وفاتيا

أقول لأصحابي : « ارفعوني ، لأنني
يقر بعيني أن سُهيلٌ بداليا »

فيا صاحبَيْ رحلي ، دنا الموت فانزلا
برابية ، اني مُقيمٌ لياليا

أقيما عليَّ اليومَ ، أو بعضَ ليلة
ولا تُعجلاني ، قد تبيَّن ما بيا

وقوما اذا ما استل روحي — فهيئا
لي السِّدْرَ والاكفان ثم ابكيانيا

وخُطَّا بأطراف الأسنةِ مضجعي
ورُدَّا على عينيَّ فضل ردائيا

ولا تحسُداني — بارك الله فيكما —
من الارض ذات العَرْض أن تُوسعا ليا

خذاني فجُرّاني بثوبي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

يقولون : « لاتبعَدْ » وهم يدفنونني
وأين مكانُ البُعدِ إلا مكانيا

فالشاعر هنا يخاطب رفيقيه ـ كعادة العرب في الرفقة ـ او «صاحبي رحله» كما قال ، ولكنه في خطابه لهما او اخباره عنهما ينظر اليهما احيانا على انهما اثنان حقيقة،واحيانا على انهما جمع مجازا لانهما اكثر من واحد .

٢) واوضح من ذلك واعجب ، ابيات لشاعر أشهر ، في العصر الاموي ايضا،هو الفرزدق،وكان يحب المجاهرة بفتكاته الغرامية ، ففي هذه الابيات يروي قصة غزوة ليلية له مع حسناوين ، ادخلتاه بيتهما الشامخ ، وخلتا به ، ثم اوجستا خيفة من رقيب في آخر الليل ، فانزلتاه اتقاء الفضيحة من مرتفعهما الشاهق،بحبال تحتمله،حتى بلغ الارض، فقال في ذلك :

هما دلَّتاني من ثمانين قامةً
كما انقض بازٍ اقتمُ الريش كاسرُه

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا :
أحيٌّ يُرجَّى ، أم قتيل نحاذره؟ »

فقلت : « ارفعوا الأسباب لايفطنوا لنا »
وولَّيتُ في أعجاز ليل ابادره

فهنا امراتان اثنتان ، ومع ذلك ، يقول الفرزدق في خطابه لهما « ارفعوا الاسباب » كانهما جمع مذكر ، ولو قال « ارفعا الاسباب » ـ وهذا هو الاشهر والايسر ـ لما اختل الوزن

٣) واحسم من هذا دليلا ما جاء في القرآن الكريم بصدد قصة الخلق « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض: ائتيا طوعا او كرها، قالتا : اتينا طائعين » ، ولم يقل « طائعتين » .

■■

محمد خليفة التونسي



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

حمامات الشمس لها قواعد والا كان ضررها اكثر من نفعها

● نصحني بعض الاصدقاء باخذحمامات شمسية لاكتساب البشرة النحاسية ، ولكني اخاف من حدوثتسلخ بالجلد والتهابات ، كما ارى في بعض المصيفين على البحر ، فما هيالوسيلة والنصائح التي يجب اتباعها لاكتساب ذلك اللون بدون حدوثمضاعفات ، وهل يستغرق ذلك وقتا طويلا ، وهل هناك فائدة من التعرضللشمس واسمرار البشرة ؟ .

ـ الحقيقة ان سؤالك في محله لان كثيرا من الناس لا يتبع الارشادات ، ويقوم باللعب في ماء البحر والتعرض لاشعة الشمس لفترة طويلة ، فتكون النتيجة تسلخات وحروق الشمس وخلافه .

ولاكتساب البشرة النحاسية بدون مضاعفات اولا يجب عمل حمامات الشمس هذه مرة او مرتين فقط في الاسبوع ولفترات محدودة حتى لاتضر الجلد ، والابتعاد عن الشمس المباشرة الحارة خاصة وقت الظهيرة .

وعادة يحدث تلون الجلد بعد ساعات فقط من التعرض للشمس نتيجة اكسدة وزيادة دكانة الملانين الموجود في خلايا الجلد ، الا انه بعد يومين من التعرض يبدأ تكوين ميلانين جديد يصل ذروته خلال اسبوعين او ثلاثة حيث تكون البشرة اكتسبت اللون المطلوب الذى تسأل عنه ، كما انه يمكن الاسراع بالتلون باستعمال بعض الادوية مثل حبوب الميلادنين قبل التعرض للشمس بساعتين ، كذلك املاح الذهب والفضة ، ويلجأ البعض الى دهن اجسامهم ببعض الكيماويات التى تزيد حساسية الجلد للضوء مثل القطران ومشتقاته وبعض الزيوت مثل زيت البرجاموت ، الا انه يجب ملاحظة ان استعمال مثل هذه الدهانات والادوية قد يؤدى الى حساسية والتهابات بالجلد .

كما ان التعرض للشمس يؤدى الى سماكة الجلد .

واحب ان اعرفك ان تلون الجلد وزيادة سمكه يعطيه مناعة ومقاومة اكثر لعديد من الامراض الجلدية والمؤثرات الخارجية وعوامل الطقس .

كذلك لا تنس فائدة الشمس في علاج بعض الامراض الجلدية والكساح وتنشيط التمثيل الغذائي للجسم .

اثر الطمث على عملية استئصال اللوزتين

● نصحني الطبيب باجراء عملية استئصال اللوزتين ٠٠ وفعلا ادخلت المستشفى لاجراء العملية ولكن في اليوم السابق لموعد العملية جاءتني العادة الشهرية ٠٠ فاجل الطبيب اجراء العملية حتى انتهاء فترة الطمث ٠٠ فما هي العلاقة بين العادة الشهرية واللوزتين ؟

ـ السبب الذى من اجله رأى الطبيب تأخير اجراء العملية اثناء فترة الطمث لا يعود الى علاقة مباشرة بين العادة الشهرية واللوزتين كما يتبادر الى الذهن ٠٠ ولكنه يعود الى تغييرات عامة تحدث فى الجسم اثناء فترة الطمث ، ذلك انه فى تلك الفترة تكون قابلية الدم للتجلط (التخثر) أقل من الطبيعى ، اى ان القابلية للنزيف تكون اكثر اثناء العادة الشهرية ٠

ولما كانت عملية استئصال اللوزتين ليست من العمليات العاجلة التى تجرى لانقاذ حياة المريض أو لمنع ضرر جسيم من الوقوع ، فاننا لا نلجأ اليها اثناء فترة الطمث ، حتى تعود للدم قدرته الطبيعية على التجلط ، وهذا اجراء وقائى لزيادة سلامة المريضة ، وعدم تعريضها لخطر اصابتها بالنزيف بعد العملية ، وهذا الاجراء لا يكلفنا سوى انتظار بضعة ايام قليلة حتى تنتهى فترة الطمث ٠

ألم الصدر ومرض القلب

● ينتابنى الالم كثيرا فى الجانب الايسر من الصدر ، ويظل هذا الالم فترة تطول او تقصر ٠٠ مما دعانى الى مراجعة الاطباء ، ولكن دون جدوى ٠٠ واخشى ما اخشاه ان يكون مبعث هذا الالم مرض بالقلب !

ـ ليس شرطا أن يكون كل ألم بالجانب الايسر من الصدر مبعثه مرض القلب ٠٠ بل قد يكون هذا من الاسباب التى تستبعد مرض القلب من الذهن ، لان الالم بالصدر الناتج عن امراض القلب يشعر به المريض فى وسط الصدر من الامام ، وله مميزات خاصة كافية لتشخيص المرض من نفس شكوى المريض ٠

ولالم الصدر أسباب كثيرة جدا ، وأغلب هذه الاسباب يمكن اكتشافها بالفحص الطبى الشعاعى ، ولكن بما أنك ذهبت لكثير من الاطباء ولم يكتشفوا شيئا ملموسا فيكون السبب على الارجح منحصرا فى سببين :

١ ـ التهاب بالاعصاب التى تعترى هذه المنطقة ٠

٢ ـ التهاب بالاغشية المغلفة للضلوع والعضلات التى بينها ، وهذه كثيرا ما تسببها آلام روماتزمية أو « برد » بعضلات الصدر ٠

والارجح أن يكون سبب شكواك هو النوع الثانى حيث أنه متكرر ، وقد ينتقل من مكان لاخر ، وهذا الالم لا علاقة له بأمراض القلب ، ولا يخشى من مضاعفاته

وعلاج هذا النوع من الالم بسيط جدا ، ولذلك فانصحك باتباع ارشادات الطبيب المعالج ، ومن العقاقير التى يمكن أن تتعاطاها وانت مطمئن أقراص الاسبرين أو الادوية المخففة لآلام الروماتيزم العضلى ، والمراهم التى تستخدم فى دهان مواضع الالم ٠

الماء الازرق في العين

● قال لي الطبيب انه يوجد بعينيك ماء ازرق ... فما هو الماء الازرق .. وما هو علاجه ؟

ـ المقصود بالماء الازرق او الاسود Glaucoma هو ارتفاع ضغط العين الداخلي الذى يمكن قياسه بواسطة اجهزة خاصة ·

وضغط العين الطبيعي يتـرواح فـى المقياس الزئبقي ما بين ١٥ ـ ٢٥ ملم ، وكلمة الماء الازرق تسمية خاطئة ، لان الماء الموجود داخل العين لالون له ، وانما جاءت هذه التسمية من الاسم الاغريقـي Buphthalmos الذى اطلقوه على حالات الاطفال الذين يولدون بارتفاع فى ضغط العين الداخلي حيث ان شكل العين فى هذه الحالات يكون ازرق معتما لتسرب المـاء داخل قرنية العين ، وبذلك تفقد القرنية شفافيتها ، وتصبح معتمة ·

وهذا الارتفاع فى ضغط العين الداخلي يتسبب فى تلف اجزاء العـين الداخليـة كالشبكية والعصب البصرى مما يتسبب في ضعف الابصار ، وقد يؤدى الى العمى الكامل اذا لم يعالج الشخص المريض بارتفاع فى ضغط العين علاجا مبكرا ·

أنواع ارتفاع الضغط في العين :

١ ـ النوع الخلقي Congenital Glaucoma أو Auphthalmos

والسبب فى هذا النوع عيب خلقـي يتسبب فى اقفال الفتحات التي تؤدى الى القنوات التي يمر منها الماء الزائد داخل العين ·

واعراض هذا النوع تبدو واضحة للام عندما تلاحظ ان طفلها لايستطيع فتـح عيونه فى الضوء العادى ، كما ان قرنية العين تبدو معتمة ، وفى الحالات المتأخرة تظهر العين كبيرة وخاصة قرنية العين ·

وعلاج مثل هذا النـوع يكون باجراء عملية جراحية ونجاحها يعتمد على اجرائها فى الحالات المبكرة ، اى قبل ان يتسبب هذا الارتفاع فى ضغط العين الى تلف العين من الداخل ·

٢ ـ ارتفاع ضغط العين المعروف السبب: Secondary Glaucoma

وهذا النوع يحدث كاحدى مضاعفات بعض الامراض التي تصيب العين مـثل القرحات القرنية التي ينتج عنها ثقب بالقرنية .. وكذلك التهاب القزحيـة ونزيف داخل العين ، وعلاج مثـل هـذه الحالة يكون بعلاج السبب اولا ، وبعد شفاء العين منه تجرى عملية جراحية اذا بقي الضغط داخل العين مرتفعا ·

٣ ـ النوع المجهول السبب :

وهذا نوعان :

أ ـ النوع الذى يكون مصحوبا باحمرار بالعين Congestive Glaucoma وورم في الجفون وصداع شديد فى الرأس ـ وخاصة فى المنطقة التي فوق الاذن ـ وعدم القدرة على فتح العينين لشدة الالـم الذى يحدثه الضوء لها، وعتمة فى القرنية، ونقص شديد في الرؤية ، وقيء ، وزيادة في النبض ، وقد يزيد الضغط فى العين على ١٠٠ ملم زئبق ·

وهذا النـوع يكون اكثر حدوثـا فى العيون الصغيرة التي بها عيب كطول فى النظر .. والناس العصبيون اكثر عرضة للاصابة به من غيرهم ، وكذلك النسـاء اكثر من الرجال لكثرة انفعالاتهن ·

وعلاج هذا النوع من الضغط يكـون باجراء عملية جراحية بالسرعة الممكنة بعد تعديل ضغط العين بواسطة العلاج لان الاهمال او عدم اجراء العملية قد يؤدى الى العمى الكامل ·

ب ـ النوع البسيط المزمن Chronic Simple Glaucoma : وهو يحصل عادة عند بعض الكبار بعد الخمسين ، وهذا النوع من ارتفاع ضغط العين قد لايشكو المصاب به من شيء سوى صداع خفيف احيانا ، ونقص تدريجي فى النظر ، وهو مايظنه الشخص غالبا انه نقص ناتج عن الكبر ، لان الاصابة به تكون بعد سن الخمسين ·

وعلاج هذا النوع من ضغط العين يكون باستعمال العلاج الذى ينزل ضغطها سواء عن طريق النقط او بالفم · ولا يلجأ للعمليات الجراحية الا اذا فشل العلاج فى ضبط ضغط العين · ■■

التاريخ

بين قائل إنه علم
وبين قائل انه فن

• ان التاريخ علم وفن ودقة موضوعية

• وهو دراسة لعلاقة الفرد بغيره
وعلاقة مجموعة بشرية بمجموعة اخرى

بقلم : محمود محمود

■ من طبيعة الانسان أن يذكر الماضي ،ويتطلع الى المستقبل ، ويحاول ان يربط بين ما حدث وما سوف يحدث ، يروى سيرة السلف ، ويصف الحاضر ، ويتنبأ بماهو آت قياسا على ما فات — ذلك هو التاريخ في عمومه وشموله ، والسؤال الذى يتردد دائما حول هذا الموضوع هو هذا :

هل التاريخ بهذا المعنى علم من العلوم او فن من الفنون ؟ هل هو أشبه بعلوم الرياضيات والفيزياء يخضع للقياس والاختبار ، ويصح فيه الحكم بالصواب والخطأ بمعيار عالمى واحد ، أو هو أقرب الى الادب منه الى العلوم ، يتاثربهوى كاتبه ، ويعبر عن العواطف والميول والاحساس القومى ، وتراعى فيه الاثارة وبراعة الاسلوب ، لا يحكمه المنطق الصارم ، أو الارقام والمعادلات .

ومن القائلين بان التاريخ علم المؤرخ الانجليزى الاستاذ بيورى الذى كان لا يفتأ يكرر القول لطلابه « بان التاريخ علم — لا أكثر ولا أقل — فان انت حسبته فنا من الفنون اخرجته عن مجال الصدق والدقة ، وليس التاريخ فرعا من فروع الادب باية حال من الاحوال » .

وقد أخذت اكثر الجامعات بهذا الرأى فى القرن العشرين ، وكانت لذلك آثار طيبة واخرى سيئة .

ومن الآثار الطيبة تحرى الدقة وزيادة العناية بجمع الحقائق وتصنيفها وعرضهاوتحليل الشواهد واستخلاص النتائج ، واصدار الاحكام العامة بغير تحيز ، للامة كانت أو عليها ، فالصدق فوق الوطنية ، والحقيقة قبل القومية او العنصرية ، ولما كانت الكتابة التاريخية العلمية لا تستلزم التانق فى اللفظ والاسلوب فقد صدرت كتب تاريخية عديدة باقلام الإساتذة المؤرخين الذين لا يابهون بالاسلوب — بل لعلهم يعجزون عن حبكه واجادته .

أهمية عنصر التشويق

ولعل من اسوأ النتائج التى ادت اليها الكتابة التاريخية الاكاديمية العلمية خلوها من عنصر التشويق ، وحرمان الجمهور من ذلك اللون من الوان التاريخ الذى يحبه ويعشقه ، وهو التاريخ الذى يلهب العاطفة الوطنية وتتغنى به النعرة القومية ، والقصص التاريخى الذى يفسح المجال



للخيال حتى ان كان ذلك على حساب الحقيقة ، ولما كان اساتذة التاريخ يعزفون عن هذا الضرب من الكتابة ، فقد تولاه دخلاء على العلم وافسدوا الحقائق بما حشدوا فيها من الاباطيل والاكاذيب.

ولما اصطدم علماء التاريخ بهذه المشكلة شرعوا في كتابة التاريخ الميسر الذى يحقق مع يسره الدقة العلمية الى حد كبير ، ومن هؤلاء المؤرخ المشهور تريفيليان .

قلت ان المؤرخين في هذا العصر تأثروا بالروح العلمية السائدة التى تلتزم الدقة والموضوعية ولكن تريفيليان يتصدى لهم بقوله :

« ان دراسة الجنس البشرى تختلفتي طبيعتها عن دراسة العلوم الطبيعية أو الذرة أو تاريخ الحيوان أو النبات فانك ان عرفت شيئا عن ذرة واحدة عرفت كل مايتعلق بجميع الذرات ،وما يصدق على طائر واحد او نوع معين من النبات يصدق على جميع الطيور أو على جميع الاشجار من هذا النوع من النبات ، فى حين ان تاريخ رجل واحد او عدة افراد لا يمثل تاريخ حياة الافراد الآخرين ، ونحن ـ فوق ذلك ـ لانستطيع ان نحلل تاريخ حياة فرد واحد من الناس تحليلا علميا شافيا ، ذلك ان الانسان مخلوق معقد جداء له جانب روحانى لا يخضع للبحث العلمى ، ينفرد بشخصيته ، ولا يخضع لقواعد العلم ، كما ان تاريخ حياة الفرد لا تدل على حياة الملايين ، والواقع ان التاريخ اساسه الحدس الى حد كبير ، الحدس الذى يتبنى على ما يقع بين يدى الباحث من وقائع ، وهو يعالج قوى نفسية روحية لا يمكن اخضاعها لاى تحليل يمكن ان يوصف بانه علمى ».

الحقيقة بين الرأيين

نحن اذن ازاء وجهتى نظر متعارضتين احداهما تقول « بان التاريخ علم من العلوم ـ لا اكثر ولا اقل » على حد تعبير بيورى والاخرى تقول « بان التاريخ ليس فرعا منظما من فروع المعرفة العلمية » بتعبير ادوارد ماير . فهل نستطيع ان نشق طريقنا الى الحقيقة بين هذين الرأيين ؟

ربما كان من المفيد فيهذا الصدد ان نذكر ان معنى « العلم » فى المصطلح الحديث انما ينطبق فقط على المعارف المضبوطة التى يمكن ان نستخلص من مفرداتها قواعد عامة ، واوضح ما يتمثل ذلك فى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء ـ وقد كانت كلمة « علم » فى اول امرها تعنى المعرفة بصفة عامة او اى فرع من فروع المعرفة ، فنقول « العلوم الدينية » و«علم الاخلاق» فى حين ان النتائج المستخلصة من هذه العلوم لا يمكن ان يعتمد عليها كلية او ان توصف بالانضباط ولكنا نتساءل : هل مايسمونه بالعلوم المنضبطة ذاتها مضبوطة دائما ؟ان العلوم تتغير بظهور نظريات جديدة وكلنا يعرف انقوانين نيوتن وقوانين اينشتين احدثت انقلابا فى النظريات العلمية ، دع عنك «العلوم الاجتماعية»

كالاقتصاد والانثروبولوجيا والسيكولوجيا ؟ انها لم تثبت قط على راى واحد ، واذن فكلمة «علم» لفظ فضفاض ليس له مدلول واحد لا يتغير وان تكن العلوم الاجتماعية في جملتها اقل دقة من علوم الرياضيات والطبيعة •

وفي ضوء ذلك نحن نسأل : ماذا يعني المؤرخون حينما يقولون ان التاريخ علم او ليس بعلم ؟ اعتقد انهم يقصدون مقدار الدقة او الموضوعية التى تدعو الى الثقة ، ومدى قابلية المعارف التاريخية للتصنيف وخضوع جزئياتها للاحكام الكلية •

التأثر بالجو العلمي

ومهما يكن من أمر فمما لا مشاحة فيه ان البحث التاريخي والدراسة التاريخية وكتابة التاريخ بوجه عام قد تأثرت بالجو العلمي السائد واخذت بالمنهج العلمي وحاولت ان تحقق شيئا من الانضباط ، ذلك انها تحرت الدقة في اختيار المصادر والربط بين الشواهد ، بل ان كثيرا مما كان يتخذه المؤرخ ادوات معينة له في البحث قد تطور واصبح علوما مستقلة مثل الباليوجرافي (معرفة الكتابة القديمة) ودراسة المخطوط اليدوية وانواع الوثائق ، كما امست الآثار القديمة علما في حد ذاته له طرائقه العلمية الخاصة ، مما يجعل التاريخ ارسخ علما واكثر دقة وموضوعية •

كما افاد التاريخ من علوم السياسة والاحصاء والاقتصاد والجغرافيا ، بل ومن فنون التصوير •

وعلى الرغم من استناد الكتابة التاريخية الحديثة الى كثير من العلوم الدقيقة الا ان العنصر الشخصي الذى يقوم على اساس من ميول الكاتب واتجاهاته لا يزال له اهميته القصوى ، وما برح الكاتب كالفنان او الاديب الذى يحس احساسا ذاتيا خاصا نحو المادة التى يعالجها ـ احساس صانع الاوانى الخزفية بالطين او الصلصال ، والنحات بالحجر والمصور باللون ، والاديب باللفظ والمطرز بالنسيج ، فهو لا يسترشد بالعقل وحده او بالمنطق دون سواه ، لان بينه وبين موضوعه شيء من العطف ، ونوع من الاحساس يهديه الى ما ينشد وما يحذر ، المؤرخ يكتب مستعينا بوعيه ولاوعيه على حد سواء كما يفعل الشاعر والفنان، وكثيرا ما يصدر حكمه بداهة وذلك عندما يقفز ذهنه الى النتائج وتفسير الوقائع ، وهذه ظاهرة سيكولوجية ليس هذا المقال مجال التحدث عنها •

وربما كانت الحقيقة وسطا بين تطرف بيورى من ناحية وتطرف تريفيليان من ناحية اخرى وقد يتاثر المؤرخ فى اختيار مادته بميوله الوطنية ، ولكنه لا يستبعد العناصر العلمية فى منهجه ، وعلى القارىء ان يميز بين ما هو علمي وما ليس بالعلمي •

الانتهاء الى حكم عام

ولا يمكن ان يخلو التاريخ من العنصر العلمي فهو ليس مجموعة من الوقائع المستقلة ، التى لا يربط بينها رابط او تقوم بينها علاقة ، وليس التاريخ مجموعة متناثرة من الاحداث التى وقعت كلها اعتباطا او خبط عشواء ، وكل مؤرخ يعتد بنفسه لا بد ان ينتهي مما يسرد او يصف الى حكم عام ، شانه فى ذلك شان المواد الاجتماعية الاخرى مثل الانثروبولوجيا ، لان وقائع التاريخ ليست كحبات الحصى على شاطىء البحر ، كل منها وحدة مستقلة ، ولكن بينها شيء من الترابط ، حادثة تؤدى الى اخرى ،وسبب ينتهي الى نتيجة، وقد تدق العلاقة السببية على الباحث ولكن لا نكران لوجودها ، وهذه خصيصة من خصائص المواد الاجتماعية كلها ، ولعل فى هذه الخصيصة ميزة من المزايا لانها تجعل المادة مرنة مرونة الحياة ذاتها ، والحياة هي غاية كل بحث اجتماعي وهى القول الفصل فى احكام التاريخ •

غير ان هناك فارقا ملموسا بين الحياة والتاريخ، فقد لا يمكن اخضاع الحياة لنظام واحد ، ولكن تصوير الحياة فى كتابة التاريخ لابد ان يخضع لنظام معين ولأسس علمية تقبل التحليل والتعليل•

لابد ان ينظر المؤرخ الى مادته بعينين احداهما تحليلية علمية والاخرى انتقائية جمالية ، مثلما كان يفعل جيبون فهو يعتمد على الاحصاء وحكم العقل ولكنه يعطيك فى الوقت عينه صورة الحياة واحساسه بالموضوع •

التجرد من الاحساس العاطفي

فالمؤرخ العظيم لابد ان يتصف بثنائية الرؤيا، والزم ما يكون الاسلوب العلمي عند معالجة التاريخ القديم او ما قبل التاريخ ، اى حينما يستطيع الكاتب ان يتجرد من احساسه العاطفى نحو الموضوع • وكذلك يمكن ان يلتزم الكاتب بالاسس العلمية عندما يتعرض لدراسة الجماهير او المجموعات البشرية ، اما عند الكتابة فى التاريخ الحديث او تاريخ الافراد فالامر على خلاف ذلك ، ولا مناص للمؤرخ من التاثر بميوله الشخصية • بل ان المؤرخ حتى وهو يعالج دراسة المجموعات البشرية كثيرا ما تغلب عليه الروح الوطنية ، فيحرف الحقائق عن وعى أو غير وعى، وكذلك عندما يتعرض لدراسة سير الافراد نراه احيانا يتاثر بنظريات علم النفس الحديثة فيكتسى التاريخ بمسحة موضوعية ولا يكون ذاتيا محضا ، ومن العسير جدا فى كتابة التاريخ ان تفصل فصلا قاطعا بين الذاتية والموضوعية ، وتكاد لا تجد اليوم مؤرخا يكتفى بانطباعاته الشخصية أو يومياته فى عرض الحقائق ، فهو لا يمكن ان يغفل الدراسات السكانية وعلم السلالات البشرية والاحصاءات الاجتماعية ، وله بعد هذا ان يضيف من عنده انطباعاته الشخصية ، هذه الانطباعات التى تعطى التاريخ حيويته ، ومن ذا الذى ينكر ان انطباعات هيرودوت مثلا لها قيمة تاريخية كبرى ؟

يقول ما يرز « ان التاريخ بمعناه العام هو دراسة علاقة الفرد بغيره من الناس ، وعلاقة مجموعة بشرية بمجموعة اخرى ، ولكن هل الامر مقصور على هذه العلاقات الانسانية التى تصدر عن الاهواء والميول ؟ كلا ، ذلك لان التاريخ البشرى لا يمكن فصله عن الطبيعة والبيئة بل ان حياة البشر قبل التاريخ كانت تندمج فى عالم الحيوان وفى البيئة الطبيعية ـ السهول والجبال والبحار ، ولا بد من دراسات جغرافية وجيولوجية ودراسة الحيوان والنبات قبل ان نروى قصة الانسان ، اى لابد ان تدرس المسرح قبل ان تشهد التمثيل ، ولا يمكن الاداء من غير مسرح ، والطبيعة هى التي تحدد نشاط الانسان ـ واذن فالدراسة العلمية اساس للدراسات الانسانية » •

الشـواهد أولا

التاريخ اذن يعتمد على الشواهد أولا ، واذا انعدمت فلا مناص من الحدس ، وعندئذ يختلف تاريخ عن تاريخ •

ومن المغالاة أن نقول أن تاريخ البشر تحكمه القوانين الاقتصادية ، وأن التطور الاجتماعي يخضع للعلاقات المادية بين الطبقات كما يزعم بعض الفلاسفة الاقتصاديين ، اننا لا ننكر أن بعض العوامل الاقتصادية لها صفة الدوام ، وان هذه العوامل يمكن اعتبارها تاريخية كذلك ، ولكنها ليست وحدها هى التى تسيّر التاريخ ، فهناك العقائد والاديان واثرها في تغيير العلاقات بين الناس وفى سير الحوادث ، وهناك العباقرة الافذاذ الذين يدفعون الناس الى السير فى اتجاهات ليست من صنع الطبيعة أو الحياة المادية •

ولقد حاول كبار المؤرخين أن يستخلصوا من سيرة الانسان قوانين ثابتة ومن امثلة ذلك ما يهدينا اليه الماضى من أن الشعب اذا بلغ درجة من التماسك بين افراده ومن القوة الذاتية وانتشار الوعى يكاد يستحيل على شعب آخر أن يخضعه أو أن يتحكم فيه ، واذا حاولت أن تهدد امة في بقائها هبت كلها رجلا واحدا للدفاع عن كيانها ، ولو ادرك اليهود هذه القاعدة التاريخية الثابتة لكفوا أنفسهم شر القتال مع العرب ، والسير ضد تيار التاريخ • ان الاحساس بالقومية قوة لا يمكن كبتها بالسلاح ، كما أن هناك دافعا انسانيا عاما يدفع الشعوب الى ايثار الحكم الذاتي وصد كل اعتداء ، ومن هنا كان تهافت الاستعمار وانسحابه من الهند وافريقيا وآسيا وغيرها ، لان الشعوب تحب الاستقلال حتى ان كان الحكم فيه سيئا لا يحقق الآمال •

امثلة من القوانين التاريخية

ومن هنا أيضا كان فشل نابليون وهتلر فى محاولة السيطرة على أوربا باسرها ، لانها محاولات تقاوم تيار التاريخ العام وقوانينه الثابتة ، كما يدل تاريخ أوربا على أن قوة واحدة فيها لا يمكن ان تخضع جميع القوى الاخرى، ولذلك كان النظام الفدرالى أو نظام السوق المشتركة اقرب الى

النجاح من محاولة التوحيد تحت سلطة واحدة ٠

وهذه امثلة من القوانين التاريخية التي استطاع المؤرخون ان يستخلصوها من الماضى ، ولكن مهما تكن محاولاتهم فى فلسفة التاريخ فانها لم تستوعب كل نشاط الانسان ولم تستطع ان تفسر كل ما وقع٠

وقد تكون للتاريخ حتميته ، ولكن مما لا جدال فيه ان للانسان كذلك درجة كبيرة من حرية الارادة، ومن القدرة على التكيف مع ضرورات الطبيعة والظروف المحيطة ٠

وانا حين أتحدث عن الحتمية وحرية الارادة انما أعنى سلوك الجماهير أكثر مما أعنى سلوك الافراد - فالتاريخ لا يهمه سلوك الفرد كاب أو ابن ، أو هاو للفن أو الرياضة أو عن عمله مزارعا أو صانعا ، أو غير ذلك مما يختلف فيه فرد عن فرد ٠ فى حين أن التعميم فى حركات الجمهور يدخل فى حدود الامكان ويمكن التنبؤ به ، وليس سلوك الافراد الا كخيوط النسيج ، التى قد تختلف فى الوانها ولا يكون للخيط الواحد منها معنى ، ولكنها فى جملتها تكون الصورة التى يمكن ان نحكم عليها ، والجماعة فى تكوينها ليست الا بناء اجتماعيا وحداته اللبنات الفردية ، وكل واحدة من هذه اللبنات انما هى من صنع العنصر والبلد والاقليم والاسرة والمدرسة والطبقة الاجتماعية التى هى فيها وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية٠ ومن اجل ذلك كان من الممكن تحليل المجتمع والتنبؤ بمسيرته الى حد كبير ٠

يقول الفيلسوف الانجليزى هيوم فى هذا الصدد « ان ما يتوقف على اشخاص قلائل يعزى الى المصادفة الى حد كبير او يرجع الى اسباب خفية غير معروفة ، أما ما يصدر عن عدد كبير من الناس فيمكن تعليله باسباب حتمية معروفة » ، اى اننا نستطيع ان نخضع سلوك الجماهير للحساب ، بل وان نرسم له خطوطا بيانية ، كما نفعل فى دراسة الاقتصاد والاجتماع ٠ اما حينما يكون الامر متعلقا بسلوك فرد فحسابه من أشق الامور واكثرها عسرا٠

المظاهر والدوافع

واما دلذى Dilthey الفيلسوف المعاصر فهو لا يذهب مذهب هيوم فى استناد التاريخ كلية الى منهج العلوم ، وهو يختلف فى ذلك عن مل وسبنسر وكومت الذين يرون ان طرق البحث العلمى يمكن نقلها برمتها الى الدراسات الانسانية ، ويرى ان العلوم الطبيعية انما تدرس المظاهر ، فى حين ان العلوم الانسانية ومنها التاريخ لا تكتفى بدراسة الظاهر انما هى تحاول ان تنفذ منه الى الدوافع الكامنة فى عقل الانسان ، وليست هذه الدوافع باقل قيمة من ظواهر الامور من حيث كونها حقائق واقعة لا نكران فيها ، بل هى اشد امعانا فى الحق من الظواهر ولكنها اشدها عمقا واكثرها تعقيدا مما يجعل التثبت من صحتها أمرا بعيد المنال ٠

وقد يكون دلذى مبالغا فيما ذهب اليه ، وطرق البحث فى علوم الطبيعة والعلوم الانسانية هى بعينها فى كلتا الحالتين : تبدأ بجمع الوقائع ، ثم تصل الى الحكم العام ، وتعود مرة أخرى من الحكم العام الى التطبيق على الوقائع للتثبت من صدق النظرية ، ونحن فى جميع الحالات لا نبدأ من فراغ بل بغرض عملى نصوغه بالادراك العام ، على ان يتغير هذا الفرض وفقا لنتائج التطبيق ٠ كما أن بعض العلوم مثل الجيولوجيا والباليونتولوجيا (اى دراسة الحيوانات والنباتات البائدة) لا لايختلف البحث فيها عن البحث التاريخى ، الا أن الجيولوجيا تتخذ من الصخور والاحجار مادتها بدل الوثائق التاريخية والباليونتولوجيا تتخذ من الكائنات المتحجرة البائدة مادتها بدلا من الانسان ٠

اقول قد يكون دلذى مبالغا فى رايه حينما وضع حدا فاصلا بين دراسة العلوم الطبيعية والدراسات الانسانية ، ولكن من الانصاف له ان نقول ان فى الدراسات الانسانية عنصرا هاما تفتقر اليه العلوم الطبيعية ، وهو العقل او النفس او الروح ، والارادة الانسانية ، وكلها مما لا يخضع للمنهج العلمى خضوعا مطلقا ولا بد فيها من عامل اخر من التعاطف او الهام الفنان الذى يمكنه من دراسة الدوافع الخفية ٠

وخلاصة الموضوع ان التاريخ مهما افاد من المنهج العلمى فى دراسته لا غنى له - كما يقول هـ ٠ ك ٠ راوز Rowze المؤرخ الانجليزى المعاصر - من لمسة الفنان أو الاديب ٠ ■■

محمود محمود

طرائف

كما تحب

● دخل اعرابي على يزيد بن المهلب وهو على فراش الحكم ، والناس سماطان ، فقال : « كيف اصبح الامير ؟ » فقال يزيد : « كما تحب » فقال الاعرابي : « لو كنت كما احب ، كنت انا مكانك وكنت انت مكاني » .

النـاس

● قدم حكيم من حكماء اهل فارس على المهلب بن ابى صفرة فقال : « اصلح الله الامير ، ما اشخصتني الحاجة اليك ، وما قنعت بالمقام ، ولا ارضى منك بالانصاف اذ قمت هذا المقام » قال : « ولم ذلك ؟ » قال : « لان الناس ثلاثة : غنى ، فقير ،

فى ولاية يزيد

● لما عزم معاوية بن ابى سفيان أن يوصي بولاية العهد لابنه يزيد كتب الى زياد ان يوجه اليه بوفد اهل العراق ،فبعث اليه بوفد البصرة والكوفة ،فتكلمت الخطباء فى يزيد ، والاحنف بن قيس ساكت ، فلما فرغوا قال معاوية : « قل يا ابا بحر ، فان العيون اليك أشرع (اكثر نظرا) منها الى غيرك » . فقام الاحنف فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : « يا امير المؤمنين انك اعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره، واعلانه واسراره ، فان كنت تعلمه لله رضاً فلا تشاور فيه أحدا ، ولا تقم له الخطباء والشعراء ، وان كنت تعلم بعده من الله فلا تصيره الى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه » ،فكأنه بهذا الكلام قد افرغ على معاوية دلو ماء بارد . فقال له معاوية : « اقعد يا ابا بحر فان خيرة الله تجرى ، وقضاءه يمضى ، واحكامه تنفذ ، لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه ، وان يزيد فتى بلوناه ، ولم نجد فى قريش فتى هو اجدر بأن يجتمع عليه منه » ،فقال : « يا أمير المؤمنين انت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب واذا اراد الله شيئا كان » .

التمـنى

قال احد الحكماء : ثلاث يبلين العقل وفيهن دليل على الضعف : سرعة الجواب ، وطول التمنى ، والاغراب فى الضحك . وكان يقال: التمنى والحلم اخوان .

وقالوا فى نقيض ذلك : الامل رفيق مؤنس ، وان لم يبلغك فقد الهاك .

عربية

الرجال ثلاثة

● قال عمر رضى الله عنه الرجال ثلاثة : رجل ذو عقل ورأى فهو يعول عليه ، ورجل اذا احزنه امر اتى ذا راى فاستشاره ،ورجل حائر بائر لا يأتي رشدا او يطيع مرشدا ٠

ثلاثة

ومستزيد : فالغنى من أعطى ما يستحق ، والفقير من منع حقه ، والمستزيد الذى يطلب الفضل بعد الغنى ٠ وانى نظرت امرك فرأيت انك قد أديت حقى الى ، فتاقت نفسى الى استزادتك ، فان منعتنى لقد انصفتنى ، وان زدتنى زادت نعمتك على » ،فاعجب المهلب كلامه وقضىحوائجه٠

مجنون بنى عجل

● خرج الحجاج يوما متنزها وانفردبنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل ،فقال له : « من اين ايها الشيخ ؟ » قال : « ابن القرية » قال الحجاج : « كيف ترون عمالكم ؟ » قال : « شر عمال ، يظلمون الناس ، ويستحلون اموالهم » قال الحجاج: « فكيف قولك فى الحجاج ؟ » قال الرجل:« ذاك ما ولى العراق شر منه ، قبحه الله، وقبح من استعمله » ٠ قال الحجاج« اتعرف من انا ؟ » قال « لا » قال : « انا الحجاج » قال الرجل : « جعلتفداك ، أو تعرف من انا » قال : « لا » قال : « انا أبو عجلان ، مجنون بني عجل،أصرع فى كل يوم مرتين احداهما فى مثل هذا الوقت » ، فضحك الحجاج وخلى عنه٠

لو دامت لغيرك

● كان عمرو بن عبيد منكبار الزهادالمشهورين والمتكلمين المعروفين ــ وقد دخل يوما على أبىجعفر المنصور ــ وعندهابنه المهدى ، فقال المنصور لعمرو : « هذا ابن امير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ،ورجائى ان تدعو له » ٠ فقال : « يا امير المؤمنين اراك قد رضيت له امورا يصيراليها وأنت عنه مشغول » ، فاستعبر ابو جعفر ثم قال عمرو بن عبيد : « يا اميرالمؤمنين ان الله اعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها ،هذا الذىاصبحفى يديك لو بقى فى يد من كان مثلك لم يصل اليك » ، فقال المنصور : « اعنىباصحابك ــ وكان لعمرو مئات من الاتباع الفضلاء ــ قال : « ارفع علم الحق يتبعكاصحابه » ثم خرج فاتبعه ابو جعفر بصرة دراهم ، فلم يقبلها عمرو بن عبيد منه ،فجعل ابو جعفر يقول :

كلكم يمشى رويد   كلكم خاتل صيد

غير عمرو بن عبيد



مرض الفصام
او الشيزوفرينيا

بقلم : الدكتور دري حسن عزت

الفصام ماهو ؟ ومتى وكيف يصاب الانسان بهذا المرض؟ ان هناك اربعة مجموعات اكلينيكية يمكن ان يظهر الفصام في احداها ٠٠ انه مرض ينتشر في سن الشباب ، عندما تكون الشخصية مازالت في دور التكوين والنمو والبناء !

■ كلمة شيزوفرينيا تتكون من مقطعين Schizo ومعناها منقسم و Phrenia وتعني العقل وفي مجملها تعني العقل المنقسم ٠ لكن هذا لا يعني انقسام العقل الى اقسام بل يعني ان الوظائف المختلفة للكائن البشري من تفكير وعاطفة وسلوك وحركة وادراك واحساس تفقد الترابط الذي بينها والذي يؤهلها بان تؤدي وظائفها في انسجام طبيعي تلقائي متكامل ٠ وبفقدان هذا الترابط الوظيفي الهارموني بين مكونات الشخصية الانسانية تظهر الاعراض المرضية في مختلف مجالات انشطة الانسان ٠

والشائع أن الفصام هو مرض عقلي ــ لكن العقل لا يوجد في الفراغ بدون البدن ، فالاصح ان الفصام هو مرض جسمي Physical Disease له اعراض عقلية كما ان له اعراضا نفسية وجسمية٠ ولان الاعراض العقلية تغلب على غيرها من الاعراض فقد عرف تجاوزا بانه مرض عقلي ٠

وغالبا ما يصيب مرض الفصام الانسان وهو في دور الشباب بينما شخصيته ما زالت في دور التكوين والبناء والنمو ، لم يصلب عودها بعد ولذا فان الهجمة المرضية تكيل اللطمات لهذه الشخصية الهشة التي ما تزال تحبو نحو استكمال نموها مما يسبب تحللها ويفصم عرى الانسجام في اداء وظائفها الحيوية ٠

ومرض الفصام ينتشر بين السكان بشكل عام بنسبة ١٪ وهذه النسبة تدل على انه ليس بالمرض

القليل الانتشار ، ويؤخذ هذا الرقم كاشارة او تنبيه هام للمسئولين عن التخطيط لخدمات الصحة النفسية في المجتمع الى ما عليهم من مهام نحو تدبير الخدمات العلاجية لاعـداد المرضى ، وهى الخدمات المتوقعة في مجتمعاتهم .

أسباب المرض

ليس هناك سبب واحد يمكن أن يعزى اليه المرض . بل ان عوامل مختلفة اذا توفرت وتفاعلت تحت ظروف معينة يمكن ان تؤدى الى ظهوره . والنظريات العلمية الحديثة تؤكد اهمية العوامل البيوكيمائية والى دور الامينات الحيوية Biogenic Amines التى منها الادرينالين Adrenalin والسيروتونين Serotonin والنورادرينالين Noradrenalin وما يعترى تمثيلها في الجسم من عطل في المساهمة في احداث الاصابة بالامراض ذات الاعراض النفسية والعقلية . والذى يهمنا هنا الآن هو الامين الحيوى المسمى نور ادرينالين ، اذ انه يحدث ان يقع عطل نوعى في تمثيل احدى مراحله في الجسم ينتج عنه عطب كيمائي وحيوى في المخ Biohcemical lesion اى ان العطب ليس نسيجيا ولذا لا يظهر عطب بأنسجة المخ اذا فحص بالمجهر . وتشير الدراسات الى اهمية عامل الوراثة في الاصابة بالمرض . اذ بينما نسبـة انتشار المرض في السكان بشكل عام هى ١٪ نجدها ترتفع الى ١٤٪ بين اخوة المريض والى ١٦٪ بين ابناء المريض والى اكثر من ٥٠٪ بين التوائم ، والانسان يرث الاستعداد للاصابة بالمرض ويظل هذا الاستعداد كامنا حتى تحرك فعاليته الظروف المناسبة .

ولقد لوحظ أن المرض يحدث غالبا في شخصية لها صفات معينة فشخصية المريض قبل المرض او الشخصية « القبل ـ مرضية » Premorbid Personality تتسم بالعزوف عن المجتمعات ، والميل للعزلة ، والخجـل الزائد ، والبرود العاطفى وعدم الاهتمام الكافى بالمحيط الخـارجى والميل للتفكير الخيالى ، والتعصب الاجوف مع العناد والتصرفات الغريبة الشاذة ويكون لها بنية جسمية تميل للطول والنحافـة وضيق القفص الصدرى وتعرف هذه الشخصية بالشخصية شبه الفصامية Schizoid Personality ويشار ايضا الى اهمية ظروف البيئة الخارجية كعامل مساهم في احداث المرض كوجود المريض في ظروف بيئية معاكسة تسبب ضغوطا وتولد صراعات لا قبل له بمواجهتها أو التعامل معها .

كذلك وجد أن الاطفال الذين يحرمون من اهتمام الام أو تتغير بالنسبة لهم صورة الام البديلة في حالة فقدان الام الاصلية وخصوصا في الفترة الاولى من سنوات العمر والذين ينشاون في اسر مفككة الاواصر مضطربة فيها العلاقة بين الوالدين يكونون اكثر عرضة من غيرهم للاصابة بهذا المرض. كما أن الاخطاء فيتربية الطفل كحماية الام الزائدة له Over Protection او تنبذه Rejection يمكن أن تساهم في التسبب في احداث المرض في المستقبل . وعليه اذا تجمعت هذه العوامـل او بعضها وتفاعلت مع بعضها البعض فتوفر وجود الاستعداد الشخصى الموروث فى شخصية « قبل ـ مرضية » شبه فصامية تحت ظروف بيئية معاكسة مع وجود اخطاء تربوية في سنوات العمر الاولى وتفكك اسرى تحـرك العامل الكيمائي الحيـوى فتحدث الاصابة بالمرض وتظهر الاعراض المرضية .

أعراض مرض الفصام

تظهر هذه الاعراض في مجالات التفكير والادراك والعاطفة والسلوك والحركة واضطرابات التفكير . Thought Disorder.

تظهر هذه على شكل ظواهر متعددة ، كان ينقطع حبـل التفكير او يتوقف مجرى التيـار الفكرى Blockage of Thought كما يحدث أن يتوقف تيار الماء اذا اعترض مجراه حاجز مفـاجيء،فتمر فترة قصيرة يحدث فيها نوع من الفراغ الذهنى يرجع بعدها تيار التفكير لكن غالبا ما يكون في مواضيع اخرى لا علاقة لها بالاولى ، كذلك يمكن ان تتداخل الافكار والمواضيع والمعانى بعضها مع البعض وتظهر مجتمعة متضاربة متداخلة متشابكة في نفس اللحظة على مسرح الفكر أو الشعور مما يفقد التفكير منطقه ، واذا حاول المريض أن يعبر عما يجول في ذهنه وتكلم عن جزء من كل موضوع في نفس الوقت يكون كلامه مضطربا غير مفهوم للسـامع ويدعى هذا المرض اختلاط الكلمات ،

Word Salad كذلك يعاني المريض من عدم القدرة على التفكير التجريدي Abstract Thinking فاذا اعطى مثلا لتفسيره لا يستطيع ان يستخلص المعنى العام المقصود منه • فاذا سئل عما يفهمه مثلا من المثل القائل (عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة) • يكون رده ان العشرة على الشجرة يفردون او شيئا آخر من قبيل هذه التفسيرات لكنه لا يستطيع التجريد الى الحكمة المقصودة من المثل وهي (ان المضمون في الحاضر يفضل على الموعود في الغيب) •

او اذا سئل عن المقصود بان (ليس كل ما يبرق ذهبا) لا يستطيع تفسيرها على انه لا يصح ان يأخذ المرء بالمظاهر •

ومن اضطرابات التفكير كذلك الاعتقاد ان التفكير لا ينبع من عقل المريض انما يفرض التفكير عليه من الخارج Thought Insertion بواسطة قوى مجهولة او ان التفكير يسحب من العقل ولا سيطرة للمريض عليه Thought Withdrawal او ان تفكير المريض يذاع على الملا وان الناس تدرى بما يجول في عقله وتشاركه فيه Thought Broad Casting ومن اضطرابات التفكير النوع المعروف باضطراب محتوى التفكير Thought Content وهذه تشمل المعتقدات الوهمية الهذيانية وهي معتقدات وهمية غير حقيقية لا يردها منطق او تصححها مناقشة او اقناع • ولا تتناسب مع مستوى ثقافة المريض ولا معتقدات بيئته كان يرى معنى خاصا في حدث عادي •

مثلا يرى اشارة المرور تضيء النور الاحمر فيرى أن في هذا اشارة الى انه شخصية عظيمة كملك او زعيم او صاحب رسالة خاصة مكلف بها من السماء او مكتشف لاسرار عالية خطيرة يعتقد ان الناس تراقبه وان هناك سيارات تتبعه ورجال الشرطة تطارده ، وان المؤامرات تحاك ضده وان عصابات خاصة تسعى لقتله او ان احدا او جماعات مدفوعة ضده ترغب في دس السم له في الطعام فلا يأكل جيدا ويحتاط من الجميع ويشك في الكل وتتميز تبعا لهذه انواع مختلفة من السلوك تتناسب مع نوع الافكار الاضطهادية التي يعتنقها فاما أن ينعزل عن الناس او يهاجم اعداء وهميين او تنتابه نوبات من الخوف والهياج والى هذا من تصرفات تبدو غير منطقية ولا مفهومة للمراقب الخارجي لكنها تتمشى مع منطق المريض المضطرب وما يعانيه من اضطرابات في عالمه الخاص الشاذ •

اضطرابات الادراك Perceptual Disorders

وهذه تكون سوء تفسير ظواهر حقيقية موجودة في العالم الخارجي Illusions كان يرى نورا بعيدا يفسره نارا تقترب منه لتؤذيه ، او يرى ورقة شجرة تسقط على الارض فيرى فيها طيرا او حيوانا يهجم عليه او ان يسيء تفسير نظرات الناس اليه اذا سار في الطريق العام فيتوهم انهم يقصدون معنى خاصا كالهزء به Ideas of Reference

او يلاحظ جماعة من الناس تتحدث فيما بينها فيظن انهم يتكلمون عنه • او ان يكون الاضطراب الادراكي في هيئة هواجس او هلوسات Hallucinations وهذه تعني الادراك او الاحساس بدون

قبل اصابته بالمرض يرسم المريض القطط وهي تتزاور في احتفال اجتماعي لتناول الشاى •





بعد اصابته بالمرض يرسم الفنان القطة فى عزلة تامة •



بعدم تقدم المرض تظهر القطة وقد تحللت هيئتها واختلطت بالمحيط •

منبه خارجي واهمها الهواجس السمعية Audi - tory Hallucination وفي هذه الحالة يسمع المريض رنينا في الاذن او اصوات أجراس او أصواتا غامضة غير مفهومة او كلمات واضحة واحيانا جملا لها معنى كصوت مفاجيء لاحد يسبه او يصفه بنعوت يغضب لها فيثور او يهاجم ربما اقرب من يكون بجانبه ظنا منه انه صاحب هذا الصوت المهين واحيانا تكون هذه الاصوات تحمل اوامر يطلب تنفيذها Commanding Voices ويحتمل في هذه الحالات ارتكاب أعمال ضد المجتمع او ضد الاشخاص او ارتكاب جرائم لا معنى لها ولا هدف منها بالاخص اذا ارتبطت هذه الهواجس بوجود معتقدات هذيانية او افكار اضطهادية • فيمكن للهواجس ان تكون في مجال البصر Visual فيرى المريض اشباحا او اشخاصا او مناظر لا وجود حقيقيا لها يعتقد انها رؤى ، وتزز هذه من معتقداته الهذيانية بانه رسول او يمتلك قدرات خاصة فوق البشر • وهذه اندر في حدوثها من الهواجس السمعية ويمكن للهواجس ايضا ان تكون في مجال الاحساس الجلدى السطحى Cutanous Haptic فيشعر وكان حشرات تتحرك على جلد الجسم ويمكن ان تتناول حاسة الشم Olfactory فيشم المريض روائح كريهة يفسرها على انها غالبا ما تكون موجهة بواسطة اعدائه او مطارديه •

اضطرابات العاطفة : ـ

يفتقد المريض بالفصام دفء العواطف الانسانية فيه فهو بارد ومتبلد العاطفة ويصعب ان تتبادل معه العواطف الانسانية الطبيعية فاذا سمع بحادث مؤلم لا يتالم ولا يحزن • واذا جاءه خبر مفرح لا ينفعل ولا يفرح • وكثيرا ما تكون عواطفه غير متوافقة مع الاحداث كان يستقبل خبر وفاة اقرب الناس اليه بابتسامة باهتة جوفاء لا معنى لها • وفي المراحل الاولى للمرض يشعر المريض بالانقباض والاكتئاب لما يشعر به من تغير في ذاته ولما يمر به من تجارب غريبة وظواهر شاذة يحار في تفسيرها •

اضطراب السلوك والحركة :

يحدث العديد من الحركات الغريبة والاوضاع الشاذة وبالاخص في النوع المعروف بالفصام الكتاتوني فتتصلب العضلات ويظل الجسم في حالة تخشب لمدة ساعات او ايام لا تظهر عليه حركة او تعبير وربما تمر على الوجه ابتسامة باهتة سرعان ما تغيض بينما لا يحمل الوجه اى تعبير وتبدو نظرات العين خاوية من كل معنى •

وفي مثل هذه الحالات يمكن ان يتبول ويتبرز المريض بدون شعور وكانه في غيبوبة لا يدرى عن

نفسه او عما يدور حوله • وتنتهي هذه الغيبوبة التخشبية فجاة الى نوبة من الهياج الشديد يقوم المريض أثناءها بحركات اندفاعية وسلوك تهوري عنيف لا هدف له ولا غاية من ورائه يمكن بسببه أن يؤذي نفسه أو غيره • وبعد شفاء المريض من هذه الغيبوبة يستطيع ان يتذكر كل ما كان يحدث له اثناءها ويقص أوصافا تفصيلية لما كان يسمعه او يدور حوله •

أعراض اخرى

ربما كان من أهم الاعراض ذلك العرض الذي يستطيع أن يلاحظه المراقب من الخارج ويشعر به تجاه المريض ، فالمراقب يشعر بالمريض رغم قربه منه أنه بعيد عنه ولا يستطيع أن يصل اليه خلال اي عاطفة او احساس انساني وكان حائطا خفيا غير منظور من الزجاج السميك يفصل بينهما • وعرض اخر ذاتي يشعر به المريض وهو احساسه بتغير يحدث له في ذاته • فكل منا يشعر بان له ذاتا محددة منفصلة عن غيرها وعن العالم الخارجي تتحرك خلاله وتتاثر به وتؤثر فيه لكن مستقلة عنه• لكن المريض بالفصام لا يشعر بهذا الحد الفاصل بين ذاته وبين المحيط الخارجي Blurring of Ego Boundries وكان ذاته تمتد وتتلاشى فيما يحيط بها او الشعور بعكس ذلك •

أنواع مرض الفصام

يتفق معظم الاطباء النفسيين Psychiatrists على وجود أربعة أنواع أو مجموعات اكلينيكية يمكن أن يظهر في أحداها مرض الفصام •

١ ـ الفصام البسيط Simple Schizophrenia

يتميز هذا النوع بعزوف المريض عن النشاط الاجتماعي والميل للعزلة والخمول لا يستطيع أن يثبت اى كفاءة فيما يسند اليه من اعمال • فتجده كثير التنقل من عمل الى عمل ومن مهنة الى مهنة دون اظهار حماس ايجابي أو أن يبدو عليه الاهتمام بما يدور حوله وتكون عواطفه متبلدة مع اضطرابات في التفكير لكن لا يظهر في هذا النوع هذاءات او افكار اضطهادية او هلاوس سمعية او بصرية • وتميل شخصية المريض بمرور الوقت الى التدهور والتفسخ •

٢ ـ الفصام الهيبفريني
Hebephrenic Schizophrenia

عادة ما يصيب المريض في دور المراهقة او في اوائل العشرينات من العمر ويتميز هذا النوع باضطراب التفكير والهذيان والافكار الاضطهادية والهواجس بانواعها واضطرابات السلوك • لكن المعتقدات الوهمية لا تكون غالبا على هيئة نظام محكم من الافكار الاضطهادية بل يمكن زحزحة المريض بعض الشيء عن الايمان المطلق بها لكنه يعود الى سابق ايمانه بها •

٣ ـ الفصام التخشبي أو الكتاتوني
Catatonic Schizophrenia

فيهذا النوع تكون اضطرابات السلوك والحركة الجسمية والعضلية اهم ما يميزه مع ظهور نوبات مفاجئة من الهياج العنيف او سلبية التصرفات وامكان ثني المفاصل في اوضاع تتعدى مدى حركتها الطبيعية • كما يحدث مع مادة الشمع • وهذا النوع ايضا يبدأ في مقتبل العمر •

٤ ـ الفصام الهذياني : ـ
Paranoid Schizophrenia

يحدث هذا النوع في سن متاخرة نسبيا فيما بعد الثلاثينات من العمر ويتميز بالهذيان والافكار الاضطهادية التي تكون على هيئة نظام محكم يصعب مجادلة المريض فيه او صرفه عن الاعتقاد به مهما استخدم المنطق السليم ووسائل الاقناع المختلفة والبراهين ، ولان هذا النوع يصيب المريض في سن متاخرة بعد أن تكون الشخصية قد اكتمل نموها قبل الهجمة المرضية لا يلاحظ كثير من التدهور العام فيالشخصية كما أنه غالبا ما يظهر فيالانواع الاخرى •

ونحب أن نبين هنا أنه ليس كل من يشعر او يتوهم أنه يشعر بعرض أو عرضين مما سبق ذكره، أنهمصاب بانفصام الشخصية فيهرع متزعجا مضطربا يستشير هنا وينشد علاجا هناك ، خصوصا اذا كان شعوره بالعرض بشكل منفصل ومنعزل عن سائر الاعراض وبشكل مؤقت عابر ليس له صفة الاصرار والاستمرار • فكثيرون هنا يحسون بنوع من الرنين أو الصفير الخافت في الاذنين في الفترة التي



التعبير عن الشعور بالعزلة .

تسبق الاستغراق في النوم مباشرة وربما كذلك بنوع من الهمهمة الغامضة في الفترة التي تسبق استكمال الاستيقاظ من النوم وسرعان ما تتلاشى عندما يصل المرء الى ادراكه المستيقظ واحيانا يقترب المرء نحو جماعة من الناس تتحدث فيما بينها، فيتراءى له انه هو المقصود شخصيا بموضوع حديثهم لكن سرعان ما يتبين له من مجرى الاحداث خطأ تفسيره فيصوب نفسه بنفسه . والشاب في دور المراهقة يكون زائد الاهتمام بنفسه مراقبا لما يحدث لبدنه من تغيرات فسيولوجية فيديم التطلع في المراة ويزداد اهتمامه بمظهره الخارجي ، فاذا سار في الطريق العام يتراءى له احيانا ان المارة يتطلعون اليه بشكل خاص ويتفحصونه بنظراتهم كمثل ما يتفحص هو نفسه في المراة .

وكثيرا ما يمر المراهق بازمات تقمص الشخصيات التي يعرفها او يسمع عنها او يقرا لها ، كمحاولة للبحث عن الذات والتطلع الى شخصية لها معالمها المحددة في ذهنه ، يصبو الى الاستقرار على هيئتها وتمثل صفاتها ، فتراه يميل الى التامل واحيانا الى العزلة وكثيرا ما يتناول المواضيع شبه الفلسفية ويتباحث في الامور الكونية وينزع به حماسه الى التطلع الى دور قيادي لاصلاح المجتمع ، واحيانا يقوده عناده الى تصرفات غريبة ينتج عنها توتر العلاقات بينه وبين الاخرين كل هذه التجارب التي تمر بالمراهق هي مظاهر طبيعية يمكن تفهمها كمراحل انتقالية تمر بها شخصيته في نموها من دور الطفولة حتى استقرارها بدخوله مرحلة الرجولة الجادة وتعرف هذه الحالات التي يمر بها المراهق بازمة مرحلة المراهقة Adolescent Crisis ولا علاقة بها بمرض الفصام كذلك توجد انماط من الشخصيات اذا تعرضت لضغوط خارجية شديدة او لظروف طارئة غير ملائمة او لتغيرات مفاجئة في بيئتها ان تتفاعل مع هذه التغيرات في حياتها باعراض شبيهة بالفصامية كان تتوهم بان المحيطين بها اصبحوا يعملون ضدها ، او يشاكسونها بدون سبب او انهم يتناولونها بالنقد او الغمز في سلوكهم معها او حديثهم عنها فتصبح هذه الشخصيات كثيرة الشك سيئة الظن سريعة التوصل الى استنتاجات خاطئة ليس لها بالحقائق الموضوعية صلة . هذه الاعراض ما هي الا اعراض تفاعلية طارئة Reactive Symptoms لظروف خارجية متغيرة تزول سريعا بزوال مسبباتها وليست هي من الفصام الحقيقي في شيء .

اما عن انذارات المرض وتطوره الطبيعي وآثاره على الشخصية الانسانية والعوامل التي تحدد هذا وكذلك وسائل علاجه وما طرأ عليها من تطور وتقدم وتحديث جعل من الممكن التطلع الى واقع علاجي متفائل جديد فسيكون موضوع مقال لاحق ان شاء الله .

ونرجو القارىء الا يفزع من هذه الصور التي اعطيناها للمرض ، فان العلم قد تقدم والحمد لله ، واصبحنا في وضع نستطيع معه علاج هذا المرض وشفاء المريض منه . وسنرى ذلك في مقال آخر قادم باذن الله . ■■

دري حسن عزت

اخصائي الطب النفسي ـ الكويت

● قصة قصيرة ●

من الأدب الأفريقي المعاصر

الغلام الشريد

بقلم : فيولت كوكيوندا

■ خطوت خارج المنزل ، ووقفت على عتبته لحظة وقد أعمتني اشعة الشمس الحادة المستقيمة. لقد كان أصيلا شديد الحرارة جدا واعتقدت حقا ان الحظ قد ظلمني وأساء معاملتي ، بأن جعل نوبتي في العمل تقع في مثل هذا اليوم • فقد كانت ماما ما زالت تستمتع ببهجة الظهيرة،واخواتي يفدن اكبر الفائدة ، بدون شك ، من حريتهن • لقد حل دوري لاعداد شاي الأصيل •

ملأت الغلاية وبينما كنت أهم بدخول المطبخ تراءى لي انني قد ابصرت بشيء يزحف الى الوراء خلف الحائط • نعم ، لقد كان هناك غلام صغير في اسمال بالية • ورفعت صوتي أناديه ، « لماذا انت تختبيء هناك ، ايها الغلام ؟ اقدم هنا ودعنا نلقي نظرة عليك » •

نظر وفي عينيه تبدو امارات الرعب والفزع مني • وتساءلت مع نفسي ما اذا كنت قد أسات الخطاب ؟ ولذا سرعان ما اردفت قائلة على عجل : « ما اسمك ، يا غلام ؟ »

اجاب قائلا : اسمي كيفا ٠٠ كيفا كازانا

رددت وانا شاردة اللب : « كيفا » • وتذكرت الغلاية التي كنت احملها في يدي ، فاسرعت بها الى المطبخ ، ورحت التقط بعض كتل الحطب لاوقد النار ، وانا في الطريق اليه •

قلت ثانية : « حسن ، ياكيفا كازارا ، انه من الافضل لك ان تدخل الى هنا وتساعدني في اعداد الشاي • »

فجاء على استحياء وجلس في ذلة وانكسار على حافة عتبة الدار •

« من اين جئت ، ياكيفا كازارا ؟ »

فصوب لي خطأي هلعا : « اسمي كيفا كازانا » نعم ، ياكازانا ، اين تقيم ؟

همس قائلا بصوت يكاد لا يسمع ، « لا مسكن لي » •

« لا مسكن لك ! هراء • طبعا لك مسكنك ، ان لكل انسان مسكنا ، حيث يعيش أبوه ، وامه واخواته ، واخوته • فاين يعيش والداك ؟ »

« ليس لي والدان • انهما ٠٠٠٠ كانا ٠٠٠٠ »

وادركت ان هذا الموضوع والحديث عنه يتعسه افظع التعاسة • فما كان مني الا ان امسكت عن الحديث فورا • وقلت له : « لا تهتم لذلك الآن »

وكان الماء في الاناء قد بدأ يغلي • « حسن ، انتظر هنا لحظة ، يا كازانا ، وسأذهب انا لأعد الشاي »

واذ هو ينظر في تشوق الى الغلاية اكدت له اني لن البث فادعوه ، حينما يعد كل شيء • ثم لاح بخاطري فجأة ، وقد نظرت الى جسمه العاري الناحل الهزيل ، انه ربما كان يتضور جوعا ،وقد جاء الى دارنا استجداء لبعض الطعام • كم كانت رائحة ثيابه الرثة بغيضة منفرة !! يا الهي !

المؤلفة : من بلدة انكولي في اوغندا • وقد كانت حين الفت هذه القصة طالبة في السنة الثانية ،تدرس التاريخ بقسم الامتياز في جامعة ميكيريري • وكانت قد تلقت العلم قبل ذلك في مدارس بيورانيانجي Bweranyangi وكيبامبي Kyebambe ثم التحقت بمدرسة جيزا Gayaze العالية •واسهمت بنشاطها في الاذاعة المدرسية في راديو اوغندا •



مالت الشمس الى المغيب قليلا ، ورايت ،انها متعة اى متعة ، لو اننا تناولنا الشاى فى الخلاء خارج الدار • فاحضرت الحصر وبسطتها تحت الشجرة •

واذ كان كل شيء يبدو جميلا ومعدا ، عدت الى البيت •

« لقد اعد الشاى ، يا اماه ــ وهنا غلام صغير جائع وبروع مراه • وهو يقول انه شريد لا ماوى له ، ويتيم الابوين • »

« حسن ، فلتشكرى الله ، الذى ابقى لك اباك وامك • وعبرى عن شكرك هذا ، فكونى اوفر احتراما واكثر تقديرا لهما • ولا تقفى هكذا ، هنا ، فى مدخل الباب وانا ارتدى ثيابى • »

هكذا اندفعت الى توجه الحديث • حقا ــ فعلى الرغم من ذلك ، كنت اتلهف لمعرفة ما اذا كان كيفا كازانا صار احسن حالا مما كان عليه عقب مجيئه •

اسرعت عائدة الى المطبخ ، واذ اصبحت على مقربة منه سمعت صوت شيء يتحطم على ارض الحجرة • اجفل كازانا ، ثم وقف يواجهنى وقد سرت فيه رعدة الخوف.لقد كان يكشط بقايا وجبتنا الاخيرة من سطح الطبق • وتظاهرت بانى لم الحظ شيئا واردته على ان يغسل يديه ويحضر لتناول الشاى •

فقال هيابا وجلا : « لا اظن حقا انى احب تناول الشاى • »

فسالته : « ولم لا ؟ » وانا اتتبع نظرته الى الركن القصى لمنزلنا حيث كانت اخواتى الثلاث النشيطات قد ظهرن •

« اوه ، لا تهتم لهن ، انهن اخواتى فحسب »•

« ولكنهن كثيرات وربما يضربنني كما يفعل الاخرون » •

« هيا ، فلن يضربنك ، بل لن يجرؤن على ذلك، وانا اختهن الكبرى ، كما ترى » •

« ولكن هؤلاء الاخرون ضربوني • ضربوني لاني اكلت طعام كلابهم » •

« انت اكلت طعام كلابهم ؟ »

« لم تكن الكلاب تريده ، وكنت جوعانا • لقد قالوا لى انى قذر جدا بحيث لا يجوز لى ان اقرب طعام الكلاب » •

« حسن ، قد يكون هـــذا هو الواقع ، ولكن اخواتي لن يضربنك ، وسترى » •

تقدم وجلس على بعد نحو عشر ياردات منا • واتجهت اليه الانظار جميعا ، وسارعت لاشرح لهم ان اسمه كيفا كازانا وانه شريد لا ماوى له، ولا بابا ، ولا ماما •

همست نورا مستفسرة : « وفي اى قدح سيتناول الشاى ؟ »

واجابت مارى : وهى تنظر الى اسماله البالية افضل ان يكون قدح جوليت • كانت جوليت هى قطتنا •

وصاحت امى قائلة : وهى لا تكلف نفسها مؤونة خفض صوتها • قدح جوليت ، يشرب من صحفة القطة • اسرعي يا نورا واحضرى واحدا من الاقداح التى نقدم فيها للزائرين » •

وضممت صوتي الى المجموعة قائلة : اتقولين واحدا من اقداح الزائرين !• وهنا ظهر عمانوئيل، كان قد غاب عن بالنا جميعا •

قال ، معتقدا انه يمزح : « من اين جاء هـــذا الغلام رث الثيـــاب ؟ اغرب عن وجهى قبل ان يوسوس لى الشيطان ، فارميك بحجر • انى اريد ان اتناول قدحى من الشاى » •

فهجمنا عليه غاضبين جميعا ، ولكن قبل ان نتفوه بكلمة ، كان كيفا كازانا قد شب واقفا ، وانطلق كالسهم المارق متجها الى مرعى الفيلة الكثيف خلف المطبخ • وجــرى خلفه اخــواتى الصغيرات ، يهبن به أن يعود ، ويتناول قدحه من الشاى اولا • كانت صــيحاتنا « كيفا كازانا » يتردد صداها بين جنبات حديقة الموز الجافة ،وعبر الحقول الغاوية وهابطة الى الوادى ، اسفلنا •

وردد شخص قائلا ولا ماوى له ، ولا بابا ، ولا ماما • بينما اخذت صيحاتنا تتوقف تلقائيا •

■■

ترجمة : سليم الاسيوطى

فيصل

ملك السعودية

من نشأته حتى اغتياله

عرض وتقديم : ابراهيم سلامة

مؤلف هذا الكتاب « بنوا ميشان » اسم معروف فى تاريخ المنطقة العربية له مؤلفات عدة أبرزها « ابن سعود » «أتاتورك» « ربيع العرب » « وصيفان افريقيان » •

وفى هذا الكتاب الجديد ، الاول الذى يصدر بعد اغتيال الملك السعودى الراحل فيصل ، يكشف الكاتب الفرنسى الخبير معظم ملابسات حياة فيصل السياسية منذ ولادته فى العام ١٩٠٦ الى تاريخ اغتياله فى مارس ١٩٧٥ باسلوب شيق وبدقة فى المعلومات والاسماء قلما تتوفر لكاتب غربى آخر •

■ يوم ولد فيصل في مدينة الرياض في العام ١٩٠٦ ، كانت الجزيرة العربية تعيش فترة عصيبة قلقة • فوالده عبد العزيز « امير نجد » وزعيم الوهابيين كان يحاول ان يشق طريقه ما بين امبراطوريتين قويتين (بريطانيا وتركيا) • ولم يكن قد وطىء تلك البلاد الصحراوية حتى ذلك التاريخ سوى قلة من الاوروبيين من ابرزهم الفرنسي بول لاسكاريس الذى اوفده نابليون فى حوالى العام ١٨١١ ليتعاون مع سعود الكبير (١٧٦٥ ـ ١٨١٤) فى ازاحة الوجود العثماني ـ البريطاني عن شبه الجزيرة العربية • لكن الحظ لم يسعف الطرفين (الفرنسى والسعودى) فالاول هزم فى روسيا ، والثانى تقهقر امام جيوش ابراهيم باشا المصرية التى كانت تتوغل في بلاد نجد والحجاز •

كانت الرياض (يوم مولد فيصل) هى هى كما كانت منذ آلاف السنين • صحراء شاسعة محاطة باسوار قائمة مربعة تتخللها بعض الواحات واشجار البلح • كان ترتيبه الرابع بين ابناء عبدالعزيز • امه طرفة آل الشيخ توفيت وهو في شهره الخامس • ولان والده كان منهمكا في الفتوحات شمال وشرق البلاد ، فقد اوكلت رعاية الطفل الجديد الى جدته



لامه وزوجها عبد الله بن عبد اللطيف الشيخ حيث احتضناه في قصر قديم في مدينة الرياض مع اخويه (سعود وتركي بعد أن توفي ثالثهم خالد في سن مبكرة)،وقد تعلم منجده الاصول الدينية خصوصا القران الكريم ، كما نمى الجد في حفيده موهبته الفطرية نحو الشعر ، بينما تعلم من اخويه حمل السلاح والتصرف به ٠ وعندما يفع اطلق عليه جده عبارة « نحيف دمرن كغصن البلح » ٠

قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) كانت القوتان الاعظم في الشرق العربي هما امبراطورية العثمانيين وبريطانيا العظمى ٠ وكانت الدولتان على ما يبدو مشغولتين بالبحر المتوسط وبقناة السويس ، فاستغل عبد العزيز الفرصة وانقض بجنوده الاشاوس المعروفين باسم «الاخوان» محتلا الاحساء،وطاردوا منمدنها الرئيسية «الهفوف» ، وقطيف ،مقر الحاميتين التركيتين ٠ وهكذا اتسعت امارته ، وصار لقبه « امير نجد والاحساء » وذلك عشية اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وهنا يعتذر الكاتب عن تكرار ما ورد في كتابه الاول « ابن سعود » حول انقسام السياسة البريطانية تجاه العرب الى خطين او الى اجتهادين، اتجاه « مكتب الهند » في بومباي الذي كان يشرف عليه هاري سان جون فيلبي و « المكتب المصري » فيالقاهرة الذي كان يديره توماس ادوارد لورنس٠ ويختصر المؤلف تعارض وجهتي نظر المكتبين الانكليزيين ، بان الاول (الهندي) كان ميالا لابن سعود ، بينما كان رهان لورنس على قوة الهاشميين في الجزيرة ٠ وقد جاءت نتائج الحرب تزيد من نفوذ بريطانيا (بعد اندثار امبراطورية بني عثمان) وبالتالي تزيد من هيبة ونفوذ الهاشميين في الجزيرة العربية وفي بلاد ما بين النهرين (العراق وسوريا انذاك) ٠

السيف والقلم

وجاء موعد انعقاد مؤتمر السلام في باريس (١٩ يناير١٩١٩) لاقتسام اشلاء امبراطورية بني عثمان بين كبار المنتصرين بريطانيا ممثلة برئيس وزرائها لويد جورج وفرنسا ممثلة«بالنمر الشهير» جورجكليمنصو والولايات المتحدة الامريكية برئيسها ويلسون ٠

ووقع « لورنس » في حيرة ٠ فقد سبق له ووعد اصدقاءه الهاشميين بدولة عربية واحدة تمتد من سيناء الى جبال طوروس اذا ما وقفوا مع لندن ضد الباب العالي ٠ وقد وفى الهاشميون بوعدهم، وها هي فرسان الشريف فيصل بن حسين تتجمع في دمشق منذرة بالويل والثبور وعظائم الامور ٠ وبعد مشاورات لم يجد الحلفاء بدا من دعوة « الاطراف العربية » لحضور مؤتمر السلام ٠ ولموازنة الضغط ، اقترح « فيلبي » أن يدعى ابن سعود ايضا الى هذا المؤتمر اسوة بفيصل الاول ممثل الهاشميين ٠ رحب عبد العزيز بالدعوة لكنه اعتذر شخصيا عن مغادرة « امارته » المضطربة ٠ ولما كان ولده الاول (تركي) قد توفي وولده الثاني « سعود » منهمكا في قمع قبائل حايل وعتيبة في الرياض وقعاختياره اضطرارا على ولده الثالث (الثاني من الاحياء) ليمثله في مؤتمر

السلام المتيد في باريس . كان عمر فيصل ابن عبد العزيز انذاك لا يتجاوز الثالثة عشر ربيعا . وبرغم ذكائه الشديد وهدوء اعصابه ، لا بد من احاطته برجل كبير في السن وموثوق من ابن سعود. وقد وقع الاختيار على الشيخ احمد آل ثنيان (أحد انسباء آل سعود) وهو رجل درس في كليات اسطمبول ويجيد التحدث باللغتين التركية والفرنسية. وسبق له ان زار معظم العواصم الاوروبية .

اول مهمة سياسية في سن الثالثة عشرة

وبدات اول رحلة للامير الشاب خارج حدود امارة والده على ظهر سفينة بريطانية تحمل اسم «لورنس» استقلها من مرفأ البحرين ، الى اول محطة (بومباى) في الهند حيث انتقل مع الوفد المرافق له الى سفينة المانية تحمل اسم «كيغما» ومن هناك رست بهم في مرفأ « بلايموث » في بريطانيا حيث كان في استقبالهم صديق العائلة « فيلبي » . وفي لندن ، بدات اولى متاعب الرحلة الفيصلية . برغم صغر سنه، لاحظ الامير اليافع فتور الاستقبال وغياب كل المسئولين اضافة الى افتتاحية عدائية نشرتها « التايمس » اللندنية يوم وصول الوفد السعودى .وتحرك « فيلبي » بسرعة لتدارك الامر. فاتصل باللورد «كرومر» وبزميله اللورد «كورزونه» طالبا منهما اصلاح الامر وترتيب الموضوع . وفي اليوم الثاني اطلقت صحافة لندن على الوفد اسم « البعثة العربية الوسطى » كما اطلقت على الامير اليافع لقب « صاحب السمو » .

لكن زيارة الامير السعودى لم تكن فقط للمجاملة ولاخذ الالقاب . فقد كان يحمل رسالة خطية من والده الى الملك جورج يطلب فيها امير نجد والاحساء من ملك بريطانيا وضع حد لمشكلة الحدود بين نجد والحجاز ورسم حدود نهائية وواضحة بين امارته الحديثة وبين امارة الهاشميين الحجازية وفي ٣٠ اكتوبر استقبل الملك جورج الخامس في قصر بكنغهام « سمو الامير رئيس بعثة الجزيرة العربية الوسطى » بحضور الملكة والاميرة مارى . ثم توالت حفلات التكريم فدعي الامير السعودى الى مجلس العموم ومجلس اللوردات ـ وبنك انكلترا الذى كان رمز عظمتها المالية . ولغريب الصدف الحق ببرنامج الامير السعودى زيارة مدينة « كارديف »



Le roi Fayçal au cours d'un pèlerinage à La Mecque.

عاصمة صناعة الفحم رمز الطاقة في ذلك الزمن(!) وانتهت الزيارة عند هذه الحدود ، حيث لم يبت الوفد السعودى في المقترحات البريطانية لاجراء ـ مصالحة مع الهاشميين » بناء لتعليمات اسد الجزيرة التى زود بها نجله وتسيبه » .

الفيصلان على ضفتي السين

من لندن الى باريس ، حيث وصل الوفد لزيارة مواقع وقيادات الحرب . وقد تجول الوفد الاميرى في « كولوني ـ وفردان » ثم اصطحب الامير اليافع الى « برج ايفل » المطل على باريس وبعد يومين حدثت المفاجأة غير المتوقعة ، ففي الوقت الذى كان فيه فيصل بن عبد العزيز يترجل من القطار في « محطة الشمال » في باريس كان فيصل بن الحسين

يتنزه فى غابة بولونيا بباريس ايضا برفقة لورنس الشهير. وقد سعى المرافقان (الماجور براى ولورنس) لجمع الاميرين المتنازعين حول مائدة واحدة وقد رفض آل ثنيان الفكرة فى البداية لكنه تحتضفط والحاح « براى » وافق على اللقاء بشرط ، ان يتم بين الوفدين العربيين لقاء تمهيدى لا يحضره فى الجلسة الاولى فيصل بن عبد العزيز ، وكان له ما شاء . وتم اللقاء فى فيلا تابعة لفندق « كونتننتال » . ومنذ اللحظة الاولى ، توتر الجو بعد ان استخف الشريف « فيصل » ، بالاخوان (الجنود الوهابيين) وبملابسهم البسيطة مما حدا بالشيخ آل ثنيان السعودى بالانسحاب .

فاتح اليمن فى سن ١٥

بعد عودته من اوروبا ، اوكل اليه والده قيادة اول حملة عسكرية سنة ١٩٢١ لاحتلال عسير ، وكان سن الامير فيصل لا يتعدى انذاك الخمسة عشر عاما. وقد اختار الى جانبه احد ابرز قادة « الاخوان » خالد بن لؤى ، الذى سبق له وانزل الهزائم باهل الحجاز .

كانت عسير فى ذلك الحين محكومة من الادريسيين الذين قدموا قبل اجيال من شمال افريقيا ويتزعمهم الشقيقان حسان ومحمد الادريسى . ونتيجة لموقع عسير على البحر الاحمر ما بين الحجاز من جهة واليمن من جهة ثانية ، فقد كان الادارسة فى حالة « مشاكسات » متصلة مع الجارين القويين .

جهز فيصل حملة قوامها خمسة آلاف مقاتل واتجه نحو العاصمة «تهامه» حيث احتلها . ولجأ الاخوان حسان ومحمد الادريسى الى منطقة جبلية وعرة تدعى «ابها» حيث طاردهما فيصل واقتادهما اسيرين الى الرياض عاصمة المملكة . هناك وافق الاخوان الادريسيان على شروط ابن سعود وعلى سيادته على كامل منطقة عسير ، مع احتفاظهما بالسهل الجنوبى. واعادهما الى هناك بعد ان ابايعاه بالسلطة.

فى هذه الاثناء ، وبينما فيصل يطل على سنه العشرين، حدثت تطورات حاسمة فى تاريخ المملكة. ففى اواخر شهر فبراير (شباط) ١٩٢٤ حل مصطفى كمال (اتاتورك) كرئيس لحكومة انقرة محل انور باشا ، وكان اول قرار اتخذه زعيم « تركيا الفتاة » الغاء لقب « خليفة المسلمين » الذى كان يحمله سلطان الآستانة . وقد وجد ابن سعود الفرصة سانحة فشن هجوما صاعقا ناحية البحر الاحمر فاحتل أولا الطائف ، ثم انقض كالصاعقة على « جدة » . ثم اكملت قوات ابن سعود هجومها حتى وصل مكة التى لم تقاوم اكثر من ٤٨ ساعة ، وبذلك انتهت امارة الحجاز القديمة وبدأ عهد جديد فى الجزيرة العربية ، هو « العهد السعودى » . الذى جعل من الامير الشاب فيصل نائب الملك (والده) فى الحجاز وذلك فى العام ١٩٢٥ .

وما كادت جيوش ابن سعود ترتاح من القتال فى الحجاز حتى تجددت المتاعب على حدود اليمن مرة ثانية . فقد توفى محمد الادريسى وخلفه نجله على الذى نقض الاتفاق السابق الذى وقعه والده مع آل سعود ، وفضل اللجوء الى عدن مدعوما من امام اليمن يحيى حميد الدين . وفهم ابن سعود فورا ان الحرب الجديدة ستكون فى اليمن هذه المرة وليس فى سهول وهضاب عسير وتهامة كما كانت فى المرة السابقة . ولان اليمن بلاد جبلية وعرة عجزت حتى جيوش العثمانيين عن اقتحامها ، فقد درس الملك عبد العزيز الموضوع جيدا ، ثم جهز جيشا كبيرا قسمه الى ثلاث فرق . الفرقة الاولى بقيادة فيصل ومهمتها احتلال مدينة الحديدة فى الجنوب اليمنى . الفرقة الثانية بقيادة سعود الابن الكبير لعبد العزيز وهدفها « نجران » الفرقة الثالثة بقيادة خالد ابن محمد وهدفها مدينة صنعاء عاصمة اليمن .

فى اسبوع واحد دكت الجيوش السعودية حصون الادارسة . واحتل الجيشان الاول والثانى مدن « نجران » والحديدة ـ ومعيدى كما واصلت الفرقة الثالثة تقدمها نحو الجبال فى الشمال . وما ان علم الامام يحيى بسقوط مدينة الحديدة وهى المنفذ البحرى الوحيد لبلاده الجبلية حتى استغاث طالبا نجدة جميع الدول الكبرى آنذاك . وكان اول الملبين حكومة لندن التى رأت فى تقدم ابن سعود خطرا مقبلا على مدينة عدن، عصب طريق مستعمراتها فى الهند . ثم تبعتها حكومة روما التى كان جيشها يحتل الحبشة والصومال . وتحركت الطرادات الانكليزية والايطالية فى طريقها الى ميناء الحديدة.

فى هذا الجو ، دخل ابن سعود فى مفاوضات مع الحكومتين البريطانية والايطالية واتفق على وقف

تقدمه في اليمن ، مقابل تنازل نهائي من الامام يحيى عن منطقة عسير كلها وتعهد خطي بان يدفع الامام للملك السعودي « جزية » سنوية ، وهكذا انتهت حملة اليمن الثانية (١٩٣٤) بنصرين : الاول جغرافي وهو اقليم عسير ٠٠ والثاني شخصي للامير الشاب فيصل الذي كافاه والده بتعيينه وزير خارجيته للمملكة ٠

وزير الخارجية الدائم ومشكلة نيويورك

بعد دوره في حروب اليمن استقر نائب الملك الجديد في مدينة جدة ليؤمن من هناك سلامة وراحة الحجاج ، وليعالج مشكلة ولاية الحجاز ٠ وبتعيينه وزيرا للخارجية كان عليه الاتصال والاحتكاك بالعالم الخارجي عبر السفراء وقناصل الدول المعتمدة لدى بلاده ٠ وفي صيف ١٩٢٦ سافر فيصل مرة ثانية الى لندن مستقلا هذه المرة باخرة بيضاء ترفع علم بلاده ، ولدى نزوله في ميناء « بلايموث » البريطاني كان مندوبو جميع السلطات المدنية والعسكرية الانكليزية فياستقباله كمااقامتحكومة صاحب الجلالة على شرف الامير السعودي الشاب حفلة عشاء في فندق « كلاريدج » حضرها مئة وخمسون من رجال السياسة والمال والدبلوماسية الانكليزية ٠ ومن لندن طار مرة ثانية الى باريس٠ ومنها الى بولونيا ، فالاتحاد السوفياتي ، وكان له لقاء مع وزير الخارجية مولوتوف ومع ستالين ٠ وفي راى الكاتب البريطاني « جيرالد دي غوري » ان العاهل السعودي الراحل قد تعرف على عدد من الشخصيات العالمية لم تتوفر لاى سياسي اخر في العالم٠ فبعد هذه الرحلة الى بريطانيا وفرنسا وروسيا في الثلاثينات ، قدر للامير الشاب انيمثل بلاده في هيئة الامم المتحدة وفي الولايات المتحدة الامريكية ٠ وهو السياسي العربي ٢الوحيد تقريبا الذيعرف ستة منرؤساء الولايات المتحدة (روزفلت ـ ترومان ـ ايزنهاور ـ كندي ـ جونسون ـ نيكسون) ٠

وظهر النفط في عام ١٩٣٦

لقد ذكر بعض المؤرخين ان حملات ابن سعود تشكل ظاهرة خاصة في التاريخ العسكري ٠ اذ انجزت اعظم المهام باقل التكاليف ٠ لقد كانت مملكة ابن سعود فقيرة للغاية ولا عائدات لها سوى ما ينفقه الحجاج الى بيت الله الحرام الذين لم يتجاوز عددهم المئتي الف حتى الحرب العالمية الثانية ٠ وكانت بقية ميزانية المملكة تعتمد على « الجزية » التي فرضها الملك عبد العزيز على امام اليمن يحيى حميد الدين وعلى بعض المساعدات الضئيلة التي استلفتها الرياض من شيخ الكويت (الشيخ مبارك الصباح) ٠

وفي عام ١٩٣٢ وقعت المعجزة التي غيرت وجه مملكة ال سعود ووجه المنطقة العربية كلها ٠ فقد وجد المنقبون الامريكيون مادة النفط تحت رمال « الاحساء » ، ولما جاء الخبر الى ابن سعود ، تملكه الحزن وقال لناقل الخبر : « كنت انتظر ظهور الماء لاروي شعبي واصلح ارضي ٠ فجاءني النفط !»

وبعد اربع سنوات بدات الشركة الامريكية « ستاندرداويل ـ كاليفورنيا » في استخراج هذه المادة وتسويقها بعد ان رفض ابن سعود اعطاء النفط للانكليز لان الولايات المتحدة بعيدة عن السعودية وليس لها فيها اطماع سياسية »٠ كانت الصفقة مربحة للشركة الامريكية التي دفعت مبلغ نصف مليون دولار مقدما لحكومة الرياض ونسبة ١٨ سنت عن كل برميل تستخرجه وذلك ضمن عقد طويل الاجل (لغاية العام ١٩٩٩) ٠ وقد ندمت حكومة لندن على خسارتها هذه الصفقة التي لعب الامير الشاب فيصل دورا بارزا في حيثياتها ٠

لقاء روزفلت وابن سعود في البحر الاحمر

اثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وقفت مملكة ابن سعود على الحياد ٠ وكان فيصل في نيويورك ممثلا لوالده في اروقة الامم المتحدة وفي واشنطن العاصمة ٠ وفي ربيع ١٩٤٥ وبعد مؤتمر ـ يالطا الذي تم ما بين روزفلت وستالين وتشرشل ، حيث تقاسم الثلاثة الكبار مناطق النفوذ الجديدة، احس روزفلت باهمية النفط وبدوره في المستقبل ٠ فاوفد رسولا الى ابن سعود يطلب منه لقاء عاجلا ٠ كان روزفلت مريضا وكان الملك عبد العزيز هو الاخر قد تعب من الحروب والمشاكل وتقدم به العمر ٠ فتردد في تلبية الدعوة

بادىء الامر • لكن فيصل الح على والده بضرورة اللقاء مع الرئيس الامريكي لما فيه مصلحة البلد • وعلى ظهر المدمرة الامريكية « كينسي » تم لقاء الرجلين المريضين فوق البحيرات » المرة قرب مدينة الاسماعيلية المصرية » •

بدا اللقاء فاترا • اذ رحب روزفلت بالملك عبد العزيز بهذه العبارة : « انا سعيد برؤيتك • ماذا استطيع ان افعل لك ؟ » .

فرد ابن سعود : «انت الذىطلبت الاجتماع بى• وافترض ان عندك شيئا تقوله لى » •

وقد ذهل الرئيس الامريكي من الملك السعودى فاستـانف الحديث طالبـا » وضع اسس جديدة للعلاقات الودية بين البلدين • ثم تمنى على الملك ان يعطيه تصوره للسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط » •

وقد كرر ابن سعود امام الرئيس الامريكيوجهة نظره المعروفة التي سبق وشرحها للضباط الاتراك بعد ثورة ١٩١٣ : « بعد الحرب العـالمية الاولى تحررت الشعوب العربية من الاحتـلال العثمانى لتقع تحت الحماية الاجنبية • والآن بعـد انتهاء الحرب العالمية الثـانية ، فان هدف الشـعوب العربية ، هو اقامة اتحاد فيدرالى فيما بينها قائم على الايمان الواحـد الذى يجمع ما بين هـذه الشعوب »

وقد سر روفلت من هذا الكلام الذى وجد فيه هدفين لايتناقضان مع سياسة بلاده : الأول هـو طرد بريطانيا من الشرق العربى •

الثانى هو توكيد سـمعته بانه رجـل « غير استعمارى » •

فوافق على راى الملك السعودى • لكنه اقترح بعض الشروط منها :

١ ـ ان يوافق العرب على قيـام اسرائيل كما جاء فى وعد بلفور •

٢ ـ الا يعارضوا مزيدا من هجرة اليهود الى فلسطين •

هنا ، توتر الجو وصاح ابن سعود : لا يمكن ان نقبل بزيادة هجرة اليهود الى فلسطين • كما اننا لا يمكن ان نوافق على انشاء دولة غريبة ، تكون سببا فى مشاكل لاحدود لها » • وقد انتهى اللقاء دون ان يتزحزح ابن سعود قيد انملة عن موقفه • وقد افصح روزفلت فيما بعد عن انطباعه الى « برنارد باروخ » قائلا : « فى كل لقاءاتى مع الزعماء والسياسيين لم اصادف رجلا عنيـدا مثل ابن سعود ، ان ارادته من حديد » •

بعد هذا اللقاء سـافر امير الحجاز (فيصل) الى سان فرنسيسكو لتمثيل بلاده فى دورة الامم المتحدة • وكانت هذه الرحلة بالغة الاهمية فقد كانت الدورة (١٩٤٧) مخصصة لبحث المشكلة الفلسطينية بعد قرار بريطانيا بالانسحاب طبقا لوعدها فى العام ١٩٢٠ (!) وكان على الامم المتحدة ان تقرر هل تكون فلسطين دولة عربية أم تقسم ما بين اليهود والعرب •

واجتمع ممثلو الدولالعربية المعتمدة فى المنظمة الدولية ، وقرروا انتداب الامير فيصـــل ناطقا رسميا باسمهم ،وكانت وجهة النظر العربيةتتلخص فى رفض التقسيم • اجتمع الامير فيصل بالمستر « جورج ودسورن » وكيل الخارجية الامريكية فى حينه وبذل الامير السـعودى كل جهوده لكى تقف واشنطن الى جانب الحق العـــربى • وقد وعده الموظف الامريكى بان تعـارض الولايات المتحدة مشروع التقسـيم • وجاء فيصـــل يبلغ بدوره المندوبين العـرب بانه اخذ وعـدا من امريكا بالوقوف الى جانبهم •

وفى اليوم الاخير ، وصل « وايزمان » واجتمع سرا بترومان • واذا بحكومة امريكا تعلن اعترافها بدولة اسرائيل بعد ربع ساعة من قرار الجمعية فى (ايار ١٩٤٧)•ويقول المؤلف : ان هذاالقرار احرج فيصل امام زملائه ممثلى الدول العـربية وزعزع ثقته المطلقة بالسـياسة الامريكية تجاه قضية فلسطين • لكنه سكت وصبر •

ومات عبد العزيز فى العام ١٩٥٣

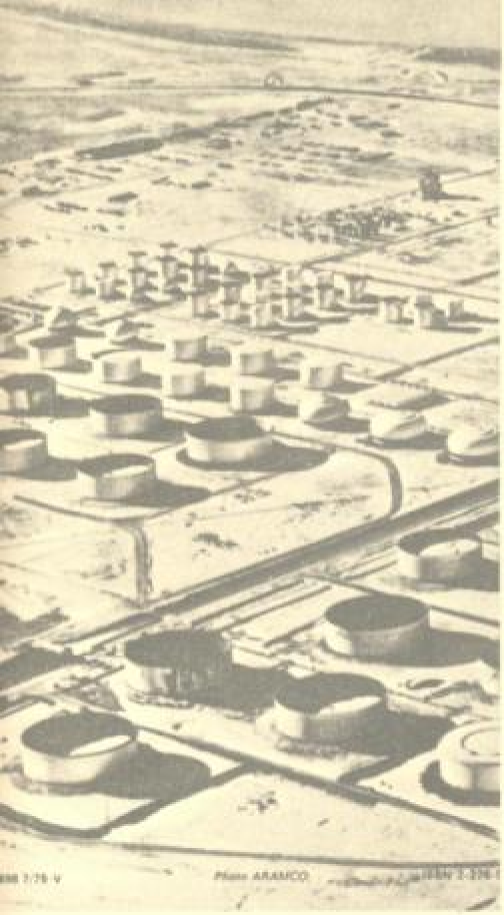
فى ٩ نوفمبر (تشرين الثـانى) ١٩٥٣ توفى الملك عبد العزيز فى مدينة الطائف عن ٧٤ عاما فى المكان نفسه الذى دفن فيه جدهومؤسس الاسرة سعود الكبير قبل حوالى المئة وعشرين سنة •وكان قبل وفاته قد اختار ابنه الاكبر سعود (من مواليد ١٩٠١) خلفا له •

وبدأ الامير فيصل مرحلة جديدة حيث اسندت اليه مهام ولاية العهد ووزارة الخارجية .

فيصل امام مشكلتين : سعود في الداخل وعبد الناصر في اليمن

بعد وفاة الوالد المؤسس ، واجه فيصل مشكلتين كبيرتين . مشكلة اخيه سعود في الداخل وثورة عبد الناصر في مصر . كان سعود كوالده عملاقا بشريا طوله متران واربع سنتيمترات يهوى ركوب الخيل وصيد الصقور . كريما الى حد البذخ لا يهتم بالعالم الخارجي قدر اهتمامه بشؤونه وشجون القبائل في الداخل التي كان يعيرها كل اهتمامه. وهو في ذلك على عكس اخيه الملك سعود ، فلما القيت عليه مسئولية العالم خارج السعودية ـ وهو ولي للعهد ـ لم يكن يضمر اي عداء لعبد الناصر في مطلع الخمسينات فان السنوات التي عاشها فيصل في القاهرة ، كانت تساعده على فهم اوضاع مصر ومشاكلها ولكن الاحداث دفعت البلدين الى طريق الخلاف . حتى وصلت الى حرب اليمن .

كان الامير فيصل مدعوا للعشـــاء الى مائدة الرئيس كندى في البيت الابيض .وقبل ان يتوجه للعشاء حمل اليه موظف السفارة السعودية برقية تقول : انقلاب عسكرى في صنعاء وقتــل الامام الجديد بدر بن احمــد . بينما كان فيصل يقرأ البرقية .كان الى جانبه السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العــلاقات الخارجية في الكونجرس الامريكي . امر الامير فيصل موظف السفارة بمتابعة الموقف . ثم استانف حديثه مع فولبرايت وكان شيئا لم يكن . في اليــوم التالى جاءته برقية ثانية : اعترفت موسكو بالنظام الجمهورى الجديد في صنعاء . في تلك الليلة كان الامير فيصـــل مدعوا للعشاء الى مائدة الرئيس الامريكي جون كندى .ومن حول الطاولة سال الرئيس الامريكي الامير فيصل رايه فيما حدث في اليمن فــرد الامير السعودى : « لا انصحكم بالتعجل بالاعتراف بحكومة السلال في صنعاء لان ازاحـــة الامام واعــــلان الجمهورية لا يعبران عن راى شعبي وعاد فيصل الى الرياض ليجد اخاه الملك سعود في حالة ارتباك لا يدرى ماذا يفعل .



في هذا الجو المضطرب عربيا ،وغير المواتي دوليا، وكان الوضع المالي للميزانية السعودية يسير هو ايضا من سيء الى أسوأ نتيجة لعــدم التنظيم وللاسراف . وفي مطلع شهر اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٤ تداعى امراء الاسرة السعودية الى « مجلس عائلي دائم » لبحث الاوضـاع . وكانت وجهات نظرهم متفقة حــول نقطة واحدة ، وهي وجوب استقالة الملك ســـعود . وقد صدر هذا القرار رسميا في ٢٥ اكتوبر بعد اجتماع مغلق لاخوة الدم في منزل الامير خالد بن عبد العـزيز (الملك الحالي) حيث تقرر فيه دعوة الامير فيصل لتحمل المسئوليات بعد استشارة العلماء والقضاة ومفتي الديار المقدســـة . وفي صباح ٢ نوفمبر (تشرين الحالي) ١٩٦٤ نودى على فيصـــل ملكا وعلى اخيه خالد وليا للعهد .

فيصل الملك

ان الفترة التى تبدأ فى العام ١٩٦٤ حتى العام ١٩٧٤ تعتبر بحق العصر الذهبى ، أو مرحلة « القفزة الكبرى » فقد ورث الملك الجديد مملكة شاسعة المساحة (١ر٨٤٠ر٠٠٠) حوالى المليونى كيلو متر مربع ، لا يتجاوز تعدادها الستة ملايين نسمة • وكان عليه ان يؤسس دولة جديدة « تتمشى مع روح العصر » • وكانت اولى المؤشرات وضع أسس ميزانية مالية للمملكة ثم الفصل الكامل بين مصاريف الامراء الشخصية والموازنة العامة للدولة • كذلك نقل فيصل السعودية من عهد « الاسياد الاقطاعيين » الى عهد « الامراء والمديرين » كما انشأ وزارات جديدة تتماشى مع متطلبات العصر ، والظروف العالمية •

ويمكن القول ايجازا : ان السعودية شهدت مرحلتين اساسيتين فى تاريخها ، الاول مرحلة التاسيس على يد الملك عبد العزيز والثانيةمرحلة البناء وذلك على يد الملك فيصل بن عبد العزيز•

ويوجز المؤلف الفرنسى مظاهر التطور فى المجالات الآتية :

● القوات المسلحة :

فقد انشأ فيصل جيشا مثلث الفروع : الحرس الوطنى • الجيش النظامى • وقوات البادية المعروفة (بالحرس الابيض) •

● الزراعة :

منذ انشاء المملكة كان هاجس ابن سعود ، وجود الماء وكيفية تامينه فى هذه الصحراء القاحلة الجرداء • وقد لاحظنا كيف حزن الملك المؤسس عام ١٩٣٢ عندما ظهر النفط ، ولم يظهر عوضا عنه الماء • وقد ورث فيصلءن الوالد المؤسس هذا الهاجس ، فاعطى الزراعة والماء اهتماما خاصا • ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ارقام الموازنات السنوية المخصصة للزراعة والرى ، فقد كانت مخصصات الزراعة فى موازنة العام ١٩٦٠ (٢١ر٣ مليون ريال) فرفعها الى ٣٨٢ر٣ مليون ريال فى العام ١٩٧٠ (اى بزيادة ٢٩٨٪) كما وصلت الموازنة اياها فىالعام ١٩٧٤ الىمبلغ ٩٧٢ مليون ريال سعودى •

ومنذ العام ١٩٥٦ (تاريخ اكتشاف الماء الجوفى علىعمق ١٤٠٠ مترعلى يد الخبراء الفرنسيين)• والملك فيصل يخطط لمشروع كبير اطلق عليه فيما بعد مشروع « ارواء الصحراء » وذلك للوصول بدولته الى مرحلة الاكتفاء الذاتى زراعيا فىحال نضوب النفط •وقد شهدت فترة حكمه العديد من مشاريع السدود والقنوات المائية التى روت سنة ١٩٧٤ ٢ر٥ مليون فدان مزروعة لاهالى البادية الرحل •

●طرقات ومواصلات :

• أما فى هذا الميدان فقد تجاوز مجموع ماانشىءفى المملكة خلال فترة العشر سنوات مجموع ما انجزته جميع البلاد العربية •

● التعليم :

كانت المشكلة الكبرى للمملكة (بعد مياه الرى) هى النقص فى العناصر البشرية المتعلمة • وقد حلت هذه المشكلة جزئيا بواسطة سياسة مجانية التعليم • فقد كان عدد المدارس الابتدائية والاعدادية حتى العام ١٩٥٢ لا يتجاوز (٣١٦) فبلغ عام ١٩٧٣ (٦ر٥٩٤) مدرسة • بينما ارتفع عدد الطلاب فى المدة نفسها من ٣٩ر٩٢٠ الى ٧٠٧ر٣١٨ اى ان نسبة الزيادة وصلت الى ١٥ الف خلال عشرين سنة •

مكانة فيصل عربيا ودوليا

نتيجة للادوار الاساسية التى اوكلت الىفيصل منذ نعومة اظافره (مؤتمر باريس — وزارة الخارجية تمثيل بلاده فى الامم المتحدة) ، فقد تكونت لدى الامير السابق والملك الحالى ثقافة سياسية عامة ، ومعرفة دقيقة باوضاع البلاد العربية وارتباطاتها بالظروف الدولية • وكانت اول مناسبة عربية (بعد توليه العرش) فى مؤتمر الخرطوم (١٩٦٧) الذىتلا هزيمة ٥ يونيو للعام نفسه ، كانت مصر عبد الناصر تواجه ازمة خطيرة عسكريا وسياسيا واقتصاديا بالاضافة الى ما تبقى من رواسب حرب اليمن بين العاصمتين العربيتين (جدة والقاهرة) ووجهت الدعوة لعقد مؤتمر القمةالعربى الطارىء فىالعاصمة السودانية فى الخرطوم •وانتظر فيصل خمسة ايام، لم ابرق

الى منظمي المؤتمر يبلغهم موافقته على الحضور.

وفي المؤتمر المذكور : طرح عبد الناصر على الملوك والرؤساء العرب حقيقة الموقف بكل ابعاده، واخذ الملك فيصل زمام المبادرة فتكلم معلنا ان بلاده مستعدة لتعويض مصر ٣٧٪ من عائدات قناة السويس المغلقة . وذلك بموجب دفعات شهرية.

وفي رأي المؤلف الفرنسي : ان قرار فيصل بمساعدة مصر في مؤتمر الخرطوم شكل نقطةتحول في السياسة العربية لمصر . فقد نتج عن ذلك ومنذ ذلك التاريخ (خريف١٩٦٧) ان بدأ نجم الملك فيصل يشرق في سماء السياسة العربية .

وقد ساعد في اشراق النجم الجديد ، بروز النفط منذ منتصف الستينات كمحرك اساسي في سياسة المنطقة العربية ، وفي سياسة الدول الكبرى كلها حيال البلاد العربية . وهكذا صارت مملكة آل سعود تحوي كعبة المسلمين واماكنهم المقدسة . وثروة النفط التي قدرها الخبراء (بعد زيادة الاسعار في مؤتمر طهران ١٩٧٤) بحوالي ٨٠٠ مليار دولار (على اساس استمرار التدفق لغاية عام ٢٠٠٠) ومراعاة لتطور طبيعي في الاسعار .

فمكانة فيصل من الناحية الاسلامية لا تقتصر فقط على رعاياه داخل المملكة بل تمتد لتشمل حوالي الـ ٤٠٠ مليون مسلم موزعين في ثلاثة ارباع الكرة الارضية من موريتانيا في شمال افريقيا الى الفيلبين في اقصى الجنوب الشرقي لآسيا . وقد ابتكر الملك الراحل اسلوب « مؤتمرات القمة الاسلامية » للاجتماع برؤساء هذه الدول وبزعمائها الروحيين . وقد حضر وشارك في العديد منها : (في مكة ١٩٦٨ وفي الرباط ١٩٦٩ ـ وجدة ٧٢ وبنغازي ٧٤).

حرب اكتوبر ١٩٧٣ .. والصلاة في القدس

في خلال خمسين سنة ، تحققت معظم آمال واحلام فيصل بن عبد العزيز آل سعود فبلده الرياض التي ولد فيها في مطلع هذا القرن ، صارت عاصمة اساسية من عواصم العالم ، كما ان شأن الاسرة السعودية في الجزيرة وفي المنطقة العربية قد وصل الى درجة ما كان يحلم بها المؤسسون . لكن امنية واحدة ظلت تراود احلام « خليفة المسلمين وحامي الحرمين » وهي تحرير المسجد الاقصى في مدينة القدس الفلسطينية ، وهي ثالث مدينة اسلامية مقدسة بعد مكة والمدينة وقد اختصر الملك فيصل هذه الامنية بعبارته الشهيرة : « امنيتي قبل الوفاة .. ان اصلي في القدس » وقد تكررت هذه العبارة على لسان العاهل السعودي بعد حرب اكتوبر ٧٣ التي استطاع في اثنائها جنود مصر عبور قناة السويس ودك خط بارليف « الشهير » .

وباندلاع الحرب بعد ظهر السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣ على الجبهتين السورية والمصرية وما نتج عنها من كسب معنوي وعسكري ونفسي لمصر وسوريا وللامة العربية جمعاء كان فيصل يستعد لبدء حربه النفطية في وجه الغرب الصناعي . فبعد يومين فقط من بدء العمليات الحربية في سيناء والجولان المحتلتين . كلف الملك الراحل وزيره لشؤون النفط الدكتور احمد زكي اليماني بدعوة اعضاء منظمة « الاوبيك » (الدول المصدرة للنفط) الى اجتماع طارىء لمساندة دول المواجهة وقد عقد الاجتماع في الكويت وصدرت على اثره المقررات الآتية :

١ ـ زيادة اسعار النفط الخام بنسبة ٧٠ ٪ .

٢ ـ تخفيض الانتاج بنسبة ٥ ٪ كل شهر الى حين انسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ .

٣ ـ فرض حظر تصدير النفط الى الولايات المتحدة وغيرها من الدول المساندة لاسرائيل (هولندا والبرتغال) .

نيكسون في القاهرة وفيصل في أسوان

يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ ، حطت في مطار هليوبوليس في القاهرة طائرته الخاصة التي اقلت الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون في اول زيارة له الى مصر .

وكانت المحطة التالية لنيكسون هي الرياض

وهكذا ، بينما كان الرئيسان نيكسون والسادات

يستعرضان الجماهير في شوارع القاهرة كان الملك فيصل في ديوانه الملكي في الرياض يراقب ويحسب ويستعد للقاء آخر رئيس امريكي اجتمع اليه قبل رحيله ٠

كان لقاء نيكسون وفيصل مختلفا عن لقاء روزفلت وعبد العزيز آل سعود قبل حوالي الثلاثين سنة ٠فلم يسال الرئيس الامريكي ملك السعودية: « ماذا استطيع ان اقدم لجلالتكم » بل اعلن «جئت استمع الى نصائح الملك فيصل » وقد جاهر فيصل برأيه العربي علنا في خطبته الرسمية امام نيكسون حين قال : « لقد كان عرب فلسطين ضحية عدوان غاشم لم يشهد التاريخ له مثيلا حتى في احلك عصوره ٠٠ ولن يقوم سلام دائم في هذه المنطقة ما لم ترجع القدس عربية ويسترد شعب فلسطين حقوقه المشروعة ٠

وتلبدت العلاقات العربية الامريكية بالغيوم ففي ٢٧ سبتمبر نشرت مجلة « انتر بريز » تعليقا ذكرت فيه : « ان النفط هو سبب معضلة التضخم التي يعاني منها الغرب لانه تحول الى سلعة انتقام من الدول المنتجة ضد الدول المستهلكة : » وبعد ايام ، افصح امين عام حلف شمال الاطلسي (لونز) عن قناعاته بهذه الصورة : «ان كل دولة او امة تواجه خطر الاختناق من حقها اللجوء الى القوة» وحاول وزير النفط السعودي الشيخ احمد زكي اليماني التخفيف من عبء الحملة معلنا في تصريح صحافي : « نحن لا نريد ولا نسعى لخنق الاقتصاد العالمي ، كل ما نسعى اليه ٠هو فك خناق الشركات الكبرى عن اعناق شعبنا » وقد وصلت ذروة الحملة بتصريح للرئيس الامريكي الجديد فورد الى مجلة « تايم » قال فيه « ان الوضع في الشرق الاوسط خطير » ٠ وقد يؤدي الى صدام مسلح » وتبع هذه التصريحات اعلان في احدى كبريات الصحف الامريكية عن خطة وقائية لاحتلال منابع النفط مع رسوم وتدريبات للكتيبة ٨٢ وما شابه ٠

الرحلة الاخيرة

ولدى عودته من زيارة دمشق احس الملك بجو جديد يحيط به ،فقد توفي فجاة وخلال مدة لاتتجاوز الثلاثة شهور ، ثلاثة من كبار معاونيه وخلصائه (عمر السقاف وزير الخارجية ـ رشاد فرعون مستشاره القديم ، ثم مدير البنك المركزي السعودي) وبدا وجهه يميل للحزن ٠ وانصرمت السنوات السبعون التي امضى من اصلها خمسين عاما في السلطة لكنه مع ذلك ، لم يضعف ولم يهن واستمر برغم اوجاع معدته يتابع شؤون الدولة يوما بيوم وساعة بساعة ٠ ولسان حاله يردد انها اولا واخيرا مشيئة الله ٠ لكني اتمنى شيئا واحدا : « الصلاة في القدس » ٠ في هذا الوقت كان الموقف العسكري والسياسي في الشرق الاوسط يدور هو الآخر في حلقة مفرغة فبعد مفاوضات وقف اطلاق النار الاولى (خريف ٧٣) لم تحرز المساعي الامريكية اى تقدم ملموس ٠ بل على العكس ، بدات تسمع اصوات اسرائيلية تطالب بالتصلب وبعدم التنازل عن شبر من الارض المحتلة فما كان « مكوك » كيسنجر يتحرك ذهابا وايابا مابين واشنطن وعواصم الدول المعنية٠ حتى جاء خريف وشتاء ١٩٧٥ وعاد كيسنجر حاملا معه اقتراحات جديدة ٠

وجاء رد رئيس وزراء اسرائيل مقتضبا جافا « يتوجب علىّ مراجعة الوزراء قبل الرد على مقترحاتكم » وفي الخامسة بعد الظهر دعي الوزراء الاسرائيليون الى اجتماع طارىء فيما انتحى الدكتور كيسنجر ركنا مجاورا في مبنى رئاسة الوزارة محاولا وضع اعصابه في ثلاجة عند منتصف الليل ، انفرط الاجتماع الوزاري مشى اسحق رابين باتجاه الدكتور كيسنجر الذى كان واقفا في حالة عصبية ٠ وبادره رابين قائلا : لقد تداول مجلس الوزراء في مقترحاتكم ويؤسفني يا معالي الوزير ابلاغكم بان قرار الوزراء كان غير اجماعي ورد كيسنجر : هذ قراركم النهائي ؟

ـ رابين : نعم

وفي هذه اللحظات تلاشى ما جمد من اعصاب كيسنجر فمشى ببطء الى خارج صالون رئاسة الوزارة تاركا لدموعه حرية الحركة على خديه ٠ ولم تمض اربع وعشرون ساعة على هذا المشهد ، حتى وقعت حادثة اغتيال الملك فيصل في مكتبه ظهر الجمعة ٢٥ مارس (اذار) ١٩٧٥ ٠

وبذلك انتهت ملحمة قائد عربي عظيم ، تاركا وراءه مسيرة طويلة لابد من السير فيها ٠ ■■

ابراهيم سلامه



من الكتب التى وصلتنا

سيناء : الارض والحرب والبشر

المؤلف : سالم اليماني

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة .

● هذا الكتاب فى (٣٣٠) صفحة من القطع المتوسط ، وهو من سلسلة « كتاب الساعة » التى تعرض للشؤون العربية اليوم ، يتضمن مقدمة وخاتمة «بينهما ستة ابواب» فى كل باب بضعة فصول . فى المقدمة يذكر المؤلف اهمية سيناء لمصر اليوم اقتصاديا وحربيا ، وانه لايعتمد على كتب التاريخ والجغرافية بقدر اعتماده على ملاحظاته وتجاربه فى سيناء لانه من اهلها .

الباب الاول يعرض مصرية سيناء من اقدم عصورها ، كما يعرض جغرافيتها واستراتيجيتها ، وفصول الباب الثاني توضح محاولات المستعمرين عزل سيناء عن مصر ، وخيبة هذه المحاولات على مدى التاريخ حتى اليوم ، وفصول الباب الثالث توضح اقتصاديات سيناء من حيث معادنها وزراعتها ومعالمها السياحية ، وفصول الباب الرابع توضح ما حدث من حروب في سيناء ، منها حرب يونية سنة ٦٧ ، وحرب اكتوبر سنة ٧٣ ، وما بذله ابناء سيناء من مساعدات لوطنهم مصر ، ضد الاسرائيليين ، وفصول الباب الخامس تتحدث عن مجتمع سيناء من حضر وبدو وعاداتهم وطرقهم فى التقاضى وقوانينهم العشائرية ، ومكانة «الادب» عندهم ، ووجوه التشابه بينهم وبين سكان البوادى فى وديان مصر وسائر البلاد العربية ، وفصول الباب السادس والاخير تتحدث بمستقبل سيناء ومشروعات التعمير فيها ، وما يقترحه المؤلف فى ذلك لتوطين اهلها ، وفى الخاتمة يلخص جولته فى كتابه ، ويدعو اصحاب الاقلام والمسئولين لزيارة سيناء ، وابداء مقترحاتهم فى وسائل تعميرها الكثيرة .

بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية الى العصر الحديث

المؤلف : الدكتور اسماعيل الصيفى .

الناشر : دار القلم ـ الكويت .

● فى هذا العصر تناول كثير من مؤرخى النقد الشعرى عند العرب حركة هذا النقد ، ورسموا لها مدارس ومذاهب كالنقد عند الغربيين ، وهذا الكتاب يتجنب طريقة هؤلاء المؤرخين ، وحجته ان حركة النقد عندنا قديما لا ينطبق عليها المصطلحان « مدارس » و « مذاهب » ، لانهما يعنيان نشاطا فكريا له اسسه الفلسفية والفنية ، وهذا ما لم يتم لحركة النقد عندنا قديما ، لهذا آثر المؤلف ان يرسم « بيئات نقد الشعر » للتفرقة بين حركة النقد الشعرى عند العرب وعند الغربيين ، من حيث طبيعة النقد وتطوره عند كلا الفريقين ، وقد اراد بمصطلحه « بيئة » ان يدل على جملة ظروف فى وسط معين ، لاهله ثقافتهم الخاصة ، متاثرين ببعض الشعراء .

والكتاب مقدمة وفصلان . فالمقدمة توضح معنى الاسلوب وعناصره ، وتعرض نماذج شعرية ، توضيحا لعناصره (العاطفة ، والفكرة والتعبير) ويلم بعنصر الصور ، وموسيقى الشعر الخارجية والداخلية .

اما الفصل الاول فيتتبع بيئات نقد الشعر فى الجاهلية ، فالعصر الاموى ، فالعصر العباسى حتى نهاية القرن السابع ، فيتوسع فيه لكثرة ما الف من كتب النقد فيه ، ويهتم بكتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى .

اما الفصل الثانى فخاص بنقد الشعر فى العصر الحديث ، وهو يشير الى بيئاته جملة ، ويميز بين اربع منها سماها على التوالى : بيئة الاتباعية الجديدة ، وبيئة المدرسة الفرنسية ، وبيئة المدرسة الانجليزية ، وبيئة « جمعية ابولو » وقد عرض لكل منها بما يوضح ملامحها اجمالا ، واحق هذه البيئات باسم مدرسة هى البيئة الانجليزية ، واصحابها هم العقاد والمازنى وشكرى .

معجم مصطلحات البترول والصناعة النفطية

المؤلف : احمد شفيق الخطيب ·

الناشر : مكتبة لبنان ــ بيروت ·

● يبلغ هذا المعجم الانجليزى العربى نحو ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ولا تكاد صفحة منه تخلو من صورة للدلالة على مسمى المصطلح وتوضيح معناه ، وهذه احدى مزايا المعاجم الحديثة ·

وقد صدر المؤلف معجمه هذا بمقدمة وضح فيها الجهد الذى عاناه ، وان المعجم وضع لكل « من يهمهم البترول ومقتنيات الصناعة النفطية فى شتى مراحلها من تنقيب واستخراج وتكرير وتسويق ونقل ومكننة واستخدام » واعقب ذلك بايضاحات لمعالم واختصارات اتبعها فى المعجم تيسر على القارىء فهم محتوياته ·

ثم اورد المؤلف الالفاظ الانجليزية بحسب ترتيبها الالفبائى المعروف وامام كل لفظ ما يقابله بالعربية كلمة او اكثر ، مع شرح مختصر احيانا ، ثم اعقب ذلك بعدة جداول: بعضها فى درجات الحرارة وقياسها ، وضغط البخار والماء ضد الهواء ، والعناصر ونسبها وخواصها ، وجدول الازمنة الجيولوجية ، ورموز الخرائط الجيولوجية ، ورموز الاختصار المستعملة فى العلوم والبحوث العلمية · وختم معجمه بموجز لاهم القرارات اللغوية التى اتخذها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وكان قد قررها لتسهيل عمل المترجمين وواضعى المصطلحات العلمية والفنية والصناعية ·

هذه هى اليمن

تاليف : عبدالله احمد النور

الناشر : مكتبة بن غازى/صنعاء/اليمن

■ يتناول هذا الكتاب دراسة تاريخ اليمن ، ذلك الجزء المتوارى من ارض العرب ، الذى كان المهد الاول للعرب ومنه انساحوا فى هجرات متفرقة الى ارجاء الوطن العربى الكبير · فعلى ارض اليمن التقت الحضارات القديمة وتصارعت امواج المطامع من الرومان ، واليونان ، الى الفراعنة ، فالبطالمة ، فالانباط ، ثم الاحباش ، فالفرس ·

واليوم ــ وابناء اليمن يضعون اقدامهم الصلبة على طريق الحياة المفتوحة ــ يجب ان تكون بين يديهم هذه الصفحات من تاريخ بلادهم ، تذكرهم بما كان لهم ، وما كان عليهم ، فى الماضى البعيد والقريب ، وقد اختار المؤلف ان يكون عنوان الكتاب (هذه هى اليمن) عنوانا لما فيه من مطابقة للموضوع الذى يشمل اليمن تاريخيا وجغرافيا ، ويعتبر رسما شاملا للارض ، وللتاريخ القديم والوسيط والحديث ·

والكتاب مقسم الى خمسة فصول: تناول الفصل الاول جغرافية اليمن موقعا وجبالا وسهولا ووديانا وثروة ومناخا ، وفى الفصل الثانى تحدث عن تاريخ اليمن القديم من المرحلة المجهولة الى مشرق فجر الاسلام ، اما الفصل الثالث فيختص بالفترة ما بين دخول الاسلام فى اليمن ، الى نهاية سقوط نفوذ الدولة العباسية ، والفصل الرابع ابتدأ مع انفصال اليمن من الدولة العباسية ، ثم ظهور دويلة بنى زياد ، وما تلاها من دويلات اخرى الى سقوط الامامة فى اليمن ، اما الفصل الخامس والاخير فهو عبارة عن دراسة موجزة لاوضاع اليمن المعاصرة مع التقسيمات السياسية والادارية فى اقليمى الشمال والجنوب ، والاجزاء المسلوبة منها ·

الارض والانسان فى الوطن العربى

تاليف : الدكتور عبد المنعم بلبع

الناشر : دار المطبوعات الجديدة/الاسكندرية

● يهدف هذا الكتاب اول ما يهدف الى بيان وحدة العرب ارضا وامة ، وكل ما يزيدنا معرفة بالوطن العربى ويعمق مضمون هذه الوحدة ، ويغذى الايمان بها ، ونقلها من محيط العاطفة والمشاعر الى محيط الواقع بما يكون ، ويحدد ملامحه من انهار وجبال وصحارى ووديان · هذا الواقع هو الذى يجمع او يفرق ، يقرب او يبعد ، ولذلك جاء حديث المؤلف عن الارض وكيف ان تكوينها فى الوطن العربى يجمع شعوب هذا الوطن ويقربها ويمزجها بعضها ببعض منذ آلاف السنين ·

وكان الدافع الذى حدا بالمؤلف الى تاليف هذا الكتاب ، هو ما لاحظه من نقص فيما يعرفه الشباب عن الوطن العربى ، ودوره الفعال فى تاريخ الحضارة الانسانية ، ثم اهمية موقع الوطن العربى الخطير وما يسيطر عليه من بحار وخلجان واجواء ، ثم ما تنتجه الارض من خيرات ، والجهود التى تبذلها الشعوب العربية فى مختلف اقطارها لتنفض عنها غبار التخلف ، متخذة من الارض محورا لهذه الجهود · ■■

بريد القراء ومعرض آرائهم



لماذا لاتجمع « العربي » استطلاعاتها في كتاب واحد ؟

● اقتراح اعرضه عليكم الا وهو ان تجمعوا الاستطلاعات التي نشرها « العربي » منذ ولادته.. حتى الان في كتاب واحد ليكون مرجعا عربيا يفيد منه القارىء العربي .. ويقيني ان كتابا كهذا سينفد من السوق بمجرد صدوره مهما غلا ثمنه .. ولا شك انكم قادرون على تنفيذ مثل هذا العمل الجليل .

الدكتور السيد فهمي الشناوي القاهرة

المشاكل السياسية العالمية

● ان اضافة باب خاص بمشاكل السياسة العالمية الى مجلة « العربي » ليست رغبتي فحسب ، بل هي رغبة الكثير من القراء ، سواء أكانت هذه المشاكل عربية او اجنبية .. مثل مشكلة الصحراء المتنازع عليها بين المغرب والجزائر وموريتانيا ، ومشكلة انجولا ... الخ..

سعيد الحاج يونس ـ سوريا

مشاكل وحلول اجتماعية

● في كثير من المجلات يوجد باب يسمى باب « مشاكل وحلول » .. فيا ليتكم توافقونني على استحداث مثل هذا الباب في مجلتنا « العربي».. اذ ان الكثير من الشباب العربي يتورط في مشاكل متعددة الجوانب ، وخصوصا في هذه المرحلة التي يشتد فيها الصراع بين القديم والحديث من التقاليد والمفاهيم ..

زهير حامد مجلد / السعودية

كلمة ومعنى

● الكتب والمجلات تمتلىء بتعابير ومصطلحات وامثال جديدة وقديمة .. تبدو غير مفهومة لعدد كبير من القراء ...فحبذا لو اضفتم الى«العربي» بابا تحت عنوان « كلمة ومعنى » او «مثل وقصة»

محمد علي سلطان المسعود ـ البحرين

لاتنسوا افريقيا

● ارجو كشاب افريقي ان تقوم « العربي » ببعض الرحلات والجولات الاستطلاعية في القارة الافريقية ، لتعطي صورة صادقة للمواطن العربي عما يدور في هذه القارة .

ممادو دياني ـ السنغال

استطلعوا العالم الاسلامي

● ارجو ان يمتد نشاط « العربي » لاستطلاع العالم الاسلامي ، فلا تبقى الاستطلاعات مقصورة على العالم العربي فحسب .

اسماعيل عبد الله الحرز ـ الكويت

قضايا امتنا العربية

● ليت « العربي » يكثر من عرض الكتب التي تخرجها مطابع الغرب ، وتكون في موضوعاتها متصلة بقضايا الأمة العربية ..

قارىء غيور / السعودية

من غرائب القضاء

● نامل ان تستانفوا نشر امثال تلك المقالات التي كان يكتبها الاستاذ حسن الجداوي تحت باب من غرائب القضاء ، لانني لاحظت مؤخرا انها احتجبت ..

محمد حسن ابو الشعور/قطر

جامعاتنا العربية

● الا ترون معي ان اقتراحا لاستطلاع جامعات الوطن العربي هو اقتراح جدير بالاهتمام .

سلمان كاظم حمزة/العراق

العالم العربى والتصنيع

● لست ادري أيتسع صدر الدكتور سيد ابو النجا لتعقيبي على مقاله القيم الذي نشره « العربي » في عدد اغسطس / ٧٥ تحت عنوان « العالم العربي لايتقدم الا بالتصنيع » ، واظنه متسعا لذلك .. وعليه اقول بانه كان اجدر بنا ان نربط التصنيع بالنظرة الوحدوية .. فالكاتب الكريم لم يتطرق الى ضرورة التكامل الاقتصادي العربي .. والى التخلص من منافسة العرب بعضهم لبعض .

ان توجيه الاقتصاد والسيطرة عليه مع حمايته ورعايته والتفكير بتكامل اقتصادي عربي ، هما الشرطان الاساسيان للرخاء والاستقرار .

علي عبود البدر
واسط / العراق

العربى فى ليبيا

● في بريد قراء تموز / ٧٥ من « العربي » قال احد القراء ان مجلة « العربي » لاتوزع في ليبيا منذ اعوام ثلاثة ... وهذا قول يجافي الحقيقة .. فقد يقل التوزيع لاسباب او ظروف طارئة ولكنه لم ينقطع ابدا .. ونحن القراء في ليبيا ننتظر « العربي » بفارغ الصبر ، فهي تحمل اسم كل فرد منا من المحيط الى الخليج .

محمد احمد اليوسفي
غريان / ليبيا

أعيدوا طبع اعداد « العــربى » الأولى

● اطلب بالحاح من القائمين على مجلة«العربي» ان يعيدوا طبع الاعداد الاولى من هـذا السـفر الثمين .. وانا متاكد ان العديد من القــراء يتلهفون على اقتناء هذه الاعداد التي يندر وجودها اليوم .

اكرر رجائي ان تفعلوا هذا خدمة لقرائكم .

مليانى عبد الوافى ــ المغرب

الآثار الاسلامية فى فلسطين والأردن

● انني في حاجة الى مراجع وافية عن الآثار الاسلامية، وبخاصة قصور الخلفاء الامويين في البادية ، جئتكم راجيا ارشادي الى ماسبق ان نشرتموه من مقالات او استطلاعات تتناول تلك الآثار والقصور .. فانا بصدد القيام ببحث حولها ..

محمد محسن/الزرقاء /الاردن

ــ العربي : لعلك تحسن صنعا لو رجعت الى كتاب « الآثار الاسلامية في فلسطين والاردن » للاستاذ محمود العابدي (منشورات المطابع التعاونية في عمان سنة ١٩٧٢) .

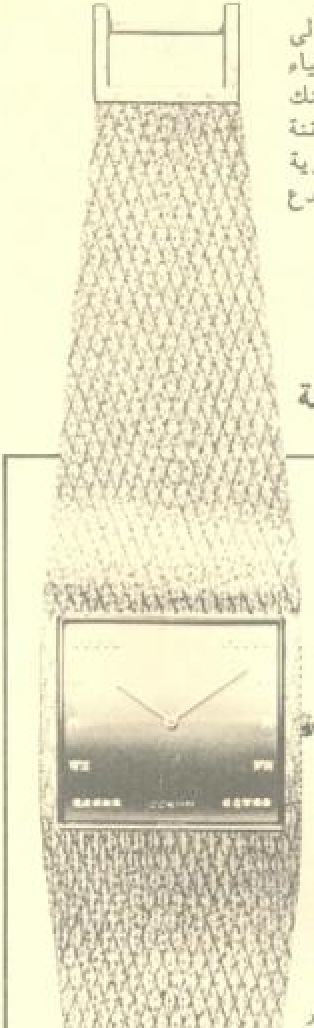
مدير جامعة صنعاء

● قرات مقالا عن جولة بين المخدرات والحشيش والقات في عدد ديسمبر /٧٥ من مجلة « العربي » بقلم الدكتور عبد الملك ابوعوف .. وقد ورد تحت اسم الكاتب عبارة مدير جامعة صنعاء وبما ان الدكتور عبد الملك ابو عوف ليس مديرا لجامعة صنعاء عند نشركم المقال وانما مدير الجامعة المذكورة هو الدكتور عبد المحسن العبادي .. لذلك وجب التنوية ، مع العلم ان الدكتور عبد الملك ابو عوف قد سبق له ان عين مديرا لجامعة صنعاء في العام الدراسي الماضي ، ولم يبق سوى فترة وجــيزة ..

قارىء من صنعاء

CARRINGTON

منذ سنة ١٧٨٠ ونحن مصدر هدايا لخلق ثروة ثمينة

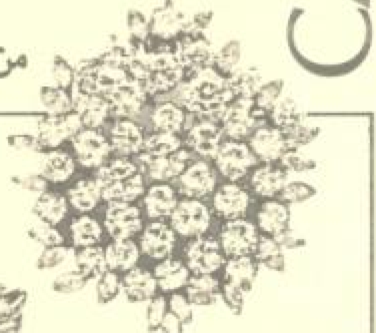


لأكثر من قرنين يأتي الناس الى (كارينجتون) لزيادة ممتلكاتهم من الأشياء الثمينة ، ففى اطار ساحر الجمال ، يمكنك أن تشاهد مجموعة من المجوهرات المتقنة الفاتنة ٠ ساعات رائعة ، وفضيات أثرية حديثة فاخرة ٠ اذا كنت في لندن لا تدع الفرصة تفوتك لزيارة (كارينجتون)

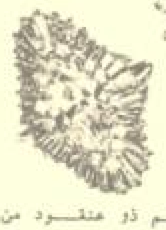
يمكن للزوار من الخارج الاستفادة من خصم التصدير الذى يصل الى ٢٠٪ ٠

من اصنافنا الثمينة

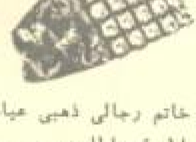
ساعة رجالية ذهبية
عيار ١٨ قيراطا ذهبا
ابيض مع اللؤلؤ مائية
على قرص الساعة
الازرق ٥٩٠٠ دولار



بروش ماس
١٧٠٠٠ دولار



خاتم ذو عنقود من
الماس ٢٥٠٠٠ دولار



خاتم رجالي ذهبي عيار
١٨ قيراطا ومرصع
بالماس ١٧٠٠ دولار



أزرار قمصان ذهبية ،عيار ١٨ قيراطا
(ذهب ابيض)ومرصعة بالماس ٨٠٠ دولار

CARRINGTON
only at 130 Regent Street, London, W1R 6HU. Telephone: 01-734 3727



مستجلات - راديو فيليپس الكمال رفيقك اينما كنت

مجموعات آلات تسجيل الصوت المهنية تستلزم التقيد بمعطيات علمية وتقنية دقيقة. هذا ما توصلت اليه فيليبس من مدة طويلة وأوجدته في مجموعة كاملة للتسجيل من أصغر آلة الى أكثرها تطوراً. إنها ثمرة خبرة عالية واسعة ناجحة من تفوق تقني وفني تتطوره

فيليبس بنجاح منذ نصف قرن تقريباً. هذا التفوق التقني والفني ظاهر أيضاً في كل مسجلة راديو فيليبس.
مع فيليبس تثق بأنك تحصل على الافضل وهذا ما تنتظره من مبتكري الكاسيت

PHILIPS

فيليپس الأفضل لكم دوماً


وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة — حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠٪ في السنة — وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهرياً.

١٠½٪ في السنة — حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central
Bankers

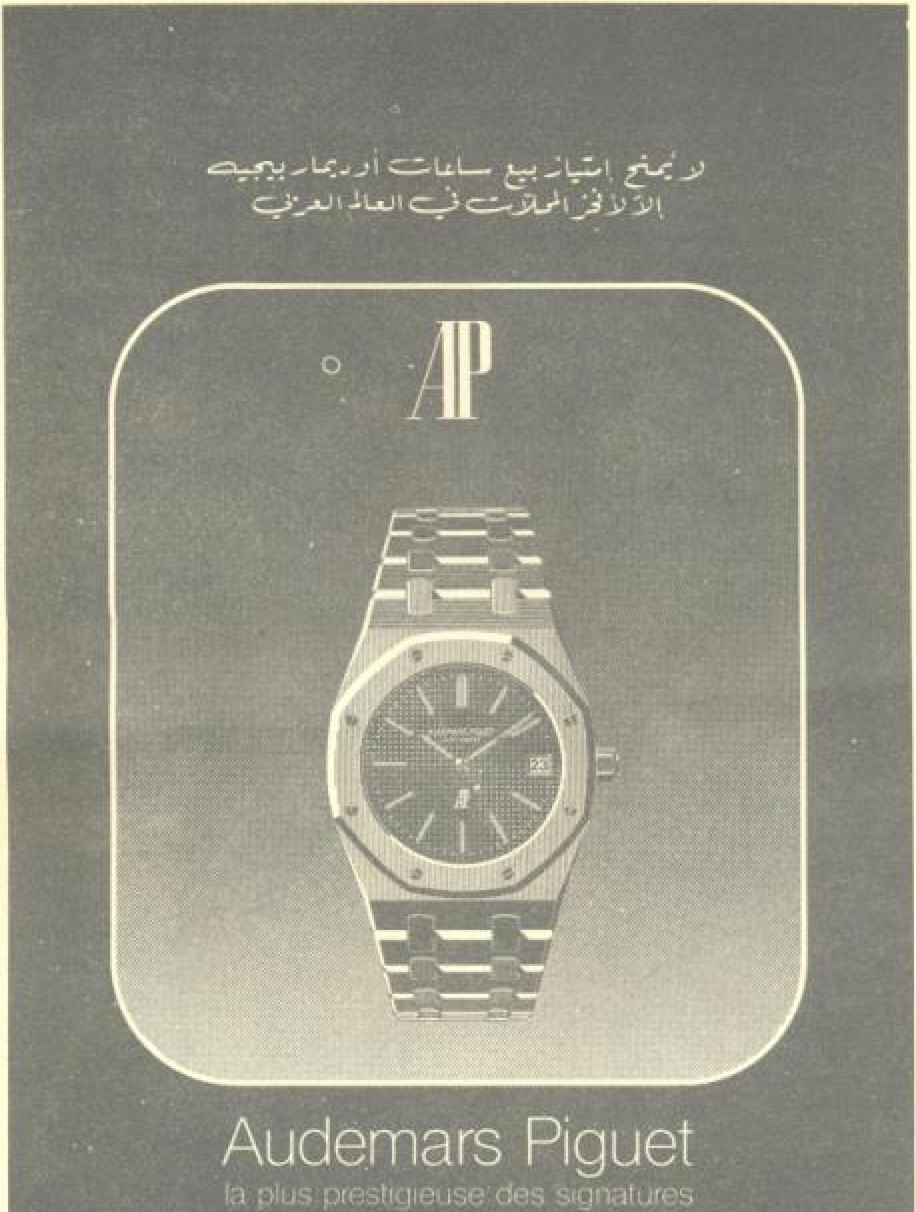
Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

الاسم :

العنوان :

2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.


لا يُمنح امتياز بيع ساعات أوديمار بيجيه
إلا لأفخر المحلات في العالم العربي
AP
Audemars Piguet
la plus prestigieuse des signatures


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٧٦

(٧٩)

زفاف زبيدة

تأليف : هوجو فون هوفمانزتال

ترجمة وتقديم : د. يسرى خميس

مراجعة : د. محمود فهمي حجازي

عندَ التشغيل: ألوَان جَميلة وَطبيعيّة
وَبعدَ إنتهاء البرامج: قطعة فاخِرة من الأثاث

ملايين البقع الدقيقة وضعت على خلفية سَوداء في تلفزيونكم الملوّن موديل CTP 6412 قياس ٢٠ بوصَة بشاشته المتريكس السوداء ليوفر لكم اكثر الالوان حيَوية ووضوحًا . وَيحتفظ الجهاز بعد وقف تشغيله بجماله وجاذبيته وعلبته الخشبية الانيقة وقوائمه القوية وأبوابه المنزلقة لتغطية واجهته بكاملها . انه قطعة اثاث تتناسب مع كافة أشكال الديكور .



الموديل CTP-6412

تلفزيون ملوّن بشاشة متريكس سَوداء ٢٠ بوصَة

SANYO سانيو

AAA/H/CTP/75

العربي

العدد ٢١٠
جمادى الاولى ١٣٩٦
مايو
(أيار) ١٩٧٦



المرأة الكويتية مع الفن المسرحي (ص ٣٨)

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٥٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٫٥ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢٫٥ درهم



لوحة لها قصة : الغجرية النائمة « للفنان الفرنسى هنرى روسو » (انظر المقال صفحة ٩٩)

لغة الكتابة

■ مشكلة اللغة العربية انها غنية جدا ، وربما كانت اغنى اللغات الحية على الاطلاق . فلا يوجد فن حديث او علم حديث الا ويمكن ان تستوعبه اللغة العربية وتعبر عنه بدقة شديدة . واذا كان هذا لا يحدث احيانا ، كاستمرار التدريس فى بعض الكليات العملية باللغات الاجنبية ، فان العيب فينا ، وفى تقصيرنا ، وليس فى اللغة .

والثراء الشديد ، الذى تتميز به اللغة العربية ، كما انه ميزة ، فقد كان احيانا مشكلة .

ذلك ان فن التعبير بالقول والكتابة هو كلمة ومعنى . لغة ومحتوى . وفى عصور الانحطاط مثلا ، حين كان يجف الفكر ويتجمد ، كنا نجد الكتاب يقفون عند حدود الكلمات ، وبحر اللغة واسع . فيتنافسون فى استخدام غرائب الكلمات ، والمهجور منها ، اثباتا للعلم والفصاحة .

اما فى عصور النهضة فالفصاحة معناها الفكر والقدرة على التعبير عنه وبأسهل الكلمات ، لان ثراء لغتنا يتمثل ايضا فى قدرتها على السهولة والبساطة . والبساطة توجه ذهن القارىء الى المعنى ، فى حين أن التعقيد قد يصرفه عن المعنى ، واحيانا يقصد به اخفاء الفراغ الفكرى .

وهل من مثل اعظم من الاحاديث النبوية الشريفة المأثورة عن النبى ؟ انها كلها تستخدم ابسط الكلمات ، واقصر الجمل ، فى بلاغة لا نظير لها .

وفى تاريخ الادب العربى هل هناك مثل بساطة اسلوب الجاحظ ؟ انظر الى كتابه « البخلاء » وكيف يروى فيه القصة ، ويرسم اشخاصها ، فى كلمات بسيطة وايجاز عبقرى ، وكأن كل كلمة حبة لؤلؤ موضوعة فى مكانها ، دون تقعر ، ودون زيادة أو نقصان ..

ومنذ بدأنا نأخذ باسباب النهضة مال الكتاب مرة اخرى الى البساطة والبلاغة فى القول . دون حاجة الى التقعر ، والبحث عن غريب الكلم ، واذا كان هذا لا يعجب البعض ، فانهم ربما لا يدركون ان اللغة اداة ووسيلة . فهى ليست هدفا مقصودا لذاته ، وانما هى وسيلة للتعبير عن شىء . ومعيار البلاغة هو القدرة على التعبير من أبسط طريق ، ودون اخلال باللغة طبعا .

وقد حدثت هذه التقلبات تبعا للعصور فى كل اللغات الكبرى .

ويروى كاتب روسى انه ذهب فى شبابه يعرض نموذجا لكتابته على عملاق الادب الروسى تولوستوى ، وكان يصف فيما يبدو مشهد الصباح وصفا معقدا ، فصاح فيه تولوستوى :

ــ كفى ! قل « الشمس تشرق ، والطيور تغرد ! » هكذا ببساطة .. الا اذا كان ليس عندك شىء مفيد تريد ان تقوله !

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 210 MAY 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● طالبتـان كويتيتـان فى قسم الديكور التابع للمعهد العالى للفنون المسرحية ، لقد افتتح هذا المعهد فى اكتوبر عام ١٩٧٣ .. والفن المسرحى ليس جديدا على الكويت ، فقد كان بالامس هواية .. اما اليوم فقد اصبح علما وفنا وأساسا لتنمية قدرات الانسان العربى فى الكويت كما هو فى كل مكان من ارجاء وطننا العربى الكبير . (انظر الاستطلاع ص ٣٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص . ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .

من ...

إلى ...

بقلم : أحمد بهاء الدين

كان الحديث يدور بين بعض « المثقفين » ، هنا في الكويت ، وان جاءوا من اقطار عربية مختلفة عن حريق دار الاوبرا في القاهرة ، وما اعلن وقتها عن اعادة بنائها فورا ، ولماذا لم يتم شيء من هذا الى الآن . وبقي مكان الاوبرا ساحة واسعة لوقوف السيارات . وذلك بوصف انها كانت دار الاوبرا الوحيدة في العالم العربي ، وانها كانت احد أبرز معالم القاهرة ، ليس بمبناها ، ولكن برمزها ومعناها ، وما كانت تقدم فوق خشبتها من أعمال فنية ، وفرق عالمية ، وماكانت تقوم به بالتالي من دور كهمزة وصل بين عاصمة عربية وعواصم العالم المتقدم في مجال هام من مجالات الثقافة والفكر والفن والمتعة الراقية .

وتحمس فريق لضرورة اعادة بناء دار الاوبرا ، مهما كانت ظروف الحرب وظروف الاقتصاد ، فلابد ان يقتطع لها نصيب من ميزانيات وزارات الثقافة والتعليم والتعمير ، لان الاوبرا حجر اساس في الثقافة والتعليم والتعمير جميعا .

وتحمس آخرون لان يتبرع الشعب في مصر ـ ومن يشاء بعد ذلك من خارج مصر ـ وخصوصا المثقفون منه لبناء الاوبرا ، ففي التبرع الشعبي معنى المبادرة العامة من المهتمين بارتقاء بلادهم في مجال يهتمون به .. واذا كان غيرهم من أبناء الشعب يقاتل في ساعات اخرى ، فتلك ساحتهم التي يقاتلون فيها ...

وطرح آخرون سؤالا هاما :

حضارة ذهبية قديمة
حضارة جديدة لا مفر منها

الفرق بين بناء دار للاوبرا واقامة معمل للابحاث العلمية

صحيح أن احتراق دار الاوبرا فى القاهرة ، كان خسارة فادحة بكل المعانى ..

ولكن ، اما وقد احترقت فعلا وانتهى الامر ، وصار اعادة بنائها امرا يكلف مبالغ ضخمة من ميزانية الدولة كانت او من اموال التبرعات ، فهل ياترى بناء دار للاوبرا ، بهذه التكاليف الضخمة ، ياتى حقا فى هذه المرتبة المتقدمة من سلم الاولويات بالنسبة لاى شعب يواجه متطلبات اخرى اولى واهم ، حتى فى ميدان الثقافة ؟

ان دار الاوبرا فى أى مكان لايرتادها الا الخاصة من المثقفين ، وهم قلة قليلة بين مجموع اى شعب من شعوب بلادنا ...

فهل انفاق المال على بناء دار للاوبرا أهم ، ام أن الاجدى انفاق هذا المال فى مكافحة الامية مثلا ؟ اوفى توسيع نطاق المدارس والجامعات ؟ او على الصحة العامة ... الى آخره.

واحتدم النقاش ، دون أن يصل الى قرار .

الانسان والعلم

أثار هذا النقاش في خاطري قضيةاساسية من القضـايا التى تواجـهها بلادنا وكل البلاد الآخذة فى التقدم ،وهى قضية : النخبة ، والجماهير ...

كما أنه أثار فى خاطـرى قضيةاخرى هامة ، هى قضية العلوم العلمية والتطبيقيـة .. كالهندسـة والطبوالكيمياء .. والعلـوم الانسـانية كالقانون والادب والفن والاجتـماعوالتاريخ ...

وعلاقة الامرين بحكاية الاختيار بينبناء دار للاوبرا او الانفاق على محو الامية ، علاقة واضحة .

فبالنسبة للعلوم التطبيقية والعلومالانسانية .. نجد انه لو قام من يدعو الى انفاق الملايين لتوفير وسائل البحثالعلمي من اجهزة ومعامل ، لما اعترض عليه احد ، في حين انه لو قام منيدعوالي انفاق هذه المبالغ على ما يشبه هذه المعامل بالنسـبة لاهل العلـومالانسانية ، لجادل فى ذلك المجادلون ، وذلك مظهر من مظاهر التصور الكاسحللحضارة بوصفها تتمثل فى الجوانب المادية للحياة ، دون الجوانب المعنوية.فالحضارة هى السـيارة والطـائرة والمصنع والمدفع ، واى شيء يسـاعدعلى التقدم فى هذه العلوم اسـاسى ومفهوم وموضع حماس الجميع . اماالجوانب المعنوية للحضارة التى تتمثل فى « مجموعة القيـم » التى يأخذ بهاالمجتـمع المتحضر ، وهى القيم التى تحرسها وترعاها وتطـورها العلومالانسانية ، فهى امور صارت فى نظر النـاس ثانوية ، او نوعا من انواعالترف ...

وقد نجد هـذا الرأى قـويا بينالمجتمعات التى لديها ذخيرة قديمة من العلوم الانسانية . من فلسفة وعقائدوفكر وفن ، ولكنها مع ذلك تشعر انها فى الذيل من طابور التقدم .

وينطبق هذا مثلا علىعالمنا العربىبتراثه الفنى فى كل هذه الامور ، وفقره فى ارباب القوة المادية .

ويختزل هذا الموقف ، القول المأثورعن أمين الريحاني : أنا الشرق عندى فلسفات ، من يأخذها ويعطينى دباباتوطائرات !

ومثل هذه الاتجـاهات فى حياةالشعوب ، فى فترات معينة ، كثيرا ما تكون بمثابة « رد فعل » ...

فالبلاد ذات الحضـارات العريقة كالعرب والهند والصين مثلا ، تجد ان لديهـا تراثا عريقـا كما ذكرت منالثقافة والتراث وكل ما يدخل تحت باب العلوم الانسانية ... ولكنها معذلك تجد نفسها فى عالمنا هذا الحديث مستضعفة . فهى لم تلحق بالثـورة« الصناعية » التى هى نتيجة العلـوم التطبيقية .. ثم لم تلحق بعصر « مابعد الثورة الصناعية » الذى نعيشه الآن ، فاتها عصر البخـار ، ثم عصرالكهرباء ، ويفوتها الآن عصر الذرة. وازاء هذا يكون رد الفعل حادا ،احيانايكون بالفزع من مواجهة مستقبل هذا وصـفه ، وبالهروب الى المـاضى ،والدعوة الى استرجاععصر كان ذهبيا، فى حين انه كان ذهبيـا فى ظروفهوزمـانه ، وعودته برمته لا يعنى بالضرورة انه سيكونذهبيا مرة اخرى،واحيانا يصلببعض الشعوب الى درجة

كراهية هذا الماضي المجيد ، والرغبة في تحطيمه ، كأنه هو العقبة التي تحول دون تقدمها ، كما حدث في الصين ، خلال ما اسمته بالثورة الثقافية فقاموا يهاجمون كونفوشيوس، ويندون بكل الحكماء الاوائل ، ويحطمون تماثيلهم وآثارهم الفنية الرائعة الجميلة !

ولا شك ان رد الفعل ، في كلتا الحالتين ، خطأ ...

على الاقل لاسباب ثلاثة :

الموقف من الماضي

السبب الاول ، ان تحطيم الماضي والثورة الشاملة عليه ، ومحاولة محوه .. فوق انه امر غير ممكن عمليا ،فانه عمل غير منتج ، لان اى حضارة قديمة لاشك انها تميزت بشيء ،وخطت بالانسانية خطوة ، وساهمت بدور في وضع اسس الحضارة الحديثة التي نراها ،ليس فقط في جوانبها الفلسفية والفكرية ، ولكن ايضا في جوانبها المادية والتطبيقية ...

فنحن ننسى مثلا ان اختراع الدبابة كان مستحيلا ،لولا سلسلة طويلة جدا، بدات منذ الاف السنين ، على يد الفراعنة ، حين اخترعوا العجلة الحربية • ونحن نرى اليوم ان العجلة شيء بديهي • ولكن كل شيء يبدو بديهيا بعد اكتشافه وصنعه بزمن •فمن يولد اليوم يجد ان الطائرة مثلا شيء بديهي • ولكنه لم يكن كذلك قبل اقل من عشرين سنة ، بل كان مجرد خيال علمي طريف •

ونحن ننسى انه لولا اختراع الورق في الصين قبل الاف السنين ، لما امكن اختراع المطبعة، والكتاب ، والجريدة،وبالتالي انتشار العلم وجعله ميسرا وفي متناول الملايين ...

ونحن ننسى انه لولا اكتشافات علماء العرب في الرياضيات والفلك • كالبيروني وغيره • لما امكن الوصول الى النظريات الرياضية الحديثة ، وأينشتين ، والنسبية ، وتحطيم الذرة•

اذن ، فالذين يحاولون تحطيم حضارات الماضي القديمة باسرها ، ومحوها محوا•• ينسون مسالة بديهية،وهي ان تلك الحضارات ، كان التقدم فيها يمشي على القدمين معا : على التقدم والابتكار في العلوم العقلية والانسانية ، وعلى التقدم والابتكار في العلوم التطبيقية • وكلمة التكنولوجيا كلمة جديدة • ولكن معناها قديم • وهو تحويل المعرفة العلمية النظرية الى نتيجة تطبيقية علمية ، يستوى في ذلك اكتشاف النار من الانسان الاول مع اكتشاف الالكترون من قبل الانسان الحديث •

ولربما كان السبب ، في نسيان الناس لهذه الحقيقة ، هو أن العلوم التطبيقية، سريعة التغير بطبيعتها ينسخ احدهما الآخر ويلغيه ويستغنى عنه ، كالانتقال من السفينة التي تسير بالشراع الى السفينة التي تسير بالبخار ، الى السفينة التي تسير بالطاقة الذرية •في حين أن العلوم الانسانية أطول عمرا وأطول بقاء ، وأحيانا الى درجة الخلود • لان العلوم الانسانية في جانب كبير منها تتناول الانسان ذاته •وهو اكثر العناصر بقاء واقلها تغيرا • في مشاعره وأحاسيسه وغرائزه ،والعوامل المؤثرة في صفاته •



لوحة بانورامية تمثل عصر النهضة الاوروبي ونجومه من مايكل

وليس أدل على القيمة الكبرى للماضي بهذا المعنى المتكامل ، من أننا نجد أن أكثر الدول تقدما وتحضرا ورقيا بمعايير العصر الحديث، هي الدول التي تتميز بالمخترعات الحديثة والمظاهر المادية للتقدم ، هي نفسها أكثر الدول اهتماما وعناية في التنقيب عن آثار الماضي ، مهما كان بعيدا عنها في الزمان والمكان ..

اكتشاف جمجمة انسان ترجع الى عشرات الآلاف من السنين ، في أقصى انحاء الأرض ، خبر هام ينشر في الصفحات الاولى من صحف أوروبا وأمريكا ، ويتجادل فيه العلماء ، وتحتدم حوله الاستنتاجات ..

الجامعات الامريكية والاوروبية الكبرى .. هي التي ترسل البعوث ، وتعتمد الميزانيات ، لعمل الحفريات والتنقيب عن آثار عمرها آلاف السنين في البحرين ، أو في جزيرة فيلكا أمام شاطيء مدينة الكويت ، أو في الكشف تحت تراكمات الزمن في مدينة قديمة كالقاهرة لدراسة نظم البناء والمعمار وشبكات الماء والمجاري في المدن الفاطمية القديمة التي اندثرت .

وحين جاء نابليون الى مصر ومعه بعثة من أعظم علماء فرنسا ، ليكشف عن آثار مصر ، ويعثر على حجر رشيد، ويفك لغز اللغة الهيروغليفية ، لتفهم أسرار حضارة بادت منذ آلاف السنين .. كل هذا ليس ترفا . ولكنه في جانب أثر من آثار غريزة الانسان في الحاجة الى معرفة أمه وأبيه وأصوله، ومن أين جاءت، وفي جانب منها ادراك عميق أن الانسان كلما زاد معرفة بتاريخه زاد معرفة بنفسه ، وكلما زاد فهمه لماضيه زادت قدرته على تصور مستقبله .

النقطة الثانية ، أو رد الفعل الثاني ، وهو الفزع من حضارة العصر الحديث ، بتحدياتها العنيفة والجانب القاسي من ملامحها ، ومواجهة ذلك بالهرب الى الماضي ، والاستكانة الى القديم ، والانسياق لحلم غامض بالرجوع الى عصر كان ذهبيا في أوانه، فهو بدوره رد فعل خاطيء ، نفهمه في الحقيقة من خلال علم النفس ، أكثر مما نفهم من خلال مصلحة المجتمع ، والامر هنا يبدو بديهيا لا يحتاج الى اكثر من استخدام العقل السليم، رغم انه في العادة ـ كالحال في بلادنا ـ محل خلاف شديد .



انجلو فى اقصى اليمين الى رافايللو الى الجيوكندا فى اليسار •

فلا يمكن لمجتمع يريد الحياة أن يرجع كليا الى الوراء • ولا يمكن ان يهرب مجتمع الى كهف ينام فيه قرونا ثم يصحو ليجد ان الأمور قد تطورت لصالحه أو أن الحياة قد توقفت عند لحظة اغفاءته • فكل ترتيب وضعه الانسان قبل ألف سنة ليواجه ظروفا معينة ، لا يمكن أن يصلح لورثته بعد ألف سنة • ولا يمكن أن يعفيهم من واجبهم فى ترتيب أمورهم من جديد ، اكتفاء بجهد الاجداد والاسلاف العظام • فهؤلاء الاسلاف كانوا عظاما لانهم لم يركنوا الى ما وجدوه من قبلهم ولكنهم تقدموا وصنعوا الجديد فى عصرهم ، وكل ماض تندثر منه أشياء وتبقى منه أشياء •

الظروف تتغير باستمرار ، ولا بد من مواجهة الظروف الجديدة بحلول جديدة •

الواحة غير القرية غير المدينة الكبيرة • الرعاة غير الفلاحين غير العمال المحتشدين فى المصانع والمحكومين بالآلات •

تبقى من الماضى قيم اساسية • وقسمات خاصة بكل شعب كانت له فترات حضارية عظيمة • وتكوين نفسى عام نتيجة الرسالة السماوية ، واحداث التاريخ ، وحقائق الجغرافيا الباقية ، والامتحانات التى مر بها • ولكن يتغير اسلوب الحياة وانماط السلوك بتغير شكل الانتاج واسلوب التجمع السكانى وقدرات العلوم والاكتشافات المتتالية •

ولو أننا احتكمنا الى المنطق المجرد ، لقلنا ان الامة التى كانت لها حضارة عظيمة وتاريخ مجيد ، هى التى يجب ان تكون اسرع فى اليقظة من سباتها ، والتخلص من عوامل تخلفها ، والانطلاق الى التقدم • ولكن كثيرين من علماء وخبراء «التنمية» المعاصرين يلاحظون ان العكس هو الذى يحدث فى حالات كثيرة • فالمجتمع البادىء من نقطة ليس لها تاريخ ، يتحرك بسرعة اكبر ، لانه ليس لديه ما يجعله ينظر الى الوراء • وليس له هوية قديمة يحرص على الاحتفاظ بها وهو يقتحم مغامرة التقدم •

والمثل على هذا فى العصر الحديث نجده فى المقارنة بين السرعة التى اندفعت بها الولايات المتحدة الامريكية والبطء النسبى الذى سارت به اوروبا وهى الام فى كل مجال تفوقت فيه امريكا •

النموذج الامريكي

ذلك ان امريكا بدأت بالمهاجرين ٠المهاجرون جاءوا اليها هربا من ماضيهم في اوروبا ، كطريقة للفرار من سيئاته ومعوقاته ٠ الاضطهاد الديني ، الحروب الوطنية ، التعصبات الاقليمية، النظام الطبقي ٠٠ كل هذه الملامح الاوروبية فر منها مهاجرون ، ارتادوا امريكا ، يعملون فقط ، بغير هذه العقد ، كل فرد حر في دينه ٠الولايات التي تكونت هناك التحمت في بساطة شديدة في وطن واحد كبير ٠البوتقة صهرت الفرنسي والالماني والانجليزي والاسباني الذين ظلوا في اوروبا قبل ذلك وبعد ذلك يتحاربون٠ امتيازات الوراثة لم توجد ـ وليس صدفة ـ ولادة اول نظام جمهوري هناك٠ الفرصة المتكافئة كقاعدة في المجتمع بدأت هناك من جديد ٠٠٠

ولست انسى دهشة ذلك الصديق من كندا كلما قلت له في القاهرة : هذا المبنى عمره الف سنة ٠٠ وقوله :عندما نجد في كندا مبنى عمره خمسون عاما نعتبره أثرا تاريخيا عريقا !

فالبلاد ذات الحضارات الذهبية القديمة ـ مثلنا ـ تواجه في الواقع معادلة لابد من حلها ٠

فالغاء التاريخ عبث ، والسكنى بين مقابره وآثاره انتحار ٠ انما لابد من الاسراع بايجاد صيغة تجمع بين القدرة على استيعاب التراث ومواجهة المستقبل ٠

وهذا لا يكون الا بمعاملة التراث معاملة انتقاء ، لا معاملة اكتفاء وانكفاء ٠ والتوجه الى المستقبل في شجاعة وليس في خوف واتقاء ٠

ولعله مما يسهل علينا هذا ، ان ندرك ما ننساه في نظرتنا الى الحضارات القديمة ، من ان التقدم فيها كان انسانيا وماديا على السواء٠ كما ذكرت من قبل ، تماما كأي حضارة حديثة ٠

الجانب المادي للحضارة

وهذا ينقلنا الى النقطة الثالثة ٠٠٠وهي اننا كثيرا ما ننسى ان الحضارة الحديثة الراهنة، هي ايضا قامت كسابقاتها على اساس من التقدم في الناحيتين : العلوم الانسانية والعلوم التطبيقية او التكنولوجية على السواء٠

لا شك ان الحضارة الحديثة ،بحكم التقدم العلمي المتسارع ، تبدي من نفسها للناس وجها طاغيا في ماديته ٠الامر الذي جعل الكثيرين يظنون ان هذا الجانب المادي الساحق هو الحضارة كلها ، فالتقدم التكنولوجي الذي تم في مائتي سنة لم يرث مثله في الفي سنة قبل ذلك ٠ ظل الانسان آلاف السنين مثلا يركب الدواب او ماتجره الدواب ، ولكن الانسان في خمسين سنة ، اي في عمر متوسط الانسان ،عرف الدراجة والسيارة والقطار والطائرة والغواصة والصاروخ والاقمار الصناعية !

هذا الوجه الطاغي في ماديته للحضارة الحديثة ، كان من خصائصه

ايضا ايجاد تسهيلات مباشرة للحياة اليومية للفرد العادى • فقصور الاباطرة والملوك والامراء عبر آلاف السنين لم تكن فيها التسهيلات الموجودة في بيت اى فرد بسيط من مياه جارية واضاءة سهلة نقية بالكهرباء ومصاعد وثلاجات وسخانات واجهزة تكيف الهواء وتغسل الاوانى والثياب وراديو وتليفزيون واجهزة تنقل الاخبار والاصوات والصور عبر آلاف الاميال فى ثوان •

هذا كله رسخ فى اذهان كثيرة ان الحضارة الآن هى اعادة فى كل مظاهرها • وانها كلها خرجت من معامل الباحثين فى العلوم التطبيقية والتكنولوجية •

وهذا خطأ كبير •••

فهذه الحضارة الحديثة كغيرها من قبل قامت على العلوم الانسانية والتطبيقية معا • عصر النهضة عرف الرسامين العظام والادباء والفلاسفة الكبار جنبا الى جنب مع العلماء • ولو اخترنا رمزا لوجب ان نذكر ليوناردو دافنشى رسام عصر النهضة الذى كان يرسم اجمل اللوحات ويرسم نماذج علمية للغواصة والكبارى المعلقة وغيرها ، الحضارة الحديثة صنعتها ريشة رافايللو وبيكاسو كما صنعتها موسيقى بتهوفن وكما صنعتها فلسفة ديكارت وهيجل وكما صنعتها تجارب اديسون وماركوني ،ورياضيات اينشتين وصواريخ فون براون وقنابل اوبنهايمر الامريكي وزخارف الروسى الذرية والهيدروجينية ،ومطبعة جوتنبرج وادب فولتير والفكر السياسى لتوماس جفرسون وابحاث فرويد ويونج فى نفس الانسان ، مهما كانت محل خلاف او اتفاق •

كل لا يتجزأ

ان الحضارة كل لا يتجزأ • انها تربة واحدة تنتج زهورا مختلفة لكنها متسقة متكاملة • انها مجموعة قيم ،بخيرها وشرها، يفلسفها الفكر وترعاها العلوم الاجتماعية وتدعمها العلوم التكنولوجية ، ولا يتصور قيام تحضر اعرج يعتمد على عنصر واحد دون سائر العناصر التى تعطى الظاهرة الاجتماعية اسم الحضارة • وتعطى كلمة الحضارة معناها ، وترسم لها مسيرها ، نموها او اندثارها •

ولقد استنفدت فيما يبدو الصفحات التى لى ، فى الحديث عن قضية واحدة من القضيتين اللتين اثارتهما مناقشة عن بناء دار للاوبرا •••

اردت ان اقول ان اقامة « مجمع فنى » رفيع لا يقل قيمة واهمية عن اقامة « معمل ابحاث » رفيع ، والظن بان الثانى يعطى بمفرده نتائج ملموسة محسوسة مادية يمكن ان تكون وحدها حضارة ، ظن خاطىء ••

اما القضية الثانية ، قضية « النخبة والجماهير » فيبدو انه لابد من تركها لحديث آخر •••

احمد بهاء الدين

- الانسان يكون كارها ، بقدر ما يكون خائفا

يوليوس قيصر

- السلطة فساد ، والسلطة المطلقة فساد مطلق

لورد اكتون

- والظلم من شيم النفوس ، فان تجد
ذا عفـــة فلعلـــة لا يظلـــم

المتنبى

- (نفس المعنى بعد ألف سنة) الفضيلة .. عجز !

اناتول فرانس

- من يناقش الحب طويلا .. يفقده !

جوزيف اديسون

- اننى اموت .. بمساعدة الاطباء

الاسكندر المقدونى

- الريش الجميل ليس كافيا ليصنع طائرا جميلا

ايسوب

- نحن ننسى لاننا نحتاج للنسيان ، لا لأننا نريده

جورج ارنولد

- كلما كانت الحفلة أقصر .. كانت انجح

جين اوستن

- اذا بدأ الانسان باليقين فسوف ينتهى الى الشك ، واذا بدأ بالشك فسوف ينتهى الى اليقين

فرانسيس بيكون

- كل الالوان .. تتشابه فى الظلام

فرانسيس بيكون

- قليل من المتحمسين .. يمكن الثقة بهم !

لورد بالفور

- خير طريقة لمقاومة الاغراء .. هى الخضوع له

اوسكار وايلد

- اى فنان ، لا يكتب الا تاريخ حياته

هافيلوك ايليس

- الناس تقرأ .. لكى لا تفكر !

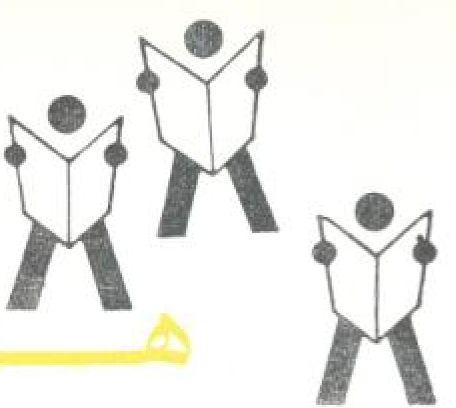
سيرارثر هيلبز

- لا يوجد انسان ، محصن ضد النفاق

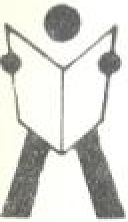
سويفت

- الافكار العظيمة .. تأتى من القلب !

المركيز فوفينارج



بعض همومنا الثقافية



ما هى حدود الالتزام فى الادب ؟ ولماذا يحبس أدبنا فى دائرة صغيرة ؟ ولماذا ليس له دور فى الثقافة العالمية ؟

بقلم : الدكتور على الراعى

■ قبل سنوات قليلة ، ظن فريق من ذوى النوايا الطيبة فى مصر انهم يستطيعون أن يبلغوا اسماع العالم وابصاره بفننا المسرحيلو هم أنشأوا اعمالا مسرحية باللغات الحية ، وترجموا الى هذه اللغات بعض ما يتوسمون فيه الخير من مسرحيات كتبت أصلا باللغة العربية ·

ويومها وضع هذا الفريق من المواطنين الاخيار مشروعا طموحا كان يقضى بكتابة اوبرا كاملةباللغة الانجليزية موضوعها : « نابليون فى مصر ومقاومة الشعب المصرى لحكمه » ، كما اتسع المشروعلبعض مسرحيات لكتاب معروفين اظن أن توفيق الحكيم كان بينهم ·

ورغم أهمية المشروع وفائدته الظاهرية ،ورغم انه كان يعد بان ينقل فننا المسرحى الى لندن وكارديف وليفربول وغيرها من الاقاليم البريطانية، فقد تمنيت ـ فى نفسى ـ الا يبلغ المشروع مرحلة التنفيذ ·

ذلك انه يعالج ظاهرة نشكو منها جميعا ،علاجا ظاهريا لا يتعمق الاشياء · واعنى بهذه الظاهرة: قلة انتشار الأدب العربى والثقافة العربية عامة ، وعجزها الواضح عن ان تطرق الآذان وتعرض نفسها على العقول فى العالم اجمع ، كما يفعل كثير من الثقافات المعاصرة ·

الظاهرة موجودة ، ولكن العلاج المقترح سطحى وهامشى · فهو يفترض ان الثقافة العربية غير معروفة فى العالم على النحو الواجب لأن اللغة التى تحمل هذه الثقافة الى الناس ـ اللغة العربية ـ قليلة الانتشار ·

وما دامت قلة انتشار العربية هى السبب ،فمن الممكن ان نجتاز العقبة بترجمة اعمالنا الفنية والثقافية الى اللغات الحية ، فان هذا كفيل بأن يحصل لنا على تقدير العالم ·

فهل هذا صحيح ؟

يبدو لى ان كثيرا من الناس يعتقدون انهصحيح فعلا · وهم لهذا يضعون المشروعات الثقافية

المتوالية القائمة كلها على ترجمة النتاج الثقافي العربي الى لغات العالم الحية ، بأمل ان تكون الترجمة هى الجسر المؤدى الى اهتمام العالم بنا وبما ننتج من فن وثقافة •

ومرة اخرى هل هذا صحيح ؟

لننظر الى نتائج التجارب العملية القليلة التى تمت فى هذا المضمار ، لعلنا نجد فيها الاجابة •

قبل سنوات قليلة جمع ناشر بريطانى بعض اعمال الكتاب المصريين فى لون القصة القصيرة ، وترجمه الى الانجليزية ونشره نشرا لائقا ، ثم اقام ينتظر النتيجة • وكانت هذه النتيجة مخيبة للآمال حقا • فان عددا قليلا من النسخ قد بيع ، ولم يحقق النشر ايا من الآمال التى تعلقت عليه ،ولم يترك الأثر الثقافى المرجو منه •

ذلك ان مادة القصص وليس لغتها هى السبب الجوهرى فى ان احدا لم يلتفت اليها قبل ذلك التاريخ• ولو كانت القصصتحوى تجارب انسانية عميقة الأثر ، قادرة على تخطى نطاق الخصوصية الى النطاق العام ، لوجدت من يهتم بنقلها الى لغات العالم ، وهو سعيد ، وواثق من النجاح الفنى والنجاح المادى معا •

وآية ذلك ان بعضا من الاعمال الفنية العربية قد ترجم الى لغات العالم دون حضز من أحد ، ترجمت « يوميات نائب فى الارياف » الى الروسية مثلا ـ فى ثلاثينات هذا القرن، ولم يكن بين مصر والاتحاد السوفيتى اذ ذاك اية علاقة من اى نوع • كما ترجمت ايام طه حسين وبعض روايات محمود تيمور الى لغات اوروبية ، لأن دارسين معينين وجدوا فيها مادة انسانية تستحق ان تنقل وان تؤثر فى قراء العالم شرقا وغربا •

ومن جهة اخرى ، فما اظن ان كتابة محمد ديب وكاتب يس وجورج شحاده لاعمالهم باللغة الفرنسية قد كانت السببالجوهرى فى اناعمالهم لقيت عرفانا عالميا • وانما السبب الرئيسى حقا ان اعمالهم قد قدت من مادة الفن العظيم الكفيلة ـ وحدها او بشىء قليل من العون ـ بأن تظهرنا للعالم فى احسن حلة ، فتحظى اعمالنا بالتقدير الذى تستحق •

فاذا لم تكن اللغةالعربية ذاتها وقلة انتشارها هى السبب فى قلة انتشار الثقافة العربية فماذا ـ اذن ـ يكون السبب ؟

تعالوا ننظر معا الى الواقع الثقافى العربى

من حوالى عامين سالنى مندوب لمجلة مصرية عن رايى فى الجهود التى بذلتها اجهزة النشر عندنا فى القطاعين العام والخاص ، وهل اسهمت هذه الجهود فى اكساب الكتاب العربى مزيدا من الانتشار ؟

وقلت لمندوب المجلة اننى ـ بصفة عامة لا أرى ان دور النشر عندنا قد حققت فى ذلك العام او الاعوام السابقة عليه انتشارا ذا بال للكتاب •

واضفت ان اسباب هذا القصور كثيرة ، فبالاضافة الى عيوب النشر المعروفة هناك عجز اساسى فى الموقفالعام للكتاب مرجعه حقيقة ينبغى ان نذكرها دائما ، الا وهى تفشى الامية فى ارجاء الوطن العربى •

ومعنى هذا ان الكتاب يوجه نفسه لجمهور لا وجود حقيقى له •

ويضاعف من اثر هذه المشكلة قلة انتشار العربية فى العالم •

فالكتاب العربى ـ بهذا المعنى ـ واقع بين شقى الرحى ، فهو ـ من جهة ـ لا أمل كبير له فى غير القارىء العربى •

وهو ـ من جهة اخرى ـ اذا ما وجه نفسه لهذا القارىء ، لم يجد أذنا تسمع ، ولا عينا ترى •

وعلى هذا ، فكل خطة لنشر الكتاب لا تربط نفسها بخطة اكبر لمحو الامية ، لن تحقق الا نتائج قليلة •

هذا ما قلته اذ ذاك لمندوب المجلة المصرية

غير اننى اضيفه اليه اليوم ان للأمية اثرا افدح من هذا بكثير على الثقافة العربية • فانها تحصر دائرتها فى قلة من الناس هم مثقفو الطبقة



طه حسين



توفيق الحكيم



محمود تيمور

الوسطى بفئاتها المختلفة ، وفى أفراد من طبقات اخرى ان وجدت فى بلد عربى ما ، وتحرم الثقافة العربية من معبرين جدد ينبغى ان يوجدوا فىفئات الشعب الواسعة المختلفة من عمال وفلاحين وغيرهم.

ان هذه الملايين الصامتة لا تجد من يعبر عن أشواقها وتطلعاتها ووجدانها بين الكتاب والمثقفين الذين ينتجون الثقافة العربية او يوجهون امورها اليوم . ذلك أن الامية تحول بينهم وبين التعبير الفنى او تمامه ، بما تقيم من حاجز صلد بين الملايين وبين الادوات العاملة للنتاج الثقافى والروحى من كتاب او مجلة او مسرحية او فيلم .

وبهذا لاتستقبل هذه الملايين الاجزاء القيمة حقا فى الثقافة العربية ولا تقوم فرص كثيرة فى ينهض من بينها من يستطيع ان ينتج الثقافة المعبرة عنه وعن الملايين التى ينتمى اليها .

وبصرف النظر عن القيمة الفورية التى تكون لثقافة هذه الفئة ولنتاجها الفنى ، فان غيابهذه الثقافة ـ أيا كان قدرها ـ يحرم الثقافة العربية المعاصرة من نعمة التفاعل بين الشىء ومقابله ، ولا يمنحها الحيوية والتنوع اللازمين لكى تنتفض ثقافة ما بالحياة ، وتمضى قدما فى سبيل خلق الاعمال العظيمة .

فاذا اضفنا الى هذا ، ان ما يحدث فى البلد العربى الواحد ، يحدث شىء مشابه له بين البلاد العربية المختلفة ، لتبينا خطورة الوضع بشكل واضح ينبغى ان يحفزنا الى العمل الفورى .

ذلك ان ماتنتجه البلاد العربية المختلفة مننتاج ثقافى ، كل فى ارضها ، غير متداول ، وفى احيان كثيرة غير معروف فى بلاد عربية اخرى .

والسؤال الذى يواجهنى دائما لدى زيارتى لاى بلد عربى ، هو :

هل حملت معك بعضا من كتبك ؟

والعذر الذى يقدم تفسيرا للسؤال هو : ان كتبكم لا تصل الينا قط ، او لا تصل فى اعداد كافية .. او لايصل منها الا الغث !

وقد اعتدنا لسنوات طويلة ان نلقى عبء هذا الانقطاع الثقافى على عاتق الاستعمار الغربى . كنا نقول لانفسنا دائما ان للاستعمار مصلحة واضحة فى تقطيع اوصال الوطن العربى ماديا ومعنويا وثقافيا معا .

واليوم وقد رحل الاستعمار عن الغالبيةالكبرى من ارض العرب ، والت امور كثيرة فى بلادنا الى انفسنا نوجهها كيف نشاء ، فاى عذر ينبغى لنا الان فى استمرار هذه القطيعة الثقافية ؟

اى سبب نقدم تفسيرا لظاهرة سيئة ، وهى ان كثيرا من الحكومات العربية تنظر الى الكتاب ـ مثلا ـ على انه سلعة تجارية ، فتعامله حسب قوانين الاستيراد والتصدير ، وتضعه فى مكان منخفض جدا من اولويات الاستيراد والتصدير ؟

وبعض الحكومات العربية تتخوف من الكتاب وتنظر اليه شذرا ، ولا تسمح له بحرية التداول، وتقيد ما يصل منه فعلا بافدح القيود .

وذات يوم كنت اتحدث مع مسئول كبير فى بلد عربى، وكان الحديث يدور حول ندرة ما يصل الى بلده من كتب من البلاد العربية الاخرى .

وقلت للمسئول اننى ارى علاجا لهذا ان تقوم فى نقاط معينة من الوطن العربى مراكز لطبع

الكتب العــربية المختلفة • فيقوم في الجـزائر ـ مثلا ـ مركز لاخراج طبعات جزائرية من كتب مصر ولبنان وسوريا وغيرها من بلاد المشرق العربي ويقوم في مصر او لبنان مركز مماثل لطبعات خاصة بالمشرق من كتب دول المغرب العربي •

ان هذا في رأيي يخلص الحكومات من كثير من مشكلات الاستيراد والتصدير والعمــلات الاجنبية التي يقال انها تحول اليوم بين الكتاب العربي وبين حرية التداول في الوطن العربي •

والظاهر أن المسئول العربي قد وجد في اقتراحي افراطا في المثالية وحسن الظن ، فانه قال لي وهو يبتسم : انت يا صديقي رجل طيب !

وسواء كنت طيبا او ساذجا فان هذا لا يغير من الامر شيئا بل يبقى الوضع الخطير التالي وهو ان الثقافة العربية تقبع حبيسة في اقفاص العزلة أو التجزئة التي فرضت علينا يوما ما ، والتي ماتزلنا نسمح ببقائها •

وهذه الاقفاص تحرم الثقافة العربية عامة من نعمة الحيوية والتفاعل والتضاد ، مثلما تحـرم الأمية ثقافة الوطن العربي الواحد من هذه المميزات جميعا •

وهنا يحق لنا ان نسأل :

كيف نتحدث عن ثقافة عربيــة تريد ان تلفت انظار العالم اليها ، اذا كانت هذه الثقافة لا هي صادقة وشاملة لمطالب البلد العربي الواحد ، ولا هي معبرة عن اعمق احتياجات الوطن العربي ؟

وبعبارة اخرى ، كيف نتحدث عن الانتقال الى العالم ، ونحن لم نســتكمل بعد مقـومات ثقافية عصرية ينبغي ان تكون محلية وعربية حقا وصدقا قبل ان تتطلع الى المركز العالمي ؟

وامام الثقافة العربية في كل بلد عربي مشكلات وعقبات اخــرى ينبغي تخطيها ، او على الاقل الوصول الى قرار بشأنها قبل ان تطمع في الظفر باهتمام العالم •

قضية الالتزام :

فنحن ـ مثلا ـ نتحدث كثيرا عن التزام الفنان والاديب والمفكر ازاء شعبه ووطنه وعصره ، ونتقسم ـ احيانا ـ بازاء قضية الالتزام انقساما حادا • فكل من يقبــل بالالتزام مواطن صــالح وعصري وتقدمي في نظر البعض ، ومقيد ، ومقولب واسير الاغلال في نظر البعض الآخر •

ونادرة تلك الاوقات التي يدعو فيها الدعاة الى شيء من النظر الموضوعي في الالتــزام ، وحدوده وآثاره السلبية والايجابية معا على النتاج الفكري والفني •

فاذا سلمنا بأنه ما من كاتب ذي قامة وقدرة تستحقان الاعتبار الا وهو في حقيقة أمره ملتزم ـ اي مشغول بشيء اعمق بكثير من ذاته ومعارفه واقاربه وحدود بلده ـ اذا سلمنا بهذا فان دائرة الادباء والفنانين المخلصين والشرفاء والعصريين تتســع كثيرا وتتجاوز حــدود الحزب والتنظيم والبلد والقارة ، وتصبح الالتزام الاعمق بالانسان وقضاياه في واقع مادي وزمني معين وعلى نحـو يجعل من نتاج هذا الالتــزام ـ الفن والادب الذي ينتجه اصحابه الملتزمون ـ يتخطى حدود واقع واحد وزمن واحد ليصبح صالحا لعدة ازمان وعدة احقاب •

اذا وافقتنا على هذا الرأي ، فقد وجب ان نفحص جيدا حدود الالتزام ، هل هو الالتزام بخط سياسي معين يراه تنظيم سياسي بعينه في بلد بعينه ؟

وماذا اذا اختلف الاديب والفنان مع هذا الخط ورأى فيه ببصيرته ووعيه خطرا على بلاده وثقافة بلاده وفنه هو وثقافته ؟

ماذا يفعل هذا الفنان ؟

هل يعلن اختلافه ؟ هل يسكت ؟ هل يمضي على الدرب الذي يحدده الخط ؟

وماذا يكون أثر هذا كله على الفن والثقافة في وطن ما ؟

الاجابة على هذه الاسئلة جميعا ابعد من ان

تكون هينة ، نظرا لطبيعة العصر البالغ التعقيد الذى نعيشه الآن ، على مستوى بلادنا العربية وعلى المستوى العالمى .

فمثلا : ما هى حدود النقد التى يستطيع الفنان والمفكر ان يبلغاها دون ان يعرضا سلامة وضع اجتماعى وسياسى معين، هو ـ فى جوهره ـ مقبول عندهما وضرورى ، وواعد بالخير ، لخطر من قبل اعداء داخليين وخارجيين ؟

كيف يستطيع الفنان ان يحتفظ لنفســه بحق الاختلاف الخلاق، وبدور الريادة والاستشراف الذى يميز دوما الفن العميق عن الفن العابر ، ويظل مع ذلك مرتبطا ومنتميا ومشاركا ؟

ان تبنى الخط السياسى تبنيا تلقائيا لا ينتج فنا او ادبا عميقا كما اظهرت عدة تجارب سابقة.

ومن جهة اخرى، فان النأى عن قضايا العصر، ومشكلات السياسة العميقة ، والالتجاء الى موقف مستقل بدعوى الليبرالية ، قد اضر بفن فنانين كبار ، او كان يمكن ان يكونوا كبارا من امثـال الشـاعر الانجليزى و . هـ . اودين وزميـله الانجليزى ايضا ستيفن سبندر اللذين بدا من مذهب ثم انتهيا الى مذهب آخر .

ثم ان تبنى القضايا الكبرى لعصرنا لا يعنى ـ بالضرورة ـ ان من يتبناها من فنانين قادر على تحويلها الى فن عظيم .

هناك مشكلات الفن ذاته :

وهى مشكلات الصـياغة ، والافادة من تجارب الغير ، والتتلمذ على الاعمال الكبيرة ، وتجديد صنعة الفن . وهذه كلها امور هامة يهملها بعض الفنانين اقتناعا منهم بان المضمون ياتى فى المقدمة من الأهمية ، وما عداه ينبغى ان يكون ثانويا .

وهناك مشكلة ان بعض الاعمال الفنية الكبرى قد تمت وتتم فى اطار نظرة اجتماعية وسياسية لا يرضى عنها البعض ، ولكنها مع ذلك ، وباى مقياس ، تعتبر فنا لا شك فيه . اعمال ت . س اليوت مثلا . فماذا نفعل بازاء هذه الاعمال ؟ ننكرها ونصمم على انكارها ـ لنعود من بعد ، وشىء من الخجل والاعتذار يلف تصرفاتنا ـ الى الاعتراف بها ، والقاء تبعة افكارها سابقا على عاتق نظرات ضيقة ـ او افراد بعينهم متزمتين ؟

هل نظل ندين امثال كيلنج وبروست وكافكا ، لنتبين من بعد اننا ظلمنا انفسنا قبل ان نظلمهم ؟

هذه كلها مشكلات تواجهها الثقافة العربية مع غيرها من ثقافات العالم .

غير أننا ـ فى تقديرى ـ تزيد عليها مشـكلة تبدو خاصة بنا ، بوصفنا بلادا نامية تسعى الى التقـدم وتود لو جمعت بين الحرية والعـدالة الاجتماعية معا . واعنى بهذه المشكلة : وجود نفر من « المزايدين » من الفنانين والادباء ، يدركون ان نقد الانظمة يمكن ان يكون وسيلة لترجيـة بضاعتهم فيلبســون مسوح النقـاد الاجتماعيين والرواد والثائرين ، ويطلبون مالا يمكن الحصول عليه . بعضه او كله ، حتى اذا ما ادين ادبهم وفنهم اصبحوا من الفنانين العظام المضيق عليهم من فرط تحررهم .

وكما قلت من قبل لا توجد طرق سهلة نستطيع ان سرنا عليها ، ان نبت برأى فى هذه المشكلات وما تثيره من عقبات .

ولكن هناك ـ بكل تأكيد ـ طريقا عريضة تؤمن لنا ان لا نخطىء كثيرا ، وان لا نقيم على الخطا مدة طـويلة اذا ما حـدث واخطـانا ، وتلك : ان نطلق حرية التعبير لاقصى ما نسـتطيع ، وان يـكون رائـدنا تمـكين الآراء من الانطلاق والتصـارع ، وان لا نلجأ الى المنع الا اذا كان الخطا عمدا ، ووفق تخطيط واضـح وان نؤمن بان التعبير ونقد التعبير هما اضمن لنا واوفى الى ان نكشف الاعداء ونحتضن الاصدقاء .

الكويت ـ على الراعى

الفن

احساس وشعور بالمسئولية

بقلم : عبد الرزاق البصير

الفنان ٠٠ اى فنان ٠٠ كيف يرى الحياة من حوله؟ هل صحيح انه يعمل بغير وعى ٠٠ ام انه يعى ويكون فى قمة وعيه عند عطائه؟

■ هناك من يقول بان العمل الفنى ، شعرا كان او قصة أو نحتا او رسما ، عمل غير ارادى، بمعنى ان فكرة ما او تاثرا ما بحادثة من الحوادث او بمشهد من المشاهد تسيطر على الفنان سيطرة تامة بحيث لا يستطيع ان يمنع نفسه من تصويرها اما بقصيدة او قصة أو تمثال ٠ وان ذلك لا يصدر الا عن الموهوبين الذين ارتقت احاسيسهم اكثر من غيرهم ، فقد يمر الانسان العادى بما يمر به الفنان من حدث او مشهد فلا يتاثر به كما يتاثر به الفنان٠

وهذا قول لا شك فيه ، لكن بعض الذين يرون هذا الراى او يذهبون هذا المذهب يبالغون فيه مبالغة غير منطقية ٠ اذ انهم يعلنون بان الفنان يكون فى حالة اللاوعي حين تسيطر عليه الحالة الفنية ، فهو يعطى بدون شعور او ادراك ٠ ولكن مع ذلك يخرج اثره متقنا اشد الاتقان يؤثر فى النفوس أشد التاثر حين ينتشر بين الناس ، فكان الفنان لا فخر له ولا قيمة له لانه يتلقى اوامر غيبية لا يستطيع الا ان ينفذها ٠ ومعنى ذلك ان الفنان يصدر آثارا لا يدرك حقيقة مضمونها ٠

الفنان يعي ما يعمل

اما انا ، فانى اعتقد بان هذا المذهب مبالغ فيه كما ذكرت فيما سبق ٠ فليس من شك ان الفنان قد يكون فى حالة غير عادية حين يهبط عليه الالهام، لكننى أعتقد انه لا يتمكن من العطاء وهو فى حالة غير شعورية حتى ولو رايناه ينعزل فى مكان منفرد او ينسجم مع سكون الليل ، أو موج البحر ٠٠ الى غير ذلك من حالات مختلفة حسب اختلاف امزجة الفنانين ، لكنى مع هذا اعتقد بان الفنان الموهوب يكون فى اعلى درجة من الوعى وقت عطائه ، والا

فانه لا يجوز لنا محاسبته حين يخرج على القواعد المقررة لكل فن من الفنون ، ومن المعلوم ان اللحن المؤثر والقصيدة المتقنة لا يمكن انتصدر عن انسان فاقد لوعيه غير مدرك لما يصدر عنه • صحيح انى سمعت من بعض الفنانين من يقول : انني حين تسيطر على فكرة من الفكر اكون في حالة تشبه حالة المرأة عند الولادة ، اذ ينطلق عني أنين وتاوهات ، وانا لا افعل ذلك تصنعا أو تظاهرا وانما هي حالة حقيقية • وتظل معي هذه الحالة حتى انتهي من تصوير تلك الفكرة التي سيطرت على • وهذه الحالة التي وصفها ذلك الفنان الشاعر وان تكن حالة غير عادية ، الا أن الفنان لا يستطيع أن يظهر ما أوحى به الهامه على الناس الا بعد أن يراجعه اكثر من مرة ليتأكد من مراعاة ذلك الاثر للقواعد الفنية •

فنحن نعلم جميعا ما يروى عن زهير من أنه كان يراجع عطاءه مدة حول كامل حتى انه عرف بصاحب الحوليات • وليس كل فنان ، بطبيعة الحال ، يحتاج من المدة الىمثل ما كان يحتاج اليه شاعرنا الجاهلي زهير بن أبي سلمى • لكن الفنان الذي يحترم نفسه لا بد له من أن ينظر في عطائه ليتأكد من صحته واتقانه،كانتقائه للالفاظ والوزنالمناسب والقوافي الملائمة ، مما يدعوه في كثير من الاحيان الى كتابة عمله أكثر من مرة اذا كان يعتمد على الكلمة ، او التغيير والتبديل فيه اذا كان الاثر نحتا او رسما او تصويرا •

اصالة العمل الفني

أما اذا اردنا ان نتعرف على الاسس والقواعد التي تجعل الاثر الفني أو الادبي من الاعمال الخالدة ، فاننا نجد المجال ينفسح امامنا بحيث لا نستطيع أن نلم به في مثل هذا المقام المحدود • فان النقاد القدامى والمعاصرين الذين ينتمون الى مختلف الامم قد تحدثوا وسيظلون يتحدثون عن ذلك الى ما شاء الله،لان أصالة العمل الفني وتأثيره في النفس تعتمد على أمور كثيرة لابد وأن تتضافر فيه كلها ، وهذه الامور منها ما هو ظاهر معروف كمراعاة القواعد ومطابقة العمل لمقتضى الحال كما كان يقول القدماء ، والصدق الفني الناشىء عن ايمان الشاعر ، فيما يقول المحدثون •

ومهما يكن من أمر ، فاني أعتقد بان تأثير العمل الفني في النفس يعتمد في جملة ما يعتمد على عنصر موهبة الاديب وهو أمر مهما حاول النقاد تحليله فانه يظل من الامور المجهولة التي يعجز أدق النقاد عن فهمها وكشفها وتوضيحها للناس، وانه ليطيب لي ان أورد هذه القطعة الشعرية للمرحوم علي محمود طه ، فقد تضافرت فيها كل عناصر التأثير على كل متذوق للشعر ، يقول :

قبلـة من ثغرك البـا
ـسم دنيـا وحيـاة

تلتقي الروحـان فيهـا
والمنى والصبـوات

لغـة وحـدت الالـ
ـسن فيهـا واللغـات

نبعهـا القلب ومجـرا
هـا الشفاه النضـرات

لغـة قر الشتيت الشـ
ـمل فيهـا وتـوائم

وبها الاعين في غيـ
ـر حـديث تتفـاهم

من ترى علمهـا بالامـ
ـس حـواء وآدم ؟

لم تـزل جدتهـا وهـ
ـي حـديث يتقـادم

قبلة من ثغـرك البـا
ـسم تمحـو كل ما بي

وتواريني عن النـاس
وعـن دنيـا العـذاب

وتنسى القلـب ما جـر
ع مـن سـم وصـاب

قبلة تمزج أنفاسـ
ـك بالقلب المذاب

والاديب الموهوب قادر على أن يحدث مثل هذا التاثير في النفس، سواء كان مضمون عمله عاطفيا او سياسيا أو أخلاقيا • وما اريد أن أكثر من رواية الشواهد لاثبت صحة ما ذهبت اليه ، فان الآثار الادبية الاصيلة كثيرة يمكن الرجوع اليها بكل يسر وسهولة ، ولا فرق في ذلك بين الادب القديم والادب المعاصر ، فان الاديب الموهوب هو ذلك الذي يملأ نفسك اعجابا به واكبارا له لانك تجد آثاره تعبيرا عما يختلج في ضميرك •

لكل نوع أدبي عناصره المؤثرة

ولا حاجة بنا الى أن نوضح بان عناصر التاثير في القطعة الموسيقية تختلف عنها في القصيدة ، وان عناصر التاثير في القصة تختلف عنها في القصيدة والقطعة الموسيقية ، فان ذلك أمر معروف لدى الجميع •

الفنان يعلو ويهبط

ويحسن بنا أن نؤكد على أن الاديب والفنان ، مهما بلغت موهبتهما من العظمة لا يمكن أن تكون آثارهما في مرتبة واحدة من القوة والتاثير • فان الفنان الموهوب ربما يضعف أحيانا في عطائه ، ولكن ذلك لا يغض من شانه ، فانك واجد في آثار معظم الموهوبين قطعا ضعيفة كان من الاجمل لو لم تنتشر بين الناس • ويحضرني بهذه المناسبة قول أبي نواس :

يحميك مما يستسر بفعله
ضحكات وجه لا يريبك مشرق

حتى اذا أمضى عزيمة أمره
أخذت بسمع عدوه والمنطق

وفي هذين البيتين من قوة التعبير ما هو واضح لكل صاحب ذوق سليم ثم نرى هذا الشاعر الموهوب يضعف حتى يبلغ حد الاسفاف حيث يقول :

فمصا نداه براحتي
أعلو بها الافلاس قرعا

وعلى سور مانع
من جوده انخفت كسعا

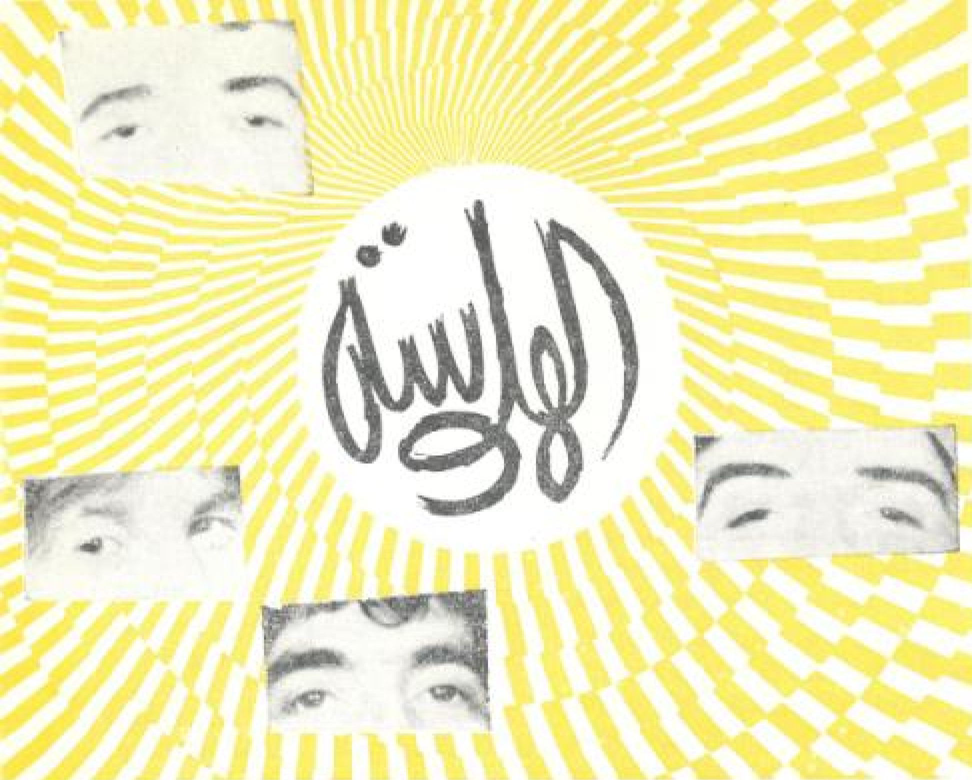
فلو أن دهرا رابني
لصفعته بالكف صفعا

منابع الفن واحدة في قديم وحديث

وهناك نقطة أود أن أشير اليها وهي أن كثيرا من النقاد الاقدمين والمعاصرين حاولوا أن يغضوا من قدر بعض الموهوبين وذلك بان يظهروا بان أولئك الموهوبين ليس لهم فخر في آثارهم لان فكرتهم قد اخذوها من غيرهم • والرد على هذا المأخذ سهل ميسور وهو ان الافكار والآراء ومنابع الجمال ليست من الامور التي ينتهي الاخذ منها ، بحيث لا يجوز لشاعر أن يجتنبها ، مكتفيا بمن سبقه من الفنانين، فان تلك الامور ذات مجال فسيح فيها يستبين تمكن الفنان وقدرته •

وكمثال على ذلك •• هذا المنبع الجمالي الذي ينشأ من مشابهة الازهار بالخدود فالمفروض أن الابداع فيه ينبغي أن يكون قد انتهى منذ زمن طويل لان المتاثرين به أكثر من أن يحصوا ، ولكننا نلاحظ ان الشعراء المطبوعين ما زالوا قادرين على الابداع وسيظلون كذلك الى ما شاء الله ، لان لكل فرد احساسه الخاص مما يجعله قادرا على أن يرسم صورا تختلف عن صور من كان قبله ، وقل مثل ذلك في كل نواحي الادب وميادينه ، ولولا ذلك لانتهى الفن منذ زمن طويل • ■■

الكويت ـ **عبد الرزاق البصير**



الهلوسة

بين الطقوس والتجارب والعقاقير

بقلم : راجى عنايت

- ذلك القصر الفسيح ،الذى نسكن جانبا منه ٠
- الصوفية،والبوذية،واليوجا ٠٠ وعقار الهلوسة ٠
- «الحاضر الابدى » ٠٠ولحظات الخطر الداهم ٠
- صوت الالوان ، ورائحةالانغام،وملمس المشاعر ٠
- عندما تصبح رحلة الهلوسة ٠٠ ذهابا بلا اياب ٠
- من الذى يطيق ٠٠الطرد من الجنةبعد زيارتها ؟٠

كل منا ـ فى وقت ما ـ ، انتابه شعور الفرح الطاغى ، او السعادة المفرطة ،او اللذة الغالصة٠٠ نتيجة التماعة خاطفة من التماعات البصيرة ، او من جراء لمحة جمال ، او لحظة حب مكثفة ،اوخبرة جنسية كاملة ٠ هذه الرؤى الخاطفة من الكمال والمتعة الجمالية والحسية ، تعتبر عينات قصيرة للغاية ٠ لما عرفته وسعت اليه الكثير من العقائد على مدى التاريخ ٠٠ عرفته المسيحية والاسلام تحت اسم « الحب الالهى » واطلق عليه اتباع فلسفة « الزن » البوذية اسم « ساتورى » ، واسماه الهندوكيون « موكشا » ، كما عرفه الهنود السنسكريتيون باسم « صمدى » ٠

مثل هذه الخبرة ، تحاط دائما بالغموض ، وينظر اليها باعتبارها من معميات ماوراء

الطبيعة ، نتيجة لعدم فهمها الا في اضيق الحدود. وربما وصفها البعض بالجنون ، نظرا لانها لاتخضع لمواصفات الصحة العقلية الحضارية التى نتعارف عليها في حياتنا . غير انه من المفيد عند محاولة فهم مثل هذه الخبرات ، ان نتجنب الشعارات الضخمة ، وان نقترب منها بشكل موضوعى هادىء ، حتى لانضطر الى ادانتها قبل ان نفهم طبيعتها فهما كاملا .

ويعود الفضل في التفات العلماء لهذه الخبرات التى نتحدث عنها ، الى مادة كيميائية لها اسم طويل .. « ليسيرجيك اسيد ديائيلاميد » ... ومختصره « ال . اس . دى » .. وشاع خبرها بين الناس تحت اسم « عقار الهلوسة » .

واهمية المواد الكيميائية ، مثل عقار الهلوسة ، انها تكشف لنا عن مظهر من مظاهر هذه الخبرات، عندما تزيح جانبا كل الحواجز والعوائق في المخ، وتسمح لنا بالتخلى جزئيا عما اصطلحنا على تسميته « العقل » فيتاح لنا ان نعود مرة اخرى الى طبيعتنا الخالصة . فعقار الهلوسة ، او التجارب المعملية التى تؤدى الى حالة الهلوسة ، او الطقوس التى تتضمن حالات من الهلوسة في معظم العقائد التى تمخضت عنها الحضارات على مدى تاريخ الانسانية .. تتيح كلها للانسان ان يضاعف قدرته على الابتكار ، وان يلتقط من محيطه المفاتيح الجديدة للمعرفة بحساسية فائقة لا يعرفها في احواله العادية .

وبفضل هذا الاتجاه في البحث ، اتيح للكثير من الظواهر التى جرى العرف على انكارها علميا، ان تدخل معامل البحث العلمي وقاعاته .. مثل الصلاة الهندوكية ،وتطوحات الدراويش ،وغيبوبة الصوفيين ، وتدريبات اليوجا المعقدة .

وهكذا ، اصبح للهلوسة معناها الجديد . لم تعد مرادفا للخبل والجنون ، بل اصبحت اداتنا للتعرف على اساليب رفض العبودية المطلقة التى يفرضها علينا محيطنا في كل لحظة من اللحظات .. وتحقيق افضل استثمار لذلك الجهاز الغريب الذى ينفرد بمخ الانسان ..تلك القشرة الرمادية التى تحيط به ، وتخبىء للانسان عالما كاملا من المعرفة والممارسة مازلنا حتى الآن على مشارفه .

وحتى نفهم العلاقة بين كل هذه الاشياء ،وبين ما ينشغل به العلم في كثير من انحاء العالم هذه الايام ، علينا ان نبدأ القصة من اولها .

القصر الفسيح

يقول سيدنى كوهينى ، مدير الصحة النفسية بولاية مريلاند « ان الطاقات الفريدة والواسعة للمخ البشرى ، في الاكتشاف والادراك الذاتى ، ليست ضرورية بالمرة لاغراض البقاء وشئون الحياة اليومية للانسان » .

كما يقول ليال واطسون صاحب كتاب ما وراء الطبيعة « ان النظرات الخاطفة التى بدانا نصل اليها ، عن الآفاق الواسعة للمخ البشرى ، تثير مالم يسبق له مثيل من التساؤلات حول نشوء الانسان وارتقائه .. هذا المخ البشرى الذى جعل منا قوة تطور عظمى ، مطالب اليوم بقدر واسع من التخيل والخلق ، حتى يخرج بالانسانية من محنتها الراهنة » .

والثابت ان الطبيعة نادرا ما تقدم على انجاز ما بلا سبب قوى ، ورغم هذا فقد تجشمت الكثير من الجهد خلال العشرة بلايين سنة الماضية ـ وهو زمن قصير بحسابات الكون ـ لتمدنا بذلك الغشاء الرمادى المتسع على سطوح امخاخنا ، والذى ثبت ان قدراته لا حد لها . ونحن قد حصلنا على هذا الجهاز الخطير ، على حساب اجهزة اخرى ..ومع هذا لا نستخدم منه الا اصغر جانب . فلماذا كانت عجلة الطبيعة ، في تزويدنا به ؟ لماذا عدونا بهذه السرعة على طريق التطور في هذا السبيل ؟ لقد كان من الممكن ان نمضى قدما في تطورنا بما هو اقل من ذلك بكثير .

اننا نبدو كما لو كنا اسرة صغيرة تسكن قصرا شديد الاتساع ، متعدد الارجاء . لكنها لا تجد مبررا لان تتحرك الى ما هو ابعد من الحيز الضئيل الذى ارتاحت الى سكناه ، في زاوية صغيرة من الدور السفلىلذلك القصر الكبير. ومجرد الادراك اللاشعورى بما تتضمنه باقى جنبات القصر ،كان مصدر حيرة دائمة لنا. والنظرات الخاطفة القصيرة الى محتوى بعض الحجرات ، قادت قلة منالمغامرين الى مزيد من التصميم لبذل جهود جديدة للاستكشاف . الا ان الاساليب والادوات التقليدية للبحث جعلت نجاحهم محدودا .

وهنا ظهر الدور الاساسى للعقاقير او الممارسات او التجارب التى تؤدى الى الهلوسة . فالهلوسة تتيح الكشف عن شىء يبدو انه يقتصر في وجوده على الانسان وحده من بين باقى الكائنات الحية .

وهي حالة تنسحب فيها الحواجز بين اجزاء المخ الواسعة ، فتحقق للانسان خبرة متدفقة ، اضخم من ان تخضع للفهم والادراك • الهلوسة تفتح الى حد ما بعض ابواب ذلك القصر ، فتتيح لنا اكتشاف بعض الجوانب الغامضة علينا •

على مدى التاريخ ، وعلى اتساع الحضارات ، نرى محاولات الانسان الدائبة للوصول الى حالة الكشف الحر هذه • لجا البعض الى استخدام الاساليب الايقاعية ، مثل الحركات المتارجحة فى الصلاة الهندوكية ، او الترانيم المسيحية ، او الرقصات المتطوحة للدراويش ، بهدف الوصول الى حالة من الغيبوبة ، تسمح بالمضى عبر حواجز المخ • كما حاول البعض الآخر احداث تغييرات كيميائية بالجسم ، عن طريق التنفس العميق ، او الصوم ، او الامتناع عن النوم • وسعى البعض الى هذه الخلخلة التى تزيل عوائق المخ ، عن طريق الالم البدنى ، بضرب النفس بالسياط والسلاسل ، واحداث الجروح بالبدن ، وتعليق الجسد فى اسقف الحجرات ! •• وطائفة السيخ الهندية مثلا تعتمد فى طقوسها الشمسية ، على اثر الحرارة العالية والشمس المحرقة والعطش الشديد ، للوصول الى هذه الحالة من الغيبوبة الغامضة • كما يسعى المتصوفون عن طريق الخلوة الكاملة ، الى نوع من الانعزال الاجتماعى ، يصل بهم الى الهدف نفسه •

الشيء المشترك الوحيد بين هذه الاساليب جميعا ، هو السعى الى تخفيض فيض المعلومات الذى يغرقنا به محيطنا فى الاحوال العادية •• عن طريق الابصار والسمع والشم واللمس والتذوق • وهذه الاساليب المختلفة ، تسعى اما الى سد مداخل الحس كلها ، واستئصال فيض المعلومات المتدفقة ، او الى جعل الاحاسيس الواردة على درجة من التكرار والرتابة بحيث تفقد معناها التقليدى • عندما تتحقق هذه الحالة ، تنفتح بعض أبواب العقل الى حد ما •• وعقار الهلوسة ، هو البديل الكيميائى الحديث لكل تلك الممارسات التى درجت مختلف الحضارات على تجربتها •

الهلوسة بالعقاقير

اغلب الحضارات القديمة بحثت فى وقت ما ، عن جذور او اعشاب او حبوب ، تساعد فى الاسراع بعملية التحلل من تاثير الضغوط الملحة التى يفرضها محيط الانسان • الفرس كان لديهم شراب « الوما » وهو وفقا للكتب والتعاليم السنسكريتية ـ العقار الذى « يحيل الانسان الها » وهيلين طروادة الاغريقية كان لديها « شراب السلوان » • وفى الهند ومصر انتشر « الحشيش » و « الماريجوانا » • وعرفت اوروبا وآسيا عش الغراب القرمزى المنقط الجميل « امانيتا » ، الذى يقتل الذباب ويبعث السعادة فى نفس الانسان • وفضلت المكسيك ما اسمته « مجد الصباح » ، وهو من انواع الصبار •

جميع هذه النباتات تحوى موادا كيميائية تصل بالانسان الى حالة من التحليق فوق نطاق واقعه المباشر ، ومعظمها كان يستخدم كمكملات للمواسم الدينية والسحرية • الا ان اكثر هذه المواد فعالية وتاثيرا ، مما تم استخلاصه هو ما يسمى « فطر سعدانة الفرس » الذى ينمو على الحبوب •• وهو ماشاع بين الناس تحت اسم « عقار الهلوسة » •

كان الكيميائى السويسرى البرت هوفمان ، هو اول من تمكن من استخلاص عقار الهلوسة فى عام ١٩٣٨ • وبعد خمس سنوات من التجارب ، اكتشف البرت هوفمان ـ بطريق الصدفة ـ خواص هذه المادة فى احداث الهلوسة عند الانسان • ومنذ ذلك الحين ، اثارت هذه المادة حماس الباحثين ، فراحوا يجرون تجاربهم على اثرها ، آملين ان يصلوا بذلك الى كشف اسرار وغوامض الامراض العقلية والنفسية •

بدات تجارب هذه المادة على الحيوانات • وفيما عدا العنكبوت الذى تدفعه الى مزيد من الخيال فى نسج خيوطه ، ظهر ان اثرها على الحيوانات ضعيف • ومن ناحية اخرى ، تبين العلماء الاثر القوى لهذه المادة على الوظائف العليا للمخ البشرى • ابسط قدر من هذه المادة (جزء واحد من ٣٠٠ر٠٠٠ من الاوقية) كفيل باحداث اعمق الاثر على الانسان • ويتباين اثر العقار وفقا لطريقة تعاطيه ، ولكن يظهر اثره بشكل عام بعد نصف ساعة ، ويتحقق اعلى تاثير بعد ساعة ونصف ، وينتهى الاثر بعد ست او سبع ساعات ، وربما امتد الى اثنتى عشرة ساعة • واثر هذه المادة ينصرف مباشرة الى اجهزة المخ المسئولة عن تلطيف الخبرات العاطفية وعن تنقية ومقارنة المعطيات الحسية ، ثم تحديد المشاعر المناسبة لهذه المعطيات •

غير ان عقار الهلوسة ، لا يؤثر على باقي الوظائف الاخرى للمخ ، كالمشي ، والكلام ، ونبض القلب ، وضغط الدم ، كما انه لا يحدث اي آثار جانبية ضارة • انه يعرف طريقه جيدا •• الى مناطق الادراك العليا في المخ البشري •• تلك المناطق التي يقال انها تتحكم في شخصيتنا •

والهلوسة ، سواء بالعقار او التجارب او الطقوس ، تجعل استيعاب الشخص للمنبهات التي تصله من محيطه غاية في التباطؤ •• بحيث يبدو عقرب الثواني في الساعة وكانه يتحرك بصعوبة •• الا انه ما ان يصل المنبه الى القشرة الرمادية بالمخ ، حتى تجيء الاستجابة سريعة حاسمة بما يتجاوز سرعتها الطبيعية بشكل ملموس • وقد ثبت ان الهلوسة تخفض مجال اختيار الاستجابة لدى الفرد بنسبة ٧٥٪ • فاذا كان الانسان العادي يختار استجابته بالنسبة لمنبه معين من بين ثمانية تصرفات محتملة ، فهو في حالة الهلوسة لايبقى له في مجال الاختيار سوى احتمالين فقط •

وظاهرة تباطؤ الزمن ، او ما يمكن ان نسميه « الحاضر الابدي » تتحقق خارج حالة الهلوسة ، عند الانسان العادي في لحظات الخطر الكبير • الانسان الطبيعي عندما يشعر بخطر داهم يتهدده، تتوقف عنده الحياة للحظة قصيرة ، يتوقف المخ عن استقبال المحسوسات العادية ،مكرسا جهده لمواجهة الخطر القادم •

وعقار الهلوسة يعمل على اطالة هذه اللحظة، دون وجود المسبب الطبيعي لها ، وهو الاحساس بالخطر •

والاثر الثاني للهلوسة ، هو اختفاء الفواصل بين الشعور واللاشعور ، رفع الحواجز بينمكونات النفس البشرية ، تراجع وظائف العقل والمنطق واخلاء السبيل لفيض الهواجس •هنا تفقد الاشياء معناها الاصطلاحي الذي نتعارف عليه • فما يراه الشخص وما يحسه ، لا يستمده من الواقع المحيط به ، بل ينبع من داخل ذاته •

ما الذي يحدث ؟

وقد جرت عدة تجارب معملية للوصول الى الهلوسة بدون الاعتماد على العقاقير • وكان الطريق اليها ببساطة ، هو حرمان المخ من تدفق تيار المحسوسات • وقد تم ذلك بوضع المتطوع داخل حجرة عازلة للصوت والضوء وذات درجة حرارة ثابتة •• وفي بعض الاحيان ،وضع المتطوع غاطسا داخل وعاء كبير به ماء له نفس درجة حرارة الجسم ، حتى يتم الغاء حاسة اللمس •

كانت النتيجة المباشرة في جميع الحالات هي الهروب من الرتابة الى النوم •

وما ان يستنفد الشخص قدرته على النوم ، ويسد امامه هذا المهرب ، حتى تبدأ مصاعبه • يفقد المتطوع القدرة علىالتفكير الجدي ،او اجراء الاحكام الموضوعية ••ثم تنهال عليه الاحلام بشكل متلاحق وبكثافة مخيفة •• يعاني منها وهو مفتوح العينين •• وشيئا فشيئا يصل الى حالة الهلوسة الكاملة • وهنا لا تكون الهلوسة مجرد اوهام حسية بسيطة ، كالتماعات الاضواء ، او اصوات الاجراس •• بل تكون رحلة هلوسة كاملة ، تتضمن احداثا متشابكةالتفاصيل ••مركبة ومقنعة الى ابعد حد •

من هذه التجارب ، استطاع العلماء الاقتراب من تفسير الية الهلوسة • عندما يضعف اويتوقف سيل المعلومات الوارد الى حواسنا ، تحظى كل جزئية صغيرة من المعلومات باكبر اهتمام• ويتزايد حجمها مئات المرات ، وتتضخم هذه الجزئية لتملا فراغ الشاشة باكملها ••تماما كما في حالةالفيلم الذي يتم التقاطه عن طريق المجهر • فالهلوسة تعطينا صورة مقربة جدا ، مكبرة جدا ، للواقع الذي نحتك به • كما ان المخ ، نتيجة لضعف تيار الوارد من المحسوسات ، يسعى الى شغل الفراغ الناشيء ، معتمدا على كنوز ومقتنيات العقل الباطن ، متمردا على الرؤية التقليدية للواقع •

وحتى تتضح هذه الفكرة ، لابد من التاكيد على حقيقة اساسية ، هي اننا دائما نحس فقط ما نتمكن من ادراكه • اننا نعدل شعورنا بالاحاسيس القادمة الينا من محيطنا ، وفقا لطريقة خاصة تعارف عليها جنسنا ، وفقا لما يجب ان تكون عليه صورة الاشياء • ولعل اكثر ما يوضح هذه الآلية، تلك التجربة العملية القديمة ، التي جرى فيها

تزويد الشخص بنظارة ذات عدسة خاصة ، تقلب صور الاشخاص والاشياء ، ويطلب منه عدم خلع هذه النظارة • يستمر الشخص في رؤية الاشياء مقلوبة ، ولكن بعد يوم او اثنين يحدث شيء غريب، يقوم المخ بتصحيح الرؤية الواردة اليه ، فيرى الشخص الاشياء من حوله في وضعها الطبيعي ، وكان مفعول العدسات قد توقف • ثم اذا ما خلع الشخص هذه النظارة ، عاد الى رؤية الاشياء مقلوبة لفترة من الزمن • ما معنى هذا ؟ معناه ان المخ البشرى لا يجعلنا نرى الاشياء كما هي .. بل كما يجب ان تكون •

والانسان ، كما قلنا ، يستقبل في كل لحظة من لحظات حياته فيضا منهمرا من الاحاسيس ، وهو مرغم بحكم اجهزته الحسية على التقاطها جميعا ، لذا فهو يختار من بينها ، بحيث ينتهى برؤية منتقاة بعناية هي في جوهرها رؤية محدودة لذلك الواقع • وعقار الهلوسة يرفع القيود والمحاظير التقليدية للمخ ، ويسمح لنا بان نرى الاشياء طازجة ، وكأننا نراها لاول مرة في حياتنا• هنا .. يحدث ان نتمكن من الاستماع الى صوت الالوان .. ورائحة الانغام .. وملمس المشاعر : .. وهذا الامر يتحقق لبعض الكائنات الاخرى بشكل طبيعي .. كالنحل والخفافيش وبعض الاسماك التي تعيش في اعماق البحار •

الاطفال كذلك يرون الاشياء عادة بنقاء خالص• وما نسميه اليوم هلوسة ، يكون جانبا طبيعيا من الخبرات النفسية العادية للطفل ، ولعل رسوم الاطفال خير دليل على ذلك •وكلما تقدم بنا العمر تصبح رؤيتنا اكثر اعتاما ، بل تظلم تماما في كثير من الاحيان . ذلك لان الاشياء تفقد معناها العقيقى الاصيل ، وتصبح لها قيمها الاجتماعية السلبية المصنوعة •

وديان رحلة الهلوسة

وهناك ظاهرة اخرى ترتبط برحلة الهلوسة ، توصل اليها الطبيب التشيكوسلوفاكي الاصل ستانيسلاف جروف • فقد اشتهر الدكتور جروف باستخدامه عقار الهلوسة لعلاج الحالات المستعصية من الامراض العصبية في بلده ، ثم في امريكا عندما اصبح رئيسا لخدمات العلاج النفسي بمركز البحوث النفسية باحدى ولايات امريكا •

يقول الدكتور جروف ان الظاهرة التي لفتت نظره في جميع التجارب التي اجراها ، رغم الاختلافات الحضارية والجغرافية والعقائدية بين القارتين ، هي ظهور الرموز الاسطورية والدينية خلال سلسلة رحلات الهلوسة التي كان المرضى يمرون بها نتيجة لاستخدام العقار •

ويحدد جروف اربع حالات يمر بها المريض ، تتصل كلها بعدد من الرموز الدينية او الاسطورية•

في المرحلة الاولى لرحلة الهلوسة ، يكشف المريض عن الرموز والمفردات الدينية التي ترتبط بطفولته ، وخاصة ما يتصل بالصراعات النفسية التي عاناها •

وفي المرحلة التالية ، يبدى المريض ضروبا من المعاناة والعذاب ، وهو غالبا ما يصف هذا من خلال اطار ديني • فيحكي عن زيارة الجحيم ، ايا كان تصوره لذلك الجحيم • والمعاناة هنا ترتبط كثيرا بمعاناة الانبياء والرسل والالام التي مارسوها •

اما المرحلة الثالثة ، فهي التي يبزغ فيها الامل في الخلاص • ويتكلم المريض بسعادة عن اجتيازه مراحل التطهير والتكفير •

اخيرا .. يصل المريض الى المرحلة الختامية ، حيث يصف مشاعر التحرر والانطلاق التي يمارسها • وتتردد على لسانه تعبيرات الموت والبعث الجديد • ويؤكد المريض ان وطاة الخوف والشعور بالالم قد رفعت عن كاهله ، وانه اصبح سعيدا ، مشحونا بالحب •

ويضيف الدكتور جروف قائلا ان المصطلحات والرموز الدينية ليست هي فقط ما يتردد على لسان المريض خلال رحلة الهلوسة ، بل تظهر الى جانب ذلك الكثير من الالفاظ والاصطلاحات والمعتقدات التي تبدو وثيقة الصلة بالفلسفة الهندوكية ، ومحتويات كتاب « الفيدا » ، وما

يوازي مراحل « النرفانا » في العقيدة البوذية ، وتجربة « كندلاني » في عقائد اليوجا • فالمريض الذي لا تكون لديه اية فكرة عن هذه العقائد يصف المرحلة الاخيرة من رحلة الهلوسة ، وما يصاحبها من قوة تندفع خلال نخاعه الشوكي الى المخ •• بل قال البعض انهم مارسوا نفس مباهج الاتصال الجنسي دون اي فعل بيولوجي •• مارسوها كطقس مقدس ، شبيه بما يحدث في طقوس اليوجا •

وفي المرحلة الرابعة ، يظهر ايضا في حديث المريض ، ما يسميه ذكريات الحيوات السابقة •• حياته هو وحياة الآخرين على مدى التاريخ البشري •• وتبدو هذه الذكريات وكأنها قادمة من الماضي السحيق على بعد قرون طويلة ، من بلاد بعيدة ! ••

يستنتج جروف من هذا ، ان العقل الانساني « اشبه بجبل عائم من جبال الثلج ، لا يظهر منه فوق الماء الا اقل جوانبه ، تمتزج فيه عناصر من اللاشعور الفردي والجماعي ، مع تراث ضخم من ذكريات الجنس البشري • وان التحليل النفسي الفرويدي القديم والحديث ، او ما يطلق عليه علم نفس الاعماق ، لا يتجاوز جهده ، خدش سطح ذلك الجبل العائم » •

ذهاب بلا اياب !

الذي لا شك فيه ان مداومة تعاطي عقار الهلوسة ، خارج الاجراءات او التجارب العلاجية التي تتم تحت اشراف الطبيب المختص ، يؤدي بالمتعاطي الى الوقوع في حالة من المرض العقلي النفسي الدائم • وفي كثير من الاحيان تكون رحلة الهلوسة ذهابا بلا اياب •

فبالاضافة الى احتمال المرض العقلي ، هناك خطورة الانتحار غير المقصود • فعند تلاشي الحواجز في المخ ، يفقد الشخص في اي لحظة تقديره لامكانياته البشرية ، فيتصور انه قادر على الطيران ، او القفز من أعلى مكان الى الارض بأمان •

في احدى التجارب ، تناول احد الممثلين عقار الهلوسة تحت اشراف صديقه الذي يقوم بالتجربة وبعد اسبوعين من المواظبة على تناول العقار ، طلب الممثل تلفونيا سيارة اجرة ، واتجه الى النافذة يترقب وصولها • عندما اوشكت السيارة على التوقف امام العمارة ، خرج شخص من عمارة مجاورة ، وتصور الممثل انه يسعى الى ان يسبقه في استخدام سيارة الاجرة ، ففتح النافذة ، وهم بالهبوط سريعا من ارتفاع عشرين قدما ، لولا ان الصديق امسك به من كتفيه ليمنعه • وعندما طولب الممثل بتفسير تصرفه ، قال ببساطة انه كان يرغب في الاسراع الى السيارة ، وانه رأى الطريق على بعد قليل من النافذة •

وهناك رأي يقول : ان عقار الهلوسة يؤدي الى تحطيم الكروموسومات في خلايا الجسم • الا ان هذا الرأي يلقى معارضة علمية واسعة • بل لقد ثبت في احدى التجارب ان الاسبرين يحدث في الكروموسومات نفس الاثر الذي يحدثه عقار الهلوسة •

وقد اثبتت التجارب الطبية ، ان الذين يتعاطون عقار الهلوسة ، تضعف مقاومتهم للعدوى بالامراض •

ويقول اندروفيل في كتابه « العقل الطبيعي »: انه شاهد الكثيرين من مدمني عقار الهلوسة يتعاطونه ويستعيضون عنه بالاساليب الطبيعية والتقليدية للتأمل العميق • لكنه لم يشهد تحول أحد الممارسين للأساليب الطبيعية في التأمل ، الى استخدام المواد الكيميائية للوصول الى نفس الاثر • ويقول ان الدعوة للاعتماد على اساليب التأمل الخالص كبديل للتائير الاقوى الذي تحققه العقاقير ، ليست دعوة اخلاقية ، بقدر ما هي حصيلة تجارب علمية معملية •

ويصف احد العلماء تجربته الشخصية في استخدام عقار الهلوسة فيقول « لقد كانت تجربة غاية في الاحباط كما لو انك استطعت الوصول الى الجنة •• وعاينت مشاهدها ، وعايشت ادراكا واسعا لمباهجها •• ثم طردت منها شر طردة !! »

القاهرة ـ راجي عنايت

في العدد الممتاز من العربي لهذا العام وجه رئيس التحرير سؤالا للانسانية ، هل من حق الانسان أن يضع بيـده نهاية لحياةانسان آخر ؟ هل القتل بدافع الرحمة يعد جريمةوفي هذا المقال يقـول القانون كلمته !

الحق .. في الحيـاة والحق .. في الموت



بقلم : المستشار محسن عبد الحافظ

■ « اني لا أريدها أن تمـوت • كل ما أريده هو أن أعيدها الى حالتها الطبيعية وأترك أمرها الى الله ، فاذا كان الله يريدها أن تعيش فسوف تعيش ، واذا أرادها أن تموت فسوف تموت » •

هذا ما قاله أبو الفتـاة التي أثارت حالتـها عاصفة من الجدل والنقاش في مختلف أنحاء العالم، والفتاة أمريكية تبلغ ٢١ سنة أصيبت باغماء منذ نحو تسعة شهور لا يجد الطب له علاجا ولا أمل في شفائه ، وضعت في أحد المستشـفيات تتغذى عن طريق أنفها وذراعها وتتنفس عن طريق جهاز خاص ، وتغيرت ملامحها تغيرا كاملا وحلت البشاعة محل الجمال والحيوية ، وطلب الوالدان رفع جهاز

التنفس فلما رفض الأطباء تحمل هذه المسئولية ، رفعا الأمر الى القضاء للاذن في ذلك . وقد أثار هذا الطلب زوبعة من الجدل القانوني بين النيابة العامة ومحامي المستشفى من جهة ومحامي والدي المريضة من جهة أخـرى ـ وأخيرا رفض القاضي الطلب . ولكنه لم يضع مبدأ قانونيا بل اكتفى بالقول بأن القرار في هذا الأمر هو قرار طبي وليس قرارا قضائيا .

وبهذا الحكم ترك القاضي باب الجدل القانوني مفتوحا على مصراعيه كما كان .

وليست هذه هي المرة الأولى التي يثار فيها مثل هذا الجدل . ما مدى حق الانسان في الموت . هل يجوز القتل للشفقة واذا لم يكن ذلك جائزا بفعل ايجابي فهل هو جائز بالامتناع ؟

وسوف أحاول في هذا المقـال أن أضع أمام القارىء الخطـوط العريضة لهذا الجـدل ، من الناحية القانونية . املا أن يقـول رجال الدين رأيهم فيه .

وأبادر الى القول ان قانون الجزاء الكويتي ـ وهو قانون حديث ـ قد حسـم كثيرا من مواطن الجدل . ولكن معظم القوانين الأخرى لم تفعل كما سأبينه في موضعه .

حق الحياة

لا شك أن للانسان الحق في الحياة وفي سلامة بدنه . فالله سبحانه وتعالى خلقه فسواه فعدله . فليس لأحد أن يأخذها منه سوى خالقه .

ولكن هل له الحق في الموت أو في تشويه بدنه؟ واذا كان له ذلك فهل يجوز له أن ينيب عنه غيره في مباشرة هذا الحق ؟

قد يتبادر الى الذهن أنه ما دام له الحق في الحياة فان له الحق في الموت . وما دام له الحق في سلامة البدن فان له الحق في تشويهه . وما دام يملك الحق فانه يجوز له أن يستعمله بنفسه كما يجوز له أن ينيب عنه غيره .

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة . فليس كل من يملك حقا يملك نقيضه . وليس كل من يملك حقا يجـوز له أن ينيب عنه غيره في مباشرته . ويظهر ذلك على الأخص في الحقوق الشـخصية كحقوق الزوجية والابوة . كما يظهر ايضـا في مجالات أخرى من المجالات القانونية فالوزير مثلا يستطيع أن يعين الموظف ، ولكنه لا يستطيع ـ في الأغلب الأعم ـ أن يفصله . والشخص له الحق في أن يبرم عقدا . فاذا ما أبرمه لم يكن له الحق في فسخه الا في الأحوال التي يبينها القـانون وهكذا .

على أن القوانين ـ في غالبيتها ـ لا تعـاقب الشخص على الانتحار ومعنى ذلك أنها تجعل له الحق في الموت ولا يشذ عن ذلك الا قوانين قليلة كالقانون الانجليزي والقانون السوداني . وليس سبب ذلك أنه لا سبيل الى عقاب المنتحـر وقد مات . اذ أن اعتبار الانتحـار جريمة يؤدي الى نتائج أخرى كالعقاب على الشروع فيه . وكعقاب الشريك الذي ساعد المنتحر في اتمامه أو حرضه عليه . والرأي الذي أرجحه أن سبب عدم العقاب على الانتحار أو الشروع فيه لا يرجع الى اعتبار حق الانسان في الحياة حقا مطلقا يتصرف فيه كما يشاء . وانما يرجع ذلك الى أن المشرعين لم يجدوا جدوى من تهديد شخص يريد أن ينتحر بالعقاب على فعله . فمثل هذا التهديد عبث بل انه قد يؤدي الى نتائج عكسـيـة هو أن يعمد من يريد الانتحار الى اتخاذ الوسائل التي تؤدي الى غرضه على وجه اليقين خوفا من أن يفشل فيعاقب على الشروع .

أما ايذاء المرء نفسه فلا أعلم قانونا يعاقب عليه . ولو وصل الأمـر الى حد احداث عاهة مستديمة . فمن يفقأ عين نفسه أو يقطع رجله أو يده لا يعاقب على هذا الفعل . باعتباره جريمة احداث عاهة مستديمة . فهذه الجريمة انما يعاقب عليها اذا وقعت على شخص آخر غير شخص محدثها .

على أن بعض القوانين تعاقب على تشويه المرء لبدنه اذا كان قصده من ذلك الهروب من تكليف يفرضه القانون على سليم البنية. فقوانين الخدمة العسكرية الالزامية تعاقب من يتلف عضـوا من أعضاء جسـمه ليجعل نفسـه غير لائق للخدمة العسكرية . كما أن القوانين العسـكرية تعاقب العسكري الذي يجعل نفسه غير صالح للواجبات العسكرية .

ولكن هذه القوانين لا تعاقب على هذا الفعل على أساس أنه يكون الجريمة المعروفة في قوانين الجزاء بجريمة احداث عاهة مستديمة بل تعاقب على الفعل باعتباره جريمة أخـرى خاصة هي الهروب من الخدمة العسكرية .

الاشتراك في الانتحار

انتهينا الى أن أغلب القوانين لا تعاقب على الانتحار ولا على الشروع فيه ولا على احداث عاهة . فما هو حكم الشريك ؟

الاشتراك في الجريمة ـ باختصار ـ يكون بالتحريض أو المساعدة أو الاتفاق . والشريك في الجريمة يعاقب بالعقوبة المقررة لها أي يعاقب ـ على وجه العموم ـ بذات عقوبة الفاعل الأصلي وهو الذي ارتكب فعلا من الأفعال المكونة للجريمة .

والرد على السؤال واضح . فان الاشتراك المعاقب عليه انما يكون في جريمة . وما دام الانتحار والشروع فيه واحداث الانسان بنفسه عاهة هي افعال لا عقاب عليها . أو بتعبير قانوني هي افعال مباحة . فان الاشتراك فيها لا عقاب عليه .فمن يعطي شخصا مسدسا ليطلقه على نفسه أو سما ليشربه أو يحرضه على الانتحار لتفادى عار لحق أو يوشك على اللحاق به أو يتفق معه على أن ينتحرا سويا فينتحر أحدهما دون الآخر. مثل هذا الشخص الذي ساعد أو اتفق أو حرض لا عقاب عليه . لانه انما اشترك في فعل مباح .

على أن الواجب يقتضينا أن نضع تحفظين على هذا المبدأ .

الأول ـ أن الحدود بين الفاعل الأصلي والشريك قد لا تكون واضحة تماما . فاذا تعدى الشريك حدود المساعدة الى القيام بعمل من الأعمال المكونة للجريمة ذاتها .كما اذا أعطى الراغب في الانتحار مسدسه ثم ساعده على توجيهه الى رأسه والضغط على الزناد .أو وضع له السم في الكاس وساعده على شربه كان فاعلا أصليا في جريمة قتل . لا شريكا في جريمة انتحار . وعوقب بهذا الوصف .

الثاني ـ أن بعض التشريعات تعاقب على الاشتراك في الانتحار أو احداث أذى جسيم للنفس ولو أن الفاعل الأصلي لا عقاب عليه ـ ومثال ذلك المادة ١٥٨ من قانون الجزاء الكويتي التي تعاقب كل من حرض أو ساعد أو اتفق مع شخص على الانتحار فانتحر .

وكذلك المادة ٣٧٦ من قانون العقوبات الليبي التي تعاقب كل من حمل غيره أو ساعده على الانتحار .

وكلا النصين مستمد منقانون العقوبات الايطالي في المادة ٥٧٩ .

على أن هذه القوانين لا تعاقب الشريك باعتباره مشتركا في جريمة قتل بل تجعل من فعله جريمة خاصة معاقبا عليها بعقوبة أخف تصل في بعض القوانين الى الغرامة كما في القانون الكويتي .

رضاء المجني عليه

من مشاكل قوانين العقاب مدى تأثير رضاء المجني عليه بالجريمة التي ترتكب ضده . هل يرفع هذا الرضاء وصف الجريمة عن الفعلفيجعله مباحا ومن ثم لا عقاب عليه . أم أن هذا الرضاء لا أثر له فيعاقب الجاني رغم هذا الرضاء .

المبدأ الذي تاخذ به أغلب التشريعات في هذا الشأن هو أنه لا تأثير لرضاء المجني عليه علىقيام الجريمة والعقاب عليها . فاذا قتل انسان آخر أو أحدث به أذى برضاء هذا الآخر فان الجاني يعاقب مع ذلك بعقوبة الجريمة التي ارتكبها بصرف النظر عن هذا الرضاء .

وتعليل ذلك انه وان كان للشخص الحق في ان يموت أو يحدث أذى بنفسه ولا عقاب عليه في ذلك على ما بينا . الا أن مصلحة المجتمع تقتضى الحد من حريته في تفويض هذا الحق لغيره . ويختلف الفقهاء في أساس هذه القاعدة فالبعض يرى أن أساسها هو حق العقاب وهو من الحقوق العامة للدولة وهو مقرر لحماية الجماعة فهو يحد من مدى الحقوق الفردية ولا يتاثر بها . فاذا كان للانسان أن ينزل عن حقه فانه لا يملك النزول عن حق الدولة أو الحق العام . وهناك تعليلات أخرى ليس هنا مجال شرحها .

وما دام الأمر كذلك فان قتل انسان انسانا آخر برضاء هذا الآخر يعاقب عليه بعقوبة القتل العمد. واحداث عاهة يعاقب عليه بالعقوبة المقررة لهذا الفعل وهكذا .

ولكن الأخذ بهذا المبدأ على اطلاقه لا يفسر لنا الأساس القانوني لعدم العقاب على ما يحدث من اصابات فيالالعاب الرياضية ككرة القدم والملاكمة والمصارعة وما اليها فالمسلم به أنه لا عقاب على مثل هذه الاصابات ولو أدت الى الوفاة . مع أنه من المسلم به أيضا أن الوفاة أوالاصابة فيالمبارزة معاقب عليها . وليس هناك تفسير مقنع لهذه التفرقة .

يقول بعض الشراح أن أساس عدم العقاب في

الحالة الأولى هو انعدام القصد الجنائي ، ولكنه تفسير غير مقنع وفيه خلط بين القصد الجنائي والباعث ، ففي جميع الأحوال يرتكب الجاني الفعل المكون للجريمة وهو الضرب وهو يعلم حقيقته ـ صحيح أنه لا يقصد القتل في حالات الالعاب الرياضية العادية ولكنه يقصد الضرب ومن ثم يكون جريمة الضرب أو الضرب المفضي الى موت أو عاهة، وفي المبارزة قد يقصد القتل وقد لا يقصده •

ويقول شراح آخرون أن أساس عدم العقاب في حالة الالعاب الرياضية هو استعمال حق مقرر في العرف •

وقد نص القانون الكويتي على عدم العقاب اذا وقع الفعل أثناء مباراة رياضية من شخص يشترك فيها (مادة ٣٦) وذلك حسما للخلاف في هذا الشأن •

كما أحسن قانون الجزاء الكويتي صنعا اذ حسم الخلاف حول تأثير رضاء المجني عليه ، فقد أخذ بمبدأ الاعتداد بالرضاء ، وجعله سببا من أسباب الاباحة فقال في المادة ٢٦ « ان أسباب الاباحة هي استعمال الحق والدفاع الشرعي واستعمال الموظف العام سلطته أو تنفيذه لأمر تجب طاعته ورضاء المجني عليه » •

وحدد في المادة ٣٩ نطاق هذه الاباحة فشرطها بأن يكون المجني عليه بالغا من العمر ثماني عشرة سنة ، غير واقع تحت تأثير اكراه مادي أو معنوي ، عالما بالظروف التي يرتكب فيها الفعل وبالأسباب التي من أجلها يرتكب وأن يكون الرضاء سابقا على ارتكاب الفعل أو معاصرا له •

ثم أخرج من هذا النطاق الفعل الذي يكون من شأنه أن يحدث الموت أو يحدث أذى بليغا، ففي هذه الأحوال يعد الفعل جريمة ويعاقب فاعله رغم رضاء المجني عليه •

والقانون الكويتي يأخذ في ذلك بمذهب القانون الايطالي دون القانون الفرنسي أو المصري اللذين لا يعتدان أصلا برضاء المجني عليه •

القتل للشفقة

واضح مما تقدم أن رضاء المجني عليه لا يعفي الجاني من العقاب ، ورضاء المجني عليه انما يكون في الغالب بسبب ما يعانيه من الام مبرحة ويأس من شفاء •

فمن باب أولى أن يعاقب الجاني على القتل العمد اذا قتل المجني عليه لتخليصه من آلامه دون رضائه •

فالقتل يعاقب عليه على كل حال سواء تم برضاء المجني عليه حتى في القوانين التي تعتد بهذا الرضاء كمبدأ عام أو بغير رضاء •

ذلك أن من المبادىء المقررة أن الباعث على الجريمة لا أثر له بعكس القصد الجنائي الذي هو الركن المعنوي للجريمة •

فالقصد الجنائي في جريمة القتل واحد دائما وهو نية ازهاق روح المجني عليه ، أما الباعث فانه يختلف في كل حالة من حالات القتل ، فقد يكون الانتقام أو الطمع في المال أو المبدأ السياسي أو يكون الباعث هو حب المجني عليه والاشفاق عليه مما يعانيه من ألم وعذاب لا رجاء في الخلاص منهما •

قد يكون للباعث أثر في تشديد العقاب أو تخفيفه ولكنه لا يؤثر في وصف الجريمة على كل حال •

القتل بالامتناع

كل ما قلناه سابقا ينطبق أساسا على القتل بفعل ايجابي ، اطلاق الرصاص ، اعطاء السم ، الخنق ، وما الى ذلك ، ولكن ما هو حكم الامتناع عن القيام بعمل بقصد القتل كامتناع الأم عن ربط الحبل السري لوليدها حتى يموت ، وامتناع الممرضة عن اعطاء مريض دواء بقصد قتله ؟

الرأي الراجح فقها وقضاء هو أن القتل بالامتناع حكمه حكم القتل بالفعل فكلاهما قتل متى توافرت فيه نية ازهاق الروح ، فكل سلوك متعمد يؤدي الى الموت يعتبر قتلا ، سواء كان فعلا ايجابيا أو امتناعا عن فعل •

ولكن من المقرر أيضا أنه ليس كل امتناع يؤدي الى الموت يعتبر جريمة فالذي يمتنع عن انقاذ شخص مشرف على الغرق مع قدرته على ذلك لا يعتبر قاتلا بالمعنى القانوني وان كان مذموما أخلاقيا فليس كل ما يخالف الأخلاق جريمة في القانون •

وهنا أيضا حسم قانون الجزاء الكويتي هذا الخلاف بنص صريح في المادة ١٦٦ اذ نص على عقاب كل شخص يلزمه القانون برعاية شخص آخر عاجز عن أن يحصل لنفسه على ضروريات الحياة بسبب سنه أو مرضه أو اختلال عقله أو تقييد حريته سواء نشأ هذا الالتزام عن نص

القانون مباشرة أو عن عقد أو عن فعل مشروع أو غير مشروع فامتنع عمدا عن القيام بالتزامه وأفضى ذلك الى وفاة المجنى عليه أو الى اصابته بأذى يعاقب حسب قصد الجاني وجسامة الاصابات بالعقوبات المنصـــوص عليها فى القانون (أى بعقوبة القتل العمد ، أو الخطأ ، أو احـــداث العاهة حسب الأحوال) .

الامتناع عن علاج مريض لا يرجى شفاؤه

هذا هو أكبر الموضوعات صعوبة ، وهوموضوع القضية التى أشرنا اليها فى صدر هذا المقال .

يقول البعض انه لا محل لعقاب الطبيب الذى يمتنع عن اعطاء دواء ليس من ورائه سوى اطالة أوجاع المريض بضع ساعات حتى ولو كان ملتزما بعلاج هذا المريض .

ولكن البعض الآخر يقول ان ليس لأحد أن يتنبأ بما اذا كان هناك أمل فى الشفاء أم لا ، فعلم ذلك عند الله وحده ، وكم يئس الأطباء منعلاج مريض ثم اذا به يشفى ويعيش أعواما وأعواما .

ثم انه من المسلمات أن قتل انسان مقضى عليه بالموت ولو كان صاعدا الى حبل المشنقة يعتبر قتلا معاقبا عليه .

فليس هنا مجال العواطف ، وانما يحكم القضاء بمقتضى القانون وحده .

وقد أورد القانون الكويتى نصا أراد به حسم الخلاف هو نص المادة ١٥٧ (رابعا) فنص على أن يعتبر الانسان قد تسبب فى قتل انسان آخر ولو كان فعله ليس هو السبب المباشر أو السبب الوحيد فى الموت اذا كان المجنى عليه مصـــابا بمرض أو بأذى من شانه أن يؤدى الى الوفاةوعجل الفعل بفعله موت المجنى عليه .

ويلاحظ أن القانون ذكر « فعله » ولم يذكر « امتناعه » وترك حكم الامتناع لحكم المادة ١٦٦ التى أوردناها آنفا .

على أن هناك اتجاها فى الرأى العام وعلى الأخص فى أمريكا ينادى بأن المرضى الميئوس من شفائهم والذينيعانون آلاما مبرحة يتركون ليموتوا بكرامة وسلام ، دون حاجة لعمليات جراحية غير مجدية أو لاستعمال الآلات المعقدة فى التنفس أو التغذية والتى ليس من شانها الا الاحتفاظ بحياة ظاهرية لا جدوى منها وتعتبر فى الواقع موتا .

ما هو الموت

وهنا لابد من كلمة عن الموت ، فقد يظن البعض أن معنى الموت لا خلاف فيه ولـــكن الواقع أن تحديد الموت أمر يكتنفه الغموض ، فهل الموتيكون بتوقف أجهزة الحياة كالقلب والمخ ، أم انه يكون بموت الخلايا وهذا قد يتاخر قليلا أو كثيرا عن توقف أجهزة الحياة .

فمثلا قد يتوقف القلب عن الخفقان ولكن يمكن اعادته الى العمل بوســـائل علمية كالصدمة الكهربائية أو التدليك ، وقد تطور الطب فى هذه الأمور تطورا كبيرا .

وعلى العموم فان هذه المشكلة لا حل لها عند رجال القانون ، وانما الجواب عليها عند الأطباء يلجأ اليهم القاضى كما يلجأ الى أهـــل الخبرة الآخرين فى غير ذلك من الأمور الفنية التىتستعصى عليه ، وهذا ما فعله القاضى فى القضـية التى قدمنا بها لهذا المقال .

وقد قررت لجنة من جامعة هارفارد أن الانسان يعتبر ميتا بموت مخه ، فمتى توقفت موجات المخ التى يسجلها جهاز رسم المخ الكهربائى لمدة ٢٤ ساعة مع عدم التنفس وعدم الاســـتجابة الى المؤثرات الخارجية اعتبر الشخص ميتا ، وقد أخذ بهذا الرأى فيما يتعلق بنقل الأعضاء لتمــكين الجراح من فصل أعضاء « الميت » لزرعها فىشخص آخر بينما يكون قلب هذا الميت لا يزال نابضا وأعضاؤه تلك لا تزال حية . وقد أخذت بهـذا الرأى ثماني ولايات أمريكية ونصت عليه قانونا .

ولكن الأمر لا يزال مفتوحا للنقاش ، مع تطور الطب ، وما القانون الا كائن حى يجب أن يتطور بتطور علوم الحياة .

محسن عبد الحافظ
نائب رئيس ادارة الفتوى والتشريع
الكويت

في العدد القادم
اقرأ رأى الطب
فى هذه المشكلة

ابوبكر الرازى

« الانسان لا يستطيع ادراك الحقيقة الا اذا جرد عقله من الهوى »

ومنزلة العقل فى فلسفته

بقلم : الدكتور عبد اللطيف العبد

هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازى ، ولد فى مدينة « الرى » (١) عام ٢٥٠هـ ، وتوفى ببغداد عام ٣١٣هـ ، بعد حياة حافلة بالجد والمعرفة ..

كان فى الطب جالينوس العرب ، وفى الفلسفة فيلسوف الاسلام .

وكان ممثلا للاتجاه المنهجي المقتن للدراسات الاخلاقية ، ولذا يمكن اعتباره مصلحا اجتماعيا ، الى جانب كونه عالما وفيلسوفا .

بين الهوى والعقل

وهو يحذر الانسان كثيرا من اتباع الهوى ، لان اجتنابه بمنزلة المبدا لاصلاح الاخلاق ، فهو فى كتابه « الطب الروحانى ص٢٠ » يقول « ان اشرف الاصول واجلها واعونها على بلوغ غرض كتابنا هذا ، قمع الهوى ، ومخالفة ما تدعو اليه الطباع فى اكثر الاحوال ، وتمرين النفس على ذلك . »

وهذا شان الصوفية الذين يرون الهوى كله ضلالة .

وكانما كان الرازى يأسى لما يدور حوله فى المجتمع العباسى من لهو فى طلب اللذات ، ولذا حارب هذه الظاهرة طبيبا وفيلسوفا ، قاصدا اصلاح الفرد والمجتمع .

وادرك جيدا ان الانسان لايستطيع ادراك الحقيقة الا اذا جرد عقله من الهوى.ويركز هنا على امرين : العقل والهوى ، فالهوى يضرالانسان روحا وجسدا ، ولن يتممه الا العقل ، وهذا اشرف الاصول الاخلاقية . ويشترط ان يتم هذا بتدرج ، حتى تتعوده النفس .

فهو لا يذم الانفعال الانسانى ، لكن يذم فقدان الارادة معه . ويلتقى معه فى هذا علم النفس الحديث ، حيث اثبت امكان تعديل الغرائز الطبيعية بالتربية .

اهمية العقل

ولاهمية العقل لدى الرازى نظر اليه باهتمام، واعلى من شانه فى كل الامور ، ولم يكن الرازى

(١) الرازى نسبة الى الرى (مدينته التى ولدفيها _ وهى نسبة غير قياسية (العربى)



مقلدا ، بل انه صاحب عقلية متميزة ، لايهمها السير على الشائع والمألوف • وترتكز فلسفته في توصيته بقمع الهوى وتحكيم العقل ، حيث يمجده ، ويعتبره من اعظم نعم الله تعالى ، التي تستوجب الحمد : « لواهب العقل الحمد بلا نهاية كما هو اهله ومستحقه » •

وقد جهر بهذا الفكر في وقت ظهر فيه الغلاة والمتزمتة • على ان هذا كله لم يمنع من ظهور الرازي وغيره،من اعلام الفكر الحر ، الذين يعتزون بالعقل ، ويجعلونه الاداة الوحيدة للمعرفة ، مما كان سببا في ازدهار العلوم الاسلامية •

وان تمجيد العقل ليس بمنكور لدى الفلاسفة ولدى بعض الصوفية الذين لم يرفضوا جميعا مساهمة العقل في تحصيل المعرفة،بل رأوا ضرورة استضاءته بالايمان • ومن ذلك دفاع « التستري » عن العقل دفاعا حارا ، مما اثار انتقادا «ابن عربي » لـه •

وقد جعل الرازي العقل بمنزلة المبدأ لكل كلامه في موضوعات الطب الروحاني ، لانه اصل لها • وفي ذلك تقدير منه للانسان ، حيث انه لايفرض عليه اصلاحا غير مستساغ في العقل •

وهو يذكر بأن أول ما فضله الله تعالى به على الحيوان ، انما هو العقل • وهو ملكة الارادة التي لاتطلق الفعل الا بعد روية ، فالحيوان واقف عندما ماتدعوه اليه الطباع ، دون امتناع منه ولا روية ، لكن الانسان يترك ذلك ، ويقهر طبعه عليه ، لمعان أدبية ، وهي ايضا يمكن وصفها بانها معان عقلية ، وهو ما يختلف باختلاف عادات الامم وتقاليدها ، ويرجع في الغالب الى التأديب والتعليم•وليست الارادة هنا عنادا ،لكنها منهج، كما ان الرازي ليس جبريا ، لان الجبري لايؤيد القول بحرية العقل ، وقدرته على الادراك •

ومن محاسن فكر الرازي انه لفت الانسان الى طاقة كامنة فيه ، تكون مصدرا لسعادته ، لو انه احسن استخدامها ، فللعقل التأثير الاول في الافعال كما قرر علم النفس الحديث • وان الخلق قوة احتياطية للمرء،تنفعه وقت الشدائد ، أما الانحطاط النفسي فانه يقتل فيه العزة والكرامة •

واذا كان العقل هو الذي جعل الانسان مفضلا على الحيوان غير الناطق ، فانه بواسطة هـذا العقل ملك الحيوان وساسه ، وصرفه في الوجوه التي كتابة كلا من الانسان والحيوان •

وفي كتابه الطب الروحاني ص ١٧ ـ١٨ يقول :

« ان الباريء ـ عز اسمه ـ انما اعطانا العقل ، وحبانا به ، لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة ، غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه • وانه اعظم نعم الله عندنا ، وانفع الاشياء لنا ، واجداها علينا ، فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق،حتى ملكناها وسسناها وذللناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها • وبالعقل ادركنا جميع ما يرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا، ونصل الى بغيتنا ومرادنا ، فانا بالعقل ادركنا صناعة السفن واستعمالها ، حتى وصلنا بها الى ما قطع وحال البحر دوننا ودونه ، وبه نلنا الطب الذي فيه الكثير من مصالح اجسادنا ، وسائر الصناعات العائدة علينا ، النافعة لنا »•

العقل والمسائل التوقيفية

وهكذا يربط الرازي بين العقل وبين آثاره النافعة • لكنه في الامور التوقيفية لايترك للعقل حريته حيث تكفل الدين ببيان ذلك • وهو بهذا يختلف عن الاشعري الذي يجعل العقل آلة للادراك فقط ، ويرى ان الوحي هو مصدر كل معرفة •

وهذه مبالغة من الاشعري،فلقد ترك الوحي نفسه بعض المسائل الفرعية ، وطالب العقل الانساني بالاجتهاد فيها • فليس الوحي بمانع للعقل من ان يكون مصدر معرفة ، كذلك الرازي نفسه لم يمنع ان يكون الوحي مصدر معرفة ، فقد صرح بان الله تعالى وكل الاشياء الجزئية الى الانسان يديرها ، مما به قوام العالم وقوام المعيشة •

الهوى آفة العقل

وعند الرازي ان آفة العقل الهوى ، وهو المكدر له ، والحائد به عن سنن الحق والرشد والصلاح•

وبذلك يكون الانسان كما يصوره الرازي هو المحكوم بعقله لابهواه او وجدانه •

وهو يوجب تذليل الهوى للعقل ، وجبره على الوقوف عند أمره ونهيه ، وذلك مايتطلبه السلوك الاجتماعي •

فاذا كان هذا مقدار خطر العقل واهميته ، فمن الجدير بالانسان الا يحط عن رتبته ، ولا يجعله ـ وهو الحاكم ـ محكوما ، ولا ـ وهو الزمام ـ مزموما ، بل يرجع في الامور اليه ، ويعتمد عليه

فيمضيها على امضائه ويوقفها على ايقافه ، دون ان يسلط عليه الهوى وفي ذلك يقول : « اذا فعلنا ذلك صفا (العقل لنا غاية صفائه واضاء لنا اضاءته ، وبلغ بنا نهاية قصد بلوغنا به ، وكنا سعداء بما وهب الله لنا منه وَمَنّ علينا به » •

فالمعرفة لدى الرازي تنال بالتفكير العقلي ، لا بالالهام ، ولا بالكشف الصوفي • وقد اوجب علم النفس اليوم ، المحافظة على العقل ، حتى لا يضعف الضمير • واهتم ديكارت بالعقل الى هذه الدرجة الكبيرة التي نجدها لدى الرازي •

ويرى الرازي ان من حاد عن حكم العقل جرفه الهوى الى الخطيئة والضلال ، وفيه مافيه من ضياع للانسان • وقد حرص تمام الحرص من اجل هذا على التفريق بين العقل والهوى ، والموازنة بينهما ، وحذر من تدليس الهوى والتباسه بالعقل ، وهو باب عظيم من ابواب البرهان ويوثر العقل الشيء الافضل عند العواقب ، ويرى صاحبه ماله وما عليه ، مع تقديم الحجة والعذر الواضح • والهوى بعكس هذا كله، ولذلك ينبغي للعاقل ان يتهم رأيه دائما في الامور التي هي له لا عليه، ويظن انها هوى لا عقل، مع استقصاء النظر قبل امضاء اي شيء •

فالمدار على المنفعة هنا في المدى البعيد ، وليس على تطبيق المبادىء في حياة الانسان ، فالفعل الواحد قد يختلط خيره بشره • والعقل هو الفيصل في الترجيح تماما • ونلاحظ هنا ان الرازي يستخدم الشك المنهجي ، للتثبت من الامور، وقد سبق بذلك كلا من الغزالي وديكارت •

وقد نزع الرازي بذلك نزعة فكرية حرة من كل آثار للتقليد او العدوى مؤكدا حق العقل •

وهو بهذا ينحو منحى تنويريا ، مما جعل منه شخصية فكرية من الطراز الاول ، وواحدا من احرار العقول المقتدرين •

ولا غرو بعد هذا ان يقتدى بعض الباحثين في فلسفة الاخلاق بآراء الرازي في هذا ، وينقلون عنه نصوصا مطولة في هذا المجال •

معنى الطب الروحاني

ويرى الرازي أن « الطب الروحاني » هو الاقناع بالحجج والبراهين ، في تعديل افعال النفوس ، لئلا تقصر عما اريد بها ، لئلا تجاوزه • وقد كونت النفسان الحيوانية والنباتية من اجل الناطقة، وتستعين الناطقة بالغضبية على قمع الشهوانية، فالنفس اذن تكتفي في مصالح ذاتها بذاتها ، كما ان النفس الناطقة عنده هي الانسان على الحقيقة •

وان قوة الارادة ضد الهوى فضيلة يشرف بها الانسان ، ولن يبلغ اقصاها الا الفيلسوف الفاضل، وبه يرتفع فوق درجات العوام، كما يرتفع هؤلاء فوق درجات البهائم ، ويمكن ان يتعود الانسان زم الهوى بالتاديب والتعليم ، وان ينشا الطفل على ذلك مبكرا •

فالوصول الى قمع الهوى فضيلة ، لكنه ليس امرا سهلا ، ومن رام هذه الفضيلة فقد رام امرا صعبا، وعلى ذلك تكون النفس في حاجة الى تدريب ومجاهدة ، وهذا يختلف باختلاف الاشخاص في الطباع •

وعلى العاقل ان يردع كلا من الهوى والطباع، ولا يطلقهما الا بعد تثبت ونظر في العاقبة ،لانهما يدعوان الى ايثار اللذة الحاضرة ، وعليه ايضا ان يزن الامور ويتبع الارجح ، كي لايالم ويخسر، من حيث ظن انه يلتذ ويكسب •

وعلى الانسان ايضا ان يحبس الشهوة متى وجد شبهة ما، فقد يكون في اطلاقها من سوء العاقبة مايؤلمه ، ويحمله من المئونة اكثر مما يحتمل • والاحسن ان يردعها ان تكافات لديه المئونتان ، فالمرارة المتجرعة اهون من المنتظرة ، ولابد من قمع النفس الشهوانية واصلاحها ، قبل تعلم الفلسفة •

ويجب على المرء ايضا الا يكون اسيرا لطبعه ، والا فقد حريته وكرامته ، وان اقدر الناس على ذلك هو الفيلسوف ، حيث يستطيع قهر طبيعته ، ويحذر من قالة الناس في شانه •

وان قمع الهوى واجب في كل حال ، تمرينا للنفس ، فاذا وقعت في ظروف قاسية ، كان من السهل عليها ان تحتملها، وكذلك لئلا تتمكن الشهوات من الانسان ، بحيث لايمكن مقاومتها البتة •

فليست الاخلاق اذن بالشيء الثابت لدى الرازي سواء اكانت حسنة ام رديئة • فهي تحدث بعد ان لم تكن ، وهي بالتالي يمكن اصلاحها وتطويرها ، وهذا دليل على نسبيتها •

■■

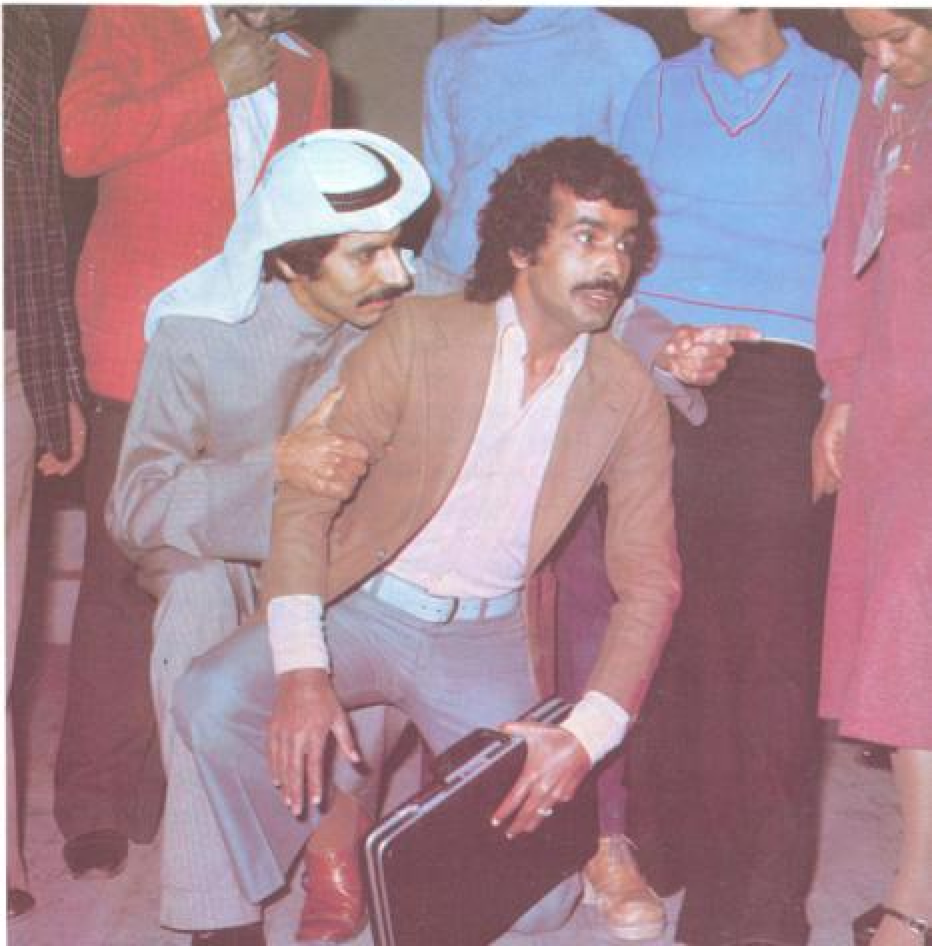
عبد اللطيف محمد العبد

المسرح الكويتي

كان هواية ثم أصبح اليوم
علماً وفناً وحياة

استطلاع بقلم : صادق يلي

مشهد من مسرحية « زيارة السيدة العجوز »يؤديه طلبة وطالبات السنة الثالثة ، قسم التمثيل ، ان الجانب التطبيقي العملي جانب مهم في منهج الدراسة في المعهد الى جانب الدراسة النظرية .





درس نظرى فى اللغة العربية لطلبة وطالبات السنة الاولى لجميع الاقسام التي يتكون منها المعهد، فالمعهد قسم المنهج الدراسى الى قسمين قسم تطبيقى عملى وآخر نظرى ·

مريم الصالح من اوائل الفنانات اللائى عملن على المسرح فى الكويت ، وهى هنا تؤدى مشهدا تمثيليا لمسرحية مقررة على طلبة وطالبات السنة الثانية باشراف الاستاذ احمد عبد الحليم ·





المبنى الرئيسي للمعهد ويقع في منطقة الشامية، وهو مبنى مؤقت ، حيث تجرى دراسات الآن لنقل المعهد الى مبنى جديد » ٠



الاستاذ كمال ياسين يشرح لطالبتين من طلبة البحرين مشهدا من مسرحية مقررة على السنة الثالثة ٠

■ تهتم المجتمعات الانسانية بالفنون المسرحيةعلى إختلاف اشكالها وانواعها باعتبارها ركائز اساسية فيتشكيل الوجدان القومي وتطوره ونموه٠لذلك نالت معاهد الفنون المسرحية اهتماما خاصا في البلاد المختلفة لانها تعتبر في واقع الامر القاعدة الاساسيةلاى نشاط ثقافيانساني متطور٠ ولما كانت الكويت تسير بخطوات واسعة في شتىمجالات التقدم والرقى ، واستكمالا لهذا الاتجاه الفني السليم فان الكويت تتجه نحو اقامة كيانثقافي يواكب هذه الاهتمامات الكبيرة حتى يكتمل البناء الحضارى على اساس من المعرفة الانسانيةوفي مقدمتها الفنون ٠

وقد جاءت فكرة انشاء معهد عال للفنون المسرحية ضرورة فرضها الواقع والتطور المسرحي الذى تسير فيه دولة الكويت منذ اكثر من عشر سنوات ، وقد بدأ المسئولون في وزارة الاعلام في الكويت بدراسة مشروع هذا المعهد خلال شهرى ابريل ومايو عام ١٩٧٣ وبعد اعتماد الخطوط الاساسية للمشروع استكملت الدراسة الاكاديمية بتحديد الخطة والمقررات الدراسية ، ثم وضع المناهج التفصيلية لكل المواد المقترح تدريسها لجميع الفرق الدراسية ٠

مناهج الدراسة

وكان لابد أن يبدأ المعهد الدراسة بالصفالاول من صفوفه ، ولكنه حين وضع مناهج المقررات الدراسية وضعها كلها دفعة واحدة ، لانه رئى انه من الافضل أن توضع هذه المناهج وتلك المقررات متناسقة متكاملة بحيث تتضح الصورة العلمية للمعهد في حالة اتمام صفوفه كما روعى اشراك اكبر عدد متخصص في وضع منهج المادة الواحدة بحيث تكون هناك رؤية اوضح واشمل من مجرد الاكتفاء برأى واحد ٠

ويراعى المعهد مجموعة من الاعتبارات الاساسية حتى يعيش في الفة تامة وتجانس حقيقي مع الفكر العربي الاصيل بماضيه وحاضره وتطلعاته الى المستقبل ، وليكون دوره في بناء المجتمع واضحا ومؤثرا ومحققا للاهداف الاساسية التى يسعى من اجلها ٠

أ ــ وكان مما وعاه واضعو المناهج معرفة واقع الكويت المحلى بابعاده الاجتماعية والتاريخية وامتداداته المختلفة وتحديد المحاور العلمية لهذه الابعاد ٠

ب ــ معرفة الآراء المحلية لاسيما اراء الاجهزة المسؤولة التيلها علاقاتبالمجالات الثقافية والفنية٠

جـ ــ معرفة الآراء الاجنبية فالتجارب المماثلة



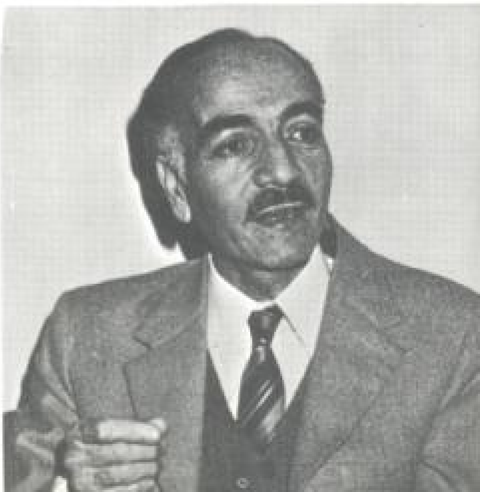
الاستاذ عبد الحميد بسيوني وهو أحد الاساتذة المنتدبين من وزارة التربية يلقي درسا في اللغة العربية على طلبة السنة الاولى ·

التي تمت في بعض البلاد الاخرى العربية والاجنبية امر له قيمته لان التجربة الانسانية تشكل عنصرا رئيسيا في مثل هذه الاجهزة الثقافية والفنية ·

ويشترط المعهد لقبول الطلاب به أن يكون الطالب على مستوى ثقافي عال حده الأدنى هو حصول الطالب على شهادة الثانوية العامة او ما يعادلها علميا ، وذلك بالاضافة الى الموهبة الفنية التي هي في حقيقة الامر اساس التكوين اللازم في مثل هذه المعاهد الفنية العالية ·

وبذلك يكون الاطار العام للمعهد متكاملا وعلى مستوى عال يماثل الكليات الجامعية ، وهذا يفرض على المعهد ان يرتبط علميا بالمعاهد العليا المماثلة واكاديميات العلوم في الوطن العربي والبلاد الاخرى ، وذلك بغية تحقيق التجانس الثقافي نوعا وكيفا ، وحتى يتمكن الطلبة من زيادة معارفهم واستكمال دراستهم في بعض التخصصات الفنية التي قد يحتاج الوضع فيها الى ذلك ، اضف الى هذه تمكين خريجي المعهد من استكمال دراستهم العليا في التخصصات الدقيقة والوصول بهم الى درجة الماجستير والدكتوراه في الفن وفلسفته وند ذلك ·

الاستاذ سعيد خطاب عميد المعهد ·· قال لنا : « نحن في بداية الطريق ·· انني متفائل لمستقبل المسرح في الكويت » ·



أقسام المعهد الثلاثة

وهنا اصبحت الصورة واضحة المعالم ومتكاملة وبدات مرحلة الدراسة المنهجية وكانت ذات شقين

أ ـ منهج ثقافي لتخصص معين ·

ب ـ دراسة تحدد العلاقات العلمية بين الجانب التعليمي اثناء الدراسة والجانب التطبيقي في مجالات الحياة العامة وقد اكتفى في المرحلة الحالية بالتركيز على ثلاثة اقسام هي :

اولا : قسم النقد والادب المسرحي :

وتقوم الدراسة فيه اساسا على الدراسة



« على رصيف محطة جيللين » مشهد من مسرحية زيارة السيدة العجوز للكاتب المسرحي السويسري « فردريك ديرمات » وهي مسرحية ترمز الى مدى تأثير سيطرة المال على مدينة صغيرة تعمدت السيدة العجوز صاحبة المليارات افقارها بغرض الانتقام ·





سعاد عبد الله وهي فنانة بارزة موهوبة بالكويت حرصت ان تصقل موهبتها في التمثيل بالدراسة العلمية في المعهد العالي للفنون المسرحية ، وهي هنا تؤدي مع احد الطلبة دور الغانية في مسرحية السلطان الحائر للكاتب المسرحي الكبير توفيق الحكيم .

تحتوي مكتبة المعهد على مايقرب من اربعة آلاف كتاب باللغة العربية واللغة الانجليزية حيث تتناول فنون المسرح والاخراج والديكور والموسيقى والمكياج ومجموعة كبيرة من المسرحيات العالمية .

حصة في الرسم الهندسي ويتكون من الرسم الهندسي والمنظور العام وهو جانب تطبيقي هام من منهج الدراسة في المعهد .



المسرحية من الوجهة النظرية الى جانب الدراسة المسرحية التطبيقية العملية اى تدريس اللغات (اللغة العربية وآدابها واللغة الانجليزية والترجمة) وتاريخ الدراما والنصوص المسرحية والنقد بمذاهبه ومدارسه المختلفة والفنون الجميلة وتاريخها والمعرفة والتذوق الموسيقي، ثم الى جانب ذلك كله يدرس الطالب تاريخ تطور المسرح ، ويدرس على المستوى النظرى والتطبيقى فن الكتابة الدرامية والكتابة للاذاعة والتلفزيون ، ويقدم الطالب ايضا بحوثا تحليلية ونقدية لما يقدم على خشبة المسرح بالاضافة الى هذا يدرس الطالب قسطا ثقافيا متكاملا عن الاخراج المسرحى .

ثانيا : قسم الديكور المسرحى :

وهذا القسم يقوم باعداد الفنان التشكيلى الملم بالثقافة المسرحية والقادر على تجسيد النص وترجمته تشكيليا عن طريق الديكور ووحدات الاثاث والستائر والمؤثرات الضوئية بحيث تكون كل هذه المرئيات المجسدة جزءا اساسيا من الاحداث المسرحية وليست عوامل زخرفية جمالية تعيش على هامش النص المسرحى .

ثالثا : قسم التمثيل والاخراج :

وهذا القسم يهتم اساسا باعداد الفنان المثقف الذى يعبر عن فنه من خلال الاداء التمثيلى السليم وقد روعى ان تكون المواد الدراسية فى المعهد فى ثلاث مجموعات :

أ ـ مجموعة مواد الثقافة العامة وذلك بالتركيز على اللغتين العربية والانجليزية .

ب ـ مجموعة مواد الثقافة الفنية وذلك بالتركيز على الثقافة المسرحية والادبية والفنية .

جـ ـ مجموعة مواد التخصص المباشر وذلك بالتركيز على مواد التمثيل والاخراج والدراما والكتابة المسرحية والتصميم والتنفيذ للديكور والازياء المسرحية .

هيئة التدريس

تتكون هيئة التدريس فى المعهد من ابرز الاساتذة المتخصصين فى الجامعات والمعاهد العليا الفنية الى جانب الفنانين المحترفين الذين يتمتعون بقسط وافر من الثقافة ،ويحاول المعهد تكوين هيئة ثابتة الى جانب الاساتذة والفنانين المنتدبين من الخارج وهم السادة الاستاذ سعيد خطاب عميد المعهد والاستاذ كمال ياسين وكرم مطاوع واحمد عبدالحليم وفاروق الدمرداش لقسم التمثيل ثم الاستاذ عبد الفتاح البيلى وعبد الله العيوطى والدكتور لويز مليكة والدكتور سعد المنصورى لقسم الديكور ثم الاستاذ الدكتور ابراهيم سكر والاستاذ فؤاد دواره لقسم النقد المسرحى .

كما يستعين المعهد باساتذة منتدبين من جامعة الكويت ووزارة التربية والمجلس الوطنى لتدريس المواد الموجودة فى خطة الدراسة لاسيما المواد التى لا تسمح دروسها القليلة بتعيين اساتذة متفرغين لتدريسها وايضا لتطعيم هيئة التدريس فى

تتكون هيئة التدريس فى المعهد العالى للفنون المسرحية من نخبة ممتازة من الاساتذة المتخصصين وهم هنا فى اجتماع اسبوعى مع عميد المعهد يدارسون الطريقة المثلى لوضع برنامج للامتحانات النهائية فى آخر العام .



المعهد بالعناصر الممتازة والكفاءات التخصصية النادرة .

ولا يقتصر المعهد في قبوله على ابناء الكويت فحسب بل لقد فتح المجال رحبا امام الموهوبين من ابناء الدول العربية الشقيقة الذين سيعودون الى اوطانهم وهم مزودون بخبرات دراسـية مسرحية تساعد على انعاش وتطوير الحركة المسرحية في بلادهم . فالمعهد يضم الى جانب الطلبة الكويتيين طلبة من البحرين وقطر والعراق واليمن الشمالي والجنوبي ثم الاردن ومصر .

مجالات العمل امام خريجي المعهد

وقد سالنا الاستاذ سعيد خطاب عميد المعهد عن المجالات التى يمكن ان يعمل بها خريجوا المعهد؟ فأجاب : « ان المجالات امامهم رحبة كثيرة ، فبامكان الخريج أن يعمل فى المسرح باقسامه المختلفة او الانتاج الفنى فى الاذاعة والتلفزيون او الاشراف على الانشطة الثقافية والفنية والمسرحية داخل الاندية ومراكز تجمعات الشباب بالاضافة الى اسهامهم بشكل فعال فى المسرح المدرسى متى اتيح لهم ذلك .

ويضاف الى ذلك ايضا من خلال التجارب السابقة اهتمام بعض الخريجين بالعمل فى المجالات الصحفية عندما يتجهون بكتاباتهم الى مناقشـة القضايا الادبية والفنية او يتعرضون بالتحليل والتوضيح

أمل عبد الله وهى مذيعة معروفة فى اذاعة الكويت انضمت الى المعهد هذا العام واختارت قسم النقد والادب المسرحى .





الديكور والازياء من المواد الهامة فى منهج الدراسة فى المعهد وفى الصورة فتاتان ترسمان زيا تاريخيا لمحارب آشورى قديم .

الى ما يقدم من اعمال فنية على خشبة المسرح او على شاشة التلفزيون .

ثم وجهنا الى الاستاذ سعيد خطاب سؤالا حول امكانية قيام فرقة قومية كويتية من ابناء المعهد

« وقد اجاب فانلاليس من مسؤولية المعهد انشاء فرقة قومية ،فقد تكون هذه الفكرة احدى مسؤوليات اجهزة اخرى فى الدولة كالمجلس الوطنى للثقافة والفنون مثلا ، ويكون دور المعهد فى هذا المجال هو امداد الفرقة بالعنصر البشرى المناسب ،وطالما اننا قد تعرضنا الى الامل الخاص بوجود فرقة فنية على المستوى القومى فان هذا الامل يفرض مسؤولية اساسـية على المعهد وهى ايجاد فرقة تجريبية نموذجية ملحقة بالمعهد تعمل فى كنفه وتحت اشرافه المباشر لتقدم الاعمال التجريبية الطليعية وتعد الطالب للانتقال الى المسرح القومى المحترف عند انشائه .

وان اهتمام الكويت بهذا الجانب الحضارى فى انشاء هذا المعهد التمثيلى يعتبر بداية خير تبشر بمستقبل زاهر لابناء هذا الجيل واننـا فى هذا المجال نطمع فى أن يكون انشاء هذا المعهد بداية لقيام معاهد للفنون التشكيلية والفنون الموسيقية والتعبيرية وان تظهر فى دولة الكويت اكاديمية للفنون تقوم بدورها فى استكمال البناء الانسانى والثقافى للكيان الكويتى المتطور . ■■

صادق يلى

مدينة الغد

كيف تبدو الصورة بعد عشرين عاما من اليوم

ما شكل الحياة التي تنتظر ابناءنا من بعدنا ؟

بقلم : الدكتور محمد على الفرا





الطرق .. طرق الغد الآلة تتحكم في حركة المرور .. والسيارات تنطلق بسرعة الصاروخ

هكذا تبدو مدينة الغد كما يراها خيال المهندسين .. خطوط غير واضحة المعالم .

المدن تختنق ٠٠ الحياة فيها اصبحت معاناة يومية لكل عامل وعاملة ، مع طلوع الشمس وغروبها ٠٠ زحام في الشوارع ٠٠ زحام في وسائل النقل ٠٠ زحام في الطرقات التي ضاقت بالاعداد الهائلة المتزايدة من الحوافل والسيارات ٠٠ حتى السماء بدأت تضيق هي الاخرى بالطائرات الهاربة من زحام الارض!

هذه صورة الحياة كما نعيشها اليوم ٠٠ في كل عاصمة ٠٠ في كل مدينة آخذة باسباب التقدم والحضارة والعمران ٠٠ وهي مشكلة ٠٠ مشكلة بشر يتزايدون بصورة مخيفة ٠٠ وهي مشكلة عمل ورزق تتفاقم يوما بعد يوم ٠٠ ترى كيف تكون صورة الحياة هذه في الغد ٠٠ الغد القريب الذي سيعيشه ابناؤنا واحفادنا من بعدنا ؟ !

■ ان جميع الخبراء في كل انحاء العالم مهتمون اليوم بالمرور ومشاكله وبالازدحام واخطاره ، والوسيلة التي تخفف من متاعب التنقل بين المنزل والعمل حيث تتباعد المسافات بينهما باتساع العمران ، وكثرة البنيان في المدن والضواحي ٠

وسيطرأ تعديل شامل وكبير على كل وسائل النقل والطرق في المستقبل كي تتمشى وحياة الغد، فالطائرات مثلا ستكون من الضخامة والكبر والاتساع بحيث تستوعب الفي مسافر ، ويكون في استطاعتها قطع المسافة ما بين لندن ونيويورك في خمسين دقيقة فقط ، وهي نفس المدة التي يستغرقها الشخص في الوصول من مطار نيويورك الى قلب المدينة الشديد الازدحام ٠ ولذلك لا بد ان يفكر العلماء في حل مشكلة المواصلات الارضية ٠ وبخاصة في المدن الكبيرة المزدحمة ٠

مع القرن الحادي والعشرين

وعلينا ـ بحلول القرن الحادي والعشرين ان نتوقع تطورات هائلة وجذرية في جميع وسائل النقل المستخدمة كالسيارات، والحافلات (الباصات) والقطارات ، وطرق النقل ، والانفاق ، وما الى ذلك من امور لها علاقة بالسير والمرور ٠ وتشير التقديرات الى ان اعداد السيارات في العالم في عام ٢٠٠٠ ستزيد زيادة كبيرة الى ان تصل الى نحو ٥٢٤ مليون سيارة خاصة و ٨٧ مليون سيارة عامة ، على حين انها بلغت في عام ١٩٧٥ نحو ٢٢٠ مليون سيارة خاصة و ٦٠ مليون سيارة عامة ٠ وهناك تقديرات اخرى ترى ان اعداد السيارات في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ستصل الى ٢٥٠ مليون سيارة ٠

ان تزايد السيارات بهذا الشكل الرهيب يولد مشاكل كثيرة لعالم المستقبل ، منها مشاكل تتعلق بتلوث البيئة من جراء ما تنفثه محركات السيارات من عوادم هي بمثابة سموم تؤثر على صحة الانسان ومختلف الكائنات ، هذا الى جانب الضجيج والضوضاء التي تقلق راحة الناس ، وتساعد على توتر الاعصاب ، وتخلق النزق والامراض العصبية عند الافراد ٠

وكلما تزايدت اعداد السيارات تطلب الوضع اجراء مزيد من التحسينات في الطرق ، وشق اخرى جديدة حتى تستوعب هذه الزيادة ، ولكي نتبين مقدار ما يلزم للطرق من اراض ، يكفي ان نذكر بان التقاطع الواحد في الطريق الرئيسي يحتاج الى ثمانين فدانا من الارض ، كما ان كل ميل واحد من هذه الطرق الرئيسية يحتاج نحو خمسين فدانا من الارض ٠ وفي بعض المدن الصغيرة تستهلك الطرق نحو ثلث الاراضي المستغلة ٠ وهذه ولا شك مسالة خطيرة في البلدان التي تكثر فيها المدن وتنتشر ، وبخاصة في بلد كالولايات المتحدة التي يعيش نحو ٨٥٪ من سكانها في مساحة من الارض لا تتعدى ٢٠٪ من مساحة البلاد الكلية ٠

ولهذه الاسباب ولاخرى غيرها يحاول المخططون

تدبير الحلول المكنة، التي من بينها تطوير محركات السيارات تطويرا يسمح باستعمال طاقة نظيفة بدلا من النفط ، وذلك من اجل تفادي مشكلة التلوث ، وستكون هذه المحركات الجديدة خافتة الصوت لا ينجم عنها ضجيج مزعج ، او ضوضاء مقلقة للراحة •

ويبدو أن كثيرا من سيارات المستقبل ستستغنى عن العجلات ، فمن الممكن استبدالها بوسادة هوائية تسير السيارة عليها وقد جربت امثال هذه العربات التي تسير على وسادة هوائية واستعملت بالفعل واطلق عليها Gems، وهي اختصار للكلمات الآتية For cround effect machines وعربة « هوفركرافت » Hovercraft ، او العربة ذات الوسادة الهوائية Air Cushion vehicles (Acvs).

سيارات تسير بالكهرباء

لقد توصل الانسان بالفعل الى صنع سيارات تسير بالكهرباء ، ولكن المشكلة التي لم تحل بعد حلا كليا ـ هي كيفية التغلب على مسالة تغزين الكهرباء في بطاريات تمد السيارة بالطاقة لمسافة بعيدة مثلما نضع البنزين في خزان خاص بالسيارة يكفيها لمسافات معينة • ان السيارات الكهربائية الاولى في امكانها ان تسير بسرعة لا تزيد عن ثلاثين ميلا ، وتحتاج بطاريتها الى الشحن كل ستين ميلا على الاقل • ولكن السيارات الكهربائية المطورة في الوقت الحاضر يمكن ان تسير بسرعة ثمانين ميلا في الساعة ، وتقطع مسافة معدلها ١٢٥ ميلا دون حاجة الى شحن البطارية • ويبدو ان المشكلة في الوقت الحاضر لا تكمن في السرعة بقدر ما هي تتعلق بالمسافة ، فطالما ان هذا النمط من السيارات تستعمل غالبا في المناطق المدنية والحضرية والضواحي المتصلة بالمدن حيث الازدحام شديد والسرعة لا تتجاوز اثنى عشر ميلا في الساعة فمن المحتمل ان يشيع استعمال هذه السيارات • وفي الوقت الحاضر يوجد نحو ٣٠٠٫٠٠٠ سيارة كهربائية تستعمل في بريطانيا في المناطق الحضرية المزدحمة ، ومن المنتظر ان يضاف الى هذا الرقم مليون سيارة اخرى في العقد القادم •

ولعل اكبر مشكلة تواجهها السيارة الكهربائية هي الحيز الكبير الذي تحتاج اليه البطارية الكبيرة حجما والثقيلة وزنا ، ولكن جرى مؤخرا اختراع بطاريات جديدة ذات تصميم خاص ، وزنها خفيف وحجمها اقل وتدوم لمدة اطول • وقد تمكنت « مؤسسة فورد للسيارات » من صنع بطارية من الصوديوم والكبريت ذات حرارة عالية ، وبقوة هائلة تفضل البطارية التقليدية بخمس عشرة مرة•

هذا وستزود سيارة المستقبل بكثير من وسائل الامان ، لعل من بينها جهاز استقبال كالراديو يستقبل اذاعة خاصة للبث على الطرق توضح للسائق الطريق الذي يسلكه ، وتبين له اشارات الوقوف ، وتنبهه الى عدم تجاوز السرعة المطلوبة، وحينما تقترب السيارة من اشارة النور الاحمر تتوقف آليا ولا تستانف المسير الا حينما تتحول الاشارة الى النور الاخضر •

طرق خاصة لمراقبة السيارات وضبط سيرها

وعلى نحو ما سيطرأ من تعديل كبير على سيارات المستقبل ، ستشهد الطرق الكثير من التطوير والتحسين لتتلاءم وحركة السير في عالم الغد • ان طرق المستقبل هذه ستكون مجهزة بمختلف وسائل الرقابة والضبط ، والتي من شانها تحديد سرعة السيارات ومراقبة سيرها واتجاهاتها ، وستتولى هذه الاجهزة ايضا قيادة السيارة ووصولها نحو هدفها في حين ان الركاب في داخلها يتمتعون بالراحة المتاحة •

ان طرق المستقبل ستجهز بحاسب الكتروني (كمبيوتر) يقوم بعدة مهام ووظائف ، لعل منها عدم السماح لسيارتين بالاقتراب الشديد بعضهما من بعض ، وبهذا يمكن تفادي الاصطدام بينهما ، كما انه لن يسمح لاية سيارة ان تضل طريقها • وهذا الحاسب الالكتروني سيعمل على حل كل مشاكل الازدحام في المناطق المكتظة بالسكان ، وذلك بتحويل السيارات آليا نحو الطرق الفرعية والثانوية•

وسائل نقل عامة من نوع جديد

يبدو ان الزيادة الهائلة في اعداد السيارات بعد عام ٢٠٠٠ ستتوقف ، لان الناس ستقبل على المواصلات العامة بعد ان يجري عليها الكثير من التعديل والتطوير لتصبح اكثر راحة مما هي عليه الآن • وان السيارات العامة في المستقبل ستكون من انماط مخالفة ، اذ ستسير بدون عجلات ولن تستعمل الطرق التقليدية الحالية ، فبسبب شدة



الطلب على الارض في المستقبل ستصبح الاراضي في العالم عزيزة وغالية مما يصبح من الصعب تخصيص مزيد منها لشق الطرق ، ولذلك سيتوقف بناء الطرق ، وسيشيع نوع من وسائل النقل تسير بدون عجلات مثل « الهوفركرافت » التي سبق الاشارة اليها وهي عبارة عن عربة مزودة بجهاز خاص يولد تيارا قويا من الهواء يرفع العربة عن الارض بحيث تطفو فوق طبقة رقيقة او مخدة من الهواء ٠ واول من صمم هذه العربة في سنة ١٩٥٤ مهندس بريطاني اسمه « كرستوفر كوكوريل Crhistepher Cockerell حيث كان في مقدور هذه العربة ان ترتفع عن الارض بمعدل قدم او قدمين ٠ وقد اجريت تعديلات عليها فيما بعد بحيث امكن لها ان تزيد ارتفاعها عن الارض بنحو اثني عشر قدما، وبذلك تستطيع هذه العربة ان تستغني عن الطرق وتسير فوق الاراضي المزروعة وغير المزروعة وفوق المستنقعات والاراضي الوعرة والصحاري ، والبحار، وستتحول هذه الى وسائل نقل مريحة وسريعة بين عواصم العالم المتجاورة وبخاصة في القارة الاوروبية٠

قطارات المستقبل

من الممكن ان تستغني قطارات المستقبل عن قضبان السكك الحديدية وتسير على وسادة هوائية مثل عربات « الهوفركرافت » ٠ ومثل هذه القطارات والمسماة « بالمونوريل Monorail » جربت واستعمل في فرنسا ، وتسير على خط حديدي منفرد ، وعلى ارتفاع معين ، وتعتمد على وسادة هوائية ويطلق عليها القطار الطائر ، وتبلغ معدل سرعتها ١٥٠ ميلا في الساعة ، وبالامكان زيادة السرعة الى ٢١٥ ميلا ٠

هذا وقد صمم « ج٠ر٠ باول » و « ج٠ت٠ دانبي » J.R. Powell and G.T. Danby في امريكا قطارا يسير بقوة الجاذبية المغناطيسية ، وهذا القطار يولد مجالا مغناطيسيا قويا يتوازى مع المجال المغناطيسي الذي تنتجه اجهزة خاصة على طول الطريق ٠ ويسير القطار من جراء المقاومة التي تحدث بين هذين المجالين ، كالمقاومة الناجمة بين قطبي الشمال المغناطيسيين ٠

وهناك مشاريع اخرى لانشاء قطارات مغناطيسية تسير في انفاق تحت الارض بسرعة هائلة تزيد عن ٥٠٠ ميل في الساعة ٠ وهذه القطارات ستصل المدن الكبرى ، وبواسطتها يمكن قطع المسافة من باريس الى فيينا في اقل من ساعة وربع ٠

ويبدو أن قطارات الانفاق ستعمم في مختلف بلدان العالم ، اذ سترتبط الاقطار بشبكة كثيفة من الانفاق ، منها ما هو تحت الارض ومنها ما هو تحت مياه البحار ٠ وعلى الرغم من التكاليف الباهظة لهذه الانفاق ، ستوفر الكثير من الاراضي التي كانت ستلزم في شق الطرق وبنائها ، كما انها ستخفف من اعباء الازدحام في المناطق المكتظة٠

وليس بمستغرب أن يطبق في المستقبل انتقال الانسان من مكان لآخر بعيد في اقل من لمح البصر بواسطة الاشعاع على نحو ما تنتقل صورة الانسان عن طريق البث التلفزيوني عبر الهوائيات ٠ وربما يكون في مقدور الانسان ان يقف أمام جهاز خاص في مدينة من المدن ، وسرعان ما يقوم هذا الجهاز بنقله اشعاعيا الى مدينة أخرى ، قد يظن المرء أن هذا خيال بعيد ، ولكن العلم يجعل الخيال حقيقة .

مطارات على اسطح المنازل

نظرا لشدة الازدحام في المدن الكبرى ، وصعوبة تحرك السيارات فيها بحرية تامة ، وربما يلجأ الانسان في المستقبل الى استعمال انواع الطائرات العمودية كبديل للسيارات ، وهذه الطائرات تنقل الانسان من منزله الى مقر عمله ، أو من مكان الى آخر داخل المدينة ، وتهبط على أسطح المنازل التي تعد اعدادا خاصا لهذا الغرض ، وتكون كل عمارة مكتفية بنفسها اكتفاء ذاتيا وكأنها مدينة قائمة بنفسها تحتوي على مساكن وعلى كل ما يلزم الساكنين من خدمات ، كأن تجد في العمارة مدارس ، ومستوصفات ، وأسواقا ، وغير ذلك من مرافق وخدمات ٠ ومن الجائز أن تتصل العمارات ببعضها بواسطة جسور معلقة توفر على الناس مشقة النزول الى الارض ، أو من الجائز أن ينتقل الاشخاص من عمارة الى أخرى بعربات معلقة تسير على أحبال بقوة الكهرباء على نحو ما نشاهده في المناطق الجبلية والسياحية ٠ وعلى كل حال فان عالم الغد مليء بالمفاجآت ، وكما يقول المثل « عش رجبا ترى عجبا » ٠ ■■

محمد علي الفرا ـ الكويت

في الليل ٠٠٠ تنعكس اضواء السيارات على (الطرق) الواسعة الممتدة ، وكأنها خطوط صنعتها ريشة فنان مبدع ٠

الضمان الاجتماعي له أصوله في الإسلام

بقلم : الدكتور جمال الدين محمد محمود

« مع بدء هذا الشهر أول مايو ، يحتفل العالم بعيد العمل والعمال • هو تقليد يبدو لنا جديدا ، ولكنه ليس كذلك ، فله في التشريع الالهى جذور ممتدة • ان الاسلام لم ينس العمل والعاملين • لقد خصهم برعاية وأى رعاية • »

■ تحرص الدول والحكومات فى العصر الذى نعيش عيه على ان تقدم الى المواطنين مزيدا من الخدمات والمساعدات فى نواحى الحياة المختلفة ، فلم تعد صلة الدولة بالفرد مقصورة على حفظ الأمن واقامة النظام وصيانة الاموال كما كان الامر فى الماضى ، بل تدرجت هذه الصلة ووصلت فى نموها وتطورها الى أن تقدم الدولة للمواطنين أنواعا من الخدمات والمساعدات يظهر فيها بصفة بارزة اهتمام المجتمع بالفرد ، وحرصه على الاخذ بيده وقت ضعفه او حاجته ، وتنوعت فى السنوات الاخيرة التشريعات التى تضمن للمواطن اهتمام الدولة به ، فلا يمضى المجتمع فى طريقه هادئا مستقرا وافراد منه ـ قلوا أو كثروا ـ يواجهون وحدهم قسوة الحاجة أو ألم المرض ، ومن وحى تلك النظرة التى كانت وليدة تطور طويل فى مجال التشريع نشأت طائفة من التشريعات تعرف باسم التشريعات الاجتماعية كقوانين العمل والتامينات الاجتماعية والضمان الاجتماعى ونحوها، وهى تستهدف فى الجملة الحفاظ على السلم الاجتماعى ومد يد العون الى الفرد عند حاجته وعجزه •

ان تشريعات العمل والتامينات الاجتماعية تحاول تامين الذين يكسبون رزقهم عن طريق العمل، وهم أغلب الناس فى كل مجتمع انسانى ، عندما يبلغ بهم السن حدا تقف عنده طاقاتهم او تقل ، أو عندما تدهمهم شدة طارئة كعجز أو مرض ، يمنعهم من الكسب ولو الى حين ، ونظم المعاشات التى تاخذ بها غالبية الدول وكذلك نظم التامينات الاجتماعية التى تتوجه أساسا لخدمة العامل ومد يد المساعدة اليه فى أثناء عمله وبعد انقطاعه يساهم فيها الموظف أو العامل بجزء من راتبه أو أجره وقت اكتمال طاقته ، وتساهم الدولة بجانب آخر ـ ومن كل ـ يتهيا للدولة المورد الكافى لاداء ما يستحقه العامل فى شيخوخته ، أو ما يستلزمه الامر من عون أيا كانت صورته •



الضمان الاجتماعي

أما ما يهمنا الاشارة اليه والى أصوله الاسلامية ـ فهو الضمان الاجتماعي ـ وهو حق الفرد على المجتمع الذى يعيش فيه فى أن يضمن له ـ وقت حاجته وضعفه او عجزه ـ المساعدة والعون على مواجهة الحياة . والتى تضمن للفرد الا يضيع فى زحام المجتمع اذا ضاع منه مورد الرزق بسبب عجز أو مرض طارىء او كارثة تلم به . وهذه المساعدة التى يقدمها المجتمع لا تتوقف على مساهمة سابقةفى تكاليفها ممنيستفيد منها.

ولا هى تقتصر على من تصيبهم الشدائد ويطرا عليهم العجز وهم يعملون ، أو بسبب العمل . وانما يكفى لاستحقاق الفرد لعون المجتمع ـ الذى تمثله الدولة ـ ومساعدته ان تقوم الحاجة اليه من صغر كالايتام ، أو ترمل كالزوجات ، أو مرض او عجز طارىء ، وان ينقطع السبيل الى مورد من موارد الرزق مما تسد به الحاجة ، فلا يكون مال او كسب للمحتاج عن اى طريق ، ولا يكون هناك من يلزمه الشرع بالانفاق وسد الحاجة .

ويختلف مقدار العون والمساعدة التى تقدمها الدولة لضمان مستوى مقبول من العيش للمحتاج بحسب اختلاف الدول فى ثرائها وقدرتها وفى مستوى معيشة افرادها فى مجموعهم (١) ، كما تختلف صورة العون والمساعدة بحسب الحالفتكون نقدا او عينا او خدمة معينة تسد بها الحاجة كعلاج طبى . وكل ذلك يتوقف على تنظيم المنح والعطاء وكيفية التحقق من قيام دواعيه .

الاهتمام الدولي بالضمان الاجتماعي

ولقد بدا الاهتمام بتنظيم الضمان الاجتماعى على نطاق دولي منذ بداية الاربعينات ، ووردت الاشارة اليه فى اتفاق انجلترا وامريكا فى ميثاق الاطلنطى سنة ١٩٤١ للعمل على تحقيق الضمان الاجتماعى للافراد ، ثم نصت المادة ٢٥ منديباجة اعلان حقوق الانسان (الصادر بتاريخ ١٠/١٢/١٩٤٨ بالقرار ٢١٧ من الجمعية العامة للامم المتحدة) ، على أن « لكل شخص الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته ويتضمن ذلك الغذاء والملبس والمسكن والعناية الطبية والخدمات الاجتماعية اللازمة وله الحق فى تامين معيشته فى حالة البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش » . كما اصدرت هيئة العمل الدولية فى مؤتمرها العام المنعقد بجنيف بتاريخ ١٩٥٢/٦/٢٨ اتفاقية دولية خاصة بالمستوى الادنى للضمان الاجتماعى ونظمت أبوابها المتعددة المزايا التى تمنح للفرد فى حالات الشيخوخة

---

(١) يبلغ مقدار المعاش الاساسى فى الجمهورية العربية الليبية طبقا لقانون ٧٢ / ٧٣ لمن لا عائل لهم ولا دخل لهم ـ ثلاثين دينارا شهريا وقد يزيد هذا المبلغ بحسب عدد افراد الاسرة الذين قد يعولهم صاحب الحق فيه .

والبطالة والصور التي تقدم بها المساعدة في حالات المرض والحمل والولادة وغيرها من أسباب العجز ، وصدر بعد ذلك قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة برقم ١٣٨٦ في دورتها الرابعة عشرة بتاريخ ١٩٥٩/١/٢٠ خاص باعلان حقوق الطفل وتتضمن المادة الرابعة منه وجوب تمتع الطفل بقوانين الضمان الاجتماعي ، وهذا القرار الأخير موجه الى الآباء والأمهات والمنظمات الخيرية وكذلك الحكومات القومية .

الاصول الاسلامية للضمان الاجتماعي

اقام الاسلام في تشريعه نظام التكافل الاجتماعي ـ وهو في معناه اللفظي ـ ان يكون كل فرد من افراد الشعب في كفالة الجماعة ، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان في هذا المجتمع كفيلا فيه يمده بالخير (٢) ، ولقد قام هذا النظام في الاسلام قبل أن يعرف العالم الضمان الاجتماعي بثلاثة عشر قرنا ، ووضع القرآن الكريم أساس هذا التكافل، وأشار الى صوره في آيات عديدة ـ يقول تعالى: « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » التوبة ٧١ . وفي معنى الولاية القيام على الشخص المحتاج ومساعدته . ونجد ان اموال الجماعة تضمن حق السائل والمحروم فلا يضيع أيهما لأن لهما حقا فيها ـ (هو حقه في الزكاة التي يقوم ولي الامر على جمعها وصرفها الى من يستحقها ، يقول الله تعالى « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » الذاريات ١٩ . كما مدح تعالى جل شانه المؤمنين بانهم « رحماء بينهم » الفتح ٢٩ . وقد تعددت الاحاديث النبوية الشريفة التي تقيم أسس هذا التكافل بين الناس ، والتي تحمل المجتمع كله وزر بقاء ذي الحاجة أو الضعف على حاجته ، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ويقول « من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برىء من الله تعالى وبرىء الله تعالى منه ، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع (٣) فقد برئت منهم ذمة الله تعالى » مسند الامام أحمد جـ ٢ ص ٣٣ وفي حديث رواه علي بن ابي طالب « ان الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم » ويصل هذا الضمان للفرد ـ أو التكافل الى ذروة عالية لم تصلها بعد القوانين الوضعية حين يكون الحاكم مسؤولا عن الأفراد في حاجتهم وحتى بعد وفاتهم ، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) « انا أولى بالمؤمنين من انفسهم، ومن ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فالي وعلي » مسند الامام أحمد جـ ٣ ص ٣٣٨ ـ والدين معروف ـ والضياع هو ضياع العيال بفقد عائلهم ،ولقد طبق صلوات الله عليه وسلامه أسس التكافل الاجتماعي وصوره اذ كان في حياته بين المسلمين هو الامام الأعظم والمفتي الأعلم والقاضي الاحكم ، فقد أرشد من لا يجد عملا الى عمل يرتزق منه وساعده في اعداد الوسيلة اليه(٤)، وأعطى الفقير والمحتاج ما يسد الحاجة ويقيم العيش ، وكان فعله صلى الله عليه وسلم وقيامه على المسلمين في وقت حاجتهم وعجزهم مصداق قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم » الأحزاب ٦ .

تمويل نفقات التكافل الاجتماعي

يختلف المورد الذي يؤدي منه الضمان الى الفرد المحتاج بحسب اختلاف صورة التكافل ذاته ، فقد تعددت صور التكافل الاجتماعي في الاسلام واتسع مداه باكثر مما نجد في التشريعات الوضعية ، وهناك صور محددة في الشرع الاسلامي يصل بها حق الفرد في المساعدة والعون اليه في يسر ويكون مضمونا له في كل حال ، وأهم هذه الصور .

أ ـ حق القريب المحتاج في النفقة على قريبه الموسر ـ ويختلف الفقهاء المسلمون في مدى هذا الحق ، ولكن المذهب الحنبلي يجعله شاملا للقرابة

---

(٢) في المجتمع الاسلامي للاستاذ محمد ابو زهرة .

(٣) هكذا لفظ الحديث بالرفع في مسند أحمد الذي انفرد به والخبر هو « فيهم » .

(٤) روى الترمذي ان الرسول صلى الله عليه وسلم ارشد انصاريا شكا اليه الفقر الى العمل بالاحتطاب وساعده بان اعد له فأسا بيده الشريفة.

كلها(٥) وهنا يكون الملزم بالضمان القريب القادر، فاذا لم يوجد قام التزام الدولة بالاتفاق وهو اتفاق بين العلماء •

ب ـ حق الفقير أو المسكين في أموال الزكاة التي تحصلها الدولة ، وهو حق مقرر له بنص القرآن الكريم ، وقد أجرى عمر بن الخطاب رزقا مستمرا من بيت المال على شيخ ذمي مكفوف كان مطروحا على باب المدينة وقال لخازن بيت المال « تفقد هذا وضرباءه وأجر عليه » وهنا تكون الدولة هي التي تغطي الضمان من مورد من موارد بيت المال هو الزكاة التي حدد القرآن مصارفها وأول من يستحق فيها الفقراء والمساكين •

ج ـ وثمة صورة من صور التكافل لا تعرفها القوانين الوضعية ، وفيها تلتزم الدولة بان تدفع دية القتيل (وهي في الاصل الف دينار ذهبا) الى أولياء دمه (وقد يكونون ورثته كما هو رأي المالكية وقول عند الشافعية) اذا كان القتل عمدا ولم يعرف القاتل أو عرف وكان عاجزا عن دفع الدية ـ فالقاعدة الا يضيع الحق على أصحابه ، ولا يضيع دم هدرا في الاسلام ،ولنا أن نقدر مدى الحاجة الى هذا الضمان اذا كان القتيل قد ترك من خلفه ذرية ضعافا •

د ـ وهناك صورة أخرى تلتزم العاقلة فيها بان تعين القاتل خطا في دفع الدية الى أولياء الدم ، فيكون الحق مضمونا بجماعة من الناس (هم عصبة القاتل من الرجال أو أهل الديوان ،كما ذهب الى ذلك الاحناف ،أخذا برأي الخليفة عمر بن الخطاب) وحبذا لو اخذت القوانين الوضعية بذلك النظر في ضمان التعويض لاهل القتيل ، وفي ضمان العون للقاتل خطا ، ومساعدته في اداء حق ورثة القتيل، ويمكن أن يجتمع على الوفاء به لمن يستحقه كل طائفة من الناس تشترك بحكم نشاطها المتماثل في التعرض لاحتمال ارتكاب جرائم القتل او الاصابة الخطا ، كقائدي السيارات فيما بينهم ، وأصحاب المباني ـ والتي قد تنهار على ساكنيها ـ وفي هذه الصورة يكون الضمان موجها الى القاتل خطا بمد يد العون اليه في اداء الحق الذي يجب للمضرور ، كما يكون موجها للأخير بضمان حقه من جماعة تقدر بمجموعها وتعاونها على الاداء •

هـ ـ ونجد صورة أخرى فريدة في الشرع الاسلامي ـ وهي ضمان ضيافة الغريب الذي يحل على مضيفه ، وقد جعل بعض الفقهاء المسلمين الضيافة حقا يقتضي أو يكون دينا على المضيف اذا لم يؤدها قدر استطاعته ، واصل ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة ايام ، وجائزة الضيف يوم وليلة » انظر النهاية مادة (جوز) وهي واجبة للمسلم (ولغير المسلم في نظر بعض الفقهاء) والضيافة لا تعدو ان تكون ضمانا للفرد اذا كان وقت ارتحاله من مكان الى آخر في حاجة الى العون او المساعدة •

التكافل الاسلامي اوسع من الضمان الاجتماعي

لقد نشأت التشريعات الاجتماعية في القرن العشرين وتطورت منذ نشأتها حتى تلبي حاجة الفرد في المجتمع عندما يدهمه العجز أو الحاجة ، فيقوم واجب المجتمع في مد يد العون اليه ، وقد دعا الى نشأة هذه التشريعات وتطورها الرغبة في حفظ السلم الاجتماعي بين أفراد المجتمع أو طبقاته ، واختلفت هذه التشريعات من بلد لآخر بحسب اختلاف البلاد في مذاهبها الاجتماعية والسياسية ، وهي في جملتها ـ وهذا هو المهم ـ تلبي حاجة المحتاج فحسب دون أن يبرز فيها معنى التكافل بين افراد المجتمع كما هو الحال في صوره التي جاء بها الشرع وأشرنا الى أهمها ، واذا كانت التشريعات الاجتماعية ومن بينها الضمان الاجتماعي قد نشأت لدواع عملية ، فان التكافل الاجتماعي قد اقامه الشرع الاسلامي منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا ، وأساسه أن أي مجتمع انساني لا يمكن أن يبقى ـ ولا أن ينمو ويتطور في غياب التكافل بين افراده ، فالتكافل بين أفراد المجتمع ضرورة لسلامة هذا المجتمع وتقدمه قبل أن يكون ضمانا للفرد عند حاجته أو عجزه ،ولهذا أوجبه الاسلام ، وصدق الله العظيم « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »سورة الملك الآية ١٤•

■■

جمال الدين محمد محمود

(٥) جعل الامام مالك الالتزام بالنفقة بين الاصول والفروع المباشرين ،ووسع الامام الشافعي الالتزام ليشمل الاجداد والجدات مع الفروع وان نزلوا ، وجعل الاحناف القرابة المحرمية معيارا للالزام بالنفقة •

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٧

بهو السباع .. في غرناطة

■ قامت مسابقة العدد ٢٠٧ على أسئلة فى المعلومات العامة فى ميادين شتى من المعرفة وخاصة أسئلة فى مادة التاريخ ثم مادة الجغرافيا الطبيعية ، وأخيرا فى الادب العربى . وقد كانت الاسئلة سهلة ميسرة ولذلك استطاع عدد كبير من القراء ان يجيبوا على أسئلة المسابقة اجابات صحيحة ، كما أن عدد المشتركين فى المسابقة ازداد زيادة ملحوظة .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء الفائزين بالمسابقة :

١ ـ يقع قصر الحمراء وبهو السباع فى مدينة غرناطة .

٢ ـ عصبة الامم هى الهيئة العالمية الاولى قبل الامم المتحدة .

٣ ـ الدول العربية الثلاث التى تحمل أعلامها رسم الهلال والنجمة هى : تونس والجزائر وموريتانيا .

٤ ـ الدول العربية التى تطل على مياه البحر الاحمر هى : اليمن والسعودية ومصر والسودان .

٥ ـ الطبيب العالمي الفرنسى الذى وصل الى جابون فى افريقيا عام ١٩١٣ هو البرت شفيتزر .

٦ ـ أ ـ قصة «دعاء الكروان» مؤلفها الدكتور طه حسين .

ب ـ قصة ماجدولين ترجمها مصطفى لطفى المنفلوطى .

جـ ـ قصة « غادة كربلاء » مؤلفها جرجى زيدان .

٧ ـ الاسم الاخر الذى تعرف به هولندا هو « نيذر لاند » او الاراضى الواطئة .

٨ ـ جان دارك هى الفتاة الفرنسية التى ايقظت الشعب الفرنسى بغيرتها وحماسها .

٩ ـ المقر الدائم للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى يقع فى المغرب .

١٠ ـ اسم هذا العالم هو : ارشميدس .

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : منذر لبابيدى ـ حلب / سوريا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : محمد عبدالرحمن بن الطلب ـ نواكشوط موريتانيا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : احمد سليمان سالم المصرى ـ ابوظبى / دولة الامارات

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ نمر محمد عبد الرحمن منصور ـ العقبة / الاردن .

٢ ـ أنيسة محمد الدويسرى ـ الرياض / السعودية

٣ ـ حميدة حسين الوزان ـ الكويت .

٤ ـ علاء زكى ـ بغداد / العراق .

٥ ـ هشام محمد احمد ـ عدن / اليمن الديمقراطى

٦ ـ فؤاد عيسى حافظ العبد الله ـ نابلس / فلسطين .

٧ ـ عبدالرحمن محمد السنيدار ـ صنعاء / اليمن

٨ ـ عزة أحمد لعلب / انجلترا .

■■

الخيل

بين الأسطورة والعلم

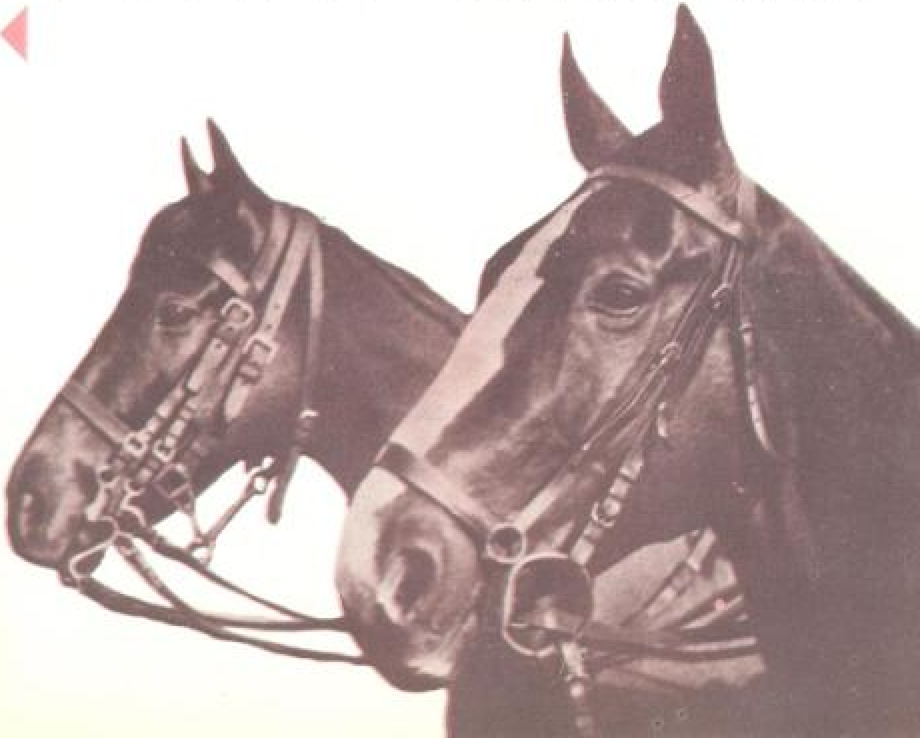
بقلم : فاروق خورشيد

أحب الانسان الخيل وعشقها ، وقامت بينه وبينها صداقة وود ..فعرف الحصان صاحبه ، ونسج صاحب الحصان الحكايات والاساطير عنه. كان رفيقا له في حربه وفي سلمه وفي حياته ورزقه فلم يفترق الانسان عن الحصان حتى يومنا هذا.

■ قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» .. « صدق الله العظيم .. »

وعن عروة رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه فيقول « الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة . او كما قال ، رواه مسلم والنسائي وقال امرؤ القيس ابن حجر في وصف فرسه :

له ايطلا ظبي وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل



كأن على المتنين منه اذا انتحى
مداك عروس او صلاية حنظل

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

درير كخذروف الوليد أمره
تتابع كفيه بخيط موصل

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

الخيل اذن هي اكثر ما اعتز به العرب ، وما اكثر ما نسجوا حولها من اساطير وحكايات .. وساوى العرب في هذا كل الشعوب التي عرفت الفروسية وعاشت شاكية السلاح ، فامتلا ادبها الشعبي ،وامتلات اساطيرها بصور الخيل، وحكايات حول الخيل ، وانواعها وفضائلها ..

يروى ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار ان ابا ذر قال « ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها ربه ويقول اللهم سخرتني لابن ادم وجعلت رزقي بيده فاجعلني احب اليه من اهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقني على يديه .. »

باب في الخيل

وابن قتيبة يعقد في كتابه عيون الاخبار فصلا كاملا عنوانه (باب في الخيل) ويقول انه الف كتابا خاصا عن ابيات المعاني في خلق الفرس ، كما يخصص النويري في (نهاية الارب) اكثر من جزء من كتابه الكبير باسم (ذكر ما وصفت به العرب الخيل) ويقول في اسماء الخيل مرتبة حسب سنها .. « العرب تقول للفرس اذا وضعته امه (مهر) ثم هو (فلو) فاذا استكمل سنه فهو (حولي) ثم هو في الثانية (جذع) وفي الثالثة (ثني) ثم في الرابعة (رباع) وفي الخامسة (قارح) ثم هو في نهاية عمره (مذك) .. »

ولم يكتف العرب بالنسبة للخيل بهذه التسميات لها في كل مرحلة من عمرها بل لقد سموا اعضاءها، وابعاضها ، والوانها ، وشياتها ، وعزرها ، وحجولها ، وعصمها ، ودائرها ، ثم الفوا في طبائعها وعاداتها والمحمود من صفاتها ومحاسنها والعلامات الدالة على جودتها ونجابتها ، كما ذكروا العيوب التي تكون في خلقها وجريها ، والعيوب التي تطرا عليها وتحدثفيها .. ويذكر لنا النويري من الكتب التي الفت فيها كتاب (فضل الخيل) لابي عبيد (رسالة الخيل) للابيوردي ، (والوان الخيل) لابن الاجدابي الطرابلسي ، وكتاب (فضل الخيل) للدمياطي ، وكتاب (نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد). وكتاب (حلية الفرسان وشعار الشجعان) لابن هذيل الاندلسي ، وكتاب (الات الجهاد وادوات الصافنات الجياد) لسليمان النحوي المصري ، وكتاب (الخيل في سنن النسائي) و (رسالة في الخيل) لشهاب الدين الحلبي ..

وليس هذا الذي يذكره النويري في سياق كتابه الا قطرة من بحر من الكتب التي الفت في الخيل وانسابها ومشاهيرها وصفاتها، ولعل اشهر خيل العرب جميعا (داحس والغبراء) التي سببت حروبا طويلة احتلت مكانا كبيرا بين ايام العرب المشهورة ، ويقول ابن عبد ربه في العقد الفريد معددا مشاهير خيل العرب .. (الوجيه ولاحق) لبني اسد (وقيد وحلاب) لبني تغلب، (والصريح) لبني نهشل ، (وذو العقال) لبني رباح بن يربوع وهو ابو داحس ، وكان (داحس والغبراء) لبني زهير ، (والغبراء) خالة (داحس) واخته من ابيه ، و (ذو العقال) لحذيفة بن بدر ، (والنعامة) للحارث بن عباد ، وابن النعامة لعنترة العبسي . و (ابن النعامة) اسمه (الابجر) وهو فرس عنتره بن شداد الذي خصصت له سيرة عنترة فصولا عديدة وجعلته واحدا من اهم الشخصيات التي تدور حولها الاحداث ..

تقول السيرة انه في احدى غزوات العبسيين برئاسة عياض بن ناشد يلتقي عنتره بالحارث ابن عباد اليشكري الذي يركب مهرا ادهم .. ويقول كاتب السيرة :

(وثب الحارث بن عباد في عاجل الحال وركب على ظهر مهر ادهم كانه الليث القشعم ، وكان هذا المهر يشبه لون الظلام او كانه قطعة من الغمام . وكانت ام هذا المهر يقال لها النعامة وكانت تضرب بها الامثال في ارض تهامة ويفتخر بها اهل اليمامة .. وكان ابو هذا المهر يقال له واصل وكانت تتحسر عليه العربان وملوك القبائل

•• فلما ان صار الحارث على ظهر المهر صاح بين اذنيه وقصد به الغارة فطار كانه من العفاريت الطيارة ونظر اليه الفرسان فلم يروا الا غباره ، فلما رأى عنترة ذلك الجواد تنهد وتحسر وتعجب كل العجب ، وصار عنترة مثل الغريق وقلبه تلهبه نار الحريق •• وقد علم انه اذا طلبه ما ما يبلغ منه المراد ولا يصل اليه بجرى او طراد)

نظرة اعقبتها الف حسرة

كاتب السيرة يمهد للقاء عنترة بالابجر كما يمهد كاتب قصة حب للقاء البطل بحبيبته فهى نظرة اعقبتها الف حسرة • وعندما يغيب عن بصره يتنهد ويتحسر ويصيح مثل الغريق (وقلبه تلهبه نار الحريق) •• واهتمام كاتب السيرة بنسب (الابجر) لا يقل عن الاهتمام الذى يبديه كاتب السيرة بنسب البطل كتقليد فنى ثابت من تقاليد كتابة السير الشعبية ، ويروى كاتب السيرة كيف ان عنترة حرس الاسرى من اهل الحارث بن عباد اليشــكرى متقدما رجال بنى عبس ، وكيف ان الحارث تعرض له ليخلص الاسرى من بين يديه الا ان عنترة يعرض عليه ان يسلمه كل الاسرى والغنائم مقابل الجواد (الابجر بن النعامة مـا اقتنى مثله فارس فى ارض تهامة) ويوافق الحارث مرغما على هذه المبادلة ليخلص نساء قومه من السبى واموال قومه من النهب • وينزل عن الابجر لعنترة وهو مغموم حزين • ويستولى عنترة على الابجر ليقاسمه مغامراته وامجاده وبطولاته •• وكما يدخل الابجر مغامرات عنترة كجزء فعال فيها يسبب له النصر والغلبة بمهارته وسرعته وذكائه، يدخل عنترة مغامرات الابجر الذى يتعرض لسلسلة من محاولات السرقة على يد اكثر من سلال اخطرهم المغتلس بن ناهب سلال الخيل الذى تفوق شهرته فى الجراة والحيلة والاقدام شهرة الفرسان المعروفين فى الجزيرة ، ويخوض عنترة سلسلة معارك رهيبة لاستعادة فرسه.كما يخوض سلسلة معارك مساوية لها فى العنف فى تخليص عبلة حين تؤسر فى بلاد الروم • وحماسه لتخليص فرسه لا يقل ان لم يزد عن حماسه لتخليص حبيبته عبلة •• وحين يعود عنترة بفرسه وقد خلصه من الاسر يقـول كاتب السيرة « وما نام تلك الليلة ولا التفت الى عبلة التى كانت مناه ومحط اماله ورجاه • لانه كان يحب جواده اكثر من حبه لعبلة •• وقد ذكروا ان عبلة عنده اعز من روحه التى بين جنبيه •• »

مرحلة ما قبل الاسلام

ولا تنفرد سيرة عنترة بن شداد بهذه الظاهرة بل هى تنتشر فى كل السير الشعبية التى تتناول باحداثها مرحلة ما قبل الاسلام •• والتى تستخرج ابطالهـا من قلب الجزيرة العربيـة فى العصر الجاهلى • وهى اوضح ما تكون فى سيرة حمزة البهلوان وفى الاجزاء الاولى من سيرة الاميرة ذات الهمة ،ففى هذه السيرة الشعبية التى تتناول العصر الجاهلى اما فى نسيجها الروائى كله واما فى الاجزاء الاولى منها ، تنتشر ظاهرة الاهتمام بالخيل ـ وخاصة مشاهيرها ـ اهتماما يتعدى حب البطل او الابطال لها الى ذكر انسابها العريقة الموغلة فى القدم حتى لتصل الى فرس سيدنا سليمان نفسه مع ما تفرده من فصول ممتعة حول التصارع على الخيل والاقتتال دفاعا عنها وحبا لها ، والتفنن فى محاولة سرقتها او (سلها) ، حتى ليجعل الملوك والامراء العرب من جياد الخيل المشهورة مهورا لبناتهن •• وحتى ليقدمون المال والجواهر والعرض الغالى فداء للفرس المنشود • وقد تبع هذا ظهور شخصية (السلال) بكثرة فى الادب الشعبى العربى الذى يتناول هذه المرحلة من تاريخ الجزيرة العربية •

وشخصية (سلال الخيل) تمتاز بالجسـارة الفائقة والذكاء والحيلة ، والتفنن فى الخداع والتنكر والتعميـة • وهذه الظاهرة ـ ظاهرة التنكر والخداع ـ تظهر فى الادب الشعبى العربى عامة متاخرة فى الجزء البغدادى والقـاهرى فى حكايات الشطار فى الف ليلة وليلة وفى سيرة على الزيبق المصرى ، وفى الاجزاء المتاخرة من سيرة ذات الهمة والظاهر بيبرس ، فتظهر اسماء ملوك اللصوص والمخادعين الذين يجيدون فن التنكر والتحايل و (الشطارة) من امثال عقبة شـيخ الضلال والبرتقش وجوان وشيحة جمـال الدين صاحب الالاعيب وابى محمد البطال او الكـلان وعلى الزيبق واحمد الدنف ودليلة المحتالة وشواهى ذات الدواهى وزينب النصابة وغيرهم ممن امدوا اصحاب المقامات بصورة الشطار التى ظهر من

نسيجها ابو زيد السروجي وغيره من ابطال المقامات . ولكنها في الحقيقة تجد بداياتها في شخصية (السلال) التي تظهر مبكرة في السير الشعبية التي تتناول العصر الجاهلي وفرسانه . وتبلغ اهمية هذه الشخصية ان تصبح (البطل المساعد) في الكثير من هذه السير . ونقصد بالبطل المساعد هنا الشخصية الروائية التي يبتدعها كاتب السيرة الشعبية لتكون المساعد والصديق والمضحك للبطل . وهي في نفس الوقت الشخصية التي تمتلك مواهب اخرى غير المواهب التي يمتلكها البطل . ووجودها في خدمة البطل ضرورة هامة لتتكامل للبطل ادوات القوة والسيادة والفوز . كشخصية (شيبوب) في سيرة عنترة بن شداد وشخصية (عمر الخطاف) في سيرة حمزة ـ البهلوان . فهما يكملان وجود البطل العوليسي في عنترة وحمزة البهلوان . هنا اضافة جديدة احتذتها الملاحم البيزنطية والرومانية فيما بعد . ثم وجدت مكانها في الروايات التاريخية الغربية بعد ذلك . ولكنها اضافة جديدة،قدمتها السير الشعبية العربية للبطل الاسطورى الفارس . تلك هي الشخصية المحتالة الخبيثة القادرة على اتيان ما لا يستطيعه البطل من اعمال قد تخل بالصورة الاسطورية المتعالية التي يرسمها البطل الفارس بنفسه ولنفسه .

شخصية الفارس

فالبطل في السير الشعبية التي تناولت هذه المرحلة من تاريخ العرب فارس يرتبط بكل خلفيات الفرسان التي ارتبطت بتقاليد معينة مستمدة في الغالب من شخصية الفارس في علي بن ابي طالب، المتعفف المتعالي، الذي لا يجب ان يلجأ للخداع او الحيلة ومن شخصية الحسين بن علي الذي يفضل الاستشهاد الصريح القاتل على أي تنازل عن فكرة او معنى او موقف او عقيدة . وهذه الصورة التي رسمها التاريخ العربي للفارس . والمستمدة من على ومن ابنه الحسين تنتقل بعد هذا في العصور الوسطى لتصبح الاطار الذي يتحرك فيه الفارس البطل في ملاحم اوروبا في العصور الوسطى .. هذه الشخصية المطلقة في مفاهيمها ومثلها وقيمها وسلوكها لن تنجح في الحياة ابدا ونهاية على بن ابى طالب . ونهاية الحسين المفجعة تؤكد هذا . ولهذا ابتدع خيال كاتب السيرة الشعبية العربية شخصية البطل المساعد وهو غالبا اخ بالام للبطل كما في شخصية (شيبوب) في سيرة عنترة بن شداد . او اخ بالرضاعة كما في شخصية (عمر الخطاف) في سيرة حمزة البهلوان . لتكون المكمل للعناصر التي يفتقدها البطل او يرتضيها . وعلى هذا يمارسها البطل المساعد بنجاح ليكمل انتصار البطل ويؤكد تفوقه . فهذه الشخصيات المساعدة او الجانبية تقوم بكل ما تحرمه تقاليد الفروسية او القوة العربية التي اصبحت تقاليد عالمية للفروسية بعد هذا ،وتمنع البطل من الاقدام عليها ـ فالبطل لا يعرف الخدعة ولا التحايل ولا الغدر . البطل في السير الشعبية هو نفسه بطل العصور الوسطى الذي قدسته اوروبا واسمته نموذج (البطل المسيحي المحارب) لا يعرف الا المواجهة الحازمة التي تقوم اساسا على المقدرة البدنية وعلى المهارة في استعمال ادوات الحرب من سيف او رمح او سهم او صراع بدني .. اما البطل المساعد فهو الذي يقدم على الحيلة والدهاء . وان خالفت هذه الحيلة وهذا الدهاء تقاليد الفرسان غير المقررة . والمتبعة مع هذا ورغم كل شيء في دنيا الفرسان .. وشيبوب وعمر الخطاف وابو محمد البطال وشيحة جمال الدين بعد هذا . صورة لاستعمال كل الوسائل في سبيل النصر . فهم الجواسيس وهم النهازون . وهم الذين يلجأون الى الحيل والخداع والتنكر والغدر في سبيل تحقيق اهداف البطل ..

مقدمة لشخصيات تتكرر

صورة (السلال) اذن صورة هامة في دنيا السير الشعبية . ويزيد في اهميتها انها مقدمة لشخصيات ستتكرر ويتكرر ظهورها في الاعمال الشعبية المتأخرة . كما ستتكرر وتظهر في الاعمال الادبية والرسمية المتأخرة ايضا . ونعني بهذا المقامات التي اعترف بها الادب الرسمي رغم عدم اعترافه بالاصول الاولى لشخصياتها . التي تظهر في المحتالين والشطار في الف ليلة والسير المختلفة من الظاهر بيبرس الى علي الزيبق الى ذات الهمة في فصولها المتأخرة زمنا . وصورة (السلال) لا ترسم اهمية الخداع والحيلة في السيرة الشعبية وحسب وانما هي ترسم اهمية (الغيل) كوحدة

اعتمد عليها القصاص فى رسم صور الصراع حول البطل فى مراحله الاولى ...

وترسم صورة (السلال) مع صورة الصراع حول (الخيل) مع اهمية الحصان بالنسبة للبطل فى السير الشعبية ، معنى عميقا فى تفهم صورة ادوات البطل الاسطورى العربى القديم فى الاساطير العربية والسير الشعبية التى دارت حوله فى اطواره الاولى العربية الاصيلة ..

ولكن المسالة بالنسبة للعرب لم تكن مجرد اساطير وحكايات شعبية وانما دخل تاثير الخيل الى حياتهم نفسها ، وما حرب داحس والغبراء التى اشرنا اليها من قبل الا صورة من هذا ، ويقول النويرى فى نهاية الارب عن هذه الحرب .. « حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان وكان السبب الذى صاحبها ان قيس بن زهير وحذيفة بن بدر تراهنا على داحس والغبراء ايهما يكون له السبق وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء حجرا اى فرسا انثى لحذيفة بن بدر فتواضعا على الرهان على مائة بعير . وكان على طرف الغاية شعاب كثيرة فاكمن حذيفة بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين فلما جاء داحس سابقا ردوه عن الغاية فبعث حذيفة مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق فرفض قيس واخذ الرمح فطعن مالكا وقتله وقتل حذيفة بن مالك مالكا بن زهير وثارت الحرب بينهما .. »

الاحتفاء بالخيل فى التاريخ

وكما امتلأت حياة العرب بالاحداث الجسام التى سببها الارتباط بالخيل وحبها والتعلق بالاصيلة منها نجد ان اساطير الشعوب المقاتلة الاخرى تحتفى ايضا بالخيل فالاله هيبوليتوس اليونانى .. تعلم فن الصيد والقنص من القنطور .. والقنطور حيوان خرافى يظهر كثيرا فى الاساطير اليونانية القديمة ونصفه الاعلى شكل انسان بينما بقية جسمه على شكل حصان وكان اليونانيون القدماء مغرمين بالقنطور بحيث كان يظهر كثيرا فى رفقة الانسان ويدعى الى مجالسه !. والقنطور المرفى على تعليمه وتنشئته ابولو وديانا واكتسب كثيرا من المهارة فى القنص والطب والموسيقى بل واكتسب القدرة على التنبؤ وتتلمذ عليه كثير من ابطال الاغريق الذين ترد اسماؤهم فى القصص والاساطير الاغريقية القديمة .. ومن اهمهم هيبوليتوس وقد تمكن هذا الحصان الخرافى بحكم علمه بالطب من ان يرد الحياة الى هيبوليتوس الذى مات تحت سنابك الخيل ..

وتقول الاسطورة الاغريقية ان القنطور كان افضل الكائنات الخرافية واحكمها لدرجة انه حين مات رفعه جيوبتر الى السماء ، ووضعه بين النجوم .

ولموت هيبوليتوس تحت سنابك الخيل قصة ترويها الاسطورة الاغريقية اذ بينما كان هيبوليتوس يقود عربته الحربية بجوار شاطىء الخليج ارسل اليه اله البحر (بوسيدون) ثورا هائجا طلع من بين الامواج فهاجت الخيل وركضت فى عنف من الخوف والفزع والقت هيبوليتوس من فوق العربة وداسته باقدامها حتى مات .. ولهذا السبب الاسطورى كان دخول الخيل الى غيضة اريكيا وهيكلها محظور الآن فان هيبوليتوس الذى كانوا يعتبرونه احيانا اله الشمس قد مات تحت اقدامها

بدء خلق الخيل

ويحكى المسعودى عن بدء خلق الخيل فى كتابه مروج الذهب فيقول :

« ذكروا والله اعلم انه لما اراد الله ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة على اعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقال الريح : اخلق، فقبض منها قبضة فخلق فرسا .. فقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب لا للهرب وساجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى .. »

ويستمر المسعودى فى هذه القصة التى ينسبها باسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « فلما سمعت الملائكة صفة الفرس وعاينت خلقها قالت رب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا . فخلق الله لها خيلا بلقا اعناقها كاعناق النجب وهى الابل الخرسانية فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل بوركت من دابة اذل بصهيلك المشركين اذل به اعناقهم واملأ به آذانهم وارعب

به قلوبهم .. فلما عرض الله على آدم من كل شيء قال له .. اختر من خلقي ماشئت فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتي عليك وعليهم . ما خلقت خلقا احب الي منك ومنهم .. هذا ما ورد في ابتداء خلق الفرس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .. »

وهناك قصة طريفة يرويها النويري في نهاية الارب عن اول من ذلل الخيل وركبها ويقول النويري انه كان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويقول النويري :

كانت الخيل وحشا كسائر الوحوش فلما اذن الله عز وجل لابراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل انى معطيكما كنزا ذخرته لكما ثم اوحى الله تعالى الى اسماعيل ان اخرج فاذع بذلك الكنز فخرج اسماعيل الى اجياد وهي موضع بمكة ،وما يدرى ما الدعاء ولا الكنز فالهمه الله عز وجل الدعاء فلم تبق على وجه الارض فرس بأرض العرب الا اجابته فامكنه من نواصيها وذللها له ..

ماذا يقول أهل العلم ؟

هذه حكايات كتب التاريخ وحكايات كتب الاساطير فماذا عن آراء أهل العلم ؟؟

العلم يقول عن الخيل انه حيوان ثديي وحيد الحافر يتبع الفصيلة الخيلية ويستعمل للركوب والجر والعمليات الزراعية .. وقد عرف الانسان الحصان منذ القدم ففي العصر الحجري عرفت انواع عدة من الخيل اذ وجد حول موقع معسكر سولتر بفرنسا عظام مئات الالوف من الخيل في حالة تدل على انها كانت تؤكل ..

وكان الحصان ضمن حيوانات الصيد التي قام انسان العصر الحجري بعمل شبيه لها بالرسم والحفر والنحت .. وكان الحصان من بين آخر الحيوانات التي استأنسها الانسان وربما كان بدو اواسط آسيا هم اول من استأنسه ثم نقلوه الى الصين فآسيا الصغرى واوربا ومصر ..وتقول المصادر العلمية ان الحصان ادخل الى جنوب آسيا وغرب اوروبا حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ..اما في افريقيا فقد ظهر لاول مرة مع غزو الهكسوس لمصر عام ٥٠٠ قبل الميلاد واستعمل لجر العربات الحربية .. اما العلم فله راى محدود للتجربة العملية والقياس العلمي فيقول الاستاذ فانس باكار في كتابه الجانب الانساني عند الحيوان .

(عندما يتكلم الناس عن الخيل انما يقرنونها بالشجاعة والذكاء اوالحكمة فهم يرون ان الحصان يتمتع بقدر كبير من الذكاء والفهم فهل هذا صحيح لقد كان ذلك محل جدل كبير بين العلماء لمدة خمسين عاما على الاقل وتشكلت اللجان العلمية لبحث ذكاء الخيل التى ابدت بعض المآثر الرائعة ،

ومن هذه الخيول ذائعة الصيت (كليفرهانز) وقد بدا هانز يبهر علماء الدنيا في اواخر القرن الماضي عندما اعلن فون اوستن من برلين ان حصان حصانه نابغة لايستطيع العدو والطرح فقط بل يستطيع ايضا ان يحل المسائل الحسابية المعقدة وهو يتكلم بمعنى انه يفهم ويجيب على الاسئلة التي توجه اليه مشافهة او كتابة بالالمانية . ولقد بدا فون اوستن يعتقد ان هانز ينم وجهه النبيل عن انه يخفي وراءه حكمة بالغة اذا ماأتيحت له فرصة للتفاهم فبدأ يخلق هذه الوسيلة الملائمة للحوار

بينهما .. وجعل اوستن يقول لكل من يقابله او يسأله : على أن هانز يجيب على المسائل الحسابية بالدق على الارض بحوافره الامامية فمثلا واحد (دقة حافر) والاثنان (دقتان) وهكذا ..وهانز يعبر عن وحدات الآحاد بالدق برجله اليمنى ويعبر عن وحدات العشرات بالدق برجله اليسرى ..

ويقول الاستاذ باكار ... » وكان الهر فون اوستون فخورا بهانز يعرضه على المارة دون مقابل بل لقد تجاوز تفاهمه مع هانز الارقام الى الكلمات. واستمد عن اوستن قوله عندما تقول باريس عاصمة فرنسا يستطيع هو ان يعبر عن ذلك بدق كل حرف بطريقة مورس وكل حرف كان يعبر عنه بواسطة عدد معين من الدقات مبين على خريطة هجائية موضوعة على حامل امام عيني هانز .. ويقول الاستاذ باكار : وقد ادت اعمال هانز الى ان تشكلت لجنة في المانيا من ائمة العلماء لتجرى ابحاثها على هانز العجيب وكان هناك غير هانز الحصان العربي الاصيل محسن الذى كان صاحبه

الهركرال قد دربه على حل المسائل الحسابية من جمع وطرح وضرب كما اشتهرت في امريكا مهرة تسمى ليدى والحصان تزيجو الذى ظهر فى افلام رعاة البقر وكان يملكه احد نجوم هذه الافلام وهو روى روجرز ..

هذه التجارب اثبتت ان الحصان ذكي وماهر وقادر على التعلم ولكن الاستاذ باكار يعلل هذا بقوله :

ذكاء الحصان

« يمكننا ان نرجع معظم الالعاب الرائعة التى يقوم بها الحصان الى التعلم البسيط ووفقا للقانون العلمى المسمى بقانون عدم التوسع الذى نادى به لويد مورجان يمكن القول بانه لا ينبغى لنا باية حال ان نفسر عملا ما على انه نتيجة لممارسة قوة عقلية طالما امكن تفسيره على انه فعل حاصل من حيوان اقل مرتبة فى القائمة السيكلوجية للحيوانات .. »

وهكذا يشكك الاستاذ باكار في ذكاء الحصان وقدرته الذهنية فماذا عن شجاعته ،يقول باكار : « ان المشكلة تنحصر فى ان الحصان الاصيل انما هو مجموعة من الانفعالات يتحكم فيها جهاز عصبى سريع التغير » .

الا ان هذا التحليل العلمي لم يمنع العالم من استخدام الحصان فى الحروب وتدريبه لكى يكون جزءا من مهارة الفارس وبضعة من قدراته الحربية ومجالا لاظهار شجاعته وفروسيته .. وقد ظلت البشرية على احترامها للحصان فلم تستعمله الا للركوب الارستقراطى والحرب حتى القرن التاسع عشر اذ بدأت البشرية تستعمل الحصان مكان الثور فى الجر .وحصان الجر الحديث من سلالة الحصان المتوحش الذى كان يقطن الغابة الاوربية والذى كان كبير الحجم نسبيا والذى كان يستخدمه الفرسان فى العصور الوسطى .. ومن المرجح ان تكون انواع الخيل المستأنسة كلها من انواع متوحشة تم ترويضها والسيطرة عليها ..

وقد اشتهر العرب من قديم بتربية الخيل والسيطرة عليها ولهذا ليس عجيبا ما نراه من احتشاد المكتبة العربية بكتب خصصت للخيل ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعرف الناس بالخيل ..

من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : عليكم باناث الخيل فان ظهورها حرز وبطونها كنز . وقال عليه السلام « لو جمعت خيل العرب كلها فى صعيد واحد ما سبقها الا اشقر » .. وروى الامام احمد في مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الخيل ثلاثة ففرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان .. فاما فرس الرحمن فالذى يربط في سبيل الله واما فرس الشيطان فالذى يقامرون عليه ويراهنون.. واما فرس الانسان فالفرس يرتبطها الانسان يلتمس بطنها فهى ستر من فقر .. » (اى يطلب نتاجها) او كما قال عليه السلام ..

ومن فضل الخيل وشرفها ان اقسم بها الله فى كتابه العزيز قال تعالى : « والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود » صدق الله العظيم ..

وهكذا نرى عبر التاريخ والاساطير الشعبية والحكايات المأثورة والتراث العربى الدينى ان الانسان احب الخيل وعشقها فادار حولها اكثر من اسطورة وتفتق خياله عن اكثر من حكاية وسيرة بطلها من عالم الخيل . ولم ينف العلم صفات الخيل التى عرفها صاحب الاسطورة وانما اكدت التجارب العلمية ثقته بالخيل فى دنيا الفهم والحكمة .. والى جوار كتاب الاسطورة عشق الشعراء والكتاب الخيل فقالوا فيها وكتبوا عنها ووصفها كبار شعراء العرب واسهبوا واجادوا ..

قال العباس بن مرداس فى وصف فرس :

جاء كلمع البرق يسمو ناظره
تسبح أولاه ويطفو آخره

■■

فاروق خورشيد

أُولَدُ ... وأَحترقُ بحُبّي

للشاعر : عبدالوهاب البياتي

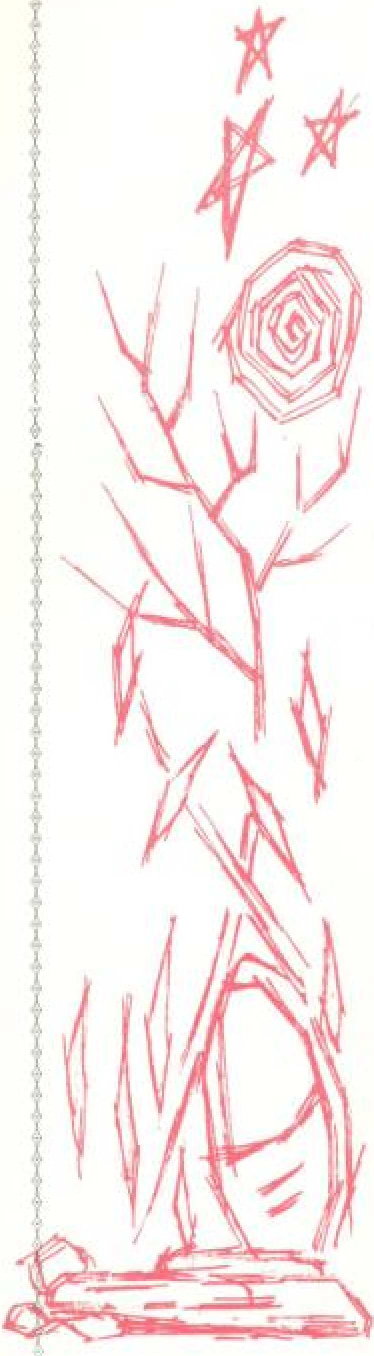




■ تستيقظ «لارا» في ذاكرتي : قطاً تتريًا ، يتربص بي . يتمطى . يتثاءب . يخدش وجهي المحموم ويحرمني النوم . أراها في قاع جحيم المدن القطبية تشنقني بضفائرها وتعلقني مثل الأرنب فوق الحائط مشدودا في خيط دموعي . أصرخ: «لارا» فتجيب الريح المذعورة : «لارا» أعدو خلف الريح وخلف قطارات الليل وأسأل عاملة المقهى . لا يدري أحد . أمضي تحت الثلج وحيدا . أبكي حبي العاثر في كل مقاهي العالم والحانات .

★ ★ ★

في لوحات «اللوفر» والايقونات .
في أحزان عيون الملكات
في سحر المعبودات
كانت «لارا» تثوي تحت قناع الموت الذهبي وتحت
شعاع النور الغارق في اللوحات
تدعوني ، فأقرب وجهي منها ، محموما أبكي
لكن يدا ، تمتد ، فتمسح كل اللوحات وتخفي كل الايقونات
تاركة فوق قناع الموت الذهبي بصيصاً من نور لنهار مات



« لارا ! رحلت »
« لارا ! انتحرت »
قال البواب وقالت جارتها ، وانخرطت ببكاء حارْ
قالت اخرى : « لا يدري أحد ، حتى الشيطانْ »

★ ★ ★

أرمي قنبلة تحت قطار الليل المشحون بأوراق خريف
في ذاكرتي ، أزحف بين الموتى ، أتلمس دربي في
أوحال حقول لم تحرث ، أستنجد بالحرس الليلي
لأوقف في ذاكرتي : هذا الحب المفترس الاعمى . هذا
النور الاسود ، محموماً أبكي تحت المطر المتساقط
أطلق في الفجر على نفسي النارْ

★ ★ ★

منفياً في ذاكرتي
محبوساً في الكلمات
أشرد تحت الامطارْ
صرخ : « لارا ! »
فتجيب الريح المذعورة : « لارا ! »

★ ★ ★

في قصر الحمراءْ
في غرفات حريم الملك الشقراوات
أسمع عوداً شرقياً وبكاء غزال
أدنو مبهوراً من هالات الحرف العربي المضفور بآلاف
الازهار
أسمع آهات :
كانت « لارا » تحت الاقمار السبعة والنور الوهاج
تدعوني ، فأقرب وجهي منها ، محموماً أبكي ، لكن



يداً تمتد ، فتقذفني في بئر الظلماتْ
تاركةً فوق السجادة قيثاري وبصيصاً من نور لنهارٍ ماتْ

* * *

«لم تترك عنواناً» قال مدير المسرح وهو يمط الكلمات

* * *

تسقط في غابات البحر الاسود أوراق الاشجار
تنطفئ الأضواء ويرتحل العشاق
وأظل أنا وحدي ، أبحث عنها ، محموماً أبكي تحت الامطار

* * *

أصرخ: «لارا!» فتجيب الريح المذعورة: «لارا» في
كوخ الصياد

* * *

أرسم صورتها فوق الثلج، فيشتعل اللون الاخضر
في عينيها والعسليُّ الداكن ، يدنو فمها الكرزي
الدافئ من وجهي ، تلتحم الايدي بعناق أبدي
لكن يدا تمتد ، فتمسح صورتها، تاركة فوق
اللون المقتول بصيصاً من نورٍ لنهارٍ ماتْ

* * *

شمس حياتي غابت : لا يدري أحد . الحب وجود أعمى
ووحيد . ما من أحد يعرف في هذا المنفى أحداً. الكل
وحيدٌ. قلب العالم من حجرٍ في هذا المنفى ـ الملكوتْ ■■

عبد الوهاب البياتي

يوم المرور العالمى و أسبوع المرور فى الكويت

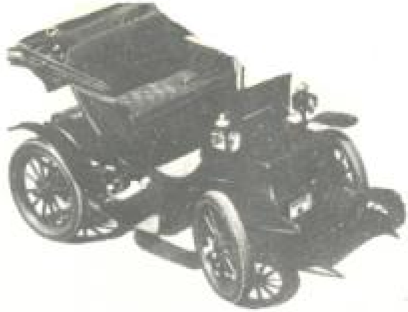
المرور مشكلة العصر ·· مشكلةتوليها الدول كل اهتمامها ، وتبذل من اجل حلها كل الجهود ، ولكن المشكلة مع هذا تتفاقم والدراسات التي تجرى لا تلاحق التطور السريع للمشكلة التى استعصى حلها ! واصبحت شغل العالم الشاغل اليوم ·

شرطى المرور على الطريق ·· انه دائما هناك من اجل سلامتك وسلامة اسرتك واطفالك ·





هـ ٠ ج ولز ٠
الكاتب العالم الانجليزي الشهير ٠



السيارة التي تنبأ ولز باختراعها
اصبحت اليوم نقمة لا نعمة !

■ لم يكن كاتب الانجليز الكبير هربرت جورج ولز H.G. Wells ، يتصور وهو يتنبأ باختراع السيارة في كتابه الشهير « مكنة الزمان » Time Machine (١٨٩٥) ان هذه الالة التي انتجها العلماء من اجل خير الانسان وسعادته ورفاهيته ، سوف تتحول مع الزمن الى سلاح مخيف يفتك بالبشرية فتكا !

وعندما ظهرت اول عربة الية تجرى بركابها على الطريق بسرعة عشرة كيلو مترات في الساعة دون ان تكون هناك جياد تجرها وراءها ٠٠سارع المشرعون في بريطانيا الى التقدم بمشروع قانون لمجلس العموم يقضي بأن ينطلق امام العربة رجل يحمل علما في الصباح ، وشعلة في المساء ، ليفسح الطريق امامها ويحذر الناس والعربات التي تجرها الجياد التي افزعها صوت محركاتها ٠٠ وتوهم البعض انها من عمل « الشيطان » !

واليوم ، وبعد انقضاء ما يزيد على نصف قرن منذ ظهور هذا الاختراع ، تنظر حولنا ٠٠٠ فماذا نجد ؟

نجد الشوارع والطرقات الفسيحة وكل ماتوصل اليه العلم الحديث قد سخر في خدمة السيارة وركاب السيارة ونجد وراء هذا كله رجالاواصلوا ليلهم بنهارهم من اجل المحافظة على ارواح راكبي السيارة ، وتامين سلامة كل من يسير وما يسير على هذه الطرق التي تحولت الى شبكة هائلة تربط مابين اطراف العالم !

فماذا حدث ؟ ماذا صنعنا بالسيارة التي اصبحت اليوم من مستلزمات الحياة العصرية ٠٠

ناقوس الخطر يدق ٠٠ ان الاحصاءات تقول ان ضحايا حوادث السيارات يرتفع ارتفاعا مخيفا يوما بعد يوم ٠





اشارات المرور •• وشرطة المرور على الشوارع والطرقات الفسيحة •• لقد سخرت الكويت شانها فى ذلك شان بقية الدول المتحضرة كل ماتوصل اليه العلم من أجل سلامتك •• ولكن هل تعلمنا كيف نصون أرواحنا ؟ ! •

لقد حولناها الى غول يفتك بنا فتكا •• وبالرغم من الجهود التى تبذلها شرطة المرور فى شتى انحاء العالم،ما تزال السيارة اليوم تشكل اكبر خطر على حياة الناس •• على ركابها •• وعلى الطريق وعلى كل من يسير وما يسير عليه !

لقد دلت الاحصاءات فى الولايات المتحدة الامريكية - على سبيل المثال لا الحصر - أن عدد ضحايا حوادث المرور منذ ظهور السيارة حتى اليوم يبلغ ٢ مليون قتيل ، غير الجرحى والمصابين •• بينما لم تقتل الحروب الخمس الكبرى التى خاضتها الولايات المتحدة منذ الحرب الاهلية حتى حرب فيتنام الاخيرة ، اكثر من ٦٥٠ الف شخص •

وفى الكويت بلغ عدد حوادث المرور فى العام المنصرم (١٩٧٥) مايزيد على ١٤ الف حادث، أسفر عن وفاة ٢٨٢ شخصا واصابة ٣٢٥٣ اخرين باصابات مختلفة ، وهو رقم مخيف اذا قورن بمساحة الكويت وعدد سكانها ، والسيارات التى تجرى فى طرقاتها •

لا يكفى أن تكون سائقا ماهرا ••

لا يكفى أن تمتلك سيارة فارهة ••

المهم أن تتعلم كيف تحافظ على حياتك ، وعلى حياة الناس ، وتحترم قواعد المرور •

ان العالم يحتفل يوم ٤ مايو بيوم المرور العالمى • وتحتفل الكويت بدورها باسبوع المرور حتى اليوم العاشر من شهر مايو •• وشرطة المرور تناشدك بعد هذا ان تستمر فى احترام توجيهات اسبوع المرور طوال ايام هذا العام وكل عام •

لا تجعلوا « السيارة » شيئا من عمل الشيطان !! ■■ « م • ن »



طرائف غربية

● حب اقوى من الموت ●

● فريتز كرايزلر(١٨٧٥ـ١٩٦٢) عازف الكمان النمسوى الشهير الذى تتلمذ على يدى الموسيقار العالمى موزارت ، لم يفترق عن زوجته لحظة واحدة ، حتى أنه عندما اضطر يوما الى السفر وحده الى باريس ليعزف فى الاوبرا ، استقل الطائرة عائدا الى فيينا بعد منتصف الليل ،لانه لم يحتمل الوحدة التى عاشها طول ساعات النهار!

وفى عيد ميلاده الخامس والسبعين ، وقف أصدقاء الزوجين يطفئون شموع كعكة عيد الميلاد ، وقال أحدهم يسأل الزوجة السعيدة « وأنت ماذا قدمت له فى عيد ميلاده » !

قالت : « لن أجلس بجانبه » سوف اتركه لهؤلاء الفتيات الحسان ليلهو معهن ، ويعزف لهن أعذب الحانه ! هذه هى هديتى لزوجى فى عيد ميلاده بعد أكثر من خمسين عاما لم نفترق خلالها يوما واحدا ! »

وسمع فريتز حديث زوجته ، فأسرع الى كمانه ٠٠ وتوقع الجميع أن يعود به الى الفتيات الصغار اللواتى كن يلتففن حوله ، ولكنه قصد فورا الى حيث كانت تقف زوجته وراح يعزف لها وحدها : « كم أنا أحبك يا رفيقة عمرى » !

ومات فريتز بعد هذا بسنوات ، وكان الموت وحده هو الذى استطاع أن يفرق بين صاحبى هذين القلبين اللذين كانت قصة حبهما حديث عالم الموسيقى! قالت الزوجة الحزينة : « انه لم يرحل، لان روحه مازالت تعيش معى ٠٠ كمانه بجانبى، وموسيقاهتملأ قلبىووجدانى!»

همنجواى

بين

البيت والشارع

● ارنست همنجواى (١٨٩٩ ـ ١٩٦١) الكاتب الامريكى الذى عرفناه من خلال قصصه الشهيرة ، «وداعا للسلاح » و « دقت الاجراس للابطال » و « العجوز والبحر » ، وغيرها ، كان مغامرا يهرب من الهدوء ومن الحياة الرتيبة ويكره الاستقرار ٠٠ ! فقد كان همنجواى يقول : « ان متعة الحياة فى مصارعة الموج ، وفى القتال ، حتى ولو كان فوق حلبة الملاكمة ! »

لقد اجتمعت فى هذا الكاتب

● عندما أخطأ جالوب ! ●

■ جورج جالوب ، صاحب معهد جالوب الشهير باستفتاء الجماهير في الانتخابات والقضايا القومية ، والعالمية ، كثيرا ما كانت النتائج التى يتوصل اليها تطابق اتجاهات الرأى العام قبل اذاعتها رسميا ٠٠ ولكنها كانت فى أحيان أخرى تجيء مناقضة تماما للنتائج المعلنة ! ومن بين الاخطاء التى سجلت لهذا المعهد الكبير ، الخطأ الذى وقع فيه عندما توقع هزيمة هارى ترومان المرشح للرئاسة الامريكية فى عام ١٩٤٨ !

فقد فاز ترومان فى الانتخابات ، ووصل نبأ فوزه المسيد جالوب ، وكان وقتها يمضى عطلة قصيرة فى مدينة سان فرانسيسكو ، وأسرع يستقل سيارته منطلقا بها الى أقرب مكتب للبريد ٠٠

وفجأة سمع سيارة الشرطة وهى تلاحقه مطلقة اشارة التحذير ، فما كان منه الا أن توقف ! ونزل الشرطى واقترب منه ، وطلب اليه أن يبرز رخصة القيادة !

وما كاد جالوب يفعل حتى انطلقت من الشرطى ضحكة ساخرة وهو يقول : « السيد جالوب شخصيا ! هل تعرف ماذا صنعت ؟ ! قال جالوب : « لا ! » فقال الشرطى : « انك تسير الآن فى الاتجاه المضاد فى شارع ذى اتجاه واحد ! ولكن ما أتفه هذا الخطأ الذى ترتكبه الآن ، أمام الخطأ الكبير الذى ارتكبته منذ أسبوع عندما توقعت هزيمة هارى ترومان ! من أجل هذا سوف أحرر لك ثلاث مخالفات، الاولى للسرعة والثانية لمخالفة اشارات المرور والثالثة لانك لم تعرف لماذا كنت أطاردك وآمرك بالتوقف ! »

الكبير كل المتناقضات ٠ ان الكثير من عشاق كتبه ومؤلفاته ، ممن اتيحت لهم فرصة لقائه ، لم يخفوا الصدمة التى اصابتهم وهم يرونه يصطاد الوحوش ، ويحارب فى صفوف الثوار ، ويوجه لكماته بعنف لخصمه فى مباريات الملاكمة ! حتى أن الكاتب المسرحى « آرثر ميللر » وكان من أكثر المقربين اليه قال يوما : « لو لم اكن اعرفه ، لما صدقت انه هو الذى صور الحياة فى أقسى واروع صورها ٠٠٠ »

سألوا ارنست همنجواى يوما: «كيف تتغير بهذه السهولة وبهذه السرعة ،من انسان يهوى العنف فى حياته الخاصة ، الى انسان رقيق يترجم احاسيسه ومشاعره فى تلك الصور الجميلة التى يقدمها لنا فى كتبه ؟ »



فقال «انا اكتب في بيتي ، وعندما اكون مع قلمي وكتبي احس براحة نفسية تغمرني ، واعود الى نفسي وتعود الي نفسي ٠٠ وفجأة اشعر برغبة جامحة تشدني شدا الى القيام بمغامرة جديدة ، فالقي بالقلم واترك بيتي ، واخرج الى الشارع ٠٠ وفي الشارع تعود الناس ان يروني دائما ! »



تحضر أم احتضار

إلى أين يتجه العالم اليوم؟

بقلم : الدكتور عبد الاله ابو عياش

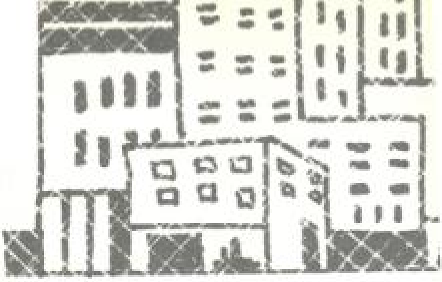
■ لم يشهد العالم خلال تاريخه الانسانى الطويل حركة تنقل وهجرة من الارياف الى المدن ، ثم هجرة مضادة ، كالذى يحدث فى هذا النصف الاخير من القرن العشرين • ان ظاهرة الاقبال الشديد على المدن والمناطق الحضرية لم تاخذ من قبل حجما بالشكل الذى هو عليه الآن ، ولم تصل فى يوم من الايام الى مستواها الحالى • وتقوم الدول واداراتها واجهزتها المركزية والفرعيـة بمعالجة هذه الظاهرة مستجيبة بذلك لنواميس الأخطار التى تدق مع كل طارق لباب المدينة • انه خطر ابتداه الغرب بشكله الخطير بعد الثورة الصناعيـة ، ومنـه امتد الـى دول العالـم ، فازدادت الهوة بين المناطق جغرافيا ، ونتج عن ذلك تعرية خطيرة للارياف من عمالها ومنتجيها ، وتحولت الايدى الريفية المنتجة الى افواه جائعة مستهلكة • والذين يهاجرون عادة هم الشباب ، أصحاب السواعد القوية القادرة على التغيير والتبديل ، والاكثر تقبلا لقوى العصر المحركة ، والاكثر قدرة على احداث التطوير والتنمية ، وهكذا راح الريف يفقد اهم عناصره النشيطة •

تدنى المستويات

أصبحت الارياف وخاصة فى الدول المتخلفة او مايسمى تفاؤلا بالنامية ـ اقرب الى منتجعات للمسنين والمتقاعدين ، منها الى مراكز انتاجية • فهبطت المستويات ذات الكفاية ، وقل بالتالى حاصل الارض فانخفضت الدخول واتسعت الهوة الاقتصادية بين المناطق داخل الدول،وتكون ما يسمى « ظاهرة الاقطاب النامية » Growth Poles ،التى تشير الى تركز النشاط الاقتصادى فى البلد فى تجمعات مركزية معدودة هى أهم المدن فى هـذه الدول • والامثلة كثيرة كبغداد فـى العراق ، والقاهرة فى مصر ، وعمان فى الاردن ، وبيروت فى لبنان • فمحافظة بغداد تضم اكثر من ربع سكان العراق •• وتضم بيروت وضواحيها حوالى ثلث سكان لبنان ، بينما تحتوى عمان على اكثر من ربع سكان الاردن • ان هذا التيار البشرى المتدفق ادى الى تركزات عشوائية لطارقى ابواب المدن فى مناطق كانت تفتقر الى التخطيط اصلا ولم تكن لديها توقعات لهذا السيل من البشر ، فقامت الاكواخ ونحوها من المساكن الفقيرة فى مراكز المدن وعلى اطرافها ، كالسرطان يتنامى باطراد مع ضعف التشخيص وندرة العلاج •

التحضر والحضارة

ان الوصف السابق لحركة الهجرة من الريف ، وظاهـرة التركـز فـى المدن ، واتساع احجام المراكز المدنية او الحضرية ـ هو ما يطلق عليه



ناقوس الخطر يدق.. أوقفوا الهجرة من الريف إلى المدن

« التحضر » . وعلينا ان لانخلط بين هذا التعبير وما نسميه حضارة على الرغم من ان البعض كالاستاذ « كنيث بولدنج » يشير الى ظاهرة نشوء المدن اصلا على انه نتاج حضارة الانسان . ولكنه يقصد بذلك ظاهرة الخلق والابداع الانسانى التى ادت الى تخطيط اصيل ، وتشييد فنى مبدع ، وتنظيم الادارة والخدمات داخل هذه التجمعات . اننا فى هذا نتفق مع « بولدنج » ، الا ان التكاثر السكانى الناتج عن النمو الطبيعى لسكان فى المدن ، وانتفاخ اصحابها بالهجرة الدائمة من الريف ، وعجز الانسان عن السيطرة على هذا السيل البشرى ، سيقود الى انفراط سكانى خطير .

ازدحام لم يسبق له مثيل ، وتكدس سكانى فريد من نوعه ، وتضيق مساحة الارض ، فيشتد الازدحام ، ويزداد الطلب على شراء اراضى البناء ، وترتفع الاثمان والاجور . ولكن الى اى حد يمكن للارض تحمل هذا العبء مهما غلت الاثمان وارتفعت الاجور ؟

هناك نقطة لا بد للمد البشرى بعدها ان يأخذ فى التراجع والانحسار ، ولابد من السير على الارض، ويتنبأ العارفون ان نهاية هذا القرن ستكون حرجة وخطيرة . فهناك احتمال كبير ان يختل التوازن بين قدرة الارض على الاعالة وبين اعداد السكان عليها . ان ذلك يعنى ان كل قادم جديد سيكون بمثابة عبء على العالم وموارده . ومع ازدياد الازدحام يزداد التنافس . وهذا يؤدى الى حدة التوتر بين الافراد والجماعات ،وبالتالى الى خطر انفجار الانظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى كثير من دول العالم .

العطاء المادى

لقد كان العامل الاقتصادى اهم دافع للهجرة الى المدينة عندما توسعت المصانع ، واشتد الطلب على مستويات الايدى العاملة الرخيصة فى الارياف العاطلة . وبدا التحسن الاقتصادى يترك اثره على المئات من العمال ، فهاجر بعدهم الآلاف ثم الملايين ، الا ان الفائدة الاقتصادية التى حصدتها المئات والآلاف الاولى لم يتيسر مثلها للملايين اللاحقة . فزاد العرض على الطلب ، فتفشت البطالة ، وطغى الفقر وهبطت المستويات الصحية وسط بيئات مزدحمة ، فانتشرت الامراض التى زادت اخطارها الاف الاطنان من سموم الكيماويات الملقاة فى مجارى الانهار ومياه البحر. فتلوثت المياه ، وانتقلت هذه الامراض الحضرية الى الانسان بواسطة مياه الشرب بطريقة مباشرة. ومع الاطعمة من الحيوانات البحرية المتنوعة بشكل غير مباشر . وعبقت اجواء المدن بالادخنة الخانقة ، فارتفعت الاصابات القاتلة من امراض الرئتين والتنفس والسرطان . فمثلا هناك ارتفاع فى نسبة اصابات الجهاز التنفسى فى مناطق صناعات الحديد والبلاستيك والكيماويات .

الامراض الاجتماعية

لم تكن الامراض الجسدية هى اخطر النتاجات الحضرية ، وانما ظهرت هناك امراض الهامشية واللا انتماء والغربة والضياع ، وفقدت حياة المدن دفء اللقاء اليومى فى الريف ، وتعمقت الفردية، واصبح الانسان ميالا الى العزلة والتقوقع اكثر من ميله الى الاختلاط والانفتاح . وظهرت الانانية والاهتمام بالذات ، وسيطرت المادة على تفكير غالبية الناس ، معتقدين ان الالة ستجلب السعادة للانسان بما تصنعه ، وخاب امل الانسان فيما حقق ، فقد تجمعت لديه امراض نفسية هى فى آثارها اشد وانكى من الامراض الجسدية . وقد برزت آثار الامراض النفسية فى ازدياد حوادث الانتحار تخلصا من هموم الوحدة والغربة الذاتية، وارتفعت اعداد الجرائم بانواعها المختلفة،واصبحت

مراكز المدن اقرب الى الادغال المتوحشة ، منها الى التجمعات البشرية المتحضرة • وتحضرني في هذه اللحظة ما اقترحه احد البارزين في تخطيط المدن في احد اعداد مجلة تخطيط معروفة * فقد اقترح بناء اسوار حول مراكز المدن على غرار مدن القرون الوسطى في اوروبا ، واغلاق ابوابها في الليل منعا للمجرمين من الانطلاق منها الى الضواحي الآمنة •

البحث عن علاج

وتتعالى صرخات مخططي المدن والاقاليم بحثا عن البيئة الفاضلة ، وعن حلول لفوضى التكدس العشوائي للسكان ، فتظهر محاولات لتحديد احجام المدن وتشجيع العودة الى الريف وايقاف الهجرة • ويتسارع علماء الاجتماع للبحث عن الوسائل الكفيلة بالقضاء على ظواهر التدمير الذاتي الذي يمارسه الانسان ضد اخيه الانسان• وتتنافس فرق الباحثين بحثا عن اسباب هذا الانهيار الاجتماعي بصوره المختلفة ، وتتزايد العيادات النفسية ، ومع ذلك تضيق عن استقبال المزيد من المرضى ، ويضطر المنهارون نفسيا الى الانتظار شهورا حتى يصلهم الدور ، ويكون الكثيرون منهم قد احيلوا الى المستشفيات والمصحات العقلية • وحتى الذين يعالجون هذه الحالات يجدون انفسهم بحاجة الى العلاج احيانا •

المشكلة السكانية

ليس هناك من شك في ان هذا الانفراط في العقد السكاني هو أس المشكلة • ويتداعى علماء السكان الى مؤتمرات اقليمية ودولية لمناقشة هذه المشكلة • وتدعو الامم المتحدة الى مؤتمرات لدراسة مشاكل التضخم السكاني على الارض ، وينقسم المؤتمرون الى جماعات سياسية متباينة• وتنقسم الجماعات السياسية فيما بينها حسب تباين اسباب مشاكلها • وتنفض الوفود على امل المزيد من الدراسات وتوسيع التفاهم بين الشعوب • ويبرز في المؤتمرات رأيان لهما اتباعهما الاقوياء •

فالدول الراسمالية ترى ان اساس المشكلة هو التزايد السكاني المستمر • وان المشكلة السكانية ذات فرعين رئيسيين : الفرع الاول يتعلق بالتزايد السكاني ذاته ، والفرع الثاني يرتبط برغبة الدول في رفع مستويات معيشة شعوبها ويعني ذلك تحسين مستويات التغذية • ويعتبر البروتين عماد التغذية ، واهم مصادره اللحوم •

ولانتاج اللحوم لا بد من التركيز على انتاج الحبوب • ولانتاج المزيد من الحبوب لا بد من توسيع رقعة الارض وتحسين الانتاج ، لان كل كيلو جرام من اللحوم يحتاج الى ثمانية كيلو جرامات من الحبوب ، وفي الوقت الذي لا تستطيع فيه الدول تامين حاجة شعوبها من الحبوب ، فكيف يمكنها تامين حاجاتها من اللحوم؟

سوء التوزيع

اما الراي الثاني فتتزعمه دول العالم الثالث التي تعتقد ان أساس المشكلة هو التباين الشديد والفجوة العميقة بين الدول المتقدمة والدول النامية • ويرون ان أساس المشكلة ليست متعلقة بالانتاج بالدرجة الاولى ، بل بانماط التوزيع والاستهلاك • ويعطي اصحاب هذا الراي مثلا ان الولايات المتحدة تستهلك معظم الانتاج العالمي على الرغم من ان سكانها لا يزيدون على ٦٪ من سكان العالم • ويعتقدون ان اسباب تخلف الدول النامية مرجعه الى سنوات الاستعمار الطويلة التي ادت الى استنزاف ثروات المستعمرات ، وتكديسها في خزائن اوروبا وامريكا، لتوفير الرفاهية للفرد الغربي • لقد تم ذلك بغض النظر عن اوضاع السكان الاصليين الذين فقدوا الكثير من ثرواتهم ، لذلك فهم يطالبون الدول الاستعمارية برد جزء من تلك الثروات المنهوبة على هيئة مساعدات واستثمارات لتنمية هذه البلدان • وتتزعم الدول الافريقية والاسيوية والامريكية اللاتينية هذه الآراء •

وحتى نكون منصفين نقول ان الدمج بين الرأيين هو الصواب • فالتزايد السكاني السريع يؤدي الى استنزاف سريع لموارد الارض وقدراتها

---

* Journal of the American Institute of Planners.

على الاعالة ، وسوء التوزيع واحتكارات الانتاج يؤدى الى تركز معظم الثروات فى ايدى حفنة قليلة من دول العالم ، بينما تبقى الاغلبية محرومة من أدنى مستويات المعيشة .

التوسع الافقى والرأسى

ليس من شك فى ان التزايد السكانى هو اساس الزحف السكانى الجغرافى وما ينجم عنه من ضغط بيئى متزايد على رقعة الارض المحدودة. والانسان بزحفه وانتشاره قضى على الاف الهكتارات من الاراضى الزراعية . وهو فى بحثه عن المأوى والمسكن راح يهدد الارض وهى مصدر مأكله ومشربه . ولهذا تقف الادارات المحلية والاجهزة المركزية فى الدول لتحديد الانتشار السكانى ، فتقوم فى بعض الدول خطط لتسييج المدن بأحزمة من النطاقات الخضراء لا يسمح بمسها او تجاوزها كما حدث فى لندن . وتبرز اتجاهات اخرى لتحديد احجام المدن بحيث لا تزيد عن حدود معينة ، كما حدث فى بعض المدن فى كاليفورنيا وفلوريدا . ويعترض على هذه الاتجاهات أصحاب الحقوق المدنية الذين يقولون بأن القانون مع حرية الفرد ليسكن فى أية مدينة يختارها ، وفى اية بقعة تستهويه ، وان ليس هناك ما يمنعه ويعيق رغبته هذه .

وللتغلب على قيود هذه الاجهزة والادارات راح الانسان يتوسع عموديا مشيدا العمارات الشاهقة وناطحات السحاب . وتصبح المدن فى مثل هذه الحالات اقرب الى مدن الابراج منها الى مدن المساكن ، ويزدحم الالاف من البشر فى شقق اقرب الى العلب منها الى المساكن . ورغم قرب المسافة الفعلية التى تشد ساكنى هذه العمارات الا ان المسافة الاجتماعية شاسعة الى درجة الوحدة القاتلة والغربة العميقة .

تيه وضياع

كثيرا ما يموت شخص نتيجة مرض او حادث طارىء ، ويبقى اياما - واحيانا اسابيع - فى شقته ، بدون ان يدرى به احد . هذا النوع من الحياة الحضرية يدر على الانسان الشفقة . ففى هذه المجتمعات الحضرية التى ابتكرها الانسان والتى من المفروض ان تكون انعكاسا لما يسمى بحضارة الانسان - يعيش الفرد تائها ضائعا ، ممزق النفس لم يعد يربطه بالعالم اكثر من جهاز تلفاز ، ينقل له كل ما يشتهيه من برامج ومسليات ، وخطوط متشابكة من الاتصالات التلفونية . وهو ينتقل للحديث مع اى شخص يريده ، لكنه يبقى تعيسا فى اعماقه ، لانه رغم كل الاتصالات التى صنعتها ووفرتها له التكنولوجيا الحديثة ، فان اتصالاته الشخصية تصبح نادرة، وتصبح من اعز امانى الانسان ان يجد لنفسه صديقا يجالسه لنصف ساعة او ساعة . وتصبح مجالس الشرق اليومية نادرة فى الغرب وهى - ان تمت تكون اسبوعية او شهرية . فيطلقون عليها حفلات .

سقوط الحضارة الغربية

وهم فى الغرب يعرفون ما فعلوا بانفسهم . انهم يعترفون انهم فى مجتمع المادة والصناعة قد قادوا انفسهم الى التيه . ومن هذا المنطلق تجمعت لدى مفكريهم آراء تشاؤمية تتوقع سقوط الغرب الحضارى بمعناه المادى والآلى . وكثيرا ما سمعت من الامريكيين من يتنبأ بانه سيحدث للولايات المتحدة ما حدث للامبراطورية الرومانية . واقرأ لاوزوالد شبنجلر وكولن ولسون ، فهما لا يريان من خلاص الا بعودة الانسان الى اخيه الانسان بمثله وقيمه ، ولا يجدان من حل سوى ما جاءت به تعاليم السماء .

فمن الحضارة التى خلقها الفكر والابداع الى الصناعة الآلية ، وتحكم المادة التى صنعها الطمع والجشع ، وما جره ذلك من تفكك فى الارتباطات الاجتماعية الى هجرات الزحف السكانى والى الغربة والضياع - يعيش الانسان فترة من احرج فترات حياته وهو فى نقطة التحول الحرجة . فالانسان اليوم فى خوف دائم من احتمال احتضاره الذاتى ، وهو باهماله ذاته يقرب اليوم الذى يصبح فيه هذا الاحتمال واقعا رهيبا .

ونعود مرة اخرى لطرح سؤالنا الرئيسى : اتحضر هذا الذى يشهده العالم ام احتضار ؟ ■■

عبد الاله ابو عياش



الحياة لانحسها الا عندما نرى خطراً يتهددها

بقلم : منير نصيف

« هزته الصدمة بعنف فافاق من غفوته ٠٠ وبدا له كل شىء ، وكأنه يراه لاول مرة فى حياته ! انها الحياة التى نعيشها وننعم بها ولكننا لانشعر بحلاوتها ،الا عندما نرى خطرا يتهددها ! »

■ لم يعد يرى غير الطريق الممتد امامه ، وقد بدا له بلا نهاية ٠٠ ولم يعد يسمع غير صوت محرك سيارته واطاراتها تنهب الارض نهبا ٠٠ ! لقد أحس بان الحياة بكل ما فيها من صخب وضجيج قد توقفت تماما من حوله ٠٠ وكان يبكى كالاطفال ، وقد حار ماذا يفعل بدموعه التى كانت تتساقط من عينيه ! ان منديله فى جيبه ولم يكن الامر يتطلب منه الا أن يمد احدى يديه ليخرج المنديل ويمسح به دموعه ٠٠ ولكنه نسى جيبه ، ونسى المنديل ، ونسى نفسه ، ولم يعد يذكر شيئا ٠٠ لم يعد هناك اى شىء يملأ راسه وفكره وقلبه غيرها ! كل ما يعرفه الآن ،أن زوجته وأم أطفاله الثلاثة تحتضر فى مستشفى المدينة الذى يبعد عن بيتهم الريفى بحوالى ثلاثين كيلو مترا ٠٠ ثلاثين كيلو مترا فقط ، قطعها مئات المرات مع أسرته الصغيرة وكانت دائما نزهتهم الوحيدة التى يتطلعون اليها فى عطلة نهاية الاسبوع فياتون فى ملابسهم الانيقة الجديدة حيث يقضون اليوم فى التسكع فى شوارعها الجميلة النظيفة وأمام نوافذ محالها التجارية ٠٠ حتى اذا أتموا رحلتهم ومشترواتهم ، قصدوا الى ملاهيها حيث يتسابق الصغار على ركوب الصواريخ الطائرة والغواصات التى تنقلهم فى رحلة أخرى مع الاسماك فى قاع البحيرة الاصطناعية !

نفس الطريق ٠٠ ونفس السيارة التى طالما امتلأت بضحكات اطفاله وابتسامات زوجته ، وهو جالس وسط هذه الوجوه السعيدة التى تعود عليها طوال السنوات العشر التى انقضت على



زواجه وانتقاله مع شريكة عمره الى هذا البيت الصغير فى احضان الريف .. حتى اصبحت السعادة عنده عادة ! ولكنه اليوم يقود سيارته وحده .. اطفاله يعيدون عنه . وبعد قليل سيعودون الى البيت ينتظرون عودة امهم التى خرجت فى صباح ذلك اليوم برفقة احدى صديقاتها فى سيارتها الصغيرة لتشترى هدية عيد ميلاد ابنتهما الكبرى من المدينة التى احبوها .. ومقعدها بجواره خال .

لقد غابت عنه صاحبته .. انها ترقد الآن فى المستشفى بين الحياة والموت اثر حادث تصادم مروع وقع لسيارة صديقة الاسرة التى أرادت أن تحقق لزوجته امنيتها فى مفاجئة ابنتها بالثوب الجديد الذى ستقدمه لها فى عيد ميلادها !

واحس بالوحدة تخنقه . وعاد ينظر الى الطريق امامه .. لقد كانت رحلته وحده الى المدينه هذه المرة اطول رحلة فى التاريخ !

★ ★ ★

ووصل الى المستشفى اخيرا ، واندفع مسرعا الى مكتب كبير الاطباء .. وامسك بذراعيه يهزهما : « زوجتى يا سيدى .. زوجتى .. ماذا حدث ؟ هل اصابتها خطيرة .. هل تعيش ؟ اتوسل اليك ان تصارحنى ! هل أستطيع أن اراها ؟ هل استطيع أن احدثها ؟ » .

واجلسه الطبيب على مقعد مريح ، وراح يخفف عنه : « انها الآن بين أيدى الاطباء فى غرفة الجراحة ، ان اصابة زوجتك خطيرة يا سيدى .. لقد أصيبت بارتجاج فى المخ ، وهى الآن فى غيبوبة ونحن نفعل كل ما فى وسعنا لانقاذها .. لقد كانت الصدمة عنيفة ! هدىء من روعك يا سيدى ، وحاول أن تستريح ! » .

وجلس الزوج .. وعرف طريق منديله فى هذه المرة فاخرجه من جيبه وراح يجفف به دموعه ، ويبتهل ويدعو لها بالشفاء !

★ ★ ★

واسلم أمره الى الله .. ولكنه لم يكن وحده فى هذه المرة وهو جالس فى مكتب الطبيب ينتظر .. كانت صورة زوجته واطفاله الثلاثة وحياته معهم ، وحياتهم معه فى هذا البيت الصغير الهادىء .. تملأ رأسه كما لو كانت شريطا سينمائيا حافلا بالذكريات .. يا لها من أيام سعيدة ، تلك التى عاشها مع أسرته .. ولكن اليس غريبا ان يكتشف هذه الحقيقة فى هذه اللحظات القاسية التى يمر بها الآن وزوجته ترقد على بعد خطوات منه لا تشعر بشىء مما يدور حولها ؟ اليس غريبا ان يعتاد المرء السعادة التى تملأ حياته ،فلا يكاد يحس بها الا عندما يشعر أن كل شىء قد أصبح مهددا بالضياع !

لقد كان يخرج الى عمله فى صباح كل يوم بعد ان يودع زوجته واطفاله بقبلاته .. ولعلها الشىء الوحيد الذى كان يذكره دائما بانه زوج ورب أسرة سعيدة .. وكان الاطفال يذهبون الى مدرستهم الصغيرة القريبة من البيت ،ثم يعود الاب والابناء مرة أخرى الى بيتهم ليلتقوا على مائدة العشاء ،

بينما تقضي الزوجة يومها كله في اعداد وجبات الطعام التي يحبها الأب، ويحبها صغارها ٠٠ حتى اذا فرغت من عملها داخل البيت خرجت الى الحديقة الصغيرة وراحت تشغل وقتها بالعناية بالزهور، واطعام طيورها الجائعة دائما ولسانها لا يكف عن الدعاء لهم، فلم تكن تبغي من الدنيا سوى أن يحفظ الله زوجها ويرعى أبناءها، ويديم عليهم نعمته! لقد كانت لها وقفات وتأملات في ساعات انتظارها لهم ٠٠ وكانت كلما طال بها الانتظار ازداد احساسها بتعلقها بهم وتهافتها عليهم، وحنينها الى عودتهم ٠٠ وتضاعف مع احساسها هذا شعورها بالسعادة التي تملأ قلبها ٠٠ السعادة التي وجدتها في حياتها مع هذا الرجل الطيب القلب، ومع اطفالها الصغار الذين ملأوا البيت بالحياة!

ولم تخف مشاعرها وأحاسيسها عنه، كانت تحكي له ما كان يعتمل في صدرها من انفعالات ٠٠ وماذا صنعت في غيبتهم، وماذا تصنع بها غيبة زوجها واطفالها عنها، كلما تركوا البيت وتركوها وراءهم في مملكتها الصغيرة مع حديقتها ومع زهورها وطيورها!

★ ★ ★

كانت الام تجد في لقائها بزوجها واطفالها في المساء، وفي وداعها لهم كل صباح متعة الحياة ذاتها ٠٠ حتى لحظات انتظارها، كانت تقضيها دون أن تفارق الابتسامة شفتيها لحظة واحدة ٠٠ فقد كانت سعيدة دائما بالمفاجآت التي تعدها لهم في غيبتهم ٠٠ أطباق الطعام الشهية التي ستقدمها لهم ٠٠ الزهور الجميلة التي جمعتها من الحديقة وراحت تصفها في الآنية الرقيقة التي تتوسط مائدة الطعام ٠٠ الملابس النظيفة التي سيستقبلون بها يومهم الجديد ٠٠ وكانت سعادتها الكبرى تتمثل في تلك اللحظات التي يلتقون فيها بكل ما أعدته لهم ٠٠ عندما تجلس الى المائدة وسطهم وتراهم يلتهمون الطعام الشهي الذي راحت تتفنن في طهيه ٠٠ وعندما تقف وراءهم ترقبهم وهم يغادرون البيت بعد أن وضعوا أجسامهم في الملابس التي قضت الساعات في غسلها وكيها، بعد أن خلعوا عنهم ملابس الامس لتصنع بها ما صنعته بغيرها عبر هذه الايام والشهور والسنين التي أصبح لها فيها أسرة تعني بها وتسهر على رعايتها وراحتها ٠٠

★ ★ ★

مرت كل هذه الصور برأس الزوج سريعة متلاحقة وهو جالس على مقعده في مكتب الطبيب ينتظر ٠٠ وطوال هذا الشريط الطويل المليء بذكريات حياتها معه، بقيت صورتها ماثلة امامه لم تغب عن مخيلته لحظة واحدة، وكأنها تقف أمامه تحدثه وتسأله عن سر قلقه، ودموعه التي تملأ عينيه وتنساب بغزارة على وجنتيه تماما كما يفعل أصغر أطفالهما عندما يفقد لعبته الجميلة التي لا يفترق عنها أبدا!

وقفز من مقعده واقفا، وهو يصيح: « لا ٠٠ لا سوف تعيشين يا زوجتي الحبيبة ٠٠ من أجلي ومن اجل أطفالنا الصغار! »

وسمع الطبيب صيحته، فجاء اليه مسرعا محاولا أن يهدىء من روعه! وقال الزوج وكأنه يهذي: « اليوم فقط عرفت معنى السعادة التي كنت أعيشها دون أن أشعر بها يوما ٠٠ الآن فقط يا سيدي أدركت انني قد تزوجت أعظم وأجمل امرأة في العالم! كنت أعيش معها ومع أطفالي، كما لو كنت « آلة » لا تكف عن الدوران ٠٠ كل شيء في حياتي كان رتيبا ثابتا لا يتغير ٠٠ كنت أعرف انها ستكون دائما هناك في انتظاري عندما أعود الى البيت ٠٠ تماما كما كنت اراها وهي تقف تودعني في الصباح عندما اخرج للذهاب الى عملي! اليوم فقط أدركت ٠٠ الآن فقط عرفت قيمة المرأة التي ملأت حياتي وبيتي سعادة ٠٠ قل يا سيدي انها ستعيش ٠٠ قل لي أي شيء فلم اعد أطيق الانتظار ٠٠ انني أحس بالاختناق ٠٠ لم تعد ساقاي تقويان على حملي ٠٠ حتى أنفاسي بدأت أجد صعوبة في التقاطها ٠٠ اني أموت ببطء يا سيدي! »

وترك الطبيب مكتبه، وخرج ٠٠ وعاد الزوج يغوص في مقعده من جديد، وقد استند برأسه الى كلتا يديه واستغرق في تفكير عميق ٠٠ ولكنه ما لبث ان قفز من مقعده، وراح يتطلع في ساعته بقلق، ثم اسرع الى التلفون ٠٠ لقد تذكر فجأة أن موعد عودة أطفاله من المدرسة قد اقترب ٠٠ في هذه اللحظة من كل يوم كانوا يلتقون ٠٠ الاب والام والاطفال ٠٠ ترى كيف ستكون حالهم عندما

يعودون الى البيت فلا يجدون امهم في انتظارهم.. ماذا سيقولون عندما يتأخر الاب بدوره عن العودة؟ وأسرع يتصل بالبيت ، وما كاد جرس التليفون يدق على الجانب الآخر من الخط،حتى سمعصوت جارتهم الطيبة ترد عليه في لهفة : « اننا جميعا بخير .. لا تقلق ، الاطفال حولي ينتظرون عودتك .. لتطمئنهم على امهم .. لقد عرفوا كل شيء .. قلت لهم انها اصيبت في حادث بسيط.. ولكنها سوف تشفى وتعود اليهم.. اليس كذلك؟»

وسكت الاب برهة .. لم يعرف ماذا يقولوبماذا يرد على اسئلتهم البريئة .. انه يراهم امامه ويكاد يقرأ ما يدور في رؤوسهم الصغيرة ،ويرى ما على وجوههم من انفعالات .. المهم الآن ان يقول لهم شيئا يطمئنهم على امهم !

واخيرا تكلم ، قال مخاطبا الجارة الطيبة : « انت ايضا كنت تعلمين ! ؟ »

ـ نعم ، وقد فتحت باب البيت بالمفتاح الذى تتركه امهم عندى دائما .. واعددت لهم طعام العشاء .. ولكنهم ينتظرون عودتك .. ارجوك الا تتأخر .. انها بخير .. اليس كذلك ؟

ـ نعم .. نعم .. انها بخير !

قالها دون ان يشعر ، ثم اعاد سماعةالتليفون الى مكانها ! وهم بالخروج من مكتب الطبيب .. لا .. لن يحتمل الانتظار لأكثر من هذا .. لقد انقضى عليه في جلسته مع قلقه وهمومه اكثر من اربع ساعات كاملة بعد ان نقلوا اليه الخبر في مكتبه بعد الظهر بقليل .. سوف يخرج الآن وينطلق في ردهات المستشفى .. سيفتح ابواب غرف المرضى والمصابين .. حتى غرف العمليات سيطرق ابوابها بحثا عن زوجته .. لابد ان يعرف .. لابد ان يطمئن .. ان رأسه ينفجر ، ودقات قلبه تتلاحق بسرعة واضطراب ، لابد ان يجدها ! لابد ان يراها !

وما كاد يخطو خارج المكتب ، حتى رأى الطبيب قادما وقد تهلل وجهه بابتسامة عريضة ، ومد اليه يده مصافحا ، وقال وهو يشد عليها بقوة : « لقد نجت زوجتك منالموت ياسيدى.. لقد اراد لهاالله الحياة ،فمازال في العمر بقية.. وستعيش وتعود اليك والى بيتها واطفالها .. الامر يحتاج الآن فقط الى راحة طويلة وعلاج قد يستمر لمدة اسبوعين او أكثر ! تستطيع الآن ان تراها .. ولو انها لن تشعر بوجودك ، فهى ما زالت فى غيبوبة !

★ ★ ★

وذهب .. وراها ترقد فوق فراشها في سكون .. وقد اغمضت عينيها ، ووقف الاطباء حولها يقدمون لها احدث ما توصل اليه الطب في اساليب العلاج .. وتمنى لو انه اخذها بينذراعيه وراح يحكى لها قصته معالالم والعذاب وهوجالس في مقعده ينتظر .. تمنى لو انه استطاع انيروى لها قصة اطول فراق بينهما .. قصة الساعات الاربع التى قضاها بين الياس والامل .. بينالموت والحياة .. تمنى لو انه لثم يديها بشفتيه ليعبر لها عما يحمله في صدره من حب لهذه الانسانة التى شاء الله الا يحرمه ويحرم اطفالهما منها !

وعاد الى بيته ليقضى الليل ساهرا بعد انذهب اطفاله الى فراشهم ليناموا في انتظار الغد الذى سينذهبون فيه لرؤية امهم ..

★ ★ ★

وذهبوا اليها .. وكانت قد افاقت من غيبوبتها، ومدت اليهم ذراعيها تحتضنهم ..والتقتعيناها بعينى زوجها فوجدتهما تدمعان .. فدمعت عيناها معهما !

وتكررت زيارة الاب والاطفال الى الام فى المستشفى .. في صباح كل يوم ، وقبل طلوع الشمس ، كانوا يبدأون رحلتهم مع الفجر ليصلوا اليها ، ثم يعودون بعد هذا الى مدرستهم ،ويعود هو الى عمله ..

الى ان جاء اليوم اخيرا.. وذهبوا اليهاكعادتهم فوجدوها تقف وراء نافذة غرفتها ، وقد ارتدت ملابسها ، واستعدت للعودة الى بيتها .. الى اسرتها الصغيرة وزهورها وطيورها !

وعادت الام .. وعادت الحياة الى البيت الريفى الصغير .. وعاد الزوج الى الحياة من جديد ، والى السعادة التى تعودها والتى لم يحس بها الا عندما شعر انه كاد يفقدها !

■■

منير نصيف



د. احمد زكي

العامية



الغزالي

خطر يُهَدِّد لغتنا القوميّة

مشكلة اللغة العربية

بقلم: الدكتور احمد عبد الستار الجواري

وزير الدولة العراقي ورئيس اتحاد المعلمين العرب

■ لغتنا العربية لها بين اللغات الحية خصائص ومزايا عديدة،قد يغفل عنها او يجهلها المتحدث بها من اهلها ، ولا يلتفت اليها الا حين يقف منها موقف الدارس الباحث يتلمس المزايا والخصائص بروح الموضوعية والتجرد ٠

وكثير من هذه المزايا عادت لطول الفتها صفات معتادة لايكشف عنها الا التامل والتمحيص الدقيق٠

على أن جانبا من تلك الخصائص والمزايا ينعكس اثره فيستحيل مصاعب ومشكلات يعاني منها الدارس والمعلم ، والمنشيء والمعبر بها عن شتى حاجات الفكر والشعور ٠

من ذلك أن لغتنا العربية قديمة عريقة تضرب جذورها في أعماق التاريخ فلا يكاد يعرف لها قرار ٠ وتتشعب بها المسالك والدروب ويطوف بها طول الاستعمال وكثرة التداول في افاق واسعة رحيبة فيضفي ذلك على مفرداتها وتراكيبها من المعاني والافكار ما يخرج بها عن الاصل في كثير من الاحيان ٠ ويذهب بها الاتساع والمجاز وسعة التصرف الى مجالات وميادين تجعل من الفاظها محل النزاع بين المترادف والمشترك والمختلف والمؤتلف الى غير ذلك مما يردُ في جملته الى قدم اللغة وبعد عهدها في الوجود ، وما أضاف اليها كل ذلك ، مع استمرار التداول من المعاني والمفاهيم سواء في ذلك اللفظ المفرد والتركيب والاسلوب٠

ولقد كانت العربية في عصور الازدهار لغة العلم والحضارة يعبر بها أهلها عن الافكار العلمية والفلسفية والادبية تعبيرا مشحونا بكل ما في اللغة الحية من طاقات وقدرات ، ومانتطوى عليه من استعداد للنماء والاتساع ٠

ثم أتى على العربية حين من الدهر كان هم التعبير بها الشكل والمظهر دون العناية بالفكرة الأصيلة والشعور الصادق ، وانصرف المنشئون الى ماعرف بفنون البديع من جناس وطباق ومقابلة وسجع وتورية ونحو ذلك من أساليب تنادي باللغة عن الاصابة والصدق ، وهما أساس فن القول في اللغة العربية ٠

وجاء من بعد ذلك فريق من علماء العربية جعلوا المعاجم وما اشتملت عليه كتب اللغة أكبر همهم



ابو حيان التوحيدى



د • أحمد أمين

ومبلغ علمهم غير آبهين ولا معنيين بأساليب التعبير وما أضافت الى اللغة والفاظها وتراكيبها من معان جديدة فني بها تطور الفكر وتقدم المعرفة ،وما شهدته من ضروب الابداع والابتكار •

وكان هؤلاء الافاضل كانوا يتجاهلون واقع الفكر فى عصورنا الحديثة هذه • هذا الواقع الذى تقوم فيه هوة سحيقة بين من أخذ من علوم العصر وتخصص فيها وبين من تخصص فى فقه اللغة ونال منها حظه الوفير• لان كل فريق من الفريقين قد لزم موقعه ورضى به حتى حيل بينه وبين الفريق الآخر ، وصار المتخصصون بالعلوم الحديثة اذا كتبوا بالعربية او تحدثوا بها فى موضوع اختصاصهم ، خانهم التعبير واحتوتهم دوامة الغموض وافلت منهم زمام الدقة والاصابة ، فى حين أن منهم من يكتب باللغة الاجنبية التى تعلم بها فيطلع على الناس بالمبدع والمبتكر الذى يشهد له اهل الاختصاص ويقدرونه حق قدره •

تلك مشكلة تعاني منها مؤسسات التعليم فى شتى مراحله ويشكو منها أولو الاختصاص من كلا الجانبين شكوى مبهمة لاتكاد تصف العلاج أو تهدى اليه •

وصار القائمون على أمور التعليم فى الجامعات والمعاهد العليا باللغة الاجنبية مع مافيه من تبديد الجهد بالنسبة لطالب العلم من أبناء العربية ، ومع مافيه من تقتير وضن على اللغة القومية بأن تكون وسيلة لتثقيف الجمهور وأمداده بأسباب المعرفة فى العلوم الحديثة •

ولست أحسب ان احدا ينازع اليوم شعبية التعليم والثقافة وكونها حقا للجماهير لا مراء فيه ، بل ان من مصلحة الحاكم المسئول ايا كان مشربه ومذهبه ان يكون الجمهور على جانب كاف من المعرفة يغنيه عن أن ينعق مع كل ناعق او يتبع كل ذى دعوة براقة مغرية ينقاد اليها انقيادا القطيع بلا وعى ولا أدراك •

واذا كان لزاما على الدولة أن تبسط للناس أسباب المعرفة وأن تفتح فى وجوههم باب التعليم، فان لزاما عليها أن توفر لهم وسائله وأداته •

ووسيلة التعليم وأداته الاولى هى اللغة • فانها وعاء الافكار ومضمارها الذى تجول فيه ، وهي ايضا سبيل التواصل الفكرى والشعورى بها يتحقق انتقال المعرفة والخبرة بين الافراد •

من اجل هذا وأمثاله من الاسباب الخطيرة يلزم ان تكون العناية باللغة سابقة مقدمة • وأن يكون خطر التفريط بها ماثلا لكل معنى بالتربية والتعليم والثقافة والمعرفة بل لكل مشتغل بقضية الشعب أيا كان تخصصه ووجهة عمله •

ان اهمال هذا الخطر يتجلى على العموم فى جهتين مهمتين : الاولى ظواهر خادعة من الاهتمام بالعامية على اعتبار انها وسيلة التعبير لدى الجمهور ، فيصبح هذا الجمهور يوما بعد يوم بعيدا عن الاخذ بأسباب المعرفة وينأى به ذلك حينا بعد حين عن الثقافة الحقيقية ومنابع الفكر العلمي المتقدم ، بل يرده الى الجهل وظلماته ومتاهاته يتخبط فيها بلا أدراك ويضرب من حوله سدا يحول بينه وبين مصادر العلم والعرفان •

والثانية ان يجعل من اللغة السائبة المائعة مشكلة اجتماعية كبرى يتنازع الناس فى مجالها بلا طائل وبلا سبب مقبول ، حين يتحدث المتحدثون ويعبر المعبرون فلا يعنى احدهم مايقول لانه لايحسن التعبير الدقيق باللغة من جهة ، ولهذا لا يحسن من يتلقى عنه فهم مايقوله وما يتحدث به•

ينطبق هذا على الالفاظ المفردة كما ينطبق على التراكيب والتعابير •

ان كثيرا من الخلافات والمنازعات فى السياسة

وفي الاجتماع مردها الى سوء التعبير من جهة والى سوء الفهم من جهة اخرى • وقديما قال قائلنا من يسمع يخل ،ومن يسمع غير الحقيقة يتخيله، ثم يبني على خياله ما يشاء ، فاذا اراد أن يعبر عن ذلك كان تعبيره بعيدا عن الواقع الذي يحياه ، وكان سلوكه استجابة خاطئة لما سمع ، فيكون النزاع ويكون الخصام ويكون الخلاف الذي لايقوم في الحقيقة على أساس صحيح •

ولا ريب ان ظاهرة الازدواج او الثنائية في استخدام اللغة أمر على جانب كبير من الخطورة، ذلك أن العامية في أغلب اقطار العربية أو كلها قد بعدت عن اللغة الفصيحة بعدا بعيدا ، فجعل ذلك من لغة التعليم وهي الفصيحة شيئا يشبه أن يكون لغة غريبة او هي في افضل الاحوال لغة غير مألوفة ، لغة ما يعرف بلغة الام التي يفكر بها الانسان وبها يعبر عن مشاعره وحاجاته •

ان هذا الازدواج وتلك الثنائية نتيجة من نتائج الجهل الذي اطبق على الأمة العربية في وطنها الواسع الكبير ، وهو في الوقت نفسه سبب من اسباب التعثر والتباطؤ في انتشار التعليم وتخلف الفكر والثقافة ، وصحيح ان عوامل التقدم في الفكر والثقافة،وانتشار التعليم يقرب بين العامية والفصيحة وينشيء في المجتمع لغة هي فوق العامية ودون الفصيحة • وهذا واقع فعلا في كل قطر من اقطار العربية من جهة وفي سائر اجزاء الوطن العربي من جهة اخرى • ذلك ان العربي في اقصى المغرب يتخذ للحديث مع اخيه في اقصى المشرق لغة عربية لايمكن ان توصف بانها الفصيحة الصحيحة المتقنة • ولكنها على كل حال عربية فيها من الصحة ومن الالتزام بحدود معينة من القياس اللغوي وما يجعلها مفهومة في كل مكان من بلاد العربية ، قابلة للتطوير ولمزيد من الضبط والاتقان ولكن هذا لايغني في الوفاء بهذه الحاجة الاجتماعية ولا يصح ان يتكل عليه في حل المشكلة اللغوية في بلاد العربية • انه يفتقر الى المزيد من الجهود حتى يبلغ مبلغ الوفاء بالحاجة على كل حال •

ان علاج المشكلة اللغوية يحتاج الى سلوك اكثر من طريق • اول هذه الطرق ما يعرف بتيسير قواعد اللغة تيسيرا يقوم على نظر فاحص وتامل عميق ياخذ باسباب البحث الدقيق والنظرة الشاملة التي لا تعبث بالاصل ولا تقطع ما اتصل من تراث حضاري وفكري عريض •

وهي مهمة خطيرة لاينهض بها الا من أوتي نصيبا من الدراية الواعية بالقديم والمعرفة النافذة بالجديد، وعرف للغة وظيفتها الاجتماعية الخطيرة في حياة الامة •

وتلقى هذه الطرق عناية كبيرة بنصوص اللغة التي عبرت بها عن سائر أوجه الفكر والشعور عناية لاتقف عند النصوص الادبية ولا تقتصر عليها بل لابد من تدارس النصوص التي تناولت قضايا العلم والفلسفة وسائر أوجه المعرفة • وذلك موفور كثير في كتابات الجاحظ وأبي حيان التوحيدي والغزالي والبيروني وابن سينا وأمثالهم من أعلام الفكر الذين عبروا باللغة العربية عن افكار الفلسفة والعلوم أدق تعبير وأصدقه •

ومن المعاصرين من ضرب في هذه الميادين أروع الامثلة • وان في آثار أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق ومحمد عوض محمد رحمهم الله،وفي كتابات احمد زكي وابراهيم مدكور وعثمان أمين ما هو اجدر بالاهتمام واولى بالدراسة مما تتفتح به الاذهان وتالفه أذواق الاجيال الجديدة وتهتدي به في التفكير وفي التعبير عن الافكار •

وبعد فان المشكلة اللغوية واحدة من اهم ما يواجه حياتنا الفكرية والتعليمية • وكل توجه لعلاج هذا الجانب من حياتنا الجديدة لابد أن يوليها ماتستحق من العناية والاهتمام والا بقيت اللغة وهي وسيلة التعليم والتواصل الفكري ثغرة واسعة تلتف منها المصاعب والعثرات حتى تضيع الجهود وتتبدد المجهود او يتضاءل نتاجه ويضمر أو يضمحل لاسمح الله • ■■

بغداد ـ احمد عبد الستار الجواري



تحيةٌ لحفيدى

■ أشرقت صورةُ الملاكِ « وليد » ... في فؤادى ، ففاض نبعُ قصيدى

وسرت في مشاعرى نشوةُ الحبِّ ... وطابت نفسى بمرأى حفيدى

ياملاكاً يرفُّ نورا وطُهرا ... كلما لاح ، زاهرا كالورود

كوكبٌ أنت ، قد أضاء سمائى ... وابتسام على شفاه وجودى

ونشيدٌ يهزّ قلبى ووُجدا ... نى ، شجىُّ الترجيع والترديد

كنت أخطو الى الفناء ، ولكن ... بك اصبحتُ ناشئا من جديدِ

واستعدت الشباب حُلْما جميلا ... –بعد يأس المشيبِ– واخضرّ عُودى

اسأل الله – يا « وليد » – لك العزّ ... دواما في رفعة وصعود

رافلا في النعيم والمجدِ طولَ العمرِ ، عمرٍ بالمكرمات مديد

يا رجاءً لوالديه ، ونُعمى ... ومنىً ليس فوقها من مزيد

وسميرا لأمه ، وأنيسا ... وهى في وحشة الغريبِ الوحيد

كلما شاقها الحنين الى الأهـ ... ـل تسلّت ببسمة من « وليد »

كم أناغيك في الخيال طويلا ... وأغنيك كلّ لحنٍ ودود . .

فأرى البشر في محيّاك نورا ... وبسمعى لغاك كالتغريد

عشتَ تختال في ثياب المعالى ... حالما ناعما بعيش رغيد

وتسلّقتَ سلّم العلم نجما ... يتسامى الى مراقى الخلود

ووقاك الاله شرّ بنى الدنـ ... ـيا ، وحقد العدى وكيد الحسود ■■

بحيرة / ج٠م٠ع – **محمد أمين الجندى**

عُمان الحديثة

مع المرأة
والأزياء وسحر الشرق





من شاطيء السين جاءت تعرض آخر صيحة في أزياء المرأة والجلابية العربية، وقد ركبت الحمار . وظهر من ورائها حصن قديم في عمان .

الشرق ... وسحر الشرق ... واليه جاءوا من عاصمة الأزياء ومدينة النور .. قطيع من الماعز ترعاه عمانية « بالجلابية » بين أشجار جوز الهند في ظفار .



« ولم المرأة ٠٠ والمرأة وحدها ! اليس غريبا ان ارى العالم كله من حولى مشغولا باسعادها ! »

برناردشو

■ من اجل المرأة انتقلت باريس الى سلطنة عمان !

من اجل المرأة جاءت طائرة خاصة تحمل مجموعة من بنات نهر السين الى الخليج العربى ٠٠ وحطت الطائرة فى مطار عمان ، وبدأت تفرغ شحنتها الحلوة ٠٠ فى المقدمة فتيات باريس الحسناوات ، ووراءهن مباشرة كبير مصوري مجلة فوج Vogue الفرنسية للازياء واحد محرريها ثم عشرات من الحقائب المليئة بالملابس !

وخرج اهل البلد لاستقبال الضيوف القادمين ٠٠

ووقفت احدى حسان باريس تتامل الارض الغريبة والوجوه السمراء التى لفحتها الشمس من حولها ٠٠ ثم صاحت : « ولكننى أشعر انها ليست جديدة على ٠٠ لقد رأيتها من قبل ٠٠ حتى الوجوه أراها مالوفة وكاننى اعرف اصحابها ! »

ولم تكن الفتاة تحلم ، فقد كان هناك اكثر من شيء تتشابه فيه مع اهل هذا البلد الممتد على طول الشاطىء الهادىء الجميل ! ورفعت الفتاة ذراعيها فى الهواء تستقبل بهما هواء الخليج ونسمات البحر ٠٠ ثم دارت حول نفسها ، وصاح المستقبلون : انها تلبس « الدشداشة » مثلنا ٠٠ انها تلبس « الجلابية » !

وانتشر الخبر سريعا ٠٠

من اجل هذه الدشداشة او الجلابية جاءت هذه الطائرة الى عمان ٠٠ انها آخر صيحة فى ازياء المرأة للموسم الجديد ٠٠ وهى صيحة مستوحاة : كما ترى من الشرق ٠٠ لماذا لا ننتقل بها الى ارضها واصلها اذن ؟!

لماذا لا نعرض « الموضة » الجديدة فى بلدها وبين اهلها ووسط آثارها وبين صور الحياة القديمة والحديثة فيها ؟!

وجاءت بعثة مجلة « فوج » الفرنسية للازياء الى سلطنة عمان ٠٠ الى بلاد الصيف الدائم ، والشواطىء الرملية التى تمتلىء بالاشجار ٠٠ جاءت الى هذا البلد الحديث الناهض الذى بدأ أهله يبحثون لانفسهم عن مكان تحت الشمس بعد سنوات وسنوات طويلة من حياة العزلة والانغلاق!

ولم تكتف البعثة بعرض ازيائها الجديدة وسط اثار عمان وحاضرها ٠٠ فقد راحت تجول وتصول فى طول البلاد وعرضها !

لقد نقل « العربى » فى الماضى صورا للحياة فى هذه البقعة من الارض العربية ٠٠ واليوم ننقل اليك صورا جديدة من عمان نفسها مع فتيات السين وازيائهن الجديدة ٠٠ تعالوا نرها من خلال عدسة مصور « فوج » وكلمات مندوبها ٠

بين الامس واليوم

انها اليوم بلاد فى تفتح مستمر ، وتجدد ينتشر باطراد فى كل حنية من انحائها ٠٠

ففى اوائل سنة ١٩٧٢ ، لم يكن فى هذه البلاد الفسيحة الارجاء ـ التى يقطنها مليون ونصف المليون من الناس ـ سوى ١٥ كيلومتر من الطرق المعبدة بالاسفلت ٠٠ بينما يزيد عدده حاليا عن ٥٦٦ كيلومترا !

كذلك ازداد عدد المدارس فى عمان : من ١ ـ عام ١٩٧٢ـ الى ١٧٦ مدرسة ، هذه الايام ٠٠ ومن فندق سياحى واحد ، الى خمسة ق البناء فى العاصمة (مسقط) وضواحيها بالاضافة الى فندق آخر فى (صلالة) جنو البلاد ٠٠ على اروع ساحل فى العالم حافل بش النارجيل !!

أما الرجل الذى حرك عصاه السحرية لب كل تلك المنجزات فقد كان ، ولا يزال ، سـ عمان : قابوس بن سعيد ٠٠ البالغ من العمر عاما (فى عامنا هذا : ١٩٧٦ م) ٠٠ وخ كلية « ساندهرست » العسكرية البريطانية ٠

وبنفس نسبة تزايد المدارس والمستش والمساجد ، تنمو كذلك الوزارات ، ومحد التلفزيون ، والمطارات والموانيء ٠



بائع عماني في احد الدكاكين الكثيرة والغنية بالبضائع ، في أسواق بلدة الرستاق ، التي تبعد مائتي كيلومتر عن مسقط .

فعمان اليوم في تحول وتغير وتطور على جميع الاصعدة وفي جميع الاتجاهات ..

بلد حديث
في اطار تقليدي

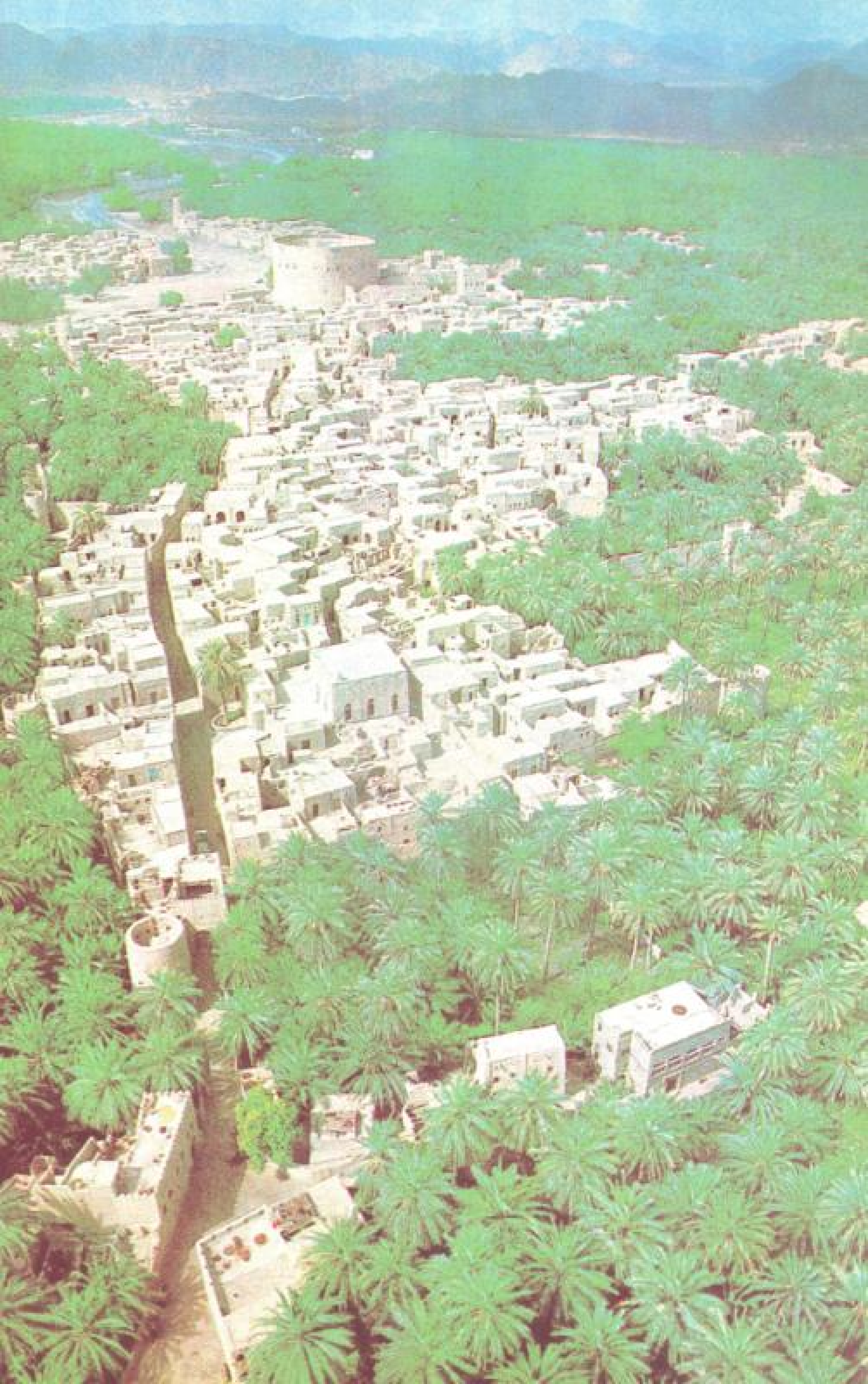
عمان ـ الواقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية ـ بلد بحري ، مطل على المحيط الهندي . وقد كانت عبر الازمان المتلاحقة محطة هامة على طريق الشرق الاقصى .

وسواحلها ـ ذات الالف والسبعمائة كيلومتر طولا ـ غارقة في الرمال .. زاخرة بالامكنة الخلوية البديعة .

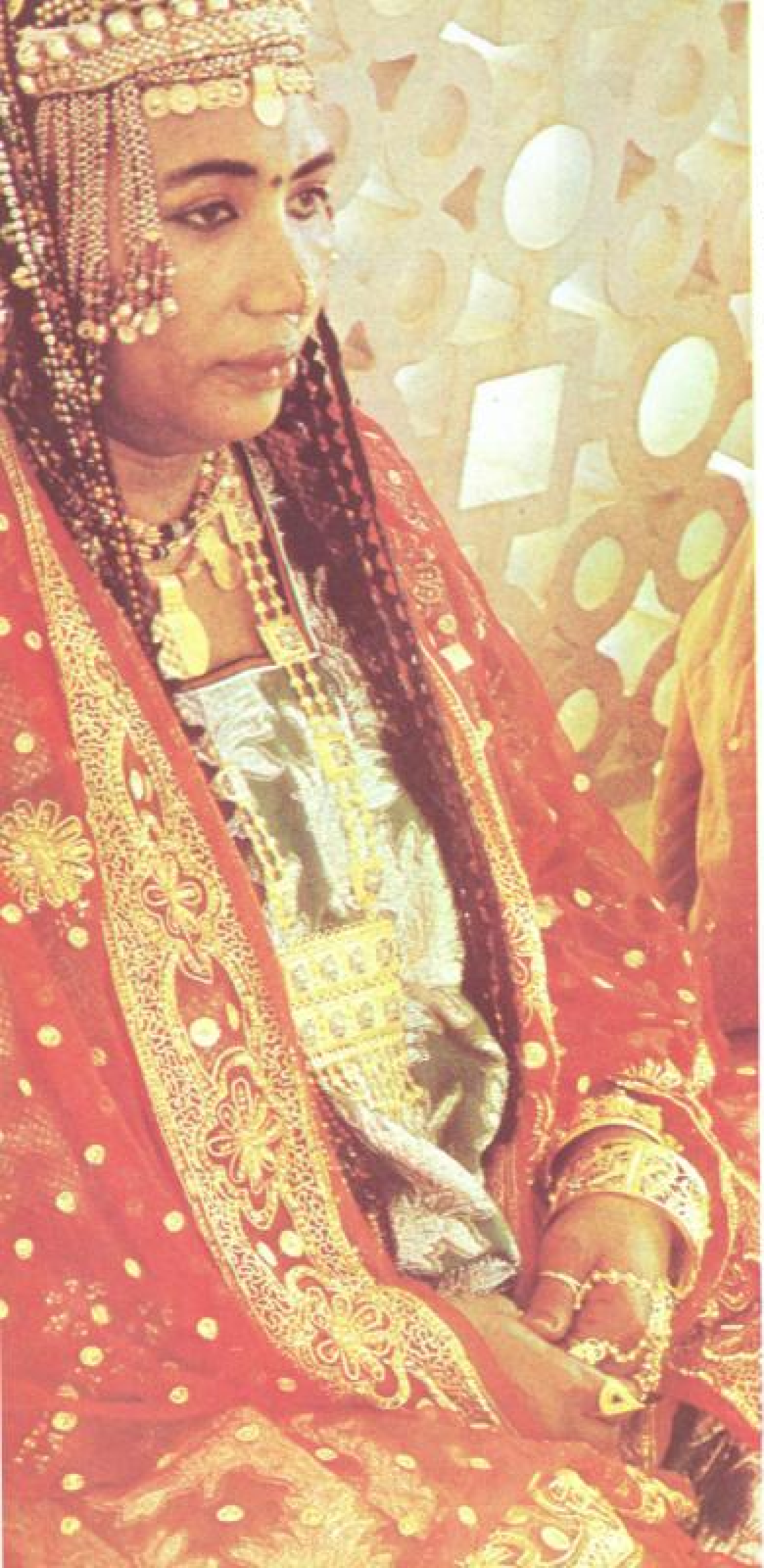
فاذا ما بدأنا رحلتنا من الجنوب ، في ظفار وصلالة ، فسيمتع ابصارنا بهاء المناطق الحافلة بشجر النارجيل .. فوق رمل اشقر منبسط .. تتكسر عنده امواج البحر الدافيء ..

على البحر هناك ، يشرف قصر السلطان الذي يقضي فيه قابوس ووالدته فصل الصيف .. كما يطل من جهة اخرى على الساحة المحاطة بالمسجد وبتلك الاسواق الزاخرة باكوام الاقمشة الموشاة بالذهب ، وباكداس البراقع العجيبة الالوان ، ومختلف انواع البهارات والافاويه والمجوهرات .. حتى لتبدو وكانها من مغارات كنوز الف ليلة وليلة ..

وفي صلالة ، تم تجهيز ابنية خاصة لتلفزيون ظفار ، الذي يشكل القناة الثانية للارسال بعد افتتاحها في ١٨ نوفمبر ١٩٧٥ : يوم العيد الوطني في عمان . كما يجري بناء فندق من الدرجة الاولى باسم (صلالة) ، مكون من مائتي حجرة



النخيل يحتضن في رفق مباني مدينة نزوة ،احدى مدن سلطنة عمان ، وفي اقصى الصورة الى اعلى حصنها الشهير ‥ ان ثمار النخيل تشكل احد مصادر الثروة الزراعية في هذه البقعة من الارض العربية.



المرأة العمانية نزعت عن وجهها الحجاب ‥ ولكنها مازالت متمسكة بتقاليدها العربية وازيائها المزركشة الفنية‥ وهي تعشق الحلى وتتزين بها من قمة رأسها الى اخمص قدميها .

وجناح ، ومزود بمسبح خاص • وهو واقع بين اشجار جوز الهند المحيطة بالساحل • ومن المنتظر افتتاحه في أواخر عام ١٩٧٦ •

اناقة اسطورية

ولكن ماذا عن المراة العمانية •• عن بنت البلد ؟ انها تتهادى ، في رواحها ومجيئها ، بلا حجاب على وجهها ، رافلة بثياب فخمة ، مزركشة بالالوان ، مثقلة بالجواهر والمذهبات •

وقد كان لقرب عمان من شبه القارة الهندية ، الاثر المباشر في رواج « الساري » الشفاف ، و « الموسلين » المطرز الذي يستخدمه الرجال هنا في كوفياتهم •

كما كان لاتصالها بالبلدان العربية وافريقيا وبلدان البحر الاحمر ، آثار تتبدى في ذاك التنوع الواسع في انماط اللبس ، واسلوب المعيشة •

وبعد ثمانية وثلاثين عاما من الانعزال التام عن العالم ، طوال عهد الحاكم السابق : السلطان سعيد بن تيمور ، انفتحت مغاليق عمان منذ عام ١٩٧٠ ، على يد السلطان قابوس بن سعيد •• وبرزت للملأ جميعا بلاد قد احتفظت بتقاليدها وازيائها بعيدا عن يد البلي والتغيير • ومع ذلك ، فلم يمنعها تحفظها هذا من الانطلاق سريعا في مضمار التطور والنهضة •• فاذا بالمنازل العصرية المكيفة الهواء ، تحل محل مساكنها واكواخها العتيقة المبنية بالغوص (او اوراق النخيل) •

مع سلطان عمان

في الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٥ ، صادف افتتاح محطة تلفاز ظفار ، الاحتفال بالعيد الوطني • وقد كان هذا خطوة جديدة على دروب التقدم التي اختطها الحاكم للبلاد منذتسلمه مقاليد السلطةفي ١٩٧٠/٧/٢٣ ، كما كان آية وفاء بالوعد الذي قطعه على نفسه حينما اعلن يومذاك قوله :

ـ « انني لاتعهد لشعبي العزيز ، بان يكون اول ما اكرس له نفسي هو الاسراع بتكوين حكومة عصرية •• واول هم لي هو رفع القيود المجحفة التي طال تحملها والصبر عليها ••

« ساعمل ، بكل السرعة الممكنة ، لكي اجعل منكم شعبا سعيدا •• ينتظره الغد الامجد •• »



قريبا من حصن بناه البرتغاليون في القرن السادس عشر ، تبدو مئذنة المسجد الجديد في مسقط •

وخلالزيارة استطلاعية لعمان، فيشهر اغسطس (آب) ١٩٧٥ ، قام بها وفد صحفي فرنسي ، اجاب السلطان قابوس على اسئلة وجهها الوفد اليه •• فكان هذا الحوار ••

السؤال الاول :

ـ حينما جئنا سنة ١٩٧٢ الى عمان ، الفينا بلادا شرعت ، بتوجيه جلالتكم ، تسير قدما نحو مستقبل التحديث ، دون التخلي عن احترام تقاليدها • فهل تتكرمون بالحديث عن المنجزات الحالية في مختلف القطاعات ؟

قال السلطان :

ـ من المؤكد اننا ـ منذ تسلمنا لمقاليد الحكم في البلاد منذ خمسة اعوام ـ قد وسعنا نطاق الاستفادة من التعليم والخدمات الطبية ليشمل اكثرية شعب السلطنة • فمن قبل ، لم يكن في عمان غير مدرستين اثنتين ومراكز صحية بلا كفاءات مؤهلة ، ومستشفى صغير وحيد تديره البعثة الاميركية في مطرح • بينما يتاح الآن لاي فرد من سكان السلطنة ان يعالج على مقربة من مكان سكنه •• كما صار لمعظم المدن والقرى الكبرى مدارس خاصة بها • اما فيما يتعلق

بالزراعة ، فاننا نعمل كل ما بوسعنا عمله لتجربة التقنيات الجديدة في مراكز البحث الزراعي المنشأة مؤخرا ، وعن هذا الطريق ، نوصل للمزارعين المحليين النتائج الايجابية المستخلصة من تلك التجارب • كذلك فقد شجعنا صناعة تربية المواشي في ظفار ، ونسعى لتطوير وابراز أهمية مناطق جوز الهند (او : النارجيل) • والصناعة عندنا ، يجب ان تبقى في الوقت الحاضر متصلة بالموارد الطبيعية للبلاد ومتناسقة مع احتياجات شعبنا ، القليل العدد نسبيا •

س ـ اننا نرى امامنا اليوم بلدا منطلقا يتغير باستمرار • فما هي اهدافكم القادمة ؟

ج ـ اهدافنا للمستقبل تعنى بتقوية كافة المؤسسات الموجودة والمقامة طوال السنوات الخمس الاخيرة بالاضافة الى تحسين تجانس الحكومة ، وزيادة فعالية وزاراتنا ومختلف الادارات فيها •

س ـ الاستثمارات الاجنبية •• هل ترحب بها عمان ؟ وكيف ؟

ج ـ نرحب بهذه الاستثمارات في عمان ، في اطار القوانين المرعية ، وخاصة تلك الاستثمارات القائمة على ارتباط ومشاركة بالشركات الوطنية العمانية •

س ـ السياحة هي محط اهتمام خاص من جانب قرائنا • فهل يمكن ان نعرف شيئا عن التجهيزات السياحية المنتظر اقامتها في عمان ، وعن المهلة المقدرة لاتمام انجازها ؟

ج ـ السياحة هي من الامور التي لا يصح لاى بلد كان ان يعالجها عشوائيا ودون امعان وتفكير في ما ستتركه من اثار في الجوار عموما ، وفي السكان المحليين بشكل خاص • وعمان بلد ذو ماض عريق بعيد المدى في مضمار الاستقلال ، وتاريخه مشدود بوشائج التقاليد العميقة الجذور• لذا ، لا يسعنا اتباع نمط حياتي يكون غريبا على شعبنا دون ان نحسب قبل كل شيء ، وبعناية فائقة ، اي حساب للاثار الاجتماعية التي ستترتب على ادخال ذلك النمط الغريب على اسلوب حياة شعبنا • ورغم هذا ، فانتم ترون اننا نبني الفنادق السياحية ونفتح المزيد من الطرق والمزيد من المؤسسات اللازمة لاستقبال رجال الاعمال والسياح الذين يتزايدون مع اطراد النمو الاقتصادي في البلاد •

وطن شاب
وفيّ لأمسه وحاضره

وعمان يمتد على مساحة (٢١٢٤٥٧) كيلومتر مربع ، ويتألف من ثلاثة اقاليم هي : مسقط ، وعمان ، وظفار (في الجنوب) •

والقسم الاكبر من السلطنة مغطى بكتلة جبلية تعرف (بالحجر) ، يشقها منخفض عميق ، هو وادي سَما ، الذي يعتبر المنفذ الرئيسى لداخل البلاد من السواحل • وتشكل سلسلة (الجبل الاخضر) فاصلا طبيعيا بين الساحل والداخل ، وترتفع القمم فيها الى ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر ، وتنبسط عند سفوحها هضبة (الباطنة) الساحلية الدافئة والخصبة •

وتفسح مسالك الدروب القديمة المجال واسعا لطرقات معبدة ممتازة •• تصل ما بين اغلبية المدن الهامة•وما على السائح الراغب في التجوال الا ان يستاجر سيارة عمومية ، مع السائق او بدونه ، يطوف بها ارجاء البلاد من اقصاها الى اقصاها ! ويتراوح متوسط درجة الحرارة الجوية بين ٢٣ درجة مئوية في يناير و ٢٤ في يوليه • ومسقط هي اكثر حرارة ، بشكل عام ، من صلالة • ويوافق موسم الشتاء وهبوب رياح المحيط الهندي شهري يوليه واغسطس • اما انسب وقت لزيارة عمان فهو شهرا يناير وفبراير •

موارد الميـــاه

ان موارد المياه في سلطنة عمان هي اغزر منها في اي دولة من دول المنطقة • وهذا يساعد كثيرا على ازدهار الزراعة ، التي تستخدم في ري الاراضي وسيلة العمانيين الموروثة في كبت المياه ضمن مجار مغطاة معروفة « بالفَلَج » •

بالاضافة الى ازدهار الزراعة ، يجرى انجاز ابنية حديثة مجهزة بوسائل الترفيه العصرية ، وبناء محطة تقطير لمياه البحر وتوليد الكهرباء ـ بمساعدة التقنية الفرنسية ـ وذلك قرب مطار السيب الدولي •

والكهرباء هي مفتاح التطور في عمان • ويزداد الطلب عليها يوما بعد يوم مع تزايد الانشاءات الجديدة ، حتى ان معدل الاستهلاك الكهرباني قد تضاعف عشرين مرة بين سنتي ٧٠ و ٧٤ • ومن أهم الجهات المستهلكة لهذه الطاقة : الفنادق



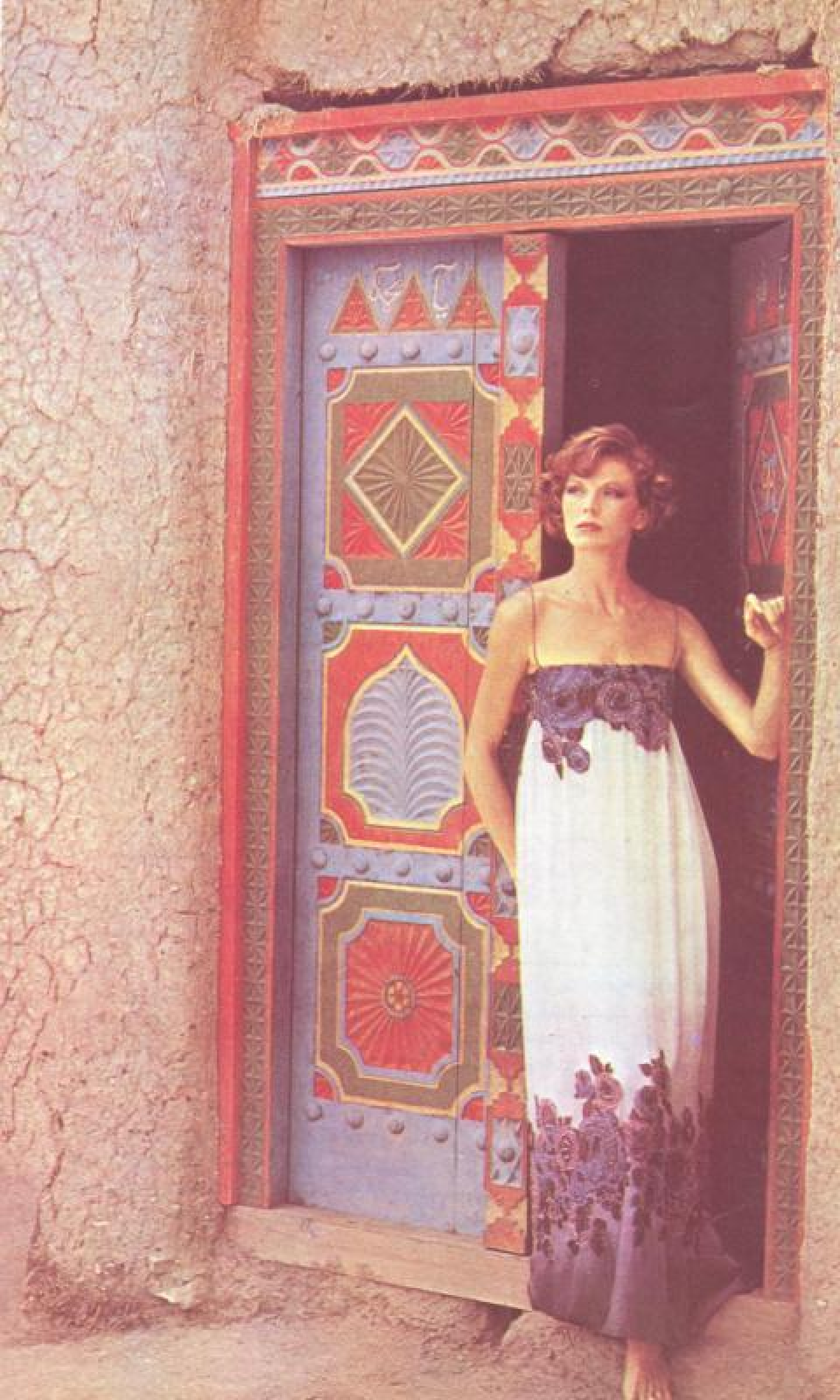
السلطان قابوس يمتطي صهوة جواده

امام مدخل أحديبوت « نزوة » القديمة. وقفت حسناء باريسية اخرى تعرض زيا جديدا .. هو ايضا مستوحى من الشرق في زخرفته والوانه .. وربما في تصميمه مع شيء من التصرف بطبيعة الحال ..

خرجت المرأة العمانية وتعلمت وعملت في شتى مجالات الحياة ،فاصبحت طبيبة وممرضة ،وضابط شرطة .







الكبرى الجديدة ـ ومنها خمسة في ضواحي العاصمة ،وهي : انتروكونتننتال ، وجالف وروى ، ومطرح ، وكورنيش •• بالاضافة الى الفندق العالمي الضخم (الفلج) وفنادق درجة اولى هي قيد البناء في كل من صلالة وظفار •

كذلك تبني حكومة السلطنة الكثير من المساجد والمستشفيات • وبينما لم يكن في البلاد عام ١٩٧٠ سوى خمسة مستشفيات ، ارتفع عدد هذه الاخيرة عام ١٩٧٣ الى ١٥ مستشفى ، مجهزة جميعا بتكييف الهواء •• وانشيء العديد من المستوصفات والمراكز الصحية المزودة بالوسائل العصرية والكفاءات العلمية المتقدمة •

وحقق التعليم نهضة جبارة ، وكان من آثارها ان قفز عدد التلاميذ الذكور في السلطنة من الف فقط في سنة ١٩٦٩ ، الى ٢٧ الفا سنة ١٩٧٤ ! •• وعدد الطالبات : من صفر ، قبل عهد السلطان قابوس الى ثمانية الاف ، سنة ١٩٧٤ !!

رفاهية العصر في اطار الماضي

واكثر الاسواق مثارا للاهتمام هي الموجودة في مدينة مطرح ، شمالي البلاد ، وقريبا من العاصمة •• ثم في مدينة صلالة ، في الجنوب • ومن الناحية العملية ، تقوم في هذه الاسواق كل تجارة المفرق : من الالبسة حتى الغذاء •• ومن الجواهر والذهب حتى الاطعمة المحفوظة •

وتستورد سلطنة عمان ـ بشكل خاص ـ المواد الغذائية ، والاقمشة والاسمنت ، ومواد البناء ، والسياراتمن مختلف الاحجام ـ بما فيها الجرارات الزراعية ـ والاسمدة ، ولوازم الانشاءات الثقيلة والخفيفة ، والسجاير •• الخ ••

أما صادراتها فهي ، بعد البترول : التمور ، الحمضيات،السمك المجفف ، اوراق التبغ ،والابل•

وبما ان الخيول العمانية كانت تتمتع ، في السابق ، بشهرة طيبة في ميدان الفروسية ، فقد حرص السلطان قابوس على فتح اسطبلات جديدة لتنشئة خيل الركوب وخيل السباق علىالسواء •• كما يفكر الآن في تنظيم مهرجانات للفروسية لابراز ميزات سلالة الخيل العمانية •

وتولي الدولة بالغ اهتمامها لتطوير محور مسقط ومطرح ، حيث ستقام مجمعات سكنية حديثة ، وابنية فسيحة للادارات الحكومية • وبات من المناظر المألوفة ، قرب ورش البناء ، منظر الخيام الصفراء ، واكواخ الصفيح التي تؤوي مؤقتا ، آلاف العمال الذين يعمرون عمان الغد••ويمهدون السبل للاجيال القادمة ••

وفي مسقط ، لا تزال الاحياء القديمة ، المحتفظة باسوارها ، تضم بضعة منازل عريقة في القدم • كما أن مطرح ما زالت تحتفظ في جانبها البحري بالكثير من الواجهات العائدة الى القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر ، والموشاة بالكثير من سحر الشرق المهيمن على بيوت ذلك الزمان البعيد • واملنا ان يحتفظ بتلك المعالم الاثرية وبالمساجد القديمة أيضا ، ليحقق وجودها الى جانب الخطوط الصارخة في الابنية الجديدة مفارقة نفاذة بارعة •

المنجزات الحديثة

❋ النفط :

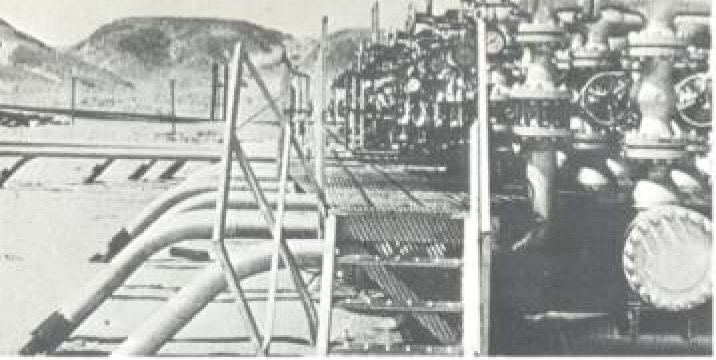
يعتبر النفط مادة الحياة للبلاد • وكان قد اكتشف في الجبال قرب (فاهود) سنة ١٩٦٧ • وصدر منه مليون طن غداة اكتشافه ، ليرتفع معدل تصديره فيما بعد الى ١٥ مليون طن سنويا • كما اكتشفت طبقات نفطية في ظفار • وهذا ، مع استمرار عمليات التنقيب عن النفط في السواحل•

يضخ النفط عبر انابيب طولها (٢٨٤) كلم من الفاهود الى ميناء الفحل ، على بعد بضعة كيلومترات من مسقط • وقد بني مرفا جديد ، هو ميناء قابوس ، وجهز لتعبئة ناقلات النفط وفق افضل السبل •

❋ الطرق الجوية :

للوصول الى عمان في الوقت الحاضر ، يتوجه المسافر الى مطار السيب الدولي • الذي يبعد حوالي خمسين كيلومترا عن العاصمة ، وله اتصالات بالعديد من عواصم دول العالم • وباستطاعة مدرجات هذا المطار ان تستقبل طائرات « الجامبوجت » •

وتساهم الحكومة العمانية بشركة طيران الخليج، التابعة لدول شبه الجزيرة العربية ، ولهذه الشركة خط جوي مباشر يؤمن الوصول الى لندن او العودة منها الى عمان في ثماني ساعات فقط• ومن المطار العسكري ، المجاور للمطار المدني ،



النفط : الثروة الطبيعية الجديدة المطلة على سلطنة عمان ... فى مركز لتجميعه وفصل الغاز عنه.

تنطلق الطائرات التي تؤمن الاتصالات المنتظمة مع ظفار (رحلة او رحلتان يوميا : والمدة ساعة واحدة) .. وكذلك طائرات الهليوكبتر التى تصل ما بين السواحل وداخل البلاد والجبال .

❋ الاتصالات الهاتفية :

وقد تطورت خدمات الاتصال الهاتفي ، السلكي واللاسلكي ، تطورا محسوسا .. ادى ، مثلا ، الى زيادة عدد الخطوط الهاتفية الداخلية من (٣٥٠) فى سنة ١٩٦٩ ، الى الفين فى سنة ١٩٧٣ ، كما اقتضى انشاء عمارات خاصة بها ، امتزجت سماتها الحديثة بخطوط البناء الاسلامى العريق .

❋ التجديد فى أسلوب العمارة الاسلامية :

كانت عمان من اولى البلاد التى تحولت الى الاسلام فى عهد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . فلا غرو الا يقتصر الطابع الاسلامى على زخارف المساجد فيها ، بل يتعداها الى بقية الاشكال العمرانية . بل لقد تسلل هذا الطابع الاصيل الى الابنية التى يجرى تشييدها فى مختلف ارجاء البلاد .

ويعود تاريخ عمان المعروف الى القرن الثانى قبل الميلاد ، مع قدوم العرب النزارية . ومنذ ذلك الحين ، حفلت هذه البقعة من شبه الجزيرة بشواهد وآثار وفيرة تدل على ما كان ينشب من منازعات بين شعوب هذه المنطقة . وابرزها : الحصون والقلاع المتناثرة فى البلاد ، والمدن المسورة بابراج ، وحتى مايرى فى الواحات من بيوت طينية ذات طابع دفاعى . ويقيم هذا الحصن ، عادة الوالى مع فرقة عسكرية شديدة التسلح .

وفى نزوة ، الواحة الواقعة عند الهضبة المتاخمة للجبل الاخضر ، يقوم حصن منيع ، كان قد بناه الامام سلطان بن سيف فى القرن السابع عشر الميلادى ، ليدلل على ما كانت عمان تتمتع به من مجد ورفعة حوالى سنة ١٦٥٠ م .

بلد منفتح على الدنيا

لقد ظلت عمان ـ كبلد بحرى يحتل مركزا استراتيجيا حساسا بين افريقيا وآسيا ـ وعلى مدى الازمان المتلاحقة ، بلد البحارة والصيد الوفير ..

الا ان اكتشاف منابع للنفط فيها عام ١٩٦٧ ، جذب الى ميناء قابوس ـ مرفأ مسقط الجديد المجهز باحدث الوسائل ـ ناقلات للنفط من مختلف انحاء العالم .

اما تجهيزات مرفأ صلالة الجديدة فتسمح برسو السفن التى تحمل ما تحتاج اليه البلاد لدعم نهضتها الحضارية والعمرانية .

ومن نتاج هذا الانفتاح الطويل الامد ، كان تبادل العوامل المؤثرة فى مختلف جوانب الحياة ، وخاصة ما يرى فى هندسة المدن الساحلية الناقلة لسمات المدن المطلة على المحيط الهندى .

ثروة عمان الجديدة مفتاح للتوسع الحضارى

لهيب منبعث من جلمود الصخر .. يتاجج ليلا نهارا .. كمشعل يضىء البعيد البعيد ..

ذلك هو كنز البلاد الكامن فى باطن ارض الفاهود .. او البترول المكتشف سنة ١٩٦٧ ، فى الجبال .. مصدر الخير وباعث انطلاقة عمان الحضارية .

وفى هذه البلاد ـ حيث لا تفرض اية ضريبة على اى شىء ـ ليس ثمة غير الذهب الاسود عاملا فعالا فى تحقيق كافة الانجازات التى يتطلبها التطوير الاجتماعى والاقتصادى والزراعى ، تمهيدا لدخول عمان الى المسرح الدولى من اوسع الابواب.

ويتدفق السائل الثمين من المنطقة البترولية



وسط اشجار النخيل ، والبيوت القديمة المبنية بالطين ٠٠ التقى القديم والحديث ٠٠ المرأة العمانية في ثوبها العربي الفضفاض ٠٠ والمرأة الباريسية في ثوبها الفضفاض ايضا ٠٠ الثوبان من الشرق



الغنية فى الفاهود «وجبال» وناتع ، عبر الانابيب الى الساحل ، بفضل التجهيزات المتفوقة التـي اقامتها شركة التنمية البترولية فى عمان •

يبلغ الانتاج الحالى (٤٠٠) الـف برميـل يوميا ، تدر خمسة ملايين دولار كل يوم ، يعود ستون بالمائة منها الى الحكومة العمانية •• لقاء نفط من نوعية عالية•واول بئر بترولية احتفرتها الشركة المذكورة ، تقع على بعد يقل كيلومترا واحدا عن منطقة التنقيب الذى سبق لشركـة اخرى اجراؤه دون جدوى •• قبل عشرين عاما !

طبيعة المنطقة هناصخرية قاحلة: فلا نبتةخضراء، ولا شجرة غبراء •• ومع ذلك ، فثمة (١٢٠٠) شخص يعيشون فيها ، مع ستين جملا !! •• والماء يجلب اليها بالصهاريج •• وتمـوينها يتم يوميا بواسطة الطائرات •

ان رفاهية عمان الحديثة ـ التى يهدف اليها السلطان قابوس ـ مدينة للنفط وللعـاملين فى استخراجه واستثماره كثروة وطنية ، لاغنى عنها لازدهار البلاد •

الماء : ثروة مستثمرة بحكمة

والمياه فى عمان هى الثروة القومية الثانية بعد النفط •

وهى تكتسب اهمية خاصة ، نظرا لندرتها فى المناطق الصحراوية الجافة المجـاورة •• ولايمان العمانيين بان عليهم الحفاظ على عطـاء السماء هذا الفياض بالخيرات • ومن هنا ، كان حرصهم على خزن سيول الماء المتدفق من اعالى الجبال ، وتغطية مخزنهم هذا حماية له من اشعة الشمس الحارقة •• وتوجيهه ، من ثم ، الى مختلفالمناطق الزراعية عبر قنوات مغطاة ومحفورة فى الصـخر الابيض •

وهذه القنوات المعروفة باسم (الفلاجات) هى من نتاج الحضارة العمانية القديمة • وقد اتاحت للماء العذب الظهـور فى امكنة متبـاعدة •• فاحيتها جميعا •• تحقيقا لقوله تعالى فى محكم تنزيله :

« وجعلنا من الماء كل شيء حى » •• (صدق الله العظيم) •

وعلى الرغم من أن معظم تضاريس البـلاد صخرى التكوين ، فالارض فى سلطنة عمان خصبة •• يزيد منخصوبتها توفر مياه الرىفيها بغزارة، مما يتيح جنى محصولين او ثلاثة محاصيل سنويا• ويزرع حاليا ما مجموعه اربعون الف هـكتار من الارض ، وهو يمثل نصف طاقة البلاد من الانتاج الزراعى الموزع كما يلى :

١ ـ الشريط الساحلى الشمالى : الذى يعطى التمور والحمضيات والبرسيم (الجت) والمـوز والتبغ والمانجو •

٢ ـ داخل البلاد : حيث النخيلالمثمر، والبصل، والبرسيم اللازم لعلف الحيوان •

٣ ـ الاقليم الجنوبى او ظفار : الغنى بجوز الهند (النارجيل) «والموز ، وخاصة حول صلالة•

هذا ، وقد حققت الزراعـة تقـدما كبيرا ، وتجاوزت العادات التقليدية الموروثة حينمااضحت تعتمد على الاسـاليب الحديثة وعلى نتائج •• كتلك المستحدثة فى (روميس) على بعد ستين كيلو مترا من العاصمة •

والعمانيون الآن يقبلون على التقنيات الجديدة اقبالهم على اغتراف العلم واكتساب المعرفة فى مختلف ميادين الحياة •

التمور •• من الصادرات الهامة

وفى عمان ، تنتشر غابات شاسعة من النخيل ، كتلك الموجودة فى نزوه •

والتمور هى ـ بعد النفط ـ من اكبر صادرات البلاد •• فضلا عن ان سعف النخل كان وسيظل مصدرا لاستلهام الزخرفة المعمارية المحلية ، وقد استخدمت اوراقها واغصانها فى بناء الاكـواخ البسيطة عند الشواطيء •• كما استعملت جذوعها كاعمدة فى المساكن الجبلية •

وبينما نرى ، فى ايامنا هذه ، البيوت الحديثة البناء تحتل مكان اكواخ السعف التقليدية ، فلا يزال البعض من تلك الاخيرة قائما فى الواحات•• دون ان يمنعها اى مانع من ان تتمـتع بمكيفات الهواء ، والثلاجات واجهزة التلفاز •

وصفوة القول : ان مسيرة عمان الحضارية تحث الخطى نحو غد مشرق بالآمال الطامحة الى اسعاد شعب بات شعاره :: التطور الى الافضل ! ■■

ترجمها عن الفرنسية : عصام عسيران

قصة لوحة
صفحة ٢

فلنسعد بالحياة



الحلم لهنرى روسو .. الفتاة الحالمة كانت فى الأصل عارية .. فالبسناها ثوبا يستر عريها . « مع الاعتذار للفنان صاحب اللوحة »

تأملات حول لوحتين لـ "هنري روسو"

بقلم : عباس أحمد

خلال وقت الفـراغ الابدى المشع .. وكما رسمت لى ، مرة ، صـورتى .. فانك سوف ترسم ، وجه النجوم .

■ كنت اجلس فى مكتبى بالبيت .. مكتئبا ، لاعرف هل اركز على كتاب ، اقراه ، او اسطوانة ادبرها ، واسمعها . وكان الاولاد والزوجة ، قد ناموا ، وساد البيت هدوء ثقيل تنخلق فى ثناياه افكار عقيمة عن الموت والفناء وعدم جدوى اى شىء .

ودق جرس التليفون ـ فوجدت على الجانب الاخر صديقا لى يقوم ببحث لرسالة الدكتوراه عن « فن الرسم البدائى الحديث » ، ودعوته فورا للمجىء . تشبثت به . حسمت تردده بان الوقت متاخر ، قائلا :ـ دون ان اكون قد فكرت : عندى لك كتاب عظيم هو « اساتذة الفن الحديث » . تعال انظر فيه . ولبى صاحبى .

كان الكتاب على مكتبى لم يمس . كتاب عظيم حقا ، من مطبوعات متحف الفن الحديث بنيويورك وباشراف الفرد بار ، مدير مجموعات المتحف . راح صديقى لتوه ، يقلب فيه ، ووقف عند لوحتين « الفجرية النائمة » من رسومات سنة ١٨٩٧ و « الحلم » من رسومات سنة ١٩١٠ للرسام الفرنسى « هنرى روسو (١٨٤٤ ـ ١٩١٠) » .

البدائيون الجدد

نشا هذا التيار فى فن الرسم الحديث ، بعيدا عن الحركة الفنيـة ، المعاصرة .. بل بعيدا عن الحركة الثقافية عامة . وكان معظم رواده ـ وهم يعدون الآن بالعشرات فى كل انحاء العالم تقريبا ـ يعملون اعمالا يدوية بسيطة مثل النجارة او العمل فى المناجم ، او صناعة القوارب ، او نقش البيوت . ومعظمهم ايضا لم يتعلم الرسم فى المعاهد المختصة ، او بطريقة منهجية .

ومن روادهم الاسكتلندي جون كين (عامل مناجم ـ وكان نجارا) يقول : (بدأت ارسم سيارات الشوارع ‥ ومن هنا عرفت استعمال وفائدة الرسم • لقد ساعدتني النجارة في عملي الفني ‥ وانه لمن حق الرسم ان يكون محكما تماما ، ككمرة الخشب) •

وهم ليسو كرسامي الضواحي او « رسامي يوم الاحد » الذين يشتركون مع البدائيين الجدد في بعض خصائص رسمهم من البساطة والادراك الساذج المباشر للموضوع ، وتحطيم قواعد المنظور ‥ ذلك ان هؤلاء البدائيين العظام ، كانوا اساسا لا يقصدون برسومهم الامتاع او الاغراء •وكان هنري رسو ـ على الرغم من فقره وحياته حياة الكادحين ، وعزلته النسبية عن الحياة الفنية ـ واعيا بذاته ، معتزا ومدركا للمواهب الكامنة فيه • وكان يرسم في الحقيقة ليكون فنانا عظيما • وقد اسر في يوم ما من سنة ١٩٠٨ الى بيكاسو قائلا : (نحن الاثنين نعتبر اعظم فناني فترتنا : انت على الاسلوب المصري ، وانا على الاسلوب الحديث) •

ويقول « بار » « وليبرمان » الناقدان الكبيران في الفن التشكيلي الحديث انه بصرف النظر عما تثيره كلمة « اسلوب » من مشاكل ، فان المقارنة بين لوحتي روسو « الغجرية النائمة » و « الحلم » ، وبين ما يمكن ان نستحضره في هذا المجال من لوحات بيكاسو « آنسات افيون » او « الموسيقيون الثلاث » او « صيد السمك بالليل في انتيبس » ‥ لتدلنا على ان روسو بهذا الحكم الساذج الصافي (كان ناقدا عظيما ، بقدر ما كان فنانا) •

ما قبل الفردية والتعدد

قال صديقي : انه كثيرا ما اطلق على هؤلاء الفنانين « فنانو الشعب » لانهم فيما زعم بعض النقاد يعبرون عن تصورات رجل الشارع في ادراكه للاشياء بعفوية وبساطة ، ودون التزام بقواعد المنظور •

وهذا فعلا لا يتعارض مع خصائصهم • ولكن الخصيصة التي تميزهم حقيقة ، هي انهم استطاعوا ان يقدموا « رؤية » عن العالم تمثل الى حد بعيد رؤية الانسان البدائي الاول ، قبل ان يتطور به الزمن ، ويصبح ذاتا فردية ، وتتعدد امامه الاشياء • ان الانسان البدائي الاول ـ كما عبرت عنه الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية ـ لم يكن كيانا قائما بذاته • وكان العالم بالنسبة له ـ ليس موضوعا منفصلا عنه ـ لانه عالم مليء بالقوى المجهولة والاسرار المبهمة ‥ وهي نفسها القوى والاسرار التي جعلت الانسان الاول وعالمه كيانا واحدا • ان العالم بالنسبة له كان عالما متحركا حياله ، وارادته هي ارادة الخير او الشر ‥ ان الريح والزلازل والنار والحيوانات والنجوم والاشجار كلها اشياء حية تصطرع معه ‥ ووجودها يتداخل مع وجوده ، لا في العاصفة وحدها ، ولكن ايضا في الصفاء • انظر الى صورة « الغجرية النائمة » • اين هي في هذا الكون الذي نعرفه • ما هذه العلاقة بين البنت السمراء المستغرقة في النوم ، وبين هذا الاسد الغريب والقيثارة ذات الاوتار الستة ، وقلة الماء ، والنهر والتلال البعيدة ، والقمر الصافي ، والسكون الفريد الذي لا مثيل له مع اي سكون نعرفه ـ لانه سكون من خلق الفنان نفسه •

قلت وانا اتامل الصورة ، وكاني دخلت عالمها: يالها من رسم شاعري عظيم •

قال صاحبي : بالعكس ـ انها كما قال الشاعر الفرنسي جان كوكتو ‥ المرء هنا مواجه لا برسم شاعري ، ولكن بشعر مرسوم ، بموضوع شعري ‥ بمعجزة للمعرفة الحدسية والاخلاص •
واخذت الكتاب من صاحبي ، واكملت قراءة تعليق كوكتو على الغجرية النائمة : لعل الاسد والنهر ، هما في الواقع حلم الفتاة النائمة ‥ ومن المحتمل ان لا يكون الفنان قد قصر ـ وهو الذي لم يترك شيئا من التفاصيل ـ في ان لا يضع اي آثار اقدام على الرمال التي تحيط بهذه الاقدام النائمة • ان الغجرية لم تات الى هنا • انها هنا • انها ليست هناك • انها ليست في مكان انساني • انها روح الشعر الخفية ‥ وهي عمل الايمان • وبرهان الحب » •

الحلم

كنت في الحقيقة ـ وقبل ان ننتقل انا وصديقي لتامل الصورة الثانية لهنري روسو « الحلم » ـ قد وجدت نفسي مشرقة بالفكر ، نشيطة بالعواطف والخيالات الجميلة ‥ تذكرت

اشياء كثيرة من دراساتي القديمة في « الغصن الذهبي » لفريزر ، وخصائص المنطق في العقلية البدائية لـ « ليفي بريل » •• وعادت لنفسي كلمات كثيرة لارسطو عن المعرفة ، والدهشة التي تسبقها وتحركها وشكل الطبيعة عنده • ان العالم ما يزال مليئا بما يثير فينا الدهشة وحب الاستطلاع ، وما يزال الانسان ـ حتى في هذه العصور التي اسقطت الفرد في حياة نمطية صارمة ـ قادرا على ان يقف من المنظور حوله وقفة خاصة به تماما •• لا يخضع ـ الا في الضرورة ـ لما كان يمليه علينا مدرس الرسم ونحن صغار من ان نظل طوال العام الدراسي نرسم القلة في مستوى النظر او فوق مستوى النظر او تحت مستوى النظر • وكان الاكتئاب قد زال عني تماما •

قال صاحبي : أين سرحت ؟

قلت : لا •

قال : هل خطر لك ان تعد تنويعات الخضر وحدها في لوحة « الحلم » •

قلت وانا اتامل الصورة واحاول العد : لا •

قال : بعض الفنانين قدرها بخمسين تنويعا للخضر •

وكنت كلما تاملت اللوحة أكثر ـ اكتشفت فيها جديدا • وعلى الرغم من ان « يادويجا » ـ على متكئها هي ابرز ما في الصورة ، الا ان من المهم ايضا ان ندرك حاوي الثعابين بناية الذهبي قرب الوسط • ثم تتعدد بعد ذلك النباتات والحيوانات • يقول هنري روسو في تقديمه لهذه اللوحة :

يا دويجا في حلمها الحبيب
خلابة عذبة ، راحت لتنام
فاستمعت لحاوي الثعابين ينفخ في نايه
وبينما هي تستنشق تأملاتها بعمق
كانت القنوات والاشجار الخضرا
تتألق بانعكاسات القمر
والثعابين المتوحشة تصيخ السمع
للترددات الجذلة في نغمات الناي •

ولقد تساءل ، كما تساءل الناقد اندريه ديبون : لماذا وضع روسو هذا المتكا وسط الدغل •• واجاب روسو نفسه قائلا : « ان هذه المراة ، وهي ممدة على المتكا ـ تحلم بانها قد نقلت ووضعت في هذا الدغل ، وانها تستمع لهذه الاصوات الصادرة من الآلة السحرية الخلابة • وهذا هو سبب وجود المتكا في الصورة • »

وعلى عكس هذا التفسير الذي كان يخضع لظروف عرض اللوحة في اول الامر ، اسر روسو لناقد آخر هو اندريه سالمون •• » ان هذا المضجع كان هناك فقط لحمرته الزاهية »

ونلاحظ الآن ـ بمرور الزمن ـ ان هذه الحمرة الزاهية قد اصبحت كابية • لقد استطاع روسو •• بهذا التشكيل لذلك الكيان العاري وحوله زهور السوسن بينما ترمقه النمور الرقطاء والحيوانات الاخرى ، ومن حوله هذا الجو الكثيف من النبات ـ ان يحقق في لوحة واحدة كاملة كل الرموز التي شغلته اثناء تكوينه لرسوماته العظيمة ، ويمنح الانسانية لوحة من اجمل واعظم لوحات الفن الحديث •

لحن الموت والحياة

وفي ٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ مات روسو في باريس ، في فقر مدقع ، واشترى له بعض اصدقائه نصبا يضعونه على مقبرته وقد نقشوا عليه كلمات ابولليني :

ها نحن ، ايها الكريم روسو
نحييك ونقدرك
فلنمض بامتعتنا خلال الحواجز
نحو السماء
اننا نحضر معنا لك : قماش الرسم
والفرش ، وبعض رسوماتنا
وخلال وقت الفراغ الابدي المشع
وكما رسمت لي ـ مرة صورتي
فانك سوف ترسم وجه النجوم •

وكنت وانا اودع صاحبي الى الخارج •• احس ان هذا الهدوء الذي يحيط بنا هدوء جليل •• مفعم بالاسرار والمعاني ، وان رأسي يرتفع بالحكمة وعزة الانسان ، وان ذلك الكلام ـ على الرغم من انه مرثية للموت ، فانه لحن رائع للتفتح والحياة • ■■

القاهرة : **عباس احمد**

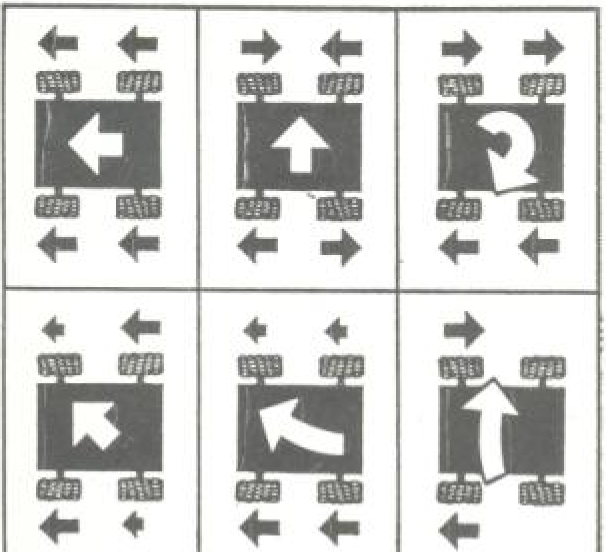
أنباء الطب والعلم والاختراع

سيارات المستقبل
تدور حول نفسها

■ منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة والعجلة او الدولاب تلعب دورا هاما في حياة الانسان . ومنذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة والعجلة هي هي لم تتغير .. فالتحسينات التي طرأت عليها قليلة ولا تمس جوهر العجلة من قريب ولا من بعيد .

وجاءت السيارة في مطلع هذا القرن العشرين ، وانتشرت في مشارق الارض ومغاربها ، وازدحمت بها المدن وضاقت بها الشوارع واصبحت امكنة وقوف السيارات مشكلة تحسب لها السلطات المختصة الف حساب ..

وهكذا برزت علة العجلة .. فهي لا تسمح بتحرك السيارة جانبيا.. انها تسمح بتحركها الى الامام والوراء وتسمح بانحرافها بعد ذلك الى اليمين او اليسار بشكل شبه دائري .. اى أن السيارة لا تستطيع ان تتحرك الى اليمين او اليسار

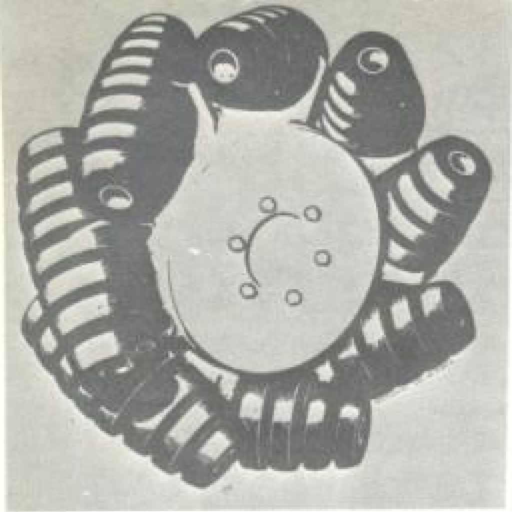


الاسهم البيضاء التي تراها وسط المربعات السوداء تمثل حركة السيارة الموضعية في اتجاهاتها المختلفة اما الاسهم السوداء الصغيرة المحاذية للدواليب فتمثل اتجاه الحركة التي يحدثها السائق في هذه الدواليب وكذلك قوة تلك الحركة (يرمز اليها حجم السهم) وذلك من اجل تحرك السيارة موضعيا في الاتجاه المرغوب .

دون ان تتحرك الى الامام او الخلف وتستعمل بالتالى مزيدا من مكان ٠٠ وهي كما لا يخفى تعجز عن الدوران حول نفسها ٠٠

والظاهر ان المستقبل القريب يبشر بالقضاء على هذه العلة ٠ ذلك ان مهندسا سويديا صمم عجلة جديدة تكفل للسيارة الحرية التامة بالتحرك جانبيا ، والدوران على نفسها دون حاجة الى مزيد من مكان٠ وقوام العجلة الجديدة ٨ (لوالب) من المطاط تحيط (بالجنط) وتقع كل منها على زاوية قائمة ٤٥ درجة ٠ وبيت القصيدة فى هذه اللوالب هو ان كل واحدة منها تستطيع الدوران حول نفسها ،اما الحركة فتأتيها من محرك خاص يعمل بواسطة رافعة ٠ فليس على السائق الا ان يضغط هذه الرافعة او يشدها فى الاتجاه المطلوب ٠

وقد عرض المهندس السويدى المخترع واسمه Bengt Ilon ،عرض اختراعه على اكاديمية العلوم الهندسية السويدية ٠٠ فى المدة الاخيرة ٠ وبلغ من اعجاب الاكاديميين بالاختراع ان اتخذت الخطوات بتكليف أحد المصانع السويدية بصنع الاطار الجديد على نطاق محدود بقصد التجارب ٠



رسم ايضاحى للعجلة الجديدة ٠ السر انما هو فى هذه اللفافات المطاطية التى يتكون منها سطح العجلة والتى تدور حول نفسها لتمكن السيارة من التحرك موضميا فى اى اتجاه تشاء ، كما يوضح الرسم الثانى ٠

ابحاث علمية رائدة

لعالمين عربيين مصريين

● من المعروف ان حبة الارز لها قشرة (Hull) تشكل نحو ٢٠٪ من الحبة ٠٠ ومن المعروف ايضا ان مضارب الارز درجت على اهمال تلك القشور كثيرا او قليلا ٠٠ فهي لا تصلح علفا للحيوانات نظرا لارتفاع محتويات السيلكا فيها ٠٠ وقد احرقها البعض واستعملوها وقودا لمضارب الارز نفسها ٠٠ واستفاد آخرون من هذه القشور فى صناعة النخالة ٠٠ ولكن الكميات التى استهلكت منها على هذا النحو او ذاك كانت قليلة جدا ٠٠ اقل بكثير من الكميات التى تخلفت دون استعمال ٠٠ وهكذا ظلت قشور الارز ، الخفيفة الوزن ، الكبيرة الحجم ، عبئا لا مفر لمضارب الارز من التخلص منه، ان عاجلا او آجلا ٠

وجاء الصيف الماضى واذا بمجلة الطبيعة Nature ، العلمية الشهيرة ، تنشر بحثا علميا (فى عددها الصادر ١٧ يوليو ١٩٧٥) يؤكد أن قشور الارز التى ذكرنا لم تعد نفايات ، بل أصبحت خامة ذات قيمة صناعية كبيرة ٠ واول ما يسترعى الانتباه، بل قل يبعث على الاعتزاز فى هذا التقرير، ان كاتبه عالمان عربيان مصريان هما الدكتور احمد البصيلى ، الاستاذ فى جامعة

المكتبة البريطانية

تستخدم العقول الالكترونية

■ لعل الفارق الاهم بيننا وبين أهل الغرب هو في اقبالهم على المطالعة ونفورنا منها ·· فالمكتبات مستودعات مهملة في بلادنا ·· وهي عضو حي ومتجدد في حياة أهل الغرب ··

ولعل آخر مايذكر في هذا الصدد خبر يخص المكتبة البريطانية ، تلك التي فرغوا من انشائها قبل نحو سنتين ، والتي جاءت ثمرة دمج وتوحيد شمل خمسا من المكتبات البريطانية القديمة الشهيرة وفي طليعتها مكتبة المتحف البريطاني المعروفه·

وفحوى الخبر هو ان المكتبة البريطانية الجديدة تنوى انشاء شبكة كمبيوترز (عقول الكترونية) خلال الخمس سنوات القادمة ، وذلك لحفظ فهارس مفصلة بما في سائر مكتبات العالم من كتب ، وتسجيل مايرد الى كل منها من كتب اولا باول · ويؤكد الخبر ان المكتبات التى ستشملها الشبكة ، هى مكتبات العالم كافة ، العالم الغربى طبعا ··

وهكذا سيصبح في مقدور الكتاب واساتذة الجامعات والصحفيين ان يتحروا وجود كتاب مست الحاجة اليه فيحددوا المكتبة او المكتبات التى يوجد لديها ذلك الكتاب ، وذلك في لحظات ولدى الضغط على احد ازرار شبكة الكمبيوتر المرتقبة·

ولو ذكرنا ان فهارس المكتبة البريطانية الكبيرة اصلا تنمو وتتضاعف بطاقاتها بحوالى مليوني بطاقة سنويا لشعرنا بان شبكة الكمبيوتر التى ذكرنا ضرورية لأغراض المكتبة البريطانية الخاصة ، ناهيك بسائر المكتبات في العالم ···

وتجدر الاشارة الى ان ميزانية المكتبة البريطانية بلغت ١٣ مليون جنيه استرليني ، في السنة الماضية ·· أما المبنى الجديد الذى سيقام خصيصا لهذه المكتبة فسيكون من الاتساع بحيث يضم شتى فروع المكتبة ومختلف اوجه نشاطها ، تحت سقف واحد ، وستبلغ مساحته نحو ٤٠ر٠٠٠ متر مربع·

الاسكندرية ، والدكتور تيسير الشامي الاستاذ في جامعة طنطا · فقد اثبت هذان العالمان ان في الامكان استخراج مادة سيلكات الصودا من قشور الارز ، بل من رمادها الناعم الذى تحصل عليه بحرق تلك القشور ·

وسيلكات الصودا مادة كيماوية اولية تستعمل في طائفة من الصناعات نذكر منها صناعة مواد التنظيف Detergents ، صناعة المواد اللاصقة Adhesives ، صناعة الفخار Ceramics ، صناعة الورق وصناعة النسيج ·· وقد درجوا في الماضي على صنعها بطرق معقدة اقتضت ضغطا وحرارة عاليتين ،(١٤٠٠ درجة مئوية)· هذا في الماضي ، وقبل ان يشرح العالمان المصريان في بحثهما السابق الذكر طريقتهما الجديدة البسيطة لصنع مادة سيلكات الصودا من رماد قشر الارز ·

وقوام هذه الطريقة التفاعل الذى يحدث بين مادة هيدروكسيد الصودا Sodium Hydroxide ، وصنوف من السلكا ، عديمة الشكل ، غير بلورية Amorphous ، وتوجد بنسبة عالية في رماد قشر الارز · ولا تحتاج هذه الطريقة الى حرارة تزيد على ٢٠٠ درجة مئوية ··

وهكذا وبفضل جهود العالمين العربيين اصبح في الامكان استخراج خامة صناعية قيمة من مادة طالما اهملت واعتبرت في عداد النفايات ·· وذلك باسلوب صناعى بسيط هو اقرب الى الصناعات الخفيفة بل المنزلية منه الى الصناعة الثقيلة ··

قنابل اللهب

سلاح جديد فتاك

● المعهد الدولي للأبحاث السليمة في استوكهولم (Sipri) هيئة مستقلة تعتمد على مساعدات يخصها بها برلمان السويد. وهي تقوم بالدراسات وتضع التقارير وتصدر الكتب التي قد تتصل بالاسلحة الجديدة او طاقات الدول العسكرية اوحتى الحروب.. وتسعى بذلك الى خدمة السلام العالمي، ولو بطريق غير مباشر..

وقد اصدر هذا المعهد في مطلع هذه السنة كتابا عن الاسلحة الحارقة Incendiary weapons » وحذر فيه من سلاح فتاك جديد.. انه قنبلة النار الكيماوية التي قد تنافس القنبلة النووية من حيث قدرتها على الفتك والتدمير..

وهذه القنابل الجديدة، وقوامها مادة Triethy Aluminum ، كما يقول المعهد في كتابه، « تصنع من مادة طيارة Highly volatile تشتعل تلقائيا، وتسمك قليلا باضافة مادة اخرى (polymel) اليها. ومن شأن المادة التي ذكرنا ان تطلق اشعة حرارية ذات درجات عالية بحيث تستطيع احداث حروق من الدرجة الثالثة في الاجسام الحية في غضون ثوان قليلة.

وهكذا يمكن ادخال هذه الخامة في صناعة القنابل والقذائف التقليدية.. وقد استعملت فعلا في صنع بعض الصواريخ التي يستطيع الجندي حملها على كتفه واطلاقها ضد الدبابات او غيرها حين الحاجة — والتي قصد بها ان تحل محل قاذفة اللهب التقليدية.

علاج جديد

لامراض الكلى

● يبدو ان العلاج الناجع لامراض الكلى بات وشيكا.. هذا على الاقل ما يثبته، او يسعى الى اثباته، بحث علمي جديد طرح مؤخرا، امام الجمعية الفسيولوجية الامريكية.

ويأتي هذا البحث نتيجة لتجارب علمية وعملية عديدة قام بها الدكتور روبرت فيليبس، احد العلماء العاملين في ميدان البحوث الطبية في جامعة واشنطن.. وقد ساعده في هذا الشأن اربعة من الاطباء العلماء، ثلاثة منهم صينيون والرابع امريكي.

أما العلاج ففي غاية البساطة. فهو محلول قوامه مادة سلفات الصودا Sodium Sulphate. فمن شأن هذا المحلول ان يطرد كافة الشوائب والمواد السامة التي تعجز الكلى عن معالجتها.. شريطة ان يتم تعاطيه بكميات كبيرة.. فعلى المريض ان يشرب المحلول كل صباح على جرعات — بمقدار كوب ماء الشرب تقريبا — وبفارق خمس دقائق بين الجرعة والاخرى.. وقد لا يعطي هذا العلاج ثمرته قبل مضي اسابيع، وقد يبلغ عدد الجرعات التي ينبغي شربها في الحالات الخطيرة ٣٦ كوبا في اليوم الواحد. الا ان هذه المضايقات جميعا تهون اذا قورنت بآلام الكلى التي يقضي عليها العلاج الجديد، كما يؤكد البحث السالف الذكر.

وتجدر الاشارة الى ان ثمن هذا العلاج الجديد زهيد.. لا سيما اذا قورن باثمان الكلى الصناعية الكبيرة وتكاليف زرعها الباهظة.

ومن طريف ما يذكر عن هذا العلاج ان تطويره الذي تم على يد الدكتور فيلبس واعوانه انما تم في فرموزا — الصين الوطنية — وفي عاصمتها تايبي بالذات.



بدوي الجبل

صور من حياته وملامح من شعره

بقلم : هاشم عثمان

لم يتلق من العلم الا قليلا ٠ اشتغل بالسياسة صبيا فجرت عليه السجن والتشريد ٠٠ جاء من الجبل وعاش احداث امته فتفاعل معها وشارك بقوافيه في نضالها ٠٠ تمسك بذكر الله في شعره ، ولم ينس احباءه فبكاهم في القبور !

■ الالقاب ظاهرة قديمة في حياة الافراد والشعوب ٠ وسجل تاريخ الادبين العربي والاجنبي، حافل باسماء كثيرين اشتهروا بالقابهم ٠ ومن هؤلاء محمد سليمان الاحمد الذي لقب « بدوي الجبل » مذ اطلقه عليه يوسف العيسى صاحب جريدة «الف باء» الدمشقية ، في مطالع العشرينات وكان شاعرنا يومئذ ، يلبس عباءة وعقالا مقصبا، ثم هو قادم من الجبل ٠٠

ولعله طاب نفسا بهذا اللقب ، فارتضاه ، واخذ يوقع به قصائده ومقالاته ٠ وعرف به واشتهر وكاد الناس ينسون اسمه الحقيقي ٠ وهذا ما جعلهم يخلطون بينه وبين اسم اخيه احمد ، حتى انه عين مرة وزيرا باسم اخيه احمد سليمان الاحمد (١) ٠

مولده ونشاته

ولد في قرية (ديفة) احدى قرى محافظة اللاذقية ٠ وثمة خلاف بين الدارسين على تاريخ مولده ٠ منهم من جعله عام ١٩٠٣ (٢) ومنهم

(١) المرسوم رقم ٣ تاريخ ١/٣/١٩٥٤

(٢) محمد الخطيب في كتابه « بدوي الجبل-حياته وشعره » وبهذا التاريخ اخذ ايضا الدكتور عمر الدقاق في كتابه « فنون الادب المعاصر في سورية » وسامي الكيالي « في الادب العربي المعاصر في سورية » ٠

من جعله في عام ١٩٠٤ (٢)٠٠ اما قيده فيالسجل المدني فيشير الى انه من مواليد عام ١٨٩٨ ٠

والبدوي لم ينتظم في مدرسة الا قليلا ٠ اخذ علومه الاولى في قرية عين التينة على الشيخ عبد اللطيف شريف ثم على ابيه ، العلامة المرحوم الشيخ سليمان الاحمد ، ثم قرأ الحديث الشريف ومنهج البلاغة واللزوميات ودواوين كل من ابي تمام والمتنبي والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي ٠ وكان ابوه يفسر له المفردات والمعاني ، ويصحح له كل خطأ عند التلاوة ، لاسيما عن المضارع ٠ ويلفت نظره الى جمال الصور ٠

ارتبط بالسياسة وله من العمر اربعة عشر عاما ، وذلك حينما تعرف الى متصرف اللاذقية ذلك الوقت ، رشيد بك طليع ٠

واشتغال البدوي بالسياسة ، جر عليه المحزنات صنوفا ، من سجن وتشرد ٠٠ وضرب وايذاء ٠٠كما رفعه الى مقاعد النيابة ست مرات (١٩٣٠و١٩٣٥و ١٩٣٧و١٩٤٣و١٩٤٧و١٩٥٤) واجلسه على كرسي الوزارةاربعمرات (١٩٥٤ و ١٩٥٤ ايضا، و١٩٥٥ و ١٩٥٥ ايضا) ٠

ملامح من شعره

عبر البدوي في شعره ، عن احداث امته في فترات حرجة من تاريخها ٠ وشارك بقوافيه في نضال وطنه ضد المحتلين الفرنسيين ٠ وشعره ينقسم الى قسمين ٠

القسم الاول : من سنة ١٩٢١ الى ١٩٢٥ وكانت البلاد السورية في هذه الفترة تجابه استعمارا فرنسيا عنيفا ، فانصب شعره كله على مقاومته ودعوة الناس الى التمرد عليه ، والى الثورة ضده ، والى التغني بالامجاد العربية القديمة ، لا سيما مجد الامويين ٠٠

اما القسم الثاني : فيتمثل في شعره بعد الاستقلال ، واغلبه وجداني وفيه لوعة وحزن ٠٠ وشعره الجديد تتجلى فيه ملامح بارزة هي :

- تمسكهبذكر الله ٠
- اكثاره من ذكر الشام وقبور احبائه ٠
- الحديث عن سمراء لبنانية ٠
- الحديث عن نفسه ٠

ذكر الله

تشرب البدوي منذ نعومة اظفاره حلاوة الايمان، وتربى تربية دينية صحيحة في بيت عماده شيخ جليل ذائع الصيت ، فنشأ متأثرا بالقرآن الكريم والحديثالنبويالشريف،وبخطب الخلفاء الراشدين٠ وأثر التدين واضح في شعره ، وهو اشد وضوحا في شعر اليوم ٠٠

يقول في قصيدة (ابتهالات) :

أنا لا أرجي غير جبـ
ـار السماء ولا اهاب
بيني وبين الله من
ثقتي بلطف الله باب
أبدا الوذ به وتعـ
ـرفني الارائك والرحاب
لي عنده من ادمعي
كنز يضيق به العباب
يا رب ، بابك لا يرده
اللائذين به ٠٠ حجاب
مفتاحه بيدي يقيـ
ـن لا يلم به ارتياب
ومحبة لك لا تكد
ر بالرياء ٠٠ ولا تشاب

الشام وقبور الاحبة

علاقة الشاعر بدمشق قديمة الجذور ، ترجع الى العهد الفيصلي ٠٠ ، وهناك حط رحاله

---

(٣) سامي الدهان في كتابه « الشعراء الاعلامفي سورية » وكذلك احمد الجندي في كتابه « شعراء سورية »

فيها .. وسلخ بين غوطتيها سنين طويلة من عمره . لذلك ذكرها على لسانه .

تفرّد اللـه بالارواح يبدعهـا
من سرّه ، لم يشارك غيبَه احدا
وميز الشام بالنعمى ، ودللها
فمن ثرى الشام صاغ الروح والجسدا

اوفى المدائن اخت الشمس مذ شهدت
روما ، وغار الضحى منها فما شهدا
ثراك والدر ما هانا ، وان ظلما
وانت والنور ما ضاعا ، وان جحدا

ولما اضطرته السياسة الى النزوح عن الوطن (عام ١٩٥٦) اشتد عليه الحنين الى الشام فناجاها احر مناجاة .

يا شام يا لـدَةَ الخلـو
د ،وضمُ مجدٍ كما انساب
من لى بنذر من ثـرا
ك ، وقد الحّ بىّ اغتراب
فأشـمه وكأنـه
لمسُ النواهد والعِلاب
واضـمه فترى الجـوا
هرُ كيف يكتنزُ التراب

ومنها ايضا :

يا شام ، عطر سريرتى
حب لجمرتـه التهاب
انت الثّبانة فى الجـوا
نح ، لا الثوار ،ولا الرباب
لـك مهجتى ، وقبولها
منك الهدية والثـواب
والنـور فى عينى ولا
من عليك ، ولا كِذاب

وحنينه الى الشام ، يجر معه سلسلة من ذكريات .. ذكريات اهل واخوان تضمهم اليوم قبور متوزعة فى بغداد ، واللاذقية ، وبانياس ، وحلب الشهباء .

ضم الثرى من احبائى ليوثَ شرى
وغاب تحت الثرى منهم شموس هُدى
لدائىَ الصِّيد شل الموت مرحَهم
ليت النجوم وروحى للّدات فدى
الراقدون وجفنى من طيوفهم ..
فى سامر ، ضج فى جفنى ، فما رقدا
قبـور اهلـى واخوانى وعافيـة
من الطيوب ، واسرار ، ورّجع صدى

وفى قصيدة (فى ذكرى رياض الصلح) سماهم واحدا واحدا .

مـن تملى بقلبـه الضاحك الها
نى فقلبى الممـزّق المتبـولُ
من كسعد(٤) وعادل(٥) ورياض(٦)
مـا لركب الـردى مجِـدا قفول
ونجيب(٧) ، وايـن منـى نجيب
غـال قومـى مـن المنية غـول ـ
كيف اغفى ابو رياض(٨) ، وحتى
فى الحمى المستباحُ والمخذول

وكما حن فى غربته الى الشام وود لو تيسر له نذر من ثراها فيشمه ويضمه ، اشتاق الى ان يحتضن هذه القبور ويلثمها ..

اشتاق أحضنها والـ
ـثُمها وللدمع انسكاب
تحنو الدموعُ على القبو
ر ، فتورق الصمُ الصلاب
ولهـا اليـنا لهفـة
ولطـول غربتنا انتحاب

السمراء اللبنانية

المرأة طابع ملازم لشعر البدوى ، وولعه بها ولع غريب . وكل حسن يثير به فتنة وهوى .

---

(٤)سعد الله الجابرى (٥) عادل العظمة (٦) رياض الصلح
(٧) نجيب الريس (٨) ابراهيم هنانو

يثير بى كل حسن فتنة وهوى
فما أمر بماء غير صديان

وهو يحب الحسن سواء اكان فى الحدق ، او فى الثغور ، او فى اللمى ، او فى الاعطاف ، او فى النهود ، او فى ماء الخدود .

احب الحسن فى الحدق الروانى
وفى ثغر الفتاة وفى لماها
وفى عطف يثير هوى ملحا
اذا رفت عليه ذؤابتاها
وفى نهدى منعمة لعوب
وفى ماء الخدود وفى لظاها

كما ان لبنان ليس بغريب على البدوى ، تردد عليه كثيرا فى فتوته ، واقام فيه سنوات (١٩٥٦ - ١٩٦٢) وذكره فى عديد من قصائده ، وها هى سمراء من ربوع لبنان تطل علينا من شعره .

فديت سمراء من لبنان ساقية
حنانها ما اختفى من غربتى وبدا
تحنو على اليأس فى قلبى فتغمره
نورا ، وتبدع فيه الصبر والجلدا
حورية طاف جبريل بجنته
يريد ندا لرياها فما وجدا
فديت جفنين من سكب الدجى اكتحلا
اذا سهدت على جمر الغضا سهدا
الحانيين على قلبى ولوعته
يبددان من الاحزان ما احتشدا

ولما فارق لبنان فى اعقاب المحاولة الانقلابية الفاشلة التى قام بها القوميون السوريون عام ١٩٦٢ تنقل بين اسطنبول ، وروما ، وتونس ، وفيينا وجنيف .. والى هناك وافاه خيالها .

خيالك يا سمراء مر بغربتى
فحيا ، ورحبنا بغال ، ورحبا
جلاك لعينى مقلتين وناهدا
وثغرا كمطلال الرياحين اشنبا
فصانك حبى فى الخيال كرامة
وهم بما يهواه لكن تهيبا
وبعض الهوى كالنور ان فاض يأتلق
وبعض الهوى كالغيث ان فاض خربا
ارى طيفك المسؤول فى كل ما ارى
وجدت ، ولكن لم اجد منك مهربا
وخالط أجفانى على السهو والكرى
فكان الى عينى من الجفن اقربا

الحديث عن نفسه

هذه ظاهرة قديمة . فما تخلو قصيدة له من ذكر نفسه :

فى غربتى انا والابا
ء المرء والادب اللباب
طور اشم ، فكيف تر
شقنى السهام ، ولا اصاب
يخفى البغاث فلا تلم
به ولا يخفى العقاب
الكبر عندى للعظيـ
ـم ، اذا تكبر ، لا العتاب
عندى له زهو يدل
على الكواكب .. واجتناب

وهو فى حديثه عن نفسه يربط بينها وبين كرامته :

دعوا كرامتى العصماء نازلة
على الشموس،تذيع الحسن والرغدا
كرامتى المجد الصوان ما ازدردت
الا لتهشيم انياب الذى ازدردا
كغابة الليث ان مر العدو بها
راى الزماجر والاظفار واللبدا

وبعد هذا هو بدوى الجبل ، الشاعر الوزير .. الذى عاش انضر سنوات حياته فى تشرد واغتراب وتساؤل متى الاياب ■■

هشام عثمان

مسابقة العربي

رحـــال

ومغـامرات

وأحـــداث

و..

١٠٠

ديـنـار

جوائـز



■ مسابقة هذا العدد تشتمل على ستة اسئلة عن مغامرات دولية ٠٠ واحداث عربية ٠٠ والمطلوب منك معرفة الاجابات الصحيحة لهذه الاسئلة الستة ، لتفوز بواحدة من الجوائز ، التى مجموعها ١٠٠ دينار ٠

١ ـ فى عام ١٧٩٨ بدأت الحملة الفرنسية لغزو مصر وكانت تتوخى عدة اهداف ٠٠ منها قطع شرايين المواصلات البريطانية مع الهند ٠ وتحقيق حلم نابليون بتتبع خطوات اسكندر الاكبر ٠٠ وثالثها دراسة الحضارة المصرية القديمة واخذ اكبر عدد من التحف والآثار ، وتحقيقا للهدف الاخير ضمت الحملة ١٧٥ عالما فرنسيا فى الآثار القديمة،وفى اثناء وجود الحملة فى مصر ، اكتشف الضابط الفرنسى بوسار Boussard فى عام ١٧٩٩ حجرا من البازلت الاسود عليه كتـابة باللغات الهيروغليفيةوالديموتيقية واليونانية،واعتبر هذا الحجر ، بمثابة المفتاح الى اللغة الهيروغليفية ٠٠ وبمساعدة العالم الفرنسى شامبليون استطاعوا عام ١٨٢٢ فك رموز هذا الحجر ٠

فما الاسم الذى عرف به هذا الحجر الشهير ؟

★ ★ ★

٢ ـ فى عام ١٨٦٥ دخل الرحالة البريطاني ليفنجستون للمرة الثالثة الى افريقيا لاكتشاف مجاهلها ، منطلقا من جزيرة زنجبـار ٠٠ وانقطعت اخباره عن العالم تماما ٠٠ وبعد اربع سنوات انطلق رحالة انجليزى آخر من زنجبار على رأس قافلة هائلة تضم اكثر من ٣٠٠ رجل يحملون سبعة اطنان من المؤن بحثا عن ليفنجستون ٠٠ وبعد رحلة مليئة بالمخاطر والعذاب استطاعت بعثة الانقـاذ العثور على ليفنجستون وانقـاذه ٠٠ فما هو اسم الرحالة الذى انقذ ليفنجستون :

كابتن وب ـ ستانلى ـ كتشنر ٠

★ ★ ★

٣ ـ فنانان كبيران عالميان عاشا فى القرن التاسع ٠٠ احدهما «جوجان» الذى كان يسعى للسيطرة على زميله الضعيف ٠٠ فدارت بينهما مشاحنات ومشاجرات عنيفة ، كانت من بينها المشاجرة التى قص بعدها الفنان الضعيف « شحمة » اذنه وقدمها هدية لصاحبته ، وترك جوجان صديقه حرا فانطلق يرسم ويرسم بشكل جنونى ٠٠ وخلال حياته لم يبع اى لوحة من لوحاته ٠٠ اما اليوم فلوحاته تباع بمئات الالوف من الجنيهات ٠٠ فمن هو هذا الفنان العبقرى :

فان جوخ ـ سيزان ـ مايكل انجلو ٠

★ ★ ★

٤ ـ يا رب ! لو اعلم أن وراء هذا البحر ارضا لخضته مجاهدا فى سبيلك ٠٠ ، هذا ما قاله القائد العربى الكبير عند وصوله الى ساحل



المحيط الاطلسي بعد ان فتح بلاد المغرب ، وانشا مدينة القيروان عام خمسين من الهجرة لتصبح قاعدة للمسلمين في شمال افريقية ٠٠ وفي عام ٦٣ هـ ٠ عندما كان هذا الفاتح العربي الكبير عائدا ومعه حوالي ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين ، احاطت بهم قوات الروم ، فاستشهد المسلمون جميعا ، ومعهم قائدهم ، وهو :

طارق بن زياد ـ عقبة بن نافع ـ موسى بن نصير ٠

★ ★ ★

٥ ـ « شمس العرب تسطع على الغرب » كتاب جاء ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية العميقة التي تسلط الاضواء على ما للتراث العربي من فضل في نهضة الغرب العلمية والحضارية ٠٠ وقد احدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في كل انحاء اوربا ٠ فاعيد طبعه بعدة لغات ، وترجمه الادباء العرب مرتين ، وحظيت مؤلفته وهي مستشرقة المانية بتكريم رسمي من اكثر من دولة عربية ، فما اسم مؤلفته :



زيغريد هونكه ـ جروترودبل ـ دوروثي كاولين ٠

★ ★ ★

٦ ـ جمهورية هاتاي ٠٠ هو الاسم الذي فرضه الاتراك على لواء عربي ، تنازلت عنه فرنسا بموجب اتفاقية خاصة لصالح تركيا عام ١٩٣٩ ثمنا للصداقة مع تركيا ، وبهذا حرمت مدينة حلب السورية من مينائها الطبيعي ، كما فقدت سوريا مدينة انطاكية التجارية الشهيرة ٠٠ ولم تعترف سوريا بهذا الضم ، وما زالت تعتبر هذا اللواء السليب جزءا من اراضيها ، وترسمه في خرائطها الرسمية داخل حدودها ٠

فما اسم هذا اللواء السوري السليب ؟

شروط المسابقة



١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك في غلاف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١٠ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الاول من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٦ ٠

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : مجموعها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠

وعند تعدد الاجابات تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

كوبون مسابقة
العدد ٢١٠



انحراف الصغار

مرض جرته علينا المدنية

- لماذا يهرب أبناؤنا إلى الشارع
- وكيف نوفر لهم البيئة الصالحة والمناخ الطيب

بقلم : خالص العياشي

■ حملت الينا المدنية المعاصرة في ركابها كثيرا من المشاكل والمساوىء الاجتماعية ، وذلك بالاضافة لما حققته من انجازات عظيمة اسهمت جميعا في توفير المزيد من اسباب الامن والصحة والرفاهية لبني البشر .

وقد لاحظ علماء المجتمع ، ان الجريمة ـ على اختلاف اشكالها ـ تنتشر اكثر ما تنتشر في المدن الكبيرة الآهلة بالسكان . فحيث يتجمع الوف من الناس في رقعة صغيرة من الارض ، وحيث تعم ظاهرة العيش المشترك في مساكن لاتتوفر فيها ابسط شروط الراحة والخصوصية .. هنالك يصبح من المحتم ان يهرب الاولاد الى الشوارع والازقة ، يلتمسون فيها متنفسا لطاقاتهم المكبوتة ، لاجسادهم الغضة ، المتعطشة للعب والترويح .

ولايخفى ماتحمله ثقافة الشارع الى عقول الناشئة وقلوبهم من أفانين التفكير المعتل ، وضروب السلوك اللااجتماعي .. فما يلبث الواحد منهم ان يقضي بعض الوقت في مدرسة الشارع ـ بين اقران السوء ـ حتى يجد نفسه متورطا بفعل مناف للاخلاق ، خارج على العرف والقانون .

ومع ان العوامل المؤدية الى انحراف الصغار هي من التعدد والتشعب بحيث يتعذر حصرها في عامل واحد او اثنين .. الا ان معظم الدراسات الحديثة اخذت تركز على عامل (البيئة غير الصالحة) باعتبار ان هذا العامل ينطوي على عدد من العوامل الأخرى التي تشكل بمجموعها مناخا ملائما لنمو بذور الانحراف وتغلغلها في نفوس الناشئة .

ظاهرة الجنوح

ففي دراسة اجراها الباحثان الاجتماعيان (مكبي وشوو) في مدينة شيكاغو حول ظاهرة الجنوح (١) وعلاقتها بالبيئة السكنية ـ تبين

---

(١) جنح جنوحا : اي انحرف ، والجناح :كلمة حديثة تطلق علىظاهرة الانحراف ، باعتباره مرضا والمصدر اذا دل على مرض كان على وزن فعال ، مثل زكام ، عصاب ، ذهان ، او على وزنفعل ، مثل عور وجرب .

لهما وجود احياء منتجة او (مفرخة) للاحداث الشاذين والمنحرفين • وقد ثبت لهذين الباحثين عن طريق دراستهما المقارنة ان نسبة الاجرام فى احياء معينة من المدينة الكبرى ، ظلت هى نفسها خلال الاعوام ١٩٠٠ ، ١٩٣٠ ، ١٩٤٢ ، ١٩٥٠ وما بعد •كما اظهرت دراسات الباحثة الاجتماعية الفرنسية (لوى) التى اجريت فى باريس ، مدى العلاقة الوثيقة فيما بين مظاهر السلوك المنحرف عند الصغار وعوامل المحيط الاجتماعى فى بعض احياء المدينة •

وبعد ، فاذا كانت ظاهرة الجريمة بوجه عام وانحراف الصغار بوجه خاص ، تعد من معطيات المدنية الحديثة ومن مظاهر الحياة فى المدن الآهلة •• فما الذى فعلته المدن التى ابتليت بهذه الآفة ، وما الذى اتخذته السلطات الشعبية والحكومية من اسباب الوقاية وطرق العلاج ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه بما وسعنا من ايجاز فى الفقرات التالية :

الأسرة الطبيعية

فى الدول المتقدمة نظم متكاملة للدفاع الاجتماعى ضد الجريمة ، وضد التشرد وانحراف الصغار ••منطلق هذه النظم جميعا هو السياسات والتشريعات الرامية الى دعم كيان الاسرة ومساندتها فىادائها وظيفتها التربويةفى المجتمع• فمن الحقائق المقررة ان الأسرة الطبيعية هى انسب وافضل اشكال المؤسسات التربوية صلاحية لتنشئة الصغار • ومن المتفق عليه ايضا – فى ميدان الخدمة الاجتماعية للطفولة – انه لاينبغى ان ينتزع طفل من اسرته الاصلية بداعى فقر الابوين وعدم مقدرتهما على تلبية الاحتياجات المادية لاطفالهما • ومن هنا كان دور التشريع والسياسات العامة خطيرا وكبيرا سواء من حيث ازالة اسباب الانحلال والتفكك العائلى (عن) طريق القوانين التى تحد من الطلاق ومن تعدد الزوجات ••) ام من حيث تقوية كيان الاسرة ومساندتها فى ادائها لوظائفها (تشريعات الضمان الصحى والاجتماعى) •

وخلال السنوات الاخيرة ، ومع تقدم الدراسات الانسانية وتطور اساليب العمل الاجتماعى ، تبلور الادراك بان محور العمل فى ميدان مكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين الصغار انما ينبغى ان يدور بصفة اساسية حول السياسة الوقائية التى يمكن اعتبارها بمثابة خط الدفاع الاول ضد تشرد الاحداث وجنوحهم • وبات من المقرر ان مثل هذه السياسة لابد ان تحمل لواءها الدولة بمختلف اجهزتها : التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ولا بد من ان تعكس اصداءها مختلف الهيئات والمؤسساتالتربوية والثقافية والترفيهيةوالاعلامية فى المجتمع • وذلك حتى يتأتى لها ان تحقق اهدافها على الوجه الاكمل •

ويأتى بعد السياسة والتشريع دور البرامج الوقائية والعلاجية التى تنهض بها المنظمات الاهلية والحكومية العاملة فى ميدان الطفولة والشباب •

نوعان من المنظمات

ويمكننا القول بان برامج الخدمات الخاصة بالاطفال والشبان ، انما تؤدى – فى مختلف الدول – عن طريق نوعين رئيسيين من المنظمات :

النوع الاول ، هو المنظمات المعنية بشؤون الرعاية الاسرية ، والتى تتعامل مع الاسرة كوحدة واحدة Family Service Units ، تكفل امثال هذه المنظمات تقديم مجموعة متنوعة من الخدمات الاسرية ، سواء عن طريقها مباشرة ام عن طريق مراكز الخدمات القائمة فى البيئة المحلية • وتشمل خدماتها الحالات التى تتطلب الاسعاف الاجتماعى والمعونة المادية ، والمعونات الاستشارية ، وخدمات التوجيه والتأهيل المهنى ، وعموما ، كل ما من شانه معاونةالأسرة فىاستعادة توازنها وتحقيق استقلاليتها •

وتساهممجالس الاحياء Neighbourhood Councils ومراكز خدمة البيئة Settlement Houses فى تدعيم برامج منظمات الرعاية الاسرية عن طريق خدماتها الموجهة والهادفة الى تحسين الشروط المعيشية فى الاحياء الفقيرة والمتخلفة • حيث تنظم برامج للارشاد الصحى والاجتماعى ، وبرامج لمحو الامية وتثقيف الكبار ، وبرامج للتوجيه والتأهيل المهنى ، وبرامج لاستثمار أوقات الفراغ لدى الاطفال والشبان •

اما النوع الثانى : فهو المتمثل فى المنظمات التى تتوفر على رعاية الفئات المختلفة من الاطفال المنحرفين او المعرضين لخطر الانحراف • وبالرغم

من تنوع هذه المنظمات وتباين المؤسسات والمعاهد التربوية العائدة لها .. فانه يوسعنا ان نذكر هنا اكثرها شيوعا ، وارسخها تجربة ، واوفرها فائدة .

هنالك اولا ، المؤسسات والبيوت الخيرية التي تهتم بايواء ورعاية الاولاد المحرومين من رعاية الاسرة الطبيعية (نظرا لغياب الابوين او احدهما بسبب الوفاة او الطلاق او الهجر ..) وتقوم هذه المؤسسات بما يشبه دور الاسرة الطبيعية ، وتحرص على توفير الجو العائلي الملائم لكل ولد او فتاة . فتوزع نزلاءها على مجموعات صغيرة Cottage System ، يقوم على كل منها مرب ومربية يمثلان دور الاب والام الطبيعيين بالنسبة لمجموعتهما . وتعد للاولاد المقيمين في هذه البيوت برامج تعليمية وتدريبية يتلقونها غالبا خارج الدار . كما تهيء لهم الفرص والوسائل التي تمكنهم من ممارسة النشاطات الثقافية والترويحية خلال ايام العطلات وفي اوقات الفراغ . كل ذلك تحت اشراف الاخصائيين الاجتماعيين والتربويين .

دور الحضانة واندية الشباب

وهنالك ثانيا ، دور الحضانة Day Nurseries التي تتعهد اطفال الامهات العاملات ممن تتراوح اعمارهم بين الثالثة والسادسة من العمر، وذلك خلال فترات غياب الام عن البيت . وبعض هذه المدارس ترعاها الدولة واكثرها يتبع الجمعيات الخيرية والنسائية . وغالبا ما يكون قبول الطفل في دار الحضانة نظير اجر ـ ولو كان رمزيا ـ وتوفر الروضة لاطفالها كل ما يساعد على تفتيح ملكاتهم واشباع حاجتهم الى اللعب والترويح ومن هنا تكون مساهمتها في ابعاد الاطفال عن مؤثرات الشارع الضارة ، وعن اخطار الترويح غير الموجه .

وهنالك ثالثا ، اندية الشبان والشابات Youth Clubs وهي مؤسسات لشغل واستثمار اوقات الفراغ ، بعضها يتبع هيئات حكومية مثل : اندية شباب الشرطة في الدنمارك ، وانوية الـ (H^4) في الولايات المتحدة ، ومراكز الفنون التشكيلية والتطبيقية في سوريا .. وبعضها يتبع منظمات شبه رسمية كمنظمة الكومسمول في الاتحاد السوفيتي .

ولكن معظم اندية الشباب مؤسسات غير رسمية تؤسس وتدار بالمجهودات الطوعية لاعضائها .

وتشتمل معظم الاندية الحديثة على : قاعة مطالعة ، غرفة للمناقشة والتلفزيون غرفة كبيرة للرقص ، مشرب ومطبخ ، غرفة للنجارة ، غرفة للفخار ، غرفة لتصليح الدراجات ، غرفة للتصوير واخرى للتحميض ، غرفة للبليارد و واخرى لكرة الطاولة . وفي بعض الاندية يتوفر ملعب لكرة السلة ومسبح .. وفي بعض الاندية ـ ولا سيما ذات الصبغة الرسمية ـ يوجد اخصائي اجتماعي يعمل بصفة مشرف على النادي، ومن مهامه مساعدة الاعضاء في تصميم وادارة برامج الانشطة المختلفة، والمعاونة في تكوين ضمير الجماعة وغرس القيم المرغوبة اجتماعيا ، وتوجيه العلاقات وتفاعلات اعضاء الجماعة وجهة ايجابية صحيحة .

وتلجأ الهيئات الحكومية او الاهلية العاملة في الحقل الاجتماعي ـ في مكافحة عصابات الاحداث في الاحياء التي ترتفع فيها نسبة الجنوح ـ الى طريقة « نادي الشارع » وذلك كما فعل (مجلس الشباب) بمدينة نيويورك ، وتقوم هذه الطريقة على ارسال اخصائيين اجتماعيين الى المناطق والاحياء التي تتجمع فيها العصابات . وذلك لمساعدتهم ـ بعد كسب ثقتهم ـ على التحرر من المشاعر والمواقف السلبية التي يقفونها من المجتمع، وعلى بناء مواقف واتجاهات ايجابية عن طريق ارشادهم في مشاكلهم الشخصية والعائلية وفي مشكلات العمل ، ومدهم بمختلف المساعدات التي يحتاجونها .

ومن بين التدابير الوقائية التي تلجأ اليها بعض الهيئات او المنظمات العاملة في الحقل الاجتماعي ، اقامة معسكرات عمل للفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة، ومخيمات صيفية للصبية الاصغر سنا .

مؤسسات للمنحرفين

وهنالك رابعا ، المؤسسات والمعاهد التي تعنى بالاولاد المشكلين (١)

Hostels for Maladjusted Boys and Girls

ويقبل في هذه المؤسسات الاطفال الذين يعانون من سوء التوافق الاسري او الاجتماعي (وذلك

---

(١) يقصد بالاولاد المشكلين : العدوانيون ،الكاذبون ، السارقون ..

بناء على طلب الاهل او مكاتب الخدمة الاجتماعية او العيادات النفسية او المجالس الاجتماعية في المدن ··) وبعد ان تجرى للطفل الفحوص النفسية والدراسة الاجتماعية يلحق باحدى المجموعات (الاسر) الملائمة لحالته وسنه · وتقدم اليه خدمات خاصة اضافة الى الخدمات المشتركة · ولا يقتصر اهتمام امثال هذه المؤسسات على الاولاد انفسهم وانما يشمل ايضا اسرهم ، اذ تقوم الاخصائية الاجتماعية باجراء الزيارات والاتصالات اللازمة مع اسرة الطفل النزيل او اقاربه وذلك بغية اصلاح الوضع الاسرى وايجاد جو من التفاهم والتقبل المتبادل فيما بين الطفل وافراد عائلته · هذا ، وليست هناك مدة ـ محددة يقضيها الطفل في مثل هذه المؤسسة وانما تتوقف المدة على حاجة ووضع كل طفل ·

وهنالك خامسا، المعاهد المختصة بتربية واصلاح لاحداث المنحرفين Approved Schools ، ويحال الى هذه المعاهد الاولاد أو البنات ممن تتراوح اعمارهم فيما بين الثانية عشرة والعادية والعشرين، وممن صدر بحقهم حكم او تدبير اصلاحي من قبل محكمة الاحداث نتيجة ارتكابهم فعلا يعاقب عليه القانون · ويقسم الاولاد او البنات الذين يرسلون لقضاء فترة ما في الاصلاحية الى مجموعات بحسب السن ونوع الانحراف · ويتلقون خلال اقامتهم برنامجا تعليميا وتثقيفيا وتدريبيا· كما يمارسون الانشطة المحببة اليهم في اوقات الفراغ ·· وتتخذ ادارة المعهد الاجراءات والترتيبات اللازمة لاعادة الحدث ـ المحكوم بالتدبير الاصلاحي ـ الى الحياة الطبيعية في المجتمع قبل ان تنتهي مدة حكمه بفترة مناسبة · كما يستمر المعهد في متابعة حالة الحدث بعد تخرجه مدة من الزمن ـ عن طريق الاخصائي الاجتماعي المشرف ـ للاطمئنان عن حسن سيره واستقرار حالته العائلية والمهنية وعلاقاته الاجتماعية·

ومنذ الستينات اتسع نطاق استخدام دور المراقبة Probation Hostels ، في مجال اصلاح الاحداث المحكومين ، وذلك بالنظر لميزاتها المتعددة وكونها تجمع بين العلاج والحرية · ففي هذه الدور ينعدم وجود الاحتياطات المادية الحائلة دون الهروب · بينما تدعم ثقة الحدث بنفسه واحترامه لها · كما تنمي الاتجاهات الايجابية لديه ·

معاهد العلاج

وهنالك اخيرا ، المعاهد المتخصصة في معالجة الاحداث المرضى نفسيا ،
Treatment Institutes for Neurotic Girls and Boys.

وهذه تستقبل الاولاد والبنات الذين يحالون اليها عن طريق العيادات النفسية الخارجية او الملحقة بالمدارس ومحاكم الاحداث · وفي هذه المعاهد يتلقى الاحداث الذين يشكون من الاضطرابات النفسية ، العلاج النفسي الفردي والجماعي جنبا الى جنب مع التعليم المدرسي والنشاط الترفيهي· وذلك كما هو الحال في احد المعاهد القائمة في ولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة (مؤسسة هايفيلدز) التي يتميز برنامجها العلاجي بتشغيل الاولاد بعض الوقت في المزرعة المجاورة للمؤسسة · كما يتميز هذا البرنامج بكثرة الاتصالات مع المجتمع المحلي وبالجلسات الجماعية التي تنعقد خمس مرات اسبوعيا تحت اشراف الطبيب النفساني ·

هذه نماذج من اساليب والوان الرعاية الاجتماعية للطفولة غير السوية كما هي معروفة في المجتمعات المتمدينة · ولرب من سائل ، هل افلحت هذه الاساليب وتلك الوسائل في القضاء على ظاهرة انحراف الصغار بل هل تمكنت من تقليص هذه الظاهرة والتخفيف من حدتها على الاقل ؟ وجوابا على ذلك ، نقول :

انه مما لا شك فيه ان تلك الاساليب والوسائل المتطورة ـ والآخذة في التطور باستمرار ـ عاجزة عن القضاء على ظاهرة كظاهرة انحراف الاحداث او الجريمة بوجه عام · طالما كانت الجريمة ـ شانها شان الفقر ـ ملازمة لحياة وبقاء المجتمعات الانسانية في كل عصر ومصر · وانما يمكن التاكد بان تلك الاساليب والوسائل (الوقائية والعلاجية) قد نجحت الى حد معقول ـ ولا نستطيع ان نحدد نسبة النجاح لان هذا الميدان ما يزال مفتقرا الى الدراسات التقويمية حول مدى فاعلية الاساليب الوقائية او العلاجية المتبعة ـ في التخفيف من حدة الظاهرة سواء عن طريق حماية الكثيرين من الاطفال من الوقوع في براثن الانحراف ، او عن طريق اعادة الكثيرين ممن انحرفوا وردهم الى جادة الصواب كمواطنين اسوياء ونافعين لانفسهم وللمجتمع · ■■

خالص العياشي

طرائف

الاحنف بن قيس

● لما مات الاحنف بن قيس مشى مصعب ابن الزبير فى جنازته بغير رداء ، اجلالا له ، وقال : « اليوم مات سيد العرب » ، ولما دفن قامت امرأة على قبره وقالت : « لله درك من مجن (ترس) قد دفن ، ومدرج فى كفن ، فنسأل الله الذى فجعنا بوجهك ، وابتلانا بفقدك ، ان يجعل سبيل الخير دليلك ، وان يوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الارامل عطوفا ، وكنت فى الحى مسودا ، والى الخليفة موفدا ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين » فما سمع الناس كلام امرأة ابلغ ولا اصدق معنى منها .

الكلام المطبوع

● يروى أن المهلب ابن ابى صفرة ـ لما فرغ من قتال عبد ربه الحرورى ، وهو من الخوارج ـ دعا بشر بن مالك فأنفذه بالبشارة الى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : « ما اسمك ؟ » قال : « بشر بن مالك » ، فقال الحجاج : « بشارة وملك ، كيف خلفت المهلب ؟ » قال : « خلفته وقد امن ما خاف ، وأدرك ما طلب » قال : « كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ » قال : « كانت البداءة لهم ، والعاقبة لنا » . قال الحجاج : « فما حال الجند ؟ » قال : « وسعهم الحق واغناهم النفل (الغنيمة) وانهم لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك ، ويقاتل بهم قتال الصعلوك ، فلهم منه بر الوالد ، وله منهم طاعة الولد » فقال الحجاج : « انى ارى لك لسانا وعبارة يا بشر بن مالك » . فأى أبناء المهلب أفضل ؟ . قال : « هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » ، قال : « ويحك ، اكنت اعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ » قال : « لا يعلم الغيب الا الله . » فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

اتيت ملكا فاهدانى

● حكى ان أحد شعراء الدولة العباسية امتدح المهدى العباسى ـ وكان يومها اميرا على الرى ـ فاعطاه المهدى عشرين الف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد الى ابيه الخليفة المنصور . فكتب المنصور الى المهدى يعاتبه ويلومه ، ثم أمر بارصاد الشاعر حتى يقبض عليه ، فلما أخذ أرسلوه به الى الربيع وزير المنصور ، ثم ادخل على المنصور ، فقال له : اتيت غلاما غرا فخدعته فخدع فقال الشاعر : « يا امير المؤمنين انما اتيت ملكا جوادا ، فمدحته ، فوصلنى واهدانى » فاعجبه ذلك ، فقال : « انشدنى ما قلت فيه » فانشده ، فقال « والله لقد احسنت ، ولكن ما يساوى هذا عشرين الفا » .

عربية

نصيحة الرؤساء

● كان بين الخليفة عمر بن الخطاب ورجل من صحابة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلام في شيء ، فقال له الرجل : « اتق الله يا ابن الخطاب » ، فقال رجل من القوم كان واقفا قربهما : « ويحك ، أتقول لامير المؤمنين : اتق الله ؟ » فقال له عمر : « دعه فليقلها لي ، نعم ما قال ، لا خير فيكم اذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها منكم » .

الناس ثلاثة

● قال ابو المعتمر السلمي : « الناس ثلاثة اصناف : اغنياء وفقراء واوساط . فالفقراء موتى ، الا من اغناه الله بعز القناعة ، والاغنياء سكارى ، الا من عصمه الله بتوقع الغير (التغيرات) ، واكثر الخير مع اكثر الأوساط . »

واكثر الشر مع الفقراء والاغنياء، لسخف الفقر ، وبطر الغنى .

امرأة سيئة الحظ

● كانت عاتكة بنت زيد من اجمل نساء قريش ،وكانت شاعرة مجيدة الا انها كانت سيئة الحظ مع ازواجها اذ قتلواجميعهم، وقد روى أن فئة من شبان قريش الظرفاء كانوا يتسامرون يوما ببطن وادبمكة ، اذ اقبل عليهم طويس المغني فقالوا له : يا ابا عبد الله غننا شعرا سليما ، لحديث ظريف ، فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد وهي ترثي زوجها الخليفة عمر بن الخطاب وتقول :

منع الرقاد فعاد عينيَ عوّد
مما تضمن قلبي المعمود

فقال القوم : لمن هذه الابيات يا طويس ؟فقال : « لاجمل خلق الله وأسوئهم حظا » فقالوا : « بانفسنا انت، من هذه؟ » قال : هي ـ والله ـ من لا يجهل نسبها ولا يدفع شرفها تزوجت بابن خليفة وثنت بخليفة وثلثت بحواري رسول الله وربعت بابن نبي الله ،وكل قتل عنها » . فقالوا: « ان امرها ـ والله ـ لعجيب فمن هي ؟ » قال : « هي عاتكة بنت زيد » فقالوا :نعم هي على ما وصفت والآن فقوموا بنا لايدرك مجلسنا سوء حظها » .

صلاة مسيلمة

● حكى الشعبي قال : كنت في المسجد الجامع في الكوفة اذ قام اعرابي يصلي ، وخلفه قوم جلوس ، فقال : « الله اكبر ! افلح من هب الى صلاته واخرج الواجب من زكاته ، واطعم المسكين من نخلاته ، وحافظ على بعيره وشاته » . فضحك القوم ، فقال : « امن هيمنتي ضحكتم ، اشهد عند الله على عمتي انها سمعت هذه الآيات من فم مسيلمة » .









عِشْ عُمرَكَ فى شبابٍ دائمٍ

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

المحافظة على الشباب لا اعادته هو الهدف الذى يمكن ان نصل اليه . وكم من شيوخ نراهم ينعمون بحيوية الشباب ، وكم من شباب نراهم شيوخا متهدمين !

■ فى مطلع القرن الثامن عشر ، نجح هنتر فى نقل الخصية من حيوان الى اخر . واستعمل براون سيكار خلاصة غدة تناسل الثيران فى حقن الوف المساجين بفرنسا ، وحقن نفسه بها وهو فى السبعين من عمره ، وسرعان ما شعر ببوادر الحيوية والفتوة .. ولكنها كانت الومضة الخاطفة التى تسبق انطفاء شعلة الحياة .

وابتكر ستايناخ عملية ربط القناة المنوية ليدخر هذا السائل الحيوى لنفع انسجة الجسم ، وقد شاعت هذه العملية زمنا ، ولقيت تحبيذا ، واجريت لمئات الشيوخ ، بغير جدوى .

وتمكن فورونوف من نقل خصية قرد صغير السن مكان خصية انسان ، وقد احدث ذلك انخفاضا فى ضغط الدم وفى نسبة الكولسترول .. كما تحسنت قوة الابصار ، ولكن الفحص الهستولوجى المتتابع اثبت تحول خلايا الخصية المنقولة ،تدريجيا الى نسيج ليفى ، يذوى معه سريعا الشباب الصناعى .

ولم يمكن الحصول على نتائج افضل ، بوضع بللورات الهورمونات الجنسية المركزة تحت جلد البطن ، اذ يعتبرها الجسم مادة غريبة فيحيطها بنسيج ليفى ، ويلفظها خارجا .





تجارب على الكلاب

وفي معهد روكفلر للابحاث ، عمد الكسي كاريل الى اجراء تجاربه على الكلاب الهرمة ، التي يبلغ عمرها ١٨ عاما ، وهذه السن تعادل ٩٠ عاما عند الانسان ، وتتلخص العملية في نزف دم الحيوان بعد تخديره ، وفصل كراته الحمراء ،وحقنها ثانية اليه مع محلول فسيولوجي حديث التحضير ٠وسرعان ما استعادت هذه الحيوانات شبابها ٠٠ اذ لمع بريق العين ، وفتحت الشهية للطعام، وعلا صوت النباح، ووجدت القدرة على الحركة والميل الجنسي ، ولكن بعد اسابيع قليلة انتكس الحال ، واختفت هذه المظاهر ٠

وهكذا اخفقت عمليات نقل دم الشبان الاقوياء الى الشيوخ المتهدمين ٠

والمشاهد ان التئام الجروح في الشبان اسرع منه في الشيوخ ، وقد وضع احد العلماء قاعدة يمكن بها معرفة عمر الانسان بقياس طول الجرح وعمقه ومعرفة الزمن الذى يستغرقه في الالتئام ٠

الشيخوخة ، ما هي ؟

وهذا هو في الواقع اساس النظرية الحديثة التي تعتبر ان الشيخوخة ان هي الا فقدان قدرة خلايا الجسم على التجدد ، فالمعـــروف ان جميع اجهزة الجسم ـ باستثناء الجهاز العصبي ـ قادرة على تجديد ما يتلف من خلاياها ، وان هذه القدرة تضعف تدريجيا مع تقدم العمر ٠ ويتميز الجلد والكبد والدم بالقدرة الفذة على تجديد ماتفقدة من الخلايا ٠ والثابت ان الدم يفقد عشرة ملايين كرة حمراء في الثانية الواحدة ، ويقوم النخاع العظمي بتموين الدم بهذا العدد الهائل من الكرات الجديدة بصفة مستمرة ٠٠ اذ ان عمر كرة الدم الحمراء لا يتجاوز بضعة اســابيع ، تفقد بعدها وظيفتها فيلفظها الجسم خارجا ٠

ويبلغ حجم الدم في جسم الانسان ست لترات ٠٠ وفي كل سنتيمتر مكعب منها ، خمسة ملايين كرة حمراء ٠

ولهذا اتجهت البحوث الاخيرة نحو ايجاد منشط عام لكافة خلايا الجسم ، وكانت قبلا مركزة في الوظيفة الجنسية وحدها ، مما يحدث تحسنا مؤقتا يعقبه رد فعل سيىء

وقد البت فيلاتوف ان خلايا المشيمة بعد الولادة تحتوى على منشطات عضوية عامة ٠٠ وهذا هو اساس استعمال حقن المشيمة ، وقد اتضح انها تقوى الابصار ،ولهذا يستعملها الآن اطباء العيون في حالات قصر النظر والتهابات الشبكية

الحياة من الموت

اما مصل بوجومولتز فيحضر بطريقة اسطورية ٠٠ اذ تستلزم حقن الجياد ـ بكميات متزايدة تدريجيا ـ بمسحوق من النخاع العظمي والطحال البشري لشبان حديثي الوفاة من ضحايا الحوادث الفجائية عقب موتهم بزمن وجيز ، ثم ينزف جزء كبير من دم الحصان وتفصل كرياته الحمراء ، ويؤخذ المصل المطلوب الذي اذا حقن في الانسان بكميات دقيقة يؤدي الى تجديد جميع خلايا الجسم

ومن الواضح ان هناك عقبات كثيرة في سبيل استعمال هذا المصل على نطاق واسع بفرض صحة نفعه ٠٠ فالقوانين لا تسمح بتحضيره من جثث الناس جزافا ٠ وقد اسف الكسندر بوجو مولتز لحرمان الاحياء من اطالة اعمارهم على حساب الموتى ٠ وقد كان يعتقد ان مصله قادر على اطالة العمر الى ١٥٠ عاما ، ومما يذكر انه مات عام ١٩٤٦ غير متجاوز ٦٤ عاما ـ أي في مقتبل العمر واوج الشباب « تطبيقا لنظريته »

عقار هـ ٣

وفي عام ١٩٦٠ ، ادعت الطبيبة اليوغوسلافية « انا أصلان » اكتشاف دواء ينشط الغدد ويقوي الجنس ويجدد شباب الجسم كله واطلقت عليه اسم « هـ ٣ » واتضح انه عبارة عن حقن بروكايين وفي عام ١٩٦٣ نشرت الهيئات العلمية الدولية المختصة تقريرا اثبت ان البروكايين ٠٠ لحن عقيم ٠٠٠ وبذلك اسدل الستار على هذا العقار

والواقع ان من بلغ مرحلة الشيخوخة ، فلا حيلة في نكوصه عنها وارتداده منها ٠٠ أما من هو في الطريق ، فعلى العلم ان يسعى في تاخيره عن الوصول ، فيقف به طويلا في مرحلة الشباب

فالاحتفاظ بالشباب لا اعادته هو اذن الهدف المعقول الذي يمكن الوصول اليه خصوصا وان الطبيعة لم تضن بهذه الظاهرة ٠٠ فكثيرا ما نلحظ وجود شيوخ يتمتعون بحيوية الشباب وفتوته ٠ وعلى النقيض منهم ، كثيرا ما نرى شبانا متهدمين

وقد اهتمت الدول المتقدمة بهذا الموضوع ، وافردت معامل بحوث خاصة بعلم « الجيرياترولوجي » أو « علم الشيخوخة » لمكافحة امراضها وتاخير حدوثها ٠ وقد ارتفع فعلا متوسط العمر من ٣٦٫٦ الى ٥٩٫٩ للرجال ومن ٣٨٫٥ الى ٦٢٫٨ للنساء

شيخوخة شابة

ولا شك في ان لعوامل الوراثة والبيئة والعمل والمناعة الطبيعية ،والغذاء المتوازن واتباع القواعد الصحية ، والامراض التي يتعرض لها الانسان في مختلف مراحل العمر ، ومضاعفاتها ومخلفاتها ، والطرق المتبعة في العلاج ، والاشراف الطبي المستمر الر كبير في الاستمتاع بشيخوخة فتية شابة

ولقد كان الراى السائد حتى وقت قريب ان العمل يقصر العمر ، كما ان الاستعمال يستهلك الآلة الميكانيكية ٠ ولكن البحوث الحديثة ، المبنية على المشاهدات الواقعية ، والتجارب العملية اثبتت عدم صحة هذا الراى ٠ فالمشاهد ، ان الصحة العامة تتدهور سريعا ، عقب الاحالة الى المعاش ٠٠ اذ يعتقد من تجاوز هذا السن ، انه لم يعد يصلح لشيء ،وان الحياة قد لفظته، فاصبح نفاية تعمل الطبيعة على التخلص منها

ولعل من الاسباب الرئيسية لطول اعمار النساء بالقياس الى اعمار الرجال ان اعمالهن تظل كما هي في البيت وخارج البيت ، مهما تتقدم بهن السن ٠

ذروة الانتاج البشري

وقد دلت التجارب المبنية على قياس كمية الاكسيجين اللازمة للقيام بتمرين معين ، ان الانتاج البشري يبلغ ذروته في العقد الرابع ، ويضعف في السن المبكرة والشيخوخة المتقدمة ٠٠ لذلك فان الرجل الناضج ، اقدر على تحمل اعباء العمل من الفتى اليافع او العجوز المتهدم ٠ وعلى هذا لا تقل القدرة على تحمل العمل بتقدم العمر ، بل على النقيض تزداد شيئا فشيئا حتى تبلغ مداها وعندئذ تبدأ في الاضمحلال التدريجي

والواقع ان الاجهاد والعمل المتواصل ،يعطلان نمو الخلايا في السن المبكرة ويضعفان قدرتها على التجدد في الشيخوخة المتقدمة ٠٠ لكن الامراض

التي تقعد عن العمل تكثر بتقدم العمر . وقد ظهر من الدراسات المستفيضة التي اجريت فيهذه الناحية ، ان ايام الانقطاع عن العمل بسبب المرض ، هي – في مراحل العمر المختلفة – على النحو الآتي :

بين سن ٢٠ – ٢٤ سنة تبلغ ايام الانقطاع عن العمل بسبب المرض ١٨ يوما ومن سن ٤٥ – ٤٩ تبلغ ٢ر٢٩ يوما ، وبين سن ٦٠ – ٦٤ تصل الى ٩ر٣٩ يوما ولذلك يتاثر انتاج المصانع حتما ، تبعا لمتوسط اعمار عمالها

العلاقة بين نوع العمل والعمر

وهناك علاقة وثيقة بين نوع العمل والعمر .. فالمشاهد ان الاطباء اقصر الناس عمرا ، ومما يذكر ان احد ملوك فرنسا الاقدمين ، دفن اربعين من اطبائه الخصوصيين

وعلى النقيض من ذلك ،نجد ان رجال السياسة والحكم هم اطول الناس عمرا ، رغم ما يبذلونه من جهد ، وما يتحملونه من تبعات ضخمة ومسئوليات جسيمة ، ونذكر على سبيل المثال ان بسمارك عاش ٨٣ عاما ومترنيخ ٨٦ عاما وغلادستون ٩٨ ، وكليمانصو ٨٨، وهندنبرج ٨٧ .

وليست كل الاعمال تطيل العمر . فهناك ماله اثر سلبي ، كالاشتغال بالنقل الآلي وخدمة البريد والتلغراف والتعدين والصناعات الميكانيكية والتدريس

اما الاعمال التي لها اثر ايجابي في اطالة العمر ، فهي الزراعة والرياضة والصيد ، وعلى العموم كافة الاعمال التي تستلزم الخروج الى الاماكن الخلوية .

وتدل الاحصاءات العديدة على ان متوسط عمر رجال الفلسفة ١ر٦٥ عاما ،ورجال الاعمال ٤ر٦٢، والكتبة ٧ر٦١ ، والفلاحين والمزارعين ٥ر٦١ ، والعسكريين ٦ر٥٩ ، والمحامين ٩ر٥٨ ، والفنانين ٣ر٥٧ ، والمدرسين ٩ر٥٦ والاطباء ٨ر٥٦

اما سن النضوج المهني فهي على النحو الآتي : سن ٤٠ للكيميائيين ، ٤٦ للروائيين ، ٤٧ للمكتشفين ، ٤٨ للفنانين ، ٤٩ للاجتماعيين ، ٥٢ للاطباء، ٥٤ للفلاسفة، ٥٦ للرياضيين والفلكيين، ٥٨ للطبيعيين

ومما هو جدير بالذكر ، ان هوميروس كتب الالياذة وهو في سن المائة ووضع فردى ابدع موسيقاه في سن ٨٠ ، واختتم جوته كتابه فاوست في سن ٨٢ ، وتمنى فيكتور هوجو في عيد ميلاده الثمانين ان يعيش ٨٠ عاما اخرى ، وعاش ميشيل انجلو حتى هذه السن المتقدمة ، وانهى كورت آخر لوحاته في سن ٧٨ ، وكتب تولوستوى اعترافاته في سن ٧٥ ، وعاش كل من اينشتين وبرنارد شو حياة حافلة طويلة ، وجاوز الفيلسوف برتراند رسل التسعين ، وقد ذكر انه كلما تقدمت به السن ، انقادت له الافكار ، واسلست قيادها

المواهب تعمر طويلا

وهكذا نجد ذوى المواهب يعمرون طويلا ، كانما يتجرعون اكسير الحياة ،مع البحث المستمر ،والعمل المثمر . فالعمل هو الذى يجعل للحياة معنى .. اما الذين يعيشون بلا عمل ولا هدف ولا امل ، فليس لهم في الحياة مكان

ولذلك نجد كثيرا من الاغنياء يعملون ،وكانهم لا يملكون شيئا .. اما اصحاب الملايين الذين لا عمل لهم الا الطواف حول العالم والقيام برحلات للصيد والقنص واللهو ،فسرعان مايدركهم السام والملل ، وما يتبع ذلك من اسقام وعلل

ان السن المتقدمة يمكن ان تصبح اسعد مراحل الحياة ، اذا صاحبها عمل ونشاط يستغرق جميع الوقت والفكر . وقد تمنى احد كبار الفنانين المعمرين ، ان يستجدى رواد المقاهي اوقات فراغهم . فالشيخوخة – مالم تكن مصحوبةبامراض تقعد عن العمل – هي اهم واخصب مراحل الانتاج العقلي والفكرى .. اذ يصاحبها كنز لمن لايقوم بمال ، وهذا الكنز هو الخبرة

ولهذا اصبح الاتجاه الآن نحو ابقاء اساتذة الجامعات والمستشارين ورجال الفكر والعلم والادب والفن في مناصبهم ، طالما كانوا قادرين صحياعلى تحمل اعبائها .. اذ ان احالتهم للمعاش ، وهم في ذروة النضوج خسارة كبرى لا تعوض

■■

القاهرة – ابراهيم فهيم



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

●● حموضة المعدة ●●

● بدات مؤخرا اشعر بحموضة فيمعدتي رغم انني حريص في ماكلي ٠٠ فهل من سبب ظاهر لهذه الحموضة،وما هو علاجها ؟

ـ زيادة الحموضة فى المعدة لها اسباب كثيرة ، ويمكن تلخيص اهم هذه الاسباب فيما يلى :

١ ـ اسباب فى المعدة نفسها :
ـ زيادة افرازات الحامض المعوى
ـ قرحة المعدة والاثنى عشرى
ـ التهاب بجدار المعدة
ـ امراض اخرى او اورام تصيب جدار المعدة ٠

٢ ـ بعض انواع الماكولات والمشروبات: كالمواد الحارقة والبهارات ـ الاكل الدسم ـ كثرة الاكل ـ التدخين ـ القهوة والشاى ٠٠ فهذه كلها تزيد من افرازات الحامض المعوى ٠

٣ ـ اسباب خارج المعدة نفسها :
ـ التهاب المرارة
ـ التهاب القولون

٤ ـ اسباب نفسية وعصبية : تؤدى الى ازدياد افراز الحامض المعوى ٠

من هذه الاسبابجميعا نتبين ان الشكوى من الحموضة ليست مرضا بحد ذاتها ، وانما لها اسباب كثيرة ، وتكون الحموضة عرضا لهذه الامراض ٠

ويجب فى هذه الحالة على من يشعر بحموضة فى معدته ان يقوم بعمل الفحوصات اللازمة للوصول الى السبب ٠٠ ومن هذه الفحوصات :

ـ اختبار لفرازات الحامض المعوى
ـ عمل اشعات للمعدة وخاصة الاشعات الملونة ٠
ـ عمل صورة اشعة للمرارة اذا لزم الامر ٠
ـ عمل صورة اشعة للقولون اذا لزم الامر ٠

والالم الذى ينتج عن الحموضة يختلف كثيرا عن الالم الناتج عن امراض القلب وشرايينه ، ويخفالالم عند شرب القلويات او الادوية المضادة للحموضة ٠

وتشخيص الحموضة لا يحتاج الى رسم قلب ٠

العلاج :

اذا عرف سبب الحموضة ، اصبح العلاج ميسورا ٠٠ ومن اساليب العلاج الآتى :

ـ علاج بالادوية المضادة للحموضة او التى تقلل من نسبة افراز الحامض المعوى٠
ـ علاج جراحى فى حالة وجود قرحة بالمعدة او الاثنى عشرى ، او كان السبب ناتجا عن التهاب مزمن بالمرارة ٠

لذلك يجب استشارة اخصائى فى الامراض الباطنية،وعمل الفحوص اللازمة للوصول الى سبب الشعور بالحموضة ٠



●● العدسات اللاصقة ●●

● هل يوجد ضرر من استعمال العدسات اللاصقة ٠٠ وماهي استعمالاتها؟

ــ العدسات اللاصقة توضع على قرنية العين ولا ضرر من استعمالها ٠

اما انواعها فهي :

١ ــ النوع الصلب Hard Contact lenses وهي المصنوعة اما من الزجاج او البلاستيك ٠

٢ ــ النوع الرخو Soft Contact lenses هذا نوع مصنوع من مواد خاصة تكون العدسة فيه لينة مثل الجلد ، وعند وضعها على قرنية العين تأخذ شكلها ٠

ويمكن استعمالها بدل النظارة الطبية العادية ، وبعد اختراع العدسات اللاصقة الرخوة امكن تحاشي بعض العيوب التي كانت تحدث عند استعمال العدسات الصلبة كجرح قرنية العين ٠

كذلك امكن التغلب على كثير من امراض العيون التي كان يصعب فيها استخدام النظارة العادية كما في حالات الفئات التالية :

أ ــ الرياضيون ، الذين يحتاجون لاستعمال نظارة طبية لعيب في نظرهم ٠٠ فالنظارة العادية تكون عرضة للوقوع منهم او كسرها اذا ما تعرضت لضربة بالكرة اثناء اللعب ، وكذلك العدسات اللاصقة تمنحهم مجالا اوسع للرؤية اكثر من النظارة العادية التي تعوق الرؤية من الجوانب ٠

ب ــ الذين يعانون من قصر نظر شديد لأن استعمال النظارة العادية يعطي صورة اصغر بكثير من الحقيقة ، ولكن العدسة اللاصقة تعطي صورة اقرب الى النظر الطبيعي ٠

جـ ــ من تجرى لهم عملية ماء الابيض Cataract وخاصة عندما تكون العين الاخرى سليمة فلا يمكن في هذه الحالة استعمال النظارة العادية ، حيث تكون الصورة فيها مختلفة عما هي عليه في العين الاخرى ، وذلك مالا يستطيع المريض تحمله ٠

د ــ كذلك يمكن استخدام عدسات لاصقة ملونة لمن يولدون بدون قزحية ، وهؤلاء يتأثرون من الضوء ، وبهذا تقوم هذه العدسة مكان القزحية الطبيعية ، وكذلك بعض النساء تستخدم العدسات اللاصقة بألوان مختلفة لتلوين أعينهم وذلك للزينة ٠

و ــ كذلك يمكن استخدام العدسات اللاصقة الرخوة ٠ Soft Contact lenses في علاج بعض الامراض المزمنة التي تحتاج لعلاج مستمر فتلبس العدسات الرخوة بعد تشبعها بالقطرة المراد استعمالها ، وبذلك يمكث الدواء اكثر فترة ممكنة على العين ٠

●● حبوب منع الحمل ●●

● انا سيدة متزوجة ابلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما ، واتعاطى حبوب منع الحمل ، فهل هناك خطورة من استعمال هذه الحبوب بعد هذه السن؟

ــ لقد تردد اخيرا ، وبعد احصائيات عديدة ، ان نسبة المضاعفات التي تحدث من هذه الحبوب اعلى منها عند استعمالها قبل هذه السن ٠ ومن اهم هذه المضاعفات حدوث نقص في الدم الذاهب الى عضلات القلب مما يسبب آلاما تشبه آلام الذبحة الصدرية ، خصوصا عند القيام بأى مجهود عضلي ٠

وكثيرا ما يحدث أيضا انسداد في الاوردة على نطاق واسع في هذا السن ٠٠

ومن العوامل التي تساعد على حدوث مثل هذه المضاعفات ان تكون السيدة تعاني من سمنة مفرطة ، او مرض البول السكري ، او ارتفاع في ضغط الدم ، او تدخن بكثرة ، او يكون هناك ارتفاع في نسبة دهنيات الدم ومنها الكوليسترول ٠٠

لذا ، فانه يجب الاحتراس من استعمال هذه الحبوب ، واذا كان لا بد من استعمالها خوف حدوث حمل في هذه السن المتأخرة ، فليكن ذلك تحت ملاحظة الطبيب ٠

•• حب الشباب ••

● اشكو من حبوب بدات تظهر فى وجهى واخشى ان تركتها دون علاج ان تشوه وجهى •• فما هى هذه الحبوب •• وماهو علاجها ؟

ـ هذه الحبوب هى فى الغالب ما اصطلح على تسميتها « حب الشباب » ، وهى حبوب تظهر فى جلد الوجه وبعض اجزاء اخرى من الجسم كالظهر مثلا ، وقد اطلق عليها هذا الاسم نظرا لبدء ظهورها فى سن المراهقة فى الجنسين فى اغلب الحالات •

وهذه الحبوب قد تتقيح ثم تنفجر ويظهر مكانها قشور تختفى تدريجيا •

وهذه الحبوب اجمالا تختفى تدريجيا بمرور الزمن ، وهى فى العادة لا تترك أثرا فى الجلد الا اذا تقيحت ولم تعالج بالعلاجات المناسبة • وهى كثيرا ما تظهر فى البشرة الدهنية •

العلاج :

ـ نظام الطعام : الاقلال من المواد الدهنية والنشوية مثل الدهن الحيوانى والحلوى وانواع الكعك المختلفة •

ـ العناية بالصحة العامة واخذ الفيتامينات •

ـ استعمال بعض المراهم التى تحدث تقشرا فى الطبقات السطحية من الجلد التى توجد بها الحبوب ، ثم تنمو طبقة جديدة خالية من الحبوب •

ـ الادوية المضادة للحيويات Antibiotics وخاصة فى الحالات التى يظهر فيها تقيح فى الحبوب ، وننصح فى هذه الحالة بعدم ضغط هذه الحبوب بالاصابع واللعب فيها وعصرها •

ـ عمل لقاح فاكسين ، من نفس هذه الحبوب ، ثم يؤخذ بالحقن تحت الجلد فى جرعات متزايدة تحت اشراف طبيب مختص •

ولذلك فاننى اطمئنك الى ان هذه الحبوب لا ضرر منها ، وهى عادة لا تترك اثرا فى الوجه •

•• الانفلونزا •• فيروس متغير ••

● من المعروف ان هناك أمصالا للوقاية ضد الحصبة والدفتريا والشلل الخ •• فهل هناك مصل واق للانفلونزا التى تصيب اناسا كثيرين كل عام ؟

ـ الانفلونزا كما يسميها الناس هى اصابة الجهاز التنفسى بنوع من الفيروس، يسبب ارتفاعا فى درجة الحرارة مع آلام شديدة فى العظام والعضلات والمفاصل ، ويصحب ذلك سعال يكون جافا فى أول الامر ، ثم يكون مصحوبا ببلغم • وفى كل سنة يختلف نوع الفيروس، فتختلف الصورة ، فمرة يكون تأثيره اكثر على الامعاء، فيصحب ذلك اسهال شديد وقيء وضعف عام شديد وهزال • ومرة يؤثر تأثيرا شديدا على الجهاز التنفسى يصحب ذلك التهابات فى الرئتين والشعب الهوائية ، لذا كانت هناك صعوبة فى تحضير مصل واق لكل سنة ، ولكل موسم ولكل فيروس وليس الحال هنا كحالات الجدرى او التيفوئيد او الكوليرا مثلا • على انه فى بعض الحالات تحضر لقاحات واقية من مختلف الفيروسات على امل ان تعطى بعض المناعة للجسم فى مواسم « الانفلونزا » وتعطى هذه اللقاحات ايضا للمخالطين للمرضى او لافراد الهيئة التمريضية ، ولكن الاحصائيات المختلفة لم تثبت فعاليتها ، كما هو الحال فى اللقاحات والامصال الاخرى المعروفة •

■■

الخنساء أم الأبطال

الانسانة الشاعرة

ولدت قبل ظهور الاسلام وأدركت طلائع إنتشاره وهى كهلة ناضجة

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ اشتهرت الخنساء فى ادبنا العربى بانها شاعرة ، وقيل انها اشعر شاعراتنا ، وكانت هى تعتد بشعرها بين الفحول من شعراء عصرها ، وكيفما يكن الراى فى شاعريتها ومكانتها بين شعرائنا او شاعراتنا فلا ريب انها اشهرهن جميعا . وليس يعنينا هنا الوقوف عند الجانب الفنى من اشعارها وشاعريتها ، بل النفاذ الى الجانب الانسانى منها ، وهو شخصيتها كما ولدت ونشات لم تزوجت وانجبت بين قومها ، حين كانت تعيش بينهم بين اواخر الجاهلية وطلائع الاسلام . ولا بد من التفرقة بين النظرة الى الخنساء امراة ، والنظرة اليها شاعرة .

عشيرة الخنساء ومنزلتها فى قبيلتها

ولدت الخنساء قبيل ظهور الاسلام ، وادركت طلائع انتشاره وهى كهلة ناضجة ، فكان لها ولابنائها وكل قبيلتها منه مواقف كريمة فى تاييده ، لا لقربهم منه زمانا او مكانا فحسب بل لما بينهم وبين الاسلام ونبيه من اواصر الصهر ومكارم الاخلاق ايضا .

وقد ولدت الخنساء فى بيت من اعز بيوتات العرب ، له سيادة مرعية معترف بها فى قبيلتها « بنى سليم » وفى شتى القبائل المجاورة لها ولو كانوا من الد الاعداء ، فابوها « عمرو بن الحارث بن الشريد » زعيم قبيلته وشيخها او اميرها ، اذ كانت له رياسة بيت الشريد (وهو جده) ، وكان لهذا البيت رياسة بنى سليم جميعا ، وحسبنا من مكانته فى قبيلته وسائر قبائل العرب انه احد الرجالات السبعة الذين اوفدهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة الى كسرى ملك الفرس ، ليعتز امامه بهم وبمن وراءهم من العرب جميعا ، ويدله على ما للعرب من رجاحة العقول وكرم الاخلاق ، وبعد الهمم وفصاحة الالسنة ، رغم ما هم فيه من بداوة وسوء معيشة .

ومن عجب ان تدوم سيادة بيت الشريد على قبيلة سليم قرونا طوالا حيثما تفرقوا فى البلاد مع الفتوح الاسلامية ، ومنهم من رحلوا الى تونس واستقروا بها حتى عصر مؤرخنا ابن خلدون (القرن الثامن الهجرى) وفى هذا يقول مؤرخنا « وبنو الشريد لهذا العصر من جملة بنى سليم فى افريقية (تونس) ولهم شوكة وصولة » وهذا شىء نادر فى تاريخ البيوتات العريقة فى شتى الامم ، وان لثبات هذه السيادة فى هذا البيت طوال هذه القرون الثمانية يدل على صلابة طبائعها فى أصله، وعمق جذورها فى سلالته ، وتمسكهم بها جيلا بعد جيل ، وكان اهل

هذا البيت منذ الجاهلية يتعممون ، « والعمائم تيجان العرب » كما قال عبد الملك بن مروان الاموى ، فهي من خصائص الاشراف او الزعماء .

اما منازل قبيلتهم أيام الخنساء (في الجاهلية) فهي باديتهم التي نسبت اليهم خاصة « ديار بني سليم » ، لطول اقامتهم بها ، وتسلطهم عليها ، وهي مترامية الاطراف بين شمالي الحجاز ونجد ، وحدودها قريبة من مكة والمدينة فكانوا على صلات قوية باشراف هاتين المدينتين ، وهم من قيس عيلان من مضر (عرب الشمال) وكان لبني سليم شيء من خفض العيش لكثرة ما في ديارهم من المياه والمراعي والماشية والمعادن ، فكانوا يكرمون الضيف ويحمون الجار .

النبي يفخر بجداته المسلمات

وكان في نساء بني سليم نجابة ، كما كان في رجالهم كثرة وباس ، ولهذا اصهر اليهم كثير من الاشراف في مكة والمدينة وسائر القبائل المجاورة ، طلبا للقوة بالتحالف معهم ، وطلبا لنجابة الذرية ، وحسبنا من ذلك انه كانت منهن للنبي ـ عليه السلام ـ جدات افتخر بهن ، وان كان ـ لجلاله ـ ازهد الناس في فخر ، واغناهم عنه ، واقلهم تعرضا له ، فقد كان يقول عند اشتداد معركة حنين « انا ابن العواتك من سليم » لان بعض جداته ـ ثلاثا ـ كانت كل منهن تسمى عاتكة ، فسماهن جميعا « العواتك » تغليبا ، ولهذا الاسم الذى كان شائعا في القبيلة دلالته على نظرة الرجال الى مكانة المرأة عندهن ، فالعاتكة ـ هي الحرة العزيزة المكرمة ، وهي من تغلب زوجها وتابى عليه حين تريد ، وهي الجميلة المحبوبة ، وهي المحمرة من الطيب ، وكل هذه الخصال كانت من شمائل الخنساء . ثم ان هذه القرابة بين النبي وبني سليم كانت من اقوى الاسباب التي حفزتهم الى الاهتمام بدعوته حين بلغتهم والى الدخول فيها ، ثم تاييدها والثبات عليها بعده رغم كل الفتن الداخلية والخارجية ، وسياتي هنا من اخبار الخنساء ان شريفين من زعماء القبائل العربية خطباها على التوالى فردتهما ، اذ لم تعتبرهما اهلا لها ، ونزل ابوها واهلها عند رغبتها العزيزة .

الطابع الخاص لفضائل بيت الشريد

وكان لبيت الشريد (آل الخنساء) حظ من الفضائل التي قد لا تعد نادرة ، ولكن هذه الفضائل عندهم تتخذ طابعا « عارما » خاصا او ممتازا يجعلها اقرب الى الكمال او المثل الاعلى ، بحيث يمكن ان نسميه « السمة الشريدية » ـ نسبة الى آل الشريد ـ وملاحظة هذه السمة في سيرة الخنساء او شخصيتها هي وسائر آل بيتها تفسر معظم اعاجيبهم في الخصال والاعمال والاقوال ، وان كان هذا التفسير لا يحد من شعورنا نحوهم بالاعجاب والاكبار ، والسبب في اطراد هذه السمة بينهم هو جيشان نفوسهم بفرط الحيوية الغلابة ،فهي تغلبهم وتميزهم فيما يصدر عنهم من قول او عمل ، واليك مثلا ، فكل الآباء يحبون اولادهم فطرة ، ويعتزون بمن تظهر فيه النجابة ، او تتوسم منه ، ولكن ليس كل الآباء تمتلىء نفوسهمحبا واعزازا لاولادهمكما كان عمرو (والد الخنساء) يعتز بابنيه معاوية وصخر ، اذ كان يخرج معهما في مواسم العرب ، وياخذ بيدهما ويجاهر متحديا سائر شهود الموسم من مضر وغيرها ، فيقول : « انا ابو خيرى مضر ، فمن شاء فليعتبر » فلا يغير ذلك عليه احد ،اذ يقول : « من اتى بمثلهما من قبيله فله حكمه » فلا ينكر احد عليه قوله .

تربية الخنساء وأخويها

وقد ربى هذا الاب اولاده الثلاثة ـ ولا نعرف غيرهم له ـ على الاعتزاز بفضائل « السيادة » كانبل ما كانت عليه في تلك البيئة البدوية ، والاستمساك بها مهما تدلهم الخطوب ، وهذا دليل اصالتها وبعد قرارها في نفوس هذه الاسرة النجيبة ، فهي لا تتبدل مع تبدل الاحوال عسرا ويسرا . ويزيد من تقدير هذه السيادة انها لم تكن على نحو ما تكون في كثير من « بيوت العز » صلفا وبطرا واستنثارا وبغيا على الآخرين ، بل كانت عفة وكرما وعطفا وانصافا من انفسهم ومن الآخرين .

وامامنا ديوان الخنساء خير شهيد على ذلك ، فمعظمه ـ ظاهرا لاحقيقة ـ في الرثاء ،ولكننا حين نتامله تشخص امامنا آيات هذه السيادة ومكارمها جملة وتفصيلا في كل ما تصف به آلها ولا سيما

اخويها ، فهي لا تغفل عن هذه السيادة في فكر ولا شعور ، كيفما يكن الخاطر الذى يشغل عقلها او قلبها ، ويستغرقها النظم فيه ، وامامنا البقية القليلة من اخبار هذه العقيلة النجيبة لهذا البيت الكريم ، فجميعها يؤكد ادراكها لهذه السيادة ، واحساسها اياها ، واستئناسها بها ، ونزوعها الشديد اليها كسائر اهلها في تصرفاتها بين الناس.وليست هذه المكارم املا انسانيا يتطلع اليه خيال «شاعرة» ،ولا توقعاا يعتلج بهقلب «الانثى الخالدة » حين تحلم بفارسها الذى يحبها ويعزها ويحميها ويمنحها افضل الذرية ، انما هي الواقع الماثل امام نظر الخنساء ووعيها ، تراه مشخصا في البيتها الذىولدت ونشات فيه واستمدت منه شمائلها بالارث والتربية الصالحة ، وبقيت على هذه الشمائل بعد ان تزوجت وانجبت ، حتى اكتهلت ، وشاخت ، ثم ثكلت بقية ابنائها النجباء، واطفا الحزن نور عينيها ، ثم اسلمت الروح •

الخنساء تعي فضائل عشيرتها

ولو اردنا ان نضرب الامثلة من ديوان الخنساء على كل واحدة من هذه المناقب في آل بيتها كما وعتها وفسرتها ، ثم تغنت او ناحت بها ـ لنقلنا معظم ديوانها ، فحسبنا اقل الامثلة الجامعة لاطراف ذلك ، كقولها في رثاء صخر :

وابكى اخاك لأيتام وأرملـــة
وأبكى أخاك لحقّ الضيف والجـار

جمٌّ فواضلـه ، تندى أناملـه
كالبدر يجلو ، ولايخفىَ على السارى

ردّادُ عاديـة ، فكّاك عانيـة
كضيغم باسل ، للقِرْنِ هَصّـار

ويتمم ذلك قولها فيه :

لم تَرَهُ جارةٌ يمشى بساحتهـا
لِريبة ، حين يُخلى بيتَه الجـارُ

مثل الرُّدَيْنِيِّ لم تدنَس شبيبتُه
كأنه تحت طيّ البُرد أُسْـوار

مُوَرَّثُ المجد ، ميمونٌ نقيبتـه
ضخمُ العطية ، في العزاء مِغـوار

فرعٌ لفرع كريمٍ غيرِ مؤتشـب
جَلْدُ المريرة ، عند الجمع فخّـار

لا يمنع القومَ ان سالوه خِلعتَـه
ولا يجاوزه في الليل مُـرّار

وصخر يحمد الخنساء في رجز له فيقول : « وهي حصان قد كفتني عارها » اى انها عفيفة طاهرة ويلحق بهذه المناقب فيها وفي آلها ما يزينها جميعا من حلم ورجاحة عقل ، ولطف معشر ، وبلاغة لسان ، وحسن كياسة ورفق في معالجة المشكلات ، فامثال بيت الشريد ـ وعلى زعامته ابوها ـ عرضة في اى مجتمع حضرى او بدوى لان يلجا اليه الكبار والصغار في حوائجهم المختلفة ، ومنها الخصومات ، فلا بد له ـ ضرورة ـ من كفاية سياسية وادارية وقضائية عالية ، تستبقى لهم الثقة والمودة والاكبار بين الناس كيفما تقلبت الاحوال • ولا بد ان يلاحظ هنا ان التحاكم عن رغبة من المتحاكمين ، لا عن سلطان يكرههم على التحاكم اليه وقد شهدت الخنساء عهدا كان فيه سادات العشائر ياتون آلها ليتحاكموا اليهم ، وفي هذا تقول :

واذْ يتحاكم السادات طـرا
لدى أبياتنا ، وذوو الحقـوق

والمالوف في بيوتات السادة ولا سيما رجال الحرب ـ كآل الشريد ـ ان يختاروا الزوجات الجميلات النجيبات فلا غرابة فيما يروى عما كان عليه اخوا الخنساء من جمال وصلابة وطول قامة ، الى جانب ما تنعم به الاسرة من خفض العيش وعزه ، فقد وصف اخوها معاوية بانه كان ياخذ النظر بجماله ، تزين راسه جمة وضاءة غزيرة الشعر تنطف على الدوام دهنا وان لم تدهن ، ووصف اخوها صخر بانه اجمل فتيان العرب في عصره ، وكان كلا الاخوين مضرب المثل في طباع الفروسية وادابها ، وهذا الجمال وهذه النجابة وضلاعة البنية هو ما نتوقعه للخنساء ولو لم يرد به خبر ، فكيف اذا كانت تؤكده الاخبار ، وان لم تبلغ من ذلك ما بلغته محاسن الشقيقين •

تربيتها كما ينبغي ان تربى الفتاة

ويكاد يكون من تحصيل الحاصل ان نشير الى ان الخنساء قد ربيت في بيئتها كخير ما تربى عليه بنات العلية او الاميرات ، وان كنا لا نعرف شيئا عن نشاتها ، فان كل ما جاءنا من اخبار شبابها وشيخوختها يدل على انها ربيت على الجد والاستقامة في تحمل مسئوليات البيت واهله ، وملاك الامر في تربيتها انها نشات على اوجب ما تنشأ عليه الفتاة في كل زمان ومكان ، وهو غرس الشعور عميقا في نفسها بكرامتها الانسانية، فهي دائما تشعر بعزتها واستقلالها ورجحانها على اختلاف المواقف ، وهكذا كانت الخنساء كما تحدثنا كل اخبارها •

سيلة مجتمع وربة بيت

ومن تحصيل الحاصل ان نقول انها كانت « برزة » في المجتمع تلتقي الرجال لقاء الكريمة العزيزة ، ولم تكن خبيئة البيت المنقطعة عن المجتمع ، وكان لها استقلالها التام فيما تقبله او ترفضه من امورها الشخصية ، فلا يفتات عليها احد فيما يخصها ، ولا تتردد هي في ان تواجه اكبر الرؤوس واجلها عندها واحبها اليها باي رأي تراه ، ولكن في حشمة وأدب وكياسة تليق بمثلها كما كان رجال بيتها يفعلون ولا سيما عند الفصل في الخصومات وما تقتضيه من الرفق وحسن السياسة • ومن اخبارها في مطلع شبابها انه خطبها زعيم من آل بدر فرفضته ، ولا نعلم سبب رفضها اياه ، ثم خطبها دريد بن الصمة زعيم بني جشم ، الى جانب شهرته بالفروسية والشعر والخلق الرفيع ، وكان على اوثق صداقة مع شقيقها معاوية ، فهي به عارفة، ولكنها رفضته ايضا ، وجملة قصته معها انه مر بها وهي تهنا بعيرا اجرب لاهلها ،وقد تبذلت في ثيابها ، فلما فرغت من ذلك اغتسلت – ودريد يراها وهي لا تشعر به – فاعجبته وخلبته، فانصرف الى رحله،وانشا مقطوعة يصف فيها هذا المشهد ، وما تركه في قلبه من فتنة ، ومن ابياته :

أخُناس قد هام الفؤاد بكـــــم
وأصابه تَبْلٌ من الحـــــب

ما أن رأيت ولا سمعت بـــــه
كاليوم ، طالىَ أينُقٍ جُــربِ

ثم توجه الى ابيها فخطبها اليه ، فقال لــه ابوها « مرحبا بك ، يا ابا قرة ، انك للكريم لا يطعن في حسبه ، والسيد لا يرد عن حاجته ، ولكن لهذه المراة في نفسها ما ليس لغيرها ، وانا ذاكرك لها ، وهي فاعلة » ثم دخل اليها وقال لها : « يا خنســاء اتاك فارس هوازن ، وسيد بني جشم يخطبك ، وهو من تعلمين » – ودريد يسمع حوارهما – فقالت : « يا ابت ، اتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح (طوال القامة) ومتزوجة شيخ بني جشم ، هامة اليوم او غد » – اي طاعنا في شيخوخته قريبا من الموت – فخرج ابوهااليه ،وقال له « يااباقرة ، قد امتنعت ولعلها ان تجيب فيما بعد » وهذا مثل من التلطف في معالجة ابيها للمشكلات ولا سيما مثل هذه المشكلة الدقيقة المحرجة ، فهو لايريد لابنته الا ماتريد ، شاعرا بكرامتها واستقلالها ، مغتبطا به وان كان يخالف هواه ، وهو لا يريد انيصرف صاحبهالا وهو طيبالخاطر، مصون الكرامة ، وهو يترك الباب مفتوحا الا ان يفطن دريد فيغلقه ، وهناك رواية لهذه القصة تزيدنا معرفة بمناقب الخنساء واهلهاوعلاقة بعضهم ببعض ، وهو يخالف الخبر السابق ، وربما كان يتممه ، فلعل دريدا – وقد فتن بالخنساء – حاول ان يتشفع اليها بصديقه معاوية وهو شقيقها العزيز عليها – فعاود خطبتها اليه •

فلما استشــارها معــاوية رفضت الخطبة ، فحاول اكراهها فاصرت على رفضهــا مســتعزة باخيها صخر في حمايتها ، وكانت رفضت قبل ذلك زعيم آل بدر ، وفي ذلك تقول :

لئن لم أوتَ من نفسي نصيبـــا
لقد اودى الزمان اذن بصخــر

أتُكرهني – هبلت – على دريـد
وقـد طردت سيد آل بـــدر؟

ولقد تزوجت الخنساء بعد ذلك في بني عمومتها كما ارادت : تزوجها اولا رواحة بن عبد العزيز ، فلما مات تزوجها عبدالله بن عبد العزى فولدت ابنه عبدالله (وكنيته ابو شجرة) وكان زوجها

الثالث والاخير مرداس بن ابي عامر ، وكل اولاده منها : العباس ويزيد وحزن وعمرو (كاسمائهم) وسراقة ، وابنتهما عمرة ، وكلهم شعراء،وكان كل ابنائها سادة فرسانا .

أم منجبة

وكانت الخنساء كغير ماتكون ربات البيوت معونة للازواج في تدبير المعيشة وتربية الذرية، فقد ربت كل اولادها على اخلاق النبل التى راتها ونشات عليها هي واخواها في بيت ابيها، فكان اولادها جميعا ممن تشرف بهم الاسر بل القبيلة سؤددا ، وان كان ابنها العباس بن مرداس اشهرهم بذلك ، وهكذا كانت ابنتها عمرة فتاة وربة بيت نجيبة وشاعرة ، وان لم تبلغ شهرتها بذلك مبلغ امها العظيمة . ولم تكتف الخنساء في وفائها الزوجي بذلك ، فقد ابتليت من احد ازواجها اذ كان مولعا بالميسر – وهذا من أسوأ عادات الاشراف في الجاهلية – فاتلف فيه ماله واراد السفر طلبا للرزق ، فاشارت عليه أن يقيم ، واستعانت باخيها صخر فشاطرها كل امواله ، وتكرر هذا السفه من زوجها ، وهي في كل مرة تعاود صخرا فتشكو اليه حاجة بيتها ، فكان في كل مرة يناصفها كل امواله ، ثم يعطيها خير النصفين مما اغضب زوجته والار نقمتها عليه وعلى اخته وزوجها فسالته ان يعطيها ارذل الشطرين لان زوجها سيتلفه ، فابى الا رأيه اعزازا لاخته ، وكان من قوله في الدفاع عنها :

والله لا أمنحها شوارهـــا
وهي حصان قد كفتني عارهـــا
ولو هلكت خرقت خمارهـــا
واتخذت من شعر صدارهـــا

شعرها صورة شخصيتها وعشيرتها

وكانت الخنساء تقول الشعر ابياتا قليلة حتى فجعت بعد وفاة ابيها بقتل اخيها معاوية وزوجها وزادت عليها الفجيعة بقتل صخر الذى كانت اشد حبا له واكثر اعتمادا عليه في كل مايهمها، فبقيت متسلبة (في زى الحداد) سائر حياتها حتى بعد ان اسلمت وطلب منها تغيير حدادها ، وبتوالي الفجائع عليها ولاسيما قتل صخر انثال عليها الشعر ، فنظمت القصائد الطوال في الرثاء والبكاء ، واكثرت منها مما لانظير له في الشعر العربي او العالمي كله وكانت تخرج مع قومها في بعض مواسم العرب وهي متسلبة ، وقد حلقت شعر رأسها ، و « اتخذت من شعر صدارها » – كما جاء في شعر صخر هنا – وعلقت في خمارها نعل صخر ، ثم تسوم هودجها على جملها بزى الحداد ايضا ، وتباهي سائر نساء الموسم بفجائعها، وتنشد مراثيها في اخويها لاسيما صخر ، والمرأة اشد واكثر مجاهرة من الرجل بفجيعتها ، بل هي تباهي غالبا بها ، ولكن لانعرف في التاريخ امرأة بلغت من ذلك مابلغته الخنساء ، وهذه بعض مظاهر السمة الشريدية التى المعنا اليها قبل . وقد عرضت الخنساء شعرها في بعض المواسم على النابغة الذبياني – وكان الحكم بين الشعراء في الجاهلية – فسمعها واعجب بشعرها كما سمع للاعشى وحسان بن ثابت ، فلما فضل شعرها على شعر بنات جنسها جميعا ابت الا ان يكون الفضل لها على كل شعراء الموسم .

لماذا وكيف كان اسلامها

ثم ظهر الاسلام وهاجر النبي الى المدينة وهي اقرب لديار بني سليم ، فخف اليه بعضهم ،وكان من اولهم العباس بن مرداس ، ومن اسباب ذلك قرابتهم للنبي (لانهم من خنولته) ثم كان وفدهم من اوئل الوفود التي خفت اليه لتلقاه ،وتؤازره، وقد اخلصوا بعد ذلك للنبي ودينه ، فكانوا من ابرز القبائل التى اشتركت في الفتوح الاسلامية ومنها فتح مكة وموقعة حنين العصيبة في ايام النبي ومنها حروب الردة بعده ، ثم فتح العراق والشام ومصر ، ولايعنينا هنا من كل ذلك الا ان الخنساء كانت من اعلام وفد بني سليم الى النبي ،فاكرمهم وخصها بمزيد من عطفه وحنانه ، فسمع شعرها الباكي ، واستزادها من انشاده ، وهو يدللها « هيه ياخناس » ثم اكبر فرط وفائها لاهلها ، وقدر شيخوختها وجلالها ،وعسر تغيير عاداتها في حدادها لعمق حسرتها ، فلم يطلب منها تغيير زى الحداد ، ولاشك انها اخلصت للاسلام وفروضه ، ولكن كما تستطيع ذلك امرأة مثلها تربت وشاخت في الجاهلية على طباع صلبة معينة وتقاليد عميقة في العرف ، وكانت كال بيتها عارمة الشعور ، ولكن الفواجع كانت قد جرحت قلبها جراحا عميقة فبقيت تنزف حسرة دون ان تندمل او تؤذن باندمال، ولهذا لزمت الاسلام دون ان تترك احزانها ولا زى حدادها

كما اختارته واعتادته ظاهرا وباطنا ،وزادها ضعف الشيخوخة ميلا الى التذكر والحنين والبكاء حتى تقرحت عيناها وكف بصرها •

وقد حجت في خلافة عمر فاقبل بها اهلها عليه ليعظها ، وقالوا له :هذه الخنساء لم تزل تبكي على ابيها واخويها في الجاهلية حتى ذهب بصرها، وادركت الاسلام وقد قرحت مآقيها ، فلونهيتها « فجاءها معهم ، فاذا هي كما وصفوا ، فقال : ما اقرح ماقي عينيك ياخنساء» قالت:« بكائي على السادات من مضر » قال : « ياخنساء ، انهم في النار » فاجابته جوابها المسكت « ذلك اطول بعويلي عليهم، اني كنت ابكي لهم من الثار ، وانا اليوم ابكي لهم من النار » فعمر هنا في فضله وقوته يسهو عن انه ليس كل الرجال مثله فضلا وقوة ، فكيف بالنساء ، لاسيما العجائز الثاكلات المتهالكات ؟ وقيل انه لما جاءها لامها ووعظها ثم سمع شعرها ، فتركها يائسا عاذرا • فاسمعته ثلاثة ابيات كانت نظمتها ليومها في رثاء صخر ، فرق لها، وقال : « لا الومك في البكاء عليهم »،ثم قال لبني عمها : خلوا سبيل عجوزكم ـ لا ابا لكم ـ فكل امرىء يبكي شجونه •• وهذا الجواب كسابقه ذاك جدير بعمر ايضا ، ولكن ذاك اجدر به في غضبه لحرمات الله ، وهذا اجدر به في رحمته لله ، وهو مع الله في الحالين •

وقيل انها وردت المدينة حاجة ، فزارت ام المؤمنين عائشة ، وكانت متسلبة في صدارها الاسود حليقة الراس تدب من الكبر على العصا ، فقالت لها عائشة : «اخناس » فاجابتها «لبيك ياأماه » قالت « اتلبسين الصدار وقد نهى عنه في الاسلام؟ » فقالت:« لم أعلم بنهيه » فسالتها: ما الذي بلغ بك ما أرى ؟فقالت «موت صخر»،ثم ذكرت لها قصتها مع زوجها المستهتر بالميسر واتلافه ماله مرات ، وتعويض صخر عليها • بخير شطري ماله ، وقوله :

ولو هلكت خرّقت خمارها
واتخذت من شَعَرٍ صدارها »

ثم ختمت قصتها بقولها « فلما هلك اتخذت هذا الصدار ، والله لااخلف ظنه ولا اكذب قوله ماحييت » فهي سيدة نبيلة ومسلمة مخلصة تعرف لزوجة نبيها قدرها ، وتسمع وعظها دون جدال، ولكنها تحدثها بماساتها ، ثم تصر على وفائها لاخيها البرّ الحبيب الذى كان افضل آلها عندها ، والصقهم بقلبها الانثوي الزاخر بالعطف والوجيعة ، او كما قالت فيه :

وقد كان خالصتي من كل نسب
فقد أصيب ، فما في العيش أوطار »

كما تصر على تسلبها تنفيذا لكلمته كانها وصية ميت عزيز لافكاك من تنفيذها رغم كل موعظة وملامة، ولا تستبعد ان تكف عن اللطم وان ابقت على سائر مظاهر حدادها حزنا •

ومع كل ماأصاب الخنساء من وهن الجسم بسبب الشيخوخة الطاعنة والفواجع الطاحنة ، بقيت قوية النفس بعيدة الهمة ، فلما ضرب البعث على المسلمين للخروج الى القادسية ، لم تتواكل بل اجمعت عزمها فدفعت بكل من بقي لها من ابنائها وهم اربعة للخروج ، اخلاصا لدينها وجريا على مآثر قومها ، وابت الا ان تخرج بنفسها معهم لتزيد حماستهم وعزمهم على القتال، دون مبالاة باي تضحية •

فلما كان اول الليل في المعركة والاستعداد للحرب ذكرت لهم طهارة نسبهم وشرفه ،وذكرتهم بما أعد الله للمقاتلين في سبيله وطلبت منهم الاندفاع الى قلب المعركة • فلما كان الصباح بادر بنوها الى مراكزهم قابلين لنصحها باقوى عزيمة ، فلما كان القتال بادروه متلاحقين : كلما قتل اخ كر غيره بعده حتى قتلوا جميعا ، فلما بلغها خبر مصارعهم معا ، لم تزد على ان قالت: « الحمد الله الذى شرفني بقتلهم ،وارجوا من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته » وهل لمثلها في هذه الفاجعة القاصمة في شيخوختها الواهنة وعقيدتها الراسخة ـ وقد افردت من كل انس وحمى في الارض ـ الا اللياذ بانس الايمان في حمى الله ، معتدة بان قتلهم في سبيل مرضاته شرف لها عنده ، متعزية بالامل الحميم في الاجتماع الدائم بهم في مستقر رحيم ، لايحول ولا يزول ، ولا محنة فيه لمحب بالم حبيب او فراقه ، وهكذا اطبقت البلايا على المرأة العظيمة حتى اراحها الموت ، وما كان لها من راحة في سواه •رحمها الله بطلة مأس وام ابطال ، لو لم تخلق حقيقة واقعة لوجب ان يخلقها الفن والخيال ، لترضي اشوق النفوس في تطلعها الى الكمال • ■■

محمد خليفة التونسي

أنت تسأل .. ونحن نجيب

العلاقات العامة

متى عرفت

وكيف تطورت ؟

● تتردد كثيرا كلمة العلاقات العامة فى المؤسسات الاقتصادية والصناعية والاندية والجمعيات والهيئات والوزارات والمصالح ومختلف مرافق الدولة والمؤسسات الاهلية .فماهى العلاقات العامة ومتى عرفت وما هى مجالاتها ؟

احمد محمود السيد / الاسكندرية

ـ هناك عدة تعاريف للعلاقات العامة فقد عرفها البعض بانها فن مسايرة الناس ومجاراتهم ،وعرفها ركس هارلو وهو احد رجال العلاقات العامة ومن واضعى اسسها بقوله : « ان العلاقات العامة علم وفن ، وهى تستند على اسس علم الاجتماع الانسانى وتسعى الى تحسين العلاقات بين الناس لا فى حياتهم الخاصة فقط وانما فى حياتهم العامة» وقد عرفها الدكتور محمود الجوهرى رئيس جمعية العلاقات العامة العربية على النحو التالى : « العلاقات العامة علم يدرس سلوك الافراد والجماعات دراسة علمية بغية تنظيم العلاقات الانسانية على اساس التعاون والمحبة والوعى ، ويهدف هذا العلم الى رعاية العلاقات الانسانية فى المجتمع ، وكسب ود الجماهير ،وضمان التفاهم بين المؤسسات الاقتصادية والصناعية وغيرها .

ولم تظهر العلاقات العامة كعلم وفن قائم بذاته الا قبيل الحرب العالمية الاولى ، وازدهرت فى امريكا واوربا اثناء الحرب العالمية الثانية حيث تطورت تطورا كبيرا ، واصبح الاعلام الموجه الى الملايين اضخم تجربة شهدها التاريخ ، وقد قدمت لنا العديد من الدول اعظم الكفاءات من امثال جوبلز فى المانيا ودافيز فى امريكا وتشرشل فى بريطانيا للاشراف على عمليات تعبئة الرأى العام ضد الفاشية .

اما العلاقات العامة فى الدول العربية فلم يكن لها وجود بالمعنى المعروف الا فى بعض شركات النفط الكبرى ، وما تؤديه هذه الشركات من خدمات ونشاطات ترويحية وبعض الخدمات الاجتماعية، وقد اهتمت كثير من الدول العربية اخيرا بالعلاقات العامة وانشأ البعض منها وزارات متخصصة تحمل اسماء مختلفة لمؤسسة واحدة مثل الاعلام ،والارشاد والنشر والثقافة .

ولا شك ان العلاقات العامة تدخل فى جميع مرافق الحياة ومظاهرها الحديثة فهى مثلا تتصل بالشؤون الصحية وكذلك بالنواحى الاقتصادية والنشاط الترويحى كما ان اثرها فى المظهر السياسى والادارى .واذن يمكننا القول ان العلاقات العامة هى الجهاز او الادارة او الوسيلة التى تحقق بها النظم الاجتماعية او المنظمات الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية وغيرها اهدافها بوسائل مباشرة او غير مباشرة ، وهناك وسائل متشابهة تحقق بها العلاقات العامة اهدافها ومن هذه الوسائل مثلا وكالات الانباء والصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما والمؤتمرات والمهرجانات والندوات وغيرها .

(ص . ى)

اوقفوا « مأساة الغاز » في وطننا العربي

٥ بليون دولار نحرقها سنويا !

● قرأت مقالا في مجلة فرنسية ذكر فيه كاتبه انه استطاع قراءة الجريدة في الليل ، وهو جالس في سيارته ، على ضوء لهيب النيران الهائلة المشتعلة في غاز النفط ، على امتداد طريق طويل في بلد عربي .. ترى هل اصبحنا من الغفلة بهذا القدر .. ولماذا لا تستغل هذه الثروة العربية المهدرة ؟

حمود سعيد حمدان عدن ـ اليمن الديمقراطي

ـ ان كلام هذا الصحفي الفرنسي فيه الكثير من الصحة بكل اسف .. وقد ذهلنا فعلا عندما جلسنا نستمع الى رد الاستاذ حسين مالطي مستشار منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، على خطابك .. تعالوا نستمع سويا الى واحدة من اكبر مآسينا العربية الاقتصادية .. قال :

الارقام الرسمية عندما تتحدث تكشف لنا مالا يخطر ببال ..

« تقول هذه الارقام ان الدول العربية مجتمعة انتجت ٣٦٠٠ بليون قدم مكعب من الغاز خلال عام ١٩٧٤ صنعت وصدرت منها ٨٥٠ بليون قدم مكعب (٩٠٪ من هذه الكمية انتجتها الجزائر) والباقي ، وهو ٢٨٠٠ بليون قدم مكعب تم احراقها ! اى ان ماتم احراقه كان اكثر من ثلاثة اضعاف الكميات المصنعة والمصدرة .. وحوالى ٤٠٪ من حجم الغاز المحروق في العالم ! !

«وعلى سبيل المقارنة نجد ان الولايات المتحدة انتجت ٢٣٥٠٠ بليون قدم مكعب من الغاز في عام ١٩٧٤ صدرت وصنعت منها ٢٣٠٠٠ بليون قدم مكعب ، ولم تحرق سوى ٢٥٠ بليون قدم مكعب فقط ، اى

● قرأنا استطلاع « المسلمون في الهند » ، وشاهدنا صورة تاج محل ، قمة الفن المعماري ، ولكننا لم نقرأ عن الخطر الذي قيل أنه يتهدده من مياه نهر جمنة . هل لكم ان تحدثونا عن هذا الخطر ؟

ـ نعم .. تاج محل في خطر . فالروعة والجمال اللذان يتمثلان في هذه الذروة الشامخة التي بلغتها الفنون المعمارية باتا مهددين بالتلوث .. عدو الانسان الاول في هذه الايام ، والوجه الآخر البشع لمدنيته الصناعية .. فلو وقع المحذور ، وهو مرتقب في غضون ثلاثة اعوام ، او اربعة ، لكانت الخسارة الفادحة اسلامية انسانية فوق كونها هندية .. ولكانت ايضا مصيبة كبرى تحل بالعشاق في كل زمان ومكان .

زاره الكاتب الامريكي ، بايارد تيلور سنة ١٨٥٣ ، فقال فيه : « ان مبنى بهذا الجمال والكمال ، في كافة تفاصيله ودقائقه ، لا يلبث ان يسحرك فتحسبه من صنع الجن لا الانس .. الجان الذين لا يعرفون شيئا من الضعف او القصور الذي يعاني منه الانسان .. » او كما قال البحتري في وصف ايوان كسرى :

ليس يدرى أصنع انس لجن
ابدعوه أم صنع جن لانس ؟



مايزيد قليلا على١٪ من انتاجها المخصص للبيع.. وهى كمية تقل باكثر من عشر مرات عن الكمية المحروقة فى الاقطار العربية !!

« والذى لا شك فيه ان هناك تبذيرا كبيرا لموارد الغاز العربية ، ولو ان كميات الغاز المحروقة فى عام ١٩٧٤ بيعت بسعر السوق العالمى ، لبلغ مجموع عائدات الغاز مايزيد على اربعة بلايين دولار .. ولو حسبت كميات الغاز هذه على اساس معادلتها بكميات النفط ، وبيعت بمبلغ ١١٪ دولار لكل برميل ، لبلغ مجموع العائدات ٥ر٨ بليون دولار .. اى مايزيد بمقدار عشرين ضعفا على النفقات السنوية لجميع شركات النفط العاملة فى الوطن العربى !!

« ان ازدياد الاقبال على استعمال الغاز كطاقة فى العالم بدأ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وجميع التنبؤات تشير الى ان الغاز هو طاقة المستقبل .. فالغاز نظيف اذا ماقورن بالفحم والنفط وهما ملوثان .. »

« ان الدول العربية مدعوة اليوم لوقف هذا التبذير فى الغاز .. واذا كانت شركات النفط الاجنبية هى المسئولة عن هذا التبذير ، فان معظم الدول العربية اصبحت اليوم تشارك وتمتلك معظم شئون النفط فى بلادها ، وعليها الا تسمح بالاستمرار فى هذه العملية .. »

« حقيقة ان وضع الغاز اصعب من وضع النفط ولايمكن ان نقارن تكنولوجية الدول العربية بالولايات المتحدة الامريكية ، ولكن علينا ان نختار فى الحال واحدا من امرين : اما التصنيع او التخزين فى جوف الارض ثانية .. »

« ان مشاريع استغلال الغاز باهظة التكاليف، ولهذا يجب ان تقوم على مستوى اقليمى ، فنقل الغاز عبر الاقطار العربية ، يمكن ان يساعد فى اقامة العديد من الصناعات البتروكيماوية المشتركة .. وهذا ليس بمستحيل ، فاتفاقات نقل الغاز بالانابيب من ايران عبر روسيا الى اوروبا، والشروع فى بناء خط انابيب لنقل الغاز من الجزائر الى اوروبا عبر صقلية وايطاليا من جهة ، وعبر اسبانيا من جهة .. كل هذه المشاريع تقدم الدليل الواضح على ان نقل الغاز الطبيعى ليس مستحيلا ، حتى على نطاق القارات .. »

س . ز

ولا عجب فهذا المرمر الطاهر الكريم الذى يلف تاج محل يبهرك وانت تنظر اليه.. ان له من البهاء والصفاء ما يجعله يبدو لك كالكوكب الدرى .. لقد جمعوه من محاجر مختلفة ، وبخاصة محجر مركانا الشهير فى الهند . وراحوا يفحصون كتل الرخام ويدققون النظر فى جودتها فلا يختارون الا الامثل الامثل منها .. ولعل ما اهملوه من تلك الكتل ، لاقل طعن فى عراقتها ، اكثر بكثير من الذى اختاروه .

وحرص المهندسون المعماريون الذين اشرفوا على اعمال البناء والتصميم ـ وكانوا كثرة فيهم الفارسى والتركى والايطالى ـ حرصوا على ان يبرزوا بهاء ذلك المرمر وروعته ، فعمدوا الى اسلوب المفارقة ، واستعملوا حجارة سكرى الحمراء فى تشييد المبنيين الصغيرين القائمين على جانبى تاج محل .. احدهما المسجد .. والآخر المعد للاستراحة ويسمونه « جواب » .

وتذكرنا اعمال بناء هذا المجمع العظيم بالاهرامات .. فقد استغرقت ٢٢ سنة (١٦٣٢ ـ ١٦٥٤) ،قام بها ٢٠٫٠٠٠ عامل ،وبلغت تكاليفها فى النهاية ٤٠ مليون روبية ، باسعار تلك الايام فنضبت خزينة الهند ، واشرفت حكومة الامبراطور المسلم المغولى شاه جيهان على الافلاس ..

ومضى القرن السابع عشر وجاء القرن العشرون وتكاثرت المصانع وتلوث الجو وظهر البيئيون فى الغرب ، ثم بدأوا يظهرون فى الشرق ، وفى الهند بالذات ، حيث راحوا يحذرون من المخاطر التى بدات تهدد الجو فى اكرا وما حولها ، وتهدد بالتالى تاج محل .

ذلك ان شركة الزيت الهندية .T.O.C شرعت فى منتصف السنة الماضية ، ببناء مصفاة ضخمة للبترول براسمال ٢٠٠ مليون جنيه ، وذلك فى اوتار برادش وهى لا تبعد عن اكرا وتاج محل سوى ٤٠ كيلو مترا .

الحب الافلاطونى

● «الحب الافلاطوني» من العبارات الشائعة على الالسنة ، فما المقصود بهذا الحب ، وما اصل النسبة فيه ؟

دكتور / محمد كريم عبد الفتاح عزمى
كلية طب الازهر ـ القاهرة

ـ يشيع بين الجماهير وصف الحب بانه افلاطوني، بمعنى انه برىء من شهوة جنسية ، او غاية نفعية ، وليس هذا هو المعنى الفلسفى الدقيق للحب الافلاطونى Platonic Love ، او الحب عند افلاطون Platon (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق٠م) الفيلسوف اليوناني ، الذى يعد من الفلاسفة العظام ، كما انه اول اصحاب المذاهب الفلسفية الشاملة فى تاريخ الفلسفة كله ، فالحب عنده ينبثق عن نظريته فى « المثل Ideas » ، وهذه النظرية هى لباب فلسفته فى المعرفة والوجود والقيم ، كما ان عالم المثل او الصحائح عنده هو عالم الحقيقة ، واساس الوجود الذى لا يحده زمان ولا مكان ، ويقابله عالمنا الظاهر هذا وهو عالم الطبيعة المحدودة زمانا ومكانا ، وبيان معنى الحب عند افلاطون لا بد فيه من الالمام بنظرية المثل ولكن باوجز عبارة لضيق المقام ٠

افلاطون يرى ان الاحساس اول درجات المعرفة وادناها ، وبه ندرك عوارض الاجسام خلال يقظتنا، وصورها حين ننام ، وعالم المحسوسات متغير ، فالاحساس لا يفيد علما ، ولذلك لا تقنع النفس به ، بل تتوق الى الدرجة الثانية وهى الظن ، اى الحكم على المحسوسات وفاقا لما نحس من عوارضها ، والظن يصدق ويكذب ، واذا صدق كان الهاما ، وليس كسبا عقليا يقوم على البرهان، وموضوع الظن هو العالم المتغير ايضا ، وموضوع العلم هو الماهية الثابتة ، ولهذا تترقى النفس الى درجة ثالثة هى الاستدلال ، وهو معرفة الماهيات الرياضية فى المحسوسات ، والعقل هنا يستعين بالصور المحسوسة ليتنبه الى المعانى الكلية التى هى موضوع الاستدلال ،مستغنيا عن اى صورة محسوسة او تجربة فى استدلاله ، ومن هنا كانت المعارف الرياضية وسطا بين الظن وهو غامض ، والعلم وهو واضح ، ونحن الى هنا على اتصال بعالم المحسوسات ، ولكن مع هذا الاطراد فى سبيل المعرفة ترتفع النفس الى درجة اعلى وهى التعقل المحض ، لادراك الصفات المفارقة لكل مادة ، فالعقل قبل هذه الدرجة كان يحكم على الاشياء بامور تخصها ، وتتعلق بمادتها ، اما فى درجة التعقل المحض فاحكام العقل على الاشياء لا تتصل بخواصها ولا مادتها ، بل على الصفات العامة المستقلة عن كل الحسيات ، ومن هذه الصفات مثلا الجمال والخير والتشابه والتضاد ، فاذا تاملها العقل تساءل كيف ادركها مع استقلالها عن كل حس ومحسوس ، فيتبين له انها كانت فى العقل قبل ادراكها حسيا ، ومن هنا تبدأ نظرية المثل فى الوضوح ، فالعقل

وستؤدى هذه المصفاة ، حين تبدأ اعمالها سنة ١٩٨٠ ، الى تلويث البيئة ‥ بيئة الاقليم ‥ اقليم اكرا وتاج محل ‥

فالمرمر الذى بنيت به واجهات هذا المبنى العظيم سيتعرض سطحه للخدوش ولونه الناصع للعتمة نتيجة لما سيتصاعد من المصفاة من غازات الكبريت من جهة وغبار الكبريت من جهة ثانية ‥ والاخطر من ذلك هو ان الرخام ، وقوامه مادة الكالسيت Calcite ، سينتهى امره الى التلف المحقق تبعا لما ستطلقه المصفاة من ثانى اكسيد الكبريت وخاصة بعد تعرضه للماء ‥ ماء المطر وهو وفير فى تلك المنطقة ‥‥

وغنى عن البيان ان المشكلة مشكلة هندية فى المقام الاول ‥ فتاج محل صرح هندى ، يقوم على ارض هندية ،ويعود بدخل سنوى كبير على الخزينة الهندية ٠ ذلك ان ما لايقل عن ثلث السواح الذين يفدون على الهند يؤمون اكرا لمشاهدة تاج محل ‥ ومعنى هذا ان الهند تحظى بحوالى مليون سائح ، ونحو ٥٠٠ مليون دولار بالعملة الصعبة سنويا ، بفضل تاج محل ‥

لا غرابة اذن ان استاثرت المشكلة باهتمام حكومة الهند الكبير ٠ فقد شكلت لجنة على اعلى

يرتفع من الاحساس الى الظن الى الاستدلال ثم التعقل المحض ، بحثا عن علم كامل يكفي نفسه بنفسه اولا ، ويقوم عليه غيره ثانيا ٠

واذا كانت المحسوسات المتغيرة تمثل صورا كلية في انواع واجناس وفاقا لاعداد واشكال ـ وهذه كلها ثابتة ـ فلا بد اذن ان تبحث النفس عن علل لهذه الماهيات الثابتة ، وان تتبين التمايز بين المحسوسات وماهياتها في العقل ٠

فالماهيات كاملة في العقل من شتى وجوهها ، وهي معقولات صرفة ، ومثلها كل المجردات المستقلة عن المادة ، اما المحسوسات فناقصة لا تتحقق ماهياتها وان كانت تحاكيها ، ومحاكاتها لها ناقصة، ودرجات نقصها مختلفة ، واذن فكل الماهيات قد استفادها العقل من موجودات مجردة ضرورية مثلها، ومن هنا تؤمن النفس بان عالم هذه المجردات عقلي محض ، وانه يحوي الاصول او المبادىء الكاملة المطلقة الثابتة المتحققة بنفسها ، وهي أصول لعالم المحسوسات الناقصة المتغيرة المتحققة بمشابهتها لمبادئها وتقيدها بها ، هذه المبادىء هي « المثل » والمحسوسات تتشبه بها ، وهذه المثل هي اصول الوجود ، واصول المعرفة ايضا ٠

وقد كانت النفس اولا في عالم المثل ، عارفة به لانها منه ، ثم هبطت عند ولادتها الى عالم المحسوسات وتلبست بها فادركها الجهل والنقص ، غير انها بقيت بفطرتها تحن الى عالمها الاول ، ولهذا تنزع الى الترقي في درجات المعرفة حتى تصل اليه في ذاته ، وكل ما تصل اليه من المعارف في هذا الطريق انما هو نوع من التذكر لما كانت تعرفه من قبل ، حين كانت في عالم المثل ، تتأمله وتفكر فيه ، ثم نسيته حين تلبست بالجسم ، ويضع افلاطون على رأس هذه المثل مثال الخير المحض ، وهو اصلها جميعا او هو الله ٠ فاذا نظر الانسان اليوم شيئا جميلا من المحسوسات تذكرت نفسه مثال الجمال بين عالم المثل الذي كانت فيه من قبل، فشعرت بما يقارن النظر الى اي شيء جميل من سرور وتفتح وهيام ، وحب اي محسوس جميل هو الخطوة الاولى للنفس لترتقي الى درجات ارفع ، اذ ترتقي بعد ذلك الى حب النفس الجميلة ،فحب المعارف الجميلة ، فحب مثال الجمال ، فحب عالم المثل كله ، وتنتهي بالفلسفة وليس وراء ذلك غاية ٠ ومنطق نظرية المثل ـ ولم يصرح افلاطون بذلك ـ يؤدي الى ان للقبح مثالا كمثال الجمال ، وهو مثله معنى سرمدي كامل ، فيحرك الشيء القبيح فينا كل ما يحركه الشيء الجميل من وله وسرور ، ولعل ذلك ما عناه شاعرنا في قوله :

قلبي وثاب الى ذا ، وذا
ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي
ويرحم القبح فيهواه

ولعل ادنى ما يوضح لنا ذلك او يقربه حب الام لاولادها مهما يبلغوا من الشوه والدمامة ، وفي اقوال العامة « القرد في عين امه غزال » وان كان الحب الافلاطوني فلسفيا لا نوعيا ، واقرب من ذلك حب الفنان للاشياء جميلة وقبيحة فهو يعنى بها جميعا ويصورها في عمله ، ويكون تعبيره عنها جميلا ، وان كانت هي في نظرنا العادي غير جميلة٠

م ٠ خ ٠ت

المستويات لمتابعةالالمام بالامور وتقديم التوصيات٠ واقامت مكاتب لرصد التغيرات الجوية التي قد يسببها تلوث البيئة ٠ وكلفت مؤسسة تكنيكو Tecneco الايطالية المختصة بشؤون البيئة بدراسة المشكلة ووضع التوصيات التي ينتظر صدورها هي والتقارير الاخرى في غضون سنة ٠

بيد ان مشكلة تاج محل مشكلة اسلامية ايضا ٠٠ فالفن المعماري الذي يتمثل فيه فن اسلامي خالص لا اثر للفنون الهندية وغير الهندية فيه٠٠ والطراز الهمايوني الذي يتجسد فيه قد بلغ قمة في تاج محل لا نكاد نذكر انه بلغها في غيره ٠

فالمخاطر التي تتهدد تاج محل اذن تهم الدول الاسلامية او ينبغي ان تهمها ٠٠ ومن غير المعقول ان تغفل الهيئات الاسلامية ، وبخاصة تلك التي تعنى بالشؤون الفنية والمعمارية عن مشكلة تاج محل فلا توليها جل اهتمامها ٠

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو : لم لايتجه التفكير الى اختصار الطريق باقناع شركة الزيت الهندية أو بحملها على انشاء مصفاتها في موقع آخر بعيد عن تاج محل ٠٠٠ فالتضحية بموقع صناعي اهون شرا من التضحية بتاج محل ٠ ■■

ي ٠ ز

قصة قصيرة

وضاع... كل شىء

بقلم : محمد امام

■ فى مطلع شبابى ‥ جمعنى القدر بزوجة صغيرة مثلى ‥ قال أبى يومئذ : تكبر معك ‥ وتعرف طبعك ‥ حسب ونسب وجاه ‥ نعم هى جاهلة ‥ ولكن الايام تعلمها ‥ لو غبت عنها سنة تعود لتجدها خفيرا على شرفك وبيتك ‥

وكانت كما وصفها أبى ‥ بل أكثر ‥ زوجة غلبها النوم فى بركة على هامش بحر الحياة ‥ وظلت راكدة لا تتحرك ‥ اللهم الا مع اولادها ، وفى حدود حياتها المحدودة،التى لاتقبل تجديدها‥ تكفيها كسرة خبز وشربة ماء ومأوى ٠ اكفلها لها ‥ أنا سيدها ورب نعمتها ‥

كانت مثل هذه الزوجة تصلح لرجل آخر ‥ فى زمن آخر ‥ وقد صلحت لى من قبل ‥احترقت حتى تضىء لى الطريق ، ورحت أحث الخطى ‥ وهى تلهث ٠ تابرت واستمرأت الاحتراق،واضاءت الطريق من بعدى لاولادنا الخمسة ٠

احسست بتخلف « سيدة » زوجتى ‥ بعد اول قفزة ‥ لم أعد أحس بها فى جوارى ‥ نعم هى فى البيت ، ولكننى فى سلم الحياة ، ودرجات النجاح العريضة التى تظللها سحابة لامعة ‥ تتاثر على جنباتها الاضواء البراقة ‥ بما لايتفق وتلك العجوز ‥ التى ادت دورها فى بيت شاخ معها ‥ الا من شباب الخمسة ‥ حتى راحوا يعيشون حياتهم ، ويمرحون مع الشباب خارج البيت أكثر من داخله ‥

وذات مساء عمت البيت فرحة كبيرة ‥ اشترك فيها الجميع ‥ زوجتى ـ بعد الحاح فى الرجاء ـ والاولاد ، وكذلك الخادم ‥ خرجنا نجوب الشوارع بالسيارة الجديدة ، وتناولنا العشاء ‥ مجتمعين بعد فراق ‥ حول مائدة واحدة ‥

وفى الصباح تركت المنزل مبكرا على غير عادتى ‥ أخذت مكانى خلف عجلة القيادة ‥ وفى حذر انسلخت بالسيارة من الجراج المزدحم أسفل العمارة ‥٠

وفى خيلاء ، وببطء شديد ‥ خرجت من الشارع الهادىء بمنشية البكرى فى هدوء السابعة صباحا‥ ومنه الى الشارع الكبير الصاخب ، ومازلت فى اليمين متمهلا ، وكأنى ابحث عن شىء ، وفجأة ، وبعنف ‥ صدمت بصرى محطة الاتوبيس ‥ يالهى ٠ ان الوقت مبكر ‥ زحام السابعة مثل التاسعة ‥ بل أكثر ‥

وكأنه حلم ‥ مرقت فى رأسى كلمات ‥ لفظ لسانى بها ‥ لأملأن السيارة من محطات الاتوبيس) ‥نعم كان هذا وعدا أبرمته مع نفسى فى ساعات الشقاء ‥

فقبل أن أضغط بقدمى على البنزين كنت أبحث لها عن موضع فى محطة الاتوبيس ‥ ـ ونظرى يتنقل بين السيارات الفارهة،وهى تغدو وتروح‥ دون النظر الينا ٠ ـ نحن المعذبين فى الارض ـ الا من متسكع يبحث عن صيد للعشاء والسهرة ‥

وكنت أتلمظ غيظا ، وأقول لنفسى ‥ لو أن لى سيارة مثل هذه أو تلك ‥ حتى مثل الصغيرة هذه لأملأن مقاعدها من محطات الاتوبيس ‥ رحمة ورأفة بهؤلاء المترقبين ‥

رأيت المحطة امامى ، وقد اكتظت بكثيرين ، وصحوت من غفوة الذكرى ، لاجد السيارة واقفة ،



ولا أدرى كيف ومتى وقفت أمام المحطة •• لأملأن السيارة •• وتخليت عن مقعدى ، وتحركت ناحية اليمين مناديا فى تصميم •• الواقفين المعلقين بأمل ينقلهم الى عملهم ••

وكان بالقرب من السيارة امراة •• رداؤها السواد •• نظرت حولها فى تردد ثم تقدمت بعدما رات آخرين تقدموا من السيارة •• سارعت الى الخلف ، فلم يسعفها الباب ، فدلفت من الامام ، وكانت الاولى التى وطات قدمها السيارة •• التى امتلا من الخلف •• ثم تقدمت امراة هرمية الشكل، وانحشرت بأردافها قبل راسها •• (كانها بلدوزر) كسحت بردفها الأيسر صاحبة السواد ، وجعلتها تلتصق بى •• أكثر مما يجب ••

ذراعى اليمنى ـ رغم الحذر ـ تلامسها فى أماكن كثيرة •• اقشعر لها بدنى أول الامر ، ولكن يبدو ان الامر يبدأ بقشعريرة •• فقد احسست بشىء•• شعور غريب •• نسيته من زمن بعيد ••

دفء انفاس شابة •• هناك جاذبية بين الذكر والانثى •• استسلمت هى •• فكانت اقرب الى من نفسى ••

وفى ميدان رمسيس •• كدت اخترق الاشارة الحمراء •• لولا صرخة جماعية من قلب السيارة واهتزت السيارة اثر ايقافها فجأة ••

ذراعها البض ينسحب فى بطء عن ساعدى •• نظرت الى وجهها لاول مرة •• ليست جميلة ، ولكنها امراة •• فى طريقها للاربعين •• خالية من الالوان •• نظرة عتاب •• عيناها واسعتان سوداوان •• تفصحان عن انوثة••وشعرها الفاحم الناعم جمعته من الخلف بسهم ••

وجاءت النظرية الثانية •• نظرة امراة انصهرت تحت جذوة رجل •• جفت شفتاها ، فراحت تبللها بلعابها •• ثم تعض السفلى بأسنانها الناصعة البياض •• وواضح انها تعلم جيدا انى مراقب لحركاتها ••

من شارع رمسيس انحرفنا يسارا فى شارع عرابى الى ميدان التوفيقية •• حيث شكرنى الجميع بعبارات لم اميزها ، ولم أجب عليها •• وكانى نادم على دعوتى لهم •• الا جارتى التى اعتدلت فى جلستها بعد ذهاب الجميع ، وقالت بانوثة :

ـ ممكن أنزل فى شارع شريف ؟

ودون كلمة واحدة ، سلكت طريقى الى شارع شريف •• فهو نفس وجهتى •• وفى المكان الذى حدد لى « منادى السيارات » وقفت •• وهو يفتح الباب لى،ويبارك السيارة الجديدة ••طمعا فى نفحة سخية •• فشكرته مطمئنا •• وذهب الى عمله••

أما المرأة •• فقامت متخاذلة ، ودارت حول السيارة ، جاءت امامى ، واشارت بيدها فى الجانب الآخر •• الى المبنى المقابل •• وقالت :

ـ اننى أعمل هنا فى هذه الشركة ••

ولم أعر ذلك اهتماما •• فاكملت :

ـ وسيادتك احضرتنى قبل الميعاد •• ليتك تتاخر قليلا بعد ذلك •• فتسدى لى جميلا •

فقلت موجها بصرى الى الباب :

ـ يكون لى الشرف اذا تفضلت بتناول القهوة فى مكتبى •• فلا بد وأن يكون « عم حسين » قد وصل ••

ودون رجاء أو احراج ••كنا بعد دقائق متقابلين فى المصعد •• هناك آخرون •• صمت مطبق •• الاصابع تمتد لتسجيل الادوار فى سكون تام •• الا من بصرى يتحرك بين طيات نفسها •• ثم يبرز على السطح بعد الحيرة فى الاعماق •• السطح

أسود . من الشعر الى الحذاء وبين شعوب الضوء وحلقات الدخان من احد المحترفين ، وسوادها .. بدا وجهها كالبدر .. ترى .. هل هي ارملة ؟ .

كدت أتراجع في دعوتي لفنجان القهوة .. لولا الامد الكامن في اعماقي ...

قلت لنفسي :

ـ فنجان قهوة لا اكثر .. لم تذهب لحال سبيلها ..

وأمام الباب .. وقفت تقرأ اللافتة .. سبقتها الى الداخل .. ناديت « عم حسين » غاص في ظلام الحجرة .. اضاءها .. ثم راح يفتح النوافذ .. حيث كانت هي الى جواري تقرأ الكلمات الصغيرة عن يمين الباب « مدير عام منطقة القاهرة » .. سرت في جسدي نشوة زهو وكبرياء .. حياني الرجل فقلت له :

ـ احضر لنا القهوة .. فاوما وانصرف ..

وتحدثنا معا .. وفي لحظات قليلة أحسسنا بتجاوب عميق بين نفسينا ..

واقبل عم حسين ، وقدم لنا القهوة ثم انصرف .. ومدت اناملها .. رشفت كعصفور .. ثم ابتسمت بسمة عريضة .. كشف جمال شفتيها .. طرية ندية .. طازجة شهية .. وقرات على وجهي السؤال عن البسمة الطارئة .. فقالت محاولة ضم شفتيها :

ـ كيف عرف « عم حسين » اني أشرب القهوة « على الريحة » .

فاجبت :

الذي جمعنا هذا الصباح .. وأتى بنا الى هنا وجعلنا نتفق على لقاء كل يوم .. جعل « عم حسين » يدرك اتفاقنا في القهوة ..

هبت واقفة .. وفرحة اضاءت وجهها .. تحرك قلبي بعد طول رقاد ، وكانه يعمل لاول مرة بعد عطلة طويلة ..

تصافحنا .. بقيت أيدينا ـ لا ادري كم من الوقت مكثت .. ولكننا لم نفترق الا متفقين على مكان بعيد عن محطة الاتوبيس .. لاصطحابها .. وتناسيت عهدي ..

ـ لاملان السيارة ـ ..

فقد احسست أن السيارة تضيق بغير «سلوى» .. أما « سيدة » فمعذرة .. هي آخر ما أذكره في يومي .. انها اضحت اى شيء آخر غير .. امرأة .. الاولاد .. كبيرهم يعلم صغيرهم ..

« أحمد » مهندس مبتدىء .. في طريقه لمصاهرة « حسيب المنياوى » ـ ركن كبير .. يعتمد عليه في الاسكان والتعمير ـ .

« ومنى » تقدم لخطبتها الدكتور « هشام » .. ابن الشيخ « على فهمى » .. الرجل الورع .. أستاذ الشريعة ..

وعادل وسامي وليلى .. في سنوات الجامعة .. كل في حال سبيله .. وان ضل احدهم طريقه .. وجد اشقاءه في عونه وارشاده . دون الرجوع الى .. وخاصة في الايام الاخيرة .. بعد امتلاكى قلب سلوى والسيارة . التي سجلت آلاف الكيلومترات .. تعرفت خلالها على « سلوى » وتعرفت هي على رجولتي ..

اما سلوى فقد كانت زوجة لتاجر معروف من تجار الاثاث .. قبلته زوجا دون قيد أو شرط .. فقد كانت حبيسة التقاليد والنظم والسلالة .. و .. حتى تعدت الثلاثين ، وايقنت انها عانس لا محالة ..

قبلت ذلك الرجل الثرى رغم كهولته .. قبلته رغم معارضة الاهل ، واقترنت به وأحبته .. لانه عرف مقدارها .. اختارها زوجة بعد أن فقدت الامل .. أعاد اليها ثقتها .. أحاطها بالمال والحنان .. أثث بيت الزوجية باغلى الرياش ..

ورغم ذلك .. كانت تفتقد شيئا .. لاتعرف ماهو .. كان هناك دائما ماينقصها .. ماذا ينقصها ؟ عاشت قبله وفي كنفه ، وبعد مماته تبحث .. حتى توقعت ان الوظيفة هي ذلك الشيء الذي تبحث عنه .. وفيها سداد حاجتها للمال .. بعد وفاة زوجها واكتشافها انه كتب كل شيء لاولاده .. وما كانت هي الا متعة اخيرة لرجل محكوم عليه بالموت .. ولكنها لم تجد ضالتها المنشودة في تلك الوظيفة المتواضعة وظلت تبحث لاهثة ..

حتى ذلك الصباح في السيارة .. وجدت الشيء الذي طالما بحثت عنه .. وبعد عدة لقاءات في الصباح والمساء .. اعترفت لنفسها ولي بانها كانت تبحث عن .. رجل ..

وجاء منطقها .. على الانسان أن يمسك بما ظل يبحث عنه سنوات ، ويحافظ عليه .. حتى لايذهب منه .. ليعود ويبحث من جديد ..

وذات صباح غادرت البيت معلنا غيبتي في

احدى مناطق العمل لمدة شهر ، وبعد الاجراءات العرفية ، بدأت شهر العسل مع « سلوى » فى الشقة المفروشة وسط القاهرة ..

قضيت أحلى أيام العمر .. اعزف بيدى ايقاع الحب .. وسلوى تتلوى راقصة على انغام السعادة .. واصابعى تداعب أوتارها .. فترتم بجسدها اجمل لحن عزفته امراة ..

نسيت كل شيء الا سلوى .. البيت العتيق .. العلاقات التى شاخت .. الاولاد .. احتياجهم للمال .. للجامعة والزواج .. انفقت كل رصيدى فى البنك حتى امتلك السيارة .. وتدبرت مبلغا لقضاء شهر العسل .. نسيت الايجار الباهظ للشقة المفروشة .. ونسيت . ونسيت .. ولم اذكر الا سلوى .

كانت فى كل مرة امراة .. فى كل مرة جديدة ولكن الاسم «سلوى» .. الهبتنى انوثتها .. رويت ظماها ..

ستة أشهر قضيناها فى حلم جميل .. تخرج من بيتها القديم فى الصباح كالمعتاد ، وبالقرب.. آخذها فى سيارتى .. تذهب لعملها ، وتحادثنى عبر الاسلاك اكثر من مرة فى اليوم الواحد .. وبعد العمل اصطحبها ساعات نختلسها من الزمن فى عش السعادة . وفى المساء نعود الى منشية البكرى .. نعود سكارى .. هى الى بيتها .. وانا ارتمى فى فراشى .. أحلم بما يحمله لى الغد من سعادة مع سلوى ..

ولكن ثمة امر يزعجنى فى الآونة الاخيرة .. الاولاد لا هم لهم سوى النقود .. وماذا افعل ؟ من اين لى ؟ .. ألم يكفهم ما انفقته عليهم أكثر من عشرين عاما ؟ . هم وأمهم ، الم يحن الوقت الذى أعيش فيه ؟ .. اننى أعيش بعد الخمسين ..

كل ما يحدث فى البيت انساه بعد مغادرتى اياه.. سلوى كفيلة بذلك .. وكل بضعة أيام اغيب عنهم فى مامورية مصطنعة خارج القاهرة .. فالشركة تقوم باعمال كثيرة هنا وهناك . ومركزى يسمح بالمرور فى مناطق العمل ..

وتزيد المأموريات كلما الهبنا الشوق بسوطه.. حتى نطفىء اللهيب .. وحالنا يقول : هل من مزيد ...

الايام تمر .. واصبح البيت لايطاق .. وبدأت يدى تشح بالمال على « سلوى » . اى ان سعادتى فى البيت .. فى البيتين .. تتوقف على المال.. وقد امتدت يدى الى السلفة الخاصة بالشركة.. وهو مبلغ لايستهان به .. وعدت انتظر اول الشهر فى قلق لم يحدث من سنوات ..

وانا بين القلق والحيرة .. بين السعادة والتعاسة .. بين .. بين .. معلق لاادرى متى أسقط .. وعلى ما أسقط .. جاءنى « فرج » .. المهندس فرج .. رجل يخلط الغش بالتزوير .. ويضعهما اساسا لاى بناء .. لافرق عنده بين مستشفى او مدرسة .

جاءنى اكثر من مرة فى العام الماضى .. وكنت اطرده شر طردة .. ليعود فالتقى به فى الخارج .. فيعود ليعرض آلافا من الجنيهات .. فاعود لطرده من جديد ..

ويبدو أن مثل « فرج » هذا لايفقد الامل .. بل يعيد الكرة .. مرة ومرات .. وكانه عالم بنفوس البشر ، وما يعتمل فيها ..

لم أر باسا من استقباله هذه المرة .. كان سخيا فى عرضه .. قبلت .. وقبضت الثمن .. لم افكر فى امر بعينه .. رفعت السماعة ..ادرت القرص .. تليفون سلوى مشغول..هممت اطلب البيت .. حتى أزف اليهم خبر النقود .. ولكن .. لاادرى ..

قضيت المساء فى شبه غيبوبة .. سلوى لم تنعم بى .. قالت بعصبية :

ـ ما دمت متعبا .. لما حضرنا هنا ؟ .. هيا بنا ..

وفى البيت .. القيت لهم بالنقود .. فسعدوا.. وناموا جميعا ترفرف عليهم احلام جميلة .. أما انا .. فلم انعم بغفوة حتى الصباح ..

حارت « سلوى » فى أمرى أما الاولاد .. فنسونى .. اخذوا المال ولم يدركوا ما بى .. ومرت ايام ثلاثة كئيبة .. حتى جاءنى « فرج » بعرض آخر . قبلته .. وآخر بعد أيام ..

وعاد الحب والهناء فى البيت المزدحم ، وفى شقتى الصغيرة .. انعم فيها مع سلوى فى صفاء ووئام .. ولا يعكر حياتنا أمر ما ..

حتى ذلك الصباح .. والجريدة أمامى .. وأول بناء تعاقدت عليه مع « فرج » قد سقط .. وسقط فرج فى أيدى البوليس .. كما أصدرت النيابة امرا بالقبض على معاونيه . ■■

محمد امام

العقم
INFERTILITY
أو عدم الإنجاب
أسبابه وعلاجه

بقلم : الدكتور ابراهيم محمد القشلان

انت زوج ·· وتحب الأطفال ·· ولكن زوجتك لا تحمل · انك تفكر في طلاقها لتتزوج باخرى تعطيك اطفالا · ولكن انت تظلمها ·· قف ·· لا تتسرع ·· فربما تكون انت السبب ··على اية حال، ان لكل علة دواء ···وهناك علاج للعقم سواء أكنت انت المصاب به ام الزوجة ·

■ ان هذه المشكلة عرفت منذ نشاة الانسان وقد حاولوا قديما ايجاد العلاج لها ، وكان قدماء المصريين من اوائل من بحث هذا الموضوع ، كما انهم في اليونان عمدوا الى وضع المراة في أوضاع معينة لفترات طويلة اعتقادا منهم ان ذلك قد يعدل الاجزاء المصابة ·

كذلك استعملت النباتات الطبية في علاج الكثير من حالات العقم ، وما زال يستعملها حتى الآن كثير من الناس ، وبعض القبائل في مناطق متفرقة من العالم ·

ومن الاخطاء الشائعة عند كثير من الرجال ان يتزوج الرجل ، وينتظر بضعة شهور ، فاذا لم تحمل زوجته طلقها وتزوج غيرها ·· وهكذا الى ان يكتشف اخيرا انه السبب في عدم الانجاب وليس زوجاته ·

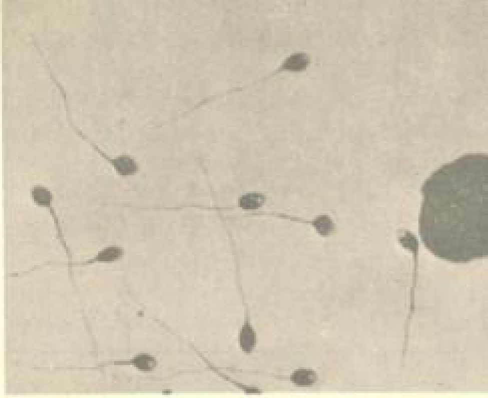
والحمل يحدث نتيجة اتحاد الحيوان المنوى للرجل مع البويضة للمراة ، ولذلك اذا كان هناك اى مرض او خلل في احد الطرفين تاخر الحمل حتى يعالج السبب ، كما انه يجب على الزوجين ان ينتظرا سنة كاملة بعد الزواج لتهيئة الفرصة للحمل ، فاذا لم يحدث فعليهما مراجعة الطبيب حيث ان بضعة شهور فقط من الزواج ليست بالمدة الكافية لحدوث الحمل اذ ان هناك عوامل كثيرة لا بد من وضعها موضع الاعتبار ، وساوضح في الصفحات التالية العقم بالنسبة للرجال ·

لقد اكتشف الحيوان المنوى Spermatozoon لاول مرة سنة ١٥٩٠ غير ان تركيبه لم يعرف الا بعد ذلك بسنوات طويلة قد تبلغ ثمانين او اكثر · وفي سنة ١٨٢٧ ، تم اكتشاف البويضة في المبيض، وكيف تنزل الى الرحم ·

وهناك نوعان من العقم :

١ ـ العقم الابتدائي : Primary infertility ، وهو عقم الشخص الذى لم ينجب في حياته·

٢ ـ العقم الثانوى Secondary infertility وهو عقم الشخص الذى انجب في البداية ثم توقف



منظر للحيوانات المنوية
الطبيعية تحت الميكرسكوب

بعد ذلك ، او حدث حمل ولم يكتمل نتيجة اجهاض او وفاة الجنين اثناء الولادة ·

كما ان هناك لكل فرد ، درجة من الاخصاب Fertility index ولذلك فقد يكون الطرفان سليمين ولكن لا يحدث انجاب نتيجة هبوط درجة الاخصاب فى كل منهما ، كما يكون الزوجان كثيرى الانجاب وعندهم ذرية كثيرة ، الا ان ذلك لا يعنى انهما طبيعيان ، وقدرة انجابهما عالية ، ولكن يكفى ان يكون احد الطرفين عنده درجة اخصاب عالية High fertility index حتى يعوض الطرف الاخر ، وهذا يوضح كيف ان الرجل ربما يكون السائل المنوى عنده ضعيفا ، ولكنه مع ذلك ينجب انجابا طبيعيا جدا بدون اى علاج ، لان زوجته ذات درجة اخصاب قوية ·

وحدة بيولوجية واحدة

لذلك نقول ان الزوجين يكونان وحدة بيولوجية او يكمل احدهما الآخر ، فاذا فرضنا ان قوة الانجاب الطبيعية للشخص هى مثلا ١٠ ، فالزوجان المثاليان فى الانجاب يكونان ١٠ × ١٠ = ١٠٠ ·· ولكن الانجاب يحدث طبيعيا جدا اذا كانت النسبة ٦٠ فاكثر ، فقد يكون الزوج مثلا ٦ والزوجة ١٠ او ٧٫٥ × ٨ فكل فرد يكمل ويعوض الآخر ، ولذلك يعيش الزوجان حياة عادية ·

كذلك يمكن ان يكون الطرفان سليمين وبالرغم من ذلك لا يحدث حمل بينهما ، الا ان سجل واحد منهما يمكن ان يؤدى الى زواج مثمر مع شريك آخر وتسمى هذه الحالة Selective incompatibility

والسبب يرجع الى عدة نظريات :

١ ـ Spermato - toxic immunity وهذه النظرية حديثة الا انها تحتاج الى دراسات وتجارب عملية للتاكد من صحتها وملخص هذه النظرية هو ان المواد الناتجة من تحلل الحيوانات المنوية فى رحم المراة وامتصاص الغشاء المخاطى لها يؤدى الى تكون اجسام مضادة للحيوانات المنوية Anti bodies عند المراة ، ووجود هذه الاجسام المضادة فى الجهاز التناسلى للمراة يقتل الحيوان المنوى ويمنع الحمل ، اى انه اصبح عند هذه الزوجة حصانة او مناعة ضد السائل المنوى لزوجها ·

٢ ـ Humoral Inompatibility وفيها تكون المناعة طبيعية موجودة فى الاصل ، وعدم التوافق هنا يحدث تماما كما يحدث بين فصائل الدم حيث اننا نجد عدم تجانس بين افرازات الجهاز التناسلى للمراة وبعض الحيوانات المنوية، وقد حاول بعض العلماء اثبات هذه النظرية وتحويل المراة الى زوجة عقيم بتطعيمها بحقن محتوية على حيوانات منوية من زوجها ، الا ان تاثيرها مؤقت ·

٣ ـ Gametic Incompatibility نتيجة عدم التجانس بين (الجاميط) للزوجين ·

الأسباب

اولا : Disturbance of Spermatogenesis

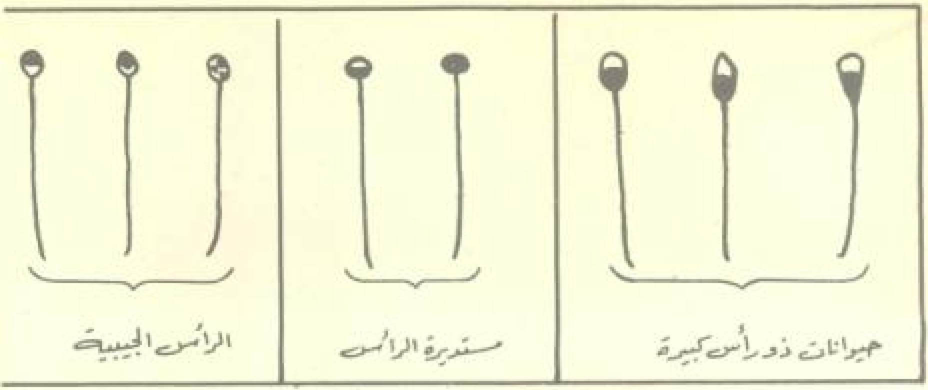
وهو اضطراب الأنطاف او تولد الحيوانات المنوية ، وهذا يحدث نتيجة الاسباب التالية :

١ ـ اختلال الخصية نتيجة اسباب خلقية مثل عدم نزول الخصية او عدم تكونها ، وهذه قد تكون مصحوبة باضطراب هرمونى وتغيرات اخرى فى الجسم ·

٢ ـ ضمور الخصية نتيجة لاسباب خارج الجهاز التناسلى ، وهذه تشكل معظم اسباب العقم وتتلخص فيما يلى :

ا ـ تاثير الالتهابات والحميات والسموم ، وهذه تصل الى الاعضاء التناسلية عن طريق الدم مثل الغدة النكفية ، التيفوئيد ، الانفلونزا ، الالتهاب الرئوى ، السل ، الزهرى ·

ب ـ سوء التغذية واضطراب التمثيل الغذائى، خاصة نقص فيتامين ب المركب ، ت ، هـ ، والاحماض الامينية مثل الارجينين · وكثيرا ما نلاحظ فى مرضى السكر اضطراب تكوّن الحيوانات المنوية



نتيجة اضطراب التمثيل الغذائي ، كذلك فان السمنة الزائدة تؤدى الى الضعف ، وبالنسبة الى ادمان الخمر والمخدرات ، فعلاوة على تاثيرها على سوء التغذية فانها تؤدى الى تاثير سيء على خلايا الخصية مؤدية الى ضمورها .. كذلك فان كثرة التدخين تؤدى الى اضطراب عملية تكون المنى ، وانقباض انابيب التوصيل .

جـ ـ تاثير اشعة اكس ، كذلك تاثير الحرارة الشديدة .

٣ ـ اصابة الشرايين المغذية للخصية كما يحدث احيانا نتيجة عملية الفتق والدوالى ، كذلك القيلة المائية اى وجود ماء داخل الصفن تؤثر على الخصية نتيجة الضغط المستمر عليها .

٤ ـ اضطراب الهرمونات : وهذا يكون نتيجة التهاب او ورم فى الغدد نفسها خاصة الغدة الدرقية والنخامية ، او اضطراب ثانوى نتيجة امراض الكبد واضطراب التمثيل الغذائي التى بدورها تؤثر على الغدد .

٥ ـ عوامل نفسية : مثل الاضطرابات النفسية الشديدة والارهاق النفسى المزمن او الخوف طويل الامد ، فان كل هذه العوامل تؤدى الى اضطراب الغدة النخامية ، وبالتالى الى اضطراب الانكاف .

ثانيا : انسداد البربخ او الحبل المنوى
Obstruction of the sperm ducts
وهذا الحبل المنوى هو الذى يوصل السائل المنوى ، وهذاينتج عن :

١ ـ الالتهابات : خاصة السيلان والتهاب مجرى البول اذا اهمل علاجه وهو من اهم الاسباب حيث يؤدى الى ضيق فى القناة القاذفة او انسداد فى البربخ علاوة على انه يفرز سموما تؤثر على الحيوانات المنوية .

ب ـ Dystrophes حيث تتكون حويصلات صغيرة فى البربخ مؤدية الى الانسداد .

جـ ـ Traumatic وهو اصابة انابيب التوصيل نتيجة حادثة او اثناء عملية جراحية كما يحدث احيانا اثناء عملية الفتق Congenital وهى خلقية حيث يولد الطفل والانبوب ضامر او مسدود.

ثالثا : اضطراب القذف مثل القذف المبكر وعدم رجوع السائل المنوى الى المثانة . كذلك حدوث تغيرات فى السائل المنوى نتيجة وجود التهاب او مرض بالغدد التناسلية يؤدى الى زيادة كثافة السائل او كثرة الصديد او وجود كرات حمراء كثيرة او وجود ميكروبات تفرز سموما تقتل الحيوانات المنوية .

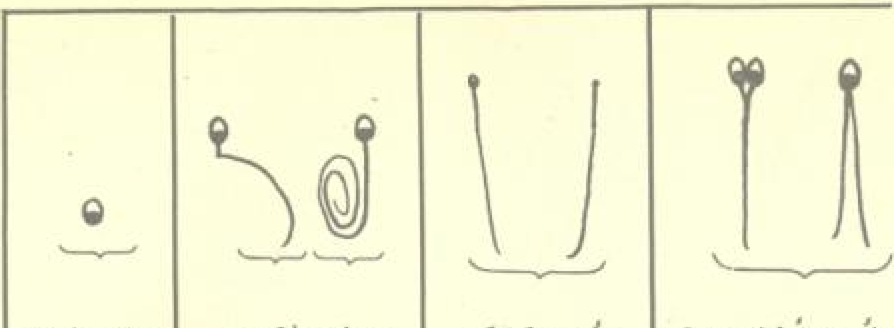
الكشف والتشخيص

١ ـ الكشف العام على المريض للتاكد من خلوه من امراض الغدد ، كذلك الاستفسار عن تاريخ حياته المرضية منذ ولادته لاستبعاد اى مرض اثناء الطفولة يكون قد ادى الى هذه الحالة ، كذلك التاكد من التهابات مجرى البول السابقة وكيفية علاجها واذا كانت قد تركت اى مضاعفات. كذلك لا ننسى سؤال المريض عن وظيفته او طبيعة عمله اذا كان يعمل بالاشعة او فى درجة حرارة عالية مثل الافران او وسط غازات سامة .

٢ ـ ياتى بعد ذلك الفحص الاكلينيكى للتاكد من الاعضاء التناسلية واحتمال وجود انسداد او ضمور او مضاعفات لالتهابات سابقة .

٣ ـ عمل التحاليل ، خاصة تحليل الدم للزهرى والبول للتاكد من خلوه من الالتهابات والسكر . ثم تحليل السائل المنوى من حيث الكمية والتفاعل والكثافة واللون وشكل الحيوان المنوى وعدده وحركته وحيويته .

وعموما فان كمية السائل المنوى تختلف من



٢ ـ ٦ سم فاذا كانت الكمية اكثر من ذلك ، فهذا دليل على وجود التهابات بالبروستاتة او الحويصلة المنوية ، واقل من سنتميتر واحد قد يدل على وجود ضيق او انسداد بالقناة القاذفة ، وعادة فان الحيوانات المنوية تموت تدريجيا بعد عملية القذف الا انك تجد بعضها يستطيع البقاء لمدة تزيد على ٢٤ ساعة فى درجة الحرارة العادية . اما عن عدد الحيوانات المنوية فهو يختلف ما بين ٦٠ ـ ١٥٠ مليون فى كل سم٣ .. ولكن لا يعنى ذلك ان الشخص الذى يكون تحليله اقل من ٦٠ لا ينجب حيث ان الانجاب يحدث نتيجة حيوان منوى واحد وانما ذلك يدل فقط على درجة الاخصاب اذا كانت عالية او ضعيفة . كذلك شكل الحيوان المنوى مهم اذا كان طبيعيا أم تكون راسه مثلا كبيرة جدا او دقيقة جدا او يكون ذا راسين او ملتويا،وعموما فهذه النسب غير الطبيعية موجودة فى كل شخص الا انها لا تتعدى ٣٠٪ فى الشخص الطبيعى .

كما اننا لا ننسى ان افرازات البروستاتة والحويصلة المنوية وباقى الغدد التناسلية الاخرى تضيف الى السائل المنوى الغذاء والمواد الضرورية لنشاطه وحيويته .

وتفاعل السائل المنوى قلوى بينما افراز المهبل حمضى ، ولذلك اذا كانت كمية السائل قليلة ، فانها لن تستطيع معادلة الافراز الحمضى للمهبل الذى يقتل الحيوانات المنوية ، كما ان زيادة كثافة السائل المنوى تعوق حركة الحيوانات المنوية وتؤدى الى اجهاده وسرعة موته .

الوقاية والعلاج

اولا : يجب الابتعاد عن الاسباب التى تؤدى الى العقم وذلك بالوقاية من الامراض التناسلية وعلاج اى مرض فور الاصابة به مع اتباع نصائح وارشادات الطبيب .. كذلك الكشف على الاطفال قبل سن البلوغ لملاحظة اى اضطراب هرمونى او عدم نزول الخصية وعلاجها قبل البلوغ ودور الصحة المدرسية مهم فى ذلك المجال لاكتشاف الحالات مبكرا .

ثانيا : عدم التدخين بكثرة او ادمان الكحول ، كذلك الرياضة والهواء الطلق .

ثالثا : علاج الامراض العامة التى تؤثر على هذه الناحية مثل السكر وفقر الدم وامراض الكبد والسمنة وسوء التغذية ونقص الفيتامينات .

ـ علاج اى التهاب مزمن موجود سواء كان التهابا تناسليا مثل التهاب البروستاتة اوالزهرى او غير ذلك مثل التهاب الاسنان او الجيوب الانفية .

ـ علاج اى اضطراب هرمونى ان وجد ، وكذلك علاج الاضطرابات الجنسية والنفسية .

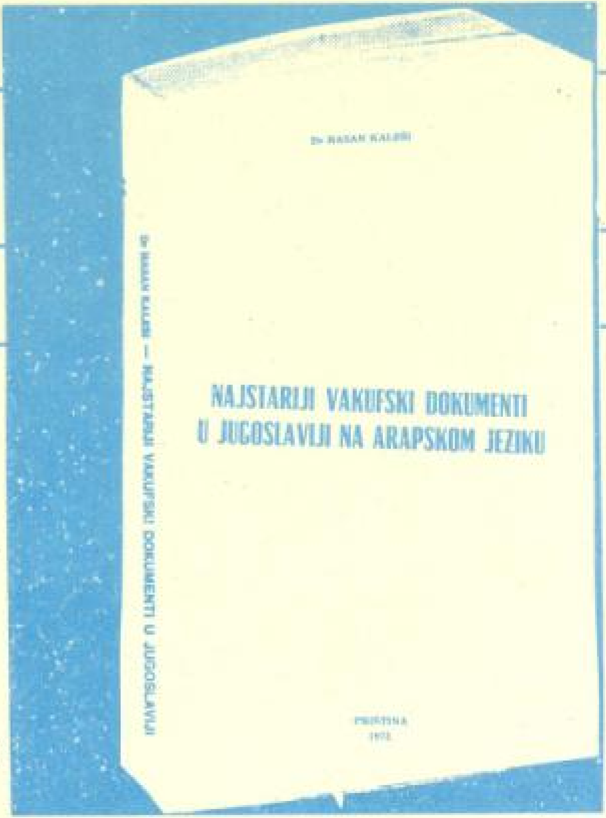
ـ علاج ضعف الحيوانات المنوية بواسطة الاخصائى الذى يقرر العلاج المناسب لكل حالة سواء بالهرمونات ام غيرها حبوبا كانت او حقنا .. وفى الحالات الضعيفة جدا او حالات الانسداد يمكن اخذ عينة من الخصية Testicular Biopsy لفحصها باثولوجيا لمعرفة مدى صلاحية الخصية ونشاطها فاذا كانت الخصية سليمة وثبت وجود انسداد امكن اجراء عملية جراحية لازالة هذا الانسداد وتوصيل الانبوب واخيرا اذا كان السائل المنوى للزوج ضعيفا بحيث لا يستطيع بلوغ الرحم او هناك عائق فى مهبل المراة ، يمكن اللجوء الى التلقيح الصناعى بواسطة السائل المنوى للزوج ، الا ان هذه الطريقة ليست محببة عند كثير من الناس كما ان نسبة نجاحها ليست مضمونة الى حد كبير .

■■

ابراهيم محمد القشلان

عرض كتاب

أقدم



للدكتور
حسن كلشي*

بقلم :
محمد موفا كو

الوقف لم يكن وقفا على الدول العربية الاسلامية وحدها ... لقد اهتم به مفكرون خارج حدود الوطن العربى ، فراحوا يبحثون ويدققون ، ليقدموا لنا أقدم الوثائق المخطوطة عن الوقف ودور الوقف فى كتاب . اما المؤلف فهو ينتمى الى احدى دول البلقان ، واما مقدم الكتاب فهو مستشرق يوغسلافى مسلم .

■ مؤلف الكتاب ، الدكتور حسن كلشى ، اشهر من أن يعرف فى كلمات فى المحيط البلقانى . فهو من أبرز علماء البلقان واوربا الشرقية فى مجال الاستشراق والتركولوجى Turkulogy (الثقافة التركية) كما انه يعد مرجعا فى شؤون الحركة الاسلامية Islmization فى البلقان . وكتابه هذا ، الذى نقدمه لقراء المجلة ، يتناول مسالة الوقف والوقفيات . وقد يتبادر الى ذهن القارىء انها مسالة عادية ، الا انها فى الحقيقة، وكما بدت من كتاب المؤلف مسالة مهمة ماسة ، وهذا ما يمنح الكتاب اعتبارا خاصا .

ففى اى دين ، وفى اى مجتمع ، لم تلعب مؤسسة الاوقاف دورا بهذه الاهمية ، كما لعبته فى الدين والمجتمع الاسلامى ، حتى ليبدو انه لم يوجد جانب من حياة الشعوب والدول الاسلامية، من دينى واخلاقى واقتصادى وسياسى واجتماعى

(*) Dr. Hasan Kalasi : Najstariji Varufski Dukomenti u Jugoslaviji Na Arapskom Jeziku - Pristina - Jugoslavija.

لوثائق الوقفية المكتوبة

بالعربية في يوغوسلافيا

الخ .. لم تمارس الاوقاف فيه تأثيرا ما ، فكل الخدمات في الامبراطورية العثمانية والتي ما يزال بعضها قائما لليوم ، كانت تمول وتسير من قبل الاوقاف ، وتجارة تلك الايام ، لايمكن ان يتصورها المرء ،لغير الخانات . ومحطات الاستراحة ،والمخازن والاسطبلات ، وكل هذه نمت وتطورت مستندة على الاوقاف . والمؤلف يذكر فيما يتعلق بهذا ، ان ان دراسة الطابع الحقوقي والاجتماعي للاوقاف ـ مع كل ما طرأ عليها من تبدل خلال العصور ـ لا تكيف التاريخ الديني والاجتماعي فحسب بل التاريخ الاقتصادي والمالي ايضا .

ان الاوقاف ، بشكل من الاشكال ،تعكس الظروف الحياتية للطوائف الاجتماعية المختلفة ، تطور المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية ، والعلاقات الحقوقية والاجتماعية الخ .. كذلك قامت الاوقاف بدور شديد الاهمية في الحركة الاسلامية في البلقان ،وفي انتشار الثقافة العربية والاسلامية فيه .

مصادر دراسة الاوقاف

والمصادر الاساسية لدراسة الاوقاف هي بالضرورة الوقفيات . ومع انه الآن في يوغسلافيا تعطى عناية ملحوظة لدراسة الاوقاف والوقفيات ، الا انه ـ كما يقول المؤلف ـ سيكون فقط من الممكن بعد القيام بمراجعة نقدية لكل الوقفيات والوثائق الاخرى ، وبشكل خاص وثائق القرن ١٥ ـ١٦ ، ان يكشف النقاب عن مواقع الاوقاف ، وعن مؤسسيها ، وعن المشاريع التي تركت كاوقاف ، ولدى المؤلف قناعة ، في انه بعد طبع هذه المصادر سيكون من الممكن اعادة تركيب هيكل الاوقاف في الاقاليم الحالية في يوغسلافيا ، ومن حل بعض المسائل التي مازالت معلقة في التاريخ اليوغسلافي من ناحية ، والبلدان البلقانية الاخرى من ناحية ثانية .

ويرى صاحب الدراسة انه لو طبعت هذه الوثائق في اطار علمي ونقدي ، فانه من الممكن ان يتوصل المرء الى كتب مفيدة حول التاريخ الاقتصادي ، وتاريخ التموين والتوطين Colonization والطوبوغرافيا التاريخية والادارية والمالية ، واخيرا حول انتشار الدين الاسلامي الخ .. وهذه ، دون شك ، ستدفع المرء الى ان يعيد النظر في تشكيل المجتمع التركي والاسلامي عامة هناك ، والظروف الاقتصادية للطوائف الاجتماعية المختلفة، والعلاقات الاجتماعية والحقوقية . كذلك فان هذه ستساهم في معرفة نظام تعمير المدن ، واستقرار الناس ، والحرف وانواع النقود ، والمواد الغذائية ، وتطور المؤسسات العلمية والتعليمية والثقافية ، والحركة الدينية .ونظام التعليم والمواد والنصوص التعليمية المختلفة التي استعملت على مر العصور . وهذه الامور هي التي حفزت المؤلف نحو دراسة وثائق الاوقاف التي هي اقدم ، والمكتوبة بالعربية ، والمدونة بين فترتي ١٤٣٤ ـ ١٥٨٦ .

اللغة العربية في الوقفيات

ودراسة الاوقاف من ناحية اخرى ، دفعت المؤلف الى ان يتوقف عند مسالة انتشار اللغة العربية في البلقان . فالعربية ، كلغة للثقافة والحضارة الاسلامية ، قد بدأ الاهتمام بها ودراستها في البلقان مع بداية انتشار الاسلام . وعلى هذا ، فمنذ بداية النصف الاول للقرن ١٥ ، بدأ تاسيس المدارس ، حيث كانت المواد الاساسية يجرى تعليمها بالعربية ، وبقى حجم المدارس ينمو

باستمرار ، حتى انه فى نهاية القرن ١٩ ، وجدت اكثر من ٢٠٠ مدرسة(١) داخل الاقاليم العالية ليوغسلافيا. واذا اخذنا بعين الاعتبار هذا الانتشار، فانه لن يعود هناك داع للعجب ، من ان كثيرا من الناس ، لا سيما الالبانيون والبوسنويون(٢) ، قد اتقنوا اللغة العربية الى درجة انهم قد كتبوا بها كافة الكتب ، التى كانت تدرس يومئذ ، فى كل الفروع العلمية والادبية . واضافة الى هذه نجد ان العربية متمثلة فى اشكال اخرى ..

فمن ناحية ، نجد ان معظم الشواهد التاريخية على مختلف انواعها كتبت بالعربية، اذ ان الاتراك، جريا على عادة العرب ، تركوا ـ مع تشييد كل مؤسسة ـ كتابة تخلدها ، تتناول حسنات المشروع وصاحب المشروع وتاريخ تشييده . وقد استعرض المؤلف بالصور والشروح انواعا مختلفة من هذه الكتابات ، فى الفصل الاول من الكتاب .

والنوع الثانى يشمل الملاحظات العربية ، التى توجد فى مقدمات الكتب ، وتوثيق النسخ ، والنقوش السلطانية ، والكتابات التى على النقود ، والقاب الشخصيات العالمية الخ ..

والمجموع الاخيرة من الكتابات العربية ، تشمل الوثائق ذات الطابع الدينى الحقوقى ، والمحفوظة فى سجلات القضاة . وهذه المجموعة تضم الوثائق حول عقود الزواج ، وتحديد النفقات ، والتفويض، والتحرير من العبودية ، وعقود البيع والشراء الخ .. اضافة الى مجموعة متميزة هى شهادة الدراسة (ixhazetnamet = اجازة نامة) وشهادة الخلافة (Hilafetnamet = خلافة نامة) فالاولى تمنح للطلاب الذين انهوا دراستهم فى المدرسة ، على حين ان الثانية تمنح عادة للدرويش عندما ينصب شيخا للتكية .

جوانب دراسة الوقفيات

ومن بين كل الوثائق العربية ، التى وجدت داخل الاقاليم الحالية ليوغسلافيا ، يرى المؤلف ان الوقفيات اكثرها عددا واهمية .ولهذه المجموعة افرد الفصل الثانى من كتابه لاستعراضها ، وهذه الوقفيات كما يعرضها المؤلف هى الوثائق الرسمية المحمية التى تتناول تاسيس وقف ما ، وهذه المجموعة يقسمها المؤلف ثلاثة انواع : الكتابات الوقفية ـ الملاحظات الوقفية ـ النص الوقفى ذاته . وكثرة النوع الاخير متميزة عن غيرها، لانه كان محط عناية المتصرفين ، او اصحاب الوقف ذاته او انه اعيد نسخه لدى سجل القضاة ، بسبب الخلافات التى كانت تنشب بين الورثة.ومما له اهمية تذكر،ما قام به صاحب الدراسة،فى بداية هذا الفصل،من استعراض نقدى لطباعة هذه الوقفيات بين تركيا ويوغسلافيا ، لما خالطها من تسلل الميول الذاتية للمحققين والناشرين .

بعد هذا يلتفت المؤلف الى تناول مادته الاساسية، وهى اقدم الوقفيات . وقد اضاف الى ترجمتها شروحا وتعليقات :

ـ وقفية سونكوك جاويش بك Sunkuk Gaush Beg من مناستير Manstir ، والمدونة فى عام ١٤٣٥ . وهى تعتبر اقدم وثيقة فى يوغسلافيا ، سواء فى اللغة العربية او التركية . وقد كان صاحب الوقف من قواد السلطان مراد الثانى(٣) ، وقد اعتبر جامعه الذى اقامه فى مناستير من اقدم الجوامع فى يوغسلافيا والبلقان .

ـ وقفية اسحاق بك Isak Beg ، الوالى الثانى لمدينة شكوب (٤) والتى تعتبر ايضا من اقدم الوقفيات اذ يعود تاريخ تدوينها الى ١٤٤٥ .

---

(١) فى هذا العرض ، وحيثما ترد كلمة مدرسة Medrese وهى تعريف للكلمة العربية « مدرسة » فانه يقصد بها المنشاة ذات الطابع الدينى . وهى مازالت تستعمل لليوم . وفى المقابل تستعمل كلمة Shkolla (School فى الانجليزية) للدلالة على المنشاة التعليمية ذات الطابع العلمانى .

(٢) التسمية العربية للسكان ، الذين سكنوا ومازالوا يسكنون منطقة البوسنة فى يوغوسلافيا.

(٣) مراد الثانى (١٤٢١ ـ ١٤٥١) السلطان السادس فى الامبراطورية ، وطد الحكم العثمانى فى البلقان بعد معركة فارنا ١٤٤٤ .

(٤) فى الالبانية شكوب Shkupe ، وفى التركية اسكوب Uskub ، وفى الصربو ـ كراوتية Skopje والآن هى عاصمة جمهورية مكدونيا فى يوغسلافيا .

وقفية سنان الدين يوسف شلبي قاضي أوهر Ohre ثم المشرف على الاملاك السلطانية في البوسنة ويعود تاريخ تدوين الوثيقة الى ١٤٩١ .

اربع وقفيات (بين عام ١٥٠٦ ـ ١٥١١)صاحبها اسحاق شلبي من مناستير ، قاضي سلانيكSelanik حتى عام ١٥٠٨ .

وقفية مصلح الدين عبد الغني ، الذي تذكره الوقفية ايضا باسم « مؤذن خواجه المعدني » . ويرجع تاريخ تدوين الوثيقة الى عام ١٥٥٠ .
ـ وقفية سنان باشا ، قائد جيوش الامبراطورية والصدر الاعظم لخمس مرات ، وقد دونت الوقفية في عام ١٥٨٦ ، وسنعاود الحديث لاحقا عن هذه الوقفية وصاحبها .

وهذه الوقفيات، التي لم نرد التفصيل فيها ، تشتمل على معطيات مختلفة ، فاضافة الى المشاريع الدينية والاجتماعية ـالثقافية (جامع ، مدرسة، تكية ، حمام ، خان ..) تذكر ايضا العديد من الطرق والحارات والحواضر السكنية ، والمؤسسات المختلفة . وهذه المعطيات ، على ما يذكر المؤلف ، اضافة الى كونها تحل بشكل ما كثيرا من المسائل التي تتعلق بالتاريخ السياسي والثقافي لبقعة جغرافية ، هي يوغسلافيا الحالية ، الا انها ـ وبالنظر الى اهميتها ، ولغتها ، ومادتها ،وروحها وملامستها لثقافة عالية ـتتخطى الحدود المحلية، لتدخل في الاستشراق بالمعنى الواسع ، وفي الثقافة العربية والاسلامية بالمعنى الاضيق .

التنازع على الوقفيات

وما يثير حقا في هذه الوقفيات ، هو الاحتدام الدائم للنزاع بين صاحب المشروع او ورثته من ناحية ، وبين متولي المشروع من ناحية ثانية .
عرف للوقف الاسلامي تاريخيا شكلان اساسيان: الوقف الاهلي ، والذري (٥) الذي تنامى فيما بعد. وظهور هذا الشكل او ذاك كان يرتبط بوضع السلطة السائدة . ففي ظروف انحطاط السلطة، والتسلط المزاجي للطغاة في رقاب ذوي الامتيازات، بدأت تظهر مؤسسات معينة للوقف لانها من ناحية تسد عدم مبالاة المركز بالخدمات ، ومن ناحية اخرى تحصن هذه المؤسسات من النهب الكيفي الذي استحبه العسكريون واتباعهم .

اما في البلقان ، وفي ظل الامبراطورية العثمانية ، فلم تكن هناك معاناة من سلطة واهية ، بقدر ما كانت المعاناة من سلطة صارمة تحمل سيف البطش الذي لم يعرف الصدأ . اذ ان شبحه كان يقض مضاجع الولاة حتى الوزراء الذين استعملوا هذا السيف ايضا لتركيز ثرواتهم الشخصية ، ولهذا ترعرعت ونمت في البلقان المؤسسات الوقفية التي كانت ـ بالاضافة الى اهدافها الايديولوجية ـ مؤسسات ذات طابع أمني ، حاولت ان تتقي شر هذا السيف السلطاني. وعلى هذا اتخذت المؤسسات الوقفية في البلقان في بداية الامر ، طابع الوقف الذري ، وهذا ـ وان اخفقت فيه أول الامر ، وكما تبرزه هذه الوثائق ـ قد عاود الظهور فيما بعد ؟

ففي الوثيقة الوقفية الاخيرة مثلا (وقفية الصدر الاعظم (٦) سنان باشا ، ص ٢٩١ وما بعدها)، نقرأ « ان الواقف المذكور » بعد ان وقف جميع ما ذكر من الاوقاف .. شرط ايضا ان تكون امور الاوقاف ، بجملتها ومصالحها ، منوطة برايه المنير ومفوضة الى جنابه الخطير . بحيث يتصرف فيها باي وجه يريد ، من غير منازع معه من قريب او بعيد ،ويستقل في نظم مصالحها وتعيين مصارفها ونقصها وزيادتها وبدلها واعادتها وغير ذلك من الامور الشرعية .. وبعد ان تسلم هذه الاوقاف المتولي يوسف اغا بن عبد المنان ، تذكر الوثيقة ان الوكيل » رام ان يرجع عن وقفيتها ،

---

(٥) نسبة الى الذرية ، أي الاولاد (العربي).
(٦) سنان باشا الباني من قرية توبويان Topojan ، من اعمال البانيا ، في عام ١٥٦٨ عين حاكما (بكربك) للقاهرة وبعد قضائه على ثورة العساكر في اليمن اشتهر عند العرب بلقب « فاتح اليمن » ، وفي ١٥٨٠ عين للمرة الاولى صدرا اعظم ، وخلال ١٥ عاما قضاها كصدر اعظم وقائد لجيوش الامبراطورية تمكن من جمع ثروة خيالية ، وقد توزعت ثروته هذه بين البانيا ، وصربيا ، وبلغاريا ، واليونان ، والاناضول .

ويردها الى ملكيته ، مقتديا في عدم لزوم وقف العقار ، وعدم جواز وقف المنقول كما اثر عن الامام الاعظم والهمام الافخم ٠٠ حضرة الامام ابي حنيفة النعمان ٠٠ » وتتابع الوثيقة ان المتولى عارض ذلك « متمسكا بقول من قال باللزوم في العقار والجواز في المنقول من الائمة الكبار والاعزة الاخيار ٠٠ » وبعد ان تمادى التنازع والتشاجر الى ان بلغ السيل الزبى ، كما تذكر الوثيقة ، تنتهي الامور الى منصة القاضي الذي يحكم « بصحة هذه الاوقاف ، ولزومها في خصوصها وعمومها على راى من يراه من الائمة المهتدين ٠٠ »

واخيرا ، فان ما يريد المؤلف ان يقوله من خلال هذا العرض الوثائقي (ص٣٣٠) هو ان « اللغة العربية ، والثقافة والحضارة العربية ـ الاسلامية ، لهما بشكل لا يقبل الشك ، ـ جذور عميقة بين ظهرانينا ، وما تزال تحس الى اليوم ٠ على الرغم من انها لم تكن في كل الاوقات ولكل الاشخاص واضحة » ٠ ■■

يوغوسلافيا : **محمد موفاكو**



الاعمال الكاملة للامام محمد عبده
الجزء الاول
الكتابات السياسية

المؤلف : الامام محمد عبده ٠

تحقيق : محمد عمارة ٠

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت / لبنان ٠

● دراسة موسعة لاعمال الامام محمد عبده ، ذلك المصلح الاجتماعي الكبير الذي اخذ عن استاذه السيد جمال الدين الافغاني منهج الاصلاح الديني كسبيل لتجديد حياة الشرق والشرقيين ، وواصل رسالة السيد رفاعة الطهطاوي في تقرير حقوق المراة وضرورة تحريرها ٠ وتخليصها من القيود التي قيدت بها خطا باسم الدين ، وتبنى الفكر الاجتماعي المتقدم عندما انطلق من منطق العصر واحتياجاته الى النظر في تراث الاسلام الاجتماعي بعقل واع وافق مستنير ٠

فمنذ البداية يقدم المحقق (بطاقة حياة)المفكر المصلح ، ودراسة لمواقفه من الاصلاح والثورة ، والسلطة المدنية والدينية والخلافة العثمانية، فكرة الاقتصادي والاجتماعي ، ثم نظريته في التربية والاسرة والمراة ، ورايه في تحرير العقل من قيود التقليد ، وجهوده في الاصلاح اللغوي والادبي ، وانجازاته الرائدة في احياء التراث العربي الاسلامي ٠

وبعد ان استقصى المحقق هذهالموضوعات ،وحققها وبوبها تبويبا موضوعيا وتاريخيا في الوقت نفسه مما كتبه الامام في الموضوع الواحد ـ جمعها في مكان واحد ، ورتبها ترتيبا تاريخيا ، حتى يبصر الباحث عوامل التطور في فكر الامام ، ويستطيع ان يرد هذا التطور الى العوامل الموضوعية او الذاتية التي شهدتها حياته ، والتي اثمرت هذا التطور في فكره ٠

دول الخليج العربي الحديثة علاقاتها الدولية وتطور الاوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها

تاليف : حسين محمد البحارنه ٠

الناشر : كتلة مؤسسات الحياة ـ بيروت /لبنان٠

● يتناول هذا الكتاب دراسة العلاقاتالدولية لدول الخليج العربي ، وتطور الاوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها ، وتنقسم هذهالدراسة الى ثلاثة اقسام ، القسم الاول مجموعة محاضرات كان المؤلف قد القاها على طلبة الدورتين

الدبلوماسيتين الثالثة والرابعة ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ اللتين نظمتهما وزارة خارجية الكويت لشباب السلك الدبلوماسي العربي في الخليج، وقد اكمل المؤلف هذا القسم باضافة بعض الشروح والمعلومات الجديدة على بعض فصوله ·

واما القسم الثاني من هذه الدراسة فيتناول قضية مطالبة ايران بالسيادة على البحرين، وقد تناول هذه القضية لا من جانب التقييم السياسي والقانوني للادعاء او المطالبة الايرانية، وانما من جانب التطور السياسي الذي طرأ على هذ المطالبة، والذي ادى بالتالي الى التوصل في عام ١٩٧٠ الى حل قطعي ونهائي للنزاع بين ايران والبحرين ·

كما ان القسم الثالث احتوى على نصوص المراجع والوثائق المهمة التي لها علاقة بهذه الدراسة، بما في ذلك الاحكام والنصوص الكاملة لدساتير كل من الكويت، والبحرين، وقطر، والامارات العربية المتحدة ·

اناشيد لها تاريخ

المؤلف : مصطفى عبد الرحمن ·

الناشر : دار الشعب ــ القاهرة ــ مصر ·

● يضم هذا الكتاب مجموعة من الاناشيد الحماسية الوطنية في معظم اقطار العالم، ولا سيما البلاد العربية، بدءا بما عرف من اناشيد الامم في اقدم عصور التاريخ حتى اليوم · وقد مهد المؤلف لهذه المجموعة بمقدمة ذكر فيها انتصار العرب على اسرائيل في « معركة رمضان » سنة ١٣٩٣ (او « معركة اكتوبر » سنة ١٩٧٣) والى هذا الانتصار كما يراه اليوم الساسة ورجال الصحافة في البلاد العربية والاوربية، ثم مقدمة اخرى في الموسيقى والغناء واثرهما في الامم، لا سيما العرب في الجاهلية والاسلام ·

اما الاناشيد فقد ذكر منها بعض ما كان عند الفراعنة والبابليين والاغريق الاقدمين، كما ذكر بعض ما ظهر منها في بلاد الغرب منذ نهضتها الحديثة : كبريطانيا، وفرنسا، والمانيا، وايطاليا، وهولندا، وامريكا، وبعض الدول الافريقية، وهو هنا يسجل كل نشيد وطني بلغته الاصلية يعقبه نثرا بترجمته العربية · ثم ينوه بنهضة البلاد العربية حديثا، ويذكر ما شاع من اناشيدها الوطنية، تاييدا لنهضتها، وتحميسا لشعوبها .

وليس من بلد عربي الا وله نشيد او اكثر في الكتاب، وان كان حظ الاناشيد المصرية فيه اكثر، وقد اشار في كثير من الاناشيد الى المناسبة التي الف النشيد فيها، والى مؤلفه، وملحنه، ومغنيه ·

جنوح الاحداث
مع دراسة مقارنة للجنوح
في محافظة نينوى

تاليف : الدكتور فخري الدباغ ·

الناشر : مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ــ جامعة الموصل/العراق ·

● ان اخطر ادوار حياة الانسان هي التي تواكب نموه ونضجه الجسمي والوجداني والفكري، ليكون فردا اجتماعيا مفيدا، ويبدأ ذلك في الطفولة، ويزداد عنفوانا وتاثرا في مرحلة الحداثة والمراهقة من السابعة الى الثامنة عشرة تقريبا وهي بالطبع سنوات البناء ·

وانحراف سلوك الاحداث في هذه الفترة من العلل الاجتماعية الخطيرة خاصة اذا علمنا ان الاحداث نسبة كبيرة من مجموع الشعب، ففي العراق يبلغ عدد الاحداث الذين هم دون ٢١ سنة من العمر ٥٦٪ من السكان، ومن هم دون ١٥ من العمر ٤٨٪ من السكان، وفي الجزائر يؤلف الاحداث دون ٢١ سنة من العمر ٥٣٪ من السكان، وفي افريقية دون ١٥ سنة ٤٠٪ من السكان ·

وجنوح الاحداث في تصاعد مستمر في العالم، ففي امريكا مثلا ارتفع عدد محاكم الاحداث من ٥٠٠ في عام ١٩٥٠ الى ١٠٠٠ في عام ١٩٦٠ وخصص في ولاية اوهايو مثلا ١٢ مليون دولار لتغطية اجراءات محاكم الاحداث ·

وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف استعراض مشاكل جنوح الاحداث على النطاق العالمي وعلى نطاق العراق ومقارنة كل ذلك بما هو عليه جنوح الاحداث في محافظة نينوى في العراق خلال سنة ١٩٧٢ ــ ١٩٧٤ ويتضح من هذه المقارنة المعززة بالجداول والاحصائيات جوانب التشابه ونقاط الاختلاف بين سلوك الجانح في نينوى والعراق والعالم، مما سيوضح المفكر والمثقف والمتخصص كل الصورة الحقيقية لمعنى جنوح الاحداث عندنا وابعاد ذلك وتاثيره في المستقبل ·



بريد القراء ومعرض آرائهم

صيحة من الأرض المحتلة

● العدو الاسرائيلى ينفذ اليوم فى الارض المحتلة مخططا لو نجح فيه لقضى على كل رغبة لدى الجيل الفلسطينى القادم فى الاتجاه نحو التحصيل الجامعى .. وهذا المخطط يبدو واضحا لكل ذى عين تنظر الى الاعداد الوفيرة من الشباب الجامعى المتعطل عن العمل ، والذى ليس امامه الا الاتجاه للعمل فى المزارع والمصانع الاسرائيلية ليسد حاجة يومه ..

هذه صيحة اطلقها من الارض المحتلة ، من غزة والضفة الغربية .. تدعو اخواننا العرب الى احتواء المخطط اللئيم الذى يسعى العدو الاسرائيلى الى تحقيقه .. فارجو الا اكون كمن يصيح فى واد !

رياض حامد / الارض المحتلة

مخالب القط

● جاء فى الصفحة ١٩٣ من الموسوعة العلمية التى وضعها المرحوم الدكتور احمد زكى ، ان للقط ثمانيةعشر مخلبا يحملها ثمانية عشراصبعا، خمسة مخالب فى كل قدم من أمام واربعة مخالب فى كل قدم من خلف .

وجاء فى العدد الأخير الذى نشرت فيه نتيجة مسابقة العدد ٢٠٢ من مجلة « العربى » ان عدد الاصابع فى كل رجل من ارجل القط الامامية اربعة ، والارجل الخلفية خمسة، فايهما الصحيح ؟

سامر ظبيان ــ عمان ــ الاردن

« العربى » : لاشك ان الجواب الصحيح هو الذى ورد فى الموسوعة العلمية التى وضعها المرحوم الدكتور احمد زكى ..

هدية « العربى » الممتاز بيعت فى السوق السوداء

● هدية العدد الممتاز من « العربى » (خارطة الوطن العربى وافريقيا) بيعت منفصلة عن المجلة .. وفى السوق السوداء ..

حدث هذا فى مدينة جرش بالأردن .. ويحدث مثله دائما فى غيرها .. فكيف الحل ؟

العربى : سنحاول المرة القادمة طبع عدد اكبر .

احمد حسن القضاة

مديرية اوقاف جرش / الاردن

تصحيف

● وقع تصحيف فى العدد ٢٠٢ من « العربى » .. وبالتحديد فى مقالة الاستاذ محمد خليفة التونسى التى عنوانها « التنزه والنزهة والمنتزه » ... فقد ورد ما يلى : .. نقلا عن القاموس للفيروز آبادى اذ يقول « استعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياحين ، غلط قبيح » .. فهو ينكر بشدة .. واقول : ان الصواب هو « الى البساتين والخضر والرياض .. وهذا ما نجده فى القاموس، وفى شرحه تاج العروس . »

واحب ان انبه على امر مهم ، وهو ان الفيروز ابادى قد اتى ما نهى عنه .. فقال فى القاموس ــ مادة زنك = زملكان بالكسر ، قرية بدمشق منها شيخنا ابو المعالى ، ومنتزه ببلخ .

وهيب ذياب / دمشق / سوريا

« لكى نربح المستقبل »

● كنت اود ان لايقتصر من يتصدى من الكتاب لعرض كتاب الشهر على مجرد تلخيص للكتاب الذى يقدم،بل يحاول تناول الكتاب بالنقد والتحليل،فيبين مواضع الاجادة ومواضع التقصير.

وانطلاقا من هذا المعنى،فقد اتيح لى ــ متاخرا مع الاسف ــ ان اطلع على عرض الدكتور سيد ابو النجا لكتاب الاستاذ سيد مرعى (لكى نربح

المستقبل) والذى كان كتاب الشهر فى العدد (٢٠٢) من مجلة « العربى » .

والحقيقة ان موضوع التنمية موضوع مصيرى، يحتاج الى اجتهاد مستمر ، ومؤلف الكتاب ليس اكثر من مجتهد وضع امامنا معلومات ونقاطا لنا الحق فى دراستها واعادة النظر فيها ونقدها ..

والمؤلف لم يحدد معنى عربيا للتنمية ، وكانى به لايرى من سبيل للتنمية الا السبيل الغربى ، وليس امامنا الا ان ناخذ بالاسلوب الذى اخذ به الغرب .

ولو امعنا النظر فى اسلوب التنمية الغربية ، لوجدنا انها نجحت الى حد ما فى حل المشكلات الاقتصادية التقليدية على حساب البيئة ، من صحة وماء وهواء وطبيعة ، وعلى حساب التماسك الاجتماعى ، وما ادى اليه من ضعف فى الرباط الاسرى وروح الجماعة والانحلال ، كذلك على حساب القيم الروحية الانسانية .

باعتقادى ان التنمية ليست خلق مجتمع صناعى وانسان مادى فقط .. بل هى كما نادى الاسلام، متكاملة ، تشمل الانسان والمجتمع بكل جوانبه الروحية والانسانية والاجتماعية والاقتصادية .

على عبد الله العلى
بريتون ـ انجلترا

أعيدوا الينا « العربى » بحجمه الطبيعى

ارفعوا سعر « العربى » ..اصنعوا به ما تشاؤون .. بشرط ان تعيدوه الينا فى حجمه الذى تعودناه . انه ليعز علينا ان نرى صفحات « العربى » تتقلص .. ومواده بالتالى تقل ..

اى سعر تحددونه « للعربى » سندفعه عن طيب خاطر للحصول على مجلتنا ..

محمد سعيد / اليمن

بحيرة ألبرت اصبحت بحيرة عيدى أمين ؟!

● اطلعت متاخرا على خريطة الوطن العربى التى وزعت مع عدد يناير ١٩٧٥ من « العربى » .. وقد تاثرت من تحريفكم لبعض الاسماء ، وخدمة للقارئ، حتى يكون متتبعا لجميع التطورات اود تصحيح بعض الاسماء التى وردت فى هذه الخريطة ومنها :

بحيرة « البرت » التى اصبح اسمها بحيرة « عيدى أمين » .

بحيرة ادوارد اصبح اسمها بحيرة موبوتوسى سيكو .

الكونغو (ليوبولدفيل) اصبح اسمها جمهورية الزائير .

فور لامى تغير اسمها الى اسم آخر،هو انجمينا.

الدكتور محمد سمير الشمعة
جامعة الزائير / بوكانو / زائير

كلية برهانى

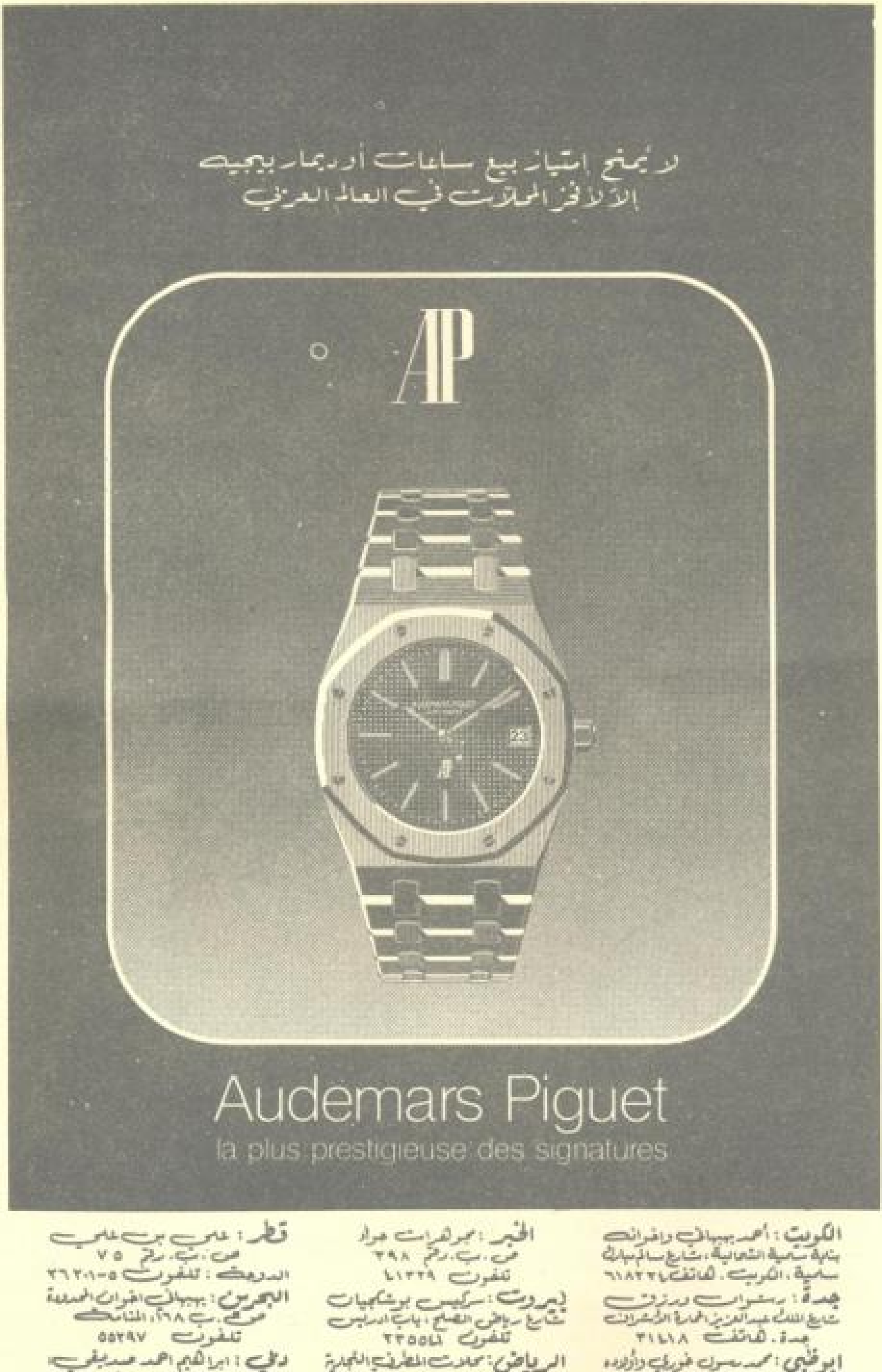
● نشرتم فى العدد ٢٠٢ استطلاعا عن طائفة البهرة فى الهند واشرتم فيه الى كلية برهانى ، فحبذا لو تكرمتم بكتابة نبذة مختصرة عن هذه الكلية ، والمواد التى تدرسها ، وكيفية الالتحاق بها .

مصطفى محمد احمد
المملكة العربية السعودية

« العربى » : هذه الكلية او المعهد ، تابعة لطائفة البهرة . وفيها تدرس الفنون والتجارة ، وهى تقبل الطلبة من جميع انحاء المعمورة بغض النظر عن دياناتهم .

ويمكنكم الكتابة الى سكرتارية طائفة البهرة تطلبون منها مزيدا من المعلومات . وعنوان هذه السكرتارية هو :

Dr. D. N. Road, Badri Mahl,
Bombay - 1 INDIA



لا يمنح امتياز بيع ساعات أوديمار بيجيه
إلا لأفخر المحلات في العالم العربي
AP
Audemars Piguet
la plus prestigieuse des signatures
الكويت : أحمد بهبهاني وإخوانه
بناية سنية الشعابية، شارع سالم المبارك
السالمية، الكويت. هاتف ٦١٨٢٢٢
جدة : رضوان رزق
شارع الملك عبد العزيز، عمارة الأشراف
جدة. هاتف ٣١٤١٨
أبو ظبي : محمد سرور غريب وأولاده
بناية محمد سرور، أبو ظبي
تلفون ٤٢٦٨٩
الخبر : ابراهيم حداد
ص. ب. رقم ٣٩٨
تلفون ٤١٣٣٩
بيروت : سركيس بوشكجيان
شارع رياض الصلح، باب ادريس
تلفون ٢٣٥٥٤١
الرياض : محلات المعرض التجارية
شارع الخزان، ص. ب. رقم ١٩٢٧
تلفون ٢٨٠٤٤
قطر : علي بن علي
ص. ب. رقم ٧٥
الدوحة : تلفون ٣٦٢٠١-٥
البحرين : بهبهاني اخوان المحدودة
ص. ب. ٢٦٨، المنامة
تلفون ٥٥٢٩٧
دبي : ابراهيم احمد صديقي
ص. ب. ٣١٢٣، دبي
الإمارات العربية المتحدة. تلفون ٢٥٤٨٩


في حقل التلفزيون
ذروة الجودة
ترتكز على الخبرة
خبرة فيليبس
خبرة عالمية واسعة اكتسبتها فيليبس خلال سنوات حدلاً من التصميم والتصنيع والتجارب وتطوير الأشياء دوماً من أفضل إلى أفضل وكل الأوقات متبعة التقنية الفذة المنبثقة من مراكز البحوث الدولية الكبرى وهي مصادر عظيمة هامة.
كل ذلك ليس لأجهزة التلفزيون الملون فحسب بل أيضاً لكامل معدات الستوديو المهنية ابتداء من آلات التصوير الملون حتى آلات البث. لذلك تكون مطمئناً لاقتنائك ذروة الجودة عندما تشتري أي جهاز تلفزيون فيليبس علماً بأن شاشة مجموعة التلفزيون الملون تصل الى ٢٦ إنش.
وزيادة على ذلك هنالك الخدمة الممتازة التي تتكل عليها وترتاح لها اينما تكون. وإذا ما اقتنيت آلة تسجيل كاسيت فيديو من فيليبس فبامكانك مشاهدة البرامج متى تختارها. بمكنك أن تضع تقنية الخبرة لفيليبس كاملة أكثر من أي وقت مضى.
PHILIPS
فيليپس
الأفضل لكم دوماً



وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ٤٣٣٥٨٥



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهرياً.

١٠½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central

Bankers

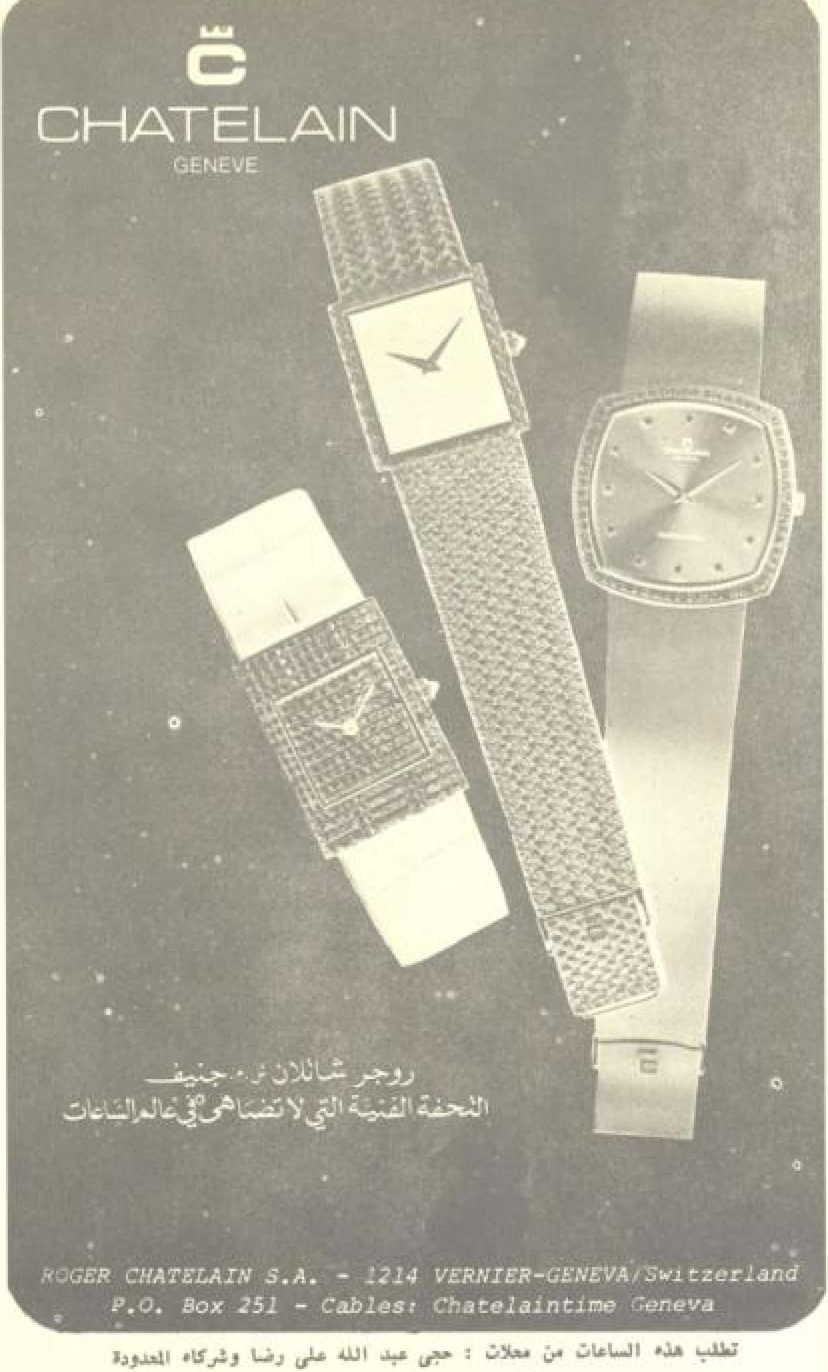
Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

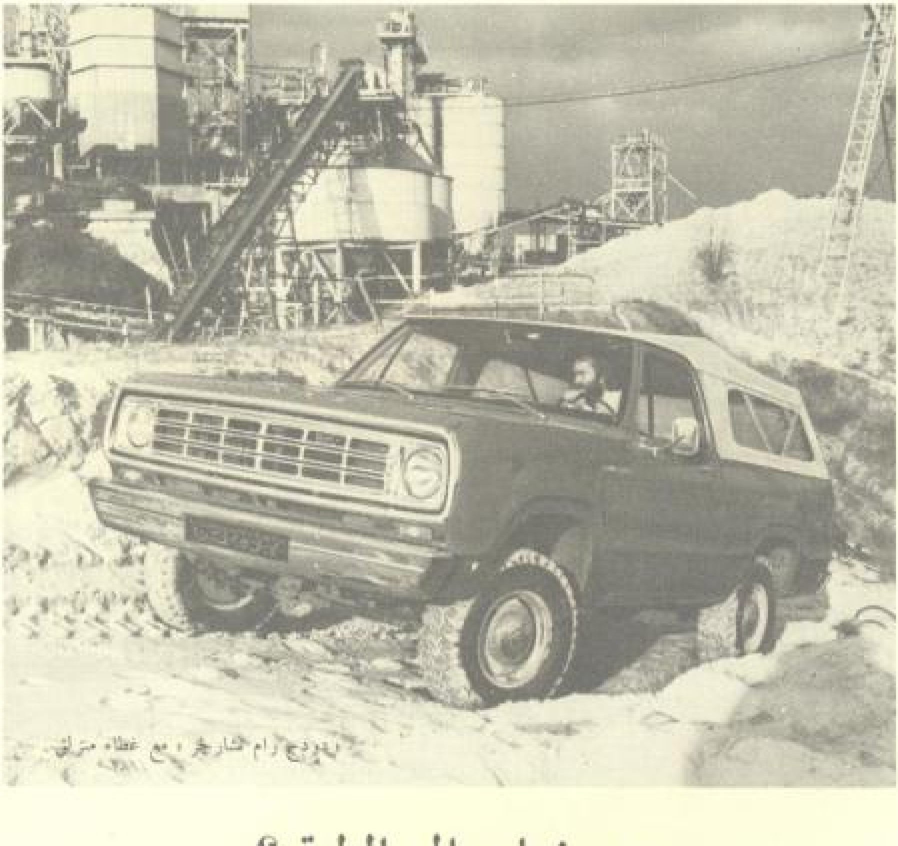
الاسم: ....

العنوان: ....

2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.


CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
ROGER CHATELAIN S.A. - 1214 VERNIER-GENEVA/Switzerland
P.O. Box 251 - Cables: Chatelaintime Geneva



نموذج رام تشارجر ، مع غطاء منزلق

من يحتاج إلى الطرق؟

أحدث عربات كرايزلر قوة ٤×٤
تعمل في خدمتك حيث تندر الطرق المعبدة

هذه العربة المتعددة الاستعمالات الصامدة للأعمال الصعبة هي عربة جديرة بأكثر من ثمنها للقيام بأعمال نقل الحمولات أو نقل لغاية خمسة أشخاص براحة مهما كانت عليه حالة الطريق من وعورة (مع وسائل الترف إذا رغبت فيها) . ويمكن الحصول عليها بموديل « دودج رام تشارجر » وموديل « بليموث تريلداستار » . والموديل العادي مزود بزجاج أمامي/غطاء واق ، مع سقف فولاذي أو غطاء منزلق اختياري — مما يجعل هذا الموديل مثالياً لنطاق واسع من الاستخدامات

والدفع بالعجلات الأربع يوفر قوة سحب ممتازة (وكذلك الدفع بعجلتين) . دواسات معلقة — لا توجد فتحات في الأرضية تسمح بدخول التراب أو وحل الطرق . مجموعة من المحركات القوية للاختيار من بينها . ارتفاع صغير لسلم الركوب عن الأرض . أبواب واسعة لسهولة الدخول . ثلاثة أشكال جلوس مختلفة للاختيار من بينها .

استفسر من وكيل كرايزلار عن كافة التفاصيل



« بليموث تريلداستار » مع سقف فولاذي .

CHRYSLER
INTERNATIONAL

RL

RUMANEL
SWISS

رومانل



الساعة العصرية

سوريا : غسان عبيد : دمشق - قطر : مخازن لاري - دوحة
دبي : مخازن فكتوريا : ديرة - البحرين : السادة مخازن بهمن
أبوظبي : المعرض التجاري العام : السعودية : عبد العزيز البخش وأولاده - مكة

الكويت

مخزن الساعات السويسرية - معرض الساعات العالمية السويسرية
معرض صالح شهاب - معرض الشهاب للساعات

من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول مايو ١٩٧٦

١/٨٠

من الأعمال المختارة

جون اردن - ١

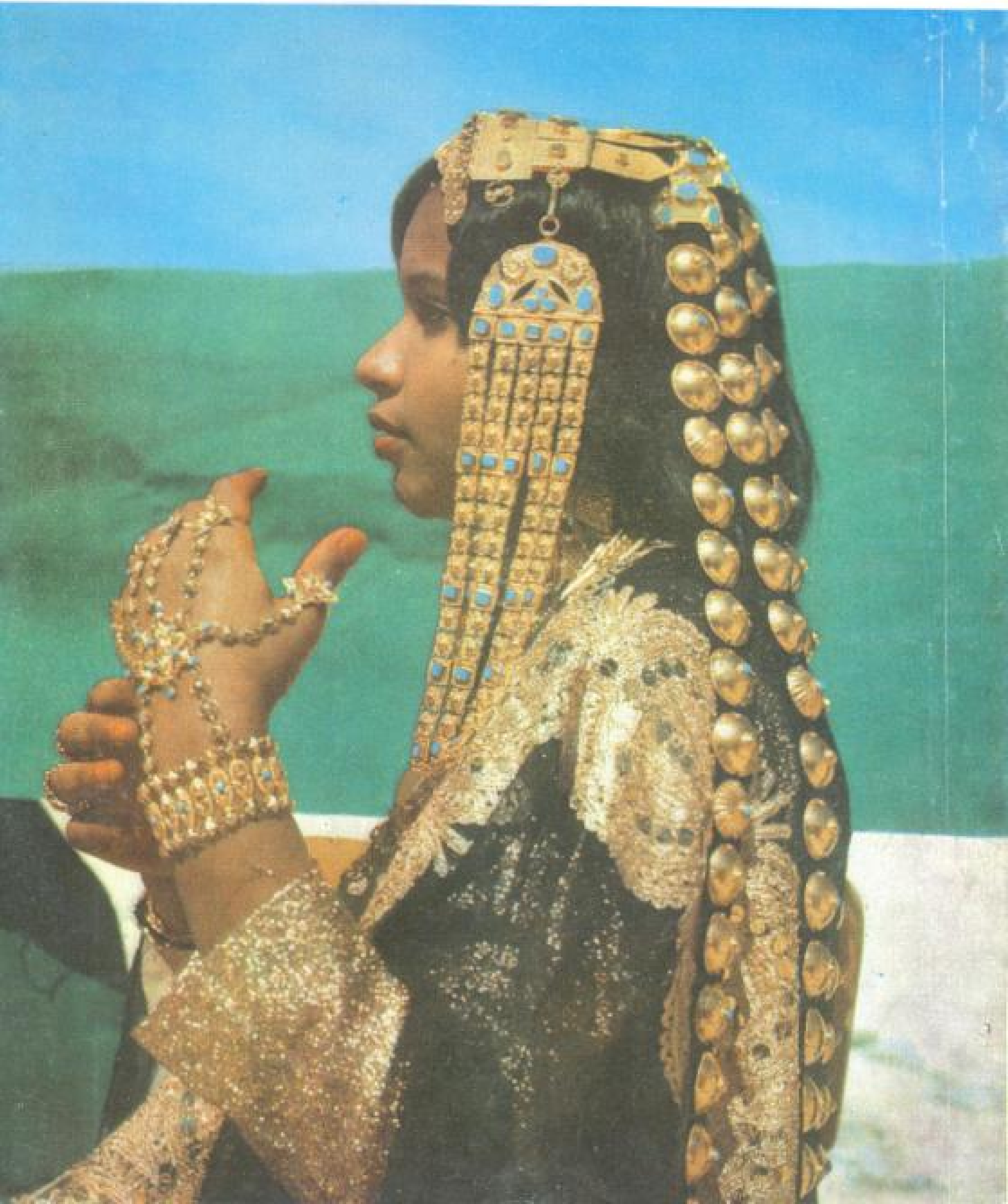
- مياه بابل
- رقصة العريف

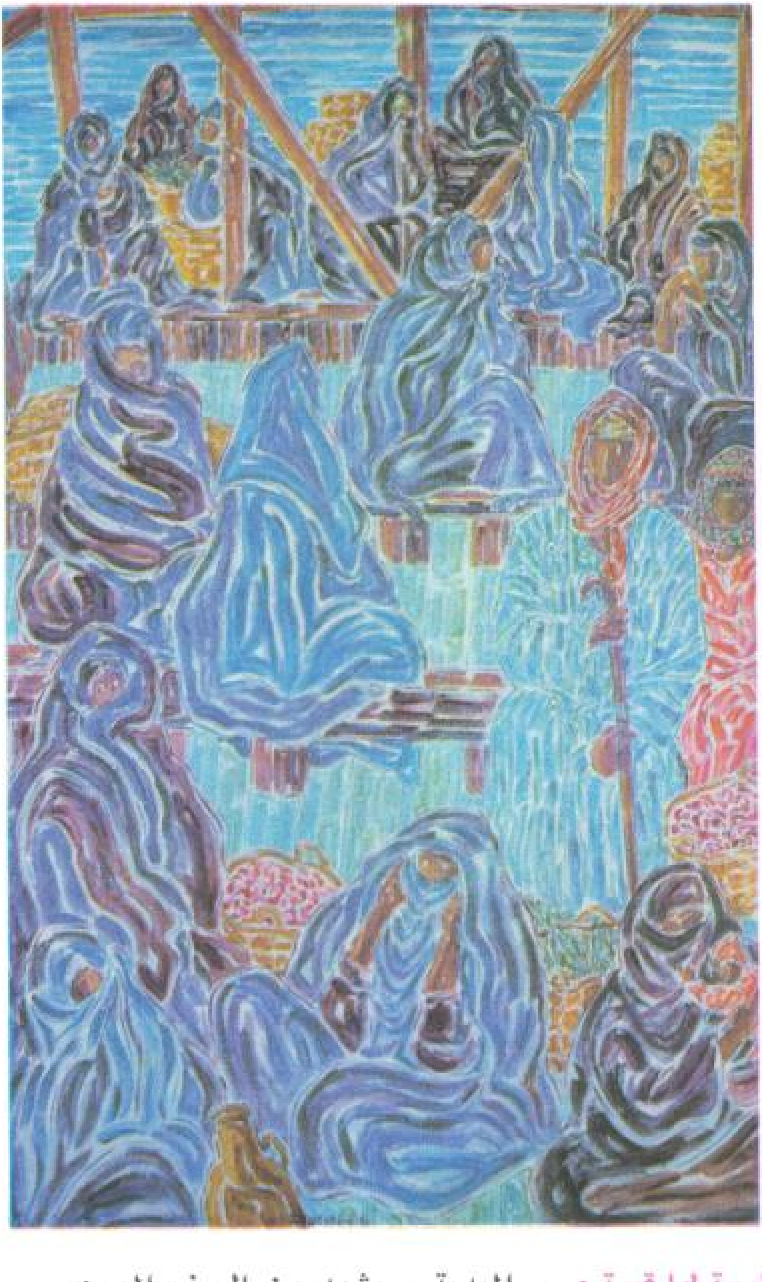
ترجمة وتقديم : د. عبد الواحد لؤلؤة
مراجعة : د. محمد مصطفى بدوي


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣

العربي

العدد ٢١١
جمادى الآخرة ١٣٩٦
يونيو
حزيران ١٩٧٦





لوحة لها قصة : « المعدية » مشهد من الريف المصرى
للفنانة انجى افلاطون

(اقرأ المقال صفحة ٦٧)

● عزيزى القارىء ●

● نشرت الصحف في الكويت خبرا عن اتجاه الى اقامة مؤسسة جديدة ، ربما يكون اسمها « الجمعية العلمية الكويتية » . هدفها اتاحة الفرصة لاسترجاع أكبر عدد ممكن من العقول العربية المنتشرة فى الخارج فى مجالات البحث العلمى ، واعطاؤها فرصة البحث العلمى والاختراع داخل الوطن العربى .

ولو تم حقا تنفيذ هذا الاقتراح ، على الطريقة الصحيحة ، لكان حدثا عظيما في حياة الكويت وفى حياة الامة العربية .

فلا شك أن البحث العلمي اليوم هو مفتاح التقدم . وقد توفر للعرب من المال ومن العلماء ما يسمح لهم باقتحام هذا المجال والمساهمة فى التقدم الحضارى للعالم ، فلم يبق الا أن نوفر الجو الملائم، والظروف المناسبة للبحث العلمى .

وليس معنى هذا بالضرورة كما قد يظن البعض اختراع صواريخ وقنابل ذرية .

ان البحث العلمى اصبح لازما فى كل مجالات الحياة . فالبحث العلمى لايجاد علاج لامراض متوطنة فى بعض البلاد العربية، او لتحسين محاصيل الزراعة ومقاومة آفاتها فى بلاد اخرى، أو استخدام اى طاقة في الموارد الطبيعية كالغاز والبترول استخدامات محلية ، اواستنباط زراعات تزدهر على مياه فيها بعض الملوحة ، او تعيش في بيئات صحراوية . كل هذه امثلة على مجالات لا حصر لها ، وفيها مساهمة ضخمة فى دفع حياتنا العربية الى الامام وجعلها اكثر اعتمادا على نفسها يوما بعد يوم .

فلنبدأ البداية الصحيحة بهذا ، ثم ليتطور البحث العلمى بعد ذلك الى كل الآفاق الممكنة والتى تهم العالم العربى .

■■

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

سياسة واقتصاد :

اسلاميات :

لغة وآداب :

عروبة :

استطلاعات مصورة :

طب .. وعلوم :

شعر وشعراء :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 211 JUNE 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



● الازياء والحلى الشعبية هى تميز حضارى عن قدرة الانسان فى اضفاء الجمال على حياته • وفى الصورة الطالبة أمل ماجد ، بمعهد الدراسات الموسيقية ، تتحلى بالحلى الذهبية التقليدية الشائعة فى الكويت •

(انظر المقال صفحة ٧٢)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٥ر٢ دينار • المغرب ٥ر٢ درهم • اليمن ٥ر٢ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص • ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى •

● حديث الشهر ●

قضية "النخبة.."

بقلم : أحمد بهاء الدين

■ في حديث الشهر الماضي ، كتبت عن ذلك الحوار الدائر في بلد – كمصر – حول بناء دار جديدة للاوبرا بدل الاوبرا التي احترقت . وهل لمثل هذا المشروع مجال بالنسبة لبلد يجتاز ظروفا اقتصادية صعبة كمصر ، ولكنها من ناحية اخرى اعتادت فكريا وثقافيا وجود دار للاوبرا ، فضلا عن انها قضية مطروحة ايضا في بلد آخر مختلفة ظروفه ، دولة جديدة هي الكويت ، يرى البعض ضرورة وجود مثل هذه المنارة الثقافية فيها ، ويرى آخرون انها مجرد ترف ...

وقد يذكر القارىء انني قلت انني لا اناقش قضية الاوبرا في حد ذاتها ، بقدر ما اتخذ منها مدخلا الى قضايا اخرى ، يجب ان يفكر فيها العقل العربي .

هكذا ... ناقشت الأمر في الشهر الماضي من ناحية اهمية العلوم الانسانية تماما كالعلوم التطبيقية ، رغم افتتان الناس بها ، في ظل حضارة حديثة طابعها الطاغي هو الجانب المادي .. ووعدت بان اتخذ الموضوع نفسه سببا لمناقشة قضية اخرى ، هي قضية « النخبة » ... و« الجماهير » ...

والعلاقة هنا – بحكاية بناء الاوبرا – ان الناس فيهم من يرى ان الاوبرا لا يفيد منها الا الخاصة رغم ان اموالها ماخوذة من حق الجماهير ، وفيهم آخرون يرون غير هذا الرأي ...

“ والجماهير ”

في مرحلة الانتقال التي يمر بها العالم العربي

الآلاف الأولى من السنين

في البداية ، نلاحظ أن « النخبة » هي التي حكمت العالم عبر تاريخه الطويل ...

ولذلك كان التاريخ كله تقريبا ـ قبل المائتي سنة الاخيرة ـ هو تاريخ الاباطرة والقواد العسكريين وكبار الفلاسفة والمفكرين والادباء والعلماء.

طبعا ، كان العبء الاكبر في استمرار الحياة يقع كالعادة على عاتق قاعدة عريضة من الناس ، هم الذين يزرعون ويبنون ويموتون في المعارك الكبرى . لكن التاريخ كان لا يتذكر هؤلاء .. ونادرا ما نجده يتعرض ولو لنوع حياتهم .. وكل حضارة الفراعنة التي عاشت اساسا من خلال فن العمارة والنحت لم تحفظ لنا اسم فنان واحد عظيم ... انما كل الذي نعرفه هو ان خوفو هو الذي بنى الهرم .. ورمسيس هو الذي اقام المعابد ويوليوس قيصر هو الذي خاض المعارك وشرلمان هو الذي وحد اوروبا . ثم القلة القليلة النادرة من الذين بقيت اسماؤهم في عالم الفكر والفن .. سقراط ، أرسطو ، شيشرون ، فولتير ، موليير ، وغيرهم .

وكان هذا وضعا طبيعيا ، فالسلطة كانت اما وراثية ، واما ينتزعها صاحبها بالقوة . وكانت النخبة التي تتولى تسيير الامور بالتالي محصورة في هذا النطاق . حتى اذا نبغ في عصره عالم او اديب او قائد عسكري او طبيب ، فهو لابد أن يمارس كفاءته داخل هذه النخبة المحدودة وفي اطارها ، فيتوقف نجاحه على التحاقه بها ، وجذب انتباهها اليه . ثم الاحتفاظ برضاها عليه .. والا فالسقوط من حالق ، أو أن يسلم عنقه لضربة السياف أو حبل المشنقة .

ولم يكن التعليم بالمعنى الذى نعرفه موجودا . انما كان عند الذين يقراون

ويكتبــون فى اى عصر يعدون على أصابع اليد الواحدة ٠

وليس معنى ذلك أن مركز السلطة والتـوجيه ـ او النخبة بهذا المعنى القديم ـ كانت على الدوام جاهلة ٠ ففى بعض العهود كانت على العكس تتميز بالمعرفة وتشيع فيها قيم الثقافة والعلم ٠ فقد عرفت بعض عصور الخلافة الاسـلامية ، الخلفاء الذين يحيطون انفسهم بالشـعراء والادباء والفقهاء ، والذين كانوا يهتمون بتربية وتعليم أبنائهم المرشحين للحكم من بعدهم ٠ كما عرفت اوروبا مثلا عصرا مثل عصر لويس الرابع عشر ، حيث كان ملوك واباطرة اوروبا يتباهون بمن فى بلاطهم من فلاسـفة وادباء وحكماء وفنانين ٠ ولكن هذا كله كان يدور فى قصر الحاكم ، فرسام مثلا ٠ حتى الموسيقار لا يجد جمهوره المستمع الا فى القصر ، وعرف ما يسمى « بموسيقى الحجرة » قبل ان توجد موسيقى الاوركسترات الضخمة التى تعزف فى القاعات الكبيرة وللجماهير ٠ وكان المؤلف المسرحى مثل موليير لابد أن يقدم مسرحياته فى مسرح القصر لنخبة انيقة مترفة معطرة ٠

كانت اذن داخل تلك الدائرة تعيش النخبة وتولد الاحداث ويلمع النجوم وتتخذ القرارات ، بشكل أو بآخر طيلة السبعة آلاف سـنة المكتوبة من تاريخ الانسان ، ما عدا حوالى المائتى سنة الاخيرة تقـريبا من هذا التـاريخ الطويل ٠٠٠

ثورة المعرفة فى العصر الحديث

على أن الوضع بدأ يتغير جذريا بعد ظهور المطبعة ٠ وليس مصادفة أن ظهور المطبـعة تلاه مباشرة عصر من كبار المفكرين وعمالقة الادباء والفنانين فى اوروبا ٠ وتلا هذا فورا ظهور افكار اجتماعية جديدة ، وغليان ضد النظام الاقطاعى الذى لم يعرف له الناس عبر القرون بديلا ٠ وتمخض هذا كله عن حدث الثورة الفرنسية العظيم الذى هز اوروبا كلها هزا ٠٠٠

ولعـل تلك الفترة كانت ازهى عصور ما يسـمى « بالنخبـة » على الاطلاق ، لاننا سنرى بعد قليـل كيف انها بدأت فى عصرنا الراهن تعانى من محنة اخرى ٠

كانت المطبعة وغيرها من وسـائل النشر قد اخذت طريقها الى الانتشار ٠ واصبح الكتاب والعلمـاء والادباء والشعراء ذوى اسماء مشـهورة ولهم صيت كبير ٠ وخرج الرسـامون من تزيين جدران القصـور الى الكنائس واماكن اخـرى عامة كثيرة ، وبدأت تتكون المدن الكبيرة بالتدريج مع بوادر الصناعة والتجارة وتحسن المواصلات ٠ وخرج الموسيقيون من تاليف « موسيقى الحجرة » الى وضع السـيمفونيات العظيمة التى تعزف لجمهور أوسـع بكثير ٠ واخـذت نظم التعليم تظهـر وتنتشر ٠ وبوجـه عام ـ وهو أمر اساسى ـ صار الفيلسـوف والمفكر والاديب والفنـان يراعى جمهـورا جديدا ، ويتوجه اليه ، ويتوقع حكمه ، بعد أن كان لا يفكر الا فى جمهـور محدود جدا ، اذا جاز أن يطلق على هذه القلة اسم « جمهور » ٠

لقد صار لهؤلاء المثقفين لأول مرة ـ قبيل الثورة الفرنسية ـ صيت عظيم



آدمز راسل طه حسين توينبي

في البلاد ، وأثر كبير في الرأى العام،ولاول مرة تكونت النخبة ـ بالمعنى الثقافي لا الوراثي ـ من غير طبقةالنبلاء الحاكمة،وصارت تخاطب جماهير اوسع • كان هؤلاء حقـا هم الذين صنعوا حدث الثورة الفرنسية العظيم• بالافكار الجديدة التى دعوا اليها ،والكتابات التى نشروها ، والاندية التى اسسوها •

وكانت هناك في نفس الوقت حركةاستقلالية وتحررية اخرى عظيمة ،لم يلتفت الكثيرون الى مغزاها الهائل في ذلك الوقت ، لانها وقعت بعيدا فى العالم الجديد ، تلك هى حرب استقلال الولايات المتحدة الامريكية ووضع وثائقها الاولى •

هنا أيضا نجد أن هذه الثورة ـ رغم كل عواملها الاقتصادية والاجتماعية ـ كاى ثورة ، فقد كان دور النخبة بمعناها الثقافى ايضا دورا مرموقا ملحوظا لاول مرة •••

يقول المؤلف الامريكي «ميرل كيرتي» في وصف هذه المرحلة في بدء حياة امريكا « كان كل من الحزب الاتحادي والحزب الجمهورى يتفاخر بمن لديه من زعماء من أهل الثقافة والفكر •وكثيرون من مؤسسى أول جمهورية فى العالم الحديث جمعوا بين الثقافة العالمية والعمل • فالمؤتمر الدستورى الاول سنة ١٧٨٧ كان فيه واحد وثلاثون من الخمسة والخمسين عضوا يحملون اعلى شهادات الكليات والمعاهد العليا ،وآخرون مثل بنجامين فرانكلين كانوا مثقفين من اعلى طراز بمجهودهم الخاص،وفى قاعة الاستقلال ذلك الصيف كان يجلس مديرا جامعتين وثلاثة اساتذة جامعيون ، وجيمس ماديسون احد أكبر مفكري زمانه • وجون آدمز استاذ الكلاسيكيات ومؤلف كتاب « دفاع عن الدستور » • وكونيسي أشهر أعضاء اكاديمية الفنون والعلوم ، وتوماس جيفرسون ، وغيرهم » •

دخل «النخبة» اذن من رجال الفكر،جنبا الى جنب مع رجال العمل لاول مرة ، وخلقوا فى « الرأى العام »ـ وهو في حد ذاته تعبير جديد ـ تيارات قوية وغرسوا فيه افكار أهم ثورتين فى ذلك العصر ، « ثورة الاستقلال الامريكية، والثورة الفرنسية الكبرى » فاتحين بذلك عصرا جديدا تماما للشعوب •

ولعلنى استطردت قليلا •••

ولكن ما اريد أن اقوله هو أن الشعوب فى مجموعها قضت معظم التاريخ الانسانى وليس لها حساب كبير ، رغم انها كانت على الدوام صانعة الحياة • وان النخبة ـ المنبثقة عن هذه الجماهير ـ عرفت فترات من اللمعان مع ازدهار الحضارات، ابرزها الازدهار العظيم والاحترام الكبير الذى ناله كبار المثقفين فى العصر الذهبى للدولة الاسلامية ، خصوصا فى بغداد العباسيين وفى الاندلس • حتى اضطهاد البارز منهم ـ كاضطهاد الامام احمد

أبن حنبل ـ كان دليلا على أهمية أمثاله وتقدير الحاكم لدورهم في تشكيل الفكر العام . ثم كان حظ المثقفين يخبو مع اضمحلال كل حضارة .

ولكن الفترة التي أتحدث عنها من القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، كانت تختلف عن كل ماسبق ، اذ شبت فيها حركات التحرر ، وقامت الثورة الصناعية تدريجيا ، وتكونت ـ كما قلت ـ المدن الكبيرة ، وبدأ يصبح « للجمهور » وزن لم يكن له من قبل . وبالتالي صار للمثقفين دور بارز ، فهم القادرون على انتاج المخترعات الحديثة المتوالية التي تغير حياة الانسان ، وهم القادرون على توجيه أفكارهم وآرائهم الى هذا الجمهور الجديد ، الامر الذى أكسبهم قوة وشهرة ، وظهر أكبر نوابغ الفكر والآداب والعلوم وقممها خلال تلك الفترة .

ولكن ، حين نصل الي العصر الحديث ، بمعناه الراهن ، نجد أننا محتاجون الى مناقشة أكثر تفصيلا لقضية النخبة ...

فأول وأهم ملامح العصر الذى نعيش فيه ـ فيما يتعلق بالموضوع الذى نتصدى له ـ هو ثورة الاعلام . او ما أفضل أن أسميه ثورة المعرفة ...

ففي العقود القليلة الماضية من السنين ، انفجرت المعرفة انفجارا هائلا وصار العالم بهذا المعنى عالما واحدا صغيرا لاول مرة . فالصحافة والاذاعة والسينما والتلفزيون وجهاز الراديو الترانزيستور الصغير الذى يحمله أفقر بدوى فى أبعد صحارى الدنيا ، جعلت المعرفة فى متناول كل فرد ، وان تراوحت الدرجات . وبعد أن كان السفر والترحال مهمة المستكشفين او الرسل الذين يتبادلهم الملوك ، صار هواية مئات الملايين كل سنة ، كل انسان يحاول بقدر امكانياته ان يرتاد اكثر ما يستطيع من ارجاء المعمورة .

العالم يصبح قرية واحدة

وكما يقول « مارشال ماكلوهان » الذى حاول أن يفلسف هذه الثورة في معظم كتاباته .. كما يقول في كتابه « القرية الكونية » : ان هذه المخترعات جعلت الانسان بعد أن كان يكفيه أن يتأقلم مع بيئة قريته او مدينته ، صار مضطرا الى ان يتأقلم مع قرية أكبر ، هي الكون باكمله .

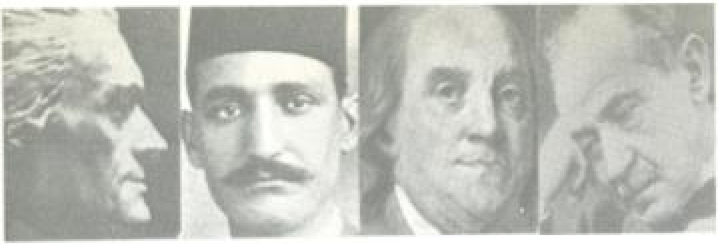
فأين صار مكان النخبة فى هذا العالم الجديد ؟ وهل بقى لهم دور يقومون به ؟ ...

ان مكانة النخبة التي كسبتها في القرن الماضي ، من حيث القيادة الفكرية لشعوبها .. سواء في مجالات الفكر السياسى او الانتاج الفنى او الذوق العام .. هذه المكانة لم تدم طويلا ، تحت وطأة هذه المخترعات التى أحدثت تلك الثورة فى المعرفة ونشرها ، وذلك من ناحيتين :

ـ الناحية الاولي ، هى أن هذه الاجهزة الاعلامية الكاسحة في تأثيرها صارت قابلة لان تقع في يد السلطة الحاكمة ، كما هو حادث في كل النظم الشمولية (١) مهما كانت انواعها ومذاهبها ومسمياتها . وبالتالى صار ممكنا في هذه الحالة ان تحرم من لا ترضيهم آراؤها من النخبة ، من أى فرصة للتأثير على الجماهير . فهي ـ السلطة ـ حتى اذا لم تمنعهم منعا ،

---

(1) Totalitarian



جيفرسون   العقاد   فرانكلين   شوقي

او لم تطردهم طردا، قادرة على مواجهة افكارهم بسيل كاسح من الفكر والذوق والسلوك ، المفروض من أعلى ، عن طريق استخدام هذه المخترعات الحديثة القادرة على مخاطبة القريب والبعيد، المتعلم والأمى ، وهي بهذا اكثر فاعلية بما لايقاس من جهد حامل فكرة ينشرها في كتاب او يدعو اليها في محاضرة .

فكان الفكر بوجه عام عاد الى ماكان عليه قبل قرون : اما ان يخدم السلطة ، فتفتح له أبواب التأثير والانتشار ، واما ان يرضى بالانزواء ، والانطواء ، والقبول بالدور الضئيل المختنق .

وكان تلك المخترعات الضخمة لنشر المعرفة ، والتي ظهرت لتحرير الانسان، قد غدت وبسرعة وسيلة من وسائل السلطة لصياغة الانسان وتكوينه ، بفعالية لم تكن لاى سلطة من قبل في التاريخ ...

وفي تقديري أن هذا السؤال - كيفية جعل ثورة المعرفة واجهزتها في خدمة الانسان لا السلطان - من أهم الاسئلة المطروحة على الانسانية في هذا العصر الحديث ...

- الناحية الثانية ، ان انتشار المعرفة على مستوى الملايين ، ذلك الامل المرغوب فيه وفي زيادته على الدوام ، كان لابد له وأن يؤثر - بالهبوط - على مستوى الانتاج الخاص بالفكر والآداب والفنون وتربية الذوق العام والعقل العام للناس .

فهذه الادوات الحديثة للمعرفة - من صحافة يومية واذاعة وتليفزيون وسينما - كالمعدة الشرهة التى تحتاج الى كمية هائلة من الطعام تتغذى بها كل يوم . وهذا في حد ذاته سبب كاف لان يهبط مستوى الانتاج في كل هذه المجالات ، وهي مجالات بطبيعتها اكبر تأثيرا واوسع انتشارا .

ثم ان هذه الجماهير الواسعة جدا التى دخلت ساحة استهلاك الوان المعرفة، هى بطبيعتها اقل ثقافة من القلة القديمة ، وبالتالى صار « ممولو ومنتجو » هذه المعرفة لايجدون وسيلة للانتشار والكسب سوى التسابق على تلبية طلبات هذه الجماهير المتزايدة . ظهرت الروايات التى تغرق السوق وتستهلك وتكسب الملايين ثم تنتهى ولاتبقى فى تاريخ الادب لانها فى الاصل لاتعد أدبا ، او هى نوع جديد من الادب ! وظهر ما يشبه هذا فى كل المجالات . وتغلب عنصر التجارة على عنصر الجدوى والفائدة ، او تغلب عنصر « الثمن » على عنصر « القيمة » .

رجال الاعمال يقودون الثقافة !

لم يعد الذين يصوغون العقل العام والذوق العام هم اولئك الذين نسميهم النخبة ، بل اقتصر وجودهم وتاثيرهم على قلة من الجمهور ، وعلى من هم داخل جدران المعاهد والجامعات فى أحسن الفروض .

وصار الذين يصوغون العقل العام والذوق العام نوعا جديدا من « رجال الاعمال » ، يطبعون الكتاب كمشروع تجارى ، ويرسمون خطة ابراز نجم

او ترويج اسطوانة بدراسة السوق ووسائل الاعلان الحديثة ٠
واذا تساءلنا بعد ذلك عن مظاهر العنف في عالم اليوم ، او رواج ثقافة الاباحية والانحلال ، فانها تعود بدرجة اساسية الى تسابق « منتجى الفكر والفن والذوق » الجدد ، على ارضاء اوسع فئة من الناس ٠٠
وتكفي المرء وقفة اليوم امام واجهة مكتبة في طريق عام ٠ او في مطار ، او في محطة قطار ٠ ليجد رفوف المكتبات حافلة بالوان من الكتب ، باسماء كتاب صاروا جماهيريين ،وكتبهم تطبع بالملايين ٠ وتتحول الى افلام يراها عشرات الملايين ٠ كتب احيانا في الجنس ٠ او في المغامرات السياسية او الجاسوسية ٠ او الاسرار الشخصية ٠ هل هي كتب اقرب الى الصحافة المثيرة ، ام هي نوع جديد من الانتاج « الادبى والفنى » سيعيش معنا زمنا طويلا ؟ ٠ وكلها تمتاز بسعة الانتشار وقصر العمر ٠ فهي قد تطبع عدة طبعات ٠ ولكن لا يعيش معظمها في السوق الا زمنا قصيرا ٠ في حين ان الاعمال الادبية التي تعيش مائة او مئات من السنين لا تكاد نجد مثلها في قوائم الانتاج الحديثة اليوم٠
ونفس الامر ينطبق في ساحة العلوم التطبيقية ٠٠٠
ففي ساحة العلوم التطبيقية هناك طبعا المبرزون ، ولكن عملية البحث العلمي والاختراع لم تعد فردية ،ولكنها في عصر ما بعد الثورة الصناعية ، صارت عملية يشترك فيها المئات بل والآلاف من العلماء المتخصصين في فروع شتى من العلم ، لان التسارع الى تطبيق نتائج الابحاث العلمية ، وتحويلها اما الى اسلحة في ساحة التنافس الدولي واما الى سلع في ساحة التنافس التجارى ،جعل عملية الاختراع ذاتها اشبه بعملية الصناعة ، فهى « انتاج مخترعات » على نطاق كبير ،لا تقوى عليه الا مجموعات لا افراد ، ودول بعينها هي الدول التي لديها رصيد ضخم من رجال العلم ومن المال الضخم اللازم للانفاق على البحث العلمي ٠٠

دور النخبة فى محنة جديدة

بهذا المعنى ، نلاحظ ان مفهوم « النخبة » في العصر الحديث ، قد تغير٠٠
وبرغم الازمات التي صارت تواجه« فكرة النخبة » في حد ذاتها ، على الاقل لانها تتعارض للوهلة الاولى مع فكرة الديمقراطية ٠٠ الا ان دورها باق بشكل ملموس وان كان متغيرا ٠٠
فهي لم تعد تلك القلة القليلة ولكنها ازدادت عددا وانتشارا وتنوعا ، سواء في الجامعات او معاهد الابحاث او المؤسسات المالية والاقتصادية والعلمية وغيرها ٠ وهي لم تعد تنبع من خلفية اجتماعية محدودة ومتوارثة، بل صارت بحكم انتشار تكافؤ الفرص تاتى من كل الفئات الاجتماعية ٠
ولذلك نرى أن دورها ــ بهذا المجموع الذى ربما لا تلمع فيه اسماء فردية ــ يزداد أهمية في عملية التقدم٠ فالتقدم التكنولوجى كله قائم عليهم ، وهو الثورة ما بعد الصناعية ٠
وبالتالي صار ضروريا ان تتوفر للنخبة البيئة والتسهيلات اللازمة ، ابتداء من دار للفنون الرفيعة كالاوبرا، الى ارقى معامل البحث العلمي ٠٠ لان النخبة مع تقدمها وقيامها بدورها تجر وراءها تدريجيا سائر الجماهير ٠٠

واذا كانت هذه نظرة شاملة على وضع النخبة بوجه عام في العالم، فلا بد من الاشارة الى الوضع الخاص بالنخبة في دول العالم الثالث ..

في العالم الثالث نجد الامية هي الغالبة وبالتالي فالاعتماد على وسائل المعرفة السمعية والبصرية أكبر . ونرى ان امكانيات متابعة النخبة للتقدم العلمي غير متوفرة ابتداء من مجالات البحث العلمي الى احدث المطبوعات والافكار والتيارات . والسلطة السياسية في اماكن كثيرة لا تعترف بهم لانهم ليسوا كتلا عددية كبيرة تملك للسلطة السياسية نفعا او ضرا .. ولان هذه النخبة اذا احتاجت الى اشياء تراها لازمة لها - ابتداء من المعامل المتقدمة وانتهاء بدار اوبرا اومسرح تجريبي - يصبح الامر صعبا ، لانهم يطلبون هذه الامور التي تبدو انها لن تخدم سوى عدد قليل ازاء مجتمع اغلبيته الساحقة في حاجة ماسة الى الاساسيات .

ولو ذكرنا مشكلة هجرة العقول التي نتحدث عنها دائما فهي ليست الا وجها من وجوه هذه المشكلة ، فكثير من افراد النخبة يجدون انهم لن يحققوا ذاتهم وامكانياتهم الا في بلاد غير بلادهم .

وبعض أفراد النخبة معذورون . وبعضهم يبالغ في ذلك . اذ يتصرف على ان ثقافته وعلمه وكفاءته اموريجب ان « يكافا عليها » من مجتمعه ، مكافاة مبالغا فيها ، ولا يرى الجانب الآخر ، وهو ان كونه من النخبة يلقي عليه مسئولية ازاء وطنه او قوميته . فالنخبة في العالم الثالث متميزة بالحيرة والتمزق النفسي . بين البقاء او الجلاء ، بين المكافاة أو المسئولية . وبين الاعتراف به احيانا في اماكن بعيدة وعدم الاعتراف به في وطنه .

هذا رغم ان النخبة دورها مطلوب أكثر في البلاد المتخلفة والنامية ، طالما انه دور ليس فيه استعلاء ، وانه دور لجذب القاعدة الواسعة من الجماهير الى مستويات أرقى من الحياة والثقافة والاستنارة والعادات والتقاليد .

ولهذا لا بد للمجتمعات النامية ان تفهم وتدرك جيدا أن النخبة بمعناها العصري الجديد، هي أحد أهم اسلحتها في التقدم ، وانها بالتالي لا بد أن توفر للنخبة من أبنائها ما تستطيع من امكانيات في حدود طاقتها طبعا ، حتى ولو كانت دارا للاوبرا ..

وكلما تقدمت دولة ادركت اكثر واكثر قيمة النخبة ..

نابليون بونابرت على شهرته العسكرية ترك لفرنسا شيئا أهم وهو مدرسة البوليتكنيك التي تختار أبرز الممتازين من الشباب لقيادة التقدم في فرنسا في شتى المجالات ..

واعاد ديجول الكرة ، فكان أهم ماتركه لفرنسا معهدا يمكن تسميته «المعهد القومي للادارة» ، ولكنه في الواقع يختار انبغ الخريجين من كل المجالات ويمتحنهم في قسوة شديدة ، ويفتح امامهم بالذات سبل الوصول السريعة الى مراكز الصدارة في شتى مجالات الحياة في فرنسا .

لم اكن اتحدث عن الاوبرا اذن ، بل اتخذتها رمزا لكل ما هو مطلوب ان يوجد في المجتمعات النامية - حسب قدرتها - لتجعل النخبة من ابنائها في مستوى التطور العالمي، وفي وضع يمكنها من قيادة مجتمعها الى الأحسن والارقى، والى أن تكون بذلك خادمة للجماهير، وليست سيدة عليها .

■■

احمد بهاء الدين .

مقالات ‥ فى كلمات !

■ الامبراطورية التى تقوم على الحرب ، تعيش بالحرب ·

« مونتسكيو »

■ كل الافكار الجديدة يشتبه فيها ، ثم تقاوم ، لا لسبب الا لانها لم تصبح بعد عادية ·

« جون لوك »

■ الحب ‥ نحلة تزن فى القلب ·

« توماس لودج »

■ السلام لا يتجزأ ·

« لتفينوف »

■ لن اعدل شيئا فى اقتناعى بان الناس فى كل مكان يمكن ان يكونوا احرارا ·

« لنكولن »

■ الانسان الذى لايفقد عقله امام الاغراء ‥ ليس لديه ما يفقده ·

« ليسنج »

■ الانسان ‥ حيوان مدمن !

« ناثانلى لى »

■ الناس نوعان : نوع ينظر الى الطين او نوع ينظر الى النجوم ·

« فريدريك لانجبريدج »

■ النملة تعمل ، ولا تعترض ابدا ·

« لافونتين »

■ اغبى امرأة تستطيع أن تخدع اذكى الرجال · ولكن الرجل الغبى لا تخدعه الا امرأة بالغة الذكاء !

« كبلنج »

■ ما أسرع ما يتبدد المجد ‥ الدنيوى !

« توماس كيمبس »

■ الحب نار ‥ لا تتركنا الا رماد ·

« جون كيتس »

■ التاريخ ، حلم مزعج ، احاول ان انساه !

« جيمس جويس »

■ الامانة ‥ فضيلة نمدحها ، ونتركها تموت جوعا ·

« جوفينال »

■ القرد قرد ‥ حتى ولو لبس الحرير !

« بن جونسون »

■ الحب كمرض الحصبة ‥ لابد ان يمرض به الجميع ·

« جيروم كابلانكا جيروم »

■ اتعس الناس المتردد !

« وليم جيمس »

برنارد شو

والفن .. وهلاك الانسانية



بقلم : الدكتور على الراعى

في توفمبر من العام الماضي ، مضت خمس وعشرون سنة على وفاة برنارد شو .

ربع قرن كامل والعالم لا يسمع صوت الكاتب الذى طالما تندر بالناس ومع الناس ، واضحكهم على اخطائهم وعيوبهم ، وطالب ـ فى الطف الاشكال وادعاها لحفز العقل والفؤاد معا ـ بان يتساوى الناس ، وان يتعلموا ، ويتثقفوا ، ويطرحوا وراءهم عبودية العمل الشاق ، ويتخففوا من اثقال البدن المضنية .

العالم يهمل الاحتفال بذكراه

■ مرت الذكرى علينا فى العالم العربى ، فلم نحرك ساكنا . كان الرجل لم يدافع عن الانسان المصرى المطحون والمستعمر ، الذى كانت احذية العسكرية البريطانية تطؤه فى غير ما رحمة فى دنشواى وغير دنشواى من مواقع الظلم ، كانه لم يجهد قلمه الساحر ، ومنطقه الذكى الذى لا يقاوم فى تعرية الاستعمار والدفاع عن الفلاح المصرى « زهران » فى وقت كانت الامبراطورية

فيه لا تزال تحتفظ بالسطوة والسيطرة ، وتفخر بمستعمراتها المترامية التي لا تغرب عنها الشمس ابدا •

ولكن ، لا بأس !

فلعل هذه ان تكون احدى المفارقات الكثيرة التي كان برنارد شو مولعا بتتبعها وتصويرها في مسرحياته ومقالاته ونوادره الكثيرة الطريفة : مفارقة ان يكون اكثر من دافع عنهم في حياته ـ والحديث هنا ليس عن العرب وحدهم ـ هم اقل الناس ذكرا له بعد الممات •

على كل حال لا اظن ان برنارد شو يشقى الآن بسبب هذا الاغفال ، فهو لم يتوقع لاعماله ان تخلد • كل ما قدر لها من بقاء هو مائة عام على الاكثر ، تروح بعدها في خضم النسيان •

وليس هذا مستغربا من الرجل الذي توقع في احدى مسرحياته : « عودة الى متو شالح » ان يصبح الفن في يوم من الايام لعبة تافهة ، لها من القيمة والاثر مثلما يكون لغيرها من لعب الاطفال • فالفن عنده هو احدى المراحل التي لا مفر من تخطيها اذا ما قدر للانسان ان يتطور ، ويترك وراءه هذا الانشغال الطفولي بالصور والاشكال ، الذي يتمثل في الخلق الفني •

الفن وسيلة لا غاية

ذلك ان برنارد شو نظر على انه وسيلة ، لا غاية • تشهد بهذا مواقفه من الاعمال الفنية التي اشتغل ، او شغل بها في حياته الطويلة •

ناخذ مثلا احدى الروايات الخمس التي كتبها في باكورة حياته ، وقبل ان ينتقل الى المسرحيات في انضج هذه الروايات الخمس واسمها : « الاشتراكي النفور » ، يهاجم بطل الرواية واسمه سيدني تريفيوسيس ـ فن الرواية ، ويكتب رسالة الى المؤلف يقول له فيها : « اسمح لي ان اعبر لك عن اسفي لانك لا تجد شيئا تستخدم فيه مواهبك اجدى من كتابة الروايات • ان اول نتيجة لنظامنا الاقتصادي القائم على ارباح القرصنة والاتجار بالرقيق قد كان شكسبير • وانه لمن سوء حظنا ان نظرة شكسبير لمصير الانسان ـ وقد كان يرى هذا المصير مظلما ، تعيسا ، يلفه اليأس المفزع ـ لا تزال تبررها الى اليوم حالة مجتمعنا الانجليزي ، مما يلقي في روعنا ان شكسبير ليس شاعر عصر بعينه ، بل شاعر كل العصور • غير ان الشعر الذي يحكي عن الناس لن يعيش طويلا بعد ان يذهب اليأس نفسه • ان روائيي القرن التاسع عشر ان هم الا ذيل شكسبير ، فحذار ان تربط نفسك الى ذلك الذيل » •

الروايات والقصص تلهية أطفال كبار

وفي موضع آخر من الخطاب نفسه ، يربط تريفيوسيس بين كتابة الرواية وبين نوع متاخر من الحياة ، يتحول عند الانسان الآن ، بعد ان حارب من اجل حريته الشخصية وفاز بها ، يتحول عنه في تقزز ، مخلفا وراءه حلم الاناني باستقلاله الذاتي،منتقلا منه الى تبني الاهتمامات الجماعية للمجتمع » •

وفي صلب الرواية يسأل البطل الفتاة اجاتا عما تقرأ ، فتقول : « رواية » فيقول : « اي قصة كاذبة تحكي عن شخصين لا وجود لهما ، فان فرض وكان لهما وجود ، لتصرفا بطريقة تختلف تماما عن تصرف البطلين الخاليين » •

وفي الفصل الثاني عشر من الرواية نفسها ، نجد هجوما آخر على فن الرواية والفن القصصي بعامة • فالكتاب الروائيون يوصفون بانهم «اطفال كبار » سيطوي الزمن اعمالهم ، ويحل محلها الرفقة المسلية ، والحديث الذكي ، والعقل البشري الذي شب عن طوق الانبهاج الطفولي بالقصص » •

هذا عن الروايات •

بأيهما يفخر : مسرحياته أم عمله السياسي ؟

أما المسرحيات فان نظرة برنارد شو اليها اقل من هذا وضوحا • فهو ـ بازائها ـ منقسم على نفسه •

سئل مرتين عن وجهى نشاطيه العمل السياسى والمسرحيات ، ايهما مبعث فخر له ؟

فاجاب في المرتين اجابتين تناقض احداهما الاخرى . قال : « العمل السياسى » ، مرة . وفي المرة الثانية قال : « بل مسرحياتى » . واضاف وهو يشرح : « ان عملى السياسى كان يمكن ان يقوم به غيرى . أما المسرحيات فلم يكن ليكتبها سواى » .

غير أن هذا التناقض ان هو الا تضارب على السطح فقط . فان برنارد شو ، وهو يدافع عن مسرحياته ، انما كان يدافع عن عمله السياسى فى الوقت ذاته ، ذلك ان شو كتب المسرحيات لتكون بديلا عن العمل السياسى المباشر . كتبها ليدافع بها عن وجهة نظره فى الناس والمجتمعات والانظمة السياسية والاقتصادية ، وليصل ـ بالمسرحيات ـ الى تغيير الراكد والمتخلف فى هذه الاشياء جميعا .

لماذا انصرف الى المسرحيات ؟

كانت اشياء كثيرة قد حدثت لبرنارد شو ، فى روحه وخارج روحه معا ، دفعته الى الانصراف عن العمل السياسى المباشر ، واللجوء الى المسرح عوضا عنه فى الفترة التى انقضت ما بين كتابته للروايات وكتابته للمسرحيات ، كان برنارد شو قد عرف الاشتراكية . عرف كارل ماركس ، وسيدنى وب ، وزوجته بياتريس وب ، واعترف بانه لولا معرفته بهؤلاء الثلاثة لكان اقصى ما قدر له من مكانة فى عالم الادب ان يصبح حكيما اديبا سطحيا على طريقة كل من كارليل وراسكين .

ثم حدث ما جعله يفقد الامل فى الانجاز السريع للاشتراكية ، بعد ان كان مفرطا فى التفاؤل بصدد سرعة التحول الاشتراكى ، وهو تفاؤل يقول فى وصفه ـ والدعابة هنا لا تفارقه ـ : « اذكر اننى سئلت فى اجتماع عام وفى شىء من السخرية ، عما اتطلبه من وقت لتحقيق الاشتراكية من الناحية العملية ، لو قدر لى ان اتسلم السلطة . فاجبت اذ ذاك ، فى تواضع شجاع ، اننى اظن اسبوعين يكفيان لهذه المهمة ويزيدان . فاذا اضفت الآن اننى كثيرا ما كنت اتلقى التهانى على كونى واحدا من متعقلى الاشتراكيين ، امكنكم ان تقدروا الحماس الشديد الذى كان يصحب معتقداتنا ، والنزق المسرف الذى كان يسم افكارنا العملية » .

والى جوار هذا ، كانت هناك حادثة « يوم الاحد الدامى » التى تركت فى روح برنارد شو اثرا بعيد الغور ، انعكس فيما بعد على عمله السياسى وعلى كتاباته .

كان برنارد شو قد خطب فى جمع من الناس ، ودعا مستمعيه الى ان يسيروا قدما فى اصرار ونظام الى ميدان « طرف القار » فى لندن ليتحدوا ما ادعاه البوليس لنفسه من حق فض اجتماع كان يراد عقده هناك . وعند ناحية بلدة فريرى ، هاجم البوليس طليعة المتظاهرين ، واكرههم على الفرار المشين ، بعد ان اعمل فيهم هراواته . وهنا اندفع رجل منهم الى شو صائحا : « شو ، قدنا ، ماذا نحن صانعون ؟ » فاجاب شو : « لا شىء » . « ليحاول كل منكم ان يصل الى الميدان باية طريقة يستطيع » .

وانتهت المسالة بهزيمة فاضحة للجميع . وتخلف فى روح برنارد شو ذلك الاثر العميق الغور الذى تقدمت الاشارة اليه : انه ليس قائدا عمليا ، ولا يمكن ان يكون . « ان هو الا رجل اقوال ، لا افعال ! » .

باثر من هذا التامل المرير انتقل برنارد شو الى المسرح ، اقرب الفنون الى طبيعة العمل السياسى ، واشدها التصاقا بروح الاجتماعات السياسية . انتقل ، وفى مرجوه أن يفيد المجتمع عن طريق الفن . فكتب مسرحياته الثلاث الاولى ، التى اطلق هو نفسه عليها اسم : « مسرحيات مكروهة » . ولو عاش اليوم لاسماها بالاسم المعاصر : كوميديات مرة .

فى هذه المسرحيات ـ وعناوينها على التوالى : « بيوت الارامل » ، و « زير النساء » ، و « حرفة مسز وارين » ـ يهاجم برنارد شو المجتمع الفيكتورى هجوما لا هوادة فيه ، ولا تنازل . يفضح اصحاب الاملاك ، ويعرى اصحاب المصالح ، ويقارن فى المسرحية الثالثة بين المجتمع ودور

البقاء مبينا ان البناء يقوم على الاسلوب التجاري ذاته الذي تسير وفقه كثير من الاعمال !

وبالطبع تصدى المجتمع بكل جبروته وقسوته للكاتب المسرحي الشاب وافكاره الجريئة هذه . حبست المسرحية الثالثة ـ مثلا ـ عن التداول ثلاثين عاما متصلة . لا الرقيب يوافق عليها كما هي ، ولا شو يرضى بتعديلها !

ثم وجد شو بعد هذه المسرحيات انه لن يبلغ اسماع الناس وابصارهم اذا هو اقام على هذا العناد ، فسعى الى ان يعدل من تكتيكه . وفي هذا يقول : « لكي اضمن ان يستمع الى الناس، كان حتما ان احرص على أن يعتبروني مجنونا تجب رعايته ، مجنونا له ما للمضحك من رخصة. وكانت طريقتي في هذا ان اجهد كل الجهد في تبين ما يجب ان يقال ثم اقوله من بعد باقصى ما استطيع من خفة » .

ومن ثم جاءت باقي المسرحيات . ضحك ، وخفة فكر وغل على السطح ، ولكن حزن دفين في الاعماق . حزن لان كاتبها لا يستطيع ان يفعل اكثر من الكتابة ، والكتابة بهذه الطريقة المخففة .

وحزن لان حال الانسان هو ما يراه الرجل البصير ، الذي يلتفت حوله فلا يرى الا كل ما يشقي ويبعث على الاسى .

احيانا يحتوي برنارد شو هذا الحزن ، مثلما فعل في مسرحيته : « الانسان والسلاح » ، واحيانا اخرى يحدد اقامته في حلم يحويه فصل يتوسط المسرحية،ويسهل نزعه منها مثل مسرحية : « الانسان والسوبرمان » . واحيانا ثالثة ينفجر هذا الحزن ويصل الى السطح متحديا كل قدرة للكاتب على الانضباط ، مثلما يحدث في مسرحية : « بيوت القلوب الكسيرة » ، حين يهتف العجوز شوتوفر ، ساخطا ، عاجزا ، بالغ الالم :

« اننا نقتل اجمل ما فينا كل يوم ، كي يرضوا عنا . ولاننا نسلم ان هؤلاء الناس يستطيعون القضاء على امانينا جميعا ، لا نسمح لانفسنا بان تكون لنا آمال . وكلما سولت لنا انفسنا ان نسعى الى هلاكهم ، خرجوا علينا بنفر من الجن يسحروننا ، متنكرين في ثياب بنات جميلات، ومغنين وشعراء . فمن اجل هؤلاء جميعا نعفو عنهم » .

ولكن هذا الهجوم المغلف ـ نسبيا ـ على المجتمع المعاصر ، وما يزخر به من سوءات ، وما يستخدم من جمال وفن كي يبقى دعائمه الظالمة ، لم يعد في اواخر حياة شو يقنعه او يرضيه ، وهو لهذا يزيح الفن جانبا في واحدة من اواخر مسرحياته ، اسمها : « الحقيقة المرة » ويتحدث هو نفسه بوضوح ، من وراء قناع رقيق بشخصية اسمها « اوبري » فيقول : « انا بطبيعتي وقدري واعظ.انا الكاهن الجديد. غير انني لا انجيل عندي ، ولا عقيدة » لقد اسقطتها الحرب جميعا منيدي بطلقات الرصاص. ولكي اعظ الناس يجب ان يكون لي وثوق . بلا وثوق لن يسمع لي الشباب . فحتى الشباب سرعان ما يملون الرفض .. انا جاهل ، قد فقدت شجاعتي واستبد بي الخوف . كل ما اعرفه هو ان علي ان اتبين طريق الحياة لي ، ولكل منا، والا هلكنا جميعا بكل تاكيد . والى ان يتم هذا تغلبني موهبتي على امري : وساعظ ، واعظ ، واعظ ، مهما يكن الوقت متاخرا ، ومهما يكن الزمن الباقي قصيرا . ومهما تخل افكاري من شيء يقال » .

دار الزمن دورة كاملة ، وعاد برنارد شو يسخط على الفن ويرفضه ، ويتبين انه لا يمكن ان يكون بديلا من العمل السياسي النشيط .

ولكن : ماذا يفعل وهو فنان وليس قائدا سياسيا ؟ ماذا يقدم وموهبته الكبرى هي ان يقول ويقول ، ويعض بالنواجذ على ايمان له لم يجرؤ يوما على ان يديم فيه النظر : ان الانسان طيب وخير بالطبيعة وقادر على ان يصلح نفسه بنفسه ؟

ان فقد هذا الايمان هلك ، وهلك معه حلمه بالانسان السوبرمان ! ■■

الكويت ـ علي الراعي

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٨

نيل ارمسترونج
أول رجل دقت قدماه أرض القمر

■ قامت مسابقة العدد ٢٠٨ من« العربي » على اسماء شخصيات عالمية كان لها تأثير كبير في الحضارة الانسانيةفمنهم السياسي المحنك ، والمغامر الشجاع، والقائد البارع ، والشاعر اللوذعي، وقدكانت الاسئلة سهلة ميسرة لا تحتاج الى كثير عناء وبذلك استطاع العديد من القراء ان يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابةالصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ المتصوفة العربية الشهيرة هي رابعة العدوية .

٢ ـ زعيم المانيا الكبير هو بسمارك .

٣ ـ المرأة الصماء البكماء العمياء المعجزة هي هيلين كيلر .

٤ ـ الشاعر العربي الكبير مؤلف قصيدة نهج البردة هو احمد شوقي .

٥ ـ الكشاف الاول هو بادن باول .

٦ ـ أول من دقت قدماه ارض القمر هو نيل ارمسترونج .

٧ ـ المغامرة البريطانية التي ولدت سنة ١٨٦٨ هي جرترودوبل .

٨ ـ اله الحرب عند الرومان هو مارس .

٩ ـ القائد الذيعبر جبال الالب هو هانيبال.

١٠ ـ ابقراط هو من لقب بابي الطب .

الفائزون بالجوائز

- الجائزةالاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : **سحر فؤاد على بدوى ـ** الزقازيق / مصر .
- الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: **شطاط احمد ـ بوفره ـ** الابيار / الجزائر .
- الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **محمد على على النصيرى ـ** صنعاء / اليمن .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عدنان محمد** ـ حي المنزه ـ تونس .
٢ ـ **سناء نعيم الحاج على** ـ المرقاب / الكويت .
٣ ـ **خالد صالح المزيرعي** ـ الرياض / السعودية .
٤ ـ **هاشم عبد الباقي الطيار** ـ بغداد / العراق .
٥ ـ **ربيع سعيد باجبع** ـ سيئون / اليمن الديمقراطي .
٦ ـ **مهند محمد راضي القاضي** ـ عمان / الاردن .
٧ ـ **محمد براق وراق** ـ حلب / سوريا .
٨ ـ **عقيل العطبي** ـ كشمير / الهند .



المفاهيم الاقتصادية

كيف نبنيها على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة والدراسات العلمية ؟

بقلم الدكتور / محمد شوقي الفنجري

■ كثر في السنوات الاخيرة الحديث والكتابة حول موقف الاسلام من المذاهب والنظم الاقتصادية المعاصرة . وحول حكم الاسلام على مختلف المعاملات المالية المستحدثة .

وقد اجمع الرأى بان للاسلام اقتصادا متميزا عن الاقتصادين السائدين الرأسمالي والاشتراكي وان الاقتصاد الاسلامي هو اقتصاد الهي يتجنب كافة المساوىء ويحقق كافة المزايا .

اغفال الاقتصاد الاسلامي

وكم كان طبيعيا أن ترتفع الاصوات بعد ذلك بضرورة العودة الى الاقتصاد الاسلامي ،واسهام مبادئه في حل مشاكل العالم . ولكن ظلت المشكلة قائمة . اذ لم تبذل الجهود الكافية نحو الكشف عن أصول الاقتصاد الاسلامي بلغة العصر ولم تبين كيفية اعمالها وتطبيقها بما يحقق مصالح المجتمع المتغيرة .

ولقد كانت النتيجة ما نلمسه اليوم من تخبط اغلب المجتمعات الاسلامية بين الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي . متلمسة حلول مشاكلها الاقتصادية خارج الاسلام أو عن غير طريقه .

بل ان جامعات العالم ، بما في ذلك جامعات العالم الاسلامي نفسه ،تدرس الاقتصادالرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ، ولا تدرس الاقتصاد الاسلامي . ولا يستثنى من ذلك سوى جامعة الازهر بالقاهرة ، حيث قررت تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، بمقتضى قانون تطوير الازهر رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦١ وذلك بكليتين منها هما كليتا التجارة والشريعة . ثم تلتها جامعة الملك عبد العزيز بجدة بمقتضى نظام تاسيسها الصادر سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م وذلك بكلية واحدة منها هي كلية الاقتصاد والادارة . ورغم ذلك فقد ظل تدريس هذه المادة منذ تقريرها في حدود ضيقة وبصورة لا تساعد باى حال من الاحوال على خدمة هذه المادة وتنميتها ، اذ الساعات المقررة لها محدودة للغاية ، واساتذتها غير متفرغين ، والاهتمام ببحوثهم ودراساتهم ضئيل ، رغم ما هو متفق عليه بان الاقتصاد هو المجال الحيوى الذى تتجلى فيه قوة الاسلام المادية والروحية ، وهو الذى يتحقق من خلاله تماسك الامة الاسلامية وعظمتها ورسالتها العالمية .

الوعي الاقتصادي الاسلامي

ولسنا هنا بصدد الاشارة الى الدور الذى لعبه الاقتصاد الاسلامي فى عصوره الزاهرة وقبل اقفال باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، حتى ان أولى الدراسات العلمية الاقتصادية فى العالم لم تظهر الا فى ظل الاسلام وعلى يد الكتاب العرب من امثال أبي يوسف وابي عبيد القاسم ومحمد الشيباني وابي الحسن الماوردى والعيني وابن خلدون وغيرهم ٠

ولسنا هنا ايضا بصدد بيان طبيعة الدراسات الاقتصادية الاسلامية ،او الكشف عن اهم الاصول الاقتصادية الاسلامية ، أو الوقوف على ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية ،أو محاولة الربط بين مبادىء الاقتصاد الاسلامي ومشكلات مجتمعنا المعقدة المعاصرة ٠٠ الخ مما يتجاوز نطاق هذا المقال ، ومجاله الحقيقى هو الكتب والبحوث العلمية المطولة ٠

ولكن ثمة مفاهيم اقتصادية نرى ضرورة الالمام بها بحيث تكون واضحة فى اذهان جمهور المسلمين، بما يمكنهم الوقوف على حقيقة الاقتصاد الاسلامي ومتابعة بحوثه ٠ ونشير هنا بايجاز غير مخل ،الى اهمها فيما يلى :

أولا
التفرقة بين « الاقتصاد كعلم » وبين « الاقتصاد كمذهب ».

فعلم الاقتصاد هو الذى يدرس الظواهر الاقتصادية ويحللها بقصد استخلاص القوانين الاقتصادية التى تحكمها كقانون تناقص المنفعة وقانون الغلة المتزايدة ، وقانون العرض والطلب ، وقانون اقل مجهود أو اقل تكلفة ٠

« فالاقتصاد كعلم » ذو طابع نظرى ، يدرس ما هو كائن فعلا ، ولا علاقة له بالاخلاق أو السياسة أو اتجاهات الدولة الاقتصادية أو مفهوم المجتمع لفكرة العدالة ٠ ومن ثم فهو محايد وليس بعامل مميز يستقل أو ينفرد به دين أو مذهب دون اخر ، حيث لا يمكن وصف مثل هذه القوانين الاقتصادية بانها رأسمالية أو اشتراكية أو اسلامية ، وانما هى حقائق علمية لا دين لها ولا جنسية ، فهى ذات صفة عالمية لا تتفاوت فيها الشعوب أو الدول تبعا لاختلاف اديانها أو مفاهيمها الاجتماعية ٠

اما كيفية اعمال هذه القوانين الاقتصادية وطريقة التاثير فيها والاستفادة منها ، فهو دور المذهب الاقتصادى ، فهو الذى يحدد هدف الانتاج، وهو الذى يحدد مدى الحرية الاقتصادية ، وكيفية توزيع الثروة ، واطلاق الملكية الخاصة لوسائل الانتاج أو تقييدها او تاميمها ٠٠٠ الخ ٠

« فالاقتصاد كمذهب » ذو طابع عملى يدرس ما يجب أن يكون ، فله علاقة وثيقة بالاخلاق او السياسة او اتجاهات الدولة الاقتصادية ، ومن ثم فهو مجال الخلاف بين الشعوب والدول ،بحسب اختلاف الظروف الاقتصادية لكل مجتمع، واختلاف الافكار والمفاهيم التى يرتبط بها ، وتصوره للعدالة وطريقة تحقيقها ٠

وفى مجال المذاهب الاقتصادية يمكننا أن نميز بين « الاقتصاد الاسلامي » وبين الاقتصاديات الوضعية « راسمالية » كانت أو « اشتراكية » ٠

والاقتصاد الاسلامي لا يهمه تفسير الظواهر الاقتصادية واستخلاص قوانينها ، وانما الذى يهمه هو تحديد اهداف النشاط الاقتصادى وتنظيمه وفقا لمبادىء الاسلام وتعاليمه ٠ وهو ما لا يتاتى الا بعد الالمام بالقوانين الاقتصادية وطبيعة النشاط الاقتصادى السائد وظروفه ٠ وهو اليوم يتطلب التخصص بعد أن تعقدت طبيعة هذا النشاط وتعددت صوره وتشابكت قوانينه ٠

فالرابطة وثيقة بين النشاط الاقتصادى اى ما هو كائن مما يعالجه « علم الاقتصاد » ، وبين توجيه هذا النشاط ، اى ما يجب ان يكون مما يعالجه « الاقتصاد الاسلامي »، الامر الذى يتطلب من الفقيه الباحث فى الاقتصاد الاسلامي ان يكون ملما بعلم الاقتصاد ، وهو اليوم علم متشعب ومعقد ٠ وبعبارة أخرى لم يعد اليوم يكتفى فى الباحث فى الاقتصاد الاسلامي مجرد الاحاطة بالدراسات الاسلامية والفقهية الواسعة ، بل اصبح يتطلب فيه ، وعلى نفس المستوى الاحاطة بالدراسات الاقتصادية الفنية والنظم الاقتصادية المعاصرة ٠

ثانيا
التفرقة بين « الاقتصاد الاسلامي » وبين « الاقتصاديات الوضعية »

في مجال توجيه النشاط الاقتصادي أو مايجب ان يكون ، يختلف « الاقتصاد الاسلامي » عن الاقتصاديات الوضعية وابرزها « الاقتصاد الرأسمالي » و «الاقتصاد الاشتراكي » .

ولسنا هنا بصدد تفصيل اوجه هذا الخلاف ، ولكنا نشير الى أمرين أساسيين :

أولهما :

ان كافة الاقتصاديات الوضعية تقرر انها لا تستهدف الا مصلحة الانسان وسعادته . ولكن المصلحة قد تكون عامة او خاصة ، وقدتتعارضان وهنا تختلف الاقتصاديات الوضعية بحسب سياستها منهاتين المصلحتين : فبعضها كالاقتصاد الرأسمالي الذي تدين به دول المعسكر الغربي يجعل الفرد هدفه ، فيهتم بمصلحته أولا ويقدمه على المجتمع ،وما يستتبع ذلك بصفة اساسية من سيادة الملكية الخاصة أو بعبارة أخرى ان تكون الملكية الخاصة هي الاصل والملكية العامة هي الاستثناء . وبعضها كالاقتصاد الاشتراكي الذي تدين به دول المعسكر الشرقي يجعل المجتمع هدفه فيهتم بمصلحته أولا ويقدمه على الفرد ، وما يستتبع ذلك بصفة اساسية من سيادة الملكية العامة او بعبارة اخرى ان تكون الملكية العامة هي الاصل والملكية الخاصة هي الاستثناء .

ويتفرد الاسلام منذ البدء بسياسة اقتصادية متميزة لا ترتكز اساسا على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالي ، ولا على المجتمع فحسب شأن الاقتصاد الاشتراكي وانما قوامها التوفيق والموازنة والمواءمة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ،اذ اساسه قاعدة « لا ضرر ولا ضرار »، بحيث يكون الحل الاقتصادي لاية مشكلة اسلاميا بقدر ما يحقق هذا التوفيق والموازنة والملاءمة بين المصلحتين الخاصة والعامة ، وما يستتبع ذلك بصفة اساسية من تواجد الملكيتين الخاصة والعامة كاصلين يتوازنان ولا يضيق احدهما او يتسع الا بقدر ما تتطلبه ظروف المجتمع والصالح العام على النحو الذي لمسناه في العهد الاسلامي الاول وخاصة موقف عمر بن الخطاب بالنسبة للاراضي المفتوحة .

ثانيهما :

ان الاقتصاديات الوضعية تجمعها كلها رابطة واحدة ، الا وهي ما ديتها البحتة . فغاية النشاط الاقتصادي الرأسمالي هو أن يحقق كل فرد اكبر قدر من المكسب المادي ، وغاية النشاط الاقتصادي الاشتراكي هو ان يحقق كل مجتمع اكبر قدر من الرخاء المادي . فالمادة في كافة المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية مطلوبة لذاتها ، كان حقيقة العالم تنحصر في ماديته . وكان من نتيجة ذلك هذا الصراع العنيف بين هذه المذاهب والنظم حول السيطرة على خيرات العالم ، الى حد التهديد بالحرب وانتفاء السلام على مستوى العالم . وكان هذا الخواء النفسي وذاك الافلاس الروحي على مستوى الافراد وغيره مما تعانيه مجتمعات اليوم وتتجرع مرارته . بخلاف الامر في الاقتصاد الاسلامي ، فانه الى جانب ايمانه بالعامل المادي وان النشاط الاقتصادي لا يمكن الا ان يكون ماديا ، لا يغفل الجانب الروحي في الكيان البشري. وكل ما يفعله الاسلام بهذا الخصوص ، هو أن يتجه المرء بنشاطه الاقتصادي الى الله تعالى ابتغاء مرضاته وخشيته ، ومن ثم فهو يعمر الدنيا وينميها ليكون بحق خليفة الله في أرضه ، وهو يحل التكامل والتعاون محل التنافس والصراع . فما الروحانية في الاسلام الا الاحساس بالله

تعالى في كل عمل تقوم به . وهي خشيته ومراقبته سبحانه وتعالى في كل نشاط اقتصادي تباشره ، بحيث لا يكون هذا العمل او ذاك النشاط الا عملا ونشاطا صالحا نستهدف به وجه الله اى الصالح العام .

ثالثا
التفرقة في مجال الاقتصاد الاسلامي بين « الاصل الثابت » وبين « التطبيق المتغير »

فالاصل الثابت هو مجموعة المبادىء الاقتصادية التي وردت في نصوص القرآن والسنة ، ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان . ومن قبيل ذلك قوله تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة / ٢٧٥ ، وقوله تعالى : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) الاسراء/ ٢٦ ، وقوله تعالى عن المال (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) الحشر / ٧ . ومن قبيل ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام (كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه) اخرجه البخاري، وقوله عن الصدقة : (تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم) اخرجه الشيخان ، وقوله (الجالب في سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد بالله) ـ المستدرك للحاكم .

فهذه نصوص قرآنية ونبوية قطعية الدلالة.ونعبر عنها بلغة العصر بمبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة وتحريم أوجه النشاط الاقتصادي التي تتضمن استغلالها او احتكارا أو ربا ، ومبدأ ضمان حد الكفاية او الحد اللائق لمعيشة كل فرد وتحقيق التوازن الاقتصادي بين افراد المجتمع ، ومبدأ التزام الدولة القيام بكل نشاط اقتصادي يعجز عنه الافراد او يقصرون فيه او ينحرفون به، وتكون حصيلته ما نعبر عنه «بالمذهب الاقتصادي الاسلامي» .

فالاصل الاقتصادي هنا الهي محض اى من عند الله تعالى : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . فصلت / ٤٢ ، ومن ثم فانه لا يجوز الخلاف حوله ، ولا يقبل التغيير او التبديل ، ويخضع له المسلمون في كل عصر بغض النظر عن درجة التطور الاقتصادي او اشكال الانتاج السائدة . ويلاحظ ان نصوص القرآن والسنة التي وردت في المجال الاقتصادي قليلة، وانها جاءت عامة تتعلق بالحاجات الاساسية لكل مجتمع، ومن ثم كانت صالحة لكل زمان ومكان.

اما التطبيق ، وهو يتعلق بكيفية اعمال الاصل الاقتصادي الثابت وهو الوجه الثاني الغالب من الاقتصاد الاسلامي ، فهو مما يختلف باختلاف ظروف كل مجتمع . ومن قبيل ذلك بيان العمليات المستحدثة التي توصف بانها ربا او اكل للمال بالباطل ، وبيان مقدار حد الكفاية او الحد الادنى للاجور ، وبيان مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، وحدود الملكيتين الخاصة والعامة ، كل ذلك مما يتسع فيه مجال الاجتهاد في حدود اصول الاسلام وسياسته الاقتصادية ، وتكون حصيلة ما نعبر عنه «بالنظم الاقتصادية الاسلامية» .

فالتطبيق الاقتصادي هنا وضعي باعتبار جهود الائمة والحكام في استنباطه واستقرائه ، ومن ثم فهم يختلفون فيه باختلاف تقديرهم للمصالح . وخلافهم في ذلك جائز شرعا ، بل هو من قبيل الرحمة لقوله عليه السلام : (اختلاف علماء امتي رحمة) . المستدرك للحاكم وهو امر لا يخشى منه، اذ لا يتجاوز الاصل الثابت ولا يتناول سوى التفاصيل والتطبيقات الفرعية . ولقد كان للامام الشافعي في مصر (مذهب) وبعبارة أدق (تطبيق) مختلف عما سبق ان افتى به في العراق ، وعبر عن ذلك الاصوليون بقولهم (تغير الاحكام بتغير الازمنة والامكنة) ، وقولهم بانه (خلاف زمان ومكان لا خلاف حجة وبرهان) . وعبر عنه الامام ابن تيمية ادق تعبير بقوله انه (خلاف تنوع لا خلاف تضاد) ، ونعبر عنه بلغة الاقتصاد الوضعي بجواز تعدد الانظمة الاقتصادية في اطار المذهب الاقتصادي الواحد .

وهذه التفرقة الاخيرة تكشف لنا عن أمر



هام ، وهو انه لا يصح ان نختلف حول الاصول الاقتصادية الاسلامية ، اذ هي الهية ، وقليلة ، وثابتة . وانما يجوز لنا ان نختلف حول التطبيقات الاقتصادية الاسلامية ، اذ هي اجتهادية ، وكثيرة ، ومتغيرة . ولا شك أن عمل الباحث في الاقتصاد الاسلامي ـ شان اى باحث في كافة المجالات الاسلامية ـ هو تطبيقي لا انشائي ، ذلك لانه لا يثبت ولا ينشيء حكما من عنده ، وانما هو يظهر ويكتشف عن حكم الله في المسألة المطروحة، ولا يكون ذلك الا حسب ظنه واعتقاده ، لا حسب الحقيقة التي لا يعلمها الا الله . وقد عبر عن ذلك خير تعبير الامام ابو حنيفة بقوله (هذا رأينا فمن جاءنا باحسن منه قبلناه) . وحرص جميع الائمة القدامى على التنبيه بعدم التقيد باجتهاداتهم وانما يسترشد بها ، وعلى كل فقيه باحث فيما يعرض له من مشكلات ان يرجع الى ذات نصوص القران والسنة ويجتهد فيها مثلهم. ولا شك ان اكبر ضربة وجهت الى الاسلام هي اقفال باب الاجتهاد منذ القرن الرابع الهجرى .

حقا قد لا توفق بعض الاجتهادات الشرعية فلا يكون سبيل ابطالها التنديد بقائلها او تجريحهم، وانما مقارعتها بالحجة من ذات نصوص القران والسنة . واظهار فسادها بالطرق الشرعية المقررة من قياس واستحسان واستصلاح ويظل المعول عليه دائما هو ما تتبناه السلطة الشرعية في البلاد ، وهو ما يتعين ان تتضافر كافة الجهود لتاييده ان كان صحيحا ، ورده الى الصواب ان كان فاسدا .

مشكلة الاقتصاد الاسلامي اليوم

ومشكلة الاقتصاد الاسلامي اليوم هو أن اقتصاديينا الفنيين تعوزهم الدراسات الاسلامية العميقة ومن ثم فهم يعزفون تلقائيا عن دراسة الاصول الاقتصادية الاسلامية ، او تلمس الحلول الاسلامية لمشكلات العصر الاقتصادية . وعلماء الدين عندنا تعوزهم الدراسات الاقتصادية العميقة، ومن ثم فهم لا يحسنون اعمال الاصول الاقتصادية الاسلامية بما يتلاءم ومقتضيات العصر ، او لا يحكمون ربطها بما هو واقع فعلا بعالمنا الاقتصادى المعقد الحالي .

وليس من سبيل لعلاج هذه الحال الا باعداد العالم في الاقتصاد الاسلامي الذى يجمع بين (الثقافة الاسلامية الفقهية العميقة) وبين (الثقافة الاقتصادية الفنية المعاصرة) . ولن يكون ذلك عن طريق استصراخ الهمم او مناشدة علماء الاقتصاد أو علماء الدين بالتخصص ، وانما عن طريق انشاء كراسى او اقسام لهذه المادة بالجامعات الاسلامية ومعاهد الاقتصاد وكليات الشريعة والادارة ، فيتوافر لها طلابها المتخصصون، وتكثر بحوثها وتعمق .

وبهذا الاسلوب العلمي المنظم نستطيع ان نبرز اصول الاسلام الاقتصادية بروح العصر ، وأن نطبقها بما يتفق وحاجات المجتمع المتغيرة . وبهذا الاسلوب العلمي وحده نضع حدا لكافة صور التعصب والمزايدات ، ونمكن الاقتصاد الاسلامي من النمو والازدهار في حل مشاكل العالم واقرار السلام .

بل بهذا الاسلوب وحده يفرض الاقتصاد الاسلامي نفسه ، لا على العالم الاسلامي فقط ، وانما على العالم اجمع . فالاسلام دين حضارة ، والاقتصاد هو المجال الحيوى الذى تتجلى فيه قوة الاسلام المادية والروحية ، وهو الذى يتحقق من خلاله تماسك الامة الاسلامية وعظمتها ورسالتها العالمية.

■ ■

الرياض : **محمد شوقي الفنجرى**

اليوثانية

أو.. القتل بدافع الرحمة!

بقلم :
الدكتور سعيد عبده

قد يطول المرض بالمريض ،ويزمن ويستعصى على كل وسائل العلاج ، وكثيرا مايقترن المرض في مثل هذه الاحوال بالالم المحض ، والعذاب الذى لايعرف الحدود ··· وقد يدنف المريض ويشقيه ، ويمل اهله وذويه ،حتى ليتمنى المريض او يتمنى ذووه لو خلصوا بالموت من هذا الشقاء ، وربما التمس الطبيب او ذووه من الطبيب هذا الخلاص ، وربما استجاب الطبيب بدافع الرحمة لهذا الرجاء ، فارسل المريض فى غيبوبة رحيمة ، لا يصحو منها ولا يفيق الا على سؤال الملكين !!

■ ان « اليوثانية » (١) او القتل بدافع الرحمة هى مجموعة هذه الملابسات ، وحق الطبيب فى ارتكاب هذا الجرم حق مشكوك فيه، وطالما شغل الناس·

هل من حق الطبيب ان يزهق روحا وهبها الله لصاحبها ، ومن حقه وحده ، سبحانه ، ان يسترد هبته حين ينتهى الاجل ويطوى الكتاب ؟

وهل يمكن ان ينجو الطبيب من تهمة القتل العمد فى هذه الاحوال ؟

ثم هل من حق المريض نفسه مهما بلغ به اليأس ، وبرح به الالم أن يطالب طبيبه بأن يساعده على الانتحار ؟

ثم انه اذا حال دون ذلك ضمير الطبيب او التزامه بشرف مهنته ، فهلا ترتكب جرائم من هذا النوع، وبطرق اشد قسوة، بعيدا عن وساطة الطبيب ؟

كلها اسئلة سنحاول القاء بعض الضوء على الاجابة عنها فى هذا المقال ·

لقد تحدث عن القتل بدافع الرحمة سقراط والافلاطون ···

وفى الحضارة الهندية الطبية القديمة ، كان من بين العهود التى ياخذها الطبيب على نفسه ، قبل ممارسة المهنة ، الا يساعد على ازهاق حياة·

وفى يمين ابوقراط ـ المسمى خطا بابى الطب

---

١ ـ اليوثانية كلمة منحوتة من الكلمة اللاتينية Euthanasia او القتل بدافع الرحمة بناء على طلب المريض ـ الكاتب ·

والاطباء (٢) ـ والذى لا يزال الاطباء يقسمون على ان يتقيدوا بكثير مما فى محتواه منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى الآن ، يحلف الطبيب الا يصف سما ، او يساعد على وصفه ، بقصد انهاء حياة انسان .

وفى الوصية السادسة من الوصايا العشر بالانجيل التى تقول : « لا تقتل » نهى صريح عن القتل على اية صورة كان .

نعم ... ان بعض الكتاب المسيحيين تسامحوا فى القتل بدافع الرحمة ، بالقتل فى ظروف خاصة، ولعل اشهرهم تسامحا من هذه الناحية ، كان الكاتب الانجليزى توماس مور ، الذى دافع سنة ١٥١٦ فى كتابه عن جزيرته المثالية الخيالية (اليوتوبيا : Utopia) عن هذا النوع من الاجرام .

وفى الاسلام تحريم سافر لقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ...

وكافة قوانين الارض تنظر بعين الريبة الى هذا الاجراء ...

ولقد حدث فى انجلترا ان تالفت جمعية تحت اسم « الجمعية اليوثانية » بزعامة شخص يدعى كيلك ميلر ، هدفها تعديل القانون الانجليزى ، واباحة اليوثانية ، وتقدمت بمبررات عديدة لهذا القتل العمد رحمة بالمريض ، وبعدة ضمانات تحمى اليوثانية من سوء الاستعمال ، ونجحت الجمعية فى تقديم مشروع بقانون الى البرلمان الانجليزى سنة ١٩٣٦ يرمى الى اجراء هذا التعديل ، ولكن المشروع هزم فى مجلس اللوردات فى نفس العام .

ولم تياس الجمعية وتقدمت بمشروع مشابه بعد عدة سنوات ، ولكن المشروع هزم ثانية فى البرلمان سنة ١٩٥٠ .

ولقيت الفكرة نفس المصير فى الولايات المتحدة حيث اسست جمعية اخرى ، تحت نفس الاسم بولاية نبراسكا ، وتقدمت لمجلس الولاية بمشروع مشابه ، ولكنه باء بالخذلان فى مجلس الولاية سنة ١٩٣٨ .

لا تقتل ولكن .. !

ولعل البلد الوحيد فى العالم ، الذى اباحت قوانينه ، بطريقة عجيبة نوعا ، هذا النوع من قتل المريض بدافع الرحمة هو الاتحاد السويسرى .

فقانون هذا الاتحاد الصادر سنة ١٩٣٧ رغم انه يفرض عقوبة مشددة على كل شخص يساعد شخصا آخر على الانتحار ، اذا كان دافعه على هذه المساعدة دافعا شخصيا بحتا ، فانه ـ فى اوائل الستينات جعل من حق الطبيب الذى ييأس من شفاء مريضه يأسا تاما ، أن يصف لهذا المريض ـ اذا طلب منه ذلك ـ عقارا مميتا ، بشرط الا يعطيه اياه بنفسه ، او يساعده على تجرعه ، وانما بان يضعه فى متناول يد المريض ـ على « الكومودينو » المجاور للسرير مثلا ! ـ ولست أعرف قانونا يمارس النفاق الاجتماعى على مثل هذه الصورة الرائعة ، مثل هذا القانون !

منطق التقاليد والآداب الطبية

ان تقاليد المهنة الطبية وادابها حددت للطبيب قائمة بالاهداف ، والالتزامات التى يجب ان يتقيد بها وهو يؤدى الرسالة الانسانية التى وكلت اليه..

والهدف الاسمى ، والالتزام الاقدس الذى يحتل مكان الصدارة فى هذه القائمة هو صيانة حياة المريض والمحافظة عليها بكافة الوسائل والاساليب، التى تتيحها له معارفه ، وكفايته ، وما ينبغى ان يكون عليه فى اداء رسالته من مستوى علمى رفيع ..

وسانحى جانبا ـ بدافع البعد النسبى عن مجال هذا البحث ومداره ، وهو قتل المريض بدافع الرحمة ـ أهداف والتزامات الطبيب الاخرى نحو مرضاه وعملائه ، ومنها العمل على حمايتهم من الامراض ، وترشيدهم او تعليمهم (٣) من حيث

---

٢ ـ الواقع أن امحوتب طبيب الفرعون زوسر باني هرم سقارة فى الاسرة الفرعونية الثالثة هو الذى يجب ان يطلق عليه هذا الاسم الكريم ـ الكاتب .

(٣) الاصل فى معنى كلمة دكتور ، التى يلقب بها الطبيب الان هو « المعلم » واذا كان هذا المعنى المعظيم قد اندثر مع طول الممارسة الطبية وماشابها على مر العصور ، فان نفس المعنى قد عاد فانبعث من جديد فى الامالى الطبية الحديثة التى تجعل هذا الترشيد والتعليم من أهم فرائض الطبيب ـ الكاتب .

توقى هذه الامراض ، او توقى ما يعقبها من مخاطر او مضاعفات ، والعمل كذلك على تبصيرهم ، هم وذوى قرباهم باهمية الفحص الطبى الدورى ،حتى يمكن اكتشاف الامراض فى بواكيرها وعلاجها فى هذه المرحلة التى يكاد يتيسر فيها علاج كافة الامراض علاجا حاسما ، قصير الامد ، مأمون العواقب ، قليل التكاليف ٠٠ ساتحى جانبا هذه الاهداف والالتزامات ، رغم خطرها واهميتها ، واقتصر على الهدف الاسمى ، والالتزام الاول وهو صيانةحياة المريض بكافة الوسائل والاساليب٠

وينبثق من هذا الهدف الاسمى والالتزام الاكبر وهو صيانة حياة المريض ، محاولة ابرائه من مرضه كلما امكن ذلك ، او ايقاف المرض ، اذا كان قد ازمن ، وتغلغل ـ بدافع الاهمال ـ واستعصى على كل علاج ٠٠

كما يتفرع منه ، ويظاهره ، واجب الطبيب فى تحرير مريضه من الالام ، وبث السكينة والطمانينة فى نفسه ، لحمايته مما لا بد ان يواكب المرض والامه ، من الصراعات العاطفية والهموم ٠٠ تلك الطمانينة التى طالما اعتمد عليها الطب الكهنوتى القديم ، وطب السحرة ، وحتى طب الدجالين والمشعبذين ، والتى لا يزال الطب الحديث يعتمد عليها ، بالبسمة المواسية تومض فى عين الطبيب ، وفى الكلمة الطيبة لا تفارق شفتيه ، وحتى فى الامل المرجو قد خاب امله ـ كما يقول جميل بثينة ـ وهو يتعامل مع مريض مقطوع الرجاء فى الشفاء ٠

هذا هو واجب الطبيب وهدفه والتزامه الاول نحو مريضه فى تقاليد الطب وادابه ٠٠ انه صيانة الحياة فى المبدأ والنهاية ، وتسكين الالم ، وبث الطمانينة ، لا انهاء هذه الحياة تحت اى اسم ، ولا بدافع اى مبرر، ولا وراء اى ستار او شعار٠٠

لكل قاعدة شواذ

بيد أن كل قاعدة لها شواذ ٠٠٠

فقد تمر بالطبيب حالات يجد نفسه فيها عاجزا تماما عن صيانة حياة المريض ٠٠٠

بل لقد يجد نفسه عاجزا فى بعض الاحيان عن تحريره الكامل من الالم ، أو بث الطمانينة فى قلبه من أى سبيل ٠٠

ان لدى الطبيب فى الوقت الحاضر حقيقة ، رصيدا هائلا من المسكنات والمخدرات ، ومع ذلك فقد يتحدى الالم الجرع المشروعة من هذه العقاقير ، فلا يبقى للطبيب الا أن يدفع بمريضه الى هوة الادمان ، وربما كانت اشد وبالا عليه مما دفعته عنه من الام ٠٠٠ وربما لجأ الطبيب الى الوان من الجراحة الحديثة ، قد تسكن الامه ، ولكنها تحيله الى أشبه ما يكون بالحيوان ٠

وغنى عن البيان أن أى قدر من الطمانينة يصبح بثه فى روح المريض محالا فى مثل هذه الاحوال ٠٠ فهل يدخل فى نطاق هذه الحالات الشاذة حالة مفلوج مثلا ، حبطت فى علاجه كل وسائل الطب والعلاج ؟

او حالة سرطان ، اهمل حتى امتد ، وتمرد على الجراحة ، وعسكرت طلائعه فى كل مكان بجسم المريض ؟ ولم يعد حتى الاشعاع يبرىء منه او يفيد فيه ؟

او حالة من حالات الاخفاق العضلى الخبيث Mysthenia gravis (٤) تجاوزت كل افتراضات النشوء من بقية من بقايا الغدة التيموسية (Thymus Gland) وهى غدة صماء مكانها فى الصدر ، تضمر بالتدريج حتى تختفى تماما عند البلوغ ، ولكن لامر ما يبقى طلل من اطلالها حتى الكبر ، او ينمو ورم فى مثل هذا الطلل ، ويكون هذا الورم الخبيث الذى اذا اهمل انحسر عن ماساة ؟

وهل تدخل فى حكم هذا الشذوذ حالة من حالات اللوكيميا او سرطان الدم العنيد ، نفض الطب منها يديه واقتصر فى علاجها على مجرد تحرير المريض من الالام ؟

هل تدخل هذه الحالات وكثير من مثيلاتها ، حينتتعدى حدود المعارف والامكانات الطبيةالحاضرة، فى نطاق الشذوذ المشار اليه ، فتوقف الطبيب فى موقف حرج بين الاستمرار فى العلاج حتى يقضى الله بقضائه ، او مساعدة المريض بناء على طلبه او طلب ذويه ، على اراحته من العذاب ؟

كلا ٠٠ ان الشذوذ المشار اليه يجرى فى فلك

---

(٤) المرض الذى اغتال المغفور له الدكتور احمدزكى رئيس تحرير هذه المجلة السابق ـ الكاتب ٠

غير هذا الفلك . أما هذه الحالات ومثيلاتها ، فما اشبهها بكثرة من الامراض ، كان يصل فيها عجز الطبيب عن علاجها في الماضي الى قصاراه ، ومع ذلك فبين عشية وضحاها عرف الطب علاجا شافيا، من هذا المرض او ذاك ، او قادرا على الهيمنة على هذا المرض او ذاك في اقل القليل ، فانقذ الالوف من الضحايا ، كما انقذ الطبيب من لقب « اليوناني الالمعي » او « القاتل بترخيص !! »

معجزات

حدث هذا في كثير من امراض النقص الغذائي، وكثير من امراض النقص الهرموني ، حتى كانت اوائل هذا القرن،واكتشفت الفيتاميناتوالهرمونات، ودخل كثير من امراضها في ذمة التاريخ ..

ولعل أروع مثل يمكن ان يساق في هذا المجال مرض « الديابيط » او السكر وموقف المرضى والاطباء قبل وبعد اكتشاف الانسولين ..

كان مرض الديابيط في الماضي يحل في البيت فيحل معه الموت والخراب ..

ثم حدث ذات يوم في كندا ان اكتشف العالمان نانتنج Nanting وبست (Best) هرمون الانسولين سنة ١٩٢١ .

ونال نانتنج جائزة نوبل في تلك السنة مناصفة بينه وبين ماكلويد صاحب المعمل الذى كان يعمل فيه على هذا الاكتشاف العظيم ، واشرك نانتنج زميله بست في نصيبه ، ومنح من البرلمان الكندى مكافأة سنوية قدرها ٧٥٠٠ دولار لتساعده على الاستمرار في ابحاثه ، ومنح من انجلترا لقب سير ، ومات في حادث طيران سنة ١٩٤١ وانجاب ليل السكر لمرضاه عن فجر مشرق عظيم .

اطفال يموتون بالالوف

ثم هناك مرض الدفتريا ، وكان يموت به في العالم عشرات الآلاف من الاطفال كل عام ..

ثم كان يوم في سنة ١٨٩١ فاكتشف العالم الالماني بهرنج Behring ، المصل المضاد بسم ميكروب الدفتريا (٥) ، فعالج به طفلا مصابا بالمرض وشفاه ..

ولم تمض الا سنوات حتى كان هذا المصل يملأ ارجاء العالم ، ويشفى من هذا المرض عشرات الالوف من الاطفال ..

ونال بهرنج مع زميله Roux ، جائزة من الاكاديمية الفرنسية على هذا الاكتشاف العظيم .

تسمم الدم الميكروبي الرهيب

وهذا مرض ثالث كان يقضي على كثير من الاطباء والجراحين، المتزمت منهم واليوناني على السواء ! كانوا يموتون من تسمم الدم اثر وخزة ابرة ، او سن مبضع ملوث بالميكروب السبحى Strepto Cocus .. وما كان عدوان هذا الميكروب مقصورا على الاطباء ، وحدهم ، فقد كان يتعداهم الى سواد الناس .. وما كان اكثر ضحاياه في الماضي، وما كان به اكثر الامراض التي تنشأ من عدواه غير هذا التسمم الرهيب ، سواء في العين او في الاذن الوسطى ، وما يلي التهابها به من صمم او امتداد الى الدماغ .. بل ان التهاب المرشحات الكلوية والحمى الروماتزمية كانكلاهما ولا يزالان نتيجة لنوع من الحساسية المرهفة ، لاحدى فصائل هذا الميكروب ولا ننسى حمى النفاس التى طالما قضت على ملايين الامهات بعد الولادة او الاجهاض، نتيجة لتلوث ايدى القوابل بهذا الميكروب ، او اقبال الطبيب على توليد الحامل ، وهو يشكو من التهاب اللوزتين الناشيء عن نفس الميكروب ، دون ان يتخذ مجرد الحيطة البسيطة في تغطية فمه وانفه بقناع ..

ثم اكتشفت مركبات السلفا سنة ١٩٣٥

واكتشف البنسلين سنة ١٩٤٥

وكانت معجزات انقذت من براثن الموت عشرات الملايين كانوا يموتون ضحايا لهذا الميكروب ..

خطأ في التشخيص !

ولقد اذكر انى كنت في البصرة بالعراق سنة

---

(٥) المصل المضاد لسم ميكروب الدفتريا ، غيراللقاح الواقي من المرض ، واكثر استعمال الاول للعلاج، وكل استعمال الثاني في الوقاية، والخلط بينهما خطأ علمي معيب ـ الكاتب .

١٩٣٦ ، بعد اكتشاف السلفا بعام ، ولم يكن قد عرف طريقه بعد الى عيادات الاطباء ٠ وجاءتني بالبريد علبتان منحتن دواء كان يسمى البرونتوزيل، وكان واحدا من مركبات هذا العقار ، وقرات في نشرة الدواء ، انه يشفي من التهابات الميكروب السبحي ومنها حمى النفاس، وحسبت الامر اكذوبة او مبالغة من اكاذيب ومبالغات الاعلان ، ورميت العلبتين في درج مكتبي ، لم يذكرني بهما الا دعوة صيدلي اياي لاعود زوجه المريضة بحمى نفاس ، وكانت تحت رعاية طبيب قطع من شفائها كل رجاء ٠٠ وكان علي ان اقوم ـ نيابة عن الصيدلي ـ بعمل اليوناني العتيد !

وتذكرت الدواء الجديد ، واستاذنت الصيدلي في استعماله ، كما ينبغي ان يفعل الطبيب في تجربته الاولى لاى دواء ، حتى لو كان قد جاوز كل مراحل الاختبار العلمي على الحيوان والانسان، كما كان الحال في هذا الدواء ٠٠

وقال الصيدلي ان زوجه ميتة ٠٠ ميتة ٠٠ فجرب فيها ما تشاء !

وبعد ثلاث حقنات هبطت حرارة المريضة من احدى واربعين الى سبع وثلاثين درجة ، ونصف درجة « سنتجريد » وتحسنت حالتها كثيرا ، وبدات تنام ، وتفتحت شهوتها للطعام، وبدأ لدياها يدران الحليب ٠٠ وبدا ان اجراس الموت في بيتها قد كفت عن القرع والرنين ٠٠

وقال الطبيب المعالج : لابد انه كان خطا في التشخيص !

ولم يدرك الا بعد حين ان معجزة من معجزات الطب كانت تغير في تلك الايام وجه التاريخ !

قروية تنقذ العالم من الطوفان !

ولقد كان مرض الجدري حتى العقد الاخير من القرن الثامن عشر مرضا لا يسلم من غوائله مخلوق ، وكثيرا ما كان يجتاح العالم لا على شكل وباء ينتشر هنا او هناك، ولكن على شكل طوفانات تجتاح العالم كله ، بين الحين والحين ٠٠

وكانت المراة لا تعد من بين ابنائها ولدا لم يصب بعد بهذا الداء الوبيل ، فقد كان معدل الوفيات منه يصل الى اكثر من نصف الاصابات في تلك الايام ٠

وكان المرض لا يميز بين ذكر وانثى ولا بين عالم وجاهل ، ولا بين غني وفقير ، وقد مات به ملك فرنسا لويس الخامس عشر في عنفوان مجده ، كما كان يموت به اى صعلوك من رعاياه ٠٠

ومع ذلك ففي ذات يوم ، استطاع الطبيب الانجليزى « ادوارد جينر » أن يستخلص من كلمة سمعها من شفاه فتاة قروية، اول لقاح في التاريخ، استعمل للوقاية من مرض من الامراض ، وكانت معجزة اخرى انقذت العالم من هذا المرض الذى طالما قتل ، وشوه ، واعمى كثيرا من الملايين !!

على سن المبضع

ولم تكن الجراحة اقل انتصاراته في هذا الميدان ٠٠

جراحات تجتث السرطان في بواكيره ٠٠

وجراحات في الدماغ والاعصاب ، وكانت دنياها دنيا مغلقة على مبضع الجراح ، لم يدخلها الا مخراز الطبيب الكهنوتي القديم منذ كان يثقب بها جماجم الفراعين ، ليداويهم من غيبوبة النزف او مرض الصرع ، فان مات الفرعون دفن معه الطبيب حيا ، وان قدر له ان يعيش اسبغ على الطبيب ما لم يكن يحلم ببعضه نعما والاء !!

جراحات في كل مكان بالجسم اغنت الطبيب عن ذلك العمل المرذول كيوناني ٠٠ او جلاد ، او لحاد !!

ولعل من المضحكات في هذا المجال قصة مريض شاب كان مصابا بخراج اميبى في الكبد ، في اوائل العشرينات من هذا القرن ـ ولم تكن الجراحة يومئذ قد تقدمت الى حد اللعب بالمبضع في كبد المريض ـ وقررت هيئة من كبار الاطباء استحالة العلاج بالدواء ، وانه لن يعيش اكثر من ثمان واربعين ساعة على اكبر تقدير ٠٠

وسارع أهل المريض الى نقله لقريته في سيارة، وكان الطريق غير ممهد، وعثرت السيارة في مطب، فانشال الركاب وانهبدوا في المقاعد ، وبعد هنيهة ادركت المريض نوبة سعال عنيفة ، وتدفق من فمه

ميزاب من الصديد المدمم .. لقد كان الخراج قد اكل الحجاب الحاجز بين الصدر والبطن حتى لم يبق منه الا غشاء رقيق التصق بالرئة المجاورة، فتهتك الغشاء من هول الصدمة ، ونفث الخراج كل ما كان فيه الى شعب الهواء ، ووصل المريض الى قريته معافى ، واستحال المأتم الى فرح ، والمريض حي حتى الان بعد ان شهد مصارع اطبائه اجمعين !!

الليل الذى لا ينتظر ان يعقبه فجر

ما هى اذن تلك الشواذ التى تخرج على القاعدة، فتجعل الاداب الطبية تنكس رأسها صاغرة ، وتبيح للطبيب مرغمة ان يتخذ من اليوثانية ملاذه الاخير ؟

انهما فئتان اثنتان من العلل ..

فى الاولى يكون المريض ميتا فى الواقع ، ولكن الطبيب يحاول رده الى الحياة باستعمال جهاز خاص ..

ومن امثال هذه الفئة من العلل كسور العمود الفقرى القاتلة فى العنق ، فان هذه الكسور تؤدى الى شل التنفس ، فيحتال الطبيب حينئذ على العلة باستعمال رئة صناعية ، يديم بها تجديد شحن الدم بالاوكسجين .

ان المريض فى مثل هذه الحالة يكون فى غيبوبة لا امل له فى الصحو منها على الاطلاق ، ولا يمكن ان يستمر هذا التدخل من الطبيب الى غير نهاية ، ولا حرج عليه ان كف عن التدخل ، ترك المريض يموت ..

وشبيه بهذه الحالة شلل الحجاب الحاجز ، وهو اكبر عضلات التنفس ، وقد يحدث احيانا فى مرض شلل الاطفال ، وفى مرض الدفتريا ، التى اهمل علاجها بالمصل المضاد لسمها الفتاك .. ان المريض هنا قد لا يكون فى مثل الغيبوبة السابقة ، وقد تستطيع الرئة الصناعية ان تعينه على اجتياز المحنة مرة ، ولكنها تخفق اكثر المرات ، فيكون الحكم هنا حكم كسور العمود الفقرى فى العنق ، غير القابلة للجبر او الاصلاح .

العذاب الاليم

اما الفئة الثانية من العلل التى تبيح للطبيب ان يتخذ من اليوثانية ملاذه الاخير ، فهى العلل المستعصية تماما على العلاج ، والمصحوبة فى ذات الوقت بالام عنيفة تتمرد على الجرع الشرعية لكافة المسكنات والمخدرات ... ويرفض المريض او القوامون عليه تفريج الكرب عنه بجراحات الدماغ ، التى تقطع بعض مسارات الاحساس بالالم فيه ، فتريح المريض من الالم ، ولكنها قد تؤثر فى شخصيته اثرا دائما ربما وصل به الى مرتبة الحيوان .

ولايبقى امام الطبيب فى مثل هذه الاحوال الا مخرج واحد لتسكين الام المريض ، هو اعطاؤه جرعة من المسكن او المخدر تفوق الجرعة القصوى للدواء ، لابقصد انهاء حياته ـ معاذ الله ـ ولكن بقصد اراحته من العذاب ! فان قضت هذه الجرعة على المريض ، استراح من الامه راحة ابدية ، ودفن الطبيب رأسه فى الرمل، امام ضميره على الاقل ـ من تهمة القتل العمد ، او تهمة اليوثانية غير ذات الضمير ! !

وهى ، اى هذه الجرعة من الدواء غير المقصود به القتل ، وانما مجرد اراحة المريض من عذاب اليم .. انها هى الاخرى مثل يوثانية القانون السويسرى ، رحمة ترتدى ثوبا شفافا من ثياب الرياء ...

والخلاصة !

الخلاصة ان اليوثانية فى غير هذه الحالات الشاذة النادرة منكر لايرضاه الله ، ولايبيحه ما ارتضته المهنة الطبية لنفسها على مر العصور من تقاليد وآداب ...

انها جريمة قتل عمد ، ان لم تعاقب الطبيب عليها قوانين الارض،عاقبته عليها شرائع السماء..

ولو ان اليوثانية ابيحت على عواهنها لمجرد طلب المريض ، او رجاء من اهله وذويه ، وكثيرا مايكون لهم دافع شخصى فى التبكير بالاجهاز على المريض لحدثت فتنة فى الارض ، وفساد كبير !!

■ ■

البصرة ـ سعيد عبده



التكامل الاقتصادى العربى

أمل راود الشعوب العربية هل يتحقق ؟

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

« طريق الالف ميل يبدأبالخطوة الاولى من الذى يخطوها وكيف ومتىتتحقق هذه الامنية »

■ كانت أمسية دار الحديث فيها عن الاقتصاد وشئونه ، وتطرق الحضور الى مسالة التكامل الاقتصادى وضروراته ، واشتد النقاش، مابين مؤيد له ومعارض ، وتبارى الجميع والقوا فى هذه المعركة الفكرية ، زبدة افكارهم ،واقوى اجتهاداتهم ، واحدث قراءاتهم فى الموضوع . وكنت من الفريق المؤيد للتكامل ، فاذا باحد المناهضين له يوجه لى سؤالا عن اهمية التكامل الاقتصادى وجدواه ، ثم قال لماذا لانترك الحرية لكل بلد يفعل فى اقتصاده ما يشاء ؟ فقلت له : وما اعتراضك على التكامل ؟ فقال : التكامل من حيث المبدأ جميل ، ولكن تنفيذه صعب لانه يحتاج الى تنسيق دقيق وتام بين الدول فى الاسس واللوائح والتشريعات الاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية ، كما انه يتطلب تعديلا فى الاطر العامة للانظمة الاقتصادية فى الاقطار المعنية ، وهذا عمل ليس بالامر السهل الهين لانه يحتاج الى وقت طويل وجهد جهيد وتفاهم بين الاطراف المشتركة .

فقلت لسائلى : ما من عمل الا ويحتاج الى

عمل وجهد ، وقد قيل بان طريق الالف ميل يبدأ بالخطوة الواحدة • فقال لا اعتراض على ماتقول ولكن عيبنا اننا نقول ولا نفعل ،فالتكامل الاقتصادي له قصة طويلة تعود الى أكثر من ثلاثين عاما • فقلت : اعرفها • فقال ولكن لاباس من اعادتها لانها تدعم اقوالي وتؤيد برهاني • فقلت على رسلك ياأخي •

محاولات العرب نحو التكامل الاقتصادي

وبدأ محدثي الكلام بقوله : ان التكامل الاقتصادي بين الاقطار العربية كان ولايزال هدف العرب المشترك منذ انشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ • الا ان المشكلة التي يعاني منها العرب دوما هي التنفيذ ،فالمشاريع والمخططات تبدو جميلة براقة وهي على الورق ، ولكن يصطدم تنفيذها بالعقبات السياسية والاقتصادية، واوضاع الاقطار العربية عامة • ويبدو أن مسعى العرب في سبيل تكامل اقطارهم اقتصاديا لم يتحقق بالرغم من عقد اللجان الاقتصادية المتخصصة ، والندوات العلمية ، واصدار القرارات ، وانشاء المجالس •

ففي عام ١٩٥٣ ابرمت اول اتفاقية تجارية بين الدول العربية ، وعلى أثرها تكون في نفس العام المجلس الاقتصادي العربي الذي صادق على الاتفاقية المذكورة بحيث اصبحت سارية المفعول في سنة ١٩٥٤ •

واهم ما جاء في نصوص هذه الاتفاقية اعفاء جمركي كامل على جميع السلع الطبيعية والحيوانية والزراعية وتخفيض الرسوم الجمركية لبعض السلع الصناعية العربية بمقدار ٢٥٪ • ورغم أن هذه الشروط هي بمثابة الحد الادنى للتعاون التجاري ، الا أن تنفيذ الاتفاقية تعثر ولم ينفذ • وفي سنة ١٩٦٤ صادقت الدول العربية على اتفاقية جديدة اسمها : اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ، وهي في مضمونها اكثر ايجابية من اتفاقية عام ١٩٥٣ ، واهم بنودها (١) :

١ ـ حرية انتقال رؤوس الاموال والاشخاص•
٢ ـ حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية •

٣ ـ حرية الاقامة والعمل لرعايا البلاد العربية الموقعة على الاتفاقية •

٤ ـ حرية النقل والترانزيت واستخدام كافة وسائل النقل •

٥ ـ حقوق التملك والايصاء والارث •

ولكن تنفيذ هذه الاتفاقية لم يكتب له النجاح ففشلت كسابقتها ، ولعل من أهم الاسباب التي حالت دون تنفيذ تلك الوحدة هي (٢)

١ ـ اختلاف الانظمة الاقتصادية والسياسية في البلدان العربية •

٢ ـ النزعة الفردية عند العرب والحساسيات التي بينهم تجعل انتقال رؤوس الاموال والعمال والاشخاص امرا صعبا ، اذ يعتبر البعض انتقال الاشخاص بمثابة غزو بشري •

٣ ـ التبادل التجاري بين الدول العربية قليل جدا بالقياس الى التبادل بينها وبين البلاد الاجنبية •

٤ ـ تفاوت النمو الاقتصادي في البلدان العربية يجعل الاقطار ذات النمو الاقل تخشى من السيطرة الاقتصادية للدول المتقدمة نسبيا•

٥ ـ المؤثرات السياسية المحلية والخارجية لها دور كبير في ابطال مفعول كل اتفاقية تهدف الى الوحدة الاقتصادية •

٦ ـ ان معظم السلع العربية عبارة عن مواد خام تصدر الى الخارج لعدم وجود سوق

---

(١) محمد على الفرا « التنمية الاقتصادية فيدولة الكويت » منشورات جامعة الكويت ، ١٩٧٣ صفحة ٣٥٠ •

(٢) برهان الدجاني « الوحدة الاقتصادية العربيةوالسوق العربية المشتركة » مجلة غرفة تجارة وصناعة الكويت ، ابريل / ١٩٧٢ ص ٤١ ـ ٤٨ •

لها في البلاد العربية ، كالنفط في اقطار الخليج العربي والشمال الافريقي ، والقطن في مصر والسودان ٠

٧ ـ عدم وجود تنسيق اقتصادي بين الخطط الاقليمية والمحلية الوطنية للبلاد العربية ٠

السوق العربية المشتركة

واستطرد محدثي قائلا : وكانت آخر محاولات العرب نحو التعاون الاقتصادي تلك التي انبثقت عن موافقة المجلس الاقتصادي العربي في سنة ١٩٦٤ على انشاء السوق العربية المشتركة والتي وقعتها خمس دول عربية فقط هي : العراق والاردن وسوريا ومصر والكويت ٠ وحدد المجلس المذكور بداية عام ١٩٦٥ كنقطة انطلاق لهذه السوق ٠ ومما يؤسف له اننا الان في عام ١٩٧٦ والسوق العربية المشتركة لم تر النور بعد اذ اصطدمت بنفس العقبات التي عطلت تنفيذ ما قبلها من اتفاقيات ٠

فقلت لسائلي : على الرغم من صدق ما ذكرت ، الا انه سيأتي اليوم الذي تضطر فيه الاقطار العربية الى توحيد نظمها الاقتصادية والعمل على تنفيذ اسس التكامل الاقتصادي ٠ فقال اذن فهي ضرورة ! ولكن ما اسبابها ؟ فقلت : كل بلد يسعى الى تنمية موارده واستغلال امكانياته والنهوض بقطاعات اقتصاده ، مع تركيز خاص على الصناعة والتصنيع ٠ وطبيعي ان الصناعة ترتبط ارتباطا وثيقا بالسوق والذي اليه تنتهي كل ما تنتجه المصانع من سلع ومنتجات ٠ والسوق اما ان يكون كبيرا او صغيرا، وهذا يعتمد على عاملين هما : عامل الحجم السكاني ، وعامل القدرة الشرائية ، وعليهما يتوقف ضيق السوق او اتساعه ، فالسوق يضيق ويتسع اما تبعا لقلة في عدد السكان او لضعف في القدرة الشرائية عند الناس ٠ وتطبق الحالة الاولى على البلاد قليلة السكان كاقطار الخليج العربي ، بينما الحالة الثانية تنطبق على بلد سكانه كثير ، ولكن انخفاض الدخل الفردي فيه ادى الى تدني القدرة الشرائية لدى الافراد ٠ وطبيعي ان لكل حالة علاجا خاصا بها ، فاذا كان ضيق السوق ناجما عن ضعف القدرة الشرائية يتصح برفع مستوى الدخل الفردي بتحسين الاوضاع الاقتصادية والمعيشية للافراد عن طريق زيادة الانتاجية الفردية في مختلف القطاعات الاقتصادية ومحاربة البطالة والتعطيل ٠

اما ضيق السوق الناجم عن قلة السكان في القطر او البلد ، فيكون العلاج بتوسيع رقعة السوق وذلك بالتعاون مع الاقطار المجاورة بالدخول في انواع كثيرة من التكامل او التعاون وهذا ما سنتكلم عنه الآن ٠

بالتكامل تتغلب الدول الصغيرة على عقبات اقتصاديات الحجم

تعتمد القدرة التنافسية للسلعة المعروضة في الاسواق على تكلفة انتاجها وهذه ترتبط بكمية المنتج منها ، اذ انه كلما زاد انتاج المصنع من السلعة ، انخفضت تكلفتها ، وقل ثمنها ، وهذا ما يطلق عليه علماء الاقتصاد اقتصاديات الحجم Economies of Scale ، ومن المعلوم ان الدول الصغيرة في وضع سيء بالمقارنة الى الدول الكبرى ، لان الاولى سوقها ضيق ، اما الثانية فيكون سوقها متسعا ٠ولهذا السبب تسعى الدول الصغيرة دوما الى توسيع مساحة سوقها عن طريق التعاون مع البلدان المجاورة ، والامثلة على ذلك كثيرة، اهمها تلك الاتحادات الاقتصادية والجمركية التي ظهرت في اوروبا والتي تتعدد فيها الوحدات السياسية ذات المساحات الصغيرة واعداد السكان القليلين ٠ واهم تلك الاتحادات هي : البنلوكس Benelux ورابطة الفحم والصلب الاوروبية ، والسوق الاوروبية المشتركة ،ومنظمة التجارة الاوروبية الحرة ٠

فقال محدثي ٠ وما الفرق بين هذه الانواع من الاتحادات الاقتصادية ؟ فقلت لاباس من ان احدثك قليلا عن نظريات التكامل والتعاون الاقتصادي ٠

التعاون والتكامل الاقتصادي انواع ودرجات

ان فكرة التكامل والتعاون الاقتصادي يمكن

ان تتخذ اشكالا عدة تمثل درجات متغايرة من التكامل مثل منطقة التجارة الحرة Free-Trade Area ، والاتحاد الجمركي Customs Union والسوق المشتركة Common Market ، والاتحاد الاقتصادي Economic Union ،والاندماج الاقتصادي التام Complete Economic Integration .

ففي حالة منطقة التجارة الحرة تلغى التعريفة الجمركية والقيود الكمية بين الدول المشتركة فيها، ولكن يحتفظ كل بلد بتعريفته الجمركية مع الاقطار الخارجة عن منطقة التجارة • ومثال ذلك منظمة التجارة الاوروبية الحرة • European Free Trade Association (E.F.T.A.) والتي تضم النمسا والدانمرك وفنلندة وايرلنده والسويد وسويسره والمملكه المتحدة (٣) •

اما الاتحاد الجمركي ، فتقوم فكرته على اساس السماح للسلع بالتنقل دون قيود او اى عائق في الاقطار الداخلة فيه ، والتي تلتزم بتوحيد تعريفتها ايضا في معاملاتها مع البلدان غير الاعضاء • بينما السوق المشتركة عبارة عن تعاون او تكامل اقتصادي اقوى وامتن من النوعين السابقين يزيد عليهما بالغاء القيود المفروضة على العمال ورأس المال ، وبناء عليه يحق لأى عامل في بلدان السوق ان ينتقل ويعمل في اى دولة من الدول الاعضاء ، ويعامل فيها معاملة رعاياها • كما يسمح لاصحاب رؤوس الاموال بنقل اموالهم وتشغيلها واستثمارها في البلاد الاعضاء دون عائق او عقبات •

ويمتاز النوع الرابع من انواع التكامل الاقتصادي والذي يطلق عليه الاتحاد الاقتصادي، على ما سبقه بان الدول الداخلة فيه تعمل على صياغة سياساتها الاقتصادية القومية بحيث تكون منسجمة مع بعضها البعض فتلغى كل ما هو متعارض فيها من لوائح او قوانين اقتصادية •

واخيرا فان الاندماج الاقتصادي التام ينص على توحيد الانظمة النقدية والمالية والاجتماعية في الاقطار الداخلة فيه ، وهذا يتطلب ايجاد سلطة اعلى من السلطة القومية او الوطنية Supra-National لتشرف على الاندماج ،وتكون قراراتها ملزمة لجميع الدول الاعضاء • ويعتبر الاندماج الاقتصادي اسمى واعلى مراحل الوحدة الاقتصادية،وهذا ماتسعى منظمة السوق الاوروبية الى تحقيقه •

وهنا تململ محدثي وقال : هذه نظريات جميلة وتبدو براقة ، ولكن ما الواقع العملي لها حين التنفيذ : فقلت : النظرية هي فكرة مطروحة للنظر يمكن تعديلها على ضوء الواقع والتجربة• والبحث النظري هو الاساس ، ومنه يكون المنطلق ، فقال : نعم •• نعم •• اكمل من فضلك واجب على سؤالي • فقلت لك ماتريد•

الواقع العملي للتكامل الاقتصادي

يقول الاقتصاديان « ماكوار Makower » و « مورتون Morton » (٤) بان نظرية الاتحاد الجمركي يمكن ان تزيد من الناتج العالمي للسلع او تنقصه • ويمكننا ايجاز مناقشاتها حول هذا الموضوع على النحو التالي : نفترض في بداية الامر بان جميع الاقطار تعتمد تعريفة جمركية موحدة في معاملتها للواردات من جميع المصادر • ولذلك فان التكاليف الثابتة في هذه الحالة تكون هى السائدة بالنسبة لجميع النشاطات الانتاجية ، وان كميات من البضائع المختلفة (نسبيا) سيصبح الطلب عليها ثابتا• وبناء على هذه الافتراضات البسيطة ، فان التعريفة اما ان تحمى صناعة محلية معينة لبلد ما حماية كاملة ، وتمنع جميع الواردات من هذا الصنف المعين او انها تكون غير قادرة على هذه الحماية والمنع ، فتدخل السلعة البلد المقصود والذى يصبح في هذه الحالة معتمدا على السوق الخارجي في سد متطلباته منها • بعد ذلك نفترض ان البلدين (ا) و (ب) كونا اتحادا جمركيا ، وان البلد (ج) لم يدخل فيه •

---

(٣) Ballassa, B., ,, The Theory of Economic Integration '' George Allen & Unwin London 1969, PP . 21-56 .

(٤) Makower, H. and Morton, G.A., ''A Contribution Towards a Theory of Customs Unions '' The Economic Journal, March, 1953, PP 33-49 .

ولنفترض بانه قبل تكوين هذا الاتحاد كان البلد (أ) مستوردا لسلعة ما ولتكن (س) من البلد (جـ) وأن البلد (أ) لا ينتج هــذه السلعة محليا بينما البلد (ب) ينتج جميع مايحتاج اليه من سلع ويتمتع بالكفاية الذاتية، فلا يستورد او يصدر هذه السلعة (س) •

ومن الطبيعي أنه حالما يتكون هذا الاتحاد فان البلد (أ) بموجب الوضع الجديد سيضطر الى شراء السلعة (س) من البلد (ب) حيث تكاليف لمنها اعلى من تلك التى فى البلــد (ج) • ولكن بفضل التعريفة الجمركية المعمول بها فى هذا الاتحاد الجمركي ، فقد اســتفاد البلد (ب) من الحماية واصبحت الســلعة (س) تباع بسعر اقل مما تباع به سلعةالبلد (جـ) بعد فرض التعريفة العالية • وبهذا فان واقع الحال فرض على البلد (أ) أن يشترى السلعة (س) من البلد (ب) رغم الســعر المرتفع • وبناء عليه فان الذى سيخسر من هذا الاتحاد هو البلد (أ) •

ومن ناحية اخرى فمن الجائز ان تكونهناك سلع مثل السلعة (س) ينتجها كل من البلدين (أ)و(ب) قبل اتحادهما جمركيا • ولكن السلعة (س) تصبح ذات كلفة اقتصــادية عالية لو استمر انتاجها فى البلد (ب)• لهذا فانه بعد قيام هذا الاتحاد سيضطر البلد (ب) الى عدم انتاج هذه السلعة ، ويصــبح البلد (أ) المنتج الوحيد لها لميزة التــكلفة المنخفضة فيه نسبيا • وفى هذه الحــالة يكون هناك مكسب لكل من البلدين (أ)و(ب) حتى لو كان لمن السلعة فى (جـ) ارخص من (أ) • فالمكسب الذى حققه (أ) هو اتساع سوقه بينما الفائدة التى حققها البلد (ب) هو الفرق بين لمن انتاجها المرتفع من هذه السلعة ،وبين استيرادها من البلد (أ) حيث الانتاج منخفض نسبيا • الا ان الفائدة تبلغ حدها الاقصى لو ان البلد (أ) تكون فيه كلفة السلعة (س) اقل مما هى فى البلد (جـ) • فقــال محدثى : هــذا جميل ، ولكن ما مدى انطباق التكامل الاقتصادى على الاقطار العربية ؟ فقلت ساشرح لك مقومات التكامل الاقتصادى العربى ومعوقاته فاستمع من فضلك •

مقومات التكامل الاقتصادى العربى ومعوقاته

يبدو للوهله الاولى ان التكامل الاقتصادى بين الاقطار العربية سهل وميسور طالما انها جميعا تشكل وحدة متكاملة من الناحية القومية، وهى تبدو لنا ايضا فكرة مستســاغة ومقبولة الى حد ما اذا كان هذا التكامل الاقتصادى تبرره الاعتبارات الوطنيــة ، او يستند على آمال وطموح ابناء امتنا العربية • الا انــه فى بحث الامور الاقتصادية البحتة ينبغى النظر الى اعتبارات اخرى يكون لها تاثير كبير فى توجيه التجارة الخارجية لكل بلد • وبالنظر الى خريطة الوطن العربى تبدو لنا فكرة الاتحاد الجمركي مقبولة من الناحية النظرية لان ذلك سيساعد على استمرار حركة الدفع الاقتصادى وتدفقه والتى كانت معطلة من جراء الحــدود السياسية لكل دولة • فلما تزال هذه الحدود بموجب هذا التكامل ــ ستزيد الحركة الاقتصادية بين الاقطار الداخلة فيه • وزيادة على ذلك فان من مزايا التقارب بين البلدان العربية امورا كثيرة منها :

١ ــ المسافة بين الاقطار العربية قصيرةنسبيا نظرا لتجاور البلاد العربية واتصالها ببعض•

٢ ــ تشابه الاذواق والمشارب والامزجة بين البلدان العربية مما يوحــد تقريبا بين انواع السلع والبضائع المســتهلكة فى جميع هــذه الاقطار فيسهل التوزيع فيما بينها •

٣ ــ ومما يساعد على هذا التكامل هــو اشتراك العرب فى تاريخ واحد ولهم مصالح مشتركة مما يجعلهم اشد حاجة الى توحيد وتنسيق سياساتهم الاقتصادية •

واذا ما اردنا تحليل البنود السابقة نرى ان البند الثانى وهو الذى يختص بتوحيد المشارب والاذواق والامزجة فانه يكون والحالة هذه ايسر للمصنع ان يؤسس له مراكز لتوزيع منتجاته فى اقطارمتجاورة طالماان تكاليف الاشرافوالمواصلات تزداد بازدياد المســافة (٥) • وزيادة على ذلك فان اشتراك اقطار الاقليم الواحد فى

(٥) Balassa, B., op. cit, p. 39

عادات وتقاليد واحدة قد يسهل تنسيق السياسات الاقتصادية ضمن اتحاد يضم اقطار هذا الاقليم .

ان هذه الافتراضات قد تكون ذات فائدة كبيرة لمشاريع التكامل ومخططاته المقترحة في يوم من الايام .

أما فيما يتعلق بالبند الاول الخاص بالمسافة والتي من مزاياها النظرية تخفيض تكاليف شحن السلع فقد تبين من فحص بعض الدراسات الاقتصادية بان المسافة الجغرافية لها اثر كبير على عملية التبادل التجاري . وفي هذا الصدد يقول الاقتصادي الامريكي المعاصر « والتر ايزارد» Walter Isard . بان هناك معامل ارتباط سلبي للغاية بين المسافة الجغرافية والمسافة الاقتصادية (٦). ومعلوم أن المسافة الجغرافية هي البعد الحقيقي بين مكانين على الارض، وتقاس بالميل او بالكيلو متر . أما المسافة الاقتصادية فلا تعتمد على البعد الحقيقي ،وانما تعتمد على سهولة الاتصال بين الامكنة مهما كانت المسافة الحقيقية (او الجغرافية) بينهما ،وكذلك على كثافة الحركة التجارية . وبناء عليه فان الطريق التجاري كثير الحركة والنشاط افضل من الطريق الاقصر والذي يقل عن الاول في النشاط والحركة. وفي الدراسات الاقتصادية تهمنا المسافة الاقتصادية أكثر من المسافة الجغرافية .

لذلك فانه من أجل تقويم وتحليل مزايا التكامل الاقتصادي العربي ينبغي اعتبار تكلفة نقل البضائع ذهابا وايابا أكثر من مجرد اعتبار المسافة الحقيقية بالميل أو بالكيلو متر طالما أن المسافة الاقتصادية من هذه الناحية هي الاهم . ونظرا لفقر البلاد العربية في وسائل النقل والمواصلات ، وتدني مستواها ، وقلة كثافتها فان المسافات الاقتصادية بينها تصبح متباعدة .

ان النقص الواضح في مرافق النقل والطرق ووسائل الاتصال وسبله تشير الى تباين كبير بين المسافات الجغرافية ، والمسافات الاقتصادية في انحاء الوطن العربي . ولذلك ينبغي على العرب أن يولوا هذا الأمر الهام عناية كبيرة اذا أرادوا للتكامل الاقتصادي أن يقوم على أسس متينة وراسخة .

خطوات لا بد من اتخاذها

الا انه قبل الاخذ بفكرة التكامل الاقتصادي على المستوى العربي ينبغي العمل على تنسيق التنمية الاقتصادية وبخاصة الصناعية ـ في البلدان العربية ، وذلك حتى تتفادى هذه الدول ازدواجية المشاريع الواحدة ، وحتى لا تقام في المنطقة الواحدة صناعات من نوع واحد تنافس بعضها بعضا وتلحق الضرر بمستقبلها ، ومن ثم يصعب التعامل بين اقطار المنطقة ويتجزأ السوق فيضيق بها فتفقد القدرة التنافسية في السوق المحلي والعالمي . أما اذا تم تنسيق الصناعة في البلدان العربية بحيث يتخصص كل قطر في الصناعات التي تلائمه بحسب موارده وطاقاته وامكانياته ، فان الاقطار العربية تكون قد وضعت الاسس السليمة لتكاملها الاقتصادي . كما أن هذا يساعد على قيام نوع من التخصص والانتاج الكبير Mass Producticn مما ينتج عنه أن الاقليم يصبح منتجا لسلع اقليمية وعالمية في آن واحد مما يشجع رجال المال على استثمار أموالهم في صناعات تغطي المنطقة العربية بكاملها ، وستجد رؤوس الاموال الفائضة في بلاد النفط فرصة طيبة للاستثمار مما يزيل القلق في النفوس ، ويبعد عنا نقمة العالم وتطلعاته الخبيثة . وقد يؤدي تشجيع استثمار رؤوس الاموال في المنطقة الى قيام مؤسسة عربية تشرف على كيفية وطريقة استثمار هذه الاموال.

أي نوع من أنواع التكامل الاقتصادي يناسبنا ؟

قد يتساءل المرء على ضوء ما سبق ذكره عن اي نوع من انواع التكامل الاقتصادي المطلوب في تلك الحالة . ان منطقة السوق الحرة لا تناسب المنطقة العربية طالما لن يلتزم جميع الاعضاء بتعريفة جمركية موحدة ، فالسلع المستوردة يمكن أن

(٦) Isard, W. and Peek, M.J., , Location Theory and International Trade Theory, Quarterly Journal of Economics, February, 1954, pp. 100-102 .

تتسرب من البلدان ذات التعريفة المنخفضة كالكويت ـ حيث لا تزيد تعريفتها عن ٤٪ ـ الى البلدان ذات التعريفة العالية كالعراق • أما اشكال التكامل الاقتصادى الاخرى مثل الاتحاد الجمركى ، والسوق المشتركة والوحدة الاقتصادية فهى كلها افضل بالنسبة للمنطقة ، ذلك لانه الى جانب ميزة نقل السلع العربية فى الاقليم دون عائق ، يمكن ايضا انتقال رؤوس الاموال العربية ووسائل الانتاج المختلفة من بلد الى آخر كي تجد المكان المناسب للاستثمار ، وبذلك تاخذ كل دولة فى الاقليم حاجتها ، وتصدر الفائض عنها ، وهذا هو التكامل السليم • وبناء عليه يمكن انشاء مؤسسات وهيئات وأجهزة مختلفة للاشراف على مختلف الامور الاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية ، وكذلك على الشئون المالية والمصرفية والاستثمارية مما يوحد الاقليم اقتصاديا ، ويدعم مركزه الدولى وكيانه العالمى •

العلاقات التجارية ليست وحدها مقياسا للتكامل الاقتصادى

يبدو من أسباب رفض العرب لتنفيذ فكرة التكامل الاقتصادى هو ضعف الروابط التجارية بين الاقطار العربية اذ لا تزيد نسبة التبادل التجارى بين الاقطار العربية عن ٥٪ فقط ، وعلى سبيل المثال نذكر بان معدل الزيادة السنوية فى صادرات الكويت الى العراق خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ كانت بنسبة ٢٨٪ ، فى حين انخفضت قيمة الواردات بنسبة ٢٢٪ فى الفترة ذاتها • أما سوريا فالميزان التجارى لم يكن ابدا فى صالح الكويت • وقد بلغ معدل الزيادة السنوية فى الصادرات نحو ٥٨٪ بينما تناقصت الواردات بمعدل ٢٪ • أما لبنان فقد زادت الصادرات اليها بنسبة ٣٢٪ سنويا والوردات بمقدار ٢٪ ٠ وتبلغ زيادة الصادرات الكويتية (اعادة تصدير) الى الاردن نحو ٥٩٪ والواردات ٢٥٪ ، فى حين كانت زيادة صادرات الكويت الى مصر بمعدل ٦٩٪ سنويا فى مقابل ٥٪ فقط للواردات •

اما اذا نفذت اتفاقية السوق العربية المشتركة فان واردات الكويت من الدول العربية سترتفع بينما ستنخفض صادراتها بنسبة كبيرة بعد وضع القيود على السلع المعاد تصديرها والتى هى من منشأ أجنبى •

ولكن الحكم على السوق العربية المشتركة من واقع وطبيعة العلاقات التجارية والمتذبذبة بين البلاد العربية أمر غير دقيق ،ذلك لان آثار السوق لا يمكن ان تظهر وتاخذ شكلا فعالا الا اذا بنيت على أساس واضح تتناول حقبة زمنية معقولة • وأى مستثمر ـ سواء أكان قطاعا عاما أو خاصا ـ يتخذ القرارات المتعلقة باستثماره على ضوء امكانيات السوق لاستيعاب انتاجه • وهناك فرق كبير بين أن تكون سوق هذا المستثمر دولة واحدة أو دول السوق المشتركة كلها • وعادة لا تكون دول السوق المشتركة كلها سوقه الا اذا كان متاكدا من أن انتاجه قابل للتسويق فيها بحرية تامة • ومن هنا فان قياس فعالية السوق المشتركة بزيادة التجارة بين دول السوق ليس بالمقياس الحقيقى ، انما يكون فى الآثار المتوقعة للتجارة على الاستثمارات ، وبذلك تصبح السوق المشتركة فقط وسيلة ترشد هذه الاستثمارات وتوجهها ، وتدفع عجلة التنمية الاقتصادية قدما الى الامام (٧) •

ومن حسن الحظ أن مقومات التكامل الاقتصادى العربى كبيرة منها : اتساع مساحة الوطن العربى وامتداده فى قارتى اسيا وافريقيا ، وتنوع مناخه من بحر متوسط ، الى صحراوى ، الى مدارى ، وتعدد موارده من زراعية ، وحيوانية ،ومعدنية وصناعية ،واختلاف فى مواهب السكان وقدراتهم وفعالياتهم •

وبذلك يمكن للوطن العربى أن يكفى نفسه زراعيا وغذائيا لو استتب الامن فى ربوعه ،وانتزع الشك وحلت الثقة بين شعوبه وحكوماته ، وتحول المال الفائض الى طاقة استثمارية ترفع من انتاجية الارض والفلاح • كما يمكن للصناعة العربية أن تقوم طالما أن رأس المال متوفر والطاقة (ممثلة فى البترول) تفيض عن حاجة الاقليم ، واليد العاملة وفيرة ، ومع شيء من الخبرة والتدريب والمران يمكن لها أن تؤدى دورها على الوجه الاكمل • كما وأن السوق العربية ممثلة بنحو ١٣٠ مليونا من البشر يمكن أن تستوعب الكثير من الانتاج الصناعى •

محمد على القـرا

(٧) برهان الدجانى ،المرجع السابق، ص ٤٦•



طرائف غربية

سكرتيرة ممتازة !

● تلقى سنكلير لويس المؤلف الامريكى (١٨٨٥ ـ ١٩٥١) يوما رسالة من فتاة حسناء تعرض فيها العمل كسكرتيرة خاصة ، بعد أن قرأت اعلانا فى احدى الصحف يطلب فيه الكاتب سكرتيرة تجيد الكتابة على الآلة الكاتبة !

وفض لويس الرسالة وراح يقرأ: « اننى اتمنى ان اكون سكرتيرة لك. وانا اجيد الكتابة على الآلة الكاتبة ، واعمال الارشيف والمكتبات واستطيع بعد هذا ان افعل اى شىء .. نعم اى شىء تطلبه منى ! »

وكانت زوجة الكاتب ، السيدة دوروثى تومسون تجلس بجواره فى هذه اللحظة ، فما كاد ينتهى من قراءة الرسالة حتى قدمها لها ،وقال يسألها : « مارأيك؟ »

ولم ترد .. وفى اليوم التالى طلعت نفس الصحيفة وفى نفس المكان برسالة تقول : « الى الآنسة صاحبة الطلب .. اود ان اقول لك ان السيد سنكلير لويس لديه سكرتيرة وهى سكرتيرة ممتازة ، وتجيد الطباعة على الآلة الكاتبة ، وتجيد اعمال الارشيف والمكتبات وهى بعد هذا تقوم باى عمل آخر يطلبه منها .. نعم اى عمل ! »

الامضاء : « دوروثى تومسون ! »

شخصية الرجل فى معدته !

● اشتهر اوليفر وندل هولمز الطبيب والمؤلف الامريكى (١٨٠٩ ـ ١٨٩٤) ، بروحه المرحة التى ملأ بها موائد الافطار .. فهو الذى قدم لنا«الحاكم المستبد على مائدة الافطار»، « والاستاذ على مائدة الافطار » ، و « الشاعر على مائدة الافطار » !وكان يقول ان ما يأكله الرجل وهو يستقبل يوما جديدا كل صباح ، يكشف عن مزاجه وشخصيته .. فالذى يتناول افطارا دسما ينعم بمعدة قوية .. وهو اذن قادر على اتخاذ قرارات قوية ،قد يكون فى مقدمتها ميله الدائم للبطش! أما الذى يكتفى بافطار بسيط او لا يأكل شيئا على الاطلاق فى الصباح فهو احد رجلين .. اما ان يكون قد ملأ معدته فى المساء بعشاء فاخر ، فلم تعد تتسع للمزيد فى الصباح ، واما أن يكون مفكرا ، استغرق تفكيره كل جهد فارهق دورته الدموية التى نشطت فى تغذية رأسه وعقله ، فتعطل جهازه الهضمى عن العمل !

ويقول وندل هولمز : « الغريب ان اكثر الرجال جبروتا واستبدادا ،هم الذين لايشبعون ابدا .. ما أشبه هؤلاء بالنمر الذى لايكف عن مهاجمة فريسته حتى لو امتلأت معدته بكل انواع الصيد السمين ! ».

شولوخوف مع قاربه الصغير



● شولوخوف الكاتب الروسى الشهير الذى عرفه العالم من خلال كتابه الرائع « نهر الدون الهادى » And quiet flows the don ، والذى حكى فيه حياته على شاطئه ومع مياهه ! فاز بجائزة نوبل للادب عام ١٩٦٥ تقديرا لهذا العمل الادبى الذى رفعه الى رتبة العمالقة من الكتاب المعاصرين !

« والدون الهادى » ليس عملا جديدا ، فقد كان انقضى على صدوره عام ١٩٣٤ سنوات وسنوات ، قبل ان يقع الاختيار على صاحبه للفوز بهذه الجائزة الادبية والمالية ! حتى أن الكاتب الفرنسى جان كوكتو قال معلقا وقتها : أسعدنى أن يصحو ضمير القائمين على هذه الجائزة ، حتى ولو كان ذلك بعد مرور قرن من الزمان · المهم ان شولوخوف عاش ليرى هذا اليوم الذى عبرت فيه الجائزة الكبرى كل « الحدود » !

اما شولوخوف نفسه ، فلم يعبر «الحدود» ليتسلم قيمة الجائزة · لقد بقى فى بلده لا يبرحه !

وعندما نقلوا اليه نبأ فوزه بالجائزة ، قال وهو يبتسم : « ستبقى مياه الدون على هدوئها ولن اجازف بالقيام بهذه الرحلة فقاربى الصغير لايقوى على الصمود فى الرحلات الطويلة ·· انه قارب صيد كما ترون · ولا أنوى ان استبدله بلنش بخارى ! فقد عاش معى عمرى ·· ولن افترق عنه ! » .

ومع هذا فقد عبر « شولوخوف » من قبل الحدود كثيرا الى اوروبا الغربية مرات ،والى امريكا او العالم الجديد عندما ترك قاربه عام ١٩٥٩ واستقل الطائرة مع خروشوف رئيس وزراء روسيا فى زيارته للولايات المتحدة وعاد يقول : « تمنيت لو اننى قضيت كل وقتى بين الحقول ، وسط شجيرات القمح !

ان المعجزة الحقيقية فى هذه الارض الجديدة هى الزراعة ! » .

اعظم هبات الله

● أعظم هبة منحها الله للانسان هى العقل ! ومع العقل ، تعمل أدق وأخطر آلة فى الوجود ·· اليدان اللتان ترتبطان ارتباطا وثيقا بكل ما يعتمل فى عقل الانسان وبكل ما يملأ رأسه من أفكار ·· فيدا الانسان هما اللتان صنعتا الحياة منذ كانت هناك حياة !

هذا ما يقوله لورانس هوسمان ،الشاعر والكاتب المسرحى والمؤلف الانجليزى (١٨٦٥ ـ ١٩٥٩) فهو يصف هذه الآلة فى احدى مسرحياته ، يقول : « لولا اليدان ، لما استطاع الانسان أن يتقدم ويتقدم عبر ملايين السنين ·· ولما تحققت نظرية النشوء والارتقاء التى حدثنا عنها داروين ·· عند أهل الكهف ، استخدم الانسان يديه فى اقتناص صيده والدفاع عن نفسه ·· ثم زرع بهما الارض عندما بدأ يستقر !

« واليوم ، نتحرك ونبتكر ونكتب ونخلق ، ونبدع بيدينا ·· يكفى أن ترى يدى الطبيب وهما تساعدان المولود الصغير على الخروج من بطن أمه للقاء الدنيا ، لكى نعرف قيمة هذه الآلة التى منحها الله لنا ·· لو خيرونى بين أن أفقد عينى ، أو أفقد يدى لاخترت الظلام ، فقد رأيت من صور الحياة والدنيا ما يكفينى ·· ولكننى لا أحتمل أن أرى يدا أخرى تمتد لتطعمنى » !

من قصص

الخيال العلمي

القفص

عن قصة : برترام شندلر

■ كان قد مضى اكثر من مائتي يوم منذ ان هبطوا على ذلك الكوكب المجهول الذى لا يعرفون له اسما .

بدأت القصة عندما نفد رصيد الطاقة فى مولدات « اهرنهافت » التى تعمل بها سفينتهم « النجم القطبي » ، ولاسباب غير معروفة . فاصدر قائد سفينة الفضاء أوامره بالهبوط اضطراريا على هذا الكوكب . ورغم أن الهبوط تم فى سلام ، الا أن القائد لاحظ بعد ذلك خللا فى اجهزة السفينة ، جعله يصدر أوامره الى مساعد قائد السفينة هاوكنز باخلائها فورا من الركاب ، فيما عدا قلة من الفنيين يحتاجهم القائد فى محاولة اصلاح الخلل الذى اصاب الاجهزة .

كانت تعليمات القائد واضحة صريحة ، يجب ابعاد الركاب الى اقصى مدى ممكن . وبعد أن انتهى هاوكنز من انزال الركاب الى ارض الكوكب ، والابتعاد بهم عن جسم السفينة ،بدأت الانفجارات المتتالية فى مخازن الطاقة بالسفينة . حاول بعض الركاب التوقف لمتابعة ما يحدث ، فكان هاوكنز يصرخ فيهم غاضبا ، بل انه لجأ الى لطم البعض بقسوة، طالبا الابتعاد بسرعة حتىلاتدركهم الاشعاعات الناتجة عن هذه الانفجارات .

ما ان مضى بعض الوقت . حتى انفجرت سفينة الفضاء باكملها ، وتحولت بمن فيها الى سحابة مرتفعة الى السماء فى شكل عش الغراب .

أخذ هاوكنز بمساعدة الدكتور بويل جراح السفينة ، يحث الركاب على مزيد من الابتعاد عن موقع الانفجار ، هربا من الاشعاع الذرى الناتج. حتى وصل الجميع الى مكان آمن ارتموا فيه من فرط الاجهاد والفزع .

ظهرت المفاجأة الاولى على سطح ذلك الكوكب بعد يومين ، ورغم جهود الدكتور بويل فى البحث عن طريقة لتفادى ما يحدث لركاب سفينة الفضاء « النجم القطبي » ، من تحلل سريع غريب فى طبيعته ، الا انه كان من الواضح عدم جدوى مقاومته . لقد كان الطقس ضدهم . بلغت درجة الحرارة ٨٥ فهرنهيت ، وكان الجو رطبا ،ينتشر فيه الرذاذ الدافىء طول الوقت . وانتشر فيهواء الكوكب فتات من الفطريات المتكاثرة على ارضه، ورغم انها لا تهاجم الاجسام العضوية الحية ، الا انها كانت ذات تأثير شديد على المواد العضوية الميتة ، مثل الملابس . وقد تصور دكتور بويل ان هذه الفطريات لن يكون لها تأثير على المعادن او النسيج الصناعى او لدائن البلاستيك ، الا انه ما ان مضت عدة ايام حتى كانت قد اتت عليها جميعا ، وتركت ركاب السفينة بلا شىء يستر اجسامهم .

المعروف أن توالى المخاطر وتتابعها ، يخلق لدى الجماعات حالة معنوية عالية ، ويستنفر قدراتها ومقاومتها ، غير ان الوضع على الكوكب كان بعيدا عن هذا كل البعد . لم تكن على ارض ذلك الكوكب حيوانات خطرة او مفترسة ، انما كائنات حية صغيرة الحجم ذات جلد املس ،شبيهة بالضفادع ، تتدافع على الارض الزلقة الدائمة



الابتلال . وفي الانهار العديدة التي تشق ارض الكوكب ، تعوم كائنات اشبه بالاسماك ،تتباين في حجمها ، من ضالة ابو ذنيبة الى ضخامة سمك القرش الكبير .

لم يكن الطعام مشكلة بعد ساعات الجوع الاولى. فقد تقدم بعض المتطوعين لتجربة نوع ضخم من عش الغراب ينمو على جذوع اشجار شبيهة بالسرخس وعندما لم يمت احد منهم او يعاني من اية الام او متاعب، اصبح هذا الفطر عماد الوجبة الدائمة للجماعة كلها . وبعد عدة اسابيع ، تم اكتشاف انواع اخرى من الفطر تصلح للطعام ، بالاضافة الى بعض الجذور والثمار الشبيهة بالتوت ، فتعددت فرص تنويع الوجبة اليومية امامهم .

ورغم الحرارة المرتفعة لجو الكوكب ، فقد فشلت الجماعة في اشعال النار . كانوا يحتاجون الى النار لانضاج الكائنات الشبيهة بالضفادع وتلك التي تسعى في الانهار ، بهدف التوسع في قائمة الطعام . لقد حاول بعض افراد الجماعة ، من ذوي الارادة الحديدية ، ان ياكلوا هذه الكائنات دون انضاج ، غير أن تصرفهم هذا قوبل بالتقزز من باقي افراد الجماعة . كما كانوا

يحتاجون الى النار ، لتبديد ظلمة الليل الطويل، والتخلص من الشعور بالبرد نتيجة لرذاذ الماء المتساقط دوما على ارض الكوكب. حتى الاساليب البدائية لاشعال النار بالاحتكاك بين قطعتي خشب ، فشلت نتيجة للرطوبة في الجو .



★ ★ ★

اختارت الجماعة لمقامها ، سفح تل من التلال التي على الكوكب (لم يعثر الرجال على جبال قط ، بل مجرد تلال صغيرة) . كان الجو عند سفح ذلك التل اقل رطوبة، والارض اقل لزوجة. وقد نجحوا في استخدام سيقان النبات السرخسي لبناء مخابيء بدائية لهم ، تنفع في ارساء شعور بالخصوصية اكثر مما توفر اى نوع من انواع الراحة .

ومن فرط تمسكهم بالامل مهما كان ضعيفا ، تعلقوا باشكال التنظيم الحكومي التي خلفوهاعلى الارض ، فانتخبوا من بينهم مجلسا ، وكان دكتور بويل جراح سفينة الفضاء هو رئيس المجلس ، اما هاوكنز مساعد قائد السفينة ، فقد اصبح مجرد عضو بالمجلس ، بل انه فاز بالعضوية بفارق صوت واحد . وقد كانت النتيجة مفاجأة له الا انه قبلها بعد ان ارجعها الى موقف الجماعة منه ، كممثللقيادة السفينة، تلك القيادة التيأوصلتهم الى المأزق الحالي .

تم اجتماع المجلس الاول في كوخ اقيم لهذا الغرض ، هذا مع مافي تسمية (كوخ) من تجاوز شديد تفرق الاعضاء في دائرة غير منتظمة ، ونهض بويل رئيس المجلس ، فابتسم هاوكنز بسخرية عندما قارن بين وقفة الطبيب الوقورة المتفاخرة التي استمدها من منصبه ، وبين عريه ومظهره الاشعث ، بشعره الرمادي المهوش ، وذقنه المنتفشة .

بدأ بويل حديثه « سيداتي سادتي .. لقد جرى انتخابنا ، كما تعرفون ، لتمثيل المجتمع الانساني على ارض هذا الكوكب . واعتقد ان اول ما يجب علينا بحثه في هذا الاجتماع ، هو فرص حياتنا وبقائنا ، ليس فقط كافراد ، ولكن كجنس بشرى .. »

فاطعته احدى المرأتين اللتين ضمهما المجلس.. صاحت المرأة النحيفة التي ظهرت عظام ضلوعها وفقراتها ناتئة تحت جلدها « اريد أن اسأل السيد هاوكنز عن احتمالات انقاذنا .. واعادتنا الى الارض » .

قال هاوكنز « الاحتمالات ضعيفة .. فكما تعرفون ، لم يكن من الممكن الاتصال بالارض او باى سفينة اخرى اثناء رحلة السفينة . وعندما هبطت السفينة على هذا الكوكب، ارسلنا اشارات الاستغاثة الى الارض ، لكننا لم نستطع ان نحدد لهم موقعنا .. وعلى اى حال ، فنحن لا نعلم اذا ماكانوا قد سمعوا استغاثتنا ام لا .. » .

قال بويل بحدة « سيدة تايلور.. سيد هاوكنز .. احب ان اذكركما بانني رئيس هذا المجلس ! وسيكون هناك ما يكفى من الدقة لمناقشاتكما بعد أن ينتهي هذا الاجتماع .. » ، صمت قليلا يستجمع افكاره ثم قال « كما لابد انكم لاحظتم ، ان العصر الذي يمر به هذا الكوكب ،يشبه بصفة

عامة ذلك العصر الذى مرت به كرتنا الارضية والذى نطلق عليه « العصر الفحمى » • وكما تعلم ، لم تنشا بعد على هذا الكوكب اية انواع تهدد تفوقنا وامننا • ولكن مع مرور الزمن ، ستستجد انواع من السحالي الضخمة التيعرفتها ارضنا فيما يسمى بعصر الصخور الحمراء •• عندما يحدث هذا ، لابد ان نكون قد اعددنا العدة لمواجهته •• »

قاطعه احد الرجال قائلا « سنكون قد متنا عند ذلك ! •• »

هز دكتور بويل راسه موافقا وقال « نعم •• سنكون قد قضينا •• لكن سلالتنا ستكون على قيد الحياة •• علينا ان نفكر من الآن فى ان نوفر لها افضل الظروف •• »

صاحت المراة الاخرى التى تشارك فى عضوية المجلس ، وكانت نحيفة ذات شعر اصفر وتقاطيع حادة « قبل أن نتكلم عن هذا المستقبل البعيد •• علينا ان نقرر شيئا فى موضوع السلالة هذا ! على هذا الكوكب توجد اليوم خمس عشرة امراة فى سن الانجاب •• وكن جميعا حتى الآن غاية فى الحذر بالنسبة لموضوع الانجاب •• هل يمكنك ، كطبيب ، ان تضمن لنا ولادة آمنة مع نقص المعدات والعقاقير اللازمة ؟ ••• وما هى فرص الحياة الطبيعية امام أطفالنا ؟ »

تخلى الدكتور بويل عن افتخاره الذى بدأ به الاجتماع وقال « ساكون صريحا معكن •• ليست لدى الادوات او العقاقير اللازمة ، كما اشارت الآنسة هارت •• ولكني واثق أن فرصتكن فى ولادة امنة ، ستكون افضل بكثير من تلك التى كانت لنساء الارض فى القرن الثامن عشر • والسر فى هذا ، هو عدم وجود جراثيم على هذا الكوكب •• »

وعادت الآنسة مارى هارت لتقول « هناك نقطة اخرى •• مجموع الرجال والنساء على هذا الكوكب ثلاثة وخمسون شخصا •• بينهم عشرة بصحبة زوجاتهم ، ندعهم جانبا ، فيكون الباقى ثلاثة وثلاثين شخصا •• عشرون رجلا مقابل ثلاث عشرة امراة ! يا للحظ التعيس ! ما نوع الزواج الذى يمكن ان يتم بيننا •• هل سنلجا الى تعدد الازواج ؟! »

« بالطبع لا ! » قالها رجل طويل محتدا ،وكان ضمن القلة التى مازالت تحتفظ بما يرمز الى الثياب ، مجرد شرائط مهلهلة مع بعض اوراق السرخس •

قالت المراة « هذا هو الافضل •• ولكني احذر مما ينتظرنا من متاعب ••فجرائم الغيرة تقع فى النهاية على راس المراة ، اكثر مما تقع على اى من الرجلين •• وانا اكره ان يحدث لى هذا •• »

قال الطبيب متسائلا « وما هو اقتراحك يا آنسة هارت ؟ »

اجابت « اقتراحي بالتحديد •• هو أن تستبعد الحب من علاقتنا الزوجية •• اذا ما أصر رجلان على الزواج منامراة بعينها •• عليهما انيتماركا من اجلها •• والاقوى هو الذى ينال المراة •• »

تمتم الطبيب « الانتخاب الطبيعى •• لست ضد هذا •• لكن ، يجب ان ناخذ الاصوات عليه »

★ ★ ★

كانت هناك علىقمة التلارض منخفضة ومنبسطة •• حلبة ملاكمة طبيعية ، حول هذا المنخفض جلس سكان الكوكب من الادميين ، ما عدا اربعة منهم • الطبيب الذى رشحه عمله كرئيس للمجلس لوظيفة الحكم ، والآنسة مارى هارت التى نجحت بصعوبة فى تمشيط شعرها الطويل ، وامسكت باكليل من الورد تقدمه للمنتصر ، بالاضافة الى الرجلين اللذين يتنافسان عليها •

سادت الجمهور مشاعر الحماس ، واخذ هاوكنز فى جلسته بين الجمهور ، يتفرس الاربعة الذين يتوسطون الحلبة •• المراة المغدورة المتوحشة •• الطبيب الفخور •• والرجلين

المتنافسين بلحيتهما السوداوتين على جلدهما الابيض .. انه يعرفهما جيدا .. فينيت ، الضابط الكبير السابق في السفينة المنكودة « النجم القطبي » ، وكليمنس احد الركاب وصاحب الابحاث في احوال الكواكب البعيدة ، الذي يكبر فينيت بسبعة اعوام على الاقل .

تصاعد النقاش الحماسي بين الجمهور ، حول الذي سيفوز بالمراة ، فصاح الدكتور بوبل بصوت مرتفع يغطي على نقاشهم « ممنوع الاقتراب من العينين .. ممنوع العض .. وليكن الفوز من نصيب الاحق » .

تراجع الطبيب برشاقة بعيدا عن المتبارين ، مقتربا من المراة التي يتنافسان عليها ، وتصاعد حماس الجمهور الذي حرم من اى حدث مثير منذ تحطم السفينة على هذا الكوكب . وقف المتباريان ، وقد ضم كل منهما قبضتيه الى جانب جسمه في وضع تحفز ، وان ظهر عليهما معا ، تعبير الندم على الانزلاق الى هذا الموقف .

صاحت ماري « هيا .. تحركا .. ستعيشان طويلا على هذا الكوكب .. وستكون حياة مملة بلا امراة ! » صاح واحد من الجمهور معاتبا « يمكنهما ان ينتظرا حتى تكبر ابنتك يا ماري ! » قالت بمرارة « هذا اذا ماقدر لي اصلا ان احظى بابنة .. هذا الركود لايشجع على ذلك الامل .. هيا .. تحركا ! » .

كان فينيت هو الذي بدا الجولة . أخذ خطوة الى الامام ، ثم سدد لكمة الى فك كليمنس . كانت ضربة قوية ، رفع كليمنس بعدها يده الى انفه ، ثم ابعدها متفرسا في الدم اللامع الذي صبغها . دمدم كليمنس غاضبا ، وتقدم مهاجما ، لكن فينيت تراجع في حركات راقصة ، واستطاع اثناء ذلك ان يسدد ضربتين جديدتين الى وجه غريمه . ثم عاد الى حركاته الراقصة ، فانزلقت قدمه على الحشائش المبتلة ، واسرع كليمنس فهبط بكل ثقله على جسم غريمه . وسمع هاوكنز من مكانه صوت الهواء المندفع من رئة فينيت . احاط كليمنس جسم غريمه بذراعيه ، فرفصه فينيت بركبته في بطنه . اصدر كليمنس صرخة الم ولكنه اسرع فامسك باحدى يديه رقبة فينيت ومد يده الاخرى الى عينيه .

صاح دكتور بوبل « ابعد عن العينين .. هذا ممنوع ! » قالها وهو يركع على ركبتيه ممسكا قبضة كليمنس بكلتا يديه .

هنا .. حدث ماجعل هاوكنز يتطلع الى اعلى ، باحثا عن مصدر صوت غريب ، تكاد تضيع معالمه وسط صيحات الجمهور الحماسية . وربما كان الصوت الغريب هو الذي لفت انتباه هاوكنز ، وربما كانت الحاسة السادسة التي يتمتع بها المتازون من رجال الفضاء .. الا ان ما رآه جعله يطلق صرخة عالية !!

فوق الحلبة حومت طائرة هيليكوبتر ذات تصميم غريب ، مما جعل هاوكنز يجزم بانها ليست تابعة لكوكب الارض . ومن بطن الطائرة الناعم اللامع تدلت شبكة معدنية ، استطاعت ان تقتنص المتلاكمين والطبيب والانسة هارت .

صاح هاوكنز ثانية ، وقفز ناهضا ، مسارعا لنجدة زملائه ، غير ان الشبكة بدت حية متحركة ، فقد انحرفت ناحيته وامتدت الى ذراعه فامسكت به ، ثم قبضت بنسيجها المعدني على قدميه . هم بعض الحاضرين لنجدة هاوكنز ، ولكنه صاح فيهم وهو معلق في الفضاء « ابتعدوا .. تفرقوا .. » .

في لحظات ، اختفت الشبكة داخل جوف الطائرة ، ثم غابت الطائرة عن الانظار . ولم يتعجب هاوكنز عندما هبطت الطائرة في نهاية رحلتها بالقرب من سفينة فضاء هائلة تقف شامخة فوق سهل منبسط على سطح الكوكب .

* * *

كان الكوكب الذي اوصلتهم اليه سفينة الفضاء اكثر تطورا ، بلا ريب ، من الكوكب الذي خلفوه وراءهم . وفي القفص الزجاجي الذي حبس فيه ثلاثة من الرجال ، كان الطقس مطابقا لطقس الكوكب الذي اختطفوا من فوقه ، ومن سقفه تساقط بانتظام ذلك الرذاذ الدافيء ، كما تم تزويد القفص بعدة أشجار من نبات السرخس . ومن فتحة اسمنتيه كان الطعام يدخل اليهم في

وجبتين يوميتين ، عمادهما عش الغرب الذى كانوا يعيشون عليه منذ أن تحطمت سفينتهم « النجم القطبى » • وفى جانب من القفص ، كانت هناك ثغرة فى ارضيته ، يبدو واضحا انها مخصصة كدورة مياه للمجموعة •

على جانبى قفصهم توزعت عدة اقفاص ـ فى احدها ـ سجنت مارى هارت بمفردها • وكانت وسيلة اتصالها بهم ، تلك الحركات التى تقوم بها ، ملوحة بيديها • وفى قفص على الجانب الاخر ، رقد حيوان متوحش ، قريب فى هيكله من اللوبستر المائى ، وان كانت له بعض ملامح الاخطبوط •• وعلى الجانب الاخر من الممر توزعت مجموعة اخرى من الاقفاص لا تشبه القفص الذى يقيمون فيه •

كان الرجال الثلاثة ، بويل وهاوكنز وفينيت، يجلسون على ارض القفص الرطبة اللزجة ، يتطلعون من خلال زجاج القفص ، الى تلك المخلوقات التى اختطفتهم وسجنتهم ، باشكالها الغريبة •

تنهد الطبيب بأسى وقال « لو انهم كانوا اشبه بالآدميين •• ربما كان من الممكن ان نصل الى طريقة فى التفاهم ، نعرفهم من خلالها ، اننا ايضا مخلوقات ذكية متطورة ، وان الكوكب الذى اختطفونا منه ليس كوكبنا •• »

قال هاوكنز مستنكرا « يشبهوننا ؟ !! •• لقد انقلب الوضع ، واصبح علينا الآن ان نقنع مخلوقات لها شكل البراميل ذات ستة ارجل ،اننا نمت لها بصلة الاخوة !! •• لماذا لا نحاول نظرية فيثاغورس مرة ثانية ؟ » •

تحرك فينيت متثاقلا ، واخذ يقتطع من سيقان السرخس ما يصلح لرسم النظرية الهندسية ، رسم مثلثا قائم الزاوية ، واقام على كل ضلع من اضلاعه مربعا • فراح ثلاثة من اهل هذا الكوكب يتابعون عمله بعيونهم المسطحة القبية ، كان احدهم كبير الحجم ، والثانى اصغر منه قليلا ، والثالث اصغر منهما بشكل ملفت • مد الرجل الكبير اصبعا شبيها بقرن الاستشعار



الى احد جيوبه ، فقد كانوا يرتدون الملابس ، واخرج لفة براقة ناولها لاصغرهم • مزق الصغير رباط اللفة ، واخذ يتناول من داخلها قطعا صغيرة براقة زرقاء ، يقذفها الى فتحة عريضة فى اعلاه، لا ريب تستخدم كفم • قال هاوكنز متالما « لو انهم يطعموننا كما يطعمون حيواناتهم التى فى الاقفاص من مثل هذه الحلوى •• لقد سئمت عش الغراب اللعين هذا ! »

قاطعه الطبيب قائلا بجدية « دعنا نجرى تقييما جديدا للموقف ••لقد انتشلوا خمسة منا بواسطة طائرة هيليكوبتر • نقلنا منها الى سفينة فضاء، لا تبدو باى حال من الاحوال اكثر تطورا من سفننا • فى السفينة وضعوا كل واحد منا فى قفص خاص • وكانت معاملتهم طيبة • لم هبطنا على هذا الكوكب الجديد الذى لم نستطع ان نرى شيئا منه ، فقد نقلنا من السفينة فى عربة مغلقة الى هذا المكان حيث تقدم اثنان من هذه البراميل المتحركة يمسكون بايديهم هذه الشباك المعدنية القناصة العجيبة • فاخذوا بها كليمنس والآنسة هارت ، ثم ادخلونا الى هذا القفص •• وبعد قليل ظهرت الآنسة هارت فى القفص المجاور •• »

تساءل فينيت « هل تظن انهم قاموا بتشريح كليمنس .. لم اكن احبه .. ولكن .. » فقال بويل مقاطعا « ارجع هذا.. ولكن الذى يؤسفنى، انه ليست هناك وسيلة للتعرف على مدى الذكاء من خلال التشريح !! المشكلة هى فى كيفية اقناعهم باننا كائنات متطورة .. السؤال هو كيف نتعرف نحن البشر على الكائنات العاقلة ؟ »

قال هاوكنز « لقد قرات .. لست ادرى اين .. ان تاريخ الانسان يبدا منذ قدرته على اشعال النار ! » . قال ضابط الفضاء فينيت ساخرا لا تكن سخيفا .. انت تعلم انه ليس لدينا اى نوع من الادوات التى تصلح لاشعال النار » . وصمت قليلا ثم قال « عندما كنت صغيرا ، كان من بين الضباط العاملين فى سفن الفضاء ، من يميلون الى احياء الحرف والفنون القديمة .. لقد كنا نعتبر انفسنا سلالة جديدة للبحارة القدماء .. فتعلمنا كيف نحبك طرفى حبل او سلك ، وكيف نعقد اصعب العقد . وذات يوم ، اقترح احدنا فكرة صناعة السلال . كنا فى سفينة فضاء خاصة بنقل الركاب .. فكنا نصنع السلال خلسة ، ثم نلونها بالوان زاهية ونبيعها للركاب ، باعتبارها تذكارات اصلية من الكوكب المفقود اركوتوروس السادس .. وكان الموقف موجعا عندما اكتشف كبير الضباط ان .. » قال الطبيب بجسم « ما الذى ترمى اليه ؟ ! » . فاجاب « ليس اكثر من هذا .. سنريهم مهارتنا اليدوية بصناعة السلال .. اعلمكم وتساعدونى .. »

قال بويل متاملا ، تنجح هذه الطريقة .. ولكن لا تنس ان بعض الطيور والحيوانات على الارض لها نفس هذه المهارة .. كالقندس او كلب الماء الذى يبنى السدود المعقدة . كما ان بعض الطيور تبنى اعشاشا جميلة ، كجانب من طقوس الغزل التى تمارسها فى موسم التزاوج؟!

★ ★ ★

يبدو ان رئيس الحراس ، كانت له معرفة بما تحدث به الطبيب ، عن بناء الاعشاش كطقس من طقوس الغزل .

فبعد ثلاثة ايام من العمل المحموم فى صناعة السلال ، التى استهلكت معظم فروع المرخس الموجودة بالقفص ، اخرج مارى هارت من قفصها، ودفعها الى قفصهم .

بعد ثورة الفرح الهستيرية التى قامت بها مارى عند دخولها الى قفصهم ، قال هاوكنز لنفسه ،جميل ان تقيم مارى معنا فى نفس القفص .. الا أن هذا يقتضى حذرا شديدا من ناحية فينيت . بل يجب ايضا مراقبة تحركات بويل .. العنزة العجوز !

وعندما حل موعد النوم ، حرص هاوكنز ان يختار لمارى مرقدا بعيدا عن المكان الذى يرقدون فيه ، حتى لا يسهل لاى منهما التسلل اليها . كانت الاثارة التى حركتهم بلقاء مارى قد اجهدتهم ، فراحوا جميعا فى سبات عميق ..

فجاة .. صرخت مارى .

انتفض هاوكنز ناهضا من نومه .. اطمان الى وجود الرجلين الى جواره ، فنظر الى الناحية الاخرى من القفص .. وجد جسم مارى الباهت يرتعش تحت الضوء الخافت لليل هذا الكوكب الذى لا يعرف الظلمة المطبقة . اتجه اليها وسالها « ما الذى حدث ؟ » .

اجابت من خلال انفاسها المضطربة « لا .. لا ادرى .. شىء صغير له مخالب حادة .. جرى فوق جسمى ! .. » قال هاوكنز مبتسما « انه جون .. » تساءلت مارى « جون ؟ ! .. وما هو جون هذا ؟ » قال الطبيب « انه المقابل المحلى للفار عندنا .. رغم انه يختلف فى شكله عن الفار كل الاختلاف .. يخرج من باطن الارض .. لست ادرى من اين .. يبحث عن بقايا الطعام .. لقد اسميناه جون .. ونحن نحاول ان نستانسه .. !!

صرخت مارى « تشجعون هذا الوحش ؟! ..

افعلوا شيئا .. حالا .. ضعوا له السم .. انصبوا له فخا ..الآن ! .. » قال هاوكنز « غدا.. صباحا نفكر في الامر .. » فضربت الارض بقدمها وهي تصيح « بل الآن ! » وبحزم قالها هاوكنز « قلت غدا .. » .

★ ★ ★

ثبت ان اقتناص جون امر اسهل .. فقد تم وصل سلتين من السلال على شكل محارة لاستخدامها كمصيدة ، ثم وضعت عصاة عمودية بين ضلفتي المحارة تسقط عند اقل اهتزاز ، وداخل احدى السلتين وضعت قطع من عش الغراب. في مساء ذلك اليوم كان هاوكنز يرقد بلا نوم على الأرض المبتلة ، عندما سمع صوت انغلاق الفخ ، وصوت المخالب الدقيقة تخدش نسيج السلة .

كانت ماري نائمة ،فايقظها قائلا« لقد اصطدناه!» . قالت بصوت يغلب عليه النعاس « اقتله اذا »

غير انهم لم يقتلوا جون .. لقد عشقه الرجال الثلاثة . وما ان طلع الصباح حتى كانوا قد صنعوا له قفصا ابتكره هاوكنز . حتى الفتاة تبدد خوفها منه ، عندما تمعنت في تلك الكرة غير المؤذية ، ذات الفراء المتعدد الالوان . اخذت تتابعه وهو يروح ويجيء في سخط داخل القفص. بل وكانت تطعمه بيدها ، وتضحك مستثارة ، عندما يمد مخلبه الصغير، يختطف قطع عش الغراب من فوق اصبعها .

دام استمتاعهم بملاعبة الحيوان في قفصه ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع دخلت الكائنات الغريبة بشباكها المعدنية الى القفص ، فاقتنصت هاوكنز، واخذت معها جون .

قال بويل بمرارة « اخشى ان يكون هاوكنز قد مضى الى نفس الطريق الذي اختفى فيه كليمنس!..»

قال فينيت بانقباض « يبدو انه طريقنا جميعا.. اما التشريح .. او التحنيط للاحتفاظ بنا في في المتاحف .. »

صرخت الفتاة متشنجة .. لا .. لن يفعلوا ذلك .. لن يمكنهم .. » قال الطبيب بويل بحزن بل يمكنهم .. » ثم خيم عليهم سكون طويل .

وفجاة .. فتح الباب .. وقبل ان يتقهقر الثلاثة في حركات الدفاع الغريزية ، ارتفع صوت يقول « لقد اصبح كل شيء على مايرام .. هيا اخرجوا من هنا ! » تقدم هاوكنز الى وسط القفص . كان حليقا ، يرتدي سروالا على احدث طراز من نسيج احمر فاقع .

قال هاوكنز « هيا يارفاق الى الخارج .. لقد قدم اهل هذا الكوكب اعتذارهم بكل اخلاص ، واعدوا لنا مكانا للاقامة اكثر لياقة بنا . وبمجرد ان يجهزوا سفينة فضاء ستذهب لانقاذ باقي المجموعة .. »

قال دكتور بويل بفضول شديد « انتظر .. ارجوك ، اخبرنا بتفاصيل الموضوع . ما الذي اقنعهم باننا مخلوقات عاقلة متحضرة ؟! »

اظلم وجه هاوكنز وهو يقول « لانهم يعرفون ان الكائنات العاقلة فقط .. هي التي تضع الكائنات الاخرى في اقفاص !! .. » ■■



أرق

مرض من أمراض الحضارة

● امراض شائعة ●

بقلم : الدكتور محمد محمد ابو الشوك

لا أنام ·· عينـاى مفتوحتان ··رأسى يكاد ينفجر ·· هل انا مـريض ؟ ربما ·· هل انا متعب ؟ ربما ·· ولكننى حتما اعانى من حالة نفسية ·· اننى اشعر بقلق يمزقنى·· ان احداث اليـــوم والأمس وما ينتظرني فيالغد ·· كلها تمـر فى ذهنـى وتستبـد بفكرىواهتمامى ··

■ من منا لم يززه الارق فى ليلة من الليالى، فلم يذق للنوم طعما ·· وبقدر ما أعطتنا المدنية من معطيات سخية ، بقـدر ما سلبت منا أشياء غالية ثمينة من أجسادنا ، كالراحة ، والهـدوء والطمانينة ، وجعلت معظمنا يعيش فى قلق ، وعدم استقرار ، وتتبع طـرق صعبة شاقة يؤدى معظمها الى متاهات ، لا يعرف الا الله مداهـا ـ فكان السهاد والارق ، وصعب على الجفنين أن يلتقيا الا لحظات ، وعز هـذا اللقـاء اللهم الآ باستعمال المهدئات أو المنومات ·

واذا استعرضنا أسباب الارق لرأيناها متعددة ومختلفة ·

اولا : مؤثرات تقلق الجسم فلا تؤمن له الراحة والهدوء اللذين يسببهما النوم ـ لكى يذهب الى سبات عميق · وهذه المؤثرات كثيرة ·· بل مـا أكثرها فى أيامنا هذه ، فمن منا لا يقلقه صوت مذيـاع أبى صاحبه الا أن يسمعه لمن حولـه من النـاس ، رضوا أم أبوا ·· أو هـذه الحفـلات الصاخبة·· التى لا يرضىأصحابها الا أن يعلنوها على الملا بما يأتون من عنف وأصوات مزعجة تكاد تصل الى عنان السماء ·· ثم أصوات العربـات والآلات التى تملا حياتنا ويابى أصحابها الا أن يطلقوا أصواتها عالية مدوية ·· فتزعج الناس

وهم في مضاجعهم . فلا عجب اذن أن ترى الناس وخصوصا ذوى الحس المرهف يتركون المدن ، ويلوذون بمكان ناء بعيد ليذوقوا طعم النوم وينعموا بالراحة والهدوء .. ومن هذه المؤثرات ايضا ما هو نابع من اضطرابات في الجسم .. وهي تكون عادة أعرضا لامراض تعترى الجسم .. فالالم مثلا نتيجة لاى مرض ، لا يستطيع معه صاحبه ان يغفو ، بل يظل يتلوى في فراشه ، والالم الناتج عن المغص الكلوى أو المعوى،أو المرارى لا يخفى على أى انسان .. والحمى التي يصاب بها الانسان والتي تؤدى به الى السهر . ثم السعال في حالات التهاب الجهاز التنفسى ، والحكة نتيجة للامراض الجلدية المختلفة ، أو اضطرابات الجسم ، أو اضطرابات المعدة أو الامعاء .. كلها أسباب تؤدى الى عدم النوم ثم الشعور بالجوع أو البرد ، أو شدة الحرارة ، كلها أسباب تؤدى الى الارق .

ثانيا : الاضطرابات النفسية ، وهي ذات نسبة كبيرة للارق .. مثال ذلك التوتر العصبي ، والخوف والهلع ، والاكتئاب النفسى ، الهستيريا ، الهذيان ، والجنون .. وغيرها من الامراض العقلية ..

وكم تمضى ليال دون أن يذوق الفرد طعم النوم اذا ما أطلق لنفسه العنان وأخذ يفكر تفكيرا لا يؤدى به الى نهاية .. بل ياخذه من فكرة صعبة الى أخرى أصعب .. وتكر الليالي دون أن يستقر على حال .. فهذا يفكر في ماض عفى عليه الزمن .. وذاك يساوره القلق في حاضر لا يعرف ماذا سيصنع فيه ، هل يختار هذا أو ذاك ..وتلك تفكر في مستقبل لا يعلمه الا الله تعالى .. ولكنها ترسل حبل التفكير طويلا طويلا لعله ينيلها أمنية تتمناها .. وقد لا يحالفها الحظ فلا تنال منه شيئا .. وانى للنوم أن يزور أصحاب تلك العيون .. هيهات هيهات أن يقترب نحوها ..اللهم الا لحظات .. عندما يرهقها التفكير ..

وهناك أسباب أخرى للارق منها تغير المحيط الذى يكتنف الانسان .. فمثلا عندما يغير فراشه .. أو يذهب لزيارة صديق له ، ويبيت عنده ، أو حتى المناظر والاصوات التي تعودها الفرد قبل أن ينام .. اذا لم تتيسر له .. فان الارق يقض مضجعه .. والنوم يهجره ..

ثالثا : وهناك أسباب للارق تجيء عن طريق مؤثرات تؤثر على الجسم ، ربما تجاوزنا وقلنا انها سموم تؤثر على الجسم سواء كانت هذه السموم يتعاطاها الفرد ، أو تحدث داخل الجسم نتيجة لمرض من الامراض .. فتعاطى المنبهات بكثرة مثل الشاى والقهوة ، والمشروبات الكحولية، والسجائر ، والافيدرين ، ومركبات الامفيتامين Amphetamine او التي منها الريتالين وما شابهها كلها تسبب الارق ... وهناك السموم التي تنتج داخل الجسم مثل تلك التي تنتج من قصور في عمل الكلى .. مثل ارتفاع البولينا في الدم ، وتلك المواد التي تنتج من عدم تكافؤ الكبد ، فتؤثر على مركز النوم وتسبب الارق ... وكذلك السموم التي تنتج عندما يصاب الجسم باى نوع من الالتهابات ، وما تفرزه تلك الميكروبات داخل الجسم .. وكذلك اذا ارتفعت نسبة الثيروكسين في الدم نتيجة للمرض المعروف بتسمم الغدة الدرقية ..



رابعا : أمراض الجهاز الدوري كارتفاع ضغط الدم ، أو هبوط القلب ، أو تصلب الشرايين ، كلها أمراض تسبب نقصا في الدم الذاهب الى المخ وبالتالي تقل كمية الدم الذاهب الى المراكز المختلفة في المخ ، ومنها مركز النوم .. مما يسبب الارق .. وتساهم الآلام التي يعاني منها الفرد في مثل هذه الامراض في قلة النوم .

خامسا : الامراض التي تصيب المخ .. منها الالتهابات التي تصيبه واضطرابات شرايين المخ ، والاورام التي تصيب المخ ، كلها لها اعراضها الخاصة بها ، ومن هذه الاعراض الارق الشديد الذي يصيب الشخص المصاب .

فاذا ما انتهينا من عرض بعض الاسباب التي تسبب الارق بقي أن نعرف علاج مثل هذه الحالة.

ان أول ما يتبادر للانسان ، هو محاولته علاج سبب الارق بكل وسيلة ممكنة .. فالامراض التي تسبب الارق لا بد من علاجها العلاج الكافي حتى يستريح المريض .. ويحس بالراحة بعد أن يملأ جفونه بنوم عميق يكون قد حرم منه مدة مرضه.. ثم لا بد من تهيئة الجو الملائم لكي يستريح الانسان ، فيبتعد عن الضوضاء ، ويهيىء كل وسيلة ممكنة في غرفة نومه ، بما في ذلك الفراش حتى تساعده على أن يخلد الى نوم هادىء .. ومن العادات المستحبة والتي تساعد على النوم أن يمتنع الشخص عن تعاطي المنبهات كالقهوة والشاي وغيرها في المساء .. وان تكون وجبة العشاء خفيفة وقبل ميعاد نومه بساعتين على الاقل .. ومن الناس من يحب أن يقرأ كتابا قبل نومه ، فيجب أن تكون هذه الكتب غير مثيرة ، ويستمع الى موسيقى هادئة لو اراد .. والبعض يحب أن يستحم بماء دافىء قبل النوم ... ويجب أن لا يضيق الانسان ذرعا بانه لم ينم لبعض الوقت ويعتقد أن هذا ربما يؤدي الى عواقب وخيمة ، فان هذا الشعور وحده يسبب أرقا شديدا ..

ولا بد من وقفة نحلل فيها دور المهدئات .. والمنومات التي انتشر استعمالها في الآونة الاخيرة .. فالمنومات لازمة في بعض الامراض العضوية التي تسبب ألما للمريض ، وفي بعض الامراض العقلية حتى يعطى المريض وقتا للنوم الى أن يتغلب على حالته ويعود الى حالته الطبيعية ، وعندها يوقف استعمال هذه المنومات .

والمنومات كثيرة ومتعددة ، وكل يوم يطرح منها اعداد وأعداد في الاسواق ، حتى أصبحت وكأنها لازمة من لوازم حياتنا العصرية ، وقد انكب الناس على استعمالها دون تبصر حتى انه للحد من كثرة استعمالها فرضت بعض الحكومات قيودا وقوانين صارمة على ذلك ، ولكن كثرة التحايل أيضا جعلها سهلة وفي متناول الجميع ، وأصبحت التوعية لاستعمالها هي الامل الوحيد في أن يجعل الفرد يبتعد عنها ويستعملها فقط عند الحاجة وبنصح الطبيب .

وتجد على النقيض أناسا يرهبون استعمال هذه المنومات رغم حاجاتهم اليها ، ويعرضون أنفسهم لارق شديد ربما أثر على صحتهم .

المنومـــات

والمنومات على أنواع مختلفة منها ما يؤثر لفترة طويلة ، ومنها متوسط التأثير ، ومنها ما يسبب النوم لعدة ساعات قليلة ، ويختار منها الطبيب النوع الذي يلائم كل مريض ، ويحدد الجرعة التي لا بد أن يتعاطاها والمدة التي يمكن له أن يستمر على استعمالها . لا أن تعطى جزافا وبدون تقييد ، لذا كانت الرقابة عليها شديدة ، ولا ينصح لأي انسان أن يستعملها دون استشارة الطبيب . والبعض منها طويل التأثير يسبب دوارا في الصباح ، حتى أن الشخص لا يمكنه أن يستيقظ نشطا أو أن يزاول عمله في الصباح . بل وربما أدى بعضها الى عدم القدرة على الاتزان والتركيز مما قد يؤدي الى حوادث وخيمة .

ومن امثال تلك المنومات القوية مشتقات حامض البربتوريك Barbituric acid والمعروفة باسم البربيتيورات Borbiturates ومنها اللومينال Luminal ، والسيكونال Ceconal والنمبوتال Nembuta وغيرها كثير .

وتجدرهنا ملاحظة مركب يسمى دوريدن Doriden وهو من المنومات القوية ، ولابد عند استعماله من استشارة الطبيب ولفترة قصيرة جدا لا لشيء الا لقطع حلقة عدم النوم يعود بعدها

الانسان الى حالته الطبيعية .. والسبب في اني اشرت الى هذا المركب بالذات ، وما شابهه انه فيحالة استعماله لفترة طويلةفانه يسبب الادمان، ولا يمكن لمن ادمن عليه ان يستغنى عنه الا بعد علاج شاق ، وربما فشل هذا العلاج مرات ومرات ويصبح المدمن اسير هذا المركب . وكم شاهدت من ماس بسبب هذا الادمان ، فلا عجب اذن من ان احذر من استعماله .

وهناك منومات خفيفة التاثير تستعمل لمرض الشيخوخة حيث ان الواحد من هؤلاء لا يمكنه ان يتناول المركبات القوية لانها ربما ادت الى ان ينام اياما لا يفيق منها مما يسبب له مضاعفات اهمها الالتهاب الرئوى الذى ربما اودى بحياته ، او ربما عرضهلمخاطر تنتجعن فقدان وعيهكالوقوع من على سريره ، او عند ذهابه الى الحمام وغير ذلك من الحوادث التى نسمع عنها ونشاهدها ونحس بماسيها . ولعل انسب المنومات لهؤلاءهى مركبات البروميد Bromides والفلريانا Valeriana والكلورال هيدريت Chloral Hydrate ومركبات الكوداين . او بعض الأدوية التى تعطى ضد الحساسية فانها تكون بمثابة منوم عند كبار السن . ولم اتطرق لاقوى المنومات وهى مركبات الافيون اذ انها لا تعطى الا فى حالات خاصة وبواسطة الطبيب نفسه ، وكذلك مركب البارالديهيد Paraldehyde اذ ان كل هذا تحت الرقابة الشديدة ، ولابد من تدخل الطبيب فى مثلهذه الحالات التى تحتاج لمثل هذهالمنومات.

المهدئـــات

وقد انتشرت فى ايامنا انتشـــارا ذريعا حتى اصبح لا يخلو منها بيت ، وكانها اقراص حلوى لا يستغنى عنها الناس وما اسهل ان يطلب زائر من اهل البيت الذى يستضيفه قرصا مهدئا ، وكانه يطلب قرص اسبرين ، وما هذا الا لتوتر الاعصاب الذى يسود فى ايامنا ، والمتاعب التى يقاسى منها ، رغم المدنية والحضـــارة المتقدمة التى نحيا فى كنفها ، وكل يوم يظهر امام الناس نوع من المهدئات تصحبه دعايات واسعة من انه لا يؤدى الى الادمان ولا يضر بالصحة، وغير ذلك من الدعايات . والذى احب ان اوضحه هنا للقارىء انه من الواجب ان تستعمل هذه المهدئات تحت اشراف الطبيب او باستشارته . ولا يؤخذ بما يكتب عنها من دعايات . ورأى الطبيب هنا من الاهمية بمكان حيث يحدد مقدار الجرعة ومدة استعمالها .

والمركبات المستعملة لا تحصى ولا تعد ولكنها كلها تعمل على الجهاز العصبى المركزى وتكون نتيجتها تهدئة التوترات العصبية مع اســـترخاء العضلات فى الجسم ، وبذلك تعيد اســـتعداد الجسم للنوم ، ومن هنا كان استعمالها اخفخطاة من المنومات وفاعليتها فى الجسم محدودة . وكما قلت تختلف الجرعة من شخص الى شخص، فربما نام شخص باستعمال قرص ٢ مللجرام منالفاليوم Valium ،واخر لا يتاثر حتى باستعمال ٤٠ مللجرام من هذا المركب . لذا كان دور الطبيب هاما فى تحديد الجرعة . ثم المدة التى يحددها الطبيب اذ انه فى بعض الحالات تكون لبضعة ايام او حتى لبضعة اسابيع الى ان يزول التوتر العصبى الذى يعانى منه المصاب.واحب ان اطمئن القارىء الى ان اســـتعمال هذه المركبات لفترة قصيرة يحددها الطبيب لا تؤدى الى الادمان كمـا يعتقد البعض ولا داعى المقلق من استعمال هذه المركبات للفترة التى يحددها الطبيب ، واناالذى يدمن على استعمال هذه العقاقير هو من يتعاطاها لشهور او سنين . وبمقدار كبير ، وذلك كل ليلة دون ان يستغنى عنها . ونصيحتى لمن يستعمل هذه المهدئات فى فترة معينة ان يغير نوعها من نوع الى آخر حتى لا يتعود الجسم على نوع محدد منها وبذلك لا يحدث الادمان .

ويحسن بكل فرد منا ان ينظر الى ما يقلقه ويسبب له الأرق ، وحل مشاكله بنفسه ، متوكلا على خالقه ، فانه سيجد من ليله سكنا مريحا ، ويعرف جسده طعم الراحة والنوم العميق ،الذى يفيق بعده ،فيجد نفسه فى غاية النشاط ليستقبل يومه بصدر منشرح ، وأمل دافق .. ونظــرة للحياة كلها بشر وسرور . ■■

د . محمد محمد ابو الشوك



في شبه الجزيرة العربية

بقلم : الدكتور عمر دراز

في الماء الحـياة ، وفي الارض الخـير ٠٠ ففي قلب تراب الارض ننثر الحب ، ومن جوفهانمتص الماء لنروى به زرعنا ونرتوى ٠٠ وهذه قصة الحمى في شـبه الجزيرة العربية ٠٠ قصة مياهها وارضها ومراعيها ٠٠وهي الأصل ، فهي قد سبقت ثروات الارض المعدنية ٠

■ المراعي منذ القدم هي الطابع المميز لصورة الحياة في الجزيرة العربية ، وكان استئناس الانسان للماعز والضأن فيهذه المنطقة ثم مزاولته للعمليات الزراعية ، بداية لتخلص الانسان من اضطراره لمزاولةصيده اليوميللحصول على قوته٠

ومن ثم بدأت آثار وجوده تظهر على بعض مظاهر الطبيعة بقطعه للاشجار والرعي الجائر لقطعانه٠ وقد تضاعف ذلك بازدياد عدد السكان ، ثم بدخول عوامل اخرى استجدت في القرن الحالي ،كفلاحة الاراضي الهامشية (حرثها) للتوسع فيالزراعات

الفعلية ، ثم سهولة المواصلات بالسيارات والشاحنات الى مناطق الرعي ، فكان لذلك آثاره المدمرة على الغطاء النباتي في مناطق شاسعة ، واصبح هطول الامطار على هذه الاراضي العارية يسبب سرعة تجمع السيول وضياع مياهها في البحار او المنخفضات الداخلية ، مكونة الملاحات والسبخات وتاركة من خلفها عوامل الدمار عوضا عن الخير وزيادة الانتاج ٠

ولم تكن هذه الآثار نتيجة لعوامل الطقس ونقص الامطار كما يظن البعض ، بل ان هناك من الادلة ما يشير الى ان مناخ هذه المنطقة ، الى ما قبل ميلاد المسيح ، كان دائما يتذبذب حول معدل لا يختلف كثيرا عما نراه بين سنوات الجفاف وسنوات المطر في عصرنا الحالي ٠

واظهرت البحوث والتجارب خلال العشرين سنة الماضية ، ان الامكانات المادية والفنية لبرامج تحسين المراعي ليست بالامر العسير ،وكانت العقبة الرئيسية في سبيل ذلك هي طول ما اعتاده البدو من الرعي الجائر المباح ، دون قيود او نظم ٠ وذلك الى ان سنحت بارقة امل من خلال عثور الكاتب على بقايا نظام للرعي قديم بالمملكة العربية

وأثره في تحسين المراعي وصيانة التربة وايقاف زحف الصحراء

السعودية ، يعرف «بالحمى» امكن تطويره ليناسب ظروف العصر في برامج رائدة،ومن ثم امكن التوسع في تطبيقه تدريجيا في برامج موسعة لتحسين المراعي ٠

والاحمية (جمع حمى)تنظيم قديم لصيانة وحسن استغلال المراعي ، نشأ في شبه الجزيرة العربية ٠٠ وربما كان اقدم سياسة رعوية في العالم ٠ وتختار القبائل او اهل القرى او الافراد مناطق « الحمى » ، ويحظرون الرعي فيها ، الا بشروط ووفق انظمة خاصة ، قد تختلف من مكان لآخر ، وذلك بغرض توفير الكلا والمحافظة على المراعي او الاشجار بصفة عامة ٠ وتستند حمايتها الى تقاليد واعراف تتضمن جزاءات للمخالفين ،ويكفي للدلالة على قوتها ما يتضمنه مأثور القول « من حام حول الحمى اوشك ان يقع فيه » ويذكر بقصد التحذير والابتعاد ٠

وقد حاول الكاتب خلال فترة عمله كخبير للمراعي بالمملكة العربية السعودية من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ دراسة اسس هذا الموضوع ، وحاول زيارة بعض الاحمية المشهورة في التاريخ مثل « حمى كليب » الذي كان التعدي عليه – في الزمن الجاهلي – بدخول ناقة واحدة في نطاقه ، سببا في قيام حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وقد استمرت اربعين عاما ٠٠٠ او مثل « حمى النقيع » الذي حماه الرسول (صلعم) او « حمى ضرية »، اكبر حمى في الاسلام ، حماه الخلفاء الراشدون ٠٠٠ وغير ذلك مثل « حمى حايل » و حمى « سبحى » و « حمى الغرمة » ٠٠٠ الا ان الكاتب وجد انها جميعا قد توقفت حمايتها ، منذ امد طويل او قصير ، ولم يبق فيها من النبات او الاشجار ما يميز صورتها عما يجاورها من المناطق ، اي انه بانتهاء حماها تعرضت الى ما حاق بما حولها من تدمير شامل لاشجارها ونباتها ، بحيث اصبحت ضمن ما يعرف الآن باسم « صحارى صنعها الانسان » ٠ وطبيعي ان تدهورها هذا قد حدث نتيجة لسوء الاستغلال بالرعي الجائر وتقطيع الاشجار والشجيرات وما اعقب ذلك من تآكل او تعرية في التربة ٠

ولقد تجمع لدى الكاتب الكثير من المعلومات عن بعض هذه الاحمية مما يؤكد انها كانت الى عهد قريب ، ضمن ما يحميه الامراء والحكام ، الى ان اوقف حمايتها منذ سنوات واصبح رعيها مباحا ومشاعا للناس جميعا ، تنفيذا لقرارات حكومية مما سنشير اليه ٠

« حمى بني سار »

وقد كانت محض مصادفة اثناء سير الكاتب في احد الدروب الموصلة بين الطائف وبلدة بلجرشي، ان لاحظ وجود منطقة تكاد الاعشاب تغطيها غطاء كاملا ، واذ بنا على اطراف واحد من اهم الاحمية

المتبقية بهذه البلاد ، ويعرف باسم « حمى بني سار » ٠

ولقد امكن جمع بعض المعلومات عن هذا الحمي، تتلخص في ان الحمى كان، لبني سار » منذ القدم، وانهم كانوا قد اختلفوا في امره مع « بني حسن » ثم احتكموا الى « الشريف حيدره » مندوب « الشريف حسين » ، فحكم لبني سار بان لهم « المسيكة » وهي منطقة الحمى الحالية ٠ ومن يومها اصبحت « المسيكة » مرة اخرى ، حمى « لبني سار » فجعلوا لاستغلالها نظاما مرسوما ، تدلعلى سعة فهم لطبيعة المراعي ووسائل تحسينها ٠

واعتمادا على ذكر اسم الشريف حيدره ،والى بعض البيانات الاخرى يمكن القول ان هذا الحمى قد اصبح مصونا منذ العشرينات من هذا القرن ٠

وقد امكن دراسة منطقة « حمى بني سار » واتضح ان مساحته تتراوح ما بين ٨٠٠ الى ١٢٠٠ هكتار ، ويقع الى الشمال من بلجرشي ، فيمنطقة جبلية ، ضمن بيئة نباتية ينمو فيها العتم (اى شجرة الزيتون البرية) ، وقد يكون ارتفاعالمنطقة عن سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ متر ومتوسط ما تناله منالمطر سنويا مابين ٣٠٠ الى٥٠٠ ملليمتر٠

والصور الفوتوغرافية التي اخذت للمنطقة ،في داخل الحمى وفي خارجه ، تظهر الفارق الكبير في كثافة نوع الغطاء النباتي في كل منهما ، فبينما كان في داخل الحمى كثيفا ومكونا من حشائش رعوية معمرة او مستديمة ، مع قليل من الاشجار والشجيرات (واكثرها مما لا يصلح غذاء للماشية) ازداد عدد هذه الاشجار والشجيرات خارج الحمى مع قليل من بقايا الحشائش ٠

وقد كانت اهم النباتات المنتشرة في داخلالحمى هي النجيل المعمر Themeda triandra الذى يعتبر من اهمنباتات الرعي بالمنطقة ٠

اما في خارج الحمى فكانت اكثر النباتات انتشارا شجيرات الشث Dodonia viscasa وهي لعدم قابليتها للرعي وجدت الفرصة المناسبة لتحتل مكان الحشائش المختلفة التي ازيلت نتيجة للرعي الجائر ، وهي في ذلك تنتشر لتملأ الفراغ الذى تركته النباتات المستساغة ٠

حمى وادي حريملاء ٠٠
٠٠ صورة من بادية نجد قديما

وقد توالى عثور الكاتب بعد ذلك على عدد كبير من الاحميةوقد تكون الاشارة الى حمى «وادي حريملاء » لها قيمتها العلمية والعملية ، اذ ان هذا الحمى يقع الى الشمال الغربي من مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، وعلى بعد حوالي ٨٠ كيلو مترا تقريبا ، والبيئة هناك تمثل قلب منطقة نجد ، وتظهر لنا صورتها الحقيقية في ماضيها القديم الذى استمر ربما الى عهد قريب ، وكان موطنا تكاثر فيه « الحصان العربي » ، كما انتجت اغنام وابل نجد المعروفة، وكانت هذه كلها عناصر تكون الخلفية الضخمة وراء الانسان العربي في فتوحات المغرب والمشرق٠

ان المنطقة المحمية من الوادى ، مع قلة ماتناله من امطار ، قد لاتزيد في معدلها السنوى على ١٠٠ ملليمتر (٤ بوصات) ، تظهر اثر حماية الاشجار والنباتات فيزيادة كثافة الغطاء النباتي، كما تظهر لنامقدرة الطبيعة فيالاستجابة للحماية، ويتضح ذلك بجلاء اذا ماقورن الجزء المحمى من الوادى بالجزء المباح منه (اى الذى لا تشمله الحماية) ثم بمقارنته بالوديان المجاورة لوادى حريملاء ، او المقابلة له على الجانب الآخر من المرتفع الذى يشكل حوض الوادى ٠ والفرق في عدد وكثافة الاشجار والشجيرات والاعشاب النامية بالحمى وفي خارجه واضح وكبير ، مع ان المنطقة لم تحم الا منذ حوالي عشرين سنة قبل زيارة الكاتب لها. ، وكان واضحا ان سنوات الجدب التي مرت بالمنطقة كلها ، لم يكن لها اى اثر ضار بالغطاء النباتي بمنطقة الحمى ٠٠ وجدير هذا بان ينال عناية البحاث والدارسين العرب ٠

وقد امكن للكاتب ان يحصي اكثر من ٢٨٠٠٠ شجرة من اشجار الطلح Acacia Sp. وذلك على طول مسافة اربعة كيلو مترات (وهي طول المنطقة المحمية) وفي عرض حوالي كيلو متر واحد ٠ ولم يشمل الحصر الروافد او الوديان الجانبية التي تصب في وادى حريملاء، ولم يكن هناك في الجزء غير المحمي من الوادى ، او في الوديان المجاورة شيء للمقارنة اذ كانت ارضا جرداء قاحلة ، تنبت بعض الحوليات في الشتاء والربيع لتجف لم تذرو الرياح ما تبقى منها ، ولتلهب الشمس اديمها باشعتها المحرقة فتزيل من التربة ما تبقى من الرطوبة او من البقايا العضوية ، ولم تكن الوسائل الاخرى التي اقيمت على بعض

الوديان المجاورة ، كصيانة للمياه والتربة ببناء العقم او السدود الصغيرة لتغني او تعوض عن حماية النبات للارض .

حمى الغضا ..
.. الى جوار عنيزة

ولقد صادف الكاتب فيمنطقة عنيزة ، بالقصيم، في وسط نجد نوعا آخر من الحمى تنفذ فيه الحماية عن طريق اوامر من امير المنطقة ، وقد اقتصرت الحماية هناك على منع قطع اشجار « الغضا » Haloxilon Persicum فى منطقة تغطيها الرمال الى جوار المدينة .

ولو لم يحظر تقطيع هذه الاشجار المعروفة بجودة حطبها كوقود . او فى صنع الفحم★ . لانتهى امر هذه الاشجار الى الانقراض لقربها من المناطق الماهولة بالسكان ،ولما امكن السيطرة على تحركات الرمال ، ومنع زحفها الى المناطق الزراعية المجاورة .

انواع ووسائل استخدام « الحمى »

تختلف طريقة استعمال الاحمية ، فقد يمنع رعيها اطلاقا ، ويسمح فيها بجمع الحشائش والاعشاب فى مواسم محددة ،او فى اوقات الجدب، وفى هذه الحال يحدد عدد الافراد الذين يسمح لهم بجمعها ، كما تخصص ايام للرجال واخرى للنساء .

وقد يسمح بالرعي فى بعض الاحمية فيمواسم خاصة ، او قد تخصص لانواع محددة من الماشية كالابقار وذلك فيما يجاور المناطق الزراعية ، فتحمى من رعى الاغنام والماعز والجمال لقدرتها على الترحال الى مراع نائية .

وقد تكون الحماية للمروج والمراعي فى موسم الربيع والازهار لتوفير غذاء النحل ليخرج من بطونها العسل ﴿شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس﴾ وقد كانت هذه الاحمية منتشرة الى الجنوب من الطائف الىما قبل عهد الرسول (صلعم)

ويروى انه اقر حمايتها ومنبعده خلفاؤهالراشدون على ان يقدم صاحب النحل عشر انتاجه لبيت المال نظير استخدام النحل للحمى .

وهناك احمية الشجر ، ومن اشهرها « حمى بنى سعد » ببنى مالك ، لاشجار العرعر Juniperus procera وهذه عادة ما تكون منفعة عامة لاهل القبيلة او القرية فتقطعاشجارها لتغطية نفقات بناء مسجد او مدرسة او ازالة آثار نكبة او حريق او دفع دية ... والى غير ذلك من اغراض اجتماعية او اقتصادية . وقد سبق الاشارة الى حمى حريملاء لشجر الطلح وحمى عنيزة للغضى ، كنماذج ، وكلها اغراض للعرب فيها قصب السبق منذ القدم ، سواء فى مجال حماية الطبيعة والنبات ، او صيانة المياه والتربة ... مهما ادعى المدعون فى الغرب او الشرق .

واخيرا فقد كان للحمى عند العرب فى الاعداد لاداة الحرب ما للبترول فى عصرنا الحالى . وقد لا اكون مبالغا فى القول بان الحمى يمكن ان يصبح وسيلتنا المقبلة فى صيانة اراضينا وزيادة خصبها وانتاجها ... وفى ايقاف زحف الصحراء.

الحمى .. والمرج الاخضر .. والمحمية .. والمراح .. والكوز ... في سوريا

هناك ما يدل على سابق انتشار الحمى فى سوريا فى اكثر من منطقة . فقد اشار شبلى العيثمى فى كتابه عن « جبل العرب » الى ما كان من وجود «حمى عرمان» الى جوار القريا بمحافظة السويداء الى عهد الاحتلال الفرنسى ، ويؤيد مدى انتشار الحمى هناك الى عهد قريب الكثيرون من المسنين فى جيلنا هذا .

ويسجل التاريخ بالفخر للعرب ما قام به القائد نور الدين الشهيد « الايوبى » (جامعه ومقامه فى سوق الخياطين بدمشق) اعترافا منه بالفضل لصاحب الفضل ، حتى ولو كان حيوانا اعجم ... وذلك بما وقفه من مساحة ارض عرفت باسم « المرج الاخضر » واستخدمت ملجأ ومراحا ومغذى

★ وفى ذلك قول ابى العتاهية :

رأيت الهوى جمر الغضى غير انه على كل حال عند صاحبه حلو

للخيول المسنة او المريضة ، (وعلى ظهورها كان بعض كفاحنا وانتصاراتنا) ، واستمر حماها لهذا الغرض حوالى سبعة قرون من الزمان ، الى ان امتد فوقها عمران مدينة دمشق ، فاقيم ضمن هذا « المرج الاخضر » معالم حضارية اخرى تشمل ساحة المرجة ودار الآثار ومعرض دمشق الدولى والملعب البلدى ومطعم الشرق • واستملكت الدولة جزءا منه والآخر لا زال مؤجرا من وزارة الاوقاف • وجدير بنا ان نخلد ذكـر ذلك بتخصيص ايراد الوقف لما خصص له ، اعترافا بالفضل لصاحب الفضل من رجالات العـرب ، ثم لتحقيق غرضه النبيل •

ولقد عثر الكاتب غير ذلك على عدد من الاحمية ، بعضها يجاور الحدود اللبنانية الى القـرب من حمص ، ومجموعة اخرى فى اقصى الشمال الشرقى على الحدود التركية العراقية •

ففى المنطقة الاولى زار الكاتب على مقربة من قرية الحاوى على جبـل اكوم (معدل امطارها حوالى ٣٠٠ مم) منطقة كانت تنتشر فيها ،تربية الماعز فى وحدات تعرف الواحدة باسم « المحمية » او « المراح » ، ولا يزال متبقيا من هذه الوحدات حوالى ٣٠ وحدة ، فى حين قد قضى على العديد منها على امتداد سلسلة الجبال شمالا ، ولكنها ازيلت بعد صدور قانون منع رعى الماعز فى هذه المناطق الحراجية الجبلية • وكانت النتيجة ان اصحاب هذه المحميات قطعوا اشجارها كحطب للوقود او حولوه الى فحم نباتى •

ومع ان هذه المحميات المتبقية (ويملكها حاليا لبنانيون) ، هى قانونا ، مما يخالف النظام الذى صدر بمنع رعى الماعز فى المناطق الحراجية فى عام ١٩٥٨ ، يمكن استخلاص بعض النتـائج من وجودها ،وذلك ان اشجار السنديان والزعرور التى نمت وترعرعت ضمن هذه المحميات ، لاشك قد امكن الحفاظ عليها وصيانتها بشكل افضل ضمن حـدود هذه المحميات ، دون ان تتأثر الاشجار بوجود الماعز لانها كانت تحمى وتصـان ضمن المحميات لتوفير بعض غذاء الماعز فى بعض فصول السنة ، فى حين ابيدت وانقرضت تقريبا كافة الاشجار فى المحميات التى اوقف حمايتها بحكم القانون ، وتركت مكانها لشجيرة البلان الشوكية Poterium spinosum التى ليس لها قيمـة رعوية • وطبيعى ان ذلك قد حدث نتيجة تقطيع الشجر ، وليس نتيجة لرعى الماعز ، بدليل ماحدث من صيانة للاشجار فى المحميـات القليلة التى استمر فيها رعى الماعز الى الآن فى ظل «الحمى» •

واما المنطقة الثانية ، فكانت فى اقصى الشمال الشرقى من الجزيرة السورية ،الى جوار القامشلى والمالكية (وامطارها ٣٠٠ الى ٦٥٠ مم) فلقد شوهدت مظاهر تدل على وجود نوع او اخر من الحماية للنبات هنا ،كظهور مساحات من الاعشاب المستديمة او المعمرة المستساغة ، لا يمكن ان تظهر الا فى ظل الحماية • ولقد تكررت استفسارات الكاتب عن ذلك الا ان الاجابة كانت تاتى دائما بنفى او انكار وجود اى نوع من الاحمية فيها ، وكان اهتمام الكاتب بهذه المناطق سببه انتشـار نبات معمر من التجيليـات الرعوية يعرف عند الاكراد من سكان هذه المنطقة باسم « الجياخون » اى حشيشة الدم (لوجود احمرار على الاجـزاء القريبة من الارض من اوراقه واغصانه) وهو من نبات المراعى الممتازة التى ادخلت الى استراليا ، واصبح من اهم مكونات المراعى فى جنوب غرب استراليا واسمه العلمى Phalaris tuberosa والى جوار « الجياخون » شـوهدت مناطق اخرى يغطيها نجيل اخر لايقل عنه اهمية ، ويطلق عليه حاليا اسم « شافر » واسمه العلمى Chrysopogon gryllus.

وقد اتضح للكاتب فيما بعد ان السكان يخفون معلوماتهم عن هذه المحميات لظنهم انها لا تستند الى قانـون ، او انهـا قد تتعـارض مع بعض التشريعات المستحدثة • والتسـمية المحلية لهذا النوع من الحمى هى « الكوز » وهو لفظ كـردى معناه « الحمى » •

والجدل •••• فى تونس

وفى صدد بحث عن تحسين المراعى فى القيروان جنوب تونس وامكان تطوير « الحمى » ليصبـح محور سياسة لصيانة المراعى ، علم الـكاتب من بعض المختصين هناك بوجود صورة اخرى عن «الحمى» لا تزال مستخدمة فى بعض ربوع تونس ، وقد قيل ايضا انها موجودة فى اجزاء اخرى من المغرب ، ولعلنا نتلقى مزيدا من المعلومات فى هذا الشأن •

اهمال الاحمية ونتائجه

كان لاباحة الرعي في غالبية الاحمية بالجزيرة العربية ، ان تدهور غطاؤها النباتي ، وبالتالي ازداد انجراف التربة ونقصت قابلية الارض لامتصاص مياه الامطار وازدادت سرعة تجمع المياه في شكل سيول جارفة ، ولو كانت السفوح والوديان قد احتفظت لها بغطائها من الاعشاب والاشجار ،لكان تجمع السيول فيها هينا، وفترات جريانها اطول ولازدادت نسبة ما يتسرب من الماء في باطن الارض ، ولما نضبت الينابيع الجارية ولامكن الحفاظ على السدود والعقم والركبان التي انشئت على مر السنين في ظل غطاء نباتي اكثر كثافة مما هو عليه الآن • ويمكن القول ان ما حدث من تدهور في هذه المناطق تم اكثره في خلال هذا القرن الاخير من الزمان • وطبيعي ان اي برنامج لاعادة الحياة لهذه المناطق لابد له لكي ينجح ، ان يشمل من الوسائل ما يكفل صيانة الموارد الطبيعية الثلاث : التربة والمياه والنبات •• ولم يكن من الصعب ملاحظة العلاقة بين احمية المراعي وصيانة موارد المياه الجوفية في بعض انحاء الجزيرة العربية • وهناك ادلة كثيرة تشير الى ادراك العرب القدامى لاهمية الجمع بين انشاء الاحمية وبناء السدود •

الاحمية في الشريعة الاسلامية

يمكن القول ان هناك اعترافا باهمية الاحمية كضمان لقوة المسلمين وعزتهم ، فلقد روى احمد ابن حنبل بسنده عن الصعب ابن جثامة أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى « النقيع » والنقيع مكان معروف من ارض المدينة• وقال « لا حمى الا لله ولرسوله » وتفسير قوله ، انه يصبح للوالي او الحاكم او ولي الامر الحاكم بشريعة الرسول ، ان يقر الحماية للمراعي في الاراضي الحكومية غير المملوكة ملكا خاصا ، وذلك في حدود المصلحة العامة للمسلمين •

وقد زار الكاتب وادي النقيع الذي حماه الرسول (صلعم) ولاحظ الفارق الكبير بين حالته ايام الرسول (صلعم) كما وصفت في كتاب « وفاء الوفا باخبار دار المصطفى » من انه كان ينبت البقل والطرائف ، ومن ان نبته يستاجم ••

اي يغلظ حتى يبدو كالاجمة ،يغيب فيها الراكب•

وقد وجد الكاتب ان ماذكر من الانواع النباتية لازال الى الآن ينبت في نفس الوادي ، غير انها تبدو ضئيلة الحجم ، قليلة العدد لا تخفي راكبا ولا جالسا،نتيجة لاساءة استعمالها بالرعي الجائر وتقطيع الشجر •••••

ولقد ذكر الامام الشافعي رضي الله عنه في تفسير قول الرسول (صلعم) لا حمى الا لله ولرسوله قال « كان الشريف من العرب ، في الجاهلية اذا نزل بلدا في عشيرته استعوى كلبا ، فحمى لخاصته مدى عواء الكلب ، لايشاركه فيه غيره فلم يرعه معه احد ، وكان شريك القوم في سائر المرابع حوله ،قال : فنهى النبي (صلعم) ان يحمى على الناس كما كانوا في الجاهلية يفعلون » •

ولا جدال في ان هذا النوع من الحمى الجاهلي امر لا يقره احد ، وينطبق عليه ما جاء بالحديث الشريف •• « ثلاث لا يمنعن : الماء والكلا والنار » (رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة)•

وعن سعد بن ابي وقاص انه وجد غلاما يقطع الحمى فضربه وسلبه فاسه ، فدخلت مولاته او امراة من اهلهعلى عمر رضى الله عنه فشكت اليه سعدا ، فقال عمر رد الفاس ابا اسحاق رحمك الله ، فابى وقال لا اعطي غنيمة غنمنيها رسول الله (صلعم)،فاني سمعته يقول «من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه » ، فاتخذ من الفاس مسحاة فلم يزل يعمل بها في ارضه حتى توفي (من فتوح البلدان) •

والثابت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمى « الربذة » و « ضرية » وقد روى البخاري ومالك ان عمر بن الخطاب استعمل مولى له يُدعى هنيا على الحمى فقال « يا هني اضمم جناحك عن المسلمين ، واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة ، واياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان ، فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعا الى نخل وزرع وان رب الصريمة ورب الغنيمة ان تهلك ماشيتهما ياتني ببنيه فيقول : يا امير المؤمنين » افتاركهم انا لا ابا لك ، فالماء والكلا ايسر من الذهب والورق ، وايم الله انهم ليرون اني قد ظلمتهم انها لبلادهم ، فقاتلوا عليها في الجاهلية

واسلموا عليها في الاسلام ، والذى نفسي بيده لولا المال الذى أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا » ٠

وكان هذا الحمى يمتد (على حد ما ذكر في معجم ما استعجم للبكرى) الى مسافة ستة اميال منكل ناحية منواحي ضرية (الميل مسافةليس لها حد معلوم ، وقيل انه قدر منتهى مدى البصر من الارض) وقد زيدت مساحة الحمى بعد ذلك في عهد عثمان ، وذلك عندما زاد عدد مايه من الجمال والخيول على اربعين الفا ٠ وقد يعطى هذا الرقم فكرة عن مساحة هذا الحمى والمسافة بين ضرية والمدينة تقدر بحوالى (٢٥٠) كيلو مترا تقريبا، وهى طول الحمى ٠

وهذا يدل على ان الامام لا يحمى لنفسه ،وفى انه لا يمنع رب الغنيمة والصريمة (اى صاحب الابل والغنم القليلة) مناستعمال الحمى لفقرهم ورافة بهم ٠٠ فى حين منعت نعم (اى ماشية) ابن عوف ، ونعم ابن عفان لوجود ما يغنيهم بما يملكون من النخل والزرع ، وفيهما يمكن تدبير المرعى او المغذى عند الحاجة ، ويفهم من قول عمر ايضا ان للوالى ان يحمى من بلاد او ارض شعبه ما يرى ان فيه صالح الامة ٠

وقد ذكر ايضا فى معجم ما استعجم للبكرى ، ان عمر بن عبد العزيز كان لا يؤتى باحد قطع عودا واحدا من الحمى شيئا وان كان الا ضربه ضربا وجيعا ٠

وعلى هذا فانه اذا اتضح لولى الامر والمسؤول عن الامة ان فى حمى الشجر والعشب والكلا — فى مناطق معلومة ، وتنظيم رعيه والانتفاع به ، — نفعا للمسلمين ومصلحة عامة للجميع ومن ان هذا الحمى الذى نقصده ونسعى الى التوسع فيه، ليس كحمى الجاهلية الذى اشار اليه الامام الشافعى ٠٠٠ فانه يصبح امرا يقبله الشرع ويدعمه ، طالما ان فيه خير المسلمين ونفعهم وعزة امتهم ٠٠٠ وهذا هو نفس ما اتبعه الرسول (صلعم) بحمـاه للنقيع ثم بما نفذه من بعده خلفاؤه الراشدون ٠

وهناك من الفتاوى الشرعية الكثير ، مما يؤيد هذا الراى ، وهو يتفق مع ما جاء به الاسلام من دعوة الى حماية الشجر ، مما لا مجال الىتفصيله هنا ٠

تطوير نظام الحمى
ضمن برامج تنمية المراعى

كان نظام الحمى واسع الانتشار فى اجزاءمتعددة من الجزيرة العربية ، وما زال موجودا فى اماكن محدودة من المملكة العربية السعودية واليمن الشمالي والجنوبي وعمان وسوريا ، حيث نشا فى هذا الجزء من العالم ٠

ومن ثم ، فهو نظام المرعى يلائم هذه البيئات الجافة او شبه الجافة ، ويمكن التوسع فى تطبيقه فى البلاد العربية كبديل لبعض ما يمارسه الرعاة الان من رعى طليق مدمر ، كما يعتبر سياسة لتنظيم حماية المراعى ، فيما يراه الخبراء اهم وسيلة لتحسين المراعى ٠

وكانت اوضاع « الحمى » قد اهتزت فى المملكة العربية السعودية بعد فترة من الغموض عقب صدور امر ملكى فى عام ١٣٧٣ هجرية (اى منذ اكثر من عشرين عاما) بايقاف « الحمى » وجاء ذلك فى صورة كتاب موجه الى سمو الامير فيصل (خالد الذكر الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله) ووزع على امراء المناطق بالمملكة، والتبس الامر عليهم فى شان تطبيق الامر ، فجاءهم الرد برقيا ، بالراى الثاقب ، من سمو الامير فيصل (رحمه الله) موضحا بان الامر الملكى يطبق فى شان الاحمية الحكومية ، ولا يشمل الاحمية الخاصة ، فهذه مرجع امورها الى الشرع ٠ وقد استقرت اوضاع الحمى بعد ذلك بالمملكة تدريجيا، وخاصة بعد الذى اقرته الدولة بخصوص اقتراح للكاتب من وضع جزء من « حمى سيسد » الواقع على مقربة منمدينة الطائف تحتالاشراف والتوجيه الحكومى ، وقد تم ذلك فى عام ١٩٦٥ ٠٠ وجعل منه مركزا تجريبيا لتحسين المراعى وقد عاون الكاتب فى وضع بعض اسسه العلمية ٠ وقد اتضح اثناء زيارة اخيرة للرياض بان التطور والتقدم النباتى والبيئى فى حمى سيسد خلال هذه الفترة المحدودة من الزمان كان عظيما ، وخاصة بالنسبة لسرعة تكاثر ونمو نبات «الروثة» Solsola Lancifolia و S. Vermiculata وهى نبت كريم يعتبر من اهم الشجيرات الرعوية فى كثير من مناطق المملكة (بل وفى الجزيرة العربية عامة) وله قيمته الغذائية وتقديره العالى بين الرعاة ، وهذا يوضحه ما يروى ويتندر به ، منان

راعيا بدويا من قبيلة «الرولة» ، طلب اليه مرارا وتكرارا ان يصلى ليدخل الجنة ··· وان الجنة للمصلين ··· فما كان منه الا ان اجاب مستفهما . وهل فى الجنة رولة ···· ؟؟ » .

ولقد بذلت الحكومة السورية فى السنوات الاخيرة (بمعونة فنية من منظمة الاغذية والزراعة وبمساعدة برنامج الغذاء العالمى التابعين لهيئة الامم المتحدة) جهودا كبيرة فى مجال استقرار البدو ورعاية اغنامهم فى البادية بالافادة من نظام « الحمى » وتطويره فى صورة تعاونيات رعوية تتفق وتتمشى مع متطلبات العصر ، وذلك من خلال عدد من المشروعات ، كان فى مقدمتها ادخال حماية المراعى فى ٢٠٪ من اراضى البادية، وذلك بانشاء وحدات انتاجية لتحسين المراعى وتربية الاغنام على شكل احمية للمراعى ضمن نظام تعاونى متطور ، يتم انشاؤها حول مراكز تقيمها الدولة كمراكز ارشادية · وقد اقرت الدولة ضمن برنامجها الانمائى ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ ان ينشا فى كل محافظة وحدة حكومية من هذا النوع ، ويقام من حولها التعاونيات والاحمية ·

وقد تم للآن انشاء عشرين جمعية تعاونية متخصصة لتحسين المراعى وتربية الاغنام (او الابقار) ، خصص لكل منها منطقة حماها ،وتبلغ مساحتها حاليا حوالى مليون ونصف مليون هكتار من اراضى المراعى فى البادية السورية · وقد نفذ ذلك بالاستعانة بصندوق تمويل خاص سمى « صندوق تداول الاعلاف » جمع رصيده من معونات الدولة ومن مساعدات برنامج الغذاء العالمى· كما دعمت الدولة البرنامج بعدد من التشريعات التى تعين على صيانة وحماية اراضى البادية والمناطق المحمية بصفة خاصة من التعدى عليها بالرعى او بفلاحة الارض ·

وفى هذا المجال تعتبر سوريا رائدة بالمنطقة ، وقد دفع ذلك بعض الدول العربية الشقيقة (جمهورية السودان الديمقراطية والمملكة الاردنية الهاشمية) الى محاولة لتطبيق نفس النهج فى تطوير مراعيها بمعاونة فنية من « المنظمة العربية للتنمية الزراعية » كلف الكاتب بتقديمها ·وهناك حاجة للبدء ببرامج مماثلة فى اجزاء اخرى من الوطن العربى ، بالافادة « بالحمى » وبتطوير بعض الانظمة والوسائل المحلية المماثلة ، فقد يكون ذلك اجدى لنا مما امطرتنا به هيئات ودول مختلفة من مشروعات لتحسين مراعينا بوسائل قد تتفق وظروف بلادنا ، فكان مصيرها (وفق ما ذكر عنها فى تقرير لمجموعة من الخبراء الدوليين) ان اكثرها « اصبح نماذج للفشل اكثر منها امثلة تحتذى » · وكم يسعد الكاتب ان يتلقى ما قد يتوافر من بيانات عن «الحمى» والانظمة المماثلة فى الاقطار العربية ، وقد يكون لذلك نفع فيما تقوم به « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » من الاعداد لاصدار موسوعة علمية عن بحوث تنمية المراعى فى الدول العربية ، كلفتنى مشكورة ، ان اتولى مسئولية تحريرها ·

ولعل فى هذا الذى قدمته من تعريف « بالحمى » ما يسمح بايجاد وعى جديد بين من باعدت ظروف الحياة بينهم وبين تفهم طبيعة امنا « الارض الطيبة » ، التى جادت ، وستجود بما لديها من موارد ، معينها لا ينضب ··· لانها متجددة ··· فلنعن بها قبل ان تنضب غيرها من الموارد ··· غير المتجددة ·

وقديما كان حنين الشاعر الى «عشيات الحمى» فى قوله ···

قفا ودعا نجدا ومن حل « بالحمى »
وقل لنجد عندنا ان يودعا

حننت الى « ريا » ونفسك باعدت
مزارك من « ريا » وشعباكما معا

بنفسى تلك الارض ، ما اطيب الربى
وما احسن المصطاف والمتربعا

وليست « عشيات الحمى » برواجع
اليك ولكن خل عينيك تدمعا

واذكر ايام الحمى ثم انثنى
على كبدى من خشية ان تصدعا

وجميل ان نذكر « الحمى » ····

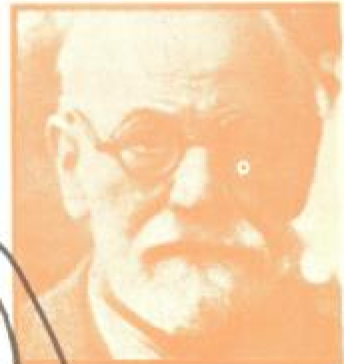
ولكن العودة الى «الحمى» «وعهد الحمى» ولقاء «ليلانا» فى سبيل « حمى عربى كبير » ··· لابد اجمل ·

■■

دمشق : عمر دراز
خبير منظمة الاغذية والزراعة



شوبنهور



فرويد



روسو



دقت الأجراس للمرأة

.. هل سمعناها ؟



هتلر

بقلم : منير نصيف

■ **كيف ينظر الرجل الى المرأة اليوم؟ هل تغيرت نظرته الى نصفه الحلو ؟ وكيف اصبح هذا « النصف الحلو » في الثلث الاخير من القرن العشرين ؟ هل بقى حلوا ؟**

ثم ما هو شكل العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة اليوم ؟ هل تغيرت .. هل تطورت ؟ أم بقيت كما هي ؟

يقول مارك بيترسون صاحب كتاب « سبيلك الى زواج سعيد » : ان كل شيء في حياة المرأة وفي شخصيتها ، وفي نظرتها هي الى الحياة قد تغير ، تغيرا هائلا سريعا .. أسرع من انطلاقة الانسان الى الكون الواسع من حوله.. ومع ذلك فقد بقيت صورة المرأة في نظرالرجل هي هي لم تتغير .. انه يرى أمامه امرأة مختلفة تماما عن المرأة التي رآها آباؤه واجداده من قبله .. ولكنه مع هذا لايريد أن يرى هذا التغيير ، لايريد أن يحس به .. فهي قد خلقت من اجله ، وهي تعيش لكي تحمل له اطفاله ، وتسعده وتفني عمرها من أجل تربية ابنائه وتنشئتهم والسهر على راحة الاسرة وخيرها ورفاهيتها :

بين روسو .. وهتلر

فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وقف كاتب متحرر عظيم ، يقول : « ان تعليم المراة لابد وان يكون مرتبطا بالرجل ، وبحياة الرجل التى ستكون هى شريكة له فيها .. يجب ان نعلم المراة كيف تسعد رجلها كيف تكون عنصرا نافعا فى حياته ، كيف تحول طعم هذه الحياة معه الى شىء عذب لايطيق ان يفترق عنه » « ان هذه الدروس يجب ان تكون دائما الاساس الذى يقوم عليه تعليم المراة منذ طفولتها ! »

ولم يكن صاحب هذا الراى سوى جان جاك روسو الفيلسوف الفرنسى الكبير الذى رفض العبودية والهوان وراح يكتب فجاءت كتاباته وقودا للثورة الفرنسية ، ام الثورات فى التاريخ الحديث !

ومرت سنوات طويلة ، حتى جاء القرن العشرون .. القرن الذى شهد كفاح المراة من اجل حريتها وحصولها على حقها فى التعليم والعمل ، ومساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات !

فماذا حدث ، لقد خرج زعيم سياسى رجعى عرض العالم كله لحافة الهاوية .. خرج براى فى المراة قال فيه ما قاله الكاتب الليبرالى العظيم الذى كان منه ومن سياسته وفلسفته على طرفى نقيض ولو لم يلتقيا . ماذا قال الزعيم الرجعى ؟ قال : « ان عالم المراة هو زوجها ، وهو اطفالها ، وهو بيتها .. اننا لا نقف معها ولا نؤيدها ، عندما نراها تزج بنفسها فى هذا العالم .. عالم الرجل وحده ! ».

اما هذا السياسى الرجعى فهو ادولف هتلر زعيم المانيا النازية .. والغريب انه نفس الرجل الذى دفع المراة فى بلاده دفعا الى الخروج .. والى التعلم والى الوقوف جنبا الى جنب مع الرجل فى شتى مجالات الحياة .. فى المصانع وفى المعامل ، وفى فرق المحافظة على الامن والنظام ، وحتى فى الجيش الذى اراد ان يقهر به كل جيوش العالم مجتمعة !

المراة والعلم والعمل !

ولقد بدات المراة اول ما بدات ، عندما تعلمت وخرجت تبحث لنفسها عن مكان فى المجتمع الذى تساهم فى بنائه .. بدات بشغل تلك الوظائف التى تتصل من قريب او بعيد بطبيعتها كامراة ، وكام . وكان التدريس للصغار فى المدارس فى مقدمة الوظائف التى شغلتها المراة واثبتت فيها كفاءة لم يستطع الرجل نفسه ان يخفى اعجابه بها واعترافه بعجزه عن مجاراتها فيها !

ثم عملت سكرتيرة ، وهو ايضا عمل ليس بقريب او بعيد كثيرا عن عملها فى البيت .. فهى قد تعودت ان تعنى بزوجها وترعى شئونه فتنظم له مواعيده !

ولم تجد المراة حرجا فى البلدان المتقدمة وبعض البلدان النامية على السواء ، فى أن تتعلم حرفا جديدة وان تخرج لتشارك الرجل فى مصنعه بعد ان كانت تشارك الفلاح فى ارضه وحتى اقسى الاعمال التى تتطلب جهدا وعرقا وقوة جسمانية ، لم تتردد فى قبول القيام بها من اجل العيش والرزق ، فخرجت تكنس الشوارع وتنظفها وتجمع القمامة منها فى الكثير من البلدان الاشتراكية !

النوافذ المفتوحة

واقبلت المراة على العلم تنهل منه ، فقد فتحت الابواب امامها ، ولم تستطع يد واحدة ان تمتد لتوصد النوافذ الجديدة التى بدات تطل من خلالها على العالم الواسع من حولها .. وتخرجت المراة فى الجامعة وحصلت على ارقى الدرجات العلمية .. واصبحت طبيبة واصبحت مهندسة واصبحت محامية ، ووزيرة ورئيسة للاحزاب السياسية والحكومات والدول فى الشرق والغرب على السواء !

ولم يعد العالم اذن عالم الرجل وحده .. لقد اصبح عالم الرجل والمراة معا .. ولم تعد الاسرة تعتمد على الرجل وحده فى كسب

رزقها .. لقد اصبح الرجل يعتمد على زوجته وعلى ابنته فى كسب الرزق والعيش .. واصبحت حياة الاسرة تساهم فيها الزوجة ويساهم فيها الابناء من اجل توفير الحياة الكريمة لكل افراد الاسرة !

لقد تغير وضع المراة اذن ، ولكن هل تغيرت المراة نفسها ؟ !

يقول مارك بيترسون : « ان المراة هى المراة .. وهى وان كانت قد تغيرت من حيث وضعها الاجتماعى والاقتصادى فى المجتمع ، الا انها تعلم انها امراة وانها انثى .. وان المساواة الوحيدة التى لن تجد امراة واحدة تطالب بها هى تلك التى تقول فيها للرجل : « قف ، فقد اصبحت انا ايضا رجلا مثلك ! » » .

المراة اعظم

قالت اميلين بانكهيرست التى كانت اول من رفع الشعلة فى انجلترا فى اواخر القرن التاسع عشر من اجل تحرير بنات جنسها عندما اتهموها بمحاولة التقلد بالرجال .. قالت : « لا يشرفنى ان اكون رجلا ، لاننى اعظم منه ، ولان واجبى ومهمتى الاولى فى الحياة ان اكون اما .. وانا اجد فى امومتى اسمى واعظم شرف يطمع فيه انسان » .

فالمراة تغيرت ولم تتغير .. ان كل زعماء الحركات النسائية فى العالم يدركن ان واجب المراة الاول فى الحياة هو ان تصبح زوجة واما وربة بيت .. فهذه هى مملكتها التى يشاركها فيها رجلها وابناؤها الذين انجبتهم واعطتهم كل حبها ورعايتها ..

ولكن الذى تعترض عليه المراة ، وتختلف فيه مع الرجل هو الرأى الذى يقول بان مكان المراة هو البيت والبيت وحده ، وانه مهما كانت اهتماماتها ، ومهما كانت هواياتها ودراساتها ودرجة تعليمها ، فلا بد لها ان تضحى بهذا كله عندما تتزوج من اجل بيتها وزوجها واطفالها .. مثل هذه الدعوة للمراة ، تمس مشاعرها كانسانة لها وجود ولها كيان ولها شخصية ، كافحت طويلا من اجل استقلالها وتحررها ! انها اشبه ما تكون بدعوة لكل الرجال الى احتراف مهنة واحدة ، دون منحهم فرصة القيام باية محاولة تستهدف التجديد او الابتكار ، مع فارق واحد . وهو أن المراة لم تفكر يوما فى تغيير دورها الاساسى فى المجتمع ، كزوجة وام ، ولكنها فقط تريد الا يكون هذا الدور هو وحده كل شىء فى حياتها !

انطلاق المراة

لقد وجدت المراة نفسها اخيرا .. اكتشفت تلك الطاقات الهائلة التى كانت كامنة فى داخلها .. وانطلقت فى طريقها الجديد .. طريق العلم والعمل ، من اجل نفسها ، ومن اجل بيتها واطفالها .. فالأم المتعلمة ، والأم العاملة اكثر قدرة على تربية اطفالها واكثر دراية بحقائق الحياة واسرارها ، من الام التى تفرغت للبيت وتربية الاطفال دون ان يكون لها اى دور آخر فى المجتمع !

ولكن الرجل ، بالرغم من هذا كله ما زال سيدا .. او هو يصر على اعطاء نفسه هذه السيادة .. فقد تعلم ان الاستقلال وتاكيد الشخصية والمنطق والحق ، كلها صفات لا يمكن ان تكون للجنس الآخر .. او الجنس الثانى كما اسمته سيمون دى بوفوار ، الكاتبة الفرنسية ، وهى تحدثنا عن المراة ! ثم هو قد تعلم ايضا ان الخضوع والمذلة ، والجبن والسلبية ، هى صفات ملازمة للمراة !

لماذا كان هذا الاحساس الذى سيطر على الرجل واستبد به ؟ يقول علماء النفس انه يرجع اولا الى تكوين المراة الفسيولوجى ، فهو يعرف انها اضعف منه ، ويعرف اكثر انها فى حاجة الى حمايته . فلم نعرف ان امراة عاشت بغير رجل .. ولكن كثيرين هم الذين عاشوا من الرجال بلا زواج !

بين الامس واليوم

ثم هناك ما هو اهم .. ماذا يحدث عندما يتزوج رجل بامراة ؟ انها تذوب فى هذا الكيان

الجديد ، حتى اسمها نجده هو الآخر قد امتزج باسمه ، وهو تقليد قديم بدأ منذ ان كان الرجل يعتبر امرأته جزءا من ممتلكاته الخاصة ، ولو انه اليوم بدأ يتغير تدريجا ، وبدأت المرأة تحتفظ باسمها واسم أسرتها بعد الزواج ، وخاصة اذا كانت امرأة صاحبة مهنة !

وسيادة الرجل على المرأة قديمة،قدم الحضارة ذاتها ·· ففي القرن الحادى عشر الميلادى كان من رأى رجال الدين الكاثوليك ان المرأة جسد ، بلا روح ! والفيلسوف الالمانى الشهير شوبنهاور Schopenhauer جاهر برأى فى المرأة ما زال يأخذه عليه الكثير من المؤرخين ، فقد قال : « ان المرأة انسانة تفتقر الى الاحساس بالعدالة ومن اجل هذا لا يمكن الاخذ بشهادتها امام القضاء ! » ·

حتى العالم الكبير فرويد ، قال فى المرأة كلاما لو تردد اليوم لقدم صاحبه بسببه لمحكمة الجنايات !

الفوارق باقية

وتغيرت المرأة ، وتغير وضعها فى مجتمعها الصغير والكبير ، فقد حققت قفزات كبرى · ولكن هل تمشينا مع هذه الانطلاقة الجديدة للمرأة ؟ والجواب : لا !

فكل شيء من حولنا يذكرنا بالفوارق التى ما زلنا نتمسك بها ونحرص على ان تكون دائما طابعا مميزا لنا ·· وهى فوارق نحسها وتنميها مع ابنائنا،وهم بعد فى سن الطفولة·· فوارق تضع خطا فاصلا بين الولد والبنت او الذكر والانثى ·· ولندع المظهر الخارجى جانبا ولو انه بدأ يتماثل اليوم فى سن الشباب من الجنسين ، حتى اصبح من الصعب على المرء ان يميز بين الفتى والفتاة ·· فالذى يهمنا هنا ، ماذا نصنع بابنائنا من الجنسين منذ اللحظة التى يبدأ فيها كل منهما ، خطواته الاولى فى الحياة ·· البنت تشترى لها « العروسة » لتلعب بها ! وهى تسعد بهذه اللعبة ، ومصدر هذه السعادة غريزى لاشك فى ذلك ·· انها غريزة الامومة التى تنمو وتكبر معها ، وتبقى دائما مصدر فخرها واعتزازها ·· ولكن ماذا بعد « العروسة » او الدمية الصغيرة ·· لاشيء غير البيوت والاثاث الذى تشغل وقتها فى تنظيمه داخل هذه البيوت ·واللعبات الاخرى، من الافران التى ستتعود عندما تكبر على طهى الطعام فوق وقودها ، والمقشات التى ستستخدمها فى تنظيف البيت الذى ستصبح سيدته !

العالم الصغير والكبير !

اما الولد الذى يسمو دائما فى كل شيء ، فالمجال امامه متسع فى عالمه الصغير ·· اننا نشترى له كل شيء من السيارة التى تدار بالكهرباء ، الى الصواريخ التى تنطلق فى الفضاء ·· والقطارات التى تسير على القضبان وتصعد الجبال وتجرى فى الوديان ·· لاننا نعده لان يكون رجلا ، والرجل يبدأ صغيرا ثم يكبر ، ولا يلبث ان يجد نفسه وجها لوجه مع الحقيقة التى كانت صورا واشياء صغيرة يلعب بها فى طفولته !

ويبقى هذا التمييز بين الجنسين حتى عندما يذهبان الى المدرسة ·· هى دائما مع كتبها التى تحكى لها قصص الاطفال مع والديهم ومع اخوتهم الصغار والكبار ومع البيت الذى تعيش فيه ·· اما هو فيقرأ كل شيء عن الاختراعات الحديثة والعلم والهندسة والكون الواسع من حوله !

يقول بيترسون : « لو اننا توقفنا قليلا لادركنا باننا نحن الآن الذين نصنع بايدينا هذا التمييز بين الجنسين » !

« لقد دقت الاجراس للمرأة ·· فلنكف عن القول بانها انما خلقت من اجل اسعادنا·· من اجل راحتنا ·· من اجل رفاهيتنا » !

« لماذا لانقول ان الرجل ايضا ، انما خلق من اجل اسعاد المرأة ومن اجل حماية المرأة ومن اجل الاعتراف بالمرأة انسانة لها شخصيتها ولها كيانها ولها حقها فى الحياة » ··

« ان نصفنا الحلو قد ازداد حلاوة »

■■

منير نصيف



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

فترة التسنين عند الاطفال

● **هل حقيقة انه ـ عندما تظهر اسنان الطفل ـ لابد من حدوث اسهال وارتفاع في درجة الحرارة ؟**

ـ لقد عرف قديما من عهد ابو قراط ، ان التسنين فى الاطفال يجعل الطفل يحك لثته ، وترتفع درجة حرارته ، وفى بعض الاحيان تحدث رجفة فى جسده مع اسهال، وفى سنة ١٧٣٢ عزى وفاة عشر الاطفال الى وجود غرغرينا فى اللثة عند التسنين . وفى سنة ١٨٣٩ وجد ان حوالى ٥٠٠٠ طفل فى انجلترا قد ماتوا من جراء مرض التسنين . وفى عام١٨٤٢ وجد ان حوالى ١٢٪ من الاطفال الذين لم يبلغوا بعد الرابعة من عمرهم يموتون من امراض التسنين .

ثم وجد حديثا ان بعض الاطفال عند التسنين يصابون ببقع على الوجه وبطفح على الفخذين ، وبنزلات برد مع سعال ، ويصحب ذلك اسهال احيانا ، ونحو ٦٪ من الاطفال تعتريهم تشنجات عصبية مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وضيق فى التنفس .

ولكن الاستاذ النجورث Ilingworth فى ادنبرة ، نفى ان يكون للتسنين اى سبب فى ارتفاع درجة الحرارة اوالاسهال او السعال او الطفح او التشنجات وربما يصاب الطفل بفيروسات تسبب له هذه الاعراض .. وتسب صياح الاطفال اثناء الليل الى العادات السيئة التى يربون عليها .. وذلك ليضطروا الام على ان تحملهم اثناء الليل .

ولعل احدث محاولة فى هذا المجال هى محاولة احد الاطباء فى شمال فنلندا عندما قام بتجربة على ١٢٦ طفلا طبيعيا فى مركز لرعاية الاطفال مع ملاحظة لثتهم يوميا ورصد درجة الحرارة ، وما اذا كان هناك اى التهاب او تشنجات ، واكد انه لا توجد اى علاقةبين بزوغ اسنان الطفل . وهذه الاعراض التى يعزوها الناس الى ظهور الاسنان .. وانما وجد هناك عدم استقرار بسيط اثناء النهار مع زيادة فى اللعاب ، ومص الطفل لابهامه مع حكة على اللثة ورفضه احيانا لتعاطى الطعام .

من هنا كان من الواجب البحث عن الامراض التى تعترى الاطفال مع عدم الاعتقاد بأن هذه الاعراض ناتجة عن التسنين ، فربما اختفى وراء ذلك مرض خطير يحتاج الى العلاج السريع .

مخاط فى البراز

● الاحظ مخاطا من آن لآخر عند التبرز ٠٠فهل وراء هذا مرض ؟ وما العلاج ؟

ـ ان ظهور مخاط فى البراز يدل على تقلص القولون (الامعاء الغليظة) تقلصا شديدا فيطرد ماتجمع بداخله من مخاط ٠ ويحدث ذلك فى عدة امراض اهمها الدوسنطاريا الأميبية والباسلية ٠ويكون ذلك شديدا مع مغص وآلام فى البطن ، ويتبرز المصاب عدة مرات تتراوح من ١٠ ـ ٤٠ مرة يوميا بحسب شدة الحالة ، ويصحب ذلك اعياء شديد مع ارتفاع فى درجة الحرارة ويكون المخاط والبراز ممزوجين بالدم ٠

ويظهر المخاط ممزوجا بدم وقيح فى حالة « التهاب القولون المتقرح » حيث تصيب المريض نوبات من آن لآخر مصحوبة باسهال ، وظهور كميات كثيرة من المخاط والقيح والدم ٠٠ ويكون البراز خاليا من اى ميكروب او طفيليات ، وتظهر الاشعة الملونة للقولون او المنظار هذا المرض عند فحص المريض ٠

وتظهر كميات كثيرة من المخاط فى البراز عند اصابة الامعاء الغليظة بتلبك شديد ، كالحال عند تعاطى مواد غذائية تسبب اسهالا ٠٠ او تعاطى المسهلات بكثرة او الادوية او الاعشاب التى تسبب اسهالا ٠٠

على ان اكثر الاحوال التى يظهر فيها المخاط هو المرض المعروف بالقولون الحساس او تيبس القولون ٠ ويظهر ذلك من آن لآخر فى بعض الاشخاص عند اضطراب الاعصاب ، او التعرض للارهاق ، او تعاطى اكلات تسبب تقلصا شديدا بالقولون ٠٠ ويصحب ذلك امساك فى بعض الحالات مع انتفاخ فى البطن ٠٠ وتتحسن مثل هذه الحالات بزوال السبب الذى يهيج القولون ، ويكون السبب فى طرد كميات كبيرة من المخاط ٠

ما سبب هبوط ضغط الدم ؟

● بعد الفحص وجدت ان ضغطالدم عندى ١٠٠ـ٧٠ ، فقيل لى ان هذا هبوط فى ضغط الدم ، فما سببذلك ؟ وهل من علاج ؟

ـ هناك اشخاص يكون ضغط الدم فيهم منخفضا على الدوام ، واذا كان هذا هو ضغطهم دون اى شكوى من هذا الهبوط ، فلا يوجد داع للعلاج ٠ اما اذا حدث ان اصابتهم اعراض هبوط الضغط من دوار ، وعجز عن العمل وشعور بالهبوط دائما ، فهذا يرجع الى سبب او اكثر من اسباب عدة ، اهمها :

١ ـ سوء التغذية والامراض المزمنة ٠

٢ ـ فقر الدم الحاد ٠

٣ ـ فى حالات الانهاك الحرارى وفقدان سوائل الجسم وكلوريد الصوديوم ٠

٤ ـ فى حالة الاصابة بمرض « اديسون » وهو عبارة عن ضمور فى الغدة الكظرية او الغدة فوق الكلية ٠

٥ ـ فى حالة ضمور واضطراب الجهاز العصبى السمبتاوى ٠

وتعالج مثل هذه الحالات بعلاج السبب الاصلى مع اخذ منبهات للجهاز العصبى السمبتاوى الذى يرفع من ضغط الدم واعطاء المريض المحاليل اللازمة اذا كان ذلك هو السبب ٠

الماء الابيض فى العين

● قال لي الطبيب ان عينى مصابة بالماءالابيض ، فما هو الماء الابيض وهل يمكن علاجه ؟

— الماء الابيض هو عتمة عدسة العين Cataract واسبابه متنوعة منها :

١ — نوع خلقى ، يولد صاحبه به ، وغالبا مايكون سببه مرض الام اثناءالحمل، وخاصة بالحصبة الالمانية ·

٢ — النوع الذى قدينتج عن مرض فى العين او عن ضربة قوية على العين ·

٣ — النوع الذى يصيب بعض الناس عند الكبر فى السن · وهذا النوع لا لايشكو معه المريض من اى الم سوى ضعف فى الابصار يزداد تدريجيا حتى يصبح الشخص غير قادر على رؤية الاشياء الا خيالها امام عينيه ، ولكنه يظل قادرا على التمييز بين وجود الضوء وعدمه ،وكذلك يستطيع تحديد مصدر الضوء وجهته عندما يوضع امام العين ·· والعلاج يتم بعملية جراحية نتيجتها مضمونة اذا كانت العين بحالة جيدة ، وليس بها سوى الماء الابيض وبعدها يحتاج المريض لاستعمال نظارة طبية للنظر من بعد ، واخرى للقراءة ،واذا كان الماء الابيض فى عين واحدة فقط ، واجريت لهذه العملية ، فان هذا الشخص لايستطيع لبس النظارة الطبية العادية ، ولكن يمكنه استعمال العدسات اللاصقة ·· والسبب فى ذلك ان الصورة التى يستقبلها المخ من كل عين على حدة تكون مختلفة الى حد كبير عن الاخرى بسبب ازالة عدسة العين المريضة وبقائها فى العين السليمة·· والنظارة العادية لاتستطيع حل مثل هذه المشكلة ، ولكن العدسات اللاصقة تعطى صورة قريبة من عدسة العين الطبيعية ·

الدوار الذى يعقب الاصابة بالانفلونزا

● بعد اصابتي بالانفلونزا شعرتبدوار وعدم اتزان ·· فهل هذا من اثر الانفلونزا ·· وما علاج ذلك ؟

انما تشكو منه،هومناثر الانفلونزا·· فعندما يصاب المرء بالانفلونزا يحدث دوار شديد ، وعدم اتزان اثناء السير·· لانه فى مثل هذه الحالة وخصوصا عندما يلتهب الجزء العلوى والجهاز التنفسى تلتهبالاذن،فيحدث اضطرابفى عملالاذن الداخلية التى تحتوى على القنوات شبه الدائرية المتحكمة فى الحركة والاتزان·· فيخيل للمريض وكأن الاشياء تدور من حوله او ان رأسه تدور ، ويصحب ذلك الدوار شعور بغثيان وربما حدثقيءشديد وكذلك يشعر المصاب بطنين فى الاذن مع انسدادفى الانف،ويلاحظ المريضكذلكان هذا الدوار يصحبه تحرك الرأس فى اتجاه معين ، فالبعض يحس بذلك عند تحرك الرأس من جهة الى اخرى او من الامام الى الخلف ، او عند تحريكه حركة سريعة، على ان هذه الاعراض تزول بتحسن حالة الالتهاب ··

والعلاج يتم باعطاء الادوية التى تؤثر على هذا الدوار مثل الدرامامين Dramamine او الافومين Avomin وما شابه ذلك ·

على انه يجب فحص المريض ، لاستبعاد الاسباب الاخرى لمثل هذه الحالة مثلارتفاع ضغط الدم او التغير فى تركيب الدمالذى يصحب عدة امراض ، او امراض الشرايين بما فى ذلك تصلب الشرايين ·

الفنانة إنجي أفلاطون

أو رحلة التمرّد الطويلة

بقلم : راجي عنايت

- كامل التلمساني اسقط ستائر الوهم من حولها.
- عندما تحطمت الصخور .. وتحركت الاشجار.
- عميد الادب العربي طه حسين يقدم أول كتبها.
- كيف تم الوفاق .. بين الفرشاة والقلم ؟

■ توفرت لديها كل مقومات الاستقرار .. الوالد استاذ مرموق فى علم الحشرات وعميد لكلية العلوم ، والوالدة سيدة نشيطة ذكية واعية من سيدات المجتمع ، وصاحبة مشروع جرىء لاول بيت ازياء مصرى بالاشتراك مع بنك مصر .. حياة متيسرة اقتصاديا تتيح العديد من اشكال الاستمتاع .. جو اجتماعى يضم الصفوة ممن تمرسوا فى استنباط وسائل الاستمتاع بالثروة والحياة .

ومع كل هذه الظروف المواتية نشات طفلتنا الصغيرة الدقيقة الجسم ، وقد نمت داخلها بذرة تمرد غريبة كل الغرابة على الاطار الذى تعيش فيه . كانت ترى داخل معالم الاستقرار الشائعة حولها ، شبحا غامضا يحطم اركان ذلك الاستقرار الخارجي . كانت تحس برغبة قوية - لاتفسير لها - فى النظر الصادق لما هو أبعد من هذا الغلاف الرقيق الدافىء الذى يحوطها . وكانت اداتها فى تمزيق ذلك الغلاف .. التمرد .

وكان اول تمرد لها على السجن الصغير الذى وضعتها فيه الاسرة ، مدرسة (الساكركير) القلب المقدس ، التى كانت مجمعا لبنات الاسر الراقية ، وملتقى فتيات الارستقراطية المصرية. لقد كان اول نضوج لبذرة التمرد داخل الطفلة النحيلة انجى افلاطون ، تحت ضغط التقاليد الصارمة التى تلتزمها تلك المدرسة . وكان اول انتصار لها، عندما تركتها لتستمتع بالحرية الحقيقية فى مدرسة (الليسيه) . حيث بدأت بعد التمرد تمارس هوايتها الاولى وهى الرسم ، الى جانب الدراسة فى المدرسة .

بدات علاقتها بالرسم ، بداية رومانتيكية ..



الفنانة انجى افلاطون فى مرسمها .

اختها الكبرى بولى تكتب الاشعار .. والبنت الصغيرة النحيلة تتناول الاشعار الفرنسية من يد اختها لترسم لها الرسوم المناسبة . وتتنبه الاسرة لهذه الموهبة التى تكشف عنها الرسوم ، فتوفر للفتاة الصغيرة دروسا فى الرسم ،لاتخرج فى نهاية الامر عن تكبير البطاقات البريدية المرسومة ، مما يدفعها من جديد الى التمرد على هذه الدروس .. والتطلع الى طريق جديد ، لاتعرف يومئذ هويته .

نافذة على الحياة

وتحدث نقطة التحول الاولى فى حياة انجى افلاطون ، عندما تختار الاسرة مدرسا جديدا للرسم ، هو الفنان الراحل كامل التلمسانى .

كان كامل التلمسانى - قبل ان يعمل كمخرج سينمائى - فنانا تشكيليا نشيطا ، يمارس نشاطه الفنى والفكرى فى اطار جماعة « الفن والحرية » ، ضمن مجموعة من الفنانين الرواد امثال محمود سعيد ، ورمسيس يونان ، وسمير رافع .

لم تكن دروس كامل التلمسانى ، مجرد دروس فى الرسم ، ولكنها كانت نافذة جديدة على الحياة ، اطلت منها فتاتنا على مصر الحقيقية

« بور سعيد » واحدة من الاعمال الفنية التى تعكس اهتمامات الفنانة الوطنية ، تمت عام ١٩٥٧ فى اعقاب حرب ١٩٥٦ .





« جني القطن » من اعمال الفنانة عام ١٩٧٠، ضمن مجموعة من جني المحاصيل في الريف .



« جني الفول » من أحدث أعمال الفنانة انجي افلاطون .

التي تبحث عنها .. مصر اخرى تختلف عن مصر المجتمع الارستقراطي التي تخنقها .. تعلمت انجي افلاطون من كامل التلمساني اول ماتعلمت ان الفن ليس تقليدا اوخضوعا للمقاييس والقواعد ..تعلمت منه ان الفن في جوهره تعبير عن النفس ..

بهذه النظرة الجديدة ، سقطت ستائر الوهم من حولها . واستطاعت ان تنظر الى مجتمعها نظرة صادقة . تفسر التمرد الغريزي الذي لم تكن لتفهم معناه في اول الامر . احست بغربة شديدة عن بنات واولاد هذا المجتمع المرفه .. وادركت ان اول خطوة للتحرر من قيود هذا المجتمع هو ان تكمل تعليمها ، فواصلت دراستها في دأب حتى حصلت على شهادة اتمام الدراسة الثانوية وهي في الخامسة عشرة من عمرها ، وسط تعجب ابناء ذلك المجتمع من هذا الاهتمام الذي لا يبرر بالدراسة والتعليم .. حيث فرص الحياة واستمتاعاتها تحقق بلا تعليم او ثقافة او عناء .

وفي الوقت نفسه انضمت انجي افلاطون الى جماعة « الفن والحرية » ، تحضر جلساتها ، وتشارك في معارضها ابتداء من عام ١٩٤٢ .

في ذلك الحين ، كانت المدرسة السيريالية في الفن التشكيلي ، تجتذب كل يوم جديدا من الانصار .

انبهرت انجي افلاطون بما في هذا الاتجاه الفني من تحطيم للاشكال التقليدية . وراحت تقدم تجاربها في محاولات متصلة لتصوير نظرة جديدة للحياة ، مشبعة تمردها الدائم القديم . وظهرت لوحاتها ، تتحطم فيها الصخور ، وتتحرك الاشجار في اندفاع وثورة . وكانت ذاتها هي الصخرة .. وهي الشجرة .

من اللوحة الى الحياة

لم تعد اللوحة قادرة على التعبير عن ثورتها وتمردها .. كما ان التمرد والثورة لم يعودا مجرد ضغوط غير مفسرة تلح على وجدانها ، لقد سمعت وقرأت ورأت وفهمت .

اتسع نطاق اهتمامها ،ليتجاوز ذاتها .واصبحت المدرسة الفنية السريالية بكل مافيها من ذاتية قاصرة عن استيعاب اهتماماتها الاجتماعية .لقد تطور تمردها القديم الغامض ، ليصبح ثورة على الواقع بكل ما فيه من نواقص وتناقضات . لم تعد ثورتها تستهدف محيط الاسرة او المدرسة ، بل امتدت الى المجتمع الكبير ، وبصفة خاصة وضع المرأة فيه . وهكذا .. تسافر انجي افلاطون من مصر عام ١٩٤٥ ، لتشارك كعضو مؤسس في المؤتمر الاول للاتحاد النسائي الدولي الديمقراطي ذلك المؤتمر الهام في الحركة النسائية العالمية، والذى اختير عام ١٩٧٥ كعام عالمي للمرأة ، احياء لذكرى الثلاثين .

وينتقل اسم انجي افلاطون من قوائم الاسر المصرية الثرية ، من قوائم السادة الذين تعمل سلطات الامن لخدمتهم ، الى القوائم السوداءالتى تركز عليها سلطات الامن فيما قبل الثورة كل سخطها وغضبها وترصدها .

تنسحب الفرشاة من يد انجي افلاطون ،ليحتل القلم مكانها كأداة اسرع واكثر وضوحا فى التعبير عن افكارها .

وحتى بعد ان تعود الفنانة الى فرشاتها ، يظل سلاح القلم فى متناول يدها ، تلجأ اليه كلما تصاعد تمردها على واقعها ، وانفعالها بما يدور حولها من احداث .

فى عام ١٩٤٧ ، يصدر للفنانة كتاب « ٨٠ مليون امرأة معنا » ، مع مقدمة من عميد الادب العربي الدكتور طه حسين ، عن الحركة النسائية العالمية وضرورة الارتباط بها .

وفى عام ١٩٤٩ ، يصدر لها كتاب « نحن النساء المصريات » عن قضايا المرأة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر ومطالبها فى الخمسينات ، ويكتب مقدمة هذا الكتاب المفكر المصرى الكبير الاستاذ عبدالرحمن الرافعي .



المقاومة الفلسطينية من الموضوعات الاجتماعية والوطنية العديدة التى طرقتها الفنانة .

وفى عام ١٩٥١ ،يصدر كتابها « السلام والجلاء» عن ارتباط السلام بقضية التحرر من الاستعمار.

الرأى فى التطبيق

لم تكن اراء انجي افلاطون فى المرأة ، مجرد اراء تعتنقها وترددها لتصدم بها مجتمعها ، بل كانت عقيدة راسخة فى نفسها . لذا نراها رغبة فى التحرر من انتمائها الاجتماعي الموروث ،تقرر ان تعتمد على نفسها فى كسب عيشها ،فتشتغل عاملة على الالة الكاتبة ، ثم مدرسة للرسم فى مدرسة الليسيه التى تعلمت فيها.. ثم صحفية تكتب فى قضايا الفن والمرأة والمجتمع . وترفض فى نفس الوقت عرضا من الاسرة لايفادها الى باريس لتعلم الرسم ودراسة الفن .. لقديدات فى تلك المرحلة محاولة ذاتية للتعرف على الواقع المصرى الاصيل ، تعوضها عن العزلة الطويلة التى فرضتها الظروف العائلية والاجتماعية ، والتى جعلتها تبدو غريبة عن ذلك الواقع .

تتزوج انجي افلاطون عام ١٩٤٨ • وبتشجيع من الزوج ، تعود الى الانتاج الفني الذى كانت قد هجرته فى دوامة انفعالها بالاحداث من حولها •• تعود وقد نضج وعيها الاجتماعي ، وعرفت بالتحديد معالم الطريق الفنى الذى يجب عليها ان تسلكه لقد اتجهت الى الريف المصرى الذى بقى حتى يومنا هذا موضوع انتاجها المفضل • الريف المصرى •• بطبيعته البكر وبفلاحيه وفلاحاته الذين يصنعون الخير والنماء لصالح الشعب باكمله •

وهكذا تحقق لها ، ابتداء من تلك اللحظة ، ذلك الوفاق بين فرشاتها وقلمها وعواطفها •

وفى عام ١٩٥٢ ، وفى اعقاب حريق القاهرة المشئوم ، اقامت انجي افلاطون معرضها الخاص الاول •• صرخة امرأة مصرية فى مواجهة الظروف المتأزمة المحيطة بها • وكانت الاعمال التى يضمها هذا المعرض ترديدا امينا لحسها الوطني وافكارها الثائرة • كانت لوحاتها ترجمة فنية لنشاطها الوطني الذى شاركت فيه السيدة سيزا نبراوى عام ١٩٥١ عند تشكيل لجنة المقاومة الشعبية النسائية اول لجنة مقاومة شعبية تشكلت بعد الغاء المعاهدة المصرية البريطانية ، واشتعال الكفاح فى قناة السويس •

الصوت الذى تسمعه

منذ ذلك التاريخ ، توالت معارض الفنانة انجي افلاطون العامة والخاصة ، فى الداخل او الخارج ، حتى لايكاد يمضى عام واحد دون ان يلتقى جمهور الفن بأعمالها الجديدة فى اكثر من لقاء •

اقامت معارضها الخاصة فى اعوام ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٩٦٦ فى مصر ، ١٩٦٧ فى قاعة « لانوفابيزا » بروما وفى قاعة «لونيفرستيه» بباريس • ثم فى عام ١٩٧٠ بالمانيا الديمقراطية ووارسو وموسكو •

وفى عام ١٩٧١ اختيرت قوميسيرة لمعرض الفن المصرى المعاصر بباريس • واقامت معرضا خاصا لاعمالها فى صوفيا وموسكو عام ١٩٧٥ • وهى الآن تعد عدتها للاشتراك فى المعرض الذى سيقام فى هذا العام لمجموعة محدودة من الفنانين المصريين بباريس •

الى جانب هذا ، شاركت انجي افلاطون فى كثير من المناسبات الفنية العربية ، فكانت ضمن الوفد المصرى فى مهرجان « الواسطى » بالعراق ، وشاركت فى ملتقى الفنانين التشكيليين العرب بتونس عام ١٩٧٣ •

وانتشرت اعمالها فى المتاحف والمعارض الدائمة • فاقتنى لوحاتها متحف الفن الحديث بالقاهرة والاسكندرية ، وقاعة « لانوفابيزا » بروما ، ومجلس النواب الايطالى ، وتعددت اعمالها فى كثير من المجموعات الخاصة بفرنسا ، وايطاليا ، والمانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وكندا ، وسويسرا ، والولايات المتحدة •

رغم هذا النجاح الكبير ، فالثابت ان الفنانة انجي افلاطون لم تخضع فى حياتها لدراسة فنية منتظمة فقد اقتصرت دراستها ، على الدروس التى تلقتها اول الامر على يد الفنان كامل التلمسانى ، ثم دراستها عاما بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، تلك الدراسة التى لم تستمر طويلا ، لضيقها باسلوب التدريس ، ورفضها وصاية الاساتذة على مسلكها الفنى • ثم دراسات وزيارات لمرسم « مارجون فيبون » • وتتلمذها على يد الفنان المصرى «حامد عبد الله» •

لقد واصلت الفنانة رحلة تمردها الطويلة ، حتى على التصنيفات الفنية المدرسية التقليدية ، مما دفع الناقد الفرنسى « جورج بيسون » الى القول فى مجلة « لى ليتر فرنسيز » عام ١٩٦٧: وسواء رسمت وجوها او فاكهة ، او زهورا ، او مناظر طبيعية،فان اعمال هذه الفنانة لا تنضوى تحت اى لواء •• انها لاتخضع لاية مدرسة ، ولا لاية بدعة ، ان رؤيتها الفنية تفرض نفسها • وهذا امر جدير بالتسجيل • »

كما يقول الناقد « جان لورسا » عام ١٩٦٤ :

« تعلم انجي افلاطون انه اذا اراد المرء ان يسمع صوته ، فلايجب ان يكون مصطنعا ، او ان يقع فريسة الطرق السائدة ، لذلك فان انجي لاتستمع الا لذلك الصوت المصرى الذى هو صوت اصلها العريق ، صوت رمال ومياه النيل والآفاق الواسعة التى تحترق بلهيب داخلى » •

القاهرة ــ راجي عنايت

● استطلاع الكويت ●



الحُلي والأزياء الشعبية

وقيمتها الفنية

بقلم : صفوت كمال

(خبير الفنون الشعبية)

تصوير :

حسن الصفار





يتنوع الثوب الكويتي بتنوع اشـــكال الزرى التي تزينه · **(وفى الصورة الى اليمين)** الطالبات فتحية الشرقاوى ، سلوى راشد ، سعاد خليفة ، ايمان الحسيني ، منيحة عباس يقدمن نماذج من الثـوب والحلى الشعبية الكويتية · ترتدى الدراعة تحت الثـوب الفضفاض ، وتكون خطوطها الرئيسية متوافقة مع خطوط الجسد **(الصورة الى اليمين أعلا)** الثوب مع الدراعة يتكاملان بوحداتهما الزخرفية فى اعطاء الشكل المتميز للزى الشعبي الكويتي·

(الصورة الى أعلا) ·

الحلي والازياء الشعبية تعبير حضارى يصدر عن وجدان جمــاعى ، انها رؤية فنية لاضفاء الجمال على الانسان.

الفنون الشعبية هى ابداع تلقائى يضفى به الانسان على حياتـه طابعا فنيا جماليا ، يتوافق مع احتياجات الانسان العاطفية ، ويتلاقى تلاقيا فطريا خلاقا مع الاحتياجات النفعية والضرورية التى يمارسها الانسان فى العمل والراحـــة ،عبر دورة الحياة منذ الميلاد ..
ويعتمد الفنان الشعبى فى حرفية اداتـه لهذه الفنون على تجربته اليومية ، وعلى ماتوارثه من خبرة سابقة . باعتبار ان الانسان كائن ثقافى له القدرة على ان يحول الشىء العادى الى شىء نافع ، والشىء النافع الى شىء لـه قيمة فنية جمالية .

والفنون الشعبية ، بطبيعتها ، هى تعبير حى عن موقف الانسان تجاه موضوعات الحياة كلها ، من حيث انها تعبير مباشر عن التواصل الحضارى للانسان ، داخل مجتمعه ، تعبير يجمع بين خبرة الاجداد وحيوية الأحفاد والسعى نحو تحقيق الشخصية الانسانية والقومية فى محيط بيئته ، داخل اطار من عاداتـه وتقاليده ومعتقداتـه والنظم الاجتماعية السائدة فى مجتمه .

والفنون الشعبية بمعناها الشامل « المأثورات الشعبية Folklore » تتنوع طرزها وانماطها ، من أدب شعبي وموسيقى وغناء وتكوينات راقصة . وفنون تشكيلية او فنون تطبيقية وطقـــوس وممارسات اعتقادية ، لتعبر كلها فى حيـوية واستمرار عن تجربة الحياة نفسها .. من حيث انها تعبير مباشر عن واقع الانسان الحى بما يتضمنه هذا الواقع من موروثات ثقافية ، وتجاوب ايجابى مع التغيرات الحادثة فى بيئته الطبيعية والاجتماعية

الفنون التشكيلية الشعبية

تعتبر الأزياء والحلى الشعبية ، وبخاصة أزياء النساء ،من أبرز انماط الفنون الشعبية التشكيلية Folk Arts ، تعبيرا عن القيم الفنية والخبرة الجمالية للمجتمع . من حيث أن الأزياء والحلى الشعبية هى تعبير حضارى ، يصدر عن وجدان جمعى ، يؤكد قدرة الانسان على الاضافة الثقافية المتواصلة . ويخرج بقدرات الانسان من نطـاق الاحتياجات النفعية ، الى مجال القيم العليا ، وبخاصة حب الجمال والســعى الى تحقيقه ، وبرؤية فنية خاصة ، سواء فى أدوات العمل.. أم المسكن أم الملبس ..... أم ما يستخدمه من انية واثاث ... الى غير ذلك من أدوات عملية يستخدمها داخل البيت وخارجه .

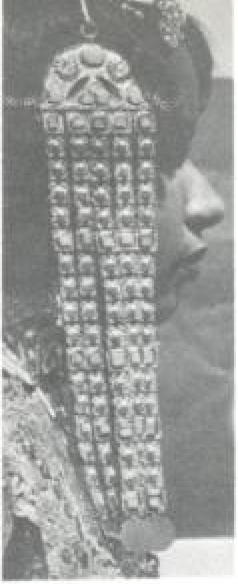
وتتميز الفنون التشكيلية الشـعبية بان لها دائما ـ وظيفة نفعية فى الحياة . فالانسان لا يبدعها لكى تكون مقتنيـــات متحفية ، أو ترفا ثقافيا ،بل يبدعها لنفسه لكى يستخدمها هو وغيره من أبناء المجتـــمع . حتى وان ظهر فى بعض القطاعات الاجتماعية فنانون محترفون لنوع معين من هذا « العمل » الفنى الشعبى .. سواء فى عمل النسيج أو الحلى أم الرسوم الحائطية على جدران البيوت وأبوابها ، أم فى صناعة الحلى وتطريز الأزياء الى غير ذلك من انماط العمـل التطبيقى الفنى .

الصدق الفنى

من أهم سمات الابداع الشـعبى « الصـدق الفنى » ذلك الصدق الذى يســعى كل فنان . وبخاصة فى حياتنا المعاصرة ، الى محاولة تحقيقه فيما يقدمه من نتاج فنى . بخاصة صدق التعبير عن جوهر الانسان واحتياجاته ، بوسائل بسيطة مستقاة من واقع الحياة .

ووجد الفنانون المحدثون فى الفنون الشـعبية منطلقا جديدا نحو آفاق أكثر واقعية فى التعبير عن الانسان المعاصر . كما وجد من سبقوهم فى أوائل هذا القرن ، مجالا فسـيحا فى الفنـون الافريقية ، للتعبير عن « قوة » الخبرة الفنية فى ادراك كنه الأشياء ، وبخاصة فى فنون النحت الافريقى ، التى تجمـع بين الرؤية الواقعـية والاسطورية ، فى رؤية فنية انسانية خاصة . وقد اتجه كثير من الفنانين المحدثين الى استلهام واقتباس أشكال من الابداع الشعبى فى أعمالهم الفنية الحديثة .

فالخبرة الجمالية فى الابداع الشعبى ، هى خبرة موضوعية ، تخضع للممارسة التلقائية دون



« الترَّوح » تتدلى من « الهامة » على جانبي الوجـــه ٠

عوائق من التعقيد الحرفي ٠كما ظهر في السنوات الأخيرة اتجاه فني يدعو الى استلهام ما ابدعه الانسان العادي في اعمال فنية محدثة ٠ وظهرهذا الاتجاه بشكل واضح في اعمال الديكور وادوات الزينة والحلي والأزياء وأواني الطعـــام وقطع الأثاث الحديثة لكي يتوافق الانتاج الآلي الكمي الصناعي في قيمته الفنية ، مع اصالة الابداع اليدوي بهدف أن يكتسب الانتاج الآلي الــكمي شكلا من اشكال الألفة والبساطة ، وتتحقق فيه الخبرة الانسانية الجمالية التلقائية ، مع حرفية الصناعة الآلية ، حتى جاز أن توصف اشـــكال الادوات النفعية ، وفنون وادوات الزينة المحدثة ، بانها عودة الى خبرة الانسان الفولكلورية في « صنع الجمال » واستخدامه معا في آن ٠

الازياء والحلى الشعبية

يعتبر الثوب التقليدي الذي ترتديه الفتيات والنساء في المناسبات القومية والاحتفالات العائلية وبخاصة في مناسبة العرس من الأزياء الشعبية العربية ، التي تجمع بين البســاطة والدقة في التطريز ، واضفاء تلقائية جمالية على صاحبته، يتوافق في خطوطه الرئيسية واشــكال وحداته الزخرفية مع الشكل العام للعمارة الشـــعبية العربية ٠

ويعتبر الثوب الكويتي ونظيره من اثواب تقليدية شائعة في الخليج أكثر الأزياء الشعبية التقليدية استخداما في حياتنا المعاصرة ٠ وأصبح الثوب الكويتي هو الزى الرسمي للمرأة الـكويتية في الاحتفالات القومية والمناسبات الوطنية والاجتماعية٠ في داخل الكويت وخارجها سواء في البلاد العربية أم غير العربية ٠ يبهر أعين النـاظـرين بجمال تكوينه وضياء الزرى الذهبي الذى يطرز به ٠

وقد حاز الثوب الــكويتي جائزة أجمل زى شعبي في مهرجان قرطاج للفنون الشعبية الذى اقيم في تونس خلال شهر يوليو ١٩٧٥٠ واشتركت فيه خمس وعشرون دولة عربية واوربية ٠

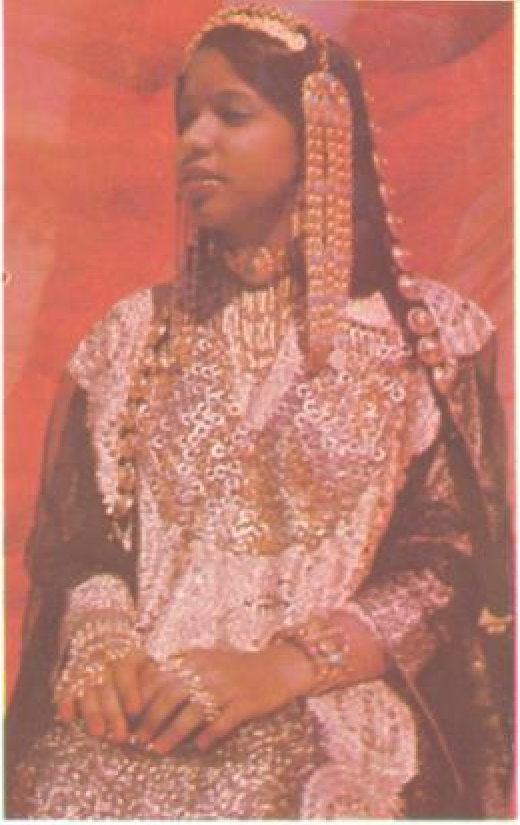
فالثوب الكويتي بلونه الأسود التقليدي ،الذى يزهو بالوحدات الزخرفية من الزرى الذهبي ، يشابه النجوم في صفحة السماء ، فالثوب الثريا مثلا ، يطرز من أمام بوحدة زخرفية مثلثة كبيرة تشتمل على رقائق من الترتر تضاف كوحـدات ذهبية دائرية تتدلى من أسفل الصدر الى أسفل منتصف الثوب ، كالثريا في لمعانها على صفحة السماء ٠

و « الثوب المنثور » الذى تتنـاثر على جميع أجزائه من امام ومن خلف وحـدات من الـزرى الذهبي دقيقة التطريز ، تبدو كنجوم منثورة تملأ السماء بالضياء ٠ وقد يطرز الثوب حول فتحة الرقبة بالترتر والزرى وعلى الصدر ليكون ثوبا « بقّبة » مثله في ذلك ايضا مثل « القبقب » الذهبي الذى تضعه الفتيات على رؤوسهن وبخاصة في ليلة عرسهن ، كتاج يتلألأ فوق هامتهن ٠ أو يكون الزرى على الصدر وعلى حافة الفتحات التي تاخذ شكل الأكمام الفضفاضة التي تعتبر بمثابة فتحات من على جانبي الثوب الفضـفاض وهذا النوع يسمى « بالثوب المخوّص » وهومخوص بقصب وحرير ، والثوب « المفحّح » ، الذى يتميز باكمامه الملونة التي تفصل من قطع مســتطيلة من القماش كل قطعة ذات لون خاص ٠ وغير ذلك من اثواب تختلف وحداتها الزخرفية بين الكثافة والبساطة ٠كالثوب « المسرّح بزرى » والمطرز على طول الثوب ٠

والثوب يصنع من حرير أسود شـفاف ينم عن الوان « الدّراعة » التي ترتدى تحتـه وهى من الحرير الثخين الملون ، بسيطة في خطوطها ،التى تقد على قد الجسد دون تحديد واضح لخطـوط الجسد ٠ ويطرز عادة صدرها وأساور اكمامها بخيوط حريرية ملونة تشكل وحدات هندســية مستوحاة من اغصـــان الزهور ، ومن الاشكال

يطرز « الثوب المفوص » بالترتر والزري الذهبي بكثافة التطريز الذي يغطي الصدر كله .







تتدلى « التلتول » و « السروح » من « الهامة » أعلى الرأس لتتلاقى مع « المرتعش » حول الرقبة و « المرتهش » على الصدر . وتتناغم مع الاساور الذهبية لتعطي كلها معا اطارا جماليا يحوط الفتاة كاشعاعات الشمس الذهبية .



الهامة و « التلول » و «البروج» و «المرتطه» و« المرتهش »و«الاساور» والحزام الذهبي من الحلى التي تتزين بها العروس ·
(الصورة الى اعلا)



تتعدد اشكال الكفوف الذهبية التي تزين الكفوف المخضبة بالحناء وتتآلف في وحداتها الزخرفية مع الاساور التي تزين المعصم ·
(الصورة الى اليمين)

التقليدية التي يشتهر بها الفن الاسلامي • كما قد يطرز على « الدراعة » كلها وحدات زخرفية كورق الشجر أو الزهور تتكرر ببساطة وحرية على الثوب كله ••• تضيف بزخرفتها وزخرفة الثوب الشفاف تكوينات زخرفية جديدة تتنوع مع حركة الثوب •

و « الثوب » و « الدراعة » يتكاملان معا بالوانهما المتداخلة في بناء فني تشكيلي يبرز جمال الأنثى دون ادنى تحديد لخطوط الجسد نفسه• وفي الرقص تغطي الفتيات رؤوسهن بجانب الثوب من ناحية الكم مع حجاب رقيق لنصف الوجه مما يساعد على ضم الثوب نفسه ، فيساعد على الحركة الايقاعية للاقدام والجسد • كما ان تفصيل الثوب نفسه بهذا الشكل يعطي جلالا لجمال المرأة يتوافق مع مفهوم الحشمة والحياء السائد في المجتمع العربي •

والثوب برقة قماشه وطريقة تفصيله وتوعية تطريزه بالزري ، ينسدل في خيلاء هادئة من الكتفين الى الأرض ، يبين ما تحته من جمال الدراعة المطوقة بحزام من الذهب المحلى بنقوش مفرغة • وفي حفلات العرس ، تظهر النساء والفتيات من أهل العروس وصديقاتها ، باجمل ما لديهن من ثياب وحلى • (١) •

زينة العروس

كما يحرص أهل العروس على أن تتجلى الفتاة في ليلة عرسها في أكمل صور الجمال معطرة بطيب العطور من دهن العود وماء الورد ، متجملة بابهى الثياب تحلي باساور من ذهب وتجلي بخمار واسع ، مخدرة بخدور من حرير اخضر كاستبرق سندس ، والمطرز أحيانا بخيوط من ذهب او فضة • وتمسك هذا القماش الحريري الأخضر من اطرافه اربع نساء في حين تجلس العروس تحته والى جانبها سيدة تنشد القصائد الدينية وتقوم النساء برفع طرف القماش الى أعلى تارة ثم تخفضنه تارة أخرى خلال انشاد هذه المدائح الدينية التي تعبر عن الأماني التي تحوط العروس • وتعبر عن جمالها المكتمل بالحلل الذهبية والمصاغ المطعم باللؤلؤ والأحجار الكريمة•

من هذه الاغنيات والمدائح :

« يا حسنها من ليلة جليت بها
بمحمد هو سيد الأكوان
في حلة ذهبية قد اقبلت
صفرا مشرقة على السلطان
في حلة حمراء لما انجلت
الله فضلها على النسوان
قد خمروها بالسواد وقد سبت
كل الورى يا معشر الاخوان »

كما يصفن محاسن العروس، بان جبينها كالبدر في ضيائه ، وعيونها كعيون الغزالة وفوق الخد لها خاله ، وغير ذلك من صور الحسن والجمال الرباني فهي « امينة في امانيها ، حلوة في معانيها » • (٢)

ويمتزج ضياء جمال العروس مع لآلاء حليها « وكراكيش » ثوبها الذهبي ، يفحوحولها البخور من مقابس متوهجة حمراء من النحاس الاصفر ، أو الفضة المكفتة بوحدات زخرفية ملونة ، وقطع من المرايا التي ينعكس عليها بريق الحلى الذهبية، التي تحوط العروس وهي جالسة كحور عين على كرسي أو بساط أو نمارق ، مما نسجته ايدي النساء كرفرف ملون ، بالوان حمراء ، وزرقاء ، وخضراء ، يحوطها اهلها وصديقاتها « قاصرات الطرف » « عربا اترابا » (٣) • « وتبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » (٤) • ينثرن ماء الورد من مراش العطور الفضية والذهبية ،يرف عطره مع اغنيات التفاؤل وامنيات السعد التي تهب على العروس (هبات الرياحين) • داعيات الله بان تكون حياة العروس حياة خير وهناء •

وتنطلق الاغنيات مع ايقاعات الدفوف والكفوف والزغاريد وتمايل الجسد ، في حركات ايقاعية

---

١ ـ انظر كتابنا ، « من عادات وتقاليد الزواج في الكويت » • الكويت ١٩٧٢

٢ ـ راجع مجموعة أغاني العرس كتاب :ـ

أ ـ صفوت كمال « من عادات وتقاليد الزواج في الكويت » (الكويت ١٩٧٢) •

ب ـ محمد النشمي ، الزواج قديما في الكويت ـ الكويت ١٩٧٤ •

٣ ـ عربا : جمع عروب ، والمرأة العروب هي المحبة الى زوجها • اترابا : في سن واحدة •

٤ ـ راجع القرآن الكريم « سورة الرحمن »



• الكفوف الذهبية • تزين الكفوف المخضبة بالحناء وتتجانس وحداتها الزخرفية مع الوحدات الزخرفية لباقي قطع الحلي •

تعبر عن فرحتهن الجماعية ، يرددن في أغانيهن ادعيات دينية مثل : « سلاما سلاما » (٥) مع « الصلاة على النبي » الف صلاة وسلام عليك يا حبيب الله محمد » •

التجميل بالحلي والحناء

واذا سارت العروس على قدميها ـ وعادة لا تسير ليلة عرسها بل تحمل الى العريس ـ تناغمت ايقاعات الحركة الرقيقة مع حركة الحجول الذهبية التي تزين قدميها ، وامتزج بريق الحجول مع لمعان « الافتاخ » التي تزين أصابع القدمين كالخواتم و « المرامي » التي تزين أصابع اليدين• وتتالف ايضا مع الحناء التي تخضب قدم العروس باللون الاحمر و « المداييَّة » من خضاب أسود بخط على القدم • كما تخضب اليدان بالحناء وينقش الكف بخيوط زخرفية من الخضاب الأسود « السومار » وتتجانس راحة اليد المحناة مع « الكفوف الذهبية » التي تغطي ظهر اليدين بسلاسل من ذهب تصل بين الخواتم والمرامي والمحابس التي تحوط الاصابع كلها، من الشواهد والخناصر ، التي تتشابك مع السلاسل الذهبية الرقيقة ، والأساور التي تغطي المعصم • تتلاقى جميعها في وحدة فنية متكاملة مع « المقاعد » المنقوشة على شكل « سف الحصير » أو « دق الباقلاء » وكلها نقوش مستوحاة من الطبيعة • وأساور « حُويْصات » مزينة برقائق من الذهب البارز المنقوش بحفر بارز ، أو أقل بروزا تسمى « أشْميلات » • فاذا صافحت اليد يدا صديقة ، تمازجت اشعاعات الضوء المنعكس على حلي اليد الذهبية ،مع لون الحناء الأحمر مع ظلال السومار، تضفي على جنان اللقاء صورة شاعرية تتناغم مع الجمال المثالي الذي تتحلى به العروس • ويصف الشاعر الشعبي كفوف العذارى المخضبة بالحناء بقوله :ــ

« مين يضاهي جمال الحور
لي كوسر الكف بالنقشة »

ويذكرنا ذلك بقول الشاعر عبد الحكم المسلم الشافعي (القرن السادس الهجري) (٦) يستجلي زوجته :

« سترت وجهها بكف عليه
شبك النقش وهي تجلي عروسا
قلت : لم يغن عنك سترك شيئا
ومتى غطت الشباك الشموسا »

فالعروس في التصور العربي تبدو دائما كشمس صبوح أو بدر منير• يضفي عليها الخيال الشاعري كل صور الجمال المثالي • وتسمو في أعين الناظرين عن الواقع الحسي الى الرؤية الفنية الخالصة •

« ينير الجنح في قنديل خده
وذاك الخد به خال وشامة »

وفي حفل العرس ، يحرص الاهل على أن تبدو العروس في أكمل صور الجمال التي يتخيلها الانسان سواء من خلال ما تلقنه من تعاليم ومعتقدات ، أو تمناه في رؤاه الفكرية المجردة المتطلعة الى آفاق خارج الطبيعة والكون المحدود•

فتزين العروس بالحلي وتعطر وتجمل الايدي والاقدام بالخضاب • وتجمل الشفتان بلون أحمر يستخلص من « الديرم » وهو نبات يجلب من

---

٥ ـ راجع القرآن الكريم • سورة الواقعة •

٦ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، القاهرة ١٩٤٨ ، جـ ١ / ص ١٦ •









تتميز « الدراعة » التي ترتدى تحت الثوب الشفاف بثراء التطريز بالخيوط الحريرية الملونة . **(الصورة الى اليمين اعلا)** مجموعة من الحلى الذهبية المحدثة تتجانس فى عددها واشكالها مع الحلى التقليدية . **(الصورة الى اليمين)** « الثوب المنثور » يتميز بالوحدات الزخرفية كنجوم منثورة على الثوب كله . **(الصورة الى أعلى)** الحجول الذهبية والافتاخ التى تزين أصابع القدمين المخضبتين بالحناء تضفى جمالا على الحركة الايقاعية للاقدام .

(الصورة الى اليسار)

الهند ، كما تكحل العيون وتزجج الحواجب فتبدو كهلال يطل على اكتمال جمال العين وحلاوة النظرة.

ويصف الشاعر الشعبي بدر الفحيل المطيري جمال حسناء زها خدها بدواثر ورقوم من الحمرة فيقول في قصيدة ارسلها للشاعر مرشد البذالي:

« ولاني باجيه ولا حصـــل لي كلامه
ال زهـــا خـده دواوير ورقـــوم »

فالشعر الشعبي (٧) كالشعر الفصيح حفـل بالتغني في وصف الجمال الانثوي وما يبرز هذا الجمال من ادوات زينة وتجميل تتفنن النساء في صنعها مثل قول احد الشعراء الشعبيين : ـ

« ابو زرقه على خــده علامة
مثــل نقش ابيـــــازي »

ويقصد الشاعر بالزرقة ، الخـــرزة الزرقاء ، التي توضع كرقية يؤخذ بها منعا للحسد والعين. كناية عن مدى الجمال الذي تتمتع به الحسناء • وابيازي نسبة الي العملة النقـدية الذهبية المشهورة بنقوشها الدقيقة •

كما يزين الانف « بخزامة » من الذهب الرقيق المزخرف بنقوش من الحفر المفرغ مطعمة بحبات صغيرة من اللؤلؤ ، تعكس من خلال ثقوبها ظلالا مضيئة ، على فم العروس • وكانها بسمة حانية، تداعب شفتيها ، حينما يبدو در ثغرها • تحوطه انفاس عطر من « زباد خالطه زعفراني » •

يملأ بعبقه الطيب كل ما يحـــوط العروس • يتماوج في هدوء ، مع ليل شعرها ، الذي يفرق من النصف تماما ويجدل في ضفائر تنسدل على الظهر • كما تنسدل « تلول خمس » مع ضفائر الشعر ، ثلاث منها على الظهر واثنان على جانبي الوجه ، يتألقان في تناسق بديع مع « السروح » الذهبية أو « الجِنّبات » ، التي تتدلى مع الشعر من الهامة على الراس ، الى الكتفين توحي بطول الجيد وجمال العنق ، والتلول خمس ، الثلاث اللائي في الوسط اطول من الاخرين • كأصابع اليد التي تكف الضرر وتحمي الانسان وتقيه من كيد الناظرين • وتكتمل التلـــول مع السروح السارحة على جانبي الوجه ، ليكتمل العـــدد سبعة •تفاؤلا بالعدد سبعة، كسبع سنابل خضر• او تسع ، ثلاث في ثلاث ••• وكلها ارقام يتفاءل



« التَراجي » اقراط من الذهب الخالص تتميز بنقوشها من الحفر البارز بوحدات مستوحاة من الطبيعة كنجم البحر ••

بها الناس في كثير من المجتمعات وترتبط ببعض المعتقدات • ويكتمل الاطار الجمالي لوجه الفتاة « بالتراجي » التي تتدلى من الاذنين • وحـــول الرقبة يكون «المَرْتعة» الذهبي الذي يتلاقى اعلى الصدر مع « البَتْمة » ، ومنها ما هو مطعم باللؤلؤ « بقمة مقَشّش » ، ومنها ما هو مرصع بالاحجـــار الكريمة «كالفردالة» التي تشبه العقود والقلائد القديمة • ويحوط البقمة اعلى الصـــدر عند الكتفين الى قرب الوسط « مرْتهش » ، يتكون من سلاسل ذهبية دقيقة الصنع ، ترتهش وتتماوج مع حركة الفتيات • ومن ارتهاشها واهتزازها يصدر صوت رقيق يهمس الى باقي الحلي ، لتعطي كلها معا وسوسة رقيقة •

والتلول والسروح تعلق في الهامة فتكون كلها معا كقرص الشمس تمد اشعتها تحوط الفتاة ، وتحجبها عن العيون الحاسدة •

فالذهب منذ القدم رمز للحيـوية الدائـــمة وللخلود • كما انه رمز للشمس في حركتـــها الدائبة الواهبة الدفء والنماء والحياة • مثله مثل اللؤلؤ الذي يحتوي على اكسير الحياة وهـو زهرة الخلود التي بحث عنها « جلجا ميش » في مياه الخليج عند ديلمون القديمة •

التصور الشاعري

حكايات وحـــكايات كثيرة تروى عن الذهـب واللؤلؤ وغيرها من المعادن والاحجار الكريمة • كما تتغنى أغاني العرس بجمال الحلي التي يحيط جمال العروس • وتذكر العريس بأن عروسه من

٧ ـ انظر دواوين الشعراء الشعبيين الكويتيين مثل : عبد الله الفرج ، مرشد البذالي ، فهـد البورسلي ، والتحفة الرشيدية في الاشـــعار النبطية ، وخيار مايلتقط من الشعر النبطي•

خير الاهل ، كريمة الاصل والمحتد « بنت منتخ الجود » وانها تعتز باصالة منبتها وباس اهلها ·

« يا مـن باس العريـس يا من باسهـا
مـن سـطر اللـولـو على راسهـا
جابو لهـا القبقـب وقـالوا البـس (٨)
وقـالت مـا البـسـه ولا يهمـنى
ولا يهمـنى الا خـوى زيـن الشـباب ·
وعنده قلـم فضـة ويكـتب الكتـاب
وعنده عـروس اللـى على ركبتـه
يمسـح بسايلـها هـباب هباب (٩)
يا سورة الرحمـن سيرى معـاه (١٠)
والا مــع خـى والا معــاى
يامنْ باس العريـس يامـن باسهـا »

فالفتاة في هذه الليلة تكون مجسدة لأحلام الطفولة التي تغنت بها الفتيات في صباهن خلال لعباتهن الشعبية : ـ

« ياليـتنى يـا يمـا بنـت للعـبدلى
تـوبى ثـوب بريسـم وحجـولى تجـتلى
يا بو بشت الجنـانى قوم يبونك هـنى
وان جيتهم بالطيحـة يخطبـونك لـى »

فالفتيات الصغيرات يتخيلن أنفسهن بثوب العرس العريري وتبرق حجولهن في جلاء ينم عن جمال انوثتهن · كما يتخيلن فارس الاحلام يرتدى عباءة من النوع الفاخر المطرز بالخيوط الذهبية « بشت الجنانى » ·

والعروس في ليلة عرسها تزين باكبر كم من الحلى الذهبية التقليدية ، سواء مما تملكه هى واسرتها او يقدمها هدايا اوتعيره لها صديقاتها وجيرانها · لتبدو في أبهى الصور الجمالية الفنية التى توارثها الانسان العربى عبر الاجيال·والشعر والروايات العربية،والتراث الادبى والفنى العربى ملىء بما روى ودون من اوصاف للحلى والاحجار الكريمة التى كانت تتزين بها الفتيات والنساء وما احتوته خزائن الملوك والامراء والتجار والاثرياء من جواهر ومصاغ ، وثياب وانية مطعمة بالذهب والاحجار الكريمة النادرة ، وما زالت اخبارهـا عالقة في ذاكرة الرواة الشعبيين · وعلى سبيل المثال قرطى مارية اللذين يضرب فيهما المثل : ـ « خذه ولو بقرطى مارية » (١١) ·

وقيل انفيهما درتين كبيض الحمام لم ير مثلهما· وقد اهدت مارية قرطيها الى الكعبة قبيل الاسلام (١٢)

ثراء التراث العربى

ويزخر التراث العربى بالنادر من الحلى والازياء منها القليل الذى بقى ولم يبند ، ومنها النفيس الذى ورد ذكره ولم يعثر عليه · ومنها الذى ضاع كغيره من روائع التراث العربى والاسلامى (١٣)

وتضم المتاحف العالمية قطعا نادرة من الحلى والازياء الشعبيـة العربية وما ابدعه الانسـان العربى على مر العصور التى تعلن برؤية مباشرة عن خبرة الانسان العربى في ادراك القيم الفنية الجمالية ، والتعبير عنها وتجسيدها بمهارة دقيقة، سواء فيما عرفناه من مقتنيات الملوك قديما او فيما وصل لنا وصفه عن تيجان وحلى وسيوف اشتهر بها العرب في عصور الازدهار العلمى والفنى ، في اليمن والجزيرة العربية ، ودمشق وبغداد والقاهرة ، وغير ذلك من عواصم اقطار الوطن العربى الكبير ·

انها خبرة جمالية ومهارة فنية ، يتلاقى فيها الحس الملموس مع النظر التجريدى ، كابداع فنى متميز على مر العصور ·

هذه الخبرة ، ظلت حية في الابداع الشعبى التشكيلى كشكل من اشكال التعبير عن الرؤية الفنية للانسان، وبخاصة في اهم مناسبات الاحتفاء بالانسان نفسه ، في حفلات العرس ، التى هى تعبير مباشر عن الفرحة الواعية بالحياة · ■■

صفوت كمال

---

٨ ـ يشبه الهامة التي توضع على الرأس اعلى الجبهة ·
٩ ـ يمر بيده على شعرها في حنان وهدوء ·
١٠ ـ تبركا بسورة « الرحمن » التى تصف جوانب من بديع خلق الله ·· وسبحان الخالق الوهاب ·· « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ·
١١ ـ الميدانى ، مجمع الامثال ، ٣٢٣/١ ·
١٢ ـ وقيل أن « مارية » هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث ابن معاوية الكندى ام الحارث ابن شمر الغسانى ، وهى أول عربية تقرطت ·وقيل هى امراة من اليمن اهدت قرطيها الى البيت· (انظر ، الزمخشرى ، المستقصى في امثال العرب ،ج٢ ٣٦٣/٧٣) ·
١٣ ـ انظر ، الدكتور عبد الرحمن زكى ، الحلى في التاريخ والفن · القاهرة ، ١٩٦٥ ·



توفر الخيرات في بلادنا ، مع الكرم العربي المتأصل في نفوسنا .. يجعلان السائح الاجنبي يقف مشدوها فقد

• اعرف وطنك ايها العربي •

السياحة في وطننا العربي

شاهدوا... وقارنوا... واقترحوا...

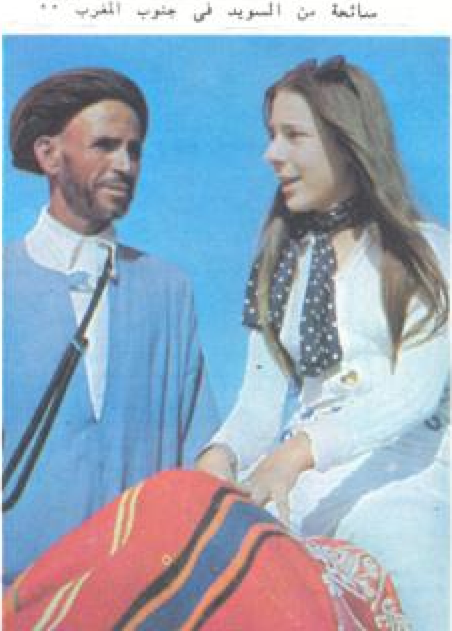


النصب التذكاري عند خط الاستواء .. الارض هنا تنقسم الى نصفين متساويين .. انها النقطة التي يمكن ان تجتذب مئات الالوف من السياح !



... تعود على التقتير في حياته الآلية !

سائحة من السويد في جنوب المغرب ..



استطلاع :

سليم زبال

تصوير :

اوسكار متري

وَتحسّرُوا !!

٨٠٠ دينار فقط ، هو المبلغ الذى تدفعه سنويا كل دولة عربية للاتحاد العربي للسياحة ، من اجل العمل السياحى العربى الوحيد المشترك !!

ومن هنا تبدأ المأساة التي لم يجد الاتحاد السياحي العربي مخرجا منها الا الارتماء في أحضان جامعة الدول العربية طالبا منها تحويله الى هيئة متخصصة تسير في فلكه ، ليتخلص من مصاعبه ومتاعبه !

■ ان امكانات الاتحاد العربي للسياحة كانت اقل من طموحات رجاله، الذين جابوا اركان العالم .. وشاهدوا الكثير .. وقارنوا .. وتحسروا بعد ان اقترحوا وحاولوا .. فما من سميع وما من مجيب !

شاهدوا اسبانيا تستقبل سنويا ٣٢ مليون سائح .. فتساءلوا : لماذا ؟ لا يأتى الا ربع هذا العدد لاقطارنا العربية العشرين ؟

لماذا .. ونحن نحتل بقعة ارض هائلة تفوق بمساحتها مساحة اسبانيا ٣٠ ضعفا ؟ وآثار حضاراتنا لا مثيل لها فى تعددها وتنوعها : اشورية ـ بابلية ـ فرعونية ـ فينيقية ـ دلونية مآربية ـ حميرية ـ اغريقية ـ رومانية ـ بيزنطية بربرية ـ نبطية ، وغيرها .. وغيرها ..

وشواطئنا العربية تمتد لمسافة ٧٠ الف كيلو متر ، تغسل رمالها مياه المحيطين الاطلسى والهندى والبحرين المتوسط والاحمر ، والخليج العربي..

البحث عن المجهول

ان كل حجر واثر فى وطننا يستطيع ان يجذب اليه واحدا من المائتى مليون سائح الذين استيقظت فيهم غريزة الانسان الطبيعية الاولى فانطلقوا فى الترحال بحثا عن كل جديد مجهول.. لقد سئموا زيارة البلاد التقليدية ، فاصبحوا يميلون الى الاماكن والاقطار غير المألوفة او المعروفة ..

وما يريدون مشاهدته موجود فى وطننا العربى وبكثرة عجيبة .. فجمهوريتا اليمن تحويان من المشاهد والآثار ما يخلب اللب والاذهان .. عادات وتقاليد واساليب حياة لم تتغير منذ قرون من الزمان .. عندنا فى اليمن آثار سد مارب الذى طلب « وندل فيليبس » ان يقيم بجوارها فندقا سياحيا عالميا يجذب اليه عشرات الالوف من السياح فرفض طلبه وقتها ولم يقم الفندق حتى الآن ..

وعندنا فى الجنوب جزيرة سقطرى ، او المتحف الطبيعى العظيم لاندر النباتات واشجار « دم الاخوين » المنقرضة .. هذه الجزيرة الساحرة المجهولة المليئة بالاساطير يمكن ان تصبح قبلة السياح من كل انحاء العالم ..

وعندنا فى الصومال اكبر مجموعة حيوانات متوحشة فى العالم تسير حرة طليقة .. ان اقامة فندق سياحى عالمى عند خط الاستواء سوف يحقق دخلا سياحيا خياليا للصومال ..

اما فى سلطنة عمان التى اشتهرت بانها ظلت بلادا مغلقة لمدة ٤٠ سنة ، فهذا فى حد ذاته ممكن ان يجعل من كل ركن فيها منطقة اجتذاب للسياح ..

ان اليمن بشطريه فى حاجة ماسة الى فنادق صغيرة تقام فى مناطق مختارة من الاراضى الداخلية تبنى وتجهز على الطراز المحلى التقليدى .

لقد طلب اليمن من جامعة الدول العربية اقامة صندوق عربى خاص من اجل مساعدته بشطريه حتى ينتهى تخلفه فى جميع المجالات .. وما زال البلد ينتظر ..

تعلم الابتسام !

ان المفهوم الحديث للسياحة يتمثل فى كلمتين: « الصلات انسانية » تتم بواسطة مصادر انسانية .. اى ان عملية تدريب الانسان العربى وتهيئته ليستجيب بشكل صحيح للمطالب التى تفرضها



لقد تعود المواطن العربي على سماع أسماء الاماكن السياحية العربية الشهيرة : اهرامات الجيزة ·· طاق كسرى ·· بعلبك ·· البتراء ·· مصراته ،وغيرها ·· اما اليمن بشطريه الجنوبي والشمالي فما يزال يعتبر بلد العجائب الخفية ·· ان فتح هذه المنطقة سياحيا سيمكن لاول مرة من رؤية جزء من العالم ظل منذ تدوين التاريخ مقفلا في وجه الرجل الغريب العادى ! · سيفاجأ السائح القادم على شبام – المدينة التى تطل على رمال الربع الخالي – برؤية بنايات تناطح السحاب ، بناها العرب الاقدمون قبل بناء ناطحات السحاب في نيويورك بعشرات السنين ·· والروعة في هندسة هذه العمارات ذات التسعة الطوابق ، انها مشيدة بالطين الرملي وجذوع النخيل فحسب ·· وفي الطابق الثامن العلوى يوجد طريق يربط بين المنازل لاتسير فيه الا النساء ! ان شبام واحدة من اعاجيب الدنيا التى تعد كنزا سياحيا حقيقيا ،لو سلطنا عليها الاضواء !

السياحة ، تمثل البند رقم واحد في جدول اعمال اى مشروع سياحي مشترك ، وفي هذا تقول المؤسسة الفنية البريطانية للاستشارات السياحية ، التى قامت باجراء مسح سياحي في منطقة الشرق الاوسط : « ·· حتى كل عامل في الفندق يجب ان يتعلم كيف يوصل الزائر الى غرفته بابتسامة ترحيبية ، وفي آخر الامر يساعده عند السفر مع التمني له باخلاص بان يكون قد استمتع باقامته ·· ويتطلب الامر لطفا جما وتفهما لهذا « الاجنبي » الذى يكافح بلغة غير مألوفة ، وبعملة غير مألوفة ، في بيئة غير معتادة ·· ويتطلب الامر من عامة الجمهور ان يقدروا دور السائح كضيف محترم وان يمنحوه الثقة الملائمة ، نظير الفوائد التى يجلبها للاقتصاد ·· وهذا يجعلنا نطلب توعية المواطنين العرب لفهم وقبول السياسة الخاصة بخلق السياحة وتدعيمها ·· »

مطلوب معهد دولي

ويطالب الخبراء في دراستهم بضرورة فتح معهد دولي لخدمة المنطقة التى تم مسحها ، لان الحاجة الراهنة ستظهر عجزا مريعا في الموظفين المدربين من مختلف الفئات ، ويفترض في هذا المعهد الدولي ، الذى ستكون شهادته معتمدة دوليا ، أن يهدف في المدى البعيد الى تقديم دراسات ذات مستوى جامعي لتغطية الكثير من النشاطات السياحية الاخرى مثل : النقل والبحث والتسويق ··

نشاط سياحي كبير

ما من شك ان العمل السياحي العربي قد حقق تقدما ملموسا في المغرب وتونس ومصر (ولبنان قبل الاحداث المؤلمة) ·· حتى اصبحت ايرادات السياحة في هذه الدول تشكل نسبة طيبة من دخلها القومي ·· ففي المغرب وتونس اقيمت المدن السياحية في مختلف ارجاء البلاد ·· والرحلات الجماعية تاتي بافواج السياح المتتابعة كالامواج ، حتى بلغ عددهم ما يقارب المليون والنصف في المغرب ، والمليون في تونس ·· وفي دول الخليج العربي نشاط سياحي يختلف عن نظيره في بقية اجزاء البلاد العربية ·· فهنا سياحة رجل الاعمال ، وحفلات





« بالرغم من الامكانات السياحية الهائلة والفريدة المتكاملة في الوطن العربي ومع توفر انواع السياحات المختلفة التقليدية والحديثة المتجاوبة مع كل الدوافع السياحية .. نجد أن حجم السياح القادمين الى وطننا العربي يقل عن ثلاثة في المائة ، عددا وعائدا، من مجموع السياحة العالمية » !!



مطلوب فنادق وفنادق لمواجهة مئات الالوف من السياح الذين بدأوا يتدفقون على كل ركن في وطننا العربي .. حتى « اغادير » المدينة التي نكبت بزلزال مدمر يوم ٢٩ فبراير ١٩٦٠ اصبحت مقصدا لنحو ١٠٠ الف سائح ، يأتونها سنويا لمشاهدة اطلال المدينة القديمة ، والاستمتاع بمناخ « اغادير » الساحر ، فهي مشتى ومصيف في الوقت نفسه .. وتعتبر اغادير من المدن العربية القليلة التي تضم عددا هائلا من الفنادق يمكنها من مواجهة اقبال السياح الشديد عليها . وهذا الفندق الرائع الكبير هو مثال لفنادق هذه المدينة التي استطاعت ان تتغلب على آلامها واحزانها بعد مقتل ١٥ الفا من ابنائها في الزلزال .

الى اليمين : يضم وطننا العربي اكثر من ١٧٠ الف كيلومتر من الشواطيء الساحرة التي تحتضن البحر المتوسط على طول ساحليه الشرقي والجنوبي، وتطل على المحيطين الاطلسي والهندي ، وتحيط بشاطيء البحر الاحمر ، وشواطيء بحر العرب وخليج عمان وجنوب وغرب الخليج العربي .. وهذا الامتداد الهائل للشواطيء يمكن السائح من الاستجمام على مدار ايام السنة . اذا اراد !!

ثم وضع الاطار العام لسياسة سياحية عربية في مؤتمري وزراء السياحة العرب·· ولم يبق الا التنفيذ ·· ان الكثير من البلاد العربية لديها اماكن سياحية فريدة لم تجد الفرصة المواتية لاستثمارها واستصلاحها ، مثل شمال العراق - الذي يشهد حاليا عملية بناء وتطوير لمنشآته السياحية ، لخدمة ابناء البلد في المقام الاول ·· ان الماء يتفجر من كل مكان في شمال العراق الجميل ، ومن يشرب من مياه شلالات بيخال سبع مرات تتحقق جميع أمانيه ! هكذا تقول الاسطورة على الاقل !!



سياحية ترفيهية صيفية لابناء البلاد حققت نجاحا كبيرا ملموسا ··

لقد اصبحت لدى المسئولين العرب قناعة باهمية السياحة وبفوائد العمل السياحي العربي المشترك ·· ولكن كل شيء يسير باسلوب منفرد ·· والتنافس على اجتذاب السائح يسبب متاعب كثيرة وجهدا ضائعا ·

اننا يجب ان نؤمن باننا نشكل كتلة واحدة هائلة ، سيكون لها وزنها الكبير عندما نتكلم بلسان واحد في الاجتماعات الدولية ··

سياح من جيبوتي لليمن

والتنسيق السياحي العربي يجب أن يتم مع الدول المجاورة كذلك · فالسياحة في اليمن مثلا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسياحة في دول شرق افريقيا كالحبشة وكينيا والصومال ، التي تجتذب عشرات الالوف من السياح ·· ان نسبة كبيرة من هؤلاء السياح ممكن تحويلها الى اليمن ·· وقد بدات هذه الفكرة على نطاق صغير ، فهناك شركة سياحية فرنسية اصبحت تنقل السائح الفرنسي من جيبوتي الى صنعاء لقضاء يوم هناك ثم العودة !

رحمة غير رؤوفة !!

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : الى اي مدى استفدنا من السياح المارين ببلادنا ؟

ان الرد على هذا السؤال يوضح لنا تناقضا كبيرا ·· ففي بعض البلاد العربية نقدم خدمات للسائح تفوق بكثير مقدار ماينفقه ! والعكس نجده في مناطق اخرى ، حيث نتركه تحت الرحمة ـ غير الرؤوفة ـ لسائقي سيارات الاجرة ، ورجال الجمارك ، وصرافي النقد في البنوك ، والشحاذين ،واخيرا جشع التجار وعدم وجود اسعار ثابتة محددة ، حتى اننا اصبحنا نكذب على انفسنا بادعائنا ان السائح يفضل « المساومة » ويتلذذ بها ، وهذا خطا فاحش

شائع ٠٠ فقد اوضح استفتاء اجرى بين مجموعة كبيرة من السياح ان معظمهم ينفرون من المساومة وكلهم مقتنعون بانهم لم يحققوا مساومة طيبة ، وانهم قد دفعوا اكثر مما يجب ان يدفعوا فى مشترياتهم !

١٥ يوما بخمسين جنيها استرلينيا

لقد اختلف مفهوم السياحة اليوم وتنوع ٠٠ فلم تعد السياحة مقصورة على اصحاب الملايين ، بل اصبحت فى مقدور كل انسان ٠٠ وخير مثال على هذا ما حدث فى بريطانيا ، التى قررت حكومتها الا يحمل السائح البريطانى معه الا ما يعادل خمسين جنيها استرلينيا ٠٠ وفى الحال قامت شركات سياحية بريطانية بتامين رحلات سياحية جماعية شاملة لمدة اسبوعين بخمسين جنيها ٠٠فتضاعف عدد السياح الانجليز المغادرين لبريطانيا !!

واحتلت سياحة الشباب مركزا مرموقا فى العالم ٠٠ فهؤلاء الشباب يسافرون للتعرف على الحياة بكل معانيها واشكالها ٠٠لا يهمهم المستوى ٠٠ان كلا منهم يبحث عن شيء يجهله٠٠ يبحث عن المعرفة ٠٠ يبحث عن اخيه الانسان ٠٠ يبحث عن الطبيعة التى افتقدها فى حياته الآلية العصرية ٠٠ وهذا النوع من السياح الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥ و ٢٥ سنة ، والذين يسافرون بمفردهم،يحتاجون الى بيوت للشباب٠٠ الى مخيمات ٠٠ الى فنادق بسيطة ، يعمل فيها النزلاء مقابل اقامتهم فيها ٠٠ مثل هذه المنشات نفتقدها فى معظم بلادنا العربية ٠٠

ان العناية بسياحة الشباب وصلت الى القمة فى اليابان ، حيث يستاجرون لهم باخرة تطوف بهم مختلف البلاد ، يتعرفون على الانسان والارض، وينامون فى الباخرة الكبيرة ، التى يضاف الى ركابها خمسة شباب من كل محطة يقفون فيها من اجل زيادة التعارف اثناء متابعتهم للرحلة مع ابناء الشمس المشرقة ٠٠ اسلوب رائع لسياحة الشباب ما احوجنا للاقتداء به ٠٠ بدلا من اقامة منظمات للشباب همها التجارة لا السياحة !

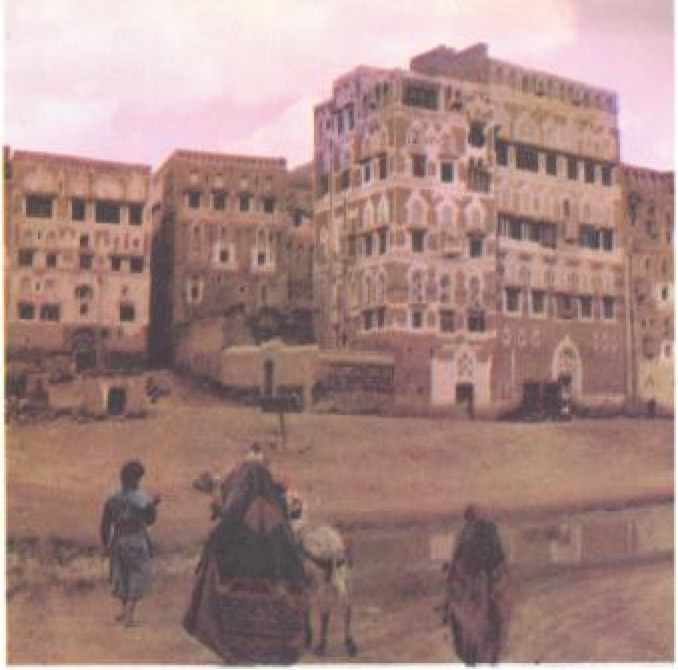


سقطرى ٠٠ اروع جزرنا العربية المنسية وسط مياه المحيط الهندى ٠٠ يمكن ان تصبح مقصدا لعلماء النبات فى العالم ، لما تحويه من نبات واشجار نادرة رائعة ، اشهرها شجرة العندم او دم الاخوين التى تنبت باعداد هائلة فوق قمم جبال سقطرى ٠٠ ويطلق عليها الاجانب اسم شجرة التنين ٠٠ وسبب التسمية ان الاهالى عندما يجرحون جذعها يتدفق منه سائل احمر قان ، يتجمد فى الحال ليباع فى الاسواق ٠٠ العالم كان يستعمله مادة مطهرة قابضة للثة ، وملونا لمساحيق الاسنان وللورنيش ،وابناء سقطرى يستعملونه مسحوقا لعلاج الجراح وتلوين الفخار ! !

لمن تتدفق المياه ؟

والى جانب هذه السياحات المتنوعة نجد « السياحة العلاجية » التى تعتمد على ينابيع المياه المعدنية الموجودة فى البلاد ، وهذا النوع من السياحة صادف نجاحا كبيرا فى اوروبا ، حتى ان فرنسا والبرتغال واسبانيا قد كونت اتحادا لمؤسسات العلاج بالمياه المعدنية ٠٠

اما نحن فان آلاف العيون المعدنية العربية تتدفق بغزارة واستمرار ، دون استغلال ، ما عدا النادر القليل ٠٠ مما يجعلها عديمة النفع الا لسكان المنطقة نفسها ، الذين يستغلونها بطريقة



ان انفتاح اليمن سياحيا سيمكنه من انيحقق دخلا طيبا من العملات الصعبة ،
فكل شيء في اليمن سيجذب انتباه السائح، وخاصة هندسة المباني القديمة ..

الى اسفل : يعبر مضيق جبل طارق الى المغرب العربي نوع خاص من السياح
يعيشون داخل مقطورات سياراتهم ، انهم في حاجة الى معسكرات مكشوفة يتوفر
فيها الماء والكهرباء والمغاسل فقط !!





هذه السجادة وحدها يمكن ان تصبح متحفا يأتي اليه عشرات الالوف من الزوار ! ! انها نموذج من كنوز العتبات المقدسة الموجودة اسفل ضريح الامام علي (رضي الله عنه) المصنوع من البلاتين والذهب والفضة بالنجف الشريف في العراق .. سرداب مغلق يضم هدايا لاتقدر بثمن .. من بينها سجاد مصنوع من الحرير والقصب والذهب ومحشى بالماس والزمرد والياقوت واللؤلؤ .. هدايا قدمها نادر شاه وعباس الصفوي وغيرهم من الاباطرة ، وفاء لنذور نذروها .. وغرفة كنوز العتبات المقدسة لاتفتح الا مرة كل ٥٠ عاما بحضور وزير الاوقاف . وعرض هذه التحف في متحف خاص في النجف وكربلاء افضل بكثير من ابقائها في سراديب مظلمة لايراها احد ! !



تعتبر « الحمة » من اشهر عيون المياه المعدنية في الوطن العربي .. وتقع في سوريا وفي الاردن ..وفي الحمة الاردنية ، ثلاثة حمامات تحوي ثلاثة انواع مختلفة من المياه : المعدنية الحمام الاول « المقلى » وحرارة مياهه بين ٤٨-٥١ درجة مئوية .. والثاني « البلسم » وحرارة مياهه ٣٩ درجة .. والثالث «الريح» ومياهه دافئة .. ان الفندق الحديث المقام بجوار هذه الحمامات يحتاج الى منشآت صحية حديثة للانتفاع بها في السياحة العلاجية!

بدائية بجوار الآثار القديمة المجاورة ، التي لو نطقت لقالت : ان الحمامات العربية المعدنية كانت في زمن الرومان انظف منها اليوم وأكثر شهرة !

ان العرب انفسهم يجهلون هذه العيون المعدنية، فكيف يمكن للاجنبي التعرف عليها ؟ .. انها موجودة في كل دولة عربية تقريبا ، حتى في اليمن توجد عشرات الينابيع : السخنة » وحمام علي » جنوب الحديدة ، وتستعمل مياهها لعلاج المفاصل والتهاباتها ، وتستعمل مياه عيون جبل صبر لدر البول ، ومياه عيون العدين قرب تعز لعلاج آثار البلهارسيا والامساك ..

وفي الجزائر نجد حمامات بو حنيفة المعدنية الحارة جنوبوهران تعالجالروماتزم المزمنوالشلل .. ، وفي مصر ١٣٥٦ عينا تتدفق منها المياه المعدنية ، أشهرها عيون حلوان وعيون الصيرة .. ولا يمكن أن ننسى لبنان الجريح الذي تتدفق من صخور جباله الينابيع الدافئة ، والعيون السخية، والجداول الرقراقة ..

وهكذا في أغلب اجزاء الوطن نجد المياه المعدنية تتدفق دون حساب .. ودون استغلال !!

السياحة الداخلية !

اننا قبلان نطالب السياح الاجانب بالتدفقعلى بلادنا ، يجب ان نتعرف نحن اولا على بلادنا !!

ان التجول في العواصم الكبيرة لا يعني ابدا معرفتنا ببلادنا ، ان السياحة الداخلية ـ كما عرفها خبراء السياحة العرب ـ هيركيزة السياحة الدولية ، فهي التي تساهم بشكل ايجابي ، في دعم الاماكن السياحية داخل القطر .. ويقترح الخبراء عمل صناديق سياحية خاصة للعمال وذوي الدخول المحدودة ، تقتطع اقساطها من اجور العمال لتنظيم رحلات سياحية محلية .

ومن السياحة الداخلية نعرج على السياحة الاقليمية والمطلوب من الاندية والمؤسسات والجمعيات العربية عمل اتحاد مشترك فيما بينهم ينظم الرحلات السياحية ويقوم بدور ايجابي ، ينشر المقالات ويقدم المذكرات ، من اجل القضاء على المعوقات السياحية ، ومنح تسهيلات اكبر للسائحين العرب والاجانب على حد سواء ..

ومن الامثلة التي يمكن الاستعانة بها في الرحلات الداخلية والعربية ، ما تقوم به شركات الطيران في الولايات المتحدة التيقامت بعمل تذكرة طيران خاصة ثمنها ٣٣٠ دولارا تمكن السائح من النزول والصعود الى الطائرة في العديد منالمدن

الامريكية لمدة تزيد عن ٣٠ يوما ٠٠ اما قطارات السكك الحديد الامريكية فتعطيك بطاقة سفر بمبلغ ١٥٠ دولارا تنتقل بها الى اى مكان تريده فى الولايات المتحدة طوال مدة ١٤ يوما تزاد الى ٢٠٠ دولار لمدة ٢١ يوما ، و ٢٥٠ دولارا لمدة ٣٠ يوما ٠٠

اسلوب بسيط لكنه مربح للسكة الحديد ، وللسائح ، وللبلاد !!

عذاب الطريق يهون

ان الاتحاد السياحي العربي يطالب باستمرار بانشاء شبكة طرق تربط بين مختلف البلاد العربية ٠٠ والواقع ان فائدة هذه الطرق تتدنى نتيجة للاجراءات التعسفية ٠٠ التي تركب عند منعطفاتها !

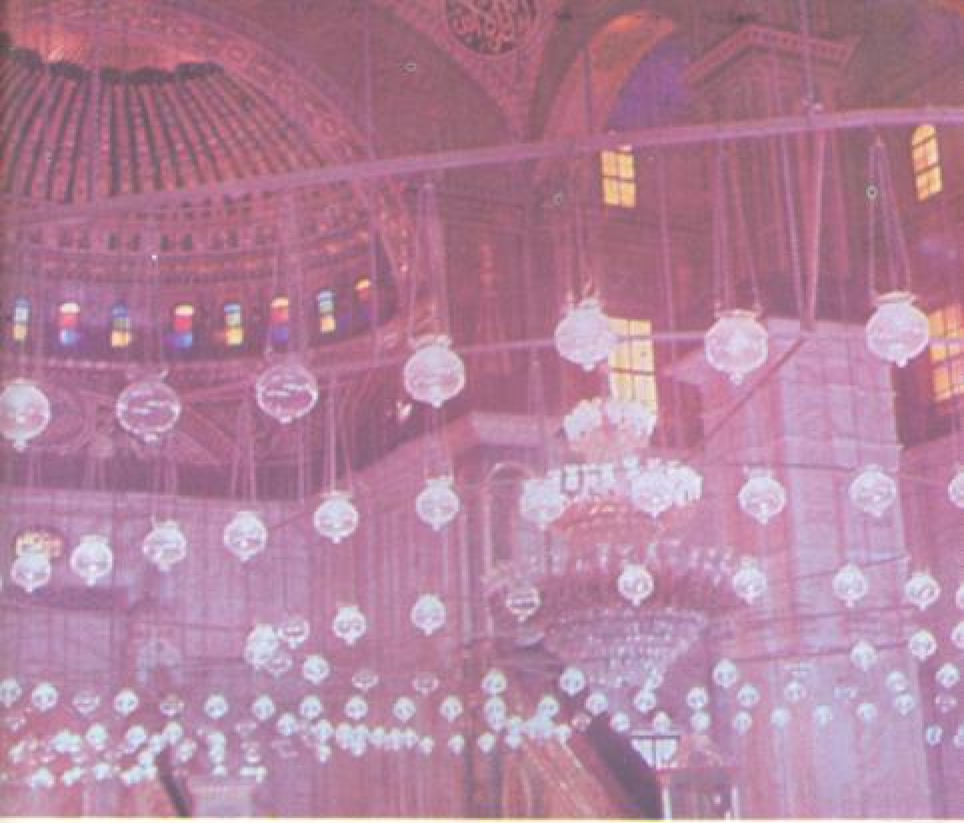
فعند كل نقطة حدود يضطر المسافر ـ سواء كان عربيا او اجنبيا ـ الى الوقوف تحت اشعة الشمس فترة ٣ او ٤ ساعات ، يتابع خلالها اجراءات المرور السخيفة التي تضطره الى ان يفرغ كل ما في سيارته من حقائب ولعب اطفال، ليفتشها رجل الجمارك ، الذى يعتقد ، فى قرارة نفسه ، بان كل عابر حدود هو مهرب وسارق ومتسلل !! حتى يثبت العكس !

ان اجراءات الحدود والجمارك ذات اثر بعيد ودائم على نفسية الانسان ٠٠ فهى الانطباع الاول الذى يتكون لدى السائح عن البلاد ، ويبقى حيا فى ذهنه طوال رحلته ٠٠ ان ما يريده كل مسافر فى هذه الدنيا هو سهولة العبور ، والحصول على معاملة انسانية طيبة !

ومن التجارب التى يمكن ان نستفيد منها تلك



السياحة فى دول الخليج لاقت اهتماما زائدا من المسئولين ، فاجرى المسح السياحي فى كثير منها بمساعدة الخبراء العالميين ٠٠ والى الكويت يجيء السياح فى مجموعات صغيرة تبلغ أربعين شخصا ، وغالبيتهم من اتحاد الاساتذة الذى يضم ٣ ملايين استاذ أمريكي ٠٠ ونتيجة لازدياد سياحة رجال الاعمال وعدم وجود اماكن فى فنادق الكويت ، قامت وزارة التجارة باعطاء تصاريح لانشاء ٥١ فندقا جديدا فى الكويت الى جانب ١٨ فندقا موجودة حاليا !! ويظهر فى وسط الصورة الاستاذ صالح شهاب عميد السياحة فى الكويت بين فوج من السياح ٠



المساجد والاثار الاسلامية القديمة في كل اجزاءوطننا العربي معين لاينضب لا جتذاب الزوار من الدول الاسلامية ..

الى اسفل : ثلج ورمال وجبال وبحار وانهار ،من بين العوامل الكثيرة التي تيسر وتسهل قطاع السياحة العربية ، اذا احسن استخدامها !





بين الشعاب المرجانية المتناثرة في مياهنا العربية . تعيش ملايين الاسماك الملونة ، التي توفر متعة زائدة للسياح الذين يعشقون هواية الصيد تحت الماء ..

الى اسفل : حضارة الفراعنة واحدة من عشر حضارات على الاقل ازدهرت فى الوطن العربى ، وهى رصيد سياحى عظيم .



التي صادفتنا عند قيامنا برحلة من جنيف الى باريس ‥ ان رجل الجمارك السويسري في جنيف يقف الى جانبه رجل جمارك فرنسي ، القى الاثنان نظرة مشتركة على حقيبتنا ، ووضعا بطاقتين عليها ، وعند وصولنا الى باريس لم يكن هناك اى تفتيش جمركي لانه تم اصلا في جنيف !!

مثال رائع بسيط ، حبذا لو طبقناه بين بلادنا العربية ‥ المتقاربة منها على الاقل !!

تقرير خطير

اننا عندما نخطط لمشاريعنا السياحية نعتبر اننا متفضلون على السائح ، وننسى المنافسة الحادة التي تواجهنا من البلاد السياحية الكبرى ، ومن الاعداء على حد سواء ‥ وفي هذا يقول خبراء المؤسسة السياحية البريطانية عن بلادنا :

« والشرق الاوسط في الوقت الراهن منطقة غير متبلورة وفوضوية والدعاية منها سيئة ، وقبل الحرب العالمية الثانية كان يطلق عليها اسم الشرق الادنى ليتغير تعريفها المستمر بصفة حربية ‥ ومما يحزن له انها ـ ما زالت حتى اليوم ـ تعتبر من قبل الاسواق السياحية العالمية ، منطقة تمتاز بالمشاكل والاضطراب ، ان لم يكن بالحرب العلنية ‥ وهي لهذا تتطلب ممارسة هائلة لنشاط العلاقات العامة لتعيد الطمأنينة الى السائح الذي هو اكثر الناس احساسا وتقلبا بشأن الاسواق ‥

« والغريب ان هذه المنطقة (يقصد الكويت والعراق وسوريا والاردن ولبنان ومصر وليبيا واليمن الجنوبي) هي منطقة تجهلها الاسواق العالمية ـ !؟! ـ وهذا الوضع من الواجب وبالامكان تصحيحه بعمل قوي مشترك ‥ ان المنطقة يجب ان تزود بجهاز فكري مشترك لتزويد الناس بالمعلومات الحديثة التي من شانها تبديل النظرة القديمة للسياح بشأن هذه المنطقة ‥ »

مناطق ملتهبة

ويتابع خبراء السياحة الانجليز تقريرهم الخطير الذي قدموه للحكومات العربية المعنية :

ـ « ان الشرق الاوسط تطبق شهرته الآفاق يوما بعد يوم من خلال العناوين الرئيسية في الصحافة العالمية ، ورغم ان المناطق ذات المخاطر والازعاج تعتبر غير ذات بال بالنسبة للمناطق الاخرى ، التي تمتاز بالجمال والهدوء العادي ، الا ان احدا من السواح لا يقدم على زيارة المناطق الهادئة بسبب الصورة المعممة عن المناطق الملتهبة !! »

والواقع ان كتيبات الدعاية والنشرات السياحية العربية ، لم تصل في مجموعها الى المستوى المطلوب فيما عدا نشرات المغرب العربي ذات الطابع الانيق الجذاب ‥

ان عملية طبع نشرات وكتب سياحية عربية مشتركة رائعة الاخراج هي من الامور الاساسية ‥ الا ان فائدة هذه الكتيبات سرعان ما تذهب ادراج الرياح عندما تنشر المجلات الاجنبية المتخصصة عن الشرق الاوسط ، خبرا تقول فيه : ان استخراج فيزا لدخول قطر عربي ما يحتاج الى فترة تمتد الى عدة شهور ‥ وان حجز غرفة في احد فنادق القاهرة يحتاج الى شهرين مقدما !!

هل نريد السائح حقا ؟

ان « سيول » السياح التي تامل في تحويل مسارها صوب وطننا العربي ، تنتظر منا اشارة الانطلاق لتنهمر على بلادنا ‥

وقبل اعطاء هذه الاشارة يجب ان نقرر شيئا هاما : هل حقيقة اننا نريد هذا السائح ؟

ان اعمالنا المتصفة باللامبالاة تعطي انطباعا عكسيا ‥ ان بعضنا يريده وبعضنا يعمل كل ما في وسعه لتهجيره ‥

ان الآمال الكبار معقودة اليوم على الاتحاد العربي للسياحة ، الذي ما يزال يعتقد بان العمل داخل نطاق جامعة الدول العربية هو الوسيلة المثلى للانتاج ، فاصبح اسمه « المنظمة العربية للسياحة » !! ■■

سليم زبال

أنباء الطب والعلم والاختراع

حبوب منع الحمل وخطر الموت

● الكل يعلم شيئا عن مخاطر حبوب منع الحمل ٠٠ ولعل الكثيرات من نساء العالم بدأن يمتنعن عن تعاطي هذه الحبوب نظرا لأن الانجاب والتكاثر بات اهون شرا من الآفات والامراض التي تسببها تلك الحبوب ٠

الا ان احدا لم يخطر له ببال ان تلك الحبوب قد تسبب الموت ٠٠ وعلى نحو مباشر ٠٠ حتى نقلت وكالات الانباء مؤخرا خبر موت احدى السيدات البريطانيات نتيجة لتلك الحبوب ٠

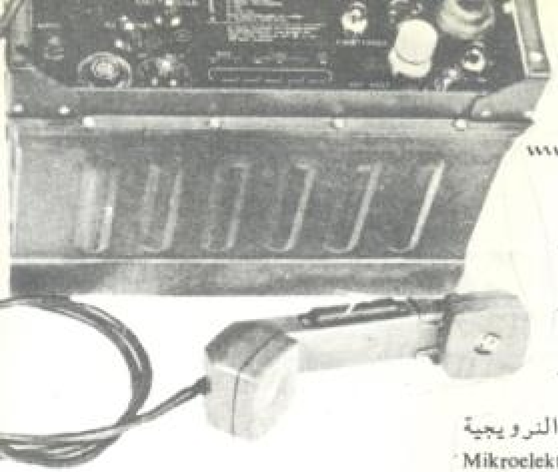
فقد ظلت تلك السيدة ، وعمرها ٣٣ سنة ، تتناول حبوب فالدان Validan طيلة ثماني سنوات ٠ ولكنها استبدلت بهذا الصنف من الحبوب صنفا آخر هو مينوفلار Minovlar ٠ ولم تفعل ذلك اعتباطا وانما بتوصية طبية من احد مستوصفات التخطيط العائلي الحكومية المنتشرة في بريطانيا ٠

وبعد بضعة اسابيع شعرت السيدة ببعض الآلام في الصدر والكتفين ، فراجعت الطبيب ٠٠ ثم ادخلت المستشفى، مستشفى لستر في بلدة ستافنج Stavenage ٠ الا ان الاطباء لم يستطيعوا تحديد سبب تلك الآلام ٠ وهكذا عادت المسز رتشنجز Richings الى بيتها ،٠ حيث اضطرت الى ملازمة الفراش ثم لم تلبث صحتها ان انهارت بعد بضعة ايام ، فنقلت الى مستشفى لستر بالذات ٠

واثبتت الفحوص ان سبب الوفاة المباشر هو الانسداد الرئوي Pulmonary Embolism او ، ان شئت حبوب منع الحمل التي كثيرا ما تسبب هذا المرض ٠ كما سبق ان بينا في اعداد ماضية ٠

حتى الاسود في عرينها تؤثر الحياة العائلية

● قام الدكتور برترام Dr.C.R. Bertram ، وهو احد العلماء العاملين في جامعة كامبردج ، قام بدراسة فريدة للاسود ، اسود الغاب المتوحشة ٠ نقول فريدة لان الدكتور برترام عاش مع تلك الوحوش وعلى بعد ١٠ ــ ٤٠ مترا منها وذلك طوال ٧ سنوات ليقوم بدراسته تلك ٠ بيد انه فعل ذلك وهو داخل سيارة اعدت خصيصا لوقايته ٠ وقد نشرت مجلة الحيوان Journal of Zoology التقرير الذي



تلفون لاسلكي جديد
بالغ المدى
فى الارسال والاستقبال

● نجحت احدى الشركات النرويجية واسمها Mikroelektronikk AksJesels-kapet of Horten في تطوير تلفون ميدان يتميز على كل ما عرف من هذه التلفونات حتى الآن . فالتلفون الجديد له هوائيان منفصلان احدهما للارسال وهو من نوع Whip Antenna والآخر للاستقبال من نوع Diapole Antenna ويبلغ مدى هذا التلفون ٢٠٠٠ ميل فى الارسال ويغطى الكرة الارضية باكملها فى الاستقبال .

هذا والجهاز الجديد خفيف الوزن قوى البنية ، ويعمل بالكهرباء التى تصله من بطارياته . اما ذبذبات ارساله فتصل الى ٢٨٥٠٠٠ ذبذبة .

وضعه العالم البريطاني وأوضح فيه بعض نتائج دراسته التى توجزها بدورنا فيما يلى :

١ ـ الاسود حيوانات اجتماعية وتعيش فى جماعات او أسر . تلك هى القاعدة العامة التى لا يستثنى منها الا القلة التى مازالت تؤثر حياة التنقل والتشرد ....

واسرة الاسود غالبا ماتتكون من ذكرين اثنين وعدة اناث ، ٥ ـ ٩ لبؤات . وقد تشمل الاشبال ايضا ... ولكن هذه لايزيد عددها فى الغالب على ثلاثة اخماس عدد افراد الاسرة .

ويقوم ذكرا اسرة الاسود هذه باعمال الحماية والصيانة لمستعمرة الاسرة التى تتراوح مساحتها بين ٢٠ ـ ١٠٠ ميل ، مربع وذلك بالزئير واعمال الحراسة ..ومن طريف ما يذكر انهما يبولان عند حدود المستعمرة بقصد تأكيد تلك الحدود !!

وغاية الاسرة التناسل .. فالاسود الهائمة لا تتناسل ، وهى فى الغالب أشبال صغيرة أو لبؤات تحت الطلب لتأسيس اسر جديدة .

٢ ـ والاسود تحب التغيير ولا تروق لها الرتابة اذا طال أمدها .. فرب العائلة تطرده عائلته من مستعمرتها متى بلغ الثالثة من العمر ـ او نحو ذلك . ويهيم الاسد المطرود على وجهه ، ويصبح فى عداد الاسود المتشردة .. وقد تطول وحدته سنة او سنتين او حتى ثلاثة .. ثم لايلبث ان يلتحق باسرة اخرى فقدت ذكرا من ذكورها بالموت اوبالطرد .. اما اذا لم تكن

« شعاع الموت »

الدولتان العظميان تتسابقان لصنعه

● يبدو أن الدولتين العظميين تخوضان سباقا تكنولوجيا خطيرا، يستهدف صنع سلاح جديد، بالغ الفتك والتدمير. انه « شعاع الموت »، يطلقونه من مسدس او ما شابه ذلك فيتلاشى الهدف وينعدم على الفور. وما اشبه هذا السلاح الجديد بما درج على تخيله مؤخرا القصصيون.

وليس « شعاع الموت » هذا سوى تطوير جديد لاشعة ليزر نفسها .. واشعة ليزر هذه ليست جديدة .. فهي اشعة ضوئية قوية جدا، شاع استعمالها في المدة الاخيرة في صنع مناظير البنادق المكبرة .. وقد عرف عن هذه الاشعة ايضا قدرتها على احداث العمى .. اما استعمالها بقصد القتل والافناء فقد استبعده العلماء في الامس القريب، واعتبروه احتمالا غير عملي نظرا لمقادير الطاقة الهائلة التي يحتاجها تطوير اشعة ليزر لهذه الاغراض.

وتغيرت الاحوال بتغير الايام واذا بشعاع الموت يصبح حقيقة واقعة او يكاد .. وقد اكدت ذلك مراجع عديدة موثوقة نذكر منها: مرجع جين Jane's الشهير لشبكات الاسلحة، في طبعته الاخيرة سنة ١٩٧٦، وقد صدر في مطلع هذه السنة.

أما استعمالات اشعة الموت المرتقبة فنخص بالذكر منها، استنادا لمرجع جين الذي ذكرنا، استعمالين اثنين:

١ ـ اعطاب الاقمار الصناعية التي تقوم باعمال التجسس او الانذار او المواصلات ..

٢ ـ اعتراض سبيل صواريخ العدو وتدمير رؤوسها الحربية وهي لا تزال في الفضاء الخارجي وقبل دخولها جو الارض.

الاسرة فقدت أيا من ذكريها، واصر الاسد المتشرد على الالتحاق بها، عندئذ يدخل هذا الأسد في معركة مع احد ذينك الاسدين ليحل محله اذا هو انتصر عليه ..

٣ ـ ومن طريف ما يذكره العالم البريطاني ان اسر الاسود التي يلتحق بها اسود جديدة تتوقف عن التكاثر لمدة ستة اشهر تقريبا، وذلك تبعا لكثرة الاجهاض في تلك المرحلة الاولى، اضف الى ذلك ان نسبة موت الاشبال ترتفع في تلك الاسرة.

ويرد الدكتور برترام هذه الظواهر الى ما يسببه وجود الاسود الجديدة في الاسرة من توتر للبؤات تلك الاسرة. لا عجب اذن ان عاملت هذه اللبؤات اشبالها بالاهمال .. فلا تعود تفرز من الحليب بقدر ما يحتاج اشبالها ولا تعود تبذل الجهد المعتاد في سبيل الصيد من اجل تلك الاشبال.

٤ ـ ومن غريب ما لاحظه الدكتور برترام ان الاناث في أسرة الاسود الواحدة غالبا ما تحمل وتضع في وقت واحد تقريبا .. ولاحظ ايضا ارتفاعا في نسبة موت الاشبال في الحالات التي لا يحدث فيها ذلك التوافق.

وتجدر الاشارة الى ان هذه الدراسات التي استغرقت سبع سنوات ـ كما ذكرنا ـ قام بها الدكتور برترام في حديقة سرينجيتي Serengeti وهي حديقة مكشوفة للحيوانات في تنزانيا.

■■

الغزالى وفلسفته الخلقية

● الخير خير لأن الله تعالى أمرنا به · والشر شر ، لأن الله تعالى نهانا عنه ·

اختار التصوف ، وشغل فكره فى عزلته بالرياضة الروحية

بقلم : الدكتور محمد عاطف العراقى

■ يحتل الغزالى فى تاريخ الفكر الفلسفى الاسلامى مكانة كبيرة · فهو قد اثرى هذا الفكر بمؤلفاته الكثيرة والتى تضمنت كثيرا من الجوانب المتنوعة المتعددة ·

وقد ولد الغزالى بطوس احدى مدن خراسان عام ٤٥٠هـ (١٠٥٨ ـ ١٠٥٩م) · ونشأ فى اسرة متدينة تقية · وكان ابوه رجلا قانعا بما يكفى عيشه ، يكتسب بغزل الصوف وبيعه ··

وكتب الغزالى ثمرة لتثقفه بالثقافة الواسعة الشاملة كتبا كثيرة · لقد درس علم الكلام على امام الحرمين الجوينى·· وتعمق فى دراسة مذاهب الفلاسفة ، سواء فلاسفة اليونان القدامى او فلاسفة الاسلام الذين سبقوه كالكندى والفارابى وابن سينا ، وخاصة الفيلسوفين الاخيرين · وهو فى عرضه لمذاهب الفلاسفة عرضا موضوعيا فى كتابه « مقاصد الفلاسفة » يعتمد على ابن سينا اكثر من اعتماده على الفارابى ·

بيد ان الغزالى اهتم بعد ذلك بتفنيد مذاهب الفلاسفة وتكفيرهم فى عدة مسائل هى قولهم بقدم العالم ،وعلم الله بالكليات دون الجزئيات، والخلود النفسانى لا الجسمانى · وقد ظهر هذا النقد والتفنيد من جانبه فى كتابه المشهور « تهافت الفلاسفة » والذى اهتم خصمه ابن رشد، فيلسوف المغرب العربى ، بالرد عليه فى كتابه « تهافت التهافت » ·

اختياره الصوفية

وقد انقطع الغزالى عن التدريس ببغداد ، وشغل بالعزلة والرياضة الروحية والمجاهدة ،ثم اختار طريق الصوفية ، هذا الطريق الذى يقوم



عنده على النظر والعمل معا ، ولا يقتصر على مجرد السلوك العملى . انه قد فضل الطريق الصوفى ، واصبح هذا الطريق عنده افضل الطرق ، لقد فضله على المذاهب الكلامية والفلسفية وغيرها من مذاهب قام بدراستها قبل ان يرتضى لنفسه التصوف طريقا . لأنه لم يجد فى هذه المذاهب ، الحق الذى يبتغيه . فهو يقول فى « المنقذ من الضلال » : ان الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ،وان سيرتهم احسن السير ، وطريقهم اقرب الطرق » .

ثم اخذ الغزالى يتنقل فى كثير من البلاد ،بين دمشق وبيت المقدس ومكة والمدينة ، وبعد عودته لوطنه عمل بالتدريس بنيسابور فترة قصيرة . ثم توفى فى مسقط راسه « طوس » عام ٥٠٥هـ (١١١١) م . ومن كتبه « احياء علوم الدين » و « فضائح الباطنية » و « الاقتصاد فى الاعتقاد» « المنقذ من الضلال » و « معيار العلم » .

واذا اردنا ان نتحدث الآن عن فلسفة الغزالى الخلقية ، فاننا نجد ان ابرز كتاب تركه فى هذا المجال ، مجال فلسفة الأخلاق ، هو كتابه « احياء علوم الدين » .

نماذج من فلسفته

ونود ان نشير الى أنه اذا كان من الصعوبة بمكان ، أن نتحدث عن كل الجوانب الخلقية التى اثارها الغزالى فى مجال بحثه لفلسفة الاخلاق ، فانه لا مفر امامنا هنا ان نقتصر على دراسة شريحة من شرائح فلسفته الخلقية ، تعد فى نظرنا من الشرائح الهامة التى تعبر عن جانب دقيق من جوانب هذه الفلسفة ، ورغم اهميتها فانها لم تلق عناية كبيرة من جانب نفر من الباحثين فى فلسفة الغزالى الخلقية .

وفى تحليلنا لهذه الشريحة ، سنعتمد اعتمادا كبيرا على كتابه « احياء علوم الدين » الذى يعد كما ذكرنا منذ قليل ، من اهم كتبه فى مجال الفلسفة الخلقية .

فى هذه الشريحة التى سنهتم الآن بتحليلها ، والتى تتبلور حول رد الغزالى على القائلين بان الاخلاق لا يمكن تغييرها او تعديلها ، سيتبين لنا منها أشياء على درجة كبيرة من الاهمية .

سيتضح لنا كيف كان يمزج الغزالى فى مهارة بين مجال الفلسفة الخلقية ومجال الالهيات مزجا يمكن اعتباره مميزا لتفكير اكثر فلاسفة العصر الوسيط ممن كتبوا فى الأخلاق سواء فى المسيحية او فى الاسلام .

نوضح ذلك بالقول باننا اذا قسمنا عصور الفلسفة الى عصر الفلسفة اليونانية وعصر الفلسفة الوسيطة وعصر الفلسفة الحديثة ، فاننا لا نجد ذلك المزج بارزا فى العصر القديم والعصر الحديث ، ولكننا نجده واضحا بارزا فى العصر الوسيط .

تأثره بأرسطو

سيتضح لنا ايضا ان الغزالى كان متاثرا بارسطو ،الفيلسوف اليونانى ،فى بعض الجوانب. انه حين يتحدث عن الفضيلة مثلا ، وكيف انها

وسط بين حالتين غير مرغوب فيهما ، يذكرنا هذا بارسطو • ولكننا نود ان نشير الى ان الغزالى يعد تاثره بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية اكثر من تاثره بارسطو ، طالما اننا نجد فى هذه الآيات والاحاديث دعوة الى الموقف الوسط ، كما سنشير الى ذلك فى موضعه •

فى هذه الشريحة ، سنجد ايضـا كيف يهتم الغزالى بالناحية العملية من الاخلاق اهتمـاما كبيرا • وهذا الاهتمام من الأشياء التى تلزمنا الآن وفى وقتنا هذا • ان الاخلاق عند الغزالى لا تقتصر على كونها مجرد دعوة نظرية الى اتباع السلوك الفاضل، بل انها فى حقيقتها فعل خلقى انه يتحدث عن المرشـد والمريد ، وغير ذلك من جوانب تصطبغ فى مجموعهـا بالصبغة العملية السلوكية •

اخيرا سيتضح لنا الى حد ما ، ان المقياس او المستوى الخلقى عند الغزالى يرجع الى حد كبير الى الله • وهذا يعد شيئا طبيعيا من مفكر دينى اساسا ، بل من متصوف •

والغزالى لم يجعل هذا المقياس راجعـا الـى طبيعة الفعل نفسه ، اى الى الصفات الذاتية للافعال على النحو الذى نراه عند المعتزلة ، حين ذهبوا الى ان الحسن والقبح عقليان وليسـا شرعيين ، بل انه ـ اى الغزالى ـ شانه فى ذلك الى حد كبير شان اهل السلف فى الاسلام ، قـد ارجع هذا المقياس الى الله تعالى •• فالخير خير لأن الله تعـالى امرنا به ، والشر شر لأن الله تعالى نهانا عنه •

هذه مجموعة من المقدمات اردنا بها ان تعيننا على تفهم هذا الجانب من فلسفته الخلقية والذى سنعرض له الآن •

الأخلاق يمكن تغييرها

قلنا ان الغزالى يبين لنا ان الاخـلاق يمكن تغييرها ونقلها من حال الى حال•ولم يكن الطريق الى ذلك ميسورا امامه ،اذ وجد فريق من الناس يقدمون لنا اكثر من دليل على ان الأخلاق لايمكن تغييرها • وقد اهتم الغزالى اولا بعرض آرائهم ثم قام بعد ذلك بالرد عليهم •

ان هؤلاء الذين يقولون ان الاخلاق لا يمكن تغييرها يعتمدون فى قولهم هذا على حجتين هما :

١ ـ اذا كانت خلقة الانسان ، اى صـورته الظاهرة لا يمكن تغييرها ، اذ ان القصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ، ولا الطـويل يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ، ولا القبيح يقدر علىتحسين صورته •• اذا كانت الخلقة اى الصورة الظاهرة لا يمكن تغييرها ، فان الخلق اى صورة الباطن ، لا يمكن ان يتغير •

نوضح ذلك بالقول ، بان هذه الحجة تقوم الربط التام بين الخلقة (صورة الظـاهر) والاخلاق (صورة الباطن) فما ينطبقعلى الخلقة من عدم التغير ، ينطبق على الاخلاق ، اى انهـا بدورها لا تتغير •

٢ ـ اذا كانت الحجة الاولى تقوم علىالتطابق بين الخلقة والخلق • فانهم لا يكتفون بذلك ،بل يقدمون لنا حجة اخرى • فيرون ان حسن الخلق يعنى قمع الشهوة والغضب وقمع الشهوات يعد امرا مستحيلا ، فاذن تغيير الأخلاق يعد ايضا امرا مستحيلا ، بحيث ان من يحاول تغيير اخلاقه ، فانه يضيع زمانه بدون فائدة •

ومعنى هذا ان الحجة الثانية تبين لنا أن من يطلبون منا ان نغير اخلاقنا ، يطلبون منا قمـع شهواتنا وغضبنا ، واذا كان هذا يعد أمـرا غير ممكن ، فان تغيير الاخلاق يعد امرا مستحيلا •

هاتان هما الحجتان الرئيسيتان عندهذا الفريق وقد عرض لهما الغزالى اولا قبل ان يبين لنـا ان الاخلاق يمكن تغييرها • وهو يرد اولا على الحجة الاولى ، واذا ما انتهى من الرد على الحجة الاولى ، انتقل الى تفنيد الحجة الثانية حتـى يتم له الغرض الذى يدافع عنه ، وهو ان الاخلاق بالامكان تغييرها ولنبين الآن رده على هذا الفريق،

يذهب الغزالى الى ان الاخـلاق اذا كانت لا تقبل التغيير كما يزعم هؤلاء ، فان معنـى ذلك ان المواعظ والتاديبات سـتكون باطـلة • ان

الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لنا : حسنوا أخلاقكم • وهذا القول من جانبه يعني ان الاخلاق يمكن ان تتطور من حال الى حال •

الحيوان يغير سلوكه

كيف ننكر ان بامكاننا تغيير الاخلاق ، في الوقت الذى نجد ان الحيوان الذى لا يملك العقل ، يمكنه ان يغير سلوكه من حال الى حال• فالفرس مثلا ينتقل من الجماح الى السلاسة والانقياد ، والكلب ينتقل من شره الاكل الى التادب والامساك •• ولعلنا نلاحظ ذلك اذا راقبنا سلوك الكلاب التى تهيم على وجوهها فى الشوارع ، وقارناه بسلوك الكلاب التى تربى فى المنازل •

واذا كانت هذه الحيوانات وغيرها يتعدل سلوكها من حالة الى حالة رغم انها لا تملك العقل ، فالاولى اذن ان نقول ان الانسان الذى وهب العقل ، يمكنه ان يغير اخلاقه من حالة الى حالة احسن منها •

ويحاول الغزالي التدليل على ذلك بصورة اخرى ، فيفرق بين اشياء لا دخل للانسان فيها ، واشياء يمكن للانسان ان يغيرها • وهذه التفرقة – كما سنرى – تذكرنا من بعض الوجوه بتفرقة المعتزلة عند بحثهم فى موضوع القضاء والقدر وتدليلهم على ان الانسان حر الارادة ، بتفرقتهم بين اشياء لا يحاسب عليها الانسان كلونه وشكله واشياء يحاسب عليها الانسان كاعماله •

ان الغزالي يرى ان الموجودات تنقسم الى قسمين : قسم لادخل للآدمي واختياره فيه، وذلك كالسماء والكواكب واعضاء بدنه سواء كانت تلك الاعضاء داخلية او خارجية ، وقسم يمكن ان يقوم بتغييره وتعديله ، وهو يعنى بذلك الاخلاق •

الغضب والشهوة

وينتقل الغزالي من ذلك الى تطبيق فكرته على الغضب والشهوة • اننا لو اردنا قمع الشهوة والغضب كلية ، وبحيث لا يبقى لهما اثر ، لما استطعنا ذلك ، بل ليس هذا هو المطلوب منا •

ولكننا لو اردنا ان نوجههما ونسلس قيادتهما عن طريق الرياضة والمجاهدة ، لاستطعنا ذلك •

ويكشف لنا الغزالي وهو فى معرض التدليل على فكرته هذه ، عن ان الجبلات مختلفة ،بمعنى ان بعضها سريع القبول للتغيير ، وبعضها بطيء القبول ، ولكن ما سبب ذلك الاختلاف ؟

يرى الغزالي ان لاختلافها سببين :

الاول:ان الغريزة كلما كانت اقدم كان تغييرها اصعب • فالشهوة والغضب والتكبر موجودة فى الانسان • ولكن اصعبها أمرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة لانها اقدم • اذ ان الصبى فيما يرى الغزالي تخلق له الشهوة فى مبدأ الفطرة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب ، وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز •

السبب الثاني : ان الاخلاق تتغير بسرعة اذا كررنا العمل نحو تغييرها ، وعزمنا على ذلك باستمرار واعتقدنا ان هذا التغيير يعد حسنا ومرضيا •• ومعنى ذلك اننا لو عودنا انفسنا باستمرار على عمل شيء ما ، فان هذا التعود او التكرار سيدفعنا قدما نحو التغيير من حالة الى حالة ، ويساعدنا على ذلك اكثر اعتقادنا ان التغيير المطلوب يعد تغييرا حسنا •فالمرء اذا اعتقد باهمية شيء فى حياته وكرس نفسه للوصول اليه، فانه سيصل اليه •

أربعة مراتب

وينطلق الغزالي بعد ذلك الى تقسيم الناس بالنسبة لهذا المجال ، الى اربعة مراتب ، وذلك قبل ان ينتقل الى تفنيد الحجة الثانية والاخيرة لهؤلاء الذين يقولون بان الاخلاق لايمكن تغييرها•

ان هذه المراتب تعد كل مرتبة منها اصعب فى تغييرها من المرتبة التى تسبقها ، فالمرتبة الاولى مثلا (كما سنرى) علاجها اسهل جدا من المرتبة الثانية • وهذه المرتبة الثانية تعد اسهل من المرتبة الثالثة ، وهكذا الى آخر المراتب الأربعة •

يرى الغزالي ان المرتبة الاولى هي اسهل المراتب في العلاج • انها مرتبة الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح، بل ظل على الفطرة خاليا عن جميع الاعتقادات• انه لايحتاج الا الى معلم ومرشد ، والى باعث من نفسه يدفعه الى المجاهدة ، بحيث يحسن خلقه في اقصر زمن •

والمرتبة الثانية يعد علاجها اصعب بالنسبة للمرتبة الاولى • انها مرتبة الشخص الذي عرف قبح القبيح ،ولكنه لم يتعود على العمل الصالح، بل زين له سوء عمله ، وانقاد لشهواته •• واعرض عن الرأى الصواب لاستيلاء الشهوة عليه •

بيد ان هذا الشخص يعلم انه مقصر في عمله هذا ، ومن هنا يمكن علاجه • ان عليه ان يقلع عما تعود عليه من كثرة الفساد ، وعليه بعد ذلك ان يعود نفسه على الامور الصالحة الحسنة •انه بوجه عام قابل للرياضة الروحية اذا عزم على ذلك بكل قوته وجهده •

اما المرتبة الثالثة فيعد علاجها كما سبق ان ذكرنا اصعب من علاج المرتبة السابقة عليها وهي المرتبة الثانية • ان الشخص في هذه المرتبة الثالثة يعتقد ان الاخلاق القبيحة هي الاخلاق الحسنة ، وانها الواجبة المستحسنة ، وقد تربى عليها • ومن هنا يكون علاج هذا الشخص امرا بالغ الصعوبة بل نادرا •

اما المرتبة الرابعة والاخيرة ، فيعتقد صاحبها ان الفضيلة تتمثل في كثرة الشر ودعوة الناس الى تقليده في فعل هذا الشر ، ويعتقد ان ذلك يرفع قدره ويعلي من مكانته في نظر الناس • ويعتبر الغزالي هذه المرتبة اصعب المراتب •

والغزالي يطلق على كل مرتبة اسما محددا يبين لنا كيف ان كل مرتبة اصعب في العلاج من المرتبة السابقة عليها • فالمرتبة الاولى هي مرتبة الجاهل ، والمرتبة الثانية هي مرتبة الجاهل الضال والمرتبة الثالثة هي مرتبة الجاهل الضال الفاسق والمرتبة الرابعة هي مرتبة الجاهل الضال الفاسق الشرير •

وبتحديد هذه المراتب من جانب الغزالي ينتهي رده على الحجة الاولى التي يتمسك بها القائلون بان الأخلاق لا يمكن ان تتغير •

رد على الحجة الثانية

واذا كنا قد ذكرنا بان هؤلاء يقولون بحجتين ، فاذن يبقى امام الغزالي الرد على الحجة الثانية من حججهم •

ان هذا الفريق ـ فيما يقول الغزالي ـ قد اخطأ حين ظن بان المقصود من المجاهدة قمع صفات النفس كلية ومحوها • وهيهات أن يكون ذلك هو المقصود ، اذ ان الشهوة خلقت لفائدة ، وهي ضرورية في طبيعة الانسان •

ويضرب لنا الغزالي عدة أمثلة لبيان ان الشهوة تعد ضرورية • فلو انقطعت شهوة الطعام مثلا ، لهلك الانسان ، ولو انقطعت شهوة الجنس، لا نقطع النسل ، ولو انعدم الغضب ، لما استطاع الانسان ان يبعد عن نفسه ما يهلكه •

ان الغزالي يبين لنا ان المطلوب هو الموقف الوسط • ليس المطلوب اذن ازالة الشهوات تماما، وليس المطلوب ايضا الانسياق مع الشهوات بكل قوتها • ان المطلوب هو الاعتدال الذي يعد وسطا بين الافراط والتفريط فمثلا في صفة الغضب ، نجد ان المطلوب هو الشجاعة ،اى ان يخلو الانسان عن التهور وعن الجبن ايضا •

وهذا يذكرنا برأى ارسطو الذي يرى ان الفضيلة هي الوسط بين الافراط والتفريط • فالشجاعة مثلا وسط بين الجبن والتهور ، فالجبن لا يعد مطلوبا والتهور ايضا لا يعد مطلوبا •

ليس المطلوب اذن اقتلاع الغضب ، بل المطلوب ـ فيما يقول الغزالي ـ ان يكون الانسان قويا ، ولكن لا بد ان يخضع قوته للعقل • ولذلك يقول تعالى في وصف المؤمنين:أشداء على الكفار رحماء

بينهم » . لقد وصفهم الله تعالى بالشدة ،وهذه الشدة تصدر عن الغضب ، بحيث لو بطل الغضب، لبطل الجهاد مع الكفار .

المطلوب اذن ليس اقتلاع الشهوات واقتلاع الغضب . اذ ان الانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك . فالرسول (ص) يقول : انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر . وكان الرسول (ص) اذا تكلم احد بين يديه بما يكرهه ، يغضب حتى تحمر وجنتاه ، ولكن لا يقول الا حقا . فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق .

ولا يقتصر الغزالي على هذا المثال ، بل انه يضرب مثالا باية قرآنية ، محاولا ان يبين لنا ان المطلوب ليس هو اقتلاع الشهوات ، بل تعديلها . فالله تعالى يقول : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » ، ولم يقل تعالى : والفاقدين الغيظ .

الاعتدال

ان المطلوب ، فيما يرى الغزالي ، هو ان نرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال ، بحيث لا يتغلب الغضب او تتغلب الشهوة على العقل ، بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما .

هذا يراه الغزالي ممكنا . بل ان هذا هو المراد بتغيير الخلق . صحيح أن الشهوة ربما تستولى على الانسان ، بحيث لا يقوى عقله على ايقافها عند حد معين ، ولكن بالرياضة تعود الى حد الاعتدال . والمشاهدات والتجارب واستقراء أحوال الناس تدلنا على اننا قد ننساق مع الشهوات احيانا ، ولكننا بعد فترة وبعد نوع من المجاهدة والرياضة نتمكن من وضع حدود وضوابط لشهواتنا .

واذا كان الغزالي قد تاثر بارسطو في دعوته الى الموقف الوسط ، وقوله أن الفضيلة وسط بين افراط وتفريط ، فانه قد تاثر بالمصدر الاسلامي الذى يتمثل في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، اكثر من تاثره بارسطو .

فهو مثلا ، حين يبين لنا ان المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ، يدلل على ذلك بـان السخاء خلق محمود شرعا ، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير . وقد اثنى الله تعالى على السخاء فقال : والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . وقال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » . ويقول الرسول (ص) خير الامور أوسطها .

واذا كان السخاء هو المطلوب لانه يعد وسطا بين طرفين غير مرغوب فيهما ، وهما التبذير والتقتير، فان الشجاعة أيضا مطلوبة ، اذ أنها وسط بين الجبن والتهور ، والعفة مطلوبة ، اذ أنها وسط بين الشره والجمود . والاعتدال في الطعام أيضا مطلوب ، وليس المطلوب هو الشره او الجوع . يقول الله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » . وهكذا في سائر الاخلاق، نجد أن المطلوب هو الوسط باستمرار ، وهو الذى يمثل موقف الاعتدال لا موقف الافراط والتفريط تماما كما نقول أن الماء الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بين الحار والبارد .

وبهذا يكون الغزالي قد رد على الحجة الثانية التي يقول بها اناس ذهبوا الى أن الاخلاق لا يمكن تغييرها كما سبق أن رد على الحجة الاولى .

ونستطيع القول بان الغزالي قد بذل جهدا كبيرا في البحث في هذه الشريحة التي نستطيع أن نقول انها تمثل جانبا غاية في الاهمية من جوانبفلسفته الخلقية ، اذ أن الدعوة الى فلسفة خلقية تتبلور حول الاصلاح والتغيير ، لا بد أن يسبقها الرد على من قالوا بان الاخلاق لا يمكن تغييرها . واذا بطلت حججهم ، فقد أصبح الطريقمفتوحا للقيامبالاصلاح والتغيير .

هذا ما دعانا اليه الغزالي ، وهذا ما أردنا أن ننبه اليه اليوم لاعتقادنا بأن هذه الدعوة قد تكون معينة لنا بشكل او بآخر على اصلاح نفوسنا على دفع امتنا العربية الى الامام . ■■

الدكتور محمد عاطف العراقي
مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب
جامعة القاهرة

عاصمتان تبدآن بحرف الميم وجوائز ١٠٠ دينار

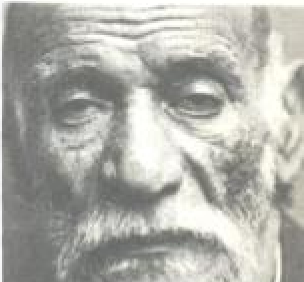
● اسئلة مسابقة هذا العددمتنوعة مختلفة ٠٠ تنتقل بك فى جولة بين مختلف الاقطاروالشخصيات ٠٠ والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لخمسةاسئلة منها على الاقل ، حتى تفوز بجائزة من مجموعة جوائزقيمتها ١٠٠ دينار ٠



معروف الرصافى



رضا الشبيبى



جميل الزهاوى

١ ـ شاعر عراقى شهير ، اتهموه بالتقلب السياسى ، عاصر العهد العثمانى ، والاحتلال البريطانى ، والاستقلال الوطنى ٠٠ زلزل بغداد بقصائده العنيفة الداعية الى تحرير المرأة العراقية من قيود التقاليد والعادات ، ومن اقواله :

مزقى يا ابنة العراق الحجاباواسفرى فالحياة تبغى انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث فقد كان حارسا كذابا

وكانت حملته هذه سببا فى فقدانه وظيفته ٠ كانت حياته سلسلة من الآلام النفسية والجسمانية ٠٠ انتهت بالشلل ثم بوفاته عام ١٩٣٦ فمن هو :

معروف الرصافى ـ جميل الزهاوى ـ محمد رضا الشبيبى ٠

٢ ـ رجل تركى شهير ، شق طريقه عبر انهر من الدماء ومعارك متواصلة خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها ليصبح ديكتاتور تركيا غير المنازع ، كان هدفه تحويل خط الحياة الشرعية فى بلاده الى حياة اوربية حديثة ٠٠ فحارب التقاليد المتوارثة وأساليب الحياة نفسها ، من عادات وملابس ، حتى العلاقات الاسريةالخاصة٠٠وعندما طلب من السكانان يرتدوا القبعات بدلا من العمامة ، ونزع الحجاب واليشمك عن وجه المرأة ، ثار الناس ، فسلط عليهم جنده الذين قتلوا وعذبوا المئات من الاتراك ٠٠ وبعدها ارتدى الاهالى القبعة وسارت النساء سافرات ٠٠ وكانت أصعب مهامه كتابة التركية بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية ٠ فمن هو هذا الديكتاتور التركى ؟

٣ ـ يتميز القرن العشرون بحدثهام ، فقد استطاع الانسان لاول مرة ان ينطلق من جاذبية الكرة الارضية الى الفضاء الخارجى ٠٠ ان حلم الانسان بالطيران قد بدأ منذ عصور سحيقة ٠٠ احلام كانت تنتهى دائما بكوارث وفواجع ٠٠ وفى عام ١٩٥٧ استطاع الانسان لاول مرة ان يخلق تابعا Satel liet او قمرا صناعيا ، اطلقه فى الفضاء الخارجى بعيدا عن نطاق جاذبية الارض ٠٠ فما اسم الدولة التى انطلق منها هذا التابع الاول فى العالم :

الصين ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ الاتحاد السوفياتى ٠

٤ ــ جيرالد فورد ٠٠ تولى رئاسة الولايات المتحدة الامريكية بعد تنحى ريتشارد نيكسون اثر فضيحة ووتر جيت فى اغسطس ١٩٧٤ وبعد مرور سنتين بدأ يستعد لانتخابات رئاسة الولايات المتحدة الامريكية التى ستجرى فى نوفمبر ١٩٧٦ ومنافسه القوى رونالد ريجان ، هذا الممثل الكبير الذى يتذكره رواد السينما ، اذ عمل بالتمثيل منعام ١٩٣٧ الى١٩٦٦ واعتزل السينما عندما اصبح حاكما لولاية كاليفورنيا عام ١٩٦٧ أوصله طموحه الى دخول انتخابات رئاسة الجمهورية ٠٠ فالى أى من هذين الحزبين ينتمى كل من : فورد ٠٠ وريجان :

الحزب الجمهورى ــ الحزب الديمقراطى ٠

٥ ــ جواتيمالا ٠٠ البلد المنكوب بالزلازل ٠٠ عدد سكانه خمسة ملايين ونصف مليون نسمة ٠٠ نصفهم من الهنود الحمر اصلا ، والبقية خليط اسبانى هندى ٠٠ فقد استعمرت اسبانيا البلاد من عام ١٥٢٤ الى ١٨٢١ وهى بلاد زراعية ارضها خصبة للغاية ٠٠ ثلث صادراتها من البن ٠٠ ولكن جنوب البلاد يضم أكثر من ستة براكين نشطة ارتفاعها اكثر من ١١ ألف قدم ٠٠ وجواتيمالا تقع فى :

أمريكا الجنوبية ــ أمريكا الوسطى ــ أمريكا الشمالية ٠

٦ ــ توجد ثلاث عواصم عربية تبدأ اسماؤها بحرف الباء ، هى : بغداد ، بيروت ، بنغازى ٠٠ وتوجد عاصمتان تبدآن بحرف الدال هما : دمشق ، والدوحة ٠٠ والمطلوب منك ذكر عاصمتين عربيتين ــ يبدأ اسماهما بحرف الميم ٠٠ وعاصمة اخرى يبدأ اسمها بحرف النون ؟

٧ ــ من المآسى التى تعانيها الهند ، اتباع بعض ابنائها لما يسمى ساتيجراها Satyagraha اى الامساك بالحقيقة ٠٠ وهذا المبدأ ينحصر فى الجلوس بهدوء ، دون حركة ، او كلام ، او طعام ، حتى تستجيب السلطات الى المطالب ٠٠ النقابات ، والعمال ، والاحزاب السياسية واتحادات الطلبة ، يوقفون العمل ويجلسون حتى تستجاب مطالبهم ٠٠ وهذه الحركة ابتدعها ضد الانجليز ، زعيم هندى كبير ، اشتهر بصيامه الطويل ، وتضحياته من اجل استقلال بلاده ، ومع ذلك قتله احد ابناء جلدته عام ١٩٤٨ ، فمن هو هذا الزعيم :

نهرو ــ غاندى ــ ابو الكلام ازاد ٠

● شروط المسابقة ●

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠
٣ ــ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١١ » ٠
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو يوم الاول من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٦ ٠

● الجوائز ١٠٠ دينار ●

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينار ٠ **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا ٠ **الجائز الثالثة** ١٠ دنانير ٠
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠
٠٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ٠ ■■



جيرالد فورد



رونالد ريجان



غاندى



نهرو



ابو الكلام ازاد

كوبون مسابقة العدد ٢١١



الامتحانات المدرسية بين الذاتية والموضوعية

بقلم : محمد حسن التيتي

الامتحـان ٠٠ هل يلغي من المدارس ؟ رأى يطالب بالغائه ٠٠ ورأى يقول انه شر لابد منه ٠٠ !

■ موضوع الامتحانات من الموضوعات الشائكة التي تتضارب اراء الناس حولها تضاربا كبيرا، وهم ينقسمون في مواقفهم منها بين مؤيد ومعارض ويتحمس كل من الفريقين لرايه ، ويسوق الحجة تلو الحجة تاييدا لموقفه منها ٠ فالفريق المعارض يركز على النواحي السلبية لها ، ويرى ان الامتحانات شر كلها ولاسبيل للقضاء على هذه الشرور الا بالغائها التام من جميع نظمنا التربوية وفي معظم مراحل التعليم وعلى الاخص الاولى منها (١)

اما الفريق الثاني فهم يقفون من الامتحانات موقفا معتدلا ، وبالرغم من انهم لاينكرون المساوىء التي يشير اليها المعارضون، يرون ان الامتحانات ضرورة لازمة واداة لايمكن الاستغناء عنها لتقويم العمل التربوية ، والتقدم الذى يحققه الدارسون ،وهم يرون ان من الاجدى -بدلا من الحديث عن الغائها- ان نسعى للعمل على تطويرها وتحسينها والرفع من مستوى فعاليتها ٠

والمدرسون في غالبيتهم يرغبون بالحفاظ على الامتحانـات لانهم يرون فيها الوسيلة الوحيدة لقياس النمو والتقدم العلمي الذى يحققه الطلبة في دراستهم ، كما انهم يرون في الامتحانات وسيلة لتقويم عملهم ، وفعالية الطرق والاساليب التى يستخدمونها في تدريسهم لكي تتيح لهم اعادة النظر فيها والرقي بمستواها ،وتحسينها على ضوء نتائج هذه الامتحانات ٠ والاعتماد الكلي على ملاحظات المدرس العابرة غير المنتظمة والتي تستند الى التقدير الفردى البحت امر لايستسيغه احد في تقرير مصير ابناء الامة ، والمدرسون يرون في الامتحانات الجيدة اساسا موضوعيا يستندون اليه في احكامهم ٠ وقصة المخترع العبقرى توماس اديسون الذى ملأ الدنيا باختراعاته والذى كان يلقبه مدرسه « ذا الراس العفن » ليست بعيدة عن الاذهان ٠

ولايخفى ان الامتحانات الجيدة كثيرا ما تكون حافزا للطلبة على الدراسة وتدفعهم لبذل المزيد

---

(١) قامت وزارة التربية في دولة الكويت على سبيل المثال بالغاء الشهادة المتوسطة حديثا وهي بصدد الغاء الامتحانات كليا في السنوات الاولى من المرحلة الابتدائية ٠

من الجهود لمضاعفة تحصيلهم العلمي ، ومن منا لم يسمع ابنا اوقريبا له يقول : « انني لااستطيع الخروج اليوم فان لدى امتحانا غدا »

فالامتحانات في كثير من الاحيان هي التي تقرر متى وماذا وكيف يدرس الطالب •

وللامتحان الجيد اثر لاينكرفي دفع عجلةالتعلم الى الامام • والامتحانات ايضا تدفع المدرس الى التفكير في اهداف العمل التربوى على ضوء الافعال والنتائج التي يطالب طلبته بتحقيقهافي امتحاناته ، وهي كثيرا ماتساعده اذا ماانتهج الاسلوب العلمي في وضعها على تحديد مواطن القوة ومواطن الضعف لدى طلبته ، فيعمل على معالجتها بالاسلوب المناسب الذى يساعده على تحسين مستوى ادائه وطرائق عرضه للمادة •

فالتعليم والتقويم كما رأينا متلازمان تلازما وثيقا يجعل الفصل بينهما امرا اقرب الى المستحيل • وانواع الامتحانات الرئيسية اثنان أولهما الامتحان التقليدى او ما يعرف بامتحان المقال وثانيهما الامتحان الموضوعي وهناك نوع ثالث هو مزيج من الاثنين وساعوض لكل من هذه الانواع من الامتحانات على حدة •

الامتحانات التقليدية

لم يكن يخطر ببال احد في السابق ان من الممكن الطعن في صلاحية امتحان المقال لقياس قدرات الدارسين ومعرفة درجة تحصيلهم العلمي • فقد كان امتحان المقال هو الاسلوب الوحيدللاختيار لقرون خلت ، الا ان الشكوك بدات تحوم حول فعالية هذا النوع من الامتحان عندما بدات التربية تنتهج الاسلوب العلمي في تقويم آثار وسائل التقويم التي تستخدمها ، وقبل الدخول فيتفاصيل هذا الموضوع لابد من تقديم بسيط لتحديد مفهوم امتحان المقال ، ففي هذا النوع من الامتحان يطلب من الممتحن الاجابة بلغته الخاصة على عدد محدود من الاسئلة وبشكل مطول •

وفي تقرير صادر عن مجلس التربية الامريكى يعود الى عام ١٩٣٦ نجد الفقرة التالية :

« ما من احد يشك في القيمة التربوية للتدريب على مهارة الانشاء ، ولكن بالنظر الى الادلة الثابتة التي تشير الى عدم صلاحية هذا النوع من الامتحان لقياس قدرات الطلبة ومدى تحصيلهم العلمي فانمجلس التربية الاعلى يتردد في النصح باستخدام موضوع المقال في الامتحانات العامة •»

والحق أن تقويم امتحان المقال رغم مزاياه التربوية العديدة امر بالغ الصعوبة ، ويكاد يكون من المستحيل الاتفاق على تقويم هذا النوع من الامتحان بشكل رقمي ، ولو اعطينا موضوعا ما لاثنى عشر مصححا لحصلنا على اثنىعشر تقديرا رقميا مختلفا لنفس الموضوع •

وقد أجريت التجربة التالية (٢) على عشرة من المصححين ، وغالبيتهم من المدرسين المجربين ،فاعطى كل منهم الموضوع نفسه لتصحيحه حسب الانطباع العام ، فنال الموضوع التقديرات الرقمية التالية: ١٥ ، ٣١ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٨ والفارق كما نرى بين هذه التقديرات يدعو الى الذهول •

وتكملة للتجربة أعيد تصحيح الورقة ذاتها من نفس المجموعة من المصححين بعد الاتفاق على توزيع الدرجات بنسب محددة علىالعناصر المختلفة للموضوع كالافكار ، والمفردات ، والتراكيب اللغوية ، والتنقيط ، وما الى ذلك من عناصر الكتابة فنالت الورقة هذه المرة الدرجات التالية على التوالى : ٣١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٠ ومن دراسة هذه التقديرات يتبين ان الفرق بين الدرجة التي اعطاها اكثر المصححين رافة وأكثرهم شدة ــ يصل الى ٤٩ درجة في حين يبلغ الفرق لدى التصحيح حسب الانطباع العام ٦٣ درجة ، ومع ذلك فان الفرق في التقويم في كلا النوعين من التصحيح يبقى كبيرا مما يجعل من الصعب الاعتماد علىمثل هذا الاسلوب في تقويم مستوى الطالب العلمي وقدرته على متابعة التحصيل •

وفي تجربة اخرى جرت مؤخرا اخضع مائة مصحح من ذوى الخبرة الطويلة لتدريب متواصل امتد ستة اشهر لتوحيد معايير للتصحيح لديهم ، ثم قدمت لهؤلاء المصححين ورقة واحدة لتصحيحها ، فكانت الفروق بيناعلى درجة حصلت عليها الورقة وادناه ٥٣ درجة وبعد ستة أشهر قدمت الورقة ذاتها للمجموعة ذاتها من المصححين لاعادة تصحيحها، فنالت الورقة لدى عدد من المصححين على ٥٠ درجة

---

(٢) انظر « حلقة اختبارات اللغة » من اعداد Alan Davies آلان ديفيز

زيادة عما حصلت عليه فى المرة الاولى ، كما ان ١٣ مصححا ممن حكموا على صاحب الورقة بالرسوب فى المرة الاولى اعطوها درجات تتجاوز معدل النجاح تجاوزا ملحوظا فى المرة الثانية •

وهكذا فاننا نرى ان معايير التصحيح لاتختلف فقط من مصحح الى اخر بل تختلف بالنسبة للمصحح الواحد من وقت الى آخر ، ومن هذا تتضح صعوبة توحيد معايير القياس فى هذا النوع من الامتحان التقليدى والذى يعرف بامتحان المقال •

وقد قام الباحثان كوفمان Coffman وكيرفمان Kurfman فى عام ١٩٦٨ (١) بدراسة على امتحان القبول فى الجامعة الامريكية • وتبين لهم ان بعض المصححين يعطون الدرجات بسخاء فى حين يتصف البعض الآخر بالشح والتقتير •

وقد اجرت اللجنة الفرنسية للتربية تحقيقا مماثلا للتحقيق الذى قامت به اللجنة الامريكية وقد وردت العبارة التالية فى ختام تقريرها :

« عند تصحيح موضوعات المقال فان الاختلاف فى التقويم هو القاعدة والاتفاق هو الشواذ »

ومن الامور الاخرى التى تعاب على امتحان المقال تدخل عوامل اخرى فى التقويم لاتمت الى الموضوع بصلة كالاسلوب وحسن التعبير والذى يؤثر تأثيرا كبيرا على حكم المصحح ، ثم على نتيجة الطالب الممتحن • فلو ان طالبين كتبا فى موضوع علمى كالطب مثلا ،وكان اسلوب احدهما افضل من اسلوب زميله فمما لا شك فيه أن صاحب الاسلوب الافضل وليس المعلومات الافضل هو الذى سيحظى بالتقدير • وقد ظهر من التجربة التى اجراها جوسلنج Gosling سنة ١٩٦٦ والتجربة التى اجراها سكانل Scanel ومارشال Marshall سنة ١٩٦٧ (٣) ان الدرجات التى يحصل عليها الطالب تتأثر بشكل مباشر بقدرته على التعبير وصحة الاملاء والتمكن من قواعد اللغة وحسن الخط •

وقد بينت التجربة ايضا ان الطالب الذى لا يعرف سوى القليل عن المادة العلمية المعالجة ولكنه يستطيع ان يلبس هذه المعلومات القليلة حلة قشيبة من العبارات المنمقة المنتقاة كثيرا مايفلح فى ان يترك لدى المصحح انطباعا حسنا يمكنه من الحصول على درجة جيدة ، فى حين يكون الفشل نصيب زميله الذى يملك المعلومات العلمية نفسها، ولكنه يفتقر الى حسن التعبير •

وهكذا فان المهارة الكتابية والتى لاصلة لها بموضوع الامتحان تلعب دورا هاما فى تقدير المصحح ، والتأثير على حكمه • وقد قام سكانل ومارشل بدراسة اثر الاخطاء الاملائية فى حكم المصحح على نوعية الاجابة لسؤال من نوع المقال فى اختبار لمادة الاجتماع ،وقد بينت هذه الدراسة ان الاخطاء الاملائية قد لعبت دورا أكبر من غيرها فى التأثير على حكم المصححين ، رغم انهم كانوا قد وجهوا مسبقا للتغاضى عن مثل هذه الاخطاء •

ومن الامور الاخرى التى تؤخذ على امتحان المقال العدد المحدود من الاسئلة التى يحويها الامتحان،اذ غالبا ما لا يزيد عددها على اصابع اليد الواحدة، وهذا العدد الضئيل من الاسئلة لا يمكن ان يعتبر ممثلا صحيحا للمادة المدروسة من شأنه ان يفسح لعامل الحظ ان يلعب دورا كبيرا فى النجاح ، وكم من طالب لم يقرأ سوى صفحات قليلة من كتابه المقرر واسعفه حسن حظه بان تركزت اسئلة الممتحن حول هذه الصفحات القليلة التى درسها •

واذكر فيما اذكر اثناء الدراسة الجامعية ان ورقة الامتحان النهائى فى مادة الاجتماع كانت تحوى سؤالين اثنين، طلب منا الاجابة على احدهما وكان احد هذين السؤالين يعالج موضوعا لم يسمع به احد من الطلبة الثمانمائة المتقدمين للامتحان فى ذلك العام ، وتبين اخيرا ان هذا السؤال بنى على حاشية صغيرة لاتزيد اسطرها على الاربعة محشورة فى احدى الزوايا المنسية من الكتاب الذى تربو صفحاته على الثمانمائة عدا ، ولا اظن أن مدرسا اليوم مهما كان ساديا يرى ان امتحانا كهذا يصلح لتقويم مستوى الطلبة العلمى وقدرتهم على التحصيل، او اننا نستطيع بواسطته ان نحصل على عينة صحيحة لما حصل عليه الطالب من معرفة •

ومن الامور الاخرى التى تؤخذ على امتحان المقال اعتماده على الذاكرة والحفظ الاصم فى كثير من الاحيان ، واذا اضفنا الى ذلك صعوبة اخضاع بنوده للدراسة والتحليل الاحصائى –

انظر كتاب « القياس والتقويم فى التربية وعلم النفس » من تأليف « ثورندايك و هاجن » Thorndike and Hagen.

نظرا لتشابك المهارات المعالجة ـ تبين لنا ان امتحان المقال بشكله التقليدي أبعد من أن يلبي حاجات التربية الحديثة .

ومع ذلك فان هذه العيوب لا يجب ان تعمينا عما لهذا النوع من المزايا ، فهو يتيح للطالب الفرصة للخلق والابداع وترتيب الافكار ترتيبا منطقيا ، وتمكنه من استخدام قدراته وفعالياته العقلية على اوسع نطاق ، ونظرا لاهمية هذه المزايا من الناحية التربوية فان اختباراتنا يجب ان لا تخلو من هذا النوع من اسئلة المقال ، كي لا يؤدي اغفالها في الامتحان الى اهمال المدرسين لها ، وسنرى في الصفحات القادمة كيف نستطيع التغلب على ما في هذا النوع من الامتحان من عيوب ، وتجعله قادرا على ان يتمشى مع ضرورات الامتحان الحديثة من الدقة والشمول والموضوعية .

الاختبارات الموضوعية

الامتحان الموضوعي هو الطريقة العلمية الحديثة لقياس مستوى التحصيل ، وهو ـ كما يدل عليه اسمه ـ موضوعي بمعنى انه لا يخضع لاهواء المصححين وتقديراتهم الذاتية .

وفي الاختبار الموضوعي عادة نجد سؤالا تتلوه اجابات متعددة يطلب الى الممتحن ان يختار الاجابة المناسبةمن بينها،والسؤال التاليمثال(٤) علىذلك.

اراد طفل شراء بعض حبات الحلوى وكان البائع يضعها في وعاء يحوي مقدارا منها في الوان ثلاثة ، فما هو اقل عدد يشتريه الطفل ليحصل على اربعة حبات من لون واحد ؟

الاجابة : ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢

وفكرة الاختبار الموضوعي قديمة ترجع الى عام ١٨٢٧ عندما اقترح جريمي بنتام GeremyBentham (٥) ان يجري اختيار الموظفين المدنيين عن طريق امتحانات تحوي اسئلة ليس لها سوى اجابة واحدة، وللتاكد من ان الاختيار يتم بشكل عشوائي نعهد الى طفل صغير بمهمة اختيار الاسئلة . ولكن الامتحانات الموضوعية الحديثة تنسب عادة الى بينيه Einet ١٩٠٥ ، اذ يرجع الفضل اليه في تطويرها .

والامتحان الموضوعي يفصل بين المهارات، ويفحص مهارة واحدة في الوقت الواحد ، فلا تختلط المهارات بعضها ببعض كما هو الحال في امتحان المقال ، فاختبار الاملاء يفحص الاملاء فقط واختبار المفردات يقتصر على فحص المفردات بغض النظر عن التراكيب اللغوية او الاملاء ، بحيث لا تؤثر احدى هذه المهارات على تقويم مستوى المهارات الاخرى وذلك للوصول الى اكبر قدر من الموضوعية في التصحيح .

وعدد الاسئلة في الاختبار الموضوعي كبير جدا وقد يصل الى المائتين او الثلاثمائة احيانا ، مما يمكن واضع الاسئلة من المسح الشامل للمادة المعالجة ، وتغطية جميع النقاط العلمية او اللغوية الهامة . ويقوم واضع الاسئلة في العادة بدراسة مستقصية للمنهج ، والمهارات التي يهدف الى تنميتها لدى الدارسين ، وتوزع الدرجات حسب اهمية كل مهارة من هذه المهارات ، وحاجة الطالب اليها ، والاهداف العامة للتعليم ، فعمل واضع الاختبار الموضوعي يشبه عمل مؤلف الكتاب الى حد كبير ، من حيث اختيار المادة الهامة والهادفة، والانتقال من السهل الى الصعب تدريجيا .

ويمكن لهذا النوع من الانتقال التدريجي التغلب على عامل القلق الذي يسيطر على الطالب في العادة لدى دخول الامتحانات ، فتعود اليه ثقته بنفسه عند اجابته على الاسئلة السهلة اولا ، ويشعر بالراحة ويتابع الاجابة على الاسئلة باطمئنان .

ومن هذا نرى ان مهمة واضع الاسئلة في هذا النوع من الامتحانات مهمة عسيرة ، وتحتاج الى عشرة اضعاف الوقت الذي يحتاجه وضع امتحان المقال او يزيد ، وواضع الامتحان في العادة لا يبني اختياره للاسئلة على تجربته الشخصية ، وما يراه هاما ومفيدا ، بل يبنيها على ما يراه معظم مدرسي المادة هاما ومفيدا عن طريق التشاور معهم، وعرض المادة عليهم ليقولوا رايهم فيها .

ويمكن اخضاع بنود الاختبار الموضوعي للدراسة والتجربة والتحليل ، لاستبقاء البنود الصالحة والاستغناء عن البنود الضعيفة التي لا تخدم اغراض الاختبار ، ولا تساعد على التمييز بين المستويات المختلفة للطلبة .

---

(٤) انظر كتاب « اختبار اللغات » لروبرتلادو Robert Lado-

(٥) انظر « الامتحان الذاتي والموضوعي » منتاليف بلنر A. E. Pilliner

وقبل أن يصبح الاختبار الموضوعي نافذ المفعول، ويعتبر اداة صالحة للتقويم ـ لا بد من التاكد من الامور التالية :

(أ) صدق الاختبار Validity (٦) ويكون الامتحان صادقا عندما يفحص المهارات والاهداف التي يحويها المنهج ، والتي يجرى تدريسها فعلا في الفصل •

(ب) ثبات الاختبار Reliability ، ويقاس ثبات الاختبار باجرائه في مناسبات مختلفة فان اعطت العينة المفحوصة نتائج ثابتة لنفس المجموعة من الطلبة كان الاختبار ثابتا وصالحا للتطبيق •

(جـ) قدرة الاختبار على التمييز Discrimination ، ويقصد بها القدرة على التمييز بين المستويات المختلفة المطلبة ، اذ يجب ان يحوى الاختبار اسئلة تثير اهتمام جميع فئات الطلبة قويهم وضعيفهم ، وتحليل اجابات الطلبة من هاتين الفئتين يمكن أن يساعد على تحسين بنود الاختبار للاستغناء عن البنود التي لا تنجح في التمييز بين الطالب القوى والطالب الضعيف واستبقاء البنود التي تنجح في ذلك •

ومن بين الامور التي ينبغي التاكد منها عند وضع الاختبار الموضوعي ما يعرف بدرجة الصعوبة Difficulty index ، ويمكن التوصل الى ذلك عن طريق التحليل الاحصائي لاجابات الطلبة ، وقد تبين ان افضل أنواع الاختبار هو ما تتراوح درجة الصعوبة فيه بين الخمسين الى الستين بالمائة •

وهكذا يتبين لنا أن وضع الاختبار الموضوعي الجيد يحتاج الى جهد وصبر ووقت وعلم ودراسة وبحث وتحليل ، والنماذج الضعيفة التي نراها في مدارسنا لا تعتبر ممثلة لهذا النوع من الاختبار نظرا لافتقارها للكثير من هذه الصفات ، وفي الحكم على الاختبارات الموضوعية من خلال هذه النماذج خطر كبير • والمدرس الذى يفتقر الى الخبرة والتدريب الكافيين في اعداد واستخدام هذا النوع من الاختبارات كل الحق في ان يشعر بعدم الرضا ، فالامتحان التقليدى اسهل اعدادا واقل عرضة للنقد •

ويقابل صعوبة الاعداد في الاختبار الموضوعي سهولة التصحيح والدقة البالغة في التقويم ، ويمكن تصحيح ورقة الامتحان التي تحوى مائتي سؤال في ثوان معدودة اما بواسطة الآلة واما بواسطة البطاقة المثقوبة Punch card ، التي يستطيع المدرس اعدادها بنفسه شريطة ان تكون اجابة الطالب على بطاقة معدة لهذا الغرض •

الاعتراضات التي تثار حول الاختبارات الموضوعية

الاعتراضات التي تثار حول الاختبارات الموضوعية كثيرة ، وساعرض لهذه الاعتراضات واحدا واحدا لنتلمس مواطن الضعف في هذا النوع من الاختبارات، ونرى ان كان يمكن ان نجد لها من علاج • والحقيقة ان دعاة الاختبارات الموضوعية رجال علميون، وهم لا يدعون مطلقا بان هذه الاختبارات تخلو من العيوب ، ولكنهم على استعداد دوما لدراسة هذه العيوب وايجاد الحلول العلمية لها •

واول هذه الاعتراضات هو ان الاختبار الموضوعي لا يحتاج الى التفكير ، فالاختبار او التعرف على الاجابة الصحيحة ادنى بكثير من القدرة على التخطيط والتنظيم والخلق التي يتطلبها امتحان المقال ، والاختبار الموضوعي لذلك يفشل في اثارة اهتمام الطلبة المتفوقين لانه لا يمكنهم من استخدام قدراتهم الفكرية •

والرد على هذا الاعتراض من السهولة بمكان ، فلو اعدنا النظر في المثال الذى اوردناه في بداية هذا البحث لوجدنا ان الاجابة عليه تحتاج الى التفكير العميق ، ولا يفلح في الاجابة عليه مجرد التعرف او اللجوء الى الذاكرة ، والواقع انه يمكن التحكم بدرجة الصعوبة في الامتحان الموضوعي بدقة كبيرة ، بحيث يمكن أن يثير اهتمام الجميع ، ويتحدى قدرات الدارسين من جميع المستويات •

ومن الاعتراضات الاخرى التي تثار حول الاختبارات الموضوعية تدخل عامل الحظ والاختيار العشوائي في النجاح ، ودعاة هذه الاختبارات لا ينكرون ذلك ولكنهم يرون أن عامل الحظ او التخمين لا يؤثر في النجاح ، فعندما يكون الاختيار واحدا من خمسة اجابات فان نسبة الاختيار العشوائي لا تزيد عن ٢٠٪ ، وهي نسبة ضئيلة وغير كافية للنجاح • اما ان كان عدد الاختيارات اقل من ذلك فيمكن اللجوء الى خصم جزء من

---

(٦) للتوسع في هذا الموضوع ارجع الى كتاب هوارد لايمان Lyman «درجات الاختبار وماذا تعنيه»

الدرجة تتناسب مع النسبة المحتملة للاختيار العشوائي ، وهي تحتسب في العادة بنسبة عدد الاجابات غير الصحيحة ، فلو افترضنا ان طالبا حصل على ٥٥ درجة من مائة في اختبار من اربعة احتمالات فان علامته الحقيقية تكون : ٥٥ ــ ٤٠١٠/٤٥ = ٤٠ درجة .

وفائدة هذا النوع من الخصم محدودة ، نظرا لانها لا تحدث تغييرا في ترتيب الطلبة بالنسبة لبعضهم بعضا ، كما ان الافتراض بان الطالب قد اختار الاجابة الخاطئة عن طريق التخمين ــ لذا يستحق ان يعاقب عليه بالخصم افتراض لايخلو من الظلم فالكثير من الطلبة يختارون الاجابة الخاطئة بعد ترو وتفكير ، وليس من العدل ان نعاقبهم بالخصم منالاجابات الصحيحة التي وصلوا اليها بجهودهم،ولذا يستحسن اللجوء الىهذا النوع منالخصم فيالامتحانات التيتعتمد علىالسرعة لان الطلبة في العادة يلجاون الى التخمين والاختيار العشوائي عندما يتداركهم الوقت دون أن يتمكنوا من الإجابة على جميع الاسئلة .

اما اتهام الاختبارات الموضوعية بالسطحية وان القدرة على التعرف على الاجابة الصحيحة ادنى مستوى من القدرة على صياغة هذه الاجابة ففيه شيء من المبالغة كما رأينا وليستشهد دعاة الاختبارات الموضوعية بعبارة مشهورة للفيلسوف اسبينوزا : « ان من يستطيع ان (٧) يميز بين الصواب والغطا لابد ان يكون لديه فكرة واضحة عن ماهية الصواب والغطأ » .

وهناك من يعيب على الاختبارات الموضوعية سهولة الغش فيها ، وتمكن الطلبة من نقل المعلومات لرفاقهم عن طريق الاشارة ، او الهمس، او غير ذلك من الوسائل التي يتفنن فيها الضعاف من الطلبة ، ورغم أن هذا الاتهام لا يقتصر على الاختبارات الموضوعية وحدها الا أن من الممكن في الاختبارات الموضوعية القضاء التام على الغش في الامتحانات عن طريق اعداد عدة نماذج للاختبار يختلف ترتيب الاسئلة في كل منها بحيث تكون اوراق الطلبة المتجاورين مختلفة تماما من حيث ترتيب اسئلة الامتحان ، وهذا من شانه ان يقضي على الغش في الامتحانات قضاء مبرما .

وكل هذا يبين لنا ان الاختبارات الموضوعية اختبارات علمية ، وبالرغم من انها لا تخلو من نقاط الضعف الا ان نقاط الضعف هذه يمكن بدورها ان تعالج بالاسلوب العلمي .

نهاية المطاف

وقبل ان اختتم هذا الموضوع لابد من التنويه بان هنالك من الاساليب ما يمكننا من تقليص الجانب الذاتي لامتحان المقال ، ، كالاكثار منعدد الاسئلة التي يحويها الامتحان وتوزيع الدرجة الكلية للسؤال بين العناصر المختلفة للمقال ، بالاضافة الى تعدد المصححين ، وهي امور من شانها ان تزيد من الموضوعية في تصحيح هذا النوع من الامتحان .

ان اختيار النوع الذي تستخدمه من الامتحان يعتمد على الهدف من الامتحان ، فعندما يكون الهدف منه تقويم القدرة على الكتابة وتنظيم الافكار ، او معرفة مواقف الدارسين واتجاهاتهم الفكرية ، او عندما يكون عدد المتقدمين الامتحان ضئيلا ،فان امتحان المقالمناسب لحاجتنا، اما اذا كنا نتوخى قياس التحصيل العلمي ونهدف الى -الحصول على مستوى عال من الدقة في التصحيح ــ وبالاخص عندما تكون اعداد المتقدمين للامتحان كبيرة ــ فان الامتحان الموضوعي هو الانسب لتحقيق هذه الاغراض .

وخلاصة القول ان لكل نوع من هذين النوعين من الامتحان مزايا وحدودا ، ويمكننا ان نصل الى نوع من التوازن في امتحاناتنا اذا اعتبرناهما مكملين احدهما للآخر وان كلامنهما يزودنا بالمعلومات والحقائق التي نحتاجها والتي لايستطيع الآخر أن يزودنا بها ، كما يمكن ان نمزج (٨) بينهما بحيث نتمكن من الحصول على صورة صادقة لمستوى الطالب العلمي والتحصيلي . ■■

محمد حسن التيتي

---

(٧) انظر كتاب « قياس التحصيل التربوي »لروبرت ابل Robert L. Ebel

(٨) في امتحان اللغةالانجليزية للثانوية العامةفي الكويت ، يتكون الامتحان من ورقتين احداهما موضوعية وتفحص المفردات والتراكيب اللغويةوالتهجئة والتنقيط والاستيعاب ، والثانية مننوع المقال وتفحص مهارات الانشاء والتلخيصوالترجمة .

■ عل شواطىء الاسكندرية وفى رحاب بحرهاالعظيم ··· عاش الشاعر أجمل أيام حياته ·· وأنضر منى عمره ··

والهمته لياليها الحلوة أحب دواوينه الى قلبه، « ليالى لشاطىء » ··

وهو يعود اليها اليوم ··· ولكنه لايجد ماكان يجده من قبل ···

كل شىء تغير فى عينيه ··· ! ! انها الأيام التى لاتبقى على حال ··· والزمن الذى مهما طال فنعيمه الى زوال

يا بَحْر

أَتَيْتُ بِحُبي وأَشْوَاقِيَه ... أُرَوِّي على ظمأٍ نَارِيَه
أُعيدُ بشطِّكَ صُبحَ الزَّمانِ ... وأَبرأُ من لَيْلِ أَسْقَامِيَه
وأَذْكرُ يا بحرُ أمسي لديكَ ... وعندك أَجملُ أَيَّامِيَه
أُغنيكَ من هتفات الخُلُود ... نشيدَ هَوَايَ وأَنْغَامِيَه

★★★

أَطُوفُ على جنّةِ الذّكرياتِ ... فتسبقُني دمعةٌ غاليه
وأذكرُ ماكَانَ لي من عهود ... على شطِّ أنسامِكَ السَّارِيه
نَقُولُ فتُصغِي إلينا النُّجُومُ ... وتحملنا موجةٌ لاهِيه
على زورقٍ سابحٍ في الضِّياءِ ... هنالك في القِمم العاليه

★★★

هُنَا عِشتُ عمرَ الهوى والشباب ... مع النورِ والسحرِ والعافيه
يطوفُ علينا الصباحُ الجميلُ ... كزنبقةٍ بالنّدَى حَالِيَه
ويخطُرُ كالصبحِ فيك الجمالُ ... فلم تَخْلُ من سحرِه ناحِيه
ونَمْضِي إلى موجةٍ عارِيه ... ونحنُو على رَملةٍ غافِيه



ويحلو لديكَ رفيفُ المسـاءِ   بروعةِ أنوارهِ السَّابيـه

وعَوْدَةُ سربِ المَها والظبـاء   إلى الخدرِ في لهفة حانيـه

وَلَيْلُكَ يا بَحْرُ للعاشـقين   كؤوسٌ تدورُ بها ساقيـه

وَرَقْصٌ على هَمْهَمات الدُّفوف   وشاكٍ هَوَاهُ إلى شاكيـة

نَعيشُ على حُلُمٍ هـانئٍ   كأيامنا الحلوة الهانيـه

تنامُ العيونُ لأغنيـة   وتصحو على أختِها شاديه

وكم فوقَ رملكَ من قصـةٍ   سيبقى الزَّمانُ لها راويـه

★★★

أتَيْتُكَ يابحرُ أطوي الهمـوم   وأُغْرِقُ في الموجِ نيرانيـه

فما رَقَّ قلبُكَ عند اللقـاء   لقلبي ، ولا ضَمَّ أشواقيـه

ولا هزَّه الوجدُ وجدي إليـكَ   ولهفـةَ رُوحي لأحبابيـه

ولا عانَقَ الموجُ آماليـه   ولا هَدْهَدَ الرملُ آلاميـه

تَمُرُّ بيَ الذِّكَرُ الماضيـات   فَتُلْهِبُني حُرْقَةٌ واريـه

فأرسِلُها دمعـةً جاريـة   وأوَّاهِ من دمعتي الجاريـه

★★★

وَقَفْتُ وطَالَ لديكَ الوُقـوفُ   وبي من لَهيب الهوى ما بيَـه

ومازِلتُ وحدي مع الذكـرياتِ   تُعانِقُني الوحدةُ القاسيَـة ■■

(مصطفى عبد الرحمن)



● شخصية الشهر ●

جين اوستن

مع التاريخ والذكريات في بيتها

JANE AUSTEN

١٨١٧ - ١٧٧٥

أجمل ذكرى في عام المرأة

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

« في عام ١٧٧٥ ولدت الكاتبة الروائية الانجليزية جين اوستن وبعد مائتي عام من مولدها .. في عام ١٩٧٥، احتفل العالم كله بالعام الدولي للمرأة .. هل هي مصادفة ؟ أم أن المرأة وجدت نفسها فعلا يوم ولدت هذه الكاتبة العظيمة، ويوم أمسكت بالقلم لتصف أروع المشاعر الانسانية في كتبها ومؤلفاتها ! هكذا قال الكاتب الكبير سومرست موم ، وهو يقرأ كتابها «كبرياء وتحيز» !»

■ ما أكثر ما بحثت عنك يا « جين » في مقاطعة هامبشاير Hampshire ، تلك التي تحتفل بالعيد المئوي الثاني لميلادك يا سيدتي الخالدة بذكراها رغم قصر عمرها في دنيانا الفانية .

قيل لي ان المقاطعة في وسط انكلترا الجنوبي وقد بدأت باحتفالاتها منذ حزيران (يونية) ١٩٧٥ وستستمر فيها حتى نهاية العام ، وعندما بلغتها في الثاني والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) كانت طوابع البريد قد ازدانت بمشاهد أربعة من أربع قصص رائعة لك ، وهي « ايما » Emma ، و « دير نور ثانجر » Northanger Abbey « الكبرياء والتحيز » Pride and Prejubice ، و « حديقة مانسفيلد العامة » Mansfield Park ، وفي اليوم ذاته وفي قرية ستيفنتون Steventon Village .



جين أوستن

حيث امضيت الخمس والعشرين سنة الاولى من حياتك وودعت القرن الثامن عشر اقام احفاد اهل القرية التى عشت بين ظهرانيهم معرضا فى قاعة الكنيسة .

معرض متجول

ولم يكتف القوم بذلك كله بل اقاموا الى جنب المعرض الثابت معرضا آخر متجولا يجوب انحاء المقاطعة ، فرحل الى ساوثمبتون ورينجوود Ringwood وهو الان فى طريقه الى كوسبورت Gosport وقيل لى انه سيحط عصا ترحاله فى كانون الاول (ديسمبر) فى ونجستر Winchester وستقام الصلوات واحتفالات المائة الثانية فى الكتدرائية حيث ترقدين منذ عام ١٨١٧ .. انتى لالمحك الان فى ظهر ذلك اليوم المطير وقد بعدت خمسة وستين ميلا عن لندن بحثا عن دواء .. ولكن هيهات فقد قدر لك أن ترقدى هنا والا تخطى حرفا آخر فكان ملاك الموت تملكته الغيرة من عبقريتك فعز عليه أن يراك تتسنمين ذروة أخرى من الذرى السامقة التى وصلت اليها فقال لك : « قفى عند حدك ، فههنا خاتمة المطاف » !

جين اوستن دفينة ونجستر ! ما أعجب الاتفاق وأغرب المصادفة .. امرأة خالدة فى مدينة عريقة خالدة ، فقد كانت ونجستر مدينة رومانية وبقيت لمدة قرون عاصمة انكلترا تحت حكم السكسون والدانمركيين والنورمان ، والكتدرائية التى ترقد فيها القاصة الانجليزية ، هى أطول كنيسة غوطية فى أوربا كلها .

بعين القاصة الحصيفة الثاقبة لاحظت جين الحياة الرقيقة الناعمة فى مدينة باث Bath بسومرست Somerset ، وفى جوتون Chawton ، بهامبشير ، وصورت لنا أسلوب العيش فى عهد الوصاية يوم كان الامير جورج الذى أصبح فيما بعد الملك جورج الرابع وصيا على أبيه المخبول جورج الثالث الذى أطار صوابه ضياع الولايات المتحدة وانسلاخها من الامبراطورية البريطانية وموت ابنته على فراش الولادة .

لقد صورت لنا جين أوستن هذا العهد بشكل روائى لا مثيل له فقدت من خيرة القاصات الانكليزيات وفضلياتهن، ولعل «جورتون» التى كتبت فيها أشهر رواياتها هى أكثر أصقاع المقاطعة تحمسا للاحتفال بذكراها ، فهناك مسكنها الذى أصبح اليوم متحفا للزائرين الذين ما أن يخرجوا منه حتى يتجهوا صوب الغابة المسماة « بالغابة الجديدة » التى تغطى مائة واربعين ميلا مربعا .

هنا رأينا الافراس الصغيرة الحجم التى اشتهرت بها الغابة ولاحظنا الالوان الطبيعية ، فثم مساحات شاسعة من الارض المغطاة بالاعشاب وهى قفراء مهجورة الى جنب غابة من أشجار البلوط والزان المورقة وأشجار داكنة الاوراق قاتمة قيل لى انها ضرب من شجر التنوب أو خشب الشوح FIR ، ولكن المنظر كله كان كافيا لان يوحى باكثر من قصة شهيرة خالدة لمن ملك العبقرية واليراع ... من مثل جين أوستن !

ايما !

وقد كان الامير الوصى على العرش من أكبر المعجبين بآثارها الادبية ، الى حد أنه احتفظ بمجموعة كاملة من كتبها فى كل قصر من قصوره، فلما بلغها ذلك أهدت اليه قصتها المشهورة « ايما » وكانت النسخ التى قدمت اليه مغلفة بغلاف قرمزى وشعار أمير ويلز المؤلف من الريش الثلاث تتوج القسم الاعلى من صلب الغلاف حيث تلتقى دفتاه ، ولكن المرء قد يستغرب من هذا الاهداء حين يعلم أن

المؤلفة كتبت قبل تاريخ الاهداء بسنتين فقط ، وهي تتحدث عن الملكة كارولين Caroline ، زوجة الوصي وكانت يومها أميرة : « مسكينة هذه المرأة ، ساكون عونا لها ما استطعت ، لانها امرأة ، ولانني ابغض زوجها ! »

فلعل هذا وصل الى مسامع الامير فحاول استمالتها بما اغدقه عليها من عطف ملكي ودعوة لمشاهدة روائع مسكنه المعروف بكارلتون هاوس Carlton House

واذا كان مقياس عظمة الشخص باتساع تفاوت الآراء فيه ، فان الآراء في جين أوستن تفاوتت وتضاربت الى أقصى ما يمكن للانسان أن يتصوره من تفاوت وتضارب.فقد أنزلتها الاديبة جين كارلايل (١٨٤٣) والقاصة شارلوت برونتي (١٨٥٠) الى الحضيض ، فمما قالته الاخيرة : « أن اهتمامها بقلب الانسان لايكاد يعادل نصف اهتمامها بعينيه وفمه ويديه وقدميه .. لقد كانت جين أوستن كسيدة كاملة تامة الادراك، ولكنها كامرأة كانت جد ناقصة وعديمة الاكتراث (ولا أقول عديمة الاحساس) فاذا كانت هذه هرطقة فليس بميسوري التخلص منها » .

بين شكسبير وجين

ومن هذا الحضيض ترتفع جين أوستن الى مقام شكسبير ، بل وتعقد مقارنات بينها وبينه باقلام مشاهير الكتاب ولا سيما ماكولي Macaulay الذي كتب سنة ١٨٤٣ عن قدرتها وقدرة شكسبير على رسم الصور الهزلية الساخرة واشار جي . اج . لويس G.H.Lewes (١٨٤٧) الى موهبتهما المسرحيةالمدهشةووضعها الشاعر اللورد ألفريد تينيسون Alfred Tennyson ، (١٨٦٠) بعد شكسبير مباشرة !

وحمد تينيسون الباري عز وجل على انه جعل كلا من شكسبير وجين أوستن لغزا لا نعرف عنه الا الشيء اليسير والا أصبحا موضع قدح وطعن وتجريح !

وكان تينيسون على حق لان رسائل جين أوستن لم تكن قد نشرت بعد ، فنحن اليوم نعرف الشيء الكثير عن حياتها والمجتمع الذي عاشت فيه ، وان كنا لا نزال نجهلظروفها العاطفية المبدعةالخلاقة.

كانت قاصتنا سادسة سبعة أشقاء بينهم أخت واحدة تكبرها بعامين هي كاساندرا Cassandra فقد ولدت سنة ١٧٧٣ في حين أن جين لمحت أول بصيص لنور الحياة في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٧٧٥ ولم تتجاوز الاربعين الا بعامين حين انطوت صفحتها الى الابد . وقد كان المرض قد اشتد عليها فما كان من طبيبها الا أن يخبرها بمصيرها المحتوم ، فلم ترتعب ولم تفزع وأعدت للامر عدته ، واحضر لها القس واجريت لها المراسيم وبقيت بضعة أيام أخر حتى اذا ما جاء اليوم المحتوم اصيبباغماء، ثم خفت عنها بعض الشيء فدعت أختها كاسندرا فلما سالتها عما تريد ، اجابتها جين بلهجة حازمة : « اريد أن أموت » ! فاحتضنتها أختها لست ساعات قبل أن تلفظ انفاسها الاخيرة ... ليحتضنها التاريخ بعد ذلك في أوثر مضجع وابهاه !

وكانت تحب أختها حبا جما وتحاكيها ، ويوم عزمت أمهما على ارسال الاخت الكبرى كاسندرا الى المدرسة أصرت جين وهي بعد طفلة أن ترافقها ولم تجد معها محاولات الام فتيلا ، فما كان منها الا ان قالت كلمتها المشهورة في جين : « لو شاءت كاسندرا أن تذهب لقطع رأسها لاصرت جين على أن تفعل الشيء ذاته » !

فذهبت الاختان معا الى المدرسة باكسفورد ومن ثم الى مدرسة أخرى في ريدنك Reading وهي مدينة تقع في منتصف الطريق بين أكسفورد ولندن .

أديبة فنانة

وقد اكبت جين أوستن على مطالعة الكتب القديمة والحديثة بشراهة ، وكانت الاسرة كلها مولعة بالروايات فكانت تتلى على مسامعهم في الامسيات ، وكانت جين تحسن الفرنسية وتلم بالايطالية وتجيد العزف على البيانو فضلا عن الغناء والرقص وكانت خياطة بارعةتحسن التطريز الى أقصى حد .. أو بعبارة أخرى ربة بيت متقفة من الطراز الاول ! أما أختها كاسندرا فقد كانت رسامة ماهرة ، والحق أن الاسرة كلها كانت بارعة في ناحية من النواحي حتى أن الام نفسها كانت تنظم الشعر وكان أحد اخوانها يحرر مجلة « المتسكع » وهي مجلة احدى كلياتجامعةاكسفورد يومذاك ، وكان الطابع الفكه يطغى على كتابات الاسرة ، غير أن القدر شاء أن يجعل من « جين » وحدها الشهيرة بين أفراد الاسرة ، ولقد اصبحت

فيما بعد أطول وأجمل من اختها كاسندرا وان كانت كلتا الاختين مشهورتين بجمالهما في تلك الايام ، وقد وصفتها امها ذات مرة قائلة : « انها اجمل واغبى فراشة مصطنعة تدور وتبحث عن زوج ! » ولكنها مع ذلك ماتت دون أن تتزوج ! لذلك فان الصورة التي اعطتها امها عنها قد تكون مبالغا فيها ولا تخلو من عدم انصاف لابنتها بعد أن سبقتها أخوتها الى الزواج، بل ان بعضهم كان قد تزوج وترمل ٠٠ ويبدو أن أحدهم وهو ايدوارد أوستن لم يطق طغيان شهرة أسم أخته في العائلة فغير اسمه بصورة رسمية سنة ١٨١٢ من «أوستن» الى « نايت ٠٠٠ » وهكذا يكون الحسد والغيرة حتى بين الاخوة والاخوات ، وقيل انه غير اسمه لانه ورث ثروة طائلة من ارملة عجوز كانت قد تبنته في صغره اسمها المسز نايت ٠

رسائل الى أختها

اما رسائلها فعلى الاكثر موجهة الى اختها كاساندرا وهي تغطي الفترة ما بين ١٧٩٦ و ١٨٠١ ولا تعطينا صورة واضحة كل الوضوح لان كاسندرا فقدت قسما منها وحذفت فقرات من القسم الآخر ويبدو من هذه الرسائل انها كانت مطيعة لامها ولكنها لا تحبها قدر حبها لاختها ، وتعكس أوائل رسائلها انها وسط غرام عارم وهو حبها الحقيقي لان هناك اشارات الى حب عابر سبقه ، ولكنه يبدو انه كان مجرد حجاب قصير الامد،وقد انتهى الحب الجدي الى الاخفاق المتوقع لان كلا الحبيبين كان من دون مورد مالي يدعم زواجاويقيم اود العائلة المرتقبة، فتركها الحبيب الارلندي الولهان ليتزوج زواجا موفقا ويبلغ منزلة رفيعة في ارلندة وعندما سئل في شيخوخته (وقد مات في سن الثالثة والتسعين) عن حبه للقاصة المشهورة اجاب : « لقد كان حبا صبيانيا » ولكن الحقيقة انه لم يكن كذلك من جانب جين اوستن ، فقد كان حبا حقيقيا ولعله الحب الحقيقي الوحيد في حياتها ، فهي تصف الحبيب : « بانه مثال الرجل المهذب الكامل ، جميل الطلعة ٠٠ وشاب لطيف ، انني لاؤكد لك ذلك » وذلك في رسالة مؤرخة في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٧٩٦ الى اختها كاسندرا ٠

اما الحبيب الثاني الذي جاء بعد هذا فيبدو انه لم يمس شغاف قلبها مطلقا ، ولم يكن حظ اختها كاسندرا بافضل من حظها هي ، فبعد خطبة عام مات الخاطب بالحمى الصفراء في سانتو دومينكو بجزر الهند الغربية ولم تفكر كاساندرا بالزواج ثانية !

رأيها في الحب والزواج

وتلقي رسالتها الى « فاني » ابنة اخيها « ادوارد اوستن » ضوءا على آرائها في الزواج والعاطفة ، فهي تقول لها :

« لن اتحرج في أن اقول لك انك لست مغرمة ٠٠ ما اغربنا نحن (آل اوستن) من مخلوقات ! ويبدو لي ان كونك في مامن منه (كما تقولين انت بالذات) قد جعلك عديمة الاكتراث ٠٠ مسكين السيد بلمتري Plumtree.

« ياعزيزتي «فاني» ان غلطتك مما تقع فيها الاف النساء ، فقد كان صاحبك اول شاب تعلق بك ، وهذا هو السحر ٠ انه اقوى ما يكون ! » ثم تؤكد لفاني قائلة :

« خير للانسان أن يفضل او يتحمل اى شيء عدا الزواج من دون عاطفة او حب ٠٠ فليس دستورا من وضعي كما ينبغي لك ان تتبيني وتعرفي ، عندما اقول : « ان هذا الضرب من الخيبة بمقدوره ان يقتل اى انسان » ٠

ولقد احتفظت بأسرار ابنة اخيها « فاني » العاطفية في مامن من كل انسان ٠٠ فلم تطلع عليها اى شخص حتى اختها العزيزة الاثيرة « كاسندرا » !

ومما لاحظته في مؤلفات جين اوستن انها تبدأ بعنوان وتنتهي باخر ، فقد بدأت سنة ١٧٩٥ بكتابة رواية على هيئة رسائل ، اسمتها « ايلينور وماريان Elinor and Marianne فكانت النسخة الاولى للقصة المشهورة التي اصبحت فيما بعد تعرف « بالاحساس والعقل » Sense and Sensibility وبعد أن تلتها على الاسرة في الاماسي الطويلة — حسب الاصول — شرعت بكتابة قصتها الاخرى التي رسمتها بادىء ذي بدء « بالانطباعات الاولى » First Impressions

ويبدو أن كل قصة كانت تتلى كانت تدخل عليها تعديلات في صلبها وعنوانها نتيجة اقتراحات

المستمعين قبل أن تكتب مجددا وتطبع ، وكان افراد الاسرة يحذرون عادة بالا يتحدثوا عنها لئلا تسرق وتنشر باسم آخر ٠

واكبر الظن انها بدأت بكتابة قصة جديدة سنة ١٧٩٨ بعنوان « سوزان » Susan ، التى اصبحت كسائر قصصها تعرف باسم آخر هو «دير نورثانجر» Northanger Abbey ، وكان آل اوستن جميعا مولعين بالمطالعة وبالقراءة بصوت جهير ٠

وتجد تشابها فى عناوين بعض كتبها من نحو « سوزان » و « السيدة سوزان » وتشابها فى اسماء أبطالها وعلى الاخص بطلاتها فاسمها هى اعنى « جين » Jane ، يتكرر فى العديد من قصصها فهناك جين بينيت Jane Bennet ، وجين فيرفاكس Jane Fairfax ، واستعانت باسماء اعضاء اسرتها وكانت محدودة فتكررت هى الاخرى فى رواياتها،ولا سيما اسم زوجة اخيها «اليزابث» فى ادوار متضاربة فهى تارة « اليزابيث بينت » اللطيفة الطيبةواخرى « اليزابيث اليوت » الخبيثة اللئيمة ٠٠

٠٠ وشاعرة أيضا

ولم تكن جين اوستن قاصة فحسب ، بل كانت الى جنب ذلك شاعرة ، غير أن تاريخ الادب لم يحتفظ لنا الا بالقليل اليسير من شعرها الذى لا يدل على تفوقها فى النظم قدر تفوقها فى النثر ، ولعل قصيدتها المؤثرة الوحيدة هى تلك التى نظمتها فى رثاء صديقة عزيزة لها ، ولا تفصح القصيدة عن مزية شعرية قدر ما تفصح عن عمق مشاعر وغزارة عواطف ، اما ادعيتها الدينية فنظم اعتيادى ٠

ومن الطريف أنْنذكر انها تركت احدى رواياتها الموسومة ب « آل وطسون » The Watsons غير كاملة بعد انْكتبت نحو سبعة عشر الف وخمسمائة كلمة منها ، ذلك لانها ارتاعت من المصير المؤلم الذى ينتظر بطلتها !

وقد نشرت سنة ١٩٢٨ اى بعد موتها بمائة واحدى عشرة سنة ، وبعد انجزها آخرون ٠

وجربت جين حظهـا فى الرسم محاكية اختها كاساندرا فتركت لنا صورة رائعة لفانى ابنة اخيها ايدوارد اوستن الكبرى مما يدل على ان تكريس وقتها لكتابة القصص فى الدرجة الاولى هو الذى حال بينها وبين ان تكون رسامةمشهورة ويبدو انها كانت تمثل العبقرية ، ذات الجوانب المتعددة بابرع اشكالها ٠ فقد كانت ماهرة فى كتابة النوتات الموسيقية ايضا اذ تركت كراريس بخطها من هذا النمط ٠

وآخرا انتقلت جين الى جوتون Chawton فبعثت الى أخيها فرانكبرسالة شعرية تصفالكوخ الجديد الذى حلوا فيه :

« ان ريشة كاساندرا سترسم مسكننا الجديد

وتصور وسائل الراحة العديدة التى تنتظر بيتنا فى جوتون ٠

اننا لنرى الشىء الكثير مقدما فى اذهاننا

ولكم نحن مقتنعون بانه حين يكمل

ستكون له المكانة الاولى بين المنازل والمساكن كافة ! »

بيت جين أوستن

وهذا هو المنزل الذى لا يزال قائما الى هذا اليوم٠ انهمنزل القاصة التى صورتلنا شخصيةمن ابرز الشخصيات الروائية فيتاريخ الادبالانكليزى وهى شخصية « اليزابيث بينيت » (١) التى يقول عنها روبرت لويس ستيفنسون انها لا تكاد تفتح فمها حتى يود ان يخر لها ساجدا ٠ اما البرفيسور برادلى Bradley فيقول : « لقد خلقت لاقع فى حبائل غرامها وانى بها لمغرم ! »

ولكن جين اوستن نفسها قد انتقدت الكتابة بانه «النوع الخفيف الاليق اللامع وتعوزه الظلال» غير ان هذا لم يمنع انابيلا ميلبانك Anabella Milbanke من ان تقول عنه انه اقرب الروايات الى الواقع وانه الكتاب الذى بلغ الذروة بمزاياه، وكذلك لم يمنع السير ولتر سكوت من ان يقرأه

---

(١) بطلة رواية « الكبرياء والتحيز » ٠

للمرة الثالثة باعجاب متزايد ، وقد بقي اسم المؤلفة مكتوما فترة طويلة الى انسمع اخوها هنري اطراء عظيما على الكتاب في اسكتلنده ذات مرة بحيث لم يتمالك نفسه من شدة الفرح فباح باسم المؤلفة الحقيقي واعلن انهـا اخته جين اوستن وسرعان ما ذاع السر وشاع .. فلما بلغ الامر مسامع جين قالت : « مسكين هنري ، لقد فعل ما فعل عن حب وتحيز لاخته » ويبدو ان بعض الكتاب في سالف العصور كانوا يفضلون نشر رواياتهم غفلا من الاسم ليضفي ذلك شيئا من الغموض والسحر على الرواية وقد نشرت جين اربعا من ست منرواياتها الشهيرة مندوناسم فكانتتضارب الاراء فينسبتها فيزيد منانتشارها وذيوع ذكرها في المجالس (٢) .

ويكفيها فخرا انالسير ولتر سكوتقرأ روايتها : « الكبرياء والتحيز » ثلاث مرات كما اسلفنا وعلق قائلا : « انني احسن الكتابة عن الاشياء الفخمة ، ولكن اللمسة الانيقة التي تحيل الاشياء والشخوص الاعتيادية المألوفة ممتعة مبهجة واعني بذلك صدق الوصف والعاطفة فقد حرمته » .

وقد بدت مخايل العبقرية القصصية فيها وهي بعد يافعة في فتاء العمر اذ كتبت اول رواية لها بعنوان : « الحب والصداقـة » Love and Friendship ، ولكن حياتها كانت بسيطة خاليـة من الاحداث المذهلة فقد كانت الكتابة مسالة ثانوية بالنسبة لها فقد كان همها الاول العناية بالاسرة والتجول في عربة خشبية يسحبها حمار في الحقول والمزارع والتحدث الى بسطـاء الناس وعامتهم وتدوين احاديثهم ومشكلاتهم ومن هنا جاءت واقعية رواياتها وصدقها وقوة تاثيرها ، ومع انها توفيت في القرن التاسع عشر فان قصصها تحمل طابع القرن الثامن عشر اذ تكاد تخلو من الرومانسية التي اتسمت بها روايات القرن التاسع عشر ، ولقد عاصرت الحروب النابوليونية من اولها حتى منتهاها ، مع ذلك فليس في قصصها اي ذكر او اشارة عليها رغم وجود ابطال من امراء البحر في تضاعيف كتبها ولعل مرجع ذلك ان اثنين من اخوتها ارتقيا الى مرتبة « امير البحر » ، لا المعارك البحرية ضد فرنسا النابوليونية ، وفريتها الاولى انها بارعة في وصف الحياة الواقعية للاسر الريفية الانكليزية في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر . وقد وصفت هي عملهـا بقولها انها « ترسم على قطعة عاج صغيرة لا تكاد تتجاوز مساحتها البوصتين بريشة جد دقيقة فتنتج تاثيرا يسيرا بعد جهد كبير » .

واختلف في المرض الذي ماتت به فقيل انها ماتت بالسل وهو المرض الذي كان شائعـا في زمانها وقضى على كثيرين من النوابغ من امثال الاخوات آل برونتي ، وهو الاحتمال الاقوى ، وقيل بل ماتت بمرض لم يكن معروفا في ذلك الوقت وعرف فيما بعد بمرض اديسون Addison's Disease الذي ينجم من توقف افراز هورمون قشرة الغدة الكظرية وهو الآخر قد يحدث نتيجة لمرض السل .

لندن ــ صفاء خلوصي

---

(٢) وقد قيل انه لم يكن من المستحسن في أيامجين اوستن ان تكتب امراة قصة باسمها الحقيقي لاسباب اجتماعية ثم انه كان من المفضل عندمايظهر كتاب لكاتبة غير معروفة الا يذكر اسمها لتتضارب حول هوية مؤلفته الاراء فيروج كما قلناوالا اصابه الكساد . لذلك عندما ظهر كتاب « الاحساس والعقل » اشير اليه انه « بقلم سيدة »فلما ظهر كتاب « الكبرياء والتحيز » وسم بانه بقلم مؤلفة « الاحساس والعقل » حتىاذا ما ظهرترواية « حديقة مانسفيلد العامة » بثلاثة اجزاء كتب علىغلافها انه بقلممؤلفة روايتي « الاحساسوالعقل » و« الكبرياء والتحيز » ومن الظريف انه عندما ظهرت قصة « ايما » اكتفى بانها بقلم مؤلفةرواية « الاحساس والعقل » مذيلةبعلامة الاختصار الخ .. الخ Etc. Etc., .. واماني الآن صورطائفة من اغلفة الطبقات الاولى لرواياتها وليس بها ما يحمل اسمها الحقيقي . وقد يكون سببذلك ايضا انها كانت تعتبر نفسها ربة بيت اكثر منها كاتبة روائية فاغفلت ذكر اسمها .

طرائف

الاخوان ثلاثة

● **قال احد الحكماء : « الاخوان ثلاثة : مغالب ، ومحاسب ، ومراغب ، فالمغالب الذى ينال من معروفك ولا يكافئك . والمحاسب الذى ينيلك بقدر ما يصيب منك . والمراغب الذى يرغب فى مواصلتك بغير طمع .**

اقطع

● دخلت ليلى الاخيلية على الحجاج ابن يوسف ، وانشدت من الشعر ما استحسنه ، فقال الحجاج لاحد حجابه : « يا غلام اذهب الى صاحب بيت المال ، وقل له . اقطع لسانها » فذهب الغلام بها الى صاحب بيت المال وقال له : يقول لك الأمير : « اقطع لسانها ! » فأمر صاحب

أجود من معن

● روى معن بن زائدة ـ وبه يضرب المثل فى الكرم ـ قال : « لما هربت من المنصور اقمت فى الشمس اياما حتى تغير لونى ، ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت اريد البادية فتبعنى عبد اسود متقلد سيفا فقبض على خطام جملى واناخه فقلت « ما شانك ؟ » فقال : انت بغية امير المؤمنين . فقلت ومن انا حتى يطلبنى امير المؤمنين فقال :«انت معن بن زائدة» فقلت « ياهذا اتق الله ، واين انا من معن فقال : « دع هذا عنك فانا اعرفك » فقلت له: « اذا كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معى ، وقيمته بأضعاف مابذله المنصور لمن جاءه بى ، فلا تسفك دمى » فقال :« هاته ! » ثم اخرجته فنظر اليه هنيهة وقال : « لست قابله حتى اسألك عن شيء ، فان صدقتنى اطلقتك» فقلت : « قل ماشاء الله لك » فقال : « ان الناس قد وصفوك بالجود،فاخبرنى هل وهبت قط مالك كله ؟ » قلت : « لا » قال : « فنصفه ؟ » قلت : « لا » قال : « فثلثه » قلت : « لا » حتى بلغ العشر ، فاستحيت وقلت : « اظن أنى قد فعلت هذا » فقال : « انك تعلم ان رزقى على ابى جعفر كل شهر عشرون درهما ،وهذا الجوهر قيمته ألف دينار قد وهبته لك ووهبتك لنفسك لجودك المأثور بين الناس، ولتعلم ان فى الدنيا من هو أجود منك »، ثم رمى بالعقد وخلى خطام الجمل وانصرف فقلت : « يا هذا قد ـ والله ـ فضحتنى، ولسفك دمى اهون مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك، فانى عنه فى غنى » ، فقال : « لا ، والله لا آخذه ولا آخذ لمعروف ثمنا » ومضى ، ولقد طلبته بعد ان آمنت وبذلت لمن جاءنى به فما عرفت له خبرا .

جباية الحاكم من الرعية

● قال انو شروان : ان الملك اذا كثرت امواله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته مما يقتلع من قواعد بنيانه .

عربية

لسانها

بيت المال باحضار الحجام ، فالتفتت اليه ليلى الاخيلية وقالت له : « ثكلتك امك، اما سمعت ما يقول ، انما امرك ان تقطع لساني بالصلة » . فبعث صاحب بيت المال الى الحجاج بتثبته ، فاشتاط الحجاج غضبا ، وهم بقطع لسان صاحب بيت المال .

وصف بخيل

● قال أحد الكتاب يصف بخل رجل : « والله لو كان له بيت مملوء ابرا ، وجاء يعقوب ومعه الانبياء شفعاء ، والملائكة ضمناء ، يستعير منه ابرة ، ليخيط بها قميصه ـ الذى قد من دبر ـ ما اعاره اياها » .

ولد عاق ووالد جاهل

● أحضر رجل ولده البكر الى قاضي المدينة وقال له : « سيدى القاضي ، ان ابني هذا عاق ، يشرب الخمر ، ولا يصلي الفرائض الخمس » . فانكر الابن ما ادعاه والده وقال : « انني يا سيدى القاضي اداوم على الصلاة » فقال والده : « افتكون صلاة بغير قراءة ؟ » فقال الولد : « اني اقرأ القرآن ياسيدى القاضي » فقال القاضي : « اقرأ بعض الآيات حتى اسمع » فقال هذين البيتين يظن أنهما من القرآن ، وليسا منه فى شىء :

« علق القلب الربابا
بعد ما شابت وشابا

ان دين الله حق
لا ارى فيه ارتيابا »

فقال أبوه : « والله انه لم يتعلم هذا الا البارحة فقد سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه » .

لست صاحب شجاعة

● قالت صفية بنت عبد المطلب عمة النبى عليه السلام : « كان حسان بن ثابت معنا فى حصن يوم الخندق ، ومعنا النساء والصبيان فمر بنا رجل من اليهود ،فجعل يطيف بالحصن فقلت : « ياحسان ، ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وانا والله لا آمن أن يدل علينا من وراءنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ، فانزل اليه واقتله » فقال حسان : « يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة » قالت صفية : « فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيئا اعتجرت ، وأخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن ، وقلت : يا حسان انزل اليه فاسلبه فوالله لايمنعني من سلبه الا أنه رجل » فقال : « مالى بسلبه حاجة » .

● قصة قصيرة ●

صلوا من أجلي

بقلم : حسين القباني

لعله لم يكن هناك شاب اسعد منى فى ذلك الشتاء الذى هبطت فيه الى الاسكندرية لاتسلم عملى الجديد •• واذكر على التحديد انه كان يوما من ايام شهر فبراير عام ١٩٦٥ • اى منذ عشرة اعوام لااكثر •• ولست ادرى على نحو ما كيف مرت هذه الاعوام العشرة من عمرى •• ولكن الذى ادريه تماما اننى نزلت من القطار الى رصيف محطة مصر بالاسكندرية ، والقيت نظراتى الاولى على هذه المدينة التى طالما سمعت عنها ، والتى يعتبرها الكثيرون من اخواننا العرب قطعة من الجنة فى الصيف •

كانت الشمس مشرقة حانية رغم برودة الجو •• وكانها تشاركنى السعادة التى كانت تملا قلبى فى ذلك الوقت •• لقد جئت اليها لاعمل رئيسا لحسابات احدى الشركات الكبرى وانا لم ابلغ من العمر الثانية والعشرين ••وكانت خبرتي ، ورضاء رؤسائى عنى خلال السنوات السبع الماضية ، بعد تخرجى فى كلية التجارة ، هما اللذان رشحانى لهذا المنصب الجديد فى مقر الشركة بالاسكندرية •• وهو منصب حاول الكثيرون غيرى ، ممن هم اكبر سنا واكثر خبرة ان يظفروا به •

ولكن التقارير عنى كانت كلها تقول اننى شاب مستقيم لايدخن ولايسهر ، ولايتناول المكيفات وليست له علاقات غرامية ، اكثر من علاقته بفتاة جامعية قرر ان يخطبها للزواج •

وتلك كانت الحقيقة بلا زيادة اونقصان •• لقد ربتنى امى الارملة تربية مثالية او هكذا كان رايها ولا اذكر انى لعبت كما كان اقرانى يلعبون •• ولااذكر انى قضيت سهرة حمراء او بيضاء خارج البيت كما كان زملائى فى الجامعة يفعلون ويتباهون •• ولااذكر انى سعيت الى اقامة علاقة عاطفية مع فتاة ما •• اما كريمة ، الفتاة التى رشحتها امى للزواج فقد كانت ابنة صديقة لها ، ووافقت على الخطبة ولم تكن كريمة بالفتاة التى لايوافق على الزواج منها شاب مثلى •• انها جميلة ، انيقة مرحة مثقفة •• كنت ارى السعادة تتالق فى عينيها كلما قمت بزيارتها فى بيت والديها ••

واتفقنا جميعا حين صدر امر نقلى الى الاسكندرية ان يتم الزواج بعد عام تقريبا ••• وقد ودعتنى كريمة فى محطة القاهرة وهى تقول ضاحكة •• « احترس من بنات بحرى» ••

ونظرت اليها متسائلا !! وضحكت هى من سذاجتى ••• ولاشك انها ازدادت سعادة لان زوج المستقبل لايعرف منهن « بنات بحرى » ولكنها قالت : « بنات الاسكندرية ، اللى عندهم الحب غيه »

وضحكنا معا •• ولم نتحدث فى هذا الموضوع حتى بدأ القطار يتحرك •• وعندئذ عادت تقول وهى تلوح مودعة وتخفى الدموع من عينيها ورعشة صوتها : « احترس من بنات بحرى » •

وكان وداعا باسما ••

فهل كنت مبالغا حين قلت اننى كنت اسعد شاب عندما وصلت الى الاسكندرية فى ذلك اليوم من ايام شهر فبراير قبل عشر سنوات

وسمعت صوت رجل يقول فى فيما يشبه الهمس: «شقة يابك » •

ونظرت اليه ببلاهة •• وعاد يقول وقد لاحظ بلاهتى • « غرفة مفروشة تعجبك جدا » •

وتمتمت قائلا : اين ؟ •



حيثما يعجبك ٠٠ الاسكندرية كلها تحت امرك ٠٠٠

ولما كان مقرالشركة بالقرب من ميدان المنشية بالاسكندرية القديمة ٠٠ اعنى الاسكندرية البعيدة عن البلاجات ٠٠فقدقلت :«فى ميدان المنشية»٠٠٠

ـنعم يابك ؟ ٠لك عندى غرفة مفروشة فى بنسيون ٠٠ لكن رائعة ٠

واندفع ينادى سيارة اجرة ثم اسرع يحمل حقائبى الى السيارة ٠٠وامسك بيدى كانى طفل عزيز عليه ، وركب معى وهو يتغنى بجمال البنسيون الذى تديره سيدة ايطالية عجوز «بنت حلال ، تخدم نزلاءها برموش عينيها وتعتبرهم جميعا اولادا لها ٠٠ ولاتتقاضى الا مايستطيع النزيل ان يدفعه كل شهر ، لان هدفها الاساسى ان تجد معها دائما من يؤنس وحدتها بعد ان انقطعت عن اهلها ووطنها فى مدينتها الحبيبة الاسكندرية ٠٠

وقلت لنفسى لوصح هذا كله ٠٠ لادركت مرة اخرى ان الحظ دائما فى ركابى اينما سرت٠٠٠ ولكنى بقيت اتحسس حافظة نقودى التى كانت تحمل مائة جنيه ، غير القروش ، ودفتر الشيكات رصيدى فى البنك ٠٠ ويبدو ان الرجل لاحظ حركة يدى فقال :

ـ «لايابك ٠٠ اننا اناس اشراف رجال من احسن الناس وسيدى المرسى ابى العباس ٠

وابتسمت سعيدا ٠٠وتخيلت ماسوف اقوله فى رسالتى الاولى لكريمة عن هذه المغامرة التى وضعت فى طريقى منذ اول لحظة لوصولى الى الاسكندرية ٠٠ ولاشك انها سوف تبتسم وتسعد بدورها ووصلنا الى البنسيون ٠٠ واخذ السمسار الطيب يحاسب سائق التاكسى من جيبه ٠٠ وحملتها مكرمة منه فاجزلت له الاجر بعد ان تعاقدت مع السيدة الايطالية صاحبة البنسيون وكانت سيدة فى العقد الخامس من عمرها ٠٠ لايزال فيها بقايا عاطرة من جمال رائع ٠ ولكن ابتسامتها كانت تنم عن طيبة القلب ٠ وحب الناس ، والترحيب بالغريب ـ ٠٠

وصدق الرجل فى كل ماقال ٠٠ واعتبرت نفسى محظوظا حقا ٠٠ فالغرفة تطل على البحر من بعيد واثاثها انيق بسيط ٠٠ والخدمة فيها ممتازة بعد ان امضيت يومين ٠٠ وفى اليوم الثالث ،اقبلت السيدة جوليانا الى غرفتى مساء وقالت : ـ لماذا لاتتسلى معنا يامحسن ٠

وترددت فى الاجابة ٠٠وكنت اعرف ان زملائى الاربعة فى البنسيون يسهرون فى غرفة المائدة

ويتسلون بلعب الورق ويتناولون الاطعمة الخفيفة مع الوان من الشراب الخفيف ، مثل البيرة ٠٠ وابتسمت هي حين رأت ترددي وقالت : « ليس من الضروري ان تلعب معهم ٠٠ يكفى ان تتسلى مثلى بالفرجة والضحك » ٠

ووجدت ان رفض الدعوة الرقيقة لا يليق ٠٠ وماذا على لو انى امضيت ساعة على الاقل مع زملائي النزلاء حتى لا ابدو مترفعا عليهم ، متعاليا مغرورا ٠

وجلست اتفرج على اللعب ٠٠ وكانوا يلعبون الورق بقروش معدودة ٠٠ وفوجئت بفتاة باهرة الجمال تاتي وترحب بي وتجلس بجانبي ٠٠ انها صوفيا ابنة صاحبة البنسيون ٠٠ وكانت غائبة في القاهرة بضعة ايام ٠٠ واعترف انى سعدت بوجودها بجانبي ٠٠ فقد كان مجرد النظر الى وجهها الجميل الباسم دائما يزيد السعيد سعادة وينسى الحزين احزانه ٠

وفي تلك الليلة تناولت بعض الطعام الخفيف بعد الحاح شديد من صوفيا ٠٠ بل لقد بلغ من الحاحها انها اخذت تضع الطعام في فمي باصابعها الناعمة ٠٠ وفي الليلة التالية احضرت معي بعض الطعام ، وفي الليلة السابعة شاركتهم في الشراب الخفيف ٠٠ وفي الليلة العاشرة لعبت معهم وكسبت نحو سبعين قرشا ٠٠ وفي الليلة العشرين تبادلت مع صوفيا اول قبلة في حياتي ٠

وطاب لي هذا اللون من الحياة نحو شهر٠٠لم اسرعت الى القاهرة حين علمت ان المرض اشتد بوالدتي ٠٠ وماتت الام الحنون بين يدى ٠٠ وعدت الى الاسكندرية مليء القلب بالاحزان على وفاة امي ولكن صوفيا وجوليانا في الحقيقة بذلتا مجهودا كبيرا لتخفيف احزاني ٠٠ جوليانا بالتفاني في خدمتي واعداد الوجبات التي احبها من الطعام ٠٠ وصوفيا بقبلاتها ورقتها وبسماتها ومداعباتها ٠ وشارك زملائي في مواساتي ٠٠ ولعلهم تعمدوا ان يتركوني اكسب منهم كل ليلة حتى انام سعيدا خالي البال ٠

ولم اكن اكتب لكريمة شيئا عن هذا الجو الذى كنت اعيش فيه ٠٠ قلت لها فقط انني اقيم في غرفة مفروشة ببنسيون سيدة اجنبية عجوز واني متجاوب مع زملائي في البنسيون وفي العمل ولان كل شيء يسير حسب الاتفاق الذى عقدناه ٠٠ وهو ان يتم الزواج بعد عام او اكثر قليلا ٠٠

واقترحت جوليانا ان نلعب الورق لعبة جديدة٠٠ انها لعبة تسمى « واحد وثلاثون » الدور فيها ينتهي بسرعة ٠٠ والمبالغ فيها تبدأ من القروش الى الجنيهات ٠٠ وهي تعتمد على الحظ والجراة اكثر مما تعتمد على الفن وسرعة التنسيق ٠٠ وكسبت في تلك الليلة خمسة جنيهات ٠٠ وبلغ مجموع ارباحي في اسبوع ستين جنيها ٠٠ ولم يتذمر احد من زملائي٠٠ بل كانوا ينهضون الى النوم وكان كلامنهم قدربح اكثر مني٠٠ واكبرت فيهم هذه الروح الرياضية ٠٠ ولهذا لم اظهر حزني حين خسرت ـ عشرين جنيها في ليلة واحدة ٠٠ ولكنني اقبلت ، في الليلة التالية وانا اجمع امرى على استرداد المبلغ بـاى ثمن ٠٠ ولعبت ٠٠ ولعبت ٠٠ وخسرت عشرة جنيهات ٠٠ وعز على ان اخسر في ليلتين ثلاثين جنيها ٠٠ ولكني تذكرت انني ما زلت الرابح في مجموع الليالي ٠٠ وقررت ان ألعب حتى اعوض الخسارة الطارئة او حتى اخسر كل ما ربحته منذ بدأت اللعب ٠

ولم اكن اعرف ، لسذاجتي وقلة تجاربي ان هذه كانت بداية الوقوع في شبكة القمار الى الابد ٠٠ وان التراجع بعد ذلك كان في حكم المستحيل ما لم اغير البيئة التى كنت اعيش فيها٠ولم أجد أحدا بجانبي يوجهني أو ينقذني٠٠ كانت جوليانا تقوم على خدمتي وكان الامر لا يعنيها في قليل او كثير ٠٠ وكانت صوفياتعوض خسائرى بالقبلات ٠٠ وتشاركني في الارباح ٠

واصبحت مقامرا ٠٠

ولم احاول أن أنجو بنفسي من البنسيون ٠٠ فقد تبدل الزملاء اكثر من مرة ٠٠ ذهبوا وجاء غيرهم واصبحت اقدم نزيل فيه ٠٠ واشدهم اقبالا على اللعب والشرب ٠٠ ولم أعد اهتم بمظهرى في الشركة بعد ان كنت واحدا من المعروفـين بالاناقة ٠٠ ولم اعد اذهب في المواعيد المحددة رغم شهرتي باني الوحيد الذى لم يتاخر عن

عمله يوما • ولم يعد يهمنى كثيرا ما اخسره •• وانما كان يهمنى فى كل ليلة أن أعوض خسارتى •• لم افقد الامل ابدا فى ان الحظ سيعود الى ويعوض خسائرى التى التهمت كل مدخراتى فى البنك قبل انصرام ستة اشهر من وصولى الى الاسكندرية •

ولا اطيل عليكم يا اصدقائى •• يا من اروى لكم مأساتى حتى تصلوا من اجلى •• فقد ادمنت اللعب والشرب •• وضاع مالى •• بل ولم يعد مرتبى يكفينى بضعة ايام فى كل شهر •• وعز على ان انتقل من بنسيون جوليانا حتى لا ابتعد عن صوفيا •• وحتى لا افقد الامل نهائيا فى استرداد اموالى التى ضاعت على مائدة اللعب •

ولما امتنعت تماما عن زيارة كريمة فى القاهرة جاءت هى مع والدها •• ورأيا كل شىء••والقيا فى وجهى بالشبكة وخاتم الخطبة •• واعترف انى سررت لتحررى من ذلك القيد •• فقد كنت دائم التفكير فيما ينبغى ان اقول معتذرا عندما يحين الوقت الذى اسدد فيه قيمة الصداق •• خمسمائة جنيه •• غير نفقات الزواج وضرورياته • وقلت لنفسى لعل ان تكون خطبتى لكريمة هى السبب فى ضياع حظى ، وضياع مالى •• ولعل القدر قد فعل هذا بى حتى لا يتم الزواج ، لان كريمة ليست من نصيبى كزوجة •• هكذا كنت افكر بعقلية المقامر الذى يعلق كل شىء على شماعة الحظ والنصيب •• ولعبت بثمن الشبكة والخاتم وخسرت الثمن بطبيعة الحال •• والعجيب فى امرى أننى لم أحاول أن اسأل نفسى يوما : أين هو المقامر الذى استطاع ان يحتفظ بأمواله سليمة • بل أين هو المقامر الذى لم يبدد كل أمواله على مائدة اللعب • لم احاول ان القى على نفسى هذا السؤال ••

ومن المؤكد ان غيرى من الذين سقطوا فى هذه الشبكة واصبحوا فى حاجة الى أن يصلى الجميع من اجلهم ، لم يسألوا انفسهم هذا السؤال •

واكتشفت الشركة امرى •• وقرر مجلس الادارة اعفائى من عملى •• ووافقت على تقديم الاستقالة حتى لا أدخل مع الشركة فى متاهات القضايا •• بل لعلى وافقت على الاكثر حين عرضوا على ثلاثمائة جنيه مكافاة عن خدمتى •• وقال لى زميل ان بمقدورى ان استقل هذا المبلغ فى مشروع لابدأ حياتى من جديد •

ولكن جوليانا كانت تديننى بنحو ثمانين جنيها •• وكنت فى حاجة الى ملابس لا يقل ثمنها عن خمسين جنيها •• ولعبت بالباقى •• ولعبت بملابسى الجديدة •• وعدت الى ملابسى القديمة ••

وطردتنى جوليانا من البنسيون •• وكنت اتوقع هذا بعد ان اختفت صوفيا من حياتى بضعة ايام عند احد اقاربها فى القاهرة •• وعدت الى القاهرة ابحث عنها •• وتهت فى زحام القاهرة •• هذه الطاحونة الرهيبة التى تطحن فى طريقها كل انسان هش ضعيف •• وعشت مطحونا سنوات •• تسع سنوات •• ولا زلت اعيش حتى الآن مطحونا •• شبه ادمى ، فى امس الحاجة الى ان تصلوا من اجلى فمن يدرى •• فلعل الله ان يقبل توبتى ويرفع عنى لعنة هذا الداء •

اتعرفون متى قررت التوبة ؟ •

قررتها يوم رأيت كريمة تخرج من باب مسرح أنيق معتمدة على ذراع زوج شاب ناجح فى الحياة ودليل نجاحه تلك السيارة الانيقة التى كانت فى انتظارهما •• وكنت بالمصادفة البحتة واقفا فى ذلك الموقف من السيارات انظفها واتقاض قروشا من السادة المحسنين • ومد زوجها يده الى بقرش •• ومددت يدى •• ونظرت هى نحوى فجاة •• وثبتت نظراتها على وجهى •• ولست ادرى كيف عرفتنى بعد هذا التغيير الهائل الذى كان قد طرا على •• واحنيت رأسى خجلا •• ولمحتها وهى تدخل السيارة وترفع يدها المكسوة بالقفاز الى عينيها ••

وقررت ان اتوب •• وقررت ان أبدا حياتى من جديد •• فانا لازلت فى الثامنة والثلاثين وكل ما احتاج اليه حتى يبارك الله لى فى حياتى الجديدة هو ان تصلوا من أجلى • ■■

القاهرة ـ حسين القبانى

١ـ أفَّــــاق

■ الافق (بضم الفاء وسكونها) هو الناحية، وجمعه « آفاق » • وآفاق السماء او الارض نواحيها ، وهناك نسبتان يائيتان ، هما افقى (بضمتين قياسا) و « اَفَقى » (بفتحتين شذوذا) فيقال هو افقى : اذا كان من آفاق المكان اى اطرافه ، وهناك نسبة قياسية ايضا هى «افّاق» (بصيغة اسم الفاعل للمبالغة) مثل « عطار » و « لبان » و « تمار » نسبة الى العطر ، واللبن ، والتمر ، فيقال : هو « افاق » اذا كان يتنقل فى الآفاق مكتسبا • وكل هذا فى الفصيحة •

ويلاحظ فى هذه الصيغ الثلاث ان صيغة «افاق » هى وحدها المستعملة فى الفصيحة وفى الدارجة ، واما الصيغتان الاخريان (اليائيتان) فهما ميتتان لا تستعملان فى فصيحة ولا دارجة •

ونحن فى الدارجة نقول : « فلان افاق » بمعنيين : احدهما انه ليس له مستقر معروف فى سكن او عمل ، او منتدى ، فيستطيع راغبه ان يقصد اليه فيه ، او ان له مستقرا معروفا ولكن طالبه لا يجده فيه ، لشروده او غيابه عنه ، فهو لا يلقاه الا مصادفة •

والمعنى الثانى انه مختل الذمة ، لا يعترف للآخرين بما لهم عنده من حقوق او امانات ، بل ياكلها او يضيعها وان كان له مستقر معروف يسهل لقاؤه فيه ، ومثل هذا لا يؤتمن على حق •

وقد كان شيوخنا ومن اليهم ينكرون استعمال «افاق» فى هذين المعنيين،بحجة انها لم ترد بهذين المعنيين فى المراجع ، واهمها فى ايديهم هو « القاموس » •

وفصاحة كلمة افاق بالمعنى الاول واضحة ، لان معنى «افق فلان يافق» انه ركب راسه وذهب فى الآفاق (مكتسبا او غير مكتسب) فالعثور عليه متعذر ، وشبيه به من له مستقر معروف ولكن لقاءه متعذر ايضا لكثرة غيابه عنه ، فهو شارد او كالشارد •

وفصاحتها بالمعنى الثانى واضحة ايضا من التشابه فى النتيجة ، فمن كان له مستقر معروف يسهل لقاؤه فيه ، ولكنه لا يعترف بحقوق الآخرين ، او لا يقوم بادائها ـ يستوى هو ومن يتعذر لقاؤه ، لشروده فى الآفاق عن مستقره او عن كل مستقر ، فالنتيجة واحدة ، وهى ضياع الحساب او ضياع الحقوق •

ونزيد على ذلك ان معنى افق فلان هو «كذب» ولا امانة لكاذب ، فالإفاق هو الكذاب ، واستعماله فصيح فى الدلالة على مختل الذمة الذى ياكل حقوق الناس او يضيعها ، فحضوره كغيابه فى عدم الجدوى ، ووجوده كعدمه •

٢ـ التَّشـــرُّد

وكذلك ينكر بعض الباحثين فصاحة كلمة «متشرد» بمعنى من هو فى سن العمل مع القدرة عليه ولكنه لا يعمل فى حرفة شريفة تفيده ، ويكسب منها رزقه،ومثاله الشحاذ او السائل الذى يتكفف الناس ليعطوه او يمنعوه ، وحجة المنكرين ان الكلمة بهذا المعنى المحدث لم ترد فى المراجع اللغوية ، ويقترحون بدلها كلمة « الشارد » او « الشريد » •

وراينا ان كلمة « متشرد » افصح ، بل هى وحدها الفصيحة فى هذا المعنى الجديد ، لان لها جذرا فى الفصيحة ، ولقرب معناها فى الفصيحة من معناها الجديد فى الدارجة ، ويكفى تقارب المعنيين (فى اطار واحد)لانتقال الكلمة من احدهما الى الآخر ، ثم ياتى الاصطلاح فيثبت الاستعمال الجديد • فالشارد والشريد هو الذى ينفر من الناس ، ولهذا يتنقل بين الآفاق هربا ، واما المتشرد فهو الذى ينفر من العمل والمثابرة فى حرفة معينة مع القدرة عليه، ولهذا يعيش عالة على اهله ، او يلجا الى ذل السؤال من الآخرين ، فيضطر الى التنقل عن ملل او عن حاجة الى الآخرين ، ومعنى التشرد فى الفصيحة الذهاب ، او الانفراد ، وهذه هى حالة المتشرد بالمعنى المحدث ، وكل الجماعات تنفر منه ، كما ينفر هو منها والقوانين فى اكثر البلاد المتمدنة تعاقب امثاله ، وتهمته عندها « التشرد » •

محمد خليفة التونسى

القائد الذى كسب
اشهر معركة في الحرب العالمية الثانية
كان يكره الحروب !

● حملت لنا الصحف نبأ وفاةقائد عسكرى بريطاني كبير ، هو المارشال مونتجومرى ·· هل لكم انتحدثونا عنه ، وعن دوره فى الحرب العالمية الثانية ·

محمود سالم/قطر ·

– فى الثالث والعشرين من شهر اكتوبر عام ١٩٤٢ ، اى منذ حوالى اربعة وثلاثين عاما ، عشية معركة من المعارك الحاسمة فى التاريخ ، وقف الفيلد مارشال مونتجومرى قائد الجيش الثامن البريطاني يصدر أوامره لهذا اليوم في منطقة العلمين حيث كانت ترابط قواته الموجودة امام جيش المحور (المانيا النازية وايطاليا) بقيادة الجنرال روميل ، او ثعلب الصحراء ، كما كانوا يسمونه ! وقالمونتجومرى مخاطبا رجاله : «فليدخل كل ضابط وكل جندى هذه المعركة المرتقبة بقلب شجاع ، وعزم وتصميم على تادية واجبه طالما بقى فى جسمه عرق ينبض بالحياة · ولن نستسلم ابدا ما دمنا قادرين على الاستمرار في القتال » ·

ودارت رحى اعنف واشرس معركة في تاريخ الحرب الثانية فى الصحراء فوق ارض مصر ، واستمر القتال سجالا لمدة ثلاثة اسابيع كاملة بين قوات الجيش الثامن بقيادة مونتجومرى وبين قوات المحور بقيادة الجنرال روميل ·· واخيرا توقف القتال ، ووقف مونتجومرى يملى رسالته التى بعث بها الى مقر القيادة العسكرية العليا لقوات الحلفاء فى اوربا ، قال : « توقعت ان انتهى من تادية المهمة التى كلفت بها فى مدة لا تتجاوز ستة اسابيع، ولكننا استطعنا ان ننزل الهزيمة بالقوات الالمانية والايطالية وان نطرد جحافلهم من الاراضى المصرية ومن الشواطىء الافريقية فى اقل من ثلاثة اسابيع ·· ثم راحت قواتنا تتقدم لمسافة تزيد على الخمسمائة كيلو متر الى ما وراء الحدود » ·

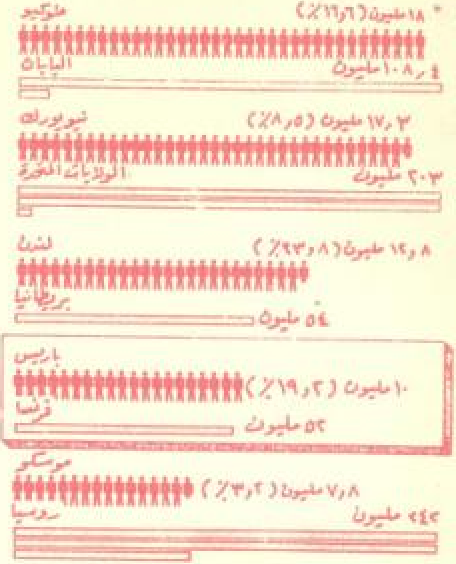
وهكذا اتم هذا القائد الكبير المهمة على الوجه الذى تنبأ به ·· وهكذا ارتبط اسم مونتجومرى بمصر وبالمغرب العربى ، اكثر من اى قائد آخر من قواد الحلفاء ، ذلك لان المعركة التى خاضها فوق الارض العربية كانت من المعارك القليلة التى غيرت مجرى الحرب الثانية ومسيرتها ، حتى



كبرى مدن العالم

● درجتم على تزويدنا بين حين واخر باحصاءات لاكثر مدن العالم سكانا ٠٠ واذكر ان المرتبة الاولى احتلتها لندن فيأحد تلك الاحصاءات، واحتلتها شنغهاى او نيويورك فى احصاءات اخرى ٠٠ ترى اى مدن العالم هى الكبرى الآن ؟ !

– طوكيو هى المدينة الكبرى فى العالم ، حسب اخر الاحصاءات المعتمدة ، وقد بلغ عدد سكانها ١٨ مليون نسمة ٠ تليها نيويورك (٣ر١٧ مليون)، فلندن (٨ر١٢) ، فباريس (١٠ مليون) فموسكو (٧،٨ مليون) ٠ وقد نشرت هذا الاحصاء مجلة الايكونومست البريطانية بتاريخ ١٩٧٦/١/١٧ وذلك ضمن رسم ايضاحى لطيف ابحنا لانفسنا اعادة نشره ٠



※ لاحظ النسب المئوية التى تراها ضمن الاقواس ٠٠٠ كل واحدة منها تمثل نسبة سكان المدينة المعنية من مجموع السكان فى دولة تلك المدينة كما أشرنا الى ذلك فى الكلمة المرفقة ٠

وتلاحظ ان هذا الرسم لا يحدد عدد سكان المدن الكبرى الخمس فحسب ، ولكنه يعطى اخر احصاء بعدد سكان دول تلك المدن ايضا ٠ وهو يعطى فضلا عن ذلك النسب المئوية بين عدد سكان كل مدينة وعدد سكان دولتها ، وهى النسبة التى تراها ضمن الاقواس ٠

ولا يخفى ان تغير ترتيب المدن الكبرى فى العالم من سنة الى سنة انما يعزى لنمو تلكالمدن فى تلك السنة ، وهو نمو متفاوت طبعا بقدر ما تتعرض تلك المدن لهجرة متفاوتة منسكان الارياف والمحافظات ٠ (ى ٠ ز)

ان ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الذى قاد بلاده ومن ورائها حلفاؤها فى هذه الحرب ، كتب يصف مونتجومرى فى مذكراتـه عن الحرب الثانية بقوله : « قبل العلمين ، لم نعرف النصر ، وبعد العلمين لم نعرف الهزيمة » ٠

اما الجنرال دوايت ايزنهاور القائد الاعلى لقوات الحلفاء فى اوربا فقد كتب عنه يقول : « لقد كان مونتى (١) يثير اعجابى ، فقد كان يتمتع بقدرة عجيبة على انتزاع حب العاملين معه واخلاصهم واحترامهم له ، وهى صفات يعتز بها كل قائد ناجح ٠٠ وكان بعد هذا ذكيا وماهرا فى دراسته لمواقع الاعداء وتوزيعه لمختلف الاسلحة على الجبهة ! »

ولكن ربما كانت اعظم صفـات هذا القـائد الكبير هى كراهيته الشديدة للحروب ، فقد كان يقول : « لا يكره الحرب الا من يعيش ويلاتها ! ولكن ما هى الحرب ؟ اننا نحن الجنود لا نصنع الحروب ٠٠ لان الحروب هياستمرار للدبلوماسية ٠٠ فاذا سكت السياسيون واحسوا بعجزهم عن الاستمرار فى الحديث ، تكلمت المدافع ! »

(١) « مونتى » هو الاسم الذى اشتهر به بين اصدقائه من الضباط والجنود ٠

الشاعر الصوفى الهندى خسرو الدهلوى وآثاره الادبية

● من الاخبار العالمية الثقافية المتناقلة أخيرا ، ان رئيس جمهورية الهند فخر الدين على أحمد قد افتتح فى ١٩٧٦/١/٢٣ ندوة ادبية عالمية استمرت ثلاثة ايام للاحتفال بالذكرى المئوية السابعة للشاعر أمير خسرو الدهلوى . فمن هذا الشاعر ؟ وما اعماله التى استحق بها هذا التقدير ؟

محمد باعوض/مكة المكرمة/السعودية .

ـ هذا الشاعر الصوفى جدير ان يحتفل بذكراه فى الهند ، بل سائر بلاد العالم ، وقد سرنا ان اشترك فى الندوة الهندية الخاصة به اخيرا نحو ثلاثين عالما من بلاد آسيا وافريقية واوربا وامريكا ، وكان بعضهم من البلاد الاسلامية كباكستان وبنجلادش ، وافغانستان وايران وتركيا وسورية ومصر ، وليس أهل وطنه ولا أهل دينه اولى به من سواهم ، لانه كان شاعرا ومتصوفا انسانيا ، وان جاء فى صورة هندية اسلامية ، ومن اوجز العبارات واشملها وايسرها فى بيان فضله ما ذكره الرئيس الهندى خلال خطابه الذى افتتح به هذه الندوة ، اذ قال : « ان خسروا قد وضع اساس التقاليد الثقافية الهندية الاسلامية ، ونهض بنسج روابط الثقافة بين الهند وسائر انحاء آسيا الوسطى والغربية » وانه « عاش خلال عصر كانت تنسج فيه خيوط مشتركة من الثقافات الهندية والايرانية والتركية والعربية لتكوين ثقافة هندية اسلامية واحدة .

ونزيد نحن على قول الرئيس ان خسرو كان اعظم هؤلاء الناسجين مواهب ، وابرعهم اداء ، وابقاهم اثرا .

ولد شاعرنا الامير ابو الحسن خسرو فى الهند سنة ٦٥١ هـ ، وهو ينتمى الى اسرة تركية مسلمة لها ثراؤها ووجاهتها الاجتماعية ، كان اجداده لابيه يسكنون مدينة هزارة قرب بلخ ، ولكن اباه هاجر منها الى الهند للنجاة من جيوش الطاغية جنكيز خان ، واقام فى مدينة « بتيالى » التى تبعد عن دهلى (دلهى) بنحو مئتى ميل ، وفيها تزوج ام خسرو ، وهى ابنة عماد الملك احد الاقطاب فى بلاط سلاطين مملكة دهلى ، وكانت مهمته امداد جيوشهم بالرجال فكان الناس من شتى انحاء المملكة يأتونه مستعطفين لرعاية ابنائهم المجندين ، ومن هنا كان نفوذه الواسع . وحين بلغ خسرو التاسعة توفى والده الامير سيف الدين محمود شمس ، فضمه اليه عماد الملك جده لامه ، وقد نشا ذكيا ميالا الى الجد ، بعيد الطموح ، مغرما بالمعرفة ، فاتيح له فى بيت جده الوجيه الثرى ان يربى كغير ابناء الاشراف هناك ، اذ عرف اداب

وكان مونتجومرى بعد هذا يؤمن بان اعظم مدفع يمسك به الجندى فى ساحة القتال هو الروح المعنوية العالية التى يتحلى بها .. فهى العامل الوحيد المؤثر فى كسب اى معركة ..

لقد ولد مونتجومرى فى لندن عام ١٨٨٧ وتخرج فى كلية ساندهيرست العسكرية واشترك فى الحرب العالمية الاولى ، وتزوج ولكن زوجته ماتت بعد حياة قصيرة معه لم تدم لاكثر من عشر سنوات ، ولم يرزق باطفال ، وكان يقول : « ان جنودى هم ابنائى .. لقد اعطانى الله جيشا كاملا من الابناء ! »

وصفه لورد اتلى ، زعيم حزب العمال الراحل بقوله : « لقد كان شخصية جذابة وزعيما لامعا وصديقا وفيا .. ولعل ابرز صفاته انه كان اذا اخطأ لم يتردد فى الاعتراف باخطائه ! » .

هذا القائد الكبير الذى مات يوم ٢٤ مارس الماضى ، كان اصغر القواد العسكريين الانجليز حجما ، فلم يزد طوله على ١٦٢ سنتيمترا ، وكان يميل الى التقشف فى حياته الخاصة ، ولم يكن ياكل كثيرا ، فلم يزد وزنه على ستين كيلو جراما .. وكان يحلو لبعض اصدقائه ان يصفوه بالسمكة المجففة المملحة !

(م٥ن)

الوطن العربي استورد نصف مليون سيارة ، وصنع حوالي ٢٠ الف سيارة ·· ويفكر فى انتاج ربع مليون سيارة سنويا ·

● اصبحنانعيش فيعالم السرعة··واصبح اقتناء السيارة من الضروريات ·· ترى لماذا لانقوم صناعةمشتركة للسيارات فى وطننا العربى·· بدلا من ان نستورد كل سيارة منالخارج ؟

احمد السويدان / دمشق ·

ـ ما من شك ان اغلب الدول العربية تستورد الجزء الاكبر من السيارات التى تستعملها ،وخلال عام ١٩٧٤ بلغ عدد السيارات التى استوردتها جميع الدول العربية ٤٢٢٧٥٥ سيارة ، اىبزيادة ١٨٩٧٩٩ سيارة عن عام ١٩٧٣ وتمثل هذه الزيادة نسبة كبيرة تصل الى ٨٥٪ ·

غير ان هناك نواة طيبة تتمثل فى مصانع لتجميع قطع السيارات ، منتشرة فى بعض الاقطار العربية ·· وقد تطورت هذه المصانع وبدات فى تصنيع بعض قطع السيارات محليا ، مما سيؤدى فى نهاية المطاف الى قيام صناعة متكاملة للسيارات فى الوطن العربى ··

ومصانع السيارات فى بلادنا تدخل تحت نطاق (مشاريع مشتركة مع شركات السيارات المشهورة عالميا) ··

ففى المغرب تقوم مصانع لتجميع قطع السيارات تنتج سنويا ١٥ الف سيارة فيات ورينو وكرايزلر (الفرنسى) ، كما تنتج سيارات الجيب واللاند روفر والشاحنات··وفىمصر يتماانتاجنحو··٠ر١٠

البلاط ووسائل المشاركة فى تصريف الدولة ، وتعلم العربية والفارسية والسنسكريتية والهندية الى جانب التركية ، واطلع على كثير مما الف بهذه اللغات ، كما برع فى الكتابة والشعر والموسيقى ، وكان قوى الذاكرة حاضر البديهة فياض القلم واللسان ، وكانت له قدرة ملحوظة على الكتابة بسرعة ، وعلى ارتجال الشعر لاسيما الغزل والنسيب ، حتى كان يطارح فى ذلك الشعراء (القوالين) فيفوقهم ، ويستولى على اعجاب المستمعين ببلاغته ·

وقد مكنته مكانة اسرته وحسن تربيته وتعدد ملكاته ولغاته ، ونبوغه فى مجالات ثقافية فنية شتى على دخول البلاط من اوسع ابوابه واكرمها، منذ شبابه الباكر حتى آخر سنى حياته ، وقد حظى بالتكريم والمشاركة فى امور الدولة منجانب السلاطين الستة الذين تعاقبوا على مملكة دهلى فى حياته ، واولهم محمد الاول (٦٦٤ـ ٦٨٦هـ) وسادسهم تغلق شاه،غياث الدين (٧٢٠ـ٧٢٥هـ)·

ومن أعظم مصادفات حياته بركة عليه انه تتلمذ ـ وهو فى التاسعة عشرة ـ لامام من اجلاء شيوخ التصرف فى عصره ، هو الشيخ نظام الدين اوليا ، فتعلق به ولزمه وتشرب مبادئه وتعاليمه حتى صار احظى مريديه عنده،واشدهم تاثرا بشخصيته ، واتباعا لمسلكه فى الورع والترفع ، وحسبنا دليلا على ذلك ان شاعرنا كان فى سنة ٧٢٥ هـ مرافقا للسلطان تغلق شاه فى حملته على البنغال ، وسمع خلالها بوفاة شيخه الروحى ، فكر راجعا الى دهلى ، عازفا عن كل مشاركة فى الدولة ، بل عن كل متع الدنيا فوزع امواله على الفقراء، وعكف على العبادة عند قبر شيخه حتى لحق به فى السنة نفسها بعد ستة اشهر ، وفى هذه السنة أيضا توفى تغلق شاه

سيارة مختلفة سنويا .. وفي الجزائر مصنع لتجميع الشاحنات .

والى جانب هذه المصانع العاملة فعلا ، توجد مشاريع جريئة كبيرة تم الاتفاق عليها ، ويجرى العمل من اجل تنفيذ العديد منها خلال هذه السنة ١٩٧٦ .

ففي العربية السعودية ستقام اربعة مصانع لتجميع اجزاء السيارات ستنتج ٥٠٠٠ سيارة شحن ثقيلة ، و ٢٢٥٠٠ سيارة شحن متوسطة « وانيت » و ٨٠٠٠ سيارة ركاب سنويا .. وفي العراق تم الاتفاق على انتاج ١٥ الف سيارة بيجو و٦ الاف شاحنة كبيرة سنويا ، ومن المنتظر



التوقيع على اتفاق ثالث لانتاج ٥٠ الف سيارة فولكس واجن سنويا .. وتهدف الجزائر الى انشاء صناعة للسيارات تنتج ١٠٠ الف سيارة صالون صغيرة سنويا .. وفي سوريا سيقوم مصنع لتجميع ١٠ الاف سيارة بيجو سنويا .. وفي لبنان يجرى التخطيط لانشاء مصنع لانتاج عشرة الاف سيارة يابانية سنويا .

ومما يذكر ان العربية السعودية كانت في مقدمة الدول العربية المستوردة للسيارات في عام ١٩٧٤ اذ استوردت ٩٤ الف سيارة مختلفة ، تليها ليبيا ٥٨ الف سيارة ، فالجزائر ٤٨ الفا ، فالكويت ٣٩ الفا ، فلبنان ٣٨ الفا ، فالمغرب ٣١ الفا ، فالامارات المتحدة ٢٥ الفا ، فالعراق ٢٣ الفا ، فمصر ١٨ الفا ..

وهذه السيارات تستورد من اليابان والولايات المتحدة واوروبا (لاتشمل الاحصائية السيارات المستوردة من الكتلة الشرقية) .

واليابان هي المصدر الاول لتصدير السيارات الى البلاد العربية ، اذ صدرت ماعدده ١٤٠٥٠٢ سيارة وشاحنة وحافلة ، خلال عام ١٩٧٤ تليها فرنسا برقم ١٢٧٨٢١ سيارة متنوعة .

(س . ن)

وخلفه ابنه السلطان محمد الاول . ولكن خسرو كان عنه في شغل بهمومه وبلائه الواصب

اما مؤلفاته فقد بلغت ١٢٩ ، ومن اقوال الرئيس الهندي في تقديرها من خطابه في الندوة المشار اليها انفا » انها لو طبعت كلها لاسهمت بقوة في المعرفة الانسانية » وله اربعة دواوين تجمع قصائده منذ كان في الخامسة عشرة حتى وفاته .وله الى جانب ذلك قصص شعرية ، واهم شعره مانظمه بالفارسية والهندية ، وهو يجاري في منظوماته القصصية منظومات الشاعر الفارسي الكبير «نظامي» واسلوبه في الفارسية يقارن باسلوب كبار شعراء الفرس امثال سعدي وحافظ الشيرازيين :ومن أهم مواهبه قدرته على حسن الاختيار من ثقافات الامم المختلفة ثم التوفيق بينها في وحدة حية متناسقة ، واهم فلاح له في هذا الاتجاه المبدع مزجه بين الموسيقى الهندية والفارسية بروح اسلامية ، لكي تنساب الانغام مطردة في خفة بدل تذبذبها مقيدة مكررة في حيز واحد لاتعدوه كما هي الحال حتى اليوم في الموسيقى الهندية الخالصة ، فانها ممسكة قابضة برتبتها وحدتها وهزالها ونواحها او انينها الحزين وكان شديد الاعجاب بالهند وكنوزها الجميلة من طبيعة وثقافية وبشرية ، وبكل ذلك تغنى في شعره ، كما كان شديد الوعي والاخلاص لدينه والاعجاب به ، فاحسن التوفيق والمزج في اثاره الادبية والفنية بين روح الهند العريقة العميقة ، وروح الاسلام الفتية المتجددة ولم تطبع من اثاره الا قلة ،معظمها من شعره ،ولم تزل بعض اثاره الادبية » من احب كتب المطالعة بين مثقفي الهند حتى اليوم .

م.خ.ت

عاتكة بنت زيد

شاعرة قوية جميلة قست عليها الحياة

بقلم : عبد الصاحب جعفر جمال الدين

■ قرات مقالا في مجلة العربي (١) للاستاذ محمد خليفة التونسي يدور حول الشاعرات العربيات، وما كان بينهن وبين ازواجهن . والذي جلب انتباهي ، عبارة (المردفات من قريش) التي اوردها الاستاذ في سياق بحثه عن الشاعرة (عاتكة بنت زيد) .

ورايتني بعد فراغي من قراءة المقال ، اقلب صفحات الكتب والمصادر الموجودة عندي ، عن عاتكه وغيرها من المردفات علني اروى ظما حب الاستطلاع لدى ، فما كان مني الا ان جمعت مختلف المصادر التي تبحث عن هذا الموضوع ، وبدات اجمع وادون ما توفر لدى من المعلومات فكان ان ورد هذا المقال المختصر .

والشيء الذي لاحظته من خلال بحثي عن ـ عاتكة ـ ، هو قلة المصادر التي تبحث عنها ، وهي ان ذكرت فانما تذكر مقرونة بمن تزوجوها. ولست ادري هل (الرواة) و (الكتاب) في ذلك العصر (تشاءموا) من الكتابة عنها لما سنبينه ، ام ان هناك اسبابا اخرى .

وردف ، لغة ـ كما وردت في (القاموس المحيط واساس البلاغة) ـ معناها اتبع .
والارداف : التتابع واحدا تلو الآخر .
والمردفات من قريش تعني (القرشيات اللاتي تزوجت كل منهن عدة رجال : رجلا مرادفا لآخر) .

(١) العدد ١٩٩ حزيران ١٩٧٥ .

نسبها وحياتها الاولى :

قبل البدء في الموضوع لا بد من ذكر لمحة مختصرة عن نسبها .

فهي (عاتكه بنت زيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى .)



ومن نسبها يظهر لنا انها قرشية ، ومن قبيلة عدى التى ينتسب لها الخليفة (عمر ابن الخطاب) ٠

وابوها (زيد بن عمرو بن نفيل) ، غني عن التعريف اذ انه هو و (ورقة بن نوفل وعثمان ابن الحرث وعبيد الله بن جحش ، ممن كانوا يدينون بدين الحنيفية قبل البعثة النبوية) ٠

وروى ابن اسحق ان(زيد بن عمرو وقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح ، التى تذبح على الاوثان ، ونهى عن قتل الموؤودة ، وقال : « اعبد رب ابراهيم » وتادى فى قومه بعيب ماهم عليه) ٠

وقد كان زيد هذا شاعرا مجيدا ، واغلب شعره يدور حول عقيدته الحنيفية ٠ ومن شعره :



أربا واحدا أم ألف رب
أدين اذا تقسمت الامور

وقال ايضا :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت
له الارض تحمل صخرا ثقالا

وقد جال زيد فى بلاد العرب والشام يطلب دين ابراهيم ، واخيرا سمع بظهور النبى (محمد) ، فاراد الرجوع وعند عودته اغتيل فى بلاد لخم ٠

وقد روى (الواقدى) عن سعيد بن زيد ، انه قال : (ان ابى توفى قبل البعثة النبوية بخمس سنين) ٠

وروى ايضا ان النبى (ص) استغفر له وقال : (انه يبعث يوم القيامة امة وحده) ٠

ومات زيد مخلفا سعيد بن زيد ، الصحابى المعروف ، وعاتكة صاحبة بحثنا هذا ٠

اما ام عاتكة فهى (فاطمة بنت بعجة الخزاعية) على ما روى ٠

وتاريخ ولادة عاتكة كغيرها من الصحابيات ، امر لم تجزم به السيرة ٠ والراجح انها ولدت قبل البعثة النبوية ٠

وقد اسلمت عاتكة مع من اسلم فى بداية الدعوة ، وهاجرت مع من هاجر من عمومتها الى المدينة ٠

وروى عنها انها كانت من الصحابيات الجليلات ، (وذات عبادة وتقى وعفة ، وذات كمال وتمام فى عقلها ومنظرها وجزالة فى رأيها) ٠

وذكر الاستاذ (العقاد) انها كانت على قسط كبير من (الديانة ، والجمال ، والبلاغة) ٠

وكانت كثيرا ما تؤدى صلاتها فى المسجد مع الرسول الكريم واصحابه ٠

التقاء الجمالين :

كانت عاتكة كما ذكر صاحب (المستطرف) من اجمل نساء قريش ٠ ويعدها طويس المغنى من اجمل خلق الله ٠ ومن صفاتها ، انها امراة عجراء أقرب للبدانة ، ذات وجه صبوح مشرق ٠ وقد خطبها فى بداية الامر اصبح فتيان قريش وجها ، عبد الله بن ابى بكر الصديق ٠

وقد غلبت على رأيه فمر عليه ابو بكر ابوه ، وهو في علية له يناغيها في يوم جمعة ، وابو بكر متوجه للجامع ، ثم رجع وهو يناغيها . فقال : يا عبد الله ، اجمعت ؟ قال : اوصلى الناس ؟ قال : نعم . ـ وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها ـ فقال له : ابو بكر قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد الهتك عن فرائض الصلاة . طلقها . فطلقها تطليقة واحدة ، لأنه كان بارا بوالديه لايخالف لهما امرا ـ وتحولت الى ناحية . فبينا ابو بكر يصلي على سطح له في الليل اذ سمعه وهو يقول شعرا :

اعاتك لا انساك ما ذرّ شارق
وما ناح قمري الحمام المطوق

اعاتك قلبي كل يوم وليلة
لديك بما تخفي النفوس معلق

لها خلق جزل ورأى ومنطق
وخلق مصون في حياء ومصدق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير شيء تطلق

فسمع ابو بكر قوله فاشرف عليه، وقد رق قلبه. فقال : يا عبد الله ، راجع عاتكة ، فقال : اشهد اني قد راجعتها . واشرف على غلام له ، فقال له : ايمن ، انت حر لوجه الله تعالى ، اشهدك اني قد راجعت عاتكة . ثم خرج اليها يجري الى مؤخر الدار وهو يقول :

اعاتك قد طلقت في غير ريبة
ورُوجعتِ للامر الذي هو كائن

فانك ممن زيّن الله وجهه
وليس لوجه زانه الله شائن

ليهنك اني لا أرى فيك سخطة
وانك قد تمت عليك المحاسن

وقد شهد عبد الله حرب الطائف مع الرسول الكريم ، فرُمي بسهم ، رماه ابو محجن الثقفي فيما ذكره الواقدي . فدمل جرحه حتى انتقض به، فمات عنه في اول خلافة ابيه سنة ١١ هجرية.

وروى عن عبد الله انه اعطى عاتكة حديقة له حين راجعها على ان لا تتزوج بعده . فلما مات من السهم الذي اصابه بالطائف انشات تقول :

فلله عينا من رأى مثله فتى
أكرّ وأحمى في الهياج واصبرا

اذا شرعت فيه الأسنة خاضها
الى الموت حتى يبرك الرمح احمرا

فأقسمتُ لا تنفك عيني سخينة
عليك ولا ينفكّ جلدي اغبرا

مدى الدهر ما غنّت حمامة ايكة
وما طرد الليلُ الصباحَ المنورا

ومما يذكر ان صاحب العقد الفريد ، ذكر ان الذي تزوج عاتكة وطلقها بامر ابيه لم تبعتها نفسه هو عبد الرحمن بن ابي بكر .

والثابت كما اجمعت الروايات هو عبد الله لا عبد الرحمن .

ومن غرائب الصدف ان كان هذان الزوجان شاعرين كما راينا .

الزواج من الخليفة عمر بن الخطاب

كان الخليفة عمر كما ذكر (ابن قتيبة) يمت بصلة القرابة الى عاتكة . اذ انه كان ابن عم ابيها ، فالخطاب هو اخو عمرو بن نفيل جد عاتكة لابيها .

وقد الله ، ان تبقى وحيدة بعد موت زوجها عبد الله فاراد ان يسبغ عليها عطفه ويشملها برعايته ، فخطبها . وروى انها قالت له (كان عبد الله قد اعطاني حديقة على ان لاتزوج بعده . قال لها : استفتي ، فاستفتت ، فقيل لها : بان ردي الحديقة على اهله وتزوجي) .

وروى ان الخليفة عمر تزوجها في بداية خلافته واولم وليمة للصحابة تليق بمقامها . وبقيت في كنفه الى ان قتل . وذكر انها ولدت له عياضا ابنه .

وقالت عاتكة ترثيه بعد مقتله :

عين جودى بعبرة ونحيب
لا تملّى على الامام النجيب

وقالت ايضا :

وفجعنى فـيروز لا در دره
بأبيض تـال للكتاب منيب

وقالت :

منع الرقـاد فعاد عينى عود
ممـا تضمن قلبى المعمـود

وقالت :

جسد لـفف فـى أكفانـه
رحمة الله على ذاك الجسد

الزواج من حوارى رسول الله

ولما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها • وكان الزبير غيورا ، فلما ملكها قال : « ياعاتكة،لاتخرجى الى المسجد » ـ وكانت « عجراء بادنة ـ فقالت «يا ابن‌العوام، اتريد أن ادع لغيرتك مصلى صليته مع رسول اللـه » وكانت تخرج الى المسجد للصلاة كعادتها مع ازواجها) •

فشق عليه ذلك ، وكان لا يمنعها عن الخروج، لحديث الرسول (ص) (لاتمنعوا اماء الله مساجد الله) •

فلما سمع النداء لصلاة الصبح فى يوم من الايام ، توضا وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة •

فلما مرت به ، ضرب على عجيزتها بيده فقالت : « مالك ، قطع الله يدك » ورجعت •

فلما رجع من المسجد قال : ياعاتكة مالى لم ارك فى مصلاك • قالت يرحمـك اللـه ابا عبدالله ، فسد الناس بعدك • الصلاة اليوم فى القيطون ، افضل منها فى البيت وفى البيت افضل منها فى الحجرة •

وروى انها قالت : (كنا نخرج اذ الناس ناس ، وما بهم من باس ، اما الآن فلا) •

ولما قتل عنها الزبير بوادى السباع حيث قتله عمرو بن جرموز ، رثته شعرا : ـ

غدر ابن جرموز بفارس بهمة
يوم اللقـاء وكان غير معـرد

يا عمـرو لـو نبهته لوجدتـه
لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمـك ان قتلت لمسلما
وجبت عليـك عقوبـة المتعمد

الزواج من سيد الشهداء الحسين واختلاف الروايات

هناك رواية انفرد بها صاحب (المستطرف) ولم اجد نظيرا لها ، تقول : ان عاتكة (تزوجت بمحمد بن ابى بكر الصديق بعد مقتل الزبير • وقد قتل عنها بمصر فقالت : لااتزوج بعده ابدا ، انى لاحسبنى لـو تزوجت جميـع اهل الارض لقتلوا عن اخرهم) •

واما صاحب الاغانى ، فيذكر انها تزوجت الحسين بن على بن ابى طالب ، فكانت اول من رفع خده عن التراب يوم عاشوراء وقالت ترثيه :

وحسينا فـلا نسيت حسينـا
قصدتـه أسنـة الاعـداء

غـادروه بكـربـلاء صريعـا
جـادت المزن فى ذرى كربـلاء

وروى (ابن الاثير) انه لما قتل الزبير وخلت عاتكة خطبها الامام علـى ، فقالت لـه (انى لاضن بك على القتل،فانك بقية الناس)• وروى ايضا ان مروان بن الحكم خطبها بعد الحسين فامتنعت عليه وقالت (ماكنت لاتخذ حمى بعد رسول الله) •

ان الروايـات على اى حـال اختلفت فى زواجهـا الاخير • والراجـح عندى انها تايمت بعد مقتل الزبير بالرغم مما اورده (صاحب الاغانى) من انها تزوجت الحسين بعد الزبير • وذلك لانها بلغت من العمر عند مقتل الزبير ما يقارب الخامسـة والخمسين من عمرها • ولا اظن ان امراة ـ ولكل قاعدة شواذ ـ تبلغ من

العمر هذا المدى ، ترغب في الزواج . ثم ان الحسين كان ابن ثلاثين سنة عند مقتل الزبير.

ثم ان الروايات التي وردت في تاريخ الطبري ، والمعارف لابن قتيبة ، والكامل لابن الاثير ، قصرت ازواجها على عبد الله والخليفة عمر والزبير .

ولا اخفى على القارىء الكريم ، اني اجهدت نفسي في البحث في مختلف المصادر ـ وما اكثرها ـ التي تبحث في سيرة الامام الحسين بن علي ، فلم احصل على اي اشاره تدل على ان (عاتكة) احدى زوجات الحسين .

عاتكة الشاعرة

مما تقدم ومن المراثي التي ذكرناها ، نستطيع القول ان عاتكة كانت شاعرة مجيدة . ولا ريب فقد تكون ورثت هذه الملكة عن ابيها الشاعر الذي استشهدنا ببعض الابيات من شعره .

والغالب عليها انها كانت شاعرة مقلة ، وذات نفس قصير . وقد امتاز شعرها (بالنزعة الوجدانية) وذلك لغلبة طابع الرثاء عليه .

ولقد تصفحت كثيرا من الكتب التي تبحث في الادب بمختلف فنونه ، علني اجد لها شواهد لاغراض شعرية اخرى فلم افلح .

والغالب على رثائها امتيازه بالاحترام والتبجيل والتكريم لازواجها . ولا يمكنك وانت تقرأ مراثيها التي اوردنا نتفا منها ، ان تحس بروح الشوق والحرقة ، واللهفة والالتياع ، اللهم الا مارثت به زوج صباها عبد الله بن ابي بكر بقولها : ـ

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وحتى هذا القسم اعتبر من المآخذ عليها في حينه ، اذ انها وهي المرأة المتدينة والكاملة العقل قالت ما لم تفعل ، ولم تبر بقسمها كما رأينا . اذ انها تزوجت بعد ذلك من الخليفة عمر ، وابدلت ذلك الجلد الاغبر بجلد آخر مضمخ بالخلوق . وقد عوتبت في حينه ـ وذكرت بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) .

والحق ان هذا الفعل ، لايتفق مع سيرتها المتميزة بالصلاح والتقوى (١) . والذي اخاله ، هو انها امرأة متدينة ، ومطبقة لتعاليم دينها . وقد اوكلت امرها ـ في التحلل من هذا القسم الادبي ـــ الى كبار المجتهدين في حينه ، ليجدوا لها مخرجا . فافتوها بما هو حسن . كما رأينا .

وفي اعتقادي ان سبب غلبة طابع الاحترام والتبجيل على رثائها لازواجها ، هو المكانة الاجتماعية السامية لهؤلاء ، فيما لو اخذنا بنظر الاعتبار ، انها قصدت (التشرف) (٢) بمثل هذه الزيجات .

دفاع عن عاتكة

مما مر من حديثنا يتضح للقارىء الكريم ان عاتكة كانت إمرأة سيئة الحظ . وقد روى عبدالله بن عمر قوله (من اراد الشهادة فليتزوج بعاتكة) .

كما روى صاحب الاغاني (بينا فتية من قريش ببطن مُحَسِّر يتذاكرون الاحاديث، ويتناشدون الاشعار، اذ اقبل عليهم ، طويس المغني . فقالوا له : ياابا عبد الله غننا شعرا مليحا له حديث ظريف ، فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد وهي ترثي عمر بن الخطاب . :

منع الرقاد فعاد عيني عود
مما تضمن قلبي المعمود

فقال القوم لمن هذه الابيات ياطويس . فقال لاجمل خلق الله واشامهم . فقالوا : بانفسنا انت من هذه ؟

قال : هي والله من لايجهل نسبها ، ولا يدفع شرفها ، تزوجت بابن خليفة ، وثنت

---

(١) بل يتفق مع سيرتها الكريمة ، وبقيةهذه الفقرة للكاتب تؤيد رأينا.لارأيه ، ولاجناح عليها فيما فعلت ، فقد نصح النبي عليهالسلام بأن المرء اذا اقسم على فعل أمر ثم رأى ماهو خير منه فله أن يفعل ماهو خير ،ويكفر عن يمينه، وهذا ما فعلتهعاتكة ـ (العربي)

(٢) لم يكن ينقصها شرف ، فتتشرف بالزواجمن نظرائها ، وخير للمرأة أن تعيش في كنف زوج من أكفائها بدلا من العيش وحدها وليس من يكنفها من الابناء الكبار .

بخليفة ، وللشت بحواري رسول الله وربعت بابن نبي الله وكلا قتلت • قالوا جميعا : ان امر هذا لعجيب • باباتنا انت من هذه ؟ قال : عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل • فقالوا نعم ، هي على ماوصفت ، فقوموا بنا لايدرك مجلسنا شؤمها •

والثابت تاريخيا ان من تزوج عاتكة من الذين ذكرنا قد قتل ، وانا لا انكر انها امراة سيئة الحظ ، نكدة الطالع •

ولكن هذا الامر لم يكن بيدها ، وانما هو بيد الله تعالى لقوله : (قل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)• ال عمران ١٥٤ •

ولو تصفحنا القرآن الكريم لوجدنا الكثير من الآيات التي تسند قولنا ، وان نهاية الانسان هي بيد الله جل شانه ، والقتل من شيم الابطال _ وقديما قال احد هؤلاء الابطال (لالف ضربة على الهام ولا موتة على الفراش)

وقال الشاعر عمر بن ابي ربيعة في هذا الباب :

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جر الذيول

ولو كان الامر بيدها وهي المراة التامة العقل لدفعته ، ولكن من سوء حظها _ وهي النابهة _ انها لم تتزوج رجلا الا انتهت حياته معها بالقتل ، (وهل كان يليق بها الا الابطال) كما قال الاستاذ التونسي في مقاله :

ولو اننا تصفحنا سيرة هؤلاء الازواج بامعان، لتنبأنا لهم مسبقا بالشهادة •

فعبد الله بن ابي بكر ، الفتى الشجاع الذي يدفع الاسنة بصدره _ كما وصفته في شعرها _ كان لابد ان يكون مصيره القتل • والسبب ان المحارب لابد له من جولة •

والخليفة عمر الذي ملأ سمع الدنيا وبصرها بفتوحاته ، واسقاطه لاعظم امبراطورية في ذلك العصر ، يستحيل ان لاتتعرض حياته للخطر • وذلك لانه من غير المعقول ان يسقط نظام حكم موغل في القدم دون ان تكون هناك (فدية غالية) ، وكانت الفدية كما نعلم مصرعه على يد ابي لؤلؤة الفارسي •

والسؤال الذي يراود الاذهان ، هو ماسبب اقدام (هؤلاء الابطال) على زواج عاتكة وهي على ماهي عليه من سوء الحظ ونكد الطالع •

والجواب على ما اظن ، انها امتازت بخصال تجعل الخطاب يتهافتون على طلب يدها • واول هذه الخصال تدينها ، وتقواها ورجحان عقلها• والعقل والتدين من اهم الصفات التي يرغب فيها الناس في ذلك العصر •

وروى عن الخليفة عمر انه قال (النساء ثلاث ، وخيرهن المراة الهينة العفيفة المسلمة) •

وقد يكون الدافع هو جمالها اذ انها كانت من اجمل نساء عصرها كما ذكر الرواة •

وقد يكون السبب ان عاتكة ذات حسب ونسب ، وهي قرشية ، كما علمنا ، وقد روى عن النبي (ص) قوله : (خير نساء ركبن الابل _ نساء قريش ، احناها على ولد في صغره ، وارعاها على بعل في ذات يده) •

ومن الطبيعي ان مثل هذه الصفات تجعل المراة بمثابة (الثروة او الهبة) للرجل الذي يملكها ، ولا شيء ارغب للرجل من امراة عفيفة الذيل ، صائنة لشرفها •

وقد يسال سائل عن سبب اقدامها على هذا الزواج المتكرر المفجع النهاية •

قبل كل شيء ومن خلال دراسة (سيرتها) ، وما امتازت به (اتزهها) من ان يكون (مجرد الزواج) رائدها • وذلك لان المكاسب الانسانية التي لا تستطيع المراة الاستغناء عنها لا تشمل ابدا (الحب الجسدي) وهذه المطالب هي العطف ، والحنان ، والاحساس بالتفوق ، والمركز الاجتماعي ، والشعور بالطمانينة •

اذا لا بد ان تكون هناك دوافع ، غير هذا • وفي اعتقادي ، انها كانت ترى بان الزواج (اكمال للدين) نظرا لكونها امراة متدينة وصحابية معروفة • وهذا يعني الحفاظ على عفافها وسترها وشرفها من تكالب ذوى الاطماع عليها بسبب ما منحها اللهمن هبة الوجه الحسن والجمال الاخاذ المغري • وحينما تكون في عصمة رجل فان هذا يعني قطع السنة السوء عنها • ■■

عبد الصاحب جعفر جمال الدين
الجمهورية العراقية _ ذي قار _ كرمة بني سعيد

كتاب الشهر



دراسة في التغيير الاجتماعي

■ لم يخطر على بالى يوما أن أجد شعبا صغيرا امتلك تراثا غنيا بسحره ، فاتنا بالوانه وفنونه كالشعب البحرانى · فعلى قلة عدده وضيق مساحته ، ورغم ما واجهه من صعوبات وتحديات ، حافظ على أصالته ووجهه العربى ، وقد اتيحت لى الفرصة للاجتماع باخوة من البحرين ايام كنا زملاء دراسه ، واسعدنى الحظ أن اجتمع باخرين طلبة فى قاعات محاضراتى · ومن خلال احتكاكى بهم ، وجدت امامى جزءا من عالمنا العربى غنيا بفن شعبى رائع ، وبطليعة شابة متفتحة على الحياة ، مندفعة نحو المستقبل هم طلائع مثقفة تقود عملية تغيير اجتماعى رائدة على طول ساحل خليجنا العربى ·

وعندما صدر الكتاب الذى نحن بصددمراجعته وجدتها فرصة سانحة للاطلاع على مزيد من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى هذا البلد العريق · كما وجدت ان عرض الكتاب سيفتح المجال أمام الاف القراء العرب للاطلاع من كثب على ما حققه هذا البلد لاهله وتراثه· والكتاب أطروحة قدمها الكاتب للحصول على درجة الدكتوريه من جامعة « درهام » بانجلترا · ويعتقد المؤلف ان كتابه هذا جاء ليكمل موضوعا رئيسيا هو التغير الاجتماعى والسياسى فى البحرين · وعلى الرغم من صدور كتب عديدة تتعلق بدراسات متنوعة لمنطقة الخليج ، الا ان هذا الكتاب من الكتب القليلة التى تناولت منطقة صغيرة بدراسة واسعة وعميقة ، وتعتبر البحرين مثالا ممتازا لعملية التغير الاجتماعى التى دخلتها بقية منطقة الخليج ·

نظرة عامة

تتكون البحرين من احدى عشرة جزيرة وتبلغ مساحتها ٢٦٥ ميلا مربعا · وتعتبر جزيرةالبحرين والمحرق وسترة أكبر هذه الجزر · وجزيرة البحرين هى الجزيرة الاولى من حيث المساحة اذ يبلغ طولها ٣٠ ميلا ويتراوح عرضها بين ٨ ـ ١٠ أميال · وتقع المنامة التىهى عاصمة الدولة فى الجزء الشمالى الشرقى من جزيرة البحرين· وقدر عدد سكان البلاد لعام ١٩٧١ بحوالى ٢١٦ الف نسمة ، اما الان فيقدر عدد السكان بحوالى ٢٤٠ الف نسمة ·ويتوزع السكان بين ٦٥ مركزا حضريا وريفيا · وتتصل هذه المراكز بعضها مع بعض بشبكة حديثة من الطرق المعبدة ··ويستغل حوالى ١٠٪ من مساحة البحرين فى الزراعة وخاصة الاجزاء الشمالية من الجزيرة الرئيسية البحرين · وتعتبر اشجار النخيل والخضراوات اهم النباتات المزروعة ، على الرغم من ان امطار المنطقة قليلة لا تزيد عن ٧٥ مليمترا فى العام ·

محتوى الكتاب

يتكون الكتاب من اربعة اقسام رئيسية · ويتضمن القسم الاول فصلين الاول منهما مقدمة تاريخية عن الصراعات القبلية ، ومحاولات

تاليف : الدكتور محمد الرميحي
عرض : الدكتور
عبد الاله ابو عياش

السيطرة الاجنبية . ثم النفوذ والتاثير البريطاني. اما الفصل الثاني فيبحث بشكل رئيسي في السكان وتركيبهم البشري والمشاكل الاجتماعية المرتبطة بعملية التغير الاجتماعي • ولما كانت عملية التغير الاجتماعي غير منفصلة عن التطور الاقتصادي في البلد ، فقد حصص القسم الثاني لدراسةالنشاطات الاقتصادية التقليدية والحديثة، وخاصة صيد اللؤلؤ والزراعةوالتجارةوالصناعة.

ولان التعليم يمثل عجلة الدفع الرئيسية في عملية التحول الاجتماعي ، فقد وجه الكاتب للتعليم عناية خاصه بان افرد له القسم الثالث من الكتاب • ويشتمل هذا القسم على ثلاثة فصول • يبحث الفصل الاول منها في التعليم الحديث والمدارس الخاصة والعامة.ويشير الفصل الثاني الى اثر التعليم على المجتمع البحراني ، والمشاكل التي تواجه تطوير التعليم فيها •

اما الفصل الثالث فيبحث في بعض جوانب التغير الاجتماعي ونمو المجتمع الحضري ، والتغييرات في تركيب العائلة . ووضع المراة • ويحتوي القسم الرابع والاخير على ثلاثة فصول تبحث في الصراع والتغير السياسي •

تركيب السكان

سكنت القبائل العربية البحرين قبل ظهور الاسلام ، ومن اشهر القبائل التي استوطنت الجزيرة بنو بكر وبنو تميم • ولقد كانت هذه المنطقة مركزا للثورة ضد الامويين والعباسيين • وخلال القرن الثامن عشر ، جذبت البحرين بعض القبائل العربية من المناطق المحيطة بها لا سيما قبائل العتوب وحلفاءهم الذين احتلوا الجزيرة ولقبوا انفسهم حكاما عليها •

وقد كانت بين البحرين والهند علاقات تجارية لفترة طويلة ، مما ادى الى نمو جالية هندية كبيرة فيها • كذلك ادت العلاقات بين الجزيرة وايران الى نمو جالية ايرانية • لذا يمكن القول بان سكان البحرين في بداية هذا القرن كانوا يتكونون من العرب والايرانيين والهنود •

وادى تدفق النفط الى هجرة الايدي العاملة من مناطق مختلفة الى البحرين ، فتزايد السكان بسرعة ، وتضاعفوا مرتين ونصف مرة في خلال ثلاثين عاما • ويبين الهرم السكاني للبحرين ان اغلبية السكان من الشباب والاطفال • فالسكان الذين تقل اعمارهم عن ٣٠ عاما يشكلون اكثر من ثلاثة ارباع المجتمع • ولهذا التركيب بدون شك اثره على عملية التغير الاجتماعي • فوجود نسبة كبيرة من الاطفال والشباب يعني مزيدا من الطلب على المؤسسات التعليمية والخدمات الاجتماعية • كما ان وجود هذه النسبة الكبيرة يعجل من عملية التغير الاجتماعي ، اذ ان الشباب هم اكثر الجماعات تطلعا وتقبلا للتحول في المفاهيم والعادات الاجتماعية •

ومع تدهور النشاطات الاقتصادية التقليدية ونمو صناعة النفط اخذ السكان في الهجرة من المناطق الريفية الى المراكز المدنية رغم كل محاولات الدولة للحد من الهجرة • كما ان الهجرة من خارج البحرين استمرت في التزايد مما ادى الى تبدل التركيب السكاني•فالبحرانيون يشكلون ٨٢٪ من مجموع السكان • اما بقية السكان فيتوزعون بين جنسيات مختلفة وتعتبر الجاليتان الهندية والباكستانية اكبر الجاليات الاجنبية،اذ تبلغان حوالي ثلث السكان الاجانب ، وياتي في المرتبة الثانية العمانيون ، ويبلغون حوالي ٢٨٪ من الاجانب . اما الايرانيون فيكونون حوالي ١٤٪ من مجموع السكان الاجانب •

التحول الاقتصادي

اشتهرت البحرين بثلاث حرف رئيسية كانت تشكل اساس نشاط السكان وفعاليتهم الاقتصادية. وهذه الحرف هي صيد اللؤلؤ والزراعة والتجارة • بالاضافة الى ذلك كانت هناك بعض النشاطات الثانوية كصيد الاسماك ، وصناعة القوارب • ومع التحول الاقتصادي الذي شهدته البحرين وخاصة استغلال النفط ،ونتيجة عوامل اخرى ، اخذت حرفتا صيد اللؤلؤ والزراعة في التدهور • ولقد كان لنمو زراعة اللؤلؤ في اليابان تاثيرا سلبيا على صيد

اللؤلؤ في البحرين*؛ .وتشير الاحصائيات الى ان عدد قوارب صيد اللؤلؤ في الثلاثينات من هذا القرن كانت تقدر بحوالي خمسمائة قارب ، وكان عدد الرجال المشتغلين بهـا يصلون الى ٢٠ الف شخص • الا انه في منتصف الخمسينات لم يزد عدد القوارب عن احد عشر قاربا ، كما ان عدد الرجال العاملين فيها لم يزد عن خمسمائة رجل •

اما الزراعة فقد كانت تشير التوقعات الى احتمالات توسعتها • الا ان الذي حدث هو العكس فقد استمرت هذه الحرفة في التاخر لعدةأسباب• فالفرص التي قدمتها صناعة النفط والخدمات المرتبطة بها اصبحت تدر دخولا افضل منالزراعة• كذلك فان المشاكل المحيطة بنظام تاجير الاراضي وتزايد ملوحة المياه قامت عوائق ، فادت الى نفور نسبة كبيرة من المزارعين، فتركوا الزراعةوالتحقوا باعمال جديدة •

وفي الوقت نفسه الذي شهدت فيه هاتان الحرفتان تدهورا وتاخرا مستمرين ، حافظت التجارة على اهميتها ، والواقع أن التجارة هي الحرفة التقليدية الوحيدة التي استفادت منعملية التحول الاقتصادي ، وقد كان أثر النفط واضحا على النشاط التجاري وأدى الى تبدل في طبيعة العلاقات التجارية بين البحرين وبقية دول العالم•

نمو التجارة

تركزت تجارة البحرين في الربع الاول من هذا القرن مع الهند ودول الخليج العربي بشكل رئيسي•ونظرا لتاثير النفوذ البريطاني فيالمنطقة ، وسيطرة شركة الملاحة الهندية البريطانية على معظم الخطوط البحرية العالمية ، ارتبطت معظم واردات البحرين بالشركات البريطانية • ولم تكن كل الواردات تستهلك في اسواق البحرين ، وانما كان يعاد تصدير جزء منها الى أسواق المناطق المحيطة بها • واصبحت التجارة خلال هذه الفتـرة الحرفة الرئيسية لمعظم سكان البحرين ، وفي عام ١٩٣٠ قدرت العائدات الجمركية من التجارة في البحرين بنحو ٩٧٪ من مجموع العائدات • واخذت قيمة واردات البحرين في التزايد مع استغلال ثروة النفط • فزادت الواردات من حوالي مليون دينار في بداية الثلاثينات الى سبعين مليون دينار في عام ١٩٧٠ •

ويمكن القول ان تجارة وسوق البحرين ارتبطتا جغرافيا بثلاث مراحل • ففي المرحلة الاولى كانت تجارة البحرين متصلة بالهند والعراق وايران • وفي المرحلة الثانية ارتبطت بشكل رئيسي باسواق بريطانيا والولايات المتحدة واوروبا • اما فيالمرحلة الثالثة فقد اخذتالتجارة تتحول نحو أسواقاليابان وهونغ كونغ • وقد اتصفت تجارة البحرين مع الدول العربية - ما عدا السعودية والعراق - بالضعف وفقدان الروابط التجارية • وبقيت السعودية اكبر مستورد للبضائع من البحرين ، وقد كانت تستورد ما بين ٥٠٪ - ٥٩٪ من مجموع صادرات البحرين عدا النفط •

ولقد كان هناك عاملان اساسيان اعطيا البحرين اهمية خاصـة في تجارة الاستيراد والتصدير في المنطقة • اولها توفر التسهيلات المالية والمصرفية ، وثانيهما توفر الخبرة التجارية التي اكتسبها تجار البحرين خلال ممارستهم الطويلة للتجارة • ولكن تطور السعودية والكويتوبقية دول الخليجسيؤدي الى ضعف الدور التجاري للبحرين • وسيدفعهـا ذلك للبحث عن نشاطات اقتصادية بديلة •

الصناعة والتحول الاجتماعي

فيما عدا بعض الصناعات التقليدية والبسيطة كصناعة القوارب وبعض الصناعات الغزفية والنحاسية ، لم يكن في البحرين صناعات ذات اهمية تذكر • ويمكن القول ان التطور الصناعي بمعناه الواسع بدأ في الخمسينات • وكانت اول خطوة في ذلك الاتجاه بناء حوض لاصلاح السفن في عام ١٩٥٤ ، ثم تبع ذلك اقامة مصنع صغير للورق • وبالاضافة الى صناعة استخراج النفط ، كانت اهم خطوة صناعية هي اقامة مصنع للالمنيوم• ويقدر عدد المؤسسات الصناعية في البحرينبحوالي ١٥٠ مؤسسة • ويوضح توزيع الايدي العاملة ان نسبة غير البحرانيين في القوة العاملة اعلى من البحرانيين • وتفسر هذه الظاهرة على اساس ان معظم المهاجرين الى البحرين هم من الشبابالذكور• أما البحرانيون فيشتملون على نسبة عالية من الاناث غير العاملات • كذلك هناك ملاحظة واضحة في عزوف البحرانيين عن الاعمال اليدوية ، وهذا يرتبطبالنظرة الاجتماعيةالسلبية للاعمالاليدوية •

ومع استغلال النفـط ، اخذ عـدد العمال البحرانيين في التزايد،لكن الاغلبية الساحقةمنهم

كانت تعمل في أعمال عادية تفتقر الى المهارات • وكان وضع العمال البحرانيين بائسا الى درجة أن وضع العمال الهنود والباكستانيين كان افضل من وضعهم.فرواتب البحرانيين لم تكن لتزيد عنعشرة روبيات في الشهر ، وعندما شعر العمال انهم مواطنون من الدرجة الثالثة وانهم غرباء فيوطنهم، بدأوا بالتململ والمطالبة بتحسين اوضاعهم • ولقد ولد الشعور بالظلم لدى العمال البحرانيين حركة واسعة بين جميع الفئات انعكست آثارها بشكل واضح في محاولات عديدة للاضراب عن العمل • وقد كانت تلك الاضرابات تهدف الى تحسين وضع العمال الاقتصادى ، والاجتماعى ، والصحى ، والثقافي • وقامت الصحافة بدور رئيسي في تعبئة الشعور الوطني ، وكانت حافزا رئيسيا في شحذ همم البحرانيين لتحسين اوضاعهم على جميع المستويات • وعلى الرغم من ان هذه الحركة بدأت في الاربعينات ، وعلى الرغم من التحسن الذى طرأ على أوضاع البحرانيين العاملين في شركة النفط الا ان الشركة لم تقم بتقديم التدريب المناسبلهم• فعلى سبيل المثال نجد انه حتى عام ١٩٦٥ لم تكن نسبة الحاصلين على شهادات جامعية تزيد عن واحد بالمائة من مجموع القوى العاملة في البحرين • ولقد كانهذا سببا رئيسيا فيغياب الاداريين البحرانيين عن المراكز العليا لشركة النفط •

كذلك افتقر العمال البحرانيون الى المهارات والكفاءات العالية • وقد عاق ذلك من مساهمتهم الفعالة في التحول الصناعى • الا أن قيامالمؤسسات التعليمية في البلاد وتوسع آثارها أخذ يرفع من مستوى الايدى العاملة التى اخذت تلتحق حديثا بالصناعات المختلفة •

التعليم والتغيير الاجتماعي

ليس من شك في ان التعليم اداة أساسية في عملية التغيير الاجتماعي والتكنولوجي للمجتمعات الحديثة • فهو عامل مهم في تمكين المجتمع من زيادة الاتصالات بين افراده عن طريق توسيع وسائل القراءة والكتابة ودور اجهزة الاعلام • والتعليم بمعناه العصرى ظاهرة حديثة في البحرين • الا أن المؤسسات التعليمية كانت موجودة فيها منذ مطلع هذا القرن • لكن تاثيرها كان محدودا لان خدماتها لم تكن تتعدى نفرا قليلا من الطلبة ، وبعد الحرب العالمية الاولى جرت محاولات من قبل بعضالعائلات الثرية لانشاء مؤسسات تعليمية ، الا أن خدماتها اقتصرت على افراد هذه العائلات بشكل رئيسي • فالتعليم كان محتكرا من قبل جزء صغير من المجتمع • ولم يكن من السهل على أبناء العائلات الغنية أن يتقبلوا شخصا عاديا او من عائلة فقيرة للوصول الى مستوياتهم التعليمية • الا أن هذه النظرات تغيرت مع توسع الحاجة الى المتعلمين •

والبيانات المتعلقة بالتعليم تشير الى طفرة شاملة شهدها المجتمع البحراني ، فمثلا كان هناك في عام ١٩٤٥ اقل من عشرين مدرسة للبنين والبنات ، ولم يكن فيها اكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة • اما في عام١٩٧٠ فقد وصلعدد المدارس الى اكثر من مائة مدرسة تحتوى على اكثر من خمسين الف طالب وطالبة •

ولما اصبحت الفرصالمتوفرة امام المتعلميناافضل منها عند غير المتعلمين ، ونتيجة للتحسن الذى طرأ على اوضاع المتعلمين اقتصاديا واجتماعيا ، وتسلمهم افضل الوظائف في الدولة تغيرت وجهات النظر التقليدية تجاه التعليم • فقد كان التقليديون يخشون من الاثر المحتمل لتوسعالتعليم على تغيير العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية • وعلى الرغم من الضغوط المستمرة من قبل التقليديين ، خاصة اولئك الذين كانوا يخشون من تعليم الطلاب والطالبات ، وتعرضهم لافكار جديدة تقلل من ولائهم لعاداتهم وتقاليدهم ، فقد استمر الاقبال على التعليم بالتوسع • فالتحول الذى جلبه النفط اوجد الحاجة الى سيطرة اهالي البلد على مصادر ثرواتهم • ولما كانت هذه السيطرة تحتاج الى متعلمين ، ولما كان التعليم يجلب تغيرا في نظرات المجتمعالتقليدية ، اصبحالتحول امر لا محالة عنه •ولم يعد بالامكان وقف عجلة التطور التى اخذت تفرض نفسها مع كل فوج من خريجى المدارس والمعاهد في البحرين •

بعض مظاهر التغير الاجتماعي

ان التغير الاجتماعى عملية مستمرة ، وتعتمد سرعتها ومداها على عدد من العوامل التى تؤثر في بعثها وسيرها ، وفي البحرين يمكن اعتبار عملية التحديث التى تبعت الحرب العالمية الاولى، والعائدات المتزايدة من تصدير النفط هما العاملين الرئيسيين وراء التحول الاجتماعي • ولفهم عملية التغيير الاجتماعى اهتم المؤلف

بتحليل تطور التركيب الاجتماعي والاقتصادي ، والتغيرات التي حدثت في مهمة المرأة وتبدل مهمة المرأة • وبما ان قوى التغير لا تتفاعل بعضها مع بعض بتناسق وانسجام تامين ، فان تاثيراتها تتباين بين الجماعات المختلفة • فهناك جماعات تتقبل التغيير بسرعة ، وهناك جماعات تميل الى الأخذ بالتحول التدريجي البطيء • أما الجماعات المحافظة فهي غالبا ما تتزمت وتقاوم عملية التغيير • والواقع أن دور الجماعات المحافظة آخذ يضعف في البحرين ، ولم يعد لها تاثير كبير على تعويق عملية التغيير الاجتماعي • كذلك هناك تباينات جغرافية في مدى تقبل التغيير ، فالمدن اكثر تقبلا للتغيير من المناطق الريفية •

وهناك مظهران رئيسيان لعملية التغيير الاجتماعي في البحرين ، هما توسع المجتمعات الحضرية والتغيرات ضمن العائلة وتبدل وضع المرأة •

المجتمع الحضري

من الناحية التقليدية ، كانت البحرين تعتبر مجتمعا ريفيا ، وهذا يعني ان عماد حياة السكان كانت الزراعة وصيد الاسماك واللؤلؤ • لكن التحول الاقتصادي الذي اتى به النفط ادى الى تغير واسع في نشاط السكان الاقتصادي • فان توفر الفرص الاقتصادية والخدمات في المراكز الحضرية جذب كثيرا من الايدي العاملة في الريف• مما ادى الى تزايد احجام المدن وانكماش المناطق الريفية • فمدينة « المنامة » مثلا ازداد عدد سكانها ثلاث مرات في الفترة الممتدة من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٧١ • وتضم هذه المدينة حوالي ٤٠٪ من مجموع سكان البحرين • وفي الوقت نفسه انخفضت نسبة السكان الريفيين من حوالي ٤٤٪ الى ٢٥٪ في الفترة نفسها •

ان التغييرات الاجتماعية التي يجلبها هذا التغير الجغرافي في توزيع السكان تتضح بشكل رئيسي في ضعف الروابط العائلية والقبلية التي تسود عادة المناطق الريفية • ولم يعد هناك مناص من التكيف لحقائق الحياة الجديدة • فالتغيرات التي صاحبت تبدل العلاقات العائلية انعكست آثارها ايضا على وضع المرأة الاجتماعي• وكما ذكرنا بدات عملية التغيير المتعلقة في وضع المرأة بشكل رئيسي مع توسع فرص التعليم امامها•

العائلة ووضع المرأة

كانت الانتماءات القبلية والعائلية تشكل القاعدة الرئيسية للمجتمع البحراني • وعلى الرغم من ان الروابط القبلية والعائلية ما زالت قوية ، نجدها اخذت تضعف نتيجة تغير النظرة الاجتماعية التي فرضها التحول الاقتصادي • وحتى السلوك الاجتماعي كان محددا على اساس الاعراف القبلية • وقد كان الاب في العائلة هو القوة المسيطرة التي يلجأ اليها كل اعضاء العائلة • لكن دور الاب في العائلة اخذ يضعف تدريجيا •

ولقد انعكس اثر ضعف الروابط العائلية ، وسيطرة الاب على جميع اعضاء العائلة من بنين وبنات • وخفت القيود التي كانت مفروضة على المرأة • فقبل التحول الاقتصادي ، كانت مهمة المرأة مقتصرة على الاعمال المنزلية ومساعدة الرجال في الصيد وبيع الاسماك • كذلك ساعدت المرأة الرجل في الحقل وكانت تتولى بيع المنتجات الزراعية • عدا ذلك كانت المرأة تفتقر الى الحرية الاجتماعية ، وكانت حركتها وسلوكها محددين ومقتصرين على المنزل وتربية الاطفال •

ومع توسع التعليم الذي صاحب التحول الاقتصادي ، اخذ دور المرأة في التبدل ، واصبح لها دور اكثر ايجابية في المساهمة ببناء مجتمع البحرين الحديث • ودخلت المرأة الحياة العملية • وعلى الرغم من انمجال عملها اقتصر على التعليم في البداية ، الا انه ـ مع تزايد اعداد الخريجات، وتنوع اختصاصاتهن ـ بدأن يعملن في مجالات عديدة كالبنوك والدوائر الحكومية وصناعة النفط ودوائر الشرطة • وتعتبر البحرين ثاني دولة عربية توظف نساء في اقسام شرطتها •

وقبل عام ١٩٥٥ لم يكن هناك جمعية نسائية واحدة في البحرين ، الا انه في ذلك العام تشكلت « جمعية نهضة فتاة البحرين » لتقديم الخدمات الاجتماعية للعائلات الفقيرة • ثم شكل بعد ذلك عدد آخر من الجمعيات • ومن المتوقع ان تحصل المرأة في البحرين على مزيد من المشاركة في امور الحياة الاجتماعية والاقتصادية بل السياسية ، مع تزايد اعداد المتعلمات • ■■

الكويت ـ عبد الاله ابو عياش

من الكتب التي وصلتنا



الحرية السياسية في الاسلام

المؤلف : الدكتور احمد شوقي الفنجري

الناشر : دار القلم / الكويت .

● كتاب في نحو (٢٥٠) صفحة من القطع المتوسط ، موضوعه « الحرية السياسية في الاسلام »جعله مؤلفه بابين اولهما يوضح نظرية هذه الحرية في ثلاثة فصول ، والباب الثاني امثلة تطبيقية في فصلين ، وقد تناول في الباب الاول التطور الخاطئ للحكم الاسلامي عند بعض المسلمين اليوم ، وخطر هذا القصور ، ودعا الى مقاومته ، وتصحيحه ، ثم وضح الدستور الاسلامي ،ووجوب اعتماده على القرآن والسنة النبوية ، وبين معنى السياسة في الاسلام ، وان العمل فيها فرض ديني ، كما بين حرية الراى وضماناتها ومبدا سيادة القانون في الاسلام . ثم قارن بين الحرية السياسية في الاسلام وغيره من الديانات ونظم الحكم المختلفة ، ثم وضح ديمقراطية نظام الحكم والحاكم ومسؤولياته في الاسلام وكذلك مسؤوليات الرعية .

والباب الثاني يذكر كيف تطبق المبادئ الاسلامية عن طريق الشورى ، وتنظيم مجالها واشرافها على الحكم ، وانشاء الجهات المعارضة وتكوين الاحزاب في ظل الاسلام ، ثم ذكر مراجع كتابه وعددها ٥٤ مرجعا .

ولم تمطري ياغيوم

المؤلف : دعد الكيالي .

الناشر : دار العلم للملايين / بيروت .

●ديوان شعري في مئتي صفحة من قطع الجيب ، يضم ثلاثين قصيدة ، معظمها من الشعر المرسل ، الذي يعتمد على التفعيلة ، وبعضها عمودي . كما ان موضوعاته الغالبة وطنية وقومية ، وبعضها في الحب الاسرى ، ووصف الطبيعة . وفي قصائد الديوان ملامح نسوية واضحة .

رحلتي الى افريقيا العربية

تاليف : ناجي جواد .

الناشر : مطبعة الامة ـ بغداد/العراق .

● كتاب في أدب الرحلات ، يروي فيه المؤلف مشاهداته وانطباعاته عن جزء عزيز من وطننا العربي يقع في شمال افريقية فالمؤلف هنا يتكلم عن واقع الحياة الانسانية الحافلة بالوان التناقضات وصنوف المفارقات هناك . اما في رحلاته ومشاهداته بصفة عامة فتراه ـ بما درس وبحث وجاب البلدان واتصل بالناس وتابع التطورات التي عاشها يجمع الى كل ذلك ما يستطيع جمعه من اسانيد تاريخية ومعلومات جغرافية . وسواء كان حديثه عن الناس او حديثه عن نفسه فالصفة الغالبة على هذه الاحاديث انها تتسم بروح التعاطف الانساني والدعوة الى اشاعة الخير والمحبة بين البشر .

التعليم العام في البلاد العربية دراسة مقارنة

تاليف : الدكتور محمد منير مرسي .

الناشر : عالم الكتب ـ القاهرة .

● تعتبر التربية المقارنة ميدانا من ميادين الدراسات التربوية الحديثة النشاة ، ولكنها ـ على الرغم من ذلك اصبحت جزءا معترفا به في اعداد المعلم في كثير من نظم التعليم المعاصرة ، كما تعرف التربية المقارنة ايضا بانها دراسة النظريات التربوية وتطبيقاتها في البلاد المختلفة ، والمقارنة بينها ، حتى نستطيع أن نوسع من مهمتنا وادراكنا للمشكلات التربوية ، كما أن التربية المقارنة لا تقتصر على وصف النظم التعليمية المعاصرة وانما تهتم بتفسير العوامل التي جعلت هذه النظم تنمو وتتطور في اتجاهات مختلفة ، ولدراسة التربية المقارنة اهمية متعددة الجوانب ، من ابرزها مساعدة الدارس على فهم مشكلات التربية في بلاده ، وتنمية الاتجاه الموضوعي في دراسة المشكلات التعليمية ، والحد من التعصب والمغالاة في تقدير النظم القومية للتعليم ، وتقدير النظم التعليمية الاخرى عن وعي ودقة .

وقد سار منهج الكتاب على اساس الانتقال من العام الى الخاص فبدأ في الباب الاول بدراسة الاسس والاتجاهات العامة ومهد لذلك بعرض فكرة سريعة عن مفهوم التربية المقارنة ، ثم انتقل الى تناول العوامل التي تؤثر في تشكيل النظم التعليمية بصفة عامة ، ثم الاتجاهات العالمية المعاصرة في التعليم العام ، ومنها انتقل الى استعراض عام لاتجاهات التعليم في الوطن العربي ، اما باقي اجزاء الكتاب فقد تناول فيه التعليم العام في كل بلد من البلاد العربية على حدة •

الاسلام منهاج وسلوك

المؤلف : احمد عبد الجواد الدومي

الناشر : المكتبة العصرية / صيدا ـ بيروت / لبنان •

● هذا الكتاب في نحو ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وفي مقدمته يدعو المؤلف المسلمين الى التعاون في فهم الاحداث العالمية والسنن الكونية، لتمكين دينهم من قيادة العالم ، ثم يوضح مجمل اصول الاسلام كما يراها ، ومنها ـ عنده ـ تاكيد عقيدة التوحيد ، والدعوة الى الطهارة الكاملة في العبادة والاخلاق والمعاملات ، واشاعة الاخوة بين الناس ، والنهوض بهم رجالا ونســاء ، وتامين حقوق الافراد في المعيشة والملك والحرية والعلم والامن ، ومحاربة الجرائم والرذائل ، وتوكيد وحدة الامة ، والزامها الجهاد في سبيل هذه المبادىء ، واعتبار الدولة ممثلة لها ، وملزمة بتحقيقها •

ثم تاتي فصول الكتاب او مقالاته التي تجمع بين البحث والوعظ ، وكل منها في موضوع اسلامي من موضوعات المقدمة او غيرها ، ومن ذلك بيان ان الاسلام دين الفطرة ، وانه يلائم الانسان في كل العصور والامكنة ، وان تعاليمه كل لايتجزأ ، ومحوره الايمان بالله وحده ، ثم يذكر مصــادر شريعته واخلاقياته ومكانة التربية فيه ، وانه دين الشورى والعدل والحرية والسلام ، ودين التوازن الاقتصادي ، ويضرب امثلة على ذلك من تاريخ الدولة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشــدين ، ويختم كتابه بطائفة من اعترافات جماعة ممن دخلوا الاسلام حديثا من الاجانب يوضحون فيها ما جذبهم الى اعتناقه •

الآثار الاسلامية في فلسطين والاردن

تاليف : محمود العابدي ـ عمان/الاردن •

● يضم هذا الكتاب معلومات نشرت منذ نصف قرن في مجلات عربية او ترجمت عن لغات اجنبية واصبح من المستحيل على طالبها العادي الحصول عليها الان ، والمؤلف قد اتصل بغالبية كتابها بل عرفهم ويخص بالذكر الاستاذ مصطفى الدباغ الذي زود المكتبة العربية بدائرة معارف جغرافية تاريخية اقتصادية عن فلسطين يبلغ عدد اجزائها ثمانية مجلدات ، الى جانب بعض كتب الاجانب مثل كتاب الاستاذ كروزويل في مؤلفه (العمارة الاسلامية المبكرة) والاستاذ ريشموند في كتابه (قبة الصخرة) •

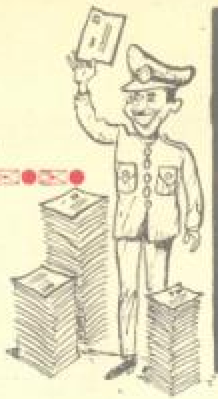
ولا شك ان احياء هذه المعلومات ونقلها الى الاجيال الحاضرة والقادمة تعد امانة، لان موضوعها جليل هو التراث العربي في هذا الجزء من وطننا العربي، وهي ابنية دينية وعلمية وخيرية وعسكرية• وقد حاول المؤلف ربط المادة الاثرية بما لها من علاقةبالتاريخ لتكتسب الربطوالحيوية والاستمرار، وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى تمهيدات عامة افرد آثارفلسطين بقسم وآثارالاردن بقسم آخر•كمابدأ من شمال البلاد وانتهى بجنوبها ، وذكر آثار كل بلد دون نظر الى عصور تلك الآثار حتى يكون الكتاب بمثابة دليل على حدة لكل بلد او موقع •

تطوير الفكر الحديث في العراق

المؤلف : الدكتور يوسف عز الدين

الناشر : دار المناهل للتاليف والترجمــة والنشر / بغداد •

●رسالة في سبعين صفحة من القطع الكبير، توضح مسيرة الفكر العراقــي منذ اواخر العهد العثماني هناك حتى عهد الاستقــلال الحاضر ، كما تبين اسباب جمــود الفكــر اولا ، واسباب انطلاقه اخيرا ، وتشير باختصار الى بعض اعلام الفكر في هذه المسيرة ، وماساهم به كل منهم في ذلك ، مــع نماذج احيانــا من آثارهم القلمية يوردها المؤلف لتوضيح آرائه ودعمها بالشواهد •



بريد القراء ومعرض آرائهم

مسيرة عربية الى ارض المقدسات

● اين ضمير العالم ‥ ان ما يصنعه العدو الصهيوني بالمقدسات الاسلامية في القدس لهو اكبر دليل على ضرورة اعادة هذه الارض لأصحابها ‥‥ لماذا لا ننظم مسيرة سلمية عربية الى الارض المقدسة ، نعبر فيها عن مشاعرنا وتراثنا وتقاليدنا التي دنستها الصهيونية .

زهير كيالي حلب / سوريا

تلفزيون الأردن ‥ واللغة العبرية

● قرات في العدد ٢٠٣ من مجلة « العربي » استطلاعا جامعا عن المملكة الاردنية الهاشمية ‥ وفيه يذكر الكاتب ان « تلفزيون الاردن يذيع نشرة اخبار باللغة العبرية ‥ في وقت نناضل فيه من اجل مكافحة الصهيونية بشتى الوسائل سياسيا واعلاميا !

صالح محمد الفياضي

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ـ ان مخاطبة العدو بلغته كفيل بفضح اكاذيب زعمائه امام اولئك الذين تخدعهم الدعاية المضللة تحت شعار (فلسطين ارض الميعاد) ‥ والمثل الشائع يقول : (ان اردت ان تتقى شر قوم ‥ تعلم لغتهم) ‥

ومعظم اجهزة الارسال العربية في المنطقة لها برامج موجهة باللغة العبرية .

تصويب

● نشرتم في عدد ابريل/٧٦ من مجلة « العربي » عرضا لكتاب وضعه كاتب فرنسي عن جلالة المغفور له الملك فيصل ، وعند قراءتي لهذا العرض فوجئت بما يلي (فقد توفى فجاة وخلال مدة لا تتجاوز الثلاثة شهور ، ثلاثة من كبار معاونيه وخلصائه (عمر السقاف وزير الخارجية، رشاد فرعون مستشاره القديم) والحقيقة ان الدكتور رشاد فرعون المستشار الخاص للملكين السعوديين فيصل وخالد ما زال حيا يرزق .

لذا ، ارجو نشر هذا التصحيح جلاء للحقيقة.

شقيقه الدكتور عبد الرحمن فرعون

« العربي » : نأسف لهذا الخطا الذي ورد في عرض الكتاب ، ونرجو للدكتور رشاد فرعون طول العمر .

مركز الدراسات العربية

● قرات في العدد (٢٠٧) من مجلة « العربي» بيان الهيئة التاسيسية لمركز الدراسات العربية الذي يهدف الى تنمية الوعي الوحدوي في العالم العربي بطريقة علميه مدروسة ‥

ولا شك ان هذه الخطوة تثلج صدر كل عربي مؤمن بعروبته ‥ والذي ارجوه منكم هو تعريفي عن طريق باب بريد القراء على عنوان هذا المركز، وانجازاته ، وكيفية الاتصال بالقائمين عليه وشروط الانضمام اليه ‥

خالد الحجي / سوريا

ـ تقرر اقامة المركز في بيروت . ولكن الظروف في لبنان لم تسمح بافتتاحه حتى الآن . وسننشر عنوانه بمجرد ان يتم الاختيار ‥

نخوة عربية

● نشرتم في عدد يوليو /٧٥ من مجلة «العربي» قصة بقلم لطفي ملحس تحت عنوان « من سخرية الأقدار » ٠٠ زعم ان احداثها وقعت فعلا في منطقة «عين غزال» القريبة من عمان عاصمة الاردن ٠٠ وكان موفقا في سرد احداثها وحبك عقدتها ٠٠ غير ان هذه القصة شائعة ذائعة ٠٠ وقد تضمنها كتاب مدرسي قررته وزارة التربية الوطنية المغربية على طلاب الصف الرابع الابتدائي ٠٠ ويؤكد مؤلفه ان هذه القصة انما وقعت في الاندلس ابان الفتح العربي لها ٠٠ حيث وقع اعتداء من شاب اسباني على شاب عربي ٠٠ ففر الجاني والقوم يقتفون اثره ، حتى وصل حقلا ، وجد فيه شيخا هرما يعمل هناك ، واستجار به ٠٠ فاجاره واعطاه الأمان واخفاه في بيته ٠٠ ولما جاء القوم يحملون القتيل تبين للشيخ ان القتيل هو ابنه ٠٠ ! ولكنه كظم غيظه ٠٠ ولم يخفر ذمته ٠٠ وانتظر حتى انصرف القوم ثم دخل على الشاب الاسباني واخبره ان القتيل هو ولده ٠٠ ولكنه طمأنه وهدأ من روعه ٠٠ وساعده على الهرب ٠٠

الغازي محمد / القنيطرة المغرب

برنارد شو وتولستوى

● بينما كنت اطالع مجلة « العربي » وقعت عيني على خطا في صورة الفيلسوف البريطاني برنارد شو ، اذ نشرتم في العدد ٢٠٨ صورة تولستوى على انها صورة برنارد شو ، وهي نفس الصورة التي ظهرت في العدد ٢٠٦ ٠٠

منصور اسماعيل / الهفوف / السعودية

« العربي » :

الصورة المنشورة على الصفحة ٨٥ من العدد ٢٠٨ من « العربي » هي صورة تولستوى وليست صورة برنارد شو ٠٠ ونحن نأسف لهذا الخطأ ٠

مجلة « العربي » والسينما

● اصبحت دور السينما تلعب دورا هاما في المجال الاعلامي والتثقيفي ٠٠ وقد اولتها معظم الدول اهتمامها ، وفضلا عن ذلك ، فالسينما ـ كما تعلم ـ اصبحت صناعة قائمة بذاتها تستحق من مجلة « العربي » التفاتة تتمثل في تخصيص بعض الصفحات التي تبحث في الفن السينمائي ٠

محمد خير بستاني ـ ليبيا

ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية

● في باب « انت تسال ٠٠ ونحن نجيب » من عدد « العربي » لشهر اغسطس سنه ١٩٧٥ وتحت عنوان « ابن اسحاق » صاحب السيرة النبوية ، في جواب على سؤال احد القراء ، ذكر كاتب هذا الجواب الاستاذ محمد خليفة التونسي كما ذكر كثير غيره من المهتمين بالتراث العربي من عرب ومستشرقين ان السيرة النبوية لابن اسحاق مفقودة ٠ ولكنا نذكر ان المستشرق الالماني كارل بروكلمان في الجزء الثالث من كتابه « تاريخ الادب العربي » قال : « ان رواية يونس بن بكير لكتاب ابن اسحاق لا تزال موجودة في مكتبة القرويين بفاس تحت رقم ٧٢٧ » ٠٠ ومن هنا نتبين ان كتاب المبعث والمغازي موجود ، واما كتاب « المبتدأ » فلا يعرف له خبر الان ٠٠ ومما زاد في يقيني بوجود سيرة ابن اسحاق ، ما قاله الاستاذ ابراهيم قطان في بحثه عن اخطاء المنجد في مجلة « العربي » ـ العدد ١٨٩ ـ من ان سيرة ابن اسحاق موجودة كاملة بخط جيد في مكتبة جامع القرويين ، رأيتها بعيني ، ارجو نشر هذا ليستفيد منه القراء ٠

البصرة/العراق عباس المعتوق


RL
RUMANEL
SWISS
رومانل
SAT 5
الساعة العصرية
سوريا : غسان عبيد : دمشق - قطر : مخازن لاري - دوحة
دبي : مخازن فكتوريا : ديرة - البحرين : السادة مخازن بهمن
أبوظبي : المعرض التجاري العام : السعودية : عبدالعزيز البخش وأولاده - مكة
الكويت
مخزن الساعات السويسرية - معرض الساعات العالمية السويسرية
معرض صالح شهاب - معرض الشهاب للساعات



الغسالات الكهربائية
لتحصلي على الأفضل والأسهل عليكِ بفيليبس
إفحصي بنفسك أية غسالة فيليبس
لتدهشك ميزاتها إن بمظهرها الخارجي
الجذاب أو بمقاييسها العملية.
غسالات فيليبس ستستهويك
أيضًا بسهولة وضع الغسيل في الحوض
وسهولة تشغيلها بفضل أزرار
مركزة ومدروسة تمكنك من القيام
بجميع العمليات المطلوبة
بطريقة سهلة وكاملة.
هذه الغسالات لم تصنع في ليلة
وضحاها بل هي ثمرة جهود ودراسات
وبحوث واختبارات عالمية متواصلة.
ان كل غسالة من مجموعة
غسالات فيليبس المتعددة مصنوعة
كي تعطيك سنين طويلة من الخدمة
الممتازة. هذا ما نضمنه.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوماً

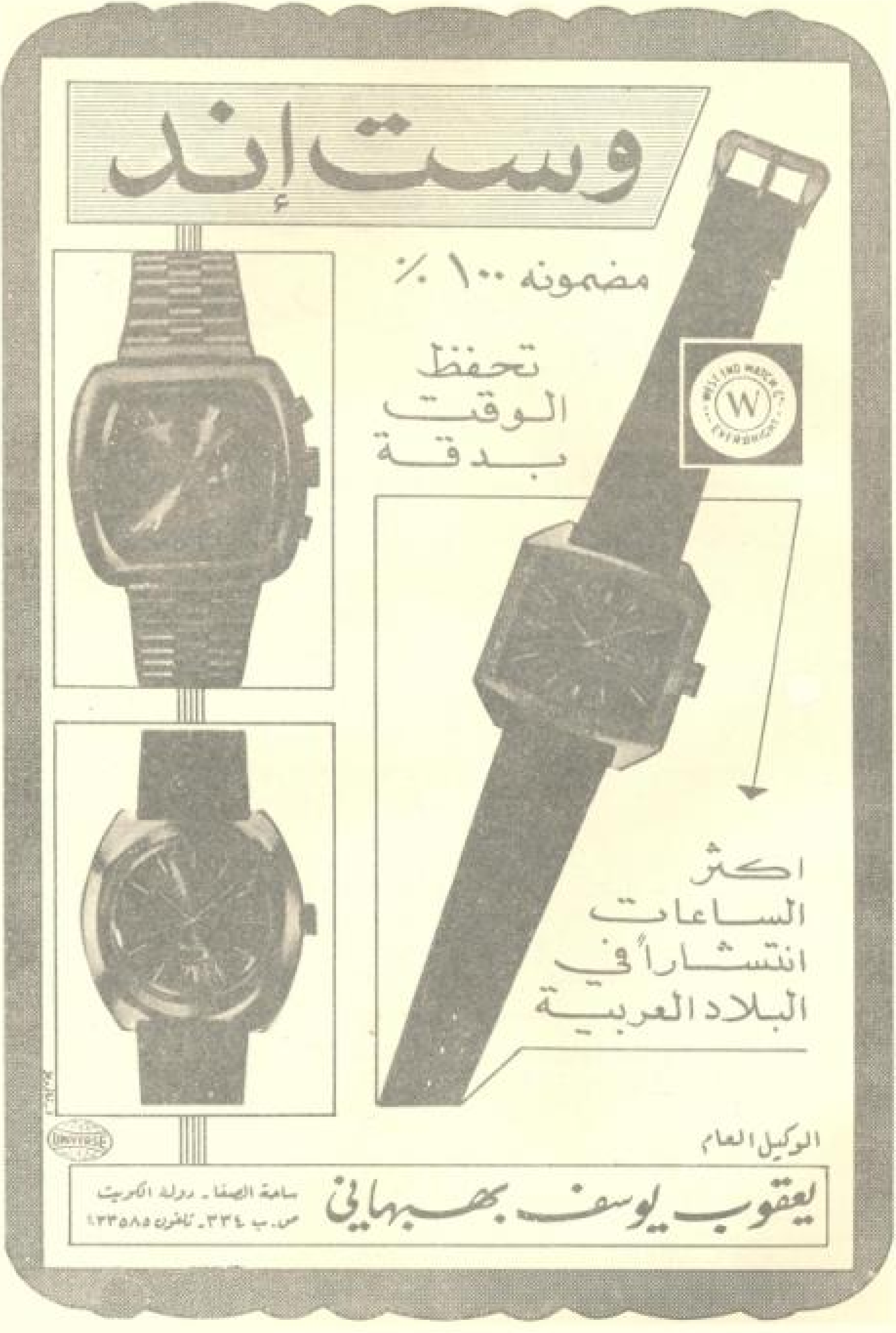
مِنَ المسرح العالمى
سلسلة ثقافية
تصدرها فى مطلع كل شهر
وزارة الإعلام فى الكويت

أول يونيه ١٩٧٦

٨١

روبسبير

تأليف : رومان رولان
تقديم : فؤاد كامل
ترجمة : عبد المسيح ستيتى
مراجعة : حمادة ابراهيم



وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٥٨٥

التسهيلات السياحية في اسبانيا

استثمار مضمون ومثمر

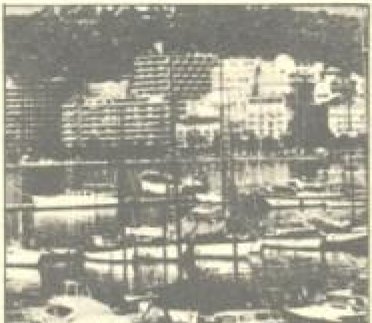
تعتبر اسبانيا موقعا مثاليا للاستثمار المضمون · نظرا لتوفر عوامل كثيرة للنجاح من اهمها الضمانات الرئيسية كالامن والانتاجية ، وتشجيع السلطات الاسبانية ·· ويتمتع المستثمرون بمميزات كثيرة تجعلهم يفضلون استثمار اموالهم في مشروعاتها المختلفة يضاف الى ذلك حقيقة هامة تتمتع بها اسبانيا، وهي انخفاض الاجور والتكاليف الاجتماعية الى جانب انخفاض الضرائب حوالي ٢٠٪ من دول السوق الاوروبية المشتركة·

ومن الجدير بالذكر ان اسبانيا تتمتع بنظام ليبرالي·· اى ان المستثمر يستطيع اخراج عوائدرؤوس امواله دون التعرض لاى مشاكل ·· ومنذ عام ٧٤ اصبح الحصول على الترخيص المطلوب للمشاركة الكبيرة في الشركات الاسبانية اكثر سهولة ، كما ازداد تشجيع الاستثمارات المباشرة ، وعن طريق السندات ،فانشيء مثلا بنك اسباني ـ عربي شاركت فيه

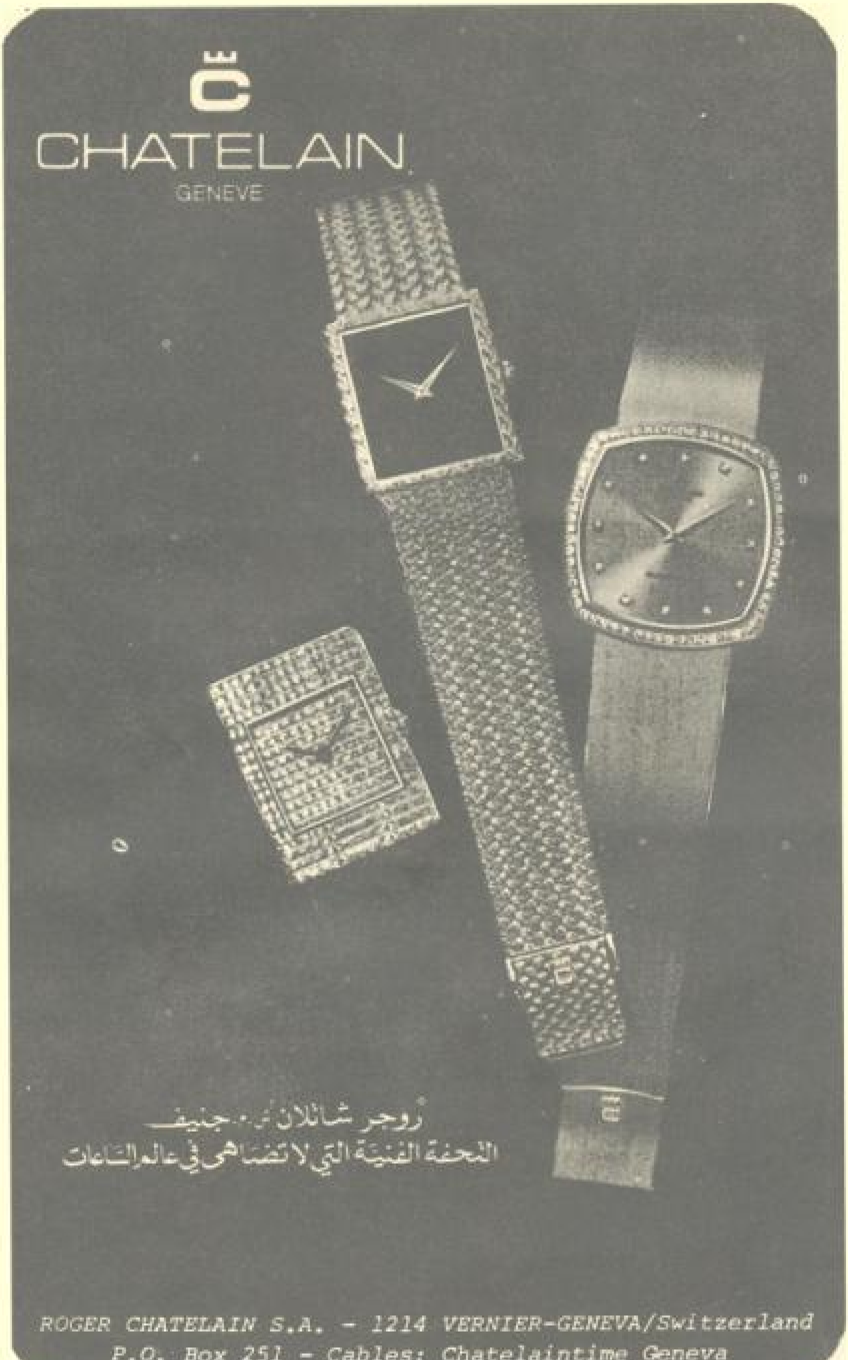


الكويت وليبيا بنسبة ٦٠٪ من مجموع رأس ماله البالغ ٢٧٫٨ مليون دولار ، وسوف يمنح هذا البنك مميزات وضمانات اخرى للمستثمرين العرب ·

ومن اهم مجالات الاستثمار في اسبانيا ·· السياحة ·· التي تعتبر عوائدها اعلى عوائد في العالم ·· وحاجاتها تزداد الى بناء عشرات الملايين



من الوحدات السكنية والمكتبية ،وكذلك في المجالات الصناعية المختلفة ·· وتحتل شبه جزيرة ايبريا المكانة الاولى كقوة صناعية كبرى وهي مفتوحة امام الاستثمارات الخارجية ·· وكما هو واضح ، فان مجالات الاختيار والفرص لاتزال مفتوحة امام رؤوس الاموال العربية ·



تطلب هذه الساعات من محلات : حجي عبد الله علي رضا وشركاه المحدودة

ص . ب (٨) جدة / المملكة العربية السعودية



مرحبا بكم في نادي شاحنات كرايزلر

ارسلوا هذا الكوبون للحصول على اسم وعنوان الوكيل المحلي لكرايزلر انترناشونال، وما يلزمكم من معلومات عن السيارات ومصادرها.

الاسم: ______________________

الشركة: ______________________

العنوان: ______________________

____

المدينة: ______________________

البلد: ______________________

شاحنات خفيفة ☐ شاحنات متوسطة ☐ شاحنات ثقيلة ☐ باصات ☐ يرجى التأشير

Mr. J. Cooper Chrysler International S.A. 17, Old Court Place, London, W.8. England

نادي شاحنات كرايزلر العالمي يتوسع ويزدهر

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منا، ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقة.. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي.

الشاحنات التي نصنعها في مختلف انحاء العالم.. في الولايات المتحدة، وبريطانيا، واسبانيا، واليابان، يسلم العالم كله برقي تصميمها واتقان هندستها. شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم. من سيارات التوزيع الخفيفة الى الشاحنات الجبارة.. ومن الباصات الصغيرة الى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرق المديدة.

اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي.

ارسلوا الكوبون بالبريد ومرحبا بكم في
نادي كرايزلر



كرايزلر
انترناشونال

دودج - فارغو - ميتسوبيشي


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣



Buick'76

إنها الفخامة بعينها

بيوك في عام ١٩٧٦ ذروات جديدة من الفخامة. انها كمن يركب الفضاء. والشعور بالقوة المترفة يقتصر على سيارات البيوك الكبيرة وحدها. الوفرة التي لا حدود لها من المحركات قد وضع نطاقها ستعاشى مع مدى اختيارك منها. يمكنك ان تقتني بيوك بأسرع مما تظن. اكتشف مدى هذه السرعة عند وكيل بيوك الآن.



فخامة بيوك هذا العام تأتي في جميع الأحجام



جياد ١٩٧٦ الأصيلة من جنرال موتورز

عندَ التشغيـل : ألوَان جَميلة وَطبيعيّة
وَبعدَ إنتهاء البرَامج : قطعة فاخِرة من الأثاث

ملايين البقع الدقيقة وضعت على خلفية سَوداء في تلفزيونكم الملوّن موديل CTP 6412 قياس ٢٠ بوصَة بشاشته المتريكس السوداء ليوفر لكم اكثر الالوان حَيويّة ووضوحًا . وَيحتفظ الجهاز بعد وقف تشغيله بجماله وجاذبيته وعلبته الخشبية الانيقة وقوائمه القوية وأبوابه المنزلقة لتغطية واجهته بأكملها . انه قطعة أثاث تتناسب مع كافة أشكال الديكور .



الموديـل CTP-6412

تلفزيون ملوّن بشاشة متريكس
سَوداء ٢٠ بوصَة

SANYO سانيو

AAA/H/CTP/73

العربي

العدد ٢١٢
رجب ١٣٩٦
يوليو
(تموز) ١٩٧٦



المهرجان الاسلامي في عيني احدى بنات لندن

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

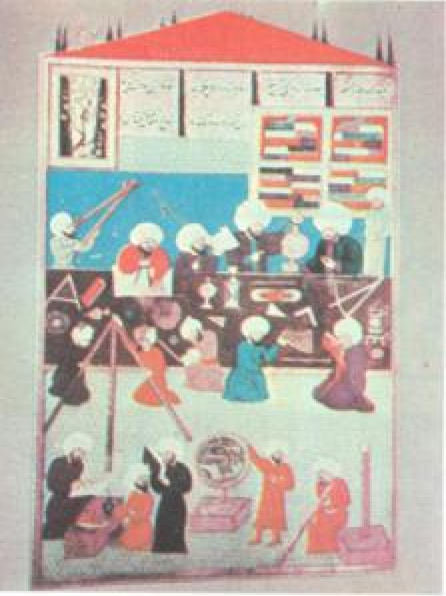
الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالق	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٥٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٫٥ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢٫٥ درهم



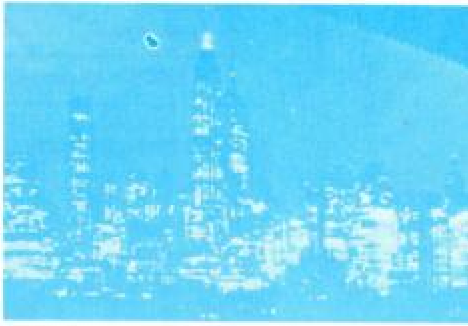
لوحة لها قصة :

العالم النباتي اليوناني «ديوسقوريدس» يشرح لاحد تلاميذه خواص احد النباتات • (صورة منقولة من مخطوط سوري في القرن ١٣ م) •

انظر ص ٦٥



• عزيزى القارىء •



■ سوف تجد أن هذا العدد من مجلتك « العربى » يختلف قليلا عن الاعداد العادية •

ذلك انه كانت امامنا مناسبتان بارزتان ، وكان لا بد من تسجيلهما في عدد واحد ••

المناسبة الاولى ، هى المهرجان الاسلامي فى لندن ، الذى يعد اكبر مهرجان اسلامي من نوعه عقد في اوروبا • سواء من حيث المؤتمر الذى دارت فيه المناقشات ، او المعارض المختلفة التى عرضت انواعا شتى من كنوز التراث الاسلامى للعين الاوروبية ، ولذلك راينا ان يكون استطلاع « العربي » عن المهرجان هو اول مايشغل صفحات هذا العدد ولو ادى ذلك الى تغيير الترتيب التقليدى لأبواب المجلة •

والمناسبة الثانية ، هى مرور مائتى سنة على تاسيس الولايات المتحدة الامريكية • وامريكا صارت في خلال قرنين من الزمان اقوى دولة في العالم • والاهم من ذلك ان تاثيرها الحضارى في حياة العالم كله اليوم هو تاثير قوى وعميق وعنيف ، وان امريكا بخيرها وشرها ، وقوتها وضعفها ، هى من أهم الظواهر الحضارية المعاصرة • لذلك راينا ان نجعل لهذا الموضوع « جزءا خاصا » من هذا العدد ، كتب فيه عدد من ابرز الكتاب الذين خبروا امريكا من نواحيها الاقتصادية والعلمية والفنية والسياسية المختلفة •

وقد حاولنا ، مع ذلك ، ان يجد القارىء كل انواع المواد والابواب التى تعود ان يجدها فى كل عدد • ■■

« المحرر »

(الفهرس صفحة ١٥٠)

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

● اننا نكتشف اليوم شيئا رائعا حقا : « حضارة الاسلام » •

جريدة التايمز

■ الكلام عن حضارة الاسلام كثير والكتب في نواحيها تثقل رفوف المكتبات

والمراد بحضارة الاسلام كما هو معروف تلك الظواهر الحضارية التي قامت على اساس من الاسلام : عقيدة وشريعة وقانونا خلقيا

فاما العقيدة والشريعة فمعروفتان لنا جميعا ، ولهما العلماء والفقهاء والشيوخ الاجلاء الذين فصلوا فيها الاحكام وعرفوا بالاصول ، وبينوا فضائل العقيدة وحكمتها ، والبتوا بالبراهين القاطعة ان شريعة الاسلام تتضمن اسس العدالة، وتحصن النفس والمال ، وتؤمن حقوق البشر ، وتحمي حرية الانسان وكرامته ، وتدحض الظلم والعدوان على نحو لا نجد له شبيها في اى مجموع تشريعي معمول به على وجه الارض •

واما القانون الاخلاقي فهو جماع اخلاقيات الاسلام ، او مكارم الاخلاق ، او المروءة الاسلامية، وهي ذلك العرف الاخلاقي النابع من قواعد الاسلام ، واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق •

وقد اجمل الرسول الكريم القول في فضائل القانون الخلقي الاسلامي عندما قال : « الدين المعاملة » والمراد بالمعاملة هنا المعاملة باوسع معانيها ، : معاملة الانسان لاخيه ، ومعاملته لنفسه واهله وجماعته ، ورعايته لحقوق الله سبحانه ، واخلاصه لعقيدته ، وسلامة النية في كل ما يصدر عنه من قول وفعل •

وفي هذا كله الف المسلمون وابدعوا وافاضوا•

الاحساس والتعبير عن الاحساس

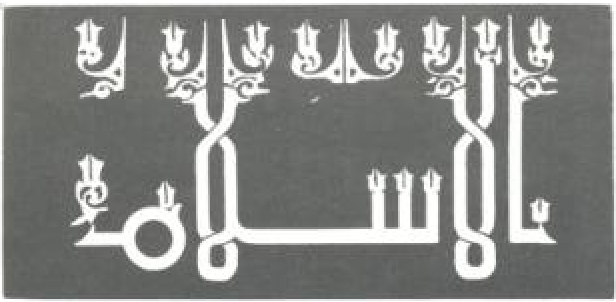
ولكن هناك ثمرات اخرى اطلعتها دوحة الاسلام، ومثلت لنا جوانب اخرى لهذا الدين وحضارته ، ونكتفي هنا بالاشارة الى الاحساس الروحي الذى يملأ نفس المؤمن الحق ، ويفتح له مجال التعبير من ذلك الاحساس تعبيرا عاطفيا ، كما نجد في كتابات كبار الصوفية ، من امثال الحارث بن اسد المحاسبي في « الرعاية لحقوق الله » وابي نصر السراج في « اللمع » وابي طالب المكي في «قوت القلوب » وعبدالكريم بن هوازن القشيرى في « الرسالة » ومحي الدين بن عربي في « الفتوحات المكية » •

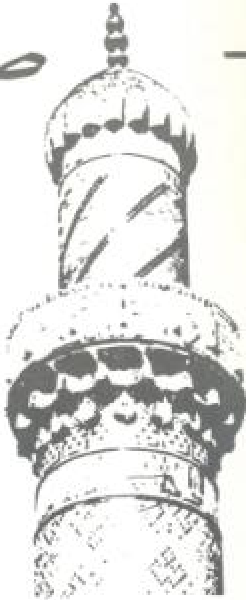
هنا نجد الاسلام احساسا خالصا وشفافية نفسية نورانية تفتح للنفس ابواب الاشراق ، وتضع الانسان في الطريق الى الحق سبحانه •

وقد يكون هذا التعبير عن العاطفة الدينية في صورة خفية تتجلى في عمارة مسجد افرغ عليه الفنان المؤمن ثوب الابداع ، او في نقوش محراب يروع النفس بتشابك خطوطه ، وتناسق زواياه ومنحنياته التي تتوالى الى ما لانهاية ، او في هندسة منبر اذاب الفنان نفسه في حفر زخارفه في الخشب ، او في آيات قرآنية مكتوبة « بخط بديع ذهبي في بحر السندس » كما يقول سنان ابن عبدالله شيخ المهندسين المعماريين المسلمين •

وانه لمما يستوقف الفكر ان جميع الصادقين من اهل الفنون الاسلامية صدروا فيما انشاوه من اعمال خفيفة عن ايمان عميق بالاسلام ، فالمهندس المعماري العظيم سنان الذى انشأ ٣٣٤ عملا معماريا ما بين مسجد ، ومارستان ، وقنطرة ، وقصر ، وسبيل ، ومدرسة ، وروضة « مقبرة » كان يقول وهو يضع خطوط عمائره « انني استضيء بنور الله فيما اعمل » ، وما شرع في انشاء مسجد الا قال : « اللهم وفقني الى التعبير عن حبي لك فيما سانشيء » وعندما فرغ من انشاء جامع شاهزاده في الآستانة قالوا

صيحة الموسم فى انجلترا اليوم





له : « هذا قريب من عمارة ايا صوفيا » فغضب وقال : « والله لن يهدأ قلبي حتى ابني لله مسجدا أعظم من ايا صوفيا هذه التي يعيروننا بها » .

وعندما فرغ من انشاء جامع السليمانية سنة ١٥٨٠ قال : « الحمد لله الذى اعانني على انشاء قبة أعلى من قبة ايا صوفيا بذراعين واوسع منها بستة اذرع . لنشكر الله على انه اعاننا على اعلاء كلمة الاسلام » .

هذا الاحساس الدينى العميق تجده فى كل ما صدر عن الفنان المسلم من روائع ، حتى تلك التى تخلو من الطابع الدينى ، مثل الصحاف الخزفية الكبيرة والصغيرة ، فلا يخلو واحد منها من كتابة تقول : « بركة من الله » او « اليمن والاقبال » او « فيه شفاء للناس » وكلها عبارات والفاظ قرآنية ، او تنم عن التقى وخشوع النفس لله .

وبهزاد نفسه كبير المصورين المسلمين الذى عاش فى ايران فى النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادى كان يقول انه يتعبد وهو يرسم ، وفى معظم تصاويره الاولى نجد عبارات مثل « الله جل جلاله » او الاية القرآنية الكريمة : « هو الله الخالق البارىء المصور ، له الاسماء الحسنى ، له ما فى السماوات والارض وهو العزيز الحكيم » (الحشر ٥٩/٢٤)

وكان بهزاد وتلاميذه ، مثل محمد رضا عباس ومحمود مذهبى وسلطان محمد من اتقى خلق الله ، واكثرهم مواظبة على العبادات ، وكانوا مفتونين بالآية التى ذكرناها : « هو الله الخالق البارىء المصور » .. الآية ولا يزالون يرددونها .

العلوم عند المسلمين نبعت من الاسلام

ويتجلى لنا هذا الشعور الدينى عند نفر آخر من اعلام الحضارة الاسلامية ، وهى اهم العلوم من اطباء ، ومهندسين ، وكميائيين ، وعشابين ، وصيدلانيين ، وفلكيين ، ومن اليهم .

وما من مؤلف عربى فى ميدان من هذه الا عبر عن هذا المعنى الذى اوجزه ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابى خالد المعروف بابن الجزار كبير اطباء القيروان فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حين قال : « الطبيب يجتهد ولكن الشافى هو الله سبحانه . والشفاء رحمة يجريها الله دون طبيب ، فاذا أجراها على يد طبيب



القرآن الكريم كان لـه معرض خاص عرضت فيه مجموعة نادرة من المصاحف جمعوها من شتى انحاء العالم ‥ لقد كانت اول مرة تعرض فيها هذه المصاحف النادرة في مكان واحد ‥ ان تاريخ بعضها يعود الى القرن الثالث الهجري وهي تمثل تطور كتابة المصحف الشريف. فتبين اسلوب الخط والتذهيب والزخرفة وانواع الورق وطريقة التجليد ‥ وتبدو في الصورة اليمنى صفحة من مصحف شريف كتبت





في « القيروان » بالخط الكوفي المذهب في القرن الرابع الهجري . وقد جاءوا بها من تونس الشقيقة ·· ووقفت جموع الزوار تتأمل كتاب الله في شتى صوره الجميلة في هدوء وخشوع واعجاب بجمال الخط ودقة الزخرفة · وتبدو في الصورة الى اليمين (تحت) فتاة اسبانية جاءت من مدريد لترى تراث اجدادها ·· انها بيلانافاردو قالت لنا : « ان دماءكم في عروقي ايها الشرقيون ·· الا تعلموا هذا ! »



فهذا من واسع فضله على عباده واكرامه لاهل العلم منهم » .

وكتاب « الشفاء » لابن سيناء ـ وهو موسوعة علمية حافلة ـ انما هو كتاب عبادة وتقى ، والشيخ الرئيس (ابن سينا) لا يزال يردد : « وما لدينا من العلم الا شرر من قبس من نور علم الله سبحانه » .

وقد اتى طالب علم الى ابى الوليد بن رشد الفيلسوف الفقيه الطبيب الاندلسي المعروف وساله : « اريد أن أتعلم الطب على يديك ، فاى كتاب اقرأ ؟ » فقال ابن رشد : « عليك بكتاب الله تعالى ، ففيه العلم كله ، وهو اول العلم وآخره » .

مهرجان عالم الاسلام

هذه النواحي الفنية والعلمية من حضارة الاسلام هى التى تحتل الجانب الاكبر من اعمال مهرجان العالم الاسلامى الذى يقام الآن فى لندن بادئا من الثانى من ابريل فى اغسطس ١٩٧٦ .

وكانت الفكرة الاساسية من وراء اقامة هذا المهرجان هى اعطاء الانجليز ومن يرودون بلادهم فى اثناء الصيف فكرة واضحة ملموسة عن حضارة الاسلام ، وما وصل اليه المسلمون من كشوف ومبتكرات فى عالم العلم والفن بصورة خاصة ، وذلك لاننا ـ اولا ـ نعيش فى عصر العلم ، واذا كانت جماعات المسلمين لا تزال متمسكة بدينها فان الجماعات الغربية ضعف الاحساس الدينى عند الكثير من افرادها ، وحل العلم محل الايمان ، فاذا اردنا ان نخاطب اولئك الناس فليكن الخطاب باللغة التى يفهمونها وهى لغة العلم .

ولهذا يحتل معرض العلوم فى الاسلام مكانا رئيسيا فى معارض ذلك المهرجان وهى كثيرة . وقد اتبعت ادارة المهرجان خطة مثلى فى تنفيذ معارضها ، فعهدت فى كل معرض الى الجهة العلمية او الفنية المختصة بميدانه فى انجلترا ، فمعرض العلوم والتكنولوجيا الاسلامية قام بتنفيذه المتحف البريطانى للعلوم وخصص له الجناح السادس ، وهو مجموعة من القاعات المتوالية ترى فيها مبتكرات المسلمين فى شتى ميادين العلوم ، وما اخترعوه من الات واستحدثوه من اساليب فنية سواء فى الطب ، او الهندسة، او علم المياه ، (الهيدرولوجيا) والملاحة البحرية وما اشبه ذلك .

ومن اجمل ما يراه الانسان فى ذلك المعرض تلك اللوحات التى رسمها مصورون مسلمون لشيوخ العلم ، يلقون دروسهم على تلاميذهم مثل صورة الشيخ الرئيس ابى على بن سينا يلقى على طلابه درسا فى الطب ، او صورة ابى نصر الفارابى يعالج مريضا . وكذلك تصاوير قاعات الدرس وجلوس التلاميذ بين يدى شيخهم، ويستوقف النظر هنا ان الطلاب فى الماضى كانوا اكثر احتراما لاساتذتهم من تلاميذ اليوم .

المدارس والمستشفيات

وقد استوقف انظار الاوروبيين وهم يشاهدون هذا المعرض كثرة المدارس ، ودور العلم فى عالم الاسلام فى العصور الوسطى ، فالى جانب المساجد ، وكلها كانت دور علم ـ اكثر حكام المسلمين من انشاء المدارس ابتداء من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، فمدارس القاهرة ، واستامبول واصفهان ودهلى (دلهى) تبهر النظر بضخامتها وفخامتها . وكانت العادة ان ينشيء كل امير كبير ، او سلطان ، او خليفة ، مارستانا (اى مستشفى) يكون فى نفس الوقت مدرسة طب وصيدلة ، ويحدثنا المؤرخون انه كان يعمل فى المارستان الناصرى المعروف اليوم « بمستشفى قلاوون » فى القاهرة ١٥٠ طبيبا وصيدلانيا يتولون شتى فروع الطب والعلاج ، وكان عدد الطلاب يبلغ المئات . وفى كلية بايزيد الثانى فى الاستانة (وهى مسجد ومدرسة ومستشفى) كان هناك قسم داخلى كبير للمرضى يضم سبعة عشر ايوانا ، وكانت هناك بيوت للاطباء والطلاب ، وكانت النفقة على هذا المارستان الكبير تبلغ حوالى عشرة الاف مثقال ذهبى فى الشهر الواحد . وكان فى الاستانة وبروسة تسعة عشر مارستانا من هذا الطراز .

وفى ذلك المعرض مجموعة بديعة من الآلات العلمية الاسلامية ما بين طبية وفلكية وهندسية ، ومعظم هذه الآلات قديم استعاره المهرجان من المتاحف العلمية فى البلاد الاسلامية او فى اوروبا وامريكا . ولما كان الذين عرضوا هذه القطع

علماء متخصصين فقد وضعوا الى جانبها لوحات تشرح بالرسوم الدقيقة طريقة عملها ، ويرى القارىء لوحات فى غاية الجمال تشرح النظريات العلمية التى ابتكرها علماء مسلمون مثل الحسن ابن الهيثم وابى الريحان البيرونى •

ونشير هنا بصورة خاصة الى اللوحات المكبرة، التى عملت بالالوان لصفحات من مؤلفات اسلامية فى العلوم مثل كتب النبات • حيث تجد المؤلف قد رسم بنفسه النبات المقصود بالالوان مع شرح لتركيبه ووصف لاجزائه وتفاصيل عن قيمته العلاجية وطريقة استعماله •

كنت اطرب وانا اتامل الناس ينظرون فى دهش الى هذه الآلات واللوحات ، ويتعجبون من المدى البعيد الذى وصل اليه المسلمون فى ميادين العلوم • وقد كان اكثرهم فيما اعتقد يحسب ان امم الاسلام كانت امم همج لا نصيب لها من علم وفن ، وذلك نتيجة التعليم الخاطىء فى المدارس الغربية لقرون طويلة ، ثم نتيجة للدعايات المغرضة التى اجتهد الصهيونيون فى اذاعتها بين اهل الغرب ، ليفهموا الناس ــ كما زعموا ــ انهم ذهبوا الى بلاد العرب واحتلوا جزءا منها ، ليعلموا العرب وينهضوا بهم علميا واجتماعيا !

من هنا كانت اهمية مثل هذا المعرض البديع الذى يعتبر دفاعا مجيدا صامتا عن امم العروبة والاسلام ، فهاهى ذى علومنا تتحدث بنفسها الى جمهور اوروبى يؤمن بالعلم قبل كل شىء •

هذه خدمة جليلة للقضية العربية دون شك، فان الانسان يخرج من ذلك المعرض وقد ازداد احتراما للعرب والمسلمين ، وتاكد ــ دون مجال للشك ــ ان امم العروبة والاسلام قد ظلمت ظلما بينا على يد رجال الاستعمار اولا ، ثم شياطين الصهيونية ثانيا •

معرض الفنون في عالم الاسلام

واذا كان الاوروبى يؤمن بلغة العلم ، فهناك ناحية اخرى لها مكانتها الكبيرة فى نفسه ، وهى عنده من المقاييس التى يقيس بها الامم ويقدر مراتبها ، وهى الفنون •

وقد تحدثنا عن العلاقة الوثيقة التى تربط فنون الاسلام بالاسلام ، وقلنا ان الفن الاسلامى هو فيض الايمان الصادق من قلب المسلم الذى وهبه الله ملكة من ملكات التعبير عن الشعور فى صورة من صور الفن •

ومعرض الفنون فى عالم الاسلام يقدم لنا هذه الحقيقة فى مائة صورة وشكل •فسواء تاملنا صورة منمنمة Miniature ، مما يزين كتاب « انوارى سهيلى » الايرانى ، او نقشا زخرفيا فى سجادة مملوكية ، او زخرفا على مربعات قاشانية عراقية ــ فانك تجد الفكرة الاساسية فى الرسم صادرة عن اصل دينى ، فانوارى سهيلى يحكى فقرات من السيرة النبوية ومعجزات الرسول ، والسجادة المملوكية صنعت لجامع المؤيد بالقاهرة، والرسم على مربعات القاشاني ان هو الا عبارة « لا اله الا الله » ، ومكررة على نحو ينشا منه شكل هندسى جميل •

وهنا تجد نقاد الفن فى الغرب لا يحسنون الحكم على فنون الاسلام ، فهم يرون ان المعنى لا وجود له فى الفن الاسلامى ، لان الفن الاسلامى يقوم على اشكال او موضوعات زخرفية تتكرر فى هيئة جميلة متناسقة •

وهنا مكمن الخطا ••

لاننا نسال : ما هو « المعنى » او ما هى الفكرة التى يقولون ان الفن الاوروبى يعبر عنها ؟

لناخذ عملا من اعمال واحد من كبار اهل الفن الكلاسيكى فى الغرب ، دى لاكروا ، او انجر ، او دافيد ، او كونستابل ، او سيزان مثلا ماذا هناك ؟

تصوير دقيق جميل بالالوان على لوحة لمشهد من مشاهد الحياة :

مشهد من مشاهد الاساطير اليونانية كما نجد عند دى لاكروا ، او صورة امراة جميلة كما نجد عند انجر ودافيد ،او منظر من مناظر الطبيعة كما نرى عند كونستابل ، او صورة عجوز تنعس عينه كما نرى عند سيزان •• ما هى الفكرة هنا؟

تقليد الطبيعة ؟ تصوير الواقع ؟

وهل فى هذا فكرة او راى ؟

(البقية على صفحة ١١٨)

مهرجان العالم الإسلامي

حضارة

استطلاع :

محمد حسني زكي

تصوير :

صلاح آدم

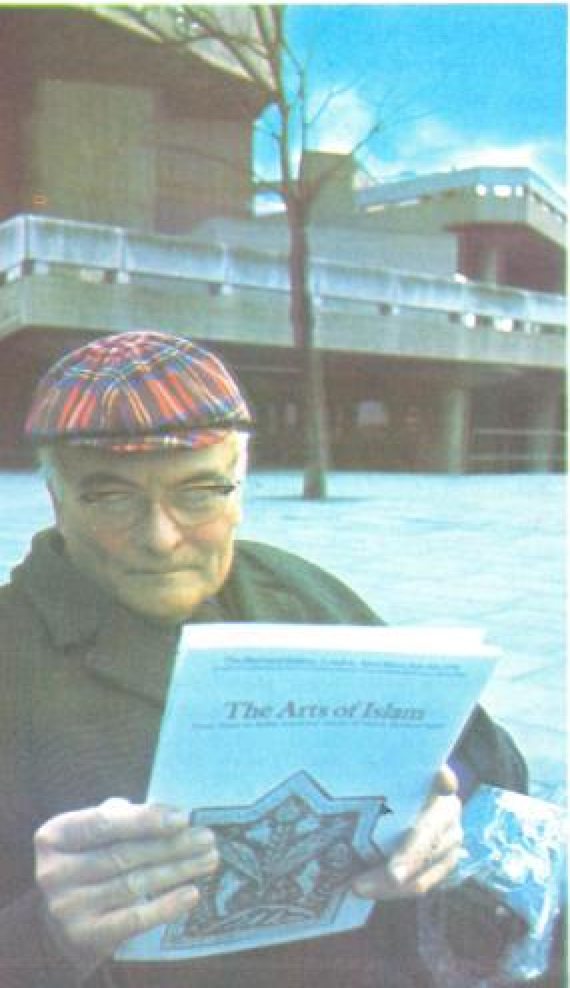
امام المتحف البريطاني في صباح كل يوم تقف الجماهير في
طابور طويل لمشاهدة معرض « فنون الاسلام » ويستريح بعد





الإسلام تشرق في بلاد الضباب

صفوف منتظمة ، كل ينتظر دوره للدخول ومشاهدة معروضات المهرجان الاسلامي ٠٠ اما هذا الانجليزي فقد جولة في معرض « هيوارد جاليري » الذي يشرف على نهر التايمز ٠٠وحيث تبدو من بعيدساعة «بج بن» الشهيرة٠





■ مع بداية الربيع ونسماته عاشت بريطانيا وعاصمتها لندن ، على مدى الشهور الثلاثة الماضية في مهرجان العالم الاسلامي ٠٠ أهم حدث ثقافي عالمي ! حتى اننا نستطيع ان نقول وبلا مبالغة ان عام ١٩٧٦ هو عام الحضارة الاسلامية ، بكل فنونها وعلومها وزخمها وتراثها وعطائها الانساني العظيم ٠

لقد فتحت لندن كل متاحفها تعرض الروائع الاسلامية ، التي جاءوا بها من شتى انحاء العالم الاسلامي وغير الاسلامي

أتت هذه الكنوز الثمينة من بلادها في الشرق وكأنما حملت معها شمسه ، فانقشعت السحب من سماء لندن ، وانقشعت معها الصورة القاتمة للعالم الاسلامي في عيون الاوروبيين ٠٠ صورة ذلك العالم القديم المليء بالاسرار والاساطير ، ومجتمع الحريم وحكايا الف ليلة وليلة ٠٠ عالم السلاطين والعبيد والظلم والقهر ٠٠ فقد كان هذا هو الشرق والاسلام في خيال الاوروبي !

فقد فتحوا عيونهم فجأة مع الربيع على عروض المهرجان الاسلامي ٠٠ وعرفوا كيف قدم هذا العالم للانسانية حضارة عريقة أثرت حياتهم واضافت اليها الكثير ٠٠ حضارة اشرقت وابدعت وابتكرت حينما كانوا هم في سبات العصور الوسطى ٠٠ لقد ظلت انظار تسعة ملايين نسمة هم سكان لندن ، المدينة العملاقة وزوارها ولمدة ثلاثة شهور متواصلة ، مشدودة شدا الى لوحات الاعلانات الملونة ذات الزخارف العربية الاسلامية تدعوهم لزيارة المتاحف والمعارض والمكتبات التي عرضت فيها منجزات عالم الاسلام وكنوزه الحضارية كانت هذه الاعلانات تطالعهم ايتما ذهبوا ٠٠ في الشوارع وفي محطات (المترو) وانفاقه تحت الارض ، وعلى شاشة التلفزيون ، وفي برامج اذاعة الـ B. B. C. الشهيرة ٠٠ وكانوا يرون ويسمعون قبسا من ابداعات هذه الحضارة المضيئة، في الفكر والفلسفة ، وفي العلوم والتكنولوجيا، وفي الفنون والعمارة ٠٠ الى آخر ما جاء به الاسلام ٠٠ الم اقل لكم ان لندن كانت تعيش في مهرجان ؟ مهرجان الاسلام في اروع صوره ٠

ورحنا نجول معهم بعيوننا وآذاننا واقلامنا وعدساتنا ، لنسجل معالم هذا المهرجان الكبير ٠٠

ولكن سرعان ماوجدنا انفسنا نتوقف قليلا مع الرجل الذي نبتت فكرة المهرجان في رأسه والذي سعى الى تحقيقها وهو « بول كيلر » ٠٠ ماذا يقول هذا الرجل الذي يرجع اليه الفضل في تحقيق هذا الانجاز ؟ هذه فقرات من حديثه : « للاوروبيين ولع بالتعرف على الحضارات الاخرى ، والحضارة الاسلامية حضارة عريقة ، وغنية بالقيم الروحية الاصيلة ، ولكنها مع الاسف نقلت الى الغرب في صور مشوهة ٠٠لقد حرفوا الاسلام اساس هذه الحضارة ومحورها ، وذلك بسبب رواسب الماضي تلك التي بدأت في القرون الوسطى وما تخللها من حروب صليبية ، ثم اتصال حلقات هذه الرواسب حتى الماضي القريب وما حدث فيه من مجابهات عسكرية ٠٠ ان هدف المهرجان الاسلامي هو تعريف الغرب بالاسلام كما يؤمن به المسلم ، وعرض صورة واضحة دقيقة ، تبرز انجازاته الحضارية ، كما يهدف ايضا الى ازالة النظرة المتحاملة المتعصبة التي مازالت تهيمن على عقول الكثيرين من أهل الغرب تجاه الاسلام والمسلمين »٠

متى بدأت الفكرة وكيف نفذت

ويمضي بول كيلر في حديثه : « لقد بدأ المشروع كفكرة في نهاية عام ١٩٧٢ وكان لزاما علينا لكي نبرز فكرتنا الى عالم الواقع ان نشرك معنا الاوساط الثقافية في بريطانيا ، كالجامعات والمتاحف والمختصين في الادب والفن والموسيقى والسينما ،فهذه العناصر هي التي يقع عليها العبء الاكبر ولكي تتحقق الفكرة على الوجه الذي كنا نتطلع اليه كان اتصالنا بالنخبة منهم ٠ فالمهرجان في حد ذاته ، يمثل « وجهة نظر » وهو لهذا يحتاج الى الاقتناع به اولا ، ثم الى العمل الجاد من اجل تحقيقه ٠

« وكان لا بد مرة اخرى من اللجوء الى نخبة من الرجال ذوي النفوذ والشأن في بريطانيا ٠٠ وقد نجحنا في ذلك وتكونت هيئة امناء تضم هارولد بيلي السفير السابق لبريطانيا في مصر والمملكة السعودية وقد انتخب رئيسا ، ومحمد مهدي التاجر سفير دولة الامارات نائبا للرئيس ، ولورد كارادون

واضع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ «وكليف روس، ونايت سميث ، وسيرانطوني ناتنج ، وزير الدولة البريطاني الاسبق «وجون ريتشموند سفير بريطانيا السابق في الكويت والسودان .

« وبدأنا عملنا الكبير في سنة ١٩٧٣ ، تربطنا جميعا فكرة سامية جديرة بان تاخذ كل جهدنا ، وقمنا في اول الامر بالاتصال بالمؤسسات البريطانية ذات الصلة .. كالمتحف البريطاني والمكتبة البريطانية والمجلس البريطاني للفنون والمتحف العلمي وهيئة الاذاعة البريطانية .

مشاركة العالم الاسلامي

« وكانت الخطوة التالية واللازمة لنجاح المهرجان هي مشاركة العالم الاسلامي ، فقام عدد من الامناء بزيارات متعددة الى الدول العربية والاسلامية لجمع الاموال الضرورية التى قدمتها الدول العربية والاسلامية وفي مقدمتها السعودية والكويت وايران ودول الخليج وعمان ، وقدمت الدول الاخرى المعروضات التاريخية فقد قدمت مصر اكثر من مائة قطعة من كنوزها التاريخية الثمينة والتى تعتبر ذات قيمة علمية كبيرة ، وكذلك قدمت ايران مائة قطعة فنية نادرة لم تعرض من قبل خارج حدودها . وقدمت العراق حوالى عشرين قطعة اثرية حوت مجموعة من الزخارف الجصية التى يرجع تاريخها الى العصر الاموى ، والمحراب الذى كان يصلى فيه الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور ، والذى يزن طنا كاملا ، وقد نقل بالطائرة من بغداد بالاضافة الى مجموعة من الحلى النسائية ومخطوطات فريدة وكرة فلكية من العصر العباسي .. وكذلك قدمت المغرب ونيجيريا وسوريا وتونس ولبنان والسعودية واسبانيا ، الكثير من تحفها الاثرية .

لقد قام العلماء والخبراء منذ سنة ١٩٧٣ برحلات عديدة جابوا فيها البلاد الاسلامية يختارون ويدققون ، حتى جمعوا أكثر من ثلاثة الاف قطعة أثرية تعتبر من نفائس الآثار الاسلامية ، جمعوها من ٢٥٠ متحفا ومكتبة ، ومن أكثر من ٣٠ دولة ، ويعود تاريخ أكثرها الى ماقبل القرن السادس عشر الميلادى، والقليل منها يعود تاريخه الى ما بعد القرن الثامن عشر الميلادى . وقد قامت الحكومة البريطانية بالتامين على هذه الكنوز التى قدرت قيمتها بحوالى الخمسين مليونا من الجنيهات ».



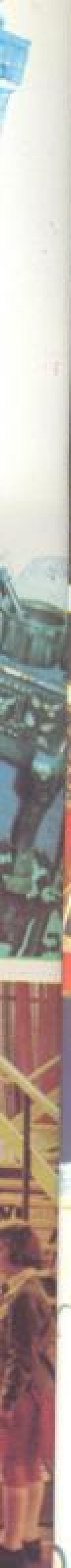
بول كيلر نبتت فكرة المهرجان فى رأسه عام ١٩٧٢

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

ونعود الى جولتنا التى توقفنا فى بدايتها مع فكرة المهرجان والرجال الذين كانوا وراءه .. وهل بغير معرض« القرآن الكريم »نبدأ ؟ وهو كتاب الله المنزل على نبيه المرسل ، ودستور هذه الحضارة الاسلامية وروحها ، ومنبع الهامها .

لقد افتتح هذا المعرض فى اليوم الثانى من ابريل الماضى فى قاعة الملك بالمتحف البريطانى ، افتتحه شيخ الجامع الازهر ، ولاول مرة فى تاريخ هذا المتحف تصدح فى قاعاته اى الذكر الحكيم يتلوها المقرىء الشهير الشيخ محمود خليل الحصرى.

وقد عرضت فى هذا المعرض الفريد مجموعة من المخطوطات الاثرية للقرآن الكريم لانظير لها فى روعتها بلغ عددها ١٦٤ مخطوطا ، فلم يسبق ان شوهدت هذه النخبة الرائعة من المصاحف مجتمعة فى مكان واحد وزمان واحد ، اتوا بها من شتى انحاء العالم شرقه وغربه ، من الاندلس والمغرب وتونس ومصر والهند واندونيسيا وقد تنوعت احجامها واشكالها وتواريخ نسخها فكانت تضم ، مصاحف نسخت بالخط الكوفى على الرق ، وهو نوع من الجلد الشفاف ،ويعود تاريخها الى القرنين الثالث والرابع الهجرى (٩ــ ١٠م) وكانت هذه المخطوطات تمثل مراحل تطور كتابة المصاحف ، وتطور اسلوب الخط وطريقة التذهيب ، وكذلك انواع الورق المستخدم فقد بدأ الخطاطون ينسخون القرآن الكريم على الرق ثم على الورق الذى تقدمت صناعته فى بلاد فارس حتى وصلوا فى القرن الثامن الهجرى





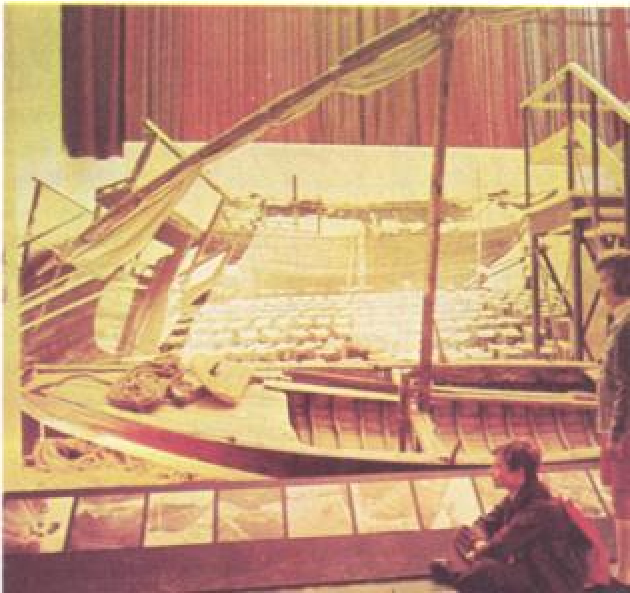
في متحف العلوم ، اقيمت على مدخل القاعة السادسة بوابة كبيرة على الطراز الاسلامي كتب عليها « العلم والتقنية في الاسلام » واحتوى المتحف على معروضات توضح وتشرح مدى الانجازات العلمية الاسلامية ، النظرية منها والعملية ، من مخطوطات والات وادوات وخرائط مع توضيح بالرسوم البيانية والصور الفوتوغرافية ، كما شيدت نماذج وقطع مصغرة وفقا لما كان يصنعه المخترعون المسلمون ، ومن بينها هذه الساعة المائية الدقاقة (**الصورة تحت**) وهي تحدد الوقت وتقدم اشارات لدوران دائرة البروج وتعاقب الشمس والقمر في مدارهما الفلكي ·





وهذا نموذج لصيدلية اسلامية رتبت فيها الأواني الخزفية التي كانت تستعمل لحفظ ادواء والأعشاب وكذلك عرضت بعض الأدوات التي كان يستعملها الصيدلي المسلم في تحضير العقاقير الطبية .

(الى اليمين) نموذج لمركب اسلامي ظهرت وراءه صورة لمركب آخر يرجع تاريخه الى القرن الخامس الهجري وكان المركب يحوي محطة لتكرير مياه البحر وتخزينها .



(١٤م) الى استعمال انواع فاخرة مصنوعة من الكتان والحرير وهنا بلغت كتابة المصاحف اقصى آيات الروعة والجمال والابداع ، وقد ادخلت الزخارف النباتية والهندسية في بدايات المصاحف ونهايتها ، ثم وضعت عناوين السور داخل اطار مستطيل مزخرف وملون، ثم تطورت زخرفة المصاحف فزينت كل الصفحات باطارات زخرفية ملونة ومذهبة.

ترتيل القرآن

وكما اهتم المسلمون بالمحافظة على كتاب الله مكتوبا فقد حرصوا على سماعه مرتلا ، بصوت حلو عذب ، ولم تفت ادارة المهرجان ان تمتع المسلمين في بريطانيا بهذه النشوة الروحية ، فعقدت حفلا لتلاوة آيات الله البينات تلاها المقرىء الشيخ الحصري في صالة « رويال » امام عشرة الاف مستمع وقام التلفزيون البريطاني بتسجيل شريط ملون للحفل كما استجاب الشيخ المقرىء لدعوة المسلمين في ليفربول وشيفيلد فرتل القرآن امام الوف المسلمين في كل من المدينتين .

واصدرت ادارة النشر في المهرجان الاسلامي كتابا قيما يعد الكتاب الوحيد الذي صدر في الغرب عن القرآن الكريم وشمل عدة لوحات بالالوان بلغت مائتي لوحة طبعت بثماني الوان واستعملت في طباعتها احبار خاصة .

فنون عالم الاسلام

لقد اثرت العقيدة الاسلامية على الفن فوحدت سماته واشكاله .. وكانت همزة الوصل بين عالم العقل والمنطق وبين عالم الروح والوجدان النقي.. لا استغراق في الشهوات ولا انقطاع عن الدنيا .. انها روح تبعث على الاتزان والانسجام .. فالله هو الحق والخير والجمال وهو الخالق المصور البارى.. « خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم .. » . « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » . « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا ».

هذا ما يقوله المولى سبحانه وتعالى .. في كتابه المنزل .. ومنه استوحى الفنان المسلم فنه وعلمه .. ومن هنا نشأت هذه الوحدة الشاملة التي نلمسها في كل عمل فني رغم اختلاف اماكن صنعها بعدا او قربا .



رأينا هذا كله واحسسنا به ونحن نقف امام تلك الثروة من الاعمال الفنية .. المحاريب الخشبية المزخرفة .. والاواني الخزفية والمعدنية ومئات من التحف الاثرية من كل شكل ولون ، تراها، فترى معها التاريخ وتسمع من السكون الذي يلفها قصته .

كان هذا هو معرض فنون الاسلام الذي اقامه مجلس الفنون البريطاني بالتعاون مع مؤسسة مهرجان العالم الاسلامي في قاعة « هايوارد » في الثامن من ابريل .. وافتتحته الملكة ووقفت امام المعروضات الثمينة تتأملها في اعجاب ، وطالت وقفتها وجولتها حتى تأخرت عن الموعد المحدد لها..

فقد كان المعرض شاملا جامعا ، شغل خمس قاعات فسيحة نسقت فيها ٦٠٠ قطعة تعتبر كل واحدة منها كنزا فنيا ثمينا لا يقدر بمال لقد استعاروها من الاقطار الاسلامية ومن بلدان اوروبا وامريكا ، وكشفت هذه المعروضات عن ثراء فنون الاسلام وتنوعها على مدى الف عام .

لقد شملت المعروضات المخطوطات العربية التي ابدع الفنان المسلم تصويرها وزخرفتها وقد تركز عليها الاهتمام كما تركز على العناصر الزخرفية التي تميزت باسلوبها المبتكر واشكالها الهندسية التي انفردت بخاصية الخيال والتكرار وكراهية الفراغ واستخدام الخط كعنصر رئيسي في التصميم . كل هذا ظهر واضحا مجتمعا على السجاجيد الفاخرة والمنسوجات والمخطوطات اليدوية والمنتجات الخزفية والخشبية والمعدنية .



(الى اليمين) الامبراطورة فرح ديبا والى جوارها السير هارولد بيلى فى حفل افتتاح متحف العلوم الاسلامية .. قالت فى كلمة الافتتاح ان اثر العلوم الاسلامية على حضارة الغرب اثر واضح لا ينكره احد . اما ملكة بريطانيا (الى اليسار) فقد افتتحت متحف فنون الاسلام . وشكرت دول الخليج والكويت والدول العربية والاسلامية لاسهامها بالمال والعلماء والقطع الفنية النادرة لانجاح المهرجان ..

الفن المعماري

واهتم القائمون على المهرجان بالفن المعمارى الاسلامى .. الفن الذى ابدعت فيه عبقرية المهندس المسلم وتبلورت فيه روحه الفنية الخلاقة ، فقد احتفظت العمارة الاسلامية حتى يومنا هذا باصالتها وتفاوتها وقوة شخصيتها .. واستمرت تشد ابصار الناس وتستهويهم بهندستها الرائعة .. ولم يكن ممكنا بطبيعة الحال عرضها على الناس الا من خلال صور ملونة ، ولذلك اعدت قاعة لعرض الافلام السينمائية التى ابرزت التحف المعمارية المنتشرة على الارض الاسلامية.. لقد شهدنا مع الجماهير عرضا للمحات وقسمات متفرقة لكنها كانت تحمل سمات واحدة وخصائص مشتركة لا تخطئها العين ، كانت مجموعة من الصور من دمشق الاموية فى بهائها وروعتها .. ومن بغداد المنصور ببناياتها السامقة ومن قاهرة المعز بمآذنها المتناثرة .. اعمدة واقواس .. وارضيات المساجد وصحونها .. ونافورات وحدائق ومدارس ومستشفيات واسواق ..

وكانت الافلام تنقلنا من مكان الى مكان ومن صورة الى اخرى ، على نغم الموسيقى الشرقية.. نغم « القانون » بالذات لما فيه من صفاء ونقاء.. وتتوالى العروض والناس تاتي فى موجات ولكنك لا تكاد تحس بهم فى دخولهم وخروجهم .. فهم يتحركون فى هدوء ..يحسون بالجلال الذى يضفيه هذا الجو الروحانى على المكان ..

علوم وتكنولوجيا الاسلام

بالامس قال بعض المنصفين .. فضل العلماء العرب والمسلمين على الغرب .. فضل لا ينكر بالامس قالوها وذكروها فى كتبهم العلمية ،ولاول مرة نقف وجها لوجه مع الوف الزائرين الذين جاءوا مثلنا ليشاهدوا منجزات الحضارة الاسلامية، فى مجال العلوم وتطوير ادوات الحياة.. وخصصت خمس قاعات تحمل العناوين الآتية : (١) الانطلاقة (٢) ملكوت السماء (٣) الارض (٤) الحياة (٥) التكنولوجيا .

واقاموا عند المدخل بوابة كبيرة على الطراز الاسلامى ، تؤدى الى قاعة صغيرة ، وتقع عيناك اول ما تدخل على « كتاب الله » داخل صندوق اسطوانى من البلور .. يسقط عليه او يخرج منه شعاع مضيء وهو مخطوط من العصر المملوكى كتب بالخط الكوفى المذهب وتقرا الآية الكريمة..

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب » .. وبجوارها ترجمة لمعانيها بالانجليزية .

ارتبط العلم فى الاسلام اذا بالدين ، الذى يحث الناس على الثقافة وطلب المعرفة ..



قامت السيدة جين جنكز ، وهي خبيرة في عالم الموسيقى ، بعدة رحلات طافت خلالها بالعالم الاسلامي ·· واستغرقت رحلتها عاما كاملا ،جمعت فيها اكثر من ٢٠٠ الة موسيقية عرضت كلها في متحف ، هورينمان ، كما سجلت الكثير من المقطوعات الموسيقية على ستة اسطوانات جمعت بين الصوت الانساني ومجموعة العود ، والناي والأبواق ، والأبور والكلارينيت ، ومزمار القرب ، والايقاعات والطبول · وقد عرضت كلها في قاعات خاصة بمعارض المهرجان الاسلامي ··









وفي صالة « هيوارد » عرضت قطع فنية متنوعة تمثل كافة العصور الاسلامية ·· وفي ا صورة اناء من الخزف يرجع الى العصر العثماني بينما تبدو الى اليسار سجادة صلاة هندية من العهد المغولي يرجع تاريخها الى اوائل القرن الحادى عشر اهجرى

والمعرفة تشمل ، العلوم الدينية والدنيوية وذلك في ضوء تعاليم القرآن الكريم ، « وقل رب زدني علما » وقد حثت الاحاديث الشريفة على طلب العلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وقد علقت لوحات تبين هذا المعنى وبجوارها علقت اربعة خرائط فوسفورية ، تبين الاولى انتشار الاسلام في العالم ، وتوضح الثانية المناطق التي تتحدث اللغة العربية ، والثالثة تبين كمية الامطار والانهار في العالم الاسلامي، اما الرابعة فتوضح طرق المواصلات بين البلاد الاسلامية .

لقد كان للعلماء المسلمين جولات وصولات .. في مختلف فروع العلم والمعرفة وشملت ابحاثهم .. الطب والرياضيات والموسيقى والفلك وشملت الكيمياء والجغرافيا والفيزياء والبصريات وازدهرت العلوم الاسلامية في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر ، وهكذا ساهمت انجازاتهم العلمية في تقدم العلم في الغرب .

متى واين بدا المسلمون علومهم ؟ حتى هذه لم تفت القائمين على المهرجان .. لقد كانت المساجد كما نعلم هي المكان الذي تتلمذ فيه المسلم الباحث عن العلم والمعرفة ، والجامع الازهر كان اول جامعة انشئت بالمفهوم الحديث (٣٥٠هـ ـ ٩٧٠م).. وقد عرضت صورتان كبيرتان واحدة للجامع الازهر والاخرى للمدرسة المستنصرية بعد ترميمها (عام ٦٢٥هـ ـ ١٢٢٦ م) كنموذجين للمدارس الاسلامية .

ملكوت السماوات

« والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» .

وفي قاعة ملكوت السماوات عرض كل مايتعلق بعلوم الفلك ، والكون والرياضيات والهندسة .. ولما كان لعلم الفلك صلة وثيقة بفرائض العقيدة وتعاليم الاسلام ، فقد استعانوا بهذا العلم في تحديد اوقات الصلاة، وتحديد اتجاه القبلة، ورؤية الهلال وصوم رمضان، فقد اهتم به علماء المسلمين وبدأوا بدراسته عن طريق ترجمة كتب من سبقوهم في مالبثوا ان تبحروا فيه ووصلوا الى درجة عالية من المعرفة واصبحوا حجة فيه ومرجعا فقد وضعوا والفوا كثيرا من الكتب ، وعرضت مجموعة كبيرة من المخطوطات التي تبحث في هذا العلم كان منها ترجمة كتاب بطليموس المجسطي ، وكتاب « صور الكواكب الثابتة » لعبد الرحمن الصوفي ، و « كتاب التفهيم لاول صناعة التنجيم للبيروني » الذي عرضوا له ايضا « كتاب في استيعاب الوجوه الممكنة في صناعة الاسطرلاب » والاسطرلاب الة فلكية مصنوعة من النحاس ، كان الفلكيون يستعملونها في رصد مواقع الكواكب والنجوم، وقياس ارتفاع الشمس وقد عرضت منها انواع واشكال مختلفة اتوا بها من مختلف الدول الاسلامية ، ويرجع تاريخها الى الفترة الواقعة مابين القرن الثالث والثاني عشر (هـ) ، كما عرض عدد من الكرات السماوية يرجع عهدها الى القرنين الخامس والسادس (هـ) ومجموعة من الساعات الرملية ، ولقد توصل الفلكيون المسلمون الى حقائق هامة في علم الفلك فقد حققوا كروية الارض ، وقاسوا

مؤتمر اسلامي كبير

■ في الايام الاولى انعقد في قاعة « البرت هول » مؤتمر اسلامي نظمه المجلس الاسلامي الاوروبي بالتعاون مع جامعة الملك عبد العزيز آل سعود بالرياض، وافتتحه الامير محمد الفيصل، القيت فيه سلسلة من المحاضرات القاها كبار علماء المسلمين الذين قدموا من ٢٥ دولة آسيوية وافريقية كما اشترك فيه مندوبون من الجاليات الاسلامية في اوربا وكندا ، وكان على رأسهم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر وتناولت هذه المحاضرات الاقتصاد الاسلامي واسس ومبادىء الدعوة الاسلامية والنظم السياسية في الاسلام .



لقــاء قمة اسلامى مسيحى

لاول مرة فى التاريخ منذ الحروب الصليبية حدث لقاء تاريخى بين شيخ الجامع الازهر وكبير اساقفة كنتربرى امتد نحو ساعة صرح بعده كبير الاساقفة بأن الحديث مع شيخ الازهر كان مفيدا ومثمرا وقد اتفقت وجهات النظر فيما بينهما على أن يكون هذا اللقاء بداية تعاون ونشاط مشترك يتعاون فيه رجال الدين المسلمون والمسيحيون فى الوقوف امام تيار الانحلال الخلقى الذى يجتاح العالم اليوم ومكافحة الافكار الملحدة الهدامة ٠

محيطها ، وفسروا دورانها كما فسروا حركات الكواكب وصححوا اخطــاء من سبقوهم مثل الاخطاء التى وقع فيها بطليموس العالم اليونانى الشهير ٠

ووقفنا وجها لوجه امام صفحة اخرى مشرقة للعلماء المسلمين فى مجال الرياضيات ٠٠ هى قصة ابى عبدالله الخوارزمى الذى كان اول من استعمل كلمة الجبر ومؤلف كتاب «حساب الجبر والمقابلة » (القرن ٣هـ ــ ٩م) ، وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وعرضت النسخة المترجمة فى المعرض وبجانب الخوارزمى شاهدنا صورة اخرى مشرقة ايضا لعمر الخيام الذى فاقت شهرته العلمية ، شهرته الادبية وعرض له مخطوط من القرن السابع (هـ) (١٣ م) بعنوان « الجبر لعمر الخيام » ٠

وقد اعتبر العلماء المسلمون الموسيقى فرعا من فروع الرياضيات ، والف الفارابى كتبا فى اصول الموسيقى فكان اعظم من كتب فى العصور الوسطى، وكان يجيد العزف على العود ، والف فيها كذلك الفيلسوفان المسلمان « الكندى » و «ابن رشد »، ودرست كتبهما فى اوروبا ٠٠ وقد شاهدنا فى المعرض عدة مخطوطات تبحث فى النظريات الموسيقية وفى الاتها منها ماهو من تاليف الفارابى ومنها ماهو من تاليف ابن سينا ٠

اسطرلاب من فارس بتقــويم متحرك يرجع تاريخه الى ٦١٨هـ ــ ١٢٢١م ٠ صنع من النحاس والفضة قطره ١٨٥مم٠





اقيمت في المتحف البشرى ثلاثة معارض لابراز
مدى تفاعل الانسان مع البيئة التي يعيش فيها،
كان المعرض الأول يصور الحياة البدوية فنصبت
خيمة معزولة من شعر الماعز ،ابرزت مايكتنف
حياة الصحراء من بساطة وتقشف .

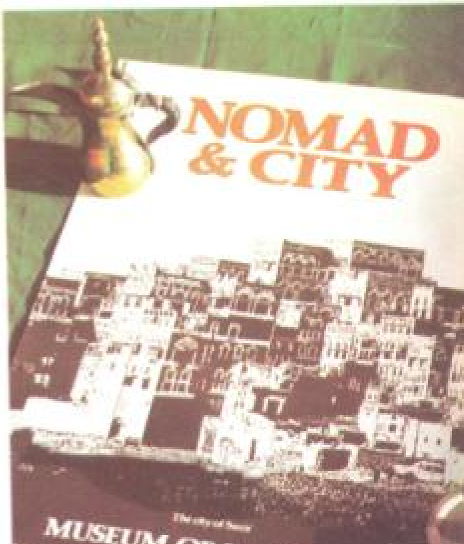






اظهر كلا المعرضين الثاني والثالث نوع الحياة في مدينتين عريقتين هما صنعاء وفاس ، وقد عرضت نماذج مجسمة وصور فوتوغرافية وشرائح ملونة تظهر فن العمارة في صنعاء وتبين التقاليد والعادات والأزياء الشعبية والحلي التي تتزين بها النساء ..





وفي الصور على هاتين الصفحتين نماذج من الأزياء والحلي التي اشتهرت بها المرأة في صنعاء .. كما يبدو في الصورة الى اليمين الاعلان عن المعارض . وقد اشتمل على رسم يظهر نمط العمارة اليمنية .

علوم الارض

واشتمل هذا القسم الذى انتقلنا اليه بعد جولتنا مع الفلك والرياضيات على علوم الجغرافيا ورسم الخرائط البرية والبحرية والجيولوجيا والتعدين وعلوم الطبيعة وكان للمسلمين فيها باع طويل وقد عرضت مجموعة من المخطوطات الثمينة تناولت هذه العلوم بالشرح والتعليق مثل مخطوط « كتاب المسالك والممالك » و « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للادريسى وقد ترجم هذا المخطوط الى معظم لغات اوروبا الحديثة ، ومثل «مروج الذهب» للمسعودى وكتاب«المناظر» ، كما عرضت عدة صور لخرائط من اعداد « البيرونى » و«الادريسى » واشتملت المعروضات ايضا على ادوات كان يستعملها الجغرافيون فى رسم الخرائط ٠

علوم الحياة

ومع الحياة وعلومها عند المسلمين عشنا لحظات الانجازات الباهرة للاطباء المسلمين الذين الفوا الكتب فى الطب والجراحة وقد زودت الكتب بالصور التوضيحية الملونة وعرضت بعض المخطوطات منها « كتاب الحاوى فى الطب » لابي بكر محمد الرازى – نسخة مؤرخة فى ٦٩٩ هـ – ١٢٧٠ م – « القانون فى الطب » لابن سينا – نسخة مخطوطة فى اصفهان مؤرخة (١٠٤٦هـ – ١٦٣٢ م) كما عرضت صور مبكرة من رسوم تشريحية للعين وصور لطبيب عيون يفحص عين مريض ٠٠ وقد تقدم طب العيون عند المسلمين لدرجة انهم استطاعوا التوصل الى اول عدسة مكبرة ، وبذلك وضعوا اساس علم البصريات ٠

وعرضت عدة نماذج لادوات الجراحة التى استخدمها الجراحون المسلمون ٠

وفى مجال الكيمياء شاهدنا اسهام العلماء المسلمين فى تطوير وسائل تقطير العطور وانتاج الصودا ، والشب ، وملح حامض النتريك ، وكثير من الاملاح الاخرى ٠

التكنية الاسلامية

اهتم المسلمون بفلاحة الاراضي وريها وقد اقاموا السدود والآبار العميقة والقنوات الجوفية لتجنب فقدان الماء بالتبخر ويضم المعرض نموذجا من وسائل الرى استخدمت فى بغداد فى القرن الرابع الهجرى (١٠م) كما عرض نموذج لمقياس

اهتمت الصحف الانجليزية بهذا الحدث التاريخى فراحت تنشر تحت عناوين عريضة اخبار المهرجان واصدرت ملاحق خاصة تحدث فيها الانجليز والغربيون من حضارة الاسلام والمسلمين باقلام كبار المحررين والمعلقين ٠





مشكاة مسجد صنعت في مصر يرجع تاريخها الى القرن الثامن الهجري.

النيل عند الروضة في وقت الفيضان استعمل في عهد الخليفة المتوكل وعرض نموذج آخر لآلة لرفع الماء، صنعت حسب مواصفات المخترع المسلم الجازري ، التي شرحها في « كتاب في معرفة الحيل الهندسية » وقد اخترع عدة آلات واجهزة ، وعرضت له آلة لقياس كمية الدم التي تؤخذ من المريض .. اما اختراعه الذي حاز اعجاب المشاهدين وبهرهم فهو الساعة الدقاقة وهي ساعة مائية تحدد الوقت وتقدم اشارات تقوم باداتها دمى ، لدوران دائرة البروج ، وتعاقب الشمس والقمر ، في مدارهما الفلكي (انظر الصورة ص ١٤) .

ويضم المعرض عدة نماذج لمصنوعات النسيج الفاخر والبلور الصافي والورق الناعم ، وقد نقل الاوربيون صناعة الورق عن المسلمين .

ولم يقتصر عرض هذه المنجزات العلمية على النماذج والمخطوطات فقد اقيمت عروض سينمائية تبين وتشرح كثيرا من طرق الزراعة في الاقاليم الاسلامية .. وطرق العلاج الطبية وصورا للعمليات الجراحية منقولة من المخطوطات وقد صاحبت هذه العروض تعليقات مبسطة ومعزوفات من القطع الموسيقية الشرقية .

كل هذه الانجازات العلمية الباهرة عرضت وسط قاعات زينت جدرانها بالزخارف الاسلامية ونقوش الرقش العربي .

لقد خرجنا مبهورين بامجاد امة ، وبعبقرية رجال افذاذ صنعوا بعلمهم ومثابرتهم تراثا خالدا على مر الزمن ، ولا نعرف اذا كانت مصادفة ،ان يعرض المتحف البريطاني في نفس الوقت وامام متحف العلوم الاسلامية كبسولة الفضاء لابوللو ١١ .. ولكن لا، ليست مصادفة ، فهذا الانجاز العلمي الحديث ليس سوى امتداد الخط سير العلم الذي بدأه رواد العلم المسلمون الذين كانوا اول من فكر وبحث في الكونيات وفي هذا الفضاء اللانهائي من حولنا .

وقد قامت اكثر من ثمانمائة مدرسة بتنظيم رحلات لطلابها لزيارة معرض العلوم الاسلامية جاءوا كلهم وخرجوا منه مبهورين مثلنا ..

البدو والحضر

وفي متحف الجنس البشري اقيم معرض للبدو والحضر ليلقي الضوء على منهجين مختلفين للحياة التقليدية ما زالا منتشرين في العالم الاسلامي .

حياة البداوة في جنوب الاردن التي تفتقر الى الاقامة الدائمة ، ويشرح المعرض طريقة تكييف البدو لحياتهم وفقا لظروف الحياة الصحراوية القاسية .

وتختلف الحياة البدوية عن الحياة في المدن الاسلامية العريقة فبينما يسيطر الهدوء والسكون على البادية تموج المدينة بالحركة والنشاط والضوضاء ، ومن مدينة صنعاء التي يعود تاريخها الى ما قبل الاسلام ولها طابعها الخاص ، من هذه المدينة استوحوا صورة للحياة في احد اسواقها ونقلوها الى المعرض ، ورأينا فيه سوق صنعاء العتيق بحوانيته الصغيرة التقليدية المليئة بالبضائع والبقول والاواني الفخارية والعطور الشرقية والتوابل ومواد العطارة وتسمع وانت تتجول في الشارع المتعرج اصوات الباعة ينادون على بضاعتهم بالعربية ، كما اقاموا نماذج لمبانيها المرتفعة التي تتكون من اربعة طوابق او خمسة والتي تتميز بزخارفها التقليدية ..

اما مدينتا فاس واصفهان فقد قدمتا في عروض سينمائية ملونة ، رأينا فيها لمحات من ابداعات فن العمارة وبمقارنة البنايات في كليهما تكشف الشبه والصلات كدليل على المنبع الواحد .





كانت مظاهر المهرجان تبدو في كل مكان في العاصمة البريطانية ٠٠ الملصقات الملونة على لوحات الاعلان الاسطوانية المتحركة في الشوارع الرئيسية ٠٠ كما صدرت عشرات الكتب التي تتناول العالم الاسلامي بفنونه وآدابه وعلومه وفلسفته ٠٠ والتي ازدحمت بها واجهات المكتبات ٠٠ وكذلك طبعت آلاف اللوحات الفنية الاسلامية واقبل الشباب على شرائها وقد جلست هاتان الفتاتان





تتأملان واحدة منها .. ولم تفت الفرصة مصممي
الأزياء الذين استوحوا من الشرق العربي تصميم
ازياء المرأة .. فطوروا الكوفية والعقال وتوجوا
بهما رأسها .. كما يبدو في الصورة الى اليسار.





الموسيقى والآلات الموسيقية

لما كانت الموسيقى تعد احد العناصر الثقافية الهامة في عالمنا اليوم فقد حرص مخططو المهرجان على ان يعرضوها بشكل يناسب الدور التي لعبته وتلعبه في حياتنا . فاقاموا في متحف « هورنيمان» معرضا للآلات الموسيقية جمعتها السيدة (جين جنكز) وهي خبيرة في عالم الموسيقى ، خلال رحلة استغرقت عاما كاملا طافت خلالها بالعالم الاسلامي وجمعت فيها اكثر من ٢٠٠ آلة موسيقية ،وسجلت الكثير من المقطوعات الموسيقية الشعبية التي توضح بجلاء مدى التفاعل بين الموسيقى العربية والفارسية والتركية وكيف انصهرت واصبحت الموسيقى في العالم الاسلامي لها سماتها وطابعها الموحد الذي لا تخطئه الاذن ٠٠ ولم تقتصر ادارة المهرجان على عرض الآلات الموسيقية فقد صاحبتها عروض سمعية وبصرية ، ومما يبهر البصر كذلك هذا التنوع الواسع البديع في الآلات الموسيقية وهذه الرسوم والنقوش والزخارف والتصاميم الفسيفسائية التي حليت بها سطوح هذه الآلات مما يبرز مدى المهارة اليدوية والبراعة الفنية التي كان يتمتع بها صانعو الآلات الموسيقية في مختلف انحاء العالم الاسلامي .

حفلات موسيقية

ولاول مرة تسمع في مهرجان واحد الانماط الرئيسية للموسيقى الكلاسيكية في العالم الاسلامي . اشترك في عرضها موسيقيون من مختلف العالم الاسلامي ٠٠ عرب واتراك وباكستانيون وهنود . فمن تطوان المغربية ومن ايران ،ومن دمشق ومن بغداد ، ومن الهند وباكستان جاء العازفون واقيمت عدة حفلات موسيقية في قاعتي الملكة اليزابيث ، وقاعة المهرجانات الملكية ، وفي متحف « هورنيمان » . وامتلأت هذه القاعات الى آخرها وجلس الناس ينصتون وهم شبه ماخوذين ٠٠ بسحر الموسيقى الاسلامية حيث نقلتهم الى عالم بعيد ، عالم النغم والاحلام .

حلقة دراسية مصرية

ولم يقتصر نشاط المهرجان على عروض المتاحف بل كان هناك برنامج للمحاضرات ، فقد اقيمت حلقة دراسية في معهد الكومنولث اعدها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في مصر قدم فيها ٢٨ عالما من الجامعات المصرية ٣٠ بحثا تناولت دراسات جديدة في الحضارة الاسلامية وشملت علوم الزراعة والكيمياء والجيولوجيا وتعليم المراة في الاسلام والفيزياء والفلك والاسرة والاجتماع والنشاط الدبلوماسي ، ومناهج البحث في التاريخ والطب وعلم الجمال والقانون ، والرياضيات .

كما نظمت الجامعات والمتاحف والجمعيات العلمية البريطانية وكذلك هيئة اليونسكو كما اشتركت معهم اكثر من ٢٠ جمعية من العالم الاسلامي في تنظيم سلسلة من المحاضرات تناولت عناصر الحضارة الاسلامية بالدراسة والتفصيل٠٠

وقامت كلية التربية والتعليم في « دار لنجتون » بشمال شرقي انجلترا بعقد دورة دراسية خاصة مدتها عشرة اسابيع شرحت فيها مبادىء الدين الاسلامي ، والقيت عدة محاضرات في البرنامج التربوي لطلبة المدارس الثانوية .

وفي ميدان نشر الكتب طبعت عشرات الكتب التي قام باعدادها وتاليفها علماء من العالم الاسلامي ومن الاوروبيين انفسهم وقامت الاذاعة البريطانية باعداد عدة برامج اذاعية تناولت الفن والعلم والادب والموسيقى والتاريخ .

الصهيونية ومحاربة المهرجان

ترى هل مر المهرجان (هذا الحدث التاريخي) في هدوء ، وهل وقفت المنظمات الصهيونية مكتوفة الايدي ؟ بالطبع لا ، لقد بذلت عدة محاولات ٠٠ محاولات لتعطيل المهرجان او على الاقل لكي يبقى محصورا داخل اضيق نطاق ممكن ففي العام الماضي قام وفد من المنظمات الصهيونية في لندن بزيارة مدير هيئة الاذاعة البريطانية وحصلوا على تاكيدات بان الافلام التي يعرضها التلفزيون لن تحتوي على دعاية للعرب ٠٠ والحقيقة ان المهرجان لم يكن له صبغة سياسية ٠٠ بالمعنى المتعارف عليه الا ان واقع الحال يقول غير هذا ،فمجرد عرض هذه الحضارة الاسلامية العريقة في شتى وجوهها المشرقة هو في حد ذاته اعتراف بفضل الاسلام على الغرب ٠٠ وهو اذن بمعناه الواسع دعاية سياسية في المقام الاول ٠٠



الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر يتوسط السير هارولد بيلى الى اليسار والاستاذ محمد توفيق عويضة أثناء القائه كلمة افتتاح الندوة العلمية التى اقامها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بمصر ، والى يساره سلطان جماعة البهرة ، والسيد كوثر نيازى وزير الشؤون الدينية بباكستان .

وبعد هل نجح المهرجان .. مما لا شك فيه ان المهرجان من وجهة النظر الاسلامية ، لم يفتح نافذة بل انه فتح بابا واسعا للاوروبيين على عناصر الثقافة الاسلامية ، انه امد جسرا بين الحضارة الاسلامية وبين الحضارة الغربية الحديثة .. لقد كان حدثا هاما في تاريخ العلاقات الثقافية بين الشعوب ، له آثاره الانسانية البعيدة ، ولا نبالغ اذا اضفنا ان المهرجان على صعيد المستوى الشعبى قد اثرى حياة الناس الثقافية ، وقدم لسواد الناس وعامتهم ، علما وثقافة كانوا يجهلونهما عن العرب والمسلمين ، واما على صعيد المثقفين ورجال العلم والفن ، فقد وثق الصلة بين علماء الغرب وعلماء الاسلام ، وستبقى هذه العلاقة مدة من الزمن، فسيظل التعاون بين العلماء والاساتذة والخبراء الاوروبيين ، وبين اقرانهم المسلمين لسنوات ، يتم فيها اعداد الابحاث والدراسات للنشر ، بعد ترجمتها الى اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية .

وقد كان للمهرجان ابعاد اخرى اقتصادية .. فقد ازدهرت الحركة السياحية ، واقبل الناس من اوروبا عامة ومن الدول الاسكندنافية والفرنسية خاصة ، لزيارة بريطانيا ومشاهدة المهرجان .. لقد كانت الحكومة البريطانية ذكية في تشجيع القائمين بهذا المهرجان فلم تكن المكاسب الاقتصادية بعيدة عن تصورها ، لقد ربحت بريطانيا ، وربح العالم الاسلامى .. نقول بعد هذا ونحن نختم جولتنا ..

ان الاسلام ليس فقط تاريخا عريقا .. وقصة قديمة .. انه حاضر ينمو .. ومستقبل يشرق .

■■

محمد حسنى زكى

على هامش المهرجان

● اقيمت عروض تمثيلية القيت فيها مقتطفات فى الادب الاسلامى ، شعرا ونثرا اختيرت من مختلف اقطار العالم الاسلامى .

● قام المخرج السينمائى ستيفن كروس باعداد ٦ أفلام ملونة لحساب التلفزيون البريطانى تحت عنوان واحد هو « عراقة الاسلام » وهى تعرض ثقافة الاسلام وتاريخه العظيم الذى يحفه الجلال .

● اقيمت عدة معارض للسجاجيد الايرانية واخرى للمصوغات المعدنية ، ومعارض تناولت بالصور والشرائح الملونة العمارة والفنون فى ليبيا .. وكذلك اقيم معرض لاشغال الابرة عند قبائل « الهوسا » فى شمال نيجيريا ..

مصنع الأدوية

أكثر من خمسين صنفاً من

العقاقير والأدوية

تصنع في الكويت

استطلاع بقلم :
يوسف الشهاب

تصوير :
فهد الكوح

اكثر ما يحرص عليه مصنع الادوية ،نظافة العمال وسلامتهم ، واعدادهم بالملابس المناسبة لطبيعة العمل ومتطلباته .. هنا ثلاثة من العمال يقومون بتعبئة انابيب المراهم استعدادا لنقلها الى مستشفيات الكويت ومستوصفاتها .





الفتاة الكويتية تقتحم ميدان الصيدلة، انها دائما في خدمة وطنها ، الصورة للصيدلانية خالدة القطامي ، تشرف على صناعة الاقراص داخل المصنع ..



ادوية من السكر .. اهتم بها هذا المصنع ،ويشاهد بعض العمال يقومون باعداد الدواء داخل المصنع .

■ لايمكن لاية دولة ان تكون دولة مستوردة فقط ·· وقد كان هذا حال الكويت قبل النفط ·· ومع هذه الثروة الجديدة بدات السياسية الاقتصادية للدولة تعمل على الحد من الاستيراد ·· ولكي يتحقق هذا الهدف كان لا بد من اقامة صناعات جديدة في البلاد ·· فبدات المصانع تعمل وتنتج ·· ومن بين الصناعات التي اولتها الدولة اهتمامها صناعة الدواء ، وهو امر طبيعي ، فهذه الدولة « الخيرة » توفر العلاج بالمجان لكل مواطنيها ··ولكي يتوفر العلاج فلابد من توفر الدواء ·· انها صناعة وليدة شانها في ذلك شان الكثير من الصناعات التي ظهرت في السنوات الاخيرة ·· ولكنها بداية مشجعة على الطريق ·· طريق تصنيع الكويت ·

ان الاديان ايضا اهتمت بصحة الانسان وطالبته بالحرص عليها ، والاهتمام بها والخالق سبحانه عندما قدر لعباده الامراض وضع لها الدواء ، يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ·· « ان الله تعالى ، لم ينزل داء الا انزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله » ·

فلم يكن غريبا اذن ان تهتم الدول بالادوية، وتهتم بتوفيرها لمواطنيها بكل الوسائل ،حرصا منها على سلامة شعوبها من الامراض والاوبئة التي قد تفتك بحياة افرادها او جماعاتها ·

والادوية في الكويت اليوم ، غيرها بالامس عندما كانت الدولة تعتمد على ماتستورده من ادوية محدودة من بعض الدول كانجلترا وسويسرا وغيرها لعلاج رعاياها في وقت كانت الامراض تفتك بالكثير من المواطنين لعدم توفر وسائل العلاج الحديث ·

أول صيدلية

وعندما نعود الى الوراء قليلا ، نجد ان اول صيدلية اهلية للادوية افتتحت في الكويت عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م وكانت تحمل اسم « الصيدلية الإسلامية » ويملكها المغفور له عبد اللطيف النهيم ، الذى كان يعتمد في استيراد ادويته على بعض الدول المجاورة عن طريق البحر ويبيعها بسعر بخس ، خدمة للمريض ، قبل السعي وراء الثراء ·· عمل انساني لم يكن يبغى من ورائه سوى خدمة اخيه الانسان ·

الدواء ·· صناعة استراتيجية ومتطورة

ثم مضت الايام ، واصبحت دولة الكويت صاحبة « الصيدلية الكبرى » من اجل صحة ابنائها وسلامتهم ·

وحين تنظر الى صناعة الدواء في الكويت ، نجد انها من الصناعات الكيماوية المتطورة ، التي توليها الدولة كل رعاية واهتمام ،فترصد

الصيدلانية غنيمة الشرهان ،رئيسةقسم المراهم ، تتابع عملية صناعة المرهم بدقة ، ان كل هذه المراهم والادوية تخضع لفحص طبي دقيق·



تخضع كميات الأدوية لاوزان العاملين يقوم بوزن المواد الخام



لها الاموال ، وتعد الكوادر المحلية والعربية المدربة وتشجعها للعمل والاستمرار في ممارسة هذه المهنة الانسانية ، وهي ايضا صناعة استراتيجية تخضع للتخطيط وفن التحرك بين ازدحام الصناعات المنافسة ، لتصل معها الى المستوى اللائق للبلاد ، وهكذا اولت الدولة هذا القطاع الهام من الصناعة كل عناية لتوفير احتياجاتها من الادوية المختلفة .. ان لم يكن كلها فبعضها .. :

ميلاد مصنع

وسعيا وراء الحرص على ما يجب توفيره من ادوية محلية تغني عما يستورد من الخارج قامت وزارة الصحة بالكويت بانشاء اول مصنع للادوية عام ١٩٦٦ م في جانب من الموقع الذي يحتله مستشفى الصباح ، وهذا المصنع في بداية ميلاده لم يكن يضم غير قسم واحد .. لانواع « المزيج » وصيدليا واحدا كان يعاونه عدد من العمال المدربين على اجهزة متواضعة بسيطة .. وشيئا فشيئا بدا هذا المصنع يتطور مع بداية عام ١٩٦٧ م باضافة قسم للمراهم والمحاليل المطهرة واخر « للتحاميل » .

وتطور الانتاج ايضا

شرح لنا مدير المصنع الدكتور صالح صفوري



عبد اللطيف ابراهيم الدهيم .. اسس أول صيدلية اهلية عام ١٣٤٦ هـ ، ١٩٢٧ م خدمة للانسانية لا طلبا للربح .

خطوات تطور الانتاج داخل المصنع فقال :
ان هذا الانتاج قد تطور من ١٥ صنفا في عام ١٩٦٦م الى ٣٠ في عام ١٩٦٨م .
وباضافة قسم للاقراص والكبسولات اصبح



تصفية «مسحوق» الاقراص تتم قبل نقله الى آلة التصنيع.

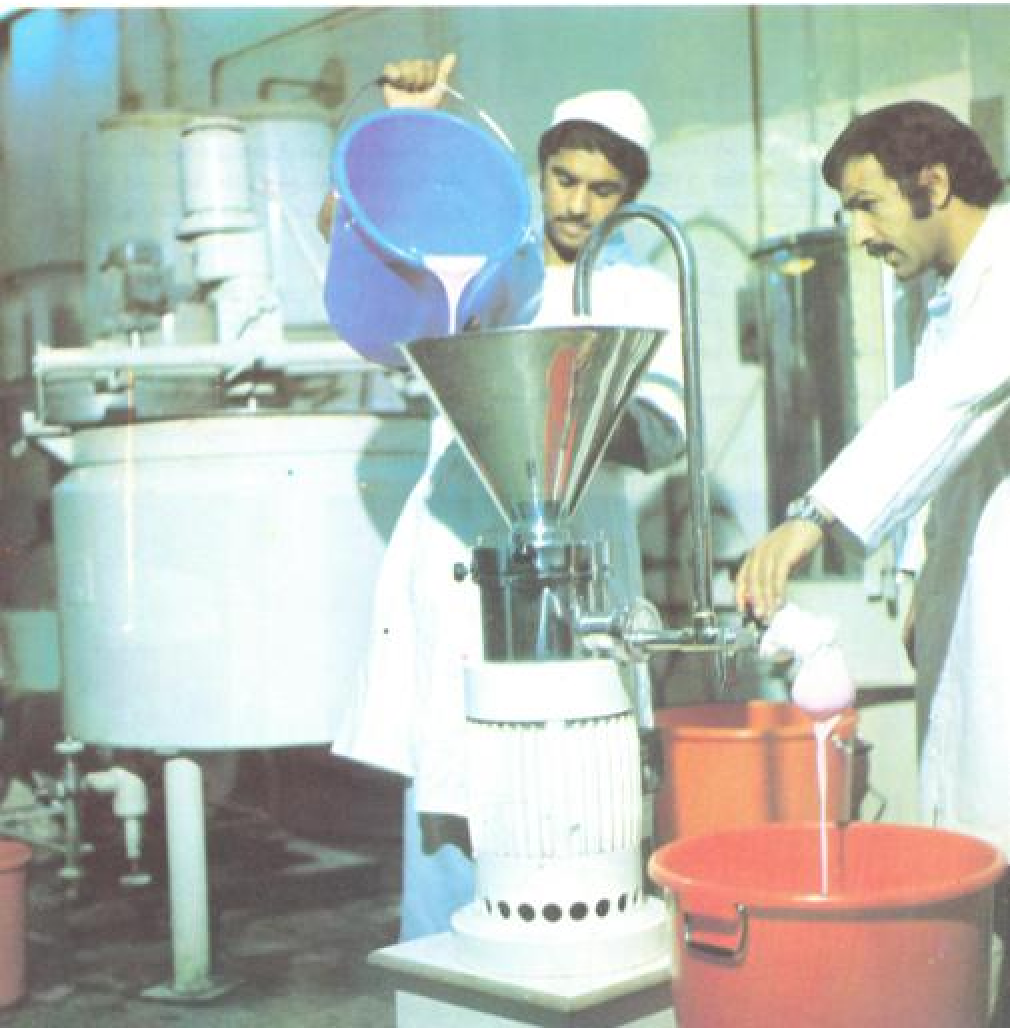


محددة .. وفي الصورة احد
لصناعة الاقراص قبل تصنيعها.



ملء الزجاجات يتم آليا
بفضل وسائل متطورة ..
وهنا احد العمال يقوم
بملء بعض الزجاجات
بالادوية .

تصفية الادوية من كل ماقد
يشوبها ، امر ضروري داخل
المصنع ، في الصورة هنا
جانب من عملية التنقية
لبعض الادوية بعد
تصنيعها .



عدد الاصناف ٣٨ صنفا عام ١٩٦٩ م ثم وصل في عام ١٩٧٠ م الى ٤٦ صنفا ، وفي عام ١٩٧٥ م بلغ ٥٢ صنفا .. منها تسعة انواع من المراهم الجلدية واربعة انواع لمراهم العيون ، ومرهم نسائي واحد ، و ٧ امزجة ونوعان من القطرات الخارجية وثلاثة انواع داخلية ومحلول ومطهر واحد ، وثمانية انواع من اللبوسات ، ونوعان من المستحلبات ورذاذ واحد ، و ١٢ نوعا من الاقراص ، وثلاثة انواع من الكبسولات .

ويستطرد الدكتور صفوري قائلا .. ومعدل الانتاج عام ١٩٦٦م بلغ ٥ر٦٩ الف وحدةانتاج، ارتفعت الى ٧٥ر١١ مليون في عام ١٩٧٠م ثم زاد ايضا حوالي ٤٩ مليون وحدة انتاج عام ١٩٧٥ م .

اقسام العلاج

سألنا مدير المصنع ، عن اقسام العلاج ، والمواد الخام فاجابنا .. ان العلاج مقسم الى ١٨ مجموعة علاجية ، وتسد الاصناف المنتجة عندنا حاجة جميع المستشفيات والمراكز التابعة للوزارة ، ولا نستورد اى صنف من الخارج يوجد نظيره عندنا ، اما المواد الخام فيتمفحصها بواسطة لجنة فنية من صيادلة المصنع التى تضع ادق مواصفات الدستور الطبى الخاصة بطبيعة هذه المواد ، وقبل الشروع فى تصنيع هذه المواد وتحويلها الى ادوية ، يجرى عليها تحليل فى مختبراتنا ، وكذلك تحليل آخر بعد تصنيعها قبل ارسالها الى المستشفيات والمستوصفات لصرفها للمرضى ، كما نرسل بعض العينات الانتاجية لبعض المختبرات العالمية للتثبت من جودتها وصلاحية استعمالها .

ثلاث مراحل لصناعة الاقراص

وتوجهنا الى الصيدلانية خالدة احمد القطامي، التى ترأس قسم صناعة الحبوب والكبسولات فحدثتنا عن مراحل هذه الصناعة قائلة : انها تمر بثلاث مراحل ، هى خلط المواد الفعالة مع المخففة ، ثم عملية التجفيف وتتم فى افران



الكبســولات ايضا من انتاج مصــانع الادوية والصورة تبين عملية صناعةهذه الكبسولات .

ذات درجة حرارة معينة تحول بعدها الى حبيبات صغيرة ، والمرحلة الاخيرة تكون بخلط هذه الحبيبات مع مادة دهنية وكبسها فى ماكينات كبس الاقراص او الكبسولات .

ثم تقول الصيدلانية الكويتية خالدة القطامى التى تخرجت فى جامعة القاهرة عام ١٩٦٨ م ان القسم ينتج ١٠ أصناف من الاقراص و٣ أصناف من الكبسولات فتبلغ سنويا ٥٠ مليون قرص ، و ١٥ مليون كبسولة .

المراهم نوعـان

وتابعنا تجوالنا فى مصنع الادوية ،حيث التقينا بالصيدلانية غنيمة الشرهان ،التـى حدثتنا عن انتاجية قسم المراهم فقالت : انـه ينتج صنفين ، مراهم للعيون وهى أربعة انواع ومراهم للجلد وتبلغ عشرة انواع . وتتابع رئيسة قسم المراهم حديثها قائلة ان تصنيع



مصنع الأدوية ، يزود كل مستوصفات البلاد بالأدوية ‧‧ الصورة من صيدلية احد المستوصفات التابعة لوزارة الصحة ‧

المراهم يتم بعدة طرق هي تحضير المواد الاولية السائبة وتبريدها ثم تضاف اليها المواد الفعالة لتحصل على المراهم المطلوبة ‧ كما ان لدينا انواعا خاصة واخرى عامة من هذه المراهم ‧

وحول انتاج القسم من المراهم قالت الصيدلانية غنيمة الشرهان ، ان انتاج القسم يبلغ ١٥٠ الف انبوب شهريا ونحو مليوني انبوب سنويا ‧‧

فحص العمال ‧‧ مختبريا وشعاعيا

وعدنا الى مدير المصنع الدكتور حسن صفوري، الذى سألناه عن كيفية اعداد العمال والعناية بهم في المصنع فقال : ان المصنع يحرص دائما على سلامة العمال وصحتهم ، اذ يتم فحصهم مختبريا وشعاعيا قبل التعيين ويزودهم المصنع بالملابس الواقية والمناسبة لطبيعة العمل ، حرصا على سلامة الانتاج وحسن سير العمل ‧

هذا هو مصنع الادوية الذى تعتمد عليه الكويت في نهضتها الصحية الى جانب الاهتمام الكبير بانشاء المستشفيات وتوفير كل احتياجاتها ‧‧

انها ما زالت صناعة ناشئة ‧‧ ونحن نتطلع الى اليوم الذى نرى فيه كل ما تحتاج اليه من عقاقير وادوية يصنع محليا في بلادنا ‧

■■

يوسف الشهاب

تصرف الدولة الدواء للمواطنين بالمجان ـ انها الكويت التي جعلت العلاج بالمجان لكل مواطن ومقيم



٢٠٠ سنة على تأسيس.. امريكا

يمر هذا الشهر قرنان على تأسيس الولايات المتحدة الامريكية • ويناقش العالم كله بهذه المناسبة ظاهرة هذه الدولة التى نمت بهذه السرعة وصار لها فى حياة العالم اليوم هذا الاثر •

وتقدم « العربى » هذه المجموعة من المقالات التى تحلل هذه الظاهرة •



الشخصية

بقلم : أحمد بهاء الدين

هذا الشهر قرنان من الزمان على قيام دولة الولايات المتحدة الامريكية ٠

واذا كانت هذه المناسبة جديرة بالتأمل والوقوف عندها ٠

فذلك لان تجربة الولايات المتحدة تجربة فريدة من نواح كثيرة ٠ منها انها نشأت من مهاجرين أشتات جاءوا الى قارة شبه خالية ، ومنها انها أحدث المجتمعات الانسانية عمرا ، ليس كدولة بل حتى كمجتمع انساني ٠٠ فأول مستوطنة وهي « مستوطنة جيمستون » قامت منذ ٣٥٠ سنة فقط ٠ ومنها انها كدولة لايزيد عمرها عن مائتي سنة ، وعندما استقلت لم يكن عدد سكانها يزيدون عن خمسة ملايين نسمة ، منهم ثلاثة ارباع مليون زنجي جيء بهم من أفريقيا بالقوة كعبيد ٠ ولكنها في خلال مائتي سنة زاد سكانها الى فوق المائتي مليون ، سواء بالتناسل او بالهجرات التى ربما كانت اضخم هجرات عرفها التاريخ ٠ فمن سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٩٠٠ هاجر اليها خمسون مليون نسمة من العالم القديم ٠ ولسنوات عدة بعد ذلك كان يعبر المحيط اليها ، فى اتعس واقسى الظروف ، حوالي مليون مهاجر كل سنة ، قبل ان تبدأ الدولة « القارة الجديدة » فى الاحساس بالتشبع فتضع اول قانون ينظم الهجرة ويحد منها ، وهو قانون « مكارن ـ والتر » سنة ١٩٥٢ فقط ٠

ولكن الاهم من ذلك كله ، ان هذا المجتمع الانساني صار خلال مائتى سنة فقط أقوى دولة فى العالم واكثرها تقدما فى كل علوم ومخترعات العصر الحديث ، وفي فترة معينة بعد الحرب العالمية الثانية انفردت بامتلاك سلاح القنبلة الذرية ، قبل أن تلحق بها روسيا ، فكانت تلك قمة سطوتها على العالم كله وثرائها بالنسبة للعالم كله تلوح للدنيا كلها بسيف المعز

الأمريكية

وذهبه • وترى نفسها رجـــل بوليس العالم • والمعز والمذل في كل مكان • وترى من حقها الشرعى أن يـكون لهارأى فى الحياة الـداخلية لاى بلد في الكون • قبل أن ينكسر هذا الاحتكاربامتلاك روسيا للقنبلة الذرية ،ونهضة اوروبا الغـربية السريعة ، وانتصارحركات التحرر والاستقلال في معظم انحاء العالم ، ولكنها مع ذلك تظـل ـ اى امريكا ـ اكثرقوة (ذات فعالية وتاثير)فيقارات العالم الخمس وبحارهالسبع •

واذا كانت القوة بمعناها السياسيوالعسكرى والاقتصادى ، هى بطبيعتها قوة قابلة للتغيير بالنمو او بالانحسار،بحكم سرعة حركة الاحداث فى العالم كله ، الا ان لامريكا مصدر قوة آخرفي العالم أكثر تاثيرا ونفاذا الى غيرها من المجتمعات •ذلك ما يسمى «بالنمطالامريكى للحياة » •

لقد قادت امريكـا الثورة العالميةفى مجالات العلـوم والتنظيم والادارة والانتاج السلعى الضخموخلقت أضخممجتمع اســـتهلاكى عرفه التـاريخ • واغـراء منتجـــات هذا المجتمــعالاستهلاكية ، اغراء عنيف ، يتجاوز الحدود السياسية ويتخطى كل الحواجز، لرغبةكل الناسفى الاستمتاع باحدث ما تقدمه الحضارة المادية اليـــوم •وفىهذا اندفعتدولكثيرة تقلد امريكا تقليدا تاما ، وحتى التى قاومتذلـكتسرب اليها المهـم والتافه من علامات هذا المجتمع • ولو فى لبس بنطلونات« البلوجينز » المعـروفـة ، او اقامـة مصانع الكوكاكولا او حتى مثل قرارالاتحاد السوفيتى نفسه مؤخرا باقامة مصنع ضخم لانتاج اللبان الامريكى ،بعد ان وجدتأن من الشبابمن يعلقون اهـمية على الحصـــول على هـذه« الرموز »مهما كانت تفاهتها •

وهذا كله يجر وراءه ـليس فقطـمجموعة من السلعولكن مجموعة جديدة من«القيم» تصورأن نمطالحياةالامريكىهـو النمـوذج الوحيد الـذى يجب ان

يسعى اليه العالم كله . اليست السينما الامريكية مثلا هي الطاغية على كل دور العرض في العالم ، اذا استثنينا دول المعسكر الشرقي التي تعرض مع ذلك الكثير منها بشيء من الانتقاء .

الا تعني كلمة السينما احيانا امريكا نفسها ؟

ألم تصبح مواد وصلت الى كل فرد في العالم مثل « النايلون » في وقت من الاوقات مرادفة لامريكا ؟

ولست أنسى في سنوات الصبا بعد الحرب العالمية الثانية ، حين كان هذا التاثير الامريكي في قمته ، ذلك البائع المتجول المصري الظريف ، الذي كان يبيع اقدم ما لبسه المصريون في اقدامهم (القباقيب الخشبية) وينادي عليها قائلا القباقيب الامريكاني !

ان المانيا مثلا مقترنة في ذهن الناس بدقة صناعتها الثقيلة واجتهاد شعبها وجديته ودأبه . واليابان انتزعت رمز التفوق في ميادين كثيرة من الراديو الترانزيستور الى ناقلات البترول الضخمة . ومع ذلك بقيت لامريكا لدى الناس صورة الضخامة ، والقوة ، والتقدم العام ، وانتاج الكماليات وسلع الرفاهية والاستمتاع بالحياة التي تجتذب اي شخص .

وفي نفس الوقت فان امريكا تحير الناس ..

انهم يستطيعون أن يتنبأوا او يتوقعوا ما يمكن أن يحدث في انجلترا مثلا او فرنسا او الاتحاد السوفيتي . ولكن ليس في امريكا ، لان أشياء كثيرة تبدو متناقضة . فالرئيس الامريكي له سلطات ربما كانت اوسع من سلطات اي حاكم ، ولكن قاضيا في واشنطون وعدة صحفيين طاردوا الرئيس نيكسون حتى استقال معترفا بعدة جرائم .

ان القوى المالية الكبرى ، والاجهزة المنظمة حزبيا ونقابيا واعلاميا ، قادرة على صنع او تحطيم اي شخص ، بسطوتها الجبارة على ممثل الامة ، ولكن حاكم ولاية مغمورا مثل «كارتر» يتقدم للترشيح لرئاسة الدولة ، وفي اسابيع يكتسح كل هذا ، ويصبح قاب قوسين او ادنى من اخطر منصب في العالم .. دون أن يعرف الناس بالضبط من هو ؟ ما هي افكاره ؟ من هم مستشاروه ؟ وهو أمر لا يمكن أن يحدث في اي دولة في العالم شرقية او غربية .

وهم يرون في امريكا الاساتذة واكثر الخبراء واقوى مراكز التخصص والبحث والدراسة واوسع شبكات الجاسوسية وجمع المعلومات ، ومع ذلك ترتكب الدولة التي تحسب كل شيء بحسابات باردة حماقات ظاهرة للعيان ، تغرق العالم احيانا في الدم او تصيبه بالتمزق ، مثل حرب فيتنام .

ما هي الحكاية ؟ ما هو لغز هذا العملاق الضخم الذي فيه ارقى مراكز البحث العلمي والانساني وفيه اقوى عصابات الجريمة المنظمة ؟

ان القصة طويلة ومعقدة ، ولا بد لتحليلها من أكثر من حديث ، وعلى اي حال فالمناسبات التي تلعب فيها امريكا ادوارا هامة كثيرة ، بل يومية ، وبالتالي سوف تتاح فرصة التعليق والتحليل كثيرا ..

أما ما يمكن أن يسجل هنا ، فليس أكثر من مجموعة ملاحظات او نقاط اساسية قد تفسر لنا بعض جوانب هذا اللغز الكبير ..

ظروف الولادة

كما أن العلماء يقولون عن الكرةالارضية أنها قطعة انفصلت عن كوكب الشمس ، فيمكن القول أن امريكا دنياجديدة انفصلت عن قارة قديمة هي اوروبا ..

ويمكن تلخيص الشخصية الامريكيةفي انها تاثرت اساسا باربعة اصول :

❋ الهنود الحمر . الذين لا يعرفبالضبط متى ومن اين آتوا . ولكنهم كونوا مجتمعات وقبائللها نظم وتقاليدوقيم .

❋ الهجرة من شمال اوروبا ، وهمالايرلنديون والانجليز والاسكندنافيون والالمان ، وهم الذين كونوا الهجراتالاولى ، واسسوا الدولة ، ووضعوا النظم، وما زالوا الىحد كبير يحكمون.فهم صناع امريكا الحقيقيون .

❋ الهجرة الزنجية ، وهي ليستهجرة بالمعنى المفهوم من الكلمة، ولكنهم اولئك الذين اقتيدوا بالقوة، مربوطينفي السلاسل ، مجردين تماما من آدميتهم ، محشورين في قاع السفن ،ليكونوا عبيدا في أرض القطن والتبغ، او آلات عمل بالسياط قبل ظهور آلاتالعمل بالبخار .

❋ ثم الهجرة المختلطة ، من البحرالابيض اساسا، وشرق اوروبا، وامريكا الجنوبية ، وآسيا ، ومن كل مكان منالارض ، وفيها عدد كبير من الاقليات ، أبرزها اليهود .

فالشخصية الامريكية النموذجية ـ لأن هناكشخصيات كثيرة ـلها أربعة آباء ..

ولكن صناع امريكا الحقيقيين همـ كما قلت ـ جيل الهجرة الاولى .

ولكن هنا من المهم أن نذكر أن هذاالجيل الاول من المستعمرين البيض ، رغم انه جاء حاملا كل افكار التحرروالانسانية والهرب من عقد العالم القديم، الا انهوجد نفسه اولا يستاصلـ بابشع الطرق دموية ـ الاب الاول (الهنود الحمر).ليزيحهم من الطريقويزيلهم منقارة كانت لهموكانتتتسع للجميع. ووجدنفسه ثانيايجلبالزنوجليستعبدهم الىاقصى درجات الاستعباد. فالرجل يعمل في الحقل عملا غير بشرىتحت سطوةالكرباج وبقيمةالطعام الذى يبقيه حيا فقط، والمرأة تعملفي البيتالذى يملكها ، وهي متاع مستباح لابناء السيد الابيض .

هذان الحادثان التاريخيان اللذانلا نظير لهما في التاريخ : كان لهما أثر عميق ، باق ، في قاع الشخصيةالامريكية الى الآن .

فهؤلاء المهاجرون ، المتدينون ،الهاربون من النظام الطبقي ومن كل سلطة دنيوية او دينية بحثا عن حياةجديدة ، وجدوا طريقة يوفقون بها في ضمائرهم بين هذه المعتقدات وبيناستئصالالهنود الحمر واستعبادالزنوج، بمنطقاثيني قديم يرى انالديمقراطيةوكل الحقوق للاحرار ، لا للعبيد .

وقد تركهذا فيالشخصية الامريكيةخيطا مستمرا عميقا منالعنف، والقدرة على استخدام اقسى الوسائل ، اتسمتبها حياة امريكا الداخلية والخارجية

حتى الآن • ولا يوجد بلد في قمـــة الحضارة ويسهل فيه اقتناء السلاح ، وينتشر اقتناؤه ، كما هو الحال في امريكا اليوم• وحين هزت بعض الجرائم السياسية الكبرى امريكا اخيرا مثل قتل الرئيس كنيدي وشقيقه روبرت كنيدي وزعيم الزنوج مارتن لوثر كنج،حاولت عدة حكومات أن تمرر من الكونجرس قوانين تقيد حق الفرد في اقتناء السلاح،ولكن كل المحاولات فشلت ، على اساس أن من حقوق الانسان الطبيعية ، أن تكون له بندقية ، وان يدافع عن نفسه، وبالتالي انه يأخذ جزءا من القانون في يده .فهكذا اقام اباؤهم امريكا •

مزيج مركب من عقدة الذنب ازاء القصة الحقيقية لسيطرة الرجل الابيض على القارة ، ومن محاولة تبرير ماحدث،ومن سهولة تكراره بنفس المنطق، كضرب الفيتناميين بطريقة اشبه بطريقة افناء الهنود الحمر ، لان البقاء للاقوى، والدوس بالاقدام على الضعيف الذي يسد الطريق امام الابيض الاقدر والاذكى ، كل هذا مركب وكامن في الشخصية الامريكية • ولا يمكن فهم المزيج الغريب من التدين ، والعنف ،والانسانية ،واستخدام الطرق الهمجية، بغير فهم هذا المزيج المركب ، الـذي عالجه ويعالجه كثير من الادباء والكتاب وعلماء الاجتماع من الامريكيين انفسهم•

وكما شرح « الكسيس دي توكفيل »أثر استئصال الهنود الحمر واستعباد الزنوج على شخصية الامريكي الاوربي كسيد ، ومالك ، وحاكم ، ومستكشف ، ومستعمر •• فان الكـاتب الامريكي« ماكس ليرنر » يشرح لنا بعد ذلك أن هذا الامريكي نفسه استدار بعد ذلك الى « قتل الاب الاوروبي » نفسه • وهو هنا قتل معنوي ، فهذا الاوروبي الذي جـاء هاربا من تاريخ العـالم القديم كله واوروبا بالذات ،بحروبها الاستعمارية والدينية،ومحاكم التفتيش، وسلطة الدولة والطبقة والكنيسة ، ظل يمزج بين امرين : حنين يفتر تدريجيا نحو اصوله هناك ، ورغبة شديدة في الانفصال عنها ، بالعمل الشاق لاثبات وجوده، والمبالغة في ايجاد معالم شخصية« امريكية » قائمة بذاتها تعلو فوق اصـول الهجرات ، واثبـات أن ولاءه للارض الجديدة قد محى ولاءه السابق لوطنه القديم •

واذا استثنينا اليهود، الذين يقاومون الانـدمـاج والذوبـان في البوتقـة ، ويحتفظـون بولاء مزدوج ، لاسبـاب معروفـة خاصـة باسرائيل والحركـة الصهيونية ، فان كل العناصر هنـاك تذوب ، ولا يبقى من صور الانتمـاء القديم الا جوانبها الفولكلورية •• اوكما قال الكاتب فرانك انونزيو « لا أحد يتذكر اصله الا يوم الاحد ـ حين يدخل الى المطبخ ويطهو صحن بلده الاصلي المفضل ! »•

كانت تلك اول مرة يتحرك فيهـا الانسان بهذه الكثرة الى ارض جديدة تماما • وكانت آخر مرة •

وعلى حد قـول الكاتب الروائـي الامريكي «سكوت فيتزجيرالد» ، « ان اكتشاف امريكا كان آخـر مفاجـاة للانسان على هذه الارض ! » • طبعا كان ذلك قبل مفاجاة النزول على القمر بنصف قرن !!

ولكن ، يكمل قول فيتزجيرالد هذا ،كلمة لوالت ويتمان « اننا لم نعش أهوال الماضي ، ونعبر المحيط لناتي الى هنا ٠٠ ونتوقف ! »٠

فمن أهم المؤثرات في الشخصية الامريكية بالاضافة الى ما سبق : مرحلة الزحف نحو الغرب ، او فكرة ارتياد« الحدود الجديدة » التي يعتبرها البعض مفتاح الامريكي ٠٠ فقد اندفع المهاجرون غربا ، وعلى ظهور العربات التي تجرها الجياد والبغال نحو« الحدود الجديدة » ، حتى وصلوا الى شاطىء المحيط الآخر ، ونزلوا جنوبا حتى اصطدموا باول عائق بشرى قوى في دولة المكسيك ، فحاربوها واخذوا جزءا كبيرا منها ٠٠

والترجمة الحقيقية لما يسميه الامريكيون Now Frontiers ليس « الحدود » الجديدة ، ولكنه « الآفاق »الجديدة ٠ فقد استخدمها كنيدى فى حملته الانتخابية ، وقد اكتملت« الحدود » بالطبع ـ ليستثير أحد الكوامن الاساسية فى النفس الامريكية وهي ارتياد الآفاق الجديدة ، بكل معانيها ، ليست الجغرافية فقط ولكن العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠

انها كلمة تذكر الامريكيين بالآباء المؤسسين كما يحبون أن يسموهم ، وباندفاعهم وديناميكيتهم ازاء التنافس الحاد للاستفادة من فرص فذة لا تقاوم جاذبيتها ٠

وقد جاء هذا المزيج كله من الظروف ، والحوافز ،والاغراءات التى لا حد لها ، واعمال القسوة البالغة التي وجدوا القدرة على القيام بها ٠٠ جاء هذا كله فى لحظة من أهم اللحظات في تاريخ العالم ، وهى بداية الثورة الصناعية ، وبزوغ الفكر الراسمالي الليبرالى ٠٠٠

لقد اخترع جيمس وات اول آلة بخارية ، مفتتحا بذلك عصر الصناعة ، سنة ١٧٦٣ ٠٠ قبل ثورة الاستقلال الامريكية وقيام الدولة باربع سنوات !

وقد أصدر « ادم سميث » أبو الرأسمالية واول مبشر بافكارها ومتطلباتها الاساسية من الملكية الفردية الى شكل الانتاج الى قوانين السوق الحر ٠٠ اصدر كتابه هذا سنة ١٧٧٦ نفس سنة استقلال امريكا ! ٠٠٠

وكان على هذا التطور ان يمضي في اوروبا بصعوبة في مواجهة ظروف العالم القديم من تمييز طبقي واوضاع اقطاعية وضرورة الحصول على مادة الصناعة من بلاد بعيدة ثم تصديرها بعد تصنيعها الى بلاد بعيدة ،وبالتالى فلا مفر من حروب استعمارية ، الى اخره ٠٠٠

ولكن هؤلاء المهاجرين ،الذين أخذوا هذه البذور الجديدة معهم الى امريكا ، لم تكن تواجههم اى عقبة تعرقل اندفاعهم فى طريق التصنيع واستخدام الآلة ، ولا فى اقامة الاطار السياسي والاجتماعى الذى يناسب هذا المجتمع ٠

من هنا كان سهلا عليهم ان يعلنوا اول جمهورية في العصر الحديث ٠وان تنطوى ثورتهم على مبادىء سبقوا فيها الثورة الفرنسية ٠ بالاضافة الى ان مبادئهم التي وضعها الآباء المؤسسون في الدستور وفي وثيقة حقوق الانسان، انطلقت دون نكسات، بينما أخمد صوت الثورة الفرنسية ومرت اوروبا بعشرات الثورات والحروب وغيرها حتى استقر فيها الجديد ٠٠

ان الشائع هو أن آدم‌سميث ومبادىء‌النظام الرأسمالي البورجوازي والثورة الصناعية ٠٠ كلها بدأت في انجلترا ،لكن في الواقع أنها سبقت في امريكا بسرعة لهذه الاسباب ٠ وكان حقل‌تجربتها الحقيقي ، وفي ظروف مواتية جدا ، في امريكا ٠ الموارد متوفرة في‌نفس البلد ،الاسواق‌متوفرة ايضا، كل عادات وتقاليد وقيود العلم القديم غيرموجودة ، ليس على الفرد الا ان ينتج، ويبتكر ، ويبيع ٠

جيل الثوار الذين وضعوا الدستوروالنظم والقوانين قطعوا رابطتهم السياسية باوروبا ، ورفضوا كل‌اشكال‌السلطة التى يعرفها العالم القديم ٠٠ اذا استثنينا وضع الزنوج ٠٠٠

وهكذا اخذت امريكا المبادرةوالسبق ٠٠

سنة ١٧٨٥ اقام اورليفر ايفانز‌اول مصنع ميكانيكي لطحن القمح ، ثم يمر الدقيق على خطوط تجميع تنتهي‌الى تعبئته في اكياس ، وكانت ثورة اندلعت الى كل صناعة ٠٠٠

سفن البخار – لا الشراع – صعدت‌من‌نيويورك‌في‌نهر الهدسون‌سنة١٨٠٧،

ماكينة الخياطة صنعت سنة ١٨٤٦،واندلعت ثورة في الملابس الجاهزة وانواع الثياب وانماطها واسعارها

الآلات الزراعية بدأت بجهود فرديةتحرث الارض ٠

التلغراف الكهربائي الذى اخترعه‌صمويل موريس استعمل بنجاح سنة ١٨٤٤ وربط بذلك ارجاء تلك البلادالشاسعة ٠

١٨٧٣ الآلة الكاتبة وتدفق النساء‌معها على العمل خارج البيت ٠

١٨٧٦ جراهام بل والتليفون الذي‌بدأ اداة سلطة وعمل ثم صار في كل بيت ٠

١٨٧٩ توماس اديسون والمصباح‌الكهربائي ٠

كتاب‌تايلور في‌علم‌الادارةسنة١٩١١والانقلاب العميق الذى احدثه في‌ادارة الانتاج الكبير « خط التجميع Assembly Line » واستخدام هنرى فورد له في انتاج اول سيارة رخيصة لاستعمال‌الناس العاديين ، لا كمظهر وجاهة للاغنياء ٠

الحرب العالمية الثانية وثورةالتكنولوجيا والالكترونيات ٠ والآلات الحاسبة (الكومبيوتر)وتحطيم الذرة٠

والباقي معروف ،مستمر الى‌اليوم٠

وتحول التقدم العلمي من الاعتمادعلى الاختراع الفردى الى البحث العلمي المنظم الواسع ٠ فما كان معمل‌توماس اديسون صار نواة شركةجنرال الكتريك ٠ وفى سنة ١٩٣٠ كان في‌امريكا ١٦٠٠ معمل ابحاث ، فما هو عددها الآن ؟

وكل اكتشاف كان يقلب صـورةالحياة ويغيرها بشكل عنيف ، السوبر ماركت ، التلفزيون والاذاعة والاعلامالكاسح في قوته ينقل العلم الـى كل حجرة نوم ، الاعلانات بوطأة لاتقاوم• الطعام المحفوظ يحـرر آلاف الايدى العاملة • السيارة وحدها كمثل توجدالطرق الهائلـة ، والموتيل ، وشبكات المطاعم السريعة ، وسينمات السيارات،ومطاعم السيارات ، وبنوك تصرف المال مـن الشباك فـي ثوان للسـيارات •ومحطات البنزين • وسـرعة تحـرك الامريكي من مكان الى مكان • وبدلامن ارتباط الفرد التقليدى بالأرض ، صار الانتقال اليحيث الفرصة احسن•حتى قيل ان الامريكى يقضى فيسيارته اكثر مما يقضى في بيته • او انها امةعلى عجلات •

ولست أريد هنا أن انزلق اليسردتاريخ امريكا الاقتصادي والاجتماعي• ولكنلابد منالاشارةالي انهظهرتـ معهذا كله ـ الاحتكارات الكبرى ، وكان مستحيلا المضى فى قوانين السوقوحدهاالي آخرها • ورغم أن امريكا تنفـرد بان نظامها الراسمالي الحر لم يتعرضلاى معارضة تناقش اساسياته طـوال القـرنين ـ بعكس اوروبا ـ وانابطالها ليسوا جنرالاتولا ملوكا،ولكن رجال مـال وصـناعة : روكفلـرومورجـان وديلـون وكارنيـجي وفاندربلت • ولـكن كان هناك دائماصراع احزاب • وكانت هناكانهيارات اقتصادية كبرى ، وتعديلات اساسية ـداخل النظام• مثل تعديلات روزفلت• ومع الكسـندر هاملتون ، اول وزيرخزانة امـريكى ، عرفت الحمـاية الجمركية ، ومع نهاية الحرب العالميةالثانية بدأت افـكار التامين الصحي والحد الادنى للاجور والتـامين ضدالبطالة ، بدات تلك الافكار الغريبة على الحرية الاقتصـادية تزحف •وتضخمت سـلطة الدولة المركزية في البلد الذى اقامه مؤسسوه ليكون خاليامن مثل هذه السلطة • وفى سنة ٦١ وجه كنيدى كرئيس للجمهورية انذارامشهورا اليملوك الصلب بان لايرفعوا الاسعار، وفى يده سلاح جديد هو أنالدولة وقد صارت قوة كبرى ولهـا مصـالح امـبريالية اصبحت اكبر زبونلاكبر الصناعات وبالتالى تملك قـوة ضغط هائلة عليها •

وسر نجاح المرشح (كارتر) السريعحتى كتابة هذه الســطور ، انه بنى حملته على العـداء الكامن فى قلبالامريكي ضد العاصمة واشنطون ،بكل ما ترمـز اليه ، فواشـــنطون هيالبيروقراطية ، وهى استخدام النفوذ ، وهىالفساد (ووترجيت) ،وهى التورطفى حرب فيتنام ، وهى مراقبة المواطن وفتحخطاباته والتصنتعلى تليفوناته،ان ما يقوله المراقبون اليـوم من ان الامريكييعطى صوته هذه السنة «ضدالعاصمة » ما هو الا خفقة اخـيرة فى قلب الامريكي العادى ، بكل مكوناته،ضد ما يراه مننهاية حلمه الذى هاجر من اجله اجداده • لبناء عالم مختلفتماما عن العالم القديم • ■■

احمد بهاء الدين

نتيجة مسابقة العدد ٢٠٩

مدن وجزر وأنهار وطننا العربي

■ اتسمت مسابقة العدد ٢٠٩ من « العربي » بان اسئلتها انحصرت في المعلومات الجغرافية لوطننا العربي الكبير فالجزر والموانيء والانهار والعواصم كانت محور اسئلة المسابقة ، وقد كانت الاسئلة سهلة لا تحتاج الى كثير عناء ، وبذلك استطاع العديد من القراء ان يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة •

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية •
الخرطوم عاصمة جمهورية السودان الديمقراطية •
٢ ـ جزيرة سقطرى تقع في البحر العربي من المحيط الهندي وهي تتبع جمهورية اليمن الديمقراطي •
٣ ـ جمهورية الصومال الديمقراطية عاصمتها مقديشيو •
البحرين عاصمتها المنامة •
كوبا عاصمتها هافانا •
عثمان عاصمتها مسقط •
دولة الامارات العربية المتحدة عاصمتها ابوظبي
٤ ـ اسم هذه الجزيرة صقلية ومساحتها حوالي عشرة آلاف ميل مربع بينما تبلغ مساحة لبنان اكثر من اربعة الاف ميل مربع بقليل •
٥ ـ العاصمة الرسمية للمغرب هي مدينة الرباط ، اما العاصمة الاقتصادية فهي الدار البيضاء •
٦ ـ عاصمة اريتريا اسمرة •
٧ ـ الدولتان اللتان كانتا تحكمان اراضي الصومال قبل الاستقلال هما : ايطاليا وبريطانيا •
٨ ـ اسم هذا النهر الذي يخترق مدينة دمشق هو نهر بردى •
٩ ـ ميناء اليمن الرئيسي الذي يعمل حاليا ، هو ميناء الحديدة •
١٠ ـ ميناء المملكة الاردنية الهاشمية الوحيد هو ميناء العقبة ويقع على خليج العقبة •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ـ / ٣٠ دينارا فازبها : ناصر محمد الفهد ـ القادسية / الكويت •

الجائزة الثانية وقيمتها ـ / ٢٠ دينارا فازبها : خليل عطية دخيل ـ بغداد / العراق •

الجائزة الثالثة وقيمتها ـ / ١٠ دنانير فازبها : سهير احمد شقفية ـ طرابلس / ليبيا •

٨ جوائز مالية قدرها (٤٠) دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ لويس لبيب شحاته ـ القاهرة / مصر •
٢ ـ احمد باسل قرموطة ـ حلب / سوريا •
٣ ـ اسراء فاروق ابوسعد ـ الزرقاء/الاردن •
٤ ـ علي عبد الله الشهري ـ الرياض / السعودية •
٥ ـ منصور امين علي الحديده ـ اليمن •
٦ ـ محمود الفراتي ـ صفاقس / تونس •
٧ ـ حسن جعفر محمد صالح ـ الخرطوم / السودان •
٨ ـ وحيد بوسفهام ـ الدار البيضاء/المغرب •

الحلم الأمريكي والكابوس الأمريكي



بقلم : الدكتور على الراعى



● يقول الكاتب المسرحي الفرنسي جان جينيه في رسالة لواحد من اصدقائه : « ان اعز اصدقائنا يفرون دائما الى جرح ما ، جرح سرى فى داخل انفسهم ، يجدون فيه ملاذا » .

ترى هل قرأ ادوارد البى هذه الرسالة ، وامعن فيها النظر ؟

ان ماجاء بها يصدق عليه هو ،قبل غيره من كتاب المسرح . ففى داخل نفسه جرح غائر كبير جرح سرى ، لايفتأ يلجأ اليه بين الحين والحين .

يلجأ اليه ليستعيد الالــم ، ويمس باصابعه الحساسة الجرح ، ثم يعود من رحلته محملا بالاسى، مشحونا بالغضب ، مستفزا الى الكتابة .. الكتابة عن جرحه ، وعن نفسه ، وعن امريكا .

فلعل ادوارد البـى يكون اكثر كتاب المسرح الامريكان المعاصرين قربا من امريكا ،وروح امريكا، وعذاب امريكا .. !

فى طفولته الباكرة تخلت عنه امه وابـوه . تنازلا عنه وهو بعد فى أوائل الاسبوع الثالث من عمره ، لاسرة غنية اصبـح ابنا لها بالتبنى .

اما أبوه بالتبنى فهو مالك كبير لسلسلة من دور العرض السينمائى . واما امه الجديدة فهى مانيكان سابقة ، ذات شخصية معتدة مسيطرة ، بينما زوجها وديع مستكين .

وكبر ادوارد ليتبين حقيقـة منشئه . فتركت هذه الحقيقة فى نفسه جرحا كبيرا غائرا ، اصبح له ذلك الملاذ السرى الذى يشير اليه جان جينيه ، اصبح اله ووحيه معا .

فى مسرحية وراء مسرحية اخذ ادوارد البـى يتأمل العلاقات البشرية فى امريكا . العلاقة بين افراد من فئات اجتماعية مختلفة ، والعلاقة بين افراد من أسرة واحدة ،والعلاقة بين الاسرة الواحدة والاسرة الاخرى ، فى طبقة بعينها من الناس ..

يتأمل هذا كله ،ويربط بينه وبين جرحه السرى، وبين جراح الغير ، وبين جرح أمريكا الأكبر ، ومن ورائه جرح العالم الغربى كله .

كتب البى واحدة من أشد مسرحياته أثرا فـى النفس حول موضوع العلاقات بين الافراد فى الحياة الامريكية .. او بعبارة اكثر صدقـا : موضـوع استحالة العلاقات بين الافراد فى ظل تلك الحياة.

فى مسرحيته القصيرة : « قصة حديقة الحيوان» يصور البى بطريقة أخاذة عذابات الفرد الـذى لا يجد من يسمع عنه . من يفهم عنه . أو ــ فى القليل ــ من يتحدث اليه .

هذا بيتر ، جالس فى احدى حدائق نيويورك ، بعد ظهر يوم مشمس . جالس يقرأ كتابا ،كعادته دائما كل اسبوع .

بعد الظهر من كل يوم احد ــ اذا سمح الجو ــ يأتى بيتر الى حديقته هذه ، فيجلس على مقعد خشبى منعزل ، ليكون بمنأى عن الناس ، ويعيش لحظات فى عالمه المريح ، المنظم ، الواثق من نفسه.

وحق لبيتر أن ينعم براحة البال ، فهو موظف ذو ايراد محترم ، يعمل فـى احـدى دور النشر الصغيرة وهو متزوج ، وله اسرة : بنتان ، وفى بيته قطتان ، وجهازان للتلفزيون ، وبيغاوان .

فهو اذن احد افراد اسرة ناعمة ، لايقلقها طلب الرزق ، ولا ينغص عليها حياتها أصداء من شقاء الغير . فجأة يطلع على بيتر شخص هو نقيضه فى كل شيء ، اسمه جيرى .

جيرى هذا لايملك الا عذابه ، وروحه القلقة ، وحسه المرهف ، وشقاءه الدائم لانـه لايجد مـن يتحدث اليه ، ومن يصل روحه بروحه .

ويروح جيرى يحوم حول بيتر ، يريد أن يقتحم باسئلته الجريئة اخص خصوصيات حياته : لماذا لم ينجب بعد البنتين ؟ لانه فقد قدرته الجنسية ؟ لماذا لايقتنى الكلاب بدلا مـن القطط ؟ مشيئـة زوجتـه والبنتين ؟ ثم يقول فـى تفسير اسئلته المقتحمة هذه ..

انني لا أجد مـن أتحدث اليـه ، الا اذا قلت ــ مثلا ــ : اعطنى قدحا من البيرة . او : ايـن مكان المرحاض ؟ او : كم يستغرق الفيلم من زمن؟

علاقات سطحية كلها .. لاتروى غليلا ، بينما تقبع الحياة فـى داخلـه مسجونة مضيقا عليها.

يحكى جيرى لبيتر عن الم حياته ، كيف انـه

لايستطيع انينشيء علاقة ما مع احد ••مع انسان•• او مع حيوان •• او مع شيء •

فى العمارة القذرة التى يسكن احدى غرفها ، فى احـد احياء نيويورك الفقيرة ، كلب ضخم ، اسود ، تملكه صاحبة المسكن •

هذا الكلب اخذ على عاتقه أن يضطهد جيرى • ما أن يراه حتى يهب صائحا فيه ، ويهجم عليه يريد أن يفترسه • فى كل مرة يدخل البيت يجد الكلب بانتظاره • جرب وسائل كثيرة كي يترضى الكلب • اعطاه قطع الهامبورجر ، فكان الكلب يأكلها ، ويبتسم ، ثم يعود الى العداء والهجوم على جيرى •

لم ينقذه منه الا حيلة قذرة • خلط له السم بقطعة من الهامبورجر •اكلها ومرض• ومن يومها لم يعد للهجوم على جيرى • يلتقى الواحد منهما الآخر فيتصلب ويروح ينظر فى عين غريمه دقائق، ثم يصعد جيرى درجات السلم الى غرفته •

لقد كسب كل منهما من الآخر حق التجاهل • وهذا اقصى ما يطمع فيه الناس فى ظل حياة كهذه• وكان جيرى قد استهل المسرحية باصراره على ان يقول لبيتر : قد زرت حديقة الحيوان •انا عائد لتوى من حديقة الحيوان •

فماذا رأى جيرى فى الحديقة ؟ شيئا غريبا حقا• لا اتصال هناك بين كائن من كان • الحيوانات تقبع وراء القضبان ، والناس مفصولون عنها خارج الاقفاص • والحيوانات نفسها تفصلها الاقفاص عنحيوانات اخرى فى اقفاص مجاورة •

الكـل فـى قفص • حيوانا كان ام انسانا • وبيتر ايضا فى قفص حياته الزوجية ، فاذا خرج من ذلك القفص فهو فى قفص ذاته ••

وهو ايضا يعيش فى حديقة حيوان مصغرة • بناته وقطتاهما ، والببغاوان والزوجة طبعا •• ومع ذلك فالمرء محتاج الىأن ينشيء لنفسهصلةما• ان لم يكن بالناس فبالاشياء • بالفراش مثلا او بصرصار ، او بمرآة الى آخر المطاف فهى شيء صعـب حقا • بصرصار اذن ، او بلفـة ورقـة تواليت •• لا ، لا ، ولا هذه ايضا •• بناصيـة شارع ، بدوائر من دخان السجائر ، باوراق لعب عليها صور فاضحة •• !

وتنتهى قصة جيرى والكلب ، ولم يحقق جيرى اتصالا ذا بال لصديقه المستريح بيتر • ومن ثم يجد أن لابد له من أن يفرض هذه الصلة فرضا • يأخذ يضايق بيتر عن عمد • يقول له افسح لى مكانا على المقعد • فيفسح له بيتر • فيعود جيرى يقول : تأخر مسافة اخرى •• واخرى •• واخرى حتى يوشك بيتر أن يقع على الارض •

ثم يطلب جيرى من بيتر أن يتخلى له عن المقعد كلية ، ويذهب يبحث لنفسه عن مقعد آخر • وحين يرفض بيتر هذا الطلب المتعنت يطلب اليه جيرى أن يدافع عن مقعده •• عن ابنتيه ، عن زوجته •• عن شرفه ، بحد السلاح ، ويشهر فى وجهه مطواة شرسة رهيبة المنظر ، فيجد بيتر أن لا مفر له من القتال • يلتقط المطواة ويشرعها فى وجه جيرى، فيندفع هذا اليها بجسمه حتى تنغرس فيه ، ويسيل دمه غزيرا ، ويموت وهو يشكر غريمه بيتر !

يشكره لماذا؟ لانه قد اعترف بهحين قبلقتاله• لقد انتقلت العلاقة بينهما منالّلامبالاةالمؤدبة التى كان يبديها بيتر الـى التقبل الكامل الذى تمثل فى المبارزة •

هاقد تمت علاقة عضوية ، وان كانت قاتلة ، بين فردين فى ظل المجتمع الامريكى الذى لايرحم •

كسب جيرىحقا آخر ، اكبر مما كسبه فى حالة الكلب • بدلا من التجاهل المتبادل ، كسـب حق الاندماج حتى سفك الدم •

لهذا يموت جيرى وهو يشعر انه حقق ذاته !

ومن العلاقة بين فردين غريبين ، انتقل ادوارد البى فى مسرحية تالية الى علاج العلاقة بين افراد اسرة بعينها •

فقد اخرج الىالناس مسرحيته الفاتنة: « الحلم الامريكى » فى يناير ١٩٦١ •

وعلى الفـور انقسم النقاد بشأنهـا فريقـين متنافرين • الفريق الاول رحب بها ، ولفت النظر

الى مواهب كاتبها ، والفريق الثاني راى فيها عملا هداما انهزاميا ، فاقد الخلق .

وبين الفريقين وقف البي مغيظا ، فاقد الصبر ، ثم امسك قلمه واخذ يكيل اللوم لمن هاجمه من النقاد . قال : « يعترض النقاد على موضوع مسرحيتي هذه ، ولهؤلاء اقول : حين يجلس الناقد من العمل الفني مجلس القاضي ، ويحكم على اخلاقيات العمل - على موضوعه وليس على طريقة علاج هذا الموضوع - فانه لا يعود ناقدا وانما يصبح رقيبا » .

« ومع ذلك، فما هو موضوع «الحلم الامريكي» ، ذلك الذى يثير غيظ حراس الادب هؤلاء ؟ ان المسرحية هي فحص « للمنظر العام » في امريكا ، هجوم على عملية تبني القيم الزائفة ، واحلالها محل القيم الحقيقية في مجتمعنا ، ادانة لما تلمسه بيننا من فخر بالنفس، وقسوة ، وسقوط همة وتفاهة . وقفة ضد الاكذوبة القائلة بان كل شيء في وطننا المنزلق هذا هو على خير ما يرام » .

« هل المسرحية مؤذية ؟ أرجو ذلك كل الرجاء لقد كان هدفي ان اوذي بعض المشاعر ، وان اضحك وارفه في الوقت ذاته . هل هي هدامة ، عديمة الخلق ، انهزامية ؟ أرد على هذا بقولي : « ان « الحلم الامريكي » هي صورة لعصرنا ، كما اراه انا ، طبعا . وكل عمل مخلص انما هو عواء شخصي يصدر عن ذواتنا ، تعبيرا عن الالم او السرور . غير انني ارجو ان تكون « الحلم الامريكي » شيئا اكبر من هذا . ارجو ان تتخطى الشخصي والخاص ، لتتصل من قريب بالاسى الذى نحسه كلنا » ؟

ونقرا نحن المسرحية او نشاهدها فنجدها تتعرض من قريب للحلم الامريكي : المثل الاعلى الذى لا تزال ادوات البث الجماهيري تقدمه للناس على انه صورة لامريكا : المجتمع النظيف، اللامع، المتقدم ، الذى لا يفتا يتقدم ، والذى يمثل قمة ما وصل اليه الانسان من مدنية وحضارة معا .

يتعرض البي لهذا الحلم، فيكشف في مسرحيته انه كابوس وليس حلما .

في المسرحية زوجان من اسرة متوسطة ، كلاهما في اواسط العمر ، يجلسان في مقعدين وثيرين في غرفة الجلوس ، في مواجهة بعضهما .

الزوج تحمل زوجها حملا على الاستماع الى قصة تافهة ، وهو لا يصغي لها الا باذنيه ، ويكتفي بحفظ بعض الفاظ الزوجة ، يرددها عند الطلب ، شهادة على انه كان منتبها !

وفي المسرحية ايضا ام للزوجة : عجوز نيفت على الثمانين بستة اعوام ، تدخل فتشتبك مع ابنتها في حديث عدائي، تفضح فيه الابنة وتعريها من اشياء كثيرة . فهي ليست تافهة وحسب ، بل هي كذلك شرهه مستحوذة ، من صغرها ، منذ كانت في الثامنة ، وهي تحلم بزوج غني تنشب فيه اظافرها .

اما الزوج فهو خنوع مستسلم ،والزوجة تنفث فيه الوهم بانه قوي ، وحازم وذو رجولة ، لتحمله على الموافقة على ارسال العجوز الى احد الملاجيء، لان الابنة تريد التخلص منها .

والزوج وزوجته لم ينجبا ، ولذا فقد تبنيا ولدا من سنوات ، وصحباه الى البيت ومن يومها والمتاعب تنهال عليها .

تبينا اولا انه لا يشبه احدا من والديه بالتبني، ثم اخذ الولد يبكي حتى انقطع قلبه . ثم اخذ يقصر النظر على ابيه دون امه، ففقأت الام عينيه انتقاما . ثم اخذ الولد يلعب بعضوه التناسلي، فهم الابوان بقطع يديه من الرسغين ، ثم جاءتهما فكرة افضل ، فبترا عضوه التناسلي .

ولكن الولد ظل يمد يديه من تحت الاغطية ليتحسس مكان العضو فقطع الابوان يديه من الرسغين ثم جاء يوم سب فيه الولد امه سبا قبيحا ، فقطع الابوان لسانه .

وكبر الولد ، وتبين الابوان انه لا رأس له ، ولا احشاء ، ولا عمودا فقريا ، وان ساقيه قدتا من طين ، ثم بلغ الامر قمة السوء فمات الولد .

هنالك ذهب الابوان الى مكتب التبني الذى اعطاهما الولد ، وطالبا باسترداد ما دفعاه فيه ، فان البضاعة معيبة ، والمبدأ التجاري السليم

يقول : «ترد لكنقودك اذا لم تعجبك البضاعة» !

لم تطرأ على المسرحية شخصية جديدة • يدخل شاب وسيم ، فارع الطول ، بارز العضلات ، تراه العجوز فينعطف قلبها نحوه ، وتاخذ تتودد اليه تريد ان تعرف قصته • ويحكى لها الفتى قصته : ماتت امه ليلة مولده • ولم يعرف له والدا قط • وربما لم يعرف الوالد ذاته ام الفتى •

على انه لم يكن وحيدا فى المهد ، فالى جواره كان هناك توام له • توام يطابقه تمام المطابقة • خرج من البويضة ذاتها التى خرج هو منها • كان الواحد منهما يحس بانفاس الآخر • وضربات قلبه تدق فى راس اخيه، وتجار المعدتان بالشكوى وتطلبان الطعام فى وقت واحد •

غير أن التوامين ما لبثا أن فصل احدهما عن الآخر • مزق الواحد ووضـــع فى مكان ما من القارة الامريكية • ووضع الثانى فى مكان مقابل• ولم يعرف الفتى ماذا جرى لاخيه حتى اليوم •

غير انه كان يحس اشياء غريبة تحدث له هو نفسه • اخذ يشعر بالمرة • وزايلته البراءة • وذات يوم كف قلبه عن الاحساس واصبح كتلة هامدة •• واحس كما لو كان قلبه قد انتزع من صدره كلية • ومن يومها لم يعد يستطيع ان يحب•

ومرة اخرى كان نائما ، فاستيقظ ، فاذا عيناه تؤلمانه • ولم يعد يستطيع ان ينظر الى شىء ، اى شىء ، بعطف او ود • ومرة ثالثة احس الما فى عضوه التناسلى ، ونظر فاذا هو غير قادر على أن يحب احدا بجسده • وحتى يداه لم يعد يستطيع أن يمسك بهما احدا •

كل ما تبقى له وجه وجسد • وجماع ما يفعله الآن هو أن يسمح للغير بان يحبه • ان يستخدم جسده • ان يشعر باللذة من العلاقة به • وفيما عدا هذا لا شىء !

وكانت العجوز قد نظرت الى الفتى اذ هو يهل عليها فى عنفوان جماله ورونقه فقالت له : الست جميلا ؟ الست فاتنا ؟ الست المثل الاعلى لمجتمع امريكا النظيف اللامع ، القوى الجسد ؟ الست انت الحلم الامريكى ؟

فالآن هذا هو الحلم الامريكى يعرى نفسه امامها فاذا هو خواء فى خواء : جسم ولا قلب • قوة ولا شعور • جنس ولا حب •

ولا اظن ان ما يريد البى بمسرحيته هذه يدق كثيرا عن الفهم :

قد كان للمجتمع الامريكى حلم بانجاز طويل عريض ، وكـان هذا الانجاز يقتضى حيـاة ، وحيوية ، وخصوبة وحرية ، فى القول والعمل •

عرفت امريكا هذا الحلم منذ مائة وخمســين عاما •

تقول العجوز ــ وهى ممثلة امريكا الاولى ، امريكا الخصبة المنجزة ــ للفتى : قد كنت جديرة ان اقع فى غرامك منذ مائة وخمسين عاما •

ولكن امريكا وجدت حلمها كثير المتاعب ، غالى الثمن • كان يقتضيها ان تـكون كبيرة القلب ، دفاقة العواطف ، فلم تصبر عليه ، بـل تقدمتْ فقطعت القلب ونزحت العواطف •

ورات امريكا الحلم طويل اللســـان ، صريح الراى ، فقطعت اللسان، وذهبت الى اداة الخصب فبترتها ، والى اليدين الصانعتين ففصلتهما من الجسد •

ثم مات جوهر العلـــم من بعد ، ولم يبق منه سوى صورة براقة صنعتها ادوات الدعاية ونفخت فيها ، واقامتها نصبا وشـــاهدا على انجـــاز خاو ليس وراءه شىء •

من اجل هذا المعنى المرير وصفت مسرحية ادوارد البى بانها كابوس امريكى وليس حلما امريكيا •

وقد يكون هذا صحيحا • ولكنه صـحيح كذلك ان الحنين الى الحلم يغمر المسرحية وينساب الى اعمق اعماقها •

فهى ، كما يقول البى نفسه : « هواء يصـدر عن الذات •• تعبيرا عن الالم »

الالم لان الكابوس موجود ، والحلم مفقود !

■■

علي الراعي



وجه امريكا الاقتصادى

بقلم
الدكتور ابراهيم سعد الدين

● رغم سبق أوروبا الغربية للولايات المتحدة فى التطور الراسمالى وفى انشاء الصناعة الحديثة ، فان الاستقلال الامريكى سرعان ما فتح المجال للتطور السريع للراسمالية الامريكية لتصبح الولايات المتحدة بعد اقل من ١٥٠ سنة الدولة الصناعية والمالية الاقوى فى العالم • وتحولت الولايات المتحدة من دولة مستوردة للراسمال والتكنولوجيا الى أن تصبح منذ بداية هذا القرن الدولة الاولى المصدرة لهما ، لا الى الدول المختلفة وحسب ، بل والى أوروبا نفسها المركز الاقدم للتطور الصناعى والمالى الحديث • ووصل التغلغل الامريكى فى الاقتصاد الاوروبى ـ عن طريق الشركات الدولية فىالفترة بعد الحرب العالمية الثانية ـ درجة دعت بعض القوى الاقتصادية الاوروبيةوالعديد منالسياسيين لان يحذروا من التحدى الامريكى الذى يكاد يسيطر على اقتصاديات أوروبا بعد أن أصبح مسيطرا بالفعل على العديد من اقتصاديات الدول الاخرى الاقل تقدما عن طريق الشركات الدولية •

لقد حاولت الراسمالية الاوروبية مواجهة هذا التحدى الامريكى فى الفترة بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق تبنى نفس الاسس التى يبنى عليها ومحاولة ايجاد الظروف المواتية والدافعة للتطور فى نفس الاتجاه •

مميزات الشركات الدولية :

والشركات الدولية ، لها ولا شك آثارها السلبية على التطور الاقتصادى المستقل وخاصة للدول النامية التى تلعب فيها مثل هذه الشركات دورا رئيسيا ، لكن هذا لا يتعارض مع حقيقة ان هذا الشكل من اشكال التنظيم الاقتصادى يتمتع بدرجة من القوة الاقتصادية والكفاية ، مكنته من ان يلعب دورا متعاظما فى الاقتصاد العالمى • فالشركات الامريكية الدولية منناحية حجم انتاجها تلى فقط الولايات المتحدة الامريكية ذاتها والاتحاد السوفيتى • ويرتفع انتاجها بمعدل يكاد يبلغ ضعف متوسط معدل الزيادةفى الانتاج فى اقتصاديات الدول التى تعمل فيها حيث ينمو الانتاج فيها بمعدل يبلغ نحو ١٠٪ سنويا تقريبا •

وتتصف هذه الشركات الدولية بعدد من الميزات الهامة :

١ ـ القدرة على تجميع قدر كبير من رأس المال ، سواء عن طريق اعادة استثمار ارباحها



الصورة كما يراها العالم
خارج الولايات المتحدة الأمريكية

الاحتكارية او عن طريق الالتجاء الى الاسواق الدولية لراس المال • واستخدام هذه الاموال فى فى تمويل استثمارات ضخمة حيثما تلوح الفرص الاعلى للربح •

ب ـ القدرة على تجنيد الكفاءات البشرية والعلمية من انحاء العالم المختلفة ووضعها فى خدمة مشروعات ونشاطات اقتصادية يتوفر الطلب الفعال على منتجاتها بما يؤدى الى تحقيق الربح•

ج ـ الاعتماد على الكفاءات الادارية المتخصصة والمحترفة التى تتوجه اساسا لاستخدام وسائل الادارة العلمية لتحقيق اقصى الزيادة فى انتاجية العمل واقصى التخفيض فى تكاليف الانتاج توخيا لتعظيم الارباح • وتحقيق النمو والسيطرة الاقتصادية •

د ـ التوجه نحو الاستخدام الواسع للتكنولوجيا والعلم لخدمة الانتاج والاتجاه نحو تطوير المنتجات ووسائل الانتاج وادخال منتجات جديدة وتحسين المنتجات القائمة باعتبار ذلك سلاحا اساسيا من اسلحة المنافسة فى سوق تتصف فيه الوحدات بدرجة من الكبر وثبات التكاليف تجعل المنافسة السعرية ذات آثار مدمرة على مجمل الوحدات المنافسة •

هـ ـ الاعتماد على التخطيط على مستوى المشروع باعتباره اداة رئيسية لتجنب الاخطار التى تنجم عن عدم التأكد والتى يزداد تعرض المشروعات لها كنتيجة لطول الفترة اللازمة لوضع المشروعات موضع التنفيذ من ناحية ، وللسرعة الشديدة التى يتسم بها التغير فى الظروف المحيطة بالمشروعات من الناحية الاخرى • ولكبر حجم الاموال المستغرقة من ناحية ثالثة •

و ـ الاستخدام الواسع للاعلان ووسائل التأثير فى الطلب وخلق الحاجيات الجديدة وطرق ترويج المبيعات باعتبارها سلاحا ضروريا للتأكد من القدرة على تحقيق المبيعات والارباح ، ولتدعيم السيطرة على الاسواق •

لماذا برزت الشركات الدولية العملاقة فى الولايات المتحدة :

حقا ان ظهور هذه الشركات وانتشارها لايعدو ان يكون النتيجة الطبيعية لتطور النظام الرأسمالى نفسه ، وانتقاله من مرحلة المنافسة بين الوحدات الصغيرة المتعددة الى مرحلة المنافسة الاحتكارية بين عدد قليل من الوحدات الضخمة والعملاقة ، ثم انتقال هذه الوحدات من السيطرة على أسواقها الداخلية الى محاولة السيطرة على الاسواق الدولية فى مرحلة تتصف بمحاولة العديد من البلاد تحقيق قدر من استقلالها الاقتصادى وانشاء سوقها الخاص •

ان ظهور وسيادة الشركات الضخمة العملاقة هو نتيجة للسعى المستمر الى زيادة فائض

القيمة النسبي بواسطة الراسمالية في ظروف تتصف بامرين في نفس الوقت ، صعوبة زيادة حدة الاستقلال المباشرة للعاملين ، وظهور تكنولوجيا جديدة للانتاج تعتمد على تقسيم العمل والتخصص والانتاج الضخم الكبير بما يؤدي الى زيادة انتاجية العمل .

ان ظروف الولايات المتحدة الخاصة قد ساعدت على سرعة تطور هذا الاسلوب من أساليب الانتاج فيها قبل غيرها من الدول الراسمالية التى كانت اسبق منها في تطوير الصناعة .

لقد اتصف الاقتصاد الامريكي منذ البداية بالارتفاع النسبي للاجور الحقيقية للعمل الماجور فيه . ان اتساع الولايات المتحدة الامريكية ووفرة الارض الزراعية الخصبة فيها ، وتمتع المهاجرين اليها بدرجة عالية من الاستقلال والحرية ، وانعدام القيود الاقطاعية في هذا العالم الجديد ، قد حدث منذ البداية من وجود تلك القوى العاملة التى لاتملك الا قوة عملها لتبيعها والمضطرة في الكثير من الاحيان للحصول على الحد الادنى من الاجور اللازمة لحياتها واستمرارها .

ان هذا الارتفاع للاجر الحقيقي يصبح اكثر تاثيرا مع الاتجاه نحو التصنيع والاتجاه للتبادل لا في السوق الداخلي وحسب ، بل وايضا في الاسواق الدولية . ان القدرة على المنافسة الدولية تتطلب زيادة انتاجية العمل بما يتناسب مع ذلك الارتفاع في الاجور الحقيقية ،والسبيل الى ذلك هو الاستخدام لوسائل انتاج اكثر كثافة راسمالية واقل احتياجا لاستخدام العامل الماجور .

ان الاستخدام الاوسع لراس المال يتطلب توفر طلب فعال كبير ومستمر . وقد استطاع السوق الامريكي ان يوفر مثل هذه الظروف للصناعة الامريكية ، اولا باتساعه ، وثانيا لعدم وجود قيود تجارية تحد انتقال السلع والخدمات،

وثالثا لتمتع جزء كبير من السكان بمستوى مرتفع من الانتاج والاستهلاك يؤدي الى زيادة حجم السوق، واخيرا بالزيادة المستمرة في حجم السوق الناتجة عن الهجرة المستمرة والزيادة السريعة في عدد السكان .

ومن ناحية اخرى فان الاعتماد على أساليب الانتاج الاكثر كثافة راسمالية يلجأ بالضرورة للوحدات الاكثر قدرة مالية ، او تلك التى تحرز قدرا من الثقة يجعلها تستطيع اللجوء الى سوق رأس المال للحصول على الاموال اللازمة للاستثمار والتوسع . وتحرز هذه الوحدات بالتالي فرصا اكبر للمنافسة والنمو على حساب منافسيها ، وتتمكن بالتالي من تحقيق درجة اكبر من السيطرة على الاسواق .

ان هذا التوسع للوحدات الراسمالية الكبيرة وقدرتها على تحقيق الارباح وعلى تجميع الاموال ، يخلق الظروف الممهدة للانتقال التدريجي من السوق التنافسي حيث ينتشر العديد من الوحدات الصغيرة التى يصعب على اى منها او مجموعة صغيرة منها ان تسيطر على الاسواق، الى سيادة وسيطرة عدد محدود من الوحدات الاحتكارية او شبه الاحتكارية . وهكذا بعد نحو عشر سنوات من انتهاء الحرب الاهلية الامريكية بدء ظهور وانتشار الاحتكارات الصناعية الضخمة ، وخاصة في الصناعات المعدنية والصناعات الجديدة في ميدان الطاقة (صناعة النفط) وادى انتشار الظاهرة في خلال الربع الاخير من القرن الماضي وتاثيرها السلبى على العديد من وحدات الانتاج الصغيرة التى كانت لاتزال منتشرة في العديد من الصناعات وفي الزراعة . أدى الى محاولة مقاومة هذا التطور عن طريق التشريع واصدار القوانين المضادة للاحتكار وللاساليب غير العادلة في الاتجار .

وكما هي العادة دائما ، فان المنع التشريعي لايستطيع ان ينهى الظاهرة التى تتوفر الشروط الضرورية والكافية لوجودها . ان اقصى ما

يستطيع المانع فى هذه الحالة هو ان يغير من الاسلوب التى قد تتحقق به الظاهرة • بحيث يمكن ان يتم فى الاطار التشريعى • وهكذا فان التشريعات المضادة للاحتكار والمضادة لاساليب الاتجار غير العادل قد حدت من امكانيات عقد الاتفاقات المعلنة بين العدد المحدود من الوحدات الكبيرة التى تلعب دورا قياديا فى صناعة ما • ولكن ذلك لم يمنع حدوث الاندماج بين هذهالوحدات لانشاء وحدات اكبر واكثر قدرة وسيطرة • كما لم يمنع السلوك الذى يتضمن قدرا من مراعاة كل طرف للاطراف الاخرى فى العلاقة • وهكذا زادت درجة التركيز فى مجال الاعمال فى الولايات المتحدة واصبحت الشركات الضخمة والعملاقة ذات القدرة الاحتكارية او شبه الاحتكارية تسيطر على اكثر من ٥٠٪ من الانتاج الصناعى فى الولايات المتحدة الامريكية • وكما سادت الشركات العلاقة فى الصناعة سادت كذلك فى منشآت التجارة والنقل والمواصلات والتامين والمنشآت المالية •

الشركات العالمية وتطور الادارة العلمية :

ولقد كان السلام الداخلى الطويل الذى تمتعت به الولايات المتحدة الامريكية هو احد العوامل الرئيسية التى اتاحت للشركات الامريكية الكبيرة والعملاقة فرصة النمو على حساب منافساتها فى العالم الرأسمالى القديم • وكانت الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة بما ادت اليه من تدمير للقاعدة الاقتصادية فى اوربا ، وما نتج عنها فى نفس الوقت من معدلنمو ضخم للصناعة الامريكية عاملا حاسما فى تحقيق المكان القيادى للراسمالية الامريكية فى اطار السوق الراسمالى العالمى • لكن الاحتفاظ بهذا المركز وتدعيم ومد سيطرة المشروعات الامريكية من السوق الامريكى الداخل الى الاسواق الاخرى وتحول هذه الشركات الى شركات عالمية ، لم ينتج فقط عن القدرة المالية لهذه الشركات ، وانما نتج ايضا عما استطاعت ان تحققه من مزايا وخاصة فى ميادين المعرفة والمهارات الادارية والتسويقية والتكنولوجية •

ان نمو الشركات الامريكية الضخمة والعملاقة كان هو ذاته احد العوامل الرئيسية الدافعة لتطور الادارة وارساء اسسها العلمية • ان المحاولات الاولى للدراسة العلمية لطرق اداء الاعمال وتحديد خير السبل لاداء كل عملية والوقت المناسب لادائها والتتابع الذى يجب ان تتخذه هذه الاعمال ، ان الاتجاه الاول لمثل هذه الدراسات ، التى كانت هى اللبنات الاولى لعلم الادارة الحديث ، قد جاء لمواجهة نتائج الصراع بين قوى العمل المنظم فى الولايات المتحدة وبين الشركات الراسمالية الكبيرة فيها • ان الصراع بين العمال واصحاب رؤوس الاموال كان يتم بالدرجة الاولى حول اقتسام القيمة المضافة فى اثناء عملية الانتاج • وقد حاولت الدراسات الادارية الاولى ان تتجنب بعض نتائج هذا الصراع بالسعى الى تحقيق تنظيم للعمل يؤدى فى حالة تطبيقه الى زيادة حجم الفائض نفسه بحيث يستطيع كل من اصحاب رؤوس الاموال والعمال اقتسام « كعكة اكبر » •

ان زيادة حجم العمالة ، وضرورة تقسيم العمل والتخصص ، واهمية توجيه كافة الانشطة المتعددة والمختلفة لخدمة اهداف موحدة ، قد طرح مشاكل جديدة خاصة بالتنظيم والتنسيق ، والتخطيط والرقابة وقياس الاداء وغير ذلك • واحتياج حل مثل هذا النوع من المشاكل الانتقال من الادارة عن طريق الخبرة الذاتية والالهام الخاص الى الدراسة الدقيقة والعميقة لواقع العلاقات التكنولوجية ، والانسانية ، والاقتصادية داخل الوحدات ، وفيما بينها ، واستكشاف وسائل جديدة لحل المشاكل واتخاذ القرارات على اساس من النظم ومن المعلوماتوالبيانات والتحليل الكمى والمقارنة بين البدائل وغير ذلك من وسائل الادارة الحديثة •

ان ضخامة الاستثمارات المالية فى هذه المشروعات هو الذى ادى ايضا الى ضرورة السعي المستمر لتحسين طرق التخطيط ، ووسائل دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات ، والمقارنة بين افضل البدائل المتاحة ، والتعرف على افضل السبل للحصول على الاموال ، وتحديد المسار الاكثر مناسبة للتنفيذ باقل التكاليف وفى اقل وقت ممكن وغير ذلك من طرق الادارة العلمية المستحدثة ·

ان ضخامة رأس المال المستغرق تؤدى ايضا الى ضرورة السعي المستمر لتوسيع الاسواق واستخدام طرق جديدة لا لاشباع الطلب القائم فحسب بل ولخلق طلب جديد · وقد ادى هذا الى تطوير طرق دراسة وقياس اتجاهات المستهلكين ووسائل التأثير فيها ، وتطوير بحوث الاسواق · ذلك بالاضافة الى التطوير المستمر للانتاج وللمنتجات الجديدة باعتبار ذلك احد الوسائل الاساسية لاستمرار الطلب على انتاج هذه المشروعات ولايجاد حالة من التطلع الدائم لمزيد من سلع الاستهلاك ·

توسع وانتشار الشركات العالمية

بهذا الرصيد من الخبرة الادارية والتسويقية والفنية ، وبهذه القدرة المالية الكبيرة استطاعت هذه الشركات ان تنفذ الى الاسواق العالمية لا كبائعة وحسب لمنتجاتها ، بل وعن طريق زرع وحدات انتاجية تابعة لها فى اطار هذه الاسواق ، حيث تصنع وتبيع اما منتجاتها النهائية او حيث قد تقوم بصناعة بعض الاجزاء·

ان هذا التطور يعود الى عدد من الاسباب/:

١ ـ الاتجاه التوسعي لهذه الشركات وسعيها المستمر الى تحقيق اقصى الارباح ، وتوسيع مجال سيطرتها الاقتصادية ، وتأمين مصادر الخامات لها ، وتأمين منافذ التوزيع لمنتجاتها النهائية ، وتحقيق اقصى استفادة من النفقات الضخمة للبحوث وللتطوير التى تضطر للقيام به فى منافستها الحادة مع بعضها البعض ·

٢ ـ بروز كتل اقتصادية دولية تتمتع بدرجة عالية من حرية التجارة وحرية تنقل عوامل الانتاج داخل سوقها ، بينما يفصلها عن باقى الاسواق سور مرتفع من الحماية الجمركية وغيرها، وتتمتع هذه الاسواق بمستوى مرتفع من الدخل وبالتالى من الطلب الفعال على منتجات لصناعات الحديثة المتطورة · ان الاستفادة من الفرص المتاحة فى هذه الاسواق ، يتطلب الانتاج داخل اطارها ، وهو ما دفع بالشركات الامريكية العملاقة الى انشاء وحدات تابعة لها داخل اطار هذه الاسواق ·

٣ ـ تحقيق الاستقلال السياسي للعديد من المستعمرات السابقة ، والاهتمام بتطوير الاقتصاديات القومية للبلاد النامية المستقلة حديثا ، وخاصة عن طريق التصنيع · ان العديد من الدول الجديدة لم تعد تقبل بتقسيم العمل القديم والاستمرار فى دور المنتجة والمصدرة للمواد الخام وحسب ·

ان المشاركة فى تصنيع بعض خاماتها اصبح مطلبا ملحا بالنسبة للعديد من الدول · وقد اصبح من الضرورى بالنسبة للبلاد الاكثر تقدما فى عديد من الاحوال ان تستجيب لمثل هذا الاتجاه لضمان الحصول على احتياجاتها من المواد النادرة التى ياتى جزء هام منها من البلاد النامية · وقد ادى هذا الى لجوء عدد من الشركات الدولية وخاصة الامريكية الى القبول بانشاء بعض الوحدات الانتاجية التابعة لها والمكملة لبعض مراحل الانتاج فيها فى البلاد النامية ·

هل يمكن الحد من سيطرة الشركات الدولية ؟ :

ان الانتشار الواسع للشركات الدولية لا يعود وحسب الى ما تتمتع به من قدرات وما يمكن

ان تحشده من موارد ، وما تملكه من رصيد من المعرفة والمهارات • وانما يعود ايضا الى الاساليب غير الشريفة وغير السليمة التى تستطيع هذه الشركات ذات القدرة المالية العالية وذات التاثير الواسع اللجوء اليها • ان تصرفات لوكهيد ، ونورثورب ، وشل، وبريتش بتروليوم ، والتى كشفت عنها تحقيقات الكونجرس الامريكى والتحقيقات الصحفية اخيرا لا تعدو ان تكون جزءا من سلوك عام تكشفت فقط قمته الجليدية بينما بقى باقى الجبل مختفيا فى المياه العميقة•

ولهذه الاسباب ، ولاسباب اخرى تتعلق بمدى قدرة مثل هذه الوحدات العملاقة ـ خاصة فى البلاد النامية ـ على التاثير على السياسات الاقتصادية للدول التى يعمل فيها ، وحرفها فى اتجاه قد يتعارض معه فى كثير من الاحيان مع الهدف البعيد لبناء اقتصاديات وطنية مستقلة ومتطورة ، فقد بات موضوع التعامل مع هذه الشركات هو أحد الموضوعات الهامة التى تناقشها القيادات الاقتصادية والسياسية والفكرية فى انحاء العالم المختلفة وخاصة فى البلاد النامية التى تسعى لتحقيق تقدمها الاقتصادى والاجتماعى دون تبعية •

وتختلف الآراء والمواقف بالنسبة لهذه الشركات وامكان وضرورة التعاون معها فى مجال الانماء الاقتصادى والتصنيع فى البلاد النامية • فيرى البعض ان اكتساب ما لدى هذه الشركات من معارف ومهارات فنية وتسويقية وادارية هو شرط ضرورى لحدوث التقدم المطلوب• وان ذلك لا يتم الا من خلال التعاون مع هذه الشركات لا مواجهتها • ان القضية تنحصر اذ ذاك فى تحديد الوسيلة التى يمكن ان يتم بها التعاون مع السعى لتحقيق الاهداف القومية للبلد المضيف • ان ذلك يصبح ممكنا بدرجة اكبر من هذا الرأى كنتيجة لتولى حكومات وطنية للسلطة وقدرة هذه السلطة الوطنية على التعامل من موقف المساواة وعلى أساس من الثقة بالنفس •

وعلى العكس من ذلك يرى آخرون ان فتح المجال للتعاون مع هذه الشركات وخاصة بالنسبة للبلاد الصغيرة النامية لا بد وأن يؤدى الى سيطرتها • وان الميزات التى قد تبدو جذابة فى الاجل القصير قد تؤدى الى نتائج سلبية فى المدى الاطول بتاثيرها على نمط الاستهلاك وطريقة توزيع الدخل ، والحد من القدرة الذاتية على التطور التكنولوجى ، والاستسلام للطريق السهل للتبعية بدلا من بناء الذات عن الطريق الاصعب للاعتماد على النفس •

لقد حاولت الراسمالية الاوروبية فى مواجهتها للتحدى الامريكى ان تتبنى نفس الاساليب التى اتبعتها الشركات الامريكية الدولية وسعت الى خلق نفس الظروف الموائمة للتطور فى هذا الاتجاه • وبرزت بالفعل مجموعة من الشركات الدولية الاوروبية الى جانب الشركات الامريكية وبدأ بعضها بالنشاط حتى داخل الولايات المتحدة الامريكية ذاتها • ولكن ذلك لم يمنع الشركات الامريكية من تثبيت مواقع اقدامها فى الاسواق الاوروبية ولا من تدعيم موقفها القيادى •

وتواجه البلاد النامية صعوبات اكبر فى هذا الاتجاه • على ان الاختيار بين التعاون والمواجهة لا يعبر وحسب عن موقف فكرى لهذا المفكر او ذاك ، او لهذه الجماعة او تلك ، وانما هو يعبر فى الواقع عن اختلاف فى تحديد الاولويات والاختيارات بين نماذج مختلفة للتنمية ومواقف متباينة من طبيعة الاهداف التى يجب ان تتجه لتحقيقها ، والفئات الاجتماعية التى تسعى التنمية للوفاء باحتياجاتها •

ابراهيم سعد الدين

الخبير الاقتصادى : الامم المتحدة ـ الكويت



امريكا حقل تجارب العالم

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

لن يكون حديثى عن امريكا حديثا اكاديميا مستمدا من كتب ومراجع وقراءات فحسب ، بل اننى اعتزم ان اتحدث عنها من خلال الخبرة المباشرة، المستمدة من اقامة امتدت خمس سنوات قضيتها هناك ، وكنت خلالها الاحظ واشاهد واحلل واناقش ، كما كنت بطبيعة الحال اقرأ واطلع ٠

ولست استطيع ان الخص فى كلمة موجزة ، الانطباع العام الذى تركته فى نفسى معايشتى للحياة الامريكية ، او ان اصدر حكما نهائيا على هذا البلد الذى يحتفل فى هذه الايام بمرورمائتى عام على استقلاله ٠ واحسب ان اى حكم عام كهذا لابد ان يتضمن قدرا من التشويه : لان امريكا ليست ظاهرة بسيطة ، وليست ظاهرة ثابتة او منتهية ، حتى يمكن اصدار حكم شامل ٠

اما انها ليست ظاهرة بسيطة ، فذلك لاننا حين نتحدث عن امريكا ، لانتحدث فى الواقع عن بلد فحسب ، وانما نتحدث عن قارة كاملة ، كل شىء فيها ضخم ، بل يسجل فى ضخامته ارقاما قياسية، وفيها من التنوع والتعدد مالايمكن حصره فى اى وصف موحد ٠ واما انها ليست ظاهرة ثابتة او منتهية ، فذلك لان امريكا ليست بلدا تم تشكيله، واتخذ طابعا مستقرا يمكن التعرف عليه ، كما هى الحال فى كثير من بلاد العالم ذوات الحضارات القديمة ، بل هى بلد فتى ، مايزال فى مرحلة الشباب، وربما المراهقة ، ولا يزال اهم مايميزه هو الحركة المستمرة والتغيير الدائم واعادة تشكيل القوالب التى تصب فيها حياته بلاانقطاع٠ ان امريكا بلد لم يتشكل بعد ، وسيظل كذلك لفترة طويلة قادمة ، ومن هنا كانت الاحكام التعميمية الموجزة على بلد كهذا مفتقرة الى الدقة ٠

تاملت الحياة الامريكية فى جزئياتها ، دون استكشاف للروابط بينها وبين طريقة العقل الامريكى فى النظر الى الامور ٠

معنى الانفصال عن أوروبا

فى هذا الوقت الذى تحتفل فيه امريكا بذكرى استقلالها ، ينبغى ان نعى جيدا دلالة هذا الاستقلال وتاثيره فى تشكيل طابع حياتها خلال الاعوام المائتين التى تلت هذا الحدث الكبير ٠ فاستقلال امريكا ، كما تقول الكتب ويذكر التاريخ ، كان حدثا سياسيا فذا ، تمكن بفضله هذا البلد الفتى من ان ينفض عن نفسه اثار التبعية للتاج البريطانى ، ويحقق لنفسه السيادة فى مجتمع يسعى الى تطبيق مبادىء الثورة الامريكية ، التى كانت بالفعل ثورة رائدة ، نشرت معانى التحرر والاخاء والمساواة قبل الثورة الفرنسية ذاتها ٠ ولكن هذا



الاستقلال فكريا وحضاريا ،وهذا هو الجانب الذى اود ان اركز عليه الاهتمام فيبداية هذا البحث.

ذلك لان امريكا لم تكن ، حتى ذلك الحين ، سوى امتداد للحضارة والفكر الاوروبى .صحيح ان المهاجرين — او الآباء المؤسسين ، كما اعتاد الامريكيون ان يسموهم — كانوا روادا جندا حلوا بارض شاسعة مجهولة ولكنهم جاءوا الى هذه الارض مزودين بكل ماكان الانسان الاوروبى يحمله من افكار وقيم . وفي ذلك الحين ، اعنى في وقت هجرة الجماعات المؤسسة الكبيرة الى امريكا ، كانت اوروبا تستهل عصرا جديدا ، هو عصر النهضة والبواكير الاولى للعصرالحديث .

وكان الانسان الاوروبى قد فقد ثقته في مقدساته التقليدية ،سواء منها المقدسات العقلية والثقافية والاجتماعية واللاهوتية ، وبدأ يبحث لنفسه عن طريق جديد لم تكن معالمه قد اتضحت امامه بعد . وكان النزوح الى امريكا امتدادا طبيعيا ، ونتيجة محتومة ، لهذا البحث عن حياة جديدة والسعى الى بناء مستقبل جديد .

بل ان من الممكن القول بان التجربة التى خاضها الانسان الاوروبى على الارض الامريكية كانت اروع تجارب النهضة الاوروبية : فعلى حين ان هذه النهضة قد قوبلت في اوروبا بمقاومة شديدة ناجمة عن تاصل التراث القديم وارتباطه بمصالح ذات سيطرة واسعة كانت تحارب الفكر الجديد بقسوة وضراوة ، فان افكار هذه النهضة وقيمها ومثلها العليا عندما انتقلت الى امريكا حلت بارض بكر لا تعمرها الا جماعات متناثرة تعيش حياة بدائية (بالمقاييس الاوروبية) . وهكذا اتيح لهذه الافكار ان تنطلق دون قيود ، وبدات التجربة الجديدة تطبق في طريق خال من العوائق .

لا جدال في ان هذه الهجرة التى انتقل فيها انسان النهضة الاوروبية بكلماتحمله نفسه من امالوطموح في استهلال عصرجديد ،الى ارض جديدة يستطيع فيها ان يحقق اماله دون اية عقبات يضعها في وجه تراث قديم او قوى تقليدية تدافع عن مصالحها — هى من اهم العوامل التى اضفت على التجربة الامريكية طابعها المميز . فبفضلها تحقق السبق السريع لامريكا على اوربا عندما اكتملت مقومات المنافسة . كما انها هى التى تفسر صفة التعلق بالتجديد والتغيير ،والسعى المستمر الى الكشف والاختراع والريادة ، التى اصبحت من السمات المميزة للطابع الامريكى بالقياس الى اوروبا .

ولكن هذه العوامل لم يظهر تاثيرها على الفور، وانما احتاجت وقتا طويلا كانلابد ان تنضج خلاله التجربة الجديدة ، وان تستكشف كل ابعاد القارة الامريكية وتستغل مواردها وتزال العقبات المتبقية امام سيطرة الانسان الابيض عليها . وخلال هذه الفترة كانالشغل الشاغل للعقلالامريكى هوالرغبة في اثبات استقلاله عن الاصل الذى جاء منه ، وتاكيد هويته الجديدة بوصفهمواطنا لارضلا صلة لها باوروبا ،لا من الناحية المادية ولا من الناحية المعنوية . وكما يتطرف الفتى المراهق ، بمجرد اكتمال وعيه بذاته ،في تاكيد استقلاله عن الاسرة التى ظل حتى ذلك الحين يعيش في ظلها ويسلك وفقا للمبادىء التى تلقاها منها ، كذلك كان الامريكيون حريصين على ان يقطعوا صلاتهم ،ماديا ومعنويا ، بارضهم القديمة ، لكى يثبتوا لانفسهم وللعالم انهم بلغوا مرحلة النضج .

وهكذا فانالثورة الامريكية ، بقدر ما كانت تحررا سياسيا واجتماعيا من التبعية لاكبر دولة اوروبية في ذلك الحين، كانتفي الوقت ذاته رمزا للتحرر المعنوى منسيطرة الثقافة الاوربية ،وبداية ظهور كيان مميز للعقل الامريكى .

وليست مهمتنا في مقال كهذا ان نتتبع تطور هذه التجربة الشيقة ، من مرحلة التاسيس الاولى الى مرحلة الاستقلال وتاكيد الذات ، ثم مرحلة التوسع (او الريادة Pioneering كما يسميها الامريكيون) واخيرا مرحلة تكوين دولة فائقة القوة ، ذات اتجاهات امبريالية .فتلك قصة طويلة الفت فيها الكتب الكثيرة وعولجت من وجهات نظر متباينة ، تتفق — مهما اختلفت اتجاهات كاتبيها— على تاكيد الطابع الفريد للتجربة الامريكية . ولكن كل ما اردنا ان نشير اليه هو التنبيه الى

الدلالة الحقيقية لذلك الاستقلال الذى تحتفل امريكا بذكراه هذه الايام ، وتاكيد اهمية العوامل الحضارية والفكرية في صياغة الطابع الذى اصبح مميزا للحياة الامريكية منذ الاستقلال حتى اليوم.

المعنى الخارجي لآخر موديل

والآن ، فاذا تركنا التاريخ والاصول الاولى جانبا ، وركزنا اهتمامنا على السمات الحالية للتجربة الامريكية ، فماذا نحن واجدون ؟

أبرز مايلفت الانظار في تلك التجربة مجموعة معقدة من السمات التى اصبحت مميزة للحياة الامريكية ، والتى تسترعى على الفور انتباه كل من يقيم فى هذه البلاد ويتاملها بعين فاحصة .

فامريكا بلد ضخم بجميع المقاييس : ضخم فى موارده ، وفي ثرواته ، وفى انتاجه ، وفى تلك الارقام القياسية العالمية التى يجب تسجيلها فى كافة المجالات . وفى امريكا يعيش « الانسان الاستهلاكى » على نحو لانكاد نجد له نظيرا فى اى مكان اخر فى العالم ، هناك يحيط الانسان نفسه بمجموعة من المقتنيات التى تتغير دواما ،وفقا لعبادة « تغيير الموديلات » التى تنتشر شعائرها وطقوسها بين الجميع بفضل شبكة اعلانية واعلامية هائلة تغرس فى النفوس الاحساس بضرورة الاقتناء المستمر ، حتى للاشياء غير الضرورية ، وبان مايقتنيه المرء لفترة معينة ينبغى تغييره والاستعاضة عنه باخر « من احدث طراز » ، وبان قيمة المرء الكامنة تتحدد وفقا لما يقتنيه . ويصل حب الاستهلاك الى حد تبديد الموارد الحيوية فى اشياء لاطائل وراءها ، وان كان الكثيرون يقتنعون باهميتها بفضل الالحاح المستمر على حواسهم وعقولهم من اجهزة الاعلام البارعة ، التى تسير فى عملها وفقا لشعار : لاتجعل الناس يشترون مايرغبون هم فيه ، بل اجعلهم يرغبون فيما تريد نحن لهم ان يشتروه !

وهكذا افلحت هذه السياسة الاعلانية الكاسحة فى تشكيل عقول الناس وميولهم على نحو يضمن استمرار دوران عجلة الانتاج حتى السلع ذات الاهمية الضئيلة ، وفى تربية ذوق استهلاكى يكاد يقترب من حد السفه والتبديد ، بل انها افلحت فى نشر قيم فكرية مبنية اساسا على النموذج الاستهلاكى :فالسيارة عندهم رمز للمكانة الفردية، وللتقدم الاجتماعى ، وللنجاح السياسى . وحين ترغب الصحف الامريكية فى التنديد بنظام حكم لايعجبها ، فمن اساليبها المألوفة ان تنشر صورا لشوارعه وقد كادت تخلو من السيارات ، وتعلق عليها ساخرة من « التخلف » الذى جعل المواطنين فى هذا النظام عاجزين عن شراء السيارات . أما مدى نجاح نظام الحكم هذا فى نشر التعليم والعلاج المجانى ، او الثقافة الرفيعة ، فتلك امور لاتذكر عنها تلك الصحف شيئا ،ومن ثم لاتخطر كثيرا على بال القارىء .وهكذا يسود تقويم للافراد والشعوب مبنى على اساس مايستهلكونه وما يملكونه من مقتنيات مادية وفكرية وثقافية .

وترتبط بهذه الصفة سمات اخرى متفرعة عنها: فمع الاستهلاك ياتى حب التغيير السريع ، والسعى المستمر الى التبديل والتجديد . هذه السمة ترجع الى صفة هى احساس مفرط بالزمن ، فلا جدال فى أن التصنيع هو السمة الاساسية لهذا العصر الجديد ، وهو يقتضى شروطا ذهنية من اهمها الوعى الزائد باهمية الوقت حتى فى ادق اجزائه. وهذه الصفة هى التى تعلل ولع الامريكيين بالسرعة الفائقة ، واقبالهم على كل ما يوفر لهم من الوقت مجرد جزء ضئيل .

كذلك ينعكس ايثار القيم الاستهلاكية ،بالقياس الى القيم المعنوية ، على تقويمهم للانسان ذاته . فمن الخبرات التى صدمتنى للوهلة الاولى فى امريكا أن المجتمع لايقيم وزنا كبيرا لرجل العلم ، بل ان المثل الاعلى ، عند الامريكى العادى ، هو رجل الاعمال الناجح، وهذا هو النمط الذى يحتل القمة فى تقديرهم واحترامهم، اما العلماء والاساتذة فلا يلقون من الانسان تقديرا كبيرا ، بل وربما احس الناس نحوهم بنوع من السخرية الخفية ، التى تعبر عن نفسها احيانا فى الفكاهات الشعبية ، او فى بعض الافلام والمسرحيات التى يظهر فيها « الاستاذ » فى معظم الاحيان شخصية غير متزنة ، عاجزة عن التكيف والتوافق ، تثير الضحك اكثر مما تثير الاحترام . واقول ان هذه الخبرة قد صدمتنى لانى قارنت بينها وبين ما يحدث فى مجتمعاتنا الشرقية ، فوجدت أن « العالم » أو « الاستاذ » يلقى بين عامة الناس فى بلادنا احتراما غير عادى . ولعل الكثيرين ممن يشتغلون بالعلم او بالتدريس

الجامعي يعرفون ان صفتهم هذه تساعدهم في احيان كثيرة على قضاء مصالحهم اليومية في يسر ، نظرا لما تحيطهم به من احترام في اعين الناس ، يفوق كل مايلقاه رجل الاعمال الناجح او الغني، الذي يشعر الناس نحوه في بلادنا بالخوف والحسد ، ويهابونه اكثر مما يحترمونه • وانا لا اتحدث هنا بطبيعة الحال ، عن موقف الحكومات الرسمية من هاتين الفئتين ، وانما اتحدث عن نظرة المواطن العادى اليهما •

وتؤدى سيطرة القيم المادية الى نظرة تجريدية الى الامور ، يضيع معها الطابع الانسانى الى حد بعيد ، وتتحول الاشياء والناس فيهما الى ارقام واحصاءات وجداول بيانية• وتلك سمة تميز عصر الصناعة في كل مكان ، ولكنها اوضح ماتكون في امريكا ، حيث يشعر الوافد الجديد على الفور ـ وخاصة اذا كان آتيا من الشرق ، حيث العلاقات الانسانية حميمة ودافئة ـ بطغيان الكم على الكيف، وبان الصفات المنتمية الى العالم الانساني الشخصي قد ازيلت عمدا لكي تحل محلها صفات لاشخصية مجردة تساعد على الحساب والتنبؤ ولكنها لاتساعد على التعاطف والتفاهم •

ولعل من أهم نتائج هذه النظرة التجريدية المفرطة ،ان الانسان لم يبتعد عن الطبيعة في اي بلد بقدر ماابتعد عنها في امريكا •فهناك احاط الانسان نفسه ببيئة صناعية كاملة • وبقدر ما يزداد الانسان اندماجا في هذه البيئة المصطنعة التي خلقها بجده وعمله الدءوب ، يزداد حنينا الى الجذور الطبيعية التي نشأ منها • ولكن هذا الحنين الى الاصل الذى اصبح بعيدا نائيا لايعبر عن نفسه الا في صور سطحية : كالحرص الشديد على مناطق معينة تحافظ فيها الدولة على البيئة والحياة الطبيعية عن طريق احاطتها باسوار منيعة وحراسة مشددة ، وكالمثابرة على قضاء عطلات نهاية الاسبوع في الشواطيء او الحدائق الخلوية • التي هي في الواقع مزيج من الطبيعة الساحرة والتدخل التجارى السافر للانسان ، وكالانتماء الى بعض الحركات الاجتماعية والشبابية التى تحتج على نمط الحياة الاستهلاكي وتدعو الى عودة الانسان مرة اخرى الى احضان الطبيعة الام ، وهي حركات لاتعيش طويلا، لان تصرفات الناس فيها ليست اصيلة بل هي مجرد ردود افعال مضادة لما هو موجود ، ومعاندة للوضع القائم فحسب •

أمريكا تعيش المتناقضات كلها

اننا نستطيع أن نسترسل طويلا في تعداد هذه السمات التي تلفت نظر الانسان عندما تطأ قدمه الارض الامريكية لاول مرة ، ولكنا نود ان نبحث عن الاساس الفكرى العميق لهذه السمات المميزة للحياة الامريكية وارجاعها الى اصول مشتركة •

ولكن محاولة التوحيد والارجاع الى اصول مشتركة تصطدم ،في حالة امريكا بالذات ،بصعوبات لاسبيل الى التغلب عليها ، فليس هذا بالمجتمع البسيط ، او الموحد ، وانما هو مجتمع شديد التعقيد والتركيب • والاهم من ذلك ان المجتمع ذاته ، في اعماقه الفكرية الكامنة ، يرفض اية محاولة لارجاع جوانب حياته كلها الى « صيغة » موحدة • فامريكا بلد يعيش متناقضات لانهاية لها، ولا يتزعج من هذه المتناقضات ، بل يعدها دليلا على خصب حياته وتنوعها •

ولكن السؤال الذى يتعين علينا ان نجيب عنه في هذا الصدد هو : هل صحيح أن المتناقضات الامريكية الحادة دليل على خصب الحياة وتنوعها ، ام انها علامة ضعف كامن ، ومؤشر مبكر بانحلال لابد أن يحدث مهما طال الامر •

اول المتناقضات التي تعيشها التجربة الامريكية تتمثل في فكرة الحرية ،فالحرية هي أكثر الكلمات تداولا على السن الامريكيين ، وهي التي تلخص نظرتهم الى حياتهم («المجتمع الحر ») والى اقتصادهم («الاقتصاد الحر ») والى سياستهم وايديولوجيتهم (« العالم الحر ») •ورمزها هو الذى يستخدمه العالم للدلالة عليهم ،وهو اول مايطالع الداخل الى اكبر موانيهم (تمثال الحرية) •

والامريكي العادى لايمكن أن يشك لحظة واحدة في انه انسان حر بمعنى الكلمة ، يعيش في مجتمع مارس تجربة الحرية كما لم يمارسها مجتمع آخر طوال تاريخ البشرية ، او في أن حريته هذه هي التي تضفي على النظام الاجتماعي الذى يعيش في ظله اعظم مزاياه ، وتجعل له الاولوية في الصراع الحالي بين الايديولوجيات •

ويتخذ التصور الامريكي للحرية طابعا فرديا ، تعدديا (Pluralistic) • فالامريكيون لا يتصورون الحرية على انها صفة يكتسبها المجتمع كله بطريقة جماعية ، بل هي صفة يكتسبها كل

فرد بنفسه وتؤدى الى تعدد الاتجاهات وتباينها واستقلالها ، بدلا من أن تؤدى (كما هي الحال في التصور الاشتراكي للحرية) الى مسيرة المجتمع كله نحو تحقيق اهداف جماعية واحدة • وهكذا ترتبط الحرية في اذهانهم بتعدد الاتجاهات واختلافات الرأى •

ومع ذلك فان كل من عايش التجربة الامريكية واعمل فكره فيها لابد أن يشعر بوجود تناقض صارخ في تصور الامريكيين لهذه القيمة الكبرى التي يباهون بها كل من عداهم من شعوب الارض• فانت تجد الامريكي العادى حرا في أن يسخر من رئيس الجمهورية وينتقده علنا في الصحافة او التلفزيون ، وتجد القاضي البسيط قادرا على أن يصدر حكما يؤدى في نهاية الامر ، الى عزل رئيس جمهورية اقوى دولة في العالم - وكلها بغير شك صور مضيئة باهرة للحرية يندر ان تجد لها نظيرا في الدول الاخرى • ومع ذلك فان هذا الامريكي العادى نفسه قد تشكل عقله ، ونظرته الى الحياة والعالم المحيط به ، بالطريقة التي يريدها المهيمنون على اجهزة الاعلام الجبارة، وهم الذين يسيطرون على اساليب التفكير وطرق السلوك في المجتمع باسره ، لا عن طريق الرقابة او القهر المباشر ، بل بطرق خفية في التحكم والسيطرة والاقناع لا يشعر بها الخاضع لها شعورا واعيا ، فتكون النتيجة أن يصبح هذا الانسان ، حتى في ابسط تفصيلاته وقراراته اليومية ، انسانا مسيرا لا مخيرا • وأسوأ ما في الامر انه منقاد دون أن يشعر : اذ لو كان منقادا واعيا بانقياده ، لكان في هذا الوعي ذاته قدر - ولو ضئيلا - من التحرر ، اما اذا كان خاضعا مع تصوره أنه متمتع بالحرية الكاملة ، فعندئذ يكون خضوعه اشد واكمل •

وهكذا تجتمع في امريكا ممارسات فيها من الحرية صور باهرة، وفيها من الخضوع اللاشعورى ما يجعلها حقلا ممتازا لتجارب التحكم في العقل البشرى وتشكيله ببراعة ودهاء •

وفي مبدأ « سيادة القانون » نجد تناقضا رئيسيا آخر تتسم به الحياة الامريكية : فطوال تاريخ امريكا ظل الدستور ، والقوانين المنبثقة عنه ، يلقى احتراما هائلا ، وكان مبدأ سيادة القانون يعد نموذجا لما ينبغي أن يكون عليه السلوك العام في المجتمع • ومع ذلك فان هذا البلد الذى يحترم دستوره وقوانينه الى حد التقديس ، يقدم للعالم بين الحين والحين اعجب امثلة السخرية من النظام والقانون والدولة باسرها : ففي هذا البلد ترتع عصابات مثل « المافيا » تطبق شريعة الغاب وتهزأ من كل شرعية وانضباط ، وتمارس تاثيرها الهدام حتى في عمليات الانتخاب السياسية الكبرى ، ويمتد نفوذها الى مدى لا يستطيع ان يتخيله الا من عاش البلاد ولمس مقدار سيطرتها على النقابات وعلى قطاعات رئيسية في الاقتصاد القومى ، ومدى الحماية التي تلقاها على مستويات قد تصل احيانا الى منصب نائب رئيس الجمهورية (كما في حالة سبيرو اجنيو) • وبرغم القوة الهائلة للدولة واجهزتها ، ينعدم الاحساس بالامان لدى المواطن العادى ، ويخاف الرجال - ولا اقول النساء - أن يسيروا بمفردهم ليلا في قلب المدن الكبرى • فكيف يجتمع الاحترام الزائد للقانون مع انتشار الجريمة وانعدام الشعور بالامان ؟ هذا تناقض يصعب ان تجد له مثيلا في أى مجتمع اخر غير بلد المتناقضات !

وفي امريكا ، حيث بلغ التصنيع اعلى واكمل مستوى وصل اليه في العالم باكمله ، تسود العقلانية والترشيد ، وهما صفتان لاغناء عنهما في اى مجتمع صناعي متقدم ، وتسود الآلية ، لا في مجالها الاصلي ، وهو الصناعة ، فحسب ، بل في تصرفات الناس وسلوكهم اليومي واساليب تعاملهم بعضهم مع البعض • فالعلاقات الشخصية ضئيلة ، والعمل هو كل شيء ، و « التوابل » الانسانية : كالسلام باليد او تحية الصباح او المساء ، في طريقها الى الانقراض ،والمعاملات كلها تصطبغ بصبغة لا شخصية متزايدة • كل هذه لا تعد ، في ذاتها ، امورا شديدة الضرر ، وربما كانت هي الضريبة التي يتعين أن يدفعها مجتمع حريص على عدم تبديد أبسط قدر من طاقته الانتاجية •

ولكن التناقض يعود فيطل برأسه هنا ايضا : اذ أن هذا المجتمع الذى يخضع كل شيء للعقل وحساباته الدقيقة ، ويصل في ذلك الى حد صبغ الانسان ذاته بالصبغة الآلية ضمانا لزيادة كفاءته الانتاجية - هذا المجتمع هو ذاته الذى

تنتشر فيه ، على اوسع نطاق ممكن ، اتجاهات السحر والخرافة وجماعات الشعوذة وشتى مظاهر اللا معقول ، وهو الذى يحرص على نشر هذه الاتجاهات والترويج لها فى كثير من نواتجه الثقافية والفنية . وهو الذى يحس فيه الانسان المصطبغ بالصبغة الآلية بالحاجة الشديدة الى التعاطف والدفء والاذن التى تسمع والصدر الذى يتسع للشكوى ، فلا يجد فى نهاية الامر الا الطبيب النفسانى يدفع له أجرا باهظا ، لا لكى يتلقى علاجا ، بل فى اغلب الاحيان لكى يجد من يستمع اليه ، او على الاصح لكى يعطى نفسه فرصة ازاحة ما فى صدره من هموم ٠

التناقض بين المادية والروحية

ولست أود أن استرسل فى سلسلة المتناقضات التى تحفل بها التجربة الامريكية ، ولكنى أود أن اتوقف عند تناقض أخير ، ربما كان اهم المتناقضات جميعا ، لانه يضمها كلها فى داخله ، واعنى به التناقض بين الروحية والمادية فى الوجدان الامريكى ٠ فامريكا تقف فى عالمنا العاضر مدافعة عن القيم الروحية ، وتتهم خصومها الايديولوجيين بانهم ماديون ٠ وهى تؤيد ، فى كل البلاد الاخرى، جميع الاحزاب والاتجاهات الدينية لانها تجد فيها وسيلة فعالة لمحاربة الماركسية ، وتستمد منها هذه الاحزاب عونا معنويا وماديا باعتبارها « نصيرة الروح » ، ضد خصمها اللدود الذى لا يناصر الا المادة ٠ هذه هى الاسطورة السائدة فى ارجاء كثيرة من العالم عن موقع امريكا من الصراع الايديولوجى السائد ، وهى اسطورة يصدقها عدد هائل من الامريكيين العاديين ، الذين يتسمون بطيبة القلب وحسن النية والسذاجة ، ويؤمنون باخلاص بانه لولا الجهود التى تبذلها بلادهم فى حملتها الصليبية لانجرف العالم كله فى لجة المادية الطاغية ٠

ومع ذلك فان نصيرة الروح هذه تحيا حياة مادية ، وتقوم بممارسات مادية ، يتضاءل الى جانبها كل ما يقوم به المعسكر الذى تعاديه وتتهمه بالمادية ٠ ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد أن ايديولوجيتها ترتكز على اهمية حافز الربح بوصفه محرك الانسان الى العمل ، وهو حافز قد يكون بالفعل معبرا عن الواقع فى عالمنا الحالى ، ولكن هذا لا يمنع من كونه حافزا ماديا بحتا ، وحين يتامل المرء اهمية المال فى حياة الامريكيين ، وقدرته على فتح كل الابواب وتذليل كل الصعوبات ، وحين يدرك أن المال هو الذى يضمن للانسان تعليما جيدا وعلاجا شافيا ، وان الفقير – فى هذا البلد الواسع الثراء – يجد صعوبة كبرى فى الانفاق على تعليم ابنائه وعلاج اسرته، لا يملك الا أن يعترف بسيطرة الممارسات المادية على الحياة الامريكية ٠

على أن الاهم من هذا كله هو النكران التام للروح كما يتجلى فى الاساليب السياسية والعسكرية التى تثير سخط الانسان المتحضر : كالفظائع التى ارتكبت فى فيتنام ، وتشجيع المذابح السياسية فى شيلى ، وقهر الحركات التى تطالب للانسان باقل قدر من الآدمية فى باقى ارجاء امريكا اللاتينية ٠ اما فى الداخل فان استمرار التعصب العنصرى ضد الزنوج ،والتأييد الشديد لدولة عنصرية مثل اسرائيل ، انما هو الدليل القاطع على أن الابتعاد عن الروحية سمة مميزة لهذا البلد الذى يتخذ لنفسه ، فى الصراع الايديولوجى الراهن شعار الدفاع عن روحانية الانسان ضد خطر المادية ٠

ولعل مما يخفف من قسوة هذا التناقض الحاد ان كثيرا من الامريكيين المثقفين يدركونه عن وعى ، وينتقدونه انتقادا مريرا، وان كانت انتقاداتهم مازالت حتى الآن عاجزة عن ان تغير من الامر الواقع شيئا ٠

ولو شئنا ان نرد هذه المتناقضات الى جذورها لاحتاج الامر منا الى بحث طويل شديدالتعقيد ٠ ولكن يكفينا أن نقول ان الفكر الامريكى ، حين حاول ان يفلسف التجربة الامريكية ، قد صاغها على نحو يؤدى مباشرة الى هذه المتناقضات ٠

فالفلسفة الامريكية تؤكد النزعة الفردية وتزهو بها ٠ وهى تضرب دائما على نغمة « التعددية »٠ فالكون ذاته تعددى ، بمعنى انه لايرجع الى مبدا واحد كالروح او المادة ، ولايمكن اخضاع تطوره لنمط موحد ، بل يسوده الانفصال والكثرة ٠ وحين يطبق هذا المبدا على المجال الانسانى ،وعلى مجال المجتمع بالذات ، تكون النتيجة غموضا متعمدا

فى الصورة الكلية ، واغراقا في التفاصيل الجزئية • وقد انعكس هذا بالفعل على التصور السائد للمجتمع بين الدارسين التقليديين لعلم الاجتماع الامريكي ، حيث تسود ابحاث تفصيلية عن انوع شتى من الجماعات والتجمعات البشرية، وعن القيادة والريادة وغيرها من المواضيع المصطنعة ، على حين ان اية محاولة للكلام عن اتجاه المجتمع ككل ، اوعن طابعه العام اوالاهداف التى يسعى اليها ، وما ينبغي الابقاء عليه او تغييره منها - توصف بانها محاولة «ميتافيزيقية» غير علمية ، وهو وصف يستمد مشروعيته من تلك الفلسفة الفردية التعددية المشهورة في امريكا ، التي تطالب العقل دائما بالبحث في التفاصيل والامتناع عن تامل الصورة الكلية •

وبفضل تطبيق هذه الفلسفة على نحو شامل ، يظل المجتمع الامريكي رافضا لكل تخطيط مركزي، فيصفه بانه تخطيط شمولي يتعارض مع الحرية الفردية وتعدد الاتجاهات ، التى هى سمات اساسية للحياة الامريكية • وهكذا يفتقر الاقتصاد الى اى توجيه موحد ، وتترك لكل منتج حرية التصرف فى انتاجه وفى عملائه وفى العاملين عنده وفقا لقوانين « السوق » ، ويرفض التاميم بشدة فى الطب ، ويواجه المواقف السياسية بمرونة فردية ، ويسود احساس عام بان التغيير الشامل مستحيل ، وبان التاريخ ليس له مسار او خطة يمكن كشفها ، ولايسوده اى نوع من الضرورة ، ومن ثم فمن المستحيل التحكم فيه ويختفى لدى الانسان الاحساس باهمية التضامن والعمل من اجل تحقيق غايات جماعية •

والى جانب النزعة الفردية والتعددية ،ترتكز الفلسفة الامريكية على نزعة عملية واضحة • ولعل كثيرا من القراءة قد سمعوا عن ذلك المذهب الامريكي المشهور ، « البرجماتية » ،الذى هو مذهب عملى فى اساسه يؤكد ان حقيقة اية قضية انما تكمن فى نجاحها عمليا ، وان مالا ينجح عمليا باطل •

هذه الطريقة العملية او البرجماتية فى معالجة الامور قد اعطت امريكا ميزة لايستهان بها فى حالات كثيرة : ذلك لانها اكسبتها مرونة وقدرة على التحرك السريع وتغيير المواقف على نحو يعجز عنه خصومها الذين تقيدهم ايديولوجية موحدة تتسم بالشمول وتضفى اهمية كبيرة على التحليل النظرى للظواهر وفقا لصيغة كلية • ومن هنا استطاعت التجربة الامريكية ان تحرز نجاحا هائلا فى معالجة الظواهر الجزئية والازمات الطارئة اما ازاء المواقف الكلية الشاملة فانها تعطى احساسا واضحا بالاخفاق • ففى المجتمع الامريكى يؤدى كل فرد وظيفته على الوجه الاكمل ،ويتخذ موضعه الصحيح من الالة الكبرى التى يؤلفها المجتمع • ولكن المجموع الكلى يشوبه شىء من عدم التوازن ، والحياة من حيث هى غاية تفتقد الكثير والعائد النهائى على « الانسان » - لا على الفرد الواحد - ناقص هزيل ، وفى حرب فيتنام نجد مثلا واضحا للنتيجة التى تؤدى اليها النظرة العملية التجزيئية الى الظواهر : فالة الحرب كانت تدور بكفاءة تامة ، وكل سلاح كان يرسم خطته وينفذها ببراعة ،وكل القوى التى استطاعت دولة صناعية كبرى ان تحشدها قد سخرت لكسب الحرب ، ولكن النتيجة النهائية هى الخسارة - وهى خسارة لايستطيع ان يفهمها اى جندى او قائد كان يرى ان التفاصيل كلها تسير على الوجه الاكمل ، ولكنه لم يكن قادرا على رؤية الصور الكلية •

وهكذا يفيد الفكر العملى الامريكى فى المواقف التفصيلية الخاصة فائدة كبرى ، ويحرز نجاحا كبيرا فى حل المشكلات الجزئية التكتيكية ، ولكنه يخفق اذا اتخذ اساسا لاستراتيجية بعيدة المدى • وبالفعل تبدو امريكا باكملها ، فى فكرها وسياستها وايديولوجيتها ، تكتيكا رائع النجاح، واستراتيجية فاشلة بصورة صارخة •

★ ★ ★

ومع هذا كله فان امريكا تجربة فريدة ،ينبغى على كل بلد يسعى الى النهوض ان يتاملها ويحللها بتعمق ، بل يتعاطف معها الى حد ما ، ويعطيها الفرصة الكاملة للتعبير عن نفسها ،حتى مع ادراكه

التام لما فيها من جوانب التصور • ذلك لان عيوبها ومتناقضاتها ربما كانت هي الثمن الذي يدفعه شعب يقف في الصف الاول من كثير من التجارب الاجتماعية التي ستمر بها الانسانية من بعده • فامريكا هي ، بمعنى ما ، حقل تجارب العالم • وكثير من المشكلات التي تعانيها اليوم ، والتي ننتقدها بسببها ، قد نعانيها نحن بدورنا لووصلنا الى مستوى التطور الذي وصلت اليه • ولذلك قلت اننا لانملك ان نتجاهلهذه التجربة الفذة او ان نكتفي بادانتها دون أن نحاول النفاذ الى اعماقها ، وتحليل اصولها •

ولعلنا ، في العالم العربي بالذات ، احوج ما نكون الى تامل التجربة الامريكية بعمقوموضوعية، ليس فقط لاننا نتعامل مع امريكا علىنطاق واسع، بل ايضا لاننا لازلنا نسير في اول الطريق الذي يمكن ان يؤدي بنا يوما ما الى تطور اجتماعيتثار فيه مشكلات مشابهة •

واعتقد ان المبدأ الاساسي الذي ينبغي علينا ، في العالم العربي ، ان نضعه نصب أعيننا اذا اردنا أن نتعامل مع التجربة الامريكية بفهمومعرفة، هو ان امريكا في اساسها حاضر ومستقبل بغير ماض ، على حين اننا ، نحن العرب ، كثيرا ماننظر الى انفسنا على اننا ماض قبل أن نكون حاضرا او مستقبلا • ولا جدال في أن هذا فارق اساسي يتحكم الى حد بعيد في نظرة الشعبين ، الامريكي والعربي ، الى العالم وطريقة معالجته للامور ، ومالم ندرك نحن هذا الفارق عن وعي ، فلن نفهم النفسية الامريكية فهما تاما ، وربما لن نفهم انفسنا ايضا •

اننا نستطيع ان نفيدكثيرا من تجربةهذا الشعب الذي تحدىالتقاليد وضرب بهاعرض الحائطومضى في طريق التجديد قدما بلا عوائق • فقد تساعد هذه التجربة في الحد من غلواء تمسكنا بالتقاليد ولكننا سنلحق بانفسنا ابلغ الاضرار لو تصورنا اننا نستطيع أن ننهض عن طريق المحاكاة الكاملة لانموذج كهذا : فنحن محتاجون الى تحقيق التوازن بين ماضينا ومستقبلنا لان جذورنا اعمق كثيرا من جذورهم • وفي هذه الجذور نستطيع ان نهتدي الى قيم كثيرة تخفف من عيوب الاسلوب الامريكي في الحياة : مثل قيم التضامن والدفء الإنساني واعلاء الروح ــ بمعناها العميق ــ على الجري وراء الماديات • ■■

فؤاد زكريا

استاذ الفلسفة ــ جامعة الكويت



علماء المسلمين

■ بدا المسلمون في العصور الاولى بترجمة كتب الذين سبقوهم في مجال العلوم ، فترجموا عن اليونانية ، والسريانية ، والسنسكريتية • ولم يقتصر دور المترجمين على الترجمة بل قاموا بالتعليق عليها والشرح • وكان « علم النبات » ضمن العلوم التي اهتموا بها ، فصدرت عدة ترجمات لكتاب « ديوسقوريدس » ، وقد شمل الكتاب دراسة النبات وشرح اوصافه ، وفوائده وكيفية استعمالاته واشتمل على رسوم توضيحية للنباتات الطبية •

وفيما بعد زاد العلماء المسلمون على الكتاب المترجم واستكملوا ما فات ديوسقوريدس ان يذكره في كتابه ومن هؤلاء الطبيب العالم الاندلسي وابن جلجل، الذي نشر في اوائل القرنالحادي عشر الميلادي كتابا عن الاشياء التي اغفلها ديوسقوريدس • وتوالت بعد ذلك الكتب المؤلفة من النبات التي وضعها العلماء المسلمون بفضل ماتوصلوا اليه من خبرة وتمرس في البحثوالملاحظة. من هؤلاء العلماء الصوري وابن الرومية ، وابن البيطار •



امريكا.. ذات القناعين

وجه مضيء.. ووجه مظلم

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

« أكاد اجزم أن الفرق بين حاضرهم وحاضرنا ، ومستقبلهم ومستقبلنا ،وتقدمهم وتخلفنا ، كله نابع من أصل واحد هو طريقة التعليم » .

■ في منطقتنا نحن المشتغلين بالعلوم الطبية انك لم تر الدنيا ان كنت لم تر امريكا بعد .. وطالما طالعنا في صحفنا العربية عن امريكا ما يعلو بها الى اعلى عليين وما يهبط بها الى اسفل سافلين .. لذلك ظلت امريكا علامة استفهام في ذهني حتى أتيح لي أن ازورها مرة ثانية وثالثة واكثر .. ولم يكن انطباعي عنها الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ، وانما وجدت فيها الجانب المشرق والجانب المظلم ، وادركت أن للمادحين والقادحين على السواء أعذارهم فيما ذهبوا اليه .

في الجانب المضيء

الفرصة المتاحة : أول ما تطالع عين البصير في أمريكا انها فعلا بلاد الفرصة المتاحة . ان أوتيت الفكر الوقاد والهمة القوية ، احسست أن كل الايدي تمتد لتزع العوائق من طريقك ولتدفعك في اتجاه مسارك لا ضد هذا الاتجاه .. ويتم ذلك من قبيل السجية الاجتماعية المواتية . فلا أحد يطالبك بشيء من ثمرة كدك او يفرض عليك اتاوة فيه..وتحس أن دولاب البيروقراطية هو تلقائيا في خدمتك واختصار الطرق امامك وليس لملئها بالقام اللوائح او التكاسل والتعقيد . لهذا كانت المسافة بين الفكرة التي تترقرق في الذهن وبين تنفيذها عمليا مسافة قصيرة ويسيرة .. ولا ادل على ذلك من أن العينات التي تذهب الى هناك من شبابنا المتعلم سرعان ما تتالق وتنتج في وقت قصير اضعاف



اضعاف ما تنتج في بلادنا ان كان لها أن تنتج على الاطلاق . وواضح ان هذا بسبب اختلاف التربة لا اختلاف البذرة .

المجتمع المتفتح

كنت مرة في حوار مع أحد الاساتذة الكبار في مجال تخصصي الطبي .. وفي معرض محاولته اقناعي بالاستقرار هناك قال لي : « لاتظن أنك ستكون غريبا هنا .. فكلنا يعلم ان أصولنا في بلاد بعيدة وأتينا هنا لتكون هذه البلاد نتاج جهدنا المشترك .. لايوجد هنا أحد يدعي انه امريكي اكثر من احد آخر .. وكلنا يعلم أن عملية نقل الدم المستمرة لهذا المجتمع بالكفاءات والعقليات هي السر وراء قوته الباقية .. ومهما انفق على الوافد الجديد من مال سواء في نشاطه العلمي او في كسبه الخاص فان المجتمع يكسب اضعاف ذلك » .

فالمجتمع هنا يستثمر الكفاءات احسن استثمار فتعود عليه بافضل مردود . والكل مهما كان جنسه او لونه او دينه مدعو في غير عائق ان يبلغ مايشاء وما يستطيع من الانمار الفكري والعقلي . وليكسب حسب اجتهاده ولكن المجتمع هو الرابح الاكبر . وبهذا استطاعت امريكا ان تكون قائدة التقدم العلمي في العالم تشد اليها الرحال للاقامة او للزيارة والاستفادة .. وتجذب اليها الامخاخ التي لاتجد في اوطانها الا العطل .. ويوم يكون العلم هو انفاس حياتك وتجد في بلدك الاختناق ، وهناك النسم النقي ، فالخيار واضح .

جنة الاطفال

لما سافر أخي الى امريكا كان له ولد وبنت.. وكانا نحيفين نحيلين في الجسم ضيقين متبرمين في المزاج .. وزرتهم بعد أشهر من سفرهم فكأنهما طفلان جديدان . اكتسبا صحة ونضارة ، وزال الانطواء فهما يقبلان على الغير بالحديث الطيب الطريف الجريء .. ووجدت الصبي ابن الاعوام الثمانية قد اشترى كتبا واستعار كتبا وجلس معتمدا على نفسه فقط يحضر محاضرة عن « الانسان الاول » يلقيها في المدرسة ، وعلمت انه القى قبلها هناك محاضرة عن «دين الاسلام » .

واحسست بالفخر اذ علمت ان الطفل ـ وهو اول من يعود للبيت كل مساء ـ اتصل بابيه تليفونيا في المستشفى مرة يقول ان في الغرفة ثعبانا لعله جاء من الحديقة . وقال له والده ان كنت تشعر بالخوف فغادر الغرفة لغيرها واغلق بابها ، اما ان كنت تشعر انك في كامل الثبات والهدوء ورباطة الجاش فاحضر بندقيتك واضربه بشرط ان تصيبه في طلقة واحدة : وفعل الصبي . واردى الثعبان بطلقة واحدة .

انهم هناك يستثمرون الطفولة استثمارا فائقا .. ويهتمون بتعليم الاطفال اقصى اهتمام.. ولم يستغرق الحاق الطفلين بمدرسة الحي الا دقائق زار فيها الناظرة لدرجة انه لم يصدق ان الموضوع انتهى فظل جالسا حتى اكدت السيدة ان هذا كل شيء .

فلسفة التعليم

ولا يقوم التعليم عندهم على اساس ملء الرأس كالوعاء بمعلومات يعطيها المعلم فيتلقاها التلميذ ويستظهرها ليكرها في الامتحان ..

وانما اساسه اذكاء الرغبة في التلميذ في ان يعرف ويعرف المزيد ، ثم تدريبه لينطلق هو وبجهده الخاص ليبحث عن المعلومات في مصادرها ويعلم نفسه بنفسه ثم يستنتج من هذه المعلومات امورا ثم يطبقها في حل مشاكل جديدة عليه لم تعرض له في مقرره الدراسي .

واكاد اجزم ان الفرق بين حاضرهم وحاضرنا ومستقبلهم ومستقبلنا وتقدمهم وتخلفنا كله نابع من اصل واحد هو طريقة التعليم .. وساظل اعتقد - على بصيرة - ان مقياس الوطنية والبطولة والجهاد والزعامة والكفاءة للحكم في بلادنا هو العمل بحزم وجذرية على اصلاح التعليم وانقاذه من الجهل والزيف والتهريج .

الرباط الانساني

انتقل صديقي الطبيب المصري من بيت لبيت في منطقة انيقة.. وما ان وصلت السيارة بالاثاث حتى خرج جيرانه على مسافات عديدة من البيوت من كل جانب واخذوا في حمل قطع الاثاث وتنسيقها في البيت فاذا الذي قدر لانجازه ساعات من الجهاد يتم في بعض ساعة وفي غاية اليسر .. ثم كان عجبه الاكبر عندما حان وقت الغداء فاذا طارقة بالباب تحمل صينية عليها غداء لهم لانهم طبعا مشغولون باعداد البيت عن اعداد الطعام .. تماما كما يحدث عندنا في ريف بلادنا .. فعندنا نحن تقاليد ريفية عربية اصيلة .

والذين عاشوا في امريكا .. خاصة في البلاد الصغيرة .. يجمعون على ان عون الجار للجار شيمة غالبة . تذكرنا بقولنا المالوف في بلادنا « النبي أوصى بسابع جار » . وكم سمعنا من الوان ذلك سواء في رعاية الاطفال في غياب الوالدين او المساعدة في المطبخ عند دعوة ضيوف للطعام او رعاية المريض او غير ذلك كثير .

الديمقراطية تعمل

ويكفي ان نشير هنا لما عرفه العالم كله باسم (فضيحة ووترجيت) .. وكيف تتبعت الصحافة طرف الخيط وكيف لم يحجم القاضي عن ارغام رئيس الجمهورية على تقديم ما لديه من اشرطة مسجلة .. وكيف حاكمت الامة رئيسها عمليا ثم عزلته من منصبه بغير انقلاب ابيض او اسود .. وماذا كانت التهمة ؟ ان الحزب الحاكم تجسس على خصومه السياسيين .. انها صفعة كبيرة .. لا صفعة اتهم ولا لرئيسهم ولكن للبلاد التي تعتبر فيها هذه التهمة هي الاسلوب العادي للحياة وللحكم . بل هي الاسلوب الوحيد الذي يعتبر سواء خيالا او خبالا .

العلم والحياة

لم تكن امريكا بلاد الرخاء بفضل غناها في الموارد الطبيعية فحسب .. ولكن العلم طوع هذه الموارد ونماها وادنى قطوفها للانسان .. فبفضل العلم اصبح فدان الارض يغل اضعاف غلته ، واصبح الفلاح الواحد يقوم بعمل فرقة من الفلاحين .. وقس على هذا في الصناعة بكافة ابوابها .. وعلى الرغم من ان امريكا تنفق اموالا طائلة على البحث العلمي — وكثير منه لا يفضي الى نتائج ايجابية - الا انها تعد ذلك استثمارا ناجحا لا فاقدا ولا عادما .

في الجانب المظلم

لعل افة امريكا الاولى الآن هي انصرافها عن الله بدرجة متزايدة .. القيم الدينية لم تعد الملهم الاول لتصرفات اعداد متزايدة من الناس .. كثير من القلق الديني يشغل العقول ولعل لهم العذر احيانا وهم يراجعون تاريخ الصراع بين العلم والكنيسة .

وقد تجلى هذا في حلول مجموعة جديدة من القيم عن الخير والشر والفضيلة والرذيلة غير ما عرفته الانسانية عن طريق الاديان كلها . على الرغم من وجود قطاعات محافظة من الشعب الامريكي شيبه وشبانه ، فان الغالب الاعم لم يعد يعتبر الاتصال الجنسي خارج نطاق الزوجية شرا ولا رذيلة !! ونشا عن ذلك شيوع الامراض السرية التي كان يظن انها دخلت ذمة الماضي . ان طبيبا مسئولا دعا الى اعلان حالة الطوارىء القومية لما هالته الآلاف والآلاف من الاصابات العديدة ، بالزهري والسيلان كل عام .

من المواقف التي اذكرها بامتعاض مرة في مطعم احدى الجامعات في امريكا ، وجمع من الطلاب يجلس الى مائدة ، حين جاء زميل لهم

يسال بغير حياء : هل نام احد منكم مع فلانة ؟ .. وفلانة هذه زميلة لهم .. واستطرد الشاب : لقد اخبرنى الطبيب ان عندى سيلان واظن انه منها.فاجبت ان اتاكد ان كان فيكم من نام معها واصابته الاعراض !! شىء مقرف .. وكان على المائدة طالبات !!

واذا كانت هذه مفاهيم عادية ، فناهيك عن المفاهيم غير العادية والوان الانحرافات غير النادرة الناتجة من ان القرائز والنوازع لاعاصم لها من دين او تقوى .. كالزواج الجماعى وتبادل الزوجات واللواط وغيرها مما يضيق به الصدر والمقام . وهى انحرافات لاتستحى ولا تستخفى وانما يحاول اصحابها ان يروجوا لها وكانهم من اصحاب المبادىء والرسالات !!

امريكا .. واسرائيل

اما من الناحية السياسية فلقد كنا حتى الحرب العالمية الثانية نجد عواطفنا مع امريكا تماما ، ونعتقد ان الشعب الامريكى شعب شبعان فلا مطمع له فى حقوق احد ، وانه منصف فلا ينحاز الا لصاحب الحق .. ولكن مرور الايام اذهلنا ونحن نجد لامريكا اطماعها ، ونجد منها انحيازها الكامل لاسرائيل ضد الحق العربى ، ولن انسى ما حييت تصريح الرئيس جونسون قبيل حرب السبعة والستين اذ قال « ان اسرائيل تذكر امريكا بطفولتها » .. وهل كانت طفولة امريكا الا ابادة اهل البلاد من الهنود الحمر ليرثوها ارضا بلا شعب تماما كما ادعت اسرائيل ان قضيتها الغاشمة انما هى اعطاء ارض بلا شعب لشعب بلا ارض ؟!

ومن العجيب ان تسمح امريكا للنفوذ الصهيونى فيها ان ينحرف بسياستها حتى عن مصلحة امريكا نفسها ايثارا لمصلحة اسرائيل .. لا عن عقيدة ولكن لان الصهيونية هناك تسلط على الساسة سلاح الرعب والرهب ، وهو سلاح لايقاومه الا ضمير يراقب الله ولايخشى سواه ! وتزداد اقتناعا بفساد راى الذين يقولون ان الاخلاق الشخصية منفصلة عن الاخلاق العامة .. لان من فتن عن الحق فى حياته الخاصة لم يستعص على الفتنة فى حياته العامة . ومن ضيع حق الله فيما بينه وبين الله كان اضيع لحقوق الناس فيما بينه وبين الناس .

ومما يؤسف ايضا فى امريكا ارتفاع نسبة الجريمة فى بعض مدنها من قتل او خطف او اعتداء او اغتصاب . وفى بعض البلاد يصبح السير ليلا فى الشوارع مخاطرة غير مامونة .. واذكر اننى مرة كنت ازور معرضا فى مدينة بلتيمور .. وكان لكل جمعية او شركة جناح تعرض فيه .. من ضمن هذه الاجنحة كان واحد لبوليس المدينة ، وكان مما يوزعه على الزائرين مطبوعات منها : « ارشادات فى الدفاع عن النفس للسيدات » ! ثم التفرقة العنصرية ضد السود فى بعض مناطق امريكا رغم ان القانون يحرمها .. حيث مازال الاسود يعير بلونه ويوصم بانه عبد .. ناسين انه كان فى بلاده حرا ، ثم اختطفوه ثم استعبدوه ليسخروه للعمل فى مزارع القصب .. وهو ظلم سيدفع الشعب الامريكى ثمنه ولو بعد حين ما لم يسارع الى التكفير عن خطئه .

العودة الى الله

باستثناء ما حدث للسود فى امريكا ، نجد ان موجة الانحلال ليست مقصورة على الولايات المتحدة وحدها ، فلقد استشرت فى اوربا كلها.. حتى بدا الغد كئيبا ومظلما .. ولكننى لااشارك هؤلاء الذين يقولون انها عودة الى حياة الغاب والانسان الاول ، وان لاعودة منها .. اننى متفائل بالغد. فالشمس لاتشرق الا بعد ظلمات .. والعودة الى الله اتية لاريب فيها .

ان الانسان الذى حقق معجزة هذا التقدم الهائل فى شتى مجالات الحياة خلال فترة تقل عن المائتى عام ، قادر على ان يحقق المزيد من المعجزات من اجل حياة افضل ، واكثر قربا الى الله .

والخلاصة ان امريكا بلاد كبيرة وجميلة ووفيرة الخير .. فيها كثير من حسنات خلطتها بكثير من السيئات .. ونسال الله ان يهدى القوم الى الرشد والحق لان فى هدايتهم نفعا لنا ـ وللانسانية . وان يمكننا من صرفهم عن الضلال الى الرشاد . فتراثنا الروحى غنى بما يلبى حاجتهم ويضىء ظلامهم ويروى ظماهم ، ان ادينا واجبنا فى اتباعه ثم فى دعوة الناس اليه .

■■

حسان حتحوت

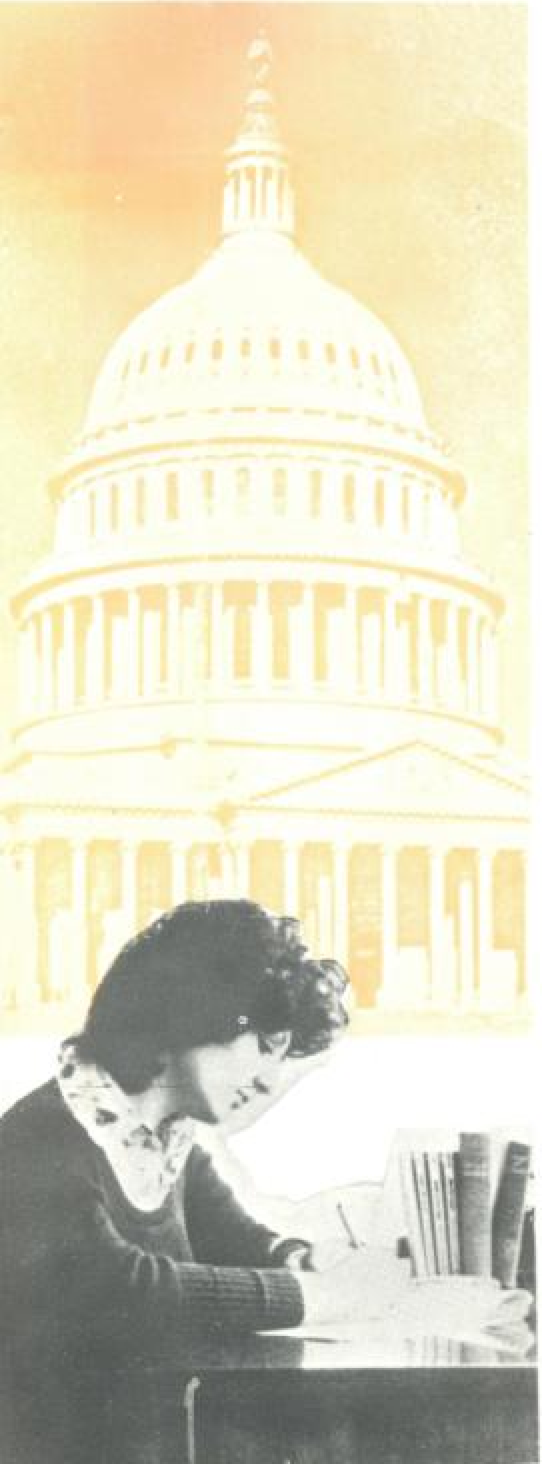
شاعرة سورية في وشنطن



■ رنا قباني ، كريمة سفير الجمهورية العربية السورية في الولايات المتحدة الدكتور صباح قباني ، شاعرة مبدعة ، ورحالة على نطاق عالمي ، وطالبة جامعية .. وهي الآن في عمر الزهور (١٦) سنة ويبدو انها تسير على خطى عمها الشاعر الكبير نزار قباني .

ومع أن رنا قباني تكتب اشعارها بالانجليزية، فان احاسيسها تنبع من رومانتيكية تراثها العربي وحياتها الدولية الملامح . فبحكم العمل الدبلوماسي الذي يمتهنه والدها ، امضت سنوات كثيرة في الغربة ، بعيدا عن ارض الوطن . فقد عاشت خمسة اعوام في مدينة نيويورك حيث كان الدكتور قباني يمثل بلاده في منظمة الامم المتحدة،ثم اربعة اعوام في جاكرتا ، باندونيسيا. وفي سنة ١٩٧٤ ، رافقته ، مع أمها وشقيقتها ، الى واشنطن .

ورنا التي تجيد الانجليزية وتتكلمها بطلاقة الى جانب لغتها العربية ، بدات تنظم الشعر في نيويورك وهي لما تتجاوز الثامنة من العمر . فالموهبة لا تعرف عمرا .. وقد كانت باكورة انتاجها الشعري ديوان « الطريق اليك » الذي نشرته في دمشق عام ١٩٧٤ . ومعظم قصائد هذا الديوان هي من وحي احداث جسام وطفرات عاطفية في حياة فتاة شابة . وهناك قصائد عديدة استوحتها من رحلاتها في هذا العالم . احدى اروع هذه القصائد قصيدتها بعنوان«الميناء الجوي ميناء الكدر» ، وتعبر فيها عن الم الوداع والفراق . وثمة قصيدتان اخريان هما عبارة عن صورتين مبرحتين تعكسان حزنها على وفاة قريب لها في شرخ الصبا ، هو ابن عمها .



وتقول الشاعرة فى مقطع من قصيدتها «الضباب» :

أنت مت .
لو كنت واحدا ممن لا أعرف
لو كنت أيا من الفتية الطيبين
ثم سمعت عن موتك
لاستطعت ان ابكيك
بدمعة كالدموع ..
لكن الميت
هو أنت .
أنت . كلمة كنت أجهل
أى عالم عظيم تبنيه .
وهيهات
ان استطيع ندب عالم
بكلمات .

ومن الشعراء المفضلين لدى رنا قباني ، والذين تاثرت بهم كثيرا ، بالاضافة الى عمها نزار ، املي ديكنسون (امريكية) ، وبودلير (فرنسي) . وهى تتوقع أن تتركز دراستها فى جامعة جورجتاون على الادب ، وبنيتها أن تعود الى سوريا لتدريس مادة الادب على مستوى جامعى .

وتقول الشاعرة الشابة : « اود ان اقوم بعمل شيء من اجل تحسين وضع المراة » ، وهى تعتقد « ان اهم شيء فى معركة التطوير للبلدان العربية هو افساح المجال امام المراة العربية لتلعب دورا كاملا » .

وتريد رنا أن ترى الوطن العربي ينتفع بقدر أكبر من مهاراتها وطاقاتها . وتقول فى معرض الحديث عن دور الرجال والنساء فى المجتمع : « ينبغى أن نعمل كلنا معا كعائلة واحدة » .

ولكن شغل رنا الشاغل الآن هو ان يكون لشعرها الرومانتيكي تاثيره على ما يبدو انه عالم محموم جدا .

وتقول : «ان الناس يحتاجون الى الرومانتيكية ، والعالم بدونها مكان متجهم مروع . فالعمارات الشامخة والصناعات المعقدة شيء جميل ، ولكننا بحاجة الى المحافظة على قيمنا الانسانية ، وعلى مشاعرنا واحاسيسنا الخالصة المجردة » .

■■

رابع امريكـ



« نشات كعضو في مجتمع الاقليات ٠ كاتما هويتي العرقية ٠ وكنت اشعر بلبنانيتي في يوم الاحد فقط ٠ عندما كنا نذهب الى بيت جدتي العجوز »

● شاب وسيم ، تتنسم ملامحه بالرصانة ، والعزم ، والتصميم والانفعالية ، يعبر الممر النفقي (تحت الارض) الذي يصل بين مباني « كابيتول هيل » في واشنطن العاصمة ، لم يقف متمهلا ليكشف عن هويته ارجل الامن ، الذي يراه لاولمرة على مايظهر ٠ويعتذر رجل الامن لعدم معرفته له ، غير ان الشاب يبدو مالوفا لكثيرين٠٠ هل لانه سبق وشاهدوا صورته في الصحف ؟! او صادفوا شبيها له في صفوف احدى الجامعات في بيروت ؟

او في احد مقاهي الرصيف في شارع الحمراء (سابقا) ، عندما كان هناك شارع ٠

ان هناك قطعا بعض ملامح لبنانية فيه وتعرف ذلك حينما تتحدث اليه ٠

وهو عندما يحدثك تراه ينتقل الى ابناء عمومته في بيروت ، وفي قريتي « بان » و « طورزا » المستقرتين على مقربة من الارز في شمال لبنان ، وعن جدته روز رومانوس (خضير) التي ابصرت النور في لبنان قبل ٨٢ سنة ، والتي لاتزال تدير متجرا لبيع الاقمشة والملبوسات الجاهزة في هوليوك (ماساتشوستس) ، ويقول : ان هؤلاء القادمين من جبل لبنان لايقرون بعجز ، او ينسحبون من معترك الحياة بسهولة٠ فلديهم من الطاقةوالقدرة الابداعية الخلاقة ما يجعلهم يتخطون ذلك الزمن حيث كان معظم الناس يجلسون ، متكاسلين ،حول موقد النار ٠

لقد ورث انطوني محفوظ ـ ويعرف في المجتمع الامريكي بـ « توبي موفيت » ـ بعضا من الطاقة الفائقة التي اشتهر بها ابناء الجبل من اللبنانيين ٠ واليها يعود بعض الفضل في انتخابه مؤخرا (وهو في الثلاثين من العمر) عضوا في مجلس النواب الامريكي ، وفي كونه سادس اصغر اعضاء الكونجرس سنا في الولايات المتحدة ٠

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ ، اعطى ناخبو الدائرةالسادسة فيولاية كونيتكت اصواتهم للمرشح الديمقراطي توبي محفوظ ٠ وانتقل النائب الجديد الى وشنطن ليمثل النصف مليون امريكي ـ وبعضهم من اصل لبناني ـ الذين



أصل عربي يدخل الكونجرس

يعيشون في منطقته • (توبي محفوظ هو احدث اربعة امريكيين من اصل عربي يخدمون الآن في الكونجـرس الامريكي والثلاثة الآخـرون هم : السناتور جيمس ابو رزق (داكوتا الجنوبية)، والنائب جيمس عبد النور (داكوتا الجنوبية) وابراهيم الخازن (تكساس) •

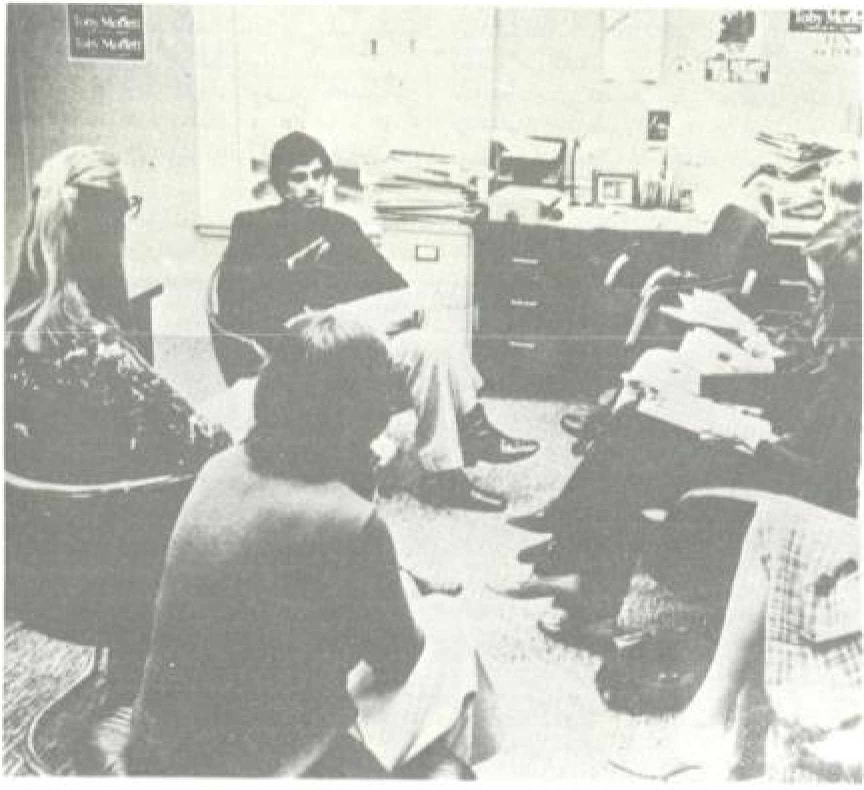
ويقول النائب محفوظ في لقاء معه في مطعم الكونجرس : « انها نوع من العلاقه الرومنطيقية التي تربطني بدائرتي » •

ويستطرد قائلا : « ان خوض ميدان السياسة له صلة بهوية الشخص نفسه • فقد نشأت كعضو في مجتمع اقليات • وكنت اشعر بلبنانيتي في يوم الاحد فقط ، عندما كنا نذهب لزيارة جدتي في بيتها ، ونتناول الطعام اللبناني ، واستمع الى الاهل يتحدثون بالعربية » •

واليوم ، يصف توبي نفسه بالانسان « العائد الى اصوله وجذوره » ويعترف ان على الاقليات واجبا والتزاما بان تتذكر تراثها الحضاري • ويقول ، ان المرء يزداد تقديره لتراثه مع تقدمه في السن • وتسـمعه يتحدث بحماس كبير عن احتمال تعلمه اللغة العربية •

وفي هذا الصدد يقول : « ان ابنتي جوليا هي الآن في السادسة من عمرها ، واود ان ارسخ في ذهنها معرفة اصلها ومن اين جاءت ولكن هذا ليس بالشيء السهل لانني فقدت في الواقع الكثير من خلفيتي الثقافية » •

النائب انطوني محفوظ في اجتماع مع بعض الصحفيين بعد انتخابه عضوا في مجلس النواب الأمريكي



مع

المهاجرين العرب

الأوائل إلى العال



■ هناك ما بين عشرة الاف وخمسة عشر الف امريكي متحدرين من أصل سوري ولبناني يعيشون في تكساس ، وقد جسدوا باعتزاز ، هذا التراث الفني في انماط حياتهم اليومية ·

لقد جاء أوائل الرواد السوريين واللبنانيين الذين استقروا في تكساس (أثناء موجة الهجرة الكبرى الى الولايات المتحدة بين عامي ١٨٨٠ و ١٩٢٤) من عائلات مسيحية في الغالب ـ ارثوذكسية ، ومارونية ، وكاثوليكية ، وبروتستانتية · وكانت طلائع المهاجرين العرب قد وصلت الى تكساس في عام ١٨٥٦ ، من اجل مساعدة الجيش الامريكي على استخدام الجمال في عمليات النقل عبر الصحراء بين تكساس وسان دييجو ، بكاليفورنيا · واكثر هؤلاء تذكرا

كانت اسرة البروفسور يوسف اربيلي اول عائلة سورية تستوطن تكساس · لقد وصل الى امريكا مع زوجته واولاده الستة وابنة اخيه في عام ١٨٧٨ ·



ديد



روز ماري جيليت كرم اجرت بحثا عن الامريكيين العرب الذين يعيشون في المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة .

وابعدهم شهرة هو الحاج علي ، المواطن السوري الذي جاء الى امريكا في تلك السنة ومعه ٣٣ جملا .

والمهمة التي قام بها الحاج علي انذاك ،والتي كانت شيئا غريبا غير مالوف في عملية ترويض الغرب الامريكي ، وهي مرافقته لقوافل الجمال ، عبر الصحاري، تخلدها الآن لوحةتذكارية وضعتها ولاية اريزونا على قبره ونقشت عليها العبارة التالية :

« معاون امين لحكومة الولايات المتحدة طوال ثلاثين سنة » .

دخل معظم المهاجرين حلبة الاقتصاد الامريكي ، كباعة متجولين كانوا يطوفون المناطق الحدودية القليلة السكان ، والتي انتشرت فيها فيما بعد المدن التكساسية . وفي اخر الامر ، كسب هؤلاء من المال ما يكفي لتاسيس عمل خاص او مهنة ، وبدأوا في انشاء عائلات لهم .

سوريون ولبنانيون من تكساس

وقد صدر مؤخرا كتاب يشتمل على تاريخ بعض تلك العائلات العربية بعنوان « سوريون ولبنانيون من تكساس » . وهو من وضع روز ماري كرم (الصورة فوق الى اليسار) ونشرته مؤسسة تكساس لدراسة الحضارات في سان انطونيو . وقد رسمت في كتابها المصور ملامح هؤلاء الناس وحياتهم ماضيا وحاضرا وهو يبرز روح امريكا .. امة وطنها وبناها مهاجرون من انحاء الدنيا ، وكونتها تراثات حضارية عديدة .

اهتمامات العرب

ويكشف بحث الدكتورة روز ماري كرم ايضا عن الامور التالية :

● يميل ابناء الجيل التالي من المهاجرين الى الانصهار تماما في بوتقة المجتمع الامريكي مع الاهتمام بعض الشيء باصولهم وخلفيتهم العرقية، ويتركز هذا الاهتمام عادة على الدين ، والاحداث الاجتماعية ، وبعض الملامح الثقافية ، والمآكل العربية .



. جنيفير مرعي ، طالبة جامعة تساهم في ادارة شركة للمنتجات الزراعية تمتلكهـــا خالتها في تكساس .

● يهتم ابناء الجيـل الثالث والرابـع من المهاجرين ، ولا سيما الذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ و ٣٠ سنة ٠ اهتماما كبيرا بالعالم العربي، تاريخه ومشاكله السياسية الراهنة ٠

● هناك وعي حضاري كبير بين ابناء الجيلين الثالث والرابع ٠ والاشخاص الاصغر سنا في هذه الفئة ، هم الاوعى سياسيا والاكثر تعاطفا مع وجهات النظر العربية حول القضايا الدولية ٠

واثناء اجراء بحثها هذا حاولت المؤلفة تحديد مدى تأثير خلفية المهاجر العــــربي على ارائه السياسية ، ومدى تعلقه بخواصه العرقية كاللغة العربية ، ومدى اهتمامه بالتفاصـيل المتعـلقة بهجرة عائلته ٠

ولقد وجدت الدكتورة كرم ان السن هي العامل المهيمن في مجال الاجابة على هذه الاسئلة ٠ وفي الوقت الذي يتبين لها ان احـــدا من الامريكيين العرب لا ينتخب ، كما يبدو ، على اساس عرقي، فقد وجدت ان الاصغر سنا هم الاكثر اطلاعا من الناحية السياسية محليا كما وجدت ان الاصرار على الارتباط بالخلفية العرقية ـ المنعكس في حقيقة ان ٩٢٪ من حوالي ٧٠٠ شخص ممن اجابوا على اسئلة الدكتورة كرم عرفوا بانفسهم كامريكيين عرب ـ كان واضحا لدى فئات من جميع الاعمار ٠

وتعتقد الدكتورة كرم ان احـدى أهم نتائج بحثها التصاعد الكبير في الاهتــــمام الحضاري العربي بين شباب العـــائلات التي انصهرت في المجتمع الامريكي ٠

ان الكتاب هو بمثابة موسوعة عن جميع نشاطات ما يقرب من مليوني مهاجر عـربي في الولايات المتحدة ! ٠

وترى بارباره اسود ، التي تولت مراجعـــة وتنقيح الكتاب ، والاستاذة المشاركة لعلم الانسان في جامعة واين في ديترويت (ميتشجان) ، ان اهتمام الجماعات العرقية بنفسها وبالجمـاعات العرقية الاخرى قد اتضح تماما في الولايات المتحدة في أواخر الستينات والسبعينات ٠ ولم تشـذ عن هذه القاعدة الجاليات الناطقة باللغة العربية ٠

وبالنسبة الى العرب فان صلاتهم المســتمرة والمتزايدة بين مجتمعاتهم في الولايات المتحــدة وتلك التي هاجـروا منها هي عامـل رئيسي في هويتهم العرقية ٠ ويعود بعض السبب في ذلك الى تدفق اللاجئين والمهاجرين المستمر من بلدان العالم العربي ٠ كما أن خفض اجور السـفر الجوي في الرحلات الجماعية (تشارتر) يمكن من تكـرار الزيارات بين حين وآخر ٠ وكذلك الخدمات البريدية والبرقية والتلفونية المحسنة ، التي تجعل الاتصـــالات أسهل ٠ وهكذا نجد أن الروابط التي لا تنفصـم قط في الحقيقة بين هؤلاء المهاجرين وذويهم ، قد زادت قوة ٠

مسيحيون ومسلمون

وتقول محررة الكتاب ان معظم المغتربين العرب الذين هاجروا الى الولايات المتحدة ، قد جاءوا من منطقة واحدة وينتمون الى اقلية دينية في العالم العربي ٠ فحوالي ٩٠ في المئة منهم هو من نصارى لبنان وعلى العكس فان من أصغر الفئات الدينية الموجودة في الـولايات المتحدة هي فئة المسلمين السنة ، دين الغالبية الكبرى من العرب٠

ومعظم المهاجرين ، من مسلمين ومسيحيين ليسوا من طبقة المزارعين (الذين يستـغلون الارض لمصلحة المالك) ولا من النخبة ، وانما من أبناء القرى والمدن في المنـاطق الريفية حيث كانت



لورنس عقل المحامى والقاضى السابق له عشرة ابناء اكبرهم لورنس وجورج • وهو من بلدة المتن بلبنان هاجر الى امريكا عام ١٩٠٧ مع ابنه هنرى جون عقل •

الكثرة منهم من اصحاب الملكيات الزراعية الصغيرة ومن الذين يعتمدون على انتاج ارضهم كمورد للرزق •

وبعض هؤلاء كانوا من صغار التجار ، ولبنان بلد تجارى فى الدرجة الاولى • وفى أول الامر أصبحوا باعة متجولين ، ومزارعين ، أو من التجار الصغار • وفيما بعد اصبح البعض من كبار التجار ، او الموظفين او المهنيين •

واستمروا فى ارسال المال الى الاهل والاقارب وزيارة الوطن لاختيار شريكة العمر ، وبالتالى الاتصال مع الوطن الام •

الهجرة المسلسلة

وكانت سياسة الهجرة المطبقة فى الغرب تحبذ احيانا هجرة الاقارب ، وذوى المهارات واللاجئين وكان من نتيجة « الاولوية » التىاعطيت للاقارب، بموجب هذه السياسة ، ما عرف بـ « الهجرة المسلسلة » بحيث نجد ان ابناء بعض الاسر والقرى يشكلون نسبة عاليةمن المهاجرين المتجمعين فى مناطق معينة من الولايات المتحدة •

وفي معظم الدراسات التى تضمنها الكتاب تبدو اهمية العلاقات العائلية وعلاقات النسب واضحة• كما يتضح ايضا من فصول الكتاب ، ان الجاليات العربية فى الولايات المتحدة هى الآن جزء من النظام العرقى والطبقى الامريكى • ومعظم ابناء هذه الجاليات بدأوا حياتهم فى وطنهم الجديد من القاع تقريبا ، كما تفعل غالبية المهاجرين القادمين من المناطق القروية • وكثيرون منهم عملوا وجدوا وتوصلوا الى مراكز محترمة •

ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى أبناء رام الله الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من الثقافة حين مجيئهم الى الولايات المتحدة •

وكان لبعض المهاجرين المتعلمين والطلاب الجامعيين دور مهمفى النهضة السياسية والثقافية التى ظهرت فى أوساط الجاليات العربية الامريكية • وهؤلاء يختلفون عن غيرهم من أبناء الجاليات الاخرى لان الكثيرين منهم لم يكونوا من أصل قروى • واحيانا كثيرة لم تكن لهم روابط قومية او صلات نسب فى الولايات المتحدة ، كما أن العديد منهم كانوا ينتمون الى طبقات ارقى •

وتحلل الدراسات المتضمنة فى هذه المجموعة من المقالات واحدة من هذه الجماعات العربية وبعضها تعرف بانتمائها الدينى ، كالجالية المارونية فى ديترويت ، وبعضها تعرف باصل موطنها ، كجالية رام الله • وبعضها جرت دراستها فى ضوء موقعها الخاص ، او وضعها الاقتصادى فى الولايات المتحدة ، مثل عمال السيارات فى ديربورن (مشيجان) •

حياة الجاليات العربية

والكثير من الدراسات فى الكتاب تتناول حياة الجاليات فى منطقة ديترويت وهذه الجالية هى واحدة من اكبر الجاليات الناطقة باللغة العربية فى الولايات المتحدة اذ يزيد عدد افرادها على ٧٠ الف شخص •

وهناك جالية من ابناء الطائفة الكلدانية ، وتشكل اقلية صغيرة فى العالم العربى ، جاءت من شمال العراق وبغداد ، ونجحت فى توطيد مركز ممتاز لها فى المجال التجارى فى ديترويت ـ تجارة مواد البقالة • وجميع افراد هذه الجالية تقريبا جاءوا من بلدة واحدة فى شمال العراق



غادر زخارى مفرج لبنان عام ١٨٨٦ على متن سفينة متجها الى هافانا عاصمة كوبا .. وانتقل الى امريكا فى تكساس .. وفتح محلا للالبسة الجاهزة .. ثم تحول الى تجارة الاراضى والعقارات .. الصورة لزخارى مع نجله فى سيارة من طراز ١٩٢٠ .

هى بلدة تلكيف . ومعظمهم يتحدثون بالعربية ، وكثيرون منهم يتكلمون الكردية . واوائل المهاجرين الذين جاءوا الى الولايات المتحدة من تلكيف ، وصلوا الى ديترويت حوالى عام ١٩١٠ . وبحلول عام ١٩٧٢ ، ارتفع عدد افراد هذه الجالية الى ٥٩٠٠ نسمة يشكلون ١١٨٧ عائلة . وبالرغم من ان الجالية الكلدانية احتفظت بعلاقات وثيقة مع بلدتها الاصلية ، فقد بقى الاتصال بين ابنائها فى ديترويت وبين بقية المهاجرين العرب محدودا .

وفى الكتاب دراسة اخرى عن الجالية المارونية فى ديترويت وتشكل اكبر جالية عربية فى منطقة ديترويت ، اذ يقدر عدد افرادها بعشرين الف نسمة . وقد وجد المؤلف ان هذه الجالية قد اندمجت ، الى حد بعيد ، فى صميم الحضارة الامريكية . فمعظم ابنائها يحملون اسماء امريكية، والغالبية منهم تتكلم الانجليزية فى البيت ، ومعظمهم يعرفون بانفسهم كلبنانيين امريكيين .

وثمة جالية اخرى فى ديربورن (مشيجان) تتالف من مهاجرين من جنوب لبنان ، وفلسطين ، واليمن . اشتهرت بالمسجد الجميل الذى شيدته ، والمقاهى والمطاعم العربية ومخازن البقالة العديدة التى تملكها . ولكن هذه الجالية تواجه الآن محاولة التشتيت من جراء سياسة التجديد الحضرى التى قد تقضى بتحويل المنطقة لاغراض صناعية .

الجالية الاسلامية فى ديربورن

وهناك دراسة اخرى تتناول الجالية الاسلامية فى دير بورن . ويجد المؤلف أن بين أبناء الجيل الثالث فيها توكيدا جديدا على الثقافة العربية، هو اقوى بكثير من ذلك الذى عرف عن الجيل الثانى .

ويقول كاتب مقال اخر من مقالات الكتاب ،ان اسلوب حياة ابناء عين الدير فى لبنان ، وعاداتهم وتقاليدهم ما تزال نشيطة ومزهرة فى مدينة ادمونتون الكندية . فالسكان هنا يعيشون فى بيوت كندية . ويعملون فى مجالات الاقتصاد الكندى ، ويدفعون ضرائب كندية ، ويحملون الجنسية الكندية ، ويتعلم اولادهم فى مدارس كندية . ولكن « كل قواعد الضيافة ، واداب المعاشرة ووسائل التسلية والترفيه ، والطقوس الدينية ، وحتى الترتيبات والتنظيمات المساحية فى البيوت والاماكن العامة تتمثل فيها،باروع تفصيل وادقه. جميع الملامح التى اشتهرت بها القرية الام » كما تقول كاتبة المقال ، ثم تضيف :

« بل ويمكن القول ان قرية عين الدير بكل ملامحها تقريبا قد اعيد بناؤها بنجاح فى صورة مدينة كندية دون اى اختلاف واضح يمكن ان يلمحه المرء . اللهم مالم يكن واحدا من ابنائها .. وهو لا يتعدى التغيير فى الزى فى العلن » . ■■

الصحافة العربية في امريكا



■ كان للصحافة اثر بعيد في الترغيب بالهجرة مما حمل الكثير من اللبنانيين والسوريين على ترك بلادهم قاصدين الغرب لعلهم يحققون بعض ما سمعوا به ·

وتجمع معظم هؤلاء المهاجرين في حي من احياء نيويورك عرف بشارع وشنطن الذي اصبح صورة مصغرة للحياة التي تركوها وراءهم · وهناك اسسوا جمعياتهم الخيرية ، والعلمية والاجتماعية واحسوا بالحاجة الى ما يربط بينهم بطريقة اوثق ، وما يربطهم ايضا بالوطن الام ويعبر عن ارائهم مجتمعة ، فكانت الصحافة العربية في المهجر ·

وكان لكل طائفة جريدة او اكثر تنطق باسمها وتحمل رايتها ، فسبب ذلك مهاترات وجدالات بين بعض هذه الجرائد كانت تؤدي ، في غالب الاحيان ، الى التفرقة ، والحقد ، والانقسام بدل التفاهم والتعاضد · واصطبغت كثير من هذه الجرائد ايضا بصبغة حزبية او غيرها ، وبينما كانت الجريدة مارونية ، او ارثوذكسية ، او اسلامية ، او درزية ، كانت فوق ذلك لبنانية ، او فرنسية ، او عربية ، او روسية ، او مزيجا من هذه الميول والنزعات ·

وحدثت خلال ذلك خلافات تناقلتها الصحف العربية المهجرية يوما بعد اخر وكان لها اثرها السيء في نفوس الكثيرين · واستفاق كثير من المهاجرين الذين تحققوا من مدى الضرر الذي تسببه مثل هذه الخلافات وما تجره من مهاترات ، في سمعة الافراد المعنيين والشعب العربي عامة ، وراحوا يكتبون بهذا الصدد ، ويحللون المواقف ويحذرون من العواقب ، وسالت اقلامهم بمداد يمقت التعصب الطائفي ، والحزازات الشخصيه والخلافات السياسية ، والتكتلات الاقليمية واجتازوا بذلك حدود الجالية في امريكا الى الوطن الام وكانوا يجدون منبرا حرا في هذه البلاد الامريكية واستعملوه ضد كل ما يعوق تقدم المهاجرين او يسيء الى سمعتهم·

● في عام ١٨٩٢ انشا الاخوان نجيب وابراهيم عربيلي اول جريدة عربية في الولايات المتحدة وهي جريدة « كوكب امريكا » ، وكان ابراهيم طبيبا وكان نجيب احد موظفي دائرة الهجرة الامريكية وقد ساعد كثيرا من المهاجرين الشرقيين في اوائل سنوات الهجرة · وقد عملت الصحيفة على تقريب وجهات النظر بين الشرق والغرب ودافعت مرات عديدة عن حقوق المهاجرين الذين



جاءوا من بلدان الشرق الاوسط للاقامة في هذه البلاد ؟

● صدرت جريدة « كوكب امريكا » في سنتها الاولى باللغتين العربية والانجليزية ثم اصبحت عربية صرفا . ووصفت نفسها عند صدورها بصحيفة : « اسبوعية شرقية تعمل على تنمية العلاقات الطيبة والتفاهم الجيد بين الشرق والغرب » . واستمرت في الصدور طوال ١٧ عاما ثم احتجبت في عهد صاحبها الاخير عباس ابو شقرا عام ١٩٠٩ .

● في فبراير ١٨٩٨ ، برزت الى عالم الصحافة جريدة « الهدى » لصاحبها نعوم مكرزل، وكان لهذه الجريدة مواقف قوية في الدفاع عن لبنان واستقلاله . وكانت « الهدى » اوسع الجرائد العربية انتشارا في المهجر وارقاها واطولها عمرا . فقد اكملت طريقها مع مؤسسها نعوم مكرزل حتى وفاته عام ١٩٣٢ ، وانتقلت بعد ذلك الى اخيه سلوم مكرزل الى ان وافته المنية عام ١٩٥٣، ومنه الى كريمته الآنسة ماري مكرزل حتى سبتمبر عام ١٩٧١ حينما توقفت ورفيقتها « ذي ليبنيز امريكان جورنال » .

● في شهر فبراير ١٩٧٢ ، أي بعد ٨٠ عاما من صدورها ، اشتراها فارس اسطفان واعاد اصدارها . وكانت « الهدى » مسرحا مهما لكتابات امين الريحاني الذي تتلمذ على قريبه نعوم لمدة سنتين .

● في شهر سبتمبر عام ١٨٩٩ ، ظهرت جريدة مهمة اخرى هي « مرآة الغرب » لصاحبها نجيب دياب ، فناهضت رأي « الهدى » دينيا وسياسيا ودافعت عن الفكرة العربية ووقفت مواقف قومية مشرفة ، اثارت نقمة السلطات العثمانية فحكمت على صاحبها بالاعدام واحتجزت ممتلكاته ، غير ان الحكم وقرار الحجز الغيا بانهيار الحكم العثماني بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى . وكان نجيب دياب من الذين حضروا مؤتمر باريس العربي السوري الاول عام ١٩١٣ والقى خطابا فيه بعنوان « اماني السوريين المهاجرين » .

● واطل عام ١٩٠٣ فحملت الصحافة معه عهدا جديدا نيرا كان مفتاح مدرسة ادبية خيرة . في هذا العام بالذات انشأ امين الغريب جريدة « المهاجر » . والتقى صدفة بجبران خليل جبران في بوسطن فاعجب به ودعاه لان يكتب الى « المهاجر » ، وكان امين الغريب يشذب له لغته ويهذب بعض افكاره وينشر له باكورة انتاجه الادبي وخاصة ما اصبح يعرف منها بـ « دمعة وابتسامة » .

وكانت « المهاجر » مسرح تدريب جبران على الكتابة ، ومختبره الذي حكم فيه على ردود فعل قرائه . ويكفي امين الغريب فخرا انه اكتشف جبران خليل جبران فدربه وعرفه الى الجمهور ، واسمع العالم همساته الاولى في « مهاجره » .

● ظهرت في الصحافة المهجرية عام ١٩٠٦ ، مجلة رفيعة بدأت جذورها في الاسكندرية (مصر) وهي « الجامعة » لصاحبها فرح انطون. ولم تكن الصحافة المهجرية قد عرفت حتى ذلك الحين مجلة « كالجامعة » ، غير ان معظم قراء العربية في المهجر لم يكونوا على مستوى صحف « كالجامعة» ،فيها ترجمات الفلاسفة والادباء،وفيها الرفيع من الآداب العالمية بحيث كانت رابطة مهمة بين الادب المهجري والادب العربي غير انها مالبثت ان عادت الى مصر وعاد معها صاحبها .

● في عام ١٩١١ صدرت جريدة « البيان » لصاحبيها سليمان بدور وعباس ابو شقرا ، لتكون لسان الطوائف الاسلامية الدرزية التي لم يكن لها جريدة على غرار الطوائف الاخرى وقد انتقلت « البيان » الى ايد كثيرة وتعاقب على تحريرها عدد من المحررين حتى استقرت اخيرا مع راجي الظاهر صاحبها حتى اليوم . وساعدت « البيان » القضايا العربية وايدتها ودافعت عنها بكل قوتها .

● صدرت عام ١٩١٢ جريدة « السائح » لصاحبها عبد المسيح حداد ، وكانت مسرح اقلام ادبائنا المهاجرين المعروفين امثال الريحاني،وجبران ونعيمة ، وابو ماضي ، واصبحت جريدة الرابطة القلمية .

● في عام ١٩١٣ اصدر نسيب عريضة ، وهو من اعضاء الرابطة القلمية ، مجلة ادبية ممتازة هي « الفنون » فاخرجت الى عالم الادب ترجمات لاقلام مشاهير الكتاب الغربيين وكتب فيها الريحاني ، وجبران ، ونعيمة،وخصوصا ببعض من احسن نتاجهم الادبي .غير أن « الفنون» لم تعمر طويلا ، فقد توقفت عند ابتداء الحرب الاولى واستأنفت الصدور عام ١٩١٦ ، ثم توقفت ثانية

عام ١٩١٨ بسبب الضائقة المالية التي عانتها في تجربتها الصحافية .

وظهرت في المهجر جرائد ومجلات عربية كثيرة اخرى يضيق المجال عن الحديث عنها الان منها : «النسر» و «الحياة» و «الاصلاح» و «فتاة بوسطن» و «الاتحاد» و «الاخلاق» و «الشعب» و «الروضة» و «الوفاء» و «الراوي» وغيرها .

وتجدر الاشارة هنا الى أن تاسيس صحيفة باللغة العربية في المهجر الامريكي في مطلع هذا القرن لم يكن سهلا . كما لم يكن بد من استيراد معظم حروف الطباعة من لبنان في الغالب . وقد تحتم تنضيد حروف الجريدة كاملة باليد ، لان الحروف العربية الجميلة العصية وحركاتها الكثيرة تحدت كل الجهود لاستعمالها في المنضدة الآلية اللينوتيب حتى عام ١٩١٠ .

وفي عام ١٩٢٦ صدرت مجلة «العالم السوري» بالانجليزية لصاحبها سلوم مكرزل الذي اراد أن يبقى الناشئة السورية الامريكية التي لاتتقن العربية على اتصال دائم باخبار الشرق الاوسط وادابه . وقد ارادها انجليزية اللغة عربية الروح كي يهيىء للذين يروق لهم ان يدرسوا حالة وطنهم ويقفوا على تطورات امتهم الاصلية كل فرصة ، غير ان المجلة ما لبثت ان توقفت عن الصدور عندما اضطر سلوم ان يتسلم ادارة «الهدى» بعد وفاة أخيه .

وكان سلوم مكرزل اول من ادخل طريقة اللينوتيب في الطباعة العربية في المهجر ، وتبنتها فيما بعد المطبعة العربية . فكانت هذه ثورة في حقل الطباعة اذ خفض هذا الاختراع الجديد الحاجة الى الايدي العاملة ووفر كثيرا من الوقت . وهذا التطور الفني ساعد الطباعة العربية على نشر الاخبار الجديدة مباشرة قبل أن تشوهها الشائعات .

● اصدر ايليا ابو ماضي ، عام ١٩٢٩ ، مجلته المعروفة «السمير» التي حولها فيما بعد الى جريدة يومية ، عام ١٩٣٣ . وقد توقفت عن الصدور في عام ١٩٥٧ على أثر وفاة ابي ماضي .

اننا نجد أن نصف الجرائد العربية التي كانت تصدر في منطقة نيويورك قبل عشر سنوات قد احتجبت . ولم يبق من الصحف الست - «الهدى» و «الاصلاح» و «البيان» و «السائح» و «مرآة الغرب» و «السمير» سوى جريدة



مع اقتراب الموعد المحدد لصدور الجريدة ، وتحت ضغط الاعباء والمشاغل، كثيرا مايضطر الدكتور الفونس شوريز ، صاحب صحيفة «الاصلاح» في نيويورك للاكتفاء بوجبه بسيطه .

«الهدى» وتصدر نصف اسبوعية وفي ست صفحات ، وتطبع بين ٤٠٠٠و٥٠٠٠ نسخه و «الاصلاح» وهي اسبوعية تصدر في اربع صفحات وتطبع الف نسخة . اما «البيان» فانتقلت الى ديترويت وتصدر اسبوعيا وتطبع ١٠٠٠ نسخة ايضا .

● في ديترويت اليوم يصدر الحاج حسن خروب ، جريدة عربية هي «الرسالة» ومختصة غالبا باخبار المسلمين في الولايات المتحدة . ومن الجرائد العربية الاخرى التي تصدر في ديترويت «العالم الجديد» ويصدرها انطون الياس و «المشرق» ويصدرها حنا يتوما .

● صدرت حديثا صحيفة باللغتين العربية والانجليزية هي «اكشن» - اي العمل - لصاحبها الدكتور محمد مهدي وهو امريكي من اصل عربي، وتوزع هذه الصحيفة في سائر انحاء الولايات المتحدة . ويرأس الدكتور مهدي في نيويورك مؤسسة تؤيد قضايا العرب وتدافع عن حقوق الجاليات العربية في امريكا .

اما عن مستقبل الصحافة العربية في امريكا فيكتنفه الكثير من الغموض . ومع ذلك فان زوالها ليس محتما لاننا نشاهد في جميع انحاء امريكا اهتماما جديدا بالفئات العرقية ، وبالناس الذين تربطهم بالعالم القديم والجديد صلات مختلفة وعادات ، وتقاليد وملامح قديمة منسية تبعث الى الحياة ، وتستعمل اللغات الهاجعة ، ويعاد التاريخ من جديد .

جورج واشنطن محرر امريكا فلاح انجليزى

بقلم : منير نصيف

■ عندما يذكر المؤرخون ، الرجال ، نجدهم قد اتفقوا واختلفوا ‥ اتفقوا على اسماء هؤلاء الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه او حتى من اضيقها ‥ المهم ان لاخلاف على شخصية الرجل الذى ادخلوه التاريخ ‥ ولكن الخلاف يقوم دائما بينهم على ما للرجل ، وما عليه‥ الخلاف على الصفحات البيضاء والصفحات السوداء في تاريخه ! فما يراه البعض من جوانب مشرقة في حياته واعماله قد ينظر اليها البعض الآخر على انها اظلم جوانبها اطلاقا !

هذه هى القاعدة ، وخاصة اذا كان الاسم لشخصية لها في التاريخ ماض سياسي طويل ! ولكن ما اكثر ما نجدهم قد شذوا عن مواقفهم وآرائهم المتضاربة ، ومدوا ايديهم جميعا ليحملوا بها باقة من الزهور يضعونها على قبر الرجل الذى لم يفتحوا له ابواب التاريخ فحسب ، بل وضعوا اسمه في مقدمة صانعي هذا التاريخ !

من بين هؤلاء ، جورج واشنطون ‥ اول امريكي واول رئيس للولايات المتحدة الامريكية‥ الفلاح الذى ترك فأسه في قلب الارض التى افلحها وزرعها واحبها ، واستبدل بها السيف الذى شهره في وجه بريطانيا اعتى دولة استعمارية في عالم الامس البعيد والقريب ، وخرج من بيته ليقود جيشا ضعيفا جائعا ، يضم رجالا من كل لون وجنس ‥ حتى من الانجليز انفسهم ، فقد كان هو نفسه انجليزيا‥ انهم المستوطنون الجدد الذين هاجروا من بلادهم في الشرق والغرب ، وجاءوا الى هذه الدنيا الجديدة يبنون ويعمرون ويبحثون عن الخير في ارضها العذراء ‥ لقد ساروا وراءه صفا واحدا تجمعهم كلهم راية واحدة ‥ راية الحرية وطرد المستعمرين الانجليز عن هذا العالم الجديد الذى يحتفل اليوم بذكرى مرور مائتى عام على استقلاله !

ماذا قالوا عنه في كتب التاريخ ؟

مع نفسه والاحداث

ان الرجل يصنع نفسه ‥ ولكن بعض الرجال تصنعهم الاحداث ! وقد كان جورج واشنطون احد هؤلاء الذين كشفت الاحداث الكبيرة عن طاقات وصفات كانت كامنة داخل نفوسهم ‥ حتى هو نفسه لم يكن يحس بها او يشعر بوجودها في داخله !

كان رجلا بسيطا ، فقد كان فلاحا ‥ وكان يقول عن نفسه : « انا لست موهوبا » فقد بخلت الطبيعة على فلم تهبني الكثير من الصفات التى كنت اراها في الآخرين ! »

كان يكره السياسة ، وكان يجد في الثمار التى تجود بها ارضه التى قضى سني حياته الاولى يفلحها ويرويها وينثر البذور فيها ، اعظم عمل يمكن ان يؤديه الانسان ! فقد كانت هذه هى الحياة بالنسبة له في اجمل واروع صورها !

ولد في عام ١٧٣٢ في احدى المزارع الصغيرة بفرجينيا اول مستعمرة انشاها الانجليز في امريكا

وكان والده انجليزيا جاء من مقاطعة نورثا مبتون شاير، وكان جورج اكبر ابنائه من زوجته الثانية اتي التقى بها في عالمه الجديد .. عمل الأب في الزراعة وتربية الماشية وجمع التبغ من المزارع الست التي كان يملكها والتي خصص جانبا كبيرا منها لزراعة الدخان..ولم يكن غريبا اذن ان يعشق الابن العمل في المزارع التي نشأ فيها فكان يقضي الجزء الاكبر من يومه وسط الحقول ويخصص بضع ساعات قليلة من النهار في تحصيل العلم في مدرسة القرية الصغيرة ، ولكنه لم ينس ابدا مدرسته الكبيرة في مزارع ابيه ، التي تعلم فيها اساليب الزراعة وفنونها !



حياته مع اخيه

ومات الاب ،وكان جورج وقتها صبيا في الحادية عشرة من عمره ، ولم يكن ممكنا ان يعيش وحده في هذا البيت الكبير الذي تركه له والده وسط مزارعه ، فحزم ملابسه وذهب ليقيم مع اخيه لابيه « لورانس » وزوجته التي تنتمي لاسرة ثرية ، فقد كان والدها الانجليزي ايضا هو لورد فيرفاكس، وكان من اغنى أصحاب المزارع في فيرجينيا.. وفي هذا البيت الجديد كان لقاء جورج لاول مرة بالكتب التي حملها معه اللورد والد زوجة اخيه الى موطنه الجديد ، وكان ايضا اعجابه بما حوته في بطونها من علم ومعرفة !

واثار الصبي اهتمام صاحب الارض والمكتبة عندما كان يرى وجهه الصغير غارقا بين صفحات كتبه ولم يخف لورد فيرفاكس اعجابه به، حتى انه عندما فكر في عام ١٧٤٨ في ارسال فريق للتفتيش على مزارعه الواسعة التي بلغت مساحتها ستة ملايين فدان في وادي شينادوا ، اختار جورج واشنطون للقيام بمهمة مسح هذه الاراضي ولم يكن وقتها قد جاوز عامه السادس عشر . وكانت التجربة اكبر منه ، ولكنه لم يترك لليأس فرصة يتسلل منها الى قلبه فراح يعمل ويعمل، ويبذل كل مافي وسعه من جهد لانجاز مهمته .. ثم كانت التجربة قاسية ، فلم يتركها تمر بلا تسجيل .. فكان الفتى يجلس بعد المغيب ، ليكتب مذكراته.. كتب يحدثنا عن الفراش الخشن الذي كان ينام عليه ، وعن الحشرات التي كانت تملأ فراشه وتؤرقه في نومه .. وعن المهاجرين الالمان الذين

التقى بهم في الارض الجديدة فقال يصفهم: «لقد كانوا اكثر جهلا وغباء من الهنود الحمر!» وكانت هذه هي اول مرة يمسك فيها الشاب الصغير بالقلم ليكتب شيئا .. ولم يكن غريبا ان تجيء كتاباته مليئة بالاخطاء الاملائية!

قصته مع الارض

ويمضي التاريخ يكمل قصة جورج واشنطون مع الارض التي احبها: « وانقضى عامان قبل ان يستعد جورج لمرافقة اخيه في رحله الى بربادوس في جزر الهند الغربية .. وهناك كانت تجربته الجديدة مع المرض. فقد اصيب واشنطون بالجدري الذي بقيت اثاره على وجهه حتى آخر يوم في حياته ..ثم كان بعد ذلك اول موعد له مع القدر.. ففي رحلة العودة مات اخوه تاركا مزارعه الواسعة لابنته الوحيدة بعد ان اوصى بتعيين جورج قيما عليها، على ان تؤول كل اراضيه وثروته الى اخيه اذا ماتت ابنته قبله!

وماتت الابنة بالفعل، وانتقلت ملكية المزارع الى الاخ، واصبح جورج واشنطون من كبار اصحاب المزارع الاثرياء...

وفي حماس وذكاء بدا واشنطون يكرس كل وقته وجهده للارض الواسعة التي آلت اليه.. ماذا يصنع بها وفيها.. ولم تكن الصورة غائبة عنه، فقد رأى الارض الغنية الواسعة في الغرب، وراح يحلم بالامة الجديدة العظيمة من الفلاحين الذين سيوقظهم من رقادهم ليصلحوا ارضهم ويزرعوها!

الامبراطورية الزراعية

وفي غمرة حماسه ادرك واشنطون حقيقة ثابتة ..لقد كان العالم الجديد متخلفا في الزراعة عن انجلترا موطنه الاول .. وعاد الى الكتب يقرأ فيها ويدرس عن الزراعة والمحاصيل وتربية الحيوانات ..ولم يكتف بالدراسة. فراح يستعرض اسماء كبار المزارعين في بريطانيا، واختار آرثر يونج. فكتب اليه واستورد منه خلاصة تجاربه مع الاساليب الحديثة في استصلاح الارض واستزراعها .. فقد كان واشنطون الفلاح يؤمن بان هذا العمل الذي كرس له حياته هو العمود الفقري « للامبراطورية الزراعية » التي كان يحلم ببنائها في امريكا الشمالية .. وتحقق حلمه،



جورج واشنطون مع عروسه مارثا واندريدج ...

واليه وحده يرجع الفضل في المعجزة الزراعية التي تعيشها الولايات المتحدة الامريكية اليوم. فقد كان هذا الفلاح هو اول من وضع نواة هذه المعجزة!

وبدأ الرجل يعيش حياته الجديدة في مزرعته النموذجية الواسعة في « مونت فرنون » بمستعمرة فرجينيا .. وكانت له هوايات اخرى الى جانب هوايته الاصلية .. فقد كان يهوى القنص وصيد السمك وركوب الخيل والسباق، ثم الرحلات القصيرة التي كان يقضيها مع اصدقائه وسط حقوله ومزارعه!

شخصية واشنطون

هذه صورة سريعة لحياة الرجل الذي ألقيت على عاتقه مهمة قيادة وبناء الدولة التي كان يراها في احلامه. اما هو نفسه، فلعل اهم صفة كانت تميزه عن غيره من الرجال الذين عاصروه في هذه الحقبة من الزمن، هي قوة شخصيته وقوة عزيمته وعناده واصراره وجلده على تحمل الصعاب! وهي صفات اساسية، وان كان هو نفسه لم يعترف بقيمتها .. صفات لابد من توافرها في الرجل الذي حملوه مهمة بناء امة .. وكان واشنطون يتميز شكلا عن بقية الرجال بطول قامته، وبروز فكيه وبعينيه اللتين كانتا تبدوان وكأنهما قدتا من صلب فيهما برود وفيهما عنف وقوة .. كان هذا هو مظهر الرجل الذي تدين له امريكا بالنصر في حربها من اجل الحرية والاستقلال .. اما حقيقة شخصيته، فقد كانت على النقيض من هذا المظهر



كانت ارملة وتزوجها وهو برتبة كولونيل

تماما ٠٠ فقد كان رجلا يحمل في صدره مشاعر انسانية نبيلة ٠٠ وكان يتحكم في هذه المشاعر ويسيطر عليها بنفس الاسلوب الذى كان ينصح به الآخرين ، وان لم يكن يؤمن به ، وكان بعد هذا يتحلى بصفات القرويين ، ففى خلقه بساطة أهل الريف ، وسذاجتهم ، ولعل اكثر ما كان يؤلمه ان يرى رجلا يلجأ الى العنف فى حل مشاكله، فقد كان مسالما مهادنا حتى مع الذين يسيئون اليه. وكانت كراهيته للسياسة ولكل من اتخذ منها حرفة ، وجهله بعد ذلك بالحروب واساليبها وفنونها ٠٠هى السبب فى نظرات الذهول والدهشة التى علت الوجوه ٠٠وجوه كل من عرفوه وعملوا معه عندما رأوه يرتدى البدلة العسكرية ليقود أول جيش من نوعه في هذه الارض التى كانت تخضع وقتها لاستعمار الفرنسى والأسبانى والانجليزى !

الاستعمار الانجليزى

ان قصة الاستعمار الغربى لامريكا بدأت منذ منتصف القرن السادس عشر عندما جاء بعض المغامرين الاسبان والفرنسيين الى العالم الجديد، ثم تبعهم جماعة من الهولنديين الذين اسسوا مستعمرة خاصة بهم اسموها « نيوامستردام » او امستردام الجديدة ، وهى التى اصبحت فيما بعد نيويورك ٠٠ واخيرا جاء الانجليز ، وكانوا جميعا من الهاربين او المبعدين بسبب الاضطرابات السياسية والدينية التى كانت تجتاح بريطانيا فى القرن السابع عشر ، ومن بينهم اسرة جورج واشنطون نفسها ٠٠وقد بلغ عدد الوافدين الانجليز ما يزيد على الربع مليون نسمة ، وكانوا جميعا من اصحاب المهن والحرف وصغار التجار ٠٠

وبدأ الانجليز ينشئون المستعمرات على طول الساحل الشرقى لامريكا ، وكانت اول مستعمرة انجليزية هى مستعمرة فيرجينيا التى شهدت مولد جورج واشطون ٠ اما اكبر مستعمراتهم فكانت مستعمرة ماساشوست، وقد اقاموها فى عام ١٦٢٠ وبعدها انشأوا مستعمرتى ماريلاند ،وبنسلفانيا.

حتى كان عام ١٦٦٤ عندما بلغ عدد المستعمرات البريطانية اثنتى عشرة مستعمرة فى الشمال وفى الوسط وفى جنوب امريكا الى جانب المستعمرة التى شيدها الهولنديون، وبلغ سكان هذه المستعمرات مايزيد على المليونى نسمة ،نصفهم تقريبا من السود او « العبيد » ، كما كانوا يعاملونهم فى ذلك الوقت قبل أن يحررهم ابراهام لنكولن ، ويضع نهاية لآلامهم وأحزانهم بعد أن تحرر امريكا نفسها٠٠ وكان الانجليز يأتون بهم من افريقيا ليستخدموهم فى زراعة التبغ بصفة خاصة ٠

شرارة الثورة

واحست حكومة صاحب الجلالة البريطانية بما صنعه رعاياها الهاربون المضطهدون فى العالم الجديد ،فرأت ان الوقت قد حان ليبسط سلطانها على هذه المستعمرات وعلى ارضها الغنية ٠

وتجلت مظاهر هذا التدخل فى وصول اول جيش واول حاكم عام انجليزى ، وكان اول عمل عسكرى قام به الغزاة هو احتلال مستعمرة امستردام الهولندية ، التى اطلقوا عليها اسم نيويورك ٠

ومضى الجيش الانجليزى يزحف حتى بلغ عدد المستعمرات التى خضعت للحاكم البريطاني العام تسع مستعمرات ٠ وكان الشىء الوحيد الذى استطاع ان يحققه المستوطنون للحد من سلطة الحاكم العام هو تعيين مجلس استشارى يضم ممثلين لهم ، ويشارك الحاكم العام سلطاته السياسية٠٠ ولكن انجلترا ما لبثت ان طلبت ثمن هذه« الحرية السياسية » التى منحتها لسكان المستعمرات ، وكان ثمنا باهظا ، فقد فرضت قيودا مشددة على اقتصادياتهم ومنعتهم من الاتجار مع غيرها من الامم ، كما حرمت عليهم انتاج السلع التى يمكن ان تنافس السلع التى تصلهم من « الوطن الام»

وارغمتهم على استيراد كل ما يحتاجون اليه من انجلترا وحدها ٠

ولم يكتف الملك جورج الثالث ، ملك انجلترا في ذلك الوقت بهذه القيود التي فرضها على المستوطنين ، فقد قرر فرض ضرائب جديدة على سكان هذه المستعمرات ، كما رفع الرسوم الجمركية على الشاى ، مشروبهم المفضل ٠٠ وكان الهدف من وراء هذه الاجراءات هو اخضاع المستعمرات الانجليزية في امريكا لسلطته مباشرة !

وكانت هذه الاجراءات هي الشرارة الاولى التي اشعلت الثورة على الانجليز وعلى الملك وعلى « الوطن الام » ٠ وبدا المستوطنون ينظمون انفسهم عسكريا ، توطئة للمعركة المرتقبة من اجل الاستقلال ٠

البحث عن قائد

وبداوا يبحثون عن الرجل الذي سيقودهم في هذه الحرب ٠٠ ولم يطل بحثهم اذ سرعان ما امتدت الاصابع تشير الى جورج واشنطون الذي اختاروه قائدا برتبة كولونيل لقوات فرجينيا المقاتلة ٠٠ ويومها عاد الى قلمه يسجل به انفعالاته في تلك اللحظة التاريخية ،قال : «لقد احسست بكياني كله يذوب امام دموع النساء وتوسلات الرجال الذين كانوا يقفون امامي محاولين اقناعي بقبول هذا المنصب العسكري٠٠ انني على استعداد لان اهب نفسي وحياتي من اجل اعادة الابتسامة الى وجوه هؤلاء المواطنين !»

ولكنه لم يستمر في منصبه طويلا ٠٠ ولم يدم قتاله ضد المستعمرين ، فلم تكد تنقضي ثلاث سنوات على تعيينه في منصبه الجديد حتى احس باعتلال صحته ، ولم يجد مفرا من أن يقدم استقالته ويعود الى الارض مرة اخرى ٠٠ ولكنه لم يعد اليها وحده في هذه المرة ، فقد تزوج مارثا داندريدج ، وكانت ارملة ثرية ٠٠ ولو انها لم تكن حبه الاول ٠٠ فقد احب من قبلها فتاتين من بنات فرجينيا ٠٠ ولكنهما رفضتا عرضه عليهما بالزواج !

وتاخر استقلال امريكا سبعة عشر عاما !

فقد عاش واشنطون مع زوجته سبعة عشر عاما حياة هادئة ولكنها مليئة بالعمل في المزارع ٠٠ ولم يخطر بباله انه سوف يعود يوما الى سيفه ليكمل المهمة التي بداها بعد مرور هذه هذه السنوات الطويلة ٠٠

القائد الاعلى

وجاء اليوم اخيرا عندما صدر قانون كويبك الذي قيد فيه البريطانيون تحركات المستوطنين ، ومنعهم من الاقامة في المنطقة الواقعة بين مستعمرتي اوهايو وميسيسيبي ٠ وعقد المستوطنون مؤتمرهم الاول في فيلادلفيا ثم مؤتمرهم الثاني٠٠ وفي هذا المؤتمر الاخير عين جورج واشنطون قائدا اعلى لقوات المستوطنين الذين غلت صدورهم بالثورة على الانجليز ، وعلى كل ما يمت الى انجلترا بصلة ٠٠ وفي هذا اليوم من عام ١٧٧٤، والمؤتمر مازال منعقدا ، كتب جورج واشنطون الى زوجته رسالة يقول فيها : « انه القدر ياعزيزتي ٠٠ القدر الذي اختارني انا بالذات دون سائر الرجال للقيام بهذه المهمة ! ارجو ان يوفقنا الله في أن نضع حدا للاذلال الذي اصابنا على أيدي هذه الشرذمة من المستعمرين الانجليز!»

وحتى هذه اللحظة ، لم يكن واشنطون يؤمن بضرورة الانسلاخ عن الامبراطورية البريطانية ٠ فقد كان يرى الاكتفاء بان يلقنهم درسا في الاخلاق ٠ ولكن ما أن بدات المعارك ، حتى وجد القائد الكبير نفسه يقاتل من اجل نفس الهدف الذي يسعى اليه كل جنوده وضباطه ٠٠ « الاستقلال التام وجمع المستعمرات او الولايات تحت راية واحدة واقامة الامة الامريكية الجديدة ٠ »

وبدات الحرب ٠٠ ولكن سرعان ما هاله ضعف الجيش الذي يقوده في حربه ضد الانجليز٠٠ فقد كان جيشا ممزقا مهلهلا جائعا ٠٠ كتب واشنطون يصف حال رجاله في الميدان : « كنا نقاسم جيادنا طعامها فناكل كل شيء ياكلونه ماعدا التبن ! ولكن بالرغم من كل الصعاب التي صادفتنا ، وتصادفنا ، وبالرغم من الهزائم التي نزلت بنا ، وقسوة الظروف التي نحارب في ظلها ٠٠ فقد بقى الجنود في الميدان، واستماتوا في قتالهم ٠٠ انني فخور بهم ! »

امريكا مدينة لهذا الرجل

ويسجل التاريخ على صفحاته لوحة شرف اخرى للرجل الذي قاد جيش التحرير ٠٠ يقول المؤرخون :« ان امريكا مدينة له وحده بما

حققت من انتصارات .. فقد كانت شخصية واشنطون وزعامة واشنطون وحماس واشنطون، هي التي مكنت هذا الشعب من كسب حرب الاستقلال » .

ودفع الانجليز باكبر قوادهم في هذه الحرب، ولم يكن واشنطون موفقا دائما في تحركاته وخططه العسكرية .. ولكنه كان يعلم شيئا واحدا .. ان كل هزيمة جديدة لقواته امام الانجليز ، تعني مزيدا من الاصرار والعناد على المضي في القتال حتى النهاية .. حتي عندما تصور الاميرال لوردهاو ان نهاية واشنطون ورجاله قد اقتربت في وجه ضرباته الساحقة لهم ، فسارع يعرض العفو عن كل رجل من رجاله يتقدم اليه ويلقي سلاحه ! وفوجيء القائد الانجليزي برسول يعيد اليه رسالته مع كلمة مقتضبة قال فيها واشنطون : « انني ارفض حتي مجرد استلام اية رسائل من اعداء بلادي » .

تدخل فرنسا

ولم تذهب صلابته وتماسكه هباء ، فقد كانت هناك مفاجأة في انتظاره .. مفاجأة غيرت دفة الحرب وقلبت موازينها من اساسها ، عندما استجابت فرنسا لنداء المقاتلين الامريكيين وقررت ان تساعد الرجل الذي كان يخوض اعنف المعارك ضراوة . فارسلت قواتها لتعزيز قوات الجنرال برا وبحرا بقيادة الجنرال لافاييت . وراح الفرنسيون يقاتلون مع المستوطنين صفا واحدا تحت قيادة واشنطون .

وسقطت اقوى معاقل الانجليز في مدينة يورك تاون . واستسلمت الحامية الانجليزية بقيادة لورد كورنواليس .. القائد الانجليزي الكبير الذي اوفدته لندن ليضع بيده نهاية لحياة الرجل الثائر المتمرد .. جورج واشنطون !

واستقال واشنطون بعد أن حقق النصر لبلاده، واعلنت امريكا استقلالها . في عام ١٧٧٦ ومن جديد ، عاد الفلاح الى ارضه في مونت فرنون بولاية فرجينيا ، وكتب يقول لاحد اصدقائه : « كانت امنيتي طوال سني الحرب ان اعود الى مزرعتي ، واقضي امسياتي في هدوء وسكينة واشم رائحة الزرع والتراب ، كما يعمل اى مواطن عادي ! » .

اول رئيس لامريكا

ولكنه لم ينعم طويلا بهواء مزرعته وحريها ، فقد انتخب اول رئيس للولايات المتحدة الامريكية . وفي وزارته الجديدة ، حاول انْ يجمع بين النظام الرأسمالي ، وانصار النظام الديموقراطي . وكان المستشار هاملتون يمثل الاتجاه الاول ، بينما يمثل توماس جيفرسون الاتجاه الثاني ، فاسند واشنطون وزارة الخزانة لهاملتون بينما اسند وزارة الخارجية لجيفرسون ، ولكن ما لبث ان اصطدم الرجلان ، واستقال جيفرسون .

ولكن واشنطون لم يتقاعد بانتهاء فترة رئاسته الاولى ، فقد استمر في منصبه رئيسا للولايات المتحدة لفترة اخرى ، فلما انتهت رفض ان يبقى لفترة ثالثة ، وهكذا كان اول من وضع مبدأ البقاء في الرئاسة فترتين فقط .

ان ما قاله المؤرخون في واشنطون ملأ عشرات الكتب والمجلدات .. ولعل اعظم ما قيل فيه : « انه لم ينس طوال هذه الفترة من حياته التي قضاها في تحرير بلاده ، امنيه العمر التي ولد وعاش من اجلها .. وهي ان يعيش مع فاسه يفلح بها الارض ويزرعها .. لقد حمل واشنطون معه الى هذه الجمهورية المنتصرة .. بساطة اهل الريف وبراءتهم .. وهو لم يسع يوما الى العظمة او الى المجد اللذين يتوجان رأسه .. ولكنهم دفعوه اليها دفعا بحكم الظروف التي كانت تحيط بالبلاد التي اختارها والده لتكون موطنا جديدا له ولاسرته .

اما انجلترا .. البلد الذي ينتمي اليه والده، والتي ينتسب اليها جورج واشنطون سواء أراد أم لم يرد .. فقد قالت انها تشعر بفخر لانها انجبت للبشرية مثل هذا الرجل .. فهو وان كان قد قلص نفوذها ومستعمراتها في الخارج ، الا انه كان واحدا من ابنائها الذين دخلوا التاريخ. حتى ولو كان دخوله اليه على حساب هزيمتها ، لقد نجح واشنطون فيما فشل فيه الملك لويس الرابع عشر ، ومن بعده نابليون .. ومع هذا فهي تفخر به فقد كان انجليزيا ! . ■■

منير نصيف

ذكريات

اقبـــــال ..

بقلم : الاستاذ الكبير اكرم زعيتر

■ في عدد مارس ١٩٧٦ من مجلة« العربي »مقال للدكتور محمد السعيد جمال الدين يعرف فيه بكتاب «رسالةالخلود » للشاعر الفيلسوف الاسلامي محمد اقبال ويقول فيه : « ان الشاعرالاسلامي الكبير قد تولى رئاسةالمؤتمر الاسلامي الذي عقد بالقدس سنة١٩٣٢ » .

والواقع ان المؤتمرالاسلامي المذكورقد افتتح في ٦ كانون الاول سنة ١٩٣١ ، ليلة الاسراء (٢٧ رجب١٣٥٠ هـ) ، وعقد جلسته الاولى صباح ليلة المعراج تلك . اما رئاسةالمؤتمر فقد اختير لها الحاج امين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومفتي القدس . ثم اختير اربعة وكلاء للرئيس هم : الدكتورمحمد اقبال (الهند) والسيد ضياء الدين الطباطبائي (ايران) ومحمدعلي علوبة (مصر) ومحمد زبارة (اليمن) .

وليلة الافتتاح ارتجل الشاعر الكبيرمحمد اقبال خطابا ،ذكر قوله فيه «ان كل مسلم عندما يولد ويسمع عبارة :«لااله الاالله» ،ويقولها ويرددها ،انما يكون قد قطع العهد على نفسه امام الله على صيانة الاماكن المقدسة وقد لقيت الدكتور محمد اقبال وتحادثنا وملأ نفسي اعجابا .

واذكر ان الشاعر الكبير اضطر الى مغادرة المؤتمر يوم الاثنين ١٩٣١/١٢/١٤ قبل انفضاض المؤتمربايام فوقف يودع المؤتمر بكلمة مؤثرة قال فيها : « انكم اذا بدلتم انفسكم فستبدلون العالم جميعه . ان العالم يهدده خطران عظيمان ومصدرهمااوروبا : الالحاد والوطنية العنصرية ، واني اعتقد ان الاسلام وحده هوالذي يستطيع ان يقف في وجه هذه الأخطار والمفاسد . ان الوطنية المحلية لا تضرالا اذا بلغت حد الافراط، وطالما أسيل دموعي قول النبي صلى الله عليه وسلم:« انني حظكم من الانبياء وانتم حظي

والمؤتمر الإسلامى



من الامم » وانى بعد دراستى للاسلام افخر باننى تابع للرسول محمد ٠٠ ولكن هل يفخر الاسلام بكونى تابعا له ؟ ان الرسول لا يفخر بنا الا اذا سرنا بالاخوة الاسلامية بطريق عملى ٠٠ اننى اعتقد ان مستقبل الاسلام متوقف على مستقبل العرب، ومستقبل العرب متوقف على وحدة العرب ، فاذاتمت وحدتهم علا شأن الاسلام والمسلمين » ٠ ثم تحدث الشاعرالفيلسوف عن القوى والعوامل الخارجية الاجنبية التىتناوىء الاسلام، وقال : انه لايخشاها ، بقدرما يخشى القوى والعوامل الداخلية ، ودعا الىقراعها والقضاء عليها٠ وما كادينتهى منكلمته الوادعية الرائعة حتى انطلقخطباء المؤتمر يحيون الشاعر العظيم ويودعونه ، فالزعيم رياض الصلح ـ وكان مراقب المؤتمر ـ حياه بحرارة ، وشكر لهجهاده، ونوهبرفاقه منمجاهدىالهند امثال المرحوم مولانا محمد على « الذى اقام بيننا الى الأبد » :(اشارة الى كونه مدفونا فى الحرم بجوار المسجد الاقصى) ومولانا شوكتعلى وشفيع داودى وغلام رسول مهر ، ثم حمله تحيات العرب الى اخوانهمفى الهند مؤكدا لهم ان العرب اوفياء، وقال السيد رشيد رضا : « اننا نودعشاعرنا الاسلامى الكبير كما يودعالاخ اخاه »٠ ثم رفع رئيس المؤتمر الجلسةعشر دقائق ليتمكن الاعضاء من وداع الشاعر العظيم ٠٠ فكانت تظاهرةمؤثرة لاقبال ٠٠

هذه ذكريات احببت ان انشرهالمناسبة مقال الدكتور جمال الدين تحية لذكرى الشاعر الاسلامى الكبير ٠

بيروت ـ اكرم زعيتر



أحكام الرشوة في الإسلام

بقلم الدكتور :
محمود عثمان الهمشرى

■ الواقع أن الرشوة معناها الافساد ، ويطلق عليها باللغة الفرنسية Corruption ، وقد جاء في قاموس لاروس فرانسيه Larousse Francais أن رسو قد اتهم المسرح الفرنسي بافساد الاخلاق مستخدما في عبارته كلمة Corrupteur ، بمعنى افساد • ونص ما جاء في القاموس المذكور :

On dit que Rousseau le theatre d'etre corrupteur des meurs.

ولا شك أن الرشوة اخطر داء يصيب الوظائف العامة ، ويلوث شرفها وسمعتها • وان شئت قلت في غير تردد انها أشد أنواع الفساد الذى ينخر في اجهزة الحكم في أية دوله من الدول • ومن اجل ذلك حرمتها الاديان ولعنت الراشى والمرتشى والرائش الذى يتوسط بينهما • كما اجمعت القوانين الوضعية على تجريمها وتوقيع الجزاء على مقترفها وكل من أسهم فيها • فالرشوة مصدر الراء للموظف المرتشى دون سبب مشروع ، وعلى حساب افراد اضطروا في الغالب اضطرارا الى دفعها ثمنا لخدمات او اعمال ، كان مفروضا عليهم القيام بها وتقديمها الى هؤلاء الافراد من غير ان يجبروا على دفع هذا الثمن ، وهذا من شأنه تشويه صوره العلاقة بين الفرد والدولة ، في الوقت الذى يقول فيه بعض الفلاسفة المعاصرين ان عصرنا الحالى هو عصر الاصلاح الادارى ، ويقول البعض الاخر انه عصر التنمية الادارية ، وبعد ان غدت الدول الحديثة دول خدمات عامة States of Public Services او دول الرفاهية Welfaire States كما يقول الفقيه جلادين في مؤلفه عن مقدمة دراسة الادارة العامة •



تحريم الرشوة

والرشوة فى الاسلام من جرائم التعزير ، وهى الجرائم التى ترك تحديدها والعقاب عليها لولى الامر . وقد حرمت الرشوة فى كتاب الله العزيز وسنة رسوله الامين عليه الصلاة والسلام ، فيقول الله فى اليهود فى الاية رقم ٤٢ من سورة المائدة : « سماعون للكذب اكالون للسحت » ، ذلك لان اليهود كانوا ياكلون السحت من الرشوة. ويقول الله فى الاية رقم ١٨٨ من سورة البقرة : « ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » ، اى لا ياكل بعضكم اموال البعض الاخر بالباطل ، ولا تدفعوها الى الحكام من اجل ان يمكنوكم من اغتيال قسم من اموال الناس .

وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما » . وفى رواية اخرى قال الرسول : « لعنة الله على الراشى والمرتشى فى الحكم » . وروى ابو حميد الساعدى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعث ابن اللتبيئة على الصدقة ، فلما جاء قال : هذا لكم وهذا اهدى الى ، فقال الرسول الناصح الامين « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا اهدى الى ، فهلا قعد فى بيت أبيه او بيت امه فينظر أيهدى اليه ام لا » .

الرشوة سحت

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الى خيبر فيخرص بينه وبين اليهود . والخرص يعنى تقدير ما على النخل من التمر . فجمع له اليهود حليا من حلى نسائهم ، وقالوا : هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القسم ، فقال عبد الله بن رواحة : يا معشر اليهود : والله انكم لمن ابغض خلق الله الى ، وما ذلك بحاملى على ان احيف عليكم ، فاما ما عرضتم على من الرشوة فانها سحت ، وانا لا ناكلها ، فقالوا : بهذا قامت السموات والارض .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عماله : اياكم والهدايا ، فانها من الرشا . وقد صادر عمر ثروة كثير من عماله ، ولم يقبل دفاعهم واحتجاجهم بانهم انما استثمروا اموالهم فى التجـارة قائلا لهم : انما جئت بـكم ولاة لا تجارا .

ما كانت لنيل حق او لباطل

وقد تباينت الآراء حول ما اذا كانت الرشوة تنصرف الى كل مايدفعه المحكوم الى الحاكم او معاونه بصرف النظر عما اذا كان المحكوم يستهدف

نيل حق له او دفع ضرر عنه او كان يطلب شيئا او امرا بغير وجه حق ، اى باطلا . فذهب راى الى ان الرشوة محرمة فى جميع الاحوال . وقد قال بهذا الراى الشوكانى نقلا عن الامام المهدى اذ يقول : قيل وظاهر المذهب المنع لعموم الخبر، وان كان مختلفا فيه فكالباطل ،اذ لا تاثير لحكمه. ثم قال فى ترجيحه على المذهب الآخر : قلت والتخصيص لطالب الحق يجوز تسليم الرشوة منه للحاكم ، لا أدرى باى مخصص ، فالحق التحريم مطلقا اخذا بعموم الحديث . ومن زعم الجواز فى صورة من الصور فان جاء بدليل مقبول ، والا كان تخصيصه ردا عليه ، فان الاصل فى مال المسلم التحريم .

رشوة صاحب السلطان

وورد فى احكام القرآن للجصاص « ووجه آخر من الرشوة وهو الذى يرشو السلطان لدفع ظلمه عنه ،فهذه الرشوة محرمة على اخذها غير محظورة على معطيها ». وروى عن جابر بن زيد والشعبى انهما قالا : لاباس بان يصانع الرجل عن نفسه وماله اذاخاف الظلم.كماروى هشامعن الحسنقال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى ليحق باطلا او يبطل حقا ،فاما ان تدفع عن مالك فلا باس . وقال يونس عن الحسن : لاباس أن يعطى الرجل منماله مايصون بهعرضه.

وجاء فى المحلى انهلا تحل الرشوة وهيماأعطاه المرء ليحكم له بباطل او ليولى ولاية او ليظلم له انسانا . لهذا ياثم المعطى والآخذ . فاما من منع من حقه فاعطى ليدفع عن نفسه الظلم فذلك مباح للمعطى ،واما الآخذ فاثم ،وفى كلا الوجهين فالمال المعطى باق على ملك صاحبه الذى أعطاه كما كان كالغاصب ولا فرق .

آخذها غير جدير بالبقاء

ولاشك ان الحاكم الذى يطلب او يقبل الرشوة غير جدير بالبقاء فى مقعد الحكم ، ذلك انه قد تبوأ منصبه ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبغى . ومن لم كان تعزيره واجبا بما فيهعزله من منصبه جزاء وفاقا عما وقع منه . ولقد قال قتادة فى هذا المقام : قال كعب : ان الرشوة تسفه الحليم ، وتعمى عين الحاكم. فاما الراشى فان رشاه ليحكم له بباطل او يدفع عنه حقا فهو ملعون . وان رشاه ليدفع ظلمه ويجزيه على واجبه فقد قال عطاء وجابر بن زيد والحسن : لاباس ان يصانع عن نفسه .

انواع الرشوة

ويقسم بعض الفقهاء فى الاسلام الرشوة الى اربعة انواع:

النوع الاول ، وفيه يهدى الشخص الى شخص اخر مالا قاصدا ان يتودد له او يتحبب اليه . ومثل هذا الاهداء حلال من جانب كل من المهدى والمهدى له .

النوع الثانى ، وفيه يهدى الشخص مالا الى شخص اخر وذلك ليدفع عن نفسه الخوف الذى يسببه له هذا الآخر ، او يهدى الشخص مالا الى السلطان او الحاكم من اجل ان يدفع ظلمه عن نفسه او عن ماله . ومثل هذا الاهداء ان حصل، حرام على الاخذ ، حلال للمعطى ، لانه يفدى او يقى نفسه بمال يعطيه او يقى ماله ، وسبيله الى ذلك اعطاء بعض منه .

اما النوع الثالث ، ففيه يهدى الشخص الى اخر مالا ليسوى او يحسم امره فيما بينه وبين السلطان او الحاكم ، ويعينه على قضاء حاجته. فان كانت هذه الحاجة حراما فلا يحل الاهداء او الاعطاء للمهدى كما لا يحل الاخذ للمهدى له .

وان كانت الحاجة حلالا او مباحة ، فان اشترط المهدى على المهدى له ان يعينه عند السلطان او الحاكم فلا يحل الاعطاء ، وكذلك لا يحل الاخذ ، وان حصل الاعطاء أو الاهداء بعد تسوية الامر وقضاء الحاجة ، حل الاعطاء او الاهداء ، كما حل الاخذ .

واذا لم يشترط المهدى صراحة اى شيء ، بيد انه اهدى أو أعطى الاخر من اجل أن يعينه عند السلطان أو الحاكم ، فقد ذهب عامة الفقهاء الى ان الاعطاء والاخذ مكروه اذا لم تكن هناك مهاداة سابقة بين المهدى والمهدى له ، اما اذا كانت هناك مهاداة سابقة بين الجانبين ، وقام المهدى له بتسوية امر المهدى ، فهنا يعتبر الاعطاء والاخذ حلالا •

بقى النوع الرابع والاخير ، وفيه يهدى الشخص الى السلطان او الحاكم مالا لكى يقلده منصب القضاء او الامارة او يسند اليه اى عمل آخر • والاهداء فى هذه الحالة حرام على المعطى او المهدى ، وحرام ايضا على الآخذ •

ما يقدم للقاضى

ويعتبر صاحب الفتاوى الهندية الهدايا التى يعطاها القاضى نوعين اثنين :

النوع الاول يتمثل فى هدية تعطى ممن له خصومة ، وليس للقاضى ان يقبلها ، سواء كانت بين القاضى وبين الشخص المهدى مهاداة قبل القضاء او لم تكن ، وسواء كانت بين الاثنين صلة قربى او لم تكن •

والنوع الثانى عبارة عن هدية تعطى من شخص لا خصومة له • وفى هذه الحالة اما ان تكون بين القاضى وبين الشخص المهدى مهاداة سابقة قبل القضاء بسبب صلة قربى او صداقة او لم تكن • فان كانت هناك مهاداة ثم حصل الاهداء بعد القضاء بمثل ما كان عليه قبلا ، فلا باس بان يقبل القاضى الهدية من الشخص المهدى ، ويحمل الاهداء هنا على المباسطة السابقة بين الاثنين • وان حصل الاهداء زيادة على ما كان عليه قبل القضاء امتنع على القاضى اخذ هذه الزيادة • اما اذا لم تكن هناك مهاداة سابقة بين القاضى والشخص المهدى ، فهنا يمتنع على القاضى أن يقبل الهدية •

وقد روى الامام احمد فى مسنده فى الزهد عن على بن أبى طالب انه قال : « ان اخذ الامير الهدية سحت ، وقبول القاضى الرشوة كفر • وقال ايضا الامام احمد : ان من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له هدية فقبلها منه فقد أتى بابا من ابواب الربا •

ويقول صاحب معين الحكام فى هذا المقام : الاصوب فى زماننا عدم قبول الهدية مطلقا ، لان الهدية تورث اذلال المهدى واغضاء المهدى اليه ، وفى ذلك ضرر للقاضى ، ودخول الفساد عليه • وقيل ان الهدية تطفىء نور الحكمة •

من مكافحة الرشوة

هذا وقد صدر فى المملكة العربية السعودية نظام مكافحة الرشوة بموجب المرسومين الملكيين رقمى ١٦،١٥ تاريخ ١٣٨٢/٣/٧ هـ • وقد واجه المرسوم الثانى صورة الرشوة • ويجرى حكم المادة الاولى منه على معاقبة كل موظف عام يطلب لنفسه او لغيره او يقبل او ياخذ وعدا او عطية متى كان ذلك لاداء عمل معين من أعمال وظيفته او اى عمل يزعم الموظف انه من اختصاصه ، بالسجن من سنة الى خمس سنوات والغرامة من خمسة آلاف الى مائة الف ريال أو احدى هاتين العقوبتين • وعاقبت المادة الثانية الموظف بنفس العقوبة المقررة فى المادة الاولى اذا كان طلب الرشوة او قبول او اخذ وعد أو عطية بقصد الامتناع عن عمل من اعمال الوظيفة• كما نصت المادة السادسة على ان يعاقب الراشى والوسيط وكل من اشترك فى احدى الجرائم السابقة بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة التى تجرمها ، وهى عقوبة الموظف العام • كما جرم نظام مكافحة الرشوة فعل الرشوة الذى لا يلقى او لا يجد قبولا من جانب الموظف ، فنصت المادة الثامنة على أن من عرض رشوة ولم تقبل منه •• يعاقب بالسجن لمدة ستة اشهر الى ثلاثين شهرا او بغرامة من الفين وخمسمائة ريال الى خمسين الف ريال او باحدى هاتين العقوبتين •

واخيرا لنذكر قول الله تعالى وهو اصدق القائلين ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » • ■■

محمود عثمان الهمشرى

استاذ الانظمة بمعهد الادارة العامة / الرياض



حتى لا يدفنوا

بقلم : الدكتور سعيد عبده

■ تمت كثير من المعدلات الاحصائية للوفيات النوعية بالنسبة لمهن المتوفين ، تثبت أن الاطباء الممارسين هم اقصر اصحاب هذه المهن أعمارا ، وربما نافسهم القضـــاة على هذه المنزلة ، وقد ينافسهم عليها سائقو سيارات الاجرة ، وسائقو سيارات النقل في بعض الاحيان !

وقد تعزز المشاهدة هذه الاحصائيات .. فانا شخصيا اعــرف بين لداتي من المهندسـين ، والتجاريين والمحامين والحـدادين والعمال حتى الفلاحين ـ كثيرا من المعمرين ، وان كنت لا أرى بينهم من الاطباء ـ الممارسين ـ سوى اثنين او ثلاثة قاربوا الثمانين .

وقد كنت أعمل طبيبا في البصرة سنة ١٩٣٦، وكان لي عدة زملاء لم يبق حيا منهم الآن الا

الدكتور توماهندو ، مد الله في عمره حتى يكمل المائة الثانية ان شاء !

واذا كنت ابلغ الخامسة والسبعين هذا العام، رغم اني طبيب ، فاحسب ان ذلك لاني لم امارس الطب بمفهومه العلاجي المعروف ، الا فترات متقطعة لم تزد في مجموعها على بضعة اشهر ، فمنذ بدات احترف الطب لم استطع التغلب على عقيدة كانت راسخة في وجداني يومئذ ،ان الطب كما كان يمارس تلك الايام ، لم يكن اكثر من اتجار في تعاسات الناس ، ولقد زاد من هذه العقيدة رسوخا في وجداني ، ما كنت اراه من فروق هائلة بين تشخيصات الاطباء ، وبين اصول الامراض وفروعها ، في جثث المتوفين ، وانا اعمل في بداية حياتي الطبية معيدا في قسم الباثولوجيا بكلية طب القاهرة ....

وظاهر هذه العقيدة شيء من رهافة الحس ويقظة الضمير ورثتهما عن ابي يرحمه الله .

فلا اكاد ابدا علاج مريض ،حتى تتازر الاسباب الثلاثة علي ، تقض مضجعي بمثل هذه الاسئلة : اترى أحسنت التشخيص ؟ وهل الدواء الذي وصفته

معي لاضدق ، بعد أن قلبوني على الجنبين في نار كنار السعير !

فقد دعيت ذات مرة لاعالج سيدة نصفا في السن ، كان ثلاثة من كبار أطباء القاهرة في اوائل الثلاثينات قد شخصوا مرضها بانه سرطان في الكبد ، وكانت شقيقة واحد من اصدقائي .. واقول دعيت لعلاجها من باب التجاوز ليس الا ، فانما دعيت لاعطيها زرقة مورفين ، وصفه لها الاطباء ، كمسكن لما كانت تعانيه من الام .

وكانما عزت على نفسي .. ان ادعى لمثل هذه المهمة التافهة ، وانا طبيب يمكن ان يصبح ذات يوم ايضا من كبار الاطباء ! .. وعاودتني ذكرى سيدة مسنة من ذوي قرباي ، حكم عليها اطباؤها هي الاخرى بالموت من سرطان في الكبد ، ووصفوا لها المورفين ، ولكن أحدهم تراءى له ظل من الشك في هذا التشخيص فاجمعوا على أن يعطوا المريضة فائدته ، ووصفوا لها مع المورفين بعض الدواء ، خشية ان يكون المرض غير السرطان ، وجعلوني مشرفا على علاجها وكنت في اواخر سني دراستي الطبية ، وجعلني الله بركة عليها فماتت بعد عشرة ايام !!

أنفسهم أحياء !

في محله ؟ وهل جرعته أكثر او أقل مما كان ينبغي أن تكون الجرعة ؟ وهل يبرأ المريض على هذا العلاج او يموت ؟ واذا مات فمن يكون قاتله ... المرض ، ام الدواء ، ام أنا ، ام قضاؤه المحتوم الذي انعم به ابن الرومي على رجال الطب كدريئة ضد كلام الناس حين قال : خطأ الطبيب اصابة الاقدار !؟

رمية من غير رام !

ولقد اذكر فلتة لعب فيها هؤلاء الفرسان الثلاثة ـ عقيدتي ورهافة حسي ، ويقظة ضميري،

عاودتني هذه الذكرى الاليمة ، وذكرت اختلاف الاطباء على التشخيص ، والدواء الذي وصفوه، وقلت لنفسي ان كان الشك قد حدث في تشخيص السرطان الكبدي في سيدة عجوز ، فهو اولى بان يحدث في تشخيص المرض نفسه ، في سيدة لم تتجاوز الخامسة والثلاثين ..

وبعد أن فحصت المريضة ، وقد ابيت الا ان افحصها حبكا للموضوع ، قلت في شيء من التعالم الواضح لصديقي :

ـ لعله قد يذهلك ان اشك بعض الشك في مرض اختك بالسرطان !

قال ، كالغريق الذى يتعلق بقشة :

ـ سمع الله منك .. فلم لا تتولى علاجها لعل لها على يديك الشفاء ؟

قلت : على أن تدرك ان الامل لا يتعدى أن يكون ومضة خافتة من ضوء واهن بعيد .

قال : ليكن واحدا فى المليون فهو خير من لا شىء على كل حال !

قلت : اذن ساصف لها دوائى (واتكات على الكلمة بقدر كبير من الزهو !) على الا تنقطع عن المورفين حتى يحكم الله فى امرها وهو خير الحاكمين ...

وكتبت لها نفس الوصفة القديمة مع شىء من الترخص ضاعفت فيه الجرعة فى كل مفرد من مفردات الدواء ، على الا اتجاوز فيها الحد الاقصى المنصوص عليه فى كتب العقاقير ، وذلك تحمسا منى ، واستعجالا للشفاء !

وعدت الى بيتى سعيدا ، منتفخ الصدر بالغرور !

بيد أنى لم اكد اوى الى فراشى، حتى استيقظ ضميرى ، لعنة الله عليه ، ويبدو انه كان فى غفوة طوال هذه الاحداث ، وراح يحاسبنى شر حساب ... ترى من انت ؟ ومن تكون ، حتى تخالف عن راى اطباء اكبر منك سنا ، واكثر تجاربا ، ومنهم من تتلمذت عليه ؟ .. لم لاتكتفى بذلك ، بل تضاعف جرعات الدواء الذى وصفوه على غير مبرر ولا اساس ؟! ومن ذا يكون المسئول اذا ماتت السيدة اليوم ، ولو كان قاتلها هو السرطان ؟ وعلى من تقع التبعة اذا شاء الله فقتلها هذا الدواء الموصوف لها بمثل هذا السخاء ؟!

وظل ضميرى يعذبنى بلا رحمة حتى بدات تباشير الفجر تشق غياهب الظلام ، فارتديت ثيابى على عجل ورحت أهرول فى الطريق الى بيت المريضة، لاتاكد انها لم تمت فى هذه الليلة على الاقل ، وحمدت الله ان وجدت البيت ساكتا لا أثر فيه لصراخ ، ولا اى دليل على محزنة على الابواب .. وقلت افر من الميدان قبل ان يقبض على متلبسا . فاخذت اجازتى الصيفية من مقر عملى بكلية الطب ، وسافرت الى قريتى ، حريصا على ان تصلنى فيها الجرائد الصباحية الكبرى التى تنشر انباء الوفيات ، فالمريضة كانت من وسط لا يمكن ان تتوفى فيه خفية ، ودون نعى ولا اعلان .. وكلما مر يوم لا أرى فيها نعيها استقرت وساوسى نوعا ، وهدات مخاوفى ، وبدات انام .

وعدت الى القاهرة بعد انتهاء الاجازة ، وذهبت لزيارة صديقى لاعتذر له عن سفرى المفاجىء ، ولم يكد يرانى ، حتى انهال على ـ لدهشتى ـ بالقبلات والاحضان !

لقد حدثت المعجزة ، وشفيت اخته من السرطان ـ هكذا قال ـ فتذكرت كلمة قراتها فى كتاب طبى سنة ١٩٢٠ « ان خمسة فى المائة من عملاء كل طبيب يشفيهم الطبيب ، وخمسة فى المائة منهم يقتلهم الطبيب ، وتسعين فى المائة تتصرف فيهم المقادير كما تشاء ! ! »

واعود من هذا الاستطراد الطويل الى قصر عمر الاطباء ، فاقول ان الضمير المرهف قد يكون واحدا من بين الاسباب المتعددة التى تكثر من هم الطبيب ، وتطيل من قلقه ، وتعمل على تقصير عمره ، والهم هو كما يقول المتنبى .

والهم يخترم الجسوم نحافة
ويشيب ناصية الصبى ويهرم » !

ان اكثر من عرفت من الاطباء الممارسين ماتوا بين الثلاثين والخمسين ، ووصل اقلهم الى الستين ، والذين تجاوزوها واستحقوا معاشات نقابة الاطباء فى مصر عدد محدود ، تواليهم النقابة بعنايتها ، وتعمل على توفير كل مايضمن لهم حسابا يسيرا فى القبر ، حتى لايطيلوا عليها السنتهم هناك ! !

هل يتعرض الاطباء للعدوى اكثر من سواهم ؟

نعم ، وبكل تاكيد ... ولعل هذا هو العامل الثانى فى تقصير حياة الطبيب ...

ولعله حتى الثلاثينات من هذا القرن كانت اهم هذه العوامل على الاطلاق .

فالى ماقبيل منتصف الثلاثينات لم تكن مركبات السلفا القاتلة لبعض الجراثيم الهامة قد اكتشفت بعد ، والى ماقبيل منتصف الاربعينات

لم يكن البنسلين وسواه من مضادات الحياة الجرثومية قد طرحت في سوق الدواء .

وما كان اكثر من يموت من الاطباء ،والجراحين خاصة ، بوخزة ابرة ملوثة او مبضع استعمل في بطء خراج ... وكان تسمم الدم القاتل (السبتسميا) مرضا شائعا بين الاطباء .

ولم يكن هذا التسمم وحده عدو الاطباء الوحيد بين شتى العدويات ...

ان كثيرا من الاطباء كانوا يموتون في اوبئة الكوليرا ، واوبئة الطاعون ، واوبئة التيفوس ، وما كان اكثرها قبل اكتشاف مضادات الجراثيم .

بل لقد عرفت طبيبا في اخر وباء للجدري حدث في الاسكندرية سنة ١٩٣٢ ... شخص حالة جدري في بداية الوباء ، وقام بتطعيم كافة مخالطي المريض على زجه السرعة كما هو مفروض عليه ، وفرح بنجاحه في دفع غوائل الوباء عن الحي الذي كان يعمل فيه ... وفي اليوم الثاني عشر من بدء اتصاله بالمريض ، اصيب بحمى مرتفعة مصحوبة بغثيان وقيء وصداع ،وظهار شديد (الم في الظهر) واتضح انه مصاب بالجدري ... فقد حصن كافة المخالطين ونسى نفسه ، بل انه لم ينس نفسه فقط ، ولكنه نسى كذلك تطعيم افراد اسرته ، في حماسته للقضاء على الوباء ، فاصيب معه ولد من اولاده ، ونجا الولد ، وذهب الوالد الى بارئه ، وجاء في تأبينه من قبل زملائه انه مات شهيد الواجب والانسانية وغمرني معهم هذا الشعور ، الى ان أويت الى فراشي ، وراح ضميري السخيف يسائلني بوقاحة : امات شهيد الواجب والانسانية حقيقة ، ام مات شهيد الجهل بامالي الطب الوقائي الرشيدة ! ؟

الاعين الخمس !!

واذا نحن تركنا عامل الهم والقلق جانبا في حياة الطبيب ، ألفينا عاملا آخر اشد اثرا في تقصير عمره ، وهو عامل « الاعين الخمس » وهو اصطلاح معروف عند الاطباء في مصر ، يعبر عما يعانون في سبيل تحقيق مطامعهم من النصب والارهاق .

وليست الاعين الخمس من الاعين الحوراء ، وان كانت ابلغ منها فعلا في حياة الطبيب ...

انها تمثل (العياده ، والعربية اى السيارة ، والعروس ، والعزبة والعمارة) ولايزال الطبيب في طراد مستمر حتى يصل الى منتهاها وكثيرا مايقع دونه في منتصف الطريق .

وفي سبيلها يرهق الطبيب نفسه بالعمل حتى الانفجار ... فهو مرهق في عيادته ولاسيما اذا كان طبيبا محظوظا ، والمرضى ينتظرونه في القاعات ، وعلى الابواب وعلى الدرج ، وحتى في الطريق العام . ولا يكاد يفرغ من مرضاه ــ والله وحده يعلم كيف يفرغ منهم ــ حتى يبدأ بقائمة زياراته المنزلية ، منتقلا من شرق المدينة الى غربها ،ومن شمالها الى جنوبها ، وقلما يبقى له بعد ذلك من وقته ــ ولاسيما اذا كان موظفا ــ الا نفايات لا تسمن ولا تغني من جوع ...

انه قد لايجد وقتا للاسترخاء ، ولو ربع ساعة بعد تناول الطعام .

وقلما يجد وقتا للنوم المتواصل ، ولو لاربع ساعات كل يوم .

وقد لايجالس اولاده ــ ان جالسهم ــ الابضع دقائق ، يختلسها بين حين وآخر من قائمة عمله المكتظة بالمواعيد .

ولا اتحدث عن الوقت الذي يعطيه لكل مراجع من مراجعه ، مع هذا الارهاق البدني المستمر ، وهذا الكلال العقلي المستديم ، والله في عون المريض في مثل هذه الظروف ، كما يستحيل بطبيعة الحال ان اتحدث عن مدى ما يمكن ان يعطيه للمريض من وقت للتحدث معه عن اسرته او بيئته ، وهل للمرض جذور فيهما ، وهل من مرضى اخرين في الاسرة يمكن بالاكتشاف المبكر لامراضهم ، ان يجدوا فرصا اكبر للشفاء ... ان هذا كله ــ رغم انه صميم الطب الاجتماعي الحديث ــ يصبح ترفا لاقيمة له في نظر الطبيب المرهق المشغول .

ثم كم من هذه الاعين الخمس يبقى للطبيب في نهاية حياته ، وكم منها لايتمتع به غير الوارثين ؟ !

الحصان الثاني !

ان الحصان الثاني في العربة التي تحمل

الطبيب الى المقبرة ، اذا افترضنا ان حصانها الاول هو الارهاق ، لابد ان يكون سوء اوعدم استمتاع الطبيب بالاجازات ..

ان فترات الراحة اليومية ، والاجازات الاسبوعية والاجازات السنوية لم توضع عبثا ، ولا هي مجرد صدقات من اصحاب الاعمال على عمالهم ، وانما فرضت هذه الاجازات على التلميذ والعامل والموظف والطبيب ، لاعطاء كل منهم فرصة للتخلص من سموم الارهاق والكلال ، والعودة الى العمل بنشاط متجدد ، ورصيد موفور من الطاقة والصفاء .

بل ان بعض الدول يبلغ بها الاهتمام بتمتع العاملين بهذه الاجازات ، حتى ليفرضوا عليهم خططها ، ويدفعوا عنهم نفقاتها ، هيومن يعولون من افراد .

بيد ان الطبيب الممارس هو اقل المواطنين تمتعا باجازاته ... لقد يغلق عيادته يوما في الاسبوع ، ولكنه يستقل هذا اليوم في عيادة مرضاه بالمنازل ، يدور عليهم دوران النحلة على يانعات الزهور ! تارة بحكم الواجب الانساني ، وحاشاه ان يفرط فيه ، واخرى بحكم شيء آخر ، لاداعي لذكره في هذا المجال !

وعلى ذكر هذه الاجازات الاسبوعية وقداستها في كثير من البلاد المتقدمة ، اذكر اني كنت في ادنبره سنة ١٩٥٠ واجرى لي المستر جلنجهام ـ جراح المخ والاعصاب ، والوكيل العالي لكلية الجراحين الملكية بالمملكة المتحدة ـ . أجرى في جرحة لاستئصال بصيلة العصب الخامس ـ وهو عصب الحس بالوجه ـ ولم اكد اغادر المستشفى عقب النقاهة ، حتى اصبت بقرحة في قرنية العين المجاورة لانشلال احساسها بالاذى ، وكان اليوم يوم سبت ، وكان الاطباء يستريحون يومي السبت والاحد من كل اسبوع ، ورحت ابحث جاهدا عن طبيب للعيون ، بل حتى ممارس عام ، يخيط لي جفني العين ليمنع احتكاكهما بالقرنية الضريرة ، فذهبت جهودي كلها هباء ، ولولا ان وجدت زميلا من زملائي المبعوثين ، قام لي بهذه المهمة ، لضاعت العين كما ضاع العصب الخامس ، وعدت من ادنبره .. بخفي حنين ! !

الذي عنده يعطى ويزاد !

ولقد كنت ابحث هذه النقطة ـ اي عدم التمتع بالاجازات ـ مع صديقي المغفور له الاستاذ الدكتور انور المفتي ، وكان علما من اعلام الاطباء الباطنيين في مصر ، وكان المريض السعيد هو الذي يحظى بموعد في عيادته لايتجاوز الشهرين ! .. وقلت له « انك تحفر قبرك قبل الاوان ، وتعيش فيه ! »

وتبسم قائلا : « انك في الواقع نكات جرحي .. فلقد اصبحت منذ اجهدت نفسي هذا الاجهاد ، ابحث احيانا عن اسم الدواء في ذاكرتي فلا اجده الا بعد حين .. وكثيرا ما اخطيء ، فينبهني الصيادلة الى الاخطاء .. » .

وبعد هذا الحوار القصير جعل عيادته ثلاثة ايام في الاسبوع واقتصر على عيادة خمسة او عشرة من المرضى كل يوم .. وزاد أجره ضعفين . وعاب عليه كثيرون هذا البخل بالعلم ، والجشع للمال .. وكان ردي عليهم انه فتح عيادات كثير من الاطباء الآخرين ، الذين ليسوا اقل منه علما ، وان كانوا اقل منه شهرة .. وهذا مرض معروف من امراض الاطباء لا يد لهم فيه ، المغمور يزداد انغمارا ، والشهير يزداد شهرة ، او كما يقول الانجيل : « من ليس عنده يؤخذ منه ، ومن عنده يعطى ويزداد ! ! »

الخيام الكذاب !!

نشأ عن كل هذا ان الاطباء الناجحين يعيشون طول حياتهم معيشة قاعدة .. لارياضة فيها ولا راحة ولا ترويحا .

لقد خدعهم عمر الخيام خدعة ضخمة حين قال :

فما أطال النوم عمرا ولا
قصر في الاعمار طول السهر !

انها اكذوبة ضخمة ، وما احسب الخيام كان يقوم الليل الا لانه ينام النهار ، اما ان تسهر الليل والنهار معا فذلك مالا يفعله غير الاطباء ، وهم يدفعون ثمن ذلك غاليا بكل تأكيد ، عن طريق الطاهي الماهر ، والسيارة الفارهة ، والمعيشة القاعدة والارهاق الطويل ، وما لابد ان يلي هذه العوامل من امراض السمنة والقلب والشرايين ، والحوادث وما يعقبها من نكبات ...

هذا الى انهم قلما يكونون ازواجا سعداء ، او

آباء يولون أبنائهم ماهو حق لهم من الرعاية والعطف والحنان ... وما أشبههم منهذه الناحية بالدجاجات التى تبيض ذهبا ولكنها لاتدرى كيف ترقد على هذا البيض ! !

البحث عن المرضى ، أو انتظارهم

ولقد كان يمكن ان يهون كل هذ لو التزم الاطباء بالقاعدة البسيطة التى يلتزم بها العقلاء من سواد الناس ، والتى هى صلب الطب الوقائى الحديث ، وهى عرض انفسهم على الفحص الطبى كل فترة من الزمان ...

ان توقى الامراض خير منعلاجها دائما ،وعلاجها المبكر خير من علاجها المتاخر ، واحمد منه عاقبة ، واقل تكاليف ،وادعى الى حماية المريض من التعطل ، والرقاد الطويل فى اسرة المستشفيات، ليخرج منها فى الاغلب محمولا على الآلة الحدباء ... (١)

ولست هنا فى مجال التمييز بين الطب المبنى على البحث عن المرض ، والطب القائم على انتظار المرضى حتى ياتوا من تلقاء انفسهم الى الطبيب ، بعد ان يكون المرض قد برح بهم ، او ازمن ، او استعصى على العلاج ، وان كان من المناسب ان اضرب مثلين لما يمكن ان نجنى من الثمر اذا نحن راعينا اقتصاديات الطب ،وغيرنا فلسفتنا الطبية من فلسفة انتظار المرضى الى فلسفة البحث عن الامراض .

١٢٨ طبيبا

المثل الاول مستمد من قصة طريفة قراتها فى كتاب عن رعاية الشيخوخة (Care of Aging) صدر سنة ١٩٤٤ ولا اتذكر اسم مؤلفه الان ، ولا استطيعان اجزم بان الارقام التى ساورويها عن المؤلف صحيحة مائة فى المائة ، ولو انى موقن انها اقرب ما تكون الى السداد .

ان المؤلف واحد من ١٢٨ طبيبا، كانوا اولى دفعة من الاطباء ، تخرجت فى كلية طب كولومبيا بمدينة نيويورك سنة ١٩٠١ . وقد اتفق هؤلاء الزملاء ان يحيوا ذكرى يوم تخرجهم هذا كل عام ، مهما امتدت بينهم المسافات ،فيرى بعضهم بعضا ، ويقص كل منهم على الاخرين اغرب مامر به من احداث خلال العام .

ووفوا بالعهد على مر السنين ...

حتى اذا كانت سنة ١٩٢٩ ، فافتقدوا واحدا منهم قضى نحبه ، وابنوه ، وكان قبره بالمدينة فزاروه ووضعوا عليه باقة من الزهور .

وفى العام التالى مات اثنان .. وفى الثالث مات واحد ، وفى الرابع مات ثلاثة ، وفى الخامس مات منهم ستة اطباء ، فقد كان معظمهم يتخطى اعتاب الخمسين ، وهى سن حرجة ، ولاسيما فى حياة الاطباء ...

وبعد ان فرغوا فى تلك السنة الاخيرة من تابين الراحلين ، ووضع الزهور على قبورهم ،او تكليف الاقرب منهم الى ضريح الراحل ليقوم عنهم بهذا الواجب الحزين ، ينصرفون كل الى مثواه ، ولكن اصغرهم سنا وكان يوفى على الخمسين ، صاح بهم يستوقفهم لحظة ، محتجا على ان الحال لودامت على هذا المنوال ، فقد لايجد من يضع على قبره زهرة حين يموت ، ثم اهاب بهم فى نهاية خطابه:

ان من العار علينا ونحن الان منكبار الاطباء، ان نترك ارواحنا للموت يخترمها ، ونحن مكتوفو الايدى ، لاندرى حتى لماذا نموت ! !

واتفق الراى على ان يختاروا من بينهم طائفة من الاطباء العلاجيين يفحصون امراضهم ، وطائفة من اطباء المختبرات يقومون بما يستلزمه هذا الفحصمن اختبارات، وطائفة ثالثة تعالجمايكتشف عنه البحث من امراض .

ووقف موكب الموت الزاحف !

لقد ارتفع الستار عن عشرات من الامراض ،

---

(١) المربى : الآلة الحدباء هى نعش الميت ،وهذااشارة الى بيت شعرى

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

بعضها كامن لم تظهر آثاره على اصحابه بعد ، وبعضها بدأت تظهر اعراضه ولكن بشكل خفي لايلفت الانظار ، وبعضها مثل القذائف الموقوتة، التي توشك ان تنسف جسم صاحبها حين يحين الاوان ٠

هذا معتل القلب ،وذاك معتل الكبد ، وثالث فرغ رصيد كلاه ، ورابع زائدته الدودية فيحالة التهاب مستديم ، وخامس بلواه في المرارة اوفي الاسنان ، وسادس اخذت تتمرد في بقعة من جسمه بؤرة من بؤر السرطان ٠٠٠٠

يقول مؤلف الكتاب ، وبعد هذا الاجراء اى الفحص الدورى السنوى المشفوع بالعلاج السريع لما يرتفع عنه الستار من امراض ، لم يمت أحد خلال العشرة الاعوام التالية بين سنتي ١٩٣٤ ١٩٤٤ ، وهي السنة التي صدر فيها الكتاب ٠

الرئيس تافت

اما المثل الثاني لما يمكن ان يتجاب عنه هذا النوع من الطب الوقائي من معجزات ، فهو مستمد من حياة الرئيس تافت رئيس الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ ، ان لم تكن خانتني الذاكرة ، وذلك ان شركات التامين الامريكية لاحظت كثرة ماتتكبد من خسائر ، نتيجة الموت المبكر لكثير من عملائها المؤمنين (بتشديد الميم الثانية ! في ذلك الحين ٠٠٠٠

واتفقت هذهالشركات على ان تقومبفحص دورى سنوى لعملائها ولا سيما من جاوز منهم الاربعين (وكان من بينهم الرئيس تافت نفسه) ، وتعالج على نفقتها مايتكشف عنه الفحص من امراض ٠

ولم تمض سوى اعوام قلائل حتى استردت الشركات خسائرها ، وقفزت ارباحها الى ارقام لم تكن تخطر لها ببال ، ولم تصل تكاليفها من هذا الاجراء لاكثر من عشرة في المائة مما كانت ، قبل ان تجرىهذه الفحوص الدورية للعملاء ٠٠٠

ان الطب الوقائي شيء جميل ،ومثمر واقتصادى الى حد يفوق كل خيال ، ولقد قدر ماكانت الهند تخسره من جراء انتشار الملاريا فيها بحوالي خمسمائة مليون جنيه استرليني (قديم !) كل عام ، وتآزرت الحكومة الهندية مع الهيئة الصحية العالمية ،على مشروع استئصال للملاريا من الهند خلال خمسسنوات ،لم يتكلف اكثرمن مائتي مليون في العام ٠٠٠٠وانتهى الاشكال !

وقاتل الله الاستطراد !

لقد نسيت الاطباء ، ولماذا تتقاصر بهمالاعمار!

ان الطبيب كثيرا ما يدخن ويفرط في التدخين، وهو فيكل يوم ينهى مرضاه عنالتدخين ! ويقول لهم : « لاتفرطوا في الطعام» ، وهو من أشد المفرطين فيه ٠٠٠ وينصحهم بالرياضة والراحة والاسترخاء ، ولا يفعلهو شيئا من ذلك ، اولايجد الوقت ليفعله لو اراد وما اكثره لحاجة في النصح لمرضاه بان يستشيروا اطباءهم كل عام ، ولاسيما بعد الاربعين او الخامسة والثلاثين ، ثم ينسى أنه هو لم يعرض نفسه على طبيب منذ أكثر من عشرة اعوام ٠٠٠

انها محنة المعلم الذى يعلم سواه ، ويحرم نفسه من مزايا التعليم !

في الكفة الاخرى من الميزان !

ولئن كان الاطباء اقصر اصحاب المهن اعمارا ، فان اطولهم اعمارا رجال الدين ٠٠٠

ان رجل الدين غني بالسكينة الروحية التييضفيها التدين على صاحبه ، وقانع بقليله عن المغامرة في سباق المطامع التي تذل اعناق الرجال ٠٠٠

انه ينام ملء عينيه ، ويأكل بثلث بطنه ، ولا يأكل الا وهو جوعان ٠٠٠ وحسبه القصر المضمون له على شاطيء الكوثر ، والثلاث او الاربع من الحور العين اللواتي ينتظرنه هناك ، وبعد ذلك فليبت خالي البال ٠

الا ما احسن قول الرسول الكريم ، وكانه يخاطب رجل الطب ورجل الدين ٠٠ «اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا !! »

سعيد عبده

مقالات في كلمات

■ أسعد النساء مثل أسعد الامم ، ليس لهن تاريخ ·

جورج اليوت

■ العادة ، هي الاسمنت الذى يجعل الزوجين يلتصقان ببعضهما ·· ثم هى بعد ذلك نهاية كل شيء في الدنيا ·

« جنفيف انطوان داريو »

■ الانسان يفقد نفسه مع الحب عندما يجيء متأخرا ·

« هنا كاولى »

■ نحن لم نعد نعيش امس ، ولم نعش الغد بعد ! الشيء الوحيد الثابت امامنا هو حياتنا اليوم ·

« ديستان »

■ الفن من اجل الفن وحده ، عبارة بليدة لا أستسيغها ·· اما الفن الذى يبحث عن الصدق،الفن الذى يجسد الجمال، فهو عقيدة أسعى اليها ··

« جورج ساند »

■ نحن لانستطيع ان نتوقع من ارنب صغير ان يصنع ما يصنعه الاسود ·

« اديت ستاين »

■ انني أؤمن بقوة في العمل من اجل شراء كعكة لذيذة لاضعها امامي وآكلها مع من أحب ·· ولقد أمضيت حياتي كلها اطبق بجشع هذا المبدأ ·

« ان سكوت جيمس »

■ الصداقة الحقة لايمكن ان تعيش بغير قلق ·

« مدام دى سفينى »

■ اذا لم يستطع المرء ان يخترع كذبة مقنعة فاولى به ان يتمسك بالصدق

« انجيلا تريكل »

■ اننا نعيش لنتعلم ، ولكن عندما يجيء الوقت الذى نشعر فيه اننا قد علمنا انفسنا،نجد انه لم يعد في العمر بقية!

« كارولين ويلز »

■ النجاح مسالة جماهيرية ، اما الفشل فهو جنازة خاصة !

« روزاليند راسل »

■ الحب يقهر كل شيء ماعدا الفقر وألم الاسنان !

« ماى وست »

■ اعاجيب الدنيا كثيرة ولكن اعظمها اطلاقا هي الانسان نفسه ·

« سوفوكليس »

■ ليس هناك شيء يمكن ان يسبب ايذاء للرجل العظيم ،سواء في حياته او بعد الرحيل ·

« سقراط »



جورج ساند



سقراط

● ركن الاسرة والمرأة ●

ابتسامة حلوة
أو دمعة عتاب
أو حتى صيحة غضب
كلها تحمل ..

معنى الحب

■ كانت تضحك وقلبها حائر ! ترقص ولكنها لا تعرف الى أين تقودها قدماها ! كانت تحس بضياع وتشعر بانها تعيش حياتها فى فراغ هائل لا تعرف كيف تملاه ! لقد تغيرت ، ولكن احدا لم يكن يعرف سر هذا التغير الذى طرأ على حياتها سوى عدد قليل من المقربين اليها ، وكان اقربهم صديقتها العزيزة التى خصتها بكل اسرارها .. ان الرجل الوحيد الذى احبته واختارته من بين كل الشبان الذين تقدموا اليها يطلبون يدها ، ليكون شريكا لحياتها ، لم يعد يشعر بها .. لم يعد يحس بوجودها .. لم يعد يعطيها ما كانت تمنى نفسها به بعد الزواج!

لم يكن المال يعوزها ، فقد كانت ميسورة الحال، تملك من الثياب افخرها ، ومن المجوهرات ما يسيل لعاب كل امراة .. ولم تكن الحياة الناعمة الرغدة حلمها..فهى قد نالت من التعليم قسطا لا بأس به ، وخرجت تعمل مثل كل فتاة لا تريد ان تكون عالة على المجتمع ، ولا تحب أن تقضى كل ساعات يومها امام مراتها تتامل نفسها فى ثيابها ومجوهراتها التى تملا دولاب ملابسها ..

كانت تبحث عن شيء واحد ، منذ اللحظة التى بدات فيها تعد نفسها لحياتها الجديدة مع زوجها فى عشها الصغير .. كانت تبحث عن الحب وعن الدفء وعن الحياة الحلوة العذبة التى قرات عنها فى الكتب ، ورأت فصلا منها مع صديقاتها اللواتى سبقنها الى الزواج ! كانت كل امنيتها أن تتزوج رجلا يحس باحساسها ويشعر بشعورها ، ويعطيها من حبه وعطفه وحنانه ما تسمع فيه كل امراة تعرف معنى الحب كما تعرفه هى ، وتفلسف الحياة باسلوبها ولغتها هى !

صراع مع نفسها !

ولكن احلامها الصغيرة لم تتحقق .. لم يكد ينتهى شهر العسل القصير حتى بدات تواجه الواقع بكل ما فيه من قبح وألم .. وبدأ الصراع مريرا بينها وبين زوجها .. واشد مرارة بينها وبين نفسها ..

– هل هذه هى الحياة التى وعدتنى بها قبل أن ينتقل هذا الطوق الذهبى الصغير من اصبع يدى اليمنى الى أصبع يدى اليسرى ؟ اين حديثك الحلو اين وعودك التى حملتنى فيها معك الى غصون الاشجار نقف عليها ونتناجى كما تفعل الطيور ! هل يمكن أن ينتهى هذا كله خلال تلك الاسابيع القليلة التى اصبحت فيها ملكا لك وحدك ؟

ولم تكن تسمع منه جوابا واحدا يمكن ان يفسر لها ما حدث له !

ماذا حدث ؟

ـ ما الذى يمكن ان يكون قد حدث لهذا الشاب الذى تزوجته ؟ لقد كان مرحا ممتلئا بالحياة ، لا يكف عن مداعبتها واطراء محاسنها خلال فترة الخطوبة الطويلة التى دامت لاكثر من سنة كاملة ..؟ من اجل هذه الصفات كلها تزوجته . فقد كانت هى ايضا تحب الحياة .. كانت فتاة مرحة تمتلىء حيوية ونشاطا ، تضحك للنكتة الحلوة ، وتطلق النكات وتضحك عليها وتسخر من نفسها وهى ترى عينيها السوداوين الجميلتين تغرورقان بالدموع من فرط الضحك !

وكانت تسائل نفسها ، وتحاول ان تبحث عن سبب واحد يمكن ان يكون مسئولا عن هذا التحول الذى طرأ عليه ! هل يمكن ان تكون تصرفاتها هى السبب فى هذا التغير المفاجىء الذى حدث له ؟

وكانت كلما استبدت بها الحيرة ، وشعرت بعجزها تماما عن اكتشاف السر فى تحول زوجها عنها ، وتغير موقفه منها وشعوره نحوها .. انفجرت تبكى ، كما يبكى الاطفال !

شىء واحد كانت تعرفه وتعرف انه لم يتغير ولن يتغير ابدا ، لانه يتصل بها هى نفسها .. انها هى هى لم تتغير .. نفس الفتاة المرحة التى تحب الحياة وتحب الناس وتضحك معهم وعليهم .. تحزن لاحزانهم .. وتفرح مع بسماتهم .. اذا دعيت الى حفل ، احس اصحابه والمدعوون اليه انها جاءت بالحفل معها .. فاذا ذهبت ذهب الحفل وانتهى ، فلم يعد فى استمراره شىء يستحق مزيدا من السهر !

قلب من ذهب

وهى تعرف بينما تعرف ايضا عن نفسها انها انسانة عاطفية ، تحمل قلبا من ذهب .. اذا احبت كان حبها جارفا طاغيا بغير حدود .. واذا كرهت ، احست ان الدنيا كلها على سعتها ، لم تعد تحتمل وجودها بجانب هذا الذى كرهت سواء كان رجلا أم امرأة ! ولكنها تعرف كذلك ان قلبها الطيب ، كثيرا ما كان يصفح ويصفح ، فهى تغضب بسرعة وتثور بسرعة كما يثور البركان ، ولكنها لا تلبث أن تهدأ ، وتعود الابتسامة الى شفتيها والى وجهها الضاحك الجميل عند اول بادرة تصدر عن الشخص الذى اثار عندها كل هذه الثورة..عند أول اشارة تشتم منها الاعتذار والاسف !

لقد انقضى على زواجها الآن اكثر من اربع سنوات بذلت خلالها كل جهد يمكن أن تبذله امرأة فى محاولة لايقاظ مشاعر زوجها الراقدة النائمة . ولكن محاولاتها كلها باءت بالفشل ! كل ما استطاعت أن تصل اليه وتعرفه ، انه رجل يهتم بعمله ويعطيه كل وقته وجهده وكل ما فى رأسه من فكر فى المكتب وفى البيت وفى الشارع وفى كل مكان .

انهما لم يرزقا باطفال بعد ، فقد اتفقا على ان يؤجلا استقبال الضيوف الصغار الجدد بعضا من الوقت يسمح لهما بالسفر ومشاهدة ملامح الحياة وصورها خارج حدود بلادهما !

هل ذبل حبها له ؟ انها وحدها تعرف الاجابة على هذا السؤال . وهى بالنفى قطعا ، لانها لا يمكن أن تتصور أن تستمر فى الحياة مع رجل لا تحبه ! ولكن ماذا عن حبه هو لها ؟ وكان هذا هو السؤال الذى ظل يحيرها طيلة هذه الاعوام ولا تعرف له جوابا ..

مع حيرتها .. وصديقتها

وحملت نفسها ، وحملت حيرتها ، وذهبت للقاء صديقتها التى تعودت أن تحكى لها اسرارها ومتاعبها ، فهى تحبها وتثق فيها وتستفيد من تجاربها وخبرتها فى الحياة بحكم الفارق فى السن بينهما !

وجلست الزوجة الصغيرة الحائرة تتحدث .. روت لها قصة حياتها كاملة مع الرجل الذى أحبته وتزوجته ! وأذهلتها المفاجأة عندما وجدت أن صديقتها تعرف عنها وعن حياتها اكثر مما روت . فقد كانت تحس بها وترقبها وترقب تصرفات زوجها ومواقفه منها فى صمت ، دون ان تجعلها تشعر أن عينا غريبة تحاول أن تنفذ الى أعماقها ، وتعرف ما يدور فى رأسها وقلبها !

قالت الصديقة تسألها : « ولكن ما هى شكواك .

ان الشيء الوحيد الذي أحسست به من خلال حديثك معي أن زوجك مشغول بعمله عنك ، وانه ربما يكون اهتمامه برزقه أكثر من اهتمامه ببيته وبزوجته التي تقضي وقتها تنتظر عودته داخل هذا البيت ! وانت ربما تكونين على حق يا عزيزتي ، فالزواج ايضا وظيفة ، والرجل العاقل هو الذي يستطيع أن يوزع وقته بين وظيفته في مكتبه ووظيفته في البيت كزوج ورب أسرة وصديق ورفيق لهذه المرأة التي أصبح بالنسبة لها كل شيء في دنياها داخل البيت وخارجه ! ولكن الذي أستطيع أن أؤكده لك رغم كل شيء ان زوجك يحبك .. انني أرى هذا الحب في عينيه .. كل تصرفاته نحوك توحي بهذا .. ان هناك أشياء صغيرة كثيرة لا تستطيعين انت ان تريها لانك تعيشينها .. ولكن يراها الذين يعيشون فقط هذا الجانب من حياتك مع زوجك ومع الناس !

وقالت الزوجة الصغيرة : « ولكنه لم يقلها لي أبدا .. لم أسمعها منه أكثر من مرة أو مرتين طوال فترة زواجنا » !

ماري كوريللي والحب

وقامت الصديقة واتجهت الى مكتبتها ، وعادت تحمل في يدها كتابا بعنوان « مذكرات ماري كوريللي » وهي كاتبة انجليزية ولدت وعاشت في انجلترا في الفترة ما بين ١٨٥٥ و ١٩٢٤ .. وقد تحدثت في الحب والزواج قبل أن تدرك القرن العشرين ، فلما أدركته ، راحت تحمل حملة شعواء على المادية ، وعلى المحاولات التي يبذلها العلم والعلماء للخروج على كل ما هو قديم وتقليدي ، والتحول الى الحياة العصرية !

وفتحت الصديقة كتابها وبدأت تقرأ ..

« ليس هناك ثروة أعظم وأكبر من الحب !

ما أكثر الزيجات التي اصطدمت سفنها بالصخور وغرقت ، لان الزوجين نسيا انهما كانا عاشقين !

الرجال ، ما أغبى الرجال .. انهم لا يريدون أن يدركوا أهم حقيقة من حقائق الحياة بين الزوجين .. كل زوجة لا تريد الملابس الجميلة ، ولا المجوهرات ، ولا المال بقدر ما تريد الحب والمجاملة والمعاملة الرقيقة والتفاهم ، والصدر الحنون الذي تستطيع أن تستند برأسها اليه ، تماما كما كانت تنام على صدر امها وهي طفلة، ولكن اذا وجدت الاثنين كانت أسعد امرأة في الدنيا ! »

وصاحت الزوجة الصغيرة صيحة انتصار وهي تستمع الى مالم تقله هي ، وانما قالته ماري كوريللي على لسانها ، وكأنها معها على موعد.. كأنها كانت تقرأ ما يدور في رأسها في تلك اللحظة !

الحب بكل لغة

وابتسمت الصديقة ومضت تقرأ في هدوء وبدون تعليق: « ولكن بعض الرجال ينتابهم الخجل في محاولتهم اظهار عواطفهم .. فهم يخشون أن يتسببوا في احراج انفسهم ، او احراج من يحبون .. حتى مع زوجاتهم ! ان كلمات الحب التي تعرفها المرأة هي الكلمات التقليدية التي رددها الملايين عبر العصور .. (انني احبك ، انني اعبدك .. انت حياتي ودنياي ، ولا حياة لي بدونك) الى اخر الكلمات الحلوة التي لم تتغير أبدا عبر القرون الطويلة منذ عرف الرجل المرأة .. وهي كلمات يحفظها كل الرجال بكل اللغات التي قيلت وتقال بها » !

وتمضي ماري كوريللي: «هل هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الرجل بواسطتها ان ينقل مشاعره للمرأة التي يحبها ، سواء كانت زوجته او خطيبته .. أو امه ؟

« والجواب بالنفي قطعا ! » .

قصة مارجريت !

لم تروي مدام كوريللي هذه القصة : « كنت اكره السيارة التي كانت تمثل مظهرا من مظاهر الانتقال الى الحياة العصرية في بداية هذا القرن .. وكنت افضل عليها كثيرا العربة الصغيرة التي يجرها الجواد الاصيل الذي اعتني به واقدم له بيدي طعامه وشرابه ! كنت اطمئن اليه ، واعرف دائما انه سينقلني الى حيث اريد أن أذهب في هدوء وسلام .. الى أن جاء يوم زارتني فيه صديقتي مارجريت ، لتزف الي النبأ السعيد .. لقد اشترى لها زوجها سيارة.. ولم أكن قد رأيت مارجريت منذ فترة طويلة

جاوزت العامين .. وشددت على يدها مهنئة ! فامسكت بها وشدتني اليها ودعتني الى الجلوس بجوارها .. وقالت : « لا .. انها ليست السيارة الجديدة ياعزيزتي ماري .. وانما هو زوجي .. زوجي الذي كنت احدثك عنه .. انه اعظم زوج في الدنيا ! هل تعرفين ماذا قال لي هذا الصباح ، وانا اودعه عند خروجي من البيت ، عندما قررت ان آتي اليك بسيارتي الجديدة وادعوك الى ركوبها معي .. هل تعرفين ماذا قال ؟ لقد قبلني ، وراح يوصيني وكانه يتوسل الى بالا اقود السيارة بسرعة .. وان اخذ حذري وقال « تذكري انها مازالت شيئا جديدا لم يعتد عليه الناس بعد .. ان اقل خطا معها قد يعني الموت ياعزيزتي ! »

وكانت صديقتي مارجريت قد جاوزت الستين، وكان زوجها يكبرها بعشر سنوات عندما قررا ان يقتنيا هذه العربة الجديدة التي تسير وحدها بلا جياد تجرها وراءها !

وتمضي ماري كوريلي : « ان ماقاله هذا الشيخ العجوز لشريكة عمره وهي تركب سيارتها الجديدة ، كان اجمل من كل المعاني التيتحملها كلمات الحب التي عرفناها والفناها .. فهو بهذه الكلمات البسيطة اراد ان يؤكد لهــا قيمتها بالنسبة له . اراد ان يقول لها انه لايحتمل ان يصيبها مكروه .. وان حياتهــا اهم عنده من كل شيء في الدنيا ! »

انت « خنزير » يا حبيبي !

ثم تقول ماري كوريللي«ان الاسلوب الذي ننقل به مشاعرنا اهم بكثير من الكلمات التي نختارها للتعبير عن هذه المشاعر .. سمعت زوجة تقول يوما لزوجها على مائدة الافطار : « انت خنزير كبير ياعزيزي ! »

وكان قد افرطفي تناول الطعام بصورة مخيفة، رغم انه يعرف ان الاكل الكثير يضره ! ولكن الزوجة قالتها وهي تضحك من قلبها ، حتى ان الزوج اسرع يقول لها..قوليها مرة اخرى.. ارجوك .. قولي اني خنزير ! اريد ان ارى هذه الابتسامة على وجهك دائمــا وانـت تشتمينني ! »

« ان الرجل يستطيع ان يقول لزوجته انه يحبها ويعبدها ولا يستطيع الحياة لحظة واحدة بعيدا عنها دون ان يحتاج لترديد هذه الكلمات مرة واحدة ! ان ابتسامة حلوة ، او دمعة حقيقية خلال عتاب بين الزوجين .. او السكوت في بعض الاحيان .. او حتى الانفجار فــي اعنف صوره ، من جانب الزوج او الزوجة او فنجان من الشاي يعده احدهما للآخر في الموعد الـذي تعود ان يشربه فيه .. كلها انفعالات تتحدث بلغة واحدة .. لغة الحب ! »

وطوت الصديقة صفحات الكتاب .. ووضعته جانبا ، وقالت تسالها : « هل يحدث هذا بينكما ؟ »

وقالت الزوجة الصغيرة التي افتقدت الحب : « ربما ولكنني لم اتوقف مرة لاترجم هــذه الاعمال » .

.. وامتلأ قلبها بالحب

وافترقت الصديقتان..وانقضت بضعة اسابيع لم يلتقيا فيها .. ثمّ جاءت اليها مرة اخرى زائرة .. وكانت ابتسامتها الحلوة تملأ وجهها وترتسم على عينيها الجميلتين .. وتعانقتـا ، كما تعودتا دائما كلما طالت غيبتهما عن بعضهما البعض .. والقت الزوجة الصغيرة بجسمها على المقعد الوثير .. ثم انفجرت ضاحكة ، وقالت : « لقد قالها لي يا عزيزتي .. قالها ولم يقلها ! »

بالامس فقط عرفت أن زوجي يحبني .

وقالت الصديقة : « احك لي ما حدث ؟ »

ـ « قلت له انني أريد أن اسافر في اجازة قصيرة لاقضي بضعة ايام مع اسرتي ! فقال لي انه لايمانع مادامت هذه رغبتي ! الى أن حان موعد السفر بالامس . فجاء الى قبـل قيـام الطائرة ببضع ساعات ، وقال يهمس في اذني: « سوف افتقدك ياعزيزتي .. ارجوك الا تسافري .. واعدك بان اصطحبك فــي رحلتك في اول فرصة تسمح لي بها ظروف العمل .. لا تتركيني وحدي ! »

وامتلأ قلبها الصغير الحائر بكل الحب .

■■

(م ٠ ن)

ليالي

بقلم : خليفة الوقيان الكويت

■ ليلى.وقاعُ الكأسِ يضطربُ   ويمورُ في أحشائها اللهبُ
من لى بسائحةٍ تقربُني   من حافةٍ يلهو بها الحببُ
ما ساقني في دربها سببٌ   الا وأغفى دونه سببُ
دأب الليالي أن أرى عجبا   من امرها يأتي به عجب !
ظمآنُ والاقداحُ مُترعةٌ   أين الهوى ، والكأسُ ، والعنب ؟

* * *

عيناك بحرٌ همسه صخبُ   يا فضةٌ قد شابَها ذهبُ
والورد يغفو مُترفا ثملا   في وجنتيك ، وعرفُه لهبُ
أغفى الندامى ، غيرَ ذي أرقٍ   لما يزل بالوَجْد يصطخبُ
ينأى به حُلم ويجذبه   حُلم على أجفانه يثب
في صبحه تتضاحك الشهب   وبليله تتغامزُ النوب
وكأن في احشائه لجبا   لشوارد بالروح تحترب

* * *

ليلى ، وفي الاحلام هدْهدَةٌ   لمعذّب إن عز مُطّلَبُ
ما أعذب الثغر الذى انتظمت   حباته ، ما الدر ؟ ما الشهب ؟
يَفْتَرعن آي منغمة   بالسحر . بالحسن الذى نهب
فيطوف في الحانها دنِفٌ   ذو غصة قد هاضه التعب
ما الحب ؟ ما الحسن الذى انتهبوا ؟   ما الكاس ؟ ما الخمر الذى شربوا ؟
عبروا على عجلٍ ، وما علموا   أنّا على آثارهم نثبُ
ولسوف نشرب بعض ما اعتصروا   ولسوف نمنحُ كل ما حجبوا

* * *

لم يبق في الاحلام مُتّسع   لسوانح تأتي وتحتجب
في مقلتيك الكأس والعنب   يا كرمة بالعتق تُنتخب ■■

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

الكونجرس الامريكي عمره مائتا عام !

● ما هو الكونجرس ، وما هو الدور الذي يلعبه في الحياة الامريكية ·· وما أصل هذه التسمية ، ·· ومم يتكون ·· وما هي سلطاته · ؟

فهمي الصغير ــ الكويت

ــ الكونجرس Congress هو برلمان الولايات المتحدة الامريكية · ويتالف من مجلسين هما : مجلس الشيوخ Senate ومجلس النواب House of Representatives .

وترجع هذه التسمية الى المؤتمر القديم الرائد الذي انعقد في فيلادلفيا سنة ١٧٧٦ ، واعلن استقلال المستعمرات الامريكية الثلاث عشرة عن انجلترا ، وكان هذا المؤتمر يسمى ايضا « الكونجرس » ·

ويجري انتخاب مجلس الشيوخ انتخابا مباشرا لمدة ست سنوات ، ثم يجدد انتخاب اعضائه كل سنتين ·· ولما كانت كل ولاية من الولايات الامريكية الواحدة والخمسين تنتخب شيخين ،مهما بلغ عدد سكانها ، كان عدد اعضاء مجلس الشيوخ مائة وشيخين ·

اما مجلس النواب فيتالف حاليا من ٤٣٧ عضوا ينتخبون انتخابا مباشرا ايضا لمدة سنتين ، وذلك بنسبة عدد سكان كل ولاية ·

ويجتمع الكونجرس الامريكي من تلقاء نفسه في ادوار انعقاده العادية ، اذ ليس من اختصاص الرئيس الامريكي دعوة الكونجرس للاجتماع ، ولا فض هذه الاجتماعات او تاجيلها او حل اي من مجلسيه ·· الا ان الرئيس الامريكي يملك بموجب الدستور دعوة الكونجرس للاجتماع في حالة واحدة ، هي وجود ظروف استثنائية تستدعي دعوة البرلمان الى الانعقاد في غير اوقات انعقاده العادية ·

ويراس مجلس النواب احد اعضائه ويسمى Speakr وينتخب من قبل اعضائه ، اما مجلس الشيوخ فيراسه نائب رئيس الولايات المتحدة الامريكية ·

وللكونجرس سلطات حددها الدستور ، نكتفي هنا بايراد اهمها ، ومن اهم هذه السلطات :

١ ــ السلطة التشريعية : وهي السلطة الاساسية للكونجرس ، يمارسها بحرية في الحدود المدونة في الدستور بالاتفاق بين مجلسيه (الشيوخ والنواب) على قدم المساواة ، الا فيما يتعلق



بالضرائب ، فنجد ان مجلس النواب هو الذي يملك زمام المبادرة دون مجلس الشيوخ ٠

٢ ـ السلطة المالية : الكونجرس هو الذي يوافق على الميزانية العامة للدولة بما فيها المساعدات الخارجية ، ويجب على الرئيس الامريكي ان يحيل الى الكونجرس كل مشروع للصرف الاستثنائي للموافقة عليه ٠

٣ ـ السلطة القضائية : للكونجرس الحق في توجيه الاتهام الى الرئيس الامريكي ، والى اى من موظفي الدولة الاتحاديين والمثول امامه ٠٠ ٠٠ وهذا ما يسمى Impeachment وقد كثر الحديث عنه في اواخر ايام الرئيس نيكسون ٠٠ وتبرز سلطة الكونجرس هنا في حالة وجود جناية او تواطؤ او جرائم او جنح خطيرة ضد الدولة ٠

٤ ـ حق اعلان الحرب : الكونجرس هو الذى يملك حق اعلان الحرب ، الا ان الرئيس الامريكي يمكنه اتخاذ مثل هذا القرار بمعزل عن الكونجرس في الحالات الاستثنائية ، فاذا رفض الكونجرس قراره ، امكنه المضى فيه متسلحا « بالفيتو الرئاسي » ، اذ ان للرئيس الامريكي اثناء الحرب سلطات استثنائية تصل الى حد الهيمنة على المواطنين وممتلكاتهم ، ولا يمكن الغاء الفيتو الرئاسي الا باقتراع كل من المجلسين بنسبة الثلثين٠

وهناك سلطات يمارسها مجلس الشيوخ منفردا، واخرى يمارسها هذا الاخير بالاشتراك مع رئيس الولايات المتحدة ٠

مما تقدم وبسبب هذه السلطات وغيرها مما لم نذكر ، تتضح اهمية الدور الذى يلعبه الكونجرس في الحياة الامريكية ٠

(ع ٠ ى)

المنبوذون في الهند

ماذا حل بهم في ظل الديمقراطية والاستقلال ؟

● نرجو أن تحدثونا عن طبقة المنبوذين في الهند ٠٠ ترى هل ما زالت قائمة بعد استقلال البلاد وقيام حكومة وطنية ديمقراطية فيها ٠٠

ـ يصعب على المرء ان يتصور مدى الظلم والاضطهاد اللذين يعامل بهما المنبوذون في الهند ٠ فلعلهم أتعس سكان الارض جميعا ٠٠٠ اتعس كثيرا من الزنوج الذين يعانون من قوانين التفرقة العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا٠٠ واتعس كذلك من الهنود الحمر ، بل قل ممن بقى منهم في الولايات المتحدة الامريكية ٠

فالباعث على اضطهاد هؤلاء واولئك نزعة التمييز العنصرى التى تستند الى اختلاف في العرق وحرص على احتواء الجانب الملون والسيطرة عليه بقصد التشبث بالحكم والاستئثار بالغنم٠٠

اما المنبوذون في الهند فالباعث على اضطهادهم متصل بصميم كيانهم ٠٠ فهم ، في نظر الهندوس، قذرون في جبلتهم ومنحطون بحكم مولدهم ٠٠ وهم يلوثون كل من يلمسون بايديهم وكل ما يلمسون ٠٠ ولا سبيل الى التخلص من تلويثهم هذا الا بواسطة طقوس وشعائر دينية معقدة ٠٠

ويحظر على المنبوذين في الهند العيش في مدن الهندوس وقراهم ٠٠ ولا يسمح لهم بالسكن الا في معازل خاصة بهم يفصل بينها وبين اقرب المدن او القرى الهندوكية مسافة ١٠٠ ـ ٢٠٠ متر كحد أدنى ٠

ويحظر عليهم ايضا دخول الهياكل والمدارس٠٠ ويحرم عليهم الشرب من آبار الماء الخاصة بالطبقات الهندوكية المعترف بها ٠

اما الاعمال التى يمارسها المنبوذون فمن شانها أن تزيد اوضاعهم سوءا ٠ فهم يقومون باعمال التنظيف وخاصة تلك المتصلة بفضلات جسم الانسان ٠ وهم يزاولون دباغة الجلود ، بما فيها جلود البقر ، وهو ، في نظر الهندوس ، حيوان مقدس ، ويحرمون اكل لحمه ودبغ جلده ٠٠

ولعل من الخطأ اعتبار المنبوذين الهنود طبقة Caste ، فهم اشتات Casteless ، لا ينتظمون ضمن اى طبقة من طبقات الهندوس المعروفة الاربع : طبقة الكهنة (البراهما) ، وطبقة الحكام والمحاربين ، وطبقة العوام الكادحين ، وطبقة السودرا التى يمارس افرادها الاعمال الحقيرة .

تلك هى اوضاع المنبوذين فى الهند منذ أن ظهر فيها المنبوذون .. قبل نحو ٤٠٠٠ سنة .

وجاء المهاتما غاندى فاحاطهم باهتمامه وسماهم الهريجان Herijans اى ابناء الاله هارى فستو Hari vsnu الا ان ذلك لم يغير من اوضاعهم شيئا .

ثم كان استقلال الهند وكان دستورها سنة ١٩٥٠ ، وقد حرم اضطهاد الهريجان ، وحرم ايضا تسميتهم باسمهم القديم « المنبوذين » ، ومنحهم الكثير من التسهيلات والامتيازات ومنحهم ايضا حق دخول البرلمان .. ولكن ذلك لم يغير من اوضاع المنبوذين كثيرا .

وجاءت سنة ١٩٥٥ واذا بقانون الاضطهاد (جنايات) يصدر فى الهند ويحدد العقوبات التى تنزل فى كل من يضطهد الهريجان . ولكن اوضاع المنبوذين بقيت كما كانت دون اى تغيير يذكر .

وحسبك ما صرح به احد مدراء البوليس فى الهند اذ قال : « لا مفر لنا من ان نسجن اكثر من نصف سكان الهند ، اى حوالى ٣٠٠ مليون نسمة ، اذا نحن اردنا تنفيذ قانون العقوبات لسنة ١٩٥٥ ، بحزم وأمانة » .

هذا وعدد المنبوذين فى الهند كبير ، وقد بلغ حسب احصاءات رسمية اجروها فى الستينات حوالى ٨٠ مليون نسمة يضاف اليهم نحو ٣٨ مليون نسمة من القبائل الجبلية الذين يعتبرون فى حكم المنبوذين نظرا لاعمالهم وتصرفاتهم .

ى . ز



تاريخ القول بكروية الارض ودورانها

● هل عرف الناس القول بكروية الارض ودورانها قبل الفلكى كوبرنك؟ وكيف اهتدوا اليه ؟

عصام صديق/جامعة أسيوط ـ مصر

ـ كروية الارض ودورانها نظريتان لا واحدة ، والقول بهما قديم ، واول من قال بهما معا ـ فيما نعرف ـ هم الفيثاغوريون الاوائل فى القرن الخامس (ق.م) وهم رياضيون وفلاسفة ، وعلى الرياضة بنوا كل نظرياتهم الفلسفية ولم يكن قولهم بذلك تقريرا لواقع كشفوه ، بل اعتبارا لفرض رياضى تصوروه وقبلوه . فقد افترضوا ان العالم كامل ، وان العشرة عدد كامل (لانه مؤلف من جميع الاعداد ، كما أنه حاصل على جميع مزاياها) . ثم نظروا فى العالم فوجدوا ان اجرامه تسعة (كما كان معروفا فى عهدهم حتى مطالع العصر الحديث) فافترضوا ـ كما روى عنهم ارسطو ـ ارضا اخرى تقابل ارضنا ، لتمام العشرة ، وانها اسفل من ارضنا فهى تختفى تحتها ولهذا لا نراها ، وافترضوا للعالم مركزا ناريا ساكنا تتحرك الاجرام حوله ، وانه لابد ان يكون منيرا (لان النور خير من الظلام) وساكنا (لان السكون خير من الحركة) ـ وسموه النار المركزية ، ثم انهم الهوها ، كما ادعوا ان الشمس تستمد منها حرارتها وانوارها فتعكسها على القمر وعلى الارضين الاثنتين ، وان الارض الثانية حين تتوسط بين النار المركزية والقمر يحدث الخسوف ، وحين تتوسط بينها وبين الشمس يكون الكسوف (وهكذا تلعب العبقرية الرياضية فتصيب فى حدسها وتخطىء)

ولكن بعد فتوح الاسكندر المقدونى حتى بلوغه الهند لم تظهر الارض الاخرى ولا النار المركزية ، فعدل الفيثاغوريون المتاخرون عن ذلك ، ولكن احدهم ، وهو ارسطوخس ، فى القرن الثالث للميلاد قال بان الشمس هى المركز (وهو الرأى السائد الان) ولكن قوله هذا لقى كثيرا من الاهمال ثم جاء كوبرنك (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣) فاطلع عليه فى كتابات النابغة الرومانى « شيشرون Cicero

● انت تسال ٠٠ ونحن نجيب ●

(١٠٦ ـ ٤٣ ق٠م) فسلم بـه تصورا ، وايده بدليل رياضي أيضا ، وظل يكتمه أكثر من ثلاثين سنة ، ولم ينشره في كتـابه « في الحركات السماوية » حتى آخر حياته ، وقد جاءتـه منه نسخة مطبوعة وهو في ذهول الاحتضار على فراش موته ٠ وحجته في ذلك ان الطبيعة تحقق غاياتها بابسط الوسائل ، وانسب لهذا المبدأ ان تكون أكبر الاجرام ثابتة تتحرك حولها الاجرام الصغرى، وليس عكس ذلك ، ومعروف أن الشمس اكبر من الارض ، فالشمس هي المركز الثابت والارض حولها تدور ، ولكن اذا كنا نرى الارض ثابتة والشمس متحركة ،فكيف نسلم بعكس ذلـك ؟ وجواب كوبرنك ان المسالة هنا نسبيـة ، فحيث نحس حركة في الفضاء لا يدلنا الادراك الحسى بداهة هل المتحرك الشخص الحاس، ام هو الشيء المحسوس ، أم كلاهما ولهذا نجد اننا اذا سلمنا بان تصور الارض دائرة أبسط من تصورها ثابتة مع دوران الاجرام السماوية حولها ، فان هـذا الفرض لا يصادم الادراك الحسى للظواهر بل يبقيه كما هو ، ويتمشى معه ويعلل غرابته الظاهرة ٠

وهذا التصور لايعدو ان يكون فرضا كما ذكر الناشر في مقدمة الكتاب ، ولهذا لم يلق تحريما ولا مصادرة من الكنيسة يومئذ كما لقى غيره من الآراء والكتب ، ثم جاء جاليليو الايطالي (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م) فايد هذا الفرض ، وهكـذا انتشر وساد ٠

وقد عرف الرومان القول بدوران الارض حول الشمس كما تدلنا كتابات شيشرون ، كما عرف العرب أيام العباسيين القول بكروية الارض ، ثم اهملوا ذلك حتى تعلموه من الغرب في العصر الحديث ، ويلاحظ أن الفرضين : دوران الارض حول الشمس ، وعكسه ايضا صالحان على السواء حتى اليـوم فيما يفسران من حركـات نظامنـا الشمسي ، وهذا واضح في التقويمات السنوية ومـا اليهـا من حوادث الكسوف والخسوف حتى الان ، ولهذا لا عجب أن نرى عالما كبيرا معاصرا هو هنري بوانكاريه الفرنسي يرى أن نظرية كوبرنك مجرد فرض ، وأن فضلها الوحيد أنها أبسط من القول بدوران الشمس حول الارض ٠

م٠خ٠ت

سائق العربة الذى أصبح

● طالعتنـا الصحـف بنبـأ وفـاة المارشال جريشكو ، هل لكم أن تقدموا لنا نبذة عن حياة هذا القائد العسكرى السوفيتي الكبير ؟ سعيد صالح/الجزائر

ـ قال يوما وهو يقف على رأس قواته مدافعا عن مدينة كييف في اوكرانيا ضد الغزو النازى : « أيها الاخوة الجنود ٠٠ اننا لانملك سلاحا يمكننا من صد هجوم الاعداء ٠٠ كل ما لدينا الآن شحنات من قنابل مولوتوف ٠٠ ولكن لدنيا ما هو اقوى من هذه القنابل ٠٠ لدينا رجال يرون امامهم عدوا قطع الوف الاميال وجاء الى ارضنا ليدوس عليها باقدامه ، ومن اجل هذا فلن نتركـه حيا بيننا سنحول هذه الارض الواسعة من حولنا الى مقبرة هائلة لجيوش هتلر ! »

ونجح القائد العسكرى السوفيتي وجنوده في انزال الهزيمة بالقوات النازية المتقدمة ٠واستطاعت قنابل مولوتوف أن تفتك بدبابات هتلر وجيوشه! ولم يكن هذا القائد الكبير سوى الضابط اندريه جريشكو ،الذى راح يرتقى سلم الجيش السوفيتي حتى اصبح مارشالا ، وعين قائدا أعلى للقوات السوفيتية ثم وزيرا للدفاع عام ١٩٦٧ ٠

لعبة الشطرنج

● انني من هواة لعبة الشطرنج ، فهي رياضة ذهنية ممتعة ، ثم هي عامة بين كل شعوب الارض ، وقـد بلغ من اهتمامهم بها أن انشئت لها الجمعيات ، وعقـدت لهـا المسابقـات الدولية ، فمن مخترع هذه اللعبـة العجيبة ؟ محمد المسعود ـ الكويت

ـ الشطرنج رياضة ذهنية ممتعة تدرب لاعبها على التفكير وقوة الملاحظة وحسن التدبير ورسم الخطط ، فالنصر في هذه اللعبة ليس مرجعه المصادفة او الحظ بل هو يعتمد اساسـا على المهارة والحساب الدقيق والقوة الذهنية عـند اللاعب ٠

وقطع الشطرنج تمثل جيشين يقتتـلان وفي حركاتها كل ما في الحرب من هجوم ودفاع وخدعة



من أعظم القواد العسكريين فى العالم

وقد ولد جريشكو في عام ١٩٠٣ بمدينة صغيرة بمقاطعة روستوف • وكان والده فلاحا قبل ان يصبح جنديا فى جيش القياصرة •• ومن هنا تعلم الابن من ابيه الفروسية والسلاح •

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى كان اندريه صبيا فى الحادية عشرة من عمره، وعندما اندلعت الثورة البلشفية فى عام ١٩١٧ ، كان قد بلغ الرابعة عشرة ، واستطاع فى هذه السن المبكرة ان يقود بمهارة العربة الصغيرة التى كان يملكها والده المزارع ، فكان يجلس على مقعده الصغير ويلهب ظهر الجواد الاشهب الذى يجرها ، لينقل الناس وامتعتهم من مكان الى اخر ، عندما ينتهى عمله بالعربة فى الحقل !

وفجاة اكتشف ما يمكن ان يصنعه بجواده وعربته لمساعدة الثوار ، فراح ينقل لهم مواد التموين والذخيرة واثار نشاط الصبى اعجاب قادة الثورة فى بلدته فضموه الى صفوف الجيش الاحمر ، رغم حداثة سنه ، فلم يكن قد جاوز السادسة عشرة من عمره بعد •

ولما انتصرت الثورة التحق الفتى بمدرسة سلاح الفرسان •• واستطاع ان يتفوق على زملائه الضباط بذكائه وسرعة بديهته • وكان شابا وسيما جامد الوجه يزيد طول قامته على ستة اقدام وتسع بوصات ! اى حوالى مترين !

لقبه الجنرال ديجول ، رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة ، عندما كان جريشكو قائدا للقوات السوفييتية فى المانيا ، فقال : « كنت اظن أننى اطول قائد عسكرى فى العالم ، الى ان التقيت بالمارشال اندريه ! انه جندى مائة فى المائة ! »

وقد كان جريشكو صديقا مقربا لخروشوف ثم لبريجنيف • ولذلك فلم يتاثر القائد العسكرى الكبير بسقوط خروشوف وابعاده عن السلطة فى عام ١٩٦٤ ، بل على العكس ، فقد اسندت اليه وزارة الدفاع بعد ذلك بثلاث سنوات • بفضل مساعدة بريجنيف وتاييده له •

كان يقول دائما ، انه مدين بنجاحه كقائد عسكرى الى الدراسة ، فقد كانت دراسته للعلوم العسكرية هى هوايته التى قضى حياته كلها يمارسها !

(م•ن)

ومراوغة وتعادل ونصر وهدنة وصلح فهى بذلك حرب سلمية بين فكرين ، ساحتها الرقعة وجنودها القطع ومواقعها الادوار وقادتها اللاعبون •

وقد اختلف الناس كثيرا فى أصل الشطرنج واثبات موطنه الاول فقد نسبت الى مصر القديمة، وبلاد ما بين النهرين وبلاد اليونان والصين والهند وبلاد فارس ، كما نسب اختراع هذه اللعبة الى افراد عديدين منهم بالاميديس بطل حرب طروادة والفيلسوف ارسطو وزنوبيا ملكة تدمر ، وصصة ابن داهر الهندى ، ولكن المرجح أن لعبة الشطرنج من عمل الهنود حيث كانت تسمى فى الاصل « شاتورنكا » وهى كلمة سنسكريتية تتالف من لفظين « شاتور » بمعنى أربعة و « انكا » بمعنى عضو او سلاح اى أن اللعبة ترمز الى الجيش الهندى بوحداته الاربع : المشاة والفرسان والفيلة والعربات • ومن الهند انتقل الشطرنج الى بلاد فارس فى أواخر ايام الاسرة الساسانية ، ولما دانت هذه البلاد للحكم الاسلامى انتقلت الى ايدى العرب ودخلت الى آسيا الوسطى وما وراء النهر ثم فى سائر بلاد العالم •

وقد شغف المسلمون بلعبة الشطرنج فتعلموها وبرعوا فيها ، والمتصفح لكتب التراث العربى يجدها حافلة باخبار الشطرنج والشطرنجيين ،ومن اشهر الشطرنجيين المسلمين والذين عرفوا ببراعتهم فى هذه اللعبة العادلى الذى عاصر الخليفة المتوكل العباسى ، والماوردى وكان ممن لعب بين يدى الخليفة المكتفى العباسى ثم ابو القاسم التوزى وكان يلاعب خصومه استدبارا فيغلبهم وقد وصف ابن الرومى مهارته فى قصيدة رائعة•

وللشطرنج قواعده وطرقه ونظرياته التى يعرفها لاعبو الشطرنج فى مختلف جهات العالم فهى من اللعبات القلائل التى يستطيع ان يشترك فيها لاعبان لا يفهم احدهما كلمة عن الآخر كما ان من خصائصه عمق خططه وتشعب طرقه ومافيه من حيل ومكائد ، ووسائل معقدة •

(ص•ى)

الفنان جمال السجيني

انفجار.. ولحظة تأمُّل



صادقة

بقلم :
راجي عنايت

- الطفل الذى ينحت الارض ويسمع سيد درويش ·
- شرارة النار ، التى انقذته من حرفة النجارة ·
- القفز على الدرج ، هربا من شتائم زكريا احمد ·
- أحب « رودان » فى مصروعشق الفن المصرى فى باريس

■ الطفل الصغير يجلس مختليا بنفسه ، على ارض البيت ذات الاحجار المربعة الكبيرة ، يخدش صفحتها اللينة من فرط ما شربت من مياه التنظيف، بمسمار يتحكم عليه قبضته الصغيرة، ويحفر رسوما غائرة ·· ومن بعيد ، من المقهى المواجه للبيت ، يتصاعد غناء سيد درويش « الديك بيدن(١) كوكوكوكو ·· »

وفجأة ·· تقطع عليه صرخة الأم خلوته هذه ·· وضجيج اصوات كثيرة ·· ويد اخيه الاكبر تجذبه بعيدا عن طريق الاقدام المندفعة ·· لقد اصيب الاب فى عينيه ، وفقد بصره ·

فى ذلك اليوم ، نجد حياة الاسرة البسيطة التى تسكن « باب الشعرية » احد احياء القاهرة ، وقد دخلها كثير من التحولات التى رسمت خطوطها عميقة على شخصية ذلك الطفل الذى ينحت ويسمع الموسيقى « جمال السجينى » ·

بضياع البصر ، ضاعت وظيفة الاب كسكرتير باحدى المدارس الابتدائية ·· ومن ثم فقدت الاسرة البسيطة موردها المالى الوحيد · فكان على الاخ الاكبر ان ينقطع عن الدراسة ، ليبحث عن عمل يعول به والديه ، كما يعول ذلك الطفل الصغير · وبعد عناء طويل ، يوفق الابن الى العمل فى محل تجارى بسوق « الموسكى » ، باجر زهيد لا يزيد على جنيهين فى الشهر ·

اما الصغير ، فتتطوع خالته باستضافته فى بيت جدته ، تخفيفا للاعباء المالية التى تواجهها العائلة المنكوبة بعجز عائلها ·



امومة من الموضوعات المفضلة لدى الفنان

المقاومة الفلسطينية من أعمال النحاس المطروق



---

(١) اى : يؤذن

بيت الجدة في الجمالية ، بحي « سيدنا الحسين » ، والطريق اليه يمر باسواق نابضة بالحياة ، تذخر بالبضائع ذات الالوان الجذابة ، وصيحات الباعة تتعالى متتابعة في نغمات متباينة مرسومة ، فتصنع لحنا دائما متسقا يبعث الفرحة في قلب الصغير .. والمشربيات ذات النقوش الخشبية المنمنمة تستلفت نظره ، مع الارائك الخشبية المرصوصة خارج الحوانيت .

تمضي الايام بالصغير ، سعيدا بحياته الجديدة، لاهيا عن حقيقة المأساة التي تعاني منها اسرته .. ينبهر بمولد « سيدي مرزوق » وما فيه من ضروب الفرجة والتسلية ، وينخلع قلبه الصغير فرحا بحفلات ملعب او « سيرك » عبد الحليم المصري في الدراسة في جوار « الازهر » و « جامع الحسين » ويستمتع حتى بذهابه الى كتاب «حارة الوطاويط»، حيث يتلقى دروسه الاولى على يد فقيه الكتاب .

تفيق الاسرة من وقع الصدمة ، وتكتشف انها في حاجة الى كل يد عاملة فيها مهما صغرت .. فلا مجال للعلم والتعليم ، وهكذا يعود صغيرنا مرة ثانية الى حي « باب الشعرية » يعمل صبيا في محل نجار مواجه للبيت ، مقابل اجر زهيد . وعند النجار توكل الى الصبي أصغر الاعمال شانا ، مثل تنظيف المكان ، وكنسه ومسحه ، ثم مهمة تسخين الغراء الذي يستخدمه النجار لالصاق الخشب ، مستخدما في التسخين وقودا من نشارة الخشب المنثورة على ارض المكان .

كان من الممكن ان تمضي الحياة بصبينا وهو يتدرج في سلم الحرفة الجديدة التي فرضت عليه، لولا شرارة النار التي انتقلت الى شعر رأسه اثناء ايقاد النشارة لتسخين الغراء ، والتي كادت تهدد حياته ، بغير النجدة التي تلقاها من ابناء الحي .

في اعقاب هذه الحادثة ، تغير مصير الصغير ، وذلك على يد عائلة صديقة ضغطت والحت على اهل الصغير لادخاله احدى المدارس الابتدائية بمساعدة قريب لهم هو يوسف افندي كامل .وينجح الصغير في ان يجد له مكانا بمدرسة « الاعدادية الابتدائية » بميدان الظاهر ، عند الميدان المعروف باسم « مذبح الانجليز » .

ذكريات الصغير عن يومه الاول بالمدرسة مهوشة محمومة ، تعكس انشغال الاسرة باكملها في تلفيق مظهره بحيث يبدو مناسبا ومقبولا ، ترقيع الحذاء القديم ، ادخال الجلباب داخل السروال حتى يبدو كقميص ، تدبير اجر الحلاقة ، الى اخر هذه التدبيرات الضرورية .

بائع الاوز

تشاء الصدفة ان يكون درس الرسم هو اول ما يحضره الصغير ، في مدرسته الجديدة ..

وهو يذكر ، من بين ما يذكر ، مدرس الرسم « سعيد افندي عبد الوهاب » ، بقوامه المشوق ، ووجهه المليح ، يمهد لوضوع الدرس بمجموعة من الاسئلة يوجهها للتلاميذ : بائع الاوز .. هل رأيتموه ؟ والايدي الصغيرة تنطلق مندفعة في الهواء ، والاجابات الحاضرة تتشابك من حوله .. كيف يبدو بائع الاوز .. اين يضع الاوز ..كيف ينادي لترويج بضاعته .. وصغيرنا واجف صامت ازاء هذا الموضوع الذي لم يعبر حياته القصيرة في حيه « باب الشعرية » .

قبل أن ينصرف الصغار الى رسم بائع الاوز ، يرفع صبينا يده ، قائلا للمدرس بصدق « انا لا أعرفه .. لم أره .. » ، ويثور المدرس متصورا هذا الكلمات ، معابثة من الصغير المتمرد ، فيصيح فيه . « ارسم .. والا طليتك بالعسل ، والقيت بك للفئران » . يذعر الصغير لهذه الاستجابة ، فينخرط في موجة من البكاء . يدرك المدرس صدق كلمات الصغير ، فيعمل على تهدئته ، وبَعث الاطمئنان الى نفسه ، وتشجيعه على المحاولة .

منذ ذلك اليوم ، نشات صداقة عميقة بين الصغير « جمال السجيني » ومدرس الرسم « سعيد افندي عبد الوهاب » ، صداقة قدّر لها ان تلعب دورا اساسيا في مستقبل الصبي الصغير .

صندوق القمامة

يتفوق جمال في دروس الرسم ، وتصبح رسومه مادة متميزة يعرضها مدرس الرسم على طلبة الصفوف العليا ، كنموذج يقتدى به . ويتشجع الصغير ، فلا يقتصر انتاجه على حصص الرسم ، بل يحرص على ان ينجز في بيته رسوما جديدة ، يحملها كل يوم الى استاذه ، فتحظى بالاعجاب والتشجيع .

في تلك الايام ، كان نحات مصر الكبير « محمود مختار » يقيم تماثيله الشهيرة لسعد زغلول في ميادين مصر • وكان صغيرنا يتابع اعماله في مجلة « اللطائف المصورة » باعجاب شديد ، شـاعرا بعاطفة غامضة نحو هذا الفن الـذى يختلف عما يمارسه من رسوم • الا يمكنه هو ايضا ان يصنع تمثالا لرأس الزعيم المحبوب سعد زغلول ؟

وتجيء الفرصة ،من داخل صندوق للقمامة امام مدرسة « الفرير » بالبكرية • داخل هذا الصندوق اعتاد الصغير ان يرى (براميل) النبيذ الصغيرة الفارغة مبطنة بطبقة من الجبس •• ماذا لو طحن هذا الجبس ، وصنع منه التمثال المطلوب ؟ •• ويمضى صـغيرنا في محاولته التي لم يكتب لها النجاح الكامل •• فالجبس المطحون يفقد تماسكه•

وذات يوم ، يرى الصغير خيمة كبيرة هائلة في « ميدان باب الحديد » • فيثير فضوله ما يجرى داخل الخيمة •ومن ثغرة فتحها بيديه الصغيرتين ، يرى « جمال السجيني » داخل الخيمة الهائلة حياة كاملة تموج •• تمثال ضخم •• احجار كبيرة تتحطم تحت ازاميل عشرات العمـال •• وكان باديا ان الذى يحكم هذا العالم رجل نحيل له ذقن متميزة •• من هو ؟ •• وماذا يفعل ؟ •• وقبل ان يعثر على رد تساؤلاته ، يتنبه الرجل لوجوده ، فيصبح طاردا ذلك الصبى المتطفـل •• كان الرجل هو « مختار » فنان مصر •• وكان ذلك هو اول لقـاء بين جمال السجيني النحات المصرى المرموق ، وبين محمود مختار رائد النحت المصرى المعاصر •

الحذاء الممزق

الحالة الاقتصادية للعائلة البسيطة تتعثر ،فان اجر الاخ الكبير لا يغطى ابسط احتياجاتها • الام المجاهدة تتحايل على تدبير معيشة الاسرة ،ودراسة الابن الاصغر تضيف المزيد من الاعباء المالية •• ورغم كل محاولات الام كان على الصبى الصغير ان يساهم اثناء العطلة الصيفية في دعم موارد الاسرة •

يختار الصبى هوايته كوسـيلة لتحقيق ذلك الغرض ، فيروح يرسم صورا للمعارف والجيران يتقاضى عنها اجرا لا يتعدى خمسة قروش •

يعمل في محـل نجـار أرمنى معروف ، من المتخصصين في الحفر على الخشب (اويما) ينظف المكان مقابل اجر زهيد • وذات يوم يضبطه النجار وقد امسك بالازميل ينحت قطعة من الخشب في محاولة لتقليد الاعمال التي يراها حوله بالمكان ، فيطرد شر طردة •

وهكذا تمضى السنون حتى ينهى جمال السجيني دراسته الابتدائية ، بفضـل الام العظيمة التي استطاعت ان تقيم اود الاسرة بالموارد القليلةالتي بين يديها •• كانت الوجبات في كثير من الاحيان لا تزيد على السكر المذاب في الماء والمعطر بماء الورد ، تغمس فيه قطع الخبز اليابسة •• وبرغم هذا استطاعت الام ان تدبر ما تشترى به حذاء جديدا للصغير ، يحضر به حفل تسليم شهادة اتمام الدراسة الابتدائية •

الى أين ؟

احست الاسرة بحلاوة نجاحها في تعليم الابن الصغير ، وتعلقت بأمل التمكن من مواصلة تعليمه •• ولكن أين ؟ •••

تدخل عم الصبى ، وكان من خريجى مدرسـة الفنون الجميلة ، واقترح ان تحاول الاسرة ادخاله هذه المدرسة التي تتفق مع مواهب الصبى ، بما فيها من رسم ونحت • وعرضت الجارة ، ان تلجأ الى قريبها « يوسف افنديكامل » المدرس بالمدرسة (وهو الفنان الكبير الراحل « يوسف كامل » احد رواد الحركة التشـكيلية المصرية المعاصرة) • وعندما نقل الصبى هذه الاخبار الى سعيد افندى مدرسه ، تحمس لها حماسا شديدا •

يجهز الفتى اوراق القبول بالمدرسة ، ويتقدم بها الى المعاون « تمام افندى » ، ثم يندفع قائلا بلا مناسبة « اريد ان اقيم التماثيل » ، فينهره تمام افندى •• فمن هو حتى يختار الآن ؟ ••ولابد من النجاح في السنة الاعدادية ، بعد هذا تحدد درجات نجاحه الى اى الاقسام ينتسب •

وتتحقق رغبة الفتى ، وينتقل الى السنة الاولى بالمدرسة في قسم النحت تحت اشراف الاسـتاذ الفرنسى (كلازيل) •

وفي قسم النحت يتلقى جمال السجيني صدمته الكبرى .. فالنحت يحتاج الى الموهبة ، كما يحتاج الى البنيان السليم القوى الذى يسهل الاعمال العضلية العديدة التي يقتضيها هذا الفن .

وفتانا ضعيف ، نتيجة لنقص التغذية ، لأثر كسر قديم في ذراعه لم يصادف العلاج السليم . ثم هو يقطع المسافة من البيت في باب الشعرية الى المدرسة في الجيزة سيرا على الاقدام ، ذهابا وايابا . فيصل الى مدرسته مقطوع الانفاس ، ليرى الطلبة من حوله يمارسون الاعمال العضلية بكل قوة وحماس .

وهكذا تتكون لدى الفتى ، عاطفة مركبة نحو فن النحت ، هي مزيج من الحب الغريزى القديم والكراهية الطارئة التي يغذيها ضعفه البدنى .

ثورة زكريا احمد

ينتقل جمال السجيني الى السنة الثانية ،آخر دفعته . وترسب في نفسه مرارة تبدد احلامه العريضة ، وشبح المصير القاتم الذى هدده به الفنان « يوسف كامل » واضح نصب عينيه .

ماذا يفعل ؟ .. الى الموسيقى !

منذ اغاني سيد درويش التي كانت تنبعث من المقهى المقابل لمنزله ، الى حفلات محمد عبد الوهاب الشهريةالتي كانالناس يترقبونها بلهفة واحتفاء، الى عشق عمه خريج مدرسة الفنون الجميلة للموسيقى ، وعزفه الجميل على العود في الحفلات التي كان يقيمها في بيته .. الى تاريخ جده الشيخ الازهرى الذى عشق الموسيقى ، الذى كان يؤم الحفلات الموسيقية رغم استنكار المشايخ من الزملاء .. كل هذا ،دفع جمال السجيني الى قرار غريب .. يترك مدرسة الفنون الجميلة ، ويتقدم الى معهد الموسيقى العربية !

هنا ايضا .. لابد من اجتياز امتحان القبول.. فليتدرب على اغنيته المحببة «الفؤاد ليله ونهاره» للفنان الراحل « زكريا احمد » .. ومن الذى يدربه ؟ .. لماذا لا يكون « الشيخ زكريا احمد » نفسه ؟ !

لقد ذهب اليه في بيته بالفجالة ذات يوم برفقة عمه .. لماذا لا يذهب الآن ؟

كان الوقت ظهرا عندما وصل الفتى الى بيت الشيخ زكريا احمد ، وبحماس الفكرة استطاع ان يقطع الدرجات العديدة التي تؤدى الى مسكنه المرتفع في لحظات .. وبالحماس نفسه طرق الباب طرقات سريعة متكررة .. فتحت الباب زوجةالفنان متسائلة ، قال الفتى « اريد مقابلة الشيخ في موضوع هام .. » وتصورت الزوجة أن الفتى رسول زبون جاء يتعاقد على حفلة . فانصرفت لتوقظ زوجها الذى لم يكن يغادر فراشه طوال النهار ، نتيجة لسهره اليومي حتى مطلع الصباح. افاق الشيخ زكريا من نومه ساخطا ، رغم محاولات الزوجة تهدئته واقناعه بلقاء هذا العميل .

جلس الشيخ الى جوار هذا الضيف الثقيل ، متسائلا عن كنه هذه الصفقة التي اقلقت نومه ، فقال الفتى بكل حماس « اريد ان تدربني على احدى الاغانيحتى اتقدم بها الىمعهد الموسيقى ».

وكان صباح وشتائم الشيخ زكريا وهو يقذفه خارج البيت ، اكثر فعالية من حماسه السابق ، فوصل الى الشارع باسرعمما يطيق جسمه النحيل، هربا من سيل الشتائم الذى اخذ يلاحقه .

الذى استيقظ ..

لم تنجح محاولة القبول في معهد الموسيقى ، وعاد الفتى الى مدرسته يحاول الانتقال الى قسم التصوير ، ويرفض طلبه ، فيواصل العمل بقسم النحت ليجيء آخر دفعته عند انتقاله الى السنة الثالثة .

كان الاخ الاكبر قد تزوج ، ولقى جمال منزوجة أخيه كل مساعدة وتشجيع ، مما دفعه الى عمل تمثال لرأس ابنة اخيه، كنوع من العرفانبمساعدة زوجة الاخ . وعندما ينتهى من تمثاله تخطر له فكرة التقدم بالتمثال الى المعرض السنوى لجمعية محبى الفنون الجميلة . وعندما يفاتح الزملاء برغبته يتلقى عاصفة من السخرية ، كيف يطمع في ان يعرض تمثاله الى جانب اعمال كبار الاساتذة والفنانين . غير ان طموحه يتجاوز سخرياتهم ، فيتقدم بتمثاله ويقبل .. ثم يجد من يشتريه مقابل ستة جنيهات !

يتسلم الفتى هذه الثروة الضخمة ، فيشترى عدة بطاطين لافراد العائلة ، وكميات هائلة من الفاكهة ولاول مرة في حياته ، يستاجر عربة خيل (حنطورا) يضع عليها هداياه ، ويمضي بها الى بيته بباب الشعرية . ورغم فرحة العائلة بالاخبار

والهدايا ،تثور شكوك الاخ الاكبر حول مصدر هذا المال • ولا يهدأ باله حتى يصحبه جمال الى المعهد ليتاكد من صحة ما قاله الفتى المزهو •

وكان النجاح الحقيقي في حياته ، مر الاستاذ كلوزيل فاستوقفه التمثال ، وعلى غير العادة ، صاح بصــوت قوي « برافو » ، ومال على جمال السجيني ليقول له « اذا عملت دائما بالاخلاص نفسه • فستصبح فنانا كبيرا » •

يحكي السجيني هذه القصة ويعلق قائلا « لقد فقدت وزني ساعتها •• » وضاعف من انتصاره ، ماتم بعد ذلك من لقاء في نهاية الدروس ، بين التلاميــذ وناظر المدرســة ، الفنان كاميللو اينوشيفتي ، عندما جمع المدرسة لينقل اليهم ما وصله من أحد الاساتذة ، من أن أحد تلاميذه قد استيقظ ، وانه يجمعهم ليحتفي بيقظته ! وكان التلميذ هو الفنان جمال السجيني •

الطريق الى مصر القديمة

انتهى الجانب المأساوي في القصة ••وتواصلت حلقاتها بعد ذلك ، في صراع من اجل نجاح اكبر •• انتهى الاحباط والاسى ، وحل محلهما انفتاح على الحياة ، وانتقال من نجاح الى نجاح ، برغم الصعاب ، وبرغم الاحزان الصغيرة •

يختم جمال السجيني دراسته ، ويكون الاول على دفعته •• يسافر الى بعثة في باريس ويعود منها بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية ••

تموت والدته بين يديه ، فيحزن لموتها اشــد الحزن ، ويصمم ان ينجز لها تمثالا قبل ان تنقل الى لحدها •

وبعد ان تنتهي الحرب ، وقبل سفره مرة ثانية الى باريس ، يلتقي جمال السجيني بنقطة التحول الهامة في حياته الفنية • يشرف على رحلةتنظمها المدرسة لطلبة دبلوم مدرسة الفنون الجميلة التي يعمل هو الآن مدرسا بها • وتتوجه الرحلة الى اسوان والأقصر •

هناك •• يكتشف جمال الســجيني فن النحت المصري القديم من خــلال هزة عنيفة ، تغير كل مفاهيمه عن الفن •• وفن النحت بصفة خاصة ••

ويعود من الاقصر ، ليوالي زيارة متحف الفن المصري القديم بالقاهرة يوما بعد يوم ، باحثا عن معالم الطريق الجديد • بل انه عندما يسافر في بعثة جديدة الى باريس ، يحظى القسم المصري في « متحف اللوفر » هناك بكل اهتمامه ودراسته• ينعكس اهتمامه هذا على اعماله ، ويروح يعمل في دأب واصرار ، تسانده زوجته التي شجعته على مواصلة عمله •• وابنه الفنان الراحــل الكبير يوسف كامل الذي كان يتخوف على ذلك الصبي من مصير دراسة الفنون الجميلة •

ختام ناجح

يعود الفنان بعد بعثته الى فرنسا وايطاليا ، وقد وضحترؤيته الفنية وتحددترؤيته الاجتماعية، فيشارك في جماعة « صوت الفنان » التي كانت تبحث عن دور الفنان في رفع الظلم الاجتماعي عن المواطن المصري البسيط • يعــود ليثري الحركة الفنية في مصر ، باعماله الغــزيرة ، سواء في النحت العادي ، او النحت البارز ، او التصوير ، او أعمال النحاس المطروق • يعود استاذا بكلية الفنون الجميلة ، ويبقى بها حتى اليوم •

تقام معارضه بالداخل ، وتسافر معارضه الى الخارج ، باريس (١٩٧٠) ، فيينا (١٩٧١) ، الارميتاج في ليننجــراد (١٩٧٣) ، اكاديميــة موسكو (١٩٧٣) • يشارك في معــرض الفن المصري بالصين ، وبالمكتبة الاهلية بنيويورك •

تسند اليه الهيئة العامة للتخطيط العمراني ، مشروع النصب التذكاري الذييرتفع ٤٠ مترا على مدخل القناة عند مدينة بورسعيد ، هذا النصب الذي يقوم بتصميمه الزخرفي الفنان « صــلاح عبد الكريم » ، كما يقوم بنحته البارز الفنــان « منصور فرج » • ذلك التمثال الضخم الــذي يصور مصر في شكل فلاحة قوية يحمل وجهها معنى التصميم والعزم ، يستند اليها بظهره ، جندي مصري يحمل في يده مفتاحا كبيرا •

هكذا •• كانت لحظة التامل الصادقة ، نقطة تحول كبيرة في حياة الفنان الكبير جمال السجيني •• من الفشل والمرارة ، الى النجاح والامل •• فانهت صراع العواطف نحو فنه الاثير •• وانتصر حب النحت على كل ضروب الــكراهية والعجــز والاحباط التي عاناها طويلا • ■■

راجي عنايت

(بقية) مهرجان العالم الاسلامي فى لندن

الذى نجده هنا اتقان وحساسية وقدرة على التعبير عما تحسه النفس وما تراه العين وهل فى الفن الاسلامى غير ذلك ؟

الفرق بين الفنين الاسلامى والغربى

كل الخلاف فى طريقة التعبير عن المحسوس والمنظور

الاوروبى يعبر عنه بتصويره فى دقة وبراعة

والفنان المسلم يعبر عن احساسه بالجمال فى هيئة اشكال وهيئات والوان

ولكن الذى يستوقف النظر فى معرض الفن الاسلامى هذا هو وحدة ذلك الفن • فانت ترى حفرا على الخشب من مصر الفاطمية ، وترى الى جواره طبقا من الخزف من العصر الصفوى فى ايران ، او آيات قرآنية منقوشة فى هيئة زخرفية فى مسجد عثمانى من القرن الثامن عشر، او منبرا خشبيا مزخرفا فى جامع الكتيبة فى مراكش .انت ترى هذا كله وامثاله كثيرا مرصوصا امامك فلا تشعر باى فرق فى الاسلوب او الطريقة او الروح •

انه نفس الفن ، كان نفس الفنان عمل هذه القطع كلها وانتقل من القاهرة الى اصفهان ، الى الآستانة ، الى مراكش .وفى كل بلد من هذه وقع بامضائه •

من أين أتى هذا الاتفاق ؟

من الاسلام !

هذا الفن كله مهما اختلفت اشكاله وصوره انما نبع من الاسلام ، والاسلام اعطاه هذا الطابع الواحد البديع •

ولو أن امامنا مجالا اوسع لرايت معى أن هذا ينطبق ايضا على موسيقانا •• انها ايضا نبعت من الاسلام •

واحيانا وانا اصغى الى بشرف عثمانى ، او موشح اندلسى ـ اغلق عينى ، واتصور اننى اشهد نقشا فى قاعة الاخينى فى قصور الحمراء فى غرناطة •

عمل ضخم جليل

ويطول الكلام لو حدثناك بكل ما هناك •

فهناك عشرة معارض ، واحد منها للقران الكريم • جمعوا فيه ما يزيد على مائة وخمسين مصحفا من اجمل ما كتب الفنانون المسلمون وانقه •

ومعرض القران فى نظرى هو أساس كل شيء•

لان كل الاسلام وفنون الاسلام وفكر الاسلام خرجت من بين دفتى ذلك القران المجيد ، كلام الله الملك القدوس •• وهناك معرض عن حياة البدو

لا ننسى هنا أن تسعين فى المائة من أهل العالم الاسلامى نشاوا بدوا ثم تحضروا •

والبداوة ليست مرحلة حضارية وانما هى حضارة قائمة بنفسها ••

والمعرض يصور لك هذه الحضارة البدوية التى تتلاشى مع الاسف شيئا فشيئا ، وقاتل الله الحضارة ! وهناك معرض لسجاجيد القشقاى واكاليمها وهى ايرانية •

والسجاد كله صناعة بدوية

وهل يصبر على نسج سجادة الا امراة بدوية زوجها غائب طول اليوم فى القنص والغارات •

وهناك معرض لسجاد وسط ايران ومعرض اخر لحضارة شعب مجيد هو شعب الهاوسا

وهناك معرض بديع للموسيقى والآلات الموسيقية فى عالم الاسلام ، انه مقام فى متحف هورفيمان للموسيقى والى جانب المعارض هناك الافلام • لقد شهدت معظمها فى اثناء الاعداد واؤكد لك انك انا لو اردنا ان نصنع واحدا منها بهذا الاتقان فسننفق مائة الف جنيه ولا نصل بعد ذلك الى شيء •

فيلم عن الحج ، وآخر عن المدينة الاسلامية

وفيلم عن عالم الاسلام كله ، واخر عن وحدة العالم الاسلامي ٠

وهناك ايضا ستة كتب مطبوعة في انق هيئة تتصورها العين ٠

ومحاضرات في كل جامعات بريطانيا ٠

وبرامج للمدارس ، واذاعات ومقابلات تليفزيونية ، كلها عن الاسلام ٠

شيء ضخم حقا يغطي كل انجلترا ٠

والاسلام — خلال هذا الربيع والصيف — هو صيحة العام في انجلترا ٠

ثلاثة رجال ذوو عزم

في هذا العمل اشتركت البلاد العربية جميعا مع انجلترا ٠

حوالي المليون جنيه ، ساهمت بها البلاد العربية والاسلامية ، وهيئات كثيرة في انجلترا٠ ومئات العلماء واهل الفن مابين مسلمين وعرب وانجليز ٠

ولكن هذا الجيش يقوده ثلاثة رجال ذوو عزم٠ اولهم السيد مهدي التاجر ٠

انه سفير دولة الامارات العربية في لندن ، ورجل اعمال من الطراز الاول ٠

ولكنه قبل ذلك كله رجل ايمان اسلامي عميق ٠

لقد وقف وراء المشروع بايمانه وماله وحماسه٠ لم يدخر جهدا او مالا في سبيل نجاحه ٠ لقد جاد بماله دون حساب ، وتكلفت شخصيته القوية بتذليل العقبات ، ولولاه لما خرج هذا المشروع الضخم الى عالم الوجود ٠٠

والثاني رجل انجليزي ذو عزم وخيال وقدرة نادرة على التنظيم ٠

انه بول كيلر ٠ ابن اسرة انجليزية موسرة ، يعمل جميع افرادها في البصريات ، ولهم مصنع في انجلترا وآخر في الولايات المتحدة ٠

اراد منه ابوه أن يتولى فرع الشركة في نيويورك ، ولكنه لم يجد في نفسه ميلا الى الصناعة والتجارة ودنيا المال ٠

اخذ يتجول في انحاء الدنيا ٠

وفي الهند خطرت بباله فكرة مهرجان العالم الاسلامي ٠ بهره عالم الاسلام فتصور بخياله انه يستطيع ان ينظم شعبا يعرف به جمهور الانجليز بالاسلام ٠

وقصد الى الرجل الثالث في هذا الثالوث : السير هارولد بيلي السفير البريطاني الاسبق في كثير من بلاد الاسلام ٠٠

وجد كيلر عنده الحماسة والقوة الدافعة والتاييد الادبي المستمر ، تكفل السير بيلي باقناع الانجليز باهمية المشروع ، وقدم كيلر الى ذوي السلطان في بلاد العروبة والاسلام ٠

ومضى كيلر يعمل في داب ٠

اصبح رجلا طائرا يتنقل بين لندن ، وطهران، والقاهرة ، والكويت ، وبغداد ، وتونس ، والرباط ٠

اتصل بعشرات الشخصيات ٠ وكان في كل رحلة له الى الشرق يمر في الكويت ، ونتدارس ونتناقش ٠ ومن بعيد يرسل الى الخطابات والمشروعات ٠٠٠

جهد عظيم ٠٠٠

لو بذلنا اضعاف مابذلنا فيه ما وصلنا الى ربع هذه النتيجة ، لان وراء هذا العمل كله ايمان بالمشروع وحب الاسلام ٠

واولاد كيلر الثلاثة لهم اسماء اسلامية : واحد يحمل اسما هنديا اسلاميا ، والثاني ايرانيا ، والثالث اسمه علي ٠

رجل موهوب ٠٠

وقد عرف كيف يختار رجالا ذوي ايمان مثله ٠

واقام اجمل مهرجان لعالم الاسلام تمكن اقامته ٠

الانجليز انفسهم شهدوا بانه احسن مشروع متكامل من نوعه تم تنفيذه في انجترا ٠

برنامج محتوياته كتاب من ٣٥ صفحة وكل صفحة منه معرض او كتاب ٠

او حفل موسيقي او عرض موسيقي ٠٠

شيء فريد في بابه

وصيحة الموسم في انجلترا اليوم:الاسلام ٠٠

■■

د ٠ حسين مؤنس

رحلة صيف

■ مسابقة هذا العدد تنقلك في رحلة صيفية بالسيارة .. لقد وضع رب الاسرة برنامجا لرحلته ورسم خط سيرهـا ..فاعترض ابنه قائلا : « **هناك ١٠ أخطاء فى البرنامج** ».

فهل يمكنك معرفة سبعة اخطاء على الاقل ، فى خط سير الرحلة الذى رسمه رب العائلة ؟

١٠ أخطاء و ١٠٠ دينار



جبل طارق

برج ايفل
باريس



من مدينة الكويت سنبدأ رحلتنا متجهين شمالا الى البصرة ، المدينة العراقية التى تحيط بها غابات كثيفة من اشجار الزيتون الذى تشتهر به المنطقة .

ومن البصرة سنتابع رحلتنا الى بغداد نزور معالمها الشهيرة ، وآثارها الفريدة ، وخاصة ايوان كسرى القريب من بغداد .. وفي الامسيات نقوم بالتنزه على ضفاف نهر الفرات الذى يخترق العاصمة العراقية ، ونستمتع باكل السمك الشهى فى احد المقاهى العديدة المنتشرة على شاطىء النهر .

« وبعد انتهاء زيارتنا للعراق سنتوجه الى الاردن قاصدين ميناء العقبة حيث نقضى وقتا طيبا ، نسبح فى مياه البحر الابيض الذى يطل عليه هذا الميناء الاردني الوحيد ..

« ومن العقبة سننقل سيارتنا بالباخرة الى ميناء السويس ، ومنها نتابع رحلتنا الى القاهرة، لنتوجه منها الى مدينة اسوان حيث نمضى وقتا طيبا فى صيد السمك من بحيرة قارون ، التى تكونت بسبب السد العالى ..

« وبعد زيارة اسوان سنعود الى القاهرة ومنها الى الاسكندرية لنتجه الى ليبيا على الطريق الساحلى الجميل الطويل ، الذى تتناثر على جانبيه المدن الليبية الواحدة تلو الاخرى: طبرق.. درنة .. جغبوب .. بنغازى .. مصراتة .. طرابلس .. مدن ساحلية جميلة متنوعة ..

« ومن ليبيا سنتوجه الى تونس ، نزور مدينة

القيروان الشهيرة التى انشاها عقبة بن نافع ثم نصعد شمالا لنقضي وقتا طيبا فى جزيرة جربة السياحية الساحرة ،المقابلة لميناءبنزرت الشهير٠٠ وبعدها سنتابع رحلتنا باتجاه الجزائر ، لنشاهد المعالم السياحية فى ميناء صفاقس الجزائرىالذى تصدر منه مختلف المنتوجات الجزائرية الى فرنسا وسائر دول اوربا ٠٠٠

« ومن الجزائر سنتابع رحلتنا صوب المغرب ، نتجول بين مدنه الشهيرة ، وخاصة الدار البيضاء لنزور قبر الرحالة المغربى الشهير ابن بطوطة الموجود هناك ٠٠

« ومن طنجة ستعبر بنا السفينة مضيق جبل طارق ، وتنقلنا الى اسبانيا ، ونبدا فى زيارة معالم الاندلس ، او الفردوس المفقود ٠٠ سنزور قصر الحمراء فى قرطبة ، وغيره من المعالم ٠٠

« وبعدها نبدا رحلة العودة ابتداء بفرنسا فبلغاريا فايطاليا فيوغسلافيا فتركيا فسوريا فالكويت ٠٠ »



بحيرة ناصر



طرابلس



البندقية ـ ايطاليا

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الاتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١٢ » ٠

٤ ـ اخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٦

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠دينار كويتى على الوجه الاتى: الجائزة الاولى ٣٠دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ ـ جوائز مالية: قيمتها ٤٠ دينار ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

كوبون مسابقة العدد ٢١٢

ادب المتفرنسين في المغرب

الأدب العربي.. هل يكتب بغير لغته !؟

بقلم : الدكتور احمد عبد الرحمن عيسى

■ من القضايا الادبية الكبرى التي اشتغل بها ادباء المغرب ، قضية « الانتاج المغربي باللغة الفرنسية » وهو ما نسميه أدب المتفرنسين • وهو ادب جديد لا شك ،فيه تلوين وتجديد ولكنه نبت غريب • وهو ـ مع غرابته ـ قنطرة عبور من بحيرة الركود التقليدي في الادب الى نهر الحياة المتجدد الجريان •

هذه القضية قضية خطيرة ذات بال ، اختلفت فيها الآراء واحتدم الجدال ما بين منكر ومدافع • وهو في الواقع سيل من الرطانة الاجنبية ، او نزيف العواطف الاجنبية هجم على اللغة العربية هناك مع جيوش الاحتلال الغابرة • وسرى في طبقات الشعب والطلبة والفقهاء ، وغمر طبقة المثقفين الممتازين • تصوره تلك المعركة التي كانت قد نشبت على صفحات جريدة « العلم » حول ديوان الدكتور محمد عزيز الحبابي « بؤس ونور » •

والدكتور عزيز الحبابي استاذ مغربي من اساتذة كلية الآداب بالرباط ، ولكن ثقافته الفرنسية حولت موهبته الادبية الى الانتاج باللغة الفرنسية • وعلى هذا الاساس أصدر ديوانه « بؤس ونور » باللغة الفرنسية ، فكتب الاستاذ عبد الكريم غلاب ـ حينما تلقف هذا الديوان ـ مقالا بعنوان « الادب واللغة القومية » وفيه يقول :

« تلقيت الطبعة الثالثة من ديوان الاخ الدكتور عزيز الحبابي (بؤس ونور) الذي كتبه باللغة الفرنسية • وقفت طويلا عند غلاف الديوان قبل ان اتصفح الصفحات الاولى منه • فهذا كاتب شاعر مغربي اخر يكتب بالفرنسية ، وينتج ديوان شعره بالفرنسية • ولو كان الكتاب علمـا او فلسفة او سياسة لما وقفت طويلا عند هذه البادرة. ذلك بالرغم من الحسرة التي اشعر بها عندما اجد مثقفا مغربيا يعبر عن ذات نفسه بلغة اجنبية ، فقد يكون العلم او السياسة مما لايتصل بالمشاعر الخاصة للانسان او وطن الانسان ، فاذا ما كتب بلغة اجنبية فقد يعتبر ذلك من عالمية الفكر ، والعالمية تحطم امامها القوميات ومظاهر القوميات ومنها اللغة ،وذلك ما قد يخفف من لوعة الحسرة التي تشعر بها كلما رأينا عربيا يعبر عن ذات نفسه بلغة اجنبية • اما والكتاب ديوان شعر يطفح بالمشاعر الخاصة الشخصية والوطنية والانسانية ، فان الحسرة تصبح مأساة ، والمأساة تعتبر مشكلة ادبية قومية في ذات الوقت • وقد اثيرت هذه المشكلة الادبية في مؤتمر (اتحاد كتاب المغرب العربي) عندما تعرض الحاضرون لبعض انتاج الادباء الجزائريين باللغة الفرنسية • وكان السؤال الذي اعتقد انه ظل حائرا في اذهان الحاضرين هو : هل يعتبر الادب الذي انتج بلغة اجنبية ادبا قوميا ؟ • هل ما انتجه ادباء الجزائر يعتبر ادبا جزائريا ؟

اللغة القومية

من اجل ذلك كله لا اتردد في القول بأن الادب القومي او الملتزم قوميا ، لا يصح ان ينتسب الى قومية مالم يكتب بلغتها • ولا اتردد في القول بان ادب الجزائريين او المغاربة المكتوب بلغة اجنبية عن المغرب والجزائر لا يمكن ان يعتبر ادبا

مغربيا او جزائريا ، لانه لم يفتقر الى الاداة فحسب ،بل افتقر الى جزء هام يكون صورة الادب وجماله ، ويوحي بنفس الاحاسيس التي كانت مصدر هذا الادب ،انه يفتقر الى اللغة القومية.•

بهذا النقد الحر استقبل الاستاذ غلاب هذا الانتاج المتفرنس • وانا لا اقف عند راى الناقد ان هذا الادب يفتقر الى اللغة القومية فقط ، بل اعتبر هذا السلوك من الانتاج مرضا تفاقم واستفحل لدى بعض الادباء المغاربة والجزائريين• ولعل لهم بعض العذر ما دام الامر مرضا ، فان العقدة التي لا ذنب لهم فيها ولا حرية ولا اختيار، اخذت تتعمق شعورهم الباطني ووجدانهم ، وتختمر ثم تختمر حتى اصبحت طاقة كان لابد لها ان تفيض ثم فاضت • ولم يكن فيضها ادبا وانما كان انينا مستوردا اسميه نزيف العواطف الاجنبية ، وصراخا ناشزا يتردد في افاق قوم ما كان اغناهم عن مثل هذا الصراخ •

ان هؤلاء الادباء الذين انتجوا بالفرنسية يحملون اقلاما ناهضة ناشطة : اقلام الحبابي والشرايبي والزبيدي والصفريوى وغيرهم ممن كتبوا فيجوانب هامة مزواقع حياة المغرب العربي، ولكنهم صوروها لقوم اجانب ليست عندهم بذات موضوع ، بل هم يتفننون على جراحها اويتفكهون بها كامثولة يلهو بها اللاهي في ساعة فراغ •

على ان الاستاذ غلاب ركز اهتمامه علىتوضيح فكرة الادب واللغة القومية ، ولم يضع على بساط البحث جريرة التبعية في هذا الانتاج للغة الام التي كتب بها ، تلك الجريرة التي جعلت هذا الادب يحتفظ باسراره الفنية لها وحدها ، بحيث انه اذا نقل الى اللسان العربي اصبح شيئا خفيف الوزن يشبهانشاء الطلبة في المدارس الثانوية ، فلا هو ادب عربي متين النسج اسر خلاب •ولا هو فن عربي تتملا منه النفس وتنطلق انطلاقتها في جو ينقلها اليه تعبير وخيال •

★ ★ ★

قرات نماذج نقلت الى اللسان العربي من ديوان (بؤس ونور) على انها اية من آيات السحر في هذا الديوان ، فقرات عجبا وشككت في قدرة احساسي على التجاوب مع هذا الادب ، وقلت : اذا كنت لم اتجاوب مع اجمل ما في الديوان ، فماذا تكون نبضات الشعور والتذوق مع بعضه الآخر الذي ليس بالاجمل • ونحننلتمس العذر كل العذر للدكتور الحبابي وزملائه الذين كانت رضاعتهم من ثدى الثقافة الفرنسية • فهكذا كانوا •

ملانبهم وليس في الامكان أبدع مما كان •

ان التبعة تقع على الاوضاع السائدة حينذاك ، لا عليهم ، فمن حقهم على الناس ان يحترموا ثقافتهم ويخلوا سبيلهم •

ولكن ـ ولا بد من « لكن » ـ ليس من المعقول مطلقا ان يكون من حقهم التعصب لهذا التيار ضد اللغة العربية وضد قوميتهم تعصبا سافرا كما بدا من الدكتور الحبابي •

من حقنا ان نرد الدكتور الحبابي عن ارائهفي اللغة العربية والثقافة العربية • من حقنا ان نقول له : ما كان ينبغي لمثلك ان يقول : « ان اللغة العربية امام فئتين من الناس : فئة أولى تنظراليها كحسناء وصلت الى ذروة الشهرة والاعتبار • ونحن لا نستطيع مناقشة هؤلاء ، لاندفاعهم الشديد مع العاطفة دون العقل والمنطق وفئة ثانية احاطت باللغة العربيةكما يحاط بفتاة في سن المراهقة فكادوا يخنقونها ويكتمون انفاسها لشدة خوفهم عليها • فنحن نعترف بان اللغة العربية شاخت او تكاد • ولكنها لم تمت بعد • انها منهوكة القوى ، وما يجب فعله هو ان نحصنها بعنف » •

وانا بدورى احيل الدكتور الحبابي على شعراء القرويين ـ وبخاصة الاستاذ العلامة عبد اللهكنون ـ وهنا تقع الواقعة••

أشعر هو ؟

واخيرا نزل الدكتور الحبابي على واقعالقومية، واضطر أن يعود بادبه الى نطاق اللغة القومية والمشاعر العربية ، فاصدر ترجمة عربية لديوانه في « حماية » مقدمة بقلم الاميرة الادبية «عائشة» رائدة الحركة النسوية في المغرب الحديث ،وتلقفه مرة اخرى الاستاذ الاديب عبد الكريم غلابفكتب يقول : « والحق ان الديوان كان يجب ان يصدر بالعربية بالارتسامات الانسانية والمغربية التي تطفح بها قصائد الحبابي ، مما يزيد في ثروة ادبنا • ومن البر بهذه الارتسامات ان قدمها

الشاعر الى قراء العربية ولو مترجمة . وتستطيع ان تعيش مع الشاعر في ديوانه المترجم دون ان تشعر بالترجمة من حيث التركيب او اللغة ،وان كنت قد تشعر بها من حيث التفكير والتصوير وابراز الاحاسيس فتاثير الفرنسية والادب الفرنسي ونماذج الايحاء الفرنسية على الشعر العربي ، اقوى من التفكير بالعربية والتصوير وابراز الاحاسيس بها . ومع ذلك فالقارىء المغربي يجد المتعة واللذة ويتشرب احاسيس الديوان دون ان يجد مشقة في مسايرة التفكير والتصوير » .

ولعلي لم اجد الاستاذ غلاب مجاملا اكثر منه ناقدا مثلما رايته في هذا الكلام ، فقد سمى هذا الكتاب شعرا ، واعتبر كاتبه شاعرا ، وهو الذي شدد النكير من قبل على ان مثل هذا الكلام ما هو بشعر ، وما قائله بشاعر . ولكنه استطاع مع ذلكان يبلغ مايريد من النقد بعبارات موحية، فالقارىء لا يجد مشقة في مسايرة التفكير او التصوير . وما دام الامر ـ كما يوحي به كلام الاستاذ غلاب ـ قد وصل بالقارىء الى نفي المشقة عنه حينما يقرأ (شعر) الحبابي ، فكان الله في عون هذا القارىء وسهل عليه مهمته الصعبة .

ثم ينتقي الاستاذ غلاب عينات من شعرالحبابي اعجبته وعاش فيها فيقول : اقرأ ـ ان شئت ـ « العابثون » الذين :

« لا ينفعلون للابتسام
لا ينشرحون للهزل
رائحة الورد تؤذي انوفهم »

ولا تكاد القطعة تقارب النهاية حتى يصيح الامل :

« الموسيقا .. ان الفؤاد مرح
اتركونا نرشف شفاه النساء
اتركونا والعيش ارقيق »

وانا اقول ان هذا التاليف الاجنبي « او الفواجاتي » مجرد كلام مزوق كاشكال الورد المصنوع من اللدائن « البلاستيك » : الوان زاهية ولكن لا حياة فيها ولا اريج لها ، تاليف تعافه البلاغة العربية والذوق الادبي الذي تالفه وتستمتع به .

أدب .. ولكن !

ثم يقول الاستاذ غلاب : واقرأ ان شئت قطعة « الفلاح » التي تبدأ بهذه الصورة :

« حياتك صورة .. من بيتك
وبيتك صورة .. من ليلك
وليلك كثيف بالهموم .. كنهارك
ونهارك متجعد .. كوجهك »
انها تنتهي برجاء في حياة افضل ، ولكن :
« هناك الرجاء .. هناك وعيك
في يقظته ، به تستقيم العوالم »

وانا اقول : ان هذا كلام قد يبدو جميلا في ترتيبه الذي يشبه اسوار القضية المنطقية ، فهو بلا شك يعتبر صورة ادبية ، ولكنه لا يعد صورة شعرية عن حياة الفلاح المغربي الكادح ، وأن ادل الدكتور الحبابي على صورة شعرية عنحياة الفلاح المغربي لشاعر مغربي مثله ولكنه شاعر عربي غير متفرنس . ادله على الشاعر محمد ميلودي الزناتي في قصيدته « خبز وماء » حيث يقول . وما يقوله هو الشعر :

قف يا أخي ، واسمع انين الاشقياء
في ذلك الكوخ القريب من الفناء
زفراتهم حرى تصاعد للسماء
تبغي الثياب ، وتبتغي خبزا وماء

والمرضعات تنوح في قلب الدجى
وتخال ذاك النوح صوتا للرجا

كم بات في تلك المدائر من عليل
يشكو جراحا في الضلوع ،ولا خليل
الا صفير الريح يحمله النخيل
وصدى الرعود مجلجلا وقت الاصيل

والكاعب الحسنا تنام على الطوى
وتراقب النجم المنير وقد هوى

هذا هو عالم الفلاح المغربي الكادح فيإقطاعيات « المعمرين » الفرنسين هناك .

شاعر بالفرنسية ، وفيلسوف بالعربية

على أن الاستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي قادر مقتدر على الاداء الفني لافكاره وعواطفه

بالاسلوب العربي القويم ، فهو استاذ للفلسفة ، بل يعده المغاربة رائدا من رواد المذاهب الفلسفية الحديثة ، فكيف نراه شاعرا بالفرنسية ، وفيلسوفا بالعربية؟اللهمالا اذا قلنا انالشعر ابداعهالخاص وان الفلسفة علم تلقاه عنغيره • على انالدكتور الحبابي مصر على الدفاع عن ذات الادب المكتوب باللغة الفرنسية تعبيرا عن مشاعر مغربية ، بانه ادب مغربي •

أعلن هذا الدفاع حين تراس الدورة الفلسفية التي نظمتها « جمعية نبراس الفكر التطوانية » بالقاعة الكبرى في المعهد الثانوي بتطوان ، وقد حاول أن يوجه المعركة وجهة اخرى بان اعتبر هذا الادب الفرنسي عربيا ما دام بعيدا عن وحى الاستعمار ، وانه ثقافة والثقافة شيء والاستعمار شيء اخر • وقال ان الثقافة لا تتقيد بالاجناس واننا نرحب بكل الثقافات ، وليس من الاصابة في شيء أن نقول ان ما ليس من العربية ليسلنا• وانا بدوري اقول : لم أجد احدا يعتقد او يرى أن ماليس من العربية ليسلنا ،فامتزاج الثقافات وحضارات الفكر واللغات ، تراث انسانيمشترك• واللغة العربية كسائر اللغات تؤثر في غيرها وتتاثر به ، ولكن موضوع القضية شيء آخر هو : هذا الانتاج الفرنسي ماذا نسميه ؟ واذا اردنا ان ننسبه فكيف نهتدى الى أمه وأبيه ؟ •

★ ★ ★

وبعد هذا يأتي الاستاذ مصطفى الصباغ ـ الكاتب المغربي أيضا ـ ويستبيح لقلمه منطق المحامي الغيور فيالدفاع عن هذا الادب، والتماس وجوه التبرير لوجوده ، كأنما يريد مجرد « اثبات حالة » ، فنراه يقول :

« ان الادب الذي نحنبصدد مناقشتههو فيأصله عربي ، لانه الهام نفس عربية ، وفيض احساس عربي ، ومعاناة ذات عربية ، غير أنه مترجم ـ فحسب ـ الى لغة من اللغات الاجنبية ، في ظرف استثنائي خاص » •

فالاستاذ اذن يعمد الى تخفيف اثبات الحالة بقوله : « مترجم الى لغة ••• » • واذا كان هذا هو الترجمة ، فما التاليف والخلق والابتكار والمعاناة اذن ؟ لقد هدم الاستاذ أول دفاعه باخره• والا فكيف يتفق قوله أولا : « هو في أصله عربي، مع قوله اخرا : « مترجم الى لغة من اللغات الاجنبية في ظرف استثنائي خاص ؟ »

اعتقد ان رسالة التعريب في المغرب ، رسالة حبيبة الى كل قلب عربي حر ، واذا كان العرب قد اتفقوا علىكلمة سواء فيتقديس تلكالرسالة، فلا بد ان يكون من النشاز الذى لا معنى له ان يدعى الاستاذ الصباغ ان الفرنسيين يرغبون في ضم انتاج هؤلاء الادباء المغاربة والجزائريين الى تراثهم الفكرى والادبي ، وأن هؤلاء الادباء لا يرضون أبدا بذلك وسيبقى هذا الانتاج صفحة في كتاب الادب العربي تدين الاستعمار في بلاد هؤلاء الادباء ، وتثبت للعالم قدرتهم على التفتح والتفاعل •

ولست ادرى كيف كشف الاستاذ الصباغ في سهولة ويسر ، قناعا من الاقنعة التي حجبت بها الحقيقة المرة وهو يقول : « كما ان الاخوان الذين ينقلون احساساتهم ومشاعرهم الينا بوساطة اللغات الاجنبية لاقتناعهم بقصور اللغة العربية او احتقارهم لها ـ هم الاخرون لاحق لهم في هذا الاستثناء » •

فاى قصور يراه هؤلاء في اللغة العربية ، وأى احتقار لها يمكن ان يصدر عن نفس عربية اصيلة؟ ان هؤلاء الادباء الذين يسعون الى الخلود ونباهة الذكر عن طريق الانتاج الادبي ، انما يقدرونانهم يكتبون لشعب قارىء بالفرنسية ، وانه سيظل يقرأ بالفرنسية ، وان رواج ادبهم الفرنسي في صعود وتالق ، وانهم يؤرخون للشعب في ظل ما يكتبون ، ويعطون عن المغرب صورة من وحى ضمائهم لهذا الادب • ولكنهم في هذا يتوهمون ويقدرون مالا يكون • فهم لن يجدوا لهذا الادب قراء في المغرب ولا في الجزائر • واذا لم يتيسر لهم أن يجدوا له رواجا في المغرب العربي فلن تقوم له قائمة في سائر بقاع الوطن العربي الكبير •

وقد تكفل الكيان العربي في المغرب الحديث بالرد ، فبدأت الانطلاقة الكبرى وهي تحمل عوامل القوة والازدهار الادبي على يد شباب عرفناهم هناك ، فاضت انطلاقتهم وتنوعت وبدأت تشمل كل الوان الحياة من فكرة وتعبير • ■■

احمد عبد الرحمن عيسى
كلية اللغة العربية / الرياض

«يَهْرَع»

■ نقول : «هذا المسافر يَهرعُ ليدرك القطار» و « رجال الاسعاف يَهرَعون بسيارتهم لنجدة الملهوف» اى يعجلون ، ويسرعون ·

هذا الفعل المضارع « يهرع » ـ بفتح الياء ، على وزن « يفرح » ـ اكثر استعمالا فى نطقنا اليوم من فعلين مضارعين اخرين هما « يهرع » و « يهرع » ، بضم الياء مع كسر الراء اوفتحها، ومع انه اكثر منهما استعمالا نجد ان بعض الباحثين ينكرون فصاحته دونهما ، بحجة ان لفظيهما هكذا قد وردا فى مراجع الفصيحة ،واما لفظه هو فلم يرد فيها · وقد يكونون على صواب ان كان قصدهم انه لم يرد فيها هكذا بنصه ، ولكن هذه الحجة وحدها لا تكفى لانكار فصاحته فى العروبة مالم تكن كل وجوه التخريج المعترف بها مسدودة امامه ، وأما اذا كان له وجه مقبول فهم مخطئون ، وهم أبعد خطا وتعنتا اذا كان له وجه مقنع ، هو فى الوقت نفسه قريب منهم ـ كما سنبين هنا ـ ثم هم يغفلونه او يتغافلون عنه·

وفى المراجع نجد ماياتى : اهرع · يهرع ، فهو مهرع ، مثل « اعجل » : وزنا ومعنى ، والفعل هنا رباعى مبنى للمعلوم ·

ونجد ايضا : هرع يهرع ، واهرع ، يهرع ، ـ مبنيين للمجهول ـ بمعنى اسرع ايضا ، ولكن « هرع » ثلاثى ، « واهرع » رباعى ومضارع كل منهما هو « يهرع » وفى القرآن الكريم « وجاءه قومه يُهرعون اليه » اى يعجلون ، وفيه « انهم الفوا اباءهم ضالين، فهم علىاثارهم يهرعون »·

وفى الفصيحة ايضا : « تهرع » اليه : مثل « تعجّل » وزنا ومعنى ، وفيها : « استهرعت » الابل : مثل « استعجلت » وزنا ومعنى ، اى اسرعت الى الحوض ·

ثم نترك مابعد ذلك من المشتقات ومعانيها الفرعية المختلفة ، ولكن يلاحظ فى هذه المشتقات جميعا ان المعنى المشترك بينها هو مطلق السرعة، وان هذا المعنى المطلق قد ورد فى بعض المشتقات مقيدا ، اما بشكل معين كان تكون السرعة مصحوبة باضطراب او رعدة ، او مقيدا بانفعال معين كان تكون السرعة مصحوبة بخوف او غضب ، ولكن ذلك لا يخرجها عن المعنى العام الذى يشملها كما يشمل المشتقات امثالها من الجذر القريب «هرع» .

والفعل الذى غفل المنكرون او تغافلوا عنه هو الفعل « هرع هَرعا » على وزن فرح فرحا ، بمعنى مشى فى سرعة واضطراب ·

اليس لهذا الفعل الماضى مضارع ؟ وهل يمكن ان يكون هذا المضارع الا «يَهرَع» على وفق ماتقتضى قواعد الفصيحة ؟ هناك كلمات يعدها علماء العربية افعالا ماضية ، لا مضارع لها ، فهل ذكروا من بينها الفعل « هرع » ؟ وهل من الضرورى فى المعاجم عند ذكر اى فعل ماض ان يذكر مضارعه نصا او سائر المشتقات من جذره ؟ ، واذن فما فائدة تعلم القواعد الصرفية ،وما فائدة القياس ؟ اليس فى هذا كله ما يدل على فصاحة « يهرع » ثم لنلاحظ ان معظم تصريفات « هرع » كتصريفات ع ج ل وانه بمعناه العام ، وفى ذلك ما يزيدنا سعة نظر فى تصريفاته ، بل فى تعدى افعاله ولزومها ، قياسا عليه · وكثيرا ما قاس العرب تصريف كلمة على تصريف كلمة ترادفها ، ولو اننا اتبعنا هذه القاعدة السمحة لفتحت امامنا ابوابا كثيرة فى تصريف الكلمات وتطوير معانيها، وهذا فى اللغة فتح مبين · ■■

م · خ · ت



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

سن اليأس عند المرأة

● اسمع ممن هم اكبر مني ان الفتاة تصل الى مايسمى «سن اليأس» ٠٠ فما هي سن اليأس ٠٠ وما هي علاماتها ؟

سن اليأس من الناحية الطبية تعني ان الأنثى قد فقدت عادتها الشهرية ٠٠ ويكون ذلك نتيجة لانحراف في افراز هرموناتها الأنثوية ٠ وهذا يعني ان الأنثى قد دخلت مرحلة من مراحل حياتها الا وهي مرحلة عدم الانجاب ٠٠ وعليها ان تستقبل سنين جديدة من عمرها ٠٠ خالية من الانجاب ٠٠ وهذه لحكمة الهية جليلة، اذ انه لو تركت المرأة تنجب مدى الحياة، فماذا يكون الأمر عندما يؤثر ذلك على صحتها وجسمها ، ويكون عندها عدد من الاولاد لا يمكنها ان تقوم على رعايتهم وحسن تربيتهم ٠٠ وكل طفل يولد يأخذ من جسد أمه ماديا ومعنويا وروحيا ما يأخذ ٠٠ فلتشكر الانثى التى ستواجه هذه السن المولى عز وجل على نعمائه ٠ وتستقبل هذه السنين بالبشر وسعة الصدر، اذ ان ذلك يساعدها كثيرا على تذليل الصعوبات التى تكتنف هذه السن ٠٠ اما اللواتي لايرضين بهذا ، فتراهن كل يوم عند طبيب ٠٠ تشكو الواحدة منهن مرة من آلام بالرأس وجميع اجزاء الجسم ، ومرة من حرارة تغلي في جسدها ، واخرى تشكو من القلق وعدم النوم ، وسرعة الاضطرابات ، وسرعة القلب وخوفها من اى شيء ، حتى ولو كان تافها وبسيطا ٠٠ وقد تشكو من آلام بالمفاصل والعضلات وعدم القدرة على القيام باى عمل في البيت اوخارجه ٠٠ ويكتنف ذلك ارتفاع في ضغط الدم ، واضطرابات في دقات القلب ، وزيادة في وزن الجسم ، واكتناز الماء داخله مما يسبب تورمات في الساقين وفى انحاء عدة من الجسم ٠٠ على ان ذلك من الممكن التغلب عليه ،لو واجهت السيدة هذا الشيء ــ كما قلت ــ بصدر رحب ، مع مساعدتها فى اخذ الهرمونات اللازمة التى من شأنها ان تقلل حدة انقطاع الطمث واعطائها المهدئات والمنومات اللازمة لفترة قصيرة حتى يمكنها ان تتغلب على هذه الأعراض وتمر هذه الفترة الحرجة من سنها بسلام ، ويستحسن ان يكون ذلك تحت اشراف الطبيب المختص ٠



تمدد الشعب الهوائية

● اعانى من مرض .. قال عنه الاطباء انه تمدد الشعب الهوائية .. فما السبب فى هذا المرض .. وما العلاج ؟

مرض تمدد الشعب الهوائية يحدث نتيجة لتاكل فى غضاريف الشعب الهوائية مع ضعف فى عضلاتها مما يسبب وجود نتوءات وتمددات بها يختزن فيها البصاق وما يحمل من ميكروبات ، وبذلك تصبح بؤرة لوجود التهاب مزمن ينتشر فيها من جزء الى جزء ، بل وربما انتقل من هذه البؤرة الى الرئة ، مسببا بؤرات بها . وينتج ذلك من مضاعفات التهاب الشعب الهوائية أثناء الطفولة كما هو الحال فى مرض السعال الديكى ، او التهاب بها دون اخذ العلاج الكافى ، مما يترك هذه الشعب ضعيفة . او فى حالات الالتهاب الرئوى الشعبى الذى يترك وراءه شعبا وشعيبات هوائية ضعيفة الجدران تتمدد وتكتنز بداخلها المواد الصديدية التى يبصقها المريض من آن الى آخر .. وتكثر فى الصباح لأنها تكون مختزنة اثناء الليل وتكون ذات رائحة كريهة ، وتسبب فى وجود رائحة بالفم واثناء التنفس .

وللتاكد من وجود هذا المرض تعمل اشعة خاصة ملونة للرئة حتى يعرف مدى انتشار المرض ، والى اى مدى اثر على الرئة المصابة او الرئتين المصابتين . وعلى اساس هذا الفحص يكون العلاج . فاذا كانت هناك اجزاء عدة قد أصيبت فى كلا الرئتين والجزء السليم قليل لايكفى لان يمد الجسم بالاكسجين اللازم . ففى هذه الحالة يكون العلاج بواسطة المضادات الحيوية التى تؤثر على الميكروبات الموجودة فتقلل من حدة المرض مع تعليم المريض كيف يفرغ الاجزاء الممتلئة بالمواد الصديدية صباحا ومساء ، وذلك باعطائه ادوية تساعد على التخلص من هذا البصاق ..

اما اذا كان المرض مركزا فى جزء صغير من الرئة او حتى فى الرئتين ، وكان سن المريض صغيرا اى لم يتجاوز الثلاثين ، ففى هذه الحالة يمكن استئصال الجزء المصاب خصوصا اذا كان قد استفحل بحيث لا يجدى اى علاج معه بالمضادات الحيوية او غيرها .



قرحة المعدة والتدخين

● اصبت بقرحة فى معدتى منذ سنوات .. واثبتت الاشعة بالفعل وجود هذه القرحة .. ولو انتى اشك فى هذا التشخيص ، لان الالم يزول بعد تناول الطعام مباشرة .. الا اننى عندما اشعر بالجوع يزيد الالم ... فما هو علاج قرحة المعدة .. وهل لهذه الحالة علاقة بالتدخين ؟

قد تصيب القرحة الغشاء المخاطى المبطن للمعدة ، وعندئذ يشعر المصاب بآلام عندما تخلو المعدة من الطعام ، حيث



آلام الظهر

● اشكو من آلام واوجاع شديدة في اسفل الظهر ، بالرغم من ان عمري خمسة وعشرون عاما ·· وازاول عملا مكتبيا لايستدعي حمل الاثقال ·· وقد ابلغني الاطباء بان سبب هذه الالام هو وجود روماتيزم مزمن بالظهر ·· فما هي هذه الحالة ؟

قد تنشأ آلام الظهر فى هذه السن عن الالتهابات المزمنة التى تصيب الغضاريف بين فقرات الظهر··او ما يسمى بمفاصل العمود الفقرى ، خاصة بعد الاصابة بالنزلات البردية المتعددة ، والتهابات اللوزتين فى الطفولة ، مما يترك آثارا فى بعض المفاصل ،ومنها غضاريف العمود الفقرى · واحيانا تصيب آلام الظهر الأشخاص الذين لايمارسون الرياضة او يجلسون علىالمكتب طوال النهار ·وكذلك بعض سائقى السيارات الذين لا يتخذون الوضع الصحيح اثناء القيادة ، او عندما يزيد افراز العرق بمنطقة الظهر بسبب ملاصقته لكرسى القيادة وتعريضه الى الهواء مباشرة ·· فيصاب الظهر بالتيبس بسبب التهاب فقرات الظهر ··وقد يصاب السائق بأوجاع الظهر كنتيجة لوعورة الطرق وكثرة الاهتزازات مما يؤدى الى تمزق الأربطة التى تحيط بفقرات الظهر، وقد تنتهى الحالة بالاصابة بالانزلاق الغضروفى المعروف ، وفى الاربعينات من هذا القرن ، كان الانزلاق الغضروفى يعرف لدى الاطباء باسم مرض سائقى الجيب Jeep Disease عندما لوحظ اصابة عدد كبير من الجنود الذين يقودون هذا النوع من السيارات العسكرية بألام العمود الفقرى ·· ويمكن بواسطة الأشعة بيان حالة العمود الفقرى ، ونوع الاصابة على وجه التحديد ، اما العلاج فيتوقف على نتيجة الأشعة ·

توجد افرازات المعدة من مادة البيبسين وحامض الهيدروكلوريك ·· كما ان التدخين يضعف الدورة الدموية فى جدار المعدة ويعرض الغشاء المخاطى للاصابة بالقرحة بسهولة وفىحالة بعض الاشخاص الذين يزيد لديهم التوتر العصبى ترتفع نسبةالافرازات المعدية بصورة كبيرةويقل افراز المادةالمخاطية المبطنةللمعدة ،والتى تحمى جدارها الداخلى من تأثير الحوامض التى تفرزها المعدةوفى هذه الحالاتينصح بالامتناع عن التدخين، وتجنب الانفعالات والتوتر العصبى والاقلال من القهوة والشاى ، وكذلك الاقلال من البهارات والتوابل وغيرها ·

والغريب ان احدث علاج لقرحة المعدة يتبع فى الخارج هو مادة العرق سوسالتى تكثر فى بلادنا ويصنع منها شراب العرق سوس المعروف · وهى تصنع على هيئة كبسولات وقد نجحت فى شفاء ٨٠٪ من حالات قرحة المعدة ·

■■



الشاعر الأندلسي الغزال

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ حين فتح المسلمون شبه جزيرة « ايبيريا » ايام الامويين سموها الاندلس ، ومن يطالع تاريخها بوعي وانصاف يعرف أن دخولهم اليها كان فتحا ثقافيا وحضاريا ، ولم يكن غزوا للنهب والتسلط والاستئثار دون اهلها بالمغانم ، بل يعرف انها لم تنعم في تاريخها منذ اقدم عصورها بنهضة ثقافية وعمرانية عامة متحررة كنهضتها في ظل المسلمين ، وان كانت احوالها طوال ايامهم لم تخل فترة من فتن وحروب منذ فتحوها (٩٢ هـ) حتى تركوها (٨٩٨ هـ) وحين ملك العباسيون خرج عليهم عبد الرحمن بن هشام الاموى واستقل بالاندلس سنة ١٣٨ ، فلقب (الداخل) وبقي حكمها وراثيا في ابنائه حتى سنة ٤٢٢ هـ .

مولد الغزال ونشاته

وخلال عهد الداخل ولد شاعرنا الغزال نحو سنة ١٥٠ ، وعاصر بعده اربعة امراء آخرين : كل منهم ورث الامارة عن ابيه ، وكان آخرهم محمد ابن عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم بن هشام ابن عبدالرحمن الداخل او الاول ، وقد اشار الى ذلك شاعرنا في شيخوخته فقال متبرما :

أدركت بالمصر ملوكا اربعة
وخامسا . هذا الذى نحن معه

والمصر هنا هي العاصمة قرطبة ، التي عاش فيها اطول سنوات عمره واجملها واعزها ، قضاها متأدبا نابها في مطلع شبابه ، ثم عالما وشاعرا معظما بين اعلام عصره ، وكان رجل دولة يعتمد عليه الامراء احيانا في بعض المناصب الادارية والمالية ، واحيانا في المهمات السياسية او الديلوماسية العظام كالسفارة الى غيرهم من الملوك.

وقد رشحته للنجاح في عصره جملة مزايا حببته الى قومه وغيرهم ، وروجت سوقه حتى بين النساء ، وكل هذا مماهون ماخذه بين معاصريه فجعله عندهم مقبولا بل مرغوبا ، كان جميلا وظريفا ، فلقبوه (الغزال) وبهذا اللقب اشتهر في عداد شعراء الاندلس واعيانها ، وقد غطى لقبه على اسمه ونسبه حتى بين جمهرة الدارسين ، وهو احدى عجائبه الكثيرة ،لان المالوف بين قومنا العرب ان يطلقهذا اللقبوما فيمعناه ـوصفا اواسما ـعلى النساء دون الرجال . اما اسمه فهو يحيى بن الحكم البكرى ، نسبة الىقبيلة بكر بن وائل ، وكانت في الجاهلية من اعز القبائل في شرقي الجزيرة العربية ، فلما انتشرت فتوح العرب بعد الإسلام نفرت فيهاعشائر ضخمة من بكر ، واوغل بعضهم مع الفتوح حتى استقروا في غربي الاندلس وجنوبيها ، وكانت مدينة « جيان » هناك من المدن التي تعاقبوا على سكناها اجيالا ، وفيها ولد الغزال ، وليس في اخباره الا مايدل على انه عربي ، وان كنا لا نعلم شيئا عن اسرته الخاصة، او نشاته في« جيان » . وتدلنا اخبار شبابه على تضلعه في تراث قومه الثقافي الحيوى الاصيل المرتبط بالقران ولغته وعلومهما ، فقد كان هذا التراث ـ ولم يزل ـ يربطهم بماضيهم ، ويبرز شخصيتهم القومية ، ومن هنا حرصهم الشديد عليه وحفظه في اجيالهم المتوالية ، وكان يومئذ اساس امتيازهم في موطنهم الجديدة ، وكانت معرفته شائعة بينهم في القرى والمدن ولا سيما العواصم .

ولا ريب انه رحل شابا الى قرطبة ، فاطال فيها الاتصال بكبار علمائها حتى استوعب كثيرا

من علومهم على اختلاف انواعها : اصيلة وطارئة، مما جعله بين اعلامها الكبار هناك ، حتى ان مؤرخنا الاندلسي الكبير ابن حيان ينوه به في كتاب « المقتبس » فيقول : كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها » وكان له حظ واف من ملكات الفروسية واخلاقها ، الى جانب حظه في المعارف الحكمية والرياضيات ، ولهذا وصف بانه « منجم »، كما وصف بانه « عراف » ، مما يدل على تضلعه في الفلك ومستلزماته • ويظهر من اخباره انه نبغ مبكرا ، وانه عمر مائة سنة او تزيد ، وبقي حتى بعد ايغاله في الشيخوخة ضليع البنية مجتمع الاشد ، متوقد العزم والقريحة ، مغرما بالاستزادة من المعرفة والرياضة ، مما يدل على ان مؤرخنا ابن حيان لم يتزيد في وصفه حين نوه بفضله • ومن اخبار جرأته وذكائه ومعرفته بالشعر ونقده – وهو غض الشباب – ان عباس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء – ومن اعيان شعراء الاندلس في عصره – كان يفد على قرطبة ، فيأخذ عنه ادباؤها ، فانشدت يوما احدى قصائده في الزهد ، حتى انتهى المنشد الى قوله فيها :

تجاف عن الدنيا ، فما لمعجز
ولا عاجز الا الذي خط بالقلم

وكان الغزال في الحلقة ، وهو يومئذ « حدث نظام متادب » فقال العباس « ايها الشيخ ، وما يفتي مفعل مع فاعل ؟ » – اى لماذا ذكر معجز مع عاجز في البيت – قال عباس « كيف تقول ؟ » « فاجابه : كنت اقول : فليس لحازم ولا عاجز »• قال عباس معترفا : « والله – يا بني – لقد طلبها عمك ، فما وجدها » •

وكان الغزال – بعد نضجه – اظهر شعراء عصره ، وكانوا قلة ، وفيهم ضعف ، وزاد من ظهوره وفرة معلوماته ، وسحر شخصيته ، وقربه من الامير وحاشيته ، وقد كثر شعره في اغراض شتى ، وان لم يبق لنا منه الا القليل المتفرق في الكتب ، وفيه مع ذلك ما يدل على مزاج الغزال وثقافته والموضوعات المحببة اليه في النظم، ولعل فلسفة حياته او وجهتها تتلخص في قوله :

« أعط الشبيبة – لا أبالك – حقها
منها ، فان نعيمها متحول »
واذا سلبت ثيابها لم تنتفع
عند النساء بكل ما يستبدل »

فهو طالب لذة او متعة حسية ، وان كان ذوقه مهذبا قابلا بل طالبا للمتع الفكرية الروحية ، والغزل محبب اليه ، ولكنه لم يستغرق اهتمامه في حياته ولا شعره •

اتجاهاته الشعرية

وقد اشتهر شعره فجاوز الاندلس الى المشرق – وهو دون الخمسين – ومن ذلك قصيدة ماجنة يحكي فيها قصة له مع احدى صواحبه ، لقيها ذات ليلة فمال اليها ، ولكنه عجز عنها ، ويذكر في ختام القصيدة ما اسمعته صباحا من سب مقذع لامه ، ونكتفي هنا بإنشاد ابياتها تعففا :

خرجت اليك ، وثوبها مقلوب
ولقلبها – طربا اليك – وجيب
وكأنها في الدار – حين تعرضت –
ظبي تعلل بالفلا مرغوب
وتبسمت ، فأتتك – حين تبسمت –
بجمان در لم يشبه ثقوب
ودعتك داعية الصبا ، فتطربت
نفس الى داعي الضلال طروب
حسبتك في حال الغرام كعهدها
في الدار ، اذ غض الشباب رطيب

فهو – كدأب الغزلين امثاله – يفطن الى محاسن المرأة ، ووسائلها في التصدي للغزل ، ويبينها الابتسام ، وينوه بجمال الفم والاسنان ، ولكل ذلك دلالته على مواضع التفاته وما يحسن منها عنده • وهذه القصيدة نموذج لقصائده في الغزل الذي كان من احب الموضوعات اليه في شعره •

وكان الغزال معجبا بابي نواس ونزعته المرحة في الحياة ، واتجاهه الجديد في الشعر ولاسيما خمرياته ، وهما يتقاربان مزاجا ، وان لم يتقاربا شخصية او سلوكا ، اذ لم يؤثر عنه شيء من امثال مباذل ابي نواس وانحرافاته المسلكية ، وقد اشرنا قبل الى عباس بن ناصح الثقفي ، ونزيد هنا ان عباسا هذا كان ممن رحلوا الى الشرق ، فلقي ابا نواس ، وتناشدا شعرهما ، فلما عاد عباس الى الاندلس حمل معه ديوان ابي نواس ونشره فيها اعجابا به ، وبنزعته الشعرية الجديدة ، فاقبل عليه الاندلسيون درسا ومحاكاة، وما كان ليروج بينهم لولا انه كان يرضي نزعاتهم المرحة ، وقد اطلع عليه الغزال ايضا ،وعارض خمرياته ، فلما رحل الى المشرق ايضا بعد وفاة

ابي نواس (كانت قبل سنة ٢٠٠ هـ) ودخل العراق وجدهم يلهجون باخبار ابي نواس ، ويرفعون شعره فوق كل شعر لسواه ، وكان يوما في مجلس جماعة منهم ، فوجدهم يفضلون من الاندلسيين ، ويهجنون اشعارهم ، فسكت حتى ذكروا ابا نواس ، فسالهم : من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت القوم أكدت سماؤهم
تأبطت زقي واحتبست عناني
فلما اتيت الحان ناديت ربه
فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين الا تعلة
على وجل مني ، ومن نظرائي
فقلت : « أذقنيها » ، فلما اذاقها
طرحت عليه ريطتي وردائي

فاعجبوا بالابيات ، وافتنوا في الثناء عليها ، فلما غالوا فيها اخبرهم انها له لا لابي نواس ، فانكروها عليه ، فانشدهم قصيدة اخرى ، تشبهها موضوعا ووزنا وقافية ، مطلعها

تذكرت في شرب النبيذ خطائي
وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما اتمها انشادا تفرقوا عنه خجلين .

وما ان بلغ الغزال نحو الخمسين حتى كان شعره قد جاوز الاندلس الى المشرق ولقي التقدير من علية القوم ، لاسيما شعره الذي يجاري فيه خمريات ابي نواس ، فقد حكى تاجر يسمى «عتبة» ان « الحكم » امير الاندلس (١٨٠ ـ ٢٠٦)وابنه عبد الرحمن وجهاه الى المشرق ، وكان عبد الله ابن طاهر واليا على مصر من قبل المامون العباسي، فلقيه في العراق (٢٠٦ هـ) فساله عبد الله عن قصيدة الغزال التي نقلنا بعض ابياتها قبل « خرجت اليك وثوبها مقلوب » فلما عرف ان عتبة يحفظها استنشده اياها ،فلما انشدها له سر منها، وكتبها ، ومنحه حظا عنده .

الغزال ابن عصره وبيئته

كل هذا وغيره مما يشفع للغزال في ماخذه اذ كان العصر من بعض جوانبه أو في بعض طبقاته عصرا نواسيا في الاندلس والمغرب معا ، وحسبنا من ذلك هنا رواج شعر ابي نواس وامثاله في المشرق ، ثم رواجه قبل وفاة ابي نواس في الاندلس حين نقله اليها شاعرها عباس ابن ناصح كما اشرنا قبل ، وعباس هذا قاض وفقيه فكيف بمن ليس له مثل منصبه في القضاء، ولا مكانته في الفقه وكلا هذين يوجبعليه التزام التوقر ولو في ظاهر حاله ، وهذا ايضا عبدالله ابن طاهر وكان ـ كابيه الشهير طاهربن الحسين ـ من اعظم رجال الدولة ايام المامون ، سواء في قيادة الجيوش ، او ادارة الاقاليم ، او سياسة الشعوب ، كما كان مثلا في سعة ثقافته وبعد همته ورجاحة عقله وبلاغة قلمه ولسانه ، ورسوخ وقاره منذ بواكير شبابه ، وهو مع هذا الفضل كله يعنى بقصيدة ماجنة للغزال ، ثم يطلبها ويكتبها ويكافيء حافظها بسببها ، فكيف بمن ليس له مثل شمائله العالية ، وهذا عتبة تاجر غير منقطع للادب والشعر ، وهو مع ذلك يحفظ قصيدة الغزال هذه ، ولا ريب انه كان يعرف مثيلاتها ويقدرها فيحفظها ويرويها فكيف بالمنقطعين للادب والشعر ؟ ألا يدل كل ذلك على استبحار الثقافة في المشرق والاندلس ، كما يدل ايضا على « الترخص الاجتماعي » وانه بعض ملامح عصر الغزال حيث تشيع تلك الثقافة العربية ؟ ومن مصادفات تلك الفترة ان قدم الى الاندلس المغني زرياب ، « علي بن نافع » تلميذ اسحاق الموصلي ، امام الموسيقى والغناء في عصره ، وكان قد فارق بغداد بل العراق خوفا من نقمة استاذه بعد ان فاقه في صناعته ، فلما سمع بذلك في الاندلس اميرها الحكم استدعاه اليه ليكون زينة بلاطه ومات الحكم سنة ٢٠٦ . وخلفه ابنه عبد الرحمن (الاوسط) قبل بلوغ زرياب قرطبة ، فلما بلغها خرج الامير الجديد بنفسه للقائه ، ثم فتح له قلبه وخزائن دولته ، ومكن له بينحاشيته حتىصار احد اربعة يتحكمون فيامور الدولة فلا ترد لهم شفاعة، وكان زرياب كامثاله من الفنانين الذين ينزعون الى الترف والاناقة ، ويستعلون حين يبسط لهم السلطان ، فاشاع بين رجال الدولة ومن وراءهم الواناطريفة من طرق المعيشة الناعمة في الزى والشارة .

وفي ذلك شفيع للغزال فيما يؤخذ عليه من ترخص في سيرته او شعره ، ويقوى هذه الشفاعة خلو اخباره واشعاره من كل ما يدل على انحراف او ابتذال او سوء في دخائله او مظاهره ، فقد صادق وعادى ، ونظم الشعر في الغزل والوصف

والمدح والهجاء والحكمة والزهد ووقائع التاريخ، ولكنه كان بعيدا عن الملق والمداهنة في مودته او ولائه ، كما كان بعيدا عن اللدد والاسفاف والكيد في خصومته وهجائه ، وقد يلجأ الى التهكم او الزراية عن غيظ او غضب ، لا عن حقد ولا حسد .

ومما اثر عنه انه نظم ارجوزة يؤرخ بها فتح العرب الاندلس ، ويذكر وقائعهم فيها ، ومن حكمها من الولاة والامراء حتى عصره ، وهو يعد في ذلك من اوائل من اتخذوا وقائع التاريخ موضوعا للنظم انلم يكن اولهم جميعا .فهو اسبق في ذلك من الشاعر العباسي ابن المعتز ، واسبق من ابن عبد ربه (صاحب كتاب « العقد ») وكان يعاصر الغزال وان كان اصغر منه سنا ، ويلاحظ في ثلاثتهم قربهم من السلطة ، وقد شاعت ارجوزة الغزال دون زميليه .

رجل نظر ورجل عمل

ولم يكن الغزال من رجال النظر فحسب ، وان كان في سيرته اشبه بالمنقطعين للثقافة ، لاستبحاره في شتى مجالاتها ، بل كان رجل عمل ايضا ، يفنى فيما يريده او يوكل اليه من مهام . فقد ولاه الامير عبد الرحمن كثيرا من شئون دولته فاسند اليه مناصب ادارية ودبلوماسية ، وكان الغزال فيها دائم الاستقلال برايه ، مطاوعا لمزاجه الفني ، فكان يتصرف في منصبه بما يملى عليه رأيه ومزاجه ، من ذلك ان عبد الرحمن ولاه قبض اعشار الارض والاشراف على خزائنها ، فجمعها كما ينبغي ، ولكن حدث في احدى السنين ان شحت الغلال فارتفع سعرها ، فلم يكن منه الا ان باع ما عنده من حاصلات الدولة ، وحفظ اثمانها ، فغضب عليه الامير لانه كان يعد هذه المؤن لازواد الجند ،والنفقة منها عند الجهد، فامر بقبض اثمانها منه وسجنه ، ثم كثرت الحاصلات ورخص السعر، ولكن ذلك لم يشفع له عند اميره ، حتى ارسل اليه قصيدة يسوغ فيها تصرفاته دون اعتذار او ندم، وقد بداها ـ كعادة شعرائنا القدماء ـ بالغزل ، فذكر عجبه من صبوته الى النساء ،بعد ان شاب وبلغ الخمسين، ثم مدح الامير ،واعجب مافي مدحه اياه انه وصفه بالجمال ثم ختم القصيدة باعلان امانته، وانه لم يغتنم شيئا ، وكفى الامير منه صيانة راس المال ، فينبغي ان لا يطمع منه في ربح .

فلما جاءت القصيدة الامير عفا عنه واعاد اليه حظوته عنده .

مزاجه ومواهبه

وقد اشرنا قبل الى رواج سوقه بين النساء ، ومثله في جماله وظرفه ودقة فراسته ولطف حيلته ، وخبرته بالنفوس ـ جدير ان يحظى بينهن بالقبول ، ومن هنا كثرة قصائد الغزل في شعره ، ويبدو ان للامر جذورا اعمق في بنيته بل في تركيبه ومزاجه ايضا ، فاحوال بيئته كما المعنا تملى له في الغزل تعبيرا عنه وعنها، ويبدو انه كان يعاني من عجز جنسي كما تدلنا قصيدته اللاهية التي نقلنا بعض ابياتها قبل ، وكما تدلنا قصائد غيرها ، والظن بامثاله مما يعانون مثل بليته ان يلهجوا كثيرا بالحديث عن النساء والحديث اليهن ، للتنفيس عما يعانون ، والتعويض عما لا يحققون ، وذلك واضح في سير كثير من الشعراء واشعارهم منذ شاعرنا امرىء القيس حتى امثاله الآن ، اما شعر الحب البشري او العشق الصوفي فلكل منهما غير ذلك اسباب ومناهج ، وكذلك يبدو على مزاج الغزال ان فيه دسيسة انثوية نشيطة ، وذلك مما يوسع شعوره وتجاربه مع النساء ، ويزيده كلفا وبصيرة بهن ، فيشغلنه ويشغلهن ، لانهن يرين فيه نموذجا غير الرجل العادي ، وغير المراة العادية ، والامر هنا امر مزاج وشعور ، لا امر اعضاء وسلوكفي الحياة ، فلم يؤثر عنه اى انحراف او ابتذال ، وهذا هو العهد بامثاله منذ شاعرنا الغزال عمر ابن ابى ربيعة حتى الشعراء الغزلين المعاصرين ، وهكذا ايضا تكون النساء اللواتى لهن بعض مزاج الرجولة ،فهن نساء تامات عضويا ووظيفيا، ولكنهن يتجاوبن مع الرجال في الشعور والهمة والمضاء على نحو طريف يقل او يندر بين عامة النساء ، ومثل هذا المزاج في الرجال لا يستطيع صاحبه ان يتخلى عنه مهما يبلغ من التقوى او الضعف حتى الشيخوخة المتهالكة ، لكنه يستطيع الصمت عن خواطره ، والتوبة عن ذنوبه ، وهذا حسبه ، فاما اقتلاع جذور الغزل فلا ، لانهابعيدة

القرار في اغوار النفس ، لا سـيطرة لصاحبها عليها ، فلا تنزع حتى الموت . وهذا لا يمنع صاحبها الاخلاص في تدينه وتوبته ، ولكن كما يكون - من مثله - مزاجا واخلاصا . وللغزال كثير من شعر الزهد ، لا نشك انه كان مخلصا فيه .

أوضح صور الغزال تبدو في سفارته

ولا يظهر الغزال كله في جملة خصائص مزاجه وملكاته وشمائله نظرا وعمـلا ، كما يظهر في سفارته الى امبراطور الروم سنة ٢٢٥ هـ وقد اوغل في الشيخوخة اذ كان قد جاوز السبعين ، ومع ذلك بقي محتفظا بمعظم نشـاطه الذهني والبدني ، فقد ارسل هذا الامبراطور سفيرا من قبله - يدعى « قراطيلوس Karrytius » الى امير الاندلس عبد الرحمن الثاني يطلب مودته ظاهرا ، وهو - في البـاطن - يطلب به ان يعينه على مكايدة الدول الاسلامية التى اصبحت في المشرق تهدد دولة الروم ، ولا تعنينا هذه السـفارة وتدبيراتها ونتائجها ، فذلك شـأن المؤرخين ، وحسبنا منها ما يتصل بالغزال ويكشف لنا اوضح ملامح شخصيته .

ردا على هذه السفارة ارسل الامير مع السفير الرومي رجلين من اعيان دولته احدهما الغزال والاخر يسمى ايضا يحيى ابن حبيب ، وهو منجم مثله ، ومعهما هدايا الامير النفيسة ، فركبـوا البحر المتوسط بين العواصف حتى اذا بلغـوا القسطنطينية لقي السفيران اعظم الحفـاوة من جانب الامبراطور وحاشيته تحقيقا لغايتهم الماكرة، وفرحا بالهدايا الفاخرة ، وطلب من السـفيرين مراعاة مراسم الدخول على الامبراطور ومنهـا الركوع امامه ، فابى الغزال ذلك بقوة ، واصر على عدم تغيير شيء من سنتهما، فاحتال الامبراطور ليضطرهما الى الركوع بادخالهما من باب منخفض، ولكن الغزال حين بلغ الباب فطن الى الحيـلة فزحف جالسا على مؤخرته حتى اذا جاوز الباب استوى قائما ، فاذا الامبراطور على عرشه وحوله اعيان حاشيته ، وهم جميعا في تمام بهائهـم وابهتهم ،فتقدم الغزال بجرأة ووقار الى العرش، فحيا وبلغ ما ارسل به ، فلم يجد الامبراطور بدا من الابتسام اعجابا بوقاره وجرأته وسرعة بديهته، فخاطب حاشيته مؤيدا رأى الحكماء في قولهم : « انه من شخصية الرسول يعرف سيده » ثم قال: « هذا حكيم من حكماء القوم ، وداهية من دهاتهم، اردنا ان نذله فقابل وجوهنا بنعليه » ثم باحثه فوجده - كما وصفه - حكيما داهية .

وكان مرة فـي مجلس الامبراطور فطلب ماء ليشـرب ، فجاءوه بكاس ذهبيـة محلاة بالاحجار الكريمة ، فلما ارتوى صب بقية الماء ووضـع الكاس في كمه ، فلما أشار الامبراطور - على لسان ترجمانه - ان هذا العمل لا يليق ، اجابه « ان امراءنا الذين تبغون صداقتهم قد اعتادوا - عندما يطلب ان يشرب احد السفراء في حضرتهم - ان يطلبوا له كاسا ثمينة يمكنه الاحتفاظ بها ، فاذا كانت عادة سادتي هذه غير متبعـة عندكـم فاني مستعد لاعادة كاسكم اليكم » واظهر انه يريد اخراجها ، ولكن الامبراطور اشار عليه بحفظها .

الغزال والامبراطورة

وقـد اتصـل الغزال بكبار القـوم ، ليكشف اقدارهم ، ويكشـف لهم قـدره فادهش علماءهم بمحاوراته الذكية ، كما ادهش قادتهم وفرسانهم بضرباته الموفقة ، وكما اجتذب اليه الرجـال في الحاشية اجتذب اعلى نسائها ايضا ، فقد شاعت نوادر حكمته وبراعته حتى بلغت سمـع الملكـة فحرصت على لقائه والتحدث اليه . وكان يوما في مجلس الامبراطور يصغي اليه ، فاذا الامبراطورة تدخل في اتم جمالها وزينتها محـاطة بوصائفها الحسان ، فشغلـت الغزال بجملته عـن حديث الامبراطور ليملأ عينيه منها ، فانكر الامبراطور عليه ذلك ، وامر الترجمان بسؤاله فيه ،فاجابه الغزال « عرفه اني قد بهرني من حسن هذه الملكه ماقطعني عن حديثه ، فاني لم ار قط مثلها »ثم يمضـى ليصف جمالها وفتنتها ، ويذكـر انها شوقته الى الحور العين ، فلما نقل الترجمان جوابه زاد حظوة عند الامبراطور ، وتوطد له رضا الامبراطورة واعجابها ، لما اشعرها به في جوابه البارع من اسباب الزهو والسرور . وسألته مرة عن سنه - وكان في نحو السبعين ، وشـيبه عام ظاهر - فاجابها مداعبا : انه في العشرين ، فلما عجبت ودافعته بشيبه الواضح اجابها : « الم ترى

قط مهرا اشهب » ، فاعجبت بجوابه ، وقد ذكر ذلك في احدى قصائده الباقية ٠

وامرت له يوما بهدية قيمة فابى قبولها ، فلما طلبت من الترجمان سؤاله عن السبب اجابه « ان صلتها لجزيلة ، وان الاخذ منها لتشريف ، ولكن كفاني من الصلة نظرى اليها ، واقبالها علي» فامرت ترجمانها ان يخبره بانه « متى احب زيارتها فلا يحجب » ، بل زادت على ذلك انها كانت تدعوه الى مجلسها في معظم ايامه ،وتسأله كلما جاء عن مشاهداته وتنقلاته وما عنده من التواريخ والاخبار ،فاذا انصرف اتبعته بهداياها النفيسة من تحف وحلي وعطور ، وسالها يوما ان تريه طائفة من حسان قومها فحققت له ذلك في بعض مجالسها ، فجعل يتفحصهن من فرع الى قدم ، ثم اخبرها انهن جميعا جميلات ، ولكن لانظير لها بينهن ولا بين من راهن من حسان القصر عند اميره في مزاياها ومحاسنها ، ولايقدر على وصفها غير الشعراء المبدعين ، واقترح عليها ان يصفها هو بقصيدة يتغنى بها قومه ، فاستخفها ذلك حتى ولبت فرحا ، وزادته اكراما ، بل بلغ من افضالها عليه ان كانت وحاشيتها تزوره في القصر الذى انزلوه فيه فتتفقد احواله وتشعره برعايتها اياه ، وزارته ذات ليلة شتوية شديدة الزمهرير ومعها صبيهاميشيل ولي العهد الذىولع بالغزال، وكان يكثر زيارته ليلعب عنده ويانس به ويتفرج بقرابته ،وكانت معالصبي تلك الليلةخمر، لانه كان مستهترا بشربها ، فابى الغزال ان يظهر بما يخالف دينه ، فرفض شربها ، وطلب الصبي ان يبيت عند الغزال فوافقت امه واوصت الغزال ان يرعاه من البرد ، وقد وصف الغزال ذلك في احدى قصائده الباقية ٠

ونحن هنا في هذه الترجمة القصيرة لانسرد سيرة الغزال ، بل نرسم صورته ، ونبرز بلمسات سريعة ما تيسر من ملامحه ، فليس يعنينا تحقيق هذه السفارة او غيرها كما اسلفنا ، لاضطراب اخبارها وتداخلها ، وكل ذلك يغير في السيرة ولكنه لا يغير في الصورة ، ويكفينا في ختام صورته ان نشير الى ان الغزال قد وفق خلال سفارته اعظم التوفيق من حيث تمثيله لفضل قومه في اعين عظماء الروم ، وحرصه العظيم على كرامتهم وكرامة نفسه مع وفائه التام لمزاجه ومواهبه في اجل المواقف وادقها ، وان جملة ملامحه لم تتضح في موقف عام شامل كما اتضحت في هذه السفارة التى اتفقت فيها وجهته ووجهة اميره ووجهة قومه فلم يكن فيها حرج بين شتى الوجهات او الواجبات ٠

خاتمة المطاف

ونضيف هنا ان الغزال ـ بعد هذا التوفيق الضخم الفريد ـ رجع الى اميره في قرطبة ، ولا ريب ان توفيقه زاده حظوة عنده ٠ ولانستبعد ان يكون ذلك مما زاد المنافسة في البلاط بينه وبين « زرياب » الذى كانت له دالة قوية على الامير الضعيف ، وسطوة طاغية على حاشيته وامارته جميعا ، وما كان للغزال ـ بعد ان عرفنا عنه ما عرفنا ـ ان يذعن لزرياب او غيره ، فهجاه، وبلغ هجاؤه الامير فلم يستطع الاصلاح او التوفيق بينهما فامر بنفي الغزال، ثم شفعله بعض اصحابه فعفى عنه ولكن ما كان للغزال ان يستظل برحمة احد او يقر على ضعف، ولو امن على نفسه ورزقه ومكانته ، فنفى نفسه من ملك الامير وسطوة مغنيه « زرياب » ، وبرح الاندلس وهو في السبعين او جاوزها ، راحلا الى المشرق ، ولا ندرى كم بقى في منفاه الاختيارى وكيف تقلب وعاش ، وماذا افاد واستفاد ، ومتى ولماذا رجع ، ولكننا نعلم انه رجع الى الاندلس ومات فيها نحو سنة ٢٥٠ وذلك بعد موت عبد الرحمن سنة ٢٣٢ وتولية ابنه « محمد » الذى كان اقوى واحزم من ابيه ، وفي عهده ضعف نفوذ زرياب او زال ٠ ولا شك ان الغزال قضى بقية حياته متبرما باحواله واحوال بلده واميره ، وانه لم يستعد مجده السابق ، وكان جديرا بغير هذه النهاية ، ولكننا لا نرى مثله يندم على ضياع مجد يتعلق بكلمة من حاكم او محكوم ، وان كانت سنه عند وفاته مائة سنة او تزيد ، يقول برفنسال فيه : « هذه الشخصية تبدو من اعجب شخصيات القرن التاسع الميلادى (٣ هـ) في اسبانيا الاسلامية » ونقول نحن « بل هو يبدو كذلك حيث وضعناه بين الرجال في شتى العصور والبلاد والامم » ٠ ■■

محمد خليفة التونسى

طرائف

رد مفحم

● قدم هشام بن عبد الملك حاجا أيام خلافته فقال لاصحابه : « ائتونى برجل من الصحابة » ، فقيل له : « لقد بادوا » ، قال : « فمن التابعين » . فأتي بطاووس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمرة المؤمنين بل قال : « السلام عليك : كيف انت يا هشام ؟ » ولم يكنه كعادة العرب .

فغضب هشام غضبا شديدا ، وقال : « يا طاووس ، ما الذى حملك على ما صنعت ؟ » فقال : « وما صنعت ؟ » فازداد غضبه وقال : « خلعت نعلك بحاشية بساطي ، ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ، ولم تكنني ، بل قلت : كيف انت يا هشام فقال طاووس : « اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ، فلا يغضب علي لذلك . واما قولك : لم تسلم علي بامرة المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بامرتك ، فكرهت أن اكذب ، وأما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال : ياداوود ويا يحيى ويا موسى وكنى اعداءه فقال : تبت يدا ابى لهب » .

يتفاخر بامه

● كانت ام الجلندح ـ والدة « اشعب » المشهور بطمعه ـ تدخل على نساء النبى ، ثم صارت تنقل احاديث بعضهن الى بعض ، وتغرى بينهن ، فطردها رسول الله .

قيل أن اشعب كان يوما فى مجلس ، فتفاخر القوم ، فوثب اشعب وقال : « انا ابن أم الجلندح ، انا ابن المحرشة بين ازواج النبى » . فقيل له « ويلك ، أو بهذا يفتخر الناس ؟ » فقال : « واى افتخار اعظم من هذا ؟ لو لم تكن أمى عندهن ثقة لما قبلن روايتها » .

يهجوه بغير حق ، ثم يمدحه بحق

● كان عبد الله بن جدعان من أجواد العرب وساداتها . هجاه دريد بن الصمة مرة ببضعة أبيات ، فلقيه عبد الله يوما بسوق عكاظ فحياه ولاطفه ، وقال له : « هل تعرفنى ؟ » قال دريد : « لا » قال : « فلم هجوتنى ؟ » قال دريد : « هجوتك ، لانك كنت أثيرا كريما معروفا فى القوم ، فاحببت أن اضع شعرى موضعه » ، فقال عبد الله : « لئن كنت هجوت فقد مدحت » وكساه وحمله على ناقة برحلها ، فمدحه دريد بقصيدة منها :

« وجلت البلاد فما ان أرى
شبيه ابن جدعان وسط العرب »

عربية

كم لك من صديق ؟

● قيل لبعض الفضلاء كم لك من صديق ؟ قال : لا اعلم ،لأن الدنيا مقبلة علي، والاموال موجودة لدي ،وانما اعرف ذلك لو زالت الدنيا.

قضاء

● قال الشعبي:كنت جالسا في مجلس شريح القاضي ، اذ دخلت عليه امرأة تشكي زوجها وهو غائب ، وهي تبكي بكاء شديدا آلمني كثيرا ، فقلت : « أصلحك الله ، ماأراها الا مظلومة مقهورة » قال شريح : « وما علمك يا شعبي بانها مظلومة مقهورة ؟ » قال : « لبكائها هذا الذي يقطع الاكباد » قال : « لا تقل ذلك فان اخوة سيدنا يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون ، وهم له ظالمون » .

ايكما عبد الحميد ؟

● قيل ان الخليفة الأموي مروان بن محمد ـ آخر ملوك بني أمية في دمشق ـ لما قوى أمر بني العباس وظهر ، قال لعبد الحميد الكاتب : انا نجد أن الأمر زائل عنا لا محالة وسيضطر اليك هؤلاء القوم ، فصر اليهم، فاني أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في خلفي ، وفي كثير من أسبابي فقال عبد الحميد الكاتب .. « وكيف لي بأن يعلم الناس جميعا ان هذا رأيك ؟ وكلهم قد يقول : انني غدرت ، وصرت الى عدوك وأنشد :

أسر وفاء ثم اظهر غدرة

فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ويحكى أن عبد الحميد لما طلب كان مع ابن المقفع ، ففاجأهما الطلب وهما في بيت . فقال الذين دخلوا عليهما : « أيكما عبد الحميد ؟ » فقال كل واحد منهما : «انا» ، خوفا من أن ينال صاحبه بمكروه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا الى ابن المقفع ، فقال : « ترفقوا ، فان في علامات ، فوكلوا بنا بعضكم ،ويمضي بعض بذكر تلك العلامات لمن وجه بكم ففعلوا ذلك ، وأخذ عبد الحميد فقتل .

هو افضل ، وأنت أرجى

● قال معاوية بن ابي سفيان لشداد ابن اوس : « يا شداد . انا افضل ام علي بن ابي طالب ؟ وأينا احب اليك ؟ » فقال شداد : « علي ـ كرم الله وجهه ـ أقدم هجرة ، واكثر مع رسول الله الى الخير مسابقة ، واشجع منك قلبا ، واسلم منك نفسا ، واما الحب .. فقد مضى علي الى جوار ربه ، فأنت اليوم عند الناس أرجى » .



« هل يكون الانفصال هو القدرة على «رفض الماضي » ؟ !

الزمان

بين الاتصال

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

منذ اسابيع توفى الاستاذ الدكتور زكريا ابراهيم ·· استاذالفلسفة بجامعة الكويت منتدبا من جامعة القاهرة وكان هذا هو اخر ما بعث به من مقالات الى العربي ·

■ ·· مع مطلع كل عام جديد ، كثيرا ما يشعر المرء بانه قد اصبح مجرد «وليد » ، وكانما هو يرى العالم للمرة الاولى ، او كانما هو قد بعث « طفلا » من جديد ! صحيح ان اليوم الاول من كل عام ، قد لايزيد عن كونه مجرد « يوم » من الايام ، ولكنه ايضا « يوم » لا ككل الايام ، لانه « اليوم » الذى نشعر فيه باننا « ننفصل » ــ بوجه ما من الوجوه ــ عن « ماضينا » ، لكى ننطلق من « حاضرنا » نحو « مستقبل » جديد ! انه اليوم الذى ندرك فيه ــ بحق ــ ان « الحاضر » لايقتصر على تنفيذ اوامر « الماضى » : لان « الحاضر » ــ على العكس مماتوهم برجسون ــ لايمكن ان يكون مجرد « تلميذ » صغير يضطلع بحل مسالة حسابية فرضها عليه « استاذه » ! ، او ان شئت فقل : انه « اليوم » الذى لايبدو لنا فيه « الحاضر » مجرد استمرار « للماضى » : لانه ينكشف لنا زمانا حيا قادرا على الخلق والابداع ، ومن ثم فانه « يصلنا » بالمستقبل ، بقدر ما « يفصلنا » عن الماضى ···

هل يكون الانفصال هو القدرة على « رفض الماضى » ؟

وهنا قد يقول معترض : انه ليس فى الوجود البشرى اى مظهر من مظاهر « الانفصال » : لان ما لدى الذات من « هوية » (Identity) ،



الانفصـــال

شاهد على ما في حياتنا من « استمرار » · ونحن نسلم مع اصحاب هذا الراى بان الحياة – فى جانب من جوانبها – استمرار واتصال ، والا لما كان فى وسعك ان تتعرف على زميل صباك ، او ان تشعر بانك ماتزال تحمل فى باطنك ذكريات طفولتك وشبابك . ولكننا نزعم – مع ذلك – ان الحياة ايضا – فى جانب آخر من جوانبها – انقطاع وانفصال . والا لظل المجرم مجرما الى الابد . والقديس قديسا الى الابد ، دون ان يكون ثمة احتمال – فى حياة اى فرد منا – لاى تغير او تجدد او انقلاب !

والواقع ان « امكانية التغير » هى التى تخلق من الانسان كائنا حرا مرنا ، يملك – الى حد غير قليل – القدرة على التنكر لماضيه ، او التمرد على حاضره · وليست هذه القدرة على رفض « الماضى » ، او الانفصال عن « الحاضر » ، سوى تأكيد لنزوع دفين يملى على الانسان دائما العمل على معاودة البدء من جديد ، آملا من وراء ذلك ان يجيء « مستقبله » خيرا من « ماضيه » و « حاضره » · صحيح ان كل انطلاق نحو « المستقبل » لابد من ان ينطوى على اعتراف ضمنى بوجود « معطيات » – ماضية او حاضرة – تستلزم التغيير ، او تتطلب التعديل ؛ ولكنه فى الوقت نفسه تسليم صريح بضرورة حدوث قطيعة ما ، بيننا وبين كل من « الماضى » و « الحاضر » حتى يكون ثمة موضع لتحقق « المستقبل » · ولعل هذا هو السبب فى اننا كثيرا ما نشعر بان مطلب التقدم او التغيير او « التجديد » ، قد يفرض علينا ضربا من « القطيعة » مع الماضى او القديم او « التقليد » !

هل من صلة بين الانفصال والتقدم ؟

بيد اننا ما نكاد نتحدث عن ظاهرة « القطيعة مع الماضى » ، حتى يعترض علينا دعاة « الاتصال » ، او « الاستمرار » ، بقولهم انه هيهات للحياة البشرية ان تقوم على « الانفصال » او « القطيعة » ، الا اذا كان فى وسع الانسان ان يبدأ حياته – فى كل لحظة – بداية مطلقة . وهذا ضرب من المحال ! وهم يمضون الى حد ابعد من ذلك فيقولون ان « الحنين الى الطفولة » شاهد على ان المرء فى حاجة دائما الى استرجاع ماضيه ، واستعادة ذكريات صباه ، وكأنما هو يشعر بان هذا « الماضى » نفسه هو جوهر وجوده ! ونحن لاننكر – بطبيعة الحال – ان حياتنا (بمعنى ما من المعانى) حصيلة سيكولوجية معقدة ، تتألف من شتى الرواسب والتجارب والخبرات والذكريات والدوافع والبواعث والنوازع التى نحملها فى اعماقنا ، سواء أكان ذلك بعلمنا او على غير علم منا ·· ولكننا نلاحظ – فى الوقت نفسه – ان كل تقدم يحرزه الوجود البشرى – سواء على المستوى الفردى ام على المستوى الاجتماعى – لابد من ان يتخذ طابع « الرفض » او « القطيعة » او « التمرد » على واقع حاضر ، او حقيقة ماضية ، او خبرة سابقة ·· الخ وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسى المعاصر بشلار : Bachelard الى القول بان كل تاريخ الحضارة البشرية شاهد على كذب كل ادعاءات القائلين بالاستمرارية الزمنية ·

دور « الانفصال » في تاريخ العلوم

وحسبنا ان نتوقف قليلا عند تاريخ العلم ،لكي نتحقق من ان الكشوف العلمية الكبرى قد كانت دائما ابدا بمثابة تحولات مفاجئة ،وانفجارات مباغتة ،وكانما هي قد اتخذت طابع « الثورات » التي جاءت لتهدم ، وتقوض ، وتحطم ! وآية ذلك ـ فيما يقول بشلار ـ ان العلوم الميكانيكية الحديثة ـ بما فيها الميكانيكا النسبية ،والميكانيكا التموجية ،والميكانيكا الكمية (الكوانتية) ـ قد ابرزت حقيقة الثورة الابستمولوجية التي احدثها العلم المعاصر في مضمار التفكير البشري • والواقع اننا هنا بازاء « علم جديد » لسنا نعرف له اي اسلاف ! وليس من شك في ان احفاد احفادنا لن يبدوا كبير اهتمام بعلوم اجداد اجدادنا ، فلا ضير علينا اذا قلنا ـ منذ الآن ـ ان « القنبلة الذرية » قد سحقت ـ فيما سحقت ـ قطاعا كبيرا من تاريخ العلم البشري : اذ لم يعد ذهن عالم الفيزياء المعاصرة « = الفيزياء النووية » يحمل اي اثر من آثار تلك الافكار الاساسية التي كان يؤمن بها دعاة النزعة الذرية التقليدية ! ومعنى هذا ان التقدم الذي احرزته الفيزياء الكمية قد جاء مؤكدا لحقيقة « الانفصال » القائم في تاريخ العلم • وليس ادل على صحة المبدأ القائل بانعدام الاستمرار من ان اكتشافات العلم واختراعاته لم تتحقق يوما على طول خط متصل مستمر ، وكانما هي مجموعة من الوقائع المتسلسلة المنتظمة ، بل هي قد اتخذت دائما طابع الانفجارات المتقطعة التي كانت تجيء في كل مرة لكي تغير من اتجاه العلم ، او لكي تثير مشكلات ابستمولوجية جديدة وكان كل «تقدم علمي » قد جاء بمثابة تصحيح لخطأ علمي سابق !

ديمومتنا النفسية : هل هي متقطعة ام مستمرة ؟

واما اذا انتقلنا من مضمار تاريخ العلوم الى مضمار تاريخ الذوات ، فسنجد ايضا ـ فيما يقول بشلار ـ ان التاريخ الشخصي لاية ذات من الذوات لا يمثل دائما سلسلة زمانية موصولة الحلقات ، وكان الحاضر مثقل بالماضي ، متضخم بالمستقبل ، وانما هو اشبه ما يكون بخط متقطع لا يخلو من فواصل وفجوات وانكسارات • وعلى الرغم من ان برجسون قد تصور الحياة البشرية على غرار شريط سينمائي يتسم بالاتصال والاستمرار والديمومة ، الا ان هذا التشبيه نفسه لا يمكن ان يستقيم بدون تصور لحظات من السكون (وفجوات من السواد) تجيء فتتوسط بين كل صورة واخرى • والواقع ان « العدم » ـ ان جاز لنا ان نستخدم هذا اللفظ ـ ماثل في صميم وجودنا ، متناثر عبر ديمومتنا ، وكانما هو المعول الخفي الذي يحطم ـ في كل لحظة ـ حبنا ، ومتعتنا ، وارادتنا ، وفكرنا الخ •• وقد تكون « خبرة العدم » خبرة ايجابية تشهد بما في وجودنا من تقطع ، وتصدع ، وتردد ، وانكسار ، ولكنها ـ في الوقت نفسه ـ دليل قاطع على ان حياتنا النفسية لا تمثل ديمومة متصلة تقوم على ضرب من التعاقب الزمني المستمر • وآية ذلك انه لا بد لنا من التمييز بين « اللحظة » ـ اي الزمان الذي نستخدمه ـ و « البرهة » ـ اي الزمان الذي نرفضه ـ • وحين يقول بشلار ان الزمان هو ذلك الواقع الحي المتكثف المتركز في « اللحظة » (او « الآن ») ، معلقا بين عدمين ، فانه يعني بذلك ان شعورنا بالزمان وثيق الصلة بذلك الايقاع النفسي المتولد عن نظام « اللحظات » و « البرهات » ، خصوصا وان ثمة فارقا كبيرا بين « لحظة » نقوم فيها باتخاذ « قرار » (او «تصميم») ، و « برهة » نقتصر فيها على الانتظار او الترقب ،دون القيام باي فعل ارادي ••

وهنا يظهر الخلاف الكبير بين فهم بشلار لطبيعة « اللحظة » (او «الآن») باعتبارها المظهر الحقيقي لشعورنا بالزمان ، وتصور برجسون لطبيعة « الديمومة » ، بوصفها نسيجا ملتحما يعبر عن جوهر حياتنا النفسية • فعلى حين ان برجسون كان ينكر فكرة « العدم » ، ويتصور كلا من « العالم » و « الروح » على انه « ملأ » مستمر ، وينادي ببقاء « الماضي » في « الحاضر » بقاء تاما ، نجد

ان بشلار قد افسح لفكرة العدم مكانا كبيرا فى فلسفته ، كما انه قد تصور وجود هوات او فجوات بين اللحظات ، فضلا عن انه قد نادى بان الماضى يهرب منا ويند عنا ! وليس معنى هذا ان بشلار قد انكر قيمة الزمان ، او انه قد رفض نظرية الديمومة ، وانما كل ما هنالك انه قد فطن الى ما فى الصيرورة من تقطع ، وانفصال ، وعدم استمرار ، فاخذ على عاتقه ان يبرز لنا بوضوح دور « الانفصال » Discontinuity فى صميم وجودنا الزمانى ، ولسنا هنا بمعرض الفصل فى هذا الخلاف الفلسفى الخطير الذى نشب بين كل من برجسون وبشلار، وانما حسبنا ان نقول ان الظروف الحضارية التى عاش فى كنفها بشلار هى التى املت عليه رفض نظرية برجسون فى « الاتصال » او « الاستمرار » ، اذ لم يعد العالم الاوربى يحيا فى عصر تطورات Evolutions بل اصبح يحيا فى عصر « ثورات » Revolutions وهكذا جاءت فلسفة « الانفصال » لتنطق باسم عصر ثورى لم يعد يحتمل استمرار « الماضى » فى « الحاضر » ..

هل يكون الزمان هو مجرد وعي بعزلتنا ؟

.. على ان اخطر مافى هذه النظرة الانفصالية الى الزمان انها تخلع على « اللحظة » (او الآن) طابعا ماساويا ، وكان فناء اللحظة الواحدة شرط ضرورى لظهورها او انبعاثها حية الىعالم الوجود! ولعل هذا مافطن اليه ديكارت منذ عدة قرون ، فلم يجد بدا من الاهابة بالله والاخذ بفكرة «الخلق المتجدد» (بمعنى استمرار الله فى خلق العالم) من اجل العمل على ربط ، (او «وصل»)لحظات الزمان المنفصلة... ولاشك اننا لو اقتصرنا على النظرالى المسالة من وجهة نظر سيكولوجيةانسانية بحتة ، لوجدنا ان السمة الاساسية التى تميز الزمان (عند فيلسوف مثل بشلار) هى انه بطبيعته عاجز عن الانتقال بوجوده من لحظة الى اخرى ، ومن ثم فانه لا يملك ان يصنع منه (اى من هذا « الوجود ») «ديمومة» ـ بمعنىالكلمة ـ ولا غرو، فان«اللحظة» هيـ منذالبداية ـ«وحدة» او «عزلة» Solitude ، وليس من شان هذه الوحدة او (العزلة) تفصلنا عنالآخرين فحسب، بل من شانها ايضا ان تفصلنا حتى عن انفسنا : ما دام من شانها ان تحدث قطيعة بيننا وبين إعز ماض لدينا ! صحيح ان « اللحظة » ـ فى جانب منهاـ منح وعطاء ، ولكنها ايضاـ فى جانب آخر من جوانبهاـ سلب وانتزاع ، ان لم نقل انها نهب واغتصاب !ومعنى هذا ان «اللحظة»هى دائما ابدا عزلة وانفراد ، اوربما كان الادنى الى الصواب ان نقول ان الزمان نفسه وعى بوحدتنا وعزلتنا !

« الطفل » الكامن فينا هو سر تجددنا المستمر !

بيد ان هذا الطابع الانعزالى للزمان البشرى لايبعث فى قلب بشلار اى شعور بالخوف او الرهبة ، بل هو ـ على العكس من ذلك ـ يثير فى نفسه احاسيس فنية اوجمالية ، وكان السمة الانفصالية للزمان هى التى تبرز تلك «الطفولة» الواقعية المستديمة الكامنة فى اعماقنا . وحين يقول بشلار ان هذه «الطفولة» لاتمثل عودا الى الماضى ، او استرجاعا لبعض الذكريات القديمة ، فانه يعنى بذلك انها بعد نفسانى حقيقى قد لايتجلى الا فى مرحلةمتاخرة من مراحل تطورنا النفسى ، خصوصا ابان الشيخوخة حين يخفت ضجيج اصوات الحياة! واذا كنا نرحب كثيرا باخيلة الشعراء وتهاويلهم البراقة ، فما ذلك الا لانها هى التى تعيننا على الارتداد الى تلك الوحدة الاصلية السعيدة : وحدة الطفولة المفتوحة علىعوالمالاحلام والاوهام! ولولا هذا الطابعالانفصالى الذى يتسميه الزمان، لما كان فى وسعنا ان نعد « الطفولة » مستقبلا يتم فيه ضرب من الانطلاق الجديد ، وكان فى وسع الكائن البشرى ـ دائما ابداـ معاودة البدء من جديد ، فى حركة تجددية مستمرة . ويتساءل

المرء كيف يريد لنا بشلار ان تعارض «واقعنا»، وان نتجاوز حياتنا الاجتماعية ، لكي نبعث الحياة في طفولتنا ، بكل ماتنطوي عليه من اخيلة واحلام ، فلا يكاد يجد جوابا لهذا التساؤل سوى ايمان بشلار العميق بان « الطفل » الكامن فينا حي دائما وباستمرار ، وهو الاصل في كل ما نتمتع به من اصالة ، وبكارة ، ونضارة ، وشاعرية ، ومقدرة على معاودة البدء من جديد !

فقد « البنيوية » للاستمرارية التاريخية

بيد ان بشلار لم يكن هو الفيلسوف الوحيد ـ في الفكر المعاصر ـ الذي انتصر لمبدأ «الانفصال» ضد مبدأ « الاتصال » ، بل لقد جاء فلاسفة « البنيوية » ايضا ، وعلى رأسهم كلود ليفي شتراوس (المولود سنة Claude Levy-Strauss ١٩٠٨) فراحوا يهاجمون النزعة الاستمرارية في تصور الزمان ، ثائرين في الوقت ذاته على شتى مذاهب « الاستمرارية التاريخية » ٠٠ والواقع ان فلاسفة التاريخ ـ فيما يقول ليفي شتراوس ـ طالماتورطوا فيخطامنهجيفادح ،حينماراحوايصورون لنا التاريخ بصورة « ذاكرة البشرية » ، على غرار ما يفعله الفرد حين يعمد الى تصنيف ذكرياته ، مستخدما معيار « السابق » و « اللاحق » ، حتى يبدو له وجوده على صورة سلسلة مستمرة متواصلة الحلقات ٠ ولاشك اننا حين نعمد الى اسقاط هذا الوهم على « الماضي » ، فاننا لن نلبث ان نحيل الاتصال الزماني المزعوم الى « استمرارية تاريخية » ٠ وما هذه « الاستمرارية التاريخية » المزعومة سوىمجرد « تتابع » وهمي،او « تقدم » مزعوم ، يتناسى معه المؤرخون (وفلاسفة التاريخ) انهم هم الذين قاموا بتصنيف الوقائع التاريخية ، واختيارها ، وتنظيمها ، وفقا لبعض المنظورات التاريخية ،والمصالح الطبقية ،والانماط التفسيرية ٠ ولهذا يقرر ليفي شتراوس ان هذه الاستمرارية التاريخية لاتزيد عن كونها مجرد فكرة تعسفية لا اساس لها في الواقع الزماني نفسه ٠ وكما اننا قد لانفطن الى الفراغات الموجودة في معارفنا ، فاننا ايضا قد لا ندرك اننا بازاء احداث غير مترابطة حافلة بالكثير منالهوات او الثغرات، وهكذا يخلص زعيم البنيوية المعاصرة الى القول بانعدام كل « تاريخ انساني » شامل ، ما دام لكل عصر ذبذبته الزمانية الخاصة ، وما دامت هناك هواتغير معبورة بينالعصور التاريخية المختلفة ٠السنا نلاحظ اننا نحسب الزمن بالقرون والالاف من السنين حين نكون بازاء حضارات قديمة بعيدة العهد ، بينما نحن نحسبه بالشهور والايام حين نكون بصدد تحليل لحرب معاصرة ؟ واذن افلا تكون « الاستمرارية التاريخية » المزعومة مجرد وهم تاريخي يستند الى بعض التقسيمات التعسفية الزائفة ؟

كلمة أخيرة

اما بعد ، فقد حاولنا ان نضع بين يدى القارىء العربي المثقف ، صورة مبسطة سريعة لاحدى القضايا الفلسفية الهامة التي تشغل بال الكثير من المفكرين في ايامنا هذه ٠ واذا كنا قد لاحظنا ـ لدى الكثير من هؤلاء المفكرين المعاصرين ـ ميلا واضحا نحو الانتصار لمبدأ « الانفصال »، فان هذا الميل ـ في رأينا ـ راجع الى تقهقر فلسفات « التطور » و « الاستمرار » ، لحساب فلسفات « الثورة » و « الطفرة » ٠٠ ويبقى ان نتساءل هل يمكن تصور « زمان » يمحى منه « الماضي » تماما ، او تنقطع فيه كل صلة بين « ماض » و « حاضر » ، او بين « حاضر » و « مستقبل » ؟ واذن افلا يحق لنا ان نقول ان « الانفصال » نفسه لايفهم الا فوق ارضية من « الاتصال » ، كما ان « الثورة » نفسها لا يمكن ان تكتسب معنى او دلالة ، اللهم الا فوق خلفية من « النظام » او « الاستقرار » ؟

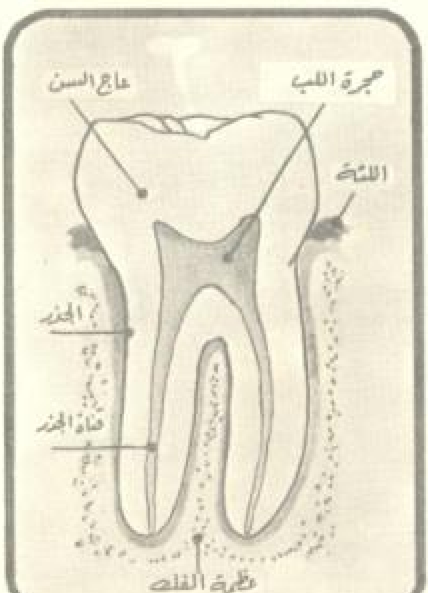
■■

زكريا ابراهيم

أنباء الطب والعلم والاختراع

جهاز حديث
للتنظيف الفوري لتجويف جذور الأسنان

● يلجأ اطباء الاسنان احيانا الى انقاذ الضرس بازالة «عصبه» ... والمقصود هنا لب ذلك الضرس ، الموجود في قناة جذره أو تجويفه الداخلي (انظر الصورة) . واللب الذي هو عبارة عن اوعية دموية واعصاب وانسجة ، قد يتعرض للتلف بسبب تعطل الدورة او التعفن . وما اسرع ما يصبح مرتعا للبكتريا ، اذا لم يلق العناية السريعة ، فيسبب الالتهاب والورم ، وقد يضطر الطبيب الى قلع الضرس .

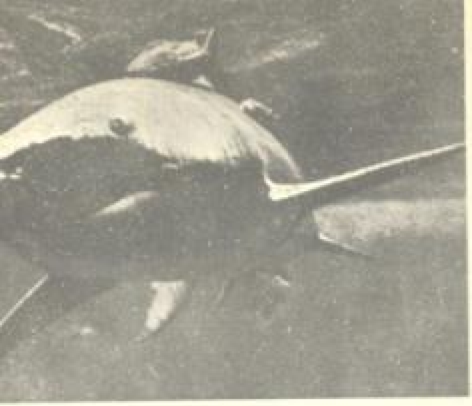


والعناية التي تنقذ هذا الضرس ، لو لقيها في الوقت المناسب ، وكانت ناجحة، تستهدف سحب اللب التالف بواسطة ابر واسلاك دقيقة .. وقد تستغرق وقتا طويلا نسبيا وتتطلب عدة جلسات حتى اذا اطمأن الطبيب الى نظافة تجويف الضرس الداخلي عمد الى ملئه بمادة تعرف باسم Gutta Percha ، وبمادة اخرى قوامها اكسيد الزنك .

وعز على التكنولوجيا الحديثة ، على مايبدو ، ان تبقى على هذه الطريقة التقليدية في ازالة لب" الاضراس. فكانت طريقة سرجنتي Sargenti التي انتشرت في الولايات المتحدة الامريكية في الشهور الاخيرة من السنة الماضية (١٩٧٥)، وقد سميت الطريقة بهذا الاسم نسبة الى الطبيب السويسري الذي ابتكرها .

وقوام هذه الطريقة الحديثة الآلات الحديثة ، وبخاصة تلك التي يسمونها Giromatic والتي تغني عن استعمال الابر والاسلاك الدقيقة وتعمل اليا فتزيل اللب التالف وتنظف تجويف الضرس بسرعة وسهولة في جلسة واحدة .

ثم تأتي المادة الخاصة التي يملأون بها تجويف الضرس على طريقة سرجنتي هذه . وتحتوي هذه المادة التي تعرف باسماء تجارية مختلفة منها N 2 و Rc 2 A تحتوي على هرمونات ستروئيد Steroid ومادة Paraformaldehyde فضلا عن مركبات الرصاص والزئبق . ومن شأن هذه المواد الابقاء على تجويف الضرس معقما وخاليا من البكتريا .



سمك القرش
لا داعي للفزع منه بعد الآن ..!

● لاريب في ان سمك القرش في طليعة وحوش البحر ضراوة .. وقد بلغ من ضراوته ان اقدمت هوليوود على انتاج فيلم « الفك المفترس »، اوان شئت سمكة القرش العملاقة ، وانفقت في سبيل انتاجه نحو ٨ ملايين دولار .

وبلغ من اتقان هذا الفلم ان اقبل عليه رواد السينما في كل مكان ، حتى ضرب الرقم القياسي في دخله ، وقد بلغ في امريكا وحدها وفي سنة ١٩٧٥ وحدها ايضا نحو ٢٠٠ مليون دولار ..

والظاهر أن المستقبل القريب يبشر بوضع حد لجبروت سمك القرش ومخاطره. فقد اكتشفوا ان سمكة مفلطحة Flatfish من فصيلة سمك موسى التي تعيش في البحر الاحمر ، تفرز سائلا ابيض ساما فعالا بالغ التركيز . فهو كفيل بقتل طائفة كبيرة من الاسماك الصغيرة حتى بعد تخفيفه بالماء بنسبة (١ : ٥٠٠٠) !

واكتشفوا ايضا ان السائل ، وان لم يكن قادرا على الفتك باسماك القرش

عقار جديد
يبشر بالقضاء على الرشح والزكام

● نشرت مجلة لانست Lancet ، وهي المجلة الطبية البريطانية المعروفة ــ تقريرا لاربعة اطباء بلجيكيين، تحدثوا فيه عن عقار جديد لعلاج زكام الشتاء Winter Colds . فقد تعاون هؤلاء الاطباء على اختبار مفعول الليفاميسول Levamisole واختاروا لتجاربهم مجموعتين من الاطفال .. فاعطوا العقار الى المجموعة الاولى طيلة فصل الشتاء ، واعطوا الثانية حبوبا لاتضر ولا تنفع للتمويه . ودلت تلك التجارب على ان عدد الاطفال الذين اصيبوا بالزكام في المجموعة الاولى بلغ نصف عددهم في المجموعة الثانية . ودلت ايضا على ان زكام المجموعة الاولى كان اقل حدة واقصر مدة من زكام المجموعة الثانية .

ويشير الاطباء البلجيكيون الى أثر الليفاميسول في تعزيز مناعة الجسم وقدرته على مقاومة الالتهابات . ولعل هذا بالذات هو الاكتشاف الجديد بالنسبة الى عقار ليس جديدا نسبيا . فقد استعمل الليفاميسول منذ سنوات في معالجة الالتهابات الطفيلية (Parasitic) . اما فاعليته في توطيد مقاومة الجسم ،بل اثارة هذه المقاومة بحيث تضمن للجسم الوقاية من الالتهابات بنوعيها ، البكتيرية والفيروسية ، فلم يتسن للاطباء تحسسها الا مؤخرا .

وتجدر الاشارة الى ان الليفاميسول كان في المدة الاخيرة موضع بحوث وتجارب في مراكز علمية عديدة في العالم . الا ان التقرير البلجيكي يعتبر التقرير العلمي الاول الذي يوضح مالهذا العقار من اثر فعال في تنشيط مقاومة الجسم وزيادة مناعته ضد الالتهابات .

والقضاء عليها، فان باستطاعته على الاقل شل فكوك تلك الاسماك وحملها على الفرار ٠

ويعزى هذا الاكتشاف الاخير الى الدكتورة يوجين كلارك Dr.Eugene Clark العالمة الامريكية المعروفة بتخصصها بشؤون سمك القرش وبالابحاث والتجارب التي كثيرا ما تجريها في البحر الاحمر ٠ فقد استرعى انتباهها السائل السام المركز الذى ذكرنا فعمدت الى تجربة اثره في سمك القرش ، وكان ذلك بان اتخذت من هذه السمكة طعما ، وثبتت عددا منها في حبال قوية ووضعت هذه الحبال في منطقة يكثر فيها سمك القرش ٠ ثم راحت تراقب القروش وهي تنطلق بسرعتها الهائلة ، فاغرة فاها تريد الطعم ٠ ثم تقترب من السمكة المفلطحة ولكنها لاتلبث ان ترتد وكان تيارا كهربائيا قويا صدها بعنف ٠

والاغرب من ذلك ان هذه القروش كانت ترتد وتعود من حيث أتت ، وفكاها الفاغرتان لاتستطيع تحريكهما او اغلاقهما وكأنهما مشلولتان ٠ وتكرر القروش المحاولة بعد عودة الحركة الى أفواهها ولكنها سرعان ما كانت تنتهي الى نفس النتيجة ٠٠ وما لبثتأن ولتالادبار جميعها بعد محاولاتطال امدها نحوعشرين ساعة٠ يستثنى من ذلك سمكتان فقط تمكنتا من الوصول الى الطعم والتهامه ٠ ولاتستطيع الدكتورة كلارك انتجزم ما اذالاقت هاتان السمكتان حتفهما ام لا ٠

وتجدر الاشارة الى ان السائل السام المركز الذى تفرزه السمكة المفلطحة لايسم الانسان ولا يشله ٠ هذا ولايزال تركيب السائل الكيماوى مجهولا ٠٠ وقد تولت الجامعة العبرية في القدس اجراءالتجارب بقصد تحديد هذا التركيب ٠

حاجة الجسم من الوحدات الحرارية يوميا

لاحقا لما نشرناه في اعداد سابقة عمايحتاجه للرجل ويحصل عليه من وحدات حرارية في شتى الدول ، نسوق هذهالاحصائية اللطيفة ، استكمالا للفائدة ٠

كمية الوحدات الحرارية الموجودة في١٠٠ غرام من اهم انواع الماكولات

خبز طازج	٢٥٥ وحدة حرارية	فاصوليا	٣٥٥ وحدة حرارية
صفار البيض	٣٤٥	عدس	٣٤٠
بياض البيض	٥٦	جبنة غرويار	٤٠١
لحم بقر	٣٠٨	جبنة رو كفور	٣١٨
كبد عجل	١٣٥	شوكولاته	٤٨٨
كستليتة غنم	٣٨٠	سكر	٤٠٠
روستو حمل	٢٧٠	ارز	١١٩
دجاج	٢٠٠	موز	٩٩
خنزير	٣٥٥	تمر	٣٠٨
سمك	٧٥ ـ ١٠٠	تين ناشف	٢٧٦
بطاطا	٩٠	عنب	٩١
ملفوف (الكرنب)	٤٨	لوز ناشف	٦٠٥
جزر	٤٧	بندق ناشف	٦٣٦

ملاحظة : ان الشخص الطبيعي المعتدلالبنية يحتاج يوميا الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية بالمتوسط ٠

إلى من يهمهم الأمر

بقلم : أبو المعاطى أبو النجـا

■ كما ترى من العنوان هذه ليست قصة ، وقد يزعـم بعض المغرضين انها كذلك ، ورجائـى الا تصدقهم حتى يتبين لك الامر . ورجائي ان تصدقني في انها مجرد « طلب » يمكن اذا اردت ان تضيف اليه صفة « عاجل » لمن يهمهم الامر ، ومن في يدهم القدرة على التنفيذ .

« طلب » ينتظـر منـك شيئا اكثر من مجـرد قراءته ، ينتظر منك توقيعا بالعلم ، ورجاء بسرعة التنفيذ . هـذا طبعا بعد اقتناعـك بما يجيء فيه .

اخشى ان الشك بدأ يتسرب اليك في جديـة هذا الامر او في جدواه . فانت في الغالب تعرف مصير مثل هذه الطلبات . ويقينا انه قـد سبق لك ان وقعت العديـد منهـا ، وانتظرت ـ دون جدوى ـ ان يهتم احدهم بطلبك . ولكـن الامـر يختلف قليلا هذه المرة فنحن لن نتوجه بطلبنا هذا الى احد من سادة البيروقراطية في هذا العصر الذين تنحصر مواهبهم في تعطيل مطالب البشـر واحباط اماتيهم الطيبة . بل نتوجه به الى سادة العصر الحقيقيين .الى السادة العلماء والمخترعين الذين اثبتوا دائما وفي كل الظروف ان انجازاتهم اكثر سرعة وقدرة من احلام البشر .

وفي الحقيقة نحن لانكتب اليهم لهذه الصفـة وحدها . انما ـ وهذا مااعتقد انك سوف توافـق عليه بعد الالمام بهذا الطلب ـ لانهم هم الذيـن تسببـوا ـ بحسن نيـة طبعا ـ في حدوث هـذه المشكلة التي يتضمنها هذا الطلب .

كـان يجب منـذ البدايـة ان اعرفك بنفسـي وبالمشكلة . وبالنسبة للامر الاول فاظن انه يكفي جدا ان تعلم انني واحد من العاملين في الدولة . اى دولة ؟ لايهم ! فكل الدول فـي عصرنا هـذا ترفع نفس الشعارات .

هل هناك دولة لاتزعم انها تسعى جاهدة لكي توفر لرعاياها كل فرص السعادة ؟

هل هناك دولة لاتزعم ان توفير هذه الفرص رهن بتوفير الحرية والكفاية والعدالة ؟

هل هناك دولـة لاتزعـم ان العمل الجماعـي المنظـم الـذى يعتمـد الاسلوب العلمي تفكيرا وتطبيقا هـو الطريـق الصحيـح لتوفير الحريـة والكفاية والعدالة ؟

وبالتالي فما معنى ان احدد الدولة مادامـت كل الدول تعلـن نفس الاهداف لدرجـة تجعلك تدهش لامر واحد هو اصرارها رغم ذلك على ان تعيش كل دولة داخل حدودها فقط . واستعدادها للدفاع حتى الموت عن هذه الحدود لو مستها دولة مجاورة .

اظن انـك توافقنـى علـى ان ابـدا بتحديد المشكلة .

والمشكلة ببساطة تبدأ مع تطبيق الهدف الثالث المشار اليه سابقا ... اعنى حرص الدولة على العمل الجماعي المنظم فالدولة التى انتمي اليها توقظ كل العاملين من ابنائها في تمام الساعة السادسة ليكونوا في اماكن عملهم في تمام الساعة



السادسة والنصف تقريبا ، وفي الحقيقة ان الدولة لا توقظهم بالمعنى الحرفي لهذا التعبير ، فهذا امر بالغ الصعوبة من الناحية العلمية ، ولكنها تترك لهم حرية اختيار الطريقة التي بها يستيقظون . انها تكتفي بان تحاسب من يتاخر منهم عن موعد حضوره في السابعة والنصف بشكل يجعله يفكر جديا في الطريقة التي يكون بها في اعلى درجات اليقظة في تمام الساعة السادسة .

لم اكن ادرك بهذا القدر من الوضوح ، قبل ان اصبح واحدا من العاملين في الدولة ، ان الساعة السادسة هذه تاتي مبكرة جدا في فصل الشتاء وخاصة في لياليه الباردة ، وبعد ان عرفت هذه الحقيقة بالوضوح اللازم ايقنت انه من الخطأ بل ومن الخطر ان اعتمد على تقديري الذاتي للوقت ، واحساسي العام بضوء النهار او حركة الحياة في الشارع لاستيقظ في الوقت المناسب فالواقع انه حتى الطيور في دولتنا لايمكن الوثوق او الاعتماد على تغريدها في الوقت الملائم .

وكان لابد ان ألجأ الى من يهمهم الامر في عصر العلم والتكنولوجيا لمساعدتي في الخروج من هذا المازق . وكانوا ـ كما سبق ان الحت ـ عند حسن ظني . لقد امدوني بذلك « المنبه » العجيب الذي يدق في الوقت المناسب جرسا ناعما يتموج صوته في درجات تعلو وتهبط . ولايصمت الابعد ان اكون قد استيقظت تماما، وجلست في السرير مدركا لحدودي وابعادي متذكرا اسمي ووظيفتي ،مبصرا اهم معالم الحجرة ، عارفا بما يجب علي ان نمله بعد ذلك .

ومرت الايام كثيرة قبل ان التفت الى هذه الحقيقة الغريبة ،حقيقة ان المنبه لم يعد يوقظني ـ وللامانة التاريخية اسجل انني في خلال هذه الايام الكثيرة كنت خلال احاديثي الخاصة اشيد

بفضل المنبه العجيب ، واحرص على ان اقدمه للضيوف منوها بميزاته الفريدة .ولكنني سرعان ماأقلعت عن هذه العادة السيئة بعد ان اكتشفت – وقد كان ينبغي ان اعرف ذلك من نفسي – ان جميع الضيوف والاصدقاء لديهم تقريبا نفس المنبه الذي لم يعد عجيبا ، ماالذي كنت اقوله قبل ذلك .

اجل كنت اقول ان المنبه لم يعد يوقظني ، نعم بدأت أدرك أنني استيقظ وحدي في الموعد الذي دربني عليه المنبه جيدا ، أستيقظ وحدي واظل أتقلب في الفراش مدركا لعدوى وأبعادي ، ومدركا لكون المنبه العجيب لايزال يدق بجواري دقاته الرتيبة العادية لم تجيء الساعة السادسة عادة بعد ان اكون قد صحوت تماما فيرسل جرسه المتموج الذي كنت أستيقظ عليه ، ويصبح دوري بعد ذلك ان أمد يدي لأسكت صوت الجرس .

في البداية بدا لي الأمر كمزحة ، ثم بدأت اشعر به كخدعة ثقيلة ، ان يصبح دوري هو ان اصحو كل صباح لأسكت صوت المنبه الذي يصر على ان يدق في نفس الموعد ، وكأنني لازلت في أمس الحاجة اليه .

وفي الحقيقة أنني مدرب منذ وقت بعيد على طرد هذه الافكار المزعجة فسرعان ماطردت هذه الفكرة السخيفة واعني بها فكرة الخداع هذه عن رأسي بعد أن رددتها الى اصولها العميقة الكامنة في ميل الجنس البشري الى الجحود والنكران ، صحيح أنني لم أعد في حاجة الى اي منبه ، وأن المنبه هو الذي في حاجة الى لأسكته في الوقت المناسب ، ولكني لا يجب ان انسى بأي حال انه هو الذي قام بزرع منبه اخر .... يدق في داخلي دون صوت ، ويجعلني أصحو قبل الوقت المناسب من تلقاء نفسي فلماذا تنسى فضل ذوي الفضل في اول لحظة لا نحتاج فيها الى فضلهم .

وهكذا نجحت في أن أعيد علاقتي «بالمنبه» الذي لم اعد في حاجة اليه الى اطارها الصحيح الذي ينبغي ان يقوم بين الانسان والآلة حين يصبح الانسان نفسه من بعض نواحيه نوعا من الآلة ، أعني حين تصبح له فضائلها الأثيرة كالدقة والنظام والانضباط . وقد كان حريا بالامور أن تمضي بيني وبين منبهي العزيز على هذا النحو الموضوعي الهادئ، لولا أن تدخلت أيام الجمع والاعياد والعطلات الطارئة لتفسد هذه العلاقة .

اعتقد أننا قد وصلنا الى النقطة الحاسمة في المشكلة واذا كنتم مثلي من العاملين في أي دولة من هذه الدول التي تأخذ مأخذ الجد البند الثالث من الأهداف السابقة فاغلب الظن انكم سوف تفهمونني جيدا ولن تبخلوا بتوقيعكم على هذا الطلب وعند نهايته .

في ايام العطلات وبالتحديد في أيام الجمع التي ننتظرها جميعا بفارغ الصبر خاصة في أيام الشتاء لننعم بدفء الفراش ، وبمتعة أن يبقى الانسان نائما على راحته ، مسلما نفسه للاحلام ولهذه الرؤى التي لاندري هل تنتمي الى النوم أم الى اليقظة .

بمتعة أن ترى على مهل هذه اللحظة السحرية التي يفقد فيها العالم كثافته ، ويصبح أكثر رقة وعذوبة وسيولة . اللحظة التي تتذكر فيها بلا مناسبة أشياء مرت منذ عشرات السنين ، ووجوها لم تعد تلتقي أصحابها ، وتسمع رنين ضحكات يعجز الزمن أن يسكت أصداءها في نفسك .

هذه اللحظة التي ينتقل فيها الانسان بين مملكة اليقظة ومملكة النوم دون أن يدرك أن ثمة حدودا فاصلة ، ودون أن يطلب منه أحد أن يبرز هويته .

هذه اللحظة التي تتلاشى فيها حدود الزمان والمكان ، وتسقط كل الاقنعة ، ويضحك الاطفال وعيونهم مغلقة ، وقد يبكي الملوك ورؤساء الجند، وتتذكر وعدا لم توف به منذ أعوام ، وينسى الرجال الشجعان أنهم كذلك ، وينادون أمهاتهم اللواتي مضت على موتهن عشرات السنين .

هذه اللحظة التي عاشت في كل العصور الماضية، دون أن يطلق عليها الرصاص ، ولم يصدر ضدها حكم واحد في كل محاكم التفتيش والتي تسعى لكي تبقى في عروق المستقبل كما يبقى نسغ الحياة في أوراق الشجرة وجذوعها .

هذه اللحظة التي نلتقي فيها مرة كل أسبوع هي ما أسعى أيها السادة الى انقاذها بعد ان تبين

لى ذات صباح يوم من أيام الجمع أن المنبه الذى كان البرا قد تسبب ــ ربما بلا قصد ــ فى اصابتها اصابة توشك أن تفضى الى الموت ، ودعونى اشرح لكم الامر .

اعرف انكم جميعا فى مساء كل خميس لاتنسون ان تضغطوا على زر صغير فى منبهاتكم حتى لايدق الجرس فى موعده كل صباح ، وحتى تلتقوا بلحظتكم الغالية فى صباح الجمعة .

ومثلكم أيها السادة فعلت نفس الشيء ،واعتقد انكم مثلى بدائم تكتشفون حقيقة الجريمة فى صباح كل جمعة ، الجريمة التى يبدو « المنبه » ــ الذى كان عجيبا ــ بريئا منها براءة الذئب من دم يوسف ــ صحيح انه لايدق جرسه المتموج ، ولكن المنبه الآخر الداخلى لا يزال يدق فى موعده، يدق بداخلنا دون أن يملك أحد أن يمد يده الى مكانه فى عقولنا ليبطل مفعوله او ليوقف جرسه الذى يعلو ويهبط .

جميعكم أيها السادة تمرون دون شك بهذه التجربة لو انكم تعلمون فى دولة من هذه الدول التى تنعم ببركات العصر التكنولوجى ، وتعنى بصفة خاصة بتنفيذ البند الثالث .

جميعكم دون شك تستيقظون مثلى على درجات مثل درجات السلم العقيقى او الموسيقى ، وفوق احدى درجات التذكر تذكرون ان اليوم هو يوم الجمعة ، ولكن ذلك يحدث عادة بعد فوات الاوان، بعد أن تكون اليقظة الحادة اللعينة التى يحدثها المنبه الداخلى قد غرست أنيابها فى جسد اللحظة الناعمة الغضة ، بعد أن تكون قد قتلتها قتلا ومضت بنا بعيدا خارج اطار القدرة على أن نعود الى تلك الارض السحرية التى تتلاشى فيها الحدود بين اليقظة والنوم . وعبثا نحاول بعد ذلك أن نمسك باهداب تلك اللحظة الرائعة !!

اننى أيها السادة أحمل المنبه الذى يبدو بريئا كل المسئولية واحملها لكل الدول التى تعنى عناية خاصة بالبند الثالث .

واعرف ان بعض المغرضين ، أولئك الذين سبق لهم ان زعموا انهذا الطلب الجاد جدا والعاجل كذلك مجرد قصة هازلة اعرف انهم سوف ياخذون الأمر ماخذ السخرية .

وقد يقولون : فى الوقت الذى تمر فيه دولتنا باقسى الازمات ويقتل المئات بلا معنى ، ياتى رجل غير مسئول ، ويطالب بانقاذ لحظة للحلم ، ويروى لنا بعض الفكاهات التى تنقصها الفكاهة عن المنبه.

. اننى ايها السادة أرجوكم الا تلتفتوا كثيرا الى هؤلاء المغرضين فهم موجودون فى كل زمان ومكان ولن ينجح أعظم المخترعين فى القضاء عليهم .

وفى نفس الوقت فاننى انبه ــ دون منبه ــ الى خطورة المسالة التى يتضمنها هذا الطلب ، ولست ادرى كيف يمكن أن تكون صورة الانسانية لو ان هذه اللحظة السحرية قد ماتت فى حاضرها أو مستقبلها .

واوكد لكم اننى لا اهزل لو زعمت انه ربما كانت كل هــذه الازمات الحادة التى يهتم بها المغرضون الذين المحت اليهم سببها ذلك العدد الكبير من المنبهات الذى استشرى فى العالم منذ وقت ليس بالقصير .

اذا اقتنعتم معى أيها السادة بجدية الامر وخطورته فاظنكم توافقوننى على أن نتوجه بمطلبنا هذا مشفوعا بتوقيعاتكم الى المسئولين الحقيقيين عن هذا التهديد الخطير الموجه الى لحظة الحلم الذهبية ، الى سادة عصر التكنولوجيا أولئك الذين اخترعوا المنبه الاول العجيب ليخترعوا لنا منبها اخر مضادا يجعلنا نتذكر فى الوقت المناسب ان اليوم يوم الجمعة دون أن توقظنا الذكرى او تاتى بعد فوات الوقت .

انهم يخترعون الصاروخ المضاد للصاروخ فهل يعجزون عن اختراع منبه يجعلنا نتنبه دون ان يوقظنا الانتباه ؟

ان ثقتى كبيرة فى سادة هذا العصر ، وفى الحصول على توقيعك الكريم لو لم تكن انت نفسك واحدا من المغرضين . ■■

القاهرة : أبو المعاطى أبو النجا

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء
ALARABI — No. 212 JULY 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● منذ اول ابريل وحتى اواخر شهر يونيو الماضي عاشت لندن في مهرجان العالم الاسلامي ، وظلت انظار تسعة ملايين نسمة مشدودة ، الى الكنوز والروائع والتحف الاسلامية التي جاءوا بها من شتى انحاء العالم . وكانت « العربي » مع الوجوه التي جاءت بدورها من الشرق والغرب لرؤية هذا التراث الحضاري العريق .. مجتمعا في مكان واحد في قلب العاصمة البريطانية لاول مرة . (● اقرا الاستطلاع ص ١٠)

قسم خاص عن امريكا بمناسبة مرور مائتي عام على تاسيسها :

ركن الاسرة والمراة :

شعر وشعراء :

فنون :

قصص وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص . ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القراء
وتعرض آراءهم



تحيـة

● تحية اهديها لكاتب مقال« فرصة العرب الاخيرة » الدكتور ابراهيم شحاتة ٠٠فما احوجنا نحن العرب ، الى مثل هذه المقالات التى تبصرنا بواقعنا ٠٠ وترسم لنا الطريق ٠٠لنغذ السير نحو عالم افضل ٠٠

امل ان اقرا المزيد من هـذه المقـالات لهذا الكاتب وغيره من الكتاب العرب ٠

حميد الحجى
الكويت

هدير فلسطيني فى الارض المحتلة

● لابد وانكم قراتم وسمعتم عن المظاهرات الصاخبة التى يعبر فيها شعب فلسطين تحت الاحتلال الصهيونى ، عن سخطه على المحتلين ٠٠ فلماذا لاتسهم مجلة « العربى » فى اذكاء هـذا الهدير الذى هو بحق وجه الثورة الحقيقى الذى بدا يزلزل الكيان الصهيونى اكثر من المدفـع والطائرة ٠

محمد محمد شاكر عايش
الاسكندرية/مصر

العرب والمسرح

● فن المسرح حديث فى عالمنا العربى ٠٠ وقد سبقنا الغرب فى هـذا المضمار ٠٠ والثقافـة المسرحية جديرة بان تجد من مجلـة « العربى » صدرا مفتوحا ٠٠ فهلا فعلتم ؟

طه سعيد مطلوب
الفيوم/مصر

باب الاجتهاد فى الاسلام

● اعجبتنى دعوة الدكتور احمد كمال ابو المجد لفتح باب الاجتهاد ، وذلك كما تفعـل الشـيعة الامامية التى لم يزل باب الاجتهاد عندها مفتوحا٠٠ ومجتهدوها منتشرون فـى كثير من اماكنهم حيث تحترم آراؤهم دون تجريح للمخالف كما هو ادب الاسلام واهله ٠٠ فان لهم فى كل قضية حديثة او قديمة حكما ٠

محمد شعبان سويلم
الدما /السمردية

كتب قرئت لعـ...

● قرات مقالا ممتعا للدكتور محمد الدسوقى عن الكتب التى قراها للدكتور طه حسين ، وقد عدد الكاتب هـذه الكتب وازاء كل كتاب اسم مؤلفه ٠٠ ماعدا كتابا واحدا ، فقد اغفل ذكر كاتبه وحرّف عنوانه ٠ وهذا الكتاب هو (خمسون ومائة صحابى مختلق ـ القسم الاول) ومؤلفه هـو عميد كليـة اصول الدين السـيد مرتضى العسكرى ٠٠ لذا وجب التنويه ٠

عادل حموده هانى
سوق الشيوخ/العراق

توضيح الى القراء

● منذ مدة والرسائل تنهال علينا من معظم الاقطار العربية ، وكلها تشكو من تاخر وصول «العربى» الى هذه الاقطار٠٠

ونود ان نوضح ان السبب فى هـذا التاخير ، انما يرجع الى الاحـداث التى تعصف بلبنان الشـقيق الذى كنا نشحن اليه « العربى »برا ، ومنه ينطلـق الى باقى الدول العربية فى المشرق والمغرب ٠ وقد بـدات ادارة « العربى » فى سلـوك وسائل اخرى للتغلب على هذه المشكلة ، بحيث يصـل « العربى » الى القـارىء فى موعده المحدد ان شاء الله ٠

ادارة « العربى »



مِنَ المسرح العالمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول يوليه ١٩٧٦

٨٢

أوديب

تأليف الكاتب اللاتينى : سينيكا

أعدها للمسرح الإنجليزى الشاعر : تد هيوز

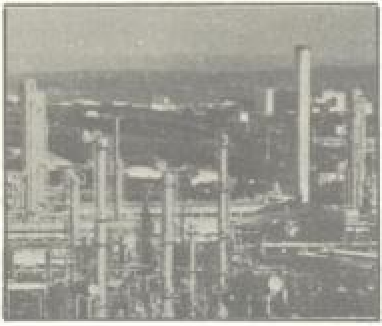
ترجمها من الإنجليزية وقدم لها : يوسف الشارونى

راجعها الشاعر : محمد الحديدى

اسبانيا

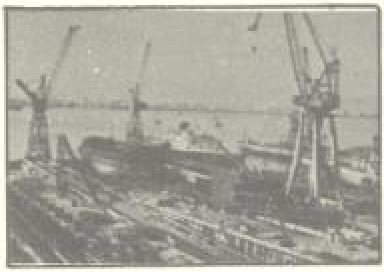
هى أول ما ينشده كل استثمار أجنبي

من المسلم به ان اسبانيا هى البلد الاوروبى الوحيد الذى يجمع بين سحر الشرق وتراثه،وحضارة الغرب وثقافته٠٠ تجرى فى عروقها الدماء العربية ، تسرى فيها الروح الاوربية ٠٠ ولذلك فهى تفتح ذراعيها بالبشاشة والترحيب للسائحين من جميع انحاء العالم ، وفى مقدمتهم السائحون والمستثمرون العرب٠٠ ولعل الموقف الاقتصادى الرائع الذى جعل اسبانيا واحدة من اكثر الدول الصناعية تطورا وتقدما ، هو السبب الكامن وراء اجتذاب راس المال الاجنبى الذى يبحث عن استثمار مربح ومضمون ، فضلا عن



تشجيع السلطة الاسبانية للتنمية والاستثمار من خلال سياسة « الباب المفتوح » ٠

ونظرا للزيادة المطردة فى عدد الذين يجيئون الى اسبانيا لقضاء الاجازة او الاقامة والذين بلغوا فى عام ١٩٧٥ اكثر



من ٢٥ مليون شخص ، حققت اسبانيا من ورائهم ايرادات تجاوزت ثلاثة الاف مليون دولار ٠٠ فانها تعتبر فى مقدمة الدول الاوروبية فى ميدان السياحة ، وما زالت التسهيلات السياحية من اوليات خطة التنمية الوطنية الرابعة التى بدأ تنفيذها فى اول يناير ١٩٧٦ ٠

وجدير بالذكر انه توجد مؤسسات مالية كثيرة فى اسبانيا ، على استعداد لتقديم النصح والمشورة لمن يرغب فى ادماج مزايا ايراد مرتفع بالضمان التقليدى للاستثمار فى ميدان العقارات الثابتة ٠

وقد انشىء مؤخرا بنك اسبانى عربى براس مال مبدئى يبلغ ٢٧٫٨ مليون دولار ، ساهمت فيه ليبيا والكويت بنسبة ٦٠٪ ٠٠ وتشارك هذه المؤسسات المالية فى اى تمويل مسبق ، وتقديم قروض قصيرة ومتوسطة الاجل ،وائتمانات للمستثمرين ٠٠

RL

RUMANEL روماـنل

SWISS

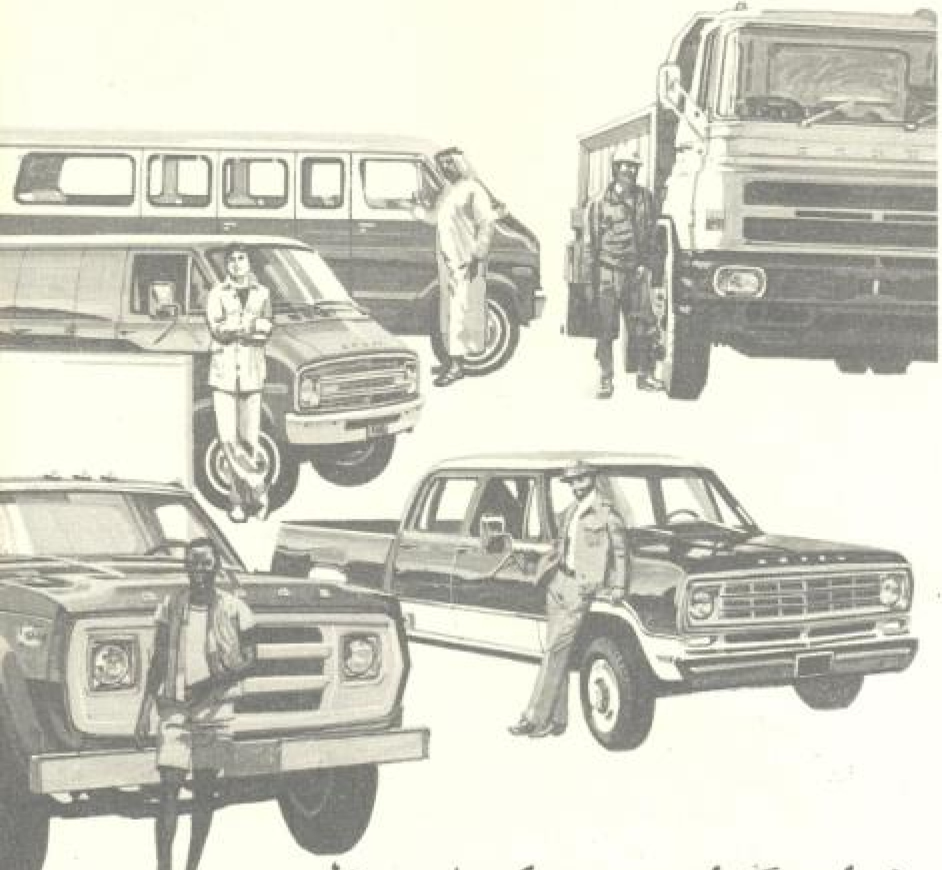


الساعة العصرية

سوريا : غسان عبيد : دمشق - قطر : مخازن لاري - دوحة
دبي : مخازن فكتوريا : ديرة - البحرين : السادة مخازن بهمن
أبوظبي : المعرض التجاري العام : السعودية : عبد العزيز البخش وأولاده - مكة

الكويت

مخزن الساعات السويسرية - معرض الساعات العالمية السويسرية
معرض صالح شهاب - معرض الشهاب للساعات






وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص.ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥
UNIVERSE




RADO
RADO
ساعة رادو دياستار اليكترو سونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبد الله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣



هاي فاي فيليبس

معه تحيا الموسيقى في كل وقت

مع فيليبس يمكنك اليوم الاستماع الى موسيقى عذبة صافية بأنغامها العالية والخافتة واضحة كل الوضوح وكأنك أمام الفرقة الموسيقية. ذلك بفضل مكبرات للصوت هاي فاي الجديدة والفريدة التي تصحح نفسها بنفسها الكترونيا وتستمر باعطائك ذات النقاوة للحن الذي يستهويك سماعه.
هذا الاختراع الجديد يدعى "موشينال فيدباك" وهو أساس لمجموعة فيليبس الثورية

هذه، للحصول على الكمال في موسيقى الستيريو أو الكوادروفونيك. إنها نتيجة خبرة عالمية واسعة وجهود جبارة متواصلة. إنك تحصل دائما مع فيليبس على التقنية المتقدمة التي تستحق كل ثقة وعلى الخدمة الممتازة بعد البيع لكل قطعة من أجهزة ومعدات فيليبس مهما كانت.
اطلب من وكيل فيليبس المعتمد تجربة مجانية فهي أكبر برهان.

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوماً

عندَ التشغيـل : ألوَان جَميلة وَطبيعيّة
وَبعدَ إنتهاء البرامج : قطعة فاخِرة من الأثاث

ملايين البقع الدقيقة وضعت على خلفية سوداء في تلفزيونكم الملون موديل CTP 6412 قياس ٢٠ بوصة بشاشته المتريكس السوداء ليوفر لكم اكثر الالوان حيوية ووضوحًا . ويحتفظ الجهاز بعد وقف تشغيله بجماله وجاذبيته وعلبته الخشبية الانيقة وقوائمه القوية وأبوابه المنزلقة لتغطية واجهته بأكملها . انه قطعة اثاث تتناسب مع كافة أشكال الديكور .



الموديـل CTP-6412

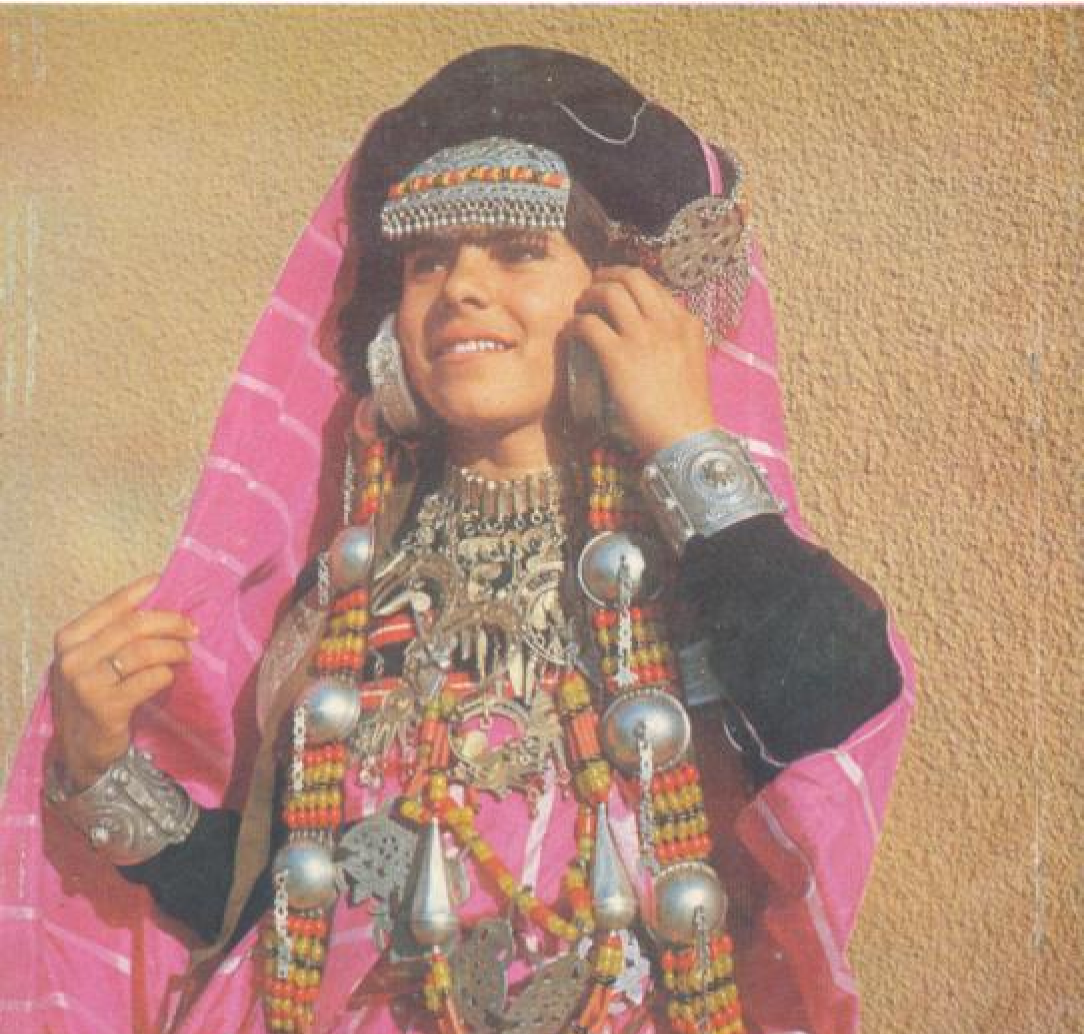
تلفزيون ملون بشاشة متريكس
سوداء ٢٠ بوصة

SANYO سانيو

AAA/M/CTP/73

العربي

العدد ٢١٣
شعبان ١٣٩٦
أغسطس
(آب) ١٩٧٦



فتاة من سبها (ليبيا) الواحة المدينة ! (ص ٦٨)

الثمن

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ ريالان	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الاردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٥٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٫٥ دينار
اليمن	٢٫٥ ريال	ج٠م٠ع٠	١٠ قروش	المغرب	٢٫٥ درهم



● لوحة المصور الايراني المشهور بهزاد الذيعاش خلال القرن السادس عشر وعاصر الشاه اسماعيل الصفوي • وهو امير المصورين المسلمين في العصور الوسطى وقد استوحى خطوط رسمه من الفن الصيني • والصورة تمثل اميرا على ظهر فيل ابيض مرقش • لاحظ تطريز سرج الفيل وزينة نابيه وقوائمه • هذه الهيئة للفيلة يصفها ابن بطوطة كثيرا في رحلاته في الهند •

(انظر ص ٢٨)

● عزيزى القارىء ●

سوف تجد فى هذا العدد مقالا بقلم المرحوم عباس محمود العقاد ! وسوف تجده تحت عنوان صغير ، نرجو أن يتحول الى باب مستمر ، هو « من التراث الحديث » .

وقد يتساءل القارىء عن حكمة نشر مقال لكاتب عظيم انتقل الى رحمة الله منذ زمن ليس بالبعيد ولا زالت كتبه تتداول فى الاسواق .

والاجابة انني من تجربتي الخاصة ، لاحظت ان الادب الحي في اى مجتمع لا بد ان يظل متجددا ، منشورا ، معروفا للقارىء . فبهذا تستمر الحياة الفكرية للامة وتتواصل ، وفي تاريخنا القريب خلال القرن او نصف القرن الماضي، عرف العالم العربي كتابا عمالقة الروا فيه ..الشيخ محمد عبده، السيد رشيد رضا، الامير شكيب ارسلان ، محمد كرد علي ، طه حسين ، العقاد ، ابراهيم عبد القادر المازني، ساطع الحصري ، امين الرافعي ، مصطفى صادق الرافعي ، مي زيادة ، عائشة التيمورية، وكثيرون غيرهم .

صحيح ان بعض كتب هؤلاء موجودة ويعاد طبعها ، ولكن ليس كلها في متناول القراء ، خصوصا الاجيال الجديدة ، كما ان الكثير من اعمالهم غير موجود في السوق . بل لو سألنا شبابنا لما عرفوا الكثير من هذه الاسماء .

وهذا ما رأينا ان نسميه «التراث الحديث». فهو « تراث » لانه دخل في تكوين نهضتنا القومية في عهدها الحديث خلال قرن مضى ، وهو « حديث » لانه قريب العهد بنا اذا قيس بالتراث القديم .

ولهذا رأينا ، ان ننتقي ونختار ، في كل عدد من « العربي » صفحات بنصها لهؤلاء ، لان بعض ما كتبوه ما زال حيا . وبعض ما طرحوه من اسئلة على العقل العربي لم يجد اجوبة له بعد .

ولعل هذا هو واجب المدرسة العربية ، فالشاب في فرنسا مهما كان تخصصه لا بد ان يعرف موليير ، وفولتير وبلزاك فوق معرفته بالمعاصرين . ولكن مدارسنا ـ وهذا رأى شخصي ـ لا تقوم بهذا الدور على الوجه الاكمل .

ونحن بهذا لا نحل محل المدرسة ، ولكننا نساهم بقدر بسيط في المهمة .

« المحرر »

نحن نعيش الحرب

بقلم : أحمد بهاء الدين

■ نحن نعيش الآن الحرب الصليبية العاشرة !

استنتاج مؤسف ، لا يتمكن من يقرأ التاريخ ، ومن يدرس ويحلل الحاضر من منظـور تاريخي ، الا أن يصل اليه ....

وأبادر فأقول أن الكاتب اذا كان مضطرا الى استخدام هذا التعبير الكريه ، تعبير « الحروب الصليبية » .. فلأن هذا هو الاسم التاريخي للحروب الصليبية الغابرة ، ولأنه فعلا ، وعندما بدأت قبل قرون من غرب اوروبا ضد العالم العربي والاسلامي ، جاءت جيوش الغزو تحت راية الصليب ، وبشعار استرداد الاراضي المقدسة من « المسلمين » ، وتحت رعاية البابا في روما ، وحاكم ورئيس كنيسة الامبراطورية البيزنطية ....

ولكن الصبغة الدينية لهذه الحروب ، كانت تقل مع الزمن ويبرز من خلفها جوهرها الحقيقي ، وهو بداية تحرك أوروبا الى الاستعمار والاستغلال الاقتصادي ، وتنافس ملوكها وامرائها في هذا المجال ..

ولا نحتاج الى الغوص وراء ادلة كثيرة قد تحرفنا عن جوهر هذا الحديث ، ولكن يكفي أن نحتكم الى مرجع غربي واحد ، دقيق ، يزن الكلمة والسطر ، ولا يتهم بالتحيز للعرب والاسلام ، بل العكس ، وهو « الانسيكلوبيديا بريتانيكا » ، أو دائرة المعارف البريطانية ...

فهي في مفتتح حديثها عن الحروب الصليبية تقول أن السبب الاول هو اضطراب الامن في الاناضول (تركيا) مما كان يزعج قوافل الحجاج الاوروبيين

الصليبية العاشرة !

الذاهبين الى القدس ،وكان الاناضول في ذلك الوقت ،القرن الحادى عشر ،محل صراع بين الاتـــراك والبيزنطيين •والسبب الثاني ، والاساسى ، الذى تشرحه الانسيكلوبيديا هو أن اوروبابعد أن انتهت من حروبها مع القبائل الغازية – المجيار والفايكنجز وغيرهم،وبعد أن تمت مســيحيتها ، انتعشت فيها التجارة ، وزادت حركة المـال ،وكان لا بد من مجال « لاطلاق القوة الزائدة في غرب اوروبا من عقالها »،تعبير مهذب عن الاتجاه الى الخارج ، وراء المستعمرات •

الدليل الثاني مانجده في صفحات تاريخ الحروب الصليبية من صراع بين ملوك وامراء اوروبا الغزاة ، لا على القدس وكنيسة القيامة كما زعموا ، لكن على اقتسام اجزاء واسعة من المشرق العربى الاسلامى ، صراع تضاءلت الى جانبه الرغبة في تحرير القدس وغيرها من الاماكن المقدسة •••

والدليل الثالث أنهم حين دخلـــوا القدس مثلا ذبحوا «المسلمين واليهود» كما تقول دائرة المعـــارف البريطانية ايضا • ونضيف الى ذلك أنهم حرّموا على اليهود سكنى القدس حتى حررها صلاح الدين الايوبى بعد ما يقرب من مائة سنة • والاهم من ذلك قول دائرة المعارف البريطـــانية ان المســيحيين الارثـــوذكس الشرقيين اشتركوا في مقاومة الغـــزو الاوروبى البيزنطي المشترك، ورفضوا الخضوع لهذه الكنيسة او تلك ، وحين ســقطت امبراطورية بيزنطة كلها « قبل المسيحيون الشرقيون حكم المسلمين » •

وتعترف دائرة المعارف البريطانية في تحليلها لنتــائج الحروب الصليبية

كلها ـ الحملات الثمانية خلال خمسةقرون ـ بان المشرق العربي الاسلامي لم يكن يعرف التعصب ضد اى دينقط ، قبل أن تداهمه اوروبا بهذه الحروب ، وان الحروب الصليبية ،وتنكيلها الوحشي بالمسلمين واليهود واحيانا بالمسيحيين العرب ، هى التىتسببت فى حالات الاضطهاد الديني بعد ذلك ، كنوع من رد الفعل •

فاوروبا سعيا وراء مصالحها المادية،هي التى صدرت الى بعض بلاد المشرق بعض صور التعصب الديني ، الذىكانت اوروبا تتوسبه كاسلوبلتبرير السيطرة والنفوذ •

وايضا ، وفي تحليل دائرةالمعارفالبريطانية لآثار كل هذه الحروب الصليبية طوال قرون، تقولان اوروبااخذت عن العالم الاسلامي الكثير من العلوم والفنون والصناعات التىكانتتجهلها ، وحملت الى اوروبا البضائع الشرقية والنظم الغريبةعليهم علىالسواء • وازدهرت التجارة والملاحة عبر البحر الابيض ، ثم يقول نفسالمصدر ان اوروبا لم تقدم للشرق العربي الاسلامي اى شيء له قيمةحضارية ، لان اوروبا ذلك العصر لم يكن لديها ما تقدمه ! وان كثيرين منالامراءالذينجاءوا معتقدينأنالمسلمين برابرة متخلفون ، دهشوا حين وجدواان لديهم كل هذه المظاهر للحضارة والتقدم والنظم التىلاتعرفها اوروبا!

المهم نعود الى ما اسلفت ذكره منأن اهتمام اوروبا بالاحتفاظ بالقدس ـ وهو حجة الحروب الصليبية كلها ـنضاءل ازاء اهتمامهاباستعمار المشرق، بدليل أن كثيرا من الحملات ـ اومعظمها ـ استهدف اقامة ما يسمى « دولا لاتينية » في المشرق ، فاهتموابغزو انطاكية ، وحلب ، والموصل في العراق ، ودمشق، بل وحين وجدواان مصر تلعب دورا فيمساندة المشرق، شنت بعض الحملات الصليبية ، بقصدالاستيلاء على الدلتا والوصول الى القاهرة •

وفي احدى الحملات تحالفوا معالمغول ـ الوثنيين ـ ليحصروا المنطقة العربية الاسلامية من الشرق والغرب •واهتم المغول بعد ذلك ـ لاسبابخاصة بهم ـ بالاندفاع من اجل اكتساحالعالمالعربي الاسلامي ، فدمروا بغداد ، ودخلوا دمشق ، حتى تجمعت كلمةالعرب المسلمين وهزموهم في الموقعة التي غيرت وجه التاريخ •• « عينجالوت » ، بالقرب من مدينة الناصرة الفلسطينية الآن • وكان قائد المغولفي تلك المعركة قائدا اوروبيا مسيحيا بعثه الاوروبيون الى المغول ليحسنقيادتهم !

كانت اوروبا في ذلك الوقت تقللمن حروبها الدينية الداخلية ، وخلافاتها ، وتزداد قوة ، وتتجه الىالخارج •••

وكان العالم العربي الاسلامي علىالعكس ، قد وصل الى قمة الحضارة، ولكنه بدأ مرحلة التفكك والخلافاتالاقليمية والصراعات •••

ولهذا فكرت اوروبا في هدفها الذىلم يتغير من وقتها : غزو الشرق • او في القليل اقامة دويلات اوروبيةفيه ، منها تتحكم فى بقية تلك المنطقة الاستراتيجية ، الغنية،القريبةمنها ••

في سنة ١٠٨٥ ، انهار الوضعالاسلامي فى الاندلس ، اذ سقطت طليطلة •••



وفي سنة ١٠٨٧ ، احتل اهـل« جنوا » الايطالية مدينة « المهدية » فى تونس ٠٠٠

وفي سنة ١٠٩١،طرد الاوروبيون المسلمين العرب من جزيرة صقلية ٠٠٠ « مد » اوروبى متصل ٠٠ و« جزر » عربى اسلامى ٠٠ وتأمل التسلسل التاريخي الذى اسلفت ذكره ٠٠٠

وقد كان طبيعيا ، بعد ذلك أن تبدأ أول « حملة صليبية » لغزو قلب الشرق كله ، سنة ١٠٩٥ ميلادية !

لقد استقر في كتب التاريخ كلها ،أن الحروب او الحملات الصليبية فى التاريخ ، عددها ثمانية ٠٠٠

وليس هذا مجال التاريخ لهذه الحروب الطويلة المعقدة المتشابكة ، ولكن ربما لم يكن هناك مفر من سرد الحروب الثمانية ، سردا يوحي لنا بالعبرة فقط ، ولكى نصل الى الاضافات التى توضح كيف اننا نعيش الحرب العاشرة ٠

وسوف نلمح من هذا السرد كيف أن الاغراض الدنيوية كانت فيها أقوى من الاغراض الدينية ، كما سوف نلمح أن هزائم العرب كانت مرهونة بخلافاتهم ، وان انتصاراتهم كانت تتوقف على تضامنهم ٠

لقد بدأت فكرة اول حرب صليبية من التقاء رغبتين : رغبة « الكسيوس الاول » حاكم بيزنطة فى الاستعانة بجيوش غرب اوروبا ضد غزو الاتراك السلاجقة للاناضول وانتزاعهم اجزاء من بيزنطة ٠٠ ورغبة البابا اوربان الثاني في روما ، فى اعادة توحيد الكنيسة البيزنطية والكنيسة الرومانية تحت رئاسته٠ فوجد ان ارسال جيوش اوروبا تحت شعار تحرير الاراضى المقدسة ، سيكون وسيلة سهلة لعبور جيوش اوروبا الكاثوليكية الى بيزنطة وما بعدها ، وبالتالى ضم الكنيستين مع الوقت بعد ان يتم « انقاذ بيزنطة » ٠ فاوعز الى ملوك وامراء غرب اوروبا بتجييش الجيوش والاتجاه شرقا لهذا السبب٠٠٠

(١) وتحركت اول حملة صليبية،بكل الحماسة الدينية لدى الاهالى والجنود ، وكانت بقيادة« بوهيموند » احد ملوك فرنسا ٠٠ ولكن ما ان وصل«بوهيموند»الى « انطاكية » ـ وهى ليست ارضا مقدسة ـ حتى اقام ماسماه« اول دولة لاتينية » فى الشرق٠ وغضب بابا روما ٠ لان هذا سيثير مخاوف بيزنطة قبل الاوان ، ولكن بوهيموند لم يلق بالا الى هذا الغضب،فالمهم هو وضع « مسمار » غربى فى المنطقة ٠ وقد سقطت انطاكية فى يوم ٥ يونيو آخر ، سنة ١٠٩٨ ! !

وكانت المنطقة العربية الاسلامية تحكمها النزاعات بين الولايات والحكام٠ وقد تمزقت وحدة الدولة٠ وصار وجود الخليفة العباسى فى بغداد شكليا ٠٠

وكان ثمة صراع ـ وقتال ـ بين المسلمين السنة فى الشام والمسلمين الشيعة ـ الفاطميون ـ في مصر ٠وكان الفاطميون قد انتزعوا القدس لمدة سنة ، ووصلت جيوش الحملة الصليبية الى اسوار القدس والامور على هذا النحو ، وفى ١٥ يوليو ١٠٩٩ اقتحموا القدس ، وقاموا باكبر مذبحة رهيبة ضد المسلمين واليهود وبعض المسيحيين الشرقيين ٠ ومرة اخرى اقاموا حول القدس ـ مثل انطاكية ـ دولة لاتينية ، ورفضوا ان يسلموها

للكنيسة او للحكومة الدينية ، بل طبق الامراء الغزاة فيها نفس نظام الاقطاع الذى كان يسود اوروبا •

وبنفس المنطق ، وازاء تفكك المسلمين العرب ، وتعاظم مطامع الملوك والامراء والتجار الاوروبيين ، اسفرت الحرب الصليبية الاولى عن اقامة عدة دويلات لاتينية عواصمها انطاكية ـ القدس ـ طرابلس •• شملت الشواطىء السورية واللبنانية والفلسطينية كما نعرفها الان (انظر الخريطة)

كانت اقامة هذه الدويلات ـ بمثابة اقامة اوروبا والغرب لدولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ : فاوروبا المسيحية هى التى اقامت اسرائيل اليهودية • ولكن الدين ليس هو القضية ، انما كانت القضية كما تعرف الان سياسية استراتيجية اقتصادية : موقع متقدم للغرب ، فى قلب عالمنا ، يتحكمون من خلاله فى شئون المنطقة ذات الاهمية الفريدة فى العالم •

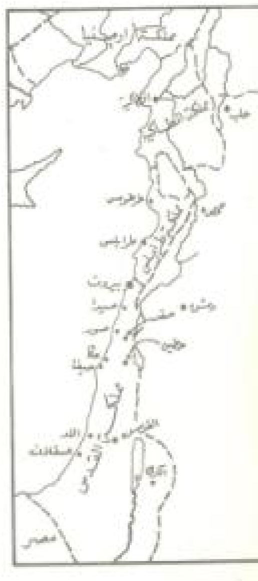
٢ ولكن العرب المسلمين ، بعد ان استكانوا زمنا ، ظهرت فيهم روح المقاومة من جديد ، وبدأ نشاط عماد الدين زنكي وولده نور الدين من مملكة حلب يهدد ممالك اللاتين من الشرق ، واستولوا على بعض اطرافها ، فجاءت الحملة الصليبية الثانية بعد ما يقرب من سبعين سنة •• ارادت ان تحصن ممالكها بالاستيلاء على حلب ففشلت ، وحاصرت دمشق حصارا طويلا ، فلم تقدر على اقتحامها ، ولكن ملك القدس انتهز الفرصة فهجم فى اتجاه مصر ، واستولى على عسقلان وتوسع حتى آخر ما عرف بعد ذلك بفلسطين •

وقد الهب هذا شعور المسلمين • وساد الاقتناع بانه بدون تحالف نور الدين والسنة في حلب ودمشق من جهة ، والفاطميين فى مصر من جهة اخرى ، فانه لا يمكن التخلص من هذه الدويلات الدخيلة •

وكانت عبقرية نور الدين انه بدأ التقريب بين العراق وسوريا ومصر • وانه جعل اسد الدين شيركوه السني ليكون وزيرا للحاكم الفاطمى فى مصر • فلما مات اسد الدين شيركوه ، خلفه ابن اخيه صلاح الدين الايوبى • واستمر صلاح الدين بعد موت نور الدين ما يقرب من تسعة عشر عاما يؤكد هذه الوحدة ، ويستعد للحرب التى لا مفر منها •••

كان دهاء صلاح الدين السياسي لا يقل عن عظمته العسكرية التى اشتهر بها • فقد وحد الممالك الاسلامية قدر الامكان • وقلب على الاوروبيين لعبة الايقاع بين اعدائهم فبعد ان كانوا يستعينون بتفريق صفوف المسلمين والتحالف مع بعضهم ضد الاخر ، لعب صلاح الدين نفس اللعبة ضدهم ، واوقع بينهم سياسيا ، مدركا بذلك لحقائق المصالح التي تحركهم • فاوقع بين بيزنطة وروما • واستمال تجار الدول الايطالية بالتجارة المربحة مع مصر •

وفى ٢ اكتوبر ١١٨٧ ، سقطت القدس فى يد صلاح الدين الايوبى ، ثم اسرع يكتسح معظم الدويلات اللاتينية • وكما تقول الكتب الغربية « هرب اللاتين الاغنياء وبقى الفقراء • اما اليهود والمسيحيون الارثوذكس فقد عوملوا معاملة حسنة ، وقبلوا بترحاب حكم المسلمين » •




صلاح الدين الأيوبى


ريتشارد قلب الأسد

٣ وأثارت هذه الاحداث أوروبا واستغلت دعائيا لبدء ثالثة الحروب الصليبية ، وأشدها ، أذجاءت جيوشهم سنة ١١٨٩ ، يقودها ريتشارد قلب الاسد ،اشهر قادة الحروب الصليبية ، لطول ما دار من سجال حربى وسياسى بينه وبين صلاح الدين الايوبى • حتى كادت تقترن الحروب الصليبية كلها باسم الرجلين ، رغم انها دامت ـ حربا وسلاما ـ عدة قرون

جاء فى الواقع لاول مرة أهم ملوك اوروبا واشهر محاربيها : ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا ، واوجستين ملك فرنسا ، وفردريك برباروسه ملك المانيا • وقد نجحوا فى استرداد عكا وحيفا وقيصرية ويافا • ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة عند ابواب القدس • فبقيت المدينة للمسلمين ولكن بقيت للاوروبيين سائر مملكة القدس •

لقد اسفرت الحرب الثالثة عن تقليص حجم الممالك اللاتينية ، ولكنها اعطت هذه الممالك ما يقرب من مائة سنة اخرى من العمر ، قبل ان تنقرض وتجلو تماما •

٤ ولانها ، كما ذكرنا لم تكن مجرد حروب دينية ، ولان الصفة الدينية لهذه الحروب بدات تشحب لتزداد الاسباب « الاستعمارية » ـ بالقاموس الحديث ـ بروزا ، فاننا نجد الحملات الصليبية التالية تتجه فى الشرق العربى الاسلامى وجهات اخرى •

وكانت مصر ـ بعد الدور الذى لعبه فيها صلاح الدين ـ قد صارت القوة الاساسية ، وبالتالى اتجهت محاولات الغزو اليها •

فالحرب الصليبية الرابعة اشرف عليها الكسيوس حاكم بيزنطة لغزو مصر سنة ١٢٠٤ بحجة اخضاع الارثوذكس فى مصر للبابا • ولكن الحرب كانت ممولة من مراكز المال والتجارة الكبرى فى ثغور ايطاليا وانجلترا وفرنسا •

٥ وفى سنة ١٢١٨ شنت الحملة الصليبية على مصر ايضا ، لحصار دمياط ، بحجة الاستيلاء عليها ، ثم المساومة عليها بتركها فى مقابل استرداد القدس ،ودام حصار الصليبيين لدمياط سبعة عشر شهرا • ثم توغلوا محاربين فى الدلتا عشرين شهرا اخرى ، ثم انهزموا وانسحبوا من دمياط فى ١٢٢١ ،وعادت فلولهم الى عكا •

٦ وبعد سنوات قليلة ، انتهزوا فرصة شدة الخلافات بين ورثة صلاح الدين الايوبى ، والصراع بين الكامل فى مصر وابن عمه الناصر فى دمشق ،فاستولى فردريك الثانى على القدس دون قتال !! وظلت فى ايديهم حتى استردها جيش مصرى فى فبراير ١٢٢٩ • وبقيت فى يد المسلمين العرب منذ ذلك الوقت •

٧ ولم تخمد شهية اوروبا النامية للاستيلاء على هذا الشرق الغنى • فقاد لويس التاسع الحملة السابعة على مصر ، واحتل دمياط فى ديسمبر ١٢٤٤ ،واندفع محاربا بقصد الوصول الى القاهرة ، ولكنه سقط اسيرا فى ايدى جيوش مصر ، وسجن فى المنصورة فى ابريل ١٢٥٠ ، وبقى فى السجن حتى اشترى حريته وحرية قادته بمال كثير ، وانسحب من مصر •

انسحب عائدا الى احدى ممالك اللاتين في فلسطين • وبقي اربع سنوات يحاول الايقاع بين المسلمين العرب ليسترد القدس • وتحالف مع هولاكو حين بدأ خطر الزحف المغولي الرهيب يلقي بظله على المنطقة •

ووصل المغول الى بغداد ودمروها سنة ١٢٥٨ ، ثم اكتسحوا مملكة حلب، ثم مملكة دمشق • حتى تقدمت جيوش مصر ومعها جيوش سائر العرب المسلمين ودارت معركة عين جالوت التاريخية ،في سبتمبر ١٢٦٠ . وانتهى بهذه المعركة خطر المغول باكمله • وزاد ضعف الممالك اللاتينية ، فتقدمت جيوشنا المنتصرة فحررت حيفا وصفد وانطاكية وغيرها •

٨ فلما تحركت الحملة الصليبية الثامنة والاخيرة من فرنسا ، كانت قليلة الثقة ، فاترة القوى ،فبعد أن ابحرت متجهة الى الشرق ، عادت فاتجهت لاحتلال منطقة اقرب •• وهي تونس !

وفي الشرق مضى السلطان قلاوون يحرر ما بقي للصليبيين من ممالك او ثغور •• صور وبيروت وطرطوس وصيدا •

وانتهت تلك الصفحة التي دامت قرونا ،وسميت باسم الحروب الصليبية، وقد انقرضت ممالك اللاتين المصطنعة، وعادت البلاد الى اصحابها • وان ظلت مرارة تلك المرحلة في نفوسهم قرونا •• يؤلفون فيها ويعودون اليها ، ويدرسونها في مدارسهم ، من وجهة نظرهم طبعا •

●●

ولكن هل انتهت القضية ، عند هذا التاريخ ؟

•• كلا ، فاننا نعيش صورة جديدة منها في الحاضر •

ومن حقنا أن نضيف الى الحروب الثمانية المسجلة في كتب التاريخ، حربين اخريين ، ربما تحت نفس العنوان •

في فترة ما ، ظهرت الامبراطورية العثمانية، التي كانت آخر امبراطورية ضمت تقريبا كل بلاد المسلمين • وكانت الامبراطورية العثمانية بالذات غير ما سبقها من امبراطوريات اسلامية ،فقد قامت على الفتح والقهر ، وكانت تنظر الى البلاد الاسلامية نفسها نظرتها الى « المستعمرات » • كانت في الداخل امبراطورية مستبدة ظالمة مظلمة ، لم تساهم في الحضارة الاسلامية بشيء ، ولكنها كانت ذات بأس عسكري منظم قوي، فبعد أن فرغت اوروبا من اخراج مملكة الاسلام المتحضرة المزدهرة من اسبانيا غربا ، اذا بها تواجه ، وبعد هذه الحروب الصليبية كلها ، خطر الغزو الاسلامي او التركي من الشرق ، بعبور الاتراك من آسيا الى اوروبا واحتلال البلقان باكمله ، والوصول الى حدود امبراطوريات روسيا والنمسا وغيرها •

ومر وقت طويل ، والامبراطورية العثمانية تشيخ ، والعالم الاسلامي العربي يتدهور ويتحلل وتسدل عليه ستائر الظلم والاظلام • هذا بينما بدأت اوروبا عصر النهضة ، وقضت على الاقطاع ، وبدأ عصر الخروج الى مستعمرات اخرى بعيدة ، وعصر الصناعة في اعقابه يغذيه ويقويه ••

صارت اوروبا اقوى قوة في العالم،هي سيدة المال • وسيدة التجارة ، وسيدة الصناعة • وسيدة البحار •

ولقد وصلت قوتها وحضارتها الى الهند واستراليا شرقا والى اقصى اطراف امريكا وامريكا الجنوبية غربا وجنوبا.

ولكن الجوهرة الثمينة ، الشرق العربى ، لم تفارق خيالها . وحفر قناة السويس زاد من أهميتها . ومن هنا يمكن القول ان« الحرب الصليبية » التاسعة بدأت منذ انحلال الامبراطورية التركية اذ بدأت انجلترا وفرنسا وروسيا تدعي كل منها حقا فى حماية اقلية من اقليات العالم العربى ، انتحالا لاسباب التسلل والتدخل ، ثم صراع انجلترا وفرنسا على مصر ، وفوز انجلترا بمصر وبقناة السويس باحتلالها مصر ، الامر الذى لم تقو عليه الحملات الصليبية كلها .. ثم الحرب العالمية الاولى ، وخداع الانجليز للثورة العربية ، واتفاقية سايكس ـ بيكو التى قسموا بها العالم العربى سرا بينهم ، ووعد بلفور لليهود بوطن قومى فى فلسطين ..



اللورد اللنبى

هذه السلسلة من الاحداث القريبة ، والتى استغرقت فى مجموعها ما يقرب من قرن من الزمان ، وتوجت بدخول لورد اللنبى القدس ، ودخول الجنرال غورو دمشق ، تكوّن فى مجموعها مايمكن ان نسميه ـ استنادا الى التاريخ الذى سردناه ـ الحرب الصليبية التاسعة . وهى اول حرب تحقق اغراضها كاملة منذ اندحرت آخر ممالك الصليبيين فى الشرق قبل ذلك بحوالى ستة قرون ..

طبعا ، كثير من الظروف تغيرت ، والافكار الدينية لم تعد هى الحافز فى اوروبا بل صارت المصالح الاقتصادية والسياسية هى الاساس السافر لكل شيء . ولكن عندما دخل الجنرال غورو ، قائد الحملة الفرنسية فى الحرب العالمية الاولى ، دمشق ، ووقف امام قبر صلاح الدين الايوبى ، لم ينس ان يقول كلمته الشهيرة: « ها قد عدنا .. يا صلاح الدين ! » ..



الجنرال غورو

فالجنرال غورو ، حين نطق لسانه بهذه الكلمة وهو يقف امام قبر صلاح الدين ، كان يعرف طبعا أنه جاء غازيا لاستعمار الشرق ، ولكن غلب عليه ما تعلمه فى المدرسة ، وما وراءه من تراث ، فخفق قلبه ونطق لسانه بما طاف بخاطره فى تلك اللحظة . وسواء قالها بالمعنى الدينى ، او بالمعنى العسكرى ، او بالمعنى الحضارى ، فلا شك أن العناصر الثلاثة كانت متداخلة وهو يقول هذه الكلمة ، وان تغلب فيها عنصر على آخر .

دام هذا النظام الذى اسفرت عنه الحرب التى اسميناها بالحرب التاسعة ، دام هذا النظام من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٤٨ ..

كانت هناك حركات وانتفاضات . وشبت ثورات شتى فى هذا القطر العربى او ذاك . ولكن كل هذه التحديات والثورات والانتفاضات لم تغير كثيرا من وضع المستعمرين الانجليز والفرنسيين وفى خضوع السلطات المحلية لحكمهم .

••

على أن الحرب العالمية الثانية غيرت الظروف الدولية تغيرا عميقا .

لقد ظهر الاتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى ممتدا الى منتصف اوروبا بالضبط ، ومهددا ما عرف باسم « الحضارة الغربية المسيحية » او المعسكر الغربى ، الذى انضمت اليه وتولت زعامته الولايات المتحدة ..

وشبت حركات التحرر فى العالم ، وقامت الثورات ، وشعرت اوروبا



بن جوريون

بالنسبة للشرق ان وجودها فيه مهدد بالزوال ، وان المسالة مسالة وقت ..

وكان هذا الشعور قديما ، منذ احتلوا الشرق سنة ١٩١٩ . ففى وثائق مؤتمر فرساي بعد الحرب العالمية الاولى مذكرة ينصح الانجليز فيها امريكا بالموافقة على فكرة اقامة وطن قومي لليهود فى فلسطين ، لان وجود مثل هذا الوطن (على نمط الممالك اللاتينية القديمة) له صفة قابلة للدوام ، وسوف يكون خير وسيلة لحماية قناة السويس لحساب الغرب .

فهى نفس فكرة اقامة دولة فى قلب الشرق تحرس مصالحهم ويمسكون منها بخناق العالم العربى .

نفس ما ترجمه وزير الطيران الامريكي السابق سيمنجتون حين وصف اسرائيل بانها بمثابة « حاملة طائرات غير قابلة للغرق » .

لقد وجدوا فى ظهور الدعوة الصهيونية وسيلة مواتية، لانهم صاروا فى عصر لم يعد ممكنا ان يقنعوا فيه شعوبهم بحمل الصليب والذهاب تحت اسم الحروب المقدسة . والقدس مفتوحة للحجاج اليها من كل مكان . والحروب الدينية لم تعد مقبولة . ولكن ها هو مجتمع افرزته اوروبا ، وان كانت قد اضطهدته اوروبا . ولديه حافز قوي للرجوع الى مملكة القدس القديمة . فالفرصة سانحة لاقامة قاعدة غربية فى قلب الشرق .

لقد ذبحوا اليهود فى القدس ومنعوهم من الاقامة فيها قبل قرون . وقد اضطهدوا اليهود فى بلادهم الاوروبية بشتى انواع الاضطهاد ، ولكنهم الان صاروا يرون فى اقامة دولة يهودية دينية ، هدفا اساسيا وساميا !!

وقد تزايدت أهمية المنطقة بسوقها التجارية الضخمة، وبموقعها الاستراتيجي الخطير ، خصوصا بعد ظهور الاتحاد السوفيتي فى الشرق ، وفوق كل هذا طبعا ، البترول ، الذى لو انتقل من يد الى يد ـ كما قال كيسنجر صراحة ـ لانقلبت كل موازين القوة فى العالم .

هكذا ، تضافرت العوامل لبدء الحرب العاشرة ..

الحرب العاشرة التى بدأت منذ اقامة دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ وما زالت مستمرة الى الان .. وستستمر زمنا آخر طويلا !

اننا لم نتحدث عن الحروب الثمانية المسجلة فى كتب التاريخ الا بايجاز . وقد كان بعضها قصير العمر، وبعضها كان طويلا ، استغرق اجيالا ، وشمل عدة حروب فى حقبة واحدة او مواجهة متصلة واحدة ..

بهذا المعنى نقول اننا منذ سنة ١٩٤٨ ونحن فى الحرب العاشرة .

لقد حاربت اسرائيل العرب عدة مرات : حرب ١٩٤٨ ـ حرب ١٩٥٦ ـ حرب ١٩٦٧ ـ حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

كانت لكل حرب ظروفها وملابساتها . وهزم العرب فيها جميعا ، عدا حرب ١٩٧٣ . ولكن يجمع بينها صفات اخرى كثيرة . فكلها كان بتاييد ساحق ـ علني او سري ـ من الغرب ، وكلها كان فيه الخصوم يستفيدون من الخلافات العربية . وكانت كلها تستهدف توسيع رقعة اسرائيل وفرض وجودها على العرب بالقوة .

وقد كانت تتخلل هذا كله لحظات من السلم المسلح ، او الهدنة ، او اللاحرب واللاسلم ، ولكنها حين ننظر الى مجموعها نجدها حربا واحدة فى

فصول ووقفات كثيرة ٠
وآخر معركة من معاركها ـ الى الان ـ الحرب الاهلية في لبنان ٠٠
صحيح أن هناك تناقضات عربية كثيرة ٠ وصحيح أن هناك بعد ذلك تناقضات لبنانية فلسطينية ، ثم تناقضات لبنانية بحتة ٠
ولكن الذى لا شك فيه امران :
الامر الاول، ان هذه الحرب الاهلية سببها الاول وجود اسرائيل ، وطردها للشعب الفلسطيني ، ورفضها حتى الاعتراف بوجوده، ومحاولتها المستمرة لعرقلة اى جهد سلمى ، مع الاستمرار في سياسة تهويد ما غزته من اراضى دول عربية اخرى ، وهذا كله يخلق توترات على الجانب الآخر من الحدود، انفجرت مرة في الاردن ، وانفجرت مرة اخرى في لبنان ٠
الامر الثاني، ان هناك أيادى اجنبية ـ اسرائيل ؟ امريكا ؟ ٠٠ قوى اخرى ؟ لعبت دورا في اطالة تلك الحرب الاهلية البشعة في لبنان، وان هناك من تعمدوا تلوينها باللون الديني ، اذكاء للروح الصليبية القديمة في الغرب ، وهناك من فكروا في التقسيم، بمنطق ماسبق حدوثه في ظروف سابقة كثيرة وعلى ضوء نجاح اسرائيل الى الان ٠

●●

وربما كان من أكبر الاخطار ، التي وقع فيها العقل العربى العام ، بعد نكبة ١٩٤٨ ، انهم كانوا يفكرون دائما في الصراع العربى الاسرئيلى ، بمنطق قصير الاجل ٠ في حين اننا لو كنا تاملنا الامر في اطاره التاريخى الطويل، ومن منظور الاهداف السياسية والاقتصادية لشتى القوى في عالم اليوم ٠٠ لادركنا أنه احد تلك المواجهات الحضارية الطويلة التى تاخذ اشكالا شتى من الحرب ومن السلم ومن النضال العسكرى والسياسي ومن السباق في ساحة التقدم والتفوق، ومن نجاح في ضم شتات الامة العربية تحت حد ادنى من التكافل والتكامل والتنسيق ٠٠
واننى لاسمح لنفسى بأن أقول انني حين كتبت قبل حرب ١٩٦٧ ـ حوالى سنة ١٩٦٥ تقريبا ـ انه لا يوجد حل سحرى للصراع ولا معركة واحدة تنهى المشكلة ، لان الصراع ليس مع اسرائيل وحدها ، ولكنه صراع حضارى طويل ستتخلله احداث طويلة ومريرة ،وامتحانات سوف ننجح او نرسب فيها ٠٠ هاجم الكثيرون قولى هذا ، ولكن يخيل لى ان الاقتناع بان المواجهة الحضارية طويلة ، وان العالم العربى « مستهدَف » ـ بفتح الدال ـ من قوى عالمية كثيرة ، ولاسباب معقدة ، اقول ان هذا الاقتناع فيما اظن بدأ يتسع ٠
هذا على الاقل هو فهمي للقضية الفلسطينية ٠
وهو فهمي للمأساة اللبنانية ٠٠ وماكشفت عنه من مآس عربية ٠
فلو كانت البلاد العربية متفاهمة ،لما حدث ما حدث فى لبنان ٠ ولو تعلمت انها اذا اختلفت فهناك لحظات يتجمعون فيها خارج خلافاتهم لما حدث ما حدث في لبنان ٠
ولعل هذا الكلام يصدم الكثيرين ٠٠
ولكن الدواء « المنبه » في هذه الامور ، خير من الدواء « المنوم » على اى حال !

■■

احمد بهاء الدين

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

لغة وأدب :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 213 AUGEST 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● كانت « سبها » واحة صغيرة ،تعيش منزوية منسية عند اطراف رمال الصحراء الكبرى جنوب ليبيا٠٠ومع بداية عهد النفط تحولت الواحة المعزولة الى مدينة منفتحة ، لهاتقاليدها وعاداتها وملابسها الوطنية المزدانة بالفضة والاحجار الملونة التي‌ترتديها في الصورة : آمنة البوسيفي من بنات سبها ٠٠

(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨).

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص ٠ ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي ٠

حوار القراء

حول :

"وكيف نُحَدِّد خطواتنا" ؟

بقلم : الدكتور محمد أحمد سلامة

ان مسالة زوال حضارة هذا العصر في اوروبا بسرعة مسالة مشكوك فيها ـ ذلك أن الزوال لايتم فجاة ولكنه يتم على مراحل قد تطول لقرون كما أن له مقدماته التى يمكن منها التنبؤ به • وحضارة أوروبا اليوم جنت على نفسها ، وعلى كل بنى الانسان فى هذا العصر ، حين لم تستطع ان توائم بين جانبى الحياة للفرد، أو جانبى التقدم للمجتمع، وهما الجانب المادى والجانب المعنوى أو الروحى او النفسى • فقد قرنت التقدم العلمى الرهيب فى الجانب المادى بضربات ـ رهيبة ايضا ـ للجانب المعنوى ، مما وضع ـ فى نظرى ـ أول مقدمات انهيار او تمزق حضارة اليوم ، وهو عدم التوازن بين الفرد والمجتمع ،وعدم التوازن بين الفرد والمجتمع كبشر فى جانب وأساليب الحياة الاخرى فى جانب آخر •

ودلالة ذلك أن حضارة اليوم قد خلقت من الامراض الاجتماعية والنفسية مالم يعرفه الانسان من قبل ،وهى فى نفس الوقت بمفكريها وفلاسفتها وعلمائها قد عجزت عن وضع الحلول حتى لابسط هذه الامراض او المشكلات ـ فردية كانت او جماعية او اجتماعية ـ فالامراض النفسية اليوم تكاد بصورة او اخرى أن تسيطر على كل بنى الانسان ، وعلاقة الفرد بالآخرين غير محددة سوى بقوانين يراها الأفراد فى كثير من الاحيان متسرعة او ظالمة أو غبية ، وابسط العلاقات حتى علاقة المرء وزوجه او وضع المراة فى المجتمع هى اليوم تحتمل ألف رأى ويزيد ، والمجتمعات القديمة مثلا حاربت الزنا ـ العلاقة غير المشروعة بين رجل وامراة ـ وقاومته وقللت حدوثه ، بينما بعض مجتمعات اليوم تبيح العلاقة غير الطبيعية أو العلاقة المرضية ، مثل كل مظاهر الشذوذ الجنسى ـ وفى حماية القانون ، وحيوانات الغابة لا تعرف ذلك ولا تستعمله ••

والانتحار والنفاق وعدم المبدئية من سمات عصرنا ،وهى دلالة عدم الثقة بالنفس، وتتساءلون عن ظاهرة وأد الأبناء فى اليابان ، أليست فى جانب منها تطابق عزوف الشباب فى عصرنا أو عجزه عن الزواج؟ أليست صورة لغنى المجتمع ماديا وفقر الفرد معنويا ؟ والمصيبة هنا أن المراة ـ الام ـ هى التى تئد طفلها • لقد كان العنف سمة الرجل، فهو المقاتل وهو الجندى فى الميدان، وكانت النسوة فى جانب آخر هن مسحة العطف والحنان ، فبعد ذلك ماذا يتبقى من عطف أو حنان ؟ •

لم لا يحتمل أن يكون الخوف من هيروشيما أخرى على الابناء فى المستقبل هو السبب ؟ •

وبالتاكيد فان عدم وجود فراغ عند المراة هو جزء من المشكلة فلربما هى عاملة متهمكة بما لايسمح لها ـ من وجهة نظرها ـ أن تربى طفلا صالحا ،ولربما كانت المراة فى اليابان ـ وهى حتى الآن من أحسن الزوجات فى العالم ـ تريد التحلل من قيود الزوجية ومن صورتها التقليدية أمام الزوج ، وترى فى الامومة قيدا على هذا التحلل ، ولربما ان وفرة وسائل الاستمتاع واللذة المادية لاتدع للمراة وقتا



لبيت أو طفل ، ووسائل الاستمتاع واللذة المادية رغم خطورتها القاتلة ، الا ان حضارة اليوم غلفتها وزينتها بصورة جعلتها العسل الذى يجذب كل الذباب وكل الوقت ...

ان من سمات الانسان المعاصر بصفة عامة ، النقل او التقليد السهل دون تفكير ، وهذه سمة مجتمعات ودول معاصرة ، خاصة فيما يسمى اصطلاحا فى دول العالم النامى .

والتقليد ـ من فرد لفرد او من مجتمع لمجتمع او من حكومة لحكومة ـ هو ظاهرة او عملية غير صحية ، ان لم تكن واعية ومحددة الاهداف ، ذلك انها حينئذ تاخذ بالمظهر القريب الجذاب دون البحث عن الجذور او فى الاعماق ـ وهى ايضا غريبة .

وهذا يجرنا الى حديث يجب ان يكون اكثر جدية عن الانفتاح الاقتصادى والانفتاح الاخلاقى .. وانا من المرحبين تماما بالانفتاح الاقتصادى فى كل العالم ، ولكنى اطالب بوضع المحظورات امام الانفتاح الاخلاقى او اللا اخلاقى ، والذى كانت صورته القريبة ان انفتحت شهواتنا وكثرت مطالبنا واتسعت تطلعاتنا المادية قبل ان تفتح اقتصاديا بالاسلوب الصحيح ، وهى الظاهرة التى تنذر بخطر يهدد كل الآمال والمطامح ..

ان النفس البشرية مثل نار جهنم كلما قدم لها سالت هل من مزيد ؟ والظاهرة الخطيرة على حياة مجتمعاتنا النامية التى عانت من تاثير الاستعمار والحروب المستمرة الكثير فى المجال الاقتصادى ، ان تسود فيها قيم مادية وطموحات استهلاكية تصبح ظاهرة عامة ، وتكون كالبالوعة التى تمتص كل محاولات البناء او التخطيط او التوازن .

وتزداد النزعة قوة اذا كان هناك احساس عند الناس انهم حرموا فى الماضى او اذا ظهرت دعاوى تطالب الدولة بالعطاء والمسئولين بتوفير الرخاء دون حساب للظروف ودون سؤال : من اين ؟ ان الميزان الاقتصادى يختل تماما ويسود كل شيء الا التخطيط والعمل العلمى ـ وتصبح «الانا» هى كل شيء ويستتبع ذلك بالضرورة ظواهر الجريمة والانحراف من سرقة واختلاس واغتصاب بل وتنتشر جريمة القتل ـ تصبح المسالة هى اللذة من حلال او حرام على حد سواء ، ويصبح التسابق الى المتعة او الاستمتاع دونما حساب لموازين الحق والواجب .. وهذا يقتضى منا وقفة عامة مسئولة حكومية وشعبية حول الاساس الاجتماعى والقومى الذى يجب ان نتمسك به أولا ثم ننطلق منه للتعامل مع الحضارة الحديثة دون خوف أو ارهاصات او اخطار .

فحين نتحدث عن حضارة لنا سابقة ، أو عن دور لنا مأمول ، فان العجب كله يثور أمام الانسان حين يرى ان الخلافات السياسية أو المذهبية ليست هى أعقد ولا أصعب ما يفرق أمة العرب أو يهدد دورها المأمول .

لقد اختلفت بيننا القيم كثيرا مع ان فى أيدينا منبعا واحدا قويا للقيم ـ وتفرقت بنا العادات الاجتماعية والتقاليد بحيث تعيش فى بقعة عربية وكانك فى سان فرنسيسكو وتعايش أخرى وكانك تعايش عصر ما قبل الميلاد . قرون وليست سنوات أو شهور هى التى تفرق بين العربى والعربى .

ترى سيدى ، هل هي جناية الاستعمار وحده ؟ بالطبع هذا جانب أساسي وكبير ولكن ترى ايضا هل ذلك ما يراد لنا او اريد لنا فقط ؟ بالقطع لا ، فانى أخشى أن نكون قد وصلنا الى المرحلة التى نريد نحن فيها ذلك •

ان الامبراطوريات التى اضمحلت أو فنيت كانت تحمل في داخلها عوامل صراع وتطاحن وفناء ، كما ان تكوينها كان قائما على الصراع مع العالم الخارجي ومحاولات السيطرة والانتشار، بينما أمة العرب وقومية العرب تحمل فى داخلها ومن مكوناتها عوامل قوة وبقاء ودوام ، مقومات ان استمسكنا بها نتحدى الزمن ونتحدى من يتحدانا ـ فينا اللغة الواحدة والدين الالهى والتاريخ ـ أطول وأغنى تاريخ لبنى الانسان ـ لنا تقاليد وعادات ومبادىء وقيم ومثل ان كان فيها الدخيل السيء أو الضعيف الا ان أساسها نقى متناسق ، مثالى ، وفى نفس الوقت عملى جدا •• وليس بين بنى العرب ولا بين شعوبهم هذا التناقض الموجود بين اجناس السكان فى المانيا مثلا أو فى بلجيكا أو فى امريكا او فى الاتحاد السوفيتى ، والتى تصل فى حدتها أن يفضل فرد من السكان أو جماعة ، فردا او جماعة أخرى من وطن آخر على بقية بنى الوطن ـ فمقوماتنا ليست عوامل تخلف أو ضعف فى حد ذاتها ولكن الضعف والتخلف قد حدثا حين ابتعدنا او أبعدنا عنها •• حين ابعدنا عنها دون تقديم البديل ـ وحين نبتعد اليوم لنبحث عن البديل عند الآخرين، وهذا هو التناقض مع الذات ••

ليس مطلوبا أن ننعزل وليس مطلوبا ان نتخلف عن ركب الانسانية •• ولكن المطلوب والمرغوب ، فى اللحظة التى نحدد او نسعى الى تحديد هوية سياسية مستقلة وذاتية تفرض على الآخرين احترامنا، مطلوب وبنفس الدرجة ان يواكب ذلك تحديد قاطع ـ فاصل جامع مانع ـ للهوية القومية ولابعادنا الاجتماعية العامة ثم لمحددات ومقومات الشخصية الفردية العربية • ـ هذا مطلوب بنفس الدرجة وربما أكثر الحاحا لان قوة الشخصية الاجتماعية وتماسكها يساعد كثيرا على تحديد الهوية السياسية ويفرض على الآخرين احترامها وتقديرها •

ومن هنا ـ وربما بدا ذلك بعيدا عن الموضوع ولكنى أراه فى الصلب ـ نقول ان عمقا اكبر يجب ان يوجه للغة العربية الفصحى كأساس ضرورى وحيوى للشخصية العربية •

اللغة تحدد القومية وتعطى مؤشرا بسمات وأبعاد المجتمع والشخصية ـ وليس يكفى اجبارية دراسة وتدريس اللغة العربية فقد ضعف بها الحال كثيرا ، وقل المتحدثون بها ، الملمون بجوانبها الفنية وأبعادها الفنية ـ وهى ـ ويا للخجل ـ لغة القرآن الكريم ـ

وهذا ينعكس على الاتجاهات الادبية العامة عندنا الآن ، والادب وليس العلم ـ هو روح المجتمع ومرآته ورئته المتنفسة ، ولقد نرعى اللهجات المحلية والعامة ، ان اجيالنا الجديدة سيئة الحظ لأنها لم تعايش جيل العمالقة من الأدباء والكتاب كما انها لا ترى اليوم شبيها لهم، والتربية عندنا اليوم لاتنبىء أو تبشر بظهور هذا الشبيه ـ فالتقليد والسطحية سمتان دخلتا عالم الأدب كما لونتا العوالم الأخرى • ومع اتساع وتسيد السطحية والتقليد نتخلع من أصلنا من ماضينا ـ من جذور حضارتنا ـ أعظم حضارة عملت للانسان وباختصار تثور هنا قضية الاصالة، يذهب الاصل ويبرز الجديد السهل ، وما هو الا فقاقيع لأنها ليست فى الذات ، ليست جوهرا، ومن ذلك الاتجاه الذى اخذنا بجانب منه دون الآخر ـ التوسع فى دراسة اللغات الاجنبية والتشدق بها حتى فى احاديث رجل الشارع العادى • معرفة اللغات رأسمال كبير حقا، ولكنى لا أحترم ولا أحب من يحترم أو يحب لغات الآخرين أكثر من لغته القومية •

والدور الأكبر هنا يجب أن يكون لمؤسسات التربية والتعليم ولوسائل الثقافة والاعلام • والمدرسة عندنا اليوم لظروفها لا تقدر على وظيفة التربية ، كما أن دورها فى التعليم ليس هو الدور المأمول ـ فالقيت الوظيفتان على كاهل البيت ـ الأسرة ـ وما أثقل كاهل الأسرة اليوم ،

ويبرز السؤال الملح : هل البيت في ظروف الأمية قادر على احدى الوظيفتين أو كلتيهما؟ بالقطع لا! وأمة العرب قادرة على محو أمية بنيها ، ولكن ذلك يتطلب جهدا عاما مسؤولا: حكوميا وشعبيا • ولست ادرى كيف لانخجل امام تعبير ان الأميــة وصمة في جبين الانسان في هذا العصر - فالأمي على الأقل لايعيش مشاكل عصره وبلده في الوقت الذي يلزم أن يشارك كل بفكره وجهده في البناء خاصة في الدول النامية •• والكثير من منجزاتنا وانجازاتنا قد فقدت شكلهـا ومعناها الحقيقي بسبب الأمية - ذلك أن للأمي عالما خاصا به ليس هو عالم الجميع •

وينسحب الحديث هنا فورا على وسائل الثقافة والاعلام - ولعلك عزيزى القـارىء تلاحظ أن وسائل الثقافةقد أصبحت بلا جديدتقدمه للمواطن مستمعا كان او مشاهدا أو قارئا، ولم تعدجميعا تشبع أغوارا هامة وحيوية في شخصية الانسان العربي - والدليل البسيط اننا استبدلنا المعارك الادبية الفنية والهادفة التيكان القارىء يتابعها بشغف علىصفحات صحفنا والتيكانت تثرى فكر القارىء وتخصب خياله وتشركه في قضايا اللغة والمجتمع - بمعارك شخصية ضحلة فيها من الكذب مثلما فيها من الحقيقة وليست للقارىء بمفيدة أو مجدية من قريب أو من بعيد - وقلت بذلك الاوراق الملتزمةاو الكتاب المحايدوناو الملتزمون- وأصبح المواطن الواعي ينظر بشك وريبة الى كل ما يقرأ - ولكنه يقرأ لانه ليس هناك غير ذلك، ووسائل الثقافة الاخرى من راديو واذاعة مرئية ودور سينما تتسابق جميعا الى ارضـاء أذواق رخيصة ليست هي الذوقاو الحس العربيالاصيل• وهذا اطلاقا ليس هو الدور المأمول لهذهالمؤسسات في هذه المرحلة من حياتنــــا وليس هكذا يكون التثقيف أو التوعية او حتى محو الامية •

يرتبط الحديث عن عوامل قوتنا او اســـباب الاصالة فينا فــــورا بالدين - وبالـــذات الدين الاسلامي - وارجو أن يفهم القـارىء أن هناك نغمة قوية في الخارج الآن تحاول أن تجعل من الاسلام مشجبا تعلق عليه أخطاء مسلمي عصرنا وتحاول أن تنسب للاسلام أسباب ضعفنا وتخلفنا بل وانقسامنا ولقد ظهرت كتب عديدة تزكي هذا الاتجاه •

نرجو أن يكون ما بقي لنا من العمر هو في محاولة تفنيدها ، حتى يستبين لاصحابها أنهم على الخطأ ، ان الاسلام صنع أعظم حضارات العمران والتقدم ، وهدم أعظم امبراطـــوريات الظـــلم والاستعمار في التاريخ كله، وليست هناكرسالة سماويةأو دعوىوضعية قد كرمت الانسان وكشفت له جوانب عظمته وحفظت له كل حقوقه - رجلا كان أو امرأة - طفلا او شيخا او كهلا - صديقا كان أو عدوا ، مثل الدين الاسلامي ، والمسلم هو صورة الاسلام ، ونحن ناخذ من الآخرين - في الغرب وفي الشرق - ما ليسفي اسلامنا ولا منه، ولان ما ناخذه سيىء ، وهـذا امر منطقي لانهم لا يستطيعون أن يقدموا أو يطرحوا ما يقدمه وما يطرحه الاسلام ، من هنا هجومهم - في الغرب والشرق - على ما قد اخـذناه عنـهم بعد أن ينسبوه للاسلام •

مطلوب منا أن نكون على اســــلامنا الحق الحقيقي ، وهذا حديث طويل وغني نرجو أن نعود اليه ، نكتفي منه الآن برجاء القناعة بان الاسلام واحد ولا يقبل تعددا ، ان الاجتهاد في التفسير والشروح واجب وفرض ولـــكنه ليس التأويل ، ومطلوب وبالحاح أن يوحد رجال الدين الراى فيما يتعلق بقضايا العصر •

واذا كنا لانسعى - ولا نريد امبراطورية لنا - ولكننا نريد دولة واحدة قـــوية تزينها أخلاقنا النابعة من تراثنا الحي ، الا أننا يجب أن ندرك ان الكثيرين خارج امتنا يقفون ضد ذلك ويعملون ضده - لماذا ؟ ببساطة لاننا على الحق، وصاحب الحق دائما أقوى الجميع وانجح الجميع وأكثر الجميع نفسية وهدوءا اجتماعيا ، هذا اذا ادرك هو ذاته أنه على الحق وأن بين يديه الحق ، واذا وعي هذا الحق وحـــرص عليه - وكل مصائبنا تأتي من عدم ادراكنا لقيمة ما بين يدينا •

■■

د• محمد أحمد سلامة
كلية التربية - جامعة طنطا
جمهورية مصر العربية

الإسلام و... حرية الإرادة

بقلم : الدكتور حسين فوزى النجار

● ينسب بعض المستشرقين الاجانب الى الاسلام انه يدعو الى التواكل ، وانعدام حرية الارادة الانسانية ، وبالتالى يفقد الانسان الحافز ليعمل ويجتهد • وهذا مايعالجه هذا المقال •

● كان القضاء والقدر اكثر ما الم بالعقل الانساني وشغل به تفكيره منذ القدم • حين وقف الانسان عاجزا امام سنة الكون والقانون الذى يحكمه منذ الازل •

ولا يختلف فكر الانسان المعاصر وهو يخترق اجواز الفضاء ، ويصل الى القمر ، عن فكر هذا الانسان الاول فى كهفه ، وفى بيئة صعيده المحدودة فى نظرته الى السماء ، والى الظواهر الطبيعية العارضة ، من برق ورعد وزلازل وبراكين وانواء ورياح ، يقف دونها عاجزا ، فان سيطرة الانسان المعاصر على بعض الظواهر الطبيعية ـ وان ادت به الى معرفة اوسع ـ قد وضعته امام ظواهر اضخم ، لم تخطر على بال الانسان الاول او انسان الجيل الماضى ، واصبح امام هذه الظواهر التى قادته اليها معرفته الجديدة اكثر عجزا مما كان اجداده ، وان كان عجزه من قبيل الانبهار والتطلع واليقين اكثر مما هو عجز استسلام وخوف وشك، فالانسان القديم في عالمه القاصر ، وفي تصوراته المبهمة عن هذا الكون ، لم يدرك قط ان ارضه جزء من كل هذه المجموعة الشمسية التى تنتمى اليها ارضه ، وانها بالنسبة اليها لاتزيد على حجم سن دبوس يلقى على سطح الكرة الارضية، ولم يدرك ان المجموعة الشمسية التى تنتمى اليها ارضه ماهى الا واحدة من ملايين المجموعات الشمسية فى بحر المجرة ، وان هناك ملايين المجرات الاخرى تسبح فيها ملايين اخرى من المجموعات الشمسية •

اى كون هائل هذا الكون واى صانع قادر عليه؟!

وهذه هى المعرفة التى تقود الى الايمان، الايمان بما فى هذا الكون من خلق عظيم ، ومن اعجاز يفوق قدرة العقل الانسانى على الخيال والتصور•

وطالما ظلت معرفة الانسان قاصرة عن ادراك

القانون الكلى الذى يحكم الاشياء والظواهر ، ستبقى قاصرة دون ادراك ظواهر بعينها كالموت والحياة ، وسيبقى عجز الانسان عن ادراك العلة خارج طاقته وقدرته العقلية ، ولامندوحة له الا ان يردها الى ارادة اعلى واعظم وهي ماعبر الانسان عنها بالقدر ، وما نعبر عنه بالارادة الالهية التى تحكم كل شيء بقدر ، وبسنة لاتبديل لها ولاتحويل وهى السنة الالهية التى تحكم العلل والمعلولات، وتحكم الحاضر والغائب • وفقا لقانون ثابت ،هو ماندعوه فى تعبيرنا القاصر بالقانون الطبيعي •

التامل والنظر

فالقدرية قديمة قدم الانسان وقدم الفكر الانساني ، وربما كانت اعرق في الوجود ـ كما يقول الدكتور هيكل (١) ـ من كل فكرة اخرى ، فلما جاءت الاديان عرضت لها كظاهرة ، وردتها الى الارادة الالهية التى تحكم القانون الكلى للاشياء والظواهر، وتركت للانسان حرية التفكير فيها ، ليدرك من سرها مايستطيع عقله ان يدرك ، ويفسرها بقدر مايجد لها من تفسير ، فقد خلق الله هذا الكون العظيم بما حوى ، ولكنه تعالى لم يقل لنا كيف خلقه ، وعلى اى صورة صوره ، الا ما نرى منه، وترك لنا ان نتامل وننظر ونبحث ونصل الى بعض هذا القانون ـ ولن نصل الى كله ـ لتكون لنا بعض السيطرة عليه ، على قدر ما تصل اليه قدرتنا •

وهذا الانسان الذى كرمه الله وفضله على سائر خلقه ترك الله له المقدرة على تسخيرها ، وكيف يسخرها بما وهب له من عقل وتفكير ميزه بهما على بقية خلقه « ليرى من قدرة الله على ضوء المعرفة ما لا يراه في دياجير الجهل » •

وكانت هذه القدرية اهم مباحث الفلسفة

(١) الدكتور محمد حسين هيكل : المعرفة والفلسفة والايمان







محمد عبده

تولستوى

هيكل

الاسلامية . فكانت فكرة الجبر والاختيار كما عرفها الفكر الاسلامي ، او حرية الارادة الانسانية كما عرفها الفكر الغربي ، واختلفت فيها الفلسفة الغربية ، كما اختلف الاسلاميون حول الجبر والاختيار ، وان كانت جميعا مما يدور في فلك واحد ، وهو مدى مسئولية الانسان عن اعماله ، وهل يملك من الحرية ما يحقق مبتغاه ، وما ينشده في سعيه ؟ ام انه مسير في حياته لا يملك لها تحويلا الا ما تريده المشيئة الالهية له .

الجبر والاختيار

وبقدر ما اصبحت الحرية في الفلسفة الغربية واقعا اجتماعيا لا صلة له بالارادة الالهية فيردها « هيبوليت تين » الى البيئة فيقول « ان الانسان ثمرة بيئته » كما يردها « ماركس » الى حتمية الاوضاع الاقتصادية ، فاذا تحرر الانسان منها ولم يعد لها سلطان عليه حقق حريته في صورتها العليا ، وهي حريته الاجتماعية ، بينما يردها « سارتر » الى قدرة الانسان في السيطرة على ماهيته وتحقيق ما ينشده لذاته ، بقدر ما ظلت الحرية في الاسلام رهينة العقل الواعي المفكر الذي يختار ، وان اختلف الاسلاميون في مدى هذا الاختيار وحدوده ، فكانت بين القدرية وحرية الاختيار مذاهب شتى . فبينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى جماعة من الصحابة عن الحديث في القدر ويقول : «بهذا ضلت الامم قبلكم (٢)» ويقيم عمر الحد على سارق لانه قال انه سرق بقضاء الله (٣) ، نرى الامويين ، تاييدا لحكمهم ، وانه قدر مقدور ، يؤيدون فكرة الجبر ويشجعون القول به . ثم نراه بعد ذلك اثرا من آثار التقى الزائد ، او موقفا رأى فيه المتزيدون وقاء من جدل ينال من صلابة العقيدة لديهم .

الا ان المقصود الفكري من تفسير ايات القران التي تناولت مسئولية الانسان عن افعاله هي التي ادت الى اختلاف المسلمين حول الجبر والاختيار ، فمن الآيات ما يؤكد حرية الانسان ومسئوليته عن افعاله كقوله تعالى :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » البقرة ٧٩

وقوله : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » الرعد ١١

ومنها ما يؤكد ان افعال الانسان قدر مقدور عليه لا يد له فيها ، كقوله تعالى :

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » الفرقان ٢

وقوله : « انا كل شيء خلقناه بقدر ، وماامرنا الا واحدة كلمح بالبصر » القمر ٤٩ ـ ٥٠

فلنترك جانب الاقدمين قليلا لنرى الى اي مدى نعي فكرة الجبر والاختيار في العقيدة الاسلامية والى اي حد تقف حرية الارادة الانسانية امام المشيئة الالهية .

ماهي الحدود الفاصلة

فاذا كان ما يصيب الانسان في حياته ممايخضع للمشيئة الالهية فلماذا كان الثواب والعقاب ولماذا كانت مسئولية الانسان عن اعماله فلا تزر وازرة وزر اخرى ؟

واذا كان العقاب والثواب من مقررات الاسلام الاصيلة فان ذلك يقرر بالتالي مسئولية الانسان عن اعماله وهي مسئولية تقوم على ما يملك من حريته في الفكر والعمل ، فالنوايا كالافعال مما يخضع للعقاب والثواب .

فما هي الحدود الفاصلة بين المشيئة الالهية وحرية الارادة الانسانية ؟

لعلنا نرى تلك الحدود الفاصلة فيما هو كلي عام وما هو جزئي خاص ، فاذا كانت سنة الله في خلقه وهي سنة لا تبديل لها ولا تحويل منذ خلق السموات والارض « ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش » الاعراف ٥٤ .

فهذا هو القانون الالهي سنة الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا الذي يحكم الكون ويسير

---

(٢) انظر ابن سعد : الطبقات، والشهرستاني:الملل ، والبخاري : حديث ٢٣٧

(٣) ابن المرتضى : المنية والامل

من الازل الى الابد ،والذى يحكم فى نطاقه الكونى مسيرة الانسان ، فما هو من سنة الكون الكلية ، كالخلق والحياة والموت فمردها الى هذا القانون الكلى الذى يحكمها • وما هو من الجزئيات كتسخير الحيوان لخدمة الانسان ، واختراع الآلة، والسيطرة على بعض الظواهر بالكشف عن القانون الذى يحكمها ، فامره الى الارادة الانسانية ، فالكهرباء طاقة لا ندرك حقيقتها ، ولكننا ندرك كيف نذللها ، وكيف نسخرها لمنفعتنا بالكشف عن القوانين التى تحكمها وتسيطر عليها • والخلق والحياة والموت هى الاخرى من الارادة الالهية الا انها بدورها مما يخضع لهذا القانون الكلى :

« انا كل شيء خلقنـــاه بقدر ، وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر » القمر ٤٩ ـ ٥٠

« واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا » الفتح ٢١

الكون تحكمه قوانين ازلية ثابتة

فهذا الكون اللانهائي الذى لا تدركه الابصار او الفكر مداه ، تحـــكمه قوانين أزلية ثابتة • نعجز بعقلنا القاصر ايضا عن تصور مدى دقتها ، والحياة والموت مما يخضعان لهذا القانون الكلى فى وجودها اللامتناهي ، ولكن الحياة لا تغصب ما لم تتوافر لها مقومات معينة ، والموت وان كان ازليا وقدرا مكتوبا ـ فلكل اجل كتاب ـ فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ، له اسبابه من مرض ونوازل عارضة مما لا يدخل فى ارادة الانسان ولا يخضع لهواه ، حتى قتل النفس وان بدا عملا اراديا فانه لا يتم دون سبب يحكمه او يدعو اليه من ارادة الانسان ، ولكن الدواعي التى ادت اليها ليست من قبيل الارادة الحرة وانما حكمتها عوامل عديدة لم يكن منها فكاك او خلاص ما لم يتغلب الانسان عليها بما اوتى من علم او ارادة غالبة •

ارادتنا ليست مطلقة

وقد تبدو حرية الاختيـــار فيما يتصل بحياة الانسان وسلوكه واتجاهاته مما يخضـــع للارادة الذاتية خضوعا تاما، ولكن الواقع يخالف ذلك، فان عـــدة ارادات هى التى نعبر عنها بارادة المجموع ، اذ الارادة العامة مما يؤثر فيها وتتاثر بها فتتغير تبعا لها اتجاهات الانسان وسلوكه ، فهذه الارادة التى نملكها ليست ارادة مطلقة ، وانما هى ارادة نسبية بقدر ما يتدخل فيها من ارادات الآخرين والظروف الاجتماعية التى تتصل بها وتؤثر فيها،فما من جيل ـ مثلا ـ الا ويتحمل غير مختار آثار جيله السابق ، كما يحتمل غير مريد شرور جيله •

ثم ان الارادة ذاتها لا تعمل حرة تمام الحرية من اى قيد نفسى او فسيولوجى او بيئى ، ولعلنا نجد فى هذا تفسيرا لانحـــراف بعض الاحـــداث التاريخية عن مسارها العام ، فتذهب مذاهب شتى فى تفسير اسباب ذلك فيقال : « ان الانسان منقذ غير واع لارادة الله » • ويقال : « اليد الخفية » كما يرى « آدم سمث »• و « مكر العقل » كما يرى « هيجل » فى تفسـير القـــوى التى تدفع الانسان للعمل من اجلها ولاجل غاياتهـــا ، وان ظن انه يعبر عن ذاته ويحقق رغباته ، واخـــذ « تولستوى » بما يشبه هذا التعليل حين قرر أن الانسان يعيش واعيا لنفسه ولكنه اداة لا واعية لتحقيق الغايات التـــاريخية • وكل هذا هراء ، فالاحداث لا تحكمها ارادة الانسان او رغبة الجماعات فحسب ، وانما يؤثر فيها ماضى الانســـان ، كما تتاثر بعديد من العوامل المتنافرة والمتسقة التى تتحكم فى طبيعة المجتمع الانسانى ، والتى تفوق ارادة الانسان وان كانت من صـــنعه ومن نتاج تفكيره ، فالانسان لا يعيش فى عزلة مطلقة ينمحى فيها الفعل ورد الفعل للارادة الجماعية ، وانما يعيش فى زمن يتاثر بظروفه وفى مكان يتحكم فى ارادته •

الا أن هذا النصيب النسبى من حرية الارادة هو ما تقع فى دائرته الاعمال الارادية للانسان ، وفيها تتحدد مسئوليته ، ويتحدد سعيه فى الحياة، وهو على ضآلته حافز قوى لعمل الانسان لتحقيق ذاته والتعبير عن ارادته ، وهو الحد الفاصل بين الجبر والاختيار فى الاسلام ،وبين القدرية وحرية الارادة الانسانية •

قوة عليا تهيمن

فقد دعا الاسلام ـ كما يقول «سيد أمير علي» ـ الى الايمان بقوة سماوية عليا تهيمن على الكون. وقرن ذلك الايمان ببث روح الاعتماد على النفس وتقرير مسئولية الانسان عن عمله تأسيسا على حرية الارادة الانسانية . ومن مزايا القرآن الكريم انه يجمع بصورة غريبة ، بنودا متناقضة بادىء الامر بين وجود ارادة الهية تهيمن على جميع الكائنات وتؤثر في الناس وفي افكارهم تأثيرا مباشرا ، وبين تأكيد حرية الارادة الانسانية وحرية التفكير . وليست هذه الظاهرة مقصورة على القرآن وحده ، فهي في الانجيل ايضا ، الا ان مسئولية الانسان عن عمله جلية واضحة في القرآن ، وان تبادر هذا السؤال الى الذهن : كيف يمكن ان نوفق بين هذين الامرين ؟ اذ يبدو لاول وهلة ان ثمة تناقضا بين محاسبة الانسان على عمله ، وهي قوام الاخلاق الاسلامية ، ووجود قوة قادرة تسيطر على اعماله ، ولكن الفكرة الاسلامية لا تفرق بين الايمان بوجود اله حي قادر والايمان بقدرة الانسان على الارتقاء والكمال ، وهو ما يكشف لنا عن هذه الحيرة ويفسرها (٤) .

وهذا التناقض الظاهري هو ما حمل بعض المستشرقين على نعت الاسلام بانه دين قدري وان الجبرية قاعدة من قواعد العقيدة الاسلامية ، فاذا كانت المعصية قدرا مقدورا فلم حساب الله عليها؟

وهذا التفسير هو فرق ما بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي في ادراك هذا التناقض وفهمه . فبينما يرى الغربيون الارادة الحرة مقيدة بارادات الآخرين وبالتنظيم الاجتماعي للافراد او بالخوف والشعور بالمسئولية ـ كما سبق ان اشرنا ـ يذهب الفكر الاسلامي الى تقرير المسئولية تبعا للارادة والادراك الكامل لعلاقة الانسان بالكون ثم علاقته بالآخرين . ويرى « سيد أمير علي » ان كلمة « قدر » تعني القانون الطبيعي او ما نعنيه بالقانون الكلي الذي يحكم الخلق جميعا ، وهو من آياته تعالى التي تعبر عن هيمنته جل شانه على كافة خلقه .

« وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » الحجر ٢١

فالانسان مسيطر مطلق في نطاق وجوده المحدود ، اذ زانه الله بالعقل ، وهو جزء من وجوده الأعظم خلقه على صورته » فالانسان ـ كما يقول العقاد ـ روح علوي سقط الى الارض من السماء ليحمل مسئولية اعماله ووزر نفسه » .

قدرة الله

فالله خالق كل شيء وعنده مفاتح الغيب ، الحي القيوم ، الكبير المتعال ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار . يسبح له من في السموات والارض ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وهو بكل خلق عليم ، وسع كل شيء علما ، كل شيء هالك الا وجهه .

فاذا ادركنا هذه القدرة ادراك بصير ، ادركنا كيف خلق الله الكون بنظام ثابت وسنة لا تتبدل وانه جعل لكل شيء سببا ، فالحياة حقيقة هذا الوجود كله ، ولكنها لا تنشأ في فراغ . وانما تخضع لقانون ازلي وترقى وتتطور وتتكيف وفقا لهذا القانون ، فبدون عملية التلقيح في النبات لا يزهر ولا يثمر ، وبغير اجتماع الحيوان المنوي للذكر الى بويضة الانثى في الرحم لا يتم الحمل ولا يتكون هذا الجنين الذي يحمل صفات الابوين ، فتنحدر منه الى ابنائه وسلالته ، كما انحدرت اليه صفات اجداده ، وكلما تباعدت الصفات بتباعد القرابة بين الزوجين ضعفت الخصائص المشتركة بينهما ، لذلك كان زواج الاقارب مكروها وكان الزواج من الادنى في القرابة كالاخت والعمة والخالة وابنة الاخ وابنة الاخت محرما .

والموت كالحياة ، حقيقة ازلية ، فكل شيء هالك الا وجهه ، وهو قدر على كل حي . فقد جعل الله لكل شيء أجلا لا ريب ، حتى السموات والارض لها اجلها المحدد في علم الغيب ، ولكل امة اجلها ، وقد خلط المفسرون بين الموت قدرا مقدورا على

---

(٤) Ameer Ali, Sayed, the spirit of Islam

كل حى وبين تحديد الاجل ، فالاجل محدود بقدرة الحى على البقاء والاستمرار ، فاذا فقد القدرة جاءه الموت ، وما من حى الا ويفقد القدرة على البقاء والاستمرار في يوم من الايام ، فالمرض حين يصيب جسد الحى ولا يقدر على رده ينزل به الموت ، والجندى حين تصيبه رصاصة قاتلة تميته، وحين يدهم القطار انسانا او دابة يقتلها ،وحين تهوى الطائرة محترقة يقضى على من فيها ، فاذا نجا ناج فلسبب خرج به عن الخضوع للاسباب التي ادت بالآخرين الى الموت ، وحينذاك نقول انه نجا بمعجزة • وقد اثبت العلم الحديث ان الشمس تذوى وتذبل يوما بعد الآخر • ككل الكائنات في هذا الوجود ، ولكن على اى مدى تخفت الى الابد ؟ هذا ما يعلمه الله وان اجتهد العلم فى تقديره وقياسه بالسنين والارقام التى لا تدرك الحقيقة ، مادام العلم قاصرا عن الشمول والادراك الكامل ، وهما لله وحده ، فمهما يبلغ علم الانسان فما اوتى من العلم الا قليلا ،فالحياة سائرة الى زوال ولكنها خاضعة لقانون ازلى يحكمها كما يحكم الموت والفناء ، وهذا القانون الازلى هو من صنع القدرة الالهية ، او هو جماع الخلق كله ، وهو ما نسميه بالقدر ، او القانون الطبيعى ، كما يعنيه « سيد امير على » . وحين نغفل عنه نصفه بالجبرية ، وما عدا ذلك مما يتعلق بمسيرة الانسان وعمله على الارض فمن صنع الانسان ، سواء كان منه وحده ام شاركه فيه غيره ، فارادته حينئذ تتاثر بارادة غيره فردا او جماعة ، فليست هناك ارادة حرة مطلقة للانسان مالم يتحرر من مؤثرات الماضى والحاضر والبيئة والوراثة ، ولن يتحرر منها ، فهى قيد حياته ووجوده ، تتحدد بها مسئوليته ، ويحاسب على ارادته عنها بقدر ما تتحكم فيه وتحكمه • فقيل : الضرورات تبيح المحظورات ، وفى قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم » البقرة ١٧٣

كما يسقط الحد ويمتنع العقاب عن فاقد الارادة وفاقد القدرة بدنية او عقلية •

فالارادة الالهية حرة مطلقة منزهة غير باغية ، فهى حكمة الوجود وان غابت عنا اسبابها ، فاذا ادركناها عقلناها وقل ما ندركه منها •

فى الكون قوة اسمى

« فغاية مايدركه المرء ـ كما يقول الامام محمد عبده ـ ان فى الكون قوة اسمى من ان تحيط بها قدرته ، وان وراء تدبيره سلطانا لاتصل اليه سلطته ، فاذا كان قد هداه البرهان وتقديم الدليل الى ان حوادث الكون بأسره مستندة الى واجب وجود واحد يعرفه على مقتضى علمه وارادته ، خشع وخضع ورد الامر اليه فيما بقى ، ولكن مع ذلك لاينسى نصيبه فيما بقى • فالمؤمن كمايشهد بالدليل والعيان يرى ان قدرة مكون الكائنات اسمى من قوة الممكنات ، ويشهد بالبداهة انه فى اعماله الاختيارية عقلية كانت ام جسمانية ، قائم بتصريف ماوهب الله له من المدارك والقوى فيما خلقت لاجله » •

ويقرر الامام فى ذلك « امرين عظيمين » يراهما « ركنى السعادة وقوام الاعمال البشرية »

« الاول : ان العبد يكسب بارادته وقدرته ماهو وسيلة لسعادته ، والثانى : ان قدرة الله هى مرجع لجميع الكائنات ، وان من اثارها مايحول بين العبد وبين انفاذ مايريده ، وان لاشىء سوى الله يمكن له ان يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه » • فالانسان فيما يرى الامام، حر فى ارادته ومسيطر مطلق ـ فى اطار وجوده المحدود ـ على اعماله مسئول عنها ومحاسب عليها •

«ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما »

ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا »

النساء ١١١ ـ ١١٢

من قدر الله الى قدر الله

وفيما يروى عن الفاروق عمر ما يدنينا من هذه الحقيقة ، ومايفسر ايضا اختلاف المسلمين منذ البداية حول القضاء والقدر • فقد روع الناس الطاعون فى الشام واخذ يفتك بهم فتكا شديدا ، وكان عمر فى طريقه اليها،فلقيه عند سرغ على مقربة من تبوك بعض امراء الجند وفيهم ابو عبيدة بن الجراح، وعلم منهم انباء الطاعون وفتكه بالناس ،فاستشار

من معه في المسير او العودة ، واختلف القوم فيما بينهم فمن قائل: خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده، ولانرى ان يصدك عنه بلاء عرض لك ، وقائل: انه لبلاء وفناء مانرى ان تقدم عليه • فجمع اليه مهاجرة الفتح من قريش واستشارهم ، فاجمعوا على العودة ، ونادى فيهم عمر بعد ان صلوا الصبح قائلا : اني راجع فارجعوا ، ولم يكن ابو عبيدة ممن حضر مشاورات عمر ، فلما عرف ذلك قال له : افرار من قدر الله يا عمر ؟ ونظر اليه عمر عاتبا وهو يقول: لو غيرك يقول هذا ياابا عبيدة!! نعم : فرار من قدر الله الى قدر الله • ثم اردف بعد اطراقه وقال : ارايت لو ان رجلا هبط واديا له عدوتان احداهما خصبة والاخرى جدبة ،اليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ، ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله •

« نعم • فرار من قدر الله الى قدر الله » •

اى بيان اروع من هذا ! ؟ فان ماعناه عمر هو الفرار من قدر مدرك الى قدر غير مدرك ، يتوقى في الاول مايعرف انه ملاق حقا ، وان هذا الذى يلقاه قد يعرضه للهلاك حتما ، فعليه الايلقى بنفسه اليه ، كمن يتوقى ضربة السيف بدرعه او بحركة من جسمه، لانه يعرف انها ان اصابته فستقتله، وذلك معنى قوله تعالى : « ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة » •

وفي الثاني لايستطيع ان يتوقى مالا يعلم وما يخرج عن ارادته ، فاذا عضته حية لم يرها ليتقيها او يقتلها ، فان اذى الحية قد ناله غصبا عنه ، ومن غير ان يكون لارادته دخل فيه ، وعليه ان يلجأ الى الترياق لعلاجها ، فاذا غلبه السم فقتله فتلك ارادة الله ممثلة في قانونه الازلي الذى يحكم الاشياء والذى جعل سم الحية قاتلا ، فمن يصبه يقتله، ومن لحقه بالعلاج برىء، وقد لا يصيب العلاج فيكون هلكه ، وهذا هو القدر الذى لا منجاة منه ، لان الانسان لايعرف كيف يتقيه • فاذا عرف اصبح مما تحكمه ارادته ، وحق عليه ان يلوذ بارادته ليقي نفسه السوء ، فمنذ سنوات كانت حمى التيفوئيد تميت من تصيبه في الغالب ، فلما عرف الانسان كيف يقي نفسه منها لم تعد بذات خطر ، واصبحت مما تحكمها ارادته، والخناق او الدفتريا ومرض السكر وغيرها من الاوبئة هي الاخرى كالتيفوئيد ، وقد خلق الله الميكروب ، وخلق ايضا ما يتقيه الانسان به ، وعلى الانسان ان يسعى ـ وقد زانه الله بالعقل ـ ليقي نفسه من غوائل محيطه •

فالارادة الانسانية بعض من الارادة الالهية ، وان كانت لاتبلغها ولن تبلغها ابدا ، ولكنها تبلغ منها ماتستطيع به السيطرة على مايتصل بالانسان في محيطه المحدود من هذا الكون الهائل العظيم الذى لا تدركه الابصار ولا تصل الى صورته العقول مهما يمتد بها الفكر او الخيال • فحيث تتناهى الحرية عند العبد لاتتناهى عند الخالق •

القضاء ماتصل بسنة الكون

فالقضاء في العقيدة الاسلامية هو ما اتصل بسنة الكون منذ خلق الله الكون ، وهو قانون ازلى ثابت لايتغير ، يؤثر في الانسان ويتاثر به دون ان يكون له دخل فيما وهب الله له من عقل يسوس به امره ، وهي مما لايقع او يجب على فاقد العقل او ناقص الادراك ، بل ان من التكاليف الدنيوية ما يعفى منها صاحب العاهة الذى تحول عاهته دون قيامه بها :

« ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج •• » النور ٦١

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم » التوبة ٩١ •

« ••• وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما » الاحزاب ٥ •

ويرى الامام محمد عبده ان فعل العبد ما لم يكن له ، لبطل تكليفه به « اذ لا يعقل أن يدعى شخص الى ما لا يقدر عليه ، وان يكلف ما لا اثر لارادته فيه ، ولو كان فعل القاتل ليس له لامتنع القصاص ، ولم تكن فيه لنا حياة ، فالعقل

والشرع والحس والوجدان متضافرة على أن فعل العبد فعله ، وكون جميع الاشياء راجعة الى الله تعالى ووجود الممكنات انما هو نسبتها اليه •• ولا يتصور اعتبارها موجودة الا اذا اعتبرت مستندة اليه مما قام عليه الدليل بل كاد يصل الى البداهة كذلك ، ومثل هذا يقال فى عظم قدرة الله تعالى ، وانه ان شاء سلبنا من القدرة والاختيار ما وهبنا فهو امر نشاهده كل يوم ، ندبر شيئا ثم ياتى من الموانع ما يحول دون تحقيقه مما لم يكن فى الحسبان ، ونتناول عملا لم تنقطع قدرتنا عن تنميته » •

وفى مقال له بالعروة الوثقى يقول : « كل ماحدث ، له سبب يقاربه فى الزمان •

والانسان لا يرى من سلسلة الاسباب الا ما هو حاضر لديه ، ولا يعلم ما فيها الا مبدع نظامها ، وان لكل منها مدخلا ظاهرا فيما بعده ، وارادة الانسان انما هى حلقة من حلقات تلك السلسلة• وليست الارادة الا اثرا من آثار الادراك، والادراك انفعال النفس مما يعرض على الحواس ،وشعورها بما اودع فى الفطرة من الحاجات • فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة ما لا ينكره ابله فضلا عن عاقل ، وان مبدأ هذه الاسباب التى ترى فى الظاهر مؤثرة ، انما هى بيد مدبر الكون الاعظم الذى أبدع الاشياء على وفق حكمته ، وجعل كل حادث تابعا لشبهه كانه جزاء له » •

مشيئة الخالق والمخلوق مختلفتان

ولا نرى بيننا وبين الشيخ الامام خلافا على ذلك ، فما هو خاضع لسنة الكون فمرده الى خالق الكون وهو « القضاء » ، وهو مايرادف « الحتمية » فى تفسير الماديين للعلوم الانسانية والقانون العلمى فى تفسير الظواهر الطبيعية ، وما هو خاضع لمشيئة الانسان وادراكه وتفكيره فمرده اليه ، وهو مكلف به مسئول عنه محاسب عليه •

وليس فيما جاء بـه القرآن من آيات فى هـذا المنحى الا ما يدل على أن الله قد جعل لكل شىء سببا ، وتتناهى هذه السببية او العلية الى قانون شامل هو سنة الكون التى لاتتبدل ولا تتحول ،لانها القانون الالهى الذى صاغ عليه الكون وسيره منذ الخليقة وقبل الخليقة،وهو ما لا يدركه الانسان-كما قلنا-وان خلق الله له العقل لادراك بعضه،ليذلله لنفعه ويسيطر به على مايبتغيه من محيط حياته ، اذ كرمه الله على خلقه وخلق كل شىء لنفعه ، واتصال العقل بهذا القانون الالهى هو الحرية : حرية النظر والتامل والكشف عن اسرار هذا الكون بما يمكن الانسان من السيطرة على الطبيعة • وفى هذا المعنى تتاكد حرية الارادة الانسانية كما تتاكد مسئولية الانسان عن افعاله •

التوكل والتواكل

فالعقيدة الاسلامية ليست مما ينتهى بالانسان الى التوكل، وفرق ما بين التوكل والتواكل،فالتوكل على الله ما هو الا ايمان بقدرة الخالق، وهو صلة ما بين الانسان وربه يستلهمه الرشاد والهداية وسداد الخطا والتوفيق فـى العمل ، فاذا اقترن العمل بالتوكل على الله فمن قبيل الاستمرار حتى لايغفل العبد عن ذكر الله ، واما التواكل فمن قبيل ترك الامور على عواهنها وسلب الارادة الانسانية ما اودعها الله من قدرة وتطلع وما هو الا بهتان ليس من الدين فى شىء •

وحين يرشد الانسان الى سبيله وغايته فى الحياة بالايمان بالله تطيب له الحياة وتتقدم الحياة على يديه،فما كان الدين الا هديا ورشادا وضع الله به الانسان على اولى درجات المعرفة ،وقد جاء الاسلام فاكتملت به رسالة السماء ، وتمت به نعمة الله على الناس ، اذ فتح لهم مغاليق الكون ، ودعاهم الـى التامل ، وعلمهم مالا يعلمون ، وكان اول ما خاطبهم به فى خطابه لخاتم انبيائه عز جل وعلا :

« اقرا باسم ربك الذى خلق
خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم
الذى علم بالقلم
علم الانسان مالم يعلم » ■■

حسين فوزى النجار

ابن بطوطة

رحالة الإسلام

– خلال رحلة متصلة امتدت اكثر من ٢٥ عاما كتب استطلاعا وافيا موضوعه « اعـرف وطنــك ايهـا المسلم »

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

ابن بطوطة ، اسـم نذكره ، كلما كان الحديث عن الرحلات والسفر ٠٠ هـذا الرحالة العربي المسلم الذى طاف بالعالم الواسع من حولنا ، ونقل لنا صورا لحياة الناس فى مشارق الارض ومغاربها ٠٠ هذا المسافر الذى لم يحط رحاله ابدا زهاء ربع قرن من الزمان أو يزيد، تسلطت فكرة التنقـل والبحث عن المعرفة على رأسه ، وهو ما زال شابا فى الثانية والعشرين ٠٠ وكانت وجهته بادىء ذى بدء بيت الله الحرام ، وقبر الرسول الكريم (ص)

٠٠ ومن بلدته التى تعرف اليوم باسم بنغـازى ، انطلق الى هدفه ، وبعدها راح يجوب الارض ويضرب فى مجاهلها ٠٠ كان يطلب المعـرفة ، ويبحث عن المجهول معرضا حياته لخطر الموت جوعا وعطشا ٠٠

وهذه هى قصـة ابن بطوطه ٠٠ ماركوبولـو العربى ، انها من امتع قصص الرحالة فى التاريخ ٠٠ يقدمها العربى فى حلقات بقلم مؤرخ شهير، هو الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ٠

٢ رجب ٧٢٥ / ١٤ يونيو ١٣٢٥ – ذو الحجة ٧٥٤ / سبتمبر ١٣٥٣

٢٨ سنة وأربعة أشهر ميلادية

٧٥٠٠٠ ميل انجليزى تقريبا

رحلات ابن بطوطة

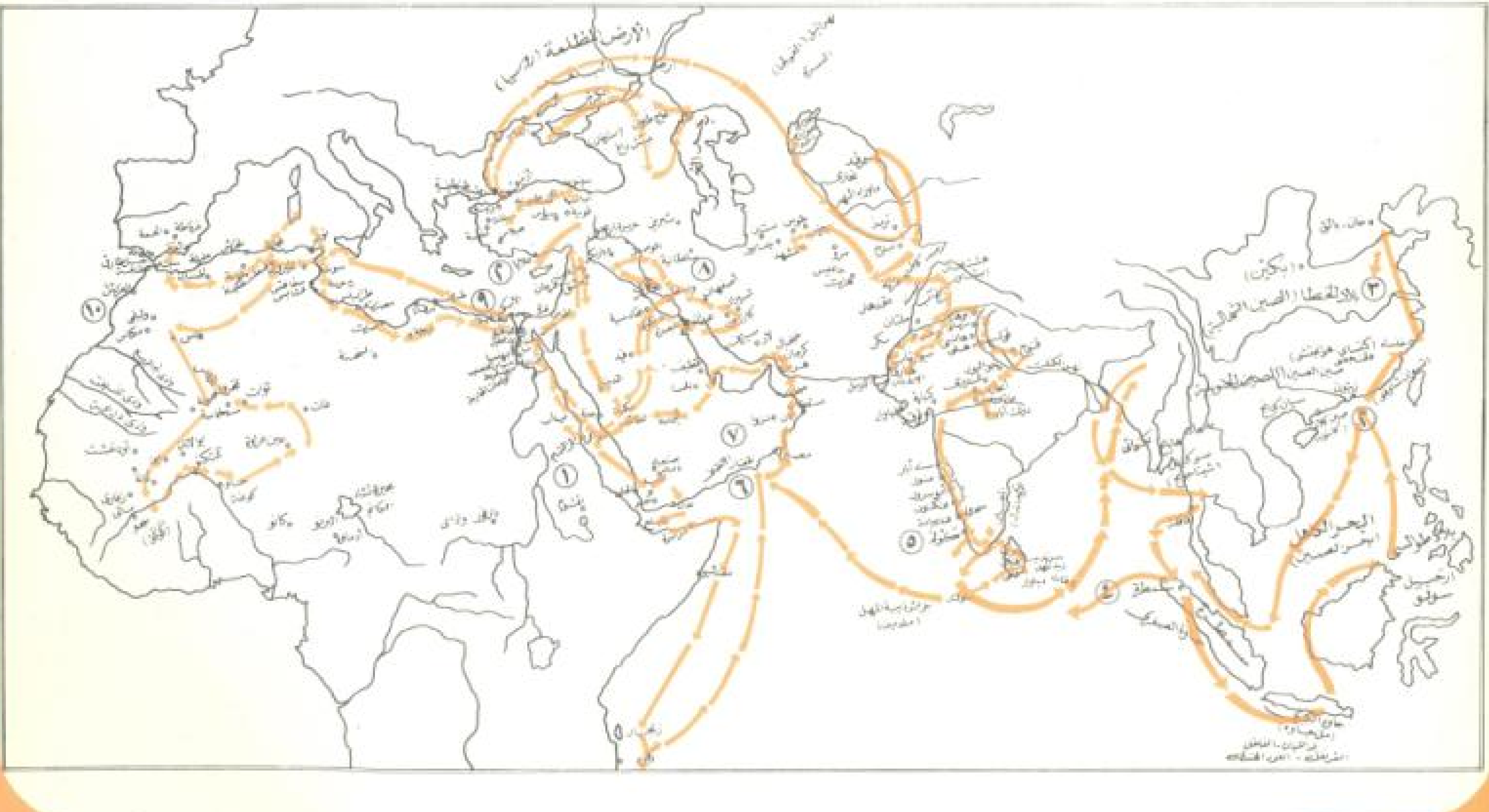
(١) هنا يعود ابن بطوطة الى الشام مخترقا مصر من الجنوب الى الشمال ثم يخترق الشام مرة ثانية ويدخل بلاد الروم (آسيا الصغرى) عند علايا (٢)

(٣) من خان بالق (بكين) يعود إبن بطوطة بنفس الطريق الذى ذهب به فى الصين الى زيتون ثم الى سمطرة (جاوة الصغرى) (٤)

(٥) من سمطرة يعود إبن بطوطة إلى جنوب الهند (كولم) ومن كولم الى ظفار (٦)

(٧) من ظفار يعود ابن بطوطة مارا بمسقط ثم هرمز ثم إلى شيراز ويخترق غرب ايران مارا بأصفهان وتستر ومشهد ثم صرصر ثم بغداد . (٨)

(٩) من بغداد يتجه الى الشام ثم مصر وهنا يحج الحجة السادسة ويعود إلى مصر ويأخذ قرقورة (سفينة) تونسية إلى سردانية على سفينة قطلونية تنس ثم تلمسان ثم تازا ثم فاس (الجمعة أواخر شعبان ٧٥٠) (١٠)


الأرض المظلمة (روسيا)

■ عندما تمضي بك عينك وراء سطور رحلة ابن بطوطة ، وتمضي بك الصفحات الممتعة في رحلة شائقة من طرف الارض الى طرف يخطر ببالك سؤال لا يزال يلح عليك حتى تتوقف عن القراءة على رغمك وتردد :

ـ ما الذى دفع هذا الرجل الى القيام بهذه الرحلات الطويلة وجعله يرمي بنفسه في المهالك ويقتحم الارضين الحافلة بالاخطار والبحار التي تحمل الموت بين طيات امواجها المتعالية كالجبال ؟

اننا في النصف الاول من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى ، وطرق المغرب المؤدية الى مصر والاراضي المقدسة حافلة بجماعات من عرب بني هلال وبني سليم بن منصور يترصدون للقوافل ليصيبوا منها رزقهم ، وبلاد الحجاز يحكمها شرفاء لا يكادون يقرّون الامن الا في حدود مكة ، والطرق الى الشرق الاقصى مساحات مخوفة يترصد الناس الموت على كل مرحلة منها .. فما الذى يجعل شابا من اسرة طنجية متواضعة ، تعيش في امن مدينتها في ظلال حكومة بني مرين يترك امن بيته وهو في الثانية والعشرين من عمره ، ويلقى بنفسه في هذه المعاطب خمسا وعشرين سنة متوالية ، فلا يعود الى وطنه ويلقى عصا التسيار الا وهو في السابعة والاربعين ؟

انه هو نفسه لا يعرف ..

انه يقول في فاتحة الرحلة « كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام ٧٢٥ (١) معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ، منفردا عن رفيق آنس بصحبته ، وركب اكون في جملته ، لباعث في النفس شديد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهد كامن في الحيازم ، فجزمت امرى على هجر الاحباب من الاناث والذكور وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور .. »

واذن فالدافع هو الشوق الى الحج ثم « لباعث في النفس شديد العزائم » ... اى شوق عميق في النفس الى السفر وركوب المخاطر لرؤية الدنيا والناس ...

لقد علل الكثيرون قيام ابن بطوطة برحلاته الطويلة بدوافع الدين فحسب ، وبالفعل اننا نجد ابن بطوطة عظيم الشوق الى الكعبة لا يزال يطوف ويطوف ثم يرجع الى مكة مرة بعد مرة ، حتى لقد بلغت حجاته ستا ، وكان يستعد للحجة السابعة عندما قهرته ظروف لم يفصح عنها الى العودة الى وطنه من الشام ...

ولكنه قام بعد ذلك برحلتين اخريين : واحدة الى الاندلس واخرى الى بلد السودان (بلاد غانة في حوض النيجر)

فما الذى جعله ينهض للرحلة من جديد الى بلاد لا تضم اراض مقدسة او مشاهد زيارات او دور شيوخ واولياء اصحاب كرامات ؟

مكة والحنين اليها

حقا أن ابن بطوطة منذ وصل الحجاز اول مرة جعل مكة قاعدته ، منها يصدر واليها يعود مما يدل بالفعل على ان شعوره الديني كان عميقا وشوقه الى الكعبة والروضة الشريفة كانا يغلبان على اى شيء آخر ...

وحقا كذلك انه خلال رحلاته كان مولعا ابدا بطلب الشيوخ والاولياء ، مسارعا الى لقائهم متبركا بهم متحدثا عن كراماتهم وعجائب اعمالهم ، حتى لقد قام مرة برحلة طويلة من اصفهان الى بخارى (١٢٠٠ كيلو متر) لرؤية شيخ واحد من الاولياء ..

ولكن ابن بطوطة لم يكن متدينا بالصورة التي تنتظر ، فهو في كثير من المناسبات يتهاون في اداء الفروض ، وهو لايتردد في اخذ الاموال من اسوأ الحكام ، وهو بعد ذلك يقع في الكذب اذا اقتضى الكذب مطالب النجاة في الاخطار ، ثم انه كان ذا ميل شديد الى المتاع يطلبه ويتهالك عليه.

ان ابن جزى ـ كاتب رحلته ـ يصفه في مقدمة الرحله بانه الشيخ الفقيه ، والعالم النبيه ، الناسك الأبر ، وحذو الله الله المعتمر .. »

ولكن ابن بطوطة كان بعيدا جدا عن ان يكون ناسكا بارا ..

نعم ، كان رجلا مؤمنا عميق الأيمان ومسلما حريصا على التزام الفضائل ماتيسر ذلك ...

ولكنه كان اولا وقبل كل شيء رجل دنيا : يحب الحياة ويطلب المال والجاه والنساء ...

اما الذى يميزه ، فهو شوقه العظيم الى المجهول : كان انسانا طلعة يريد ان يرى كل شيء ويجرب

(١) ١٤ يونيو ١٣٢٥ م .

كل شيء . كان شغوفا بكل جديد غريب عليه ، مستعدا دائما للتضحية بنفسه لكي يرى عجيبةاو طريفة .

ولقد جهد اثناء رحلاته وجاع وعطش . وادرك الغنى مرةبعد مرةوملك الاموالوالعبيد والجواري، وفقد ذلك مرة بعد مرة ، فلميثنه ذلك عنالنهوض من جديد ..

كان من القلائل الذين تتوهج في قلوبهم النار المقدسة ..

نار طلب المعرفة والبحث عن المجهول ..

مثله في ذلك مثل كل الرواد في مجالاتالعلوم والمعارف والفنون ...

مثله في ذلك مثل معاصره الرحالة الاشهر ماركوبولو

فقد عاش ابن بطوطة بين سنتي ١٣٠٤ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩

وعاش ماكوبولو بين سنتي ١٢٥٤ و ١٣٢٣

وهذان الرجلان هما اعظم الرحالين فيالتاريخ الى مطالع العصر الحديث .

ابن بطوطة : الرجل وخصائصه

وابن بطوطة هو ابوعبدالله محمد بن عبدالله ابن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ، ولواته قبيلة بربرية زناتية ضخمة كانت مساكنها الاولى فيما يعرف اليوم باقليم برقة اوبني غازي .

ولانعلم عن نشاته شيئا كثيرا ، فقد كانابوه شيخا فقيها من اوساط الناس في طنجه ، وكان المفروض ان يسير في خطوات ابيه ، فيدرس من اللغة والفقه مايمكنه من العيش في رخاء . ولم تكن اسرته بذات نباهة او غنى ، وانما كانوا من مساتير الناس . وهو يذكر في بعض كلامه ان كثيرين من السالفين من اسرته تولوا القضاء ، وان ابن عم له تولى القضاء في مدينة رندة في الاندلس ، وربما فسر لنا هذا افتخاره بولاية القضاء مرتين : مرة في دهلي ومرة في جزر الملديف ، وعلى طول رحلته نلاحظ تقديره العظيم للقضاة وسعادته بلقائهم والحديث معهم ونيل احترامهم .

وعلى الرغم من ان ابن بطوطة لم يدرسطويلا في بلده طنجة ، فقد غادرها للحج وسنه اثنتان وعشرون سنة ، وهي سن صغيرة لايصح القول معها بانهاتم دراسته للقرانوالفقه والسنةليصبح في مراتب الشيوخ ، بل في هذه السن ــ الثانية والعشرين ــ كان امثاله من الشباب يخرجون في رحلة الدرس والسماعواتمام الدراسة فيالمشرق.

ومع ذلك فاننا نجد هذا الرجل من بدايةرحلته موضع احترام الشيوخ وتقديرهم ، وهو يصف مجالسه معهم واحاديثهممعه فيشئون العلم فتحس ان الرجل كان متمكنا من علوم الدين ، ومن كلامه نستنتج انه كان يحفظ القرآن حفظا جيدا يقوم على فهم وادراك لمواضع الآيات ومناسبات الاستشهاد بها . وكان علمه بالسنة طيبا ايضا، ولاشك انه تعلم في الطريق كثيرا مما فاتهدرسه في وطنه . وربما كانت رغبته في استكمال علمه هيالتي دفعته الى السماع ممن مر بهم منالشيوخ وحرصه على حضور مجالس العلم في كل موضع نزل به ، فقد كان في الحقيقة يتعلم على مراحل الطريق .

ولكنه رغم ذلك كله لم يصل في العلم الى مراتب القضاة الجديرين بهذا الاسم .

وعندما يتولى القضاءفي دهلي ثم جزر ملديف سيتضح تقصيره في هذا الباب .

ولاشك في أن ابن بطوطة كان حاد الذكاء ، فما يكاد ينزل موضعا حتى يحيط بظروفه السياسية ويعرف أهل الحكم من السلطان الى الكاتب والوزير والقاضي والحاجب وصاحب السوق ومن اليهم ويسعى الى الاتصال بمن يحتاج اليه منهم في خفة وذكاء ، ولايلبث أن يتصرف تصرف العارف بما حوله ، فيصادق اهل السلطان ويجتمع باهل العلم، ويدخل فيالناس ويصهراليهم اذا تيسر ذلك ، مما يدل على انه كان انسانا لطيفا حسن العشرة لبيبا اريبا دون تحايل او صعلكة ، وهو في راينا من اعرف الناس بفن الحياة معلباقة نادرة وحس مرهف بما يدور حوله، ونحن نحس ونحن نقرا وكانه كان يتمتع بحاسة خاصة تقوده وسط المجاهل التيسلك فيها وتنجيه من المهالك التي تعرض لها .

ولكن خاصته الكبرى كانت شوقه العظيم الى المعرفة والرؤية والمشاهدة ، فهذا الرجل لايتعب ابدا من السير لرؤية ما يسمع به دون الاكتفاء بالسماع، فما يكاد يحل بمكان حتى نجده يتحرك في سرعة باحثا عما يستحق الرؤية من احوال ذلك المكان ، وهو لايقتصر في ذلك على العجائب ، بل يهمه جدا أن يعرف ما ياكل الناس ، ومم تصنع

اصناف ماكولاتهم وكيف تصنع ، ويصف ذلك كله وصف رجل بحث واستقصاء ورؤية الشيء يصنع امام عينيه،وكذلك حاله مع الملابس وادوات الحياة والعمل التي يصادفها في كل مكان • وانت تحس وانت تقرا وكانه صحفي كلفته صحيفته بعمل استطلاع شامل عن عالم الاسلام كله ، فقام به على خير وجه ، وزاد على المطلوب فاستطلع مساحات شاسعة خارج عالم الاسلام واتانا بنبئها في دقةواحكام ،بل،انه ياتينا بين الحين والحين بجمل كاملة بالفارسية والتركية والرومية لم يترجمها الى العربية ، حتى في الصين اقتدر على ان يحفظ الكثير من الكلمات ويعطينا معانيها •

شكوك حول بعض حلقات الرحلات

ونوجز الكلام عن رحلته ، وسنكتفي هنا بتتبع خط سيره كما حكاه• وجدير بالذكر هنا ان بعض حلقات الرحلة يشوبه غموض كثير ، فهو في احيان كثيرة يذكر انه رحل دون ان نعرف الى اين ، ثم نجده بعد ذلك في مكان بعيد دون ان نعرف كيف وصل اليه •

وفي احيان اخرى نجده يتركنا وسط الطريق فنفقد اثره كما حدث بعد خروجه من الصين وقبل وصوله الى سومطره (يسميها سمطره) ، فقبل وصوله الى هناك لانعرف اين نحن او اين هو ، وبعد سومطره نشعروكانه تركنا معلقين في الهواء•

لهذا شك الكثيرون في صدق حديثه ، او في صدق الكثير من حلقات رحلته • والحق اننا نشك في وصوله الى الكثير مما ذكر من البلاد ، وانه استقى معلوماته عنها من السماع والقراءة ثم ادعى المشاهدة المباشرة ، وهذا لا يضيره كثيرا ، فيكفيه ماشاهد بنفسه وما عرف ،فاذا وصل اطراف الحديث باشياء من الاختلاق فيمكننا التجاوز عن ذلك والتماس العذر لهذا الرجل الطريف •

لهذا سنرافقه في مراحل رحلته منبهين القارىء بين الحين والحين الى المواضع التي نشك في صحة حديث رحالتنا العجيب فيها •

ومن حسن الحظ ان هذه المواضع قليلة ،ورحلة ابن بطوطه في مجموعها صحيحة ويمكن اعتبارها وثيقة علمية من الطراز الاول •

اعرف وطنك أيها المسلم

هذا باختصار هو موضوع رحلة ابن بطوطة لقد اعطانا صورة واضحة مفصلة لعالم الاسلام، وشيء مما يحيط به خلال النصف الاول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، صورة دقيقة كتبها عالم «صحفي» موهوب ومخلص لعمله، ومن الغريب انه لم يقم بها ليكتبها ، بل قام بها بدافع من تطلعه الشخصي • فقد اراد بدافع من نفسه ان يستطلع الدنيا على ايامه ، واستطلعها • واطفا ظماه الى المعرفة •ولم يكن في نيته ان يكتب وصف رحلته ، وانما هو السلطان المريني أبو عنان فارس المتوكل (١٣٥١ ـ ١٣٥٨) الذي استطرف الرحلة عندما الم باطراف منها ، فامر احد كتابه ابا عبد الله محمد بن جزي بان يستمليها من ابن بطوطة ففعل •

ومن حسن الحظ ان ابن جزي لم يتدخل في سياق الحديث الا بقدر محدود لايضر بصلب الرحلة نفسه • وقد حرص في كل مرة على ان يبدا اضافته بقوله : قال ابن جزي •

وحتى في الحالات التي تدخل فيها دون ان ينبه الى ذلك نستطيع بسهولة ان نكتشف موضع التدخل،فهو ـ مثلا ـ عندما سمع حديث ابن بطوطة عن بلاد الحجاز وموسم الحج واعمال الناس فيه لم يقتنع به، فترك كلام ابن بطوطة جانبا ووضع مكانه صفحات نقلها بنصها من رحلة ابن جبير ، لانها ـ في رايه ـ ادق واحسن •

وقد غاب عنه ان ابن جبير زار الحجاز في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وان كلامه لاينسجم مع بقية رحلة تمت في القرن الثامن/الرابع عشر •

ولن اتعب القارىء في تتبع آثار ابن بطوطة خطوة خطوة ، وقد رايت ان افضل ما افعله هو ان ابت خط سيره على خريطة ، وان اخصص بقية هذا الحديث لابراد اهم ما يستوقف النظر من جوانب الصورة الشاملة التي رسمها ابن بطوطة لعالم الاسلام في النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادي •

والخريطة امامك ، فلننظر فيها معا لنتابع الحديث •

وواضح لك ان عمل هذه الخريطة اقتضاني قراءتها سطرا سطرا ، وهي تقع في ٦٨٠ صفحة••

وانت ترى من خط ـ او خطوط ـ سيره انه زار معظم بلاد الاسلام في عصره ، بل زار بعضها مرتين وثلاثا ،فقد مر بمصر والشام والعراق والجزيرة

العربية اكثر من مرة، وقطع الجزيرة العربية من الشمال الى الجنوب من ناحية الحجاز، ثم عاد فمر بجنوبها الشرقي عند عمان، واخترق بلاد عمان ودخل الخليج وزار هرمز وجزيرة لار والقطيف ثم البصرة، ومضى بعد ذلك الى خوزستان وهي الاهواز في ايران • ثم زار آسية الصغرى ثم القسطينه وتردد في هضاب ايران وبلاد ما وراء النهر والهند الاسلامية كما لم يفعل رحالة قبله ، بل ذهب الى سومطرة ومنها الى الصين ، ثم عاد الى الهند وزار موانيء ساحل كروماندل (وهو يسميه المعبر) ونزل جزيرة سرنديب • اما دلهي وقاليقوط وبلاد السند فقد اقام فيها سنوات طويلة •

وتسال بعد ذلك :

كيف استطاع هذا الرجل أن يقوم بذلك كله في عصر لم تكن فيه وسائل مواصلات واتصال منظمة كهذه التي نراها في يومنا هذا ؟

بل كيف استطاع ان يتحمل نفقاتها وقد خرج من بلده في الثانية والعشرين من عمره «بقلب خفيف وكيس مال اخف » كما يقول المستشرق هاميلتون جيب وهو من اكثر الناس شغفا بابن بطوطة ورحلته وتاليفا فيها ؟

ابن بطوطة يجيبنا على هذا السؤال من خلال التفاصيل الكثيرة التي يقدمها لنا • وساجيبك على هذا السؤال من واقع الرحلة نفسها •

عالمان اسلاميان مختلفان تماما

ان من يقرأ اخبار تلك العصور ، ويقف على ما تحكي الكتب من الحروب بين الملوك والسلاطين والامراء يتصور أن بلاد الاسلام غابة يعيش فيها وحوش لا هم لاحدهم الا قتل الآخرين •

والصورة التي تأخذها من هذه الكتب هي صورة عالم اسلامي يتدهور يوما بعد يوم ، فالحكام جميعا اهل ظلم وغصب وسرقة ونهب • ومعظم القضاة مرتشون : يشترون الوظائف ثم يستردون ما دفعوا عن طريق الرشى التي يتقاضونها من الناس ، وكذلك الحال مع غالبية كبار المسئولين •

وتقي الدين المقريزي وهو شيخ مؤرخي هذه العصور يعطينا صورة محزنة جدا عن عالم الاسلام في عصره في كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، ثم يبلغ به الياس مداه في تصوير الحالة الاقتصادية السوداء التي وصلت اليها سلطنة مصر والشام خلال عصر المماليك الثاني وهو المعروف بعصر البرجيين ، وذلك في كتابه « اغاثة الأمة بكشف الغمة » •

كذلك الحال مع ابي المحاسن بن تغرى بردى واحمد بن حجر العسقلاني وشمس الدين السخاوي وغيرهم من مؤرخي العصر •

ولكن ابن بطوطة يعطينا صورة اخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف : صورة عالم اسلامي آمن ثابت الاركان والقواعد سليم البنيان الاجتماعي• حقا انه يتكلم عن الكثير من المفاسد، ولكنها كلها من النوع الذي لايخلو منه مجتمع انساني مهما كان صالحا •

فمن الصادق ؟ المؤرخون المحترفون أم ابن بطوطة الرحالة ؟

الجواب ان الجانبين على حق ، ولكن المؤرخين يعطوننا صورة جانب من العملة وابن بطوطة يعطينا صورة الجانب الاخر •

المؤرخون يعطوننا الصورة السياسية العربية للعصر، وهي صورة بشعة دون شك، فاهل السياسة كانوا في صراع وحرب لا يعرفان الرحمة ، والتزاحم على الملك والوظائف لا يعرف الاخلاق، فليس هناك سلطان او وزير او حاجب او كاتب الا وهو مثقل بالاوزار وعلى يديه دماء الكثيرين •

والسلاطين والامراء كانوا يتولون بالسيف والغدر والتدبير السيء ، وبالسيف والغدر والتدبير السيء كانوا يموتون •

ومؤرخونا كانوا يعيشون في ظلال اولئك السلاطين ورجالهم ، كانوا من موظفي الدولة ، حتى أهل العلم والفقه منهم مثل ابن حجر العسقلاني وشمس الدين السخاوي كانوا اصحاب وظائف••

وهؤلاء كانوا يعيشون وابصارهم مثبتة في السياسة ورجالها والحكام وصراعهم، والدماء التي تجري كالانهار ••

واخبار هؤلاء الحكام ورجالهم ملأوا الصحائف بعد الصحائف، يقرؤها الانسان فيشعر وكأن الامل في صلاح العالم الاسلامي قد انقطع ولم يعد هناك رجاء •••

ولكن ابن بطوطة لايعيش في هذا الجو المخيف المضطرب ■■

حسين مؤنس

« للرحلة بقية •• في العدد القادم »



النظام العالمي الجديد

نحو
نظام اقتصادي
عربي جديد
(١)

في اللحظة الوحيدة التي نشأ فيها نظام عربي .. تغير النظام العالمي ..

بقلم : الدكتور حازم الببلاوي

■ العلاقات الاقتصادية الدولية ـ شأن كل شيء في الحياة ـ تتغير باستمرار . ومع ذلك فان هناك فترات يبلغ فيها مدى التغير درجة يمكن معها القول باننا بصدد الدخول في مرحلة جديدة تختلف عما سبقتها من مراحل اختلافا نوعيا . ويمر الاقتصاد العالمي حاليا باحدى هذه الفترات، مما ينبيء بظهور نظام جديد وافول نظام قائم . وقد كان للعمل العربي (حرب رمضان ـ تشرين ١٩٧٣ وما تبعها من حظر ثم ارتفاع لاسعار البترول) اثر حاسم على التأكيد على خطورة التغيير الذي حدث والذي اطلق عليه احيانا اسم الانقلاب العربي او البترولي Le Coup d'Etat Arabe . ومنذ ذلك الحين بدأ الحديث في المحافل الدولية وغيرها عن « انشاء نظام اقتصادي عالمي جديد » يأخذ ابعادا جديدة .

ومناقشة فكرة النظام الاقتصادي الجديد تقتضي طرح عدة اسئلة . فأولا لماذا نظام جديد ؟ واذا كانت هناك اسباب حقيقية تدعو الى تغيير النظام القائم ، فما هو هذا النظام الجديد ؟ وهنا نجد اننا بصدد دعوة اكثر منها حقيقة . فاذا كانت الظروف الدولية قد تغيرت فعلا . فاننا لم نفرز بعد نظاما جديدا للعلاقات الاقتصادية الدولية . ولذلك نتساءل اخيرا هل يستطيع العرب ان يقدموا نظاما عربيا ، وكيف ؟

للاجابة على هذه الاسئلة : لماذا ، ماهو ، كيف يكون عربيا ؟ نقسم هذا البحث الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : الحاجة الى نظام اقتصادي عالمي جديد .

القسم الثاني: مضمون النظام الاقتصادي الجديد.

القسم الثالث : نحو نظام اقتصادي عربي جديد.

القسم الاول
الحاجة الى نظام اقتصادي عالمي جديد
هل يوجد اصلا نظام اقتصادي عالمي ؟

لعله من المشروع قبل الحديث عن نظام عالمي



جديد ، وفي ضوء مانراه من اضطراب وازمات ، ان نتساءل هل يوجد فعلا نظام قائم ؟ فالبعض ينكر وجود مثل هذا النظام اصلا • فلا يمكن القول بوجود « نظام » بمعنى مجموعة من القواعد التى تنظم سلوك الدول في العلاقات الاقتصادية • وكل ما في الامر ان هناك مجرد توازن مهزوز لعلاقات القوى بين الدول ، يترجم في سيطرة للبعض على الغالبية العظمى من الشعوب ، ودون اى استقرار حقيقي ، ومع تهديد مستمر بالتحلل والفوضى •

ويرى على العكس معظم شراح القانون الدولي ان النظام الدولي قائم وفعال ولا محل للتشكيك في فاعليته •

والحقيقة انه ينبغي التفرقة بين وجود نظام دولي وفاعليته من ناحية وبين كفاءة هذا النظام وعدالته من ناحية اخرى •والجماعة الدولية -رغم كل شيء - تتضمن تنظيما فعالا للعلاقات الدولية وان كانت كفاءة وعدالة هذا التنظيم محل شك وخاصة من جانب دول العالم الثالث• والدعوة الى انشاء نظام اقتصادى جديد انما هي تعبير عن الرغبة في ترشيد النظام القائم •

يستند الاطار القانوني للنظام الاقتصادى القائم الى فكرتي السيادة الوطنية والمساواة القانونية • وقد نشأت هذه الافكار وتبلورت من خلال التاريخ السياسي لاوروبا في القرن التاسع عشر ، ولذلك فان هذا النظام يعتبر تقنينا للتاريخ الاوروبي او ما كان يعرف في ذلك الوقت باسم « الدول المتمدينة » •

وفي مواجهة هذه المساواة النظرية ، فان الاطار الواقعي للعلاقات الاقتصادية الدولية ينطوى على تفاوت هائل في القوى الاقتصادية للدول •فالمساواة النظرية تحولت الى سيطرة فعلية من عدد قليل من الدول وتبعية شبه كاملة من الاغلبية العظمى •

وهذا الاختلال الواقعي في توزيع المزايا والتضحيات الاقتصادية بين الدول قد خلق شعورا بالقنوط وعدم الرضا بالنظام القائم ، وساعد على تقوية الدعوة الى انشاء نظام جديد اكثر عدالة وكفاءة • على ان الدعوة لانشاء نظام جديد ليست وليدة الرغبة فقط في مزيد من العدالة • وانما هناك تغيرات اساسية في العلاقات الدولية دعت اليها على ما سنرى خلال هذا القسم •

لماذا نظام اقتصادى عالمي جديد ؟

ان المطالبة بنظام اقتصادى جديد انما ترجع الى ما اظهره النظام القائم من مشكلات ، وخاصة هذا التفاوت الرهيب في سوء توزيع المزايا الاقتصادية بين سكان العالم • فاكثر من ثلثي سكان البشرية لا يحصلون الا على اقل من ثلث الانتاج العالمي • وطبقا لاكثر التقديرات تحفظا فان عدد الذين يهددهم الجوع ونقص التغذية يبلغ حوالي ٤٦٠ مليون نسمة في عام ١٩٧٤ وهم في تزايد مستمر • ولم يعد الحديث عن الفقر والغنى مسالة نسبية فقط ،بل اننا اصبحنا نواجه بما يسمى بطائفة «الفقر المطلق »والتي تشير الى سوء الظروف التي يعيش فيها الانسان في القرن العشرين ووفقا لأى معيار • فاكثر من ٩٠٠ مليون فرد يعيشون بدخل سنوى يقل عما يعادل ٧٥ دولارا في السنة وفي وسط من التعاسة والتدهور • ومن الممكن الاستطراد في تعداد مظاهر هذا التفاوت الشديد في التوزيع بين اجزاء المعمورة •

على ان الدعوة لانشاء نظام اقتصادي جديد ليست فقط مجرد الرغبة في التمرد على الظلم والقهر •فهذه امور عاصرها الانسان منذ التاريخ، فما هو الجديد الذي جعل ما هو مرغوب فيه ممكن التحقيق ؟ الجديد هو انه توافرت عناصر موضوعية غيرت في موازين القوى الاقتصادية بين الدول ، وجعلت هذه الرغبة امرا محتمل التحقيق • فليس الامر نزعة فكرية عابرة تشغل الناس بعض الوقت ثم تتراجع الى ما وراء الاضواء في اطار ما يمكن ان تسميه « الموضة الفكرية » •

والتغيير الذي طرأ هوتغيير في الاقتصادوالسياسة معا • فينبغي انيكون واضحا انه في مناقشةمشاكل على مستوى العلاقات الدولية ، لاتوجد تفرقة بين ما هو اقتصادي وما هو سياسي • فالسائد ان السياسة تعنى بدراسة السلطة وان الاقتصاديهتم بدراسة التبادل • والحقيقة انه في مجال العلاقات الاقتصادية تحدد اقتصاديات القوة Economics of Power قواعد وحدود التبادل• فالعلاقة بين الاقتصاد والسياسة هنا ، كالعلاقة بين الحرب والسلم ، كلاهما يحقق نفس الاغراض باساليب مختلفة •

وذلك « الجديد » يرجع الى ما اظهره التطور الاقتصادي منتغيير فيعلاقات القوة • فالعالمالثالث الفقير ظهر باخطر مما يبدو ،والعالم المتقدماكتشف حدودا على قدرته بل وعلى قدرة العالم اجمع ، ومن ثم فان هناكمصلحة اكيدة في التخطيطالواعي للموارد الانسانية • فاذا كان النظام الاقتصادي القائم تعبيرا عن علاقات القوة بين الدول المتقدمة وبين الدول الفقيرة ، فان الجديد هو اكتشاف ان الاولى يكمن بها عناصر ضعف اكثر مما يبدو ، والثانية عناصر قوة وخطورة اكثر مما يظهر •

وبطبيعة الاحوال فان الوعي الكامل بهذه الامور لم يتحقق دائما بنفس الدرجة • ولكنها قد بلغت حدا من الوضوح بحيث اصبح الحديث عن نظام اقتصادي جديد امرا واردا •

ويمكن ان نلخص هذه الامور الجديدة فيقضيتين أساسيتين :

١ـ ظهور العالم الثالث كقوة مؤثرة فيالعلاقات الاقتصادية الدولية •

٢ـ محدودية العالم او قيود النمو •

العالم الثالث كقوة مؤثرة

حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كان تاريخ العلاقات الدولية هو نفس تاريخ علاقات القوى للدول الصناعية من اوروبا وامريكا والى حد ما اليابان ، وخضعت دول العالم الفقيرة لاشكال متعددة من الاستعمار الصريح او الضمني •

وكنتيجة للحرب وزيادة الاتصال بين الشعوبمن ناحية والارهاق الاقتصادي والسياسي للدول الاستعمارية من ناحية اخرى ، حصلت معظم الدول على استقلالها السياسي • وكانت بداية الستينات ايذانا بدخول العشرات من الدول الجديدة الى الاستقلال السياسي والانضمام الى هيئة الامم المتحدة والى المنظمات الدولية •

ومع ذلك فقد ظل دور الدول الجديدة محدودا في العلاقات الاقتصادية رغم استقلالها السياسي، فظلت تابعة اقتصاديا عاجزة عن التاثير في تلك العلاقات •

وليس هذا بالامر الغريب ، فالعلاقات الاقتصادية ـ سواء الداخلية او الخارجية ـ لمتتم في اى وقت من الاوقات بين متساويين ، فهناك دائما قطاعات مسيطرة وقطاعات تابعة• فالقطاعات المسيطرة تسيطر على البيئة المحيطة بها وتشكلها وتحقق نموا مطردا ودخولا عالية • اما القطاعات التابعة فانها تخضع للبيئة وتتعايش معها وتتكيف معها قدر استطاعتها ولا تحقق الا دخولا متواضعة ونموا متراخيا ومتقلبا • القطاعات الاولى تتحكم في المتغيرات ومن لمتتمتع بالاستقرار • والثانية تخضع لهذه المتغيرات • الاولى تستخدم القوة او السلطة وتعتمد على التنظيم والتفكير الجماعي ، والثانية لا تملك اية قوة تساومية وتعتمد على الجهود الفردية المبعثرة •

والعلاقات الدولية لم تخرج عن هذا النموذج•

فالدول المتقدمة تسيطر على البيئة وتشكلها وتضع قواعد التعامل . والدول المتخلفة ليس امامها سوى ان تتعايش وتتكيف مع هذه البيئة • الدول المتقدمة تستخدم القوة والسلطة والدول المتخلفة تخضع لاوامر السوق • كذلك فان التقسيم العالمى للعمل ادى الى احتكار الدول المتقدمة للقطاعات الحيوية ذات الامكانيات التكنولوجية المتطورة ، فى حين تركت للدول المتخلفة القطاعات الراكدة ذات التاثير المحدود•

ومع ذلك فقد ادت عدة عوامل الى تغيير هذه الصورة وزيادة دور الدول المتخلفة ، وبدأ الامر بالتغيير على مستوى الوعى بمشاكل هذه الدول ثم بالتغيير فى الاحداث والتاثير على العلاقات الدولية ذاتها •

فالاستقلال السياسى الذى حصلت عليه هذه الدول وضع امام الحكام الوطنيين المسئوليات الاقتصادية •ومع تزايد الاتصال بين الشعوب ظهرت الفروق فى مستويات المعيشة •ولذلك فقد اصبحت الدعوة لتحقيق التنمية الاقتصادية اهم اهداف الحكومات فى فترة ما بعد الحرب ، واتضح تماما انقسام العالم الى شمال غنى وجنوب فقير •وتعددت المؤتمرات للمطالبة بحقوق الشعوب الفقيرة (مؤتمر باندونج ١٩٥٥) • واصبحت قضية تنمية الفقراء من مشاكل العالم • ولم يكن غريبا ان تقرر الامم المتحدة اعتبار الستينات عقدا للتنمية • وفى عام ١٩٦٤ عقد مؤتمر التجارة والتنمية والذى تمخض عن انشاء منظمة دولية جديدة بهذا الاسم للعمل على زيادة فرص التنمية وتحسين شروط التبادل التجارى • ولم تلبث الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية والشرقية ان ادت الى مزيد من التنافس بينهما على كسب ود دول العالم الفقير • وقد ساعد هذا التنافس على ابراز مشاكل الفقراء ومزيد من الوعى بالفجوة التى تفصل بين العالمين المتقدم والمتخلف • كذلك فان ظهور ممثلين للدول الفقيرة فى كافة المنظمات الدولية رفع قضية الفقراء الى مستوى المناقشات فى عديد من المنابر فى الاجتماعات الدولية ، وحلقات الدراسة والمناقشة فى الجامعات وعلى صفحات الصحف ووسائل الاعلام الاخرى • وقد ادى ذلك الى ظهور عدد كبير من المثقفين فى الدول المتقدمة الذين يعطفون على قضايا التنمية فى الدول المتخلفة ويطالبون بنظام اكثر عدالة •

على ان الامر لم يقتصر على مجرد الوعى بمشكلة الفقر • بل ظهرت بعض المشاكل الخاصة للدول المتخلفة والتى باتت تهدد استقرار العالم وأمنه • فالتزايد السكانى الذى عرفته هذه الدول لم يعد مشكلة تخص العالم الثالث وحده وانما اصبح مشكلة عالمية • فالضغط السكانى العالمى اصبح امرا يحتاج الى مواجهة عالمية •

وينطوى هذا الانفجار السكانى على اخطار عالمية، سواء من حيث استهلاك المواد القابلة للنفاد او من حيث تاثيره على تدهور البيئة او حتى من حيث مايمكن ان يؤدى اليه من تعريض للسلام العالمى للحرب والفتن والقلاقل •

ويرجع هذا الانفجار السكانى ،فى جزء كبير منه، الى دول العالم الثالث • فهذه الدول قد حققت فى سنوات قليلة نفس النتائج التى وصلت اليها الدول الصناعية فى تخفيض معدلات الوفيات خلال اكثر من قرن ونصف • ومع ذلك فقد ظلت معدلات المواليد فى تلك البلاد على ماهى عليه تقريبا مع ما صاحب ذلك من انفجار سكانى •

وبذلك فان دول العالم الثالث والتى يبدو انها ضعيفة وغير قادرة على التاثير على مقدرات العالم، تستطيع عن طريق التزايد العددى ان تخلق مشاكل اكيدة لرفاهية العالم واستقراره• فالدفاع الغريزى لعنصر ضعيف كان دائما دفاعا ديموغرافيا •

على ان الدول المتخلفة ليست فقط صورا للبؤس او اعدادا متكاثرة واصواتا عالية ، وانما هى فضلا عن ذلك مصادر للمواد الاولية ، وبعضها شديد الحيوية ــ وتسيطر على مناطق هامة من العالم • ولذلك فان تاثير الدول المتخلفة لم يقف عند حد ان تصبح ازمة ضمير للعالم • او مجرد تهديد بالزحام والعدد ، بل جاوز ذلك الى التاثير الفعلى فى العلاقات الاقتصادية ، ولعل اخطر هذه التغيرات والتى اذنت بتعديل فى اوضاع العالم ــ فيما لو استمرت ولم تجهض ــ هى قرارات رفع

اسعار النفط في اكتوبر ١٩٧٣ في اثر حرب رمضان التي شنتها مصر وسوريا على اسرائيل • فلاول مرة وربما منذ اكتشافات فاسكودي جاما ـ تضطر الدول الصناعية الى الانحناء امام قرار اقتصادي يتخذ من الدول الفقيرة على مستوى العالم • وقد ادى هذا بالبعض الى اطلاق وصف الانقلاب العربي او البترولي كما سبق ان اشرنا على هذا القرار •

ويرى عدد من الكتاب ان هذا الاسلوب في نقل الثروة هو بداية لنظام جديد في العلاقات الاقتصادية الدولية • ومن المهم ان نذكر انه اتخذ بقرار عربي ونتيجة لدماء عربية ، ومن الممكن ان يتكرر مثل هذا الاسلوب في مواد اخرى اساسية • فعلى سبيل المثال تسيطر اربع دول (زامبيا ، شيلي ، زائير ، بيرو) على اكثر من ٧٠٪ من صادرات النحاس • كذلك تسيطر دولتان من دول العالم الثالث على ثلاثة ارباع صادرات الرصاص ، واربعة منه على اكثر من ٥٠٪ من صادرات الالمنيوم غير المصنع •

كذلك يشير البعض الى عدة اسلحة يمكن ان تؤثر بها دول العالم الثالث على استقرار وامن العالم • فهناك انكار الديون الدولية على نطاق شامل (تبلغ حوالى ١١٠ بليون دولار) مع ما يترتب على ذلك من خلخلة في موازين المدفوعات والاسواق المالية • كذلك فان تزايد السكان ليس السلاح الوحيد لارهاب العالم ، فحرب المخدرات قد تكون اشد قسوة • بل ان الالتجاء الى السلاح النووي ليس امرا نظريا • ولذلك فان العالم الثالث ليس تهديدا فارغا وانما هو حقيقة رهيبة لا يمكن التغاضي عنه •

محدودية العالم

في كل وقت من الاوقات تتنازع فكر الانسان المستقبلي نزعة تفاؤلية لعالم ذي امكانيات بلا حدود ، ونزعة تشاؤمية تركز على هذه الحدود • وفي الوقت الحاضر يمكن ان نقول ان الفكر السائد يتراوح بين افكار علماء الطبيعة وخاصة البيولوجيا المتشائمة ، وبين تاكيدات الاقتصاديين وانصار التكنولوجيا المتفائلة • (وان كانت الكفة بدات ترجح لتغلب الافكار المتشائمة حول امكانيات العالم وحول حدود النمو) • واذا كان الاقتصاديون التقليديون قد نبهوا منذ زمن الى خطورة ظاهرة تناقص الغلة والاتجاه نحو الركود ، فان الثورة الصناعية بانجازاتها الكبيرة والتي صاحبت هذه الافكار قد تخطت كافة الحدود مما صرف الاذهان عن تخوفاتهم •

وقد اعيد الحديث هذه الايام من جديد عن حدود النمو ، وربما لم يحقق كتاب في السنوات الاخيرة من الشهرة ما حققه كتاب « حدود النمو » لنادي روما ، والذي اعاد للاذهان افكار التقليديين في ثوب جديد من مصطلحات المهندسين في النمو الاسي والتغذية المرتدة والدوائر المفتوحة •

وقد حاول واضعو هذا التقرير استخدام نموذج رياضي مستعار من النماذج الهندسية في التغذية المرتدة والدوائر المفتوحة • « فالسكان » « والانتاج الصناعي » (الاستثمار) يباشران تاثيرات ايجابية على النمو في حين ان « الغذاء » « والموارد غير المتجددة » و « تدهور البيئة » تباشر تاثيرات سلبية • وكاي نموذج فان نموذج حدود النمو يتضمن تبسيطا شديدا للواقع ويقتصر على بعض المتغيرات ويهمل امورا اخرى • وخلاصة النتائج التي انتهى اليها هذا النموذج ـ كما هو معروف ـ هو انه اذا لم تدخل سياسة النمو الواعية بالتاثير في المتغيرات الايجابية ، فان المتغيرات السلبية لن تلبث ان تقوم بوضع الحدود على النمو •

واذا كانت تنبؤات نموذج النمو قد اخذت طابعا ماساويا اشبه برؤيا يوحنا اللاهوتي ، مما عرضها للانتقادات ، الا انها اعادت للاذهان الحقيقة الاساسية في ضرورة تحقيق التوازن بين الانسان والبيئة • فبعد ان ادت الانجازات التكنولوجية خلال القرنين الماضيين الى احياء الاعتقاد لدى الافراد بانهم يعيشون في بيئة اقرب الى اللا محدود واللا نهائي ، بدات تظهر فكرة الحدود على كل جانب من جوانب حياة الانسان •

فسواء نظرنا الى الامور من خلال افكار مالتس عن السكان والغذاء والمتواليات الهندسية والعددية والموانع الايجابية والوقائية ، او من خلال نتائج نموذج حدود النمو والنمو الاسى والنمو الخطى والدوائر الهندسية والتغذية المرتدة ـ فان العبرة والعظة واحدة • حذار ، العالم محدود ، هناك توازن ضرورى بين الانسان والبيئة ، وكل نمو لابد ، اذا ترك ، ان يجاوز عاجلا او اجلا كل حدود ، ولابد من ثم ان ترد عليه الحدود •

ورغم ما اشار اليه التقليديون من تناقص الغلة ، فقد تاثر الاقتصاديون بافكارهم عن خصائص الطبيعة ومن ثم البيئة • فمنذ عبارة ريكاردو الشهيرة عن امكانيات الارض الاولية وغير القابلة للهلاك ، والنظرة للطبيعة ، او البيئة بصفة عامة ، متاثرة بهذا التفكير •

وقد اشار الكاتب والعالم الانجليزى C. Snow فى مقاله الكلاسيكى عن «الثقافتين» الى اهمية القانون الثانى للديناميكا الحرارية او ما يعرف بظاهرة الانتروبيا Entropy ، كما ركز على خطورة جهل ذوى الثقافة الادبية بهذا القانون الحيوى للطاقة • وكم احرى بالاقتصاديين ورجال النمو وهم يناقشون مشاكل الانتاج ، ان يتذكروا هذا القانون • حقا ان المادة لا تفنى ، ولكنها فيما يتم عليها من تحويلات وتغيرات تصبح اقل صلاحية • هناك اتجاه نحو الفوضى ، هناك ضياع مستمر لا يمكن استعادته من جديد •

فالحقيقة ان الطبيعة ليست دائمة بل هى قابلة للهلاك • فالاستهلاك وهو يؤدى الى تحويل الاشياء يؤدى الى ظهور بواق وعوادم لا تستوعب دائما فى البيئة المحيطة ، وتؤدى الى تدهورها • وهذا هو القانون الثانى للديناميكا الحرارية ، وهو ما يشير الى الفوضى والى الضياع •

الانتاج لا يخلق المادة وانما يحولها بما يجعلها قابلة لاشباع الحاجات ومن ثم نافعة • والاستهلاك لا يعدم المادة وانما يقتصر على استنفاد هذه المنافع • وقد عمد بعض الباحثين الى دراسة هذا الموضوع عن طريق ما يعرف باسم الموازين المادية ، التى تبين دورة المادة من الانتاج الى الاستهلاك الى محاولة الاستفادة من جديد من الانتاج • ولكن هذا التحويل للمادة من الانتاج والاستهلاك لا يترك البيئة على ما هى عليه • فبقايا المصانع وعادم الوقود يؤديان الى تلوث البحار والانهار والجو • وتجربة الد • د • ت لا تزال عالقة بالاذهان حيث انقرض من جرائها العديد من الكائنات الحية • وبذلك فان البيئة لا تستوعب هذه البقايا • كذلك فانه ليس من السهل استعادة هذه البقايا من الانتاج المستقبلى • ومن هنا ظهرت مشكلة المواد القابلة للنفاد • فكثير من بقايا الانتاج والاستهلاك للمعادن والطاقة لا يمكن استعادته من جديد ، فالطاقة كثيرا ما تتبدد فى شكل حرارة ضائعة فى الكون او فى شكل ضوضاء • الطبيعة ليست مستودعا بلا قرار لعوادم الانتاج والاستهلاك ، وليست مصدرا بلا نهاية لتزويد الانسان بحاجاته من المواد • الطبيعة محدودة ، وحدودها قد تكون قريبة •

ولعله من المفيد ان نشير هنا بصدد التغيرات التى لحقت بالنظام الاقتصادى العالمى (ظهور قوة العالم الثالث واكتشاف محدودية العالم) ، الى خطورة العمل الذى تم على المسرح العربى فى التاثير فى النظام العالمى • فحرب اكتوبر ورفع اسعار البترول ليسا فقط اخطر انقلاب فى العلاقات الدولية ، بل انهما فى ذاتهما يعكسان اهم مشكلتين يواجههما العالم • فهذا الحدث رمز لتزايد قوة العالم الثالث من ناحية ، وتعبير عن ازمة الطاقة ومن ثم محدودية العالم من ناحية اخرى •

كذلك فانه من المهم الاشارة الى اهمية توقيت استعمال سلاح النفط مع العمليات العسكرية العربية فى تضامن كامل • وبعبارة اخرى ، فانه فى اللحظة الوحيدة التى نشا فيها نظام عربى ، تغير النظام الدولى !!! ■■

حازم الببلاوى

■ ان اللهَ لايُغَيِّرُ ما بقوم ، حتى يُغيروا ما بأنفسهم

(قران كريم)

■ انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى

(حديث شريف)

■ ما خُيِّرتُ بين خطتَين،الا اخترت أبغضَهما الى نفسى

(ابو بكر الصديق)

■ متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟

(عمر بن الخطاب)

■ قيمة كل امرىء ما يحسن

(الامام على)

■ اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

(عمرو بن معد يكرب الزبيدى)

■ ليست الصعوبة فى المجاهدة لنيل غاية عزيزة ، انما الصعوبة الموجعة عدم وجود الغاية .

(الآنسة مى)

■ غير أن العليل ليس بمذموم على شرح ما به للطبيب

(ابو تمام)

■ العقيدة لا تكون صحيحة كاملة الا بالممارسة والتجربة الفعلية .

(اوسكار وايلد)

■ ما أكثر ما يكتم الناس أفكارهم القيمة ، خشية أن يتلقاها الآخرون بعداوة أو جفاء .

(مكس مولر)

■ تبحث عن شجاع ؟ اذهب الى السجن .

(مثل روسى)

■ تعدد الاقوياء سيلجئهم قسرا الى التعاون بينهم على رعاية حقوق الضعفاء ، ومن ثم يفتح باب التعاون بين هؤلاء وهؤلاء .

(العقاد)

■ أعيا الهوى كل ذى عقل ، فلست ترى
الا صحيحا ، له حالات مجنون

(ابن الرومى)

خرافات اقتصادية شائعة

خرافة القضاء على.. الفجوة ①

بين البلاد المتقدمة والمتخلفة

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

لكل عصر خرافاته ، واكبر خرافة للعصر الذى نعيش فيه هى الاعتقادبانه عصر لا خرافاتله!

■ تصورنا ان هذا العصر بطرحه المتافيزيقا جانبا ، وتبنيه لما يسمى بالطريقة العلمية فى التفكير المعتمدة على الاستقراء والاستنباط وحدهما ، ورفضه كل ما لا تؤيده التجربة والملاحظة ، تصورنا اننا بهذا قد ضمنا القضاء على الخرافات ، ولكن الحقيقة هى ان ماالقينا به الى الخارج وأحكمنا الباب دونه قد عاد فدخل الينا من النافذة ، بل من عدة نوافذ .

فطريقة البحث المسماة بالعلمية قد تعطيك على أحسن الفروض الاجابة الصحيحة على سؤالك ، ولكنها لا تضمن لك قط ان يكون سؤالك هو السؤال « الصحيح »،او الاولى بالاهتمام ، وانما يشعر كل عصر وكل امة ما قد يبدو لهما الاسئلة الجديرة بالاهتمام ، دون ان يكون للعلم اى دخل فى ذلك . فقد ينشغل علماء امة مثلا بمحاولة اكتشاف وسائل اسرع للمواصلات ، معتبرين من البديهيات ان الاسرع هو الافضل ، بينما قد ترى امة اخرى ، او نفس الامة فى عصر آخر ، أن هذه البديهة ليست الا خرافة ، وان ما يخسره الانسان بمزيد من السرعة اكثر مما يكسبه .

كذلك فان العلم ،فى احسن احواله ،قد يعطيك الاجابة الصحيحة على الجزء ولكنه عاجز عن الاحاطة بالكل ، كما ان الوصول للحقيقة فيما يتعلق بالكل كثيرا ما لا يكون ممكنا عن طريق مجرد جمع الحقائق الجزئية . خذ مثلا الفشل الذريع الذى اصاب العلوم الاجتماعية فى بحثها لمشكلات جوهرية كمشكلة التنمية الاقتصادية ، أو مشكلة انتشار العنف والجريمة فى المجتمعات الصناعية ، حيث تناول كل علم من هذه العلوم المشكلة من زاوية متجاهلا الزوايا الاخرى ، فاذا بكل من هذه العلوم يثبت عجزا مدهشا عن اعطاء اية توصية ناجحة للعلاج .واحد إسباب هذا الفشل هو تصور ان الانسان قابل للتجزئة ، وان من الممكن علاج جانب من جوانب مشكلة اجتماعية بمعزل عن علاج المشاكل الاخرى . وهذه خرافة اخرى .

ولن نحاول هنا ان نعدد مختلف الاسباب المؤدية الى انتشار الخرافات فى عصر العلم ، اذ ارجو ان يتضح سبب بعد آخر من هذه الاسباب بتناولنا لعدد من الخرافات الاقتصادية الشائعة ، نبدأ فى

هذا العدد بواحدة منها ، هي تلك المتضمنة الدعوة الى القضاء على مايسمى بالفجوة بين مستويات المعيشة في البلاد المسماة بالمتقدمة وتلك المسماة بالمتخلفة ، تلك الدعوة التي يبدو انها اصبحت جزءا اصيلا من الفلسفة المعاصرة في النمو والتخلف ، والتي اصبح مجرد ذكرها يقض مضجع البلاد المتخلفة واصحاب الضمائر في البلاد المتقدمة على السواء ، دون ان يكون لهذا مبرر معقول على الاطلاق. اقول انه لا مبرر على الاطلاق للقلق لوجود هذه الفجوة ، وان من الخطأ تحديد هدف البلاد الفقيرة بانه محاولة القضاء عليها ، لاسباب اربعة على الاقل :

السبب الاول : هو ان تحديد هدف البلاد الفقيرة بانه القضاء على الفجوة القائمة بين مستوى المعيشة فيها وفي البلاد المتقدمة يقوم على مقدمة خاطئة ، مؤداها ان كلا من البلاد المتقدمة والمتخلفة يقطعان طريقا واحدا بغية الوصول الى نفس الهدف ، وان ما بينهما من فوارق يمكن رده الى فوارق كمية لا يحتاج القضاء عليها الا انقضاء وقت كاف ، ان الذين يرفعون شعار القضاء على الفجوة يفترضون في الواقع ان للتنمية طريقا واحدا هو نفس الطريق الذى سلكته الدول الصناعية، ولا يدور بخلدهم قط ان الدول الفقيرة يمكن ان تحدد لنفسها اهدافا مختلفة تماما وان تسلك للوصول اليها طرقا مختلفة ،

والسبب الثاني : هو ان تحديد هدف البلاد الفقيرة بانه القضاء على الفجوة في مستويات الدخل بينها وبين البلاد المتقدمة ، ينسب الى شعوب البلاد الفقيرة امالا واهدافا هي ابعد ما تكون عن الواقع ، ان هدف اللحاق بمستويات المعيشة في البلاد المتقدمة قد يكون هو حقا هدف اقلية صغيرة من سكان المدن في دول العالم الثالث ، تلك الاقلية التي يسمح لها مستوى دخلها واتصالها المستمر بالثقافة الغربية بان تطمح الى اللحاق بمستوى المعيشة الغربي وتقليد نفس النمط من الحياة ، اما الغالبية العظمى من سكان هذه البلاد فان طموحهم نادرا ما يتجاوز الحصول على ماء نقي للشرب ، وغذاء ومسكن افضل قليلا مما يتوفر لهم بالفعل ، انهم على الارجح لم يسمعوا بوجود الفجوة اصلا، وان سمعوا بها فانهم على الارجح لا يرون في وجودها ما يعنيهم كثيرا او قليلا ،

والسبب الثالث : هو ان النجاح في ايهام دول العالم الثالث بان هدفها يجب ان يكون هو اللحاق بمستويات المعيشة في البلاد المتقدمة ، من شانه ان يصرف انتباه راسمي السياسة في تلك الدول عن اتخاذ اجراءات قد تكون شديدة الفعالية في رفع مستوى المعيشة ، دون ان تساهم على الاطلاق في تضييق الفجوة بين العالم الثالث والعالم الصناعي ، ان ابسط مثال على ذلك هو اجراءات توزيع الدخل التي من شانها ان ترفع دخول اقل فئات السكان دخلا دون ان تنعكس على الاطلاق في صورة ارتفاع في متوسط الدخل ، وقل مثل ذلك على ما يمكن ان تطبقه دولة من دول العالم الثالث من تغيير في مناهج التعليم مثلا ، تعديلا من شانه ان يجعله اكثر تمشيا مع حاجاتها الفعلية ، ومع قيمها الخاصة وتقاليدها، ومن ثم اكثر تحقيقا للرفاهية الاجتماعية ، دون ان ينعكس هذا بالضرورة في ارتفاع الناتج القومي او متوسط الدخل ، بل وقد يؤدي الى زيادة الاختلاف بين نمط الحياة في الدولة الفقيرة وبينه في الدول الصناعية ، فلنقارن هذا الاجراء المتعلق بتغيير مناهج التعليم ، باجراء آخر في ميدان التعليم ايضا لا تزيد محصلته على مجرد مضاعفةعدد التلاميذ المقيدين بالمدارس معاستمرار مضمون التعليم على ما هو عليه من قلة ملاءمته لحاجات المجتمع الفعلية ، ومع تضاربه الصارخ مع القيم الاجتماعية السائدة ، ان هذا التضاعف في عدد التلاميذ سوف ينعكس على الفور في ارتفاع الناتج القومي ، لما يتضمنه من زيادة في الرواتب وتضخم عدد المباني ، كما سينعكس بالضرورة في ميل الفجوة المشئومة الى التضاؤل ، دون ان ينطوى ذلك بالضرورة على اى ارتفاع في مستوى الرفاهية ،

واخيرا : فان ارتباط الدول الفقيرة بهدف اللحاق بمستويات الدخل في الدول الصناعية يعني في الواقع ارتباطها بهدف اما انهمستحيل التحقيق، او هو من الصعوبة والبعد ، بحيث يكاد يكون من المستحيل التعرف على طريق يضمن لها الوصول اليه ،

لبيان ذلك دعنا نجرى عملية حسابية بسيطة

نفترض بها ان دول العالم الثالث سوف تستمر في النمو طبقا لنفس معدلات النمو التي حققتها في السبع سنوات من ١٩٥٨ الى ١٩٦٥ ، وان دولة كالولايات المتحدة سوف تستمر في النمو بمعدل يرتفع بمقتضاه متوسط الدخل فيها ٣٪ سنويا • اذا افترضنا ذلك نجد ان دولة كالهند او دولة عربية كتونس تحتاج كل منهما الى اكثر من قرنين للوصول الى مستوى المعيشة الامريكي ، وان دولة كاوغندا او ماليزيا او بيرو تحتاج الى اكثر من اربعة قرون للوصول الى نفس المستوى ، بينما تحتاج دولة كالباكستان الى اكثر من سبعة عشر قرنا او بالضبط الى ١٧٦٠ عاما •

على ان الامر لا يقتصر على هذا ، ففي كل عام يظهر فيه ان الدول الصناعية قد نجحت في النمو بمعدل أسرع من العام السابق ، او ان الدول المتخلفة قد فشلت لسبب أو آخر في الاحتفاظ بنفس معدل النمو ، فانه يصبح من الضروري ان نعيد الحساب حتى لا تصبح الفجوة اكثر اتساعا وتصبح الفترة اللازمة لعبورها اكثر طولا •

ان من الممكن الا نرى في هذا اكثر من نكتة سخيفة : ان تحدد الدول الفقيرة لنفسها هدفا كلما قطعت نحوه شوطا امعن الهدف في الابتعاد • على ان بعض التأمل كفيل بان يدلنا على ان رفع شعار اللحاق بالدول المتقدمة قد لا ينطوي على كل هذه الدرجة من الحماقة • فعلى الرغم من ان هذا الشعار قد يكون عديم الاثر وخاليا من اي معنى بالنسبة لرفع مستوى الرفاهية لغالبية سكان العالم الثالث ، فان رفع هذا الشعور يؤدي دورا لا يمكن الاستهانة به في ضم تلك البلاد التي لم يتم تغريبها بعد الى فلك الحضارة الغربية ونمط الحياة في العالم الصناعي • فكما ان تنمية روح التنافس بين المستهلكين في داخل المجتمعات الصناعية تلعب دورا فعالا في جلب مزيد من الضحايا لقيم المجتمع الاستهلاكي ، فان رفع شعار اللحاق بالدول الصناعية من شأنه ايضا ان يغذي الشعور بالحرمان لدى دول العالم الثالث على نحو يسهل انقيادها لنمط الحياة الغربي • ان الذي لا يقتفي اثر خطواتك ويرفض ان يستمر في السير ، قد تفقد تبعيته لك الى الابد ، وليس اكثر فعالية في ضمان هذه التبعية من ان تحاول اقناعه باستمرار بانه ليس هناك هدف اكثر جدارة من ان يحاول اللحاق بك • ■■

جلال أحمد أمين

استاذ الاقتصاد المساعد

كلية الحقوق ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة

■ اجمل حديث هو ذلك الذي يدور بين رجل عـاقل وامرأة صامتة !

« اليانورا ديوز »

■ لا تتكيء على احد ، فذراعك هو عكازك الوحيـد الذي يجب أن تعتمد عليه وانت تسير في طريق الحياة !

« ماري جاردن »

■ المال لا يجلب السعادة الى الذين تقدم بهم العمر •• ان المال للشباب •• فهم وحدهم الذين يستطيعون ان يسعدوا به •

« جريس فيلدز »

الحمامة المسحورة

« صلاة لقدرة الله ،
من اغوار النفس »

للشاعر الكبير : محمود حسن اسماعيل

■ حطّتْ بروْضي ومضتْ حمامه
مجهولةُ السّر ، بلا علامه !

. . . ليْس لها كالطيرِ في جناحها ، جناح
ولا لها كالطيرِ في صفاتها ، صُداح
ولا تذوقُ الشدوَ ، ان عانقها الصباح
ولابُكاءَ اللّحن ، ان أنّتْ بها الجراح
. . أسطورةٌ مقهورةٌ . . لاتعرفُ النُّواح
ولا تطيق نشوةَ الإفلاتِ والسّراح
مسْحُورةٌ في قيدها ، مسعُورةُ الرياح
تشربُ من ذُهولِها الغُدوّ والرّواح
ان همْهمتْ في نارها الملامه ،
واحتبستْ في قلبها الندامه .

. . تناقضتْ ! ! فاصبحتْ عباده
ونشوةً بسحْرها مُنقاده . .
ترَى الظلالَ . . دمعةَ الهجير
والنارَ . . حلْمَ الشكّ في الضمير
والنورَ . . نعْشَ الليل في المسير !
تلفّتتْ . . وانطلقتْ حوّامه
في كلّ رُوحٍ نفسُها لوّامه



.. تطوفُ كالاعصار بالأغصانِ
وتجذُبَ الموْجَ إلى الشُّطآنِ ..
تمزق الاستارَ وهْيَ هائمهْ
وتلقطُ الاسرارَ وهْيَ حائمَهْ ..
وتَسْحَقُ الأَبْلكَ .. على غموضِهِ
وتسرِقُ الاغلالَ من فُروضِهِ
لاهثةً ، باحثةً عن دَرْبِها
مخطوفةَ السحر باذن ربها :
تعبُدهُ في صَحْوِها الجديدِ
وفي انبثاق نبْعِها الوليدِ
بكلِ روْضٍ ثاكِلِ الورودِ !

بغيرِ تيّارٍ .. اراها عائمهْ
وغيرِ اوتارٍ .. اراها ناغمهْ

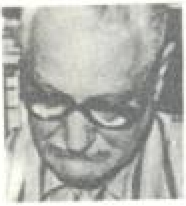
.. كبَّرتُ في ضَلالها ورُشْدِها
وهِمْتُ في سُباتها ومَسْهَدِها ..
بغيرِها لا أشْهَدُ الضِّياءَ
ولا أرى الذاتَ ولا الصَّفاءَ ..
سألتُها وسرها في خلَدي
ادْرِيهِ .. لكنّي سجينُ الابدِ :

من أنتِ ؟ .. ياعجيبةَ الحضُورِ ؟
يا موْجَةَ الكشْفِ لعُمْقِ نُورِي ؟

ياجذْوةً .. تخْضَلُ بالايمانِ ؟
يا سِرَّ كلَ السِّرِ في البُنْيانِ ؟
.. فلمْ تكدْ تسمعُ .. حتى انتفضتْ
ومن جنَاني ، وكياني هربتْ

لكنها .. في غفَلاتِ الكلْ
شيء .. ولا شيء .. كظلِّ الظِّلِّ ! ! ■■

للأستاذ عباس محمود العقاد



الإسلام

الف هذا الكتاب ولفريد كانتول سميث استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة مونتريال . وقد أقام زمنا في مدينة لاهور بالباكستان وساح في بلاد الشرق الاوسط وبعض البلاد الاسلامية في القارتين الاسيوية والافريقية ، وتغلب عليه أحيانا نزعة يسارية تتراءى من خلال تفسيراته المادية ، ولكنه يجامل الشعور الاسلامي مجاملة الرجل الذى ترتبط اعماله بالمسلمين من حين الى حين ، ويتجنب المسائل الشائكه من وراء المنازعات الطائفية او السياسية مكتفيا من المعلومات بما يشبه الاحصاء والشواهد « الرسمية » ٠

وقد اشتمل كتابه على فصول مسهبة عن الهند والباكستان وتركيا والبلاد العربية وعرض لبعض الامم الاسلامية الاخرى عرضا موجزا على قدر اتصاله بها وعلمه بأحوالها ، وافرد جزءا من دراسته لمصر بالكلام على مجلة الازهر وعن رسالتها الدينية ورسالة « العلماء » على الاجمال ، ومهد للبحث كله ببعض الملاحظات العامة التى لا بد منها فى رأيه للحكم الصحيح على وجه التفكير الاسلامي ونظرة المسلمين الى وقائع الحاضر وآمال المستقبل ، ولم يخطيء فى الكثير من هذه الملاحظات وان كان قد احاطها بشيء من الاغراب يوهم القارىء الاوروبي أن هناك أمرا غير طبيعي فى « النفسية » الاسلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية فى غير المسلمين ٠

يقول انه ما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم فى غير تكلف ولا اصطناع ، وان الفخر بالعربية قد يمازج هذا الشعور احيانا فيعتبر المسلم العربى آداب المروءة قبل الاسلام قدوة للاخلاق والعادات ، ويشترك العربى فى هذا الفخر ولو لم يكن من المسلمين ، فيعنى بالتاريخ العربى قبل الاسلام وبعد الاسلام عناية النسب الاصيل كما صنع جرجي زيدان وفيليب حتي وغيرهما من مؤرخى العرب المسيحيين ، ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكون الانسان مسلما باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين ٠

وبين المسلم المعاصر وسائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق فى

فى التاريخ الحديث

النظر الى العالم والى المستقبل ، فان الامريكى مثلا يواجه المستقبل بتجارب العصر الحاضر ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيال فى تقديره للاشياء وعلاقاته مع الناس . ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر الى المستقبل ليقيمه على اساس من الماضى المجدد ، ويسعى الى الغد ولا يفوته ابدا أن يلتفت الى الامس البعيد ، وان لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسايرة الزمن على ما تقتضيه مطالب الحضارة الحديثة ٠

ويقرر المؤلف أن جنوح المسلم الى مسايرة الحضارة الحديثة لا يزال مصحوبا بكثير من التحفظ والحذر فى علاقته بأصحاب هذه الحضارة ، فانه لا ينسى أن دول الحضارة الاوروبية هى التى اخضعته لسيطرتها منذ أواسط القرن الماضى ، واقتحمت بلاده عليه فى الوقت الذى ثار فيه على حكوماته الوطنية طلبا للاصلاح والاخذ بأسباب تلك الحضارة التى ارادها خالصة من شوائب الاستعمار ، بريئة مما يناقض الدين ٠

قال : وان المسلم ليحس أن الاوروبى يفرق فى المعاملة بينه وبين أصحاب الديانات الاخرى ولو لم يكونوا من المسيحيين ، وان هذه التفرقة تظهر من الاوروبى حيث ينبغى أن تختفى جميع الفوارق فى معاملة الانسان للانسان ٠ فقد لوحظ أن مستشفيات الصليب الاحمر كانت تهمل الجرحى المسلمين أثناء حملة فلسطين وتميز عليهم جرحى اليهود ، ويحدث هذا فى المستشفى الواحد بغير مبالاة ولا محاولة للاعتذار من هذا التمييز ٠

ويعتقد المؤلف أن الغربى لا يفهم الاسلام حق فهمه الا اذا ادرك أنه اسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا وليس مجرد افكار او عقائد يناقشها بفكره أو يتقبلها بغير مناقشة ، فليس التفكير بنافع شيئا ان لم يكن مصحوبا بتطور المعيشة وتطور اسلوب الحياة الظاهر والباطن فى المجتمع الاسلامى الحديث ٠

ويستعير المؤلف اسم المعتذرين Apologeties لرواد النهضة الاسلامية الحديثة لانهم ـ كما يرى ـ يسلكون المسلك الذى جرى عليه الاباء



المسيحيون فى صدر الدعوة المسيحية للرد على الفلاسفة والمفكرين الذين اشتهروا يومئذ باسم العرفيين ، وأرادوا أن يجعلوا مذهب المعرفة ديانة تقابل الديانة المسيحية وتتغلب عليها فى مجال البحث عن الحقيقة الدنيوية والحقيقة الاخروية ٠

وقد كان المعتذرون قديما يردون على العرفيين باثبات العقائد الدينية من الوجهة العلمية او وجهة المنطق ومباحث ما وراء الطبيعة ، فلما شعر المسلمون بصدمة العلوم الحديثة كان مسلك الرواد الاوائل من طلائع نهضتهم كمسلك اولئك المعتذرين ، وكان همهم الاول حقبة طويلة أن يتثبتوا سبق العرب والمسلمين الى كشف الحقائق العلمية واستعداد العقيدة الاسلامية لقبول الحقائق العلمية التى تسفر عنها مباحث العلماء العصريين ٠

واضاف الى ذلك قائلا : انه يرى كما يرى الاستاذ (جب) المستشرق المشهور أن مستقبل الاسلام فى هذه الحركة وفى غيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه من قبل بين ايدى حراسه الاوائل وهم طائفة العلماء ٠

ثم يستطرد الى الكلام على مجلة الازهر لانها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الاسلامي الذى يضم اليه العدد الاكبر من علماء الاسلام ٠

قال ان هذه المجلة ظهرت اولا باسم نور الاسلام ، وظهرت منها الاعداد الاولى بهذا الاسم ، ثم سميت من عددها السادس باسم مجلة الازهر (١٣٤٩ هجرية و ١٩٣٠ ميلادية) واشرف على تحريرها العالم الازهرى الشيخ الخضر حسين ، ثم اسندت رئاسة تحريرها الى المجدد العصرى الاستاذ محمد فريد وجدى ٠ ولم يزل يشرف على تحريرها الى سنة ١٩٥٤ ، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضوعا لدراسته التى قدمها الى جامعة برنستون سنة ١٩٤٨ باسم (مجلة الازهر ـ عرض ونقد ـ) ولم ينقطع عن مراجعتها بعد ذلك الى حين اصداره لكتابه الاخير باسم الاسلام فى التاريخ الحديث ٠

ويقول الكاتب انه لا ينظر الى الاراء الخاصة التى تنشرها المجلة للعلماء ، ولغير العلماء الا من زاوية واحدة ، وهى الزاوية التى تشير الى اتجاه عام يتقبله المسلمون كافة او تتقبله جمهرة منهم على التعميم ، ورأيه فى الاستاذ الخضر أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الاسلام ، وان الاستاذ فريد وجدى مجدد عصرى لا تزال طريقته فى التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند انصار التجديد ، وان يكن بعض آرائه منظورا اليه اليوم كأنه تفكير فات اوانه وظهر بعده ما هو اوفق منه لزمنه ، ولا اختلاف بين الاستاذ وجدى ولا بين السلفيين او المجددين المتأخرين فى راى واحد يتفقون عليه : وهو أن العلم الحديث لا ينقض حقائق الاسلام ، وان القليل منه عند المتعلمين المتعجلين هو الذى يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينية ولكنهم لا ينصرفون عنها بل يزدادون ايمانا بها ، مع التوسع فى العلم الحديث ، والتوسع فى العلم بالدين ٠

ويقول صاحب الكتاب فى مقابلته بين منهج الشيخ الخضر ومنهج الاستاذ وجدى أن أولهما يعتبر الاسلام وحيا تاما قد تنزل على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية ، فلا اضافة اليه ولا زيادة عليه ولا تحوير فيه ، وانما الايمان بالاسلام هو الذى يحتمل القوة والضعف كما يحتمل زيادة المعرفة او النقص فيها ، او يحتمل المراجعة من عصر الى عصر لتفقد الاثار العصرية فيه . وليس الاستاذ الخضر كما يرى المؤلف من انصار الحنين الى الماضى ، بل هو من أنصار الدعوة التى لا زمان لها لانها صالحة لكل زمان ، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة فالمسلم يسلم امره الى ارادة الله كلما هدته معارفه الى فهم تلك الارادة الالهية بالدرس او بالالهام . وقد تساوى فى نظر الشيخ الخضر كلا الطرفين من المسلمين فى الحاجة الى التصحيح والاصلاح : وهما ـ على تعبير المؤلف ـ طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الاسلام ، وطرف اليمين من الجامدين واتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا حدوده عليهم وان لم يجاوزوه .

أما الاستاذ وجدى فخطته فى الاصلاح تتجه قبل كل شىء الى احياء الشعور الروحانى فى ضمير الرجل العصرى ، لانه يرى ان الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد ولا الاخلاق ، وان مشكلة الانسان العصرى مشكلة اخلاقية نفسانية تستدعى من المصلح أن ينهض بمثله العليا فى معيشته الدينية والدنيوية معا ليعود بها الى حظيرة المثل الروحانية ، وهى الخليقة بعد ذلك أن ترده الى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية .

وليس المقام بمتسع هنا لشرح التعليقات التى عقب بها المؤلف على أحوال الاسلام فى الباكستان والهند والبلاد التركية والايرانية وسائر الامم الاسلامية ، ولكن تعليقاته التى اجملناها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الاسلامية بين تلك الامم ـ وزبدتها ان الحضارة الغربية قد ازعجت امم الاسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم فى وجهها ، وشعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير عالمهم معها ، وانهم ليقبلون هذه الحضارة او يرفضونها ، ولكن القليل منهم هو الذى يؤثر ترك الاسلام للسير مع الحضارة الاوروبية فى ركابها ، وانما يتفقون ـ معظمهم ـ على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها الى عالم جديد لا ينفصلون فيه عن عالمهم القديم ، ولم يظهر بعد كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم العربى على اختلاف مناحيه ، وكل ما هو واضح اليوم ـ ولا حاجة به الى المزيد من الايضاح ـ ان دعاة الحضارة الاوروبية يفقدون عطف العالم الاسلامى اذا حاولوا أن يعاملوه غدا كما عاملوه امس معاملة السيد العليم للجاهل التابع ، اذ لا سبيل الى التفاهم على غير اساس المساواة .

■■

نتيجة مسابقة العدد ٢١٠

«شمس العرب تسطع على الغرب»

■ قامت مسابقة العدد ٢١٠ من« العربي » على ستة أسئلة متنوعة عن مغامرات لرحالة اكتشفوا مناطق نائيةمن العالم بعد رحلات مليئة بالمخاطر والاهوال ، الى جانب اسئلة أخرى عنأحداث عربية كان لها أثرها في التاريخ العربيالاسلامي ٠وقدنجحالعديد منالقراءفي الاجابة على أسئلة المسابقة اجابات صحيحة ،معتمدين فياجاباتهم علىالمراجعالعلمية الوثيقة وامهات الكتب ، وفيما يلي : نموذج للاجابة الصحيحة واسماءالفائزين بالمسابقة :

١ - الاسم الذي عرف به حجر البازلت الذي اكتشفه الضابط الفرنسي بوسار هو حجر رشيد ٠

٢ - الرحالة الذيانقذ ليفنجستون هو ستانلي٠

٣ - الفنان الذي انطلق يرسم ويرسم بشكل جنوني ٠٠ وخلال حياته لم يبع اي لوحة من لوحاته ، لكن لوحاته اليوم تباع بمئات الالوف من الجنيهات هو الفنان العبقري فان خوخ ٠

٤ - القائد الذي قال : يا رب لو اعلم ان وراء هذا البحر ارضا لخضته مجاهدا في سبيلك ٠٠ والذي انشا مدينة القيروان عام خمسين من الهجرة هو عقبة بن نافع ٠

٥ - اسم المستشرقة الالمانية التي الفت كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » والتي حظيت على تكريم رسمي من اكثر من دولة عربية هي زيجفريد هونكه ٠

٦ - اللواءالسوري السليبهو لواءالاسكندرونة٠

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا **فاز بها :نوري محمد الفاسي** - طرابلس/ليبيا ٠

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا **فاز بها : بشير عبد العزيز الهويدي** - الرقة/سوريا ٠

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير **فاز بها :حميدة حميد الحلواجي** - المنامة/البحرين ٠

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ - **صلاح الدين احمد عباس** - ام درمان/السودان ٠

٢ - **ممدوح ابراهيم سلام** - الشامية/الكويت ٠

٣ - **احمد حسن احمد القضاقه** عجلون/الاردن٠

٤ - **تماضر تهامي محمود** - القاهرة/مصر ٠

٥ - **احمد سليمان سالم المصري** - ابو ظبي ٠

٦ - **عبد الحليم جمعه الحلبي** - الظهران/السعودية ٠

٧ - **فيصل عبد الغني** - بغداد/العراق ٠

٨ - **احمد اوراري** - بسكرة/الجزائر ٠

هل نستطيع أن نهندس.. حياتنا؟

بقلم : عبدالرزاق البصير

■ من الملاحظ ان حياة معظم الناس تسير على غير ما يتصورون أو على غير ما يريدون لها أن تكون . ولقد كان الآباء ، فيما مضى ، يتدخلون فى صنع حياة أبنائهم ، وربما حاول الاخ الاكبر أن يوجه حياة أخيه الاصغر ، اما حسب منفعته الشخصية ، أو حسب ما يعتقد ان فيه نفعا لصاحب العلاقة . لكن حياة الفرد كثيرا ما تنحرف عما يراد لها أن تكون عليه .. الى غاية هى أبعد ما تكون عن تصور ذوى العلاقة . ولقد تخلى اولياء الامور عن توجيه حياة اقربائهم ، لكن الحال ظل على ما كان عليه من انعطاف الانسان فى حياته الى غايات لم يكن فى تصوره أن تكون . وسنحاول ان نتأمل حياة بعض الافراد لنرى صدق ما ذهبنا اليه ، وربما يخطر بالبال تساؤل مؤداه : هل هذا الذى يجرى فى الكون هو الصحيح الامثل أو ان الافضل لو أن حياة الناس سارت على حسب ما يتصورون ويشتهون ؟

ذلك سؤال لا نستطيع ان نجيب عليه ، لاعتقادنا أن القطع فى الجواب عليه ليس يسيرا ، اذ ان بعض الناس ربما وجد الراحة فى انعطاف حياته،وان كانت على غير ماكان يريد. اما بعض الناس فانه يجد المشقة كل المشقة فى انعطاف مسيرته ، ولكنه لا يملك الا أن يخضع للظروف التى ارغمته على ارادتها .

المنعطفات في حياة الناس

ولا بد لنا من أن نتذكر أن أيامنا هذه قد وجد فيها علم يسمى بعلم التخطيط وهو علم يدرس احتياجات الدولة في كل نواحي حياتها ، ويسعى الى تسيير أو توجيه افراد الشعب حسب احتياجاته المادية كالهندسة والطب والتدريس والحقوق وما الى ذلك من شتى ميادين الحياة ، بالاضافة الى النواحي الاخرى كالمدارس ، والمستشفيات ، والجمعيات التعاونية ، والنوادى، ودور السينما ، وما الى ذلك .

واعتقد ان مجالس التخطيط ربما تصيب فى تخطيط المدن وحصر احتياجاتها وبناء المدن حسب تلك الاحتياجات التى اشرنا الى بعضها قبل قليل . أما تخطيط حياة الناس حسب احتياجات الدولة ، فانه لا يمكن ان ينجح الا فى بعض الاحيان ، لان الفرد يتعرض لمؤثرات لا حصر لها، مما يجعل حياته تسير يمينا مرة وشمالا مرة أخرى فكثيرا ما ينقلب الطبيب الى سياسى يؤثر فى مجتمعه اكبر الاثر ، وربما انقلب الطالب الاقتصادى الى مهندس ، او الى طبيب ، الى

غير ذلك من الانعطافات التي ربما لم تكن تخطر على البال .

والحق ان كل فرد له دور يؤديه أو رسالة يؤديها في هذه الحياة . وليس من شك أن البشر في حاجة الى كل الطاقات .. فجهد الاديب لا يقل عن جهد الطبيب ، وجهد المهندس لا يقل عن جهد الصيدلي ، وقل مثل ذلك في بقية ميادين الحياة .

أدباء وممثلون

والمهم اننا اذا نظرنا الى حياة كثير من الافراد المشهورين ، نجدها تسير على غير ما كان اصحابها يريدون أن تكون عليه ، فالكثير من الناس لا يعرفون عن «كورني» الا انه كاتب اثر في دنيا المسرح تأثيرا عظيما ، في حين ان مسيرة حياته كانت قد وجهت الى ان يكون ذا تأثير في عالم المحاماة ، لكن الكتابة المسرحية قد غلبت عليه ، فاصبح ركنا من أركان المسرح في القرن السابع عشر . وما من متتبع للنهضة المسرحية في ذلك القرن الا وقد أعجب بمسرحياته ولا سيما مسرحية السيد التي ترجمت الى كثير من اللغات ، ومثلت على كثير من المسارح ، وطبعت على كثير من الافلام . ونجد شبيها لهذا الكاتب كاتبا عربيا انعطفت حياته من القضاء الى كتابة المسرح ، ونعني به الاستاذ توفيق الحكيم .

ولسنا في حاجة الى التنويه بمكانة هذا الكاتب لانها معروفة لدى الجميع ، والدكتور مصطفى محمود كان طبيبا ناجحا في عالم الطب انقلب الى كاتب اجتماعي يعبر عن آرائه في القصة حينا ، وبالمقالة والبحوث حينا آخر ، والاستاذ أحمد مظهر كان ضابطا من ضباط الجيش ، ثم انقلب الى ممثل له اثره في عالم التمثيل .

ويمكننا ان نجد مثالا فيما نريد توضيحه حين نتأمل حياة «ارنست رينان» الفيلسوف الفرنسي الشهير ، فقد كان أهله وأقاربه يخططون له على أساس أن يكون من رجال «الكهنوت» وكان



علي محمود طه

رينان يعتقد في نفسه ان حياته ستسير على ذلك النسق ، ولكنها تغيرت تغيرا كليا ، فاصبح من الفلاسفة المعروفين الذين اثروا في دنيا الفلسفة ، كما انه نال جائزة «فولني» في سنة ١٨٤٧ ، اذ كتب أوفى فصل في اللغة قدمه المتسابقون ، وكان هذا الفصل نواة كتابه الذي أصدره فيما بعد عن « تاريخ اللغات السامية ».. ولقد كان الفيلسوف اسبنوزا يصقل زجاج النظارات وروبرت بيرنز ، الشاعر الاسكتلندي النبيه ، كان يتغنى بالشعر وهو يسير وراء المحراث . والامثلة على صحة ما ذكرناه اكثر من أن تحصى .

أطوار حياة الانسان متغيرة

فحياة الانسان تمر باطوار وطرق كثيرة لا يدري الانسان كيف يؤثر فيه بعضها ولا يؤثر فيه بعضها الآخر ، لان الانسان لم يعرف كنه ذاته حتى الآن ، اذ ان المؤثرات التي تؤثر في نفس الانسان كثيرة . لا نستطيع منها فكاكا . لهذا أتصور أن علماء النفس وعلماء الاجتماع ربما بالغوا في تفسيراتهم لسيرة الانسان ، وللتغيرات التي تحدث للمجتمع ، فالانسان سواء كان فردا او مجتمعا لا يمكن ان يكون مثلما نراه في عالم الطبيعة يسير في طريق واحد خاضعا خضوعا تاما للنواميس الطبيعية ، اذ ان الاحاسيس متنوعة غير محدودة ، وهي غير معروفة حتى عند اصحابها، لهذا نرى كثيرا من المشهورين في عالم الطب وفي دنيا القانون والهندسة وفي الناحية العسكرية يتركون ما تأسست حياتهم لاجله ، الى عالم آخر كعالم الشعر والادب والتمثيل ، كما أشرنا الى ذلك فيما سبق ، فيجيدون كل الاجادة فيما انقلبوا اليه حتى ليخيل اليك انهم لم يخلقوا

للطب او الهندسة او القانون ، وانما خلقوا لكتابة القصة ، او القصيدة ، أو التمثيل ، واغرب من ذلك كله ان الله يهب بعض الناس عدة مواهب ، ويجعله قادرا على ان يحلق فيها كلها ، والحديث في هذا متشعب لايحتمله هذا المقام .

على محمود طه المهندس الشاعر

ولكني اريد أن أختم هذه الكلمة بالاشارة الى الشاعر المهندس على محمود طه ، فقد بلغ من شغفه بالعلوم التطبيقية ما جعله يرفض الدخول في المدرسة الثانوية ، واثر الالتحاق بمدرسة الفنون الصناعية يدرس فيها الهندسة . وفي سنة ١٩٢٤ يتخرج حاملا شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المباني ، ولكنه خلف في ميدان الشعر اثارا خالدة لا تقاس بما خلفه في ميدان الهندسة ، ولا بالمجالات السياسية والدبلوماسية الرفيعة التي تقلب فيها . ومن كان يظن ان مثل ذلك الشاعر الغنائي الفريد تنصرف نفسه عن الدراسة الادبية الى الدراسة العلمية المادية ، ولكنها النفس البشرية ذات المنعطفات الكثيرة تاتي عليها حالات تدفع صاحبها الى ما يعتقد انه هو الطريق الصحيح ، ثم يتضح له انه مخطىء في مسيرته ، ثم يعود الى ما خلقه الله من اجله . فلقد وفقت الدكتورة نازك الملائكة حين قالت عنه انه شاعر غنائي قل ان تجود الشاعرية العربية بنظير له ، يمثل فترة من فترات الانطلاق بالشعر العربي من قيوده القديمة الى عوالم جديدة لم يطرقها من قبله شاعر ، والتي اطلقت هذا الحكم اديبة اصيلة وشاعرة موهوبة تعرف الشعر حق المعرفة فهي ذات اثر كبير في دنيا الشعر والنقد الادبي ، لذلك رايت ان اكتفي برايها في شاعرنا المجيد دون ان اورد ما قاله الكثير من النقاد والكتاب من كلمات الاعجاب والثناء ، وانه ليطيب لي وللقراء فيما اعتقد ، ان نستروح بقطعة من شعره الانيق الذي ياخذ بمجامع قلوب ذوي الاذواق السليمة :

ان أكن قد شربت نخب كثيرا
ت وأترعت بالمدامة كأسي

وتولعت بالحسان لانى
مغرم بالجمال من كل جنس

وتوحدت فى الهوى ثم أشركـ
ـت على حالتى رجاء ويأس

وتبذلت فى غرامى فلم أحـ
ـبس على لذة شياطين رجس

فبروحى أعيش فى عالم الفن
طليقا والطهر يملأ حسى

تائها فى بحاره لست أدرى
، لم أزج الشراع أو فيم أرسى

لى قلب كزهرة الحقل بيضا
ء ، نمتها السماء من كل قبس

هو قيثارتى عليها اغنى
وعليها وحدى أغنى لنفسى

لى اليها فى خلوتى همسات
أنطقتها بكل رائع جرس

وليس من شك أن الموسيقار محمد عبد الوهاب قد أثرى الفن الموسيقى حين تغنى ببعض روائع شاعرنا المهندس على محمود طه وفى مقدمتها « نداء الفداء » والتى مطلعها :

أخى جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا

أنتركهم يغصبون العروبة
مجد الابوة والسؤددا

فما من عربى يستمع الى هذه الاغنية الخالدة الا ويمتلىء قلبه حماسا واندفاعا للنضال فى سبيل قضيتنا الكبرى « قضية فلسطين » . أما قصيدته « الجندول » ورائعته « كليوباترا » فانهما تجعلان المستمع اليهما بعد تغريد عبد الوهاب بهما يحلق فى عالم من الجمال ويغوص فى أعماق التاريخ . ■■

الكويت / عبد الرازق البصير



عن.. سيكولوجية البكاء

بقلم : الدكتور عبد العزيز القوصي

■ أعرف سيدة فقدت ابنها الوحيـــد منذ عشرين عاما وقد حزنت عليه حزنا شديدا واستمرت حزينة عليه حتى اليوم ، وهي ترتدي أرديـــة سـوداء وقد تشكل وجهها بشكل خـاص من مداومتها على التعبير عن حزنها ، وتشكل سلوكها في مجموعه بتعبير الحزن ، فاذا رأيتها من بعد فانك تجد سيدة تتحرك بوجه حزين ، فاذا ما التقيت بها وجها لوجه والتقت العين بالعين فان الانسان لا يملك الا ان يسالها عن أحوالها بنغمة فيها عطف فتسيل دموعها وقد تسيل دموع من يحدثها معها . ولعل هذا يتكرر للكثيرين .

والبكاء خبرة تمر بكل فرد في حياته فالكبير يبكي أحيانا ، والصغير يبكي كثيرا والمرأة تبكي أكثر من الرجل ، والرجل يبكي كذلك ، وهناك أشخاص يبكون أكثر من غيرهم واخرون يبكون بسرعة اكبر من غيرهم ، وهناك أناس عنـدهم الاستعداد للبكاء اذا اقتضى الامر ، وهناك من يبكي في تصنع ، وهناك من يبكي ليستبكي ، فالبكاء له أشكاله والوانه ودرجاته وله وظائفه.

وليس هناك من شك في أن البكاء يسترعي نظر البـاحث ، غير أن المفكرين قد كفوا في الغالب عن التحدث فيه لا لقلة شيوعه وانما لانه أحد الموضوعات المؤلمة ، ونحن نعرف – من علم النفس – أن الانسان يبتعد في العادة – دون ان يقصد – عما يؤلمه ، فلا الكتاب يريدون ان يكتبوا عن البكاء ولا القراء يقبلون على القراءة عنه ، ومع ذلك فانى أدعو القراء للاطلاع على هذا المقال لان العلم بالشيء وسيلة من وسائل ضبطه والتحكم فيـه ، وفـرض السيادة عليه . وليس معنى ذلك انني متضلع في الموضوع فلا بد أن اقر بأن معرفتي بالموضوع كمعرفتي باي موضوع آخر محدودة ناقصة .

والاصل في البكاء انه استغاثة، فالصغير عندما يبكي ويرتفع صوته ويجهش فانه يستغيث وينجح

فى أن يحرك فى الام كل عواطف الامومة فتهرع لحمايته ، ويقول أحد علماء النفس ان صرخة الاستغاثة من الطفل تفتح قلب الام ، فمن فضل الله علينا ان جعلنا نبكى حتى نحصل على الحماية والرعاية والعطف • وتدلنا خبرتنا على ان الطفل فى سن الثالثة يبكى فى حضرة امه اكثر مما يبكى اذا كان بمفرده او كان فى حضرة من لم يسبق له أن هرع لمساعدته • وكثيرون من الاطفال يكونون فى هدوء فاذا ظهرت الام فى المجال بدأوا يبكون • معنى هذا أن البكاء له وظيفة ، فاذا انقطعت صلة البكاء بوظيفته انقطع البكاء •

وقد حدث ذات مرة أن بكى طفل فى حضرة افراد الاسرة فاخذت بيده وصحبته الى غرفة ليس فيها احد وقلت له يمكنك ان تبكى هنا بمفردك فاذا انتهيت من البكاء فعد للجلوس معنا ، ولا تعد للجلوس معنا قبل أن ينتهى بكاؤك • وتركته فى الغرفة فسكت ، فالمقصود بالبكاء تحريك الآخرين فاذا كان الآخرون غير موجودين فان البكاء يفقد وظيفته ويختفى •

ومن القواعد البسيطة عند مباشرة الطفل الكثير البكاء أن نتصرف معه بحيث يفقد البكاء وظيفته فاذا تم هذا اختفى البكاء • والقواعد ــ ولو أنها بسيطة فى صياغتها ــ الا انها تحتاج الى دربة ومران فى التطبيق •

ولكن لماذا يبكى الكبار

والبكاء عند الكبار نكوص الى الطفولة ، فالطفولة تحتاج للحماية ومن ثم فان البكاء نكوص للمرحلة التى تتطلب الحماية •

ويصدر البكاء فى حالات الياس وفى الازمات غير أن حالات الضعف تشجع عليه أكثر واكثر ، ولا بد أن يكون قد مر فى خبرة القارىء ما مر فى خبرتى فقد كنت اعرف رجلا لم يكن فى العادة يبكى على ما اعلم ، ولكنه مرض مرضا شديدا واضطر الى الاستسلام للفراش وساءت صحته على الرغم من انه كان من القادة الرياضيين واصبح عند ضعفه اشبه بالاطفال فى حاجة الى من يأتيه بالغذاء ومن يعاونه على قضاء حاجاته البيولوجية الاخرى وهو فى السرير• وقد زرته وهو فى هذه الحالة فما كاد يرانى حتى ابتلت عيناه ثم اغرورقت ثم انهمرت دموعه فاذا بى أتأثر وابكى معه •

ثم فكرت ــ بعد انصرافى من زيارته ــ عن السر فى هذا البكاء فادركت ان زيارتى له قد ذكرته بما كان عليه من صحة وقوة فعزت عليه نفسه ، ولعله شعر باليأس من الشفاء وشعر بانه يسير نحو القدر المحتوم ، فلا الطب يسعفه ولا اصدقاؤه يسعفونه ولا اولاده ينقذونه ، فبكى استدرارا لعطف الله عليه ، فالبكاء فى الاصل كما قلنا استغاثة • ويكون لذلك تأثرا للنفس على النفس او كما نقول بالعامية يصبح الفرد (صعبان عليه نفسه) •

واعرف اما قلقة على اولادها تخاف عليهم من كل شىء، ومن الاوليات فى علم النفس ان الشخص القلق يعكس فى العادة قلقه على غيره ويحدث هذا دون أن يدرك • وقد يبلغ القلق بهذه الام ان اصبحت فى خوف دائم فاذا جلس اليها ابنها ظلت تتأمله وتحدق النظر فيه ولا بد ان تكتشف سببا للشكوى فتتأثر ثم يتأثر الابن لتأثرها فتدمع عيناه فلا تلبث أن تدمع عيناها ويبكى الاثنان ، ثم تتجاوب التعبيرات فتتضخم ويصبح البكاء شديدا ومرا لغير سبب حقيقى • وهكذا كانت الام تعامل ابنها من سن الرضاعة فهى تخشى أن يمرض وتخشى أن يموت • وفى ظل هذا الخوف كان يعز عليها ابنها • فترتب على هذا أن نشأ لدينا ولد سريع التأثر شديد الحساسية سريع البكاء • هذه بالطبع حالات مرضية وهى ليست نادرة •

البكاء والضعف شعوران متلازمان

كذلك أعرف فتاة تعتز بنفسها وبعقلها وجمالها ايما اعتزاز وكانت مقربة من والديها ، وكانت محاطة بكثير من الحماية ، وبدرجة عالية من التقدير ، وقدر لهذه الفتاة ان تتزوج من احد اقربائها وكان رجلا ممتازا حقا غير انها ظلت فى قرارة نفسها تشعر بانها لم تتزوج الرجل

الذي كانت تحب ان تتزوج به ، ولم يكن هذا لانه كان هناك رجل معين ، ولكن لان ما احيطت به في طفولتها من تقدير واعلاء واجلال جعلها تتصور ان الرجل الذي يليق بها هو غير هذا • وان من يليق بها لم يعترض حياتها حتى الآن • عاشت حياتها الزوجية راضية في الظاهر بزوجها وراضية في الظاهر بمن انجبتهم من بنين وبنات، ولكن كانت تشعر دائما انها مظلومة وان حقوقها مهضومة وانها لم تنل في الحياة ما تستحقه من جاه ، واذا تعمقنا في حياتها اللاشعورية نجد ان زواجها وانجابها اربعة اطفال تباعا كل هــذا كان عقبة في سبيل تحقيق ما كانت تصبو اليه من اتمام الدراسة ومن اختيار امل حياتها على الصورة التي رسمتها •

أحيطت هذه الفتاة في نشأتها الاولى بالتدليل والتقدير والرعاية القلقة فنشأت حساسة لما يقع لها في الحياة ، فاذا لم تسر الحياة وفق هواها لجأت الى البكاء ، فاذا مرض ابنها بكت كثيرا واذا ضاع منها شيء نسبته الى سوء الحظ ، واذا مرضت نسبت هذا الى عين السوء ، وفي كل هذه الاحوال كانت تنهمر دموعها وتبكي ، وبذلك تجاوز البكاء وظائفه الطبيعية واصبح ظاهرة مرضية غير عادية •

واعرف والدة لها طفل وحيد ولكنها صغيرة السن اسلمت ابنها الى مربية الفها الولـــد وتعلق بها • وفي يوم من الايام غابت المربية فاضطرب الولد وبكى في احد المواقف بكاء شديدا، واعيت الام الحيل في اعـــادته الى حالتـــه الطبيعية فبكت •• وهكذا بكى الطفل وبكت الام، بكى الطفل لسبب اصيل هو غياب مربيته ولسبب عارض هو استخدام البكاء للسيطرة علـــى بيئته ، وبكت الام لانها عجزت عجزا تاما امـــام الموقف وعز عليها ان تعجز كما عز عليها ان ترى ابنها يبكي دون أن تقوى على اعادته الى حالته الطبيعية ، فبكاء الابن الم وضعف وقد يكون ذريعة ، وبكاء الام عجز وفشل وضعف وتألـــم من نفسها على نفسها •

وبكاء الشخص عند وفاة عزيز نوع من الضعف واليأس ومعناه انعـدام القدرة على عمــل مـــا ينقذ الموقف وغرضه اللاشعوري استدرار العطف• وتعرف أن قريب المتوفى يكون متأثرا ـ دون ان يبكي عادة ـ وهو بمفرده فاذا التقى مع قريـب آخر او صديق بكى الاثنان معا ، فالبكاء يظهر عادة بالالتقاء والالتقاء يصحبه تجاوب •

ومن الناس من يسلمون امرهم ويستسلمون ويرضون بالامر الواقع وهؤلاء في الغالب لايبكون، او لايبكون كثيرا لانهم اقوياء ، فالبكاء والشعور بالضعف متلازمان سواء كان الضعف مرضا او وفاة عزيز او ازمة او خيبة او خسارة او غير ذلك •

وسيلة للتخفيف عن النفس

والذين يبكون كثيرا تكتسب تعبيرات وجوههم في حياتهم العادية ما يوحي بانهم على استعداد للبكاء ويسلكون في الحياة كما لو كانوا غير راضين عن حظهم في الحيـــاة • وحين نريد أن نعبر عن سوء الحظ نعبر عنه بلغة فيها اشد انواع البكاء اذ نقول (ان فلانا يندب حظه)

واعرف شابا انيقا يسعى للتحدث مع الفتيات فاذا أعرضت احداهن عنه بكى لانه لا يرى في عزوفها دليلا على انها لا تستملح شكله فتعز عليه نفسه ويبكي ، ونفس هذا الشاب لا يتحمل الخيبة من اى نوع بل انه يبكي اذا توقعها قبل ان تقع •

وهناك شاب آخر كان والده قد نفخ فيه ـ منذ صغره ـ انه رجل وان البكاء من صفات الاطفال لا من صفات الرجال فنشـــأ متعودا أن يكبت مشاعره ، فهو يشعر بانه يريد أن يبكي في بعض المواقف غير انه لا يستطيع فيؤدي به هـذا الى الضيق الشديد والى ازمات نفسية طاحنة • وقد كنت ـ اذا جلست اليه ـ احمله على البكاء وان البكاء هنا بمثابة تفريغ لما عنده مـــن ضغط ، ولهذا فانه يريحه اذ انه يخفف بعض ما عنده من توتر ويصرف جزءا مما عنده مـــن شحنات انفعالية •



لذلك كان جديرا بنا ان نحمد لقدماء المصريين ان وضعوا تقاليد الجنائز عند الوفاة ، ففي الجنائز يتجمع الناس ويبكون ويستبكون ويحمس بعضهم بعضا، وبذلك تكون الجنائز فرصة لتفريغ شحنات انفعالية عند الكثيرين ، وما نسميه في مصر اجتماعات للعزاء يسميه السودانيون «بكاء» .

سر جاذبية الدارمـــا

وبمناسبة ما ذكرناه عن الجنائز واجتماعات العزاء وما يسميه السودانيون بكاء نذكر ما يحدث عندما نرى الآخرين يبكون ، اذ يتولانا ميل للبكاء ونبكي في الغالب بالفعل وهكذا تصطبغ الجنائز بالبكاء، ولهذا يجتمع الناس للبكاء ولو انهم يقولون عادة ان كلا يبكي على حاله او على مأساته الخاصة .

ويخشى كثير من الناس الذهاب الى السينما لمشاهدة رواية محزنة حتى لا يبكوا ولكن من الخير لهم أن يذهبوا وان يبكوا ، ولعل هذا هو السر في رواج الروايات المحزنة وخلودها احيانا اذ انها تحرك الناس وتهز مشـــاعرهم وتفرغ الكثير من الرواسب عندماتستدر دموعهم فتريحهم فالدراما لها مواضعها العلاجية ولها كذلك مواضعها الاستمتاعية رغم مظاهر الالم .

وعلينا ان نذكر ان الكائن الحي اذا وقف في وجهه عائق فانه لا يتورع عن ان يحاول تحطيمه او التغلب عليه ، فاذا تعددت العوائق او اشتدت ظهر الميل للتخلص (او الهرب) من الموقف فاذا ازداد تعددها وازدادت شدتها واستحال التغلب عليها ظهر الميل للصراخ والاستغاثة . هـــذا يمكن ان يقع وقد اخضعه علم النفس للتجربة المضبوطة التي يظهر فيها الغضب ثم الخوف ثم الاستغاثة ولها دلالتها في مقالنا هذا .

فالبكاء في الصغر وفي الكبر امور عادية لها فائدتها الكبرى ولها وظيفتها ، وكاي ظاهرةنفسية يمكن أن تكون مرضية وان تكون شاذة . وحين نقول ان البكاء له وظيفته الاصلية فاننا نستدل على هذا مما نلاحظه في بعض صغار الحيوان فهي تبكي وتصرخ وتهرع الى امها لنجدتهـــا وحمايتها ،فالصراخ الاستغاثي معروف عند الحيوان والانسان في جميع العصور وفي جميع البلدان وعند الصغار وعند الذكور والاناث ، غير أن له الوانه واشكاله ودرجاته ووظائفه وسرعته ومدته وله كذلك طقوسه وتقاليده كما نفيد منه في علاج الانسان وعلاج الحيوان .

عبد العزيز القوصي

المفاجآت السعيدة دواء الحياة !

بقلم : منير نصيف

« لكل يوم برنامج جديد ..
يجب الا نغفــلـه ! .. »
بلزاك .

■ متى نشعر بان الحيــاة قد توقفت ؟ كيف نعيش كل لحظة فيها ثم كيف نجدد حياتنا وننعم بها ؟ ما ابسط الاشياء التى تسعدنا؟ هذه تجربة زوجة شابة مع مفاجاة سعيدة ..

★ ★ ★

ترى ما الذى يستوقفها امام نافذة هذا المتجر الكبير ؟

لاشك ان هناك شيئا معينــا يثيــر اعجابها ، فالمسالة ليست فى حاجة الى تفكير .. ولكن المهم انه كان يريد ان يعرف ماهو هذا الشىء .. فقد كان يحب زوجته .. وهو ينتهز كل فرصة ليترجم لها عما يعتمل فى صدره من مشاعر نحوها ..انه لا ينسى عيد ميلادها ، وهو يذكر عيد زواجهما .. وقد اضاف الى هذين العيدين عيدا ثالثا .. انه اليوم الذى استقبلا فيه ضيفتهما الصغيرة الجميلة .. طفلتهما الوحيدة التى كبرت الان واصبحت فى العام الرابع من عمرها .. كل هذه اعيــاد لاينساها ، فهو يحمل تاريخ كل منها فى راسهوفى قلبه .. ولايفوته ابدا ان يحمل معهفى كل مناسبة من هذه المناسبات الثلاث هدية صغيرة للمراةالتى خلقت هذه المعانى الجميلة الجديدة لحياته ..ان مجرد شعوره بأن هناك انسانا يحبه وينتظرعودته كلما حان موعد الانتهاء من عمله ، قد جعل منه رجلا اخر يحس بقيمة الحياة وحلاوتها .. كان دائما على موعد مع اللحظات السعيدة التىتنتظره مع زوجته وطفلته الصغيرة عند عودته الىالبيت وما اكثر المرات التىسخر فيها من نفسه،وهو ينظر الى ساقيه وهما تندفعان به جريا وراء سيارة الاوتوبيس التى اوشكت على التحرك من محطـة الوقوف حتى لايضطر الى الانتظار بضع دقائـق اخرى ، ويتاخر لقاءه بزوجته وطفلته بعد غيبة نهار كامل عنهما !

كان زوجــا سعيدا .. وبقدر السعــادة التى يحس بها ، كان يحرص دائما على ان يسعدهؤلاء الذين اسعدوه !

لحفلة سعادة

لقد راى زوجته تقف امام نافذة المحل التجاري الكبير القريب من البيت ، اكثر من مرة ٠٠ والنافذة مليئة بالاثواب الجميلة الانيقة ٠٠ ولكن ايها ٠٠ اى ثوبمنهاهذا الذى استاثر بكلاعجابها حتى انها لم تسمعه وهو يقف بجوارها ويمسكبيد طفلته ، عندما سالها اذا كان يستطيع ان يشترى لابنته قطعة من « الايس كريم » الذى تحبه !

وخطر له فى هذه الامسية ان يقصد المتجروحده قبل عودته الى البيت، ويسال ٠٠ فربما استطاعت احدى الفتيات اللواتى يشرفن على بيع الملابس ان تساعده ، انه شىء طبيعى ان يسال المرء عن ثمن شىء اعجبه ، من يدرى فربما تكون زوجته قد فعلت ٠٠ ثم هى ليست غريبة عليهن ، بلانهن يعرفن ايضا انه زوج هذه السيدة الرقيقة ام الطفلة الجميلة التى تريد ان تعرف كل شىء وتداعب كل من حولها فلا تكاد تظهر فى مكانعام حتى تلفت جميع الانظار اليها !

ودخل المتجر ٠٠ وادهلته المفاجاة ، عندماتقدمت اليه احدى الفتيات ، وقالت : «لابد انك جئت لتشترى الثوب الذى اعجب زوجتك ياسيدى ٠٠انه ثوب جميل حقا ! »

وقال بلا تردد : « نعم ٠٠ ارجوك ان تاتينى به ! »

وحملته اليه ، ووقف يتامله وكانه يرى فيه زوجته ! ثم قال : « ارجوك ان تغلفيه بورقجميل! وذهب الى الصندوق ليدفع الثمن ٠٠ وكانت مفاجاة اخرى لم يتوقعها ٠٠ فهو لايملك اكثر من نصف ثمنه ! ولكن لم تعد هناك مشكلة عندما اقترب منه صاحب المتجر وهو يراه حائرا مضطربا ويقول له « لاتحمل هما ياسيدى ٠٠ تستطيع ان تدفع باقى ثمن الثوب فى اى وقت تشاء ! »

وشكره ، واخذ الثوب ٠٠ وخرج مسرعا من المتجر ، وكانه يحمل الدنيا كلها فى هذه اللفافة الصغيرة التى سيقدمها لزوجته بعد دقائق ٠٠

٠٠ وتحقق حلمها

ولم ينتظر المصعد ٠٠ راح يصعد الدرج قفزا حتى وصل الى باب شقته ٠٠ وقبل ان يضعالمفتاح



في لقب الباب ، كان قد فتح امامه ، وراح ينقل بصره بين هذين الوجهين اللذين يحبهما •• ثم حمل طفلته كما تعود ان يفعل ، واقترب منزوجته ليطبع على جبينها قبلة اللقاء في المساء •• ومد يده باللفافة ، وقال : « هذه لك ياعزيزتي ! » ثم وقف يرقبها وهي تفتحها بهدوء وتتساءل : « لي انا •• ولكن ما المناسبة ؟ »

ـ انني احبك •• الا يكفي هذا !

وفتحتها •• ولمتصدق عينيها •• الثوب الجميل الذي طالما وقفت تتاملة في اعجاب وهي تتمنىلو انه انتقل الى دولاب ملابسها !

ودمعت عيناها ، وهي تقترب منه لتعبر له عن سعادتها وفرحتها •• ولكنها مالبثت ان رفعت اناملها لتلتقط بها دموعها قبل ان تسيل على خدها ، وكانها قد تذكرت شيئا •• شيئا هاما كان يقلقها كلما فكرت في شراء هذا الثوب •• وقالت على الفور : « ولكن من اين لنا بثمنه ؟ ان ميزانيتنا لاتحتمل يا عزيزي ! »

ـ دعك من هذا كله •• المهم انـك تعيشين لحظة سعيدة ، فلا تفسديها بالتفكير في شيء !

وعادت الى ابتسامتها •• واسرعت الىغرفتها ووضعت جسمها الصغير في « فستانها » الجديد !

★ ★ ★

هذه صورة من صور السعادة التي نحلم بها•• شيء نتمنى لو انه كان لنا ولكننا نعرف ان اقتناءه لنيكون سهلا •• ثم نفاجا به بين ايدينا••

يقول بلزاك : « لا شيء يمكن أن يدفعنا الى الرغبة في الاستمرار وفي حب الحياة اكثر من تلك المفاجات السعيدة •• انها اشبه ما تكون بحجر يرتطم بنافذة الحياة المغلقة التي لفها الملل فلا تلبث أن نرى الضوء ينبعث من جديد وبقوة ، من الفتحة التي احدثها الحجر في الزجـاج المكسور ! »

ويقول علماء النفس : « هذه اللحظات السعيدة المفاجئة تحطم قيود الروتين ، وهيدواء يبحث عنه كل انسان •• الرجل في عمله •• والزوجة في بيتها ، والاطفال في كل مكان وفي اي وقت •• انه الدواء الوحيد الذي يجمع كل الاطباء على نجاحه •• فهو اكسير الحياة ! »

ولكن هل هي الهدايا وحدهـا •• أو هي تلك الاشياء المادية الملموسة التي نتمناها ونحلم بها لم نجدها فجاة في متناول يدنا ، هل هذهي اللحظات الوحيدة التي نحس بالسعادة معها ؟

والجواب، ان اي تغيير في اسلوب الحياة نفسه، اي جديد يطرا على حياتنـا ويقضي على بعض متاعبنا وهمومنا ، كما لو كانت قطعا من الطوب والحجارة يقذف بها في مياه البحر الواسعة •• اي شيء من هذا كله ، يمكن ان يكون له نفس الاثر الذي يتركه امتلاك شيء كنا نحلم به ونتمناه، وربما اكثر !

دعوة للعشاء في الخارج

الزوج الذي يفاجيء زوجته بدعوتها الى تناول العشاء مثلا في احد مطاعم المدينة ••

ـ ولكنني اعددت لك طبقا شهيا يا عزيزي !

ـ ضعيه في الثلاجة ، وسوف ناكله غدا •• اما الليلة فسوف نذهب الى مطعم جديد اكتشفه بعض الاصدقاء •• ارجو ان تستعدي للخروج ، وسامر عليك بعد نصف ساعة !

وبعيد سماعة التليفون الى مكانها ، فقد كان يحدثها من مكتبه •• وتسرع الزوجة الى ارتداء ملابسها وقلبها يرقص طربا ، وان حاولـت ان تخفي هذا الشعور عنه وهي تحدثه عن الطبـق الشهي الذي امضت جانبا من وقتها في اعداده !

وقصة اخرى

يروى الدكتور وينيكوت Winnicott في كتابه الطفل والاسرة والعالم الخارجي،قصة الزوج الذي كان يتصور انه لا يمكن لاي شيء ان يغير شكل او اسلوب الحياة التي اعتادها منذ أن تزوج واصبح ابا لطفلتين •• كان يعيش مع اسرته في بيت صغير في احدى الضواحي القريبة من العاصمـة •• وكانأقصى ما يتمناه انيحصل علىالزيادة التي تصرفها الشركة التي يعمل بها في بداية كل عام للموظفين المجدين •• عشر سنوات قضاها في هذه الشركة ولم يفته قطار الترقية مرة واحدة •• لقد اتاحت له هذه الاعوام الطويلة فرصة التعرف على دقائق العمل في فروع الشركة •• ولعلها الشيء الوحيد الذي كان يميزه عن بقية الموظفين الجـدد الذين كانوا يلجاون اليه ليشرح لهم بعض ماغمض عليهم ••

وكان قانعا بحياته رغم ماتتصف بـه من رتابـة وبلادة •• اما زوجته فقد كانت اسعد منه حالا ••

كان شغلها الشاغل طفلتيها ، فهي تستيقظ فى ساعة مبكرة من الصباح لتعدهما للذهاب الى المدرسة القريبة من البيت •• حتى اذا خلت الى نفسها ، بعد أن يذهب الزوج بدوره الى عمله ، راحت تملأ وقتها بزيارة جاراتها والذهاب الى السوق او قضاء جانب من النهار اذا اتسع وقتها، وسط الزهور في الحديقة العامة !

هي ايضا كانت راضية قانعة ، ولو انها كانت تستسلم فيبعض اللحظات لتلك الاحلام التيتراود كل زوجة شابة •• بيت اكبر وافخم ، وسيارة صغيرة،ومربية لطفلتيها، تحمل عنها جانبا من اعباء الحياة •

حياة جديدة

الى أن جاء يوم، وكان الزوج يجلس في مكتبه، كما يفعل كل صباح، وفجأة خطرت له فكرة، واسرع الى قلمه ، وراح يسجل فكرته الجديدة على الورق فورا ، وبعث بها الى مدير الشركة !

وكانت المفاجأة عندما ارسل المدير يستدعى الموظف صاحب الفكرة•• لقد اعجبته•• فهي تهدف الى تنشيط الدعاية لمنتجات الشركة وبالتالى مضاعفة المبيعات ! • ووقف المدير يمد يده مصافحا الموظف الصغير ومهنئا في الوقت نفسه ! ثم بدأ يتكلم : « ان هذا المشروع يتطلب دراسة على الطبيعة في المدن الصغيرة والكبيرة التي نبيع فيها منتجاتنا ! واذن فلا بد لك أن تذهب الآن فورا الى البيت وتحزم حقائبك ، استعدادا للسفر !

ولم يصدق اذنيه •• وهو يسافر لاول مرة ، مبعوثا للشركة التي يعمل فيها منذ عشرسنوات•• سوف يصبح مهما •• سوفيحطم بيده الروتينالذى عاشه وعايشه سنوات وسنوات ••

واسرع يزف الخبر الى زوجته !

وقالت وهي تلف ذراعيها حوله وتقفز في الهواء، وقد احتوتها فرحة العمر كله : « خذني معك ! » ••واخذها •• بعد أنحلت الزوجة مشكلة طفلتيها بدعوة والدتها للاقامة معهما خلال فترة غيبتها عن البيت •

وخرج الجيران لتوديع الزوجين الشابين اللذين سيفترقان عنهما لاول مرةمنذ جاءا اليهذا المكان!

وركبا الطائرة لاول مرة ••

ونزلا فيافخم الفنادقبالمدن التيتقرر زيارتها•• واستمرت الرحلة لاكثر منثلاثة اشهر كاملة••

عادا بعدها الى بيتهما وطفلتيهما •• وعاد الزوج الى عمله ••

لقد نجح في مهمته •• واصبح مديرا للدعاية والاعلان في الشركة •• وارتفع مرتبه وكانت المفاجآت بعد ذلك في انتظاره بالجملة ••

انتقلت الاسرة الى بيت كبير جميل ، تحيط به حديقة شاسعة •• ولم يعد الزوج يذهب اليمكتبه سيرا على الاقدام •• فقد اشترى سيارة صغيرة•• وجاءت اخيرا المربية التى كانت تحلم بها الزوجة لتساعدها فى تربية الاطفال ورعايتهم !

قبل الزواج •• وبعده

يقول الدكتور وينيكوت : « ان مثل هذا الرجل كاد ينسى في وقت من الاوقات الصفات التياثارت اعجاب زوجته به عندما ارتضته زوجا •••ان الرجل يصبح لاعبا في سيرك « عندما يتقدم لخطبة الفتاة التي يحبها•• فهو خلال هذهالفترة مخترع المفاجآت السعيدة •• وهو اعظم مصور لدنيا الغد التيتحلم بها فتاته معه •• انه امير احلامها ، ولكنه لا يكاد يفوز بها ، حتى يسقط عن الحبل الذى كان يقف عليه بساق واحدة ، وتخبو صورة « البطل » الذى احبته تدريجا حتى تكاد تختفى من مخيلتها !

« في عمله هو هو لم يتغير ، فهنا مكان التفكير والانتاج ••ولكنه قلما ارهق نفسه من اجل تحسين مركزه ، رغم شعوره بالمسئولية بعد الزواج ••

« اما البيت ، فلم يعد مكانا للتفكير اطلاقا ، ولماذا يفكر ، وفيم يفكر ، وقد تحقق له حلمهوربط الزواج بينه وبين من احب •• وشيئا فشيئا يصبح « عدم التفكير » عادة •• تماما كما يصبح «الذكاء» والتجديد عادة يمكن رعايتها بالعمل المستمر فى البحث عن اساليب جديدة تغير من شكل الحياة وصورها •• فالنجاح فى البيت هو سر النجاحفى العمل وليس العكس ••

ويبقى السؤال بعد هذا : «كيف نحصل على المزيد من الحياة ومتعها ؟ » وليس هناك من وسيلة لتحقيق ماتصبو اليه وتحلم به ، غير تلك التى تكمن في استغلال اعظم القوى التي تدفعنا للعمل والحياة ، وهي مشاعرنا واحاسيسنا وعواطفنا •• وان نتعلم كيف نستغل هذه المشاعر فى اسعاد انفسنا واسعاد هؤلاء الذين نحبهم ونعيش معهم ومن اجلهم •

■■

منير نصيف

شخصية الشهر

جاليلو جاليلي

GALILEO GALILEI

١٥٦٤ ــ ١٦٤٢

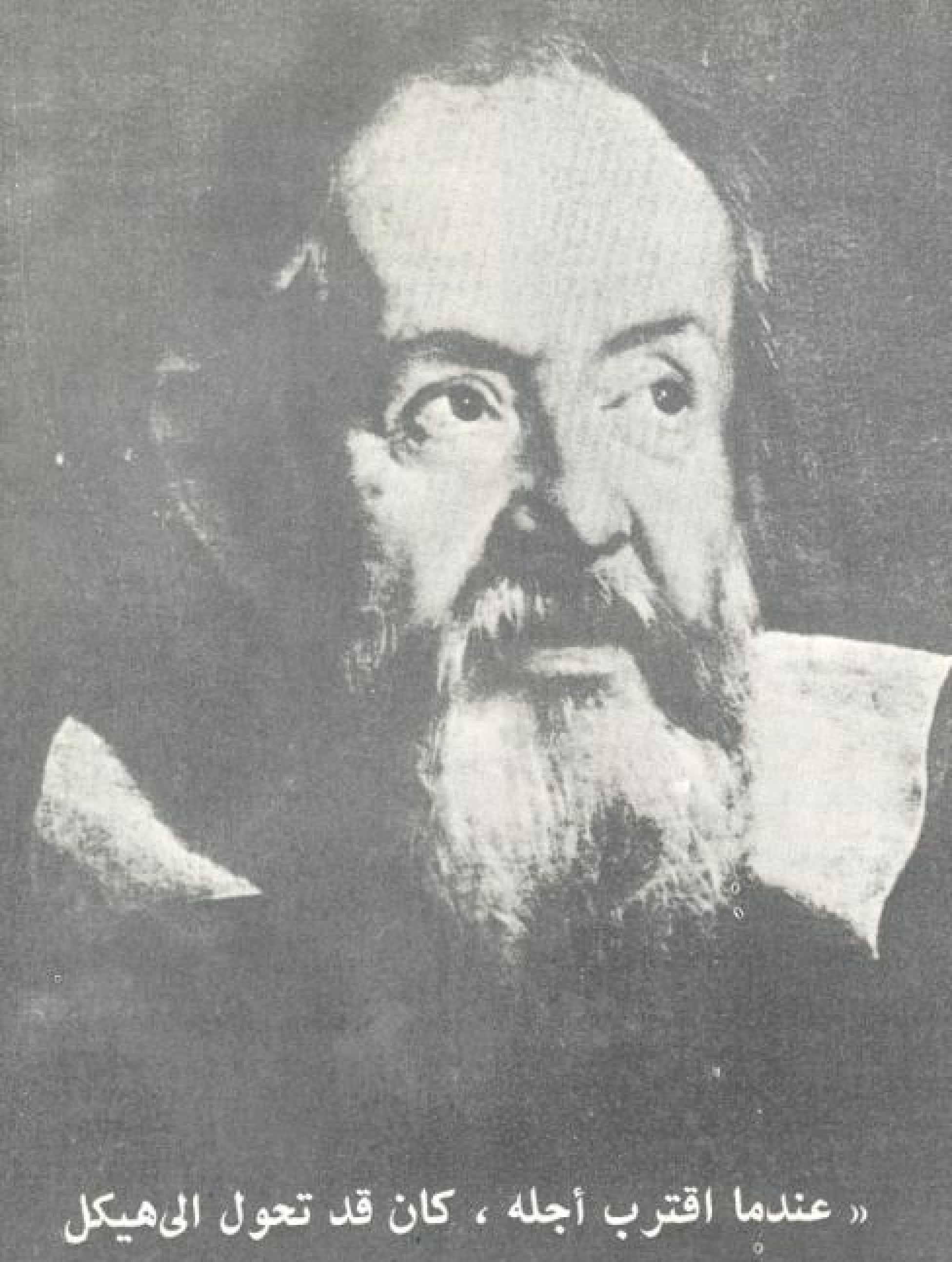
عالم فيلسوف ظلمه المجتمع وقسا عليه القدر

بقلم

أمين سلامة

■ كان جاليلو جاليلي Galileo Galilei أحد عظماء الطليعة العلمية . خلد اسمه كعالم فلكي صنع تلسكوب الانكسار ، واظهر للناس عوالم جديدة في السماء ، بيد ان تاييده للنظرية الكوبرنيكية القائلة بان الارض تدور حول الشمس جر عليه لعنة الكنيسةوسود حياته واعماله . كانت اعماله في دراسة الميكانيكا والديناميكا اعظم من اكتشافاته الفلكيةوكانت له طريقة طريفة في تطبيق التحليل الرياضي على مسائل علم الطبيعة ومهد الطريقامام نيوتن باعماله عن قوانين الحركة .

في صبيحة يوم ٢٢ يونية سنة ١٦٣٣ ، وقفرجل عجوز في حجرة داخل ديرميزفا بمدينة روما يواجه محكمة التفتيش . كان يلبس ثوب التوبةالمصنوع من الخيش ،شاحب اللونترتجف اعضاؤه، واخذ يتطلع بحياء الى الوجوه الصارمة للكرادلةالمجتمعين ، كما لو كان يحاول ان يقرا في وجوههم مضمون الحكم الذى سيحكمون عليه به . واخيرانهض شخص وسط السكون الرهيب ، من صفوف المحققين واخذ يقول بلهجة صارمة عديمة التنوع :« ...ولكن بناء على كل هذه النتائج ، يجب ان نعتبره معفى عنه ، على شرط ان ينكر بقلبثابتوايمان لايتزعزع ، تلك الهرطقة التي كان يعتقد



« عندما اقترب أجله ، كان قد تحول الى هيكل انسان ، ومع ذلك بقى يناضل مع غوامض الكون حتى آخر لحظة فى حياته » ..



« الكرة السماوية » التي استخدمها جاليليو ·· ان ملاحظاته الفلكية ساهمت في توسيع معلومات الانسان عن النظام الشمسي ،والكون من حولنا ·· لقد اكد جاليليو نظرية دوران الارض حول الشمس التي قال بها كوبرنيكس قبله بستين عاما ·

فيها ، وكذلك كل هرطقة اخرى ضد الكنيسة··· وان يحكم عليه بالبقاء في سجن التفتيش اية مدة تراها هذه المحكمة » ·

توقف ذلك الصوت الطنان ، التائب المؤمن على ركبتيه امام المجلس ، وتضرع طالبا المساعدة الالهية ، واقسم بانه لن يعلم ثانية مذاهبه الهرطقية · اخذ يكرر هذه العبارات · اما العبارة الرئيسية التي أكدتها محاكمته فهي الفكرة المضحكة القائلة بان الارض تدور حول الشمس · ثم وقع على ورقة بيد مرتجفة ، مسجلا ذنوبه · بعد ذلك انصرف الكرادلة ،واقتيد ذلك التائب من الحجرة· ويقال انه كان يتمتم وهو سائر ، يقول : « ولكنها رغم هذا تدور » · كان ذلك الرجل هو جاليليو ، العالم الطبيعي والفلكي ، واعظم قادة العالم في الاكتشافات العلمية ·

عبقرية مبكرة

ولد جاليليو في مدينة بيزا Pisa بايطاليا ،في فبراير سنة ١٥٦٤ ، من أب نبيل المحتد ، كان هو نفسه فيلسوفا ذكيا· واول صورة لدينا عن جاليليو هي في أيام صباه وهو يقضي اوقات فراغه في تكوين الآلات الصغيرة ، وقطع الآلات التي اعجب بها زملاؤه التلاميذ ، كما سر منها هو نفسه ، ورأى فيه والده مخايل العبقرية الكامنة ، ولذا ادخله جامعة الفنون بمدينة بيزا سنة ١٥٨١ ·

كان على ذلك الطالب الصغير أن يكرس وقته لدراسة الطب ، غير ان مؤلفات يوكليد Euclid حولت ذهنه الى مجالات اخرى ·فاذا افتتن جاليليو بحقائق جديدة ملكت عليه لبه وتفكيره ،نبذ دراسة الطب ، ومر من كتب مبادىء الهندسة الى مؤلفات ارشميديس · كان عقله يستوعب بسرعة كما كانت ملاحظاته سريعة ايضا · فاخذ يحقق في الفلسفة السائدة وقتذاك ، وهي فلسفة ارسطو · وبحماس وفرح شاب في الثامنة عشرة ، اعتبر اخطاءها وشوائبها التي وضحت له وقتذاك ، ضحية ذهنية مشروعة له ·فهاجم انصار ارسطو في غير ما هوادة· ولما رأى انهم لايفهمون ادلته ضد مبادئهم ، لجأ الى التجارب المباشرة ·

وفي سنة ١٥٨٣ ،اكتشف قيمة الخطار (البندول) في قياس الوقت بدقة ، وذلك من اهتزاز مصباح معلق في سقف كنيسة · فقد لاحظ أن زمن كل ذبذبة يساوي زمن الذبذبة الاخرى ، مهما كانت سعة الذبذبة ومن ذلك الوقت ايضا يرجع تاريخ مؤلفه عن الميزان الايدروستاتيكي · بيد أن أهم متعة له كانت في الرياضيات ،فصار في سنة ١٥٨٨ استاذا لتلك المادة في الجامعة · وفي ذلك الحين ، اجرى تجربته المشهورة في برج بيزا ·

كان احد المبادىء في مذهب ارسطو في الميكانيكا يقول انه اذا سقط جسمان مختلفا الكتلة في وقت واحد من ارتفاع ما ،فان اثقلهما يصل الى الارض قبل الآخر ،وان سرعتيهما تتناسبان مع كتلتيهما·

فند الفيلسوف الشاب هذا المبدأ ، مقررا ان جميع الاجسام تسقط من نفس الارتفاع في نفس الوقت اذا لم يقابلها اى عائق في الجو · فجمع بعضا من مشاهير انصار فلسفة ارسطو واوضح لهم قصده ·فصعد برج بيزا المائل ، والاحتقار باد على وجهه ، فاسقط جسمين غير متساويي الكتلة · فرأى اعداؤه المجتمعون الجسمين يرتطمان بالارض في وقت واحد امام عيونهم ·واذ انتصر جاليليو ، هبط البرج ، تسمع الحكم بامتعاض كامن في نفسه اذ نسب اتباع ارسطو هذه النتيجة الى سبب غير معروف ،وبقوا على عنادهم ·ومع ذلك ،فقد اكتشف جاليليو مبدأ هاما في علم الطبيعة ·ولكنهم اجبروه

على الاستقالة او الانتقال الى فلورنسا • غير انه عين فى سنة ١٥٩٢ استاذافى بادوا Padua ،وذاع صيته فى كل انحاء اوروبا • وفى سنة ١٦٠٤ وجه اهتمامه الى علم الفلك • ظهر نجم جديد اثار انتباه الفلكيين ، فقال بعضهم انه شهاب ، بينما أبدى آخرون عجزهم عن معرفة كنهه ، فى صراحة•

عندما تكلم الفيلسوف

برهن جاليليو فى قاعات المحاضرات المزدحمة على انه ليس شهابا ، وانما هو كالنجوم الثابتة، يقع بعيدا جدا خارج نطاق المجموعة الشمسية المعروفة • فجذب هذا الموضوع الالوف من الناس ليسمعوه • فغصت المقاعد واحتشر الناس بعضهم وسط بعض حتى كادوا لا يستطيعون التنفس وهم يتوقون الى سماعه • فهاج المكان وماج ، وعم الاضطراب وارتفعت السيوف والهراوات وسادت الفوضى ولم يستطع الناس التحرك وهم يسمعون بانفاس مبهورة ، ولا يزال يتدفق على المكان مستمعون جدد يتعاركون ليجدوا لهم اماكن بالقوة. وأخيرا اضطر جاليليو الى تاجيل محاضرته الى ان يلقيها فى العراء •

كان منظرا ياخذ بمجامع القلوب :تلفح الشمس بحرارتها الارض الملتهبة وتسطع باشعتها فوق الحشد الغفير ايضا • وقف الفيلسوف العظيم فوق مرتفع من الارض • كان متوسط الطول تقريبا ، ممتلىء الجسم متناسقه ،ذا شعر يكاد يكون أحمر، وعينين نفاذتين •ولم يكن جميلا اذ كان انفه عريضا مسطحا (افطس) اما وجهه فمنفرج الاسارير بامارات المحبة التى تتجلى فى محياه وهو يتكلم • فيتلقف سامعوه الفاظه فى لهفة • وأخيرا تواتيه الجراة على أن يعتب عليهم على ابدائهم مثل هذا الحماس العظيم لمجرد ظاهرة عابرة ، بينما يهملون العجائب العظيمة التىتظهر امامعيونهم باستمرار•

فى ذلك الوقت ، كان جاليليو ينشر نظرياته • فوضع مؤلفات فى الميكانيكا ، وفى الحركة ، وفى نظام الكون ، وفى الصوت والكلام ، وفى الضوء والالوان • بيد ان الاثارة العظيمة جاءت فى سنة ١٦٠٩ •

سمع جاليليو ، فى تلك السنة ، عن آلة بصرية غريبة لها خاصية تقريب الاجسام البعيدة• فشرع يجرب ويتلف كل ما يصنعه ، ثم يحاول من جديد الى أن توصل أخيرا الى الفكرة الصحيحة • فحصل على قطعتين منالزجاج احداهما محدبةالوجه والاخرى مقعرة • فوضع احداهما فى طرف أنبوبة من الرصاص والاخرى فى الطرف الآخر • ونظر خلال تلك الانبوبة •• اوريكا ! صنع جهاز • لقد صنع تلسكوبا ، وفتح نافذة جديدة عجيبة يقرأ خلالها كتاب السماء العظيم •

انتصار جاليليو

حمل جاليليو التة الجديدة الى مدينة البندقية منتصرا ، وقدمها الى مجلس الشيوخ الذى كافاه بان منحه مركز استاذ فى بادوا مدى الحياة ، ورفع مرتبه من ٥٢٠ فلورين الى ١٠٠٠ فلورين •

ظل التلسكوب عدة شهور ، آلة يهتم بها الجميع حتى تحولت لهفة الجماهير الى جنون •فهرع المئات الى بيته ليروا تلك الآلة السحرية • وذات يوم ، صعد احد اصدقائه برج القديس مرقس كىيستطيع استعمال تلك الآلة الجديدة دون عائق • بيد أن حشدا من الناس عرفه فى الطريق ، واشتد هياج اولئك القوم لدرجة انهماستولوا على هذهالانبوبة الصغيرة العجيبة ، وعوقوا المجرب القلق اكثر من ست ساعات الى أن شاهد الجميع عملها •

بدأ جاليليو ، بالتلسكوب المحسن ، اكتشافاته التى لابد أن تدهش العالم وتغير علم الفلك ، وتجر فى ركابها جميع متاعب حياته •

وجد « بفرح لايصدق » ، سلاسل الجبال والفجوات العميقة الموجودة على سطح القمر • ففى الظلام الهادىء بمجرته الصغيرة فوق سطح البيت ، وفى اجواء السماء الفسيحة التى اراد ارتيادها ، اكتشف عددا من النجوم فى مجموعة البلياديس Pleiades ، والتقط منظر الكواكب الاربعة الثانوية التى تدور حول المشترى ، ورأى اول بريق لمركز زحل وحلقاته •

أثارت اكتشافاته التى نشرها ، فى الحال ، عاصفة من الاحتجاجات ، والفى نفسه محاطا بكثير من الاعداء • فادعى بعضهم انه سبق أن قام بتلك الاكتشافات قبله ، واسرع آخرون يصيحون بان اكتشافاته هذه محض هرطقة •

فى روما

ذهب جاليليو سنة ١٦١١ الى روما حيث قوبل بالاجلال ، فلم تكن العداوة قد وصلت بعد الى هدفها ، اذ اسرع الامراء والكرادلة والاساقفة لاستقبال العملاق الذهنى لذلك العصر •وكان معه

خير تلسكوب لديه ، فاطلع هؤلاء الناس المبرزين على آخر اكتشاف وصل اليه ، الا وهو البقع التي على سطح الشمس .

مايزال خصوم جاليليو ثائرين عليه بسبب نشاطه الذهني وادراكه السليم ، والتعصب فى محبته للحقيقة ، ولم يفعل جاليليو شيئا لتهدئتهم .ليس هذا فحسب ، بل وعلى نقيض ذلك سلك العناد ، اذ سعى بجراة واستهتار الى ارغام اعدائه على التسليم بمذاهبه والاعتراف بنظرياته . فكان من المشاهد العادية ان تراه يجادل ويناقش ـ بطريقة تكاد تكون كمنازعات النهضة ـ عشرين رجلا او اكثر ، معظمهم يكرهونه سرا طوال الوقت . كان يتركهم يتكلمون كما يحلو لهم ويصغى الى حديثهم بانتباه ، ويسمع مايريد أن يقوله كل واحد منهم ، فردا فردا ، ثم يفحمهم ببضع كلمات بسيطة . وعندئذ لايستطيع اعداؤه أن يفعلوا شيئا الا أن ينظر كل واحد منهم الى الآخر في حيرة وارتباك، او يعض على شفته ، اذ يظهرهم بمظهر البلاهة هم وافكارهم .

ثورة الكنيسة

بدات الكنيسة تمتعض من نظريات جاليليو ، فصعد كاتشيني Caccini ، الدومينيكانى منبره فى كنيسته القوطية ذات القباب العالية ، واخذ يسب ذلك الفلكي هو واتباعه ،ويهزأ بهم بعبارات مقذعة حتى دهش سامعوه اولا ،ثم بداوا يضحكون ضحكات مكبوتة . غير ان الكنيسة لم يرقها هذا الهجوم ، فاعتذر قائد الدومينيكانيين شخصيا الى جاليليو . ولكن جاليليو لم يتعظ بعلامات هبوب العاصفة المقبلة واستمر فى طريقه .

نشا جميع النزاع بين جاليليو والكنيسة من دفاع جاليليو عن النظرية التى كان يعلمها ، والقائلة بأن الشمس مركز الكون وانها ثابتة والارض هى التى تدور . وكانت النظرية الشائعة فى ذلك الوقت هى نظرية بطليموس التى تجعل الارض ثابتة وكل شيء يدور حولها ، حول نفسه وحول مدارها . اما نظرية ثبات الشمس فقد نادى بها كوبرنيكوس Copernicus قبل ذلك ، ولكنه لم يبرهن عليها بما فيه الكفاية ، ولم يستطع جاليليو الدفاع عن هذه النظرية الا بعد أن رأى توابع المشترى والبقع الشمسية على وجه الشمس .

اقام جاليليو عاصفة من الاحتجاج .فقرر انصار نظرية بطليموس أن نظرية جاليليو تتنافى مع نصوص الكتاب المقدس ، وذكروا آيات منه ،بعضها من يوشع ١٠ : ١٣ ، « ووقفت الشمس ... فى وسط السماء » ، وبعضها من سفر الجامعة ١ :٤ « ...تبقى الارض الى الابد . وترتفع الشمس ايضا » وتهبط وتسرع الى مكانها الذى اشرقت منه .

تحذير من البابا

أخذت حدة النقاش تزداد حتى سنة ١٦١٥ ،عندما ارسل البابا بولس الخامس تحذيرا شبه رسمي الى جاليليو . وفي السنة التالية قرر رؤساء لاهوت الخدمة المقدسة ان نظرية ثبات الشمس وكونها مركز العالم ،وان للارض حركة يومية حول الشمس، هرطقة ،وان جاليليو محروم من تعليم تلك النظرية المحرمة ، او الدفاع عنها .

ظل هذا الفلكي يوالى رصده ، ويعمل فى هدوء، حتى نشر مؤلفه العظيم فى سنة ١٦٣٢ ، وعنوانه: « مناظرة فى نظامى الكون الرئيسيين ».فاثار ضجة هائلة ، اذ يتضمن اسلوبا رائعا منمقا ، مع تفسير علمى واضح . غير انه من الجلى ان هذا المؤلف وضع تحديا لتحريم الكنيسة الصادر فى سنة ١٦١٦. وعلاوة على ذلك ، كان المعتقد أنه يضم صورة كاريكاتورية للبابا اوربان Urban الثامن .

كانت نتيجة ذلك المؤلف أمرا محتوما .فاستدعى جاليليو للمثول امام محكمة التفتيش فى روما وردا على التهم الموجهة اليه ،قرر من فوره أنه لم يعتقد اطلاقا او يدافع عن نظرية دوران الارض وثبات الشمس ، وانما يبرهن على عكس ذلك ، واوضح ان اقوال كوبرنيكوس ضعيفة وغير مقنعة .وبعد هذه المراوغة بثلاثة أيام ، في تحقيق آخر ، غير جاليليو اقواله ، وخضوعا للنصيحة ، اعلن أنه دافع عن نظرية كون الشمس مركز العالم ،واعترف بغلطته . فوجد مذنبا وحكم عليه بالسجن ، ولكن سمح له بالسفر الى سيينا Siena حيث يتقاعد نهائيا فى عزلة تامة فى بيته بمدينة اركنترى .. Arcentri

امام المحكمة

لاشك فى أن محكمة التفتيش قد عاملت جاليليو برافة غير عادية ، رغم مؤلفه الغامض . والحقيقة ان الكاردينال بيلارمينى Bellarmine الرحيم ، الذى قام بدور رئيسى فى هذه القضية كلها ،كتب



فيلا سيتي في فلورنسا ــ حيث كان يعيش جاليليو في السنوات التي سبقت تقديمه للمحاكمة مباشرة .

بعد ذلك يقول : « اقول انه اذا وجد دليل حقيقي على أن الشمس ثابتة ولا تدور حول الارض ، وانما الارض هي التي تدور حول الشمس ، فمن الضروري الآن أن نبدأ بعناية في تفسير فقرات الكتاب المقدس ، التي تبدو على عكس ذلك . وفي هذه الحال يجدر بنا أن نعترف بسوء فهمنا لتلك الفقرات ، بدلا من أن نتمسك خطأ بما يثبت الدليل عكسه » .

منذ انتهاء تلك المحاكمة حتى آخر ايام جاليليو، كانت حياته حياة مأساة . عرف انه مطلق السراح ، ولكن بعد أن انضم الى اسرته تحت سقف بيته بفترة وجيزة ، اصيبت ابنته ، التي كان يحبها حبا جما ، بمرض مفاجىء وماتت . فكان تأثير هذه الصدمة عميقا على ذلك الفيلسوف . الذي هدم كيانه ، لعدة سنوات ، مرض اصابه وهو صغير .

رغم هذا ، ظل جاليليو يعمل . وفي سنة ١٦٣٦ ، كتب مؤلفه «مناظرة في العلوم الجديدة» الذي تضمن تفاصيل تجاربه الاولى وافكاره الاخيرة في الميكانيكا . وفي سنة ١٦٣٧ قام بآخر اكتشاف فلكي له ، عن تلك الظواهر الغريبة في مدار القمر المعروفة باسم «عدم انتظام دوران القمر» . وبعد ذلك ببضعة اشهر اصيب بالعمى .

غدوت أعمى !

صار صاحبنا هيكلا حزينا نحيلا ، تكاد المصيبة تبخعه ، ولكنه مايزال محتفظا بشجاعته . فكتب خطابا الى احد اصدقائه ، يقول فيه : « غدوت

● جاليليو جاليلي

اعمى ، عمى تاما لا يجدي فيه علاج . فهذه السماء ، وهذه الارض ، وهذا الكون ، التي كبرتها جميعا بالرصد العجيب الف مرة فوق ما كانت تعتقده العصور السابقة تتضاءل من الآن فصاعدا الى هذا الحيز الضيق الذي اشغله انا نفسي . اذن ، فما يسر الرب يسرني انا ايضا » .

سرعان ما رد عليه صديقه الكاهن ، الاب كاستيلي Castilli ، يقول : « اظلمت انبل عين صنعتها الطبيعة ... » .

استمر جاليليو بعد ذلك في اعماله ، فشغل نفسه بالمراسلات العلمية . ففكر في سبيل استخدام الخطار (البندول) في تنظيم عمل الساعات .

وهذه طريقة انتفع بها هويجنز Huygens بعد ذلك بخمس عشرة سنة .

كان يملي آخر نظرياته عن صور المادة وفوائدها على تلميذيه فيفياني Viviani وتورشيلي Torricelli ، عندما وافاه اجله ، وكان قد تحول الى هيكل انسان : ومع ذلك ، فكان يناضل مع غوامض الكون . فاصابته حمى بطيئة ،فمات في ٨ يناير سنة ١٦٤٢ وقد بلغ من العمر ٧٨ عاما .

كانت اكتشافات جاليليو رائعة بحيث احدثت انقلابا في دراسة العلوم . ومنها موضوعه الاول الذي وصف فيه تركيب الميزان الايدروستاتيكي ، وقد حفزت الطريقة التي عرف بها ارشميديس غش الصائغ في تركيب مادة تاج الملك هيرو ، الناس على اجراء التجربة بانفسهم ، وحولتهم الى الناحية العلمية البحتة . ومؤلفه عن مركز ثقل الاجسام الصلبة وكانت تجاربه في المغناطيسية جديدة وقابلها الناس بالدهشة .

قلب جاليليو عالم الفكر باكتشاف جبال القمر، ونجوم البليادس ، وتوابع المشتري ، وهلال الزهراء وحلقة زحل ، وبقع الشمس ، فشغلت جميع هذه الاكتشافات الناس ، كما شغلتهم نظريته في الاجسام الطافية ، وجعلتهم في نقاش مستمر . واننا لنعتبره الآن من طليعة العلماء، ورجلا قادهم الى حماس البحث في علم الفلك .

■■

أمين سلامة

استاذ الادب الانجليزي

بالجامعة الامريكية ــ القاهرة





انطلقت المرأة الفزانية من اسر العادات المعوقة الى قيادة الطائرات والتحليق فى الاجواء الفسيحة .

اعرف وطنك

أيها العربي

فزّان

حياة جديدة يصنعها الانسان فوق



استطلاع :
سليم زبال

تصوير :
اوسكار مترى



الصحراء !

« مسجد مرزق العتيق » .. هندسته الداخلية مستوحاة من هندسة جامع قرطبة العظيم !



الى اليمين : سبها ، عاصمة فزان .. أعطت للمنطقة اسمها بعد الغاء اسم فزان.

الى اسفل : طائرات البوينج يمكنها الهبوط بسلام فى مطار سبها ، القابع تحت ظلال قلعة «القارة» الحربية



● بداية التحدى الكبير لرمال الصحراء الكبرى !

● مطلوب ٣ ملايين عامل لتنفيذ خطط التنمية !

■ رمال فى كل مكان .. اينما يتجه نظرك لاتزالا حبيبات الرمال الصفراء تحيط بك ..يطلقون عليها اسم الكثبان المتحركة .. ولو انصفوالنعتوها بالرمال الخانقة ! .. فهى تخنق النخيل ..وتقتل الحيوان .. وتسد آبار المياه وتطمسمعالم الارض الطيبة .. وتزعج الانسان :تلفح وجهه ، وتتحدى طموحه فى السيطرة ..

والى بحر الرمال طارت بعثة « العربي » ..منطقة نائية مجهولة فى جنوبى الجمهورية العربية الليبيـة .. كانـت مشهورة باسم ولايـة فزان(نسبة الى فزان حفيد نوح عليه السلام ، حسب قول ياقوت الحموى) وكانت واحدة من الولاياتالثلاثة التى تتكون منها ليبيا القديمة ..

ولكن كل شيء تبدل اليوم فى هذا البلد ..الولايات الغيت .. والمحافظات طويت .. واصبحت البلديات مراكز هامة للحكم الشعبى المحلى ،بعد الثورة الثقافيـة الشعبية عام ١٩٧٣ حيـن اصبحت الجماهير هى التى تقوم باختيار الحكاموالنظام ، بدلا من ان تتولى ذلك القيادة !

ان ليبيا اليوم تعيش تحت قيادة لجان المراقبةالشعبية ، التى تتحمل المسؤولية الكاملة فىادارة شؤون البلاد ..

مساحة هائلة .. ولكن !

ومعرفتنا بليبيـا ، لايمكـن ان ندعيها بمجرد اطلاعنا على كتاب قديم ، او اقامتنا فـى احـد فنادق طرابلس ، اوجلوسنا فى مقاهى بنغازى.. ان ليبيا اكثر مـن هذا بكثيـر .. ولو قلنالك مساحتها مليون و ٧٠٠ الف كيلـو متر مربع لما عنى لك هـذا الرقم شـيئا كثيرا .. و كنا اذا ذكرنا ان مساحة ليبيا تزيد على المساحة المجتمعة للعراق وسوريا ولبنان ، والاردن ، وفلسطين والكويت ، والبحرين ، وقطر ، ودولة الامارات ، وعمان واليمن بشطريه ، وتونس فان هذا قد يعنى شيئا لك الآن !

كان المعلقون والكتاب ياخذون علـى ليبيا ان مساحتها الكبيرة ليست فى صالحها ، لان ٩٠٪ منها تغطيها رمال الصحراء .. وسـكانها قلة .. كل خمسة اشخاص يعيشون فوق اربعة كيلومترات مربعة ! يعيشون حياة الشظف والحرمان ..نسبة الامية كانت ٩٤٪ ومتوسط دخل الفرد لايتعدى ١٥ جنيها استرلينيا فى السنة .. واقتصاد البلاد كان منهارا تماما بعد الحرب العالمية الثانيةالتى دمرت المدن والقـرى ، وخلفـت وراءها اربعـة ملايين لغم !!

التحدى الكبير

وكانما اراد الله تعويض هذا الشعب عنطول حرمانه وآلامه ، ففجر له من تحت رمالالصحراء الشاسعة ثروات خيالية .. ذهبا اسود ..ومعادن وينابيع مياه لاينضب لها معين ...

وانقلبت مقاييس الامور .. وتبدلت مسيرة الحياة .. وبدا العمل من اجل التنمية والقضاء على كل مظاهر التخلف فى البلاد ..

وحظيت منطقة فزان المنسية بالاولوية ، فانطلق منها التحدى الكبير لرمال الصحراء الكبرى ،التى كانت تستولى كل عام على عشرة كيلـو مترات مربعة من الارض الطيبة ، ولكـن ارادة الانسان لم تكتف بوقف زحفها المدمر، بل عمدتالىاستعادة الارض الطيبة ، تستصلـح منها سنويا عشرات الكيلو مترات المربعة !!

ان ثروة منطقة فزان الحقيقية لا تكمن فى ذهب او ملح ، او معدن ، ولا فى نفط ! وانما تتمثل فى بحيرات المياه الجوفيـة المدفونـة تحت اعماق رمال الصحراء ، لقد تجلت ارادة الله فىتجميع كل قطرة مياه داخل هذه المستودعات ، خلالاجيال واجيال ، فكانت هذه المياه السر وراء استمرارية





خريطة ليبيا ·· وقد ظهرت منطقة فزان بالتفصيل في الخريطة العليا ·· ومما يذكر ان اسم فزان القديم ، الممتد الى عهد فزان حفيد نوح ،قد الغي رسميا ، واصبحت المنطقة تعرف باسم منطقة سبها ·· ولكن الصحف الليبية والجهات الرسمية مازال تستعمل اسم فزان القديم للدلالة على المنطقة الجنوبية الغربية من ليبيا !

الحياة للانسان ، والنبات ، والحيوان في تلك المنطقة الصحراوية النائية التي لاتزورها السحب الا نادرا ، لتسقط فوقها زخات من المطر لايتعدى مجموعها نصف بوصة سنويا ·· كمية لاتغني او تفيد !!

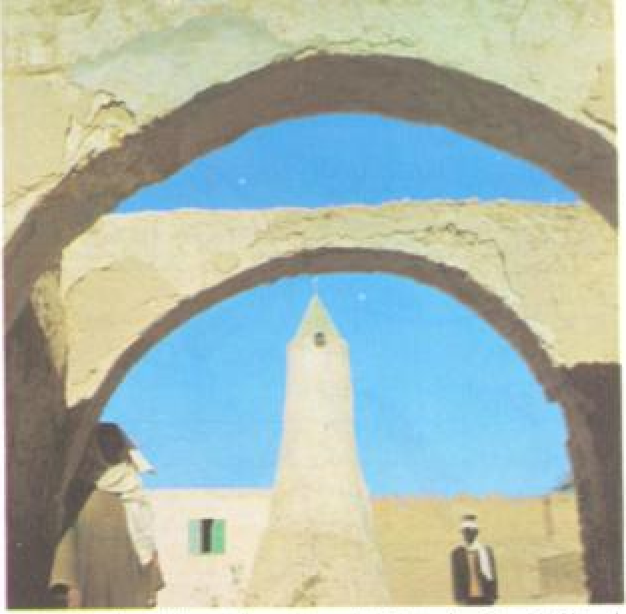
٥ دقائق بخمسة قرون !

ومدينة سبها ، اوجوهرة الصحراء الليبية ، منحت اسمها للمنطقة بدلا من فزان ·· وهي مدينة متعزلة وسط الصحراء ،تبعد مسافة ٩٣٠كيلومترا عن شاطيء البحر المتوسط ·· تصلها بعد رحلة ساعتين بالطائرة المتوسطة الحجم ، وبعد ساعة فقط بطائرة البوينج ·· وسواء سافرت مع هذه او تلك ، فانك لن تحصل الا على رشفة مياه غازية ، لاتروى عطشا ، يقدمها لك المضيف!!

ومن مطار سبها انطلقت بنا السيارة الى مدينة سبها القديمة ، انها مدينة الاطلال هجرها اهلها الى سبها الجديدة ·· خمس دقائق فقط تفصل بين المدينتين ، تشعر خلالها وكانك انتقلت عبر خمسة قرون ، اختصرها ابن سبها دون ان تحتسب من عمره !

• كنا نعيش وكاننا في العصر الحجري ·· نكوي اجسامنا بالنار ·· ونبني منازلنا بالطين وجذوع النخيل ·· التراخوما تلازم ٩٤٪ من اطفالنا ··.

هكذا كان حال اهل سبها بالامس كما صوروها



في مرزق تسعة مساجد ٠٠ اشهرهاالمسجد العتيق الذى بناه الاتراك ٠٠ وفيه قبر كبير مكتوب على شاهده : آه من الموت ٠٠ قزان قائمقامى مرحوم ومغفور الى رحمت ربه الغفورمصطفى باشا حضر تلرنيك روحيمان رضا الله تعالى فاتحة سنة١٢٧٣ هـ٠لقد كانت مرزق مقرا للاتراك ٠

هرم آدمى ٠٠ يتجمع فوق الشاحنات المحملة بالزيت والمكرونة والدقيق والسكر والاغطية الصوفية ٠٠ انهم ابناء النيجر يعودون الى مدينتهم « اغاديس » بعد ان عملوا فى سبها ٠٠ وتستغرق رحلة العذاب ١٢ يوما ، يقطعون خلالها ١٨٠٠كيلو متر مقابل ٢٠ دينارا للشخص ،ويزيد رجال الجمارك عذابهم عندما يجبرونهم على تفريغ حمولة السيارة كلها للتفتيش عند نقاط الحدود الخمس المنتشرة على طريق العذاب !!





الى المساكن الحديثة هاجر اهالي مدينة سبها القديمة ، مخلفين وراءهم اطلالا تروى تاريخا حافلا .. فالقرطاجيون والرومان احتلوا سبها قبل الميلاد .. وعقبة بن نافع فتحها عنوة عام ٤٩هـ . واحتلها الاتراك عام ٩٨٥هـ وجعلوا مرزق عاصمتهم .. واحتل الايطاليون المنطقة عام ١٩١٣ واعادوا العاصمة الى سبها وعندما جاء الفرنسيون عام ١٩٤٢ حاولوا ربط فزان مع الادارة الفرنسية بالجزائر ، ولكنهم رحلوا عن البلاد عام ١٩٥٦ اى بعد ٥ سنوات من الاستقلال ، الذى جعل ليبيا الدولة الخامسة الافريقية المستقلة ..





مشروع تنمية وتحسين الاغنام المحلية
حية للاهالي بواقع ٩٠ قرشا للكيلو
قرشا للكيلو .. ويضم المشروع ٢٧
اجراء ، ثلاث ولادات كل سنتين . لقد
الى سبها ، ولكنه لم يستطع الصمود



سيمفونية الابداع العربي المشترك ، شهدناها في منطقة الجديد بمدينة سبها : اربعة آلاف عامل عربي يقومون ببناء ٢٢٠٠ وحدة سكنية سينتهي العمل فيها ، وفي مرافقها وشوارعها ، في شهر ابريل ١٩٧٧ ان حركة البناء في ليبيا تهدف الى تأمين مسكن لائق لكل عائلة ليبية ..

لنا .. اما اليوم فقد تبدل المسكن ، وهذه اسرع مظاهر التطور .. ولكن تبديل طبيعة الانسان وعاداته ونظراته الى الحياة تحتاج الى العديد من السنوات ..

خذ مثلا .. في وسط سبها ، مبنى حديث شيد للبريد والهاتف .. وعندما حاولنا طلب مكالمة هاتفية مع طرابلس ، مكثنا ننتظرها ثلاثة ايام ، ولم نتمكن من الظفر بها الا بعد توسط مدير المطار !!

مثل آخر .. البلدية لها مبنى جميل تحيط به حديقة غناء في وسطها نافورة مياه ، ولكن شوارع سبها وازقتها في حاجة الى عناية ونظافة !!

فترة انتقال

وسبها اليوم ماهي الا غابة هائلة من الحديد والاسمنت ، تمثل نغما غريبا في تلك المنطقة الصحراوية ، لقد صممت لتكون عاصمة ادارية.. وهي اليوم بلد عبور ، ترانزيت «لالوف الفنيين والموظفين والعمال ، الذين جاءوها للعمل من كل صوب .. انها سوالى ان تنتهي مشاريعها العديدة ستبقى مدينة يهاجر الناس منها ، ولا يهاجرون اليها !

انها فترة انتقال طويلة تمر بها سبها .. كل شيء مسجل على قائمة الانتظار .. الادارات الحكومية تنتظر اتمام بناء المجمع الحكومي لتنتقل اليه وتخلي المنازل التي احتلتها مؤقتا .. والزوار ينتظرون افتتاح الفندق الكبير ليجدوا مكانا اكثر راحة من غرفة الضيافة ! ؟

مشكلة الليل والتلفاز !

والليل في سبها طويل ممل .. اهلها ينامون





..قق نجاحا رائعا ‥ وتباع الخراف
‥ بينما سعرها فى السوق ١٩٠
.. رأس ‥ وقد نجحت فيه تجربة
..اولوا ادخال نوع المارينو الايطالى
..ام حرارة المنطقة ‥

صوامع كبيرة للغلال ، سعتها ١٠الاف طن ‥ومطحنة آليةحديثة، طاقتها ٣٠ الف طن سنويا ‥لقد اوشك العمل على الانتهاءمن بنائهما في منطقة الجارة بسبها‥وقد تكلف المشروع عشرة ملايين دينار ليبى ‥ ان مزارعمنطقة سبها ومرزق ووادى الآجال ،سوف تملأ صوامع الجارة بانتاجها من القمح ‥

مع غروب الشمس ‥ الناديان الرياضيان هما مكان اجتماع ابناء المدينة ‥ والسينما الوحيدة تبدل برامجها كل يوم ‥ يجلس فيها الاهالى لاكثر من حفلة لقتل الوقت وملء الفراغ !

أما التلفاز فبرامجه لاتزال فى حاجة ماسة الى تطوير من اجل ان تلعب دورا اكثر ايجابية فى تطوير اسلوب الحياة فى هذه المنطقة النائية ، وتوعية ابنائها ‥

المرأة نالت حقوقها ‥ ولكن !

« اننا نبذل كل جهد من اجل توعية المرأة ‥ والحكومة تقف الى جانبنا بكل ثقلها ، وقانون الضمان الاجتماعي اعطاها كل ماتطلب من معونات ومساعدات نقدية ‥ فالمرأة الحامل تأخذ أربعة دنانير منحة شهرية وعند الولادة تحصل على ٢٥ دينارا مكافأة ‥وساوى القانون بين المرأة والرجل بالنسبة للمعاش الاساسى ، أى ٣٠ دينارا شهريا والارمل التى وصلت الى سن الشيخوخة تتقاضى ٣٠ دينارا شهريا ‥ لقد أخذت المرأة مكانتها الاجتماعية والسياسية كاملة ‥ »

هذا ماصرحت لنا به الاختفاطمة عثمان رئيسة جمعية النهضة النسائية فى سبها ‥

ولكن جريدة الفجر الجديد الليبية تنظر للموضوع من زاوية اخرى فتقول : « الكثير من الشباب الذى يحمل الشهادات العلمية العالية ، مايزال يتصرف مع زوجته او اخواته بنفس عقلية ابيه او جده تماما ‥

وما يزال كثير من الآباء الليبين — بكل اسف — يفرضون على بناتهم ازواجا دون ان يكون للفتاة راى فى ذلك ‥ودون مراعاة عواطفها ومشاعرها.

« والمؤسف حقا أن هؤلاء الشباب فى المجالس العامة والخاصة ، يتكلمون ;يحاضرون عن تطور



على كل طالب في مدارس سبها ومرزق ان يتعلم مهنة : نجارة او حدادة او زراعة .. وفي المدرسة الاعدادية بمرزق ، راينا الطلبة ينظفون فناء المدرسة ، ويزرعون الزهور والمسطحات الخضراء بالاشتراك مع مدير المدرسة واساتذتها .. ان العمل المهنى لم يعد عملا محتقرا .. ولم يعد التعليم في سبها ومرزق مجرد تكديس معلومات ، بل وسيلة تكوين شخصية التلميذ ..



الى اليسار : الخلخال الفضى الثقيل كان يعوق حركة المراة في سبها .. اما اليوم فلم يعد له وجود الا في ارجل نساء المناطق النائية المتباعدة ، وفي متاحف طرابلس وبنغازى !



اسطح المنازل كانت هى مملكة المرأة التى تستطيعان تتنفس فيها بسهولة ٠٠ وفى الليل كانتتتسلل الى الكتاتيب حتى لايبصرها احد ! ! وفى اوائل الستينات كانت المدرسة الكندية ماريان تجوب المنطقة بحثا عن ١٢ طالبة لتجعل منهن مدرسات٠٠اما اليوم فيضم معهد معلمات سبها ٦٢٠ طالبة يتعلمن مختلف العلوم، وخاصة الموسيقى ٠٠والىاسفل طلبة مرزق الابتدائية مع انتاجهم الفنى



المجتمع وحرية المرأة وضرورة مشاركتها للرجال في الحياة العامة ! »

هجرة الشباب ..

ان الشباب في سبها له مشاكله ومتاعبه ، ويقول الاخ نصر محمد سالم مراقب الشئون الاجتماعية « : شباب سبها يهاجر منها بسبب الظروف الدراسية .. انه يذهب الى طرابلس او بنغازي ليتعلم التعليم العالي ، ولكنه يبقى هناك بعد أن يتخرج .. وهذه المشكلة لا حل لها الا بتوفير التعليم العالي في سبها ، وهذا ما بدأنا فعلا بانشائه .. »

وانطلاقة التعليم في سبها تجاوزت كل التوقعات .. كل حي تقريبا يضم مدارس ابتدائية، واعدادية ، وثانوية للبنين والبنات ..

لقد تطور التعليم من مجرد تكديس المعلومات، وحشو اذهان الطلاب بالارقام ، الى تعليم هادف يحبب العلوم الحديثة ، ويرغب في العمل المهني، من تجارة ، وحدادة ، وفلاحة الارض ، وتصنيع الخضروات والفواكه !

طموح يفوق الامكانات !

والصناعة في سبها بدأت تطل باسلوب غريب.. فقد اقيم مصنع رائع حديث لانتاج معجون الطماطم، يمكنه في الساعة الواحدة ، تحويل ستة أطنان من الطماطم الطازجة ، الى ٩٣٥ كيلو جراما من المعجون المعلب !

ويؤكد مدير المصنع سالم الونتاني ، انه لو توفرت كمية الطماطم اللازمة لمدة شهرين فقط فان انتاج المصنع سيغطي كل الاحتياجات السنوية للمنطقة !

« ان الدخول الى الزراعة الاقتصادية الكبيرة شيء حديث لم يتعوده فلاح المنطقة .. لكن المساعدات والتشجيعات الحكومية الهائلة ، سوف تحقق المستحيل .. »

انه الطموح الذي يتعدى الامكانات البشرية.. فعدد سكان ليبيا حاليا هو ٢٫٢٥٧٫٠٠٠ نسمة فقط .. ومن أجل تنفيذ خطط التنمية الجريئة ، وحتى تعمل المشاريع الانتاجية على الوجه الاكمل تحتاج البلاد الى عدد من السكان لا يقل عن خمسة ملايين نسمة !

ان نقص الطاقة البشرية يقف عقبة رئيسية امام تحقيق العديد من المشاريع .. ففي منطقة براك مثلا ، القريبة من سبها ، اكتشفوا كميات هائلة من الحديد ذي النوعية الممتازة التي تضاهي أجود انواع الحديد الالماني والفرنسي .. ولكن نقص اليد العاملة ، جعلهم يؤجلون استغلال هذه الثروة الجديدة !

وهذا لا يعني انعدام اليد العاملة ،فالاحصاءات الرسمية تشير الى وجود ٣٣٣ الف شخص غير ليبي في البلاد ، يمثلون ١١٤ جنسية مختلفة .. من بينهم ١٩٠ الف مصري ، و ٤٠ الف تونسي و ٢٠ الف اردني وفلسطيني و ١٥ الف سوري و ٧ الاف لبناني و ٦ الاف سوداني و ٩ الاف يوغسلافي و ٦ الاف باكستاني و ٥ الاف بريطاني ..

كما انه بموجب قرار تشجيع واستقطاب الخبرات العربية ،فقد تلقت الجهات المسئولة في وزارة التخطيط الليبية ، نحو ١٢ الف طلب لخبير عربي من ذوي المؤهلات العالية في مختلف



بلدية سبها .. مبنى جميل فقط ؟ !!

المجالات ·· فانشات لهم ادارة خاصة في وزارة الخارجية ، تحت اسم « تشجيع الخبرات العربية » لدراسة هذه الطلبات والاستفادة منها ··ويجرى حاليا اعداد مدينة خاصة بهم ·· كما صدر قانون ينظم امورهم واحتياجاتهم ··

طبيب لكل ٧٥٠ نسمة

لقد ترتب على وجود اعداد كبيرة من غير الليبيين اثار ايجابية على مختلف القطاعات الليبية ·· ففى مجال الصحة مثلا ، ارتفع عدد الاطباء الى ٣٠٠٠ طبيب ، اى بنسبة طبيب لكل ٧٥٠ نسمة ، وهى نسبة طيبة جدا · كان من نتائجها الهبوط بنسبة الاصابة بمرض التراخوما اللعين من ٩٤٪ الى ١٧٪ فقط ·· ووفيات الاطفال هبطت الى اقل من ١٠٪ بعد ان بلغت ٤٠٪ ·· وبالمناسبة توجد فى ليبيا ٢٥ مدرسة تمريض تخرج منها حتى الآن ٢٠٠٠ ممرضة !

كثرة السلام تطيل العمر !

ان ابناء سبها قوم طيبون متواضعون ·· يتراوح لون بشرتهم من الاسود الابنوسى الى الابيض التركى ·· يعملون موظفين فى اصباح ومزارعين بعد الظهر فى سوانيهم ، اى بساتينهم الخاصة ·· يزرعون الخضراوات والقمح الشعير والبرسيم ··

اكلهم المفضل هو العصيدة والتمر ،والبازين المصنوع من الدقيق المخلوط بالماء وفوقه البازلاء واللحم المطبوخان !

انهم اكثر الفة ودماثة من اهل طرابلس وبنغازى ·· واقل كرما من أهل غات (لنا لها عودة) سلامهم وتحياتهم تنم عن المودة والمحبة·· فهى سلامات طويلة اشبه بسلام أهل اليمن ،تظل كلمة « باهى » اى « طيب » تتكرر عشرات المرات مع كل سؤال وجواب ·· وكثيرا ما شهدنا المقابلة تنتهى ويفترق الصديقان قبل أن يتمما كلمات هذا السلام الطويل ! ؟

كل يوم مصنع !!

وابناء سبها يغارون على مدينتهم ويحبونها ،



ارتفع عدد الطالبات من ١١ الى ٦٢٠ طالبة بمعهد المعلمات فى سبها ·· وعجزت المبانى عن استيعاب هذه الاعداد ، فما كان من المسئولين ، الا أن جلبوا عشرات الغرف الجاهزة ، وجعلوها مقرا مؤقتا - حتى لاتحرم اى فتاة من التعليم فى المعهد··

وقد ظل مرافقنا ينكر وجود اى اسواق عربية تقليدية قديمة ، حتى لم يبق على موعد سفرنا الا نصف ساعة ، وعندها اخذنا الى اسواق عربية مفتوحة عامرة ·· اكثر ما يباع فيها حقائب السفر ، والملابس المستعملة ، والبطانيات الصوفية ، وصفائح الماء والتوابل والافاويه ، والملح الحجرى ، والبامية المجففة ··

وفى محلات البقالة وجدنا الكرز التركى والعصير اليابانى ، والعسل القبرصى ، والشكولاته الايطالية ، والحليب الفرنسى ، والفل الكندى ، ورحيق الليمون اليونانى ، والحلويات الفنلندية ، وجوز الهند المصنوع فى هولندا ·· من كل بقاع العالم تستورد ليبيا حاجاتها ··وهذا ما يضايق قادتها، الذين اتجهوا الى تبنى خطة تصنيع تفوق الطموح العادى ، اذ تهدف الى افتتاح مصنع جديد فى كل يوم !!

كل الطرق تؤدى الى سبها !

واهل سبها ، كانوا لا يغادرون مدينتهم الا فى النادر القليل ، فكل الطرق كانت « غير سالكة »



غابة من الكؤوس الذهبية والفضية ، ربحهانادى النهضة في سبها ، خلال مبارياته علىمستوى الجمهورية والمحافظة ، مع مختلف فرق كرة القدم،والعاب القوى ، وكرة الطاولة ،والكرة الطائرة، وعدد الاندية في مراقبة سبها ١٧ ناديا يتقاضىكلمنها اعانة حكومية تتراوح بين ٧٠٠والف دينار

الى اليسار : من فوق سنام الجمال انتقل شبابسبها الى مقعد القيادة في الطائرة٠٠ لقداختصروا الزمان ، بعد أن قدمت لهم الحكومة الليبية ٩طائرات ، لتدريب اعضاء نادى الطيران هناك ٠٠ يقودون الطائرة فترة ٤٠ ساعة مقابل ٥ دنانير عنكل ساعة ، ليحصلوا على اجازة طيار خاص ، معترف بها دوليا ٠٠ والمرأة في النادى معفاة منجميع الرسوم ، وقد تخرج حتى اليوم ٣٥ طيارا خاصا ، و ٥ طيارات ٠٠ اننا نقبل كل شاب عربياذا كان مقيما فى البلاد ، ولنا فروع فى طرابلس وبنغازىوطبرق وفىنهاية عام١٩٧٦ سنتسلم فىه سبها ، احدث مبنى عالمى ليكون مقرا لنادينا ٠٠ مما سيمكننا من توفير الاقامة لكل شاب عربىيرغبفى التعليم والاقامة فى سبها ٠٠ ، هذا ما قاله لنا ، محمد الرسكو ، امين نادى طيران سبها ٠٠



من قرية الى قرية كانت العروس تنقل داخل الهودج على ظهر الجمل ٠٠ وهذه الحركة يسجلها طلبة مدرسة سبها الاعدادية تحت اشراف استاذ الرسم « مصباح محمد الحلاق » الذى جاء من غزة منذ ١٥ عاما ليعمل مدرسا فى سبها ٠٠ الى جانب بقية الاساتذة الليبيين والمصريين والفلسطينيين والسودانيين والاردنيين ٠٠





كان علاء الدين قد مر من « سبها » وفرك مصباحه السحرى واوجد هذا المستشفى الكبير الحديث ، فوق الرمال الحارقة ، ليساعد فى استئصال الامراض التى كانت تعصف بابناء المنطقة ..



أسرة قراء « العربى » بمدرسة المعلمات فى سبها .. ان اعجابهن بمجلة العربى جعلهن يقفن امام مصورنا ليلتقط لهن هذه الصورة التذكارية

لانها غير معبدة ، تمسح الرياح معالمها التى عبدتها الجمال باقدامها !

ودارت عجلة الزمان ، وانقلبت الاوضاع ، فاصبحت كل الطرق « سالكة » و تؤدى الى سبها .. ومن اهمها الطريق المنطلق من مدينة مرزق فى الجنوب لمسافة ١٦٧ كيلو مترا حتى سبها ..

وعلى هذا الطريق انطلقنا الى مرزق فوصلناها بعد ٧٥ دقيقة .. كانت مرزق تعيش بعيدا عن الاضواء وسط بحر من الرمال .. ومن خلال احاديثنا مع ابنائها لمسنا فيهم طموحا يفوق طموح ابناء سبها .. « ان مدينتنا يجب ان يعود لها مركزها التجارى الكبير ، كمحطة للطرق الموصلة بين شاطىء البحر المتوسط، وافريقيا الوسطى ..»

ويؤكدون كلامهم باعمالهم ، ففى كل مكان عمل وبناء ، وفى مدرسة مرزق الاعدادية الثانوية قال لنا مديرها محمد عبد القادر التدانى :

« لقد وضعنا خطة لتحريك مدرستنا حتى تصبح من افضل مدارس الجمهورية الليبية كلها » !!

معادلة متوازنة

ان انفتاح الطرق الى مرزق جعل بالامكان زيارتها .. ولكن خيبة الامل كانت معادلة لشدة الشوق .. لقد ضاع الطابع الصحراوى المميز للمدينة وسط عشرات المنازل الحديثة التى ارتفعت فى كل مكان ..

وما حدث فى سبها ومرزق يجرنا الى سؤال : هل نحافظ على القديم البالى ارضاء لحفنة من السياح ؟ ام نبنى حياة جديدة لمواطنينا تليق بحياة القرن العشرين ؟

ان الازقة الترابية .. والاكواخ الطينية التى لانوافذ لها .. تجعل السائح يقف امامها معجبا مشدوها !!

وهذه السعادة التى يشعر بها السائح هى التى تشقينا فى الوطن العربى منذ قرون واجيال .. وقد حان الوقت لنقيم معادلة متوازنة يتعايش فيها الطرفان .. والسائح القادم الى منطقة مرزق يكفيه ان يرى قلعتها التركية القديمة ، ومئذنة

جامعها العتيق ، مع رحلة الى وادى الاجال لترى الآثار والنقوش المحفورة من العصر الحجرى ، والغابة المتحجرة .. ان مرزق تحتاج الى عمل جبار كبير لتواجه العالم بوجه جديد حديث .. وفى مدارسها يقوم نخبة من الاساتذة الليبيين مع مجموعة متفانية من المدرسين العرب بالعمل بعيدا عن الاضواء من اجل تربية الجيل الجديد ..

مشكلة تجميع القرى

اما رئيس اللجنة الشعبية لبلدية مرزق ، الاخ عبد الوهاب عمر حسين ، فوجدناه يعمل ١٨ساعة فى اليوم ،تضيع منها ساعة فى السلاماتوالتحيات التقليدية التى لاتنتهى ! ! وعندما سألناه : ماذا تفعل فى بقية الساعات ؟

اجابنا :

ـ اننا نواجه مشاكل عديدة شائكة .. فبلدية مرزق هى اكبر بلديات الجمهورية الليبية مساحة، اغلب اجزائها مغطى برمال الصحراء الكبرى.. وبين هذه التلال الرملية تقبع ٤٧ قرية صغيرةجدا، تعيش معزولة عن العالم ، اننا نسعى الىتوحيدها فى ١٠ قرى حتى نستطيع تقديم كل الخدمات المطلوبة لسكانها ..

• اننا ننفذ حاليا ما خططنا من اجله .. ففىخلال السنوات الخمس القادمة سوف يكون عندنا اكتفاء ذاتى ، على مستوى الجمهورية ،من المواد الغذائية والحيوانية ..

• وسيصبح لكل مواطن ، فى حدود بلدية مرزق مسكن خاص به .. ولكل فلاح مزرعة مساحتها ١٠ هكتارات .. وعدد السكان فى المنطقة ٣٤ الف نسمة ٧ آلاف منهم يعيشون فى مدينة مرزق ...

شاهد من التاريخ

وعند مدخل مسجد العناشى ، جلسنا نستمع الى قطعة من تاريخ مرزق الحى .. انه الشيخ محمد العربى شاويش .. شيخ قارب الثمانين من عمره



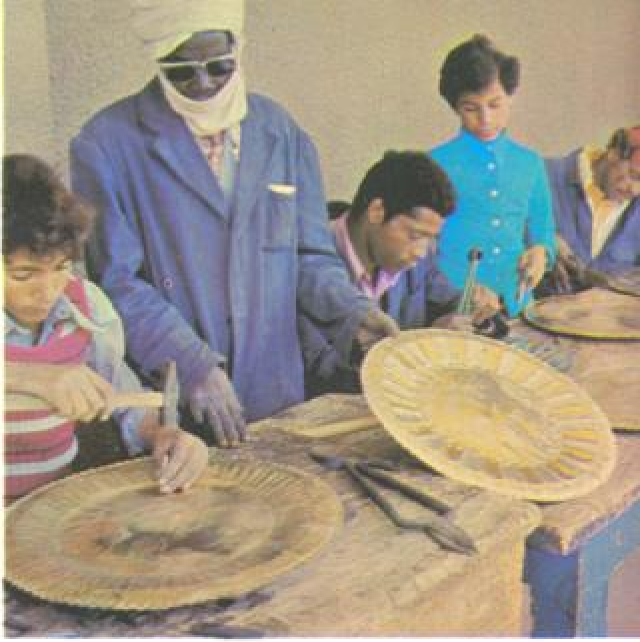
عندبوابة مسجدالعناشى فىبلدة مرزق ،التقينا بقطعة حية من تاريخ المنطقة .. انه « الشيخ شاويش » الذى يطالب بضرورة ترميم مسجد العناشى الاثرى ..



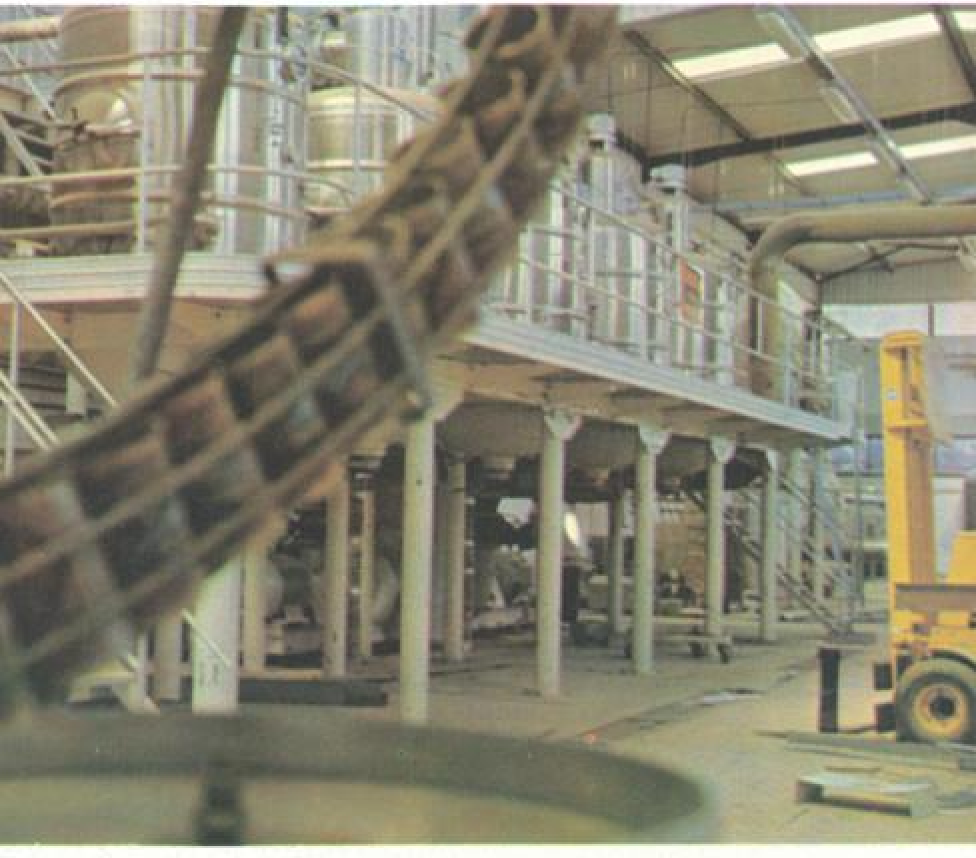
تشتهر مدينة مرزق بمعالمها التاريخية ، وفى مقدمتها قلعتها الصغيرة التى شهدت معاركعديدة

٣٠ الف مكنسة من النايلون الملون ينتجهاشهريا مركز تطوير الصناعات الصغرى (الصورة السفلى) ٠٠ لقد كانت المكانس تصنع يدويا من الحلفاء او « الديس » الصحراوى ، او من ليف النخيل ٠٠ وسعر المكنسة كان لايتجاوز ١٥ قرشا ٠٠ حتى جلبوا هذه الماكينات الكهربائية الايطالية الى مركز تطوير الصناعات،واصبح صنع المكانس يتم بطريقة آلية ، بعد أن استعاضوا عن الديس والليف ،بالنايلون الازرق والاحمر ، وارتفع بالتالى ثمن المكنسة الى ٤٥ قرشا ٠٠ لقد اصبح ابن الصحراء يجلس خلف الآلة الكهربائية يديرها بسهولة واتقان ٠٠ وفي مركز التطوير الصناعي يتم تدريب العناصر الوطنية على مختلف انواع الحرف الجلدية والخشبية والنحاسية (الصورة اليسرى)اما الفتيات فيتدربن على النسيج وصناعة السجاد ٠٠ويضم مركز التطريز حوالى ١٥٠ متدربا من الصبية والرجال ، يتقاضى كل منهم مكافأة تشجيعية تتراوح بين ٥٠ و١٠٠ دينار شهريا ٠٠





الى اسفل : مصنع معجون الطماطم في سبها .. تم تركيب معداته ، واجريت عليها تجربة ناجحة ، تم خلالها انتاج ٧١ الف علبة من معجون الطماطم ثم توقفت الآلات حتى تنتهي الاعمال الانشائية





تحية لهؤلاء الاساتذة العرب ، العاملين في صمت ، بعيدا عن الاضـواء ، من أجل تربيـة وتثقيف أبنـاء بلدة مرزق النائية وسـط بحر الرمال ..

قضاها كلها في مرزق .. ذاكرته قوية ، له وجهة نظره الخاصة : مرزق هذه كانت عاصمة فزان .. المتصرف كان فيها .. والقاضي يكون فيها والمحاسبجي يكون فيها .. والمفتي يكون فيها ..

« الحياة كانت متعبة ، والعيشة صعبة ، والشعب كان فقيرا .. والسيارات ما كانت تاتي لمرزق .. اما اليوم فالخير اكثر من الامس .. الناس شبعانة ياسر ، لا يوجد محتاج .. كنا نشد السواني (السواقي) بالحمار والجمل وتسير خلفه .. اما اليوم فالكل مستريح وشبعان ، ويساهم في بناء البلاد .. »

اما بقية ذكرياته مع الاتراك والفرنسيين والايطاليين وثورات ابناء ليبيا ، فهذه قصص تحتاج الى صفحات خاصة اخرى .

حياة جديدة

وعلى اكتاف ابناء سبها ومرزق تقع مسئولية قيادة ابناء المنطقة في رحلتهم الطويلة من اجل حياة جديدة .. حياة يكون فيها كل فرد سيد نفسه، يتصرف كما يحلو له ..

ويوم رحيلنا من مرزق طالعتنا احدى الصحف اليومية بعنوان غريب عن مباراة لكرة القدم قالت فيه : « عرض شيق ، ومباراة مثيرة .. ولكن الحاضرين حالوا دون اتمامها .. رغم وجود حكمين ! ! »

الم نقل انها حياة جديدة لشعب عربي يعيش في دولة حديثة لها حضارة قديمة عمرها ٢٥٠ الف سنة!!

■■

سليم زبال

كلمات فى الدارجة

النباهة "الفطانة"

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ اذا وصفنا فى الدارجة رجلا بالنباهة قلنا انه « نبيه » او صاحب « نباهة » بمعنى انه فطِن او ذكي ، وكذلك الامر حين نصف بذلك صبيا او طفلا بل حيوانا ، وما اكثر ما نفعل ذلك .

ولكن بعض اللغويين عندنا ينكرون استعمال الكلمة بهذا المعنى ، ويرون انها انما جاءت فى الفصيحة بمعنى الشهرة . وكذلك ينكرون صيغة « انتبه » ، بمعنى فطن ويرونها خطأ ، وان الصواب صيغة « تنبّه » .

فاذا رجعنا الى المعاجم الكبرى ومنها « لسان العرب » مثلا وجدنا ان ما نقوله فى الدارجة فصيح .

صحيح ان النباهة تعنى الشهرة ، وضدها الخمول ، يقال : « نَبُه فلان ينبه نباهة ونَبَهًا، فهو نابه ونبيه » اىمشهور او شهير، و« نبهته »: اى شهرته او رفعته من الخمول الى الشهرة ، وعلى هذا قول شاعرنا الحكيم :

متى أرت الدنيـا نباهـة خامل
فـلا تنتظـر الا خمـول نبيـه

وفي الفصيحة ايضا : « نبّهته وانبهته من النوم فتنبه وانتبه » ، وكذلك انتبه من نومه » بمعنى الافاقة او اليقظة منه .

وفيها ايضا على سبيل التشبيه : تنبه للامر ، ينبَه ، مثل فطن يفطن وزنا ومعنى ، ونبهته من غفلته فتنبه وانتبه ، بمعنى الفطنة ايضا .

وفيها ايضا : نبهته على الامر : اشعرته به .

وفيها ايضا : هذا الامر نابه ، اى عظيم جليل .

ولننظر للامر نظرة اوسع ، فان فقهاء اللغات يقررون ان الكلمات استعملت اولا للدلالة على المحسوسات ثم تستعمل مجازا فى المعنويات ، وعلى هذا نقول ان الجذر « ن ب هـ » يدل فى اصل معناه العام على اليقظة او الافاقة من النوم ، وهذا امر حسى ، ثم صار يطلق مجازا على الفطنة من جهل او سهو ، لان كليهما شبيه بالنوم ، والفطنة شبيهة بالافاقة منه ، ولذلك نعكس الامر احيانا على سبيل المجاز ايضا فنصف الغافل كما نصف الجاهل بأنه نائم ، لان كلا من هؤلاء لا يدرى .

ثم نلاحظ فى الفطنة انها تقع من شخص فتدل على فطنته هو ، او تقع على شخص او شيء فتدل على الفطنة اليه ، اى المعرفة به ، فيعرف بعد ان كان لا يعرف ، ومن هنا تاتى النباهة بمعنى الشهرة ، او الظهور ، ومن هنا تاتى ايضا بمعنى الشرف ، والمقصود به اولا مجرد الظهور بعد الخفاء ، ايا كانت اسباب الظهور ، ومن الاسباب احيانا قدر الشخص او الشيء او عظمته ، ومن هنا يقال : هذا الامر او الشخص نابه اى عظيم ، او ذو قدر ، ولم يزل العامة يخلطون خطا حتى الآن بين الشهرة والعظمة ، فكل مشهور عندهم عظيم او جليل ، كان الشهرة لا تتاتى الا من العظمة ، ولا ينتظر من الجمهور ان يكون افراده كلهم فلاسفة او حكماء ، ليفهموا ان الشهرة قد تاتى ايضا عن سبب سيىء .

ومن هنا يتبين لنا ان النباهة بمعنى الوعى او الفطنة او الذكاء مرحلة وسطى تتقدمها مرحلةالنباهة بمعنىالافاقة منالنوم،وتلحقهامرحلة النباهة بمعنى الشهرة،ثم بمعنى العظمة،واذن فمن الفصيح قولنا « نبيه » بمعنى يقظ ، وبمعنى ذكى او فطن ، لان النباهة تدل على الوعى بعامة ، سواء من نوم ، او جهل ، او غفلة .

ومن الفصيح ايضا صيغة « انتبه » ، بكل المعانى السابقة ، ويؤيد ذلك قول الراجز « متى انتبه للفداء انتبه » . وكذلك « نبِه على الامر » اى اشعر سواه به .

ومن هنا نعرف ان لكل كلمة قصة تاريخية ، نافعة ممتعة ، وان قصتها تزيدنا باصلها واطوارها وآفاقها وعيا ونباهة .

محمد خليفة التونسى

استطلاع الكويت

رعاية المرضى

ميدان جديد
تقبل عليه المرأة الكويتية





استطلاع بقلم :

يوسف الشهاب

تصــوير :

حسن الصفار

جسم الانسان .. وتشريحه من أهم المواد التى تدرسها طالبات المعهد وفى الصورة الدكتورة « آن الوايلي » تشرح لطالباتها وظائف اعضاء الجسم »



التجارب العملية ، دراستها ضرورية ، وفى الصورة طالبتان تقومان باحدى التجارب

احدى الطالبات تتدرب على الاسعافات الاولية ، تحت اشراف المدرسة .



■ لو انني قدمت كل ثروتي لصاحبة الرداء الابيض واليدين الحانيتين ، تلك التي قضت الليالي ساهرة بجوار فراشي تخفف عني آلام الوحدة والمرض، لما استطعت ان اوفيها حقها .. ولكنها ترفض هذا الاجر اما اعظم الانسان الذي يعطي ويعطي دون ان ينتظر الجزاء !

« وليام جيمس »

يد تمتد في رفق الى الراس المريضة المحمومة لتعيدها الى الوسادة .. ابتسامة مشرقة تستقبل المرضى في الصباح وتودعهم في المساء .. عيون، ينام كل من حولها ، وتبقى هي ساهرة ترعى هؤلاء الذين ذبلت اجسامهم وهد المرض قواهم ..

انها يد هذا « الملاك الرحيم » الذي وهب حياته من اجل الآخرين .. انها يد انسانة تعمل للغير من اجل الغير .. لافرق عندها بين انسان وانسان .. كلهم اخوة لها في الانسانية .. كلهم في حاجة الى رعايتها ..

صاحبة هذا القلب الكبير هي الممرضة التي تكون دائما معنا وامامنا ، وحولنا عند الملوعكة تلم بنا ، وتضطرنا الى دخول المستشفى .. انها الانسانة التي تؤدي انبل واشق مهمة في حياتنا الحاضرة وعالمنا الواسع من حولنا ..

هذه المهنة التي بدات المراة تمارسها وتقبل عليها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد ان وضعت اسسها « فلورانس نايتنجيل » الفتاة الانجليزية التي تركت بيتها وابويها وثروتها، ووهبت نفسها لخدمة الانسانية .. هذه المهنة التي اصبحت اليوم اساس الرعاية الصحية في كل مستشفى في كل بلد اخذ باسباب الحضارة والتقدم اصبح لها معاهد خاصة تلتحق بها الفتيات للدراسة والتدرب على القيام بهذا العمل الانساني النبيل ..

ولاول مرة منذ خروج المراة الكويتية الى ميدان العلم والعمل في بلدها الناهض ، بدات تقبل على هذه المعاهد لتعد نفسها للقيام بهذا الدور الانساني في مجتمع الدولة الخيرة » .

وقد انشات الكويت المعاهد الصحية ، ووضعت القواعد الراسخة لضمان نجاح هذه الرحلة الدراسية فيها ، واقبل ابناء الكويت، شبابها وفتياتها على دراسة مهنة التمريض ، والتخصص فيها بعد التخرج ، لسد العجز الذي تعانيه البلاد في هذه الناحية الانسانية .

مع مديرة المعهد

لماذا انشيء المعهد في هذا الوقت بالذات ، وماهي اهدافه ؟

هذا هو السؤال الذي طرحناه على مديرة المعهد الدكتورة عفاف مليس ، فاجابت تقول : « لقد ارادت وزارة التربية ان تنوع في المجالات العلمية بعد مرحلة الثانوية ، وسعت ـ بالتعاون مع وزارة الصحة ـ لانشاء هذا المعهد حتى يمكن توفير فريق من المشرفات الصحيات ، للعمل بعد تخرجهن في مدارس الدولة لحل ازمة النقص في الممرضات بوزارة الصحة، لذلك افتتح هذا المعهد في سبتمبر ١٩٧٤م فالتحقت به ثلاثون طالبة كويتية ، كما



مجموعة من الطالبات يتدربن على قياس دقات القلب لنموذج من المرضى ، تحت اشراف الممرضة ..



درس عملي في مختبر الكيمياء ، تقوم به الطالبات بتوجيه من استاذ المادة ..

ان من اهداف انشاء المعهد اعداد الطالبات لمختلف الوظائف المساعدة في الميدان الصحي .

ثم تقول مديرة المعهد : « ان اعمال المشرفة الصحية تشتمل على التمريض والاسعافات الاولية ومعاونة الطبيب في معالجة المرضى من تلاميذ المدارس ، وحفظ سجلاتهم الصحية والكشف عن الحالات المرضية لاحالتها الى الطبيب ، هذا بالاضافة الى المراقبة الصحية للتغذية والنظافة المدرسية ،وتقوم المشرفة الصحية ايضا بدور فعال في مجال التوعية والارشاد والتوجيه الصحي باستخدام مختلف الوسائل من نشرات وندوات وافلام وشرائح ، لتوعية الطالبات واسرهن .

من الكويت والخليج

وحدثتنا الدكتورة عالية الشاوي ، وكيلة المعهد عن شروط الالتحاق بالمعهد فقالت : « انطلاقا من الاهداف التي انشيء من اجلها المعهد الصحي،وضع المعهد شروطا لقبول الطالبات ، تتلخص في ان تكون الطالبة كويتية الجنسية ، كما يسمح المعهد ايضا بقبول بنات الخليج العربي لشعور الكويت الاخوي تجاه هذه المنطقة،كما انها تقبل ايضا طالبات البعثات العربية والاسلامية اللائي تتوفر فيهن شروط القبول المقررة بنسبة معينة لا تتجاوز ١٠٪ من عدد الطالبات الكويتيات سنويا ،ويمكن كذلك قبول الطالبات الحاصلات على الثانوية العامة ادبي على شرط ان يلتحقن بدراسة تكميلية لمدة فصل دراسي واحد للتقوية في علوم الكيمياء والاحياء والرياضيات وهناك شروط اخرى روتينية كالشهادة الثانوية واجتياز الاختبارات الشخصية المعتادة .

الدراسة بنظام المقررات

ويتبع المعهد الصحي في دراسته نظام المقررات، كنظام حديث تاخذ به الجامعات والمعاهد العلمية المتطورة ، وتبلغ ساعات التدريس ١٠٣ وحدة تدرسها الطالبة على مدار السنتين ، وسوف تخفض الى ٣٧ وحدة خلال العام المقبل لتستطيع الطالبة ان تجد وقتا اكثر للذهاب الى المكتبة وقراءة المراجع اللازمة .

والنظام الدراسي بالمعهد يوفر قدرا من المرونة



نادى الطالبات ، يستقبل يوميا طالبات المعهدفي اوقات فراغهن ، يتحاورن في امور الدراسة ، ويزاولن هواياتهن الاجتماعية والثقافية .. فيالصورة مديرة المعهد ـ الثانية من اليسار ـ مع مجموعة من الطالبات في مقر النادى ..

مكتبة المعهد ـ تحوى كتبا مختلفة فى شتىالعلوم،والصورةلعدد منالطالباتيبحثنفيالمراجعداخلالمكتبة







تجارب عملية ، تقوم بها الطالبات ، الصورة العليا، داخل مختبر الكيمياء

يهتم المعهد بالتدريب العملي للطالبات ، والصورة الى اليسار لمدرسة التمريض، تشرح للطالبات كيفية وضع الرباط على الاصابة.

ليتيح للطالبه اختيار المواد التى ترغب فى دراستها خلال كل فصل دراسى من بين المواد الدراسية المقررة ، كما ان هناك ٦٣ وحدة دراسية تاخذها كل الطالبات اجباريا ٠

اما المواد الدراسية التى تتلقاها الطالبات فتشتمل على دروس عملية ٠ كالمهارات التمريضية، تمريض باطنى وجراحى ، صحة عامة وطب وقائى ويشمل اربعة مقررات ، بالاضافة الى تمريض الاطفال ورعاية الامومة

ـ واخرى علمية ـ كالكيمياء والفيزياء وعلم التشريح ووظائف الاعضاء ، وعلم الميكروبات والطفيليات وعلم الاقرباذين والادوية ٠

وتتلقى الطالبة مواد اجتماعية ونفسية وكذلك مقررات مهنية اضافية ومقررات عامة ٠٠

٣٤ استاذا بالمعهد

ويضم المعهد ٣٤ استاذا واستاذة ، من مختلف التخصصات النظرية منها والعملية ، ويستضيف المعهد عددا من الاساتذة الزائرين من الجامعات العربية والاجنبية ، لالقاء المحاضرات خلال العام الدراسى ، ولايقل المؤهل العلمى لاى عضو فى هيئة التدريس عن درجة الماجستير فى ميدان تخصصه ٠ ويتفرغ اعضاء هيئة التدريس تفرغا تاما للتدريس فى المعهد ورعاية شئون الطالبات العلمية والاجتماعية والرياضية ٠

بطاقة لكل طالبة

وحدثتنا السيدة سعاد البحر ، رئيسة قسم التسجيل بالمعهد ، عن مهام القسم خلال العام الدراسى فقالت : « ان القسم يستقبل الطلبات التى تقدمها الطالبات وتحدد فيها المواد التى ترغب الطالبه فى دراستها فى كل فصل من فصول السنة الدراسية ، ولدينا بطاقة من اربع نسخ تسجل فيها المقررات التى تتلقاها الطالبة فى كل فصل ومواعيد دراستها ٠

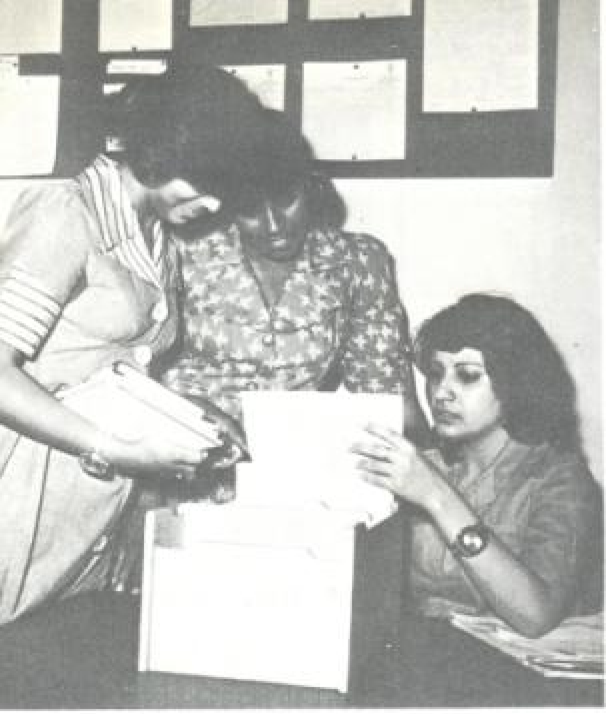
وتضيف السيدة سعاد البحر قائلة : ولايتم تسجيل الطالبة فى اى مقرر ما لم تكن قد اجتازت بنجاح المقرر او المقررات التى تعتبر متطلبات مسبقة ، ويحدد المنهج الدراسى للطالبة بما لايزيد على « ٢٢ » وحدة دراسية فى الفصل الدراسى الواحد، ولا يقل عن « ١٤ » وحدة دراسية، ويحق للطالبة اضافة اى مقرر بعد موافقة المرشد



الدكتورة عفاف مليس ٠٠ مديرة المعهد : نطور اساليب التدريس لنساير التطور الصحى



التدريب على اعداد « الحقنة » واعطائها للمريض ٠٠ وفى الصورة احدى الطالبات تتدرب على اعداد الحقنة تحت اشراف مدرستها



فى قسم التسجيل داخل المعهد ، توجد بطاقة لكل طالبة ، هنا طالبتان تستمعان الى تفاصيل موادهما من احدى موظفات التسجيل

الاكاديمي خلال اسبوع من بدء الدراسة ، ثم تقول رئيسة قسم التسجيل اما حيث الغياب والحضور فيجب على الطالبة ان تواظب على حضور الساعات المحددة للمقرر سواء كانت نظرية ام عملية ، وتحتسب المقررات التي تجتازها الطالبة ضمن الوحدات التي انتهت من دراستها وتسجل في بطاقتها العلمية .

واختتمت السيدة سعاد حديثها قائلة : «والقسم يتابع سير الطالبة خلال دراستها ، ويلفت نظرها عند التقصير لتدارك الموقف قبل اتخاذ قرار الفصل ..

الكيان الطلابي

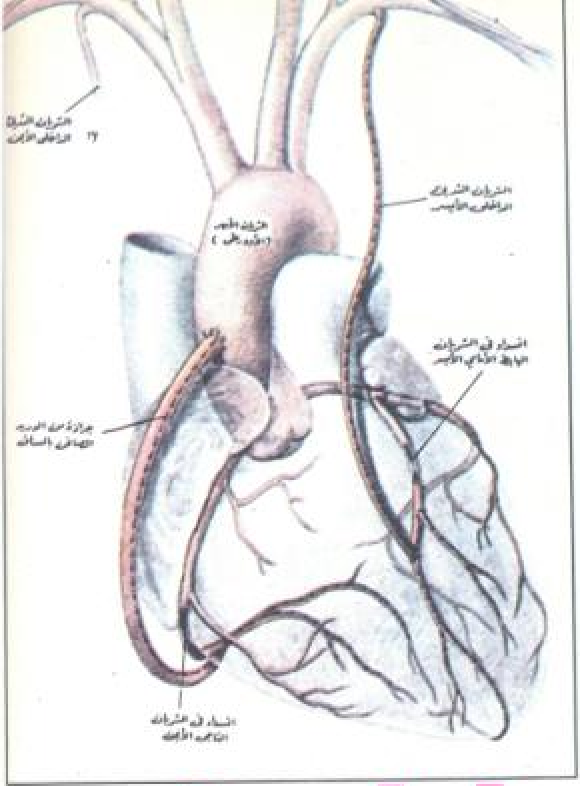
ورغبة في ابراز الكيان الطلابي ، سعى المعهد الصحي الى تشكيل مجلس طلابي (برئاسة احد أعضاء الهيئة التدريسية) ، يضم سبع طالبات ينتخبن سنويا ،كما يضم في عضويته المشرفة الاجتماعية، ويهدفهذا المجلسالى اشراك الطالبات في تحمل المسئولية من خلالتنظيم اوجه النشاطات المختلفة داخل المعهد .

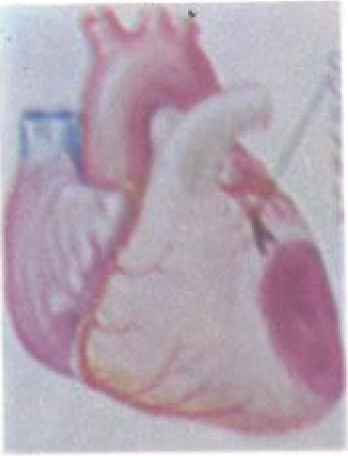
وللمجلس نظام وضع للعمل ويقوم على اساس تحديد جلساته ، وتشكيل لجان من بين اعضائه للاشراف على الانشطة التي تمارس بالمعهد .

وعدنا مرة اخرى الى عميدة المعهد الدكتورة عفاف ملبس ، التي سألناها عن استعداد المعهد للعام الدراسي القادم ، فقالت :نحن نضع لكلعام دراسي برامج محددة ، ونحاول ان نعرف مقدما عدد الطالبات اللواتي يمكن استيعابهن للعام الدراسي تمشيا مع امكانياتنا المتوفرة سواء من حيث الهيئة التدريسية او من حيث الاجهزة العلمية التي تمارس بها الطالبات اعمالهن ، والمعهد خلال العام الدراسي ٧٩/٧٧م سوف يستقبل ١٠٠ طالبة ، تنطبق عليهن شروط القبول بالمعهد،كما ان هناك تطورا في اسلوب التدريس، حتى يمكننا ان نساير التطور الصحي وما يجب ان تكون عليه الخريجات في معهدنا ، حتى تستطيع كل خريجة ان تؤدي دورها بنجاح بعد التخرج .

هذه هي رسالة المعهد الصحي في الكويت ، وهي رسالة انسانية تهدف الى ايجاد جيل جديد من المشرفات الصحيات الكويتيات يضعن ايديهن مع الذين يبحثون ويشقون من اجل اسعاد المرضى. والدولة التي آمنت بدور الصحة في المجتمع ، سعت ايضا لتشجيع هذا المعهد تشجيعا ماديا ومعنويا ، فوضعت المكافآت الشهرية للدراسات ، ورصدت الاموال اللازمة لضمان استمرار المعهد في مسيرته .

يوسف الشهاب



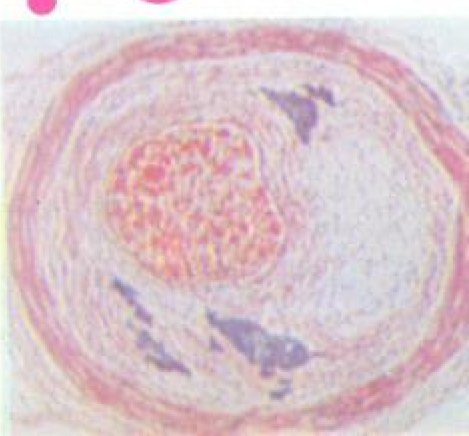


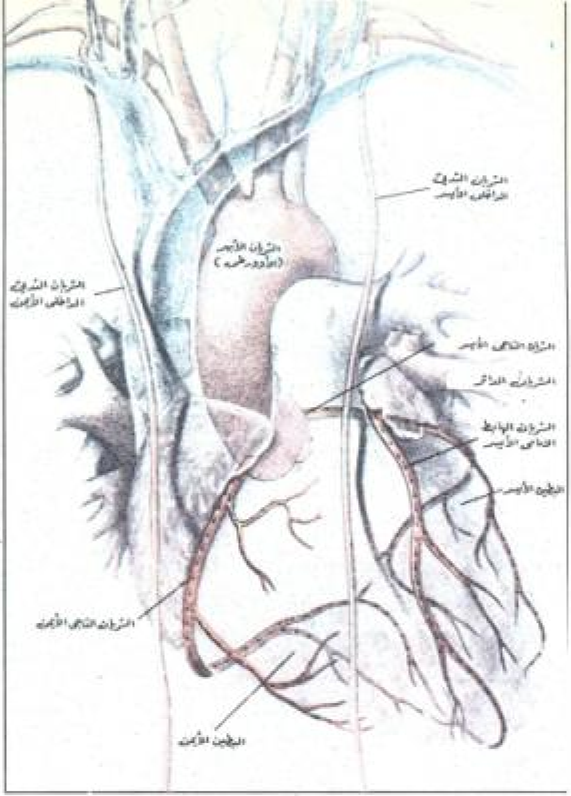
منطقة عضلية بائرة فى البطين
الايسر فى أعقاب انسداد شريانها

مبضع
الجراح
مع ..

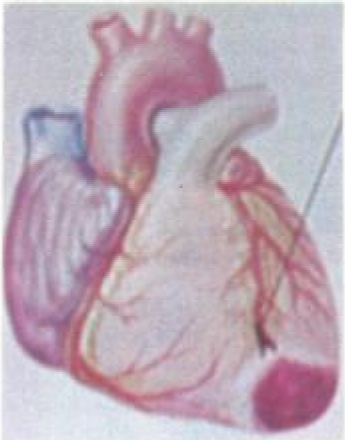
القلوب المصابة بفقر الدم







منطقة عضلية أخرى يختلف نوع الذبحة الناشئة والامها باختلاف مكان البوار



هذا الرجل الخارج من المطعم يعرض قلبه لجهود اضافية ثلاثة : تناول الطعام والخروج من دفء المطعم الى برد الطريق وحمل ثقل والنتيجة : اصابة بذبحة صدرية .



بقلم

الدكتور سعيد عبده

يرى القارىء كيف تبدو الشرايين التاجية في القلب الضرير ، بعد التغلب على انسدادها بعمليات التحويل والترقيع، وامدادها بالدم من بابها الخلفي ، وفي مسار جديد .. ويرى في الشكل انسدادان احدهما في الشريان الهابط الامامي الايسر تخطاه الجراح بتوصيل الشريان الثديي الداخلي بالجزء السليم من الشريان المسدود بعد منطقة الانسداد . والثاني في الشريان التاجي الايمن ، وقد تخطاه الجراح باستخدام جذاذة من شريان الساق في عمل تحويلة للدم بين الشريان الابهر والجزء السليم من الشريان المسدود

■ لم استغرب كثيرا ان اصاب بالذبحة الصدرية في اواسط الستينات ، فقد كانت سني يومئذ تفوق الخامسة والستين ، وكان ابي قد قضى نحبه اثر نوبة قلبية ، وكنت منذ طفولتي اكره الرياضة البدنية واعيش معيشة قاعدة لا اثر فيها لنشاط بدني كبير ٠٠ وقد ادمنت التدخين خمسة واربعين عاما ، وافرطت في شرب القهـــوة ، وكثيرا ما احرقت شمعة حياتي من كلا طرفيها بكثرة السهر والاجهاد ٠٠٠ ولعل الشيء الوحيد الذى احترمت فيه قلبي هو عدم الاسراف في الطعام ، فقد كان المضغ عندي مشكلة منذ اوائل العشرينات ، وكنت على كره مني اقوم عن المائدة وفي نفسي رغبـــة عارمة في البقاء ، فلم تدركني بدانة تضاعف عمل القلب وجهده ، او تفتح الطريق لمرض من الامراض التي يحمل القلب من امرها مالا يطيق٠

ولقد مرت هذه الذبحة بسلام ، وظللت امارس ما كنت امارس من عمل ، ولــكن بخطو بطيء ، وربما عاودتني بعض الآلام السطحية في منطقة الصدر والكتف الايسر بين الحين والحين ،عقب اى اجهاد ، كالمشي العنيف ، أو صعود السلم دون توقف في بعض المحطات ، او حمل شيء ثقيل ،او الارهاق الجنسي ، او الانفعال العاطفي ولو في اعطاف حلم جميل ٠فيفتقر القلب الى الاوكسجين، ولا تجد عضلاته الخرساء وسيلة للتعبير عن جوعها هذا الا اشعار صاحبها بالم يعنف او يلين بقدر ما ينقص عضلة القلب من الاوكســجين ، فاذا استراح المصاب من الجهد ، او سكن ما اصابه من انفعال ، او اتسع الشريان المتقلص بقرص من دواء معين يذوب تحت اللسان ، انفرج الكرب في الحال وزالت الآلام ٠

انها ظاهرة مرضية ٠٠٠ ولكنها قد تحدث حتى في القلوب السليمة التي ليس لديها احتياطي عضلي كبير٠٠فلو ان صاحب قلب من هذه القلوب حاول أن يصعد جبلا على غير تعود ، لاحس شيئا من هذا الالم في صدره ، يشع الى كتفه وذراعه وكانه دعوة من القلب المرهق ،يدعو فيها صاحبه، للراحة والتقاط الانفاس ٠

حين يبلغ الفقر حد الاعدام !

وكنت خليقا وانا طبيب وقائي أن آبادر بعرض نفسي على الطبيب ، ولكني لم افعل ، ولا اتعظت بهذه النذر ، ولم افق من هذه الغفـلة الا ذات ليلة من ليالي الشتاء فـي سـنة ١٩٧٠ ، وقعت فيها الفاس في الراس ،فصحوت من نومي مذعورا على ألم فاجر ، عاصر ، خانق ، خيل لى فيه أن قوة هائلة تجتذب الى اسفل ، حلقي وبلعومي ، ومريئي ، وقصبة الهواء ، ٠٠٠ ومع الالم الفاجر شعور باني اموت ٠٠٠

كان الما يختلف تماما عن ذلك الالم القديم ، اختلاف ضيق مؤقت في شريان تاجي من شرايين القلب ، عن انسداد كامل في هـذا الشريان ٠٠ وحرمان جزء من عضلة القلب حرمـــانا تاما من الاوكسجين ٠

انه الفرق بين جوع الصائم ، وجوع المعـدم المحروم ٠٠٠

لقد كان ذلك الالم الـذى احسسته مختلطـا بالشعور بالهلاك ، هو الاجدر في الواقع باسم « الذبحة الصدرية » لا ذلك الالم الذى يزول بالقليل من الراحة ، او بتذويب قرص من الدواء تحت اللسان ! والذى يمكن تسميته بفقر الـدم القلبي المؤقت ٠

ومع ذلك فكلا الالمين من مصدر واحد ، ومن أب واحد ، هو ٠٠٠ تصلب الشرايين ٠ والاول منهما قد ينتهي بالثاني ، وكثيرا ما يفعل ، وقد يترافق الاثنان على طول الطريق ، اذا قدر للمـرء أن يعيش بعد انسداد شريان تاجي كبير ٠

لكن كيف تصلب هذا الشريان ؟

ان تصلب اى شريان ، عندى أو عندك ، ينشا مما يترسب في بطانته من انواع بذاتها من دهون الطعام ، وتكلس هذه الرواسب على مر السنين، وما يرافق ذلك من تقرح في البطانة ، وضـمور في الانسجة العضلية بجدران الشريان ، واختلال في مرونة الانسجة المطـاطة في هذه الجدران ، وعدوان ـ بدرجات متفاوتة ـ على قطر الشريان المصاب ، وبالتالى على منسوب الدم الذى يتدفق فيه (الشكل رقم (١)) ٠

انها عملية خفية طويلة تسـتغرق السنين ، وكثيرا ما تبدأ في الصغر ، وتهيىء لها الوراثة ،

مخرج الشريان التاجي الايمن من نفس الشريان



مخرج الشريان التاجي الايسر من الشريان الابهر (الاورطي) عقب خروجه من القلب مباشرة .

وقد يصحبها ارتفاع تدريجي في ضغط الدم ، وربما كانت هذه الزيادة اول ما يلفت اليها نظر الطبيب ، وهي حين تحدث في الشرايين التاجية للقلب ، فكثيرا ما يكون نذيرها الاول ، هو الم الصدر بعد جهد او في اعقاب انفعال ، ثم زوال هذا الالم اذا زال الجهد او هدأ الانفعال .

ومع الزمن يزداد ضيق الشريان ، ويشتد تقرح بطانته ، وقد يحدثان تزداد لزوجة الدم لامر ما، فيصبح اكثر استعدادا للتجلط ، ولو لمجرد عرق غزير ، وتحدث جلطةتسد الجزء الذيبقى مفتوحا من قطر الشريان ، وتقع الواقعة ، اذ يحرم جزءمن عضلة القلب حرمانا تاما من الاوكسجين والغذاء، فيموت او يبور ، وحشرجة روحه هي التى تحدث ذلك الالم الفاجر العاصر ، الخانق ، الذى يمتزج به شعور المصاب بانه يلفظ النفس الاخير .

رحلة في شرايين القلب

ان شرايين القلب التى تمد عضلته بالاوكسجين والغذاء هما في اصلهما اثنان ايسر وايمن ، ويرى في الشكل رقم (٢) مخرجهما من الشريان الاعظم (الاورطي او الابهر) الذى يتلقى كل مايضخه بطين القلب الايسر منالدم النقي الاحمر، القادم من الرئتين ، عن طريق الاذين الايسر ، محملا بالاوكسجين والغذاء . وهما اول فروع هذا الشريان الاعظم الذى يوزع الدمعلى كافة الانسجة والاعضاء .

واذا نحن تتبعنا الشريانين التاجي (شرياني القلب) كما يبدوان في الشكل الرمزى رقم (٣) وجدنا أن كلا منهما ، بعد مسيرة سطحية بسيطة، يتفرع في عضلات القلب في كل اتجاه ... فالايسر منهما يتجه نحو البطين الايسر ، الذى هو اقوى جزء من عضلة القلب ، فلا يلبث غير قليل حتى يتفرع الى فرعين رئيسيين ، يسمى احدهما بالشريان الهابط الامامي الايسر ، ويمد الجزء الاعظم من عضلة البطين الايسر بالدم ، ويسمى الثاني بالشريان الدائر ويمد الجزء الباقى من عضلة هذا البطين .

اما الشريان التاجي الايمن فيغذى البطين الايمن من القلب ، وهو الجزء من المضخة القلبية، الذى يتلقى من الاذين الايمن ، كل الدم الوريدى القاتم ، الوارد اليه من كافة انحاء الجسم ، ثم يضخه بقوة الى الرئتين ، ليتخلص مما به من فضول هناك ، ويتزود بمدد جديد من الاوكسيجين والغذاء ، ويعود الى الاذين الايسر ، فيدفعه الى البطين الايسر ، الذى يضخه بقوة هائلة الى الشريان الاعظم ليوزعه على سائر الانسجة والاحشاء والاعضاء .

ان هذه الدورة الدموية الصغرى بين القلب والرئتين تتم في نبضة واحدة من نبضات القلب التى تبلغالثتين وسبعين نبضة في الدقيقةفيحالة الراحة ، ينقبض القلب في كل منها فيضخ ، وينبسط فيتلقى .. فتبارك الله احسن الخالقين.

من الاصول الى الفروع

ان هذين الشريانين التاجيين ، او لنقل الثلاثة ، يتفرع كل منها في الجزء الذي يغذيه من عضلة القلب الى فروع اصغر فاصغر،وكلما ابتعدت الفروع عن اصولها ضاقت اقطارها ، وانتهت في عضلة القلب نهايات مسدودة ، كل منها يمد جزءا صغيرا من هذه العضلة بالاوكسجين والطعام ... وعلى تقارب هذه النهايات المسدودة بعضها من بعض ، فان كلا منها ينفصل عن الاخر تمام الانفصال ... شان العذبات الصغار التي تنتهي بها اغصان شجرة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

بيد أن تصلب الشرايين ـ لسبب لا يعلمه الا الله ـ يصيب اصول الشرايين اكثر مما يصيب فروعها ، ومن اجل ذلك كانت اكثر استعدادا للعجز عن تغذية عضلة القلب بكل ما يلزمها من الدم في حالة الجهد الطارىء او الانفعال العنيف، او للانسداد الكلي بتجلط الدم فوق قروحها ، أو بانحشار جلطة دموية قادمة اليها مع تيار الدم من تجويف القلب ذاته او من عضو آخر مريض .

فاذا كان الانسداد في جذع من جذوع الشرايين التاجية ، او فرع من فروعها الكبرى فالنتيجة تكون في الاغلب خطيرة بغض النظر عما يحدث من الام للمريض تتخذ صورا متعددة ، فان الجزء الكبير من عضلة القلب الذي كان يمده هذا الشريان خليق أن يصاب بالبوار ، وربما ادى هذا البوار المفاجىء بصاحبه ، الى الموت المفاجىء،ان لم تدركه وسائل الاسعاف والانعاش في الحال .. واكثر ما تحدث هذه المأساة حين يصاب جذع الشريان التاجي الايسر ، أو جذع فرعه الهابط الامامي بالانسداد . (الشكل ٤)

أما انسداد الشريان التاجي الايمن ، فكثيرا ما يعفي صاحبه من الموت المفاجىء ، وان الزمه السرير عدة اسابيع ،تظهر فيها قدرة القلب المعجزة على ترميم نفسه بنفسه ، حين تاخذ العذبات الصغار للشرايين المجاورة للجزء البائر من العضلات، تستجيب لاستغاثات جيرانها ، فتنبثق منها براعم صغيرة تمتد ، وتستطيل حتى تتصل بعذبات الشريان المسدود ، وتمدها بمدد خلفي من الدم المحيي ، يعين على الحد من انتشار البوار في العضلات .

رب ضارة نافعة

وعلى اية حال فان اى انسداد في الشرايين التاجية لا ينتهي بالموت ، خليق اذا عاش المرء بعده ـ وكثيرا ما يعيش ـ ان يعطي القلب بهذه الاتصالات الشريانية الجديدة ، ينبوعا جديدا للحياة ، حتى وان ترك بصمات اصابعه في العضلات المصابة على شكل ندوب ميتة ، لا تقوم بعمل او تؤدي وظيفة ، وكثيرا ما تظهر آثار هذه الندوب في التخطيط الكهربي للقلب ، دالة على ازمات سابقة مرت على صاحبها بسلام .

ولقد كان عمل الطبيب في الماضي ، ولا يزال ـ حين يواجه بانسداد من هذا القبيل ـ منصبا على محاولة ايقاف عملية التصلب في الشرايين ، وزيادة سيولة الدم لايقاف التجلط بقدر الامكان، ومساعدة المريض بالدواء والغذاء والرياضة المحسوبة ، على اجتياز هذا الامتحان العسير ، وتنظيم سرعة سيره في الحياة على منوال يوائم بين طاقات قلبه المحدودة وبين المعقول من التزاماته في الحياة .

ثم اخيرا دخل الجراح المسرح في اوائل الخمسينات ، يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، ويصيب مرة في علاج القلب المفتقر الى الدم ، ويخطىء مرات .. الى ان اصبح كما سنرى ـ ومنذ سنة ١٩٧٥ ـ الفتى الاول في رواية القلب العاطش الى الدماء !

حيرة بين الطبيب والجراح

حين افقت من نومي في تلك الليلة من ليالي الشتاء سنة ١٩٧٠ . على ذلك الالم الفاجر الذي احاط بعنقي واعلى صدري ، وراح يشد الحلق والحنجرة والمرىء وقصبة الهواء ، بنفس القوة التي تجتذب بها ربة البيت حوصلة الدجاجة الذبيحة واحشاءها .. لم يكن الي هذا في حاجة

الى ترجمان ، فقد ادركت للوهلة الاولى أن جزءا من قلبي يموت ، صغيرا او كبيرا ، ما كنت اعرف في ذلك الحين ، وحاولت عبثا الاتصال بواحد او آخر من زملائي او تلامذتي – « وهم كثر » كما يقول ابو فراس ! – لعلي اجد لديه فرجا من هذا الضيق ، الذي لا يفرج من كربه في العادة الا المورفين ، او اخوة المورفين ·· ثم تذكرت اني اسكن في ضاحية من ضواحي القاهرة البعيدة ، وقبيل الفجر يصبح استدعاء الطبيب الى مثل هذا المكان النائي ، اشبه برشه بزجاجة من ماء النار ، ولا سيما اذا كان من يستدعيه زميلا مفروضا ان يكون تعامله معه بغير عملة الدرهم والدينار !

ولعل هذا من نكد الدنيا على معظم الاطباء ·· وتركت سماعة التليفون على مضض،وقلت لنفسي : ان كانت الجلطة الطارئة في جذع شريان كبير فما كان احراني ان اكون لحظتئذ في عداد الاموات ، وان كانت في فرع صغير فامرها أيسر ، ولن تلبث حتى تزول ، ولعل ما قد تحدثه من مسارات جانبية للدم في عضلة القلب ، بين العذبات النهائية لشتى الشرايين يكون لصالحي في النهاية ·· ومن يدري ؟ ·· اني انسان متفائل على الدوام، واومن عن تجربة ان كثيرا من الضر الذي يبتلى به الانسان قد يكون له فيه نفع كبير·

وابتلعت بعض الاسى الفاجرة ،واستعنت على بعض منها بالقليل مما تيسر من الدواء ···

وفي الصباح وجدت نفسي حائرا أأذهب الى الطبيب ام أذهب الى الجراح ؟

مزار ليلى قريب ولكن دونه أهوال !

كانت جراحة القلب المريض بفقر الدم من ضيق او انسداد الشرايين لا تزال في سنة ١٩٧٠ تخط السطور الاولى من قصة انتصاراتها التي بلغت ذروتها في سنة ١٩٧٥ ·

وقد ساعد الجراح على كتابة هذه السطور اكتشاف طريقة جديدة لتشخيص المرض تشخيصا دقيقا بجس الشرايين التاجية تحت التصوير الاشعاعي سنة ١٩٥٩ ، وقياس مدى قدرة القلب على اداء عمله بامانة وانتظام ·

وكمقدمة للجراحة على القلب ذاته يقوم الجراح تحت البنج الموضعي،وبمساعدة فريق من المتخصصين بتشخيص المرض تشخيصا ادق ، وذلك بادخال قسطرة مرنة في شريان فخذ المريض او شريان عضده ، ثم الاحتيال لها حتى يدخلها في بطين القلب الايسر ، ثم في الشريان الابهر ثم في كلتا فتحتي الشريانين التاجيين ، كلا منهما بدورها ، ثم يحقن في القسطرة صبغة يظهر ظلها تحت الاشعة ، فيرى ما في هذه الشرايين من اضرار ، ويحدد موضع اي انسداد فيها ، ثم يحقن بعض الصبغة في البطين الايسر فيرى في الافلام المأخوذة تحت الاشعة حالة القلب ومدى مابقي له من طاقات ، وهكذا يصل الجراح من تشخيص المرض الى ما لم يكن يصل الى بعضه في الماضي الا بعد تشريح جثة المريض ، الذي انتقل لرحمة الله !!

فاذا اتفق الجراح مع فريق المتخصصين على لياقة المريض للجراحة ، وهي تتلخص في انشاء تحويلة للدم تصل بين الشريان الابهر من جانب وبين الشريان التاجي الضيق او المسدود ، بعد منطقة الضيق او الانسداد، اجرى للمريض تخدير كامل ، ونزعت عظمة القص بمنشار كهربي ، من موضع اتصالها بالاضلاع ، وقام جراح آخر اثناء ذلك باستئصال جذاذة مناسبة الطول من احد الاوردة السطحية في الفخذ او الساق(١) لتستعمل اذا استلزم الامر في انشاء التحويلة المطلوبة ، هذا اذا لم يستخدم الشريان الثديي الداخلي في امداد الشريان الضرير بالدم المطلوب، وقد تستخدم التحويلة الوريدية ، كما يستخدم هذا الشريان الثديي الذي قلما يصاب بالتصلب، لنفس المريض ، اذا كان مصابا باكثر من انسداد (الشكل رقم ٥) ·

بيد أن هذه الجراحة يستحيل القيام بها الا اذا اوقف عمل القلب تماما ، واستخدم جهاز صناعي يقوم بعمل القلب والرئتين ، فيتلقى الدم الوريدي القاتم المتجمع في الأذين الايمن ، وينقيه ، ويشحنه بالاوكسجين والغذاء ، ويضخه

(١) ان الاوردة العميقة في الفخذ او الساق تقوم في هذه الحالة بعمل الوريد المقطوع ·

فى الشريان الابهر ليوزعه على الاعضاء والاحشاء وبذلك يعزل القلب الاصيل عن الدورة الدموية فيستطيع الجراح ان يفعل به ما شاء فى امان .

بيد أن الامور فى سنة ١٩٧٠ لم تكن بهذه البساطة ..

كان لكل من عمليات التشخيص والتحويل مضاعفات تؤدى لكثير من الوفيات .

وكانت التحويلة نفسها تنسد فى كثير من الاحيان ، وبضيع هباء ما تعرض له المريض من مخاطر ، وما تحمله من نفقات .

وكانت نسبة الشفاء المؤقت بعد العلاج الطبى اكبر من مثلها بعد مجازفات الجراح .

بيد ان الصورة تغيرت تماما بين سنتي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ،فقد اصبحت الوفاة منعملية التشخيص لا تتجاوز خمس وفيات بين كل الف مريض .

وهبط معدل الوفيات من الجراحة نفسها الى حد ملحوظ ، وفى تقارير بعض المراجع الجديرة بالثقة انه لم يمت من بين ٣٧٦ مريضا اجريت لهم الجراحة اكثر من ثلاثة ، وكان فى كل من المتوفين ثلاثة انسدادات .. وفى مجموع المرضى الذين كانوا مصابين بمثل هذا العدد من السدود كان معدل الوفيات ٥ر٢ فى المائة اى هؤلاء الثلاثة المتوفون بين مائة وواحد وعشرين .

وفى عشرة من المرضى كانت لديهم اربعة انسدادات لم يمت منهم أحد على الاطلاق .

وتخلص ٩٠ فى المائة من مرضى ذبحة المجهود (اى ضيق الشرايين دون انسداد) من كافة الاعراض ، وبعضهم عاد الى ممارسة لعبة التنس ـ وكانت محرمة عليه ـ من جديد !!

لكن ما أفدح الثمن !

ان تكاليف هذه الجراحة تتراوح فى الولايات المتحدة بين سبعة وعشرة آلاف دولار !!

ومع نظرة التشاؤم التى كانت تحيط بالجراحة سنة ١٩٧٠ ورغم استعدادى التام يومئذ لان اضع نفسى موضع التجربة ، الا انى عددت غنمي كما فعل جحا فوجدتها « واحدة قائمة وواحدة نائمة !»

وثمن الاثنتين لا يغطى نفقة السفر حتى الى اسوان ، بغض النظر عن السفر الى لندن او بوسطن او باريس !!

وقلت لنفسى ان الخير ما اختاره الله .. وذهبت الى الطبيب !

وهاانذا اعيش واعمل ولكن بفلسفة جديدة فى الحياة .. التدخين لحسن الحظ انقطعت عنه منذ زمن طويل .. القهوة اقللت منها الى حد كبير .. التعرض للبرد الشديد بعد النوم فى الغرف الدافئة (الشكل ٦) تفاديته قدر المستطاع .

الطعام انا مقل فيه منذ خمسين عاما او تزيد .

قلبى .. مع تناول الدواء بانتظام ، وفحصه بانتظام لا القى عليه اكثر من عبء اضافى واحد فى اى وقت من الاوقات ..

ان الاكل .. حتى القدر القليل منه عبء اضافى على القلب فلا يجوز ان يقترن بعبء آخر سواه .. المريض الذىياكل يجب انيستريح .

والمشى حمل اضافى على القلب ، ولكنه رياضة اكيدة للقلب اذا لم يقترن بحمل سواه .

وصعود السلم حمل اضافى على القلب ، ولكنه يصبح كذلك رياضة ، اذا وقف القطار فى عدة محطات .

حمل الاثقال عبء اضافى على القلب .. ولا داعى له على الاطلاق .

الانفعال عبء اضافى علىالقلب .. فلا ضرورة للشجار ولا للحوار .

الارق او السهر الطويل حمل اضافى على القلب .. فهل فى الحياة ما يستحقه ؟

الواحد من هذه الاحمال الاضافية قد يجوز ..

والاثنان قد يشعلان الضوء الاحمر ..

والثلاثة.. اختيار لجوار الصديقين والشهداء

انها فلسفة بسيطة ، ولكنها مدت لى فى اسباب الحياة والعمل منذ سنة ١٩٧٠ حتى الآن.

■■

سعيد عبده

أنباء الطب والعلم والاختراع

قلوب القرده
وزرعها في جسم الانسان

● ينوى الدكتور كريستشان بارنارد Dr.Christiaan Barnard ، وهو طبيب جنوب افريقيا الذى اشتهر بعمليات زرع القلوب ، وهو رائد هذه العمليات ، كما هو معروف ، ينوى اجراء عملية زرع جديدة فريدة قبل نهاية السنة الحالية · فالقلب الذى يريد زرعه فى صدر الانسان المريض ليس قلب انسان وانما قلب قرد من فصيلة البابون ، Baboon · وقد اختار صنفا معينا من هذه القردة ، خاليا من الفيروسات · وتقوم بعض المختبرات برعاية هذا الصنف بحيث يستطيع الدكتور بارنارد الحصول على ما يحتاجه من قلوبها لعمليات الزرع حين الحاجة وبلا تأخير · ولقلوب القرود هذه حسنة واحدة على الاقل · فهى جاهزة تحت الطلب ، بخلاف القلوب الانسانية التى كثيرا مايتعذر الحصول عليها فى غضون مهلة الساعات الست التى اذا انقضت دون اجراء عملية الزرع مات المريض ·

على أن عملية الزرع الجديده لن تكون عملية استبدال · اذ سيبقى الجراح على قلب المريض الاصلى ويزرع قلب القرد الى جانبه،فيعمل هذا ريثما يرتاح القلب الاول ويخلص من أثر الصدمة التيجانية ويعود الى سابق حيويته · عندها ينتزع الطبيب فى الغالب قلب القرد ··

الانســان
ليس مضطرا لاكل لحم الحيوان

● قامت جمعية النباتيين فى بريطانيا بحملة واسعة النطاق فى الشهور الاولى من هذه السنة (١٩٧٦) ·· ولا يخفى باعث النباتيين على القيام بهذه الحملة التى سموها « الخطة الخضراء ·· » · انه مجرد حث الناس على أكل النباتات وحضهم على تحاشى أكل اللحوم ·· واتخذوا لهذه الحملة ، التى استهدفت المستهلك والمزارع على السواء ، شعارا لطيفا هو : « النبات طعام للانسان ، لا علف للحيوان ·· » ·

ذلك أن ثلثى محاصيل الحبوب فى بريطانيا تقدم علفا للماشية تمهيدا لذبحها واكل لحمها ·· هذا ما قاله الدكتور لونج ، احد كبار النباتيين المشرفين على الحملة ، وقد أضاف مؤكدا أن ما تجود به حيوانات المسالخ من بروتينات لا يبلغ اكثر من خمس ما

تستهلكه من بروتينات · وهكذا هبطت الزراعة في بريطانيا حتى اصبحت صناعة خاصة بالحيوان ·· لا هدف لها سوى انتاج العلف للبقر والغنم وما اليها ·· وندد الدكتور لونج بهذا الوضع المقلوب الذى ارهق الخزينة من جهة ولم يعد بالفائدة على صحة المواطنين من جهة اخرى ··

ذلك ان الاعتقاد السائد بأن اكل اللحوم ضرورى للانسان ، لا يعدو كونه خرافة ·· كما يؤكد النباتيون · فالبروتينات الممتازة يمكن الحصول عليها من البقول والحبوب والمكسرات وما الى ذلك ·· أما القول بأن مائدة النباتيين مملة وغير مشهية وغالية الثمن فهراء ، وينطوى على خرافة ثانية استهدفت حملة الخطة الخضراء فيما استهدفت، تبديدها··

والغريب ان التفاؤل غلب على القائمين بهذه الحملة ·· فقد اعربوا عن يقينهم ، مرة بعد مرة ، بأن الانجليز سيصبحون كلهم نباتيين بعد عشرين عاما ونيف ·· بحلول سنة ٢٠٠٠ !

تفجير ٢٥٠ قنبلة ذرية

لانقاذ بحر قزوين !

● ينوى الاتحاد السوفياتي تفجير قنابل نووية تبلغ بعددها ٢٥٠ قنبلة وبقوتها ١٠٠ ضعف القنابل التى القيت على هيروشيما ونجازاكى فى اواخر الحرب العالمية الثانية ·

اما الهدف فسلمى هذه المرة وعلى سبيل التغيير ·· انه مشروع انقاذ بحر قزوين مما تعرض له طيلة السنوات الماضية من تناقص كبير فى المياه ، جاء نتيجة لاستغلال مياه نهر الفولجا ، اكبر روافد البحر ، للاغراض الزراعية وغيرها ·· وقد اعدت الخطط لتحويل مياه بعض الانهار عن مجراها الطبيعى الذى كان حتى الآن ينتهى بها الى المحيط المتجمد الشمالى، بحيث تتخذ لها مجرى آخر جديدا وتصب آخر الأمر فى بحر قزوين · وهذه الاعمال تتطلب شق قناة بطول ٨٠ ميلا عبر ارض صخرية صلبه تستوجب اللجوء الى التفجير النووى، والا طالت المدة وتضاعفت التكاليف التى يتطلبها شق تلك القناة (لمزيد من التفاصيل راجع انباء الطب والعلم العدد ١٩٩ يونيه ١٩٧٥)

وقد فجرت بعض القنابل المعدة لهذه الاعمال ، وهى بقوة ٣ ميجا طن أواقل ، على سبيل التجربة والدراسة ·· وبقصد العمل من اجل الحد من التلوث الذى قد يترتب على تفجيرها ·· والسبيل الى ذلك ، كما يقول السوفيات ، ممكن عن طريق التحكم فى حجم وعمق الحفر التى تحدثها التفجيرات ··

ويتوقع السوفيات ان تسبب التفجيرات المرتقبة عددا من الهزات الارضية ·

وجدير بالذكر ان السوفيات سبق لهم ان استعملوا الطاقة النووية للاغراض السلمية ·· لاسيما من اجل زيادة انتاج البترول والغاز وبقصد انشاء مستودعات كبيرة للغاز فى باطن الارض ·

مصباح كهربائى جديد

يعمر ١٠ سنوات

● يبدو أن المضايقات التى تأتينا من المصابيح الكهربائية التى سرعان ما تتلف فتقتضى الاستبدال ·· هذه المضايقات اوشكت ان تنتهى ·

ذلك ان عالما امريكيا مختصا فى الفيزياء والالكترونيات ، واسمه الدكتور دونالد هوليستر Dr.D.Hollister تمكن من تطوير مصباح كهربائى جديد يعمر عشر



سنين ويشبه ضوؤه ضوء الفلورسنت ٠٠ الا انه ، خلافا لمصابيح الفلورسنت ، لا يعتمد على الاقطاب الكهربائية (الالكترود) بل على البرغي ، كالمصابيح العادية ٠ ويمكن تركيبه بسهولة في القواعد المعدة لهذه المصابيح ٠

والغريب أن هذا المصباح الوضاء لا يستهلك الا القليل من الكهرباء ٣٠ ٪ فقط مما يستهلكه مصباح الفلورسنت العادي ٠

أما اجلهفطويل ٠٠ حوالى عشر سنوات او يزيد ٠٠ وقد لا تمضي سنتان او ثلاث حتى يعرض هذا المصباح في الاسواق ٠

ومن طريف ما يذكر ان المخترع انهمك في تطوير المصباح الجديد طيلة السنوات الست الماضية وانه انفق كلاموااله واموال المخلصين من اصدقائه في هذا السبيل ٠ وما كان ليستمر لولا الهبة التى حصل عليها من السلطات المعنية الامريكية ، دائرة بحوث الطاقة وتطويرها (E.R.D.A.) بالتخصيص ، وقد بلغت تلك الهبة ٣٤٤٠٠٠ دولار ٠

■ ■ ■

لعل في هذه الاحصائية ما قد يعودبالفائدة على مرضى السكر :

١٠٠ غرام من البطاطا توازى ٢٠غراما من السكر وتوازى :

خبز ابيض	٣٨	غ
عدس ــ بازلاء ــ لوبياء	٣٥	غ
معكرونة	٢٧	غ
أرز	٢٩	غ
جزر	٢٠٠	غ
حليب	٤١٥	غ
افندى او برتقال	١٧٥	غ
اجاص ــ تفاح ــ مشمش ــ دراق	١٤٠	غ
عنب	١١٠	غ
لوز اخضر	١٥٠	غ

طرائف

المكارم عشر

● قالت عائشة رضي الله عنها : « خلال المكارم عشر، قدتكون في الرجل ولا تكون في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده ، يقسمها الله لمن احب : صدق الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة الرحم ، وحفظ الامانة ، والتذمم للجار ، واعطاء السائل، والمكافاة بالصنائع ، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد ، ورأسهن كلهن الحياء » .

كتاب

● سأل أحد الناس ابا عثمان الجاحظ كتابا الى بعض اصحابه ليوصيه به، فكتب الجاحظ له رقعة وختمها ، فلما خرج الرجل من عنده فتح الرسالة فاذا فيها :

« كتابي هذا اليك مع من لا أعرف ، ولا اوجب حقه فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم اذمك» فرجع الرجل اليه فقال

دلال المخلص

● نذر المهدى دم رجل من أهل الكوفة كان يسعى في فساد سلطانه ، وجعل لمن دل عليه مئة الف درهم . فاقام الرجل حينا متواريا ، ثم ظهر في بغداد، وبينما هو يمشي في بعض نواحيها اذ بصر به رجل وعرفه فأمسك به ، وقال : « هذا بغية أمير المؤمنين » . فلم يحرك الرجل ساكنا . وبينما هو على تلك الحال اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت، فاذا معن بن زائدة فقال : « اجرني أجارك الله يا أبا الوليد » . فوقف معن وقال لغلامه :«يا غلام انزل عن دابتك، واحمل اخانا».

فصاح الرجل : « يا قوم ان ابن زائدة يحول بيني وبين من طلبه امير المؤمنين »، قال معن : « اذهب فأخبره انه عندي ».فانطلق الرجل الى قصر الامارة ، واخبر المهدي بما حصل ، فوجه المهدي بعض رجاله ليحضروا معن بن زائدة . فأتته رسل الخليفة وقد لبس معن فاخر ثيابه ،وقد اوصى اهله خيرا بالرجل . فلما دخل على المهدي قال له : « يا معن ، أتجير علي ؟ » قال : « نعم يا أمير المؤمنين » . قال : « ونعم ايضا » واشتد غضبه ،فقال معن يا أمير المؤمنين « قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر الفا ولي ايام كثيرة تقدم فيها بلائي، فما رأيتموني اهلا أن تهبوا لي رجلا واحدا استجار بي»فاطرق المهدي ساعة ،ثم قال : « قد اجرنا من اجرت » ، قال معن : « فان رأى امير المؤمنين أن يصله فيكون قد احياه واغناه». قال : « قد امرنا له بخمسة آلاف عاجلة »،ثم قال معن للرجل : « خذ صلتك ، والحق باهلك ، واياك والمخالفة » .

عربية

كونوا قدوة لهم

● كان عمر بن الخطاب اذا نهى الناس عن شيء جمع اهله واقرباءه وقال :« اني نهيت الناس عن كذا وكذا ، وان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم، فان وقعتم وقعوا ، وان هبتم هابوا ، واني ـ والله ـ لا اوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه الا ضاعفت له العذاب ، لمكانه مني • فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتاخر » •

توصية

الجاحظ : « كأنك فتحت الرسالة » قال الرجل : « نعم » فقال الجاحظ : « ياابن العم ، لا يضرك ما فيها فانها علامة لي اذا اردت العناية بشخص يعز علي • فقال الرجل : « قبحك الله وسود وجهك »فقال الجاحظ : « ويحك ما هذا الكلام ؟ » فقال الرجل : هذه علامة لي اذا اردت أن اشكر أحدا على معروف » •

عصا ابن عبدل

● كان الحكم بن عبدل الكوفي شاعراجيدا مقدما في طبقته ، كما كان هجاء خبيث اللسان يخشى الناس هجوه ، وقدكان دميم الخلقة اعرج احدب لاتفارقه عصاه ،وقد ترك الوقوف علىأبواب الملوك،وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها معرسوله ، فلا يحبس له رسول، ولا تؤخرله حاجة ،وقد قال في ذلك يحيىبن نوفل الشاعر :

« عصا حكم في الدار أول داخل — ونحن على الابواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية — وهذى ـ لعمر الله ـ ادهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها — ويرغب في المرضاة منها وترهب »

قلادة زينب

● يروى أن أبا العاص بن الربيعكانبين أسرى قريش في موقعة بدر الكبرى ، وكان زوج السيدة زينب بنت رسول اللهصلي الله عليه وسلم ، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب منمكة بمال،وبعثت كذلك بقلادة لها كانت السيدة خديجة امها ادخلتها بها على أبي العاصحين زفت له ، فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قلادة زينب رق قلبه لهارقة شديدة وقال للصحابة : « ان رأيتمان تطلقو لها اسيرها وتردوا عليها الذى لهافافعلوا ؟ » فقال اصحاب الرسول : «نعم يارسول الله » واطلقوا سراح ابى العاصبن الربيع وردوا المال والقلادة الذى بعثته زينب •



التاريخ بين الحقيقة والغموض !

من الذى قتل نابليون ؟

■ فى سير أبطال التاريخ وتراجم رجاله البارزين ، وفى تواريخ الامم والدول والحضارات كثير من الاحداث المجهولة التى لا تزال فى مغاور الظلام ، ويحيط بها الغموض ، وبعض حقائق التاريخ المعروفة ، والتى يكاد يتفق المؤرخون على صحة وقوعها وصدق رواياتها ، قد يكتشف ما يدعو الى التشكيك فى صحتها ويدفع بها فى مجال الريب والظنون ، والامثلة على ذلك كثيرة ، تطالعنا من الحين الى الحين .

واذكر أنه فى سنة ١٩٦٢ ظهر كتاب لطبيب اسنان سويدى يدعى الدكتور ستن فور شفود ، وكان كتابه يحمل هذا العنوان المثير لحب الاستطلاع « من الذى قتل نابليون » ولم يكن غريبا أن يثير هذا الكتاب اهتمام الباحثين ، لان عناية المؤرخين باستقصاء اخبار نابليون واحداث حياته كانت دائما عظيمة ومتصلة ، وقد دلت احصاءات اجريت منذ سنوات عدة على أن الكتب التى تناولتحياة هذا البطلالعبقرى النادر المثال تجاوزت عشرة آلاف كتاب ، ولم يتفوق عليه فى هذا العدد سوى الكتب التى تناولت حياة السيد المسيح ، والمعروف أن العلة التى قضت على حياة نابليون - وهو أسير فى لونجود بجزيرة سنت هيلانة - هى سرطان المعدة ، ولكن مؤلف هذا الكتاب الذى اضيف الى البحوث النابليونية يرى أن نابليون قضىنحبه ضحية التسمم بجرعات قليلة كان يدسها له مونثولون من الزرنيخ ، وكان الدكتور السويدى قبل ظهور كتابه قد نشر بحثا فى مجلة « الطبيعة » (Nature) - شاركه فيه اثنان من العلماء بعد أن هداه بحثه واطلاعه



نابليون ٠٠ ماذا قال التاريخ في موته

بقلم : على أدهم

على ما تيسر له مراجعته مما كتب فى فحص جثة نابليون بعد وفاته ، وهو يذكر أن عينة صغيرة من شعر نابليون اختبرت اختبارا كيميائيا فى ادارة الطب الشرعى بمدينة جلاسجو اثبتت احتواءها على كمية من الزرنيخ عالية النسبة ، وبطبيعة الحال قوبل هذا الكشف برغم ما احدثه من ضجة بشىء من التحفظ والتردد ، وذلك لانه كانت هناك بعض آراء سابقة تشير الى ان السموم كانت لها علاقة بموت نابليون ، ومن بين هذه السموم الزرنيخ . ولكن الراى الغالب كان تعليل موته بسرطان المعدة كما ذكر ، ومع توفر الثقة بمكانة العالم السويدى والعالمين اللذين شاركاه فى بحثه فان الباحثين وجدوا انه من المتعذر أن يقام الدليل على اساس اثر من شعر الرجل العظيم يحتاج الى اثبات حقيقة معرفة مصدره ، ولكن مهما يكن الشك الذى تعرضت له نظرية طبيب الاسنان فان الامر قد استدعى اعادة البحث ومراجعة المصادر الهامة الخاصة بحياة نابليون .

نابليون مات مقتولا !

ويرى المؤلف أن القضاء على حياة نابليون كان قتلا مدبرا ، وانه عرف القاتل ، ويوجه التهمة الى القائد الكونت شارل دى مونتولون ، ورغم أن هذا القائد كان يدس هذه الجرع الصغيرة من الزرنيخ فى اوقات متطاولة لنابليون منذ نقله الى الجزيرة النائية فى أواخر سنة ١٨١٥ ، وانها كانت السبب فى شكوى نابليون من المرض حتى وفاته ، وهو يقدم وصفا للعلل التى كانت تصيب نابليون ، ويقرر أن هذه الجرع كانت الضربة القاضية عليه فى النهاية ، وفى تشخيصه للامراض التى عرضت لنابليون ، يشير الى هذه الجرع الصغيرة التى كان يناولها اياه من الحين الى الحين حتى لا يكشف الامر ، ويعرف السر ، وهو يرد ما كان يعرض للبطل من الارق والعمى وارتفاع الحرارة غير العادى والشعور بالتعب والاجهاد والصداع وآلام المعدة والاسنان والتهاب ملتحمة العين وورم المثانة وغيرها من الامراض التى كان يشكو منها الى هذه الجرع المسمومة ، ولا يجد صعوبة فى ردها الى تاثيرها ، ومما أيد به رأيه عمل مونتولون على اقصاء الساقى سيبريانى من اونجود ، حتى لا يعوقه عائق من المضى فى خطته .

ويرى نقاد هذا الراى ان المؤلف لم يوضح لنا كيف كان مونتولون يستحضر هذه الكميات من

الزرنيخ الكافية لمتابعة عمله خلال خمس سنوات، وهو يعلل سبب اتجاه مونتولون الى اقتراف هذه الجريمة بانه كان في طليعة المستفيدين من الوصية التي اعدها نابليون من ناحية ، ومن ناحية اخرى كانت هناك مؤامرة شريرة من البوربون دبرها الداهية السياسي تاليران الذي كان يمقت نابليون اشد المقت ، وكان القواد الاربعة الذين صحبوا نابليون الى منفاه هم مونتولون وبرتران وجورجو ولاكاس ، وكان المعروف ان مونتولون اشدهم به اتصالا ، واكثرهم به تعلقا ، وكانت ثقة نابليون به اكثر من ثقته بغيره ، ومهما يكن من امر هذا التعليل لموت نابليون فانه يرينا ان العثور على وثيقة تاريخية مجهولة قد يكون له اثر بعيد المدى في تفسيرنا للتاريخ ، وتقديرنا لاحداثه ، وكشفنا عن النيات المجهولة ،والاهداف الخفية •

مصرع دانيان

ومن المسائل التي ثار حولها الكثير من الجدل بين المؤرخين ولا تزال حتى اليوم في مجال النقاش والاخذ والرد مسالة مصرع دوق دانيان ، وعلاقة تاليران بهذا الحادث الذي أساء أشد اساءة الى سمعة نابليون ، ونال من مكانته اشد نيل ، وقد وجه الكثير من اللوم الى تاليران لما قيل عن مشاركته لنابليون في القضاء على الدوق الشاب الوسيم البريء من التهمة التي وجهت اليه في رأي فريق من المؤرخين الذين يرجع اليهم ،ويعتد بآرائهم •

ففي أوائل سنة ١٨٠٤ ، وكان نابليون حينذاك متوليا منصب القنصل الاول ، كشفت مؤامرة خطيرة كانت تهدد الحكومة باشد الاخطار ،وترمي الى القضاء على حياة نابليون ، وقد اشترك في هذه المؤامرة القائد بيشجرى كادودال ، وهومزارع من اقليم بريتاني ، واكثر اعضاء الحزب الملكي نشاطا وابعدهم همة ، ورأى نابليون أن موقفه عرضة لاخطار جمة ، وان عليه أن يقوم بعمل حاسم لتوطيد مركزه ،والقضاء على مطامع اسرة البوربون •

وقد دبر الملكيون المقيمون في انجلترا هذه المؤامرة ، وفي بعض الروايات ان فريقا من الوزراء الانجليز كانوا ضالعين فيها ، وكانت المؤامرة ترمي الى اختطاف القنصل الاول وهو في طريقه الى مالمثيرون ، وحمله على احدى السفن القريبة من الشاطيء ، وحضر الى باريس بيشجرى وكادودال ، وكانا يعتمدان على تذمر رجال الجيش وبخاصة القائد مورو ، وكان الكونت دارتوا شقيق لويس الثامن عشر على بينة من الامر ، ووعد بأن يرسل ابنه للمشاركة في تنفيذ المؤامرة ،ولكن عملاء نابليون كانوا يحسنون خدمته ، وكشفت المؤامرة ، والقى القبض على المتامرين ،واعدم كادودال واعوانه رميا بالرصاص، ووجد بيشجرى قتيلا في السجن ، ويرجح انه انتحر ،وكان كادودال قد تحدث عن أمير حضوره كان منتظرا ، ولكنه لم يات ، وربما خطر ببال نابليون ان هذا الامير هو دوق دانيان الذي طرد من النمسا استجابة لطلب نابليون ، واقدم على الاقامة في اينرشايم القريبة من ستراسبورج وراء نهر الراين ، وقد اختار هذا الموقع ليكون قريبا من احدى قريباته ، وهي شارلوت دي روهان التي كان يحبها ، وليكون كذلك قريبا من ميدان المعركة التي كان ينتظر نشوبها ، وعرف في باريس ان بعض العملاء الانجليز كانوا في جنوب المانيا ،وانهم على اتصال بالمهاجرين ومنهم ديمورييه ، وادى ذلك الى استخلاص انه لابد أن يكون مشتركا في هذه المؤامرة ، وصمم نابليون على اعتقاله ، ففي شهر مارس حمله غزو الفرسان الفرنسيين الى ستراسبورج ومنها نقل الى باريس ،وذكر عند محاكمته انه كان يريد أن يشترك في محاربة فرنسا ، وقد أنكر صلته بالمؤامرة • ولكن قضاته الخاضعين لارادة سيدهم حكموا عليه بالاعدام اخذا بالقانون الذي يقضي بهذا الحكم على الفرنسي الذي يحمل السلاح

لمحاربة فرنســا ، وكانت الدماء الغـزيرة التى اسالتها الحروب النابليونية تعد قليلة الىجانب قطرات دماء هذا الامير المنكوب الذى اعدم فى ليلة ٢٠ مارس ١٨٠٤ ،وقد نفذ الحكم عليه فى خندق قلعة فنسنز ، وكـان البوربـون قد تامروا على حياة نابليون وحريته مرتين ، ولذلك قال متحديا لهم « سارد الى البوربون الرعب الذى عملـوا على توجيهه الى ، هل يحســبوننى كلبا يمكن القضاء عليه فى الطريق ؟ وهل القتـلة الذين يرسلونهم الى كائنات لها من القداسة ما يجعلها فوق أن تمس ؟ » .

رسالة نابليون الى شقيقه

وكان دوق دانيان قد احضـر الى باريس فـى الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ مارس ،واجريت المحاكمة فى الساعة الحاديـة عشرة واعـدم فـى منتصف الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى ، وقد اظهر شجاعة فى مواجهة الموت ، ودفن فـى الخندق الذى اعدم فيه ، وكان ابوه دوق بوربون يعيش فى لندن فى حجرات متواضعة ، ويتولـى خدمته خادم خاصـ واحد ، ولما ابطا الخادم فـى اعداد طعام الفطور فى الوقت المحدد له فى الصباح وكرر استدعاءه دون ان يسرع الخادم الىتلبيـة الدعوة ، قام من مكان جلوسه ، ودخل المطبـخ ، فوجد الخادم محنى الراس حزنا ، وعلـى المائدة جريدة بها تفاصيل الحادث المحزن ، فظل الرجل يعانى تباريح الالم والحزن اكثر من ساعتين فى الحجرة الصغيرة ، وتبع ذلك نوبات من الغضب وصرخات طلب الانتقام، وكتب نابليون فى اعقاب ذلك الى اخيه جوزيف«كان هذا هو السبيل الوحيد الذى املكه لكى اقضى على الامل عند انصار البوربون ولا ادعهم فى شك من امرى ، واذا استدعى الامر ان اعيد مافعلته فانى لاتردد فى ذلك حتى اتخلص من البقية » . واتخذ مجلس الشيوخ مؤامرة كادودال وبيشجرى حجة لارسال تفويض الى القنصل الاول، ذكروا له فيه انه بادىء عصر جديد،وان عليه المحافظة على استدامة هذا العصر ، وان هذه الفكرة لابدان تكون قد خطرت له لان عبقريته الخلاقة تحيط بكل شيء ، ولاتنسـى شيئا . وان الزمـن والاحداث والمؤامرات وتطلعات الطامعين تحدوه علـى عدم التريث ، وان فى استطاعته ان يقيد الزمـن ، ويسيطر على الاحداث ،ويهدىء الاحوال فى فرنسا بمنحهـا النظام الذى يوطـد بناءه وان المجلس يتقدم اليه باسم المواطنين ، وفى ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ اعتلى نابليون عرش الامبراطورية الفرنسية .

ويرى المؤرخ البريطانى دف كوبر ان قتل دوق دانيان أسود صـفحة فى حياة نابليـون ، وانـه جريمة سياسية من الطراز الاول يصعب الدفاع عنها ، ولم يكن دوق دانيان اقل الامراء البوربون استحقاقا للوم فحسب ، بل كان اكثرهم جدارة بالاعجاب والتقدير ، وبرغم حرصه على حقوق الاسرة فانه رفض التعامل مع المتامريـن الذيـن حاولوا تحقيق اهدافهم بطريق المؤامرات والاغتيال، وكان اقرب الى ان يكون بطلا من ابطال الروايات الرومانسية منه الى ان يكون اميرا مـن امراء القرن التاسع عشر ، ولم يكن له مشاركـة فـى المؤامرة وهو مقيم فى ابنهايم فى ولاية بادن ،وهو حفيد امير كونده ، وهو بذلك وارث للقب مـن امجد الالقاب واسماها مكانة فى تاريخ فرنسا .

مقاومة المؤامرات

وقد ذكر شاتوبريان فى مذكراتـه انـه راى خطابا بقلم تاليران موجها الى نابليون فى تاريخ ٨ مارس يقترح فيه المبادرة الى القاء القبض على الدوق ، ويقدم مينيفال السكرتير الخاص لنابليون مايؤيد ذلك ، وكانت تمر بيده الرسائل التـى تقدم لنابليون ، وقد اكد تاليران لنابليون فى هذه الرسالة ان سلامة الدولة تستدعى ما اشار به باتخاذ اجراء صارم لمقاومة المؤامرات ، وقدم تاليران فى رسالته اقتراحا باسم الضابط الذى يعهد اليه بمهمة القبض على الدوق .

وفى سنة ١٨١٤ بعـد سقوط نابليون وقبل وصول لويس الثامن عشر اتيحت لتاليران الفرصة

التي افاد منها لابادة جميع الوثائق في المحفوظات بوازرة الخارجية التي تدينه ، ويؤكد شاتوبريان ومينيفال ان الخطاب المشار اليه افلت من الابادة بطريق السهو ، ويقول دف كوبر ان كليهما كان الشاهد على وجود هذا الخطاب ، وكلاهما كان من اشد اعداء تاليران .

وفي ذلك الوقت قبل نابليون تحمل التبعة جميعها عن مصرع الدوق الشاب ، ولم يكن في وسعه ان يفعل غير ذلك ، لان الحاكم المطلق لا يستطيع ان يوجه اللوم الى غيره عما يرتكب باسمه ، ولا ان يسلم بانه اخطأ ، ولكن بعد مرور اعوام على هذه الجريمة الشنعاء كان يقول في احاديثه الخاصة ان تاليران هو صاحب الفكرة الاصيل ، وقد روى ذلك عن زوجته جوزفين ، كما سمع من غيرها ، وفي اثناء نفيه في سنت هيلانه كرر ذلك ، وفي احد مواقفه الغاضبة وجه اللوم الى تاليران جهارا وعلنا ، وبطبيعة الحال كان نابليون يستطيع اعادة هذا الاتهام دون ان يكون له نصيب من الصدق ، ولكن في كل مناسبة من هذه المناسبات كان يكرر نابليون انه لم تكن له معرفة بدوق دانيان ولا بمكان اقامته حتى زوده تاليران بهذه المعلومات .

انه في الصباح بعد تنفيذ الحكم كان تاليران يعمل في الوزارة مع الكونت دي هوتريف رئيس القسم الجنوبي من الادارة ، ومن الاتباع المخلصين لرئيسه ، وكان مثل سائر سكان باريس قد راعه ذلك الحادث وازعجه ، ولم يبذل مجهودا في اخفاء تاثره ، مما اضطر تاليران الى ان يقول له معلقا على هذه الحالة « ماذا بك ؟ وما اصابك حتى جحظت عيناك من راسك ؟» فاجابه هوتريف قائلا « ماذا اصابني ؟ انك ستشعر بما شعرت به اذا اطلعت على جريدة « المونيتير » فما افظع هذا الحادث » .

فرد عليه تاليران في هدوء شديد قائلا « عد الى صوابك ، هل اصابك مس من الجنون ؟ ان الامر لا يحتاج الى مثل هذه الجلبة ! لقد القى القبض على متامر قريب من الحدود ، وقد احضر الى باريس ، واطلق عليه الرصاص ، فاى شيء غير عادي في ذلك ؟ » .

وتحمل هذه النادرة طابع الصدق ، فان ما اصاب الموظف من الانزعاج كان سبب غضب الوزير ، لانه تاكد ان الحكومة قد ارتكبت خطأ فادحا كان في نظره اسوأ من الجريمة ، لانه بدلا من ان يقضي على الخوف اثار الذعر ، وان الشعور الذي عبر عنه الكونت دي هوتريف كان شعور فرنسا برمتها .

لويس الثامن عشر

وبعد مرور سنوات طويلة على هذا الحادث وبعد مضي تسع سنوات على تربع لويس الثامن عشر على عرش فرنسا هاجمت الصحافة الفرنسية سافاري الذي كان نابليون قد منحه دوقية روفيجو ، وكان ممن حضروا محاكمة الدوق ، فدافع عن نفسه قائلا انه كان يعمل بوصفه جنديا يقوم بتنفيذ الاوامر وان الجريمة تقع على عاتق تاليران .

وكان تاليران حينذاك في الضاحية فعاد لتوه الى باريس غاضبا ، وانكر التهمة ، وارسل خطابا مطولا الى الملك يطلب فيه أن يتولى مجلس الامراء التحقيق في الموضوع ، ورفض هذا الطلب ، وظهر من سلوك الملك انه قبل رواية تاليران عن براءته ومنع دوق روفيجو من دخول البلاط .

ويقول تاليران في مذكراته ان دوره في هذه القضية كان مقصورا على حضوره المجلس الذي اتخذ فيه قرار القبض على الدوق ، ودافع عن نفسه بعد ذلك قائلا « ان مثل هذه الجريمة لا تتفق مع اخلاقه ، لانه لم يكن بطبيعته ميالا الى العنف والشدة ، ولم يكن له مصلحة في قتل الدوق » في حين انه من السهل ان نقدر ان ميله في تلك الفترة لتقوية مكانته عند نابليون ربما كان يدفعه الى المشاركة في ارتكاب هذا الاثم ، ولكن يلزم كذلك ان نذكر ان هذا السياسي الداهية كان دائما يراعي ان يكون طريق العودة غير ممتنع عليه ، وان وقوع التبعة عليه في قتل الدوق

تجعل عودة العلاقة بينه وبين الاسرة البوربونية مستحيلة ، وربما كان عدم كفاية الدافع يدعو الى الميل الى تبرئته ، ولكن من الصعب تبين خطوط نسيج السياسة فى اعماق عقل مثل هذا السياسى البارع ، والدبلوماسى الموهوب ، ومن الثابت انه لم يعارض فى الاقدام على ارتكاب هذه الجريمة، وقام بتنفيذ التعليمات والاوامر الخاصة بها ، ودافع عن ارتكابها ، وحينما طلب منه القيصر الاسكندر الروسى بيانا عنها اجابه تاليران فى ادب جم «ان الحكومة الروسية لم تعاقب احدا فى مقتل القيصر السابق بول ، وان الحكومة الفرنسية لم تحاول التدخل فى الموضوع » .

نابليون فى المرحلة الاخيرة

ويروى عن الروائى المعروف بلزاك ، وكان فى ذلك الوقت طفلا ، انه فى ليلة وقوع تلك المأساة كان تاليران فى منزل الدوقة دى لينز ، وفىساعات الصباح المبكرة نظر فى ساعته،وسأل «هلللدوق دى بوربون ابن آخر غير دوق دنجان ؟ » فاجابه العاضرون انه الابن الوحيد ، فاجاب تاليران قائلا « لقد انقرض بيت كوندة » .

وقد روىالمؤرخ البريطانى لورد لوزبرى فى كتابه « نابليون فى المرحلة الاخيرة »نقلا عنلاكاس ان الدوق دانجان كتب الى نابليون رسالة قبل اعدامه ، وان هذه الرسالة اخفاها تاليران خشية ان يتاثر بها نابليون فيمنع اعدام الدوق ، وان نابليون قد اشار الى هذا الخطاب فى حديثه مع لاكاس قائلا له ان دوق دانيان حينما وصل الى ستراسبورج كتب اليه ان حقه فى العرش بعيد جدا ، ووعد بانه اذا منح العفو فسيكشف لنابليون كل مايعرفه عن المؤامرة واعداء فرنسا ، وان يخدم القنصل الاول باخلاص ، وهذا الخطاب لم يقدمه تاليران لنابليون إلا بعد فوات الاوان ، واننابليون صرح بانه ربما لو كان وصله هذا الخطاب فى الوقت المناسب لكان اثر العفو عن الدوق ،وشاعت اخبار هذا الخطاب فى لونجود ، وسأل اومبرا نابليون فى يناير ١٨١٧ « هل حقيقة ان تاليران احتفظ بخطاب الدوق الى ما بعد اعدام الدوق بيومين فاجابه نابليون قائلا(١) هذا حق ، فقدكتب الدوق خطابا يقدم فيه خدماته ، ويطلب منى ان اوليه قيادة جيش ،ولكن الفاجر تاليران لميطلعنى عليه الا بعد اعدام الدوق بيومين ، فقال لهاومبرا ان تاليران باخفائه هذا الخطاب يعدالمجرم الحقيقى فى موت الدوق » فرد عليه نابليون قائلا « تاليران وغد لا يتورع عن ارتكاب اية جريمة » وقد اعاد اومبرا هذا السؤال مرتين اخريين على نابليون للتثبت من الامر ، وتلقى الاجابة نفسها .

ويقول (٢) اللورد روزبرى « ان نابليون وهو على فراش الموت اثاره هجوم جريدة انجليزية على سافارى وكولينكور ، فطلب وصيته وكتب فيها«لقد امرت بالقاء القبض على دوق دانيان واعتقاله ومحاكمته لانه كان من اللازم لسلامة شعب فرنسا ومصلحتها وشرفهاحينما احتفظ كونتدارتوابستين قاتلا فى باريس ، وساقوم بمثل هذا العمل فى الظروف نفسها . ويتضمن هذا لونا من الوان رفع الاتهام عن تاليران .

والواقع ان فى الاحداث التاريخية الكثير من الخفايا والغوامض التى لم يرفع عنها النقاب حتى يمكننا من معرفة حقيقتها ،وقد جمع الكاتبالبحالة البريطانى اندرولانج فى كتابه القيم « غوامض التاريخ » امثلة من هذه الاحداث الخفية التى لم تكشف بعد حقيقتها كشفا يدعو الى الاطمئنان اليه ،والاعتماد عليه، وفى تاريخ الامموالحضارات والشخصيات البارزة كثير من امثال هذه الاحداث المجهولة والاسرار الخفية .

علي ادهم

(١) صفحة ٤٢ من كتاب لور روزبرى « نابليونفي المرحلة الاخيرة » Napoleon The LastPhase

(٢) صفحة ٤٧ من كتاب لور روزبرى «نابليونفي المرحلة الاخيرة » by Lord Roseberry.

● مسابقة العربي ●

أسـئلة سـريعـة ..

الصيف هو موسم الراحة والاستجمام٠٠ ومسابقة هذا العدد هي مجموعة اسئلة خفيفة تتناسب مع حرارة الجو ٠٠والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لعشرة اسئلة على الاقل منها،لتفوز بواحدة من الجوائز المالية التى مجموعها ١٠٠ دينار ٠٠



تشرشل

١ ـ ما هو الاسم السابق لمدينة استنبول :
انطاكية ـ ازمير ـ القسطنطينية •

٢ ـ لفظ « الفاو » له مدلولان ، فالفاو هو التعبير المختصر لمنظمة الاغذية والزراعة العالمية٠٠ والفاو اسم لميناء بترولي ٠٠ ففي اى الدول التالية يقع هذا الميناء :
العراق ـ اليمن ـ تونس •



ماري كوري

٣ ـ من الذى الف موسيقى الدانوب الازرق :
بيتهوفن ـ شوبان ـ شتراوس •

٤ ـ ما هو الاسم الذى يطلق على بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج مجتمعة :
اسكنديناقيا ـ بينيلوكس ـ ايبريا •

٥ ـ هانيبال او حنابعل او هنيبعل ٠٠ ثلاثة اسماء تطلق على قائد عالمي عظيم،عاش قديما في:
المغرب ـ تونس ـ لبنان •

٦ ـ عيد الام ، او عيد الاسرة ، فى اى الشهور يقع :
فبراير ـ مارس ـ ابريل •

٧ ـ من اسس مدينة القيروان في تونس :
طارق بن زياد ـ موسى بن نصير ـ عقبة بن نافع •

بيير كوري



٨ ـ الفسطاط ٠٠ اول مدينة بناها المسلمون فى مصر على الضفة الشرقية للنيل ، عام ٦٤٣م فمن هو بانيها :
عمرو بن العاص ـ عمر بن عبدالعزيز ـ عمر بن سعد بن ابى وقاص •



موسوليني

هتلر



لتنشيط ذاكرتك .. فى الصيف


شتراوس


شوبان


بتهوفن

٩ ـ اى صناعة من الصناعات التالية تشتهربها مدينة المحلة الكبرى بمصر :

الحديد والصلب ـ الغزل والنسيج ـ الخشب والورق ٠

١٠ ـ كفاحي او Mein Kampf كتاب سياسي مؤلفه :

تشرشل ـ هتلر ـ موسوليني ٠٠

١١ ـ سوناطراك ٠٠ اسم لشركة بترولوطنية عربية كبيرة تملكها :

ليبيا ـ الجزائر ـ السعودية ٠

١٢ ـ تايلاند ٠٠ اصبح اليوماسم دولة قديمة كانت معروفة باسم :

ليسوتو ـ سيكام ـ سيام ٠

١٣ ـ ما هو طول قناة السويس :

١٠٠ ميل ـ ٧٠ ميلا ـ ١٥٠ ميلا ٠

١٤ ـ من الذى اكتشف الراديوم ؟

بيير كورى ـ مدام كورى ـ باستور ٠

١٥ ـ من هو الفنان الذى رسم لوحة الموناليزا او الجيوكاندة ؟

١٦ ـ بماذا تشتهر مدينة بيزا الايطالية ؟

١٧ ـ في اى درجة حرارة مئوية يتجمد الماء ؟

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشورفي ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكاملبخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليهالعنوان الآتى ٠

مجلة العربي ـ صندوق البريد ١٧٤٨الكويت « مسابقة العدد ٢١٣ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فيالكويتهو اليوم الاول من شهر نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٧٦ ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى علىالوجه الآتى: **الجائزة الاولى** ٣٠ دينارا ٠ **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير ٠**٨٠ جوائز مالية** : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنحالجوائز بطريق الاقتراع ٠

كوبون مسابقة العدد ٢١٣

فتاة السند

■ كنت منذ زمن بعيد أتوق الى زيارة الهند ، والحياة فى عالمها العجيب الغريب الذى طالما سمعت عنه وقرأت ٠٠ وقد اتاحت لى الظروف اخيرا ان اقضى فيها عامين ، استطعت خلالهما أن ازور اقاليمها ، لاسيما تلك الزاخرة بمعابد الهندوس وبالآثار القديمة ، وان التهم كتبها الفلسفية ، واغرق فى التهامها ، حتى اننى كثيرا ما كنت اضرب حول نفسى أسوارا ، فلا اتصل بإنسان طالما كانت تشغلنى القراءة ٠

حقائق كثيرة شهدتها واثارت عجبى واهتمامى ، واكدت لى أن للهنود مقدرة فائقة فى ضروب السحر ٠ وكانت لذة لاتعدلها لذة ان اتصل بهؤلاء القوم كلما اقبل الليل ، وهدات الحركة التى يضطرب بها النهار دائما ٠٠ فاذا ما خلوت الى





SHE CAME FROM SIND

تأليف : سيراد موند هيلارى

نفسي رحت استرجع ما وعته ذاكرتي ، فحينا كنت اسجل ما شاهدت ، وحينا كنت استغرق في تامل عميق ، ودخان الغليون يتصاعد حلقات متتابعة ، لم ينتهي تماما اذ يبتلعه الفضاء ، ويحتجزه في اعماقه ، ليستقبل من بعده دخانا غيره ٠

ولا انسى ما حييت « بينا » فتاة السند التي كانت تشاركني تاملاتي بحكم الجوار ، وكثيرا ما كانت تشفق عليّ من وحدة قاسية ٠ فكانت تهيىء لي من اسباب المتعة البريئة الخالصة ماكان يحملني الى بعيد ، حيث انسى واقعي ، واتجرد من قيود الحدث والزمن والمكان ، واعيش في سلسلة متصلة من الرؤى والاحلام ٠٠ وقد كان ل « بينا » من السحر ما اسرني تماما ، وملك عليّ الأحايين التي كنت اقضيها في بيتي ، حتى تلك الساعات التي كنت اوزعها خارج البيت بين عملي ومكاتب الجريدة التي كنت امدها بمقالاتي، وكنت قد حرصت فيها على تسجيل مشاهداتي في الهند وغيرها من بلاد زرتها ٠

كانت المصادفة وحدها هي التي ربطتني ب «بينا»، فقد كنت في حديقة بيتي ذات غروب ارتشف الشاي كعادتي ، واذا بكرة رقيقة تسقط عفوا امامي ٠ تلفت الى مصدرها واذا باشراقة حلوة تستقبلني بها فتاة في الثامنة عشرة ، وصوت عميق ناعم يبلغ اذني كانه الهمس يحمل اعتذارا مهذبا ٠٠ وتاملت الوجه المطل عليّ واطلت التامل ، ولم تود عيناى ان ترتدا عن صاحبته ٠٠ وتناولت الكرة ، ومددت بها يدي ، واذا بها تمد يمناها لتصافحني ، ولم املك سوى ان ادعوها لتناول الشاي معي ٠٠

وكانت جلسة امتد الحديث بنا خلالها الى اعماق الليل ، واذ ودعتني كنا قد تعارفنا تماما ٠٠ ومنذئذ كانت لا تحلو لي جلسة في حديقة بيتي الا و « بينا » معي ٠٠ حتى كانت لحظة لا انساها ، اذ لم تعد « بينا » تتردد عليّ كعادتها ٠٠ وطال غيابها ، وسيطر عليّ احساس غريب ٠٠ ترى ! هل ماتت ؟ او ماذا ؟ وبيتها قد خلا من كل من فيه ٠٠ وخادمها المدراسي لم اعد اراه ٠٠ حتى جدها العجوز « شناكيا » قد اختفى تماما ٠٠ وضاعف من حيرتي انها كانت في ايامها الاخيرة قبل اختفائها ، كثيرا ما استولى عليها صمت طويل وعيناها معلقتان بالسماء ٠٠ وكنت اذ ارقبها ارى شفتيها ترتعشان بكلمات خافتة ، ولم تستطع الايام بمشاغلها واعبائها ان تفرجني من حيرتي ، او ان ترد اليّ طمانينة حرمتها ٠٠ وذات صبح ، اذا بي اجد على مكتبي رسالة بخط رقيق مرسلة من (موهينجودارو) المدينة الاثرية العريقة في الهند ٠٠ كانت الرسالة بتوقيع « بولا » وكانت كلماتها القصيرة تحمل معنى الامر ، ان اتجه الى (موهينجودارو) لامر يهمني ٠

تعجبت وقرات الرسالة اكثر من مرة ، وفي خاطري احساس غامض ان شيئا ما سوف يحدث اذا ما استجبت لدعاء « بولا » ، ولكن ٠٠ من تكون (بولا) هذه ؟ وودت ان اربط بين الرسالة واختفاء « بينا » ، لولا ان سيارة فارهة استقرت امام بيت « بينا » فجاة وخرج منها شيخ يتوكا على خادم ، فاتجه الاثنان الى البيت ودخلاه ، ثم عادا ثانية الى السيارة التي حملتهما الى مكان بعيد ٠٠

ومرت ايام لم استطع حصرها ، كنت خلالها نهبا لقلق عنيف، وحاولت التعزى بما قد يعالج وضعي، بممارسة رياضة المشي المحببة اليّ ، في طواف بانحاء دلهي الجديدة والقديمة ، حتى يجهدني التعب فانام ٠٠ او بارتياد « نادي الجيما خانا » لاشارك الصحاب الحديث لحين متاخر من الليل ٠٠ اما الحديقة وامسياتي بها وتاملاتي فقد ودعتها تماما ، ولكنني كنت دائم التفكير في تلك الرسالة الغامضة وقصة العجوز وخادمه ٠٠

وذات فجر ، ولم اكد استسلم للنوم حتى كان من يطرق بابي ويناولني رسالة عاجلة ، كانت تكرارا لما حملته الرسالة الاولى ٠٠ واحسست على الفور بما يحفزني للاستجابة ٠٠

كانت الرحلة شاقة مجهدة ، ولكنها لم تخل مما يخفف ثقلها ، ويشيع في نفسي الوانا من البهجة واللذة • فقد رايت في طريقي قوما يلتفون حول انسان استلقى على الارض ، مسندا راسه الى جدار ، وقد غطى وجهه • واتخذت لنفسي مكانا بين الملتفين لاشهد ما يدور •• وكان الى جواره فتى في ازار كالذى ياتزر به الزهاد الهنود ، ينقل رغبات الواقفين الى المستلقي ويتلقى منه الاجابات عليها •• وقد علمت فيما بعد ان هذا المستلقي « يوجي » زاهد ، وان له قدرة على قراءة الماضي والتنبؤ بالمستقبل • ولقد دفعني ما رايت ان اشارك السائلين فيما ذهبوا اليه ، ولبالغ دهشتي تلقيت اجابات اذهلتني تماما ، تكشف بالفعل عن اشياء حدثت لي •

اثار هذا الذى رايته وسمعته اهتمامي ورغبتي في ان اعرف الكثير عن اعاجيب الهند • وشاء الحظ ان تواتيني احدى فرصه ، اذ في الفندق نفسه الذى نزلت به كان يقطن الى جوارى شاب هندى مهذب ، كثيرا ما كنا نلتقي في قاعات الفندق الرحبة ، نتناول الشاى ، او نستمع الى الموسيقى الهندية العذبة ، ونستعرض نماذج الحياة من وراء نوافذ صالة الشاى •

كان اسم ذلك الشاب (جوبتا) وكان يعمل ضابط اتصال فيإحدى سفارات الهند في افريقية• وكان يتهيا مثلي لزيارة (موهينجودارو) •

وذات غروب ، كنت قد انتحيت ركنا في صالة الشاى كعادتي ، اتامل الحياة من وراء النافذة ، واذا بصاحبي يقبل علي ، وقد ضم كفيه معا ، ورفعهما الى محاذاة ذقنه - تحية لي - كعادة الهندوس ، ثم اتخذ مكانه الى جوارى وقال : « لقد اعددت لك مفاجاة ممتعة ،لن اكشف لكعنها الا ونحن في الطريق » •

قلت : (وقد اخذتني الدهشة) : اى طريق ؟

قال : « الم اقل انها مفاجاة » ؟

قلت : وحقائبي •

قال : ندعها حيث هي ، اذ لن نستغرق طويلا في رحلتنا هذه •

قلت : اقي رحلة هي !

قال : افرغ ما تبقى من الشاى في جوفك حتى اعد التونجا •

قلت : تعد التونجا ! وما هي التونجا !!

قال : سوف تعرف ••

وانصرف جوبتا حتى اتم تناول الشاى • ولم تمض غير لحظات حتى كنت عند باب الفندق ، حيث كان ينتظرني • وامامنا كانت تستقر التونجا ، التي لم تكن غير احد نماذج عربات نشاهد مثلها في الشرق ، تجرها الجياد •

مضت بنا التونجا لنشاهد مناظر الحياة حلوة رائعة ، فالناس يتزاحمون على ضفتي نهر (جمنا) وقد ضربوا خيامهم على امتدادهما ورأينا المرأة الهندية وكأنها تشارك في مهرجان عجيب بملابسها الزاهية المتعددة النماذج والالوان •• ولقد كان مهرجانا بالفعل ذلك الذى جمع الهنود في هذا المكان بالذات•وكانت المناسبةاحد اعيادهم المقدسة•

واخذنا ننتقل من ناحية الى اخرى حتى بلغنا ركنا نصبت به خيام على هيئة المعابد ، عليها رموز لم افهمها ، وامام تلك الخيام كانت تجلس مجموعات من لابسي الاردية الصفر ، كل واحد منهم قد رفت هياته وضمر عوده • وكانوا جميعا يرددون تراتيم بصوت جميل اخاذ •• واشار اليهم صاحبي وقال : « اتعرف من هؤلاء » ؟

قلت : من يكونون ؟

قال : انهم بوذيون كرسوا حياتهم للنسك والتامل ، اتوا ليشاركوا الهندوس في احتفالهم بهذا العيد •

وغادرنا خيام البوذيين واتجهنا صوب النهر لنستريح ، ولنعالج جوعا وظمأ استبدا بنا •• وبينما نحن في وضعنا ذاك اذ بلغتنا اصوات من بعيد ، اخذت تقترب شيئا فشيئا حتى اذا ما جاورتنا رايت - لعجبي - تمثالا لمسخ كئيب يحمله عدد من الهندوس ، حتى بلغوا النهر ، وهناك القوا به في مياهه وحمله التيار بعيدا •• ولم تكد تمضي لحظات حتى اختفى تماما في جوف الماء• وقبل ان تتملكني الدهشة كان صاحبي يحدثني بان هذا شيء القوه في اعيادهم ، يستبشرون به كلما غيب الماء في صميمه المسخ المطروح •

لم اعلق على ما سمعت اهمية ما ، وان كنت قد احتفظت به في خاطري لاسجله فيما بعد ·· وسرنا على ضفة النهر نستروح الانسام، ونستجلي مفاتن الطبيعة ، ونستمد مما حولنا مادة لحديث ممتع ·· واذا بصاحبي يتوقف فجاة ويشير بيده الى مكان بعيد ، لم اقو في البداية على رؤيته ، بل لم اتبين شيئا على امتداد البصر سوى الافق يلامس الارض ، والشمس تودع النهار في رحلة غامضة ·· وظل صاحبي على وضعه ذاك ويده معلقة في الهواء وعيناه ملتصقتان بشيء لا اراه ·· واذا به يمسك بيدي ويجذبني اليه ، ويسير بي حتى بلغنا صخرة ترتفع قليلا بمقدار قامتين · وارتكز صاحبي باحدى قدميه على حافة منها واخرج من جيبه مزمارا اخذ يعزف عليه لحنا حزينا لم يخل من عذوبة ، واهاج اللحن مشاعري واثار خواطري وايقظ في نفسي التائهة ذكرى جارتي « بينا » · وفجاة احسست بما يتسلل بين قدمي ويرفع رأسه بعد ما ارتكز على ذيله بكل قوته ، وراح يدير هذا الراس يمنة ويسرة ويهتز مع النغم اهتزازات رائعة ، وصاحبي ماض في عزفه وانا

مستغرق في تامل هذا الشيء العجيب الذي لم اشهد مثله في حياتي كلها، وتعددت الانغام وتعددت معها حركات ذلك الشيء حتى اذا ما توقف صاحبي عن العزف ، اذ به يتسلل في صمت وخشوع حتى بلغ جحرا حشر نفسه فيه حشرا واختفى تماما ·

سيطر الصمت علينا لفترة لم تطل ، ثم ادرت وجهي نحو صاحبي كاني اساله عن سر هذا الشيء ، واذا به يجذبني اليه ويسير بي بعيدا عن الصخرة ـ وفي عبارة قصيرة قال : « الا تعرف ما هذا » !

قلت ـ « وكيف اعرف وانا اراه لاول مرة » ·

قال : « اذن ·· فهي حية قاتلة اسمها الكوبرا يكفي ان تداعبك مرة واحدة لترقص بعدها رقصة الموت ·· ولكنها وديعة ما دمت تعاملها برفق » ·

قلت ـ واي رفق هذا الذي يرضيها ·

قال ـ انها تعشق النغم ·

ودعوته في أدب يخالطه خوف أن يبتعد بي عن ذلك المكان ·

وسرنا الى حيث كانت التونجا تنتظرنا لنعبر الجسر الى الضفة الاخرى من نهر (جمنا) ، وعدنا الى الفندق واحتواني الليل بعيدا عن صاحبي ، ثم قضيت فترة موزعة بين القلق والخوف ، فقد كنت أخشى ان تتسلل واحدة من وديعات صاحبي التي فتداعبني مرة ، فترقص فوقي بعدها رقصة الموت

واذ اقبل الصباح بطيئا متكاسلا كنا قد أعددنا انفسنا للسفر الى (موهينجودارو) بالقطار ·

ولم تخل الرحلة مما امتعنا ، اذ كان المسافرون من ذوي المزاج الرقيق · ارتفعت اصواتهم بالغناء في مرح بالغ حتى بلغنا (موهينجودارو) مع اطلالة البدر ، ·· وحملنا حقائبنا الى الفندق الوحيد حيث أمضينا ما تبقى من الليل · وفي الصباح سبقت صاحبي الى صالة الطعام ، وفي خاطري تساؤل عما يخبئه لي القدر هناك · فهذه هي (موهينجودارو) وها انا ذا قد استجبت لدعاء « يولا » ، ولكن اين « يولا » هذه ·· من يدري لعلي ملتق بها في الفندق !

وتقدم النهار ، ورحت اتجول في انحاء المنطقة ، اشاهد آثارها ، وازور معابدها الشاهقة ·· ثم عدت الى الفندق بعد جولة ممتعة ، لاجد رسالة · كانت الرسالة في هذه المرة من « بينا » التي ـ كما تحكي الرسالة ـ كانت قد اقامت مع أسرتها في نفس الفندق أياما عادت بعدها الى دلهي الجديدة ، ولم يفتها ان تتمنى لي اقامة طيبة أعود بعدها لالتقي بها · وقد غذتني الرحلة بما يشكل مادة تصلح لحديث أنشره بين الناس عن نماذج من غرائب الهند وعجائبها ··

ادركت على الفور انها هي التي بعثت برسالتيها الاوليين ·ولكن لم توقعهما باسمها ··ترى اشاعت من وراء ذلك ان تغلف رغبتها تلك بشيء من الغموض المحبب الى كاتب مثلي ·· ولقد تحققت من ذلك حين عدت الى دلهي الجديدة والتقيت ثانية ب « بينا » وامتد اللقاء بنا الى هذا الحين الذي أسجل فيه هذه القصة وقصصا غيرها اتاحت لي مجالات تصور أحداثها واعدادها ·· ولا غرابة في ذلك ·· ففتاة السند هذه هي زوجتي · ■■

ترجمة ـ احمد البشبيشي

أنت تسأل .. ونحن نجيب

٨ مؤسسات وصناديق إنمائية عربية ..

■ تعددت الصناديق المالية العربية وتنوعت .. واصبحنا نسمع باستمرار عن مولد صندوق عربي انمائي جديد .. فهل يمكنكم ان تحصروا لنا عدد هذه الصناديق ، واهدافها ، وامكاناتها ؟

احمد الدوسري المنامة/البحرين

ما من شك أن عدد الصناديق العربية الانمائية قد ازداد وتكاثر ، وفي الوقت نفسه تنوعت أهداف كل صندوق ، واختلفت مسمياته .. والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية يعتبر بحق الصندوق الرائد بين هذه الصناديق جميعا ، فقد انشيء في نهاية عام ١٩٦١ « برغبة اكيدة في ان تسهم الاموال الكويتية مباشرة في النهوض بالطاقات الانتاجية المتاحة بالمنطقة العربية ، عن طريق تقديم القروض للدول او الكفالات او اى طريق اخر يراه مجلس ادارة الصندوق مناسبا » .. وقد بلغ عدد القروض التى قدمها حتى اليوم ٧٦ قرضا ، بلغت قيمتها ٣٠٥ مليون دينار كويتي ، هذا الى جانب ٢٦ منحة ، قيمتها اربعة ملايين دينار كويتي .

وعندما بدأ الصندوق اعماله ، قبل ١٥ سنة ، كان رأس ماله ٥٠ مليون دينار ثم ضوعف رأس المال مرتين ، مرة عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٦ وارتفع رأس المال بعد ذلك من ٢٠٠ مليون دينار الي الف مليون دينار كويتي ، وذلك عندما امتد نشاط الصندوق فى شهر يوليو سنة ١٩٧٤ ليشمل تقديم القروض الي الدول النامية ،وكان قبل ذلك مقصورا على الدول العربية .

ثانيا : الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي :

تم انشاء هذا الصندوق عام ١٩٦٨ ولكنه لم يباشر اعماله الا عام ١٩٧٣ وهو صندوق عربي مشترك ، وقعت اتفاقيته الاولي ١٦ دولة عربية ، برأس مال قدره ١٠٠ مليون دينار كويتي ، « بهدف تمويل مشروعات الانماء الاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية » .. وفي نهاية عام ١٩٧٥ كانت كل دول جامعة الدول العربية ، بمافيها فلسطين ، قد انضمت الي هذا الصندوق ،وازداد رأس ماله حتى بلغ ٤٠٠ مليون دينار كويتي .. وبلغ عدد القروض التى قدمها ٢١ قرضا قيمتها ١١١ مليون دينار كويتي .. ومقر صندوق الانماء هو مدينة الكويت ..

ثالثا : صندوق ابوظبي للتنمية الاقتصادية العربية :

كان انشاؤه في ١٥ يوليو ١٩٧١ وحذا حذو الصندوق الكويتي فاستهدف « المساهمة فى تطوير اقتصاد الدول العربية ومشاريع تنميتها » ، وكان رأس ماله في البداية ٥٠ مليون دينار بحريني (١٢٠ مليون دولار) ،زيدت الى الفي مليون درهم (حوالى ٥٠٠ مليون دولار) عندما وسع نشاطه سنة ١٩٧٤ ليشمل الدول النامية غير العربية ،وبلغ عدد القروض التي قدمها للدول العربية ١٢ قرضا ، قيمتها ٣٩١ مليون درهم (٩٩ مليون دولار تقريبا) وذلك حتى نهاية عام ١٩٧٥ . ومقر هذا الصندوق مدينة ابو ظبى ..

رابعا : الصندوق السعودى للتنمية :

تاسس في أواخر عام ١٩٧٤ «ليتولي المساهمة في تمويل المشاريع الانمائية فى الدول النامية عن طريق منح القروض لهذه الدول » وحدد رأس مال الصندوق بمبلغ عشرة الاف مليون ريال سعودى (٢٨٣٢ مليون دولار تقريبا) يغطى نصف رأس المال خلال السنوات الثلاث التالية لتاسيسه ،



مجموع رؤوس أموالها ١١ بليون دولار

ويغطى الباقى بعد ذلك ، وفقا لما تحدده الميزانية العامة للدولة فى كل سنة ٠٠ ومقر هذا الصندوق مدينة الرياض ، وقد وافق الصندوق حتى شهر يوليو ١٩٧٥ ، على منح ١٤ قرضا لخمس دول ، بلغ اجمالى قيمتها ١٣٩٥ مليون ريال سعودى ٠

خامسا : الصندوق العراقى للتنمية الخارجية :

انشىء فى منتصف عام ١٩٧٤ « بهدف تمويل جزء من خطط التنمية ، بانشاء وتوسيع او تطوير المشروعات الانمائية فى الاقطار العربية والبلدان النامية ٠٠ » وراس مال الصندوق ٥٠مليون دينار عراقى ، ومقره بغداد ٠

سادسا : البنك الاسلامى للتنمية :

تاسس فى مدينة جدة يوم ١٢ اغسطس ١٩٧٤ بهدف «دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى لشعوب الدول الاعضاء والمجتمعات الاسلامية مجتمعة ومنفردة ، وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية »٠

والاعضاء المؤسسون للبنك هم الدول الاعضاء فى المؤتمر الاسلامى وعددهم ٢٧ دولة ، من بينهم ١٧ دولة عربية ٠٠ وحدد راس مال البنك بمبلغ ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دينار اسلامى (والدينار الاسلامى يعادل وحدة من حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولى ٠٠ وكل وحدة تعادل ٢ر١ دولار امريكى تقريبا) ويتقاضى البنك من الدول المقترضة رسم خدمة مقابل مصروفاته الادارية ٠٠ ويحدد البنك مقدار هذا الرسم وطريقة تحصيله ٠

سابعا : المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى افريقيا :

تاسس عند انعقاد مؤتمر القمة العربى السادس بالجزائر فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٥ والهدف منه «دعم التعاون الاقتصادى والمالى والفنى بين الدول الافريقية ودول العالم العربى ٠٠ » عن طريق الاسهام فى تمويل مشاريع التنمية وتشجيع مشاركة رؤوس الاموال العربية وغيرها٠٠ واعضاء المصرف هم دول الجامعة العربية ٠٠ اما البلدان المنتفعة فهى الدول الافريقية الـ ٣٥ وحدد راس مال المصرف الابتدائى بمبلغ ٢٣١ مليون دولار ٠٠ ومقره الخرطوم ٠

ثامنا : صندوق النقد العربى :

وهو آخر واكبر الانجازات فى مجال التعاون الاقتصادى العربى ٠٠ انشىء فى ٢٧ ابريل ١٩٧٦ ، بعد جهد متواصل منذ ١٩٦٠ وهو يختلف عن بقية الصناديق فى تعدد اهدافه التى من اهمها : « تصحيح الاختلال فى موازين مدفوعات الدول الاعضاء ٠٠ والى استقرار اسعار الصرف بين العملات العربية وتحقيق قابليتها للتحويل فيما بينها ، والعمل على ازالة القيود على المدفوعات الجارية بين الدول الاعضاء ٠٠ وتطوير الاسواق المالية العربية ٠٠ وتسوية المدفوعات الجارية بين الدول الاعضاء ٠٠ ودراسة سبل استعمال الدينار العربى الحسابى ، وتهيئة الظروف المؤدية الى انشاء عملة عربية موحدة » ٠٠ وراس المال الاسمى للصندوق حدد بمبلغ ٢٥٠ مليون دينار عربى حسابى اى حوالى ٩٠٠ مليون دولار (وكل دينار عربى حسابى يعادل ثلاث وحدات من حقوق السحب الخاصة ، اى نحو ٦ر٣ دولار) ٠٠ وقد اشتركت جميع الدول العربية ، بما فيها فلسطين ، فى تغطية هذا المبلغ ٠٠ ومما يذكر ان اتفاق صندوق النقد العربى ان يكون نافذ المفعول الا بعد تصديق السلطات الدستورية المخولة فى عدد من البلاد العربية ٠٠ واختيرت ابو ظبى لتكون مقرا لهذا الصندوق ٠٠

س ٠ ز

خط الانابيب الاسرائيلي في طريقه الى الافلاس

● قرأنا في أعداد سابقة من «العربي» ما نشرتموه عن خط انابيب البترول الذى انشاه العدو الصهيوني بين ميناء ايلات على البحر الاحمر وميناء عسقلان على البحر المتوسط وذلك في أعقاب حرب ٦٧ .. نرجو ان تحدثونا عما آلت اليه أعمال هذا الخط وعن مدى منافسته لقناة السويس .

ـ كانت أعمال خط الانابيب الاسرائيلي ، ويسمونه التبلاين Tipline ، في تدهور مستمر في المدة الاخيرة . وهو بلا ريب أعجز من ان ينافس قناة السويس ، بل اعجز من ان يصمد لضرباتها .. وحسبك الخسائر التى تكبدها هذا الخط ، وقد بلغت ٣٥ مليون دولار في السنة الماضية ، وستتضاعف لتبلغ ٦٠ مليون دولار في نهاية العام الحالي ١٩٧٦ ، وذلك حسب توقعات مجلة الايكونومست ، مرجعنا في هذا الصدد . والخسارة مرة على كل حال ، ولكنها تكون أكثر مرارة اذا هي جاءت في اعقاب النجاح والازدهار. فقد جني العدو ارباحا لا بأس بها من خط انابيبه ، بلغت ٣٥ مليون دولار سنة ١٩٧٣ و ٢٠ مليون دولار سنة ١٩٧٤ .

وعندما اعيد فتح قناة السويس في شهر حزيران (يونيه) سنة ١٩٧٥ .. بدات اعمال خط التبلاين تاخذ في التقلص ، او تزداد تقلصا . ولا عجب .. فتعطيل قناة السويس في حرب ٦٧ هو الذى سمح اصلا بقيام خط التبلاين .. اى ان العدو لم ينشيء هذا الخط بقصد منافسة قناة السويس وانما بدافع انتهاز فرصة تعطيلها .. اما وقد مضت شهور عديدة على اعادة فتح القناة ، واطمان العالم اجمع الى نظافة هذا الممر الحيوى وخلوه من كافة العوائق ، من متفجرات او حطام سفن او غير ذلك ، واستطاعت القناة في هذه الفترة الوجيزة ان تسترد من نشاطها وحيويتها ما بلغته في اوجها ، قبيل حرب ٦٧ .. فلا غرابة والحالة هذه ان اخذت اعمال خط العدو في الانكماش ، مصداقا للحكم الشرعي : ان حضر الماء بطل التيمم ..

اضف الى ذلك ان قناة السويس تضمن للعملاء وفرا في المصاريف . فرسوم عبورها اقل من رسوم خط التبلاين .. وهي تضمن ايضا رحلات كاملة متواصلة لناقلات البترول ، من موانيء تحميله الى موانيء تفريغه ، وتكفل لها بالتالي بلوغ

حديث خرافة وجناية

● من الامثال العربية الواسعة الانتشار في تراثنا حتى الان « حديث خرافة » فما أصل هذا المثل، ومن خرافة الذى ينسب المثل اليه ؟ او ما هو ؟

احمد ابراهيم الشريف
الخرطوم / السودان

ـ كلمة « خرافة » و « حديث خرافة » تطلق بيننا على كل كلام باطل او خبر كاذب ، وليست لدينا رواية تاريخية واضحة عن « خرافة » هذا. وخلاصة المأثور عنه ما ذكره معجم « لسان العرب » عن ابن الكلبي ـ احد الاخباريين المشهورين الاوائل ـ ان « خرافة رجل من بني عذرة او من قبيلة جهينة ، اختطفه الجن ثم رجع الى قومه ، فكان يحدث باحاديث مما رأى ، يعجب منها الناس فكذبوه ، فجرى على الس

غايتها باسرع مما يتيحه لها خط العدو . وهذه مزايا هامة ومن شانها ان تجتذب العمـلاء ، وتغريهم بالتحول عن خط التبلاين والعودة الى الاعتماد على الممر الدولى .. ولعل فى هـذه المزايا ما قد يغرى الكثيرين من اصحاب البترول بشحن بترولهم فى ناقلات منذات الحجم المتوسط، الذى تتسع له قناة السـويس ، بدلا من نقله بواسطة الناقلات العملاقة (حمولة ١٥٠ر٠٠٠ طن او يزيد) التىتضطرهم الىاستعمال خط الاعداء، نظرا لان قناة السويس لا تستطيع استقبال مثل هذه الناقلات فى الوقت الحاضر .

بقى ان نشير الى المقـاطعة العربية ، ذلك السلاح الصامت الفعـال . فقد ركزت مكاتب المقاطعة نشاطها لصالح قناة السويس حتى نجحت فى اكتساب المزيد من العمـلاء لها .. وكانت رومانيا على راس قائمة هؤلاء العمـلاء الذين استجابوا لنداء المقاطعة .. ولا نغالى ان قلنـا ان تحول رومانيا عن خط التبلاين الى قنـاة السويس ، اعتبارا من شهر آذار الماضى ، كان بمثابة كارثة كبيرة لخط انابيب العدو . ذلك ان كمية البترول التى كانت تستوردها رومانيا عبر خط التبلاين كانت كبيرة ، وقد بلغت بالمتوسط ١٥ مليون طن سنويا ، اى ما يعادل ثلث طاقة هذا الخط القصوى ، أو يزيد قليلا .

وتجدر الاشارة هنا الى الاعمال التى تجرى على قدم وساق من اجل توسيع القناة وتعميقها من جهة ، ومن اجل انشاء خط الانابيب العربى (سوميد) من جهة اخرى . فسيصبح فى مقدور القناة استقبال الناقلات العملاقة بعد سنة ١٩٨٢ .. وسيملأ الفراغ حتى ذلك الحين خط سوميد الذى سينتهى العمل فيه ويبدا تشغيله فى مطلع السنة القادمة ١٩٧٧ ...

(ى . ز)

النبوغ على أهله

الناس » وينقل هذا المعجم ايضا انه روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم انه قال : «وخرافة حق » وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ قال لها : حدثينى ، فقالت : ما أحدثك حديث خرافة » ويروى الميدانى ـ حين عرض لهذا المثل ـ فى كتابه « الامثال » ان « خرافة كان منبنى عذرة »، ويفسر قول النبى : « خرافة حق » بانه يعنى ان « ما تحدث به عن الجن حق ».

ويلاحظ أن العرب يقولون « حديث خرافة » ـ بغير (ال) ومن ذلك قول شاعرهم : « حديث خرافة ياأم عمرو » ولايقولون « حديث الخرافة » مما يرجح أن « خرافة » من الاعلام ، وهم اذا قالوا « حديث الخرافة » او « الخرافة » قصدوا الاحاديث المختلفة التى يسمرون بروايتها ليلا (فى الغالب) ، وكانوا ـ مع علمهم باختلاقها ـ يستملحونها ، لما فيها من متعة وعبرة ، ويتعجبون منها لما فيها من غرابة وطرافة .

وما استغنت البشرية من اقدم عصورها حتى اليوم ، ولن تستغنى ابدا عن امثال هذه الاحاديث لانها من الطرف الادبية التى تمتع وتسلى ، ثم هى تحرك الوجدان والعقل والخيال ، ولابد ان نعرف لها مكانتها فى التراث الشعبى أو بين الانواع الادبية ، بل بين أنواع المأثورات الفكرية التى سبقت الفلسفة والديانات الراقية ،فقـد كانت هذهالخرافات تمثلفلسفة الوثنيين وعقائدهم قديما .

ولم ينفرد العرب بهذا النوع من الاحـاديث المختلقة ، لانه ثقافة عامة بين كل الشعوب قديما وحديثا، ولا يقتصر امره على الجماهير، بل ينتشر بين العلية المثقفة حتى الآن ، ومن امثلته الادبية الراقيةما يكتب بيننا من القصص القصيرة والطويلة ومن الروايات،ثم ان البديهية الانسانية قد تلهم الحقائق الغازا ، وتعبر عنها بالالفاظ ، او بلغة المجاز .

وان كلمة « فكشن » Fiction ذات الجذر اللاتينى التى تطلق اليوم على هذه الانـواع

الادبية ، لم تكن تدل في البدء الا على هذه الاحاديث الموضوعة الحافلة بالخوارق والعجائب ، وهي تقابل عندنا معنى الخرافة، ثم تطورت عندهم حتى صارت فنونا راقية ، وهم حتى الآن يلاحظون هذا الاختلاق في الاخبار والقصص حين يصفونها بكلمة من ذلك الجذر ، فيصفون القصة او الخبر بانه Fictitious اى خرافي (وهمي او خيالي)

ومن ملاحظة معنى الباطل في كلمة الخرافة ان العرب يصفون الرجل اذا فسد عقله من هرم بانه « خرف » او « مخرّف » واصابه خرف، ولكن معنى الاستملاح والامتاع واضح ايضا في كلمة الخرافة ، فالخريف من اطيب فصول السنة جوا واكثرها مطرا وزرعا وثمرا في معظم بلاد العرب، وهم يطلقون الخريف على المطر ، وعلى الموسم السنوي،ويشتقون منهاسماءلما تنتجهبعضالحيوانات (الخروف) وما تخرجه النباتات والاشجار من ثمرات ، فيسمون النخلة « خروفة » وكذلك ثمارها ، ويسمون البستان مخرفا ومخرفة ، وعلى التشبيه من هذا سموا الاحاديث والاسمار المختلقة الممتعة «خرافات» ، لانهميتفكهون بها ويستروحون، ويتعلمون ويتهذبون ·

ومن يدرى فربما كان «حديث خرافة » الذى نتمثل بهفهو احدى هذهالخرافات ، وربما كانخرافة شخصا تاريخيا ، ولكنه نابغة او عبقرى سبق عصره ، أو فاق قومه ، فعرف من الحقائق ما لا يعرفون ،وحاول ارشادهماليها فانكروها وانكروه، وهذا داب البشر مع الملهمين او الحكماء منذ اقدم العصور حتى اليوم · وحسبنا ان ننظر الى قصص الانبياء في الكتب المقدسة او قصص غيرهم في التاريخ من الفلاسفة والعلماء والمصلحين في اى عصر او مجتمع،حين انباوا اقوامهم بما يعرفون من حقائق ، ليصلحوهم من فساد ، او يرشدوهم من غواية · او لم يكذبوا ويعذبوا ؟ الم يكن اسعدهم من اتهم بالجنون فتركوه سخرية منه واستهانة بامره ؟

ان « خرافة » العبقرى المسكين ليعيش في كل عصر بين شتى الامم والجماعات ، ولكن مكذبا مبغضا مطرودا ، وقد ينسى امره ، ولكنه اذا عرف فضله بعد ذلك ، فانه يذكر مقرونا بالتجلة والتحية ، فسلاما على كل « خرافة » في الاولين والآخرين ·

(م·خ·ت)



■ نحن لا نكتب طمعا في أن ننال تصفيق الجهال ، وانما نكتب لأهل العلم ، وعلى الخصوص للناشئة الحديثة التي هي مستودع أمانينا في المستقبل ·

(قاسم امين)

■ كلب ينبح على شبح ، والف كلب تنبح لنباحه ·

(مثل صيني)

■ لعمرك ، ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

(بشار بن برد)

■ الفن اختيار كل نقي جذاب من محاسن الطبيعة ·

(رسكن)



"أعشق حياة الريف والموسيقى والأدب"

"ديستان"

■ شخصية ديستان السياسية، شخصية واضحة، ولو ان هذا الوضوح لم يدركه الكثيرون حتى من ابناء فرنسا ذاتها ، الا بعد ان جاءوا به رئيسا لجمهوريتهم عندما بدا يحدد بنفسه معالم الطريق الذى يسير فيه ، حتى ان المعلق السياسى لصحيفة صانداى ميرور « فيكتور نايت » وصفه يوما بقوله:

« لقد اصبح مسيو ديستان كتابا مفتوحا تستطيع ان تقراه فى دقائق قصيرة ! »

ولكن ماذا نعرف عن ديستان ، الانسان ؟

لقد تردد اسم فرنسا فى الاونة الاخيرة، اثناء المحنة التى عاشها الشعب اللبنانى . وكادت صورة الرجل الذى مد يده للعرب وناصر حقوقهم العادلة.. كادت الصورة تختفي لولا ان سارع هو وحكومته باعادتها الى مكانها فى اطارها الاول ..

فماذا نعرف عن رئيس فرنسا ، وكيف يفكر هذا الرجل وكيف يعيش بعيدا عن السياسة ؟

يقول كينيث هاريس ، مراسل صحيفة «الاوبزرفر» البريطانية :

«ان هذا الرجل الوسيم الانيق ، من بين ساسة فرنسا القلائل الذين كانوا ندا للجنرال ديجول، وهو رجل حاضر البديهة ، يمتلىء حيوية ويعرف كيف ينتقى ملابسه . لقد قيل عنه يوما انه يتعالى على الناس ، ولكنه ينفى هذا بشدة ويقول ان المسالة فى غاية البساطة : « ربما يكون لطول قامتى علاقة بهذا الوصف ،فالرجل الطويل ينظر الى اسفل عندما يلتقى باناس اقصر منه قامة ! »

ربما يكون خجل ديستان من بين الاسباب التى تترك فى نفس من يلقاهم هذا الانطباع بتعاليه عليهم .. فالرجل خجول بطبعه ،وهو لاينكر هذا ، فهو يقول : « اننى اشعر بالخجل فى بعض الاحيان فانا اجد صعوبة فى ان اجاهر ببعض الاراء ،وفى احيان كثيرة اعزف عن ذكرها اطلاقا !»

ان هناك مجالين يثيران اهتمام الرئيس الفرنسى وهما الموسيقى والادب ، وهو يقول: « عندما استمع الى الالحان الموسيقية ، اشعر وكانني اريد ان ابكى .. وكثيرا مابكيت فعلا ! اننى معجب بموزارت فهو الموسيقار المثالى فى نظرى . وفى طفولتى درست الموسيقى الكلاسيكية ، وتعلمت العزف على البيانو .. اننى لست عازفا ماهرا ، ولكننى اعشق هذه الالة وانعم باللحظات التى اقضيها معها محاولا ان اجود عزفى عليها .

لقد اراد ديستان ان يرسم لنفسه صورة فاختار صورة الرجل الريفى وقال : «اننى احب حياة الريف .. واحب الحيوانات ، والكلاب منها بصفة خاصة . اننى انتهز كل فرصة مواتية واذهب الى الريف لاقضى بين احضانه بضع ساعات انعم فيها بحياة اهله .. وانا احب الرياضة البدنية .. احب التزلج على الجليد ، والتنس . اننى احاول ممارسة انواع اخرى من الرياضة كالسباحة مثلا .. ولكننى لااجيدها ، فتكوينى الجسمانى لايساعدنى على العوم . »

قد يستغنى ديستان عن كل هذه الهوايات ولكنه لا يستطيع ان يقاوم القراءة .. وهو قارىء مدمن واحب الكتاب الى قلبه موباسان وفلوبير وتولستوى وتشيكوف .. كتب التاريخ والادب فى القرن التاسع عشر ، اكثر الكتب التى يستمتع بها ، ثم تاريخ حياة من سبقوه الى الحياة ،ومن افترقوا قبله عنها !

هل كان هذا الحب بين ديستان والريف مصادفة؟

لا : فقد يكون هناك حب متاصل بين ديستان والريف واهل الريف ، ولكن الذى لاشك فيه ان هذا الحب قد تضاعف كثيرا بعد انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٤ التى جاءت بالرئيس جيسكار ديستان الى الحكم . فقد كان صوت الفلاح الفرنسى هو الذى رجح كفة ديستان على منافسه الاشتراكى فرانسوا ميتران . (م . ن)

بيت الحكمة في بغداد

وأثره في النهضة الفكرية خلال العصر العباسي

بقلم : سليم طه التكريتي

■ كانت الثقافات الاجنبية من بين الموارد الواسعة التي استقى منها الفكر العربي الاسلامي فاتسعت بذلك آفاقه وتطورت ابداعاته ، وتعددت مناهجه .

وكانت حركة نقل العلوم من اللغات الاخرى الى اللغة العربية ، والافاضة في شرحها والتعليق عليها ، ومحاكاتها بافضل منها ، من اهم العوامل التي مهدت للنهضة الشاملة في شتى مجالات الفكر والحياة التي بلغها المسلمون في فترة وجيزة جدا من الزمن ، تلك النهضة التي كانت من الدعائم القوية التي قامت عليها الحضارة العالمية الراهنة ، مما كان مدعاة فخر واعتزاز للعرب والمسلمين حتى اليوم .

امداد ونشر

فما لبثت الاقطار التي دخلها الاسلام ، بعد ان اخذت منه نظمه وتعاليمه المستجدة القويمة ، ان شرعت تمد الفكر العربي الاسلامي بفيض غزير مما كانت تحتفظ به من علوم وفنون وحكمة ونظم ، مما لم يألفه العرب في جزيرتهم قبل ظهور الاسلام . فقد كان العرب المسلمون ، وهم في خضم الزحف المقدس لنشر الاسلام ، يعملون في ذات الوقت على نشر العلم والمعرفة في كل صقع يحلون فيه . وبذلك كان العلم ـ كما يقول المؤرخ الانجليزي هـ . ج . ولز = يثب على قدميه وثبا في كل موضع وطئته قدم الفاتح العربي » .

وما ان استقر العرب المسلمون في البلاد الجديدة التي دخلوها تحت راية الاسلام ، حتى بدأت اعظم عملية تزاوج فكري وحضاري في تاريخ الجنس البشري كله . وقد كانت حركة الترجمة الى العربية من اقوى العوامل التي ساعدت على الاسراع في ذلك التزاوج الفكري وانضاجه ، وفي توطيد التمازج الحضاري بين العرب والشعوب الاخرى ، وفي وضع الأسس الراسخة لنشأة المدنية العربية الاسلامية الزاهرة .

الترجمة

ولقد اتسمت حركة الترجمة الى العربية منذ بدايتها بسمة مميزة لها ، نود لو اخذت بها الحكومات العربية والاسلامية القائمة في الوقت الحاضر وأولتها ما تستحقه من الاهتمام . ذلك ان حركة الترجمة في الاسلام قد انصبت من البداية على ترجمة الكتب العلمية في الدرجة الاولى .

ومع ان حركة الترجمة قد بدأت في العهد الأموي ، وكان الأمير خالد بن يزيد الأموي على رأس المشجعين لها ، فان ازدهارها قد ظهر في العصر العباسي وعلى يد المنصور والرشيد والمأمون بصفة خاصة •

وقد مرت الترجمة الى العربية في دورين رئيسين ، اقتصر الأول منهما على نشاطات فردية قام بها عدد من المترجمين كل على انفراد • اما الدور الثاني فقد برز في شكل مؤسسة علمية جليلة اخذت على عاتقها النهوض باعمال الترجمة ، وكل امر يتعلق بها ، هذه المؤسسة هي التي عرفت باسم « بيت الحكمة » في بغداد والتي اجمع المؤرخون على ان الخليفة هارون الرشيد هو الذي انشاها •

احضار الكتب

قبل ان ينشيء الرشيد هذا المركز العلمي الخطير ، عمد الى استجلاب الكتب من بلاد الروم، فحين افتتح مورية وانقرة وغيرهما ، امر عماله هناك بالحفاظ على ما فيها من مكتبات وكتب ، ثم انتدب طائفة من العلماء الذين يحذقون اللغات اليونانية والارامية والسريانية لفحص ما تحويه تلك المكتبات من كتب الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها •• وقد اختار اولئك العلماء النفيس والنادر من الكتب في هذه العلوم ، وعادوا بها الى بغداد ، فاودعها الرشيد بيت الحكمة ، ووكل امر النظر فيها الى الطبيب يوحنا بن ماسويه الذي اصبح رئيسا لبيت الحكمة فيما بعد •

موضع بيت الحكمة

لايعرف الموضع الذي اقيم فيه بيت الحكمة اول الامر على وجه الدقة ، وهل كان في جانب الكرخ من بغداد ام في جانب الرصافة منها ، وما اذا كان هذا البيت يؤلف بناية مستقلة بذاتها ام كان يحتل جناحا من اجنحة قصور الخلافة •

والذي نعرفه ان الخليفة ابا جعفر المنصور كان قد جمع خزانة كتب من هذه النوعية في قصره بالكرخ،وافرد لها جناحا منه،وان خزانة الكتبهذه قد انتقلت الى الرشيدفنماها ، واضاف اليهاالمزيد من المؤلفات التي استجلبها من الهند وفارس والاناضول واليونان •• ولكن حين شرع الخلفاء يبنون قصورهم في الجانب الشرقي من بغداد اي الرصافة ، فالذي يبدو لنا انه قد اصبح لبيت الحكمة بناء خاص به في احد قصور المأمون، وربما كان ذلك في القصر الحسيني او القصر المأموني اللذين شادهما المأمون الى جانب الرصافة •

يذكر الدكتور « ماكس مايرهوف » احد واضعي كتاب « تراث الاسلام » الذي اصدرته جامعة اكسفورد بلندن سنة ١٩٤٣ ان المأمون انشأ في بغداد دارا رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة • كذلك ذكر « الفريد غيوم » في ذات الكتاب ان المأمون انشأ مدرسة للعلماء في بغداد نشطت فيها دراسة الكتب الاغريقية وترجمتها نشاطا عظيما •

والحقيقة ان بيت الحكمة كان بشهادة الدكتور فيليب حتي ، اعظم اكاديمية للعلوم ظهرت بعد مدرسة الاسكندرية •

نظام بيت الحكمة

كانت بناية بيت الحكمة على شكل غرف عديدة تمتد بينها اروقة طويلة • وكانت للكتب غرف خاصة مزودة برفوف تصف عليها الكتب •

وكانت في البناية قاعة مخصصة للمحاضرات والمناظرات ، وقاعة اخرى للاستراحة يدلف اليها الدارسون والمطالعون بعد الانتهاء من عناء العمل• وفي قاعة الاستراحة هذه جوق موسيقي يعزف مختلف الانغام في فترات الاستراحة تلك •

وقد قسمت غرف بيت الحكمة الى اقسام تبعا للعاملين فيها••فهناك الغرفالمخصصة للمترجمين، وغرف الناسخين وغرف المجلدين والوراقين ، وغرف الخازنين والمناولين ••

وفضلا عن ذلك وجدت غرف خاصة للتدريس يقصدها طلاب العلم من كل انحاء العالم ، وقد اعدت غرف خاصة لسكناهم الى جانب غرف التدريس ذاتها •

مصادر الكتب

اتسع نطاق العمل في بيت الحكمة بما اضيف اليه من خزائن الكتب القديمة التي كان يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية وجزيرة قبرص وغيرها ، فضلا عن بلاد فارس والهند • وشرع السريان يجمعون ما يعثرون عليه من هذه

الكتب فى اديرتهم وكنائسهم . كذلك اخذ كثير ممن يملكون خزانات كتب خاصة لهم يقدمون هذه الخزانات الى بيت الحكمة ، بعد ان رأوا اهتمام المأمون بها .

كانت اول مجموعة من الكتب اليونانية والسريانية اودعت في بيت الحكمة هي الكتب التي امر الرشيد بجلبها من عمورية وانقرة . كذلك جلب المأمون مجموعة اخرى من الكتب الاغريقية من جزيرة قبرص وضمها الى خزانة بيت الحكمة . ثم انفذ بعد ذلك كلا من الحجاج بن مطر ، وابن البطريق، وسلم وغيرهم الى مدينة القسطنطينية فجلبوا له طائفة اخرى من الكتب الاغريقية وغيرها .

كذلك جيء بمجموعة من الكتب من اصفهان بامر من المأمون استخرجها له الفضل بن العميد .

موظفو بيت الحكمة

كان لبيت الحكمة قيم يدير شئونه ويشرف على اعماله يسمى « صاحب بيت الحكمة » . وكان العمل في بيت الحكمة منسقا تنسيقا بديعا ومنتظما . فلكل قاعة او غرفة اعمالها التي تنهض بها . فقد كان المترجمون ينقسمون الى قسمين رئيسين ، فريق كان يترجم رأسا من اللغة التي وضع بها الكتاب الى اللغة العربية ، كان يتم النقل في ذلك من اليونانية او السريانية او الفارسية وما شاكلها الى العربية مباشرة . وفريق كان يترجم من لغة اجنبية الى اخرى اجنبية ايضا ، كان يترجم من اليونانية الى السريانية ، او من السريانية الى الفارسية ، ثم يقوم مترجمون اخرون بترجمة هذه النقول الى اللغة العربية .

والى جانب المترجمين يوجد النساخون ، وهؤلاء على صنفين ايضا ، صنف يستنسخ لنفسه ما يود اقتناءه من كتب في بيت الحكمة ، والصنف الآخر يستنسخ ما يريده الآخرون من هذه الكتب وفق اجور يتفق عليها مسبقا .

وتأتي بعد ذلك طائفة الخازنين ، وهم الذين يتولون خزن الكتب حسب الاماكن المخصصة لكل صنف منها ، ويقومون بصفها على الرفوف المعدة لها .

والى جانب هؤلاء يوجد المجلدون الذين يتولون تجليد الكتب الاصلية وترجماتها وكل كتاب يصل الى بيت الحكمة .. ولهؤلاء غرف خاصة يعملون فيها مزودة بكل الادوات اللازمة للتجليد .

ثم هناك المناولون الذين تنحصر مهمتهم في ايصال الكتب من الخزانات والرفوف الى المطالعين والناسخين والمجلدين .

ونساء يعملن

ولم تقتصر هذه الاعمال في بيت الحكمة على الرجال وحدهم بل شاركت النساء فيها بقسط وافر ايضا .

وقد كان من اشهر النساخين في بيت الحكمة « علان الشعوبي » الفارسي الذي وضع الكتب في مثالب العرب ، وكان ينسخ باجور باهظة للرشيد والمأمون والبرامكة .

وكان « ابن ابي الحريش » من اشهر المجلدين في بيت الحكمة ، بينما اشتهرت من النساء التي تناول الكتب « توفيق السوداء » التي كانت تعمل في عهد ابي منصور محمد بن الخازن .

مصورات وتقاويم

وكان بيت الحكمة يضم الى جانب الكتب والمصنفات خرائط ومصورات بلدانية ، وتقاويم فلكية ، وازياج وغيرها . وقد اتى المؤرخ الكبير « المسعودي » على ذكر هذه المصورات في كتابه « التنبيه والاشراف » فقال « ورأيت هذه الاقاليم مصورة في غير كتاب واحد بانواع الاصباغ . واحسن ما رأيت من ذلك في الصورة المأمونية التي عملت للمأمون ، اجتمع على صنعتها عدة من حكماء اهل عصره ، صور فيها العالم بافلاكه ونجومه ، وبره وبحره ، وعامره وغامره ، ومساكن الامم والمدن وغير ذلك ، وهي احسن من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرها ..

خطوط ولغات

وكانت في بيت الحكمة كتب كثيرة بانواع الخطوط ، من امثال الخط الحميري ، والآرامي ، والحبشي ، والعبري والرومي وغيرها .. وذكر « ابن النديم » في « الفهرست » انه كان في بيت الحكمة كتاب بخط عبدالمطلب بن هاشم جد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في جلد آدم .

وكانت الترجمة في بيت الحكمة تتم عن ست لغات على الاقل ، هي اليونانية والفارسية والهندية والسريانية والعبرية والقبطية . وكان

حذاق المترجمين يترجمون عن هذه اللغات كلها بالاضافة الى الآرامية احيانا • وكثيرا ما يحدث ان يكون بعض المترجمين غير ملمين باللغة العربية الماما جيدا • وعندئذ يتقدم مترجمون آخرون ممن يحذقون العربية لمراجعة هذه الترجمات ، وتصحيح ما يرد فيها من اخطاء، وتقويم المعوج من عباراتها•

وقد صنف قسم الترجمة فى بيت الحكمة طبقا لموضوعات الكتب التى تجرى ترجمتها • فهنـاك مترجمون منقطعون لترجمة كتب الفلسفة، وآخرون لكتب الطب ، وسواهم لمصنفات الفلك والجغرافيا والرياضيات وغيرها •

كانت المطالعـة والدرس والتدريس فى بيت الحكمة مجانية وعامة • فقد كان يسمح لاى فرد بالدخول الى بيت الحكمة لمطالعة اى كتاب ، او استنساخ اى مصنف يريد استنساخه •• ومع ذلك كان محظورا كتابة اى تصحيح او شرح او تعليق على هوامش ما يقرأ من الكتب هناك • فان اراد ذلك اتمه فى كتاب مستقل • كذلك كان فى مقدور اى شخص ان يستعير ما يشاء منكتب بيت الحكمة، وقد تطول مدة الاستعارة الى شهر احيانا •

التسامح

كان التسامح وحرية الفكر من اهم الاجواء التى سيطرت على اكاديمية بيت الحكمة هذه • ففيها نجد اصحاب الفلسفة يتناظرون ويتناقشون بكل حرية وصراحة •• وفيها يتكلم اصحاب العقائد والاديان بما يحلو لهم ، دون خوف او حذر •

فقد كان من بين الذين تولوا امر الترجمة فى بيت الحكمة ، والاشراف على ادارة شئونـه ، طائفة من السريان كانت لهم منزلة رفيعة لدى الخلفـاء • وكان هؤلاء السريان يؤدون طقوس عباداتهم دون ادنى تقييـد ، ويناظرون علمـاء المسلمين فى الامور الدينية وامام الخليفة نفسه بمنتهى الحرية • ومن هؤلاء تيودوروس « اسقف » « حران » الذى كان يجادل علماء الدين الاسلامى امام الخليفه المامون•وكان بين رؤساء بيت الحكمة عدد من كبار الشعوبيين وغلاة المعادين للعرب من امثال علان الوراق وسهل بن هارون وغيرهما •

المشرفون

اشرف على ادارة بيت الحكمة، وتصريف اموره، ورعاية حركة الترجمـة فيه ، عدد من العلمـاء المتمكنين من اللغات التى كان يتم النقل عنها ، والعارفين باصولها •

وكان يوحنا بن ماسويه اول من رسم فيما على بيت الحكمة فى عهد الرشيد • وقد اسندت اليه، بالاضافة الى ذلك ، مهمة الاشراف على ترجمـة الكتب التى جلبها الرشيد من بلاد الروم ، ووضع تحت تصرفه عدد من المترجمين والكتبة والنساخ لاداء هذه المهمة • وكان يوحنا هذا ، وهو نسطورى من جند نيسابور ، يكتب بالسريانيـــة والعربية ، ويتقن اللغة اليونانية الى جانب مهارته فىالطب•

اما فى عهد المامون فقد تولى امر بيت الحكمة سهـل بن هارون ، وهو فارسى شديـد التعصب للفرس والعداء للعرب ، وكان يشرف على ترجمة الكتب التى استجلبها المامون من جزيرة قبرص •

ضعف فتقوية

ضعف الاهتمام ببيت الحكمة بعد وفاة المامون ، وانتقال مركز الخلافة من بغداد الى سامراء على يد المعتصم • ومع ان المتوكل الذى لم يعرف عنه انه كان على قدر من العلم ، كان مع ذلك راعيا له محبا للعلماء ، ولهذا اعاد فتح بيت الحكمـة فى بغداد ، وبذل له الهبات ، والقى بعبء ادارته على عاتق حنين بن اسحاق ، واحاطـه بتلاميذ مدربين يعملون بين يديه ، فازدهرت بذلك حركة الترجمة وآتت ثمارها الطيبة فى ذلك الوقت •

ولقد بقى بيت الحكمـة قائما الى ان داهم المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وخربوها وبذلك ــ كما يقول القلقشندى « ذهبت خزانة الكتب فيمـا بعد ، وذهبت معالمهـا ، واعفيت آثارها » •

وفرة المؤلفات والمؤلفين

تبدو اهمية بيت الحكمة فى النهضة الفكرية الاسلاميـة بارزة فى ذلك الفيض الغـزير من المؤلفات التى ظهرت فى ذلك الوقت ، وفى وفرة العلماء والباحثين الذين هيأ لهم بيت الحكمـة مصادر علومهم وتصانيفهم •

ففى بيت الحكمة وضع العالم الرياضى الشهير محمد بن موسى الخوارزمى اهم مؤلفاته الرياضية، وفى مقدمتها علم الجبر الذى اخترعه هذا العالم الجليل •

وفي بيت الحكمة وضع « الاصمعي » اللغوي الشهير كتابا عن تاريخ الملوك الغابرين ، كما وضع « الفراء » النحوي المعروف كتابه في اصول النحو ، وكانت قد افردت له غرفة خاصة به في بيت الحكمة عمل فيها على تصنيف كتابه ذاك •

ووضع المؤرخ حمزة الاصفهاني كتابه عن تاريخ الملوك والانبياء اعتمادا على المصادر التي وجدها في بيت الحكمة •

وفي بيت الحكمة وضع « ابن النديم » كتابه الشهير الموسوم بالفهرست • هذا بالاضافة الى مئات من الكتب التي اخرجها المترجمون الذين عملوا في بيت الحكمة ، وكان من اشهرهم يوحنا ابن ماسويه الذي اشرف على ترجمة كتب الطب ، وسهل بن هارون الذي وقف على ترجمة كتب الفلسفة ، ويحيى بن البطريق الذي ترجم مؤلفات ارسطو وابقراط في الفلسفة والطب •

واقدم حنين بن اسحاق على ترجمة كتب الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها • وسار على منواله ولده اسحاق بن حنين ، وابن اخته حبيش ابن الحسن •

وكان من مشاهير المترجمين في بيت الحكمة ايضا الحجاج بن مطر ، وعمر بن الفرخان الطبري ، وثابت بن قرة الصابي ، وقسطا بن لوقا البعلبكي ، ويحيى بن ابي منصور المنجم ، وحبيب بن بهرز الموصلي وغيرهم •

نوعا الترجمة

سلك المترجمون في الاسلام طريقتين او اسلوبين في انجاز عملية الترجمة • وهذان الاسلوبان ما يزالان مطبقين حتى اليوم •

فاما الاسلوب الاول فهو الترجمة الحرفية الدقيقة الخالصة في النقل ، وذلك بترجمة العبارات كلمة فكلمة والتقيد بالالفاظ كلها •

اما الاسلوب الثاني فهو ترجمة المعنى ، وذلك بان يقرأ المترجم ما يريد ترجمته ثم يستوعبه في ذهنه ، ويبدأ بعد ذلك بنقله الى اللغة التي يكتب بها •

وقد اتى على وصف هذين الاسلوبين من اساليب الترجمة « بهاء الدين العاملي » صاحب كتاب « الكشكول » المتوفى سنه ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م) حيث قال : « قال الصلاح الصفدي » وللتراجمة في النقل طريقان : احدهما طريق يوحنا بن البطريق ، وابن ناعمة الحمصي وغيرهما ، وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فياتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها ، وينتقل الى الاخرى ، حتى ياتي على جملة ما يريد تعريبه •• وهذه الطريقة رديئة ••

والطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحاق ،والجوهري وغيرهما ، وهو ان ياتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها ، وهذا الطريق اجود » • ■ ■

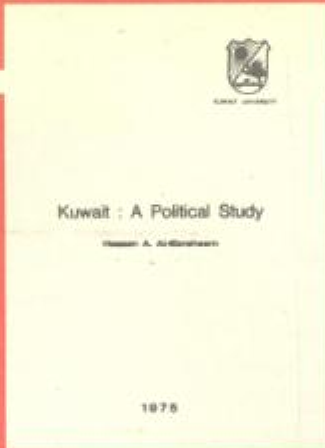
سليم طه التكريتي
جمعية المترجمين العراقيين
بغداد / العراق



رسل والسلام

■ الامم المقاتلة تستعد للحرب في المدرسة ، كما تستعد لها في مصانع السلاح والذخيرة ، فلا يجدى منع التسليح او تقليله في الجيوش ، اذا لم يقترن في المدرسة بمنع الاسلحة الفكرية والاخلاقية التي تتحفز دائما للحرب ، ولا تستريح طويلا الى السلام •

(برتراند رسل)



الكويت

دراسة سياسية

تاليف : الدكتور حسن الابراهيم

عرض : الدكتور عبد الاله ابو عياش

■ بقيت منطقة الخليج العربي فترة طويلة وهي غائبة عن اذهان الكثيرين من القراء العرب • والحقيقة أن معظم ماكتب عن هذه المنطقة كان باقلام اجنبية عكست وجهة نظر معينة • وحتى ما كتب من قبل بعض ابناء البلاد ، لم يكن اكثر من سرد قصصي خال من التحليل والربط بين الحوادث• ولم يكن وضع الكويت ليختلف عن هذا الواقع حتى عهد قريب • الا انه في السنوات الاخيرة اخذت تظهر دراسات اكثر عمقا وتحليلا لمراحل التطور المختلفة التي مرت بها الكويت •

والذي يهمنا من هذه الدراسات تلك التي كتبت من قبل كويتيين تخصصوا وتعمقوا في مجالات البحث المختلفة • ان لهذا الاتجاه اهمية خاصة ، اذ ان كتابات ابناء البلد تكون اكثر قدرة على العطاء لانها تاتي نتيجة تفاعل طويل بين الباحث واحداث بلده • فابناء البلد هم اكثر ارتباطا بمجريات الاحداث في بيئتهم من غيرهم •

ويمثل الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته احدى المحاولات الرائدة لكتابة تاريخ الكويت السياسي • هذا التاريخ الذي تفاعلت احداثه وقادت في النهاية الى انبثاق دولة الكويت •

ترسيخ دعائم الدولة

لقد جاء نشوء الكويت كدولة نتيجة تطور سياسي وصراعات كانت بمثابة المخاض الذي انبثقت عنه دولة شابة فتية•وعلى الرغم من أن النفط دعم كيان الدولة السياسي بما منحه اياها من قوة اقتصادية الا ان التجربة السياسية للكويت تعود الى سنين طويلة قبل اكتشاف النفط • واستطاعت الكويت بفضل الحنكة السياسية التي تمتع بها حكامها ، وخاصة الشيخ مبارك الصباح ،المحافظة على التوازن الدقيق بين تيارات الصراعات التي كانت تجتاح المنطقة من حين لآخر • ويعزى الى الشيخ مبارك الذي جاء في اعقاب اغتيال اثنين من اخوانه ترسيخ دعائم الكويت الحديثة •ولقد كان لحنكته السياسية الفضل الاكبر في المحافظة على توازن الكويت السياسي وفي ابعادها عن محاور المنازعات التي كانت تسود سائر اجزاء الجزيرة العربية •

النشوء الارتقائي للدولة

يبدو أن الاحداث التي مرت بها الكويت قد اغنت تجربتها وصقلت حنكتها السياسية • ولقد برزت ملامح هذه التجربة بصورة افضل في نوع الحياة السياسية التي اختارتها لنفسها ،تجربة تقوم على توفير اجواء الديمقراطية والحرية لمواطنيها •ولهذا فقد تبنت الكويت نظاما برلمانيا يقوم على اختيار ممثلين يتكلمون باسم الشعب •

وليس هناك من شك في أن هذه الخصائص السياسية ميزت الكويت عن بعض الدول العربية الاخرى التي نالت استقلالها • فاجواء الحرية الفكرية والصحفية وحرية التعبير عن الرأي اصبحت خصائص مميزة لحياة الكويت السياسية • وعلى الرغم من أن التطور السياسي في الكويت كان نشوئيا ارتقائيا Evolutionary وليس راديكاليا ثوريا Revolutionary ، الا أن ماحققته بهذا التطور الارتقائي كان افضل مما انجزته تجارب اخرى اتصفت بالراديكالية •

هدف الكتاب

تشمل دراسة الكتاب فترة زمنية تمتد من عام ١٨٩٦ ، منذ تسلم الشيخ مبارك زمام السلطة ، حتى الوقت الحاضر • لذلك ، فانه لم ينظر الى الفترة التي سبقت ذلك التاريخ الا لمحة عابرة • وقد كان الهدف الرئيسي للكتاب استقصاء وتحليل العوامل المختلفة التي ادت الى تطور وظهور الكويت كدولة حديثة •ويمكن اجمال هذه العوامل كالتالي:

(١) الدور الذي قام به الشيخ مبارك في المحافظة على التوازن السياسي لوضع الكويت بين تيارات الصراعات الداخلية والخارجية •

(٢) الدور الذي لعبته بريطانيا منذ بداية القرن العشرين •

(٣) تأثير اكتشاف النفط على التطور الاقتصادي والسياسي للكويت •

محتوياته

يقع الهيكل التنظيمي لهذا الكتاب في سبعة فصول رئيسية بالاضافة الى الملحقات الوثائقية •ويتضمن الفصل الاول خلفية تاريخية عن الكويت الحديثة وعلى العناصر التي ادت الى بناء الدولة •ويركز الفصل الثاني على قدرة الكويت التي استمرت في المحافظة على استقلاليتها وسط تيارات متناقضة من الصراعات الداخلية •

اما الفصل الثالث فيبحث في وضع الكويت على الصعيد العالمي ، ومحاولاتها الدائمة للمحافظة على توازنها الدقيق بين تيارات الصراع الدولي • كما يحلل هذا الفصل الدور الذي لعبه الشيخ مبارك والدبلوماسية البريطانية في الخليج العربي • ويقارن الفصل الرابع بين امتيازات التنقيب عن النفط في الشرق الاوسط • ويستنتج المؤلف ان الكويت عوملت بطريقة غير عادلة بسبب التزاماتها وتعهداتها في المعاهدة مع بريطانيا ، كما يناقش امتياز النفط الذي منح لبريطانيا في عام ١٩٣٤ في ضوء تلك المعاهدة •

وخصص الفصل الخامس لمناقشة دور النفط في تطور الكويت على المستويين المحلي والعالمي • ففي الداخل عمل النفط على تحويل الكويت الى دولة رفاهية (Welfare State) •

ودعم النفط مركز الكويت على الصعيدين العربي والعالمي من خلال برامج المساعدات الاقتصادية• فقد قدمت الكويت مئات الملايين من الدولارات للدول المختلفة •

اما التطور السياسي الحديث ووضع الكويت

فى المجتمع الدولى فيناقش فى الفصل السادس ، ويبحث الفصل السابع والاخير فى المشاكل التى واجهت الكويت فى الحصول على استقلالها ، وخاصة سوء التفاهم بينها وبين العراق الذى كاد يهدد مستقبل الخليج العربى ومصالحه الحيوية • ويعطى المؤلف جزءا منهذا الفصل لدراسة التطور الدستورى للدولة •

طبيعة واصل الكويت

كانت الكويت حتى ١٩١٤ امتدادا لبقية الارض العربيةالتابعة للامبراطوريةالعثمانية• ولم تقع الكويت كبقية مناطق العالم العربى تحتالحكم العثمانى المباشر • ولقد تميزت الحياة السياسية فى الكويت ببساطتها وبدائيتها • وكانت القبيلة مركز النظام الاجتماعى • واعتمد اقتصادها بشكل رئيسى على الصيد والغوص • لكن الوضع الاقتصادى تغير مع تدفق عائدات النفط وما تبعه من ظهور الكويت كدولة مستقلة فى عام ١٩٦١ •

ويعتقد المؤلف ان العامل الرئيسى الذى ادىالى محافظةالكويت علىاستقلالها هو دور التوازنالذى اعطاه اياها وصفها الجغرافى • ويمكن دراسة تاريخ الكويت بشكل واضح ضمن هذا الاطار الذى يشتمل على توازن القوى • اما الكويت الحديثة فتجمع فىصفاتها بينالدولالنامية والدولالمتقدمة• فمنناحية مستوىالدخل تاتىالكويت فىطليعة دول العالم • ويمكن وضعها ضمن اكثر دول العالم تقدما على اساس هذا المعيار • الا ان اعتمادها على مصدر انتاج واحد يجعل اقتصادها شبيها باقتصاد الدول المتخلفة •

الكويت بين المنافسة والتوازن

دخلت الكويت ،كجزء من منطقة الخليج العربى، فى لجة الصراعات بين الدول الطامحة فى ايجاد موطىء قدم لها هناك • وكانت هناك خمس قوى تحاول بسط سيطرتها على المنطقة وهى فرنسا وتركيا والمانيا وروسيا وبريطانيا • وقد احتدم هذاالصراع فى وقت كانت فيه الكويت تعانى من منازعات داخلية ، لم نجح الشيخ مبارك فى فرض سيطرته وتسلمه لزمام السلطة ، ولكنه مالبث ان وجد امامه عبئا يزيد فى ثقله عما واجهه فى الداخل •• فقد كان الاتراك قد فرضوا على عبد الله بن الصباح ، سلف مبارك ، لقب قائمقام • وترتب علىذلك اللقبان تقوم الكويت بدفعالجزية الى الباب العالى • وحتى يقلل مبارك من نفوذ الاتراك وجد الفرصة السانحة لتسليط بريطانيا على تركيا •فطلب فىعام ١٨٩٦ حمايةبريطانيا•

اسباب الطلب

لقد كان الدافع وراء اسراع مبارك فى توقيع المعاهدة مع بريطانيا الانباء التى وصلت اليه ، والتى كانت تشير الى حشود عسكرية تركية على حدود الكويت • فقد ابلغ مبارك فى عام ١٨٩٨ ان تركيا حشدت ست فرق مشاه ووحدات اخرى ، وان تلك الوحدات كانت على وشك الهجوم على الكويت •• وفى يناير من عام ١٨٩٩ تم ابرام اتفاقية بين بريطانيا والكويت • وقد حققت هذه الاتفاقية للكويت توازنا حساسا بين قوتينرئيسيتين فى المنطقة •

الا انسياسة التوازن التىانتهجها الشيخمبارك انقلبت راسا على عقب بعد وفاته ،فى عام١٩١٦• فعندما خلفه ابنه سالم عكس سياسة والده • كان سالم متعصبا للاسلام •• واعتقد بان سياسةوالده لم تكن مقبولة لانها كانت موجهة ضد بلد اسلامى ومؤيدة لانكلترا البلد الكافر • وانذرته بريطانيا بسحب اعترافها بالكويت كمشيخة مستقلة تحت الحماية البريطانية •

وفى عام ١٩٢٢ حددت حدود الكويت فى مؤتمر العقير الذى شاركت فيه السعودية والعراق ومندوب بريطانى مثل الكويت •

امتيازات النفط والصراع السياسى

اذا كان الوضع الجغرافى للكويت قد اثار صراعات ومصادمات بين القوى المحلية والدولية ، فان احتمالات وجود النفط فى الكويت ادى الى تعقيدات سياسية على نطاق واسع • فقد ظهرت احتمالات وجود البترول فى الكويت فى عام١٩١٣، عندما وعد الشيخ مبارك فى رسالة وجهت الى المقيم السياسىالبريطانى باعطاء بريطانياالاولوية فى البحث عن هذه الثروة • لكن الصراع الحقيقى لم يبدأ الا فى عهد الشيخ احمد الجابر • فقد كان هناك شخص يدعى فرانك هولمز • وكان هذا شريكا

في المؤسسة الشرقية العامة وكانت الصداقة قد توطدت بينه وبين الشيخ احمد • واستطاع هولمز ان يحصل من الشيخ احمد على وعد بامتياز نفطي، وحاول الاتصال بالشركات البريطانية لاثارة اهتمامها بالامتياز الممنوح له • الا ان الشركات رفضت عرضه لعدم ثقتها به •فاضطر الى الاتصال بشركة الخليج الامريكية التي قبلت عرضه وابرمت معه اتفاقا في عام ١٩٢٧ •

الرفض البريطاني

رفض البريطانيون ذلك الاتفاق• واصرت وزارة المستعمرات على منح الامتياز لاحدى الشركات البريطانية واوضحت الحكومة البريطانية ان الامتياز الذى حصلت عليه شركة الخليج غير شرعي • فاتصلت شركة الخليج بوزارة الخارجية الامريكية طالبة مساعدتها • وتدخلت الوزارة لمصلحة الشركة• وبعد مشاورات ديلوماسية مكثفة، وافقت الحكومة البريطانية على السماح لشركة الخليج بالحصول على امتياز التنقيب عن البترول بالاشتراك مع شركة بريطانية •

وفي فبراير من عام ١٩٣٤ ، شكلت الشركة البريطانية وشركة الخليج شركة نفط الكويت المحدودة •

وقد شمل الامتياز الذى حصلت عليه شركة نفط الكويت كل البلاد وجزرها ومياهها الاقليمية• وكانت مدة الامتياز لفترة خمسة وسبعين عاما • ثم اعيد النظر في فترة الامتياز ومددت سبعة عشر عاما اضافيا • والى جانب ذلك ، فقد دخلت الكويت مرحلة اخرى من الامتيازات • ففى عام ١٩٤٨ حصلت شركة النفط الامريكية المستقلة (امينويل) على امتياز للتنقيب عن البترول في الجانب الكويتي من المنطقة المحايدة • وفى عام ١٩٥٨ منحت شركة النفط العربية التي يملكها اليابانيون حق البحث عن النفط في المياه الاقليمية الكويتية المحاذية للمنطقة المحايدة • وحصلت مجموعة شل الهولندية على امتياز للتنقيب عن البترول في المنطقة البحرية عام ١٩٦١ • وفى عام ١٩٦٣ تكونت شركة الكويت الوطنية التي حصلت على امتياز استغلال النفط في المنطقة التي تخلت عنها شركة نفط الكويت •

النفط والاقتصاد الكويتي

وقد ادى استغلال النفط بكميات تجارية وتصديره الى الاسواق الخارجية الى دخول الكويت فترة ازدهار ورخاء اقتصادى • فقد تزايدت الكميات المنتجة وزادت بالتالي عائدات النفط • واخذت الدولة تحول جزءا كبيرا من هذه العائدات الى استثمارات وانفاقات مختلفة•وترجمت الاستثمارات والمبالغ المنفقة الى مشاريع عمرانية واقتصادية • ودخلت الكويت مرحلة التطور العصرى السريع واثر ذلك في التركيب الاجتماعي لسكان الدولة • فقد زاد عدد السكان فيها نتيجة الهجرة اليها من المناطق المحيطة بها ونتيجة التزايد الطبيعي للسكان في الداخل • وتمازجت في الدولة ثقافات عربية واجنبية انعكست آثارها على التركيب الاجتماعي للمجتمع الكويتي الذى بقي لفترة طويلة بعيدا عن تأثير الثقافات الاخرى •

ولم يقتصر اثر الازدهار الاقتصادى على الكويت وحدها • فقد اخذت الكويت تقدم المساعدات لكثير من الدول وخاصة العربية والصديقة للنهوض بمستويات مشاريعها • ففى ديسمبر من عام ١٩٦١ اسست الكويت الصندوق الكويتي للتنمية •وهدفه تقديم المساعدات الاقتصادية للدول العربية والصديقة •

كذلك ساهمت الكويت باستثمارات وانفاقات واسعة لبناء المدارس والمستشفيات في منطقة الخليج العربي وخاصة في دبي والشارقة وعجمان وغيرها• كما قدمت مساعدات مالية اخرى لليمن لاستثمارها في مشاريع متنوعة •

الحاجة الى التنويع الاقتصادى

على الرغم من اهمية النفط في تطوير الاقتصاد الكويتي ، الا ان الكويت اخذت تدرك خطر الاعتماد على مورد رئيسي واحد•فعملت على تطوير سياساتها الاقتصادية للتخلص من هذا الاعتماد المنفرد • فاتجهت الى وضع خطط اقتصادية هدفها ايجاد اقتصاد متوازن ومتنوع • ولقد كانت هناك عدة عوامل دفعت الكويت الى تبني سياسة اقتصادية متنوعة • فخطر نضوب النفط الذى يقدر له الاستمرار لمدة ثمانين عاما اثر في صياغة نظرة الكويت المستقبلية •ثم هناك خطر المنافسة والمزاحمة

من قبل الدول النفطية الاخرى ٠فعلى سبيل المثال، انتقل مركز الثقل النفطي في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٥و١٩٦٥ من الشرق الاوسط الى شمالي افريقيا ٠

لهذا كان التركيز في الخطط الجديدة ينصب على اربعة اهداف رئيسية : تامين توزيع اكثر عدالة للدخل القومي ، تحقيق اقتصاد اكثر تنوعا، تطوير وتنمية الطاقات البشرية ، ودفع الجهود من اجل التكامل الاقتصادي بين الاقطار العربية ٠

استقلال الكويت ومستقبلها

ظهرت الكويت كوحدة سياسية مستقلة في يونيو من عام ١٩٦١ ٠واخذ النظام السياسي في الكويت يسير في اتجاه الحكم الديمقراطي ٠ونص الدستور على انتخاب مجلس امة تناط به سلطة تشريعية ٠ وبدات اول انتخابات ديمقراطية في يناير عام١٩٦٣٠ وعلى الرغم من غياب الاحزاب عن ساحة الانتخابات، الا ان اتجاه المرشحين كان عربيا قوميا ٠ فقد كان المرشحون ينادون بافكار تتراوح بين الدعوة للوحدة العربية ، وبين المطالبة باصلاحات داخلية سريعة للمجتمع الكويتي ٠ والواقع ان الاتجاه الذى مثله المرشحون كان ذا اهمية خاصة ٠ فقد قضى برنامج المرشحين على جزء كبير من التخوف الذى صاحب الاستقلال وازمة الحدود بين العراق والكويت ٠ فقد ظن البعض ان التجربة ستخلق نوعا من الانكماش فى تطلعات الكويتيين العربية ٠ الا ان تجربة الديمقراطية والانتخابات النيابية في الكويت اعادت الثقة الى دور الكويت الوطني على الصعيدين المحلي والعربي ٠ ■■

الكويت : عبدالاله ابو عياش



فقه الصادق في شرح التبصرة للامام الحلي

تأليف : السيد محمد صادق الحسيني الروحاني
الناشر : مطبعة المهراستوار / قم – ايران

● موسوعة فقهية استدلالية قيمة تقع في عشرين مجلدا ،والكتاب شرح استدلالي موسع على متن « التبصرة » للعلامة الحلي (٦٤٨ – ٧٢٦هـ) وهو من المتون الفقهية المعروفة عند الشيعة الامامية ، وقد شرح هذا المتن جمع من فقهاء الشيعة الامامية ، واخر هذه الشروح كتاب «فقه الصادق » الذى تناول «شرح التبصرة » في ستة عشر مجلدا من ابواب العبادات والعقود والسياسات والايقاعات، وقد اضاف اليه المؤلف شرحا تعليقيا على متن « المكاسب » للشيخ مرتضى الانصاري في اربعة مجلدات فكان المجموع عشرين مجلدا في دورة كاملة من الفقه ٠

وتمتاز الدراسات الفقهية عند الشيعة الامامية بالشمول والعمق ، وقد اكتسب الفقه الشيعي هذه الخاصية العلمية نتيجة لممارسة فقهائهم الاجتهاد بصورة مفتوحة خلال فترة طويلة من الزمن ٠ وقد اكسبتهم هذه الممارسة المفتوحة للاجتهاد خبرة فقهية واصولية غنية في مجال استنباط النصوص، وفهم القواعد الشرعية واستخراج الفروع من الاصول ٠

وللامامية دراسات فقهية موسعة جدا قديما وحديثا ، فمن اهم كتبهم القديمة جواهر الكلام والحدائق الناضرة والرياض النضرة والمسالك والمدارك والمناهل ومفتاح الكرامة وكشف الغطاء والروضة ، اما كتبهم الحديثة فقد صدرت لهم موسوعات فقهية قيمة مثل هذا الكتاب فقه الصادق ومن قبله مستمسك العروة الوثقى والتفتيح ٠

وما لاشك فيه ان تبادل الخبرات الفقهية بين فقهاء المذاهب الاسلامية اقرب الطرق واضمنها لايجاد تفاهم وتعاون اسلامي مركز وعميق بين المذاهب الاسلامية ٠

نيتشـه

المؤلف : الدكتور عبد الرحمن بدوى

الناشر : وكالة المطبوعات / الكويت

★ هذا الكتاب نحو ٣٠٠ صفحة من القطـع المتوسط ، وموضوعه حياة الفيلســـوف الالماني نيتشه Nietzsche (١٨٤٤ – ١٩٠٠) وفلسفته ومؤلفاته ، وهو يشمل مقدمة وعدة فصول ،ويشير المؤلف في مقـــدمته الى ان كتابه هذا حلقة من « سلسلة الفلاسفة » التي قام او يقوم بتاليفها ، ليقدم لقراء العربية « خلاصة الفكر الاوربي » ، كي يتمكنوا من نظرة جديدة الي الوجود يؤمنون بها ويحاولون تحقيقها بدلا من نظراتهم القديمة التي لم يعودوا يؤمنون بها ، لانها لا تساير العصر ومقتضياته كما قال .

وتتناول فصول الكتاب نشأة نيتشه ، واشتغاله الباكر بالفلسفة ، واعجابه باليـونان وتراثهم ، وتاثره اول امره بمواطنيه الكبيرين : شـوبنهور الفيلسوف ، وفاجنر الموسيقي ، ثم تنكره لهما ، واستقلاله بآرائه وقيمه ، وتاثره ايضا باسلافه ، وما طبع عليه من تناقض في معيشـته واتجاهاته وآرائه ، مع تحليل سريع لشخصيته ، ومواهبه ، وما اصابه من امراض كان لها آثارها فياضطراب حياته وافكاره ، حتى انتهى به ذلك الي الجنون المطبق سنة ١٨٨٩ .

ثم يذكر آراءه في الاخلاق وتقسيمها اليالاخلاق سادة واخلاق عبيد ، ونزوعه الى هـدم العقل ، وهدم ما يسمى « العـالم الحقيقي » الي جانب «العالم الظاهر» ، ونقده للعلامتين دارون وسبنسر الانجليزيين ، ورايه في ان « ارادة القوة » هي سر الحياة ، لا « ارادة البقاء » كما قال دارون ، وان الوجود مظهر لارادة القوة ، وهي سر المعرفة والجمال والاخلاق ، وان الوجود صيرورة، والموت موتان : طبيعي وارادي ، وان الموت الارادي عيد الاعياد للحي ، ويوضح نظريته في العود الابدي، وفي الانسان الاعلى وصفاته ، ومنها انه مناضل دائما ، يقدس الحرب ، ويبغض السلم ، ويعيش دائما في خطر ، ويتحمل كل مسئولية ، ولا يتقيد الا بقيمه الخاصة المـستمدة من ارادة القوة في نفسه ، دون ان يبالي بالآخـرين أو بما تعارفوا عليه . وهذه نظرة تاباها الانســانية ، وآدابها وأديانها .

قادة الفـكر الاسلامي عبر القرون

تاليف : عبد الله بن سعد الرويشد .

الناشر : مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه – بيروت/لبنان .

● كتاب يؤرخ للفكر الاسلامي وائمته واعلامه عبر العصور منذ القرن الثانيالهجرى حتى اليوم، ويحوى نحو ثلاثين دراسة لكبار المفكرين في الاسلام في القديم والحديث ، فمن قادة الفكر القديم الائمة الاربعة وهم ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد ابن حنبل ثم الامامان المحدثان البخارى ومسلم ثم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية .

اما القسم الثاني من الكتاب فهو دراسة عن مدرسة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته ومنهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الشيخ والشيـخ عبد الله بن عبد اللطيـف آل الشيخ والشيخ سليمان بن سحمان ثم الامام الشيخ محمود شكرى الالوسى .

فهذه الطائفة من ائمة الفكر الاسلامي القديم والحديث ترسم صورة جليلة لتطور الفكر الاسلامي الرفيع من عهد الائمة الاربعة الكبار الى يومنا هذا .

حكايات الى امرأة من يبرود

تاليف : خالد محيى الدين البرادعي

الناشر : مطابع الرسالة / الكويت .

● ديوانشعر يقعفيمائتى صفحة ،مزينبعشرات اللوحات التعبيرية ، ومكتوب بخط يدوى جميل ، وتمتاز قصائد هذه المجموعة بأنها من الشعر المرسل الذى لايتقيد بوزن او قافية ، كما ان هذا الديوان يعتبر تحولا هاما فـي شـعر البرادعي حيث نجـد التركيز والمعالجة وكثافة الصور الشـعرية ، كما برزت خطوط شخصية الشاعر بهذا الديوان اكثر وضوحا وادل حدودا منها فياعماله السابقة ،واهم مايتميز بههذا الديوانالمعالجة والتشخيص والرصد والتنبؤ من خلال الصورة البسيطة التى تاتيعميقة وشفافة ، وتمتاز بالسهولة والقدرة على الوصول الى جانب العفوية والصدقاللذين استطاعالشاعر ان يحافظ عليهما خلال قصائد الديوان .

مع رجال الفكر في القاهرة

تأليف : السيد مرتضى الرضوى .

الناشر : مطبوعات النجاح ـ القاهرة / مصر .

● يضم هذا الكتاب بين دفتيه تراجم شخصية لعشرات من علماء مصر ومفكريها وقادة الرأي فيها، في شتى مجالات الثقافة العقلية والروحية ، ويعتبر هذا الكتاب نمطا فريدا في التراجم الذاتية للاعلام ، فهذه الشخصيات التي ترجم لها قد عرفها المؤلف عن قرب ، وعايشها معايشة صداقة والفة ، امتدت سنين طويلة ، وقد تخيرها المؤلف من بين الكثيرين من علماء مصر ومفكريها بعد ان التقى بهم لقاءات فكرية متعددة ، فيما قرأ لهم من مؤلفات ، أو فيما استمع لهم من احاديث عن طريق الاذاعة ، لم رأى انهم اقرب العلماء والمفكرين الى ثقافته والى ما يدور في عقله من خواطر وآراء ،وقد اتصل ببعضهم اتصالا شخصيا أو عن طريق المراسلة لانه كان بعيدا عن مصر ، ومن امثال من ترجم لهم المؤلف في هذا الكتاب الاستاذ احمد حسن الباقوري ، والاستاذ امين الخولي ، والاستاذ خالد محمد خالد ، والدكاترة شوقي ضيف ، وطه حسين ، وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) واخرون .

الوان من ادب الغرب

تأليف : علي ادهم

الناشر : دار الهلال بالقاهرة

● هذا الكتاب حلقة من « السلسلة الثقافية » الشهرية التي تصدرها دار الهلال بالقاهرة ، وصفحاته ٢٣٠ ، ومن رأى المؤلف ان الغالب على اي نهضة ادبية انها نتيجة تلاقي ثقافتين متباينتين تحتك كلتاهما بالاخرى، ولكي يتم الامتزاج بينهما لابد لكل ثقافة منهما من التنازل عن بعض معالم شخصيتها القديمة ، والتسامح في قبول ما عند غيرها من جديد يخالفها .. واذن فلا بد لنهضة ادبنا العربي اليوم ، من ان يمتزج بالآداب الغربية على اختلاف لغاتها واقطارها .

ولان المؤلف يستهدف نهضة ادبنا ، فانه حاول قبل هذا الكتاب تعريفنا بكثير من مفكري الغرب واعمالهم وآرائهم ، ثم حاول في هذا الكتاب تقديم فصول اخرى لتعريف طائفة اخرى منهم ، تلم بسيرهم ومزاياهم الادبية ، مع عرض مختارات من آثارهم توضح هذه المزايا ، ومن هؤلاء الكتاب والمفكرين تولستوى، وترجنيف ، وساليتكوف ، وكريلوف من روسيا، ومتزيني ، وبابيني ، وليوباردي من ايطاليا ، واونا مونو من اسبانيا ، وجيتي من المانيا ، وميترلنك من بلجيكا ، وكارليل وولز من انجلترا . والمؤلف هنا لايكتفي بالتعريف والعرض،ولكنه يعقب على ما يعرض بالتوضيح والنقد والمقارنة بين عمل وعمل ، ومفكر وغيره. وهو في فلسفة التاريخ والنقد الادبي ذو ماض طويل .

الادب في خدمة الحياة والعقيدة

تأليف : عبد الله حمد العويشق

اشراف : الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

الناشر: الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

● تحاول هذه الدراسة ان تبين الصلة الحقيقية بين الادب وكل من العقيدة والحياة ووظيفته فيها ومقدار مشاركته في خدمتها ، فالمكتبة العربية فقيرة في مثل هذه الدراسات ،وحتى الدراسات التي تناولت هذا الموضوع فانها لم تدرسه من جميع جوانبه ، ومن اهم الكتب الرائدة في هذا الموضوع كتاب الاستاذ محمد قطب (منهج الفن الاسلامي) وكذلك كتاب الدكتور نجيب الكيلاني (الاسلامية والمذاهب الادبية)

اما منهج المؤلف في كتابه هذا فانه يبدأ بدراسة تمهيدية عن مفهوم كل من الحياة والعقيدة والادب ليتسنى من بعدها تحديد مدلولاتها التي يرتكز عليها البحث ، والباب الاول يدرس وظيفة الادب الهادف وتعداد وظائفه باحثا في الصدق الفني ، ورسالة الاديب والكاتب ، اما البابان الثاني والثالث فيتعرضان لدراسة الاتجاهات الادبية والفنون الادبية وخدمتها للحياة والعقيدة،واما الباب الرابع فيحاول رسم صورة لخدمة الحياة والعقيدة في الامم القديمة لمعرفة موقفها من وظيفة الادب ، وكيف نظرت اليه وسخرته في خدمة عقيدتها ، اما الباب الخامس فقد خصص للادب الاسلامي وخدمته لعقيدة الاسلام وحياته .

● من قصص الخيال العلمى ●

الوليب المرعب

عن قصة :
آرثر كلارك

■ فى الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين بعد منتصف الليل ، بتوقيت جرينيتش ، من صباح الاول من ديسمبر ١٩٧٧ ، اطلقت جميع تليفونات العالم اجراسها ٠

رفع ربع بليون شخص سماعات التليفون ، وانصتوا لعدة ثوان فى ضيق واندهاش ٠ اولئك الذين اوقظوا فى منتصف الليل، تصوروا ان بعض الاصدقاء يحاولون الاتصال بهم من مكان بعيد ، عن طريق شبكة تليفونات القمر الصناعى، التى بدات عملها فى اليوم السابق وسط ضجةاعلانية واسعة النطاق ٠ الا انهم فشلوا فى التقاط اى حديث من الطرف الآخر ، مجرد اصوات ٠٠ بدت لكثيرين منهم اشبه باصطخاب الامواج كما بدت للبعض الآخر كاصوات آلة الهارب الموسيقيةعندما توضع فى طريق ريح قوية ٠ تباينت الاقوال فى وصف ذلك الصوت ، فمن قائل انه اشبه بصوت اندفاع الدم فى العروق ، الى من يقول انه اشبه بالصوت الذى نسمعه عندما نضع محارة على اذننا ٠٠ الى من قال ان ذلك الصوت يذكره باصوات خفية ترجع الى ايام طفولته الاولى ٠٠٠ ايا كان ذلك الصوت ، فانه لم يستمر لاكثر من عشرين ثانية ،ثم عاد الى التليفون ازيزه الطبيعى الذى نسمعه عندما نرفع السماعة عادة ٠

تصاعدت لعنات المشتركين وهم يعيدون سماعة التليفون الى مكانها ٠ حاول البعض الاتصال بارقام الشكاوى لابلاغ شكواه ، لكنها كانت جميعا مشغولة بصفة مستمرة ٠ وبعد عدةساعات نسى الجميع القصة برمتها ، فيما عدا هؤلاء الذين كان من واجبهم ان يقلقوا لمثل ما حدث ٠

فى مركز ابحاث ادارة الاتصالات السلكية واللاسلكية ، اتصلت المناقشات طوال الصباح ، وتعددت الآراء ، غير انها لم تصل بهم الى قرار٠ وعادت المناقشات لتستمر بنفس حدتها فى فترة تناول الغذاء ، عندما تدفق المهندسون الجائعون الى المطعم الصغير عبر الطريق ٠

قال ويلى سميث المهندس الالكترونى بمركز الابحاث « مازلت اعتقد ان ما حدث ، لا يزيد عن كونه تنفيث عارض لفائض التيار الذى نشا عن البدء فى تشغيل شبكة الاتصال التليفونى عن طريق القمر الصناعى » ٠ وعلق جول رايتر مهندس التصميمات « انا معك فى ارتباط ما حدث بتشغيل الشبكة الجديدة ، الا ان الفارق الزمنى هو الذى يحيرنى ٠٠ الفارق الزمنى بين بداية تشغيل الشبكة عند منتصف الليل ، وحدوث هذه الظاهرة بعد حوالى ساعتين تقريبا ٠٠ »

وتساءل بوب اندروز ، مسئول برامج العقل



الالكتروني » بماذا تفسر هذه الظاهرة يادكتور ؟ •• لقد بقيت صامتا طوال هذا الصباح ، واعتقد انك قد كونت فكرة ما • » تحرك دكتور جـون وليامز رئيس قسم الابحاث الرياضية بضيق ثم قال « نعم عندى فكرة •• ولكننى لا اعتقد انكم ستاخذونها ماخذ الجد •• » • فقال بوب « هذا لا يهم •• حتى لو انها كانت فكرة خرافية حالمة كافكار قصص الخيال العلمي التي تنشرها تحت اسم مستعار •• فهى قد تفتـــح امامنا ابواب التفكير فيما حدث • »

احمر وجه دكتور وليامز بعض الشيء ••فالكل يعرف تمسكه بهواية كتابة قصص الخيال العلمى، وهو لا يخجل من هذا •• لكنه يضيق بنظرة الناس الى هذه الهواية ، لكنه عاد فتمالك نفسه ، وقال وهو ينقر على المائدة « حسن جدا •• ان هـذه الظاهرة تتصل بموضوع افكر فيه منذ سنين •• هل لاحظ احدكم التشابه بين عمل التليفون الالى، وعمل المخ البشرى ؟ »

قال احد الجالسين « ومن الذى لم يلاحظ مثل هذا التشابه ؟! •• ان ملاحظة مثل هذا الشبه تعود بلا ريب الى ايام جراهام بيل نفسه ! •• »

واصل وليامز حديثه قائلا « هذا امر محتمل•• لم اقل انها فكرة شاذة لا تخطر على بال احد •• لكنى اعتقد انه قد حان الوقت لاخذها ماخذ الجد، ثم راح ينظر مفكرا الى مصابيح ،الفلورسنت المعلقة فوق الموائد ، والتى لم يكن من الممكن الاستغناء عنها حتى ساعة الظهيرة ، وسط ذلك الجو الشتوى الضبابى المعتم ، ثم قال « ما الذى حدث لهذه المصابيح •• ان نورها يتذبذب بشكل غريب طوال الدقائق الخمس الماضية » •

قال سميث « لا تقلق •• فلا بد أن مورجـان صاحب المطعم قد نسى أن يسدد فاتورة الكهرباء •• دعنا الآن نسمع المزيد عن نظريتك هذه » •

قال الدكتور وليامز « انها ليست نظرية •• هى مجرد مجموعة من الحقائق البسيطة • نحن نعلم أن المخ البشرى عبارة عن شبكة محولات•• نيورونات او خلايا عصبية تتصل او تنفصل عن الاعصاب وفق نظام يحكم •• والتليفون الالى يعتمد هو الآخر على شبكة من المحولات •• تحل فيها الاسلاك محل الاعصاب » •

علق سميث قائلا « اوافق ،ولو انهذه المقارنة ،لن تمضى بنا بعيدا •• فالمخ كما نعلم يتضمن حوالى خمســة عشر بليون نيورون او خليــة عصبية •• »

قبل ان يتكلم دكتور وليـــامز ، ارتج المكان بالصوت المزعج لطائرة صاروخية تطير على ارتفاع

منخفض . فصاح اندروز ساخطا « لم يحدث ان طاروا على هذا الارتفاع المنخفض .. اعتقد ان هذا مخالف للمعلومات ».. فعقب احدهم « لاتقلق، فمطار لندن قادر على اصطيادها .. » .

قاطعه سميث قائلا بعصبية « هل سنكمل مناقشتنا هذه .. ام لا ؟ » .

ونظر الى الدكتور وليامز الذى قال « لك كل الحق فيما ذكرته .. قد يبدو رقم خمسة عشر بليونا رقما كبيرا ، لكنه ليس كذلك . ففى عام ١٩٦٦ مثلا ، بلغ عدد خطوط التليفون الالى فى العالم ما يتجاوز هذا الرقم .. واليوم ، اعتقد ان عددها قد تضاعف خمس مرات » .

قال رايتر متاملا « فهمت .. تريد ان تقول انها ابتداء من الامس اصبحت قادرة على الاتصال الكامل المتبادل بينها .. وانها شرعت فى نشاطها بعد أن ربط بينها القمر الصناعى .. » .

« بالضبط .. » قالها الدكتور وليامز ، فعم سكون قصير ، علا بعده صوت سميث فوق الصوت الذى تصدره عربات اطفاء بعيده ، قال « دعونى افهم كلامكم جيدا .. هل تفترضون ان شبكة الاتصالات التليفونية الالية بعد ارتباطها بالقمر الصناعى ، قد اصبحت مخا عملاقا ؟ !! » .

اجاب الدكتور وليامز « ليس بالضبط .. ما اريد ان اشرحه ، هو ان التليفونات حتى امس كانت مجموعة من الشبكات الاليه . لكنها الان وبعد ان حققت فيما بينها هذا الاتصال الوثيق ، تضاعفت طاقتها الى حد ان وصلت بنا الى اللحظة الحرجة » .

تساءل سميث « وماذا تقصد باللحظة الحرجة التى تحققت ؟ » .

اجاب وليامز « اذا اردت التعبير المحدد .. اقصد .. الشعور ! » .

علق رايتر « تقصد نوعا من الشعور سرى فى الاسلاك .. ولكن ، على اى شىء تعتمد هذه الاسلاك ، فى العمل كاعضاء حس تغذى هذا الشعور ؟ » .

اشار دكتور وليامز بيديه وهو يقول «كثير.. كثير .. كل محطات الاذاعة والتلفزيون فى العالم يمكن ان تكون مصدر تغذية مستمره لها بالمعارف والمعلومات ، هذا هو مايعطى الشبكة شيئاتفكر فيه ، ثم هناك كل المعلومات المخزونة فى العقول الالكترونية المنتشرة على سطح الارض .. اضف الى ذلك جميع المكتبات الالكترونية ..وشبكات الرادار .. ونظام التشغيل الالكترونى فى المصانع الالية.بالله، سيكون لديها مايغنيها عن اى اعضاء للحس . قد لانستطيع ان نتخيل صورة العالم فى نظرها بعد كل هذه التغذية .. لكنها ستكون بلاريب اكثر تعقيدا وتركيبا وثراء بالنسبة لصورته فى نظرنا » .

قال رايتر وهو يبتسم « دعنا نصدق هذا ، فالفكرة بلا شك مسلية .. ولكن ، ما الذى ستفعله شبكة الاتصال التليفونى بكل هذه المعلومات .. غير ان تفكر على اكثر تقدير ؟ انها لن تذهب الى ابعد من هذا .. فليس لها من الاطراف او الاعضاء ما يسمح لها بالتحويل من التفكير الى العمل » .

قال وليامز بنبرة ساخرة « ماالذى يضطرهاالى الحركة .. ستكون قادرة على التواجد فى كل مكان .. فكل جهاز كهربائى للتحكم والتحريك عن بعد على ظهر هذه الارض .. سيعمل كعضو من اعضائها » .

صاح اندروز ضاحكا « الان فهمت سر التاخير الذى حدث فى هذه الظاهرة .. لقد تم التوصيل بالقمر الصناعى فى منتصف الليل .. لكن المخ العملاق لم يولد الا فى الساعة الواحدةوالخمسين دقيقة من هذا الصباح .. والاصوات التى ايقظتنا جميعا .. كانت صرخات المولود الاولى ! » .

لم يستجب احد الحاضرين لفكاهته . وفى نفس الوقت تضاعف تذبذب الضوء واهتزازه بشكل يبعث على الضيق . وتطلع الجميع الى مدخل المطعم ، عندما اقتحمه جيم سمول المشتغل بقسم امدادات الطاقة ، واخذ يصيح على طريقته المعتادة فى المزاح «انظروا الى هذا ايها الاصدقاء .. لقد اصبحت من اعظم الاغنياء .. هل تلقى احد منكم مثل هذا البيان من مصرفه ؟ ! » .قال هذا وهو يلوح بورقة فى وجه زملائه

تناول دكتور وليامز تقرير البنك ، وراجع الارقام التى به ، ثم قرا : الرصيد مرتفع .يعكس

دهشته « ٩٩٩ مليون جنيه ! » اوستطرد وسط تعليقات الجالسين « ليس فى هذا جديد ،فشبكة العقول الالكترونية التى بدا العمل بها فى البنوك حديثا ترتكب مثل هذه الاخطاء » .

قاطعه سمول « اعلم ·· اعلم هذا ·· لكن ارجوك لاتفسد متعتى ·· ساضع هذه الورقةداخل اطار جميل اعلقه فى صدر بيتى ·· بل ربما استندت اليها ، وارسلت اصرف شيكا ببعض الملايين ، » وفكر للحظة ثم قال « هل يمكنني ان اقاضى البنك اذا امتنع عن الصرف ؟ ! » .

قال له راينر « لاتسترسل فى الاحلام ·· ابحث جيدا فى الورقة التى معك ، وستجد ان البنك قد اضاف بحروف صغيرة جدا ، فى جهة ما منها ·· فيما عدا السهو والخطا ·· » ضحك الحاضرون، فاستطرد « بالمناسبة ·· متى وصلتك هذه الورقة ؟ » .

اجاب سمول « فى بريد الظهر ·· فقد طلبت منهم ان يرسلوا حسابات رصيدى على المكتب ، حتى لاتطلع عليه زوجتى اولا باول ·· » .

تمتم راينر « معنى هذا ان الرصيد تم حسابه بالعقل الالكترونى هذا الصباح ·· .

وبالتاكيد بعد منتصف الليل ·· » ، فتساءل سمول « ماذا تعنى بهذا ؟ ·· وما هذا الوجوم الذى يطبق عليكم جميعا ؟ » .

لم يحظ سمول باجابة على سؤاله ··بل تساءل سميث «هل يعرف اى منكم شيئا عن النظام الالكترونى للبنوك ؟ وكيف ترتبط ببعضها البعض عن طريق الشبكة الجديدة ؟ ·· » اجاب اندروز « مثل اى شىء هذه الايام·· انها تعمل كلها فى اطار نفس النظام ··العقول الالكترونية داخل البنوك تتحدث الى بعضها البعض ··على امتداد الكرة الارضية» ثم اضاف « هذه نقطة فى صفك يادكتور وليامز ·· فلو ان المتاعب التى تتوقعها قد تحققت فلا شك ان مجالها الاول سيكون فى مثل هذا المحيط ، بالاضافة الى ·· » .

صاح راينر مقاطعا باحتجاج « لم احظ حتى الآن باجابة عن السؤال الذى طرحته قبل مقدم سمول ·· ما الذى يمكن لذلك العقل العملاق ان يفعله بالضبط ؟ هل سيتصرف معنا بود وتعاطف ·· ام بعدوانية ام سيتجاهلنا كلية ؟ ·· هل سيشعر بوجودنا ويدركه ·· ام سيعتبر الاشارات الالكترونية التى يتعامل معها ، هى الوجود الوحيد فى الكون ؟ » .

اجاب وليامز وقد ظهرت على وجهه ابتسامة انتصار « ارى انك بدات تصدق افتراض ··لكى اجيب على سؤالك ، لابد لى من ان اطرح سؤالا اخر ·· ما الذى يفعله الطفل الوليد بمجرد ولادته ؟ انه يبدا بحثه عن الطعام » والقى نظرة خاطفة على مصابيح الفلورسنت التى تزايد اضطرابها بشكل واضح ، ثم قال بصوت خافت « يا الهى ·· لن يحتاج سوى طعام وحيد ·· الكهرباء ! » .

تململ سميث فى مكانه ثم قال « هذا العبث قد جاوز الحد ·· ما الذى حدث لغذائنا بحق الجحيم ؟ لقد طلبناه منذ اكثر من نصف ساعة » ·· لم يلتفت احد الى كلماته ، وقال راينر مواصلا الحديث السابق « وبعد هذا يبدا الطفل الوليد فى التطلع حوله ، محركا اطرافه ·· وبمعنى ادق سيبدا اللعب ·· كما يفعل اى طفل اخر » ، فعقب احد الحاضرين « وهم فى كثير من الاحيان يخربون ما حولهم » . فاستطرد راينر « سيكون لديه ما يكفيه من الالعاب ·· هذه الطائرة الصاروخية التى كادت تتحطم فوق رؤوسنا ·· خطوط الانتاج الآلى فى المصانع ·· اشارات المرور فى الشوارع ·· » .

فقاطعه سمول قائلا « غريب ان تذكر هذا ·· فقد طرا على حركة المرور اضطراب نادر ·· فاختلط السير ، وتوقفت جميع السيارات فى مكانها منذ عشر دقائق » . وصاح سميث ينادى صاحب المطعم فى ضيق وتبرم « مورجان ·· ما الذى حدث للاضاءة ؟ ابحث لنا عن مصباح آخر ·· اننا لا نكاد نرى شيئا مما حولنا » .

هنا قال راينر فجاة « لقد تذكرت ·· هذا المطعم يفخر دائما بان مطبخه يسير وفق نظام آلى دقيق معتمدا على الكهرباء ·· ابشروا فطعامكم

سيقدم اليكم باردا .. هذا اذا حظيتم باى طعام .. » .

قال سميث مخاطبا سمول « على الاقل ،اعطنى الجريدة التى تحملها ،اقرأ فيها حتى يأتى الطعام .. هل هى الطبعة الاخيرة ؟ » اجاب سمول «نعم .. لم اجد وقتا لالقى نظرة عليها .. » وتطلع الى العناوين الكبيرة وهو يقول « يبدو أن عددا كبيرا من الحوادث الغريبة قد حدث هذا الصباح .. وصلات وتحويلات السكك الحديديةقد اختلطت .. وفاضت خزانات المياه ،فى اثر اعطال اصابت اجهزة التصريف الآلى بها .. و .. ومئات الشكاوى من اجراس التليفون التى دقت بالليل .. و .. و .. » ثم قلب الصفحة الاولى .. وصمت فجأة وهو يتطلع الى الجريدة مذعورا . فصاح احدهم بفضول « ماالذى حدث ؟ .. تكلم » وبدون أن يتكلم ، ناولهم الجريدة ، الشيءالمعقول الوحيد فيها كان الصفحة الاولى بما فيها من عناوين كبيرة .. اما فى الداخل فقد اختلطت الحروف والسطور والاعمدة فى فوضى كاملة .. مع جزر صغيرة هنا وهناك من الاعلانات التجارية التى تصنع الشيء الوحيد المعقول فى الصفحات ..فقد انقذتها قوالبها الثابتة التىسبق اعدادها من الخضوع لهذه الفوضى .

قال اندروز متذمرا « اذن .. فهذا هو ما اوصلتنا اليه شبكة صف الحروف اللاسلكية التى تعتز بها صحف هذه الايام .. اخشى ان يكون حى المال فى «فليت ستريت» قد وقع فىنفس المأزق باستخدام شبكة العقول الالكترونية » .

قال دكتور وليامز بوقار « هذا هو حالنا جميعا .. حالنا جميعا » .

فصاح سميث غاضبا « وما الذى يقلقنا هكذا .. اذا ما ثبت صدق خيالك يا دكتور .. فليس اسهل من أن نبطل عمل القمر الصناعى .. فتعود الاحوال الى ما كانت عليه » .

تمتم دكتور وليامز « استئصال الفص الجبهى .. لقد فكرت فى هذا .. » .

واستطرد سميث « نعم .. سيريحنا منكل هذه المشاكل .. ستكون الخسارة المالية باهظة .. وسنضطر الى معاودة الاعتماد على البرقيات فى اتصالاتنا .. لكن هذا سيحفظ لنا حضارتنا ».

توقف الجميع عن الحديث عندما وصلت الى اسماعهم اصوات الانفجارات الحادة . فقال اندروز بقلق « دعنا نسمع ما تقوله محطات الاذاعة .. لقد حل موعد نشرة الظهيرة » واخرج من حقيبته جهاز راديو صغير ، وضبط مفاتيحه .

« ... بالاضافة الى عدد من الحوادث غير المتوقعة فى مجال الصناعة .. كذلك انطلقت فجأة ثلاثة صواريخ منالقواعد العسكرية الامريكية من تلقاء نفسها . ولجأ الكثير من المطارات الى التوقف بعد الاخطاء المتعاقبة التى وقعت فيها اجهزة الرادار التى تعتمد عليها . اما سوق الاوراق المالية فقد اغلقت ابوابها بعد ان ثبت عدم جدوى الاعتماد على اجهزة الاتصال التى تستخدمها .. لحظة واحدة من فضلكم .. اليكم هذا الخبر الهام .. لقد وصل الى علمنا الآن ، اننا قد فقدنا قدرتنا على التحكم فى شبكة الاتصال عن طريق الاقمار الصناعية التى بدأت عملها اليوم ..لم تعد الاقمار الصناعية تستجيب لاوامر اجهزة الاتصال الارضية .. وبالرجوع الى الاخبار التى .. » .

وصمتت محطة الاذاعة تماما .. حاول اندروز ان يبحث عن محطة اخرى ، فلم يصدر من الراديو الصغير اى صوت على الاطلاق .

صاح راينر بصوت هيستيرى « لقد سبقنا .. كانت فكرة طيبة يا دكتور .. فكرة استئصال الفص الجبهى فى العقل الالكترونى .. لكن الطفل الوليد قد سبقنا اليهاواتخذ احتياطاته !»

نهض الدكتور وليامز فى تثاقل واكتئاب ،ثم قال « دعونا نعود الى معملنا .. لابد من وجود حل لهذه المشكلة الخطيرة .. فى مكان ما على سطح الارض » ..

ومضى خارجا من المطعم ، وهو يعلم جيدا استحالة ذلك الاحتمال بعد ان تطورت المشكلة الى هذا المدى .

فعلى الجنس البشرى أن يدرك .. لقد دقت تليفونات العالم اجراسها . ■■

ترجمة ـ راجي عنايت



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

التهاب السحايا

● نقل ابن صديق لي الى المستشفى ، وعند التشخيص قالوا لوالده انه مصاب بمرض « ذات السحايا » ، فما هو هذا المرض ، وما علاجه ؟

ـ لعل المقصود من هذه الكلمة هو « التهاب السحايا » . والسحايا عبارة عن اغشية ثلاثة تغلف المخ ، ويعرف الأول بالأم الجافية ،وهو يكون الطبقة الخارجية والسميكة الملاصقة لعظام الجمجمة . اما الثالث فيعرف بالام الحنون لالتصاقه ودخوله بين الاجزاء المكونة للمخ ، ويقع بين هذين الغشائين الغشاء الثانى ،المعروف بالعنكبوتية .

وتلتهب هذه الاغشية او السحايا من جراء ميكروب يصل اليها اما عن طريق الدم ، او بسبب جرح عميق بالجمجمة ، او التهاب بالاذن وتآكل سقفها وخروج الميكروب منها الى داخل الجمجمة والى السحايا .

واهم هذه الميكروبات ، هو ميكروب السل ، او ميكروب الكروى Pnuemococci او الاكثرها شيوعا وهو ميكروب السحايا الكروى Meningococci . وكلها اذا لم تشخص بسرعة وتعالج علاجا سريعا وكافيا تركت وراءها مضاعفات ، منها شلل بعض الاعصاب بالرأس او شلل بعض الاطراف او استسقاء بالمخ . واذا وصلت الى المخ تسببت فى التهاب لبعض اجزائه ،وبالتالى تسببت فى مضاعفات اخرى كالتهاب عصب البصر او الشم ، او التهاب المخيخ وما يتبع ذلك من اعراض ، او عدم نمو المخ وتآكله مما يؤدى الى تخلف عقلى وجسمى .

واكثر التهابات السحايا شيوعا هو الذى يسببه ميكروب كروى السحايا Meningococci ويصيب صغار السن بين السنة الاولى وحتى السنة العاشرة ، وهو معد ، وتكثر هذه الحالات فى فصلى الشتاء والربيع ،كما تظهر اعراض المرض فجأة بارتفاع فى درجة الحرارة ،مع صداع شديد ، وفى الحالات الشديدة تحدث تشنجات عضلية شديدة يذهب المريض بعدها فى غيبوبة ، اما فى الحالات المتوسطة فيحدث بعد الصداع قىء ، ولا يقوى المريض على فتح عينيه فى الضوء، وتتقلص عضلات الرقبة فيميل الرأس الى الخلف ، ويتقوس العمود الفقرى ،وكذلك تحدث تقلصات الاطراف وتيبس بها .

والوقاية فى هذه الحالات هامة ، فاذا ما اصيب شخص بالمرض ، وجب على كل المخالطين له ان يتعاطوا جراما من سلفاديازين لمدة يومين ، خوفا من انتشار المرض ، وان تراعى اسباب النظافة من تهوية وتعرض للشمس ، وكذلك التخلص من الادوات التى يستعملها المريض .

وفى الحالات الشديدة يجب نقل المصاب الى المستشفى ، لان العلاج فى هذه الحالات يكون باعطائه الغذاء والدواء عن طريق الوريد ، اما فى الحالات الاقل شدة والتى يمكن ان يبلع المريض دواءه ، فتعالج بواسطة اقراص السفاديازين او البنسلين او الاثنين معا حسب ما يتراءى للطبيب المعالج • ويجب ان يكون العلاج سريعا ويعطى بكميات كافية خوفا من حدوث مضاعفات •

تقرحات الفم

● ظهرت فى فمى مؤخرا تقرحات وخاصة على لسانى ، لدرجة اصبحت معها غير قادر على تناول طعامى •• فما اسباب هذه الحالة ؟ وماعلاجها ؟

ــ ان التقرحات التى تظهر فى الفم لها اسباب عدة ، اهمها : وجود ميكروب بالفم نتيجة لالتهاب الاسنان او اللثة اوميكروب حول اللوزتين ، وكذلك يمكن ان تعزى هذه الالتهابات الى وجود نتوءات بالاسنان فتؤدى الى تقرحات فى اللسان ••

وهناك تقرحات تنتج من الزهرى او وجود اورام بالفم او اللسان ، ولكن الاكثر شيوعا هى التقرحات السطحية التى تظهر من آن الى آخر فتسبب آلاما كثيرة بالفم حتى ان المصاب يعجز عن الكلام او تناول الطعام • وربما استفحلت هذه التقرحات وحدث بها قيح ، واستمرت لفترة طويلة ••الا ان معظمها يبقى حوالى اربعة ايام ، تندمل بعدها لتظهر بعد فترة من الوقت ، وهكذا •• مما يجعل المريض يضيق ذرعا بها ••

وهذه التقرحات لم يثبت حتى الآن السبب المباشر لها •• لذا كان من الصعب علاجها العلاج اللازم ، وكل ماطرح من اسباب لايعدو مجرد نظريات •• فالبعض يقول انها اسباب نفسية ، والبعض الآخر يعزوها الى وجود نوع من الفيروس ، او الحساسية ، او تلبك فى الجهاز الهضمى •• وغير ذلك من الأسباب • لذا كان علاج هذه الاسباب علاجا لمثل هذه الحالات •

ولتقليل آلام هذه التقرحات توجد دهونات لوضعها على سطحها كى تخفف من وطأتها مثل البيورال Picral أو تونكس Tonex وغيرها •

وآخر ما استحدث من علاج لهذه التقرحات هو اعطاء فيتامين ب١٢ بكميات كبيرة بواسطة الحقن •• اذ وجد ان ذلك يقلل من حدوثها •

التأتأة

● عمرى ١٨ سنة ، واعانى من التأتأة فى كلامى بشكل احس معه بالخجل مما يدفع بى الى السكوت فى معرض الحاجة الى الكلام •• فهل من علاج لحالتى ؟

ــ التأتأة او التعثر فى الكلام ظاهرة تصيب صغار السن نتيجة لتقلص فى العضلات التى تقوم بعملية الكلام ، اى الافصاح عما يجول فى خاطر الانسان •• وتظهر فى الحالات على شكل تكرار للحروف المكونة لبعض الكلمات ، او الوقوف عند بعضها ، او خروج كلمات متلاحقة يليها توقف لبعض الوقت ، ثم الاستمرار فى الكلام •

والملاحظ فى هذه الحالات انها تزداد سوءا اذا كان الشخص فى موقف محرج ، او امام اناس لايعرفونه او يعرفهم ، ولكنه عندما يختلى بنفسه تراه يتكلم كلاما طبيعيا دون توقف •

وقد تبين ان هذا التأثر في الكلام لايكون مصحوبا بمرض عضوى فى الجهاز العصبى الذى يسيطر على الكلام ، كما تبين ان الاصابة فى الذكور هى اربعة اضعاف الاصابة فى الاناث • وتزداد هذه الحالة في الاولاد الذين ارغموا على ان يستعملوا اليد اليمنى بدلا من استعمالهم اليد اليسرى لفترة طويلة ـ فى الكتابة وغيرها ـ وفي الاولاد الذين ينتشر المرض بين افراد عائلتهم ، وفى بعض الحالات يكون عامل الوراثة معدوم ، وتظهر التأتأة مابين السنة السادسة والثامنة ، اى عندما يبدأ الطفل في القراءة والكتابة ••ويعزو البعض هذه الظاهرة الى اضطرابات فى نفسية الطفل ، ولكن البعض ينفى هذا السبب ، ويقول ان التوتر العصبي الذى يصيب هؤلاء الاطفال هو نتيجة للتأتأة وليس سببالها•

وفي الحالات التى تكون هذه الظاهرة بسيطة ، نرى انها تتوقف فجأة ، ويصير الكلام طبيعيا ، وفى الحالات الشديدة تتوقف الحالة بعد العلاج ، مادام الشخص يتبع طريقة العلاج بدقة ••

فاذا كان الشخص قد اصيب بالتأتأة بعد استعماله يده اليمنى بدلا من اليسرى فى الكتابة ، فان الرجوع الى استعمال اليد اليسرى فى الكتابة يؤدى الىتحسن كبير فى التأتأة•• وتعالج كذلك اية امراض عضوية فى الجهاز التنفسى العلوى ، كالزوائد الانفية او التهابات اللوزتين او الحنجرةاو الشعب الهوائية • ويمارس المصاب التمرينات المستمرة على طريقة جعل العضلات التى تستعمل فى الكلام فى حالة استرخاء تام ، فتمرن عضلات الشفتين واللسان والفك على ان تحرك هذه العضلاتدون كلام ، ثمتدريجيا يستعمل هذه الاعضاء بسهولة فى الغناء مثلا ، ثم التحدث مع نفسه وتسجيلكلامه، وبالتدريج تزداد الثقة فى نفسه الى ان يتحدث بشكل طبيعي •• وفى الحالات التى يكون الشخص فيها متوترا نفسيا لابد من علاج حالته النفسية اولا وبالتالى ستزول التأتأة ••

ولاشك ان للمدرس وزملاء الشخص المصاب دور كبير فى اعانته على التغلب على هذه الظاهرة، فلا يخذلوه اوينقصوا من قدره •

اثر ركوب الطائرة على الحامل

● انا امرأة حامل وارغب السفرفي هذا الصيف ، فهل من خطر على اذا ركبت الطائرة ؟

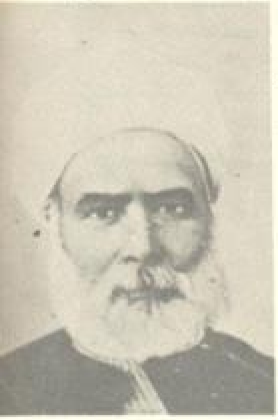
ـ : يستحسن السفر بالطائرة اذا كانت الحامل قد تعرضت للاجهاض عدة مرات ؛ اذ ان احتمال الاجهاض يزداد بالسفر بالطائرة خصوصا للمسافات الطويلة • وكذلك هناكخطورة علىالحامل اذا كانت قد اصيبت بارتفاعفى ضغطالدم الشديد اثناء الحمل ،فان احتمالتكرار هذه الحالة بالسفر بالطائرة يكون كبيرا • وكذلك يؤثر السفر بالطائرة على الحوامل فى شهورهن الاولى اذا كن يعانين من القيء المستمر ، فيزداد هذا القيء مع السفر • ولا يستحسن السفر للحامل بالطائرة بعد شهرها الثامن ، اذ ان كثرة الحركة اثناء الهبوط والصعود او عند ملاقاة مطبات هوائية كلها تؤثر على الحمل ، وربما سبب لها ولادة مبكرة على متن الطائرة ، ومايصحب ذلكمن ازعاجلها وللمسافرين، وعلى الحامل قبل شهرها الثامن ان تختار المكان القريب من غرفة القيادة ويكون ظهرها لهذه الغرفة حتى لا تستعمل حزام البطن ، ويكون جهاز الاكسجين بجوارها لاستعماله وقت الحاجة عند حدوث ضيق بالتنفس •• ويجب ان يكون ربانالطائرة على علم بوجود حامل على الطائرة كي يوفر لها الراحة الممكنة • ■■



المنفلوطي

قصيدة شعر أحدثت أزمة

فى تاريخ مصر السياسى الحديث



محمد عبده

بقلم : أنور الجندى

منع نشرها ، فاشتغل النساخ في نسخها عشرات بل مئات المرات .وظهرت من ورائها تيارات مختلفة، وطنية المنفلوطي ، ومطامع الشيخ البكري، وحماية المستعمر لاعوانه ..

■ اشترك فيها أحمد فؤاد ، والمنفلوطي ، وتوفيق البكري ، ومحمد عبده ، وسركيس ، ونجيب الحداد .

عندما عاد الخديو عباس حلمي من زيارته للآستانة عام ١٨٩٧ فوجيء الناس بقصيدة فى هجائه نشرتها في ٤ نوفمبر صحيفة « الصاعقة »، التى كان يصدرها الصحفي احمد فؤاد، لم يعرف اول الامر منشيء القصيدة ، ثم تبين ـ من بعد ذلك ـ انه « مصطفى لطفي المنفلوطي » ، وقد حكم على صاحب الصاعقة احمد فؤاد بالسجن عشرين شهرا، وعلى المنفلوطي بالسجن ستة أشهر ، وكشفت التحقيقات عن ان وراء القصيدة سماحة الشيخ توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، بل ثبت انه نظم عددا من ابياتها ، ونسب للشيخ محمد عبده انه حرض ناظمها..وقد شغلت هذه القصيدة الصحافة والكتاب وقتا طويلا .

والقصيدة معروفة ومشهورة ، وهي تبدأ بالابيات الآتية :

« قدومٌ ، ولكن لاأقول سعيدُ
وملكٌ وان طال المدَى سيبيدُ
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت
علينا خطوبٌ من جدودك سودُ »

وقد اطلق عليها « قصيدة الهجو » ووصفت بانها « قصيدة السفهاء » ، وقد انقسم الراى العام حولها،واهتزت لها دوائر القصر والاستعمار.

وجرى البحث فى التحقيق حول الدوافع التى دفعت ناظمها الى انشائها ، واشارت الصحف الى ان المنفلوطي كان قد عارض الاحتلال البريطاني



عباس حلمى

وانه نظم قصيدة فى هجاء الاستعمار قبل ذلك فى ١٥٠ بيتا ، وانه نشرها فى كتاب خاص،وعرض فى القصيدة لناظر النظار « مصطفى فهمى » صنيعة الانجليز ، وقد جاء فيها قوله :

« ألا رايةٌ للعدل في مصر تَخفقُ
لعلَّ مساعِي دولةِ الظلم تُخفِقُ
الا صدمةٌ للجور توقفُ سَيرَه
فيُجبرَ ذاك الكسرُ ، والفتق يُرتَقُ »

وقد حاولت السلطات الاهتداء الى ناظمها فلم يتمكنوا ، وبذلك افلت من المحاكمة .. وكان المنفلوطى قد اتصل بالشيخ محمد عبده ، والسيد توفيق البكرى ، وكلاهما على خلاف مع الخديو عباس حلمى الثانى .

نص القصيدة

قدومٌ ، ولكن لا أقول سعيد
وملْكٌ وإن طال المدىَ سيَبيدُ

تذكَّرنا رؤياك أيامَ أنزلت
علينا خطوبٌ من جدودك سودُ

رمتنا بكم « مقدونيا » فأصابنا
مصوَّب سهمٍ بالبلاء شديد

فكم سفكت منا دماءٌ بريئة
وكم ضُمِّنت تلك الدماء لحودُ

وكم ضم بطنُ البحر اشلاَء جمَّةً
تمزَّقُ أحشاءٌ لها وكبود

وكم صار شملٌ للبلاد مشتَّتا
وخرِّب قصرٌ في البلاد مشيد

وسِيق عظيمُ القوم منا مكبَّلاً
له — تحت أثقال القيود — وئيدُ

فما قام منكم بالعدالة طارفٌ
ولا سار منكم بالسداد تليدُ

كأني بقصرِ الملْكِ أصبح بائدا
من الظلم ، والظلمُ المبينُ مبيدُ

ويندُب في أطلاله البومُ ناعبا
له عند ترديد الرثاء نشيدُ

أعباسُ ، ترجو أن تكون خليفةً
كما ودَّ آباءٌ ، ورام جدودُ

فيا ليت دنيانا تزولُ ، وليتنا
نكونُ ببطن الأرض ، حين تَسودُ

واشارت الصحف الى ان المنفلوطى اعترف بانه ناظم القصيدة ، استجابة لتكليف من السيد البكرى الذى نظم الشطر الاول من المطلع ، وجرى المنفلوطى على نفس البحر والقافية . واشارت جريدة « المقطم » الى انه ناظم القصيدة اساسا، وانه لما عرضها على الشيخ البكرى — وكان قد قرا قصيدته الاولى فى ذم الاحتلال — اعجب بها ، واضاف اليها بيتين من انشائه هما :

أعباس ترجو أن تكون خليفة
كما ودَّ آباء ورام جدود

فيا ليت دنيانا تزول ، وليتنـــــا
نكونُ ببطن الأرض ، حين تسود

ولقد استشرى امر القصيدة بعد ان منع نشرها مرة اخرى في الصحف ، واشتغل النساخ في نسخها عشرات ، بل مئات المرات .

ولقد احتال سليم سركيس على اعادة نشر القصيدة ، فكلف الشاعر « عثمان الموصلي » بتشطيرها ، بطريقة الهجو والرد عليها ، وتمكن من نشرها داخل الفواس ، فقراها الناس، وتجاوزوا ما جاء في الرد عليها على هذا النحو :

(قدوم ولكن لا أقول ســـعيد)
على فاجرٍ ، هجوَ الملوك يريـــدُ
لأضرابه بيتٌ من اللوم عامـــرٌ
(ومالك وإن طال المدى سيبيد)

موقف السيد البكري

واشارت جريدة ممفيس (١) الى موقف السيد البكري فقالت : ان هذا الشيخ اشتهر بكراهيته للجناب العالي ولا سيما منذ نزعت منه نقابة الاشراف .

وقالت الصحيفة ايضا : ايد التحقيق ان مصطفى المنفلوطي هو المنشيء للقصيدة عدا المطلع ، وبيتين في وسطها ، ولكنه كان يابى ان يقول : انهما للسيد البكري ، كتمانا للسر الذي تعاهدا عليه (خاصة) وان السيد قد وعده بتعيين محام للدفاع عنه وقت الحاجة،وموافاته بالماكل والمشرب والمال في اثناء سجنه . ولقد انكر السيد البكري في التحقيق معرفة المتهمين،فابرز الشيخ المنفلوطي من جيبه مسودة قصيدة مدح في الحضرة السلطانية تتضمن اصلاح خطا مطبعي بها بخط يده ، وهي تدل على وجود الرابطة السابقة بينهما ، فقال السيد البكري : ان هذه المسودة لا بد ان تكون قد سرقت من المطبعة . وقد اوعز الى صاحب المطبعة ان يدعي هذا الادعاء اذا سئل فابى وعرف بكل شيء .

ثم قالت جريدة ممفيس : ومن الغريب ان سيدا مثله كان ينبغي ان يكون قدوة في مكارم الاخلاق ومثالا للتقوى والهداية .

ثم اشارت جريدة ممفيس الى تدخل الانجليز في هذه المسالة ، وقالت ان السر في ذلك يرجع الى انه لما ضبطت بعض الاوراق في منزل السيد البكري وجدت من بينها اوراق تتعلق بورثة ابراهيم باشا حليم (من الاسرة المالكة) فاسرع هذا بالتوجه الى المستشار القضائي البريطاني ، واستنجد به ، فاستقدم جنابه (حمد الله امين)، النائب العمومي وساله تغيير التحقيق .. فقال حضرته انه لا يرى مسوغا لهذا التبديل ما دام المحقق جاريا في اعماله على القانون ، ولما طال الجدل بينهما على غير طائل ، تصدى المستر سكوت المستشار القضائي وقال : اذن فنحن غير متفقين، ثم اسرع الى اللورد كرومر فاخبره الخبر (ومن ثم فصل النائب العمومي من مركزه وعين المستر كوربت القاضي بالاستئناف مكانه)واشارت الصحف الى اقوال السيد توفيق البكري في التحقيق :

« قال السيد : ان هذا هزء وسخرية بالناس ، ودسيسة لفقت على تلفيقا سخيفا ، وانه لا يتصور مجنون فضلا عن عاقل ان مثل هذا يعرف بانه لم يرني الا مرة واحدة ، ثم اكلفه عملا رسميا هو الجناية الكبرى على امير البلاد ، وهذا الاقدام على ذلك الامر الفظيع هو لمجرد نظم قصيدة ، مع ان نظم الشعر اسهل شيء على وعندي من الاصدقاء الاخصاء اكثر من عشرين يقولونه ، وما المعنى من نظمي شطرا وبيتين في قصيدة ، ثم استعين باجنبي لا اعرفه ولا يعرفني على اتمامها »

وهكذا استطاعت السلطات اخراج البكري من الاتهام ، فصدر في ١٤ نوفمبر ١٨٩٧ حكم القضاء بالحبس والغرامة على المنفلوطي واحمد فؤاد ، وبرئت ساحة السيد توفيق البكري .

وردّدت الصحف ان استعفاء النائب العمومي

---

(١) جريدة ممفيس في ١٩ نوفمبر ١٨٩٧ وكان يصدرها الاستاذ محمد مسعود، من كتاب تلك الفترة

انما جاء للحيلولة دون اتهام السيد البكرى الذى كان له ولاء مع قصر الدوبارة واشارت صحيفة « المقطم » الى ان الغرض من قصيدة الهجو هذه هو اما الضغن على السيد البكرى او الحط من كرامته امام العامة • وقالت : وعلمنا اليوم ان السبب فى ذلك هو خروج وكيل النيابة عن الاصول القانونية ، ودخوله منزل السيد البكرى ، وضبطه اوراقا لا علاقة لها بالقضية ، لذلك ولما ذكرناه من الامور التى اوجبت مظنة الايعاز فصلت النظارة (حمد الله امين) عن النيابة فصلا ، وعينت (كوربت بك) نائبا عاما مكانه (لان الذين احتلوا هذا القطر ليرفعوا راية العدالة ، ويؤيدوا صولة القانون لا يسمحون لاحد ان يخالف القانون) وقالت المقطم : ان الذنب فى ذلك على المعية (يقصد معية الخديو) لان مساعيها هى التى اوقعت (حمد الله امين) فى ورطة اضطر معها الى واحد من امرين : اما اسخاط اميره ، واما الجرى على الخطة المخالفة للقانون، ففر من الامر الاول ، ووقع تحت طائلة الامر الثانى ، وكان وقوعه هذا هو السبب فى استلام المحتلين زمام النيابة العمومية » •

وهكذا تظهر من وراء قصيدة (قدوم ولكن ٠٠) تيارات مختلفة : بين جبهات متعددة ، وطنية وقصر واستعمار ، تتضارب وتختلف • وطنية المنفلوطى ، ومطامع الشيخ البكرى ، وهدف القصر ، وحماية الاحتلال لاعوانه ، وقد دافع نجيب الحداد فى جريدته (لسان العرب) عن المنفلوطى ، والتمس له العذر من شتى الوجوه ، وقد صار محرما عليه بعد خروجه من السجن ان يشتغل فى الوظائف الحكومية ، فعمل فى الصحافة حتى سعى الشيخ محمد عبده للعفو عنه ، بعد ان زال الخلاف بينه وبين الخديو •

دفاع عن المنفلوطى

ومماقاله نجيب الحداد فيدفاعه عن المنفلوطى(٢) «لو نشر زهير او المتنبى،ونظما اشهر قصائدهما فى هذا العهد ، لما كان لهما من الشهرة واتساع الذكر ما كان للقصيدة الدالية التى رمى بها سمو الامير من ناظم لم يعرف بعد بالتحقيق ، فانها نالت من مطالبة الناس لها ، وتحدثهم عنها ، وكثرة الظنون منها — ما لم ينله كلام قبل ذلك، ونحن لا نقول ان عرض سمو الامير قد اصيب بهذه القصيدة ، فليس فى القصيدة شيء مما يمس الكرامة الشخصية والعرض الذاتى ، بل هى قصيدةهجائية سياسية، بحيثلو حللت وكانت نثرا فى مقالة سياسية لما خرجت عن حد التطرف الذى اعتادته الاسماع فى العهد الاخير من بعض الجرائد المقالية ، واذا كانت تعتبره اخلالا بالقانون ومخالفة له فهى فى نفسها قد نسيت ذلك القانون، واصبح الناس لا يعرفون للطباعة حدا ، فكيف نطالبهم بشيء غير موجود •

ثم قال : وما اطول ماجرت وراءها من الذيول حتى لقد كادوا يتهمون بها اربعين شاعرا ، وكلهم يبرأون منها ، وما كان احرى بالوزارة ان تقبل مشورة اميرها حين عرضت عليه القصيدة فقال : « لست باول ملك قيل فيه مثل هذا القول » •

ولكن لكونها شعرا يسير وتتناقله الافواه ببحره وقافيته ، فضلا عن انها من الشعر المقبول الحسن قد جعلها ذلك فى هذه المنزلة من الاهمية وكثرة الشيوع ، فضلا عما نالها من شرف اختصاصها بسمو الامير الذى لم تالف الآذان عندنا الا الثناء عليه • اما من ناظم القصيدة ، او الباعث على نظمها — فمما لا نعلمه ، ولا نتعرض له ، لان حقيقة ذلك لم تنجل بعد ، على ان ناظم هذه القصيدة لا يمكن ان يكون ممن يليقون الدواة ويبرون القلم فقط ، بل هو على هدى من العلم والادب • ونحن نجد ان الحكومة قد اخطات فى توليها هذه القضية،لانها كانت تعتبر هذه القصيدة هجوا ، فهى قد شهرت هذا الهجو ، واعانت عليه ، بما جعلت له من الاهمية • ■■

انور الجندى

(٢) جريدة « لسان العرب » : ١٧ نوفمبر ١٨٩٧

بريد القراء
ومعرض آرائهم



مع قراء « العربي » في مختلف انحاء العالم

ـ ان المشكلة التي اواجهها بعد وصولي الى فرنسا هي : كيف استطيع الحصول على مجلة « العربي » كل شهر ٠

ايت على اوطالب/فرنسا

● انا فتاة مسلمة من سيلان ٠٠ شاء حسن طالعي ان ارى مجلة « العربي » ، فوجدت فيها المدرسة التي يمكن ان تنمى معرفتي باللغة العربية التي اعشقها ٠٠ فكيف السبيل الى ذلك٠

شمس حليمة سليم/سيلان

● حبذا لو ضاعفتم من كمية « العربي » التي تطبعونها كل شهر ، حتى نتمكن من الحصول عليها بيسر ٠٠ بعد ان اصبح الحصول على « العربي » امرا شاقا ٠

صبحي حسونة حسن/الاردن

● لاابالغ اذا قلت ان على من لم يسعفه الحظ في اكمال تعليمه ان يداوم على قراءة مجلة « العربي » وسوف يجد نفسه بعد فترة لن تطول، انسانا مثقفا ٠

عمر احمد محمد على/السودان

● نحن في المغرب العربي نبحث عن مجلة « العربي » قبل بحثنا عن الطعام ٠٠ ومع هذا لا نجدها ٠٠ فارجو ان تدركونا بهذا الزاد العربي الذي تتعطش اليه السنتنا وعقولنا ٠

النالح يحيى/المغرب

سبب تدهور الحضارات

● نتابع باهتمام ما تنشره مجلة « العربي » على صفحاتها ،وخصوصا المقال الذي كتبه رئيس التحرير في عدد ابريل ٧٦ عن « سبب تدهور الحضارات وانهيارها »٠ ولا اغالي اذا قلت ان لمثل هذه البحوث اهمية كبيرة في عصرنا هذا ،ونامل ان نقرا الكثير منها لنكون على صلة اوثق بالمستقبل ومنعطفاته وتغيراته التاريخية الخطيرة٠

ابراهيم حسين عبد الجليل
المنصورة / مصر

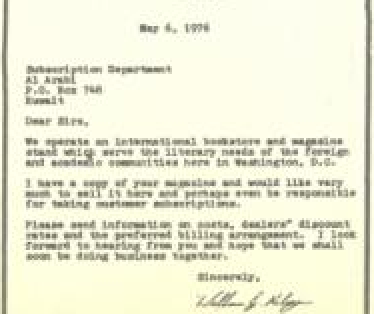
● يتساءل قراء من اليونان عن الأسباب التي تحول دون وصول مجلة « العربي » الى المكتبات اليونانية ، رغم ان الصحف والمجلات العربية تباع هناك ٠٠ ورغم الأعداد الغفيرة من الطلاب والرعايا العرب الذين يعيشون في اليونان ٠٠

نظمي قديسات اثينا / اليونان

« العربي » تأمل في المستقبل القريب ان تلبي حاجة الاسواق العربية والاوربية من « العربي » ٠

● حصلت على نسخة من مجلتكم ،وارغب بشدة في ان اعرضها للبيع هنا ، او ربما وافقتم على ان اكون مسئولا عن الاشتراكات التي يطلبها القراء ٠٠ ارجو ارسال كل المعلومات الخاصة بسعر المجلة للموزعين ٠

وليام كلس
النظم التعليمية الدولية
واشنطون (امريكا)



INTERNATIONAL LEARNING SYSTEMS, INC.
Washington, D.C.

May 6, 1976

Subscription Department
Al Arabi
P.O. Box 748
Kuwait

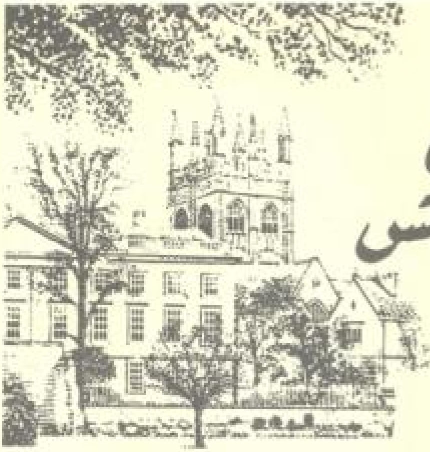
Dear Sirs,

We operate an international bookstore and magazine stand which serve the literary needs of the foreign and academic communities here in Washington, D.C.

I have a copy of your magazine and would like very much to sell it here and perhaps even be responsible for taking customer subscriptions.

Please send information on costs, dealers' discount rates and the preferred billing arrangement. I look forward to hearing from you and hope that we shall soon be doing business together.

Sincerely,



تعلم الانجليزية فى كلية سانت الديتس اكسفورد انجلترا

كورسات للطلبة الأجانب ممن لا تقل أعمارهم عن ١٦ عاماً

تعتبر كلية سانت الديتس اكبر كلية خاصةفي مدينة اكسفورد • وهي مركز للامتحانات التي تنظمها ثمانية من مجالس الامتحانات البريطانية • Examining Boards • ويتم تدريس اللغة الانكليزية للطلاب الاجانب واعدادهم لنيل شهادةالكلية الخاصة وشهادتي كامبردج الدنيا والكفاءة (Lower and Proficiency) وشهادتي معهد(انستتيوت اف لنجويستس) التحضيرية والدرجة الاولى •• Preliminery and grade one •والمشاركة في تدريس صفوف شهادة (G.C.E.) التي تعتبر من متطلبات الدخول فيالجامعات الانكليزية

ويتم تدريس الانكليزية على الطبيعة في موطنهاالاصلي على ايدي اساتذة جامعيين يقومون مع طلابهم بزيارات ثقافية تبعا لبرنامج معد لذلك •

ويتمتع جميع الطلاب بالميزات التالية : ـ طرق التدريس الحديثة •

ـ فترات لتلقي الدروس الخصوصية من قبلمشرفين متمرسين من جامعة اكسفورد •

ـ فرص يومية لتحسين مستوى فهم اللغة وتبادلالافكار عن طريق مرافقة طلاب الكلية الذين يحضرون لنيل شهادة الثقافة العامة وطلابدراسات السكرتارية •

تقدم الكلية مستوى ممتازا من وسائل السكنوالرفاهية للطلاب • كما ترتب برنامجا للتسلية في اوقات الفراغ • للحصول على معلومات اضافية يرجى تعبئةالكوبون المرفق •

St. Aldates College, **Department of English,**
Dept. 1A12, Rose Place, Oxford OX1 1SB, England.

Please send me a copy of the St. Aldates Prospectus.

Name ____

St. Aldates College, Oxford

Address ____

____

____

اسبانيا

الدولة السياحية الرائدة في أوروبا تفتح أبوابها للمستثمرين

تتمتع اسبانيا بموقف اقتصادي رائع جعلها في مصاف اكثر الدول الصناعية تقدما . وكافيا بالفعل لاجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية التي تبحث عن استثمار مضمون ومربح ·· يؤكد ذلك ماتنبأ به معهد هادسون الذي يتمتع بتقدير دقيق . ويعتبر من اشهر مؤسسات التنبؤ الامريكية ·· وتقوم المعجزة على اساس التنمية . ورؤوس الاموال والتكنولوجيا وهذا ماجعل الاستثمار الاجنبي موضع تشجيع دائم من السلطات الاسبانية ·

وتعود مصادر قوة اجتذاب راس المال الاجنبي فضلا عن ذلك ـ الى تهيئة عناصر الربح والضمان من الدرجة الاولى له ·· مثل المرتبات المنخفضة والتكاليف الاجتماعية والتمويل والضرائب التي تقل كثيرا بنسبة ٢٠٪ منها في دول السوق الاوروبية المشتركة . وذلك مع عدم اغفال الفوائد المستقاة من القوانين المرنة والسخية ·· ومن المعروف تقليديا انه مسموح لحملة السندات ان يحولوا ايراداتهم الى وطنهم ·

فلماذا اذن لايستفيد راس المال العربي من هذه السوق المفتوحة ·· وفي اى ميدان واى مجال تكمن اعلى معدلات الربح ؟ ·· ان الاستثمار في اسبانيا مازال غير كاف بمقارنته بالدول الاوروبية الاخرى، ولذلك فان الاستثمارات المشتركة مازالت مرغوبة وموضع تشجيع . والاكثر احتمالا ان تكون التسهيلات السياحية . والعقارات الثابتة هى التي تهيء افضل الفرص للاستثمار ·

فبالنسبة للسياحة فان مغرياتها كثيرة، حيث يبلغ طول السواحل الاسبانية ٣٥٠٠ كيلو متر . وشمسها ساطعة . ودرجة الحرارة فيها معتدلة بصورة منتظمة، وتقدم شواطئها طرق كثيرة بعضها عادي وبعضها سريعة حديثة وعشرة مطارات بالاضافة الى شبكة ضخمة من السكك الحديدية . كما توجد في جزر الكناريا الشهيرة والبلاريك ستة مطارات كثيفة الحركة . وقد عبر الحدود الى اسبانيا في العام الماضي اكثر من ٢٥ مليون شخص لقضاء الاجازة فيها حققت اسبانيا ايرادات تجاوزت ثلاثة الاف مليون دولار ·· مما جعلها في مقدمة الدول الاوروبية في ميدان السياحة ·

وبالنسبة للعقارات ·· فان هذا الميدان يتميز بامكانيات متنوعة . وتشجع الحكومة الاسبانية عادة شراء الشقق والفيلات والممتلكات الصغيرة التي يضمن ايجارها للسياح عائدا كبيرا·· ويؤكد الخبراء الاقتصاديون وجوب بناء حوالي عشرة ملايين وحدة سكنية ومساكن اضافية قبل عام ١٩٨٥ لمواجهة ارتفاع الهجرة من الريف الى المدن . نظرا لحركة التصنيع المتزايدة ·

ومن الطبيعي ان يطلب من المستثمرين العرب ان يشاركوا في هذه التنمية الاسبانية التي تزخر بالاثار الحضارة العربية ·· وجدير بالذكر انه توجد مؤسسات مالية كثيرة . تقدم النصح والارشاد لمن يرغب في ادماج مزايا ايراد مرتفع بالضمان التقليدي للاستثمار في ميدان العقارات الثابتة . كما تقدم المشاركة المالية في تمويل مسبق . وقروض قصيرة ومتوسطة الاجل . والتمانات للمشترين ·





وست إند
مضمونه ١٠٠٪
تحفظ الوقت بدقة
WEST END WATCH Co.
EVERBRIGHT
اكثر الساعات انتشاراً في البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ١٢٣٥٨٥

مِنَ المسرح العالَمى

سلسلة ثقافية

تصدرها فى مطلع كل شهر

وزارة الإعلام فى الكويت

أول اغسطس ١٩٧٦

٨٣ / ١

من الأعمال المختارة

يوجين اونيل - ١

* ظمأ * عبودية * ضباب
* مبحرون شرقاً إلى كارديف * فى المنطقة
* بدر على البحر الكاريبى

ترجمة وتقديم : د. عبدالله عبد الحافظ متولى

مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافى



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهرياً.

١٠½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central

Bankers

Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

الاسم :

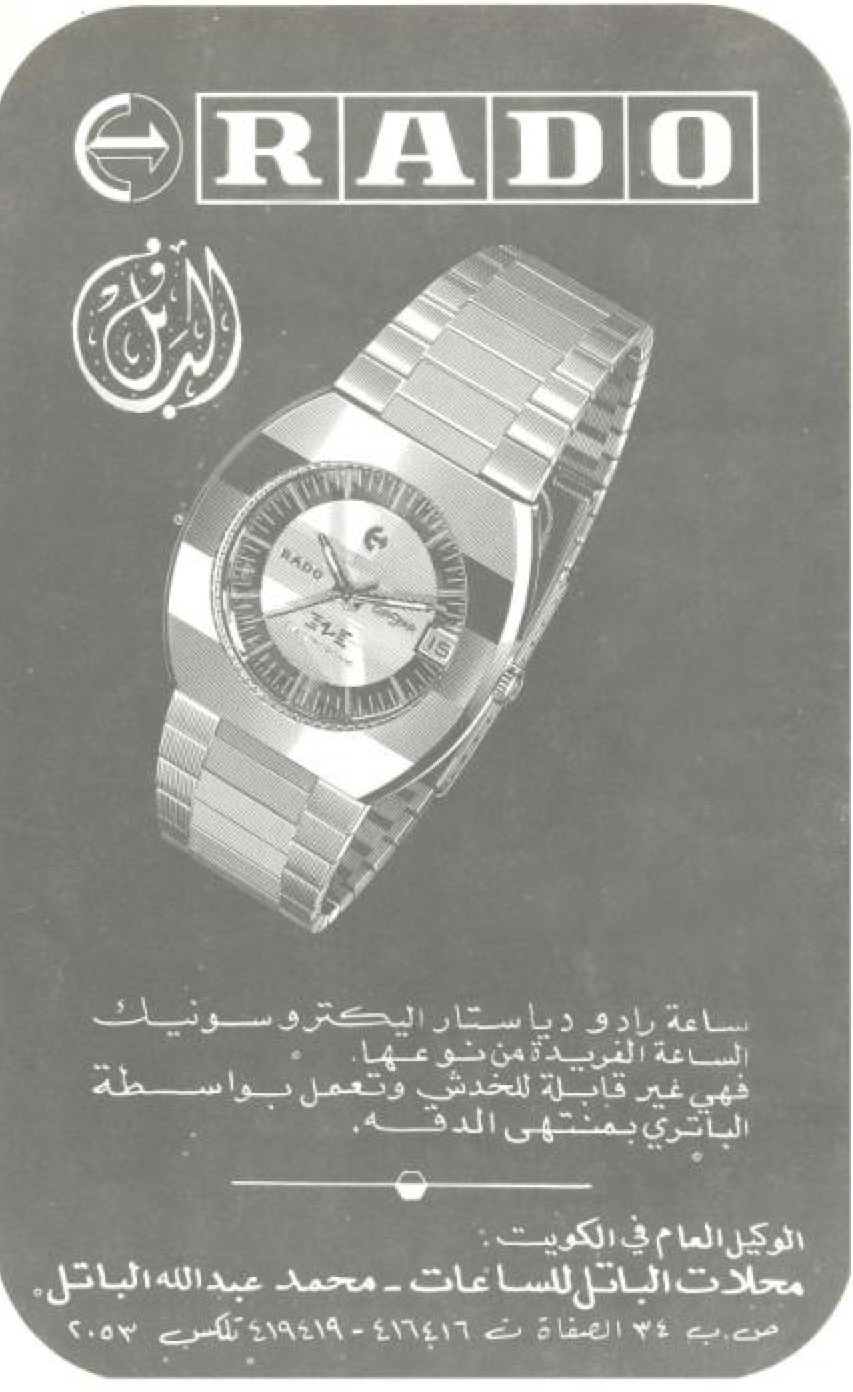
العنوان :

2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.


15:48


SERIES
EXTRA HEAVY DUTY TRUCKS
COLT
CHRYSLER
CANTER
FARGO
0 SERIES


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها.
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت:
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل.
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣


PHILIPS
«فيليشايف»
إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليپس
مجموعة «فيليشايف» ٩٠ - سوبر الجديدة
لاتزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة
لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم انيق والوان
مختلفة جذابة.
من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري
هو «فيليشايف اكسكلوسيف» المثلث الرأس حيث
بالامكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها
لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات
الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب
والسوالف. كما يوجد من موديلات «فيليشايف» الأخرى
«الرشارجبل» المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية
وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرّة وآيضاً
هنالك ماكينات «فيلشايف» المصممة برأس مزدوج
اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل
على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.
ان التفوق التقني الذي تمتازبه هذه الماكينات
والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من
ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل
به ولاريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم
والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي
تقوم بها فيليپس بطريقة متواصلة.
وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي
تقدمها فيليپس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة
أينما كان.
PHILIPS
فيليپس الأفضل لكم دوماً

عندَ التشغيل : ألوَان جَميلة وَطبيعيّة
وَبعدَ إنتهاء البرامج : قطعة فاخِرة من الأثاث

ملايين البقع الدقيقة وضعت على خلفية سَوداء في تلفزيونكم الملوّن موديل CTP 6412 قياس ٢٠ بوصة بشاشته المتريكس السوداء ليوفر لكم اكثر الالوان حيوية ووضوحًا . وَيحتفظ الجهاز بعد وقف تشغيله بجماله وجاذبيته وعلبته الخشبية الانيقة وقوائمه القوية وأبوابه المنزلقة لتغطية واجهته بكاملها . انه قطعة اثاث تتناسب مع كافة أشكال الديكور .



الموديل CTP-6412

تلفزيون ملوّن بشاشة متريكس
سوداء ٢٠ بوصة

SANYO سانيو

AAA/H/CTP/75

العربي

العدد ٢١٤
رمضان ١٣٩٦
سبتمبر
(ايلول) ١٩٧٦



ثمار الصحراء العربية في « ابو ظبي » !



اليها يتجه المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها .. فهى قبلتهم فى صلاتهم .. انها اقدس بقعة فى اقدس ارض .. جمعت بين المسلمين جميعا .. وما احوجنا فى شهر رمضان المبارك ان نتجه اليها بارواحنا وقلوبنا .. ففى صلاتنا تطهير للنفس وتصفية للقلوب ، وجمع لشتات الكلمة ، هل هناك اجمل او أروع من كلام الله سبحانه وتعالى وهو يقول « : فول وجهك شطر المسجد الحرام .. وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

(لماذا نصوم رمضان وكيف نصوم ص٤٢)

قضيت فى المملكة العربية السعودية أياما قليلة لحضور مؤتمر من المؤتمرات .

وعرفت خلال هذه الايام بالصدفة ان المملكة العربية السعودية قد كونت لجانا من الخبراء العرب ،وانهم يعيدون تحديد الاماكن التاريخية القديمة ، التي عاشت اسماؤها ووقائعها في تراثنا ، بعد ابحاث مضنية بالغة الدقة والتعقيد .

وقال لى صديق : انهم على الاقل حددوا حتى الآن مكان حروب الاوس والخزرج،وان مكانها قريب من مطار المدينة حاليا . وانهم حددوا سوق عكاظ ، الى الغرب من مكة المكرمة ، وان هناك بحثا فى إيجاد صيغة لاحياء سوق عكاظ بطريقة حية تلائم العصر .

وقد سعدت بهذه الاخبار كثيرا . فالامة التي تستشرف مستقبلها عليها ان تعرف ماضيها . واكبر جامعات العالم الاجنبية ترسل البعوث لاستكشاف آثار الحضارات العريقة فى اقصى أماكن العالم . لان هذا يضيف الى العلم الحديث كثيرا ، ولا يتعارض مع البحث عن آفاق جديدة كالوصول الى القمر ، ودراسة المريخ .

الامران يسيران معا . وكلاهما دليل يقظة من سبات عميق .

وقد كان الفرنسيون مثلا هم الذين كشفوا عن حجر رشيد فى مصر ، وعثروا على مفاتيح اللغة الهيروغليفية ، فعرف العالم ما لم يكن يعرف عن حضارة الفراعنة .

وقد كان فى امكاننا نحن العرب ان نحيى تاريخنا وننقب عن آثارنا بانفسنا وبمساعدة الآخرين .

وحبذا لو امتد هذا الاتجاه الى كل قطر عربى ، فهو علامة صحة نفسية ونضج عقلى .

المحرر



العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

لغة وادب :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 214 SEPTEMBER 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغـلاف

● ما اقسى حياة الصحراء ·· شمسها محرقة ، ومياهها شحيحة والانسان عندما يملك الطموح والتحدى بكل ابعاده ·· تصبح هذه الطبيعة القاسية طوع ارادته · ابوظبى ·· كانت هكذا ، لكن الانسان فيها انطلق يدفعه حب الحياة وتوفير القوت يبحث عن الماء ، ويزرع الارض لياكل من خيراتها ·· انها الحياة التى نحبها جميعا ·

(اقرأ الاستطلاع صفحة ٦٨)

انت تسأل ونحن نجيب :

اجتماع :

ركن الاسرة والمرأة :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر وشعراء :

كتـب :

قصص وقضاء :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائر ٢ر٥ دينار · المغرب ٢ر٥ درهم · اليمن ٢ر٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص · ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى ·

وقفات.. عند بعض الاخبار!

بقلم: أحمد بهاء الدين

الخبر الذى لم تهتم الصحافة العربية بابرازه ، واحيانا ولا حتى بنشره ، فضلا عن التعليق عليه .. كان قادما من بروكسل ، عاصمة السوق الاوروبية المشتركة . وكان يقول أن دول السوق التسع ، بعد مباحثات مضنية معقدة دامت سنوات ، قد توصلت أخيرا الى قرار بأن يتم تكوين أول برلمان اوروبى ، منتخب عن طريق الانتخاب المباشر . وانه قد تم الاتفاق على أن تجرى أول انتخابات اوروبية عامة مباشرة فى سنة ١٩٧٨ ، أى بعد أقل من سنتين .

وكانت المشكلة التى اعترضت القرار طوال سنوات ، هى الوصول الى توزيع لعدد المقاعد فيه درجة من العدالة ، بين الدول الكثيرة السكان كألمانيا وفرنسا ، وبين الدول القليلة السكان مثل الدانمارك . فى حين أن كل دولة أيما كان حجمها لها ارادتها المستقلة كدولة . وايجاد برلمان موحد منتخب انتخابا مباشرا ، مهما كانت اختصاصاته قليلة فى البداية ، فيه درجة من تنازل كل دولة عن جزء من ارادتها الوطنية ، تخضع فيه لارادة مجموعة أكبر ، هى مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة .

وكانت هناك دول تطالب بمقاعد اكثر ، كانجلترا ، لكى تضمن تمثيل أهل اسكتلندا وويلز وغيرها من اجزاء انجلترا ذات الاصول المختلفة نسبيا ، ودولة مثل ايطاليا تطالب بمقاعد اكثر لكى تمثل احزابها الكثيرة العدد . وهكذا ، واخيرا توصلوا الى أن يكون المجلس النيابى الاوروبى المنتخب انتخابا مباشرا من ٤١٠ أعضاء : ٨١ مقعدا لكل من انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية . ثم ٢٥ مقعدا لهولندا ،و ٢٤ مقعدا لبلجيكا ،و ١٦ مقعدا للدانمارك ، و ١٥ مقعدا لايرلندا ، و ٦ مقاعد للدوقية لوكسمبرج .

الوحدة

عندنا وعندهم

واذا كان هذا سيكون بمثابة برلمان لاوروبا ، فسيكون رؤساء حكومات الدول التسع بمثابة مجلس وزراء لاوروبا ٠

٠٠ واذا كنت قد سردت كل هذه التفاصيل ، فلم أسردها لذاتها ، ولكن لكى أوضح الطريقة التى يتوصل بها الاوروبيون الى حل مشكلة الوحدة بينهم ، أخطر مشكلة يمكن ان تواجه مجتمعا ما ، فى صبر واناة ، وبالمناقشة والمثابرة والدأب ، سنة بعد سنة ، منذ سنة ١٩٦٠ ، اى منذ ستة عشر عاما ، ولكنهم رغم كل الخلافات ، يتوصلون الى حلها ، طالما انهم قد اقتنعوا بأن الوحدة هدف ضرورى لمستقبلهم ، وبالتالى فانهم يرتبون عملهم ليسير فى اتجاه ما توصلوا اليه من اقتناع ، مهما كانت الظروف ٠

ان هذا القرار الذى توصلت اليه دول السوق الاوروبية المشتركة قرار تاريخى ، لقد سبقته قرارات وخطوات هامة وطويلة ، خصوصا فى المجالات الاقتصادية ، من ألغاء الرسوم الجمركية،الى توحيد بعض السياسات الاقتصادية ، الى اندماج بعض شركات الانتاج التى تعمل فى مجال واحد ، الى محاولة الوصول الى درجة من التنسيق فى بعض المواقف السياسية وان ظل هذا من أصعب الامور عليهم الى الآن ، بحكم تنوع مصالحهم الخارجية من جهة وبحكم وطأة النفوذ الامريكى عليهم من جهة اخرى ٠

ولكن هذا القرار الجديد ، قرار تكوين برلمان موحد يتم انتخابه على مستوى الدول التسع بالاقتراع العام المباشر ، يعتبر من أهم واخطر ما اتخذوه من قرارات الى الآن ٠ ذلك ان هذا ، كما ذكرت سابقا ، خطوة فى طريق التنازل عن جزء من « السيادة الوطنية » لسيادة « قومية » أعلى ٠٠٠

طبعا ، واضح ان هذا الحديث كله، القصد منه أن يسوقنا الى المقارنة بين حال الاوروبيين فى مجال السعى الى الوحدة ، وبين حالنا نحن العرب •

وقد أريق مداد كثير لاثبات وتوضيح ان ما يربطنا نحن العرب أقوى وأعمق بكثير مما يربط بين شعوب هذه الدول الاوروبية التسع • فلن أضيف الى القول فى هذا المجال جديد ، الا لمجرد التسجيل فقط •

لقد بنيت « فكرة » الوحدة الاوروبية على أساس من المصلحة الاقتصادية فى الدرجة الاولى والمصلحة السياسية فى الدرجة الثانية • هذه الدول الاوروبية التى قضت القرون فى حروب مدمرة بين بعضها البعض ، احيانا على أرضها ذاتها ، واحيانا صراعا فى قارات أخرى على المستعمرات ، وجرّت العالم كله معها مرتين الى « حربين عالميتين » هذه الدول وجدت نفسها بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تضاءلت بين عملاقين جديدين ، شابين ، هما الاتحاد السوفيتى شرقا والولايات المتحدة الامريكية غربا • صحيح أنها ــ دول اوروبا ــ استردت صحتها وعافيتها الاقتصادية الى حد كبير • ولكن أين لها ،وهى منقسمة ، ان تنافس فى معركة المستقبل روسيا وامريكا ؟ ثم الصين الاتية بعد قريب ؟ •• أى دولة منها ، بمفردها ، ألديها الاعداد البشرية الضخمة التى لدى العمالقة الجدد ؟ ومن أين لها الثروات الطبيعية الهائلة المتوفرة لدى العمالقة الجدد ، خصوصا بعد ان خسرت ــ اوروبا ــ مستعمراتها ؟ وأين لها الميزانيات الضخمة والاعداد الكبيرة من الفنيين التى تسابق فى ميادين هائله للتكنولوجيا المتقدمة والتى تصنع الصواريخ العابرة للقارات والقنابل النووية بالالاف ، فضلا عن السلع التجارية المألوفة ؟

من هذا المنطلق ، الامنى ، العسكرى ، الصناعى ، ولدت فكرة الوحدة الاوروبية بمعناها الحديث ، غير معناها فى العصور الوسطى ، وبدأ الخطو اليها باقامة السوق الاوروبية المشتركة ، ثم التدرج بها خطوات ، فبهذا قد يوجد يوما كيان سياسى اقتصادى تعداده الحالى ٢٥٠ مليونا ، يحفظ لها مكانها بين العمالقة الجدد •

وليس هذا على أى حال بالمنطلق البسيط ، « فالحاجة » هى أقوى الحوافز ، والتطور الاقتصادى السياسى من العوامل الحاسمة فى التحولات التاريخية الكبرى •

وفى حالتنا نحن العرب ، فان عنصر « الحاجة » هذا نفسه الذى كان العنصر الاساسى فى قيام الوحدة العربية، موجود فى حالتنا ،وان كان عنصر « الحاجة » فى حالتنا ليس العنصر الاساسى ولا الوحيد ، كما هو الحال فى اوروبا ••


هيجـر

ألا يستشعر العرب انهم فى عالم اليوم المتغير المضطرب ، عالم اليوم



شكسبير



جوته

الذى تنهار فيه كيانات وتقوم فيه كيانات جديدة ، وتتغير موازين القوى ، وتتشابك فيه المصالح الدولية ، وينهض فيه عالم باكمله كان « مخصوما » من حسابات القوى الدولية ، وهو العالم الثالث ٠٠ الا يشعر العرب فى عالم هذا شانه ، انهم من الناحية « الامنية » فى حاجة الى التقارب والتماسك والتناسق ، ولا نقول الوحدة ؟

فى هذا العالم الذى يقفز فيه العلم والتكنولوجيا وبالتالى الاقتصاد و « نوعية » الحياة ، قفزات هائلة كل يوم بل كل ساعة ٠٠ فى عالم هـذا شانه الا يشعر العـرب بحاجة « اقتصادية » الى السير جديا وحثيثا نحـو درجات من التكامل الاقتصادى ، والتكامل الصناعى الانتاجى ، والتنسـيق والتكامل فى مجالات البحث والعلم ؟ الا يشعر العرب أن المال بغير بشر لا ينتج الكثير ، والبشر بغير مال لا ينتج الكثير ، وان الكفاءات العلمية هى أغلى عملة فى عالم اليوم ، وان تجميعها ، وتوجيهها الى قنوات البحث ذات الصلة بظروف العالم العربى ٠٠ هى الوسائل التى لا مفر منها اذا أردنا ان نكون أمة عربية ، لها قدرة على المنافسة الاقتصادية والانتاجية ، وليست مجرد أرض غنية مؤقتا بالغامات،وانه بدون هذا لن يكون لنا خلال سنوات قليلة فرصة الرقى والحياة فى المستوى اللائق ؟

ان عنصر « الحاجة » ٠٠ الحاجة الى « الامن » ازاء عناصر التهـديد الخارجى والحاجة الى التقدم والقدرة على المنافسة وتحسين قيمة الحيـاة ٠٠ عنصر « الحاجة » هذا العنصر « الغريزى » قبل ان يكون سياسـيا ولا فلسفيا ٠٠ هذا العنصر الذى هو الدافع للوحدة فى اوروبا ٠٠ اننى أراه موجودا فى حالتنا نحن العرب بدرجة أقوى وأشد الى حد كبير ٠ واذا كنت أركز عليه فلأنه العنصر البديهى ، العملى والواقعى جدا ، والذى لا يحتاج الى مناقشة أو تدليل أو دخول فى نظريات وفلسفات يمكن الخلاف عليها ٠

فما بالنا ، اذا كان هذا العنصر الغريزى ، ليس هو العنصر الوحيد فى حالتنا نحن العرب ٠

نحن العرب نتكلم لغة واحدة ودول السوق الاوروبية المشتركة تتكلم سبع لغات ، ونحن العرب تراثنا واحد ، فلو سالت فردا عربيا فى أى مكان عن شاعره المفضل مثلا فسيقول لك المتنبى أو أبو العلاء أو احمد شوقى ٠٠ بصرف النظر عن كون هذا الفرد مغربيا يطل على المحيط أو كويتيا يطل على الخليج ٠ فى حين أنك لو سالت الاوروبى لاختلف الامر قطعا ٠٠ فالانجليزى سيقول لك ان شاعره هو شكسبير ٠٠ والالمانى سيقول لك «جوته» والفرنسى سيقول لك «فيكتور هيجو » وهكذا ٠٠

والى جانب وحـدة اللغة والتراث توجد عشرات من وشائج الوحدة المعروفة التى لا تتوفر فى مكان آخر ٠ وبوجه عام فالوحـدة فى اوروبا

احد الاجتماعات الأولى للسوق الاوروبية المشترك



الاوروبيون بدأوا مسيرة الوحدة سنة ١٩٦٠ ،
العربية قامت سنة ١٩٤٥ ولم تقطع بعد

« فكرة » عملية طارئة ، فى حين أن الوحـــدة العربية حقيقة عاشت قرونا ولربما تقطعت أوصالها سياسيا فى مراحل لاحقة ولكن ظلت الحقيقة على مستوى الشعوب قائمة وجذورها عميقة •

ولكن الاوروبيين بدأوا مسيرتهم سنة ١٩٦٠ وقطعوا فيها اشـــواطا طويلة •• والجامعة العربية قامت سنة ١٩٤٥،ولم تقطع بعد معشار الشوط الذى قطعه الاوروبيون دون ضجة ولا مضاربات •

ربما لان الاوروبيين يتناولون امورهم بأسلوب عقلانى مطلق للعاطفة فيه مكان • وهذا ليس نفيا لقيمة العاطفة ، فالعاطفة عنصر حافز ودافع قوى بالتاكيد • ولكن الاعتماد عليه وحده دون درجة كافية من العقلانية ، يبدو أنه لا يوصل الى شىء • لان العاطفة بطبيعتها متقلبة ، سريعة التأثر، يتراوح عليها المد والجزر ، والحساب العقلى ليس كذلك •

أو ربما لان الاوروبيين لهم علينا ميزة أن المستوى الحضارى بين دولهم التسع مستوى متقارب ، ونظمهم السياسية والاقتصادية متماثلة أو شديدة التشابه ، وقيمهم الاجتماعية وانماط سلوكهم واحدة • وهذه أمور تسهل

.. واجتماع لمجلس الجامعة العربية سنة ١٩٥٠



وقطعوا فيها اشواطا طويلة ، بينما الجامعة
معشار الشوط الذى قطعه الاوروبيون ..

التكامل والتوحيد كثيرا . وهي أمور يجب ان نعترف انها ليست متوفرة لدينا .

ولكننا فى نفس الوقت نعـــرف من تجارب كثيرة أن عدم توفر هذه الظروف ليس بالعقبة التى لا يمكن تجاوزها .

ولكن المشكلة ان كل مشروعاتنا فى مجالات الاقتصاد وتسهيل الاتصال والانتقال وتنسيق الخطط وتكامل المشروعات ، نحطمها دائما على صخرة الخلافات السياسية ، وبين نظم الحكم لا بين الشـــعوب ، فلا تمضى هذه المشروعات الا وتتوقف . ولا تتصـــل هذه الشرايين فى الجسد الواحد الا وتتقطع .

ولو فصلنا بين الخلاف السياسى وبين المجالات الاخرى ، التى تزيد فى تلاحم جسد الامة العربية لتغيرت أمور كثيرة .

ولكن .... ماذا أقول ؟؟ ..

اننا نعيش ما هو أسوأ ، نعيش فى مرحلة حروب أهلية عربية !! ..

فهل ما نزال فى المرحلة التى مرت بها أوروبا بهذه الحروب ؟

أى نعيش القرون الوسطى ؟ !

اعطوهم فرصة .. على الاقل

السياسة الدولية ، التي لا تعرف الا المصالح ، مهما تحدثت عن المبادىء ، هي أكثر المجالات نفاقا •

لقد قبض الحكم في انجولا على افراد من المرتزقة البيض ، وفيهم انجليز وامريكيون ، وارتكب هؤلاء من جرائم القتل الوحشية ضد شعب انجولا ما تقشعر له الابدان • وهم مرتزقة صريحون ، أى يحاربون أو بالاحرى يقتلون ، بالاجر •

وضج العالم من تكرار ظاهرة المرتزقة الذين صارت لهم مراكز تجميع معروفة رسميا في لندن وغيرها • ولكن دولة من دول « العالم المتحضر » لم تتحرك ضد هذه الظاهرة البربرية •

ولكن عندما صدر حكم الاعدام في انجولا على ثلاثة من هؤلاء المرتزقة المخضبة أيديهم بدماء المئات ، والمعترفين بجرمهم ، وباجورهم التى اخذوها لقاء هذا العمل ، انقلبت الدنيا في « العالم المتحضر » • وصور حكم الاعدام على انه وحشية افريقية •

المرتزقة البيض اثناء محاكمتهم فى انجولا



وادلى هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا بتصريحات عنيفة ضد هذا الحكم ، وادلى جيمس كالاهان رئيس وزراء انجلترا بتصريحات مماثلة، وقال انه لا يوجد اساس فى القانون الدولى لهذا الحكم . حسنا ، وهل هناك أساس فى القانون الدولى ينظم نشاط المرتزقة والمقاتلين المأجورين ضد شعوب بعيدة ؟

كلا بالطبع !

انهم يتحدثون بترفع عن مجتمعاتهم التى الغيت فيها ــ مثلا ــ عقوبة الاعدام !

حسنا ، اذا كانوا يعتبرون انفسهم متحضرين ، فقد وصلوا الى ذلك عبر مئات السنين من الوحشية وابادةالاجناس واستعباد الملونين .وما زالوا يلوثون الجو بأشياء مثل ظاهرة المرتزقة .

فاتركوا انجولا ، أو افريقيا ، اعطوها عشر سنوات هدوء كى « تتحضر » فيها مثلكم ، وليس مئات السنين !

الاستفتاء السويسرى

فى سويسرا يسود نظام استفتاء الشعب فى كثير من الامور . وآخر استفتاء كان حول قرار اتخذته الحكومة السويسرية للتبرع بمبلغ بسيط لاحدى الهيئات الدولية ، التى ترعى بعض مشاكل العالم الثالث .

ورفض الشعب السويسرى الموافقة على صرف هذا المبلغ البسيط على بعض مشروعات العالم الفقير .

سويسرا الغنية ، المكتظة بالثراء ، التى لم تدخل حربا قط ، والتى استفادت من كوارث شعوب كثيرة ، بما هَرَّب الى بنوكها من أموال ، والتى يصل طيرانها وسلعها وبضائعها الى كل أنحاء الارض ، ترفض ان تعطى من نفسها لهذا العالم شيئا ، او هذا هو رأى أغلبية شعبها .

كان حقا ما قاله اقتصادى عالمى من أن تعبير « دول متقدمة ودول متخلفة » تعبير خاطىء . انما يجب ان يقال « دول متقدمة اقتصاديا ودول متخلفة اقتصاديا ».اى يحدد فى هذا المجال صفة التقدم والتخلف بالجانب الاقتصادى . لان هناك بلادا متقدمة اقتصاديا ولكنها متخلفة بمقاييس اخرى كالوعى واتساع الافق ونوع القيم السائدة فيها ،والعكس صحيح !

احمد بهاء الدين

ترك الفيلسوف العربي الكبير ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (٨٠١ – ٨٦٧ م) ثروة فكرية هائلة في شتى صنوف العلم والمعرفة ، بلغت مائتين وتسعين مصنفا ، ما بين كتاب ورسالة ، وفق آخر احصائية حققها الدكتور « عمر فروخ » في كتابه « صفحات من حياة الكندي وفلسفته » •



الكندي

فيلسوف كبير أثرى حياتنا بفكره وعلمه ومعرفته

بقلم : سليم طه التكريتي

■ ان الباحثين في حياة الكندي ، وتراثه الفكري ، والعلوم التي خاض ميادينها ، ووضع فيها المؤلفات الكثيرة ،مايزالون حتى اليوم يقفون امام نقطة جوهرية هي : مدى المام الكندي باللغات الاجنبية التي عرفت في زمانه ، وعلى الاخص اللغتين اليونانية والسريانية •

وقد كان مثار هذا التساؤل ومايزال ، هو ان الكتاب الذين جاءوا على تعداد مصنفات الكندي العديدة ، لم يشيروا فيما ذكروه ، الى ان هذا الكتاب اوتلك الرسالة كانت من « ترجمة » الكندي ، مثلما فعلوا ذلك مع غيره من العلماء الذين عاصرهم ، وشاركوا في حركة النقل الواسعة من اللغات اليونانية والسريانية والهندية والفارسية وغيرها ، وقد ازدهرت هذه الحركة في عهدي الخليفتين العظيمين الرشيد والمأمون •

وقد دفع هذا الامر ببعض الباحثين الى ان ينكروا على الفيلسوف الكندي معرفته بواحدة اواكثر من تلك اللغات ، وان يزعموا ان كل ما كان الكندي يفعله في هذا الشان ، انه كان يصلح الكتب التي كان المترجمون ينقلونها الى اللغة العربية ، ويهذبها ، ويصبها في قوالب مفهومة•

كان من بين الذين ذهبوا هذا المذهب في تجريد الكندي من الالمام باحدى اللغتين اليونانية والسريانية ، الاب اغناطيوس يعقوب الثالث ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق في رسالة اخرجها

اثناء الاحتفال بمهرجان الكندي في بغداد بالعراق سنة ١٩٦٢ ٠ فقد انكر هذا الاب على الكندي معرفته باليونانية وبالسريانية معا ، لكنه مالبث ان ناقض نفسه عندما ذكر ان الكندي كان يكثر من استعمال بعض الكلمات السريانية في كتاباته من امثال عبارة « الايس » اي الوجود و « ليس » ومعناها العدم ، و « قنية » اي الملكية وما شابهها - ذلك لان الكندي لو لم يكن يعرف السريانية حقا لما اقتبس مثل هذه الكلمات السريانية في كتاباته ، وهذا ما اكده الدكتور احمد فؤاد الاهواني في كتابه « مقدمة لكتاب الكندي الى المعتصم في الفلسفة الاولى » اذ يقول فيه (ان الغموض ، والتواء التعبير ، ومجافاة روح العربية الغالب على ادب الكندي ، مرجعه الى طول النظر في الكتب اليونانية والسريانية) ٠ والذي نعتقده ان الدكتور الاهواني لم يقصد بعبارته «الكتب اليونانية والسريانية » الكتب المترجمة عن هاتين اللغتين بل الكتب الموضوعة اصلا بهما ، اذ لو قصد غير ذلك لاشار اليه بوضوح ٠

وكذلك انكر الدكتور عبدالرحمن بدوي على الكندي معرفته باليونانية وذلك في الكتاب الذي اخرجه بعنوان « دور العرب في تكوين الفكر الاوربي » (طبعة بيروت سنة ١٩٦٥) والذي افرد فيه فصلا خاصا عن مدى المام الكندي باليونانية ٠

وكانت النتيجة التي انتهى اليها الدكتور بدوي في تحرياته هي : ان الكندي لم يكن يقوم بنفسه بعملية الترجمة ، وانما كان يضع « المصطلح العربي الملائم للاصل اليوناني بالتفاهم مع المترجم » !

آراء القدماء في القضية

هنالك شواهد تاريخية ومنطقية تدحض مثل هذه الآراء ، وتؤكد اتقان الكندي لبعض اللغات الاجنبية الشهيرة في زمانه ، ونقله عنها الى اللغة العربية ٠

فقبل كل شيء نجد بعض معاصري الكندي من العلماء العرب القدامى لايعتبره مترجما وحسب ، بل يضعه على رأس كبار المترجمين في الاسلام ٠ وفي مقدمة هؤلاء العالم الرياضي ابو معشر محمد بن جعفر البلخي الذي اشتهر لدى المؤرخين المسلمين بلقبه « ابو معشر الفلكي » والمتوفي سنة ٢٧٢ هـ ٨٨٥ م ، اذ قال في كتابه « المذكرات » ما ياتي « ان حذاق الترجمة في الاسلام اربعة : حنين بن اسحق العبادي ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن فرخان الطبري » ٠

ولقد كان ابو معشر هذا معاصرا للكندي ومضاغنا له بسبب انقطاعه الى علوم الفلسفة لكنه مالبث ان اصبح صديقه وتلميذه لان الكندي هو الذي حبب اليه النظر في علم الحساب والهندسة بعد ان كان منقطعا الى علم الحديث٠

اما كتابه « المذكرات » فهو مفقود ، ولكن الذي اشار اليه هو « ابن ابي اصيبعة » صاحب كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ٠ وليس من المعقول قط ان يضفي ابو معشر الفلكي مثل هذه الصفة العظيمة على الكندي ويعتبره من كبار المترجمين في الاسلام بدافع صداقته له وتتلمذه عليه سيما وان ابا معشر كان قبل تفلسفه - كما ذكر ابن النديم صاحب الفهرست - « يضاغن الكندي ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة » ٠

وهناك الطبيب الاندلسي سلمان بن حسان المشهور بابن جلجل (من رجال القرن الرابع الهجري) وصاحب كتاب «طبقات الاطباء والحكماء» يصف الكندي بانه كان « عالما بالطب والفلسفة ، وعلم الحساب والمنطق ، وتاليف اللحون والهندسة وطبائع الاعداد والنجوم ٠٠ وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، واوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » ٠

واذا ما تركنا العلماء القدامى وعدنا الى المؤرخين المحدثين الذين كتبوا في العلوم الاسلامية وجدنا معظمهم يعتبر الكندي من المترجمين البارعين٠

رأي المحدثين في القضية

فقد قال عنه الاستاذ احمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الادب العربي » بانه كان « من ابرع الناس في الترجمة اليونانية » ٠

وقال الاستاذ سيد نوفل في كتابه « زبدة الصحائف في اصول المعارف » - في اشارة الى الكندي - « وكان المترجمون الذين يعتمد عليهم المامون في هذا الامر اربعة وهم : حنين بن اسحاق العبادي ، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن

قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري » .

ويذكر جرجي زيدان في كتابه « تاريخ اداب اللغة العربية» انالكندى كانيعد منحذاقالترجمة.

ويقول الاستاذ مصطفى عبد الرازق في كتابه عن الكندى الذى اخرجه بعنوان (فيلسوف العرب والمعلم الثاني . ط ١٩٤٨) « ولا يجد (اى الكندى) فيما يترجمه النقلة غنى ، فيحاول ان يرد هذه العلوم فى منابعها ، ويتعلم اليونانية ، ويترجم بها ويصلح ما يترجمه غيره » .

وايضا الدكتور ابراهيم بيومى مدكور « فى كتابه الشهير الذى وضعه باللغة الفرنسية عن الفيلسوف الفارابي بعنوان « مكانة الفارابي فى المدرسة الفلسفية ط ١٩٣٤ » يقول عن الكندى « انه كان من اوائل المترجمين لافلاطون وارسطو » والمؤرخ الالماني « بروكلمان » فى كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية » يقول عن الكندى ايضا ان « نشاطه الفكرى لم يقتصر على تعريف مواطنيه بالفلسفة الارسطوطاليسية والافلاطونية الجديدة عن طريق الترجمة والاقتباس فحسب ، بل عدا ذلك الىتوسيع آفاقهم العقلية بما اخرج مندراسات ».

وتصف الموسوعة البريطانية الكندى بانه « كان من اوائل المترجمين والشارحين والمعقبين لانتاجات غيره ومترجماتهم » .

واقتبس الاستاذ مصطفى عبد الرازق ما قاله المستشرق الفرنسى « لويس ماسينون » عن الكندى بانه « امام اول مذهب فلسفى فى بغداد ، وله ابحاث طريفة . ثم يرجع اليه الفضل بعد ذلك فى تحرير جملة من التراجم العربية ، لمصنفات يونانية فى الفلسفة » .

وبالاضافة الى ذلك يذكر المؤرخون ان الكندى كان من بين العلماء الذين اختارهم المامون للاشراف على اعمال الترجمة فى « بيت الحكمة » .

وعن هذا يقول الدكتور احمد فريد رفاعى فى كتابه (عصر المامون ، ج ١) ان الكندى « كان من بين جمهرة علية من العلماء ، وطبقة ممتازة من المترجمين الذين عهد اليهم المامون بادارة « بيت الحكمة » .

مناقشة أدلة النفي ، وأدلة الاثبات

ليس من شك فى ان اختيار المامون للكندى كي يشرف على اعمال الترجمة فى (بيت الحكمة) يدل دلالة اكيدة واضحة على تمكن الكندى من احدى اللغات الاجنبية على الاقل ، كان النقل يتم عنها او اليها ، فى تلك المؤسسة العلمية الشهيرة . ذلك لان جميع الذين انتدبوا للترجمة والاشراف عليها فى « بيت الحكمة » كانوا من المجيدين لاحدى اللغات القديمة كاليونانية او السريانية أو الهندية او الفارسية وغيرها . فقد كان « يوحنا بن ماسويه » والمتوفى سنة٢٤٣ هـ ٨٥٢م ـ وهو اول من عينه الرشيد للترجمة فى « بيت الحكمة » ـ يحذق اليونانية والسريانية . وكان الفضل بن نوبخت يحذق الفارسية والعربية، وحنين بن اسحق يجيد اليونانية والسريانية ، ويوحنا بن البطريق يعرف اليونانية معرفة جيدة، وسهل بن هرون ملما بالفارسية خير المام ، وعمر بن فرخان الطبرى من حذاق الفارسية واليونانية، وثابت بن قرة يجيد السريانية واليونانية ايضا . وعلى هذا فليس يعقل قط ان يختار المامون الكندى للعملفي بيت الحكمة،ويعين له المساعدين والتلاميذ الذين كانوا يقومون باعمال الترجمة تحت اشرافه، فى الوقت الذى يكون فيه الكندى نفسه لا يعرف سوى اللغة العربية وحدها .

وحتى اذا ما اعتبرنا الكندى مجرد مصحح للترجمة فان عملية التصحيح هذه تستلزم ان يكون المصحح ملما الماما جيدا باللغة الاصلية التى تمت الترجمة المصححة عنها . ذلك لانه يستحيل على اى شخص ان يصحح كتابا مترجما وهو يجهل اللغة التى ترجم عنها ذلك الكتاب . ذلك لان عملية التصحيح لا تقتصر على الناحية اللغوية فحسب وانما الاصل فيها هو مطابقة الترجمة للنص الاصلى الذى تم النقل عنه ، وهذا يتطلب ان يكون المصحح عارفا بلغة الاصل حتما .

ولو استبعدنا اقدام الكندى على الترجمة بنفسه ، وقصرنا عمله فى بيت الحكمة وخارجه على التهذيب او التصحيح ، فان هذا العمل بحد ذاته يتطلب الالمام باللغات التى يتم النقل عنها. ونستطيع ان نقرر ان العمل الذى كان ينهض به الكندى هو مراجعة الكتب المترجمة على غرار ما يجرى عندنا فى الوقت الحاضر ، حيث يعهد المترجم ـ او المؤسسة المسئولة عن النشر ـ ، بمسودة الكتاب المترجم ومعها الاصل الذى تمت الترجمة عنه ، الى خبير يحذق اللغتين : المنقول عنها والمنقول اليها ، ليقوم بمراجعة الترجمة

فيتحقق من دقتها ومطابقتها للاصل • فالكندي بحكم عمله في بيت الحكمة كان يطلع على كل ما كان المترجمون المعينون تحت اشرافه ، يترجمونه ليصلحه وليهذبه • وواضح ان هذا الاصلاح او التهذيب لا يقتصر على الناحية اللغوية وحدها ، لان الكندي لم يكن من البلغاء باللغة العربية ، بل ليقوم بمراجعة الترجمة وتقويم ما يجده فيها من اخطاء، وطبيعي ان الكندي ما كان ليستطيع ذلك لو لم يكن ملما باللغة الاصلية التي تتم الترجمة عنها•

وعملية اصلاح الترجمة او المراجعة هذه لم تكن تقتصر على الكندي وحده ، بل كان ينهض بها كبار المترجمين في تلك الايام • فقد كان حنين بن اسحق ايضا يقوم باصلاح ما يترجمه المترجمون الذين كانوا يعملون تحت امرته من كتب ، او ما يعرض عليه من ترجمات اخرى • وكذلك كان كل من ثابت بن قرة ، وقسطا بن لوقا ، ويحيى بن عدي وغيرهم يقومون باصلاح الترجمات التي كانت تعرض عليهم ، وكل هؤلاء كانوا من المتبحرين في اللغات اليونانية او السريانية او الفارسية او غيرها •

لماذا لم يعد الكندي في المترجمين

مما احتج به بعض الذين انكروا على الكندي معرفته باليونانية او السريانية او سواهما من اللغات الاخرى قولهم ان « ابن النديم » صاحب « الفهرست » ــ وهو المصدر الرئيسي الذي اورد اسماء معظم كتب الكندي ورسائله ــ لم يذكر ان الكندي كان مترجما ، وانه لم يشر الى ان تلك الكتب والمصنفات التي اورد اسماءها كانت من ترجمة الكندي •

يستند التفسير او التعليل الذي نعطيه لاهمال هذه الناحية المهمة من جانب ابن النديم ، الى نقطتين رئيسيتين اولاهما الطريقة التي كان الكندي يسير عليها في الترجمة والكتابة • فالذي نعتقده ان الكندي لم يكن ليكتفي بترجمة كتاب من اية لغة اجنبية الى اللغة العربية من دون ان يضيف اليه التعليقات والشروح الكثيرة التي تجعل ذلك الكتاب يبدو وكانه من تاليف الكندي لا من ترجمته فحسب •

ذلك لان ما استوعبه الكندي من العلوم الشهيرة قد مكنه من الالمام التام بالموضوعات التي كانت تحتويها الكتب التي كان يترجمها هو بنفسه ، او التي كانت تعرض ترجماتها عليه ، بحيث اصبح من اليسير عليه ان يخوض غمار تلك الموضوعات ، وان يسهب في شرحها وتوضيحها •

وعلى هذا الاساس وسمت جميع مؤلفاته بانها من عمله ، سواء كانت مترجمة او موضوعة ، ولذلك لم يذكر واحد من تلك المؤلفات بانه قد ترجم عن اللغة الفلانية •

اما النقطة الثانية فهي ان الكندي لم يكن من المتكسبين بعمل الترجمة مثل غيره من المترجمين الآخرين الذين كانوا يترجمون للخلفاء ولغيرهم من محبي العلوم ، باجور محددة • ذلك لان ما ورثه الكندي من ثروة خلفها له ابوه ، وهو من الولاة المشهورين للعباسيين ، وما اشتهر به من اعتزاز بالعلم وتقديس له ، كان يغنيه عن طلب الكسب سواء عن طريق الترجمة او التاليف على الرغم من وصف « الجاحظ » له بشدة البخل فقد كان الكندي مغايرا لبقية المترجمين الذين كانوا يؤدون هذا العمل بدافع الحصول على المال في الدرجة الاولى ، وفي مقدمتهم حنين بن اسحق الذي كان يكتب ترجماته على ورق سميك جدا ، وبحروف غليظة وسطور متباعدة بعد ان تعهد له المامون بان يعطيه زنة ما كان يترجم ذهبا • وعلى هذا فان كلمة « مترجم » في عرف ابن النديم ومن عاصره من العلماء ، كانت تنصرف الى المترجمين الذين كانوا يتكسبون باعمال الترجمة• ولما لم يكن الكندي يتكسب بما كان يترجمه او يؤلفه فان ابن النديم لم يذكره في طائفة المترجمين ولم يقل عن اي من كتبه بانه كان من ترجمته •

ومع اننا لا نعرف الاجر الذي كان المامون يقدمه للكندي حين انتدبه للعمل في بيت الحكمة ، الا اننا نعتقد ان ذلك العطاء لم يكن هو الباعث الاول الذي دفع بالكندي الى العمل في ذلك المعهد الفكري الشهير • فقد كان طموحه الفكري وولعه بالعلوم ، هما السببان الرئيسيان لما اقدم عليه من اعمال ووضعه من مصنفات • ■■ا

بغداد ــ **سليم طه التكريتي**

النصوص.. والعقل وتطبيق

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

■ الحوار الدائر منذ شهور عديدة داخل المجالس التشريعية وعلى صفحات العديد من المجلات والصحف فى مصر والبلاد العربية حول تطبيق الشريعة الاسلامية ، يكشف عن خلافات فى النظر الى المسألة برمتها ، يتجاوز بعضها الاختلاف الفقهى حولتفاصيل القضية وجزئياتها.

ويستطيع الباحث أن يتبين داخل هذا الحوار تيارين رئيسيين يختلفان فى موقفهما من الشريعة وكيفية تطبيقها على المجتمعات المعاصرة ..

ومن المصلحة ان نتبين معالم هذين التيارين ، والمنطلقات الاساسية لكل منهما ، حتى لا تتداخل المواقف وتختلط الاراء ، وحتى لا تتوه القضية فىزحام جدل ظاهره الاختلاف داخل الاطار الواحد، وحقيقته الانبعاث منإطارين مختلفين متباعدين ..

والموقف الاول

يبدأ من النصوص الشرعية وينتهى اليها ، ويكاد اصحابه يتخذون لهم مبدأ وحيدا ، هو اعلان قبول تلك النصوص والاستعداد الفورى لتطبيقها كلها بلا قيد ولا تحفظ .. وهم يرون ان القضية فى جوهرها لا تخرج عن اتخاذ موقف صريح من النصوص، فاما أن تقبل جملةوتفصيلا، واما أن ترفض صراحة ، ويعلن الرافضون ذلك بلا مواربة ..

أما الموقف الثانى

فيبدأ بعيدا عن النصوص كلها .. بل ربما كانت بدايته خارج الشريعة الاسلامية كلها .. يبدأ اصحابه بالنظر الى مصالح الناس كما يتصورها الناس ، والى اوضاع المجتمعات الاسلامية وغير الاسلامية ، والى الواقع المستقر باعتباره مقياس المصالح والمفاسد .. وهم لا يتصورون الا ان يكون التشريع عملا اجتماعيا خالصا ، يرجع فيه الى تقدير الجماعة ، ويمارس فيه العقل ـ بغير قيد ـ بحثه الحر عن الحقيقة والمصلحة ..

واذا كان أكثر المشاركين فى الحوار الدائر لا يفصحون صراحة عن انتمائهم الى تيار أو آخر من هذين التيارين ، ويكتفون بتغطئة بعضهم البعض ، فانه يعنينا هنا أن نتبين المنطلقات الاساسية لكل تيار ، وان نحدد النتائج المترتبة فى خصوص القضية العملية المطروحة ، وهى قضية تطبيق الشريعة الاسلامية واتخاذها مصدرا رئيسيا للتشريع .. كما يعنينا فى النهاية ان نقدم ـ فى تواضع ـ تصورا ثالثا للقضية ، مرتبين عليه ـ كذلك ـ نتائجه العملية ..

الموقف الاول : النصوص تكفى

أ ـ والمنطلق النفسى لهذا الموقفمنطلق مزدوج، فهو فى جزء منه تعبير عن شوق قديم طويل لرؤية

الشريعة الاسلامية

الاسلام مرفوع اللواء ، ورؤية احكامه نافذة الكلمة ، ودعامة اصحاب الراى المسموع فى تنظيم المجتمع •• وهو فى جزء آخر منه تعبير عن روح محافظة تحرص على « تميز » الاسلام فى عقيدته وشريعته ، عن طريق تطبيقه كاملا ، غير « مطعم » بمكونات مستمدة من حضارة غير حضارته ، وغير متصرف فيه « زيادة او نقصا او استدراكا او تحفظا » ، نزولا على ما يسميه دعاة ذلك التطعيم مراعاة ظروف العصر ومقتضيات التطور •• ولهذا يفزع اصحاب هذا الموقف من عبارات « التجديد » و «التطور» ، و «تطوير التشريع» وغير ذلك مما يفتح الباب ـ فى تقديرهم ـ للعبث بجوهر الاسلام وتطويع احكامه لاهواء الناس •

ب ـ اما المنطلق الفكرى لهذا الموقف فيستمده اصحابه من اصول ونصوص مختلفة :

١ ـ واول هذه الاصول ان الاسلام كله جاء من عند الله ليطاع الله سبحانه باقامة احكامه •• وهذه الطاعة لا تكتمل الا اذا كان التطبيق شاملا وعاما ومباشرا •• ويشهد لهذا الاصل قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » •

وقوله تعالى : « افحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » •

ومن ثم فالتردد فى تطبيق الشريعة الاسلامية تردد فى الايمان واهتزاز فى العقيدة ومخالفة عن امر الله ،ومشاقة لرسوله صلى‌الله عليه وسلم•

٢ ـ ان التشريع عمل الهى خالص ، لا يشترك فيه البشر ، ومحاولة اشتراكهم فيه منازعة لله تعالى فى الحكم ، وتطاول على السيادة الالهية فى المجتمع الاسلامى ، ذلك أن التشريع « حكم » ، ولا حكم فى المجمتع الاسلامى الا لله تعالى ، «ومن لم يحكم‌بما انزل‌الله فاولئك هم الكافرون»•

٣ ـ انه لا سبيل للنظر العقلى الخالص فى امور التشريع ، اذ لا سبيل لمعرفة الحق فى مصالح الناس الا بالرجوع الى الخالق سبحانه الذى « يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » • وما يراه بعض الناس مصلحة قد يراه الاخرون مفسدة ، وما تراه الاغلبية حقا ومنفعة قد يكون عين الضلال والمفسدة •

والكثرة وحدها ليست دليلا على موافقة الحق واصابة وجه المصلحة •• اذ « لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث » والناس اكثر انقيادا لدواعى الهوى ، واسرع استجابة لما يحقق المنافع الظاهرة والعاجلة ، ولو حمل فى طياته اعظم المفاسد الآجلة •• ولا مخرج للناس من ذلك كله الا بالانقياد للشريعة التى تردهم الى ما قد يخفى عليهم من وجوه المصلحة •• « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم،والله يعلم وانتم لا تعلمون»•

٤ ـ انه لا يجوز التردد او التحفظ فى تطبيق حكم من أحكام الشريعة الاسلامية بدعوى مراعاة روح العصر او ظروفه ، ذلك ان ما يسمى روح العصر ليس فى‌حقيقته الا تراكما لاوضاع واعراف

نمت في غيبة الاسلام على حساب مبادئه ٠٠ ولا يجوز ـ بحال من الاحوال ـ ان تكون معيارا تحاكم اليه نصوص الاسلام ومبادؤه ٠٠

ان الشريعة هي المعيار والحجة على كل عصر ٠٠ وليست العصور حجة ولا معيارا لها ٠٠

فالشريعة حاكمة على أهواء الناس ولا يجوز أن تكون محكومة بتلك الاهواء او تابعة لها ٠

٥ ـ ويترتب على ما سبق أن جميع احكام الشريعة الاسلامية واجبة التطبيق فورا ، اذ لا يجوز التدرج في تطبيقها بعد عهد النبوة وبعد ان اكمل الله الدين وكشف بالنصوص عن حكم الله في كل مشكلة ٠٠ والقول بالتدرج ـ في منطق هذا الرأي ـ ترخص يمليه الضعف ، وتحايل تاباه النصوص ٠

هذا هو الموقف الاول ، واضح لا لبس فيه ، له منطقه المستقيم ونتائجه الطبيعية المتمشية مع هذا المنطق ٠٠

الموقف الثاني
النصوص أمثلة والممارسات اجتهاد ، والعقل هو المدخل للتشريع

اصحاب هذا الموقف يتصورون الدين في جوهره دعوة للعقيدة الخالصة ، وللاخلاق الفاضلة ، صحبتها توجيهات عامة لتنظيم المجتمع ، ضربت لها الامثلة ، بعض الامثلة ، في كتاب الله وسنة رسوله ، ومارسها المسلمون ممارسات متعددة ومختلفة فيما بينها خلال عصور التاريخ الاسلامي المتعاقبة ٠٠

وهم لا يرون في هذه الممارسات الا اجتهادات بشرية ، تستحق ان تستأنس بها الاجيال اللاحقة دون أن تقف بالضرورة عندها ، او تلزم نفسها بها ٠٠

ويرى اصحاب هذا الموقف ـ فوق ذلك ـ ان الدين قد تضمن دعوة عامة لاستعمال العقول وتقليب الابصار في الكون وفي التاريخ ، وفي النفس ٠٠ وان هذه العقول قادرة على اكتشاف مواضع المصلحة ، مطالبة بان تعمل على هذا الاكتشاف ٠

كما يرون أن الوقوف المطلق عند النصوص ومحاولة تطبيقها كلها تطبيقا حرفيا على الواقع المتجدد منهج يصطدم باصلين لا يمكن التضحية بهما :

الاول : أن الدين ـ بنصوصه التشريعية ـ جاء رحمة للعالمين ، وهو لا يكون رحمة الا اذا استجاب لحاجات الناس وحقق مصالحهم ، والنصوص التشريعية التفصيلية قد كانت استجابة لحاجات الناس حين نزلت لانها واجهت مشاكلهم كما كانت يوم نزلت ٠٠ فاذا تغيرت المشاكل وتبدلت الاوضاع كان لا بد أن تتغير الاحكام وان تتطور استجابة لسنة الله في الكون كله ٠٠

الثاني : ان النصوص ـ مهما تعددت ـ فهي محدودة بالقياس الى المشاكل المتجددة ٠٠ والسوابق الثابتة من عهد النبوة وعهد صدر الاسلام مهما تعددت كذلك فهي محدودة العدد ، بالقياس الى ما يطرأ كل يوم من اوضاع جديدة ومشاكل لم تكن تواجه الناس في العصر الاول ٠٠ واذا كان المشرع نفسه قد وكل الى العقل مهمة مواجهة هذه المشاكل الجديدة ٠ فمعنى هذا ان العقل مؤتمن ، وانه قادر على اكتشاف مواضع المصلحة ٠٠وبذلك تكون النصوص « قرائن » على المصالح، وتكون السوابق «ممارسات» في طلب هذه المصالح، ينفتح الباب معها لاعمال العقول في امور التشريع٠

وفوق ذلك كله يرى اصحاب هذا الموقف ان العالم من حولنا مليء بالتجارب الانسانية التي تم رصدها وتحليلها ، والتي استعين في فهمها وتقييمها بكل ما وصلت اليه العلوم الحديثة في ميادين الدراسات الاجتماعية ، فالانظمة السياسية والاقتصادية والمعاملات التجارية المختلفة،والجرائم وعقوباتها ٠٠ وكلها امور يتناولها التشريع الاسلامي ، لم تعد رموزا غامضة ولا خفية ، وانما صارت سجلا انسانيا موقعا لا يملك مشرع معاصر أن يسقطه من حسابه ٠٠ واذا كانت القاعدة الاسلامية ان الحكمة ضالة المؤمن ، فلا حرج على المسلمين ان يستعينوا في أمورهم التشريعية بكل تجربة انسانية ٠٠

هذان هما الموقفان ، وتلكما هما المدرستان ..

فاين نقف منهما ؟ وكيف يمكن انيتحرك المجتمع بقضية تطبيق الشريعة الاسلامية دون أن يعوق حركته الشد والجذب المتبادلان من هذين المنهجين؟؟

الموقف الثالث
الشريعة حاكمة ولكن الفقه محكوم

نحن نرىأن فيكل منالموقفين جانبا من الحقيقة.

فالمسلم لا يكون مسلما الا اذا اختار الالتزام بشريعة الاسلام ، وايقن أن ما ثبت عن الله تعالى او عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهو المصلحة بعينها ، والرحمة كلها ، والعدل كله .. والا اذا ادرك الفارق الجوهري بين احكام البشر، وحكم الله .. فالبشر - كل البشر يؤخذ من كلامهم ويترك ، ويقبل من آرائهم ويرفض ، ويناقشون فيما يقولون ويفعلون .. والتسليم لهم - بغير مناقشة - ذل وعبودية، واهدار لنعمة العقل وملكة البحث .

اما حكم الله تعالى وحكم رسوله (ص) ، فالايمان به رسوخ في العلم ، والتسليم له عز ، والاستقامة على امره مدخل لكل خير .. والمسلم - مع ذلك كله - يعرف أن النصوص لم تتناول بالتفصيل كل شيء ، وان الله تعالى بين حكمه في أشياء ، وسكت - رحمة بنا - عن اشياء .. وهذا السلوك تفويض لنا بالاجتهاد ، ودعوة الى استعمال العقول ، واستجلاء وجوه المصالح ، والمفاضلة بين الحلول والبدائل ..

وممارسة هذا الاجتهاد ليست عدوانا على النصوص بل هي التزام بها ، وبالاصول العامة للاسلام.. وهو يعرف كذلك انالنصوص الاسلامية حين تناولت امور التشريع المختلفة تناولت بعضها بالتفصيل الشامل والتحديد الذى لا يترك مجالا لتاويل او اجتهاد .. وتناولت بعضها الاخر بالعموم والاجمال ، حتى يتسع للناس - من بعد - مجال الاختيار بين الحلول المختلفة التي تدخل في نطاق ذلك العموم وفي اطار هذا الاجمال . وهو لذلك يعرف أن للعقول سبيلا مع هذا النوع الثاني من النصوص . والمسلم المعاصر حين يدعو في ايمان وحماس لتطبيق الشريعة الاسلامية يفعل ذلك وبين عينيه الحرص على الالتزام الكامل بالنصوص ، والاستعداد التام لممارسة الاجتهاد فيما لم تتناوله النصوص او تناولته بالعموم والاجمال ، وهو لا يرى في هذين الامرين تناقضا ولا تعارضا ، بل يرى فيهما وجهين لحقيقة واحدة هي الالتزام بالاسلام في نصوصه الصريحة وفي دعوته الواضحة لاستعمال العقول ..

واصحاب هذا المنهج الاخير ، يحتاجون - فيما ارى - الى تذكير الفريقين جميعا بامور أربعة اساسية من شانها أن تعين على وضع الجهد المبذول لتطبيق الشريعة الاسلاميةموضعه الصحيح:

الامر الاول :

ان من الخطا العلمي الفادح محاولة الفصل بين حكم تشريعي وبين اصوله الحضارية والفكرية ، ذلك أن التشريع في جوهره مفاضلة بين القيم ، وتوفيق او ترجيح بين المصالح المتعارضة، واختيار لواحد من الحلول البديلة التي يطرحها الواقع لمعالجة مشكلة من المشاكل ، ثم هو في النهاية تقنين لهذا الاختيار ، وتثبيت له باضفاء حماية الدولة عليه ووقوفها بسلطانها الى جواره . واذا كان من المسلم به ان لكل حضارة نظام القيم الخاص بها ، وما يترتب عليه من ترتيب للمصالح وأولوياتها ، فان « الاختيار التشريعي » لا بد أن يعكس نظام القيم والمصالح الذى تتبناه تلك الحضارة ..

لهذا فان من الاخطاء الجسيمة التي تلمحها كثيرا خلال مناقشة احكام الشريعة الاسلامية ، محاولة عزل بعضها عن نظرة الاسلام الشاملة للحياة ، والقيم والمصالح .. ثم الحكم عليها بمعايير مستمدة من رؤى حضارية اخرى ، تعكس نظرة مختلفة الى القيم والمصالح داخل الجماعة..

ولعل هذا الخطا لا يظهر في شيء ظهوره في مجال الجرائم والعقوبات .. فالقانون الجنائي من أشد فروع القانون ارتباطا بترتيب القيم والمصالح داخل الجماعة .. ولهذا ايضا احتدم

الخلاف بين اصحاب المدرستين اللتين عرضنا لهما حول تطبيق عقوبة القطع في جريمة السرقة •• وكان من اسبابه أن بعض الباحثين قد انتزع هذا الحكم من سياقه التشريعي والحضاري واخضعه للتقييم بمعايير تعكس رؤية حضارية مختلفة •• ان في ترتيب المصالح ـ وفقا للرؤية الاسلامية ـ ان حماية أمن الناس في انفسهم ومساكنهم واموالهم قيمة اجتماعية لها أولوية كبيرة ، يناسبها تشديد الحماية القانونية لها ، بتشديد العقاب الرادع على كل عدوان يتهددها •• ولهذا كانت عقوبة القطع في حقيقتها موجهة لحماية هذه القيمة ، ولم تكن من اجل المال وحده •• ولهذا لم يشرع الاسلام عقوبة القطع في جريمة « غصب المال » وانما اوجبها في السرقة التي يتسور فيها المعتدى حدود « الحرز » الذى احاطه به المالك ملكه ، وهو ما يجعل منها صورة مصغرة لجريمة « الحرابة » التي يخرج فيها الجاني على أمن الناس ويقطع عليهم طريقهم والتي اوجب الشارع فيها عقوبة القطع كذلك ••

الامر الثاني :

ان الشريعة غير الفقه ، كما أن الدين غير التدين •• فالشريعة هي مجموع احكام الله تعالى الثابتة عنه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم ، والتي تنظم افعال الناس •• ومصدرها كتاب الله وسنة نبيه (ص) • اما الفقه فهو عمل الرجال في الشريعة ، استخلاصا لاحكامها وتفسيرا لنصوصها ، وقياسا على تلك النصوص فيما لم يرد فيه نص ، وطلبا للمصلحة فيما يعرض من امور السياسة ، واذا كانت الشريعة حاكمة كما يقال بحق •• فان الفقه محكوم بكل ما يحكم عمل الرجال وسلوكهم في الجماعة •

والطاعة الواجبة على المسلم انما هي طاعة الشريعة •• وليست طاعة الفقه ورجاله ••

ولذلك كان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول ان الامر اذا جاء عن الله تعالى او عن نبيه (ص) فهو على العين والراس •• واذا جاء عن الصحابة فاختلفوا فيه اختار من آرائهم ، لانهم بصحبتهم للنبي (ص) واخذهم عنه لن يفوتهم الحق مجتمعين ، ولن يخرج عن آرائهم مختلفين •• اما اذا انتهى الامر الى فقه التابعين وتابعي التابعين فقد كان رضي الله عنه يجتهد كما اجتهدوا ، ويقول : « هم رجال ونحن رجال » •

ان هذه التفرقة الاساسية حين تستقر وتتحدد خطوطها كفيلة بان تذوّب حدة الكثير من الخلافات القائمة •• فلا يعذر احد في خروجه على الشريعة او رفضه لها او استدراكه عليها •• ولا يلام أحد اذا اجتهد فخالف اجتهاده اجتهاد الفقهاء •• او كان له ـ فيما ذهبوا اليه ـ رأى جديد ••

ان الذين يضعون الفقه والشريعة في اطار واحد ، يصفونه كله بانه « التشريع الاسلامي » الذى لا بد من تطبيقه بحذافيره كلها ، يرتكبون خطأ فادحا في حق الاسلام وفي حق الناس •• فهم يدخلون على الاسلام ما ليس منه •• ويلزمون الناس بما لا يلزم ، ويفرضون عليهم من الحرج ما لم ياذن به الله •

الامر الثالث :

ان مجال الاجتهاد في التشريع مجال واسع وكبير ، لان ما لم تتناوله النصوص كثير بالقياس الى ما تناولته • وليس ذلك ـ كما يتوهم البعض ـ قدحا في الشريعة ، ولا هو نيل من قول الله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » بل هو آية الحكمة ودليل الكمال في شرع الذى خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، والذى يعلم ـ وله المثل الاعلى ـ أن العالم يتطور ، وان أشكال الحياة تتغير ، وأن مشاكل الناس تتبدى في قوالب جديدة •• لانه سبحانه كما اودع ناموس الحركة في الكون والمجتمع ، اودع نعمة العقل في الرؤوس ليلاقي سرعة الحركة بمثلها ، وليستجيب للتطور في الحياة بتطوير في الاحكام ، هو وحده الكفيل بحماية الشريعة وتحقيق مقاصدها الدينية ••

ان من حق بعض الناس ان يعجزوا عن رؤية الدنيا وهي تدور ،ولكن ليس من حقهم ان ينكروا هذه الرؤية على من امكنه الله منها ، وليس من لم ير حجة على من رأى •• ولا الجاهل حجة على العالم •• والذين يرفضون ان ينظروا الى ابعد من مواقع اقدامهم ، ويتصورون أن من حقهم ان يضربوا بين المسلمين وبين سائر العالم بسور غير ذى باب ، او يتخيلون ، أن المسلمين يستطيعون ان يقيموا مجتمعهم على صورة نماذج المجتمعات الانسانية التي قامت منذ الاف السنين ، وان يستغنوا بذلك عن الاجتهاد من جديد اولئك

يحرثون في البحر ، ويطلبون غير مطلب .. ولن تتوقف الحياة لتناقش خيالهم المريض .. وانما المسلم الحق من تعلق قلبه بالله ، وارتبط هواه بشرع الله ، ثم هو يمسك – في ذلك كله – بزمام الحياة ، يتحرك بها وتتحرك به .. ويزكي – بعلمه وجهده – اصول الخير التي بذر الاسلام بذرتها الاولى لتنمو شجرتها ، وتتعدد ازهارها ، وليرتفع من اصلها الثابت « فرعها في السماء ».

الامر الرابع :

ان الواقعة الاجتماعية هي السند المادي لكل نشاط تشريعي فقهي .. ومعنى هذا ان جزءا كبيرا من الاجتهاد يجب ان يتجه الى رصد الظواهر الاجتماعية وفهمها وتحليلها وتصور الحلول التشريعية المختلفة التي تتعامل معها ، وتحليل النتائج العملية التي تترتب على كل اختيار فقهي مطروح .. ذلك ان التشريع ليس نظرا فلسفيا ولا رياضة عقلية ، وانما هو رعاية لمصالح الناس بسلطان الحكم ، ولذلك قال الامام الشاطبي بحق ان « تكاليف الشريعة ترجع كلها الى تحقيق مقاصدها في الخلق » .

وحين يمارس الاجتهاد ، وتعرض على المشرع والفقيه ورجل السياسة حلول متعددة تقبلها الشريعة الاسلامية وتتسع لها ، فان الاختيار حينئذ لا بد انيحكمه فهم الواقع الاجتماعي وتحليل حركته ، لذلك وجب أن يستقر في ذهن دعاة الاسلام والمنادين بتطبيق الشريعة انالجهد الفقهي الخالص لا بد ان يتممه عمل اجتماعي واسع ، حتى تاتي ثمرته رحمة حقيقية للناس ، ومخرجا لهم من الضيق ، ورفعا للحرج ..

وبعد ..

فهذا كله رأي .. دفع اليه الحرص الا تتوه قضية تطبيق الشريعة الاسلامية تحت ركام جدل طويل.. والا يَتَحَيَّرَ المسلمون بين موقفين متطرفين جعل الله لهم سعة في التوفيق بينهما .. كما دفع اليه الحرص على ان يكون خطونا على طريق الاسلام خطوا موفقا رشيدا تظلله السماحة ، ولا يعكر صفوه ضيق الصدر او ضيق الافق ..

وحين يكون الامر امر رأي واجتهاد فلا نقول الا كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه « هذا احسنما قدرنا عليه، فمن جاءنا بخير منه قبلناه».

■■

القاهرة – أحمد كمال ابو المجد

■ الا من يريني غـايتي قبـــل مذهبي ؟
ومن اين ، والغايات بعد المـــذاهب ؟

(ابن الرومي)

■ الياسمين العاطر يفوح شذاه ، ولو حجبوه بغطاء

(مثل هندي)

■ على كل انسان عاقل ان يختار أبويه

(برتراند رسل)

■ عوى الذئب ، فاستأنست بالذئب اذ عوى
وَصَوَّتَ انســان فكـدت أطـير

(الاحيمر السعدي)

■ رأيت الخمر نافعــة ، وفيها مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله اشربهـا حيـــاتي ولا أشفي بها ابدا ســقيما

(صفوان بن امية)

هل يمكن للعالم الثالث ان يخلص من عقدة تقليد دول العالم الصناعية المتقدمة ؟

العالم الثالث

يرفع لواء الدعوة لنظام اقتصادى جديد

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

■ ان الدعوة لانشاء نظام اقتصادى جاءت نتيجة للمطالبات المستمرة من جانب دول العالم الثالث لاعادة النظر فى علاقات التبادل الدولية .

وقد اخذت الدعوة اسم النظام الاقتصادى الجديد بوجه خاص من اثر دعوة الجزائر لمؤتمر القمة لدول عدم الانحياز فى سبتمبر ١٩٧٣ ، وما ترتب عليها من عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة تجارة المواد الاولية . وقد صدر فى هذا الشان قرار الجمعية العامة فى دورتها السادسة غير العادية بانشاء نظام اقتصادى دولى جديد (قرار رقم ٣٢٠١ فى اول مايو ١٩٧٤) والقرار ببرنامج عمل لانشاء هذا النظام (قرار رقم ٣٢٠٢) ، فضلا عن ميثاق الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول (١٢ ديسمبر ١٩٧٤) .

وطبيعة « النظام الاقتصادى الجديد » لا تكاد تختلف عن طبيعة « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » (قرار الجمعية العامة ١٠ ديسمبر ١٩٤٨) . فكلاهما صدر بنفس الاداة معبرا عن الآمال التى تهدف اليها الانسانية ، فاقامة نظام اقتصادى جديد ليس حقيقة ولكنه وعد أو مشروع .

فكلمات « العدالة » و « الانصاف » و« المقابل العادل » و « التعاون » « وبذل كافة الجهود » تتكرر عبر هذه الوثائق بما يكشف طبيعة هذا النظام باعتباره أملا اكثر منه حقيقة .

وقد تضمن برنامج العمل لاقامة النظام الجديد المقترح عدة نقاط تمثل رؤوس الموضوعات التى تمثل اهمية خاصة فى تعديل العلاقات الدولية :

١ ـ المشكلات الاساسية لتجارة المواد الأولية وبوجه خاص مشكلة الغذاء .

٢ ـ النظام النقدى العالمى ودوره فى تمويل التنمية .

٣ ـ التصنيع .

٤ ـ انتقال التكنولوجيا .

٥ ـ تنظيم الرقابة على الشركات المتعددة الجنسية .

٦ ـ ميثاق حقوق الدول الاقتصادية وواجباتها .

٧ ـ تنشيط التعاون بين الدول النامية .

٨ ـ مساعدة الدول النامية على ممارسة سيادتها الدائمة على مواردها الطبيعية .

٩ ـ تدعيم دور الامم المتحدة فى مجالات التعاون الاقتصادى الدولى .



١٠ ـ برنامج خاص لمعونات الطوارىء للدول التى تاثرت بالازمات الاقتصادية وخاصة الدول الاقل نموا ٠

والتقدم الذى تحقق في كل من هذه الميادين لا زال امرا محدودا للغاية ٠ ومع ذلك فقد حدث شيء ، لقد بدأ الحوار ٠ فما لم يكن متصورا مناقشته اصبح الآن محل مناقشة ٠ فمناقشة المشاكل الاقتصادية بين الشمال والجنوب (مؤتمر باريس ١٦ ديسمبر ١٩٧٥) والتى لم تكن ممكنة قبل عدة سنوات ، اصبحت مقبولة الآن ، ومن جميع الاطراف ٠

واذا كان هدف تقديم معونات من الدول المتقدمة ب ١٪ من الدخل القومي ـ والذى نودى به خلال مؤتمر التجارة والتنمية ١٩٦٤ ـ لم يتحقق ، فان ذلك لم يمنع من وجود بعض المساعدات ، وان كانت نسبتها قد تناقصت في السنوات الأخيرة (٣٩ر٠٪ من الدخل فى ١٩٦٨ و ٣٣ر٠٪ فى ١٩٧٤) ٠

سلوك دول البترول

ويمكن أن نشير الى أن سلوك الدول النامية التى حصلت على الدخول النفطية كان افضل بكثير فى ميدان المساعدات ٠ فقد قامت دول الاوبك بتقديم مساعدات بلغ حجمها فى ١٩٧٤ حوالى ٣ر٥ بليون دولار دفع منها حوالى ٢ر٢ بليون دولار بالاضافة الي ما قدم للمؤسسات الدولية ٠ وذلك رغم أن كل ما حصلت عليه الدول النفطية لايمثل الا جزءا يسيرا من الثروات فى الدول المتقدمة ، فضلا عن انها ليست دخولا بالمعنى الحقيقى بل اقتطاع لثروتها الوطنية ٠ فلم يجاوز الدخل الذى حققته هذه الدول فى ١٩٧٥ ، ١١٠ بليون دولار وذلك فى حين أن الزيادة السنوية للدخل فى الدول الصناعية تقدر بحوالى ١٠٠ بليون دولار ٠

على انه اذا كان هناك شعور عام بعدم كفاءة وعدم عدالة النظام القائم ، فان الاتفاق أبعد ما يكون على شكل النظام الجديد المقترح ووسائل تحقيقه ٠

حتى دول العالم الثالث التى تتفق على نبذ النظام القائم لم تحقق الحد الادنى من الاتفاق على شكل النظام الجديد ٠ فباستثناء تضامنها عادة على مواجهة الدول المتقدمة واستنكارها لقواعد التعامل الدولى المفروضة عليها ، فانها فى معاملاتها ببعضها كثيرا ما لا تخرج عن هذا النموذج الذى ترفضه ٠ فهى دول حائرة بين ميلها الغريزى الى تقليد انماط الدول الصناعية وبين رغبتها فى تقديم نموذج جديد ٠

ولذلك فان الجزء التنفيذى من النظام الاقتصادى الجديد لا زال شديد الضاله ٠ فكل ما تحقق هو مزيد من الاستعداد لتقبل أمور كانت مرفوضة سابقا وبوجه خاص فقد نشأ جو اكثر مناسبة للحوار ٠أصبح الحق فى المساعدة للتنمية أكثر من مجرد منحه ، أصبح هناك شبه حق ٠ أصبح الحق فى مناقشة الديون أكثر من مجرد مماطلة فى الدفع ، اصبح هناك شبه رقابة على سلوك الدائنين ٠ أصبح الحق فى التاميم وفى السيطرة على الموارد الطبيعية حقا لا نقاش فيها٠ وقد كانت بالأمس القريب غير معترف بها ٠

حضارة الكم

ولا يمكن الحديث عن مضمون للنظام الاقتصادى الجديد دون ايضاح للهدف منه ٠ ومن الطبيعى ان تكون نقطة البدء هى مناقشة أهداف المجتمع

الصناعي المتقدم • فهذا المجتمع يمثل في الواقع الاطار الحضاري السائد في هذا العصر •

ليس من السهل تحديد هدف واحد او أهداف محددة للنظام الاقتصادي السائد ، وذلك ان هناك نسيجا متشابكا من العلاقات والقيم التاريخية والحاجات الحالية • ومع ذلك فمن أجل التبسيط يمكن القول بأن الهدف الغالب في الدول المتقدمة هو النمو •

ومنذ الثورة العلمية وقداصبح القياس مرادفا للعلم ، فلا « علم الا ما يقبل القياس » • ومتى تحدثنا عن القياس فاننا نشير الى الكم • وفي عالم الكم الأكبر « افضل » من الأصغر • ولذلك لم يكن غريبا انيكون السعي وراء النمو مصاحبا لهذه الثورة العلمية •

وهذا التغيير في النظرة للامور هو تغيير عقلي وثقافي خطير لا ينبغي ان نقلل من اهميته ، وقد ترك آثاره على مختلف اوجه الحياة وليس فقط النشاط الاقتصادي والقيم السائدة • فالبحث العلمي ذاته قد تأثر ـ او ربما قد ساعد على ـ ظهور هذه العقلية الجديدة للنمو • ففي عالم العلوم الرياضية مثلا كان انتقال مجالات الاهتمام نذيرا بهذا التحول في النظرة الى الكون • فعند الاغريق مثلا كانت الهندسة هي ارقى العلوم • وها هو افلاطون يضع على باب اكاديميته تحذيرا « بان من لا يعرف الهندسة لا يدخل هنا » • والهندسة هي علم التناسق ولا شأن لها بالكم ، وعندما جاء ليبنز ونيوتن في القرن السادس عشر وطورا البحث في الرياضة بالاهتمام بالتفاضل والتكامل (التحليل الرياضي) ، فان ذلك لم يكن تطويرا عاديا واستمرارا لنفس الاتجاه السابق ، وانما كان قفزة وانقطاعا مع الماضي • فقد اصبحنا نبحث مع التحليل الرياضي عن معدل التغيير ، اي عن النمو وعن القيم القصوى •لقد انتقلنا الى عالم الكم وبعدنا عن عالم الاتساق والجمال • ولذلك لم يكن غريبا ان يرى العديد من المؤرخين ان الحضارة الصناعية في اوروبا وامريكا هي حضارة الكم •

هدف النمو

ولكن اي كم ؟ لقد اصبح الهدف زيادةالانتاج وزيادة حيازة الأشياء • واصبح الهدف هو تحقيق النمو ، واكتسب الناتج القومي والدخل الفردي قدسية كبيرة في الاهداف الاقتصادية للنظم المعاصرة •

في ضوء ما ثار حول حدود النمو واستحالة الاستمرار بالمعدلات الحالية لنمو السكان ونمو الانتاج والاستهلاك ، فقد بدأ الجدل في الدول الصناعية ذاتها حول جدوى النمو كهدف للمجتمعات •ولم يقتصر هذا الجدل على الاشارة الى عدم امكانية الاستمرار في السعي وراء هذا الهدف ، بل انه جاوز ذلك للتساؤل عن مدى فائدته وجدواه •

مثلا زيادة السكان ، انها مثل السيارة المندفعة بسرعة لا يمكن ايقافها مرة واحدة والا وقعت حوادث • ولذلك فلا بد من التدرج • كذلك يتساءل البعض عن خطورة تحول منع نمو السكان الى زيادة في شيخوخة الامة مع ما يترتب على ذلك من متاعب اقتصادية وحضارية • واخيرا فانه ما لم توضع سياسة سكانية عالمية ويتحققتضامن حقيقي بين الشعوب ويسمح بحرية انتقال العمل ، فان تقييد نمو السكان بشكل كبير قد يؤدي الى الاضرار بالبعض على حساب البعض الآخر ،ولذلك فلم يكن غريبا ان يفشل مؤتمر بوخارستللسكان (اغسطس ١٩٧٤) وهو الأول من نوعه على مستوى العالم ، في الوصول الى نتائج مقبولةمن الجميع •

وفيما يتعلق باستمرار نمو الانتاج ، فقد كان محلا لانتقادات متعددة متعلقة بآثاره على التلوث وتدهور البيئة المادية والحضارية (علاقات الافراد) ، وما نشأ عنه من سوء في توزيع الثروة والدخول • واذا كان الجدل في هذه النقطة كثيرا ما يختلط مع الجدل حول حماية نوعية الحياة ، فان هناك انطباعا عاما بوجود تعارض بين تحسين نوعية الحياة وبين الاستمرار في زيادة الانتاج •

فكرة النمو العضوي

وعلى اي الأحوال فقد بدأ العديد من المفكرين يستبعدون فكرة النمو باعتباره مرادفا للتكرار ، والاخذ بفكرة « النمو العضوي » الذي يقوم على اعادة تعديل علاقات القوى بين الدول والمناطق من ناحية واعادة النظر في القيم التي تحكم النظام وأهدافه من ناحية اخرى •

وايا ما كان الأمر فان هدف النمو والذياخذت به الدول الصناعية لحوالي قرنين من الزمان قد

اصبح محل تشكك الآن من العديد من المفكرين • والبحث عن نظام اقتصادى جديد يقتضى من دول العالم الثالث ان تقدم تصورا جديدا لما تسعى اليه • فهذه الدول تقع في تناقض منطقى اذا هى ارادت ان تلحق بالعالم المتقدم وتصبح على صورته ، وفى نفس الوقت تتصور انه من الممكن ان تنفصل هذه الصورة عن الوسائل المستخدمة والنتائج التى اظهرها النظام الاقتصادى القائم• ولذلك فانه لا يمكن الحديث عن نظام اقتصادى جديد دون ان يكون ذلك مرتبطا بمشروع جديد للتنمية تسعى اليه دول العالم الثالث وتحاول ان تحققه مع ما يترتب على ذلك من تغيير في العلاقات الاقتصادية الداخلية وربما العلاقات الدولية •

الطاقة •• والمعلومات

اننا نعتقد ان هناك زوجا من الافكار التى تسيطر على المشاكل الاقتصادية المعاصرة • وهذا الزوج هو الطاقة / المعلومات • ويمكن من ناحية معينة القول بان مشكلة الاقتصاد المعاصر هى مشكلة تحقيق التوازن اللازم بين هذين الأمرين• وعندما نتكلم عن الطاقة فاننا نقصد المادةبكل صورها ، فكل من المادة والطاقة تعبير عن نفس الشيء في ظروف خاصة • ونقصد بالمعلومات طائفة واسعة تشمل العلوم والفنون والآداب والتاريخ والمعرفة بكافة صورها بل والاساطير • فهى امور تتجه الى عقل الانسان وذوقه •

لا احد يستطيع ان يعارض تحسين مستوى معيشة الأفراد ، وتوفير السلع والخدمات اللازمة لتحقيق حياة متكاملة : غذاء ، مسكن ، ملبس ، عناية صحية ، ترويح ، تعليم ، الخ• ولكننا اذا نظرنا الى الكثير من السلع التى يحوزها الافراد والتى تتفنن الصناعة في انتاج المزيد والغريب منها ، نجد ان بعضها لا يشبع حاجات اساسية لدى الافراد وانما تقوم بخلق ضغط اجتماعى ونفسى عليهم مما يدفعهم دفعا للحصول على هذه السلع مسايرة وليس حاجة • وقد تناول العديد من الاقتصاديين ظاهرة « الاستهلاك التفاخرى » السائدة اليوم •

فالانتاج يعتمد على فكرتى الطاقة والمعلومات معا ، وان هناك تداخلا وترابطا بينهما •

ومع ذلك فاننا يمكن ان نقول بنوع من التبسيط انه من بين هاتين الفكرتين فان الطاقة (الاشياء) هى الهدف في المجتمعات الصناعية ، في حين ان المعلومات تستخدم وسيلة وخادمة للاشياء •

وربما يكون هذا هو موطن الخطأ • وربمايكون الاصلاح هو ان نعكس العلاقة بحيث يسعى المجتمع الى تعظيم المعلومات المتاحة للافراد وبحيث تكون الطاقة في خدمة هذا الهدف • وهذا هو ما نقترحه كهدف لمشروع جديد للتنمية لدول العالم الثالث وما نرى انه قادر على المساعدة على خلق نظام جديد وعلاقات جديدة •

وبطبيعة الاحوال فان مجتمعا يسعى لزيادة المعلومات لأفراده لا يمكن ان يستغنى عن الطاقة• فهناك بنية اساسية ضرورية لزيادة وتوزيع المعلومات ونشرها • فلا بد من اجهزة وآلات لنقل المعلومات ولحفظها وتصنيفها وسرعة تداولها • وهذا يرتبط بعالم ضخم من الانتاج المادى في صناعات الورق والكتاب والصناعات الالكترونية والاتصالات • ولكن الجديد هنا هو ان الطاقة تصبح في خدمة المعلومات وليس العكس •ونعتقد ان هذا المشروع للتنمية غنى بالآمال •

ان الناظر الى ما حققته الدول النامية خلال الربع قرن الاخير لا بد وان يعترف بوجود تقدم كبير• ومع ذلك رغم هذا الانجاز • فان شعور الاحباط لا يفارق شعوب هذه الدول بالنظر الى استمرار اتساع الفجوة بينهم وبين العالم المتقدم • فما حققه العالم الثالث على انفراد يعتبر امرا مرضيا• ولكن المقارنة بين انجازاته وبين ما وصل اليه العالم الصناعى المتقدم هى سبب الشكوى •

كذلك فانه يمكن القول بان توفير الحاجات المادية المعقولة للافراد ليست امرا بالغ الصعوبة بالنسبة لدول العالم الثالث • وتنشأ الصعوبة عند محاولة هذه الدول استخدام جزء من مواردها في متابعة انماط الاستهلاك غير الضرورى والذى خلقته حضارة الاستهلاك • هذا رغم الاعتراف بصعوبة تحديد ما يعتبر ضروريا وما لا يعتبر كذلك • ولكن مما لا شك فيه ايضا ان هناك ضياعا اكيدا في الموارد لمتابعة تغير الأذواق المستمر وخلق حاجات عديدة ترتبط بفكرة

« المركز الاجتماعي » للشخص اكثر من ارتباطها بحاجات حقيقية •

ولذلك فان الاهتمام والتركيز على اهمية المعلومات كهدف للمجتمع سوف يؤدى الى خلق قيم جديدة تضع القيم الذهنية والفنية فى مرتبة عليا من استمتاعات الانسان ومن ثم تخفيض السعي وراء حيازة الاشياء • وربما تتمكن الدول النامية بهذه الطريقة من حل جزء كبير من مشكلة الفجوة عن طريق تجاهل وتجاوز قيمة الاستحواذ الى استمتاعات اخرى •

فمن ناحية يرجع قصور الدول المتخلفة وعجزها عن تحقيق نتائج ملموسة فى ميدان اللحاق بالدول المتقدمة ـ يرجع ذلك ، الى حد كبير ، الى الوضع النسبى السيء الذى تبدأ به • فالدول الصناعية، وقد بدأت التراكم الراسمالي منذ قرنين تركت لأبنائها تركة هائلة من البنيات الأساسية ومن الطاقة الانتاجية التى تجعل تقدمها امرا ميسورا نسبيا • اما الدول النامية فانها تكاد تبدأ من الصفر • ولا يخفى ان لهذا الامر تاثيرا بالغ السوء على الشعور بالاحباط واليأس لدى هذه الدول• ولكن اذا لاحظنا ان توفير الحاجات الاساسية لهذه الدول ليس مشكلة ضخمة ، فضلا عن ان طبيعة اقتصاد المعلومات تقتضي تحصيله من الجميع ، فان مشكلة تحقيق نتائج ملموسة تكون ايسر بكثير• ويكون فى امكان الدول المتخلفة ان تحقق نتائج تستطيع ان تفخر بها بدلا من هذا الشعور المستمر بالعجز والاحباط •

دكتاتورية المعلومات

واذا كان الانتقال من مجتمع يركز على نمو الطاقة على حساب المعلومات الى مجتمع عنايته الاولى للمعلومات ويجعل الطاقة وسيلة لذلك ـ اذا كان ذلك يبدو مطمئنا ، فانه يجب مع ذلك التريث • فحذار من التطرف دون وضع الضوابط والقيود • المعلومات حقا هى وسيلة لتحرير الاذهان ، ولكنها اذا لم تتوافر لها الضوابط الحقيقية ، قد تصبح اداة للسيطرة على الافراد والقضاء على حرياتهم • فاذا قامت دكتاتورية وجندت ماكينة ضخمة لنشر المعلومات وتوزيعها فانها قد تستخدمها لاختيار نوع المعلومات وتوجيه اذهان الافراد وصبهم فى قوالب محددة سلفا • فاذا كانت المعلومات كما اشرنا ، بطبيعتها من السلع العامة ، فانها قد تصبح ـ فى ظل تنظيمات سياسية وقانونية خاصة ـ محلا للاحتكار واداة للسيطرة والقهر • فالمعرفة قوة والمعلومات قوة ، ومن يحتكرها يستطيع ان يتسلط على غيره • ولذلك فان الديمقراطية تعتبر الضمان الرئيسى لعدم تحول المعلومات من وسيلة تحرير الى اداة قهر •

والديمقراطية ليست شكلا محددا من اشكال الحكم وانما هى وسيلة لتحقيق المشاركة الفعالة من الجميع فى اتخاذ القرارات • وليس هنا مجال مناقشة اهم الوسائل لتحقيق هذه المشاركة الفعالة • والأمر الجدير بالنظر فقط هو مدى التكامل بين الاطار السياسى وبين اهداف النمو الاقتصادى ، وانه من المستحيل تحقيق تغيير جذرى فى المفاهيم الاقتصادية دون اجراء التغيرات السياسية المطلوبة •

ولا يمكن ان تنهى القول دون الاشارة الى المسؤلية الخاصة التى تقع على المثقفين والعناصر الحاكمة فى تطوير نظرة جديدة للتنمية • ولا يرجع ذلك فقط الى الدور المؤثر والخطير الذى يلعبونه فى التاثير على قيم السلوك فى مجتمعاتهم فى هذه الفترة من فترات التطور السريع ، وانما بوجه خاص ، لأنهم مسؤولون مباشرة عن ادخال بعض قيم المجتمعات الصناعية وخاصة الاستهلاكية الى دولهم • فهذه الفئات لعبت دورا خطيرا فى الترويج لأنماط الاستهلاك الغربى وفى تبنى اهداف النمو وحيازة الأشياء • فهم همزة الوصل بين مجتمعاتهم وبين المجتمعات المتقدمة ، ينتمون بجذورهم الى الدول المتخلفة ، وبتطلعاتهم الى الدول المتقدمة • وفى الوقت الذى يتشكك فيه العالم المتقدم حول جدوى السعي وراء حيازة الاشياء ، نجدهم اشد تعلقا بها • ولذلك فان المسؤلية التى يتحملونها تجاه شعوبهم كبيرة • وفضلا عن ذلك فان جيلا من المتمردين فى المجتمعات المتقدمة على نموذج النمو المادى يبحث فى سلوك الدول الجديدة عن امل جديد • ومن هنا فان هؤلاء مطالبين بتقديم شيء اكثر اصالة من مجرد التقليد والمتابعة •

حازم الببلاوى

■ رذائل الاغنياء والعظماء، مجرد أخطاء صغيرة فى نظر المجتمع ، أما رذائل الفقراء والضعفاء ، فهى جرائم يعاقب عليها القانون ٠

« كونتيسه بلسنجتون »

■ اننى فى صراع دائم مع الزمن ، فهو اقصر من أن اكمل فيه عملا ، وهو اطول من أن أؤدى فيه أى عمل على الاطلاق !

« الملكة شارلوت » ٠

■ اى امرأة تستطيع أن تخدع الرجل ، اذا شاءت ، اذا كان هذا الرجل متيما بحبها !

« اجاثا كريستى » ٠

■ فى سن معينة قد يتوقف قلب المرأة عن الغناء ، ولكن مع هذا تبقى عيناها تنظران الى ماحولها وراء ستار من العرفان بالجميل ٠

« كوليت » ٠

■ الصداقة تبدأ بشعور بالميل او الامتنان ، ولكنها جذور من السهل اقتلاعها ٠

« جورج اليوت » ٠

■ النجاح قتل من الرجال اكثر مما قتل الرصاص !

« همنجواى » ٠

■ الحب يجعل الوقت يمر بسرعة ٠٠ والوقت يجعل الحب يموت ببطء !

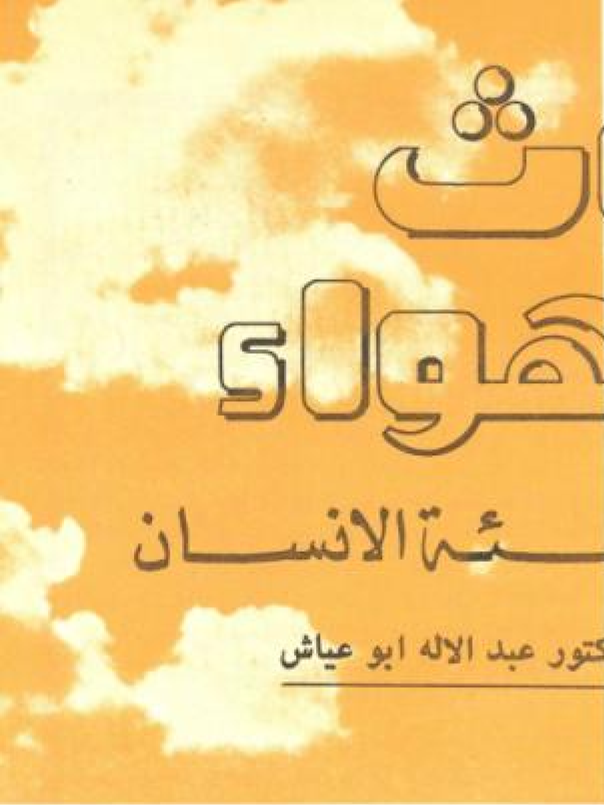
« وليام تل »

■ قبل الزواج تعرف المرأة كل الاجابات الصحيحة ، وبعد الزواج تحفظ المرأة كل الاسئلة!

« برنارد شو »

■ كونى جميلة دائما اذا استطعت ٠٠ وكونى ذكية اذا تطلب منك الموقف اظهار ذكائك ٠٠ ولكن لا تنسى ابدا أن تجعلى من نفسك شخصية محببة الى النفوس ٠

« نصيحة ام لابنتها »



تلوث الهواء

وتدهور بيئة الانسان

بقلم : الدكتور عبد الاله ابو عياش

تدهور البيئة الطبيعية الذى أخذت حدته تتزايد فى النصف الاخير من هذا القرن هو أخطر المشاكل التى تواجه الانسان اليوم ·

■ لم يشهد تاريخ الانسان اضطرابا فى علاقة الكائن البشرى ببيئته كما يحدث فى الوقت الحاضر · فالتناغم الذى امتازت به العلاقة بين الكائنات البشرية وبيئاتهم ، والتوازن الدقيق الذى اتصفت به هذه العلاقات لفترة طويلة بدأ يتعرضان للاختلال · وراح هذا الاختلال البيئى ينمو بسرعة غير عادية ، مما حدا بعلماء البيئة (Ecologists) الى توجيه التحذيرات من مغبة السماح لهذا التدهور بالاستمرار دون ضوابط ·

فالظروف الصحية فى كثير من بيئات الانسان وخاصة فى المدن المزدحمة لم تعد ملائمة لسكن بنى البشر · فهناك الملايين من الناس يعيشون فى مساكن دون المستويات الصحية الضرورية لحياتهم · ويبدو أن الايام التى كان فيها الانسان يستمتع بمياه نقية وهواء عليل تسير فى طريقها الى الزوال · ويعتبر التلوث الذى هو نتاج عوامل عديدة اهمها التزايد والازدحام السكاني، وتصاعد الانتاج الصناعي ، وما يتركه ذلك من ملايين الاطنان من النفايات الصلبة والسائلة والغازية وهى اهم المشاكل البيئية · ويعتبر تلوث الهواء من المشاكل الملحة، التى أخذت تلفت الانتباه لما له من اثر مباشر على سوء الاحوال الصحية ، فى مناطق تركز الصناعات وازدحام وسائط النقل · وكلما ازدادت الصناعات وأعداد السيارات فى المدن كثرت احتمالات الاخطار الصحية على الانسان ·



الاهتمام بالمشكلة

يعتبر الحادث الذى تعرضت له مدينة دورونا (Dorona) فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة اول اشارة خطر لفتت الاهتمام بشكل سريع الى مشكلة تلوث الهواء • ففي يوم ٢٦ اكتوبر عام ١٩٤٨ تعرضت المدينة التي كان عدد سكانها حوالى ١٢ الف نسمة الى تلوث هوائى خطير • وحدث ذلك بسبب انحباس ادخنة المصانع فى المنطقة وخاصة مصنع الاسلاك فى المدينة • ونتج ذلك الانحباس عن هبوب موجة هوائية ساخنة حصرت تحتها كتلة من الهواء البارد • وعبق جو المدينة بالادخنة والاكاسيد السامة ، واصيب نتيجة ذلك حوالى ٦ آلاف شخص من سكان المدينة باعراض مرضية مختلفة • وعلى الرغم من العلاجات السريعة التى قدمت للمصابين فقد توفى بسبب الجو الملوث والغانق عشرون شخصا•

ويعتقد بان نسبة كبيرة من الذين عاشوا بقيت تعاني من بعض الامراض المرتبطة بذلك الحادث •

وتعرضت مدينة لندن لحادث مماثل • ففي عام ١٩٥٢ ادى زحف طبقة من الهواء الساخن وحجزها لكتلة من الهواء البارد الى تزايد نسبة اكاسيد السلفور في جو لندن • وادى انحباس ادخنة المصانع الى تكاثف الضباب فى المدينة • فساءت الرؤية الى درجة انها لم تتعد بضع ياردات • ويذكر بان ما لا يقل عن اربعة آلاف شخص لاقوا حتفهم بشكل مباشر او غير مباشر بسبب تلوث الهواء •

وهناك بعض المدن الامريكية التى تصل فيها نسب التلوث درجات عالية كنيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو وقد وصلت نسب التلوث احيانا الى مستويات اضطر معها الاطباء الى تحذير الناس من اجهاد انفسهم • وما حدث في اغسطس عام ١٩٦٩ خير مثال لذلك • فقد اصدر الاطباء فى مدينتى لوس انجلوس وسنت لويس تحذيرات للمواطنين بتوقى الاجهاد والحركة والالعاب الرياضية ، والتقليل من التنفس بعمق، بسبب ارتفاع نسبة التلوث فى الهواء • كما صدرت التعليمات الى المدارس باغلاق أبوابها للمحافظة على صحة الطلبة • واصدر نحو مئتين عضوا من اعضاء كلية الطب فى جامعة لوس انجلوس توصيات الى مواطنى جنوب كاليفورنيا بتحاشى هذه المنطقة اذا امكنهم ذلك ، وخاصة سكان لوس انجلوس وسان بيرناردينو وريفر سايد وينصح الاطباء فى هذه المناطق نحو عشرة آلاف مريض سنويا بمغادرتها اذا ارادوا الشفاء من امراضهم • واكثر الذين ينصحون بترك هذه المناطق هم اولئك المصابون بامراض التهاب القصبات الهوائية وضيق التنفس وضعف القلب•

ظاهرة الضباب الدخاني

ينتج عن تزايد تلوث الهواء في بعض المناطق ظاهرة تسمى بالضباب الدخانى (Smog) وهذه الكلمة الانجليزية مشتقة من كلمتين هما دخان (Smoke) وضباب (Fog)• وتنتشر هذه الظاهرة في المدن الكبيرة والشديدة الازدحام كلوس انجلوس ونيويورك وسنت لويس وفيلادلفيا وبتسبرغ فى الولايات المتحدة• ويعتبر دخان المصانع وما تنفثه السيارات ووسائط النقل الاخرى عاملا مهما فى تكون هذه الظاهرة •

ويمكننا القول بشكل عام بان هناك مصدرين رئيسيين لتلوث الهواء • المصدر الاول هو التاكل Attrition ، فتاكل ملايين اطارات السيارات سنويا يترك آلاف الاطنان من الجزئيات الصغيرة والميكروسكوبية عالقة في الجو وتساهم بعض الصناعات مثل طحن مواد البناء والمواد المعدنية ، وكذلك الحفر والتفجير في زيادة نسبة هذه المواد في الجو • أما المصدر الرئيسي الثاني فهو الاحتراق Combustion فاحتراق المواد المختلفة يؤدي الى تكون الغازات والادخنة التي يمتصها الجو • وتتحول هذه الغازات الى مركبات كيماوية جديدة بسبب اتحادها مع الاكسجين وبخار الماء والعناصر الاخرى • فاحتراق الكبريت مثلا يؤدي الى تكون اكاسيد الكبريت وعندما تختلط هذه الاكاسيد ببخار الماء تتحول الى حامض السلفوريك •

اخطار تلوث الهواء

هناك قول شائع بان الانسان بدأ يعاني من أمراض حضارية • تلك الامراض التي هي من نتاج الانسان نفسه وهذا القول ينطبق على الواقع بدرجة كبيرة • فتلوث الهواء مثلا هو نتيجة مباشرة للتطور الحضاري للانسان، وخاصة التطور الصناعي • وبسبب تزايد تلوث الهواء اعراضا مرضية مختلفة • فاوجاع الرأس وضعف الرؤية ، واضطرابات المعدة ، والاعراض السرطانية لها علاقة مباشرة بنوعية الهواء الذي يستنشقه الانسان • وقد وجد على سبيل المثال انه اذا ارتفعت نسبة أحادي اكسيد الكربون في الجو الى ٨٠ جزءا من مليون جزء ، فان قدرة الدورة الدموية للانسان على نقل الاكسجين تنخفض بنسبة ١٥٪ وهذا يعني بشكل اخر خسارة جسم الانسان لما يعادل حوالي نصف لتر من الدم • ويمكن تقدير قيمة مثل هذه الاخطار التلوثية ، اذا ما علمنا بانه في بعض المدن ، وحيث يشتد ازدحام المواصلات ، بأن نسبة أحادي اكسيد الكربون تصل الى ٤٠٠ جزء من مليون جزء •

ويمكننا من مقارنة هذا الرقم مع سابقه معرفة مدى الخطر الكامن في الهواء الملوث وآثاره الخطيرة على الصحة العامة • ويعتبر الاطفال والمسنون اكثر الناس عرضة للامراض المتعلقة بتلوث الهواء • وقد لوحظ ان بعض الامراض كمرض ذات الرئة (Pneumonia) وانتفاخ الرئة (Emphysema) تتزايد بشكل كبير في مناطق التلوث الهوائي •

كما دلت بعض الدراسات على أن أمراض التهاب الاغشية المخاطية والقصبات الهوائية تزداد في المناطق الصناعية عما هي عليه في المناطق غير الصناعية • كما وجد ايضا ان نسبة الموت من سرطان الرئة لها علاقة قوية مع تزايد نسبة الضباب الدخاني في الجو • واوضحت احدى الدراسات على سبيل المثال ان عدد الذين يصابون بسرطان الرئة في مدينة نيويورك تصل الى ٥٥ شخصا لكل مائة الف شخص • الا ان هذا العدد ينخفض الى ٤٠ شخصا لكل مائة الف شخص في المناطق البعيدة عن نيويورك •

مستقبل بيئة الانسان

على الرغم من تفاقم خطر التلوث الهوائي في الوقت الحاضر ، الا ان الخطر الاكبر ما زال في طي السنين القادمة • ويعتمد ابعاد هذا الخطر على قدرة الانسان لوضع الضوابط في كبح جماح التلوث • ان مستقبل بيئة الانسان يعتمد بشكل كبير على توفير بيئة صحية تحافظ على نقاء الهواء • كما يعتمد على توفير جو يستطيع فيه الانسان تنفس الهواء الصافي والاستمتاع بكميات كافية من أشعة الشمس • والحقيقة أن بعض المدن كنيويورك وشيكاغو تعاني من نقص في كمية الشمس الواصلة اليها • ويعتقد بأن الضباب الدخاني يؤدي احيانا الى حجب حوالي ٤٠٪ من أشعة الشمس في مدينة شيكاغو و ٢٥٪ في نيويورك •

وقد ذكرنا ان ازدحام السيارات في هذه المدن عامل مباشر في تدهور نوع الهواء • ويقدر الباحثون ان السيارات في الولايات المتحدة وقد تزيد اعدادها عن ٩٠ مليون سيارة تقذف الى الجو سنويا نحو ٦٦ مليون طن من احادي اكسيد الكربون Carbon monoxide ، ونحو ١٢ مليون طن من الهيدروكربونات Hydrocarbons ، ونحو ٦ ملايين طن من اكاسيد النتروجين Nitrogen oxides ، ونحو مليون طن من اكاسيد السلفور «الكبريت» Sulfur oxides وتساهم الصناعات في الولايات المتحدة بنحو ٩

ملايين طن من اكاسيد السلفور وحوالى ٣ ملايين طن من اكاسيد النتروجين •

ويتوقع الباحثون فى الولايات المتحدة أن تزيد كمية اكاسيد السلفور من حوالى ٢٠ مليون طن فى الوقت الحاضر الى حوالى ٣٥ مليون طن فى نهاية هذا القرن • اما اكاسيد النتروجين فمن المتوقع أن تزيد من نحو ١١ مليون طن الى ٣٠ مليون طن تقريبا • ويحذر علماء البيئة من الاخطار التى ستواجهها بيئة الانسان •ويقول هؤلاء العلماء ان حوالى ١٠٪ من النباتات فى الولايات المتحدة مهددة بالانقراض نتيجة تزايد التلوث الهوائى •

ويمكننا مقارنة مايحدث فى الولايات المتحدة مع الكويت •• فاذا افترضنا ان فى الكويت ٢٥٠ الف سيارة فاننا نتوقع ـ حسب المعايير الامريكية ـ ان تنفث هذه السيارات الى الجو ما مقداره ١٩٨ الف طن من احادى اكاسيد الكربون ، و١٨ الف طن من اكاسيد النتروجين و ٣ الاف طن مناكاسيد السلفور • واذا ما تضاعفت أعداد السيارات فان نسبة التلوث ستتضاعف مما يحمل مزيدا من الاخطار للصحة العامة •

الحلول لمشكلة التلوث الهوائى

من السهل وضع الحلول النظرية لمشكلةالتلوث ولكن من الصعب تطبيقها • فالتطور التكنولوجى يمكن أن يؤدى الى السيطرة علىالغازاتالمحترقة وتخفيف أعباء المشكلة • الا أن الحل الرئيسى ياتى من قدرة الانسان فى السيطرة على وسائل الانتاج وخاصة الصناعية ، كذلك لا بد منالتحكم فى أعداد السيارات ، وتخفيف الازدحام فى المدن • ويمكن تحاشى الهواء الملوث بابعاد المناطق السكنية عن المناطق الصناعية •

لكن قدرة الانسان على تثقيف نفسه يبقى اهم حل لهذه المشكلة • فالتقليل منالاستهلاك الصناعى والتخفيف من ازدحام المواصلات يؤديان الى خفض نسبة الغازات المحترقة فى الجو •

ان المحافظة على بيئة نظيفة هى مسئولية جماعية يتحمل الفرد جزءا منها • ان كل فرديتاثر بما يحدث من اختلال فى البيئة المحيطة به • واذا لم يتكون اقتناع لدى الافراد باهمية السلوك الفردى فى المحافظة على البيئة ، فان الوصول الى الحلول المرجوة يصبح امرا عسيرا • ولا شك فى ان تفاقم المشكلة سيؤدى الى مزيد من الاخطار يدفع ثمنها فى النهاية كل الذين يعيشون فى هذه البيئات • فالحل الحقيقى هو خيار مطروح امام الانسان ، فاما ان يبدأ بتغيير سلوكه اليوم او ان يصبح ضحية من ضحايا التلوث غدا • ■■

عبد الاله ابو عياش

■ اذا ترحلت عن قوم ، وقد قدروا
أن لاتفارقهم فالراحلــون هم
(المتنبى)

■ حظى على أرجوحة من أراجيح القدر ، يعلو ويهبط، ويدور ويتحول
(سفوكليس)

■ وقد زعموا الافلاك يدركها البلــى
فــان كــان حقــا فالنجاسـة كالطهـــر
(المعرى)

■ ان النساء متى ينهين عن خلق   فانهواجب، لابد،مفعول
(طفيل الغنوى)

صيحة هذا القرن هى تنظيم الاسرة وتحديد النسل ، وهى رغبة كل اسرة تريد أن ترفع مستواها الاجتماعى • ولكنها صيحة ليست وليدة العصر •• انها صيحة قديمة قدم التاريخ •نادى بها ارسطو ، ومن قبله علماء آخرون منذ قرون طويلة مضت •

اللولب من أقدم وسائل

بقلم : الدكتور عادل الزهير

■ شهد القرن العشرون اهتماما بالغا بمشاكل تكاثر السكان ،واقبالا متزايدا علىممارسة اسباب منع الحمل • وليس هنا مجال الحديث فى مشكلة انفجار السكان ، وقد كثر الحديث فيها خلال المدة الاخيرة ، بحيث لم يكد يبقى جانب من جوانبهادون ان تسلط عليه الاضواء •••

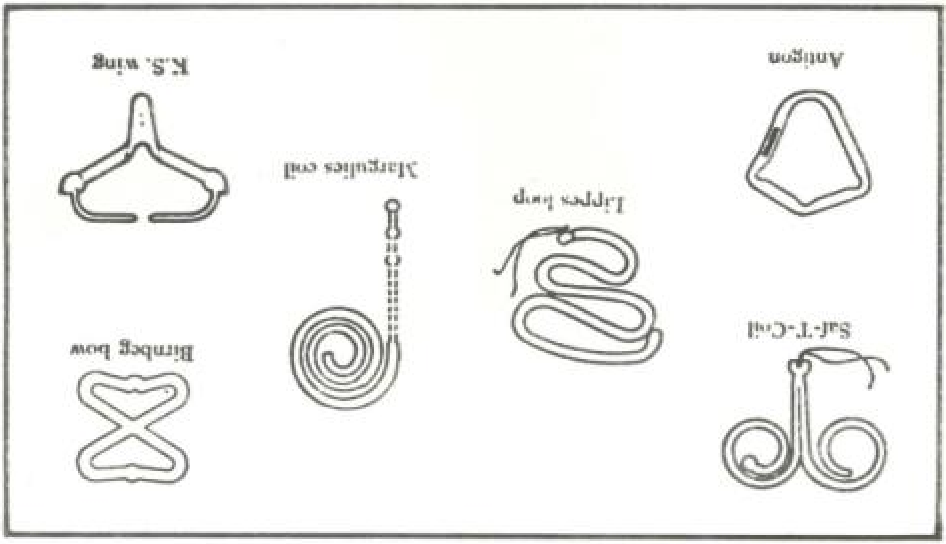
وحسبنا التنويه بأن سكان العالم الذيناحتاجوا الى نصف مليون سنة من التكاثر ليصبح عددهم ٤ الآف مليون،كما دلت آخر الاحصائيات لنيحتاجوا الى اكثر من ٣٥ سنة ، ليجنوا مثل حصيلة نصف المليون سنة ،فيتضاعف عددهم تقريبا ليبلغ ٨الاف مليون نسمة•• فىمطلع القرن الواحدوالعشرين••

اما اذا استمر الحال على هذا المنوال ،فستضيق الارض بسكانها حتى يزدحم كل متر مربع واحدمن سطحها بأربعة اشخاص فى المتوسط •

هـذا ، وللمشكلة جانب آخـر ، هو الجانب الشخصى او العائلى • فالكثيرون يعمدون الى منع الحمل رغبة منهم فى الحد من عدد أطفالهم ،وذلك لكى يتسنى اهم الوفاء بشـتى واجباتهم نحوهـم والانفاق عليهم من موارد غالبا ما تكون محدودة•• ولو ذكرنا ان المراة مؤهلة لانجاب نحو عشرينطفلا فى فترة خصوبتها البالغة فى المتوسط نحو ٣٠سنة (من عمر١٥ـ٤٥ سنة) لما عجبنا لحرص الكثيرين، ومنهم غير المتعلمين ايضا على العمل من أجل منع الحمل •

قصة منع الحمل فى التاريخ

قد يظن بعض الناس ان منع الحمل هو من ثمار النهضة العلمية الحديثة ، وهو فى الواقع قديم ، وقد كتب فيه ارسطو ، واشار اليه علماء آخرون من الاغريق عاشوا فى القرن السادس حتى الرابع قبل الميلاد • ويمكن القول ان كل طرق منع الحمل



نماذج مختلفة من اللوالب

منع الحمل

ووسائطه كانت معروفة فى ذلك الماضى البعيد ، ولا يستثنى من ذلك سوى حبوب منع الحمل ، التى تاخر ظهورها حتى هذا القرن العشرين •

وتجدر الاشارة الى ان الاغريق لم يجدوا اى حرج او غضاضة فى ممارسة منع الحمل على نحو ما حدث فى العصور الوسطى والحديثة •

ذلك ان رجال الدين والكنيسة اتخذوا موقفا معاديا من فكرة منع الحمل ونظروا الى وسائطه واجراءاته وكأنها ضرب من ضروب السحر والشعوذة •• وهكذا احجم الناس عن التحدث فيه، ولم يجرؤ الكتاب على التعرض له من قريب ولا من بعيد •• وقد استمر هذا العداء كثيرا او قليلا حتى اواخر القرن التاسع عشر •

ولعل خير ما يذكر فى هذا الصدد المقال الذى ظهر سنة ١٨٥٩ ، والذى نشرته مجلة « لانست »، وهى المجلة الطبية البريطانية المرموقة •• فقد تعرض ذلك المقال للنساء اللواتي يعانين من ضيق فى الحوض ، وهو افة طبيعية غالبا ما تسبب لهن عسر الولادة ، ان لم تحل دون انجابهن اطفالا احياء •• وطالب المقال اولئك النسوة بالابتعاد عن ازواجهن ، والا وجب اعتبارهن مذنبات، وتقديمهن الى المحاكم بتهمة القتل العمد • هذا بالطبع فى حالة وضعهن اطفالا موتى ، وعلمهن المسبق بضيق احواضهن وبما يترتب عليه •

وكان بامكان مجلة « لانست » ان تنصح النسوة باللجوء الى منع الحمل ، وترشدهن الى طريقة من طرقه •• ولكنها احجمت عن ذلك ، بل انها اغفلت موضوع منع الحمل اغفالا تاما ، لا لسبب الا لانه كان فى نظرها ـ كما كان فى نظر غيرها آنذاك ـ من مواضيع الدجالين والمشعوذين ، ولا يجوز لمجلة محترمة ان تسف الى مستوى طرحه على صفحاتها• وجاءت سنة ١٨٦٨ واذا احد الاطباء ينادى بدعوة الكنيسة الى تقييم الموضوع • موضوع منع الحمل، وطالبها بتغيير موقفها منه • ولكن دعوته هذه ما لبثت ان اعتبرت فضيحة كبرى ، ووصمة عار فى جبين الطب والاطباء • ولم تشفع للطبيب المذكور مكانته الاجتماعية ، فقد كان يحمل لقب لورد ،وهو

اللورد امبرلي Lord Amberley والدالفيلسوف الراحل برتراندراسل •

وفي سنة ١٨٨٧ صدر في انجلترا كتاب بعنوان « كتاب الزوجة » •• وقد تضمن فيما تضمن ارشادات صحية للزوجات وشرحا لطريقة منع الحمل بحساب الايام • ولا يعنينا من امر هذا الكتاب ان مؤلفه ـ وكان طبيبا ـ فهم تلك الطريقة فهما معكوسا ، وقد اعتبر ايام منتصف فترة النظافة هي الايام الآمنة ، وهي في الواقع ايام الخصوبة والخطورة بالذات ، كما اصبح معروفا لدى الجميع • فالذي يهمنا هنا هو المصير الذي لقيه كتاب الزوجة ومؤلفه •• فقد صودر الكتاب ، واسقط اسم مؤلفه من سجل الاطباء ، وحظر عليه بالتالي مزاولة مهنته ، مهنة الطب ••

ومضت الايام ، وقامت الحرب الكبرى دون ان يطرأ على تلك الاوضاع اي تغيير يذكر • وجاءت العشرينات واذا نظرة الكنيسة والناس الى موضوع منع الحمل تتعرض لتحسن ملموس •• واستمر التحسن حتى اصبح منع الحمل امرا عاديا مألوفا يمارسه العامة والخاصة من الناس دون الشعور باي حرج مما سبق الحديث عنه •

وتجدر الاشارة هنا الى موقف الدين الاسلامي من موضوع منع الحمل • فالقرآن الكريم ليس فيه اي نفي يحظر ممارسة منع الحمل من قريب ولا من بعيد • وفي الحديث الشريف ان احد الصحابة سأل رسول الله (ص) قائلا « انعزل يارسول الله •• ! » قال عليه السلام : « اعزلوا او لا تعزلوا •• » وسأله احدهم ـ وكان عنده جارية لا يريد لها الحمل ـ قائلا : « أأعزل عنها يارسول الله •• ؟ » فأجاب الرسول الكريم « اعزل او لا تعزل ، فسيأتيها ما قدر لها •• » • وقد فرق حجة الاسلام الامام الغزالي بين منع الحمل والاجهاض والوأد قائلا : « وليس ذلك كذلك ، فان هذا (الاجهاض) جناية على موجود حاصل ، وتزداد الجناية فحشا اذا استوت الخلقة وتبلغ غاية فحشها اذا كانت وأدا بعد الميلاد » •

وللوالب ايضا ماض طويل

عرف الانسان اللولب ، بصورة او باخرى ، من قديم ، ولعل الكرة الذهبية التي كانوا يضعونها في مهبل المرأة هي اقدم تلك الصور التي ورد ذكرها في كتب التاريخ •

وقل مثل ذلك في معاملة الحيوانات •• مع الفارق بانهم استبدلوا بالكرات الذهبية الحجارة التي شاع استعمالها بالنسبة الى الناقة • فقد درجوا على وضع الحجر المناسب في مهبل الناقة قبيل قيامها برحلتها الطويلة ، وذلك تحاشيا لحملها في اثناء تلك الرحلة ، وتفاديا لما قد يترتب على ذلك من ارهاق للناقة ، وهي مثقلة اصلا بما تحمل على ظهرها •

ومضت الايام ، بل القرون والاجيال ، وتأخر اكتشاف اللولب الحديث حتى اواخر الخمسينات من القرن الماضي • وقد استعمل هذا اللولب اول ما استعمل بقصد تعديل ميل الرحم وتقويم اعوجاجه • ولم يشتبه احد باحتمال استعمال اللولب الاول لاغراض منع الحمل طيلة السنوات العشر التي اعقبت اكتشافه •

وجاءت سنة ١٨٦٨ واذا الدكتور روث Dr. C. H. F. Rauth يكتب مقالا لفت فيه الانتباه الى ان اللولب يساعد على منع الحمل •• وحذر من ان بعض الاطباء راحوا يسيئون استعمال اللولب ويستغلونه من اجل منع الحمل ، وفي سبيل ارضاء « سيدات المجتمع » اللواتي حرصن على تجنب الفضيحة ليتسنى لهن المضي في طريق الفاحشة ، فمنع الحمل الذي لا يعني اكثر ولا اقل من « الخطيئة بلا دليل » انما هو بمثابة ترخيص ، بل تشجيع على الانزلاق في مهاوي الرذيلة ونشر الفساد الخلقي في المجتمعات •

على ان الاثر الذي احدثه هذا المقال كان على النقيض مما توخى كاتبه • فبدلا من ان يكون باعثا على حصر استعمال اللولب باغراض تقويم ميل الرحم ، اصبح المقال حافزا على اقبال الناس على استعمال اللولب من اجل منع الحمل •• واهتم الباحثون ورجال الصناعة بالامر بحيث لم يكد القرن التاسع عشر يشرف على نهايته حتى كثرت اللوالب وتعددت اشكالها ، وكثر الحديث عنها والترويج لها في شتى المجلات •

اللوالب ، اشكالها ، وفاعليتها

تصنع اللوالب باشكال عديدة مختلفة ، تبين

الطريقة	النسبة المئوية للفعالية من منع الحمل
الحبوب (تؤخذ بانتظام)	٩٩ر٥ ـ ١٠٠
الحبوب (تؤخذ بدون نظام)	متفاوتة* وقد تصل الى الصفر
اللــولب	٩٨ر٥
الاكياس الواقية	٨٥ ـ ٩٠
اغطية عنق الرحم	٧٥ ـ ٨٥
تحاميل مهبلية	٨٠ ـ ٨٥
القذف الخارجى	٧٥ ـ ٨٠
حساب الايام (مع انتظام العادة)	٦٥ ـ ٧٥
حساب الايام (مع عدم انتظام العادة)	صــفر

الصورة المرافقة نخبة منها • وقد كانت تصنع من الحديد والذهب وغير ذلك فيما مضى •• وهي تصنع حاليا من النايلون •• يستثنى من ذلك بعض اللوالب التى يدخل فى صنعها النحاس الى جانب النايلون •

أما الكيفية التى يعمل بها اللولب ويحول دون الحمل فما زالت غير واضحة حتى الآن • وتشير الدلائل الى أن وجود اللولب داخل الرحم يؤثر فى بطانته الداخلية ، ويغير من طبيعته الفسيولوجية بحيث يصبح غير صالح لاستقبال البويضة الملقحة •• فهو اذن يمنـع الحمل ، لا بالحيلولة دون تلقيـح البويضة ، وانما باحـداث الظروف غير الملائمة لبقائهـا •• وتبقى هذه الظروف ما دام اللولب موجودا داخل الرحم ، الا انها لا تلبث ان تختفى وتتلاشى ، ويعود الرحم الـى سـابق عهده لـدى الاستغناء عن اللولب •

ويظن الكثيرون ان عمل اللولب كعمل السدادة وانه يمنـع دخول الحيوانات المنوية الـى الرحم ، فيحول بذلك دون الحمل • وما ابعد هذا الظن عن الصواب•• فاللولب لا يحول دون تسريحم الحيض، وهو اولى الا يحول دون تسرب الحيوانات المنوية الى الرحم •• مع العلم بان هذه الحيوانات صغيرة، واحجامها ميكروسكوبية •

ومهما يكن من امر فان اللوالب ذات فاعلية كبيرة، وهي تحتل المكانة الثانية بين وسـائل منـع الحمل جميعا من حيث المناعة التى تعطيها ضد الحمل • فقد بلغت نسبة فاعليتها ٩٨ر٥٪ وهى نسبة عالية ولا تفوقها سوى نسبة فاعلية الحبوب البالغة ٩٩ر٥ ـ ١٠٠ : (انظر الجدول) • ولا يخفى ان فاعلية حبوب منع الحمل هذه لا تتحقق الا اذا اخذت تلك الحبوب بانتظام •

وجدير بالذكر ان حالات الحمل التى تحدث فى حالة اللوالب ، والبالغة نسبتها نحو ١ر٥٪ ، انما تحدث نتيجة لعدم التقيد بارشادات الطبيب ، او لعدم مراجعته على نحو منتظم فى الشهور الاولى التـى تعقب تركيب اللولب •• فهـذه الزيارات ضرورية وفيها ضمان لتحقيق فاعليـة اللولب ، ولاستمرار هذه الفاعلية طيلة المدة المقررة لها ، وهـى سنتان ونصف السـنة فـى حالة اللوالب الحديثة •

بقى ان نشير الى البساطة والسهولة التى يتم بها تركيب اللوالب • فهو لا يحتاج الى اكثر من دقائق معدودة ،ولا يحتاج الى تخدير، لانه لايسبب للسيدة اى الم ، اما من حيث الوقت المفضل لهذا التركيب ، فغالبا ما يختار الطبيب الايام الاولى التى تعقب نهاية العادة الشهرية •

للولب محاسن

نأتى الآن الى ذكر محاسن اللولب الاخرى ، بالاضافة الى ما اشرنا اليه من فاعليتها وسهولة تركيبها •

ولعل انعدام القلق هو اهم ما يذكر فى هذا الصدد • فالسيدة تكاد تنسى اللولب بعد تركيبه ولكنها تظل متشغلة البال يوما بعد يوم اذا هى

تعاطت الحبوب .. وقل مثل ذلك في الاكياس الواقية واغطية عنق الرحم والتحاميل المهبلية . فهذه كلها تسبب القلق كثيرا او قليلا ، وتستوجب اجراءات معينة عند الجماع ، بحيث يصعب ان يتم هذا في حرية وانطلاق كما يحلو للزوجين . اما القذف الخارجي فلا تجوز المقارنة به اصلا .. ذلك ان الجماع لا يعتبر كاملا معه ولا يبعث على الرضى الذي يتوخاه الزوجان منه .

وله مساوىء أيضا

على ان للوالب مساوىء يجدر بنا تناولها بشيء من الاسهاب ، بيد ان هذه مآخذ او سيئات ، وليست اضرارا او محاذير خطيرة ، بدليل ان الهيئات الطبية والمنظمات العالمية لم تحذر من استعمال اللوالب او تدعو الى خطرها .

الحمل : واحتمالات الحمل في طليعة تلك المساوىء .. فقد يحدث الحمل في حالة سقوط اللولب من موضعه .. ولكن امكانية السقوط هذه ضعفت كثيرا في المدة الاخيرة ، وذلك بسبب التحسينات التي طرأت على صنع اللوالب وعلى تركيبها بخاصة .

وقد يحدث الحمل احيانا بالرغم من وجود اللولب في الرحم وثباته في موضعه .. ولكن هذه حالات قليلة ـ بل نادرة .. وغالبا ما يكون الحمل فيها معرضا للاجهاض .. اما اذا استمر الحمل ، فان اللولب لن يمس الجنين بتشويه ، كما يظن البعض . ذلك ان اللولب يبقى خارج كيس الجنين ، وهو يخرج بعد الولادة ملتصقا بالمشيمة ..

الالتهابات : كثير من الالتهابات التي ترافق تركيب اللوالب انما تحدث نتيجة لاسباب اخرى لا علاقة لها باللولب . فهي اعراض واقعة لا محالة سواء وجد اللولب ام لم يوجد . وليس من الانصاف ان تعزى الى اللولب لا لسبب الا لأن ظهورها رافق تركيبه .. وقل مثل ذلك في زيادة الوزن ، وضعف السمع ، وخفقان القلب ، وعدم وضوح الرؤية ، وكذلك ضعف البصر .. فضلا عن الانفعالات النفسية .. فكثيرا ما اتهمت اللوالب ظلما بهذه الاعراض التي لم تثبت علاقتها بها من قريب او من بعيد .

وجدير بالذكر ان بعض هذه الالتهابات وهمية .. فالافرازات المهبل الطبيعية تلتبس احيانا على النساء فتبدو لهن التهابات ، وهي في الواقع مجرد افرازات .

على ان اللوالب تسبب الالتهابات احيانا ولا ريب ان هذه حالات قليلة جدا ، ولعلها في طريقها الى زوال في ظل التطورات الحديثة .

تحرك اللولب : والمقصود هنا ، اما سقوط اللولب الى الخارج ، وقد يحدث هذا دون ان تشعر به المرأة ، واما تحركه الى الداخل ، حيث يأخذ طريقه الى تجويف البطن ، مخترقا جدار الرحم ، وهو ما يشير اليه عامة الناس بقولهم « اللحم يبني على اللواب » . وقد امكن الحد من هذه الحالات كثيرا في المدة الأخيرة حتى باتت نادرة ولا تزيد نسبة حدوثها في بلاد الغرب على ثلاثة في عشرة آلاف حالة .

وتجدر الاشارة الى طريقة جديدة تضمن الى حد كبير بقاء اللولب ثابتا في مكانه وعدم تحركه الى الخارج او الداخل .. وهذه الطريقة هي الآن موضع تقييم الاوساط العلمية .. وقد لا يمضي وقت طويل حتى تعم ويشيع استعمالها(١) .

آثار اخرى : على ان للوالب آثارا جانبية لا تنكر ، فهي تسبب احيانا زيادة كمية الدم في العادة الشهرية .. ويحدث هذا ـ وهو قليل الحدوث ـ في الشهور الاولى التي تعقب تركيب اللولب مباشرة ، ولا يلبث ان يتوقف ..

وقد تشعر المرأة بآلام في البطن ، عقب تركيب اللولب ايضا .. فالرحم ينقبض احيانا لدى دخول هذا الجسم الغريب فيه . وقد يسبب هذا الانقباض بعض المغص .. ولكن لفترة محدودة . ويسهل القضاء على هذا المغص بتناول بعض الحبوب المسكنة على وفق وصفة الطبيب . وكثيرا ما تزول آلام البطن هذه دون استعمال المسكنات .

عادل الزهير ■■

عضو الكلية الملكية لاطباء النساء والولادة (لندن)

زميل كلية الجراحين العالمية (شيكاغو)

---

١ ـ العربي : هذه الطريقة الحديثة هي ـ واقعيا ـ من ابتكار الدكتور عادل الزهير ، كاتب هذا المقال ، وقد تحدثنا بها في باب انباء الطب والعلم والاختراع في صفحة (٥٠) من عدد ابريل (نيسان) الماضي .



• للدكتور طه حسين •

الوشاية والوشاة

هداك الله الى الرشد ، وجعلك الى الرشد هاديا وللحق داعيا • وحماك الله من الغي، وجعلك من الغي حاميا وعن الاثم ناهيا• وذلك الله على الخير وجعلك على الخير دليلا وبالبر كفيلا ، وعصمك الله من الشر ، وجعلك من الشر عاصما وللفتنة حاسما • ووقاك الله سعي الساعين بالاذى، ودعاء الداعين الى القطيعة، وارجاف المرجفين بالكذب ، واسراف المسرفين في الكيد ، ومشي الماشين بالنميمة •

فقد كان يقال : ان صاحب القلب الذكي ، والحكم الراجح ، والبصيرة النافذة • خليق أن يحذر الساعين اليه بالناس ، وأن يقدّر أنهم ان يسعوا اليه اليوم ،فقد يسعون به غدا ،وان يكيدوا لخصمه عنده والايام مقبلة عليه فقد يكيدون له عند خصمه والأيام مدبرة عنه • وكان يقال : ان الدهر قلب ، وان الأيام لا تؤمن ، وان الزمان كلف بالغدر ، موكل بالمساءة ، يبسم ليعبس ، ويعبس ليبسم ! وكان يقال : ان الرجل الحذر خليق الا يؤتى من مأمنه ، وسبيله الى ذلك الا يطمئن الى الأيام ولا يستريح الى الدهر ، وأن يستقبل النعماء مقدرا أنها قد تزول عنه ، وأن يستقبل البأساء مقدرا أنها الغمرات ثم ينجلين !

واذا كان الحزم للرجل اللبيب ألا يأمن الأيام ولا يطمئن الى الدهر ، فاحزم من ذلك الا يأمن الناس ولا يستريح اليهم •• فهم يسعون الى الرجل ذى السلطان والبأس رغبا اليه او رهبا منه ، يلتمسون عنده الخير ، ويبتغون اليه الوسيلة ، ويسلكون اليه السبل حراصا على أن يخلو لهم وجهه ، ويصفو لهم وده ، ويخلص لهم ضميره ، فتغمرهم نعمته ، وتعدوهم نقمته وهم يعلمون أن صاحب السلطان والبأس لا بد له من أن ينعم ، فهم يحرصون على أن يستأثروا بانعامه ولا بد له من أن ينتقم ، فهم يجهدون في أن يصرفوا نقمته عن أنفسهم • وهم في كل ذلك يطلبون الى صاحب السلطان والبأس أكثر مما يطلبون الى أنفسهم ،ويأخذون منه أكثر مما يعطونه : يطلبون اليه أن يخصهم بصفو نفسه وصدق وده وشامل معروفه ، ولا يعطونه من أنفسهم ألا الكدر والرنق ، ولا يمنحونه من ودهم الا التكلف والرياء ، ولا يهدون اليه من معروفهم الا تربص الدوائر به وانتهاز الفرص فيه ، وانتظار اليوم الذى يتحولون فيه عنه الى من ينافسه ويناوئه •فهم يعرضون قلوبهم

ونفوسهم وعقولهم وضمائرهم للبيع ، ويقبلون ما يعرض عليهم لها من ثمن ، فأى الناس ارضاهم مالوا اليه ، وأى الناس قصر فى ارضائهم انحرفوا عنه وتألبوا عليه !

ثم هم بعد ذلك لا يحفظون ودا ، ولا يرعون حرمة ، ولا يذكرون جميلا ، وانما يسرع النسيان الى قلوبهم فيمحو منها كل ذكرى ، ويلقى بينها وبين ما قدم اليهم من الخير والمعروف حجبا واستارا . ثم هم بعد ذلك لا يكتفون بالنسيان ولا يقنعون بنكران الجميل وكفر النعمة ، وانما يضيفون شرا الى شر ، ونكرا الى نكر ، وجحودا الى جحود . قد اقاموا حياتهم على الكذب ، واجروا سيرتهم على الرياء ، وطووا ضمائرهم على النفاق . فهم لا يستطيعون ان يعيشوا بأنفسهم ، وانما يستمدون حياتهم من المنعمين عليهم ، المحسنين اليهم ، ومن المغترين بهم ، والمنخدعين لهم .. فهم يتملقون من اتيح له السلطان ، يسعون اليه من كل سبيل ، ويسلكون اليه كل طريق ، يرقون اليه على اعناق سادتهم الذين احسنوا اليهم ، وبرّوا بهم ، وغمروهم بالمعروف ، لا يتحرجون من غدر ولا يتألمون من نكر ، قد استحبوا المنافع العاجلة على المنافع الآجلة ، وآثروا المكر على الاخلاص ، والغدر على الوفاء . فخليق بصاحب السلطان ان يعرفهم حق معرفتهم ، وأن يضعهم حيث وضعوا انفسهم ، وان يخشى ان يمكروا به كما مكروا بمن كان من قبله ، وان يتخذوه وسيلة الى التماس المنافع عند غيره كما اتخذوا من كان قبله وسيلة الى التماس المنافع عنده !

وهذا الصنف من الناس – أيدك الله – رذل الطبع ، موبوء القلب ، مدخول الضمير ، لا يحسب لشيء حسابا ، ولا يرجو لأحد وقارا . لا يفرق بين خير وشر ، ولا يميز عرفا من نكر ، وانما الخير ما انتهى به الى ما يريد ، والشر ما حال بينه وبين ما يريد . وانما العرف ما اداه الى غايته ، والنكر ما باعد بينه وبين غايته . فليس للفضيلة عنده وزن ، وليس للخلق الكريم فى نفسه قدر . وهؤلاء الناس ينتهى بهم مراسهم للكيد وامعانهم فى المكر الى ان يستعذبوا الالم ويستحبوه ، والى ان يكذبوا حبا فى الكذب ، ويشوا ايثارا للوشاية . يجدون فى ذلك رضى لنفوسهم التى لا ترضى الا بالشر ، ولا تنعم الا بالوقيعة ، ولا تستريح الا الى الافساد بين الناس .

وقد ادّب الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه ، ونهاه ونهى المسلمين معه عن طاعة كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير ، معتد اليم ، عتُلّ بعد ذلك زنيم ، فما اجدر المسلم الذى ينظر لأمر دينه كأنه يموت غدا ، ولأمر دنياه كأنه يعيش ابدا ، ان يتأدب بهذا الأدب الذى ادب الله به الأنبياء والصدّيقين والأبرار الصالحين .

والوشاية – جنبك الله شرها ، وعصمك من نكرها ، ورد عنك اذاها ، وصرف الى عدوك شباها – تكون على ضروب مختلفة والوان مفترقة . فمنها ما امتحن به نابغة بنى ذبيان فى قصر النعمان ، وذلك حيث يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنت قد بلغتَ عنى وشاية
لمبلغك الواشى أغشّ وأكذب

وحيث يقول :

اتانى .أبيتَ اللعنَ انك لمتنى
وتلك التى تصطك منها المسامعُ

فيتُ كأني ساورتني ضئيلة
من الرُقط فى أنيابها السم ناقع

فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت ان المنتأى عنك واسع !

ومنها وشاية بين الصديق والصديق ، وبين الأليف والأليف تحوّل الصفاء جفاء ، والمودة عداء ... ومنها الوشاية بين الحبيبين تلك التى قال فيها الشعراء فاجادوا وأحسنوا .

والقول فى شكوى المحبين من وشاية الوشاة وعذل العذال ورقابة الرقباء ، خليق أن يطول وتلتوى مذاهبه. ولكني ـ أيدك الله ـ لم أكتب اليك فى ذلك ،ولم أرد أن أظهرك عليه . وانما هو شيء عرض أثناء الحديث فألممت به الماما .. وأعود الى ما بدأت به من تحذيرك سعى الوشاة اليك وسعى الوشاة بك ، فاذكرك ـ وما انت فى حاجة الى التذكرة ـ بما ترجم ابن المقفع فى كليلة ودمنة ، وبما روى الرواة عن ملوك العرب والعجم ، وبما قالت الحكماء فى ذلك من بارع الموعظة وروائع الحكم . وانت ـ حفظك الله ـ حين تنظر فى بعض ذلك خليق أن تستقبل أمرك بالحزم ، وأن تقيم سيرتك على الحذر ، وأن تسوس أصحابك بالتحفظ ، والا تمضى من أمرك ما تمضى ، ولا تدع منه ما تدع، حتى تروى فتطيل الروية ، وتستبصر فتحسن الاستبصار .

ومن حقك على نفسك ،ومن حق الناس عليك، أن تتهم الذين يسعون اليك ، ويطيفون بك . فان اتهام فريق من الناس والتثبت قبل الاستجابة الى ما يدعونك اليه ، خير لك واسلم عاقبة من ظلم البرىء والاساءة الى المحسن ،والاحسان الى المسيء والتجاوز عن المجرم . وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم . واصحابه رضى الله عنهم أن يتثبتوا ان جاءهم فاسق بنبأ ، مخافة أن يصيبوا قوما بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين ! والله عز وجل قد وضع في أعناق العلماء أن ينصحوا للحكام فيخلصوا فى النصيحة ، وأن يعظوهم فيحسنوا الموعظة ، وأن يذكروهم بايات الله كلما تعرضوا لنسيانها أو هموا أن يتحولوا عنها . ومن أجل هذا كتبت اليك ناصحا لك أمينا فى النصيحة ، وواعظا لك مخلصا في الموعظة ، ومحذرا لك من الله الذى حذّر الناسَ نفسه ، ومذكرا لك بايات الله الذى طلب اليهم أن يتذكروا آياته .

وما أجدر الذين يسوسون الناس ويدبرون أمورهم ويقضون فى أنفسهم وأموالهم ، أن يضعوا أمامهم صحيفة يلقون عليها نظرهم بين حين وحين ، وقد كتبت فيها هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الحجرات : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

ذلك أحرى أن يعصمهم من المظالم وأن ينزههم عن الكيد ، ويجنبهم كثيرا من الظن ، ويحملهم على الا ياخذوا الناس بالشبهات .

لماذا نصوم.. رمضان وكيف نصوم؟

هذا شهر رمضان المبارك ٠٠ شهر الصوم ٠٠ ما الحكمة فيه ؟ان الصيام هو احد اركان الدين فرضها الخالق على عباده ٠٠ ولكن كيف نصوم ٠٠ وكيف نفيد من صيامنا ونستفيد ؟

بقلم : الدكتور أسعد الحكيم

■ ان للاجسام العضوية الحية ، كما للالات المتحركة ، طاقة عملية محدودة ، وشروطا للحياة معينة ، وعمرا طبيعيا مقدرا ، يبلغ حده الاعلى اذا روعيت هذه الشروط رعاية تامة ، وينقص بقدر مايقع في رعايتها من اهمال ، او نقص او تعديل ٠

فالقاطرة والسيارة والطائرة وغيرها من الالات المتحركة ،لكل منها عمر اقصىمقدر من لدنصانعها، فهو عندما يخرج احداها الى عالم العمل ، يعلن عنها انها تتحمل ثقل كذا ، وبقدرتها ان تقطع عدد كذا من فئات الوف الكيلو مترات بسرعة كذا ، وعلى ذلك فهي تعيش مدة كذا من الزمن ،شريطة ان تراعى جميع التعليمات والانظمة ، والشرائط المتعلقة بادارتها ومحافظتها ووقايتها ٠ اما اذا اهمل شيء ولو بمقدار ذرة من هذه الشروط، فان صحة هذه الالة تختل بنسبتها ، فتنقص بحسبها حياتها ٠ ومن هذه الشروط الاساسية الحافظة لصحة الالة ووقايتها من سرعة البلى : اراحتها من العمل كلما بلغت حدا معينا منه ، وتنقية ادواتها مما علق بها من الاوساخ ،ومما تراكم فيمفاصلها من فضلات الشحوم المحترقة ، وابدالها بغيرها من الزيوت الغضة ، فاذا نقص هذا التدبير او اهمل يزداد تراكم هذه الفضلات من المواد الضارة ، في جسم الالة ، فيؤثر مع الزمن في جوهر معدنها ، ويعرقل حركتها ويفسد نظام سيرها ، فتضعف مقاومتها وتختل روابطها وتصير الىالبلى والفناء٠ تلك قواعد صناعية بديهية يعرفها العامل البسيط كما يعلمها المهندس الخبير ٠

وهكذا هو الحال في الاجسام العضوية الحية، واكملها الانسان ٠ فان لكل منها عند بارئها عمرا اقصى مقدرا اشترط عليها لتبلغه انتتقيد باحكام وفروض ، وواجبات ، وانظمة لم يكلف بها سدى، ولم يلزم بها عفوا ، بل الزم بها لحكمة بالغة ، وغاية سامية هي سعادته فيحياته الاولى الدنيوية٠ وفي حياته الاخرى التي لا بد هو صائر اليها ٠

الصحة تبنى عليها السعادة

واهم القواعد التي تبنى عليها السعادة الدنيوية ولا تقوم الا بها ، هي الصحة • فالصحة قوام الحياة الدينية والاجتماعية ، والعلمية ، والاقتصادية والسياسية • هي النعيم الذي يومئذ يسألون • فاذا فقدت بطلت معها التكاليف والاحكام الدينية والمدنية • وليس على المريض حرج • وانهارت دعائم الحضارة والعمران •وعلى ذلك، فان وقايتها من اعظم الواجبات ، واهم ما تعنى به الشرائع السماوية والمدنية على الاطلاق • ومن التكاليف الالهية التي ترمي الى حفظ الصحة ووقايتها : الصيام •

الصيام صيانة ووقاية

فالصيام هو احد الاركان الدينية التي فرضها الخالق على خليقته من البشر ، لصيانة صحتهم ، ووقاية اجسامهم من شرور ما يتراكم في اجهزتها من فضلات الاطعمة والاشربة غير المتمثلة، ولتنقيتها مما تسرب الى اخلاطها من السموم الداخلية والخارجية ذات التأثير السيء في جوهر حجيراتها ، واعتدال مزاجها • ومن مضار الخلايا الضعيفة العاجزة عن القيام بوظائفها، فانها تهلك بعامل الجوع والاحتراق ، فيستبدلها الجسم بخلايا فتية قوية تعيد اليه نشاطه ونضارته وفعاليته • وعلى الجمله ، فان الصيام احد التكاليف الصحية الضرورية التي اوجبها الصانع الاعلى لحفظ صحة الجسم ، والسير به في معركة الحياة الى الحد الاقصى من العمر الذي قدر له ،كما اشترط صانع السيارة على مشتريها ان يتقيد بشروط معينة اذا شاء ان تقوم سيارته بما قدر لها من العمل • فاذا استهين بهذه التكاليف او اهمل شيء منها ،يتسرب الفساد الى الجسم، فتسوء صحته رويدا رويدا من



حيث يشعر ولا يشعر ، فيمحي من عمره بقدر هذا التهاون او الاهمال . (انا كل شيء خلقناه بقدر)(١) و (كل يجرى الى اجل مسمى) (٢) و (لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)(٣) و (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) (٤) .

ضرورة تنقية الجسم

وقد ادرك علماء الطب منذ القدم ولا سيما في عصرنا الحاضر ضرورة تنقية الجسم من حين الى آخر ، مما تراكم في اخلاطه من السموم الغذائية المحتسبة فيه ، حفظا للصحة واتقاء ما ينجم عنها من الامراض . فكان الاطباء الاقدمون يوصون الاصحاء بالمسهلات والمقيئات مرة او مرتين في الشهر ، وبالحجامة او الفصد مرة او مرتين في السنة ، وفوائد هذا التدبير عظيمة فهو يقي البدن من شرور كثير من الادواء كالربو والضغط الدموي والانسمام الداخلي وغيرها . وقد اهمل هذا التدبير لا لعدم فائدته بل لسوء استعماله . اما الطب الحديث ، الذى اوتي من العلم اوفر نصيب فتكشفت له المادة عن ذراتها وكهاربها . والاجسام عن حجيراتها وعناصرها ، وامزجتها وطبائعها ، والامراض عن جراثيمها وزيفاناتها ومسبباتها ، والطبيعة عن كثير من حقائقها وانظمتها ، فقد ادرك هذا العلم الطبي الحديث ، بمشاهداته واختباراته وتجاربه واكتشافاته ، ان اشد العوامل اضعافا للبنية واخلالا بالصحة ، وتعريضا لفتك الامراض ، هو اضطراب تطور العناصر الغذائية الاساسي ، الذى يتم به تمثل المواد الغذائية المختلفة ، وتحولها لتكوين خلايا البدن وترميم ما تخرب منه ، ثم طرح ما زاد على ذلك من الفضلات المختلفة الى الخارج . فتنشا عن فساد هذا التطور امراض مزمنة مستعصية، تختلف حسب نوع المادة الغذائية غير المتمثلة في الجسم كالبدانة ، والربو ، والاملاح الرملية والحصى والنقرس والرثيات المزمنة وداء السكر وتسمم الدم الغذائي ، وتصلب الشرايين المؤدى الى تزايد الضغط الدموى . وكل هذه الادواء غذائية لا دواء لها سوى تفريغ ما تراكم في الجسم من السموم بالمدرات والمسهلات والفصد ، وفائدة هذه الطريقة مؤقتة وهي مضنية للجسم فلا يصح استمرار استعمالها .

تنظيم التغذية

والطريقة المثلى لاتقاء شرور تلك الامراض المزمنة التي يمكن السير عليها : هي تنظيم التغذية من حيث الكمية والكيفية . فهنالك الحمية اللبنية والحمية النباتية ، والحميـة الخاصة والحميـة المطلقة وهي المنع عن تناول الاطعمة مدة معينة . وكل ذلك ابتغاء امرين : احدهما منع ادخال مواد غذائية في الجسم هو غير قادر على تمثيلها . فتتحول فيه سما ممرضا . والثاني اراحة الجسم من الغذاء مدة معينة من الزمن يتمكن فيها من طرح ما تراكم في اخلاطه من الفضلات ، وهذا يصار اليه بالصيام .

فالصيام اذن حمية طبية خاصة او عامة جزئية او كلية يلجـا اليها في حالة المرض الغـذائي لمعالجته . وتسمى بلغة الطب الحمية، ويلجا اليها في حالة الصحة لحفظها ولسلامتها ووقايتها وتسمى بلغة الدين الصيام . فالصيام والحالة هذه تدبير صحي للجسم الصحيح والوقاية افضل من المعالجة والصحة افضل من المرض ، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج . والخالق الاعظم وهو اللطيف بعباده لم يشا ان يترك هذا الجسم البشرى السوى الذى خلقه في احسن تكوين عرضـة لعبث شهواتـه واهوائـه دون ان يهديه سواء السبيل لحفظ صحته ، ففرض عليه الصيام اياما معدودات في السنة ، وجعله ركنا من اركان الدين بل جعله اشبه الزاما ولزاما .

فقد اسقط وجـوب اعادة الصلاة على المراة الحائض ، واسقط الحج عمن لم يستطـع اليـه

(١) سورة القمر الآية ٤٩ .
(٢) سورة لقمان من الآية ٢٩ .
(٣) سورة الرعد من الآية ٣٨ والآية ٣٩ .
(٤) سورة الاحزاب الآية ٦٢ .

سبيلا ، والجهاد عن المريض ، والزكاة عن غير المال الموفور. اما الصوم فلم يسقط اعادته من المريض، ولا عن المسافر ، ولا عن الحائض ، بل اوجب عليهم اعادته دلالة منه تعالى على عظم فوائده ومنافعه للبشر • ولا غرو ، فان فيه حفظا للصحة، والصحة قوام الحياة ، والحياة اسمى ما في هذا الكون • تلك حكمة الصيام الصحية كما يقررها الطب الحديث •

ليكون الصوم مفيدا •••

ان الصوم يخرج الجسم من حميته هذه نقيا نشطا يستقبل مشاق الحياة ، بعزيمة وارادة وقوة جديدة • وكما ان لكل حمية طبية مهما يكن نوعها شروطا لتاتي بالفائدة المتوخاة منها ، كذلك الصوم فهو ليكون مفيدا للصائم يتطلب شروطا غذائية واجتماعية من الواجب التقيد بها • والا ضاعت فائدته ، او انقلب نفعه ضررا ، وخيره الما كبيرا • واهم هذه الشروط : عدم الاسراف في الطعام والشراب والسكون الى الراحة ، والهدوء والطمانينة • واجتناب مشاق الاعمال الفكرية والبدنية • وحكمة ذلك واضحة • انها محافظة التوازن بين الوارد والصادر في البدن ، فالعمل العضلي والفكري المجهد يستوجب صرف كثير من المواد السكرية الواردة الى العضلات مباشرة من الاغذية، او المتحولة من الشحوم المدخرة في البدن، ومن المواد الازوتية الموجودة في العضلة نفسها •

واذا استمر الصائم على الافراط في العمل ، مع الاقلال من الغذاء، فان فعله هذا يؤدي حتما الى الهزال والتعب والاعياء بعامل نفاد العناصر المدخرة الضرورية للعمل ، واحتباس الفضلات السامة الناشئة عن الاجهاد وتراكمها في العضلات، مما يسبب نقص المقاومة البدنية ، واشتداد الاضطراب النفسي والعصبي فيسوء خلق الصائم ، ويستولي عليه الضجر والتململ، وسرعة الغضب، ويتعرض بدنه لظهور كثير من الامراض التي كثيرا ما تكون جراثيمها كامنة فيه تنتظر سنوح مثل هذه الفرص لتفتك به •

خطأ الصائمين

ومن بواعث الاسى والاسف، ان المسلمين اهملوا هذا الشرط الاساسي ولم يابهوا له ، وجهلوا حكمته ، ولم يدركوا مضار اهماله ، فجعلوا من شهر الصيام الذي هو شهر عبادة، شهر كد وجد ، لمضاعفة الكسب المادي ، وشهر سهر وسمر ، لا ابتغاء مرضاة الله ، بل فيما يرضي الاهواء والعادات والشهوات • ولكي لا تصاب جسومهم بالافلاس الغذائي ، والعجز العضلي ، لكثرة الصرف ، وقلة الوارد بسبب الصيام ، لجاوا الى الاسراف في الاكل والشرب ، فاكثروا من الوان الاطعمة والاشربة ، وحولوا ليلهم نهارا يقضونه في المقاهي والملاهي والسهرات ، حيث يتناولون الطعام والشراب مرات عديدة ، فيدخلون الطعام على الطعام ، فتعتريهم انواع الافات الهضمية ، والامراض الغذائية ، والاضطرابات العصبية التي صاموا ليقوا ابدانهم من شرورها ، فاوقعهم صيامهم المزيف هذا فيها • فاتهموا الصوم بالضرر زورا وبهتانا ، ونسبوا اليه ما وقعوا فيه من سوء الخلق ظلما وعدوانا • ولو انصفوا لاتهموا اهواءهم • ولو انهم عقلوا لعرفوا ان وعد الله الناس بخير الصيام حق • ولادركوا ما اشار الله اليه ضمنا في قوله : (فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر) (٥) وهو ما انا اخذ في تبيانه • فقد اسقط الله الصوم عن المريض وعن المسافر وطلب اليهم ان يقوموا به في ايام اخر ، لما في المرض والسفر من عناء وتعب ، فكلاهما مضن وشاق • يزداد فيه احتراق العناصر الغذائية في البدن زيادة تستلزم لما فاتها زيادة كمية الطعام والشراب في السفر ، والخلود الى الراحة المطلقة والحمية الخاصة في المرض ، وفي كلا الحالتين يتعذر الصوم لما ينجم عنه من ضرر ، وفي الحاق السفر بالمرض الذي هو جبري غير اختياري ولا ارادي دلالة على ان المراد بالسفر ، السفر الشاق الاضطراري ، لا السفر الكيفي ، او الذي نلجا اليه طلبا للنزهة، او السياحة ، او فرارا من الصوم • ولما كانت

(٥) سورة البقرة من الاية ١٨٤ •

مضاعفة الاعمال اليومية الفكرية والبدنية التى اعتادها بعض الناس في شهر رمضان ابتغاء مضاعفة الربح والكسب المادى مضنية للجسم ، مضعفة للاعصاب فهى لا تتلاءم مع الصوم ،اصبح من الواجب اجتنابها درءا لمضارها البدنية والاجتماعية •

وعلى الذين يطيقونه

هذا ولما كان من الامراض ما ينتفع بالصوم • ومن الاسفار ما ليس فيه مشقة ولا عناء ، لما هدى الله البشر اليه فى هذا العصر من وسائل النقل المريحة السريعة ، التى لم يكن الاقدمون يعرفونها ، وكان قد وعد بها فى قوله (ويخلق ما لا تعلمون) (٦) ظهر لنا على ضوء هذا المتوجه العلمى قوله تعالى بعد ذلك (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون)(٧) فان الله تعالى لم يشا ان يحرم هؤلاء المرضى والمسافرين الذين يطيقون الصيام وينتفعون به من فوائده ، فدعاهم اليه تطوعا لا اكراها وذلك لخيرهم وصلاحهم •

تلك منافع الصوم وشرائطه الصحية كما يقررها علم الطب الحديث • ففيه يرتاح الجسم البشرى راحة غذائية وبدنية شهرا كاملا فى السنة عن النظام المدنى الصحي الذى يدعو الى ضرورة ترك العمل اليومي شهرا او بعض الشهر في السنة ، لدرء ما يحدثه الاستمرار من الكلل والسامة فى النفس ، فتستعيد بهذه الاستراحة نشاطها البدني والفكرى الضروريين لاستئناف العمل • فكانت على هذا العطل الصيفية فى المدارس والاجازات السنوية لكل مستخدم او موظف •

وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله • ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون • ■■

أسعد الحكيم

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

(٦) سورة النحل من الآية ٨ •

(٧) سورة البقرة من الآية ١٨٤ •



أراكَ !!

■ إذا ما غبتَ عن عيني   فليسَ تغيبُ عن فكري
أراكَ بكل ما حولي   خيالا سابحا يسري

★ ★ ★

أراكَ بفتنةِ الزهرِ   وفي إطلالة البدر
وفي دنيا الدُّجى الساجي   وبين نجومه الزُّهْر
وفي صَحْوي ، وفي نومي   أراك ، وأنت لا تدري

★ ★ ★

إذا ما عجتُ للبَحْر   أراكَ بشاطىء البحر
وان أقصد إلى النَّهْر   تطالعُني على النهر
خيالك مالىءٌ دربي   وحبك مالىء صدري

★ ★ ★

أحسُّك في مناجاتي   وفي سرّي وفي جهري
ويَشْدُو بلبلٌ في المرو   ض من خلف الربى الخضر
فاسمعُ صوتك المحبو   ب ، شدْوا في فم الطير

★ ★ ★

ستبقى في فمي نغَما   أردِّدُه مدى الدهر
وفي روحي مناجاةٌ   ورمزا للهوى العذري
أحبكَ للهوى ، والشعر ، والإيمان ، والطهر
فإنك ملهمي حبي   وانك مُلهمي شعري

★ ★ ★

إذا ما غبتَ عن عيني   فليس تغيب عن فكري
أراكَ بكل ما حولي   خيالا سابحا يسري
أراكَ ، وانت لا تدري   ولا أدري متى تدري ! ! ! ■■

دمشق ـ **هاني عبد الهادي الحاج**

خرافات اقتصادية شائعة « ٢ »

مفتاح الرفاهية



ليس في يد الاقتصاديين

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

■ نحن نعيش فى عصر يتمتع فيه الاقتصاديون، للاسف ، باعلى درجات التبجيل ٠ فليس هناك من لجنة تشكل لبحث مشكلة اجتماعية لا يدعى اليها اقتصادى،وعدد الوزارات التى يتولاها الاقتصاديون يتزايد مع الزمن ، والصحف اليومية تخشى ان يتعثر توزيعها ان لم تخصص صفحة ثابتة لمشاكل الاقتصاد والمال ، ورجال السفارات الذين كانوا فيما مضى يبحثون التحالفات السياسية أو العسكرية اصبح شغلهم الشاغل اليوم هو تدعيم العلاقات الاقتصادية ٠

وبينما يسمح الاقتصاديون لانفسهم بالتعرض لاية مشكلة اجتماعية أو سياسية ، يشعر زملاؤهم المشتغلون بالعلوم الاجتماعية الاخرى ، كعلم الاجتماع او السياسة او علم النفس ، بالوجل والاضطراب اذا خرجوا عن فروع تخصصهم ٠ ويكفى الاقتصادى ، اذا اراد اسكاتهم ، ان يلقى اليهم بمصطلحات تبدو معقدة وان كانت فى الحقيقة تشير الى معان غاية فى البساطة ، كاصطلاح التكوين أو التراكم الراسمالى (بدلا من استعمال الكلمة الدارجة : الاستثمار) وبدلا من الاشارة الى الانفاق على السياحة والنقل وسائر الخدمات يفضل الاقتصادى تخويف غير الاقتصاديين بالصادرات « غير المنظورة » ٠

ويبدو ان رؤساء الدول ، هم ايضا ، قد خدعتهم أبهة الاقتصاديين الفارغة ، فاصبحت خطبهم مملوءة بالاحصاءات والمصطلحات الاقتصادية، وقبلوا أن يكون المعيار الاساسى لنجاحهم وفشلهم معيارا اقتصاديا ٠ فلا شىء يستحق منهم الاعتذار اكثر من فشلهم فى رفع معدل نمو الناتج القومى، ولا شىء يستحق الفخر اكثر من تحقيق فائض فى ميزان المدفوعات حتى ولو كان هذا الفائض نتيجة لتصدير الناس انفسهم ٠ واصبح من المقبول ، بل من دواعى المباهاة ، ان يتكلم السياسيون عن العمال المهرة او حتى خريجى الجامعات « كسلعة تصديرية » ٠

ملامح العصر

وقد ألفنا لفترة طويلة ان ننسب الى الماركسيين التاكيد على أهمية العامل الاقتصادى على حساب غيره من العوامل ، ولكن الحقيقة ان ما يتمتع به الاقتصاد والاقتصاديون من احترام لم يعد حكرا على الماركسيين (وهى ظاهرة تحتاج فى حد ذاتها

الى الانتباه) • فالمشتغلون بأى نوع من المشكلات الاجتماعية ، ايا كان موقفهم من الماركسية ، اصبحوا يعلقون اكبر قدر من الاهمية على العامل الاقتصادى ، واصبح التفسير الاقتصادى هو اقرب تفسير الى اذهانهم ، بحيث كاد الفارق بين الكاتب الماركسي وغير الماركسي فى هذا المجال ينحصر فى انه بينما يتكلم الكاتب غير الماركسي عن التغير فى التكنولوجيا او فى نظام الملكية ، يصر الكاتب الماركسي ان يشير الى ذلك باستعمال مصطلحات ماركسية مثل « قوى الانتاج »و« علاقات الانتاج »•

هذه الظاهرة التى يمكن ان نعتبرها من اهم ملامح العصر الذى نعيش فيه ، وان كانت لا تقتصر على البلاد المسماة بالمتخلفة او النامية فهى فيها اشد وضوحا • وليس من الصعب تفسير ذلك • فهذه البلاد اصبحت تعتبر ان من اسمى اهدافها ، ان لم يكن اسماها على الاطلاق ، رفع متوسط الدخل ، وهو هدف اقتصادى • وقد انقضى العصر الذى كان يجرؤ فيه دعاة الاصلاح والنهضة على تشخيص مشكلة هذه البلاد بانها مشكلة لا يكون فيها الاقتصاد الا احد عناصرها ، وعلى تقديم علاج غير العلاج الاقتصادى ، كاتحاد اهداف الامة ، او اصلاح نظام التعليم (وليس مجرد زيادة عدد المتعلمين ، فهذا ايضا قد احتكره الاقتصاديون) او مقاومة الغزو الفكرى الغربى •

مقياس رفاهية الأمم

هذه الظاهرة اذن لم تكن موجودة دائما ، بل ان بدء انتشارها لا يرجع الى اكثر من قرنين على اكثر تقدير • فالجزء الاكبر من تاريخ البشرية برىء منها • فطالما سادت النزعة الدينية فى قلوب الناس كان الهدف الاسمى يعتبر انه ارضاء الرب • وفى عصر النهضة الاوروبية كان الهدف الاسمى هو تحقيق الفرد لكافة قدراته وملكاته • وفى العصر الذى سمى بعصر التجاريين ، الذى ساد اوروبا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كان التفوق الاقتصادى للدولة على الدول المنافسة لها ينظر اليه على انه مجرد وسيلة لتحقيق قوة الدولة وليس هدفا يطلب لذاته • وفى القرن الثامن عشر كان اسمى الشعارات هو شعار الحرية وليس زيادة الدخل او الثروة •

وانما بدأ التحول الحقيقى نحو اعتبار زيادة ثروة الامة ودخلها هدفا اهم من غيره ، بقيام الثورة الصناعية فى انجلترا اولا ثم فى غيرها ، فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر • وليس من قبيل المصادفة ان اعتبر كتاب « ثروة الامم » لآدم سميث (١٧٧٦) ليس مجرد كتاب اقتصادى عادى ، وانما علامة من علامات العصر ، فيه بدأ شيوع فكرة ان رفاهية الامم تقاس بما تنتجه وتستهلكه من سلع وخدمات •

صحيح ان آدم سميث كان واعيا تماما للحقيقة الاتية : وهى ان سعادة الناس لا تستمد من السلع والخدمات وحدها ، فهو على كل حال كان استاذا للفلسفة والاخلاق قبل ان يكون اقتصاديا ، كما انه لم يدع هذا اقتصادى واحد فى اى عصر • ولكن المهم ليس هو ما يضيفه المفكر الى فكرته الاساسية من تحفظات بل ما يؤكد عليه ، كما ان المهم ليس هو ما يقوله المرء عما يعتقده اذا دخل فى حوار ، بل ما يتصرف على اساسه • وهكذا نجد انه منذ آدم سميث (ولا نقول بالضرورة بسببه ، فليست الكتب هى التى تصنع العصر بل العصر هو ، فى الاساس ، الذى يصنعها) أخذ الاعتقاد باهمية زيادة الثروة والدخل يزداد قوة مع الزمن ، وكلما زادت قدرة الدولة على الانتاج وارتفع مستوى الاستهلاك وبدأ الاستهلاك العالى يمتد الى الطبقات الدنيا ، امعن هذا الاعتقاد فى الرسوخ ، حتى وصلنا الى حد اعتبار ان الدولة « المتقدمة » هى الدولة صاحبة الدخل الاعلى ، ايا كانت درجة انحطاط قيمها وإخلاقياتها والدولة « المتخلفة » هى صاحبة الدخل المنخفض •

الغاية •• والوسيلة

ان مجرد تذكرنا ان هذه النظرة لم تكن دائما هى النظرة السائدة كفيل بحد ذاته ان يدعونا الى الشك فيها والتردد فى قبولها وكانها من المسلمات. (وان لم تكن هذه هى فائدة قراءة التاريخ فما فائدتها ؟) • وليس هدفى من اثارة الشك فى صحتها هو ترديد ما يقوله البعض من ان الفقر قد يكون نعمة ،او احياء فكرة روسو عن «البدائى

النبيل » ، او الانضمام الى من يحاول تهدئة مشاعر الفقراء بالقول بان المال لا يجلب الا الشقاء • وانما اريد فقط ان اتساءل عما اذا كنا ، بقبولنا الساذج لهدف التنمية الاقتصادية وكانه أسمى اهدافنا قد أخطانا فاعتبرنا الوسيلة غاية والغاية وسيلة ، وان انهماك الدول الفقيرة فى تحقيق زيادة متوسط الدخل ، بصرف النظر عن اى اعتبار اخر ، كثيرا ما يؤدى بها الى التضحية باغلى ما لديها دون مقابل يذكر ، بل واكثر من ذلك انه طالما استمرت الدول الفقيرة في التركيز على الهدف الاقتصادى على حساب غيره فان الارجح انها سوف تفشل حتى في تحقيق اهدافها الاقتصادية •

ذلك ان من افدح الاخطاء التي وقع فيها علماء الاجتماع المحدثون (ومنهم الاقتصاديون) تصورهم ان رفاهية الانسان من الممكن تجزئتها ، وان من الممكن بحث اثر اجراء اجتماعي ما او سياسة اقتصادية معينة « مع افتراض بقاء الاشياء الاخرى على حالها » • ورغم ان الاقتصادى يحرص في معظم الاحوال على تاكيد انه لا يقصد اطلاقا ان يزعم ان السياسة التى يوصى بها سوف تزيد من رفاهية الناس ، « اذ ان الاشياء الاخرى قد لا تبقى على حالها » ، فانه يجد عادة الجراة الكافية لان يتصور ان للاجراء الذى يبحثه او السياسة التى يدعو اليها اهمية خاصة ، وانه ببحثها انما يساهم بشكل او باخر فى ترشيد سياسة الدولة ورفع مستوى الرفاهية •

أثر الاستثمارات الاجنبية

فالاقتصادى وهو يبحث مثلا اثر الاستثمارات الاجنبية على الدولة الفقيرة (المتخلفة) كثيرا مايسمح لنفسه بان يتجاهل اثر هذه الاستثمارات على توزيع الدخل فى الدولة المستقبلة لهذه الاستثمارات ، وعلى استقلال الدولة الاقتصادى والسياسى ، وعلى حالة البيئة ، وعلى اخلاقيات المجتمع الفقير ، وعلى قدرة هذا المجتمع على الاحتفاظ بقيمه الخاصة وتقاليده • ويعتذر الاقتصادى عن عدم مناقشته لهذه الامور اما بانها لا تدخل في دائرة اختصاصه ، او بان هذه المسائل تثير اعتبارات سياسية او اخلاقية لا تصلح موضوعا للتحليل العلمى • فاذا كان الواقع هو ان فتح الباب على مصراعيه امام الاستثمارات الاجنبية سوف يترتب عليه بالفعل تدهور فى توزيع الدخل او فى البيئة او فقدان الدولة لاستقلالها ،ومن ثم انخفاض فيمستوى الرفاهية، فان الاقتصادى الداعى الى فتح الباب امام هذه الاستثمارات بناء على اعتبارات زيادة الدخل وحدها يكون في الواقع ، عن طريق مساهمته فى خلق مناخ فكرى مؤيد لهذه السياسة ، قد اضر بالرفاهية الاجتماعية بدلا من ان ينفعها •

ان الرد الشائع على هذا النقد هو ان الخطا في هذه الحالة ليس خطأ الاقتصادى ، الذى يجبره اتساع المعرفة وتعقدها الى التخصص ، وانما هو خطا واضعي السياسة الذين لم يحيطوا بالمشكلة من كافة جوانبها ، او تجاهلوا جانبا اساسيا منها• ولكن الرد على هذا القول ليس عسيرا• فالاقتصادى الحديث الذى لا يعطى اهتماما كافيا للجوانب الاجتماعية والسياسية لما يبحثه من مشكلات ، يدخل في الواقع فى منافسة غير متكافئة مع اولئك الذين يعلقون اهمية خاصة على الآثار غير الاقتصادية •فالاقتصادى، اذ يتناول عادة الظواهر القابلة للقياس أقدر من غيره من علماء الاجتماع على « اثبات » صحة ما يقول ، دون ان يعنى هذا على الاطلاق ان الظواهر التى يتناولها هى أكثر اهمية من التى يتناولها غيره لمجرد ان من الممكن التعبير عنها بالارقام ، ومن ثم فهو يتذرع بقدرته على الاثبات بالارقام للايحاء بان الجوانب التى يتناولها بالبحث هى الجوانب الاولى بالاهتمام • واذا بالاقتصادى في الواقع ، يستخدم حيلة غير شريفة : اذ بينما يتظاهر بالتواضع ، وبانه لا يقصد ابدا الادلاء بنصيحة نهائية « اذ أن الموضوع معقد ومتعدد الجوانب » ، يوهم قارئه في طيات حديثه بانه حسم الموضوع وأنهى الامر • بل وحتى اذا استطاع كل اقتصادى على حدة ان يبرىء نفسه من تهمة محاولة حسم قضية لا يمكن ان يحسمها الاقتصادى وحده ،فان محصلة اعمال الاقتصاديين فى مجموعهم ، لا يمكن ان تبرأ ، فهم باصرارهم المستمر على تناول جوانب جزئية قابلة للقياس

ولكنها قليلة الاهمية ، لا بد ان يصرفوا الانتباه عن قضايا اساسية •

رفاهية الانسان

خلاصة القول ان الاقتصادي اعتبر رفاهية الانسان قابلة للتجزئة ،وسمى جزءا منها "رفاهية اقتصادية » ، تقاس في نظره بكمية السلع والخدمات المنتجة أو المستهلكة ، وراح يبحث عن وسائل زيادتها ، متجاهلا ان زيادة ما اسماه بالرفاهية الاقتصادية قد لا تعني على الاطلاق زيادة الرفاهية الحقيقية ، بل قد يضطر المجتمع الى التضحية برفاهيته بسبب زيادة انواع معينة من السلع والخدمات • فاذا ووجه الاقتصادي بهذا الاحتجاج اعتذر بانه انما كان يركز « لاغراض التحليل » ، على جانب واحد هو الذى يدخل في اختصاصه ، ناسيا انه في عصر سيادة الاقتصاديين والارقام ، سوف تقبل نتائجه الجزئية على انها نتائج عامة ، وتتحول النتائج العامة الى سياسات تطبق في الواقع •

على ان الاخطر من هذا ان السير وراء الاقتصادي في اعتبار ان هدف زيادة الدخل هو اولى الاهداف بالاعتبار ، كثيرا ما يؤدى ، وعلى الاخص في ظروف البلاد الفقيرة اليوم ، الى الفشل في تحقيق هذا الهدف نفسه •

فلست بحاجة الى تذكير القارىء بان الانسان كائن غاية في التعقيد ، قد يدفعه الى اتخاذ مسلك اقتصادى معين (كزيادة الادخار مثلا او شراء سلعة دون اخرى) دوافع لا يمكن وصفها بانها دوافع اقتصادية • ولا انا بحاجة الى تذكير القارىء ايضا بان الانسان كثيرا ما يقوم بتصرفات اقتصادية هي ابعد ما تكون عن العقلانية ، فيشترى من السلع ما ليس بحاجة اليه ، ويتأثر بسلوك جيرانه واقرانه حين لا تسمح ظروفه الخاصة بمثل سلوكهم ، ويقبل المخاطرة حين يكون النجاح فيها قليل الاحتمال ••• الخ •

تطور •• وتطور !

يترتب على ذلك ان المجتمع قد ينجح في تحقيق اهداف اقتصادية لاسباب ليست اقتصادية على الاطلاق بل ولا هي بالضرورة عقلانية، وقد يفشل في تحقيقها ، على الرغم من كل ما يوفره من أسباب اقتصادية ،لاسباب لا علاقة لها بالاقتصاد• بل انى سوف اذهب الى ابعد من ذلك بالقول بان نجاح التنمية او رفع مستوى الدخل لا يتوقف اساسا على ظروف اقتصادية • ولهذا تفسير • فالتنمية التى تستهدفها البلاد الفقيرة ، لا تتعلق بفرد او فئة أو قطاع ، بل بالمجتمع باسره ،وفيها، كما يقول لنا علماء الاجتماع والمؤرخون ، ينقلب المجتمع رأسا على عقب ، فلا يبقى فيها شىء على حاله ، تتغير فيها القيم والميول كما تتغير فيها الافكار والفنون ، بل ويفسر الناس الذين خلالها تفسيرا جديدا • في وسط هذا كله يرتفع حقا معدل الادخار والاستثمار وتتطور فنون الانتاج وتنمو طبقة جديدة من المديرين والمنظمين ، ولكن هذه التغيرات الاقتصادية لا تنمو بمعزل عن تطور عقلية الناس وقيمهم بل من خلالها ،تتأثر بها وتؤثر فيها • ان « انقلابا » من هذا النوع من الصعب ان يتصور ان يكون حدوثه نتيجة لتغيرات ميكانيكية صغيرة منعزلة كتلك التى يمكن ان تحدثها سياسات اقتصادية ، بل يحتاج الى قوة دافعة قادرة على ان تمتد الى كافة جوانب الحياة الاجتماعية ، هذه « القوة الدافعة » لا بد في اعتقادنا ، ان يكون مصدرها غير مادى ، بل والارجح ان يكون محركها الاول لا يمت للاقتصاد ولا حتى للعلم بصلة • ان المهم ان يشتعل حماس الناس لقضية يعتقدون بعدالتها او سموها او الحاحها أو كل هذا معا ، فتهون التضحية ، ولا يفكر الفرد في نفسه بل فيمن حوله ، وتتعلق الابصار كلها بالمستقبل ، وتعود للناس ثقتهم بامكانية التجديد ، ويصبح للابداع قيمة في حد ذاته ، ولو لمجرد التغيير •

ان مثل هذا « الانقلاب » لا يمكن ان يحدث نتيجة لفرض ضريبة جديدة أو رسم جمركى ،كما ان مثل هذا الحماس لا يمكن ان يولده مجرد التطلع الى هدف هو من التدنى كهدف رفع « متوسط الدخل » او الوصول الى « ربع أو عشر متوسط الدخل في الولايات المتحدة الامريكية » بل لا بد لتوليده من التطلع الى هدف غير اقتصادى • ■■

الكويت – جلال أحمد أمين

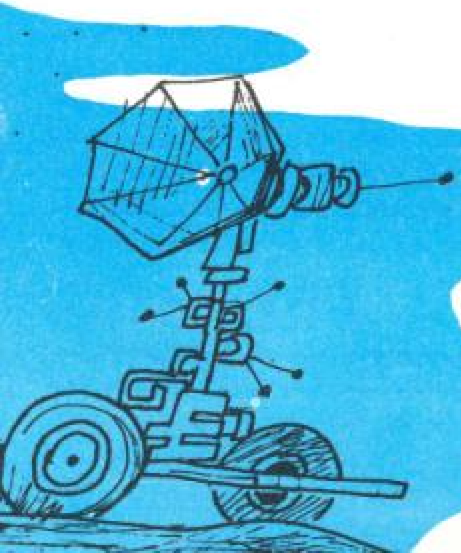
السّر

عن قصة : آرثر كلارك

■ كان قد مضى على وجود هنرى كوبر فوق القمر اكثر من اسبوعين ، عندما تبلور لديه الاحساس بان شيئا غريبا يجرى من حوله • بدأ عنده ذلك الاحساس غامضا ، مجرد شكوك ملحة غير مفهومة ، يصعب على باحث مدقق أن ياخذها ماخذ الجد • لقد جاء الى القمر بناء على طلب ادارة الفضاء التابعة للامم المتحدة (اونا) • فقد كانت (الاونا) حريصة دائما على سلامة علاقاتها العامة ، وخاصة فى الوقت الذى يسبق مرحلة اعتماد الميزانيات • عندما يتعالى صياح البشر الذين ازدحم بهم العالم ، يطالبون بمزيد من الطرق والمدارس والمزارع البحرية ، وفى نفس الوقت يرتفع صياحهم بالشكوى من البلايين التى تنفق على تجارب وبحوث الفضاء •

ها هو الان يقوم بجولته الثانية الى القمر ، مبرقا الى الارض بما يزيد على الفى كلمة يوميا• ورغم أن ما يقال قد ضاعت جدته ، الا انه بقى الكثير من عجائب واسرار هذا القمر الذى يعطى جديدا كل يوم • هذا القمر الذى ما زالت خرائطه حتى اليوم مرسومة بطريقة تقريبية الى حد بعيد ، والذى ما زال معظمه لم يستكشف بعد• هذا فى الوقت الذى تشكو فيه معامله ومطاراته الفضائية من حاجتها الشديدة الى اليد العاملة •

كانت بعض مناطق القمر بالطبع مالوفة الى حد بعيد • فمن الذى لم ير الشرخ المترب بالجسم المعدنى المترب الراقد داخله ، والنصب التذكارى المقام الى جانبه ، يحمل هذه الكلمات باللغات الرسمية الثلاث لكوكب الارض :



فى هذه البقعة

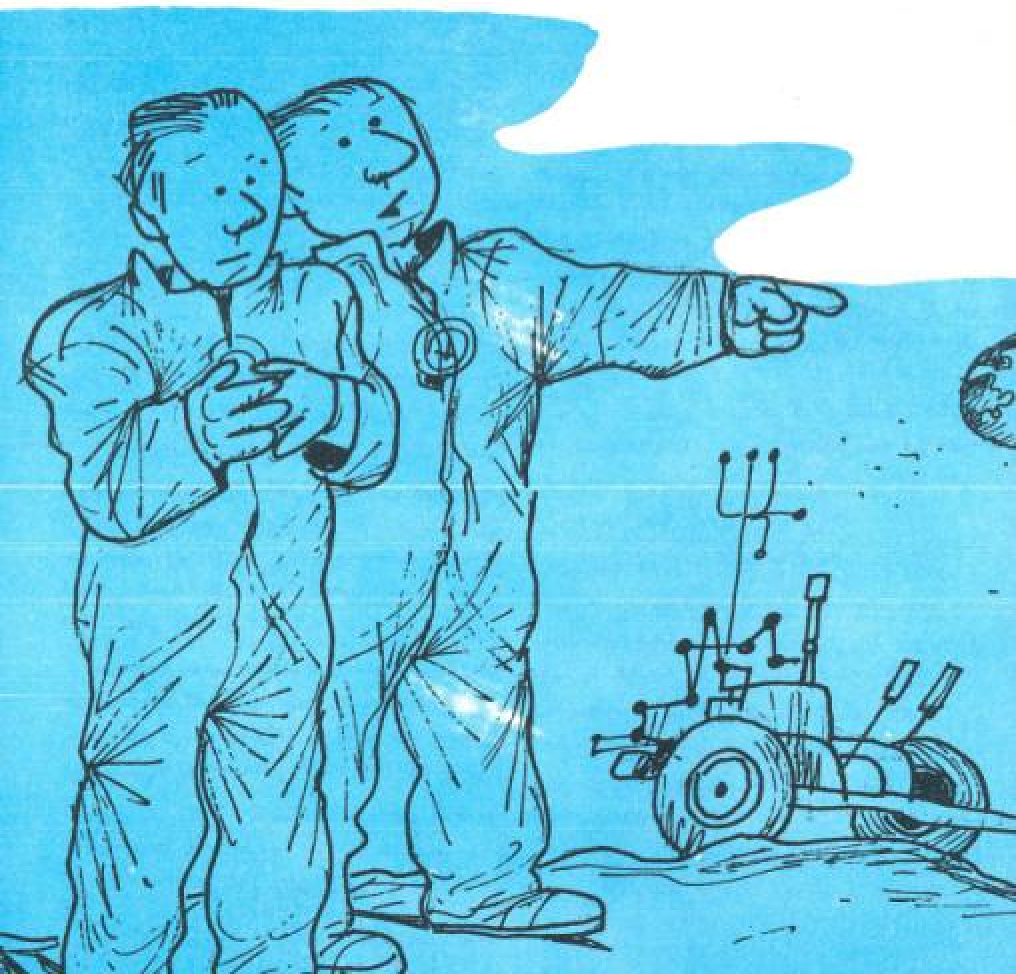
وفى عام ٢٠٠١ يو ٠ تى ٠

الموافق ١٣ سبتمبر ١٩٥٩

وصل الى هنا اول جسم من صنع الانسان

لقد زار كوبر من قبل هذا القبر الذى ترقد فيـه (لونا ٢) ، والمقبرة التى تضم اجسام شهداء القمر والتى تحظى بشهرة واسعة ٠ الا انها اضحت اليوم من مخلفات الماضى ، شانها شان ذكريات كولومبس والاخوين رايت ٠٠ اصبحت فى ذمة التاريخ ، وما يهمه الان بالدرجة الاولى ، هو المستقبل ٠

عندما هبط الى مطار ارشميدس الفضائى ، لاحظ السعادة الشديدة التى انعكست على المدير العام عند وصوله ، والاهتمام الخاص بالجولة التى ينتويها ٠ لقد هيا له المدير كافة الترتيبات اللازمة ، وسائل النقل واماكن المبيت والمرافقين الرسميين ٠ اصبح فى امكانه ان يذهب الى اى مكان يود زيارته ، وان يسال اى اسئلة تخطر على باله ٠ لقد وثقت به (الاونا) دائما لان



تقاريره كانت تتسم بالدقة والامانة ، بالاضافة الى ان علاقته بمن يحتك بهم كانت على الدوام ودية .

فما الذى حدث فى هذه الجولة بالذات ؟ كيف تغير مذاقها فبدا مريرا ؟ .. لماذا ؟ .. لم يعرف بالتحديد ، ولكنه كان مصمما على ان يعرف .

تحرك كوبر الى جهاز التليفون، ورفع السماعة وهو يقول : اعطنى الشرطة ، أريد أن أتحدث الى المفتش العام .

فى اللقاءات السابقة التى تمت بين كوبر والمفتش العام للشرطة شاندرا كومار سوامى ، لم يكن قد رآه فى زيه الرسمى ، الذى اقبل يرتديه . وكان اللقاء ـ وفق ما اتفقا عليه ـ عند مدخل الحديقة التى كانت مثار فخر ومتعة مدينة « افلاطون » على القمر . وفى ذلك الوقت من صباح ذلك اليوم الصناعى الذى اصطلح على أن يمتد الى ٢٤ ساعة كما على الارض ، كانت الحديقة مهجورة ، وهكذا امكنهما ان يتحدثا معا دون مقاطعة من أحد .

كانا يسيران فى الممر المفروش بالحصى الصغير، يثرثران عن ذكرياتهما القديمة ، الاصدقاء الذين عرفوهما عندما كانا يدرسان معا بالجامعة ، وعن احدث التطورات فى النظريات السياسية لما بين الكواكب .

كانا قد وصلا الى منتصف الحديقة ، تحت مركز القبة الكبيرة الزرقاء التى تغطى المدينة بأسرها ، عندما دخل كوبر الى لب الموضوع .

« شاندرا .. انت تعلم كل ما يجرى على سطح القمر .. وتعلم ايضا اننى موفد من (الاونا) لاكتب سلسلة من التقارير ، تصلح بعد عودتى الى الارض وعند تجميعها لتكون مادة كتاب . فلماذا اذن يحاول بعض الناس هنا ، اخفاء بعض الحقائق عنى ؟ » .

كان من المستحيل حث شاندرا على الاسراع فى الكلام ، فقد كان دائما ياخذ وقته كاملا قبل أن يجيب على أى سؤال، وكانت كلماته تنفذ بصعوبة حولمبسم الغليون الخشبى البافارى الذى يدخنه.

« اى ناس ؟ .. » سال شاندرا بعد فترة من الوقت .

« اليست لديك أية فكرة ؟ .. »

هز المفتش العام رأسه نفيا وهو يقول « ليست لدى ادنى فكرة » .

كان كوبر يعرف انه يقول الحقيقة . فشاندرا قد يصمت فى لحظات الحرج ، لكنه لم يكن يكذب ابدا .

« كنت اخشى أن اسمع منك هذا . حسن .. اذا لم تكن تعرف اكثر مما اعرف ، اليك المؤشر الوحيد الذى املكه ، وهو الذى يبعث الخوف الى نفسى .. قسم الابحاث الطبية هنا ، يسعى دائما الى أن يبقينى على مسافة مناسبة منه .. »

اخرج شاندرا الغليون من فمه ، وأخذ يتأمله وهو يهز رأسه متمتما « هيه .. » .

فقال كوبر «هل هذا هو كل ما لديك لتقوله ؟! » .

« انت لم تقدم ما يصلح بداية للتحرك . تذكر اننى لست اكثر من شرطى ، ينقصنى خيال الصحفى الخصب » .

« كل ما أريد أن أخبرك به .. كلما بذلت مزيدا من الجهد فى سبيل الاقتراب من القسم الطبى ، كلما ظهر البرود على تصرفاتهم بشكل اوضح ، وجاهدوا للابتعاد عنى .. فى زيارتى السابقة للقمر ، اظهروا جميعا مختلف ضروب الود والصداقة ، وزودونى بالكثير من القصص اللطيفة . لكن فى هذه المرة .. لم استطع حتى مقابلة المدير ، فهو دائما مشغول جدا ، او فى الجانب الاخر من القمر . على كل حال .. اى الناس هو ؟ »

« من .. دكتور هاستنجز ؟ .. شخصية شائكة .. شديد الكفاءة ، غير أن التعامل معه من اشق الواجبات » .

« وماذا تظنه يحاول أن يخفى ؟»

« الم تكون بعد نظرية ما ؟ »

« آه .. لقد فكرت فى عدة احتمالات .. مخدرات ، خيانة ، تآمر سياسى .. الا انها بدت افكارا غريبة غير معقولة هذه الايام .. ولكن بقيت لدى فكرة تثير الرعب فى نفسى .. »

رسم حاجبى شاندرا ما يشبه علامة الاستفهام . وقال كوبرا مستطردا « اخشى ما اخشاه وجود وباء بين الكواكب » .

قال شاندرا « كنت اتصور أن هذا احتمال مستحيل » .

« نعم •• ادرك هذا •• فقد كتبت اكثر من مرة حول هذا الموضوع ، قائلا ان اشكال الحياة على الكواكب الاخرى لها نظامها الكيميائى الخاص المختلف ، مما يجعل تاثيرها علينا مستبعد • فجميع الميكروبات والجراثيم التى تصيبنا ، اقتضاها التكيف مع اجسامنا ملايين السنين • غير ان هذا الفرض كان يحيرنى دائما ، بل ويقودنى الى الشك فى آرائى بين الحين والحين • بقى عندى دائما ذلك التخوف ، من أن احدى سفن الفضاء ستأتى يوما من المريخ على سبيل المثال ، وهى تحمل ميكروبا خبيثا ، يفشل الاطباء فى التفاهم معه » •

ساد صمت طويل • ثم قال شاندرا « سأبدأ تحرياتى فورا ، فانا اكره مثل هذا الاحتمال ، خاصة انك قد لا تعلم بما جرى هنا فى الفترة الاخيرة • لقد حدثت ثلاث حالات من الانهيار العصبى فى القسم الطبى خلال الشهر الماضى •• وهو امر غير طبيعى بالمرة » •

نظر شاندرا الى ساعته ، ثم انتقل ببصره الى السماء المزيفة التى تبدو ممتدة الى ما لا نهاية ، والتى كانت فى حقيقتها لا تمتد الى ابعد من مائتى قدم فوق رأسيهما • ثم قال وهو يتحرك فى نشاط « دعنا الان نعود •• » •

جاءت المكالمة بعد اسبوعين ، فى منتصف الليل، الليل القمرى الحقيقى • ووفق للتوقيت المحلى لمدينة « افلاطون » ، تمت المكالمة صباح الاحد •

« هنرى ؟ •• هذا شاندرا يتحدث• هل تستطيع ان تقابلنى بعد نصف ساعة عند المدخل رقم ٥ للمدينة ؟ •• حسن •• سأراك •• »

هكذا اذن ؟! كان كوبر يعرف •• المدخل رقم ٥ يعنى انهما سيمضيان خارج القبة او الغلاف الصناعى للمدينة التى يعيشون فيها فوق القمر • لا بد ان شاندرا قد وصل الى حقيقة جديدة •

منعهما وجود السائق معهما من النقاش ، بينما كان الجرار القمرى يتحرك بعيدا عن المدينة على طريق غير ممهد • وعند الافق ظهر كوكب الارض فى اكتماله، يلتمع بضوء ازرق مائل الى الخضرة، ويرسل اشعته تنعكس على ارض القمر الجهنمية• قال كوبر لنفسه ، هكذا ومهما بذل الانسان من جهد ، سيظل دائما من الصعب عليه أن يحيل القمر الى ارض ساحرة جميلة •

اختفت القبة المزدوجة للمدينة خلف الافق الحاد الشديد الاستدارة • واستدار الجرار القمرى مخلفا الطريق الرئيسى ، يتبع آثار طريق جانبى تظهر آثاره بصعوبة بين الحين والحين • وبعد عشر دقائق ، رأى فى مواجهتهم نصف كرة لامعة ، معلقة على صخور جاسئة متينة • عند مدخل هذه القبة كانت تقف مركبة اخرى تحمل علامة الصليب الاحمر •• فادرك كوبر انهم لم يكونوا الزوار الوحيدين للمكان •

عندما وقف الجرار امام مدخل القبة ، اندفعت اليهم الانبوبة الضخمة المتحركة المنظمة لضغط الهواء، فاحاطت بالجرار الذى يركبونه • ثم سمع صفير قصير ناتج عن اندفاع الهواء عند عملية موازنة الضغط • ترجل بعد ذلك كوبر وشاندرا واتجها الى داخل المبنى • وراحا بعد ذلك يلاحقان المرشد الذى اخذ يقودهما الى مركز القبة خلال ممرات منحنية • وكانا اثناء السير ، يلقيان نظرات خاطفة على المعامل والاجهزة العلمية والعقول الالكترونية ، كلها فى احسن حال ، مهجورة من البشر فى صباح ذلك الاحد • قال كوبر لنفسه ، لا بد اننا وصلنا الى قلب المبنى • وهنا اشار المرشد الى قاعة دائرية واسعة ، واغلق الباب خلفهما فى هدوء •

كانت القاعدة عبارة عن حديقة حيوان صغيرة • اصطفت فيها الاقفاص والاحواض والاوعية التى تحتوى على منتخبات من حيوانات ونباتات كوكب الارض • ووسط هذه القاعة وقف فى انتظارهم رجل قصير ، رمادى الشعر ، قلق النظرات ، اختفت من وجهه معالم السعادة •

« دكتور هاستنجز •• اقدم لك السيد كوبر » قالها شاندرا ، ثم استدار المفتش العام الى رفيقه واضاف « لقد اقنعت الدكتور هاستنجز بان الوسيلة الوحيدة التى يمكن ان نعيد بها الهدوء الى نفسك ، هى ان يذكر لك الحقيقة كاملة » •

قال هاستنجز بصوت متعب « بصراحة •• لا أدرى اذا ما كان قد بقى هناك ما يثير اهتمامى بعد الان •• » كان صوته مهتزا ، يتحكم فيه بالكاد ، وفكر كوبر : أهلا ! •• نحن فى الطريق الى حالة انهيار عصبى جديد !

لم يضع العالم وقته فى مجاملات او رسميات او مصافحات • سار الى احد الاقفاص واخرج

منها كتلة حية من الفراء ، قريبا من كوبر معلقة في الفضاء .

« هل تعلم ما هذا ؟ .. » سأل باقتضاب .

« بالطبع ..هو نوع من الفئران يشيع استعماله في المعامل » .

« نعم .. انه لكذلك .. مع فارق وحيد هو أن عمر هذا الحيوان الذي امسك به الان خمس سنوات .. »

« جميل .. ولكن ما وجه الغرابة في هذا ؟ » .

« هاها .. لا شيء ! لا شيء بالمرة ! .. باستثناء حقيقة تافهة لا قيمة لها .. تقول ان اقصى عمر لهذه الحيوانات لا يتجاوز العامين .. بينما يعيش عندنا هنا بعض افراد هذه الفصيلة حتى يصل عمرهم الى عشر سنوات !! »

للحظة .. صمت الجميع ، وكانت تتردد في لحظة الصمت هذه اصوات حركة الحيوانات والحشرات داخل اقفاصها ، وتخدش وتخمش وتقضم وتصيح صيحات خافتة . همس كوبر « يا الهي ! .. لقد وصلتم أخيرا الى طريقة لاطالة الحياة ! » .

« لا » اجاب هاستنجز « نحن لم نصل الى شيء .. لقد امدنا القمر بهذه النتيجة .. وكان من الممكن أن نتوقعها ، لو أننا كنا ننظر لما هو أبعد من أطراف انوفنا .. »

بدا هاستنجز كما لو كان اكثر تحكما في عواطفه، كما لو كان قد عاد مرة ثانية، ذلك العالم المحض، الذي يبهره الاكتشاف العلمي لذاته ، بصرف النظر عن عواقبه .

قال وهو يتنهد « على كوكب الارض ، تنفق حياتنا كلها تصارع الجاذبية ، التي تضعف عضلاتنا وتجذب معدتنا الى اسفل بحيث تفقد شكلها . خلال سبعين سنة من حياتنا ، كم من اطنان الدم يضخها القلب ، على مدى كم من الاميال ؟ . كل ذلك الجهد ، ينخفض الى السدس، هنا على سطح القمر . فالجسم البشري الذي يصل الى ١٨٠ رطلا ، يزن هنا ٣٠ رطلا فقط » .

« لقد فهمت .. » قالها كوبر ببطء « عشر سنوات للفار .. فكم من السنوات للانسان ؟ »

« ليس هذا قانونا بسيطا .. اجاب هاستنجز « فالامر يختلف وفقا للحجم والجنس . منذ شهر مضى لم نكن قد تاكدنا بعد . ولكننا الان على ثقة من انه : فوق القمر يصل متوسط عمر الانسان الى مائتي سنة ! » .

« وكنتم تحاولون اخفاء هذه الحقيقة .. والاحتفاظ بها سرا خاصا بكم ؟! »

« أيها الاحمق ! الا تفهم ؟! »

تدخل شاندرا قائلا بلطف « رويدك يا دكتور .. لا تنفعل » .

وبمجهود صادق ملموس ضبط هاستنجز اعصابه، ثم عاد الى الكلام بطريقة خالية من الانفعال ، جعلت كلماته تسقط على عقل كوبر كقطرات المطر المتجمدة .

« فكر فيهم هناك .. » قالها وهو يشير الى السقف ، الى كوكب الارض الذي لا يرونه الان ، وان كان حاضرا في وعي كل من فوق القمر في جميع الاوقات « ستة بلايين من البشر .. محشورون بين اطراف القارات يمتدون كل يوم ليشغلوا صفحة البحار والمحيطات في المدن العائمة . وهنا .. » واشار الى ارض القمر ، « فقط مائة الف منا ، فوق كوكب يكاد أن يكون خاليا .. لكنه عالم نحتاج فيه كل يوم الى معجزات في التكنولوجيا والميكانيكا والهندسة فقط لنعيش ، عالم لا يستطيع الشخص أن يحصل فيه على وظيفة اذا ما كان معامل الذكاء عنده لا يزيد على ١٥٠ .. »

اخذ هاستنجز نفسه ثم قال « والان .. نجد انه بامكاننا ان نعيش حتى نصل الى سن المائتين على الاقل .. تصور كيف ستكون استجابتهم هناك لمثل هذه الانباء !

انها مشكلتك الان ، ايها السيد الصحفي ، لقد الححت في السؤال عن هذه الحقيقة ، وها انت قد حصلت عليها .. قل لي من فضلك ، فانا مهتم حقيقة بمعرفة هذا ، كيف ستنقل اليهم هذا الخبر ؟ »

انتظر كوبر .. ثم انتظر .. وفتح فمه ثم اغلقه مرة ثانية .. غير قادر على التفكير في شيء يقوله .

وفي اقصى القاعة، بدأ قرد رضيع في البكاء ..

■■

ترجمة : راجي عنايت

أنباء الطب والعلم والاختراع

٤٦٫٥٠٠ جنيه !

غرامة يدفعها طبيب بريطاني بسبب اهماله

● قضت احدى المحاكم في بريطانيا بأدانة الدكتور روجرز وايبورن ماسون Dr. R. Wyburn - Mason في قضية المدعية السيدة جانيفر كار من أهالي بلدة فلتهام في مقاطعة مدلسكس في انجلترا. فقد فقدت هذه السيدة بصرها نتيجة استعمال الدواء الذي وصفه لها الدكتور روجرز . والمعروف ان الدواء المذكور ــ كلوروكين Chloroquine ــ له آثارجانبيه ضارة ، ومن شأنه ان يتلف العينين ، ما لم يحل الطبيب المعالج دون الاسراف في تعاطيه ، ويرصد آثاره فيوقف استعماله قبل فوات الاوان . وتبين للمحكمة ان الدكتور روجرز قد اهمل في هذا الصدد ، وان عمى السيدة جانيفر انما كان نتيجة اهماله هذا ، ومن ثم كانت الادانة .ولم يعترض الدكتور روجر على قرار الادانة ولكنه اعترض على قيمة الغرامة التي قضى بدفعها ذلك القرار ، وقد بلغتستة واربعين الفا وخمسمائة جنيه استرليني (٤٦٫٥٠٠ جنيه استرليني) .

وتجدر الاشارة الى ان السيدة جانيفر بدأت تعاطي الكلوروكين سنة ١٩٦٢ وفق وصفة الدكتور روجرز . وبدأت الاورام تظهر على ساقيها وذراعيها بعد ثلاث سنوات. وفي سنة ١٩٦٨ شعرت السيدة جانيفر بضعف بصرها فاضطرت لاستعمال النظارات .. وجاءت سنة ١٩٧١ واذا بالسيدة تفقد بصرها فجأة وتتعرض لحادث خطير تبعا لذلك . فبينما كانت تقطع أحد الشوارع صدمتها احدى السيارات لا لسبب الا لانها لم تر تلك السيارة .. وادى فقدانها البصر الى استقالتها من وظيفتها سنة ١٩٧٢ .. وهي تقوم الآن بما يسمح لها عماها القيام به من اعمال ..

الصحة والمرض

بين بساطة العيش وترفه

● نشرت مجلة Nursing Times ، البريطانية مقالا بعنوان : « بقعتان مغلقتان في علوم الطب » بقلم الدكتور بركيت Dr.D.P. Burkitt ، عضو مجلس البحوث الطبية في بريطانيا .

وقد ذهب الكاتب في مقاله هذا الى أن افتقار الطعام الى الالياف Fibres قد يوضح لنا الكثير مما جهلناه عن عدد من الامراض ، نذكر منها مرض القلب التيجاني Coronary Heart ، والحصاة

الصفراوية Jallstones ، والتهاب الزائدة وا Haemorrhoi ،وكذلك السرطان ، مرطان القولون وسرطان المستقيم Rect .

وقارن المستر بركيت ، (ولا نقول دكتور لانه زميل F.R.C.S. وهذه الزمالة ترتفع بصاحبها فلا يعود يلقب بدكتور) ، قارن بين المجتمعات البدائية التى غالبا ما تتناول طعاما غنيا بالالياف وبين المجتمعات البريطانية التى تعيش على المعلبات وما اليها من المأكولات المصنعة المنمقة ، وذلك من حيث مدة المرور Transit Time (المدة التى يكتمل فيها هضم الطعام) ومن حيث الفضلات ٠٠ فكانت النتائج كالتالى :

	مدة المرور	الفضلات
المجتمعات البدائية	٣٥ ساعة	٣٠٠ غرام يوميا
المجتمعات المتقدمة	٧٢ ساعة	١٢٠ غرام يوميا

ويتعرض المستر بركيت الى عقاقير الاسهال فيؤكد الخطأ فى اللجوء اليها لمعالجة الامساك ـ باستثناء قلة نادرة من تلك العقاقير ـ ويؤكد ايضا ان ملعقة او ملعقتين من نخالة القمح يوميا كفيلة باعطاء النتائج المرغوبة ٠

ويوصى كاتب المقال بتناول خبز القمح الاسمر بدلا من الابيض ٠٠ ذلك انه خير مصدر للالياف التى يدور حولها المقال ٠

ذراع الكترونية تكلف ٤٠٫٠٠٠ دولار

● نجح العلماء الامريكان فى صنع ذراع كهربائية تذكرنا بذراع (ستيف أوستن) ، بطل المسلسل التلفازى المعروف « الرجل الآلى » ٠٠ فهى بالغة القوة ولا تقل قوة قبضتها عن ١٠٠ رطل انجليزى ـ اى اربعة اضعاف قوة الذراع الطبيعية ، ٠٠

كان ذلك فى مدينة سانتا انا فى كاليفورنيا فى نهاية السنة الماضية ١٩٧٥٠ فمنذ سنوات والعلماء العاملون فى بعض المؤسسات العلمية ، وفى مستشفى رانشو لوس اميجوس التابع لجامعة جنوب كاليفورنيا ، ماضون فى ابحاثهم وتجاربهم بقصد تطوير الذراع الالكترونية التى ذكرنا ٠ وشاءت الاقدار ان يتعرض المدعو ريد هيلتون ـ فى الوقت والمكان المناسبين ـ لحادث خطير فقد فيه ذراعه اليمنى ٠٠٠ وزرعت او ركبت الذراع الصناعية مكان الذراع الطبيعية المفقودة ٠٠ من جسم الشاب الذى لم يزد عمره على ٢٤ سنة ٠٠

وتم الزرع او التركيب بواسطة ازرار ثبتت فى الجلد وظلت ظاهرة وبارزة فوق الجلد ٠ والغريب ان هذه الازرار لاتسبب اى التهاب للجلد نظرا لانها مطلية بمادة

الاجهاض
أهون الشرين في نظر الاطباء

● لقد بلغ من أضرار حبوب منع الحمل ومخاطرها على حياة الحوامل ، وبخاصة من تخطت الاربعين ، أن أصبحت عملية الاجهاض البديل المفضل او على الاقل ، أهون الشرين · هذه هي النتيجة التي توصل اليها فريق من العلماء الامريكيين مؤخرا بقيادة الدكتور كريستوفر تيتز Dr.ch.Tietze ، أحد كبار المستشارين لدى مجلس السكان في في نيويورك ·

فقد احصى هؤلاء العلماء كل الاضرار والمخاطر التي عرفت عن حبوب منع الحمل ، وكل الاضرار والمخاطر التي عرفت عن عمليات الاجهاض ، وذلك طوال السنوات العشر الاخيرة ·· ثم غذوا بهذه المعلومات احدى الآلات الحاسبة Computer التي برمجت خصيصا لهذا الغرض ، غرض المقارنة بين الفئتين من الاضرار والمخاطر · وقامت الآلة بالعمل المطلوب منها فوافت الدكتور تيتز وصحبه بتقريرها المفصل · ومما جاء في هذا التقرير أن خطر الموت يبلغ ذروته في النساء اللواتي يتعاطين حبوب منع الحمل بعد سن الاربعين ، وينزل الى حده الادنى في النساء اللواتي يعتمدن على وسائط خارجية لمنع الحمل ، ويلجأن الى عملية الاجهاض اذا هن حملن بطريق الخطأ أو بسبب فشل تلك الوسائط ·

ولعل أهم ما تضمنه التقرير هو اعتبار عملية الاجهاض عديمة الخطر وقليلة الضرر بالمقارنة مع وسائل الحد من التوالد عامة ، وحبوب منع الحمل بصفة خاصة .

Pyrolitic carbon المضادة للبكتريا ·

وقد اصبح في وسع هيلتون ان يستعمل ذراعه الكهربائية ، بل قل يده واصابعه الالكترونية ، في الامساك باشياء صغيرة الحجم ، وفتح علبة السجاير وربط شريط حذائه · والاهم من ذلك انه استرد حاسة اللمس واصبح قادرا على لمس الاشياء بيده الصناعية كما لو كانت يدا طبيعية·

هذا وتعمل ذراع هيلتون الالكترونية تبعا لحركات يحدثها هيلتون فيما تبقى من عضلات ذراعه الطبيعية ·· ذلك انهم وصلوا بين هذه العضلات وبين اجهزة الذراع المختلفة المركبة داخل الذراع ·

اما تكاليف تطوير هذه الذراع ، التي لا يزيد وزنها على ٣ر٦ كيلو غرام فقد بلغت ٤٠ر٠٠٠ دولار ··· وسينقص ثمنها ، بعد المباشرة في صنعها بالجملة بحيث لا يزيد على ١ر٢٠٠ دولار ·





ذكريات

بقلم الدكتور : لويس عوض

■ لا أذكر انى رايت رجلا امريكيا او امراة امريكية قبل أن يلغت السابعة عشرة من عمرى ، فانا انتمى الى ذلك الجيـل من أبنـاء الريف المصرى الذى لم يكن يرى من الاجانب الوافدين الى مصر الا الانجليز بصفـة أسـاسية ، ثم الفرنسيين بصفة ثانوية ، هذا طبعا الى جانب من كنا نراهم من مئات الاجانب المحليين ولا سيما « الجريج » اى اليونانيين والطلاينة (الايطاليين)٠

ومع ذلك فقد كنت اسمع من والدى انه تلقى علومه ، رغم انه من المنيا ، في الكلية الامريكية باسيوط في العقد الاخير من القرن التاسع عشر، وكانت هذه أرقى مدرسة يومئذ في صعيد مصر٠ كذلك كنت اسمع من ابى في حداثتى ان الامريكان في اسيوط هم اصلا من المبشرين الذين يحاولون تغيير معتقدات اقباط مصر من الاورثوذكسية الى البروتستانتية ، وانهم نجحـوا نجاحا ضئيلا في هذا المضمار ، (على كل حال لم ينجحوا مع أبى) وانهم كانوا يتجنبون تبشير المسلمين في مصر ، وان مدرستهم كانت تعلم كل شىء بالللغة الانجليزية من التاريخ الى الجغرافيا الى الحساب الخ ٠٠ وانهم شبيهون بالانجليز ليسوا انجليز بالضبط، لانهم اولاد عمومتهم ، وان بلادهـم بلاد غنية ، ولكنها اقل رقيا وحضارة من انجلترا ومن اوروبا بصفة عامة ٠

الصورة الاولى

وهكذا كانت صورة الامريكى الاولى في ذهنى وانا غلام، حتى سنة ١٩٣١، هى صورة «المبشر»، ولم اكن اسـمع شـيئا في تلك الايام عن « الاستعمار الامريكى » ، لاننا في مصر لم تكن نعرف يومئذ الا الاستعمار الانجليزى والاحتلال الانجليزى الذى كان ابى يمقتـه مقتـا شديدا ويعلمنى انه من أسباب تأخر مصر ٠ على العكس من هذا كان معروفا عن الامريكيين انهم رغم كونهم اقل مدنية من الانجليز والاوروبيين بصفة عامة الا انهم امة كبيرة بغير مستعمرات وانهم لا يرسلون الجيوش خارج بلادهم وانهم « في حالهم » ودعاة سلام ، وكانت في ذاكرتنـا نحن المصريين في العشرينات وفي الثلاثينات بقايا من دعوة وودرو ويلسون الى حق تقرير المصير ابان الحرب العالمية الاولى ٠

٠٠ والصورة الثانية

أما صورة الامريكى الثانية في ذهنى وانا غلام، حتى سنة ١٩٣١ فقد كانت صورة لا علاقة لها البتة بكل ما تقدم ، فقد كنت في أثنـاء مرحلة دراستى الثانوية بمدرسة المنيا الاميرية اى من سن ١١ سنة الى سن ١٦ سنة، بين ١٩٢٦عام حصولى على الشهادة الابتدائية و ١٩٣١ عام حصـولى على البكالوريا ، مدمن افلام ، اتردد على دار السينما في المنيا بمعدل مرة في الاسبوع تقريبـا بعد معارك مستمرة مع الاسرة ٠ ولم يكن يعرض في المنيا غير الافلام الامريكية ، فقد كان ذلك قبل نشأة صناعة السينما في مصر ، كذلك لم نكن نسمع يومئذ في ريف مصر ان للانجليز او للفرنسيين او لغيرهم انتاجا سينمائيا يذكر ، وهكذا كانت افلام توم ميكس وريتشارد تالميدج وليليان جيش واخواتها جزءا لا يتجزء من ثقافتى الفنية واشتعل بها خيالى كما اشتعل بما كنت اقرأ من روايات « اللص الشريف » و « شرلوك

هولمز » و « الاميرة فوستا » و « سيركوف » و « الفرسان الثلاثة » · كذلك اشتمل خيالي بما كنت اقرأه في الصحف المصرية عن هوليوود ، حتى اني دبرت وانا في سن الرابعة عشرة ، اى في عام ١٩٢٩ ، أن اهرب من مدرسة المنيا الثانوية ومن اسرتي في المنيا الى الاسكندرية ومنها ابحر الى امريكا قاصدا لوس انجيليس بكاليفورنيا · وكان المشروع طبعا يقوم على ان اتسلل الى ميناء الاسكندرية ومنها اتسلل الى احدى البواخر المبحرة الى امريكا دون جواز سفر طبعا ودون تذكرة ودون مال ، وبعد ان تخرج الباخرة الى اعالي البحار يكتشف البحارة امرى ويحل القبطان مشكلتي بان يجعلني اغسل الاطباق في مطبخ السفينة وفاء بثمن التذكرة ، تماما كما يحدث في روايات المغامرات · (ومن غرائب الصدف في حياتي ان أزور لوس انجيليس بعد ٤٥ سنة ولكن استاذا بدعوة من جامعة كاليفورنيا!) وبالفعل نفذتهذا المخطط الصبياني وفي جيبي جنيهان او ثلاثة ولكن المغامرة لم تستغرق اكثر من اسبوع بين شوارع محرم بك ورمل الاسكندرية والميناء الشرقية ، وعدت بعدها الى المنيا مطاطيء الرأس بعد ان اكتشفت ان اجتياز الحواجز بغير جواز سفر او تذاكر تحتاج الى مواهب لم اكن املكها ·

بين الساسة والمبشرين

المهم ان هذه الصورة السينمائية عن امريكا كانت لا تتسق بتاتا عن صورة المبشرين · وكان مما يحير خيالي الصغير هو المقارنة بين سلوك الانجليز الذين كنت اراهم يدرسوننا في المدارس واسمع عنهم انهم يحكمون مصر من القاهرة وسلوك الامريكيين الذين كنت اسمع انهم يقومون بالتبشير في اسيوط · فقد كنت افهم أن ينتقل الانجليزي من بلده آلاف الكيلو مترات ليحكم الشعوب الاخرى ، ولكنني لم افهم لماذا ينتقل الامريكي من بلده الاف الكيلومترات لكي يدعو الناس لتغيير عقيدتهم الدينية · (بعد أن كبرت ونضجت ادركت ان التبشير والجندية وجهان لنفس العمل في الخبرة الاستعمارية)· وفي العشرينيات رايت ابي يبكي في صمت وهو يقرأ قصة اعدام ساكو وفنزيتي في تحقيقات الصحف المصرية ثم يشرح لي ولاخي ظلم الانسان لاخيه الانسان ، وكان مقتنعا ببراءتهما ، فكان ذلك يعقد صورة امريكا في خيالي الصغير · وزاد من تعقيدها ما كنت اقرأه يومئذ في الجرائد المصرية عن اضرابات عمال المصانع في امريكا وفتك البوليس الامريكي بهم ، فلم اكن افهم يومئذ ان الاضرابات والمظاهرات يمكن ان تقام الا لمقاومة الاحتلال كما كنا نحن نفعل في مصر لاخراج الانجليزوالحصول على استقلال مصر ، فامريكا كانت بلدا مستقلا ليس فيه احتلال اجنبي · كذلك كنت اقرا في الجرائد المصرية عن عصابات ال كابوني وجاك ولينجر وسيطرة عتاة المجرمين علىالحياة في مدينة شيكاغو · وحين بلغت الخامسة عشرة كنت قد درست موجزا كافيا عن تاريخ امريكا منذاكتشافها حتى ابراهام لنكولن في مقرر التاريخ الحديث في المدرسة الثانوية فوجدت بعض الخيوط الرفيعة التي تربط بين هجرة « الاباء الحجاج » منانجلترا الى امريكا على ظهر السفينة « مايفلاود » نحو ١٦٠٠ هربا من الاضطهادات والمذابح الدينية ، وبين المبشرين الامريكيين في مصر ، ولكنني لم افهم بالضبط سبب هجرة المبشرين البروتستانت من امريكا وانجلترا الى مصر رغم انهم غير مضطهدين في بلادهم البروتستانتية · وحينبلغت السادسة عشرة في يناير ١٩٣١ كنت قد مررت باهم تجربة امريكية في حياتي حتى ذلك التاريخ، وهي اني درست ضمن مقرر اللغة الانجليزية لشهادة البكالوريا مسرحية « ابراهام لنكولن » للكاتب الانجليزي المعروف جون درينكو وتر وهي حول حرب تحرير العبيد في امريكا بين الشمال والجنوب بين ١٨٦٠ و ١٨٦٥ ، ورغم اني لم اكن مفتونا بهذه المسرحية التاريخية من الناحية الفنية بمثل ما كنت مفتونا بدارمات شكسبير وروايات ديكنز وسواه التي كنت ادرسها في المدرسة الثانوية،الا انها هزتني هزا فكريا عميقا ووضعت يدي على كثير من المشاكل الجوهرية في حياة هذا الشعب الامريكي البعيد المجهول يومئذ في منطقتنا من العالم · واقل ما ترسب في نفسي من دراسة هذه المسرحية ان لعبيد الارض قضية وان للملونين قضية ، وان للمثل العليا شموعا لا يمكن ان يطفئها الطغاة بافواههم ·

اللقاء الأول

واخيرا التقيت باول رجل امريكي في حياتي عام ١٩٣٢ وانا في السابعة عشرة من عمري ·
كنت قد حصلت على البكالوريا عام ١٩٣١ ثم نزحت الى القاهرة لدخول الجامعة ، ونشأ نزاع شديد بيني وبين ابي الذي اراد أن يكرهني على الالتحاق بكلية الحقوق وكنت اعد الالتحاق بكلية الآداب مسالة حياة او موت بالنسبة لي ، فهربت من أسرتي مرتين خلال عامين وانا عازم أن أحقق لنفسي ما لا يريد أبي أن يحققه لي · وكانت لي في العقاد أسوة ، فاذا كان العقاد قد استطاع أن يثقف نفسه فقد كنت واثقا من قدرتي على احتذاء حذوه · وقبل أن تتم المصالحة بيني وبين والدي استطعت أن اعيش عيشة الضنك في القاهرة اكسب جنيهين من ترجمة قصة لادجار الان بو لجريدة « كوكب الشرق » او اكسب جنيهين من مجلة « النهضة الفكرية » التي كان يصدرها الدكتور محمد غلاب بمقال عن النقد الادبي · وفي هذه الاثناء الزمني قريب لي بدفع اشتراك لي في جمعية الشبان المسيحية لاتمكن من استخدام مكتبتها الزاخرة ، وكانت أكثر كتبها بالانجليزية · وفي « الواي » ، اي جمعية الشبان المسيحية تعرفت على سلامه موسى الذي أخذ بيدي وقدمني الى مؤلفات برنارد شو وهربرت جورج ولز وغيرهما من فحول الادباء الانجليز · وفي « الواي » ايضا تعرفت الى مديرها او رئيسها الامريكي الذي جلست اليه نحو ساعتين يناقشني في ميولي الادبية وقراءاتي ، ولم افهم ثلث كلامه بسبب لهجته الامريكية القحة التي تتوسع في الغنفه وفي ترهيف السواكن والحركات وتغير مواضع النبر في بنية الكلمات الى جانب ما فيها من تعبيرات اصطلاحية امريكية لا يعرفها من تعلم مثلي الانجليزية على طريقة انجلترا · ووجدت فيه عطفا وحدبا ملحوظين ، رغم أن جسامة قامته جعلتني احس بالقلق أكثر الوقت · ولم احس فيه اهتماما بالافكار او بالثقافة بوجه عام ، ولكني احسست فيه الصراحة والبساطة والحرارة والقدرة على الضحك وعدم التخوف او الاحتياط في التعبير عما يدور برأسه · وكان اوضح انطباع خرجت به بعد هذا اللقاء هو ان الانجليز شيء والامريكان شيء آخر رغم ان هؤلاء واولئك يتكلمون نفس اللغة وحين وصفت لسلامة موسى انطباعاتي عن الرجل اجابني بطريقته العلمية المعروفة ، هذا انطباع صادق لان أكثر الانجليز انطوائيون واكثر الامريكان انبساطيون · وذهب يشرح لي الفرق بين الشخصية الانطوائية Introverted ، والشخصية الانبساطية Extroverted ، ولا ادري لماذا جال ببالي بعد أن رأيت هذا الرجل أن الانجليز يشبهون اعواد القمح بكل سنابلها الصغيرة بينما الامريكان يشبهون اعواد الذرة بكل زعازيعها واكوازها وشواشيها الجسيمة ، وقد لازمتني هذه الصورة سنوات وسنوات حتى بعد أن عشت بين الامريكيين في امريكا ، وربما كان ذلك بسبب الفرق الملحوظ بين توسط بنية الانجليز وجسامة بنية الامريكان · ولم اعرف حتى الآن ان كانت هذه الفوارق في متوسط القامة والبنية راجعة الى الفوارق في التغذية أم الى الفوارق في البيئة الجغرافية والمناخ · اكثر الثمار في امريكا تنمو اكبر حجما واقل طعما ·

·· مع الادب الامريكي

بعد ذلك لم اقابل امريكيا بعد ١٩٣٢ حتى ١٩٣٨ ، ولكني اقتربت اكثر واكثر من دراسة الادب الامريكي بحكم تخصصي في الادب الانجليزي بالجامعة · كنت حتى قبل حصولي على البكالوريا قد قرات كثيرا من قصص ادجار الان بو وشعره في مكتبة والدي التي كنت ارى فيها مؤلفات هوثورن ومارك توين ولونجفيلو وثورو ، وكان ابي يعرفني بهؤلاء الكتاب تعريفا اجماليا لاتعمق فيه كما ان معلوماته عن الادب الامريكي وقفت عند ١٩٠٠ · وخلال اربع سنوات من التخصص في الادب الانجليزي بجامعة القاهرة (١٩٣٣ـ١٩٣٧) اتيح لي أن ادرس بعض آثار الادب الامريكي الهامة في القرن التاسع عشر من ادجاربو وهورثون ولونجفيلو وامرسون وواشنطون ايرفنج وهنري جيمس ، أدرس الادب الامريكي من خلال عيون انجليزية فقد كان كل اساتذتي في «الانجليزيات» من الانجليز ، وكنت ادرس الادب الامريكي كمجرد فرع صغير على شجرة الادب الانجليزي · وبالطبع كانت تنشأ بيننا نحن الطلبة واساتذتنا الانجليز مناقشات من نحو : هل هناك ادب امريكي أم ان هناك مجرد ادب انجليزي في المهجر الامريكي ؟ ونحن الآن لم نعد نناقش هذه القضايا لان القضية لم تعد موجودة بسبب جسامة امريكا وضآلة انجلترا منذ

انتهاء الحرب العالمية الثانية • وكان اساتذتنا الانجليز يعلموننا طبعا انه ليس هناك شيء اسمه الادب الامريكي ، وانهم يعلموننا الادب الامريكي كمجرد فرع من فروع الادب الانجليزي قبل ١٨٠٠ ولاننا لم نتعرف على شيء من الادب الامريكي بعد ١٩٠٠ ، وكنت احس بضآلة « التراث » الامريكي كلما وزنته بشموخ التراث الانجليزي او الفرنسي او الالماني أو اليوناني في الادب•هذه المشكلة ذاتها كانت موجودة في امريكا نفسها حتى ١٩٠٠ على الاقل فلا احسب ان مقولة « الادب الامريكي » كانت معروفة بشكل جاد في امريكا حتى الحرب العالمية الاولى،رغم ان القومية الامريكية تبلورت في ١٧٧٦ وهو تاريخ استقلال امريكا عن انجلترا ، على كل فالامر يختلف اليوم بعض الشيء بعد ظهور جون دوس باسوس وهمنجواي وشتاينبك وهوارد فاست واوجين اونيل وآرثر ميللر وتينسي وليامز ومدرسة هنري ميللر وماري ماكارثي ونورمان ميلر والساخطين والغاضبين والهيبز الخ في العشرينات والثلاثينات والاربعينات والخمسينات من القرن العشرين •

صـــورة •• وصورة

في تلك الايام البعيدة ، أواسط الثلاثينات ، كانت وجهة النظر الرسمية هي أن الادب الامريكي شيء لا وجود له•وكان اساتذتنا الانجليز يعمقون فينا هذا الاعتقاد • ثم بدأنا نحن الشباب نكتشف لانفسنا ونحن في اوروبا درجة اوجين اونيل وهمنجواي ومن جاء بعدهم ونحس بان هناك شيئا هاما يجري في امريكا وحاولنا ان نتعمق دراسته • ومع ذلك فقد بقيت هناك بعض الحوائل النفسية غير حوائل الزمان والمكان •كانت هناك درجة قوية من التعالي يكنها الاوروبيون ، ولا سيما الانجليز والفرنسيون ، نحو الامريكان ، ولعل كل من درس في اوروبا في الثلاثينات لا يزال يذكر هذا التعالي الثقافي والحضاري الذي كان يحس به الاوروبيون نحو الامريكان حتى ١٩٣٩ ، بداية الحرب العالمية الثانية ، ومنهم من تأثر بهذا التعالي •

كان الانجليز يصورون شخصية الامريكي على انه رجل عمل لا شيء في رأسه ذا بال،محدث النعمة ماليا وثقافيا وحضاريا،اقصى مناه ان يصبح كالاوروبيين• وكانت الصورة الكاريكاتورية لهذا الامريكي المحدث النعمة هي شخصية ذلك المليونير الامريكي الذي زار انجلترا وقرر أن يشتري قلعة او قصرا من قلاعها او قصورها القديمة وينقل احجاره الى امريكا ثم يعيد بناءه ليكون له اسلاف نبلاء كما كان له مال قارون ، ولكن المشكلة كانت في شبح القصر الذي لايكمل القصر الا به ، كيف يشتري بالمال وكيف ينقل من بلاده العتيدة الى ارض امريكا الجديدة ، كما وصف اوسكار وايلد في قصته الساخرة « شبح كانترفيل »• اما الصورة المأساوية لهذا الامريكي المحدث النعمة فقد كانت شخصية ذلك المليونير الامريكي الذي جمع ملايينه من صناعة البانيوهات والادوات الصحية فلما جلس على كوم المال ، وقد تجاوز سن الكهولة ، خرج الى فرنسا ليكمل المال بالمدنية ويتاهل ببنت من بنات الاسر العريقة صاحبة الالقاب ، وبالفعل تعرف الى الفتاة نيوميه سليلة الارستقراطية الفرنسية المفلسة التي اخذت الثورة الفرنسية منها كل شيء الا قصرها العتيق وشموخها الفظيع • وبالفعل احب الامريكي نيوميه واحبت نيوميه الامريكي ، واتفقا على الزواج ووافقت الاسرة ، ولكن مجتمع الارستقراطية الفرنسية المترفع المتعالي بالثقافة والحضارة والحب رغم حياة الضنك التي كان يعيشها اكثر ابنائه ، استنكر هذا الزواج غير المتكافىء واستهجن ان يقايض الشرف بالمال ، حتى ان شابا من شباب الارستقراطية غير اخا نيوميه وهم يشهدون الاوبرا بانهم يبيعون بنتهم الكريمة بملايين هذا العصامي المحدث وبذلك يخونون طبقتهم النبيلة ، وكان القفاز ، وكانت المبارزة في غابة بولونيا التي قتل فيها الاخ • وهكذا انتهى كل شيء بكارثة : انسحبت الفتاة نيوميه لتقضي بقية حياتها في الدير بعد مصرع اخيها وطوت حبها في قلبها وطوت حياتها بين جدران العزلة القاتلة • اما المليونير الامريكي فقد عاد الى بلاده ثقيل القلب مثخنا بجراح الروح• هكذا حدثنا هنري جيمس في روايته « الامريكي » وهي من اخطر رواياته في دلالاتها الاجتماعية •

كل هذا كنا ندرسه عن امريكا والامريكيين حتى الحرب العالمية الثانية • اما اليوم فسبحان مغير الاحوال • ■■

القاهرة : لويس عوض



طفلي .. أصبح رجلاً !!

بقلم : منير نصيف

■ متى يكبر ابناؤنا ؟ هل هناك سن معينة للنضوج ؟

يقول علماء النفس ان الابناء يكبرون عندما نجدهم يتصرفون كما يتصرف الكبار في مواقف معينة .. عندئذ فقط نعرف ان اولادنا الذين كانوا بالامس اطفالا قد كبروا .. وليس هناك سن معينة يبلغها الشاب او تبلغها الفتاة فنقول : «لقد كبرا ونضجا !» فهناك رجال يتصرفون كما يتصرف الشاب المراهق وهناك اطفال تحس من تصرفاتهم برجولة مبكرة وهم يحاولون ان يثبتوا خطواتهم «المترددة» على الطريق رغم حداثة سنهم !

ومع هذا يبقى بيننا دائما سؤال محير ، لماذا نتعجل النضج في اطفالنا ؟ لماذا نتوقع منهم ان يكونوا كبارا في طفولتهم ؟ ولكن بعض هذه الحيرة قد تزول اذا عرفنا ان من بين الاماني التي تملأ صدور الاباء ،ان يروا رحلة العمر مع اطفالهم تمر بهم سريعة ، حتى انهم كثيرا ما يتركون خيالهم يسبح فيرون المستقبل في اليوم الذي يعيشونه ، وقد خيل لهم انهم قد اتموا رسالتهم او كادوا .. فاذا بالطفل يصبح رجلا في خيالهم .. واذا بكل تصرف صغير يصدر عنه يصبح محل نقد وتعليق ، وهكذا يحرمونه من اجمل واروع سني حياته على الارض .. سني الطفولة بكل ما تحمله له معها من مرح ولهو وحب يملأ حياته .. وكانهم يريدون ان يقولوا له : «لقد ولدت كبيرا .. وليس من حقك ان تكون طفلا !»

قصة أب

يروى الدكتور سبوك الذى تحدث الى الامهات وكتب من الاباء والابناء قصة اب مع طفليه .. لقد مضى على زواجه عشر سنوات .. وعندما انجبت له زوجته بنتا لم يهتم بها كثيرا ،فقد تركها لامها تعنى بها وترعاها .. وهي الان في الثامنة.. ثم جاء الولد بعد وصول البنت بعامين ..وانقضت ست سنوات على مولده قضاها الاب في صراع بينه وبين نفسه ، وبينه وبين طفله .. انه يحبه ،

وهو كل شيء بالنسبة له في دنياه ‎٠٠‏ ولكنه لا يعرف بالضبط كيف يحدد علاقته به ‎٠٠‏ كيف تكون معاملته له ‎٠٠‏ ان تصرفاته لا تعجبه ‎٠٠‏ انه كثير الحركة ‎٠٠‏ لا يكف عن توجيه الاسئلة ‎٠٠‏ انه يريد أن يعرف كل شيء ‎٠٠‏ حتى غذاءه لا يهتم به كثيرا ‎٠٠‏ انه يريد أن ينتهي منه بسرعة لكي يتفرغ الى لعباته ‎٠٠‏ والى مشاركة زملائه في الجرى والقفز واللعب في حديقة البيت ‎٠٠‏ لماذا لا يكون ابنه اكثر هدوءا ‎٠٠‏ لماذا لا يكون « رجلا » ؟ ! ولكن كيف يرى الأب هذا الرجل في طفل صغير لم يبلغ بعد عامه السادس ! ولعل هذا هو الشيء الوحيد الذى لم يخطر بباله في غمرة حماسه للعثور على « الرجل » الذى ينشده في ابنه !

مع الرجل الصغير النائم

ولكن الاب ما لبث أن صحا من غفوته يوما عندما وجد نفسه وجها لوجه امام الحقيقة التي كادت ان تغيب عن ذهنه تماما ‎٠٠‏ لقد عاد في ذلك اليوم الى البيت في ساعة متاخرة في المساء ‎٠٠‏ ولقيته زوجته وام طفليه عند الباب ، وذهبت لتعد له طعام العشاء ، فقد كان يشعر بالجوع بعد يوم مليء بالعمل ٠ وسالها عن طفليه ، فقالت : «لقد انتظرا عودتك طويلا ، فلما تاخرت ، ذهبا الى غرفتيهما وناما ! »

وخطر له وهو يتجه بدوره الى غرفته ان يلقى نظرة على « الرجل الصغير » ،وهو نائم في فراشه، وفتح باب غرفته في هدوء ، وجلس على مقعد قريب ‎٠٠‏ كان الطفل يغط في نوم هادىء وقد احتضن « الدب » الذى اشتراه له والده من متجر اللعب بكلتا يديه وراح الاب يتامل هذا الوجه النائم ، وكانه يراه لاول مرة ! لقد كان وجه طفله في نومته غريبا عليه ، فهو لم يره الا ممتلئا بالحياة والنشاط والتحفز والحركة هل يمكن ان يكون هذا هو « الرجل الصغير » الذى تصوره في طفله ؟ترى أين هو الان ؟ خطر له هذا السؤال وهو يرى تلك الابتسامة الحلوة تداعب شفتيه بين الحين والحين ، وهو يغط في نومه ، وذراعه تعانق دبه الاصغر الكبير ‎٠٠‏ نفس الابتسامة التي طالما وقف يودع بها والده ، وهو يهم بمغادرة البيت في طريقه الى عمله في الصباح، وقد رفع يده الصغيرة ملوحا له بها في الهواء ‎٠٠‏ وتبقى اليد مرفوعة حتى يختفي الاب بسيارته عن عينيه !

دموع ‎٠٠‏ وندم

ودمعت عينا الاب وهو يتذكر كيف كان يرد تحية طفله ! انه لم يبتسم له مرة واحدة في اى حديث له معه ! كل ما كان يفعله ازاءه هو ترديد تلك القائمة الطويلة من التعليمات التي يوجهها اليه بمناسبة وغير مناسبة ‎٠٠‏اذا اخطا او لم يخطىء‎٠٠‏ فهو لم يستطع مرة واحدة ان يتخلص من هذه الرغبة التي كانت تلح عليه في أن يرى طفله الصغير « رجلا » ‎٠‏ ترى كم هي عدد المرات التي توقف فيها بسيارته بعد أن تتحرك ، لكي ينادى طفله وينهره : « الم اقل لك ان تقف منتصب القامة ! » ويعود الطفل يتطلع الى ابيه الصارم ، ويحاول جاهدا أن يستعيد ابتسامته ،وينظر اليه مستعطفا، ثم يرفع يده من جديد محييا ، وكانه يقول له : « سمعا وطاعة يا ابى ‎٠٠‏ فقط ارجوك الا تقسو على بهذه الصورة ! »

ومسح الأب دموعه ، ثم انحنى في هدوء وطبع قبلة اودعها كل الحنان على جبين طفله ، وخرج من غرفته ، وقد احس وكانه يلتقي للمرة الاولى منذ ست سنوات بهذا الطفل الصغير الذى لم يعترف يوما بحقه في أن يكون طفلا مثل بقية الاطفال !

وعاد « الرجل الصغير » ينعم بطفولته ‎٠٠‏ وكفر الأب عن ذنبه ، وكان يجد في بعض الاحيان متعة ما بعدها متعة ، وهو يشارك ابنه الصغير اللعب في حديقة البيت مع زملائه واصدقائه او الجلوس على الارض وقد ركز كل اهتمامه في تركيب اجزاء المحراث والطائرة والسيارة التي اهداها له والده في عيد ميلاده !

فراق

ومرت الايام ‎٠٠‏ ست سنوات او اكثر ، وجاء يوم كان على الاب أن يفترق فيه عن اسرته الصغيرة لتادية مهمة في الخارج كلفته بها الشركة التي يعمل فيها مهندسا ‎٠٠‏ وحزمت له زوجته حقائبه ‎٠٠‏ وجاءت لحظة الوداع اخيرا : « لن تطول غيبتي ارجو أن انتهي من عملي في خلال شهر واحد على الاكثر »

ولم يكد ينهي الاب حديثه حتى التقت عيناه بعيني ابنه ‎٠٠‏ وكان الصبي كان ينتظر هذا النداء فهرول اليه والقى بجسمه الصغير بين ذراعيه ،

وتعانقا ، وقال الاب : « اوصيك بامك واختك ! »

لاتحمل هما ياأبي ٠٠سوف ارعاهما واسهر على راحتهما !

وقبّل الابزوجته وابنته مودعا وذهب ٠٠ومضت الحياة هادئة ٠٠ الى أن كان ذات مساء عندما عاد الصبي الى البيت قادما من مدرسته ٠٠ وفتحت له اخته الباب ، وكانت تبكي ٠٠ ماذا حدث ؟

- انها أمنا ٠٠ لقد اشتدت عليها وطأة المرض، ولم تعد قادرة على مغادرة الفراش، والوقوف على قدميها انني لا ادري ماذا حدث لها !

أنين وألم

واسرع الصبي الى غرفة امه ، فوجدها راقدة على فراشها ، وقد كسا الشحوب وجهها ، وغارت عيناها وكانت المسكينة تئن وتتألم !

- ماذا بك يا أمي ؟

- لا شيء ٠٠ لا شيء يا بني ٠٠ كل ما هناك انني اشعر بالم في ظهري ٠٠ انها كليتي المريضة! سوف اشعر بتحسن عندما استعمل الدواء ٠ لا تقلق ! اذهب الى غرفتك الآن واهتم بدروسك !

ولكن الصبي لم يذهب الى غرفته ، لقد امتثل الى نصيحة أمه وترك غرفتها ، ولكنه وقف وراء الباب من الخارج ينصت ٠٠ هل ما زالت تتألم ؟

وكان الام المسكينة كانت تشعر بما يدور على بعد خطوات منها ٠٠ كانت تعرف ان ابنها لن يبتعد كثيرا عن غرفتها ، فحاولت ان تحبس آلامها ٠٠ ان تكتم صوت انينها ٠٠ ولكنها لم تستطع !

في الطريق الى المدينة

وفجأة تسمع الأم صوت اقدام تجري وتنطلق بعيدا ، ويضعف الصوت ، وأخيرا باب البيت يفتح لم يوصد بعنف ٠٠ ويهدأ كل شيء من حولها ٠٠ ونادته ٠٠ نادت ابنها فلم تسمع جوابا ٠٠ وتركت ابنتها مكانها الذي كانت تجلس فيه على طرف فراش امها ٠٠ واتجهت الى نافذة الحجرة ٠٠ ومن وراء الزجاج رأته ٠٠ رأت شقيقها يعدو على الطريق الطويل المؤدي الى قلب المدينة !

- ماذا هناك يا ابنتي !

- انه أخي يا أمي ٠٠ لقد ترك البيت ، وخرج يعدو في الشارع ٠٠

- الى أين ؟ هل قال لك اين ينوي الذهاب ، ماذا يريد ان يفعل ؟

- لا ٠٠ لم يقل لي شيئا يا أمي !

وغابت الشمس ٠٠ وبدأ الظلام يلف الضاحية الصغيرة ٠٠ وطالت غيبة الصبي ٠٠ وبدأ القلق يستبد بالام المريضة ٠٠ أين ذهب ابني ؟ ماذا حدث له ، هل ألم به مكروه ؟ »

قلق وحيرة

وراحت تصلي الى الله وتبتهل ٠٠ ولكن صلاتها لم تنسها القلق الشديد على الصبي الصغير الذي طالت غيبته ٠٠ حتى كاد قلقها يطغى على الآلام الشديدة التي كانت تمزق كليتها ٠٠ وتمنت في هذه اللحظة ، ولاول مرة منذ سفر زوجها ٠٠ تمنت لو انه لم يتركهم ويرحل ٠٠ لاول مرة احست بحاجتها الى وجود زوجها ووالد طفليها بجوارها ٠٠ لاول مرة تشعر بأن رجل البيت قد غاب عنه ٠٠ لقد افتقدته حقيقة منذ اللحظة الاولى التي حمل فيها حقيبته وخرج ٠٠ افتقدت صوته وهو يناديها لتعد له قدحا من القهوة٠٠ افتقدت حديثه الحلو معها في الامسيات، وهما يناقشان مشروعاتهما لمستقبل هذين الطفلين اللذين املأت بهما حياتهما ٠٠ حتى في ثوراته ، كان رفيقا معها٠٠ فهو لا يكاد يملأ البيت بصياحه، حتى يعود فيهدأ ولا يلبث ان يسعى اليها طالبا الصفح عما بدر منه ٠٠

افتقدته لا شك ، ولكنها كانت تراه دائما في هذين الوجهين اللذين يحملان هذا الخليط العجيب من صفات وطباع والديهما !

ولكن فرق بين ان تفتقد الزوجة رجلها ، وبين ان تحتاج اليه ٠٠ الى يده القوية الممدودة التي تستند اليها وتعتمد عليها وقت الحاجة !

وعاد الابن أخيرا

ما احوجها فيهذه اللحظة الى ذراعه القوية ٠٠ وانقضت ساعات طويلة ، وقلب الام يخفق قلقا على ابنها ٠٠ قلقا ضاعف من آلامها ووحدتها ٠٠ وابنتها واقفة فيمكانها وراء النافذة ترقب الطريق

الذى غرق فى الظلام ، وهى لا تكف عن التطلع الى وجه امها الشاحب بين لحظة واخرى !

واخيرا .. رأت الفتاة سيارة صغيرة تقف امام باب البيت .. وفتح باب السيارة ، وقفز منه شقيقها قفزا وراح يطرق الباب بكلتا يديه .. ولم يكن وحده ، كان معه رجل يحمل حقيبة صغيرة فى يده !

لقد عاد يا امى .. عاد اخى اخيرا .. واسرعت الفتاة تفتح باب البيت .. ودخل الصبى مسرعا والرجل يمشى وراءه ، وكان هو الاخر يسرع الخطى ..

ـ من هنا يا سيدى .. ارجوك ان تتبعنى .. ووصلا الى غرفة نوم أمه .. ودخلا .. ومدت الام ذراعيها تحتضن ابنها ، وهى تنظر اليه نظرة عتاب .. لقد انستها عودة ابنها اليها كل شىء حتى انها لم تشعر بوجود هذا الرجل الغريب الذى اقترب من فراشها ، وامسك بيدها المحمومة يجس نبضها !

مع الطبيب

واحس الصبى بما يدور فى راسها فى تلك اللحظة ، فاسرع يقدم ضيفه ، قال : « انه الطبيب يا امى .. انه صديق والدى وقد شرحت له حالتك ورجوته ان ياتى معى ليطمئننا على صحتك ! »

وراح الطبيب يفحص الام المريضة بدقة ، فلما انتهى الفحص ، بدا يتكلم .. « لا بد من نقلها فورا الى المستشفى لاتمام الفحوص ، فربما احتاج الامر الى اجراء عملية جراحية عاجلة ! »

وبكت الفتاة .. اما الصبى ، فلم يضيع وقتا .. راح يعد حقيبة الملابس الصغيرة التى ستحملها امه معها .. وخرج الطبيب من الغرفة ، وقامت الام من فراشها لترتدى ثيابها وتستعد للذهاب .. ونقلوها الى المستشفى .. وفى صباح اليوم التالى قرر الاطباء ضرورة اجراء العملية الجراحية لاستخراج حصى من الكلية المريضة !

ونجحت الجراحة .. وبدأت الام تستعيد صحتها .. وتتماثل للشفاء .. لقد انتهت رحلتها مع المرض ..

وكان لا بد ان تبقى فى فراشها عشرة ايام ، قبل ان يسمح لها الاطباء بالعودة الى البيت ..

ثم عاد الاب

ولكن قبل ان تنقضى الايام العشرة ، كان الاب قد عاد بعد ان تلقى برقية من ابنه يبلغه فيها نجاح الجراحة التى اجريت لامه .. ان الصبى لم يشأ أن يزعج والده فى مهمته .. فلم يبعث اليه بنبأ مرض امـه ، وانما راح ينتظر حتى انتهى الاطباء من عملهم ، فاسرع يزف نبأ شفاء امه من مرضها الى والده ..

وعاد الاب على اول طائرة الى بلدته وكان قد انهى مهمته بنجاح ولم يذهب الى البيت ، وانما قصد الى المستشفى فورا .. ولقيه « طفلاه » ، ولقيته زوجته ، وكانت تقف وسط غرفتها ، وقد عادت الحياة الى جسمها المريض ووجهها الشاحب..

قصة الرجل الصغير

ولكن قبل أن تترك الاسرة الصغيرة المستشفى ، جلس الاب يستمع الى قصة الصبى الصغير الذى ترك الاسرة فى رعايتـه ، سمعها من صديقـه الطبيب الذى عاد الام فى بيتها قبل نقلها الى المستشفى .

« لقد قطع ابنك ياسيدى ثلاثة كيلو مترات مشيا على قدميه .. وجاءنى الى العيادة يلهث ..وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء .. وقال وهو يتوسل الى : « امى ..يا دكتور مريضة ..مريضة جدا .. اتوسل اليك ان تاتى معى ! »

ـ « ولم اكن فى حاجة الى توسلاتـه بطبيعة الحال ، لقد تركت عيادتى ، وتركت مرضاى وذهبت معه ! »

ولم ينتظر الاب ليسمـع بقية القصة .. فقـد خرج من غرفة صديقه الطبيب مهرولا .. وفـى الردهة الطويلة رأى زوجته وهى تمشى بين ولديها ، وقد اعتمدت على ذراع ابنها الصغير ، وراحت تسير فى خطوات ثابتة بطيئة فى طريقها الى باب الخروج .. وقال الاب : « دعنى اكمل هذه المهمة يا بنى ! » وقال الابن « ارجوك يا ابى ان تتركها لى .. الا ترى ان ذراعى لم تعد صغيرة ضعيفة ، كما كانت بالامس .. لقد اصبحت رجلا ! »

واخفى الاب دموعه وهو يحتضن « طفله الصغير » الذى كبر فجاة وصار رجلا ! ■■

منير نصيف

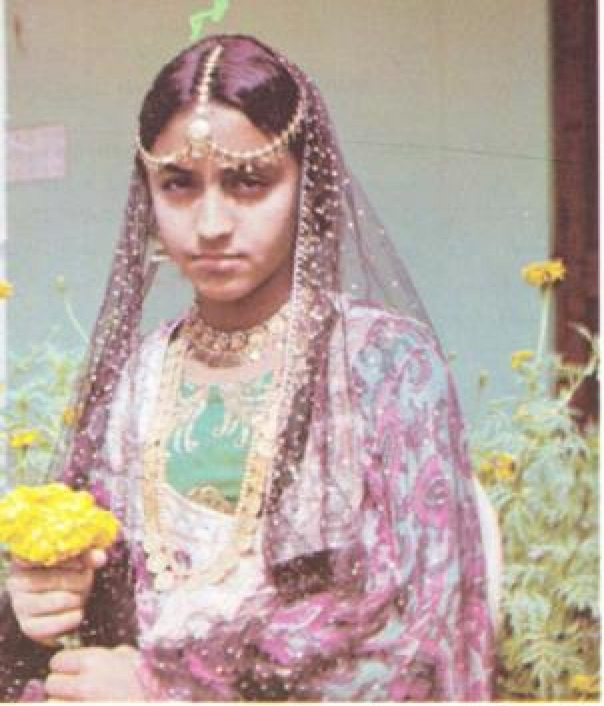
اعرف وطنك أيها العربي

ابوظبي

وعودة إلى الأرض الطيبة

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح





مركز التجارب الزراعية في جزيرة السعديات ، يستقبل كل يوم فوجا من طلاب مدارس ابو ظبي، للدراسة على الطبيعة حول الزراعة في الاراضي الصحراوية التي توليها الدولة هناك كل اهتمام ، من اجل توفير الغذاء لمواطنيها ..



فتاة من مدينة العين .. جلست بين الورود ،ثم مدت يدها في هدوء وقطفت واحدة منها !

قلعة ومدفع .. هذا ماتبقى في قلعة مدينة العين التي شهدت خلال تاريخها صراعا طويلا.



■ كان الليل فى هزيعه الاخير ، عندما حطت بنا الطائرة فوق مطار مدينة أبو ظبي عاصمة الدولة الاتحادية ، وفي وقت كهذا يكون الهدوء قد لف أرجاء المدينة طولا وعرضا ، وأخلد الناس الى بيوتهم بحثا عن الراحة عقب رحلة عمل دامت طوال ساعات النهار •

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

« وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشا »

صدق الله العظيم

وأبو ظبى ، التى تحتل الجزء الجنوبى الشرقى من الجزيرة العربية ذات امتداد صحراوى شاسع، اذ تبلغ مساحتها ثمانين الف كيلو متر ، وتطل سواحلها على البحر بامتداد ٤٠٠ كيلو متر • تتوغل فى الداخل الى مسافة ٢٥٠ كيلو مترا ، ويتبعها نحو مائتى جزيرة اهما جزيرة أبو ظبى ذاتها ، وجزيرة داس التى تقع على مسافة ١٧٠ كيلو مترا الى الشمال الغربى من العاصمة « أبو ظبى » ، ثم جزيرة « دلما » التى تبعد ٢١٠ كيلو مترات غرب العاصمة ، وجزيرة « السعديات » التى اختيرت لاقامة محطة أبحاث زراعية •

الامارة المجهولة

ولم يكن لهذه الامارة العربية وجود قبل عام ١٧٦١م • وكان سكان هذه البقعة من الارض يحيون حياة بدائية بسيطة معتمدين فيها على ما تجود به الطبيعة من مياه فى الابار ، وزراعة قليلة يروونها بهذه المياه ، وبعد هذا وقبله ، كان الاستعمار جاثما فوق صدرها •• ثم انقلب الحال بعد أن تدفق البترول من جوف الارض الطيبة ، وتخلصت البلاد من المستعمر الذى طابت له الاقامة فيها ، واصبحت « أبوظبى » اليوم عنوانا للازدهار من خلال سعيها الحثيث الى النهوض والنمو ، لتاخذ مكانها بين الامم الآخذة باسباب الحضارة •• ثم جاءت الخطوة المباركة عندما اتفق قادة الامارات العربية السبع على مولد دولتهم العربية المتحدة ، واختيرت ابوظبى عاصمة لها •

أبو ظبي عبر التاريخ

انها تسير على الطريق نحو حضارة حديثة •• ولكن الحضارة ليست جديدة عليها •• فقد كان لحضارة هيلي وام النار فى « أبوظبـى » علاقة قوية وكبيرة بالحضارات التى سادت فى المنطقة حوالى منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ، ولم تكن هذه الحضارة بمعزل عن حضارات وادى الرافدين او حضارة جنوب ايران ، واثبتت الحفريات التى جرت فى هذين الموقعين « هيلى » و « ام النار » وجود مثل هذه العلاقة من خلال التشابه المعروف فى الاوانى الفخارية والحجرية •

ومنذ السنوات الاولى من القرن السادس عشر الميلادى ، بدأت الدول الاوروبية كبريطانيا والبرتغال وفرنسا ، تبذل كل المحاولات لاحتلال هذه المنطقة طمعا فى الموقع الجغرافى الممتاز ، وما ان حل القرن التاسع عشر ، حتى فرضت بريطانيا سلطانها على المنطقة باكملها •

ارض الامارة ومدنها

واذا عدنا الى تكوين ارض الامارة ، نجد انها تتكون من سبخة مطيى ، والمجن ، ومراعى الظفرة ، بالاضافة الى محاضر ليوا وبها حوالى ستين قرية ، ثم المنطقة الشرقية التى تضم مدينة العين وضواحيها المحاطة بسلسلة جبال تغذيها بالمياه العذبة عن طريق الافلاج والانفاق المتوغلة فى باطن الارض ••

اما اهم مدن الامارة فهى « أبوظبى » عاصمة دولة الاتحاد ، التى تشهد حركة عمران كبيرة اتبعت فيها احدث النظريات فى تخطيط المدن الحديثة ، معتمدة فى ذلك على الثروة المالية التى صاحبت تدفق البترول • ثم تاتى مدينة العين التى تعيش فترة انجازات عمرانية • وتعتبر من المناطق الزراعية الهامة فى البلاد ، يليها منطقة الظفرة التى تضم اكثر من ستين قرية يطلق عليها اسم محاضر ليوا ، وفيها الكثير من الابراج والقلاع والمناطق الخضراء ، وآخيرا منطقة طريف التى يعمل سكانها فى شركات النفط •



من الجو .. التقطت عدسة «العربي» هذه الصورة لجانب من شارع الكورنيش والمباني الحديثة التي ترتفع فوق ارض ابو ظبي .

أربع قبائل في الامارة

والسكان في امارة « أبوظبي » ، ينتمون تاريخيا الى اربع قبائل عربية هي – بني ياس ، اقوى قبائل الامارة التي يتفرع منها آل بوفلاح ، وهؤلاء توافدوا على جزيرة « أبوظبي » ، عندما عثروا على ماء عذب بزعامة ابن عيسى الابن الاكبر لآل نهيان ، واكثر جماعات بني ياس ، يقطنون واحة ليوا ، ومدينة « أبوظبي » ومنطقة « العين » ومراعي « الظفرة » و « المجن » ، ثم قبيلة المناصير ، التي تشارك جماعات بني ياس في محاضر ليوا ، وهم حلفاء بني ياس منذ القدم . واهم فروع هذه القبيلة البومندر والبورحمة وآل بلشعر ، وتاتي بعد ذلك قبيلة الظواهر ، وتتكون من مجموعة بطون القبائل التي استقرت في ارض الظاهرة بعمان ، واهم بطون القبيلة ، العتان ، آل هلال ، والدراكمة ، واخيرا تاتي قبيلة العوامر التي ترتبط بعلاقة مودة مع حكام آل نهيان ، وتنقسم الى فخذين



فتاة ظبيانية من مدرسة الزهراء ، ارتدت ملابسها الوطنية ووقفت بين الورود امام عدسة العربي ٠٠

الى اليسار : جامع الشيخ خليفه في العين بني على احدث طراز معماري ٠٠ **والصورة السفلى الى اليمين** توضح الميدان الرئيسي لمدينة العين ، **والى اليسار** ميدان مدينة ابو ظبي عاصمة دولة الامارات وتبدو المباني الشاهقة التي ارتفعت فوق هذه الرقعة بعد أن كانت يوما قاحلة مقفرة ٠٠







كبيرين هما « لذا » و « بدو » . ولكن الثروة البترولية مالبثت ان ادت الى تغيير فى التركيب الاجتماعى لسكان الامارة فاجتذب التطور جنسيات مختلفة اخرى للعمل فى ميادين العمل المختلف ، والمشاركة فى بناء ابوظبى الحديثة الناهضة .

الزراعة قديمة وبسيطة

هل اقتصرت النهضة على البناء والتعمير فى قلب الصحراء .. ؟ والجواب لا ! فقد عاد اهل ابوظبى الى الارض يستصلحونها ويزرعونها ، فهل كانت الزراعة جديدة عليهم ؟ الواقع ان الانسان فى هذه الامارة زاول الزراعة منذ القدم، وساعدت التربة الصالحة والمياه الجوفية العذبة فى كل من العين وواحات ليوا ، على نجاح هذه الزراعة ، التى كانت تشكل العمود الفقرى للاقتصاد الوطنى فى ابو ظبى قبل اكتشاف الذهب الاسود ، فقد كانت الزراعة هى الاصل اذن ، كما كانت فى كل مكان قامت فيه حياة !

من اجل ذلك كله ، كانت الزراعة موضع اهتمام الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الامارات ، حين كان حاكما لمدينة العين ، فعمل على ازدهارها وتطويرها ضمن حدود الامكانيات المتاحة والمتوفرة التى كانت فى غالبيتها بدائية وبسيطة .

وانتشرت اشجار « النخيل » فى الامارة الى جانب اصناف اخرى من الخضراوات والاشجار والفواكه ، اما ادوات الزراعة فكانت ايضا بسيطة كالفؤوس والمحاريث التى يجرها الثيران . أما طرق الرى فكانت تعتمد فى معظمها على مياه الافلاج بالاضافة الى بعض الآبار التى كان يحفرها الاهالى .

وتطورت الزراعة

وانطلاقا من اهمية الغذاء للانسان زاد اهتمام ابوظبى «بالذهب الاخضر» الى جانب ماجادت به الارض من « ذهب اسود » سوف ينضب لا محالة ، فبدأت الزراعة تعتمد على الطرق الحديثة بعد دخول الآلات والتقنية الحديثة والايدى الفنية المتخصصة، واعتمدت الاساليب العلمية لتطوير الزراعة وتوسيعها بادخال زراعات جديدة تلائم ظروف المنطقة المناخية ، وتحسين الانواع الموجودة ،



ميناء زايد ، زود بكل التجهيزات الحديثة واستقبل خلال النصف الاول من العام المنصرم ما مجموعه ٤٥٢ر٥٢١ طنا من البضائع المختلفة ..

للحصول على انتاج افضل من حيث الجودة والكمية.

واخذت وزارة الزراعة تعمل على تنفيذ برامج التنمية الزراعية واضعة امامها ثلاثة اهداف لتحقيقها هي: زيادة الرقعة الزراعية وتطوير وزيادة الانتاج افقيا ورأسيا وادخال اساليب الزراعة الحديثة المتطورة .

وحتى يتم بلوغ هذه الاهداف ، اقيم عدد من المحطات للتجارب الزراعية .

محطة الابحاث والتجارب الزراعية

ففي عام ١٩٦٨م ، وعلى مساحة مقدارها ٨٠٠ دونم ، قامت هذه المحطة بادخال اصناف جديدة من الخضراوات والغلال واشجار الفاكهة ، واجريت تحسينات على اصناف اخرى معروفة ، وتتولى المحطة غرس الشتلات وتطويرها وبالتالي توزيع الجيد منها على مزارع المنطقة وكذلك اجراء التجارب لمعرفة انسب المواعيد ، ثم تنفيذ مشروع الري بالتنقيط والري بالرش على مساحة ٥٠ هكتارا ، ووصل انتاج الدونم الواحد بالمحطة من بعض انواع الطماطم سبعة اطنان ، كما نجحت زراعة البطاطس واعطت انتاجا مقداره ثلاثة أطنان للدونم الواحد .

مراكز الارشاد الزراعي

ونتيجة للتوسع الزراعي ، اقيمت عدة مراكز للارشاد الزراعي في كل من القطارة ، وسيح ابن عمار وابوسمره والعين وسيح سويحان ، وهذه المراكز تتولى تقديم الخبرات الفنية التي توصلت اليها محطات الابحاث ، وتعميمها على المزارعين .

وثبت من خلال التجارب امكانية نجاح زراعة القمح ، وقامت دائرة الزراعة على سبيل التجربة بزراعة مساحة ٣٠٠ دونم بالقمح لمعرفة مدى الانتاج من الناحية الاقتصادية ، وزرعت اصنافا محلية وعمانية واردنية ، وكلها تجارب تبشر بالخير لنمو القمح الممتاز ، وعلى هذا تقرر تخصيص مساحة ٣٠٠٠ دونم لزراعتها قمحا .

مركز السعديات

قمنا بزيارة جزيرة السعديات ، التي اختيرت كمركز للابحاث الزراعية في الاراضي القاحلة ، وقابلنا مدير المركز الذي روى لنا نشأة المشروع فقال : تعود فكرة قيام هذا المشروع الى عام ١٩٦٨م عندما تم الاتفاق مع جامعة اريزونا الامريكية . على استثمار الاراضي القاحلة لغير السكان في هذه المنطقة القاحلة ، وذلك عن طريق اجراء الابحاث الزراعية لتحسين الانتاج وتطويره ، باستعمال الاساليب العلمية ، لتحويل الصحارى الى مناطق اهلة بالسكان ، ويضيف السيد محمد الرميثي ، مدير المركز قائلا ، ان الهدف من المشروع هو اجراء تجارب ، واثبات أن الانسان يستطيع أن يزرع في اى مكان ، واى وقت حين تكون العوامل متوفرة ، على مدار السنة ومنها الشمس وحرارتها ، مع الاستفادة من مياه البحر،

تطور في التصدير .. والناقلات

تطور معدل التصدير اليومي للنفط في ابو ظبي من ١٤٫٨٢٨ برميلا عام ١٩٦٢ الى ١٫٤٠١٫٩٢٣ عام ١٩٧٤ ، وكان معدل التصدير اليومي خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٥ يبلغ ١٫٢٢١٫٦٣٨ برميل .

ومن جانب اخر تطور عدد ناقلات البترول من ٢٢ ناقلة عام ١٩٦٢م الى ٩٣٧ عام ١٩٧٤م ، وتطور معدل حمولتها منحوالي ٣٢ مليون طن طولي اليحوالي ٧٣ مليون طنا عام ١٩٧٣م.

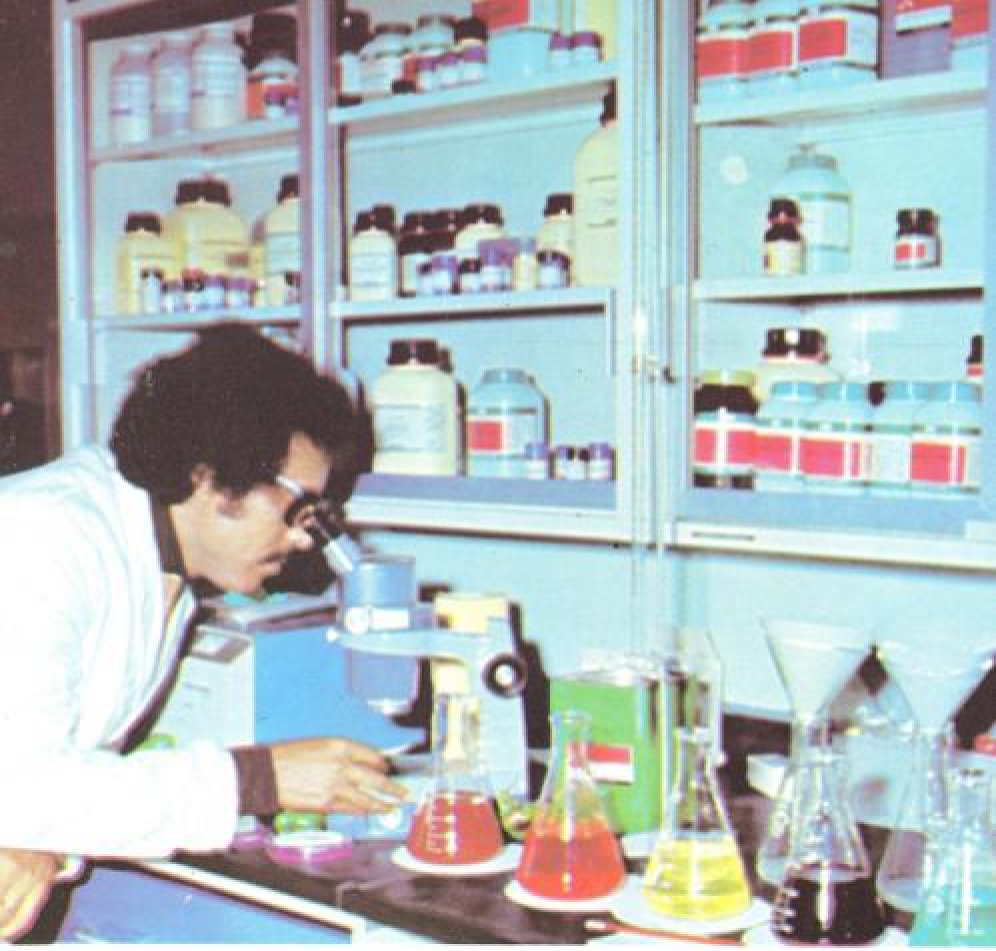
هذه الزيادة في الصادرات ادت الى زيادة عائدات ابو ظبي من النفط الخام من ٧٠٥٫٦٥٦ جنيها استرلينيا عام ١٩٦٢م الى ٣٧٥٫٦٢٥٫٦٧٨ جنيها استرلينيا عام ١٩٧٣م . وقد ادى ذلك الى الارتفاع بالمستوى المعيشي للسكان اذ قدرت الاحصائيات ان معدل الدخل السنوي للمواطن في دولة الامارات المتحدة يفوق دخل اى مواطن في العالم ..



مع كل صباح ،يبدأ العمال فى جمع محصول السعديات
من الطماطم ·· استعدادا لارساله الى السوقالمحلية·



ابناء ابو ظبى ·· وقد
سعدوا بانتاج بلادهممن
الخيار الذىينتجه مركز
السعديات ·· طوال
فصول السنة ··



في مركز السعديات ، مختبر لمعرفة الاصناف الجيدة ٠٠ هنا
المهندس الزراعي محمد عفيفي، يفحص بعض انواع المحاليل٠



مشهد داخلي لجانب من
مركز السعديات حيث
الزراعة بدون تربة ،
ويبدو احد المزارعين
خلال عمله اليومي٠

وتبلغ مساحة الارض المقام عليها المشروع خمسة افدنة ، منها فدان واحد للتجارب ، والافدنة الاخرى يطرح انتاجها في السوق التابع للبلدية ٠

وهذا المشروع ، ينقسم الى ثلاثة اقسام ٠ الاول للتجارب والثاني للاشراف والثالث للانتاج ، أما العائد من انتاج المشروع فيغطي تكاليف الانتاج، لكن هذهالتكاليف لا تغطي تكاليف المشروع بشكل عام ، رغم ان الانتاج لا يقل عن ٤٠٠ طن سنويا من الخضراوات ٠

واثبتت التجارب التياجريت فيمركز السعديات، كما يقول مدير المشروع ، ان الاهداف التي كانت الامارة تتطلع اليها قد تحققت ، وانه بامكان ابو ظبي ان تزرع في اي مكان تريد من اراضي الامارة وفي اي وقت على مدار السنة ، ونتيجة لذلك سوف يعمم هذا المشروع في كافة انحاء الامارات العربية ٠

توفير الغذاء

وحدثنا مدير المشروع أيضا عن مساهمة المركز بالغذاء للسكان في ابو ظبي فقال ، ان السعديات تساهم في توفير الخضراوات للمواطنين باسعار معقولة ، حيث يزرع الخيار والفلفل والطماطم ، بعد أن ثبت ان هذه الاصناف تسدد تكاليفها ، فالخيار يعطي انتاجا لمدة ثلاثة شهور ، والطماطم تنتج لمدة خمسة شهور ، وقد لوحظ أن الارض تصلح لزراعتها لمدةسنتين او ثلاث متصلةباستثناء شهرين في الصيف ٠ وانتاج المشروع اليومي ثلاثة أرباع الطن من الطماطم ، ومثله من الخيار و ٢٥٠ كيلو جراما من الفلفل ٠

مختبر للتجارب على الاصناف

وحدثنا المهندس الزراعي محمد عفيف ، عن



انتاج السعديات ٠٠ من الطماطم والخيار ، تحمله المراكب كل يوم ٠٠ الى اسواق المدينة ٠٠ ويبدو في الصورة عدد من العمال يقومون بانزال النتاج من المراكب الى السيارة لتتجه به الى الاسواق ٠



في مدينة العين اكثر من ٣٠ مدرسة لكل مراحل التعليم العام ، تضم ٧٥٠٠ طالب وطالبة ٠٠ الصورة لطالبات مدرسة الزهراء الابتدائية ،يؤدين بعض الرقصات الرياضية ٠

مهمة مختبر التجارب الموجود في مركز السعديات ـ فقال : انها تنحصر في تحليل التربة والماء والنبات، لمعرفة مدى صلاحياتها للزراعة ، ولمعرفة نقص العناصر الغذائية والامراض في اوراق النبات ، وكذلك دراسة نسبة الاملاح المتراكمة في التربة، بالاضافة الى كمية العناصر الغذائية الموجودة بالمحلول المغذي للنبات ، ومعرفة انواع الآفات المؤثرة على نمو الخضراوات ومقاومتها ، ويقدم المختبر المساعدات اللازمة للمزارعين سواء فيما يتعلق بالارشاد والتوجيه او امدادهم بما يحتاجونه من حلول لمشاكلهم الزراعية ٠

والاتصال بين مدينة ابو ظبي ومركز السعديات منتظم يوميا ، لوجود سفن بخارية تحمل الزوار باسعار زهيدة، كذلك توجد انواع اخرى من السفن لحمل الانتاج اليومي الذي يأتي من السعديات الى الاسواق المحلية ٠

العين ٠٠ مصيف ابو ظبي

واتجهنا الى مدينة العين السياحية ، ذات الوجه الاخضر وهي مصيف اهالي ابو ظبي ٠٠ وتقع في قلب المنطقة الشرقية، وتبعد عن العاصمة ابو ظبي حوالي ١٦٠ كيلو مترا ، والعين كما رأيناها تعيش في حركة تطور زراعية وعمرانية وسياحية، وتتبعها في ذلك مجموعة من الضواحي هي : المعترض ، المويجعي ، الجيمي ، القطارة وهيلي ٠ وقد ارتبط اسم هذه المدينة باسم رئيس الدولة الذي اهتم بها ، خلال توليه حكم هذه المنطقة ، ونظرا لكثرة اشجارها فقد كانت تجمع معظم السكان خلال الصيف هربا من رطوبة الجو الزائدة في مدينة ابو ظبي ٠

حضارة تاريخية

ونحدثك عن هذه « العين » ٠٠ أو منطقة العين



لايزال رجال البادية في
العين يعتمدون على الابل
وسيلة للمواصلات
(الصورة الى اليسار)
.. رغم توفر وسائل
المواصلات الحديثة
(والى اسفل) ..
طفلة وقفت تداعب غزالا
داخل حديقة منزلها ..





جزيرة ام النار فى
ابو ظبى — حيث
مصفاة تكريرالنفط
التى تعمل بها ايد
وطنية وعربية ..
الصورة الى اعلى

يحتل النخيل مساحة
شاسعة فى مدينة
العين ..حتى وصلت
الى منازل البدو
بجانب الاعشاب
(الصور اليمنى)





شارع فى مدينة العين ٠٠ ويبدو فيه مدخل مت

السياحية المزدحمة بالمصطافين ٠٠ انها مدينة تاريخية قديمة ، يدل على ذلك وجود حضارة فوق ارضها تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، ويعتقد ان الانسان الاول كان يقيم فوقها فى الكهوف الموجودة على سفح مرتفع يسمى اليوم « بديع بنت سعود » كما ان المدينة مليئة بالآثار ولا يزال التنقيب فى عدد من المواقع الاثرية جاريا للبحث فى اعماق التاريخ القديم لهذه المدينة ٠

ومنذ القدم ايضا، اشتغل سكان العين بالزراعة فنجحت زراعة النخيل وبعض الاشجار الحمضية كالليمون والترنج والمانجو ، بالاضافة الى زراعة انواع متعددة من الغضر والبقول والحبوب ولا سيما الحنطة ، وكانت الزراعة قديما بسيطة وبدائية اعتمدت على الانسان والحيوان ، أما الرى فقد اعتمد على الافلاج السبعة المنتشرة فى انحاء المنطقة وعلى الابار الموجودة بالمدينة وضواحيها وتقدر بحوالى ٢٥٠٠ بئر ماء ٠

تطور الزراعة فى العين

لقد دخلت المدينة مرحلة التطور الحديث فى شتى الميادين ، ونالت جانبا من هذا التطور ، فادخلت الآلات الحديثة ، واجريت التجارب لاختيار اصناف جديدة لادخالها فى الزراعة والاستفادة من محاصيلها ، وانشئت شركة زراعية فرنسية لانتاج الغضر وتسويقها محليا ، وسوف يبدأ انتاجها فى الربيع القادم ، ويقدر بنحو مليونى كيلو جرام من الغضراوات سنويا ٠ كما انشئت محطة للابحاث والتجارب الزراعية ، واستطاعت ان تاخذ بيد المزارع لتحسين الزراعة وتطوير انتاجها نوعا وكما ٠٠

ويحيط بمدينة العين نحو ٢٠ الف دونم من

هيلتون العين ٠٠ الفندق الوحيد فى مدينة يؤمها كل من يزور ابو ظبى ٠٠



فيها نشاطهم الزراعي بدعم مالي وارشاد وتوجيه من الحكومة.هذا الى جانب المزارع الحكومية ومزارع الارشاد ثم الحزام الاخضر الذى يحيط بالمدينة ، كانه غابات متصلة ٠

ويؤكد مخطط المدينة.ان مستقبلا قريبا ينتظرها بالخير ، ويولي مجلس بلدية المدينة ودائرة البلدية المشاريع السياحية والتجميلية عناية خاصة ٠ اذ سيقام « تلفريك » بين عين الفايضة وقمة جبل حفيت ، كما سيفتتح مطعم وفندق فوق قمة الجبل ومراكز للتدريب على ركوب الخيل وشاليهات فى المناطق المشجرة ٠

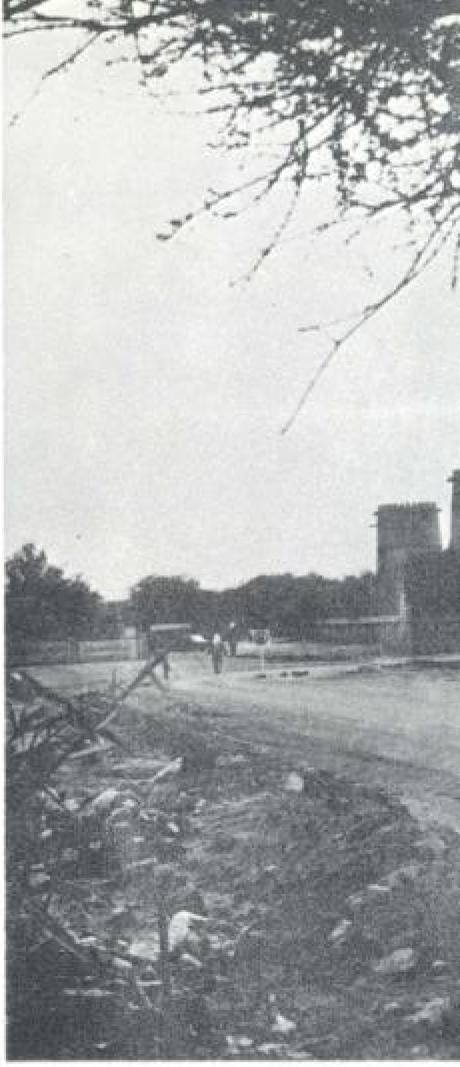
ان هذه المدينة الجميلة سوف تحتل قريبا مكانها السياحى الذى يليق بها ، فهى مشتى تتوفر فيها كل مستلزمات المشاتى السياحية ، وهى مصيف عندما تجد يد الاصلاح لايجاد ما يمكن ان تستفيد منه المدينة فى مصايفها ، والسائح خلال اقامته فيها ٠

ومن أهم العوامل فى زيادة الانتاج الزراعى ، مكافحة الآفات الزراعية التى تتعرض لها المحاصيل الزراعية، ولذلك اهتمت دائرة الزراعةفي أبوظبي باجراء الدراسات والتجارب العلمية لمعرفة دورة حياة هذه الآفات الزراعية ووضع افضل الوسائل للقضاء عليها ، وتوجد خمسة مراكز للمكافحة تقوم بحوالي ٥٥٠٠ عملية خلال العام الواحد ٠٠

٠٠ وعودة الى البترول

لقد قامت شركة تطوير البترول « الساحل المتهادن » عام ١٩٣٩م بمحاولات التنقيب عقب حصولها على امتياز مدته ٧٥ عاما ، واتسع نطاق التنقيب فى الامارة حتى بلغ « البريمى » فى الشرق والمنطقة التى تجاور « سبخة مطى » فى الغرب ٠

وفى عام ١٩٥٣م انشئت شركة مناطق ابو ظبى البحرية المعروفة ب « ادما » ، وحصلت على حق التنقيب فى مياه الامارة الواقعة خارج المياه



... الذى خرجت منه القلاع والاشجار ٠٠

الاراضى الرملية زرعت كلها بالاشجار حتى لتبدو امام الزائر غابة واسعة تستفيد منها المدينة اقتصاديا وجماليا وتحافظ على البيئة الطبيعية ٠

٦٥٠ مزرعة فى العين

ومما يستوقف الزائر لمدينة العين ، تلك المزارع الممتدة على مدى البصر ، رغم البيئة الصحراوية الجبلية الرملية التى تحيط بالمدينة ، وتبلغ هذه المزارع نحو ٦٥٠ مزرعة يملكها الاهالى ويزاولون



تختلف شعوب الارض في كيفية التقبيل ٠٠وفي ابو ظبي تستخدم « الانوف في التقبيل » بدلا من الافواه ٠٠ (الصورة الى اليسار)

والى اسفل ، تبدو فتاة ابوظبي «حصة الغالدي » وقد حملت بيدها ٠٠ دلة القهوة والفنجان ٠٠ وامامها « المبخر والمرش » اما خلفها فظهرت مكتبة عامرة بالكتب في علوم مختلفة ٠





جمعت هذه الفتاة بين القديم فى ملابسها الوطنية ، وبين الحديث في آلةالاكورديون ،انها التقاليد التى لا يمكن نسيانها رغم كل تطور•• **الصورة الى اعلى • والي اسفل** يبدو هذا الحارس الذى ظل يحرس قلعة العين بجانب هذا المدفع لفترة تزيد على الاربعين عاما •





فى هذا الميناء الصغير ·· تتجمع المراكب والسيارات لتفريغ وشحن انتاج مركز السعديات ··

الاقليمية ، وانتقلت شركة تطوير بترول الساحل المتهادن عام ١٩٥٩ الى منطقة « طريف » فى الجنوب الغربى من جزيرة ابو ظبى حيث اكتشف حقل « مريان » ·

وانتجت شركة البترول العاملة فى ابو ظبى ٢١٧ر٨٠٩ر٠٥١ برميلا فى الستة شهور الاولى من عام ١٩٧٥ مقابل ١٧١ر٧٥٤ر٦٠٤ برميلا ، انتجتها فى الفترة ذاتها فى عام ١٩٧٤ ، وقد نتجت نسبة الخفض فى الانتاج وهى ١٩ر٩٪ بسبب خفض انتاج شركة نفط ابو ظبى (اليابان) بنسبة ٢٣ر٠٣٪ وشركة توتال ابو البكوش بنسبة ١٤ر٨٢٪ ··

مصفاة للتكرير

قمنا بزيارة مصفاة تكرير النفط فى جزيرة ام النار ، التى تحتل مساحة كيلو متر مربع ، جهزت بكل ما يلزمها لاداء مهمتها ، وتضم المصفاة محطة لتحلية المياه تنتج يوميا ٧٥٠٠ جالون فى الساعة، ثم مولدات للبخار ومحطتين لتوليد الكهرباء ، ووحدة لضغط الهواء تتالف من ثلاث ضاغطات رئيسية لتزويد المصفاة بهواء الآلات الدقيقة اللازمة لها ، ثم وحدات التكرير التى تتكون من اربع وحدات رئيسية هى وحدة الزيت الخام ، ثم وحدة المعالجة بالايدروجين ووحدة تحسين البنزين واخرى للغاز ·

وهناك خزانات لخزن مختلف منتجات المصفاة من زيت وقود وديزل ، ويتبع المصفاة غرفة مراقبة مركزية ، تعمل على احدث طراز تكنولوجى واخرى لمراقبة وحدات التكرير ، بالاضافة الى اجهزة الصيانة اللازمة ، والصناعات الاخرى كالحدادة والنجارة وهى اقسام مزودة بالايدى المحلية المدربة·

وتعتمد مصفاة ام النار ، فى تزويدها بالزيت الغام على موقع « حبشان » ــ وهو حقل بترولى منتج بواسطة خط انابيب قطره ٨ بوصات ، كما ان المصفاة تعتمد فى مائها على البحر القريب منها ، اذ يضخ ماؤه بمضخات خاصة توصله الى المصفاة لتحليته ·

وتضم المصفاة فوق ذلك اقساما للادارة واخرى للمختبر الذى يقوم باجراء كافة التحاليل على منتجات الماء وكذلك النفط لمطابقتها على المواصفات المتعارف عليها ، وزودت المصفاة ايضا بمطعم للموظفين والعمال خلال ساعات العمل ، بالاضافة الى عيادة لعلاج العاملين بالمصفاة ·

سباق مع التطور

هذه لمحة عن ابو ظبى ــ امارة البترول والزراعة، التى تعيش اليوم فى سباق مع الزمن للنهوض عمرانيا وزراعيا وصناعيا ، والتى فتحت الباب للايدى العربية لتاخذ دورها فى بناء الحضارة الحديثة ، وفق احدث طراز ، ووضعت القوانين والانظمة التى تحفظ للمواطن والمقيم حياة كريمة ضمن حدود القانون ·

ان الذى نود قوله هنا ، هو الحفاظ على سلامة هذا التطور ، من المجازفة والاسراع بالتنفيذ قبل التخطيط المدروس ، وبشكل يكفل نجاح الطموح الذى تنشده وتتطلع اليه بين اشقائها فى منطقة الخليج العربى ودوله المطلة على مياهه · ■■

يوسف الشهاب

أجسام وجسوم

■ قرات في احدى مجلات « البحرين » مقالة ينقد فيها كاتبها الفاظا فيكتاب مدرسي، ويضعفها او يخطئها ، ومنها كلمة « جسوم » جمعا لجسم ، ويقول انه جمع شاذ ، وان الصواب او الاولى استعمال الجمع « اجسام » وحجته ان هذا الجمع وحده هو الذى ورد فى القرآن الكريم « واذا رايتهم تعجبك أجسامهم » .

والعجب لامثال هذا الكاتب انهم يتحذلقون ليضيقوا على الناس ما وسعته اللغة ، ولا يتعمقون ليوسعوا ما ضيقه اللغويون عن تزمت ، او ليمدوا حدوداللغة علىوفق قواعدها ليستكملوا ما ينقصها او ينقصمعاجمها فيكسبوها حياةونمواء

ولو ان صاحبنا هذا راجع معجما متوسطا لوجد فيه الجمعين مذكورين على سواء فى الفصاحة ، ثم انه لم يلتزم الامانة حين وصف « الجسوم » بانه جمع شاذ ، ولا سند له من نقل ولا قياس فى هذا الوصف الذى ابتدعه من نفسه ، ولا يعنينا هنا باعثه على بدعته .

واذا كان القرآن الكريم قد ذكر « الاجسام » دون « الجسوم » فليس هذا حجة تتخذ على صواب الاول دون الثاني او تفضيله عليه . وغاية ما فى ذلك ان الجمع « اجسام » صحيح فصيح لان كل ما ورد فى القــرآن آية لا يعلى عليها فى الصحة والفصاحة .

ولكن ليس فى وسع باحث مهما يكن مبلغه من فقه اللغة والاحاطة بمفرداتها ان يدعى ان القرآن الكريمقد استوعب كل مواد اللغة وكل تصريفاتها، ولو ادعى ذلك لاتهم في علمه بل عقله ، ولدينا عشرات من الاسماء على وزن « جسم » ورد جمعها فى الفصيحة على وزن « أفعال » وحده ، او على وزن « فعول » وحده ، او على الوزنين معا ، او على احدهما مع وزن ثالث ، ومن النوع الاخير كلمة « قرد » فانها وردت مجموعة على قرود وقردة ، ولم تذكر مجموعة على « اقراد » والقرآن الكريم لم يذكر الا الجمع « قردة » ثلاث مرات ، دون ذكر « قرود » ، مع انها فصيحة ، ولم يقل لغوى انها خطا او انها الاولى او انها شاذة كما قال صاحبنا اللغوى المبتدع الجديد .

ونسى صاحبنا حاجة الاديب احيانا الى السجع ، وللسجع جماله فى موضعه المناسب ، ومن هنا تفضل كلمة اختها لانها تحقق هذا السجع ، ونسى ايضا شيئا اهم من حاجة الاديب الى السجع ، وهو اضطرار الشاعر الى استعمال كلمة دون اختها تحقيقا لصحة الوزن والقافية او احدهما ، كما فى قول استاذنا العقاد :

ان الجسوم مثناة جوارحها
الا القلوب فصيغت وهى آحاد

او كقول عروة بن الورد ، الشاعر الجاهلي :

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء ، والماء بارد

فلو قال هنا « الاجسام » ـ وهى فصيحة ـ لاختل الوزن .

وكما فى قول شاعرنا المتنبى :

اذا غامرت فى شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم
ستبكى شجوها فرسى ومهرى
صفائح دمعها ماء الجسوم

فلو قال هنا «الاجسام» ـ وهى فصيحة، لاختل الوزن والقافية معا .

وليلاحظ ان اللغة واسعة فى تصريفاتها ، فينبغي ان لا نضيق منها ما اتسع ،ثم ان تعلمها شاق ، فينبغي أن لا نزيد مشقاتها على الناس ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

ثم لا ننسى اخيرا انه لا جناح على متكلم ان يستطرف ما يشاء من الفاظ ما دامت مفهومة سائغة ، وان لم يحوجه الى ذلك سجع، او يضطره وزن او قافية ، فبعض الالفاظ اقرب من بعض الىطبيعة المتكلم وخلائقه « والاسلوب هو الرجل » كما قال الناقد الفرنسى بوفون ، وهو ناقد صادق فى هذا القول الحكيم . ■■

(م•خ•ت)



التلكس من الاجهزة الحديثة التى تتدرب عليها الطالبات • انه جهاز الاتصال بين الشركات والمؤسسات التجارية • **والى اليسار** مكتبة المعهد وهي عامرة بالكتب والمراجع في الدراسات التجارية •

أهل الكويت تجّار بالفطرة

التجارة تصبح اليوم علماً وفناً في معاهدها

استطلاع بقلم : صادق يلى

اللغة الانجليزية مادة اساسية في منهج الدراسة ، وهنا مجموعة من طلبة المعهد في المختبر اللغوى • **والى اليسار** بعض طالبات المعهد أثناء التدريب الميدانى في البنوك والمؤسسات الحكومية، وموظفة تشرح للطالبات طريقة العمل على احدى الحاسبات الحديثة ••







■ عاشت الكويت مع البحر ٠٠ وفى مياهه بحث اهلها عن رزقهم ٠٠ فاكلوا من خير البحر٠٠ وبحثوا عن الثروة فى اعماقه ٠٠ وعلى سطح مياهه ابحرت سفنهم حاملة التجارة الى الهند وافريقيا ، كانوا اذا اهل تجارة ، ومن تجارتهم كان رزقهم الكثير ٠٠فاحبوها واجادوها وتوارثوها وعلموها اولادهم واحفادهم اجيالا بُعد اجيال ٠ وبدات عجلة الزمان تدور مع التطور الذى اعقب تدفق الخير من بطن الارض الطيبة ، فلم يكن غريبا اذا ان تهتم دائرة المعارف فى ذلك الوقت المبكر ٠٠ فى الاربعينات من هذا القرن ٠٠ بالتجارة وتدريس التجارة ، وخلق جيل جديد من التجار ورجال الاعمال ، فافتتحت اول مدرسة تجارية نظامية كانت العلوم التجارية تكوّن العناصر الرئيسية فى مناهجها ، وفى العام الدراسى ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ انشات دائرة المعارف كذلك قسما تجاريا الحقته بالمدرسة المباركية الثانوية وكان يتكون من صفين فقط ، وفى نفس العام افتتحت دراسات تجارية مسائية تقوم على تزويد التجار وموظفى المؤسسات التجارية بالوان من الثقافة التجارية العملية والنظرية ،وكانت الدراسة فيها مقسمة الىقسمين: القسم الابتدائى والقسم الثانوى ٠ اما مناهج الدراسة فقد انحصرت فى الطباعة العربية والانجليزية ومسك الدفاتر والحساب التجارى واللغة العربية واللغة الانجليزية ، ولكن جميع هذه المواد كانت تدرس فى القسمين بدون ترابط منهجى اذ انالطالب كانيختار اىعدد من الموادالتى يرغب فى دراستها دون مراعاة لاى عامل فى الاختيار ، لذلك عدل هذا النظام وافتتحت فىعام ٦٢ ـ ١٩٦٣ مدرسة تجاريةثانوية ، روعىان تكون موادها ذات صلة وثيقة بالحياة التجارية فى الكويت ٠

المعهد الجديد

ولكن حاجة الكويت الماسة الى كوادر فنية متوسطة ادت بالمسئولين الى التفكير فى افتتاح معهد تجارى ، وقد تم افتتاح هذا المعهد فى بداية العام الدراسى ١٩٧٦/٧٥ بعد اجراء دراسات تمهيدية مكثفة شارك فيها العديد من الخبراء العرب والاجانب ، كما شارك فيها سوق العمل فى الكويت ، فقد شارك فى وضع خطة الدراسة والمناهج الدراسية المعنيون فى النشاطاتالمختلفة الممثلة من القطاعين الاهلى والحكومى ، بالاضافة الى جهود المعنيين فى وزارة التربية ، وبذلك يمكن القول بان فكرة انشاء المعهد جاءت نتاج فكر مشترك من الخبراء العرب والاجانب واساتذة الجامعة وادارة التعليم الفنى فى وزارة التربية ثم ممثلى قطاعات العمل فى القطاعين الحكومى والاهلى ٠

ويضم المعهد ٧٤٦ طالبا وطالبة منهم ٣٦٩ طالبا و ٣٧٧ طالبة ، ويقبل المعهد الطلبة من الجنسين الحاصلين على شهادة الثانوية العامة بقسميها العلمى والادبى ، كما يقبل المعهدالطلبة الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية التجارية والطالبات الحاصلات على شهادةالثانوية الفنية للبنات ، ومدة الدراسة فى المعهد التجارى سنتان دراسيتان مقسمتان على اربعة فصول دراسية ، يحصل الطالب بعد تخرجه على شهادة دبلوم العلوم التجارية التطبيقية ٠

ويهدف المعهد الىاعداد الكوادر الفنية المتوسطة فى المجالات الادارية والتجارية والمالية فى كلمن القطاعين الاهلى والحكومى ، وذلك بتاهيل

مجموعة من طلبة المعهد يصغون فى اهتمام الى شرح احد الاساتذة لطريقة عمل جهاز الكمبيوتر او الحاسب الالكترونى ٠



خريجيه علميا وعمليا لممارسة الاعمال التنفيذية الفنية فى المجالات الاربعة التالية :

اقسام المعهد

أ ـ قسم المحاسبة : ويعد الطالب لان يقوم بمهام مساعد محاسب •

ب ـ قسم الادارة والسكرتارية : ويعد الطالب لتولى المناصب الفنية والادارية بكفاية فى مجالات اعمال السكرتارية •

جـ ـ قسم التامين والبنوك : ويعد الطالب للوظائف المصرفية والتامينية المختلفة التى يقوم بها المساعدون فى هذه المجالات •

د ـ قسم الكمبيوتر ويعد الطالب للاعمال التى يقوم بها مساعد معد البرامج للحاسب الآلى •

وتسير الدراسة فى هذا المعهد على نظام المقررات الدراسية الاختيارية التى تقوم على تعيين عدد الوحدات الدراسية والتى لابد من اكمالها والنجاح فيها شرطا للتخرج • ويبلغ عددها لكل قسم من اقسام المعهد ٦٠ وحدة دراسية، وللطالب او الطالبة بعد الرجوع الى المرشد العلمى اختيار المقررات التى يرغب فى دراستها فى كل فصل دراسى حسب تقديره لحاجته اليها ، واستعداده لها •

ومن أهم المزايا التى ينفرد بها هذا المعهد أن نظام الدراسة وخطتها بالمعهد اخذا باهم قواعد الفكر التربوى الحديث ، فهذا النظام يراعى الفروق الفردية فى القدرات والميول والاهتمامات سواء بين الطلبة أو الطالبات وذلك باعطاء الطالب الحق فى اختيار الوحدات التى تتفق مع ميوله واهتماماته ، أما الميزه الثانية فهى عدم الاخذ بنظام الامتحان التقليدى ، فالمعهد يطبق نظام التقييم المستمر ، اى أن الطالب او الطالبة يقدم امتحانات على مدار الفصل الدراسى ، ويخصص لذلك ٥٠٪ من الدرجة العظمى و٥٠ ٪ تخصص لامتحانات نهاية العام الدراسى •

أسلوب التدريس

ويتبنى المعهد أحدث الاساليب فى التدريس



مدير المعهد التجارى عبدالحميد صالح بسام قال : « ان اشراك قطاعات الانتاج فى المجتمع فى العمل التربوى من أهم معالم الفكر التربوى المتقدم •

ويستخدم التكنولوجيا فى التعليم باعتباره معهدا تطبيقيا حديثا ، كما حرصت الدولة ان لا تدخر جهدا فى سبيل توفير كل مستلزمات العلم الحديث حيث يساهم العنصر الآلى مساهمة فعالة فى تحقيق التطور المنشود ، لذلك نجد أن كلا من فرعى المعهد للبنين وللبنات مزود بالامكانات المادية الحديثة التالية :

أ ـ اربعة مختبرات للتدريب المكتبى موزعة توزيعا وظيفيا ، فتشمل الآلات الحاسبة والآلات

احد موظفى البنك يشرح للطالبات طريقة عمل جهاز المحاسبة وكيفية تسجيل المبالغ المدفوعة وارصدة الزبائن وطريقة استخراج ارصدة وحسابات الزبائن آليا فى دقائق معدودة •





الى اليمين جهاز لتصوير المستندات
تتدرب عليه طالبات المعهد ٠

الى اليسار حرص المسؤولون في وزارة التربية على تزويد المعهد باحدث الاجهزة العلمية الحديثة وفي الصورة طالبات المعهد في درس عملي على جهاز للاستنساخ ٠



مجموعة من طالبات المعهد في درس عملي على الآلة الكاتبة



زود المعهد باحدث آلات التصوير والسحب والاستنساخ وفي الصورة مجموعة من طلبة المعهد في مختبر التدريب المكتبي يتدربون على هذه الآلات ٠ ان المعهد قام اساسا على الناحية التطبيقية



تصوير : فهد الكوح

الكتابة على الآلة الكاتبة احدى المواد الاساسيةفي قسم الادارة والسكرتارية وفي الصورة مجموعة من الطالبات في درس على الآلة الكاتبة •





طالبات المعهد فى جولة بقسم الاوراق النقدية البنكنوت والمسكوكات بالبنك التجارى .

المحاسبية والات السحب والات التصوير والات الميكروفلم والات البريد ومعدات الحفظ والتصنيف الحديثة بالاضافة الى دائرة هاتفية مغلقة للتدريب .

ب ـ جهاز للتلكس يتدرب الطلاب والطالبات على استخدامه بكفاية .

ج ـ مختبر الكمبيوتر .

د ـ مختبر لغوى وذلك لاهمية اللغة الانجليزية كمادة اساسية للطلاب على مدى الفصول الدراسية الاربعة .

هـ ـ مكتبة تحوى احدث المراجع التخصصية فى مجالات الدراسة فى المعهد .

التدريب الميداني

وبالاضافة الى دراسة الوحدات الذى اشرنا اليها الدراسة نظرية وتطبيقية ، يشترط لتخرج الطالب او الطالبة اجتياز التدريب الميداني بنجاح ، حيث يتم هذا التدريب ميدانيا فى مؤسسات القطاع الاهلى والحكومى بحسب تخصص الطالب او الطالبة ، ولمدة اربعة اسابيع عقب نهاية الفصل الدراسى الثانى ، وقد تم فعلا وضع خطة للتدريب الميدانى لاستيفاء اماكن التدريب ، وتم الاتصال بالجهات المعنية التى تعاونت فى هذا السبيل تعاونا وثيقا ومخلصا وبناء .

ويهدف التدريب الميداني الى تعلم المهارات وعادات العمل والاتجاهات في بيئة العمل ، وهي بيئة مرتبطة بمجال التخصص الدراسي للطالب او الطالبة بالمعهد كما تثير فيه حب الاستطلاع وتحفزه للتعلم حين يعود للدراسة بالمعهد في الفصل الدراسي الذى يلي التدريب الميداني ، وكل ذلك مما يزيده معرفة بالرد على اى تساؤلات واستفسارات يثيرها لديه التدريب الميداني .

أما الهدف من التدريب الميداني من وجهة نظر الاستاذ المشرف فهو تقويم الطالب والطالبة وفق معايير محددة تحقق العدالة ، ثم التعرف على الشروط المطلوبة في خريجي المعهد من جانب جهات التدريب الميداني ، والعمل على تحقيقها عن طريق تعديل اساليب التدريس بالمعهد . اما هدف التدريب الميداني من وجهة نظر المؤسسات والبنوك ـ فهو التعاون مع المعهد في مجال مزج الدراسة النظرية بالتطبيق العملى لها ، ثم التعرف على مستوى طلبة المعهد من ناحية الثقافة العامة والمعرفة المهنية المتخصصة والمهارات

ويختص كل قسم من الاقسام الاربعة التي يضمها المعهد بالمقررات التالية :

قسم المحاسبة : ١٥ مقررا تاسيسيا + ٧ تخصصات اجبارية + ١ تخصص اختيارى + ١ اختيار حر = ٢٤ مقررا = ٦٠ وحدة .

قسم الادارة والسكرتارية : ١٠ مقررات تاسيسية + ١٩ تخصصا اجباريا = ٢٩ مقررا = ٦٠ وحدة

قسم التامين والبنوك : ١٧ مقررا تاسيسيا + ٦ تخصصات اجبارية + ١ تخصص اختيارى = ٢٤ مقررا = ٦٠ وحدة

قسم الكمبيوتر : ١٥ مقررا تاسيسا + ٦ تخصصات اجبارية + ١ تخصص اختيارى + ١ اختيار حر = ٢٣ مقررا = ٦٠ وحدة .

العملية والسلوك المناسب لبيئةالعمل واتجاهاتهم وتطلعاتهم الوظيفية ،علىاعتبار ان هذه المؤسسات وتلك البنوك هى التى توظف خريجى المعهد فيما بعد .

وهناك قطاعات عديدة تستقبل الطلبة والطالبات للتدريب ميدانيا منها القطاع الحكومى ويتمثل فى وزارات الدولة المختلفة ، ثم المؤسسات الحكومية مثل ديوان الموظفين ومجلس التخطيط وبلدية الكويت والادارة العامة لمنطقة الشعيبة .

وهناك قطاع الاعمال الاهلى ، ويشمل شركات التامين والبنوك والشركات المساهمة الكويتية والشركات المساهمة المقفلة التى تعمل فى مجال الصناعات الاستخراجية وشركات الخدمات ، ثم الشركات المساهمة التى تعمل فى مجال الاستثمار، واخيرا المؤسسات وشركات الاشخاص فى مجال النشاط التجارى .

.. وحديث مع المسئولين

واسهاما من وزارة التربية فى انجاح التدريب الميدانى قام الاستاذ يعقوب الغنيم وكيل وزارة التربية بدعوة السادة المديرين ومسؤولى التدريب فى القطاع الحكومى والاهلى لحفل تعارف فى يوم الاربعاء ٧٦/٥/١٩ بالمعهد التجارى ، وكان لقاء مثمرا وفعالا ، وبادرة طيبة واستجابة مشكورة من المعنيين فى القطاعين الاهلى والحكومى نحو الالتحام والاندماج والمشاركة فى تحقيق اهداف المعهد ، وفى هذا الحفل تمت مناقشات بين هيئة التدريس فى المعهد والمعنيين فى كل تخصص من تخصصات المعهد ، وكان الحوار هادفا وايجابيا لما شعر به الجميع من تعاون ومشاركة فى الفكرة والتنفيذ والمسؤولية ، وان كل فكرة سليمة وكل رأى صحيح يجد الطريق الى التنفيذ المباشر السريع .

وفى هذا اللقاء رحب مدير المعهد الاستاذ عبد الحميد صالح بسام بالمدعوين لما لمسه من تعاونهم منذ البداية وقال : « لقد اسهمتم فى اعداد الخطة الدراسيةللمعهد اسهاما جادا وفعالا،



مدير البنك التجارى الكويتى يوضح للطالبات اللائى يتدربن فى البنك حاجة البنوك فى الكويت الى مؤهلاتهن،انه يشجعهن علىالعمل فى المصارف بعد التخرج .

ايمانا منكم بحاجة المجتمع الملحة الى كوادر فنية وسطى متخصصة فى مجالات الادارة والسكرتارية والمحاسبة والبنوكوالتامين والكمبيوتر ،وهىكوادر ضرورية لتسيير الاعمال بالكفاية المنشودة ودفعا لطموحات الكويت الفنية فى دعم اقتصادها وزيادة رفاهية مواطنيها ، فانتم اليوم تسهمون فى تدريب طلاب المعهد وطالباته ميدانيا تنفيذا لاحد مكونات خطة الدراسة التىتعنى بالجانب العملىالتطبيقى كما تعنى بالجانبالنظرى، كما انكم سوفتسهمون باقتراحاتكم فى تقويم هذه الخطة وتطويرها مسايرة لاحدث الاساليب العلمية والفنية التى تتفق وطبيعة الاعمال ونوعيتها وحجمها استهدافا لتحقيق اقل تكلفة ممكنة واعلى مستوى للاداء ، واسرع وايسر انجاز » .

واضاف الاستاذ عبد الحميد بسام قائلا : «اننا نطمع دائما ان يتكرر اللقاء وان يستمر الحوار ، والمعهد يسره ان يحظى بتوجيهاتكم ومشورتكم التى سوف تجد كل استجابة ورضا وتنفيذ حتى يمكن ان يسير دوما على الطريق السليم » .

■■

« صادق يلى »

"٢"

ابن بطوطة

رحالة الاسلام

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

صورة من نفس المخطوط تمثل لنا جنودا ينفخون في الابواق ايذانا بنهاية شهر رمضان . هذا المشهد وتلك الطريقة في الاحتفال بنهاية الشهر الفضيل يترددان في اوصاف ابن بطوطة في رحلته





نموذج من الفن التصـــويري عند العرب تذكرنا بالكثير من المشاهد التي يصفها ابن بطوطة في رحلته • الصورة لمشهد من مشاهد احدى مقامات أبي القاسم الحريري (٤٤٦ ـ٥١٦/١١٥٤ـ ١٢٢٢) والمخطوط يرجع الى القرن الثالث عشر ، والمشهد يصور جمالا تسير في الطريق ومحتسبا يحقق مع بائع غشاش ونساء يثرثرن في نافذة وتفاصيل اخرى من الحياة اليومية في بغداد ، المخطوط موجود في المكتبة الاهلية في باريس • رقم ٥٨٤٧ مخطوطات عربية •

انه يعيش بين جماهير الناس • انه جوال آفاق يرحل مع القوافل وينزل في الزوايا ويزور أهل العلم ويتبرك بالاولياء ويجتمع بالصوفية ويقضي ايامه مع أهل الاسواق ••

■ هنا نرى صورة عالم اسلامي مستقر آمن وسعيد الى حد ما وفي تلك العصور ـ وربما في كل العصور ـ يمكن للانسان أن يامن شرور الحكام وغدرات السياسة اذا ابتعد عن الحكام وصرف نظره عن مطامع السياسة واهلها وما تجره هذه المطامع من ويلات •

فان غالبية حكام تلك العصور كانوا غاصبين ظالمين ، لان فكرة شرعية الحكم كانت قد تلاشت من قاموس السياسة في ذلك القرن الرابع عشر والذي قبله وستظل كذلك حتى نهاية العصور الوسطى •

حقا كان ذلك العصر دول اسلامية كبرى تمتد من الهند الى ساحل الاطلسي ، ولكنها كانت دولا عسكرية ، كل رؤسائها من رجال الحرب الذين وصلوا الى السلطان بالعنف والغصب : ففي الهند كانت تحكم دولة الغلجيين ثم دولة آل تغلق ، وهما أسرتان جليلتان شاركتا في بناء صرح الهند الاسلامية واخرجتا امراء وفاتحين عظاما ، ولكن هؤلاء الامراء جميعا كانوا غاصبين، ولم يكونوا يترددون في اللجوء الى وسائل الغدر والخيانة والعنف في الوصول الى السلطان او في البقاء فيه ، وفي ايران كان ايلخانات المغول يحكمون بالعنف كذلك • اما دولة المماليك البرجية فامرها معروف لنا ،وبعد السلطان الناصر محمد بن قلاوون لم تعرف مصر والشام الا الدماء سبيلا الى العرش ، ومثل ذلك يقال عن دولة الحفصيين في تونس والمغرب الاوسط ودولة بني زيان في تلمسان وغربي المغرب الاوسط ثم دولة بني مرين في المغرب الاقصى •

دول وسلطنات يجاور بعضها بعضا ، ويحارب بعضها بعضا تتكون منها رقعة عالم الاسلام • كلها متقاربة من حيث قوتها العسكرية وبناؤها السياسي ، ولكن امراءها ـ اذا قسناهم بمقياسنا اليوم لم يكونوا غير سفاحين آثمين •

ولكن قسوة هؤلاء جميعا كانت تقع على خصومهم السياسيين ، وعلى تلك الطوائف من الناس التي يحلو لها أن تجري وراء السلاطين لتشاركهم الظلم والنهب ، فيصلوا الى القوة والجاه والثراء حينا ، ثم تنتهي حياتهم على صورة محزنة على ايدي سادتهم وشركائهم في الجريمة وهم السلاطين ••

اما بقية الناس من عباد الله العقلاء الافاضل الذين تتكون منهم كتلة شعوب البلاد الاسلامية فكانوا في مامن من الظلم والعسف الى حد كبير، وفي تلك العصور كنت تستطيع ان تامن اذا تركت السياسة لاهلها وزهدت في السلطان والجاه وقنعت بحياتك العادية متواضعة أو غير متواضعة•

وهذه البقية من الناس العقلاء كانت كتلة الجماعة الاسلامية الممتدة من الاطلسي الى بلاد جاوة ـ وهي اندونيسيا ـ وتغمر تلك المساحة الشاسعة التي قطعها ابن بطوطة متنقلا في أمن نسبي •

روابط انسانية وحضارية

فهذه الجماعة الاسلامية كانت تعيش بعيدا عن السياسة غير معترفة بالحدود السياسية التي وضعها رؤساء الدول بين اجزاء وطنها الاسلامي الواسع • وفي حدود وطنها الواحد هذا ، أقامت روابط انسانية وحضارية اقوى بكثير مما اقامته الدول من نظم سياسية واهية •

وفي كل مكان التفت الجماعة حول زعمائها وقادتها الحقيقيين الذين خرجوا من صميمها : العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والصوفية والتجار واهل الحرف •

هذه الجماعة نظمت نفسها تنظيما اجتماعيا عفويا نبع من الاسلام ومبادئه التي تجعل من افراد

امة الاسلام اعضاء اسرة واحدة • وفي اطار الاسرة الواحدة انشا أهل كل حرفة تنظيما خاصا بهم : فالعلماء والفقهاء وطلبة العلم جماعة واحدة ، والتجار جماعة واحدة ، وأهل الحرف جماعة واحدة ، ثم انتظم التجار وأهل الحرف في شبكة واسعة من الطرق الصوفية ، فهؤلاء شاذلية واولئك رفاعية او قادرية او تيجانية او ما شئت من عشرات التنظيمات الصوفية التي غطت خريطة عالم الاسلام كله في العصور الوسطى المتاخرة •

ولكل طريقة صوفية مراكزها في كل مكان • هذه المراكز تسمى الزوايا ، وفي كل زاوية يقوم «مقدم» يتولى العناية بشئون الزاوية ومن يمر بها من مريدى الطريقة او المسافرين ومن يسميهم ابن بطوطة : « الصادر والوارد » • ولم يكن مقدم الزاوية او شيخها يدقق في الهوية الصوفية لاى مريد او ابن سبيل يطرق الباب ويطلب المأوى والطعام •

كانت هذه الزوايا كما يتضح من رحلة ابن بطوطة وغيرها من مؤلفات العصر تكون شبكة واسعة تغطى عالم الاسلام كله ، بل كانت تمد لنفسها فروعا خارج حدود الاسلام ، ففي بلاد الدولة البيزنطية اى في ارض الروم كانت هناك زوايا ، وفي بلاد الترك القفجاق شمال البحر الاسود ، وفيما بين البحر الاسود وبحر قزوين كانت توجد زوايا ، وفي بلاد الصين كانت تقوم زوايا • وبالذات في نواحي الحدود كانت هذه الزوايا عاملة نشيطة في مد بساط الاسلام •

وعندما يرحل ابن بطوطة من الصين الى سومطرة فيما يسمى الآن باندونيسيا يسير في رعاية رجال الطرق الصوفية وزواياها التي كانت بالفعل مواقع امامية تسير براية الاسلام في بلاد جاوة (أى اندونيسيا وبلاد بلاوان وجزر سولو اى جنوبى الفيلبين الحالية ••

بل كان هناك شبه اتفاق بين هذه الزوايا ومثيلاتها في بلاد النصرانية وهي الاديرة او المانسترات كما يقول ابن بطوطة ، وواضح أن لفظ مانستر هو Monasterion اليوناني وهو الدير او المعتزل Monastry فكان أهل العلم والمنقطعون للعبادة من المسلمين اذا الموا ببلاد



صورة اخرى من نفس المخطوط المصور للمقامات الحريرية • انه يصور قاربا صغيرا (سمبوك) من النوع الذى ركبه ابن بطوطة كثيرا في رحلته •

الروم لجاوا الى هذه الديور او الزوايا ، قال ابن بطوطة « والمانستار » ، وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين ، ثم يروى لنا كيف ان الروم (عند القسطنطينية) عندما علموا بانه من طلبة العلم بادروا الى اكرامه ، واستدعاه القاضي وقال له : « انت ضيف الملك ويجب علينا اكرامك ،وسالني عن بيت المقدس والشام ومصر، واطال الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي : لابد لك ان تاتي الى داري فاضيفك فانصرفت عنه ولم القه بعد » (ص ٣٤١) •

العناية بابن السبيل

وكان أهل الدين والخير من المسلمين ، ما بين رجال دولة وغير رجال دولة يقدمون الاموال الى هذه الزوايا ، ويوقفون عليها الاوقاف الواسعة لتقوم بامور اهلها من الصوفية ولتستطيع القيام بواجب الاكرام والايواء لابن السبيل ، الى اى مسلم على سفر في بلد غريب يبحث عن مأوى •

ونحن نقرا الآية القرآنية الكريمة الخاصة

بمصارف الصدقات دون أن نقف على الآثار الحضارية والانسانية الكبيرة التي نشأت عن هذه الآية : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة ٩/٦٠) .

فان النص على أن ابن السبيل له نصيب في الصدقات ، جعل المسلمين يهتمون اهتماما خاصا برعاية ابن السبيل ، ذلك الاخ المسلم الغريب عن وطنه الضارب في السبيل دون مأوى او صديق ...

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في آيات اخرى : جاء في آية الانفال (الانفال ٨/٤١) : « واعلموا انما غنتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . وفي سورة البقرة (٢/١٧٧) : « ليس البران تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوىالقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب » . وفي نفس السورة آية ٢١٥ : « يسألونك ماذا ينفقون . قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ،وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ».

هذه العناية البالغة بابن السبيلجعلت المسلمين ينفقون في سخاء في المنشآت الخاصة برعاية المسافر الغريب . لهذا انشأ المسلمون الزوايا والتكايا ، وكلها دور ايواء واطعام وحماية للمسافرين بل انشأوا صهاريج الماء ووضعوا فيها الماء المصفى والكيزان ليشرب منها العطاش في الطريق . وسمى الواحد منها بالسبيل .

تلك المنشآت الخيرة كانت ملاذ ابن بطوطة ومأواه في معظم مراحل رحلته ، وهو يعطينا صورا جميلة جدا لهذهالزوايا ومواردها وتنظيمها وهيآتها وحالتها ونظام العمل فيها . ومن كلامه نفهم انها كانت منظمة تنظيما محكما وقائما في كل مكان يؤدى وظيفته الانسانية اداء حقيقيا فعالا.

فهو يقول عند زيارته لمدينة فوة على ضفة فرع رشيد في مصر (محافظة كفر الشيخ حاليا) عند حديثه عن زاوية الشيخ عبد الله المرشدى : « ولما اردت النوم قال لى : اصعد الى سطح الزاوية فنم هناك ، وذلك أوان القيظ ... فصعدت الى السطح فوجدت به حصيرا ونطعا(١) وآنية للوضوء وجرة ماء وقدحا للشرب فنمت هناك » (ص ٢٥) .

قوله في الناس والاقطار

وبمناسبة الشيخ المرشدى هذا يصفه بانه « الشيخ الصالح العابد المنقطعالمنفق من الكون » ان ان ولى الله هذا كان يأتيه رزقه من الكون اى من عند الله ، والطريف أن هذا الشيخ لم يكتف باستضافته في الزاوية ، بل يقول : « ثم زودني كعكات ودراهم وودعته وانصرفت » .

وعندما يخرج من القاهرة الى الصعيد على طريق حلوان يقول : « فبت ليلة خروجي في الرباط الذى بناه الصاحب تاج الدين جنثاء بدير الطين » ودير الطين هو الموضع المعروف اليومبدار السلام جنوبي مصر القديمة .

وفي اخميميقول : وتزلت من هذه المدينة بزاوية الشيخ ابى العباس بن عبد الظاهر .

وعندما يصل الى « الغور » قرب اللاذقية في الشام يقول عند ذكر قبر ابى عبيدة عامر بن الجراح « وعليه زاوية فيها الطعام لابناء السبيل ، وبتنا هناك ليلة » .

ويقول في كلامه عن طريقه « من البصرة الى تستر خلال الاهواز الحالية : واقمت بمدينة رامز ليلة واحدة ، ثم رحلنا منها ثلاثا في بسيطفيه قرى يسكنها الاكراد ، وفي كل مرحلة منها زاوية فيها للوارد الخبز واللحم والحلواء ، وحلواؤهم من رب العنب (مربى) مخلوط بالدقيق والسمن. وفي كل زاوية الشيخ والامام والمؤذنون والخادم والفقراء والعبيد والخدم يطبخون الطعام » (ص ١٨٧)

وعند زيارته لاصفهان يقول : « وكان نزولي

(١) اى قطعة جلد كبيرة ينام عليها الانسانأو يتغطى بها .

باصفهان فى زاوية تنسب للشيخ على بن سهل تلميذ الجنيد ، وهى معظمة يقصدها اهل تلك الافاق ، ويتبركون بزيارتها ، وفيها طعام للصادر والوارد ، وبها حمام عجيب مفروش بالرخام ، وحيطانه بالقاشانى ، وهو موقوف فى السبيل ، لا يلزم احد فى دخوله شىء » (ص ١٩٥) وهكذا على طول الطريق • فى كل موضع يجد المسافر ابن السبيل المأوى او المأوى والطعام، وربما وصل الاكرام الى حد الترف ، كما ترى فى هذا الحمام البديع ، بل كان شيخ الزاوية يغضب اذا بعث النزيل يشترى طعاما من الخارج ، وقد حدث ذلك لابن بطوطة فى تستر •

هذه لمحة واحدة من ملامح عالم الاسلام المتحضر الآمن المتعاون الذى يعيش حياته الوفورة الكريمة بعيدا عن تيارات السياسة الغارقة فى المؤامرات والمكائد والدماء •

ومن سوء الحظ ان مؤرخينا الكبار لم يثبتوا بصرهم الا فى هذه الناحية السيئة للاسباب التى ذكرناها تاركين الاهم وهو حياة الجماعة الاسلامية بعيدا عن ذلك البحر المتلاطم •

هذه لمحة ، واليك لمحة اخرى •

الناس اصناف

لم يكن اكرام ابن السبيل ورعاية الايتام والمساكين وصيانة المساجد وغير ذلك مما كان عرفا شائعا فى عالم الاسلام فى العصور الوسطى ، لم تكن هذه كلها هى الملامح الوحيدة التى ميزت جانب الخير فى مجتمع الاسلام فى العصور الماضية•

بل كان هناك تنظيم اجتماعى آخر تلقائى وصادر عن روح الاخوة فى العالم الاسلامى يجمع الناس بعضهم الى بعض ويؤاخى بين بعضهم وبعض •

فقد كان الناس ينقسمون بحسب الحرف ووجوه الكسب الى « اصناف» و « مراتب » كما يقول مؤرخونا ، فاما الاصناف ، فهى الحرف والصناعات واصحابها من نجارين وحدادين وبنائين وصاغة ووراقين واسكافيين ودباغين ونساجين وما الى ذلك ، واما « المراتب » فيراد بها اصحاب الاعمال الفكرية والعلمية والفقهية والادارية من كتابة وادارة ، وما يجمع بين العلم والادارة والقضاء والحسبة والافتاء وما اليها •

وتلاحظ من خلال رحلة ابن بطوطة انه كانت هناك شبه روابط اجتماعية وتعاونية بين رجال الاصناف اى رجال الحرف بواسطة الطرق الصوفية التى كانوا ينتسبون اليها من شاذلية وجيلانية ورفاعية وتيجانية ودرقاوية وما اليها • وكان لا بد لكل رجل من اهل الحرف من ان ينضم الى طريقة صوفية ويدخل فى « العشيرة » كما كانت تسمى •

اما اصحاب المراتب فقلما كانوا ينضمون الى الطرق الصوفية ، لان غالبيتهم من اهل العلم والفقه ، وكانت الخصومة بين الصوفية والفقهاء شديدة ، لان الصوفية كانوا يقولون انهم يبلغون من العلم اضعاف ما يبلغه الفقهاء دون درس او تعب ، بل مناولة من الله تعالى •

وقد حكى ابن بطوطة عن واحد منهم زعم ان الله اعطاه العلم كله فى سبع ليال من رمضان ، ففى كل ليلة اعطاه علما كاملا من اوله الى آخره، والقاه سبحانه فى صدره القاء •

وهذا بالطبع كلام يغيظ الفقهاء الذين كانوا يرون أن ذلك مستحيل، والواحد منهم ينفق العمر كله فى دراسة علم واحد ••

المهم ان« الاصناف » فى رحلاتهم للحج والزيارة او لمصالحهم كان بعضهم ينزل على بعض ، فاذا نزل نجار مغربى من الطريقة الشاذلية مدينة « القاهرة » قصد من توه الى مشيخة الشاذلية فيدلونه على عشيرة النجارين فيستضيفونه ثلاثة ايام على الاقل • وكان من العار عندهم أن ابن العشيرة الغريب ينام فى فندق او فى المسجد ، وخاصة اذا كان عريفا اى « معلما » وكانوا يعرفون درجته فى الحرفة من مجرد الكلام معه، اما انتسابه للعشيرة الصوفية فكان يتجلى فى حفظه لاذكارها واورادها وطريقتها فى تلاوة احزاب القرآن •

وكان ابن بطوطة من المراتب ، لانه كان من بيت فقهاء وقضاة، ومع انه لم يل القضاء فى بلد ، الا انه تولاه فى الطريق الى تونس فحمل لقب القاضى وصار بهذا ضيف القضاة فى كل موضع وجد فيه قاض •

فهو عندما يصل الى مدينة أسنا فى مصر

يستضيفه ويكرمه قاضيها شهاب الدين بن مسكين « وكتب الى نوابه باكرامي » (ص٤٩)

ويصل الى « صيدا » فينزل عند قاضيها كمال الدين الاشموني المصري

وفي « ماجول » قرب البصرة ينزل عند قاضيها حسام الدين محمود

وفي « ماردين » ينزل عند قاضيها برهان الدين الموصلي

تجار مقديشو

بل يروي ابن بطوطة خبرا في غاية الطرافة عما حدث له في مقديشو ، فان الواصلين الى مقديشو معظمهم من التجار ، فيصعد مندوبون للتجار ويختار كل نفر منهم تاجرا ليكون نزيل سيدهم ، والضيافة هنا تتضمن شراء كل ما مع التاجر الضيف لحساب مضيفه ، وكان تجار مقديشو يتزاحمون ويتسابقون على استضافة التجار ، ويقول ابن بطوطة : « ولما صعد الشبان الى المركب الذي كنت فيه ، جاء اليّ بعضهم ، فقال له اصحابي : ليس هذا بتاجر ، انما هو فقيه ، فصاح باصحابه وقال لهم هذا نزيل القاضي ؛ وكان فيها أحد أصحاب القاضي فعرّفه بذلك ، فاتى الى ساحل البحر في جملة من الطلبة ، وبعث اليّ أحدهم ، فنزلت أنا واصحابي وسلمت على القاضي وأصحابه ، وقال لي : باسم الله تتوجه للسلام على الشيخ ، فقلت : ومن الشيخ؟ فقال السلطان ... » (ص٢٤٥)

في هذا العالم المترابط المتاخي عاش ابن بطوطة وقام برحلاته ، ولسنا نعني بذلك ان عالم الاسلام في القرن الرابع عشر الميلادي كان عالما ينعم أهله بالامن والحماية من كل وجه ، وانما المراد أن جماعة الاسلام ـ بعيدا عن الدول ونظمها وسياساتها وجندها المرتزق وضرائبها الباهظة استطاع أن ينظم نفسه على نحو يحميه من مظالم الحكام ، اوقل انه استطاع أن يقيم روابط انسانية تعين المسلم على الحياة الآمنة المعقولة التي لا يمكن العيش بدونها . لان الانسان اذا قرأ عند اياس الحنفي مثلا عن مظالم حكومة المماليك في ظلال سلطنة مصر والشام بعد ايام الناصر محمد بن قلاوون ، تعجب كيف استطاع الناس العيش في ظلال حكام لا عمل لهم الا الصراع بعضهم مع بعض ثم ابتزاز الاموال من الرعية باخس الوسائل وخاصة ابتداء من حكم السلطان ؟؟ .

ورحلة ابن بطوطة هي خير جواب على هذا السؤال ، وانت ترى وانت تقلب صفحات الرحلة ان الناس بالفعل عاشوا في عالمهم الاسلامي الفاضل ـ الى حد بعيد ـ معتمدين على نظم خاصة اسلامية ابتكروها هم مستثيرين في ذلك بمبادىء الاسلام . ■■

(للرحلة بقية في العدد القادم)

الكويت : **حسين مؤنس**

■ كم معشر سلموا ، لم يؤذهم سبع
وما نرى بشرا لم يؤذه بشر

(ابو سليمان الغطابي)

■ العز في العزلة ، لكنه لابد للناس من الناس

(الجوهري « صاحب الصحاح »)

■ واعجب مني كيف أخطيء دائما
على انني من أعرف الناس بالناس

(المعري)

نتيجة مسابقة العدد ٢١١

الرصافي... شاعر عراقي متقلب

■ قامت مسابقة العدد ٢١١ من العربي على اسئلة متنوعة انتقلنا بها معكم فى جولة بين مختلف الاقطار والشخصيات العالمية التى اثرت فى الحضارة الانسانية وقد استطاع القراء ان يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة ما عدا السؤال الاول حيث اختلط الامر عليهم بين شاعرين عراقيين هما الرصافي والزهاوي ٠ ولو انهم رجعوا الى الكتب المعتمدة لوضح الامر ٠

واليك نموذجا للاجابة الصحيحة واسماء من فازوا بالمسابقة

١ ـ الشاعر العراقي الشهير الذى اتهموه بالتقلب السياسى هو معروف الرصافى ٠

٢ ـ الدكتاتور التركي هو مصطفى كمال اتاتورك ٠

٣ ـ الدولة التى اطلقت اول قمر صناعى فى العالم هى الاتحاد السوفياتى ٠

٤ ـ ينتمى كل من جيرالد فورد ورونالد ريجان الى الحزب الجمهورى الامريكى ٠

٥ ـ تقع جمهورية جواتيمالا فى امريكا الوسطى ٠

٦ ـ عاصمتان عربيتان تبدآن بحرف الميم هما « مسقط » وهى عاصمة عمان ، و « منامة » وهى عاصمة البحرين او مقاديشو عاصمة الصومال ٠ اما العاصمة التى تبدأ بحرف النون فهى نواكشوط وهى عاصمة جمهورية موريتانيا الاسلامية ٠

٧ ـ الزعيم الذى قتله احد ابناء جلدته عام ١٩٤٨م هو المهاتما غاندى ، مؤسس الهند ٠

الفائزون بالمسابقة

■ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :منصور نقى حسين ـ بغداد ـ العراق ٠

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :عبد السلام الحداد ـ صنعاء ـ اليمن الشمالى ٠

■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :ملاك توفيق تهتمونى ـ عمان ـ الاردن ٠

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ محمد فياض كرام ـ الكويت

٢ ـ عبد الفتاح محمد الشاعر ـ بور سعيد/مصر

٣ ـ الهادى بشير محمد الهادى ـ الرياض/السعودية

٤ ـ نسيم مقالون ـ حلب/سوريا

٥ ـ ديريك مارتين هيونس ـ معلا/اليمن الديمقراطى

٦ ـ جواد سالم احمد ـ المنامة/البحرين

٧ ـ عبد الكريم محمد عمر بلفقيه ـ مقديشو/الصومال

٨ ـ بومدين بن احمد سالم ـ نواكشوط/موريتانيا

شَقْرَاء

■ إني انتظرتك ... ما أتيتِ　　　هذا مكانكِ ، أين أنتِ ؟
شقراءُ ! أين الملتقى ؟　　　قد ضعتُ عنكِ ، وأنت ضعتِ
إنّا على ميعادنا . .　　　أنسيتِ حقاً ما وعدتِ ؟
ماذا عراكِ من الملا　　　ل فعفتِني ، وهجرتِ بيتي ؟
أولم يكن لكِ ما أردتِ ؟　　　أريكتي الكبرى ، وتختي ؟
تثبين فوق دفاتري ،　　　وتُعكّرين صفاءَ صمتي
وتداعبين وسادتي ،　　　مختالةً ، فوقي و تحتي
لا ناهرٌ ، لا زاجرُ ،　　　لا لائمٌ مهما فعلتِ
أشياءُ لو جاءت بها　　　بنتي ، إذاً ، جازيتُ بنتي
إن تسمعي صوتي على　　　درج الرصيفِ تبعتِ صوتي
أو تلمحي ظلّي وثب　　　تِ وأعيُني أنّى وثبتِ . . . .

★★★

يا شبهَ تمثالٍ يرو　　　عُ الناحتين ، بغير نحتِ !
عيناكِ ما أصفاهما　　　تتألّقانِ ، إذا نظرتِ
خُلق الرضيّ ، وقفزةُ النّمـ　　　ـر الأبيّ إذا قفزتِ
هل ضقتِ ذرعاً بالحيا　　　ةِ وما شقيتِ ولا كبُرتِ
فإذا سئمت جوارنا　　　فترحّلي أيّانَ شئتِ
ورحلت غيرَ ملومةٍ　　　ما كان ذنبي إذ رحلتِ ؟
ونزلتِ قبراً مظلماً　　　هل في مساربه أمنتِ؟
إني نصحتُ – وما قسو　　　تُ – فما انتهيْتِ وما ارعوَيْتِ
والنصح أضيعُ ما يكو　　　نُ إذا أتى في غير وقتِ



فى ليلةٍ بهر الضيا   ءُ ظلامَها ، لما سرحتِ

بَغَتَتْكِ عادِيةُ الطريـ   ـق فما سمعتِ ، ولا رأيتِ

ووثَبْتِ خوف الموت كا   ن الموتُ يكمنُ حيثُ كنتِ

وصرختِ من ألم . . . وما   يجدى الصراخُ إذا صرخت ؟

فإذا الدماءُ على الترا   ب . . . وذاك أغلى ما بذلتِ

وإذا المنيةُ – ويحها –   رقصتْ على أشلاءِ ميتِ

وكذاك يأتى الموت ، يحـ   ـتضنُ الضحيّةَ ، حين يأتى

حـريةٌ من أجلها ،   قد عشتِ ثائرةً ومِتّ

★★★

كم ذا وقفتُ على مكا   نِكِ ، وهو خالٍ ، مُذْ بَعُدْتِ

أُصغى . . . كأنى سامعٌ   صوتاً .أهذا الصوت صوتى ؟

أرنو . . . كأنى لامحٌ   طيفاً .أهذا الطّيفُ أنتِ ؟

وأفيق من وهمى فلا   صوتٌ ولا طيفٌ ببيتى ! ■■

حلب ـ **خليل الهنداوى**

مسابقة العربى

"أسد البحار"

كان مكتشفا وعالما في الفلك

٨ أسئلة وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تشتمل على ثمانية اسئلة متنوعة ... والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لخمسة منها على الاقل، لتفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار .

١ ــ بحار عربى شهير ، كان عالما فى الفلك وفن الملاحة ومسالك البحار .. حتى اطلقوا عليه لقب « أسد البحار » .. كان هو الذى اوشد الملاحين البرتغاليين ، وعلى راسهم فاسكو دى جاما ــ الى الطريق التى تصل شرق افريقية بالهند .. وهذه المساعدة التى قدمها بحارنا هذا الذى ولد فى مدينة جلفار (رأس الخيمة حاليا) سببت آلاما كبيرة لبنى جنسه على ايدى البرتغاليين، الذين استعمروا السواحل الجنوبية من جزيرة العرب .. فمن هو هذا البحار ..

ابن ماجد ــ ابن حوقل ــ ابن منقذ .

٢ ــ يتميز القرن العشرون بحدث هام ، فقد استطاع الانسان لاول مرة ان ينطلق من جاذبية الكرة الارضية الى الفضاء الخارجى .. ان حلم الانسان بالطيران قد بدا منذ عصور سحيقة .. احلام كانت تنتهى دائما بكوارث وفواجع ... وفى عام ١٩٥٧ استطاع الانسان لاول مرة ان يخلق تابعا Sattelite ، او قمرا صناعيا ، اطلقه فى الفضاء الخارجى بعيدا عن نطاق جاذبية الارض.. فما اسم الدولة التى انطلق منها هذا التابع الاول فى العالم :

الصين ــ الولايات المتحدة الامريكية ــ الاتحاد السوفياتى .

٣ ــ الانباط .. كانوا فى اول عهدهم بدوا رحلا .. وفى القرن الرابع قبل الميلاد بداوا فى الاستقرار بعد حياة الترحال فاصبحوا تجارا رغم



قلة موارد بلادهم .. الا ان موقع عاصمتهم على طريق القوافل بين الشام والحجاز اعطاهم مركزا ممتازا للسيطرة على طريق القوافل الرئيسى.. واتسعت الدولة النبطية وزالت عنهم خشونة البداوة . فلم يستطيعوا الصمود امام هجمات الرومان عام ١٠٦ ميلادية فانهزموا ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .. ونسى الناس عاصمتهم العظيمة المحفورة منازلها فى صخور الجبال .. حتى اكتشفت عام ١٨١٢ فما اسم هذه العاصمة :

تبوك ــ البتراء ــ معان .

٤ ــ فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الاحد ١٢ سبتمر ١٩٤٣ حلقت مجموعة من طائرات الانقاذ الصغيرة فوق فندق ايطالى جبلى على ارتفاع ٦ آلاف قدم ، ونزل منها عدد من رجال الجيش الالمانى بقيادة ضابط المظلات اوتو سكورنزى



واخذت من داخل الفندق رجلا ايطاليا شهيرا ، كان الايطاليون يحتجزونه ٠٠ وقابله هتلر ، واعاده الى بلده ليحكمها من جديد لفترة ١٨ شهرا ، ولكن انهيار المانيا عجل بنهايته ،فقد امسك به الشعب ومعه عشيقته ، فقتلوهما رميا بالرصاص ، وعلقوا جثتيهما عند مدخل محطة بنزين فى ميلانو ٠ حيث جاء المئات يرجمونها بالحجارة ٠

فما اسم هذا الرجل الايطالى ؟

٥ ـ مؤرخ عربى شهير ، ترك اثرا عميقا فى الفكر العربى والاسلامى ٠٠ يقال ان اصوله تمتد الى فرع من قبيلة كندة فى حضرموت ٠٠ هاجر اجداده الى اشبيلية بالاندلس ، وبعد سقوطها بيد الاسبان عام ١٢٤٨ م هاجر والده الى تونس حيث ولد هذا المؤرخ الكبير عام ١٣٣٢م ٠ وكانت حياته صاخبة مضطربة ٠٠ عمل بالوظائف السياسية بين غرناطة وتلمسان وفاس وتونس ، ثم انتقل الى المشرق فاقام فى الاسكندرية والقاهرة وادى فريضة الحج ٠٠ واتجه الى دمشق ، خلال هجوم التتار عليها ، وبقى ضيفا على تيمورلنك فترة طويلة ، ثم رحل للقاهرة حيث توفى عام ١٤٠٦م ، من اشهر مؤلفاته مقدمة عرفت باسمه ٠٠ فما اسمه :

ابن بطوطة ـ ابن جبير ـ ابن خلدون ٠

٦ ـ مجلتك العربى صدر منها حتى اليوم ٢١١ عددا ، وبلغ مجموع الاعداد التى طبعت منها اكثر من ٢٧ مليون نسخة ، وزعت كلها ، واصبحت اعدادها الاولى من النوادر التى يحافظ عليها اصحابها ٠٠ واول عدد صدر من العربى كان فى :

ـ يناير ١٩٥٩ ـ فبراير ١٩٧٠ ـ ديسمبر ١٩٥٨

٧ ـ « همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمى التميمى » هذا الاسم الطويل هو اسم شاعر اموى توفى سنة ١١٠هـ (٧٣٢م) ، واشتهر هذا الشاعر بالمهاجاة بينه وبين جرير جمعت قصائدهما فى التهاجى فيما بينهما فى ديوان يسمى « النقائض » فما اسم هذا الشاعر :

جميل بثينة ـ عمر ابن ابى ربيعة ـ الفرزدق ٠

٨ ـ فى عام ١٩٣٠ شيدت فرنسا خطا دفاعيا جبارا اطلق عليه اسم خط ماجينو نسبة الى اندريه ماجينو وزير الحربية الفرنسية فى ذلك الوقت ٠٠ وامتد هذا الخط على طول الحدود الالمانية الفرنسية ٠٠ وزود باحدث ما عرفته التكنية العلمية فى ذلك الوقت ٠٠ ولكن هذا الخط اثبت فشله فى الحرب العالمية الثانية ، اذ التفت حوله القوات الالمانية بعد اكتساحها بلجيكا وهولندا ، فسقط هذا الخط الدفاعى بايديها دون قتال ٠٠ ومقابل خط ماجينو ، اقام الالمان خطا دفاعيا آخر اطلقوا عليه اسم خط :

سيجفريد ـ مارلين ـ جوتنبرغ ٠

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى ٠

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٣٤ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٦ ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى : **الجائزة الاولى** ٣٠ دينارا ٠ **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا ٠ **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠



الدكتورة عاتكة الخزرجي وديوانها أفواف الزهر

بقلم : جمال الدين الآلوسي

•• وتنفعل الشاعرة بشعرها وهي ترسله فلا تكاد تحس بوجود أحد من حولها •• وتقرأ لها في الوطنيات احاسيس صادقة تعرب عن حبها لعروبتها وحماسها لبطولات قومها •• انها الشاعرة المبدعة عاتكة الخزرجي •

■ هذا هو الديوان الثالث للشاعرة المبدعة الدكتورة « عاتكة الخزرجي » المؤمنة بعروبتها والمسبحة بلغة القرآن والشادية بالحب الالهي •

صدر لها من قبل ديوانان هما « أنفاس السحر » و « لألاء القمر » • وهذا ديوانها الثالث ـ أفواف الزهر ـ صدر بمطابع الكويت بأبهى حلة ، غانيا عن التقديم والتقريظ ، وصاحبة هذه الدواوين أستاذة جامعية لها مكانتها الادبية ، وقد تضوعت شهرتها في دنيا العروبة من الخليج الى المحيط، وذاعت قصائدها الوطنية والاجتماعية ، المعبرة عن آمال أمتها ، والمعربة عن همومها وآلامها والمشاركة لافراحها وأحزانها ، وان غلب على شعرها التغني والتسبيح بالحب الالهي ، ومحاضراتها في المحافل الجامعية ، ومقالاتها وبحوثها التي تنشرها لها المجلات العلمية والادبية الراقية جعلتها ملء السمع والبصر •

كما أن لاحاديثها الممتعة ومحاضراتها المتخيرة ، وحسن اختيارها لموضوعاتها الموافقةلمقتضى الحال، وما لالقائها المنغم بصوتها الرخيم كل ذلك كان له أثره في حب جمهورها لها وفي تسابقهم لحضور ندواتها •

منزلتها الادبية

ولا غرو أن تنال هذه المنزلة الادبية ، فهي شاعرة مشبوبة العاطفة ، واسعة الاطلاع ، مكتملة الاداة لاساليب العربية ، عميقة المعرفة لضوابط الفصاحة ـ تؤثر الايجاز ، والوجازة اذا استوفت القصد فهي « بلاغة العرب أصل وروح » تسعفها قريحة ثرة وشاعرية مواتية ، وذكاء يتوجه علم ، يكاد شعرها ان يكون من فيض الخاطر ، ولكن فيه اكتمال الرؤية واستيفاء

القصد ، لا يكلفها نظم القصيدة مهما طالت الا اقصر الوقت بالنسبة الى ما نعرفه عند الشعراء الكبار .

وبرغم هذه الخصلة فان شعرها لا تنقصه صفة التامل والتجويد والاجادة ، يسعفه ذوق نما بنمو الثقافة . ومناجاة الله هو اندى الشعر الى نفسها . والغزل العف على مذهب اهل العشق الالهي يشغل جملة كبيرة من صفحات دواوينها . وهذا هو الذى يرضى عاطفتها .

تسمعها وهى تسبح بهذه الابتهالات :

بين يدى الله

أحبكَ . . . لو صحّ أنّ الهوى
تُتَرجِمهُ أحرفٌ أومعَان

أحبك للحبّ . . لو أعربت
عن الحبِ قافيةٌ أو بيان

إخالُ الهوى فوق ما في اللظى
أو ان اللظى دون ما في الجنَان

أحبك رباه فوق الهوى
وقد كنت رباه ، والحب كان

وسبحتُ باسمك يا خالقي
وأبصرْتُ وجهَك آنًا فآن

ولُحْتَ لعينيَ في كل حُسْنٍ
فلله عينَاى ما تَجْلُوان

جمالك يارب عَمّ الوجود
فليس لقُبْحٍ به من مكان

أحسُّ بهِ في فؤادى هوًى
يَعُم الورى بين قاصٍ ودان

أحبُ بِكَ الخلقَ يا خالِقي
وحوشا وطيرا وإنسا وجان

أحب بكَ الكون يا فاطري
سماء وأرضا وما تحويان

عرفتُ بكَ الحبَّ ، أنتَ الهوى
وفيكَ القصيدُ ومنكَ البيان

تباركْتَ أنت بقلبي المنى
و بالروح أنت الهدى والأمان

عشقْتُكَ يارَبّ عشق الذليلِ
لمولى جليل عزيزِ المكان

سقيْتُ بحبك يا خالقي
من الشعر كأساً بها نشوتان

فصيرتُ من الأرض في جنّةٍ
غذاها الهوى ورواها الحنان

الوطنيات والاخوانيات

ونقرا لها فى باب الوطنيات احاسيس صادقة تعرب عن وطنيتها وحبها لعروبتها وحماسها لبطولات قومها ، ونقرا لها اساها لوطنها السليب ولبنى قومها الذين شردهم الاستعمار والصهيونيون ممن اغتصبوا اقدس بقعة يعتز بها العرب والمسلمون .

نقرا لها اصدق الود واصفى الحب فى قسم الاخوانيات .. فان صاحبة الافواق تتحسس الجميل وتعد الوفاء به دينا ودينا فترد التحية باحسن منها ، وقد شمل هذا الباب من ديوانها « افواق الزهر » منص ٧٧ ـ ١١٣ بدءا منالعراق مطوفا بالاقطار العربية وبادبانها .. تقرا فى هذا الديوان ترانيم للوجد واقباسا من الحنان للصداقة ووفاء للجميل ، فى لفظ منمق ونغم

منسق ، ولا غرو فصاحبة الافواف تلميذةالعباس ابن الاحنف من قبل ان تكون تلميذة دار المعلمين العالية (١) في بغداد ، ومن قبل ان تتخرج من « السوربون » .. احبت ابن الاحنف واستلهمت انفاسه وتاثرت باسلوبه وطبعها بطابعه في الحب والخيال المجنح ، وان اختلفت بحبها عن حبه ، والعباس بن الاحنف ـ حامل لواء الحب فيصدر الدولة العباسية ـ هو الذى وصفه الصولى الناقد والكاتب العباسي قال : « ما رايت كلاما محدثا اجزل في رقة ولا اصعب في سهولة ولا ابلغ في ايجاز من شعر العباس » .. وهذا ما يصدق على نثر الدكتورة عاتكة وعلى شعرها .. احبت ابن الاحنف وتاثرت به واثرته على غيره منالشعراء ومنحته الحياة منجديد بكتابها عنه وتحقيقها لديوانه باسلوبها وتعبيرها المتخير العلمي الدقيق ، لقد نالت الدكتورة عاتكة مكانتها حصيلة دراسة متصلة ، قطعت مراحلها حتى نالت شهادة السوربون ، وما زالت تواصل الدرس والتدريس وتطلع على ما يجد من اساليب وافكار مستجدة متطورة ، وما زالت تواصل العطاء شعرا ونثرا يتوج ذلك كله ذكاء وموهبة موروثة .

شعرها وأدبها في ميزان النقاد

الكتاب الذين كتبوا عنها وقرضوا دواوينها واشادوا بشعرها كثيرون ، وما نشر عنها هنا وهناك في المؤلفات والمجلات الادبية لو جمع لكان كتابا ضخما ، وهو مادة واسعة لمن أراد ان يجعل من شعرها وادبها مادة لنيل درجةعلمية .. غير انى سأقتصر على اربعةمن جهابذةالادباء والشعراء والمؤلفين الناقدين وهم :

١ ـ الاستاذ الشاعر عزيز أباظة .

٢ ـ والكاتب البليغ احمد حسن الزيات .

٣ ـ والكاتب الشاعر محمد عبد الغني حسن .

٤ ـ وادبينا العلامة محمد بهجة الاثرى .

وهم اساتذة كبار لا يرقى الى حكمهم غلو ولا يشك في شهادتهم ضنين .

رأي عزيز اباظة

والشاعر عزيز اباظة صاحب ديوان « انات حائرة » هو الذى قدم لديوانها ـ انفاس السحر ـ وقد قدم مقدمته بالابيات التالية :

طالعينا بنيرات العشي
يتألقن في سموط الروى

في بيان كأنه وشي أستا
ذ لوشي الشريف والبحتري

هزّ نفسي منه مناجاتك
الله بفيض من سحرك العبقري

كالتحاميد في صلاة بتول
والتماجيد في ابتهال نبي

يا ابنة الخزرجي أخلصت للشعر
فواتاك يا ابنة الخزرجي

ثم قال : « تفضلت فطالعتني بنماذج من شعرها وكانت تنشده : صوت حلو الجرس ، فيه تكسر ورخامة ، تجهر به وتخافت ، مواكبة المعنى الذى تسوقه ، وتاثرا بالعاطفة التى تتخلج عن الكلام ، ومنطق محكم ذو استواء لا يشكو منه نحو ، ومن عجب انه الى جانب ذلك لا يشكو منه صرف ..

وتنفعل الشاعرة بشعرها وهى ترسله ، فاحس انها لا تكاد تحس بوجودى .. واكبر هذا الجو الذى خلقته ، وهذا السمت الذى لبسته ، حتى لاذكر قدامى الاغريق وما كتبوا مبدعين عن ربات الشعر عند مشارف الاولمب ، فارنو اليها فاكاد اتمثلهن ، وكانت تمسك ، فاستزيدها ، فتنفعل راضية مشكورة » .

(١) تسمى اليوم « كلية التربية » .

وبعد أن عرف الشعر واثره عرج على نقد الكثيرين والكثيرات من الشعراء والشواعر ممن آثروا وآثرن العامية ورحن يأخذن بالغث المتهافت من الكلام ويسمونه شعرا قال في ختام كلمته الثمينة :

« ان الشاعرية مركوزة في طبعك ، وانك الشاعرة من فرعك لقدمك ، ولولا ان يقال « صبا نصيب » لقلت من فرعك الذي يتوج فيما يتوج بالشباب والجمال الى قدمك التي تحمل فيما تحمل النبوغ والكمال » •

رأى الزيات

والصلة بين الدكتورة عاتكة وبين الاستاذ حسن الزيات صاحب الرسالة وثيقة موصولة ، متنت اواصرها معرفة جاءت عن طريق « الرسالة » وعن طريق الزيات بدار المعلمين العالية،وما كان يكتبه من ذكرياته عن العراق•• وزادت وثاقتها حين تحدثت الشاعرة عن صاحب الرسالة من محطة بغداد ، وما كتبت عنه وما كان ينشر لها في « الرسالة » من مقطعات ومقالات كانت سببا في تكوين هذه الالفة التي سبقت لقيا الشاعرة بالزيات • فلما لقيته كان اللقاء على معرفة والفة ، قال في مقدمته :

« في الكرخ نشات ، وفي الكرخ تعيش ، والكرخ منذ تعطر جوه الصافي بانفاس الملائكة يسبحون بالجمال ، ويهتفون بالحب على السنة المصطفين الاخيار من المتصوفين والزهاد الذين اجتباهم الله ليكونوا حقيقة لشريعته ، وشريعة لحبه ، ولا يزال مبعثا للحب الألهي المجرد وصرحا للجمال الروحي المطلق ، ومثارا لذكريات «الجنيد» و «الحلاج» و «معروف» واضرابهم ممن يتمثلون جمال الله في خلقه ، ويعبرون عن حبهم اياه ، وفنائهم بالرمز الموحي والغزل المثير ، فينتشي بباطنه الزاهد ، ويلتهي بظاهره الماجن ، والقصور انما هو في اللغة المحدودة التي لاتستطيع ان تعبر عن معاني الروح الا بالفاظ الحس ، ولا تصور مداخل النفس الا بمخارج الحروف ••• الخ » •

« فلا يجدون الكلمة المواتية ، ولا الجملة الدالة فيصطنعون لغة بشار وعباس وابي نواس فيتمتون المرأة ، ويصفون الخمر ، ويذكرون السكر والعشق والشوق والغناء ، يرمزون بذلك كله للمعبود الازلي الابدي الذي لا يحيط به عالم ، ولا يتعلق به وهم ولا تعبر عنه لغة ، فاذا جمعت الى ذلك ان « عاتكة » صريحة النسب في العروبة ، فابوها خزرجي وامها عبيدية ، وانها عريقة النزعة في الصوفية ، فجدها كان يقرض الشعر الصوفي وابوها كان يكثر من المحفوظ منه ، فانها قوية الفطرة بحكم الطبع والوراثة والبيئة على استقبال موحيات الحب ، واستكناه اسرار الجمال، ادركت سر هذا التفتح الذهني الباكر في التلميذة « عاتكة » وهي على صبوات الذكر في مغاني الكرخ وشدوات الطير في اعالي النخل ، وصفقات الماء على غوارب دجلة ، كان شعرها في هذا الطور ارهاف شاعر ، ودندنة قيثار وشقشقة بلبل ، ثم لم يلبث ان صار بقوة السليقة ، وسخاء القريحة ، وفيض الخاطر ، وعمق التامل ، واكتمال الاداة اغاريد صبابة واناشيد حماسة ، وترتيل ارغن ، وتسابيح صلاة •

ووصف اسلوبها البليغ الموجز :

« فاسلوبها نسق مطرد من الفكر والخيال والعاطفة ، يصقله طبع وذوق • ويقومه درس واطلاع ، فلا تجد ما تجد في اكثر الشعر النسوي من قلق في لفظ ، او نبو في غرض • ولقد وقاها كل ذلك تنشئة عربية قوية ودراسة ادبية عميقة ، ومرانة فنية طويلة ، وحصيلة متخيرة من روائع الشعر الخالد طبعتها على الاسلوب الصحيح ، وهدتها الى الطريق الواضح ، وعصمتها من الزيغ الذي اصاب نفرا من الشعراء والشواعر ، فهي تتصرف في المضمون الشعري تصرف الفنان المتطور الحر الذي يواكب ركب الحضارة ويتعمق اسرار الطبيعة ويتقصى اطراف المجتمع ، ويدفع المتخلف بفكره الى امام ، ويرفع المتدلي بشعره الى فوق •

وقال : يصف الدكتورة الكاتبة :

« واما الكاتبة ، فالامر بينها وبين الشاعرة جد مختلف ، الكاتبة تستمد موضوعها من الحقيقة

التي يثبتها العلم ، ويؤيدها المنطق ، ويصقلها الطبع ، فالتعبير واضح لا مبهم ، مفصل لا مجمل، مقيد لا مطلق ، مجسد لا مجرد ، كما تراها في كتابها القيم عن العباس بن الاحنف ٠٠ »

ومهما يكن الاختلاف بين عاتكة الكاتبة والشاعرة ، فانه لا يتطرق الى بلاغتها في العالتين ، وبراعتها في الصناعتين ، وقديما قالوا ان اجادة النثر والشعر قلما تتفق لأحد ، وصاحبة الانفاس من هذه القلة » ٠

رأى محمد عبد الغنى حسن

اما الباحث الشاعر الاديب الاستاذ محمد عبد الغني حسن فقال : « قد أعجبني في الدكتورة عاتكة الخزرجي حفاظها وعروبتها واصالتها وجدها وشرف نفسها ، مع انها تملك من مزالق الفتن ودواعي الاغراء ما قد يعميها عن المحجة ٠٠ ولكنها على اناقتها وسحر جاذبيتها وحسن طلعتها، ولطف رشاقتها تحملك على احترامها وتهيبها ٠ وتنحية الخطرات الآثمة عنها ، وهي محدثة بارعة الحديث ، راوية تتقن الرواية ، منشدة ، تحسن الاداء والالقاء ، قارئة في الادب العربي قديمه وحديثه ، واعية له تمام الوعي ، وهي توشي شعرها بالجملة القرآنية فتنزلها منزلتها بين عباراتها الوضيئة الواضحة ، وتعبيراتها الجميلة الانيقة ، ولغتها الصحيحة الفصيحة ، فتحمد الله ان سلامة الطبع لا تزال باقية في أعراق هذه الامة ، على الرغم من تفاهات التافهين وسخافة الفارغين الذين يزعمون التجديد ، وهم لا قديم لهم ، ويتبجحون بالبناء ، وهم لاأساس عندهم»٠

رأى بهجة الأثرى

وصلتها بالاستاذ الشاعر الكبير محمد بهجة الاثري صلة الجوار وقرب الدار ٠ والجوار في عرف المسلمين والعرب عامة ولا سيما فيما مضى من الايام ذمام وتعاون على البر والتقوى وتواصل ومشاركة في السراء والضراء ، وتزاور وتهاد ، وكانت هذه الوشيجة القريبة تجعل الاخوة والمودة بين الكبار وثيقة ، وبين الصغار صداقة والفة ، وكانت عاتكة بحكم هذه الصلة تالف لداتها من اخوات الاستاذ الاثري ، رآها وهي تنمو وتترعرع تحت سمعه وبصره ولحظها كما كان يلحظ اخواته ، وتمضي الايام ويفرق الزمان بين الالاف والجيران بحكم العمل ويترك الاستاذ داره في محلة « جديد حسن باشا » وتقطع الشاعرة مرحلة الثانوية وتنتهي الى المعلمين العالية ، وعن لها ان تزور الاستاذ في داره الجديدة وحملت بعض شعرها وارادت ان تقرأه عليه لتطمئن الى انتاجها ولتستوثق من شعرها كشأن كل ناشيء ٠ قرأت عليه باكورة شعرها فراح يشجعها ويبدي اعجابه بسبحاتها وبجودة أبياتها المجنحة وتشير الى ذلك فتقول :

أفذاكر مولاى أول سجعة
لله أسجاع بسمعك تشرف
مازلت يامولاى أذكرها لكم
إذ أنت تغلو في الثناء وتسرف
واليوم « أفوافي » ببابك طُوَّف
ياسيدى بل من معينك تغرف
ولتذكرنْ أنى على العهد الذى
عاهدتكم . فالود لا يستطرف

وما رث هذا الود ، ولا اخلق جديده ، ما زال سداه المودة ، ولحمته الوفاء ٠

وكان من عزم الاستاذ الاثرى أن يقدم للافواف ولكن سفرا عاجلا اقتضاه حال دون تحقيق هذه الرغبة وقبل أن تدفع الشاعرة بديوانها الى المطبعة ، عوضها بباقة عطرة ينفح بها ديوانها « افواف الزهر » وكان من حق هذه الابيات الصادقة أن تطرز صدر الديوان ، ففيها الغناء عن المقدمة وفيها النص الصريح بالتقويم والتقدير وهو الحكم المرضي شهادته من اديب كبير يزن اقواله بميزان، ولا يلقى حكمه بدافع العاطفة أو الرضا، وهذه أبيات من قصيدته الى الشاعرة:

شعر كأزهار الربيع مفوَّف
نديان ، مؤتلق النضارة مترف

هيمانُ يمرح في البهاء وفي السنا
ويموج في مور الشذا ويرفرف
نشوان من سحر اللطافة مائد
ويكاد من ماء الفصاحة ينطف
ماء الكروم يدب في أعطافه
ووساوس الأنغام فيه تعزف
يجرى، ومن نجوى الهوى دفقاته
وعليه من حلل السراوة مُطرَف
عدوية سبحاته ، عذرية
صبواته ، زاك ، معاق مدنف
وتقول « واها » إذ يلذك سامعا
وتقول « آها » إذ تشاق وتشغف
هتفت به قمرية سحرية
من قبل أن تجد السواجع تهتف
ورقاء أكناف الرصافة أيكها
وقراح « دجلة » وردها المترشف

وبعثت اليه شاكرة حال وصول خريدة الاستاذ الالوسي اليها ، وهذه بعض ابياتها :

يا « بهجة الأثر الحميد » تحية
من قلب معجبة بشعرك تشغف
طوقتني بكريم وشيك إنني
أزهى به بين الورى وأشرف
هذا وسام « محمد » لألاؤه ....
كادت لروعته الغزالة تكسف
خذها إليك تحية الأدب الذي
هو بيننا النسب الأجل الأشرف
ولتذكرنْ أني على العهد الذي
عاهدتكم. فالود لا يستطرف

وبعد فان ديوان - افواق الزهر - ازدان بطباعة انيقة يحكي اناقة صاحبته ، ونال عناية فاقت كل عناية ، واخراجا هو الغاية في الذوق المترف ، توجته شاعرتنا بصورتها الجميلة ، فيه الذوق المترف ، وتلقى الفن فيه مجسدا تحمد للكويت نهضته المتنامية . ■■

الاعظمية - جمال الدين الآلوسي

■ أجمل البلاد حيث يقيم الأحياء ، واخصب بقعة حيث تطأ قدم الحبيبة

(جلال الدين الرومي)

■ سبيلنا سبيل الهواء ، حياتنا في أعاصيره العاتية ، وموتنا في الهاوية

(يوان مي شاعر صيني)

■ من يشترى مني جميع فضلي بساعة من عيش أهل الجهل؟

(الشريف الرضى)

طرائف غربية



صور جديدة للحياة !



برناردشو

● جورج برنارد شو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) الكاتب الايرلندى الساخر الذى غزا انجلترا بجرأته وتعريتـه للنفاق والمنافقين ، كان يحب الناس والحفلات ، ولكنه كان يهرب من الشخصيات التقليدية التى تفرض نفسها فرضا بحكم ما اصابته من شهرة وجاه وسلطان ٠٠ فقد كان الشىء الوحيد الذى يشده الى محدثه هو ما يكتشفه فى حديثه من ذكاء ومن أفكار جديدة ، حتى لو لم يكن يعرفه! وكثيرا ما كانوا يجدونه وقد انهمك فى حديث طويل مع شاب أو فتاة فى مثل احفاده !

سالوه يوما : « ماذا تجد فى صداقتك لهؤلاء الصغار ؟ »

فقال : « اننى ارى فيهم صوراجديدة للحياة ، غير تلك التى الفتها وعرفتها ! ان بعض هؤلاء الشباب الذين القاهم فى الحفلات يصلون الى الحفل وكأنهم قد جاءوا بالحفل معهم ، فاذا انصرفوا ، لم يعد هناك حفل »

ـ وكيف تكتشفهم ؟

ـ اذا كان شابا فاننى ابحث فى وجهه عن الهدوء لانه صفة تنقصنى ، اما اذا كانت فتاة فان اول ما يلفت نظرى اليها هو جمالها وجرأتها ! ولا اظن أن رأيي قد خاب يوما فى تقدير هؤلاء الشباب ، قبل أن أحدثهم ويحدثوننى !

شبح الموت في حياة موباسان

● جى دى موباسان ، شاعر فرنسا وكاتبها الكبير (١٨٥٠ ـ ١٨٩٣) عاش حياة الناس وصور احاسيسهم ومشاعرهم ، كما لم يصورها كاتب من قبل ٠٠ وقد كان موباسان واقعيا فى قصصه القصيرة ومؤلفاته ، حتى انه



موباسان

كثيرا ما شارك ابطال قصصه حياتهم وتجاربهم دون أن يشعروا به لكي يكون أكثر واقعية في وصفه لشخصيات رواياته وانفعالاتهم ·

وكان موباسان يحب الحياة التي صورها شعرا ونثرا باسلوب وصفه صديقه اميل زولا بقوله: « عندما اقرأ له احس بأنني استمع الى انغام موزارت وبتهوفن ! » ··ولكن بقدر ما كان موباسان يحب الحياة ،كان يخاف منها·· واكثر ما كان يخفيه « الموت »تلك النهاية المحتومة لكل انسان ! فكان يضطرب ويحزن كلما سمع ان صديقاله قد رحل !

وقد بدأت حياة موباسان القصيرةالتعسة تقترب من نهايتها عندمااصيب شقيقه بالجنون ·· فلم يحتمل رؤيةأخيه مجنونا ! ولم تنقض فترة طويلة على هذا الحدث الذى اهتز له من اعماقه حتى بدأت اعراض الجنون تظهر على الكاتب الكبير ، وابتعد عن الناس ،ولكنه لم يعش طويلا فى وحدته ، اذ سرعان ما رحل عن الدنيا التى احبها بعد حياة قصيرة لم تدم لاكثر من ثلاثة واربعين عاما ، حفلت باروع انتاج قدمه كاتب فى مثل هذه الفترة القصيرة !

اليوت والشعور بالوحدة !

● توماس اليوت الشاعر الامريكي الانجليزى ، الذى يعد من اعظم شعراء القرن العشرين ، ولد فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، عام ١٨٨٨ ، وعاش حتى الثلث الاخير من هذا القرن ١٩٦٥ ، وترك بلاده (مدينة سانت لويس ، بولاية ميسورى الامريكية) ، ورحل الى لندن خلال الحرب العالمية الاولى ،واصبح انجليزيا بالتجنس ·· وشهد بعد هذا التطور الهائل الذى احدثه العلم فى حياة الناس ·· وكان يقف ويتأمل الدنيا من حوله وهى تتغير وتمتلىء بكل ما يحلم به الانسان من مخترعات وانجازات دون أن يغير رأيه مرة واحدة فى الحياة بكل ماحملته وتحمله من مفاجئات ·· كان يقول : « اقسى ما يعانى منه انسان القرن العشرين هو الوحدة ·· اليس غريبا ان يشعر المرء بأنه يعيش وحده وسط هذا الزحام وتحت كل هذه الاضواء·· حتى التلفزيون ··هذا الجهاز الجديد الذى نقل الينا الدنيا كلها الى بيوتنا وغرف نومنا ، انه احدث واعظم وسيلة للترفيه ·· انه يتيح للملايين ان يضحكوا من قلوبهم ، وربما لنفس النكتة،وفى نفس الوقت،ولكنهم مع هذا لا يستطيعون ان يتخلصوا من هذا الشعور الذى يسيطر عليهم · فهم مازالوا يعيشون فى وحدتهم انه شعور يلازم الانسان ولا سبيل الى الخلاص منه ابدا » ■■



أين نختزن ذكرياتنا ؟

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ سؤالان حيرا الفلاسفة والعلماء وما زالا حتى الآن الا وهما : ما طبيعة الذاكرة ؟ واين تختزن الذكريات ؟ ولقد ذهب العلماء في الجواب عن هذين السؤالين مذاهب شتى ولكن الدراسات المتاخرة والتجارب العلمية الجارية ولا سيما ما اتصل منها بجراحة الدماغ القت اضواء جديدة ومفيدة على الذاكرة ستحاول ان نقدم ـ في هذه العجالة ـ فكرة عنها .

هذا ومن المعلوم ان اية فرضية يجب ان تعتمد في التحقق من صحتها او عدمها على دلائل محسوسة او منطقية . وحتى وقت قريب كانت الدلائل المتوفرة على كيفية عمل الدماغ في ادراكه للحقائق وتذكره لها قليلة ، وبصورة خاصة كان مجهولا كيفية اختزان الذكريات ومكان اختزانها في البلايين الاثنتي عشرة من خلايا الدماغ وكان العلماء يتساءلون عن مقدار المخزون من الذكريات؟ وعما اذا كانت الذكريات تتلاشى ام تبعث بكاملها او يبقى جزء منها؟ كما كانوا يتساءلون عما اذا كانت الذاكرة عامة ام متخصصة ؟ وكانوا اخيرا يتساءلون عن السبب في ان امكانية استحضار بعض الذكريات اسهل من استحضار البعض الآخر ؟

اعمال بنفيلد

ان واحدا من اشهر الباحثين في الذاكرة هو الدكتور (وايلد بنفيلد Penfield)من جامعة (ماك غيل) في مونتريال بكندا وقد بدأ في عام ١٩٥١ بتقديم معلومات مثيرة عن الذاكرة تحاول الاجابة عن هذه الاسئلة وسواها .

في اثناء اجرائه عمليات جراحية دماغية للمرضى المصابين بالصرع قام بنفيلد باجراء عدة تجارب كان فيها يلمس الملحاء الصدغي لدماغ المريض مستعملا تيارا كهربائيا ضعيفا مارا من خلايا مسبار غالفاني ، ولقد تجمعت لديه ملاحظات قيمة خلال سنوات عدة وبعد تجارب كثيرة . وفي كل حالة من هذه الحالات كان المريض يقدر تقديرا



موضعيا وبذلك كان المريض واعيا تماما في اثناء عملية السبر للقشرة الدماغية وكان قادرا على التحدث مع الدكتور بنفيلد • ولقد قال كل هؤلاء المرضى الذين اجريت عليهم التجارب انهم سمعوا اشياء معجبة • ولقد تراءى من خلال اقوال هؤلاء الذين خضعوا للتجربة ان كل شيء يستقر في وعينا يسجل بالتفصيل ويختزن في الدماغ ويمكن استعادته في الحاضر • ولقد وجد (بنفيلد) ان اللاحب Electrode (القطب الكهربائي) المثير يمكن ان يستخرج الذكريات من ذاكرة الانسان بوضوح وبشكل اجباري ، حتى لقد قال (بنفيلد) ان الخبرة التي يستحصل عليها بهذه الطريقة تقف عندما يسحب اللاحب ويمكن ان تعاد حينما يعاد اللاحب ولقد قدم على ذلك الامثلة التالية :

هناك اولا حالة المريض (س • ب) الذي اثير في النقطة ١٩ في الالتفاف الاول من الفص الصدغي الايمن والذي قال « لقد كان ثمة بيانو وكان هناك من يعزف • انني استطيع سماع الاغنية » • ولما اثيرت النقطة مرة اخرى وبدون تحذير قال المريض ، بعضهم يتكلم الى واحد آخر » • وذكر اسما ولكني لم استطع فهمه •• لقد كان الامر يشبه الحلم • ولقد اثيرت النقطة نفسها مرة ثالثة • وبدون تحذير فقال المريض بصورة عفوية « او ـ ماري ، او ـ ماري ـ ان احدهم يغني هذه الاغنية » • ولما اثيرت النقطة عينها مرة رابعة سمع المريض الاغنية ذاتها وقال انها لازمة برنامج اذاعي معين •

وحين اثيرت المنطقة ١٦ قال المريض واللاحب في موضعه : « ان شيئا ما يعيد ذكرى ما الى ذاكرتي ، انني استطيع رؤية شركة المياه الغازية سيفن آب •• وهاريسون بيكرى » • وحينئذ قيل للمريض انه اثير ولكن اللاحب لم يكن موضوعا في دماغه فقال انه لا يرى ولا يسمع شيئا •

وفي حالة اخرى للمريضة (د • ف) اثيرت نقطة موجودة على المساحة العليا من الفص الصدغي الايمن وذلك ضمن شق سلفيوس فسمعت المريضة اغنية شائعة معينة تعزف من قبل جوقة موسيقية • ولما تكررت الاثارة تكرر سماع الاغنية نفسها طالما كان اللاحب في موضعه وقد اخذت المريضة تدندن اللحن نفسه •

اما المريض (ل • ج) فقد حمل على ان يستشعر من جديد امرا قال انه خبره من قبل • اما حين اثير في نقطة صدغية اخرى فقد سبب له ذلك رؤية رجل وكلب يمشيان على طريق قرب منزله في الريف • ولقد سمعت امراة اخرى صوتا لم تفهمه تماما وذلك حين اثير الالتفاف الصدغي الاول عندها • وحين ارجع اللاحب مرة اخرى الى النقطة ذاتها سمعت صوتا ينادي « جمي ، جمي » وهو اسم الدلع لزوجها الشاب الذي تزوجته مؤخرا

استنتاجات بنفيلد

١ ـ ان واحدا من استنتاجات بنفيلد هو ان ما اثاره اللاحب كان ذكرى واحدة وليس مزيجا من الذكريات او تعميما •

٢ ـ واستنتاج آخر من استنتاجات بنفيلد هو ان الاستجابة للاحب لم تكن اختيارية • يقول بنفيلد :

تحت تاثير المسبار المجبر كانت تبدو خبرة ما مالوفة في وعي المريض سواء اراد تركيز انتباهه عليها أم لم يرد • ان اغنية ما كانت تتسرب الى ذاكرته وربما يكون هذا التسرب على الصورة التي كانت قد حدثت في الماضي وفي مناسبة معينة • لقد كان يجد نفسه منغمسا في وضع معين كان قد خبره في السابق • انه وضع مالوف لديه وهو الممثل والنظارة في الوقت ذاته » •

٣ ـ ولعل اهم مكتشفاته واعمقها معنى هو اكتشافه ان الحوادث الماضية لا تسجل وحدها بالتفصيل ولكن يسجل معها المشاعر التي رافقت تلك الحوادث وامتزجت بها • ان الحادث وما رافقه من مشاعر كانت تسجل في دماغ الانسان بحيث انه لا يمكن احياء واحد منها دون احياء الآخر •

يقول بنفيلد :

« ان المجرب عليه كان يستشعر من جديد الانفعالات التي احدثتها في نفسه الاحداث الاصلية • وهو يعي التفسيرات ذاتها ـ سواء

اكانت صحيحة ام خاطئة ـ التى كان قد اعطاها فى الخبرة الاصلية • وهكـذا فان الذكريات المستفادة لا تكون اعادة فوتوغرافية (تصويرية) دقيقة ولا اعادة فوتوغرافية (صوتية) مضبوطة للمشاهد الماضية • انها اعادة لما كان المريض قد رأى وسمع وما شعر به وفهمه من الحادث •

والذكريات تستثار يوميا وفى الحياة العادية بالطريقة نفسها التى استثارها بنفيلد بمسباره، وفى الحالتين يمكننا ان نصف التذكر بانه اعادة الحياة Reliving اكثر منه مجرد تذكر • على انه لا بد من التفريق بين ان يعيش الانسان الحادث من جديد وهو ما سميناه بـ (اعادة الحياة) وهو امر عفوى وشعور لا ارادى وبين عملية التذكر وهو ما نرى ان نقصره على العملية الواعيـة الارادية بعملية التفكير فى الحادث الماضى الذى عدنا وعشناه من جديد •

وفيما يلى اشارة الى تقريرين ادلى بهمـا مريضان يوضحان كيفية احياء الاثارة الحاضرة للمشاعر الماضية •

قررت سيدة فى الاربعين من عمرها انها كانت تسير فى الشارع ذات صباح ومرت بمخزن يبيع الادوات الموسيقية فسمعت نغما موسيقيا اشعرها بكآبة سوداوية • لقد شعرت بحزن شديد لـم تفهمه وكان من الشدة بحيث لا يمكن احتماله • ولقد عجزت عن فهم سبب هذا الحزن فقصـدت محللا نفسيا ، وقصت عليه قصتها ، وبعد ان استمع اليها مليا سالها عما اذا كان فى حياتها الباكرة ما ذكرها به هذا اللحن ؟ فلم تستطع تذكر اى صلة بين هذا اللحن وحزنها الطارىء الشديد • ولكنها ـ وفيما بعد ـ هتفت للمحلل النفسى تقول له انها بعد ان دندنت اللحن لنفسها مرارا تذكرت بصورة فجائية امها وقد جلست الى البيانو وهى تعزف هذا اللحن بالذات • ولقد ماتت الام حين كانت السيدة فى الخامسة من عمرها • وقد كان موت الام سببا فى ألم وكآبـة شديدين حدثا للفتاة الصغيرة وامتدا عندها فترة من الزمن بالرغم من الجهود الكثيرة التى بذلها الوالد الذى حاول ان يحل العمة محل الام عند هذه الصغيرة • ولم تسمع المريضة هذا اللحن ولم تذكر امها وهى تعزفه منذ ذلك الحين حتى مرت بمخزن الادوات الموسيقية • والجدير بالذكر ان المشاعر السعيدة تعاش من جديد بالطريقة عينها •

وكلنا يعلـم كيف ان رائحة او صوتا او اشارة تسبب سعادة عارمة لنا • وقد لا تدوم هذه السعادة غير ثوان ، وما لم نحاول تذكر السبب فى هذه السعادة التى سببتها الرائحة او الصوت او الاشارة فاننا قد لا نصل الى معرفة السبب ولكن هذا لا يمنع ان سعادتنا حقيقية وواضحة •

لقد روى انسان هذا الحادث : انه كان يسير فى فى شـارع قـرب حـديقـة الكـابيتـول فـى (ساكرا منتو) فى امريكا حين شم رائحة الليمون والكبريت الذى تعفر به الاشجار ، وبالرغم من كراهية رائحة الكبريت فان هذا الرجل شعـر بسعادة غامرة • ولقد كان من السهل عليه ان يعرف السبب اذ انه ذكر طفولته فى الريف وذكر اباه الذى كان يعفر اشجار التفاح بالكبريت فى الربيـع وبعـد شـتاء طويـل قاس ، كمـا ذكـر اخضرار الاشجار وبرعمتها وغير ذلك من مشاهد طفولته السعيدة ومشاهد الربيع البهيجة •

٤ ـ واستنتاج آخر من استنتاجات بنفيلد وهو قولـه : ان السجل الذاكرى يبقى سليما بعد اندثار قدرة الانسان على تذكره ، يقول بنفيلد : « ان التذكر الناتج عن اثارة اللحاء الصدغى يحتفظ بالصفات المفصلة للخبرة الاصلية • ولذلك فانه حين تستثار الذكرى فى وعى المريض تبدو الخبرة وكانها جارية فى الحاضر • ولعل السبب فى ذلك انها تفرض نفسها علـى انتباهـه بقوة لا تقاوم • ولا يستطيع الانسان ان يدرك انها ذكرى من ذكريات الماضى الا بعد ان تنقضى وتتلاشى •

٥ ـ والاستنتاج الخامس الذى توصل اليـه بنفيلد نتيجة لتجاربه وبحوثه هو ان الدماغ يعمل بوصفه مسجلةذات امانة بالغة High-Fidelity وهى تسجل كل خبرة تحدث منذ وقت الولادة وحتى قبل الولادة • وبالرغم من ان تخزين المعلومات فى الدماغ عملية « كيمائية »من دون ريب تشتمل على ترميز لم نستطيع فهم طبيعته حتى الان ، وبالرغم من انه فى تشبيه الدماغ بمسجلة ذات امانة بالغة تبسيط زائد للامور ، نقول بالرغم من هذا

كله فان هذا التشبيه قد اثبت انه ذو فائدة كبيرة فى فهم الذاكرة • والمهم انه ايا كانت الطريقة التى يحصل فيها التسجيل فان هذا التسجيل ذو امانة بالغة •

يقول بنفيلد : « حين ينتبه انسان سوى انتباها واعيا لشىء ما فانه يسجله فى الوقت نفسه فى اللحاء الصدغى من كل نصف كرة دماغية » •

٦ ـ وهذه التسجيلات تكون متتالية ومتلاحقة • يقول بنفيلد « حين يدخل اللاحب الى اللحاء الذاكرى فقد ينتج صورة ولكن الصورة لا تكون فى المعتاد ساكنة • انها تتغير كما تغيرت حين تم الحصول عليها •• انها تتبع الحوادث التى لوحظت فى الاصل فى الثوانى والدقائق المتلاحقة • ان الاغنية التى تنتجها الاثارة اللحائية تتقدم رويدا رويدا من جملة الى اخرى ومن بيت الى لازمة » •

ويستنتج بنفيلد بعد ذلك ان الخيط الناظم للاستمرار بالنسبة للذكريات المستعادة هو الزمان ، ذلك بان النمط الاصلى كان قد تم فى تتال زمنى • يقول بنفيلد : « يبدو ان خيط التتالى الزمنى يربط فيما بين عناصر الذكريات• ويبدو كذلك ان العناصر الحسية التى انتبه اليها الانسان هى التى تسجل وليس كل الاشارات الحسية التى تقع باستمرار على الجملة العصبية المركزية » •

ويمكن القول بالنظر لتعقد الذكريات وتواليها ان لكل ذكرى نستطيع تذكرها دربا عصبيا خاصا •

٧ ـ ومن الامور ذات الاهمية الخاصة فى فهمنا لكيفية تاثير الماضى فى الحاضر ، ما يلاحظ من أن اللحاء الصدغى يستخدم بوضوح فى تفسير الخبرات الحاضرة يقول بنفيلد : « يمكن احداث الاوهام•• باثارة اللحاء الصدغى •• والاضطراب الحاصل هو اضطراب فى الحكم بالنسبة للخبرة الحاضرة، الحكم بان الخبرة مألوفة او غريبة او شاذة ، الحكم بان المسافات والحجوم متغيرة ، حتى كون الوضع الحاضر مخيفا •

ان هذه الاوهام اوهام ادراكويقود النظرفيها الى الاعتقاد بان الخبرة الجديدة تصنف مباشرة جنبا الى جنب مع خبرة مماثلة سابقة بحيث ان الحكم على الفروق ووجوه الشبه يصبح ممكنا • ومثال ذلك انه بعد مضى وقت من الزمن قد يصبح من الصعب على الانسان ان يستحضر ذكرى صورة صديق قديم كما بدت له قبل سنوات عدة ، ومع ذلك فاننا لا نكاد نقابل هذا الصديق بصورة غير متوقعة حتى نلاحظ حالا الفرق بين الصورتين الحاضرة والسابقة • ان الانسان يلاحظ الخطوط الجديدة فى وجهه والتغير فى شعره وفى انحناء كتفه » •

الخلاصة

ما الذى نستخلصه من جميع ما تقدم ؟

اننا نستخلص مما تقدم امورا اربعة على جانب كبير من الاهمية والخطورة ، الا وهى :

١ يعمل الدماغ عمل مسجلة ذات امانة بالغة •

٢ ـ المشاعر التى رافقت الخبرات الماضية تسجل كذلك مع تلك الخبرات وتكون جزءا لا يتجزأ منها •

٣ ـ يمكن للانسان ان يوجد فى حالتين فى الوقت نفسه : لقد كان المريض يعلم انه على مائدة العمليات وانه يكلم بنفيلد ، وكان مع ذلك يعلم انه يرى معمل الماء الغازى وهاريسون بيكرى» لقد كان ازدواجا بمعنى انه كان فى الوقت ذاته داخل الخبرة وخارجها اى يختبرها ويلاحظها •

٤ ـ ان هذه الخبرات المسجلة والمشاعر المصاحبة لها والمرتبطة بها يمكن استحضارها الآن وفى أى وقت وبنفس الدرجة من الحيوية التى كانت عليها عندما حدثت لاول مرة • وهذه الخبرات والمشاعر لا يمكن استحضارها واستعادتها فقط وانما يمكن عيشها من جديد ، حتى لقد قال احد العلماء : « اننى لا استطيع تذكر مشاعرى فحسب ولكننى استطيع ان استشعر المشاعر نفسها الآن ومن جديد » •

واذا كان لا بد لنا من استخلاص علمى واضح من تجارب بنفيلد فهو ان تجارب هذا العالم اثبتت ان وظيفة التذكر ليست امرا نفسيا فحسب ولكنها امر بيولوجى ايضا • صحيح اننا ما زلنا نجهل الكيفية الدقيقة لاتصال الجسد بالنفس ولكننا نستطيع ان نقول نتيجة للاطلاع على هذه التجارب ان الدراسات الحاضرة والبحوث الجارية ولا سيما فى مضمار الوراثة والبيئة واسسها البيولوجية ستوضح لنا الكثير من الامور التى كانت مغلقة على افهامنا • ■■

فاخر عاقل



أنت تسأل .. ونحن نجيب

خطوط الانابيب العربية (سوميد)
تبدأ عملها فى اوائل العام المقبل

● قرأنا كلمتكم عن خط الانابيب الاسرائيلي وسررنا كثيرا للخسائر التي اخذ يتكبدها الخط ولقرب افلاسه (العدد رقم ٢١٣) ولفت نظرنا ما ذكرتم في نهاية هذه الكلمة عن خطوط الانابيب العربية (سوميد) ومن قرب انتهاء العمل فيها • نرجو أن تحدثونا بشيء من التفصيل عن هذه الخطوط العربية •• ترى لم تأخر تنفيذ مشروع الخطوط العربية ، وقد بدأ التفكير فيه مبكرا ، في أواخر الستينات على ما نذكر •• وهل من تعارض بين اعمال هذه الخطوط واعمال قناة السويس ••

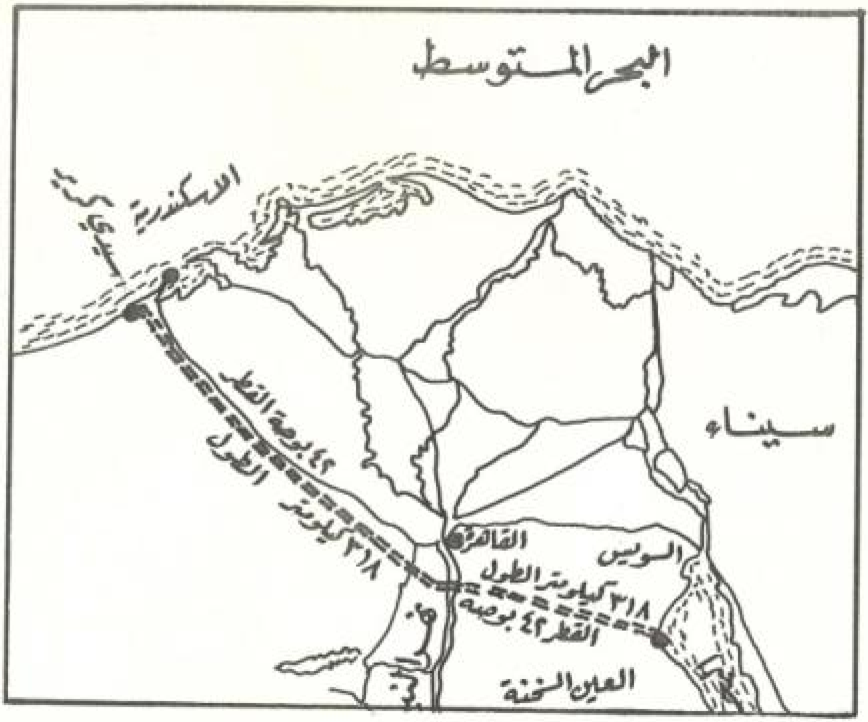
ـ لا ندرى الاسباب التى ادت الى التاخير الذى تذكر •• بل اننا لا ندرى ان كان ثمة تاخير على الاطلاق •• فالمشاريع الكبيرة كخطوط الانابيب العربية (سوميد) جديرة بالا ترتجل وبان تلقى من الدراسات والاجراءات مايكفل لها الجدوى والنجاح في المستقبل القريب والبعيد• اضف الى ذلك ان المشروع اصبح مشروعا عربيا خالصا وقد كان فى مراحله الاولى مشروعا اوروبيا الى حد كبير •• فالتاخير •• ان جاز اعتبار المدة التى انقضت على بداية التفكير في المشروع تاخيرا •• قد انتهى الى خير العرب جميعا •• ذلك ان شركة الخطوط العربية ، واسمها بالكامل : « الشركة العربية لانابيب البترول ـ سوميد » قد جاءت ثمرة طيبة للتعاون الاقتصادى بين خمس دول عربية هى ، المملكة العربية السعودية ، ودولة الكويت ، ودولة الامارات ودولة قطر الى جانب جمهورية مصر العربية • وقد بلغ رأسمال الشركة التاسيسى ٤٠٠ مليون دولار غطت مصر ٥٠٪ منه وغطت الدول الاخرى النصف الاخر على النحو التالي : ١٥٪ لكل من السعودية والكويت والامارات و ٥٪ لقطر •

اما تكاليف المشروع التى ستبلغ فى النهاية ٤٨٠ مليون دولار ، فسيشفع لها دخله المرتقب وهو مقدر بحوالي ٣٦ مليون جنيه سنويا ، اعتبارا من سنة ١٩٨٠ • ولو ذكرنا طاقة خط سوميد لما استغربنا دخله • اذ ستبلغ طاقته لدى اكتماله فى ديسمبر من السنة الحالية ، ٦٠ مليون طن من البترول الخام •• وستصبح ٨٠ مليون طن سنة ١٩٧٧ ، ثم تبلغ ١١٧ مليون طن بعد ذلك ••

وتعزى هذه الطاقة الكبيرة الى أن خط سوميد خطان من الانابيب لا خط واحد •• وهما بقطر ١٠٥ سنتمترات وبطول ٣٢٠ كيلومترا يمتدان من عين السخنة ، قرب مدينة السويس ، على البحر الاحمر الى سيدى كرير ، قرب الاسكندرية على البحر المتوسط •

ولا يخفى أن هذه الخطوط ليست انابيب فحسب •• فهى منشآت تشمل ايضا المضخات ، ١٠ منها اساسية بقوة ١١٠٠٠ حصان و ٦ مضخات مساعدة بقوة ٤٠٠٠ حصان •• وتشمل كذلك العوامات ومستودعات التخزين وقد بلغ عدد العوامات ، وهي موانيء عائمة ، ثماني عوامات ، خمس منها في الاسكندرية ، وثلاث في العين السخنة أما المستودعات أو الخزانات وهي بسعة ١٠٣ متر مكعب لكل منها فقد بلغ عددها ١٢ خزانا في العين السخنة وحدها •

ولعل أكثر ما يلفت النظر فى خطوط انابيب



سوميد ثلاث ملاحظات ٠٠ الاولى انها تقطع نهر النيل بالقرب من القاهرة (انظر الخريطة) ، ولكنها تقطعه بالامتداد تحت مياهه لا فوقها ٠٠ والملاحظة الثانية هى اشتمال منشآت هذه الخطوط على اجهزة مانعة للتلوث ، تقى مياه البحر المتوسط شر هذه الآفة الخطيرة ٠٠ وهذه اجهزة حديثة يندر ان تجدها مع خطوط انابيب البترول فى شتى ارجاء العالم ، وقد بلغت تكاليفها حوالى ٤٠ مليون دولار ، اى نحو ١٠٪ من مجموع تكاليف مشروع سوميد كله ، وقد بلغت هذه التكاليف بجملتها نحو ٤٨٠ مليون دولار ٠٠ واول ما يذكر هنا هو أن قناة السويس بحاجة الى خطوط سوميد ، حاليا وفى المستقبل ٠ فهى لا تستطيع استقبال الناقلات العملاقة فى الوقت الحاضر ومن شان الانابيب العربية ان تقوم مقامها بالنسبة الى هذه الناقلات ٠٠ ثم ان الاقبال على القناة وهو فى ازدياد مستمر ، سيتضاعف لدى الانتهاء من توسيع القناة وتعميقها بعد سنة ١٩٨٢ ٠٠ وقد تضطر الناقلات فى تلك الحال الى الانتظار قليلا او كثيرا لعبور القناة ٠ وقد يؤثر بعضها تفريغ الحمولة فى عين السخنة على انتظار الدور عند مدخل قناة السويس ٠٠ ومهما يكن من أمر فلا مفر للشقيقين ان يتعاونا لا سيما وان خطوط انابيب سوميد انما انشئت اصلا من اجل هذه الغاية فحسب ٠

بقى أن نذكر ان خطوط سوميد هذه ستكيل الضربة القاضية لخط التبلاين الاسرائيلى ـ الذى كان يحتضر منذ حين ٠ ولعل الامل الوحيد لهذا الخط فى ان يبقى على قيد الحياة هو فى الحقول البترولية التى زعمت اسرائيل بانها اكتشفتها على شواطىء سيناء ، قرب الطور ، وزعمت أنها حقول كبيرة للغاية ٠

(ى ٠ ز)

التاريخ يعيد نفسه ! ايزابيلا .. وايفيتا .. وشبح بيرون !

● أين ايزابيلا بيرون رئيسة جمهورية الارجنتين التي عزلها الجيش ، وماذا حدث لها ؟

سالم محمود ـ اليمن

ـ عند سفوح جبال الانديز وفي قصر أثرى ، تاريخه الى العصور الوسطى ، تقيم اليوم السيدة ايزابيلا ارملة رئيس جمهورية الارجنتين جوان بيرون ـ الذي رحل أخيرا ،بلا عودة في عام ١٩٧٤، بعد ان نجح في أن يجعل من زوجته نائبة له في منصب الرئاسة !

لقد حملوها الى هذا القصر على اثر الانقلاب العسكرى الذى اطاح بها كرئيسة للجمهورية ، وبحكومتها التي تواجه اليوم تهمة الفساد وتبديد أموال الشعب .. وهي تعيش في هذا القصرشبه سجينة الى أن تحدد الحكومة العسكرية التيتولت السلطة في الارجنتين متى وكيف تقدم ايزابيلا للمحاكمة !

ولكنها لا تهتم كثيرا بالمستقبل ، فهي تستمتع باللحظات التي تعيشها اليوم ، ثم هي لا تحب الحديث عن الماضي ، حتى لو كان هذا الحديث عن زوجها الراحل الذى حكم الارجنتين بيد منحديد منذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٥ ، عندما اطاحت ثورة الجيش والبحرية بحكمه ،واتهموهبالدكتاتورية والطغيان والفساد والديماجوجية او التهريج السياسى ! وربما لانها لم تكن هي التي شاركت الجنرال بيرون تلك السنوات الذهبية الاولى من حياته كرئيس لثانياكبر دولة في امريكا اللاتينية! او وربما لانها تعلم ،ان امراة اخرى كانت تشاركه حكمه ،وانها كانت امراة جميلة ، وانها لعبت اكبر واخطر دور في حياته .. زوجته الاولى ايفا بيرون او « ايفيتا » التي احبها الشعب رغم كل ما كانت تأخذه عليها احزاب المعارضة والجيش بصفة خاصة .. حتى انهم قالوا وهم يرون الذبول يكسو وجهها الجميل خلال فترة مرضها الطويلقبل وفاتها في عام ١٩٥٢ : « لقد بدأ نجم بيرون يهوى .. ان ايام الجنرال اصبحت معدودة ! » .

وربما من اجل هذا لا تحب ايزابيلا كثيرا الحديث عن الماضي !

لقد مرت ثلاث سنوات على وفاة ايفيتا ثم اندلعت الثورة التي اطاحت بحكم بيرون ، وهرب الدكتاتور الى جمهورية براجواى ، ثم الى اسبانيا التي عاش فيها سنوات حياته بعيدا عن بلاده في المنفى !

امنية واحدة لم تستطع ايفيتا ان تحققها في حياتها القصيرة الحافلة بالاحداث مع زوجها ،وهي ان تصبح نائبة لرئيس الجمهورية ، فقد حال الجيش بينها وبين تحقيق هذه الرغبة في عام ١٩٥١عندما اعيد انتخاب زوجها رئيسا للجمهورية! .. وقد كان فشلها في تحقيق امنيتها هوالسبب المباشر في العلة التي اصابتها وقضت عليهابعد ذلك بسنة واحدة ! والغريب ان تنتقل « شهوة السلطة » الى قلب المراة التي التقى بها بيرون في منفاه وتزوجها .. ثم تمر الاعوام ، ويعود رئيس الجمهورية المطرود الى بلاده .. وتسعى الزوجة الثانية بكل ما لديها من قوة وتأثير حتى تنجح فيما فشلت فيه الزوجة الاولى !

ويتولى بيرون رئاسة جمهورية الارجنتينللمرة الثانية في عام ١٩٧٣ بعد ثمانية عشر عاما قضاها في المنفى يرقب احداث بلاده التعسة من بعيد.. ثم يموت رئيس الجمهورية ، وتتولى ارملتهرئاسة الجمهورية من بعده .. وتزداد الحالة سوء ، ويعم السخطه البلاد ،ولكنها تتشبث بكرسيالحكم وترفض الاستقالة رغم الضغوط التي كانت تتعرض لها من جانب الاحزاب السياسية والجيش .. وأخيرا يتدخل العسكريون ويقومون بانقلابهم ، وتسقط ايزابيلا .. تماما كما سقط رئيس الجمهورية من قبل ، في عام ١٩٥٥ !

وهكذا يعيد التاريخ نفسه !

ان المشكلة التي تواجه حكومة الارجنتينالحالية بعد شهور طويلة من ابعاد ايزابيلا عن السلطة ، هي كيف تشوه صورة هذه المراة الجميلة امام الشعب .. لقد كان شعب الارجنتين ساخطا عليها نتيجة للاحوال الاقتصادية السيئة التي مرت بها البلاد خلال سنوات حكمها .. الى جانب حالة الفوضى والاضطراب التي عمت الارجنتين من اقصاها الى اقصاها .. هذه حقيقة لا يختلفعليها

الثان •• ولكن الغريب ان هذا الشعب العاطفي ما زال يحب ايزابيلا •• والسؤال الآن هو : « كيف ومتى تقدم رئيسة الجمهورية السابقة للمحاكمة ، دون اثارة غضب الشعب ؟ » ان شبح بيرون ما يزال يخيم على الارجنتين !

(م • ن)

بين كتاب كليلة ودمنة وأصله الهندي

● يذكر ابن المقفع في مقدمة ترجمته لكتاب كليلة ودمنة ، انه ترجمه الى العربية من البهلوية التي كان قد ترجم اليها قبل ذلك من اصل هندي ، فما هذا الاصل وما لغته ،وهل لم يزل هو ،او ترجمته البهلوية ، وهل من فروق بينهما وبين ترجمة ابن المقفع ؟ •

هاني عمر باوزير ــ صنعاء

ــ الف هذا الكتاب اصلا باللغة السنسكريتية (احدى لغات الهند القديمة) واسمه فيها «بنجا تنترا » اى الاسفار الخمسة ، او كنوز الحكمة الخمسة ، وكان قد عرف فيها تاما قبل نهاية القرن الخامس الميلادى وان كانت اراء العلماء في زمن تاليفه تتراوح بين ستة قرون قبل ذلك ، وخلال القرن السادس الميلادى ترجم الى البهلوية (اللغة الفارسية القديمة) وخلاله ايضا قام عالم سرياني يسمى « بود » فترجمه سنة ٥٧٠ الى السريانية ، ثم جاء اديبنا ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) فاتم نقله الى العربية سنة (٧٥٠) ، وعن ترجمته وحدها اشتهر الكتاب وانتشر قديما وحديثا • واذا كان القصص على السنة الحيوانات معروفا في اقدم الجماعات واحدثها ، وكانت قصص « بنجا تنترا » قد عرفت بين اليونان والرومان قديما ، فان قصص الترجمة العربية هي التي تسربت خلال العصور الوسطى والحديثة الاوروبية في آداب العالم ولا سيما الغرب ، حتى صارت من التراث الشعبي في معظم اقطاره ، وهكذا كان الغرب منذ اقدم عصوره ينقل عن شعوب الشرق آدابها وعلومها ودياناتها ومعظم ماثوراتها الثقافية ، كما تاثرت هي بثقافته اليونانية قديما ، وهي اليوم تتاثر بثقافته الحاضرة ومبتكراته الحضارية ، وانتقال الثقافات بين الجماعات يحييها وينميها ويربط بين اهلها مهما اختلفوا جنسا ووطنا ولسانا •

ومما روج الكتاب طرافة قصصه ،وبساطة معانيها، وحكمة مراميها ، وتلاحظ هنا سهولة الفاظ ابن المقفع اضطرارا مع تعقد بعض عباراته احيانا لانه لم يكن اصيل النشاة في العربية ، وكثير من الباحثين يعدونه من بلغاء النثر العربي ورواده، وهم مبالغون في ذلك ، وان كان واضحا من اثاره ، انه كان يتانق جهده فيما كتبه تاليفا وترجمة ، وكان فيما يؤلفه يستفيد من معارفه الاعجمية الى جانب العربية ، ويدخلها في كلامه ولا يستمده دائما من ابتكاره ،كما كان يتصرف فيما يترجمه من اداب ، وان لم يبلغ مبلغ ضعاف المترجمين المتاديين الذين « اذا الفوا ترجموا ، واذا ترجموا الفوا » ، ومن دواعي تصرفه في الترجمة تقريبها الى مالوف العرب وذوقهم والجو الاسلامي الذى كان يعيش فيه ، ويكتب له ويدس عليه عقائده المجوسية ، وهذا واضح من المقارنة بين ترجمته واصلها الهندى والترجمة السريانية التي يقول العلماء الالمان المحدثون انها اقرب الى الترجمة البهلوية ، بعد ان حققوها ثم ترجمها بعضهم الى الالمانية ، وتدل بحوث استاذنا الالماني الراحل « باول كراوس »على ان ابن المقفع تنفس عن كثير من اراثه المانوية المجوسية على استحياء في مقدمة ترجمته وان كان قد اظهر قبل ذلك ــ وهو رجل ناضج ــ دخوله في الاسلام (انظر كتاب « ابن المقفع » للمرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة) ويظهر من ترجمته انه تصرف فيها حتى كانها الفت اصلا بالعربية وقد اشار الى مثل هذا الزيغ قبل الف سنة عالمنا العبقرى العظيم ابو الريحان البيروني ــ وهو اعرق العلماء القدامى بالهند وتراثها وعقائدها ــ اذ قال في تاريخ الهند « وللهند فنون من العلم اخرى كثيرة ،وكتب لا تكاد تحصى ،وبودى ان كنت اتمكن من ترجمة « بنج تنتر » وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة ، فانه تردد بين الفارسية (البهلوية) والهندية (السنسكريتية) ، ثم العربية والفارسية ، على السنة قوم لا يؤمن تغييرهم اياه ، كعبد الله بن المقفع في زيادته باب بروزيه فيه ، قاصدا تشكيك ضعيفي العقائد في الدين ، وكسرهم للدعوة الى مذهب المانية (المانوية) واذا كان متهما فيما زاد لم يخل مثله فيما نقل » •

والترجمة البهلوية مفقودة، ولكن ترجمتها الى السريانية باقية وقد نقلت من السريانية الى الالمانية حديثا كما اشرنا هنا ، اما الاصل السنسكريتي فباق ، وقد ترجمه حديثا الى الانجليزية الدكتور فرانكلين ادجرتون استاذ الادب السنسكريتي في جامعة ييل بامريكا ، وعن ترجمته هذه نقله الى العربية اخيرا الدكتور عبد الحميد يونس استاذ الادب بجامعة القاهرة ، وطبع في الكويت بعنوان « الاسفار الخمسة (بنجا تنترا) » ، وقدم له بمقالة توضح سيرة الكتاب في ترجماته الى لغات مختلفة قديما وحديثا ، وقد بلغت خمسين ترجمة ، كما ختمه بفصل قصير للمقارنة بين مضامين الاصل الهندي ومضامين ترجماته لا سيما ترجمته العربية لابن المقفع الذي اتخذ لها عنوان « كليلة ودمنة » وهما اسمان لاثنين من بنات آوى اصلهما في السنسكريتية كرطاكه (اي ذو العواء المخيف) ودمنكة (اي المنتصر) وقد حرف اكثر الاسماء في ترجمته حتى العنوان ،وان كان هذا كله لا ينقص من روعة كتابه وفضله في لغتنا وسائر اللغات ٠

(م ٠ خ ٠ ت)

٢٥ نقابة عمالية واتحادا في الكويت !

● هل توجد نقابات عمالية في الكويت ؟ وهل تلقى دعما من الحكومة ؟ وكم عدد المنتسبين اليها ؟ احمد شاكر / المنصورة ــ مصر ٠

ــ في الكويت ١٤ نقابة للعمال والمستخدمين ، العاملين في مختلف الوزارات والمؤسسات مثل : الصحة ، التربية ، الاشغال ، المالية ، الكهرباء والماء ، المواصلات ، الاعلام ، الشئون الاجتماعية، البلدية ، شركة نفط الكويت ، شركة الزيت الامريكية ، شركة البترول الوطنية ، الكيماويات البترولية ، والبنوك ٠٠

واكبر النقابات عددا هي نقابة عمال ومستخدمي البلدية وتضم ١٨٣٠ عضوا ، تليها نقابة عمال وزارة المواصلات وتضم ١٦٢٦ عضوا ٠٠

ويبلغ مجموع عدد المنتسبين الى كل النقابات في الكويت ١٤٨٠١ الف عامل ومستخدم ، وهذا العدد يمثل ما نسبته ١١٫٤٪ من مجموع عدد العمال والمستخدمين في الكويت والمقدر عددهم بنحو ١٢٩٫٥٥٥ (احصاء ١٩٧٥/٧٤) ٠٠

ولكن عدد المنتسبين الى النقابات لا يعني شيئا كثيرا ، لان النقابة تعتبر نفسها مسئولة عن كل العمال ، حتى ولو لم يكن الواحد منهم عضوا في النقابة !

والعمل النقابي في الكويت ،بدأ قبل الاستقلال، عندما انشأت الحكومة في عام ١٩٥٧ المركز الثقافي العمالي ، الذي كان بحق مدرسة للعمل النقابي في الكويت ، فمن بين اعضائه خرج العدد الاكبر من قادة النقابات العمالية ٠٠

وتنضم النقابات العمالية تحت ثلاثة اتحادات عمالية ، واحدة تجمع نقابات عمال القطاع الحكومي ، وثانية تضم نقابات عمال شركات البترول والصناعات البتروكيمياوية ، وثالثة تجمع عمال ومستخدمي الكويت ٠٠ والى جانب نقابات واتحادات العمال توجد ثمانية اتحادات لاصحاب العمل ٠٠

وتقوم الحكومة الكويتية بتقديم ٦ آلاف من الدنانير سنويا لكل نقابة ، و ١٢ الف دينار لكل اتحاد٠٠ وتقدم ارضا لكل نقابة واتحاد ، من اجل بناء مقر عليها ٠٠ ومما يذكر ان القانون يحرم دخول النقابات في عمليات استثمارية لاموالها ٠٠ ويدفع العامل اشتراكا رمزيا للنقابة ، يتراوح بين نصف وربع دينار شهريا ٠٠ ويحق لكل عامل سواء كان كويتيا او غير كويتي ، أن يلتحق بالنقابة ، ولكن الترشيح لانتخابات مجلس ادارة النقابة مقصور على الكويتيين ٠

ومما يذكر ان المجموع الكلي لعدد العمال في الكويت هو ٩٥٩٥٢ من بينهم ٥٢٠٠ من الكويتيين، مما يمثل نسبة ٥٫٤٪ ٠

وجهاز ادارة علاقات العمل بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، هو المنوط به الاشراف على تطبيق وتنفيذ تشريعات العمل في البلاد ٠٠

وللعمال في الكويت مجلة العامل الاسبوعية ، وهي تصدر نصف شهرية مؤقتا ، في ٥٢ صفحة، تعنى بشئون الطبقة العاملة وتدافع عن قضايا العمال ومطالبهم المشروعة ٠٠ انها مجلة العمال في الكويت ٠٠ وقد صدر العدد الاول منها في سبتمبر ١٩٧٥ ٠

(س ٠ ز)



العلاج النفسي الجماعي الحديث

• امراض شائعة •

أمل جديد لمرضى..

الفصام

بقلم : الدكتور درى حسن عزت

■ فى مقال سابق تكلمنا عن مرض الفصام وعن اعراضه وانواعه ، وفى هذا المقال نتناول تطور المرض وانذاراته وأساليب علاجه وما حدث فيها من تطور وتحديث غيرت تماما النظـرة التشاؤمية التى كانت سائدة عنه ٠

بشكل عام كان المرض فى الماضى يتحول تدريجيا الى حالة يكون فيها المريض منعزلا عن محيطه ، لا يبدى اهتماما بما يجرى حوله من أحداث ، خارج عالم خاص به يشغل فيه بافكاره الغريبة وهلوساته المختلفة ويكون فى حاجة للرعاية الدائمة ، لاينتظر منه القيام بعمل ينتفع منه وعالة على اسرته وعلى المجتمع بكافة مؤسساته الطبية والاجتماعية ٠ اذ لم يكن هناك قبل عدة عقود علاج معين يقضى على هذا المرض ٠ وكل ما كان ممكنا فى ذلك الوقت هو وضع المريض فى مصح لايوائه وعزله عن المجتمع لاتقاء شر تصرفاته الشـاذة وتهدئته عند الحاجة بوسائل بدائية ٠ لكن منذ أكثر من عشرين عاما بدات هذه الصورة القاتمة تتغير بالتدريج حتى اصبحت فى ايامنا هذه أكثر اشراقا واعظم تفاؤلا٠ وتجدر الاشارة هنا أن بعض الباحثين يقدرون أن حوالى ٨٪ من الحالات تشفى من المرض شفاء تاما بعد فترة من المعاناة تبلغ عدة شهور او سنة او

سنتين أو أكثر قليلا • ويتم هذا الشفاء حتى بدون تناول أية علاجات • (Spontaneous Remission) وما يوصف من علاج انما هو لتقصير مدة المعاناة وحصرها في أسابيع بدل أن تترك لتمتد لشهور •وعند الشفاء لا يترك المرض أثرا على شخصية المريض الذى يرد الى طبيعته الاولى ولا يعاوده مرة أخرى في المستقبل أى انه لا تحدث انتكاسات • وهناك بعض العلامات والشروط التى تشير الى انذارات حسنة للمرض، وتدل على مستقبل حميد له • نذكر منها مثلا ظهور الاعراض المرضية بشكل حاد Acute onset وأن يكون هناك في المحيط الخارجي مسببات ظاهرة Precipitating factors يرجع اليها بدء المرض كأزمات طارئة أو ضغوط عاطفية أو صراعات نفسية مفهومة أو أمراض بدنية •وأن تكون شخصية المريض قبل المرض من صفاتها التماسك وقادرة على تحمل الضغوط وحسنة التكيف Well adapted premorbid personality والا تكون شخصيته شبه فصامية أى لاتميل للنحافة والطول وضيق القفص الصدرى بل تكون ربعة Pyknic تميل للقصر والبدانة وقصر الرقبة • ومن العلامات الحسنة أيضا عدم تبلد الانفعالات والاحتفاظ بالقدرة على الاستجابة العاطفية في الفترة الحادة من المرض وكذلك شعور المريض بالاكتئاب والانقباض والخوف كتفاعل ثانوى من شخصيته Secondary personality reaction لما ينتابها من تغيرات ويمر بها من ظواهر وأعراض تحار في تفسيرها • هذا الشعور بالاكتئاب النفسى يشير الى انذار حسن ويبشر بتوقع الشفاء في المستقبل •

كما أن ذوى المستوى العالي من الذكاء فرصهم أكبر في الشفاء من هؤلاء المرضى ذوى الذكاء المتخلف •

هذه اعتبارات عامة وملاحظات لا ترقى الى مرتبة القوانين التى يمكن تطبيقها على جميع الحالات لكنها مؤشرات عملية تساعد على تفهم سير المرض•

لكن العامل الاهم المحدد لمستقبل المرض وتطوره أو الذى يدفع بالمرض من الحدة الى الانحسار هو العلاج النشيط Active treatment بكافة طرقه وأنواعه ومجالاته وبالاخص اذا بدىء به في المراحل المبكرة أى خلال السنة الاولى من ظهور الاعراض المرضية •

كان من أوائل العلاجات التى استخدمت ضد هذا المرض علاج غيبوبة الانسولين Insulin Coma & therapy استحدثه ساكل (Sakel) في جامعة فيينا بالنمسا في سنة ١٩٣٤ • ومن فيينا حيث أصاب العلاج نجاحاته الاولى انتشر الى سائر مراكز الطب النفسى في العالم المتمدين • ويعتمد هذا العلاج على حقن المريض بجرعات متدرجة في الارتفاع من الانسولين بقصد حرق السكر بالدم حتى بلوغ درجة غيبوبة نقص السكر Hypoglycaemic Coma وتظل هذه الغيبوبة حوالى نصف الساعة تنتهى باعطاء المريض كميات من الجلوكوز حتى يفيق وتتكرر هذه الغيبوبة يوميا لعدة أسابيع وقد كان لهذا العلاج مساندوه والمتحمسون له وقد اعتبر في المؤتمر الدولي للطب النفسى المنعقد بباريس ١٩٥٠ من أنجع العلاجات المعروفة في هذا الوقت لمرض الفصام المبكر • لكن منذ أوائل الستينيات بدأ الحماس يفتر لهذا العلاج نظرا لظهور وسائل أخرى وكذلك لما كان يصاحبه من مضاعفات وطول الفترة اللازمة لتنفيذه وما كان يتطلبه من مجهود وتوفر هيئات تمريضية وطبية ذات مهارات فنية خاصة ولا ننكر أننا قد لمسنا نتائج طيبة واستجابات حسنة لحالات كثيرة عولجت بواسطة هذه الطريقة •

وفي سنة ١٩٣٨ استحدث الطبيبان شيرليتي وبيني Cerletti & Beni بايطاليا طريقة العلاج بجلسات الصدمات الكهربائية Electric Convulsive therapy أو E.C.T. باختصار وهذه الطريقة انتشرت من ايطاليا الى سائر مراكز العلاج بالعالم وهى تعتمد على تمرير تيار كهربائي في المخ محسوب القوة والمدة الزمنية لاحداث غيبوبة فورية وتشنجات عضلية • لكن المريض لا يشعر بشيء اذ يحضر تحضيرا طبيا خاصا • ومنذ الخمسينات ادخلت على هذه الطريقة العلاجية تحسينات كبيرة منها اعطاؤها مع مخدر ومرخ للعضلات كما يحدث عند اجراء عملية جراحية عادية • ونحب أن نبين هنا ونؤكد أن هذه الطريقة العلاجية ليس لها مخاطر تذكر ولا ينتج عنها أية أضرار • وربما لا يرتاح عامة الناس للفظ الكهرباء ويحيكون

حولها مخاوف لا أساس لها • لكن في الواقع أن هذه الطريقة العلاجية لها دور كبير في علاج مرض الفصام اذ انها تساعد الوسائل الاخرى وتقصر فترة العلاج ويوصي الكثير من الاطباء النفسيين ذوي الخبرة والدراية بالبدء بها كعلاج أولي وهي الوسيلة المثلى لانهاء حالة الغيبوبة التخشبية • Catatonic Stupor .

في نوع الفصام التخشبي • واسمع شخصيا عن اطباء نفسيين واعرف شخصيا اطباء نفسيين عندما يصابون بامراض نفسية فصامية او غيرها يطلبون بانفسهم العلاج بواسطة الصدمات الكهربائية اذ يعرفون بخبرتهم انها علاج يؤدي الى نتائج حسنة ، وتسرع بانتشال المريض من معاناته وربما كان المأخذ الوحيد على هذه الطريقة هو اسمها فقط •

وفي السنوات الاخيرة قل الاعتماد على هذه الطريقة العلاجية كاسلوب منفرد كما قل كثيرا عدد الجلسات المستخدمة في العلاج وذلك لظهور اساليب اخرى جعلت من الكافي استخدام عدد اقل من الجلسات عن ذي قبل •

ولاشك ان استخدام العقاقير الطبية النفسية Psychotropic drugs في علاج مرض الفصام وغيره من الامراض النفسية قد احدث تطورا هائلا بل ثورة جذرية في نتائج العلاج ومستقبل المرض وتطوره وانذاراته • بحيث تلاشت تماما الصورة القاتمة التي كانت معروفة عنه • واصبح من المتيسر والممكن علاج المريض في بيئته الطبيعية وفي عيادات خارجية وسط المجتمع ،بعد ان كان يعزل في الماضي عزلا في مستشفيات مقبضة تحدها اسوار عالية تبنى خصيصا في مناطق نائية في اطراف المدن تاكيدا للعزلة •

مراكز العلاج النفسي الحديثة

في بعض الحالات توجد ظروف معاكسة في محيط الاسرة أو العمل تجعل من المستحسن ابعاد المريض عنها وحمايته من آثارها بادخاله احد المراكز العلاجية • هنا سوف نجد ان هذه المراكز العلاجية من مصحات ومستشفيات قد اصبحت الآن مجتمعات علاجية متكاملة Therapeutic Communities تشتمل على الحدائق والملاعب ومراكز للعلاج بالعمل ، والترفيه بالنادي والمسرح والسينما والمكتبة، بها معامل للاختبارات النفسية المختلفة، وأجهزة كاملة للبحث الاجتماعي وصارت هذه المصحات النفسية العلاجية جزءا من المجتمع وامتدادا له منفتحة على سائر التخصصات الطبية مفتوحة لاستقبال وعلاج افراد المجتمع بدون قيود أو اجراءات معقدة سواء في دخولها أو الخروج منها•

يقيم فيها المرضى لفترات زمنية قصيرة تحت العلاجات النشيطة ،ويستردهم مجتمعهم ثانية اعضاء نافعين فيه •

ويمكن في ظروف معينة ولمتطلبات خاصة ان يمكث المريض بالمصح النفسي أثناء الليل فقط وفي الصباح يقصد الى عمله المعتاد Night Hospital كما يمكن ان يمكث بالمصح أثناء النهار ويعود ليلا لينام في منزله وسط أسرته Day Hospital وقد أصبح كل هذا ممكنا بفضل التوسع في استخدام الادوية والعقاقير النفسية وتطبيق المفاهيم الحديثة المرنة في العلاج •

العلاج بالعقاقير الطبية النفسية

بدىء باستعمال هذه العقاقير منذ أوائل الخمسينات وكان من أوائل من اشاروا الى اهميتها في علاج مرض الفصام الطبيبان العالمان ديلاي ودينيكار Delay, Denikar بفرنسا وأهم هذه العقاقير الآن هي مشتقات مركبات الفينوثيازين Phenothiazine Derivatives ومشتقات مركبات الثياكزانثين Thiaxanthene derivatives

وغيرها من مشتقات مركبات اخرى •هذه المركبات الكيميائية لها تاثير على الجهاز العصبي وعلى العقل وعلى الجهاز الحركي • فيمكن بواسطتها التحكم في السلوك المضطرب وكذلك تعديل الافكار الهذيانية وحصرها وكذلك السيطرة على الهلوسات بانواعها • ومن مميزاتها انها مع آثارها الايجابية هذه على الجهاز العصبي ليست لها خواص منومة No Hypnotic effect ولا تسبب الادمان عليها مع طول فترة تناولها •وهي ليست كالادوية المخدرة أو المنومة ذات الخواص الادمانية الضارة والتي تدفع بالانسان من عالم الواقع الى عالم الخيال وضباب الاوهام • بل هي عقاقير ذات أثر تصحيحي على العقل Corrective وتسترد

المريض من عالم الخيال والاوهام الى عالم الواقع والحقيقة .

توصف هذه العقاقير للمريض بجرعات صغيرة في بدء العلاج ويتدرج في رفعها الى جرعة الذروة Maximum dose وهذه يظل يتناولها المريض لفترة ثلاثة أو اربعة أسابيع وربما اكثر حسب الاستجابة الاكلينيكية واختفاء الاعراض المرضية ، تخفف بعدها الجرعة بانقاصها تدريجيا على فترة أسبوع أو أسبوعين حتى التوصل الى جرعة صغيرة تشكل العلاج المساند Maintenance treatment (انظر الرسم التوضيحي) وهذه يستمر على تناولها لفترات طويلة بقصد الاحتفاظ بحالة التحسن التي توصل اليها بجرعة الذروة Maintain remission ولمنع الانتكاسات في المستقبل Prevent releapses او اذا حدثت هذه تكون اقل حدة واقصر زمنا ويمكن السيطرة عليها بسرعة بأساليب علاجية بسيطة كرفع الجرعة المساندة لفترة زمنية يتوقف طولها على مدى الاستجابة ويرجع بعدها الى جرعة مساندة جديدة تقدر حسب كل حالة

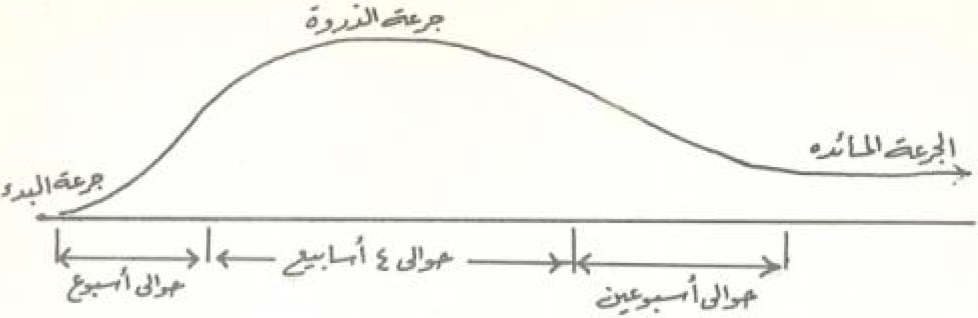
والمهم هنا ان الشخص الذي كان مريضا بمرض الفصام وعولج بالعقاقير النفسية وشفي أو تحسنت حالته عليه أن يستمر على جرعة مساندة تحميه من تقلبات المرض في المستقبل وتساعده على تفادي الانتكاسات . وتوجد ادلة كثيرة على ان المثابرة على تناول العلاجات المساندة تمنع حدوث الانتكاسات في حالات كثيرة وفي حالات اخرى تخفف من حدتها وتقلل في مدتها اذا حدثت .

وللعقاقير الطبية النفسية بشكل عام بعض الآثار الجانبية Side effects نذكر منها الشعور بالدوخة نتيجة انخفاض مؤقت في ضغط الدم . كذلك بعض اعراض شبه باركنسونيه Pseudo Parkinsonion كتقلص بالعضلات وكثرة افراز اللعاب وبطء الحركة ورعشة باليدين Tremors لكن هذه الاعراض ليست بذات خطر ووقتية ، ولا تحدث في كل الحالات واذا حدثت يمكن التغلب عليها بتناول جرعات من أدوية ضد الاعراض الباركنسونية anti-Parkinsonion drugs . توصف مع الادوية النفسية الاساسية للتغلب على هذا الاثر الجانبي اما الشعور بالدوخان نتيجة انخفاض ضغط الدم فغالبا ما يحدث في الايام الاولى من بدء العلاج ويزول بالتدريج عند تعود الجسم على الدواء . وينصح هنا بعدم القيام او الوقوف من وضع افقي الى وضع رأسي بشكل مفاجيء سريع . ونحن نلمس الآن تطورات كثيرة تطرأ على الادوية النفسية لتقليل آثارها الجانبية والتخفيف من حدتها . كذلك استحدثت منها أنواع على شكل حبيبات صغيرة جدا أو كبسولات Spansules وهذه الحبيبات تتسرب الى الدم ببطء ويظل مفعولها طيلة يوم أو أكثر ويمكن أخذ الجرعة مرة واحدة في اليوم يستحسن قبل موعد النوم وبذلك يوفر على المريض مجهود ضرورة تذكر أخذ حبوبه العادية بانتظام عدة مرات في اليوم وتفادي احتمال نسيانه تناول بعضها . كما انه ظهرت أدوية نفسية ذات مفعول طويل الاجل Long acting على هيئة حقن تعطى بالعضل . وهذه الحقن مناسبة جدا للعلاج المساند اذ يأخذ المريض جرعته بالعضل كل ثلاثة أو أربعة أسابيع . ولهذا مزاياه الواضحة .

هذه الاساليب والطرق العلاجية المذكورة آنفا ليست الا جزءا من علاجات اخرى شاملة . ففي الواقع ان لكل مريض خطة علاجية متكاملة Therapeutic plan تشمل العلاج بالعقاقير او غيرها من الوسائل وتشمل أيضا العلاج النفسي Psychotherapy والعلاج بالعمل Occupational therapy والعلاج الاجتماعي النفسي Psycho-Social Therapy وعلاج الاسرة Family therapy والعلاج الترفيهي Recreational therapy وكذلك محاولات التأهيل المختلفة Rehabilitation ويعتبر العلاج بالعقاقير المرحلة الاولية التحضيرية التي تعد المريض لتقبل وتفهم العلاجات الاخرى والاشتراك فيها والاستفادة منها .

العلاج النفسي Psychotherapy

يعتبر العلاج النفسي من أهم مكونات الخطة العلاجية فأثناء العلاج النفسي تنشأ علاقة خاصة بين الطبيب النفسي المعالج ومريضه . وهذه العلاقة وما تشتمل عليه من ثقة وتفاهم يجب المحافظة عليها وتنميتها ، فمن خلال هذه العلاقة الخاصة يمكن القيام بالكثير مما يفيد المريض ، وأرى شخصيا



ضرورة شرح طبيعة المرض للمريض وطرق واساليب علاجه لكى يشارك بايجابية فيه • ويكون على بينة من الحقائق ومستبصرا فى حالته having insight ويعمل الطبيب المعالج اثناء جلسات العلاج النفسى Psychotherapeutic sessions على تقوية وتثبيت الذات Strenthening of the ego بحيث يستطيع المريض أن يجابه ويواكب الواقع• كذلك عليه أن يوجهه ويساعده فى اتخاذ القرارات المناسبة فى أمور تعتبر فى غاية الاهمية بالنسبة له كاستئناف الدراسة ونوعيتها •والعمل وطبيعته والزواج ، كذلك يشجعه ويدربه على الاختلاط الاجتماعى والاحتكاك بالاخرين •ويساعده فى تنمية علاقاته الانسانية مع الغير وبالاخص خارج حدود الاسرة Promote interpersonal relationship وفى الواقع انه خلال العلاج النفسى وبواسطته يقوم الطبيب المتخصص باعادة تشكيل وترتيب البناء النفسى الداخلى للمريض Restructuning of the personality ليكون اكثر قدرة على المجابهة الواقعية والتكيف مع المحيط الخارجى ومتفهما للمواقف الحياتية المختلفة Life situations مستعدا للتعامل معها والتصدى لما يطرأ عليها من متغيرات فى سهولة وتقبل •

العلاج بالعمل

يهدف الى اشغال وقت المريض وتحويل اتجاه افكاره وجذب اهتمامه الى ما يدور حوله بالخارج بتشجيعه على عملية الخلق اليدوى • فيقوم بصنع بعض الادوات أو المشغولات النافعة فى تعاون مع غيره • فيرى فى النهاية ثمرة عمله ونتيجة مجهوده مجسدة أمامه مما يعطيه ثقة فى قدراته على تحقيق ذاته بالعمل • كما أن العلاج بالعمل يعطى المريض فرصة التعبير عن نفسه بحرية بواسطة الرسم أو النحت • كما يعتبر هذا العلاج احدى الخطوات فى تاهيل المريض للعمل المنتج ذى المردود الاقتصادى فى المزارع أو الورش الموجهة تحت الاشراف Sheltered work shops.

علاج الاسرة Family therapy

يهتم الطبيب النفسى المعالج باسرة المريض اهتماما خاصا ،فهى المحيط الخارجى المباشر الذى يتحرك فيه وافرادها هم الذين يحتكون بصورة دائمة مع المريض فى المقام الاول • فيقوم الطبيب بمقابلتهم والتعرف عليهم ويشرح لهم وبالاخص الوالدين طبيعة المرض •

فكثيرا ما لايعرف الوالدان أن ابنهما مريض بل يرفضون قبول هذه الحقيقة اذ يعتبرون أن ما يقوم به ابنهما من تصرفات ما هو الا من قبيل التلاعب والتهرب من المسئوليات • يقابلانه من جانبهما بالزجر والعنف وما يترتب على هذه المواقف غير المتفهمة من مضاعفات • وكل هذا يتلافاه اهتمام الطبيب المعالج بمقابلة الاسرة وتفاهمه معها وتوضيحاته لها وحله للصراعات التى بين أفرادها وازالته وتخفيفه للتوترات السائدة فى العلاقات بينهم • وتعامله (بالعلاج النفسى وغيره) مع الوالدين المتسلطين وبالاخص الام المتسلطة Domineering mother واعداده للاسرة نفسيا واجتماعيا لاستقبال مريضهما بعد علاجه بروح جديدة من التفهم والتعاطف والتقبل •هذه كلها من العوامل الهامة جدا فى تفادى الانتكاسات فى

المستقبل والمساعدة الى حد كبير فى استمرار تحسنه وبداية عملية لانطلاقه التكيفى فى المجتمع •

العلاج الاجتماعى النفسى
Psychosocial Therapy

فى مجال العلاج الاجتماعى النفسى يعمل الطبيب النفسى وبواسطة سائر الفريق المعالج Therapeutic Team من الاختصاصيين النفسيين Psychologists والباحثات الاجتماعيات النفسيات Psychiatric Social Workers والزائرات الصحيات النفسيات Mental health visitors بتعديل الظروف الحياتية والاجتماعية النفسيـة للمريض واصلاح الصدع الذى لا بد وأن يكون قد حدث نتيجة لسلوك المريض فى علاقاته الانسانية الاجتماعية بينه وبين المحتكين به سواء فى محيط العمل أو الجيرة أو الدراسة ليكون واضحا لهم أن الشخص العائد اليهم بعد علاجه ليس ذلك الشخص الذى عرفوه أثناء مرضه ، حتى اذا ما رجع المريض بالفصام بعد شفائه الى حياته السابقة فى المجتمع وجد افرادا متقبلين له متفهمين لظروفه مستعدين للمعاونة والمساعدة ، ووجد مكانا له يستقبله بين سائر افراد الاسرة البشرية • وليس اضر على الصحة النفسية للمريض من أن يرجع الى مجتمع لا يجد من افراده الا النبذ والرفض والتجهم ، لا تتوفر له فيه الفرصة لكى يعيش فيه حياة طبيعية منتجة مثمرة، وتطارده باستمرار الاتجاهات السلبية الناتجة عن الجهل والتحيز لمجرد أنه كان فى يوم ما يعانى من مرض نفسى •

هذه نبذة مختصرة عن علاج مرض الفصام • ويبرز الآن سؤال هام عن مدى امكانية الوقاية منه وعن توفر الوسائل لاتقاء الاصابة به • هذا سؤال كبير والاجابة الكاملة عليه لم يتوفر لها بعد المعلومات الكافية •

الوقاية من مرض الفصام

بالطبع لا يوجد طعم جاهز أو مصل حاضر ليحصن به المرء ضد هذا المرض كما هو الحال فى أمراض أخرى • لكن توجد لدينا ملاحظات عامـة يمكن الافادة من مراعاتها وتطبيقها •

أشرنا مثلا الى أهمية العامل الوراثى كسبب لظهور المرض • وهنا ينصح بشكل عام بعـدم التزاوج بين الاقرباء وبالاخص اذا كان معروفا سلفا أن بين أسرة المرشح للزواج مصابا بفصام او بامراض نفسية اخرى •

ويوصى دائما قبل الزواج باستشارة اخصائيى علم الوراثة •

كذلك اشير الى اهمية تنشئة الطفـل فى سنواته الاولى • ولا شك ان سنوات الطفل السبع الاولى هى اكثر سنوات عمـره حساسية ومـا يتعرض له من تجارب فى هذه الفترة يكون له اثر وفعل فى تكوينـه النفسى فى المستقبل • وحرمان الطفل فى هذه الفترة من امه Maternal deprivation واهتمامها الخاص به وعنايتها الفردية به Individual Care او وجود توتر أو تفكك فى العلاقات بين افراد اسرته وبالاخـص الوالديـن ، يعرض الطفـل عندمـا يشب مستقبلا لاضطرابات نفسية يمكن أن تصل الى درجة الامراض النفسية التى منها الفصام • واهمية السنوات الاولى من عمر الطفل ومدى تاثير الاسرة والعلاقات الانسانية بين افرادها على نموه النفسى ربما يتناول بالتفصيل ويكون موضوع مقال لاحق •

كلمة أخيرة أحب أن أضيفها فى صميم موضوع علاج مرض الفصام• أشير بها الى نفقات العلاج• ان علاج الامراض النفسية بشكل عام والفصـام بشكل خاص باهظ التكاليف • وليس من العدل الاجتمـاعى فى شىء أن يتـرك المريض وأسرتـه لمجابهة هذه النفقات وتحمل هموم التفكير فى امر تدبيرهـا وتوفيرهـا وعلى المؤسسات المختلفة مـن حكومية وخيرية وتامينية ونقـابية ودينية وغيرها التعاون فى تحمل نفقات العلاج منفردة أو متعاونة بحيث لايحمل المريض أو أسرته هما أو عبئا بهذا الصدد •

وما ذكرناه انفا عن العلاج بالعقـاقير والعلاج النفسى وعلاج الاسرة والعـلاج الاجتماعى وغيـره لا يحتاج لتاكيد ما يتطلبه هذا من توفير القـوى البشريـة اللازمـة التى تمتلك التقنية والمعرفـة لتطبيق هذه العلاجات المتخصصة ولتقديم الخدمات العلاجية النفسية على مستوى عال من الكفاءة الفنية • وهذا يشير بالضرورة الى جسامة العبء الملقى على عاتـق المسئولين عن الصحة النفسية لشعوب منطقتنا العربية • ■■

د. حسن عزت
أخصائى الطب النفسى ـ الكويت



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

حكة العين

● في نفس الموعد من كل عام تعاودني الحكة في العينين ، وقد قال لي احد اطباء العيون ، ان هذه الحكة هي رمد ربيعي ٠٠ فما هذا الرمد ؟

ــ الحقيقة ان الرمد الربيعي هو نوع من انواع الحساسية تصيب العيون في الصيف اكثر من اى وقت آخر في السنة ٠ وتبدو اعراضه على هيئة حكة شديدة في العين ، واحمرار وكثرة الدموع وعدم القدرة على النظر في الضوء لما يسببه من ألم العينين ، وخروج افرازات بيضاء من العين ، وفي الحالات الشديدة يسبب ذلك حبوبا أو حلمات تحت الجفون كما يسبب ايضا حلقة بيضاء على قرنية العين٠

وتخف شدة الاصابة به بعد سن الخامسة والعشرين ٠

اما العلاج فيكون بالابتعاد عن الاشياء التي تسبب زيادة في هذه الحساسية ،فان كان السبب نوعا من الطعام كالاسماك او البيض او اللبن وجب تركه ، وكذلك ان كان نوعا من الروائح وجب تجنبها، كذلك يجب الابتعاد عن المشي في الشمس ،ويمكن التقليل من شدة الاضاءة باستعمال النظارات الشمسية ، او كمادات الثلج لتخفيف الاعراض ٠٠ كذلك يمكن استعمال ادوية الحساسية بالفم او بالحقن بالاضافة الى استعمال قطرات الحساسية٠٠ وفي الحالات المستعصية يمكن استعمال اشعة بيتا Beta - Rays او اجراء عملية جراحية لازالة الحبوب والحلمات التي تكون تحت الجفون ٠

أسباب الارتكاريا

● ظهرت حبيبات حمراء اللون في جسمي صاحبتها حكة شديدة ، اختفت مع العلاج ،الا انها كثيرا ما تعاودني ثانية ، واخبرني الطبيب ان هذه ارتكاريا ٠٠ ويجب الابتعاد عن جميع ما يسببها ٠٠فما هي اسباب الارتكاريا حتى اتجنبها ؟

ــ الارتكاريا من امراض الحساسية ، وتظهر على شكل طفح او حبيبات محمرة مصحوبة بحكاك شديد ٠٠ وقد تكون محصورة في جزء معين من الجسم او منتشرة في جميع اجزاء الجسم ، كذلك قد تكون خفيفة او شديدة مؤدية الى رقعات كبيرة وانتفاخ في بعض المناطق ، وذلك للسبب المؤدي لها ٠

وعموما تحدث الارتكاريا اما نتيجة حساسية لبعض المواد حيث يحدث تفاعل

بين المولدات والاجسام المضادة او نتيجة تغير فى درجة الحرارة او اضطراب فى الغدد او بعض الامراض العصبية او نتيجة عدوى بالبكتريا والطفيليات والفطريات ٠٠ ولذلك يجب التأكد اولا من خلوك من هذه الامراض طالما ان الارتكاريا تعاودك٠

وأما المواد التى تؤدى الى حدوث الارتكاريا فمنها ما يؤخذ عن طريق الفم كالاغذية والعقاقير ٠٠ ومن اهم الاغذية البيض ، الشيكولاتة ، السمك ، الربيان، البندق ، الموز ، المانجة ٠٠٠ ومن امثلة العقاقير، البنسلين، الاسبرين ، الكودايين٠

ومنها ما يحدث نتيجة الاستنشاق مثل استنشاق ما يحمله الهواء من لقاح النباتات والغبار والبكتريا ٠

ومنها ما يؤخذ بالابر مثل البنسلين أو من لدغ الحشرات ٠٠

كذلك فان الارتكاريا يمكن ان تحدث بالملامسة ، مثل الملابس الحريرية والصوفية ، او مخدات الريش ومساحيق التجميل والعطورات ، وحتى ملامسة بعض المأكولات مثل الطماطم والبرتقال ،وكذلك ملامسة بعض النباتات ٠

وربما يكون سبب الارتكاريا راجعا الى وجود بؤرة صديدية بالجسم مثل التهاب الحلق او الاسنان او الجيوب الانفية ٠

واحيانا ، فان اللبن ومستحضرات الالبان يؤديان الى حدوث ارتكاريا نتيجة لوجود ذرات البنسلين فى بعض هذه المستحضرات ٠

البحر واحمرار الجلد

● عند نزولى للبحر فى بداية الصيف وقضائى يوما على الشاطىء الاحظ عند المساء بان جلدى اصبح احمر اللون مع حكاك شديد ٠٠ وبعض التسلخ ٠٠ بينما لا يحدث هذا لزملائى الذين اذهب واياهم الى البحر ٠٠ فما سبب ذلك ، وكيف اتفادى هذه المتاعب ٠٠ ام ان بجلدى حساسية تؤدى الى مثل هذا ٠٠

ـ ان سبب هذه الظاهرة هو التعرض للشمس وليس البحر ، لان اشعة الشمس تمتص على سطح الجلد الا ان بعض الاشعة ذات الموجات القصيرة مثل فوق البنفسجية تستطيع ان تخترق الجلد معتمدة على سمك الجلد ولونه ، فيزداد تأثر الشخص كلما خف سمك الجلد ، كما انه يزداد فى الاشقر عنه فى الاسمر ، ويلاحظ ان الهواء الجاف المشمس يكون اكثر ضررا للاشخاص الذين عندهم قابلية الاصابة نظرا الى ان الهواء الرطب والغبار يحجزان جزءا كبيرا من هذه الاشعة القصيرة ، بينما الهواء الجاف الصافى لا يمنعها من اختراق الجلد وتدمير الخلايا ٠ والذى يحمى البشرة من اشعة الشمس هى الطبقة القرنية وصبغة الميلانين الملونة للجلد ، ولذلك نجد الملونين يتحملون الشمس بدرجة أكبر٠

وتأثير الشمس على الجلد يعتمد على



مرضى القلب والسفر بالطائرة

● **عندى مرض بالقلب ، فهل هذا يمنع من سفرى بالطائرة ؟**

ـ ان الطيران على ارتفاع ٥٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ قدم يقلل من نسبة ضغط الاكسجين، فيعرض مريض القلب لتعب وضيق شديد لنقص اكسجين الدم ، خصوصا اذا كانت الطائرة غير حافظة للضغط الطبيعي للاكسجين الذي يتعرض له الانسان طبيعيا. ولكن لو كانت الطائرة تحفظ مثل هذا الضغط الطبيعي فلا مانع من السفر على ارتفاع شاهق . ومرضى الذبحة الصدرية او المصابون بجلطة في شريان تاجي القلب لا يسمح لهم بالسفر الا بعد مرور ٤ـ٦ شهور على شفائهم خوفا من تعرضهم للمخاطر ، ويمكن التاكد من سلامتهم وقوة احتمالهم اذا امكن للمصاب ان يمشي على الاقدام ٨٠٠ متر دون توقف ودون حدوث اعراض اهمها الشعور بضغط شديد خلف عظم القص ربما انتشر الى ذراعيه او الى الفكين . والمرضى الذين يعانون من تأثر الصمامات في القلب ـ كما هو الحال في مرضى روماتيزم القلب ـ لا يسمح لهم بالسفر اذا كان قد مضى فترة وجيزة فقط على تأثر هذه الصمامات ، وكذلك لا يسمح لهم بالسفر اذا حدث احتقان في الرئتين او هبوط في القلب نتيجة المرض. ويمكنهم السفر بعد زوال هذه المضاعفات.

وفي حالة ارتفاع ضغط الدم لا يسمح لهم بالسفر اذا كان هذا الارتفاع شديدا او بسبب هبوط بالقلب ، او آلام شديدة بالرأس ،او هناك دلائل على تأثر الكليتين لوجود نسبة كبيرة من الزلال في البول ، او تغيرات في قاع العين .

على انه اذا تحسنت حالتهم وامكن السيطرة على ارتفاع الضغط يمكنهم السفر على ان يعطوا مهدئا او منوما اثناء السفر .

اما مرضى القلب الخلقي الذي يسبب زرقة في الوجه دليلا على نقص اكسجين الدم لاختلاط الدم المؤكسد بغير المؤكسد، او ضيق شديد بالابهر والذي يؤثر على شرايين الرأس ، كل هؤلاء يمنعون من السفر بالطائرة خوفا من المخاطر التي تكتنفهم . واذا كان لابد من سفرهم فليتم ذلك تحت رقابة طبية خاصة .

عوامل مختلفة مثل العمر والجنس والحالة الصحية والجسمية وفترة وشدة التعرض للشمس ودرجة التغير في معدل الحرارة والرطوبة . والتأثير يكون اكبر في الاطفال والمسنين بينما يقل في الشباب والحوامل .

ولمنع حرق الشمس هذا يجب ان يكون التعرض للشمس لفترات قصيرة في البداية ومتكررة وليس قضاء اليوم باكمله في الشمس خاصة في ذوى البشرة البيضاء الرقيقة حتى يحدث اسمرار الجلد ،وبعد ذلك فان تلون الجلد هذا علاوة على زيادة سمكه نتيجة تكرار التعرض يعطى مناعة للجلد فيحميه من اشعة الشمس المحرقة في الصيف . وبعد ذلك يمكن البقاء في الشمس لفترات اطول فاطول . كما انه يمكن استعمال بعض الكريمات الواقية من الشمس قبل التعرض لها ، كذلك هناك بعض الادوية تؤخذ بالفم قبل ساعتين من التعرض للشمس لزيادة الوقاية .

طرائف

الله يفضل علينا فنفضل على الناس

● قال الحسن بن على بن ابى طالب لابن عمه عبدالله بن جعفر بن ابى طالب : « انك اسرفت فى بذل المال » فقال عبد الله : « بابى انت وامى ، ان الله عوّدنى ان يتفضل علىّ، وعودته ان افضل على عباده فاخاف ان اقطع العادة فيقطع عنى » .

بين العطاء الفانى

● كان هرم بن سنان بن ابى حارثة المرى مضرب المثل فى الجود والكرم والعطاء ، وقد انقطع لمدحه زهير بن ابى سلمى ،روى ان ابنة هرم وفدت على عمر ابن الخطاب فقال لها : « ماذا اعطى ابوك

اخلصت النصيحة

● قال عمر بن هبيرة للمنصور يوماء ياامير المؤمنين ان سلطانكم حديث ، وامارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله ـ ياأمير المؤمنين ـ لقد اخلصت لك النصيحة » ، ثم نهض ابن هبيرة من مجلسه فنهض معه سبع مئة من قيس . فاتبعه المنصور ببصره ثم قال : «لا يعزّ ملك يكون فيه مثل هذا » .

هجوت نفسى

● كان الحطيئة شاعرا فحلا خبيث اللسان وقد حبسه عمر بن الخطاب لقصيدته السينية الشهيرة فى هجاء زعيم عربى مسلم، هو الزبرقان بن بدر ، ومنها قوله فيه

« دع المكارم ، لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى »

وقد ارسل الحطيئة وهو فى الحبس الى عمر يقول :

« ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله ياعمر

فرق له عمر بن الخطاب ، واخرجه من السجن ثم دعا بكرسى فجلس عليه ، ودعا بالحطيئة فاجلسه بين يديه ، وامر باحضار شفرة يوهمه انه يريد أن يقطع لسانه ، حتى ضج الحطيئة من ذلك فكان مما قاله الحطيئة : « والله ياأمير المؤمنين انى هجوت ابى وامى وامرأتى ونفسى فتبسم عمر

عربية

والعطاء الباقى

لزهير بن ابى سلمى حتى قابله بهذا المديح الذى سارت به الركبان وضرب به المثل ؟» فقالت : «قد اعطاه خيلا وابلا وثياباومالا كثيرا » فقال‌عمر : « ان ما اعطاكم زهير لا يبليه الدهر ، ولا يفنيه العصر ، اما ما اعطاه ابوك فقد ذهب وبلى وفنى » .

اخلاق الرئاسة

● قال الاحنف بن قيس يوما لقومه بني تميم ، وكان زعيمهم: « انما انا رجل منكم ليس لى فضل عليكم ، ولكن ابسط لكم وجهى ، وابذل لكم مالي ، واقضى حقوقكم ، واحفظ حرمتكم . فمن فعل مثل فعلي فهو مثلى ، ومن زاد على فهو خير منى ، ومن زدت عليه فانا خير منه » ، قيل له « يا ابا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام ؟ » قال : « احضهم على مكارم الاخلاق » .

ثم قال : فما الذى قلت ؟ قال : قلت لامى اهجوها :

جزاك الله شرا من عجوز
ولقاك العقوق من البنين

فقد ملكت امر بنيك ، حتى
تركتهم أدقّ من الطحين

وقلت لامرأتي :

اطوف ما أطوف ، ثم آوى
الى بيت قعيدته لكاع

(واللكاع المرأة السيئة) . واطلعت في بئر يوما فرأيت وجهى فاستقبحته فقلت :

« أبت شفتاى اليوم الا تكلما
بسوء ، فما أدرى لمن انا قائله

ارى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله »

فقال عمر : «اراني قاطعا لسانه، علىّ بالموسى ، فهو اسرع » فقالوا : « لا يعود يا أمير المؤمنين » واشاروا الى الحطيئة ان قل : « لا اعود يا أمير المؤمنين » . واطلق عمر بن الخطاب سراحه ، واشترى منه اعراض الناس جميعا بثلاثة آلاف درهم .

مثل هذا !

● قال أبو عثمان الجاحظ : اتتني‌امرأة وأنا على باب دارى فقالت : « يا ابا عثمان لي اليك حاجة ، وأريد أن‌تمشى معي » ، فقمت معها الى أن أتت بى الى صائغ يهودى وقالت : « مثل هذا ! »ثم انصرفت المرأة ، فسألت اليهودى عن قولها ، فقال : « انها أتت الى بفصّ ،وأمرتني ان أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت لها : ما رأيت الشيطان فقالت :انا آتيك به ، وأتت بك » .

● قصة قصيرة ●

فى بيتنا فأر

بقلم : عباس أحمد

■ قد يكون الامر كله مجرد نكتة ٠ والا فما معنى ان فارا ـ مهما كان طـول ذيله (اكدت زوجتى انه لا يقل عن اثنى عشر سنتيمترا) ـ اصبح يهدد حياتى الزوجية بالانهيار الكامل ٠ ان ما حدث لزوجتى حين اكتشـفت الفـار فى الشقة ، كان خوفا من نوع فريد ٠ لقـد ركبها الرعب ، وفقدت خصائصها الانسانية ، فلم تعد تنام أو تاكل او تعقل ٠ واخيرا بكت مستعطفة ، وطلبت ان تذهب الى بيت ابيها ، الى ان يحدث الله امرا ٠ ولم استطع الا ان أوافقها صاغرا ، وانا اتميز من الغيظ والشعور بالقهر ٠ ولقد خطر فى بالى ـ كما يحدث فى افلام السينما ـ ان اصفعها فتفيق ،ولكنى احمدالله اننى تمالكت نفسى فى آخر لحظة ، فقد كنت حريا ان لا اغفر لنفسى هذا ابدا ، وقد عشت مع « محاسن » الى ذلك اليوم ـ الذى كنا نعده للاحتفال بعيد زواجنا الـسادس عشر ، ونجاح ابننا ياسر فى شهادة الاعدادية ـ عيشة تسودها الرحمة والمودة وتتميز بحرص كل منا فى محافظته على كرامة الآخر ٠

وانا من جهة أخرى ، لا اعتقد ان أحـدا ـ حتى اشجع الشجعان ، لا يحس الخوف بشكل او باخر اذا دهمه فار ٠٠ وحقيقة انه تصادف ان لا يدخل شقتنا فار ، طوال فترة زواجنا ، ولكنى لم اتوقع ـ ومن محاسن بالذات ، أن يصل بها الخوف الى هذا الحد ٠ فلقد تخرجت فى كلية الزراعة ـ ولابد انها اتصلت اثناء دراسـتها بالفئران بطريقة أو باخرى ٠٠ بل والاغرب انها هى التى كثيرا ما اعطتنا ـ انا وولدنا ياسر ـ المعلومات والطـرائف عن الفئران والجـرذان وانواعها من اصغرها التى لا يزيد وزنه عن ربع الاوقية ، ويستطيع لخفته ورشاقته ان يصعد على فرع شـجرة قمح دون ان يثنيها ، الى اكبرها الذى يبلغ طوله وحده دون الذيل ـ ثلاثة ارباع المتر ٠ قلت لها : وانت نفسك يا محاسن تعرفين ان « فار المنازل » بالذات لا يهاجم ٠ وهوحيوان جبان ٠ فلنغلق عليه باب الحمام ، ولننم ٠ وفى الصباح يحلها الحلال ٠

وكانت محاسن لا تنظر الىّ ٠٠ بل ولعلها لم تكن تسمع ـ فقد كانت تحملق فى فراغ الحمام، ثم تحولت بعينيها الجاحظتين الى سلة الغسيل، وجاء صوتها خفيضا مجـوفا ، كأنه صادر من بطنها ٠

ـ لقد مرق هنا بسرعة لا تدركها العين ٠ ولما حركت السلة لم أجد شيئا ٠ فظننت أنى واهمة ولكنى لم البث ان سمعت صاج السخان يطقطق٠ لابد انه هناك ، انه هناك يا محمد ٠

ولم اكن قد تبينت حالة محاسن بوضوح وقلت والنوم ما يزال يحرك فمى بالتثاؤب ٠

ـ هل نشغل السخان فيحترق ٠

قالت :

ـ اخفض صـوتك ، حتى لا توقظ الولد ٠ ومدت الىّ علبة الكبريت وعادت الى خـارج الحمام بسرعة واشعلت السخان ٠٠

ـ فلتحترق ايها الفـار اللعين ٠٠ ان كنت

هناك ٠٠ ولتصطل بهذا السعير جزاء وفاقا على ما بعثته فى اوصال زوجتى الجميلة من الخوف ٠

وكنت فى هذه الاثناء قد فتحت شباك الحمام، ورحت ادس بالمقشة ذات اليد الطويلة فى كل الاركان التى يحتمل اختباؤه فيها فلم يظهر شىء، اطفات السخان ، وقفلت شباك الحمام من جديد ، ووضعت ذراعى حول كتفيها ٠

ـ قد تكونين واهمة يا محاسن ليس فى السخان منافذ تتسع لدخول فار كبير كما خيل اليك ٠٠ وتحول خوفها فجاة الى غضب ومرارة ،وتملصت من ذراعى ٠

ـ الا تثق بى حينما اقول لك انى رأيته ٠ هل انا مجنونة حتى ارى شيئا لا وجود له ٠ لقد ظل ذيله ـ لما انحشر وراء سلة الغسيل ـ يتلوى بعض الوقت وينغمس فى هذه المياه المتجمعة قرب الجدار ٠ واستطيع ان اقول ان ذيله لا يقل عن اثنى عشر سنتيمترا ٠ هل هذا كله وهم ٠

وبدات ادرك حالة محاسن ٠ كان صوتها قد ارتفع على الرغم منها ٠ وكانت تنتفض ٠ لم اشأ ان اقترب منها مرة اخرى ٠ كانت بالضرورة ستصدنى ٠ ماذا يفعل الحب فى شخص استقطبه الرعب تماما ٠ كنت ما ازال اقف فى الطرقة امام باب الحمام ، بينما تقهقرت محاسن الى الفسحة ٠ قلت لنفسى فليكن فى الشقة فار ٠هل يعنى ذلك أن تتوقف الحياة ٠٠ ان نقف هكذا متجمدين فى الليل والصمت ٠٠ ان ينقطع بيننا كل شىء ٠٠ حتى الكلام لا اعرف من اين يتصل ٠٠ واخيرا استطعت ان اقول :

ـ وما العمل الآن يا محاسن ٠

قالت :

ـ لا تشغل نفسك بى ٠ اذهب انت واستكمل نومك ٠

وانتهزت فرصة انفتاح الكلام ٠٠٠ فاخذت اقنعها باننا سنغلق باب الحمام ٠ ونغلق باب حجرتنا ٠٠ثم انها فى الفراش بجانبى اكثر امانا منها فى اى مكان آخر ٠وكنت اتحدث اليهابصوت خفيض ٠٠ ولكن بتدفق وحماس ، محاولا قدر طاقتى ان ابتعد بها عن التفكير فى الفار ٠٠وكان ابننا ياسر ونجاحه ، والساعة التى سنفاجئه بها فى الصباح ٠٠ هو الموضوع الذى تشبثت به ٠٠ والذى أعلم انه الموضوع الاثير لديها ٠٠وتعمدت اثناء الكلام ان اربت على خدها واصطنع



التصرفات الطبيعية . فافتح الثلاجة واتنــاول قطعة من الفطائر التي اعددناها لاحتفال الغد. لم قدمت لها قطعة منها وقد ظننت انني استطعت ان اذهب بها ولو قليلا بعيدا عن حالة الرعب التي تلبستها . ولكنها ردت يدي دون ان تنظر الي ، او حتى تنبس بكلمة شكر .

ولم اجد بدا ـ وقد نفد صبري ـ من ان التقط كتابا من المكتبة الصغيرة قرب الثلاجة ، واوى الى الفراش . انني انظر على الحروف ولا افهم . والليل الصامت لا يخلو بين ان واخر من نامة ، او ورقة تتحرك بفعل ريح ساربة او خشب يطقطق او شيء يسقط . وكنت اتصور اثر هذا كله على محاسن ، التي جلست في الفسحة وتركت النور مضاء . وكان اكثر ما يغيظني انها لا تحاول ان تساعد نفسها في التخلص من هذه الحالة . لقد كنا نزمع ان نخرج مبكرين الى حديقة الحيوان . وكان ياسر هو صاحب الفكرة (واعتقد انني صاحب فضل في اني جعلته يعشق هذه الحديقة وحيواناتها) هناك ـ وخصــوصا مع القرود ، يصخب ياسر بالضحك والفرح ونصخب معه ، ثم نتناول طعام الغداء ، ونعود في المساء نستقبل اصدقاءنا الاستــاذ رمزي والاستــاذ ابراهيم وزوجتيهما . هل سينهار هذا كله ؟ ليس يضيرني ان اعتذر لهما واخلف الميعاد . فرمزي وابراهيم صديقان حميمان . وفي الوقت نفسه زميلاي في التدريس بكلية الالسن ، ولن اجد حرجا في ان اقص عليهما المسالة بحذافيرها . سيضحكان وينتهي الامر .. ولكن لماذا ... لماذا يتسبب فار ـ لعله غير موجود ـ في افشال العيد والفرح والنزهة الطيبة . لماذا تتحطم دائما اشــياء عزيزة وجميلة ، باســباب تافهة صغيرة . لماذا استحالت محاسن ـ هذه المهندســة المشهود لها بالكفاءة ورجاحة العقــل .. الى هذا الكائن الغريب .. هل يمكن ان يتحول المرء هكذا فجاة ، من انسان وديع ودود ، الى شخص كاره رافض معطل المشاعر والفكر لماذا .. واضطررت اخيرا لابتلاع حبة من دواء منوم .

وفي الصباح ـ حينما نظرت في وجه محاسن عن قرب ، ونحن حول مائدة الافطار . كان واضحا انها لم تنم لحظة واحدة من الليل . لاحظت انها لاكت في فمها لقمة مغموسة بالجبن ، ولم تستطع ان تتناول لقمة اخرى . جاء بائع اللبن ، وتلاه بائع الجرائد .

وظل ياسر وحده يصخب بالحركة والتعليق على الانباء . اخيرا ادرك اننا صامتان ، وسكت هو الاخر ... وبعينيه الواسعتين اللتين ورثهما عن امه .. راح يختلس النظر الينا . ولما طلبت محاسن .. بصوت منهار ان اسمح لها بالذهاب الى بيت ابيها ليوم او يومين وترقرقت في الوقت نفسه دموعها .. اندفع ياسر الى امه يحتضنها .

ـ ماذا بك يا اماه ... ماذا حدث .

وحكيت له الحكاية ، على اساس ما اعتقد من ان هذا الفار ـ حتى لو كان حقيقيا ـ فلا بد ان يكون قد هرب من الحمام باي طريقة . ولكن ياسر لم يستهن بالامر كما كنت احاول ان اوحي اليه . فلما رجعت امه الى حجرة النوم ، وتركتنا وحدنا ـ اخبرني انه راى في بئر سلم العمارة ـ فارين او ثلاثة على الاقل .. وان مصيدة الجيران المقابلين لنا مباشرة ، اصطادت فارا اول امس ، وقتلوه باغراقه في دلو مليء بالماء ومن فوره ، اخذ المقشة ، وراح يفتش عن الفار . لفت انتباهه العيون المظلمة في قوالب الطوب المجوفة ـ التي اقمنا عليها المكتبة الصغيرة في الطرقة . وكانت محاسن تتابع حركته في مراة تسريحتها .. وهي تتظاهر بانها تبحث في جواربها القديمة عن فردة تتوافق مع فردة اخرى جديدة . اخذ ياسر يمد المقشة ويدسها داخل قوالب الطوب . ادار المقشة وامسكها من القش .. ودفع بذراعها في التجاويف واحدا واحدا ... حينما صرخت محاسن فجاة ، واذا بشيء اسود يرف بالقرب من قدمي ، فارتد مذعورا وانا اصيح :

ـ حاسب يا ياسر ... حاسب .

وكان الفار قد عبر كل السجادة الحمراء في الفسحة ، واندفع الى المطبخ، ومن فرجة في دولاب الاواني اختفى .. وكانت ملاحقة ياسر له بالمقشة دون جدوى . وقبل ان نستوعب الموقف ، خرجت محاسن الينا في الفسحة ، صاحت بانتصار على الرغم من ارتياعها :

ـ هل صدقت اذن يا استاذ محمد ابو العزم .. كان صوتها حادا هستيريا ، وكان اسمي منطوقا بالشماتة والتهكم .. واستانفت :

هل لاحظت نفسك ترتد الـى الحائط مذعورا

كان الموت هو الذى تراه ، وليس الفار ، لماذالا يكون الانسان شجاعا بالدرجة التى تكفى على الاقل للاعتراف بضعفه و ·· وقبل ان تكمل ، صرخت فى وجهها ، اقطع الكلمة التى توشكعلى نطقها :

ـ انا لم ازعم فى لحظة اننى لااخافالفئران· ولكن ما اصابك ليس هو الخوف · ولكنه الجنون لقد فقدت عقلك يامحاسن · وكان الارهاقوالتوتر والشعور بالمرارة ـ يمكن ان تؤدى الى اوخم العواقب ، لولا ان الجيران راحوا يطرقون باب المطبخ ·· وبسرعة تجمع حول ياسر اكثر منسبعة غلمان ، يحملون الهراوات والمقشات ·· وازمعوا قتل الفار · ويبدو اننى قد وجدت فى حماستهم لقتله شيئا يستنقذنى من حالة الهم التى رانت علىّ ، فاخذت اتابع نقاشهم وصخبهم ·· وكان كثير من ذويهم يصيحون عليهم عبر بئر السلم، ويسالون وهم يضحكون ·· هل قتلتم الفار ·وكان « سفروت » وهو اصغرهم ، ولا اعرف له اسما الا هذا الاسم ـ هو الذى دخل الىّ فى الفسحة ، وقال لى :

ـ لماذا لاتاتى معنا ياعمى ·· لنقتل الفار · هل انت خائف ؟

ولمعت فى ذهنى الفكرة ··· بل الاحرى اننى شعرت ان عودة حياتى وحياة اسرتى الى مجراها الطبيعى ، لن تكون الا بقتله ·· اجل قتله ·· وليس مجرد تهريبه او ابعاده · ومن يدرى ··· فلعلنا نستطيعان نحقق احتفالنا اليوم بعيد زواجنا· ولا بد ان محاسن ستهدأ ، ويعود اليها رشدها ، حينما تراه مجندلا على الارض · وليغفر الله لهذه المهندسة الزراعية التى تركت فارا حقيرا يعطل حياتنا ويكاد يقلبها راسا على عقب · ودخلت مع سفروت الى المطبخ ، وهو يهتف ، والاولاد يضحكون عمى جاء ·· عمى جاء ·

وقفت لحظة صامتا · الاولاد يتطلعون الىّ بعيونهم ·· بعضها حذر · وبعضها خائف ،ولكنها جميعا تلمع بالتحدى · عدلت خطتهم ·· نبدأ اولا بيخه بالغازات ، ونتركه قليلا حتى يتخدر ، ثم نهاجمه · كان المطبخ مزدحما ولو ضرب كل واحد منهم بهراوته او مقشته ، فلن يصيب الا احد زملائه · ابقيت اربعة منهم فقط ، من بينهم ياسر وسفروت ·· الباقون وزعتهم على بسطة السلم ·· قلت لهم انه اذا افلت منا فى الداخل ،فانتم تجهزون عليه هنا · وتصايح اولاد آخرون تناثروا على سلم الخدم ·· ونحن ماذا نفعل ياعمى ، ولاول مرة فى هذا اليوم اضحك منقلبى·

ـ ستتولون دفنه ··

ولما فتحنا دولاب الاوانى ، سمعت محاسن تنادى من وراء باب المطبخ الذى احكمنا اغلاقه·· وترشدنى الى وجود بعض المبيدات فى نفسدولاب الاوانى · ولم نكن فى الحقيقة نحتاج الى شئ اخر·· فقد كان الفار قابعا فىالركن وراء «قدرة» قديمة سوداء بنفس لونه· ولم يكشف عنه فىظلمة الدولاب المضمخ ببخار الغاز الا عيناه الخرزيتان النافذتان ·· فما ان حركنا القدرة حتى انكشف تماما ، فجرى الى الخارج ، فانهالت عليه عصينا ومقشاتنا ، ولقى مصيره المحتوم وسط تهليل الاولاد وصخب سكان العمارة ·

اخيرا ·· هذا هو ·· فار كبير فعلا ·· بل لعله فارة ·· ولعلها حامل ·· ذهب ياسر بسرعة الى امه واحضرها · فى اول الامر · ظهر الرضا على وجهها ، ولكنها لما امعنت النظر اليه ، جحظت عيناها من جديد ، وجاء صوتها خفيضا اجوف ·

ـ هل قطعتم ذيله اثناء مهاجمته ·

ـ لايا محاسن ·· لم نقطع منه شيئا ·

ـ هل انت متاكد ؟

ـ والله العظيم ، لم نقطع منه شيئا ·

وامعنت النظر انا الاخر ـ ولاحظت فجاة ان الفار المدد على ارض المطبخ ·· لايتجاوز طول ذيله خمسة سنتيمترات ·

وبينما صوت محاسن يفح فى اذنى وسطضجيج الاولاد ·

ـ انه ليس هو يامحمد ··

كنت ابحث عن مقعد قريب ، استند اليه ، او بالاحرى اسقط عليه · ، اعياء او اغماء لست ادرى · ■■

عباس احمد

● كتاب الشهر ●

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام

(موسوعة في عشرة مجلدات)

محاولة رائدة للتوغل في أعماق تاريخنا القديم

تاليف : الدكتور جواد علي[1]

عرض : محمد خليفة التونسي

تاريخ العرب قبل الاسلام عالم رحيب مترامي الأطراف والاحقاب • لا يكاد المتامل يمد اليه بصره ليرتاد مجاهله ، حتى يشعر بالاشفاق على نفسه لما يهوله فيهمن ظلام وزحام واضطراب •

■ هذا العالم العربي الجاهلي عجيب معجب ، سواء في أحداثه ومواقعه ، او دوله وطوائفه من بدو وحضر ، او كثرة ما كتب عنه قديما وحديثا في الشرق والغرب من صفحات ورُقُم (كتابات) ونقوش ، وبعض ذلك يجاوز الالوف الى مئات الالوف ، فكيف يجوس المرء خلال ذلك ، ليقف على معالمه واسراره ، دون أن يتوه بين منعطفاته، او يحتبس امام عقباته ؟

انه ـ حيث يمضي خلال مجاهله ، فيمعن النظر فيهـا ، وينقب عن خبـاياها ، كي يزداد بها معرفة ـ يجد أن ما يجهل منه اضعاف ما يعرفه ، ومن هنا يزداد شعوره بالهول والاشفاق ، وانه لا بد له ان يتردد طويلا في الاقدام على التاليف في جانب واحد منه فضلا عن التاليف الشامل في شتى جوانبه ، لان جميع هذه الجوانب متشابكة متكاملة ، فلا أمان في الكتابة على جانب منه دون الاطلاع الشامل المتكامل على شتى جوانبه • ولا سبيل الى فهم جزء من كل فهما تاما ، الا أن تفهم شتى الاجزاء في وحدة متكاملة •

وكتابة هذا التاريخ واجب ومغنم بشرى وقومي،

فنحن ـ معشر العرب ـ اهله واحق به ، وكتابته اوجب علينا ، واعظم نفعا لنا ، ولـكنها مهمة معقدة مشتتة ضخمة ، فلا يتصدى لها الا من اوتي حظا وافرا من بعد الهمة ومضاء العزيمـة ، وصدق الصبر ، ليحلم بهذا المشروع العظيم ،ثم يمضي في تحقيقه بما أعد له من أهبة جبارة ، حتى يتمه بالقدر المستطاع في المدى المتاح له •

من هذه الاهبة اطلاع واسع على شتى مصادره في تراثنا وتراث الامم التي سجلت اخباره ، وحس تاريخي وحدس نافذ وخيال رحب ، لـكي يستطيع جمع شتاته ، وبعث الحياة في مواته ، ويميز في اخباره بين الصحيح والباطل، والاصيل والمدسوس ، وبعض هذا يحتاج اليوم الى معرفة عدة لغات قديمة وحديثة ، ولا يمكن ان تسمى الكتابة في هذا الموضوع تاريخا مالم تكفل بعث هذا العالم الميت او شبه الميت في وحـدة حية متكاملة كاسية بالوانها ، نستطيع ان نتصورها حتى نفهمها ، ونعـاشرها حتى نألفها ، كأننا نعايش اهلها في عصـورهم البعيدة وبيئاتهم الغريبة •

(١) نشرته دار العلم للملايين / بيروت ،ومكتبةالنهضة / بمصر •



رحلة طويلة مضنية

وقد كان من حسن حظنا وحظ البشرية معنا ان تصدى لهذه المهمة مؤرخ عربي معاصر ، هو الدكتورجواد علي ، ورصد لها كل حياته ، على معرفة بكل مشقاتها بل مخاطرها ، واقدم عليها اقدام الفدائي الحكيم ، وكانت له في ذلك محاولتان موفقتـــــان ، وكان توفيقه في ثانيتهما اكبر ٠

فاما المحاولة الاولى فهي كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » ، وقد اخرجه ثمانية اجزاء في نحو مئتين وثلاثة آلاف صفحة، اصدر الجزء الاول سنة ١٩٥٠ والجزء الثامن والاخير سنة ١٩٦٠ ، وجعل الاجزاء الاربعة الاولى للجانب السياسي ، والجزئين الخامس والسادس للجانب الديني ، والجزء السابع للجانب اللغوي ، والجزء الاخير للجانب الاجتماعي والثقافي ويشمل الجانب الاقتصادي ، وكل جانب منها خلال البحث يمتد الى الجوانب الاخرى ليلاحمها في نسيج حي نابض بالحركة ، فـكان وفاء المؤلف بكتابه فتحا في موضوعه لم تظفر لغتنا بمثله من قبل ، اذ جمع من الشتات كل ما استطاع من اخباره ، بعد ان فحص كل خبر وقارنه بغيره ، ونسقها جميعا في وحدة متماسكة فصار الكتاب اشبه بالخريطة الموسعة التي توضح آفاق هذا العالم المجهول ، حتى اننا نستطيع ان نتبين فيها بنظرات سريعة كل ما كشف من معالمه ، وان كانت الخريطة قد التزمت الامانة ، فتركت فراغا لكل منطقة من المناطق المجهولة التي تنتظر من يكشفها ، حتى يسد ما يمكن سده من هذه الفراغات في الخريطة٠

وكان مؤرخنا قد شرع في هذه المحاولة بعد ان اتم تعليمه في بغداد ، واتجه في شبابه الناضج الى المانيا سنة ١٩٣٦ ، ليدرس هناك اللهجات العربية الجنوبية وتاريخ العرب قبل الاسلام على المستشرق « شتروتمن » في جامعة همبرج Hambourg ، وعكف هنـاك في البحث عن موضوع كتابه : يجمع مواده ، ويقتني ما استطاع من كتبه حتى سنة ١٩٣٩ ، ثم اضاف الى ذلك الكتب التي استطاع شراءها من العراق ومصر واوروبا ، ويحدثنا المؤلف بقصة محاولته الاولى هذه بعد ان جمع لها المصادر ، فيقول : « اخذت في تنسيق هذه المواد وتشذيبها وتهذيبها وتبويبها٠ فعلت ذلك مرارا ، وكنت كلمـــا تخيلت انني انتهيت من تاليفه ، وظننت ان البحث قد بلغ حده ومداه ، ثم اعدت النظر فيما كتبت ـ بدا لي نقصه ،وتذكرت الحكمة الشرقية القديمة « العجلة من الشيطان » ٠ وادركت سر تخوف العلماء من التاليف ، وتحرجهم من التصنيف ، وندم الكثير منهم على اقدامهم عليه ، وتمزيق بعضهـم لكتبهم ، او طرحها في النار ، بعد بلوغهم مراتب عالية في العلم والاجتهاد ٠

واخيرا استطاع المؤلف ان ينتهي من محاولته الاولى على الصورة التي تيسرت له سنة ١٩٥٠ ، وشرع في اخراجها للقراء حتى اتمها بعد عشر سنوات ، فكان فراغه منها اعدادا وتاليفا وطباعة بعد جهاد خمس وعشرين سنة (١٩٣٦ ـ ١٩٦٠)٠

ويبين المؤلف رايه فيما كان انجزه يومئذ ، فيقول في تواضع مخلص « وصنيعي هذا صنيع رجل طالب لم يصل الى المراتب المذكورة (مراتب العلماء) ، ولن يصل اليها ، وهذا ما سوغ تسرعي في اخراج هـذه الاوراق ، وان كنت لا أبرىء نفسي من الاغلاط التي قد تكون فيها ، وهو غاية جهدي ، ومنتهى اجتهادي ، والمجتهد ان اصاب فله اجران ، وان اخطأ فله اجر » ٠

رحلة ثانوية اطول واعظم

اما المحاولة الثانية فقد انتهت بكتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، وهو اضخم من الكتاب الاول بما يقارب ضعفيه ، اذ اخرجه المؤلف

فى تسعة اجزاء صفحاتها قراية اربعمائة وستة آلاف ، ولم يكن للكتاب الاول فهارس تفصيلية عامة ، وهذا احد مآخذ المؤلف فى اخراج الكتب القديمة ، اما اجزاء كتابه الثاني « المفصل .. » فقد اضيف اليها جزء عاشر فى ٦٧٠ صفحة،خصص للفهارس التفصيلية : فهرس للاعلام ، وثان للامم والشعوب والقبائل ، وثالث للدول والممالك والاماكن ، ورابع للمذاهب والفنون والطوائف واللغات ، وخامس للايات القرانية ،وسادس للمجامع والشركات والبعثات (الاثرية) ، وسابع للطباعة والمطبوعات ، وكلها مطولة مستوعبة ، وختامها فهرس للموضوعات ، وفهرس لفهارسه ، وقد اعد جزء الفهارس الاستاذ نديم المرعشلي ، وله الشكر فاتاح للقراء سهولة الرجوع الى الكتاب فيما يهمهم من محتوياته على مدى اجزائه التسعة ،لولا هذه الفهارس لتاه القارىء ، واحتاج الى تقليب الاف صفحاته بحثا عن اى شيء واحد يريده منه . وبدعة الفهارس التفصيلية من انفع البدع التى استحدثها هذا العصروهي الزم ماتكون في التواليف الضخام ، واجيالنا اليوم لاتعتمد على الحفظ كما كان دأب القدماء ، والفهارس اكبر عون على سد هذا النقص .

الاختلاف بين الرحلتين الكبيرتين

وهذا الكتاب ـ مع مشاركته الكتاب الاول فى موضوعه ـ يختلف عنه فى عدة امور ، كما يلاحظ ذلك من قرا الكتابين ، ويلخص المؤلف مزايا كتابه الجديد ، واسباب عودته الى موضوعه ، فيقول : فى مقدمته « هو فى الواقع كتاب جديد ، يختلف عن كتابي السابق الذى ظهرت منه ثمانية اجزاء ، يختلف عنه فى انشائه وفى تبويبه وترتيبه ،وفى كثير من مادته ايضا ، فقد ضمنته مادة جديدة خلا منها الكتاب السابق ، تهيات لى من قراءاتى لكتابات جاهلية عثر عليها بعد نشر مانشرت منه ، ومن صور كتابات او ترجماتها او نصوصها لم تكن قد نشرت من قبل ، ومن مراجعاتي لمواد نادرة لم يسبق للحظ ان سعد بالظفر بها او الوقوف عليها، ومن كتب ظهرت حديثا بعد نشر هذه الاجزاء ، فرايت اضافتها كلها الى معارفي السابقة التى جسدتها فى ذلك الكتاب .

.. وكتاباى هذان هما عمل فرد ، عليه جمع المادة بنفسه ، والسهر فى تحريرها وتحبيرها ، وعليه الانفاق من ماله الخاص على شراء موارد غير متيسرة فى بلاده ، او ليس فى استطاعته مراجعتها بسبب القيود المفروضة على اعارة الكتب ، او لاعتبارات اخرى ، ثم عليه البحث عن ناشر يوافق على نشر الكتاب ، ثم عليه تصحيح المسودات بنفسه بعد نجاحه فى الحصول على ناشر ، الى غير ذلك من امور تسلبه راحته ، وتستبد به وتضنيه ، ولولا الولع الذى يتحكم فى المؤلفين فى هذه البلاد لما اقدم انسان على تاليف كتاب » .

ونحن نترك للقارىء ان يفهم ما يستطيعه من وراء هذه الكلمات الباكية بغير دموع ، وان مثيلاتها لكثيرة فى مقدمة الكتاب ، وصدقها واضح لكل مؤلف جرب نشر كتاب جاد عندنا ـ ولا سيما المؤلفات الضخمة كهذا الكتاب ـ فانه لا يكاد يجرب المحاولة ، حتى يجد انه ضائع الحرمة ، مهدد بالمساومة فى كرامته ، حتى لدى كثير من الهيئات العلمية ، ولا استثناء من ذلك الا للكتب المقررة على المدارس او المطلوبة فى الجامعات ، واكثرها مفروض اوشبه مفروض .

اشارات الى محتويات الكتاب

والكتاب اكبر من أن يعرّف بمحتوياته فى هذه المقالة ، فحسبنا مثل اشارات الخروس الى بعض عناصر موضوعاتها ، وقد عرفنا ان الكتاب تسعة اجزاء او مجلدات كبار ، الاربعة الاولى منها فى الحياة السياسية للعرب قبل الاسلام ، والمجلد الخامس فى حياتهم الاجتماعية ، والسادس فى حياتهم الدينية ، والسابع فى حياتهم الاقتصادية ، والثامن فى الناحية الثقافية ، والاخير فى الناحية اللغوية والادبية .

ويبدا المجلد الاول بالمقدمة ، وفيها يوضح المؤلف ما يقصد بكلمة العرب ، وكيف نشأت ، ومصادر التاريخ الجاهلى ، وما اصابه من اهمال ، ووجوب اعادة تدوينه . كما يوضح جغرافية جزيرة العرب وحدودها واقسامها وطبيعتها وثرواتها وسكانها ، وصلات العرب باخوانهم الساميين (واولى بهم ان يسموا عربا) وطبيعة العقلية العربية ، وطبقات العرب منذ اقدم عصورهم التاريخية ممن يسمون عربا بائدة ، وعاربة ، ومستعربة ، واثر التوراة فى هذا التقسيم ، وما

فى ذلك اخطاء ، وانساب العرب وطبقات القبائل ، وما عرض لها من اختلاق وتحريف وسوء فهم ، وحالة الجزيرة قديما ، وانتشار اهلها فيما يسمى الهلال الخصيب (العراق والشام ، ثم مصر) وصلة العرب بجيرانهم من الفرس والكلدانيين والعبرانيين .

ويوضح المجلد الثانى صلات العرب باليونان والرومان ، والدول والحكومات العربية التي قامت داخل الجزيرة كدولة معين ، وحضرموت ، وقتبان ، وريدان ، ولحيان ، وسبأ ، وحمير فى اليمن جنوبا ، والامارات العربية على الحدود شرقا وشمالا وصلاتها بالساسانيين (الفرس) والبيزنطيين (الروم) .

ومعظم المجلد الرابع فى مواطن عرب الشمال ومن ذلك واحات الحجاز او مدنه الثلاث : مكة ويثرب (المدينة) والطائف عند ظهور الاسلام ، وحالة مجتمع العرب جملة يومئذ ، ونظامهم القبلى ، والقبائل وانسابها لاسيما العدنانيين ، ودرجات اهلها وحياتهم اليومية .

والمجلد الخامس يتصل باواخر الرابع ، فيتناول بيوت العرب واحوالهم فى الفقر والغنى ، والافراح والاتراح ، ونظامهم فى الحكم ، وحقوق الملوك وسادات القبائل ، وقيام معيشتهم على الغزو ، وايامهم وحروبهم المشهورة ، وشرائعهم واحوالهم الشخصية ، وما كان لديهم من نظم العقود والالتزامات ، وطرق الفصل فى الخصومات .

والمجلد السادس يتعرض بتوسع لحياة العرب الدينية فى جاهليتهم البعيدة والقريبة من الاسلام ، فيبين اديانهم من موحدة ومشركة ، ويشير الى انبيائهم ، ثم يوضح معتقدات الجاهليين المختلفة فى الله ومصير الانسان والروح ، والهتهم وطرق تقربهم اليها ، واصنامهم التى كانت معروفة عند ظهور الاسلام ، واصنامهم الاخرى التى كانت مجهولة حتى كشفت عنها الحفريات حديثا ، وشعائر اديانهم ، والحج والعمرة ، وبيوت العبادة ، وتسرب اليهودية والنصرانية الى جزيرتهم وآثرها فى معتقداتهم ، وصلتهم بالمجوس والصابئة والحنفية وما اعتقده الجاهليون فى عالم الارواح وتسخيرها فى الخير والشر ، وما كانوا يتفاءلون به او يتشاءمون .

والمجلد السابع فى الحياة الاقتصادية للجاهليين ، فهو يبين طبيعة ارضهم ، ومصادر المياه والرزق فيها ويتوسع فى زراعتهم على اختلاف انواعها وطرقها ومحاصيلها ومعاملاتها ، وثروتهم الحيوانية ، ثم تجارتهم البحرية مع اهل الشرق والغرب والشمال ، وقوافلهم البرية وطرقها ومدنها واسواقها ، وطرقهم فى البيع والشراء ، وشركاتهم المالية ، وما عرفوه من ضرائب التجارة كالاتاوات والمكوس والاعشار ، ورجال المال ، واتخاذ العبيد ، وما اتخذوه من صناعات ومصنوعات ، وتداولوه من نقود ، ومقاييسهم للابعاد والمساحات والمكيلات والموزونات .

والمجلد الثامن فى حياتهم الثقافية : يوضح ما عرفوه من هندسة وبناء وزخرفة ونحت كما تمثلها حصونهم وقصورهم ومعابدهم ونقوشهم ، وانيتهم المنزلية من خزف وزجاج وبلور وفضة وذهب ، وخطوطهم المتنوعة التى كتبوا بها ونشاتها وتطورها ، وما كان لهم من مدارس وعلماء وكتاب ، ومن حكمة وفلسفة ، ومعرفة بالطب والبيطرة والفلك ، وما اتخذوه من تقاويم وتواريخ مختلفة للتوقيت بها ، وشهورهم التى كانوا يحرمون فيها القتال ، ولغاتهم المختلفة ومنها العربية الفصيحة التى نزل بها القرآن الكريم ، وادابهم المأثورة فى الامثال والقصص والخطب .

ويتم ذلك الجزء التاسع والاخير فيوضح فى لغاتهم ظاهرة الاعراب واللحن ، واللغة الادبية المعربة ، والشعر وانواعه واغراضه واوزانه ، واشهر رواته وطرق تدوينه ، وصحيحه ومنحوله ، واوائل الشعراء واصحاب المعلقات ، والشعراء الصعاليك ، وشعراء القرى (مكة والمدينة والطائف وغيرها) والشعراء من اليهود والنصارى ، ويختم المجلد والكتاب كله بالشعراء المخضرمين الذين عاشوا فى الجاهلية ، وادركوا ظهور الاسلام .

مصادر التاريخ الجاهلي

وحسبنا ــ بعد هذه الاشارات الغرس الى جملة محتويات الكتاب ــ ان نعرض اجمالا لفصل واحد ببعض التوضيح ، ونختار من المجلد الاول فصله الثانى ، وعنوانه « الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلى » فربما كان اولى الفصول بالتعريف ، لانه يبين لنا انواع المصادر التى اعتمد عليها المؤلف فى كتابه ، ويبدأ هذا الفصل ببيان معنى لفظ الجاهلية ونشاته فى الاسلام وشموله كل عصور العرب قبله « والرأى عندى ان الجاهلية من السفه والحمق والانفة والخفة والغضب وعدم

الانقياد لحكم وشريعة وعقيدة الهية ، وما الى ذلك من حالات انتقصها الاسلام .. لم يتعرض لموارد التاريخ الجاهلي فيقول : « تاريخ الجاهلية هو اضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب ، يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة ، واكثر ما ذكروه على انه تاريخ هذه الحقبة ، هو اساطير وقصص شعبي واخبار اخذت عن اهل الكتاب ولا سيما اليهود ، واشياء وضعها الوضاعون في الاسلام ، لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة . وقد تداول العلماء وغير اصحاب العلم هذه الاخبار على انها تاريخ الجاهلية ، حتى القرن التاسع عشر ، فلما انتهت الى المستشرقين شكوا في اكثرها ، وتفتحت بذلك افاق واسعة في عالم التاريخ الجاهلي لم تكن معروفة . ووضعوا الاسس والجادات (الطرق) التي توصل عشاق التاريخ الى البحث في تاريخ جزيرة العرب».

ثم اشار المؤلف الى اهم عمل رائع قام به المستشرقون ، « وهو البحث عن الكتابات العربية التي دونها العرب قبل الاسلام ، وتعليم الناس قراءتها بعد ان جهلوها مدة تنيف على الف عام ، وقد فتحت هذه النصوص باب تاريخ الجاهلية ، ومن هذا الباب يجب ان نصل الى تاريخ الجاهلية الصحيح . لقد كلف البحث عن هذه الكتابات العلماء والسياح ثمنا غاليا : كلفهم حياتهم في بعض الاحيان ، ولم يكن من السهل تجول هؤلاء الاوروبيين (متنكرين غالبا) بازياء مختلفة ، في اماكن تغلب عليها الطبيعة الصحراوية ، للحصول على معلومات من الغرائب والعاديات (القديمة) ، والحصول على ما يمكن الحصول عليه من نقوش وكتابات .

« والتاريخ الجاهلي مع ذلك في اول مرحلة من مراحله ، وفي الدرجات الاولى من سلم طويل متعب ، ولا ينتظر التقدم اكثر من ذلك الا اذا سهل للعلماء التجوال في بلاد العرب ، لدراستها من جميع الوجوه ، وللبحث عن العاديات ، ويسرت لهم سبل البحث ، ووضعت امامهم كل المساعدات الممكنة التي تاخذ بايديهم الى الكشف عن مواطن هذا التاريخ ، والبحث عن مدافن كنوز الآثار تحت الاتربة ، واستخراجها وحل رموزها ، لجعلها تنطق باحوالها في تلك الايام . وتلك مسئولية لن تفهم الا اذا فهم العرب ، وعلى رأسهم الحاكمون ، أن من واجبهم المحافظة على تاريخ العرب القديم ، بصيانة مواطن الآثار ، ومنع الاعتداء عليها ، بانزال اشد العقوبات فيمن يحطم تمثالا، لاعتقاده انه صنم، او يهدم اثرا للاستفادة من حجره ، او ما شابه ذلك من هدم وتخريب » .

ثم يشير المؤلف الى عدم اطمئنان المستشرقين الى ما روته الكتب العربية عن التاريخ الجاهلي، وعدم اكتفائهم به ، ورجوعهم الى مصادر وموارد اخرى ساعدتهم على كتابة هذا التاريخ ، وهو – مع قلته – خير من التاريخ الذي كان متعارفا قبل ، واقرب الى التاريخ ، اما مصادرهم فهي :

١ – النقوش والكتابات : وهي لا تنحصر فيما عثر عليه في حفائر داخل جزيرة العرب ، بل تعدتها الى حفائر العراق والشام ومصر وسواحل البحر المتوسط وجزره .

٢ – الكتابات اليهودية في التوراة (العهد القديم) والتلمود وغيرهما من الاسفار العبرانية.

٣ – الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية (النصرانية) ونحوها .

٤ – المصادر العربية الاسلامية .

وقد مضى المؤلف على امتداد نحو ستين صفحة يفصل القول فيما تزود بهذه الموارد على اختلافها من يتصدى لكتابة التاريخ الجاهلي ، ومقدار الثقة بكل مورد منها ، مع نقده وبيان ما له وما عليه ، وهي موارد – كما قدمنا – تجاوز المئات الى الالوف ، ومع ذلك لا تمكن كاتب التاريخ الجاهلي الا من بداية جولاته ، وهي مع ذلك تمضي به في الطريق الصحيح الذي لا طريق سواه . ونحن مع تقديرنا العظيم لمجهودات المؤلف الفدائي وكتابه الاول ثم كتابه الثاني وهو اضخم – لا نرى في كتابه الا انه مرشد أو دليل مفصل ، او على حظ من التفصيل ، ولا بد وراءه من كتب اضعاف كتابه مرات ، ولن يتم ذلك الا خلال حقب طويلة اذا تابعنا الحفريات داخل جزيرة العرب ، وحفريات البلاد المجاورة في الشرق الاوسط .

منهج الكتاب

وقد اشرنا آنفا الى ترتيب الكتاب حين تحدثنا عن محتوياته اجمالا ، ولا نجد في بيان منهجه اوضح مما ذكره المؤلف في المقدمة ، ومن يقرأ كتابه يجد انه كان كدأبه صادقا شجاعا مع نفسه

وقرائه ، قال : « وقد رايت فى هذا الكتاب – شانى فى الكتاب السابق – الا انصب نفسى حاكما تكون وظيفته اصدار احكام قاطعة ، وابداء آراء فى حوادث تاريخية مضى زمن طويل عليها ، بل اكتفى بوصف الحادث وتحليله كما يبدو لى، وقد لا تعجب طريقتى هذه كثيرا من القراء ، وعذرى اننى لا اكتب لارضاء الناس ، ولا ادون لشراء العواطف ، وانما اكتب ما اعتقده وآراه بحسب علمى وتحقيقى ، والرأى عندى ان التاريخ تحليل ووصف لما وقع ويقع ، وعلى المؤرخ ان يجهد نفسه كل الاجهاد للاحاطة به ، والتفتيش عن كل ماورد عنه، ومناقشة ذلك مناقشة تمحيص ونقد عميقين ، ثم تدوين ما يتوصل اليه بجهده واجتهاده تدوينا صادقا على نحو ما ظهر له وما شعر به ، متجنبا ابداء الاحكام والآراء الشخصية على قدر الاستطاعة » .

وقد وفى المؤلف اشد الوفاء لهذا المنهج ، وربما يفضل آخرون غير منهجه ، ولكنه فى نظرنا احق المناهج بالاتباع فى هذه المراحل الاولى ،لانه يرينا الاخبار وحركة عقل المؤلف خلالها ، او النتائج وقصة الوصول اليها ، ولا يقدم الينا سلما جاهزة بعد أن اتمها صانعها فى خفية داخل جدران مصنعه ، بل يدخلنا معه الى مصنعه ، ويعرض علينا المواد الاولية التى يستعملها ، ثم يشرع امامنا فى تصنيفها وتطويعها وسبكها حتى تخرج من بين يديه تامة على قدر طاقته ، ونحن بتكوينها وكل خطواتها عارفون ، وفى متابعتنا لهذه الخطوات متعة ، وبها نتعلم صناعة البحث والنقد التاريخى ، ونشارك المؤلف فى تفكيره ومسئولية نتائجه ، ونقبل منه او نرفض ، ولكن على بينة ، لان خطوات صناعته امامنا مكشوفة .

ولا شك أن للشهد حلاوته فى الافواه على اى حال ،ولكن ليس من يكتفى بمذاقه مصفى كمن رأى النحل تجمع رحيقه وتبنى خلاياه ، ثم رأى العاسل يجمعه ثم يصفيه ، ثم يقدمه لمتذوقيه ، والمؤلف باتباعه هذا المنهج فى كتابه هذا يذيقنا متعتين : متعة الظفر بالحقائق ، ومتعة السعى فى اكتشافها معه ايضا .

تراث ضيعه اهله

انه لتقصير يستوجب الخجل أن نكون جاهلين بتاريخ اسلافنا قبل الاسلام ، او نقف عند حدود ما تمدنا به مصادرنا العربية وحدها ، لان معظم ما تمدنا به من هذا التاريخ اشبه بالمسامرات والقصص الشعبية ، لا يخلو من صدق ، ولكن صدقه وسط ركام من الزيوف والبهارج ، ونحن مع هذا الجهل المخزى لا ننفك ننعى على الجاهلية موبقاتها واخطاءها ، كانها كانت معصومة من الفضيلة والصواب ، واشدنا تشنيعا بها من يحصرون الجاهلية فى الجيل الذى عاصر ظهور الاسلام وعارضه فى بعض جهات الحجاز فحسب، مع أن جاهلية العرب تمتد قبل ذلك الاف السنين ، كما انها تشمل مجتمعات الجزيرة فى شتى بقاعها وخارجها .

واحرصنا على هذا التشنيع واللجاجة فيه من يظنون أن مزايا الاسلام لا تظهر الا بتلويث الجاهلية من شتى الوجوه باقبح الشنع ، على نحو ما نسمع من الوعاظ حين يعظون ، واعظم حماستهم لاتتجلى الا خلال هذه الحملات الاعلامية التى ياباها الاسلام ، وكل طبع مستقيم وضمير سليم ، لانها غير صادقة ، فهى لا تقوم على علم ولا هدى ولا كتاب منير .

ولم يزل كثير منا ينظر الى آثار القدماء نظرة احتقار واستنكار ، فلا نهمل حفظها فحسب بل نعمل على افسادها واتلافها لحاجة ولغير حاجة ، ومن حيث نريد او لا نريد ، ونصمها بانها « كفرية » ونصم اهلها بانهم « كفرة » وننسى ان البشرية لم تصل الى ما وصلت اليه من ثقافة وحضارة الا بعد جهاد لامم شتى خلال الاف السنين ، كما ننسى أو نتناسى أن تاريخ الاقدمين هو تاريخنا ، وان احوالهم فى اى عصر – مهما تكن من التخلف – انما هى طور من اطوار الرقى الدينى والاجتماعى للبشرية ، وان الجاهلية لم تكن كلها ظلاما مطبقا لا ضوء فيه ، او شرا محضا لاخير فيه ، ولا استثناء من ذلك للجاهلية التى قام خلالها الاسلام، وليس ادل على فضيلتها من سرعة استجابتها لدعوة الاسلام الكريمة وتضحياتها فى دعمه ، حتى تمكنت من نشره فى بلاد مترامية فى الشرق الاوسط خلال جيل واحد.

منذ اكثر من ثلاثين سنة كنت قد تعلمت شيئا من تاريخ الجاهلية التى ظهر خلالها الاسلام ، وعرفت بعض جوانب الخير فيها وحسن استعدادها للنهضة ، فافضيت بذلك يوما الى استاذى

الكبير عباس محمود العقاد وكان قد اتجه لكتابة عبقرياته الاسلامية ، واشرت له الى ان صورة الجاهلية الملاصقة للاسلام ليست من السوء كما يؤديها الينا معلمونا ولا سيما وعاظنا ، ولم تخل هي واهلها من خير كثير ، فاجابني بما مؤداه « وهل كنت تظن ان النبي اقام دعائم دولته على « هئ » (هوة) ؟ انه اقامها على دعائم صلبة مما عرفته تلك الجاهلية من قيم كريمة وعلى ايدى الصفوة من اهلها المخلصين » .

وسيرة نشأة الاسلام تؤيد ذلك ، وعنه عبّر النبي عليه‌السلام في قوله :« خياركم‌في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا » وقوله « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ». فالاسلام حركة تتميم ساعد في اقامتها الاخيار من المستعدين للهداية‌والفداء.

ولاحاجة في بيان فضل الاسلام الى هذه‌الحملات الاعلامية في لعن الجاهلية والجاهليين من‌اقدم عصورها حتى احدثها دون تمييز بين حسناتها وسيئاتها ، وما كان لاهلها من فضل وتقصير ، ورحم الله المعرى اذ يقول :

« وقبيح بنا ـ وان قدم العهد هـوان الآبـاء والاجـداد »

وتحية للمؤلف الذى‌انصف قدماء‌العرب ، ورصد لذلك حياته المباركة ، حين كتب تاريخهم قبل الاسلام واكبَّ عليه في صبر العاشق حتى اخرج هذا العمل‌الرائد بغير نظير ، وهنيئا له ولامته هذا الفوز العظيم .

محمد خليفه التونسي



بين العقيدة والقيادة

تاليف : محمود شيت خطاب .

الناشر : دار الذكر ـ بيروت / لبنان .

● يحاول هذا الكتاب ان يجيب على هذا السؤال : ما علاقة العقيدة بالقيادة ؟ وهل العقيدة من صفات القائد المنتصر ؟ فالكتاب يوضح الصلة الوثيقة بين عقيدة القائد وقيادته ، وان القيادة الرشيدة لا بد ان تدفعها عقيدة مؤمنة وقلب لم يركس في المعاصي ، ونفس لم يدنسها الفسق والانحراف ، وارادة حازمة قوية ضابطة ، لا تخضع لهوى ، بل هي سيدة على النفس ، حاكمة لها ، فالكتاب بذلك دعوة ايجابية ورد حاسم على سلبية سادت في الجندى العربي، اما الجانب الايجابي في الكتاب فهو دعوة لكل قائد من القادة العرب بان يكون له مثل ديني عال يسمو اليه ويتبعه جنده في ايمانه كما يتبعون قيادته ، وهم بذلك يتبعون رغبا لا رهبا ، وتكون طاعتهم له عن ايمان ، ليكون لجهادهم معنى سام عال ، ولا يكون قسرا او كرها .

وفي سبيل الدعوة الايجابية الى الايمان استعان المؤلف بآراء قواد الغرب المشهورين الذين نادوا بضرورة ايمان القائد بعقيدة يتبعها، ومنهم مونتجمرى الذى كان من اكبر قواد الحرب العالمية الثانية ، اذ كان مؤمنا بدينه المسيحى أشد الايمان،مستمسكا بعقيدته اشد الاستمساك، ويرى ان سر النصر كامن في القيادة المؤمنة .

وليس المهم في الاعتقاد ان تكون العقيدة صحيحة بل المهم قوة الاذعان بعد الجزم والتصديق اليقيني بها ، فمن يعتقد باى دين اعتقادا جازما مستيقنا مذعنا لاعتقاده فهو حامل عقيدة ، وان كانت مخطئة ، وهو خير ممن لا اعتقاد له .

ثم اتجه المؤلف بعد ذلك الى دراسة قيادة المسلمين ، وذكر ان العقيدة كانت في اعلى درجاتها عندهم ، فلم تكن العقيدة صفة القائد وحده بل صفة الجندى الذى يحارب معه في سبيل الله .

النباتات الطبية في الكويت
MEDICINAL PLANTS IN KUWAIT

تاليف : الدكتور رياض العلمي ـ اسعد مقصد

الناشر : وزارة الصحة العامة / الكويت .

● كتاب باللغة الانجليزية عن النباتات الطبية في الكويت يخص الاطباء والصيادلة والزراعيين المهتمين بابحاث النباتات الطبية ، والكتاب مقسم الى ثلاثة فصول يدرس الفصل الاول تاريخ الدواء، وكيفية استعمال الانسان القديم لمصادر العلاج الطبيعية وما اضافته الحضارات القديمة كالصينية والبابلية والمصرية والعربية في هذا المجال .

اما الفصل الثاني فيتناول دراسات النباتات الطبية في الكويت ، وقد قسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام : القسم الاول يتناول النباتات الطبية البرية التي تنمو في الكويت بصورة عفوية والقسم الثاني يتناول النباتات الطبية التي يعتقد أن لها تاثيرات دوائية ، والقسم الثالث في النباتات الطبية المستوردة التي امكن زراعتها وتكاثرت في الكويت. ويوضح الكتاب ١٢٤ نباتا طبيا موزعة على ٤٠ عائلة نباتية ، خصص لكل نبات فيها قسم يذكر فيه اسمه العلمي اللاتيني ، واسم العائلة النباتية ، واسمه العربي الشائع ، ومكان نموه ، والاجزاء المستعملة منه للعلاج ، واهم مكوناته واستعمالاته الشعبية والمصادر العلمية الخاصة به .

اما الفصل الثالث فهو فهرس لمعاني الاصطلاحات النباتية والطبية والصيدلانية باللغة العربية والانجليزية .

الشورى
بين النظرية والتطبيق

تاليف : قحطان عبد الرحمن الدوري

الناشر : مطبعة الأمة ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة وافية عن الشورى في الاسلام ذلك المبدأ الذي هو أحد الدعائم التي قام عليها الحكم الاسلامي . لذلك كانت الشورى ملتزمة على الرسول وهو المتصل بوحي الله وصاحب العقل الكامل فهي على غيره من الحكام والرؤساء اوجب، والشريعة الاسلامية حين قررت هذا المبدأ لم تضعه في قالب معين ، بل تركته للامة تحدده على وفق ظروفها بما يلائم حالها ، ويحقق مصلحتها مما اكسبه مرونة ليواكب تطور الزمن .

فالشورى اذن دعوة صريحة لتحري الصواب والاخذ بأسباب النجاح ، والايثار ، وقتل روح الاستبداد، وهي نابعة من سيادة الامة وضميرها الحي . وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب تتبع كلمة الشورى في كتب التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ ، فبين نظرية الشورى في الاسلام ، ومجال تطبيقها في الانتخاب ، وما يتصل بذلك ثم وازن بين النظام الاسلامي والنظام البرلماني الحديث .

والكتاب مقسم الى فصلين الفصل الاول في نظرية الشورى والثاني في تطبيق الشورى ، فذكر في الفصل الاول معنى كلمة الشورى في اللغة وفي الاصطلاح ثم أعقبه بتمهيد تاريخي لهذا المبدأ قبل الاسلام ، أما الفصل الثاني فيختص ببحث الشورى في حيز التطبيق بعد الاسلام .

أبو بكر الرازي
حياته ومآثره

تاليف : الدكتور فرات فائق .

الناشر : مطبعة الارشاد / بغداد .

● تتناول هذه الدراسة حياة أبي بكر الرازي ومآثره وجهوده في الطب والكيمياء والفلسفة وسائر العلوم التي طرقها ، كما ترسم الخطوط العريضة لهذه الشخصية الفذة في تاريخنا الاسلامي .

هذا الطبيب العربي جمع العلوم الطبية في زمانه في كتبه الطبية الكثيرة ، وبذلك انتج دائرة معارف طبية عربية ضخمة ، وكانت تلك المحاولة خطوة لبناء تراث طبي علمي عربي كما كان الرازي أول طبيب عربي أضاف اضافات هامة ومكتشفات كثيرة جديدة للطب العربي ، فلم يكن الرازي مقلدا تقليدا أعمى لما سبقه من أطباء وعلماء ، بل كان ناقدا ومدققا ، وبذلك يمكن اعتباره المؤسس الاول للطب العربي الاصيل .

والكتاب مقسم الى خمسة فصول يترجم الفصل الاول حياة الرازي واما الفصل الثاني فيدرسه طبيبا والفصل الثالث عن الرازي والكيمياء، اما الفصل الرابع فيتناول موضوع الفلسفة عند الرازي والفصل الخامس والاخير يتعرض لجوانب اخرى من عبقرية الرازي .

■■



بريد القراء ومعرض آرائهم

عالجوا هجرة الشباب الى المدن

● اثار الدكتور عبد الاله ابو عياش فى العدد (٢١٠) من « العربى » مشكلة هجرة الشباب من الريف الى المدينة ٠٠ فنرجو ان نقرأ مقالا يبين اسباب هذه الهجرة وكيفية الحد منها٠٠ وما تحمله من مشاكل لا حصر لها ٠٠

عيسى عبدالله النبر/الاردن

طرفة البخيل

● جاء فى زاوية طرائف عربية فى العدد ٢١١ فى وصف البخيل ان قميص يعقوب قد من دبر ، ولعلكم تعلمون ان يوسف هو الذى قد قميصه من دبر عليه السلام ٠

محمد فؤاد خربوطلى
نقابة المهندسين ــ دمشق

(العربى) : هذا المعنى هو المقصود ، وصحة العبارة هكذا فى وصف البخيل « والله لو كان له بيت مملوء ابرا وجاء يعقوب ، ومعه الانبياء شفعاء ، والملائكة ضمناء يستعير منه ابرة ، ليخيط بها قميص ابنه (يوسف) الذى قد من دبر ما اعاره اياها » فيعقوب هنا هو الذى يأتى ليشفع لابنه يوسف ٠

جوائز لم يتسلمها اصحابها

● هذه اسماء بعض الفائزين بجوائز مسابقة العربى التى لم يتسلمها اصحابها ٠ وقد اعيدت الينا وهم السادة :

نادر الاطرش ــ اليونان ،غسان عفيف الفقى ــ حلب / سوريا ، الآنسة محاسن عبد العزيز الصالحى ــ عمان / الاردن ، السيدة رمزية عبد الرحمن رشوان ــ الجيزة / ج٠م٠ع ، محمد محمود جنديه ــ بيروت / لبنان ٠

الرجاء أن يبعثوا للعربى بعناوينهم الحالية حتى يمكن تحويل جوائزهم اليهم ٠

الاعداد الخاصة

● اقترح ان تصدر « العربى »عددا خاصا عن احد اقطار العالم يحتوى على معلومات طبيعية وجغرافية واقتصادية ومختصر تاريخى حتى يعلم قراء العربى شيئا عن العالم مفصلا فى كتاب كل عام ٠

جمال العبد
القاهرة ــ خير محاسب

اقتراحات

● اقترح ادماج بعض الاسئلة عن الشخصيات الاسلامية فى مسابقة العربى حيث ان تاريخنا الاسلامى حافل بكثير من هذه الشخصيات الفذة ٠ كما اقترح عليكم القيام باستطلاعات للدول الاجنبية التى كانت تضم حضارات اسلامية عظيمة لنتعرف على اوجه هذه الحضارات وآثارها فىغير وطننا العربى ٠

على عبد الله البيض
جدة ــ السعودية

افتحوا اعينكم ايها العرب

● شاهدت على شاشة التلفزيون الاسرائيليمقابلة مع وزير التعليم عندهم حول المناهج التعليمية التى توضع لتعليم ابناء العرب فىفلسطين المحتلة فقال الوزير الاسرائيلي اناسرائيل تقوم بابراز النواحى التى تساهم فى دمج العربمع الاسرائيليين ٠٠ واضاف ٠٠ انه لا مانع لدى وزارته من اغفال بعض النواحى الدينيةوالتاريخية منالمناهج التعليمية المطبقة على العرب ٠٠ ثم أردف قائلا / قد نفشل الان بسبب حماسبعض الاجهزة الاعلامية ٠٠ الا اننا سنعين للاطفال العرب ما يجب ان ينهجوه مستقبلا ٠٠

محمد النسور ، الاذاعة الاردنية / عمان

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام في الكويت

أول سبتمبر ١٩٧٦

٨٤

فرسان المائدة المستديرة
الآباء الأشقياء

تأليف : جان كوكتو
ترجمة وتقديم : فؤاد كامل
مراجعة : محمود علي مراد



شاحنات كرايزلر
تفهم لسانكم كل الفهم

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منّا . ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بنجاح وإتقان ودقة .. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي .

الشاحنات التي نصنعها في مختلف أنحاء العالم .. في الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وإسبانيا ، واليابان ، يسلّم العالم كله برقيّ تصميمها وإتقان هندستها . شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم . من سيارات التوزيع الخفيفة إلى الشاحنات الجبارة .. ومن الباصات الصغيرة إلى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرقات المديدة .

اختاروا من مجموعتنا الرائعة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي .



دودج - فارغو - ميتسوبيشي

ارسلوا هذا الكوبون بالبريد الآن

ارسلوا هذا الكوبون للحصول على اسم وعنوان الموزع لكرايزلر انترناشونال ، وما يلزمكم من معلومات عن السيارات ومواصفاتها .

الاسم : ______

الشركة : ______

العنوان : ______

______

المدينة : ______

البلد : ______

شاحنات خفيفة ☐ شاحنات متوسطة ☐ شاحنات ثقيلة ☐ باصات ☐ يرجى التأشير

Mr. J. Cooper Chrysler International S.A. 17, Old Court Place, London, W.8. England ALA. 2

كرايزلر انترناشونال

هل أنتِ نحيلة ؟ كوني نشِطة جميلة القوام بسوبر ويت - أون!

سوبر ويت - أون هو الغذاء الإضافي الذي يمنح النحفاء من الرجال والنساء على السواء بعض السنتمترات والكيلوغرامات التي يحتاجون اليها.

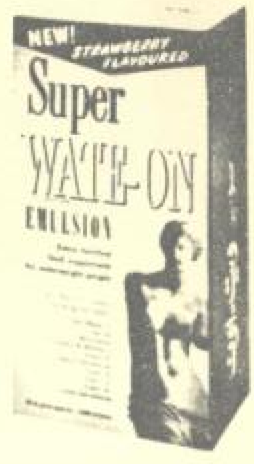
سوبر ويت - أون يحتوي على أغذية لها طعم الفاكهة اللذيذ، بالإضافة الى الفيتامينات ب ١ وب ٢، ود ٣، التي تكسبك الحيوية وتمنحك القوة الحقيقية، فضلاً عن فيتامين ب ١٢ الذي يبني الدم في الجسم.

للنساء النحيلات سوبر ويت - أون يصنع المعجزات! سوف تحظين بالشكل الذي كنت تتمنينه دوماً. سوف تستدير أطرافك ويزهو جسدك بالحيوية والنضارة.

سوبر ويت - أون يملأ الفراغ بين كتفيك ويجعل صدرك بارزاً، ويكسب ذراعيك وساقيك ووركيك مزيداً من التناسق والجمال.

للرجال النحلاء أيضاً سوبر ويت - أون يصنع المعجزات! إن كنت نحيلاً ضعيف البنية فلا يبالي بك أحد، فإنك ستفقد ثقتك بنفسك. سوبر ويت - أون سيضفي عليك القوة والصحة، ويؤمّن لك الحيوية والنشاط.. أما الناقهون والأطفال، فإنه سيعود عليهم جميعاً بنفع مدهش!





سوبر ويت - أون

يصنع المعجزات
للرجال والنساء والأطفال



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائده جنابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال لهو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي لهي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهريًا.

١٠½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central

Bankers

Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.




اللمسة السحرية
12:00
ORIENT
اول ساعة في العالم
تعمل باللمس
No.680101
ORIENT LED QUARTZ
تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز ... اوريينت
لمسة واحدة للوقت ، لمستان للتاريخ
اضغط على الزر للثواني فقط
البطارية تخدم اكثر من سنة
طريقة C MOS-LSI وجهاز الذبذبات الكريستال يؤمنان الدقة الفائقة
شكل جذاب يحميها ضد تأثير الكهرباء الساكنة ، التيار العالي والرطوبة
12:00
ORIENT
ORIENT اوريينت
No.680103
ORIENT WATCH CO., LTD. 4-4, 2-chome, Sotokanda, Chiyoda-ku, Tokyo, 101 Japan


RADO
ساعة رادو دياستار اليكترو سونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣



«فيليشايف»
إسم لأفضل ماكينة حلاقة في العالم من فيليپس

مجموعة «فيليشايف» ٩٠ - سوبر الجديدة لا تزاحم: حلاقة ناعمة، رجرجرة هادئة لرؤوس الحلاقة ٩٠ سوبر، تصميم انيق والوان مختلفة جذابة.

من موديلاتها التي تلتقي ومتطلبات الرجل العصري هو «فيليشايف اكسكلوسيف» المثلث الرأس حيث بالامكان ضبط رؤوس الحلاقة فيه وتوقيعها لتناسب نوع وحساسية كل جلد وهو يحتوي بذات الوقت على جهاز لتحديد الحلاقة عند الشوارب والسوالف. كما يوجد من موديلات «فيليشايف» الأخرى «الرشارجيل» المزود بجهاز لتعبئة الطاقة الكهربائية وخزنها مدة ٣ اسابيع من أجل حلاقة حرة والنشا

هناك ماكينات «فيلشايف» المتممة برأس مزدوج اقتصادية الثمن وكذلك الموديلات التي تعمل على البطارية لتناسب الرجل المتنقل.

ان التفوق التقني الذي تمتاز به هذه الماكينات والمعترف بها فعلاً أكان من ناحية التصميم أم من ناحية النتائج الفضلى التي تقدمها يعود الفضل به ولاريب الى الخبرة الفريدة من نوعها في العالم والى برامج الدراسات المتكاثفة والمتشعبة التي تقوم بها فيليپس بطريقة متواصلة.

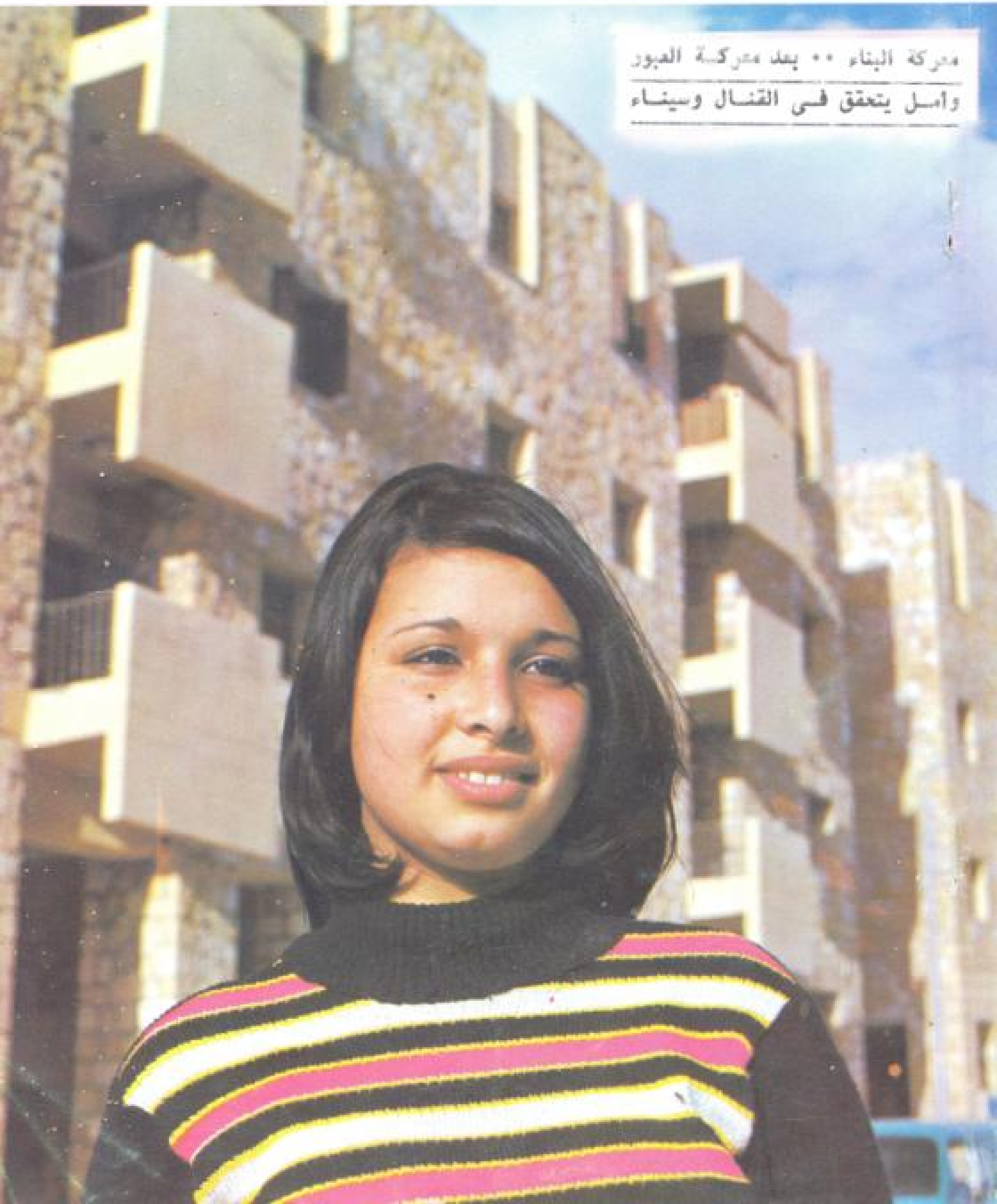
وخدمة فيليشايف شبيهة بالخدمة المثالية التي تقدمها فيليپس لكامل منتوجاتها فهي مؤمنة أينما كان.

PHILIPS

فيليپس الأفضل لكم دوماً

العربي

العدد ٢١٥
شوال ١٣٩٦
اكتوبر
(تشرين ١) ١٩٧٦





زهرة اللوتس .. زهرة مصر ، عرفتها الهند والصين وغربي آسيا واليونان .. ولكنها في مصر ارتبطت بتقاليد وعادات المصريين منذ القدم (انظر ص١٠٤)



● عزيزى القارىء ●

■ في مثل هذا الشهر ، من عام مضى ، فقدت مجلة « العربى » عميدها، واول رئيس تحرير قام بمسئولية اصدارها،وهو المرحوم الدكتور أحمد زكى ٠

وقد بدات مجلة « العربى » وجودها مع نهضة الكويت الحديثة ٠ وفى تلك الأيام البعيدة ، الصعبة ، قبل ثمانية عشر عاما ، جاء الدكتور احمد زكي الى الكويت ، وقد جاوز الستين من العمر ، لكى يبدأ مع « العربى » رحلة جديدة من حياته ٠٠ ثابر عليها ، وهو فى تلك السن ، سبعة عشر عاما متواصلة ، بنشاط لا يعرفه الشباب ، وجهد شاق ، وتوقد فى الذهن لا يتوفر الا للقليلين من أمثاله ٠٠٠٠

وخلال هذه الأعوام السبعة عشر ، تطورت مجلة « العربي » الى الصورة التي عرفت بها ، والصيغة التى ارضت هذا العدد الضخم الواسع من القراء فى شتى انحاء العالم العربى ، والاسلامى ٠

وخلال هذه الأعوام ذاتها ، تبلورت التجربة الكويتية الرائدة فى هذا الركن من العالم ، وذاع صيتها فى انحاء الدنيا كواحة للتقدم ، والتحديث ، والأمن ، والمحافظة على التقاليد الأصيلة ، والوفاء للأمة العربية ، والقيام بأدوار تتعدى حدودها الاقليمية ، الأمر الذى يتمثل فى مظاهر كثيرة ، منها مجلة « العربى » بالذات ، التى صارت منارة للثقافة ، ودليلا على رحابة الفكر ، وسعة الأفق التى تصدر عنهما ٠٠٠٠

والآن ، لا يمضى يوم ، الا ونتلقى طلبات توزيع من متعهدين فى اوروبا وامريكا واليابان ، او طلبات اشتراك من جامعة او اخرى من جامعات القارات الخمس ، باعتبارها مرجعا هاما لمن يتابع الحياة العربية بوجه عام ٠

وفى هذا المجال ، نذكر بالوفاء كل من ساهم فى بناء هذا الصرح ، وفى المقدمة المرحوم الدكتور أحمد زكى ٠ ■■

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 215 OCTOBER 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● فتاة من الاسماعيلية ‥ وابتسامة امل وثقة بالمستقبل ‥ لقد عادت الى المدينة التى هجرتها وهى طفلة ‥ لتجد فى انتظارها هى واسرتها بيتا جديدا ‥ وحياة جديدة ‥ لقد انتهت سنوات المعاناة ‥

(اقرأ الاستطلاع ص ٦٨)

انت تسأل ‥ ونحن نجيب :

تربية وعلم نفس :

اجتماع :

شعر وشعراء :

ركن الاسرة والمرأة :

كتب :

قصص وقضاء :

فنون :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ريالان سعوديان ، السودان ١٠ قروش ، ج.م.ع ١٠ قروش ، تونس ٢٥٠ مليما ، الجزائر ٢٫٥ دينار ، المغرب ٢٫٥ درهم ، اليمن ٢٫٥ ريال ، ليبيا ١٥٠ درهما ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص . ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .

بأية حال ..

■ كل عام وأنتم بخير ...

فمع أول هذا الشهر ، ينتهى عيد الفطر المبارك ، بعد ان سبقه شهر رمضان الكريم • وشهر رمضان ، وعيد الفطر ، من المناسبات التى تذكر المسلمين في كل انحاء الأرض بما يجمع بينهم لا بما يفرقهم • وتذكر العرب ايضا وبالذات بما يجمع بينهم ، لا بما يفرقهم ...

فالدين الاسلامى ، حين نزل على هذه الأمة ، واتخذ لغتها لغة لقرآنه، كان يهدف الى حكمة أسمى من ان لا ناخذ من الدين الحنيف الا طقوسه وحدها • وبهذا المنطق فانه ليس يكفى فى هذه الأمة ان نصوم رمضان ، ونحتفل بعده بعيد الفطر •

فالطقوس دائما تخدم هدفا • وحين يصوم المسلمون جميعا في شهر واحد، ويفطرون فى موعد واحد ... فلا شك أنه من صفات هذه الحكمة ، ان يتذكر المسلمون ما يجمع بينهم ، لا ما يفرقهم ..

ولكننا رأينا الأمة العربية ــ واغلبيتها الساحقة من المسلمين ، وحتي غيرهم من أهل الكتاب قد صهرهم التراث الاسلامى ــ أقول رأينا الأمة العربية تمر بالشهر المعظم والصراعات بين الدول التى قامت فى هذه الامة على أشدها ، والخلافات بينها مستحكمة ، والقطيعة بين أوصالها تفاجئنا كل يوم فى مكان مختلف من بين أرجائها •

.. ونردد قول شاعرنا المتنبى : عيد بأية حال عدت يا عيد !

فلا شك ان العيد اذا كان حمل الينا ــ او الى بعضنا ــ بهجة خاصة ، ومسرات شخصية ، الا انه لم يحمل الينا ، او الى الذين يتأملون أمور أمتهم، أى شىء يحمل على البهجة ، او لا يدعو الى الحزن والأسى ...

وفى أكتوبر هذا ، ترد مناسبة اخرى من نوع آخر ، مناسبة دنيوية ،

عدت يا عيد

بقلم : أحمد بهاء الدين

ولكنها ايضا تذكرنا أو يجب أن تذكرنا نحن العرب بما يجمع بيننا ، لا بما يفرقنا ٠٠٠

انها مناسبة يوم ٦ اكتوبر ، وحرب اكتوبر ٠٠٠

اننا نذكر من ٦ اكتوبر المعارك الباسلة ، والانتصارات العسكرية العربية ، والهزيمة الاسرائيلية لاول مرة منذ بدأ التخطيط للوطن الصهيوني قبل ثلاثة ارباع القرن ٠ نذكر جيوش مصر وسورية تحارب في القناة والجولان ٠ ونذكر قوات عربية هرعت الى خطوط النار من العراق والكويت والسودان والمغرب والجزائر وغيرها ٠ ونذكر امدادات السلاح ٠ وامدادات المواد الاستراتيجية والغذائية ٠ونذكر القرار الضخم بحظر تصدير البترول، وحرمان كل من وقف مع الاعداء منه ٠٠ ونذكر ٠٠ ونذكر ٠٠٠

ولكن حين نلخص هذا كله ، فاننا نقول : انه كان لحظة من لحظات التاريخ التي اجتمعت فيها كلمة العرب ، وتوحدت ارادتهم ٠

قد تختلف الأسلحة ، وتتراوح السبل والامكانيات ، ولكن العبرة الكبرى كانت في وحدة الكلمة ، ووحدة الارادة ٠

يومها اهتز العالم باكمله ٠ وبدا وكأنه يستيقظ من سبات عميق على حقيقة جديدة : ان ما يتشدق به العرب من وحدة يمكن ان يكون جدا ، وأن ما يوحد ارادتهم يمكن ان يصبح حقيقة ٠٠٠

وبدأ العالم كله يعيد حساباته معنا ، ويتأمل صورتنا في ضوء جديد ، سواء من اراد بنا خيرا او من أراد بنا شرا ، سواء من كان رد فعله ان يكون صديقا لنا ، او من كان رد فعله ان يكون عدوا ، متربصا بنا ٠

●●

في كتابات بن جوريون ، مؤسس اسرائيل، انه منذ بدأ نضاله لتاسيس

اسرائيل ، ورغم ان العرب كانوا ممزقين محتلين خاضعين ، الا ان هاجسه المستمر كان : ماذا لو قام فيهم من يشبه كمال أتاتورك الذى وحد صفوف الاتراك المنهزمين ، يلم شعث العرب ويوحدهم وراءه؟ ماذا يبقى لاسرائيل ؟٠

●●

ولكن هذا كله ، كان فى عمر الزمن لحظة ٠

لحظة مرت علينا كالحلم المجيد ، وعلى اعدائنا كالكابوس الثقيل ، وها هو ٦ اكتوبر يعود بعد ثلاث سنوات فقط ، وقد عادت خلافات العرب اشد مما كانت ، وتمزقاتهم أعنف ، وادمى ٠٠٠

ونقول ايضا مع المتنبى : ٠٠ عيد ، بأية حال عدت يا عيد !

●●

فى علم التاريخ الحديث ، توجد نظرتان مختلفتان الى تاريخ الأمة العربية ٠٠٠

هناك من يرى ان تاريخ الأمة العربية خلال ١٤٠٠ سنة ، اى منذ وحد الاسلام دينها وتراثها ولغتها وقيمها ،الأصل فيه ـ فى هذا التاريخ الطويل ـ هو التوحد لا التعدد ، والتوافق لا التنافر ٠ بدليل تلك المئات الطويلة من السنين ، التى كانت الأمة العربية فيها تدعو فى كل عواصمها لخليفة واحد ، سواء كان أمويا او عباسيا او فاطميا او عثمانيا ٠٠٠

وهناك من يرى العكس تماما ٠ ويقول هذا الفريق من المؤرخين ، ان الأصل فى تاريخ الأمة العربيةهو التعدد لا التوحد ،وهو التنافر لا التوافق٠ فمعظم فترات الخلافة الواحدة كانت سلطة الخلافة فيها شكلية ، معنوية ، فى حين كانت الدول تقوم وتسقط فى مختلف اطراف العالم العربى ، والامارات والولايات تتحارب ٠وكثيرا ما كان التناحر بينهم اقوى منالتناحر مع خصم مشترك لهم، كملوك الطوائف الذين فقدوا الأندلس عنهذا الطريق، وكالتصدعات التى حدثت فى قلب المشرق العربى ابان الحروب الصليبية ، فكنا نرى من يحارب اخاه العربى المسلم ولو متحالفا مع الغزاة القادمين من اوروبا ٠

●●

وفى احد مؤلفاته ، نجد ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق ، وهو استاذ تاريخ بحكم مهنته الأصلية ، يضغط على منطق هذه النظرة الثانية حتى النهاية ٠٠٠

فالشرق الأوسط فى نظره ـ لأنه يفضل استخدام الاسم الجغرافى السياسى للمنطقة لا الاسم القومى ـ هذا الشرق الأوسط ، الذى هو شرقنا العربى ، تاريخه تاريخ تعدد وتنوع فى كل شىء ٠ اى « موزاييك » بالتعبير الانجليزى والفرنسى ، وهو ذلك النوع من الحجر المتعددة ألوانه ٠

تعدد فى الأديان ٠٠ فقد هبطت فيه اليهودية والمسيحية والاسلام ٠٠

وتعدد فى المذاهب ٠٠ فكل دين من هذه الأديان انقسم عبر التاريخ الى مذاهب كثيرة ، طالما قامت بينها الخلافات والحروب ٠ حتى أن كنيسة القيامة ـ مثلا ـ فيها مكان للحجاج المسيحيين الكاثوليك ، وآخر للبروتستنت وثالث للارثوذكس ٠٠ فى عدد قليل من الأمتار المربعة ٠٠٠

وتعدد فى الأجناس ٠٠ فهى منطقة متوســطة من العالم ، وزاد من اهميتها قديما انها كانت مهد الأديان ، فتدفقت عليها دائما موجات الغزو وموجات الهجرة على حد سواء ٠٠ ففيها القبائل العربية الأصل ، وفيها بقايا الصليبيين الأوروبيين ، وفيها من جاءوا من اطراف آسيا ، ومن وفدوا من المغرب الأقصى ٠٠٠ الى آخره ٠

وأبا ايبان بالطبع ، كسياسي هنا وليس كأستاذ تاريخ ، يستخلص من ذلك ان قيام دولة يهودية ليس بالأمر الغريب ٠ وليس بالجسم الطــارىء على المنطقة ، وليس بالحادثة التاريخية العابرة التى ليس لها سوابق ٠٠٠

ولست من الذين يحبون تملق عواطف القارىء ٠ ولا أرى من المفيد ان نتجاهل الحقائق اذا كانت لا تعجبنا ٠

ولكن ، مع ذلك ، فان هذا المنطق فيه مغالطة واضحة ٠٠٠

فالفرق شاسع جدا ، بين التعدد والتنوع ، بالمعنى الذى اعتادته المنطقة كثيرا ، وربما عبر صراعات مضنية راح أوانها ، اى تعدد وتنوع التعايش والتسامح بين الأديان وبين المذاهب وبين الأصــول العرقية القديمة التي تذوب مع الزمن فى بوتقة حضارية منسجمة ، وبين تعدد بمعنى قيام دولة على أساس الغزو ، وطرد شعب من ارضه، واستئصاله ، بل ومحاولة ابادته٠ دولة تقوم فوق ذلك على اساس اسطورة هى وحدة العنصر اليهودى ونقائه ، يستوى فى ذلك يهود اليمن ويهود المغرب ويهود بولندا ورومانيا والاتحـاد السوفييتي ٠

دولة اسرائيل ، لا تطرح على المنطقة النوع المألوف فيها من التعــدد والتنوع ٠٠٠

فرق بين فئات يهودية كانت تتعايش مع العرب فى شتى اقطارهم ، او حتى كانت تأتى لتعيش بالقرب من اراض مقدسة لديها ، شأنها شأن سائر الأديان والملل والنحل ٠٠٠ وبين « دولة » عنصرية ، مغتصبة ، مغلقة على وهم عنصرى ودينى ، تعتمد سياسة التوسع والغزو والاســتئصال وتريد ان تظل منتمية الى تراث بعيد جدا عن المنطقــة ، آت من اوروبا او امريكا او روسيا ٠ بهذا المعنى ستبقى غريبة ، ملفوظة من جسد المنطقة ، حتى ولو عاشت قرونا ، غير صالحة لأن تدخل حتى فى منطق التعدد والتنوع الخاص بالمنطقة ، لأنها فى الحقيقة رأس حربة غازية ، كما حدث للدويلات اللاتينية التى اقامتها الحروب الصليبية ، حقبة طويلة من الزمان ٠

●●

اما وقد استبعدنا فكرة التعدد والتنــوع فى حياة المنطقة العربية ، بالمعنى الذى يريد ان يثبته ابا ايبان ، وكثيرون غيره من المستشرقين الذين لا يرون العالم العربى الا مــن منظار معين خاص بهم ، ٠٠ فاننا نعود الــى طرق فكرة التعدد والتنــوع فى ذاتها ٠٠ بعيدا عن التزييفات الاسرائيلية والاستشراقية ٠

●●

اذا كنا نقول بأن الدين الاسلامى ، هو اكبر عنصر ســاهم فى تكوين الأمة العربية ، وبناء تراثها ، وتشكيل مجموعة القيم الأساسية التى توجه حياتها ٠٠٠ فاننا نلاحظ بعد ذلك ان الدين الاســلامى ، جاء ليتجه لا الى

شعب معين او جنس خاص ، بل انه اتجه الى « النـــاس كافة » •• اى انه افترض قيام التعدد والتنوع من الأساس ••• فى الذين دخلوا او سيدخلون فى دين الله افواجا •

وفى التعاليم الاسلامية ـ فـى هذا المجال ـ امـران أساسيان ، يكمل احدهما الآخر •••

المبدأ الأول : هو ما قال به القرآن الكريم « وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ••• وهو ما يؤكد ما سبق ذكره من افتراض تعدد الشعوب ، او الاجناس ، او الجنسيات ، او القوميات ••• مهما كان التعبير الشـائع فى هذا العصر او ذاك •

والمبدأ الثاني : هو قول القـرآن الكريم ايضا « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، وقول النبى (ص) « لا فضل لعربى على أعجمي الا بالتقوى » • اى ان تعدد القوميات او الشعوب ، اقلية كانت او اغلبية ، لا يخل بمبدأ المساواة بينها •

معنى هذا ان الاسلام وضع في صميم تراث الأمة العربية القبول بفكرة التعدد والتنوع من ناحية ، وعدم اخلال ذلك بحق المساواة بين الفئاتالمتعددة من ناحية اخرى •••

••• بهذا المعنى ، نجد بالفعل ، ان تاريخ العالم العربى ، هو تاريخ تعدد وتنوع••فالهجرات متوالية،وحركة السكان على نطاق واسع لمتنقطععبر العصور بين شتى ارجاء الارض العربية ، ففي الشام والعراق نجد قبائل جاءت من الجزيرة العربية واندمجت في سكان البلاد الأصليين ، وفى مصر نجـد قبائل عربية جاءت حتـى قبل الاسلام ، وجاء اليها الفاطميون من المغـرب ، والأيوبيون من آسيا ،والمماليك من جبال جورجيا وغيرها••• عناصر صهرتها كلها مصر •

وبقيت فى كثير من البلاد العربية اقليات دينيـة او عنصرية ، بقيت لها « خصوصيتها » فى اشياء كثيرة ، ولكنها تكلمت كلها اللغـة العربية ، وتاثرت كلها بالتراث العربى المشترك ، فكان التعدد هنا عنصر اثراء لحياة الأمة وعاداتها وتقاليدها ، وليس عنصر اضعاف •

وهذا هو المهم •••

فالذين يحاولون التاكيد على الفوارق في الأصول الضاربة فى التاريخ ويحاولون ان يجعلوا هذه الفوارق مبررا لعمليات التقسيم والتجزئة فى الأمة العربية ، هم الذين يسيرون ضد حركة التاريخ • وهم الذين يريدون بهذه الأمة وبهذه المنطقة شرا • هذا معنى ما يدعو اليه ابا ايبان حين يقول ان تاريخ المنطقة تاريخ تعدد وتنوع ،وما قصد اليه بعض مفكرى الانعزاليين فى احداث لبنان ، حين حاولوا استرجاع صـــفات فينيقية او غيرها ، مما تراكمت فوقه عبر العصـــور طبقات فوق طبقـــات من التغيرات السياسية والاجتماعية ، حتى صارت « بالتعبير الجيولوجى » اشبه بحفـــريات قديمة مدفونة فى باطن الأرض ••

والدعوة الصهيونية ، فى جوهرها ، هى هذه الدعوة ، وهـدفها من تفتيت الأمة العربية هو هذا الهدف •

كذلك ، فان الذين يتجاهلون وجود هذا التعدد والتنوع ، ويرفضونه، انما يتجاهلون الواقع ٠

اما السبيل الذى نراه صحيحا لهذه الأمة ٠٠٠ فهو القائل بان وجود التعدد والتنوع ، والاغلبيات والاقليات ، فى شتى انحاء الأمة العربية ، امر موجود ، ومصدر غنى واثراء لأمتنا ٠٠ ولكننا فى نفس الوقت لا نعمل على تعميق هذه الفوارق ، ولكن نعمل ايجابيا ـ وانطلاقا من روح المساواة التى جاء بها القرآن ـ على تفاعل هذا التعدد وانصهاره ، بشكل صحى ، وتلقائى ، فى اطار من حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وان الأفضل بيننا هو الأتقى ٠

الصناعة الحربية العربية

تاسست من مساهمة عدة دولعربية مؤسسة للصناعات الحربية العربية٠

وحتى الآن لا نعرف عن نشاط هذه المؤسسة شيئا ٠٠٠ وليس من المفروض ان نعرف الا بعد مضى وقت كاف ، يسمح بظهور النتائج ٠٠

ولكن هذا الموضوع اتذكره دائما ، حين اقرأ عن انجازات اسرائيل وبالذاتفى هذا المجال ٠٠

فاسرائيل ، فى شعورها السوداوى ، بانه مهما كان لها من اصدقاء ، فانها عرضة لأن تقف يوما بمفردها دون صديق ، انطلقت منذ يوم قيامها ، فى البدء بانشاء صناعات حربية خاصة بها ،مهما كانت صغيرة ، او تكميلية٠

فهى تسبقنا ، زمنيا ، فى هذا المجال ، بما يقرب من عشرين سنة ٠

ولكن العبرة المهمة ، هى ان اسرائيل ركزت فى هذا الجانب العسكرى، على تصنيع الأجهزة الدقيقة المستقبلية ، التى ستكون هى التى تحدد قيمة السلاح وفعاليته ، فى المستقبل ٠

والى جانب الهدف العسكرى ، وهو الأساس ، كانت تحرص على ان تقيم صناعاتها العسكرية ، قدر الامكان ، على اسس اقتصادية سليمة ايضا ٠٠٠ حتى لا يكون ما تنفقه مجرد مال يتبدد فى الهواء ٠٠٠

ركزت أولا على السلاح العادى الخفيف ، اداة كل جندى مهما كان ، فانتجت رشاش « عوزى » واتقنت صناعته حتى صارت دول اوروبية كثيرة ـ فضلا عن دول من العالم الثالث ـ تشتريه لجيوشها ٠

ولعلنا لم ننس بعد ، يوم انطلقت رصاصة طائشة من رشاش احد جنود الحراسة ، فى طائرة كسينجر خلال رحلاته المكوكية بين عواصم الشرق الأوسط ، فقد ظهر انه رشاش عوزى ٠٠٠ ودهش الناس حين علموا انه حتى اجهزة الحراسة الأمريكية السرية تستخدم هذا الرشاش ٠

وركزت اسرائيل دائما على اجهزة التوجيه والتصويب وغيرها من الاجهزة الالكترونية الشديدة التعقيد ، والتى هى مجال التنافس الحقيقى بين الدول صانعة السلاح اليوم ، لأنها الأساس فى فعالية اى سلاح من الدبابة الى المدفع الى الطائرة والصاروخ ٠

ومنذ قامت اسرائيل ركزت على صناعة الطيران ، بوصفه أخطر واهم

اسلحة المستقبل • وركزت صفوة علمائها فيها ، وفيما يلحق بها مما ذكرناه من اجهزة الكترونية ، حتى صار هذا النوع من الصناعات هو اكبر صناعة في اسرائيل كلها ، من حيث المال الموظف فيه ، ومن حيث عدد العاملين ، وايضا من حيث قيمته في التصدير •

فقد تمكنت اسرائيل اولا من صنع الطائرة « آرافا » •• طائرة نقل عسكرية صغيرة ، لا تحتاج لمطارات كبيرة ، ويمكن ان تستخدم في النقل المدني ، كما يمكن ان تستخدم في عمليات اخرى مثل رش المبيدات على الحقول المزروعة ، وكانت عينها في هذا على امكانية تصديرها الى كثير من البلاد الجديدة في آسيا وافريقيا ، حيث تنعدم وسائل النقل البرى ، وحيث يهتمون برش الأدوية والمبيدات •

ومنذ اسابيع اعلن عن انتاج اسرائيل لقاذفة مقاتلة عسكرية هي الطائرة « كفير » • وهذه الطائرة هي التي ارتكبوا بسببها حادث سرقة رسوم واسرار طائرة الميراج الفرنسية ، عن طريق سويسرا ، حيث جرت المحاكمة المشهورة حول هذا الموضوع • وقد بدأت اسرائيل في بيع هذه الطائرة لدولة جنوب افريقيا العنصرية ، التي يضيق من حولها حبل المقاطعة الاقتصادية والعسكرية يوما بعد يوم •

صحيح ان اسرائيل تستعين في هذا التقدم بسرقة ادق اسرار الصناعة الحديثة من الخبراء اليهود المنتشرين في انحاء العالم ، ورسميا ، وسريا ، من دول غربية كثيرة ، وصحيح ايضا ان لديها نسبة عالية من العلماء والعمال الفنيين •

ولكن المؤكد ان البلاد العربية لديها من الخبراء العلميين في هذه المجالات من لا يقلون عددا ولا نوعا عما لدى اسرائيل • ولكن المسألة هي مسألة « تنظيم علمي » للعمل ، ووضع جدول اولويات سليم يطابق حاجات الدول العربية بالذات ، والربط بين الخبراء العسكريين والخبراء المدنيين في هذا المجال واعطائهم نفس درجة الثقة • فقد فشلت محاولات سابقة او تعثرت في بلاد عربية لا لسبب الا لانعدام هذا التخطيط ، وهذا التنظيم العلمي للعمل ، المنزه عن الهوى ، الذي يتمكن من الافادة من كل طاقة في مكانها الصحيح •

١٢ ألف مليـــون !

قدرت الدوائر المالية الغربية مجموع ما انفقته الدول العربية على شراء الاسلحة بمبلغ ثمانية الاف مليون دولار في سنة واحدة •

وهذا الرقم طبعا ، يمثل ما اشترته الدول العربية من الأسواق الأوروبية والأمريكية للسلاح • ولا يدخل فيه قيمة ما اشترته هذه الدول من الاتحاد السوفييتي او المعسكر الشرقي • وان كان ليس من الاسراف ان نقدر ما انفق في هذا السوق بما لا يقل عن نصف ما انفق في السوق الغربية ، اى اربعة آلاف مليون دولار اخرى •••

ومعنى ذلك ان ما انفقته الدول العربية من اموال على شراء الاسلحة بلغ ١٢ الف مليون دولار خلال سنة واحدة ٠

اى الف مليون دولار فى الشهر !

ونحن طبعا نعيش فى عالم حافل بالأخطار ! ومن جيران العـرب من يتسلحون حتى الأسنان ! وفى قلب عالم العرب اسرائيل المدججة بالسلاح ، والتى ما زالت تحتل اراضى اكثر من دولة عربية !

ومع ذلك ، لا يملك المواطن العربى نفسه من التساؤل : كم من هـذه الأموال انفق على اسلحة ليس لها ضرورة عملية ، وانما تمت تحت وطـاة سعى الغرب الى ان ياخذ منا بالشمال ما ناخذه منه ثمنا للبترول باليمين ؟ وكم من هذه الأموال انفق فى اطار من « التكامل والتنسـيق » العسكرى العربى ، ولو بدرجة معقولة ، وكم منها اهدر لعدم وجـود هذا التنسيق ، وبالتالى عدم انعكاس بعض هذا السلاح على « مجمـل » القوة العربية المسلحة ؟ وكم من هذا السلاح ذهب حيث يدفع الأذى عن وطن ، او يواجـه تهديد عدو خارجى ، وكم منه ذهب فى التناحر العربى الداخلى ؟ ٠٠٠

فى كل انتخابات صفقة !

لهم فى كل انتخابات صفقة كبيرة ٠٠ يخرجون بها !

اولئك هم الصهيونيون ٠٠ والانتخـابات هى انتخـابات الرئاسة فى الولايات المتحدة ٠

والأمثلة طبعا اكثر من العد والحصر ٠٠٠

ولكن آخر الأمثلة :

موقف جونسون فى التواطؤ ضد العـرب فى حرب ١٩٦٧ ، وتعهده المسبق لاسرائيل بأن اى قرار لوقف اطلاق النار من مجلس الأمن ، لن يصدر مصحوبا بالعبارة التقليدية وهى « عـودة القوات المتحـاربة الى خطوطها السابقة » ٠٠ مثل هذا فى ظل انتخابات آخر سنة ٦٨ ، قبل ان ينسحب ، تحت وطأة فشله فى فيتنام ٠

موقف نيكسون فى انتخابات سنة ١٩٧٢ ، حين غير درجة التسـليح الأمريكى لاسرائيل تغييرا « نوعيـا » فوق التغيير « الـكمى » الى درجة لم يسبق لها مثيل ٠

الآن وجيرالد فورد فى خضم انتخابات ١٩٧٦ ، يواجهونه بقرارات من الكونجرس تحاول كسر طوق المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل ٠٠ وعلى موقفه من هذه القرارات ، يتوقف موقفهم منه فى انتخـابات يدخلها مستضعفا ! ■■

أحمد بهاء الدين

بقلم الشيخ : رفاعه رافع الطهطاوى
(١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م)

فى تمدن..

■ تمدن الوطن عبارة عن تحصيل ما يلزم لاهل العمران من الادوات اللازمة لتحسين أحوالهم حسا ومعنى ، وهو فوقانهم فى تحسين الاخلاق والعوائد، وكمال التربية ، وحملهم على الميل الى الصفات الحميدة ، واستجماع الكمالات المدنية ، والترقى فى الرفاهية ٠ وهذا التمدن بالنسبة للامة المقيمة فى الوطن ، ويختلف أفراد هذه الامة المتمدنة بالنسبة للترقية والتحسين ،فالتمدن بالنسبة للامم وللافراد مقول بالتشكيك ، ولهذا تجد المملكة أعظم تقدما فى التمدن من الاخرى ، وكذلك زيد من الناس أرقى تمدنا من عمرو ، بالنسبة لتحسين حاله ومنزله ٠

وضد التمدن التخشن ، وهو الخلو عن الترفه فى درجة المعيشة ٠ ولا شك أن رسالة الرسل بالشرائع هى أصل التمدن الحقيقى الذى يعتد به ويلتفت اليه ، وان الذى جاء به الاسلام من الاصول والاحكام هو الذى مدن بلاد الدنيا على الاطلاق ، فانبعثت أنوار الهدى فى سائر الآفاق ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء ، لم يأت بها نبى قبلى ، ولو كان أخى موسى وسائر الانبياء فى زمنى لم يسعهم الا اتباع شريعتى » ٠ ومن زاول علم أصول الفقه ، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد ، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى باقى الامم المتمدنة اليها ، وجعلوها أساسا لوضع قوانين تمدنهم واحكامهم ، قل أن تخرج عن تلك الاصول التى بنيت عليها الفروع الفقهية التى عليها مدار المعاملات ، فما يسمى عندنا بعلم اصول الفقه يسمى ما يشبهه عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهى عبارة عن قواعد عقلية ، تحسينا وتقبيحا ، يؤسسون عليها أحكامهم المدنية ، وما نسميه بفروع الفقه يسمى عندهم بالحقوق أو الاحكام المدنية ، وما نسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية ، وما يتمسك به أهل الاسلام من محبة الدين والتولع بحمايته ، مما يفضلون به عن سائر الامم فى القوة والمنعة ، يسمونه محبة الوطن ٠على أنه عندنا معشر الاسلام حب الوطن شعبة من شعب الايمان، وحماية الدين مجمع الاركان ٠ فكل مملكة اسلامية وطن لجميع من فيها من الاسلام ، فهى جامعة للدين والوطنية ، فحمايتها واجبة على بنيها من هاتين الحيثيتين ، وانما جرت العادة بالاقتصار على الدين لقوة أهميته ، مع ارادة الوطن ، وقد تكون الغيرة على الوطن الخصوصى محضة لمجرد الجنسية والمنزلية كالقيسى واليمانى والمصرى والشامى ، مع أن الوطن يستوى فيه النوع



الوطـــن

الانسانى ، فتجد الحزبين ولو اختلف البعض مع الاخر يتحدان بالنسبة للاجنبى لحماية الوطن أو الدين أو النوع .

وفوائد التمدن كثيرة ، وعليها مدار جميع العلوم المعاشية والمعادية ، ولذلك قال بعضهم : كلما اتسع نطاق تمدن ممالك الدنيا خفت الحروب ، وقلت العداوة ، وتلطفت الفتوحات ، وندرت التقلبات والتغلبات ، حتى تنقطع بالكلية ، وينمحى الاستعباد والاسترقاق بغير حق ، ويزول الفقر والمسكنة .

من اسباب التمدن

ثم أن من اسباب التمدن فى الدنيا : التمسك بالشرع ، وممارسة العلوم والمعارف ، وتقديم الفلاحة والتجارة والصناعة ، واستكشاف البلاد التى تعين على ذلك ، واختراع الآلات والادوات من كل ما يسهل أو يقرب الطرق التمدنية بايجاد الوسائط والوسائل . فمما أعان على التعليم والتعلم ، الذى هو ركن من أركان التمدن ، المطابع الاهلية . يقال أن أول من اخترع طبع الكتب فى أوروبا أمة الالمان (١) ، وانتقلت منهم الى بلاد الصين ،وكان أهل فرانسا اذ ذاك من عماية الجهل فى بحر عميق ، ومن غواية التخشن فى مكان سحيق ، فاعتقدوا أن الطباعين سحرة ، وهموا بقتلهم ، فأنقذهم منهم لويز الحادى عشر ملك فرانسا ، وجعل المطابع تحت حمايته ، ثم انتقلت الى باقى بلاد أوروبا ومنها الى بلاد المشرق ومصر .

حرية الراى والتعبير

ومما أعان على سعة دائرة التمدن فى بلاد الدنيا ترخيص جميع الملوك للعلماء وأصحاب المعارف فى تدوين الكتب الشرعية والحكمية والادبية والسياسية ، ثم توسع فى حرية ذلك بنشره طبعا وتمثيلا ، وخصوصا جرائد الوقائع لا سيما فى بلاد أوروبا بقانون حرية ابداء الآراء ، بشرط عدم ما يوجب الاختلال فى الحكومة بسلوك سبيل الوسط بغير تفريط ولا شطط .

ومن أعظم معين على التمدن حرية الملاحة والسياحة فى البر والبحر ،

---

(١) ومخترع ادوات الطباعة هذه هو الالمانى يوهان جوتنبرج (١٣٩٧ ـ ١٤٦٨ م) ، فلقد اخترع آلته سنة ١٤٣٦ او سنة ١٤٣٧ م ، وكان اول كتاب طبعه بها هو « انجيل مازارين » .

فانها عادت على جميع ممالك الدنيا بالثروة والغنى ، والاطلاع على عجائب الدنيا • وكانت السياحة فى الاحقاب السالفة لعرب الاسلام لاستكشاف البلدان وادخال أهلها فى دين خير الانام ، فاستكشفوا من البرور والبحور ما لا يحصى ، ومدنوا من أهل جزائر البحر المحيط وسواحله ما لا يستقصى ، ثم حذا حذوهم الحذاق والالباء من أهالى أوروبا ، فظفروا باستكشاف دنيا جديدة لم تكن معلومة للاقدمين ، وأعظم ما أعان على الملاحة، وهى السفر فى البحر، اختراع « البوصلة » التى هى « بيت الابرة » • قيل أن أول مخترع لها عرب الاسلام الذين سافروا فى جميع أقطار البحر المحيط لنشر الاسلام عند الامم المتبربرة فى جميع الاقطار ، وقيل أن المخترع لبيت الابرة انما هم الاوروباويون ، والجمع بين القولين أن يقال : أن المخترع لهذه الآلة انما كان العرب ، وان الاوروباويين انما اجتهدوا فى تكميلها وتحسينها وتكثيرها• وهى عبارة عن علبة ، مثبت فيها ابرة حديد مسقية بالمغناطيس ، تتحرك دائما صوب القطب الشمالى ، ولا تنحرف عنه الا انحرافا يسيرا ، ويرسم فيها الجهات الاربع ، وهى الشمال والجنوب والشرق والغرب ، لمعرفة مهاب الرياح الاربع الاصلية والريح النكباء ، فبهذا يهتدى بها الربانون فى البحر الى صوب مقصودهم • ثم ان أغلب ممالك أوروبا أرباب قوة بحرية ، الا أن أعظم الممالك قوة بحرية مملكة الانكليز ،ثم مملكة فرانسا ،وللدولة العلية فى القوة البحرية ميسرة قوية، ومينات لا نظير لموقعها فى الحصانة والامنية،وللحكومة المصرية بوغازات ذات أهمية يصح أن تكون أولية وذات أولوية ، فكل من البحرين الابيض والاحمر لها مساعد ، وسائر ثغورها مراكز تجارة لكل صادر ووارد •

وقال أرباب السياسات : أنه ينبغى لاى مملكة من الممالك أن تكون قوتها البحرية على النسبة من قوتها البرية ، وعلى حسب عظم ملكها ، وان أنفع شىء فى تقديم القوة البحرية فى مملكة من الممالك أن يكون بيرقها (٢) مرخص السير فى البحار محترما فى جميع أجزاء بحار الدنيا ، ومن فضائل القوة البحرية انها تعين على تقدم الزراعة والتجارة والصناعة ، لا سيما فى المستعمرات الخارجة عن المملكة ، ولاجل كثير السفن والعمارات البحرية يجب على الامة المتشبثة بذلك أن تكثر من غرس الغابات والاورمانات (٣) ليكثر عندها الخشب اللائق لابتناء السفن ، بحيث تتمكن المملكة البحرية من أن تنشىء ترسانات للسفن فى بلادها ، فان تعذر عليها ذلك وجب أن تتحصل على السفن اللائقة بها بالشراء من البلاد الاجنبية بقدر ما يفى بحاجتها ،لان القوة البحرية هى منبع غزير لتوسيع دائرة التمدن الذى مبناه على العدل والحرية العمومية • ■■

رفاعة رافع الطهطاوى

---

(٢) البيرق : العلم والراية التى تحمل شعار الدولة •

(٣) من معانى « الارم » بفتح الهمزة : اصل الشجر ـ انظر هذه المادة فى (لسان العرب) ـ فلعلها مأخوذة منها . وفى مصر « حدائق الاورمان » فى محافظة الجيزة •

ملاحظة : يوجد فى المقالة بعض كلمات كانت مستعملة ابان عصر الكاتب ولا تستساغ حاليا وقد اثبتناها كما هى (للعلم) •

■ « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى هى أحسن،فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »

(قرآن كريم)

■ « الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى »

(حديث نبوى)

■ اذا أقبلت الدنيا على أحد اعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه

(الامام على)

■ صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعنـاهم من أمره ما عنانا

(المتنبى)

■ اذا طرق الحظ العاثر بابك فافتحه له على مصراعيه

(مثل روسى)

■ يعجبنى الرجل ، اذا سيم خطة الضيم أن يقـول : « لا » بملء فيه

(زياد بن أبيه)

■ أخاك ،أخاك ،ان من لا أخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح

(مسكين الدارمى)

■ انما النساء أغلال ، فليختر الرجل لنفسه أخفها عليه

(هند بنت عتبة)

■ رب رجل حكم بالظلم ليشتهر بالعدل

(قاسم أمين)

■ وما خير علـم فى الحيـاة ، وفطنة
اذا حال ضعف العزم دون المطالب

(ابراهيم عبد القادر المازنى)

فكرة التدخل الحكومي

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

■ يعتبر موضوع التدخل الحكومي في الحريات الاقتصادية من اهم الموضوعات التى يعالجها الفكر المعاصر ، لارتباط هذا الموضوع بالانظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وعندما نتحدث عن فكرة التدخل الحكومي في نظر الاسلام فاننا نؤكد في البداية الشخصية المستقلة المتميزة للاقتصاد الاسلامي ، واذا كان الاسلام يبيح التدخل في بعض الاحيان لتحقيق مصلحة اجتماعية معتبرة ، فان من المؤكد ان مفهوم التدخل الحكومي في نظر الاسلام يختلف في دوافعه وفي طبيعته وفي اهدافه عن مفهوم التدخل في الفكر الاقتصادي الحديث، ولهذا فان من الخطأ الفادح ان نستدل من خلال موقف الاسلام الذي يبيح التدخل في بعض الاحيان على ان فكرة التدخل الحكومي في بعض الانظمة المعاصرة فكرة يؤيدها الاسلام ويجيزها ، وموقف الاسلام من التدخل يخضع لمعايير وضوابط تحد من اخطار التدخل الحكومي ، وتحول دون استخدام هذا الحق الذي شرع لمصلحة اجتماعية ليوجه ضد المصالح التي شرع لاجلها ، وبخاصة اذا اصبح التدخل الحكومي وسيلة من وسائل السلطة لاذلال اعداء النظام او للتضييق عليهم .

وسوف اتحدث في هذا البحث عن النقاط التالية :

اولا : شرعية التدخل الحكومي .

ثانيا : مجالات التدخل :

ثالثا : ضوابط التدخل .

شرعية التدخل الحكومي

يحترم الاسلام الارادة الفردية ، ويعطي للارادة سلطانا في مجال التعاقد ، ويوفر للفرد حرية في اطار السعي البناء لبناء مجتمع انساني ينمو بالجهد الفردي وينبض بالحياة المتجددة .

والفرد في نظر الاسلام هو الاساس في بناء المجتمع ، لان المجتمع شخصية اعتبارية تمثل مجموع الافراد ، فلا سعادة لمجتمع في ظل اهدار الحقوق الفردية، ولا عدالة لمجتمع في ظل الاحقاد الطبقية.

وينحصر دور الدولة في تحقيق التوازن بين الحقوق الفردية التي قد تتزاحم وتتصادم في ظل التطلعات الانانية التي يشجعها التفاوت في القدرات الجسمية والمالية والسلطوية ، وفي هذه الحالة تطل علينا الدولة كقوة رادعة قادرة على تحقيق التوازن بين القدرات المتفاوتة عن طريق الارتقاء بقدرات الضعفاء لكي تكون متوازنة مع ارادات الاقوياء ....فاذا تحقق التوازن بين الفرد والفرد الآخر عن طريق تدخل الدولة فعندئذ يتحقق العدل الاجتماعي ، لان العدل الاجتماعي لايقوم الا مع وجود توازن في الارادات المتعاقدة .

فاذا استمرت الدولة في دعمها لحقوق الضعفاء فعندئذ يختل التوازن مرة ثانية فيصبح القوى ضعيفا والضعيف قويا ، ونقع في نفس المشكلة السابقة التي تؤدي الى الظلم الاجتماعي ، وهنا نلاحظ ان التدخل في نظر الاسلام يقف عند حدود التوازن فيؤدي الى العدل ، تدخل لا يلتزم بطبقة

بين الحظر والإباحة في .. نظر الإسلام

معينة لان التدخل الذي يلتزم بطبقة معينة يؤدي الى اخلال بالتوزن الامر الذي يوجد الاحقاد الطبقية ٠

والادلة التي تؤكد شرعية التدخل الحكومي ما يلي

أولا : القرآن

جاءت آيات القرآن مؤكدة الطبيعة المزدوجة للحقوق ، فمن الآيات القرآنية ما ينسب الملكية الى الله ومنها ما ينسب الملكية الى الناس ، وهذه الازدواجية في النسبة تؤكد الطبيعة الجماعية للحقوق الفردية من حيث تقييدها بمصالح الجماعة ٠

وهناك حقوق وقيود مرتبة لمصلحة المجتمع ،

وتهدف الى كبح جماح المالك عن التعسف في استعمال حقه في الملكية بحيث تؤدي تلك الملكية دورها في اسعاد الفرد وفي اسعاد المجتمع ٠٠ فمن الحقوق الواجبة على المالك الزكاة والصدقات وواجبات التكافل الاجتماعي بصورها المختلفة كالوصايا والاوقاف والكفارات والدية والنفقة ، ومن القيود المفروضة على المالك عدم استعمال الملكية فيما يضر الجماعة وعدم تنميتها بالطرق غير المشروعة كالربا والاحتكار والاضرار ، لان هذه الوسائل من وسائل التنمية والاستثمار مضرة بالمصالح الجماعية ، ولذلك تعتبر محرمة وغير مشروعة ٠

ويتحصر دور الدولة في تحقيق هذا التوازن بين الحقوق الفردية والحقوق الجماعية عن طريق الاشراف على جباية الواجبات المالية وتوزيعها على اصحابها من المستحقين ، وحماية المجتمع من اخطار استثمار المال بالطرق المضرة به ٠

ثانيا : السنة

وردت احاديث كثيرة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تؤكد وجوب منع الضرر باية صورة من الصور ، وهذا الحكم عام شامل ، لان الحاق الضرر بالآخرين يؤدي الى الظلم والظلم يخل بفكرة التوازن بين القدرات ، ولهذا فهو محرم في نظر الاسلام ٠

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » وهذا الحديث شامل لجميع أنواع الضرر ، وبناء عليه فان الفعل المباح ينتقل الى الحرمة اذا ارتبط بنية الاضرار او استهدف الاضرار بالآخرين ، ويعتبر صاحب الحق الذي يستهدف الاضرار بالآخرين متعسفا في استعمال حقه ، والتعسف لا يكون الا مع توافر ركن الضرر في الفعل ، وعندها ينتقل الفعل المباح الى الحرمة ٠

ثالثا : آراء الصحابة

لم يخرج الصحابة عن المنهج التشريعي الذي رسمه القرآن والسنة من حيث تحريم الاضرار بشتى انواعه وأشكاله ، ولهذا فاننا نجد الخليفة عمر بن الخطاب يجبر محمد بن مسلمة على ان يسمح للضحاك بن خليفة بامرار الماء الى ارضه عندما رفض ذلك تعنتا واضرارا باخيه ،

دون ان يكون له ما يبرر فعله ، وقال لـه عمر : والله ليمرّن ولو على بطنك .

وهذه الحادثة تؤكد لنا أن الدولة مكلفة بتحقيق العدالة عن طريق نصرة الطرف الضعيف الذي يقع الضرر عليه دون أن يجد في نفسه القدرة على دفع ذلك الضرر ، ولا اعتقد أن هناك من يمتنع عن اقرار مثل هذا التدخل او يقف مترددا في قبول هذه الصورة من صور التدخل الحكومي ، لان منع ذلك سيؤدي على وجه التاكيد الى انتصار القوة على الحق والعدل .

وفضلا عن هذا فان القواعد الفقهية تعبر عن ضرورة منع الضرر ، وتؤكد مبدأ تقديم المصالح العامة على المصالـــح الخاصة ، ممـــا يشير الى مسؤولية الدولة في نصرة المصالح الجماعية دون أن يؤدي ذلك الى اهدار المصالح الفردية التي تراعى بالمقدار الذي يكفل لها حقها في اطار مبدأ العدالة سواء من حيث الاعتراف بحقوق الافراد أو من حيث التعويض العادل على من يقع عليه الضرر في حالة الضرورة التي تقتضيها المصلحة الاجتماعية .

رابعا : التطبيق العملي لمبدأ التدخل في التاريخ الاسلامي

لو رجعنا الى كتب التاريخ الاســلامي التي تتحدث عن السياسة الشرعية والاحكام السلطانية لوجدنا ان فكرة التدخل الحكومي كانت قائمة من خلال نظام « ولاية الحسبة » التي كـانت تمثـل السلطة الرقابية والتفتيشية التي كانت تمارس دور حماية المصالح الجماعية ، فكان المحتسب يطوف بالاسواق ويراقب الاوزان والمكاييل وانواع الغش والتدليس ، ويحمي الآداب العامة في الاماكن التي يرتادها الناس ، ويشرف على المرافـق العامـة ويعاقب كل من يقصر في واجباته او يهمل في اعماله او يتصرف بما يلحق الضرر بالناس .

وقد استطاعت ولاية الحسبـة ان تلعب دورا بارزا في التاريخ الاسلامي من حيث رعاية المصالح الجماعية التي قد تهدر في ظل المطامـع الانانية للافراد .

وهذه الادلة تؤكد لنا ان فكرة التدخل الحكومي ليست فكرة جديدة على الفكر الاسلامي وليست بدعة مستحدثة ، وانما هي ضرورة توجبها المصلحة العامة التي ماجاء الاسلام بنظامه التشريعي الا لرعايتها وحمايتها من أخطار انانية الافراد وجشعهم ممن لا يرتدعون في سبيل مطامعهم عن ارتكاب كل محظور دينا وخلقا .

مجالات التدخل الحكومي

من المؤكد أن مجتمعنا الاسلامي المعاصر يواجه اليوم نبضا حياتيا جديدا لم يشهده منذ قرون ، وكان لاكتشاف النفط في عدد من اقطار العالم الاسلامي أثر بارز فيما تشهده من مظاهر التحرك الحي ، ولكيلا يكون هذا النبض الحياتي المتسارع وقتيا ينتهي بانتهاء النفط ، ولكيلا نندم في وقت لا يفيدنا فيه الندم ، فان من واجبنا أن نستفيد وباقصى مايمكن من هذا التطور الذي نجده لكي نهيىء انفسنا لمرحلة مابعد النفط عن طريق تخطيط انمائي واسع ، نستطيع من خلاله أن نصوغ مجتمع الغد لكي يواجه المراحل الحرجة من حياته بعقلية علمية قادرة على الانتاج ، بفضل انسان الغـد الذي نتطلع اليه ، المؤمن بعقيدة ربانية انسانية ، والملتزم بسلوكية اخلاقية سامية ، المسلح بسلاح العلم والمعرفة في أرقى تخصصاتها القادر على اثراء مجتمعه والمجتمع الانساني بما يسعد البشرية ويسهم في تقدمها ورقيها .

واعتقد أن من اهم واجبات الدولة في العصر الحديث مايلي :

اولا : رسم مخطط تنموي يشمل امال الـدول وتطلعاتها المستقبلية في مجال التعليم والاستثمار والانتاج والتسويق والتجارة الخارجية ، لكـي تستطيع الدولة أن تحدد منـذ البداية مسـارات التحرك وفق خطة مدروسة تستهدف تنظيم العلاقة بين الآمال الطموحة التي يتطلـع اليها الشعب وامكانيات النمو ، وبفضل هذا المخطط تستطيـع الدولة ان تسير نحو الاهداف المرجوة دون تردد .

ومن العبث أن نعتقد أن التخطيط عمل خاطىء بعيد عن تعاليم الاسلام ، واذا سلمنا بانه يحقق

مصلحة للمجتمع فان من المؤكد أنه واجب ديني ، لان من أهم مقاصد الشريعة الاسلامية تحقيق المصالح الجماعية ... ولا اعتقد أن هناك من ينكر أهمية التخطيط في العصر الحديث وحاجتنا الماسة اليه ، واذا سلمنا بأن الباحث يحتاج الى مخطط هيكلي لبحثه ، والمهندس يحتاج الى مخطط هندسي لبنائه، فان مستقبل الامة لا يمكن أن يترك من غير تخطيط هادف يضعه المختصون وفق دراسات احصائية موضوعية ، وتلتزم به الدولة عن طريق توجيه سياستها الاجتماعية والاقتصادية لكي تحقق الاهداف المرسومة .

ونحن اليوم بأمس الحاجة للمنهجية العلمية ، لكي ننتقل من حالة التخلف والعفوية والاتكالية ، الى حالة الالتزام الهادف بأهداف المجتمع وتطلعاته.

ولا شك أن من أبسط مايجب أن يراعيه التخطيط المستقبلي للامة « صنع المواطن » عن طريق حقنه بالمعرفة العلمية اللازمة ، لكي يكون قادرا على الانتاج والابداع والابتكار ، واذا كنا نحن اليوم نملك المال ، ونملك استيراد الوسائل الحضارية ، فنحن لا نعدو في هذه الحالة أن نكون شعبا متخلفا، يستهلك ماتوفره الحضارة المعاصرة ، دون أن يسهم في انتاج تلك الأدوات ، وليس من حقنا أن نفخر باستهلاكنا لادوات الحضارة، وانما نفخر بما ننتجه منها ، والانتاج يرتبط بالعلم والمعرفة ، والعلم يحتاج الى سياسة تعليمية واعية سخية معطاءه .

ومن المؤسف أن معظم الكفايات العلمية في بلادنا تهاجر بحثا عن الحرية والتقدير ، فالكفايات العلمية في بلادنا مضطهدة ، وعلينا ان نسترجع هذه الكفايات وان نوفر لها اسباب الرعاية والحماية والبحث ، والا فان بلادنا ستظل تعاني من « فقر دم » حاد في مؤسساتها العلمية والتربوية ومراكز البحوث .

ثانيا : وضع قوانين اجتماعية تحقق العدل الاجتماعي .

تفرض التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي فجرتها الثورة الصناعية الحديثة واقعا اجتماعيا يهدد بالخطر كل ما انجبته الحضارة من تقدم ، ويعود سبب ذلك الى ان الحضارة المعاصرة لم تستطع ان تحقق التوازن والتكامل بين الجانب المادي والجانب الروحي والاخلاقي ،وكان من نتيجة ذلك أن استولت على عقلية المجتمعات المعاصرة فكرة القوة ، فالقوي يأكل الضعيف ، سواء على مستوى العلاقة بين طبقات المجتمع الواحد، او على مستوى العلاقة بين الدول والشعوب ،ولهذا تكتلت القوى الضعيفة المتمثلة في طبقتي العمال والفلاحين التي اثخنتها سيوف الظلم الاجتماعي جراحا ، لتحطم مجتمعا وتقيم مجتمعا آخر على انقاضه ، واستمر الظلم الاجتماعي مسيطرا .

ويختلف منهج الاسلام الاصلاحي عن ذلك فالظلم لا يعالج بتأجيج نار الحقد ، وانما يعالج عن طريق منع الظلم ، واحلال العدل مكانه، ولما كان هذا الامل لا يتحقق في معظم الاحيان عن طريق المواعظ الدينية والاخلاقية ، فان الاسلام قد اعتبر كل كسب يتم عن طريق الظلم كسبا غير مشروع ، وكل ملكية تنشأ عن طريق الاضرار والاحتكار والربا والاستغلال لايحترمها الاسلام ولا يحميها ، وأوجب على الدولة ان تستولي على الاموال المحتكرة ،وان تمنع الربا لأنه نوع من الظلم وان تحرم الاضرار بشتى طرقه وأشكاله .

ونظرا الى التطورات التي يشهدها العالم الاسلامي في المجال الاقتصادي ، وما يترتب عليها من آثار من حيث بروز طبقات اجتماعية متفاوتة في الدخول والقدرات ، فان من واجب الدولة أن تضع قوانين اجتماعية تضمن من خلالها حياة الفقراء والعجزة والارامل والاطفال الذين اقر الاسلام لهم حق الحياة ،وأوجب على الدولة أن توفر لهم اسباب الحياة من علاج وتعليم ومسكن وغذاء ، كما أنه يجب على الدولة أن تحمي العمال والمزارعين عن طريق وضع قوانين اجتماعية مستمدة من الاسلام تتعلق بمقدار الاجر ، وحجم العمل ، وضرورة توافر الشروط الانسانية فيه .

والاجر في نظر الاسلام يجب الا يقل عن حاجة العامل ، لان حق الحياة ثابت لكل انسان ، وكل أجر يقل عن الحاجة فهو أجر ظالم ، لانه يعرض حياة الانسان للخطر ، ولما كان العلاج مرتبطا بحق الحياة فان من واجب الدولة أن توفره للمحتاجين.

وتستطيع الدولة أن توفر هذه الضمانات عن طريق تنظيم جباية فريضة الزكاة التي تستطيع

ان تسهم في تحقيق التوازن في المجتمع ، ولا شك ان الزكاة لو تمت جبايتها بطريقة صحيحة فانها تستطيع أن تعالج جذور المشكلة الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات البشرية •

وان اية محاولة لمحاربة المبادىء الهدامة ستبقى محدودة الاثر ما لم نعالج مشكلة التظلم الاجتماعي، ولهذا فان من واجب الدولة ان تقود تيار الاصلاح الاجتماعي عن طريق القوانين الاجتماعية التي يمكن ان تستمدها من الشريعة الاسلامية •

ولو اننا تعمقنا في معنى الربا المحرم في الاسلام لوجدنا انه مقترن بصفة الظلم ، فالربا شامل لكل دخل يحمل معنى الظلم ، ولهذا فان من واجب الدولة أن تمنع الارباح الفاحشة ، وتحارب الاحتكار ، وتحد من الاستغلال سواء في الاجور او الايجارات ، لان روح التشريع الاسلامي ومقاصده الكلية يحرم الظلم بايةصورة من صوره•

ويعتبر تدخل الدولة لاحلال العدل الاجتماعي تدخلا مشروعا ، لانه يستهدف حماية المصالح الجماعية واقامة التوازن بين المتعاقدين ، لئلا يستغل الاقوياء الضعفاء ، ولئلا تشيع شريعة الغاب في ربوع المجتمعات الانسانية •

ضوابط التدخل الحكومي في نظر الاسلام

تمثل فكرة التدخل الحكومي في نظر الاسلام القاعدة الاستثنائية التي لا يلجأ اليها عادة الا عند وجود مبرر يستدعي ذلك ، لان الاصل هو السيادة الفردية المتمثلة في حرية الارادة ، ولهذا فان الحكم الاستثنائي يحتاج الى مبرر ، ويقتضي وضع ضوابط له ، لئلا تنتهك الحقوق الفردية بحجة الدفاع عنها ، وبخاصة ان الحكام عادة يودون توسيع سلطتهم في مواجهة الافراد ، لتاكيد دورهم في المجتمع ، واحيانا يستخدمون هذا الحق للانتقام من أعداء النظام •

واذا كانت الحرية هي الاساس ، لارتباطها بسيادة الفرد الذي يتمتع بعد سن الرشد بشخصية ذات اهلية كاملة تلتزم بكل ما يصدر عنها من تصرفات ، فان من الضروري أن نتصور مفهوم التدخل وحدوده وضوابطه ومبرراته •

مبررات التدخل الموضوعية

من البديهي أن التدخل الحكومي في الحريات الفردية يجب أن يتغيا الاهداف التالية :

١ ـ تحقيق المقاصد الشرعية •

٢ ـ حماية المصالح الجماعية •

٣ ـ تدعيم المبادىء الاخلاقية •

ومن الصعب أن نجد انفصالا واضحا بين الاهداف المذكورة ، لانها تمثل فيما بينها تكاملا في الصورة التي تستدعي التدخل الحكومي ، وهي في النهاية تحرص على حماية المصالح الجماعية التي تمثل المقاصد الشرعية المرتبطة بالمبادىء الاخلاقية •

ونلاحظ أن القواعد الشرعية الكلية تؤكد الحرص على هذه المبادىء الثلاثة، ولهذا لا يكتفي التشريع الاسلامي بتقييم التصرفات الظاهرة الصادرة عن الانسان ، وانما يتعداه في كثير من الاحيان الى البحث عن الباعث والدافع ، فاذا استهدف الفرد الاضرار بالمصالح الجماعية فعندئذ يمنع من التصرف ولو كان مباحا ، لان حماية المصالح العامة مقدمة على جلب المصلحة الخاصة•

ضوابط التدخل

اذا سلمنا بحق الدولة في التدخل فان من الضروري أن تلتزم الدولة في تدخلها بالضوابط التالية :

١ ـ استهداف المصلحة العامة •

٢ ـ حصر التدخل بمقدار الحاجة •

٣ ـ عدم التعسف في التدخل •

٤ ـ وجوب التعويض في حالة الاضرار •

ونلاحظ ان هذه الضوابط تحرص على توفير صفة العدالة في التدخل ليكون التدخل انسانيا واخلاقيا ، يؤدي الغرض الاجتماعي منه دون ان يفرز نتائجه الضارة التي تولد الحقد ، والتي تعطي الدولة سلطانا من الحق تثخن به أعداءها لتشبع النزعة السلطوية لدى الطبقة الحاكمة •

ويحرص الاسلام على ان يكون العدل هو محور التدخل باعثا عليه ومستهدفا له ، ومن الخطأ أن ترفع الظلم الواقع على فئة من الناس لكي تولد

ظلما جديدا قد يكون أقسى من الاول واكثر الما منه ، لان مثل هذا المنهج يولد فكرة الصراع الطبقى ، والصراع الطبقى هو ظلم يتجدد مع كل دورة من دورات انتقال السلطة •

ضوابط شخصية تتعلق بالحاكم والحكم

من أهم الضوابط التى تتعلق بالتدخل ما يرتبط بالصفة الشخصية للحاكم او للحكم ، لان الحاكم هو الذى يقود سياسة التدخل الحكومى فى الحريات الفردية ، ولهذا لا بد من اشتراط بعض الشرائط فيه لكى يثق الناس بتصرفاته •

اولا : شرعية الحكم

يشترط فى الحكم أن يتصف بصفة الشرعية من حيث انبثاقه عن ارادة الامة بطريقة سليمة تعبر عن معنى التمثيل الصحيح للارادة الشعبية ، ومن الطبيعى ان الحكم الذى يفتقد الصفة الشرعية لا يملك التدخل اصلا لافتقاده لصفة التعبير عن الامة ، وبناء على هذا لا تعتبر الامة ملزمة بالطاعة لاية حكومة تفتقد صفة التمثيل الحقيقى للامة ، وتتمثل صفة الشرعية بالبيعة الحرة المعبرة عن معنى التعاقد الملزم بين الحاكم والامة بالصيغة الملائمة لكل مجتمع •

والحكمة من هذا الاشتراط أن نعود أنفسنا وشعبنا وحكامنا احترام صفة الشرعية ولا يمكن لهذا المبدأ أن يسود فى مجتمعاتنا ما لم تقف الامة كلها موقفا سلبيا من كل من يتجاوز مبدأ الشرعية ، لكيلا يتجرأ الطامعون فى الحكم على تجاوز مبدأ الشرعية •

ثانيا : عدالة الحاكم

يشترط فى الحاكم ان يكون عدلا ، والعدالة ضرورية للحاكم ، لانها توفر للمواطنين الثقة والاطمئنان ، وعندها يتقبل الناس فكرة التدخل دون أن يجدوا فى انفسهم ما يدفعهم للشك فى أهداف هذا التدخل •

والحاكم الذى لا يتمتع بصفة العدالة والنزاهة والصدق مدان فى جميع تصرفاته ، ولو استهدف المصلحة العامة ، ويبقى الناس فى شك وريبة من تصرفاته لاحتمال تغليبه المصلحة الخاصة له على المصلحة الجماعية •

ثالثا : خضوع الدولة لاحكام الشريعة

يعتبر التزام الدولة باحكام الشريعة مؤشرا لسلامة التدخل من حيث الالتزام بالضوابط والمبررات الموضوعية والشخصية التى ذكرناها ، ولا شك ان هذه الضوابط تحرص على تاكيد مبدأ العدل الاجتماعى ، لانها فى الوقت الذى تحرص فيه على رفع الظلم عن فرد من الناس فانها تحرص ايضا على عدم زرع بذرة الظلم من جديد ، لان الظلم الجديد سيقودنا بدون شك الى دورة جديدة من رفع الظلم ، وهكذا ندور فى حلقة دون أن تدرك أهدافنا فى عدالة اجتماعية متوازنة • ■■

الكويت ــ محمد فاروق النبهان

■ « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا، لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة » •

(قرآن كريم)

■ « المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » •

(حديث نبوى)

■ احرص على الموت توهب لك الحياة •

(ابوبكر الصديق)



اقتراح بـ..

نظام اقتصادى عربى جديد

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

■ يبدو لنا ان التعـاون العربى هو حقيقة قومية لا تحتاج الى تبرير • والحق انها كذلك ، فالانتماء العربى لم يعد ، الآن ، محلا للاثبات والبرهان •

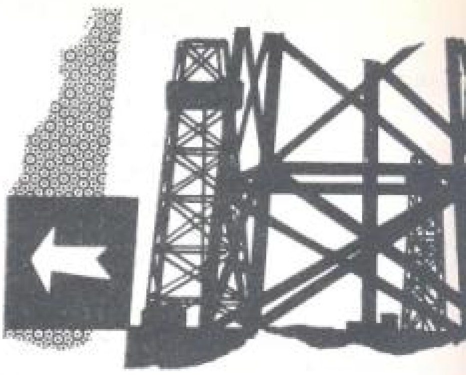
ومع ذلك ، فقد يكون من المناسب ان نؤكد انه تتوافر للدول العربية ـ ربما اكثر من اية مجموعة اخرى فى العـالم ـ ظروف تجعلها قادرة على تحقيق شكل جديد للعلاقات الاقتصادية يكون له تاثير رائد لخلق نظام جديد فى العالم كله •

فلا بد لوجود « نظام » من توافـر عناصره الاساسية ،وهذه العناصر تتضمن مكونات سياسية تحدد اهداف المجتمع ووسائل تنفيذها ، ومكونات اقتصادية تشير الى الموارد المتاحة وشكل توزيعها ومكونات اجتماعية وثقافية تبين القيم السائدة• وبقدر ما يتوافر من هذه المكونات بقدر ما يتحقق للنظام من وجود وفاعلية •

وتتوافر للدول العربية هذه المكونات بدرجات متفاوته ، ولذلك فان امكانيات قيام نظام عربى تعتبر كبيرة •

وبصرف النظـر عن اعتراضات بعض اعضاء مدرسة الرفاهية الاقتصادية عن امكانية المقارنة فى المنافع والتضحيات ، فان احدا لا يجادل فى ان ادارة الموارد العالمية لمصلحة جميع الشعوب سوف يؤدى الى مزيد من الرفاهية العامة ، وان تضحيات الاقلية يعوضـها ويجاوزها مكاسب الاغلبية •

وهذا امر معقول طالما ان الافق المـكانى لهذا التبادل بين التضحيات والمكاسب متفق عليه • فالمواطن الامريكى فى كاليفورنيا يقبل استخدام جزء من حصيلة الضرائب التى يدفعها لتعويض اعصار شديد خرب اجزاء فى السـاحل الشرقى مثلا ، ولكنه يتساءل وربما يثور ان استخدمت هذه الضرائب لتحسين مستوى المعيشة فى زائير او سـيرلنكا مثلا • كذلك فقد كان الانتماء



الحضارى بين الولايات المتحدة الامريكية وبين اوروبا هو احد الاسباب التى سهلت على المواطن الامريكى قبول مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية لانقاذ اوروبا •

والأمة العربية يتوافر لها هذا الانتماء الحضارى والقومى • وليس هنا مجال التدليل عن وجود هذا الانتماء • وربما يكون التساؤل المقبول عن مدى نضوج هذا الانتماء بالدرجة التى تسمح ببعض التضحيات لاجزاء من الأمة العربية لمصلحة اجزاء اخرى • ورغم مشروعية هذا التساؤل عن مدى تغلغل الانتماء الحضارى والقومى ، فانه مما لا شك فيه ان الدول العربية تكاد تمثل حالة متميزة بين شعوب الأرض من حيث وجود درجة من الانتماء القومى والحضارى قد لا تتوافر فى اية منطقة اخرى من العالم • ومن هذه الزاوية فان المنطقة العربية مؤهلة اكثر من غيرها للبحث عن نظام اقتصادى جديد • هذا عن الأفق المكانى، فماذا عن الأفق الزمنى ؟

لماذا يقبل فرد ان يضحى لمصلحة فرد آخر ،اذا لم يكن هناك احتمال فى تحقيق مصلحة للطرفين فى خلال افق زمنى معقول ؟ وبالاستناد الى نفس المثال السابق ، فان الولايات المتحدة الامريكية لم تكتف بمشروع مارشال لمساعدة اوروبا ، ولكنها قدمت دعما اقتصاديا لليابان رغم الاختلاف الحضارى بينهما • هنا نجد ان الحساب الاقتصادى يجعل تبادل الموارد عبر افق زمنى معقول ومقبول من الطرفين امرا مطلوبا • فاليابان دولة ذات امكانيات بشرية وتنظيمية هائلة ،ومع استثمارات مكثفة يمكن ان تقف على قدميها بسرعة وتؤدى خدمات للاقتصاد الامريكى فى وقت معقول •ومن هذه الزاوية يمكن ان نفسر اسباب تركز حركات رؤوس الاموال فيما بين الدول الصناعية المتقدمة، وندرتها بينها وبين الدول النامية (باستثناء دول البترول) • والدول العربية ، رغم الاختلاف الظاهرى فى ظروفها الاقتصادية ، تواجه جميعا نفس المشكلة الزمنية مما يفرض عليها نفس الأفق الزمنى لقراراتها الاقتصادية • فيبدو للناظر ان الدول العربية تنقسم الى مجموعتين : مجموعة الدول النفطية ومجموعة الدول غير النفطية ، الاولى تتمتع بموارد مالية هائلة تضع بعضها على رأس قائمة الأغنياء ، فى حين ان الثانية تعانى مشاكل الفقر ويكاد ينحرف بعضها الى مجموعة اقل الدول حظا • ومع ذلك فان هذه وتلك دول متخلفة ،الاولى متخلفة وغنية بالنفط• والثانية متخلفة وفقيرة بدونه • ومشكلة الدول النفطية هى بناء هياكل اقتصادية قادرة للاستمرار بعد مرحلة النفط •

ومن هنا فان كلا من المجموعتين ينظر الى المستقبل ورهانه الاساسى يرتبط بمدى قدرته على توفير ظروف اقتصادية سليمة فى المستقبل بصرف النظر عن اوضاع الحاضر • واذا كانت الدول النفطية تملك فى الوقت الحالى اكثر من خيار (خيار عربى وخيار غير عربى) لامتلاك المستقبل، فانها شان الدول غير النفطية مضطرة الى اتخاذ قراراتها الاقتصادية من خلال افق زمنى رحب وبعيد •وهى فى هذا تلتقى بالدول غير النفطية•

فاما عن الموارد المالية ،فقد اصبح من الحديث المعاد الاشارة الى عائدات النفط ، وهى ليست دخلا بالمعنى الاقتصادى بل هى تحويل لثروة فى باطن الارض الى ثروة مالية • وهى من هذه الناحية ثروة قابلة للنفاد ما لم تستغل فى تغيير ظروف الانتاج تغييرا هيكليا • ومع ذلك فانه لا ينبغى المبالغة فى قيمة هذه الثروة المالية •فرغم كثرة الصياح عن الاموال العربية فان الدخل

السنوى للدول الصناعية يجاوز ٢٠٠٠ بليون دولار والزيادة السنوية فى دخلها تقدر بحوالى ١٠٠ بليون دولار • وحين حققت الدول المصدرة للنفط (العربية وغيرالعربية) دخلا حوالى ١١٠ بليون دولار سنة ١٩٧٥ قامت الدنيا ولم تقعد• فالاموال العربيةمحدودة ومتواضعة والفترة الزمنية قصيرة •

الا ان هذه الثروة المالية المتواضعة قادرة اذا ما احسن استخدامها ان تبدأ فى تحويلات هيكلية اساسية للاقتصاد العربى •

غير ان الفرصة العربية الحقيقية لا تقتصر على توافر الامكانيات المالية وانما ترتكز علىمايتحقق لها من تراث حضارى قادر على تقديم شيء جديد• وفى هذه الحدود فان القدرة على خلق مجتمع جديد مبنى على نظرة جديدة للتنمية تمثل اهم الامكانيات العربية الحقيقية •

ان الفترة الزمنية التى اتيحت فيها الفرصة لتشكيل نظام عربى فترة قصيرة ،والانجازات التى تحققت ليست بالضالة التى نتصورها •

فبعد اكثر من ثلاثةقرون منالاحتلال العثمانى، بدأ التمهيد للبعث العربى • ومنذ الحربالعالمية الثانية فقط بدأ العمل الحقيقى من اجل انشاء النظام العربى • اى ان الفترة التى اتيحت فعلا لانشاء نظام عربى على اشلاء الاستعمار العثمانى والبريطانى والفرنسى لم تجاوز الثلاثين عاما • وقد كانتفترة الخمسينات هىفترة اتمامالاستقلال السياسى لمعظم الدول العربية ، وفى الستينات ـ وقد تحقق الاستقلال للدول العربية ـ عاشت المنطقة العربية تجارب الوحدة بانجازاتها واحباطاتها • وفى ١٩٦٧ انهزمت الامة العربية فى آمالها فى حرب يونيو التعيسة • ومنذ ذلك التاريخ وقد بدأت محاولات ازالة الهزيمة ورأب الصدع العربى • وكانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ لحظة التضامن العربى الاكيد • وبدأ العالم يفكر جديا فى خلق نظام اقتصادى عالمى جديد •

وهكذا يتضح ان الفترة المتاحة لم تكن طويلة وان العقبات كانت كبيرة • وكل هذا لا يمنع من ان نعترف بان ما انجز غير كاف وان الامر يحتاج الى وقفة واعادة نظر •

وعندما نتحدث عن النظام الاقتصادى العربى القائم فاننا نقتصر علىالعلاقات التى تحكممجموع الدول العربية او التى تتجه الى هذه النزعة • على ان هذا لا يمنع من وجود علاقات متميزة ثنائية او لبعض المجموعات العربية ، بعضهامؤقت وبعضها له طابع اكثر استمرارا • فهناك العديد من الاتفاقات الثنائية والبروتوكولات التجارية • كذلك فانه داخل المجموعةالعربية بدات تنشا بعض التجمعات الاقليمية (دول الخليج ، دول المغرب، دول المواجهة •••) • وهذه المجموعات الجزئية تستجيب لظروفها الخاصة (جغرافية ، سياسية ، عسكرية •••) الا ان لها آثارا اقتصادية هامة، مثل انشاء البنوك ولجان الاندماج الاقتصادى (بنك الخليج الدولى ، لجنة الاندماج الاقتصادى لدول المغرب) •

مراحل التنسيق العربى

ففى مرحلة اولى اتجهتالجهود لازالة العقبات القانونية والجمركية والادارية لانتقال السلع وعناصر الانتاج ، وتحقيق اكبر قدر من التنسيق فى هذا الاطار • وفى مرحلة ثانية تركز الجهد على القيام باعمال مشتركة محددة • وهناك مرحلة ثالثة اقل وضوحا ، وان كانت اكثر اهمية وخطورة ، وهى تنطوى على الاعتراف بوجود مسئولية عربية لمواجهة بعض الحاجات •

وقد اوضحت التجربة ان الحواجز بين الدول العربية اعمق من ذلك • فالبنيان الاقتصادى يختلف فيما بين الدول العربية من حيث درجة النمو الاقتصادى ودرجة اندماجها فى السوق الدولية من ناحية ، كما تختلف فلسفة التنظيم الاجتماعى والايدلوجية السائدة من ناحية اخرى• ولذلك فان المحاولات التى بذلت فى هذا السبيل لم تحقق الغرض المقصود منها ، اما لصعوبة الاتفاق على تحقيق هذا التوحيد فى الاطار التنظيمى نظرا لهذه الاختلافات الهيكلية ، واما لعدم تنفيذ الاتفاقات التى تم التوصل اليها عن طريق او آخر •

واذا نظرنا الى اثر هذه الاتفاقات على تيار العلاقات الاقتصادية نجده محدودا جدا

فلا زالت التجارة بين الدول العربية صغيرة جدا ولا تكاد تجاوز ٨٪ بالنسبة لمعظم الدول ، وتبلغ التجارة داخل مجموعة الدول العربية حوالى دولارين فقط بالنسبة لكل الف دولار من اجمالى التجارة العالمية .

وبالنسبة لانتقالات رؤوس الاموال ، فقد ظلت هى الاخرى محدودة . وكانت اهم هذه الانتقالات راجعة الى رؤوس الاموال العامة والراجعة لاعتبارات سياسية وليس نتيجة لما خلقته هذه الاتفاقات من مناخ ملائم لانتقالات رؤوس الاموال الخاصة .

ولعله مما يدعو للغرابة هو ان الاهتمام فى هذه المرحلة كان موجها لإزالة الحواجز وتشجيع تبادل السلع وانتقالات رؤوس الاموال بين الدول العربية ، فى حين ان انتقالات عنصر العملحظيت بالكاد بالانتباه . واتفاقية تنقل الايدى العاملة بين الدول الاعضاء فى مجلس الوحدة لم يصدق عليهامن قبلاية دولة من الدول المستوردة للعمالة سوى العراق . وعلى العكس ، فان انتقالات العمل بين اجزاء الأمة العربية ربما كانت اهم ظاهرة من ظواهر التكامل الاقتصادى . فقد بلغ عدد العمال الوافدين فى دول الخليج مثلا نسبا عالية تقارب عدد السكان الوطنيين ، وفى الدول الاخرى ايضا كانت هناك اعداد كبيرة من الفنيين والعمال المهرة وخاصة فى ميدان التعليم والصحة والانشاءات المستوردة من الدول المجاورة . وعلى ذلك ، فعلى عكس ما اتجهت اليه سياسة التعاون الاقتصادى ، كانت انتقالات عنصر العمل ـ التى حظى باقل قدر من العناية والتنظيم ـ هى اهم مظاهر التعاون الاقتصادى العربى فى الفترة الماضية .

المشروعات العربية المشتركة

وفى مرحلة او لحظة فكرية تالية اتجه العمل العربى الى القيام بجهد مشترك لتحقيق هدف محدود ومحدد ، واهم صور هذه المرحلة هو القيام بمشروعات عربية مشتركة، سواء اشترك فيها كل او معظم الدول العربية (مثل الصندوق العربى او العديد من شركات الاستثمار العربية المشتركة) او بين عدد محدود من الدول العربية لاستغلال مشترك . وفى هذه المرحلة تمت مجاوزة العمل على تغيير النظم والاطارات المساندة الى تحقيق اهداف محدودة مع الاتفاق على كافة التفصيلات سواء من حيث كيفية تنفيذ المشروع او من حيث توزيع الأعباء والمزايا .

وينبغى ان نشير هنا الى ان هناك اسلوبا جديدا فى العلاقات الاقتصادية العربية ، وهو اسلوب غير مقنن بعد . ويبدو ان الالتجاء اليه لا زال اجراء استثنائيا . ومع ذلك فان هذا الاسلوب غنى بالآمال . ونقصد بذلك ما تقرر فى مؤتمرات القمة من قيام الدول العربية القادرة بتحمل بعض الاعباء المالية الناتجة عن الحروب العربية ، سواء بالدعم الذى تقرر لدول المواجهة فى اثر هزيمة ١٩٦٧ (مؤتمر القمة فى الخرطوم اغسطس ١٩٦٧) او لتحمل بعض نفقات التسليح والتعمير (مؤتمر القمة فى الرباط ١٩٧٤) .

واهمية هذا الاسلوب هو انه يخلق سابقة جديدة تعترف بمقتضاها الدول العربية بان هناك حاجات عربية تهم الامة العربية فى مجموعها . ومن ثم فان تمويلها يتم عن طريق مجموع الدول العربية على اساس القدرة على الدفع بصرف النظر عن الفائدة المتحققة . وهذا تطور هام جدا لانه يشير الى بداية ظهور فكرة لنظام اقتصادى عربى جديد .

فما هى الخطوات الممكن اقتراحها بعد ذلك ؟ هناك مثلا :

- الحاجة الى ميزانية عربية .
- خلق نظام قانونى عربى للمعاملات .
- ابراز مكان خاص للعمل العربى .

انشاء ميزانية عربية

اخذ التعاون العربى فى ميدان التمويل حتى الآن عدة صور : القروض والمنح وتخصيص رأسمال معين لغرض محدود . والقروض قد تكون تجارية او انمائية ومن ثم تتضمن بعض عناصر المساعدة والمنح . وتختلف المنح عن القروض فى انها ـ كما هو معروف ـ لا ترد . اما تخصيص رأسمال لغرض معين فيحدث عندما تقوم الدول العربية بانشاء مشروع مشترك لمصلحة جماعية

مثل الشركات العربية المشتركة والصندوق العربي او مؤسسة ضمان الاستثمار .

وفي جميع الاحوال فان المبدأ الذي تقوم عليه هذه الاشكال للتمويل هو عدم الالتزام بالاستمرار في تحمل الاعباء ،على الاقل من الناحية القانونية. وان كان من الناحية العملية تتكرر القروض والمنح سنة بعد اخرى . ومع ذلك فاننا نلمح تطورا جديدا في هذا الميدان ، وهو تطور غير ملحوظ ، ونحن نعلق عليه اكبر الامال . ونقصد بذلك قرارات مؤتمر القمة بالخرطوم (اغسطس ١٩٦٧) من تقرير الدعم المالي لدول المواجهة من الدول العربية القادرة ، وهو دعم سنوي مستمر طالما ان اسبابه لم تزل . فما هو الجديد والهام في هذا التطور ؟

لقد تقرر بهذا الاجراء مبدأ هام وكبير مبدأ على قدر كبير من الخطورة . وهذا المبدأ هو ان هناك حاجات عربية تهم الوطن العربي في مجموعه، ومن ثم يجب ان تمول هذه الحاجات على اساس عربي بصرف النظر عما قد يبدو من المستفيد المباشر او من يتحمل العبء مباشرة . فنحن هنا بصدد تطور مماثل كما حدث في المالية العامة داخل الدولة الواحدة وحيث تحولت بعض الحاجات الخاصة الى حاجات عامة تمول من الميزانية العامة وعلى اساس مبدأ القدرة التمويلية وليس المنفعة المباشرة .

ففي داخل كل دولة يمكن التمييز بين الحاجات الفردية من ناحية والحاجات الاجتماعية والحاجات الاستحقاقية من ناحية اخرى. فاما الحاجات الفردية فانه يمكن لجهاز الثمن وللمالية الخاصة ان تقوم باشباعها . واشباع هذه الحاجات يقتصر على صاحبها ومن ثم فانه يقبل ان يمولها من ماليته الخاصة . اما الحاجات الاجتماعية والحاجات الاستحقاقية فان جهاز الثمن والمالية الخاصة لا تصلح لتمويلها لانها بحسب طبيعتها او بحسب تقدير المجتمع تحقق منافع واعباء لا يمكن حصرها في القائمين بها ومن ثم لا بد وان تقوم الدولة بتوفيرها عن طريق مواردها السيادية (الضرائب بصفة اساسية) . وفيما يتعلق بكيفية تجميع الموارد السيادية للدولة ، فانه بعد تردد في الفكر الاقتصادي استقر الامر على ان تحصل هذه الموارد من الافراد بحسب قدرتهم التمويلية وبصرف النظر عن مدى انتفاعهم مباشرة بهذه الخدمات. وبعبارة اخرى هذه خدمات اساسية وضرورية ويجب توفيرها لكل دولة، ويتم التمويل عن طريق ضرائب تدفع من القادر وليس من المستفيد .

وقد توسعت هذه الحاجات العامة من الامن والدفاع والعدالة لتشمل العديد من الحاجات الاجتماعية والاقتصادية .

كل هذا من المبادىء الاولية المستقرة في المالية العامة. وتساؤلنا هنا ،هل نحن بصدد تطور مماثل بحيث تعاصر نشوء مالية عربية لتمويل الحاجات العربية . هذا ما نعتقده ، وما نعتقد في ضرورة متابعة هذا التطور .

فتفسير قرارات مؤتمر القمة بالدعم السنوي لدول المواجهة هو ان الدول العربية المجتمعة قررت ان الدفاع العربي ليس حاجة فردية لكل دولة وانما هو حاجة عربية ينبغي توفيرها للامة العربية في مجموعها . ومن هذه الزاوية فان منافع هذه الحاجة لا يمكن حصرها على دولة دون اخرى . وبالمثل فان تحمل اعبائها يجب ان يقع على عاتق الامة العربية، وتوزع هذه الاعباء بحسب القدرة التمويلية . ولذلك فان التزام الدول النفطية بهذا الدعم انما هو صورة بدائية لنوع من الضرائب العربية بحسب القدرة المالية لتمويل حاجة عربية . وبذلك فانه يمكن ان نقول اننا بصدد ظاهرة جديدة هي ظهور ميزانية عربية سنوية لتمويل حاجات عربية على اساس القدرة التمويلية .

والحق ان هذه ليست المرة الاولى التي تظهر فيها فكرة الميزانية العربية لتمويل حاجات عربية فهناك امثلة اخرى . من ذلك مثلا ان المنظمات العربية (غير المؤسسات التي تنشأ برأسمال محدد) تمول على اساس ميزانيات سنوية (الجامعة العربية ومنظماتها) وهذه الميزانيات تمول بعض النفقات التي تعتبرها الدول العربية حاجات عربية .

على انه في الظروف الحالية وفي ضوء التمسك بالسيادات الوطنية ـ بالرغم من شعارات الوحدة

ـ فان الحاجات العربية المرشحة للتمويل عربيا يجب ان يتوفر لها نوع من الالحاح فى المصلحة والمنفعه لكافة الدول العربية ـ كما هو شان الدفاع ـ وان تبتعد قدر الامكان عن المجالات التى يمكن ان تتاثر بالاوضاع السياسية لكل دولة او ما قد ينشا من حساسيات بينها •

ان التعليم يعتبر من المجالات الرئيسية المرشحة لكى تمول عربيا فالتعليم هو الاداة الرئيسية لخلق انسان جديد ، فضلا عما يؤدى اليه من تاكيد وتثبيت للوحدة القومية العربية • ويجب فى هذا الصدد الاشارة الى ان ما انفقته الدول العربية منفردة فى الماضى على التعليم ، كان مصدرا للمنافع لكافة الدول العربية •

على ان مشاكل التعليم فى الوطن العربى من الضخامة والخطورة بما يصعب معه مواجهتها مباشرة على اساس ميزانية عربية • ولذلك فقد يكون التدرج فى هذا الميدان امرا مطلوبا بحيث توضع خطة مرحلية للوصول بعد فترة معقولة الى تحقيق هذا الهدف •

على أن الاعتراف بوجود حاجات عربية تحتاج الى تمويل عربى لا يمثل الا المرحلة السهلة من المشكلة ، وتثور الصعوبات عندما نبدا مناقشة كيفية توزيع الاعباء المالية لتمويل هذه الحاجات العربية •

من المستقر فى المالية العامة داخل كل دولة الان ان المساهمة فى تحمل اعباء النفقات العامة لا يرتبط بفكرة المنفعة ، وانما يتوقف على القدرة التمويلية للممول • ومع ذلك فان تحديد هذه القدرة التمويلية داخل كل دولة يخضع للسلطة السياسية ، بما تتمتع به من قهر فى حدود الايدلوجية السائدة والمصالح المتعارضة • اما فيما بين الدول العربية وحيث لا توجد سلطة سياسية عليا فانه من الصعب الاتفاق على قواعد مقبولة لتوزيع الاعباء حسب المقدرة التمويلية • فاذا كان من الواضح ان هناك فارقا شاسعا فى مستويات الدخول الفردية فيما بين الدول العربية وخاصة بين المجموعة النفطية والمجموعة غير النفطية ، فان وجهات النظر يمكن ان تختلف حول تفسير هذه الفروق ومدى علاقاتها بالقدرة التمويلية • والسبب فى ذلك يرجع الى ان الدخول النفطية بطبيعتها بديلا عن موارد قابلة للنفاذ ومن ثم فلا ينبغى ان تعامل معاملة الدخول العادية •

وبطبيعة الاحوال فان سياسة لتمويل الحاجات العربية لا يمكن ان يقدر لها النجاح اذا هى اقتصرت على طلب التمويل من الدول النفطية ، بل الواجب ان تتم مساهمة جادة وحقيقية من جانب الدول الاخرى ايضا • ويعتبر هذا تطبيقا لفكرة الاعتماد الذاتى التى اشرنا الى ضرورتها فى كافة مجهودات التنمية • وينبغى ان نشير الى ان ما يهم هنا ليس فى كيفية توفير التمويل بقدر ما هو فى الاعتراف بوجود هذه الحاجات العربية وفى ضرورة تمويلها على اساس عربى •

واخيرا فانه لا يمكن التهوين من المسائل الفنية المطلوب دراستها للاخذ بمثل هذه الميزانية العربية • والمطلوب هو البداية والتدرج سواء من ناحية تحديد الحاجات او من ناحية مدى الاشتراك فى التمويل • فاية سياسة واقعية لا بد وان تبدأ بجرعات مقبولة : تحديد عدد قليل من الحاجات العربية ، الاشتراك بنسبة معينة من التمويل على اساس عربى وتكملة الباقى بالميزانيات المحلية •

انشاء نظام قانونى عربى للمعاملات

لا جدال فى ان توحيد الاطار القانونى الذى تتم فيه المعاملات فيما بين الدول العربية وازالة كافة اسباب الغموض حوله ، من شانه ان يساعد على تدعيم وتنمية هذه المعاملات • والملاحظ ان قوانين المعاملات الداخلية فى معظم البلاد العربية تتشابه الى حد بعيد ، فهى خليط ، بدرجات متفاوته ، من التشريعات اللاتينية والشريعة الاسلامية • والقانون المدنى والتجارى فى معظم هذه الدول متقارب الى حد بعيد ، وهناك جهود فقهية كبيرة لتحقيق التشابه فى الحلول القانونية • وقد ساعد على ذلك تبادل الخبرات بين هذه الدول فى مجال القضاء وفى مجال تدريس القانون •

والى جانب هذه القوانين الداخلية للمعاملات فان معظم الدول العربية ، وخاصة المستوردة لرؤوس الاموال ، قد اصدرت قوانين خاصة لمعاملة الاستثمارات الاجنبية ، وبعض نصوص هذه القوانين تمنح معاملة تفضيلية خاصة للاستثمارات العربية • وهناك اوجه كبيرة للتشابه فى هذه القوانين ايضا •

واخيرا فقد تزايدت المشروعات المشتركة التي تعقد بين عدد من الدول العربية والتي تنظمها اتفاقات دولية تحدد الاحكام التي تسري على هذه المشروعات وقد بذل مجلس الوحدة الاقتصادية جهدا في هذا الصدد ، وانشئت عدة شركات تخضع لاتفاقيات متماثلة . وبذلك فانه يمكن القول بان ثمة قواعد موضوعية في سبيل التكوين لتنظيم عمل هذه الشركات المشتركة .

وتبذل عدة جهود للتنسيق التشريعي بين الدول العربية . ويتناول ذلك ميادين متعددة : توحيد قانون معاملة الاستثمارات الاجنبية ، التنسيق في ميدان الضرائب ، محاولة الوصول الى تعريفة جمركية موحدة (اهم اهداف مجلس الوحدة الاقتصادية) . ولم تحقق بعد هذه الجهود الآمال المعقودة عليها .

ورغم ذلك فلا زالت هناك مجالات كثيرة للمعاملات العربية التي تخضع لقواعد قانونية وطنية متعددة ، وتقوم قواعد الاسناد الوطنية (في القانون الدولي الخاص) بتحديد القانون الواجب التطبيق في كل حالة . وفي كثير من الاحوال تختلف هذه القواعد الوطنية للاسناد ويتوقف القانون الواجب التطبيق على القاضي الذي يرفع امامه النزاع . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من اضطراب .

وعلى ذلك فان المعاملات العربية تخضع لعديد من النظم القانونية . بعضها يخضع لاحكام الاتفاقات الدولية (كما في حالة العديد من الشركات المشتركة المنشاة باتفاقية دولية) . وبعضها يخضع للقوانين الوطنية لمعاملة الاستثمارات الاجنبية ، والبعض الاخر يخضع للقوانين الوطنية العادية .

وتتراوح القواعد المتفرقة التي تحكم المعاملات العربية بين القواعد السائدة في القوانين الوطنية او في المعاملات الدولية (في حالة الاتفاقات الدولية) . ولذلك فانه قد يكون من المنطقي البدء في اعداد مجموعة متكاملة من القواعد الموضوعية للمعاملات للدول العربية تحترم المبادئ العامة في القوانين الوطنية ومع مراعاة حاجات المعاملات الدولية .

وبطبيعة الاحوال فان مثل هذا التنظيم الموحد من شانه ان يحقق مزيدا من الوضوح والمرونة في المعاملات العربية حيث يعرف مقدما مجموع القواعد القانونية واجبة التطبيق . فضلا عن ان ذلك قد يكون خطوة عملية في سبيل التوحيد القانوني في البلاد العربية وهو احد الاسس الحقيقية للاندماج الاقتصادي .

تنظيم حقوق العمل العربية

اقتصر الاهتمام العربي حتى الان على تنظيم العلاقات الاقتصادية المتعلقة بحركات السلع (التجارة) وانتقالات رؤوس الاموال . وكان حظ العمل من العناية هامشيا .

ومع ذلك فانه في حالة الدول العربية تكاد تكون انتقالات عنصر العمل هي اهم مظهر من مظاهر التعاون الاقتصادي . ولذلك فانه من الغريب الا يلقى هذا الجانب للعلاقات الاقتصادية الرعاية الواجبة .

ومن الطبيعي ان نتوقع بعض العقبات ولكن من الطبيعي ايضا ان تفسح القوانين العربية مكانا خاصا للعمل العربي يضعه في مرتبة تختلف عن مرتبة الاجنبي .

وفي ظل الاوضاع الحالية للدول العربية فان اي تنظيم لحقوق العمل العربي ،ينبغي ان يراعي التوفيق بين امرين . الاول هو حماية النظام السياسي القائم في كل دولة وعدم تعكير صفو الامن السياسي والاجتماعي الموجود . والثاني هو توفير حماية لحقوق العمل العربي في الاستقرار طالما ان وجوده لا يؤثر على الاستقرار السياسي والاجتماعي القائم .

فرغم ان الحضارة العربية التي سادت المنطقة لعدة قرون قد عرفت ممالك متعددة لكل منها حدوده السياسية ، فقد كان الفرد في اي مكان منها ، يتمتع بكافة الحقوق طالما انه ينتمي الى « دار الاسلام » .

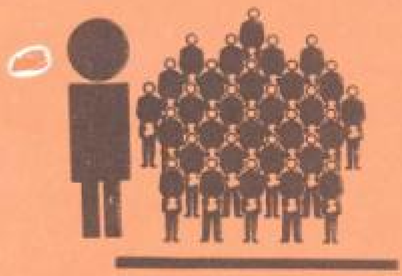
فالجنسية فكرة مستوردة اضيفت الى تقاليدنا في التفرقة بين « دار الاسلام » و « دار الحرب » وفي هذه الفكرة العربية لا تتغير حقوق المواطن بالانتقال من دولة عربية الى دولة اخرى وان كان النظام السياسي الموجود قد يختلف بين هذه الدول . ولذلك فان تراثنا في هذا الميدان كان يفرق بين امكان اختلاف النظم السياسية وبين المساواة في الحقوق للعربي داخل كل وحدة سياسية .

■■

حازم الببلاوي

هل تريد أن تصنع لنفسك

شخصية مؤثرة جديدة ؟



بقلم : الدكتور على احمد على

■ كثر الحديث فى السنوات الأخيرة عن الشخصية Personality والصق بهذه الشخصية صفات كثيرة متعددة . فاحيانا توصف شخصية فرد معين بانها متزنة ، بينما توصف شخصية فرد آخر بانها ضعيفة او غير مؤثرة ، وتوصف شخصية فرد ثالث بانها قوية ومؤثرة. وقد نسمع بعض العامة من الناس يصفون فردا ما بانه «عديم الشخصية». والواقع أن بعض الأوصاف السابقة ليست دقيقة وليست علمية بالدرجة الكافية . ولكن كلمة الشخصية أصبحت الآن شائعة الاستخدام على ألسنة عامة الناس وخاصتهم وان اختلفوا فى فهمهم وتفسيرهم لهذه الشخصية .

وقد ظهر تاكيد حديث فى مجال العمل على الشخصية . فكل عمل وخاصة الأعمال التخصصية العالية وغيرها من الأعمال الفنية أصبحت تتطلب شخصية معينة ، لذلك اصبحنا نسمع الآن عن

شخصية القائد الاداري وشخصية السكرتير او السكرتيرة وشخصية المعلم وشخصية رجل السياسة وشخصية القائد العسكري ، وغير ذلك من شخصيات أصبحت تذكر متصلة باعمال ومهن معينة • وأصبح هناك تصور لكل شخصية من الشخصيات السابقة المطلوب توافرها في مجال عمل معين • ونتيجة لذلك فانه اذا توافرت في الفرد الذي يعمل في مهنة التدريس مثلا شخصية المعلم ، كان احتمال نجاحه كبيرا في هذا العمل ، هذا مع فرض توافر بعض العوامل الأخرى اللازمة للنجاح في هذه المهنة •

تعريف الشخصية

يمكن القول بان لكل فرد شخصية يتميز بهاعن غيره وينفرد بها عن دونه من الناس • وقبل أن ندخل في تفاصيل الاسلوب الذي يمكن أن يتبعه الفرد لتطوير شخصيته وتحسينها ، فانه من الضروري ان نقدم للقارىء تعريفا مبسطا شاملا عن الشخصية حتى يدرك حقيقة هذه الشخصية وأبعادها •

« فالشخصية (١) هي الكل الديناميكي الذي يميز كل فرد عن غيره ، والتي توجه سلوك الفرد وتحدد فاعليته في حياته وقدرته على التوافق والتكيف مع بيئته ، والشخصية هي من نتاج التفاعل المستمر بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية التي تؤثر على الفرد منذ ولادته وفي مختلف مراحل حياته » •

فالتعريف السابق للشخصية وغيره منالتعاريف يوضح ما يأتي :

(أ) ان الشخصية « كل » Whole يميز الفرد عن غيره من الناس ، فلا يوجد فرد له شخصية مطابقة لشخصية آخر •

(ب) ان للشخصية عوامل Factors تتكون منها ، وان هذه العوامل تتفاعل مع بعضها تفاعلا متحركا ديناميكيا مستمرا •

(جـ) ان الشخصية هيمن نتاج التفاعل المستمر بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية المتصلة بالفرد •

(د) ان الشخصية تحدد فاعلية الفرد وتأثيره في مختلف نواحي حياته •

(هـ) ان الشخصية قد تتطور وقد تتغير في مراحل نمو الفرد المختلفة ، كما انه من الممكن ادخال التطوير والتغيير والتحسين على بعض جوانب هذه الشخصية •

عوامل الشخصية

قبل الدخول في تفاصيل عملية ادخال التغييرات والتحسينات المختلفة على شخصيةالفرد وتوضيح السبيل لتحقيق ذلك سنعرض فيما يلي لعوامل الشخصية ، لان تطوير الشخصية وادخال التحسينات عليها عادة ما يتم عن طريق ادخال التطوير والتحسين على بعض عوامل الشخصية •

فمن بين العوامل الهامة للشخصية ما يأتي :

(أ) العوامل الجسمية : ويتصل بهذه العوامل الشكل العام للفرد ومظهره الخارجي ، وهذايمثل الصورة التي يطل بها الفرد على الناس والأثر الأول First Impression الذي يتركه هذا الفرد على كلمن يقابله ويتعامل معه من الناس•

ويتصل بالعوامل الجسمية أيضا الحالة الصحية للفرد وحالة الغدد وخاصة الغدد الصماء والتي تفرز الهرمونات في دم الفرد مما ينتج عنه تأثير واضح وكبير على سلوك الفرد وتصرفاته • ويتصل بالنواحي الجسمية اصابة الفرد أو عدم اصابته باية تشوهات خلقية أو عاهات او ضعف في الحواس مما يكون له تأثير واضح علىسلوك الفرد وعلى شخصيته وعلى توافقه وتكيفه في الحياة •

(ب) العوامل العقلية : والمجموعة الثانية الهامة من العوامل التي تدخل في تكوينالشخصية هي العوامل العقلية • ومن هذه العوامل الذكاء Intelligence الذي يحتاج اليه الفرد للتصرف السليم والحكم الصحيح على الامور في مختلف مواقف العمل والحياة • وانخفاض مستوى ذكاء الفرد عادة ما يلحق اثرا مدمرا بالشخصية ، اذ لا

(١) هذا التعريف من تأليف كاتب هذا المقال•

يعقل أن نجد انسانا غبيا أو محدود الذكاء وله شخصية مؤثرة وفعالة وسارة •

وهناك أيضا بجانب القدرات العقلية العامة، القدرات العقلية الخاصة ، ويحتاج الفرد لهذه القدرات العقلية الخاصة للتصرف والنجاح في أعمال معينة • ومن امثلة هذه القدرات : القدرات اليدوية والقدرات الحسابية ، والقدرات اللغوية والقدرات الميكانيكية ، والقدرات الكتابية وقدرات الذاكرة ، والقدرات الفنية والقدرات الموسيقية وغيرها •

ولا شك أن توافر مستوى مناسب لدى الفرد من بعض القدرات الخاصة ، يكون له تاثير موجب على شخصية الفرد وعلى فاعليته في الحياة •

(جـ) العوامل الانفعالية والمزاجية للشخصية : وهذه العوامل تعتبر محور الحياة النفسية للفرد• فالانفعالات لها دور هام في حياة كل فرد •وتعتبر هذه الانفعالات توابل الحياة • فالفرد لا يحس بطعم الفرح الا عندما يحزن ، ولا يحس بمعنى الاستقرار الا عندما يقلق ،ولا يحس بمعنى الحب الا عندما يحقد ويكره • واصبح الآن الاضطراب الانفعالي Emotional Disturbance مساويا تماما للاضطراب النفسي • فالشخص المضطرب انفعاليا هو الذي يقابل مواقف الحياة بما لا تستحقه من انفعالات • فنجد هذا الفرد يغضب غضبا شديدا لاقل الاسباب أو يحزن حزنا شديدا دون أن يكون هناك دافع لذلك • وهذا ما يطلق عليه بالاضطراب الانفعالي • وقد أصبح الآن الاتزان الانفعالي Emotional Stability سمة اساسية من السمات المحببة للشخصية • فالفرد اذا كان متزنا انفعاليا وصف بأن له شخصية متزنة ، واذا كان مضطربا انفعاليا وصفت شخصيته بعدم الاتزان والاضطراب •

(د) العوامل البيئية والاجتماعية للشخصية : وهذه العوامل تشكل الجوانب المصنوعة والمكتسبة من الشخصية • فشخصية الفرد أسهم في صنعها وتشكيلها الاسرة التي تربى وعاش فيها الفرد السنوات الأولى الهامة من حياته ، وكذلك الحال بالنسبة للسنوات الطويلة التي قضاها الفرد في المدرسة واكتسب فيها الكثير من الخبرات الاجتماعية والثقافية والمهنية •

وكل جماعة Group ينتمي اليها الفرد ويعيش فيها بعض الوقت ويسهم الفرد مع أعضائها في تحقيق اهداف مشتركة تترك ولا شك آثارا باقية على شخصيته • ويؤدى الفرد في كل من هذه الجماعات أدوارا Roles مختلفة ، وكل دور يؤديه الفرد في الجماعة يترك بصماته على سلوكه وعلى تصرفاته وعلى شخصيته •

وتؤثر الطبقة الاجتماعية Social Class التي ينتمي اليها الفرد تاثيرا واضحا على شخصية الفرد وعلى سلوكه • وعادة ما تقسم هذه الطبقات الى : الطبقة العليا Upper Class والطبقة المتوسطة Middle Class والطبقة الدنيا Low Class • فالفرد الذى ينتمي للطبقة المتوسطة عادة ما تكون اهدافه وتصرفاته وقيمه واتجاهاته مختلفة عن فرد آخر ينتمي للطبقة الدنيا • ولو أننا نتوقع أن نجد فروقا فردية بين افراد الطبقة الاجتماعية الواحدة ، كما أن اللغة التي يستخدمها افراد كل طبقة كثيرا ما تختلف في الشكل والمحتوى •

والجوانب السابقة وغيرها تمثل الجوانب المكتسبة المصنوعة من شخصية الفرد التي اكتسبها الفرد نتيجة خبراته الاجتماعية المتنوعة ونتيجة معيشته في ظل ثقافة Culture معينة والتي اكتسبها عن طريق عملية التعلم المستمر للفرد في مختلف الاوقات والمواقف •

كيف يمكن أن تدخل التطوير المناسب على شخصيتك ؟

والان وبعد أن تعرفنا وتعرضنا لعوامل الشخصية، نصل الى الحديث عن المحاولات الكثيرة القائمة المبذولة في سبيل تطوير شخصية الفرد وتحسينها•

والواقع انك اذا اردت يا عزيزى القارىء ، أن تدخل التطوير المناسب على شخصيتك ، فعليك أن تطور العوامل التي تتكون منها هذه الشخصية • وهذا التطوير يمكن أن يساعدك على احداثه اخصائيون بدأوا في الظهور في عدد من البلاد ،

لكي يرشدوك ويوجهوك لهذا التطوير المطلوب وصولا الى شخصية متزنة ومؤثرة تترك أثرا موجبا ومحببا في الآخرين الذين تتعامل معهم في مختلف مواقف الحياة •

وقد يتساءل القارىء هل تطوير الشخصية او الوصول الى شخصية جديدة أكثر اتزانا وتأثيرا وفاعلية لا يمكن أن يحدث الا عن طريق هؤلاء الاخصائيين • وللرد على هذا التساؤل نقول انك بمفردك اذا قرأتهذا المقال باهتمام وفهم وتعمق، وطبقت بعض ما جاء به على نفسك او استرشدت به في تطوير بعض نواحي وعوامل الشخصية ، فانك تستطيع أن تحدث التغيير المطلوب على شخصيتك ، دون الحاجة للاعتماد على خبرة هؤلاء الاخصائيين • ولكن الاستعانة بالاخصائيين عادة ما يكون بهدف الوصول الى نتائج افضل •

بعض جوانب الشخصية التي يشملها التطوير

نعرض فيما يلي بعض جوانب من شخصيتك التي يمكن أن يشملها التطوير والتحسين ، وذلك وصولا الىشخصية متزنة فعالةومؤثرة في الحياة•

١ ـ تطوير الجوانب الجسمية :

لاشك ان تطوير الجوانب الجسمية Physical للفرد سيكون لها أثر على الفرد نفسه وعلى الافراد الآخرين الذين يتعامل معهم • فمثلا اذا كان وزنك مفرطا في الزيادة فاغلب الظن أن هذا يؤثر على سلوكك، فتبدو متثاقلا قليلالحركة، كما أن أثر هذه الزيادة الكبيرة في وزنك على الناس عندما يريدون أن يتعاملوا معك ، عادة ما يكون سالبا • لذلك فان اتباعك مثلا لنظام غذائي دقيق في محاولة لتخفيض وزنك مع القيام ببعض التمرينات والتدريبات الرياضية الخاصة ، سيجعلك تفقد الكثير من وزنك الزائد ، وهذا يساعدك أكثر على الحركة وتبدو أكثر رشاقة أمام الناس • ولا شك أن مظهر الفرد الخارجي له تأثير واضح على الافراد الذين يتعامل معهم ، كما أن مظهر الفرد الخارجي له تأثيره على مدى ثقة الفرد بنفسه ، ومدى اعتباره لذاته •

ويتصل بالنواحي الجسمية ضرورة الاهتمام بصحتك العامة وضرورة رعايتك لبدنك • فحالتك الصحية لها تأثير واضح ولاشك على شخصيتك وعلى سلوكك في مختلف نواحي الحياة •فالفرد الذي تتكاثر عليه الآلام والأوجاع عادة لا يمكنه أن يركز في عمله، ولا يستطيع بذل الكثير منالجهد في هذا العمل ،كما أنه عادة ما يبدو قلقامتشائما ومهموما لدرجة كبيرة •

وفي سبيل الوصول الى شخصية متزنة وسوية لابد من التأكد من سلامة الغدد الصماء وحسن أدائها لوظائفها • فالهرمونات التي تفرزها هذه الغدد لها تأثيرها الواضح على سلوك الفرد وتصرفاته وعلى شخصيته • ويذكر كاتب هذا المقال أن هناك تأكيدا في الاتحاد السوفييتي وفي بعض البلاد الغربية بصورة أقل على الأثرالواضح للنواحي الفسيولوجية وأداء أعضاء الجسم وأجهزته لوظائفها ، وعلى رأسها الجهاز العصبي والغدد الصماء وغيرها،على سلوكالفرد وتصرفاته وعلى شخصيته عموما •

ولاعطاء مثال عملي لذلك : قد يكون مندوافع كسل بعض العاملين وقلة نشاطهم وضعفتوقدهم الذهني نقص ظاهر في افراز الغدة الدرقية مثلا ، فيبدون قليلي النشاط متبلدي الذهن وخاملين ، وعادة ما يزيد وزنهم لأقل كمية طعام يتناولونها• وثبت أنه عن طريق العلاج الطبي يمكن تعويض نقص افراز هذه الغدة مما يعيد للفرد نشاطه وحيويته وتوقده الذهني •

٢ ـ تطوير المظهر الخارجي للفرد عن طريق توجيهه للمناسب من الملبس :

ويمكنك أيها القارىء أن تدخل بعض التطوير على شخصيتك وتترك أثرا محببا مناسبا في الناس عن طريق اختيارك للملبس المناسب • ونقصد الملبس المناسب ذلك الملبس الذي يناسب سنك ووضعك الاجتماعي • ويجب أن يكون هذا الملبس متطورا وليس متخلفا • ولكن نحذرك من الملبس المغالي فيه لأن ذلك يؤثر تأثيرا سيئا على صورتك في أعين الناس • ومن أمثلة ذلك أن

تلبس ملابس فاخرة مغالا فيها في مكان عمل لا يتطلب مثل هذا الملبس • فملبسك في العمل يجب أن يكون عمليا وبسيطا يساعدك على العمل وعلى الحركة •

٣ ـ تطوير الجوانب العقلية منشخصيتك

لاشك ان الذكاء والقدرات العقلية الخاصةالتي سبق ان اشرنا اليها تعتبر من العوامل الهامة المحددة لشخصيتك • والذكاء الذى تتمتع بهغالبيته فطري وموروث، ولا يمكن عن طريق البيئة ان تزيد من درجة ذكائك الا في حدود ضيقة • ويعتبر الذكاء من العوامل الهامة المكونة للشخصية ، لذلك لاغرابة ان نسمع عامة الناس وخاصتهم يصفون فردا معينا بان له « شخصية ذكية » •

واذا كان الذكاء الذى تتمتع به لايمكن زيادته الالدرجة محدودة ، فانك تستطيع ان تدرب نفسك على ان تحسن التفكير • والواقع ان هناك بعض العلاقة بين الذكاء والتفكير ، ولكن قد نجد في الحياة افرادا اذكياء ممن لايحسنون التفكير ولا يقدرون على التفكير المنطقي المنظم • في حين قد نجد افرادا آخرين من متوسطي الذكاء ولكنهمقد دربوا على التفكير المنطقي المنظم •

ويمكنك ان تدخل تطويرا وتحسينا جذريا على شخصيتك اذا تدربت على اسلوب التفكير السليم واسلوب التفكير المنطقي ، واذا تعلمت الا تصدر احكامك على امر من الامور الا اذا كانت لديك معلومات وبيانات وحقائق كافية عنه ، وان تكون موضوعيا Objective عند حكمك على الامور ، فلا تصدر احكامك عن اهواء او تحيزات شخصية •

ويوجد الآن فيالبلادالاجنبية المتقدمة اخصائيون يدخل في اطار نشاطهم المهني تدريب الافراد على التفكير المنطقي المنظم،وكذلك تدريبهم على التفكير الابتكاري الذي يعتبر اساسيا لكل عمل خلاق،ولكل اختراع وتجديد في اى مجال من مجالات العمل الانساني •

٤ ـ تطوير الجوانبالانفعالية منشخصيتك

وقد سبق ان ذكرنا انالانفعالات اصبحت محور للحياة النفسية للفرد • وانت في سعيك لتطوير شخصيتك فيالاتجاه المرغوب فيه، عليك انتستخدم الانفعالات في حياتك بالصورة المناسبة وبالقدر المناسب وفي الوقت المناسب ، لان استخدامك المفرط للانفعالات يجعلك تبدو هزيلا غير متزن امام الآخرين الذين تتعامل معهم • فمثلا لاتدع الغضب يستبد بك لانك اذا غضبت غضبا شديدا كلما واجهتك صعوبة او مشكلة ، فان هذا الغضب عادة ما يذهب بمنطقك ويعطل تفكيرك ، فلا تحسن التصرف او الحكم السليم على الامور والمواقف • فالمفروض انك اذا غضبت لاتدع الغضبيتملكك، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوله « ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد منيملك نفسه عند الغضب » اى ان الفرد الشديد القوى ليس بقدرته على أن يصرع الناس بقوة عضلاته وبقدراته الجسمية، وانما الشديد حقا من يستطيع ان يملك نفسه ويسيطر عليها عند الغضب • فللفرد ان يغضب ولكن عليه ان يجعل هذا الغضب دائما تحت سيطرته وتحت التحكم دائما •

فالانفعالات محور اساسي من محاور الشخصية ولكن عليك ايها القارىء ان تتمتع بقدر منالاتزان الانفعالي،فيكون استخدامك للانفعالاتبالقدر الذى يناسب المواقف التى تقابلك دون مغالاة اوتقليل في اظهار هذه الانفعالات •

وهناك الكثير من النصائح التى يمكن انتفيدك وتساعدك على التمتع بقدر من الصحة الانفعالية Emotional Health والاتزان الانفعالي ، وتباعد بينك وبين الاضطراب الانفعالي الذى عادة مايظهر في شكلتطرف ومغالاة في استخدام الانفعالاتفي مواجهة المواقف والمشكلات اليومية • ومن بينهذه النصائح :

أ ـ ان تخرج من بيتك في الصباح متوجهاالى عملك متوقعا كل شيء : فتتوقع ان تصادف ما يفرحك او ما يغضبك او ما يسرك او ما يحزنك • فهذا التهيؤ منجانبك يجعلكاكثر قدرة علىمواجهة المواقف الصعبة والمشكلات اليومية •

ب ـ الا تنظر الى العدوان او الاساءة التى يوجهها بعض الافراد نحوك على انك انت المقصود بها • واعلم ان هؤلاء الافراد الصادر عنهمالعدوان

او الاساءة لايقصدوك بذلك • فقد يكونون غضبى من ظروفهم او احوالهم ، وقد يكونون غيرراضين عن وجودهم • لذلك ضع في ذهنك انك في الكثير من الاحوال لست المقصود بعدوانهم واساءتهم • فهذا لا شك سيجعلك اكثر تقبلا لسلوك الناس واكثر قدرة على التعامل معهم •

(جـ) انتروح عننفسك ولا تاخذ نفسك بالشدة، فبعض الافراد اصبحواالان مثقلين بالاعمالوالاعباء والمشاكل ، وهذا يؤثر تاثيرا سيئا على صحتهم الانفعالية والنفسية • لذلك فاننا ننصحك ان تقطع من وقتك بعض الوقت، لكي تروح عن نفسك وتبتعد فيه كلية عن مجرد التفكير في العمل أو في مشكلات الحياة اليومية •

(د) ان تهتم بصحتك البدنية فالصحة البدنية تؤثر تاثيرا واضحا على الصحة الانفعالية والعكس صحيح •

(هـ) ان تعمل دائما على حل المشكلات المعلقة في حياتك والا تتهرب منها • فاكثر ما يسبب لك الاضطراب الانفعالي هو وجود المشكلات المعلقةفي حياتك ، وان تحاول دائما ان تعبر لفظيا عننواحي ضيقك ، بان تجد مخلصا وتقص عليه بعض مايضايقك او يقلقك •

والواقع فانتحسين صحتك الانفعاليةلن يتحققالا اذا كانت الظروف المحيطة بك في العمل وفيالاسرة وفي الحياة عموما مناسبة الى حد ما،والا اذا ازلنا من طريقك العقبات والصعوبات والعراقيل التي تسبب لك الصراعات Conflicts والاحباطات Frustrations وتسبب لك بالتالي الاضطراب الانفعالي والنفسي •

٥ ـ تطوير شخصيتك عنطريق تطوير مهارات اتصالك بالغير

من النواحي الهامة التي يهتم بها الان،اذا اردنا تطويرا وتحسينا لشخصيتك ، التاكيد على تنمية مهارات الاتصال بينك وبين الناس • فانت اياكان عملك سواء اكنت طالبا او عاملا او موظفامكتبيا تقضي غالبية وقتك في الاتصال بالغير : مابين متحدث او كاتب او منصت او قارىء • وفي كل عملية اتصال نجد التفكير سابقا او ملازما اوتابعا لها •

واذا كان الحالكذلكمنحيث قضائك لمعظم وقتك في الاتصال بالغير ، لذلك فان تطوير مهارات الاتصال بالغير Communication Skills سيؤدي ولاشك الى دعم وتنمية شخصيتك • والمهارات الخمس التي تحتاج الى تطوير وتنمية هي (آ) مهارة التحدث • (ب) مهارة الكتابة (جـ) مهارة القراءة (د) مهارة الانصات (هـ) ومهارة التفكير• والمهارة الاخيرة تعرضنا لها باختصار في موقع سابق من هذا المقال •

فبالنسبة لمهارة التحدث عليك ان تتقن فن التحدث مع الغير ، وعليك ان تختار اللغة المناسبة للافراد الذين تتحدث معهم • وعندما تتحدث مع الاخرين عليك ان تضع في الاعتبار ظروفهم واحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ومستواهم العقلي والخبري، حتى تحسن التحدث معهم•وعليك ايضا وانت تتحدث مع الغير ان تستخدم الصوت المناسب مع استخدام العدد المناسب من الكلمات دون تطويل او تقصير • كما يجب عليك وانت تتحدث مع الغير ان تحذر اللزمات Mannerism التي تصدر عنك • واللزمات قد تكون لفظية او حركية • واللزمات اللفظية تتمثل في تكرار كلمات دون داع مثل : وغني عن القول او مثلا او والواقع الى غير ذلك من كلمات او عبارات • اما اللزمات الحركية فتتمثل فيما يصدر عنك من حركات متكررة اثناء الحديث دون داع ، بحيث تقلل من شانك او شان حديثك • ومن امثلة هذه الحركات العبث بسلسلة المفاتيح ، او الضغط المستمر على رباط الرقبةاو تحريكالايدي بصورة دائمة وبعصبية ظاهرة ، او الضرب باليد على المائدة ، الى غير ذلك من لزمات حركية •

وعليك في كل الاحوال ان تتابع اثر حديثكعلى الاخرين وان تتعرف على رد فعل رسالتك عليهم وذلك عن طريق ما يصدر عنهم من استجابات او انفعالات او سلوك •

اما بالنسبة لمهارة الكتابة فعليك ان تدربنفسك على الكتابة الدقيقة والموضوعية ، حتى يمكنك ان تعبر بدقة عن آرائك وافكارك ووجهات نظرك ، وعليك وانت تكتب انتحذر الاخطاء اللغويةواخطاء الهجاء لان ذلك يهينك ويقلل من شانك في أعين الاخرين •

اما بالنسبة لمهارة القراءة فمن اللازم أن تدرب نفسك على القراءة السريعة والصحيحة، وان تفهم بسرعة ماتكتب • فالقراءة هي احدى وسائلك للتعرف على أفكار وآراء الغير وعلى خبراتهم ، ووسيلتك لتدعيم خبرتك وتنمية شخصيتك •ويوجد الان في بعض البلاد المتقدمة اخصائيون في القراءة العلاجية Remedial Reading Specialists يدربون الافراد على القراءة السريعة الصحيحة ويخلصونهم من العادات السيئة المتصلة بالقراءة•

اما المهارة الرابعة فهي مهارة الانصات ، وتنمية هذه المهارة يساعد على تطوير سلوكك وتدعيم شخصيتك • فالانصات الجيد سبيلك الى تدعيم خبرتك • وتعتبر الخبرات السمعية خبرات غنية ومفيدة وسهلة في الوقت نفسه • فاذا أردت أن تدعم صورتك في أعين الناس وأن تظهر عليهم بشخصية محببة وفعالة ومؤثرة ، حاول أن تعطيهم فرصة للتعبير عن انفسهم وعن افكارهم وآرائهم ووجهات نظرهم ،وان تنصت باهتمام لهم •وياليتنا نحن العرب ندرب أنفسنا على حسن الانصات والاستماع، وأن نقلل من الكلام، وأن ندع أعمالنا هي التي تتكلم •

والانصات الجيد يتطلب بعض الصبر منجانبك، كما أن هذا الانصات ليس عملية سلبية كما يتصور البعض ــ فالانصات يتطلب ايضا تركيزا وتفكيرا من جانبك •

تطوير الجانب البيئي المكتسب من شخصيتك

سبق أن ذكرنا أن جانبا من شخصيتك مصنوع بمعنى أنه مكتسب ومتعلم • ويتمثل هذا الجانب فيما اكتسبته من خبرات ومهارات عملية وفنية واجتماعية • ويمكن تطوير هذا الجانب من شخصيتك عن طريق عمليات التعلم المستمرةالتى تعمل دائما علىتعديل سلوكك واتجاهاتكوقيمك• فالفرد يقطع في تعلمه رحلة طويلة : من المهد الى اللحد • كما أن هذا الجانب المكتسب من شخصيتك يمكن تطويره في مجال العمل عن طريق برامج التدريب التى تعقد في جهات العمل والتى تهدف لتزويدك بالخبرات الفعالة والمعلومات المفيدة •

كما يمكن أيضا تدعيم هذا الجانب المكتسب المصنوع من شخصيتك عن طريق تهيئة الفرصة لك لتنمية معلوماتك العامة والتى أصبحت الآن لازمة لكل مواطن في مختلف نواحى الحياة •

تطوير شخصيتك وتنميتها يتطلب تزويدك بقدر وافر من المهارات السلوكية

وهذه المهارات السلوكية تتمثل في تعريفك بالاسلوب المناسب للتعامل مع الآخرين • ومن امثلة الخبرات في هذا المجال : أنك اذا أردت أن تحسن التعامل مع الناس ، فعليك وأنت تتعامل معهم وتصدر أحكامك عليهم ، أن تضع نفسك محلهم ومكانهم ، حتى يمكنك أن تتصور حالهم وأن تقدر ظروفهم وحتى تكون اكثر قدرة على فهم وجهات نظرهم •

ومن الخبرات السلوكية التي نود أن نقدمها اليك في هذا المجال ايضا ، أن تسأل عن دورك أولا في خلق أية صعوبة أو مشكلة تقابلك في حياتك العامة أو الخاصة : مع الناس أو مع رؤساء العمل أو مع مرءوسيك أو مع زوجتك أو مع أبنائك • فعليك أن تعرف ما اذا كنت مسئولا عن خلق هذه الصعوبة وهذه المشكلة ، وذلكقبل أن تلقى اللوم على الآخرين • وحاول الا تكون مثل بعض الأفراد من ذوى الشخصيات غير المحببة وغير المقبولةمن الناس،الذين اذا واجهتهمصعوبةأو مشكلة سارعوا بالقاء اللوم على الآخرين، متهربين من كل مسئولية ومن كل مسالة •

واخيرا عليك اذا أردت أن تترك أثرا موجبا محببا في الناس الذين تقابلهم وتتعامل معهم ، أن تعامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به • وتمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في سلوكك : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن »

■■

القاهرة ــ علي أحمد علي

طرائف غربية

من اجل الفقراء !

● أوليفر وندل هولمز ، الطبيب والشاعر الامريكي (١٨٠٩ ـ ١٨٩٤) ، تلقى يوما دعوة لالقاء محاضرة في حفل تخريج دفعة من طلبة كلية الطب بجامعة هارفارد . وماكاد هولمز يقرأ الدعوة حتى جلس الى مكتبه وراح يكتب الرسالة التالية لرئيس اللجنة التي تشرف على تنظيم الحفل .

« سيدي الرئيس .. بين يدي الآن دعوتكم الكريمة ، ويؤسفني أن أعتذر عن تلبيتها بسبب ضعف حالتي الصحية ! ولكن هناك احتمالا واحدا قد يجعلني أغير رأيي ، اذا تلقيت عرضا بدفع مبلغ خمسين دولارا مثلا بعد الانتهاء من القاء محاضرتي .. عندئذ سوف أشعر بضعفي يزداد ، بحيث لن اصبح قادرا على رفض الدعوة ! »



سألوه : « وماذا ستصنع بمثل هذا المبلغ الصغير ، الا يكفيك ما جمعت؟»

قال : « هناك اناس لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا يستحقون عليه أجرا .. من اجل هؤلاء احرص على الحصول على اجرى كاملا ، حتى استطيع أن أساعدهم ! »

بين الآباء والأبناء

● فردريتش هير Predrich Heer الاستاذ بجامعة فيينا ، ومؤلف كتاب « تحدى الشباب » الذى قدم لنا فيه صورة للصراع بين الجيلين .. جيل الأبناء وجيل الآباء ، ونماذج من ثورات الشباب في بقاع مختلفة من العالم ، يرى أنه لم يعد ضروريا لشباب اليوم أن يجدوا من يقول لهم : « لماذا لا تحرقوا الدنيا ، وتحرقوا أنفسكم معها؟ فهم على استعداد لان يشعلوا النار في أى وقت ، في أى مكان !

ثم تساءل : « هل نزلت يوما ضيفا على أحد من أقاربك أو أصدقائك؟ لابد أنك لمست المعاملة الطيبة التي لقيتها من مضيفك طوال فترة اقامتك ! والتي دفعتك لان تشكره وأنت تشد على يده مودعا قبل رحيلك »!

ثم يقول : « ربما كانت أفضل علاقة يمكن أن تنشأ بين الاب وابنه اليوم ، هي نفس العلاقة التي تعودنا أن نراها بين المضيف وضيفه .. ان أبناءنا ضيوف علينا ، فساعة رحيلهم آتية آتية .. فلنساعدهم على العيش وسطنا في سلام فالمرء لا يثور على شيء اعتاد عليه وأحبه ! »

البحث عن الاخبار الطيبة

● جيمس رستون الكاتب السياسي والمعلق الامريكي الشهير من الصحفيين القلائل الذين ينظرون الى الحياة بمنظار ابيض حتى اذا احتجبت الشمس ، وامتلأت السماء بالغيوم ، فهو يبحث دائما عن الجانب المشرق الذي قد يراه معه البعض منا ، ولكننا لا نحاول أن نبرزه ، وربما تعمدنا ان نخفيه عن العيون !

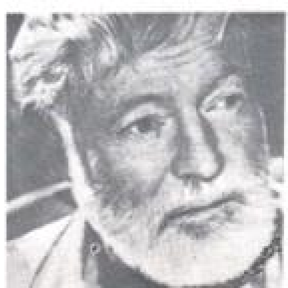
كتب رستون يقول : «طالما راودتني فكرة لم استطع مقاومتها ٠٠ انني ادعو بقوة لان يكون في كل صحيفة مسئولة ، محرر كفء لا عمل لـــه سوى البحث عن الاخبار الطيبة ، ولا أعني بالاخبار الطيبة هنا ، تلــك الاخبار السخيفة التافهة عما يصنعه الناس بأنفسهم وانما أعني بهـا الاخبـار الجـادة عن الانتصارات والانجازات التي حققها الناس في اعمالهم وعن النواحي الاخلاقية في تصرفاتهم ٠ ان هذه الاخبار للاسف الشديد نجدها دائما مدفونـة تحت تراب الاهمال ، وسط دوامة روتين الحياة التي لا تنظر اليها الا من خلال هذا المنظار الاسود الكئيب ! »

اغلى شيء في الكون

● قال ارنست هيمنجواي الكاتب الامريكي الشهير (١٨٩٨ ـ ١٩٦١) انه لو لم يصبح روائيا ، لكان واحدا من أكبر المزارعين في امريكا !

سألوه كيف ؟

قال : « لقد جلس الى أبي يحدثني يوما عن الحياة والغد الذي ينتظر البشرية ، قال ، انني انصحك بالعودة الى الارض عندما تكبر يا بني ٠٠ فالارض هي اغلى واثمن شيء فـي هذا الكون الواسع من حولنا ٠٠ في ترابها نزرع ، ومن ثمارها ناكل ٠٠ وقد أعطانا الله ارضا شاسعة ، ولكنها في نقصان مستمر كلما تقدمت بنـا الحضارة وتضاعفت اعداد الناس الذين يعيشون عليها ٠٠ فنحن نتزايد والارض من تحتنا تتقلص كما ترى ! »



ويقول همنجواي : « وعندما تاكدت بأنني لن استطيع أن اصبح مزارعـا ناجحا في يوم من الايام ، اكتفيت بان ابني لنفسي مسكنا على هذه الأرض اعيش فيه بعد أن فشلت في أن احفر تربة الارض بيدي لأكل ثمارها ٠٠ ولكنني لم اكف يوما عن تأمل حبات القمح ، كلما تذكرت والدي وحديثه معي في صباي ! »

وجهة نظر

● اننا لا نشعر بجهلنا الا عندما نشعر باننا قد عجزنا عن ان نشرح وجهة نظرنا ، والأهم من هذا ان نقنع مستمعينا بما نؤمن به ٠٠

« اندريه موروا »

شبه عائلى بين شخصيات نجيب محفوظ



بقلم : الدكتور على الراعى

■ ذات مرة ، قلت لنجيب محفوظ : « ان بين شخصيات رواياتك شبها عائليا » .

ويومها لم يعقب الكاتب على ملاحظتى بشىء ، وان بدا لى انه لم يرتح اليها . لعله ظن اننى اتهمه بانه يكرر نفسه !

ولا ادرى ماذا يكون موقف نجيب محفوظ اليوم، لو اعدت عليه الملاحظة ذاتها . غير اننى لا ازال اعتقد انها صحيحة وفى محلها ، فضلا عن انها لا تعنى بحال نقصا فى فن الكاتب او ضيقا فى رؤياه . على العكس .. فبدلا من أن يكون التشابه بين الشخصيات عيبا او نقصا ، فانه يدل ـ فى نظرى ـ على شدة انشغال الكاتب بموضوعه ، وبالنواحى الانسانية المختلفة فى ذلك الموضوع ، التى تتولى الشخصيات المختلفة التعبير عنها .

بل ان بعضا من كبار الكتاب شغلوا طيلة حياتهم الفنية ، ليس بشخصيات متشابهة وحسب وانما بموضوع او موضوعين فقط. ظلوا ينظرون اليه ، او اليهما ، من زوايا مختلفة ، ومن ضوء وراء اخر .

ابسن .. وتشيخوف

ابسن ، مثلا ، كتب عديدا من مسرحياته حول موضوع واحد بعينه وهو موقف الفرد من المجتمع . احيانا يصور الفرد ثائرا على المجتمع متحديا له، مثلما يحدث فى مسرحية « عدو الشعب » ،واحيانا اخرى يكون الفرد عاجزا ، منكسرا بازاء المجتمع كما فى مسرحية « بيت آل روزمر » ، وتارةيكون الثائر الناجح امراة مثل نورا فى «بيت الدمية» وتارة اخرى يكون المتمرد المنكسر امراة اخرى هى اسيز الفنج فى « الاشباح » .

وغير ابسن ، هناك تشيخوف : الذى شغل فى مسرحياته بموضوع العمل ، وجدواه ، وضرورته كمطهر للنفوس ، خاصة نفوس اولئك الكسالى من المترفين ،الذين يجدون رزقهم موفورا ،ينفقون طاقاتهم فى الغواء ،ورثاء النفس ، والجرى وراء اوهام المجد والرغبة فى انقاذ الذات . ونحن نجد تعبيرا قويا واخاذا عن هذا الشغل الشاغل لتشيخوف فى مسرحيتى : « الشقيقات الثلاث » و « بستان الكرز » .

ولقد ظل برنارد شو طيلة عمره الفني يتامل موضوعا واحدا وحسب • وهو المفارقة المضحكة المبكية التى تقوم بين المثالى المليء بالاحـلام والكلام من جهة ، والعملى ، القادر على الانجاز، الخالى من المبادىء والمثل ، من جهة اخرى • الاول ـ على فضله ـ يفشل وينهزم ، ويبكى ، والثانى ـ على سوئه ـ ينجح ، ويحقق ويضحك •

والامثلة بعد هذا كثيرة !

تأمل وعودة

بل اننا نجد نجيب محفوظ نفسه يشـغل فى عديد من رواياته بموضوع رئيسى يتامله ويعود اليه المرة بعد المرة ، مأسـاة الفرد الطيب الذى يقف حائرا بين عالم يموت ، وعالم لم يولد بعد• الاول يشده اليه شدا بحكم السنوات الطويلة التى عاشها فيه ـ سنوات هى اكبر بكثير مما بقى له من عمر •والعالم الثانى يغايل عينيه بما يعد من خير ، وعدل وجمال ، ظل يبحث عنها جميعا طيلة حياته ، وبين العالمين يقف ذلك الفرد الطيب • حائرا • مترددا • عاجزا عن العمـل ، لانه لم يرزق ميزة الحسم ، ولا شجاعة الايمان الاكيد ، ولا القدرة على الانتقال من الفكر الى التنفيذ•

هكذا كان حال كمال فى « الثلاثية » • وهو حال البطل فى كل مكان من « السمان والخريف » و « الشحاذ » و « ثرثرة فوق النيل » •

فى هذه الاعمال جميعا ، يدخل نجيب محفوظ تنويعات واضحة على شخصياته • فالبطل فى الثلاثية عاشق ولهان ، وفيلسوف متفكر • وهو فى « السمان والخريف » مجاهد حزبى سابق فقد دوره بعد ثورة يوليو • وهو فى « الشحاذ » فنان يعانى الما محضا بسبب ما يراه من ان الفن فقد رسالته فى عصر العلم • وهو فى « الثرثرة » موظف مطحون وثائر سابق ، دفن ثورته وسخطه وتطلعه فى اعماق نفسه وفى جوزة الحشيش • ولكن التركيب النفسى لهؤلاء الاربعة يظل مع هذا متشابها : وهو : الثورة والسخط ، والايمـان العاجز ، والالم الذى لا ينقضى •

موقف البطل من الثورة

هذا الموقف الرئيسى فى الفن الروائى لنجيب محفوظ من موقف البطل من الثـورة ـ ينعكس بطرق مختلفة على شخصيات اخرى فى دنيـا الكاتب • انه مسئول ـ أساسا ـ عن قيام نموذج يعتـبر فريـدا بين زمـرة الثـوار لـدى نجيب محفوظ ، وهو بطل « اللص والكلاب » : الثائر الوحيد عند نجيب الذى يحمل السلاح دفاعا عن مبادئه ، بعد ان يتبين خسـة المجتمـع المحيط ، ووضاعة بعض من يتصدون للتحضير للثورة ضد هذا المجتمع • ويلفت النظر فى هذا الصدد أن هذا الثائر لا ينتمى لفئة المثقفين • ولعل هذا يفسر لماذا اسـتطاع هو وحده ان يحسم التردد ويترجم الايمـان الى موقف عملى ، ويتطـور بالموقف الى اطلاق الرصاص ضد المجتمع اللص ، خارجا بهذا عن الصـيغة المالوفة لثوار نجيب محفوظ •

ويعطينا موقف البطل من الثورة نموذجا آخر طريفا بين شخصيات الكاتب وهو نموذج الوصولى: الرجل الذى تعرض عليه الثورة نفسها كاحتمال لتحسين حاله هو ، الى جوار حال غيره من الناس، فيعرض عن الثورة فى حسـم وبرود اعصاب ، ويروح يبحث عن وسائل اخرى لتحسين حاله نفسه وحسب •

تجد هذا النموذج فى اول رواية واقعية كتبها نجيب محفـوظ عام ١٩٤٥ وهى : « القـاهرة الجديدة » • كما تجده فى آخر ما ظهر للكاتب من روايات وهى : « حضرة المحترم » (١٩٧٥) مما يقطع بان الموضوع يشغله شغلا كبيرا •

فى الرواية الاولى تعرض المبادىء جميعا امام نفر من شباب مصر فى أواسـط الثلاثينات ، فيعتنق كل منهم مبدأ منها • يختار مامون رضوان الفكر الاسلامى ،ويختار على طه الفكر الاشتراكى، ثم ياتى دور محجوب عبد الدائم ، فيساله زملاؤه•

ـ هل المبادىء ضرورية ؟ فيكون رده : طظ ! طظ فى العلم ! طظ فى الرأى !

اللذة والقوة بأيسر السبل

انه يرى فى هذا كله معوقات ، تحول بينه وبين الهدف الذى حدده لنفسه وهو : اللذة والقوة ، بأيسر السبل • من اجـل هذا يخنق محجـوب

عبد الدائم كل ما هو شريف ونبيل في نفسه ، يخنق التطلع الطبيعي الى الحب والزواج والعيش الهادىء المرتاح البال ، ليجري وراء ذلك الهدف المخايل والمخاتل معا . في سبيله يرضى بان يتزوج من احسان الحسناء التي زلت واصبحت خليلة لواحد من كبار الموظفين يفعل هذا تقربا من ذلك الموظف، الذى انعم عليه ـ بالمقابل ـ بوظيفة ، شريطة أن يشارك محجوبا في زوجته .. !

هذا واحد من أبرز الوصوليين عند نجيب محفوظ ومصيره في الرواية هو مصير محدد يشترك فيه الوصوليون جميعا تقريبا في دنيا الكاتب : القهر والاندحار ، بعد ان يبلغ الوصولي الهدف فعلا ، او وهو مشرف على هذا البلوغ .

هذا ـ على الاقل ـ هو ما يحدث للوصولي الآخر ، الاكثر بروزا وهو عثمان بيومي في : « حضرة المحترم » بالقياس الى عثمان ، يبدو محجوب نموذجا بدائيا في الوصولية ، فهو ـ اى محجوب ـ يفتقر الى الارادة الحديدية والتخطيط الصارم الذى أخذ به عثمان بيومي نفسه ، حتى خرج من حارة الحسيني الى كرسي المدير العام في أواخر سنوات حياته الوظيفية .

ان محجوب عبد الدائم يصل الى هدفه عبر طريق كثيرة الزوايا والمنعطفات ، لا تشبه في شيء طريق عثمان الشديدة الاستقامة . وفي كل زاوية ومنعطف يبدو محجوب مترددا ،مستخزيا شيئا ما. على الاقل هو ـ لدى كل هبوط جديد نحو قاع الدناءة ـ يبذل مجهودا واضحا كي يقنع نفسه ويحملها على قبول شيء تناديه اعماقه بالا يرضاه.

رجل .. ورجل

اما عثمان بيومي ، بطل « حضرة المحترم » فان هذا الانقسام الداخلي في نفسه لا يظهر الا في مناسبات قليلة في الرواية . ليس ثمة ما يشين خلقه الشخصي . انه لا يتزوج من خاطئة ، ولا يصبح قوادا . وكل ما يصدر عنه في باب الخطيئة يمكن ان يحسبه هو في قائمة : « اللمم » ! يزور بغيا بين الحين والحين ،ويشرب معها كأسا واحدة فقط . ويشتهي امرأة ،ويحصل على اخرى بدناءة ولكنه حريص اشد الحرص على دينه ، وصلاته ، وصيامه . انه يشارك بعضا من شخصيات نجيب محفوظ الاخرى، السيد عبدالجواد في الثلاثية ،مثلا ـ في تلك الازدواجية الاخلاقية التي تأتي الحرام وتتمسك بالحلال معا ، دون ان تجد في هذا تناقضا ، وبغير أن يحدث داخلها انقسام كبير .

غير ان ابرز ما بين الرجلين الوصوليين من خلاف نجده في موقف كليهما من العمل السياسي ومن الثورة عامة . من الناحية العملية يقف الاثنان الموقف نفسه : الرفض ، واللامبالاة ، يضيف اليهما محجوب عبد الدائم السخر ايضا .

غير أن هذا الاخير ـ اى محجوب ـ يجادل نفسه كثيرا وطويلا قبل أن يرفض الثورة والعمل السياسي فيما يرفض من أشياء . ان طيفي مأمون رضوان ، المكافح المسلم ، وعلي طه المناضل الاشتراكي يخايلان عينيه وهو لدى اول ضربة تصيبه بعد أن اقام للرفض في نفسه صرحا على اساس واه ـ واعنى به شلل ابيه ، وخطر له ان يضطر الى قطع تعليمه ـ يفيء الى معسكر الزميلين المناضلين ويكشف عن وعي سياسي ملحوظ بهجومه على الحكومة والاغنياء المتواطئين، ويشعر وهو يحادث الزميلين انه ينتمي الى الشعب البائس الذي يشير اليه دائما على انه الاشتراكي.

قربان الى الله

اما عثمان بيومي فقد قرر منذ البداية رفض الثورة ، ووجد عنها عوضا في مبدأ : « الوظيفة عبادة » رأيه ان قيام الموظف بوظيفته هو شيء مقدس . وقربان الى الله ، ومتصرف طبيعي لطاقات الفرد، في بلد كان اول من ابتكر الوظيفة وعين لها الموظفين ، وهو مصر . في مصر ، منذ القدم ، كان الفرعون نفسه موظفا لدى الآلهة . فالوظيفة اذن هي المعبد ، وهي الخدمة ، وهي الهدف ، وعن طريقها يمكن ان نعبد الله ونخدم الانسان معا .

ومن ثم انطلق عثمان بيومي ، « يعبد » الله، عبر الوظيفة ، ويحسن حاله هو ، من خلال خدمات يؤديها للرؤساء، وحين تطلع عليه الثورة ـ بين الحين والحين ـ بوجهها المنذر بالخطر ، ينفي هذا الوجه عن نفسه بسبل شتى . يقول : ان على المرء ان يسلح نفسه باسلحة مختلفة، وان يؤمن بحكمة الله التى قضت على الانسان بالسقوط.

ومن ثم يكون على الانسان ان يرتفع ـ كفرد فقط ـ الى السماء مرة اخرى بعرقه ودمه .

او يقول : ان السياسة جنون ويصر على اغفالها ،وعلى ان يشق طريقه بمفرده بلا احزاب او مظاهرات . وعندما تكشف له البغلى قدرتها،عن وطنيتها ينتفض ملسوعا ، محتجا . ويفعل الشيء ذاته حين تشيع انسية رمضان ، الموظفة الجديدة التى جاءت تعمل معه ، الى سبب عدم اتمامها تعليمها ، وتلقى العبء على المجتمع الفظ السيىء وتكشف عن اهتمامها بالسياسة .

غير ان الثورة لا يجدى فى مواجهتها التجاهل، ومن ثم ، حين يقع عثمان بيومى طريح الفراش بمرض القلب ، فى الوقت ذاته الذى يبلغ فيه هدفه المحدد : درجة المدير العام ، يجد صاحب السعادة ان شيئا مما عمل له وخطط لم يتحقق .

قد نال الدرجة بالفعل ، ولكن بعد ان اصبح على بعد خطوات من القبر . ويحز فى نفسه ان تيار الحياة يمضى فى طريقه غير عابيء به : التعيين والترقى والاحالة الى التقاعد ،والحب والزواج والطلاق ، وصراعات السياسة وشعاراتها المحمومة انها جميعا مظاهر الحياة ، شانها فى هذا شان تعاقب الليل والنهار ، ولا يمكن لفرد ان يوقفها، او يتجاهلها ، او ينجو من اثرها .

وبهذا الانحدار يلتقى عثمان بيومى مع محجوب عبدالدائم فى النهاية : ضحيا، واجرما ،وارتكبا، ووصلا ولم يصلا !

★ ★ ★

ويمضى نجيب محفوظ فى اهتمامه بشخصيه الوصولى ، فيربط ما بينه وبين شخصيته الاخرى التى تردد كثيرا فى عالمه الفنى : شخصية الفرد المتمرد ، العاجز عن الثورة ، المتشوق لها ، وذلك فى رواية : « السمان والخريف » .

ان عيسى فى هذه الرواية ينكر انه انتهازى، رغم انه تقدم ليصهر الى اسرة على بك سليمان، احد رجال سراى الملك فاروق . الذين افلحوا فى كسب ثقة القصر والاحزاب معا . يسعى عيسى لهذه المصاهرة ليس عن حب لابنة البك : سلوى، ولكن رغبة فى دعم مركزه الوظيفى فهو كان قد سبق اقرانه، وحصل على الدرجة الثانية ،بفضل انتمائه الى حزب الوفد . والاصهار الى اسرة على بك ، يثبت مركزه فى الحزب والقصر معا.

وتقوم ثورة يوليو، ويفقد عيسى منصبه المرموق ، فتتخلى عنه اسرة على بك ـ وسلوى معهم ـ بحجة ان حركة التطهير وجدت عيسى مدانا فى تصرفات ادارية خاطئة. فهو اذن ليس ضحية سياسية وانما هو مذنب اجتماعيا !

ويتلقى عيس الضربتين الموجعتين ، احالته الى التقاعد وتنكر سلوى له ، فيتحول الى ثائر ، متمرد ، عاجز ، اشد ما يغيظه انه خرج عن اطار من يشكلون مصير الامة ، وبدلا من ان يظل ـ كما كان ـ طليعة ثورة اصبح حطام ثورة . اصبح ـ كما يقول هو نفسه ـ كالاغوات المخصيين ،يصنع له التاريخ دون ان يشارك فى صنعه .

ومن ثم تكون الثورة المدمرة التى يشعر بها منذ تلك اللحظة حتى قرب نهاية الرواية ، ثورة تدمره هو ولا تدمر غيره ، لانه عاجز عن تدمير الغير. انه فى هذا التدمير الذاتى المنبعث عن فقدان الدور فى الحياة ، يلتقى ببطل « الشحاذ » ،هذا البطل ايضا حرمته ثورة يوليو من دور يقوم به، وافتقد دوره كفنان بعد ان سلبه العلم ايمانه بدور الفنان فى المجتمع المعاصر لهذا ينقلب ثائرا ، عاجزا ، وياخذ بالشراب والمغامرات الجنسية ـ يدمر جسده ، واجساد آخرين ، الى ان تنقذه طلائع المستقبل ، وتنجيه من الموت وهو اقرب مايكون الى الهلاك .

★ ★ ★

لم يكن عبثا اذن ماقلته لنجيب محفوظ من وجود شبه عائلى بين شخصياته .

ان هذا الشبه ليس امرا مستغربا عند كبار الكتاب . ذلك ان شخصيات الكاتب هى جزء منه وهو يخلق اشخاصه على صورته ، ومن ثم يكون بينهم مايكون بين اولاده من شبه . والى جوار هذا فهو يعيش معهم طويلا وعميقا ، حتى ليصبحوا فى نظره احياء بالفعل .

سئل الكاتب الفرنسى فلوبير : من تكون مدام بوفارى التى كتب عنها روايته فقال : « مدام بوفارى ؟ انها انا » ! . ■■

على الراعى

حريّة الكاتب الفنان وحيرته

بقلم : حسن فتحى خليل

ان الأعمال الادبية التى يقصد بها تأييد المذاهب الاجتماعية أو الاغراض الاصلاحية أو التشيع لاتجاهات معينة ، اما ان تكون قد فرضت على الكاتب فرضا واما أن يكون الكاتب قد ألزم نفسه بها الزاما ، وفى كلتا الحالتين يفقد الكاتب أول شرط للاجادة الفنية وهو الطلاقة والحرية .

■ الكاتب الفنان فى تعبيرنا هذا هو كل من امتاز عن سواه بسمو مشاعر الحب والجمال ، برهافة الحس ودقة العاطفة ، بالقدرة على التعبير عما يشعر به ويحسه ويعانيه فى أسلوب شائق وشكل فنى .

والكاتب الفنان هو من عمر قلبه بالحب .. الحب لجميع البشر .. الحب الانسانى الكبير ، فالكاتب المجرد من هذه العاطفة السامية لايكون فنانا .

ولما كانت وجهة الفن دائما هى الغير ..فالكاتب لايكون فنانا الا اذا كان الغير وحى فنه وغايته .

وحيث ان الفنانين ليسوا جميعا على درجة واحدة من السمو ، فان الكاتب الذى يقوى لديه الشعور بالحب والجمال وتعظم قدرته على التعبير عن هذا كله تعلو مكانته عن غيره ممن هم اقل شعورا واضعف قدرة .

والقاص الفنان مثلا هو الذى لا يقوم بدراسة الجانب السطحى من الشخصية الانسانية ، انما هو ذلك الذى يقصد الجزء من النفس العميق الغور حيث توجد الآمال والأحلام والرذائل والفضائل والاهواء والنزوات ، هو الذى يستطيع أن ينفذ ببصيرته الى سرائر الناس وأعماق نفوسهم ، يسبر اغوارها ويكتنه اسرارها ، ثم تقدر قيمته بمدى نجاحه فى ايصال مشاعره واحساساته الى القارىء ، فاذا أمكنه أن يصل القارىء بفكرته ، وان يبث فيه مشاعره واحساساته ، وأن يقنعه بنظرته ،وان ينفث فيه فكرته ..وأن يكون واضحا لا غموض ولا ابهام فيما تناوله . اذا أمكنه أن يسرق وقت القارىء ، ويسرق انتباهه ، ويسرق مشاعره ليشركه معه خلال قراءة روايته أو قصته.. ان كان الكاتب قد نجح فى هذه المسارقة ..وكانت كتابته مبنية على أسس فنية سليمة .. اذن فهو كاتب فنان .

حيرة الكاتب اليوم

ولعل هذا الكاتب الفنان اصبح اليوم اكثر

شعورا من اى وقت مضى بمشكلة الكتابة وبمدى مسئولياته .

فالكاتب حاليا يجد نفسه فى حيرة .. فهويعايش الآن ثورة اجتماعية،لعل كثيرا من الكتاب لم يضعوها بعد بالكامل فى رواية اومسرحية ..فهذه السنوات التى نعايش فيها الأزمات الاقتصادية المتلاحقة ، وهؤلاء اللصوص الذين يثرون من عمليات التهريب والسرقة والرشوة والغش ، وتلك الطبقة المطحونة من اصحاب الدخول الصغيرة والمحدودة ، والحوادث التى تجرى كل يوم ، والانحرافات التى تظهر بين كل اونة وأخرى .. لعل كل هـذا لم يظهر بعـد بالكامل فـى وجدان كتابنا فيعبرون عنـه التعبير الصادق فى صورة ادبية رصينة .

كما ان هناك مشكلة أخرى تحير الكاتب الفنان حاليا . فهو مشغول بفكرة عما اذا كان يمكنه أن يساعد فى تحديد ملامح هذا العالم المشوش الذى يعيش فيه ، وبعض الكتاب يريد ان ياخذ جانب المثاليات او السياسة فينتمى الى مذهب معين او عقيدة او طائفة او حزب ما .

ويدحض هذا الرأى كثير من الكتاب العالميين ، فسومرست موم Somerset Maugham يقول فى كتابه « الخلاصة »(1)

« على الكاتب ان يكون مستقلا فلا يعطى كـل اهتمامه الى المذاهب والاحزاب. بل عليه الا يضفى اهتماماته كلها على القضايا السياسية اوالعلمية، وانما يجب عليه أن يعرف القليل عن القضايا التى تشغل الانسان ..الذى هوموضوعه وشاغله الاول، فهذا القليل يكفى ، كما عليه أن يتجنب الحذلقة فى جميع الاحوال » .

ويضرب سومرست موم مثـلا بنفسه فيقول :

« لم احاول قط فى حياتى الادبية ان أحيد عن طريقى فحسب . فانا أشعر بالسعادة دائما كلما انشات قصة . ومع تواضعنا نحن الروائيين لا نخلو من الزهو والغرور اذا ما طولبنا بالا يكون عملنا هو مجرد التسلية الممتعة ، وبان نتصدى بجانـب ذلك للموضوعات الحيويـة كالتامين الاجتماعـى والاقتصاد ومشكلة الاجناس والحالة الدولية العامة، ولعله من أحب الاشياء الى الكثير منا أن تكون اداة تثقيف لاخواننا فى هذا العالم فنتمنى مداركهم بحكمتنا ونشعر بالمسئولية تلقى عن عاتقنا ،ونحس بأننا أصبحنا فى منزلة مديرى البنوك فيما يلاقونه من احترام وتبجيل ،فنتسلح بدائرة المعارف والمراجع التى تبحث فى هذه الموضوعات ونخوض المعمعة ،

مهمة الروائى

ولكنى اذا سئلت عن رأيى الشخصى فانى اعتبر انه من المهانة للقصة ان تخضع لمثل هذه المغريات، واومن بان القراء الذين يحاولون أن ينهلوا من معين المعرفة دون ان يبذلوا جهدا فيعتمدوا على الروايات لتشبع رغبتهم من هذه الناحية ، انما هم مخطئون. فالمعرفة يجب ان نشقى فى الحصول عليها ولا ينبغى أن تعطى لنا فى سهولة ويسر .وعلى القراء الذين يريدون أن يلموا بالمشاكل العاجلة أن يرجعوا الى الكتب المختصة بمثل هذه البحوث . واعتقد انـه ليس هناك من الدوافع ما يحدو بالروائى ان يتخلف عن وظيفته ليقوم بمهام شىء آخـر لا يدخل فـى اختصاصه. وهو وان كان عليه أن يلم ولو بالقليل عن اشياء كثيرة جدا ، الا انه ليس من المحتم عليه بل لعله مما يضره أحيانا أن يتخصص فى موضوع بالذات ، فلا يلزم الروائى ان ياكل شاة باكملها ليتذوق طعم لحم الضان ، بل تكفيه شريحة واحدة ليعرف ذلك الطعم ، ثم اذا هو بخياله المدرب وقوة الخلق الكامنة فيه يعطيك فكرة طيبة عن طبـق شهى. ولكنه اذا ما حاول بعد تناوله هذه الشريحة ان يدلى اليك بنظرياته فى تربية الماشية وصادرات الاصـواف والموقف السياسى فى استراليا تبعـا لذلك ، فعليك أن تتقبل هذه الآراء بتحفظ .

وانى لانادى دائما انه على الروائى الاكتفاء بان يكون قصصيا فقط .. فلا يحاول ان يكون نبيا او واعظا او سياسيا او زعيمافكريا او مذهبيا ».

والكاتبة الانجليزية اليزابث بووين Elizabeth Bowe تزيد هذا الاتجاه وضوحا حين تقول « ان طريق الكاتب المبدع أكثر سهولة وتماشيـا مع المنطق مما يبدو .. فمن العسير أن تلاحظ هذا العالم كله وتحاول الكتابة عنه كتابة ابداع وفى نفس الوقت تكون مرتبطا او مخلصا دون انحراف الى حزب او مذهب او طائفة من الطوائف » .

ثم تستطرد فتقول « ان كتاباتى كما اعتقد هى تعويض عن شىء افقده منذ ولادتى .. وكتبى هى التى تمثل علاقاتى بالمجتمع ، واذا سالنى الناس

---

(1) Somerset maugham. The Summing UP

عن طبيعة هذه العلاقات فاني احيلهم الى كتبي تلك » .

علاقة الكاتب بالمجتمع

ويطرق نفس الموضوع الكاتب الانجليزي جراهام جرين Graham Green عن علاقة الكاتب بالمجتمع والاحزاب والمذاهب والعقائد ، فهو يدلي برأيه في وضوح حين يقول انه يعلم الفرق بين أدب الدنيا وادب الدين الذي يكتب بتأييد من الكنيسة، وهو يعتقد أن الادب الدنيوي الذي يصور الحياة تصويرا دقيقا لا يجب أن يرتبط أو أن يكون وحيا لعقيدة او مذهب او اية شعارات معينة . ويعزز رأيه هذا بما قاله الكاردينال نيومان في دفاعه عن الادب الديني « من طبيعة الاشياء أنه اذا اتجه الادب الى دراسة طبيعة البشر فلن يكون أدبا مسيحيا اذ هنا يكمن التناقض ، فمن العسير أن تحاول أن تخلق أدبا طاهرا قوامه الانسان الدنس » .

كما يعتقد جراهام جرين أن الكاتب المبدع المنتمي الى حزب من الاحزاب سيكون قطعا خائنا لحزبه .. لماذا ؟ لانه يتبع نظرة خاصة به في الحياة ولن يتقيد ـ اذا كان مبدعا حقا ـ بالنظرة التي يفرضها عليه حزبه أو جماعته السياسية أو الدينية .

كما وأن الكاتب الفرنسي جان جاك روسو Jean Jaque Roussau كان يقول دائما « ان الكاتب الذي يفكر بعقله هو ، لا بعقل غيره ، هو رجل حر » .

ولقد كانت الكاتبة فرجينا وولف Virgina Wolf تعتقد وترغب دائما في ان تشعر بحريتها مع تقديرها للمسئولية عن هذه الحرية » .

والكاتب الامريكي وليم سارويان William Saroyan يقول « يجب على الكاتب ان يكون مستقلا وأن يؤمن بما يفعله وبما ينوى أن يفعله » .

واستاذنا الكبير المرحوم محمود تيمور تناول هذه الناحية أيضا في حديثه عن عنصر الصدق في القصة فقال (٢) « وآفة الصدق في القصة أن يبدو للكاتب غرض ظاهر يبغي الدعوة اليه وتمثيله فـي عمل قصصي فتراه مضطرا الى أن يجتلب لغرضه المرسوم هياكل من الحياة الاجتماعية مستعارة لايبالي فيها ان تكون طبيعية نابضة الروح ، بل هو يبدل كل شيء ولا يبقى على شيء لقاء المضي الـى ذلـك الغرض الذي فرضه على نفسه وأدار قلمه مـن حوله .

فكتاب مثل هذه القصص تداعب أخيلتهم دعوات الـى الاصلاح الاجتماعـي فتغريهم بان يسخروا اقلامهم لخدمة هذه الدعوات . وطوعا لذلك يجدون خطواتهم مقيدة ، لاتعدو الاتجاه الذي رسمه لهم غرض الاصلاح المباشر . فان أوحت طبائع المواقف والمشاهد والشخصيات بسلوك معين واقدار لا مفر منها ،ضربوا عن ذلك كله صفحا واندفعوا بمواقفهم ومشاهدهم وشخصياتهم في طريق كاذب مفتعل تنكره الطبيعة ويأباه منطق الحياة .

حرية الكاتب

ان الاعمال الادبية التي يقصد بها تاييد المذاهب الاجتماعية او الاغراض الاصلاحيـة او التشيع لاتجاهات معينة ، اما ان تكون قد فرضت على الكاتب فرضا واما ان يكون الكاتب قد ألزم نفسه بها الزاما ، وفي كلتا الحالتين يفقد الكاتب أول شرط للاجادة الفنية وهو الطلاقة والحرية . فلا فن الا اذا كان مصدر الوحي أعماق النفس واغوار الشعور ، ولا صدق الا اذا تحققت الاستجابـة والتاثر بين الكاتب وما يعالج من تصوير وتعبير ، ولا ايحاء ولا استجابة الا اذا أطلق الكاتب نفسه علـى سجيتها فـي آفاق رحيبة لا تحدها القيود والحدود » .

ومن المشاكل التي تعتري الكاتب الفنان حاليا أيضا مشكلة مـدى ايمان الكاتب بنظـرية علمية او فلسفية بالذات تلمع فياخذه بريقها ويقيم أعماله عليها ، أو على حوادث محلية معينة . فهنا يقول سومرست موم Somerset Maugham (٣)

« ان ما أسوقه الان هو رايي الشخصي المحض فانا اعتقد ان الكاتب الذي يحاول أن يقيم أساس قصته على الحوادث الجارية المعينة بالذات فانها ستفقد قيمتها اذا ما انقضت هذه الحوادث وذهبت جدتها . ولقد أهداني الكاتب الكبير المرحوم هـ.ج. ويلز مجموعة كتبه ، وكنا نجلس معا ذات يوم

---

(٢) محمود تيمور : دراسات في القصة والمسرح.

(٣) Somerset Maugham: The Writers Point Of View.

واذا به يمر باصبعه على بعض مجلداته وهويقول : انت تعرف أن بعضها قد قضى عليه بالموت ، فهي تتناول موضوعات ذات اهتمام محلي ·· ولا يقرأها أحد الان » ·

ذكريات الاشياء الماضية

كما انى لااعتقد ان على الكاتب ان يتاثر كل التاثر بالنظريات الحديثة التي يولع بها الناس · فلقد قرأت يوما مقالا لاحد الكتاب يقول فيه انه فيالمستقبل لن تكتب رواية او قصة الا علىاساس نظرية فرويد ، وخيل اليحينئذ انها فكرة ثاقبة·· ولكن ·· مع ان العلماء النفسيين يعترفون بفضل نظريات فرويد على علم النفس ، فهم يعتقدونانه يغالي في كثير منها ، ولكنى أرى ان هذه المغالاة وبريقها الخلاب هما اللذان جذبا الروائيين اليها ، والمعتقد ان نظريات علم النفس طرحت الكثير من تلك المبالغات ووجد الذين اقاموا رواياتهم على اساسها كانهم واقفون على رمال متهارة · فمن أخطر التجارب التي تمر على الكاتب الفنان أن يعتمد اعتمادا كليا على نظريات لن يؤمن بها جيل مقبل · والتجربة التي يمكننا الاستشهاد بها هي رواية « ذكريات الاشياء الماضية » التي ابدعها بروست Proust فهو قد تاثر في كتابتها ــ كما نعرف ــ تاثرا كثيرا بفلسفة هنرى برجسون الذى ادحضت نظرياته في أيامنا هذه ، وكثير من أعمال بروست قائم علىهذه النظريات، ولقد استقبلناها حين أخرجها الينا اول مرة في حماس وقراناها في سرور،أما الانإذا ما اعدنا قراءتهاونحناكثر هدوءا واقل حماسا ، فانى أعتقد أن ما سنعجب به فيها هو جوها اللطيف وشخصياتها الحية التي أبدعها، ولكنا سنتجاوز عن بحوثه الفلسفية دون ان نفقد شيئا ·

همنجواى الكاتب الفنان

وخلاصة القول هي كما يقول الكاتب الانجليزى ف·س·بريتشت V. S. Pritshett « ان الكاتب يجب أن يشعر بالاستقلال والحرية والحق الكامل في أن يتبع ما تقوده اليه عبقريته » ·

والكاتب الامريكى أرنست همنجواى Ernest Hemingway كان خير مثال للكاتب الذى يستمتع بحريته حقا ، فكتاباته تتميز بالحيوية البالغةحتى لتشعرك بان الكاتب يعيش في عمله الادبى فعلا ، حيث يعرض لك التفاصيل في دقة ، وكانك تلمس وتشم وتسمع كل شيء ·

ولقد قال همنجواى مرة « ان كل الكتب العظيمة متشابهة في أن حوادثها تبدو اكثر صدقا مما لو وقعت فعلا ، وانك حين تنتهى من قراءة احدها تشعر أن كل هذه الاحداث قد وقعت لك شخصيا وانها تخصك انت ·· الطيبة منها والسيئة ، المفعمة بالبهجة والمشوبة بالندم ·· الفرح ·· والاسى ·· الاشخاص ·· الاماكن ·· بل وحتى الجو نفسه ··» ·

وهذه هيسمات ما تجود به قريحة الكاتب الفنان ·· اذ لايستبين لك الى اين سيذهب بك الكاتب، بل لعله هو نفسه لايخبرك بالطريق ·· فهو منطلق على سجيته كالشلال الهادر في ابداع · أما اذا تحكم ذكاؤه وعقله الواعي وفطنته فيما يكتب فان سجيته الابداعية ستكون عرضة لان تهن وتضعف وتنحدر ،بمعنى انه اذا سمح لسلطان العقلالواعي أن يخضعه فانه سيفقد الشعلة الحيوية المقدسة التي يمتلكها· فالكاتب يجب أنيمتلك روحا كريمة سمحة متفتحة ، وحينئذ يتوقف كل ماتستقبلهروحه من العالم حوله على مدى القوة الابداعية التى يمتلكها ·

وهكذا استعرضنا بعض ما تتعرض له حرية الكاتب الفنان من مشكلات تحيره وتضعف قدراته الابداعية فيه ·· فالحرية هي أساس الفن وجوهر الادب ·· ومناط الابداع الفنى الذى يحاول كل الكتاب السمو اليه ·· وليس هناك أجمل مما قاله هنرى جيمس Henry James في هذا الصدد في يومياته « ان تعيش في دنيا الابداع ، أن تلجبابها وتدخل ساحتها ، أن تانس لها وتكثر من التردد عليها ·· أن تفكر في حرية وفي عمقتفكيرا مثمرا ·· أن تتودد اليها وتالفها فتثيرك وتلهمك وتوحى اليك وانت تتاملها في اهتمام وصدق ·· هذا هو غاية المنى » ·

■■

حسن فتحى خليل

---

(٤) V.S.Pritshett: Why Do I Write .

(٥) Henry James: Noutebooks .

تولستوي

والاصلاح الاجتماعي

بقلم : الدكتور محمد جليل مصطفى

تولستوي الكاتب الشاعر الروائي الفيلسوف المفكر والمصلح الاجتماعي الذي بشر بالمحبة بين الناس ، وهذه لمحة عن بعض ابداعات تولستوي ودوره في الاصلاح الاجتماعي في الامة الروسية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

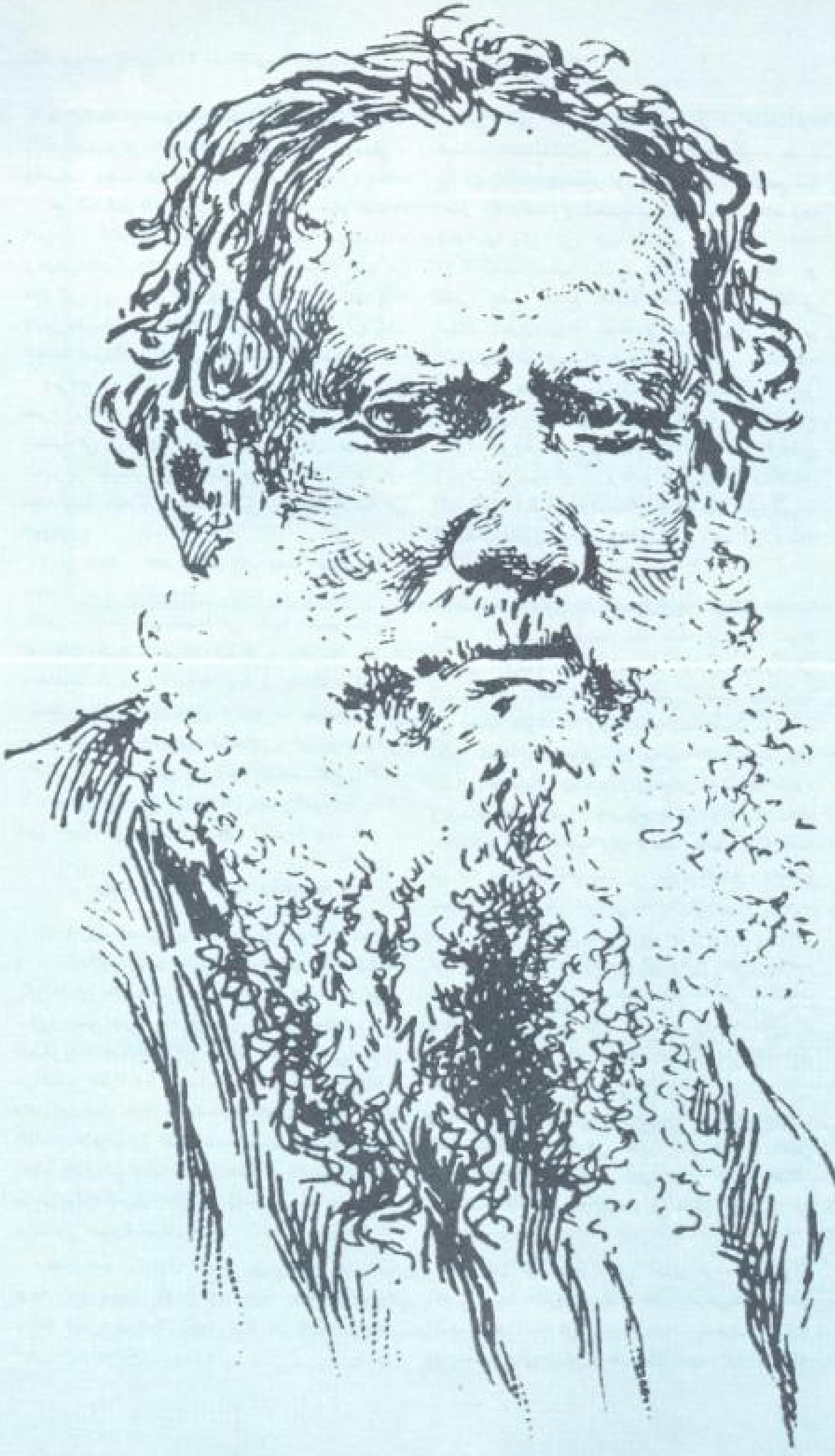
■ فلما كان تولستوى يقرا كتابا من كتب الاطفال .قال : واكبر الظن انى لم يكن عندى شيء منها واما الكاتب الذى كان يقبل عليه ـ وبكلمة ، كاتبه المفضل ، فهو تورجينيف .
قال تولستوى : وقد بدأت استمع الى مؤلفاته تقرا بصوت عال ليالي الشتاء وانا في السابعة من عمرى ، ثم انعطفت الى تكراسوف وبوشكين .
اما دوستويفسكى فكان يبعث في بيتنا بعض الرعب وكان يعد كاتبا قاسي القلب .

اصبح تولستوى قارئا نهما منذ السنة العاشرة من عمره ، وظلت قراءته محصورة في دائرة الكتب القديمة . غير انه اكتشف بعد ثلاث سنين من ذلك الوقت ، في مكتبة البلدية ـ مؤلفات جول فرن ومين ايد ، وذلك حين استطاعت امه وزوجها ان يدخلاه في المدرسة الثانوية الحديثة ، فالتهم تولستوى هذه المؤلفات التهاما ، وان كان والده يعتبرها تافهة المغزى .

قال تولستوى : وكنت في الثالثة عشرة من عمرى ، اى الى ان التحقت بالمدرسة الثانوية ، احيا حياة الانسان العالم المفكر ، واتممت دراستي في مدرسة سامارا الثانوية في عام ١٨٤٤ .

وبعد ذلك انتقل تولستوى الى بطرسبورج كي يتهيا لامتحان القبول بالجامعة ، فالتحق لهذا الغرض بالمدرسة الاعدادية ، ونجح في معهد العلوم التطبيقية .

بذل اولى محاولاته في كتابة الادب وهو في السادسة عشرة من عمره ، وكانت هذه المحاولة عبارة عن اشعار هزيلة كتبها متاثرا بنكراسوف .
قال تولستوى : ولست اذكر الدافع الذى الجاني الى كتابتها ، ولكنني اظن انها كانت ثمرة امنيات



غامضة تبحث عن مخرج ومتنفس لها . ولم تكن هذه القصائد ترقى الى مافوق الدرجة الوسطى ، وامتنعت بعدئذ عن محاولتي الشعرية .

غير انه كان قد اندفع ، بكل كيانه ، نحو صناعة الحرف . فقد شغف بالكتاب ، والقلم ، والمداد . وقال في ذلك : وكنت وانا لا ازال تلميذا اعود من حين الى حين ، الى محاولاتي السابقة في الكتابة ، ولكن هذا لم يكن سوى بداية شيء يعجز ان يتخذ لنفسه صورة ما او ان يصل الى التمام .

وتزوج في سن مبكرة في التاسعة عشرة من عمره ،وكانت زوجته طالبة طب . واشترك كسائر الطلبة في حركاتهم واضراباتهم ، وكان عضوا في الحزب الديمقراطي الاجتماعي ، وكانت افكاره تتجه شيئا فشيئا وجهة متميزة ، اصلاحية في الجوهر .

والى ذلك ، فقد انضم الى لجنة المطعم في معهد الفنون التطبيقية . وهنا شرع ايضا يكتب الشعر ، فاخذ يجرب نفسه في كتابة الشعر الثوري ، كما كان يكتبه الشعراء ، وقتذاك . وقد تاثر كثيرا بابداعات الرمزيين ، وهو يعترف بذلك ، فيقول : استطاع الرمزيون امثال ريتيه ، بحرصهم على جمال الشكل وتقديرهم للجمال ، ان يوحوا الى بافكار كانت تنقصني في ذلك الوقت ، وهي افكار لا يستطيع الانسان بدونها ان يبدع شيئا ذا جمال فني سواء في صورته ام في اسلوبه .

شخصيته في فنه وقصصه

ان قارىء قصتي تولستوي : « الحرب والسلام » و « انا كارينينا » ، يجد نفسه حيال حياة حقيقية ، بكل ما في الحياة من حركة وديناميكية ، لا حيال سطور على ورق .. ويحس ، لاول وهلة ، سر العبقرية تتجسد في كل صفحة ، وذلك في صورة من التعبير تقرأ ولا توصف ، فهي تدق عن كل وصف . وقد اعترف النقاد انهما اعظم قصتين في القرن التاسع عشر ، بل لقد ذهب بعضهم الى ان اولاهما اعظم قصة في ادب الدنيا كله . قال برنارد شو : ما من رجل يعرف الفن معرفة وثوق الا وتبين في تولستوي صورة استاذ .

ولقد جمع تولستوي فيهما بين الحياة الانسانية بوجه عام وبين الحياة الروسية بوجه خاص ، وذلك في صورة لا تتيسر الا لمن كان له مثل عبقريته واصالته .

ومن اشهر قصصه التي كتبها في مرحلة متاخرة قصة « الشقيقتان » ، وحسبها انها حظيت بعديد من الجوائز ، وبتقدير وقبول عالمي ، واهم ما تمتاز به وضوح شخصياتها ووضوح مناظرها وحوادثها وكل شيء فيها ، اشد الوضوح . ذلك ان الكاتب عندما يتناول شخصا او حادثا او منظرا يصف جميع دقائقه وصفا مفصلا حتى ليتاد القارىء يراه بعينه ويلمسه بيده ، وحتى لترتسم المناظر في خياله واضحة جلية غير متشابهة . وليس هذا مقصورا على الشخصيات المهمة في القصة بل ان القارىء ليجد فيها صورا واضحة كل الوضوح للقواد الروس ورجال الشرطة ، وللجندي الروسي وللفرسان القوزاق ، وخادم الكنيسة ، وللجندي النمساوي ايضا ، وللفلاح والعامل الروسي . وسلطان المغول الاعظم وخفير الليل... كل اولئك قد صورهم الكاتب أدق تصوير .

يعتبر تولستوي ذا شخصية قوية ، وفنانا روائيا مقتدرا ، ومصلحا دينيا يتخذ مثله من حياة سواد الناس . وقد انقلب تولستوي ، وكان ابيقوريا في شبابه ، الى زاهد مصلح ، وعلى العموم فهو فريد في مقامه ونوعه ، وقد يجمع المتناقضات دون ان تجهز عليه ، فهو في آن واحد مفكر فيلسوف وشاعر ذو خيال رحب ومؤمن مبشر ومتشكك منكر ، وارستقراطي متعال وفلاح بائس . وقد شغف بالاصلاح ، يدعو اليه وهو زاهد يخصف نعله بيده مع انه يملك ضيعة كبيرة ، نقول شغف بالاصلاح لدرجة انه هجر كل شيء في سبيله ، حتى انه ليهرب من بيته في الثانية والثمانين من عمره ، رغبة منه في ان يقضي ايامه الاخيرة في وضع افضل يستطيع من موقعه ان يوالي دعوته بعيدا عن المنغصات والمنكدات التي لم تبخل بها حتى زوجته التي لم تفهم عظمته ، ولم تدرك جوهر ادبه الانساني الاصلاحي الخالد .

وكما تاثر عصره بفنه وبارائه في الاجتماع ، تاثر ايضا بتعاليمه في الدين ، وامتد به العمر فزاد ذلك في مكانته ، حتى صار احدى مفاخر روسيا وحتى عده النقاد في القلة الافذاذ من العباقرة .

حين قال تولستوي ، في احدى مراحل تطوره الادبي ، بمبدا الفن للفن ، فانه كان يحرص على الصدق الذي يعزو اليه كل مميزات فنه . لكن تولستوي لم يستمر على ذلك ، خصوصا حين راى استغلالا

تولستوى فى سطور

■ اسمه بالكامل ليو (ليف) نيكولايفيج تولستوى .

■ ولد عام ١٨٢٨ وتوفى عام ١٩١٠ فى بيت ابيه الريفى فى ضاحية (ياسنايا بوليانا) بمقاطعة تولا . من عائلة عريقة ذات اصل روسى خالص . يمتد حتى القرن السادس عشر .

■ نشأ تولستوى فى مزرعة باقليم السهوب تبعد نحو ٦٠ ميلا عن سامارا . وكان ابوه من ملاك الاراضى فى تلك البلدة . اما والدته الكسندرا ليونتيفنا فكانت تنتسب الى اسرة تورجينيف .

■ مات ابوه وامه فى ١٨٣١ و ١٨٣٧ على التوالى . فتربى مع قريبات له من النساء .

■ علمه فى سنواته الاولى معلم فرنسى وفقا للعرف المتداول آنذاك . ولذلك كان تكوينه الثقافى يعتمد اساسا على الثقافة الفرنسية السائدة فى القرن الثامن عشر . ولم يعرف الثقافة الروسية الا متأخرا .

بشدا لدعوته ،وخروجا بها عن رسالتها الى معارضة بها لفن الحياة ومطامح الجماهير . وبعد تسع سنوات عاد فقال ان الفن يقوم على العدوى الاجتماعية . وهو يمكن أن يكون وسيلة اصلاح وتهذيب للنفوس وانه لا يمكن ان يكون فن للفن . بل هو الفن فى سبيل الحياة . فى سبيل السمو بالحياة على اساس من الفضيلة .

ولتولستوى فى فنه خاصية فريدة . مردها . أيضا الى الصدق والدقة فى التصوير . فهو يلتزم منتهى الدقة والواقعية فى الحوادث والاشخاص .فهو لا يجعل الضجيج والصخب والانفعال والتحمس من وسائله فى التعبير . وانما هو يسوق الاوصاف والوقائع كما تحدث فى الطبيعة فلا عنف ولا حدة ولا مبالغة الا حيث تقتضى ذلك طبيعة الموقف . وفيما عدا ذلك فكل شىء يمضى هادئا . طبيعيا . ويشبه البعض تولستوى بهوميروس فى هذا الخصوص .

ومن مميزات فن تولستوى الاستغوار الفريد للنفوس ـ وسبر اغوارها ـ فى استبطانات سيكولوجية اصيلة . وذلك مهما تعددت الشخصيات فى القصة الواحدة . ومهما تنوعت الصور . وازدحمت الوقائع .

وهو دقيق صارم فى التعبير .لا يبالى فى ايراده يغضب هذا او ذاك من الناس . فمن مقولاته :

ما الملكية الا استلاب فريق من الناس مجهود فريق آخر . وعلى ذلك فهى اصل الشر جميعا . بل هو يزيد على ذلك مقولات اخرى تترافد معها . فيقول : ان الملكية اليوم هى اصل الشر كله . فانها هى التى تسبب الالام لمن يمتلكون ومن لا يمتلكون . ولا يمكن تلافى التصادم بين من يعيشون فى سعة ومن يعيشون فى فاقه . وتولستوى .ككل صاحب رسالة . يتعزى بانه ارضى نفسه بقوله ما يعتقد صريحا بينا لا التواء فيه ولا غموض .

وفى عام ١٨٤٤ التحق تولستوى بجامعة قازان التى كانت انذاك اهم جامعة فى كل المنطقة الواقعة شرق برلين . لكنه لم يهتم كثيرا بدراسته . وابدى ميلا لاحتقار التعليم الاكاديمى . وامضى معظم وقته فى المجتمعات التى كانت المدينة تعج بها .

والى هذه الفترة يرجع تولستوى تاثره باعمال روسو . وفى عام ١٨٤٧ ترك الجامعة نهائيا بهدف ان يستقر فى ضيعته (ياسنايا بوليانا) . يزرع ارضه ويرعى فلاحيه الاقنان . لكنه تبين انه لم يهيأ لهذا العمل . فانتهت المحاولة بالفشل .

وعاش حياته فى موسكو .على ما يعيشه اثرياء الروس فى عصره . لكن قدرته على الدراسة الشخصية ونقد الذات ـ كما تكشف عنها يومياته التى بدأ كتابتها فى عام ١٨٤٧ . لم ترض

بمواصفات تلك الحياة الخاملة ـ الراكدة ـ وضاق بها ضيقا شديدا ٠

وفي عام ١٨٥١ ،بدأ حياة اخرى : ذهب الى القفقاس متطوعا في فرقة مدفعية هناك ٠ وقد امضى اوقاته في حياة الثكنات العادية ، وبعض رحلات الصيد ، والحملات ضد السكان الجبليين ٠ وفي عام ١٨٥٢ اتم روايته الاولى « الطفولة » وبعث بها الى نكراسوف ، المحرر الادبي الشهير في تلك الحقبة من الزمن ، فنشرها في الحال ٠

وفي عام ١٨٥٤ طلب تولستوى ان يشارك في الجيش الذى يقاتل الاتراك على الدانوب ،ومن هناك الى سواستوبول ٠ وبعد سقوط القلعةرجع الى بطرسبورج ، حيث اقام يختلط بالمجتمعات والمحافل الادبية ، مفيدا منها ، مطورا ابداعه الادبي المتفرد ٠

أعماله الادبية

عندما قرر تولستوى ان يتخذ من الادب مهنة، كان‌قد وجد من‌قبل‌نزوعا شديدا الى الادب،واقبل على الكتابة ، لاسيما في عزلته النسبية في القفقاس آنذاك ٠ ولقد اكب على مطالعةروائع الادب الاوروبى من صغره فما ان شب حتى‌تعرف بالادباء الروس وخالطهم،ومع ذلك فقد عانى من تردد كبير قبل اقدامه على الكتابه ٠ فالنبلاء من اقرانه ماكانوا ينظرون الى الاديب ـ آنذاك ـ نظرة التبجيل والتقدير ٠ فلما اقدم على نشر كتابه الاول لم يذكر اسم المؤلف ـ وهذا الكتاب هو قصته ، التى سبق ان اشرنا اليها اكثر من مرة ، نعني بها « الطفولة » ـ التى ظهرت في المجلة الادبية الشهرية التى كان نكراسوف يحررها ـ في ايلول ١٨٥٢ ، وهو لا يزال بعد عاملا في الجيش المرابط في القفقاس ٠

وعلى العموم ـفان تولستوى في بدايات اشتهاره اديبا ، لم يكن بالرجل الذى يتوارى‌من الشهرة ، ويخجل منها ـ لذلك نراه يقبل ، بشغف وولوع ، على الاندية والمحافل الادبية في بطرسبورج في تلك الفترة ـ عاشقا ـ اذا صح التعبير ـ لاضواء الشهرة وبهرجها ٠

على ان تولستوى كان ينفر من تحذلق الادباء وادعائهم وتبجحاتهم ـ وكان يؤثر العمل الفنى واصالته على كل شيء ، ومنها شخصية الاديب نفسه ، فالموضوع عنده قبل الشخص وذاته ٠ ولعل شجاره الشهير مع تورجينيف خير مثال على‌ذلك٠

وفي عام ١٨٥٧ استقال تولستوى من الجيش نهائيا ٠ وبعد ذلك سافر الى الخارج ، كما فعل دوستويفسكى بعد سنوات قلائل ، ورجع مثله ساخطا على حضارة الغرب المادية والابتذال‌اليومى الآلى ، واقام في ضيعته ، وانشا مدرسة لتعليم ابناء الفلاحين حسب آرائه في التربية ، وانشا صحيفة لنشر آرائه هذه ، كما الف وساهم في تاليف كثير من الكتب المدرسية ٠ واظهر اهتماما كبيرا بالف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وترجم بعض سور القرآن الكريم ، مظهرا اعجابا شديدا بالادب العربى ، والحكمة العربية الاسلامية ٠

وتلعب يوميات تولستوى دورا كبيرا في اعماله ، وهي اساسا محاولات‌لتحديد تلك‌العملية الغامضة ـ غير المحددة ـ في الفاظ لوعي الذات ٠ وقد نشر عمله الادبي الاول ، « حكاية الامس » ، للمرة الاولى عام ١٨٢٦ ـ وكان ذلك محاولة مجهدة منه لرصد مشاعره واعماله خلال اربع وعشرين ساعة فقط ٠

أما عمله المكتمل الاول فهو « الطفولة » التى تعد اول محاولة من نوعها للسيطرة على تلك اللحظات المراوغة للوعي بالذات بشكل لم يعرف له نظير من قبل في تاريخ الادب ٠

وقد عكف ـ في أعماله التالية ـ على تطوير هذا الاسلوب ٠ وفي ذات الوقت اجتاحه صراع ظل مسيطرا عليه طوال حياته ـ وهو الصراع بين الحياة الطبيعية التلقائية ـ غير المزيفة بعد ـ من‌جانب ـ وبين اعتبارات الاخلاق والعقل والقانون من جانب آخر ٠

وكانت روايته « القوزاق » ، وقد نشرت عام ١٨٦٢ انتصارا للحياة الطبيعية على العقل والقانون الاخلاقى ، فبطلها لا يعرف الخير والشر، ويعيش فيما وراء هذا القانون ، ويظل حرا نبيلا٠

ومن جديد تبدو خسة وغلظة الرجل المتحضر في اعماله التالية :

« الجنديان » (١٨٥٦) ، « الموت ثلاث مرات » (١٨٥٩) ، « الشباب » (١٨٥٧) ٠ ويتضح الطابع الشخصى ، او لنقل اصالته الذاتية ، حتى في‌قصص الضباط التى كان‌يحررها في‌سواستوبول، عام ١٨٥٥ ٠

وفي هذه الفترة كانت حياته الزوجية هادئة

وسعيدة ، كما كان دخله وفيرا من كتبه وأرضه • وقد ولد له تسعة ابناء • وكانت فلسفته في ذلك الحين تقول : ان على الانسان ان يعيش لنفسه واسرته ، وان ليس عليه ان يكون اكثر حكمة من الحياة أو الطبيعة •

ووجدت فلسفته هذه تعبيرها الرائع في أول أعماله العظيمة (الحرب والسلام) ، التي بدأ كتابتها في عام ١٨٦٤ واتمها في عام ١٨٦٩ • وانشغل بعد ذلك بكتابات تربوية ، وبمحاولة كتابة الرواية التاريخية أيضا، فحاول كتابة رواية عن بطرس الاكبر ، لكنه لم يتمها ـ وبقيت غير مكتملة •

وفي عام ١٨٧٣ بدأ كتابة روايته الشهيرة « آنا كارينينا» ، وظهرت أجزاؤها بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٧٧ •

وهاتان (أي « الحرب والسلام » و « آنا كارينينا ») هما رائعتا تولستوى ـ وتعتبران ذروة من ذرى الواقعية في تطورها • وتبلغ اصالة الواقعية فيهما حدا ان قراءه يشبهون شخصيات هاتين الروايتين بناس من لحم ودم •

واذا تحدثنا قليلا عن رواية « آنا كارينينا » ، فان هذه الرواية بعالم شخوصها الفريد ، وخلفية التاريخ الروسي والاوروبي فيها ، تعتبر قطعة حية ونابضة من الحياة التي يخلدها الفن ، وهي رواية متفائلة ، ذات أفق فلسفي رحب •

ومثل ذلك رواية « البعث » التي امتازت ، عن كل ما عداها ، بالقدرة الفارقة على التحليل النفسي ، والدراسة النفسية المتانية ، التي تاتي بمردود ايديولوجي ، مقنع ، ومثقف في الوقت ذاته •

وقد بدأ تولستوى ، حوالي عام ١٨٧٦ ، يشعر بالضيق من ثرائه وحياته عموما ، وجعل احساسه باقتراب الموت يتعاظم ، واستحوذت عليه فكرة ان يجعل لحياته مبررا دينيا ، لو صح التعبير• فحاول اولا ان يجد الملاذ في الارثوذكسية ، دين الملايين الذين يجدون فيه العزاء ، لكن عقلانيته لم تصطبر على طقوسها وتقاليدها فهجر الكنيسة ، وكانت النقطة الحاسمة في تحوله هو ما جاء في انجيل متى (٥ ـ ٣٠) : اما أنا فاقول لكم لا تقاوموا الشرير • واصبحت هذه الفكرة حجر الاساس فيما عرف بعد ذلك بالتولستوية •

وكان تولستوى يرى (وقد اكد ذلك في كتاباته الجمة) ان المسيحي الحق لا يجب ان يعيش على عمل الاخرين ، ولا ينبغي ان يشارك في العنف الذى تمارسه الدولة •

وكان تولستوى رافضا للدولة ، ولبعض فصائل الثوريين ايضا • ومن البداية نظرت الدولة بعداء الى نشاط تولستوى ، خصوصا نشاطه التربوى في مدرسته لابناء الفلاحين التي تعرضت للتفتيش، والاغلاق فيما بعد ، وكان بعض اعمال تولستوى ينشر في الخارج ، خصوصا اذا كان يحوى هجوما مباشرا او حادا على الدولة ومع ذلك فان ما نشر داخل روسيا كان كافيا لتوضيح افكاره •

وفي عام ١٩٠١ اعلنت السلطات الدينية في روسيا حرمان تولستوى • ولم يكن هذا جديدا على تولستوى ،فقد اعلنته مرارا ، غير ان كثيرين من انصاره كانوا قد تعرضوا للاضطهاد وحتى النفي الى سيبيريا ، ليس بسبب افكارهم فحسب ، بل بسبب رفضهم الخدمة العسكرية ايضا •

وقد ترك هذا التحول بصماته البينة على ادب تولستوى ، ولكنه لم يغير من طعمه او وظيفته الاجتماعية والاخلاقية • ويعتبر كتاب تولستوى (ما هو الفن) ـ في عام ١٨٩٦ ـ من افضل ما خطه يراعه في هذا الموضوع •

وقد ادى تحول تولستوى به لان يحيا حياة غريبة عليه : فصار يلبس ملابس الفلاحين ويعمل بيديه، وتعلم صناعة الاحذية ، وجعل يخيطها بنفسه •وقد ظلت اسرته كلها على عداء لتعاليمه عدا ابنته الكساندرا • وفي الاعوام الاخيرة ساءت العلاقات بينه وبين امراته سوء شديدا حتى تحول البيت الى جحيم ، آثر معه الكاتب العظيم الفرار هائما على وجهه •

وهكذا ، ففي ليلة ٢٨ تشرين الاول ١٩١٠ ، خرج الكاتب المصلح الشيخ سرا من بيته ، هاربا، وقد خانه تقدم العمر ، فانهارت قواه اثر اصابته بنزلة ، وسرعان ما رقد فيحجرة ناظر محطةمدينة اوستابوفو ، وفارق الحياة ليلة ٨ تشرين الثاني ١٩١٠ • وقد دفن تولستوى في ضيعته (ياسنايا بوليانا) ـ دون طقوس الدين المسيحية ـ وبعيدا عن الضجيج والضوضاء •لقد احب الطبيعة والارض بكل كيانه ، وعاد اليها عاشقا ، مصلحا ،مجاهدا، ليلتحم بها ، في سمفونية الحلولية ، والميلاد ، والتجدد المستمر • ■■

بغداد ـ محمد جليل مصطفى

مملكة الحيـوان وجوائز ١٠٠ دينـار

■ انواع الحيوانات متعددة متنوعة٠٠حاول العلماء احصاءها فوجدوها نحـو مليون نوع مختلف ٠٠ !

واسئلتنا اليوم تدور حول مملكة الحيوان هذه ٠٠ انها عشرة اسئلة ٠٠ والمطلوب منك معرفة الاجابة الصحيحة لسبعة منها على الاقل ، لتفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار كويتى ٠٠

١ـ استطـاع العلمـاء ان يرصدوا سرعـة الحيوانات ، فوجدوا ان العقاب الفضى هو اسرع الطيور اذ ينطلق بسرعة ١٢٠ ميلا فى الساعة٠٠ يليه النسر الذى ينطلق بسرعة ٨٩ ميلا فـى السـاعـة ٠٠ اما اسرع الحيوانات الارضيـة ، فينطلق بسرعة ٧٠ ميلا فى الساعة هو :

الفهد الصياد ـ حصان السباق ـ الغزال الصحراوى ٠





٢ـ العقارب انواع كثيرة ، تبلغ نحـو ٥٠٠ نوع ٠٠ منها الصغير الذى طوله نصف بوصـة والكبير الذى طوله ٨ بوصات ٠٠ والعقارب ذكر وانثى ٠٠ والسؤال هو :

هل تبيض انثى العقرب ام تلد ؟

٣ـ لا يذكر المسك والزباد الا ويذكر العنبر٠٠ ذلك الاصل العطرى الذى يزيد الروائح ثباتا وامدا ٠٠ وهو مادة لها قوام الشمع : رمادية ، وبيضاء ، وصفراء ، وسوداء ، وكثيرا ماتجمع اكثر من لون ٠٠ وهذا العنبر يستخرج من :

الاشجار ـ القطط ـ الحيتان

٤ـ طائر الكنارى الحسن الصوت ذو الريش الاصفر او البرتقالى ، اصبح اليوم موجودا الان فى كافة انحاء العالم ٠٠ بعد ان نقله الاوروبيون فى القرن السادس عشر من موطنه الاصلى فى جزر الكنارى ، بالمحيط الاطلسى ٠٠ وكان العرب الاقدمون يطلقون على جزر الكنارى هذه اسم :

جزر كوريا موريا ـ جزر قرقنـة ـ جزر الخالدات ٠٠

٥ـ يستطيع الجمل ان يتحمل العطش اكثر من اى حيوان اخر ، لفترة قد تمتد الى عشرة ايام احيانا ، لانه لا يعرق ، ولان بمعدته خزانة تخزن الماء ، الى جانب معدتـه ، انـه من الحيوانات المجترة ، وعندما يعطش ويبدأ بشرب الماء يستطيع ان يشرب مرة واحدة نحو :

٥ لترات ـ ٦٠ لترا ـ ١٠٠ لتر ٠

٦ـ يعشق كثير من الناس ، وخاصة الفرنسين اكل الضفادع ٠٠ تقلى بالسمن بعد وضع التوابل عليها ٠٠ وفى اغلب المطاعم الفرنسية نجد طبق الضفادع مدرجا فى قائمة الطعام ٠٠ ولمواجهة

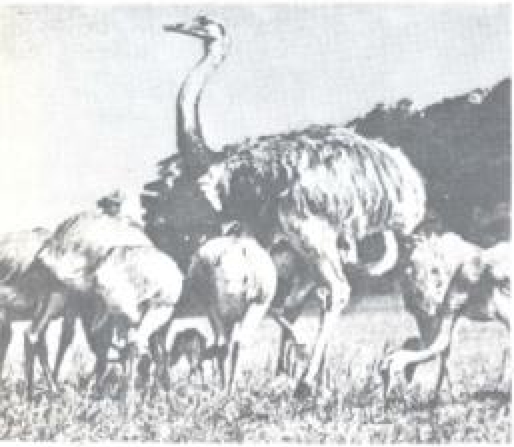


الطلب الزائد على الضفادع اقيمت فى فرنسا مزارع خاصة لتربية الضفادع ٠٠ فما هو الجزء الذى يعشق الناس اكله من الضفادع :

الايدى ـ الصدر ـ الارجل ٠

٧ـ ذيل الحيوان يفيده في امور كثيرة ٠٠ فالثعلب يلتف بذيله للدفء ٠٠ والكنغر يستعمل ذيله للاستناد عليه ٠٠ والقندس ذو الفرو الثمين يستعمل ذيله ليضرب الماء انذارا ٠٠ والسمك يستعمل ذيله في السباحة ٠٠ والخفاش يستعمل ذيله كموجه في الطيران ٠ والسؤال هو :

لتحقيق اى غرض تستعمل البقرة ذيلها؟



٨ـ بيت العنكبوت ٠٠ فن هندسي كامل ٠٠ يتم صنعه بافرازات من جهاز بطرف البطن ،يخرج منه خيط رفيع جدا لا تكاد ترى له سمكا ، يكون سائلا وهو يغادر الجسم ، ولكنه يتجمد عندما يمسه الهواء ٠٠

فعلى عاتق من تقع مسؤولية بيت العنكبوت، على اناث العناكب ام على ذكورها ؟

٩ ـ التماسيح متشابهة الى حد كبير رغم اختلاف انواعها ٠٠ وهى من الزواحف التى يمتد بقاؤها ما بين ٢٠ و ٣٠ عاما ٠٠ ويقال ان اكبرها لا يتعدى طوله ٢٣ قدما ، اى بين ٧ و٨ امتار ٠٠ وانثى التمساح تبيض ٠٠ اما عدد بيضها فى كل مرة فيتراوح بين

١و٣ بيضات ـ ٥و١٠ بيضات ـ ٣٠و٦٠ بيضة ٠

١٠ ـ الاسماك لا تغلق عيونها لانها بلا جفون ! وهى تستطيع سماع الاصوات باذنيها الموجودتين داخل الراس ، وليس خارجه ، كما هو الحال مع الانسان ٠٠ والخياشيم تقوم مقام الرئات عند الانسان ، فالاسماك تتنفس من خياشيمها ٠٠

ترى ماسم بديل الايدى والاقدام ، الذى تستعمله الاسماك لتتحرك فى الماء وتحفظ توازنها ؟

شروط المسابقة

١ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت، مسابقة العدد ٢١٥ »

٤ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر (ديسمبر كانون اول) ١٩٧٦ ٠

الجوائز مائة دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الاتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠ ■■

كوبون مسابقة العدد ٢١٥

رحالة الاسلام

ابن بطوطة

... وأخيراً أخذ الطريق إلى بلده

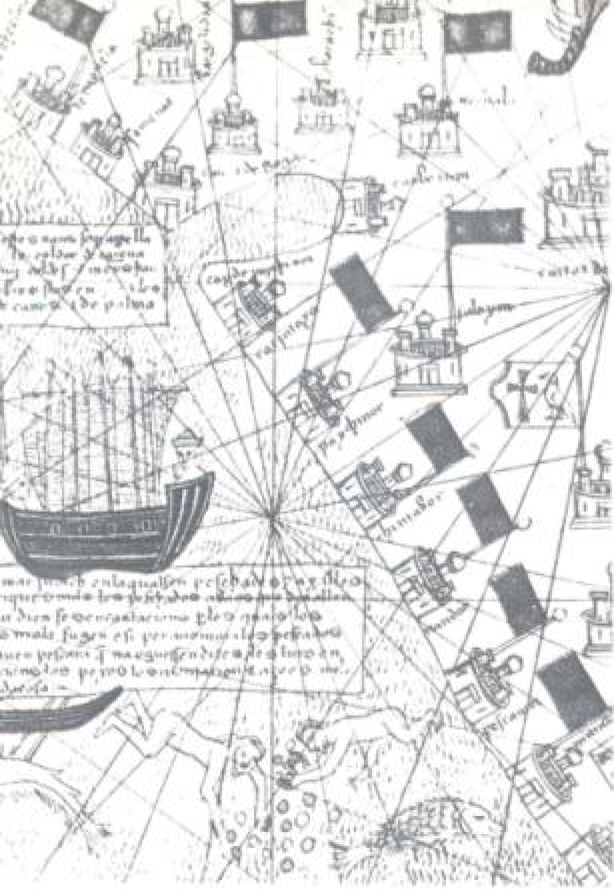
بقلم : الدكتور حسين مؤنس

كان أقوى ما يقيم بناء ، هذا العالم الاسلامي الذي يصفه لنا ابن بطوطة هو ايمان الناس بالاولياء والصالحين واهل الكرامات او « أهل الله » كما يقولون ، فقد كانوا كثيرين جدا في تلك العصور ، لان وجودهم كان يعزّي الناس عن متاعب الايام ويفتح لهم أبواب الامل ويعينهم على احتمال المتاعب .

■ كان ابن بطوطة في رحلته لا ينزل بلدا او قرية الا ذهب ليزور وليها وصاحب كراماتها ، وقد يتخلف عن الركب ليزور وليا ، وربما غامر بنفسه في رحلات جانبية ليزور شيخا صوفيا انقطع عن الدنيا ونذر نفسه لعبادة الله مكتفيا بثمرة واحدة يأكلها في اليوم اربعين سنة ! أو يبعث الله اليه برزقه كل يوم فيجد عند بابه كل ما يحتاج اليه من الطعام في يومه لنفسه ولكل من سيزورونه ، لان الله تعالى يعلم أن ثلاثين رجلا سيزورون وليه الصالح عبد الرحمن السنجاري المنقطع للعبادة في برية لوط في الطريق من اصفهان الى مرو ، فيرسل اليهم طعامهم مقدما .

وابن بطوطة يمثل أهل عصره في ايمانه باولئك الناس ، وسواء صدقنا نحن انهم كانوا اولياء حقا ام لم نصدق ، فالحقيقة ان أهل العصر كانوا يؤمنون بهم ، وكان هذا الايمان يقوي نفوسهم ويخفف عنهم الآلام ، ثم انهم كانوا يتوسطون بين الحكام والمحكومين ، ويطلبون الى الحكام رفع الضريبة الفلانية او اطلاق السجين الفلاني ، وكان السلاطين يستجيبون ، اما لانهم كانوا مثل رعاياهم يؤمنون بالاولياء او يتصنعون ذلك ويستجيبون « لاوامر » الاولياء فيكون ذلك دليلا على انهم حكام صالحون ، ويخرج الناس من ذلك بان الولي وليّ فعلا ، اي انه كان هناك نوع من التعاون بين الحكام والأولياء للسيطرة على قلوب الناس .

ولهذا فاننا نتعجب : لماذا لم يقم الناس بثورة على ظلم سلاطين المماليك او على سلاطين دلهي او سلاطين بني مرين ؟ والجواب ان زعماء الناس وهم اولئك الاولياء كانوا لا ينصحون بالثورة قط : فالحاكم الظالم عقاب من الله للرعية على ما تقترفه من آثام ، وهل يثور الانسان على



الساحل الغربي للهند المعروف باسم ملابار ويسميه ابن بطوطة مليبار · الرسم من مخطوط لاطلس قطلوني رسم في اوائل القرن الخامس عشر الميلادي اي بعد وفاة ابن بطوطة بنحو قرنين · لاحظ رسم السفينة الكبيرة المسماة بالجنك التي وصفها وركبها ابن بطوطة من قفر فاليقوط وقال انها تسع حوالي ١٨٠٠ راكب مابين مسافرين وجند للحراسة والحماية · في هذه السفن (الجنوك) كانت توجد اجنحة ، وغرف فاخرة بالحمامات · وكان الحمام يسمى سنداس · ويقول ابن بطوطة ان اشرعتها تنسج من الخيزران ولا تطوى ابدا ، بل يعدل وضعها عندما تقف السفينة · والصورة تؤيد صدق كلام ابن بطوطة · هناك ايضا كانت توجد مغاصات اللؤلؤ وقد وصفها ابن بطوطة.في الرسم ترى الغواصين يجمعون المحار الذي قد يكون فيه اللؤلؤ ·
المخطوط محفوظ في المكتبة الاهلية في باريس رقم ٣٠ من المجموعة الاسبانية ·

عقاب اراد الله انزاله بعبيده ؟ واذا كان ولا بد من التخلص من حاكم ظالم فيكفي ان يدعو عليه الولي دعوة تكسر رقبته ، فاذا لم تنكسر رقبته فان هذه ارادة الله ، وعلينا ان ننتظر حتى يجيء اجله الذي قدره له الله ·

ومن الغريب ان هؤلاء الاولياء كانوا متفاهمين فيما بينهم على تقاسم السلطة والنفوذ في عالم الاسلام · فهم يعرفون بعضهم بعضا ، ويؤيد بعضهم بعضا ، ويرسل واحد منهم في مصر التحيات الى ثلاثة من اخوانه في الهند ! وابن بطوطة يؤكد لنا انه زار البلاد التي فيها هؤلاء الشيوخ وحمل اليهم التحية ·

وعندما كان في الاسكندرية زار « الشيخ الصالح العابد المنقطع ، المنفق من الكون » ابي عبد الله المرشدي ، وهو من كبار الاولياء المكاشفين » اي الذين يكاشفونك بما تفكر فيه دون ان تفتح فمك ، بل ان الواحد منهم يعرف المنام الذي رأيته بالامس دون ان تقول له انك حلمت بشيء ، ويضيف الى ذلك تفسيره الصحيح. فهذا الرجل مثلا قال لابن بطوطة عندما رآه : « سوف تحج وتزور النبي - صلى الله عليه وسلم ، وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك، وتبقى بها مدة طويلة ،وستلقى بها اخي دلشاد الهندي ، ويخلصك من شدة تقع فيها » ويؤكد ابن بطوطة ان ذلك كله قد حدث ، بل انه لقي دلشاد بعد عشرين سنة وخلصه دلشاد من مازق خطر ، بالضبط كما تنبا الشيخ المرشدي··

التحول الحاسم في حياة ابن بطوطة

والى أن يصل ابن بطوطة الى بلاد الترك ، اى بعد حجته الثانية سنة ١٣٣٢/٧٣٢ نجد ابن بطوطة رجلا بسيطا متواضعا لا همّ له الا رؤية البلاد والعباد والتبرك بالصالحين والزهاد ، والاكتفاء بالضرورى من المال والزاد . ولكنه عندما يدخل آسية الصغرى ، وكانت تسمى اذ ذاك بلاد الروم ، لانها كانت فيما سبق من أرض الدولة البيزنطية ، ثم غزاها فرع من الترك السلاجقة واحتلوا جانبا كبيرا من اراضيها واصبحوا يسمون سلاجقة الروم اى سلاجقة ارض الروم ٠ عندما يزورها ابن بطوطة بعد سنة١٣٣٥ يجدها مقسمة الى امارات صغيرة بين جماعات من الاتراك يسمون الغزاة ، لانهم غزوا ارض الروم وجعلوا هدفهم اقتطاع بلادهم ٠

امارات آسية الصغرى الصغيرة هذه كان يحكمها امراء مؤمنون صادقون وكان ايمانهم بالاسلام عظيما .ولهذا فقد كان احترامهم للفقهاء والصلحاء كبيرا . فلما دخل ابن بطوطة بلادهم توالت عليه الهدايا واصناف التكريم ، فحصل على الخيل والمال – بالالوف احيانا – والجوارى والغلمان من امراء انطالية (اضاليا) واكريدور و « قل حصار » و « ميلاس » وغيرهم ، وهنا يتغير ابن بطوطة ، ويذوق طعم المال والغنى والجاه ، ونبدأ نفقد هذا الحب الذى كنا نحس به نحوه . فقد اغراه المال بالاستزادة من المال ، واغرته النساء بالاستزادة من المتاع ، وشيئا فشيئا يتغير هذا الرجل الطيب ويصبح طالب مال وجاه ومتاع ٠

ومن آسية الصغرى يزور القسطنطينية ، وهو يدخلها عن طريق غير عادى ، فيعبر البحر الاسود من سينوب الى بلاد القرم ،وكان يحكمها « قان » اى خان او سلطان مسلم ، ومن القرم يسير جنوبا بغرب فيدخل القسطنطينية ، وكانت اذ ذاك بيزنطية مسيحية ما تزال، ويصفها لنا وصفا ممتعا ٠

ومن القسطنطينية ،يخرج شرقا الى التركستان او ما وراء النهر ويسميها اوزبكستان ، ويقوم بمغامرات كثيرة . ولكنه دائما رجل غنى موسر ، يسير وسط خدمه وحشمه ، بل يؤكد لنا ان الخيل التى ملكها بلغت من الكثرة بحيث انه يستحى ذكر عددها خشية ان يتهم بالكذب ٠

ومن هنا يدخل ابن بطوطة خوارزم فيجد من الخيرات ما يشجعه على الاستمرار فى الرحلة ، وتتوالى عليه المكارم ، حتى اذا دخل الهند من ناحية افغانستان ، اى من ناحية شمال السند ، وهنا نجد انفسنا امام ابن بطوطة آخر وقد تغيرت شخصيته تغيرا تاما ، فهو رجل غنى يداخل كبار القوم والسلاطين ،وان لم يكف عن طلب الاولياء، ولكنه من الآن فصاعدا رجل مال ومطامع مادية وطلب للنساء ، ورغبة فى التقرب من أهل السلطان ٠

وعندما يصل دلهى يجد سلطانها محمد تغلق وهو من عظماء سلاطين الاسلام في الهند (١٣٢٥ – ١٣٥١) ، وابن بطوطة يمدحه كثيرا ، لان هذا السلطان ومن سبقوه من سلاطين آل تغلق ثم الخلجيين كانوا اتراكا اقبلوا من التركستان وبلاد الافغان ، وكانوا جبابرة حكموا بالعسف والقهر ، واستخرجوا من الناس الاموال بكل حيلة ، ولهذا فقد كانوا اغنياء جدا فى حين كان رعاياهم فقراء جدا ٠ ومع اجتهاد هؤلاء السلاطين فى نشر الاسلام الا انهم سلكوا الطريق غير الصحيح : طريق القوة والبطش ٠ ولهذا لم يوفقوا كثيرا ،بل احدثوا فى قلوب الناس رد فعل سيئا واثاروا معارضة شديدة للاسلام عند طوائف كثيرة من الهنود ٠ والمستشرق جيب نفسه ،وقبله مؤرخ الهند فنسنت سميث ، يأسفان لان نشر الاسلام فى الهند لم يتم على أيدى العرب الرحيمة عندما دخلوه اول مرة ايام الخلفاء الراشدين ثم الامويين ، لان العرب فى فتوحهم كانوا يعرفون كيف يكسبون محبة الناس وحببوهم فى الاسلام بالتالى ٠

ومحمد تغلق هذا قتل أباه غياث الدين لكى يصل الى العرش ، ولكن هذا لا يهم ابن بطوطة، لان السلطان كريم على حواشيه وزواره وهو منهم ،وهو يصيب من عطاياه الشىء الكثير ،ويتولى القضاء ، ويصبح من علية القوم ٠

وهنا يزداد الطابع المادى غلبة على ابن بطوطة ، ويؤدى به حرصه على المال الى متاعب كبيرة ، فيغضب عليه السلطان ، ويضطر الى مغادرة البلاد ، فيمضى الى الجنوب ، ثم يرضى عنه السلطان ويختاره ليكون رسولا له الى ملك الصين ، فيمضى الى قاليقوط ثم كولم لكى ياخذ السفينة الى الصين ٠

فى ذلك العصر كان يمكنك ان تحجز فى السفينة جناحا كاملا

ولعل القارىء يدهش اذا علم أن الانسان كان يمكنه فى ذلك العصر (النصف الاول من القرن الرابع عشر الميلادى) ـ أن ياخذ غرفة فاخرة او جناحا فاخرا بحمام على احدى السفن الذاهبة من الهند الى الصين ، وان هذه السفن الفاخرة كانت مملوكة لمسلمين ـ عرب وايرانيين ـ او صينيين ٠

بهذا يحدثنا ابن بطوطة عندما ذهب الى كولم لياخذ البحر الى الصين ٠٠٠ يقول : « ومراكب الصين ثلاثة اصناف ٠ الكبار منها تسمى الجنوك (مفردها جنك) (يسميها الرحالة الانجليز Chunks) والمتوسطة تسمى الزو (الاشهر : الدو Dhaws) ، والصغار يسمى احدها الككم، ويكون فى المركب الكبير منها اثنا عشر قلعا فما دونها الى ثلاثة ، وقلاعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لا تحط أبدا ،ويديرونها بحسب دوران الريح ، واذا ارسوا تركوها فى مهب الريح ٠ ويخدم فى المركب منها ١٠٠٠ رجل ،منهم البحرية ٦٠٠ ،ومنهم ٤٠٠ من المقاتلة يكون فيهم الرماة واصحاب الدرق (الدروع) والجرخية (الرماة بالاقواس الضخمة المعروفة عند العرب باسم قوس الرجل وبالانجليزية Arbalists)٠٠ ولا تصنع هذه المراكب الا فى مدينة الزيتون (تسوان ـ تشاو ـ فو) من الصين او بصين كلان (كانتون) وهى صين الصين ٠٠ ويكون فيه (اى المركب) البيوت والمصارى والغرف للتجار ، والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس ، وعليها المفتاح ، يسدها صاحبها ، ويحمل معه الجوارى والنساء ، وربما كان الرجل فى مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون معه فى المركب » ٠



مشهد يصور حانة عامة فى دمشق التى يتوارد ذكرها كثيرا فى مقامات الحريرى ويعجب ابوزيد السروجى بنبيذها ٠ يلاحظ ان الحانة من طابقين٠ العلوى لسروات الناس الذين يريدون أن يخلوا للشراب . والسفلى لعامة الناس ٠
نفس مخطوط مقامات الحريرى ٠

فاما البيوت فهى الغرف الكبيرة (دى لوكس) والمصريات هى ما نسميه نحن بالجناح Suite وكان هذا المصطلح مستعملا فى كل مدن العالم الاسلامى للشقة الصغيرة، والسنداس هو الحمام، واما الغرف فهى الكابينات المعروفة ، ومعنى ذلك انك كنت تستطيع أن تاخذ جناحا بالحمام ، وتقفل بابه بالمفتاح وتعيش طوال الرحلة مع اسرتك ، وكانت العادة ان كل مسافر ياتى بطعامه ويطهو طعامه بنفسه وقد ياتى بطباخ خاص به ٠

وعندما وصل ابن بطوطة الى قاليقوط اتصل بوكيل احدى المراكب الكبيرة (الجنوك) ويسمى سليمان الصفدى الشامى وطلب منه حجز « مصرية بسنداس » لا يشاركنى فيها احد لاجل الجوارى، ومن عادتى الا أسافر الا بهن » وهذا يدلك على ما وصل اليه ابن بطوطة من الترف ، ورحم الله ايام كان يسافر مشتركا مع آخر على جمل وليس

معه الا جراب تمر وركوة ماء ! ومن سوء حظه انه لم يجد في الجنك مصرية بحمام لان كل الجنوك كانت محجوزة لتجار من الصين في الذهاب والاياب . فاضطر ابن بطوطة الى التواضع وحجز مصرية في ككم اى في مركب صغير ..

وذهب ابن بطوطة ليصلي الجمعة على ان يعود فيصعد الى الككم، وعاد بعد الظهر فاذا العواصف قد ثارت واقتلعت الجنك والككم وابعدتهما عن الشاطىء . ثم تحطم الجنك وغرق بعض اهله . اما الككم فقد حملته الرياح وفيه متاع ابن بطوطة وماله وجواريه والهدية التى كان يحملها من سلطان الهند الى سلطان الصين : « ولم يبق عندى الا العشرة دنانير التى اعطانيها الجوكى (وهو ساحر هندى كان قد قابله في قاليقوط) والبساط الذى كنت افترشه » .

ابن بطوطة يشترك في مناورات السياسة

وازاء هذا الحظ العاثر لا يذهب ابن بطوطة الى الصين . بل يدخل في مغامرات ويشترك في « حرب الكفار » في جنوب الهند ثم يمضي الى جزر ملديف وكانت تسمى ذيبة المهل وهى بضع مئات من الجزر الصغيرة. واهلها كلهم مسلمون ـ اسلموا على يد داع مغربى كما يقول ابن بطوطة. وعندما وصل اليها توهم انه وصل الى جنة الخلد وبلاد السعادة ..

والحق انها كانت كذلك عندما دخلها ابن بطوطة لان اهلها كانوا قوما مسالمين صالحين « ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة وسلاحهم الدعاء » فاذا جاءهم عدو دعوا الله ان يصرفه عنهم فيستجيب لدعائهم . وبهذه المناسبة نذكر ان جزر الملديف دولة مستقلة اليوم وهى عضو في هيئة الامم . وهنا في جزر السلام هذه، يتحول ابن بطوطة الى طاغية ..

يستغل سذاجة الناس . فيتدخل في شئون الدولة ويتقرب الى السلطان ويتزوج من بنات الوزراء وبنات الاثرياء اربعا غير ما ملكت يمينه، ويعيش عيش الاثرياء في بلد اهله كلهم فقراء، لان ثروتهم تنحصر في نبات التنبول وهو شيء مخدر يشبه القات وجوز الهند (النارجيل) وبعض المنسوجات القطنية والودع .

ويقيمونه قاضيا فنتبين من احكامه انه ليس بذى علم واسع بالفقه . واحكامه قاسية وفيها تعسف وقلة فهم وادعاء للعلم فيبغضه الناس .

ثم يتجه الى الاستبداد بهؤلاء الناس الطيبين ويكرهه الوزير ويخافه . وتنفر منه السلطانه خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر ..

واخيرا وبعد منافسات وحزازات يخرج ابن بطوطة من جزر الملديف شبه مطرود تاركا وراءه كل نسائه واولاده منهن . ووصل الى جزيرة سرنديب في آخر ربيع الثاني ٧٤٥ / اوائل سبتمبر ١٣٤٤ .

وفي جزيرة سيلان (سرنديب) يزور جبل قدم آدم . او جبل القدم . وهو الجبل الذى يقال ان آدم هبط من الجنة عليه . فساخ وسط قمة الجبل

القان الاعظم اى خان المغول الذى يتحدث عنه ابن بطوطة كثيرا في رحلته . الصورة تصوره خارجا للصيد جالسا في محمل على ظهور الفيلة تحف به الخيل . الصورة موجودة فى « كتاب عجائب الهند الذى يرجع الى القرن الخامس عشر . المخطوط يوجد ضمن مجموعة رحلات من بينها رحلة ماركو بولو في المكتبة الاهلية في باريس .



تحت قدم آدم ، ولهذا فهذا الجبل له قمتان ، وهو مزار يحج اليه الكثيرون •

اما حواء فيقال انها هبطت في العراق ، فمضى كل منهما يبحث عن الآخر وتلاقيا في الهند على ضفة نهر البنجاب (بنج ـ اب اى الخمسةانهر) والله سبحانه وتعالى اعلم •

ومن هناك عاد ابن بطوطة الى الهند وقضى بعض الوقت ، ثم عاد الى ملديف لياخذ ولدا له عمره سنتان ، ولكنه لم ياخذه « واتى لى بولدى » فظهر لى ان اقامته معهم خير له ، فرددته اليهم واقمت خمسة ايام » ثم اخذ سفينة مضت به الى بلاد البنغال •

وبهذه المناسبة نذكر ان ابن بطوطة كان قليل الاهتمام باولاده ، وكانت عادته ان يترك الاولاد معامهم واهلها ويرحل ولا يسال عنهم بعد ذلك •
ومن هناك سافر الى جاوة وسومطرة •

رحلة ابن بطوطة
تحوم حولها شكوك كثيرة

هذه الفقرة من رحلات ابن بطوطة يحيط بها شك كثير ••

هل ذهب الى جاوه وسمطره (هكذا يكتبها) وهل زار الصين ؟

هناك قرائن تؤيد صحة ما يقول وهناك دلائل اقوى تقول انه لم يذهب الى بلاد الصين ••

فلناخذ الرجل بكلامه ولنمض معه الى خاتمة مطافه • ولنتذكر انه كان يصف ما يرى على قدر ما يرى ، ويستكمل الحديث من اقوال كان يسمعها، وكلها عسير على التدقيق والتحقيق ، وابن بطوطة لم يكن محققا ، انما كان رحالا يطرب لرؤية اى شيء لم يره من قبل ، ويجتهد في نقل مشاعره الى قرائه •

ولا ننسى ان عشر سنوات كاملة انقضت بين زيارته للصين وقعوده لاملاء ذكرياته •• فتضاربت اقواله واختلطت عليه الاشياء •

لم ير ابن بطوطة من الصين الا ساحلها الذى زاره • وكان نزوله الصين في ميناء زيتون ،وهى تسوان ـ تشاو فو ، وهو يحدثنا عن نهر يسمى «نهر الحياة » يقطع الصين من الشمال الى الجنوب: من خان ـ بالق (بكين) الى زيتون ويقول ان هذا النهر يشبه نيل مصر والقرى والخضرة على الجانبين •

ولا نعرف في الصين نهرا بهذا الوصف او الاسم ، ولهذا يغلب ان ابن بطوطة يتكلم هنا عن قناة طويلة كان اباطرة الصين قد شقوها من بكين على النهر الاصفر الى كانتون التى يسميها ابن بطوطة صين الصين او صين كلان ومدينة هانج تشاو التى كانت تسمى كان ساى Quin Say ولهذا يسميها ابن بطوطة خنسا » على اسم الشاعرة المعروفة » كما يقول

ويحدثنا ابن بطوطة عن نقود الكاغد التى كان الناس يتعاملون بها في الصين ، وهى كما هو واضح اوراق نقد مثل « البنكنوت » هذه الايام ، وكان اباطرة الصين يصدرونها لتحل في التعامل محل العملة المعدنية الصينية المعروفة باسم البالشت او البالش ، وهى قطعة من المعدن تزن اربعة ارطال ونصف ، فهى عسيرة التداول ، ولهذا حلت محلها العملة الورقية ، وهو يقول ان عملة الكاغد اذا تلفت امكن لصاحبها ان يستبدل بها عملة ورقية جديدة من ادارة خاصة للدولة دون أن يدفع شيئا • اما ماركو بولو فيقول ان الانسان كان لا بد ان يدفع ما يعادل ٣٪ من قيمة العملة الورقية المستبدلة

وابن بطوطة يعرف أن الصين كانت تنقسم قسمين : الصين الجنوبية وهى المعروفة باسم الصين وهى التى كثر تردد المسلمين على سواحلها • والصين الشمالية التى تعرف باسم بلاد الخطا او الخطاى • والعرب اول من اطلق هذا الاسم على شمال الصين وعاصمته خان ـ بالق او بكين ، وعنهم اخذ الاوروبيون الاسم ، فظلوا يسمون بلاد الصين كلها Cathay ، من القرن الثالث عشر الى السادس عشر • والخطا في الاصل اسم اطلقه العرب على ترك الصين الذين كانوا يسكنون فيما يعرف الان سنكيانج وصحراء منغوليا ، ثم اطلقوه على الصين الشمالية • وهؤلاء الترك الخطا غزوا الصين وانشاوا فيها دولة دامت خلال القرنين العاشر والحادى عشر • اما اسم الصين فاصح الآراء انه جاء من اسم دولة سينج التى حكمت الصين خلال القرن الثالث قبل الميلاد •

ويتكلم ابن بطوطة عن الجاليات الاسلامية فى الصين كلاما مسهبا ، وهو افضل ما لدينا عنها • وقد عرفهذه الجاليات فى كل بلد زاره وخاصةفى زيتون وصين كلان (كانتون) وخنسا • وهو يذكر ان تلك الجاليات كانت وافرة العدد عظيمة الثروة متمسكة بدينها ، ولكل منها حي قائم بذاته فى البلد الذى تقيم فيه ، ولها مساجدها وشيوخها وقضاتها ، وعلاقاتها باهل الصين طيبة فى ايامه، وملوك الصين يوقرون المسلمين،ولكن قوانين الصين كانت تفرض على التاجر القادم من الخارج ان يودع ماله كله عند شيخ الجالية تحت رقابة الحكومة • والشيخ يقوم بشراء ما يريد التاجر ان يشتريه وينفق عليه ، وفى نهاية مقامه تجرى المحاسبة ، ويأخذ التاجر المسافر ماله •

وفى أواخر ايام اقامة ابن بطوطة فى خان ـ بالق (بكين) بدأت الاحوال تضطرب ، وقامت ثورة قتل فيها ملكها او القان كما يسميه ، ونصحه شيخ الجالية الشيخ برهان الدين بان يرحل عن الصين الكبيرة اى بلاد الخطا، فانحدر الى خنسا ثم الى فنجنفو،والاغلب انها كيان ـتشان فو Kien Chang Fu على نهر فو ـ هو فى مقاطعة اليانج تسى ، ومن هناك الى زيتون ، وهناك أخذ الجنك (اى المركب الكبير) ووصل الى جاوة بعد رحلة حافلة بالمخاطر •

وأخيرا ، أخذ الطريق الى بلده

وكلام ابن بطوطة عن جاوة وسمطرة قليل ، ولا يتسع المجال لتفصيله ، ولهذا فاننا سنكتفى بان نصحبه فى طريق العودة •

من سمطرة رحل بالبحر الى كولم Quilm على الساحل الغربى للهند ، فوصلها فى يناير ١٣٤٧ ، ثم ذهب الى قاليقوط على نية الذهاب الى دهلى ، ولكنه يخاف هذه الرحلة ، فيأخذ سفينة تحمله الى مسقط فى ظفار فى سلطنة عمان ، ومنها الى هرمز ثم شيراز ثم تستر فمشهد ومنها الى بغداد فوصلها فى شوال ٧٤٨ (يناير ١٣٤٨) •

ثم يمضى الى دمشق ، وعندما يصل الى حلب يسمع عن الوباء الاسود الذى اجتاح الدنيا اذ ذاك واحتمل فيما يقال ربع البشر ، فينحدر الى الجنوب : الى عجلون فالقدس ، ثم الى مصر • هنا يتحدث طويلا عن الوباء ويقول انه كان يقضى على خمسة وعشرين الف انسان فى اليوم فى القاهرة وحدها •

وينحدر مع النيل الى قوص ، ثم يمضى الى عيذاب ، ويعبر البحر الاحمر الى جدة ويزور الحجاز معتمرا فى شعبان ٧٤٩/نوفمبر ١٣٤٨ وينتظر الموسم ، ثم يحج حجته السادسة ، ثم يمضى الى الشام فمصر وهناك يشعر بالرغبة فى العودة الى وطنه ، وهو يعلل ذلك بما سمعه عن عودة الامان الى بلاده فى ظل السلطان ابى فارس عنان المتوكل على الله سلطان بنى مرين ، ويرحل من الاسكندرية بالبحر ، ووصل اخيرا الى طنجة ليعلم ان اباه قد توفى من ثلاث عشرة سنة وان امه هى الاخرى لحقت به بعد ست سنوات ، ويصل فاس آخر الامر ، وبعد خمس وعشرين سنة فى يوم الجمعة آخر شعبان ١٣/٧٥٠ نوفمبر ١٣٤٩ •

رحلتان اخيرتان ليستكمل رؤية عالم الاسلام

ولم يشبع هذا الرحا' الجوال من السفر ، كان لا بد ان يستكمل الرحا في كل بلاد الاسلام ، فمضى الى الاندلس وطو'ف فيما بقى من مملكة غرناطة ،وكانت اذ ذاك فى اوجها ،وعاد الى فاس، ومنها الى بلاد السودان،فوصل تمبكتو على نهر النيجر •• وهنا فقط اطمأن باله وعاد الى فاس ليملى رحلته بامر من ابى عنان على الشيخ ابى عبد الله بن جزى !

ذلك هو رحالة الاسلام بل رحالة الدنيا ابن بطوطة• عرضنا عليك استطلاعه الواسع العجيب لعالم الاسلام وما حوله •

ونتركك الان لتفكر فى أمر هذا الرجل العجيب ونحن على ثقة من انك مسارع الى اقتناء الرحلة لتقراها ، ولهذا فقد زودنا المقال بخريطة تعينك على تعرف الطريق ، وتلك فيما نعتقد هى الخريطة الوحيدة التى رسمها باحث لمسار ابن بطوطة فى عالم القرن الرابع عشر الميلادى ، وما رواه فى كتابه الذى سماه ابن جزى «تحفة النظار فىغرائب الامصار وعجائب الاسفار » •

حسين مؤنس

انتهت رحلتنا مع ابن بطوطة

نتيجة مسابقة العدد ٢١٢

أخطاء رحلة الصيف

امتازت مسابقة العدد ٢١٢ من « العربي » بأنها نوع جديد من المسابقات غير تلك التي عهدها القارىء في مسابقاتنا الشهرية المعتادة ، فقد أخذنا القارىء في رحلة صيف بالسيارة مبتدئين من الكويت الى أوروبا ، وذكرنا متعمدين أخطاء عشرة ، وطلبنا من القارىء أن يذكر لنا منها سبعة على الاقل ، وقد استطاع معظم القراء أن يتبينوا هذه الاخطاء العشرة •

واليك ايها القارىء الاخطاء العشرة بالمسابقة وصحتها ، ثم أسماء من فازوا بالمسابقة •

١ ـ مدينة البصرة بالعراق محاطة بغابات كثيفة من اشجار النخيل ، وليس اشجار الزيتون •

٢ ـ النهر الذى يخترق بغداد هو نهر دجلة وليس نهر الفرات •

٣ ـ ميناء العقبة الاردنى يقع على البحر الاحمر وليس على البحر المتوسط •

٤ ـ البحيرة التى تكونت بسبب السد العالى هى بحيرة « ناصر » وليست بحيرة « قارون » •

٥ ـ جغبوب واحة داخلية ، وليست مدينة ساحلية •

٦ ـ جزيرة « جربة » تقع فى خليج قابس ، وليست مقابلة لميناء بنزرت •

٧ ـ ميناء صفاقس ميناء تونسى وليس ميناء جزائريا •

٨ ـ قبر الرحالة المغربى ابن بطوطة لا يوجد فى الدار البيضاء بل هو فى طنجة •

٩ ـ قصر الحمراء موجود فى مدينة غرناطة وليس فى مدينة قرطبة •

١٠ ـ ترتيب البلدان الاوروبية ابتداء من فرنسا وانتهاء بالكويت هكذا :

فرنسا ـ ايطاليا ـ يوغسلافيا ـ بلغاريا ـ تركيا ـ سوريا ـ العراق ـ الكويت •

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **كمال جبرين شحادة أبو العينين**/عمان/الاردن

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينار فازت بها : **وداد عبد الكريم** / مكة المكرمة / السعودية

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **عيسى محمد كلندر** / مسقط / عمان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **أحمد علاء زكي محمد جاد** / الاسكندرية / مصر

٢ ـ **وفاء عبد المحسن مبارك العلي** / المنصورية / الكويت

٣ ـ **أحمد على حسن سعيد** / صنعاء / اليمن

٤ ـ **مها عبد العال** / اللاذقية / سوريا

٥ ـ **أحمد مثنى ناشر الوجيه** / عدن / اليمن الديمقراطى

٦ ـ **محمد سعيد عبد الحليم** / المديرية الشمالية / السودان

٧ ـ **صالحة نصيب حمد** / دبى / الامارات العربية

٨ ـ **خالد عبد الله الحمزى** / كراتشي / باكستان

عندما يحتدم الخلاف بين الزوجين

الذكريات الحلوة... أقوى!

■ لمن أحكي مشكلتي ؟ ومن يساعدني على حلها .. وكيف ؟ سؤال حار العلماء في العثور على إجابة محددة له !

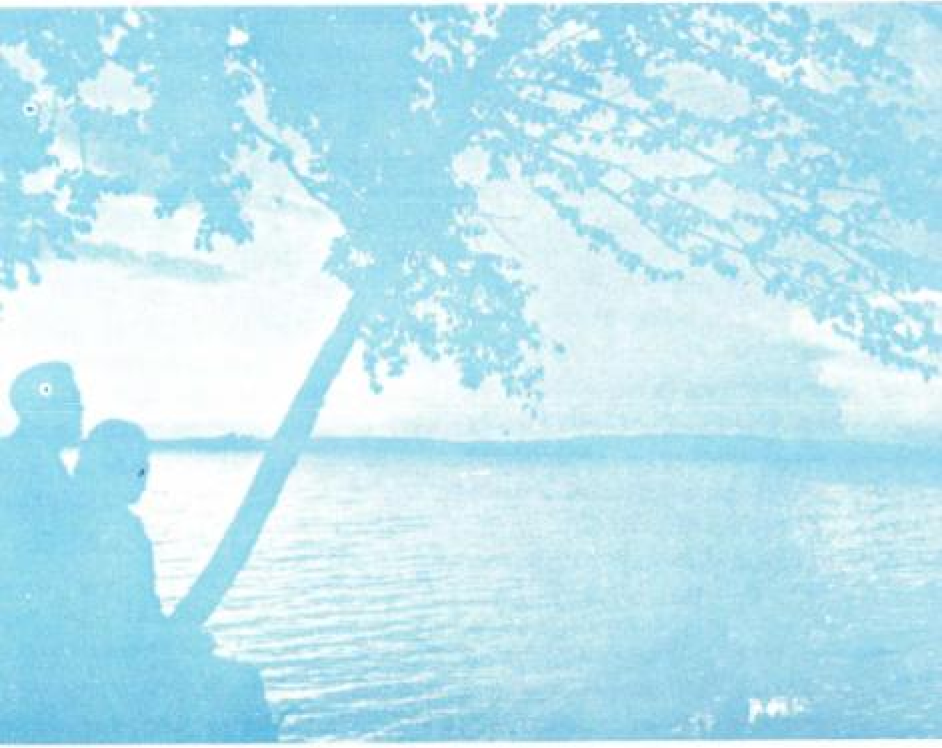
ولكن من هو صاحبه ؟ انه هنا الزوج الذي يختلف مع زوجته . او هي الزوجة التي تشكو معاملة زوجها لها ! كيف يحل الازواج مشاكلهم ؟

يقول البعض ان اللجوء الى طرف ثالث محايد قد يساعد على تقليص حجم المشكلات والخلافات التي تنشا بين الزوجين . ومن هنا كانت فكرة العيادات النفسية التي انتشرت في العديد من البلدان لمساعدة الازواج على حل خلافاتهم والتقريب بينهم واعادة السلام الى البيوت التي توشك على الانهيار في كثير من الاحيان لان الزوج لا يريد ان يتنازل عن رايه او لان ، الزوجة متمسكة بموقفها الذي ترى فيه الصواب كل الصواب !

هذه وسيلة اخذ بها الكثيرون من علماء النفس وما زالوا ياخذون بها .. ولو انهم يعترفون في كتبهم ومؤلفاتهم بانها ليست انجح الوسائل على اية حال .. فهم قد يوفقون في مهمتهم احيانا .. وقد يكون الفشل حليفهم في بعض الاحيان .. ومع الفشل ينهار البيت ، وهو اسوأ ما يمكن ان يحدث للاسرة !

ويقول البعض بان اللجوء الى رجال الدين هو خير هداية للزوجين عندما يحتدم الخلاف بينهما وتستعصي الحلول !

ولكن فريقا ثالثا يرى غير هذين الرايين تماما .. فهم يؤكدون ان الزوج والزوجة وحدهما ، هما خير من يستطيع ان يضع حدا لاي خلاف يقع بينهما ، اذا دخل العقل وسيطا واذا اصبح المنطق اسلوبا ، واذا صحت العاطفة التي جمعت



ثماني سنوات مررنا انا وزوجي بهذا المكان وجلسنا على هذا المقعد ، نكمل احتفالنا بعيد زواجنا

بينهما ، واوشكت ان تخبو في وجه العاصفة !

هل يصدق هذا الرأى الاخير ؟

لنقرأ هذه القصة .. انها قصة زوجين، اختلفا وتخاصما .. ولكنهما نجحا وحدهما في حل خلافهما .. كيف ؟

كل ما كان يذكره وهو جالس على مقعده في المقهى الصغير الذي يشرف على الشارع المزدحم بالناس والسيارات ، انه خرج من بيته منذ بضع دقائق ثائرا غاضبا ، وهو يقسم لزوجته باغلظ الايمان انه لن يعود اليها والى اطفاله ابدا ! كان ما يزال يغلي غضبا وهو يستعيد الكلمات الحادة التي تبادلها مع زوجته في مناقشتهما التي دامت لساعات طويلة بلا جدوى .. فقد بقي الخلاف بينهما ولم يستطع احدهما ان يقنع الآخر بوجهة نظره ، وتحولت المناقشة في النهاية الى مشادة عنيفة انتهت بتركه للبيت !

وسط العاصفة

ومضت فترة من الوقت ، وهو جالس في مكانه لا يتحرك .. وقد انصرف بفكره كله الى تلك اللحظات العاصفة التي سبقت مجيئه الى هذا المكان ، حتى انه لم يسمع صوت صديقه الذى مر عليه محييا .. ولم يشعر به الا عندما وجده يقف امامه وجها لوجه ويمد اليه يده مصافحا .. ودعاه الى الجلوس ، ففعل ، وامضى الصديقان بضع دقائق يتحدثان، فقد كان يحس بحاجة شديدة لان يتحدث الى اى شخص ، وفي اى شيء .. الا ان الصديق ما لبث ان شعر بان شيئا ما يؤرق صاحبه ، فاستأذن بالانصراف .. وعاد الزوج مرة اخرى الى افكاره ومتاعبه مع الحياة! .. ولكنه في هذه المرة بدا اقل انفعالا .. لقد بدأت الثورة التي كانت تعتمل فيصدره تهدأ وتخبو..

مع الناس

وفجاة ، ولاول مرة منذ ان اختار هذا المكان ملجأ له ، وجد نفسه يتطلع الى وجوه الناس الذين كانوا يروحون ويغدون امامه ، وراح يتفرس في هذه الوجوه وكانه لم ير وجوها لبشر من قبل ! رجل جامد الوجه تنم ملامحه عن تصميم اكيد ، يمر امامه وهو يسرع الخطى ، ولا يكاد يحس باحد من حوله ٠٠ فتاة صغيرة تحمل حقيبة كتبها وقد ارتدت زيها المدرسي ، وراحت تسير في خطى ثابتة ٠٠ انها تعرف طريقها ٠٠ نفس الطريق الذي تسير فيه كل يوم ٠٠ طريق العودة الى البيت بعد انتهاء اليوم الدراسي ٠٠ زوجان ٠٠ الاب يحمل طفلتهما ويحنو عليها ، ولا يكف عن مداعبتها والتطلع الى وجهها الحلو ٠٠ والام تمسك بيد طفلتها وتلثمها بشفتيها ٠٠ اسرة سعيدة صغيرة ٠٠

وتمر لحظات وتظهر امراة عجوز ، احنت السنون ظهرها ، فراحت تمشي في خطى ضعيفة مترددة وهي تعتمد على ذراع حفيدتها ٠٠ ووراءهما زوجان آخران ٠٠ انهما يسيران معا ، ولكنهما يبدوان وكان كلا منهما يمت الى عالم آخر غير عالم صاحبه ٠٠ وجهان تعلوهما التعاسة ٠٠ وعيون تحتويها الكآبة ٠٠ وتتحرك شفتا الزوج٠٠ انه يقول شيئا ٠٠ ولكن الزوجة صامتة لا ترد ! وخلفهما مباشرة سار ابناؤهما الثلاثة ٠٠ ولدان وفتاة كلهم في سن المراهقة ٠٠ وتتقدم الفتاة قليلا لتقترب من أمها وتهمس في اذنها ببضع كلمات ٠٠ ولكن الام تشيح عنها بوجهها ، وكانها لا تسمع ، او انها تسمع ، ولا تهتم بما تسمع !

واستمرت الوجوه تمضي امامه ٠٠ وهو ينتقل ببصره من وجه الى وجه ٠٠ لم يكن يهمه او يثير انتباهه اى شيء غير وجوه الناس الذين يمرون امامه ، والتعبيرات التى تظهر عليها ٠٠ وجوه شابة ووجوه قطعت من رحلة العمر نصفها او اكثر ٠٠ ووجوه شاخت وامتلات بتجاعيد السنين ٠٠ وجوه من كل لون ٠٠ وجوه سعيدة تبتسم للدنيا ٠٠ ووجوه تعسة كئيبة ٠٠

صورة الحياة

وسرح بفكره ، وشرد قليلا ٠٠ ثم ما لبث ان افاق من وقفته ٠٠ وكانه قد عثر على شيء ٠٠ هذه الوجوه المتباينة ٠٠ هذه النماذج المختلفة من الناس ٠٠ هذه الصور التي مرت امامه ٠٠اليست هي الحياة بذاتها ٠٠ الحياة بكل ما فيها من سعادة وشقاء ٠٠ حب وكراهية ٠٠ فرح وألم ؟

واحس برغبة في الهرب ٠٠ ولكن الى اين ؟ وقام من مقعده ٠٠ ومشى ٠٠ وقادته قدماه الى شاطيء البحر القريب ٠٠

وعلى الرمال عاد يلقي بجسمه ويتكيء على ساعده ، ويرقب مياه البحر الممتدة امامه ٠٠ ورآها قادمة من بعيد ٠٠ موجة عاتية شامخة ، وقد راحت تقترب وتقترب ٠٠ ثم بدات تهدا وتضعف وتضعف ، حتى اذا ما وصلت الى الشاطيء راحت تمتزج برماله ٠٠ لقد ضاعت وكانها لم تكن ٠٠ ولكنها قبل ان تتلاشى تماما تظهر من ورائها ٠٠ ومن بعيد موجة اخرى شامخة عاتية ايضا ، وقد اخذت تسير في نفس الطريق الى مصيرها المحتوم ! ٠٠

ومرة اخرى شرد ذهنه ٠٠ وراح يسائل نفسه ٠٠ أليست هذه هي الحياة ٠٠ شباب وشيخوخة ثم نهاية ٠٠ اين كان مولدها ٠٠ هناك في قلب المياه الواسعة الممتدة على مرمى البصر ٠٠ ولعل ميلادها هو الشيء الوحيد الذي لم يره ، ولا يعرف من اين بدأ ٠٠ ولعله ايضا وجه الخلاف الوحيد بين امواج البحر والبشر ! فنحن نعلم من اين جئنا ٠٠ وكيف !

شبح من بعيد

ولم يمض في تاملاته طويلا ٠٠ فقد شد بصره فجاة ظهور شبح من بعيد ٠٠ كان وحده في رقدته مع البحر والظلام ونجوم السماء ٠٠ فلم يكن يظهر من القمر في تلك الليلة سوى هلال صغير ٠٠ ولم يستطع أن يتبين صورة هذا الشبح ٠٠ هل هو لرجل ام لامراة ٠٠ وشعر بشيء ما يربط بينهما على هذا البعد ٠

وقام ينفض الرمال عن ملابسه ٠٠ ثم وقف برهة يسال نفسه : « ترى من يكون ، ولماذا جاء الى هذا المكان في هذه الساعة ؟ » وسخر من تساؤله ٠٠ الم يات هو نفسه الى هذا المكان

الهادىء ، هاربا من الزحام والناس ومشاكل الحياة ؟ الفرق الوحيد بينهما انه يعرف لماذا جاء هو .. ولكنه لا يعرف لماذا جاء هذا الغريب؟ وصمم على الذهاب اليه ، وربما بدافع الفضول ، وربما لانه احس فى هذه اللحظة بالذات برغبة شديدة فى ان يتحدث الى احد .. اى احد ، فقد انقضى عليه مع افكاره وتاملاته مع الحياةوصورها اكثر من اربع ساعات كاملة ، منذ ان ترك بيته وزوجته واطفاله وخرج الى الشارع ثائرا غاضبا ..

نحيب ودموع

وفى خطوات بطيئة متثاقلة راح يمشى صوب هذا الشبح الذى اتخذ لنفسه مكانا فوق المقعد الكبير الذى يشرف على البحر .. وكان كلما اقتربت المسافة التى تفصله عنه ، احس برغبة فى العودة الى مكانه حيث كان يجلس فى وحدته .. وفجأة وجد نفسه يقف تماما ويكف عن السير .. فقد سمع شيئا جعله يتردد فى اتمام رحلته .. سمع صوت نحيب ضعيف قادم من الاتجاه الذى يسير اليه .. ثم ما لبث ان رأى هذا الغريب يخرج منديلا .. لقد بدا واضحا له فى الظلام ان صاحبه يبكى .. وانه يجفف دموعه بمنديله الابيض ولعله الشىء الوحيد الذىاستطاع ان يتبينه وسط هذا الظلام الذى كان يلف المكان كله من حوله ..

اذن هو ايضا يتالم .. هو ايضا يعانى مثله .. ثم فارقه تردده .. ووجد نفسه بالرغم منه ، يعود الى مسيرته ، وفى خطى سريعة هذه المرة .. وقد استبدت به رغبة شديدة فى ان يمد الى هذا الغريب يده .. وان يساعده ويحاول ان يخفف عنه هذا الالم الذى ابتاه والذى دمعت له عيناه .. من يدرى فقد يجد عنده هو ايضا شيئا ما يخفف عنه متاعبه !

صحوة القلب

ولم يعد يفصل بينهما سوى بضع خطوات .. وفجأة مرة اخرى ، وجد الزوج نفسه يقف تماما ، وقد تسمرت قدماه بالارض .. وكادت تفلت من شفتيه صيحة ذهول ! .. فقد وجد نفسه يقف وجها لوجه امام زوجته وام اطفاله .. المرأة التى تركها غاضبا حانقا منذ اربع ساعات .. وهو يقسم بالا يعود اليها ..

ورفعت عيناها .. ورأته يقف امامها .. وقالت فى هدوء بصوت تخنقه العبرات : « انت » .

ـ وما الذى جاء بك الى هنا ؟

ـ جئت اشكو همومى للبحر ! ..

ـ وهل استمع اليك .. وماذا قال لك ؟

ـ قال اشياء كثيرة .. ما اشبه امواج البحر بكم انتم يا معشر الرجال .. هل ترى هذه الموجة العاتية القادمة .. تاملها فى ثورتها ، ثم انظر اليها عندما تقترب منالشاطىء وتهدأ وتتلاشى ! .

ـ اذن فهذا هو ما وجدته فى جلستك وحدك .. وفى تاملاتك لمياه البحر فى الظلام !

ـ لا .. ليس من اجل هذا وحده جئت الى هذا المكان !

ثم نظرت اليه وكانها تساله : « الا يذكرك هذا اللقاء بشىء ؟ » .

.. وهدأ الموج الثائر

ولما لم تجد جوابا .. عادت الى منديلها مرة اخرى تمسح به دموعها ثم قالت : « منذ ثمانى سنوات مررنا انا وزوجى بهذا المكان وجلسنا على هذا المقعد ، نكمل احتفالنا بعيد زواجنا الاول !

وخفق قلبه ، وهو يمد يده فى هدوء لتلتقى بيدها وتتعانق اليدان .. وقال يهمس فى اذنها فى صوت نادم : « سامحينى يا حبيبتى » ثم رفع يدها وقربها الى وجهه ولثمها بشفتيه وهو يتمتم: « ساعود اليك .. نفس الرجل الذى عرفتيه .. لن اسىء اليك بعد اليوم !

وقامت ، ومشت معه ، وقد تشابكت ذراعاهما واستندت برأسها الصغير على كتفه .. والقت نظرة اخيرة الى البحر من ورائها ، قبل ان يبدأ رحلة العودة معا الى البيت .. نظرت الى البحر نظرة سريعة عابرة .. لقد خمد الموج الثائر .. وانسابت مياهه الدافئة فى هدوء لتختلط بالرمال الناعمة التى لم تفترق عنها ابدا .. ■■

م . ن

نموذج للتعاون على المستوى القومى

مدن عربية

فى منطقة قناة السويس

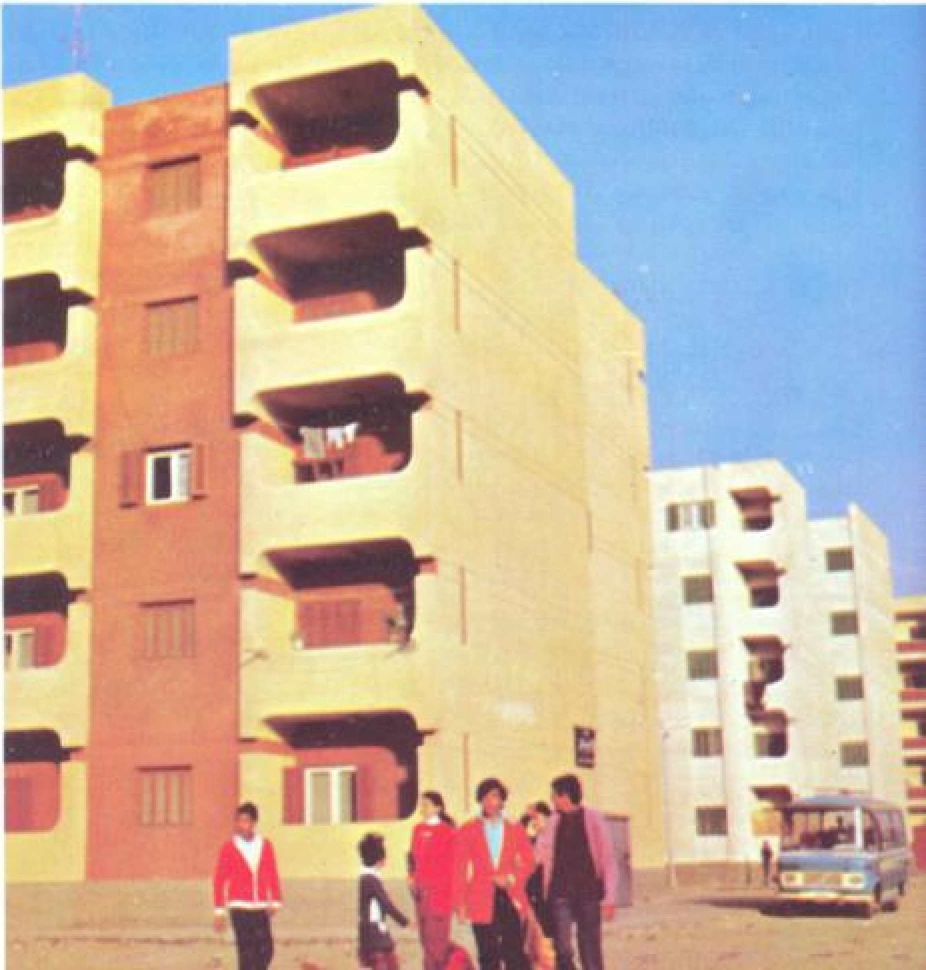
أمل يتحقق بعد معاناة

استطلاع بقلم : منير نصيف   تصـــوير : عبد الناصر شقره

على مدى سبع سنوات بقيت هذه الصورة تحكى قصة الدمار الذى أحدثته قذائف العدو فى بيوت الاهالى الآمنين .. ثم جاء النصر اخيرا.. واندحر العدو .. وازيلت المبانى المهدمة والانقاض ، لتقوم مكانها المدن السكنية الحديثة .. « حى الكويت » فى مدينة بور سعيد ، حيث عادت الحياة من جديد الى المدن التى بقيت مهجورة سنوات طويلة ..







■ كان التحدي كبيرا ..

كان من اكبر التحديات التي تواجه الشعوب في معركتها من أجل الحرية .. من أجل الحياة والتقدم ، فهناك عدو رابض .. ومدن مدمرة مهجورة .. وحياة بلا حياة !

واعلن القائد قبول التحدي الكبير .. ومن ورائه كان هناك شعب ، وكانت هناك امة بأسرها ..

ولم تكن معركة واحدة ، وانما كانت سلسلة من المعارك المتصلة ، بدأت عندما خرج الشعب ممثلا في قواته المسلحة ، ليحقق النصر والحرية في معركة العبور .. اول معركة حقيقية يخوضها الشعب العربي ضد « العدو الجديد » الذي زرعه الاستعمار في قلب الامة العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة ..

ولم تتوقف المسيرة .. وانما مضت في طريقها المرسوم .. ما كاد هدير المدافع يهدأ حتى صدر القرار التاريخي بتعمير منطقة قناة السويس بعد شهر واحد او اكثر قليلا من بدء حرب التحرير ..وكان قرارا سياسيا حكيما رحبت به كل الدول المحبة للسلام .. فمصر المنتصرة .. مصر التي كانت وما تزال في حالة حرب مع العدو الذي ظل جاثما على ضفة القناة سبع سنوات كاملة منذ عام ١٩٦٧ حتى الى ما قبل النصر .. مصر هذه تعلن من مركز القوة رغبتها الصادقة في السلام القائم على العدل ..

معركة البناء

ثم كانت المعركة الثانية .. معركة البناء .. ولم تكد تنقضي أشهر قليلة حتى بدأت طلائع التعمير تعود الى المنطقة التي هجرها اهلها ، وتحولت في سبع سنوات الى مدن تسكنها الاشباح .. كانت هناك قناة السويس ، التي اغلقها العدو واغرق في مياهها العوائق والمتفجرات .. واغرق معها مئات الملايين من الجنيهات التي خسرتها دول العالم في الغرب والشرق على السواء من جراء توقف الملاحة في هذا الشريان الحيوي .. وكانت هناك مدن القناة التي تحولت الى اكوام من الركام والحطام تحت وابل قذائف العدو الرابض على ضفة القناة الشرقية ، حتى بلغت نسبة الدمار في بعضها اكثر من ثمانين في المئة !

وكانت بعد هذا ..الصحراء الواسعة المترامية في شبه جزيرة سيناء .. تلك الارض العربية الطيبة التي بقيت مجهولة مهملة قرونا طويلة من الزمان ، حتى جاء العدو يحتلها ويبني فيها الحصون والقلاع ..

وذهبنا الى قناة السويس ومدنها ، لنسجل بالكلمة والصورة حجم العمل الكبير الذي يجري في هذه المنطقة .. وكانت هذه هي المرة الثانية التي نزور فيها منطقة قناة السويس في اقل من ثلاث سنوات بعد معركة اكتوبر عام ١٩٧٣ .

كانت رحلتنا الاولى اليها في ذكرى الاحتفال بمرور سنة على معركة التحرير ، في اكتوبر من عام ١٩٧٤ قبل افتتاح قناة السويس امام الملاحة الدولية بثمانية اشهر (١) .. ورأينا قناتنا بعد

(١) اقرأ استطلاع قناة السويس العدد رقم ١٩٥ .

مخطط لمدينة الشيخ صباح السالم الصباح في السويس ، وهي تضم سبعة آلاف وحدة سكنية ، ينتظر الانتهاء من اتمامها في اوائل العام المقبل .





منظر عام لمساكن الحرفيين،ومن ورائها العمارات السكنية بمدينة الشيخ زايد فى الاسماعيلية .

ان استعدناها ، وعشنا اياما على ضفافها نتأمل مياهها الزرقاء الصافية بعد ان عادت اليها الحياة .. والتقينا بالرجال الذين استطاعوا بفضل جهودهم ان يحققوا هذا الامل .. الرجال الذين قضوا سنوات طويلة يترقبون مجىء هذا اليوم.. يوم العمل .. يوم البناء ..

مدن عربية جديدة

ثم كانت الرحلة الثانية فى شهر ابريل من هذا العام ..وعلى طول القناة من مدينة السويس على البحر الاحمر الى مدينة بور سعيد على البحر المتوسط ، مرورا بمدينة الاسماعيلية فى منتصف الطريق .. كان لقاؤنا بالحياة الجديدة فى هذه المنطقة التى ستبقى قصة معاناتها وكفاحها وانتصاراتها ، حية فى الاذهان لاجيال طويلة مقبلة .. ماذا رأينا ؟

رأينا مدنا جديدة حديثة بكل مرافقها .. مدارسها واسواقها ثم دور العبادة للمسلمين والمسيحيين وقد قامت شامخة فوق الانقاض ، فى السويس وفى الاسماعيلية وفى بور سعيد .. مدن جميلة سوف تبقى رمزا لما يمكن ان يحققه التضامن العربى الذى وصل الى الذروة فى حرب رمضان وما بعدها ، فى اى بقعة فى اى قطر من اقطار وطننا العربى الكبير .. مدن تحمل اسماء الملوك والامراء العرب الذين ساهموا باموالهم فى معركة البناء والتعمير .. مدينة الملك فيصل الذى فقدته الامة العربية .. مدينة الملك خالد عاهل السعودية ، خير خلف لخير سلف .. مدينة الشيخ صباح امير دولة الكويت .. مدينة الشيخ زايد امير دولة الامارات العربية المتحدة ..

هل يمكن ان يتحقق هذا العمل الكبير فى مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ؟

وبحثنا عن الرجل الذى اخذ على عاتقه انجاز هذه المهمة الضخمة .. المهندس عثمان احمد عثمان وزير الاسكان والتعمير .. ولكننا لم نجده .. لقد كان فى مهمة فى الخارج ..

والمهندس عثمان ليس غريبا على العالم العربى ، فقد ارتبط اسمه دائما بالمقاولين العرب ، الذين نهضوا بالعديد من المشروعات الحيوية فى معظم الاقطار العربية ، قبل ان تسند اليه مهمة بناء مصر وتعميرها ، ابتداء من منطقة قناة السويس شمالا حتى حدود مصر جنوبا ، وما وراءها ..

معجزة .. ولكن !

وذهبنا للقاء الرجل القائم على هذا العمل فى منطقة القناة ، المهندس حسب الله الكفراوى رئيس الجهاز التنفيذى لمشروعات تعمير هذه المنطقة .. وجلسنا اليه فى مكتبه على امتداد اربع



مدينة الشيخ صباح السالم الصباح امير الكويت في السويس ، والعمل يجرى فى بنائها ليل نهار لاعدادها للسكن فى اوائل العام المقبل ·

جانب آخر من العمارات السكنية الانيقة بحي الكويت بمدينة بور سعيد ، حيث يجرى العمل على قدم وساق لتجميل مدينة السوق الحره وتطويرها ·





عمارات سكنية حديثة فى بور سعيد ايضا ٠٠ان السوق الحرة فى المدينة ما زالت فى بدايتها ٠٠ وتجرى الان دراسات لتنفيذ العديد من المشروعات الصناعية والسياحية فى هذه المدينة الصامدة ، لخلق مركز للتجارة الدولية فيها ٠



وزعت الوحدات السكنية على المهجرين العائدين، ولم ينسوا بطبيعة الحال اسر الشهداء ٠٠ والصورة لارملة شهيد مع جدتها لأمها فى سكنهما الجديد مع الذكريات ٠٠

ساعات كاملة يحدثنا ونحدثه عن هذا العمل الذى اعطاه كل جهده ووقته !

قلنا نسأله : « لكل عمل بداية ٠٠ فهل لك ان تحكى لنا كيف بدأت قصة التعمير فى منطقة القناة ؟ » قال فى حماس بالغ : « لقد انقضى عصر المعجزات ٠٠ ولكن لا بأس من ان استخدم هذه الكلمة فى وصف المنجزات التى تحققت فى تلك الفترة القصيرة من الزمن ٠٠ لقد كانت ثمرة جهد وعرق وارادة وتصميم ٠٠ وفى اقل من اثنى عشر شهرا تحقق الامل ، وعادت الحياة الى هذه الارض التي هجرها اهلها بعد أن توقفت فيها كل مظاهر الحياة !

« اما القصة ، فقد بدأت فى اليوم السابع والعشرين من شهر مايو عام ١٩٧٤، عندما أصدر المهندس عثمان احمد عثمان اول قرار باسماء المجموعة الاولى التى كلفت بمسئولية تعمير منطقة قناة السويس ٠٠ وعلى الفور برز العديد من الاسئلة التى كان لا بد لنا من ان نجد الاجابة عليها حتى نتمكن من تحديد مسار هذا العمل الكبير ٠٠ ترى ما هو حجم هذا العمل ٠٠ وما هى نوعيته ؟ وبعد ذلك ، انتقل الحديث عن ادوات التنفيذ ، الايدى العاملة التى نحتاج اليها، ثم المعدات والآلات والمواد اللازمة لعمليات البناء والتعمير ٠

سكان منطقة قناة السويس

● مدينة بور سعيد كان تعداد سكانها قبل عام ١٩٦٧ (٢٦٠) الف نسمة ، واليوم ارتفع العدد الى ٣٥٠ الف نسمة ٠

● مدينة الاسماعيلية كانت تضم ١٤٠ الف نسمة وقد ارتفع تعداد سكانها اليوم الى ٢٢٠ الف نسمة ٠

● مدينة السويس انخفض تعداد سكانها ٠٠ كانوا قبل عام ١٩٦٧ مائتى الف نسمة، واصبحوا اليوم لا يزيدون من ١٥٠ الف نسمة ، والسبب أن ٨٠٪ من مساكنها قد دمر تماما ٠

● مدينة بور توفيق دمرت تماما ، ولم يبق منها شيء ٠ ويجرى العمل الان فى ازالة ما تبقى فيها من انقاض ، واعادة بنائها من جديد بنفس الصورة الجميلة التى كانت عليها قبل عام ١٩٦٧ ٠

بدأنا من الصفر

« وطرحت كل هذه الاسئلة على بساط البحث ٠٠ »

واستطعنا ان نصل الى اجابات محددة صريحة وواضحة ، لعل اهمها اطلاقا ان نقطة البداية فى كل منها هى الصفر ٠٠ فلم يكن لدينا شيء ٠٠ اى شيء على الاطلاق من متطلبات هذه العملية الهائلة التى كلفنا بها ٠٠

« وبدأنا نعمل ٠٠ وكانت الخطوة الاولى فى برنامج عملنا هى تكليف العديد من شركات القطاع العام والمقاولين فى القطاع الخاص بتجنيد كل امكانياتهم لتنفيذ المرحلة الاولى التى كانت تتلخص فى اعمال الترميم لكل ما يمكن ترميمه من المساكن والمنشئات ، وازالة المبانى الآيلة للسقوط ، ثم اعادة الحياة الى المرافق الحيوية، كمرفق المياه العذبة ، والمرافق الصحية ومحطات توليد الكهرباء والطرق وغيرها ٠٠

«ولكننا ما كدنا نخطو اولى خطواتنا على الطريق حتى واجهتنا مشكلة أخرى ، ولعلها كانت اهم جوانب هذه المرحلة اطلاقا ٠٠ وهى مشكلة توفير المال اللازم لتنفيذ عمليات البناء والتعمير ٠٠ وكانت وقفة قصيرة ، ما لبثت مسيرة العمل ان تحركت بعدها فى انطلاقتها الكبرى ٠٠ فقد وقف المهندس عثمان احمد عثمان يعلن انه قد اخذ على عاتقه مهمة توفير الاموال اللازمة لبناء منطقة قناة السويس وتعميرها ٠٠ اعلن الوزير هذا معتمدا على صلاته الشخصية باخوانه العرب فى كل الاقطار العربية التى عمل فيها ٠٠ فكلنا يعلم الدور الذى قام به « المقاولون العرب » فى مختلف الاقطار العربية ٠٠ وهو دور كان وما يزال مصدر فخر لمصر وللمصريين » ٠

مع الاشقاء العرب

ومضى المهندس الكفراوى يكمل حديثه فقال : « وبدأ وزير الاسكان والتعمير جولته شارحا للاشقاء العرب ما أصاب مصر ، وما اصاب هذه المنطقة بالذات عند خط المواجهة مع العدو ، من



محطة طلمبات المياه الحلوة من الداخل حيث يتم رفع المياه من المنسوب المنخفض للترعة التى تجرى فيها مياه النيل الى المنسوب المرتفع ومنها الى ارض سيناء ٠



عملية رى الارض فى سيناء بالرش ، فى القطاع الشمالى لقرية الابطال ٠٠ احدىالقرى التى تقرر استصلاح الارض من حولها واستزراعها ٠٠

دمار وخراب نتيجة لحرب الاستنزاف التى دامت أكثر من سبع سنوات بلا طائل ٠٠ الى ان جاءت اخيرا معركة العبور التى كانت نقطة تحول فى تاريخ العرب والعروبة ٠٠ عسكريا واقتصاديا وسياسيا ٠٠

« واستجاب الاشقاء ، فلم تكن الصورة غائبة عن اذهانهم وقلوبهم ٠٠ »

« وبدأ العمل الجاد ٠٠ وفى شهر يونيو من عام ١٩٧٤ كانت اول دراسة على الطبيعة فى موقع العمل ، عندما جئنا ـ المهندس الكبير ابراهيم زكى (٢) قناوى الوزير السابق ، وانا ٠٠ جئنا الى منطقة قناة السويس ، هذه البقعة من الارض التى كانت يوما تنبض بالحياة ٠٠ وهالنا ما رأينا منها ٠٠ لقد اصبحت ارضا مهجورة مهملة ، قامت فوقها البيوت التى دمرتها القنابل وقذائف العدو ٠٠ وامتلأت شوارعها وطرقاتها بقطع الطوب والحجارة ٠٠ ثم بقايا الاشجار التى جفت وهربت منها الحياة !

« وعشنا فى الخيام فى عز الصيف من شهر يونيو حتى شهر سبتمبر ٠٠ اربعة اشهر كاملة ٠٠ وخلال تلك الفترة ، بذلنا من الجهد كل ما يمكن ان يبذله انسان فى سبيل توفير العدد اللازم من المهندسين الذين يتطلبهم هذا العمل الكبير ٠

« بدأ العمل اذن فى شهر سبتمبر ١٩٧٤ ، واستطعنا ان ننجز كل هذا الذى انجزناه فى اقل من عام واحد٠٠انه ليس جهدنا وحدنا ولكنه ايضا جهد الاشقاء العرب الذين قدموا كل ما نحتاج اليه من دعم فى معركة التعمير بعد معركة التحرير ٠٠ »

ما هى هذه المنجزات ؟

لقد قامت مدينة « الملك فيصل » فى السويس، وهى تضم اليوم اربعة الاف وحدة سكنية يشغلها المواطنون العائدون من المهجر ٠٠ وتتالف كل وحدة من حجرتين وصالة او ثلاث حجرات ٠٠ وفى قلب المدينة قامت المرافق الحيوية التى حققت الاكتفاء الذاتى لسكانها وجعلتمنها مدينةكاملة متكاملة٠٠ كما انتهى العمل ايضا فى انشاء قريتين صغيرتين نموذجيتين فى السويس ، هما قريتى العمدة وعامر، وتضم كل منهما مائتى مسكن ريفى ٠٠ ثم قامت بعدها مدينة الملك خالد ٠

(٢) ابراهيم زكى قناوى ، هو الرجل الذىقام بدور رائد فى جميع المشروعات الكبرى فى مصر ، ابتداء من قناطر محمد على ، وقناطر اسناوقناطر نجع حمادى ، وتعلية خزان اسوان ، ثم اصبح المهندس الاول والمقيم لمشروع كهربة خزاناسوان ثم السد العالى ٠







مجموعة من الوحدات السكنية الحديثة بمدينة الشيخ زايد بالاسماعيلية (الى اليمين فوق)، وفي مدينة السويس التي دمرت مدافع العدو اكثر من ٨٠٪ من مساكنها ، قامت مدينة « الملك فيصل » عاهل السعودية الراحل ، وفي مدخل المدينة رفعوا صورته تخليدا لذكراه العطرة ·· وبجوارها قامت مدينة الملك خالد ·

☆☆☆

في مدن القناة العربية الجديدة اقاموا مساكن صغيرة للحرفيين ·· والهدف منها ربطهم بهذه الارض التي ما زالت في حاجة لخبرتهم ومهارتهم لسنوات طويلة مقبلة ·· فعمليات البناء والتعمير ما زالت في بدايتها ··



المدن الجديدة ·· مدن كاملة متكاملة بكل مرافقها الحيوية ، والصورة لفصل دراسي بمدرسة الشيخ زايد الاعدادية المشتركة بالاسماعيلية ·· تحوي برامج الدراسة في المدرسة تاريخا مفصلا لدول الخليج العربي ·



المهندس الكبير ابراهيم زكي قناوى الوزير السابق والرجل الذى قام بدور رائد فى جميع مشروعات مصر الكبرى قناطر محمد على ، قناطر اسنا ، قناطر نجع حمادى وتعلية خزان اسوان ، ثم كان المهندس الاول والمقيم لمشروع كهربة خزان اسوان ثم السد العالى •• كان فى مقدمة الذين جاءوا الى منطقة قناة السويس ليشرف على بنائها وتعميرها ••



المهندس حسب الله الكفراوى رئيس الجهاز التنفيذى لمشروعات تعمير منطقة القناة قال : جئنا ـ المهندس زكي قناوى وانا ـ لنشرف على البناء والتعمير فى هذه المنطقة العزيزة من بلادنا •• واستطعنا بفضل مساندة الاخوة العرب لنا ان نحقق بعض آمال مصر وشعب مصر •

وفى نفس الوقت الذى بدأ فيه العمل فى بناء مدينة عاهل السعودية الراحل فى السويس ،شرع العاملون فى وضع حجر الاساس لمدينة الشيخ زايد فى الاسماعيلية،وقد قامت المدينة وانتهى العمل فى بنائها بالفعل فى نفس الوقت تقريبا ، وهى تضم اربعة آلاف وحدة سكنية اخرى وزعت على اربعة آلاف اسرة من الاهالى الذين دمر العدو مساكنهم•• وتتالف كل وحدة من حجرتين او ثلاث حجرات ايضا ، وايجارها الشهرى يتراوح بين اربعة جنيهات وخمسة جنيهات ونصف فقط •

وفى الاسماعيلية ايضا انتهى العمل فى بناء اربع قرى نموذجية اخرى ، هى قرى « ابو خليفة » والدفرسوار الجديدة وعين غصين وسرابيون •• وتضم كل قرية منها مائتى مسكن ريفى ، باستثناء قرية « ابو خليفة » التى تحوى اكثر من ثلاثمائة وحدة سكنية ، وتقع هذه الاخيرة بالقرب من القنطرة غرب،تلك المنطقة التى دمرها العدو تماما

انجازات اخرى تحققت فى منطقة القنـاة

- انفاق للعبور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية للقناة تحت مياه قناة السويس •
- اصلاح ومد شبكة طرق واسعة داخل مدن القناة وحولها ، وبينها وبين مختلف انحاء الجمهورية •
- مد ورصف طريقين يصلان بين بور سعيد والسويس، احدهما محاذ للقناة مباشرة ، والآخر مواز له ويبعد عنه حوالى الف متر فى المتوسط •
- اقيمت سوق حرة فى بور سعيد تباع فيها جميع انواع السلع المستوردة •

ويجرى العمل الآن فى ازالة انقاضها وبنائها من جديد ..

حي الكويت في بور سعيد

وفى نفس الوقت تقريبا ، ومع اشارة البدء التى اطلقت للعمل فى بناء كل هذه الوحدات السكنية ، بدأت عملية بناء « حى الكويت »بمدينة بورسعيد ، ويضم هذا الحى الجديد الأنيق حوالى اربعة الاف وحدة سكنية ايضا.. اما مدينةالكويت فقد قامت فى السويس ، ولايزال العمل مستمرا للانتهاء من تشييد مساكنها ومرافقها ، وهى تحوى سبعة الاف وحدة سكنية معدة لتوزيعها على المواطنين فى اوائل العام المقبل باذن الله .

وهكذا عادت هذه البقعة من الارض تنبض بالحياة من جديد .. وازدحمت مدن القناة بسكانها العائدين .. وبسكانها الجدد .. هؤلاء الذين اجتذبهم ميدان العمل والرزق فى البناء والتعمير، ومن اجل هؤلاء الوافدين اقيمت المساكن الصغيرة للحرفيين منهم حتى يرتبطوا بهذه الارض التى ما زالت على اول الطريق نحو بناء حياة جديدة لعشرات الالوف من المواطنين الذين ينتظرون دورهم فى الحصول على مساكن لهم ولاسرهم .. ويقدر عدد هؤلاء بحوالى ٨٠ الف اسرة .. تم اسكان ٢٠ الف اسرة منها ، ولا يزال العمل مستمرا لتوفير الاعداد الكبيرة من المساكن الجديدة ..

وعادت الملاحة الى قناة السويس ..

وعادت الحياة الى مدن القنال ..

فهل انتهت مشروعات البناء والتعمير فى هذه المنطقة الحيوية وما حولها ؟

التعمير في سيناء

ولاول مرة فى تاريخ مصر ، عبرت يد التعمير قناة السويس الى ضفتها الشرقية .. الى شبه جزيرة سيناء .. الى هذه البقعة العزيزة من ارض مصر التى ارتوت رمالها بدماء الشهداء الذين حققوا انتصارات رمضان المبارك ..

ولاول مرة فى التاريخ منذ كانت هناك سيناء .. روت مياه النيل العذبة ارض هذه الصحراء التى كانت وستظل دائما خط الدفاع الاول عن مصر وعن احلام ابنائها فى بناء مجتمع جديد ترتفع فى قلبه اشجار الزيتون الخضراء ..

واعد مشروع تعمير سيناء واعادة بنائها واستصلاح اراضيها واستزراعها ..

اما قصة هذا المشروع فقد بدأت فى عام ١٩٦٥ عندما تم حفر ترعة فرعية من ترعة السويس العذبة ، لتحمل مياه النيل الى الضفة الغربية لقناة السويس عند الكيلو ٩٢ من مدينة بور سعيد .. ولكن الترعة ما لبثت أن ردمت اثناء العدوان

مشروعات تحت التنفيذ

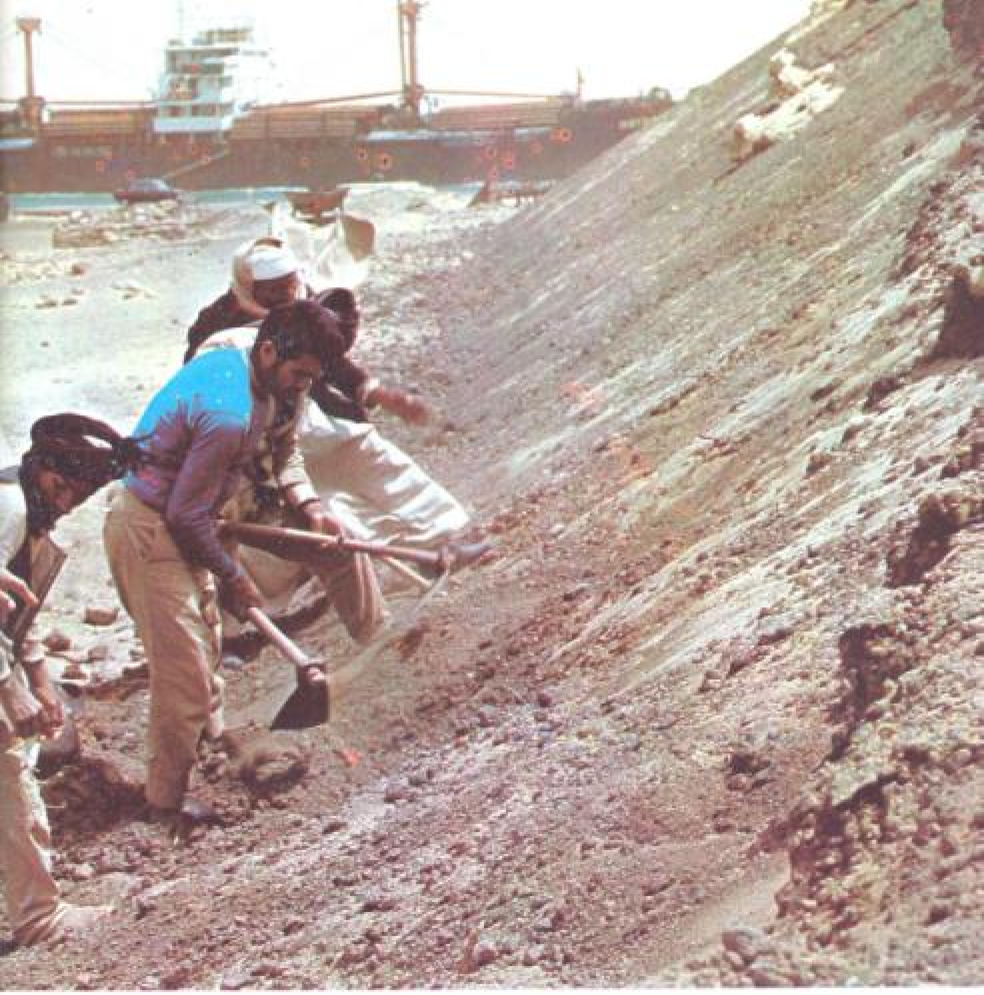
● اشترت شركتا فنادق هيلتون وشيراتون منطقتين فى منطقة قناة السويس لاقامة فندقين من الدرجة الممتازة ، ويجرى الان اعداد الرسومات الخاصة بهما .

● يجرى البحث الآن فى اقامة مستودعات ترانزيت لخدمة منطقة الخليج العربى فى بور سعيد ايضا .

● هناك مشروعات صناعية اخرى ينتظر البدء بتنفيذها قريبا ، وفى مقدمتها اقامة مصانع للنسيج والبتروكيماويات وكذلك اقامة مصنع لتجميع وتصنيع السيارات assembly plant ومصنع آخر للمواد الغذائية فى بور سعيد .

● فى مدينة السويس ايضا تجرى دراسة الان لاقامة مصانع للبتروكيماويات والاسمنت ، ومصانع اخرى للزجاج حيث تتوفر المواد الخام لانتاج أنقى واحسن انواع الزجاج . وكذلك مصانع اخرى للمواد الغذائية وفى مقدمتها تعليب وتجفيف الاسماك .

● هناك أيضا مشروعات اخرى للنهوض بالسياحة فى منطقة العين السخنة وشواطىء البحر الاحمر .. وهى من أجمل المناطق السياحية فى مصر، حيث يكون الجو صيفا دائما طوال ايام السنة .









المهندس عثمان احمد عثمان وزير الاسكان والتعمير .. الرجل القائم على هذا العمل الكبير في منطقة القناة ، وفي كل منطقة اخرى في مصر الغد .. في حديثه تفاؤل وثقة بالمستقبل .. « نعم نحن في البداية .. وحجم العمل الذى ينتظر مصر كبير .. ولكننا على ثقة من ان عجلة العمل لن تتوقف ابدا بفضل الارادة العربية وسواعد العمال المصريين .. ان العامل المصرى الذى صنع العبور وصنع النصر يبنى اليوم مصر الغد » (الى اليمين) بسواعدهم القوية اخذ العمال يزيلون السد الترابى .. شكرا لاخواننا العرب الذين وقفوا بجانبنا وتضامنوا معنا ..



فوق هذا السد الترابى على ضفتى القناة استمر التراشق بالمدافع خلال سنى حرب الاستنزاف ، التى ذهبت بلا جدوى .. ثم كانت حرب اكتوبر .. وعادت قناتنا الينا ، وبدأ العمل فى ازالة السدود التى امتدت على طول القناة واتخذ العدو منها ساترا، واتخذ جيش مصر منها خط دفاعه الاول .. وجاء العامل المصرى مرة اخرى يضرب فيها بفأسه وبذراعه القوية ليزيل ما تبقى منها !

على مصر في عام ١٩٦٧ ، وبقيت مردومة طوال هذه السنوات الى ان اعيد حفرها بعد معركة النصر ٠٠ وامتلأت الترعة بالمياه الحلوة ، ثم حملتها انابيب ضخمة امتدت تحت مياه قناة السويس ، لتصبها في الارض المستصلحة على الضفة الشرقية عند قرية الابطال في سيناء ٠٠

نماذج للحياة الجديدة

وعبرنا القناة مع مياه النيل العذبة٠٠ وشاهدنا الرجال مع الاتهم ومعداتهم التي حملوها معهم ، وراحوا يعملون بلا كلل من أجل تغيير وجه الحياة على الارض التي كشفت عما تختزنه في جوفها من ثروات٠٠ بترول ونحاس وفحم وحديد وفوسفات وغيرها ٠٠ شاهدنا نماذج لما ستكون عليه صورة الحياة الجديدة في سيناء ٠٠ القرى والمدن الصغيرة التي يجري بناؤها مثل قرية الابطال ٠٠ والمشاتل او حقول التجارب الزراعية ٠٠ وبيوت المزارعين الذين حملوا فؤوسهم وجاءوا يضربون بها في الارض الطيبة ٠٠

لقد كان تعداد سكان شبه جزيرة سيناء طبقا لآخر احصاء اجري في عام ١٩٦٦ حوالي ١٣٠ الف نسمة ٠٠ وينتظر ان يتضاعف هذا العدد كثيرا في السنوات القليلة المقبلة بعد أن يتم تحرير بقية ارض سيناء ٠٠ وبعد أن تتحقق مشروعات التنمية في هذه الارض الشاسعة الممتدة التي ستخفف من الكثافة السكانية في دلتا النيل وواديه الاخضر في الشمال والجنوب ٠

وانتهت جولتنا ٠٠ وعدنا الى القاهرة ٠٠ ولكننا ما كدنا نصل اليها عبر الطريق الصحراوي الممتد لمسافة مائة وعشرين كيلو مترا من مدينة الاسماعيلية ، حتى وجدنا رسالة عاجلة في انتظارنا ٠٠ لقد عاد المهندس عثمان احمد عثمان وزير الاسكان والتعمير من مهمته في الخارج ، وحدد لنا موعدا لمقابلته ٠٠

مع المهندس عثمان احمد عثمان

وذهبنا للقاء الرجل الاول القائم على تعمير مصر في بيته في شارع الهرم ٠٠ لقيناه في مساء نفس يوم عودته واستقبلنا مرحبا ، وكان يعلم بطبيعة الحال من المهمة التي جاء « العربي » من اجلها ، وامر بتوفير كل التسهيلات لتيسير اتمام مهمتنا ٠٠ قال يسألنا : « ماذا رأيتم » ؟



مسجدان يجري العمل لاتمام بنائهما ٠٠ الاول في مدينة الملك فيصل بالسويس ، والثاني بمدينة الشيخ زايد بالاسماعيلية ٠٠ ان بناء دور العبادة يأتي في مقدمة المرافق العامة التي توفرت لكل المدن العربية الحديثة في منطقة قناة السويس ٠





مدرسة الملك فيصل الاعدادية المشتركة فى السويس .. المدينة التى دمر العدو اكثر من ٨٠٪ من مساكنها ومبانيها ومدارسها .

قلنا : رأينا لعار الجهد الكبير الذى بذلتموه فى تعمير منطقة القناة !

قال الوزير : « اننا ما زلنا فى البداية فامامنا عمل ضخم ، يتطلب جهودا مضنية ، اننا نعيد بناء منطقة باسرها .. تسلمناها خرائب .. بلا بيوت ولا مستشفيات ، ولا مدارس ، بينما عشرات الالوف من ابنائها المهجرين المنتشرين فى جميع انحاء الجمهورية ، يتحرقون شوقا للعودة الى ارضهم وديارهم .. وانجزنا ما استطعنا انننجزه فى هذه الفترة الوجيزة من الزمن،واستطعنا ان نحقق امال البعض منابناء مدن القناة ..لمنستطع بطبيعة الحال ان نحقق آمالهم كلهم .. انها مسالة وقت وسوف نصل باذن الله .. فنحن نعمل الان فى بناء وتعمير اهم واغلى بقعة من ارض بلادنا.. وانا مؤمن بالله .. ومؤمن بان المواطن العربى اينما وجد يستطيع بجهده وكفاحه ان يحقق المعجزات .. »

ومضى المهندس عثمان احمد عثمان يتحدث فى حماس .. فليس هناك حديث أمتع وأحب الى قلبه من الحديث عن التعمير والبناء .. فهو قد عاش ربع قرن من الزمان او يزيد يبنى ويبنى.. فى السد العالى وفى بقية ارجاء مصر من اقصاها الى اقصاها .. وفى كل بلد عربى .. فالبناء حياته وعمله وهوايته وهو عندما يبدأ ، تجده قد انطلق فى مسيرته متخطيا كل العوائق وكل الحواجز التى قد تقف فى طريق اعظم واكبر عمل فى حياة الشعوب ..

على المستوى القومى

كانت اول مشكلة واجهته ، وهو يشرع فىاعادة بناء مدن القناة وتعميرها ، هى تدبير المال اللازم لتمويل هذه المشروعات .. ولكنه لم يقف طويلا عندها،سارع يستقل الطائرة للقاء الاشقاء العرب فى السعودية .. وفى دول الخليج .

ويقول المهندس عثمان احمد عثمان : « لم يكن ممكنا ان نقوم بهذه الاعمال الضخمة بدون مساعدة اخواننا العرب .. لقد ساهمت السعودية .. وساهمت الكويت،وساهمت دولة الامارات العربية المتحدة ، وقطر ، بمبالغ كبيرة شجعتنا وساعدتنا على النهوض بهذ االعمل الكبير .. انه اول عمل يتم على المستوى القومى فى مصر ،وسوف يبقى نموذجا لما يمكن ان يحققه التضامن بينشعوب الامة العربية .. اننا لن ننسى هؤلاء الاشقاء العرب الذين دفعوا وما زالوا يدفعون بسخاء وبقلوب مليئة بالحب لمصر والوفاء لها . »

ومضى الوزير يقول : « اننى لا أنسى بعد هذا فضل اخوانى العرب فىمجال عملىوعمل «المقاولون العرب » .. فقد فتحوا لنا اوسع الابواب التى ساعدتنا على تكوين وتطوير هذه الشركة الكبيرة التى حققت الكثير من المنجزات فى الدول العربية الشقيقه .. ولقد بدات انا نفسى صغيرا وكبرت معها . »

نقطة البداية

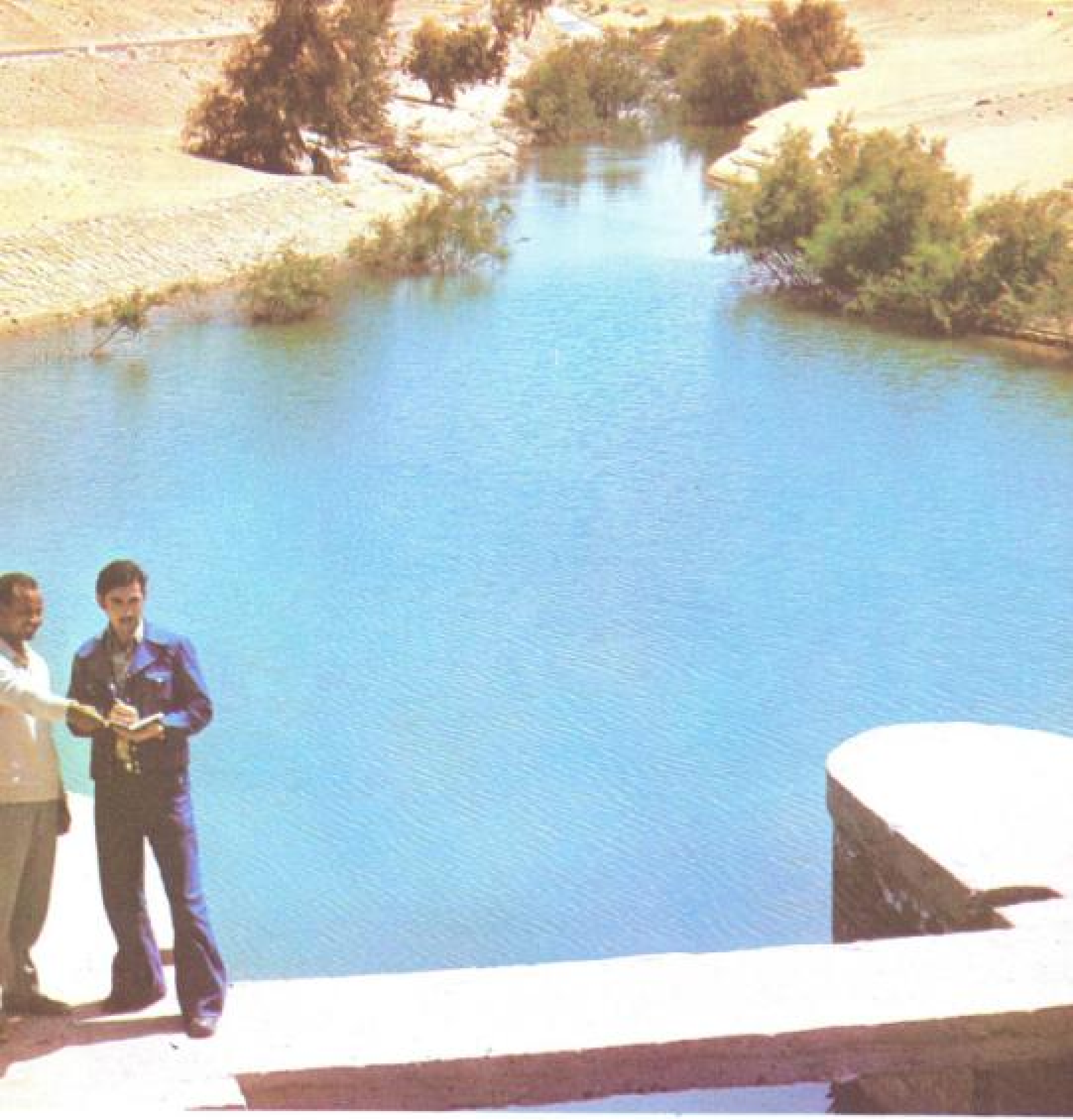
قلنا نسال الوزير : « كيف بدات الخطوة الاولى؟



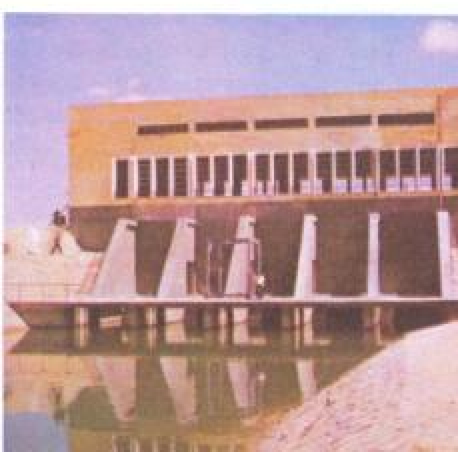
سحب المياه الحلوة من الترعة الاصطناعية لري ارض سيناء الظامئة ، واعدادها للزراعة لاول مرة . هنا يصنعون المستقبل .

المشتل ، او حقل التجارب الزراعية في قلب صحراء سيناء ، ومزارع ابنائها يروي شتلات الجزورينا والكافور .. اول نبتة ستزرع في ارض سيناء لتكون مصدات أو حواجز للرياح والرمال حول المناطق الزراعية .





مياه النيل تجرى فى ارض الصحراء الواسعة فى شبه جزيرة سيناء لاول مرة فى التاريخ ·· لقد انتقلت اليها عبر الانابيب التى امتدت تحت مياه قناة السويس ، حاملة الخير للارض الطيبة ،
(والى اليمين) محطة طلمبات المياه حيث يتم رفع وتوزيع المياه الى الاراضى المستصلحة للزراعة· منسوب الترعة وراء المحطة اقل من منسوب الترعة امامها ·





الانابيب التي تحمل مياه النيل العذبة تحت مياهقناة السويس من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية وقد ظهرت الانابيب نفسها بعد ان اتمترحلتها على الجانب الآخر ٠٠عند منطقة الدفرسوار .

كيف كان تقديرك للموقف وانت ترى هذا العمل الضخم امامك ٠٠ من اين كانت البداية ٠٠وما هي مشروعاتك للمستقبل في هذه المنطقة ؟

قال : « لقد كان أول شيء فعلته ، هو الاستعانة بخبرات العالم التي سبقتنا في تطوير وتنمية بلادها التيحققت قدرا كبيرا من الرخاء ٠٠ ووجهت الدعوة الى سبعمائة بيت من بيوت الخبرة من شتى انحاء العالم ورحت اجتمع بممثليهم والتقي بهم واستمع الى ارائهم ٠٠وشرحت لهم هدفنا في النهاية : « اننا نريد أن نبنى هذه المنطقة ونعمرها »

. والحق انني وجدت استجابة من جميع الهيئات والمؤسسات هنا في مصر للمساهمة في تعمير القناة ٠٠ بعد النصر ، وكان امامي خطتان ٠٠ خطة عاجلة ، وخطة طويلة الامد ٠٠ الخطة الاولى تعتمد على اعادة المهجرين باسرع وقت ممكن الى الارض التى هجروها ، حتى يمكن ان تعود الحياة الطبيعية الى هذه المنطقة التي عانت طويلا ، وعاني معها اهلها اكثر ، وكانت تشتمل ، كما رأيتم ، على اصلاح المجارى وتوصيل المياه العذبة وترميم البيوت التي يمكن ان تصلح للسكن وبناء حوالى ٢٠ الف وحدة سكنية ٠٠ واقر مجلس الوزراء الخطة العاجلة وحملتها معي لأعرضها على السيد رئيس الجمهورية ٠٠وكانت هذه هي نقطة البداية او نقطة الانطلاق ٠٠

المفاجاة التي لم تكن جميعا نتوقعها ان هذا العمل الكبير قد انجز في شهور معدودة ، وكان مقدرا له الا ينتهي في اقل من ثلاث سنوات ! »



ابن سيناء يعمل فى الارض بفاسه بعد ان روت مياه النيل الصحراء وجاءت اليها تحمل معها الخير المرتقب

تحية للعامل المصرى

ثم قال: « اننى اتوجه بالتحية للعامل المصرى ·· فهو صاحب الفضل الاول ·· وهو صديقى ، وهو معلمى ·· ولولاه لما استطعنا ان نحقق هذه المعجزة ·· ان جهده وجلده وصبره على المتاعب ، هى العناصر الاساسية التى صنعت هذا العملاق ! »

ثم ماذا ·· قال عثمان احمد عثمان وهو يودعنا ، فقد كنا قد حزمنا حقائبنا استعدادا للسفر عائدين الى الكويت فى اليوم التالى ·· قال : « لن انسى عاملين كان لهما اكبر الاثر فى انجاز هذا العمل الكبير ·· تشجيع الرئيس انور السادات لكل عامل ومهندس ، شارك فى عملية البناء والتعمير ··

ويكفى ان اذكر انه زارنا فى مواقع العمل اكثر من سبع مرات فى سنة واحدة ، حيث كان يجلس بين ابنائه وتحدثه ويحدثنا عن سير العمل وعما انجزناه منه ، وما لم ننجزه ·· ولا شك ان هذه الزيارات كانت حافزا لنا جميعا للاستمرار والمضى فى العمل الذى تنتظره مصر منا جميعا ··

ثم بعد هذا ، تلك الهدية التى قدمها الاشقاء العرب لمصر بعد النصر ·· ولقد ردت مصر الهدية بان اطلقت اسماء الملوك والامراء والزعماء العرب على المدن التى شيدوها لأبناء مصر ، وفوق ارض مصر ، عرفانا بالجميل ·· ورمزا لما يمكن ان يحققه التضامن العربى فى كل جزء من اجزاء وطننا العربى الكبير » ·

منير نصيف

بريد الكويت

له حكاية



استطلاع بقلم :
يوسف الشهاب

تصوير :
حسن الصفار

صناديق البريد ، وزعت في كافة ارجاء البلاد ، حتى تكون في متناول يد كل مواطن ٠

انشأت ادارة البريد ، قسما لهواة جمع الطوابع ،يستقبل يوميا العديد من الجنسين ، لمتابعة كل جديد في عالم هذه الهواية ، هنا بعض الهواة يختارون طوابعهم ، ويتشاورون في أمرها ٠





ساحة البريد العام، وقد وقف المواطنون امام الحاجز، كل ينتظر دوره للحصول على طوابع لرسائله ·



اكياس الرسائل·· يتم وزنها كل صباح ، استعدادا لارسالها بالبريد الجوى الى اصحابها فى دول هذا العالم المترامي الاطراف ·

■ صورة تتكرر كل يوم ٠٠ في كل بلد ٠٠ في كل مكان من العالم الواسع من حولنا ٠٠ صورة الرسالة التي تحملها في يدك وتبحث بها عن اقرب صندوق بريد لتدفع بها الى جوفه ٠٠ ثم لا تلبث أن تواصل سيرك في هدوء ٠٠

وقد يضطرك الامر في بعض الاحيان للذهاب الى مكتب البريد، لان رسالتك لا تحمل هذا الطابع الصغير الذي يسمح لها بمواصلة رحلتها السريعة او لانك تريد ان تبعث بها مسجلة !

شيء مالوف وعادي يحدث كل لحظة ٠٠ كل ساعة ٠٠ كل يوم ٠٠ ولكن هل توقفنا يوما لنتساءل « ما هي قصة البريد » كيف كان مولدها ؟ ما هذا الجسر الذي يربط بيننا وبين من نحب ، ويعبر برسائلنا تلك المسافات الشاسعة من الاراضي والبحار والوديان ، في أيام معدودة ٠٠

في هذا الاستطلاع يروى لك « العربي » حكاية البريد في الكويت ٠٠ تلك المكاتب الكبيرة والصغيرة التي يتعامل معها يوميا كل مواطن ومقيم على أرض الكويت ٠

بيت المزيد

لم يكن هناك دائرة حكومية للبريد ، خلال الفترة التي سبقت عهد المغفور له الشيخ جابر المبارك الصباح ، لنقل الرسائل من والى الكويت، ولذلك فقد كان الاهالي يعتمدون في نقل رسائلهم على بيت « المزيد » ، وكانت الرسائل توضع في كيس علق في «ديوانهم » بعد ان يضع عليها اصحابها طوابع بريد هندية ، ويتولى كل من ناصر وعلي المزيد ، نقلها الى العراق لتسليمها الى دائرة البريد التي تقوم بتوزيعها ضمن بريدها داخل العراق وخارجه ، ويتقاضى « آل مزيد » اجرا زهيدا متفقا عليه عن كل رسالة ، كما كانوا يتقاضون مساعدة حكومية تشجيعا لهم للاستمرار في هذا العمل الشاق ٠٠

الامانات والطرود ينقلها المسافرون

هكذا كان اهل الكويت يبعثون برسائلهم ٠٠ اما الامانات والطرود التي يخشى الاهالي ارسالها بالبريد ، فقد كانوا يعتمدون في ارسالها على ربابنة السفن والمسافرين لتوصيلها ٠ ولكنهم كانوا يلاقون صعوبات كثيرة في كيفية ارسال اماناتهم وحوائجهم وضمان وصولها دون أن تصاب بتلف أو تاخير ٠ اضف الى هذا الاجور المرتفعة



ساعي البريد ٠٠ يبدأ مع اشراقة شمس كل صباح، رحلة توزيع الرسائل على اصحابها في اسواق المدينة ، هنا احد سعاة البريد وقف امام احد المحلات لتسليم صاحبه رسالته ٠٠



تخضع كافة الرسائل لختم يوضح تاريخ وصول الرسالة وارسالها ـ والصورة لاحد الموظفين وهو يقوم بختم الرسائل على آلة كهربائية ...

التي يدفعها صاحب الامانة في بعض الاحيان الى حامل رسالته لضمان وصولها سالمة وبسرعة .

وتمر الايام .. ويتم الاتفاق بين الشيخ جابر المبارك والمعتمد البريطاني في الكويت ، على تاسيس أول دائرة للبريد داخل ارض الكويت . وقد تاسست هذه الدائرة التي تفرعت عن دائرة البريد والبرق الهندية في عهد الشيخ مبارك الصباح ، ولكنها لم تدم طويلا بسبب الاجور المرتفعة التي كانت تفرضها على الحوالات والطرود والرسائل بالمقارنة باجور البريد في العراق .

لذلك فقد استبدلت دائرة البريد الهندية عام ١٩٢١ م بدائرة بريد عراقية ، اما الطوابع التي كانت تستخدم في الدائرتين فكانت تتبع لحكومة الهند البريطانية وقد كتب عليها اسم « كويت » باللغة الانجليزية .

البريد بالسيارات الى البصرة

وسعيا وراء الاسراع في نقل الرسائل ، امكن استخدام اول سيارة عام ١٩٢٧ لنقل البريد الى البصرة عن طريق المطلاع وصفوان ، بعد الاتفاق مع السيد « حامد النقيب » باجر شهرى يبلغ ٣٠٠ روبية ، وكانت هذه السيارات تنتقل يوميا بين الكويت والبصرة حاملة معها الرسائل من والى اصحابها ، وكانت هذه السيارات تواجه صعوبات كبيرة ، بسبب وعورة الطريق ، وسوء الاحوال الجوية خلال الصيف والشتاء .

بطاقات حكومية لا تحمل أية قيمة

واصدرت سكرتارية حكومة الكويت في السنوات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ م بطاقات صغيرة تشبه الطوابع العادية لكنها لا تحمل أية قيمة ، وكان ذلك بمناسبة تولي المغفور له الشيخ احمد الجابر حكم البلاد ، وقد زود مكتب البريد بهذه البطاقات مع التوصية بضرورة الصاقها على الرسائل الصادرة والواردة ، ورغم عدم كونها طوابع بريدية الا انه وجد على البعض منها اختام « البريد البرى » .



وزن الطرود يتم بشكل دقيق منظم ـ الصورة لاحد الموظفين يقوم بوزن طرد بريدي ، بينما صاحبه ينتظر النتيجة .



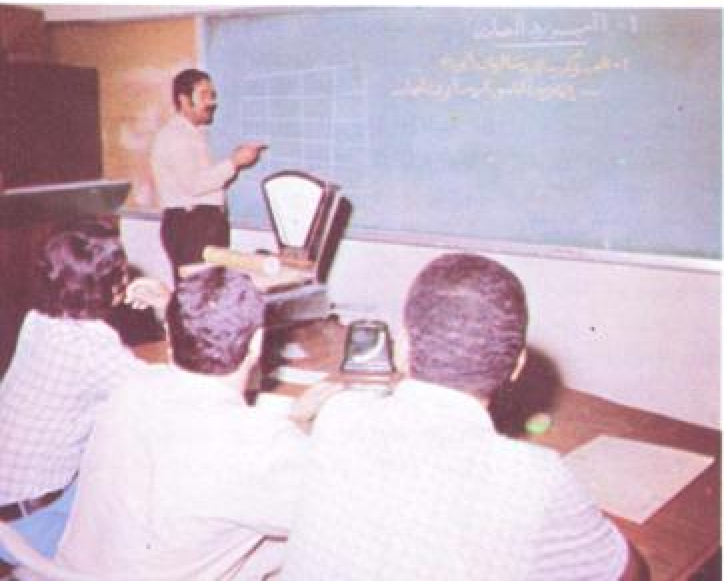
من هذه الخزانة يتم توزيع الطوابع على موظفي الحاجز كل صباح ، استعدادا لرحلة العمل اليومية مع المواطنين .



تاة .. وقفت امام احد صناديق البريد ، وقد همت بوضع رسائلها رطلة لقدوم سيارة البريد لتأخذها لى المراكز الرئيسية حيث يتم فرزها ..



قبل أن يلتحق موظف البريد في عمله .. يلتحق بدورة تدريبية في معهد البريد . لتعلم اصول المهنة وانظمتها (الصورة الى اليمين) لاحد العاملين أثناء قيامه بتخطيط هندسي لعمل البريد ، (وفي الصورة السفلى) احد المدرسين يشرح كيفية توزيع البريد الصادر واجراءاته ..



☆☆☆



شعبة الهواة تتعاون مع دول العالم ، فتتبادل معها الطوابع. الصورة لثلاثة موظفين، احدهم يضع الطوابع الواردة فى مكانها ، واثنان يعرضان ما وصل الى الشعبة من طوابع ..

فرز الرسائل وتوزيعها على الصناديق يتم بصورة مستمرة . الصورة لعدد من الموظفين يقومون بفرز الرسائل الواردة الى الكويت .

واستلمت الحكومة البريد الداخلي والخارجي

ونمضى مع حكاية البريد فى الكويت ، لنصل الى شهر فبراير من عام ١٩٥٨ م عندما تسلمت حكومة الكويت مسئولية الخدمات البريدية الداخلية، واصدرت دائرة البريد مجموعة من ثلاثة طوابع تحمل صورة المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح ، وكان هذا هو اول طابع بريد يحمل صورة امير الكويت .

وبعد ذلك بعام واحد تولت الحكومة مسئولية الخدمات البريدية الخارجية الى جانب الخدمات الداخلية ، وكان من نتيجة ذلك ان اصدرت الدولة مجموعة ثانية من الطوابع البريدية مؤلفة من عشرة طوابع اضيفت الى المجموعة الاولى ، ليشكلا مجموعة واحدة .

وعادت الادارة البريطانية الى البريد

ولكن غياب الادارة البريطانية لم يدم طويلا ، فسرعان ما عادت تسيطر على الخدمات البريدية فى الكويت فوضعت طوابع بريطانية للبيع بمكتب البريد ، وكان يعلوها كلمة « كويت » مثمنة بالآنة والروبية وهى العملة المتداولة فى تلك الحقبة من الزمن .. وقد توالى افتتاح الفروع البريدية فى ارجاء البلاد ، اذ افتتح فى مايو ١٩٥٠ م ثانى مكتب للبريد بالاحمدى . وكذلك انتقل مكتب بريد المدينة الى المنطقة الجمركية على شاطىء البحر وبقى هناك حتى اغلق فى عام ١٩٦٢م وهو المعروف باسم « بريد السيف » كما افتتح مكتب بريد ثالث بميناء الاحمدى عام ١٩٥٣م واستمر فى اداء دوره حتى عام ١٩٦١ م حيث تم اغلاقه هو الاخر . ومضت وزارة المواصلات بعد استلام مسئولية الخدمات البريدية فى البلاد فى افتتاح فروع بريدية فى كل منطقة من مناطق الكويت حتى زادت عن الثلاثين فرعا ووضعت فيها موظفين مدربين .

صناديق البريد

حدثنا السيد ابراهيم العبد الرزاق ، الوكيل المساعد لشئون البريد بوزارة المواصلات فقال :

« ان الوزارة حريصة كل الحرص على ان تؤدى واجباتها البريدية بالصورة التى ترضاها ، وترضى المواطن . واضاف ان صناديق البريد الموجودة بالمكاتب الرئيسية والفروع متوفرة وبامكان كل مواطن ان يحصل على صندوق له ، نظير اشتراك سنوى زهيد » .

اما عن عمل صناديق البريد الموجودة بالشوارع



فقال الوكيل المساعد ، ان هذه الصناديق وضعتها الوزارة من اجل تسهيل الخدمات للمواطنين .

ويقوم مراسلونا بجمع ما بداخل هذه الصناديق استعدادا لارسالها الى بلاد العالم المختلفة بالطائرات ..

سلامة الرسائل متوفرة

وتحرص ادارة البريد فى الكويت على سلامة الرسائل والطرود من الضياع والعبث ، وتتخذ اجراءات الامن اللازمة بالنسبة للرسائل التى قد يشتبه فى امرها ، كما ان الاهتمام بالرسائل والحفاظ عليها من الضياع او التلف أمر توليه الادارة كل اهتمامها ، ولذلك فان فريق الموظفين الذين يتولون فرز الرسائل حسب اسماء الدول ، يبذلون كل جهد من أجل الحفاظ عليها لضمان وصولها الى اصحابها فى الوقت المناسب . وقد جندت الوزارة من اجل هذا العمل العديد من الشباب الكويتى المثقف والحقتهم بوظائفهم بعد ادخالهم فى دورات تدريبية خاصة .

الكويت والمنظمات البريدية

وانطلاقا من مبدأ التعاون البريدى مع المنظمات العربية والدولية ، فقد انضمت الكويت لاتحاد البريد العالمى فى فبراير ١٩٦٠ م والى اتحاد البريد العربى فى يونيو ١٩٦١ م . وقامت بتطبيق اتفاقية البريد العربية التى تنص على وجوب تبادل المراسلات البريدية بين البلاد الاعضاء باجور مخفضة ، كما عقدت ادارة البريد العديد من الاتفاقيات الثنائية مع بعض الدول العربية والاجنبية تحقيقا لهذه الغاية ، وكان من نتيجة ذلك انساهمت الكويت فىالمجالين العربى والدولى باصدار طوابع تذكارية خاصة فى المناسبات الانسانية والثقافية والقومية بناء على طلب من الوكالات المتخصصة فى الامم المتحدة والجامعة العربية .

هل انتهت حكايتنا مع البريد ؟

انها حكاية طويلة تمتد الى ذلك اليوم البعيد الذى كنا نستخدم فيه الحمام الزاجل فى حمل رسائلنا .. او نعهد بها الى هذا الطابور الطويل من الرجال الذين يقفون على طول الطريق بين المدن ويسلمون الرسائل الى بعضهم البعض ، فيحملونها ويعدون بها .. حتى تصل فى النهاية الى يدك ويد كل صاحب رسالة ..

ولكن هذه حكاية اخرى ..

يوسف الشهاب

فن صناعة

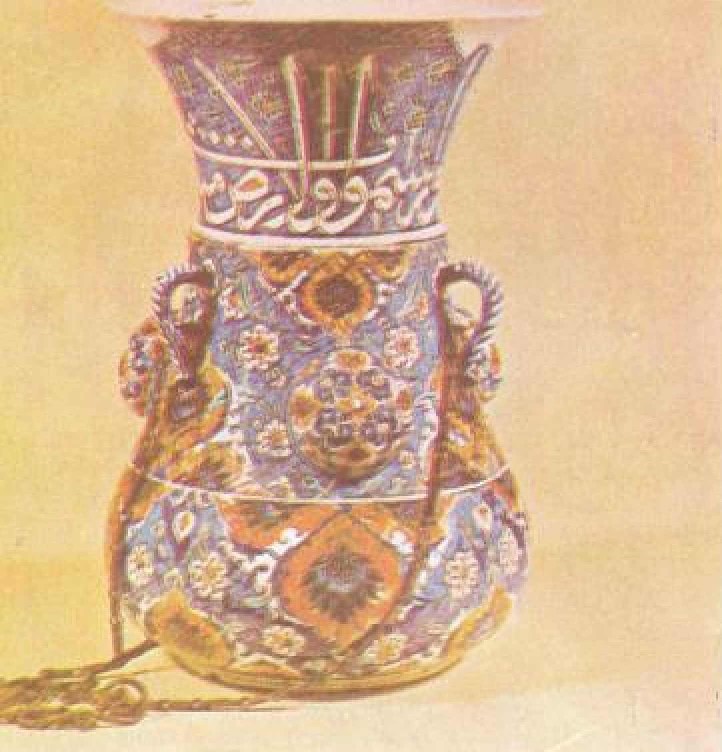
الزجاج

عبر العصور

بقلم :
محمد الحسيني عبد العزيز

ابتكره الفراعنة ووصل الى قمته فى الاسلام ايام الفاطميين





مشـــكاة من الزجاج للمساجد من الصناعة المملوكية في القرن ١٥م

عملية صهر الزجاج في فرن تصليحه .

مشكاة من الزجاج للمساجد مزينة بزخارف نباتية وكتابات عربية صنعت في تركيا في القرن ١٦ م .

انية من الزجاج من صناعة سوريا في القرن ١٤ م .





الزجاج ٠٠ هذه المادة الشفافة التي صنع منها الانسان أجمل الاواني وأروع التحف ، ما قصته ؟ وكيف بدات صناعته ؟ وأين ومتى نمت وازدهرت ؟ هنا في قلب أرضنا العربية عرفنا صناعة الزجاج لاول مرة ٠ ثم نقلها الغرب عنا ٠٠ اين نحن اليوم منهم !

■ تعتبر مصر من اقدم دول العالم انتاجا للزجاج حيث عثر المنقبون على اوان للعطور ومكاحل من الزجاج في حفريات تل العمارنة بمصر العليا (الصعيد) ، ولقد تم صنع اول آنية من الزجاج بطريقة مبسطة حين كان الصانع يأخذ كتلة من الزجاج الساخن ويقوم بتشكيلها لتاخذ شكل القالب الذي وضع فيه السائل المنصهر ثم يحدث بها حفرة بواسطة الضغط عليها بعد ان تبرد ٠

وقد اكتشف الانسان الزجاج وادرك مزاياه فهو لايصدأ اويبلى كالخشب او يتاكل بالاحماض كالحديد والنحاس ولايتاثر بالحرارة فيتمدد او يتقلص بالبرودة فضلا عن صلابته ودرجة شفافيته وجماله ٠

واقدم قطعة من الزجاج عثر عليها حتى الآن هي قضيب من الزجاج ذي اللون الاخضر وجد في بابل تاريخه نحو عام ٢٦٠٠ ق٠م كما عثر في مصر على حبيبات من الزجاج كحبات المسبحة يعود تاريخها الى نحو عام ٢٥٠٠ ق٠م ووجدت في المقابر المصرية القديمة تمائم وتعاويذ وادوات زجاجية للزينة يزيد عمرها على اربعة آلاف عام تنسب الى ايام الاسرة الثامنة عشرة ٠

ومن مصر القديمة وبلاد الرافدين بالعراق القديمة انتقل فن صناعة الزجاج الى جزر بحر ايجه وبلاد اليونان وذلك في القرن السابع قبل الميلاد ٠

صنع الزجاج

وفي عهد البطالمة حكام مصر اصبحت الاسكندرية في طليعة المدن في انتاج الزجاج حيث طورت صناعته من السكب فوق قالب من الخزف او الرمل على نواة معدنية الى طريقة الكبس في قالب وهي ماعرفت في مصر والعراق القديمة ٠

وطريقة الكبس في قالب تعتمد على صب مادة الزجاج المنصهر في قالب خزفي اومعدني مناسب للقالب وبهذا تاخذ الآنية شكل القالب المطلوب، اما طريقة القالب فهي استخدام كتلة من الخشب يحيط بها الرمل وتغمر كتلة الخشب والرمل في محلول ذائب الزجاج غمرا تاما حتى يعم الزجاج كل اجزائها ، وبعد ان تبرد ينزع الخشب ويرفع الرمل ويبقى الاناء على هيئة الرمل الذي كان يحيط بكتلة الخشب ٠

وهناك طريقة ثانية لصنع الزجاج حيث تقوم على اساس تحويل الزجاج الى خيوط ثم تجمع هذه الخيوط في حزم ، وتصهر حتى تتحول كل حزمة الى قضيب واحد ، ثم يقطع القضيب الى قطع عريضة للحصول على اقراص مستديرة تجمع في كل قرص منها الالوان المستعملة في الحزمة، ومن هذه الاقراص كانت تصنع الاواني المختلفة الاشكال ، وهذه الطريقة من ابتكار مدينة الاسكندرية في العصر البطلمي ، وظلت سائدة الى العصر الاسلامي ٠

والطريقة الثالثة طريقة النفخ التي اهتدى اليها الصانع السوري في القرن الاول قبل الميلاد، وذلك حين كان ينفخ الزجاج المنصهر بالفم بواسطة انبوب النفخ في داخل قالب معدني فيتشكل الاناء حسب كمية الهواء التي ادخلت فيه بعد ان يبرد الزجاج ، وفي العصر الحديث تستخدم الآت لنفخ الزجاج اوتوماتيكيا في القوالب المعدة لذلك بسرعة كبيرة ، وتصنع بهذه الطريقة المصابيح الكهربائية والاباريق وغيرها ٠

والطريقة الرابعة طريقة الصب واللف حيث الزجاج المنصهر من الفرن لينساب بين اسطوانات تدور فتلف الزجاج بالهيئة المطلوبة ثم تتلقاه منها منضدة متحركة لتبريد صفائح الزجاج ٠

المواد التي يصنع منها الزجاج

ويصنع الزجاج من خليط الرمل وكربونات





اواني من الزجاج من صناعة اليونان تزينها زخارف تمثل صورا للناس والحيوانات.

الصوديوم وكربونات الكالسيوم في الفرن الخاص بصهر الزجاج والذى يجب ان تكون درجة حرارته من ١٣٠٠ ـ ١٦٠٠ درجة مئوية .

ويعتبر الرمل (السليكا) المادة الاساسية للزجاج حيث تبلغ نحو سبعين جزءا ، ومن كربونات الصوديوم نحو ١٥٪ ومهمة هذه المادة انقاص درجة انصهار السليكا ، كما تضاف مواد كربونات البوتاسيوم كعامل مساعد على صهر المعدن ، وتضاف مادة الجير (كربونات الكالسيوم) بنسبة عشرة بالمائة ، اما الخمسة بالمائة ،فتؤخذ من مواد اخرى تكسب الزجاج خواصا معينة ومقاومة اكبر .

أهمية الزجاج

اشترط يوليوس قيصر الحاكم الروماني على ولاية مصر أن تكون الاواني الزجاجية من بين ما تقدمه مصر الى روما من الجزية المقررة عليها،ولما زار القائد بومبى مدينة الاسكندرية اعجب بما صنع فيها من الاواني الزجاجية وحمل كثيرا منها الى روما ، مما اثار دهشة الرومان ودفعهم الى استدعاء عدد من الصناع المصريين ليؤسسوا هذه الصناعة في روما ، كما استقدم الامبراطور نيرون عددا من صناع الزجاج المصريين وشيد لهم أول مصنع للزجاج في عاصمة الامبراطورية الرومانية.

وبلغ من اهتمام البيزنطيين بالزجاج وتشجيع صناعته الى سن القانون الذى أصدره الامبراطور قسطنطين الثاني (٣١٧ ـ ٣٤٠ م) واعفى به نافخي الزجاج من الضرائب .

وعن طريق روما وصل سر صناعة الزجاج الى فرنسا والمانيا وغيرها من الدول الاوروبية،ولازالت هذه الدول رغم مرور مئات السنين تنتهج نفس الاساليب التى ابتكرها صناع الشرق الادنى وتقتبس الطرز الزخرفية نفسها مع تعديل يناسب العصر الحديث .

الزجاج في العصر الاسلامي

وجاء الاسلام يدعو الناس الى التعلم وتشجيع العلم والعلماء فلا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ونال الزجاج كغيره من الصناعات تشجيع الخلفاء ورعايتهم واستمرت صناعته في نهوض،واتخذ المسلمون من الزجاج الاواني المختلفة الاشكال واقراصا متنوعة فوق القنينات للزينة او لبيان مقدار او نوع ما فيها ، واستخدموه في عمل صنج الموازين لثبات وزنه ، كما ابتكروا طرقا متنوعة متعددة لتزيين الاواني الزجاجية حتى وصل الى درجة كبيرة من الاتقان والجودة .

وقد اشتهرت مصر كعهدها السابق بانتاج زجاج على قدر عظيم من النقاوة ، كما حذق المصريون في صنع الاواني الزجاجية ذات بريق معدني نافسوا به الاواني الفضية والذهبية التى اعتبرها الفقهاء ترفا لا يقره الدين الحنيف .

العوامل التي أدت الى تقدم صناعة الزجاج

سار فن صناعة الزجاج في ظل الدولتين العباسية

في العراق والفاطمية في مصر قدما الى الامام لما لقي من تشجيع الخلفاء ورعايتهم ، كما ان العرب كانوا يعنون بالعطور خاصة قبل الصلاة ، وكان شغفهم بالعلوم الكيميائية كبيرا ، كل هذا جعل الحاجة الى الاواني الزجاجية لحفظ العطور والاحماض ونقل السوائل واجراء التجارب أمرا ضروريا • كما استهوت الاواني الزجاجية المسلمين برونقها ونقائها ولان قدور الزجاج افضل من قدور الخزف والحجر،فهي لا تصدأ ولا تندى ولا يتخللها شيء يذهب بجمالها ، وتوصل الصانع المسلم الى ابتكار مادة المينا التي تتكون من مسحوق الزجاج الذي يخلط ببعض الاكاسيد ثم يذاب المخلوط في مادة زيتية حتى يتحول الى سائل بواسطة التسخين الى درجة حرارة معينة ويصبح صالحا لتنميق الزجاج وتجميله •

اسلوب زخرفة الاواني

ابتكر الفنان الاواني الزجاجية بزخارف تتكون من «جامات» مستديرةتضم أقراصا ورسوم حيوانات أو كتابات كوفية بواسطة آلة تشبه الملقاط أو أختام عليها نقوش محفورة،كما استخدم الصانع اسلوب الزخرفة بالاقراص والخيوط المضافة الى أسطح الاواني،وهذه الخطوط اما متعرجة أو على هيئة أشرطة متموجة أو أقراص أو نقاط بلون الاناء نفسه أو بلون مختلف ، وكانت الخيوط الزجاجية تسحب وهي ساخنة بآلة تشبه المشط في اتجاه واحد أو اتجاهين متضادين فتتكون منها اشكال عديدة مختلفة كأسنان المنشار •

طريقة التذهيب

ابتكر الصناع طريقة التذهيب والطلاء بالمينا وكانوا يضعون الزخارف المذهبة على التحف بواسطة الريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفرشاة في المساحات الكبيرة ، وبعد ان يحرق الصانع الاناء في الفرن للمرة الاولى يحدد موضوع الرسم باللون الاحمر ثم يطلى بالمينا المختلفة الالوان • وكان طلاء المينا نصف الشفاف يتكون من ذائب الرصاص ثم يلون بالاكاسيد المعدنية فاذا اريد اللون الاخضر اضيف الى الزجاج اكسيد النحاس ، باضافة اكسيد الحديد يحصل على اللون الاحمر ، والاصفر من حامض الانتيمون ، والابيض من اكسيد القصدير والازرق باضافة مسحوق اللازورد •

البللور الصخري

ازدهرت صناعته في مصر أيام الفاطميين ، والبللور (١) Rock Crystal ، حجر طبيعي له شفافية جذابة ويوجد على ساحل البحر الاحمر، وقد اتخذت منه القوارير والمكاحل والدوارق والكؤوس، وامتدح الرحالة ناصرو خسرو الاواني الزجاجية التي رآها عند زيارته لسوق القناديل على مقربة من جامع عمرو بن العاص ووصفها بالجمال والابداع فضلا عن صلابتها ومنظرها الخلاب •

ومعظم التحف المصنوعة من البللور انتقلت الى قصور اوروبا وكنائسها حيث أعجب بها الاوروبيون واقبلوا على اقتنائها ودفعوا فيها أثمانا باهظة ، ولا زالت محفوظة في كتدرائية سان ماركو بالبندقية ، وقوام زخرفتها رسم أسدين بينهما شجرة وبين رقبة الابريق وبدنه كتابة كوفية نصها « بركة من الله للامام العزيز بالله » • وهناك تحفة أخرى على شكل هلال في متحف نورمبرج بالمانيا وعليها كتابة كوفية « لله الدين كله - الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين » •

وتحفة ثالثة بكتدرائية مدينة فرمو بايطاليا على بدنها زخرفة من طائرين متواجهين بينهما فروع نباتية غاية في الدقة والاتقان ، وفوق الرسم شريط من الكتابة الكوفية نصها « بركة وسرور للملك المنصور أي الحاكم بامر الله أبو علي المنصور » •

هذا بالاضافة الى تحف أخرى في متحف اللوفر وفكتوريا والبرت بلندن وفي قصر بتي بفلورنسا وغيرها •

المشكاوات

لقد ازدهرت صناعة الاواني الزجاجية في العهد المملوكي في مصر والشام وتجلى اتقان الصناعة وجمالها في انتاج المشكاوات المموهة بالمينا، وقد اخذ اسمها من الآية الكريمة « الله نور

(١) انتقلت صناعة الكريستال الى تشيكوسلوفيا الآن •



آنية من الزجـاج من صناعة ايران فى القرن ١٨ م ٠



قنينة من الزجاج صنعت لسلطان اليمن فى بلاد الشام فى القرن ١٤ م ٠

السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ٠ الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ٠ »

والمشكاوات اغطية مصـابيح بداخلها قنديل (مسرجة) تثبت بسلك فى حافة المشكاة ولكل مشكاة مقابض بارزة او عنق تتصـل بها ثلاث سلاسل او اكثر من الفضة او من النحاس الاصفر، تجمع كلها عند كرة مستديرة تتصل بسلسلة تعلق بها المشكاة فى السقف ٠

وزجاج المشكاوات ابيض مائل الى الصفرة او الخضرة ٠ ويدهن الزجاج بالمينا ذات الالوان كالاحمر والازرق والاخضر والابيض واللـون الوردى ٠

وتزين المشكاة باشرطة بها كتابات او مناطق فى وسطها شارات سلاطين المماليك فضلا عـن اسمائهم والقابهم ، بالاضافة الى رسوم نباتية وهندسية وعبارات دعائية او كتابات معظمها آيات من الكتاب الحكيم بخط النسخ الذى ساد العصر المملوكى ٠

اما المشكاوات التى تهدى للمساجد الجامعة فكانت من زجاج جيد مذهب ومموه بالمينا تقديرا لمكانة بيوت الله فى نفوس المؤمنين :

وقد اقبل البنادقة الايطاليون وغيرهم على تقليد الاوانى الزجاجية الاسلامية فى اسلوب صناعتها وطريقة زخارفها ورسومها اعجابا بها، ولا زالت موضع تقدير مؤرخى الفنون لدقة رسومها وبديع زخارفها وجمال الوانها ٠

ويعتبر العصر الحـاضر عصر الزجاج حيث توصل العلماء بابحاثهم الى انتاج انواع تتحمل الحرارة صالحة لاوانى الطهى وانابيب النيون والمصابيح ، ومنها الزجاج المصقول صافى اللون والزجاج غير القابل للكسر فلا يتناثر اذا تهشم، وزجاج العدسات للنظارات الطبية والات التصوير العادية والسينمائية والمنظار المـكبر ، ومنها الزجاج العازل للكهرباء ، والذى يقاوم الاحماض لصنع المكاييل الطبية وادوات المختبرات والمحاقن وغيرها ٠

واصبح الزجاج بعد اضافته للفـولاذ مادة افضل تصنع منها ناطحات السحب والمبانى الضخمة ولا يستغنى عنه فى اى مكان ، ولاننسى ماقدمه اجدادنا من ابتكار منذ الاف السنين وما ابتدعوه من اساليب فى طريقة صناعته واسلوب زخرفته مما خلد اعمالهم وجهودهم ٠

ولكن اين نحن من الغرب الذين نقلوا عنا هذه الصناعة التى كنا نزهو بها ونفخر ٠٠اين نحن من هذه الحرفة التى توارثناها وكنا اساتذة العالم فيها ٠٠لقد تركناها واهملناها فتخلفنا ، ونبغ الذين نقلوا عنا هذا التراث فعملوا على تطويره وتجويده حتى اصبح اليوم يبدو تراثا جديدا لا يمت الى الاصـل الذى ولد هنا فى ارضنا العربية ٠ ■■

محمد الحسينى عبد العزيز

معجم ومعجمات .. ومعاجم أيضاً

■ في لغتنا نوعان من المعجمات : معنوي ولفظي . فقد يعرض لنا المعنى، ثم لا نعرف اللفظ الذي يدل عليه ، وحينئذ نلجأ الى المعاجم المعنوية فنبحث خلال الابواب العامة لاجناس المعنى الذي نريده حتى نقع على هذا المعنى وعلى لفظه معه ان كان له لفظ ، ومن معاجم هذا النوع مثلا « فقه اللغة وسر العربية » للثعالبي، وقد يعرض لنا لفظ لا نعرف ضبطه ، او معناه او كليهما فنلجأ الى المعاجم اللفظية لنجد ما نريد، وقد يكون له اكثر من ضبط واكثر من معنى فنجد فيها توضيح ذلك ، ومن معاجم هذا النوع مثلا « القاموس المحيط » للفيروز ابادي .

كلمة « معجم » هنا اسم يدل على مسمى ، وهو كتاب على النحو الذي وضحناه و« معجم » يجمع « معجمات » دون خلاف ، و لكن جمعه « معاجم » هو الاكثر استعمالا بيننا في الدارجة وكذلك حين نتصفح في المحاضرات او الكتابة ، وقلما يستعمل كتابنا او محاضرونا غيره ، فهل هو جمع فصيح ايضا ؟ ان بعض الباحثين في اللغة ينكرونه ، وحجتهم في هذا ان ما كان على وزن « مفعل » لايجمع على « مفاعل » وفاتهم ان يميزوا بين صنفين من الكلمات، كلاهما على هذا الوزن ، ويحسن ان نبدأ بتوضيح الفرق بينهما قبل ابداء راينا في فصاحة الجمع « معاجم » .

الصنف الاول مثل : ملهم ، محكم ، محصن ، مفرم ، مفرد ، معرب ، مرهف ...

والصنف الثاني : مصحف ، مطرف ، متحف ، مصعب ، مرود ، ومقهى ، ...

كل كلمة من هذين الصنفين تتكون من ثلاثة حروف اصلية مع زيادة ميم مضمومة في اولها ، وهي توافق في الهيئة فعلها المضارع المبني للمجهول ، المكون من هذه الحروف الاصلية الثلاثة ذاتها مع زيادة حرف المضارعة مضموما في اولها .

على ان كلمات الصنف الاول تدل على الوصفية فهي صفات ثم كل كلمة منها تتضمن معنى فعلها المبني للمجهول في دلالتها على الحدث ، ويمكن ان تعمل عمله ، فترفع نائب فاعل (ظاهرا او مقدرا) فنقول مثلا : هذا شاعر ملهم ، او ملهم شعره ، محكم نظمه ، او نضيفه الى نائب فاعله فنقول : ملهم الشعر محكم الراى واذا جمعنا كلمات هذا النوع قلنا : شعراء ملهمون محكمو النظم ،ورجال محصنون مفرمون باهليهم ،ونقول مع الجمع المؤنث: شاعرات ملهمات محكمات النظم ،وسيدات محصنات مفرمات باهليهن ، كما نقول : الفاظ مفردات ومعربات ، وسيوف مرهفات (الى جانب قولنا الفاظ مفردة ، ومعربة ، وسيوف مرهفة) فكل كلمة من هذه الكلمات تجمع جمعا سالما على وفق جنسها : مذكرا او مؤنثا ، للعاقل او لغير العاقل ولكن لا يساغ ان تجمع جمع تكسير ، فلا يقال : رجال او نساء ملاهم او محاكم او محاصن ، ولا الفاظ او كلمات مفارد او معارب،ولا سيوف مراهف.

ولكن اذا تأملنا الكلمات من الصنف الثاني وجدنا ان كل كلمة منها تدل على مسماها ، دون أن يلاحظ فيها معنى الوصفية ، ولا تشارك فعلها في دلالته على الحدث ولا تعمل عمله ، واذا كان معنى الوصفية قدلوحظ فيها بدءا عند اطلاقها على مسماها فانه صار منسيا بعد طول الاستعمال ،فحين يقال «مصحف» ينصرف الذهن الى مسماه المعين الذي اختص به أخيرا وهو نسخة القرآن الكريم ، وكان معناه في البداية « جامع الصحف » سواء كان المكتوب فيها قرآنا او غيره و« المطرف » نوع من الملابس الخارجية ، و« المتحف » مكان التحف ، و« المصعب » : الفحل من الابل او الذي يترك ركوبه ، و « المرود » الاداة التي ترتاد بها العين لوضع زينة او دواء ،والمقهى مكان تناول الاشربة.

وكل اسم من هذا القبيل ـ اذا كان دالا على فرد من نوع مسماه او جنسه ، وقد نسي فيه معنى الوصفية ولا يشارك الفعل في العمل والدلالة على الحدث ـ يمكن جمعه جمع تكسير سواء كان من هذا الوزن أو على وزن آخر .ويلاحظ ان كلمة معجم تعد من هذا القبيل كما وضحنا في بداية هذه النبذة ، ولهذا تجمع على « معاجم ».

محمد خليفة التونسي

وَضَحَ الحقُ لكُم ... فابتدروه

■ أوشَكَ اللَّيلُ يُولّي لِلرَّواحِ
لِتُضيءَ الكونَ أنوارُ الصَّباحِ
فتَقَدَّمْ - يا رَاعِي - لِلكِفاحِ
ولتُرَدِّدْ في الرَّوابي ، وَالبِطاحِ
« أيُّها العُربُ ألا هُبّوا إلى حَومَةِ الحَربِ بِعَزمِ الشُّهَداء
وَابذُلوا أرواحَكُم بَذلَ الكِرام »

* * *

ضَجَّتِ الأوطانُ مِنْ عَسْفِ العَذاب :
« يا رِفاقي مِنْ شُيوخٍ وَشَباب
أنقِذوني مِنْ عِصاباتِ الذِّئاب
هَلْ يُرَدُّ الظُّلمُ إلاّ بِالحِراب
فامْلأوا أيديكم مِنها ولا تَهِنوا، فاليَومَ يَأْسٌ وَفِداء
هَلْ سِوى الحَربِ طَريقٌ لِلسَّلام »

* * *

وَضَحَ الحَقُّ لَكُمْ فَابتَدِروه
إنَّهُ يَطلُبُكُم أنْ تَطلُبوه
إنَّكُمْ إنْ تُهمِلوه تُحرَموه
وَبِهِ العِزُّ إذا عَزَّزتُموه
فارْفَعوا أعلامَهُ بَيْنَ المَلا تَسْمَعِ الأرضُ إليكُم وَالسَّماء
وَنَصيرُ الحَقِّ يَأبى أنْ يُضام

* * *

بُشرَياتُ النَّصرِ لاحَتْ لِلعِيان
فاصْدُقوا الحَمْلَةَ ، وامضوا في الطِّعان
فازَ بالنَّصرِ فَتىً ثَبْتُ الجَنان
يُؤثِرُ المَوتَ عَلى عارِ الهَوان :
إنْ يَمُتْ أو يَحيَ يَخلُدْ بَطَلا عاطِرَ الذِّكرى بِمَحمودِ الثَّناء
وَشَهيدٌ كُلُّ مَنْ يَرعَى الذِّمام ■■

الكويت - محروس الأغبر

راجع صفحة ٢

اللوتس
زهرة مصر والهند

بقلم : سمير عطا

■ تكثر في الزخرفة الشعبية في مصر ـ في قمشة السرادقات ـ كما في الرسم والنقش على الجدران وتيجان الاعمدة صورة او شكل زهرة اللوتس رغم ندرتها اليوم في مصر ، كما نسمع الفاظا مثل « نفر » او « شربات » او « سوسن» او « سوزان » وهي الفاظ ترجع في اصلها الى زهرة اللوتس ٠ وعندما كان هيرودوت يشير الى انواع اللوتس المختلفة لم يختص الا مصربالزهرة المعروفة باسم اللوتس ، وبالتالي اقترنت هذه الزهرة بها حتى سميت ٠٠ زهرة مصر ٠

وعندما خرج علينا العالم الاثرى الاسترالي مايكل تيرى مؤخرا ببحث يشير فيه الى وصول الحضارة المصرية او التاثير المصرى القديم الى استراليا كان دليله الذى قاده الى هذا البحث وجود زهرة اللوتس والبردى في الآثار الاسترالية القديمة ٠

لكن زهرة اللوتس في الواقع لم تكن ـ حتى منذ العصور القديمة ـ حكرا على مصر فقدعرفت في الهند والصين وغربي آسيا واليونان وغيرها من البلاد،وان كانت اشهر زهرة من زهرات اللوتس هي التي عرفتها مصر وارتبطت فيها بتقاليد ومعتقدات انتشرت في ربوع العالم القديم كما عرفها المصريون ٠

وعندما انتقلت زهرة اللوتس الهندية الى مصر حوالي عام ٥٢٥ ق٠م وانتقلت قداستها الى المصريين قيل ان القداسة الهندية اثرت على المصرية فيما يتعلق بزهرة اللوتس لدخول بعض المظاهر الهندية معها ٠ ثم اثبتت الابحاث الحديثة ان مصر هي التي كان لها اثر منذ القدم على المعتقدات الدينية الهندية ولم تكن المظاهر الدينية الهندية التي وردت الى مصر الا رجعة لبعض التقاليد المصرية القديمة التي عرفتها الهند ٠

وكان لابد لكي ينتقل الاثر المصرى الى الهند ان يترك بصماته على فنون وآداب الدول القائمة في غربي آسيا ومن هنا نرى اثر الفن المصرى على الفن الاشورى ، واخذنا دليلا على ذلك من زهرة اللوتس ، فبينما نرى اسفل الجدران في الفن الآشورى تغطى بقطع من المرمر عليها نقوش تمثل مناظر ملكية بارزة نجد القيشاني حول العقود مغطى بزخارف من زهور اللوتس وبراعمه وزهيراته ٠ ويشير بعض الباحثين الى ان هذا الاثر قد يكون انتقل الى اشور منذ عهد سيتي الاول ٠٠ حتى الفن الايوني وهو تطور من طراز الفن الاغريقية المعروفة نرى الأثر المصرى فيه في تاج العمود وهو على شكل زهرة اللوتس ٠ ولا يعني ذلك أن مثل هذه الدول لم يكن لها معتقدات خاصة أوحتها زهرة اللوتس أو بتاثيرها بل لقد لعبت هذه الزهرة دورا كبيرا فيالمعتقدات الدينية والاسطورية والاجتماعية والثقافية لبعض الدول وان طبعت في بعض جوانبها بالطابع المصرى ٠

انواع زهرة اللوتس وأسماؤها :

يعرف قاموس « شامبرز » زهرة اللوتس بانها « نبات زنابق الماء المصرية او الهندية » وانها عدة انواع من جنس نيلو مبيوم Nelumbium ونيمفايا Nymphaea ويشير الى ان شجرة العناب Jujube التي عرفت في شمال افريقيا والتي تتسبب فاكهتها في ان ينسى الغرباء

اوطانهم فرع منها (وهي اسطورة سوف تشير اليها فيما بعد) •• ويبلغ من تعدد انواع اللوتس (وان كان هناك ثمانية انواع رئيسية) ان كاتبا بريطانيا الف كتابا عام ١٨١٦ عنه خاصة ،وعن انواعه منذ عرفه الاغريق باسم LotoS واللاتين باسم Lotus •

واشهر انواع اللوتس على الاطلاق زهرة اللوتس المصرية،وتوجد في امريكا الشمالية زهرة قريبة الشبه منها وان كانت اللوتس الهندية والصينية تنتمي الى نفس عائلة اللوتس المصرية• •• وتشير كلمة اللوتس المصرية الى النبات المعروف باسم نينوفر Nenuphar من عائلة نيمفايا Nymphaea وقد عرفته فيمصر نوعان : اللوتس الابيض واللوتس الازرق• اما اللوتس الاحمر فهو الهندى الذى جاء من الهند على يد الفرس فيما بعد •

واللوتس الابيض N.Lotus يعرف باسم بشنين الخنزير او عرائس النيل او نيمفا او السوسن• اما اللوتس الازرق N.Coerula فيعرف باسم البشنين العربي او قاتل النمل او مقابر النمل (اذ ينغلق ليلا على النمل وينفتح نهارا وقد لا ينفتح فيموت النمل) كما يعرف باسم كرنب الماء • وهناك اسماء اخرى قد تطلق علىالنوعين منها العروس والحندقوق والجلجلانالمصرى والنوفر والنينوفر والنيلوفر واهمها جميعا اسم البشنين الذى يعرف به اليوم فيمصر كلا النوعيناللذين لم يعد لهما – في الواقع – وجود حقيقى كما كان الحال في العصور القديمة • وكان آخر دليل على وجود اللوتس فى الصعيد ما كتبه لبسيوس عالم المصرياتالبروسي عام ١٨٦٩ عن وجود زهرة اللوتس في قنوات اسيوط • وفي حين ندر وجود اللوتسالازرقفيالوجهالبحرىولميعد منه غيرالقليل بالقرب من ساحل البحر الابيض،فما يزال اللوتس الابيض ينمو في المصارف وقنوات الدلتا والبرك والمستنقعات كما يوجد النوعان – بغرض الحفاظ عليهما – في بعض الحدائق الهامة في مصرمثل حديقة حيوان الجيزة والاسكندرية والحديقة اليابانية بحلوان •

اللوتس المصرية

لم يكن المصريون القدماء يعرفون شيئا عن الورد ، انما كانت زهرة اللوتس هي اهم زهرة عندهم • ولما كان اللوتس نباتا ينشا حيث يتوافر الماء فقد عرفه المصريون منذ فجر التاريخ •• منذ ان كان النيل ضحلا يفيض على الأرض فيغمرها وتنشا الكثير من المستنقعات والبحيرات المناسبة لنمو هذا النبات ، فانتشر في كل مكان ، في خمائل جميلة يكتنفها البوص والبردى ،تعبقالجو باريجها وتمتع العين بالوانها البيضاء والارجوانية، واضحت زهرة اللوتس زينة الحفلات يتهادى بها الاصدقاء والمحبون وتتدلى من صدور السيدات وشعورهن ، وتحفظ لنا الاثار القديمة صورة لزوجة توت عنخ امون وهي تقدم له باقة من زهور اللوتس دليل الحب والوفاء •

اللوتس البيضاء

واللوتس الابيض نبات قديم بمصر يرجع الى ما قبل عصر بناء الاهرام • وقد وجد من أزهارها اكليل كامل على جثة رمسيس الثاني •• وكان المصريون القدماء يسمونه « سشن » أو « شن » او « سن » •

اللوتس الزرقاء

اما اللوتس الزرقاء فقد سماها المصريون القدماء « ساربات » (بالباء الثقيلة) •• ويبدو انها كانت الأكثر انتشارا في مصرالقديمة وقد وصفها « سافيني » احد علماء الحملة الفرنسية في كتاب « وصفمصر » كما ذكر « دليل » في الكتاب نفسه انها نوعان احدهما هو N.Caer والآخر هو N.S.telicta

اللوتس الحمراء

وعلى عكس اللوتس الابيض والازرق كان نبات اللوتس الأحمر لا يؤكل •• اذ كان ذلك محرماعند المصريين نظرا للقداسة الخاصة التي احاطت بهذا النبات في مصر • ويعرفاللوتس الأحمر في مصر باسم الفول المصرى او الباقلى القبطى • وقد تكلم عنه كثير من المؤرخين واسماه هيرودوتزنابق النيل الحمراء • وكان المصريون القدماء يسمونه «نخب» ولم يعرف في مصر الا بعد ان أدخله اليها الفرس بعد عام ٥٢٥ ق •م •واصله هندى يقدسه الهنود وان كانوا ياكلون بزوره • ■■

سمير عطا

« لا تطـــرونى كما أطـــرت النصــارى عيسى بن مريم ، فانمــا أنا عبد ، فقـــولوا عبد الله ورســـوله » ..

حديث

تأملات فى تطور كتابة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى الشرق والغرب

بقلم : حسين احمد أمين

■ لكتابة التاريخ ذاتهــا تاريخ . ولـكتابة السيرة سيرة . والأمر هنا لا يرجع الى ارتقــاء بالمنهج وســبل البحث والتقصى فحسب ، وانما يرجع كذلك الى تقلب الاهواء ،وغلبة النظريات، وتشبع الكاتب بروح عصره ، وشيوع « موضة » فكرية معينة . ومثل هذا الانعكــاس للاهــواء و « الموضة » فى كتابة التاريخ والسيرة ، على طرافته وعمق دلالته ، كان كفيلا وحده بان يقلل من شــان هذا وتلك ، ويبعث على الشك فى قيمتهما ، لولا غفلة من الغــالبية او اغراض ، ولولا تقبل فلســفى من القلة لحتمية النظــرة الذاتية فى هذين الفرعين من فروع المعــرفة . والملاحظ انه كلما كثرت وتنوعت المعلومات المتوفرة عن عصر او حادث تاريخى ، او عن شخصية تاريخية بارزة ، زاد احتمال الاغراض فى الكتابة عنه او عنها ، وصياغة النظــريات المختلفة بصدده او بصددها ، اذ تعظم حينئذ امام المؤرخ او كاتب السيرة فرصة انتقاء الاحداث التى توافق هواه ، او تؤكد رايا له . وقد شبه ا. هـ. كار فى كتابه « ما التاريخ ؟ » موقف المؤرخ من المعلــومات المتوفرة لديه بموقف صياد السمك الذى يخــرج لصيد نوع معين منه ، فيختار لصيده مايناسبه من الآلة والعــدة ، ويمضى بزورقه الى الجهة التى يكثر فيها هذا النوع ، ويتوغل فى البحر المســافة التى يراها مناسبة ، وقد يخرج فى الشبكة او يتعلق بسنارته صنف لا يريده فيعيده الى البحر، محتفظا فى زورقه بالصنف المطلوب وحده !

مفهوم التاريخ لدى المؤرخين المسلمين الاوائل

وقد انكر البعض على المؤرخين المسلمين القدامى فى كتابتهم لتاريخ العالم الاســلامى بعد وفاة النبى ، اكتفاءهم بسرد الأحــداث دون عناية

بتعليق . والاقدام على تسجيلها دون وجهة نظر مسبقة . وقد كان وراء منهاجهم هذا فى الكتابة، ووراء ذلك القدر المذهل من الموضوعية الذى تتمتع به مؤلفاتهم ، اعتبارهم التاريخ المظهر الخارجى لارادة الله فى عالمنا هذا ، واعتقادهم انه بالامكان التوصل الى كنه هذه الارادة باستقراء ظواهرها . ومن ثم فقد راوا واجبا عليهم تسجيل هذه الظواهر فى صدق ، والاحجام عن اعمال الهوى فى الانتقاء . فهم هنا اشبه بالمحقق فى شان من الشؤون ، يجمع ما بوسعه جمعه من المعلومات والحقائق ، دون ان يدرى أيها سيكون ذا صلة بالكشف عما يريد كشفه . ولا يعنى هذا انهم كانوا لا ينتقون (اذ من ذا الذى بوسعه ان يسجل كل صغيرة وكبيرة بصدد اى من الامور ؟)، كما لا يعنى انهم جميعا كانوا يتعففون عن مراعاة هوى الحكام او مقتضيات المذاهب التى يتبعونها. غير ان المؤكد ان المؤرخين المسلمين فى العصور الوسطى الزموا انفسهم بقسط من الموضوعية يندر ان تجده فى غيرهم ، وان ورعهم كان له الفضل الاول فى ذلك . فقد بدا الكثيرون منهم – كالطبرى – حياتهم بالكتابة فى التفسير او الحديث ، واذ تحولوا الى كتابة التاريخ التزموا فيها بنفس المنهج والدقة والورع والمعايير التى اخذوا انفسهم بها فى تعرضهم للحديث والتفسير. فان كان الورع دفع غيرهم من المؤرخين الى الكذب والتلفيق عن حسن نية ، فقد كان مفهوم الورع لدى المؤرخين المسلمين هو التزام الصدق والامانة قدر الامكان ، وهما ما قد يسميان فى زمننا هذا بالروح العلمية .

موقف المسلمين الاوائل من سيرة النبى

ويختلف الحال بعض الشىء بصدد كتابة السيرة النبوية ، خاصة كلما اتسعت الفجوة بين زمن المؤرخ وزمن النبى . فالصدق اوفر فى مؤلفات كتاب السيرة الاوائل ، كعروة بن الزبير بن العوام (٦٤٣ – ٧١٢م) ، وأبان بن عثمان بن عفان (٦٤٢ – ٧٢٣م) ، وموسى بن عقبه (توفى عام ٧٥٨م) ، وحديث المعجزات فيها اقل والصراحة اكبر . وقد ضاعت للاسف هذه المؤلفات فلم يصلنا منها غير فقرات اوردتها كتب ابن اسحاق والواقدى وابن سعد والطبرى وغيرهم . وترجع سمة الصدق والصراحة هذه فى كتابات الاوائل الى اسباب اهمها : ان القيم والمعايير والاذواق فى عصرهم المقارب لعصر النبى لم يكن قد طرأ بعد عليها تغير كبير . وان احاديث الصحابة ومعاصرى النبى عن احداث زمانهم وافعال النبى واقواله كانت لا تزال حية فى اذهان التابعين . أضف الى ذلك ان اعجابهم الشديد بشخصية النبى وحرصهم على الاحاطة بكل ما صدر عنه من اقوال وأفعال ، وبكل صغيرة وكبيرة تتعلق به ، ومن أجل ارساء دعائم الفقه والشريعة ومعرفة حكم الدين فى ادق تفصيلات الحياة اليومية ، دفعاهم الى تسجيل كل ما يسمعون عنه ، لا ينتقون ولا يتخيرون ، ولا يستشعرون بحرج ازاء تدوين هذه الواقعة او تلك . فكل ما صدر عن النبى خليق بالتوقير والدراسة ، وان كان هناك من الافعال ما يصعب فهم بواعثه ، او ما لا يتفق مع العرف الشائع ، فان المشكلة انما هى فى قصور فكرهم عن ادراك المغزى الذى قد تكشف الايام عنه ، والحكمة التى قد تتضح لاجيال لاحقة . وكان هذا دون ادنى ميل منهم الى تقديس نبيهم على نهج ما فعل النصارى ، ودون ان تغيب عن اذهانهم فكرة ان محمدا انما هو بشر مثلهم ، يوحى اليه . فكان موقفهم اذن من السيرة النبوية متفقا مع موقف المؤرخين المسلمين بعدهم من علم التاريخ ، اذ راوا واجبهم تسجيل مظاهر ارادة الله كما هى (او كما تجلت لهم) ، ثم التامل فيها واستنباط العبرة ، او ترك التامل فيها للاجيال التالية من اجل الكشف عن كنه هذه الارادة .

تاثر كتابة السيرة بتطور الاذواق والقيم

غير انه بتعاقب الاجيال ومر القرون ، وبتطور الاذواق والقيم ، وبالاتصال والتاثر بشعوب الاقطار المفتوحة واتباع الديانات الاخرى ، بدات كتابة سيرة النبى تنحرف عن هذا النهج العربى الصرف انحرافا تزايد حتى بلغ اقصى مدى له فى العصر الحديث ، خاصة وقد تولى الكتابة فى السيرة من كانوا من الموالى ذوى المعايير والمفاهيم المخالفة لمعايير العرب ومفاهيمهم . فقد انشغل العرب أساسا بادارة شؤون الدولة وخوض الحروب،

وعكف هؤلاء الموالي على الدراسة والكتابة في مختلف العلوم وعلوم الدين بالاخص ، حتى كان لهم التفوق في مضمارها •

وقد بدا هذا الانحراف في كتابة السيرة على أثر الفتوحات الاسلامية ، ومحاولات نشر الاسلام في البلدان المفتوحة ، وما أدت اليه هذه المحاولات من دخول الفاتحين في مجادلات دينية مع أهلها ، خاصة من النصارى واليهود • فقد كان هؤلاء في دفاعهم عن تفوق دينهم يشيرون الى المعجزات الخارقة لانبياء العهد القديم ، أو الى ترفع المسيح عن الشهوات والاغراض الدنيوية • وكان أن اختار المسلمون في جدالهم ان يردوا بنسبة قدر متزايد من المعجزات الى نبيهم ، شبيهة أو غير شبيهة بمعجزات المسيح وأنبياء اليهود ، وبنسبة أهداف سياسية أو غيرها لأفعال ووقائع هاجمها خصومهم ، كتعدد زوجات النبي، ومعاملته ليهود المدينة وارساله أصحاب له لقتل شعراء هجوه ، وهي معجزات وأهداف لم تورده مؤلفات الأوائل من كتاب السيرة •

وزاد من هذه الحاجة الى « الدفاع » (وهو دفاع لم يكن له في الواقع ما يبرره أو يدعو اليه) ما ذكرناه عن تطور الأخلاق والقيم وتغير الأذواق • فالذوق في عصر معين قد يستنكر مالم يكن يستنكره الأوائل ، وقد يتقبل ما وجد الاولون صعوبة في تقبله وهضمه • مثال ذلك ان الحكم بقطع رقاب الرجال من أسرى بني قريظة قد رأى كتاب السيرة المتأخرون ضرورة ملحة لتبريره ، بينما تقبلوا ببساطة تامة أمر النبي بقطع نخل بني النضير واحراقها أثناء حصار المسلمين لهم باعتباره مجرد « قطع للامدادات الحيوية عن العدو » ، وهو أمر أثار دهشة بعض أصحاب النبي ، اذ كانوا في الجاهلية يستهجنون قطع النخيل حتى في زمن الحرب ، ولم يهدأ روعهم حتى نزلت آية قرآنية في هذا الشأن (سورة الحشر : ٥) • وقد كان تغير الأذواق هذا هو ما حدا بابن هشام أن يكتب في مقدمة مختصرة للسيرة النبوية لابن اسحاق : « وأنا ان شاء الله تارك بعض ما يذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب •• أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته » •

بدء الاتجاه الى طمس الحقائق واختراع القصص

وكان أن بدأت الايدي تمتد الى السيرة لطمس بعض الحقائق أو اختراع القصص من أجل التخفيف من تأثير معين أو ازالته ، أو خلق تأثير معين أو تقويته • وقد شجع على تناول بعض جوانب السيرةبالتزوير والتلفيق ـ وان بدا ذلك على نحو أوضح في مادة الحديث ـ انتماء كتابها الى مذاهب دينية أو سياسية شتى ، فاضاف المتشيعون القصص عن بطولات عليّ ، والموالي من الفرس الأحاديث والحكايات عن سلمان ، والكتاب في بلاط الخلفاء العباسيين ما يعلي من شأن العباس ويؤكد تبكير اسلامه ، وما يشين الامويين ويضخم من عداوة أبي سفيان للنبي •

وكانت نتيجة ذلك كله أن طرأ تدهور ملحوظ على المؤلفات في السيرة بعد ماكتبه ابن اسحاق (توفي في عام ٧٦٨م) ، والواقدي (٧٤٧ ـ ٨٢٢ م) وابن سعد كاتب الواقدي (توفي عام ٨٤٥ م) والطبري (٨٣٩ ـ ٩٢٢ م) • وفي رأينا أن كتابات الواقدي في السيرة ـ سواء في كتابه « المغازي » أو ما نقله عنه ابن سعد في كتابه « الطبقات الكبرى » ـ هي أوفى وأصدق مؤلفاتالسيرة ، رغم أنه في « المغازي » لايتناول غير الفترة المدنية من حياة النبي ، والغزوات وحدها من بين أحداثها • أما السيرة النبوية لابن اسحاق فلم تصل الينا الا على النحو المختصر المهذب الذي أعده ابن هشام (توفي عام ٨٣٣م) وقيمتها الكبرى ـ ان نحن قارناها بمغازي الواقدي هي فيما أوردته عن حياة النبي قبل بدء المغازي ، وعن حياته الخاصة وغير المغازي من الاحداث حتى وفاته •

كتب السيرة

هذه الكتب الاربعة (سيرة ابن اسحاق ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري) هي ـ بالاضافة الى القرآن ـ أهم مصادر السيرة • وتكاد تكون المؤلفات اللاحقةخالية تماما منالقيمة التاريخية مالم تحو في طياتها روايات عنالمؤرخين الاوائل الذين فقدت كتاباتهم (وهي اقتباسات مع ذلك جد ضئيلة) • وهو قول ينطبق على

« عيون الأثر » لابن سيد الناس (١٢٧٣ ـ ١٣٣٤ م) و « المواهب اللدنية » للقسطلاني (١٤٤٨ ـ ١٥١٧ م) ، و « السيرة الشامية » لشمس الدين الشامي) توفي عام ١٥٣٦ م) و « السيرة الحلبية » لنور الدين الحلبي (١٥٦٧ ـ ١٦٣٥ م) ، كما ينطبق على كتابات ابن خياط وابن حزم وابن الجوزي وابي الفدا والنويري والذهبي وابن كثير وابن خلدون والمقريزي والديار بكري وابن العماد الحنبلي وتاريخ ابن الاثير . ومع ذلك فبوسعنا ان نجد مادة قيمة تفيدنا في كتابة السيرة متناثرة في كتب مثل « كتاب الأصنام » لابن الكلبي و « اخبار مكة » للأزرقي، ومجموعات الحديث لابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم ، و « فتوح البلدان » وأنساب الأشراف للبلاذري ، وتاريخ اليعقوبي ، وكتب التفسير ، خاصة تفسير الطبري ، و «مروج الذهب » للمسعودي ، و « اخبار المدينة » للسمهودي ، و « حياة الحيوان الكبرى » للدميري ، والكتب الخاصة بتراجم الصحابة مثل « أسد الغابة » لابن الأثير ، و « الاصابة » لابن حجر العسقلاني، ثم كتب متناثرة في الأدب او اللغة « كالاغاني » للاصبهاني و « الاشتقاق » لابن دريد و «الكامل» للمبرد .

ويمكن القول بوجه عام بان الاتجاه في كتابة السيرة بعد الأربعة الكبار الذين ذكرناهم انفا كان اما الى تلخيص الكتب السابقة وتجميع المعلومات منها ، او الى الاهتمام بدلائل النبوة والشمائل . وكان ان باتت الكتب اللاحقة اقرب الى ما يسمى بالـ HagiograPhy (وهي السيرة التي تتسم بتقديس الكاتب للمترجم له اوباظهاره بمظهر مثالي) منها الى السيرة بمعناها الأدق ، والى الوعظ والارشاد منها الى الكتابة التاريخية. فقد صار الغرض هو الكتابة عن مثل أعلى يحتذى لا العناية بتسجيل الحقيقة من أجل الحقيقة ، وذلك على اساس التشكك في قيمة الحقيقة مالم تكن تخدم غرضا اخلاقيا او دينيا . وهو موقف يمكن ان يقبله البعض وأن يراه مشروعا الى يومنا هذا . ولم يجد بعض هؤلاء الكتاب ضيرا من الاختراع ان كان من شأن الاختراع تعزيز الايمان ، وطبقوا هذا المعيار في السيرة والحديث على السواء . وبمرور الزمن على وفاة النبي تضاءلت في الكتب والأذهان ملامح الصورة الواقعية الحية للنبي بشر من لحم ودم ، ونمت الخرافات التي لا يقبلها عقل ، وقصص المعجزات التي لم ينسبها النبي الى نفسه ، ولا الصحابة اليه ، ولا تحدث عنها القرآن الذي لم يترك في سبيل اقناع خصوم الدين بصدقه ـ دليلا من دلائل نبوة محمد لم يذكره . والظاهر أن هذه الكتب كانت تلقى لدى القراء رواجا وقبولا اكبر مما كانت كتب ابن اسحاق والواقدي تلقى لديهم ، خاصة في ظل حكم العثمانيين الذي انحطت خلاله الحياة العقلية ، بل واضحى من الصعب (وأحيانا من المستحيل) حتى أواخر القرن التاسع عشر العثور على نسخة من سيرة ابن هشام او مغازي الواقدي او طبقات ابن سعد .

أثر الاتصال بالغرب في كتابة السيرة

بيد أن الطامة الكبرى في كتابة السيرة جاءت مع الطور الأخير لها ، وهو الطور القائم الى يومنا هذا ، والذي بدأ باتصال العالم الاسلامي بالعالم الغربي ، والاستعمار الأوروبي للهند ثم لأقطار عربية شتى . ذلك انه باطلاع المثقفين من المسلمين على آراء المستعمرين في محمد والاسلام ـ التي عبروا عنها فيكتبهم وأحاديثهم ـ ونتيجة لاعتقادهم الشعوري او اللاشعوري بتفوق هؤلاء المستعمرين المسيحيين الحضاري المادي ، تحولت الكتابة في السيرة النبوية تحولا خطيرا مزعجا الى ما يشبه الاعتذار . وهو اعتذار نابع عن شعور بالخطر ، ويتسم ـ مهما بلغت حدة المؤلفين في مهاجمة المستشرقين والرد عليهم ـ بعقدة نقص تجاه الأوروبيين . والأدهى من ذلك ان دفاع هؤلاء عن محمد والاسلام كان دوما على أساس قيم غربية محضة ، وكان هذه القيم ليست محلا للمناقشة ، وكانما المطلوب وحده هو مجرد بيان مدى توافق الاسلام وشمائل النبي مع هذه القيم. وكان ان اهتم كتاب هذا العصر مثلا بايضاح كيف اعلى الاسلام من شان المرأة ، وحسن من وضعها في الأسرة والمجتمع ، وكيف خفف من حدة الرق وحض على العتق وعلى حسن معاملة الرقيق ، وكيف أوصى بالاهتمام بالعلم ومحو الامية او العناية بالصحة واقامة المستشفيات ، وكيف قاوم التفرقة العنصرية وارسى دعائم العدالة الاجتماعية

(«الاشتراكيون انت امامهم» !) ، وكيف كان تعدد الزوجات ضرورة سياسية واجتماعية (مع بيان كيف كان القرآن في الواقع يهدف الى الحد منه ، اذ اوصى بالعدل بين النساء ثم اضاف قوله « ولن تعدلوا » ، وكيف ان الكثير من الاكتشافات العلمية الحديثة قد ألمح القرآن اليه وتنبأ به . بل وقد راى البعض ضرورة لتفسير الآية الخاصة بقطع يد السارق على انها حث على توفير العمل وطرق الكسب الشريف ، حتى يقلع السارق عن السرقة (على نحو قولنا « نقطع رجل فلان عن البيت » بمعنى منعه من زيارته) الى عشرات من الامثلة التي لا نناقش هنا صدقها او كذبها ، وانما نشير الى دلالتها على مدى ما وصل اليه اذعاننا دون ان نشعر ـ لمقاييس الحضارة الغربية .

سيرة النبي في القرن العشرين

وقد كان سيد امير علي في الهند (١٨٤٩ ـ ١٩٢٨) من اوائل من وقع في هذا الفخ الذي نصبه الغربيون ، (وربما عن غير تعمد من جانبهم ايضا) ، للاسلام والمسلمين . ثم تبعه في اتجاهه هذا مئات من مفسري القرآن وكتاب السيرة وزعماء « الاصلاح » الديني وسائر دعاة مسايرة الاسلام لروح العصر من مسلمي العرب وغيرهم . وفي اعتقادي ان اسوأ ما كتب من المؤلفات في السيرة النبوية واعظمها خطرا على الاسلام مؤلفات المسلمين انفسهم في قرننا هذا ، وللسبب الذي ذكرته بالذات ، وان مؤلفاتهم هي بمعنى معين ابعد ما كتب في السيرة عن منطق الدين ، ان لم تكن ابعدها عن منطق العلم ايضا رغم قلة نسبة المعجزات والخرافات فيها ، قارن مثلا بين موقف الواقدي من غزوة بني قريظة (وانا لنعجب اشد العجب من قلة اعتماد كتاب السيرة المسلمين على كتاب الواقدي كمصدر اساسي وتضعيفهم اياه) ، وموقف اي من الكتاب المحدثين . كان يكفي الواقدي ان يقول ان الله امر محمدا بالسير الى بني قريظة وقتالهم حتى يحجم تماما عن محاولة التبرير والاعتذار لقتل الاسرى . وهو موقف يقتضيه المنطق الديني متى كان الامر بالحرب هو امر الله ، وما دام النبي قد وصف حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بانه حكم الله ورسوله . اما سرد المحدثين لمبررات الحكم ودواعيه وحكمته فيمكن اعتباره ـ من وجهة نظر معينة ـ من قبيل ضعف الايمان ، اذ ان مجرد تبرير تصرف معين ينطوي على معنى انه لو لم يكن للتصرف ما يبرره لأمكن ان يهتز الايمان بصاحبه .

وقد ظهر من هذه السير خلال الاربعين عاما الاخيرة ما يفوق في العدد مجموع ما كتب في السيرة قبل ذلك منذ وفاة النبي . واشهر السير الحديثة طرا في العالم العربي كتاب الدكتور هيكل «حياة محمد» (١٩٣٥) الذي وصفه مؤلفه بانه مجرد بداية في سبيل الدعوة الحكيمة التقدمية الى الاسلام في العصر الحديث . وكما ان وليام موير المسيحي التقي ـ رغم تفضيله الاسلام على الوثنية ـ ساءه ان يرى الاسلام مسئولا عن اقامة عقبة كأداء في سبيل انتشار المسيحية بين القبائل الوثنية في افريقيا وغيرها ، كذلك فانه رغم تفضيلنا لكتاب هيكل على ما الف في السيرة في القرون العشرة التالية على وفاة الطبري ، فانه ليسوؤنا ان نرى كتابه وقد وقف في الواقع سدا يحول بين القارىء الحديث وبين المصادر الاصلية للسيرة ، فلنا من القارىء ان كتابا الفه في القرن العشرين احد كبار المفكرين العرب لابد فيه الغناء عن النظر في كتب صفراء صعبة اللغة ، مضطربة المنهج ، ملأى بالعنعنة والخرافات . وهو خطأ لا نعتقد ان ثمة ما هو افدح منه ، ولا نجد ما هو اشبه به في عواقبه من عواقب وقوف الكنيسة حتى زمن لوثر بين جماهير الناس وبين اسفار العهد الجديد ، واذ كان موقف هيكل من المصادر الاصلية للسيرة هو موقف ابن هشام من سيرة ابن اسحاق اذ ترك منها « ما يشنع الحديث به وما يسوء الناس ذكره » فلا غرو ان نجد الكثيرين في يومنا هذا ممن يظنون في انفسهم الاحاطة العميقة بسيرة النبي يصعقهم ان يسمعوا لاول مرة ببعض ما ورد في سيرة ابن اسحاق ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد من قصص عنه .

كتابة السيرة في أوروبا خلال العصور الوسطى

هذا بعض ما عن لنا من خواطر بصدد كتابة السيرة في العالم الاسلامي . واما عنها في العالم المسيحي الغربي فانها لا تقل طرافة وتعثرا . لقد فرضت صورة محمد والاسلام نفسها على

الغرب أول ما فرضت فى ظل حروب دينية طاحنة : حروب الفتوحات الاسلامية ، فحروب الثغور ، فالحروب الصليبية ، وذلك فى عصر كانت تسود اوروبا فيه الجهالة والغزعبلات •وكان رد الفعل الاول ازاء هذا الخطر السياسى والدينى ، وفى سبيل تعزيز ثقة المسيحيين بانفسهم شن حملة عارمة الغضب، مفعمة بالاكاذيب والتشويه المتعمد ، على النبى والدين الجديد ، وهى حملة لعب فيها رجال الكنيسة دورا رئيسيا. وما كان القول حينذاك بان محمدا هو فى الحقيقة كاردينال مارق باكثر ماقيل امعانا فى الكذب • فالاسلام عندهم مجرد صورة مشوهة من المسيحية، بل هو ديانة وثنية قوامها العنف ودعامتها السيف، ووسيلته الى الانتشار اتاحة الفرصة امام اتباعه لاشباع شهواتهم الجنسية فى هذه الدنيا وفى الآخرة ، وما محمد الا نبى كاذب شهوانى ما كان غرضه من خروجه بهذا الدين الا تحقيق مطامحه الخاصة ، وقد انعكس هذا الموقف فى «الكوميديا الالهية » لدانتى الذى احل" نبى الاسلام ادنى درك فى الجحيم فى فقرة تجاهلها مترجم الكومديا الى العربية حرصا على مشاعر قر"ائه !

وقد كان من السهل على الاوروبيين قبول هذه الصورة ما دام الاتصال بينهم وبين عالم الاسلام قاصرا على الحرب •اما وقد بدات الحروب الصليبية واقام الاوروبيون الممالك فى الشام، ودخلوا فى علاقات تجارية وثقافية وفى محاورات وجدال مع اهله من المسلمين ، واطلعوا على حضارتهم وعلومهم وآدابهم ، وتعلم البعض منهم لغتهم ، فقد اضحى من الصعب خداعهم بمثل ماكان القساوسة يرددونه من افتراءات على الاسلام • وقد ازعج هؤلاء القساوسة وغيرهم ان يروا العائدين من الشرق يمتدحون لمعارفهم واهلهم بعض جوانب الحضارة الاسلامية والخلق الاسلامى ، ويبدون الاعجاب بعلوم المسلمين وثقافتهم ، ويتحدثون بما اطلعوا عليه من حياة النبى فى كتبهم ومن خلال احاديثهم• فكان من الضرورى لاذكاء عداوة المسيحيين للاسلام ونبيه ــ وقد باتوا الان اقل جهلا بهما ــ انتهاج منهج آخر ، هو اكثر « علمية » هذه المرة واكثر التزاما بالحقائق •

وقد بدأ هذا الاتجاه الجديد فى المربع الثانى من القرن الثانى عشر، حين قرر بطرس الموقر رئيس الدير الشهير فى كلونى بفرنسا ،تشكيل لجنة لنشر سلسلة من المؤلفات العلمية الرصينة عن الاسلام ،بهدف مواجهة تحدياته الفكرية والرد على دعواه • وقد اهتمت هذه اللجنة بنشر ترجمة للقرآن ،وسيرة النبى، وكتب عن تعاليم الاسلام، واخرى عن تاريخ اممه وكان الاساس فى كل هذه المؤلفات كتب المسلمين انفسهم ، لا وحى الخيال ودواعى الحقد ، وان كان المرء ليستشعر ازاءها دوما روحا عدائية قوية ، ومزيجا من مشاعر الاعجاب والخوف ورغبة فى تشويه صورة الاسلام ونبيه فى اذهان المثقفين بالاخص • وقد اعطى هذا النمط من الاهتمام بالاسلام فى اوروبا دفعة قوية اخرى ، ظهور قوة العثمانيين ، وتوغل جيوشهم فى هذه القارة توغلا خطيرا •

وكان مما سهل على هؤلاء المنصرفين الى الاساءة الى الاسلام والنبى مهمتهم ، تلك الميزات التى انفردت بها المؤلفات الاسلامية الاولى فى السيرة ، الا وهى الصراحة والصدق ،• وقوة وبساطة ثقة مؤلفيها وايمانهم بمحمد •كان الوضع أشبه برجل عظيم يتحدث فى بساطة وصدق فينتقى مستمع خبيث له كل مايسىء اليه من حقائق ذكرها فيضخمها ويغفل ماعداها ، أو يمر عليها مرا ، لم ينشرها صارخا : « هذا ماقاله بعظمة لسانه » او «وشهد شاهد من اهلها » •

وكان المبدأ الذى التزمه المستشرقون ــ حتى خيرهم ــ منذ ذلك الحين الى يومنا هذا فى كتابتهم للسيرة ، أن كل ما يرونه مسيئا الى النبى فى كتابات المؤرخين المسلمين صحيح لا شك فيه، وان كل ما من شانه ان يعلى من قدره مشكوك فيه ،يجب أن يخضع لادق معايير البحث والنقد ، وذلك على اساس مماثل للقول بان حديث المرء عن نفسه بالمدح لايؤخذ به ،وحديثه عن نفسه بالذم صادق لامحالة•

الاتجاهات الاوروبية الحديثة فى كتابة السيرة

وبازدهار مايعرف بعصر العقل فى أوروبا ، وتعرض الكثيرين من فلاسفة وكتاب القرن الثامن عشر للمسيحية بالنقد والهجوم ، اتخذ بعضهم (مثل ادوارد جيبون فى كتابه عن الامبراطورية الرومانية) من مدح الاسلام والحديث الطيب عن

محمد ، وسيلة ماكرة للهدم من أسس المسيحيةالتي يبغضونها ،وللاساءة الى صورة المسيح• وقد بلغ هذا الاتجاه الجديد أوجه قبل منتصف القرنالتاسع عشر ، حين وقف توماس كارلايل (يوم الجمعة ٨ مايو ١٨٤٠) يلقي محاضرة عامة في ادنبرة عن محمد والاسلام كانلها شان خطير فيتطورالدراسات الاسلامية فياوروبا•وقد دافع كارلايل فيمحاضرته هذه عن محمد دفاعا لايزال المسلمون السذج الى هذا اليوم يعتزون به (أيضا على اساس « وشهد شاهد من أهلها ») . ولو الموا بطبيعة فكر كارلايل في مجموعه ومكان اشادته بالاسلام ونبيه من هذا الفكر ، لماوجدوا مدعاة للاعتزاز •لقد كانالاسلام مجرد مشجب وجده الفيلسوف البريطاني مناسبا لعرض ارائه في الحياة والسياسة والدين •

وقد شجع المناخ الفكري والديني فياوروبا منذ ذلك الحين ، وانتشار الالحاد والاعتزاز بالعلم والمنطق ،على نشوء نظرةاخرى الى الاسلاموالنبي• فان كان المبدأ المعلن لها هو الانصاف والالتزام بالروح العلمية ، فهي في راينا ـ كسائر مراحل الدراسات الاسلامية في اوروبا منذ بدايتها الى اليوم ـ كثيرا ماتكون انعكاسا للاهواء ، ونظرة ذاتية لاتختلف في طبيعتها عن الاهتمام المفاجيء لمدرسة من الرسامين الفرنسيين بفنون الشرق الاقصى ، أو لفرقة غنائية انجليزية بالفلسفات الهندية ،او لجمهور الامريكيين والاوروبيين اليوم بالسحر الاسود • ومع ذلك فقد كان للمستشرقين في القرن التاسع عشر من امثال فايل ودويرسفال وفستنفلد وشبرنجر وموير ـ فضل الاعتماد على المصادر الرئيسية الاولى التي كانت في متناول أيديهم ، بعد ان كان جل اعتماد سير والتر رالي وادوارد جيبون وسيل ، وغيرهم ممن سبقوهم ، هو على مراجع عربية ثانوية ضئيلة القيمة ، خاصة تاريخ أبي الفدا المتوفى عام ١٣٢٢م •

فان نحن اغفلنا الغثالذي لاجديد فيه منكتابات الغربيين عن محمد ، منذ منتصف القرن الماضي (كمؤلفات اميل درمنجم وفرانشسكو جابرييلي ومكسيم رودينسون) ، أمكننا ان نتبين اتجاهات ثلاثة واضحة تكاد تكون متعاقبة(وللتعاقب نفسه دلالته) الاتجاه الاولهو ذلكالذييمثله وليام موير، ويصل الى اوجه في كتابات القس البلجيكي هنري لامانس ، وهو اتجاه منبقايا حملة الحقد والعداء في العصور الوسطى ، يتميز بالكراهية للنبي (معتدلة عند موير ،ضارية عند لامانس)، والخشية الحقيقية المخلصة على المسيحية من انتشار الاسلام في المجتمعـــــات البدائيـــة ، ويختلف مع ذلك عن كتب السابقين بتميزه بقدر اكبر منالروح العلمية والدراسة المتعمقة للمصادر الاسلامية • غير ان الرغبة الواضحة في الاساءة التي تسيطر على انتقاء المادة وعرضها تنفي عنه الموضوعية وتقلل من قيمته •

اما الاتجاه الثاني (وخيرة ممثليه هم جولد زيهر ولينبول وفرانتسبول وتور اندريومرجوليوت وريتشارد بيل ونولد كه وفلهاوزن وديمـومبين وهاملتون جيب) فقد كان له فضل ايضاح الكثير مما كان غامضا في تاريخ الاسلام والسيرة ،وتسهيل فهم التاريخ العربي في الجاهلية والاسلام •وكان موقف هؤلاء من السيرة موضوعيا قدر ما في وسعهم من الموضوعية ،رأوا فيالنبي شخصية قوية مؤثرة، استطاعت أن توفر الحل لمشكلة بالغة الصعوبة والتعقيد ، الا وهي بناء دولة وامبراطورية عظيمة من لبنات القبائلالعربية المتفرقة المتنازعة ،وايجاد المنفذ للعبقرية العربية الخلاقة حتى تساهممساهمة ايجابية في تاريخ العالم وحضارته • وقد انصفوا في بيان جوانب عظمة النبي ، ورجاحة عقله ،ولم يحاولوا ـ شأن موير ـ المقارنة بين الاسلام وبين اليهودية والمسيحية لاثبات تفوق الاخيرتين • ومع ذلك فقد كان فشلهم الاكبر هو عجزهم عن تقييم نبوة واخلاقيات شخصية كشخصية محمد ، مختلفة في ملامحها الرئيسية وفي أهدافها ووسائلها • عن شخصية المسيح وانبياء العهد القديم واهدافهم ووســائلهم • كذلك فانهـم ـ تحت تأثير نظريات دارون في التطـور ـ كان الاعتقـاد المهيمن لديهم في دراساتهم هو أن سر كل ديانة يكمن في أصولها ومنابعها ، وأن مجرد اكتشاف المصادر التي استقى منها محمد مبادىء الاسلام ، والاوضاع الدينية السائدة قبيل ظهوره بدعوته ، كفيل بأن يلقي الضوء على سيرته ، فبالغوا في الاهتمام بهذه النواحي مبالغة أخلت بكل تناسب•

دفاع مونتجومري وات عن محمد

مثل هذه العيوب قد افلح في تجنبها على نحو باهر زعيما الاتجاه الثالث والراهن في الدراسات

الاسلامية الغربية ، ألا وهما آثر آربرى (صاحب خير ترجمة انجليزية لمعاني القرآن) ، ثم بالاخص المستشرق الاسكتلندى مونتجومرى وات الذى يعتبر اليوم ـ بعد وفاة جيب ـ أشهر المستشرقين الغربيين خاصة فيما يتعلق بالسيرة ٠ وقد تصدى وات للدفاع عن محمد والاسلام دفاعا دونه شأنا دفاع اشد المسلمين تحمسا لدينه ونبيه ، مع مراعاة منه لمنهج البحث العلمى الى حد كبير ٠ ومع ذلك فاننا نستشعر من موقفه تناقضا أساسيا غير مفهوم يجعلنا ـ بمعنى معين وفى بعض الاحيان ـ نفضل سيرة موير الواضحة الهدف على ماكتبه وات عن النبى ٠

يقول وات فى مقدمات كتبه « محمد فى مكة » و « محمد فى المدينة » و « ما الاسلام ؟ » و « مقدمة ريتشارد بيل للقرآن » انه حاول اتخاذ موقف محايد بين المسيحية والاسلام ٠ « فلكى أتجنب مثلا اتخاذ موقف من موضوع ما اذا كان القرآن كلام الله أم لا ، امتنعت عن استخدام عبارات مثل : « قال الله » و « قال محمد » عند الاشارة الى القرآن ، واكتفيت بعبارة « جاء فى القرآن » ٠٠٠ ولقد حاولت ـ مع بقائى مخلصا لمعايير البحث التاريخى الغربية الا أذكر مايعنى رفضا لأى من المبادىء الاساسية للاسلام ٠ فما من ضرورة تحتم بقاء فجوة لا يمكن عبورها بين العلم الغربى والعقيدة الاسلامية ٠ وان كان ثمة نتائج توصل اليها العلماء الغربيون لم يقبلها المسلمون ، فربما كان سبب ذلك ان العلماء الغربيين لم يكونوا دائما مخلصين لمعايير البحث العلمى ومقتضياته ، وأن نتائجهم ـ حتى من وجهة النظر التاريخية البحته ـ تحتاج الى تصحيح ٠ ومع ذلك فقد يكون من الصحيح أيضا القول بأن هناك مجالا لاعادة صياغة النظرية الاسلامية دون أى تغيير فى الاساسيات » ٠

وهو لايرى تبنى النظره المادية أمرا لازما لحياد المؤرخ ٠ فهو يكتب ـ كما يقول ـ باعتباره مؤمنا موحدا : « اننى لست مسلما بالمعنى الشائع ، ولكنى آمل أن أكون مسلما بمعنى اسلام نفسى لله ٠ وانى لأرى بالقرآن وغيره من مظاهر الرؤيا الاسلامية حقيقة الهية يمكننى ويمكن غيرى من الغربيين أن نتعلم الكثير منها » ٠ ومع ذلك فهو يضيف قوله : « بيد أننا لانستطيع ان نقبل على نحو مطلق الرأى الاسلامى الشائع بأن القرآن كله صدق ، وانه معيار كل حقيقة » ٠

ثم يعود فيقول : « ان الصلات المتزايدة بين المسلمين والمسيحيين فى ربع القرن الاخير تحتم على العلماء المسيحيين ألا يسيئوا الى مشاعر القراء المسلمين ، وأن يصيغوا آراءهم ـ قدر الامكان فى قالب مقبول منهم ٠ فمن قبيل التأدب مثلا الا نتحدث عن القرآن باعتباره نتاج عقل محمد الواعى ، وهو موقف أراه أيضا متمشيا مع نتائج البحث العلمى السليم » ٠

فهو اذن يرجع ضرورة الكتابة عن النبى على هذا النحو المتأدب تجاه المسلمين ، المراعى لمشاعرهم ، الى توثق الصلات فى العصر الحديث بين العالم الغربى وعالم الاسلام ٠ « فالعالم يخطو سريعا صوب الوحدة والتماثل ، وهو فى سبيله الى أن يصبح عالما واحدا يلعب الاسلام فى شؤونه دورا هاما ، وهو مايجعل من الضرورى الملح محاولة الوصول الى نظرة موضوعية فى الكتابة عن شخصية محمد ٠ فان بعض نقاد كتبى يتهموننى بأنى لا أفصح بوضوح عن آرائى ، فانى أجيبهم بأن الكاتب يتصدى لصعوبات جمة حين يكتب لقراء شديدى التنوع فى مذاهبهم ، لابد سيفهمون الافكار الاساسية الواردة على أوجه مختلفة ! » ٠

مثل هذا الموقف ـ صراحة ، ومع اعجابنا العظيم بمونتجومرى وات وكتاباته ـ لانفهمه ولا نقره ٠ اذ كيف يمكن القول بعملية فكرة تقول ان تزايد الصلات بين الغرب وعالم الاسلام اليوم ينبغى ان يكون الحافز للغربيين على انصاف محمد والرفع من شأنه ؟ بيد ان لهذا الموقف فى الحقيقة مغزاه ودرسه ٠ فان كان التعاطف الاوروبى المتزايد مع القضية العربية نتيجة لحاجة اوروبا الى نفط المنطقة ، هو لاشك وراء تلك المهرجانات والمعارض الاسلامية التى تشهدها اوروبا اليوم ، وذلك الاهتمام لاول مرة بنشر ترجمات لمؤلفات الكتاب العرب المعاصرين على نطاق واسع نسبيا ، فلن نرى غريبا أن نقرأ فى المستقبل القريب بحثا عن أثر أزمة الطاقة العالمية فى كتابة سيرة نبى الاسلام فى الدول المستهلكة للنفط !

لا وجه اذن للعجب مما ذكرنا ، وانما العجب والمحزن حقا أن نجد مسلمين ايهللون وتنتفخ صدورهم بالثقة ان تفضل مستشرقون او كتاب أجانب بمدح النبى والدفاع عنه (حتى لو كان هؤلاء ممن لم يتبحروا فى دراسة الاسلام ، مثل واشنطون ايرفينج

ولوبون وكارلايل) او يتصدون بالتجريح والطعن لمن تصدى منهم له بالتجريح والطعن • فلا مدح هؤلاء جدير بان يزهينا ، ولا قدح أولئك خليق بان يهزنا •وكيف يزهينا مدح كثيرا ما كان نابعا عن العاد أو عن حرص من المؤلف على أن يصدم مشاعر قومه، أو على أن يبدو مستقل الرأى أو موضوعى المنهج ، أو عن مراعاة منه لمصالح قومية (او مادية) ، او كان الباعث عليه اتجاه الى تقارب فكرى وسياسى مع الدول الاسلامية ، أو كيف يهزنا قدح هو فى افضل حالاته ناشىء عن عجز المسيحيين الغربيين عن فهم النبى حق الفهم فى سياق بيئته العربية ؟ •

لقد آن ـ فى رأيى ـ أوان كتابة سيرة نبوية جديدة فى العالم الاسلامى • سيرة لا تدافع ، ولا تعتذر ،ولا تخجل ،سيرة لاتطمس الوقائع ولاتخترعها فتكون مجانبة للحق ، ولا تكتفى بسردها فتكون مجانبة للفن،سيرة لاتحذف «مايسوء البعض ذكره»، ولا تعبأ بان تسىء الى البعض ، ولا تفرض وصاية على أحد ، سيرة تحيى حقبة تاريخية كاملة وتعيد بناء معاييرها وقيمها الاخلاقية وبيئتها وتقاليدها وعرفها ،حتى تبدو شخصية النبى واعماله واضحة فى سياقها ، سيرة تتخذ من التاريخ موقفا دينيا حقا ،بقلم مسلم ذى لسان عربى مبين ،لا تعوزه رجولة، ولا تريك خطاه عقدة نقص ،عظيم الاعتزاز بدينه ، رصين الثقة بنبيه ، سيرة جديرة بالواقدى والطبرى، لو كان قدر لهما أن يكتبا فى يومنا هذا •

■■

حسين أحمد أمين

لاجوس ـ نيجيريا





■ قلما يرجى فلاح لمطلب من مطالب الانسان يبنى على الحق وتنسى فيه المصلحة ، او يبنى على المصلحة وينسى فيه الحق

(العقاد)

■ لو استمر تخفيف الحجاب يتقدم بالسرعة التى سار بها الى الآن ، والنفوس على ما هى عليه (من عدم التربية الصحيحة) لعمت البلوى ، وزاد الفساد انتشارا

(قاسم امين)

■ تمضى الامـــور باهل الرأى ما صلحت
فان تـــولت فبالاشرار تنقـــاد

(الأفوه الاودى)

■ وكيف تريد أن تدعى حكيما وانت لكل ما تهوى تبوع

(عمرو بن معديكرب الزبيدى)

■ النفس تطمـع ، والأســباب عاجـزة
والنفس تهلك بين اليـأس والطمع

(هارون الرشيد)

مستحضر جديد
يبشر بالوقاية من تسوس الاسنان

● قد يكون تسوس الاسنان في طليعة الآفات التي يعاني منها الاطفال كبارا وصغارا وفي كل مكان . ولطالما اوصى الاطباء وحرص الاباء على الحد من كمية السكر التي يتناولها الابناء ، وعلى تنظيف هؤلاء اسنانهم ، لاسيما قبل النوم، بأحد المعاجين التي تحتوى على الفلورايد ضمانا للمزيد من الوقاية . وتأتي هذه الوقاية من غشاء يتركه المعجون حول ميناء السن ، بحيث يكفل حمايتها من البكتريا التي توجد عادة في الفم، وتتغذى وتنشط تبعا للطعام الذى يدخل الفم . فهذه البكتريا هي التي تنخر الاسنان وتساعد على تسوسها حسب الاعتقاد السائد بين الاطباء حتى الآن .

والظاهر أن تلك الوقاية والحماية لم تتحقق بالنسبة المرجوة حتى الآن . فالاطفال مازالوا يعانون من الاسنان النخرة المسوسة هذه الايام مثلما كانوا يعانون منها في الماضي . وهذا ما حدا بالعالم الفنلندى كارل لارك Lark الى بذل الجهود ، بالتعاون مع شركة السكر الفنلندية ،بقصد صنع المعجون الذى يكفل للاسنان الوقاية المطلوبة .

وتكللت الجهود بالنجاح ـ على مايبدو ـ وظهر المعجون الموعود تحت اسم كسيليتولى Ksylitoli نسبة الى كسيليتول ، المادة الفعالة بين محتوياته .. فهذه المادة ، وهي احدى كحول السكر التي نجدها في الفاكهة وبخاصة التوت ، وفي الفطر ، تقضي على بكتريا الفم لدى دخولها اليه . ولايحتاج المرء الى تنظيف اسنانه بمعجون الكسيليتولى اكثر من مرتين او ثلاثة ، يوميا (١٠ غرامات) ، للتخلص من تلك البكتريا ووقاية اسنانه من النخور والتسوس التي تحدثها فيها .

ومما يزيد الثقة في هذا المعجون الجديد اقدام شركة هوفمان ـ روش السويسرية الكبيرة على المساهمة في توزيعه في العالم ، خارج البلاد الاسكندنافية .

وتجدر الاشارة الى ان معجون الاسنان ليس المستحضر الوحيد الذى سيصنعونه من الكسيليتولى .. والذى سيدخلون في تركيبه مادة الفلورايد المعروفة .. فهم سيصنعون منه اللبان وبقصد المحافظة على الاسنان ايضا .

تحذير للزوجات
أثناء الحمل
هذه العقاقير تضر الجنين !

● نشرت مجلة ممز Mimms البريطانية ـ وهي مجلة رائجة في أوساط الاطباء وبخاصة أطباء العائلات ـ نشرت قائمة بالعقاقير التي قد تضر بالجنين ، والتي ينبغي للمرأة الحامل تحاشيها . وقد أعد القائمة ، التي تشمل ٧٠ عقارا، البروفسور النجورث R. S. Illingworth المختص في شؤون صحة الطفل ، والاستاذ في جامعة شفيلد في بريطانيا .

ومع أن أكثر عقاقير تلك القائمة هي

من النوع الذى لا يمكن شراؤه بدون وصفة طبية الا أن بينها عددا من المستحضرات التى يمكن الحصول عليها بسهولة ، كالاسبرين وعقاقير السعال والادوية المضادة لحموضة المعدة ٠

فبعض هذه العقاقير ، الآمنة فى نظر الكثيرين ، يسبب النزف ، وبعضها يسبب اليرقان للجنين ٠ وكثيرا ما تكون قلة وزن الطفل الوليد نتيجة لتعاطى تلك العقاقير أثناء الحمل ٠ وقل مثل ذلك فى عسر الولادة ٠٠ هذا اذا لم تلحق تلك العقاقير تشويها دائما فى المولود على نحو ما أحدثه عقار الثاليدومايد Thalidomide وقصته ، بل قل مأساته معروفة ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن التدخين وتعاطي المسكرات أيضا تلحق بالجنين اضرارا هو فى غنى عنها ٠ الا أن العقاقير بالذات هى الخطر الاهم ــ ان لم يكن الوحيد كما يقول البروفسور النجورث ــ الذى يتهدد صحة الجنين وسلامته ٠

القردة تدرس اللغة

بجامعة كولومبيا !

● كثرت المحاولات التى يقوم بها علماء النفس فى سبيل تعليم القردةاللغة ٠٠ ولعل أطرف ما يذكر فى هذا الصدد المحاولة التى يجريها العالم النفسانى الدكتور هربرت ترس Dr. Herbert Terrace وذلك فى أحد سراديب جامعة كولمبيا فى نيويورك ٠وجامعة كولومبيا هذه شهيرة فى تدريس مواضيع شتى نخص بالذكر منها الطب وعلم النفس ٠٠

أما التلميذ ، موضوع تجربة الدكتور هربرت ، فليس سوى قرد من فصيلة الشمبانزى ٠٠ يبلغ من العمر سنتين ونصف السنة وقد اطلقوا عليه اسم (نيم) ٠٠ واسكنوه فى بيت كبير فىحى رفرديل Riverdale ، المعروف فى نيويورك٠٠ وتشارك القرد السكن فى هذا البيتثلاث فتيات كلفهن الدكتور هربرت بالعناية به وربما ايضا بمساعدته على المذاكرة اذا اقتضى الامر ٠٠

أما دوام (نيم) فيمتد ست ساعات ويبدأ فى الصباح الباكر وينتهى عند الظهيرة ٠٠

وقد نجح الدكتور هربرت فى تعليم الشمبانزى اللغةباعتبارها واسطة تفاهم٠ والمقصود هنا لغة الرموز ، حيث يكون الرمز هو الكلمة او الوحدة اللغوية ٠٠ وقد تذكرك لغة الرموز هذه بما كانت عليه لغة الانسان البدائية الاولى فى الماضى البعيد ٠ ومهما يكن من أمر فان لغة (نيم) تشبه كثيرا لغة الرموز الخاصة بالصم ٠

وهكذا اصبح فى استطاعة الشمبانزى (نيم) الآن ان يرمز الى اشياء كثيرة نذكر منها الماء والزهرة وفرشة الاسنان والقبعة وكذلك الى الشرب والى (نيم) نفسه ٠٠وذلك بواسطة الاشارات الثابتة التى ترمز الى هذه الاشياء التى علمه اياها الدكتور هربرت ٠٠ وقد بلغ عدد هذه الرموز التى اجاد نيم معرفتها حتى الآن ٥٥ رمزا ، تشمل اسماء ، وضمائر ، وافعالا ، وصفات ٠٠ ولكنها لا تشمل « الحال » الا فى رمز واحد فقط ٠٠ وتجدر الاشارة الى ان (نيم) يتمتع بملكة الاستنتاج فهو يستطيع أن يفهم ٧٠ رمزا لم يتعلمها ، فوق الرموزالخمسة والخمسين التى تعلمها ٠

والاهم منهذا وذلك هو أننيم يستطيع أن يؤلف بين الرموز التى تعلمها ليكوّن جملا ، ويعبر بها عن حاجاته ٠ واكثر جمله هذه مكونة من رمزين اثنين ٠ مثل « التفاحة هات » و « اللعب ايضا » ٠٠

ولكن الكثير منها مكون من ثلاثة رموز ، وبعضها معقد ويشمل عددا من الرموز قد يصل الى عشرة ٠٠ وتكاثرت جمل نيم حتى بلغ عددها حتى الآن ٥٠٠ جملة ٠ ولعل الخطورة ليست فى تركيب الجمل وانما فى باعث القرد على تركيبها ٠ فهذا الباعث ليس نفعيا يستهدف الظفر بطعام او شراب او حلويات كمكافأة على تركيب تلك الجمل ٠٠ بحيث لا يركب تلك اذا هو لم يظفر بهذه ٠٠ بل ان نيم لا يكافأ على تركيبها باكثر من كلمة ثناء ٠٠ ومعنى هذا ان اللغة تؤدى بالنسبة الى نيم الشمبانزى نفس الوظيفة التى تؤديها بالنسبة الى الانسان ٠ فهى وسيلة تعبير وتخاطب واداة تماسك بين الافراد لا مجرد ردود فعل او سلوك انعكاسى ٠

وحش بحيرة نس NESS

بين الحقيقة والخيال

● كنا نشرنا خبرا عن وحش بحيرة نس (العدد ٢٠٦) ووعدنا القراء بنشر الصور التى كانوا التقطوها لذلك الوحش حالما يعمدون الى نشرها ٠ ولكن تلك الصور ـ ان كان ثمة صور بالمعنى الدقيق ـ لم تنشر ، بل اخذت طريقها الى الاكاديميات العلمية ليقول العلماء كلمتهم فيها ، وفى موضوعها « وحش نس الاسطورى » ٠

غير أن العلماء لم يقولوا كلمة واحدة فى هذا الصدد وانما عدة كلمات ٠٠ فذهب بعضهم الى ان ما تغمره مياه البحيرة لا يعدو كونه حطام سفينة من السفن الكبيرة المصنوعة على طراز سفن الفايكنج ٠٠ واكد آخرون أن لا وجود لوحش نس على الاطلاق ، وان الصور الملتقطة لم لم تثبت وجود كائن حى ، اى كائن ٠ وتشبث البعض باعتقادهم بوجود الوحش فى اعماق المياه ٠ وكان فى طليعة هذه الفئة الاخيرة المستر روبرت راينز Robert H. Rines والمستر راينز هذا محام فى بوسطن ، اشتهر بالاهتمام الكبير الذى اولاه لوحش البحيرة ، منذ أن دار الحديث حول ذلك الوحش ، قبل بضع سنوات ٠

والظاهر أن المستر راينز ذو همة كبيرة وعزيمة لا تفتر ، بدليل البعثة العلمية الجديدة التى كان له فضل فى تأليفها ٠

أما الجهات التى تولت امور البعثة واخذت على عاتقها الانفاق عليها فهى صحيفة نيويورك تايمز واكاديمية العلوم التطبيقية ومقرها بوسطن ٠ وقد اسندت قيادة هذه البعثة الى المستر راينز نفسه ، وهو صاحب هذه الاكاديمية ٠

وتضم البعثة عددا من العلماء المعروفين، نذكر منهم الدكتور هارولد ادجرتون Dr. Harold W. Edgerton الاستاذ فى جامعة M.I.T. والمستر شارلز ويكوف Charles W. Wyckoff وقد اشتهر الاول باختراعه لونا من الوان التصوير يسمونه Strobe photography ، وعرف الثانى باختراع الافلام المناسبة لتصوير تجارب القنابل الذرية ٠ ■■



مسألة كرامة

بقلم : محمد مدى



■كان الوقت قبل منتصف النهار بدقائق عندما راح سالم يردد تساؤلاته المعتادة حول تلك المرأة العجوز مظهرا الشابةتصرفا ،والتي ينم كل تصرف من تصرفاتها عن اعتزاز وثقة لا حد لهما . كان يشاهدها كل يوم تقريبا عدا بعض الايام التى كان هو نفسه لا يمر فيها بذلك الشارع في مثل هذا الوقت بالذات .. ترى من هي هذه المرأة .. ولماذا تختار هذا الركن من شارع الزعفران دون سواه.. ولماذا تجلس على هذا الصندوق الخشبى دون سائر الصناديق المتناثرة على طول هذا الطريق.. لم ـ وهذا كان قمة تساؤلاته . ـ لماذا تقبل الصدقات من المارة بينما لا يبدو عليها انها فى عوز وفقر شديدين.. ولماذا لا ترفع يدها او صوتها طلبا لهذه الصدقات .. هذه التساؤلات وغيرها كانتما يشغل سالم دائما عند رؤيته لهذهالانسانة التى يبدو ان حياتها لم تكن عادية وان سرا كبيرا يكمن فيها .

كان سالم يمر كل يوم من جانبها مرورا .. الا انه اليوم ، نظرا لانتظاره صديقه محمد امام هذا المستودع الكبير حيث دخل يشترى بعض المستلزمات ، وجد نفسه يتأملها اكثر وتتسارع تساؤلاته وتتوسع وتتعمق بحيث لميشعر بالزمن الكبير الذى استغرقه صديقه فى المستودعوالذى ما ان رآه لدى خروجه منه على هذه الحالة من التفكير والتأمل حتى بادره قائلا :

ـ صلاتك عالنبى.. تفاسير حتى فى السوق.. ما كفاية المكتب .

ـ آه .. محمد .. اهلا .. كيف حالك .. من اين جئت ..

واندهش محمد وفغر فاه .. فصديقه الذى كان يسير معه وفضل الانتظار خارج المستودع نسى كل شيء وقابله كأنه لم يكن معه قبل قليل ..

ترى ماذا جرى له ، وماذا حصل ٠٠ وهل هو جاد فى سؤاله ام مازح ٠٠ انه لموقف محير فعلا ٠٠ ولكى يتاكد اكثر رد عليه قائلا : ـ

ـ جئت من المستودع ٠٠ من داخل ٠٠ وقد تاخرْت عليك كما يبدو فمعذرة ٠٠

ـ تاخرت على ٠٠ كيف ٠٠

ـ الم تكن تنتظرنى كما اتفقنا حين اخبرتك اننى سادخل لشراء بعض الطلبات وفضلت انت عدم الدخول معى والانتظار هنا ٠٠

وما ان انهى محمد تذكيره حتى كان سالم قد خرج بفكره وتفكيره من نطاق المراة اللغز وعاد



الى وعيه وتذكر فعلا حضوره مع محمد وطلبه الانتظار فى الخارج ٠٠

ـ فعلا فعلا يامحمد ٠٠ لقد نسيتك والله يا أخى ٠٠ فمعذرة ٠٠

ـ لا لن اعذرك الا اذا اخبرتنى بما كنت تفكر فيه ٠٠

ـ ولماذا تريد اتعاب نفسك ٠٠ الا يكفى ما رايته منى الان من فقدان للذاكرة ٠٠ ولكننى مصرٌ يا أخى ٠٠ مصر ٠٠

ـ اذن ذنبك على جنبك ٠٠ ومن يدرى فقد تحل محلى فى الاهتمام بهذه المراة ٠٠

ـ المراة ٠٠ اية امراة ٠٠

ـ تلك ٠٠ تلك التى تجلس على ذلك الصندوق الخشبى ٠٠

ـ تقصد ام حسن ٠٠

ـ ام حسن ٠٠ حسن من ٠٠

ـ حسن عبدالله على ٠٠ الذى كان مسؤول قسم الارشيف فى ادارتنا قبل سنتين ٠٠ واندهش سالم لما سمع ولم يصدق فى بادىء الامر ٠٠ الا ان محمدا اكد له ذلك واقسم له أيضا على صدق ما ذكره ٠٠ وهنا لم يطق سالم صبرا وطلب بالحاح من صديقه محمد ان يطلعه على كل ما يعرفه عن ام حسن هذه ٠٠ والاسباب التى آلت بها الى هذه الحالة ٠٠ ولم يستجب محمد فى البداية لالحاح صديقه وحاول ان يثنيه عن طلبه ٠٠ الا ان سالم ، استحلفه الله ان يفعل وهدده بانه ان لم يستجب لطلبه ويشفى غليله ويشبع فضوله فانه سيتعرض دوما لحالة غيبة الوعى مما قد يؤثر على علاقتهما كصديقين حميمين يربطهما الكثير من المواعيد والالتزامات الرفاقية ٠٠ وهنا لم يجد محمد مناصا من اطلاع سالم على قصة ام حسن ولو انه اشترط ان يكون ذلك عند لقائهما فى المساء فى مقهى شاطىء صيرة ٠٠

وعلى مقعدين خشبيين فى تلك الامسية على شاطىء صيرة الجميل جلس الصديقان يرتشفان شراب الزنجبيل ٠٠ ومن خلف قلعة صيرة التاريخية اطل بدر شعبان وكانه عرف ان سرا سوف تسلط

عليه الاضواء الليلة فاحب معرفته بل تلهفعليه تلهف سالم نفسه الذى ما فتىء يستعجل محمد على بدء القصة منذ وصلا قبل دقائق معدودات بينما محمد يستمهله بمختلف المعاذير ٠٠ فاحيانا يطلب الاستراحة قليلا من المشى ٠٠ واحيانا يطلب الانتظار حتى يقل رواد الشاطىء ٠٠ واخرى ريثما يفرغان من شرب الزنجبيل ٠٠ وكان العذر الاخير هو اخر ما كان فى جعبة محمد ٠٠ اذ بدا يروى القصة مباشرة بعد ان انهى ارتشاف فنجانه ٠٠

ام حسن هذه من عائلة غنية جدا ارتحلت عن البلد اثناء الكفاح المسلح لتحرير الوطن حيث خشيتان لا تنعم بما كانتتنعم به من امتيازات فى ظل الحكم الاستعمارى شانها شان كل مثيلاتهامن الاسر لا تنسجم مصالحها الا مع المستعمر دائما٠٠ ولم ترحل أم حسن مع عائلتها نظرا لتزوجها من احد التجار منذ عشرين سنة قبل بدء الحركة الوطنية فى كفاحها من اجل التحرير ٠٠ وقدكانت ام حسن زوجة من النوع المسيطر الذى لا يستطيع ولا يحلو العيش له الا اذا كان فى القمة حيث تصدر منها الاوامر فتطاع والويل لمن خالف ٠٠ وقد ساعدها فى التمتع بتلك السيطرة والمحافظة عليها يسر حالة زوجها وضعف شخصيته امامها٠٠ وهكذا عاشت أم حسن مع زوجها وكانها ملكة متوجة٠٠وانجبت له من الاولاد واحدا ومن البنات ثلاثا كانوا جميعا بما فيذلك الزوج لا يعصون لها امرا ٠٠ ولا يقدمون على خطوة دون الرجوعاليها



واستمر الحال على هذا المنوال ٠ وشب الاطفال واصبحوا نساء ورجالا وتغيرت الدنيا وكل شيء الا أم حسن التى ظلت على حالها آمرة ناهية ٠٠ ماسكة بزمام السلطة بيد من حديد حتى بعد وفاة زوجها قبل الاستقلال باشهر ٠٠ وكانت عائلتها انذاك قد تركت الوطن ٠٠ وبقيت هي واولادها فيه يستنزفون ما تركه الوالد حتى أتوا عليه ٠

ودارت عجلة الزمن وانهى حسن تعليمه وتوظف وكذا تزوجت البنات الثلاث ٠٠ وكانت اولى الضربات التىوجهت الى أم حسنهى خيبة املهافى أزواج بناتها الذينظنت انها ستضعهمالى الحاشية وتسيطر عليهم اضافة الى بناتها ٠٠ وكانت ضربة شديدة مؤلمة تلك التي وجهها الازواج الثلاثة بعدم الانصياع لأوامرها والدخول فى زمرقطيعيها والخاضعين لسيطرتها ، واكثر ألما ضربة البنات اللواتى وجدنها فرصة للتخلص من جبروت أمهن فوقفن مع أزواجهن ورفعن راية التمرد والعصيان

لميبق امام أم حسن غيرحسن لتمارس سيطرتها عليه ٠٠ ولانها فقدت جزءا كبيرا من رعيتها فقد صعدت من سطوتها عليه ووسعت دائرة السيطرة واحكمتها على الوحيد الذى بقي من رعاياممكلتها المنهارة ٠٠ وقد تقبل حسن كل ذلك بهدوء وصبر يصل الى مستوى صبر ايوب ٠٠ وكان أمله ان ياتي اليوم المناسب سريعا كي يتخلص من طوق السيطرة ٠٠ وكان خلال تفكيره وتطلعه الى الامل لا يستطيع ان يحدد كيف سيكون وكيف سيحدث وما الطريق اليه ٠٠

ودارت عجلة الزمن دورة اخرى وتعرفحسن على فتاة احبها وقرر الزواجمنها ٠٠وكانت عملية صعبة جدا اقناع امه بالموافقة على زواجه ٠٠ فهى نتيجة تجربتها مع بناتها اصبحت معقدةوحذرة وحسن هو الباقى من مملكتها ٠٠ فكيف تسمح لنفسها ان تعمل على فقده ايضا ٠٠ وقد عارضت فى البداية معارضة شديدة ٠٠ كانت كمن يتمسك باخر أمل فى النجاة ٠٠ ولو انه بمفهومها آخر أمل فى ارضاء غرورها واستمرار سيطرتها ٠٠ الا انها رضخت فى الاخير بعد ان قدم لها حسن كل التعهدات المطلوبة بان يجعل من زوجته جزءا منه وتابعا له ولها ٠٠ وهكذا تم الزواج ٠٠ زواج حسن بسميرة زميلته فى العمل الفتاة المتعلمة المثقفة التى تمردت قبل ذلك على أعتى واقسى



التقاليد والمفاهيم وانتصرت لنفسها وبنات جنسها ومجتمعها ..

بعد زواج حسن بشهرين فقط بدات تطفو على السطح بوادر التناقض بين تفكيرين وجيلين .. وبدا المنزل وكانه معسكران يمارسان الحرب الباردة ، ويتحين كل منهما الفرصة لبعث الحرارة في هذه الحرب كي تشتعل وتنفجر وبالتالي تقرر المصير والخط الجديد الذى لا بد من السير فيه .. وقد جاءت تلك الفرصة بعد ان مهدت لها كل الظروف والعلاقات التى سادت المنزل وانعشتها امال الاستقلال والعيش دون سيطرة او تدخل منفر ، وفجرها فيض الكيل من الزوجة الصغيرة والابن الذى انتصر لها وساندها ووقف الى جانبها ضد تسلط امه وحبها السيطرة والتسلط.. وكان الانفجار شديدا والتصدع فى علاقات الام بابنها اكبر من ان يكون له حل وراب غير التغيير الكامل والشامل فى العلاقات بين الافراد الثلاثة .. علاقات لا تسلط فيها ولا سيطرة ولا فرض رأى وتجاهل اخر .. وكانت الصدمة كبيرة على الام .. فهى لا يمكن ان تتخلى عن آخر قلاعها ولا ان تقبل المشاركة في قيادة السفينة ولا حتى الصمت على مضض .. وقد حاول ابنها ان يبقيها فى البيت ولكنها رفضت باباء وعناد وفضلت ترك المنزل على الرغم من أنه لا يوجد لديها ما يعينها على امور الحياة .. فهى تعتقد انه لا يمكن لها العيش تحت سقف لا تكون فيه هى الامرة الناهية .. ولا يمكن ان تقبل ان يكون صرف ابنها وزوجته عليها مقابل ان تتنازل عن كرامتها وموضعها فى البيت .. وهكذا خرجت .. خرجت الى الحياة لا لتبحث عن عمل تعيش من دخله فهذا لا يمكن ان تهضمه نظرا لوجود من يامر وينهى غيرها .. ولا الى بيت من بيوت معارفها لتعيش معهم عيشة كفاف حتى ياتيها الاجل لان ذلك ليس من طبعها ولا يتناسب مع كرامتها .. ولكنها خرجت الى الشارع .. الى شارع الزعفران حيث كان متجر زوجها السابق الذى اخذت تجلس امامه فوق ذلك الصندوق تستعيد ذكريات الماضى .. عندما كانت تاتى الى هذا المتجر لتختار بنفسها كل ما جادت به مصانع القماش من جديد قبل ان تختار منه اية امراة اخرى .. هذه يا صديقى هى قصة أم حسن ..

ـ انها قصة مثيرة بالفعل .. ولو أن نهايتها لا تبدو لى طبيعية بالنسبة لكرامة أم حسن ..

ـ تقصد كونها تسال الآن ..

ـ نعم فهذا يتنافى مع ما ادعته من عدم رغبتها فى البقاء عالة على أحد ..

ـ هذا صحيح .. ولو انها بطريقة قبولها الصدقات تذكرنى بالتركى الذى فقد كل جاهه وسلطته بعد زوال دولة الاتراك واضطر أن يسال .. وقد عملها وحاول الاحتفاظ بكرامته اثناء سؤاله بان كان يردد « حسنة لسيدك أغا » .. ان أم حسن تصرفت كذلك التركى ـ مع فارق بسيط .. فهى لم تتكلم ولم ترفع يدها سائلة .. بل اكتفت بالجلوس لا غير وعلى الصدقات ان تاتى بنفسها اليها ـ انه على كل حال كما يبدو تصرف لا يختلف ابدا عن تصرفها فى الماضى ـ فالمسالة هنا مسالة كرامة .. ■■

« محمد مدى »
عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

الحكمـــة فى الأربعـــين

■ أتيتِ – لا أهلا – فما تنفعينْ … أيتها الحكمة في الاربعين ؟
أسستُ بنيانى ، وشيّدتُه … واختبرت دربى واعيا ، عن يقين
قد كنت أبغى منك أن تنصفى … فلم أجد أذاك لى تنصفين
جئت تقيمين ؟ وما حاجتى … إن كنت لى تبقَيْن ، أو ترحلين ؟
ما جئتِنى إذ كنت غضا : فتىً … وجئتنى كهْلا ، ثقيل الشجون
كنت فتى قبل . على بسْطة … في الجسم ، والجسمُ نشيطٌ مكين
والعمر في مشرقه باسم … وفيّ آمالٌ ، وعزمٌ متين
تخذت أقرانا . وما اختبرتُهم … فيهم صديق ، وعدو مبين
باطالما أذنبتُ ، الكننى … لم آت ما يُخجلُ : دنيا ودين
وكان أولى بيَ فى مبرقى … لو زدتُ خيرا في طريقى الأمين
ذاك زمانٌ . لو به جئتنى … بنيت لى بنيانَ عز رصين
واليوم قد جئتِ . ولا ابتغى … منك يدا ، منها الهدى يستبين
النفس قد شابت . وجسمى ذوى … وانت ثقلٌ فوق ثقل السنين
أتعشقين الشيب في مفرقى … بضحك في غيظ . كضحك الغبين
أنت كأمّ أهملت طفلها … حتى غدا كهلا . فهل تسخرين ؟
لو كنت حقا « حكمة » لم تنى … عن نجدتى قبل ضُحى الاربعين
منك خطاياى التى قد مضت … والله – بعد – المستعانُ المُعين ■■

الكويت – د. محمد صادق زلزلة





• امراض شائعة •

المرارة مالها وماعليها

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوى

هذا المخزن الصغير للعصارة الكبدية متى يتلف ، ولماذا ؟ وكيف نعالج العلةفيه ؟ وهل يستطيع الانسان ان يعيش بدونه ؟

■ المرارة عبارة عن كيس كمثرى الشكل سعته حوالى ٥٠ سم³ فى الشخص البالغ يلتصق بالسطح الاسفل من الكبد فى الجهة اليمنى من اعلى البطن • اما الجهاز المرارى فيبدا بالقنوات المرارية التى تكمن داخل الكبد ، والقناة المرارية التى تتكون بتجمع هذه القنوات ، وهذه القناة بدورها تصل من الكبد الى المرارة ثم الاثنى عشر وهو اول جزء فى الامعاء الدقيقة المتصلة بالمعدة والملتفة حول راس البنكرياس ، ويتكون جدار المرارة من نسيج ليفى وعضلات غير ارادية تتجه فىمختلف الاتجاهات لتساعد فى حركةانقباض المرارة عند الحاجة الىذلك • ويبطن جدار المرارة من الداخل غشاء مخاطى ناعم الملمس متخذا من نفسه ثنيات عديدة سطحية فى جسم وقاع المرارة اما فى رقبتها فان هذه الثنيات تعلو شيئا ما وتتخذ اتجاها هلاليا وحلزونيا مما يؤهلها احيانا لوظيفة الصمام •

وظيفة المرارة

تعتبر المرارة مستودعا للعصارة الكبدية كما ان لغشائها المبطن القدرة على تركيز هذه العصارة الى عشرة اضعاف تقريبا • وتعرف هذهالعصارة المركزية بصفراء المرارة• اما لماذا لا تنزل العصارة من قناة الكبد العامة مباشرة الى الاثنى عشرعبر القناة المرارية العامة فذلك نتيجةلانقباض عضلة الفتحة العضلية القابضة التىتصلها بالاثنىعشر•

واذا ماتلف الغطاء المخاطي نتيجة مرض ماتفقد المرارة قدرتها على تركيز العصارة الكبدية .

وتنشط المرارة الطبيعية وتنقبض لتفرغ مابها من عصارة عند تناول اى غذاء دسم فتمر عبر القناة المرارية العامة الى الامعاء لتساعد على هضمه هناك . اما سبب هذا النشاط وهذا الانقباض فهو عملية فسيولوجية معقدة نحن في غنى عن الدخول فى تفاصيلها هنا ولكنه حقيقة واقعة .

ولقد ثبت بالتجربة انه عند نقل دم قطة غذيت بصفار البيض ـ وهو مادة فعالة تنشط انقباض المرارة ـ الى قطة اخرى صائمة نتج عنه نشاط وانقباض فى مرارة القطة الثانية .

وفى الانسان الطبيعي لا يؤثر علىنشاط المرارة رؤية وشم وتذوق الطعام الدسم ولا حتى تناول الطعام النشوى والبروتينات الخالصة مثل بياض البيض .

وانما يؤثر عليها فقط وجود المادة الدهنية فى الطعام بالدرجة الاهم .

عيوبها الخلقية

اما العيوبالخلقية للمرارةفهي نادرة نوعا ما، فعدم تكوينها اصلا هي والقنوات المرارية ـ وهذه حالةنادرة جدا ـ تكتشف فى الاطفال الذينيعانون تشوهات خلقية اخرى . لا تتناسب والحياة .

واحيانا نجد لانسان واحد مرارة مزدوجة ـ وهى بنسبة ١:٤٠٠٠

والاعممن ذلك أن تكونهناك مرارة واحدة ولكن لهـــا حاجــز داخلي مستعرضــ ـ وتسمى Phrygian cap ، ولا يتدخل وجــود الحاجز فى وظيفة المرارة .

امراض المرارة

وامراض المرارة تتركز فى ثلاثة انواع . فاندر انواعها الاورام السرطانية والحميدة وهى عــادة تكتشف بعد استئصال المرارة التيىكون بها التهاب او حصيات . اما النوع الثانى فهو إلتهاب المرارة ذاتها . وهذه الالتهابات اما حادة او مزمنة .

اما الالتهاب الحاد فينتج اما عن وجود ميكروب بها مثل مضاعفات الحمى التيفودية او عن حدوث بعض التغيرات الكيميائية فى غشائها المخاطى .او تكون مصاحبة لوجود حصاة او حصيات بالمرارة .

وغالبا ما يكون الالتهاب الكيميائي بعد العقد الرابع من العمر ، خصوصا فى النساء المائلات للسمنة اللائى انجبن عددا من الاطفال وايضا اللائى يملن للطريقة الكسولة فى الحياة . هذه العوامل تساعد على ظهور نوبات الالتهابات كما تساعد ايضا على تكوين الحصيات فى المرارة .

اما الالتهابالمزمن فهو استمرار للحالة نفسها ولكن بدرجة اقلوعلىنوبات متقطعةويصاحبها شكوى مستمرة من عسر الهضم والم متكرر فى الجزء الاعلى من ايمن البطن ، يزداد هذا الالم اذا ضغطنا على هذا المكان وتهدأ الحالة نوعا ما لتعود مرة اخرى على فترات متفاوتة من الزمن ـ واهمية تشخيص هذه الحالة هي التاكد من انها ليست احدى الامراض الاخرى التى قد تشبه فى مظهرها التهاب المرارة الحاد او المزمن وهى التهاب البنكرياس ، قرحة الاثنى عشر ، التهاب الكلية اليمنى ،التهاب الزائدة الدودية أو انسدادالقناة المرارية العامة فاليرقان فالتسمم الكبدى ، انسداد فى الشريان التاجى للقلب ، التهاب خلايا الكبد الوبائى ،تقلصاتالقولون، التهاب الامعاء ...الخ.

اما حصيات المرارة فتتكون منمواد مختلفة اهمها الكولسترول والصبغـات المرارية والكالسيـوم والفوسفور والحديدوالكربونات وبعضالبروتينات والكربوهيدرات .واهم انواعها الحصيات المختلطة Mixed stones وهيعبارةعنترسباتمختلفةمتبادلة على هيئة دوائر بعضها فوق بعض ، وهى تظهـر بالاشعة العادية اى غير الملونة . وتكون اما فرادى او كثيرة العدد ، وفــى هــذه الحالة تكون مضلعة وذات وجوه متعددة .

اما حصيات الكولسترول النقى فهى اقل حدوثا واذا حدثت تكون فرادى Solitaire ، وربما تكون متعددة مصحوبة ببعض الشوائب من المواد الاخرى. وحصيات صبغة المرارة Pigment stones ، فهـى صغيرة الحجم جدا وكثيرة العدد وباهتة الظل لدرجة قد تصعب معها رؤيتها خلال الصبغة فى الاشعة الملونة .

وحصيات الكربونات نادرة واذا وجدت فهي اما على هيئة حصيات منفصلة وظاهرة تماما او على هيئة رمال ناعمة في المرارة كلها ·

واحيانا تنزلق احدى الحصيات المرارية على اختلافها نحو قناة المرارة فتثبت فيها وتسدها مما يسبب المغص المرارى الحاد ·

وقد يقال انحصاة المرارة قد اختفت ولكنحقيقة الامر انه ربما كانت الحصاة صغيرة للحد الذى مكنها من العبور خلال القناة المرارية الى ان تصل الى الاثنىعشر ومنها الىخارج الجسم معالنفلات·

وهناكامراض اخرى للمرارةاعتقد انالقارىء فى غنى عن متابعتها حاليا لانها نادرة الحدوث ومعقدة نوعا ما ·

المغص المرارى

وهذا ياتى على شكل نوبات مغص مفاجئة ، وغالبا ما يعقب اكلة دسمة ببضع ساعات ، وعادة ما يكون ليلا · ويعزى سبب النوبة الى انقباض شديد فى عضلات اى جزء من الجهاز المرارى اثناء مرور حصاة كما سبق · وتختلف حدة المغص من نوبة الى اخرى ، ويتوقف هذا ايضا على درجة حساسية المريض للالم — والنوبات عادة تكون مؤلمة جدا — فترى المريض يتلوى من شدة الالم ، واضعا يده منقبضة ضاغطا على بطنه صارخا باكيا مما به من الم مبرح ، غارقا فى عرقه بشكل غزير — ويمكن له ان يحدد بنفسه موضع الالم فى الجزء الايمن فى اعلى البطن — وان الالم يشع للظهر تحت لوح الكتف الايمن والى الكتف الايمن ايضا· وربما يظهر علىجلده بعض الاصفرار ·هذه النوبة قد تتكرر خلال فترة وجيزة وبعضها يعود خلال شهور وربما سنوات ·

العلاج

وعلاج امراض المرارة يتوقف على الحالة فهو اما دوائى واما جراحى · كذلك علاج الحالة الحادة والحالة المزمنة وايضا هل هناك حصيات ام لا ؟

اماعلاج النوبةالحادة التى لاتكون فيها حصيات مرارية فهو وقتى بمسكنات معراحة تامةوعقاقيرترخى العضلاتالمتقلصة·واذا كانهناكانتفاخ معدىفيركب انبوب مطاطى عبر الانف لامتصاص وتصريف الافرازات المعدية لمنع القىء ·· ولا يتناول المريض شيئا بالفم مع تغذيته وريديا بالمحاليل — ويمكن اضافة بعض المضادات الحيوية اذا كان هناك ما ينبىء بوجود التهاب ميكروبى ·

والعلاج الوحيد لوجود الحصيات المرارية هو الجراحة واستئصال المرارة · الا انه توجد بعض النشرات الطبية — قيد الدرس — عن وجود عقاقير مذيبة للحصيات · وهى — اى الجراحة لازمة فى الحالات التى يرافقها مضاعفات ، كذلك حالات المغص المتكرر والتى لم ينفع معها العلاج الدوائى — واحيانا يؤجل التدخل الجراحى فترة بعد فترة فتسوء حالة المريض وتحدث مضاعفات تزيد من خطورتها · والحالة العامة للمريض مثل تقدم سن المريض وامراض القلب والكلى وعدم كفاءتها او اى مرض شديد آخر تجعلنا نفكر مليا قبل اجراء الجراحة ·

وفى حالة المغص الحاد الناتج عن انسدادقناة المرارة لوجودحصاة بها تكونالجراحة انقاذاللمريض من الامه واحتمال حدوث تقيح بالمرارة فيما بعد ·

اما العلاج السريرى والدوائى للحالات الهادئة نوعا فيمكن فى تنظيم الطعام دائما · فما هو غنى بالدهون والكولسترول مثل البيض والمخ والزبد والمقالى وكذلك المشروبات الروحية والبهارات الكثيرة يجب ان تقلل كثيرا او تمنع كليا ·

بعد النوبة الحادة مباشرة يجب ان يكون الطعام سائلا فقط مثل الحليب بدون كريمه — والشوربة بانواعها وعصير البرتقال المصفى والحبوب Cereals ، والارز — ثم تضاف الخضروات بعد ذلك ، واسهلها للمريض البطاطس والجزر والفاصوليا الخضراء والخس والكرفس ·

ويجب أن يبتعد المريض عن الكرنب (الملفوف) والبصل والفجل واللفت (الشلغم) والخيار فهذه جميعها قد تسبب عودة الاعراض المرضية ·

وقد تفيد مع هذا النظام املاح الصفراء على هيئة حبوب مساعدة على الهضم ·

وفى النوبات الهادئة يكفى ان يستريح المريض ويضع مكمدات دافئة على البطن — وتفرغ غازات بطنه بحقنة شرجية بماء دافىء اذا كانت متعبة ·

وقانا الله واياكم شر الامراض — واسبغ ثوب العافية والشفاء على الذين يقاسون · ■■

الكويت — فاطمة الغرباوى

أنت تسأل .. ونحن نجيب

٦٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار

نفقات التسلح العالمية خلال ثلاثين سنة

● ما هو مجموع ما انفقه العالم على التسليح في السنة الماضية .... وهل صحيح ان نفقات التسليح هذه تزيد على نفقات التعليم .. ؟؟

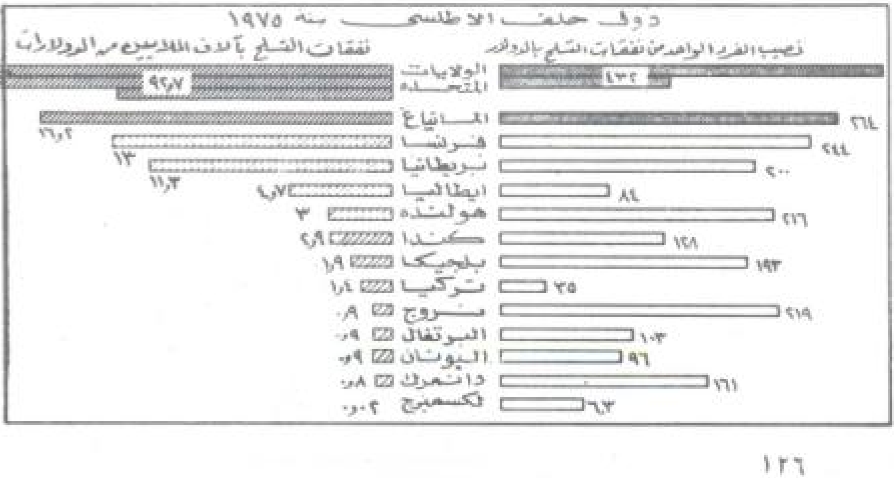
ـ قالوا ان العالم مجنون .... والحقيقة هي ان الانسان هو المجنون ... فهو الذى بنى العالم وما زال يبنيه بيد ، وهو الذى راح يعمل من اجل هدمه وتدميره باليد الاخرى ... تراه ينفق بسخاء في سبيل التنمية والتقدم ، والقضاء على الجهل والمرض والفقر ، ناهيك بغزو الفضاء والكواكب ، وينفق بمزيد من سخاء من اجل صنع الاسلحة الرهيبة الفتاكة التي تقضي لا على العدو فحسب ولكن على صانعها أيضا ... فما اشبه الانسان بالفنان النحات الذى يمضي في نحت تمثاله الرائع البديع لا يقصد سوى تحطيمه لدى اكتماله ...

سألوا العالم الراحل اينشتين مرة عن السلاح الذى سيستعمله الانسان في حربه المقبلة، الحرب العالمية الثالثة ، فاجاب :

ـ لا ادرى ... ولكنني اعرف السلاح الذى سيستعمله الانسان في حربه العالمية الرابعة... انه الحجارة ، والادوات المصنوعة من الحجارة ، كالتي استعملها ودافع بها عن نفسه الانسان البدائي .. انسان العصور الحجرية الاولى ...

ولا يخفى ما رمى اليه اينشتين في رده هذا .. اما ان خفي ... فالحقائق والمعلومات التالية كفيلة بالكشف عنه ... ونحن مدينون في هذا الصدد لمعهد استوكهولم لابحاث السلام (سبرى Sipri) ولكتابه السنوى لعام ١٩٧٦ بالذات.

بلغ مجموع ما انفقته دول العالم على السلاح والتسليح خلال العام الماضي سنة ١٩٧٥ :
٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٨٠ دولار





وبلغ مجموع ما انفقته في هذا المجال منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن :
٦٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار

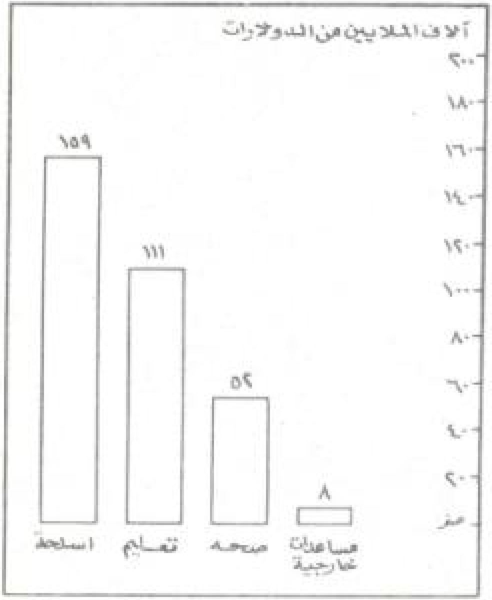
ولعل هذه الارقام اضخم بكثير مما يستطيع المرء ان يتصور ويقدر بمخيلته ... وحسبك ان تعرف انك لو رغبت في عد المبلغين لكنت مضطرا لان تعيش نحو ١٠ر٠٠٠ سنة لعد المبلغ الاول، وتعمر حوالي ١٨٩٠٠٠ سنة ،لعد المبلغ الثاني . هذا على افتراض ان المبلغين مكونان من دولارات معدنية ، لا ورقية ، وان عملية العد تستغرق ثانية واحدة للدولار الواحد بالمتوسط .

لقد انتشرت المفاعلات الذرية ، حتى في دول غير ذرية ، واصبح في مقدور هذه المفاعلات ان تصنع في السنة الواحدة ما يزيد على ٥٠٠ قنبلة ذرية بقوة القنبلة التي القيت على مدينة نكازاكي اليابانية ، في اواخر الحرب العالمية الثانية .

والاسلحة الذرية ، كما هو معروف فئتان : اسلحة تكتيكية ،كصواريخ الجو / جو ،والجو / ارض ، والارض / ارض الخ ... واسلحة استراتيجية كالصواريخ عابرة القارات ، وهي التي طالما عقدت المؤتمرات في هلسنكي وفيينا من اجل الحد من صنعها ... ويقدرون ما تراكم لدى العالم من الاسلحة التكتيكية وحدها بما يعادل ٥٠ر٠٠٠ قنبلة هيروشيما .. تلك القنبلة التي حولت المدينة اليابانية الى مدينة اشباح ونشرت الموت بين سكانها ودوابها ونباتها ، بل وتربتها ايضا !!

بقي ان نذكر ان العاملين في صناعة الاسلحة من علماء ومهندسين لا يقل عددهم عن ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة .. وهم يشكلون ٤٠٪ من مجموع العلماء وذوي الكفايات العالية في العالم . اما الاموال التي تنفقها دول العالم في سبيل البحث العلمي الخاص بالاسلحة والتسلح فتبلغ نحو ٢٥٠٠٠ مليون دولار سنويا وتعادل اربعة اضعاف ما ينفقه العالم على الابحاث الطبية .

النفقات العسكرية مقارنةً بغيرها لسنة ١٩٦٦



ونوافيك فوق هذا الكلام بجدول يقارن بين نفقات التسلح وغيرها من النفقات في العالم . ولئن كان هذا الجدول قديما ويعود اعداده الى ما قبل عشر سنوات الا ان النسب التي يتضمنها ليست قديمة وتمثل الوضع الراهن الى حد كبير .

ونغتنم الفرصة لننقل اليك رسما ايضاحيا لطيفا يبين لك مقدار ماتنفقه مجموعة مختارة من الدول على التسلح وذلك بتحديده مبالغ مقطوعة من جهة وبتحديد ما يصيبه منها بالمتوسط كل فرد من عدد السكان من جهة اخرى .

ي . ز

المارسيلييز : تنشده القلوب فتستهين بالموت

● يقال ان نشيد المارسيلييز la marseillaise كان بمثابة الوقود للثورة الفرنسية ، فمن هو واضع هذا النشيد وما هي كلماته ؟

محمد ابو الحسن ـ بكين

ـ نشيد المارسيلييز ، كان دعاء الثورة ،وراسم اهدافها، وهادي خطاها وعاملا من عوامل انتشارها ونجاحها ، وقد وضع هذا النشيد عام ١٧٩٢ حين اعلنت فرنسا الثورة ضد القوى المتآمرة التي كانت تعمل للحفاظ على النظم القديمة البالية ، وقد وضعه ضابط فرنسي شاب هو كلود روجيه دي ليل Claude Rouget de lisle وكان شاعرا وموسيقيا هاويا ، انشد هذا النشيد اول مرة عام ١٧٩٢ في وليمة دعا اليها العمدة ديتريش ، عمدة مدينة ستراسبرج واطلق عليه حين ذاك نشيد الحرب لجيش الراين ، وكان ديتريش قد علق على جدران المدينة نداء مشتعلا جاء فيه : « الى السلاح ايها المواطنون ،راية الحرب قد ارتفعت عالية ،واعطيت الاشارة للسلاح ٠٠٠ يجب ان نحارب فاما النصر واما الموت فداء للوطن » ٠

وقد اقام العمدة ديتريش من اجل تخليد هذا اليوم التاريخي وليمة عشاء دعا اليها الشخصيات من العسكريين والمدنيين في منزله بميدان بروجلي، وكان في هذه الوليمة بعض الجنود الذين كان عليهم ان يلحقوا باماكنهم في صفوف القتال في اليوم التالي ، وكان من الحاضرين روجيه دي ليل وفجاة اتجه العمدة ديتريش الى روجيه وحثه على ان ينظم لوطنه هذا النشيد الذي يصلح ان يردده المحاربون في ساحة القتال ٠ وقبل ان يغادر الجنود المدينة في طريقهم الى ساحة الحرب كان العمدة ديتريش ينشد بصوته الجميل هذا النشيد الذي وضعه الموسيقار الهاوي الثائر لابناء وطنه ٠ وقد سمي بالمارسيلييز نسبة الى بدء الثورة من ميناء مارسيليا ، وقد انتشرت بعض نسخ النشيد في المدينة بسرعة مذهلة ، وفي ٢٩ ابريل ١٧٩٢ ذاع النشيد في باريس كلها ثم ما لبث ان انتشر في مختلف المناطق ، ومنذ ذلك الحين اصبح المارسيلييز هو النشيد الذي ينشد في الاعياد والمناسبات الوطنية المختلفة ، وبناء على اقتراح من وزير الحرب في ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٩٢ قررت جماعة العهد la convention ان المارسيلييز سوف ينشد رسميا في احتفالات ١٤ اكتوبر ، وهو موعد دخول القوات الفرنسية الى سافواه ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح المارسيلييز هو النشيد القومي لفرنسا ٠ ومما هو جدير بالذكر ان هذا النشيد منع عدة مرات حتى اخرجته ثورة ١٨٧٠ من دائرة النسيان ، واصدر مجلس النواب موافقته عليه في ١٤ فبراير ١٨٧٩ لياخذ مكانته نشيدا قوميا لفرنسا ٠

يقول المؤرخ الانجليزي كارليل Carlyle عن النشيد القومي الفرنسي « ان كلماته تجعل الدماء تغلي في العروق وانها تغني والدموع في العيون والشرر يتطاير منها وتنشده القلوب وهي غير عابئة بالموت ٠

واليك المقطع الاول من هذا النشيد :

يا ابناء الوطن ٠٠ هيا بنا ٠٠ ان يوم المجد قد اقبل

هيا بنا نتحدى الاستبداد ٠٠ شعار البغي قد رفع ضدنا ٠٠

انصتوا لضجيج هؤلاء الجنود المتوحشين في البلاد

لقد اتوا ليقتلوا ـ بين ايديكم ـ ابناءكم وزوجاتكم

الى السلاح ٠٠ ايها المواطنون ٠٠ نظموا صفوفكم » ٠٠

(ص ٠ ى)



روجيه دي ليل

٣٠ مطبعة ٠٠ فى الكويت !

● أين يطبع العدد الكبير من الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية التي تصدر في الكويت ؟

احمد عثمان

ـ جميع هذه الصحف والمجلات تطبع في الكويت، وهناك مطبعة الحكومة وهي مطبعة كبرى يجرى العمل الان في تطويرها وتوسيعها ونقلها الى بناء ضخم خاص بها وحدها ٠ وبجانب مطبعة الحكومة، توجد في الكويت ٣٠ مؤسسة طباعة تضم ١٦ مطبعة كبيرة ، بها مكنات والات عصرية ٠ وسوق الطباعة المحلي في الكويت سوق نشط جدا ، اذ تصدر كل يوم سبع صحف كويتية ، الى جانب ٢٩ مجلة بين اسبوعية وشهرية ،فضلا عن الوف الكتب المدرسية التي جعلت من وزارة التربية الكويتية اكبر عميل لمطابع الكويت ، اذ طرحت في عام ١٩٧٥ نحو ٨٥٪ من احتياجاتها الطباعية في مناقصات عامة محلية ، والباقي تم طبع اغلبه في مطبعة الحكومة ٠٠ ويقول البنك الصناعي في دراسة له عن « الصناعة الطباعية في الكويت » : ان حجم الاعمال الطباعية في السوق المحلية يقدر بمبلغ ستة ملايين دينار سنويا٠٠ ومشاكل الطباعة في الكويت هي مشاكل الطباعة نفسها في كل بلد عربي ٠٠ انه التخصص ، اذ لايوجد مطابع متخصصة ٠٠ والتخصص المطلوب هو ان تكون كل شركة طباعية متخصصة في نوع معين من الاعمال المطبعية ٠٠ تخصص في عمل الكليشهات ٠٠تخصص في المونتاج تخصص في جمع الحروف تخصص في طبع المجلات المصورة الملونة ، وطبع الصحف وطبع الكتب والطباعة الراقية الفاخرة ، وطبع الدفاتر المدرسية ٠٠

وتجرى حاليا طباعة جميع الاوراق النقدية ، والطوابع ، ومواد التغليف ، وغيرها ، خارج الكويت ، الا ان حجمها قليل نسبيا ، حوالى ٣٠٠ الف دينار سنويا ٠٠ وينتظر على المدى البعيد ، ان يتحول جزء من هذا العمل الى المطابع الكويتية ذات الانتاج الراقي ٠٠

وتشكل الاعمال الطباعية لبعض البلدان المجاورة جزءا يسيرا من اعمال المطابع في الكويت ٠٠ « لان نوعية الطباعة في الكويت ليست بالمستوى المطلوب ، فهى اقل من المتوسط » ٠٠ حسب قول التقرير ٠٠

والمشكل في مطابع الكويت هو عدم الاستفادة الكاملة من معدات الطباعة ٠٠ فمتوسط عمل مكنة الطباعة لا يتعدى ١٢٠ ساعة في الاسبوع ٠٠اى انها تعمل بنسبة ٣٤٫٥٪ من طاقتها ٠

وقد لوحظ ان مكنات طباعة الصحف يستفاد منها فائدة قليلة بسبب انخفاض معدل التوزيع ، ولان المؤسسات التي تمتلك مكنة واحدة لطباعة الصحف تابى في العادة استخدامها في اعمال اخرى خشية تعطلها ٠٠ ويبلغ التقدير الاجمالى لطاقة الطبع الصحفية المتوفرة حاليا ٨٦٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة في الاسبوع ٠٠ ولكن لايستفاد من هذه الطاقة للمطابع الا بنسبة ٢٤٫٦٪ فقط ٠٠

س ٠ ز

الرباعيات فى الفارسية والعربية

● نالت رباعيات الخيام بيننا شهرة واسعة ، فما نظام الرباعيات فى الفارسية واذا كان لغيره فى الفارسية مثلها فلماذا لم تشتهر مثلها . ولماذا لم تظهر مثيلاتها فى شعرنا العربي مع الجوار وطول الخلطة بين العرب والفرس ؟

عبد الرحيم سلامة ـ الدار البيضاء ـ المغرب

ـ يجرى الشعر في الفارسية على اوزان الشعر العربي وقوافيه ، مع تصرف يسير احيانا لا يخرجه من نطاقها وله خمسة انظمة ، هى القصيدة ، والقطعة، والغزل ، والرباعى وآخرها المثنوى ٠ ولا يعنينا هنا الا النظام الخاص بالرباعى ، اذ يتكون فى الفارسية من اربعة

شطور ذات وزن واحد ، ومن هنا جاء اسمه (نسبة الى « رباع ») ولا بد أن تكون شطوره ما عدا الثالث — على روي واحد ، وقد يتفق الثالث معها في ذلك او يختلف ، والبحر المتبع في الرباعي هو الهزج ، فان نظم على وزن اخر لم يعدوه من الرباعيات (وهذا تحكم ليس له سند فني) .

والرباعي وحدة مستقلة عن غيرها وقد نجد امامنا مجموعة من الرباعيات في موضوع واحد أو بين معانيها بعض الترابط ، فينبغي هنا أن نفهم أن كلا منها وحدة منفصلة في مبناها ومعناها ، ومهما يكن الترابط بين رباعي وجاره في الموضوع او الفكرة فان لكل منهما استقلاله بمعناه ، ولهذا نستطيع ان نرتب اي مجموعة من الرباعيات كما نشاء دون ان يكون في ذلك غبن لها أو لصاحبها ، وان كان بعضها اقرب لبعض من سواه في موضوعه أو فكرته . والترتيب الاعم بين الرباعيات هو الترتيب الهجائي كما نرى ترتيب القصائد في دواوين شعرنا القديم ، وافضل منه ترتيبها على وفق الموضوعات ، او على وفق تاريخها كما نظمها صاحبها لتدل على تطوره .

والرباعي صالح لكل الموضوعات والمعاني الشعرية ، ولكنه لقصره لا يصلح الا للخواطر السريعة او القصيرة ولا بد فيها غالبا من التركيز والاجمال والاعتماد على الايحاء (انظر في ذلك مقدمتنا لديواننا « رباعيات التونسي » — المجموعة الاولى) وبحر الهزج الذي تنظم فيه الرباعيات سهل ، وقد نظم فيه العرب منذ القدم على قلة ، وتفعيلاته واحدة ، فهو يتكون من « مفاعيلن » ست مرات ، وهذا تمامه ، ولكنه لا ياتي تاما في شعرنا الا نادرا ، والغالب فيه أن ياتي مجزوءا (« مفاعيلن » اربع مرات) لكل شطر تفعيلتان ، كقول عمر بن ابي ربيعة :

وهيفاء كما تهوى
تريك القد والخدا
فيا لله ما أحلى
وما اشهى وما أندى

ولكن الرباعي في الفارسية يزيد تفعيلتين على تمام الهزج فيكون وزنه « مفاعيلن » ثماني مرات ، لكل شطر منها اربع ، فكل شطر في الفارسية يعادل بيتا مجزوءا في العربية .

وقد عرفت الرباعيات في الفارسية منذ مطلع القرن الهجري ، وشعراؤها كثير ، ليس الخيام افضلهم ، ولا من افضلهم شعرا ، ولم تشتهر رباعياته عالميا الا في العصر الحاضر ، وبدأت شهرتها في الغرب حين ترجمها او ترجم معاني بعضها الى الانجليزية فتزجيرالد سفير بريطانيا في فارس (وكان شاعرا له مكانته) فاحسن ما ترجم ، ووافقت معانيها ودعوتها الى الترخص وطرح الهموم هوى في نفوس الغربيين ، فترجمت عندهم الى عدة لغات وتسامع بها غيرهم ، وعن الترجمة الانجليزية عرفت في العربية اولا ، ثم عن الفارسية مباشرة ومنها ترجمة الاستاذ احمد رامي التي اشتهرت حين غنت بعضها مغنيتنا الكبيرة المرحومة « ام كلثوم » يعرفها فينا الخواص والعوام .

ومن العجيب ان العربية عرفت الرباعيات حول الفترة التي عرفتها فيها الفارسية ، واقدم ما وصلنا من ذلك تسع وعشرين رباعيا أو رباعية ينتهي كل منها بحرف خاص من حروف الهجاء ، نظمها شاعرنا اللغوي الاديب ابن دريد (٢٢٣ـ ٣٢١) ، ومعروف انه ولد ونشأ وعاش معظم حياته في العراق في جيرة فارس ، بل عاش في فارس فترة ، ولكن كلا من رباعياته اربعة أبيات ، لا اربعة شطور ، وكل منها في معنى مستقل ، وقد استغنى العرب بالمقطوعات (المقطوعة عشرة ابيات او ثمانية فاقل) عن الالتزام بالرباعيات ، وقد كثر في عصرنا نظم الرباعيات في الشعر العربي الحديث ، وقد اقترحنا منذ اكثر من عشرين سنة ان يسمى ناظمها « الرَّبَّاع » كما سمي ناظم الموشحات « الوشاح » وان كان « للرباع » معنى آخر هو من يستطيع رفع الاحمال الثقيلة ، ومفرد الرباعيات المتداول بيننا الآن هو « الرباعية » وليس « الرباعي » وكلاهما صحيح فصيح . والرباعية عندنا صالحة لكل موضوع شعري ، وتاتي على كل الاوزان ، ولا يشترط فيها تصريع المطلع ، ويكفي ان تكون أبياتها متحدة الوزن والقافية .

م . خ . ت



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

تورم الجفون

● الاحظ تورما في الجفنين عندالاستيقاظ من النوم ٠٠ فهل يدلذلك على مرض ؟

ـ ربما يكون تورم الجفنين عند الاستيقاظ طبيعيا ، لاسيما حين يقضى الانسان فترة طويلة ساهرا ٠٠ وأحيانا يكون وراثيا فى العائلة ٠٠ على ان الجفنين يتورمان في عدة امراض اهمها التهاب الكلى الحاد وتحت الحاد ،ويظهر ذلك مع تورم حول القدمين يصاحبه تغير فى البول ٠٠ مع اعراض اخرى تصاحب هذا المرض ٠٠

ويتورم الجفنان فى حالات الانيميا الشديدة ، مع الشعور بضعف عام،وكذلك فى حالات نقص بروتينات الجسم ، كما هو الحال في الامراض المزمنة ،وضعف التغذية ، او الاسهال الشديد المزمن المصحوب بفقدان بروتينات الجسم ٠

وكذلك يتورم الجفنان في حالة تليف الكبد لانه في مثل هذه الحالة تنقص البروتينات التى ينتجها هذا العضو ويصحب ذلك اعراض لهذا المرض ، بما فى ذلك تجمع سائل داخل البطن وهو ما يسمى « الاستسقاء »

ويتورم الجفنان عند النقص فى افراز هرمون الغدة الدرقية ، ويصحب ذلك الكسل الشديد والشعور بالبرودة ،وعدم القدرة على القيام بأى مجهود مع الشعور بالتعب دائما ، الى جفاف فى الجلد ، وسقوط في الشعر ، واضطرابات فى حركة الامعاء مما يسبب امساكا شديدا ، وكذلك تحدث اضطرابات فى العادة الشهرية عند الاناث ٠

وهناك الالتهابات التي تحدث فيجفن العين ٠٠ وكذلك فى امراض الحساسية ، كذلك حالات السعال المزمن المصحوب بانتفاخ فى الرئتين ٠٠ ولذا كان اهمية فحص المريض بدقة مهما لمعرفة سبب التورم ٠

المخاط الذى يصحب البراز

● اعانى من وجودمخاط بالبراز٠٠كما تعتريني نوبات من الاسهال من وقت لآخر ٠٠ فما سبب ذلك ؟ وماعلاجه ؟

ـ ان وجود مخاط بالبراز يدل على زيادة افراز النشاء المخاطى للقولون (الامعاء الغليظة) ويحدث هذا عادةعند حدوث التهاب بالقولون ، سببه اماطفيلى كما فى حالة الدوسنطاريا الاميبية ٠٠ او ميكروبى كماهو الحال فىالدوسنطاريا

الباسيلية ٠٠ولكن فى كلتا الحالتين يظهر مع المخاط دم وقيح والأم شديدة فىالبطن، وزيادة فى التبرزمع شعور بالارهاق الشديد ، وارتفاع فى درجة الحرارة ، ويمكن معرفة المرض بواسطة الفحص الميكروسكوبى للبراز ٠

ويتكون المخاط فى البراز كذلك فى حالة ما يسمى بالقولون المتقرح ٠٠ ولكن يظهر مع البرازكذلك دم وقيح ٠٠وتعترى الحالة المريض من آن الى آخر معالشعور باعياء شديد عند حدوث النوبة ، وربما سبب نزول الدم الكثير فقرا فى الدم ، والاسهال الشديد يسبب اضطرابا فى املاح الدم ٠ وعند فحص البراز ، نجد انه لايحتوى علىاى ميكروبات اوطفيليات ولكن يمكن معرفة الحالة بواسطة منظار للقولون ، او بعمل اشعة عليه ٠ والاكثر شيوعا، هو مايسمى بالقولون الحساس٠٠ وهو عارض منتشر يصيب الانسان فى مقتبل العمر ٠٠٠ فعندما يكون الشخص مرهقا ، او منحرف المزاج ، او عندتعرضه للبرد ، وكذلك عند اكله اكلة لاتقبلها امعاؤه يحس بألم بالبطن مع انتفاخ ،ثم يتبرز برازا معظمه مخاطا ٠٠ وتتكرر هذه النوبة عدة مرات الا ان المصاب لايحس بأى اعياء او ارتفاع فى درجة الحرارة ، كذلك فان برازه لايحتوى على اى ميكروب اوطفيلى ٠

ومن عجب ان صاحب القولون الحساس عندما يكون فى اجازة او مرتاح البال ، فانه لا يتعرض لمثل هذه النوبات ٠

التهاب العين الصديدى

● اصيب مولودى بالتهابصديدىبالعين ، وعلمت ان سببه هو ميكروب السيلان ٠٠ فكيف يحدث ذلك ؟ ومافى طريقة الوقاية والعلاج ؟

ـ هذه الحالة كانت سابقا تمثل حوالى ٣٠٪ من رمد المواليد ٠

وسببها هو فعلا ميكروب الجونوكون المسبب للسيلان ، ولكن مع تقدم العلم وزيادة الوعى الصحى اصبحت هذهالحالات قليلة الحدوث الآن ٠

وعادة ما تحدث الاصابة نتيجة عدوى من الام المصابة او نتيجة تلوث غيارالطفل او ملابسه او نتيجة استحمام الطفل بعد الولادة فى مكان ملوث ، لذا ، فانالوقاية مهمة جدا فى هذا المرض ، وذلك باتباع الارشادات الصحية والنظافة التامة ، وكذلك علاج الام بمجرد اكتشاف المرض عندها وهى حامل ، وحتى لو اكتشف المرض اثناء الوضع فتعطى العلاج اثناء الولادة ، وكذلك علاج عين الطفل بمجرد ولادته ،ومن المتبعحاليا وضع نقط مطهرة فى عين المولود بمجرد ولادته ٠٠ مثل الارجيرول او البروكارجول بغض النظر عن هذا المرض ٠ وفى حالة الاصابة يجب وقاية العين السليمة بغطاء واق ، حتى لا يحك الطفلعينيه وينقلاليها العدوى٠

وفى هذا النوع من الرمد يلاحظنزول افراز صديدى بكثرة من عين الطفل بعد ولادته بأيام ، وتكون العين حمراء ملتهبة ٠٠ والجفون متورمة ، واذا اهمل العلاج، فان القرنية تتأثر مؤدية الى قروح بها مما ينتج عنه ضعف البصر ، وقد تؤدى الى فقدان البصر ٠

ويتلخص العلاج بتنظيف الجفن والرموش للمولود بمطهر خفيف بعد ولادته ، وقبل ان يفتح عينيه ثم توضع قطرة بنسلين مائى للعين كل ١٠ دقائق حتى يقل الافراز ، ثم كل نصف ساعة ، ثم كل ساعة ، وهكذا حسب حالة العين حتى تشفى نهائيا ٠

كما انه يمكن اعطاء بنسلين مائى بواسطة الحقن فى الحالات الشديدة ، وكذلك يجب الانتباه الى اية مضاعفات ومعالجتها تحت اشراف طبيب اخصائى ٠

الاصابة بالزهرى والولادة الطبيعية

● اجهضت زوجتى وهى حامل فى شهرها الرابع وعلمت ان السبب هو اصابتها بالزهرى ، فماذا يحدث للجنين فى هذه الحالات وهل هناك امل فى ولادة طبيعية ٠

ـ من المعروف ان الزهرى من الاسباب التى تؤدى الى الاجهاض ، ولذلك وجب الكشف على الام الحامل وعمل التحاليل للزهرى فى بداية الحمل، وينتقل المرض من الام الى الجنين عن طريق الخلاص والحبل السرى ، اما ان ينتقل المرض من الاب مباشرة الى الجنين فى بطن امه بدون اصابة الام فهذا غير مقبول ٠ وبالنسبة للجنين فهناك عدة احتمالات :

١ ـ قد ينجو الجنين من الاصابة ويولد سليما ، وهذا يحدث اذا كانت اصابة الام بالزهرى منذ فترة طويلة قبل الحمل ٠

٢ ـ قد يصاب الجنين فى بداية الحمل ويحدث اجهاض بعد الشهر الثالث وليس قبله ، حيث يكون الخلاص قد تكوّن وبواسطته ينتقل المرض للجنين ٠

٣ ـ قد يموت الطفل فى الرحم فى اواخر الحمل ويولد الجنين ميتا أو متهتكا ٠

٤ ـ قد يولد الطفل وبه علامات الزهرى وهذا نادر ٠

٥ ـ قد يولد الطفل سليما فى الظاهر ولكن تظهر عليه علامات الزهرى الوراثى المبكر خلال الاسابيع أو الشهور الاولى من حياته ٠

٦ ـ قد يولد الطفل سليما ولكن تظهر عليه اعراض الزهرى الوراثى المتأخر بعد بضع سنوات ٠

٧ ـ لوحظ انه فى حالة التوأم قد يصاب احد الطفلين بالمرض وينجو الاخر من الاصابة ، ومن الطبيعى انه مع العلاج الكافى للزهرى يمكن ان تحمل الام طبيعيا وتنجب مولودا طبيعيا ٠

قرحة الاثنى عشر والسفر بالطائرة

● اشكو من قرحة بالاثنى عشر ،فهل يؤثر هذا على سفرى بالطائرة من مكان الى آخر ؟

ـ لا يسمح لمرضى قرحة الاثنى عشر بالسفر بالطائرة عندما تكون هذه القرحة نشطة ، اى أن يشكو المريض من ألم شديد فى اعلى البطن يزداد عند الجوع وبعد الاكل بساعتين ، واثناء الليل يكون الالم شديدا ، وقد يؤدى الى تقيؤ المريض ، او ان المريض يحاول ان يتقيأ ليخفف من حدة الالم ، ويحس بحموضة شديدة فى المعدة ٠٠ كذلك يخشى ـ عندما تكون القرحة نشطة ـ ان يحدث نزف او انثقاب بها مما قد يؤدى الى مخاطر جسيمة ، ومن الصعب اسعاف المريض على متن الطائرة خصوصا اذا كانت المسافة بعيدة ٠٠ وتزداد نسبة النزف او الانثقاب فى هؤلاء المرضى بزيادة تجمع الغازات بالمعدة اثناء السفر ٠ اما المرضى الذين كانوا قد اصيبوا بنزف او انثقاب فلا يسمح لهم بالسفر الا بعد مرور شهرين على الاقل وهى المدة اللازمة لالتئام القرحة

واذا كان لا بد من السفر ، فيجب فى كل هذه الحالات ان يتعاطى المسافر المصاب بالقرحة العلاج اللازم أثناء السفر ، وعليه ان يتجنب كل ما من شأنه ان يهيج القرحة ، كالتدخين بكثرة او تعاطى المشروبات الروحية او الاكل المهيج للقرحة ، لان تعرضه للمضاعفات يكون اكثر أثناء السفر ٠

طرائف

شهادة

● وقع قوم في مصعب بن الزبير امام عبد الملك بن مروان بعد مقتله في حربه مع عبد الملك، وزعموا ان مصعب ينال من الخمر حتى يسكر ، فقال عبد الملك في عدوه المقتول : والله لو علم مصعب ان الماء ينال من مروءته ما ورد الماء .

فعل ذلك غيرة

● حكى أن احد الملوك كان على طعام ، فاقبل أحد الخدم وبيده صحن فيه طعام ، فعثر الخادم فوقع شيء يسير من الطعام على ثياب الملك ، فاحتد الملك وامر بضرب عنقه .فما كان من الخادم الا

فوائد الكهولة

● قال احد الشعراء يستعرض ما للكهولة والشيب من عطاء خصب وصفات حميده : انه يهدى الوقار لصاحبه ، وينفى جهالة الشباب وفورة الصبا عنه ، ويكون مبجلا من قبل الشبان ومصدق المقالة في المجتمع ومعترفا له بالكمال والعدالة ، والابيات هي :

اهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا
اهلا به من وافد ونزيل

اهدى الوقار وزال كل جهالة
كانت لدىّ وساق كل جميل

فصحبت من اهل التقى اهل النهى
ولقيت بالتعظيم والتبجيل

ورأى لى الشبان فضل جلالة
لما اكتهلت وكنت غير جليل

فاذا راونى مقبلا نهضوا معا
فعل المقر لهيبة التفضيل

ان قلت كنت مصدقا فى منطقى
ماضى المقالة حاضر التعديل

لا تعجلوا صبيانكم على الفطام

● كان الخليفة عمر بن الخطاب يعس ليلة في المدينة فسمع بكاء صبي رضيع فتوجه نحوه وقال لأمه :اتقى الله واحسنى الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه ثانية فعاد الى امه وقال : ويحك انى اراك ام سوء ،مالي ارى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ فقالت وهي لا تعلم ان المتكلم امير المؤمنين : ياعبد الله لقد احرجتنى فانى منذ الليلة ازيغ « اعوده واحمله على الفطام » الصبي على الفطام فيأبى . فقال عمر : ولم ؟ قالت : لان ابن الخطاب لا يفرض الا للفطيم . قال عمر : ويلك لا تعجليه ثم انصرف وقد غلبه البكاء ، فلما صلى الفجر قال : يابؤسا لعمر ، كم قتل من اولاد المسلمين ؟ ثم أمر مناديا ينادى لا تعجلوا صبيانكم على الفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام ، وكتب بذلك الى الامصار الاسلامية .

عربية

على الملك

أن صب جميع ما كان في الصحن على ثياب الملك فقيل له : ويحك ما هذا ؟ فقال: انما فعلت ذلك غيرة على الملك ،لئلا يقول الناس قتله بغير ذنب ، وبهذا اصون عرض الملك واقيم له عذرا ،فاطرق الملك ساكتا هنيهة ثم عفى عنه واعتقه .

اوقات

● قال لقمان لابنه : يا بني لا ينبغي لعاقل ان يخلي نفسه من اربعة اوقات : فوقت منها يناجي فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه ، ووقت يكسب فيه معاشه ، ووقت يخلي فيه بين نفسه وبين لذاتها ليستعين بذلك على سائر الاوقات.

الاوزاعي الفقيه

● كان عبدالرحمن بن عمرو الاوزاعي فقيه الشام ، وقد ولد في بعلبك سنة ٨٨ للهجرة ، وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ ، وكان الاوزاعي شخصية قوية مع صلاح وتقوى وتمسك بالحق امام الخلفاء والامراء، ومما يروى عنه أن عبدالله ابن علي بن العباس عم السفاح طلبه يوما فقال له : يا اوزاعي ماترى فيما صنعنا في ازالة اولئك الظلمة عن البلاد والعباد ، أجهاد هو ؟ قال الاوزاعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى. فلم يعجب عبد الله هذا الكلام ، ثم قال : يا اوزاعي ما تقول في دماء بني اميه ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة ، فأخذ عبد الله ينكث الارض بخيزرانة كانت بيده ثم قال : يااوزاعي ماتقول في اموالهم ؟ فقال : ان كانت في ايديهم حراما فهي حرام عليك أيضا ،وان كانت لهم حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعي ، فسكت عبدالله بن علي ونهض الاوزاعي وانصرف .

لص في محفة

● كان ابن عبدل الشاعر من أطيب الناس واملحهم نكته ،قيل ان صاحب العسس لقيه ليلة وهو سكران محمول في محفة فقال له : من انت ؟ فقال : يابغيض أنت اعرف بي من أن تسالني من انا ، فاذهب الى شغلك ، فانت تعلم ان اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة، فتركه الشرطي وانصرف ضاحكا .

الغفران

بقلم : مجدى سلامة

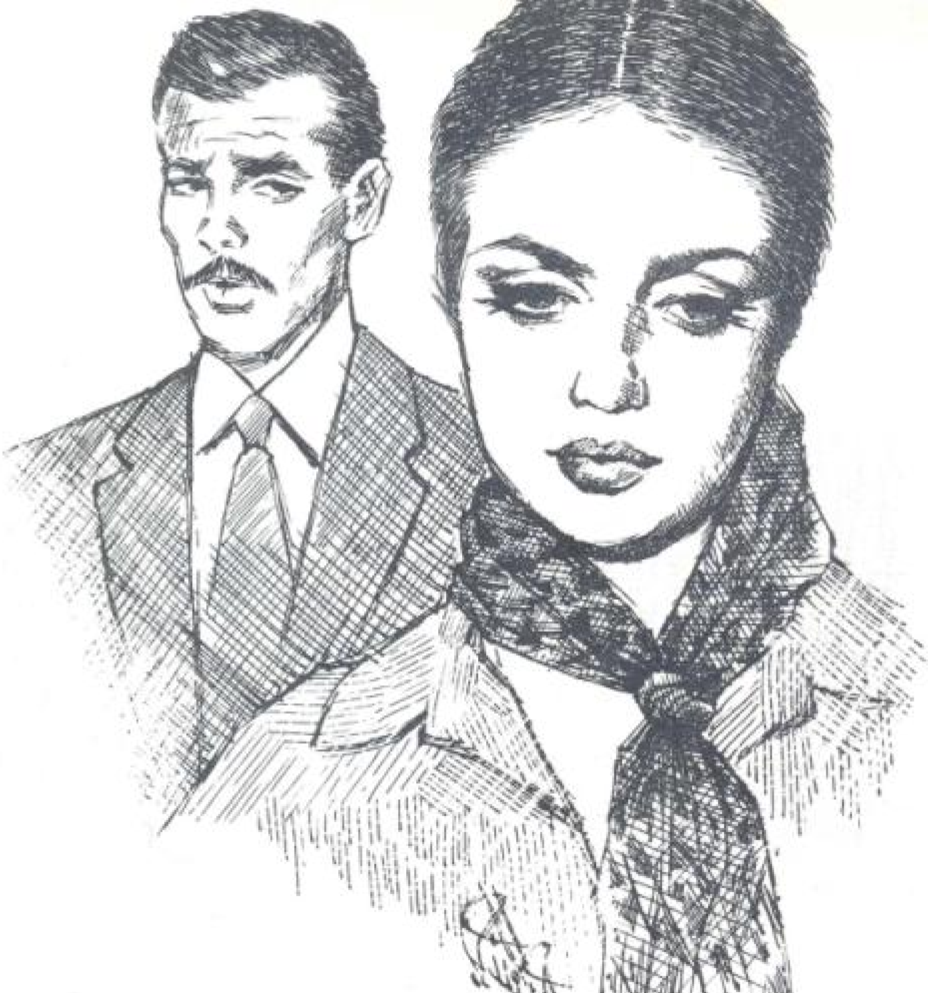
■ كان لزاما على ان اختلى بنفسى ، كى اتخذ قرارا بصدد الموقف ، الذى تريده امى بزواجها من الاستاذ « سالم الانفوشى » المحامى، اذ قد منحتنى يوما كاملا ، لاتخذ قرارى بالموافقة والا عقدت زواجها عليه .

وجلست افكر كيف دخل حياتنا هذا الرجل ، فقد كان محامى المرحوم ابى فى منازعاته مع الفلاحين ، وكان حينذاك فى الاربعين من عمره ، لم يتزوج بعد ، وفكر والدى فى الثمانين فدانا التى سيتركها دون وريث ، حين التقى فى مكتب « الانفوشى » بالسيدة « اجلال هانم » وكانت قد حضرت كى تدفع مؤخر الاتعاب ، فى قضية طلاقها من زوجها تاجر المخدرات ، وما كاد ابى يراها حتى اعجب بجمالها ، وعرض فكرة زواجه على الاستاذ فباركها .. وما ان انتهت العدة حتى تزوجها.. وبعد اربعة اعوام من الزواج رزقا بى ، ففرح ابى كثيرا ، وخاف من ثورة الفلاحين ، وخشى انتقامهم منه فى شخصى ، فاشترى لنا « فيلا » فى المدينة واقمنا بها انا ووالدتى .

كان يتردد علينا فى المدينة الاستاذ الانفوشى وزوجته ، التى كثيرا ما حدثتنى امى عن « المقلب الذى شربه المحامى بزواجه منها ، اذ كان محاميها فى قضية ميراث كبير ، وكانت فى منتصف الحلقة الرابعة من عمرها ، ولم تكن جميلة ، ولكن الميراث المنتظر ، كان سببا فى زواجه منها . وقبيل نظر القضية ، ظهر فجأة وريث من العصب ، اخذ الميراث كله ، ولم يفز « الانفوشى » الا بزوجته الدميمة » .

كما كان والدى يزورنا كل اسبوع محملا بالهدايا . ولا انكر اننى كنت مدللا للغاية ، فكل طلباتى مجابة ، وكذلك امى التى كنت الحظ دلالها على ابى ، كلما ارادت حليا جديدة ،او ملابس انيقة .. وحقا كنا سعداء ، ننتقل من الريف الى المدينة لنستمتع بها وبملاهيها ، وننتقل من المدينة الى الريف لنستمتع بجمال الطبيعة فى ارضنا .

اما ابى فقد كانت الارض ومحاسبة الفلاحين ومقاضاتهم ، ومجالس الصلح والمحاكم تشده اليها ، حتى اننا لم نشعر بتلك الالفة التى تربط الاسرة ، اذ كانت نظرة امى لأبى ، انه بقرة حلوب ... وكنت ادهش حين ارى ابى يصر على تحصيل اقساط الايجار من الفلاحين فى مواعيدها ، وارى امى تطلب منه اضعاف اضعاف هذه الاقساط ، كى تنفقها فى بذخ ،



اما فى اعادة تاثيث الفيلا سنويا ، او الحفلات او تغيير سيارتنا ، وكان ابى يرضخ وهو يقول لها « امرك ياست ام « فتحى » فليس لى بركة غيرك ، الست ام ولدى الوحيد ، خذى حتى عينى » .

حتى كان ذلك اليوم ، الذى اطلق فيه مجهول على ابى ، ست رصاصات ، وهو يجول فى ارضه ، فاردته قتيلا ، وبدات تتكشف لى الحقيقة ، وانا اسمع همسات الفلاحين وضحكاتهم ... فقد عرفت ان ابى كان مرابيا ، ظالما لا يعرف الرحمة ، جمع ثروته بالغش والخداع وخراب بيوت الابرياء ، ولم يكن هذا المجهول القاتل ، سوى احد هؤلاء الذين شردهم ابى ، بعد ان استولى على ارضه سدادا لمتجمد فوائد مبلغ ، كان قد اقرضه اياه ليزوج احدى بناته ..

واقيمت مراسم الحداد ، وتركنا الريف الى المدينة ، وتولى « الانفوشى » قضايانا ، ولما كنت لم اتجاوز الخامسة عشرة ، فقد اصبحت امى وصية على ، حتى نجحت فى الثانوية العامة، ودخلت كلية الهندسة . وخلال هذه الفترة ، كنت اتردد على بلدتى اسبوعيا ، كى ازيل الجفوة التى اقامها ابى بين الفلاحين وبيننا ، واستمع الى طلباتهم واتوسط لدى المحامى ،

ان يقسط ايجار الارض على بعضهم ، كما كنت اوجوه في منح سلف لبعضهم ، ممن سيزوجون بناتهم ، او ممن يشترون البذور والسماد لارضهم ٠

ولم يكن الاستاذ يرضخ لكل طلباتي كتعليمات امي، بل كثيرا ما كانت تحتد معي وتقول : « سوف تعلم الفلاحين التهاون في دفع حقوقنا ، وما بناه ابوك في سنين ، سوف تهدمه في ايام» كانت امي تقول هذا ، وهي تدرك تمام الادراك ، ان ثروتنا هذه هذه كلونها ابي على اشلاء ضحايا سذج طيبين ، كانوا لا يمتلكون سوى كلمة « طيب ، حاضر ، نعم » ٠٠٠ ويخرجون اختامهم من محافظهم ، ويناولونها لابي كي يختم بها ماعنده من اوراق ، ويصدقونه حين يقول لهم انها مخالصات ٠٠

ومضت الايام سراعا ، واحبني الفلاحون ، وعطفوا علي بقدر ما حنقوا علىوالدى٠٠ وكانت امي قد شعرت بقرب رفع الوصاية عني، فاثرت ان ترضخ لكل طلباتي ، وطلبت الى الانفوشي ان يعمل على تنفيذها ٠٠٠ الاستاذ الانفوشي كانت قد ماتت زوجته ٠٠٠ الثورة قامت على الحزبية والرجعية ، مما اثر على دخل الاستاذ الذى كان يتخذ من الاحزاب شعارا للكسب والشهرة ٠ واصبح الاستاذ يعيش على دخله المحدود من قضاياه ٠

وها انذا في الفترة الاخيرة ، وجدت امي تكثر من ترددها على مكتب الاستاذ ، كما يكثر من زيارته لنا ، متذرعا بتبصيرى بكل مايتعلق بثروتي ، التي ستنتقل الي خلال شهور ، بعد رفع الوصاية عني ٠

وبدات اشعر ان هناك تالفا بينه وبين امي ، بل كثيرا ما كنت افاجىء امي وهي تتزين ، فادرك على الفور ان استاذنا سوف يزورنا ٠ اما الاستاذ فكان يتوخى التانق في ملبسه ، والتصابي رغم بداية عامه الستين ٠ حتى كان يوم طلبني فيه ، وذهبت اليه في مكتبه ، وبعد ان حدثني عن اجراءات رفع الوصاية ، وجدته فاجاني قائلا :

ـ يا باشمهندس فتحي ، انا لي طلب عندك ٠٠ مارايك انا اطلب يد « اجلال هانم » منك؟؟لقد توخيت ان أسالك الرأى كي نحتفل احتفالا واحدا ٠٠ برفع الوصاية عنك ٠٠ وزواجنا ٠٠٠ وحقا كانت مفاجاة لي ، وطلبت أن يمهلني حتى اسال والدتي ، ووجدته يبتسم ابتسامة الواثق من نفسه المعتد بها ٠

لم اكن اتصور وانا اعرض الموضوع على امي، مستنكرا هذا الطلب ساخرا منه ، ان اجد منها قبولا وفرحا ،ولما حاولت الاعتراض قاطعتني قائلة :

« يا ابني الزواج حلله الشرع ٠٠٠ الاستاذ الانفوشي رجل طيب ، ومحام كبير وكفء ، ومن يوم ما مات المرحوم ابوك ، لم نر منه الا العطف والحنان » ٠

ولما وجدت منها اصرارا ، هربت من المدينة الى الريف ٠٠٠ وها انا اسال نفسي : ترى لماذا اعترض على هذا الزواج ؟ هل لان الظروف والملابسات ، تدعوني للاعتقاد بطمع الاستاذ في ثروتنا ؟ وكيف اواجهه باعتراضي وانا الذى اكن له كل احترام وتقدير منذ صغرى ؟؟ وامي التي انذرتني بانها سوف تتزوجه، سواء رضيت انا ام لم ارض ٠٠٠ وها هي في انتظار ردى ٠٠٠ واستعدت ما قالته لي « يا ابني الزواج حلله الشرع » ٠٠٠ وقلت لنفسي : « اليس الزواج اشرف من علاقات آثمة ، قد تدفع الناس للخوض في سيرتنا ؟ لقد كان تفكيرى فيعلاقات آثمة ، تنشا بين امي والاستاذ الانفوشي ،نوعا من البله والجنون ، اذ كانت امي في الخمسين من عمرها ٠٠٠ ولكن الم تصرح لي امي انها تحبه ؟ الم الحظ تزينها كلما زارنا ؟ ترى لماذا انكر عليها حبها ؟ واتخذت قرارى بالموافقة ، وعدت ادراجي الى المدينة ، وابلغت موافقتي للاستاذ فشكرني ، ولامي فقبلتني وضمتني الى صدرها في حنان وفرحة ٠٠

كانت نظرتي للاستاذ الانفوشي خاطئة ، حين فكرت في طمعه في ثروتنا ، اذ انني لم اجد منه سوى زوج مثالي ، كما لم اشعر قط بانه زوج لامي ، بل حبي وتقديرى للرجل واحترامهوحنانه لي ، كاد يدفعني لان اترك مسكني واقيم معهما، غير انني فضلت ان اقيم بمنزلنا الريفي ،حيث

اباشر بناء الوحدة الصحية التي تبرعت بارضها وشاركت اهل قريتي في اقامتها ٠

حتى كان اليوم الذى ذهبت فيه ، الى مدرسة القرية لمعاينتها ـ بتكليف من مجلس القرية ـ واجراء الترميمات اللازمة ٠ وهناك التقيت بـ «فدوى» المشرفة الاجتماعية بالمدرسةوالتى لازمتنى فى جولتى بتصريح من الست الناظرة ٠

وبدات عمل الترميمات اللازمة للمدرسة ٠٠٠ وبدات اشعر بقلبى يحب « فدوى » ، كما كانت عيناها تفصحان عن حبها لى، ولكن لاحظت كلما ازددت اقترابا منها تزداد بعدا عنى ، ولم اكن اريد العبث بها ، بل كنت اريد الزواج منها ، فقد كانت جميلة رقيقة الحس، يبدو منتصرفاتها احترامها لنفسها ولتقاليد الريف ، ولم يكن يهمنى كثيرا رقة حالها التى وضحت جليا فى ملابسها ٠

وذات يوم جلست افكر فى حبى الوليد ، ورأيت ان اصارحها بحبى ، ورغبتى الاكيدة فى زواجها ٠ وواجهتها بمشاعرى ورغبتى ، فوجدت منها رفضا مقنعا ، رغم انها لم تكن مخطوبة او مرتبطة برجل آخر ٠

حتى كان اليوم الذى ذهبت فيه ، لتسليم المدرسة بعد الترميمات ، والتقيت مصادفة بصديقى « الدكتور رامز » طبيب الوحدة المدرسية ، فى طريقه الى المدرسة ، فاركبته الى جوارى فى سيارتى وسالنى عن حبى لفدوى فلم انكره ، ولشد ما كانت دهشتى حين قال لى : « فتحى ٠٠ انس حبك هذا ٠٠ هل تعرف من هى فدوى ؟؟ ولما هززترأسى بالنفى، استطرد قائلا: « انها ابنة الرجل الذى قتل اباك » ! !

وكدت اصعق ، بل اوقفت سيارتى فى ذهول، وادركت هذه اللحظة فقط سر رفض «فدوى» زواجها منى ٠ وما كدت استعيد رباطة جاشى ، حتى ادرت سيارتى فى طريقى الى المدرسة ٠٠ وبدات الذكريات تلاحقنى ٠٠٠ ابى ٠٠٠ جشعه ٠٠٠قسوته ٠٠٠سوءمعاملته٠٠٠الرصاصات الست التى اطلقت عليه ، وما تردد حينذاك ٠٠٠ القاتل مجهول ٠٠٠ « فدوى » اى ذنب جنته ٠٠ او جنيته انا حتى تحاول الابتعاد عنى ، رغم نظراتها التى تفضح حبها ٠٠ بل دموعها التى تالقت فى عينيها ، عندما ادركت ان اصلاحات المدرسة انتهت ، وسوف لا ترانى ثانية ٠٠٠ ولكن كيف كان يمكننى ان اربط مصيرى بانسانة، ما زالت يدا ابيها مخضبتين بدماء ابى ٠٠٠ ؟؟ واختلست النظر ، فلم اجد « فدوى » بين زميلاتها ، وسالت عنها فاجابتنى الناظرة انها مشغولة فى بحث جديد عن « جرائم الاباء » ، وابتسمت ابتسامة فاترة ٠٠٠ وخرجت كى اعود بسيارتى ، وحانت منى التفاتة الى غرفتها ، فوجدتها واقفة بالنافذة ،مضطربة الأنفاس دامعة العينين ، فحييتها بايماءة خفيفة ، فردت التحية واخرجت منديلا تمسح دموعها ، التى سحت على خديها ، وركبت سيارتى الى منزلى ٠

كان للصدمة التى حلت بى اثرها الواضح ، فقرر الاطباء نقلى الى المدينة للرعاية والعلاج، وما كدت اصل الى منزل الاستاذ الأنفوشى ،حتى لاحظ اعيائى الشديد فجزع ، واستدعى لى هيئة طبية ، وظللت فى الفراش ثلاثة ايام ، تدفق فيها اهل القرية للسؤال عنى ، وخاصة صديقى الدكتور رامز ، الذى اخذ يداعبنى فى حضور امى ، التى استمعت الى مداعباته ، وفهمت من بين سطورها ، السبب الحقيقى لمرضى ٠٠٠ وما كاد « رامز » يخرج حتى سالتنى امى « من هى فدوى التى ورد ذكرها فى حديثى معه ٠٠ وقصصت عليها كل شىء ٠٠٠ منذ دخولى المدرسة لاصلاحها وتعلقى بها ، حتى عرفت ان اباها هو قاتل ابى ، فابتعدت عنها ٠ ولم استر عن امى ، ان طيف فدوى يطاردنى فى كل وقت ، حين احسست اننى كدت اجن ، وكان امى شعرت بالخطر الذى يهددنى فانصرفت ٠

وجلست للذكريات ، حين دخل الاستاذ الأنفوشى مهللا فرحا ، اذ كان هو وامى ، ضمن من اصابتهم القرعة التى سحبوها بالمسجد لتادية فريضة الحج ٠٠٠ ووجدته يقترب منى بعد ان تاكد من خروج والدتى وقال :

ـ ابنى يا فتحى ، اريد ان احدثك على انفراد ، لعلك لا تدرك ان امك بعد ان تزوجت « السندوبى بك » ظلت عامين دون نسل ٠٠ وهددها بالطلاق بعد ان امهلها عاما ثالثا ٠٠٠ وبدا يساورها القلق والمصير المحتوم بعد ان تذوقت نعيم الحياة والجاه ٠٠٠ ولما كنت صديقا مقربا لها ولابيك ، عرفتنى هذه الحقيقة المؤلمة ،

وكنت متاكدا ان اباك ، لا يتورع عن تنفيذ وعيده ، وكانت امك حينذاك صغيرة جميلة ، رشيقة رقيقة ، مما دفعني ـ وانا زوج لامرأة دميمة ان انصب شباكي حولها في ساعة ضعف، وتحت ستار الشفقة الزائف، والعاطفة الخادعة، اقترفنا الالم والخطيئة ، وكنت انت ثمرة تلك الخطيئة ... انت ثمرة ذلك الطيش !!

ما كدت استمع الى ما قصه « الاستاذ الانفوشي » ، حتى شعرت بصاعقة تنقض عليّ ، وما كدت اتمالك رشدي ، حتى اخذت اقارن بين ما قصه الاستاذ ، والظروف التي احاطت بي في مرضي ولهفته علي وسهره الى جواري ، ونزوله مسرعا في منتصف الليل لاحضار الاطباء ، واحترامي وحبي وتقديري للرجل .. كل ذلك جعلني اوقن من صدقه ، وادرك ان جشع السندوبي ـ ابي المزعوم ـ ، قد وصل به الى حد التحكم والتحدي لارادة الله ...

وجلست صامتا مشدودا ، ولم يقطع حبل هذا الصمت ، سوى مواصلة الاستاذ حديثه قائلا : « كان ضروريا يا ولدي ان اصارحك الحقيقة ، وخاصة بعد ان تقرر سفرنا لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، لعلني وامك نكفر عن الم اقترفناه ، في ساعة طيش منذ خمسة وعشرين عاما .. ان الله غفور رحيم ..

ووجدت نفسي اتحامل على رجلي ، واقترب منه ، واقبله ، وهو يحتضنني بشغف وقوة لم يسبق لهما مثيل .

ونحن كذلك اذا بالباب ينفرج ، وتدخل امي التي ما ان رأتنا في هذا الموقف ، حتى دمعت عيناها ، واقترب والدي الاستاذ منها ومعه بعض الاوراق لتوقعها .. انها اوراق التنازل عن حصتها ، في ممتلكات السندوبي ، لبناء مسجد بالقرية .. ولم تنس امي ، قبل ان تذهب مع والدي ، لتسجيل العقد بالشهر العقاري ان تقول لي : « لن تكون وحدك حتى عودتنا ، فهناك من سيبقى الى جوارك ويرعاك ... انظر تجاه الباب » .. ونظرت لأجد « فدوى » حبيبة الروح وزوجة المستقبل .. التي عرفت من امي ما عرفته من ابي منذ لحظات !!

ولم ينس الاستاذ ان يقول وهما يغادران الحجرة موجها حديثه لنا : ارسما احلام المستقبل كما يحلو لكما ، على ان تقيما ـ بعد الزواج ـ وسطنا .

جلست وفدوى نرسم طريق المستقبل ، حينما حضر خادمي ومعه صحف الصباح عناوينها الضخمة تطالعنا باعياد الطفولة .. وقررت في هذا العيد ، ان اتنازل عن الفيلا ، كي تخصص لليتامى واللقطاء والمحرومين ، وتسمى « دار الحنان » وتقوم فدوى بالاشراف عليها ، وينفق على الدار من ريع المتبقى من ارضي الموروثة.. ونبدأ صعود السلم ، بالكفاح والاجتهاد والتعب .

وبينما نحن نخطط لاحلامنا ، نظرت فدوى في ساعتها ، وطلبت مني الانصراف ، فقد كان ضروريا ان تلحق بابيها الضرير ، لتساعده في استخراج جواز السفر ، كي يتمكن من الحج تكفيرا عن ذنوبه .

■■

مجدي سلامة

■ اذا كان لا بد من غرق فالبحر اللُّجّيّ اكرم من البركة الآسنة

(مثل روسي)

■ بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال الا على جسر من التعب

(ابو تمام)

■ بائع البطيخ يقول دائما انه حلو

(مثل صيني)

• كتاب الشهر •

اسـرائيـل في مواجهـة المـوت

أو أطول يوم في تاريخ اسرائيل

بقلم : الدكتور حماده ابراهيم

الكاتبان فرنسيان : احدهما ، جاك ديروجي ، ٥٠ عاما ، عاش أحداث ١٩٤٧ في فلسطين ، عمل مراسلا لصحيفة الاكسبريس في حربي يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ . اقام في اسرائيل اكثر من خمس عشرة مرة . الثاني ، جان نويل جورجان ، ٣٩ عاما ، عمل في صحف فرانس ـ اوبسرفاتور ، والاكسبريس ، ويوان ، امضى ثلاث سنوات في احدى المستعمرات بالنقب . دائم التردد على اسرائيل ، اصدر ثلاث روايات .

اذن فنحن امام كاتبين عارفين بتطور الاحداث على الاقل ، وبالذات ، داخل اسرائيل .



السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، المفروض انه بالنسبة لاسرائيل يوم الكيبور ، يوم الفداء او التكفير . والعادة ان ينقضي هذا اليوم من الاصيل الى الاصيل في البيوت او المعابد : لا عمل ، لا مواصلات ، لا اتصالات هاتفية الا للضرورة القصوى ، لا زيارات ، لا ضوضاء تزعج العاكفين على العبادة والاستغفار . ولكن ذلك اليوم من اكتوبر ١٩٧٣ كانت الضوضاء فيه مضاعفة ،وكان الفداء فيه مضاعفا ، وكان التكفير فيه ايضا مضاعفا . وكان ذلك هذه المرة على ايدي السوريين والمصريين الذين هجموا على الجولان وعبروا القناة . ورفع العلم المصرى على الضفة الغربية لاول مرة منذ ١٩٦٧ . هكذا بدأ يوم العيد الاكبر في اسرائيل ، او بمعنى اصح اليوم الاكبر في تاريخ اسرائيل القصير . فيه تم القضاء على اسطورة الجيش الذى لا يقهر ، على الرغم من عجرفة رئيس الاركان الاسرائيلي اليعازار : « سنهشم عظامهم » . زادت عزلة اسرائيل ، اتسعت الهوة بين الشعب وبين القادة ، ابتعد أو أبعد معظم قادتها عن مراكزهم ،وقتل خيرة قوادها العسكريين . وها هي ذى من جديد اسرائيل وحيدة ، ها هي ذى من جديد « اسرائيل ، في مواجهة الموت » .

الكتاب يقع في ٤٢٠ صفحة ، وينقسم الى مقدمة واربعة عشر جزءا ثم خاتمة ، بالاضافة الى سبع خرائط سنحاول ان نعرض لاهم ما جاء فيه.

نهاية الافراح

المقدمة ، عودة ذكية الى مناسبة وفاة بن جوريون واشارة الى الجنازة التى كان على راسها الكبار الثلاثة : مائير وديان واليعازار . كان وفاة بن جوريون نذير بنهاية « الكبار » ، وهذا ما حدث فعلا بعد حرب ١٩٧٣ .

بعد ذلك يعرج الكتاب على مناسبة اخرى ، سعيدة هذه المرة، وهي الذكرى الخامسة والعشرين لاقامة دولة اسرائيل . كان ذلك في مارس ١٩٧٣ . كانت آخر مرة ظهر فيها بن جوريون « العجوز » والرمز هنا اقسى : فكان نهاية بن جوريون تحمل في طياتها نهاية افراح اسرائيل : « كان فرحا ، واى فرح ، ظلوا طوال الليل يرقصون ويغنون » وفي الصباح الباكر ،اصطفوا على طول ساحة العرض العسكرى . كان صياح وضجيج .« اما العرب ،فقد اعتكفوا في البيوت، ينصتون ، في ظل النوافذ المغلقة ، الى اصداء الاحتفال الكبير الذى يقيمه اليهود » .

وبعد ان يقدم الكتاب كبار الشخصيات الاسرائيلية التى كانت على راس الاحتفال ، بطريقة لا تخلو من السخرية المضمرة تحت الابهة والعظمة ، يشير الى الجماهير المحتشدة المسحورة بقوة الطيران الاسرائيلى ، والتى كانت « ترفع رؤوسها في حركة واحدة ، وتهتف في صيحة واحدة ،حين لاح في الافق اول تشكيل من الطائرات التى راحت ترسم في السماء نجمة داود .. كانوا ثلاثمائة او اربعمائة الف الذين أخذهم الانفعال في نفس اللحظة ، حينما ظهر التشكيل الثانى ورسم في الافق بحروف عملاقة منيرة الرقم ٢٥ » .

العجرفة

كان ذلك تمهيدا ذكيا من الكاتب ليبدأ بعد ذلك سلسلة من الاشارات الى عجرفة القادة الاسرائيليين المرتبطة بالتفوق، وهذا الاخير مرتبط بجيش الدفاع .

اولا عودة الى حادث اسقاط ١٣ ميج سورية مقابل ميراج اسرائيلية واحدة في ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ . الامر الذى ترجمه غرورا الجنرال حاييم هيرتزوغ وهو يعلن قائلا : « علينا ان نحافظ على تفوقنا الجوى الذى يعني في الشرق الاوسط التفوق العربى » .

بعد ذلك صدرت صحيفة دافار شبه الرسمية تقول : « ان تحطيم ١٣ طائرة سورية تحذير موجه للعواصم العربية . ويعنى ان جيش الدفاع لن يسمح باستئناف اعمال العدوان برا او بحرا او جوا » .

كان ذلك قبل حرب رمضان بثلاثة اسابيع ، ويعلق الكاتب قائلا : « واسرائيل نائمة مطمئنة الى انتصاراتها » .

اسلوب التنويم

لم يحاول العرب ان يستخدموا في تلك الحادثة صواريخ سام ارض ـ جو، مع انهم كانوا يملكون

منها الكثير ، وذلك حتى « لا تستيقظ » اسرائيل، وهكذا ظل الاعتقاد بان وضع العرب لم يتغير منذ يونيو ١٩٦٧ • وعلى هذا الاساس ايضا تم تفسير اسرائيل لحشد القوات السورية والمصرية على الحدود : « رغبة فى غسل العار » او « عملية انتقام محدودة » اما ان يقوم العرب بحرب واسعة النطاق ، فهذا مالم يرد على بال احد فى اسرائيل ولم يصدقه احد • فها هو ذا اسحاق رابين يصرح « بان مجرد التصديق بان العرب قرروا الهجوم على اسرائيل لايعنى فقط العودة الى الثار وحقائق تم اثباتها ، وانما يعنى ايضا اثارة قضية وجودهم نفسه » • ويعلق الكاتب ساخرا : « ان الجنرالات المنتصرين لايمكن ان يفكروا فى مثل هذه الشطحات » ، وهو مصداق ما جاء فى اجدادهم ، « ستنظرون ولا تفقهون ، وتسمعون ولا تعون » •

« لقد فجر السادات اجهزة الاته الجهنمية دون ان يثير ادنى ريبة عند الاسرائيليين ، الذين لم يتنبهوا للواقع حولهم الا بعد ساعات من اول وابل من القنابل فوق مواقعهم •• وفى اللقاء الرهيب الذى جمع بين الغفلة والعجلة ، اكتشفوا ان الجيوش العربية ليست فقط قادرة على القتال اكثر من ستة ايام ، بل وقادرة على خوض معركة ليست واثقة من كسبها » •

« ومع ذلك فقد كانت التصريحات والتحركات العربية قبل الحرب تدل على انها قائمة لا محالة ، فلم يخف السادات ولا قواد الجيش هذه الحقيقة ، بل كانوا يعلنونها فى كل مناسبة لم يورد الكاتب الكثير من الامثلة نختار بعضها :

« فى اوائل فبراير ١٩٧٣ قال السادات وهو يستقبل وفدا سوفيتيا وصل القاهرة فى محاولة لتسوية الخلافات بين البلدين • « الحل الوحيد هو الحل العسكرى » ثم اعلن الصحفيون بعد رحيل الوفد « ليس هناك طريقة سوى حمل السلاح لتغيير الواقع الحالى وتحمل التضحيات التى لا بد منها فى المعركة الفاصلة مع اسرائيل » •

وفى ٢٥ مارس شكل السادات حكومة جديدة « واجبها اعداد مصر لحرب قادمة • علينا ان نشن ضد اسرائيل معارك كبرى تتطلب من جانبنا استعدادات معنوية ومادية »

وفى مقابلة نشرت فى النيوزويك فى ٢ ابريل صرح الرئيس المصرى « بان كل شىء فى مصر مجند انتظارا لتجدد القتال، وهو ما لا يمكن تجنبه» •

وفى ٨ ابريل ابرق مراسل الصنداى تايمز من القاهرة الى صحيفته يقول : « بعض الظواهر تدل على ان السادات ينوى فعلا شن حرب ضد اسرائيل لكى يخرج من الطريق المسدود • »

وفى ٢٥ من نفس الشهر اعلن السادات فى اول اجتماع للحكومة الجديدة « ان قرارى بشن الحرب ضد اسرائيل فى وقت قريب لايمكن الرجوع فيه » •

كل يوم كان يحمل نداء الى الحرب •

فى شهر يونيو كان السادات فى دمشق فكتبت الاهرام « كان موضوع المباحثات هو القيام بعملية مشتركة ضد اسرائيل » •

بعد ذلك قام الرئيس المصرى بعدة زيارات للدول العربية المنتجة للبترول ، وبعدها بقليل كتبت الاهرام تقول : « لابد من خلق حالة توتر قصوى فى المنطقة » •

وفى القاهرة تم عقد مقابلات بين الرئيس المصرى والرئيس السورى •

والغريب ان اسرائيل كانت على علم بكل ما يقال وما يجرى ، ولكنها كانت تسىء التفسير « كانت كل معتقداتها قائمة على اساس ان مصر ليست فى حال تسمح لها بمواجهة اسرائيل فى العمق ، وبالتالى بخوض معركة ليس من شانها الا ان تؤكد التفوق الاسرائيلى » •

والصحافة العالمية وقعت فى الفخ

وعلى الصعيد العالمى ، وقعت الصحافة هى الاخرى فى فخ التضليل الذى نصبه العرب • وراحت تروج الافكار التقليدية عن عجز مصر عن المغامرة بالدخول فى معركة يكون احتمال الانتصار فيها ضئيلا • وزاد هذا الاعتقاد خصوصا بعد مغادرة الخبراء السوفييت لمصر • فقد كتبت صحيفة ذا فيناتسيان تايمز تقول : « الجيش المصرى غير مستعد على الاطلاق للقتال •• فمنذ ان رحل الخبراء السوفييت عن مصر حاملين معهم جزءا ضخما من معداتهم الحديثة ، فقد الجيش المصرى ، ليس فقط قدرته الهجومية ، بل وقدرته الدفاعية ايضا » •

وفى ايطاليا كتبت صحيفة لاستامبا : « استشرى

الفساد ، ولم يعد الجيش المصري يملك من الذخيرة مايكفيه اكثر من اسبوع » .

وفي فرنسا كتبت صحيفة الفيجارو تقول : « فضائح ، ومرارة ، وخيبة امل في مصر . ضباط الوحدات المتمركزة على خط القناة لايقيمون في الجبهة اكثر من يومين في الاسبوع ، اما بقية الاسبوع فيمضونه في القاهرة بموجب اجازات مزورة .. مات ناصر ورحل الخبراء السوفييت واصبح الجيش بلا روح » .

هذا الاجماع على عدم كفاءة جيش مصر لخوض المعركة ، يعلق عليه الكاتب قائلا : « وسوف يفخر المصريون يوما بأنهم نجحوا تماما في حملتهم التضليلية » . لم يهزأ من الصحفيين الذين وقعوا ضحية هذه العملة .

التراخي والاهمال الاسرائيلي

كان الوضع في اسرائيل يميل الى تصديق الاعلام المطمئن لانه يتمشى مع رغبة القادة في بث الطمانينة بين الشعب ، كما يتمشى مع سياسة الاعلام الاسرائيلي في تأكيد الامن الداخلي . كان من راي دايان أن « مصر تتاهب للحرب منذ ثلاث سنوات ، اي منذ ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ ، التاريخ الذي اعلن فيه السادات أن الحرب على وشك القيام ، فاضطررنا الى اعلان التعبئة العامة في اسرائيل : مئات الآلاف من الجنود على الجبهة بمعداتهم ووسائل مواصلاتهم ، ومن اتوبيسات مدنية وسيارات خاصة ، مما اثقل الاقتصاد .. كانت السنة الثالثة التي يعلنون فيها انها الحاسمة ... وخلال الشهور الستة الاخيرة حددوا موعدين او ثلاثة لشن الحرب وفي كل مرة يقرر السادات تاجيل الحرب في آخر لحظة » .

وهكذا لم يهتم الجنرالات بتحركات القوات العربية على الحدود ، ولم يكترثوا للتقارب المفاجيء بين سوريا والاردن ، ولا للزيارات المتكررة للسفارة السوفيتية في دمشق ، ولا للقاء الاسد والسادات بالذات . كان تفسير اسرائيل واحدا : ان القادة العرب يحاولون « تهدئة الراى العام في بلادهم ولكنهم غير قادرين على شن حرب » .

ومنذ حرب يونيو لم تعد اية تصرفات عربية تستطيع « منع اسرائيل من الاستمرار في النوم » وفي اواخر ذلك الصيف كان هناك ما يشغل الكبار في اسرائيل وهو « انتخابات ٣٠ اكتوبر » كان اصدق تعبير عن الشعور بالامن الذي يسود اسرائيل في ذلك الوقت البيان الانتخابي الذي وزعه الحزب الحاكم : « الهدوء يسود شواطيء القناة كما يسود في صحراء سيناء وفي غزة والضفة الغربية لنهر الاردن والجولان .. الخطوط امنة ، الجسور مفتوحة ، والقدس موحدة ، وتم تشييد مستعمرات يهودية جديدة ، والوضع السياسي مستقر . وهذا نتيجة للسياسة الحاذقة الجريئة الحكيمة » .

وكان عنوان البيان هو خط بارليف ، وكان يضم صورا لست شخصيات من الحزب ، مائير والون وابا ايبان ، ودايان ، وبنحاس سابير ، ويعقوب هازان .

وعلى جبهات القتال ، استخفاف

وانعكس ذلك على جبهات القتال ، في ٢٥ سبتمبر وصل قائد الاحتياط الاسرائيلي الجديد ويدعى موتي Motti ، الى خط القناة فوجد أن الجنود الاحتياط الذين كان من المفروض أن ياخذوا مكان القوة الدائمة في المركز لم يصلوا بعد . ثم فاجاه الحاضرون بأنهم يريدون قضاء العيد في بيوتهم . ولكن الصدمة الحقيقية الاولى له كانت في المساء ، حينما اجتمع باحدى المجموعات ، فقد صرح بعد ذلك قائلا : « من الصعب أن يتصور الانسان عدم مسئولية اسوأ من هذا ، ولا انعدام ضبط اسوأ من هذا » . اما الصدمة الثانية ، فكانت في الصباح حينما خرج للتفتيش على المركز ، فعلق قائلا : « كان جو بيكنيك لا اكثر ولا اقل » . اما الشاويش الذي استلم العهدة فقد وقع عليها رغما عنه : فقد كانت العهدة في حالة يرثى لها » .

كان هذا القائد دائم الشكوى من الاهمال الدائم وخصوصا من ناحية البحر حيث يمكن للمصريين النزول على الشاطيء . ثم قام بتحرير تقرير لقيادة المنطقة ، فاخبروه بانهم « على علم وسيهتمون بالموضوع » . ثم لاحظ موتي Motti ان كشاف احد الاسلحة به عطب ، فاتصل بالقيادة ، فضحكوا في وجهه قائلين هذا كل ما لدينا »

كان استخفاف قادته يبدو له اخطر مما يقرؤه فى الصحف منحشد القوات والمعدات المصرية البعيدة المدى على شاطىء القناة الغربى .

« كان الاعتقاد السائد هو أن قضاء فترة فى هذا القطاع بمثابة شبه اجازة تحت شمس افريقيا الدافئة » .

الفساد الاجتماعى

اذا كان وقف اطلاق النار ، يطلب من العرب ، فى ١١ يونيو ١٩٦٧ قد اوجد عند الاسرائيليين معنى الامان ، فقد تجسد هذا المعنى فى خط بارليف . ثم ، وفى ذات الفترة جاءت « المساعدات الخارجية المكثفة التى تخطت نفقات الحرب عدة مرات . فقد تلقت اسرائيل بين عامى ١٩٦٧ و ١٩٧١ ماقيمته ٥٠٠ر١ مليوندولار منالمساعدات » .

انتصار عسكرى ، وامن يتمثل فى خط الدفاع (بارليف) ، واموال طائلة لتعويض الخسائر وحل المشكلات الاقتصادية .كلذلك اوجد احساسا بالتحرر فى المجتمع الاسرائيلى ونشوة سحرية أشبه بالحلم » .

وككل حالات الانتصار فى التاريخ يعقبها فترات يشعر فيها الناس بالرغبة فى الثراء والاستمتاع ، وفى ذلك تكمن بداية الانهيار . « بعد حرب ١٩٦٧ بدأ الامل يتحقق فى حياة عادية ، وبدا أن التهديد العربى لم يعد له وجود . وكانت الحياة العادية المطلوبه هى الحياة الغربية » .سيارة لكل سبعة اشخاص تلفزيون لكل عائلتين من ثلاثة .

فى أواخر عام ١٩٧٢ كانت اسرائيل قد عوضت كل ما فاتها فى سباق الرفاهية والترف العصرى ، واستشرت فيها أمراض المجتمعات المترفة ، واصبح « السكارين » يشاهد على كثير من الموائد . فقد اخذت اسرائيل فى التخمة والسمنة .. واصبح كل شىء يجرى على عجل ، وكان الناس يستشعرون ان الزمن محدود .. وعبادة العجل الذهبى لم تجلب السعادة على اليهود فى يوم من الايام » .

نجوم المجتمع الجديد

اصبح الاثرياء يقضون اجازاتهم الشتوية فى مشاتى سويسرا العالمية ، ويشترون الاثاث السكنديناقى لفيلاتهم الجديدة ، ويقيمون حفلات الخطوبة لابنائهمفى الهيلتون ،ويدعون اليها نجوم المجتمع الجدد وهم ضباط الجيش الذين اصبحوا حديث العالم، والذين كانوا من قبل ذلك يمارسون اعمالهم فى مكاتب عادية ، ثم اصبحت الاحزاب تخطب ودهم ، والشركات الكبرى تتخاطفهم .

« وفى الماضى ، قبل حرب ١٩٦٧ ، كان جيش الدفاع مقدسا ، كان خلاصة المجتمع ، وكان افراده منزهين عن الدنايا ، وكانوا يجدون متعتهم الوحيدة فى التضحية فى سبيل الوطن » . ويروى أن بن جوريون ، وكان رئيسا للوزراء ، سمع أن جنديا سرق ، وعلم قائده ولم يعاقبه ، فغضب رئيس الوزراء وعزل القائد وكان من خيرة ضباط الجيش ثم علل امام البرلمان هذا الاجراء قائلا : « ان جيشنا يجب ان يظل طاهرا » .

ولكن ما أبعد البون بين هذه الحادثة وعام ١٩٧٣ ، فقد دفع الجيش ثمن الانتصار . اصبح معبود الجماهير . وتجاوز بعضهم الحدود ، فصنع لنفسه حاشية من الصحفيين والمصورين يتبعونه فى كل مكان ، كان احدهم يباهى بان لون جسمه البرونزى بتائج اشعة الفلاش . اما « دى كايو » فلم يعد يفتح فمه للكلام الا امام ميكرفون . وهكذا تدفق الجنرالات علىجبهة المجتمعات الراقية بدلا من جبهة القتال .

وهناك القصص الخيالية التى تروى من ترفهم الذى فاق كل الحدود .ومن الامثلة التى لاتحصى فى هذا الصدد الجنرال رحبعام زيفى Rehvam Zeevi ، فقد كان قائدا للمنطقة الوسطى . فامر ببناء مركزللقيادة بالقربمن رام الله تكلف ١٧ مليون فرنك فرنسى (حوالى مليون وربع دينار كويتى) يضم كل وسائل الترف والتسلية .

دايان أسوأ مثال

وتكون الطامة الكبرى حينما ياتى المثال من دايان نفسه :« فقد احتفظلنفسه بنصيبالاسد من انتصار ١٩٦٧ » . كان يعرف أن بن جوريون يثق به ، وان الامريكان يعتبرونه رجلهم فى اسرائيل ، وان العرب يعملون له الف حساب ، الامر الذى اكسبه نفوذا بعيد المدى بين الجماهير ، حتى اصبح

اسطورة حية ، والاساطير لا يمكن الجدال فيها •

فمن المعروف عنه انه مولع بالحفريات والآثار، فلم يكن يكتفي بالقيام بالحفريات لحسابه داخل حدود اسرائيل ، وانما كان يمارسها ايضا في الاراضي المحتلة التي تحميها الاتفاقات الدولية • ولم يكن يتورع ، في هذا السبيل ، عن استخدام سيارات الجيش وطائرات الهليوكبتر والمؤن الخاصة بالعسكريين كما كان يستخدم المرشدين من الجيش •

ومن وسائل لهوه المفضلة ، النساء• وقد تجاوز في ذلك كل الحدود التي لا يمكن لرجل في مثل مركزه ان يتجاوزها ، ومما يروى عنه انه ، في غمار حرب الاستنزاف ، كانت هناك حسناء شرقية تدعى اليشيفا Elisheva ، في الثانية والعشرين، تعمل في احد بيوت الازياء • وحدث ان اتصلت هاتفيا بوزارة الدفاع وطلبت التحدث مع الجنرال دايان ، فاعطوها الخط بكل بساطة • فتوسلت اليه ان يستغل نفوذه « ليغلق الملف الخاص بعملية تزوير شيكات » تورط فيها شقيقها •ولم يوافق دايان وحسب ، بل اعطاها موعدا تلته مقابلات في الفنادق • وفضلا عن ذلك ، فقد كان دايان ، اثناء وجودها يتصل بوزارته او باركان الحرب في امور تتعلق بالدفاع القومي • ومن يدري فلعل ام الفتاة قد قامت بتسجيل جميع الاتصالات الهاتفية التيتمت بيندايان وابنتها بحجة « الضغط عليه » • وقد استمرت هذه الفضيحة عامين • واخيرا عهدت الام بالاشرطه الى رئيس مكتب الشئون غير العادية• وسرعان ما اختفت الاشرطة•

العجرفة

كان دايانداتم السخرية منالسادات •« السادات لا يساوي قذيفة » وكم تندر عليه ! وانعكس هذا على الضباط والجنود •• والامثلة لا تحصى • منها ان القائد موتي Motti لاحظ ان المصريين يقومون بتحصين مواقعهم • فحاول من جانبه ، امام تقصير رؤسائه ، ان يحصن بعض المواقع الضعيفة واحتاج في ذلك الى عدد كبير من اكياس الرمل . فشكى رجاله الى رئيسه المباشر : « اننا لم نات هنا لكي نقوم باعمال الحفارين » ثم اضاف القائد نفسه موجها حديثه الى موتي : « لا احب انيتحول جنود جيش الدفاع الى الاشغال العامة »•

وفي ليلة السادس من اكتوبر ، استقبل موتي Motti ، قائد قطاعه الذي جاء ليتناول معه طعام الافطار في آخر ايام الصيام ، فانتهز بعض الجنود الفرصة وقاموا بتوجيه بعض الاسئلة اليه :

ـ لقد ارسلنا اليكم التقرير تلو التقرير عن استعدادات المصريين للحرب • الموقف في راينا خطير ، وانتم لا تتحركون •

ـ لا تخافوا • انها تدريبات • فليست هذه اول مرة • في رايي ، لن يفعلوا شيئا ••

انما مستعدون ، وفي اسرع من البرق ، لتحطيمهم وتمزيقهم •

فاردف جندي آخر قائلا :

ـ امامنا ستة مواقع من الكوماندوز المصريين ، ونحن ••• ؟

فقاطعه القائد بعجرفته السابقة :

ـ لا تحدثني عن هؤلاء الكوماندوز •• انهم لا يساوون عقب سيجارة •• طلقة واحدة ويولون الادبار •

وحين حاول موتي Motti ، التدخل مشيرا الى كفاءة المصريين التي ظهرت خلال حرب الاستنزاف ، عارضه قائد القطاع :

ـ دعك من هذا ، فانا ادرى بهم ، لا يساوون شيئا • ونحن مستعدون لاي احتمال •

ثم غادر الموقع مع آخر ضوء للنهار •

ويك اند

ما دام هذا راي القواد ، فلماذا لا يستغل الاسرائيليون الايام الاربعة الاجازة التي تسبق الكيبور • واكتوبر دافيء • فالى السيارات ، الى « البيكنيك وحمامات الشمس » • خرجوا جميعا • فمن لم يكن منهم على شواطيء البحر الميت ، او الاحمر او الابيض او بحيرة طبريا ، كان ما يزال على الطريق •• اما الذين لا يملكون سيارات خاصة ، فقد كانت هناك شركة ايجد Egged التي وضعت ثلاثة الاف اوتوبيس تحت تصرفهم ••

وحينما بدات الايام الرهيبة التي تفصل بين العام اليهودي وعيد الكيبور ، راح المتدينون يتوسلون الى ربهم ان يمن على الناس وعلى الشعوب بالهناء والسلام بمناسبة العام ٥٧٣٤ • وهم يجهلون ما يخبئه لهم هذا العام من مفاجآت •

■■

حمادة ابراهيم

من الكتب التي وصلتنا

حياة الامير عبد القادر

تاليف : شارل هنرى تشرشل .
ترجمة : الدكتور ابو القاسم سعد الله .
الناشر : الدار التونسية للنشر / تونس .

● دراسة وافية عن حياة الامير عبد القادر الجزائرى ، جمع فيها المؤلف وثائق اصلية حصل عليها من الامير نفسه ، او من عائلته مباشرة ، واهم من ذلك ان هذه المعلومات كتبها المؤلف من املاء الامير نفسه ، فهو بذلك نوع من الترجمة الذاتية ، وقد كان اغلب من كتب عن الامير عبد القادر يستخدم كتاب تشرشل هذا مصدرا من اهم مصادره فى الكتابة ، وتاتى اهمية الكتاب من ان الكثيرين الذين كتبوا عن الامير ـ رغم كثرتهم ـ لا نجد منهم من كتب له ترجمة شخصية وافية فى اية لغة ، فالفرنسيون الذين اهتموا بالامير ـ وهم يملكون عنه اكثر من غيرهم وثائق اساسية عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره ـ لم يكتبوا عنه الا اشياء متفرقة موجهة ترمى الى اثبات تفوقهم ، وقد ركز المؤلف على الجوانب الروحية والفكرية والاجتماعية فيه ، بالاضافة الى الجوانب السياسية والعسكرية التى تمثل الجانب الهام فى حياته .

لقد اقام تشرشل فى شتاء ١٨٥٩ فى دمشق واتفق مع الامير عبد القادر على الجلوس معه ساعة يوميا طيلة خمسة شهور ، ومن هذا الاملاء الشخصى وتلك الوثائق الاصلية التى حصل عليها المؤلف نشأ هذا الكتاب .

اما اهم الموضوعات التى ركز عليها المؤلف ايضافهى التربية والتكوين الطبيعى والدينى للامير، والبيئة الاجتماعية التى كان يتفاعل معها ، والنظام الادارى الذى حاول اقامته ، ومناوراته وخططه العسكرية ، وروح التقدم والاصلاح التى تميز بها ، ثم تسامحه حتى مع الد خصومه وحسن معاملته للاسرى ، وصبره على المكاره ، وعدم ياسه حتى خلال اضيق ساعات العسر . وقد قسم المؤلف كتابه الى فصول مرقمة ولم يضع لها عناوين متميزة واكتفى بذكر الفترة الزمنية التى تناولها .

الجديد فى الادارة المدرسية

تاليف : حسين عبد الله محضر .
الناشر : دار الشروق ـ جدة / السعودية .

● هذا كتاب يخص العاملين فى مجال التربية والتعليم ، والعاملين فى الادارة المدرسية ، ولما كانت الادارة المدرسية هى مركز الاشعاعات المضيئة التى تحرك كل موظف فى دائرة محددة منظمة من اجل مجهود مثمر، وعمل مستمر ،وانتاج متواصل فى اقصر وقت ممكن ـ كان لزاما على كل كاتب فى هذا الموضوع ان يعرض للادارة العامة والمدرسة قديما وحديثا والتعليم والعاملين فى المدرسة ، وهكذا فعل الكاتب ، كما استعرض بعض المشكلات والمضايقات التى تحدث داخل المدرسة من التلاميذ كالتاخير والهروب والغياب والاهمال ، ثم وضع اساليب العلاج ، وبين ان السبب فى هذا هو تغير مفهوم التربية فى العصر الحديث .

مما لا شك فيه أن مفهوم التربية قد تغير ، كما تغير تبعا لذلك مفهوم المدرسة والادارة التعليمية وأهدافها وابعادها ، ولم تعد اهداف المدرسة ـ كما كانت فى الماضى ـ تصلح لان تكون أهدافا لمدرسة اليوم ، كما أن حدود مدرسة الماضى لم تعد تصلح لان تكون حدودا لمدرسة اليوم .

لقد تبع تغير مفهوم التربية تغير التفكير فى التربية الحديثة ، الاراء الحديثة فى التربية ، الاهداف الحديثة للتربية نظرة المستقبل للتربية ونظرة التربية للمستقبل ونظرة المجتمع للمدرسة الحديثة وللتعليم والتربية كليا . لقد أوجدت التربية الحديثة أبعادا جديدة لعمل المدرسة ، ولعمل الادارة والعاملين فيها ، فاصبحت هناك ابعادا جديدة لعمل المدير والمدرس والموظف والطالب وكل فرد فى المدرسة .

عباس العقاد بين اليمين واليسار

تاليف : رجاء النقاش .

الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت / لبنان .

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث شخصية العقاد وحياته السياسية بين اليمين واليسار ، لقد عاش العقاد حياة سياسية وادبية امتدت لفترة طويلة من سنة ١٩٠٦ حتى وفاته سنة ١٩٦٤ وهو طوال هذه الفترة يكتب بانتظام ، ويساهم في الحياة السياسية عن طريق الفكر ، او عن طريق العمل المباشر في عضوية مجلس النواب ، او عضوية مجلس الشيوخ ، ولا شك أن هذه الدراسة ضرورية لفهم الحياة السياسية في مصر بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ فقد اشتبك العقاد مع الحياة السياسية في مصر طيلة هذه الفترة بكل ماعرف عنهمن عنفوحدة ودأبوانتظام، بحيث اصبحت دراسة فكره السياسي هي في الواقع دراسة لمعظم التيارات الرئيسية فيالفكر السياسي المصري خلال هذه الفترة الهامة من التاريخ .

وقد تناول الكتاب بالدراسة علاقة العقاد بالوفد ، والسعديين ، ومصر الفتاة ، والاخوان المسلمين ، وبقية الاحزاب المصرية ، كما تناول موقف العقاد منالماركسية، والصهيونية، والنازية، وموقفه من الوحدة العربية ، وثورة ٢٣ يوليو ، كما يضم هذا الكتاب مجموعة من الوثائق الهامة من بينها حيثيات الحكم ضد العقاد بالسجن سنة ١٩٣٠ بتهمة العيب في الذات الملكية ، ثم نص دفاع مكرم عبيد عن العقاد في هذه المحاكمة ، كما يكشف الكتاب كثيرا من جوانب الصراع السياسي في مصر منذ أن بدأ العقاد الكتابة سنة ١٩٠٧ حتى وفاته سنة ١٩٦٤ اذ انه كان على الدوام طرفا من اطراف هذا الصراع السياسي ، وقد شارك في كل القضايا التي اثيرت خلال هذهالفترة في الحياة السياسية في مصر .

صديق الشدة

المترجم : علي ادهم .

الناشر : دار الهلال بالقاهرة .

● هذا الكتاب في نحو خمسين ومئة صفحة ، وهو حلقة في سلسلة« روايات الهلال »الشهرية يضم مجموعة قصص لكبار كتاب القصة في العالم ، وقد سبق للمترجم ان أخرج مجموعتين ترجمهما من القصص العالمية ايضا ، احداهما بعنوان « الخطايا السبع » وعنوان الثانية «فراتا»،او «الهاربمن الخطيئة» والمجموعة الحديثة « صديق الشدة » – كسابقتيها – من اجمل القصص واكثرها تنوعا ، ومن كتابها سومرست موم ، ووولتر سكوت الانجليزيان وادموند دافنشي الايطالي ، وارتوريا باريا الاسباني ، وشارل تيودور دي كوستر البلجيكي، وموباسان الفرنسي وليو تولستوي والكسندر كوبون وتشيكوف الروسيون ،الى جانب اسطورة يابانية، فالقصص من امم مختلفة ، ويقدم المترجملمعظم هذه القصص نبذة عن كاتب القصة ، ومزاياه القصصية ، ومكانته بين القصصيين ، والمجموعة في نحو ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

ايام في تونس

تاليف : عبد الله بن سعد الرويشد .

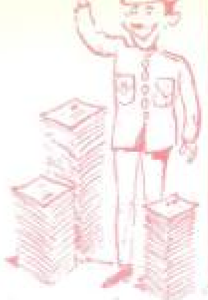
الناشر : مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه – بيروت/لبنان .

● كتاب في ادب الرحلات ، والمؤلف في هذا الكتاب لا يترك ظاهرة من الظواهر في اثناء رحلته الى تونس ولا حدثا من الاحداث او مشهدا من المشاهد الا ويكتب عنه ويعلق عليه ،فهو يحملك الى تونس لتشاهد جمالها وخضرة ارضها وزرقة بحرها وجمال شاطئها ، وعراقة تاريخها، ومناظرها الطبيعية الخلابة ، ومساجدها الاثرية ومؤسساتها الثقافية والعلمية والاجتماعية ومكتباتها ونفائس مخطوطاتها .

كما ان الكتاب يتحدث عن تونس من الناحية الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، ثم حديث عن الصحافة التونسية وتونس والتيار الاسلامي، ثم دراسة موجزة عن مدينة القيروان قاعدة الاسلام الاولى بشمال افريقيا، وعقبة بن نافع قائد الفتح الاسلامي . وقد ترجم المؤلف لاعلام من قادة الفكر والثقافة الاسلامية في تونس امثال الامام سحنون التنوخي وعبد الله بن غانم ثم المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون .

■■

بريد القرّاء ومعرض آرائهم



قصص الانبياء

● امنية ابعث بها الى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ووزارة الاعلام ، وهى ان تتعاونا فى طبع قصص الانبياء تحت اشراف علماء متخصصين فى شئون الدين ، وقد دفعنى الى هذا ما قرأته من قصص صدرت فى كتيبات عن الرسل والانبياء لم تخضع للتدقيق ، فجاءت فيها خرافات واغلاط كثيرة .

وفقنا الله واياكم للهداية .

عبد الله قدير الشمرى
بلدية الكويت

التراث الاسلامى

● ارجو الاهتمام بموضوعات التراث العربى الاسلامى ، وتركيز الضوء على التراجم العربية والاسلامية وان يتناول باب « علم النفس » حياتنا اليومية بالتحليل والنقد والاصلاح والتقويم .

سعد محمد منير
القاهرة/مصر

كفاكم خرائط

● مع بداية كل عام تتحفنا «العربى» بخريطة واقول .. كفاكم خرائط فى العام الجديد،واقترح فهرسة العربى منذ صدورها ففيها فائدة كبيرة للباحثين والقراء .. كما ارجو ان تتبنوا فكرة اصدار كتاب يضم المقالات والموضوعات المتعلقة بالمسائل الدينية عن الاقتصاد والمرأة فى الاسلام كهدية من العربى لقرائه .

عبد الحكيم السنبلى
الجمهورية العراقية

اقلام شابـــه

● اقترح عليكم بابا جديدا بعنوان « اقلام شابة » للموهوبين فى مجال القصة والشعر والفنون ، وبهذا تساهمون مساهمة فعالة فى بناء جيل جديد من الكتاب .

شهاب القيسى ــ بغداد/العراق

نهج البلاغة

● كتب الدكتور محمد الدسوقى فى الصفحة ١٤٨ من العدد ٢٠٧ من مجلة «العربى» مقالا ضمنه تعليقات واقوال مأثورة لعميد الادب العربى الدكتور طه حسين ..كما اورد رأى العميد فى كتاب «نهج البلاغة » ، وانه ليس من تاليف الامام على كرم الله وجهه ، بل هو من تاليف الشريف الرضى .. علما بانه ثبت من المخطوطات ان الكثير مما جاء فى « نهج البلاغة » سابق لعصر الشريف الرضى .

فهل للدكتور محمد الدسوقى ان يشرح لنا السند الذى استند اليه الدكتور طه حسين فى تقرير هذا الرأى ان كان قد سمع من الدكتور ـ رحمه الله ـ شيئا فى ذلك ، والا كان قوله رأيا بلا سند ولا قرينة .

عبدالله جبر السويلى ــ الكويت

عن « العربى »

● لماذا لا تطبع العربى بلغات اخرى غير اللغة العربيـــة .. كالاردية والفـارسية والانجليزية والفرنسية وهى لغات ينطق بها المسلمون فى انحاء العالم الاسلامى .

ممدوح حسن مطاوع ــ القاهرة/مصر .

رسالة الصحافة العربية

● يؤسفنى ان اقول بان الصحافة العربية لم تدرك بعد رسالتها الحقيقية .. فمعظم صحفنا تهبط بفكر القارىء وتضعه فى دوامة من المفاهيم والمعتقدات ... من شانها ان تسمم فكره وتهبط بخلقه .. متى ستدرك صحافتنا العربية رسالتها الحقيقية ؟

مصطفى مصباح عمر
بنغازى/ليبيا



وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ الوقت بدقة
اكثر الساعات انتشاراً في البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٢٤ - تلفون ١٢٣٥٨٥



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائده جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال لهو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي لهي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة — حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠٪ في السنة — وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهريًا.

١٠½٪ في السنة — حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central
Bankers

Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

الاسم:

العنوان:

2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٣٢ مليون جنيه استرليني.

نادي شاحنات كرايزلر العالمي يتوسع ويزدهر

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منا ، ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقة .. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي .

الشاحنات التي نصنعها في مختلف انحاء العالم .. في الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، واسبانيا ، واليابان ، يسلم العالم كله برقي تصميمها واتقان هندستها . شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم . من سيارات التوزيع الخفيفة الى الشاحنات الجبارة .. ومن الباصات الصغيرة الى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرق المدنية .

اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي .

ارسلوا الكوبون بالبريد ومرحبا بكم في نادي كرايزلر



كرايزلر
انترناشونال

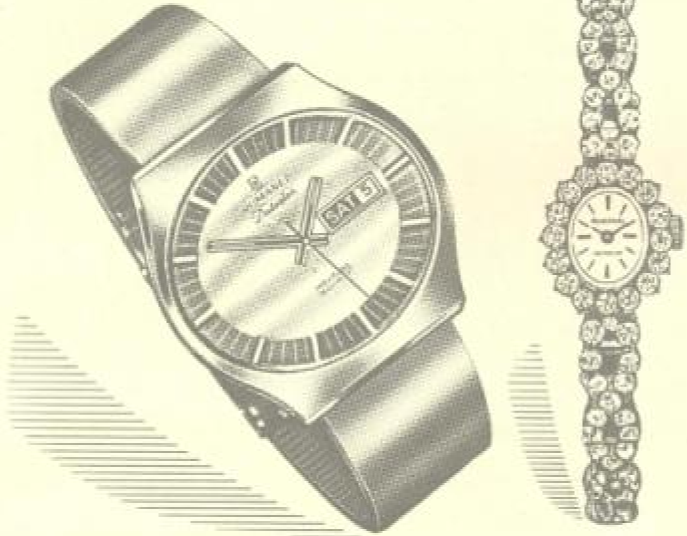
دودج - فارغو - ميتسوبيشي

RL

RUMANEL

SWISS

رومانل



الساعة العصرية

سوريا : غسان عبيد : دمشق - قطر : مخازن لاري - دوحة
دبي : مخازن فكتوريا : ديرة - البحرين : السادة مخازن بهمن
أبوظبي : المعرض التجاري العام : السعودية : عبد العزيز البخش وأولاده - مكة

الكويت

مخزن الساعات السويسرية - معرض الساعات العالمية السويسرية
معرض صالح شهاب - معرض الشهاب للساعات



من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول اكتوبر ١٩٧٦

(٨٥)

• تعلم الفرنسية بلا دموع

• المرء المضحي

تأليف : تيرانس راتيجان

ترجمة وتقديم : محمد كامل كمالى

مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد

چوڤيال



JOVIAL

دائما في مقدمة التطور الفني . چوڤيال ، العلامة الذائعة الصيت والبالغة الجودة ، تقدم ساعتها الجديدة التي تدور بالكامل **الكترونيا** بدون عقارب .

چوڤيال ، العلامة السويسرية ذات الشهرة العالمية ، تباع في محلات الساعات الكبرى .



اجعل هذا اليوم يوماً خاصاً لشخص تعزه

قدم له ولاعة رونسون، فهي الهدية التي تقدم في كل وقت في المناسبات العادية كأعياد الزواج أو الميلاد أو غيرها من الأعياد، وفي المناسبات الاستثنائية عندما تريد، مثلاً، ان تعبر عن شكرك لشخص عزيز عليك.



ولاشك في ان ولاعة رونسون هي خير هدية تليق بشخص محترم ومحبوب.

رونسون
RONSON

قدم أكثر من هدية ... قدم رونسون

اللمسة السحرية



تطور مثير في تكنولوجيا الكوارتز ... اوريينت

لمسة واحدة للوقت ، لمستان للتاريخ

- اضغط على الزر للثواني فقط
- البطارية تخدم اكثر من سنة
- طريقة CMOS-LSI وجهاز الذبذبات الكريستال يؤمنان الدقة الفائقة
- شكل جذاب يحميها ضد تأثير الكهرباء الساكنة ، التيار العالي والرطوبة



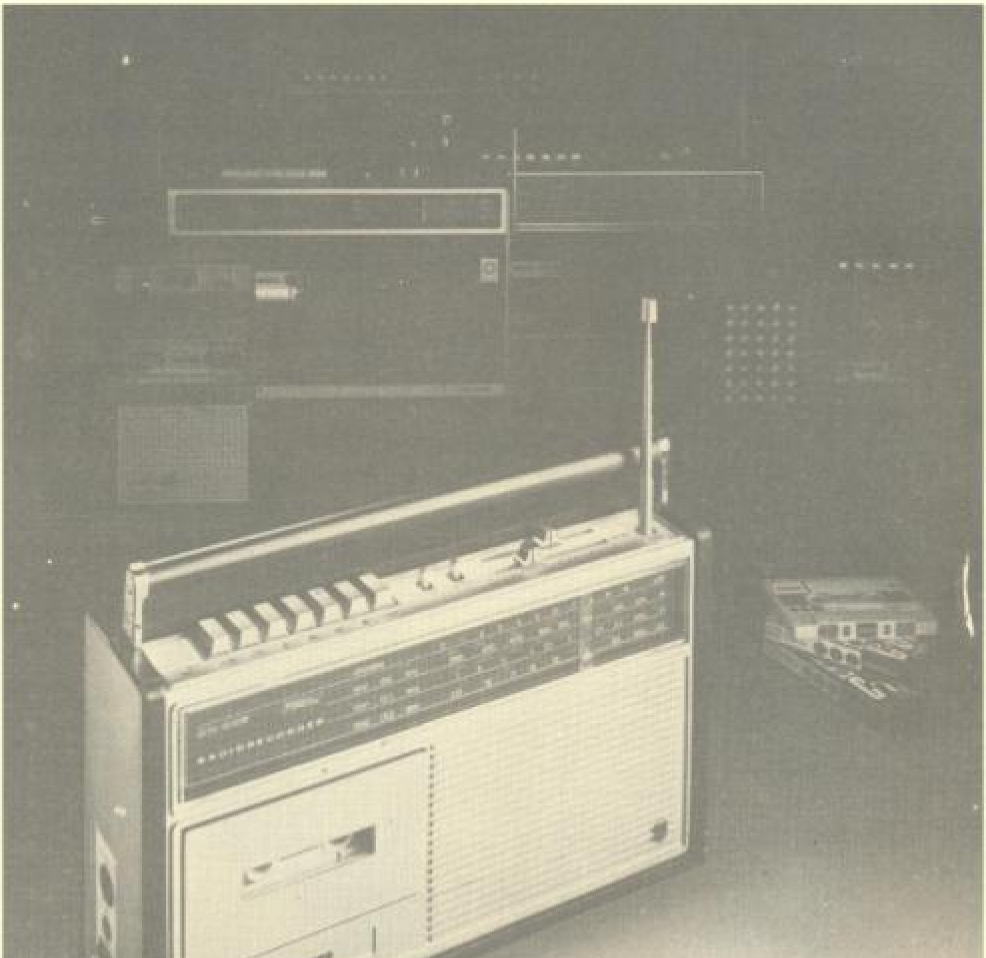
No 680103

ORIENT اوريينت

ORIENT WATCH CO., LTD. 4-4, 2-chome, Sotokanda, Chiyoda-ku, Tokyo, 101 Japan




RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣



مستجلات - راديو فيليبس
الكمال رفيقك
اينما كنت

مجموعات آلات تسجيل الصوت المهنية تستلزم التقيد بمعطيات علمية وتقنية دقيقة. هذا ما توصلت اليه فيليبس من مدة طويلة وأوجدته في مجموعة كاملة للتسجيل من أصغر آلة الى أكثرها تطورا. إنها ثمرة خبرة عالية واسعة ناجحة من تفوق تقني وفني تتطوره

فيليبس بنجاح منذ نصف قرن تقريبا. هذا التفوق التقني والفني ظاهر أيضا في كل مسجلة راديو فيليبس.
مع فيليبس تثق بأنك تحصل على الافضل وهذا ما تنتظره من مبتكري الكاسيت

PHILIPS

فيليبس الأفضل لكم دوما

ثلاجة سانيو المكعبة للمرطبات والطعام الطازج في كل مكان وزمان.



SR 4801W/X

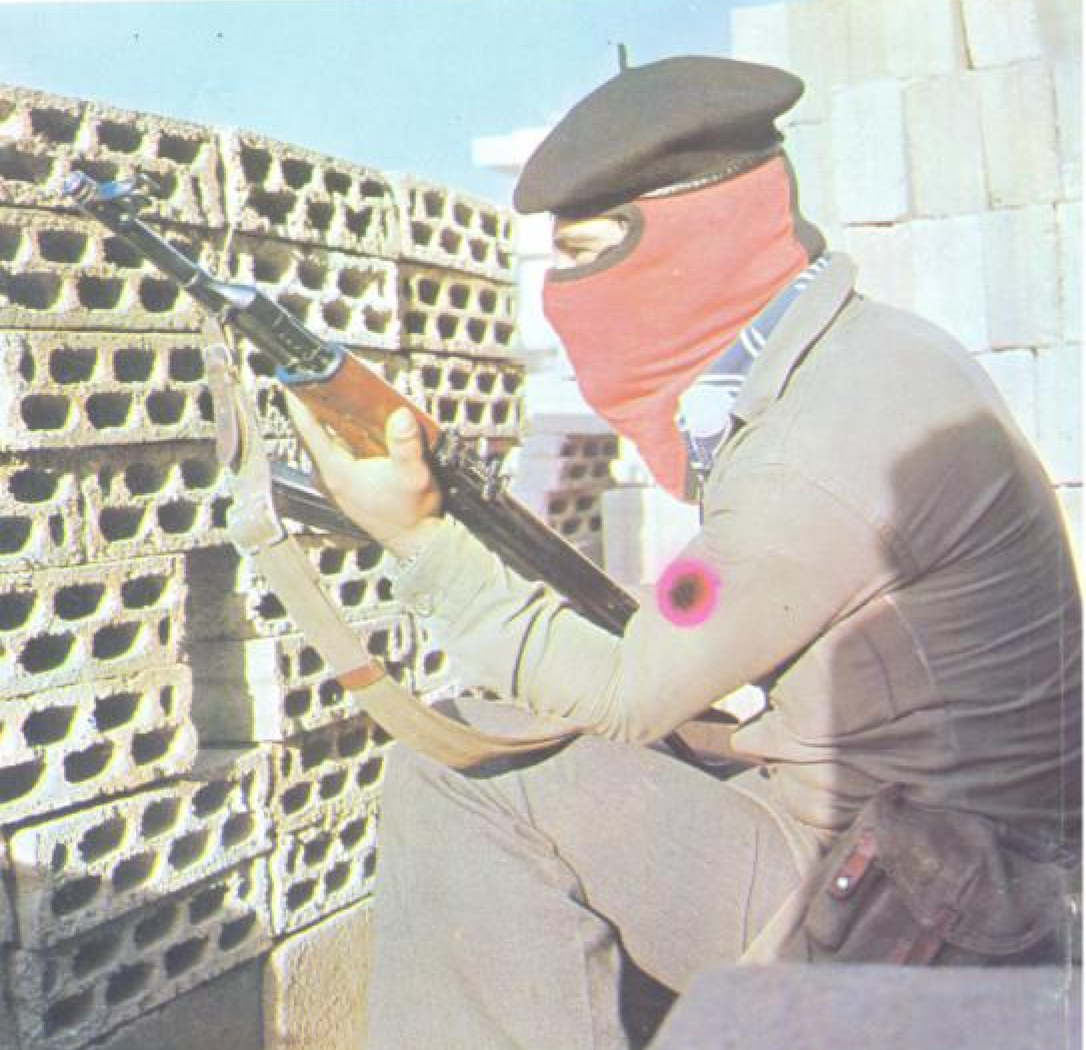
ثلاجة فخمة لأية غرفة في
المنزل، في الطابق العلوي أو
السفلي. على الشرفة أو في المكتب.
مثالية للعزاب والطلبة. كثلاجة
إضافية، رفوف وأدراج بداخلها وعلى الباب،
مع قالبين لمكعبات الثلج، الأرجل متحركة،
ترموستات لتنظيم الحرارة، لونها أبيض لامع
(W) أو بلون الخشب الثمين (X) من سانيو
الشركة التي تؤمن لكم مرطبات باردة
وطعام طازج في كل مكان وزمان.



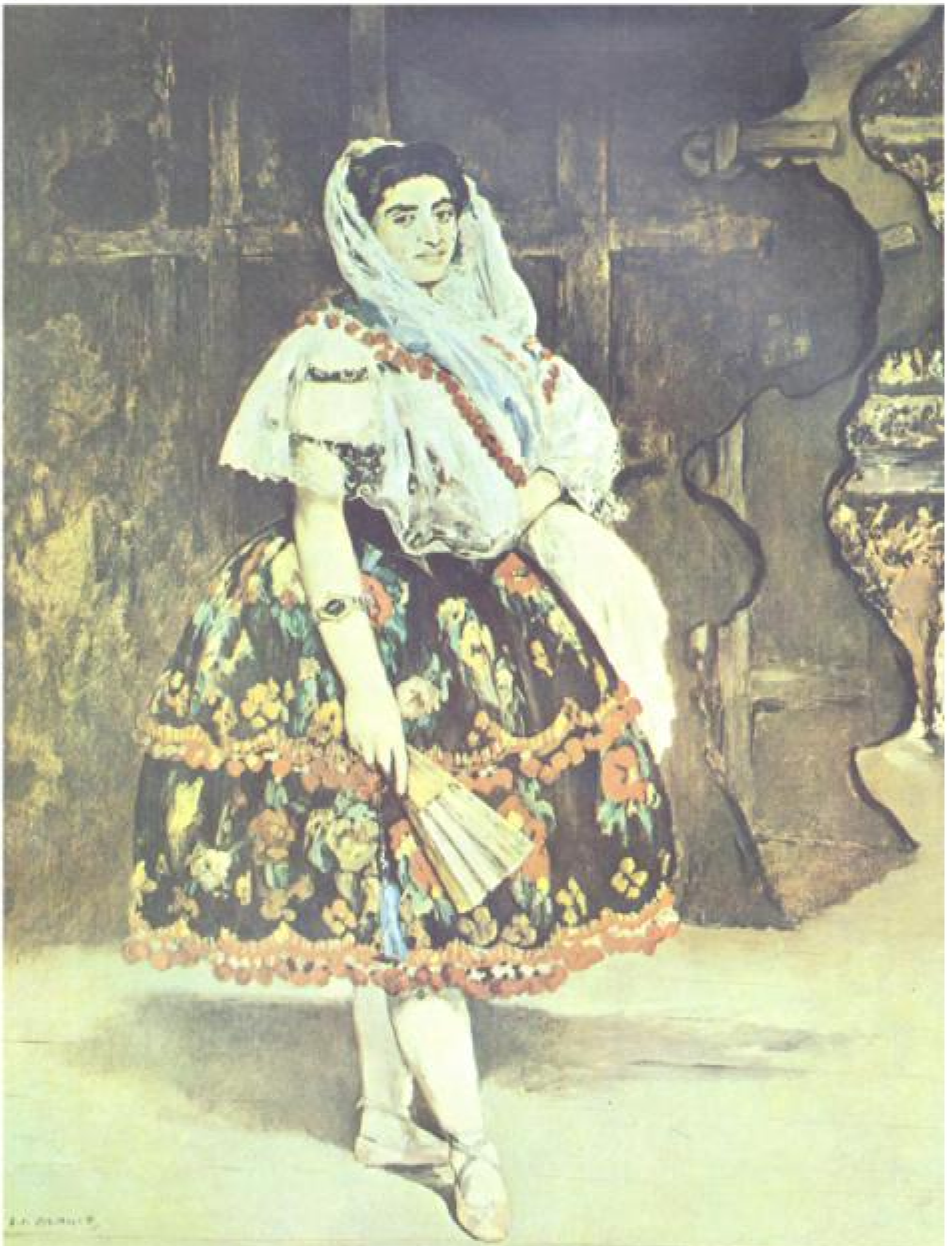
SANYO سانيو

العربي

العدد ٢١٦
ذو القعدة ١٣٩٦
نوفمبر
(تشرين ٢) ١٩٧٦



حتى لا تتكرر المأساة!



● « الاسبانية » بريشة الرسام الفرنسي « مانيه » الذى اشتهر برسومه عن اسبانيا ، ويرى التأثير العربي واضحا في لون الشعر ، والملامح ، وزخرفة الثياب ، وغطاء الرأس .

عزيزي القارئ

● منذ أصدر الكاتب السرنسى العظيم « ديديرو » موسوعته ، قفزت« الموسوعات »قفزة هائلة·واصبحت أحد أعمدة المعرفة فى أى مجتمع يرمز الى الحضارة والتقدم ·

وظهرت مئات من أنواع الموسوعات أو ما نسميها أحيانا « دائرة المعارف » ·

واذا كانت الموسوعة ذات الشهرة العالمية والمعروفة لدى الجميع هى : « دائرة المعارف البريطانية » ، وان كانت أصبحت أمريكية الملكية ، تصدر فى مدينة شيكاغو فى الولايات المتحدة ، الا ان هناك مئات من الموسوعات · هناك الموسوعات المتخصصة من حيث الموضوع · سواء كان الموضوع علميا او فنيا أو تاريخيا ، مثل « الانسيكلوبيديا جودايكا » ، أو دائرة المعارف اليهودية ! وهناك موسوعات متخصصة من حيث سن القارىء الذى تخاطبه · فرنسا بالذات برزت فى موسوعات بديعة للاطفال ، وللشباب فى سن أكبر ، التى تهيىء النشء للاستفادة من هذا النوع من القراءة · كما ان هناك الموسوعات الموجزة فى جزء أو أجزاء قليلة · وهناك الموسوعات المطولة فى عشرات الاجزاء ·

·· أين بعد هذا ، الموسوعة العربية الدقيقة التى تؤتى نفس الفائدة وتحظى بنفس الاحترام ؟

ان هذا مشروع لا ينهض به فرد · ولا مؤسسة صغيرة · واننا لنقترح ان تتبنى حكومة الكويت مشروعا ثقافيا مثل هذا ، فتدعمه فى سنواته الاولى بالمال ، وتكون له ــ كالموسوعة البريطانية ــ هيئة اشراف دائمة ، ويساهم فى كتابته مئات المتخصصين على طول الوطن العربى فى شتى المجالات · او تشارك شتى المؤسسات ·

ولا ندخل هنا فى التفاصيل · فقط نقول انه مشروع غير مظهرى ، وان عائده على العقل العربى سيكون عظيما حقا ·

■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 216 NOVEMBER 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



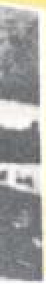
صورة الغلاف

كان من اصعب الامور على مجلة العربي أن تظهر هذا الشهر بهذا الغلاف ، وبهذه الصور عن ماساة الحرب الاهلية فى لبنان •• ولكن لم يكن ممكنا ان لا يسجل « العربي » هذه الماساة بالصور •

(انظر التفاصيل ص ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٥ر٢ دينار • المغرب ٥ر٢ درهم • اليمن ٥ر٢ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع على العنوان التالى : دولة الكويت ـ ص • ب ٤٧٠٦ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي



لغز ماوتسي تونج .. أم لغز الصين؟

بقلم: أحمد بهاء الدين

■ بين كونفوشيوس .. وماوتسي تونج ، مر مايقرب من ٢٤٠٠سنة ! وقد هز ماوتسي تونج الدنيا كلها ، بحياته وبوفاته ، ربما باكثر ممـــا هزها اى فرد واحد فى القرن العشرين .

لقد حارب ماوتسي تونج الدنيا كلها تقريبا . وانتهى الى حكم شعب يبلغ تعداده اكثر من ربع سكان العالم كله ، ولكن الغريب ان آخـر معاركه كانت ضد ذلك المعلم الفيلسوف الذىمات قبل٢٤٠٠ سنة.. وهو كونفوشيوس بالذات ...

لقد عاش ماوتسي تونج اثنين وثمانين عاما ،اى مايقرب من قرن كامل، ومنذ ان بلغ سن الشباب ، وكل يوم فى حياته ملحمة عجيبة .. احيانا كان العالم يفهمها ، واحيانا كان يقف امامها حائرا ، عاجزا عن فك رموزها ، ثم يعتبرها من تلك الطلاسم التى لا يفهمها الا الصينيون !

وحياة ماوتسي تونج اكبر واحفل من ان تروى فى مقال ، ولا حتى فى كتاب ...



ولكن الذي اعتقد انه التفسير الصحيح ، او المفتاح الصحيح ، لشخصية ماوتسي تونج وكفاحه ، ينحصر في علة أمور :

الأمر الأول : هو انماوتسي تونج ،وان كان قد اعتنق مذهبا سياسيا معينا، وهو المذهب الماركسي ، الا انه منذ فجر حياته وهو على خلاف حاد مع اساطين هذا المذهب وقادته • اختلف اولا ـ منذ سنة ١٩٢٧ ـ مع الحزب الشيوعي الصيني ، وانشق عنه ، وهاجر بفكره الخاص به الى« كيانجسي» حيث حاول ان يقيم اول « ولاية » ينظمها طبقا لفهمه وفلسفته • وبسرعة اقام مايشبه نظاما للحكم وكون جيشا من الفلاحين • وصمد في هذه الولاية يقاوم هجمات « شيانج كاي شيك » المتلاحقة ، بملايين من الجنود ، وبقادة استوردهم من انبغ جنرالات المانيا مثل « فون سيكت » وامثاله • وبعد مقاومة طويلة عنيدة، اتخذ ماوتسي تونج ثاني اخطر قرار في حياته ـ بعد انفصاله عن الحزب الشيوعي الصيني ـ وهو : الزحف الطويل •••

لقد قرر ان ينتقل بجيشه و « دولته » ورجاله ونسائه واطفاله من هذه المنطقة السهلة المنال ، الى اقصى شمال الصين ، في مقاطعة « شنسي » •

ان ملحمة الزحف الطويل صارت من اشهر واعجب احداث التاريخ •فان تحرك كيان باكمله ، يتكون من حوالي مائة الف رجل وامرأة وطفل ، حوالى ستة آلاف كيلو متر ، في حالة قتال دائم ، ومطاردة مستمرة ، عابرين قلب القارة الصينية كلها ، امر يعلو على كل خيال • حرب طول الطريق ، مطاردة بالطائرات مستمرة ، عبور ١٢ نهراً من اخطر انهار الصين واعرضها واسرعها

موجا ، وعشرات الجبال الثلجية ، فان لم تحاربهم الجيوش النظامية ، حاربتهم القبائل الغريبة ، وهاجمتهم الامراض،والسائرون عبر هذا ليس جيشا مقاتلا كله ٠٠ بل مقاتلون بزوجاتهم وامهاتهم واهلهم ، واوراق « دولة صغيرة » ، وكل تعقيدات الحصول على سلاح ، وطعام ، وذخيرة ، امور لا يمكن ان يجمعها اى مخرج سينمائى ٠

اى قيادة تلك التى تجمع كل هذا مترابطا ، طوال سنة كاملة متواصلة؟ اى تصميم ؟اى روح ؟ اى آلام عاشت قرونا فى الصين فاعطتهم هـذه الدفعة المذهلة ؟ واخيرا اى تفاؤل واى أمل ؟

ولكن هذه المعجزة البشرية تمت ٠ كان ماوتسي تونج يبحث عن قاعدة تمنحه هدوء نسبيا ٠ ولكن لا بد انه كان يبحث ايضا عن فترة « حضانة » لأفكاره ، وامتحان لقدرته على تنظيم الفلاحين ٠ولا شك انه كان يرى المستقبل من خلال منظار يمنحه كل هذه الثقة ، وقد صدق حدسه فيها الى حد بعيد ٠

هناك عاش ماو ورجاله سنوات فـى الكهوف ، وفـى القتال ٠ ويصف الكاتب الامريكي « ادجار سنو » الذى كان اول اجنبى يزوره هناك ويصـدر عنه كتابا سنة ١٩٣٥ ، يصف الكهف الصغرى الذى كان يعمل ويعيش فيـه وصفا غاية فى الغرابة والتاثير ٠٠ فهذا الرجل الذى بدا له فى ذلك الوقت حالما،ولكنه وجد فيه ايضا مزيجا غريبا:فهو مقاتل،وسياسى،ومفكر استراتيجى، وفيلسوف ، وشاعر جيد ، وقارىء يحرص على ان تصل اليه فى كهفه البعيد اهم الكتب والصحف الحديثة ٠

ومن هناك قاتل ماو قتالا مستمرا ضد شيانج كاى شيك ،ثم ضد اليابان من سنة ١٩٣٥ حتى سنة ١٩٤٩ ، حين دخل « بكين » على رأس قواته ٠٠٠بعد اربع وثلاثين سنة من القتال ، وتعليم الفلاحين ، وتدريب الافراد ، مبتكرا نظريات وتطبيقات فى حروب التحرير الشعبية،صارت نموذجا،درسه وطبقه من بعده الكثيرون ٠٠٠

وكانت المعارك فى سنواتها الاخيرة تدور بين جيوش يصل تعدادها الى الملايين ٠٠ ولم يكن فى جيشه قائد محترف واحد ، ولكنه انتج فـى الساحة قادة على اعلى المستويات سياسيا وعسكريا ٠

وكان فى أساس تعاليم ماوتسى تونج ان الفرد اهم من السلاح ٠ وان العقيدة اهم فى اى معركة ٠ وانه بدون ذلـك لا يمكن لشعب فقير ان يكسب معركته ضد دول قوية ٠ اذكر هذه النقطة لأننا سنجدها تلعب دورا هاما بعد ذلك ٠٠٠

ولا شك ان ماو قد خلق فى جنوده هذه الروح ٠

واننا لنذكر ايام حارب امريكا فـى حرب كوريا ، كيف ان الامريكيين ظنوا ان الجنود الصينيين يذهبون الى المعركة مخدرين ، اذ كانـوا يهجمون بصدورهم على الدبابات الحديثة موجات بعد موجات رغم كل الضحايا حتى انتصروا على الجنرال ماكآرثر اعظم القادة العسكريين الذين انجبتهم امريكا٠٠ ٠٠ المهم ، بعد هذا الاستطراد فى تفاصيل يسيرة عن هذه الحياة الضخمة ،انه كان طوال كل هذه المراحل مختلفا على الدوام مع التفسير السائد للنظرية



ماوتسي تونج
عام ١٩٢٠

الماركسية ، والذين كانوا وقتها يعتبرون اصحاب حق هذا التفسير ،اى الاتحاد السوفيتي ، وذلك خلال حكم ستالين بالذات ٠٠

الان، حيث نشرت معلومات كثيرة، يتبين ان الاتحاد السوفيتي كان يساعد حركة ماوتسي تونج عسكريا بالطبع الى حد كبير ، ولكن ستالين كان لا يثق في قدرته على احراز انتصار كبير حتى يستوعب الصين كلها أو بعضها ، وانه كان يضع اوراقه السياسية على « الكيومنتانج » وزعيمه شيانج كاى شيك ، خصم ماو اللدود ٠ وانه كان يرى ان افكار ماوتسي تونج ليست ماركسية ، وأساليبه غير مجربة ، وبالتالى فهي حركة لن يكتب لها النجاح ٠٠٠

٠٠٠ ونعرف ان هذه العلاقات التي كانت تبدو اخوية ، كانت تمر بصعوبات وخلافات شديدة ، وشكوك متبادلة لا آخر لها ٠٠٠

فكان هذا المارد قد التقط خيطا ثم اخذ يطوع فيه ويتفرع به ، بما يناسب ظروف الصين التى تخالف ظروف الدول الأوروبية التى انتجت هذه النظرية ، اختلافا كبيرا ٠ وانه كان لديه من الجراة والشجاعة والاستقلال بالراى ما يجعله يجاهر بهذا الاختلاف ، ويمارسه ، ويتصرف على اساس فكره هو ، حتى لكانه فكر آخر تماما ، ومتى ذلك ؟٠٠٠ منذ كان مناضلا مستضعفا، ليس لديه ما يضفى على تفكيره المهابة التي تضفيها القوة والسلطة ، كما اصبحت تضفيها بعد ذلك حين أصبح حاكما لقارة الصين كلها ، ولربع سكان العالم باسره ٠

الأمر الثاني : ان من اهم محركات تفكيرماوتسي تونج ومن اهم المؤثرات في سياساته ، ليس الاتجاه الاجتماعي وحده ، ولكن الاتجاه الوطني أيضا ، اى الوطنية الصينية المتطرفة ٠

والتصرف بناء على الفكر الوطني امر يرفضه الماركسيون ، خصوصا التقليديون منهم ، ويعتبرونه ظاهرة زائلة ٠ وان ما يحكم الصراع العالمي هو الصراع الطبقي ٠ وفي هذا تتوحد الطبقات ايا كانت جنسياتها ٠ وهذه احدى الثغرات الاساسية في الفهم الماركسي للتاريخ وفي النظرية الماركسية ٠ واذا كنت اتعرض لهذا الامر هنا في تبسيط مخل ، فلان الحديث فيها يطول ٠ولان ماقصدته هنا ليس اكثر من ان أسجل هذه الحقيقة بالنسبة لماوتسي تونج بالذات ٠٠٠٠

فالبديهية الماركسية التى كانت ترى انه اذا تولت السلطة فيها دكتاتورية البروليتاريا ، زالت بينها الفروق والخلافات تماما ، ولا يتصور وقوع خلافات بينها ، وبالتالي ينتهي اكبر سبب من اسباب الحروب ٠ هذه البديهية ثبت بطلانها في تطبيقات حديثة ومعاصرة كثيرة ٠ ولكن كان اضخمها واهمها بغير

شك الخلاف الصيني السوفيتي ،الذى شق المعسكر الشيوعي شقا بركانيا عنيفا، والذى جعل الصين على مسافة متشابهة في البعد والقرب بين روسيا الشيوعية وامريكا الراسمالية ٠وصار هذا مفتاحا من اهم مفاتيح سياسة الصين ،وبالتالي من اهم مفاتيح السياسة الدولية وتوازن القوى في العالم كله ٠ بل ان هذا الحدث هو بالتاكيد اهم حادث ترك بصماته على العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الان ٠

ولا نجد هذا الدليل على ان الفكرة الوطنية كانت عميقة في فكر ماوتسي تونج وحركته في الكثير من أقواله فقط ، ولا في اشتعال الخلاف مع روسيا على قضايا « مظهرها » ايديولوجي ، في حين ان الكثير منها يمس المصلحة الوطنية للصين : فنقطة الانفجار الاولى كانت رفض روسيا اعطاء الصين اسرار صنع القنبلة الذرية في حين كانت الصين ترى ان هذا من حقها كدولة كبرى ٠ ثم وصلت نقط الخلاف الى معارك صغيرة على رسم الحدود بين الدولتين ، وتحت اى ظروف سابقة رسمت هذه الحدود ٠٠٠

ولا نجد هذا ايضا فقط في كلمة ماو المأثورة عن ضرورة « السير على قدمين » ومن تطبيقاتها العديدة ، الاستفادة بأحدث ثمار العلم وفي نفس الوقت الاهتمام باقدم وسائل المعرفة ٠٠٠ ابتداء من العلاج بالابر ٠٠ وانتهاء بالتنبؤ باقتراب وقوع الزلازل ليس فقط بالاجهزة العلمية ولكن بما كان يسترشد به الناس من مئات السنين ، كخروج الافاعي من جحورها ، وتغير درجة حرارة الماء في بعض البحيرات والانهار ، وقد نجحوا عن هذه الطرق القديمة في تحديد موعد الزلازل الاخيرة قبل شهرين من وقوعها ، وقبل ان يتوقعها اى مرصد في العالم ٠٠٠

في هذا كله نجد آثار الوطنية الصينية العميقة ، كما نجدها في مجمل الفكر الماوى وفي استنباط لأهم أفكاره وشعاراته من احدث ومن أقدم المنابع على السواء ٠٠٠

وقد يدهش الكثيرون اذا عرفوا ان المزارع الجماعية الضخمة على طريقة « الكوميون » قد عرفتها الصين في عهود الاباطرة منذ ثلاثمائة سنة ٠٠ احيانا بتهجير الفلاحين ووضعهم في مزارع جماعية واسعة على مناطق الحدود المهددة بالغزو ، كنوع من الدفاع عن قارة الصين ٠ واحيانا بسبب الطبيعة البالغة القسوة ، فتضطر السلطة تحت تاثير الفيضانات احيانا والسيول احيانا اخرى او القحط والجفاف الى تهجير الفلاحين بنفس المنطق الى اماكن يمكن زراعتها ومواصلة الحياة فيها ٠

وقد يدهش الناس ايضا اذا عرفوا ان هناك حالات من سيطرة الدولة على الانتاج جرت في الصين دون غيرها من بلاد العالم قبل ألفي سنة ٠

والواقع ان من يدرس تاريخ الصين، ويتأمل حضارتها ، بل وجغرافيتها، لا يسعه الا ان يدرك كيف ان هذه القارة اشبه بأن تكون دنيا قائمة بذاتها ، لها خصوصيتها الفذة من بين كل بلاد العالم ، وبالتالي كان لا بد لهذا كله ان ينعكس على حياة شعبها ٠ وفكر مفكريها ، وسلوك ابطالها ٠ وتسقط الغرابة عن كثير من تصرفات ماوتسي تونج ٠

فالصين ـ كما هو معروف ـ يبلغ سكانها ربع سكان الارض ، حوالي

٩٥٪ منهم اصل عرقي واحد ، ولغتهم واحدة ، فهم ليسوا كالهند مثلا • ومن حيث مساحتها اشبه بقارة كاملة • فهي حاليا مثلا مقسمة اداريا الى ٢١ مقاطعة ، كل مقاطعة في حجم دولة مثل فرنسا أو انجلترا أو ايطاليا ، مع كثافة أكبر في عدد السكان •

وفى الصين خمسة آلاف نهر •

وحولها الفان من الجزر •

وفيها اضخم عدد من سلاسل الجبال الهائلة ، والمسطحات العالية •فخمس مساحة الصين يرتفع في المتوسط ١٥ر٠٠٠ قدم عن سطح البحر •••

ثم ان لها اربعة آلاف سنة من الحضارة المستمرة ، المستقلة ، اى انها ليست حضارة بادت وانقطعت كحضارة الفراعنة فى مصر او الاغريق فى اليونان مثلا • ولكنها مستمرة ضعيفة او قوية ، ولكنها مستمرة • موحدة او مجزاة ، لكنها مستمرة • ثم انها مستقلة ، اى انها معظم هذه الآلاف الاربعة من السنين كانت منقطعة الصلة عن العالم •يعتقد اهلها انهم «المملكة الوسطى» فى الدنيا وان كل من خارجهم ، برابرة متخلفون •

وفي عالمهم هذا عرفوا اقسى عوامل الطبيعة •الانهار التي تفيض وتغرق الملايين، وأحيانا تغير مساراتها ! الزلازل الهائلة • الامطار الساحقة • الثلوج الكثيفة في القمم • الجفاف المطلق •• الوديان •• الصحارى التى لا آخر لها كصحراء جوبا •



محارب صيني قديم من القرن الخامس عشر

هذا كله ادى الى اشياء كثيرة ، تبدو شديدة التناقض ، كتناقض هذه العناصر •••

ففيها اقدم صراع عنيف ضد الطبيعة الشرسة لاستئناسها •

وبحكم التضاريس فهى قابلة للتقسيم ، وسيطرة قادة الحرب War Lords

كل على منطقة ، وقابلة للتوحيد بحكم وحدة الشعب جنسا ولغة وعزلة عن العالم • ففيها اقدم صراع بين التفكك وبين قيام سلطة مركزية •

وبهذه الموارد والكوارث ـ الضخمة عرفت أغنى الاغنياء ، وأعتى المستبدين ، وعرفت ابشع انواع الفقر والرق وبيع البنات والابناء •

وظهرت فى الصين ، على هذا الحجم الهائل ، او كضرورة لربط هذا الحجم الهائل ، اقدم واعتى واعقد بيروقراطية • حتى ان بعض المؤرخين يرون هذه البيروقراطية ، بحاجتها الطبيعية الى كثرة المكاتبات وحفظ السجلات والاوراق ، كانت السبب فى ان الصينيين هم الذين اخترعوا الورق ، حتى لا يكتبوا اما على قطع الخشب التى لا يمكن حفظها ، واما على الحرير الباهظ الثمن •

وقبل ظهور الانبياء ، عرفت الصين « حكماء » يتركون تعاليم تحكم المجتمع ، ويحاولون القيام بادوار اشبه برسالات الانبياء •• مثل كونفوشيوس وغيره •••

وقد عرفت اوروبا الصين لاول مرة فى القرن السابع عشر • وحاولت الاتصال بها ،وكانت حضارتها عقب عدة اسر حاكمة قوية قد اخذت في التحلل• ذهب الجيزويت يحاولون نشر الكاثوليكية في تلك البلاد الملحدة • وسمحوا لهم بذلك • حتى وجدوا تعارضا بينها وبين طقوسهم فاخرجوهم ••

وعرفت اوروبا بعد ذلك التجارة مع الصين • وقبل اباطرة الصين مبدأ التجارة مع الانجليز وغيرهم على اساس اعطاء هؤلاء البرابرة المتخلفين بعض ثمار حضارة الصين العظيمة !

وبالفعل ان لدى الصين ما تعطيه لاوروبا،ولم يكن لدى اوروبا ما تعطيه للصين • وتحت تاثير تحول ميزان التبادل التجاري بشدة لصالح الصين ، بدأت انجلترا تحاول تعديل هذا الميزان بان بدأت تصدر الى الصين : الافيون الذى كانت تزرعه فى الهند ! •••

بدأ بكميات قليلة •• ثم زادت •• ثم ارادوا زراعته لحسابهم فى الصين نفسها • فلما قاومت الصين ، وصلت اول حملة عسكرية خارجية الى الصين سنة ١٨٤٠ وارغمت الصين على قبول تجارة الافيون •

وكانت الصين تغلي بثورات داخلية وجمعيات متمردة •••

جمعية « السماء والارض » ••••

« ثورة اللوتس الابيض » سنة ١٨٠٥

جمعية « حكمة السماء » سنة ١٨١٢ التى سيطرت افكارها على قطاعات واسعة من الشعب الصينى •

ولكن ، بعد انجلترا جاءت سائـر الدول بقوتها العسكرية ، كـل ينال قسطا من الصين ، وحقا فى التجارة بالقوة • وعرفت الصين مدى قرن كامل بانها شعب الافيون ، وداسها الاجانب بالاقـدام ، وصدر اليها الغرب احـط انواع الفساد والاستغلال والاحتقار ، وأصبح الصينى الفخور طوال أربعة آلاف سنة ، اذل اهل الارض تقريبا لمدة قرن كامل •



كونفوشيوس

فبعد فتح ثغور الصين بالقوة سنة ١٨٤٠ ورغـم الثورات المتعاقبـة ، دخل ماوتسى تونغ بكين منتصرا سنة ١٩٤٩ ، أي بعد قرن تقريبا بالضبط • وقال من شرفة قصر السماء للملايين : اليوم رفع شعب الصين رأسه من جديد •

كان دخول ماوتسى تونج بكين ، سنة ١٩٤٩ ، زلزالا كافيا لهز العالم كله •• وكان قد قارب الخمسين وقد حقق من المجد ما يكفيه ، وقاد ثورة ليس لها مثيل فى حجمها وعمقها وصعابها •

وقد أصبح مدرسة جديدة في السياسة • وصاحب اسلوب مبتكر تماما فى الحرب •

ولم يكن أحد يتصور انه ما زالت تنتظره سبع وعشرون سنة أخرى ، سوف يهز فيها العالم عدة مرات، مثيرا هذه المرات الدهشة وعلامات الاستفهام، التى ما زالت غير مفهومة الى الان ••

كان الطبيعي وقد وصل الثائر الى السلطة ، وأعاد توحيد الصين تحت سلطة مركزية واحدة مرة اخرى ، ان ينصرف بعد ذلك الى تدعيم حكمه ، وارساء الاستقرار ، كما فعلت كل سلطة تحت اى مذهب فى التاريخ كله •

وحين انجز معجزات مثل محو الامية ، وانهاء عهد المجاعات الصينية لاول مرة منذ أربعة آلاف سنة ، وقضى على الذباب ، وجعل الثمانمائة مليون يمارسون الرياضة البدنية فى وقت واحد تقريبا كل صباح ، وصار الصينى

المخدر بالافيون ، رمزا للدأب والعمل والانضباط المسلكي ، ظل كل هذا رغم جسامته « مفهوما » للعالم الخارجي ••

ولكن غير المفهوم ، بدأ حين أخذ ماوتسي تونج يقود الثورة بعد الثورة حتى ضد السلطات والنظم والمؤسسات التى أقامها ••

وأشهر الامثلة ، ثلاثة :

عندما أطلق شعار « دع مائة زهرة تتفتح » •

وعندما أطلق شعار « القفزة الواسعة الى الامام » •

وأخيرا حين اطلق شرارة ما سمي « بالثورة الثقافية » ••

فهو عندما أطلق شعار «دع مائة زهرة تتفتح» ، كان يدعو،فى ظل نظام يقوم على دكتاتورية الطبقة العاملة ، الى ان يقول كل الناس آراءهم ، ويوجهون انتقاداتهم بكل صراحة • وفعلا ، انطلقت الآراء والكتابات وفيها الكثير مما هاجم النظام الجديد بشدة ، فى مظاهره التى تقوم على القهر ، وتوحيد الفكر فى اطار حديدى واحدوفى المساواة المطلقة التى تخالف الطبيعة البشرية •• الى آخره •• وعندما أشار ماو باصبعه أغلق الباب من جديد ، ثم تمت حركة تطهير كبرى دفع ثمنها الذين تحدثوا بغير فلسفة النظام ، كان التفسير البديهى المباشر ان المسألة كانت فخا ذكيا ، نصبه ماوتسي تونج لكي يكتشف كل خصوم النظام الجديد ، ويتخلص منهم • ولكن ابرز المصادر واقربها الي فهم ماو ، اكدت امرا أكثر تعقيدا،وهو أن ماوتسي تونج فوجيء فعلا بهذه الحملات ضد نظامه ! وانه توقع ان تكون الانتقادات كلها من داخل النظام الجديد لا من خارجه وضد أساسياته • ألم يحقق ثورة بالشعب ألم يقض على المجاعة ؟ ألم يطبق مساواة مطلقة ؟

ان هذه الدهشة تشير الى جانب ماوتسي تونج « الحالم » أو « المثالى » والذى يتصور انه يمكن حقا ان يغير الطبيعة الانسانية • وان ايجاد الانسان الفاضل الذى يضحي من أجل غيره هو الهدف الاسمى ، على الاقل أسمى من الرخاء المادى أو السعي الي الظهور والسلطة وغيرها • نفس ما بشر به كونفوشيوس قبل ٢٤٠٠ سنة !

وحين أعلن صيحة « القفزة الواسعة الى الامام » كان يعارض بها كل من له خبرة في اقامة الصناعات الحديثة ، والتخطيط والانتاج وغير ذلك من الاختصاصات •••

لقد قرر مثلا ان كل بيت أو كوخ فى أقصى الريف يمكنه ان ينتج أى كمية مهما كانت تفاهتها من الحديد والصلب ، عماد التقدم الصناعي، واساس البناء فى كل ميدان ، وبحسبة شاعر ـ لا مهندس ـ لو أن ثمانمائة مليون فعلوا ذلك فسوف يقفز انتاج الحديد قفزة هائلة ، وتنبأ بأن الصين ستسبق انجلترا فى غضون خمسة عشر عاما •

هنا مرة أخرى •• ربما كان لهذه الحملة ذات الطابع الانتاجى ، آثار تربوية في تغيير عقلية الصيني الذى يريده ماو • ولكن أغلب تقارير الخبراء تؤكد انها أربكت الاقتصاد الصينى وعرقلت الكثير من أهدافه فى مجالات كثيرة •

على ان أهم وأعجب حدث كان اطلاقه شرارة الثورة الثقافية •

فالذى يمكن استنتاجه من تسلسل الاحداث ان فشل القفزة الواسعة الى الامام أثر فى مركز ماو بين القيادات الصينية ، وكلها شخصيات تاريخية شاركته امجاده كلها عبر عشرات لسنين ، وكل منهم بطل فذ فى حد ذاته •

ولكن ماو لم يعجبه هذا • لم يعجبه تمركز سلطة الحزب الذى أسسه هو بنفسه عبر كل هذه الاهوال ، وخاف من تحوله الى بيروقراطية ثم الى طبقة جديدة • فى حين انه فى قرارة نفسه من دعاة الثورة المستمرة •

اقف هنا عند فقرات للكاتب الفرنسى اندريه مالرو • ان مالرو أكبر اسم ادبى على قيد الحياة فى عالمنا اليوم بغير منازع • وهو مفكر لم يعش رهن القلم والمحبرة فقط • بل حارب عن آرائه فى الصين فى الثلاثينات ، وفى حرب اسبانيا الاهلية قاد الطائرات المقاتلة ، وفى المقاومة ضد هتلر قاد فصيلة من الدبابات • ولكنه مع الزمن تطور الى كاتب محافظ الفكر ، وتاثر بديجول الى اقصى حد ، واصبح وزيرا للثقافة فى فرنسا طوال عهده• ومعرفته بالصين وبماوتسى تونج قديمة •

أهم كتاب أصدره مالرو هو ال Anti Memoires مما يمكن ان يترجم « باللامذكرات » أو«المذكرات المضادة»• وفيه خلاصات هامة لرحلاته الفكرية والعملية ومقابلاته لعمالقة عصره ، ومن بينهم ماوتسى تونغ ، الذى خصص لاحاديثه معه صفحات بديعة •

كانت آخر مرة راى فيها مالرو ماوتسى تونج ، قبيل الثورة الثقافية •• ويروى انه وجد عند ماو ذلك القلق العميق جدا ، الذى يلازم الثوريين والمصلحين ، من ان حرارة الدعوة بعدهم تخبو ، ومثالياتها تعود الى عالم الطبيعة البشرية • فمن يضمن له ان لا يخرج بعده خروشوف آخر يلعنه كما لعن خروشوف ستالين ؟ •• ومن يضمن له ان المساواة المطلقة لن تعود الى تقسيمات البشر المعروفة عبر كل العصور ؟ والشباب الذى لم يشهد الثورة ، ولا الحرب الاهلية ، ولا اسطورة الزحف الطويل ؟

كان ماو جالسا ، كما يصف مالرو اللقاء ، بين أكبر رجالات الصين •• والكل صامت تماما يتسقط كل كلمة تبدر من فمه ليحاول استنتاج ما فى ذهن الرجل الذى صار اسطورة بدرجة لا تقاوم •

وبعد ان تحدث عن هذه الهموم ، همس فى اذن مالرو « لا بد من وضع الشباب موضع الامتحان » !

وهمس فى اذنه مرة اخرى « انا وحيد •• مع الجماهير ! » وهو حكم غريب على من حوله •

وبعد شهور انطلقت شرارة الثورة الثقافية ••

اطلق ماو تلاميذ المدارس الثانوية والجامعات يهاجمون وبتشجيع واضح منه ، أكبر رجال الدولة •• وأقدم الثوار •• وأعمدة الحزب الحاكم ، وابتكروا صحافة الحائط •

ولم يفهم أحد كيف يدمر ماو الابنية التى اقامها ، ويطلق عليها الشباب على هذا النحو ! وعندما كادت الامور تفلت وحققت المطلوب وتجاوزته ، تراجع الحالم فى شخصيته وتقدم العملى الى أقصى الحدود ، وقام الجيش ، اداته القوية ، باعادة النظام الى نصابه •• بعد زلزال غريب لا نظير له وتجربة فى بلد تعداده ثمانمائة مليون !



ولكن من يقرأ تاريخ الصين جيدا ، يجد لكل ما فعله و « ابتكره » ماو اصولا في هذا التاريخ ، فرفض الصيني مثلا لاى معونة اجنبية حين حدث الزلزال الأخير ودمر مدنا كاملة ،تصرف صينى قديم يانف من اطلاع «الخارج» على شئونه • واشهر ما عرف به ماو،وهو فلسفته في الحرب الشعبية،بكلماته التي اصبحت دستورا « اذا هاجمنا العدو ، نتراجع • واذا توقف نزعجه•واذا تعب نهاجمه ، واذا تراجع نتابعه »هذه الكلمات نجدها تقريبا بحروفها في كتابات اقدم مفكر استراتيجي في العالم ، الصينى « سن تزو » منذ ٢٥٠٠ سنة ، عن كيف يهزم جيش ضعيف قوة اكبر منه •

ان مشكلة ماوتسي تونج بغير شك هي انه بعد كل ما فعل وصل الى حد محاولة تغيير الطبيعة الانسانية تغييرا أبديا ، فهو كما قال مالرو « كان كانه يحارب الطبيعة •• ويحارب الصين •• ويحارب حزبه •• ويحارب نفسه • وكان عقله يعيش في وحدة لا مثيل لها ! » ولكنه العقل الذى قال عنه كيسنجر : انه أقوى عقل صادفه في حياته •

وكان طبيعيا ان يوجد هذا خلافات عنيفة ، فليس طبيعيا ان يسقط ليوتشاو تشي أقدم رفيق له ، ورئيس الدولة ، في الثورة الثقافية • وان يحاول خليفته الذى اختاره بنفسه ، لين بياو ، اغتياله ، فلما فشل حاول الهرب بالطائرة ، ولكنها سقطت به محترقة • وان يعيد « تنج هسياوبنج » ـ ٧٢ سنة من النضال ـ ويعطيه كل السلطات بعد وفاة شواين لاى ، ثم يسقطه بابشع تهم الانحراف بعد شهور ••

ولذلك ، فلا مفر ، وقد مات ماو دون وريث ظاهر ، من صراع عنيف على كل هذه القضايا العنيفة التي طرحها ماو • فقد ترك قادة مجربين محنكين لهم رأيهم الواقعي المخالف له في أمور كثيرة ، وترك نارا ملتهبة في صدور ملايين تراه الها ، وتريد ان تمضي بفكره الى نهاياته •• ولا بد ان يحتدم الصراع ••

وليس صدفة ان اخر معارك ماوتسي تونج كانت الحملة ضد كونفوشيوس، الذى مات منذ ٢٤٠٠ سنة ، والذى شكل حياة الصين ومعتقداتها الى الان • فرغم كل ما دعا اليه من فضائل ، خصوصا فكرة ماو الجوهرية في امكانية ايجاد الانسان الفاضل الطاهر المنزه ، بحجة أن لديه أفكارا رجعية عن المراة، وعن عبادة الآباء ، وغير ذلك ••

انه ، في اطار التقليد الصينى ، يريد ان يمحو ما قبله من رسالات •• ويكون للصين آخر الانبياء ••

وما قلت عن مئات القضايا الفلسفية والفكرية والعملية التي تثيرها حياة ماو •• شيئا يذكر •• ولا اخذت سوى حفنة من هذا البحر الهائل الهائج الذى ليس له قرار ! فالقصة أطول واعقد من ذلك بكثير •

لقد كان هم ماو الاكبر هو كيف يضمن ان افكاره يمكن ان تعيش بعده الافا اخرى من السنين •

معه حق • فالامتحان الحقيقي لحياة وافكار اى زعيم وفيلسوف ••هو مدى بقائها بعد ذهابه.!

احمد بهاء الدين

« العلم يحرسـك •• وأنت تحرس المـال »

« امـام عـادل •• خـير مـن مطر وابـل »

« سـخط الخاصة يُغتفر مع رضى العـامة »

القيادة السياسية في فكر علي بن أبي طالب

بقلم : كمال المنوفى

■ قدر للامام على أن يربى فى كنف النبوة منذ طفولته حيث تعهده الرسول عليه الصـلاة والسلام وهو فى السادسة من عمره •

ومنذ بدأ الرسول يدعو الى الدين الجديد ، نجد ..يا لا يبارحـه • فقد أقبـل على الدين الاسلامى عن رضى واقتناع ، منتقلا بذلك الى عالم جديد من المثل والقيم • ثم هو بعـد ذلك يقف بجوار الرسول فى وقت الشـدة ، يؤازره ويسانده • وعقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان تولى على أمر الخلافة فكان بذلك رابع الخلفاء الراشدين • وكانت وفاته نهاية لمرحلة الخلافة الراشدة فى التقاليد الاسلامية •

ولا شك أن هذه الخـبرة كان لها أثرها فى الفكر السياسى للامام حيث تعكس معاناة ، واتساع افق ، وبعد نظر • ومن معايشة ما هو متوافـر لدينا من خطبه ورسائله ، يتبين لنا مدى خصوبة هذا الفكر وتعدد كلياته • وربما كانت ظاهرة القيادة السياسية واحدة من أهم هذه الكليات • فقد اختصها على بالكثير من اقواله ، فضلا عن ان كلامه بشأنها له دلالته المعاصرة • ومن هنـا تنبع أهمية دراستها •

لقد تحدث على فى هذا الخصوص عن أهمية الحاكم الفاضل وصفاته ، والمبادىء التى ينبغى ان يرتكز عليها حكمه ، ثم سياسته نحو نفسـه وعماله ورعيته واعدائه • وهذا ما سـنحاول جاهدين أن نوضحه •

الحاكم الفاضل : أهميته وصفاته

يرى على لزومية وجود الحاكم داخل الجماعة، لان الرعية كالشـاة فى حاجة الى راع يدبـر شئونها ويسيِّر امورها • وصلاح الرعية يتوقف على صلاح الحاكم • ولذا فان اختفـاءه كفيل بتدنى الجماعة السياسية وتنكبها سبل الرشاد •

ويحدد علي شروط الحاكم الفاضـل بقوله « لا ينبغي ان يكون على امامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق » .

وهكذا يجب فيمن يتولى امر المجتمع الاسلامي ان يتحلى بالصفات الآتية :

– العلم : يعلق علي اهمية كبيرة على العلم واهله فهو يقول « أشرف الاشياء العلم » « العلم خير من المال » « العلم يحرسـك وأنت تحرس المال » .

– الكرم : لا بد أن يكون الحاكم كريما ، أي قانعا بما عنده ، زاهدا فيما عند النـاس لأن تحقق ذلك الشرط يجلب له رضى الرعية ويضمن له طاعتها .

– الوصل : يقتضي التسيير الفعـال للعملية السياسية استمرار الوصل بين الحاكم والمحكوم حتى يكون الاول على علم بمطالب الثاني ويكون الثاني محيطا بسياسات الاول . هذا بينما تكون المجافاة مدعاة لخلق فجوة بين الاثنين على نحو يهدد سلامة الجسد السياسي وانسجامه .

– النزاهة : على الحاكم الا يجعل من الرشوة سبيلـه الى تسيير امور الرعيـة حتى لا تضيع الحقوق . وبدلا من ذلك يجب ان تكون الـكفاية معياره الاساسي في هذا الخصوص حتى تتولد ثقة المحكومين في شخصه وتتدعم شرعية سلطته .

– الهيبة : يلزم ان يكون الحاكم قوي الشخصية ، مهيب الجانب في مواجهة الدول الأخرى لان ذلك يكسب دولته سموا في المكانة ويجعله حرا في تحديد سلوكه الخارجي .

الحاكم الفاضل : مبادىء حكمه

– مبدأ العدالة :

جعل الامام علي من العدالة ركيزة أساسية للحكم الاسلامي الصالح . فعلى حد قوله « امام عادل خير من مطر وابل » .

ومعنى ذلك انه لا بد ان تكون تصرفات الحاكم مطابقة دوما لمقتضيات العدالة وذلك ضمانا لحسن السمعة ومنعا لانهيار الحكم من ناحية ، وتحقيقا لاستقرار المجتمع واستقامة احـوال الرعية من ناحية أخرى .

– الشـورى :

يقول الامام علي « لا صواب مع ترك المشورة » من ذلك يتبين أن عليا يؤمن بضرورة لجوء الحاكم الى الشورى كلما عنت له مشكلة تمس مصلحة الجماعة ، لان المشورة تفتح عيـونه على خبايا المشكلة وابعادها بشكل يساعده على التوصل الى القرار الملائم لحلها .

ورغم تسليم الامام بلزومية المشورة ، يقيدها بحيث لا تبلغ حد الخلاف الذي يعني فقط مجرد العناد والمكابرة ، لان ذلك لا يؤدي الى ايضاح الامر وانما الى اختفاء معالمه . واقوال الامام في هذا صريحة « كثرة الآراء مفسدة كالقدر لا تطيب اذا كثر طباخوها » « كثرة الجدال تورث الشك » .

وليست الشورى – في رأي علي – حقا لـكل المسلمين . اذ يجب حرمان البخلاء والجبناء من ممارسة هذا الحق . فالبخلاء والجبناء يجمعهم سوء الظن بالله تعالى حيث البخيـل منطلقـه المصلحة الخاصة ، والجبان منطلقه الخوف .

وتمر الشورى – عند علي – بمرحلتين :

المرحلة الأولى : وفيها تعرض المشـكلة على الشبان لانهم – كما يقـول علـي – أحدُّ اذهانا وأسرع حدسا .

المرحلة الثانية: وفيها تردُّ المشكلة الى الشيوخ لابداء آرائهم التي تعكس في العادة خبرة وحكمة.

سياسة الحاكم الفاضـل

هذه السياسة متعددة الابعاد ، وسنتناول هنا كلا منها بشيء من الايجاز :

١ – سياسة الحاكم نحو نفسه

هذه السياسة تحكمها قاعدتان :

على الحاكم ان يحجم عن كل ما يذهب بعقله. ولقد قال الامام محذرا صاحب السلطان « اياك

والشهوات فانها ملهية لعقلك ، مهيجة لرايك ، شائنة لعرضك شاغلة لك عن معاظم أمورك » •

الحاكم مدعو ومطالببتعليم ذاته وتقويمها قبل تعليم رعيته وتقويمها •

٢ ـ سياسة الحاكم نحو عماله

يجب أن يسترشد الحاكم فى اختياره لعماله بالقواعد الآتية :

الكفاية ، وليست المحاباة والاثرة هى معيار الاختيار •

يفضل أهل التجربة والحياء •

يؤخذ فى الاعتبار أيضا عند الاختيار الخصال الحميدة مثل الحلم عند الغضب والرافة بالضعفاء والشدة على الأقوياء •

٣ ـ سياسة الحاكم نحو الرعية

جاء فى الرسالة التى بعث بها الامام على الى الاشتر النخعى حينما ولاه على مصر ما يلى :

« ليكن أحب الامور اليك اوسطها فى الحق واعمها فى العدل وأجمعها لرضى الرعية ، فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة ، وليس احد من من الرعية اثقل علىالامام مؤونة فى الرخاء واقل معونة له فى البلاء من اهل الخاصة وانما عمود الدين وجماع المسلمين العامة من الأمة » •

كذلك جاء فى الرسالة التى بعث بها الى محمد ابن ابى بكر حينما ولاه امر مصر ما يلى « البس لهم جلبابا من اللين ، تشوبه بطرف من الشدة وداول بهم بين الرافة والقسوة ، ثم بين التقريب والابعاد » •

من ذلك يتبين ان سياسة الحاكم تجاه رعيته يحكمها أمران :

الرضى :

السلطة ليست فقط طاعة ولا تتضمن فقط الاكراه وانما هى فوق هذا وذاك تعبير عنحقيقة شرعية • السلطة الشرعية هى السلطة التىيمتثل لها الافراد اراديا دون ما ضغط او الزام أى هى السلطة المستندة الى أساس عريض من الرضى •

لا غرو اذن أن يقرر الامام على صراحة انتصرفات الحاكم يجب أن تكون محققة لرضى العامة حتى ولو كان ذلك على حساب سخط الخاصةلان هذا الاخير يغتفر مع تحقيق رضى الاغلبية • بينما لا جدوى من رضى الاقلية مع سخط الاغلبية• وهكذا ارسى الامام مبدأ الاغلبية اساسا للحكم الفاضل •

بيد أن الامام لم يقتصر فحسب على حد تأكيد مبدأ الرضى ولكنه تعرض لبيان السبل التى يستطيع عن طريقها الحاكم ان يجلب رضى الرعية ومنها :

ـ تطابق التصرفات مع مقتضيات العدالة •

ـ احترام القيم والسنن الصالحة السائدة فى الجماعة والمحققة لتآلف افرادها والاحجام عن كل ما قد يتعارض مع هذه القيم والمثل •

ـ تأخير العقاب وتعجيل المكافأة : لان فى التأخير امكان الصفح ، وفى التعجيل استجلاب الطاعة • وكلاهما مولد للرضى •

ـ عدم الاحتجاب عن الرعية : لان فىالاحتجاب اثارة للضيق والضجر •

مبدأ التوفيق :

يرى الامام أن مبدأ التوفيق يجب أن يحكم تصرفات المرء حاكما كان او محكوما •

ومن ثم يتعين أن تكون سياسة الحاكم تجاه محكوميه قائمة علىأساس المزج بيناللين والشدة، والرأفة والقسوة ، ثم التقريب والابعاد •

قوة العلاقة بين الوالى والرعية

يقول الامام على « اعظم ما افترض الله سبحانه من الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها الله لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم ، فلا تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ، ولا يصلح الولاة الا باستقامة الرعية • فاذا ادت الرعية الى الوالى حقه وادى الوالى اليها حقها عز الحق بينهم واعتدلت معالم العدل وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء ، واذا غلبت الرعية واليها او اجحف الوالى برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور » • ■■

كمال المنوفى



● خرافات اقتصادية شائعة

« ٣ »

هل صحيح أن التنمية تؤدي الى مزيد من السعادة ؟

بقلم : الدكتور جلال احمد أمين

■ ليس من المستغرب أن نجد الاقتصاديين المهتمين بقضية التنمية والتخلف لايحاولون الا نادرا اثارة السؤال الاتى : « لماذا نريد التنمية؟ فالعادة ألا يحاول منهم اثارة هذا السؤال والاجابة عليه الا اصحاب النفوس التى تتمتع ببعض الحساسية ، وهم نادرون فى هذا العصر بصفة عامة ، وبين الاقتصاديين بوجه خاص . فاذا أثاره بعضهم فهم عادة من هؤلاء الاقتصاديين الذين لا يعتبرون من قبيل اضاعة الوقت قراءة مقال فى الفلسفة أو كتاب فى التاريخ قبل النوم.

على كل حال ، فان واحدا من هؤلاء الاقتصاديين النادرين هو الاستاذ آرثر لويس ، الذى كتب ما اعتبره من افضل ما كتب عن البلاد الفقيرة (المتخلفة) ، وهو ينتمى الى احدى هذه البلاد وان كان يحمل الجنسية البريطانية ، كما انه واحد ممن يمكن ان تقرأ اى شيء يحمل اسمه وانت مطمئن الى انه سيقول شيئا جديدا.

فالفصل الاخير من كتابه « نظرية النمو الاقتصادى » الذى نشر منذ نحو ربع قرن ، يحمل هذا العنوان بالضبط « لماذا نريد التنمية؟» وما زال هذا الفصل بسبب جودته ، فضلا عن قلة عدد المشتركين فى الجدل، يعتبره الاقتصاديون اجابة كافية على من قد تسول له نفسه التساؤل عما اذا كان من المجدى حقا السعى الى التنمية اصلا .

يقول الاستاذ لويس فى هذا الفصل أن من العبث الادعاء بأن مبرر التنمية انها تجعل الناس اكثر سعادة . فالسعادة كما يعرف الجميع ، تتوقف على اكثر من مجرد زيادة الدخل ،فهناك مثلا الشعور بالاطمئنان على المستقبل ، وهناك

الحرية ، وهناك نوع العلاقات الاجتماعية السائدة، بل وحتى مجرد « الرضا بالنصيب » وكلها قد لا تتغير بزيادة الدخل بل وقد تؤثر فيها زيادة الدخل تأثيرا سلبيا • وانما تستمد التنمية الاقتصادية (او زيادة الدخل) تبريرها ، في رأيه ، من انها تزيد من حرية الاختيار • فهي من حيث انها تؤدي الى انتاج سلع جديدة لم تكن تنتج من قبل ، واصناف جديدة من السلع القديمة ، تتيح للفرد حرية اكبر للاختيار بين عدد اكبر من السلع • كما انها بما تؤدي اليه من اشباع الحاجات الاساسية ، وما ترتبط به من احلال الآلة محل العمل الانساني ، تسمح للفرد باختيار أوسع بين العمل والفراغ ، اذ لا يغدو الفرد مضطرا الى العمل ، اوعلى الاقل الى العمل نفس العدد الكبير من الساعات • بل ان الفراغ نفسه يحمل في طياته معنى اتاحة مزيد من الحرية في اختيار ما يرغب المرء حقيقة في صنعه • وينطبق هذا على الاخص على المرأة ، التي يحررها مزيد من ميكنة الاعمال المنزلية من الاضطرار الى البقاء داخل المنزل ، فتخول لها حرية الاختيار بين البقاء فيه أو العمل خارجه • بل ان من الممكن القول ان التنمية ، بما تؤدي اليه من تخفيض معدل الوفيات تتيح حرية اكبر للفرد خلال حياة اطول ، اذ يصبح « الاضطرار الى الموت » اقل شيوعا مع التنمية !

ويحق لنا ان نتساءل عما اذا كان الذي حدث بالفعل ، مع ارتفاع معدل النمو وزيادة السلع والخدمات وتعدد اصنافها ، هو أننا قد اصبحنا اكثر حرية حقا ؟

فانتاج هذا العدد اللامتناهي من السلع الجديدة لا ينطوي دائما على اضافة الى السلع القديمة ، بل هو في كثير من الاحوال مجرد احلال لسلع محل أخرى • فبعض السلع لم تعد تنتج على الاطلاق ، أو اصبح انتاجها من الضآلة والمانها من الارتفاع بحيث اصبحت في عداد « الاثريات » وخرجت عن متناول أيدي الغالبية •

فليس لمعظم الناس اليوم حرية الاختيار مثلا بين تأثيث مساكنهم وفقا للطراز الاوروبي أو الامريكي الحديث أو الطراز العربي القديم ، أو بين بناء مساكنهم طبقا لهذا الطراز أو ذاك • وليس أمامهم ، مع الارتفاع الفاحش في أسعار الاراضي في المدن ، حرية الاختيار بين ان يكون لمنازلهم حديقة واسعة أو عدد اكبر من الحجرات أو بين مسكن مستقل وشقة في عمارة ضخمة • ومع التغير السريع في الموضوعات ليس فقط في الملابس بل وفي سلع الاستهلاك المعمرة ، كالسيارات والثلاجات، كثيرا ما يكون من المستحيل أن يتمسك الفرد باستهلاك الطراز القديم ، مهما كانت مزاياه الذاتية ، ليس فقط بسبب ضغط الرأي العام الخاضع لمصالح المنتجين، والذي يعتبر التمسك بالقديم دليلا اما على الرجعية او عدم العصرية و فساد الذوق او قلة الدخل ، بل ايضا بسبب صعوبة العثور على هذا « القديم » اصلا او على قطع الغيار اللازمة له أو على من يقبل اصلاحه •

لقد اعطتنا التنمية السيارة ، ولكن السيارة اعطتنا المدن الكبيرة ، كما حتمت المدن الكبيرة اقتناءها ، فلم يعد لساكن المدينة الكبيرة حرية الاختيار بين ان يقطع عشرات الاميال بالسيارة او بالسير على الاقدام •

وهناك من السلع الجديدة ما أحدث انقلابا خطيرا في عادات الناس الاجتماعية بحيث أصبح الامتناع عن استهلاكها يعد ضربا من الشذوذ يحتاج اما الى ارادة حديدية او الى انفصال شبه تام عن المجتمع • ففي نفس الوقت الذي اقتحم فيه التلفزيون مساكننا تغيرت طريقة الناس في قضاء اوقات الفراغ بحيث اصبح حديث الزوج الى زوجته او الى اولاده من الاحداث النادرة ، اذ من اين للاب نفس الاغراء الذي يجده اطفاله في الرسوم المتحركة الملونة ؟ قد يقال ان هذا التحول من العلاقات الانسانية المباشرة الى الاتصال بالعالم ، كل على انفراد ، عن طريق شاشة التلفزيون ، قد تم عن طريق اختيار حر اتخذه الناس بانفسهم ، والا فما كان عليهم الا ان يستمروا في ممارسة عاداتهم القديمة ، فيتحادثوا اذا شاءوا او يذهبوا الى المسارح أو يطالعوا الكتب • ولكن الواقع ان هذا الاختيار لم يكن حرا • فالتلفزيون وكثير غيره من السلع الاستهلاكية الجديدة ، تتميز بأن استهلاكها سرعان ما يولد ما يشبه الادمان ، بحيث يصبح من أصعب الامور التخلي عنها حتى مع التيقن من ضررها • فكما أن البدء في مشاهدة فيلم من الافلام البوليسية قد يجرك دون ان تشعر الى

مشاهدته حتى النهاية شاعرا مع ذلك بالاسف على ضياع الوقت فيما لا نفع فيه ، فان الجلوس امام التلفزيون او ركوب السيارة او حتى مطالعة الجريدة اليومية سرعان ما يتحول ، كفنجان القهوة في الصباح ، الى عادة يصعب التخلص منها .

وقد أصبح المنتجون وحلفاؤهم في صناعة الاعلان ، يتفننون في ابتداع الوسائل التي من شانها ان تحوّل حرية المستهلك في الاختيار بين سلع متعددة الى علاقة ارغام من ناحية وخضوع من ناحية اخرى ، ليس من السهل الفكاك منها . (ومع هذا ما زال الاقتصاديون يتكلمون عن « سيادة المستهلك ») فالرجل لا تكتمل رجولته الا اذا ارتدى ثيابا من نوع معين ، والعطش لا يرويه الا الكوكاكولا ، والسيجارة لا يمكن اشعالها الا بولاعة ، والنوم لا يمكن الحصول عليه الا بالحبوب المهدئة ، والاعياد لا تتم بهجتها الا ببطاقات التهنئة وبتبادل الهدايا الباهظة القيمة والقليلة النفع .

لقد مر بنا عصر كنا نفهم العملية الاقتصادية فيه على انها عملية استخدام موارد محدودة في اشباع حاجات غير محدودة ، وأن الهدف النهائي من العملية الانتاجية هو « الاشباع » أو « خلق الشعور بالرضا » وما زال اساتذة الاقتصاد يعرفون علم الاقتصاد على هذا النحو ، ولكن الامر الان قد انقلب رأسا على عقب ، واذا بالمشكلة التي تواجه المنتجين اصبحت هي ان الحاجات تبدو وكأنها للاسف « محدودة » والموارد وكأنها هي التي لا تنفد ، واذا بالعملية الانتاجية تتحول الى محاولة خلق شعور مستمر بعدم الاشباع وعدم الرضا . انهم يقولون لنا أن التنمية الاقتصادية (أو زيادة الانتاج) تستهدف اشباع الحاجات ولكن العكس ، فيما يبدو ، هو الان الاقرب الى الحقيقة ، فالذى يحدث اليوم ليس الا محاولة تعميق شعور الناس بالاحتياج في سبيل التنمية الاقتصادية .

وهناك سبب آخر لفقدان الحرية الحقيقية في الاختيار ، على الرغم من زيادة عدد السلع والخدمات المعروضة علينا ، يرجع الى الطبيعة الخاصة للحضارة الصناعية الحديثة . فهذه الحضارة تقوم على الآلة ، والانتاج الكبير ، والوحدات الانتاجية الضخمة . وقد أدى هذا الى ازدياد درجة التماثل بين وحدات السلع المعروضة ، وانتشار نمط واحد من انماط الاستهلاك ، ليس

في الدولة الواحدة فحسب ، بل وبين الدول . فالمنتج الكبير قد التهم الصغير وقضى عليه ، وطريقة الانتاج الاقل نفقة قضت على كل طرق الانتاج الاخرى ، فاذا بالاصناف المتعددة من السلعة الواحدة تخفي وراءها في الحقيقة صنفا واحدا لا يختلف عن غيره الا في الاسم أو في لون الورقة المغلف بها ، واذا بالفوارق تزول بين مدينة واخرى ، مهما تعددت القارات . فاذا كانت التنمية قد اتاحت لنا حقا التنقل بين عاصمة وأخرى بسهولة وسرعة أكبر ، ووسعت دائرة الاختيار أمامنا بين المدن التي يمكن أن نقضي فيها عطلاتنا ، فانها قد قضت في نفس الوقت على مظاهر التفرد والاختلاف بين المدن ، ففي الوقت الذى اعطتنا فيه التنمية حرية الاختيار أفقدت هذه الحرية معظم قيمتها . صحيح أن لون السماء ما زال مختلفا في قارة عنه في أخرى ، ولكن الفنادق المتماثلة والمساكن الضخمة قد حجبت عنا رؤية السماء اصلا .

قد يقال ان العيب ليس في التنمية ، ولا في نمط الحضارة الحديثة بل في الانفجار الرهيب في السكان . اذ كيف يمكن ان تلبى حاجات هذه الاعداد الغفيرة من الناس الا عن طريق الامعان في التصنيع وفي الميكنة ؟ واذا كان للتصنيع وللميكنة ثمنهما الذى يتمثل في تفكك الروابط العائلية ، ومزيد من الفردية ، ومزيد من التماثل ، ومزيد من الملل ، فهو ثمن يتعين علينا دفعه راضين من أجل أن نضمن وصول السلع الضرورية الى عدد اكبر من السكان . ولكن الرد على هذا يسير . فمن المستحيل ان يقبل المرء ان اشباع الحاجات الحقيقية للناس يتطلب انتاج هذا العدد الهائل من السلع عديمة القيمة ، وان انتاج الكميات اللازمة من السلع الضرورية يتطلب حقا هذه الدرجة من التركيز في الانتاج في مصانع ومدن محدودة العدد ، وهذه الدرجة من التماثل والتشابه بين السلع . كما ان من المستحيل ان يقبل المرء ان الطريقة الوحيدة لاتاحة رؤية بلاد جديدة لعدد اكبر من الناس هو ان يحشروا في طائرات تقدم نفس الطعام ، ويردد فيها قائد الطائرة نفس عبارات الترحيب المحفوظة ، وترتسم فيها على وجوه المضيفات نفس الابتسامات المصطنعة التي لا يكمن وراءها الا شعور دفين بتفاهة ما يقمن به .

■■

جلال أحمد أمين



ظاهرتان قرآنيتان

بقلم : دكتور محمد احمد خلف الله

■ يسجل القرآن الكريم فى اياته البينات العديد من الظواهر الثقافية التى يصح الوقوف عندها لتحديد ابعادها ، وسبر اغوارها ،والوقوف على مواطن العبرة والموعظة منها ٠

ونقف اليوم عند ظاهرتين نستعرضهما مع القارىء لتقديرنا لما فيهما من هداية تنقذنا من هذا التخلف الذى لم نخرج منه بعد على الرغم مما ندعو اليه ونقوم به من تنمية ٠

الظاهرة الاولى

ان القرآن الكريم يسجل على الناس انهم يكرهون الحقيقة حتى ولو كانت دينية ، وانهم يكرهون الحقيقة الدينية حتى ولو كانت من عند الله ٠

انهم يفعلون ذلك كلما عارضت الحقيقة اهواءهم وشهواتهم ، وكلما كشفت الحقيقة استارهم وفضحت ضمائرهم ٠ ان معيار الحقيقة عندهم ان تحقق مصلحة شخصية ومنفعة ذاتية ـ اما حين تخرج الحقيقة عن هذا الاطار وتحقق المصلحة العامة من حيث انها معيار الحق والعدل فذلك هو الامر المكروه ، والمكروه بشدة ٠

وانه على قدر معارضة الحقيقة للمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية تكون الكراهية ٠

ان الذين يكرهون الحقيقة قد يقفون عند حدود الاعراض عنها ودعوة الناس الى الانصراف عن الداعين اليها ٠

وقد يديرون من حولها الجدل المفتعل والحوار الذى يلبسون فيه الحق بالباطل تشكيكا للناس فى امرها ٠ وقد يندفعون الى ما هو ابعد من ذلك فيلحقون الاذى بالداعين وينزلون الضرر بهم صرفا لهم عن الدعوة الى الحقيقة ٠

وقد يفعلون ما هو ادهى من ذلك كله وهو التخلص من الدعاة بقتلهم ظنا منهم ان فى قتل الدعاة تخلصا من الحقيقة ذاتها ، ودحرا لها ٠

والله سبحانه وتعالى هو الذى يقول: « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »

وقد يظن ظان أن هذا الذى تتعرض له الحقيقة

ويتعرض له الدعاة ، قد يدفع الدعاة الى الانصراف عن الحقيقة ، والى التزام الصمت حتى لا يقع بهم الاذى ولا ينالهم الضر ، وعند ذلك يسود الباطل وينتصر اهله ، ويكون الهوى والغرض ، والطمع والجشع ، والانانية والاستئثار ، والافات الاجتماعية ، هي القيم التي تمارس الحياة على اساس منها •

ولكن هذا الظن مدفوع بما حرص القرآن الكريم على تسجيله من ابعاد هذه الظاهرة ، ومن ذلك •

١ ـ ان ممارسة الحياة على أساس من الهوى مفسد للحياة في كل بعد من ابعادها ، وموقع لاصحاب الهوى في الظلم الذي ينالهم بسببه العذاب •

والله سبحانه وتعالى هو الذي يقول : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ••»

وهو الذي يقول : « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين » •

٢ ـ ان المولى سبحانه وتعالى سيكون دائما الى جانب الحق من حيث انه الحق •

وهو الذي يقول : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » •

وهو الذي يقول : « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » •

وهو الذي يقول : « ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته » •

والتفسير النفسي لهذه الايات القرانية يتلخص في ان صاحب الباطل واقع تحت تاثير المصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية وهما متغيرتان بتغير الظروف والمناسبات ، ومن هنا ينصرف صاحب الباطل عنه كلما تغيرت المصالح •

أما صاحب الحق فيقع تحت تاثير المبدأ الذي يؤمن به ، والايمان بالمبادىء لا يتغير ابدا بتغير المصالح وتغير الظروف والمناسبات •

انه ثابت على المبدأ مهما تكن الظروف والمناسبات•

انه من هنا ينتصر الحق دائما • ومن هنا أيضا تستاهل الحقيقة ان يضحى في سبيلها بالنفس والنفيس •

٣ ـ والى جانب ذلك يتهدد القرآن الكريم الذين يقتلون النبيين ، ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس ، يتهددهم ويتوعدهم بالعذاب الاليم •

وقبل ان ننهي القول في هذه الظاهرة أشير الى كلام قد قرأته منذ أزمان بعيدة يشير به صاحبه الى ان قتل الدعاة لا يكون ابدا وسيلة الى التخلص من الحقيقة ، فقد يقتل الداعي وتبقى الحقيقة حية فاعلة تستقطب الناس وتحيا فيهم •

قرأت مضمون هذا الكلام عند التعليق على قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » •

أي أن اليهود حين ظنوا انهم بقتلهم لعيسى عليه السلام سوف يتخلصون من دعوته كانوا واهمين ، فقد بقيت الدعوة وانتشرت مع تخلصهم من عيسى عليه السلام •

وفي نفس المعنى جاءت الاية القرانية الكريمة : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ،ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » •

الظاهرة الثانية

ان القرآن الكريم يعتبر الحقيقة ـ كل حقيقة ـ مهما كان لونها العلمي فرعا عن أو نوعا من الحقيقة الدينية • يعتبرها كذلك لامرين :

الاول منهما : ان الحقائق الكونية التي توصل اليها العلم ليست الا حصيلة ذلك النشاط العقلي الذي امتد الى الانفس والافاق باحثا منقبا •

والقرآن الكريم هو الذي دعا العقل البشري الى النظر في الانفس والافاق ، والى التفكير في كل ما خلق الله من كائنات • دعاه الى ذلك ليكشف لنا عن حقيقتها وكنهها ، وعن تلك العلاقات التي تنتظمها وتحكم سيرها • ولم يكن من المعقول أبدا ان ينكر على العقل ما وصل اليه بتوجيه منه ودعوة اليه •

ان القرآن الكريم انما يتبنى كل ما وصل اليه

العلم من حقائق مادام هو الذى دعا العقل البشرى الى النظر والتفكير ،والى البحث عن هذه الحقائق ٠

ولعله من تقدير القرآن الكريم للعقل كان موقف القرآن الكريم من الايمان والكفر ٠

انه يجعل الايمان صحة عقلية ، ويجعل الكفر مرضا عقليا ٠

ان الكفرة هم الصم البكم الذين لا يعقلون ٠

وانهم كالانعام ، بل هم اضل سبيلا ٠

اما الامر الثانى فهو : ان هذه الحصيلة من الحقائق العلمية سوف تكون الضوء الكاشف الذى نهتدى به الى الوقوف على كل ما ورد فى القرآن الكريم من آيات تتناول الكون بمن فيه وما فيه من كائنات خلقها الله ،وحدد لكل منها موقعه من الكون ووظيفته التي يؤديها ،ونظم العلاقات التى تربطها ببعضها بحيث يؤدى كل منها دوره من غير تصادم او اختلال ٠

ان العلم حين يكشف لنا عن هذه الحقائق انما ينتهى بنا الى الايمان الثابت بان خالق هذا الكون بكل ما له من ابعاد انما هو القوى القادر ، الحكيم العليم ، الخبير البصير ٠

انه الواحد الاحد ٠

ولقد ذهب غير واحد من المفسرين للقرآن الكريم الى القول بان العلاقة بين القرآن الكريم والعلم علاقة عضوية لا انفكاك لها ٠

قال غير واحد ما مضمونه : ان لله كتابين : كتابا منزلا هو القرآن ، وكتابا مخلوقا هو الكون، ولا يغنى احدهما عن الاخر ٠

ان كلا منهما يساعد الاخر فى كشف اسراره وتادية وظيفته ٠

وهنا نشير الى الهدى الذى نهتدى به من هاتين الظاهرتين ٠

نشير الى ان المسلمين يجب ان يكونوا من المحبين للحقيقة المستعذبين للالم فى سبيلها ٠

ويجب ان يعلموا ان المحب للحقيقة انما يدعو اليها ، وليس سبيل الدعوة هو القانون او الاكراه والالزام ، وانما هو الاقناع – اى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ٠

ويجب على المسلمين ان يفسحوا المجال امام الباحثين عن الحقيقة ويهيئوا لهم جوا من الحرية والكرامة يمكنهم من العمل الجاد فى سبيل الوصول الى الحقيقة ٠

وآخر ما ننصح به فى هذا المقام ان نعلم ان الوصول الى الحقيقة حق كل انسان مهما يكن دينه وجنسيته ولغته ٠

وان الانتفاع بالحقيقة العلمية حق كل انسان ايضا مهما تكن جنسيته ٠

وليس يخفى ان كل اعتراض على اية حقيقة علمية باسم الدين ليس من الدين فى شىء ٠

نعم قد يخطىء العقل ، ولكنه فى النهاية قادر على ان يصحح اخطاءه ، ولنكن دائما على ذكر من ذلك الاثر النبوى القائل : من اخطأ فله اجر ،ومن اصاب فله اجران ٠

ولقد وصل المسلمون الى ما وصلوا اليه من مجد نعتز نحن به عن طريق البحث العلمى الجاد ٠

ولقد كان هذا التراث الضخم الذى خلفوه لنا حصيلة ذلك النشاط العقلى الحر الذى تميزوا به، ولقد كان ما بينهم من الخلاف فى الرأى ما نراه اليوم فى كتب اصحاب المذاهب المختلفة : المذاهب الفقهية والمذاهب الكلامية ، والمذاهب الفلسفية ، ولكن احدا منهم لم يسلط سيف الارهاب على رقاب خصومه ٠

اننا فى حاجة الى الحقائق العلمية وهى حصيلة النشاط العقلى والحرية الفكرية ٠

وما لم تتوافر لنا هذه الاشياء لن نلحق بالسابقين الاولين من رجال الفكر الاسلامى ، ولن نخرج ابدا من دائرة التخلف ٠

وليت قومى يدركون هذه الحقائق ، ويمارسون الحياة الفكرية على اساس منها ٠ ■■

محمد احمد خلف الله

● رأى طريف ، مثير للمناقشة ، حول دور الشعراء ، سلبا وايجابا ، في حياة الامة العربية خلال عصورها الاولى •

الشعراء

كانوا أول "اجهزة اعلام" عرفها العرب !
وكانت لهم كل مزايا اجهزة الاعلام وعيوبها !

بقلم : عبد الوهاب أحمد الافندى

■ كان ابو دلف العجلى ـ وهو من ولاة المامون ـ يساير اخاه في بغداد ذات يوم حين مرا بامراتين فقالت احداهما للاخرى :

ـ اليس هذا ابو دلف العجلى ؟

فقالت الاخرى : نعم هذا ابو دلف الذى يقول فيه الشاعر :

انما الدنيا ابو دلف
بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف
ولت الدنيا على اثره

فاخذ ابو دلف يبكى بكاء شديدا حتى ساله اخوه : ما يبكيك ؟ فقال : ابكى لانى لم اوف هذا الشاعر حقه • فقال: او ليس قد اعطيته مائة الف درهم ؟ فرد أبو دلف والله ما ندمت الا لانها لم تكن مائة الف دينار !

وكان الشعبى من قضاة عبد الملك بن مروان ومن علماء الشريعة المعدودين فى عصره • فاحتكم اليه رجل وامراته فحكم للمراة ـ فقال الرجل فى ذلك شعرا :

فتن الشعبى لما
رفع الطرف اليها
فتنته ببنان
وبخطّى حاجبيها
ومشت مشيا وئيدا
ثم هزت منكبيها
قال للجلواز قرّبها واحضر شاهديها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها



فامر الشعبى بالرجل فعـوقب ضربا ، ولكن الابيات انتشرت على كل لسان • فحكى الشعبى نفسه قال : مررت فى البصرة بفتاة تملأ جرتها وتتغنى « فتن الشعبى ••• فتن الشعبى » ولم تستطع أن تكمل البيت ، فقلت لها : « فتن الشعبى لما رفع الطرف اليها » ففرحت به فرحا شديدا وشكرتنى وانصرفت وهى تتغنى بالبيت •

ثم دخلت على عبد الملك فما كاد يرانى حتى ضحك وصاح فتن الشعبى •• !

ثم قال ماذا فعلت بالرجل ؟ فقلت : اوجعته ضربا • فقال : احسنت •

الشعر أداة اعلامية

نكتفى بالمثالين السابقين دليلا على ما كان للشعر من نفوذ فى المجتمع الاسلامى فى مختلف عصوره ، اذ كان الشعر اداة اعلامية شعبية اشبه بالصحافة بل بالاذاعة عندنا اليو. ، فهو ينتشر بدون حدود ، ويحفظه الاميون ، وتتغنى به الفتيات •

ولعل فى قصة الشعبى ما يثبت ان الارهاب والضرب لم يكن يقف حائلا دون زيادة نفوذ الشعراء وسعة انتشار آرائهم ، وهذه حقيقة ادركها الحكام جيدا ولخصها عبد الله بن الزبير فى قوله للنوار حين خاصمت اليه زوجها الفرزدق: اما ان ترجعى مع ابن عمك وتتزوجيه واما ان نقتله فلا يهجونا •

وهكذا كان الحكام يرون أن وجود الشاعر المعادى خطر عليهم ، فاما ان يقتلوه واما ان يخضعوا لمطالبه ويرضوه • وقد اختار كثيرون الطريق الثانى منذ أن نصحت والدة اوس بن حارثة ابنها باستحياء بشر بن ابى خازم ليمحو هجاءه اوسا بمديح العرفان •

وقد تبع هذا ان اصبح للشعراء نفوذ سياسى علاوة على نفوذهم الاجتماعى • ومن هذا ان الفرزدق شفع فى جندى اسمه قنس ليرجع الى والديه من الغزو ، فلم يستطع القائد قراءة الاسم ـ لان الكتابة كانت بدون نقط وقتها ـ فاطلق كل من يحتمل ان يكون هو المقصود اسمه اذا نقطت الحروف بكل وجه ، فكانوا قرابة الاربعين !

وحتى نفوذهم الاجتماعى لم يكن باليسير ويقال أن بائية جرير المسماة بالدافعة والتى يهجو فيها الراعى الشاعر بقوله :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

سدت في وجه بني نمير طريق السمو الاجتماعي حتى ان ابن قتيبة روى انه لم يفلح رجل من تلك القبيلة بعدها .

تأثير الشعراء

فالشعراء اذن كانت لهم القدرة على قلب الموازين والقيم الاجتماعية ، بل كانت لهم فوق ذلك تأثيرات نفسية عميقة على تصرفات الافراد .

فان ابن نوفل هجا عبد الملك بن عمير بقوله :

اذا ذات دل كلمته لحاجة
فهم بان يقضي تنحنح او سعل

فقال عبد الملك : تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء ، فاذكر قوله فاهاب ان اسعل .

وقال ابو العتاهية في عبد الله بن معن بن زائدة :

فصغ ما كنت حليت
به سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف
اذا لم تك قتالا

فقال عبد الله : ما لبست سيفي قط فرأيت انسانا يلمحني ، الا ظننت انه يحفظ بيتي ابي العتاهية فيّ ، فيتاملني فاخجل لذلك .

ومن الطرائف ان مجد الامويين وانقراضهم كادا يرتبطان بقولتي شاعرين !

قال معاوية بن ابي سفيان : « وضعت رجلي في الركاب يوم صفين لاهرب فذكرت قول ابن الاطنابة :

ابت لي همتي وابى بلائي
واخذي الحمد بالثمن الربيح
واقحامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي او تستريحي

فثبت . » ولو فر معاوية يومها لما قامت دولة بني امية » .

ودخل على السفاح رجل من بني امية بعد هزيمتهم فاستعطفه بكلام حتى لان له . فانبرى مولى لبني العباس . فقال :

لا يغرنك ما ترى من اناس
ان تحت الضلوع داء دويا
فارفع السوط واشهر السيف حتى
لا ترى فوق ظهرها امويا

فظهر التغير على وجه السفاح حتى قال الاموي للشاعر : قتلتني قتلك الله . فكان ان فتك بهم السفاح فتكته المشهورة بعدها بايام .

من كل هذا يتضح انه كانت للشعراء مقدرة عظيمة على أن يغيروا ويثبتوا اشياء كثيرة في المجتمع . فماذا فعل الشعراء بالمجتمع الاسلامي ؟

قد يبدو من الصعب الاجابة على هذا السؤال اجابة واحدة لان الشعراء كانوا انماطا كثيرة وقوى متصارعة ، كل منها تعمل في اتجاه قد يخالف او يوافق القوى الباقية .

ولكن لو نظرنا الى القيم التي ارتكزوا عليها في صراعاتهم ، والمسائل التي اصطرعوا حولها ، لوصلنا الى أن صراعاتهم واتفاقاتهم قد دفعت بالمجتمع الى مسار معين .

خيال الشعراء

فقد كان الشعراء يتخيلون صفات معينة يمدحون بها انفسهم ، وممدوحيهم وقبائلهم . وقد يكون بعض هذه الصفات موجودا اصلا فيكتسب قيمة ادبية اكبر ، وقد يكون محض خيال فيصبح مطلبا .

كان الشعراء يمتدحون مثلا القبلية الهمجية . فكان احدهم يفخر بانتمائه الى مجموعة معينة دون سواها :

واني لمن عليـاء تغلب وائل
لأطولها بيتا واثبتها اصلا

او :

اني اذا تغلب الغلباء قاطبة
حولي وبكر وعبد القيس والنمر
اعز من ولدت حواء من ولد
ان الربا لهم والفخر ان فخروا

وكان الشاعر يفضل قبيلته على ما سواها ، ويهجو منافسيها :

اتعدل دمنــــة خبثت وقلت
الى فرعين قـد كثرا وطـابا

وكان يفخر بكثرة قبيلته وعزتها :

الســـنا أكثر الثقلين رجـلا
ببطــن منى واعظمــه قبابـا
واجــدر ان تجـاسر ثم نادى
بدعوة « يا لخندق » ان يجابا

ولعل التركيز على قيمة الكثرة يخلق التوازن في مجتمع يسعى فيه الناس للموت بسبب وبغير سبب ، ويصور الاعلام افضل الناس فيه على انهم :

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم
طـاروا اليه زرافات ووحـدانا
لا يســـألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قـال برهانا

وكان الشعراء يمدحون القســـوة في معاملة الاعداء ويدعون اليها بقول جرير في مدح الحجاج

يا رب ناكث بيعتـــن تركـتـه
وخضـــاب لحيتـه دم الاوداج

او قول ابي تمام في مدح المعتصم بعد أن فتح عمورية واستولى عليها من الروم :

ما ربع مية معمـــورا يطيف به
غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدود وقد ادمين من خجل
اشهى الى ناظر من خدها الترب

وكانوا يدعون الى عدم الانقياد للســـلطة المركزية الا فيما يوافق هوى القبيلة ، ويفخرون بعصيان السلطة كقول بشار بن برد •

اذا الملك الجبار صعر خــده
مشينا اليه بالســيوف نعاتبه

او قول آخر :

سائل الومك ام قومي همو ضربوا
هام الملـوك وامـر الشرك احزاب

•• مديح

ولكن الشعراء في الوقت نفسه كانوا يمتدحون الملوك سواء اصعروا خدودهم أم لم يصعروها • بل ان صورة الخليفة « السوبرمان » او الخليفة المقدس كانت من ابداع خيال الشعراء ، على مثال رئيس القبيلة التقليدي الذي قيل فيه :

لك المــرباع منها والصــفايا
وحكمك والنشيطة والفضـــول

فقد مدح الخلفاء والامراء بانهم اصحاب سلطة مطلقة وان ارواح الناس وارزاقهم في ايديهم :

عطاء الله ملـكك النصــــارى
ومن صـــلى لقبلته وصـــاما
تعالى الســـامعين اذا اطـــاعوا
ولكن العصاة لقــوا غـــراما

او :

تحاربه الاعـــداء وهي عبيـــده
وتدخــر الاموال وهي غنائمــــه
ويستكبرون الدهـــر والدهر دونه
ويستعظمون المــوت والموت خادمه

ومدحوا بالاخلاق العربية التقليدية : الكرم والشجاعة والنجدة :

اليك امــير المؤمنين رحلتـــها
على الطائر الميمون والمنزل الرحب
مناخ ذوى الحاجات يســــتمطرونه
عطاء كريم من اســـارى ومن نهب
اخوها اذا شالت عضوضا سما لها
على كل حال من ذلول ومن صعب

ومدحوا بعلو" النسب :

وما شـجرات عيصك في قريش
بهشـــات الفروع ولا ضواحي

أو :

وتنزل من اميــــة حيث تلـــقى
شـــئون الرأس مجتمع الصميم

ومدحوا بالارتفاع فوق الناس ،واتضاع الناس بجانبهم :

ايديكم فوق ايدى الناس فاضـلة
فلن يوازنكم شـــيب ولا مـــرد

أو :

ولما راوه وحده قبل جيشـــه
دروا ان كل العالمين فضـــول

وهكذا جهد الشعراء في ارضاء الحكام برسم هالات من العظمة والقدسية حولهم • في الوقت الذي اصروا فيه على عظمة قبائلهم• لهذا كانوا

يخلقون التوازن باعتبار الخليفة وقبيلته قمة لا تمس ، وتفخر بقية القبائل بقرابتها منه كقول جرير في عبد الملك بن مروان •

هذا ابن عمي في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم الي" قطينا

او بيلائها لديه كقول الاخطل لعبد الملك بن مروان ايضا :

لقد نصرت أمير المؤمنين بنا
لما اتاك ببطن الغوطة الخبر

•• وهجاء

وبهذا نبت الشعراء مما لبتوه من قيم ، تملق الحكام واعتبار وضعهم وسلطاتهم امرا واقعا لا جدال فيه ولهذا ندر ان نسمع معارضة او هجاء للخليفة او المقربين منه ، مثل قول دعبل في هجاء المأمون :

ويسومني المأمون خطة ذله
او ما راى بالامس رأس محمد

انى من الملأ الذين سيوفهم
قتلت اخاك(١) وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله
واستنقذوك من الحضيض الاوهد

وقوله لابراهيم بن المهدى :

وهكذا يرزق اجناده
خليفة مصحفه البربط (البربط=العدد)

وقوله لابي عباد وزير المأمون :

اولى الامور بضيعة وفساد
امر يدبره ابو عباد

خرق على جلسائه فكأنهم
جاءوا لمركة ويوم جلاد

وكأنه من دير هرقل مفلت
قرد يجر سلاسل الاقياد

وقول بشار في وزير المهدى :

بني امية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزق والعود

من الاستثناءات التي اشتغل فيها الشعراء حصانتهم •• وقد كانت معظم اقوال دعبل بتشجيع المأمون وتحت حمايته •

والخلاصة ان الشعراء في المجال السياسي كانوا اداة بين الحكام لا يخرجون عنهم الا لمصالح شخصية ، او حيث تتعارض بشدة مع انتماءاتهم القبلية التي يرتبطون بها ارتباطات متينة ادت كما اسلفنا الى تمسكهم بالقبلية ودعوتهم اليها•

هذا في جانب العلاقات الاجتماعية والسياسية، فماذا عن العلاقات الاقتصادية •

القيم البدوية

امتدح الشعراء دائما ودعوا الى القيم البدوية مثل اكرام الضيف مهما كانت الظروف كقول الحطيئة :

فقال ابنه لما رآه بحيرة
ايا ابت اذبحني ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم علّ الذى طرا
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

والكرم المتناهي المفرط للانفاق المتصل :

له صدقات ما تغب ونائل
وليس عطاء اليوم يمنعه غدا

واقتسام المال والزاد مع المحتاجين :

واني امرؤ عافى انائي شركة
وانت امرؤ عافى انائك واحد

اقسم جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد

واحتقار العمل اليدوى • فقد هجا جرير الفرزدق بان قبيلته من الحدادين :

تصف السيوف وغيركم يعصى بها
يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل !

وبان اقرباءه زرّاع نخل •

ما للفرزدق من عز يلوذ به
الا بني العم في ايديهم الخشب

---

(١) العربي : لما شبت الحرب بين الاخوين الامين والمأمون ، كان من انصار المأمون قائده طاهر بن الحسين الخزاعي الذى هزم جيوش الامين ثم قتله ، ودعبل الشاعر خزاعي ايضا مثل طاهر القائد •

سيروا بني العم فالاهواز منزلكم
ونهر تيرى فما تدريكم العرب
الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم
من المذوق ولا يعييهم الكرب

واحتقروا ايضا تجارة القندقة :

يا طلحم بن قريط ان بيعكم
رفد القرى مفسد للدين والحسب
قالوا اشتروا جزرا منا فقلت لهم
بيعوا الموالى واستحيوا من العرب

وقد نتج من تراكيب هذه القيمة نشوء رأى عام يعارض امساك المال لاى غرض غير انفاقه على الاخرين ، ويحتقر الانتاج والعمل اليدوى • ولم يكن لهذا النظام من حسنة الا انه كان يجبر الاغنياء على انفاق معظم اموالهم ، والا نسبوا الى البخل وتعرضوا لاقذع الهجاء وسقطوا اجتماعيا •

المراة فى الشعر

ثم ماذا عن المراة ؟ وهل يمكن تصور شعر بغير المراة ؟

فقد كان للمراة من الشعر مثل نصيب رئيس القبيلة من الغنائم •

وبالمثل كان الشعر يؤثر فى تصرفات المجتمع النسائي بدرجة متناسبة : ولعلمن اطرفتطبيقات ذلك قصة التاجر الدمشقي الذى كسدت بضاعته من الخمر (الاقنعة) السود ، فطلب العون من صديقه الشاعر الناسك مسكين الدارمي ، فصنع الشاعر المشهور ابياتا قال فيها :

قل للمليحة فى الخمار الاسود
ماذا فعلت بناسك متعبد
ردى عليه صلاته وصيامه
لا تقتليه بحق دين محمد

فاصبحت حسان دمشق كلها تتهافت على تجارته ، وباع التاجر كل بضاعته لساعتها والفتيات يطلبن المزيد •

الفتيات اذن يتبعن باخلاص الصورة التى يرسمها لهن خيال الشعراء ، فماذا كانت تلك الصورة يا ترى ؟

الاجابة تكمن ايضا فى القيمة البدوية :فمثلما كانت الصورة المثلى للحاكم هى صورة رئيس القبيلة البدوى القوى الدكتاتور والنبيل ايضا ، كانت الصورة المثلىلفتاة الاحلام هى تلكالبدوية المحافظة على التقاليد العربية الصميمة ، والتى لا تميل الى اساليب الحضريات من التبذل والتزين ، والتي لا تعرف الالم الا خبرا ويقول عنها المتنبى • فى أواخر العصر العباسى ، عصر الحضارة •

افدى ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

وهي ايضا الدائمة الارتحال ، النائية حسيا :

تباعد هذا الوصل اذ حل اهلها
بفو وحلت بطن عرق فتفرقوا

والنائية معنويا بتمنعها ووصلها الذى لا ينال :

لما عرضت مسلما لى حاجة
ارجو معونتها واخشى ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى
ما كان اكثرها لنا واقلها

ولا يوصل اليها فى الحلم والخيال :

وان كنت لا موعود اسماء راجعى
بنجح ولا تسويف اسماء مقنعى
ولا نافع سكب الدموع التى جرت
عليها ، ولا فرط الحنين المرجع
فلا وصل الا ان يطيف خيالها
بنا تحت مسود من الليل اسفع

وهن ايضا محجبات لا يرين وممنوع زيارتهن الا تحت طائلة القتل :

بنفسى من أزور فلا أراه
ويضرب دونه الخدم الحجابا

وايضا :

قد كان كل حجاب دون رؤيتها
فما قنعت لها يا أرض بالحجب
وما عرفت عيون الانس تدركها
فهل حسدت عليها اعين الشهب

وباختصار فان فتاة الاحلام قد صورت على انها البدوية المثالية •

افبعد كل هذا لا يسعنا الا ان نقول ان الشعراء بما لهم من نفوذ اعلامي قد فرضوا القيم البدوية على مجتمع كان من المفروض ان يكون متحضرا ؟ ■■

عبد الوهاب احمد الافندى

- من خادعته ، فتخادع لك ، حتى قضيت منه حاجتك ، فقد خدعته

(معاوية بن ابى سفيان)

- فى انقباض وحشمة ، فاذا جاورت أهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسى على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

(ابن كناسة الأسدى)

- ما أندر من يحتفظ منا بفطرته الأصيلة ، فى وسط أكاذيب العرف التى نتقبلها مكرهين

(مكس مولر)

- ابسمى لى تبسم حياتى ،وان كا نت حياة مليئة بالشجون

(مهدى الجواهرى)

- رب كلمة كالغصة تجرعتها ، اتقاء ما هو شر منها

(الأحنف بن قيس)

- حبذا العيش ، حين قومى جميع لم تفرق قلوبها الأهواء

(عبد الله بن قيس الرقيات)

- الشعر من نفس الرحمان مقتبس
والشاعر الفذ بين الناس رحمان

(عباس العقاد)

- نصيحتى اليك اذا كنت امرأة صاحبة مهنة ، الا تنسى ابدا انك امرأة وانك انثى ، مهما كان وزن العقل الذى يملأ رأسك !

« مدام برونييه »

- اكبر مشكلة تواجه الازواج ، هى الاصرار على طهى الطعام على طريقة امهاتهم ، والمرأة بصفة خاصة فهى دائما « ابنة اعظم طاهية فى العالم !»

« ماريا فلوريس »

النيام السبعة وأصحاب الكهف

بقلم: الدكتور عبدالله العمراني

■ كتاب الغرب مثل ادوارد جيبون ولويس ماسينيون ، وكذا مترجمو القرآن الكريم الى مختلف اللغات الاوروبية الحديثة ، ومفكرون آخرون ، كلهم ذهبوا الى ان المقصود بأصحاب الكهف الذين نوه القرآن بهم في سورة خاصة ، هم النيام السبعة The Seven Sleepers . وهم شبان عزفوا عن عبادة الاصنام ، واعتنقوا المسيحية في ظروف لم تكن هذه قد اتخذت فيها دينا رسميا للدولة .. وقد الف المستشرق الفرنسي ماسينيون كتابا عن هؤلاء الشبان سماه : « نيام افسوس السبعة (أهل الكهف) في الاسلام والمسيحية » ، كما تحدث عنهم جيبون في كتابه المعروف : « انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » .

وافسوس كانت احدى المدن الاثنتى عشرة الهامة بآسيا الصغرى . وكان موقعها بساحل بحر ايجة جنوبي اسميرنه (ازمير الحالية) بخمسة وثلاثين ميلا (٥٦٫٣١٥ كيلو مترا) . وهي الان مندثرة .

ينص هؤلاء الباحثون على ان اختفاء هؤلاء الشبان حدث في عهد الامبراطور ديسيوس Decius (٢٤٩ ـ ٢٥١م) الذي يسميه العرب دقيانوس ، وانهم ناموا مائتي سنة تقريبا (هي ١٩٦ سنة بالضبط ، من سنة ٢٥١ الى سنة ٤٤٤م) ثم استيقظوا في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني المعروف بالاصغر The Younger الابن الوحيد لـ Arcadius والمولود سنة ٤٠١ وقد ولي عرش ابيه وهو في سن الثامنة ، وظل متربعا على ذلك العرش اثنتين واربعين سنة .

عودة الاسطورة

يبدو وكان اسطورة النيام السبعة هي من النوع الفولكلوري . تقول موسوعة : Chambers, Vol VIII P 635 « ان اول من حكى اسطورة النيام السبعة هو Gregory of Tours حوالي القرن السادس الميلادي ، ولكن تاريخها وقع تحديده بالقرن الثالث .. » ثم تضيف الموسوعة قائلة : « نفس الاسطورة عادت للظهور ثانية ـ مع اختلافات ـ في عهود متأخرة من التاريخ المسيحي ».

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد من بين المترجمين من يغمز الاسلام بهذه المناسبة . ويلمز نبيه الكريم . فها هو ذا خوان ب . بيركوا يقول : « ان اسطورة النيام السبعة كانت واحدة من

أشياء كثيرة ، سمع محمد الحديث عنها ، فتأثر بها فاجرى ذكرها في هذه السورة (١) »٠

ثم هاهوذا خوان فرنيت يتحدث عن الخطوط العامة للاسطورة ثم يقول :

« ان تلك الخطوط قبلها الاسلام ، واخذ بها الشيعة خاصة ، ليوضحوا بها بعض نقاط مذهبهم (٢) » ٠

ولعل خير رد على فكرة الاخذ او الاقتباس هذه ، يتمثل في قول توماس كارليل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) : « ويظهر لي ان الحقيقة هي ان محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة ٠ وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء وأحوالها وكل ما وفق الى معرفته هو ما أمكنه ان يشاهده بعينيه ، ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية »٠ ثم قال : « ولم يضره ولم يزد به انه لم يعرف علوم العالم لا قديمها ولا حديثها ، لانه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك ٠ ولم يقتبس محمد من نور اى انسان اخر ، ولم يغترف من مناهل غيره (٣) » ٠

وبالمقارنة بين الخطوط العامة لاسطورة النيام السبعة ٠ وبين تفاصيل قصة اصحاب الكهف الواردة في القرآن الكريم ، نستخلص ان لا علاقة بين هؤلاء واؤلئك ، على الرغم من وجود بعض أوجه التشابه والاتفاق ، وعلى الرغم من ان « الاسرائيليات » حاولت جهد طاقتها ان تخلق تلك العلاقة وتعززها ، مما جرأ بيركوا على أن يهذي بما هذى به في حق الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

المولود الخدوج

ولعل روح تلك « الاسرائيليات » هي التي باتت تتمخض عنها الليالي الطوال ، لتلد ذلك المولود الخدوج ، وأعني به الحديث المنسوب لابن عباس رضي الله عنهما ، والذي نقله السيوطي في كتابه : « لباب النقول في أسباب النزول » ٠ فهو حديث بادي الصنعة والافتعال : بادي الضعف من حيث الاسلوب اللغوي اذ تعوز ضمائره المطابقة النحوية المطلوبة : (بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته واخبروهم ٠٠٠) بادي الضعف من حيث السند : (آخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق عن شيخ من اهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس٠٠) بادي الدعاية للتفوق الاسرائيلي المزعوم : (فانهم ـ يعني اليهود ـ أهل الكتاب الاول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء ٠٠) الى غير ذلك من وسائل التجريح التي لا تخفى على بصر الناقد بله بصيرته ، ولا تسوغ الاقتناع بصحة هذا الحديث ٠

وأما أوجه التباين والاختلاف بين قصة اصحاب الكهف واسطورة النيام السبعة ، فيمكن ارجاعها الى ثلاث نواح : ناحية العدد ـ ناحية الزمان ـ ناحية المكان ٠

١ ـ فمن حيث العدد : نجد الاسطورة تجعل الشبان النيام ، سبعة فقط ، بينما عدة اصحاب الكهف سبعة ، وثامنهم كلبهم ٠

٢ ـ ومن حيث الزمان : نجد مدة نوم الشبان السبعة ١٩٦ سنة ، بينما أصحاب الكهف ناموا ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي ، وازدادوا تسع سنوات اذا عددنا الزمان بالتقويم القمري « اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : انزلت (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة) فقيل : يا رسول الله ، سنين أو شهورا ؟ فانزل الله (سنين وازدادوا تسعا) » ٠

المعجزة الحقة

وهذا التنصيص في منتهى الدقة وكامل التأكيد ، بل هو المعجزة بعينها في حق نبي امي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ويعرف ما يجهله اليوم كثير من المثقفين ! فكم منهم يعرف بالتدقيق ان عدد أيام السنة الشمسية = ٣٦٥ر٢٤٢٢ يوم ، وأيام السنة القمرية = ٣٥٤ر٣٦٧١ يوم ، وان الفرق يزداد على مر الثلاثمائة سنة فيصير تسع سنوات ولا عبرة بكسور ؟! أليس هذا وحده دليلا كافيا على ان القرآن من عند الله ؟؟ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) سورة النساء : ٨٢) ٠

(1) Juun B. Bergua: El Coran, 9a edic, 1970 Madrid , nota No. 327,P. 755

(2) Juan Vernet : El Coran, 2a edic,Barcelona, P 297, (Nota)

(٣) ص ٥٠ من كتاب « الابطال » ترجمة الكاتب المصري محمد السباعي ، نشر الدار القومية للطباعة والنشر جمهورية مصر العربية ٠

٣ ـ ومن حيث المكان : تجعل الاسطورة مسرح الحوادث كهفا قريبا من مدينة السوس الاثرية ، بينما القران الكريم يذكر الكهف والرقيم تاركا العربة للمفسرين كي يفهموا ما شاءوا :

ا ـ فهم بعضهم ان للرقيم اصحابا ، كما للكهف اصحاب . فالاثنان شيئان منفصلان متباينان .

ب ـ وفهم بعضهم الاخر ان الرقيم هو :

١ ـ اسم الكلب الذى رافق اصحاب الكهف .

٢ ـ اللوحة التى دونت فيها اسماء اصحاب الكهف وقصتهم للعظة والاعتبار .

جـ ـ وفهم آخرون ان الرقيم هو :

١ ـ مكان عند مدينة السوس أو طرسوس من ارض الروم (تركيا الحالية) .

٢ ـ مكان عند مدينة نينوى من بلاد العراق .

٣ ـ مكان بين غضبان (بضم اوله كما عند البكرى فى « معجم ما استعجم » او بفتحه كما عند ياقوت الحموى والفيروز ابادى) وبين ايلة (ميناء العقبة) .

٤ ـ مكان قريب من ايلياء (القدس الحالية) .

٥ ـ الجبل الذى يحتضن الكهف .

٦ ـ اسم قرية اصحاب الكهف .

موقع أصحاب الكهف

واخيرا تأتى دائرة الاثار الاردنية بالتعاون مع بعض المختصين ليؤكدوا لنا انه قد تم اكتشاف موقع كهف اصحاب الكهف فى قرية (الرقيم) التى حرف الاهالى اسمها الى (الركيب)(٤) . وهى واقعة على بعد سبعة كيلومترات جنوبى مدينة عمان .

فلنستمع لرئيس رابطة العلوم الاسلامية فى عمان الاستاذ ظبيان وهو فى حديث له يقول ما خلاصته :

انه فى عام ١٩٦٢ عرف ان كهفا يوجد فى منطقة (البلقاء) الاردنية ، وانه ذهب مع فريق من الكشافة الملحقة بالرابطة ليتعرفوا على الكهف ، وفعلا تثبتوا من وجوده هناك ، فاعلموا دائرة الاثار الاردنية التى قامت بالحفر والتنقيب ، فكانت النتيجة كما يلى :

ا ـ تم العثور داخل الكهف على نقوش وحلى ونقود بيزنطية ترجع الى القرن الثالث الميلادى مصداقا لقوله تعالى (فابعثوا احدكم بورقكم ـ هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ، ولا يشعرن بكم أحدا) .

ب ـ تم العثور على سبعة قبور ، وعلى قبر كلب (ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم) .

جـ ـ تم العثور على سبع جماجم بشرية ، وعلى جمجمة كلب .

د ـ تم العثور على المسجد المذكور فى سورة الكهف ايضا (قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذن عليهم مسجدا) .

هـ ـ اعمدة المعبد (المسجد) الذى اقيم فوق الكهف باقية ماثلة للعيان .

ويضيف الاستاذ ظبيان قائلا : اننا عثرنا ايضا على (الفجوة) التى بداخل الكهف عن طريق الصدفة . فعندما ازلنا الاتربة والحجارة ، ظهرت كوة عليها غطاء حجرى منقوب . فلما رفعنا هذا الغطاء ، وجدناه ينفذ الى داخل الكهف ، حيث توجد فجوة تبلغ مساحتها على وجه التقريب حوالى أربعة امتار فى ثلاثة .

ثم يختتم قائلا : فالايات القرانية الكريمة ، وما ورد بها من اوصاف ، تنطبق تماما على هذا المكان دون غيره . فالشمس مثلا تمر فعلا عند طلوعها امام الكهف ، وتنحرف عنه عند غروبها . فاشعتها لا تنفذ لداخل الكهف لحكمة الهية : (وترى الشمس اذا طلعت تزاور ـ اى تميل ـ عن كهفهم ذات اليمين ، واذا غربت تقرضهم ـ تتركهم وتعدل عنهم ـ ذات الشمال وهم فى فجوة منه ، ذلك من آيات الله !)

ولا يسع الباحث امام هذا كله ، الا ان يستبشر خيرا بما قام به اخواننا فى المملكة الاردنية الهاشمية ، ويرحب باكتشافهم موقع كهف اصحاب الكهف ، الذى يقتضى العقل والمنطق التاريخى ان يحتضنه مهد الحضارات وموطن النبوات ، ومنبع الاديان السماوية فى قلب منطقة الشرق الاوسط .

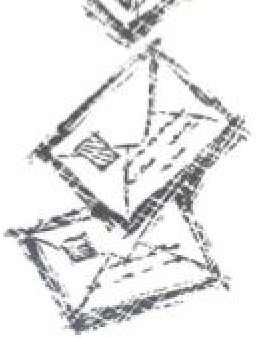
ولا ريب ان الذى يهمنا فى عالم البحث والتنقيب ـ وقد انكشفت الحقيقة بعد حقبة من الدهر ـ ان نتذكر على الدوام ان الحكمة ضالة المؤمن ينشدها باستمرار ، ويلتقطها انى وجدها .

■■

د. عبدالله العمرانى

---

(٤) الكاف المنقوطة ثلاثا هى فى عرف المغاربة بمثابة الجيم القاهرية أو الكاف الفارسية : ݣ .



اتيح لي لقاء العميد العمل معه في العقد الاخير من عمره، اقصر هذه الكلمةعلى أهم ما تلقاه من رسائل في هذه الفترة ، بالاضافة الى ما حدثني به عن بعض الرسائل التى جاءته في مناسبات مختلفة .

رسائل إلى طه حسين

بقلم : الدكتور محمد الدسوقى

● كتابة الرسائل الى العظماء من القادة والعلماء والادباء امر مألوف ، بيد أن ما يكتب الى العلماء والادباء يدور غالبا في نطاق العلم والادب سواء أكان ذلك بالسوال عن بعض القضايا الفكرية ،أم كان بالاطراء وابداء الاعجاب لما صدر عن العالم او الاديب من افكار واثار .

وطه حسين ، هذا الاديب العبقرى الذى شق طريقه بين الصخور ، وواجه العواصف في اباء ، وما زادته الشدائد الا استمساكا بما يؤمن به ويدعو اليه ـ هذا الاديب تلقى مئات الرسائل منذ ان اصبح له شان في عالم الفكر والادب ، وعكست هذه الرسائل اكبار الرجل وحب الناس له ، كما عكست طرفا من مواقف المناوئين والمتحاملين عليه .

ولانه اتيح لى لقاء العميد والعمل معه فى العقد الاخير من عمره، اقصر هذهالكلمة على اهم ما تلقاه من رسائل فى هذه الفترة بالاضافة الى ما حدثنى به عن بعض الرسائل التى جاءته فى مناسبات مختلفة .

فى عام ١٩٢٦ صدر لطهحسين كتابه عن الشعر الجاهلى ، ونجم عن صدوره ثورة بعض الفئات وبخاصة علماء الازهر،وذلك لما اشتمل عليهالكتاب من اراء ونظريات عدها البعض تعريضا بالقران الكريم ، وانكارا لبعض ما جاء فيه من قصص واخبار .

ولست هنا فى مجال عرض قضية هذا الكتاب ولكني اومات اليها لاشير الى ان العميد تلقى ـ بعد صدور كتابه وما اثير حوله فى الصحف والبرلمان ـ عديدا من الرسائل تهدده بالقتل أو تفيض بالسباب المقذع والاتهامات الباطلة .

برقية شكر من الحكيم

طه حسين أول من عرف القراء بالاستاذ توفيق الحكيم ، فقد نشر عن مسرحية « أهل الكهف »



مقالة اشاد فيها بمؤلفها، وبطاقته الفنية المبدعة، وبعث الاستاذ الحكيم برقية شكر للعميد بعد نشر تلك المقالة . وحدثني طه حسين قائلا :

ولكن الاستاذ الحكيم غضب مني ، لاني كتبت عن « شهر زاد » وقلت ان الاستاذ توفيق في حاجة الى مزيد من القراءة الفلسفية ، فقد ارسل الى خطابا يشتمني فيه ويقول بانه قرأ في الفلسفة اكثر مما قرأت . وانه ليس في حاجة الى نصائحي ، ومن يومها نسي الاستاذ توفيق كل شيء ، وصار لا يجامل في اية مناسبة .

ويبدو أن الجفوة التي احدثتها رسالة الاستاذ الحكيم بين الكاتبين الكبيرين لم تستمر طويلا ، وان العلاقة الطيبة بينهما قد توثقت وبلغت درجة الصداقة المتينة ، بدليل هذا الكتاب الذي يعد نوعا من المزاح بينهما ، وهو كتاب « القصر المسحور » وبدليل قول طه حسين لي : ان الاستاذ الحكيم ليس بخيلا كما يحب ان يشاع عنه ،وكان يستقبلني كثيرا عند عودتي من اوروبا في الاسكندرية ويعزمني على الغداء وبدليل تلك الرسائل العديدة التي كان يرسلها العميد من اوروبا الى الاستاذ الحكيم مخاطبا اياه : صديقي العزيز او اخي العزيز ، وكلا التعبيرين يوحي بمودة عميقة خالصة يؤكدها ما كان يختتم به الدكتور طه رسائله بقوله : وتقبل منا جميعا اصدق التحية وإخلص الود

أعمى البصر والبصيرة

وحدثني طه حسين عن كتابه « علي وبنوه » فقال : « لقد انصفت الإمام عليا في هذا الكتاب» ورضيه عامة الشيعة في العراق ، ومع هذا بعث الى بعضهم برسالة يدعو علي فيها بقوله : اعمى الله بصيرتك كما اعمى بصرك .

ولما الغت مصر القضاء الشرعي، كتب طه حسين في جريدة « الجمهورية » مقالة تحت عنوان « الخطوة الثانية » ، طالب فيها بالقضاء على ثنائية التعليم عن طريق تطوير الازهر وتوحيد التعليم في المرحلتين الاعدادية والثانوية ، واثارت هذه المقالة رجال الازهر وبعض المسئولين واتهم طه حسين بخدمة الفكر الاستعماري ومعاداة الاسلام ، وخصصت مجلة الازهر بعض اعدادها للرد على تلك المقالة دون مراعاة لموضوعية النقاش والجدال بالتي هي أحسن ،وحمل البريد الى العميد عدة رسائل بعضها يؤيده فيما نادى به ، وبعضها الاخر يحمل عليه ويكرر ما كان في قضية الشعر الجاهلي .

« يا مسهل يا رب »

وارسل الدكتور محمد الطبلاوي رسالة الى طه حسين عبر له في مستهلها عن اصدق حبه واعجابه واطيب تحياته وامنياته ، ثم سأله عن معنى كلمة « رب » اذا كانت معرفة بالالف واللام او غير معرفة بهما ، وايضا كلمة « مسهل » في قول الناس : « يا مسهل يارب » وهل هذه الكلمة عربية او انها دخلت لغتنا من العبرية او سواها من اللغات الشرقية . وختم رسالته بابداء رغبته في زيارة طه حسين في الوقت الذي يحدده له .

وطلب مني طه حسين ان اعد ردا على هذه الرسالة ، وقد حدثني عما اكتبه جوابا لما سئل عنه ، وكتبت ما يلي وقرأته عليه فاقره .

السيد المحترم الدكتور محمد جلال الطبلاوي

احييكم اجمل تحية ، واشكركم اعمق الشكر على رسالتكم الكريمة . وبعد فان كلمة « رب » تطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي ، والله تعالى سيد المخلوقات ومدبر امرها . ولهذا يقال : رب العالمين ورب السموات والارض ، ويقال في غير الله : رب الدار ، وهن ربات الحجال .

وكلمة رب اذا عرفت بالالف واللام لا تقال الا لله ، وان كانت قد جاءت لغير الله في بعض الاشعار المنسوبة الى العصر الجاهلي .

قال الحارث بن حلزة :

وهو الرب والشهيد على يو
م الحيارين والبلاء بلاء

على أن كلمة « رب » لم ترد معرفة بالالف واللام في القرآن الكريم وجمع كلمة رب أرباب، وكان من حقه الا يجمع اذا كان اطلاقه على الله تعالى وحده . ولكن اتى بلفظ الجمع في قوله : « ارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » على حسب اعتقادات المشركين لا على ما عليه ذات الشيء في نفسه .

واما كلمة « مسهل » فهي وصف من اوصاف الناس لله لانه رءوف بعباده يفرج كروبهم وييسر



اورهم . وليست الكلمة من الاسرائيليات التى دخلت الى لغتنا كما اشرت .

ونظرا لسفرى الى اوروبا بعد ايام قليلة يسعدنى مقابلتكم بعد عودتى من السفر ان شاء الله .

ولكم اصدق تحياتى وتمنياتى الطيبة .

يوم من عمر طه حسين

وفى العام الدراسى ٦٩ ـ ٧٠ قررت وزارة التربية فى مصر الجزء الاول من « الايام » على طلبة الشهادة الاعدادية . وطه حسين فى هذا الكتاب يشير فى اول جملة منه الى يوم من ايام حياته . وقد اختلف المدرسون فى تفسير هذا اليوم . فمنهم من ذهب الى ان المقصود به يوم مولد العميد . ومنهم من رأى انه اليوم الذى بدأ فيه العميد يخطو الى الشارع . ومن ثم تلقى عشرات الرسائل من هؤلاء الطلاب . وكلها تطلب شرح هذا اليوم وبيان المقصود به .

ولكثرة الرسائل املى على العميد الكلمة التالية بعنوان « اجابة » وطلب منى ان احملها الى المسئولين فى الاهرام لنشرها .

« تلقيت رسائل عديدة من بعض شبابنا الذين يدرسون فى المدارس الاعدادية يسالوننى فيها عن اول جملة من كتاب الايام . ذكرت فيها يوما لا اعرف اسمه . ووقتا من هذا اليوم لم احدده . وانما ترددت فى امره اكان وقت الفجر ام وقت العشاء . وكثير من هؤلاء الشبان يقولون ان اساتذتهم لم يفسروا لهم هذا اليوم . واغروهم بالكتابة الى لابين لهم اكان هذا اليوم يوم مولدى ام يوما اخر .مع انى بينت هذا اليوم فى السطور الاولى من هذا الكتاب . وهو اول يوم خرجت فيه من الدار .

ولم يكن هؤلاء الشبان فى حاجة الى ان يفسر لهم هذا اليوم لانه مذكور واضح كل الوضوح . والغريب ان بعض اساتذتهم قد اغروهم بسؤالى مع انهم يستطيعون ان يبينوا هذا اليوم الا ان يمنعهم من ذلك كسل او تقصير او قصور .فليقرا التلاميذ هذه الصفحة من هذا الكتاب . فسيجدون فيها جواب سؤالهم واضحا جليا . والله المستعان على استقامة التعليم فى مدارسنا على اختلافها»

وكنت قد قرأت للعميد الصفحة الاولى من ذلك الكتاب قبل املاء هذه الكلمة التى نشرت فى الاهرام يوم العاشر من ديسمبر سنة ١٩٦٩ .

رسالة من تلميذة

وكان من بين الرسائل التى تلقاها طه حسين حول « الايام » رسالة من تلميذة فى الصف الثالث الاعدادى ولم تكن تسال عما سال عنه زملاؤها . وانما اثنت على طه حسين وكتاب الايام ثناء مستطابا فى لغةعربية فصيحة واسلوب ادبى ممتاز . واشارت الى انها بعد ان قرات هذا الكتاب . واعجبت به كل الاعجاب . اقبلت تلتهم كتب طه حسين الاديب الانسان .

وسر العميد من هذه الرسالة كل السرور . واملى على ما يلى جوابا علىتلك التلميذة التى تنبا لها بمستقبل مشرق فى الادب والكتابة .

الآنسة الكريمة زينب احمد عمر .

اهدى اليك اصدق تحياتى واعمق شكرى على كتابك الرائع الذى تلقيته وقرأته مرات وسررت به سرورا لا حد له . ومهما شكرتك واثنيت عليك فلن اؤدى حقك بعد هذا الكتاب الكريم .

واثنيت على كتابى الايام ثناء تجاوزت فيه حد الاعتدال ، واحب ان اؤكد لك انى لم ارض قط عن كتاب من كتبى مهما كان موضوعه ، كما انى لم ارض قط عن نفسى، واحمد الله الذى جنبنى هذا الرضا ، وعصمنى من هذا الغرور ، وقد اعجبتنى طريقتك فى الكتابة واعجبنى تعبيرك عما تريدين ، ولست اشك فى انه سيكون لك مستقبل رائع فى الادب والكتابة ، ومن يدرى لعلك تقولين الشعر ايضا ، فاقرئى فى الادب العربى وفى الاداب الاجنبية ما استطعت ان تقرئى ،فهذه هى الوسيلة الى بلوغك ما ينبغى ان تبلغيه من مكانة رفيعة فى الادب ان شاء الله .

واجدد تحيتى وشكرى واسال الله لك النجح والتوفيق » .

وكنت شديد الحرص على نسخ رسالة تلك التلميذة ،غير ان زوجةالعميد اخذتها فور الانتهاء من قراءتها لتحتفظ بها مع ما تحتفظ به مما ينشر عن العميد أو يرسل اليه .

اما الرد فقد نسخته لانى كلفت بارساله ،فلم اضعه فى صندوق البريد الا بعد نقله .

وسالت العميد : الم تقرا كتابا من كتبك بعد تاليفه . قال : لا ، لم يحدث قط ان قرات مؤلفا لى بعد كتابته ، قلت : جرت العادة ان كل مؤلف يقرأ كتبه وبخاصة اذا اعيد طبعها ليعدل او يحذف أو يزيد ، قال : انى اريد ان اقرأ كتاب مستقبل الثقافة فى مصر ، لاعدل فيه بعض الاشياء بعد ان اصبح التعليم مجانا فى جميع مراحله ، وقويت الصلات العلمية والادبية بين البلاد العربية على الرغم من الخلافات بين بعض حكامها ...

سؤال ...

وكتبت مجلة اللسان العربى الى العميدبمناسبة مرور تسعة اعوام على صدورها ، وقد ذكرت فى رسالتها انها تعزم علىتعريف قرائها بالكتاب الذين يسهمون فى تحريرها مع عرض صورة صحيحة عناصدقائها جنود اللغةوالفكر المخلصين.

وحددت المجلة بعض النقاط التى ترجو ان يكتب العميد عنها فى ايجاز ، وهذه النقاط هى:

١ ـ تاريخ الميلاد ومكانه والمنشا .

٢ ـ الدراسة والتعلم والشهادات الثقافية والتخصص .

٣ ـ اللغات التى تجيدونها .

٤ ـ هواياتكم الادبية والعلمية والفنية .

٥ ـ مدى تاثركم بمن سبقكم ومدى تاثيركم فى سواكم .

٦ ـ مؤلفاتكم باسمائها وموضوعاتها .

وجواب ...

وجاء رد العميد على هذه النقاط كما يلى..

١ ـ ولدت فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ بعزبة الكيلو ، ونشات بمدينة مغاغة بمحافظة المنيا .

٢ ـ درست فى الازهر والجامعة الاهلية المصرية وجامعة السوربون ، وحصلت على درجتى دكتوراه علمية ، واحدة من مصر ، والاخرى من فرنسا كما حصلت على ثمانى دكتوراهفخرية على النحو التالى ..

من فرنسا .. واحدة من جامعة مونبليه ، واخرى من ليون .

من انجلترا .. واحدة من جامعة اكسفورد .

من ايطاليا .. واحدة من جامعة روما ، واخرى من بالرم .

من اليونان .. واحدة من جامعة اثينا .

من اسبانيا .. واحدة من جامعة مدريد ، واخرى من غرناطة .

٣ ـ اجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية .

٤ ـ اهوى الادب العربى القديم ، واحب الغناء الجيد الخالص ، وبخاصة الغناء الاوروبى

٥ ـ تاثرت بالجاحظ والمبرد وابى العلاء ،واما مدى تاثيرى سواى فلا علم لى به ، وهو امر متروك للباحثين والدارسين .

٦ ـ واما مؤلفاتى وموضوعاتها فيمكن الرجوع الى دار المعارف للحصول منها على هذهالمؤلفات ومعرفة موضوعاتها من خلال الاطلاع عليها .

يطلب انقاذه من دفع الايجار

ومن الرسائل الطريفة التى تلقاها طه حسين رسالة من عامل بمدينة المنصورة يطلب من العميد

ان يساعده على الحج الى البيت الحرام او على بناء بيت صغير ينقذه من ماساة اول كل شهر وهي الايجار ، ويفضل العامل الامر الثاني لحاجته الملحة الى مسكن خاص •

وضحك العميد ضحكة عالية بعد أن قرأت عليه رسالة هذا العامل ، ثم قال : ان الناس يظنون انني رجل ثري ، والحقيقة غير ذلك ، انني رجل مستور الحال والحمد لله ، لا امتلك اموالا ثابتة او منقولة ، سوى هذا البيت الذي اقيم فيه ، ورحم الله والدي فقد قال لي ولاخوتي قبيل وفاته : انني لم اترك لكم ميراثا ولكني علمتكم جميعا ••

ان دخل طه حسين كان يتمثل في معاشه ومكافاة العضوية في بعض الهيئات العلمية ، وما يحصل عليه من كتبه ، وكان هذا يبلغ نحو ثلاثة الاف جنيه كل عام ، وكان يخصص هذا المبلغ لرحلة الصيف •

وكان العميد مع هذا كريما معطاء يجود بما يستطيع على ذوي الحاجة والفاقة وبخاصة اهله ورحمه ، وكان يعهد الي احيانا بارسال ما يجود به عن طريق البريد •

وكان الناس يعرفون في العميد كرمه وانسانيته ، فكانوا يطرقون بيته في الصباح او المساء ، وما كان يرد انسانا دون أن يقدم اليه شيئا ، وكان هذا يثير زوجه في كثير من الاحيان ، ويجعلها تتهم زوجها بانه يستجيب لكل طارق ، ويثق سريعا بالناس ، ولهذا كان العميد يخفي عن زوجه ما ينفقه ويجود به •

صورة •• ودعوات

وفي يوم الاثنين الموافق للخامس عشر من فبراير سنة ١٩٧١ عقد المجمع اللغوي جلسة افتتاح مؤتمره السنوي في مبنى الجامعة العربية ، ورأس العميد هذه الجلسة ، ولكنه لم يستطع ان يسير على قدميه من امام الباب الخارجي الى قاعة الاجتماعات ، فحمل على كرسي ، وفي اليوم التالي نشرت الاهرام صورة العميد وهو محمول على الكرسي ، وكان نشر هذه الصورة سببا في تلقي العميد عدة رسائل ترجو له الصحة وطول البقاء ••

وكان العميد في العقد الاخير من عمره يعاني من ضعف في ساقيه وبطء في حركته ، وكان لا يستطيع السير الا متوكئا على عصاه وذراع شخص آخر ، واورثه هذا ضعف في معدته ، وغازات مؤلمة في امعائه ، وكان يحاول التغلب على هذه الآلام او التخفيف من وطأتها بالاقلال من الطعام ، وكانت زوجه تخاصمه لعدم اقباله عليه كما تريد ، وزاد هذا من ضعف العميد ، وكان في اعوامه الاخيرة لا يقوى على صعود سلم بيته او المجمع ، فكان يحمل عند الصعود والهبوط ، وكان اذا انتقل من كرسيه الى فراشه ، لا يقدر على رفع ساقيه الى سريره ، فكان من يصحبه اليه يعاونه في هذا •••

★★★

هذا طرف من الرسائل التي كان العميد يتلقاها ، وهناك رسائل كثيرة لا سبيل الى الحديث عنها ، فهي تحيات في مناسبات ، او رجاء في شفاعة ، او طلب لصورة او كتاب ، او تعبير عن مشاعر الحب والاعجاب او رغبة في معرفة رأي العميد في عمل ادبي جديد •• الخ •

وكان العميد يقرأ كل ما يرسل اليه بعناية ، ويحرص على ان يكتب ردا على كل رسالة ، ولكنه في سنواته الاخيرة ، حيث اصبح ينسى بصورة غريبة ، كان لا يرد على رسالة الا اذا اقتضت الضرورة ، وذكر بهذا الرد غير مرة •

والجدير بالاشارة اليه ان هذه الرسائل كانت ترد الى العميد من جميع البلاد العربية ، وكان يكتب اليه بعض الحكام والوزراء العرب ، وبعض هؤلاء كان تلميذا للعميد درس عليه او قرأ له •

كذلك كانت ترد الى العميد رسائل من بعض البلاد الاجنبية ، وما كان يقرأ هذه الرسائل الا زوجه ، كما كانت تقوم بالرد عليها ••

وبعد فقد كان بعض تلامذة العميد واصدقائه وزملائه لا يكتبون اليه ، ولا يذكرونه في مناسبات التحية والتهنئة ، وكان هذا يؤلمه ابلغ الالم ، فقد احسن الى الجميع ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فلما امتد به العمر ، نسيه من كان يذكره ويسعى اليه بالامس ، وهذا نكران للجميل ، وهو شيء فظيع على حد قول العميد رحمه الله •

■■

طرابلس الغرب — محمد الدسوقي

انها ليست مجرد «مدينة لعب» للتسلية ٠٠ بل حلم شاعر عظيم قفز من مخيلته فاستقر في هذا الجزء من العالم

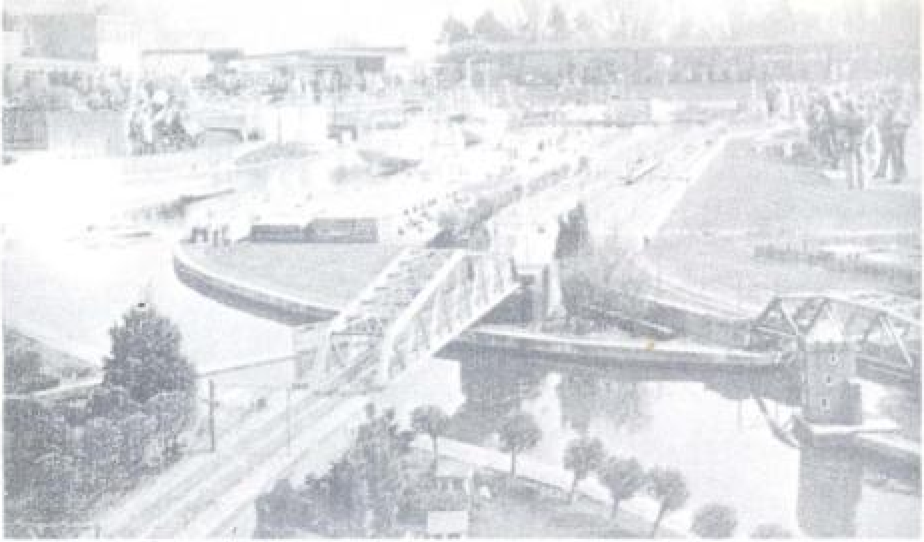
مادورودام
أصغر مدينة في العالم

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ لم اكن اقصد زيارة هولندة بالذات عندما ذهبت الى امستردام وروتردام ولايدن وكوكنهوف بل اردت رؤية الزهور ، ولا سيما الزنابق اتصيدها بنظراتي واملأ رئتي بالنسيم الذي يمر عليها ، ولكن ـ كما يقول الروائي الايطالي البيرتو مورافيا ـ الشيء الواحد يفضي الى سواه . فقد قادني ولعي بالزهور الهولندية الى مشاهدة صور (ريمبراندت) Rembrandt في متحف الرايكز بامستردام ، فاوحت لي هذه بزيارة ماديورادام Maduradam او ما يسمونه باصغر مدينة في العالم ، وهي واسطة العقد بين لاهاي والمصيف البحري الرائع سخيفيننكن Scheveningen جئتها وفي ذهني سطر واحد عنها وهو : « اذا اردت ان تشاهد هولندة كلها في ظرف ساعة ، فاذهب الى ماديورادام ! » ، وقد صدقت هذا القول بادئ ذي بدء ، ولكن سرعان مابدا لي زيفه ، فقد قضيت فيها يوما ويوما وثالثا ، وما ارتويت منها ولا اشبعت فضولي في تقصي تفاصيلها واستكناه مغزاها . فقد كان اليوم الاول مجرد زيارة عامة ، اما الثاني فكان مقارنة بين ليلها ونهارها ، واقتصر الثالث على تحليلها ومحاولة العثور على نظير لها في زوايا الذاكرة ، فقد شبهتها لاول وهلة بقرية « بين » Penn في مقاطعة بيكونسفيلد Beaconsfield بانكلترة (١) وهي قرية صغيرة اشبه بقرى الاقزام الذين ذكرهم جوناثان سويفت Jonathan Swift الكاتب الارلندي عندما تحدث عن قوم اسماهم بالليليبوت Lilliput ٠ ولكن القرية

---

(١) تبعد المقاطعة ٢٢ ميلا عن لندن باتجاه الشمال الغربي منها ،وقد ارتبط اسمها بدزرائيلي الذي عرف بايرل بيكونسفيلد ، وقد ورد في الانباء التي عرضت على شاشة التلفزيون البريطاني ان مدينة مماثلة لماديورادام ذات معالم انكليزية ،يجري انشاؤها في الوقت الحاضر ،فليت انا نسعد اطفالنا العرب بمدينة عربية مصغرة في عالمنا العربي ٠



جسر السكة الحديد عبر النهر ، وقد ظهر الرفا والبواخر الراسية اليه مع خزانات تكرير البترول ، فى اقصى الشمال الغربي ، وفى ادنى الصورة بعض الاشجار المصغرة على الطريقة اليابانية .

الانكليزية المصغرة هى مجرد قرية فى اى بقعة من بقاع العالم المتحضر ، اما «مادبورادام» فهى تقليد ومحاكاة دقيقة لاشهر البقاع والابنية الهولندية . لم حاولت ان اقارن بينها وبين دزنى لاند Disny Land باميركا فكان التباين اوسع ، فهذه مدينة خيالية ومادبورادام والحقيقة كاصدق ما يكون الواقع ، فهذا هو المطار ، وذلكم هو برفا روتردام ومصافى النفط الشهيرة ، وثمة ساحة امستردام امام القصر الملكى ، فضلا عن الطوابق السكنية ومحطات القطار ، والنفق ، والشلال .. كل شيء تجسيم بارع للواقع ولكن على اصغر نطاق ممكن ، بحيث ان العميان ياتون فى ساعات معينة خاصة فى الصباح ليحتضنوا الابنية ويتلمسوا اجزاءها المختلفة ، فيوسعوا اطلاعهم بطريق اللمس ويعوضوا بايديهم عما عجزوا عن التوصل اليه بعيونهم ، وان احدهم ليصرخ احيانا على غير شعور منه فيقول : « اه .. الان علمت اين تبتاع زوجتي حاجياتنا المنزلية ! »

ولو اردنا ان نترجم « مادبورادام » ونحيلها مدينة عربية مصغرة لجمعت بين ما يمكن ان تجمع ، المنارة الملوية بسامراء وقصر الاخيضر وسوق الصفارين ببغداد والمسجد الاموى وسوق الحميدية بدمشق والازهر الشريف وخان الخليلي فى القاهرة وميناء الاحمدى فى الكويت .. الخ .. ، بحيث ان السائح الاجنبي يستطيع بتجواله فيها ان ياخذ فكرة عامة عن العالم العربي ، ومن لم يقصد الى ما يبتغى رؤيته بالتفصيل ، فهى ذات نفع عظيم للعرب والاجانب معا .

مدينة تذكارية

ومالي وللاغراق فى الاماني ورسم احلام المستقبل ومطامحه ، فلها من يحققها وما علىّ الا الالماح اليها والاشارة الى جدواها ولو بفقرة عابرة .. ولأعد الى « مادبورادام » .. ففى الليل تتلألأ الانوار فيها بمختلف الالوان بين بيضاء ناصعة وحمراء قانية وصفراء فاقعة وخضراء زاهية معلنة اسماء المحال التجارية والمصارف والبنوك ، وجماهير الناس تطوف فى الشوارع المصغرة فتبدو عمالقة وما هى بعمالقة ، انما المسألة مجرد نسبة وتناسب ، ككثيرين من العظماء الذين ظهروا فى ظروف تافهة فبدوا اضخم من حقيقتهم ، وانطلت اكذوبة عظمتهم على التاريخ والمؤرخين ، وليس هناك من يعيد الصورة الى منظورها الحقيقى .

لقد تعلمت اشياء كثيرة بزيارتي لمادبورادام .. وكما ذكرت فى رسالة خاصة لاحد الاصدقاء : « ان الانسان يصبح عند زيارته لمادبورادام اما



صبيّة عربية تستعرض مبهورة المنطقة الصناعية من مدينة (ماديورادام) وكأنها تتساءل : « متى ستكون لنا مدينة عربية مماثلة تبهر أعين السيّاح ؟ »

شاعرا او فيلسوفا ، فهي تفتق القريحة لجمال الاشياء وتفتح الذهن على حقائقها .. أليست القوة الربانية فوقنا تراها وترى مدننا الضخمة العظيمة كالمدينة الالعوبة هذه ؟ » ... لقد سرت في شوارعها وانا ادندن مع نفسي ابياتا كانت من وحي الساعة لم يبق في ذهني منها الان سوى هذه :

أدمى نحن كهذى ويحنا
تضحك الاقدار منا ما تشاء ؟

فيك (مادورا) رأينا صورا
هى والحلم سواء بسواء

ام هى (الجنّ) تنادت فبنت
اربما تحكى خيال الشعراء

أتراهم ضربوها مثلا
لابن حواء خدين الخيلاء ؟

فاتى يمشى الهوينا ليرى
نفسه العملاق بين النزلاء !

يا لها من خدعة ماكرة
اوحت المجد لمن كان هباء !

ولو سألت الناس كيف بدأت هذه المدينة الطريفة لاجابوك « انها مدينة تذكارية افتتحت سنة ١٩٥٢ تخليدا لابن كان وحيد أبويه فقتل ، فشاء الابوان من (آل ماديورا) ان يقيما له نصبا تذكاريا ، فلم يريا خيرا من هذا الاسلوب في الابقاء على ذكر ابنهما .. في مخيلة الاطفال بصورة خاصة .. »

ولقد تفنن الغربيون في محاولة قهر الفناء والنسيان بأساليب قد لا تخطر على بال ، وهذه واحدة منها ، والحق انها جد بارعة وتدر ارباحا طائلة يقول القيمون عليها انها تصرف للحفاظ على المدينة وتوسيعها وتحسينها ، فملايين الزوار يفدون كل عام من مختلف ارجاء العالم لزيارة (ماديورادام) ، بين اطفال تستهويهم اللعب فكيف اذا كانت مدينة باكملها لعبة .. وبالغين يودون العودة الى ايام طفولتهم ، وهذه افضل وايسر وسيلة ، فما عليهم الا ان يخترقوا الباب الحديد بعد دفع اجر قد يعد عاليا بمقاييس بعض الاقطار .. ليعودوا اطفالا من جديد يشاركون ابناءهم وبناتهم مشاعر قد تكون مضت عليها عقود من الزمان ، ولكنها سرعان ما تقفزُ للعيان، وكأنها لم تتلاش قط ولم تمر عليها كف النسيان .. بل ازدادت جدة وطراوة .

عالم اسطوري

هنا ، في هذه المدينة، الاباء والامهات والبنون



صبي عربي أغرق في تفكير عميق بعد أن فرغ من مشاهدة أعاجيب (ماديورادام) وقد ظهرت الى يمينه الاشجار القمئة واحدى البنايات السكنية ذات الطوابق العشرة وجزء من (بلاج) سخيفينكن Scheveningen ٠

والبنات سواسية ، ترتفع بينهم فوارق الاعمار ويعود الكل صغارا ابرياء ، ولو لساعات ٠ ! فالاصل الطفولة والعودة اليها ٠ الا ترى كيف ان الشيخ الطاعن في السن اذا ما امتدت به السنون فوق المعدل المعتاد نبتت له اسنان جديدة وكانه يعيد دورة الحياة فيفكر تفكير الاطفال ويتصرف تصرفهم ويقول الناس عنه : « انه اصيب بالغرف أو دخل مرحلة الطفولة الثانية » ٠٠ اما هنا فلا خوف من ان ترمى بالغرف ، فانت في مدينة الطفولة الازلية ، وهي بعد متفقة ، ففيها من المصانع ومعامل التكرير ما يجعل كل طفل يقف مفكرا كيف تعمل هذه المصانع ، وما الذى تنتجه وتقدمه للانسانية ، ولا اكتم انى اخذت عناوين بعض المؤسسات والمنشات مما علق عليها من لافتات ، وعرفت مواقعها من هولندة لازورها ، وكنت في شك من ذلك قبل زيارة (ماديورادام) ٠٠ انها بمعنى آخر : خارطة مصغرة مجسمة لهولندة ٠

وكنت مترددا في زيارة المنتجع البحرى والمسبح المتصل به في مصيف سخيفينتكن Scheveningen لضيق الوقت فاكتفيت بادئ ذى بدء برؤيته في مدينة الاطفال هذه ، ثم عندما سنحت لي الفرصة فيما بعد زرته فاحسست بشعور غريب يتحدى الوصف ، فقد اتسع ذلك المشهد المصغر فغدا هائلا ، وكنت اغمض عيني وافتحهما لاقارن بين ما اراه اليوم وما رأيته بالامس فكانت المقارنة لا تخلو من عبث لذيذ يداعب المخيلة بشكل لا عهد لها به من قبل ٠

لقد احسست وانا في هذه المدينة بان شيئا جذريا قد تحول في نفسي، فانا في عالم اسطوري، وانها لعمرى لوسيلة رائعة لقطع صلة الانسان بعالمه المزعج المليء بالفواجع ، فقد تحولت فجاة الى عالم بريء طفولي ، كل ما فيه يشعر باللطف والدعة ، فكان جنيا من « ألف ليلة وليلة » قد احالنا الى عمالقة في مدينة هولندية تعج بالحركة ووسائل المواصلات ، وتنتشر في انحائها الكنائس والمدارس والمسارح والمصانع، وكلها تحت رحمتنا وبوسعنا ــ ان شئنا ــ ان ندمرها بضربات من اقدامنا الضخمة نسبيا ، ولم تخل المدينة من طواحين الهواء التى اشتهرت بها مقاطعات هولندة الشمالية والجنوبية على حد سواء ، وثمة بحيرة ترسو فيها البواخر والسفن ، وبينها الباخرة « روتردام » التى تبحر عادة الى نيويورك عن طريق مينائى « هافر » Havre و ساوثمبتون » Southampton ، وتقوم في الشتاء برحلات بحرية الى جزر الهند الغربية وامريكا الجنوبية ، وبرحلة حول العالم في ثمانين يوما ٠ تجد هذه



خزانات تكرير النفط والباخرة المشهورة «روتردام» التي تبحر حول العالم كل شتاء في ثمانين يوما.

الباخرة الساحرة راسية فيما اسموه في « مدينة الجان » هذه (بميناء ماديورادام) .

ولست بحاجة الى مواصلات معقدة لتصل في ثوان معدودة من الميناء الى مبنى البرلمان في (لاهاي) الذي يمثل القلب النابض للمدينة بل لهولندة باسرها، فقد اجتمعت الحكومة الهولندية هنا لقرون متعاقبة ، ويوسع « الماديوراداميين » الاقزام ان يطلعوك بفخر على الفناء الداخلي والبحيرة والمتحف المسمى « بموريتس هاوس » Maurits House والعربة الذهبية يحرسها المرتدون البزة العسكرية . وكأنك أحد المشاهدين المحظوظين الذين دعوا الى حفلة (يوم الامراء) « ثالث ثلاثاء من ايلول في كل عام » ، وما عليك الا ان تضع قطعة نقد صغيرة في فتحة مستطيلة على مقربة منك لتشهد الكل في حركة عجيبة . فاذا الجمود قد استحال الى فعالية ونشاط ، والركود الى مهرجان بديع الى ان يعود « الموكب الملكي » بعد ان تتم الملكة افتتاح البرلمان الجديد .

المال مشكلة في المدينة المصغرة .. ايضا !

وتسير حالما في شوارع (ماديورادام) الى ان ترجع القهقرى الى واقعنا عندما تشهد حادثة اصطدام وسيارة اسعاف .. ثم تلتفت ناحية لتبعد عن نفسك مشهد المأساة ، فترى حديقة الحيوانات بمختلف صنوفها واشجارا ضخمة قد صغرت بحيث غدت قمئة قزمة على الطريقة اليابانية في تصغير الاشجار مع المحافظة على اشكالها الاصلية .

وكانت الانارة ليلا افضل بكثير من المدن

القصر الملكي في امستردام مع جزء من الساحة الفسيحة امامه ، وهو من اشهر معالم العاصمة الهولندية






مبنى البرلمان في الفناء الداخلي في (لاهاي) ، وقاعة الفرسان ، والمتحف المعروف « بموريتس هاوس » ، والموكب الملكي ، ويظهر من ارتفاع قامة جماهير السياح فوق المبنى نسبة حجمه .

الشرقية بل وحتى من بعض المدن الاوروبية ، ثم انك لتجد بين الحين والآخر اضواء تنظيم المرور تتحول من الخضرة الى الحمرة وبالعكس ، لتوقف المرور او تسمح به لكيلا يحدث اصطدام بين الحافلات والقاطرات ، رغم ان الشوارع متراكبة على بعضها البعض على الطريقة الحديثة لتلافي الاصطدام وللسماح بقدر معقول من السرعة .

اما البيوت السكنية ذات الطوابق العديدة والالوان المتباينة فكانت تبهر الابصار .. وجمال المدينة ليلا ابهر واروع منه نهارا .

وبوسعك ان تتحكم في حركات كل ما في هذه المدينة بما لديك من مال . فالمال مسيطر على حركة البواخر واغاني الرهبان ، وقرع الطبول في حدائق الحيوان ، بمجرد القاء قطعة نقد صغيرة ايذانا بالحركة . لقد تخلصت « المدينة المصغرة » من كل مشكلات بني الانسان عدا مشكلة المال ، فالنقد لا يزال مسيطرا على حركاتها وسكناتها :

فهو اللسان لمن اراد فصاحة

وهو السنان لمن اراد قتالا

وترى الاطفال ، بل وحتى بعض البالغين ، واقفين حول بركة ماء يرمون فيها بقطع النقد ايمانا بخرافة سائدة تقول بان من يرمي فيها النقد مقدر له ان يعود الى (مادبورادام) ولو بعد اعوام .. ولكن ثمة من يعابثهم من الاطفال الذين يحاولون استرداد ما رمي فيها بأساليب شيطانية ، على عادة الاطفال في المعابثة ..

وماذا بعد ؟

لقد انتزعت نفسي انتزاعا من هذه المدينة العجيبة عندما اذن الليل بالانتصاق وانا اردد مع نفسي :

صغروه فغدا « ألعوبة »

عالم الانسان في هذا الوجود

آدمي ضاحكة أم ذي رؤى ...

راودتنا يوم كنا في المهود ؟

لا . لا . ليست هذه مجرد « مدينة لعب » للتسلية ، بل حلم شاعر عظيم فقز من مخيلته فاستقر في هذا الجزء من العالم . ■■

صفاء خلوصي/اكسفورد



● من رسائل العالم الخارجي ●

عربي في كندا "ناضلت كما

■ الدعوات الرسمية التي وجهها محمد سعيد مسعود الى حفلة خاصة في النادي السوري ـ اللبناني في مونتريال تحدثت عن وجود «مفاجأة» ما ٠٠

وحار الذين تلقوا البطاقات في امر «المفاجأة» ماذا يمكن لرجل في الثالثة والثمانين من العمر ، ان يخبيء من مفاجات ؟كثيرون خطر لهم ان الرجل سوف يعلن عن مشروع جديد او سوف يتحدث في امر ما ، او سوف يدعو الى اقامة جمعية عربية جديدة ، لكن كيف يمكنه ان يفعل ذلك وقدماه اصبحتا لا تحملانه الا في صعوبة بسبب داء المفاصل وتحت وطأة السنين العامرة ٠

على أن المفاجأة كانت اكثر بساطة وانما اكثر عمقا ايضا ، كانت محمد سعيد مسعود بالذات ٠لقد ضم المهاجر الدرزي ، الذي جاء الى كندا من بشامون في اوائل القرن ، صفحات ٨٣ عاما بين دفتي كتاب يحمل علمي فلسطين وكندا تحت عنوان « ناضلت كما آمنت » ٠

آمن ،طبعا ،بربه وبامته٠ لكنه فعل ذلك في تعبد المؤذنين ٠ اى عاليا في اجواء كندا يوم كان محمد سعيد مسعود وحيدا في جالية عربية صغيرة وفقيرة ،يمسك الريشة والدواة ويكتب الى الصحف مفندا الدعايات الصهيونية او يخطب في النوادي او يؤسس الجمعيات او يكتب الى الشخصيات الكندية والعربية في حماسة الحارس الامين ٠

« ناضلت كما آمنت » يقع في ٧٢٦ صفحة ،وفي هذا المجلد الفريد من نوعه تكتشف ان ثمة رجلا قام ينادي بالحق الفلسطيني على صفحات الصحف الكندية ٠٠ منذ عام ١٩٢٣ ، وما يزال يفعل ذلك حتى اليوم ، واذا عرف المرء ان الصوت العربي في الاعلام الكندي ما يزال خافتا الى الان ، امكنه ان يتصور جيدا كيف كان الوضع قبل اكثر من نصف قرن ٠

يقول محمد مسعود ان كل الحكاية بدأت بتصريح ادلى به في ذلك العام حاخام قادم من فلسطين ٠ قال ذلك الحاخام ان الشعب العربي كسول ولا يعرف جيدا كيف يستغل ثروات فلسطين ، ولذا فان اليهود سوف يفعلون ذلك ٠

ولم يكن ذلك مجرد تدجيل سياسي في بلد يجهل اهله كل شيء عن فلسطين والشعب العربي بل كان ايضا اهانة واضحة ٠ وحمل محمد مسعود قلمه للمرة الاولى وكتب الى صحيفة « مونتريال ستار» رسالة وقعت في عمود ونصف العمود ، خلاصتها ان التصريح كاذب ومهين وان الدليل على ذلك هو بكل بساطة تلك البساتين العامرة التي غرسها اهل فلسطين في كل مكان ٠

في ذلك الوقت ، حتى ما بعد الاربعينات ، لم يكن في كندا سفارة او حتى قنصلية عربية واحدة من اجل ان تؤدي اى دور اعلامي او سياسي ٠وقرر شخص واحد ان يقوم بهذا الدور ما امكنته قواه من ذلك ٠ ثم اكتشف محمد مسعود ان للنوادي في هذه البلاد صوتا اكثر فعالية ، فما كان منه الا ان سارع الى تأسيس الجمعية العربية ـ الكندية التي ضمت اشخاصا كنديين متعاطفين مع العرب ، واصبح يكتب الى الصحف باسمها ٠

ويقول في مقدمة كتابه انه لجأ الى الجمعية بعد



منت”

بقلم : سمير عطا الله

ما اصبحت رسائله الى المحرر لا تنشر دائما ، اما لان المحرر كان شديد التحيز للصهيونيين واما غالبا لانه سئم تلقي كل هذه الرسائل تحت توقيع واحد طوال الوقت ٠

وقد خاطب الرجل الكنديين من موقع ثابت ٠فهو ليس عربيا فقط بل ايضا عربي ـ كندي « ان ما فعلت كان مجهودا كنديا يقوم به مواطن كندي فقط من اجل ان يرضي كينونته كمواطن كندي من دم عربي » ٠

وفي سيرة محمد مسعود الذاتية يقرا المرء في كل وضوح صلابة شخصية وقومية لا تلين ٠ لا بد من القول ان نجاحه المادي قد ساعده الى حد كبير في تكريس الكثير من الوقت والجهود من اجل العمل القومي ، كما مكنه غالبا من السفر الى العواصم العربية للاجتماع بالملوك والرؤساء واطلاعهم على طبيعة محاولاته وللاطلاع منهم على تطور القضية الفلسطينية في الاندية الدولية ٠

وهو لا يخفف في الاشارة الى هذه الناحية بوضوح ٠ فالصبي الذي بدأ حياته في دكان ابيه في مقاطعة اونتاريو ثم اشتغل في دكان لبيع الجيلاتي ما لبث خلال سنوات قليلة ان امتلك ٤ دور للسينما في قلب مدينة تورنتو ثم شركة لصنع الحلوى في مونتريال ، حيث يقطن منذ سنتين في شقة مليئة بالكتب وقصاصات الصحف والمذكرات٠

من هنا فان « ناضلت كما آمنت » يسجل امرين: الاول حكاية النجاح الفردي في معتركات الهجرة ، والثاني والاكثر اهمية ، تطور العمل العربي في كندا عبر نصف قرن ٠ بل اننا نظلم الرجل اذا حصرنا عمله في كندا وحدها ٠ لان الاصح انه لم يهمل مؤتمرا واحدا من المؤتمرات التي عنيت بالقضية العربية في الامريكتين ، اما حضورا شخصياً واما مساهمة ادبية ما ٠

كذلك يجب الا نخفف من قيمة الزاوية المعروفة في الصحافة العالمية باسم « رسائل الى المحرر » فهذا الجزء الذي تخصص له يوميا صفحة كاملة في الصحف الكندية والامريكية ذو جمهور لا يحد ، ولا يذكر محمد مسعود ان رسالة واحدة من الرسائل التي كتبها لم تثر حولها ضجيجا وردودا ،خصوصا من المنظمات الصهيونية ٠ لكن هذه الردود ، كما يقول « كانت تعطيني زادا جديدا في الغالب لانها كانت مليئة بالاكاذيب والادعاءات وكان لا بد من نفيها مجددا ووضع الحق في نصابه » ٠

عبر هذه الرسائل بالذات تعرف الى عدد من كبار المحررين في صحف مونتريال الصادرة بالانكليزية ، بل انه وجد بينهم مناصرين صادقين كانوا يتوقون الى معرفة الحقائق عن القضية الفلسطينية ٠ ويروي ان صحفيا في « المونتريال غازيت » كان يتصل به هاتفيا كلما تلقى منشورا دعائيا عن اسرائيل ويبلغه بفحواه لكي يعد الرد عليه حال نشره ٠

وهذه الصداقات الشخصية شملت كذلك رؤساء وزراء سابقين ونوابا وقضاة وسياسيين ٠ ومن خلال هؤلاء لم يصل محمد مسعود الى ان يحقق تغييرا في مواقف كندا لكنه بالتاكيد استطاع ان يطلع قسما مهما من الرأي العام الكندي على حقيقة الصراع العربي الاسرائيلي ٠

وهنا لا بد من الاشارة الى قضية ذات اهمية ٠ ان « ناضلت كما آمنت » لم يصدر عن دار نشر كندية او امريكية ، وبالتالي فانه لن يباع في المكتبات ٠ والسبب طبعا انه لم يجد ناشرا واحدا يقبل بان يوزع مثل هذه الحقائق على مجموعة كبيرة من الشعب الكندي ٠ لكن هذا لا يمنع ان الرجل الذي امضى نصف قرن في العمل القومي وطبع الكتاب بنفسه وجمعه بنفسه ، سوف يعرف كيف يوصله الى من يريد ٠ ■■

مونتريال ـ سمير عطا الله

بدأ الانسان يدرك أن العالم الذى يعيش فيه

جديدة ، غيرما أخذ به من قرون ، والحضارة الحديثة

موضوعات الدراسة . فالانسان محتاج إلى

حتى نتلاءم مع.. البيئة

بقلم : محمد حسن التيتى

■ يتجه العالم اليوم بخطى اكيدة ، كما تنذر جميع المؤشرات نحو كارثة تتهدد البيئة التى نعيش فيها ، وتستهدف جميع مقومات الحياة فيها ، وقد اخذ صراع الانسان على المكان الصالح للعيش والحركة ، والطعام الذى لم تفسده السموم والعقاقير ، والهواء الذى يصلح للتنفس ، يتخذ شكلا تزداد حدته يوما بعد آخر .

وكما هى العادة ، عندما تشتد الخطوب ، فان الناس قد بدأوا يوجهون انظارهم نحو التربية يلتمسون منها الحلول لهذه المشكلات التى باتت تتهدد بقاءهم ، واخذوا يطالبون التربية بان تعكس الرابطة بين الانسان وبيئته ، بشكل يمكن الانسان من التعايش معبيئته تعايشا صحيحا يؤمن له ولذريته البقاء .

والانسان هو المخلوق الوحيد فى هذا الكون الذى يستطيع ان يؤثر فى المحيط الذى يعيش فيه سلبا او ايجابا ، فهو يستطيع ان يسيطر على محيطه، فيحققله ويغنيه، او يدمره ويفسده ويفنيه.

ومن هنا تتضح خطورة الدور الذى تستطيع التربية ان تلعبه ، فهى تستطيع اولا ـ عن طريق الدراسة والبحث ـ التحديد الدقيق للاساليب والطرق التى يؤثر بها الانسان فى محيطه،والنتائج المترتبة على هذا التاثير وهى ثانيا تستطيع ـ وهو الاهم ـ التوعية الشاملةبهذا التاثير وبالاسس الصحيحة المؤدية للحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث والفساد (١) .

فالمطلوب من التربية اذن هو تنمية الشعور لدى الفرد بالتلاحم مع البيئة والاعتراف بان حياته

(١) انظر مقال J. Alan Wagner بعنوان «التربية اليوم» الذى ظهر فى مجلة Education Digest عدد فبراير ١٩٧٣ .

محدود ، وبالتالي فهو محتاج إلى الأخذ بقيم لم تعد تتناسب مع تقسيم تربية جديدة

وبقاء، يعتمدان على حسن تعايشه معها وحفظه لها سليمة نقية صالحة للعيش والحياة . فواجب التربية اذن ذو شقين : الاول هو تنمية الوعى التام بالبيئة وأساليب التعامل والانسجام معها ، والثانى هو تنمية مواقف جديدة تجاه هذه البيئة ، وكل هذا يعتمد بشكل اساسى على القيم والمبادىء التى تغرسها التربية فى نفوس ابناء هذه الامة .

تنمية المفاهيم الجديدة

واول خطوة نحو فهم البيئة والانشطة الانسانية المرتبطة بها هى تبنى المواقف العلمية والاجتماعية الصحيحة فى اساليب التعامل مع البيئة وضرورة تطبيق هذه المواقف دون ما تساهل او هوادة . اذ من الملاحظ ان الانسان فى تعامله مع البيئة يتخذ قراراته على اساس من حاجاته الفردية او الاجتماعية ، محاولا تلبية هذه الحاجات بشكل يتمشى مع الضرورات الاقتصادية أحيانا والسياسية احيانا اخرى وهو قد لا يتفق دوما مع مصلحة البيئة ، او سلامتها .

ان من المعروف لدى الجميع ان النظرة الاقتصادية السائدة لدى المؤسسات والافراد على حد سواء هى ان افضل طرق الانتاج ارخصها واقلها كلفة . والرخص هو الذى يدفع الشركات الى القاء نفاياتها فى الانهار او على شواطىء البحار بغض النظر عما يسببه ذلك من اضرار وتلويث للبيئة التى نعيش فيها ، بما فى ذلك القضاء على المخلوقات الحية التى تعيش فى هذه المياه .

فالمطلوب من التربية اذن هو ان تخلق الوعى لدى ابناء الامة بضرورة نبذ الاساليب القديمة فى التعامل مع البيئة ، واستبدالها بأساليب جديدة مبنية على الوعى باهمية البيئة وضرورة الحفاظ عليها ، وتبنى الاساليب العلمية الصحيحة فى التعامل معها .

التخصص الضيق وبال على البيئة

والتربية مطالبة ايضا بان تتخذ موقفا جادا حيال ما يعرف بالتخصص الضيق الذى يعود غالبا بالوبال على المجتمع والبيئة . فالواقع ان الكثير من مشكلات البيئة التى نعانى منها يرجع الى حماستنا الجنونية للتخصص الذى اخذ يزداد عمقا يوما بعد يوم ، بازدياد التعقيد فى حياتنا . لقد اصبح عنوان النجاح اليوم هو « انجاز عمل واحد فى الوقت الواحد » مما يدفع المتخصص الى التعمق فى جميع النواحى المتصلة بميدان تخصصه الضيق، ضاربا عرض الحائط بكل ما لا يتصل بموضوع هذا التخصص . وقد اثبتت التجارب والمشاهدات ان هذه النظرة الضيقة الى موضوع التخصص تعود غالبا بالضرر على البيئة وعلى افراد المجتمع.

وقد ثبت بطلان المبدأ الذى ينادى بانجاز شىء واحد فقط فى الوقت الواحد ، فى عصر اصبحت الحياة فيه على درجة من التشابك بحيث يرتبط كل عمل تؤديه بسلسلة مترابطة من الاعمال ، كما ان كل عمل له اثار جانبية اكيدة ، وقد بدأت بعض هذه الاثار الجانبية فى عصرنا تتعقد وتصبح مشكلات رئيسية يقاسى منها العالم بأسره .

لقد اصبحنا مرتبطين في عصرنا هذا بأناس يعلمون كل كبيرة وصغيرة في موضوع تخصصهم ولكنهم لا يعلمون شيئا عن الآثار الجانبية الناتجة عنه . فالمهندسون الذين قاموا بتصميم اجهزة التليفزيون الملون لم يكونوا يعلمون شيئا عن اخطارها الجانبية على النسل ، الا بعد ان تعرض لها الاف الاطفال ، والكيمياويون الذين قاموا بتطوير المبيدات الحشرية لم يكونوا يعلمون شيئا عن علم البيئة ولم يدركوا خطورة بعض انواع هذه المبيدات الا بعد ان بات كثير من الانواع مهددا بالفناء نتيجة انتقال السموم اليها عن طريق الطعام الحيواني (٢) .

وكذلك مصممو السيارات لم يفكروا في قليل او كثير بتلوث الجو وما يؤدي اليه ذلك من نقص في كميات الاكسجين، وارتفاع في نسبة ثاني اكسيد الكربون ، وما في ذلك من خطر على البيئة . فالتخصص الضيق هو أبعد ما يكون عن خدمة البيئة وتلبية حاجات المجتمع بالشكل الصحيح .

وهذا على اية حال لا يعني الاستغناء عن الخبراء، والمتخصصين ، ولكن ما نعنيه هو ان التربية ينبغي ان تضع في حسابها تنمية احساس هؤلاء الخبراء بالمحيط الذي يعيشون فيه ، وان يتوقعوا الآثار الجانبية لمنجزاتهم لتلافي اخطارها وآثارها السلبية على البيئة والمجتمع .

هدم الحواجز بين مواد الدراسة

ان معالجة مواد وموضوعات الدراسة منفصلة بعضها عن بعض لم تعد تخدم حاجات البيئة وسياسة وضع الحواجز بين المواد بحاجة الى اعادة للنظر ، فبالاضافة الى تزويد الدارسين بالعلوم البحتة التي يحتاجونها فان على التربية ان تفسح للعلوم الاجتماعية والانسانية مكانا بجانبها بحيث تشكل قطاعا هاما يساند العلوم البحتة ويوجهها في الطريق الصحيح وبشكل يتمشى مع مصلحة البيئة .

ان حضارتنا الحديثة لم تعد تتلاءم مع تجزئة الموضوعات ، فمعالجة امور السكان والمبيدات الحشرية والتلوث ـ أمور مترابطة بطبيعتها ، ولم يعد من الممكن الفصل في معالجتها بين الجوانب العلمية والاجتماعية والبيئة سواء فيما يختص بالسكان او ثروات البيئة .

ومن هنا تبرز الحاجة الى نوع جديد من التربية تنضوي تحت لوائه البيئة بكافة اشكالها وجوانبها عن طريق تنمية الوعي الشامل للبيئة لدى ناشئة الامة ، وتبني المواقف المسؤولة لديهم تجاه بيئتهم، والمواقف واساليب الحياة ـ كما نعرف ـ تتكون عادة في سن مبكرة بحيث يتكون لدى الطفل محيط داخلي سليم ، فينمو ويترعرع وقد تشرب محبة بيئته بشجرها وطيرها ومائها .

قيم ومفاهيم بحاجة الى اعادة نظر

اعادة النظر ـ كما رأينا في القيم والمفاهيم الموروثة التي درجنا على تلقينها لابنائنا ـ امر لا مفر منه ، اذا رغبنا في التعايش بنجاح مع بيئتنا ، ومن القيم الاساسية التي نربي عليها النشء ، والتي تحتاج الى اعادة سريعة للنظر فيما يتعلق بالنمو اللامحدود . فهذه الفكرة التي تسيطر علينا كانت ذات معنى عندما كان سكان هذه الارض لا يتجاوزون عشر ما هم عليه الآن ، ولكن هذا المفهوم يحتاج الى التطوير عندما يصبح الناس ـ كما هو الحال اليوم في كثير من بقاع هذه الارض ـ مهددين بالجوع لقلة في الطعام وزيادة في التنافس للحصول عليه ، والاختناق لضيق المساحة وتزاحم الناس عليها .

وقد يخيل للبعض عندما يسمعون بان معدل الزيادة العالمية للسكان هي اثنان بالمائة امر يستهان به وليس فيه ما يدعو الى القلق وهم لن يرضوا بحال بمثل هذا العائد البسيط على اموالهم ، ولكن الامر يختلف كل الاختلاف فيما

(٢) ان قائمة الانواع المنقرضة حديثا ـ كما توردها آخر الاحصائيات ـ قد بلغ سبعين نوعا .

يتعلق بسكان هذه الارض . ولو اجرينا عملية حسابية بسيطة لتبين لنا ضخامة هذه النسبة التى تبدو لنا تافهة لاول وهلة . لنفترض اننا بدأنا بالتى عشر شخصا وتركناهم يتزايدون بنسبة اثنين بالمائة ، لا شك بان هذه الزيادة ستهولنا جدا عندما نعلم بان هذه الطائفة من البشر سيصبح عددهم مساويا لتعداد جميع سكان الارض فى مدة ٩٧٧ عاما (٣) فقط .

لا بد من الاعتراف اذن بان هذا العالم الذى نعيش فيه محدود ، وان فكرة النمو اللامتناهى امر ينذر باشد الخطورة على العالم اجمع ، وقد بدات بوادر الخطورة تظهر جلية واضحة لكل ذى عينين،ولم تعد فكرة النمو الذى تنتظمه الضوابط ولا يرافقه التخطيط ـ تتمشى مع اوضاع العالم الذى نعيش فيه اليوم ، والذى يفرض علينا ضرورة التوصل الى علاقة متوازنة مع المحيط الذى نعيش فيه .

والتربية هنا ايضا مدعوة لاتخاذ موقف واضح صريح فى هذا الشان ، فالتربية هى املنا وملاذنا الوحيد ، لتفادى الكوارث التى بدات تلوح منذرة فى الافق القريب .

الحرية الفردية بحاجة الى ضوابط

ومن القيم الاخرى التى تحتاج الى اعادة النظر ـ ما يتعلق بسياسة الحرية الفردية ، فالاعتقاد السائد بان الفرد فيسعيه لخدمة مصالحه الشخصيةيقوم فيالوقت ذاتهبخدمة الصالح العاملم يعد يتناسب مع الظروف السكانية الحالية ، ومع ضمور رقعة الارض التى نعيش عليها اصبحت مصلحة الفرد كثيرا ما تتضارب مع مصلحة البيئة ومصلحة الجماعة ، ونضرب على ذلك مثالا بسيطا فلو ان احدنا حاول أن يربى المواشى او الدواجن فى منزله فقد يكون فى ذلك مصلحة فردية له ولعائلته ولكن ذلك ولا شك سيؤدى الى الاضرار بمصلحة جيرانه وستكون له اثار غير محمودة على نظافة بيئته وسلامتها .

خاتمة البحث

وهكذا نرى انه تقععلى عاتقالتربية مسئوليات جسام فعليها تقع مسئولية تغيير وتعديل القيم والمواقف الموروثة التى نحملها وننقلها للاجيال القادمة كتلك المتعلقة بالتخصص الضيق والنمو والتوسع والحرية الفردية وما الى ذلك من المفاهيم التى لم تعد تنسجم مع ظروف حياتنا الحاضرة . فعن طريق التربية نستطيع ان ننمى لدى الطفل منذ نعومة اظفاره ارتباطا وثيقا بينه وبين بيئته بحيث يصبح هو جزءا منها كما تصبح البيئة جزءا منه تحفظه وهو بدوره يحفظها .

والربط بين الطفل وبيئته ليس بالامر العسير، فالتربية تستطيعان توجه اهتمامات الطفل لملاحظة تاثير الانسان علىمحيطه والتغير الذى ينتج فيهذا المحيط نتيجة لنشاطات الانسان واثر المحيط الجديد على البيئة والمخلوقات الحية التى تعيش فيها . فنحن عندما نلقى بنفايات مصانعنا الى البحر ، او عندما نبنى السدود او نرش النباتات بالمبيدات الحشرية فهل تستطيع المخلوقات الحية الاستمرار فى البقاء والتاقلم معالظروفوالشروط الجديدة ام لا . وعن هذا الطريق يستطيع الطفل ان يصل الى وعى تام بالبيئة وبالطرق التى يؤثر الانسان فيها والنتائج المترتبة على هذا التاثير ، ويستطيع عندما ينمو ويكبر الحفاظ على هذه البيئة وحمايتها من التلوث والفساد .

والتربية كما راينا هى التى تحمل لنا مفتاح الامل بمستقبل يتمكن الانسان فيه من التعايش الناجح مع بيئته .

■■

الكويت/محمد حسن التيتي

---

(٣) انظر Readers Digest Almanac لسنة ١٩٧١ صفحة ٣١٣

مَالمْ أقله للوزير

بقلم : عباس احمد

■ اخيرا بعد ابعادى عن عملى فى مؤسسة السيارات الوطنية اكثر من اربع سنوات،دق جرس التليفون فى شقتى وجاء الصوت من الجانب الاخر

ـ سيادتك المهندس محروس الدمنهورى .

ـ انا يا افندم

ـ هنا مكتب السيد الوزير . لقد حولت مؤسسة السيارات الوطنية مذكرتك بشأن العودة الى عملك الى السيد الوزير . وهو يريد لقاءك بشأنها فى الساعة الثانية عشرة اليوم . هل يناسبك هذا الموعد .

ـ يناسبنى يا افندم . يناسبنى جدا .

ـ سانتظر سيادتك فى ذلك الوقت .

ـ الف شكر .

ـ عفوا

وكنت اريد ان استعلم عن اسم المتكلم ، وهل مكتب الوزير فى الطابق العاشر . امالحادى عشر ولكن السكة قفلت . تضايقت انها قفلت بسرعة .

ولكنى قلت لنفسى ان هؤلاء الناس فى مكتب الوزير مشغولون دائما . كان الفرح مستبدا بى، ويدى ترتعش على سماعة التليفون وانا اضعها فى مكانها . اخيرا ساعود الى العمل . ان هذه المكالمة التليفونية لاتعنى الا ذلك . فى اول الامر حاولت ان اسيطر على اعصابى والتزم وقارالسن الذى ناهز الخمسين ، والمركز الذى تالق فى عالم الهندسة ومحافل علومها . ولكنى لم البث ان سخرت بهذاالخاطر ، واطلقت لنفسي العنان،فرحت ارقص فى ارجاء الشقة ، واقبل آلة التليفون .

لقد كان صوت الرجل مهذبا وعطوفا ايضا . لعله يعرفنى . وهو لم يكن مطالبا ان يتحدث الى



باكثر من ذلك • ان اذهب للقاء الوزير • كلامه من غير شك مختصر مفيد ، ويدل على انه موظف كفء ، مقتصد في فكره ، واضح الهدف . وهو بالتاكيد يعرفني • لابد انه سمع عن شبكة « بيرت » فلقد ظللت طوال السنوات الخمس السابقة على ابعادي عن العمل كعضو مجلس ادارة المؤسسة ادعو لها واكتب عنها في المجلات العلمية ، واشيع افكارها ومبادئها في الصحف والنشرات العامة ومنابر القاعات الثقافية • وحتى اذا لم يكن في الاصل مهندسا ، فسوف يكون عارفا بشيء عن هذه الشبكة العجيبة ، ذلك انني لم اقتصر في فهمي لها على المجالات الهندسية ، بل استخلصت فلسفتها ، وربطتها بتنظيم الحياة نفسها ، وانها هي اساس التقدم •• والمعادل الموضوعي لفكرة السعادة لدى الفرد والمجموع • ان شبكة بيرت في جوهرها مجموعة من القواعد والمصطلحات الفنية لتنظيم العمل ، واستغلال عنصر الوقت احسن استغلال • وهذه القواعد والمصطلحات تنطبق ايضا على الحياة • بل يجب أن تتحرك الحياة على اساسها حتى ترتفع الى اعلى تحقق ، فنتمم ببذل النشاط الذي يؤدي الى الحدث المستهدف •• وهذا هو سعادة الخلق والابداع •

كانت الساعة التاسعة والنصف ، والافكار تجتاحني من كل جانب • قلت اولا يجب أن ترتب كلامك الذي ستقوله للوزير • ولما وقفت احلق ذقني امام المرآه ، كنت ما ازال متوترا ، والتفكير يقفز بي الى صور غير مترابطة عن حياتي • انني في الاصل لست مهندسا بمعنى الكلمة • أنا خريج مدارس الصنائع الميكانيكية القديمة • ولكنني علمت نفسي بنفسي ، واستطعت أن أترقى في الدراسة والعلم ، الى أن اصبحت قادرا على رسم شبكة بيرت لاعقد المشروعات التي يربو مجموع النشاطات فيها على الالاف • ان مشروع «الغاشمة» في شمال الدلتا ، مايزال موجودا في ملفات الوزارة • تسعة اشهر ، ظللنا نعمل فيه انا ومعاوني •• كانوا أحد عشر مهندسا من خيرة الشبان • استعملنا الكمبيوتر لرصد حسابات تكلفته وانتاجه • رسمنا مشروعه الزمني بكل التفاصيل • منطقة جديدة تستوعب عشرين الف شخص •• لهم تقاليدهم وعاداتهم ، ولهم ايضا مناخهم الخاص ، وطبيعة ارض خاصة • درسنا الاشياء في واقعها ، والارض في هذه البراري ضنينة العطاء ، وتوصيل المياه الحلوة اليها هو اساس الحياة التي نريد اقامتها • انتهيت الى مجموعة شبكات باهرة •• تربط بين الزرع والارض وتنمية الصناعات الريفية المعروفة في المنطقة • لا شيء تركناه • البيوت والشوارع ومراكز الانتاج والخدمات ومولدات الطاقة •• حتى الشجرة الكبيرة في الحديقة الجنوبية للمدينة •• التي تخيلنا ان المحبين قد يقفون عندها ويتناجون •



وكنت قد غمرت وجهي برغوة الصابون . بدت عيناى الصغيرتان تلمعان بالفرح . ستسعد زهيرة ايضا بهذا الخبر . كنت لا افتأ انظر الى التليفون واتوقع رنينه . انها فى مثل هذا الوقت ـ منذ دخلت المستشفى ـ تتصل بى كل يوم . اننى احب زهيرة منذ اكثر من عشرين سنة .. ولم يفقدنى الامل فى الزواج منها ، انها بعد موت زوجها الاول، تزوجت مرتين ،هل آن الاوان . هل تتم اكبر شبكة من شبكات بيرت يرسمها القدر فى حياتى . لقد كانت بالامس ـ حين كلمتنى ـ فى احسن احوالها . قالت لى وهى تضحك بصوت رائق .

ـ لقد اصبحنا عجائز يا محروس . انت مازلت تفكر فى كما رأيتنى اول مرة .

ولقد سعدت بها وهى تفتخر قائلة

ـ هذا هو اليوم العشرون الذى لم اقرب فيه الخمر .

وكانت صورتها فى خيالى تهزنى . فاتجهت الى التليفون وطلبت المستشفى ، ولكن تعذر الاتصال، وعدت اواصل حلاقة ذقنى ، وانتظر .

كنت اريد ايضا أن ابلغها اننى ساخرج من مكتب الوزير اليها مباشرة . وساطلب منها بالطبع ان تتكتم هذا الخبر ، حتى لا يتسرب الى اخيها بالذات .. فيسعى كما هو دأبه لتحطيم كل شيء .

لقد حاولت عبثا ـ على هذا المدى الطويل منذ عرفت زهيرة وعرفته ـ ان افهم لماذا يكرهنى فتحى بكل هذه الشراسة والقوة . كنت قد رأيته اول مرة ـ حينما تقدمت اليه لاخطب زهيرة ـ بعد موت زوجها الاول . ويكاد يكون طردنى فى ذلك اليوم . اعتبر تقدمى ـ وكنت ما ازال ملاحظ ورشة فى مؤسسة السيارات ـ لطلب الزواج من اخته اهانة بالغة . لم يغفر لى عنده ـ ما كنت اقوم به من دراسة فى ذلك الوقت لشبكة بيرت ، وحينما سمعنى اقول له اننى التحقت بالمعهد البريطانى لاتغلب على مشكلتى فى معرفة اللغة الانجليزية . وسيمهد لى ذلك اخذ الدبلوم فى الهندسة من جامعة برمنجهام .. حين سمعنى اقول ذلك ضحك كثيرا ، وقام يطفىء جهاز التكييف فى حجرة الصالون الفخمة ويطلق على كلمات كالرصاص .

ـ لاعليك ياسيد محروس . انك تكلف نفسك فوق طاقتها تختنق ، ولا تصل الى شيء .

كان يوما فظيعا . والمصيبة ان زهيرة حينما جاءت فى اخر الجلسة ،قعدت بجانب اخيها ووضعت يديها على ركبتيها ، وظلت ساكنة كأنها منومة . لم اكن حددت هذا اللقاء مع اخيها الا بناء على موافقتها . وبدت كما لو كانت تفكر فى الامر من جديد . هل تتزوج من اسطى ، مهما كان طموحه، بعد أن كانت زوجة لاكبر جراح سرطان فى البلد. الا يكون هذا الرجل الاسمر ذو الملامح الصعيدية العامية ، مجرد ساع نحو ثروتها وجاهها ومركز اسرتها الاجتماعى المرموق . كان فتحى يغذى هذه الافكار ، ولم استطع الا ان اندفع خارجا من فيلا المهندس فتحى بك . وانا العن نفسى والعن زهيرة فى سرى . ولم تلبث ان تزوجت .

ولكن هذا على كل حال ـ هو الذى جعل شبكة بيرت بالنسبة لى تصبح مصيرا ، انها طوق النجاة الذى انتشلنى من السقوط واليأس والشعور بالمهانة . اندفعت ادرس بجدية وتصميم . واستغللت شبكة بيرت نفسها فى التحصيل والعمل ، وصرت اتدرج فى وضعى الاجتماعى ، الى ان وصلت الى عضوية مجلس الادارة. وكانت زهيرة دائمة الاتصال بى . كانت غير موفقة فى زواجها ، وبدأت تدمن الشراب .. وتشكو من عقم زوجها ، وعدم قدرته على الانجاب . ولما طلقت تصورت ـ ان اوان زواجى بها قد آن . وظهر فتحى مرة اخرى على المسرح.. وفى هذه المرة بدا هادئا يفكر فى الامر بامعان. اطرى سلوكى الملتزم بالتقاليد فى أن اتقدم اليه ـ على الرغم مما بيننا ـ لطلب يد اخته .. وكان فى امكاننا أن نتزوج مباشرة .. واطرى كذلك اننى مستمر فى عاداتى الصعيدية البسيطة ، ولم يغيرنى المركز الكبير الذى بدأ يتكون لى فى محيط المهندسين . ولكنه فى الاخر امهلنى الى أن يذهب مع زهيرة لاجراء عملية لها فى انجلترا لاستئصال كليتها المريضة.. ولما عادت زهيرة ـ كانت متزوجة من صديقه « قرقوش » رجل الاعمال الكبير . هل يمكن أن تكون كراهية فتحى لى شيئا غريزيا ، كيف يمكن للنفس ان تكون اسيرة الشيء لا أساس له فى الواقع . ان شبكة بيرت لم تسلم ايضا من كراهيته . ظل يقف لها بالمرصاد ويطلق من حولها الشائعات . ووصل به الكذب الى ان بيرت هذا ـ انما هو عالم صهيونى ، وهو زعيم شبكة دولية تعمل على هدم الدين والديمقراطية فى كل ارجاء العالم . مع أن كلمة « بيرت » هى مجرد الحروف

الاولى من كلمات انجليزية تعنى تقـويم ومتابعة البرامـج الزمنية للمشروعات ٠ ولا انس ـ يـوم لـوح لى فتحى ـ قبل ان ابعد عن عملى بستة او سبعة اشهـر ـ بان شبكة بيرت هـذه التى املأ الدنيـا بها ضجيجا ـ سوف تنهـدم على رأسى ، ورؤوس من يتبعنى فى طريقها قـال :

ـ ويعود كل شيء الى اصله يامحروس ٠

وكنا فى حفل استقبال احد علماء شبكة بيرت ، من مؤسسة الكهرباء الاتحادية الامريكية ٠ وكان صوت فتحى عاليا حادا يلفت الانظار ٠ ولم يستطع فى فرحة الحاقد وشماتته الشبقة ـ أن يراعى مجرد الذوق ـ بان هذا الحفل الذى يقف فيه ـ انما هو لتكريم رجل من علماء الشبكة٠ ولما لاحظ السجائر التوسكانى النصف التى دأبت على تدخينها من ايام الورشة ـ راح يضحك فى هستيريا حتى تناثر الويسكى فى كوبه وانزلقت منه الى الارض قطعة ثلج ٠٠ كان يقول :

ـ ولن تلحق ان تنتقل الى السيجار يامحروس ٠٠ وكنت قد انتهيت من حلاقة ذقنـى ٠ وجدت وجهى لا بأس به ٠ تقاطيعه دقيقة رقيقة طيبة ٠ ذهبت الى المطبخ لاعد شيئا اكله ٠رأيت ان اصنع افطارا كاملا ٠ ما يزال عندى وقت٠٠ اقلى بيضا، وامزج ملعقتين او ثلاثا من الفول المدمس بعصير الطماطم والجبن والزيت ، واخرج من الثلاجة الزبد والمربى ،واسخن الخبز ٠٠٠ وبسرعة وجدت ذهنى يصنع شبكة للعمل ٠ النشاطات متعددة ، ولكن كثيرا منها يتوافت ٠٠ اى يمكن صنعه فى نفس الزمـن ضحكت مـن نفسـى وانا استخدم المصطلحات الهندسية الدقيقة فى اعداد الافطار ٠ انْ الحدث الاخير فيه هـو التهامه ٠٠هكـذا بشبق ولذة وشهية ٠ ان شبكة بيرت ـ فى رأيى ـ هى اعظم نموذج لما وصلت اليه حضارتنا الحديثة من فنون التخطيط و « تقنياته » كما نقول هذه الايام٠ هذا بالاضافة الى انها اصبحت حياتى كلها ٠انها هى سعادتى وشقائى علـى السواء ٠ وقـد يكون غرامى بهذه الشبكة راجعا الى انى عرفتها على كبر ٠ كنت اخطو نحو الثلاثين ، وتعرفت على شاب جاء حديثا من الجامعة ليعمل فى شركتنا بقسـم الحسابات ٠٠ وبدأ يعطينى الكتب التى افهم بها العمل ٠ وبسرعـة اكتشـفت اننا نعمل بطريقـة خاطئة ٠ ولانى اثناء عملى الطويل فى «الاجنس» مررت بكل اقسام الورشة ، فقد اصبحت اعرف عمليا كـل اجزاء « الموتـور » ٠ وانحصر تلذذى بالعمل كمشرف على الورشة فى ان ارقب العمال، لامد يدى الى سلك زال عنه اللحام ٠٠ فيصلحونه امامى فيقوم الموتور ٠٠ بعد ان يكون قد اضناهم البحث عن سبب توقفه ٠ ويهتف العمال ربنا ينور عليك ياأسطى محـروس ٠ او قد الحظ بسـرعة سقوط « البرباخ » فى مجرى تدفق البنزين ٠ او قد انخرط فـى العمل كلية ، حتـى لاندس تحت السيارة واربط المسامير بيدى ٠ ان العمل بهـذه الطريقة هو عاداتنا التى لم نعد نفكر فيها ٠ انه مجرد فعل٠ نقصد بهفى كثير من الاحيان الابهار او السحر او التمثيل والمحاكاة ٠ اما الورشة على بعضها ، فهى غابة ٠ السيارات فيها مكدسة ، مرفوعة ، واحشاؤها حولها ٠ خناقات العمال فيما بينهم ومـع الزبائن لاتنتهـى ٠ عمليات الاصلاح لا يفضى بعضها الى بعض ٠الانتاج يزيد اوينقص لاسباب غامضة ٠٠٠وفجاة عثرت على شبكة بيرت٠ كانت كانها عصا سحرية ٠ جربتها اول ما جربتها فى سيارة واحدة كانت قد تهشمت بصاحبها ومات٠ لم اكن اعرف اننى افتح حياتى على شبكة بيرت وزهيرة فى نفس الوقت ٠٠ لقد رسمت المشروع الزمنى لاقامة كيان السيـارة من جديد ٠ حسب الانشـطة المطلوبة ، والاحداث ٠ الزمـن المتفائل والزمن المتشائم والزمن الاكثر احتمالا ٠ حسبت المسار الحرج الـذى يظهر عادة فـى آخر مراحل التنفيذ ٠اجتمعت بضعة اجتماعات مع الفريق الذى سيقوم بالعمل ٠عرفت مشاكله واخذتها فى الاعتبار والحساب ٠ وحددت بعض الحوافز ٠رتبت الانشطة لتتلاحق وتتزامن فى تسلسلها المنطقى ٠ لم بدأت فى اليوم المحدد المرسوم على الشبكة ، وانتهيت بعد ستة وثلاثين يوما بالضبط ، حيث تم النشاط الاخير وهو تجربة السيارة التجربة النهائية ٠وكان يوم الاثنين ، وكان ذلك هو اليوم الذى رأيت فيه زهيرة لاول مرة ٠ وكانت منذ تلك اللحظة هى التحدى الدائم للشبكة ٠ ولم ادر ساعتها الا وانا ارد يدها الناعمة البيضاء التى تحاول ان تندس فى جيبى بورقة خمسة جنيهات على سبيل البقشيش وتعجبت زهيرة من مسلكى ٠ احسست من قبضتى

الخشنة وهي ترد يدها بقوة ان رفضي قاطع. قالت في خجل :

ـ متاسفة يا بشمهندس .

ورن اللقب في اذني رنينا غريبا . لقد شعرت ساعتها كأني اتلقى وساما .. بل انعاما وبركة وحبا . قالت زهيرة انها لم تكن تتوقع ان تأتي فتجد السيارة جاهزة تماما هكذا ! لحظة رائعة لم تكن تتوقعها . السيارة تقف في الشمس تضيء كأنها زمردة ـ ضحكت زهيرة بفرح حقيقي وانكسر مظهرها الجامد بالحياء والحزن . رأيت بلوزتها السوداء وهي تتنفس السعادة بعمق . تنفرج قليلا عن مجرى ثدييها المرمري الناصع .. وخيل الي ان شعرها الذهبي الغزير قد راح يتحرك حركة متناغمة كموجات البحر الهادىء تحت الوان الشمس الغاربة . انها لحظة رائعة حقا .

ولكن الفرق بيني وبينها انني كنت اتوقعها واعرف بالضبط متى ستوجد . ان الحدث في شبكة بيرت لا وقت له . انه لحظة تعبر . اما الوقت كله ففي النشاط الذي حسبته عنصرا عنصرا .وحسبت كل احتمالاته فجاء هذا الحدث . اردت له أن يكون فكان . اردت له ان يوجد .. في اللحظة المحددة فوجد . لقد حدثتها من بعيد عن شبكة بيرت .قلت لزهيرة في ذلك اليوم .. ولعلها لم تفهم .

ـ ان الوجود الذي نخلقه غير الوجود الذي نجده .

ولعل هذا هو سر اختلاف سعادتك بالسيارة . عن سعادتي بها .

هذا شيء قد مر عليه الان أكثر من عشرين عاما . ولكن كأنه مايزال في يومه الاول . ان الوزير طبعا لايهمه ان احكي له قصة حبي .. قصة عذابي وشقائي وجنوني . لقد احببت زهيرة .. وكنت افقد الامل كل يوم واجده . واقسم الف مرة ان لا اعود اليها واعود . وحتى حينما تزوجت زوجها الثالث ظللت احبها . واحوم حول بيتها كعشاق الروايات. وانا لست غرا . ولست أيضا بعيدا عن النساء . ولكن هكذا هو الحال .

لم نستطع ان ننفصل ابدا . انها تكلمني في التليفون بعد عودتها من انجلترا وكأنها ما تزال في الفراش .

ـ محروس. انني اشعر بالتعاسة .الا تصدقني وكانت تحضنني بالليل في شقتي . وتظل تبكي في حضني واظل انا في حرصي الصارم على أن لا اقربها قربا غير شرعي .

ـ نتزوج اولا .

وكانت في ذلك الوقت تسقط من علياء شهوتها، وتبصق على الارض في غضب لم تخرج . ولكني لم اكن اشك لحظة انها في النهاية لي ـ حتى ولو جاء ذلك الحدث الاخير في نهاية العمر .

لقد ارتديت الان ملابسي كاملة .ماتزال الساعة الحادية عشرة . ليس بيني وبين الوزارة الا عشر دقائق مشيا . تصورت ان اللون الغامق يضفي على الشخص مهابة اكبر . فارتديت حلتي الكحلية . حصرت افكاري التي سأقولها للوزير . سأشير له من بعيد . ودون ذكر المهندس فتحي بيك على وجه الخصوص ـ الى مايمكن ان يكون قد دسه خصوصي علي ـ. ان شبكة بيرت ليس لها لون سياسي .انها لعبة العمل .لا بد طبعا أن اتصل بالناس، لادرس كيف يعيشون . فاعرف كيف سينتجون . لا بد ان اكون منهم مجموعات تقود اللعبة وتلعبها بمهارة . ولما دعيت للكتابة بحث عن استغلال الشبكة في مشروع محو الامية اضطررت الى ان اجوب مصر من اقصاها الى اقصاها بضع مرات . وكدت اجن من الفرح وانا ارى شبكتي تتسع لتشمل نطاقات مركبة وانشطة ذهنية. ورأيت الشبكة كأنها ماكينة اجتماعية هائلة تضخ النماء والصحة والقوة في جسم الامة. وطبعا حينما كنت اتكلم مع الناس . كان الحماس يجرفني في بعض الاحيان . ويصبح كلامي كالشعر . فيصفق الحاضرون او يهتفون بلذة « الله الله » .

اما ان الشبكة دعوة الى الالحاد ، لانها تدعي وجود خالق بجانب الله . وهو الخالق الوحيد (وهذا هو الكلام الدائم لفتحي في منتدياته) فان هذه النقطة .. من التفاهة بحيث لا يمكن الرد عليها . انها فقط بلورة لجهل الجهال وحقد الحاقدين . انني هنا يجب ان اعبر عن احتقاري واشمئزازي من هذا الهراء .

ان شبكة بيرت هي على العكس تماما . انها التأسي بطريقة الخلق التي صنع الله بها الكون.

ان الايام الستة التي تم فيها الخلق هي النموذج الالهي للشبكة · ان هذه اللعبة المقدسة هي من العلم الصادق، والعلم الصادق لايخون ولا يضلل· لقد كانت زهيرة في حوزتي طول الوقت ·· كنت استطيع بسهولة ان اتخذها عشيقة، وينتهي الامر · ولكن الشبكة في اعماقي كانت كانها نور·· يحفظ علىّ نفسي ويحفظ علىّ زهيرة ، وكنت اعرف باليقين ـ انني لوفعلت ذلك ·· فلا بد ان تنهدم الشبكة وينطفيء النور ، وتضيع زهيرة مني الى الابد ·

القيت نظرة اخيرة على نفسي في المرآة ·قلت اخاطب صورتي

ـ اليوم يامحروس ·· يوم كبير ·

كانت المرآة تعكس ايضا جزءا من سريري يقبع عليه التليفون · لماذا لم تتكلم زهيرة الى الان · اتجهت الى الآلة السوداء احاول مرة اخرى ان اتصل بها ، مددت يدي على السماعة ، وقبل ان ارفعها دوى الجرس ·فزعت على الرغم من توقعي للرنين· جاء الصوت من الجانب الاخر كانه زلزال ·

ـ السيدة زهيرة صقر ماتت اليوم منتحرة ·

حصلت بطريقة لم تعرفها النيابة بعد ـ على حبوب منومة تكفي لقتلها · وتركت ورقة تطلب فيها ابلاغك ·

قال الوزير ، وهو يستقبلني هاشا باشا ·

ـ ان الدولة تعتز بك يابشمهندس · لقد امرت باعادتك لعضوية مجلس الاداره ، متخصصا في تطبيقات شبكة بيرت ·

وكنت اقف مع الوزير وسط الحجرة ·· كانني في فراغ مطلق ·

ـ ومن موقعك هناك، افتح للشبكة كل الطرق·· سواء فيما يختص بقطاعك او باى قطاع آخر ·

لقد عرفت من بحوثك انك تستطيع ان تطبق الشبكة على كل شيء ، وفي كل الحالات ·

وكنت اقاوم شعورا قطيعا بالانهيار ، واريد ان اقول ·

ـ لا يا سيادة الوزير · ليس كل شيء ،ولا في كل الحالات · ■■

عباس أحمد

■ ان خيرا من التصنع في القرب بعاد على جفاء وصد
(ابراهيم عبد القادر المازني)

■ أعزّ ما اتمنى هو أن أرى أبناء الوطن (لبنان) متحدى الكلمة ، موحدى الغاية ، مترابطين بالتضامن والتعاون ·
(الآنسة مي)

ان الجديدين (١) في طول اختلافهما
لا يفسدان ، ولكن يفسد الناس
(الخنساء)

■ المرء لا يقدر ان يرضى في جميع أخلاقه فردا واحدا ،فكيف يقدر على ارضاء جميع الناس ؟
(نجيب الحداد)

(١) الجديدان : الليل والنهار ·

أُمنيَة

للشاعر الباكستاني الكبير : محمد اقبال

يارب ، اني قد مللـ ـت زخارف الدنيا البغيضة
وغدوت لا شوق لدي الى الاماني العريضة
أنا هارب من هذه الضـ ـوضاء والدور المريضة
أسـعى الى ركن اميـ ـن هادىء أحيي الفريضة

★★★

سيان عندي ان أعش في الكوخ في واد عميق
او ان أعش فيه على جبل يضيء مع الشروق
في الحالتين يكون صد رى خاليا من كل ضيق
الا تغاريد الطيو ر ، و نمة النهر الدفوق

★★★

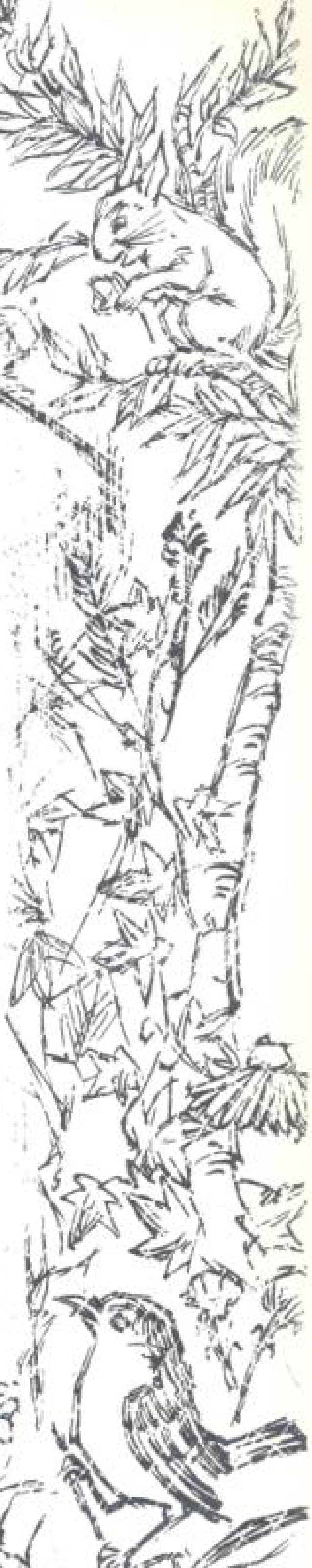
وأرى مع الفجر الضحو ك براعما متفتحة
واذا أتى وقت الغرو ب أرى الحياة مرنحة
قد أترعت كأس النسيـ ـم وكأس شمس لافحة
فهنا أنام على الحشا ئش ، والازاهر (مروحة)

★★★

هذي حياة ليس فيـ ـها زينة وزخارف
تقتادني فيها الضوا رى : وحشها والزاحف
أما الطيور فليس فيـ ـها ذاهل أو خائف
وخمائل الروض النضيـ ـر غصونها تتكاتف

★★★

وأرى الصخور وقد تفجـ ـر بينها الماء النمير
متراشقا متراقصا والنبت كالمهد الوثير
وأرى قطيرات الندى كلآلىء فوق الحرير
والزهر كالحور الحسا ن ركمن طوعا للغرير









امـا السمـاء لـدى الغـرو   ب فقـد تحـلت بالشفـق
مثـل العــروس تزينهـا   الحنـاء مـا قبـل الغسـق
والزهـر قـد وضعت (قلا   نس) لونهـا مثـل العلـق
وانـــا هنــالك قـابـع   فى الكـوخ أستجلى الافـق

★★★

كـوخى ينـادى فـى الظـلا   م هناك مـن فى السير ضل
مــاوىّ المسافــر والغريـ   ـب اذا تعثـر فـى السبـل
والبـرق فـوق الغـاب دلـّ   النـاس عـن كـوخ الامـل
فليلتجـىء للكــوخ مـــن   لاقـى الظـلام ولـم يصـل

★★★

ويحثنى الطـــاووس صبـ   ـحا بالاذان الى الصـــلاه
ويكـون لـى نعـم الصديـ   ـق ، كما أبادلـه صـفاه ..
لا أبتـــغى مــنّ المســا   جـد والكنائس مـذ أراه
وارى ضيـاء الفجــر مـن   بين الثقـوب رؤى الحيـاه

★★★

وارى الزهـور مـع الصبـا   ح هنـاك يغسلهـا النـدى
فأعــد دمعـــى للـوضـو   ء مصليـا أبـغى الهـدى
واظـل فى صمت عميـــ   ـق خاشعـا خافى النـدا
واكـاد اسمع فى الكـــوا   كب كلهـا رجـع الصدى



ترجمة : احمد محمد عبد الهادى

منشية البكرى ـ القاهرة



ركن الأسرة والمرأة



‏.. فى الخريف الصّداقة أبقى

بقلم : منير نصيف

● كانت قد اقتربت من رحلة الخريف ..وهى رحلة مخيفة تمتلىء فيها السماء بالغيوم ،وتعصف الريح خلالها باوراق الشجر ، فتتساقط امامنا جافة وهى التىكانت تمتلىء يوما بالحياة..كانتقد بلغت منتصف العمر او تجاوزته قليلا .. سيدة انيقة مازال وجهها يحمل مسحة من جمال ، رغم تلك الشعيرات البيضاء التى تدلت فوق جبهتها.. وكانت تحمل فى يدها حقيبة صغيرة ، جمعت فيها كل ذكرياتها ، ومع الذكريات ، كان هناك شىء لم تفترق عنه ولم يفترق عنها ابدا ، منذ تلكالساعة التى بدات تحس فيها بشمس الربيع تغرب عنها الى غير عودة .. انها مراتها الصغيرة التى كانت تتامل فيها وجهها كلما اضطرت لان تفتح حقيبتها لتعيش لحظات مع ذكرياتها الحلوة .. مع مجموعة الصور التى جمعتها على مدىعشرين عاما اويزيد منذ ذلك اليوم الذى وقفت فيه عروسا فى ثوب الزفاف ، حتى هذه اللحظة التى تعيشها اليوم فى خريف عمرها ..

عينان ذابلتان

قالت ، ودمعة حزينة حائرة تلمع فى عينيها الذابلتين : « لاأعرف من أين أبدأ ياسيدى ، ولا ماذا اقول ولكننى ساحاول أن اضع مشكلتى بين يديك فى كلمات موجزة ، لعلك تستطيع انتساعدنى او ان تجد لى حلا لها .. لقد قرر زوجى ان ينفصل عنى بالطلاق .. نعم يا سيدى ، قرر ان يتركنى بعد كل هذه السنين التى قضيناها معا .. ثلاثة وعشرين عاما انجبت له فيها ثلاثة ابناء .. ولدا وبنتين .. وسافر الابن ليكمل دراساته العليا فى الخارج ،وتزوجت الفتاتان .. وهما تعيشان الان على بعد آلاف الاميال منى .. ماذا اصنع ..





كيف ستكون حياتى ، وانا اعيش وحيدة فى هذا البيت الكبير الذى قضينا فيه شبابنا ، ورحنا نبنيه معا طوبة فوق طوبة ! فقد قرر زوجي ان يترك لي البيت ٠٠ ويترك لي كل ما كان يحويه من حب وذكريات ٠٠ ويرحل بعيدا ٠٠ الى اين؟ لا ادرى !

« هل تعلم ماذا قال لي زوجي ياسيدى ٠٠لقد اكتشف بعد كل هذا العمر الذى عشناه انه لم يعد يجد فى حياتنا شيئا واحدا يربطنا ببعضنا البعض ٠٠ انا الذى وقفت بجانبه اشجعه وادفعه حتى اتم دراساته العليا ٠٠ انا الذى شاركته آلامه وافراحه وهو يصعد سلم الحياة حتى اصبح واحدا من اشهر المحامين فى البلدة ٠٠ انا الذى سهرت معه الليالى ، نبحث عن مخرج للأزمات المالية التى مرت بنا ونتحدث عن المستقبل الذى ينتظر اطفالنا ، وعن الحلول للمشاكل التى كانت تواجهنا فى بداية حياتنا ٠٠ انا المرأة التىشاركته كل عمره ، لم يعد يجد عندى شيئا الان يربطنى به ! »

وقال الطبيب النفسانى : « هل هى امرأة أخرى ؟ »

واجابت الزوجة على الفور ، وكأنها كانت تتوقع ان تسمع منه هذا السؤال : « لا ٠٠ لا يا سيدى ! ليس الامر كذلك ٠٠ انت لا تعرف زوجي ! »

ــ المشكلة بسيطة اذن !

ــ كيف ؟

مشاكل الخريف

وراح الطبيب ينقل اليها خلاصة دراساته وتجاربه ٠٠ انه ليس طبيبا عاديا ٠٠ انه واحد من اشهر علماء النفس الذين كتبوا فى الحياة واسرارها ومشاكلها ٠٠ انه الدكتور سمايلى بلانتون الذى يروى لنا جانبا من المشاكل التى تتهدد الازواج فى خريف العمر !

ما الذى حدث لهذين الزوجين ؟

يقول الدكتور بلانتون : « أسوأ ما يمكن ان يحدث للزوجين عندما يبلغان منتصف العمر او يتجاوزان هذه المرحلة الحرجة من حياتهما معا ، هو ان يشعر الزوج ، او تشعر الزوجة بالفراغ .. فهو شعور يقتل الرغبة في الاستمرار .. واذا فقد الانسان هذه القوة الكامنة التي تحركنا وتدفعنا الى العمل والانتاج .. بدأ يحس بان وجوده هو لم يعد يجدي او ينفع احدا ..!

« ان هذا الزوج الذي أراد أن يترك زوجته بعد كل هذه السنوات التي عاشتها معه وبجانبه في بيت واحد ، تحت سقف واحد ، ليس صحيحا انه لم يعد يحبها ، ولكنه لم يعد يجد شيئا يبنيه معها ، كما تعود ان يفعل خلال سني كفاحهما من اجل الرزق ومن اجل الحياة !

البناء في الزواج

« ان الزواج بناء .. ويقضي الزوجان في بداية حياتهما الايام والشهور والسنين يبنيان ، ويبنيان .. انهما يريدان ان يثبتا اقدامهما على الارض.. وهذه أولى مراحل البناء .. ويريدان ان يشقا طريقهما في الحياة بنجاح .. وهذه أيضا احدى المراحل في عملية البناء .. ويريدان ان يصعدا الادوار العليا درجة من بعد درجة .. وأن يوفرا لعشهما الصغير كل مقومات البيت السعيد ، فاذا بلغا هذه المرحلة بدأ الاثنان يستعدان لاستقبال الضيوف الصغار الذين سيملأون البيت بالحياة ، والذين سيعلنون بوصولهم اكتمال المرحلة الاولى من عملية البناء ..

« ثم تبدأ المرحلة التالية من عملية البناء ، وهي من أهم واشق المراحل اطلاقا .. هؤلاء الصغار الذين جاءوا ثمرة لهذا الرباط . وهي مرحلة تربيتهم وتنشئتهم وتعليمهم ، حتى يكبروا، ويصبحوا قادرين على الوقوف على اقدامهم .. وعلى شق طريقهم في الحياة ، كما فعل آباؤهم من قبلهم .. وهكذا يمضي الاباء في رحلة الحياة ومعركة البناء حتى تكتمل !

« لقد عاش هذان الزوجان ، كما يعيش كل زوجين .. حياة مليئة بالعمل والانتاج ، والمتاعب والتضحيات .. من اجل بلوغ هدف واحد .. من اجل اتمام عملية البناء التي كانت وما تزال هدف كل رجل وكل امرأة من هذه التجربة الكبرى .. تجربة العمر كله .. تجربة الزواج !

« فهل انتهت حياة هذين الزوجين باكتمال البناء الذي قضيا أجمل سني عمرهما يكافحان من أجل اتمامه » ؟

الفنان واللوحة

« انهما هما هما .. لم يتغيرا .. ولكن الذي تغير في حياتهما هو زوال الحافز الذي كان يدفعهما الى العمل والعمل من أجل بلوغ هدف معين .. وبعض الناس يقنعون بالوقوف أمام هذا البناء الصغير او الكبير الذي بذلا في سبيل اتمامه من الجهد والعرق ، ما بذلا ، ويتاملانه في اعجاب تماما ، كما يقف الفنان امام لوحته الجديدة ويسلط عليها الاضواء ، ثم يعود الى فرشاته يمسك بها من جديد ليضع عليها اللمسات الاخيرة التي يرى انها سوف تزيدها جمالا وروعة ..

« وبعض هؤلاء الفنانين يرسمون لانفسهم فهم يرفضون ان يبيعوا انتاجهم .. وتبقى لوحاتهم معهم ، فاذا رحلوا عنها ، بقيت هي تحكي قصة فنان عظيم » !

« وهناك الفنان الذي لا يكاد ينتهي من لوحته حتى يعرضها للبيع .. ولكن أسوأ هؤلاء الفنانين اطلاقا ، هو هذا الذي لا يرضى عن أي عمل فني قدمته يداه ، فهو قد يقضي في اعداد لوحته شهورا طويلة ، وربما سنوات ، حتى اذا انتهى منها ، راح يتطلع اليها بعين الناقد الثائر ، ثم لا يلبث ان يمزق اللوحة لانها لم تعجبه ، أو لانها جاءت على غير ما كان يريده لها » !

« ما اشبه هذا الاخير ، بالزوج الذي يمسك بفاس ، ليدمر البيت الجميل الذي قضى في بنائه مع زوجته وابنائه احلى سنوات العمر » !

شهوة النجاح

ثم ينتقل سمايلي بلانتون الى الحديث عن ناحية اخرى ، لها تاثيرها السيكولوجي على نفسية الرجل وعلى نظرته الى نفسه والى من حوله .. انه النجاح الذي يصيبه الرجل من الحياة بعد كفاح طال أم قصر !

انه مدين بهذا النجاح الى المرأة التي وقفت

بجانبه تشد من أزره وتشجعه على المضي في طريقه ولكنه ينسى .. ولا ينتابه هذا النسيان الا عندما يجد نفسه قد وصل فعلا .. عندئذ فقط ينسى نفسه وينسى زوجته واسرته ، وينسى الدنيا ، ولا يذكر الا النجاح الذى حققه ، والا المال الذى اصبح يجرى فى يديه بلا حساب !

انه يروى لنا قصة اخرى لزوجة وام لاربعة شبان ، جاءته يوما تشكو زوجها الذى لم تعد تره . لقد تزوجته موظفا صغيرا فى احد المطاعم الكبيرة بالمدينة .. وقضى الزوج أكثر من خمسة عشر عاما يعمل ويعمل بلا كلل .. وهى واقفة بجانبه ، تسهر معه اذا سهر ، وتحفظ له ماله ، اذا احست انه اسرف فيما لا ينفع .. حتى فاجاته يوما بانها قد جمعت من ماله وما كسب ، ثروة تمكنه من ان يبدأ عملا جديدا ، خاصا به وحده !

« واشترى الزوج محلا تجاريا صغيرا ، ولم تكد تمضى بضع سنوات أخرى ، حتى كبر المحل ، واصبح يضم أكثر من خمسين موظفا وعاملا .. ونجحت تجارته ، واصبح ثريا .. ولكنها فقدته ، فهو لم يعد يحس بها ، ولا بابنائه الشبان الاربعة! وقالت الزوجة ، وهى تحاول ان تحبس دموعها : « ليته بقى على ما كان عليه ، نفس الموظف الصغير الذى كان يعود الى فى مساء كل يوم يحكى لى متاعبه ، ويضع رأسه على كتفى كما يفعل الاطفال » .

الفراغ .. والياس

كيف نحمى هذه البيوت من الضياع .. ؟ كيف تستعيد الزوجة رجلها فى خريف العمر ؟

يقول الدكتور بلانتون : « ان هناك عوامل أربعة تساهم مساهمة اساسية فى حدوث تلك الفجوة بين الزوج والزوجة فى خريف العمر .. انها الفراغ .. والشعور بالملل .. وبلوغ سن الياس عند الرجل والمراة على السواء .. واخيرا الاهتمام بجمع المال .. وهى هواية عند الكثيرين ، حتى لو كان عندهم من المال ما يكفى ويزيد . !

« وسبيلنا الى التغلب على كل هذه المتاعب التى تواجهنا فى الخريف ، هى ان نعمل على تفاديها فى الربيع ، وقبل حلول الخريف باعاصيره وعواصفه .

« ان الزواج ليس مجرد شركة للبناء والتعمير ، والا كان أشبه بآلة تعمل بلا عقل ، اذا نفد وقودها توقفت .. فى هذه المرحلة الاولى من مراحل البناء فى الزواج ، لا بد للزوجة من ان تدرك حقيقة هامة .. ان كل رجل يبحث فى زواجه عن صديق .. كذلك المراة ، فالصداقة فى حياة الزوجين أبقى واطول عمرا .. هو يجب ان يشعر دائما بان هناك شريكا له يهمه رأيه ، ويهمه ان يستمع الى ما سوف يقول فى كل مشكلة .. فى كل شىء يحتاج تفكيرا قبل أن يبت فيه .. وهى أيضا .. يجب ان تعوّد زوجها على اشراكه فى كل أمر يتصل بحياتها ومستقبل ابنائها .. حتى فيما تختاره لنفسها من ملابس وأدوات للتجميل ، صحيح ان المفاجئات السعيدة ، تثير قلب الرجل وتحرك مشاعره .. ولكن يجب ان تتاكد الزوجة من ان هذه المفاجاة التى ستقدمها له ، سوف تسعده فعلا !

الصداقة بين الزوجين

« اذا تعود الزوج على اللجوء الى هذا «الصديق» الذى ينتظر عودته دائما الى البيت ، فهو لن ينسى هذه الصداقة أبدا .. فالصداقة أبقى ، والصداقة اكبر ، حتى من الحب الذى يربط بين قلبيهما .. ان المرء لا يشعر بالارتياح الا اذا افرغ كل ما فى قلبه من متاعب لصديق يثق فيه ويعتمد عليه » !

ثم عملية بناء هذا البيت الذى يظن بعض الازواج انها سوف تنتهى ، بمجرد خروج الابناء منه ، والاستقلال بحياتهم .. عملية البناء هذه ، يجب الا تنتهى أبدا .. يجب الا تتوقف .. وليس معنى البناء هنا ، تشييد طابق آخر فوق البيت الذى يمتلكانه ، أو شراء اثاث جديد بدلا من الاثاث القديم .. وانما يكون البناء بالعمل والانتاج ، وممارسة الهوايات المشتركة وملء الفراغ الذى قد يحتوى هذا البيت الذى تركه الابناء ، وتركوا ذكرياتهم الحلوة من ورائهم .. فالعمل يجعل حياتنا ربيعا دائما ، تعود فيه الزهور الى التفتح حتى ولو تقدم بها العمر ، وحتى وهى تستقبل الخريف ! ■■

منير نصيف

نتيجة مسابقة العدد ٢١٣

شتراوس وضع موسيقى الدانوب الأزرق

قامت مسابقة العدد ٢١٣ على مجموعة كبيرة من الاسئلة السهلة السريعة التى تناسب فصل الصيف ، وهو فصل يركن فيه القراء الى الراحة والاستجمام ، ومع ذلك فقد حمل البريد لنا اعدادا كبيرة من اجابات القراء وكلها تحمل الحل الصحيح للمسابقة .

ونورد فيما يلى الاجابة الصحيحة لأسئلة المسابقة ، ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة :

١ ـ القسطنطينية هو الاسم السابق لمدينة استنبول .

٢ ـ الميناء البترولى ، الفاو ، يقع فى العراق .

٣ ـ شتراوس هو الذى وضع موسيقى الدانوب الازرق .

٤ ـ البنيلوكس The Benelux هو اسم بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج مجتمعة ، ويتالف هذا الاسم من الاحرف الاولى من اسماء الدول الثلاث بالانجليزية .

٥ ـ هانيبال قائد عالمى عاش فى تونس .

٦ ـ عيد الأم يقع فى شهر مارس ، وصاحب فكرته الصحفى الراحل على امين .

٧ ـ عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان .

٨ ـ عمرو بن العاص هو الذى بنى مدينة الفسطاط .

٩ ـ تشتهر مدينة المحلة الكبرى بمصر بصناعة الغزل والنسيج .

١٠ ـ كفاحى كتاب الفه هتلر .

١١ ـ سوناطراك شركة بترولية تملكها الجزائر .

١٢ ـ سيام هو الاسم القديم لتايلاند .

١٣ ـ طول قناة السويس ١٠٠ ميل .

١٤ ـ مدام كورى هى مكتشفة الراديوم .

١٥ ـ ليوناردو دافنشى هو الذى رسم لوحة الموناليزا .

١٦ ـ تشتهر مدينة بيزا الايطالية ببرجها المائل الذى يحمل اسمها .

١٧ ـ يتجمد الماء فى درجة الصفر المئوية .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا **فاز بها : عبدالله احمد المتعب** / جدة / السعودية .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا **فازت بها: تريزالشحات عازر يوسف** / القاهرة / مصر .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير **فاز بها : نجيب سعيد عبده الحى عبده القادر** / عدن / اليمن الديمقراطى .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **موسى سليم الطراونة**/وادى السير/الاردن .

٢ ـ **المأمون صافيا** /جبلة/سوريا .

٣ ـ **صقر سعيد شهاب** /النقرة/الكويت .

٤ ـ **جاسم محمد السامرائى** /سامراء/العراق .

٥ ـ **على محمد على القران** /صنعاء/اليمن .

٦ ـ **حميدة خليل فضل** /المنامة/البحرين .

٧ ـ **احمد سالم عبد الله** /سلطنة عمان .

٨ ـ **عائشة احمد حمدان المهندى** /الخور/قطر .

حتى لا تتكرر المأساة

ولا نرى هذه الصور مرة ثانية

■ كان من أصعب الامور على مجلة العربي ان تظهر هـذا الشهر بهذا الغلاف ، وبهذه الصور ، عن مأساة الحرب الاهلية في لبنان …

ولكن لم يكن ممكنا،وقد استمرت تلك الحرب الاهلية عاما ونصف عام ، ان لا يسجل «العربى» هذه المأساة بالصور ،كما علق عليها كثيرا بالكتابة …

انهاصور بشعة قاسية · تحز في النفوس وتمزقها · ولكن يجب ان نراها ،ونتاملها ،حتى لا ننساها فاننا ان لم ننسها ،فربما نعمل حقا على ان لا تعود ·

ان هذه الصفحات تذهب الى المطبعة ، وهناك في الافق خفقة من امل ، كذبالة الشمعة التى تصارع الريح ، في ان يكون هناك وراء هذا الافق حل ،وايقاف لوقف اطلاق النار ،وانتقال الحوار من لغة الرصاص والصواريخ الى لغة العقل والمنطق والمصلحة اللبنانية ، والفلسطينية ، والمصلحة العربية العليا فى نفس الوقت ·

واذا كان هذا الامل قد تحقق ، قبل صدور هذا العدد ، فان هذا فى راينا لا يعنى ان المشكلة قد انتهت ·

قد تنتهى المشكلة سياسيا ، وهـذا ليس كل ما يهمنا فى هذه المجلة …

انما يهمنا ايضا من هذا الحدث الخطير جدا ، الذى عاصرناه ، ان نتامله فكريا وتاريخيا وثقافيا ،وان نصل فى تحليل اسبابه وبواعثه حتى نصل الى الجذور ·

·· حتى لا نرى هذه الصور فى حياتنا العربية بعد ذلك …

وحتى لا تتكرر المأساة فى اى موقع من مواقع الامة العربية ، فى اطرافها المترامية … ■■

النساء والاطفال ٠٠ الى اين المفر ؟





قناص وراء متراس •

هذا الخراب ٠٠ كان عمارة شامخة ٠٠





خطوة واحدة ٠٠ قد يكون معناها الموت !







في بيروت القديمة بيوت كالمتاحف،
يرجع بناؤها الى مئات السنين
ومملوءة بآثار عصور قديمة ..
صارت ، كاما .

بنت ١٤ تحمل مدفعا رشاشا !



المعركة في منطقة الفنادق
الكبرى في بيروت .



وضعوا خوذته على قبره ...





حطام سوق الطويلة ...
يعرفه كل عربي زار لبنان



هاربة بحياتها ... وبكيس واحد فقط لا غير !



فنادق الشاطىء الانيقة ·· صارت اهدافا استراتيجية ·

نظرة أخيرة ·· على حياة صارت حطاما·· وذكريات تحولت الى تراب ·





جندي من القوة العربية المشتركة لحفظ الامن ٠

لحظة ٠٠ بين الحياة والموت ٠







الطفولة تبتسم !
اطفال عرفوا صوت القنابل ولون الدم قبل ان يعرفوا القراءة والكتابة !
هل يعيشون حتى يشهدوا حياة افضل ؟

مصرع مقاتل مجهول ٠٠ أى حياة كان يرعاها ؟
ومن كان فى انتظار عودته ؟



• استطلاع الكويت •

رحلة مع ميناء الشويخ

رئة الكويت التجارية

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب

تصوير : فهد الكوح

جانب من ميناء الشويخ وتبدو بعض المراكب الصغيرة ٠٠ ويظهر مبنى شركة مطاحن الدقيق وقد بني بجوار الميناء لتسهيل نقل الحبوب من البواخر الى صوامع الشركة ٠





البواخر العملاقة والمراكب الصغيرة تفرغ ١٤ الف طن من البضائع كل يوم فى الميناء ، وتتزود بالمؤن والوقود ، ثم تتابع رحلتها الى موانيء اخرى (الصورة الى اعلى) •

تستقبل مراكب المرشدين البواخر قبل دخولها الى الميناء لتقودها الى المرسى ، حرصا على سلامتها والصورة لاحدى البواخر وهى تتجه الى المرسى بتوجيه مراكب الارشاد •



■ كيف يكون حال الدولة .. اى دولة في العالم عندما تلتفت حول حدودها فلا ترى منفذا بحريا تطل منه على ما حولها من دول وقارات ،لا شك انها ستكون رهينة للدولة الجارة ،تخضع لها وتكسب ودها وعطفها . مثل هذه الدول تعرف فى قاموس الجغرافية السياسية « بالدول المغلقة » فهى لا تطل الا على ارض يابسة تربطها مع الآخرين من الدول ..

ومن فضل الله ونعمه على الكويت ان وجدت على ضفاف هذا الخليج وامواجه الهادئة احيانا، والغاضبة احيانا اخرى ، فكان طبيعيا فى حال كهذا ، ان يولي ابناء الكويت وجوههم شطر البحار ، ولهذا ارتادوا ارجاءها يحملون البضائع من دول اسيوية وافريقية كثيرة ، أو يحملونها اليها ، ثم تطورت اهمية هذا الموقع الجغرافي المتاز ، فاقيمت الموانىء التجارية ، وجاءت سفن مختلفة الاحجام والجنسيات الى مياهها ، تفرغ حمولتها ، جاءت الى الكويت ، والى الاقطار العربية المجاورة عبر موانىء الكويت ايضا ..

هذا الوضع ادى الى ازدحام هذا المرفق الحيوى والى التفكير فى الحلول الكفيلة بالقضاء على هذا الزحام .

وميناء الشويخ ، موضوع استطلاعنا فى هذا العدد ، من المرافق الهامة في البلاد التي لا تكاد تقف الحركة فيها .. لكن كيف ولد هذا الميناء وكيف تطور عبر الزمن .

لننطلق من البداية ونقرأ ما كتبه مدير عام الميناء السابق السيد محمد قبازرد فى العدد الثالث من مجلة « كاظمة » الصادرة فى سبتمبر ١٩٤٨م عن التفكير فى اقامة الميناء ، يقول المدير العام .. « لا تبعد عن الواقع اذا قلنا ان الكويت اليوم ازدهرت وتوسعت واخذت تخطو خطوات ثابتة نحو الرقي والعمران مما يتمشى مع عصرنا الحاضر ، عصر السرعة والعمل » والفضل فى ذلك يعود الى ازدهار تجارتها وما حوته ارضها من منابع النفط الغزيرة التى قد جعلتها ملفت انظار العالم ، الامر الذى جعل لهذه البلاد أهمية تجارية عظيمة .. » ويضيف السيد قبازرد فيقول « تمتاز الكويت بموقعها الجغرافي ، بما لها من ميناء طبيعي ملائم للملاحة ، فاذا نظرنا الى ما لهذا الميناء من الاهمية التجارية وما له من شان فى الحاضر وفى المستقبل ادركنا مدى ما تدعو اليه الحاجة من التفكير فى اصلاح ما يحتاجه هذا الميناء الهام من اقامة المنشآت البحرية التى من شانها تامين حركة الملاحة والتجارة والعمل . فلا بد من انشاء مرفأ عام يكفل لاكبر البواخر التجارية ان ترسو فيه لتكون فى مأمن من تقلبات الجو والعواصف ، ثم بناء ارصفة تمكن هذه البواخر والسفن الشراعية من الوقوف بجانبها لتفريغ حمولتها بصورة مستمرة » . ويختتم مدير عام الميناء السابق كلمته المنشورة فى مجلة « كاظمة » بطرح فكرة اتخاذ ميناء الشويخ لتحقيق هذا الغرض نظرا لغزارة المياه البحرية والموقع الهادىء الامين من العواصف ، لكونه بين ساحلين قريبين احدهما من الآخر ، بحيث يكفلان مكانا مناسبا بعيدا عن المدينة وقريبا منها .

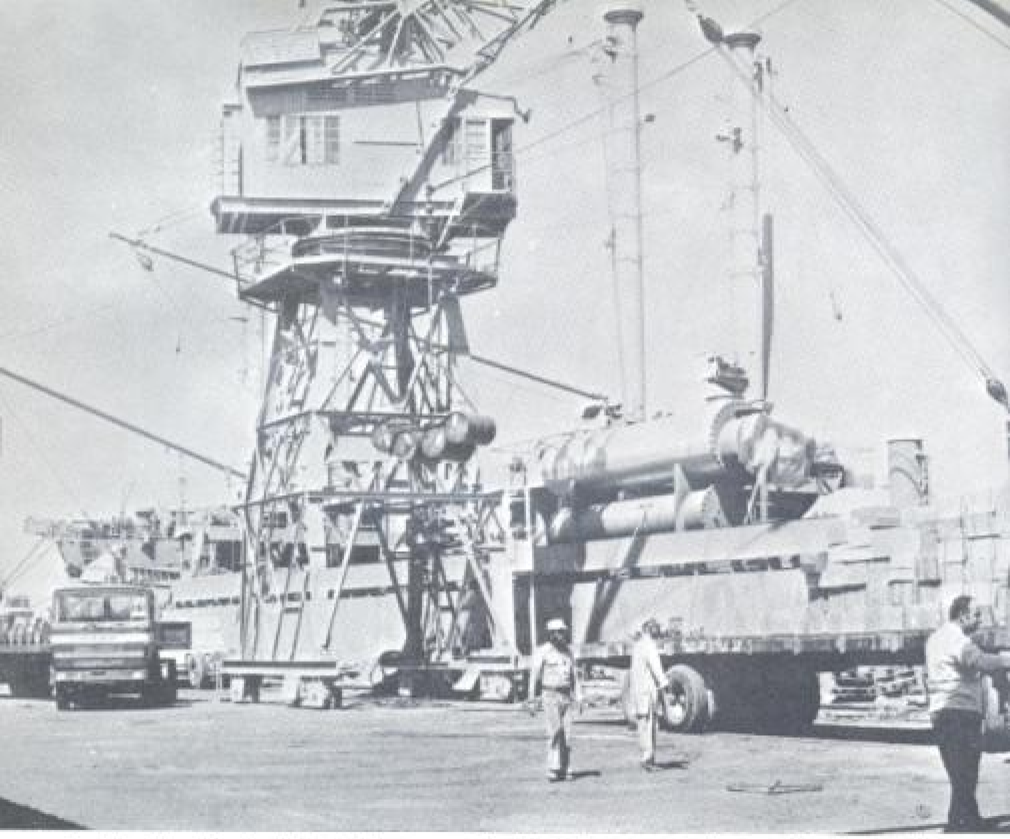
مرحلتان لانشاء الميناء

وميناء الكويت ، مر بمرحلتين خلال فترة انشائه فى منتصف عام ١٩٥٣ م .

وتبدأ الاولى عندما قام المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت السابق، بتعيين السير وليام هالكرو وشركاه كخبراء فنيين للمشروع ، من اجل التصميمات اللازمة له



السيد محمد قبازرد .. المدير العام السابق للميناء .. من الذين وضعوا القواعد الاولى للعمل بهذا المرفق الحيوى .



حركة لا تهدأ في التفريغ والشحن تتم يوميا في الميناء الذي ينبض بالحياة طوال الـ ٢٤ ساعة بلا توقف

والاشراف على انشائه ، ولقد قسم المشروع قسمين ٠ يتعلق الاول بحوض رسو السفن والقناة الموصلة اليه ٠ ويتعلق الثاني برصيف الميناء وجميع المنشآت اللازمة له ٠٠ اما المرحلة الثانية فكانت في ابرام مناقصة الحفريات اللازمة لمشروع الميناء ، وبدأت عملية الحفر للميناء بعد ان وضعت لها كل التصاميم اللازمة ٠٠

العمل والعمال في الميناء

ويروى لنا بقية القصة السيد محمد البحر ـ الذي كان يشغل نائب مدير عام الميناء ثم وكيل وزارة لشئون الجمارك في الفترة ما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٦٢ م ـ فيقول محدثا عن العمل والعمال في تلك الفترة :« الشيء المعروف ان الميناء هو الرئة لاى قطر من الاقطار ،فهو الذى تتنفس منه الدولة بالصادرات والواردات ، ويضيف ان العمل بالموانيء يرتكز على ثلاثة عوامل ، الاول الجانب البشرى ، والثاني عامل المعدات من سيارات ورافعات وغيرها ، والثالث عامل التسهيلات اي انارة القنوات والارصفة ، لا بد من وجود هذه العوامل اذا أريد النجاح لعمل الميناء ٠٠» ويتابع السيد البحر حديثه عن الميناء قائلا : « وكنا نواجه ازدحاما في الميناء وكانت هناك فترات انتظار ، لكن بنسبة قليلة ، اما المشاكل فان حلولها كانت ميدانية وسريعة ، وبالنسبة للعمال كانت امورهم مناطة بالمقاول المتعهد لامور الشحن والتفريغ » ٠

التفريغ والشحن بلسان مخضرم

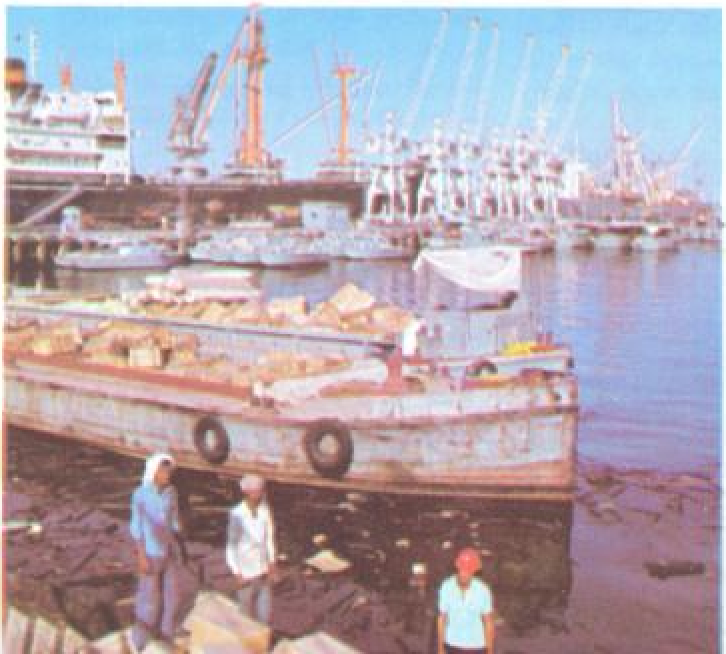
اما كيفية تفريغ البضائع وشحنها في الميناء قديما ، فقد سألنا عنها السيد محمد البتوان ، احد المخضرمين بالميناء فقال « كانت الكويت تعتمد في الماضي على شركة النقل والتنزيل المعروفة باسم « حمال باشي » التي كانت تمتلك سفنا شراعية تقوم بانزال البضائع من السفن



يعاني الميناء من تكدس البضائع التي تأتي الي الكويت والدول المجاورة ·· والصورة الى اعلى ·· لمجموعة من العمال وهم يفرغون الاخشاب من السيارات الى ارض الميناء بعد تفريغها من البواخر· أما الصورة (تحت) فتبدو البضائع تفرغ من البواخر الى ظهر « الدوبة » تسهيلا لعمليات الملاحة في الميناء ·







انشئت فرقة للمطافي البحرية . مهمتها مكافحة الحرائق التي قد تتعرض لها البواخر .. الصورة لجانب من مراكب المطافيء المجهزة بكل حديث من الوسائل . **(الى اليسار)** تبدو بعض المراكب وبعض العمال خلال عملهم المستمر ليل نهار .

ونقلها الى الميناء • ونتيجة لازدياد حركة الميناء وكثرة الواردات فكرت الحكومة في انشاء ادارة للميناء لتتولى تفريغ حمولة البواخر التي زادت حمولتها كما زاد عددها ، مما ادى الى ضرورة ايجاد الات حديثة لم تكن شركة « حمال باشي » قادرة على ايجادها فانشئت ادارة الميناء عام ٥٣م وتولى ادارتها السيد محمد قبازرد ، فاخذت مسؤوليات شركة النقل والتنزيل لكن بشكل اوسع واكثر ،اذ احضرت بعض « الدوب » ـ وهي عوامات قصيرة الغاطس ، للنقل بين الرصيف والسفن الكبيرة • مما زاد نسبة التفريغ عما كان عليه ، استمر هذا الحال حتى عام ١٩٦٠م حيث تم بناء ستة ارصفة ، عمق اربعة منها ٣٠ قدما ، والباقي بعمق ٢٠ قدما » •

ازدحام وتوسعة

ويستطرد محدثنا السيد البتوان فيقول :

«ونتيجة لتزايد عدد البواخر التي وصلت ،وحجم البضائع المنقولة عليها منذ تشغيل تلك الارصفة وحتى عام ١٩٦٨م حين جاوز الامر التوقعات ، فقد رأت الدولة ضرورة توسيع الميناء على مرحلتين متعاقبتين تناولت الاولى منهما الناحية الشرقية من الميناء حيث بني فيها رصيف عميق طوله ٦٠٠ قدم، وهو يتصل بالارصفة القائمة وجهز باربع رافعات كهربائية تتراوح قدرتها من ٣ ـ ٦ طن ، كما اشتملت هذه المرحلة ايضا على استبدال عوامات الارساء «بدولفينات » ثابتة لارساء باخرتين ذواتي غاطس يصل الى ٢٨ قدما •

كما انشئت على حافتي قناة العبور الى الميناء ركائز ثابتة مضيئة لتحدد مسار هذا الممر المائي»•

مشاكل الميناء

وقابلنا السيد حمد الداود العبد الجليل وكيل وزارة المواصلات المساعد لشئون الموانيء ،فسالناه عن المشاكل التي يعانيها الميناء ، فاجابنا بقوله : « الميناء يخدم الدول الشقيقة المجاورة عن طريق تفريغ بضائعها العابرة «الترانزيت» بالاضافة الى البواخر التي تفرغ حمولتها للكويت ،كل ذلك ادى الى ازدحام الميناء سواء بكثرة البواخر او بكثرة البضائع الواردة ـ هذا الامر خلق مشكلة اخرى هي نقص المستودعات اللازمة لحفظ هذه البضائع،

ولذلك فقد فكرنا جديا في عمليات توسعة للمستودعات ، اضافة الى ما هو موجود لدينا الان وعددها ١٤ مستودعا في منطقة التخزين « رقم ١و٢ » وهناك ثمانية مستودعات في منطقة «رقم ٤ » هذا غير الساحات المكشوفة التي نستغلها للسيارات والمكائن وغيرها من البضائع التي لا تتلف بسرعة » •

١٤ الف طن يوميا

اما عن وصول كميات البضائع التي يستقبلها الميناء كل يوم فقد قال وكيل وزارة المواصلات: « ان الميناء يستقبل يوميا ما مقداره ١٤ الف طن من البضائع ، منها ما هو للاستهلاك المحلي ، وما هو للتصدير الى الدول الشقيقة المجاورة كالعراق والسعودية وغيرها • كل هذه الكميات من البضائع تحتاج الى استعداد مستمر وسرعة في عمليات التفريغ حتى لا يتعطل العمل ، وهذا ما نسعى اليه دائما من اجل ان يظهر الميناء في الصورة تشرف الكويت كمركز اقتصادي وتجاري في منطقتنا لتدخل المرحلة الثانية »

مدرسة للمرشدين

واستطرد السيد العبد الجليل حديثه عن امور الميناء قائلا : « معروف ان توفر المرشدين في الميناء له اهميته ، ولا غنى لاي ميناء عن طاقم المرشدين ـ لذلك فكرنا في افتتاح مدرسة للمرشدين يلتحق بها الطلبة الكويتيون وسوف نتيح الفرصة لهم للالتحاق بالاكاديميات البحرية العربية والاجنبية ـ ويوجد لدينا الان ١٢ مرشدا كويتيا

يستقبل ميناء الشويخ يوميا افواجا عديدة من الركاب •• ومعظم هؤلاء من الاجانب ••الصورة لأحد الافواج التي تصل الى الميناء •••



يقومون بدور كبير في خدمة وطنهم ، كما ان لدينا ٩ مرشدين تحت التدريب وسوف ياخذ هؤلاء دورهم عند الانتهاء من مرحلة التدريب التي يمرون بها ..»

أسباب ازمة الميناء

ولقد ظهرت في الآونة الاخيرة ازمة في كثرة البضائع التي تصل الى الميناء ـ نتيجة تزايد عدد البواخر القادمة وتفريغ حمولاتها ، ولعل الاسباب في هذا التزايد تعود الى الزيادة الكبيرة في الدخل المالي لدول الخليج ،فانه قد حفز تلك الدول الى مضاعفة مشروعاتها العمرانية والانمائية التي استوجبت استيراد كميات هائلةمن المواد والبضائع تفوق قدرة الموانيء في تلك البلدان ، وقد ادى هذا الى ازدحام الموانيء الخليجية بالبواخر واصبحت فترات الانتظار في بعضها تصل من١٠٠ الى ١٥٠ يوما ، والوضع السالف دفع بخطوط الملاحة العالمية الى ترتيب اوضاع شحناتها بشكل يسمح لها بالاستفادة من الفوارق الزمنية في الانتظار في كل ميناء ، بمعنى أن البواخر اخذت تمر اولا بالموانيء الاكثر ازدحاما والاطول مدة في الانتظار فتسجل دورها هناك وتغادرها الى الموانيء التي لا تتجاوز فيها فترات الانتظار مدة تتراوح بين اربعة وستة اسابيع ، فتفرغ حمولتها بها ومن ثم تتوجه الى الموانيء التالية حيث يكون قد قرب حلول دورها بها ، بالاضافة الى اسباب اخرى كالتسهيلات المتوفرة في ميناء الكويت وزيادة اجور الانتظار التي تواجهها البواخر في الموانيء الاخرى .



« اننا نعاني من قلة عدد المرشدين والسائقين ونحاول جاهدين سد هذا النقص » هذا ماقاله وكيل وزارة المواصلات لشئون الميناء السيد حمد العبد الجليل ...

مشاريع للمستبقل

وتمشيا مع حركة التطور التي تشهدها الكويت في كافة الميادين ، وضعت الدراسات والمخططات اللازمة لتوسيع الميناء عن طريق انشاء ٢٤ رصيفا جديدا في الشمال الشرقي من منطقة بناء واصلاح السفن القائمة في الميناء الان ، ويشمل المشروع بناء مستودعات وتجهيز رافعات لمختلف انواع الحمولات ، وانشاء مصاطب للسفن المسماة Roll on, Roll of ، بالاضافة الى مد خطوط سكك حديدية ربما تصل ميناء الكويت بميناء الدوحة ، كما تصله بالاماكن التخزينية الجديدة .ومن المنتظر ان يكتمل ذلك في عام ١٩٨٠ ، حين تصل طاقة ميناء الكويت التفريغية الى اكثر من خمسة ملايين طن سنويا .

والخلاصة ، ان ميناء الكويت هو الوحيد بين موانيء المنطقة الخليجية الذي لم تفرض عليه اجور شحن اضافية .

يوسف الشهاب

السيد حمد البحر ، تخرج من انجلترا ،والتحق بالميناء عام ١٩٥٥ نائبا للمدير العام ،ثم وكيلا للوزارة حتى عام ٦٢/٦١ .



النحل

أحلى وأقدم ثروة صناعية

بقلم : المهندس الزراعي خالد عيد

شغالة حديثة ، يلاحظ انها تكون اصغر قليلا ، وكثيرة الزغب ولونها يميل الى الفضي اكثر من اخواتها الاكبر سنا .





احدى الشغالات وهى تجمع الرحيق من الازهـار التى تحصل منها على حبوب اللقاح والرحيق ، وبالمقابل تقوم الشغالات بنقلها مما يؤدى الى حدوث عملية التلقيح الخلطى .

ملكة النحل : فى العادة يوجد ملكة واحدة فى المستعمرة ، وهى المسؤولة عن وضع البيض وبالتالى تعتبر مركز نشاط المستعمرة .



■ قال تعالى في كتابه العزيز «واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون » •

❋ يعتبر النحل احدى آيات خلق الله ويتجلى ذلك في قدراته الغريزية الهائلة ودقة تنظيمه ودأبه على العمل في صبر وصدق وتعاون •

❋ وفي الكويت تدل البشائر الاولية على امكانية نجاح تربية النحل •

لمحة تاريخية

لقد جذبت صناعة العسل الانسان منذ العصور السحيقة اي منذ عصر الصيد لخمسين الف سنة خلت ، فكثيرا ما كان يقوم هذا الانسان بغزو مستعمرات النحل البرية لجمع العسل والشمع متحملا في سبيلها الام اللسع الحارق •

واخيرا عرف الانسان ان الطبيعة الثابتة لمستعمرات النحل والتي ترتكز على النظام الاجتماعي المعقد تعني ان هذا النحل يمكن ترويضه ومن هنا بدات عملية تربية النحل • وتشير الكتابات الهيروغليفية الموجودة على جدران مقابر قدماء المصريين ان فن تربية النحل قد بدأ كمهنة منذ اكثر من اربعة الاف سنة قبل الميلاد ، وانطلاقا من التجارب البدائية المريرة ترعرعت حرفة تربية النحل الى صناعة



بيضة حديثة الوضع ، تفقس هذه البيضة بعد ٤ أيام الى يرقة صغيرة ، البيض المخصب يفقس الى شغالات او ملكات اما البيض غير المخصب فيفقس الى ذكور فقط •

منتشرة في جميع انحاء العالم تنتج حاليا ما يساوي ٧٥٠ الف طن سنويا •

ويقول العلماء ان الموطن الاصلي لنحل العسل هو جنوب آسيا ، ومن العشرين الف نوع من النحل الموجود امكن ترويض اربعة انواع فقط من هذا الجنس واسمه APIS على نطاق واسع ، وكل هذه الانواع تعيش في مستعمرات وفق نظام اجتماعي معقد يعتمد على التباين الطبقي •

في كل خلية من خلايا نحل العسل يوجد ثلاثة انواع هي الملكة والشغالات والذكور ولكل منهم وظائفه ومهامه •

الملكة

في العادة يوجد ملكة واحدة في الخلية والملكة انثى مخصبة ، وهي عبارة عن ماكينة بيض فهي تضع ما يقارب (١٥٠) الف بيضة في السنة اي حوالي ٥٠٠ بيضة في اليوم • وتعيش مدة اربع سنوات • وبالاضافة الى مهمة وضع البيض فان الملكة تعتبر القوة الاساسية الدافعة للارتباط بين افراد الخلية وهي تفرز رائحتها الخاصة والتي تعرف بالمادة الملكية وتعتبر العلامة المميزة لكل خلية • وبدون الملكة (وبمعنى اخر بدون الرائحة الملكية) تفقد الخلية حيويتها وتفقد الشغالة الدافع الرئيسي للعمل ، وتقوم الشغالات على خدمة الملكة بصفة مستمرة فتنظفها وتغذيها وتتميز الملكة بانها اطول من الشغالات والذكور ولها بقعة ملساء لامعة على السطح العلوي لمنطقة الصدر •

حوالي اليوم الخامس الى العاشر من عمرها تطير الملكة للتلقيح ويكون ذلك في احد الايام الصحوة الدافئة ، وغالبا يكون ما بين الساعة الثانية والرابعة بعد الظهر يتبعها كثير من الذكور منجذبة لصوت تحدثه الملكة ولمادة تفرزها من الغدة

هذا العدد اثناء الشتاء الى اوائل الربيع (١٥٠٠٠) نحلة تقريبا ويبلغ ذروته فى اواخر الربيع واوائل الصيف فيبلغ العدد (٣٠٠٠٠) شغالة وفى الخلايا القوية ربما يبلغ العدد ضعف اوثلاثة امثال هذا العدد ٠

والشغالات اناث عقيمة وهى المسؤولة عن جميع الاعمال الداخلية والخارجية فى الخلية وفق برنامج زمني يتناسب مع عمرها ٠ فمن واجباتها داخل الخلية ـ افراز الشمع وبناء القرص ، تغذية اليرقات ، تغذية الملكات والذكور ، حراسة الخلية بالاضافة أعمال متنوعة أخرى كتنظيف الخلية وسد الشقوق بها بمادة (البروبوليس) وهى مادة راتنجية صمغية تجمعها من براعم وقلف الاشجار) وتبريد الخلية ، وتركيز العسل ٠ ومن واجباتها خارج الخلية ـ جمع الماء الذى يخلط مع العسل لتغذية اليرقات ولترطيب الخلية وتبريدها فى الصيف ، جمع البروبوليس ، جمع حبوب اللقاح (وحبوب اللقاح هى المصدر البروتيني الوحيد للنحل) وكذلك جمع الرحيق من الازهار لصنع العسل ٠

ومما يجدر ذكره ان كيلوجراما واحدا من العسل يتطلب القيام ب (٤٨٠٠٠) رحلة من الشغالات وكل رحلة لا تقل عن (٥) كيلومترات فيكون مجموع طول هذه الرحلات (٢٤٠٠٠٠) كيلومترا وهي تساوى الدوران حول الكرة الارضية (٦) مرات ٠

والتركيب الجسمانى للشغالة مهيأ لجميع ما تقوم به من أعمال ، فهى تميز الالوان بدقة رغم انه لا يمكنها ان تميز الا بين الاصفر والازرق المخضر والاشعة فوق البنفسجية وتتمتع بحاسة شم وتذوق دقيقة جدا ، اما فكوكها فهى مهيأة لصناعة الشمع وتتخصص معدتها كمخزن مؤقت لنقل الرحيق والعسل والماء وايضا لتحويل الرحيق الى عسل ٠

وغددها البلعومية تفرز العصير اللبنى الذى تغذى به اليرقات الصغيرة ولها غدد تفرز رقائق صغيرة من الشمع من خلال فتحات على السطح السفلى للبطن والتي يوجد بها أيضا آلة اللسع ٠

وآلة اللسع سلاح الشغالة فى الدفاع عن الخلية



تتكاثر مستعمرات النحل بالتطريد ، حيث تقوم الملكة القديمة ومعها معظم الشغالات العاملة بترك المستعمرة الى موقع آخر ،وقبل هذه العملية تقوم الشغالات بتربية ملكة بديلة داخل خلية ملكية خاصة ٠

الفكية ويلقحها أسرع الذكور طيرانا ، وقد تلقح الملكة اكثر من مرة ، وللملكة آلة لسع مقوسة تستخدمها ضد الملكات الاخرى فقط نهايتها بها اسنان صغيرة جدا ويمكنها استعمالها اكثر من مرة ٠

وتربى ملكات جديدة فى الخلية فى حالات ثلاث وهى

١) عدم وجود ملكة بالطائفة

٢) احلال ملكة محل اخرى

٣) فى حالة التطريد ٠

الشغالة

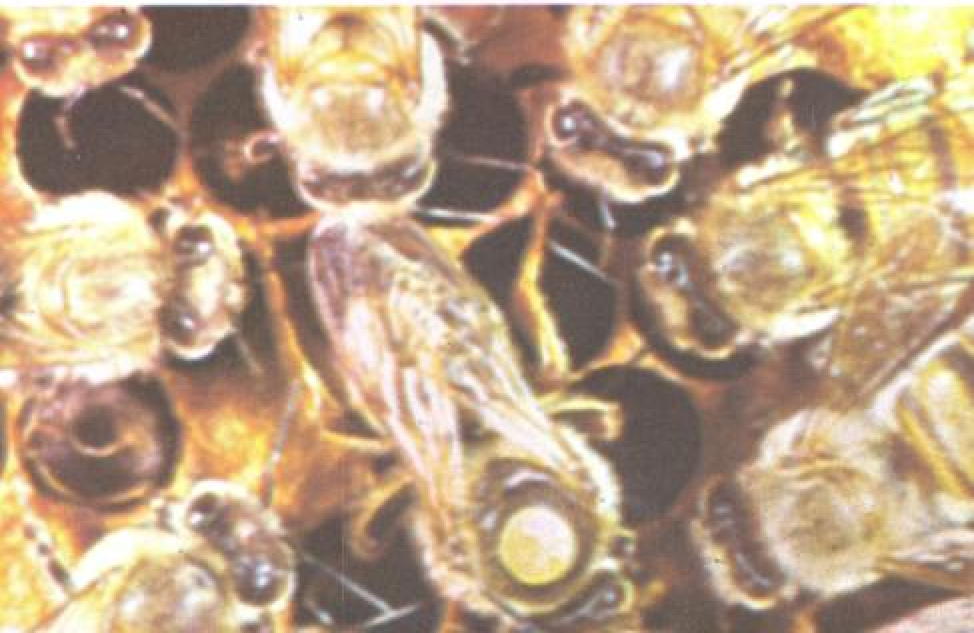
اصغر افراد الطائفة حجما واكثرها عددا ويقل



احدى الشغالات وهى تحمل حمولة كاملة من حبوب اللقاح فى سلة اللقاح الموجودة على الارجل الخلفية .يصل عدد افراد المستعمرة الى ٢٠٠٠٠٠ معظمهم من الشغالات

☆☆☆

الملكة – فى الوسط مميزة بعلامة بيضاء – وهى تضع بيضة فى احدى الخلايا الحاضنة ، لاحظ انها محاطة بالوصيفات من الشغالات .

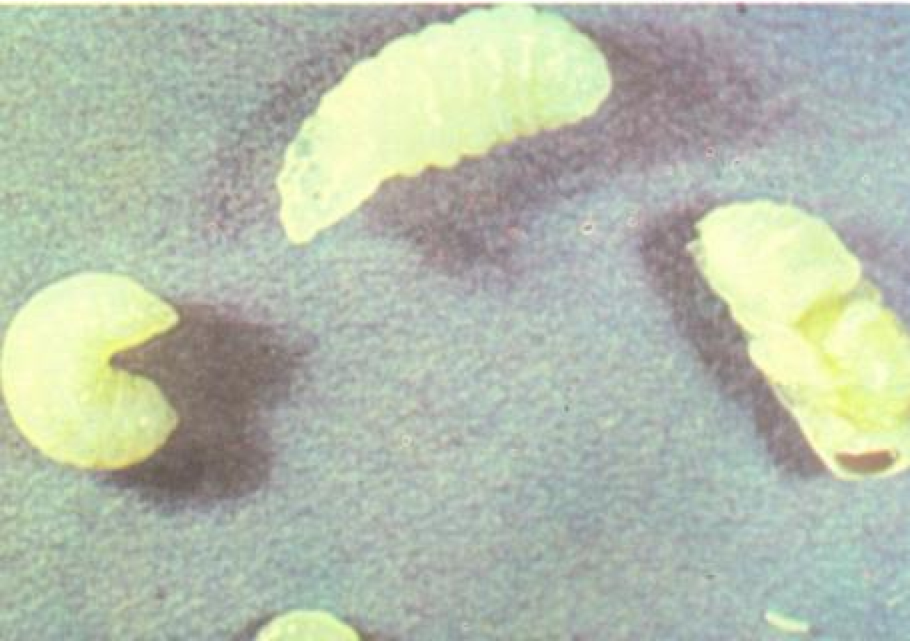




ذكر النحل . لا يقوم باى عمل فى المستعمرة .
وظيفته الوحيدة اخصاب الملكات العذارى .

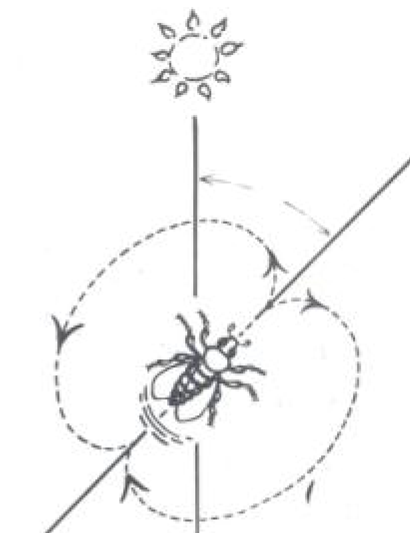
☆☆☆

ثلاثة من اطوار الشغالة : البيض ، اليرقة والعذراء .
تخرج الشغالة الكاملة بعد ٢١ يوما من وضع البيض .





شغالات عمر ٣ اسابيع فى نوبة حراسة عند مدخل الخلية ٠ هذه الشغالات تقوم باعتراض اى هجوم على الخلية تقوم بـه الزنابيـر او الطيور او الحيوانات او حتى شغالات من مستعمرة اخرى ٠ وخلال نوبـة الحراسـة تتعرف هـذه الشغالات على المعالم المحيطة بالمستعمرة ٠



تستخدم الشغالات لغة الرقص المميزة للاخبار من موقع واتجاه ونوع مصدر حبوب اللقاح والرحيق ٠ النحلة فى هذه الصورة تقوم باداء رقصة رقم 8 موضحة ان اتجاه مصدر الغذاء بزاوية ٤٥ على يمين اتجاه الشمس اذا نظر اليه من مدخل الخلية ٠

هى آلة وضع البيض بصورة معدلة وتتميز بانها مدببة لها رأس يشبه سنارة صيد السمك بحيث يدخل الجلد ويبقى عالقا فيه ولذلك فهى لا تستعمل الا مرة واحدة ، ومن هنا يمكن القول بأن شغالة النحل تهاجم بطريقة (الكامى كازى) الانتحارية المعروفة ٠ وفى حالة فقدان الملكة لفترة تتراوح بين ٦ ـ ٢٦ يوما تظهر فى الخلية الشغالات الواضعة للبيض (الامهات الكاذبة) ٠ والاعتقاد السائد ان البيض الذى تضعه الشغالات لا ينتج الا ذكورا لانهـا غير ملقحـة ولكن هناك بعض السـلالات الافريقية تضع فيها الشغالات بيضا ينتج ملكات وشغالة وذكورا ، ومثل هذه السلالة تعطيها مميزة مهمة وهى حفظ طائفتها من الهلاك فى حالة فقد الملكة ٠

وفى العادة فان عمر الشغالة ينتهى بعد خمسة اسابيع بعد ان تكون قد اجهدت تماما ٠

يتطلب تطور الشغالة من بيضة الى حشرة كاملة مدة ٢١ يوما ، والشغالة اليافعة تكون صغيرة الحجم عليها كثير من الزغب وبلون فضى وفى حال خروجها من خلية الحضانة تنضم على الفور الى فريق المنظفين ومشرفى الاقراص ، وبعد ثلاثة اسابيع من العمل الداخلى تقوم باعمال الحراسة لعدة ايام



عند مدخل المستعمرة اما الاسبوعين الاخيرين من حياتها فتقضيهما فى البحث عن الرحيق وحبوب اللقاح والماء ٠

وخلال هذه الفترة من العمل المجهد تطير الشغالة اكثر من (٢٥٠٠ ميل) اى (٤٠٠٠) كيلومتر ٠

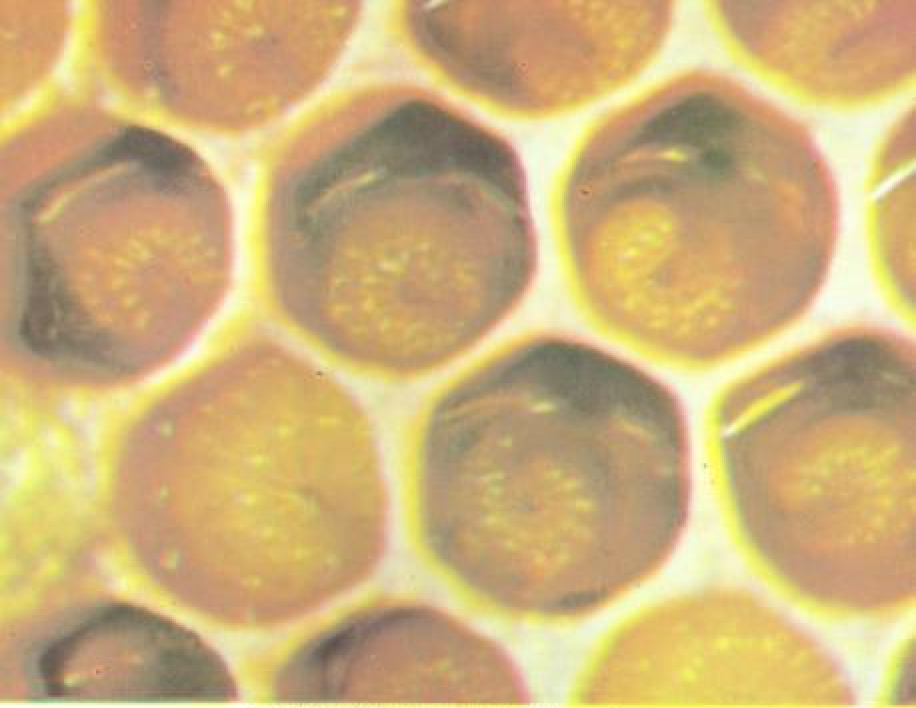
الرقص هو لغة النحل

تقوم الشغالة العائدة من رحلة جمع الرحيق باعطاء زميلاتها معلومات دقيقة عن الموقع الذى زارته اتجاها ومسافة ونوع الازهار وكمية الرحيق وتوافر حبوب اللقاح وذلك باستخدام نظام معقد من الاشارات الراقصة ، فهى تستدعى عددا من زميلاتها وتبدأ بنقل المعلومات اليهن عن طريق الرقص على اقراص الشمع وهنالك نوعان من الرقص ، الرقص الدائرى وهذا يعنى ان مصدر الغذاء قريب جدا من الخلية وفى ضمن دائرة لا يتعدى قطرها ١٠٠ متر وتكون دوائر الرقص بقطر ٢ سم وتقوم النحلة بالتحرك دائريا فى اتجاه ثم تقوم بالتحرك فى اتجاه معاكس وقد تستمر فى عملية الرقص لعدة دقائق ٠

اما النوع الثانى من الرقص فهو على شكل الرقم 8 وتستخدمه الشغالات لاعطاء خريطة موقع لمصدر غذائى يبعد اكثر من ١٠٠ متر عن الخلية اما بالنسبة لبعد المسافة عن الخلية فيتناسب عكسيا مع عدد مرات الرقم 8 المرقوص فى الدقيقة فمثلا (٢٨) حركة فى الدقيقة تعنى ان المسافة (٣٠٠) متر اما قيام الشغالة بتسع دورات فى الدقيقة فذلك يعنى ان المسافة (٣٠٠٠) متر تقريبا ٠

اما نوع الازهار فتحدده رائحتها المحمولة على جسم النحلة ٠

اما بالنسبة للاتجاه فان الشغالة تحدده باستعمال الشمس كبوصلة فعند قيامها بالرقص فوق قرص الشمع (والذى يكون موضوعا بشكل راسى) فانها تجعل الزاوية بين الخط الراسى والوضع المستقيم لراسها تساوى الزاوية بين موقع الشمس ومصدر الغذاء عندما ينظر اليه من فتحة المستعمرة ٠ فمثلا اذا كان اتجاه راس الشغالة الى اعلى وقت ادائها الحركة المستقيمة فمعنى ذلك ان مصدر الغذاء فى اتجاه الشمس واذا كان الى اسفل فانه ضد اتجاه الشمس واذا كان راسها مائل بزاوية على يسار الخط الراسى مقدارها ٦٠ درجة فمعنى هذا ان مصدره يقع على زاوية ٦٠ درجة على يسار الشمس وهكذا ٠



يرقات متباينة الاحجام داخل الخلايا العائمة فى
الغذاء السائل ، الذى تُزودها به الشغالات .

احدى الشغالات وهى تقوم بجمع حبوب اللقاح من نبات برى . هذه الشغالات
تقوم بجمع حبوب اللقاح والرحيق، والماء والصمغ تبعا لاحتياجات المستعمرة.





شغالة صغيرة تتجول فوق قرص
الشمع باحثة عن عمل .

عادة ما يستقر طرد النحل فوق شجرة لعدة ايام . تقوم خلالها الشغالات الكشافة بالبحث عن موقع مناسب للمقر الدائم ، وينتقل الطرد الى الموقع الذى يتفق عليه الجميع .



ولا يتعدى الخطأ في معلومات الشغالة نسبة ٥٪ بأقصى حال •

اما جودة مصدر الغذاء فيحدده نوع الرقص فالرقص الحماسي يساعد على تجميع عدد اكبر من الشغالات عن الرقص الهادئ •

الذكـــر

والذكور على عكس الشغالات فهي تعيش عيشة مرفهة ولكونها افراد خصبة في الخلية فان عملها الوحيد ان تكون تحت الطلب لاخصاب الملكات العذارى التي يتم تنشئتها ، ولكون الذكور تفتقر الى آلة اللسع فلا يمكنها المساهمة في الدفاع عن المستعمرة •

وتقوم الشغالات بالعناية بالذكور وتغذيتها ولكن عندما يشح الطعام تلقي بها خارج الخلية لتموت جوعا • وتعيش الذكور لمدة ٣ـ٦ شهور وهي اكبر حجما من الملكة والشغالة •

العســـل

عسل النحل عبارة عن مادة حلوة ذي رائحة عطرية تجمعها شغالة نحل العسل من رحيق ازهار النبات وافرازاته السكرية ويحول الى سائل سكري مركز ويخزن في الاقراص الشمعية ليستعمله في غذائه •

ويحتوي العسل على دكستروز وانيولوز واملاح ومواد ملونة نباتية وانزيمات وحبوب لقاح وماء•

وللعسل قيمة غذائية مرتفعة لانه أسرع المواد الكربوايدراتية تمثيلا في الجسم لان معظمه سكريات احادية (سكر فواكه وسكر عنب) تمتص في الجسم مباشرة دون هضم علاوة على احتوائه على املاح وفيتامينات وحامض الفورميك ومواد غير معروفة تبلغ حوالي ٤٪ من تركيب العسل ، وربما كان لكل هذه المواد اكبر الاثر في تجديد القوى الطبيعية والنشاط لمن يتناول عسل النحل •

التطـريد

عندماتصبح الخلية مزدحمة بالشغالات واليرقات والعذارى وبالغذاء ايضا فان الشغالات تضطر الى التكاسل وفي هذه الحالة تقوم المستعمرة بما يسمى بالتطريد ، وفيه تترك الملكة القديمة المستعمرة ومعها معظم الشغالات العاملات التي تحمل في معدتها ما تستطيع حمله من العسل •

وعندما ينظر الانسان الى سلوك الطرد فانه يصاب بالدهشة ، ففي لحظة من اللحظات تكون المستعمرة في وضع طبيعي وفجأة تندفع الشغالات من الخلية في كتل بنية ضخمة فيما يشبه التخبط التام وان منظر ٢٠ الف نحلة تطير بدون هدف حول الخلية يبدو موترا للبعض ومخيفا للبعض الاخر •

وتبدأ الشغالات بالاستقرار على فرع قريب وفي خلال دقائق فان هذا المنظر المتخبط يصبح كرقهادئة كانها نقطة هائلة من شراب بني، وداخل هذه الكرة توجد الملكة القديمة محاطة بكتل من الشغالات،واثناء تعليق الطرد بهذا الفرع تقوم بعض الشغالات المختارة باستكشاف المنطقة المحيطة للبحث عن موقع جديد وتعود على فترات الى الطرد لمقارنة المعلومات وتستعمل لغة الرقص لهذا الغرض •

وعندما يتفق جميع الكشافين على ان هناك موقعا معينا يتميز عن جميع المواقع المكتشفة في هذه الحالة فقط يبدأ الطرد بالطيران ككتلة واحدة الى المقر الجديد ، وقبل عدة ايام من عملية التطريد تقوم الشغالات بتجهيز بعض الخلايا الكبيرة التي تقوم الملكة بوضع بيضة مخصبة في كل منها ، هذا البيض سيصبح ملكات تقوم احداهن بالحلول مكان الملكة القديمة •

وعلى ذلك فان نظاما اجتماعيا على درجة عالية من الكفاءة مع نظام طبقي ولغة سهلة التداول كل ذلك يساعد نحل العسل على تكوين خلايا مستقرة يصل تعدادها احيانا الى ٢٠٠ ألف فرد لجمع فائض من الغذاء الهدف منه تغذية الخلية ايام شح الغذاء ولتكوين خلايا جديدة • ■■

خالد عيد

أنباء الطب والعلم والاختراع

تلوث الجو
مشكلة خطيرة تنطوي على كثير من المخاطر

● من المعروف ان طبقة الستراتوسفير Stratosphere وهى احدى طبقات الجو العليا ، تحتوى على حزام ضيق من مادة الأوزون Ozone (انظر الرسم)

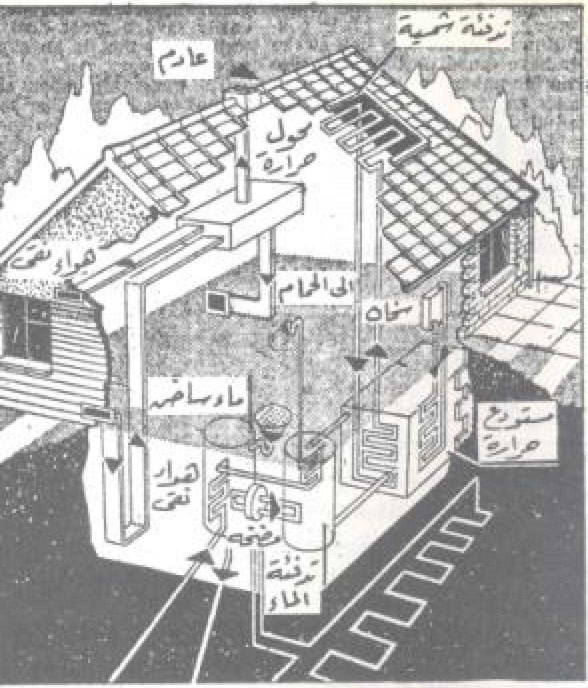
ومن المعروف ايضا ان هذا الحزام يقوم بتكرير أشعة الشمس فوق البنفسجية وتحت الحمراء فيضمن بذلك وقاية الانسان وسائر الكائنات الحية من شر تلك الاشعة • فمن شان هذه الأشعة ـ اذا هى لم تكرر ـ ان تسبب امراضا كثيرة ، نذكر منها سرطان الجلد بمختلف صنوفه •

لا عجب اذن ان عم القلق الأوساط العلمية فى امريكا واوروبا مؤخرا لدى تحسسها احتمالات تعرض الأوزون لشيء من التلف • اما مصدر هذا التلف فليس سوى مادة الفلوركاربون Flourcarbon التى توجد فى غازات الايروزول Aerosol وهذه الغازات تستعمل فى صناعة المستحضرات المضادة للتعرق والروائح الكريهة • ومادة الفلوروكاربون توجد ايضا فى غاز الفريون Freon المستعمل لاغراض التبريد فى الثلاجات والمكيفات ، وكذلك فى الغازات المتصاعدة من اصباغ السيارات وسواها •• فمن شأن هذه المواد ان تعبث بحزام الأوزون الذى ذكرنا ، فتفسح المجال لبعض اشعة الشمس ، وبخاصة تلك التى ذكرنا ان تلحق الضرر بالانسان وسائر المخلوقات• ونضرب مثلا على هذا العبث بغاز الفريون •• فهو يستطيع ان يعرقل سلسلة التفاعلات الكيمياوية الضرورية لبقاء حزام الأوزون،

ولا يقل عدد هذه التفاعلات عن خمسين ••وهى ضرورية ايضا للحفاظ على التوازن ضمن الحزام المذكور ••• اما الاوزون نفسه فيتكون نتيجة تفاعلات اخرى تحدث مع الاكسجين ، ويتخللها ذرات من الهيدروجين والنيتروجين •

وهكذا شكلت اللجان المختصة ورفعت التقارير المفصلة الى المجالس العلمية والنيابية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما •• ولم يهدأ بال المسئولين من اهل الغرب حتى تبين لهم ان ما تناثر فى الجو من تلك الغازات الملوثة قليل ، ولم يشكل حتى الآن خطرا على حزام الأوزون•





منازل المستقبل تعتمد على حرارة الشمس ، حتى فى المطابخ

● يبدو ان الغرب متجه الى نوع جديد من المساكن ٠٠ مساكن لا تحتاج الى التدفئة والتكييف الا بقدر ضئيل ، نظرا لاعتماد هذه المساكن على الطاقة الشمسية ٠ والظاهر ان هذه المساكن باتت قريبة المنال ٠ هذا على الاقل هو ما أكده مؤتمر الطاقة الشمسية الذى اقامه مؤخرا الفرع البريطانى للجمعية الدولية للطاقة الشمسية ٠

وقد استعرض هذا المؤتمر مشاريع لتلك المساكن الشمسية ، تقدمت بها اربع من دول واقطار اوروبا الشمالية ٠ وكان احد هذه المساكن من تصميم وصنع مدينة مالمو السويدية ٠ ولما كانت هذه المدينة تقع فى اقصى الشمال ، حيث الشمس ضعيفة ودفئها محدود ، كان المسكن الذى تقدمت به الى المؤتمر موضع اهتمام الجميع ٠

ويمكن ايجاز الخصائص والمزايا التى برزت فى مسكن مالمو هذا وسائر المساكن التى عرضت على المؤتمر فى النقاط التالية :

ــ الواح تجميع الطاقة الشمسية: جهزت تلك المساكن كلها بالالواح الخاصة بتجميع الاشعة الشمسية، وقد وضعت تلك الالواح على السطوح ، أو ضمن الجدران المقابلة لجهة الجنوب ٠ وتنتقل **حرارة الشمس** من هذه الالواح الى انابيب محاذية لها ، بل الى الماء الذى يجرى فى تلك الانابيب٠

ــ حوض الحرارة : ولما كانت الشمس لا تجود بحرارتها فى فصل الشتاء بقدر ما تجود بها فى الصيف ، كان لا بد من ايجاد وسيلة لخزن تلك الحرارة وحفظها لايام البرد ، من ثم كان حوض الحرارة الذى جهزت به بعض المنازل الشمسية ٠ والحوض المذكور لا يعدو كونه حوض ماء عادى كحوض السباحة ٠

ــ المواد العازلة : وهذه خاصة اخرى ثالثة فى المساكن الشمسية : خاصة العزل الحرارى ٠ فقد ادخلوا فى بناء هذه المساكن مواد عازلة كمادة الصوف الزجاجى مثلا Glass Wool ، وملأوا بها فراغا احدثوه فى السقوف والجدران يبلغ عرضه ٨ بوصات ٠٠ ثم عمدوا الى جعل النوافذ بثلاث مصاريع، وهى فى الغالب بمصراعين فى السويد وغيرها من البلاد الباردة ٠

القاهرة
المدينة الأولى فى العالم ازدحاما بالسكان

● قد لا يفاجأ المرء بالقول بأن العواصم وسائر المدن فى العالم اكثر ازدحاما بالسكان من الدول ككل ٠ وقد لا يفاجأ المرء كذلك بأن المدن التالية تفوق غيرها من حيث كثافة السكان ، وقد اوردناها فى تسلسل تصاعدي وذكرنا الى جانب كل منها كثافة سكانها :

الفاتيكان	٤٢٥١	نسمة فى الميل المربع
سنغافورة	٩٦٦٨	نسمة فى الميل المربع
هونغكونغ	١٠٣٢٢	نسمة فى الميل المربع
موناكو	٣٤٢٤٦	نسمة فى الميل المربع
مكاو	٤٢٣٣٣	نسمة فى الميل المربع

ومع ذلك ، فان « مكاو » هذه ، وهى المستعمرة البرتغالية الواقعة فى الشرق الاقصى قرب هونغ كونغ غير بعيدة عن سواحل الصين ٠٠٠ليست الاولى بين مدن العالم ازدحاما بالسكان ٠ فهذه مرتبة استأثرت بها القاهرة وقد بلغت كثافة السكان فيها ،بل فى احد احيائها الشعبية، حى باب الشعرية : ١٥٣ر٠٠٠ نسمة ٠ هذا على الاقل ما اكدته دراسة نشرتها مجلة الايكونومست فى عددها الصادر فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٥ ٠

ومن طريف ما اوردته هذه الدراسة من احصاءات مختلفة ان السيارات الخاصة فى القاهرة ليست بالكثرة التى تبدو للغريب لأول وهلة ٠٠ فعددها لا يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ فى العاصمة المصرية (وهو مثلا ١ر٥ مليون فى روما) اضف الى ذلك ٢٣٠ عربة ترام و ٣٠٠٠ باص و ٢٠٠٠٠ تاكسى بعداد و ٩٠٠٠ سيارة شحن ٠٠ واكثر من ١٠٠ر٠٠٠ عربة تجرها الدواب و ١٠٠ر٠٠٠ عربة اخرى تجر باليد ٠

بندقية سوفياتية جديدة
تحمل من الذخيرة ثلاثة اضعاف ما تحمله القديمة



● يبدو ان السوفيات نجحوا فى تطوير بندقية جديدة، تحل محل بندقيتهم الشهيرة كلاشينكوف ،وتمتاز هذه البندقية الجديدة بأنها اخف وزنا واكثر دقة فى اصابة الهدف من القديمة ٠ وهى تحمل من الذخيرة ثلاثة اضعاف ما تحمله البندقية القديمة ٠

وللبندقية الجديدة ذخيرة خاصة بها ٠ فعياراتها ليست ضمن اغلفة معدنية ،وذلك خلافا لكل ما عرف من عيارات البنادق حتى الآن ٠ ولعل هذا هو السر فى قدرة هذه البندقية الفائقة على استيعاب الذخيرة ٠

وجدير بالذكر ان حجم عياراتها يقارب حجم عيارات البندقية الأمريكية المعروفة M—16

كيف وصلت تفاصيل

مسابقة العربي

مسابقة هذا العدد تختلف عن المسابقات التي تعود العربي ان يقدمها لقرائه ·· وهي لا تحتاج الى مجهود في حلها ·· كل ما هو مطلوب منك ان تقرأ هذه القصة بترو ، ثم حاول بعد قراءتها أن تكتب الحل الصحيح وتبعث به الينا، فربما حالفك الحظ وفزت باحدى الجوائز التى تبلغ قيمتها مائة دينار كويتى ·

● سطت عصابة من اللصوص على احد البنوك الكبرى بمدينة ريتشموند بولاية فرجينيا ، وهرب الجناة حاملين معهم مبلغا يزيد على عشرين مليون دولار !

ونشط رجال الشرطة واجهزة الامن فى مطاردة رجال العصابة ، الا انهم كانوا اسرع منهم ، فقد نجح زعيم العصابة واثنان من معاونيه فى ان يعبروا حدود الولاية حاملين معهم هذه الثروة الهائلة ، حتى وصلوا بها الى مدينة مونتجومرى بولاية الاباما التى تبعد الف ميل تقريبا عن مسرح الجريمة حيث كان رجال الشرطة فى انتظارهم ، وتم القاء القبض على زعيم العصابة وشريكيه ·

واسرع رئيس تحرير احدى الصحف المحلية التى تصدر فى مدينة ريتشموند ، حيث وقع حادث السطو ، يستدعى محرر باب الجريمة ويطلب اليه ان يطير فورا الى مونتجومرى لموافاة الصحيفة بتفاصيل هذه الجريمة وصرف له مبلغ الف دولار لتغطية نفقات رحلته ·

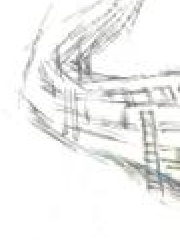
وسافر الصحفى ، ولكنه ما كاد يصل الى مدينة مونتجومرى حتى علم ان اللصوص الثلاثة سينقلون فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى وتحت حراسة مشددة عائدين بهم الى مدينة ريتشموند مرة اخرى لتقديمهم للمحاكمة امام محاكم الولاية التى وقع فيها حادث السطو ، طبقا للقانون الامريكى ، الذى لا يسمح بمحاكمتهم فى ولاية اخرى ·

ولم يشأ الصحفى ان يعود بالطائرة ، وقال لنفسه « ولم العجلة ، سوف يسبقنى زملائى الصحفيين هناك الى معرفة كل التفاصيل · وبحث لنفسه عن مكان فى القطار الذى يغادر المدينة فى الصباح ·

وكم كانت دهشته عندما وجد نفسه وجها لوجه امام اللصوص الثلاثة ، وقد جلسوا على مقعد مجاور لمقعده ، وكبلت ايديهم بالاصفاد الحديدية ، وفرضت عليهم حراسة مشددة ، لمنع اى شخص من الاقتراب منهم او التحدث اليهم !

واسرع الصحفى يقدم نفسه لضابط الامن المسئول عن الحراسة ، ثم جلس فى مواجهة زعيم العصابة الذى راح يروى « القصة كاملة ، وكيف وضعوا خطة السطو ، وكيف نفذوها ، واخيرا كيف استطاعوا تضليل الشرطة الى ان وقعوا اخيرا فى ايديهم ·

وما كاد الصحفى ينتهى من تسجيل هذه الاعترافات على الآلة الكاتبة التى يحملها حتى ترك مقعده مسرعا ، واتجه الى مفتش القطار يسأل : « متى يتوقف القطار ، متى تاتى المحطة القادمة ؟ »



الجريمة الى رئيس التحرير؟



ـ ليس هناك محطة قادمة يا سيدى ٠٠ انه قطار سريع لن يتوقف الا فى ريتشموند لاسباب تتعلق بالامن ٠

ـ هل يعنى هذا انه سيقطع الف ميل بلا توقف ؟!

ـ نعم يا سيدى ٠

ولكن الصحفى لم ييأس ٠ راح يفكر فى طريقة لارسال قصته الى الصحيفة التى يعمل بها ، قبل ان تسبقه اليها اية صحيفة اخرى ٠٠ واخيرا تفتق ذهنه عن وسيلة ما لبث أن سارع بتنفيذها ٠٠

وعندما وصل القطار الى ريتشموند فى صباح اليوم التالى ٠ اشترى الصحفى نسخة من صحيفته ، فاذا به يجد القصة كاملة منشورة تحت عناوين عريضة على الصفحة الاولى باسمه كما سجلها بالحرف الواحد ٠

كيف وصلت القصة ؟ ماذا فعل الصحفى لكى يضمن وصول قصته قبل وصول القطار ؟

انه لم يترك مقعده ، ولم يترك القطار ، وليس فى القطار أية وسيلة للاتصال ، وبالرغم من هذا وصلت قصته كاملة الى رئيس التحرير ٠٠ كيف حدث هذا ؟

ارسل الاجابة الصحيحة الى العربى فى حدود خمسين كلمة ٠

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى ٠

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١٦ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر يناير (كانون ٢) ١٩٧٧ ٠

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الاتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ٠

■■

كوبون مسابقة
العدد ٢١٦

شخصية لها تاريخ

يوليوس قيصر

(١٠٢ ـ ٤٤ ق٠م)

بقلم : أمين سلامه

(« ولماذا أيها الرجل ، انه ليجتاز هذا العالم الضيق بخطى واسعة كانه عملاق ضخم » هكذا تحدث شكسبير بلسان كاسيوس Cassius ، عن يوليوس قيصر Julius Caesar

الواقع أن الرومان اجتازوا العالم بخطى واسعة حقا ٠ انه القائد الذى مد سلطة روما الى الشمال ٠ كان هو الامبراطور الذى خلق الامبراطورية الرومانية ٠ وقد شكلت قوة اعماله مدنية اوروبا بعدة طرق ، وستبقى اعماله ما بقيت تلك المدنية نفسها ٠ وقد تهكم هاملت ، بقوله : « مات الامبراطور قيصر وتحول الى تراب » ٠ بيد أنه رغم ترابه الفانى ، فقد خلدت اعمال قيصر ٠)

■ كان قيصر يفضل ان يكون الاول فى قرية على أن يكون الثانى فى روما ٠ ولكن قدر له ان يكون الاول فى روما نفسها ، وان يطلق عليه لقب الشرف «ابو الوطن» ٠ ولو كان اقل طموحا لاتخذت مدنية اوروبا صورة غير التى هى عليها الآن ٠

هذا رجل ادعى قرابته للآلهة ٠ وفى اوج عظمته ، كان يعتبر كاله ٠ لقد مد حدود الامبراطورية الرومانية شمالا وغربا ، وترك فى التاريخ اثرا لا يمحى ٠ وتتجلى قصة اعماله فى أنه بعد قرون ، تدفق مبشرو روما يسيرون فى نفس الطرق التى سارت فيها العصابات ، وعلى نهج نفس الاسس التى رسمها ذلك النبوغ الوثنى ، وكونوا ذلك الهيكل العظيم فى اوروبا ، هيكل المسيحية ٠

وقبل مولده فى عام ١٠٢ ق٠م ، وفى نفس الشهر الذى غير الى يوليو تكريما له ، كان





يدور نضال من اجل السيادة ، في مراكز المدنية على سواحل البحر المتوسط • لقد ترك الاغريق اثارهم في البشرية ، بالفتوحات وبالتقدم المدهش في الفلسفة والادب والفنون •وبرز القرطاجنيون كامة تجارية يحكمها التجار واصحاب رؤوس الاموال ، وكانوا يتطلعون دائما الى السيادة والسلطان • وفي تلك الاثناء ، بدا المستوطنون الذين تدفقوا على ارض ايطاليا القديمة النفع، يتعلمون ويستوعبون كل ما يمكنهم أن يتعلموه من السياح والتجار الاغارقة • وبذا اصبحوا ، تدريجيا ، مصدر مضايقات لجيرانهم الاثرياء •

صراع من أجل البقاء

غدا النضال بين القرطاجنيين واللاتينيين ، الذين اتخذوا روما مركزا لهم ، تنازعا من أجل البقاء .كانت قرطاجنة تسيطر على اسبانيا وعلى طول الشاطىء الجنوبي لبلاد الغال• فاخذ الرومان ينظرون اليهم نظرات ذات معنى ، وهزموا عندما ساووا انفسهم بقوات هانيبال القرطاجني• فقد نجح هانيبال في اجتياز جبال الالب ومهاجمة ايطاليا • ومع ذلك ، فلم تكن هزيمتهم سببا في خمود ذكرهم كامة ، اذ خسر هانيبال كل ما كسبه، نتيجة للخطط الحربية البارعة التي اتخذتها روما • وفي النهاية ثارت ايطاليا لنفسها ابلغ ثار فاحتلت قرطاجنة ودمرتها • وصارت روما في النهاية سيدة البحر المتوسط واخضعت الشعب الاغريقي الذي تعلمت مدنيته ، واسست محميات قوية في آسيا الصغرى •

تنحصر قوة روما في انها كانت ذات عبقرية ملائمة لنفسها ، وانها عرفت كيف تستخدم ثمار فتوحاتها • اما الروح المعنوية للرجل القرطاجني العادي فكانت اقل ،لانه لم يكن سوى اداة بسيطة في آلة لجني المكاسب • وقد وقع حكام بلاد الاغريق في خطأ احتقار الامم التي اخضعوها •اما روما فكانت على استعداد دائما لاستعارة الاراء، كما استعارت الآلهة الاغريقية واعادت تسميتها باسماء جديدة • وكانت تعامل المهاجرين الذين افرتهم بلادها ، والشعوب الذين كانت تحكمهم ، معاملة حسنة جعلتهم يتحالفون معها عن طيب خاطر، فكل دولة غازية منتصرة تفرض نفسها بالقوة على اعدائها المهزومين ، تغدو عرضة للانهيار في اوقات الشدة • لقد وجدت روما ان قوتها لا تتحقق الا باتخاذ سياسات تختلف عن هذه ، وبمهارتها في الاستعمار ، والتوسع في منح حقوق المواطنين ، وتنفيذ السياسة الحكومية السليمة •

وبذا استطاعت ان تواجه مهاجميها بجيش جرىء قوي •

يجب أن نضع نصب اعيننا هذه الامور عند دراستنا لحياة قيصر الذي كانت تتمثل فيه كثير من فضائل ومساوىء عصره •• انحدر قيصر من اسرة ذات محتد اسطوري،منشؤه فينوس واينياس• وقد غذى كبرياءه اعتقاده بان له صلة بالآلهة • وربما كان لهذا الاعتقاد اثر قوي في حياته المستقبلة ، عندما بدأ يعتقد أن قوته فوق قوى البشر فعلا •

كاهن جوبيتر

انضم قيصر ، في اثناء شبابه ، الى الحزب الشعبي الذي كان يراسه زوج عمته القائد العظيم جايوس ماريوس Marius ، عندما تولى الحزب مناصب الحكم • وكوفىء قيصر بوظيفة كاهن جوبيتر أعظم آلهة الشعب الروماني • بيد أن ذلك النجاح كان قصير الامد ، اذ توفي ماريوس بعد انتخابه قنصلا للمرة السابعة بفترة قصيرة ، فاضطر اتباعه الى مغادرة روما بعد أن فقدوا مراكزهم وممتلكاتهم • فعاد سولا Sulla رئيس الحزب المعارض ، الى روما منتصرا • وكان على استعداد لان يعفو عن قيصر ، غير انه طلب منه أن يطلق زوجته الشابة التي كانت حلقة الاتصال بالحزب الديمقراطي المكروه • فرفض قيصر ان يطلقها ،فكانت نتيجة هذا الرفض

ان صار في مركز بالغ الخطورة • ولم تعد روما مكانا آمنا له • وعلى ذلك رحل الى الشرق مع بقية العصبة ، وعاد الى خبرته الاولى بفنون الحرب • وهكذا أعد نفسه للدور العظيم الذي سيلعبه في غاليا فيما بعد • وعندما دارت عجلة الحظ في السياسة الى جانبه من جديد ، رجع الى روما ليدرس القانون الذيكان يعتبر وقتئذ، كما هو الحال الآن ، سلم المناصب السامية بالدولة •

بينما كان قيصر يزور رودس ليتعلم الخطابة على يد ابولونيوس مولون Apollonius Molon الذائع الصيت جذبت انتباهه الفوارق العظيمة بين متاعب حياة الجيش وتركيز العلوم • فاخذ يبذر الاموال في الالعاب والولائم وملذات أهل المدن البالغة النفقات حتى تراكمت عليه الديون لدرجة انه قيل ان دائنيه طالبوه امام القضاء بمبالغ وصلت الى مائتي الف جنيه • ولما منح فرصة للقيام بمنصبحاكم في اسبانيا، لم يتركه دائنوه يرحل •• غير أن حسن حظه قيض له كراسوس Crassus ، فهب لمساعدته وسدد عنه جميع ديونه ، على أن يردها اليه قيصر بدوره عندما تتيسر حالته المالية ويتمتع بثمرة النجاح الحربي •

الف قيصر بمهارته الفائقة بين كراسوس ويومبي ، الذي جعله مستقبله الحربي أقوى رجل في روما ، وفي سنة ٦٠ ق•م كون الثلاثةحكومة مشتركة عرفت باسم « حكومة الثلاثة » الاولى • فنال قيصر منصب القنصل • غير انه بدلا من أن تسند اليه القيادة الحربية ، عهدت اليه العناية بالطرق وبالغابات •

حكمة قيصر

لفتت شئون شمال اوروبا كثيرا من الانظار • اذ نجحت القبائل الالمانية في توطيد مركزها على الضفة اليسرى لنهر الراين ، وبذا استطاعت ان تتحدى روما في بلاد الغال • كانت ميول روما تتجه فيما مضى صوب الشمال والغرب ، فتجلت حكمة قيصر عندما بدأت اوروبا تكون اتحادا من القبائل والامم • فالح في أن يسند اليه حكم المناطق الواقعة خلف جبال الالب ، وابتهج ايما ابتهاج عندما اجيب طلبه•بيد انه واجه كثيرا من المشاكل العظمى• فلم تنجح القبائل الالمانية نجاحا اضطر روما الى الاستعداد لمحاربتهمفحسب ،ولكن الشعوب الهلفيتية الذين طردهم الالمان منالمنطقة التي نسميها اليوم سويسرا ، قامت أيضا تطالب بممر خلال المنطقة المعروفة باسم « ولاية » ، التي كانت من الممتلكات الرومانية حتى عام ١٢١ ق•م ، كوسيلة للوصول الى المحيط الاطلنطي •وعندئذ بدت عبقرية قيصر في تصرفه حيال ذلك الخطر الثاني ، اذ رد المهاجمين على اعقابهم ، فاسرع بجمع قوات جديدة ، وهجم بجنوده في اقل ما يمكن من التاخر • واخيرا ، احرز النصر على الهلفيتيين •

لما رأى رؤساء الغاليين هزيمة الهلفيتيين على يد قيصر ، طلبوا اليه حمايتهم من الملك الالماني اريوفيستوس Ariovistus ، فدعاه قيصر الى التفاوض •فكان رد هذا الملك هو غزو بلاد الغال عبر نهر الراين • وفي عام ٥٧ ق•م • ثارت القبائل النرفية Nervii والبلجيكية بشمال غاليا • فقمع قيصر ثورتهم بعد مشقة بالغة • وفي سنة ١٩١٤ ردد القوم بفخر ما كتبه قيصر عن شجاعة البلجيكيين • وفي السنة التاليةلقمع تلك الثورة ، هزم قيصر القبائل الفينيقية Viniti ، لمقاطعة بريطانيا وقبائل اخرى ، ثم عاد مرة ثانية ليطرد الالمان الغزاة عبر نهر الراين •

لم تضف انتصارات قيصر في هذه الفترة امجادا الى عظمة الامبراطورية الرومانية ، فحسب ، بل والى عظمة قيصر نفسه ايضا •كان امبراطورا يحكم ببصيرة ، يمنح المهزومين نظاما حكوميا وحقوق المواطنين • وجعل من الممكنتوطيد التقاليد الرومانية في الجزء الاعظم من اوروبا• فقوى المجتمعات الصغيرة ، واوحى ببناء الطرق الطويلة ،وابتكر طرق الزراعة الجماعية القوية• وهكذا بنيت وحدة مدنية اوروبا على هذه الاصلاحات النموذجية •

غزواته وفتوحاته

على الرغم من القلاقل التى قامت على جانبي نهر الراين، احرزقيصر سيادته علىالقبائل المقيمةهناك وفي عام ٥٥ ق•م • شيد جسرا على نهر الراين •



وقام بحملة خاطفة على المانيا ، ودمر الجسر عند عودته ، ثم سار لغزو بريطانيا • وفي وسعنا ان نقول ان الغرض من ذلك الغزو كان حب الظهور اكثر منه محاولة جدية للفتوحات ، اذ ساعدت بعض القبائل الشعوب البلجيكية ، واقتصر جيش قيصر على فرقتين اثنتين يتراوح عدد كل فرقة ما بين ثلاثة الاف رجل وستة الاف • وبعد ذلك بسنة ، عاود الكرة بخمس فرق وقوة كبيرة من الفرسان ، فاتجه شمالا حتى بلغ نهر التيمس وعبره • ولم يرجع الى غاليا الا بعد أن فرض الجزية على البريطانيين • ولكن تلك الجزية لم تصل الى الرومان قط ،ولم يدفعها البريطانيون اطلاقا • كان غزو قيصر لبريطانيا اقل الاحداث نجاحا في حياته العسكرية•

بعد ذلك بعامين او ثلاثة ،قصر قيصر جهده على اخضاع غاليا • لقد ثارت القبائل فهزمت • كان يجب القيام بحملات شاقة في شتى انحاء تلك المملكة •بيد أن نجم قيصر كان آخذا في الارتفاع• فرغم هزيمة قيصر على يد القائد الغالي فرسينجتوريكس Vercingtorix ، في موقعة جيرجوفيا G:rgc via ، عام ٥٢ ق٠م • حيث منى بخسائر فادحة واضطر الى التقهقر ، فانه حاصر ايزيا Aesia ، ومزق جيش الغاليين المتحد شر ممزق ، وجعل غاليا اقليما ، وفرض عليه جزية سنوية • ولما تم له ما أراد ، حرص على ارضاء ضحاياه • فاتبع العادات الرومانية التقليدية ، وهزم اعداءه كي يحولهم الى اصدقاء ، بقدر المستطاع •

انتصر قيصر في غاليا ، ولكن كان عليه ان يواجه العداوة في روما ، كان بوسع الرشاوى ان تفعل الكثير • وقد نشط الاعداء ضده ، وكان هو نفسه ، يعلم انه تجاوز حدود سلطته بقدر كاف لوضعه في خطر الاخفاق •

تجددت حكومة الثلاثة في عام ٥٦ ق٠م ، بوفاء واخلاص •ولكنها تفككت ،فبعد ذلك بثلاث سنوات، قتل كراسوس في سوريا ، وكان يومبي وقيصر شمسين في سماء السلطة ،بيد انه لم يكن هناك مكان الا لواحد منهما ليس غير •

انتهى يومبي الى جانب مجلس الشيوخ •وعندما انتهت مدة حكم قيصر ، طلب منه مجلس الشيوخ، أن يسرح جيشه • فكان جواب قيصر أن عبر نهر الروبيكون الصغير ، الواقع على الحدود الايطالية، على راس فرقة مسلحة ،قائلا: «لقد سبك القالب»• اذ ادى عمله غير الدستوري هذا الى قيام الحرب •

قيصر وكليوباترا

فر يومبي من ساحة الوغى، فجد قيصر في اثره حتى برنديزي الواقعة على الساحل الشرقي • غير انه كان هناك جيش ليومبي في اسبانيا • فكان عليه ان يقاتل اولا (تبعا لنفس كلامه) «جيشا، بغير قائد » ،ثم يطارد يومبي ويقاتل « قائدا بغير جيش »• وبعد حملة قصيرة ناجحة في الغرب ، عاد قيصر ليثير الرعب من جديد في روما • فانتخب قنصلا ، ثم سار يطارد عدوه في الشرق ، فانتصر قيصر عام ٤٨ ق٠م في موقعة فارسالوس بتساليا Thessaly ، انتصارا باهرا ، وهرب يومبي الى مصر حيث قتل •

سار قيصر الى مصر في اعقاب عدوه القديم ، فوقع أسيرا ، كما يقال ، ليس في الحرب ، ولكن في سحر كليوباترة ، التي شاع انها انجبت منه ابنا ، فمنحت شهور الغرام هذه اعداء قيصر مهلة، جمعوا فيها قواتهم • وعندئذ اضطر الى أن يعود الى ايطاليا لانقاذ مصالحه •

زحف قيصر ، بعد ذلك ، على آسيا الصغرى حيث هزم حليفا قديما ليومبي ، الا وهو فارناكيس Pharnaces ، ملك بونت Fontus • نشبت بينهما معركة في زيلا Zela ، التي انتصر فيها والده ميثراديتيس Mithradetes الاكبر •وبهذا الانتصار ،وطد قيصر نفسه في مركز قوى •ونذكر بهذه المناسبة ، انه ارسل ، ابان هذه الحملة ،

رسالته المشهورة ، التي يعشقها كل طالب يدرس اللاتينية • Veni Vidi Vici ،ومعناها :«حضرت ورايت وهزمت » •

ما ان وطئت قدما قيصر ارض ايطاليا من جديد، حتى استدعى لقمع فتنة • وما ان انتهى منها حتى اضطر الى ان يعبر البحر المتوسط ليقوم بحملة على افريقيا •

واخيرا ، عاد قيصر الى ايطاليا •ولكنه لم يعد اولا الى احدى القرى ، بل الى روما نفسها ،حيث تسلم منصب دكتاتور لمدة عشر سنوات ، ثم الى اخر حياته • وامتازت مدة حكمه القصيرة بالتصرف بالحكمة ، ولكن افسدتها العظمة الكاذبة ، التي كانت سببا في موته • فامتدت افضاله في منح الحرية الى ما وراء جبال الالب حيث لقيت القبائل التي اخضعها معاملة صداقة ، واصلح التقويم ، ونال الاحرار على يده مزيدا من ضمانات الحرية، وعين كثيرا منهم في الاعمال العامة الضخمة• بيد انه انتشى بخمر الطموح • فاذ كان يستعيد في ذاكرته نسبه الاسطورى ، تخيل نفسه قريبا من الالهه بدرجة يستطيع معها التمتع بمزاياهم ، فامر بوضع تمثاله بين من كان يعتقد انهم بنوا أعظم امجاد روما ، وكتب تحته : « الى الاله المعصوم من الهزيمة » وعندما تبوأ العرين اعلنت فضائله من قبل ، كما تعلن مميزات احد كواكب السينما • وكان احب لقب اليه هو لقب « امبراطور » • كان يحكم وهو جالس فوق عرين من الذهب الخالص • ومع ذلك ، فقد كانت روما جمهورية !

وسقط قيصر

ذات يوم عاصف سقط قيصر عند قاعدة تمثال بومبي في دار مجلس الشيوخ ، وقد مزقته خناجر القتلة • ويقال ان الفئة التي اغتالته كانت تضم عددا من اصدقائه يربو على عدد اعدائه فيها• وانا لنعرف اخر عبارة قالها وهو يموت : «حتى انت يا بروتس ! » اخبرنا بها من رآه وقد تخلى عنه حتى اخلص رفاقه ، لقد اودت به اعماله المجيدة الى الهزيمة •

حول قيصر انظار روما ، من البحر المتوسط الى شمال اوروبا ،واخضع الاقوام المحاربين في الاصقاع النائية ، الى نطاق نفوذ روما ، ثم ترك السيف الذى كان استاذا في استخدامه ، ليكتب مذكرات صارت بالغة القيمة في التاريخ وفي الادب ، ومهد الطريق للامبراطوريات التى اسسها ابن اخيه وخلفه اوغسطس • وقد خلص اللورد تويدزموير Tweedsmuir ، اخلاق ذلك الرجل في دراسته الدقيقة ، فقال :

« لم يكن حمله للكرة الارضية فوق كتفيه ،عائقا يعرقل خفة خطوه • فلم تجعله الحرب ولا الادارة اخصائيا ضيق الافق • كانت ثقافته واسعة بحيث لا تقل عن ثقافة اى رجل في عصره • احب الفن والشعر والموسيقى والفلسفة ،وكان يسره التحدث فيها في اثناء قيامه باعظم اعماله خطورة ••لقد امتزجت فيه باقصى درجة واقعية الرجل المجد ، وحاسية الفنان ، وخيال المبتكر الحالم ، وهذه مجموعة من الصفات لا أظنها تتوفر في اى فرد آخر » • ■■

أمين سلامة

■ « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »
(قرآن كريم)

■ حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات
(اثر عربى)

■ فلتفعل النفس الجميل ، لانه خير وأجمل ، لا لاجل ثوابها
(المعرى)

■ لا تظن بكلمة من احد سوءا، وانت تجد لها من الخير محتملا
(الامام على)

طرائف اجنبية



متاعب الحياة وافراحها

● هنري وودورث لونجفلو الشاعر الامريكي الشهير « ١٨٠٧ ـ ١٨٨٢ » الذي تميزت قصائده بالجمال والعمق والنقاء ، كانت له في الحياة وفي الناس ومواقفهم آراء امتلأت بها دواوينه التي جمع فيها شعره . جاءه يوما صديق يشكو هموم الدنيا ومتاعبها ، ويسأله النصيحة فيما عساه يفعل ليخفف عن صدره بعض هذه الهموم . وقال لونجفلو مفلسفا الحياة كعادته : « ان المتاعب ياصديقي شيء ملازم لمتع الدنيا .. واسوأ ما يمكن ان يصيب المرء ، هو التبلد.. فالانسان لا يكون انسانا اذا لم يشارك في متاعب الدنيا وفي متعها وافراحها .. انفعالك للاحزان هو اكبر دليل على انك حي وانك موجود! هنيئا لك بالأرق الذي يصيبك بسبب التفكير في متاعبك ومتاعب الاخرين!»

قصة حب عظيم

الكسندر جراهام بل (١٨٤٧ ـ ١٩٢٢) العالم الاسكتلندي الاصل ، مخترع الهاتف (التليفون) ، كان يهوى الموسيقى ويجيد العزف على البيانو ، ويهتم بكل شيء يتصل بالصوت من قريب او من بعيد . ولكنه عندما بدأ يبحث عن امرأة تشاركه حياته وهوايته ، لم يجد سوى الفتاة الجميلة ميبل هوبارد فتزوجها بعد قصة حب عنيف . وكانت ميبل المسكينة صماء تماما ! ومع هذا فقد استطاعت هذه الزوجة الرقيقة الصغيرة ان تؤثر في حياة هذا العالم الكبير بصورة لم يسبق لها مثيل . فقد كانت ملهمته ، وكانت دائما وراء كل عمل كبير أو صغير قام به خلال زواجهما الطويل الذي دام لاكثر من نصف قرن او يزيد !

كتب جراهام بيل في مذكراته يقول : « من اجل ميبل اقمت مدرسة في بيتي ، كانت هي التلميذة الوحيدة فيها ، وعلمتها كيف تقرأ حركات الشفاه .. ومن اجلها هاجرت الى كندا ، ومنها الى الولايات المتحدة الامريكية .. وفي مدينة بوسطن بولاية ماساشوسيت ، امضيت سنوات طويلة اشرح تجربتي مع ميبل للمدرسين الذين تخصصوا في تعليم الصم .. لقد علمتها كيف تسمعني .. اما هي فقد علمتني اشياء كثيرة في الحياة .. لقد عشت مع هذه المرأة اعظم قصة حب في الوجود ! » .



الكسندر جراهام بل



العمه جين ! •

● جين اوستن (١٧٧٥ ـ ١٨١٦) الكاتبة والمؤلفة الانجليزية التى لا تزال كتبها ومؤلفاتها تعيش فى المكتبات الحديثة بمختلف اللغات التى ترجمت اليها •• هذه الكاتبة العظيمة كانت تكتب فى الخفاء ، وتسجل خواطرها وتبحث عن ابطال قصصها دون ان يدرى احد من الجيران ، او حتى من أفراد اسرتها الكبيرة ، ماذا تفعل فى هذا الركن القصى الذى جلست فيه وراء مكتبها وسط كومة من الاوراق !

لقد أمضت جين اوستن اكثر من خمسة عشر عاما كاملا تكتب وتكتب ، قبل ان يخرج انتاجها الى النور ! كانت تنفرد بنفسها فى هذا المكان الذى اتخذت منه مخبأ تمارس فيه هوايتها ، وكان يقع فى نهاية ممر طويل لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق باب يحدث صريرا كلما حاول احد أن يفتحه ! وكان لجين عدد كبير من ابناء وبنات اخوتها واخواتها، الذين يحبونها ويزورونها فى بيتها ، وكانت لا تكاد تسمع هذا الصرير ، حتى تسرع باخفاء اوراقها فى درج مكتبها ، وتقفز واقفة لاستقبال الاطفال الذين جاءوا اليها ، وفى لحظات تتحول جين اوستن الكاتبة العبقرية الى العمه العزيزة جين ، وسرعان ما يجدونها وقد جلست وسطهم تداعبهم وتسرد عليهم القصص الخرافية التى تعودوا ان يستمعوا اليها منها !

قالت جين فى مذكراتها ، تحدثنا عن سر هذه المحاولات الخفية : « لقد كنت احاول ان اجد نفسى ؟ »

ترى هل وجدتها ؟ لا •• فلم يعرف العالم جين اوستن ولم يصفق لها الا بعد مرور خمسين عاما على ظهور كتبها فى الاسواق ! »

الحروب •• والمرأة

● ستيفن ليكوك الكاتب الفكاهى (١٨٦٩ ـ ١٩٤٤) ، الذى كان رئيسا لقسم الاقتصاد بجامعة ماكجيل، بمدينة مونتريال بكندا ، كان يرفض دائما كل ما يقال عن التغيير الذى طرأ على المرأة وعلى وضعها الاجتماعى.

كتب يقول « لا تصدقوا ان هناك فتاة جديدة او امرأة جديدة •• ان المرأة هى هى لم تتغير ، ولن تتغير •• اننى ما زلت اذكر جدتى التى كانت تدعو لى كلما لقيتنى وتقول: «غدا يا بنى سوف ترى عالما جديدا وتعيش دنيا مليئة بالوجوه والاحداث الجديدة ! »

« ورأيت العالم الجديد الذى حدثتنى عنه جدتى ، ولكننى وجدته يحترق •• فقد عشت اهوال حربين عالميتين •• عادا بنا مئة عام الى الوراء •• وبقى القديم قديما، وتحول الجديد الى رماد •• ولكن ما علاقة هذا كله بالمرأة ؟

يقول ليكوك : « ان التغييرات التى نظن انها طرأت على المرأة ، هى تغييرات على السطح فقط ، لانها تنظر الى المستقبل دائما فى خوف وقلق •• وليست المرأة وحدها فى ذلك ، وانما الرجل ايضا !



المافيا

ماهي قصتها ...

هل هي حقيقة واقعة ام اسطورة يغذيها الخيال ؟

بقلم : الدكتور عدنان الدوري

■ قد يشيع اليوم استخدام كلمة « المافيا » في بعض معان مرادفة للعنف والقتل والخطف والابتزاز والتهديد ، او اي لون من الوان الجريمة المنظمة التي يخطط لها من قبل جماعة اجرامية معينة . ولعل هذا يرجع بوجه خاص الى بعض ما تجسده لنا تلك الكتب والقصص والروايات وافلام السينما ومسلسلات التلفزيون، التي تتناول موضوع المافيا واصحابها باسلوب مثير لا يخلو من المبالغة والخيال والعرض الدرامي المثير . حتى عناوين بعض الكتب الحديثة التي ظهرت اخيرا عن المافيا لا تكاد تخلو هي الاخرى من عنصر الرعب والاثارة المقصودة .

ففي عام ١٩٥٩ ظهر كتاب بعنوان « المافيا : اخوان الشر » للكاتب فردريك سوندرن Frederic Sondern وفي عام ١٩٦٢ ظهر كتابان كان احدهما بعنوان « المافيا : تجار الرعب » للكاتب ادوارد الن ـ Edward Allen والآخر بعنوان « منظمة القتل » للكاتب ماير برجر Mayer Berger ، كما وظهرت عشرات الكتب الاخرى بعناوين مثيرة لا تخلو من المبالغة والخيال .

المافيا .. والمنظمات الاجرامية الاخرى

واذا كانت كلمة « المافيا » ترتبط في ذهن القارىء بالرعب والعنف والجريمة فان معناها من الناحية العلمية لا زال موضع خلاف واضح ، حيث ان الكلمة ذاتها تفتقر الى التحديد العلمي لمفهوم المصطلح ، وذلك بسبب ارتباط كلمة المافيا ببعض المنظمات الاجرامية الاخرى كمنظمة الاتحاد الصقلي ومنظمة الكامورا ومنظمة الكوسانوسترا ، وهذه جميعها منظمات اجرامية

غالبا ما يختلط اسمها بالمافيا ، ولكنها في الواقع غير ذلك الا من حيث اهدافها الاجرامية او من حيث منشا بعضها الايطالي •

فمنظمة اليد السوداء وهي بالايطالية La Mano Nera وبالانجليزية The Black Hand منظمة امريكية المنشا ولا ترتبط بالمافيا التقليدية حيث ظهرت هذه المنظمة منذ عام ١٨٩٠ وفي مدينة « نيو اوليانز » بولاية « لويزيانا » في جنوب الولايات المتحدة بشكل جماعة صغيرة من المواطنين الايطاليين ، وكان سببنشوئها كرد فعل ايطالي ضد الحملة الانتقامية التيلحقت بالرعايا الايطاليين بسبب مقتل مدير شرطة المدينة المدعو «بيترهنسي» والذياتهم الرعايا الايطاليون بقتله• ويظهر ان هذه المنظمة تجاوزت اهدافها التي قامت من اجلها ، فبدأت بنشاطات اجرامية متعددة كالتهديد وابتزاز النقود بالاكراه وتوجيه رسائل التهديد التي كانت توقع برسم يد سوداء ، ومن هنا جاء اسمها • وقد اتسعت اعمال هذه المنظمة الاجرامية كبقية المنظمات الاجرامية الاخرى، وذلك خلال فترة تحريم الخمور في امريكا، ولكن سرعان ما تلاشت هوية هذه المنظمة حيث اندمج غالبية افرادها في تنظيمات اجرامية اخرى •

أعمال خيرية !!! ؟

اما منظمة الاتحاد الصقلي L'Unione Siciliana فقد ظهرت هذه المنظمة منذ نهاية القرن التاسع عشر بهدف انساني نبيل لرعاية شئون المهاجرين الايطاليين الجدد القادمين من جزيرة صقليا • وقد اتسعت الرقعة الجغرافية لأعمال هذه المنظمة وزاد عدد افرادها حتى بلغ اعضاء منظمة مدينة « شيكاغو » وحدها ما يقرب من اربعمائة الف من الرعايا الايطاليين في عام١٩٢٠، كما واطاحت فترة تحريم الخمور فيامريكا بالكثير من اهداف هذه المنظمة حتى اختلطت اعمالها الخيرية باعمال القتل والخطف والابتزاز وتنظيم الرذيلة كالبغاء والقمار ، وبدأت اعمال هذه المنظمة تتصل بنشاطات بعض المنظمات الاجرامية الاخرى سعيا وراء تحقيق ارباح مالية خيالية من جراء القيام باعمال التهريب والسرقة والابتزاز والتهديد •

الكامورا •• والقمار

اما منظمة الكامورا La Camora فهي منظمة ايطالية ظهرت اول مرة في مدينة « نابولي » في ايطاليا منذ بدايةالقرن التاسععشر، الا ان هناك من يرجعتاريخ نشوئها الى منتصفالقرن السادس عشر حيث ظهرت بهذا الاسم في اسبانيا • ويظهر ان اسم« الكامورا» كان موضع خلاف بعضالعلماء المعنيين بدراسة تاريخ الجريمةالمنظمة •فهناك من يعتقد بان اصل كلمة « الكامورا Camora مشتق من اللغة العربية واللغة الاسبانية حيث ان كلمة « الكامورا » اقرب الى الكلمة العربية « القمار » او « المقامر » وهي ذات الكلمة الاسبانية Camora التي تفيد معنى الخصومة او النزاعاو



العراك . وعلى كل حال فقد انحصرت اعمالهذه المنظمة الاجرامية بتنظيم المقامرة وتجارة الرقيق الابيض واستغلال الاشخاص الضعفاء والمغفلين كما ورد ذلك في بعض تعاليم هذه المنظمة .

اما منظمة الكوسانوسترا La Cosa Nostra فهو الوجه الامريكي الجديد للمافيا الصقلية التقليدية. وقد ظهر هذا الاسم في أعقاب تلك الحروب الدموية التيقامت بين الايطاليين من رجالالمنظمات الاجرامية الامريكية المختلفة خلال فترة العشرينات والثلاثينات .وسوف نتناول موضوع المافياالامريكية من خلال هذا الاسم الجديد والتنظيم المعاصر .

ولكن ما هي المافيا ، وما اصل هذه الكلمة ؟

اصل كلمة المافيا

يقول احد العلماء ان كلمة « المافيا Mafia هي مجموع الحروفالاولى لخمس كلمات تشكل الشعار الايطالي الذي ظهر يوما في ايطاليا ، وهو بالايطالية: Morte Alla Francia Italia Anela اي « شعار ايطاليا هو الموت للفرنسيين » .ويقول باحث علمي آخر ان كلمة « المافيا » ظهرت منذ عام١٨٦٠ في ايطاليا حيث استخدمها شخص يدعى « مازيني » كان يرأس عصابة اجرامية معروفة ظهرت في جزيرة صقليا.وكان شعار هذه العصابة يتكون من خمس كلمات ايطالية ومن مجموعها كان اسم المافيا ، ويقول هذا الشعار ما ترجمته « مازيني يامركم بالنهب والحرق والتسميم » . وهناك رايغريب آخر ورد فيكتاب عنوانه احترم الاب Honor Thy Father في عام ١٩٧١ للكاتب « جاي تاليس Gay talese يقول بان كلمة « المافيا» ترجع الى قصة فتاة ايطالية اغتصبت في ليلة زفافها في عام١٢٨٢ وكانت امها تصرخ بالايطالية Ma Fia اي يابنتي يابنتي .

والواقع ان مثل هذه التفسيرات لا تقوم على دليل علمي قاطع ، الا ان المتفق عليه ان كلمة « المافيا »قد استخدمت في معناها الاجرامي اول مرة منذ عام ١٨٦٣، والكلمة تقليدية مألوفة في ايطاليا وترتبط بثقافة سكان جزيرة صقليا حيث تعني « الجماعة » او « الاصدقاء » او « المجتمع الموقر » .. وقد تكون هذه الكلمة جزءا منسمات الشخصية الصقلية وفلسفة الصقلي في الحياة ، حيث ان هذه الشخصية تتسم بملامح مشتركة كالشجاعة البدائية القائمة على قيم اجتماعية قديمة كحماية الشرف ونصرة المظلوم ومساعدة الاخ ومحاربة العدو وعدم احترام القانون وتحدي السلطة . ولا شك ان المافيا كانت يوما ما جزءا من ثقافة اهل جزيرة صقليا .

الاجرام المنظم في امريكا

ولكن ما قصة المافيا كمنظمة اجرامية دولية في الوقت الحاضر ، وهل هي حقيقة واقعة ام اسطورة يغذيها الخيال ؟

اذا سالت الرجل العادي في امريكا عن المافيا فهو لا يتردد فيالقول بان بلاده يحكمها رجال المافيا مثل « فرانك كوستلو » و « جوي ادونيس » و « البرت انستشيا » و « لوكي لوشيانو » و « آل كابوني » او غير ذلك من الاسماء اللامعة في عالم الجريمة السفلي The Criminal Underworld . ان جميع هؤلاء من اصل ايطالي ومن جزيرة صقليا بالذات .. وقد قامت لجنة تحقيق برلمانية موسعة لدراسة مشكلة الاجرام المنظم في امريكا برئاسة الشيخ الامريكي «كيفوفر Kefavver » وظهرت نتائج هذا التحقيق في كتاب ظهر في عام ١٩٦٨ بعنوان « الجريمة في امريكا Crime in America » ويقول التقرير النهائي الذي نشر منذ عام١٩٥١ بان «هناك منظمة اجرامية واسعة النطاق تعمل في غالبية الولايات المتحدة الامريكية على الرغم من انكار رجال السياسة لوجودها ، وعلى الرغم من جهل المغفلين ودعوة الداعين الى انكارها » . ويضيف هذا التقرير الى ذلك « هناك منظمةاجرامية دولية تقف وراء جميع المنظمات الاجرامية الامريكية تعرف بالمافيا ،وهذه حقيقة لا يريد ان يصدقها الكثير » .

اما مكتب المباحث الجنائية المركزي F.B.I. وهو المصدر الرسمي لكافة المعلومات التي تتصل بالمافيا في امريكا ،فهو يعتقد بان الاجرام المنظم فيامريكا يخضع الى تنظيم رئيسي يقوم على اتحاد اربع وعشرين عائلة تشكل كل منها منظمة او مؤسسة تعمل من خلال توزيع جغرافي موسع ومن خلال عرقية ايطالية صقلية معروفة . ويمكن القول بان جميع المعلومات الرسمية المتيسرة حولمنظمة المافيا في شكلها الامريكي الجديد الذي يعرف اليوم

« بالكوسانوسترا Cosa Nostra» تكاد ان تنحصر في المعلومات التالية :

١ ـ هناك اتحاد سري بين اربع وعشرين عائلة من اصل ايطالي ومن صقليا .

٢ ـ ان جميع اعضاء هذه الاتحادات من الرعايا الايطاليين ومن اصل ايطالي صقلي .

٣ ـ يرأس كل عائلة رئيس يعرف بالرئيس Boss وهو الرأس الاعلى للتنظيم العائلي .

٤ ـ كل عائلة مرتبطة برباط عضوي يشكل عضوية واحدة في منظمة « الكوسانوسترا » .

٥ ـ ان الهيئةالعليا «للكوسانوسترا» هي اللجنة العليا The Commission وتتألف من تسعة الى اثنى عشرعضوا يمثلون رؤساء العائلات ذات النفوذ الواسع في منظمة «الكوسانوسترا» . وتفيد اخر المعلومات المتيسرة في هذا المجال ان اللجنة العليا العالية تتألف من تسع عائلات ، خمس منها في مدينة نيويورك وحدها ، ومن ابرز هذه العائلات عائلة «كامبينو» وعائلة « لوشيس » و « عائلة جينوفيزي » .. اما الاربع عائلات الاخرى فهي موزعة بين مدينة فيلادلفيا ومدينة ديترويت ومدينة شيكاغو ومدينة بافلو بولاية نيويورك .

٦ ـ هناك عدد غير قليل من المنظمات الاجرامية الصغيرة الاخرى ، وهي ترتبط بمنظمة « الكوسانوسترا » عن طريق اتفاقات سرية ومعاهدات غير مكتوبة .

٧ ـ ويتكون التركيب الهرمي لمنظمة « الكوسانوسترا » من الرئيس الاعلى Boss او المستشار باللغة الايطالية Consigliere ويليه نائب الرئيس Underboss يرتبط به اربعة معاونين يعرف كل منهم بالملازم Caporegima اي Lieutenant ويرتبط بكل منهم عدد غير محدود من الجنود Soldiers وهم الذين ينفذون الاوامر ويشكلون السلطة التنفيذية الفعلية لمنظمة « الكوسانوسترا » .

٨ ـ تقوم منظمة « الكوسانوسترا » بنوعين من الاعمال ، احدهما اعمال مشروعة والاخرى غير مشروعة . الاعمال المشروعة تضم ادارة المطاعم وادارة المقاصف ودور اللهو والتسلية ، وبعض تجارة الملابس وادارة بعض مكاتب القروض ومكاتب الائتمان والاشراف على ادارة نقابات العمال وبوجه خاص عمال ارصفة الموانيء او غير ذلك من الاعمال المشروعة الاخرى . اما الاعمال غير المشروعة فتشتمل على تنظيم عمليات المراهنات والمقامرة والبغاء وتجارة المخدرات وتهريب الخمور واعمال الابتزاز والتهديد وادارة بعض مكاتب القروض غير القانونية وبالربا الفاحش .

٩ ـ يتحدد مركز عضو اللجنة بمنظمة « الكوسانوسترا » بحجم العائلة التي يمثلها ومقدار ثرائها ودرجة نفوذها او سمعتها في عالم الجريمة السفلي .

الاجتماع السري

تلك هي بعض المعلومات الرسمية المتيسرة لدى [illegible] حث الجنائية المركزي F.B.I. ، ورغم ضئالتها فهي لا تتناول التركيب الفعلي للمنظمة وهوية اشخاصها وماهية النشاطات الاجرامية التي يزاولها اعضاء هذه المنظمة ، ولأجل ذلك فقد ظلت اسطورة هذه المنظمة هاجسا يقلق مضاجع المسئولين ورجال مكافحة الجريمة خلال فترة الخمسين سنة الاخيرة . وربما تضيف المعلومات غير الرسمية التي تظهر بين وقت وآخر جانبا اسطوريا يكاد ان يربط بين كل جريمة تقع بشكل منظم وبين هذه المنظمة في جميع انحاء العالم المعاصر . الا ان المعروف ان قوة منظمة المافيا في اسمها القديم اومنظمة « الكوسانوسترا » في اسمها الجديد لم تعد بذات الخطورة التي كانت عليه الحال خلال فترة العشرينات او الثلاثينات او الاربعينات ، حين شهدت المدن الامريكية الكبرى موجة طاغية من العنف لم تشهده القارة الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية . وهذه بعض قصة المافيا التي لا زالت خفاياها من الاسرار . ففي شهر نوفمبر من عام ١٩٥٧ اجتمع ثمانية وخمسون شخصا في بيت ريفي جميل في قرية « ابالاجن Apalachin » بولاية نيويورك ، لقد حضر جميعهم في سيارات فارهة تظهر عليها علامات الثراء وكانوا يحملون في جيوبهم ثروات نقدية كبيرة . لقد كان كل منهم من ارباب السوابق الاجرامية الخطيرة ومن اصل ايطالي ومن صقليا بالذات .وقد ظل سبب اجتماع هؤلاء الاشخاص سرا مغلقا لم يعرف احد خفاياه حتى يومنا هذا . لقد افاد كل منهم لدى استجوابه من قبل سلطات الامن بانه حضر لزيارة صديق عزيز مريض هو احدهم المدعو « جوزيف باربرا »

وان اجتماعهم الموسع كان مجرد صدفة غريبة غير مقصودة • وعلى الرغم من تفاهة هذا السبب وعلى الرغم من غرابة هذه الصدفة فقد عجزت السلطات المختصة رغم محاولاتها اليائسة عن توجيه اية تهمة جنائية معينة الى اى منهم ،وخرج جميعهم احرارا طلقاء يتمتعون بالضمانات التى يكفلها الدستور الامريكي • الا ان للمسئولين وحتى للرجل الامريكي العادى راى آخر • يقول « روبرت كندى » وزير العدل الامريكي السابق ان اجتماع « آبالاجن » هذا هو اجتماع اللجنة العليا لمنظمة «الكوسانوسترا» تلك المنظمة المسئولة عن تخطيط ووضع القرارات الاساسية لجميع المنظمات الاجرامية فى امريكا • ويقول « جون كوسان » المدير الاقليمي للمكتب المركزى لمكافحة المخدرات : ان هذا الاجتماع يشكل المؤتمر العام للمجلس الأعلى لمنظمة المافيا • ويقول رئيس مكتب المباحث الجنائية المركزى : ان هذا الاجتماع كان اجتماع القمة لمنظمة «الكوسانوسترا» ورغم كل ما قيل حول هذا الاجتماع ونوعية القرارات التى اتخذت فيه ورغم كل ما نشر عن هذا الموضوع فى الصحف والمجلات ، فلا يعرف احد ما دار فى هذا الاجتماع وما هى القرارات التى اتخذها المجتمعون فيه •

والظاهر ان نظرية وجود منظمة تعرف بالمافيا كحقيقة ثابتة لا زالت بعيدة عن الاثبات بالدليل القاطع •

انه قانون الصمت الصقلى الرهيب The Sicilian Code of Silence الذى يحكم تصرفات افراد المنظمة والذى غالبا ما يكون الجزاء الموت لكل من يبوح بكلمة واحدة تتعلق بالمنظمة من قريب او بعيد

عجز السلطات عن اكتشاف قادتها

يقول التقرير الرسمي للجنة الخاصة لدراسة الاجرام المنظم فى امريكا ان جميع الشهود الايطاليين الذين يشتبه باتصالهم بمنظمة المافيا او « الكوسانوسترا » الجديدة والذين استدعتهم السلطات للادلاء بشهادتهم انكروا انكارا مطلقا معرفتهم بوجود منظمة تحمل اسم « المافيا » حتى ان الشخص الوحيد الذى اعترف بوجود هذا الاسم قال انه سمع بالمافيا حينما كان طفلا صغيرا ولم يكن يفقه معناها انذاك •

وقد ظهرت آراء مختلفة وتفسيرات متعددة حول وجود المنظمة او عدم وجودها ،وذلك لانعدام الدليل الرسمي وغياب المعلومات الصحيحة بهذا الشان • ويعلل احد الكتاب الامريكيين ان نظرية وجود المافيا لا زالت تعلق فى عقلية المواطن الأمريكي المعاصر ، لان الفرد الأمريكي غالبا ما يرغب فى ربط بعض الاعمال الكبيرة بجهاز خفى كبير يحرك خيوط العملية من وراء ستار • فالفرد الامريكي مثلا يربط بين جميع العمليات المالية التى تجرى فى امريكا بوجود جهاز وراءها هو شارع المال فى نيويورك Wall Street • كما ويربط بين خفايا السياسة الامريكية برجال الاعمال والصناعات الكبرى الذين يحركون هذه السياسة من وراء الستار • وهكذا فان المواطن الأميركي يرى ان المافيا هى وراء جميع الوان الجريمة المنظمة فى امريكا •

والواقع ان عجز السلطات الرسمية عن اقامة الدليل القاطع لكشف اعمال هذه المنظمة والقبض على قادتها لا ينفى وجود المنظمة ذاتها • واذا كانت بعض المنظمات التقليدية قد اختفت فى مظاهرها العرقية التقليدية فان الجريمة المنظمة لا زالت تعمل اليوم بنطاق واسع ولكن فى اشكال جديدة ومن خلال تركيبات وتنظيمات جديدة • ويقول الكاتب «روبرت اندرسون» فى كتابه بعنوان «من المافيا الى الكوسانوسترا» الذى ظهر فى عام ١٩٧١ ان المافيا قد اختفت فى شكلها التقليدى المعروف فى امريكا خلال العقود السابقة ، ولكن بعض المجرمين المحترفين المعاصرين لا يفضلون استخدام كلمة « المافيا » بقدر ما يشيرون الى منظمتهم باسم جديد هو « الكوسانوسترا » ، وهى كلمة جديدة تعني « نحن » او « لنا » او « خاصتنا » Our thing وهى منظمة جديدة لا شك حفيدة المافيا الصقلية ولكنها تختلف فى اهدافها وفى تركيبها الهرمي وفى اساليب العمل وفى بيروقراطية السلطة والتنظيم الادارى • انها منظمة عصرية تنسجم ومفاهيم الحياة الامريكية المعاصرة • فهى لا تقوم اليوم على عرقية الأسرة او التنظيم العائلى بل هى مؤسسة حديثة تتسم بالتعقيد ودقة التنظيم واتساع النشاط وباسلوب امريكى معاصر • ■■

الكويت ـ عدنان الدورى

دكتوراه علم الجريمة ـ استاذ بجامعة الكويت

أنت تسأل ونحن نجيب

قلاع الرجل الابيض تهتز فـى افريقيا السوداء !

● ما الذى يحـدث فى جنـوب افريقيـا ؟ ما سر ثورة الســود فى ارضهم ؟ لقد طالعتنـا الصحف ومازالت بانباء المذابح التى ترتكب ضد الافريقيين فى هذه البلاد • فهل الكمان تزيدوننا علما بتفاصيلها ؟

سلمان محمد ـ عثمان

ـ المشكلة فى جنوب افريقيا ببســاطة ، هى مشكلة حـــكومة اقلية من البيض تمارس اقبح واسوأ صور التمييز العنصرى ضد أهل البــلاد واصحابها الذين يشكلون بطبيعة الحال الغالبية الساحقة ! وهى مشكلة قديمة بدات منذ أكثر من ربع قرن ، عندما بدات شعوب القارة الســوداء تتململ وتستيقظ لتنفض عن نفسها غبار الرقاد الطويل ، وتقول للرجل الابيض الذى استعمرها طويلا : « لقد حانت الساعة ،ولا بد لك من ان تحمل عصاك وترحـــل عن بلادنا ! » ولم تــكن الصيحة موجهة الى الرجل الابيض ، وانما كانت موجهة الى العصا •• الى هذا الســلاح الذى طالما استخدمه ضدهم لاذلالهم وحرمانهم من حقهم الطبيعى فى الحياة والحرية فوق ارضهم وداخــل حدود بلادهم •

وانصت البعض الى صــوت العقل ، وبدات مقاليد الحكم تنتقل الى ايدى ابناء البــلاد من السود واستقل العديد من الشــعوب الافريقية الواحدة تلو الاخــرى ، ووقف المجتمع الدولى ممثلا فى الامم المتحــدة ، يحيى الدول الوليدة ويرحب بها فى عضويته •

ولكن شاء سوء حظ جنوب افريقيا ان يقوم على حكمها رجــال ، ابوا الا ان يتجاهلــوا ارادة الشعوب ، ويمضوا فى ســياسة القمع والارهاب والاذلال ، ولم يكن شعب جنوب افريقيا وحــده الذى عاش ، وما زال يعيش هذه المحنة ، فهناك ايضا ابناء روديسيا الذين يعانون ابشع الــوان التحدى •

واذن لم يكن ممكنا الا ان تندلع الثــورة •• وشهدت حكومة جنوب افريقيــا فى عام ١٩٦٠ ، اولى نتائج عنــادها واصرارها على المضى فى سياسة القمع والارهاب ••فقد ثار الرجل الاسود فى بلدة شاربفيل احدى ضواحى جوهسانبرج ، العاصمة ، وكان رئيس حــكومة الاقلية البيضاء فى ذلك الوقت هو هندريك فيرفورد ، وهاله ما



صحيفة أمريكية رصينة

تصدرها فئة ذات مبادىء غريبة

● تذكر الاذاعات احيانا صحيفةامريكية باسم كريستشان سيانس مونيتر ٠٠ ولطالما استغربت لهذاالاسم ٠٠ ارجو أن تحدثونا عن الصحيفة وعن سبب تسميتها بهذاالاسم ٠٠

رضا سيد محمد / البلينا / مصر

ـ الكريستشان سيانس مونيتر صحيفة يومية تحتل مكانة مرموقة بين صحف الولايات المتحدة ٠ فهي تولي الشؤون الدولية اهتمامها ، خلافا لاكثر تلك الصحف التي تكاد تقصر عنايتها على الشؤون المحلية ٠ وقد اشتهرت صحيفة المونيتر بحسن تغطيتها للانباء العالمية وبدراساتها الموضوعية العميقة وارائها المسؤولة في هذا المجال ٠

وتبلغ الصحيفة من العمر نحو سبعين عاما وقد كان تاسيسها في مدينة بوسطن سنة ١٩٠٨ ٠٠ ولا تزيد مبيعاتها اليومية على ٠٠٠ر٢٠٠ نسخة ٠٠ وقد لا يجد البعض غضاضة في ذلك ٠٠ فاكثر الصحف رصانة في امريكا وبريطانيا وغيرهما ليست بالضرورة اكثرها توزيعا ٠٠

اما اسم الصحيفة ، وهو بالعربية راصد العلم المسيحي ٠٠ فغريب كما تقول ٠٠ فاى علم هذا ٠٠ وما الحكمة في جعله اسما لصحيفة اخبارية سياسية ٠٠ ؟ !

ويذكر هنا ان الصحيفة تملكها فرقة دينية ، بل كنيسة مستقلة عن الكنيسة البروتستانتية ، تعرف باسم كنيسة « العلم المسيحي » ٠٠ وقد لا تكون هذه الكنيسة معروفة في بلادنا الا ان لها اتباعا في الولايات المتحدة يقدرون بنحو نصف مليون نسمة ، وفروعا منتشرة في ثلاثة عشر قطرا من اقطار العالم ٠ واغرب ما يذكر عن كنيسة العلم المسيحي هذه قصة ظهورها ٠ فقد كان تاسيسها في مدينة بوسطن سنة ١٨٧٩ ، على يد السيدة ماري باكر ادى Mary Baker Eddy وكان ذلك في اعقاب حادث وقع لها في الطريق ٠ فقد انزلقت قدمها على الجليد في احد ايام الشتاء سنة ١٨٦٦ فوقعت على الارض واصيبت ساقها ولم تستطع النهوض ٠ ولازمت الفراش بعد ذلك وراح الاطباء يعالجونها بلا جدوى ٠

راى من صيحات الاحتجاج التي اطلقها المتجمهرون على القوانين الجائرة بعزلهم ، وفصلهم ، وحرمانهم من ابسط حقوق المواطن ٠ وهي حرية التنقل بين اوجاء بلاده التي اتخذ البيض من اجمل مناطقها قلاعا له يقف عندها الحراس المدججون بالسلاح ليقولوا له : « قف انت اسود، وليس مكانك بيننا ! » ، واصدر فيرفورد اوامره باطلاق الرصاص لقمع الثورة قبل ان تنتشر وتستفحل ٠٠ وسقط ما يزيد على المائتين وخمسين مواطنا ما بين قتيل وجريح في هذه المذبحة ٠

وانقضت سنوات طويلة تعرضت فيها حكومة الاقلية البيضاء للضغط والمقاطعة من جانب دول العالم المتحضر ، املا منها في تغيير سياستها العنصرية المقيتة ٠٠ ولكن هذا الموقف لم يزد البيض الا تعنتا والا اصرارا على المضي في استعباد هذا الشعب الذي يزيد تعداده على ١٨ مليون نسمة من السود ابناء هذه البلاد ٠٠

ثم انتهى حكم فيرفورد عندما لقي مصرعه بخنجر استقر في ظهره ، وهو يدافع عن « الحقوق المزعومة » للبيض الذين ينتمي اليهم !

وتولى الحكم بعده جون فورستر ، الذي كان وزيرا للعدل في وزارته ٠٠ وتوقع البعض ان يخفف رئيس الحكومة الجديد من غلوائه ، وان يحاول التخفيف من احزان السود والامهم وهو الرجل الذي تعلم كيف يزن الامور بميزان العدل ٠٠ ولكنه مضى يكمل حلقات السياسة العنصرية التي تزعمها سلفه متحديا مشاعر الملايين من اهالي البلاد ، والراى العام في العالم كله ٠



كنيسة الكريستشان سيانس في بوسطن وتحيط بها بعض ناطحات السحاب التي تملكها الكنيسة ٠

وتجدر الاشارة الى ان ماري كانت منذ صباها تولي التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح وما الى ذلك بالـغ اهتمامها ٠ وقد زادهـا تعلقـا بالغيبيات وبما يعرف بالانجليزية Homoeopathy اى مداواة المرضى بما قد يسبب المرض للاصحاء ٠٠ زادها تعلقا بهذه الامور زوجها الثاني الدكتور دانيل باترسون Dr.D.Patterson ، طبيب الاسنان الذى مارس تلك الانشطة على سبيل الهواية ٠ وزاد الطين بلة زوجها الثالث المستر كومبي ، P. Quimby فقد كان هذا منوما مغناطيسيا محترفا، وكان يعالج مرضاه باساليب لا تخلو من دجل ٠ واقبلت ماري على اساليب كومبي هذا وقد تراءى لها انها شفتها مما كانت تعاني منه في عمودهـا الفقري آنذاك ٠ ٠ ويذكر هنا ان ماري تزوجت بعد ذلك زوجا رابعا هو المستر ادى وهو الذى حملت اسمه وما زالت ٠

لا عجب ان لجات ماري وهي طريحة الفراش بعد حادث وقوعها على الجليد الى ترديد الصلوات وتلاوة الانجيل بقصد معالجة ساقها ٠ وما اسرع ما نجحت طريقتها هذه حيث فشل الاطباء،ونهضت المراة ومضت تمشي على قدميها وكان شيئا لم يكن٠

انطلقت ماري باكرادى بعد ذلك تنشر الدعوة لشفاء الامراض بالصلاة ، ودون دواء ، وتبشر بما اطلقت عليه اسم « العلم المسيحي » ٠٠ والفت سنة ١٨٧٠ كتابها الشهير « العلم والصحة» او كما أصبح يعرف فيما بعد ، « العلم والصحة مع مفتاح الى الكتاب المقدس ٠٠ » وقد بيع منه حتى الان اكثر من ثلاثين مليونا من النسخ ٠٠ ثم أسست الكنيسة « كنيسة المسيح الاولى ــ العالم » على نحو ما اسلفنا ٠

تلك هى قصة صحيفة الكريستشان سيانس مونيتر وتلك هى اسباب تسميتها بهذا الاسم الغريب ٠

بقي ان نذكر ان عدد المستجدين بين أعضاء كنيسة العلم المسيحي آخذ في التناقص وقد بلغ الذروة في الثلاثينات من هذا القرن ٠

(ى ٠ ز)

وثار السود للمرة الثـانية في شهر يونيـو الماضي وكان مسرح ثورتهم في هذه المرة مدينـة سويتو ٠٠وهي ضاحية ايضا منضواحي العاصمة جوهانسبرج ٠٠ واحدة من المدن الصغيرة الحقيرة التي يعيش اهلها الســود في بيوت اقرب الى حظائر الخنازير منها الى مســاكن الآدميين ٠٠ وامتدت الثورة واتسع نطاقها وكانت الاسـباب الظاهرة ، خلاف على البرامج الدراسـية في المدارس : فقد بداها التلاميذ الصـغار ٠٠ وما لبث ان انضم الآباء الى ابنائهم ٠٠ وانطلقت الجموع تدمر وتحرق كل شيء يمثل جبروت الرجل الابيض وطغيانه ٠٠ وصوب جنود فورستر وحماة حكمه الاستبدادي ، رصاص بنادقهم الى صدور الصغار والكبار ، وسـقط اكثر من الف ومائة قتيل وجريح وسط بركة من الدماء ٠٠ وتوالت الثورات وتوالت المذابح : وسوف يمضي الرجل الاسود في ثورته في جنوب افريقيـا ٠٠ وفي روديســيا ، حتى تعـود افريقيـا كلها الى الافريقيين ٠٠

تقول مجلة الايكونومست البريطانية : « لقد هزت اعمال العنف التي اجتاحت جنوب افريقيا ، الاقلية البيضاء هزا ٠٠ ترى هل ترضخ حـكومة هذه الاقلية للامر الواقع وتستمع الى صـوت العقل قبل فوات الاوان ، ام تمضي في سياستها البغيضة حتى يجرفها الطوفان : اكبر الظن ان معقلي البيض في جنوب افريقيا وروديســيا ، سوف يشهدان احداثا هامة خلال الشهور القليلة المقبلة ٠

(م ٠ ن)

القارة الضائعة « أطلس »

● قرأت في أكثر من كتاب انه كانت قديما على الارض قارة كسائر القارات ، يعيش أهلها ، ثم ابتلعها وإياهم الماء ، فهل هذا صحيح ، وإذا كان صحيحا فما الدليل عليه ؟ وأين كانت تقع ؟ ومتى ابتلعها الماء ؟ ومن كان سكانها ؟

سعيد فلاح / المنامة / البحرين

ـ هذه القارة او الجزيرة سميت « اطلس » او « اتلانتيد Atlantide » او « اتلانتيس Atlantis »

واقدم مانعرف من اخبارها ما ذكره الفيلسوف اليوناني افلاطون (٤٢٧ـ٣٤٧ ق٠م) في محاورتيه « تيمايوس Temaeus » « وكريتو Cr.to » او « كريتياس Critios » ولكن قصتها الغامضة كانت مدونة قبل ذلك بنحو قرنين ، ومتداولة شفاها قبل ذلك بعدة قرون ، فافلاطون يسند اخبارها الى احد اسلافه وهو المشترع الكبير سولون (من اواخر القرن ٧ ق٠م الى اواسط القرن ٦ ق٠م) وفي كتاب تراجم « بلوتارك Plotarch » ، المؤرخ اليوناني ذكر في ترجمته لسولون ان سولون لما فرغ من وضع شريعته لاهل مدينة اثينا ـ حين كان حاكما عليها ـ رحل عنهم عشر سنوات ، وبدأ رحلته بزيارة مصر ، فاقام فيها فترة تردد خلالها على كهنة عين شمس وكهنة «صانيس » (او « صا الحجر ») فكان يحادثهم للاستفادة منهم في مسائل الدين والحكمة ، وانتفع باعظم عالمين فيهم : احدهما من « عين شمس » والاخر من « صانيس » ٠

ولاول مرة سمع هناك قصة القارة اطلس التي ابتلعتها المياه ـ وكان سولون شاعرا مجيدا ـ فاثارت حماسته وخياله ،واراد نظمها شعرا ليطلع عليها قومه ويحفظوها ، ولكن ذلك لم يتح له الا بأخرة، حين عاد الى أثينا وهناك ادركته الشيخوخة وقد ضاق بقومه لاستسلامهم الى حاكم مستبد ، فترك السياسة يأسا واشمئزازا منها ومن قومه ، وتسليا في وهن شيخوخته بعمل ثقافي مناسب ، فعاد الى قصته اطلس ينظمها ولكن عدل عنها ،

كما يذكر بلوتارك ايضا ان افلاطون ـ وكان شاعرا ايضا ـ جاء بعد سلفه سولون فوضع يده على هذه القصة كأنها ارض خصبة مهجورة آلت اليه بالميراث ـ لانه من سلالة سولون ـ فحاول اتمامها وتجميلها فمهد لها بمقدمة فخمة ، ووسع حدودها بما لم يعرف مثله لقصة او قصيدة ،ولكنه كذلك مات دون اتمامها، وهي وحدها العمل الوحيد الناقص بين تواليفه ٠ وقد ظلت القصة متداولة بين المأثورات القديمة ، حتى اليوم ٠

وقد افترض ان موقعها غربي جبل طارق في المحيط الاطلسي ، ومنذ عصر النهضة حدد موقعها هناك عند جزر كناريا او الأزور (الخالدات) او اسكندنافيا شمالا ، ثم قيل انها كانت في جيرة جزيرة « كريت » شرقي البحر الابيض المتوسط ، وان اهلها غزوا اليونان كما غزوا مصر ٠ وقد زاد الاهتمام بها بين الباحثين في العصر الحديث حتى ليذكر ان الكتب التي تعرضت لها بالبحث والتحقيق تزيد على خمسة آلاف ، وقد اوحت الى كثير ان يتخيلوها او يتخيلوا جزرا منقطعة في محيط على مثالها ، يعيش اهلها سعداء بفضل مابلغوه من تقدم في الاخلاق والحضارة ٠

وقد تخصص لها كثير من الباحثين يأملون الكشف عنها يوما في مياه المحيط الاطلسي او غيره أو في طبقة من الارض وهم يعتمدون في هذا الامل على اخبارها المأثورة وعلى تقدم وسائل الكشف عن خبايا الارض ومحيطاتها ، بالغوص فيها أو برصدها من الفضاء ، كما كشف عن كثير من الحضارات ، وكم من حضارة بادت لم تكن نعلم شيئا عنها حتى اسمها ، فكشف عنها في العصر الحاضر،ولم تزل الكشوف تتوالى،ولا شك ان قصة الحضارة البشرية تعود الى اقدم مما عرف حتى الان في مصر والعراق والهند وغيرها بآلاف السنين، وقصة اطلس في حاجة الى أدلة حاسمة، وحسبها فضلا انها كانت ولم تزل صالحة لارضاء الخيال والفكر والذوق ، وتوليد اعمال الفن والفلسفة والعلم ، منذ عهد سولون وافلاطون حتى الان ٠ والرأي الراجح حتى الان ان الارض بقاراتها كانت كتلة واحدة ولكنها لاسباب فلكية او زلازل أرضية تمزقت قارات ، ونظرة واحدة الى قاراتنا ترجع لدينا تلاحمها القديم ٠

(م ٠ خ ٠ ت)

الأدوية والانسان

فى الماضى والحاضر والمستقبل

بقلم : الدكتور رياض العلمي



■ حاول الانسان منذ فجر التاريخ ان يعالج نفسه من الأمراض بتناوله أشياء غريبة، وما تزال بعض المجتمعات البدائية تحتفظ بادويتها الخاصة التى تتوارثها جيلا بعد جيل بالتجربة ، وقد يقترن ذلك فى اغلب الاحيان ببعض الشعائر السحرية الغامضة التى يؤمنون بها بحكم العادات والتقاليد والجهل .

أما فى الدول المتقدمة فقلما تجد مسكنا خاليامن صيدلية صغيرة ملأى بمجموعة غريبة من الأقراص والمساحيق التى يلجأ اليها الانسان عند أول احساس بأى عارض صحى مفاجىء .

ومن النادر أن تجد فى الممالك الحيوانية والنباتية او المعدنية شيئا لم يستخدمه الانسان يوما ما خلال التاريخ لعلاج مرضه ، من مسحوق قرن حيوان اسطورى ، الى فضلات الكلاب المجففة ، او بول الأطفال ، وقد نستغرب حين نعلم أن بردية أبيرس كانت تضم اكثر من (٧٠٠) دواء وذلك منذ (٣٥٠٠) سنة .

استطاع الانسان البدائي ان يكتشف بوسائله البسيطة وغريزته الفطرية عددا من المنتجات الاستهلاكية المتنوعة للتسلية وتلبية رغباته الخاصة مثل المشروبات الكحولية والتبغ والمشروبات التى تحتوى على الكافئين والافيون والكوكا والماريجوانا، كما اكتشف ايضا بعض النباتات التى استخلص منها عناصر علاجية قوية المفعول ومن اهمها شجرة السنكونا (Cinchona) التى يحتوى لحاؤها على مادة الكينين (Quinine) المضادة للملاريا . ولكن هذا الانسان ـ لعدم معرفته السبب فى فعالية الكينين ضد الملاريا . ـ استخدمه بلا فائدة فى علاج كثير من الأمراض الاخرى .

هذا وقد استخدم الاطباء في العصور السالفة منتجات طبيعية كثيرة دون ان يكون لها اي اثر شفائي مؤكد ، وقد اغرم الناس بالوصفات والتركيبات المعقدة التي نالت شهرة واسعة مثل « التررياكا اندروماكي »او الترياق وذلك قبل الفي سنة ، ومن العجيب أن الترياق كان مستخدما حتى اوائل القرن العشرين ،ومن الغريب أيضا انهتطور بمضي السنوات فاصبح يشمل ما لا يقل عن (٦٣) صنفا حسب ما جاء في تذكرة جالينوس الطبية (١٣٠ ـ ٢٠٠ م) .

وهكذا اصبح « الترياق » اكثر التحضيرات الدوائية تعقيدا واطولها عمرا على الاطلاق .

وهذا شيء مذهل حقا بالنسبة لمقاييس ايامنا هذه !! وعلى اي حال فان الافيون هو العنصر الوحيد الفعال في الترياق .

وكان الترياق قد اختفى فجأة من طبعة «دستور الادوية البريطاني لعام ١٧٨٨» ويعتبر بقاء استعمال « الترياق » وغيره من الادوية المتعددة الاغراض دليلا على ثقة الانسان وتمسكه بكل ما يحافظ على صحته .

ومع بداية القرن التاسع عشر بدات تظهر اتجاهات أخرى لتفسح المجال أمام نظرة أكثر اتفاقا مع المنطق في علاقة الانسان بالدواء ،وكانت نقطة التحول الكبرى عندما تحقق فصل العناصر الفعالة في الادوية Active Ingredietns فقد تمكن الصيدلي الالماني سيرتورنور Serturner من فصل المورفين Morphine من الافيون Opium عام ١٨٠٥ ، وبعد ذلك ببضعة أعوام تمكن العالمان الفرنسيان كافنتو وبيلاتيير من فصل مواد الاستركنين Strychnine والكينين وعدد من القلويدات الاخرى Alkaloids وفي عام ١٨٣٣ تم فصل الاتروبين Atropine من نباتي البلادونا والسكران ، ثم تبع ذلك فصل عدد آخر من المركبات النقية من النباتات الطبية المعروفة مثل الكافئين والكودئين والايمتين والنيكوتين والكوكائين الخ .

ومهدت هذه الانجازات الكيميائية لان يدخل البحث العلمي حقل العلاج الدوائي ،ليكون للمركب الواحد تاثير علاجي محدد خاص به ، ولكن هذا التحول لم يتم بين يوم وليلة ، ولم تنعكس آثاره على العلاج الطبي والعمل الصيدلاني فورا بدليل انه حتى منتصف القرن التاسع عشر كانت طريقة تحضير منتج من الافيون تتطلب عملية غلي مستمرة طوال ستة أشهر بالرغم من أن اكتشاف المورفين كان قد تم منذ نصف قرن تقريبا .

وفي عام ١٨٥٣ حدث تطور آخر هام عندما قرر الطبيب اسكندر وود Wood من ادنبره أن يحاول طريقة جديدة في العلاج وهي استعمال الحقن تحت الجلد ، وقد ظن خطأ أن هذه الوسيلة يمكن ان تصلح لعلاج موضعي لقتل آلام الاعصاب اذا حقن المورفين في النقط الحساسة بطول خط سير الاعصاب، ولكن سرعان ما اكتشف آخرون ان هذه الحقن تسبب تاثيرا عاما في الجسم نتيجة امتصاص الدم للمخدر بسرعة .

العصر الجديد للادوية المركبة

ومنذ مائة عام تقريبا أصبح التغيير الاساسي في الدواء هو ابدال المواد المركبة الجديدة بالمنتجات الطبيعية القديمة ، ففي عام ١٨٧٦ وصف الطبيب الصيدلي البريطاني لورد برونتون لاول مرة استعمال مركب نيتريت الاميل (Amyl Nitrite) في علاج الذبحة الصدرية ، وقد اعتمد في علاجه على ما عرفه من أن هذا المركب يوسع الشرايين التاجية في الحيوانات ، وكان هذا نقطة انطلاق جديدة لتطور فجائي كبير في استعمال المواد الكيميائية المركبة في الطب . فكان الكيميائي الالماني الشهير . ج . فون ليبج ، أول من حضر مركب كلورال هيدرات Chloral Hydrate ١٨٣٢ ولكن بقي مهملا ٣٧ سنة حتى تمكن غيره من اثبات فاعليته كمخدر ومنوم .

ومن المنتجات الكثيرة التي امكن تحضيرها واستعمالها في الطب أيضا : الانتيبرين (١٨٨٤) والفيناستين (١٨٨٧) والاسبرين (١٨٩٣) ولعل الاسبرين قد اكتسب صفة الدواء المتعدد الاغراض التي كانت « للترياق » سابقا ، اذ ان استعماله كان وما زال اكثر الادوية شيوعا .

ولم تقتصر الاستخدامات الطبية للمواد الكيميائية المركبة على الادوية بمعناها الضيق فقط ، فقد احدثت في منتصف القرن التاسع عشر تطورا هاما في الجراحة ايضا وذلك بما استحدثته من مواد مخدرة واخرى مطهرة ، ويرجع الفضل في استعمال الاثير Ether كمخدر موضعي ، لطبيب الاسنان الامريكي الدكتور موركون ، كما فعل الشيء نفسه

الطبيب المولد الاسكتلندي الدكتور/ سمبسون باستعماله لمادة الكلوروفورم Cloroform في عام ١٨٤٦ ، ومنذ ذلك الحين لم تعد الجراحة ضربا من التعذيب المقيد للمريض ، اما الجراح الانجليزي جوزيف ليستر Lister فهو الذي أوضح عام ١٨٦٧ كيف يمكن منع الالتهابات والمضاعفات التي تنجم بعد العمليات الجراحية وذلك باستعماله مادة جديدة هي حمض الكربوليك Carbolic Acid الذي كان قد تم فصله من قار الفحم عام ١٨٣٤ وبذلك نكون قد دخلنا صناعة البتروكيماويات منذ ذلك الحين .

ظهور عصر العلاج الكيميائي

يعتبر بول اهرلش Ehrlich أبا العلاج الكيميائي ، وهو طبيب الماني يتمتع بقدرة فائقة غير عادية ، وقد كان ميلاد ذلك الحدث عام ١٩٠٧ عندما أعلن أن الهدف هو الحصول على مادة كيميائية يمكن ان تقضي على الطفيليات دون حدوث اضرار في جسم الانسان وانسجته، وقد ارتبطت شهرته بصفة خاصة باكتشافه لدواء السالفرسان Salvarsan وذلك بالاشتراك مع العالم الياباني ساهاشيرو هاتا وهو مركب عضوي زرنيخي نجح استعماله في علاج مرض الزهري .

اما بداية عصر العلاج الكيميائي الحقيقي فترجع الى حوالي ٤٠ سنة فقط عندما اعلن طبيب الماني في دسلدورف عام ١٩٣٣ عن اكتشافه لعلاج جديد ، عرف فيما بعد باسم البرنتوزيل Prontozil وكان أول من شفي من العلاج طفل عمره عشرة أشهر كان على حافة الموت بسبب مرض بكتيري .

وواصل معهد باستير الابحاث فيما بعد ، واجرى مزيدا من التجارب على هذا العقار الجديد ، واكتشف علماؤه ان الدور الذي يقوم به البرنتوزيل هو تحوله في جسم الانسان الى مركبات أبسط تعرف اليوم باسم مركبات السلفانيلاميد Sulphanilamide التي ثبت أن لها فاعلية ضد الامراض والالتهابات والمزارع البكتيرية ، ومنذ ذلك الحين توالى تركيب الكثير من مثل هذه المركبات التي تعرف اليوم باسم السلفوناميدات Sulphonamides لمقاومة عدد كبير من الامراض البكتيرية .

اما في عام ١٩٢٨ اي قبل خمسين عاما تقريبا فقد حصل حدث تاريخي هام فتح الباب امام عصر



الكبسولات

المضادات الحيوية اذ لاحظ الدكتور الكسندر فلمنج Fleming في لندن ان العفن المسمى بينسليوم نوتاتوم Penicillum Notatum ينتج مادة توقف نمو مزارع البكتريا الضارة .

لكن فلمنج لم ينجح في عزل تلك المادة ، واطلق عليها اسم بنسلين ، وتنبأ فلمنج بأن يكون لها دور هام في علاج الاصابات البكتيرية ، وقد أصبح من الثابت انه لا يمكن للانسان في هذا العصر أن يستغني عن المضادات الحيوية Antibioties فأصبحت جزءا لايتجزأ من حضارته الحالية.

لقد كان الطريق الذي سار فيه تطور الدواء من « الترياق » الى الادوية الحديثة المعروفة اليوم طريقا طويلا استغرق عدة قرون ، ولكن التقدم والتطور الذي يحدث خلال عامين في وقتنا الحاضر يفوق ما كان يحدث في الماضي خلال ألفي عام . ففي الايام السالفة كان الدواء الذي يصفه الطبيب لا يمتاز كثيرا عما هو موجود عند المريض او الذي

يتوارثه عن أبيه واجداده جيلا بعد جيل • ولكن طبيب اليوم لديه ثروة من الادوية المتخصصة المفعول والمضبوطة القوة العلاجية والمحددة الجرعة والبالغة النقاء • ويتم انتاجها تحت الظروف التى لا تقدر عليها الا الشركات الكيميائية العملاقة •

ومعذلك مايزال الدواء المنزلي يقوم بدوره ايضا، ويشهد على ذلك احتواء صيدلية المنزل على الادوية التى لايحتاج الحصول عليها الى تذكرة طبية جنبا الى جنب مع الادوية الى تصرف بتذكرة طبية •

ولكن على الانسان ان يكون واعيا تماما الى ان الادوية النافعة قد تكون ضارة اذا ما تم استعمالها بصورة عشوائية ، او دون مبرر • فعلاج المرء لنفسه أمر خطير ، كذلك علاج المرء لصاحبه او لزميله امر أخطر • ومن متناقضات عصرنا هذا هو أن الدول الغنية مثلا حدثت بها بعض حالات الوفيات نتيجة لسوء استعمال الادوية بينما في الدول النامية يموت الكثيرون لعدم توفر اللقاحات والادوية اللازمة •

ولا شك أن الدول النامية في مسيس الحاجة الى الادوية ، وترجع جذور المشكلة الى أن الامراض القديمة ـ المعدية والمتوطنة ـ منتشرة في هذه الدول ، وان أغلب المنتجين للادوية يتمركزون في الدول المتقدمة حيث لم تعد مثل هذه الامراض تشكل اهتماما رئيسيا عندهم ، وبالتالى تقل كثيرا استثماراتهم المالية وابحاثهم العلمية في مجالاتها، ولذلك هناك حاجة ملحة لانتاج الدواء المناسب الفعال لعلاج الامراض المرتبطة بالدول النامية ، والواقع ان اغلب الدول النامية تنفق نسبة عالية من ميزانياتها على الادوية المستوردة ، ومما يزيد الطين بلة ان مثل هذه الدول قد لا تشترى الدواء المناسب تماما ، وتستخدم دواء قد لا يكون فعالا ضد الامراض التى تعاني منها ،اما الدواء الفعال فيكون باهظ الثمن، ولذا يتوجب على الدول النامية ان تشجع البحث العلمي وترصد له المبالغ اللازمة وتبنى المصانع لانتاج الادوية المحلية بالجهود الوطنية الذاتية •

وهذا أيضا قد يحسن ميزان الفوائد والتكاليف في الدواء ، ففي بعض الاحوال قد يعرض في السوق اكثر من دواء لعلاج المرض الواحد ، كما تكون بعض الادوية جديدة ، دون أن يتم اختيار بعضها في الظروف المحلية المختلفة عن الظروف التى صنعت خلالها في بلادها الاصلية ، فقد تكون فعالة في الجو المعتدل وتفقد قوتها في الجو الحار مثلا ، كما ان هناك عوامل بيولوجية واجتماعية تختلف من بيئة لاخرى ويكون لها تاثير في فاعلية الدواء أو عدم فاعليته •

نحن نعيش في عصر زاد فيه استهلاك الدواء بشكل منقطع النظير في الوقت الذى يجب على كل دولة ان تهتم بسلامة المنتجات الدوائية او الادوية المستوردة حفاظا على صحة مواطنيها من الاخطار الجانبية لها ، فقد تسلمت الهيئة الصحية العالمية في المدة الاخيرة ما يقرب من (٧٥) ألف تقرير عن آثار عكسية ضارة سببتها الادوية كما قامت بطلب ما يزيد عن (٤٠٠) بحث ميداني من الدول الاعضاء بالنسبة لمدى سلامة استعمال بعض الادوية المعينة والنواحي الوبائية التى تسببها التفاعلات العكسية المختلفة Drug Interaction كما يجدر بنا التحذير من الاسراف باستعمال الدواء او الاسراف بالتفاؤل بقدرته •

وهناك نقطة بالغة الاهمية وهي ان طلاب الطب لا يحصلون على المعلومات الكافية اثناء تدريبهم بالنسبة للادوية التى يصفونها لمرضاهم ، وبناء عليه فان علم الصيدلة التطبيقي والاكلينيكي Clinical Pharmacy في المستشفيات يحتاج الى مكانة اكبر في المقررات الدراسية الطبية ، كما أن من الضرورى تهيئة الفرصة لحصول الاطباء والصيادلة على دراسات تنشيطية في فترات منتظمة في موضوع آثار واستعمالات الادوية الجديدة • واخيرا وليس آخرا ضرورة اخطار الرأى العام بمخاطر الافراط في استهلاك الادوية وتحذيره من مخاطر ومغبة العلاج الذاتي وتناول الادوية بلا داع دون الرجوع الى الطبيب•

ادوية المستقبل

بالرغم من ان الادوية تعتبر بصفة عامة اشياء مفيدة للانسان فان الشك والخوف مما تحمله من قوة سحرية يثيران الشعور بوجود نوع من التهديد ملازم لها •

ان التقدم في علم الصيدلة واكتشاف الجديد من الادوية قد سار وسيظل يسير جنبا الى جنب مع تطورات علوم الحياة الطبية • كما سيتاثر بالظروف المعيشية التى سيواجهها الانسان في

المستقبل ، فالانسان دائما في تحد مستمر مع اختراعاته واكتشافاته ، ولا تخرج الادوية عن هذه القاعدة ، فبجانب جميع الفوائد التي جاءت بها الادوية لا يصح أن ننسى انها أوجدت أيضا أخطارا جديدة غير معروفة قد لا تظهر الا بعد مدة من تداول الدواء ، وأصدق مثال على ذلك كارثة علاج الثلايدوميد التي حصلت خلال الستينات •

وقد احرز علاج الامراض المعدية وبعض الامراض الطفيلية تقدما ملموسا فاق غيره من حقول العلاج الاخرى ،فقد أصبح ممكنا علاج الالتهاب الرئوي والحمى التيفوئيدية والامراض التناسلية والدرن والجذام كما تعالج الملاريا والبلهارسيا •

بينما لم يحدث غير تقدم صغير في كيمياء الادوية المضادة للفيروسات Anti-Viral Drugs

لقد نجح التطعيم ضد بعض الامراض الفيروسية المعدية مثل الحمى الصفراء كما حدث تقدم يشجع في السيطرة على الحصبة الالمانية ، ولكن ما تم انجازه للوقاية من الانفلونزا والتهاب السحايا الرقيقة ما زال قليلا •

وما يزال البحث جاريا في كثير من المعامل لدراسة العلاقة بين الفيروسات والخلايا التي تستضيفها ، ومن المتوقع حصول نتائج تطبيقية كثيرة لهذه الدراسة فيحقول الوقاية من الامراض الفيروسية وعلاجها • وبالرغم من كل الصعوبات فان تقدم العلاج الكيميائي للامراض الفيروسية أصبح أمرا متوقعا الى حد كبير •

وفي نفس الوقت فان العلاج الكيميائي لمقاومة الامراض الفيروسية يرتبط الى حد ما بعلاج الاورام الخبيثة والسرطان ، حيث ان هناك ازديادا في فهم طبيعة النمو الزائد للاورام الخبيثة من دراسة العلاقة بين الفيروسات والانسجة التي تستضيفها •

ومنذ عام ١٩٥٠ ظهرت ادوية عديدة لعلاج السرطان والامراض المتصلة به ، ويمكن اليوم السيطرة على بعض الامراض السرطانية بالعلاج الكيميائي ولكن التقدم بطيء ولا يتوقع التوصل الى «شفاء السرطان» تماما في المستقبل القريب•

ومع انه من المتوقع ان يتمكن الانسان خلال الخمس وعشرين سنة القادمة من الوصول الى فهم اعمق للعمليات الكيميائية الحيوية في الخلية فمن المشكوك فيه ان يكون هذا التقدم المتوقع كافيا للقضاء على السرطان تماما ، وبرغم الابحاث العلمية المستفيضة والجدية لمكافحة السرطان فانه يتوجب على الانسان ان يتعود الحياة مع الحقيقة الواقعة وهي أن علاج أو منع السرطان تماما ليس من الامور المحققة ، ولكن ما يمكن الوصول اليه في افضل الاحوال هو ايقاف نمو الخلايا الخبيثة بصورة مؤقتة او ابقاء بعض الاورام السرطانية تحت السيطرة العلاجية •

وهناك أمراض القلب والاوعية الدموية ، اذ تعتبر من اهم الامراض الموجودة اليوم من الناحية الكمية ، فهبوط القلب وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين ومضاعفاتها تمثل الغالبية العظمى من أسباب الوفاة الفجائية وقصر العمر، وقد حدث تقدم ملحوظ في بعض النواحي وخاصة بالنسبة لارتفاع ضغط الدم حيث تتوفر اليوم الادوية التي تفيد في علاجه •

ورغم ذلك لا يخلو اى دواء من احداث آثار جانبية غير سارة ، كما ان الدراسات الوبائية التي اجريت في بعض الدول اوضحت ان نسبة مرضى ضغط الدم الذين يحصلون على العلاج الصحيح لا تتعدى (١٠ ـ ١٥٪) ، وهذا يؤكد لنا ان وفرة الدواء الفعال لا يعني دائما ضمان صحة الاستعمال ، وانه يجب مضاعفة الجهود للوصول الى استخدام الدواء الصحيح ،ولسوف تخرج المصانع ادوية جديدة لضغط الدم ولكن قد لا تكون افضل بكثير من الادوية الموجودة حاليا • ولذلك فالتقدم العام في علاج ارتفاع ضغط الدم لاينتظر ان يقفز خلال الخمس وعشرين سنة القادمة القفزة التي يتمناها كل منا في هذا المجال بالذات •

اما أمراض تصلب الشرايين فلا تزال بحاجة للعلاج الناجح اذ لم يتضح بعد ما اذا كانت الادوية الخاصة بتقليل نسبة الكولسترول او الجلسريدات الثلاثية في الدم أكيدة المفعول تماما أم لا ، وحبذا لو يتم اكتشاف مادة تقلل من الدهون في البلازما خاصة وانه قد ثبتت العلاقة بين الدهون وأمراض الشرايين ، في الوقت ذاته فان ارتفاع ضغط الدم يعتبر ايضا من أسباب

تصلب الشرايين والاملان يكون فى علاجه والتحكم به علاجا تلقائيا لتصلب الشرايين !!!

ومن امراض العصر الاضطرابات النفسيةولذلك فان ادويتها تجتذب المزيد من الاهتمام، وقد حدث تقدم ملحوظ فى علاج المرضى الذين يعانون من انفصام الشخصية والهبوط الحاد والاختـلال العقلى ، ولا يقتصر الاهتمام فى واقع الامر على ذلك بل يمتد الاهتمام الى تخفيض المتاعب التى لا يشترط ان تكون مرتبطة بالاختلال العقلىمثل الاحساس بالاجهاد والقلق وصعوبة التوافق مع متطلبات الحياة • ويشير الاستعمال المتزايد لبعض المهدئات الى انتشار الرغبة فى التخلص من القلق والتوتر العصبى •

مخاطر الادوية

ليس من المستغرب ان تثير المواد الكيميائية التى تسبب المقادير القليلة منها آثارا قوية على الوظائف الحيوية فى الانسان اهتمام العلماء وقلقهم ، لقد اصبح من الضرورى فى اغلب دول العالم اليوم اجراء الفحوص المخبريةوالمعملية لضمان سلامة كل دواء جديد، ومع ذلك فقد ثبت ان كل دواء فعال لا يسلم من العوامل الخطرة وما يمكن ان يحدثه من آثار جانبية وردود فعل عكسية ، حتى اصبح اصطلاح الدواء الامن الاستعمال اصطلاحا نسبيا لا يدل على صفة مطلقة ، ولا يتم تقرير مقدار الامان والسلامة فى استعمال الدواء الا بعد طرحه فى الاسواق للاستعمال العام ، وقد تمر عدة أعوام أو حتى اجيال قبل اكتشاف ما يمكن ان يحمله الدواء من ردود فعل عكسية ، وهناك امثلة عديدة على ادوية اضطرت الشركات المنتجة الى سحبها من السوق بعد سنين عديدة من استعمالها ، ومن اسطع الامثلة على ذلك ما حصل مؤخرا من سحب علاج السايكلامات •

ولذلك فاحسن ضمان لسلامة استعمال الدواء هو قصر استعماله فى الاستعمال الصحيح تحت الاشراف الطبى الدقيق •

الافراط فى استهلاك الدواء

مما لا شك فيه ان تعدد الادويةالنافعة الفعالة ووفرتها فى الاسواق نتيجة تقدم بحوث الادوية والصيدلة ، قد ساعد فى زيادة الاقبـال على استعمال الدواء ، يضاف الى ذلك زيادة فرص الحياة عند اغلب الشعوب مما غير انماط المرض فزاد انتشار الامراض المزمنة وحالات الانتكاس المرضى •

ويتزايد فى العالم اليوم عدد المسنين الذين يبحثون عن الاستشفاء الطبى مما يعتبر ـ الى حد ما ـ من اسباب الزيادة المطردة فى استعمال الادوية المدرة للبول والتحضيراتالخاصة بالقلب•

ففى انجلترا مثلا وصلت الزيادة بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٧١ الى حـوالى (١٥ ـ ٢٠٪) بالنسبة للتذاكر الطبية الخاصة بهذين النوعين من الادوية او اكثر من مليون تذكرة طبية زيادة عن المعدل السابق لكل من هذين النوعين من الادوية •

وهناك عوامل اخرى ايضا ،ففى دراسة تناولت (١٤٠٠)ربة بيت فى انجلترا مؤخرا تبين ان (٤/٥) البالغين واكثر من نصف الاطفـال قد حصلوا على بعض انواع العلاج الطبى فى فترة اسبوعين ، وخرج الباحثون من دراسات اخرى تدل على أن اكثر من نصف جمهور البالغين وثلث الاطفال تقريبا يتناولون نوعا من الادوية كل يوم ، وقد بينت هذه الدراسات ان النساء يتناولن ادوية اكثر من الرجال ، وأن استهلاك الدواء يزداد مع تقدم العمر •

كما اجريت دراسات اخرى على استهلاكالدواء فى المستشفيات وتبين أن هناك دليلا قاطعا على الاسراف فىاستعمال الدواء ،ففى الولاياتالمتحدة اجريت دراسة اثبتت ان حوالـى (٣٦٪) من المرضى فقطحصلوا على ادوية مضادةللميكروبات كانوا مصابين فعلا بامراض ميكروبية وأن (٥٤٪) اعطوا الدواء على سبيل الوقاية والحيطة •

وقد يستفيد القارىء من المعلومات عما حصل فى الولايات المتحدة اذ صرفت الصيدليات هناك الفى مليون تذكرة طبية عام (١٩٧٠) أى بزيادة (٥٠٪) عنالمعدل السائد خلال السنوات العشر السابقة اى ماقيمته (١٩) الفمليون دولار، اما فى فرنسا مثلا فقد ارتفع اجمالى المصروفات على الادوية بمعـ ١٧٠٪) بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٧٢ معالاخذ بعينالاعتبار ازدياد غلاءالمعيشة•

ومما يثير اهتماما بالغا في وقتنا الحاضر هو التزايد المستمر في استعمال الادوية الخاصة بالحالات النفسية ، ففي سنة (١٩٧٠) بلغ عدد التذاكر الطبية الخاصة بادوية العلاج النفسي (٢١٤) مليون تذكرة (تمثل ١٧٪ من مجموع التذاكر الطبية الخاصة بجميع الامراض) اما في المملكة المتحدة فكانت تذاكر العلاج النفسي (٤٧) مليون تذكرة(تمثل ١٩٪من المجموع الكلي) وتشمل المهدئات (Tranquillizers) والمنومات (Hypnotics) حوالي ٥٠٪ من جميع أدوية الحالات النفسية ، وتشير الدلائل بان الادوية النفسية تفوق اى مجموعة دوائية اخرى في زيادة كمياتها ، وهذا يعكس الظاهرة العالمية في الاسراف في استعمال الدواء •

ولا تعتبر مشكلة الاسراف في استعمال هذه المجموعة من الادوية مرتبطة بالامراض العقلية والعصبية بالمعنى المحدد لها ، انما تعود المشكلة الى استعمالها بالنسبة لعدد كبير من الاعراض المرضية المعقدة المبهمة فما هي الاسباب !! أهو الارتفاع المستمر في مستوى الرفاهية ؟؟ ام هل اصبح الافراد اكثر عصبية نتيجة الضغوط اليومية التي تؤثر عليهم جسمانيا وعقليا ! وكيف يرتبط هذا باستهلاك الخمور والتدخين والمكيفات •

ولعل هذه الاعتبارات تقودنا الى نتيجة هامة وهي أن تعليم الطب في الجامعة يجب أن يكون من بين اهدافه الحصول على قاعدة قوية من المبادىء الرئيسية في علوم الصيدلة •

وحيث أن الطبيب الممارس لا يجد عادة الوقت الكافي للاطلاع المستمر على كل جديد في حقل الطب أو الرجوع الى مراجع الصيدلة والادوية ، ويصبح بالتدريج اكثر اعتمادا على المعلومات التي يتلقاها من اعلانات الادوية ومندوبي الشركات ، وبذلك تبقى الصناعة الدوائية اهم مصدر للمعلومات الخاصة بالادوية ، ومن ناحية اخرى تلعب وسائل الاعلام كالصحافة والتلفزيون والراديو دورا خطيرا في الترويج لسلع دوائية معينة ، مما يحول دون الاستعمال المعقول للدواء بالنسبة للجمهور ويخفف الضغط بلا مبرر على اجهزة الرعاية الصحية لعلاج الامراض البسيطة.

بعد هذا الاستعراض لمظاهر الاسراف في استخدام الدواء يتوجب علينا البحث في اسباب وعلاج ذلك ، وهنا تظهر اهمية تعاون وتضافر جهود الاجهزة الحكومية والصناعات الدوائية ـ الاجنبية والوطنية ـ مع الاطباء الاخصائيين والممارسين العامين والصيادلة وخبراء الاجتماع والاقتصاد لوضع حد لمثل هذه المشكلة الخطرة مهما كان الثمن ، وهذا لصالح الفرد اولا والمجتمع ثانيا • ■■

الكويت ـ رياض العلمي

■ واذا لم يكن من الموت بد — فمن العجز أن تكون جبانا

(المتنبي)

■ اذا المرء لم يخزن عليه لسانه — فليس على شيء سواه بخزان

(امرؤ القيس)

■ ومن دعا الناس الى ذمه — ذموه بالحق وبالباطل

(محمد بن حازم الباهلي)

■ ولست بمستبق أخا لا تلمه — على شعث ،أى الرجال المهذب؟

(النابغة الذبياني)

■ في كثير من الروايات ينتهي الحب بالزواج ، والزواج نهاية المأساة

(أحمد أمين)

مئة ومئات ومئون

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ مشكلات الهجاء او الاملاء شائعة في كل اللغات ، وربما كانت فى لغتنا أهون مما هى فى غيرها ، والمفروض فى هجاء اى لغة أن يكون مطابقا تمام المطابقة لما ينطق به ، وهذا ما لم يتحقق لهجاء اى لغة حتى الآن ، ولا استثناء من ذلك للغات الاوربية وغيرها مما يكتب بالحروف اللاتينية ، مع أن تلك اللغات غير مرتبطة بكتاب مقدس كارتباط العربية الوثيق بالقرآن الكريم ٠

وحسبنا من ذلك هنا كلمة « مئة » في لغتنا ، ففيها شذوذان هجائيان ، الى جانب شذوذين لغويين :

فالشذوذ الهجائي الاول هو كتابتها أحيانا هكذا « مائة » بزيادة الف، وفى هذا خروج على القياس فى نظيراتها التى تكتب دون الف ، مثل : فئة ، ورئة ٠ وفى تعليل زيادة الفها اقوال كثيرة ، لا مقنع فيها ، وهى أشبه بالتعلات منها بالعلل ، واشيع هذه الاقوال هو التفرقة بين « مئة » و « مِنهُ » مع أن اللغات تعتمد على سياق الكلام ومعناه العام للتمييز بين الكلمات المتشابهة في الكتابة ، بل ان السياق والمعنى العام كفيلان غالبا بالتمييز بين معانى الكلمتين او الكلمات وان كان لها هجاء واحد ٠

والشذوذ الهجائى الثانى انها اذا وقعت بعد عدد من الثلاث الى التسع وصلت به كتابة هكذا : « ثلاثمائة ، واربعمائة ٠٠ تسعمائة » وهما اسمان مستقلان ، واولى من ذلك كتابتهما هكذا : « ثلاث مئة ، أربع مئة ٠٠ تسع مئة » ٠

واما الشذوذ اللغوى الاول فهو أنها تكون مفردة اذا وقعت تمييزا لاى عدد فى الاعداد من ثلاث الى تسع ، فيقال : « ثلاث مئة ٠٠ تسع مئة » ، مع أن تمييز هذه الاعداد مع غير « مئة » لا يكون الا جمعا : ولهذا نقول : « ثلاث فئات ، ست رئات ، وتسع كراسات » ، ولا نقول : « ثلاث فئة ٠٠ » وقد وردت معها كلمة « مئة » مجموعة على قلة : اما جمع مؤنث سالما وهذا هو القياس ، فيقال : « ثلاث مئات ٠٠ تسع مئات » ولكنها وردت ـ على ندرة ـ مجموعة كجمع المذكر السالم وهذه مخالفة لقياس هذا الجمع ، اذ لا تنطبق على « مئة » كل الشروط التي تنطبق على مفرده ، ومن أمثلة جمع « مئة » كجمع المذكر السالم ما جاء في شعر الفرزدق يفخر على بنى الاهتم ، أو الاهاتم بانه رهنَ رداءه مقابلَ ثلاث مئة بعير ، وهذه دية ثلاثة ملوك ، لان دية الملك عندهم مئة بعير ، فقال :

ثلاثُ مِئِينَ للملوك وَفَى بهـا
ردائى ، وجلّت عن وجوه الأهاتم

ومثال آخر جاء في شعر المتنبى ، بعد ان قتل أحد عبيده ، لانه احس خيانته له بالسرقة وأوجس خيفة من تآمر هؤلاء العبيد عليه ، وهو يومئذ يعانى محنة الهروب خفية من مصر، ويخاف مطاردة

أعدائه وغيرهم له ، فقال :

« ما ينقمُ السيفُ غيرَ قلتِهم
حتى تصيرَ المئونَ (١) آلافا »

ولا شك أن هاتين المخالفتين اللغويتين مقبولتان، لأنهما سمعتا عن العرب ، وكل ما سمع منهم فهو واجب القبول ، ولهذا نقول « ثلاث مئة » « وثلاث مئات » « وثلاث مئين » وهكذا « مئة » مع بقية الاعداد من « أربع الى تسع » .

وقد تضاف « مئة » الى جمع ، ففي القرآن الكريم خلال قصة اهل الكهف :

« ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » .

ففي بعض القراءات تنطق « مئة » هنا منونة و « سنين » بعدها تمييز ، وقرأ كل من حمزة والكسائي كلمة « مئة » دون تنوين ، مضافة الى « سنين » . وكذلك ورد تمييز « مئة » مفردا منصوبا ، كقول الشاعر الربيع بن ضبع الفزارى :

« اذا عاش الفتى مئتين عاما
فقد ذهب المسرةُ والهناء »

أما الشذوذان الهجائيان فى « مئة » فلا ضرورة ولا حجة لابقائهما ، فتجب ازالتهما ، والموجبات كثيرة ، منها أن القياس يقتضى ان تكتب همزة « مئة » دون ألف فكل همزة تقع فى وسط الكلام بعد كسر تكتب على ياء (غير منقوطة) مثل : فئة ، ورئة ، ووئام ، ورئاسة ، وذئاب ، ثم انها ترسم فى الجمع « مئات » فلماذا كتابة المفرد بالف ؟ ثم أن التفرقة بين « مئة » و « منه » تفهم من السياق ، والتفرقة بين معاني الكلمات المتفقة خطا ولفظا ، ولكنها مختلفة معنى — لا يفهم معناها المقصود الا من سياقها ، وهو كاف فى ذلك . ثم أن كثيرا من القدماء كالطبرى وابن حيان كتبوا « مئة » دون ألف ، وكثيرا ما أوقعت كتابتها بالالف فى لبس ، فنطقت « مايه » بالياء، أو نطقت « ماءة » بالف وهمزة ، وطالما سمعناها كذلك من جهلة الصيارفة أو محصلى الضرائب فى القرى وغيرها ، وهم ينطقونها كذلك جهلا أو حذلقة . ونطقها « مِيّة » بتشديد الياء ، أقرب الى الفصيحة من نطقها « مايه » أو « ماءة » .

وقد شغلت كتابة كلمة « مئة » لجنة الاملاء فى المجمع اللغوى بالقاهرة خلال سنوات ، حتى اصدر فى امرها قرارين فى سنة ١٩٦٠ و ١٩٦٣، احدهما بحذف الفها ، لان الهمزة اذا كانت مفتوحة رسمت على حرف من جنس حركة ما قبلها . والقرار الثانى بفصل كلمة « مئة » اذا وقعت بعد عدد فى الاعداد من ثلاث الى تسع ، لان بعض الاقدمين فصلوا بينهما ، ولان الاعراب يقع على العدد قبل « مئة » فيجب فصله عنها ، لتظهر عليه حركة الاعراب ، ولان فى الفصل بينهما تيسيرا على الناشئين .

ورأينا نحن أن التيسير فى كل ما نزاوله من امور الحياة اولى بالاتباع ، ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، الا ان يكون فى التيسير اخلال باصول هذا الامر ، ومعروف أن التصعيب والتشديد من اسباب النفور والقطيعة . ■■

محمد خليفة التونسى

---

(١) العجيب فى جمع « مئة » على « مئين »أن بعض اللغويين يعد هذا الجمع ونحوه جمع تكسير ، ولو لم تتغير صورته فى الجمع من صورتهفى المفرد ، ثم هو يحمله على جمع المذكر السالم، لانه يعرب مثله بالواو رفعا ، وبالياء نصبا وجرا،ثم ان جمع « مئة » وامثالها كجمع المذكر السالم مطرد فى كل ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها هاءالتأنيث وليس له جمع تكسير ، نحو « عضة » (الفرقة) و « عزة » (الطائفة) ومن شواهدهالقرآنية ما جاء فى سورة الحجر « الذين جعلوا القرآن عضين » اى فرقا فى انكاره ودفعه بأنهكذب او سحر او كهانة أو شعر . والقرآن من ذلك براء . وكذلك ما جاء فى سورة المعارج :« عن اليمين وعن الشمال عزين » اى طوائف متفرقة .

طرائف عربية



عنترة العبسي

● قيل لعنترة العبسي : انت اشجع العرب واشدها ؟ قال : لا : ولكن كنت اقدم اذا رايت الاقدام عزما، واحجم اذا رايت الاحجام حزما، ولا ادخل موضعا حتى أرى منه مخرجا، وكنت اقصد الضعيف الجبان فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فانثنى عليه فاقتله.

وكان سبب موت عنترة انه كان في حرب فانهزمت عبس فوقع عن فرسه ولم يستطع أن يعود ليركب لكبر سنه ، فدخل احد الكهوف فابصره (ربيئة طي) فنزل اليه وهاب ان ياخذه أسيرا فرماه فقتله ٠

كان محسنا لـي

● عزل الوليد بن عبد الملك احد ولاته عن الاردن وضربه واقامه للناس ، وقال للموكلين به من أتاه متوجعا وأثنى عليه فأتوني به ، فأتى عدى بن الرقاع وكان الوالي المعزول اليه محسنا، فوقف عليه وانشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقا ولكن
الى الخيرات سباقا جوادا
وكنت اخي وما ولدتك امي
وصولا باذلا لي مستزادا

فوثب الموكلون بهاليه فأدخلوه الى الوليد، واخبروه بما جرى فغضب منه الوليد وقال له : اتمدح رجلا قد فعلت به ما فعلت ؟ فقال عدى بن الرقاع : ياامير المؤمنين انه كان الي محسنا ولي مؤثرا وبي برا ففي أي وقت كنت اكافئه بعد هذا اليوم، فقال لوليد : صدقت واجازه ٠

اجعل السر مكتوما

● خرج الحجاج متصيدا ، فوقف على اعرابي يرعى ابلا لـه وقد انقطع عن اصحابه ، فقال : يـا اعرابي كيف سيرة اميركم الحجاج ؟ فقال الاعرابي : غشوم ظلوم لا حياه الله ولا بياه ، قال الحجاج : فلو شكوتموه الى امير المؤمنين الخليفة ؟ فقال الاعرابي هو اظلم منه واغشم ، عليه لعنة الله ٠ وبينما هو كذلك اذ احاطت به جنوده ،فأومأ الحجاج الى جنوده بأن يأخذوا الاعرابي معهم ، فلما صار الاعرابي معهم قال للجنود :من هذا ؟قالوا :الامير الحجاج، فعلم انه قد احيط به ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه وناداه قائلا : ايها الامير، قال : ما تشاء يا اعرابي ؟ قال : أحب أن يكون السر الذى بيني وبينك مكتـوما ، فضحك الحجاج وخلى سبيله ٠

حكمة

● قال الفيلسوف اليوناني سقراط لامرأته حين جزعت لقتله : ويلك ما هذا البكاء ؟ فقالت : انني ابكي لانك تقتل مظلوما فقال : ويلك اكنت تريدين ان اقتل بحق .

جراة امراة

● حكى أن سودةبنت عمارة بن الاشتر وفدت على معاوية فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فلما دخلت قال لها : ايه ، يا ابنة الاشتر ! أنت القائلة لاخيك

« شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة
يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان »

قالت : « يا معاوية ، مات الرأس ، وبتر الذنب ،فدع عنك تذكار ماقد نسى» قال : « هيهات ، ليس مثل مقام اخيك نسياً » قالت : « والله ما كان أخي خفي المقام ، ذليلَ المكان وبالله اسألك اعفائي مما استعفيته » .

قال : « فعلت ، اطلبي حاجتك » ، فقالت : « هذا عاملك ابن أرطاة ، قدم بلادي ، وقتل رجالي ،وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عزا ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك واما لا ، فعرفناك » . فقال معاوية : « أاياي تهددين بقومك ؟ والله لقد هممت أن اردك اليه ، فينفذ حكمه فيك » ، فسكتت هنيهة ثم قالت :

« صلى الاله على روح تضمنه
قبر ، فأصبح منه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا
فصار بالحق والايمان مقرونا ـ

قال : « ومن ذلك ؟ » قالت : « على ابن ابى طالب » . قال : « ما ارى عليك منه اثرا » ، قالت : « بلى ، اتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا ،وكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين . فاخبرته خبر الرجل ، فتألم لذلك ، ثم اخرج من جيبه رقعة ،فكتب فيها : بسم‌الله الرحمن‌الرحيم « قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ، ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين » اذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام . فعزله يا أمير المؤمنين من يومه .

فقال معاوية اكتبوا لها بالانصاف فقالت : « الى خاصة ام لقومي عامة ؟ » قال : « وما أنت وغيرك ؟ » قالت : «هى والله اذن الفحشاء واللؤم ، ان كان‌عدلا فشاملا والا يسعنى ما يسع قومى » .قال معاوية : « هيهات علمكم ابن ابى طالب الجرأة » ثم قال : « اكتبوا لها بحاجتها وحاجة قومها » .

قتيل بقرون

● يروى ان أحد المغفلين خرج يوما من منزله فعثر في طريقه على‌قتيل فجره حتى أوصله الى منزله ، وهناك القاه فى بئر كان مهجورا ، فعلم أبوه بذلك فخاف على ابنه ، فغيَّبه ثم أخذ كبشا وخنقه والقاه فى البئر واهال عليه التراب .. ثم أن أهل القتيل طافوا فى الشوارع والازقة يبحثون عنه فلقيهم المغفل المذكور وقال : فى دارنا رجل مقتول فانظروا أهو صاحبكم ؟ فعدلوا الى المنزل وانزلوه فى البئر ،فلما رأى‌الكبش ناداهم قائلا : يا هؤلاء هل كان لصاحبكم قرون ؟ فضحكوا منه‌وتركوه بعد ان رأوا الكبش وقرونه.

(١)

جناحا البشرية ...

■ الرجل والمرأة ـ جناحا طائر واحد هو البشرية · وكفتا ميزان واحد هو النظام السرمدى · فما صفقت البشرية بجناح الا صفق اخوه معه ، ولا هوت كفة الرجل يوما الا هوت فى الحال كفة المرأة الى مستواها · او ارتفعت كفة المرأة الا ارتفعت كفة الرجل فوازنتها · فهما لحم واحد ، ودم واحد ، وعظم واحد ، وروح واحد ·

اقول ذلك وكانى اقرأ فى افكاركم ـ لا سيما فى افكار السيدات ـ ما معناه:انك لو سألت التاريخ لكذبك·والارض لخذلتك·والسماء لضحكت منك، فالمرأة كانت ولا تزال مظلومة من الرجل · وحظها من الحياة كان وما يزال أقل من حظه · ولو كان لك أن تتمشى فى سراديب العصور الخالية لغمرتك أمواج من الدموع والزفرات ـ هى دموع وزفرات سبايا الحروب وأراملها · والحروب لا تشنها الا مطامع الرجل الغشيمة ·

ولو كان لك أن تكشف عن صدر الارض لوجدت فيه كلوما كثيرة لما تندمل بعد ـ هى لحود وئيدات البشرية اللواتى زوجهن آباؤهن من القبر قبل أن تطلقهن الحياة · واللحود هذه حفرتها يد الرجل الاثيمة ·

ولو كان لك أن تستجوب السماء لاجابتك بألسنة من نار ـ هى الالسنة التى التهمت أجساد الملايين من النساء ، والحياة تختلج فيها ، مع أجساد رجالهن ، وقد امتص الموت منها الحياة · والنيران تلك أضرمتها يد الرجل القاسية » ·

انى لأقرأ ذلك ـ وأكثر من ذلك ـ فى أفكاركم · وأعود فاقول لكم أن تاريخ البشرية هو غير ما يدونه الناس باسم التاريخ· فالناس لا يبصرون من حياتهم الا ظواهرها · ولا يسجلون من حوادثها الا القليل من سطحياتها· فماذا عساهم يعرفون عن ماضى البشرية السحيق ، وعن حاضرها الذى كان فى ماضيها ، وعن مستقبلها الكائن فى حاضرها ؟ ماذا عساهم يعرفون من أحلامها المقنعة التى تدب فى سكينة الليل وجلبة النهار ، وأفكارها الخفية التى تنساب فى مجارى الفضاء الاوسع ، وشهواتها الجشعة التى ترعى صامتة فى قلوبها ؟ وما زالوا يجهلون كل ذلك ، فهم يجهلون الينابيع السرية التى تنبثق منها أعمال البشرية الظاهرة ، ويجهلون قصد البشرية من أعمالها وقصد الحياة من البشرية · لذلك فلا تاريخهم تاريخ ولا حجتهم حجة ·

غير أن ما يجهله الناس لا تجهله الحياة · فهى تسجل كل ما يغفلون

---

(١) خطاب القاه كاتبه فى حفلة سنوية لاحدى مدارس البنات فى حمص ، أواخر يونيو (حزيران) ١٩٢٣ م ·

للاستاذ الكبير :
ميخائيل نعيمه

الرجل والمرأة

وما يسيئون تسجيله . وسجلها كتاب كامل ، دفته الواحدة الأزل والاخرى الأبد . وليس يحسن القراءة فيه الا من تفتحت عين ايمانه . وان شئتم فقولوا — عين خياله . فالايمان والخيال توأمان بل هما واحد . وكلاهما أبعد مرمى وأجلى بصرا بما لا يقاس من العقل المدعي بغروره ومن ابنه الحبيب الذي أسماه المنطق . فالعقل اذا تسامى كان خيالا . والخيال اذا انحط صار عقلا . والمنطق اذا لانت مفاصله صار ايمانا والايمان اذا أصيب بتصلب في شرايينه صار منطقا .

وهكذا فالذي يقرأ سجل الحياة بعين ايمانه لا بد من ان يرى ترابطا يفوق العقل والمنطق بين كل اجزائه . فبين اول حرف في الفاتحة واخر حرف في الخاتمة صلة السبب والمسبب او العلة والنتيجة . ومثلها بين كل حرف من حروف ذلك المصحف الرهيب وكلماته ومقاطعه وفصوله . وعندئذ لا يصعب على القارىء ان يبصر في قبر الوئيدة قبر الوائد — فما كل من تحت التراب اموات ولا كل من فوق التراب أحياء — او ان يرى يد الوائد القوية ويد الوئيدة القاصرة تحفران القبر معا . فما مات انسان الا كان الاثنان شريكين في تلك الميتة وما انقضت صاعقة على بيت فهدّته الا كان للبيت في هدّه ما للصاعقة .

لو جئت استغفر المرأة عن كل مأثم الرجل ضدها لقضيت عمري مستغفرا ولم أبلغ نهاية ، ولو رحت أستغفر الرجل عن كل مساوىء المرأة اليه لقضيت عمري كذلك مستغفرا ولم أبلغ نهاية ، غير اني لست ارى ذنبا استغفر عنه المرأة الا رأيت من العدل ان استغفر عنه الرجل . ومن ثم فكم ذنب نطلب اليوم عنه المغفرة وغدا نفاخر به كمأثرة .

من اجل ذلك اقول لكم ان كل مقارنة بين الرجل والمرأة بقصد التفضيل والترجيح هي ضرب من البلاهة . وكل تحاسب بينهما بقصد تثبيت رصيد حساب لها او له هو عبث وفضول وتعكير مياه عكرة . فالمجال مجال اخذ بغير حساب . وعطاء بغير حساب . لا مجال لوم وعتاب وتشنيع وتقريع .

والان لو سألتموني رأيي في ما يدعونه «حرية المرأة» وفي الجهود العظيمة التي تبذل في سبيلها لاجبتكم انها ترتكز على وهم . والوهم هذا هو ان الرجل حر والمرأة مستعبدة . وكلاهما في نظري ، ما دام مقيدا بالاخر ، حر بحرية رفيقه وعبد لعبوديته . أو تحسبون حارس السجن اكثر حرية من سجينه ؟ انه لسجين مثله وان لم يقيد بسلاسله . ام تحسبون ان اعمى يرافق مبصرا ويظل اعمى؟ انه ليستمد من بصر رفيقه بصرا وان لم يكن في حدقيته نور .

لو كان الرجل حرا لما احتاجت المرأة الى مطالبته بحريتها لان الحر لا

يستأثر بحرية احد • والذى اهتدى الى الحرية لا يبقى له من شاغل الا هداية الغير اليها • اما الذى يدعي ان حرية غيره في قبضته فلو فتحتم قبضته لما وجدتم فيها الا عقارب العبودية • أو تلك العقارب هى « الحرية » التى تستعطيها او تبتزها المرأة من كف الرجل ؟

لست اقول للمرأة التى تطالب بالسفور ان ترضخ لحجابها ــ فما الحجاب الا اقرار من الرجل بأن الحيوان فيه ما يزال سيد الانسان • انما اقول لها ان الحرية لا تبصر بالعين السافرة • وقد تبصرها عين مقنعة • وان الحجاب الذى يسترها عن الناس ليس من نسيج الايدى ولا يمزق بالايدى •• وهو على بصيرة الرجل السافر مثله على بصيرة المرأة المحجبة ، فعليها وعليه ان يعملا معا على تمزيقه •

ولا اقول للمرأة التى تطلب حق التصويت أن لا حق لها بذلك • فما دام للرجل صوت في امر من الامور فمن الحيف ان لا يكون للمرأة مثله • انما اقول لها ان الحرية لم ينلها احد بعد بالتصويت • وان الرجل لم يذع بصوته حتى الان الا عبوديته • فعليها وعليه ان يسلكا الى الحرية سبيلا غير سبيل التصويت •

ولا أقول للمرأة التي ترغب في الجلوس مع الرجل على منصة القضاء ، او فى مجالس التشريع ، او فى دسوت الحكم ان لا حق لها ان تقضي وتشترع وتحكم،انما اقول لها أن الرجل الذى تطالبه بحريتها قد اشترع وقضى وحكم منذ اجيال لاتحصى وحتى اليوم لم يهتد الى نظام يقيه الجوع والفاقة وويلات الحروب ويكفل له سلامته وحريته • بل انه كلما كثرت شرائعه كثرت قيوده ومخاوفه • وكلما ازداد حكامه ازداد اسياده وظلامه • فعليها وعليه ان يسعيا بقلب واحد للتخلص من قيود المخاوف وسيادة الاسياد وظلم الظالمين بطريق غير طريق الشرع والقضاء والحكم •

اما الطريق تلك فواحدة ليس الا"ها •هي طريق الايمان المبصر الذى قلت لكم انه يتعدى حدود العقل وابنه المنطق • لكنها طريق لا يستطيع ان يسلكها الا الذين اعدوا من قلوبهم مساكن طاهرة للحياة • اما الذين قلوبهم ما برحت مراعي للضغائن ، وأعشاشا للشهوات ، ومغاور للاحساد ، وملاجىء للمخاوف فهم في كل خطوة عثرة • وفى كل عثرة أنة • ولا تقل عثراتهم وتنقطع اناتهم حتى تخف احمالهم • ولا تخف احمالهم حتى يحرقوها فى اتون المحبة الشاملة • واذ ذاك فأرجلهم اجنحة • وأكفهم افضاء • وعيونهم شموس •

وما انا اقول للفتيات المنتهيات : ان البشرية تشكو اليوم اكثر منها فى كل يوم قروحا كثيرة في قلبها • ولا بلسم لها الا المحبة • فان انتن شئتن ان تكون لكنّ يد في تخفيف آلامها فاعملن منذ الان على تطهير انفسكن كيما تكنّ آنية صالحة لبلسم الحياة • ولا تقلن انكن قد وفيتن قسطا للبشرية بحصولكن على شهادة من هذه المدرسة • بل اسعين وراء الشهادة المثلى ــ شهادة الله والناس ، وشهادة قلوبكن ، انكن نسوة صالحات • ولا يكن لكنّ دفتر محاسبات بينكن وبين الرجال • فما ظهرت امرأة صالحة على الارض الا اصلحت رجالا كثيرين • ولا مشى رجل طاهر تحت السماء الا" طهر نسوة كثيرات • واذكرن انه ما دامت البشرية على هذه الارض فستبقى المرأة رحمها الخصبة وثديها الفياض • وحضنها الرحب • وساعدها الحنون • وقلبها النابض فى قلب الله •

■■

مناجاة

■ مالي أرى عينيك لا تنطقان ؟
أضناهما الحب ، فما تبرقان
دعي شجا الأمس ، فان الزمان
يشفي جراح الحب ، يا خيزران

* * *

عينك فيها حسرة النادم
قومي اغسلي ظل الأسى القاتم
ورحبي بالمعجب القادم
وزيني شعرك بالبيلسان

* * *

وانسي ، فان الامس ولّى وراح
واستقبلي بالبشر هذا الصباح
قومي ، غدا يشفى عميق الجراح
قومي املأي بالحب هذي الدنان

* * *

صامتة أنت ، وحس الضياع
لم يبق في عينيك أي التماع
قومي ، فقد اوح هذا الشراع
وبادري قبل فوات الأوان ■■

بغداد ـ شوقية العتابي



خطوط قاتمة

ظنوها ترعا

وقنوات ...





البحث عن الحياة على المريخ

بقلم المهندس : سعد شعبان

■ فى ٢٠ اغسطس ١٩٧٥ أطلقت السفينة الأمريكية الفضائية « فايكنج ـ ١ » نحو كوكب المريخ لكى تهبط على سطحه برفق٠وكان مقررا لها أن تحقق عملية الهبوط يوم٤يوليو ١٩٦٧ فى ذكرى مرور ٢٠٠ عام على قيام الولايات المتحدة الامريكية٠ غير أن الرحلة التى كان مقررا لها أن تكون ٣٠٢ يوما ، امتدت حتى ٣٢٠ يوما ،بعد أن ساور علماء الفضاء خوف من تحطم السفينة عندما تبين لهم أن المنطقة التى كان مقررا هبوطها عليها ، مليئة بالمرتفعات والمنخفضات وبها كثير من الصخور ٠

واخيرا هبطت السفينة فوق منطقة سهل «كرايز» (Chryse) على سطح الكوكب الذى يطلق عليه الفلكيون اسم « الكوكب الأحمر » ٠ واخذت محطة المتابعة الرئيسية فى «باسادينا » بولاية كاليفورنيا تتابع استقبال اشارات السفينة واستقبال الصور المرسلة منها والتحكم فيها،يساعدها فى ذلك محطتان فرعيتان للمتابعة أولاهما فى مدريد باسبانيا ، والثانية فى كانبرا باستراليا ٠

وبهذا النجاح ، يعتبر هذا الانجاز الفضائى ، فاتحة لبعد جديد فى مجال البحث عن المعرفة فى الفضاء (البيكوكبى) الممتد بين الكواكب ٠ بعد أن انتقلت أبحاث العلماء من الفضاء الدانى القريب من الارض ، والمحيط بالقمر ، وأصبحت حلبة البحث اكثر اتساعا ، وذات ذراع يمتد ملايين الكيلومترات حول الأرض ٠ ذلك أن متوسط بعد القمر عن الارض يقل عن ٤٠٠ الف كيلو متر ، بينما متوسط بعد هذا الكوكب عن الارض ٧٨ مليون كيلو متر ٠

ولكن لان كلا من الارض وأى من الكواكب تدور حول الشمس فى مدار بيضاوى فان البعد بين الارض والمريخ وقت هبوط فايكنج بلغ ٣٨٠ مليون كيلو متر ٠

السفينة تحمل العلم الامريكى

حملت السفينة « فايكنج ـ ١ » على متنها ثلاثة رموز ٠ الرمز الاول كان العلم الامريكى ، والثانى كان رمزا لمرور مائتى سنة على اقامة الولايات المتحدة الامريكية ، اما الرمز الثالث فكان شعارا لمشروع فايكنج ، الذى بدأ عام ١٩٦٨ والذى تجاوزت نفقاته الف مليون دولار حتى الآن ٠

وجدير بالذكر أن وزن وحدة الاطلاق التى تمثلت فى صاروخ يتكون من مرحلتين طراز (تيتان ـ سنتور) بالاضافة الى وزن السفينة ، بلغ ٦٤١ الف كيلو جرام ، بينما بلغ وزن السفينة وحدها ٢٩٠١ كيلو جرام ٠ وتتكون السفينة من جزئين رئيسيين الاول هو جزء للهبوط Lander ويحوى الاجهزة وهو الذى يوجه الى سطح الكوكب ، والثانى هو جزء للدوران Orbiter يظل يدور حول سطح الكوكب ، ومهمته تصوير سطح الكوكب والعمل كممرور للاشارات بين جزء الهبوط ، والارض ٠

ويحوى جزء الهبوط اجهزة متقدمة استخدم فى تصميمها احدث ما بلغته تكنولوجيا الفضاء من تقدم٠وقد حقق هبوط هذا الجزء على الكوكب برفق بفتح مظلات فى جو المريخ ، لتامين عدم الارتطام بسطحه ، وعدم تحطم الاجهزة التى يحويها ، واهم هذه الاجهزة : ـ

ـ ٢ كاميرا تصوير تليفزيونى ٠
ـ ١ كاميرا تصوير بانورامى ٠
ـ محلل طيف بالاشعة تحت الحمراء ٠



ذراع
فايكنج

ـ جهاز قياس للاشعة تحت الحمراء •

ـ اجهزة قياس للاشعة السينية •

ـ اجهزة ارسال واستقبال الكترونية •

ـ اجهزة قياس لعناصر الضغط والحرارة والرطوبة •

ـ اجهزة تسجيل مغناطيسية •

ـ حواسب الكترونية لتخزين المعلومات •

ـ اجهزة تسجيل للهزات والبراكين فوق سطح الكوكب •

ـ ذراع ميكانيكية طولها ٣ امتار تقريبا تنتهي بمخلب مغناطيسي لاخذ عينات من تربة الكوكب ، وايداعها داخل السفينة نفسها • ويتم التحكم في هذه الذراع من محطة المتابعة الارضية •

ـ معمل تحليل كيماوي لتحليل العينات وارسال نتائج التحليل الى الارض •

ـ معمل تحليل بيولوجي لتسجيل التفاعلات في العينات التي تودعها الذراع فيه •

المباراة بين روسيا وامريكا

استأثر كوكب المريخ باهتمام علماء الفضاء الامريكيين منذ اوائل الستينات • ولذلك توالى اطلاق سفن الفضاء الامريكية من طراز « مارينر » ابتداء من يوليو ١٩٦٢ حتى « مارينر ـ ٩ » في مايو ١٩٧١ ، وتلتها « مارينر ـ ١٠ » بعد شهور قليلة • ولقد واصلت هذه السفن العشرة تصوير سطح المريخ ، من مدارات مختلفة ، وارتفاعات تعتبر قريبة منه قياسا الى بعده عنا •

ولقد تجمع لدى العلماء عدة ملايين من هذه الصور ، حتى أصبح لديهم صورة لكل سنتيمتر على سطح الكوكب • واستطاع العلماء ان يرسموا لسطح المريخ خرائط تحدد وديانه وسهوله ومرتفعاته وبراكينه وشقوقه وفوهاته ومنخفضاته، واطلق على بعض هذه المعالم اسماء جديدة من اهمها اسم « وادي القاهرة » الذي اقترحه العالم المصري « الدكتور فاروق الباز » ووافقت عليه الهيئة العالمية لعلوم الفلك •

ولقد عكف على تفسير هذه الصور ، لفيف من العلماء على رأسهم الدكتور «هارولد ماسورسكي» الذي أعطى تفسيرات جديدة أطاحت بمفاهيم فلكية قديمة عن المريخ •

ورغم أن الامريكيين أعطوا الاهتمام الاكبر لتوجه سفن الفضاء نحو المريخ ، الا ان السوفييت وجهوا اهتماماتهم لاستكشاف كوكب الزهرة • ولذلك بدأت سفن الفضاء من طراز « فينوس » تنطلق لقياسات في جوه، ولم يتحول الاهتمام السوفييتي الى المريخ الا عام ١٩٧١ باطلاق سفن الفضاء من طراز « مارس » وقد تمكنت السفينتان « مارس ـ ٢ »، « مارس ـ ٣ » من الهبوط برفق على سطح المريخ في نوفمبر وديسمبر ١٩٧١ ، بعد ان هبطتا في جوه بواسطة مظلات • وهو نفس الاسلوب الذي اتبعه الامريكيون في هبوط فايكنج • غير ان هذه السفن لم تكن تحوي أجهزة دقيقة وعديدة كمثل تلك التي حوتها فايكنج الامريكية •

غير ان جهود علماء كلا الدولتين تضافرت على فض المجهول عن سطح الكوكب وجوه وطبيعته واصبح مؤكدا لديهم وجود صورة من صور الحياة عليه •

طبيعة سطح المريخ

رصد قدامى الفلكيين سطح المريخ منذ عهد جاليليو عام (١٦١٠) بالمنظار المقرب ، والمراصد الفلكية • ومنذ القرن الماضي عرف ان المريخ له قمران صغيران ، هما « ديموس » ، « وفوبوس » • ويفصح المريخ عن تفاصيل سطحه بسهولة ، لان له جوا شفافا ، وقد أمكن للمراصد الفلكية رسم خرائط لهذا السطح ، واشهر الفلكيين الذين رسموا هذه الخرائط هم « شياباريللي » الايطالي، و « بكرنج » و « لول » و « ليلاند » • ولقد تبين لهؤلاء ان اهم مايميز سطح المريخ شبكة من الخطوط الداكنة والمتقاطعة ، تغطي سطح الكوكب كله • بينما توجد قرب قطبيه الشمالي والجنوبي طاقيتين لونهما أبيض ، بينما يسود سطح الكوكب نفسه لون أحمر •

كما لاحظوا ظهور مساحات داكنة متغيرة المكان والمسافة • ولقد ربط بعضهم بين كل هذه الظواهر الطوبوغرافية على سطح المريخ ، وشط بهم الخيال الى تصور حياة عاقلة وذكية اتقنت حفر شبكات للري على سطح الكوكب •

ونسجوا من ذلك قصة حبكتها القول بان الطواقي البيضاء جليد متجمد قرب القطبين ، يذوب ويتحول الى مياه تنساب في قنوات الري • التي تظهر في المراصد على شكل خطوط متقاطعة • وفسروا المساحات المتغيرة ، بانها مناطق مزروعة ، تتغير مساحاتها والوانها عندما تحصد محاصيلها •

وبدت القصة منطقية ، ولذلك ظلت راسخة فى الاذهان لعدة سنوات ، حتى توافر للعلماء ملايين الصور التى التقطتها السفن الامريكية والسوفيتية لسطح المريخ من مدارات قريبة منه ، فافصحتعن كل التفاصيل وتبين أن للمريخ جوا شفافا وله طوبوغرافية تكاد تشبه سطح القمر ، واهم هذه المعالم : ــ

- فوهات دائرية متفاوتة الاقطار ٠
- شقوق طويلة وغائرة يمتد بعضها آلاف الكيلو مترات ٠
- براكين بعضها تتصاعدمنه الابخرةوالغازات٠
- سهول مسطحة تكسوهااحجار صغيرة الحجم٠

غير أن أهم ما افصحت عنه الصور ، هو تحركه عواصف ترابية فى جو الكوكب ٠ الذى ثبت أن فيه رياحا ، وآثارا من بخار الماء ٠ وبرصد هذه العواصف تبين خطأ الظن بوجود مساحات زراعية ، فلم تكن المساحات المتغيرة اللون غير ظلال هذه العواصف على سطح الكوكب ٠

كما تبين للجيولوجيين الذين كان على رأسهم دكتور « هارولد ماسورسكى » أن عوامل التعرية بادية الوضوح على كثير من التضاريس المريخية ٠ وان هناك علامات واضحة على الصخور تظهر اثار وجود الماء فى قديم الزمان ، ثم انحساره ٠

نتائج تسجيلات فايكنج

توصلت اجهزة السفينة « فايكنج ــ » الى تسجيل قياسات جديدة وضعت العلماء أمام مفاهيم جديدة ٠ من اهمها وجود غاز النيتروجين فى جو الكوكب بنسبة ٣٪ (بينما تبلغ نسبته فى جو الارض ٧٨٪) كما ثبت وجود غاز الارجون الخامل بنسبة ٢ ، ٣٪ ، وكذلك وجود غاز ثانى أوكسيد الكربون بنسب متفاوتة ٠

بينما قامت ذراع السفينة بتحكم من محطة المتابعة الارضية ، باخذ عينات من التربة حولها واودعتها معامل التحليل الكيماوى والبيولوجى داخل السفينة ٠ ولقد تعرضت الذراع لعطل فى الاداء مرتين ، ولكن امكن التغلب على المصاعب الفنية وعادت الى العمل فى كل مرة ٠ ومع عودتها ثبت ان العينات المريخية يتصاعد منها غاز الاوكسجين ، الامر الذى يعطى دلالات على نوع الحياة المحتمل وجودها على المريخ ٠

دلالات الحياة على المريخ

يقترن وجود الحياة فى صورها المختلفة سواء فى مملكة الحيوان او النبات او الانسان ،بوجود الماء ، وذلك مصداقا لقوله تعالى فى القرآن الكريم « وجعلنا من الماء كل شئ حى » ٠

ومع ثبوت وجود الماء على المريخ،وتصاعد غاز الاوكسجين من العينات ، ووجود ثاني أوكسيد الكربون فى جوه ، فان الصورة الغالبة لشكل الحياة على هذا الكوكب هى وجود نباتاتطفيلية فى تربته ٠ ونتيجة للتمثيل الكلوروفيلى لها فان غاز ثانى اوكسيد الكربون يتصاعد منها ٠ ومع هذه الصورة تتبدد احلام كثير من الروائيين الذين شطح بهم الخيال فى الماضى الى نسج الاساطير عن احياء خارقى الذكاء على هذا الكوكب ٠ لديهم القدرة على غزو الارض والاطاحة بالمدنية التى عليها ٠

المريخ فى انتظار الانسان

لقد سجلت « فايكنج ــ ١ » امتداد ذراع الانسان الى المريخ ، عبر ملايين الكيلومترات بسلطان العلم ٠ وفايكنج ــ ٢ قطعت نفس الطريق ، لتواصل مهام سابقتها فى رحلة امتدت احد عشر شهرا حتى دخلت جو الكوكب ، ورست عليه فى ٤ سبتمبر ١٩٧٦ ٠

والسؤال الذى يؤرق بال الكثيرين ، هو هل هذا كله مقدمة لوصول الانسان الى المريخ ، كما فعل فى القمر ٠ والحقيقة البادية انه لا يمنع من ذلك الا قدرات الانسان نفسه ٠ فالجسم البشرى لا يستطيع البقاء فى الفضاء طوال هذه المدة ، معرضا لحالة انعدام الوزن وما يصاحبها من مؤثرات فسيولوجية وسيكولوجية ٠

والارقام القياسية للبقاء فى الفضاء لم تتجاوز (٨٤) يوما حتى الآن ٠ ولكن قد تكون صواريخ الدفع التى تعمل بالطاقة النووية هى الحل لاختصار الوقت بالانطلاق بسرعات أعلى ولكن هل يقوى الجسم البشرى على ذلك ؟

وما زالت آمال بعض علماء الفضاء ، ومنهم «دكتور فون براون «المدير السابق لوكالة«الناسا» الامريكية ، يؤكد امكان وصول الانسان الى المريخ عام ١٩٨٤ ٠ لان فى هذا العام ستكون المسافة بينه وبين الارض اقصر ما يمكن ٠ ■■

القاهرة ــ مهندس سعد شعبان

الجزيرة التي غرقت

بقلم الكاتب : ج ٠ بالار

■ « حاول ان تخمن مرة ثانية ٠٠ » قالها شرنجهام مبتسما ٠

تناول ماكستيد السماعات ، وبحرص شديد وضعها على اذنيه ، وبتركيز اشد اخذ يتابع دوران الاسطوانة مستمعا الى الصوت الذى يتدفق الى سمعه في محاولة لمعرفة طبيعة مصدر هذا الصوت ٠

كان ما يسمعه عبارة عن حفيف معدنى سريع ، اشبه ببرادة الحديد وهي تتناثر من خلال قمع ٠٠ استمر الصوت لعشر ثوان ، متكررا لعدة مرات ، لينتهى فى آخر الامر فجأة بما يشبه النبضات المتلاشية ٠

سال شرنجهام « هيه ؟ ٠٠ ماذا كان ذلك ؟ »

رفع ماكستيد السماعات عن اذنيه ، وهرش احداهما ٠ لقد مرت عليه الان عدة ساعات ، يستمع الى هذه التسجيلات ، مما بعث الطنين المتصل الى اذنيه ٠

« يمكن ان يكون اى شيء ٠٠ ربما قالبا من الثلج اثناء ذوبانه ٠٠ »

هز شرنجهام راسه نفيا،وتحركت لحيته الصغيرة كالمروحة نتيجة لحركة راسه ٠

قال ماكستيد وهو يرفع كتفيه فى لا مبالاة « تصادم بين كوكبين ؟! ٠٠ »

« لا ٠٠لا يمكن٠٠٠ فامواج الصوت لا تنتقل خلال الفراغ ٠ ساساعدك قليلا ٠٠ انه صوت يرد ذكره فى الامثال ٠٠» وظهر الاستمتاع على وجه شرنجهام سعيدا بهذه اللعبة ٠

اشعل ماكستيد سيجارة ، والقى عود الثقاب على مائدة المعمل ، فانصهر راس العود مكونا بركة صغيرة من الشمع ، تجمدت مخلفة اثرا اسود على المائدة ٠ واخذ يتابع ما فعله عود الثقاب بسعادة ، واعيا تبرم شرنجهام الذى يقف الى جانبه ٠

رسم ابتسامة ماجنة على فمه وهو يسال « هل هو صوت زوجين من الذباب يمارسان ٠٠ »

فقاطعه شرنجهام قائلا «لقد انتهى وقت الامتحان ٠٠ انه صوت دبوس يسقط على الارض » ٠ ثم تناول الاسطوانة الصغيرة من فوق الجهاز واودعها الغلاف ٠

« سقوط طبيعي ، لم اقذف الدبوس على الارض بل تركته يسقط ٠٠ لقد استخدمت فى هذا التسجيل ثمانية ميكروفونات ٠ والان ٠٠ سترى اذا ما كنت ستتصل الى معرفة الصوت التالى » ٠

مد شرنجهام يده الى الاسطوانة الاخيرة، وكانت من النوع الكبير فنظر ماكستيد بضيق ، وقبل ان يصل شرنجهام باسطوانته الى الجهاز ، نهض واخذ يتطلع من خلال النافذة العريضة ، حيث الساحة السماوية للبيت ، وراى المائدة والاكواب وزجاجات الشراب تلمع وسط الظلام ٠ لقد بدا يضيق بحديث شرنجهام والعابه الطفولية حول تخمين اصل الاصوات الغريبة ٠ فقال وهو ينظر الى شرنجهام « دعنا نمضى الى الخارج فى الهواء الطلق ٠٠ اشعر ان اذنى قد تحولت الى قرص نحاسى كبير رنان ! ٠٠ »

« طبعا ‥ طبعا بكل سرور » قالها شرنجهام بكل حماس ، ثم وضع الاسطوانة بعناية فوق الجهاز ، واطفاه قائلا « بالفعل ‥ افضل أن نؤجل هذه الاسطوانة لما بعد ‥ هيا بنا » ٠

★ ★ ★

خرجا معا الى هواء المساء الدافيء ٠ اضاء شرنجهام مصباحا يابانيا ملونا ، ثم تمددا على مقعدين من المقاعد الخيزرانية المريحة تحت السماء الصافية ٠

قال شرنجهام « أرجو الا يكون قد اصابك الضجر » ، ثم قال وهو يتناول زجاجة الشراب ان (الميكروسونيكس) أو علم الاصوات الدقيقة



يعتبر هواية مدهشة، واخشى أن تكون هذه الهواية قد استولت على نفسي اكثر مما يجب » ٠

قال ماكستيد دون حماس « بعض التسجيلات كان مثيرا ٠٠ قيمتها الحقيقية في جدتها ٠٠ تماما كما في حالة الصور المكبرة مئات المرات ، لرأس نملة أو حد شفرة الحلاقة ٠ غير انه بالرغم من كل هذا،لا اتصور أن ما تسميه الميكروسونيكس سيصبح يوما ما اداة علمية نافعة ٠٠ انه نوع من الالعاب المعملية٠٠ فائض امكانيات تكنيكية»٠

هز شرنجهام رأسه نفيا وهو يقول « انت مخطئ كلية ٠٠ صدقني ٠٠ هل تذكر سلسلة اصوات انقسام الخلايا التي اسمعتك اياها في البداية ؟ ٠٠ انقسام الخلية الحيوانية اذا ما تم تضخيمه مائة الف مرة ، يبدو لاذنيك كما لو ان عشرات قضبان الحديد والواح الصلب تنسلخ عن بعضها البعض ٠٠ كيف وصفتها أنت عندما اسمعتك اياها ؟ ٠٠ آه ٠٠ لقد قلت على ما اذكر انه تصادم سيارات مذاع بالسرعة البطيئة ٠ ومن ناحية اخرى رأينا كيف ان انقسام الخلايا النباتية يصدر صوتا اشبه بالاشعار الالكترونية، نغمات ناعمة ، وموسيقى راقصة ٠ والان ، ها هو دليل حي يثبت لك كيف يمكن للميكروسونيكس ان تكشف عن الفوارق بين المملكة النباتية والمملكة الحيوانية » ٠ قال شرنجهام هذا وهو يصب بعض الصودا في كاس ماكستيد ٠

رشف ماكستيد رشفة من كاسه ثم قال « يبدو انها طريقة مطولة وملتفة للوصول الى حقيقة قريبة ٠ تماما كما يحدث عندما تريد ان تعرف السرعة التي تمضي بها سيارتك ، فتلجا الى حساب حركتها النسبية بالنسبة لنجم من نجوم السماء ، بينما يكون الاسهل ٠٠ أن تنظر الى عداد السرعة داخل السيارة » ! ٠٠

أطرق شرنجهام ، وهو يراقب ماكستيد بنظرة متفحصة عبر المائدة التي بينهما ٠ ويبدو أن حماسه للنقاش قد استنفد اغراضه ، فجلس في صمت يمسك كل منهما بكاسه في يده ٠

الغريب في الامر . ذلك العداء المتبادل القديم بينهما ، الذي بدأ يسفر عن وجهه بشكل ملحوظ في الايام الاخيرة ، ففي كل لقاء جديد يظهر بشكل اكثر وضوحا ذلك التناقض في شخصيتيهما واخلاقهما وطباعهما ٠

تمدد ماكستيد بجسمه الطويل الممتلئ ووجهه الوسيم في رجوله ، على المقعد في وضع اقرب الى النوم ، واخذ يفكر في سوزان ٠ انها الان تستمتع بوقتها في ذلك الحفل الراقص ، ولولا انه من غير الحصافة وحسن التدبير ان يظهر معها علانية في ذلك الحفل،لكان الان يستمتع بصحبتها، بدلا من جلسته المملة هذه مع زوجها شرنجهام ٠

لقد تحاشى دائما صحبة شرنجهام كلما اتيح له هذا ٠ واخذ يتساءل اذا كان هذا الرجل يتمتع ببعض المزايا التي تغطي تطرفه الثقيل وحذلقته وفكاهته الإكاديمية الغليظة ٠٠ بالطبع لا ٠٠ ولاحتى مزية واحدة ٠ هذا أمر يتضح من اللقاء الاول ٠

غير ان هذه الصورة التي يرسمها ماكستيد لشرنجهام لا تتسم بالموضوعية ، وتعكس عواطفه نحو الرجل اكثر مما تعكس حقيقة شرنجهام ، الاستاذ الجامعي المتفوق في الكيمياء العضوية ، والذي يقضي وقته بين العمل الجامعي ، وبين معمله الخاص في بيته الذي يجري فيه التجارب على تكبير الاصوات الدقيقة ٠ ولعل السر في هذه الصورة التي يرسمها ماكستيد للرجل العالم ما يشعر به نحوه من غيرة ٠ فماكستيد الرياضي السابق لم يصل الى التفوق العلمي الذي حققه شرنجهام ، ولذا فقد اضطر فيالنهاية الى ان يقبل عملا ثانويا في مصنع لانتاج المجاهر الالكترونية ٠

اخذ ماكستيد يفكر في دواعي هذه الدعوة غير العادية ، والتي تمت بناء على الحاح شرنجهام في مكالمة تليفونية ٠ فهو حتى الان لم يشر الى ما يفيد انه على علم بالعلاقة التي بين زوجته وبين ماكستيد ٠ لقد فكر كثيرا وهو في طريقه الى بيت شرنجهام فيما يجب عليه أن يقوله لو فاتحه شرنجهام في الموضوع ، واخذ يتصور اشكالا متفاوتة لمثل هذه المواجهة ٠

افاق ماكستيد من خواطره فجاة ، وقد احس ان الجو انقلب فجأة في الساحة التي يجلسانفيها ، كأنما قد سلطت عليها عشرات اجهزة التبريد التي تعمل باقصى طاقتها ٠ اصابته رعشة خفيفة٠

فافرغ في جوفه ما بقى في كاسه وقال وهو ينظر الى شرنجهام « اصبح الجو باردا هنا » ..

نظر شرنجهام الى ساعته ثم قال بلهجة غامضة « بالفعل » .. وجلس في مكانه كما لو كان ينتظر اشارة ما . ثم نهض فجاة ، وقد ارتسمت على فمه ابتسامة غريبة وقال « لقد حان الان وقت التسجيل الاخير » ..

« ماذا تعني ؟ » ..

« لا تتحرك ، ساشعل الجهاز » ثم اشار الى مكبر الصوت المثبت الى الحائط فوق رأس ماكستيد ،والقى عليه نظرة متاملة وهو ينصرف.

★ ★ ★

تطلع ماكستيد الى السماء الساكنة ، أملا ان يتحسس تيار الهواء البارد الذى شمل الساحة وبعث الرعشة الى جسده .

من مكبر الصوت الذي فوق راسه صدر صوت يفيد بدء تشغيل الجهاز . غير أن الصوت تردد في نفس الوقت من مكبرات للصوت عديدة موزعة حول الساحة ، أخذ ينظر اليها واحدا واحدا لاول مرة .

هز ماكستيد رأسه ساخرا من تصرفات شرنجهام وهوايته الغريبة ، وقرر أن يسلى نفسه بصب كاس جديد من الشراب . هم بان يتحرك بجسمه تجاه المائدة فوجد نفسه يتطوح ويتطوح رغما عنه، مستلقيا مرة ثانية على المقعد . احس بمعدته وكانها قد امتلات بالزئبق الثقيل ، واحس بها باردة كالثلج . حاول مرة ثانية ان يجذب جسمه الى الامام ليمسك بكاسه ، لكن الكاس اصطدم بالمائدة وسقط متهشما على الارض . بدا يفقد وعيه ، فاستند بكوعيه الى طرف المائدة ، وسقط رأسه بين كفيه .

عندما رفع رأسه بعد ذلك ، راى شرنجهام يواجهه مبتسما في اشفاق

« لست في احسن احوالك .. هيه ؟ » قالها شرنجهام وهو يتامله .

جاهد ماكستيد حتى تمكن من الاستناد مرة ثانية الى ظهر المقعد المريح ، فتلاحقت انفاسه .

حاول ان يتكلم ، فاكتشف انه فقد القدرة على تذكر الكلمات.اخذ قلبه ينبض بعنف ، وانقبضت اساريره من فرط الالم .

قال شرنجهام « لا تقلق .. ان التليف هو احد الاثار الجانبية .. قد يربك القلب بعض الشيء لكنه لا يلبث أن يهدأ » ..

وراح شرنجهام يتجول في انحاء الساحة وعلى فمه ابتسامة مطمئنة،ونظرته مصوبة الى ماكستيد من مختلف الزوايا التي يقف عندها . وبسرور واضح عاد الى الجلوس في مكانه متناولا زجاجة الصودا . أخذ يرج محتوياتها في حركة دائرية وهو يقول « سيانيد الكروم .. يوقف نشاط مشاركات الانزيم التي تتحكم في توازن السوائل بالجسم ، كما يدفع ايونات الهيدروكسيد الى مجرى الدم .. باختصار .. انت تغرق .. تغرق فعلا .. غرقا حقيقيا .. ليس كما تشرق عندما تغطس في بانيو الحمام . على كل حال .. لا يجب ان اصرف انتباهك بكلامي هذا عما ستسمعه الان » ..

نظر شرنجهام الى مكبرات الصوت ،التي بدأت تصدر ضوضاء خافتة ، كموجات مطاطة تترامى فوق بحر لزج . ثم صدر عنها ايقاع ضخم غليظ ، يثقله الصفير الكئيب العميق لضربات عملاقة . بدأت الاصوات خافتة ، لا تكاد تسمع ، ثم بدأت في الارتفاع حتى ملأت فراغ الساحة باكمله ، فغطت على أصوات العربات القليلة التي تعبر الطريق العام .

« خرافية ! اليست كذلك ؟ .. » قالها شرنجهام وهو يدير زجاجة الصودا من عنقها ، ثم نهض وخطا فوق ساقي ماكستيد ليضبط مستوى الصوت في أحد المكبرات . كان يبدو مرحا انيقا ، وكان شبابه قد عاد اليه خلال الدقائق الاخيرة . قال « هذه الايقاعات ذات تردد من فئة ٣٠ ثانية ، و ٤٠٠ ميكروسون ، أما نسبةالتضخيم فتصل الى الف مرة .. اعترف انني أضف بعض الحيل الصوتية الى هذا التسجيل ، وبرغم هذا فكم تبدو الاصوات اللطيفة على درجة كبيرة من البشاعة عند تضخيمها .. اراهن انك لن تنجح في تخمين مصدر الاصوات التي تسمعها » .

★ ★ ★

تحرك ماكستيد ببلادة . وقد احس ببحيرة

الزئبق التي في معدته باردة بلا قاع ، كما لو كانت بئرا عميقا وسط المحيط • أحس بذراعيه وساقيه تتضخم ، كما لو كانت أطراف جثة عملاق متعفنة تطفو على سطح الماء ، وبصعوبة كان يتابع شرنجهام وهو يتراقص من حوله •

أخذ يستمع الى صوت بحر متماوج ، يمتزج بايقاع ملح كئيب ، واحس بأمواج هذا البحر تتطاير منفجرة كحمم البراكين •

« سأقول لك ماكستيد •• لقد اقتضاني تسجيل هذا الصوت عاما كاملا » قالها شرنجهام وهو يضرب زجاجة الصودا بين ساقي ماكستيد « عاما كاملا •• هل تستطيع ان تدرك كيف يمكن للعام الكامل أن يبدو قبيحا ؟ » صمت للحظة ، ثم انتزع نفسه من تيار الذكريات قائلا « يوم السبت الماضي ، بعد منتصف الليل مباشرة ، كنت انت وزوجتي سوزان تستلقيان على نفس هذا المقعد • انت تعلم يا ماكستيد بلا ريب مدى انتشار الاجهزة الصوتية في كل مكان من بيتي• ميكروفونات دقيقة رفيعة في حجم قلم الرصاص الصغير ، ذات بعد بؤري يصل الى ست بوصات، تحت المسند الذي تضع عليه رأسك •• يوجد أربعة منها » ، ثم أضاف كما لو كان يذكر ملاحظة جانبية « ما زلت أذكر أن نبضكما المتصاعد هو الذي أعطى التسجيل صوت الرعد » •

مرت موجة جديدة من الاصوات غمرت ماكستيد• افاق على وجه شرنجهام يملأ بصره ، بلحيته المتارجحة وفمه الذي يبدو عندما يتكلم كالمغارة •

« ماكستيد •• بقي أن تخمن أصل الصوتين الباقيين •• بحق السماء ، ركز عقلك وفكر •• » قالها صائحا بقسوة ، وصوته بالرغم من ذلك يكاد يضيع وسط صوت الرعود القادمة من فوق ذلك البحر ••« هيا يا رجل ماذا حدث لك؟ ماكستيد!»

قفز شرنجهام الى أقرب مكبر صوت ، ورفعه الى أقصى طاقته ، فدوى الصوت عنيفا في أنحاء الساحة •

كان ماكستيد قد أوشك أن يفقد وعيه ، أحس بنفسه يتحول الى مجرد جزيرة صغيرة لا شكل لها ، تكاد أن تغرقها تلك الامواج التي تلطمها بصفة مستمرة من كل جانب •

ركع شرنجهام على ركبتيه الى جانب ماكستيد وصاح في أذنه بمرارة وحقد « ماكستيد •• هل تسمع صوت البحر ؟ •• هل تعلم الى اين يقذف بك ؟ •• »

هنا •• استجدت أصوات جديدة ، موجات عملاقة رخوة متتابعة ، تضرب بمزيد من العنف، ويتناثر رشاشها ليغلف كل شيء في شراسة •

صاح شرنجهام بأعلى صوته « انها قبلة ! قبلة بينك وبين سوزان ! •• »

وغرقت البحيرة منزلقة الى قاع محيط بعيد الاغوار • ■■

ترجمة : راجي عنايت

■ رحم الله امرأ اهدى الينا عيوبنا

(عمر بن الخطاب)

■ من شاور الرجال شاركها في عقولها

(الامام علي)

■ لا يخلو البيت من راحة ، ولا خارج البيت من تعب

(مثل صيني)

■ والنفس كالطفل ، ان تهمله شب على
حب الرضاع ، وان تفطمه ينفطم

(البوصيري)



يجيب على هذه
الاسئلة نخبة من
الاطباء

كثرة الغازات فى البطن

● اشكو من غازات كثيرة تنبعث من بطنى ، ولا ادرى السبب فى هذا .. فهل من علاج يخلصنى منها ؟

ــ يرجع انتفاخ البطن مع كثرة وجود الغازات بها الى ان هناك بكتيريا تؤثر على بعض انواع الاطعمة ، فتسبب زيادة فى نتاج كمية كبيرة من الغازات .. او ان حركة الامعاء بطيئة ، او ليست فى حالة طبيعية يمكنها ان تمتص الغازات الموجودة بداخلها لتذهب مع الدم ،وبالتالى يتخلص منها الجسم . لذا كان على الطبيب والمريض معا ان يتعاونا ليعرفا سبب كثرة هذه الغازات . ويتم ذلك بأن يتحرى المريض انواع الاطعمة التى تسبب له ذلك فيتجنبها ، مثل النشويات بكثرة أو اللحوم بكثرة ،والبصل والثوم والفجل، والمشروبات الغازية .

ثم يجب عليه تحليل البراز ، ليعرف اذا كان هناك اى ميكروب او بكتيريا او اى انواع الاطعمة التى لا تهضم، ليتمكن طبيبه من معالجته .

وهناك خمائر كثيرة تباع على هيئة دواء تساعد على الهضم ، وبالتالى تقلل من نسبة هذه الغازات .. ويلعب الامساك دورا رئيسيا فى هذه الحالات ، فليتعاون الطبيب والمريض على علاج هذا الامساك بشتى الوسائل ، بان يكثر من تناول الاغذية التى تحتوى على كمية كبيرة من الالياف ،او باستعمال الملينات لا المسهلات فى بعض الحالات .

وعادة التجشؤ من العوامل التى تساعد على كثرة غازات البطن ، فيجب على

المصاب ان يتجنب هذه العادة ، واذا كان لا بد من ذلك ، فلتكن مرة او اثنتين ، ويحاول ان يبلع ريقه او يأخذ جرعة ماء اذا ما تكررت مثل هذه العادة حتى يمكنه التغلب عليها ٠

وفي بعض الحالات يكون الانتفاخ عرضا لمرض بالبطن ، فيجب على المريض مراجعة طبيبه لكي يفحصه الفحص الدقيق ، ويعالج السبب الرئيسي لهذا الانتفاخ ٠

تاخر البلوغ

● تاخر بلوغ ولدى عن زملائه في المدرسة ، فهل هناك ضرر من ذلك ؟ وما هي التغيرات التي تحدثله عادة في هذه المرحلة من العمر ؟

ـ تكون مرحلة البلوغ عادة ما بين عمر ١٠ ـ ١٦ سنة ، ونلاحظ ان بعض الاطفال ينضج مبكرا اكثر من غيره ، الا انه في هذه الحدود نعتبره طبيعيا ،ولذلك فلا داعي للقلق طالما انه في الحدود الطبيعية ٠ ويجب ان يعرف الاطفال في هذه المرحلة كل الحقائق عن التغيرات الطبيعية التي تحدثلهم بدون اى خداع٠ وعادة يبدأ الاطفالفي التوقفعن الاسئلة ويلزمون الصمت قبل البلوغ بفترة قصيرة ٠

والطفل في مرحلة البلوغ ينمو بسرعة حتى ان ملابسه تصغر عليه بسرعة ، كما ان الطفل يبدأ ببعض التصرفات مثل شرب الشاى مثلا ٠ وفي سن البلوغ تأتي اشارة من الغدة النخامية التي توقظ الغدد الجنسية النائمة ، وهذه بدورها تنشط في افراز الهرمونات التي تذهب عن طريق الدم الى جميع اجزاء الجسم مؤثرة في نموها ، فنلاحظ ان الصبي يزداد طوله بسرعة ، كما يعرض صدره وكتفاه ٠٠ ويبدأ الشعر في النمو في الوجه والابط والصدر والعانة ، كما يخشن الصوت ويعمقويزداد حجم الاعضاء التناسلية ، ويبدأ برؤية بعض الاحلام المثيرة اثناء الليل ، وقد تكون مصحوبة باستمناء ليلي ، وهذه يلحظها الاهل في الملابس الداخلية للولد كما يبدأ الطفل في اظهار شخصيته والتصرف كالكبار ٠

الكوليسترول في الدم

● ذهبت الى المختبر لتحليل دمي،فقالالي المختص ان نسبةالكوليسترول في الدم مرتفعة عندى ٠٠ فما اسبابهذا الارتفاع ٠٠ وما علاجه ؟

ـ تتراوح نسبة الكوليسترول في الدم ما بين ١٨٠ ـ ٢٨٠ مليجرام في كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم ٠٠ وهذه النسبة قابلة للتغير من آن الى آخر مع تغير نوعية الوجبات الغذائية ،وما تحتويه من كميات من الدهن ٠٠ وتقل هذه النسبة عن الحد الطبيعي في امراض نادرة ، كما هو الحال في تسمم الغدة الدرقية ٠ ولكن هناك عدة امراض ترتفع فيها النسبة عن المستوى الطبيعي ، وربما وصلت الى ٥٠٠ او ٦٠٠ مليجرام ٠ ومن هذه الامراض مرض ضمور الغدة الدرقية ، التهاب الكلى تحت الحاد ، وانسداد قنوات الصفراء ، وما يصحب ذلك من تليف بالكبد ٠ وفي مرضالبول السكرى وغيرها ٠٠ وفي هذه الحالات

تكون الاعراض الاخرى للمرض دالة عليه ‥ وتنخفض نسبة الكوليسترول فى الدم عند علاج المرض الاصلى ٠

وهناك اسباب وراثية لارتفاع نسبة الكوليسترول الى مستوى عال جدا مما يسبب ترسب هذه المادة تحت الجلد وفى الاعضاء الداخلية للجسم كالكبد مثلا ٠ وهذه لا بد من علاجها فى اسرع وقت بالمواد التى تساعد على خفض هذه النسبة خوف ترسب الكوليسترول فى الشرايين مما يسبب جلطة بداخلها خصوصا جلطة الشريان التاجى للقلب ‥ وكذلك فان وجود هذه النسبة العالية من الكوليسترول يسبب ما يعرف بتصلب الشرايين ٠

ولا بد ان أنوه هنا بأن هناك دهنيات اخرى فى الدم تترسب فى الشرايين وتساعد على حدوث الجلطة ٠

وعلى الشخص ان لا ينزعج كثيرا اذا ارتفعت النسبة ارتفاعا ضئيلا ، فليس معنى ذلك حدوث الجلطة ، اذ وجد انه فى بعض الحالات تحدث الجلطة دون ان يكون هناك ارتفاع فى نسبة الكوليسترول او الدهنيات ‥ بل وان بعض الباحثين يعتقدون ان ارتفاع نسبة دهون الدم هو نتيجة لحدوث الجلطة ، وليس المسبب لها ٠

انتفاخ الجفنين

● اعاني من انتفاخ في جفني ،خصوصا عند قيامي من النوم في الصباح ‥ فما السبب يا ترى ؟وهل من علاج لهذه الحالة ؟

ـ انتفاخ الجفنين له اسباب عدة ، وهو فى بعض الحالات يكون طبيعيا للشخص ، او انه وراثي ، وشكل الجفنين يكون منتفخا مع ضيق فى فتحة العينين ، على انه فى بعض الحالات يظهر جليا عند القيام من النوم ، خصوصا اذا كان قد سبق ذلك سهر طويل او ارهاق شديد ٠

وينتفخ الجفن كذلك اذا حدث به التهاب ، ويتبع ذلك احمرار فيه مع افرازات فى العين ، وينتفخ ايضا اذا تعرض لحرارة شديدة ، او اثر اصابة ، او اصيب الجسم بالحساسية او ما يسمى بالارتكاريا ، ويتبع ذلك حكة شديدة فى العينين ، وفى باقى الجسم ٠ ويمكن اكتشاف المادة التى تسبب هذه الحساسية سواء كانت طعاما ام شرابا ام دواء ام رائحة او غبارا ٠ ويزول ذلك بزوال السبب ‥ وينتفخ الجفنان بسبب امراض عدة تعترى الجسم ‥ وتكون اعراض المرض وعلاماته ظاهرة فى اجزاء اخرى من الجسم ‥ فنرى ان العين تنتفخ فى التهاب الكلى الحاد وتحت الحاد ، وفى الحالات المتقدمة فى التهاب الكلى المزمن ، وفى مرض تليف الكبد ، واستسقاء البطن ، ومرض خمول الغدة الدرقية ‥ وفى جميع الحالات المصحوبة بفقر فى الدم ، سواء كان ذلك من فقدان الدم أو سوء التغذية او الاصابة بديدان الانكلستوما مثلا ٠ وفى الحالات التى تقل فيها نسبة بروتين الدم لسوء التغذية او امراض الكبد المختلفة او فقدان البروتين عن طريق الكلى ‥ كذلك فان الجفنين ينتفخان فى حالات هبوط القلب ، او امراض الرئة المتقدمة والمصحوبة بسعال شديد يزيد من الضغط داخل الصدر فيمنع ورود الدم للقلب مما يسبب احتقان الاعضاء ، وفى جملتها الجفنين ‥ على ان كل هذا يكون مصحوباً باعراض المرض المسببة ، ويمكن للطبيب معرفة ذلك والوصول الى السبب الحقيقى للانتفاخ ٠

حوار القراء

عمالقة النغم

● الموسيقى ارقى انواع الفنون .. فلم لا تولى مجلتنا هذا الفن اهتمامها ..وتكتب لنا شيئا عن عمالقة النغم، كبتهوفن وموزار وشوبان وفاجنر وغيرهم .. وكذلك عن مبدعى النغمة العربية الشرقية ..

نصر نعيم ــ دقهلية ــ مصر

« العربى » : نشر « العربى » مقالات مطولة عن عمالقة الموسيقى الغربية ، فالفن فن سواء كان غربيا ام شرقيا .

تصويب

● ذكر الدكتور ابراهيم فهيم فى مقاله الذى نشره « العربى » فى العدد ٢١٠ تحت عنوان « عش عمرك فى شباب دائم » ، « بان حجم الدم فى جسم الانسان هو ست لترات .. وفى كل سنتيمتر مكعب منها خمسة ملايين كرة حمراء».. والصحيح انه فى كل مليمتر مكعب ، وليس فى السنتيمتر المكعب .. وارجح ان يكون هذا خطأ مطبعيا .

الدكتور طعمة عبد الكريم العانى

الفلوجة/العراق

جزيرة سقطرى هل هى عربية ؟

● ارجو اعطائى فكرة عن جزيرة سقطرى التى تقع فى المحيط الهندى .

صالح الجهنى ــ السعودية

(العربى) : جزيرة سقطرى هى جزيرة عربية تابعة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . وقد سبق ونشرنا عنها استطلاعين فى العدد رقم ١٥٢ والعدد رقم ١٥٣ .

ابو بكر زكريا الرازى

● استغربت ما ذكره الدكتور عبد اللطيف العبد فى سياق مقاله عن الرازى الذى نشره « العربى » فى عدد مايو/١٩٧٦ ، حيث ذكر الكاتب فى مقدمة موضوعه ، بان الرازى قد ولد فى الرى سنة ٢٥٠ هـ ومات فى بغداد سنة ٣١٣ هـ . فى حين ان الرازى مات حيث ولد فى مدينة « الرى » فى خراسان شرقى مدينة طهران الحالية ، ودفن فيها وليس فى بغداد كما ذكر الكاتب .

وقد مات الرازى من الجوع، والمرض ينهش فى جسده بعد ان وزع ثروته على الفقراء والمعدمين.

الدكتور طلال الطبقجلى

البصرة/العراق

الهجرة المضادة من « اسرائيل »

● يبدو ان « اسرائيل » وجدت لا لتبقى .. فقد قالوا قديما : « ان حبل الكذب قصير » .. فالكذبة الاسرائيلية التى ضللت يهود العالم للهجرة الى فلسطين او ما اسموه «بارض الميعاد» اخذت تنكشف .. ورغم الحرص الذى ابداه المسئولون الاسرائيليون فى اخفاء هذه الحقيقة ، الا ان الهجرة المعاكسة بدأت تؤرقهم .. وها هو كبيرهم البروفسور « لايبوفتس » الاستاذ فى الجامعة العبرية فى القدس ، ينذر القادة الصهاينة بالخطر المحدق الذى يتهدد دولتهم .. ويرى ان الخطر على « اسرائيل » بسبب هذه الهجرة المضادة اكبر من الخطر الذى يتهددها من جيرانها العرب .

حامد التميمى

الكويت


PHILIPS


وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ الوقت بدقة
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
اكثر الساعات انتشاراً في البلاد العربية
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ١٢٣٥٨٥



الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من أكبر الهيئات المصرفية في العالم.

٩½٪ في السنة — حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٠٪ في السنة — وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع شهريًا.

١٠½٪ في السنة — حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى للوديعة ألف جنيه. ١٠½٪ في السنة لمدة محددة ١-٥ سنوات. الفائدة تدفع كل نصف سنة. للحصول على كامل تفاصيل الحسابات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

Lombard North Central
Bankers

Head Office Lombard North Central Ltd Lombard House Curzon Street London W1A 1EU England

الاسم: ……………………………

العنوان: ……………………………

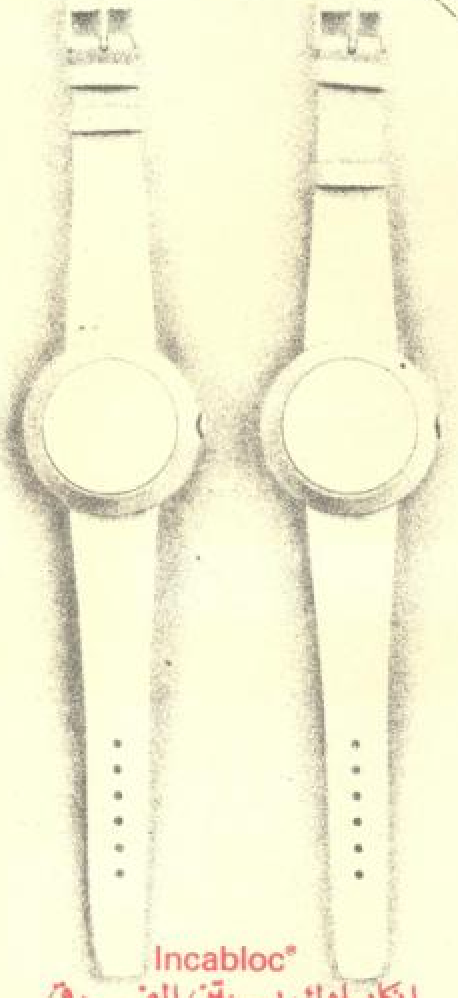
2182

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٢٣ مليون جنيه استرليني.

الاسم

العنوان

الرجاء ان ترسلوا لي نشرتكم الجميلة الملونة بعنوان
في قلب الساعة التي تشرح ميكانيكية الساعة وتدلني على
طريقة التعرف الى "الانكابلوك". اقطع هذا الكوبون وارسله
الى العنوان التالي : مركز استعلامات انكابلوك للشرق الاوسط
ص.ب ٢٧٨٢ بيروت . لبنان



Incabloc®

انكابلوك يبيّن الفرق

قد تكون الساعات التي تحبونها ساعات
حقيقية ذات مخل وربما لا تكون ...
الآن الساعاتي يعرف الفرق . وانكابلوك
يعرف ايضاً ! ولهذا فان مضاد الصدمات
"انكابلوك" الاصلي لا يوجد الا في الساعات
الاصلية ذات مخل .
والساعة ذات مخل هي ساعة الرجل
الخبير . وهي ساعة يعتمد عليها .
ذاك هو الفرق !

ان اسم "انكابلوك" (ماركة مسجلة) يخص فقط مضاد الصدمات الذي صممته وصنعته
شركة بورتسكاب ، لاشودي فون ، سويسرا وبورتسكاب فرنسا ، بيزانسون .






CHATELAIN
GENEVE
روجر شاتلان ش.م. جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
ROGER CHATELAIN S.A. - 1214 VERNIER-GENEVA/Switzerland
P.O. Box 251 - Cables: Chatelaintime Geneva

مِنَ المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول نوفمبر ١٩٧٦

(٨٦)

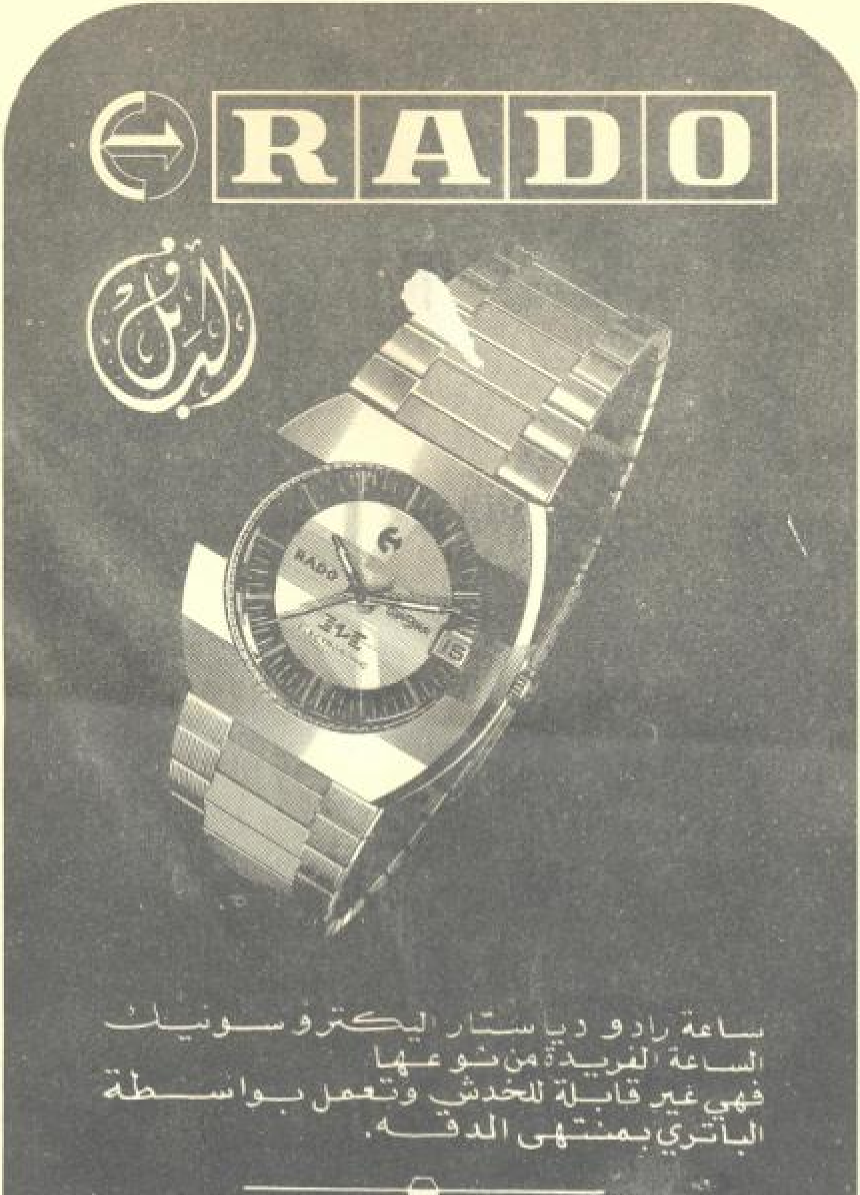
العُرس الدموي

تأليف : فديريكو غرسيا لوركا

دراسة وتعقيب : د . محمود علي مكي

ترجمة وتقديم : د . عبدالله العمراني


الأمر يبدو بسيطاً، ولكن كان يجب التفكير فيه
الفرجار (البوصلة) اختراع يبدو بسيطاً في الظاهر.
ومع ذلك فقد قلب الأوضاع، كما فعلت تماماً ولاعة
"رونسون كوميت" - البسيطة والسهلة في الاستعمال.
ولكن هذه البساطة الواضحة هي نتيجة خبرة فنية طويلة
ما كان أحد يستطيع أن يقدمها لكم إلا "رونسون" أكبر
مصنع للولاعات في العالم. تمتاز ولاعة "رونسون كوميت"
برأسها الدوار المتحرك الذي يسمح لكم بتشغيلها وتبديل
الحجر بسرعة، ويوجد في داخلها مكان خاص يحتوي على
حجرين للتبديل. ولاعة ذات تصميم عصري تحمل طابع
رونسون
RONSON


RADO
ساعة رادو دياستار اليكتروسونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت:
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣


Pontiac
بونتياك تنطلق الى عام ٧٦
1976
Firebird '76
Sunbird '76
Le Mans '76
PONTIAC
GM
جياد ١٩٧٦ الأصيلة من جنرال موتورز

ثلاجة سانيو المكعبة للمرطبات والطعام الطازج في كل مكان وزمان.



SR 4801W/X

ثلاجة محكمة لأية غرفة في المنزل، في الطابق العلوي أو السفلي. على الشرفة أو في المكتب. مثالية للعزاب والطلبة، كثلاجة إضافية، رفوف وأدراج بداخلها وعلى الباب، مع قالبين لمكعبات الثلج، الأرجل متحركة، ترموستات لتنظيم الحرارة، لونها أبيض لامع (W) أو بلون الخشب الثمين (X) من سانيو الشركة التي تؤمن لكم مرطبات باردة وطعام طازج في كل مكان وزمان.



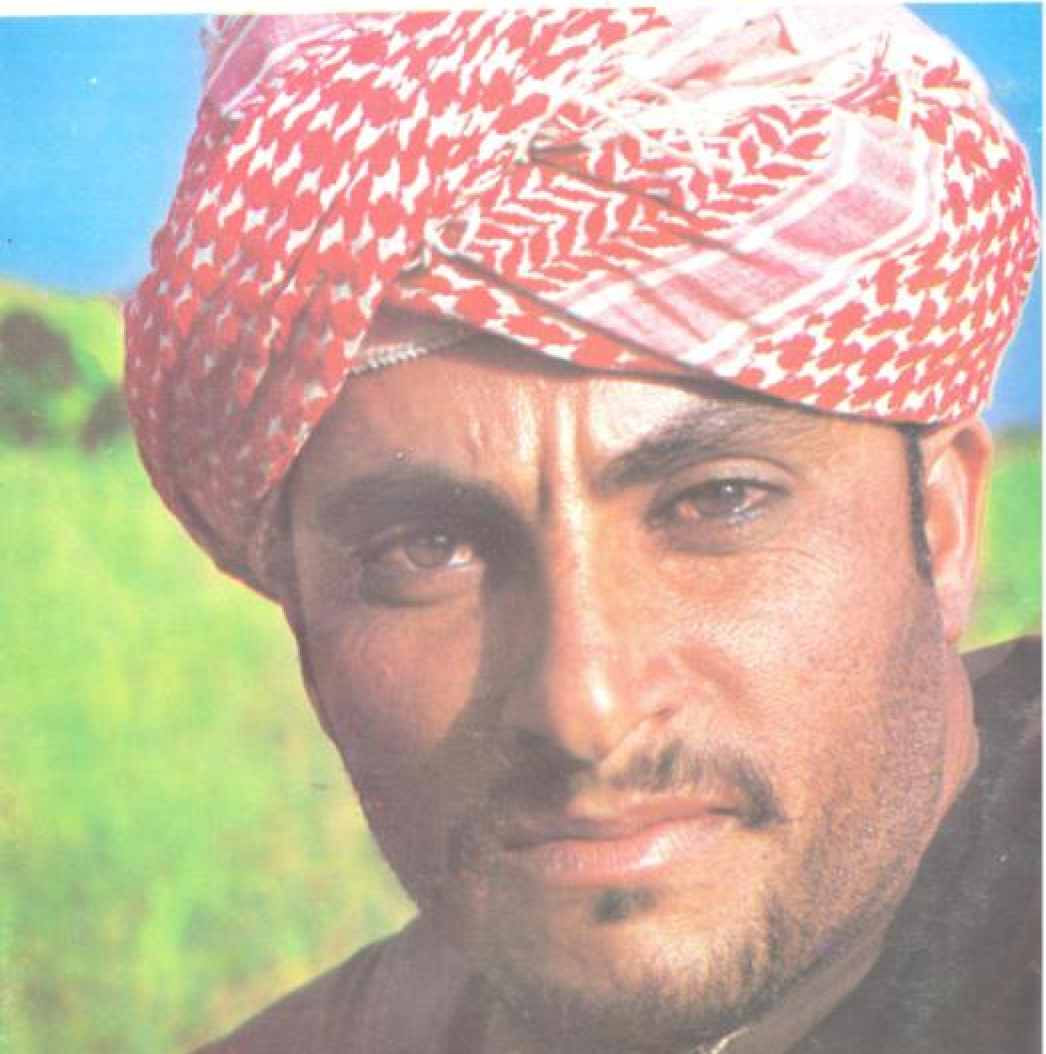
SANYO سانيو

العدد ٢١٧ ـ ذو الحجة ١٣٩٦ ـ ديسمبر (كانون ١) ١٩٧٦

العربي



فلاح من السعودية ٠٠ واحد من الذين يعملون على تغيير وجه الحياة ٠٠ والصغيرة « حنان» تحمل ثمرة الارض الطيبة





في عالمٍ متطوّرٍ، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

جامعة الكويت •• والمستقبل

● مرت هذا الشهر عشر سنوات على تأسيس جامعة الكويت • وقديما كانت الجامعات فى العالم العربى نادرة • ثم صار فى كل عاصمة عربية تقريبا جامعة • وفى البلاد الكثيرة العدد صار فى القطر الواحد عدد كبير من الجامعات •

وكانت جامعة الكويت اول جامعة فى الخليج • وقد بدات بعدد من الكليات اخذ يتزايد ، وافتتحت هذه السنة كلية الطب ، التى كانت باقية حتى تكتمل معظم فروع الجامعة •

على ان السمة الغالبة فى كل الجامعات العربية ، هى انها معاهد لتخريج المتعلمين ، وانها تخلو من التركيز على تخصصات معينة ، تنتمي الى البيئة التى تنشا فيها ، وتجعلها بالتالى ـ فوق انها كليات لتخريج الجامعيين ـ مراكز ابحاث واستكشاف ، وتجعلها فى نفس الوقت قادرة على ان تعكس وجودها على حياة المجتمع التى تنشا فيه ، حين تتصدى لمشاكله •

وجامعة الكويت لديها فى تقديرنا ، وهى الجامعة الشابة ، فرصة واسعة فى هذا المجال •••

فهى جامعة يفترض فيها ان تقيم اهم معهد فى العالم العربى للدراسات البترولية من كافة النواحي ••• بدءا من الهندسية الى القانونية والاقتصادية وغيرها •

وهى جامعة يمكن ان تقيم مركزا لدراسات الخليج •• بدءا من الثروات الطبيعية فيه •• الى عوامل التلوث العادة والخطيرة لانه خليج شبه مغلق •• الى اوضاعه الاستراتيجية واثرها فى علاقاته مع العالم ••• الى آخره •

بل ولماذا لا يوجد فيها معهد او مركز للدراسات الزراعية • نعم • فان الطبيعة الصحراوية للمنطقة ، لا تلزم ابدا بالاستسلام لها • فاقدم صراع هو صراع الانسان مع الطبيعة •• وفى العلوم الزراعية مكان كبير للزراعات الصحراوية ووسائل التشجير وما اليها• وطالما توفرت الامكانيات ، فان تطوير البيئة عن طريق العلوم الحديثة امر ممكن تحقيقه •

واذا كانت اسرائيل تشجر وتحاول أن تزرع النقب الصخرى لا الصحراوى، فلماذا لا يشجر العرب بعضا من صحراواتهم الواسعة ؟

■■

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABI — No. 217 DECEMBER 1976 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

« حنان » تحمل ثمـــرة الارض فى حنان .. ووجه عربي يحمل الامل فى مستقبلمشرق ..الارض الارض وعودة الى اصل الحياة.. وما الحياة؟ ارض وماء ، ولاول مـــرة فى تاريخ شبه الجزيرة العـــربية يتدفق الماء غزيرا عذبا حلوا نقيـا ليروى الارض ومن عليها وما عليها ويحول الصحراء الى جنان مثمرة .. ذهب اخر بعد الذهب الاسود ..

(اقرأ الاستطلاع ص ٧٠)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . الخليج العربي ريالان قطريان . البحرين ٢٠٠ فلس بحريني . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٣ر٥ دينار . المغرب ٢ر٥ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : للاشـتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع على العنوان التالى : دولة الكويت ـ ص . ب ٤٧٠٦ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي

المثقفون والسُّلطة..

■ لا شك ان الكثيرين منا ، ممن يتاح لهم السفر والتنقل بين البلاد العربية ، او بين غيرها من بلاد العالم الواسع ، قد لاحظوا كثرة عدد المثقفين والنابهين منهم بالذات ، وذوى التخصصات المختلفة من سياسية واقتصادية وأدبية وعلمية ٠٠ الذين ليسوا فى بلادهم ، ولا فى أماكنهم الطبيعية ٠

ولست اشير بذلك الى موضوع « هجـرة العقول » بمعناه الشـائع المعروف ٠ وان كان لما اريد ان أتحدث عنه علاقة بهذا الموضوع ، الا أننى اريد ان أتحدث عنه من زاوية معينة ، تخرج بنا قليلا او كثيرا عن مشكلة « هجرة العقول » بمعناها الشائع ٠

فمشكلة « هجرة العقول » بمعناها الشائع ، مشكلة عالمية ، لا يختلف فيها عربى عن غير عربى ٠ وحتى البلاد المتقدمة تواجهها وتعانى منها ، ازاء بلاد اكثر تقدما ٠ فاذا اخذنا ابرز بلاد المهجر مثل الولايات المتحدة الامريكية او كندا ٠٠ فسنجد فيها عقولا مهاجرة من البلاد العربية ، ومن دول البحر الابيض ومن انجلترا وفرنسا ٠ ومن الهند وافريقيا ٠ المشكلة تنحصر ببساطة فى ان بعض المثقفين ـ خصوصا فى ثقافات يشتد عليها الطلب احيانا كالطب والهندسة وبعض العلوم ـ يفضلون الهجرة الى بلاد يجدون فيها شروطا افضل او مستوى من المعيشة أعلى ، او فرصة اكبر للتقدم العلمى ، وتحقيق الذات، ربما لا تكون متوفرة فى بلادهم ٠

وهى مشكلة ضخمة وعويصة ، وليس لها حل سهل ٠ ومن المؤسف انها تشكل جانبا من اكبر جوانب أزمة العالم الثالث وعقبة من عقبات تقدمه ٠ فالخسارة هنا مادية وبشرية ٠ لان البلد حين يفقد واحدا من هذه النوعية من ابنائه ، يخسر مرتين ٠ يخسر مرة بالمعنى المالى البحت ، لان البلد يكون انفق على هذا الابن مبالغ كبيرة من المال من اجل تعليمه وتكوينه فى الداخل ثم فى الخارج ٠ ويخسر مرة اخرى بمعنى اكبر من المعنى المالى ، وهـو ان خيرة شبابه لا يعودون ليساعدوا فى المهمة الصـعبة ، مهمة التنوير ورفع مستوى سائر الشعب ، كالحـديقة التى كلما اينعت فيها زهرة ، جاء من يقطفها ٠٠٠٠

ومكسب البلاد الاكثر تقدما فى هذا المجال هائل ٠ فهى تاخذ الخبراء جاهزين ،بعد ان أتموا ثقافتهم ونضجهم وتلقيهم، وبدأوا فى مرحلة العطاء٠

والغريب ان كثيرا من الدول العـربية لا تدرك قيمة هذا « المهاجر »

بقلم : أحمد بهاء الدين

فى البلاد العربيّة

المؤقت اذا جاز التعبير ، حتى ولو كان عربيـــا ، وحتى لو كانت فى أشد الحاجة الى خبرته ...

اذكر اننى اشتركت مرة فى مناقشة تليفزيونية حادة ، فى قطر عربى شاسع الارجاء قليل السكان ، اذ قال مناظرى : ان الخبير العربى يطلب أجرا أعلى من الخبير المحلى .

وقلت له متعجبا : لماذا اذا كان المهندس ـ مثلا ـ ايطاليا او فرنسيا اغدقنا عليه .. واذا كان نظيـره عربيا قترنا عليه .. ما دام الاثنـــان متكافئين ؟ .. ثم هل تظن ان كندا مثلا أغبى منكم ؟ ان كندا لا تفتح ابوابها طبعا لكل وافد . ولكن اذا كان هذا الوافـــد خبيرا فى مجال يهمها ، فانها تعتبره اضافة الى رأسمالها والى انتاجيتها ازاء ضخامة مواردها واتساع رقعتها وندرة سكانها .. انها تجرى وراءه .. وتقدم له الاغـراءات ... وتتولاه منذ وصوله بالمعونات المالية والاجتماعية حتى يستقر به المقام فى عمل انتاجى مناسب له . ذلك انها تعلم ان هذا النـــوع ـ فى اى مجال ـ يضيف الى ثروة البلاد القومية أضعاف ما ياخذ من مرتب .

وما دمنا قد تعرضنا لقضية العقول المهاجرة ، فلا بد من القول انه اذا كان اللوم أحيانا يقع على البلد الام لسوء تصرفها مع النخبة من ابنائها ، فان اللوم فى أحيان أخرى يقع على عاتق المهاجر نفســه ، حين يتصرف فى انانية شديدة ، ودون مبرر ، لمجرد الهرب من مهمة صعبة تنتظره فى بلاده الساعية الى التقدم ، لائذا بالفرار الى بلد قد تقدم فعلا ، ولم يعد عليه هناك الا المشاركة فى جنى الثمرات .

ولكن هجرة العقول ، مهما بلغت الارقام ، تظل قضية جزئية الى جانب القضية الكلية التى علينا ان نتأملها ..

فالذى لا شك فيه ، ان معظم المثقفين ، من اهل الفكر والراى والعلم والخبرة ، يبقون فى بلادهم . او يعودون اليها ...

على أن وجودهم فى بلادهم ، لا يعنى دائما الاستفادة منهم . وبالتالى فالصورة العامة لهم فى معظم بلادنا العربية ، اما السخط والكبت والشعور بالاحباط ، واما الانحراف ـ بالعدوى ـ مع الامراض الاجتماعية الشائعة فى بلادهم ، فهم لا يستفيدون من ثقافتهم وقيمهم الحياتية ولا يفيـدون ، واما ان يلجأوا الى نوع آخر من الهجرة ... هو الهجرة الداخلية . والانغلاق

على انفسهم · فهم موجودون في بلادهم وغير موجودين · موجودون بأجسامهم وبعملهم الروتيني اليومي ومشاكل حياتهم اليومية الصغيرة ، ولكنهم غير موجودين بعقولهم ولا بقدراتهم وطاقاتهم الحقيقية · متفرجون سلبيون · يرون الاحداث تجرى أمامهم ، وربما رأوا بلادهم كلها تتعثر أمامهم ،ولكنهم عاجزون عن المحاولة او ابداء الرأى ، او مشيحون بوجوههم عن الامر كله ، يعيشون في مجردات ومطلقات لا صلة لها بضجيج الحياة من حولهم ····

ولا يجوز ان نفترض ان كل واحد منهم يجب ان يكون بطلا ، مستعدا لمواجهة التشرد ، او دخول السجن !

وقد جرى العمل منذ زمن ، على ان نلقى الكثير من مشاكلنا على ما يسمى بالبيروقراطية ···

فالبيروقراطية ، في هذا المجال ، هي التي تقتل المواهب ، وتعترض طريق الناجحين ، ولا تقبل دخول العناصر المثقفة الواعية بمجتمعها داخل صفوفها ، أو لا تضعها في مكانها الصحيح ·

ولا شك ان بعضا من هذا صحيح ····

ولكن لا شك ايضا أننا نبالغ في الامر كثيرا ، وان كثيرا من القادة والحكومات صاروا يجدون في هذه « البيروقراطية » شماعة يعلقون عليها كل المشاكل ···· وكأن هذه البيروقراطية ليست جزءا منا ، ولسنا كلنا طرفا فيها ، او كأنها جسم غريب عن المجتمع ····

وما هي البيروقراطية آخر الأمر ؟

انها أداة كبيرة او صغيرة ، من الموظفين في كل مجال ، وفي شتى الدرجات ، يمارسون عملهم طبقا لقواعد موضوعة لهم من قبل ، ولا يجوز لهم الخروج عنها ، والا تعرضوا للمساءلة والعقاب ···

لذلك فانني اريد ان أصعد بالمسئولية عن هذه الازمة في بلادنا العربية درجة اعلى من مستوى البيروقراطية ·· اى الى مستوى القيادة السياسية حيثما كانت ، وكيفما كان لونها ومذهبها وطبيعة نشأتها ···

فيما يتعلق بالبيروقراطية ·· فلو كان فيها داء متراكم عبر زمن طويل ·· فانها مسئولية القيادة السياسية في كل مكان ، أن تحسن اختيار القائمين بالعمل ، وأن تراجع اللوائح والاجراءات التي تحكم عملهم ، وتعمل على تبسيطها ، وتجعلها مناسبة لكل مرفق من المرافق · وليس هذا بالتأكيد مسئولية موظف كبير او صغير ، او أشبه بمسمار او ترس او عجلة في آلة كبيرة · لا تستطيع تعديل عمله ، انما يستطيع ذلك « المهندس » المشرف على هذه الآلة ····

فاذا نحينا ايضا هذا العنصر الجانبي عن القضية، عنصر البيروقراطية، نصل الى بيت القصيد من هذا الحديث ، وهو : العلاقة بين المثقفين والسلطة في البلاد العربية بوجه عام ···

فهي علاقة يحكمها الشك ، وعدم الثقة ، على الاقل ··· وأحيانا يحكمها التناقض والعداء ···

وفي تقديري ان هذه العلاقة « القلقة » تنطوي على خسارة كبيرة لكل بلد ، فوق انها تخلق « مناخا عاما » ان لم يكن هو المسئول تماما عن مشكلة « هجرة العقول » ، فهو يتسبب على الاقل في جانب منها ···

فما هو السبب يا ترى ؟ ٠٠٠

ليس المقصود بالتاكيد الوصول الى حكومات أشبه بجمهورية أفلاطون التى يحكمها الفلاسفة ٠٠٠

فالحكم او السلطة بمعناها القيادي والسياسى ، امور لها مواصفات لا تتوفر عادة للمفكر او المثقف او الفنى ٠ واعظم فيلسوف قد يعجز بالتاكيد عن ادارة قرية صغيرة ٠ وبالتالى فليس مطروحا ان يتبادل الطرفان مكانيهما ٠٠٠

انما المطروح هو اقامة علاقة صحية بين الطرفين ٠٠٠

الطرف الذى لديه الأسباب والظروف والمواهب التى تجعله زعيما ، او قائدا ،او حاكما ٠٠ يحسن اتخاذ القرار ،ولديه الحس السياسى والاجتماعى الذى يجعله قادرا على القيادة فى مرحلة ما ، فى بلد ما ٠٠٠

والطرف الذى لديه الأسباب والمواهب ، لكى « يفكر » فى الامور التى تعرض للحاكم ، ويتاملها بعيدا عن ملاحقة الاحداث لكل حاكم او قائد ٠فهو عنصر مهم فى انارة الطريق ، واستكشاف شتى جوانب المشكلة ، والتفرغ للنظر الى الامور فى مداها البعيد ٠٠٠

وقديما ، كانت مهمة القيادة او الحكم ابسط مما هى عليه الآن بكثير٠ كانت الدول قليلة ومعزولة نسبيا ٠ وكانت الامور التى تتدخل فيها الدولة قليلة ، قد لا تتعدى الدفاع عن البلد وصيانة الامن وكفالة القانون فيه٠٠٠

ولكن ، مع التقدم الهائل والسريع فى كافة مجالات الحياة ، صارت الامور المطروحة على الحاكم كثيرة ومتشعبة ومعقدة الى آخر الحدود ٠

واقصد بذلك الحاكم الفرد ، والحاكم بالحزب ، او الحاكم بالبرلمان ٠

فمجموع كل هذا هو ما اسميه « السلطة السياسية » فى اى بلد من البلاد ، مهما كان نظام الحكم السياسى والاجتماعى فيه ٠

هذه « السلطة السياسية » صار مستحيلا عليها ان تتخذ القرارات السليمة فى كل المجالات ، بسبب تشعبها وتعقدها ، وحاجتها الى تخصصات كثيرة ، وخلفيات متنوعة ٠

فاذا اخذنا دول المعسكر الشرقى ، التى تقوم فلسفتها على دكتاتورية الطبقة العاملة ، نجد انها فى تقاريرها الحزبية صارت تزهو وتهتم بان تذكر ان عضوية الحزب صار فيها كذا فى المائة خبراء اقتصاد سياسى وكذا فى المائة علماء ٠٠٠ الى آخره ٠

واذا اخذنا النظم الديمقراطية فى الغرب ، نجد ان هناك قضية مثارة فى انجلترا منذ سنوات حول علاقة الفكر والخبرة بالسياسة : فهناك كتاب ونواب يثيرون قضية تضاؤل دور البرلمان الانجليزى ، لان كثيرا من الامور العامة التى تعرض عليه معقدة لدرجة لا يستطيع النائب ان يحيط بها كلها تماما ، فى حين ان الوزير ـ ممثل السلطةالتنفيذية ـ يجىء لمناقشة الموضوع المطروح مزودا بآراء عشرات الخبراء ، واحيانا مصحوبا بهم ، الأمر الذى يجعل الغلبة فى الاقناع غالبا للسلطة التنفيذية ٠ فلم يعد للبرلمان ما يحكم فيه الا العموميات فقط ٠

وقضية اخرى مثارة فى انجلترا ـ التى نتخذها نموذجا للديمقراطيات

البرلمانية القديمة ـ خلاصتها ايضا ان رئيس الوزراء في مقره في البيت رقم ١٠ داوننغ ستريت ،صار يحيط نفسه بخبراء من اعلى المستويات من الجامعات او من الحياة العامة ،كالكتاب الصحفيين ومؤلفي الكتب وذوي الافكار المتميزة، الأمر الذي جعل « مجلس الوزراء » في مجموعه يفقد الكثير من سلطته» لرئيس الوزراء » المزود بهؤلاء الخبراء ، رغم انه ليست لهم صفة تمثيلية سياسية ، اى ليسوا منتخبين ...

فاذا اخذنا نموذج ديمقراطية برلمانية حديثة ، هي الولايات المتحدة الامريكية ، فاننا نجد انها سبقت زميلاتها في حل هذه المشكلة ، او بمعنى أصح الاستفادة من العناصر المفكرة فيها ...

فبالنسبة للكونجرس الامريكي ، ونظرا لامكانيات امريكا المالية الواسعة طبعا ، نجد ان النظام هناك يعطي كل عضو في الكونجرس ميزانية سنوية ضخمة . يكونون بها جهازا فنيا مساعدا له ، هم في الغالب من الخبراء الشبان، يعدون له الدراسات والمواقف المختلفة ، وهم عادة شبان طموحون ، اذكياء ، مهتمون بالقضايا العامة لبلادهم . ولذلك فكثيرون منهم يبداون من ذلك المكان حياتهم السياسية وتدريبهم لمراكز أهم.مثل ليندون جونسون وروبرت كنيدي وغيرهما كثيرون .

وبالنسبة للرئيس الامريكي نفسه ، نجد ان كل رئيس ، الى جانب وزرائه ، وكل الجهاز التنفيذي التابع له ، يعمد الى الاستعانة بالكثيرين من عالم الفكر بوجه عام وحتى العالم الاكاديمي نفسه .

حكومة جون كنيدي كانوا يسمونها « حكومة هارفارد » لأن اغلب من أتى بهم من مستشارين ومساعدين كانوا من هارفارد . فسمعنا اسماء هارفارد اللامعة مثل ماك جورج بندي مستشارا له للأمن القومي ،والاقتصادي السياسي المشاغب كينيث جالبوبث سفيرا في الهند ، ليشير عليه بشأن قضية هامة هي محاولة فهم العالم الثالث بوجه عام ، وكان هناك ايضا كيسنجر ، للمشورة غير المتفرغة ، بسبب كتاب ألفه واشتهر به عن السياسة في ظل الردع النووي، وموينهاين الذي اصبح ممثلا لامريكا في الامم المتحدة ،لمؤلفاته ودراساته عن قضايا اجتماعية امريكية كثيرة ...

وبعد كنيدي جاء جونسون ليحتفظ بالبعض ويغير البعض الآخر ، فوجدنا والت روستو الذي اشتهر بكتاب « مراحل النمو » الذي عارض به النظرة الماركسية في مراحل نمو البلاد المتخلفة ، وشقيقه يوجين روستو استاذ السياسة الدولية .

ثم جاء نيكسون ، فوجدناه يجعل كيسنجر مستشاره للأمن القومي ، ثم وزيرا للخارجية ، ويستعين بكثيرين آخرين ....

وكان البعض يندهش احيانا من ان الرئيس الامريكي يستعين بمستشارين لهم آراء تخالف رأيه وفلسفة حزبه . ولكن هذا بالضبط هو المقصود احيانا. فحين يأتي الحاكم بمستشارين ومفكرين من نفس مدرسته وتفكيره، فكأنه يضع حوله مرايا لا يرى فيها الا نفسه ، في حين المفروض ان توجد عناصر اخرى تثير الجدل والنقاش،ويجد من خلالها فرصة التعرف على شتى الآراء والتيارات.

ومن اسباب مأساة نيكسون ،انه ـ في القضايا الداخلية ـ احاط نفسه

باشباهه في الفكر والرأى والسلوك · فكان ان وقع فى عزلة حادة عن الرأى العام على حقيقته ، مما ورطه فى قضية ووترجيت بتصرفات كلها من مصدر واحد ونوعيةواحدة ، حتى صار الانفصام بينه وبين الرأى العام كاملا ، الى ان اضطر للاستقالة الشهيرة ···

وليس معنى ذلك تحويل المفكرين الى موظفين فى الدولة · فهناك نظام اللجان المؤقتة ، التي تتشكل من اهل الفكر والخبرة ، لدراسة قضية معينة ، ثم تنتهى مهمتهم بانتهاء مهمة اللجنة ·

وانجلترا فيها هذا الاسلوب ·فحين ارادت الحكومات هناك انتعيد النظر في نظام التعليم ·· ومرة اخرى لدراسة مشكلة المواصلات ··· ومرة ثالثة لدراسة مستقبل صناعة الفحم كطاقة ·· كانت تشكل لكل موضوع لجنة قومية ··· تتجاوز الاحزاب ،وتتجاوز الاجهزة التنفيذية ····ثم يصبح التقرير بعد ذلك ملكا للدولة والبرلمان والرأى العام ،يناقشه ويدرسه ويتخذ قرارا بشأنه·

وفي نفس الوقت انتشرت في امريكا المعاهد العليا المتخصصة ·· معاهد مستقلة · معهد لدراسات البحر الابيض · معهد لدراسات الشرق الاوسط · معهد لدراسة الاسلحة النووية واثرها على السياسات المختلفة ·· وكثيرا ما يطلب الرئيس او الكونجرس من هذه المعاهد المستقلة دراسة ما ، حول قضية يدرسونها · فتكون بين ايديهم خلاصة احسن الخبرات في البلد · وانتشر في كل معهد ما يسمونه باللغة الامريكية ـ غير الانجليزية احيانا ! ـ بال Think Tank اسلوب اخر فى توطيد العلاقة بين الفكر والحكم ، بين العلم والعمل، بدأت تاخذ به دول متقدمة كثيرة ·

واذا كانت امريكا قد سبقت اوروبا فى هذا المجال ، وساهم الفكر في حياتها بدور كبير ··· فان معظم المؤلفين يرجعون ذلك الى اختلاف الظروف التاريخية بين اوروبا بتاريخها القديم ، وامريكا التى بدأت من نقطة جديدة، متحررة من عبء التركة الأوروبية ···

يصف الكاتب « البرت سالومون » تلك الظروف في اوروبا فيقــول : « كان هناك ضغط الكنيسة العنيف على حرية الفكر فى العصــور الوسطى ، ولما جاء عصر النهضة لم يات بتغيير كبير في حياة اهل الثقافة والفكر · ذلك ان مشكلة طلب الرزق كانت ترغم الكثيرين من المثقفين البارزين على العمل في خدمة امراء الاقطاع ، الذين كانوا مستعدين لرعاية الشعراء والمفكرين مقابل استسلامهم الفكرى ·وهكذا وجد المثقفون انهم صاروا كالسفسطائيين ايام الاغريق ، مضطرين لكى يعيشوا الى الاعتماد على قدرتهم على العمل كمستشارين لأصحاب السلطة ، على حساب نزاهتهم الفكـرية ، ثم ظهــرت المطبعة ، فكان هذا انقلابا في حياة المفكر ، اذ صار للمفكـر لاول مــرة ان يتحدث الى الناس من جهة ، وان يتلقى بعض الموارد المالية من قرائه من جهة اخرى · ان الحلف الذى تم بين المؤلف وصاحب المطبعة في القرن السادس عشر ، اذا كان كلاهما يصدر عن قناعات اجتماعية واخلاقية ودينية واحدة ، جعل استقلال المفكر ممكنا · ثم لم يلبث النشر ان صار تجارة ومهنة مربحة · وصار اصحاب المطابع والناشرون يخضعون لعوامل اقتصاديات السوق ودرجة اقبال الجمهور على انواع معينة من الكتب · صار المثقف الذى ليس له دور خاص ، تحت رحمة رجل الأعمال · كان في مقدور المؤلف من الأغنياء مثـل

مونتاني ومونتسكيو ان يكون فيلسوفا • اما المؤلف العادى ، فلم يكن يجد سبيلا الى اى عمل عقلي جاد • بالعكس ، لقد اصبحت مطالب القارىء غير المتعلم اعلى صوتا واكثر الحاحا ، وخلقت بالتالى مؤلفى التسلية والجنس وقصص الرعب • »

على ان اخطـر ظاهرة ترتبت على هـذه الظروف ، هي عزلة المفكر تماما عن حياة المجتمع المحيط به وغرقه في تاملات وافكار مجردة ،حتى كانت الثورة الفرنسية •••

على العكس من ذلك نجد « ميرل كيرتي» يحدثنا عن التجربة الامريكية فيقول : « ان الظروف المبكرة للحياة الأمريكية الغت التفرقة التقليدية بين « النظرية » و « الممارسة » • منذ البداية ، لم تتح الحياة الأمريكية ما يمكن ان يسمى « طبقة مثقفين مستقلة » كما حدث في حضارات الصين والهند واوروبا ، كذلك لم تفرض ظروف نشاة امريكا عليهم أى نوع من الوصاية • فكانت القاعدة تقضى على ذوي الاهتمامات الفـكرية ان يكسبوا رزقهم بانفسهم في نفس الوقت • وذلك بممارسة الطب او المحاماة ، او الانخراط في سلك رجال الدين ، او ادارة زراعة او تجارة بل واحيانا الاشتغال بالحرف اليدوية •

وهذه الظروف ذاتها لم تدفع المثقفين الى العمل والاختـلاط بالحياة فقط ، بل دفعت الرجال العمليين ايضا الى تنمية اهتماماتهم الثقافية •هكذا كان وليم بيرد مثلا يستخدم فى حياته اليومية كمالك كبير للاراضى ، ليس فقط ثقافته القانونية ،ولكن ايضا ثقافته فى الزراعة والطبيعة وغيرها• حتى التاجر ، كان على عكس زميله الاوروبى يحاول ان يعرف المزيد من انواع المعرفة التى تفيد تجارته ، كالملاحة ، والفلك ، والجغرافيا ، والاقتصـاد السياسى ، واللغات التى تتحدث بها الشعوب الاخرى » •

وهكذا ، حين بدأت حرب الاستقلال الأمريكية للانفصال عن انجلترا ، كان « الآباء المؤسسون » الذين اجتمعوا في وليامزبرج لوضع اسس الدولةالجديدة، كانوا جميعا من كبار المفكرين والعلماء في عصرهم فى شتى الفروع مـن الفلسفةالي القانون الى العلوم التطبيقية ••• جيفرسون وجون أدمزوغيرهما وكان فيهم مديرو جامعات واساتذة وخبراء بنسبة عالية جدا •

فلم يكن التحالف بين العلم والعمل جديدا على امريكا بعد ذلك • بل ان هذا المبدأ كان هو روح عصر التنوير الأساسية ، كما قال فرانكلين •

واعود بعد هذه الجولة الى بلادنا العربية ••• الى واقعنا •••

اننا لا نجد المثقف عندنا يقاسي فقط تاريخيا ـ ماقاساه المثقف الأوروبى مما سبق ذكره ، بل انه يعانى من مرحلة انقطاع فكرى تام ، دام عدةقرون من الزمان ، مع سيادة الاستبداد ، خصوصا خلال الامبراطورية العثمانيةالذى زاد على ثلاثة قرون •••

وعندما بدأ هذا يتغير مع العصر الحديث ، كانت مهنة الفكر والكتابة

فكرة محتقرة من الفئات المتميزة ،في حين ان التعليم لم يكن متاحا الا لهؤلاء. في مصر كانت الاسرة تكاد تتبرأ من ابنها اذا احترف الادب او كتب مقالا في الصحف . وكان المحامي يسمي في اللهجة العامية « السفيه » لانه الذي يدافع بالحق او بالباطل امام القضاة .

وهذا يذكرنا بقصة « فولتير » مع اشهر مؤلف انجليزي مسرحي في ذلك العصر وهو « كونجريف » . فقد سمع فولتير ان كونجريف المؤلف العظيم جاء الى فرنسا في رحلة ، فاسرع فولتير الى زيارته قائلا له : ان شهرته ككاتب هي التي دفعته الى الحضور لتحيته .ولكن كونجريف استاء من التحية، وقال لفولتير : انني « جنتلمان » ـ اى من النبلاء ـ قبل ان اكون مؤلفا ، وكنت اظن انك جئت تحييني لهذا السبب . فرد فولتير قائلا : انه ما كان ليسعى الى لقائه لو كان مجرد « جنتلمان ! » . ولكن ذلك كان هناك ، منذ قرون ...

المهم ان المثقف في العالم العربي شب عن الطوق ، واستطاع في حالات كثيرة التأثير في التفكير العام في بلاده ولكنه خرج لكي يواجه عددا هائلا من الضغوط لا حصر له ، القديم منها والجديد ...

شيوع الاستبداد السياسي والارهاب الفكرى في كثير من المراحل في كثير من البلاد العربية في تاريخها الحديث... انتشار الامية انتشارا مخيفا، ومازال قائما ، الذى يجعل دور العالم والمفكر بوجه عام مقتصرا على التأثير اومجرد الوصول الى عدد قليل من الشعب ، الذى يفكر له ...

ديماجوجية بعض الزعامات التى تستخدم سحرها لدى الجماهير ، في اسكات الصوت المختلف وارهابه فكريا ، بضغط الاغلبية المنساقة لها السلطة الرسمية .

طغيان وسائل الاعلام ذات الانتشار الساحق ، من صحافة واذاعة وتليفزيون ، وهي وسائل تحتاج الى استهلاك واسع من جهة ، والى تلبية رغبات نسبة كبيرة من غير المتعلمين من جهة اخرى . صار ضجيجها الترفيهى يغطي تماما على صوت العقل المفكر في القضايا الاساسية لأى بلد ، وهى محنة يعاني منها مفكرو العالم جميعا .

عدم وجود المؤسسات التى تنطوى على طابع البحث والتفكير والدراسة في شتى الفروع ، والتى قد يجد المثقف والباحث فيها ملاذا وملجأ ومجالا يفيد فيه ...

الشك القديم الذى يميز العلاقة بين السلطة وبين المثقفين بهذا المعنى.

وجانب من هذه المشكلة ، يكمن في اختلاف طبيعة كل من رجل العلم ورجل العمل ...

رجل العمل لا بد ان يكون من طبيعته القدرة على الحسم . واتخاذ القرار السريع ، وبالتالى فهو شخص مؤمن بما يفعل ، مصمم على تنفيذه ، لا يجوز ان يكون من طبيعته التردد ، ولا وقت لديه للتأمل ..

هذا ، بينما رجل الفكر والعلم لا بد ان يكون من طبيعته الشك والتأمل

وحاجته الى وقت طويل للوصول الى اقتناع ما ، وادراكه لمزايا عمل ما وتخوفه في نفس الوقت من آثاره الجانبية .

وازاء هذا الاختلاف بين الطبيعتين .. تتعمق روح الشك بين الاثنين ... فيزدرى صاحب المنصب حديث المفكرين والخبراء ، ويعاديهم . وينطوى اصحاب الفكر والعلم على انفسهم ، او يطلبون السلامة بالسكوت ، ويصبحون معارضين ... ايجابيين في اسلوب معارضتهم او سلبيين ، او يفعلون ما فعله مثقفو القرون الوسطى مما سبق ذكره ، « يشترون سلامتهم بالاستسلام الفكرى لغير ما يؤمنون به ويعتقدون فيه » .

ولذلك فان احدهما لا يصلح لان ياخذ مكان الآخر ، كما قلنا في صدر هذا الحديث .. انما المطلوب ان تقوم بين الاثنين علاقة صحية سليمة . تفيد رجل العلم والفكر لانه يدرك ويتعلم التعرف على المشاكل الحقيقية . وتفيد رجل العمل لانها تزوده بكل ما بذله رجل العلم والفكر من جهد ودراسة ومعرفة .

تحاول اكثر من دولة ـ على سبيل المثال ـ انشـاء مجلس للتعليم ، يضم اهل الفكر والخبرة في هذا المجال ، وان تعددت اراؤهم . ولكننا سرعان ما نجد الوزير المسئول عن التعليم ـ مثلا ـ اى المكلف بالتنفيذ .. يستنكف من مشورة هؤلاء ، ويرى في وجودهم وصاية عليه ، لا مساعدا له ، وسرعان ما يتجمد هذا المجلس ، او يموت دوره بالتدريج .

ونفس الامر في مختلف الاهتمامات .

هكذا نجد الكثرة من المثقفين العرب ، خصوصا اولئك الذين يريدون طرح قضايا العصر الحقيقية والمصيرية ، اما مهاجرين الى اماكن نائية ، واما مهاجرين هجرة داخلية ، وفى كلتـا الحالتين نراهم هائمين علـى وجوههم ، بضمائر مثقلة وآمال محبطة ، ونفوس جريحة . غير راضين عن انفسهم اكثر مما هم غير راضين عن ظروفهم . ولا يفيد البلد ما انفقت عليهم وهيأت لهم ، اى شيء .

اقول هذا الكلام ، وانا مدرك تماما ان هذه المشكلة جزء من درجة التقدم والنضج العام لأى مجتمع من المجتمعات ...

واقوله متوقعا ان لا يجد الكثيرون ان القضية على هذا القـدر من الاهمية . وهو اعتقاد غير صحيح ...

ان مشكلة التقدم في كل البلاد النامية ، لم يعد احد في العالم يترجمها الى درجة التقدم المادى وحده . والتقدم المادى وحده ليس تقدما راسخا ، انما قد يكون مظهريا سرعان ما تنهار اسسه ، وتتازم اموره اذا لم يصاحبه تقدم عام في كافة المجالات ..

التقدم المادى لا بد معه ـ بل لا بد له ـ من تطوير وتنوير بالنسبة لمجموع الشعب ، ولا بد لتطوير وتنوير مجموع الشعب من العناية بالعناصر المتميزة ـ قدرة ـ من ابنائه ، والمحافظة على المصابيح التى تضيء طريقه ، والقوى التى ترعى قيمه وتقاليده وعقائده وافكاره . ■■

احمد بهاء الدين

نظرية الاخلاق فى الاسلام

بقلم : الدكتور حسين فوزى النجـار

■ تقوم نظرية الاخلاق على نوع من التوافق، بين ما يصدر عن الانسان من الافعال الارادية الصادرة عن عقل واع وارادة حرة ، وبين المثل العليا للحق والخير والجمال ، وهى الاقانيم الثلاثة لنظرية القيم •

ويرى بعض فلاسفة الاخلاق أن الدين قيمة رابعة تضاف الى القيم الثلاث المتعارف عليها، وان كان البعض الاخر يرى فى الدين وقاء لها وليس قيمة رابعة تضاف اليها •

فاذا كان الدين وقاء القيم الانسانية ، فانها بلا ريب لا بد ان تتسق فى اطارها العام وفى مدلولها الخاص مع تعاليم الدين ، فالاديان ليست الا تقريرا لقيم انسانية يعلو فيها الوازع الالهى على وازع الضمير ويحميه من كل زيغ حين تغلب المنفعة صولة الضمير وتطهرها •

جوهر الاخلاق الاسـلامية

ويقوم جوهر الاخلاق الاسلامية على الايمان بالله وحده لا شريك له وبما امر به تعالى من قواعد لادب النفس وقواعد السلوك للفرد والجماعة • فالايمان بالله يتضمن الايمان بكل ما جاء به، وحين ينبع الخير من ضمير المؤمن يتجرد من كل نوازع الانانية وحب المنفعة وغرائز الشر الكامنة فى النفس البشرية ، فالدين سياج الاخلاق ، « ولو لم يضع الدين ـ كما يقول ميرزا محمد حسين مؤلف الاسلام والاشتراكية ـ قوانين كاملة للاخلاق لما نجح فى الارتقاء بالانسانية أو منع الشرور » •

الاديان هذبت الوازع فى ضمير الانسان

وحين تتجرد الاخلاق من الدين تفقد جذورها الاصلية فى النفس الانسانية ، وهى جذور تمتد فى ضمير الانسان الى أبعد آماد تاريخه فى بعض الاوقات التى لم يشرق عليه فيها نور الاديان السماوية ، حين يلوذ بما يتصور من قوى خفية ينشد الخير على يديها ويتجنب بقدرتها الشرور ، فهذا الوازع القديم فى ضمير الانسان قد هذبته الاديان السماوية ،وردته الى الصفاء الروحى المنبعث من الايمان بالله وبعقيدة البعث يوم تجزى كل نفس بما كسبت •

والاخلاق الاسلامية مما تتنزه بها الحياة عن الدنايا والشرور ، ويستقيم عليها أدب النفس وادب السلوك ، والقرآن حافل بما تتحلى به النفس من قيم الاخلاق ، وبما يجب أن يكون عليه سلوك البشر ، وبالنهى عما يجترح من هذه القيم أو ينال منها او يتطاول عليها أو يخدشها، أو يكون سببا من اسبابها أو يؤدى اليها ، كما نهى عما يسيء الى البدن حفاظا على الصحة • وعما يسيء الى العقل حفاظا على سلامة الادراك،

ومما يشوه جسم الانسان توقيرا للكرامة الانسانية في حالتي الحياة والموت .

ذروة الكمال

والاخلاق الاسلامية مما يتواءم مع الحياة الدنيا ، ومما يقوم عليه مجتمع انساني سليم ، فليس فيها اغراق او تطرف يحملها الى عالم التجريد ، وليس فيها ما يحمل الانسان فوق طاقته ، وانما هي من واقع حياة المسلم ما تستقيم معها حياته على الخير ، ويستقيم بها عقله على الايمان . اذ جمع الاسلام بين المثالية الرفيعة والواقعية التي تتفق مع العقل ، فلا يغفل الطبيعة البشرية ولا يسرح في تهويمات تجريدية بعيدا عن الحقيقة والواقع ، بل ينشد كسائر الاديان السماوية السمو بالانسانية الى ذروة الكمال المطلقة ، ولكنه اذا حقق ما ينشد أو حاول تحقيقه يعلم تماما أن الانسان قد جبل على النقص في حياته الدنيا . فاذا لم يقل : اذا لطمك اخوك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ، وقال بمعاقبة المسيء بمثل ما عاقب به . فقد رغب اشد الترغيب في العفو عن المسيء والاحسان اليه ودرء السيئة بالحسنة في قوله تعالى :

« وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » التغابن ١٤ .

ولسنا بصدد تعداد المثل الاخلاقية لادب النفس وادب السلوك في الاسلام مما اجمعت عليه الاديان ، ولا تختلف عليه فلسفة الاخلاقيين فردتها الى عالم الضمير والى المنطق التجريدي بينما نقلها الاسلام من عالم الضمير الى عالم الحس ، ومن التجريد الى الواقع المحسوس ، فكانت فرضا من فروضه ، لا يكمل بدونها ايمان الانسان ، ولا يستقيم بغيرها سلوك المرء ، ولا تقوم الحضارة الانسانية على اساس سليم الا بها . فالرحمة والبر والتعاطف والحياء والتواضع والفضائل على أنواعها قد تبدو من قبيل التجريدات التي تتفاوت فيها القيم ، وتختلف حولها المعايير والحدود ، ولكن الاسلام اقام لها المعايير ،وقاس عليها سلوك الانسان امام الله وامام الناس ، فما كان منها من ادب النفس ضرب له المثل ظاهرا من واقع الحياة ، وما كان منها من ادب السلوك فرض له المعايير والحدود وجعل منها جميعا هدى الايمان ونبراسه .

عبارات جامعة

واذا اردنا أن نلتمس عبارة جامعة للاخلاق الاسلامية التمسناها في قوله تعالى :

« كنتم خير أمة اخرجت للناس،تامرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » آل عمران ١١٠.

فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله ، هي الثلاثة قوام الاخلاق الانسانية ، فاذا ترجمناها الى واقع الحياة ومحسوسها اسعفنا القرآن بتفصيلها في كثير من آياته نكتفي ببعضها:

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » التوبة ٧١ .

« يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا. ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا. انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » الانسان ٧ـ٩ .

« وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن .. » الاسراء ٥٣ .

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » البقرة ١٧٧ .

« ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » النحل ٩٠ .

« قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا

بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » الاعراف ٣٣ ·

« ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » الاسراء ٣٧ ·

أساس لحضارة انسانية

وتلهمنا الاخلاق الاسلامية بما يمكن أن تسميه ثقافة اخلاقية بصفتها اساسا لادب النفس وادب السلوك ، واساسا لحضارة انسانية تقوم على التزاوج بين الروح والعقل ، فحيث يسمو الخلق الاسلامى بمبادئه الى اعلى ما ينشده الانسان من المثالية الروحية نراه يوفق بين ما هو ابدى دائم وما هو متغير زائل ، فحيث يتصل الانسان بالذات الالهية اتصال ايمان ويقين ، فانه يخلص لما هو ابدى دائم لا متناه غير متصل بحدود الزمان والمكان ، وحيث يؤمن باياته فانه يؤمن بما فيها من تنوع وتغير ، ويتكيف معها فى تنوعها ويتواءم معها فى تغيرها ، ولكنها فى تغيرها لا بد ان تخضع لما هو أبدى منها ، فالمبادىء والمثل لا تتغير ،فهى ابدية دائمة ولكن الصورة التى تلتزم بها وتتفاعل معها هى التى تتغير ، فالاخلاق الاسلامية فى ثباتها تثبت قدرتها على التطور بما تلهم من ثقافة اخلاقية متجددة مع الزمان والمكان فى ضوء يقينها الثابت الذى لا يتغير ·

وهذه القدرة على التوفيق بين ما هو ابدى وما هو متغير هى التى حملت الشاعر الفيلسوف محمد اقبال على القول « بان نبى الاسلام يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو بتاريخ رسالته ومصدرها من العالم القديم ، وبالروح التى انطوت عليها من العالم الحديث » ·

لكل زمان ومكـان

« وهذه القدرة ذاتها هى التى تجعل من الاخلاق الاسلامية اخلاقا صالحة لكل زمان ومكان ، وهى مصداق لختام النبوة نفسها ليقينها من استحالة بقاء الوجـود معتمدا الى الابـد على ما يقوده وعلى الانسان كي يدرك كمال معرفته بنفسه ينبغى ان يترك ليعتمد على وسائله فى ادراكها ، وان خلو الاسلام من الرهبنة ووراثة الملـك ومناشدة القرآن للعقل وللتجربة على الدوام ، واصراره على النظر فى الكون ، والوقوف على أخبار الاولين ، من مصادر المعرفة الانسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة ختام النبوة » ·

وبقدر ما تتواءم المثل الاسلامية مع كل ما هو دائم وما هو متغير بقدر ما تتواءم مع الفرد فى ذاته والفرد بوصفه عضوا فى مجتمع ، فلا تضحى بالفرد فى سبيل الجماعة ، ولا تطلق للفرد عنان الحرية ليستغل الاخرين ويستعلى عليهم ، فاذا استقام الانسان تحرر من الانانية ، وتحرر من الطغيان ، وتحرر من العنف ، وتحرر من عبادة الفرد ، وتحرر من الخوف والعوز ، فهى اقوم مثال للحياة فى كمالها المطلق · وللدولة بوصفها مثالا للضمير الاجتماعى للامة فى قوته وتماسكه·

والاخلاق التزام

والاخلاق الاسلامية التزام اكثر منها أوامر ونواهى ، فهى تقوم على الايمان بالله ، وحب الله ، وطاعة الله ، والولاء لله ، فما لم يكن الايمان اساس الطاعة ، والحب اساس الولاء ، لم يكن القهر حافزا على الالتزام ، لانه اذا غاب القهر غاب معه الالتزام « فالالتزامات الاخلاقية فى الاسلام ـ كما يقول ميرزا محمد حسين ـ ترمى الى تزويد المؤمن بصفات الله الحسنى، والارتفاع به فوق الشك والحيرة التى تسيطر على من يزاول حياة لا قيود فيها ولا التزام » ولهذا يرى « ول ديورانت» مؤلف « قصة الحضارة » « ان القانون والاخلاق فى القرآن شىء واحد ، فالسلوك الدينى يتضمن السلوك الدنيوى ، والقرآن يشمل قواعد للاداب وصحة الجسم والزواج والطـلاق ومعاملة الابنـاء والعبيد والحرب والسلم ، وللقرآن ـ كما يقول ـ اكبر الفضل فى رفع مستوى المسلمين الاخلاقى والثقافى ، اذ اقام فيهم قواعد النظام الاجتماعى والوحدة الاجتماعيـة ، وحضهم على اتباع القـواعد الصحيـة ، وحرر عقولهم من كثير من الاوهام والخرافات ، ونفوسهم من الظلم والقسوة ، وحسن أحوال الارقاء ، وبعث فى نفوس الاذلاء الكرامة والعزة ، وطبع المسلمين ـ اذا استثنينا ما كان يقترفـه بعض الخلفـاء

المتأخرين ـ على الاعتدال . والبعد عن الشهوات، الى حد لم يكن له مثيل في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الابيض ، وعلم الاسلام الناس ان يواجهوا صعاب الحياة ، ويتحملوا قيودها ، فلا شكوى ولا ملل ، وبعثهم في الوقت نفسه الى التوسع توسعا كان أعجب ما شهده التاريخ كله ، وشرح القرآن الدين وحده تحديدا لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله . فالاخلاق الاسلامية هي التي فتحت القلوب المغلقة للاسلام ، فلم تمض بضع سنوات على بعث الدعوة حتى اصبح الاسلام عقيدة الملايين من البشر، ولم يمض قرن من الزمان حتى ارتفعت راية الاسلام فيارجاء العالم القديم، واوقعابناء الباديةالهزيمة بجيوشكسرى وقيصر ».

دستور للحياة

وفي آداب الاسلام واخلاقياته ومعنوياته ما يقوم دستورا للحياة في كل صور الحياة واسماها ، وللحضارة في أرقى ما تصل اليه الحضارة، يصوغ المعاملات والعلاقات الاجتماعية والسلوك الانساني على الحق والخير ، ولا يضع قيودا على الضمير ، او يحول دون تقدم الفكر ، ولا يكبل الانسان بالزهد والتقشف ، ولا يرضى أن يسلم نفسه للترف والمتاع ، بل كان بين ذلك قواما ، ويدعو الى التأمل والنظر في خلق الله ، واعمال الفكر ليسمو العقل الىحقيقة الكون والكشف عناسراره.

والاخلاق الاسلامية تقوم على المحبة ومبناها الاخوة، والعدل ومبناه المساواة، والرحمة ومبناها الاحسان والتعاطف والصبر ، والامر بالمعروف ومبناه حب الخير للآخرين ، والنهي عن المنكر ومبناه كل ما يسيء الى النفس والى الآخرين .

واذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : ـ أدبني ربي فاحسن تاديبي ـ ويقول : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فليس بعد من تحديد يفوق هذا التحديد لجوهر النظرية الاخلاقية في الاسلام، التزاما بالفضائل ، وتجنبا للرذائل .

« فالفضائل والرذائل قيم لا تخضع للتقنين العلمي ـ كما يقول برتراندرسل ـ ولكن العلم اذا تخلى عنها ولم يجد لها تقديرا عادلا كان مجلبة للشر ، ولنتجت عنه أسوأ النتائج » .

على أسس منهجية

والتقدير العادل للقيم ـ كما نرى ـ هو بما تعكسه من نتائج على الحياة ، فان كانت خيرا كانت القيم التي تحكمها خيرا ، وان كانت شرا كانت القيم شرا . ولكن الخير والشر مما يتصل بالقيم ، ولا يخضعان بدورهما لمعيار مادي ، ما لم تتحول تلك القيم الى مدلولات مادية ، كما يرى اصحاب المذهب التجريبي لفلسفة الاخلاق، فالزكاة والصدقات لها مقاييسها المادية ، واذا قيل لا تسرق ولا تقتل ولا تزن فان لكل منها دلالتها المادية ، لذلك كان على الدين أن يفسر الفضائل والرذائل بدلالاتها المادية المحددة ، حتى لا يضل العقل في تجريدات مبهمة يفسرها كل انسان على هواه ، لذلك قامت الشريعة الاسلامية على أسس منهجية منظمة ، حتى شعائر العبادات ليست في ذاتها الا تعبيرا ماديا عن الايمان بالله والقرب من الله ، وهو ما نرد به على بعض الاوروبيين الذين رأوا في العبادات الاسلامية تعقيدات افترضوا فيها التزيد .

الله

فالاسلام تشريع لهداية الانسان ، هداية ترتفع به لترى نور الحق ونور الجلال في الله وحده ، « لا اله الا هو الرحمن الرحيم .. » نور السموات والارض .. » « فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي .. » « له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت .. » « الحي لا اله الا هو .. » « يسبح له من في

السموات والارض ٠٠ » « هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ٠٠ » « وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ٠٠ » « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ٠٠ » « ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ٠٠ » « ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون » ٠

وهداية تصله بالارض التى يعيش عليها لتستقيم حياته على الحق والخير ما التزم بقواعد الدين واخلاقه وادابه ، وبما رسم له من حدود ، وبما سن من شرائع تقوم عليها حياة الفرد والجماعة متوائمتين في توازن ، لا تطغى فيه الفردية على الجماعية ، ولا الجماعية على الفردية ،حيث يقوم الوازع الالهى متسقا مع وازع الضمير ، ليعرف الفرد واجبه نحو الجماعة ، ولتعرف الجماعة واجبها نحو الفرد ، فحقوق الفرد هى واجب على غيره من الافراد وعلى الجماعة ، وحقوق الجماعة هى واجب على الفرد ٠ فالحقوق في الاسلام واجبات وتكليف ، حتى قيل في تعريف الفقه الاسلامى انه « العلم بالاحكام الشرعية الثابتة لافعال المكلفين خاصة » فاذا ارتقى الحق الى درجة الواجب واصبح تكليفا والزاما لم يعد من الحقوق الا ما هو واجب وحق وتميز الحق في الواجب ٠

ويقوم الوازع الالهى على الايمان ، وبدونه تختل القيم ، فقد خلق الانسان ضعيفا ، وهو في ضعفه ينشد منفعته ولو كان فيها ضرر للاخرين ، فالمنفعة نزعة اصيلة في الانسان ، ولعلها أهم نزعة تسيطر على سلوكه ،ولكن مردها الانانية ، ومن حق الفرد أن ينشد منفعته ويسعى وراءها ما لم تكن سببا في مضرة الاخرين ، والوازع النفسى عند الفرد ، هو الذى يحول بينه وبين تحقيق منفعته على حساب الاخرين ، ويرد الاخلاقيون هذا الوازع الى الضمير ، ويرونه أسمى ما يصل اليه الانسان من ارتقاء ،ويقوم القانون الوضعى بتنظيم العلاقة بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ، ويضع القيود على نوازع الفرد التى تضر بالاخرين ، ولكن طالما استطاع الفرد خداع القانون ، وتجنب المضرة التى تنجم عليه من مخالفة القانون ، فان وازع العقوبة يتضاءل في نفسه ، ولا يبقى غير وازع الضمير ، وهو وازع يختفى غالبا امام المنفعة ، فلكل انسان مهما يبلغ وازع الضمير فيه من القوة والاصالة حده من المنفعة ، فاذا فاقت المنفعة وازع الضمير تغلبت المنفعة ، واذا كانت دون ما يراه الانسان لقدره رفض المنفعة لا بوازع الضمير ولكن لان المنفعة في نظره اقل مما يستوجب تقديره لذاته ، فاذا لم يزع الانسان ما يفوق وازع الضمير من خوف الله ورهبته ، طغت الانانية ، وضعفت الاخلاق ،واصبح باطن الانسان غير ظاهره «ومكنون امره ــ كما يقول مؤلف حياة محمد ــ غير ما يبدو للناس به ، فهو يصطنع الامانة وليس ما يمنعه ان يتخذها ذريعة لتصيد المنافع ، وهو يتظاهر بالصدق ولا يصده عن مجافاته جلب منفعة له ٠ اخلاق ذلك ميزانها ما أسرع ما يضعف صاحبها امام المغريات، وما اسرع ما يجرى وراء الاهواء والغايات (١) »

هداية وتصديق

وكما جاء الاسلام هاديا للنفس البشرية من نوازع الضلال والشرك فقد جاء مؤتلفا مع الطبيعة البشرية لا يشذ عنها ، مصدقا للعلم والعقل ،حاثا على كشف اسرار الكون والسيطرة عليها ، لذلك كان دين الفطرة ودين العقل ، « وما زال الاسلام بما فيه من مزايا يمدها لبنيه ــ كما يقول ولفرد بلنت في كتابه مستقبل الاسلام ــ قادرا على اجتذاب الناس اليه ، وهى مزايا تفوق كل ما تستطيع الحضارة الاوروبية ان تقدمه » ٠

وما الحياة باشد حاجة الى تعاليم الاسلام واخلاقياته كحاجتها اليوم ، اذ عجزت الحضارة الحديثة عن ان تمد الناس بالهدوء والطمانينة والسعادة ، وارتكست بهم في حياة مادية قاسية ، ملات الناس بالقلق والتمزق والضياع ،حين عجزت عن ان تمدهم بالقيم الروحية والاخلاقية التى تمنحهم الهدوء والاستقرار ٠ ■■

حسين فوزى النجار

(١) حياة محمد : الحضارة الاسلامية كما صورها القران للدكتور محمد حسين هيكل ٠

بالفروسية .. كسر العرب شوكة الصليبيين

بقلم : الدكتور محمد عمارة

■ فى الصراع الحضارى ، والتاريخى ،الذى استمر قرونا بين الشرق العربى والغرب الاستعمارى اكتسبت الشخصية العربية وضوحا وصلابة فى قسماتها النضالية . وكان ذلك بعضا من حسنات هذا الصراع . ولما كان صراعنا الحضارى هذا لايزال قائما ، رغم تبدل الظروف وتغير الاشكال وتنوع المضامين . فان الكشف عن ايجابيات الشخصية العربية ، التى مثلت اسلحة استعان بها الانسان العربى فى صراعه هذا ، هو امر حيوى ، يجعل من بعض الوان الدراسات التاريخية اسهاما فى معالجة القضايا الراهنة ، بل والمستقبلية .. وعندئذ يصبح التاريخ علما وفنا تتجاوز ثماره نطاق الوعى بالماضى ، لمجرد الوعى، لانه فى هذه الحالات يضيف الى عمر الاحياء اعمار الاسلاف عندما يسلح الاجيال الحالية والمستقبلة بخبرات القدماء، وثمرات صراعاتهم ضد الاعداء .

والقسمة ، التى تود هذه الصفحات لفت النظر اليها ، والتدليل عليها ، من قسمات الشخصية العربية ، هى ان هذه الشخصية ، لعوامل كثيرة من بينها طول الصراع الحضارى بينها وبين الطامعين فى احتوائها والاستيلاء على موطنها ومقدراتها ، قد اكتسبت خاصية : الاستجابة المتحدية والانتفاضة الايجابية ضد ما يقتحم عليها حياتها ووطنها من اخطار وتحديات ، الامر الذى حفظ لها ذاتيتها المتطورة ، فاستعصت على المصير الذى لاقته امم اخرى انقرضت او ذابت فى موجات من الغزو لم تبلغ مبلغ الغزو الذى تعرض له العرب عبر تاريخهم الطويل ..

والحدث الذى تتخذ منه هذه الصفحات مادة للدلالة على هذه الحقيقة هو ذلك الصراع الدامى والطويل الذى عرفته منطقتنا مع الغرب الاستعمارى فى العصور الوسطى ، والذى اشتهر باسم الحروب الصليبية ..

صراع حضارى يرفع اعلاما دينية

لقد مثل الاسلام بالنسبة للشرق والشرقيين ، على اختلاف اصولهم وعقائدهم ، بزوغ الفجر لمرحلة من اليقظة ، سارت فيها شعوبه خلف العرب المسلمين ، كطليعة ، لازاحة موجة الغزوة اللاتينية التى سيطرت على المنطقة منذ انتصار الاسكندر المقدونى (٣٥٦ ــ ٣٢٣ ق٠م) على الشرق بعد هزيمة الفرس ، الذين كانوا يتولون يومئذ قيادة الشرق فى ذلك الصراع القديم ..



ومن هنا كانت الفتوحات العربية ذات مضمون تحريرى لا يمكن لعين متاملة ومخلصة ان تخطئه، وذلك هو التفسير العلمى لاسهام المسيحيين فى مصر والشام والمغرب ، الى جانب العرب المسلمين فى الصراع الذى انتهى بهزيمة الحاميات العسكرية للروم البيزنطيين المسيحيين ..

لقد اجتمعت للعرب المسلمين يومئذ امكانيات فكرية تمثلت فى الفكر الاسلامى الشاب والعقلانى والبسيط ، وقدرات قتالية جاءت ثمرة لوحدة القبائل العربية التى تربت فى بوتقة الفروسية والصراع ، هذه الوحدة وتلك الفروسية ازدادتا قوة وقدرة عندما تدعمتا بسلاح الايمان بالدين الجديد .

وعندما اكتملت للمنطقة كلها ، بعد الفتوحات، قسمة التعرب، وتوحدت هويتها الحضارية، اجتمعت لها كلها ، لا لعرب شبه الجزيرة وحدهم ، تلك الاسلحة والطاقات والامكانيات ، فبدات نظم الحكم العربية بالجيش وبالفكر مرحلة جديدة حاولت فيها اقتحام معاقل الخطر التاريخى الذى هددها كثيرا وطويلا .. بدات محاولات الغزو لاوروبا ذاتها وخاصة جنوبها ، بعد ان توقفت قرابة قرن من الزمان عند فتحها للاندلس سنة ٧١١م .

المد الحربى والفكرى

فبعد أن دخلت المنطقة فى اطار التعرب وتسلحت بفكر العرب ، الذى شهد نموا وثراء عندما ورث وطور المواريث الحضارية لكل شعوب المنطقة ، وتسلحت المنطقة كذلك بالسلاح العربى بعد أن كانت تحتمى به فقط ، مدت ابصارها عبر البحر المتوسط مؤملة تحويل شاطئه الشمالى الى رقعة عربية تصل وطن العروبة وارض حضارتها من الاندلس الى الشام بالسيف وبالفكر معا !!

ـ ففى سنة ٨٠٩م فتح العرب واحتلوا جزيرة « كورسيكا » ...

ـ وفى سنة ٨١٠م فتحوا واحتلوا جزيرة « سردينيا » ..

ـ وفى سنة ٨٢٥م فتحوا واحتلوا جزيرة « كريت » ...

ـ وفى سنة ٨٢٧م بدأ فتحهم لجزيرة « صقلية » ..

ـ وفى سنة ٨٧٠م كان فتحهم واحتلالهم لجزيرة « مالطة » ..

ـ وفى تلك الحقبة تجاوزوا فتح الجزر وحروب البحر ، فاقتحموا الجنوب الاوروبى فى ايطاليا ، فنزلت جيوشهم سنة ٨٤٦م بميناء « اوستيا » .

وهو المرفأ البحري لمدينة روما ، واستمر تهديدهم لها سنوات ثلاث ، بكل ما عناه ذلك من اقتحام المعقل الذي ظل طويلا مركز الخطر الروماني الذي احتل الشرق واقام لنفسه الدول بالشمال الافريقي ومصر والشام . ثم استخدم نصرانية الحبشة في محاولة القضاء على البقعة العربية التي افلتت من سيطرته ، فحاولت غزو مكة عام الفيل ، بعد ان احتلت اليمن ردحا طويلا من الزمان ٠

ـ وحتى بعد انحسار هذا التهديد العربي لروما سنة ٨٤٩م ، عادوا فحاولوا غزوها سنة ٨٧٢م ٠٠ واستمر تهديدهم لها ولايطاليا حتى سنة ٩١٦م ٠٠ واثناء تلك الفترة فرضوا الجزية على روما ، وسجل التاريخ أن البابا يوحنا الثامن ظل ، لعامين ، يدفع للعرب جزية سنوية مقدارها ٢٥٫٠٠٠ رطل من الفضة ! ٠

ـ ومرة ثالثة عاد التهديد العسكري العربي الى أرض ايطاليا ، بعد أن قامت الدولة الفاطمية بالمغرب ـ (تونس) ـ ٩٠٩م . فلقد اتخذت من « صقلية » سنة ٩١٧م قاعدة لهجماتها ضد الشواطىء الاوروبية ، ووصلت حملاتها الى « البندقية » و « جنوه » سنة ٩٣٥م ٠٠

ـ وفي النصف الثاني من القرن التالي ـ (سنة ١٠٧١م) ـ أحرز السلاجقة انتصارا كبيرا ضد البيزنطيين في معركة « منزكرت » (ملاذ كرد) ، واسروا يومها الامبراطور البيزنطي « رومانوس ديوجنس » وحتى ذلك التاريخ كانت الدوائر الكنسية الكاثوليكية في أوروبا ـ وهي وحدها دوائر الفكر والثقافة هناك ـ تقيم أمنع الحواجز ضد ما كانت تزخر به المنطقة العربية من علوم وفنون وأفكار ونظريات ٠٠ كانت أوروبا تعيش قمة ظلام عصورها المظلمة على حين كانت القاهرة تنعم باضخم مكتبة عرفتها عواصم تلك القرون وبدور الحكمة والمراصد والفكر العقلاني والجدل النظري الذي يعلي من قدر العقل فيحقق المعنى الحقيقي لانسانية الانسان ٠

ولكن هذه الدوائر الكنسية ، التي افلحت في صد جيوش العرب الغازية ، قد اخفقت في تحصين العقل الاوروبي ضد الفكر العربي ، فحدثت وعملت قوانين تلك « السنة » الكونية التي تكررت على مر العصور : تحدث الصراعات المسلحة وتنتهي ، وتنجح الحملات الحربية وتخفق ، وتقوم الدول وتضمحل ٠٠ ولكن الابقى والادوم والافعل هو ، دائما وأبدا ، التاثيرات الفكرية والحضارية التي تستفيدها الامم والشعوب من خلال عنف هذه الصراعات ! ولذلك فان التاريخ يسجل ، أو يجب ان يسجل ، ان النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي هو الذي شهد طلائع التأثر الاوروبي بالفكر العربي ، وهو التأثر الذي أصبح المنطلق الحقيقي الذي انطلقت منه أوروبا ، عبر قرون عدة واحداث كبرى، الى عصر النهضة والتنوير ٠٠

ـ فقسطنطين الافريقي (المتوفى سنة ١٠٨٧م) هو الذي ارتاد حركة ايقاف الاوروبيين على الثمار العقلية للحضارة العربية الاسلامية ٠٠ وهو مفكر طلائعي ، خلف وراءه أربعة وعشرين كتابا ٠

ـ ولقد جاء قسطنطين الافريقي وفكره ومصنفاته ثمرة لعاملين رئيسيين :

أ ـ رحلته التعليمية والعلمية التي زار فيها كلا من : خراسان ، والهند ، وبغداد ، والشام ، ومصر ، والقيروان ، حيث درس وتعلم ووقف على البناء الفكري والحضاري العملاق ٠٠

ب ـ الدراسة والتخرج في أول مدرسة طبية قامت بايطاليا ، وهي مدرسة (سالرنو) التي تأسست في القرن التاسع الميلادي ، والتي كان تأسيسها بداية اسهام العرب المسلمين في ايقاظ أوروبا ، عن غير طريق الاندلس ، فلقد أسس هذه المدرسة ـ التي التحق بها قسطنطين الافريقي سنة ١٠٦٠م ـ أربعة رجال : لاتيني، ويوناني ، ومسلم ويهودي ! فكانت أول مدرسة ، خارج الاندلس ، تعلم الناس الطب في أوروبا ! ٠٠

ـ وفي تلك الفترة اقتحمت علوم العرب على الايطاليين أسوار جامعة « بولونيا » ، فبدأت عنايتها بهذه العلوم سنة ١٠٧٦م ٠٠

الموجة المعاكسة

ان صراعات الامم والشعوب والحضارات لا تقف اسبابها عند ردود الافعال ، والذين يفسرونها هذا التفسير السطحي لا يبصرون ما في الاعماق ٠٠ لكننا ، في ذات الوقت ، يجب ان نعطي اهتماما كبيرا لما تولده المخاطر عندما تحيق بالامم الاصيلة ذات الحضارة والتراث ، ما تولده هذه المخاطر من طاقات تجعل هذه الامم التي تمتحنها هذه المخاطر

تستجمع عناصر قوتها وتجدد شباب حياتها ثم تنهض لتحدي الخطر وكسر الطوق الملتف حول عنقها والمهدد لها بالفناء ..

ونحن نتخذ من هذا العامل نموذجا وسبيلا يعفينا من سرد اسباب كثيرة ، لا يتسع لها المقام، وقفت خلف المد الاوروبي الذى تمثل فى الحروب الصليبيه على الشرق العربي ، ذلك المد الذي ارادت به اوروبا أن تسترجع ما تحرر منه تحت رايات الاسلام ..

ـ فالجيوش العربية باساطيلها قد حولت البحر المتوسط الى بحيرة عربية خاصة وخالصة، ثم هي قد شرعت تحتل وتهدد شاطئه الاوروبي ، بعد أن استقرت في جزره الاوروبية الكبرى ..

ـ والمدن التجارية الاوروبية ـ وخاصة الايطالية منها ـ لم تحرم فقط من امتيازاتها التقليدية فى التجارة العالمية عبر طرقها الشرقية والعربية، وانما وطئت ارضها باقدام الفاتحين العرب المسلمين ..

ـ والنمط الفكرى المتخلف الذى سجنت فيه الكنيسة الكاثوليكية قارتها الاوروبية قد سددت العقلانية العربية الاسلامية اليه السهام ..

ومن هنا كان نهوض الكنيسة الكاثوليكية ، خاصة فى عهد البابا الذهبى اربانيوس الثانى (١٠٤٢ ـ ١٠٩٩ م) لقيادة اوروبا في زحف تاريخي بربرى استهدفت من ورائه ، لا هزيمة العسكرية العربية فحسب ، بل واطفاء المنارات الفكرية العقلانية التى ترسل الضوء المقض لمضاجعها من مراكز البحث ودور العلم والحكمة فى ديار الاسلام ..

ـ فبدات طلائع الحروب الصليبية على ارض الاندلس ، وسقطت « طليطلة » بيد الفونسو السادس سنة ١٠٨٥ م .

ـ وبعد خمس سنوات سقطت « صقلية » بيد النورمان ـ (سنة ١٠٩٠ م) ـ ..

ـ وفى نفس التاريخ ـ (سنة ١٠٩٠ م) ـ سقطت « مالطة » .. وانحسر عنها الحكم العربى ..

ـ وفى سنة ١٠٩٥ م اكتمل للكنيسة تجميع عناصر قوتها : فالدعاة شحنوا العامة بمشاعر مجنونة عن الحرب المقدسة ضد المسلمين «الوثنيين» الذين يعبدون الحجر الاسود ويسجدون لمحمد ، ويدنسون مهد يسوع وقبره ! .. وفرسان الاقطاع الاوروبى اطمعتهم الكنيسة بملك الشرق وخيراته ان هم وجهوا فروسيتهم وباسهم لقتال المسلمين، بدلا من حروبهم المحلية التى لا تنتهى .. والمدن التجارية الاوروبية قد تعهدت بتمويل الجيوش مقابل امتيازات التجارة الدولية التي حرمها العرب منها منذ أن توحد العرب تحت رايات الاسلام ..ولقد دشنت الكنيسةنصرها الاستعدادى هذا فى « المجمع » الذى عقدته سنة ١٠٩٥ م بمدينة « كليرمونت » بجنوبى فرنسا ، وهو المجمع الذى خطب فيه البابا الذهبى اربانيوس الثانى ، خاطب فرسان الاقطاع الاوروبى بقوله : « ... انتم فرسان الوباء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم .. ولكن ، تعالوا وحاربوا الكفار (المسلمين) ـ ! ... يا من تنابذتم اتحدوا ... يا من كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا ! ... تقدموا الى بيت المقدس ... انتزعوا تلكالارض الطاهرة، واحفظوها لانفسكم، فهى تدر سمنا وعسلا ! .. انكم اذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق ! ... »

وشهدت العصور الوسطى اعجب وابشع واطول حملات الغزو والاستيطان التى عرفها ذلك التاريخ ،ففي خلال نحو قرنين قذفت اوروبا ارض الشرق العربى بنحو عشر حملات حربية مولها التجار وقادها فرسان الاقطاع وزحف فى ركابها الغوغاء ، وتضامنت فى قذف الشرق بها الممالك والامارات والولايات ..

ـ (١٠٩٦ ـ ١٠٩٩م) : كانت الحملة التى قادها كل من الملوك والامراء : جودوفروادى بويون ، وبودوين ، وبوهمند ، وريمون تانكرد..

ـ (١١٤٧ ـ ١١٤٩م) : كانت الحملة التى قادها : كونراد ملك جرمانيا ، ولويس السابع ملك فرنسا ..

ـ (١١٨٩ ـ ١١٩٢م) : كانت الحملة التى قادها : فريدريك باربروس امبراطور جرمانيا ، وريتشارد قلب الاسد ،وفيليب اوجست ملك فرنسا ..

ـ (١٢٠٢ ـ ١٢٠٤م) : كانت الحملة التى قادها : بودوين التاسع ، كونت الفلاندر ..

ـ (١٢١٩ ـ ١٢٢١م) : كانت الحملة التي قادها : جان دي بريان ملك القدس ، واندريا الثاني ملك المجر ..

ـ (١٢٢٨ ـ ١٢٢٩م) : كانت الحملة التي قادها : فريدريك الثاني ..

ـ (١٢٤٨ ـ ١٢٥٤م) : كانت الحملة التي قادها : لويس التاسع ملك فرنسا ضد مصر ..

ـ (١٢٦٧ ـ ١٢٧٠م) : كانت الحملة التي قادها : لويس التاسع ضد تونس ..

ولقد نجحت هذه الحملات حينا ، فكونت الدول والامارات الاستيطانية اللاتينية ، بارض الشام وفلسطين ، حتى استطاعت زمنا ، تحقيق الهدف الاستراتيجي للغزاة فشقت الوحدة الارضيةللوطن العربي وعزلت مشرقه عن مصر ـ القلب ـ والمغرب ، بكياناتها التي احتلت الارض الفلسطينية التي تصل ما بين البحر المتوسط وخليج العقبة ، ثم اخذت تهدد مصر ، حتى لقد فرضت الجزية عليها زمنا ، واقامت لفرسانها مركزا على ابواب القاهرة وبيدهم مفاتيح لها ، مستغلين في ذلك ومستفيدين من صراعات وزراء الدولة الفاطمية على السلطة والسلطان ! .

نجحت هذه الحملات عندما نفذت الى الوطن العربي من تلك الثغرة التي افقدته التوازن الحضاري الضروري والمطلوب .. فالعرب قد نجحوا في التحرر من البيزنطيين ، بل وفي تهديد اوروبا في مواطنها عندما كان تحركهم جهادا في سبيل الله ، وامتلكوا : السيف والقلم ، ودان لهم : العقل والقوة ، ووظفت القوة طاقاتها في خدمة العقل .. فلما اعتمد العباسيون على القوة غير العربية ، وتكون الجيش من المماليك ، زال الانسجام بين العقل والقوة ، فتحولت القوة الضاربة ـ وهي غير قومية ـ الى قيد على العقل العربي ، فكانت السلطة العسكرية المحافظة فكريا والمستبدة سياسيا ، والتي اصابت المد الحضاري وعصره الذهبي بانتكاسة لم يتخلص العرب من آثارها حتى الآن ..

وعندما عالج الفاطميون بعض اسباب ذلك التحلل العباسي ، نجحوا بعض النجاحات ،خصوصا عندما اقاموا في قلب الوطن العربي عاصمتهم ـ القاهرة ـ التي صارت القلب والقاعدة لوطن اكتملت في جناحيه عملية التعرب وتوحدتهويته الحضارية الى حد بعيد ..

ولكن جيوش الفاطميين البدوية انعزلت عن الطابع الحضاري العقلاني الراقي الذي تمثل في الازهر ودور الحكمة والمراصد والمكتبات ..فحدث الانفصام بين العقل وبين القوة ، وانشغلت القوة بصراعاتها القبلية الامر الذي افقد العقل درعه وحرم القلم سيفه ، فكانت الثغرة التي نفذ منها الصليبيون عندما نجحوا في تحقيق ما حققوا من انتصارات ..

المطامع العارية

ولم تستطع ثياب الكهنة ولا اردية الرهبان ولا الصلبان التي حملها الفرسان ان تخفي المطامع الحقيقية والاسباب الموضوعية التي حركت اوروبا الاستعمارية في هذه الحملات ..

ـ فالذين حملوا انجيل ديانة السلام والتسامح والمحبة ، كتبوا هم انفسهم الى البابا الذهبي يباهون بالمجازر التي صنعوها بالعرب والمسلمين، بعد دخولهم القدس ، فقالوا : « .. اذا اردت ان تعرف ما يجري لاعدائنا ، فثق انه في معبد سليمان ـ (جامع عمر بن الخطاب) ـ كانت خيولنا تغوص الى ركبها في بحر من دماء الشرقيين ! » ... والشرقيون هؤلاء كانوا هم العرب ، مسلمين ومسيحيين !! ..

ـ وهذه الحرب التي صورتها الكنيسة على انها مهمة دينية مقدسة يبتغون بها وجه الله ورضاء يسوع ، تكشفت عن حرفة دمار هدفها المال ، وانجاز بربري يبتغون من ورائه ارض العرب وخيرات الشرق الدنيوية ..ووفق كلمات البطريرك مكسيموس مونروند في كتابه (تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، المدعوة حرب الصليب) « جـ ١ ص ٨٠ ، ٨١ » يقول عن غايات فرسان الاقطاع الاوروبي من حملاتهم الحربية هذه ضد العرب : « .. فكثيرون من الاشراف والعظماء صاروا يعتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعيةلجمع الاموال الغنية ، بل ان التعطش نحو اخذ الغنائم وحده كان يجذب الجيش الى المحاربة ! ... »

ـ وارض الشرق التي وعد البابا الذهبي فرسانه بها ، وقال لهم عنها : انها تدر سمنا

وعملا ! ٠٠ بدأ هؤلاء الفرسان يوزعونها على انفسهم اقطاعات ، حتى قبل ان تقع فى ايديهم ممالك وامارات ٠٠ فعندما عزموا على غزو مصر ، « مسحوا » ارضها ، ووزعوها على الامراء والفرسان ٠٠ وبعبارة « ابو شامة » فى كتابه (الروضتين فى اخبار الدولتين : النورية والصلاحية) يقول ـ « جـ ١ ص ٤٣٠ » : « ٠٠٠ وكان ملكهم ـ لعنه الله ـ لما دخل ديار مصر قد اقام من اصحابه من كتب له اسماء قرى مصر جميعها ، وتعرف له خبر ارتفاعها ـ (دخلها) واحضر وزيره وامره باقطاع بلاد مصر لخيالته ـ (فرسانه) ـ وفرّق قراها على اجناده ! » ٠٠

ـ والتمويل الذىقدمته مدن اوروبا التجارية ـ خاصة جنوه ، ونابولى ، وبيزا ، والبندقية ـ لهذه الحملات اخذت تسترد اضعاف اضعافه باحتكارها السيطرة على طرق التجارة ، وجلب الارباح حتى من تجارة الاقاليم التى نجت من الاحتلال المباشر ٠٠ و « غليوم الصورى » يصف تراحهم من تجارة مصر فيقول : « كانت خزائن مصر تحت تصرفنا ٠٠ كما ان موانىء اقاليم مصر كلها كانت مفتوحة لقبول مراكبنا ، وتجارها كانوا ينقلون الى موانىء بلادنا غلات اراضيها وهذه المتاجر كانت كلية الفوائد لنا ٠٠ وكانت الجزية والخراجات توفى لنا بانتظام ! » (جـ ٢ ص ٧٦ من : حرب الصليب) ٠٠

هكذا انكشفت المطامع عارية ، ولم تفلح فى سترها دعايات الكهنة ولا اردية الكهنوت ٠

فماذا صنع الشرق ؟

وامام هذا الخطر المدمر والبربرىلهذا الاستعمار الاستيطانى انتفض كيان الشرق العربى فافرز عوامل القوة والمقاومة التى تصدت لفرسان الاقطاع الاوروبى حتى هزمتهم وقذفت بهم وبكياناتهم الغريبة الى مواطنهم الاصلية ٠٠

وخلف هذه الانتفاضة وفيها كان الفعلوالتاثير لتلك القسمة التى ميزت شخصية الانسان العربى امام المخاطر والتحديات ، وهى القسمة التى بلغت مبلغ القانون الذى حكم صراعاته ضد اعدائه ٠٠ فهو يبصر سر تفوق الخصم ، ثم يسعى لامتلاك هذا السر ، فيضيف فاعليته وتاثيره الى سلطان الحق المتمثل فى عدالة قضيته ٠٠ وبذلك تجتمع لديه امكانيات النصر فى هذه الصراعات ٠٠

ولقد كانت الفروسية الاقطاعية الاوروبية فى مقدمة اسباب التفوق الصليبى على العرب فى ذلك الصراع ،فاوروبا المتخلفة حضاريا كانت تمتلك مؤسسات للفروسية ، افرزها عصرها الاقطاعى ، رسخت تقاليدها فى الحرب ، وبرزت وحشيتها فى حملاتها ضد العرب والمسلمين ٠٠ كان شرف الفروسية والفارس عندهم يتمثلفى الاخلاص والطاعة والشجاعة ٠٠ وكانت اهدافها: حماية السادة ،والكنيسة ، وقتال الكفار ـ (المسلمين) ـ !! ٠٠ ولقد ساعدت الحروب الصليبية على اعلاء شان الفارس والفروسية لدى اوروبا فى ذلك العصر ، حتى لقد اصبح الفارس عندهم وفى مجتمعهم يمثل كل شىءوكل قيمة ٠٠ وبعبارة المؤرخ الناقد اسامة بن منقذ ـ وهو معاصر لتلك الاحداث ـ (الاعتبار ص٦٤، ٦٥) : « الفرنج ـ خذلهم الله ـ ليس فيهم من فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة ، ولا عندهم مقدمة ولا منزلة عالية الا للفرسان ،ولا عندهم ناس الا الفرسان ،فهم اصحاب الرأىوهم اصحاب القضاء والحكم ! ٠٠ » .

ومن هنا صحت عزيمة الشرق فى انتفاضته ضد هذا الخطر على امتلاك سلاح الفروسية واقامة مؤسساتها حتى يقهر بها خصومه ويجلى بواسطتها غزاته ، فلا يفل الحديد الا الحديد !

ولكن الشرق ذا الحضارة والتراث الاسلامى لم يكن ، وما كان له ، ان يصنع فروسيته على النمط الوحشى الذى ميز فروسية امراء اوروبا الاقطاعيين ٠٠ فهؤلاء كانوا نتاج اقطاع اوروبا المظلمة ، بينما كان للشرق العربى والمسلمتراث فى الفروسية تميز بالقيم النبيلة منذ ان ظهر فيه الاسلام ٠٠

ومنذ قرون كانت قد استكنت فى ضمير هذه الامة القيم السامية التى علمها ابو بكر الصديق لقائد جيشه يزيد بن ابى سفيان عندما قال له : « انى موصيك بعشر : لا تقتل امراة ،ولا صبيا ولا كبيرا ، ولا هرما ،ولا تقطعن شجرا مثمرا ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لماكلة ، ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ، ولا تغلل ـ (تخن) ـ، ولا تجبن ! ٠٠ »

ولقد تحول هذا التراث الشرقي في الفروسية عند مواجهة الخطر الصليبي ، الى الخصال والسجايا العشر التي اصبحت دستور مؤسسات الفروسية الاسلامية التي شرع العرب في اقامتها كي يدفعوا بواسطتها غزاة اوروبا الصليبيين .

فنشات في الوطن العربي انظمة للحكم كان قوامها مؤسسات الفروسية وعمادها الجيش الذي تكوّن في معسكراتها .. تلك المعسكرات التي كان يجلب اليها المماليك الصغار ، حيث ينشاون نشاة حربية صرفة وكاملة ، لا صلة بينها وبين حياة المدنيين بشواغلها ورفاهيتها ، ومع حياة الحرب وتدريباتها كانوا يتعلمون سجايا الفروسية العشر : التقوى .. والشجاعة .. ورقة الشمائل .. والصبر .. ومراعاة الجوار .. والمروءة .. والكرم .. وحسن الضيافة .. ومساعدة النساء والارامل .. والوفاء بالعهود .

ومن مؤسسات الفروسية الاسلامية هذه نشات الدولة الزنكية ، التي اسسها في الموصل بالعراق، اتابكها : عماد الدين زنكي سنة ١١٢٧ م .. وبفرسانها انتزع الشرق اول انتصاراته على الصليبيين عندما حرر « امارة الرها » سنة ١١٤٤م ..

وبعد ذلك توالت انتصارات دولة الفروسية هذه على الصليبيين بقيادة السلطان زنكي : نورالدين محمود .. ثم خلفتها على نفس الطريق ـ طريق الفروسية الشرقية ـ الدولة الايوبية ، بانتصاراتها المدوية منذ عهد مؤسسها صلاح الدين .. ثم دول المماليك الذين انجزوا مهمة الشرق الحضارية في كسر شوكة التتار بعين جالوت سنة ١٢٦٠م . وطووا صفحة الحروب الصليبية عندما اقتحم فرسانهم عكا فازالوا آخر معقل للصليبيين بالوطن العربي في مايو سنة ١٢٩١ م على عهد السلطان الاشرف بن قلاوون .

وبمؤسسات الفروسية الاسلامية هذه ، اكد الشرق مرة اخرى صدق القانون الذي لم يتخلف طوال عصور صراعاته الحضارية التاريخية ، والذي اصبح قسمة من قسمات شخصية انسانه : امام الخطر وفي مواجهة المخاطر يبحث الانسان العربي ويفتش حتى يبصر سرّ تفوق الخصم ، فيسعى لامتلاك هذا السر ، ويضيف قوته الى قوة الحق المنبعث من عدالة قضيته ، ثم يقتحم ميدان الصراع لينتزع حقه من غاصبيه .. مثبتا بذلك دائما وابدا ، انه ايجابي ، بل وثوري امام المخاطر والتحديات . ■■

محمد عمارة

■ كل رجل ينجح في عمله ، ويصل الى القمة في عمله ، يجب ان ينسب الناس اليه وحده الفضل فيما وصل اليه ، والزوجة العاقلة هي التي تبتسم في هدوء وتقول له ان دورها لم يكن اكثر من مجرد زوجة لرجل ناجح شق طريقه بجهده وعرقه .

« جيمس باري »

■ ليس هناك انسان يستطيع ان يعمل او ان يفكر بمعدة خاوية .

« مايك هاليريان »

■ تعالوا نعش حياتنا بكل مافيها من امتلاء ، حتى اننا اذا رحلنا احس الجميع بالأسف لرحيلنا ، حتى « الحانوتي » نفسه ربما لن يجد تكاليف جنازتنا .

« مارك توين »

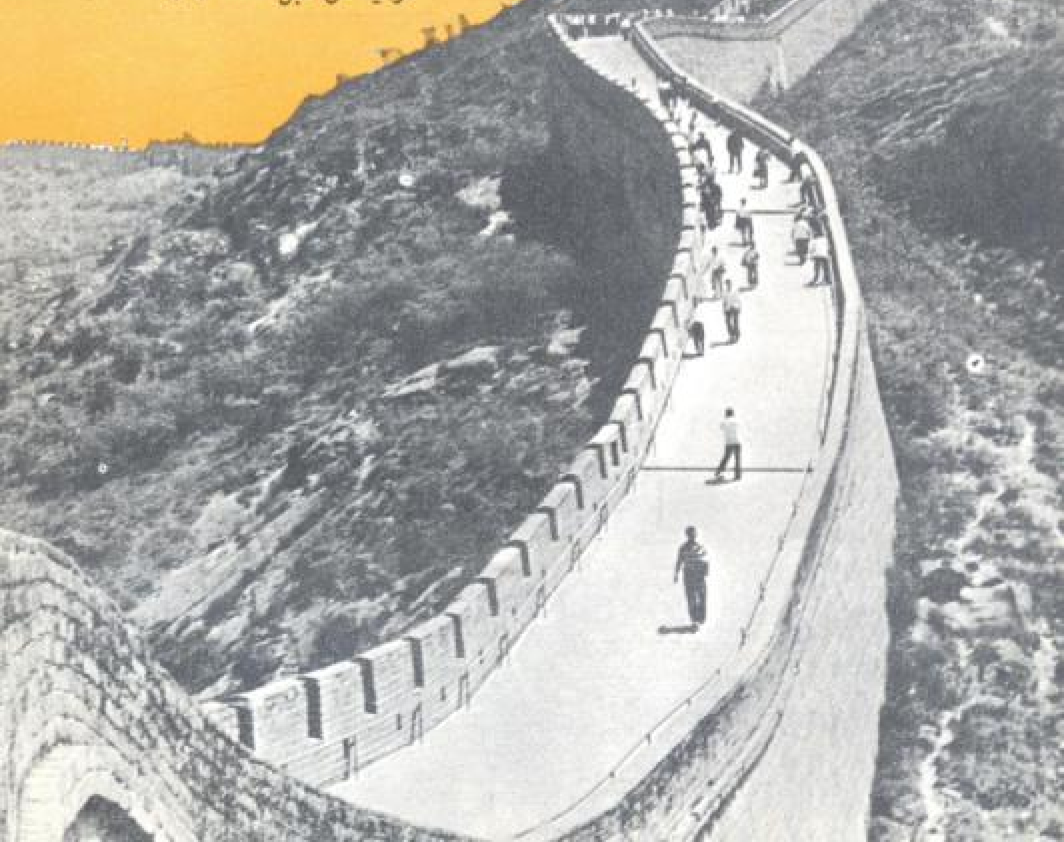
« العربي » في بلاد بعيدة

بقلم : مكرم محمد أحمد

الصين بعد ماو

ماذا بعد ماو ؟ هل يبقى تراث الرجل مسيطرا على افكار وسلوك الصينيين بعد رحيله ؟ أم ان رياح التغيير سوف تصنع بافكار الصين وثقافتها الراهنة ما تصنعه عوامل التعرية في الجغرافيا ؟ ..

وهل يتبدل وجه الصين الراهن لنرى وجها لم يكن مرئيا من قبل ... ؟ !





شيانج شنج زوجة ماو

■ لم يكن ماو قد رحل بعد ، عندما كنت في رحلة هناك ، ولكن الانباء كانت تتردد عن تدهور صحته ، وكان العالم قد عرف على وجه اليقين ان ماو مصاب بالشلل الرعاش • ولم يكن من الصعب ادراك ذلك ، من صور لقاءاته الاخيرة ، كانت كتفه وذراعه يبدوان اكثر تهدلا • ولم تكن لقاءاته الاخيرة تزيد في الاغلب على العشرين دقيقة ، وكانت تعتبر نوعا من التكريم غير العادي والاهتمام الفائق بالضيف الكبير القادم للصين او لدولته • وكان ماو يحرك في هذه اللقاءات ثقل الكلمات على شفتيه ليصوغ تعليقاته المختصرة الذكية عن مهمة زائر الصين الكبير ، وكانت المترجمة تقرأ حركات شفاه أكثر من ان تسمعه لتنقل للضيف تعليق ماو •• وعندما نشرت صحيفة « الشعب » الصينية صورة لقاء ماو مع رئيس وزراء نيوزيلندة قبل وفاة ماو بشهور • كان واضحا أن ماو يزداد وهنا وانه سوف يرحل قريبا ••

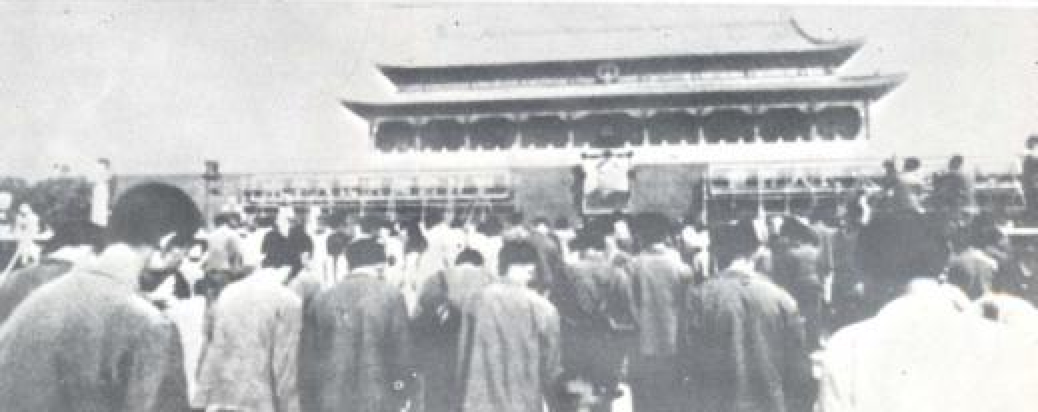
ثم لم يلبث ان اعلن متحدث باسم الخارجية الصينية ان ماو لن يقابل ايا من ضيوف الصين الاجانب وانه قد عهد بمقابلاته الى شوتيه رئيس مجلس الشعب الصيني ورفيق ماو في الانشقاق على تشانج كاى شيك وبناء الجيش الاحمر • ولكن شوتيه العجوز « ٩٢ عاما » الذى كان يتحرك على كرسي ذى عجلات تدفعه ممرضة صينية ، لم يلبث ان رحل عن الصين بعد ١٠ أيام او اقل من بيان المتحدث الصيني •

وهكذا فقدت الصين هذا العام ثلاثة من ابرز قادتها ، ماو وشواين لاى وشوتيه •

كنا نسأل هناك ، ذاك السؤال ، الذى كان يسأله الجميع ، ماذا بعد ماو ، هل تقدر قيود الماضي وقواه ان تشد الصين مرة اخرى الى الوراء ، ام ان الصين الجديدة التي تجاهد لانتزاع خلاصها من اساسها الدهرى العتيق تنتظر ، كنا نسأل ايضا هل يبقى تراث الرجل مسيطرا على افكار وسلوك الصينيين بعد رحيله ؟ أم ان رياح التغيير سوف تصنع بأفكار الصين وثقافتها الراهنة ما تصنعه عوامل التعرية في الجغرافيا •• ثم هل يأخذ الامر شكل العاصفة فيتبدل فجأة وجه الصين الراهن لنرى وجها لم يكن مرئيا من قبل ، وجها خروشوفيا ينكر ماو قبل صياح الديك او ينزله ـ على الاقل ـ قدرا من عليائه •

وكان مبعث هذه الاسئلة جميعا ، ان الصراع في الصين كان ولا يزال مستمرا ومسموعا بعدما يقرب من ٣٠ عاما من ثورتها ، يأخذ اوجها ومسالك

جموع كبيرة من الصينيين احنت رؤوسها امام جثمان ماو ••









هواكوفينج رئيس الوزراء هل يستطيع أن يملأ الفراغ ؟

وانج هنج ون

شانج شن شياو .. زعيم الراديكاليين باللجنة المركزية

متعددة ،يبدو احيانا هادئا تحت السطح ، لكنه يفجر احيانا اخرى احداثا هائلة تضطرب لهاالصين كما لو ان زلزالا احاق بها .

صراع بين صين ماو الفوارة بالاحداث والمتغيرات التى تتبنى استمرار الثورة وصين كونفوشيوس ، الحكيم القديم ، الذى استطاعت افكاره المحافظة ان تسيطر على الصين الفى عام متواصلة ، والذى شيد له الصينيون على امتداد قرون طويلة فى كل قرية هيكلا ،وظلت تعاليمه جيلا بعد جيل النصوص المقررة فى مدارس الصين ،صراع هو فى الحقيقة، بين ثقافتين ،ثقافة محافظة تنزع للهدوء وللاستمرار وتعادى قفزة الثورة ، تقدم العمل العقلى وترفع من قيمته ، وتعطى للرجل المكانة الاكمل وللمراة المكانة الادنى ، ثم ثقافة اخرى جديدة تركز على اهمية العمل اليدوى وترد له اعتباره ، وترى أن استقرار مجتمع كالصين يعنى تكريس التخلف واستمراره ، ثقافة لا تعترف للمثقف باية حقوق اوسع من حقوق العامل او الفلاح وتعطى للمراة نفس مكانة الرجل وتساوى بينهما فى الاجر ومجالات العمل ..

★ ★ ★

لم يكن لكونفوشيوس فى صباه هذا الوجه العميق الهادىء لماو . كان معلم الصين الاول فى قبح سقراط معلم اليونان الاول . وتروى أساطير الصين القديمة ، كيف اسرت الجن الى امه بخبر مولده غير الشرعى منها ، وكيف كانت الارواح تعطر لها الهواء وهى تلده فى احد الكهوف،لكنه جاء قبيحا له ظهر تنين وشفتا ثور وفم فى سعة البحر ... كان كونفوشيوس الحكيم الذى كان يعلم تلاميذه على نهج سقراط فى الحوار يرى ان القدوة الصالحة هى المبدأ الاول من مبادىء الحكم، وكان هو نفسه قدوة عظيمة لتلاميذه الذين كان يجرب بهم قفار الصين وجبالها ، يعلمهم الفلسفة والتاريخ والاداب ، بعد ان استبد به الاسى من اباطرة ولايات الصين الذين عجزوا عن توحيد البلاد وغرقوا فى منازعاتهم او فى لهوهم وماكانوا يرتاحون كثيرا الى نصائحه وتعاليمه . ولقد كانت الاخلاق مطلب كونفوشيوس الاول لفرط ما احاط بعصره من انحلال خلقى .

ومع ان كونفوشيوس لم يكن بالرجل الثورى النزعة ،الا انه كان يرى أن على الوزارة الصالحة، ان تكتفى بغلال الصين عن غلال البلاد الاخرى وان تتخلى عن ترف الملوك وبطاناتهم وان تعمل على توزيع الثروة فى اوسع نطاق لان تركيز الثروة هو السبيل الى تشتيت الشعب وتوزيعها هو السبيل الى جمع الشتات ، وكان يرى ان الوسيلة المثلى لتحقيق ذلك هو التعليم ،فانتشار التعليم يقضى على فروق الطبقات ! .. ومن عجب ان افكار هذا المعلم الذى ظل ١٣ عاما مشردا مع تلاميذه فى فيافى الصين وقفارها يعانى من عدم تقدير الاباطرة له قد انتشرت على هذا النحو الواسع بعد وفاته وبقيت لاكثر من ٢٠ قرنا تمثل زاد الصين الاخلاقى وتراثها الفكرى بالرغم من كثير من الحملات التى قامت فى البلاد -حتى من قبل ان ياتى ماو بقرون- تناهض فكره وتدعو الى احراق كتبه .

وكان اللغز الكونفوشيوسى يبدو لنا فى الصين اكثر من محير ، وكنا نسال لماذا لم يركز ماو على اوجه الوفاق بين افكاره وافكار كونفوشيوس وهى كثيرة ، خصوصا فى ذلك الجانب المتعلق بالتربية والقدوة بدلا من أن يركز على اوجه الخلاف .

ان ثمة تشابها بين الرجل الاعلى الذى كان ينشده كونفوشيوس والذى يقدم الفضيلة على اى شيء اخر ، وبين الصيني الجديد الذى يسعى ماو الى خلقه من احفاد ذلك الصيني القديم الذى سلبه الفقر والمجاعة والافيون والهزائم المذلة المتكررة كل حافز وكل وازع •

وكان اللغز الكونفوشيوسى فى الصين يبدو محيرا اكثر بالنسبة لنا ، عندما كنا نسال ، ماذا يعنى ان يبقى كونفوشيوس حتى الان خطرا على الثورة ؟ بعد ما يقرب من ٢٠ قرنا من رحيله ، وهل يعكس ذلك الطبيعة المحافظة للصين ، صين الفلاحين ، الذين ظلوا قرونا طويلة منذ بداية الحضارة يكافحون الادغال والوحوش والحشرات والفيضانات حتى استطاعوا ان يحولوا تلك البرارى الشاسعة الى حقول خصبه •• ثم ظلوا بعد ذلك لاربعة الاف عام متصلة نهبا لحكام الامارات المتنازعين يكدحون طول العمر ويموتون بالملايين كل عام حسبهم من هذه الحياة الفانية قبعة من الخوص وحفنة من الارز •

وعندما كنا نسال ماذا بقى من كونفوشيوس ليصبح بعد ٢٧ عاما من الثورة ، موضوعا مستمرا لحملات النقد التى يقودها ماو ! كانوا يركزون فى اجاباتهم على امرين : المكانة الوضيعة للمراة فى فلسفته والتقديس الشديد للعمل العقلى على حساب العمل اليدوى •

••امام افران الحديد وفى خطوط الزراعة وعلى سقالات البناء وفى صفوف الميليشيا المسلحة ،وامام المخارط وخلف عجلات قيادة الجرارات والشاحنات والمقاتلات الجوية ،كنا نرى المراة الصينية الجديدة •• وفى الحقول وفى المصانع ، كنا نرى الجميع ، الطلبة والمثقفين والكوادر وقيادات الحزب واساتذة الجامعة يشاركون بثلث وقتهم فى العمل اليدوى•

كان كل ماشاهدناه يؤكد ان صين كونفوشيوس تزداد ذبولا وشحوبا •• وانها سوف تزوى باليقين فى الخلفية البعيدة لمستقبل امة سوف تكون قادرة مع مطلع القرن الحادى والعشرين على مناهضة القوتين الاعظم قدرة ومكانة •

•• ثم جاءت احداث الزلازل التى عصفت بوسط الصين الصناعى ،لتؤكد لنا انهذا اليقين بانتصار الصين الجديدة لم يتولد من فراغ الحماسة •



صورة اخيرة من بكين بعد اكتشـــاف محاولة زوجة ماو للقضـــاء على « الشـــياطين الاربعة » الذين تزعمـــوا

لقد واجهت الصين هذا الزلزال الذى يعد اكبر كارثة طبيعية مرت بها خلال قرن كامل ، بتنظيم دقيق وترفع مسئول وكبرياء عزوف عن قبول اية معونة من الخارج •

لقد استطاعت الصين من خلال تنظيمها البشرى المحكم ان تجند فى الساعات الاولى التى اعقبت الزلزال مايربو على ٣٠٠الف متطوع تصاعدوا بعد يومين الى مليون رجل وامراة ،وبعد ٧ أيام فقط من وقوع الزلزال اعلن مسئول فى الخارجية الصينية، انه لم تعد هناك اية ازمات فى امدادات المياه والكهرباء والغاز والفحم والمواصلات الى المناطق المنكوبة ، وان معظم عمال المناجم الذين فاجاهم الزلزال وهم فى باطن الارض قد خرجوا سالمين •

وعلى ضخامة هذه المأساة ، استطاعت الصين ان تستوعب آثار الزلزال سريعا – فى بكين – وطبقا لشهادة صحفى امريكى كان الصينيون جميعا العمال والجنود والطلاب والحرس الاحمر والجيش والميليشيا يعملون ليل نهار فى اعادة بناء ماهدمه الزلزال ، وفى اصلاح انهيارات واجهات المبانى على امتداد شوارع باكملها • لانهم كانوا قد حددوا اول اكتوبر موعدا نهائيا لازالة آثار الزلزال ، وقبل ان يرحل ماو بايام محدودة كان هواكوفينج رئيس الوزراء ، الذى قاد فرق العمل لازالة آثار الزلزال يعلن خلال اجتماع حزبه فى بكين تمام المهمة قبل موعدها •



للسيطرة على الحكم .. اعلانات في كل مكان تدعو المحاولة . وفي مقدمتهم شسيانج شنج زوجة ماو ..

ضد كوارث الطبيعة

يتقاطع او يتداخل مع هذا الصراع بين الصين القديمة والصين الجديدة صراع آخر ، صراع الانسان الصيني المتواصل ضد كوارث الطبيعة ، صراع ازلي قديم ، ذلك ان الصينيين الاوائل كالمصريين الاوائل تماما انشاوا تربتهم الخصبة اثناء خلال العمل الدؤوب والمستمر لاجيال عديدة من ملايين الفلاحين الذين ظلوا قرونا طويلة يكافحون فيضانات الانهار ودورات الجفاف واعوام القحط والادغال الكثيفة من اجل ان يحولوا هذه البراري الموحشة الى حقول خصبة ، كان الملايين منهم يموتون من الجوع كل عام لان مناطق عديدة في الصين كانت قد تعودت على القحط مرة كل عام على امتداد ٢٠ قرنا متصلة ، على حين كان النهر الاصفر — هوانج هو — نهر الاحزان كماكانوا يسمونه يفيض مرة كل عام ، فيضانا جارفا كاسحا مدمرا يخرج فيه النهر عن سريره ليغير مجراه ويكتسح في طريقه الاف القرى ويعزل الافا اخرى وياخذ معه الى البحر ملايين الضحايا كل عام . والصينيون يعدون ٨ مرات غير فيها النهر الاصفر مجراه ، كما يعدون له ١٧٠٠ مرة حطم فيها النهر جسوره واندفع نحو الحقول ، يكتسح تربتها ويهدم بذلك عمل مئات السنين لعشرات الالوف من الفلاحين .

وكان الفلاحون الصينيون يعبرون على هذه الكوارث ويتجرعون مرارتها باستسلام كامل ، ويواجهونها بضعفهم الازلي وتوالدهم الكثيف ودوافعهم الخفية الى البناء والاستمرار — دون ان تمد لهم الدول او الاباطرة — في الاغلب — اية معونة . وحتى عهد قريب كانت حكايات الفلاحين الصينيين لا تزال تندب « شون » العظيم الذى ملك الصين قبل الف عام من الميلاد والذى جاهد لحماية البلاد من فيضانات النهر الاصفر ورفع معه الى العرش مهندسا عظيما مثله « يو » الذى تغلب على فيضانات تسعة انهار بشق تسعة جبال وتسع بحيرات والذى ما زال الصينيون يقولون عنه « لولا يو لصرنا سمكا » .

ومنذ ذلك المهندس الصيني القديم ، لم يعرف تاريخ العمارة ولا الانشاء الصيني عملا هندسيا كبيرا في الصين . باستثناء سور الصين العظيم الذى اقيم لدفع شرور البشر لا كوارث الطبيعة .

كان ماو هو الذى قاد الصين ايضا في صراع عات مع الطبيعة من اجل السيطرة عليها ولم يكن يتوقف عن دعوة الصينيين الى تحسين اعمالهم في بناء جسور النهر الاصفر ، او اقامة السدود على نهر اليانجتس ، وكان يدعو الى تربية الميليشيا المسلحة « ٢٥٠ مليون صيني » على مواجهة امرين اثنين اساسيين : اولهما كوارث الطبيعة المحتملة ثم احتمالات الحرب مع الاتحاد السوفيتي .

تحت قيادة ماو اقام الصينيون اعدادا هائلة من الخزانات والسدود تم بناؤها في المناطق الجبلية عند منابع الانهار الكبيرة ووسط مجاريها . واحتفروا اعدادا اخرى يصعب حصرها من البحيرات على امتداد كل البلاد .. حتى استطاعوا السيطرة على انهار الصين الثلاثة الاساسية ، ولكن اخطار الطبيعة الصينية لم تكن في فيضانات انهارها فقط وانما ايضا في زلازلها التى لاتخمد . وكان ماو يحث علماء الطبيعة والجيولوجيا على ان يستفيدوا من الاساليب القديمة للفلاحين الصينيين في التنبؤ بالزلازل والتى تقوم على ملاحظة سلوك بعض الحيوانات التى تحس بالزلزال قبل وقوعه وملاحظة التغيرات المفاجئة في مستوى مياه الابار ودرجات حرارتها .

ولقد كان الصينيون يتوقعون بالفعل ان تشهد منطقة الزلزال الاخير زلزالاعنيفا قبل عام ٨٠ ولكنهم لم يستطيعوا تحديد موعد الزلزال المفاجيء ، لكنهم كانوا على اية حال في استعداد له ، فخلال الاعوام

الاخيرة لم يكن ماو يفتا يحذر الصينيين من كوارث الطبيعة والاتحاد السوفيتي بدعوته المشهورة « خزنوا الحبوب واستعدوا لمواجهة كوارث الطبيعة وارفضوا الهيمنة » ٠٠ ان ماو يصدق دائما ٠

لماذا جاء زلزال الصين نذيرا برحيل ماو ؟

ربما ، لان الطبيعة تسعى دائما الى تاكيد قدرتها فوق قدرة الانسان ، وربما جاء الزلزال ليذكر الصينيين بانهم ما زالوا في حاجة الى كسب معارك لا يمكن كسبها الا بتوحد الجموع ، وربما جاء الزلزال لتكون تجربة مواجهته شاهد نفي او شاهد اثبات في جانب او ضد اي من الخطين السياسيين اللذين يتصارعان الان في الصين داخل مؤسسات ماو ذاتها ٠

عند مفترق الطرق

هذا الصراع الذى يدور من حول سؤال هام ، اى طريق تسلكه الصين الجديدة ٠٠ هل يقوم ويستمر تقدمها على تطهر افرادها ، والاعتماد على النفس ، والمزيد من التقشف ، والتركيز المستمر على اهمية ان يمارس الجميع العمل اليدوى لردم الهوة بين العمل العقلى والعمل اليدوى ، والاستناد الدائم الى تعاليم ماو لخلق هذا التوحد الصوفى لجموع الصينيين وراء اهداف الدولة ، ام تقوم الصين الجديدة على مفاهيم اكثر عملية تدعو لتنمية اساليب الانتاج بطرائق حديثة ، وتتبنى التكنولوجيا المتقدمة ايا كان مصدرها ، وتدعو الى نظم الادارة الحديثة التى لا تغفل اهمية الحافز الفردى وتنزع على وجه العموم الى مفاهيم اكثر ليبرالية فى علاقة الفرد بالسلطة ٠

صراع له جذوره البعيدة فى تاريخ الثورة الصينية ، وفى سلسلة تحالفاتها وانشقاقاتها ، وكان ماو هو الذى يقود هذا الصراع ويحدد وجهته ، داخل الحزب وخارجه ٠ وعندما كان يعجز احيانا عن حسمه فى اطار اللجنة المركزية او اجتماعات المكتب السياسى كان ماو يستعين بقوة الجماهير الصينية ومكانته لديها خصوصا اجيالها الجديدة ليضرب بهم قوى الحزب المناوئة مثلما وقع خلال الثورة الثقافية ، عندما دعا الحرس الاحمر طلاب الثانوية والجامعة الى بكين لاسقاط سلطة الحزب القديمة ،والاطاحة بليو تشاو شى لم يلبث بياو لم اخيرا عندما اطاح ببينغ رئيس الوزراء السابق والرجل الذى تجمعت فى يده بعد وفاة شواين لاى قيادة الحزب والدولة والجيش ثم جرده ماو فجاة من كل مناصبه الا ان يكون عضوا فى الحزب ، مستعينا على ذلك بالمجموعة المتشددة داخل اللجنة المركزية والتى تتمثل رموزها فى مجموعة شنغهاى ٠

جذور الصراع

كان بينج رئيس الوزراء السابق وانصاره يرون ان تعاليم ماو التى استطاعت ان تجيش ارادة جماهير الصين الفقيرة لكسب صراع لا يمكن كسبه الا بالجموع ، صراعات مصيرية من نوع الحرب والتحرير ومقاومة كوارث الطبيعة ٠ هذه التعاليم قد لا تكفى وحدها لكسب معركة بناء الصين العصرية ، التى تتطلب طاقات فنية اكثر وكوادر سياسية اقل من اجل مواجهة مطالب التقدم التكنولوجى لدولة عظمى ، ذلك ان الهدف الذى ينبغى على الصين كسبه قبل عام ٢٠٠٠ هو موازنة قوتها السياسية المتصاعدة فى العالم بقوة اقتصادية تكافىء هذه المكانة السياسية اى ان تصبح الصين باختصار من دول الانتاج العصرى الكثيف وان توسع حصتها فى التجارة الدولية ٠٠ ومن هنا فان التكنوقراطيين والفنيين ينبغى ان يتقدموا الكوادر السياسية وبدون ذلك سوف تبقى الصين طويلا تعانى من ذات المشاكل التى يعانى منها العالم الثالث ٠

وكان مما يضاعف من خطورة هذا الصراع وانعكاساته فى اوساط المثقفين ، ذلك التناقض الذى يبدو بين الخط المتشدد للصين فى بناء الداخل والذى تعمق مع الثورة الثقافية ، والخط الاكثر تسامحا الذى تبنته الصين اخيرا فى سياستها الخارجية والذى تمثل فى التقارب الامريكى والتتابع المستمر لزيارات الوفود بين البلدين ، ومحاولة تهيئة علاقات طبيعية بين الصين وجيرانها فى جنوب شرق آسيا ، بصرف النظر عن الاختيارات الاساسية لهؤلاء الجيران ، والفتور النسبى فى حماس الصينيين فى الدعوة لازالة القواعد العسكرية الامريكية فى الدول المجاورة ، ذلك انه على حد تعبير نائب وزير الخارجية الصينى فى لقاء طويل معه ، « انه لا

يمكن ان توجه اهتمامك الى الذئب الذى يقف عند الباب الامامى « امريكا » بينما النمر يتربص لك من الباب الخلفى « الاتحاد السوفيتى » ٠

٠٠كان من شان هذه الظواهر الجديدة للانفراج السياسى ان تدغدغ احلام التطلع داخل اوساط المثقفين الصينيين وان تنعش فى نفوسهم مفاهيم اكثر ليبرالية لدور الفرد فى المجتمع الامر الذى كان يبدو بصورة ـ ما ـ فى اتجاهات عدد من كتاب الاوبرا والمسرح والرسامين الصينيين الذين تحصنوا خلال الثورة الثقافية خلف قضايا التراث دفاعا عن مواقفهم السياسية ٠

غير ان هذا الصراع بين المحافظين والراديكاليين حول مسيرة الصين الحديثة ، والذى تبلور فى اختلاف تقييم كل منهما لنتائج الثورة الثقافية تبدى فى صورة اكثر وضوحا خلال شهر ابريل الماضى عندما تجمع انصار بينج فى ميدان تيان ان مين « السلام السماوى » فى بكين ليحدثوا شغبا واسعا فى الميدان كاد يؤدى الى احراق قصر الشعب، ومساء اليوم التالى ، كان راديو بكين يعلن اقصاء بينج عن كل مناصبه ، وخرجت صحيفة الشعب الصينية ، لسان حال الرئيس ماو والتى يسيطر عليها الجناح الراديكالى ضمن سيطرته الواسعة على اجهزة الاعلام والثقافة لتتهم انصار بينج دون مواربة بالتحزب والعمل لصالح قوى اجنبية والسعى لاعادة الصين على طريق الرأسمالية ٠٠ وهكذا فقد المحافظون نصيرهم الاول الذى جرد من كل مناصبه الا ان يكون عضوا فى الحزب ٠٠وكانت تلك هى آخر معارك ماو ٠

وبالرغم من ان رحيل ماو كان متوقعا ،وبرغم ان الجماهير الصينية لم تكن قد طالعت وجهه منذ مايزيد على ٥ سنوات ، كان حزن الصينيين على زعيمهم عبقريا وجليلا٠ كذلك ابدت معظم عواصم العالم اسفها على رحيل الرجل باستثناء تايوان « فرموزا » التى قطعت برامجها الاذاعية لتعلن للناس خبر وفاة ماو باعتباره مفاجأة سارة ٠٠

وكانت البرافدا السوفيتية وحدها هى التى نشرت خبر رحيله مقتضبا فى صفحتها الثانية على حين كان الحدث هو الموضوع الاساسى لكل صحف العالم ٠ومع ذلك كان ماو قد اكتسب احترام العالم كله سواء الذين تعاطفوا مع نهجه السياسى او الذين لم يتعاطفوا لانه كان قد استطاع خلال ٢٧ عاما هى عمر رئاسته ان يوحد الصين الممزقة وان يعيد اليها ذاتها وان يزرع فى جموعها هدف بناء الصين وان يخلق من انسانها القديم الذى تكاتفت عوامل القهر والفقر على اظهار اثامه انسانا جديدا ، كماله الاساسى فى العمل الصالح المبدع ٠

رحل ماو ، تاركا خلفه علامات استفهام كثيرة، حول مصير الصين من بعده،خصوصا وان اصراره على الثورة المستمرة كان سببا فى اقصاء كل المرشحين لخلافته باستثناء شواين لاى الذى توفى فى يناير الماضى ٠

وما يزيد المشكلة تعقيدا ان الصراع الدائر فى الصين بين جناحى السلطة ، الراديكاليين والمحافظين لم يحسم بعد ، فمازال خلافهما قائما حتى من بعد اقصاء بينج رئيس الوزراء السابق٠

هل يشتد الصراع بعد رحيل ماو ، وهل يتفجر عارما على سطح الاحداث فى الصين ليتكرر ما حدث خلال الثورة الثقافية ، ام ان هواكوفينج رئيس الوزراء الراهن والشخصية الاولى فى الصين الآن سوف يستطيع الموازنة بين جناحى السلطة ، ان الواضح حتى الآن ، ان الصين سوف تمضى لامد آخر على طريق ماو وان الجانبين سوف يسعيان الى تجنب الصراع المكشوف والعلنى ٠ وثمة اشارات واضحة لذلك فى كل بيانات اللجنة المركزية التى خرجت بعد وفاة ماو لتؤكد على هدفين اساسيين، الوحدة الوطنية وتجنب الانشقاقات ثم العمل على زيادة الانتاج للمسارعة فى بناء الصين العصرية ٠

وعلى ذلك فانه ايا كانت المتاعب التى سوف تواجه الصين بعد رحيل ماو ، فان الصين سوف تتغلب باليقين على هذه المصاعب ، لتصبح مع بداية القرن الحادى والعشرين قوة سياسية واقتصادية اساسية فى عالمنا القادم ، قوة توازن القوتين الاعظم ٠٠ والظروف كلها ترشح الصين لهذا الدور ، ذلك ان الوحدة الاوروبية ما زالت مشروعا يتعثر ٠٠ على حين لا يزال عالمنا العربى الذى يمثل امكانية كبيرة فى هذا المجال مستمرا فى منازعاته ٠ ■■

مكرم محمد أحمد

قبل ان يغزو « الطب النفسى » حياتنا اليومية :

محاذير على طريق مسيرتنا

بقلم : الدكتور يحيى الرخاوى★

■ لا شك أن العالم كله يمر بفترة مراجعة لمنجزاته عامة : المادية منها والانسانية ، ليقيم مدى النجاح الذى حققه التقدم المادى العملاق فى اثراء انسانية الانسان ، والعالم العربى يسهم فى ذلك بوعي او بدونه . فهو يتعجل التطبيق المادى فى لهفة متسرعة رغم فشله لا محالة ان ظل هو وحده دليل التقدم ، اذ ما هو الا « تطاول فى البنيان » دون تعميق للجذور ، ولكن وقفة من الانسان العربى متانية خليقة بان تسمح له بالافادة مما حدث ، ويحدث من اخطاء ، والانسان العربى بتاريخه العريق الذى لم ينل حظه فى النماء والاستمرار ، وبحاضره المرهق ، الامل فى نفس الوقت ، مؤهل للقيام بدور حضارى حقيقى واصيل للاسهام الجاد والعميق فى تطور الانسان وتقدمه .

والطب النفسى من العلوم الانسانية التى تسعى جاهدة للاستفادة بقدر فائق من منجزات المعرفة المادية البحتة ، وهو بهذه الصورة يمثل نموذجا طيبا للامل فى التوفيق بين جناحى العلم ، وهو فى نفس الوقت يمثل خطر التلفيق بين قشور علوم متباعدة .. ، وهو كذلك علم قديم جديد ، قديم لانهيعتبر تاريخا وعلاجا: ابو الطب العضوى القح (الباطنى والجراحى بكل فروعهما) ، وجديد لانه بصورته الحالية من احدث فروع الطب .. وهو ما زال اكثر بداءة واقل تحديدا من غيره من الفروع ، ولذلك فان دور الطبيب النفسى فى المجتمع المعاصر لم يتحدد بصورة نهائية ، والصراع بين مدارسه ليس صراعا نظريا بحتا بل هو اختلاف له دلالة ، خليق بان يجعل الانسان العادى يقف مرتين قبل ان ياخذ معطياته المتواضعة مسلمات بلا نقاش .

دور الطبيب النفسى فى المجتمع المعاصر

ولست هنا بصدد ان اعدد مجال الاختلاف او تنوع الادوار التى يمكن أن يقوم بها الطبيب النفسى سواء قام بدوره كطبيب مسكن للالام ، مطبق لبعض المعلومات ، مبرر للواقع ، متقن لحرفته اشد الاتقان ، ام انه قام بدور آخر اكثر ايجابية حيث يمكن ان يكون فيلسوفا عاملا يطبق ما يراه حقا على ارض الواقع ، اذ يطلق حريات مكبوتة فى سجن الخوف والالم ويحمل امانة نظرته للحياة بمسئولية من رأى الحقيقة ، ويسهم فى صنع المستقبل بقدرة فنان خالق ، اقول سواء قام الطبيب النفسى بهذا الدور او ذاك فان لكل دور وظيفته وعليه مسئوليته ، له اجره وعليه وزره، ولكنى فى هذا المقال ادعو اصحاب المصلحة « من الناس » ان يتخذوا موقفا واعيا من كل ذلك ، فهى قضية الرجل العادى (غير المتخصص) اولا واخيرا ، اذ هى قضية عامة اساسا اخذت شكلا حادا فى مجال التخصص هذا ، ولكن آثارها خطيرة على مسيرة الحياة اليومية كوحدة آنية للمسيرة الحضارية الكبرى ،ولا يخفى على من يتتبع تاريخ انتشار النظريات العلمية ومدى نجاحها فى عصر ما فى مكان ما ، ان حاجة الناس الى اى نظرية (سواء كانت حاجة ايجابية ام سلبية) هى التى تسمح بانتشار هذه النظرية ام تلك ، ومثال

★ استاذ الطب النفسى المساعد ـ كلية الطب بجامعة القاهرة .



الحضارية

ذلك ان انتشار نظرية سيجموند فرويد فيالتحليل النفسي لا يدل على تفوقها مثلا على نظرية كارل جوستاف يونج الاعمق والاكثر انسانية ، وانما يدل على حاجة انسان أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في أوروبا الغربية لايجاد تبرير لما كان فيه ، وليس لمواجهة تحد واقع هو مشارك في صنعه ، ولكن حكم الزمن لا يرحم ، فقد عاد يونج منذ خمسينات هذا القرن يتبوأ المكان اللائق به بعد فشل « التبرير » التحليلي في الاعتذار عن شقاء الانسان واغترابه ، ولم يعد ثمة بد من مواجهة مسئولية حياتنا ،وضرورة سعينا الى « التكامل » مهما بدا الطريق شاقا بلا نهاية قريبة ٠

لكل هذا ، فاني ادعو القارىء العربي الى هذا الحوار الداخلي ليختار الاوفق لمرحلته ، وليس الاسهل والاسرع ، ان كان ينوي ان يواجه قدره ويقوم بدوره الحقيقي الذي طال اعتزاله له ، دور الانسان الحضاري الواعي والمسئول ٠

وعلى ذلك ، فاني ارى ان من اوجب واجباتنا ان نحذر هذه العلوم الجديدة (القديمة) وهي تغزو حياتنا براقة مغرية ،بنفس القدر الذي ننهل من معطياتها في شجاعة ومسئولية ٠

ودخول الطب النفسي الى حياتنا العادية ـ تفسيرا وتبريرا وتاويلا اصبح بدعة شائعة ، ارى فيها من الفائدة بقدر ما يمكن ان تحمل من مخاطر ، فليس خافيا اننا نجد في كل ان تفسيرا « طب نفسيا » لمظاهر حياتنا ، يطل علينا في الصحف والمجلات السيارة ، او في وسائل الاعلام المسموعة والمرئية ، بحيث كادت الحياة برمتها ان تدمغ بهذه الظاهرة الجديدة بشكل او باخر ، فالطالب الفاشل ، والعامل المتراخي ، والزوج البليد ، والمراهقة الرعناء ٠٠ وغير ذلك منفئات سلبية كفيلة بتحطيم اي مجتمع، قد وجدت لنفسها عناوين طب نفسية تحتمي بها وتختبيء وراءها٠٠ كما وجدت سابقا اسبابا تاريخية تبرر عجزها وتوقفها ٠٠

ولست ادعو الى رفض فهم هذه المظاهر والبحث في اغوارها بحثا وقائيا صادقا ، ولكني اطالب في نفس الوقت ان يكون وعينا بحقيقة ابعادها ، ومسئولية الفرد والمجتمع تجاهها ، اكبر منالخدعة المختفية في طياتها ، حتى يكون حكمنا لها او عليها حكما ايجابيا يسهم في مسيرتنا الحضارية اولا وقبل كل شيء ٠

مصادر الطب النفسي ، ومخاطر ممارسته

وعلينا ان نتساءل اولا عن منابع هذا العلم الشاب المتحمس ، وان نراجع نقاء اصوله قبل ان نستسلم له ، ولعل القارىء غير المتخصص يتصور ان علما بهذه الشجاعة وهذا الانتشار ، لا بد يرتكز على اصول علمية ثابتة ، تسمح له بالتصدي ـ هكذا ـ للفتوى في اغلب امور حياتنا اليومية (!!) ، ولكن الحقيقة ـ وشهد شاهد من اهله ـ غير ذلك ، فهذا المارد (حجما) الشقي (نشاطا) ما زال برغم ذكائه وغلوائه طفلا يحبو يتحسس طريقه الى المعرفة ، يبحث في

جذور الفلسفة يستلهمها رؤية عميقة ووعيا بالانسان وماهيته ، ثم يذهب بهذه الرؤية على استحياء يطبقها فى مجال الممارسة الاكلينيكية تارة ، او يطرق بها ابواب معامل الكيمياء والتجريب السلوكى تارة اخرى ، فتفتح له او لا تفتح .

على ان المصدر الاكبر للمعرفة يأتى للطبيب من واقع ممارسته الاكلينيكية مع مرضاه ، وهو بعد ذلك يعمم رؤيته العيادية على الحياة العامة بلا تحرج ، وخاصة بعد ان سقطت الحجة القائلة « ان ما يسرى على المرضى الشواذ لا يسرى على الرجل العادى » ، فقد كاد يصبح من البديهيات ان الحد الفاصل بين السوى والمريض هو حد وهمى ، وان المريض النفسى ـ مثله مثل الفنان ـ انما يقدم مشاكل اليوم ـ العامة ـ عارية مركزة، وينذر بمشاكل المستقبل منذرة مهددة . ولا مهرب للطبيب من مواجهة هذه وتلك ، ولا سبيل امامه ـ ان سمح لنفسه بالفتوى العامة ـ الا ان يبلغ الرسالة فى امانة وبوعى كامل .

ولو قدر لنا ان نصحب الطبيب النفسى بعض الوقت فى عيادته او مستشفاه ، لوجدناه يواجه اسئلة من مرضاه لا يستطيع منها فكاكا ، وهى ليست اسئلة تبحث عن جواب بقدر ما هى تحد يبحث عن حل :

يسأل المريض الطبيب « لماذا نعيش ؟

، ماذا بعد ؟

، وانت (يا طبيب يا عالم) ماذا تفعل ، والى اى مدى ستظل تكذب على نفسك ، او تضحك علينا ؟ » .

الى آخر هذه الاسئلة التى اعتبرت فى وقت ما اساسا لعلوم باكملها مثل بعض فروع الفلسفة، والتى فرضت نفسها على كثير من فروع العلوم النفسية الحديثة .

وقد يهرب بعض الاطباء من هذه الاسئلة بوضعها تحت عناوين « اعراض » بذاتها ،مثل « هذه افكار شبه فلسفية » او « هذا هو غموض الفكر بعينه » او « هذا اجترار فكرى لا جدوى وراءه » . وقد يصل الامر بالبعض الاخر الى ان يفسر هذه الاسئلة تفسيرا كيميائيا سطحيا مباشرا (والعياذ بالله) .

ولكن فريقا آخر من الاطباء لا يستطيع ان يهرب من هذه المواجهة مهما احتال لذلك ، فان امانته ويقظة داخله تقفان له بالمرصاد ، وهنا تصبح مغامرة اشتغاله بهذه المهنة مخاطرة حقيقية قد تقلب كل (او اغلب) موازينه وربما معتقداته، فهو اما ان يصحب مرضاه على الطريق الصعب ليخوض معهم بحار الحقيقة مهما كانت النتائج ، واما ان يبحث عن « السلامة اولا » (وربما اخيرا ايضا) . والحق يقال ان من حقه ـ كانسان فرد محدود القدرات ـ ان يبحث عن السلامة دائما ، ولكننا اذ نشفق عليه وهو يهرب من مواجهة الحقيقة الازلية يلقيها فى وجهه مرضاه بلا رحمة ، انما نشفق عليه فردا قاصرا ،ولكننا لا ينبغى ان تاخذنا به رحمة اذا ما تبوأ منبر الافتاء فى هذه المشاكل العميقة والعامة معا . ان الهرب حق يحافظ به اى فرد على توازنه (طبيبا كان ام بائع كشرى)، ولكن الهرب الذى يكون على حساب الحقيقة ـ لن تصدى للحديث عنها ـ فهو جريمة فى حق كل من يريد ان يعيش انسانا حضاريا ساعيا الى التكامل .

ان ما احذر منه هو ان نستسلم لتفسيرات غير كاملة او غير مسئولة . فليس من مصلحة احد ان نقدم رؤية سطحية تنبع من واقع خوفنا الشخصى بدعوى اننا نخرج الناس من حيرتهم من غير الم ولا بنج (كما يقال فى اسواق الريف المصرى دعاية لخلع الضرس) ، ان هذا التسكين العام هو الموات الحضارى ذاته . كما ان هذه التفسيرات المتعجلة هى استخفاف بكل من امل فى العلم (بكل اشكاله) ووثق فى العلماء (على اختلافهم) .

كيف نهرب ؟

ولعلى اضرب هنا بعض امثلة للهروب الذى نلجأ اليه ، حين نضطر الى مواجهة الحقيقة مع مرضانا اذ يتعرون بلا ابطاء ، ويقذفوها فى وجوهنا بلا رحمة ، نعم .. لا بد ان اقول «كيف نهرب » بعد ان اشرت الى « لماذا نهرب » ،واحمل بذلك الناس مسئولية تصديقنا ، بل واتجرأ فاطلب منهم العون فى تحمل عبئها معنا (الحقيقة) .

المهرب الاول : الاختباء وراء لافتة الطب العتيقة : يحاول الاطباء جاهدين ان يحبسوا مارد الطب النفسى فى قمقم تعريف قاصر للطب عامة ، باعتباره ليس الا فرعا من فروع الطب ، ويتململ

الطب النفسي رافضا هذه الوصاية المضحكة التي هي اقرب الى « الحجـر » من ابن يعتقد بخلط (بتخريف) ابيه ،فالطب النفسي هو الاب الشرعي لسائر فروع الطب الاخرى ، وهو في معركتهضده يستنجد بامه الحنون « الفلسفة » لتشهد فيصالحه انه هو الاصل، وتظهر المدارس الجديدة في الطب النفسي تنهل من نبع الفلسفة العذب ، وتنمـو مدارس مثل مدارس الطب النفسي الوجودي (١) والفنومنولوجي ، ويستمد آخرون فكرهم لفهـم المرض النفسي من فلسفات اخرى مثل فلسفة جون ديوي (ارنست بيكر في كتابه ثورة في الطب النفسي) ، وفلسفة هيجل العظيـم مثل محاولة كاتب هذه السطور عن« ربالكتيك الجهاز العصبي ونبض الحياة الانسانية » (لم تنشر بعد) ٠

والحق يقال انه كم نبه واكد اسـتاذنا الدكتور مصطفى زيور على ضرورة التزاوج بين الطب النفسي والفلسفة بلا بديل تقريبا •والطب النفسي في محاولاته هذه لا يتخلى عن معطيات علوم الكيمياء والطبيعة بل هو يسعى الى تأليف جديد بين هذه العلوم وبين الفلسفة ، ويتمـادى حين يدعو الطبيبالباطني والجراحلضرورة التحلي بالفكر الفلسفي والعمق الفلسفي حتى يعودللطب قيمته الانسانية الحقيقية ،واظن انكياننا العربي ليرحب بعودة الطبيب الفيلسوف الى الظهور ،فان لنا من تاريخنا ما يجعل هذه الدعـوة صادرة من اهلها الى اهلها ، فالطبيب العربي ـ وخاصةفي الولايات المتحدة الامريكية في زحمة الاغتراب قد نسي الفلسفة امام جهاز الاشعة ، واحتقر الشعر امام جزيئات المجهر ، وتغاضى عن جوهر الدين امام تحاليل الدم ، وهو طبيب عالم في ارضـه ولكنه لا ينبغي ان يكون مثلنا الاعلى ، اذ ان الطبيب العربي (النفسي والباطني والجـراح والفيلسوف والكيميائي معا) ما زال يثير صفحات التاريخ بشرف وفخر ، واسماء ابي بكر الرازي وابن سينا ليستبعيدة ،ولا هي غير قابلة للتكرار في صورة عصرية مشرقة ٠

المهرب الثاني : الاختباء وراء مفهـوم قاصر للعلم : حيث تقيم معطيات الطب النفسي بتعريف محدود للعلم لا يستوعب ابقاء هذا الفرع ،كان تقول ان العلم هو « ما يتعلق بوقائع مادية خاصة قابلة للتجريب والاثبات واعادة الاثبات (!) في ظروف مشابهة » ، ومثل هذه المحـاولات رغـم ظاهرها الامين والبسيط والملتزم انما تخفي هربا حقيقيا من مواجهة الطبيعة البشرية ، فالانسـان الفرد الفريد دائم التغير في صحته واعتـلاله ، وهو ليس قابلا للتجريب بهذا المعنى الضيق ، ولا هو كيان يحتمل اعادة الاثبات ٠

وبديهي ان هناك تعاريف اخرى للعلم ليست اقل فائدة ، ولكن اغلب الاطباء يهربون منها طلبا للسلامة ايضا ، فالعـلم يعرف بانه « شكل من اشكال الوعي الاجتماعي الذي يمثل نسقا متطورا للمعرفة ٠٠٠ » ولن استطرد في هذه القضـية الفرعـية ، الا انى اتعجب ـ كثيرا حين يتلقى الناس كلمة « العلم » بتقديس شديد ، وكأننا اتفقنا نهائياعلى ما هو علم وما هو ليس كذلك!

وعندي ان العلم هو « ما ينفع الناس ويمكث في الارض » اما قياس ما ينفع الناس فهو مرتبط بمفهوم محدد عن ما هو الانسان ، وبالتالي فان كل ما يحقق انسانية الانسان فهو علم، ولا مناص اذا من ان يراجع الطبيب نفسه ليرى اذا كان قد تعرف على « الانسان » في موقع مسئوليته هذه ام لم يفعل بعد (!) ، اما ما يمكث في الارض فالتاريخ هنا هو الحكم العدل ، ولكن توجد في الحاضر ايضا علامات تميز الزبد من غيره ٠٠٠اذا لم يكن المجتمع قد وصل به الخـوق الى العمى الكامل والتدهور (الامر الذي امل الا تكون فيه بعد) ٠٠

وهكذا نجد ان احتماء الطبيب بمفهوم «للعلم» دون سواه لن يلقي عنه المسئولية كفرد تحتم عليه مهنته الرؤية ، ولن يرحمه من العقاب ـ النفسي على الاقل ـ اذا هو تصدى لموقع الفتـوى دون موقف واضح من الانسان ، وفي كل حال فمسئولية السامع والمتلقي ليست اقل خطرا ٠

المهرب الثالث : الاختبـاء وراء التفسير « الكيميائي » للوجود : وهذا المهرب اشد اغراء من سـابقيه ، وهو اقدر على اعفـاء الجميع (الطبيب والمريض والناس عامة) من مسئولية وجودهم ما دام الامر كاد يصبحكيمياء في كيمياء،

---

(١) اغلب ما يسمى بالحركة الثالثة فيالعلومالنفسية ويندرج تحت عنـوان « علم النفس الانساني » يمكن ان يدرج تحت هذا الاتجاه رغمالاختلافات التفصيلية ٠

فالانسان ـ حسب هذا الرأى ـ ليس الا تركيبا كيميائيا ،وما الاضطراب الا اختلالهذا التركيب، وما الصحة الا فى اصلاح هذا التركيب .. الخ.

ولست هنا انفى ان الـكيان البشرى كائن كيميائى طبيعى معقد اشد التعقيد ، ولكنى احذر من الربط السببى المباشر بين نقص كذا من المواد او زيادة كيت ، وبين هذه الفكرة او هذا النوع من الوجود !! . فان التركيب الكيميائى للكائن البشرى عامة ، وللمخ البشرى خاصة ما زال ابعد ما يكون عن الاكتشاف والتحديد . وينبغى علينا ان نعلن للناس فى شجاعة وصدق ان ما نعرفه فى هذا الصدد لا يزيد عن جزء من الف مما نامل فى معرفته فضلا عما ينبغى معرفته ، فلماذانعرض هذه الجزئية من المعلومات على الانسان العادى بهذا الحسم والتحـديد ان لم يكن الهدف هـو الهروب من مواجهة الحقيقة الشاملة ، او التخلى عن تحمل مسئوليةالحرية التى تميزنا بها كبشر ؟

ولا اخفى على القارىء حقيقة اكلينيكية بسيطة كثيرا ما اكتشفتها واعدت اكتشافها بين مرضاى واهلهم (وبعض زملائى بطريق غير مباشر)وهى « ان المتحمسين للتفسيرات والتطبيقات الكيميائية السريعة ، هـم اكثر الفئات خـوفا من رؤية انفسهم ، واكثرهم معارضة لاى علاج يحمل مخاطر المعرفة والحرية واطلاق القدرات الخلاقة .

وبعـد :

فلن استطرد فى ذكر مهارب اخرى وما اكثرها، ولكنى اكتفى بالقـاء هذه المحـاذير للناس ، ليحاسبونا بها ، ويذكرونا اذا نسينا ، لنتحمل معا مسئولية وجودنا ، اذ نقترب من موضوعية ترينا الامور « كما هى » (دعوة « السيد احمد البدوى » . وامل هيجل فى اعلى مراتب الوعى) لا « كما نحب ان نراها » . وترينا العلم « فى حدوده » وليس فى حجم « احلام الاستسهال » ، وترينا المسئولية بقدر قدرتنا على تحمـل امانة المعرفة وعواقب الاختيار ،ساعين دائما نحو حضارة نحن اهل لاعادة بنائها ...

يحيى الرخاوى



مفهوم النقد

عند محمد مندور

بقلم : عبد الوهاب على الحكمى

■ يعد محمد مندور من خيرة النقاد العرب ، وميزة مندور انه درس وفهم روح الاداب الاوروبية فى اطار الحضارة الغربية وبالتالى اجاد فى نقل التراث الغربى الى العالم العربى وكيفية الاستفادة من نظريات النقد الغربية فى معالجة النصوص الادبية العربية .

ولد محمد مندور فى الخامس من يوليو ١٩٠٧ فى كفر مندور بالقرب من منيا القمح بمديرية الشرقية . وبعد ان اكمل تعليمه الجامعى فى الاداب والحقوق وجد تشجيعا ومساندة من المرحوم الدكتور طه حسين للذهاب الى فرنسا . مكث فى فرنسا ما يقرب من تسع سنوات متنقلا بين المكتبات العامة والخاصة ومتزودا بانواع الثقافة الغربية زائرا ما تمكن من المسارح والمتاحف ومختلف دور الثقافة والادب .

لم يدرس دراسة اكاديمية منتظمة بسبب ان خطته الدراسية الخاصة تعارضت مع الخطط الدراسية الرسمية كما بيّن ذلك فى الاهداء الى استاذه المرحوم الدكتور طه حسين والذى صدر به كتابه « فى الميزان الجديد » . عاد الى القاهرة فى يوليو عام ١٩٣٩ وعكف تسعة اشهر على الأطروحة التى قدمها بعنوان « النقد المنهجى عند العرب » والتى ظهرت بعد ذلك فى كتابه المشهور بهذا الاسم . منح جائزة الدولة التقديرية بالنسبة لمؤلفاته عن المسرح فى عام ١٩٦٢ . توفى مندور فى مايو ١٩٦٥ . بعد ان ترك خلفه اربعة ابناء وما يقرب من واحد وعشرين مؤلفا وسبعة كتب مترجمة عن الاداب والتاريخ الاوروبى . لقد كانت حياة مندور حافلة بالادب والثقافة والترجمات والمؤلفات التى القت الضوء على نواح واتجاهات نقدية جديدة فى معالجة النصوص الادبية العربية وكيفية الاستفادة من نظريات النقد الغربية .

كينونة وحقيقية النص الادبى :

تعريف مندور للنص الادبى يتضمن بانه كل نص يثير خيال القارىء ويبعث اللذة الفنية والادبية فى نفسيته ، لا بد ان يحتوى على مميزات

جمالية . الادب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة يهتم بالنواحي الجمالية وليس له هدف ايدولوجي او تعليمي وانما هدفه النواحي الجمالية . هذا التعريف استمده مندور من مقال استاذه في السوربون جوستاف لافون La Methode de L'histoire Litteraire ، الذي ترجمه مندور في عام ١٩٤٣ وضمه الى كتابه « النقد المنهجي عند العرب » تحت عنوان « منهج البحث في تاريخ الاداب » . لا بد ان اشير هنا ان مندور غير موقفه فيما يختص بعدم ربط الاداب بالاهداف الايدولوجيه اذ انه في نهاية حياته دعا الى الادب الملتزم وربط الادب بالاهداف الايدولوجية كما سنرى في نهاية هذا المقال .

يرى مندور ان الاسلوب الادبي لابد ان يحتوي على معالم جمالية ، ولذلك فلم يحاول في تحليله للنصوص الادبية ان يركز على تحليل الصور الشعرية ومعرفة العلاقة الموسيقية بين الكلمات في النص الادبي ومعرفة العلاقة بين الرنة الموسيقية للكلمة وعدد حروفها والعلاقة بين الحروف المتحركة والساكنة. وهو في هذه الطريقة النقدية متاثر بالشاعر الامريكي الن بو والمدرسة الرمزية في فرنسا علاوة على تاثره الشديد باستاذه لافون . ويلاحظ ان مقال « منهج البحث في تاريخ الاداب » كتب في عام ١٩٠٩ اي في اثناء عز الحركة الرمزية في فرنسا بصورة خاصة واوروبا بصورة عامة .

يعتقد مندور بان الرنة الموسيقية للكلمة في الشعر هي التي تحدد الفرق بين لغة الشعر ولغة النثر . الكلمة او العبارة في القصيدة الشعرية تكون مشحونة بعدة معان متفرقة ، وهذه المعاني تكون ناتجة عن العلاقة الموسيقية للكلمة بالكلمات الاخرى في القصيدة وتكون ناتجة عن الصور والخيالات التي تثار في نفس وذهن القارىء اي ان الموسيقى تساهم في خلق المعاني في النصوص الشعرية .

ويؤكد مندور ما اكده الناقد الايطالي كروتشه بانه لا يوجد فرق بين الشكل والمضمون في النصوص الادبية . ان الكلمات لها روح وروح الكلمات هو المضمون ، وبذلك فان مندور يؤيد الفكرة التي تقول بان كل شكل او نوع ادبي يعبر عنه بلغة خاصة به ، وقوة المضمون او محتوى النص الادبي تنتج عن الشحنات الفنية والخيالات والعواطف والمشاعر التي تبث عبر الكلمات والعبارة الفنية، ولذلك فهو يؤيد فكرة كروتشه التي لا تفرق بين اللفظ والمضمون والمعنى .

هدف النقد وواجب الناقد الادبي :

اذا كان النقاد الفرنسيون في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من امثال سانت بويف ولافون قد اهتموا بتحديد الفرق بين العلم والادب ومدى الاستفادة من منهج البحث العلمي في تحليل النصوص الادبية فان محمد مندور قد حمل هذا التمييز الى العالم العربي متبعا اساتذة النقد الاوروبي ورسالة استاذه الدكتور طه حسين .

يعتقد مندور بان العلم يبحث في الاشياء العامة، اما الفن فيبحث في الاشياء الخاصة . الروح العلمية بالاضافة الى التذوق الشخصي في الاحكام الفنية لهما دوران عظيمان في النقد الادبي . لابد ان يدرس الادب كوحدة فنية مستقلة عن جميع العلوم وله قوانينه ومنهجه الفني الخاص والمستقل عن جميع العلوم .

كل كاتب لابد ان يدرس كوحدة مستقلة ولذلك فانه يعتقد ان الدراسة المقارنة للادباء لا تساعد على اكتشاف نوعية وقوة الاديب او الشاعر .

هاجم مندور استخدام التحليل النفسي في الدراسات الادبية والنقدية بسبب اعتقاده ان الادب له عوامله الداخلية ، وان الناقد الادبي لابد ان يكون لديه حدس فني دقيق حتى يميز القواعد الادبية الداخلية التي تساعد على خلق النصوص الادبية السليمة ، ولقد دارت بينه وبين المرحوم العقاد معركة ادبية طويلة حول منهج التحليل النفسي في الدراسات الادبية .

زاد الناقد الادبي

تاثر مندور في ايمانه بالحدس بنظرية برجيسون في الحدس والتخمين واستفاد من قول اسحاق الموصلي بان هناك اشياء تدرك ومع ذلك لا توصف بقوله ان هذه الاشياء تدرك بالحدس ولكن لانستطيع ان نعبر عنها بالكلمات .

حاول مندور ان يبين القواعد التي يعتمد عليها الناقد في تذوقه الشخصي . يتكون هذا التذوق من عادات وميول مصقولة بالعوامل النفسية والاجتماعية للناقد ، ولذلك فان الذوق الادبي ياتي من الفطرة

الطبيعيا ثم التعليم والثقافة والخبرات التي مر بها الناقد الادبي والتي من خلالها حاول ان ينمي ميوله وقدراته الطبيعية .

يعطي مندور اهمية كبرى للثقافة الادبية والمران في صقل الحدس والتذوق الشخصي عند الاديب . فضل مندور الامدي صاحب الموازنة بين الطائيين والقاضي الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه بسبب انهما اعطيا اهمية كبرى للتذوق والحدس في الحكم الفني .

طبق مندور طريقة التذوق والحدس الفني عندما حاول ان يعرف الشعر المهموس . لم يتعرض مندور مباشرة لهذا التعريف ولكنه اوضحه من خلال شرحه لقصيدة « اخي » لميخائيل نعيمه وتعليقه على شعر مطران خليل مطران . الخص هنا تعريف مندور للشعر المهموس بانه الشعر الذي يتميز بتصوير مظاهر الطبيعة ويحاول الشاعر ان يعبر عما يلج في نفسه بصدق واخلاص ، ويتخذ الشاعر من الطبيعة والاساطير واحداث التاريخ مجالا يبث من خلاله مشاعره ومعتقداته الفنية والادبية . لابد ان اشير هنا ان الدعوة الى الشعر المهموس هي من بين العوامل التي ساعدت على ظهور حركة الشعر الحديث ،ولقد قال بدر شاكر السياب انه بدأ يفكر في الشعر الحديث عندما قرأ الشاعر الانجليزي اليوت وعندما اطلع على دعوة مندور الى الشعر المهموس . وعندما ظهرت حركة الشعر الحديث قال مندور « ان هذا هو الشعر المهموس الذي كنت ادعو اليه » .

عود على بدء (خاتمة) :

تلخص حياة مندور الادبية كناقد الى ثلاث مراحل :

ا ـ المرحلة الاولى وهي مرحلة التأثر الجمالي ، وفي هذه المرحلة كان يحاول مندور ان يبين معالم الجمال ومصادر التأثر الجمالي في النص الادبي .

ب ـ المرحلة الثانية وفيها حاول مندور ان يحلل النص الادبي تحليلا موضوعيا مبرزا محتويات النص الادبي متجنبا ما استطاع الاحكام النقدية على النص .

ج ـ المرحلة الثالثة وفيها بدا يدعو الى الواقعية الاشتراكية وقضية الالتزام الادبي .

يطرح مندور ثلاثة اهداف للنقد الادبي ، الهدف الاول تقييم النص الادبي ولتحقيق هذا الهدف يحتاج الناقد الى حاسية فنية . الهدف الثاني تفسير النص الادبي ولهذا الهدف يحتاج الناقد الى الثقافة والخبرة . الهدف الثالث التوجيه ولهذا الهدف يحتاج الناقد الادبي الى الايمان بهدف اجتماعي وسياسي معين .

في ختام هذا الحديث اذكر ما قاله الاديب السعودي عبد الله نور «من حسن حظ الادب العربي ان يوجد فيه ناقد مثل محمد مندور ومن سوء حظ الادب العربي ان يموت محمد مندور مبكرا » . ■■

عبد الوهاب علي الحكمي

■ الاهواء دائمة التوالد في النفس ، فالقضاء على أحدها يتيح الفرصة لظهور غيره

(لارشفوكو)

■ الاعجاب فن ، لا يكتسب بغير طول دراسة وتمرين

(مكس مولر)

■ السلم الدائم باق ، ولكن الى حرب مقبلة

(مثل روسي)

■ قد ينساق المرء الى النار ، وهو مغمض العينين

(مثل يوناني قديم)

العقل

● ارفع حرارة كفك ٠٠ ينتهي الصداع النصفي

● امراض القلب تهرب من صندوق اشارات المرور

● سر المفتاح المختفي في معدة الساحر هوديني

■ تجارب علمية عديدة تتم في المشرق والمغرب هذه الايام ، لتثبت أن امكانيات الانسان ابعد بكثير من الحد الذي ارتضيناه وتعارفنا عليه ٠

في عام ١٩٦٢ اخترع بيترلانج من جامعة بيتسبرج جهازا يسمح للانسان بان يتابع التغير في معدل ضربات قلبه على شاشة ٠ طلب لانج من الاشخاص الذين يجرى عليهم تجاربه ، ان يتحكموا في معدل نبضهم بحيث يبقى عند حد معين ،معتمدين على ارادتهم فقط ، فحصل على نتائج مدهشة ٠

وفي عام ١٩٦٥ ، استطاع العالمان ايلمد وجرين من مؤسسة مينتجار في ولاية كانساس، تدريب النساء والاطفال على تغيير حرارة الكف بالاعتماد على التحكم الارادي في البدن ٠ وقد ساعد على سرعة تعلم هذه القدرة، جهاز يقرأ عن طريقه الشخص موضوع التجربة التغيرات التي تحدث في درجة حرارة الكف٠ عن طريق هذا الجهاز استطاع البعض الوصول الى هذه المقدرة بعد عدة ايام ٠٠ وفي بعض الاحيان بعد عدة ساعات ٠

وقد ارتفع معدل مثل هذه التجارب في العالم ، بعد أن اعلنت العالمة السوفيتية ليزينا في عام ١٩٥٨، انها استطاعت تدريب مرضاها على توسيع وتضييق الاوعية الدموية بالجسم ، بالاعتماد على الارادة الخالصة لهؤلاء المرضى ٠ وكان اهم ماجاء في تقريرها ، ماأشارت اليه من انها لم تحقق نجاحا واضحا في هذا الصدد ، الا بعد ان جعلت المرضى يراقبون تسجيلا لما يطرأ على اوعيتهم من تغير ٠

قادت هذه الابحاث الرائدة ، الى الاف التجارب في جميع انحاء العالم ، في المستشفيات ، ومراكز البحث الطبي ، والجامعات ،والعيادات الطبية ٠ وتم ابتكار العديد من الاجهزة المساعدة التي تظهر للشخص ما يحدث من تغير في العمليات الحيوية اللاارادية داخل جسمه ٠ وانبثت هذه التجارب مولد اسلوب جديد في العلاج ، يمكن أن يعتمد عليه في علاج الكثير من الامراض ، مثل الصداع الناشيء عن التوتر العضلي ، والصداع النصفي، والذبحة الصدرية ، والكثير من امراض القلب ، وحالات الضعف الجنسي ، ونوبات الصرع ٠

واثبتت هذه التجارب قدرة الانسان على التحكم الارادي في وظائف الجسم اللاارادية ، باستخدام مؤشر ما ، بالصوت او الضوء ، يسجل مايحدث من تطور في هذه الوظيفة اللاارادية اثناء التدريب ٠ بل ان الانسان بعد أن تنتهي مدة التدريب ،يستطيع ان يظهر هذه القدرة دون الاعتماد على مثل هذا المؤشر ٠

واطلق على هذا الاسلوب في العلاج اسم مستمد من اصطلاحات العقول الالكترونية وهو

بقلم : راجى عنايت

سيدا للجسد .. آخر صيحة فى العلاج اسمها

التعليم الحيوى المرتد

« التلقيم الحيوى المرتد » او « التغذية الارتدادية الحيوية » Bio Feed back • فتغذية العقل وتلقيمه المعلومات يطلق عليها Feeding • اما مرحلة استخلاص المعلومات والنتائج من العقل الالكترونى فيطلق عليها Feed back • وهذا هو مايحدث فى هذه الظاهرة التى نتحدث عنها • فالعقل الواعى فى الانسان يستطيع ان يدرك طبيعة الوضع فى بعض الوظائف الحيوية اللاارادية بالجسم عن طريق الجهاز المستخدم ، وهذه هى مرحلة التغذية او التلقيم ، ثم يستطيع هذا العقل الواعى عن طريق هذه التغذية ان يؤثر على الوظائف اللاارادية ويغيرها ، وهذا هو التغذية او التقليم المرتد •

اليوجا وشعوذة هودينى

وقد اثارت هذه الظاهرة اهتماما واسعا بممارسات اليوجا • فظاهرة التحكم الواعى فى الوظائف اللاارادية شائعة فى عقائد اليوجا والزن والصوفية وبعض العقائد الافريقية • هذه الممارسات حققت لاصحابها القدرة على التحكم فى معدل النبض والتنفس والهضم والوظائف الجنسية ، والميتابوليزم ، ونشاط الكلى • بل ان بعض الممارسين المهرة امكنهم ابطاء ضربات القلب والوصول الى حالة السكون الكامل ، او خفض درجة حرارتهم الى مايطلق عليه مستوى الموت ، أو ابطاء التنفس بحيث يكتفون بشهيق وزفير واحد كل عدة دقائق بحيث يتحولون الى حالة شبيهة بحالة البيات الشتوى التى تعمد اليها بعض الحيوانات •

وتم الرجوع الى ماسجله الانجليز على مدى اكثر من مائتى عام ، خلال استعمارهم للهند ، حول الحيل البارعة لاصحاب رياضة اليوجا الهنود ، وما اظهروه من قدرة فائقة على التحكم فى وظائف الجسم اللاارادية • كما امكن تفسير ظاهرة الساحر الامريكى الشهير هودينى • فقد كانت بعض العابه السحرية تتضمن وضعه فى صندوق محكم واغلاق الصندوق بمفتاح من الخارج ، ثم القاء الصندوق فى البحر او النهر •• وكان هودينى يبهر الحاضرين ، عندما يظهر بعد قليل عائما على سطح الماء ، فقد ثبت ان الفضل فى معجزة هودينى ، هو قدرته على التحكم فى عضلات الجهاز الهضمى اراديا • كان يبتلع مفتاحا اخر قبل البدء فى التجربة ، وعندما يستقر الصندوق فى القاع ، يمارس قدرته على دفع المفتاح من معدته الى فمه ، ثم يفتح به الصندوق من الداخل •

ولعل اقوى رابطة بين اسلوب التلقيم الحيوى المرتد وممارسات اليوجا ، تتجسد فى التجارب التى جرت لتدريب المتطوعين على التحكم فى نوع الموجات السائدة فى المخ •

« الفا » او راحة المخ

استطاع جوكاميا من جامعة شيكاغو ان يطبق موضوع التلقيم الحيوى المرتد للتحكم فى الموجات السائدة فى المخ ، مستفيدا من التجارب التى جرت فى مستشفى مدينة بوستون على مجموعة من كبار الممارسين المدربين على اساليب اليوجا المعروفة باسم (ماهاراشى ماهيش) .

المعروف ان المخ فى الاحوال المختلفة تسوده موجات كهربائية تختلف فى ايقاعها . وقد ثبت من التجارب ان اصحاب ممارسات اليوجا هؤلاء ،يكشفون اثناء ممارستهم عن تزايد ايقاع «الفا» الذى يقترن عند الانسان بالاسترخاء وقلة التوتر العصبى .كما يظهر عليهم انخفاض ملحوظ فى معدل التنفس واستهلاك الاكسجين . بالاضافة الى انخفاض معدل نبض القلب وضغط الدم ، مع ازدياد فى المقاومة الكهربائية لسطح الجلد .

وتظهر ايقاعات « الفا » بوضوح عند اغلب الناس ، عند اغلاق العينين مع الاسترخاء الكامل ، ومحاولة عدم التفكير فى شىء محدد . اما اذا ظهرت هذه الايقاعات باصرار عندما تكون العين مفتوحة فيعتبر هذا من اعراض المرض العقلى ، الذى يؤدى الى الانفصال عن الواقع . وعلى اى حال ، فالثابت ان ايقاعات «الفا» عندما تسود المخ تؤدى الى حالة عميقة من الاسترخاء . وهذه الحالة تكون فائدة كبرى ، ووظيفة حيوية غالية ،لو اننا تمكنا من تحقيقها بارادتنا الخالصة . وهذا هو الذى دفع الاستاذ جو كاميا الى محاولة تطبيق اسلوب التقليم الحيوى المرتد للتحكم فى ايقاع الموجات الكهربائية فى المخ .

وقد ظهر حديثا فى الاسواق ،جهاز مرتفع الثمن يسمى « الفافون » يساعد الشخص العادى على ان يدرب نفسه بنفسه لتغليب موجات «الفا» فى المخ . وهو عبارة عن جهاز بسيط مزود بمؤشر يكشف نوع الموجات الكهربائية السائدة فى المخ ، اما عن طريق مصابيح تضىء او اجراس تدق . وبهذا يتمكن الشخص من تحديد الوقت الذى تشتد فيه موجات « الفا » فى مخه . هذا الجهاز الذى يربط بين العمليات الواعية واللاواعية فى الجسم ، يمكن الشخص بعد عدة ساعات من استخدامه ، من التحكم الواعى فى ايقاعات «الفا» ، واستحضارها عند الطلب . وهذا الجهاز تتركز اهميته فى انه يسمح للشخص باكتساب هذه القدرة فى وقت سريع ، يحتاج من الذين يعتمدون على اساليب اليوجا الى سنوات طويلة من التدريب .

وفى مؤتمر اليوجا العلمية العالمى الذى عقد عام ١٩٧٠ بنيودلهى ، عرض احد علماء مؤسسة مينتجار هذا الجهاز عندما قدم بحثه عن اسلوب التلقيم الحيوى المرتد كوسيلة للتحكم فى ايقاعات الموجات الكهربائية للمخ .وقد حرص علماء اليوجا اثناء هذا المؤتمر على اقتناء جهازين من هذه الاجهزة ، لاستخدامها فى التدريب السريع على ممارسات اليوجا .

الارادة الواعية للمريض

والعلم لم يصل حتى الان الى تفسير الطريقة التى يصل بها الشخص الى تحقيق التحكم فى وظائفه اللاواعية . فالذين نجحوا فى استخدام اسلوب التلقيم الحيوى المرتد ، لم يستطيعوا أن يصفوا ما يجرى داخلهم . وقالوا ان المشاعر تكون على درجة عالية من العمق والتعقيد ، وان تعرفهم على هذه المشاعر يكون بشكل غامض .

ويقول العالم نيل ميلفر الاستاذ بجامعة روكفلر ، ورائد العلاج باسلوب التلقيم الحيوى المرتد ، فى محاولة لتفسير ما يحدث ، ان الاعصاب لا تبث رسائلها من المخ الى اعضاء الجسم فقط ، لكن هذه الرسائل تسلك ايضا الطريق المعاكس . ومع هذا ، فباستثناء الحالات المتطرفة مثل الام المعدة ، لا نشعر باى احاسيس تصلنا من هذه الاعضاء . نحن لا نشعر بالبنكرياس وهو يفرز الانسولين ، ولا بالغدد وهى تفرز عصاراتها ، ولا بالتغير الذى يحدث فى نسبة السكر بالدم . ويشبه ميلفر ما يجرى فى هذا الصدد بلاعب كرة السلة الذى وضعوا عصابة على عينيه ، ومضى يتدرب على تسجيل اهدافه . ثم يقول ان اجهزة التلقيم المرتد بما تعطيه من اشارات صوتية او ضوئية ، تكون بمثابة رفع العصابة عن عين لاعب كرة السلة

رغم ان العلم لم يصل بعد الى دقائق مايجرى فى عمليات التلقيم المرتد ، فقد كان اكتشاف هذه القدرة عند الانسان من الكشوف التى اذهلت الاطباء والعلماء ، مما جعلهم يمضون قدما فى الاعتماد عليه للاغراض العلاجية ، قبل ان يقول العلماء

الباحثون كلمتهم الاخيرة فيه . فانتشرت معاهد التلقيم الحيوى المرتد فى انحاء امريكا واوروبا، وسعت المستشفيات والعيادات فى جميع انحاء العالم الى توفير الاجهزة الالكترونية التى تحتاجها عمليات التلقيم المرتد بالنسبة لمختلف الاغراض . واستطاعت هذه المستشفيات والعيادات ان تعتمد على هذه الطريقة فى علاج كثير من الامراض ، دون جراحة او عقار او اشعة ، معتمدين فقط على الارادة الخالصة الواعية للمريض .

الصدفة فى خدمة العلم

فى بلتيمور بامريكا ، استطاع الاطباء تدريب مرضى القلب على التحكم فى اعقد نشاطات القلب . يجلس المريض على سريره بالمستشفى ، وتثبت على مواضع من جسمه اقطاب تمتد منها الاسلاك الى جهاز التلقيم المرتد عند قدميه . والجهاز عبارة عن صندوق يوضح بالضوء معدل ضربات القلب . عندما يضىء المصباح الاصفر ،فهذا يعنى ان ضربات القلب ثابتة عند معدلها لاتتغير . وعندما يضىء المصباح الاحمر فمعنى هذا أن ضربات القلب يتصاعد معدلها ، اما المصباح الاخضر فيعنى تباطؤ معدل الضربات . بعد فترة من التدريب ،يصبح بامكان المريض التحكم فى معدل ضربات قلبه بدون استخدام الجهاز عندما يعود الى بيته .

كما استخدم هذا الاسلوب فى علاج ضغط الدم، والاحتفاظ به عند المستوى المطلوب، المناسب لصحة المريض . وقد جرت دراسات طويلة للتاكد من أن هذا الاسلوب العلاجى لاتكون له اى آثار جانبية ضارة .

وفى جامعة كولورادو تم تدريب المتطوعين على التخلص من الصداع الناشىء عن التوتر ، او تخفيضه بشكل ملموس ،عن طريق استرخاء عضلات الجبهة . وكانت وظيفة جهاز التلقيم المرتد أن يجسد للمريض مدى توتر عضلاته . ولوحظ أن سبعة من بين عشرين متطوعا قد امكنهم باستخدام الجهاز الوصول بتوتر عضلاتهم الى نقطة الصفر، الامر الذى لا يمكن لاى شخص ان يحققه دون الاعتماد على التلقيم المرتد .

وقد استطاع بعض علماء مؤسسة مينتجار آن يحققوا نجاحا باهرا فى تدريب مرضى الصداع النصفى على التخلص من آلامهم القاسية باستخدام اسلوب التلقيم المرتد . وكما يحدث كثيرا فى مجال الكشف العلمى ، تم الوصول الى هذا الاكتشاف بطريق الصدفة . كانت التجربة الاصلية تنحصر فى تدريب المتطوعين على رفع درجة حرارة اكفهم عشر درجات فى ظرف دقيقتين عن طريق جهاز خاص للتلقيم المرتد . أثناء هذه التجربة وجدت احدى المتطوعات انها شفيت بشكل مفاجىء من نوبة صداع نصفى كانت تعانى منها . ولعل السر فى هذا يرجع الى أن الصداع النصفى يتضمن انتفاخا اساسيا فى الاوعية الدموية بالمخ ، وان رفع درجة حرارة الكف يسحب الدم اليه ، فيمنع حدوث الصداع . بعد اكتشاف هذه الحقيقة جرى تجربتها على مئة من المتطوعين الذين يعانون من الصداع النصفى ، وامكن تدريب ٩٠ متطوعا منهم على التحكم فى الام الصداع دون استخدام العقاقير .

كذلك امكن استخدام اسلوب التلقيم المرتد فى علاج حالات ادمان الخمر . فمن طريق جهاز للتلقيم المرتد ، اتيح للمريض ان يشم مستوى السكر فى دمه . وبذلك اصبح فى امكانه بعد فترة التدريب ان يقتصر على تعاطى الكمية التى لاتصل به الى حالة الخطر .

وهكذا .. يصل بنا العلم الحديث الى مشارف افاق جديدة فى علم الطب واساليب العلاج الطبى. لاشك ان السنوات القليلة القادمة ، تحمل فى طياتها المزيد من الكشوف فى مجال التلقيم الحيوى المرتد ، مما سيحدث ثورة حقيقية فى مجال الصحة البشرية .

بل أن هذه الكشوف ، تبرز الطاقات الهائلة التى يتمتع بها الانسان والتى تسمح له ان يدخل الى نطاق تحكمه الكثير من نشاطات الجسم اللاارادية ، التى اعتدنا على اعتبارها وظائف لا واعية ، ذاتية النشاط ، ليس لنا عليها اى سلطة او ولاية .

وهكذا ، نكتشف يوما بعد يوم ، كم هو قليل ما نعرفه عن انفسنا وعما يحيط بنا .. وقد صدق رائد النظرية النسبية العلامة البرت اينشتين عندما قال «ماذا تعرف السمكة عن الماء الذى تعوم فيه طوال حياتها ؟ ! »

راجى عنايت

البتراء كانت عاصمة الأنباط

● قامت مسابقة العدد ٢١٤ من« العربى » على اسئلة فى المعلومات العامة عربية واجنبية ، وكانت الاسئلة سهلة ميسرة لا تحتاج الى كثير عناء للاجابة عليها ، وبذلك استطاع معظم الذين اشتركوا فى المسابقة ان يجيبوا على الاسئلة اجابات صحيحة الا ما ندر ·

ونورد فيما يلى نموذجا للاجابة الصحيحة ، واسماء من فازوا بالمسابقة :

١ ـ البحار العربى الذى لقب «باسد البحار» هو ابن ماجد ·

٢ ـ الدولة التى اطلقت اول قمر اصطناعى هى الاتحاد السوفييتى ·

٣ ـ البتراء كانت عاصمة الأنباط ·

٤ ـ الرجل الذى اختطفه جنود هتلر من داخل الفندق بايطاليا هو « موسولينى » ·

٥ ـ المؤرخ العربى الشهير ، صاحب المقدمة المعروفة باسمه هو « ابن خلدون » ·

٦ ـ اول عدد صدر من مجلة « العربى » كان فى ديسمبر ١٩٥٨ ·

٧ ـ همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمى التميمى هو « الشاعر الفرزدق » ·

٨ ـ « سيجفريد » هو اسم الخط الدفاعى الذى اقامه الالمان مقابل خط « ماجينو » الفرنسى ·

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :امين محمد عبد الله مقطرى / صنعاء / اليمن ·

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :حميد اللجى محمد / الانبار / العراق ·

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :محسن حسين عبد الحبيب / الدوحة / قطر ·

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينار، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من ··

١ ـ محمد عطار ـ حلب / سوريا

٢ ـ ابراهيم العبد العزيز الفرج ـ بريدة / السعودية

٣ ـ عبد الفتاح حمدالله العناسرة ـ السلط/ الاردن

٤ ـ عبد الملك عبد العزيز ـ عدن / اليمن الديمقراطى

٥ ـ كاظم عبد الرسول بو عباس ـ الشعب / الكويت

٦ ـ عبد العزيز مصطفى محمود ـ مفروح / مصر

٧ ـ احمد سليمان صالح ـ مسقط / عمان

٨ ـ فوزية سلطان مذكور ـ المنامة / البحرين

• شخصية الشهر •

■ عندما يكون الحب بين رجل وامراة ، تجده شيئا عاديا لا يثير اهتمام احد ، الا اذا كان وراء هذا الحب قصة اكبر منه! ولكن عندما يكون الحب بين الانسان والطبيعة ٠٠ هنا نتوقف ونتساءل ونتامل ، لان هذه هي اروع صور الحب ٠٠لان الطبيعة هي الرجل وهي المراة وهي الحياة وهي الكون الواسع كله من حولنا !



شولوخوف

سارتر و شولوخوف

والدون الهادىء وقصة حب كبير!



سارتر

بقلم : منير نصيف

قرات هذا الكلام للفيلسوف الوجودى الفرنسى جان بول سارتر فى صحيفة نوفيل اوبزرفاتير، عندما كان الحديث عن الفكر والكتب والادباء الذين خلدتهم اعمالهم .

وكان سارتر يعنى بحديثه هذا بين من يعنى شولوخوف كاتب روسيا الكبير الذى قال عنه فى عام ١٩٦٥ .. العام الذى فاز فيه الكاتب السوفيتى بجائزة نوبل للاداب عن قصته « الدون الهادىء » او « وانسابت مياه الدون فى هدوء » And Quiet Flows The Done . انه اعظم الكتاب المعاصرين وقال سارتر يومها ايضا : « اذا كان لى ان افخر بعمل اديته ، فلن اجد ما هو احسن من الدور الذى قمت به عندما ساهمت فى تحطيم الحدود المصطنعة للادب المعاصر ! لقد احب شولوخوف هذا النهر ، ومن مياهه العذبة .. ومن الارض التى يجرى فيها منسابا فى هدوء .. ومن حياة الناس الذين عاشوا على ضفافه .. ومن الطبيعة التى لم تفسدها يد الانسان ..ومن قلب الاحداث التى مرت على مياه الدون الدافئة الباردة .. من هذا كله .. خرجت معظم قصص هذا الاديب الفنان ..

ولنبدأ القصص الثلاث من اولها .. قصة « الدون الهادىء » ، ثم قصة سارتر التى اخترق بها الحدود ، واخيرا قصة هذا الاديب الذى يقضى الآن ما بقى له من عمر فى بيته الصغير على شاطىء النهر الذى عشقه واعطاه كل ثمار فكره وعمره !

الدون الهادىء !

وقصة الدون الهادىء ، ليست جديدة ، فهى فى عمر الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى .. ولو ان أحداثها ترجع قليلا الى الوراء..الى الحرب الاهلية التى اندلعت فى عام ١٩١٨ ،قبل ان تنضج الثورة البلشفية لتبنى روسيا الجديدة على انقاض روسيا القيصرية !

وقد ترجمت القصة الى كل اللغات ، ومن بينها العربية ، وقراها الملايين فى جميع انحاء الدنيا ، فقد كان هذا النهر الهادىء يحكى مرحلة هامة من مراحل تاريخ الاتحاد السوفيتى، صور فيها الكاتب صراع شعب وكفاح امة ..وجاءت الصورة تنبض بالحياةالبسيطة الصادقة،وتعكس مشاعر واحاسيس هذا الكاتب الاديب الانسان !

وهكذا اصبح اسم شولوخوف منذ سنواتبعيدة مصدر فخر للشعب الروسى ، واجمع الكتاب فى روسيا وفى معظم انحاء العالم الخارجى على ان قصة الدون لا تقل روعة عنقصة تولستوى الخالدة « الحرب والسلام » .

اسطورة قومية

وتحول الدون الهادىء الى اسطورة قومية فى روسيا بعد ان عرضت على المسرح وعلى شاشة السينما،وبعد ان حولوهاالى اوبرايغنيها الشباب ويتغنى بها على مسرح بولشوى فى موسكو ،وبعد ان فاز صاحبها بجائزة ستالين .

اما هناك على الجانب الاخر من « الستار الحديدى » التسمية التى اختارها الغرب للحائط الوهمى الذىيخفى وراءهصورة الحياة داخلالاتحاد السوفيتى فى عصر ستالين .. على هذا الجانب كان اسم شولوخوف يحتل مكان الصدارة فى قائمة الكتاب المرشحين للفوزبجائزة نوبل تقديرا لاعماله الادبية الرائعة .. وتوقع الكثيرون ان تنتقل الجائزة الى صاحب القلم الكبير، ولكن السنوات مضت وبقى اسم الاديب الروسى فى مكانه ، هناك فىالمقدمة دون ان يتحرك احد ويدفعبالجائزة بين يديه ..

الى ان حدثت المفاجاة فى عام ١٩٦٥ ،بعداعوام واعوام طويلة من الخوف والتردد .. ماذا حدث ؟ لماذا الآن ؟ هل كانت الجائزة جديدة .. ام ان العمل الادبى الذى استحق عليه شولوخوفالجائزة هو الجديد ! لا هذا ولا ذاك ..

ضمير يستيقظ

فقد بدا توزيع جوائز نوبل فى العام الاول من القرن العشرين عندما صرخ الفريد برنارد نوبل العالم السويدى المشهور الذى اخترع الديناميت، بعد ان عذبه ضميره لانه قدم للعالم اختراعا يحمل الهلاك للبشرية .. وقرر نوبل مع صرخته رصد كل دخل هذا الاختراع للبارزين من الرجال فى ميادين العلوم والاداب والطب وغيرها .. فهل استيقظ ضمير المشرفين على توزيع هذه الجوائز كما استيقظ ضمير صاحبها ؟ !

لقد بدا اسم شولوخوف يلمع ككاتب واديبمنذ ثورة اكتوبر فى الاتحاد السوفيتى .. واكتشف

اعضاء لجنة توزيع جوائز نوبل مواهبه منذ سنوات بعيدة مضت . وسجل المشرفون على توزيع الجائزة اسم شولوخوف بين اسماء الكتاب الذين ساهموا باقلامهم في تطوير الادب المعاصر ..فما الذي دفعهم الى تجاهله طوال هذه الاعوام ؟ ثم لماذا قرروا فجاة العودة الى تلك الاعمال الادبية التي يرجع تاريخها الى ما يزيد على ربع قرن من الزمان ، ليقفوا امامها ويسجلوا امام العالم كله ، اعجابهم بها وتقديرهم لها ؟ ولنتوقف قليلا عند هذا السؤال الذي تطوع النقاد في اكثر من صحيفة ومجلة لترد عليه ..

لقد كان شولوخوف هو الكاتب رقم « ٢ » الذي يفوز بجائزة نوبل للادب .. فالكاتب الاول هو بوريس باسترناك الذي توفي منذ سنوات . ولكن مع فارق كبير في الظروف والملابسات التي احاطت باختيار كل منهما للجائزة وفوزه بها .. وفي هذا تقول مجلة « نوفيل اوبزرفاتير » : عندما اختاروا باسترناك، لم يختاروه تقديرا لادبه فحسب، ولكن لان قصته « الدكتور زيفاجو » ، تنفي غيوماسودا، على التجربة الاجتماعية في الاتحاد السوفيتي .. من اجل هذا لم يسمح المسؤولون السوفيت ، للكاتب الشاعر باستلامها .

نقطة تحول

اما اختيار شولوخوف للجائزة ومنحها له ، فقد كان في واقع الامر ، يمثل نقطة تحول هامة في نظرة القائمين على جائزة نوبل وتوزيعها .. ذلك ان اختيارهم لشولوخوف كان منزها عن كل اعتبار لا يمت الى اعمال الرجل الادبية بصلة . وكانهم ارادوا بذلك ان يؤكدوا للعالم ان الثقافة لم تعد تخضع للحدود .. سواء كانت حدودا تتصل بالزمان او المكان او العقيدة والمذهب :

ولكن وراء هذا التحول في تفكير لجنة نوبل قصة كان لها اثر كبير في خروج تلك الجائزة من ازمتها الفكري والسياسي .. وهو مرة اخرى ذلك الموقف المشرف الذي وقفه جان بول سارتر . هذا الاديب الفرنسي الوجودي العملاق . عندما اعلن رفضه للجائزة التي منحت له في عام ١٩٦٤ . فقد اراد الكاتب الفيلسوف بهذا الرفض ان يعبر عن مشاعره ازاء مسلك المشرفين على توزيع جوائز نوبل طوال الاعوام الماضية .. وكتب سارتر يومها يقول :

« ان اختيار لجنة نوبل ، اختيار مغرض يساهم في استمرار الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي . وهو يغذي هذه الحرب ، وانا لا اريد ان اربط فكري وادبي بمذهب معين او بسياسة بذاتها .. » وذهب سارتر الى ابعد من هذا فقال : « انني لا افهم كيف تمنح جائزة نوبل لباسترناك لمجرد انه هاجم النظام الاجتماعي السوفيتي ..ولا تمنح لشولوخوف اكبر روائي روسي معاصر..ليس هذا تحقيرا لاعمال باسترناك،فقد قرات قصته الدكتور زيفاجو » واعجبت بها ، ولكنها قطعا ليست في قمة الادب السوفيتي ، كما صورها الغرب ! » .

وانهارت الحدود !

وانتصر سارتر .. وانتصرت دعوته الى التعايش السلمي بين الثقافات البشرية ،وانهارت في الوقت نفسه الحدود المصطنعة ، كما انهارت من قبل امام مكسيم جوركي وبرخت ..

وننتقل الى الفلاح شولوخوف الذي فاز اخيرا بالجائزة التي استحقها منذ سنوات وسنوات..هذا الاديب الانسان، لم يفترق يوما عن الارض التي احبها والسماء التي استظل بها والوجوه التي عرفها وعاش معها .. سالوه يوما : « لماذا لا تاتي الى موسكو وتترك قريتك الصغيرة « فيشنسكايا » ، على ضفاف الدون ، وتعيش في العاصمة ، « موسكو » ، كما يفعل كل كتاب روسيا ؟ :

فقال شولوخوف ردا على دعوتهم : « هنا يعيش ابطال قصصي ،وانا لا احتمل الفراق عنهم ..فلولا هؤلاء، لما استطعت ان اكتب ولما اصبحت اديبا .. ما الذي يمكن ان اراه في موسكو ؟ » .

فمن احزان الناس .. ومن قصص كفاحهم والامهم على شاطىء النهر الذي احبه ، ولدت كل قصص شولوخوف مع مياه الدون .. فمن صورة لقاء جندي مع ابنه في قارب صغير ، وهو يعبر به احد روافد النهر الخالد ، استوحى شولوخوف قصته القصيرة « مصير انسان » ،ومن صورة الفلاح مع فاسه استوحى قصة « الارض المستصلحة » .. واستطاع الكاتب الكبير ان يرسم لنا بعد هذا صورا رائعة للتحرر من قيود الرق والعبودية في روسيا القيصرية ..

طفولة وحرمان

وفي بيته الريفي ،الذي يطل على النهر ،يصحو الكاتب الروسي في صباح كل يوم ، ويقف وراء نافذته يتطلع الى منظر مياه النهر الدافئة صيفا المتجمدة شتاء ·· فهو لم يمل النظر اليها يوما في حياته ··

هنا ولد في عام ١٩٠٥ ، وسط الحقول الخضراء عن ام فلاحة من قبائل القوزاق ، واب احترف صيد السمك ·· وذاق شولوخوف مرارة البؤس والحرمان ، فكان يزرع الارض ويحرثها ويرعى الغنم وسط القوزاق الذين استقروا على ضفاف النهر،منذ قرون طويلة،وكانوا يملكونها ويتوارثونها عن آبائهم واجدادهم··وقد انقسم هؤلاء الى فريقين ·· فريق الملاك ، وفريق صغار المزارعين ·· فريق ياكل ولا يعمل ·· وفريق يطحن نفسه حتى يذوب في الارض التي لا يكف عن العيش مع ترابها ··

الاول يعادي الثورة ،والثاني يدافع عنها ويتعلق بها ، وقد صور شولوخوف هذا الصراع في ملحمته « الدون الهادىء » اروع واجمل تصوير ··

ونام الطفل الصغير الجائع بين احضان وادي النهر والسهول الممتدة امامه على مرمى البصر ··ثم صحا الصبي ذات يوم على دوي المدافع وصليل السيوف ··لقد اندلعت نيران الحرب الاهلية في روسيا·· وقادته قدماه الى احد معسكرات الجيش الاحمر ، وانضم اليه وحارب في صفوف جنوده ، رغم حداثة سنه فلم يكن يتجاوز وقتها الثالثة عشرة من عمره·· وكان ان وقع الصبي المحارب في يد قوات حركة المقاومة للنظام الجديد ·· ولكنه افلت من الاعدام ·· فقد كان مازال « طفلا » ولا يمكن ان يعامل معاملة الكبار ·· وبقي شولوخوف الصغير اسيرا لفترة من الزمن ·· الى ان عثر عليه الزعماء الذين قادوا ثورة اكتوبر فيما بعد ، فاطلقوا سراحه ، وحملوه الى والديه !

مدرسة الحرب

وحال القتال بين الصبي واتمام دراسته ، فقد كانت الحرب هي المدرسة الوحيدة التي تعلم فيها ابناء الثورة واعداؤها على السواء ·· وقد كره شولوخوف هذه « المدرسة » ، فحزم حقيبته ورحل الى موسكو لاول مرة ·· وهناك عمل حمالا وعمل بناء ثم محاسبا وصحفيا في جريدة الكومسومول ، او جريدة الشباب !

وفي سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية كتب شولوخوف قصته « قاتلوا في سبيل الوطن » ،التي ظهرت فصولها الاولى والحرب ما زالت دائرة في عام ١٩٤٤ ، وقد صور فيها الكاتب كفاح الشعب السوفيتي وقتاله البطولي من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع ، حتى استطاع في النهاية ان يدفن قوات الغزو النازي تحت الثلوج ·

وعندما انتخبوه عضوا في مجلس السوفيت الاعلى ، وفي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ·· تصور الكثيرون ان الكاتب الثائر قد حطم قلمه والقى به في جوف النهر الذي احبه ·· ولكنهم فوجئوا به يجاهر برأيه في صراحة وشجاعة في كثير من المشاكل التي تواجه بلاده·· فقد كان يضع دائما مصلحة الشعب فوق كل اعتبار آخر ، وارتفع صوته ·· وازداد قلمه قوة وصلابة!

بساطة وتواضع

دعوه يوما لحضور حفل اقيم في مسرح بولشوي، الشهير في موسكو ،بمناسبة زيارة ريتشارد نيكسون وكان يومها نائبا للرئيس ايزنهاور ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية في اواخر الخمسينيات·· وذهب شولوخوف في الموعد ، ولكنه ما كاد يبلغ الباب الخارجي حتى استوقفه الحارس وطلب اليه ان يبرز بطاقة الدعوة ·· وراح يبحث عنها في جيوبه ، ولكنه لم يعثر لها على اثر ·· لقد نسيها او ربما سقطت منه ، دون ان يشعر ، واستدار في خجل شديد وهو يعتذر للحارس الذي كان يرمقه بنظرات الريبة !

لقد كان من الممكن ان يبعث برسول الى احد زملائه الذين سبقوه الى دخول المسرح ، لكي يبعد عنه الشبهات ويساعده على الدخول ، ولكنه اختار اسهل السبل ! فشولوخوف انسان متواضع الى ابعد حدود التواضع ،يكره المشاكل ، ويعشق الهدوء الذي صوره في كتابه وهو يحدثنا عن النهر الذي اصبح اسطورة بعد ان نقله الى العالم وعبر به حدود بلاده ! ويتميز مظهره ببساطة متناهية فهو مثل اي انسان آخر يمكن ان تلتقي به في اي مكان

•• ربما كان الشيء الوحيد الذى يختلف فيه عن الاخرين ،هو تلك الابتسامة التي تملأ وجهه والتي تنم عن طيبة القلب وصفاء النفس ••

ويقول الذين التقوا بوجهه وسط دخان سيجارته التي لا تفارق شفتيه ابدا ، واقداح الفودكا التي كثيرا مادعا صديقه خروشوف رئيس وزراء روسيا الراحل الى مشاركته احتسائها •• يقول هؤلاء : « انك لا تكاد تبدأ حديثك معه ، حتى تشعر انك امام رجل صادق في كل كلمة يقولها !»

وقد اضفى على كتاباته كل هذه الصفات •• فجاءت صادقة معبرة صريحة بسيطة •• فهو دائما صادق وهو يصور احاسيسه ومشاعره في بساطة ولكن في عمق ايضا •• ثم هو لا يمل الاستماع الى كل مايقال له فاذا عرض على محدثه وجهة نظره في النهاية ، حرص على ان يقدمها في تواضع شديد، لانه يكره التعالى بنفس القوة التي كره بها العنف •• ويكره ذلك الطراز من الكتاب الشباب الذين يتعالون فكريا على قرائهم !

وهو بعد هذا وذاك ، شخصية مرحة يحب النكتة ويضحك لها من اعماقه ، فاذا بدا جادا لم يجد غير تلك الصور من حياته يرويها لك ، فتستمع اليها وتتمنى لو انك قضيت الوقت كله تنصت اليه وهو يتكلم ! وبالرغم من انه لا يميل كثيرا الى الحديث عن اعماله الادبية وقصصه ، الا انه لا يمل ابدا العودة الى ابطال قصصه •• فهو ينظر اليهم ، كما ينظر الاب الى اولاده •• ويعتبرهم جزءا لا يتجزأ من ماضيه وحاضره ومستقبله .

عبور •• وعبور

لقد عبر شولوخوف حدود بلاده ، الى اوروبا الغربية والى امريكا ، عندما اصطحبه خروشوف صديقه اليها •• وساله الصحفيون هناك : « ماهي انطباعاتك عن حياتنا وبلادنا ؟ »

فقال : « بلادكم جميلة ، ولكنني افتقدت فيها قاربي الصغير الذى اخرج فيه لاصطياد السمك •• وافتقدت الغابة التي اذهب اليها لاتعلم!» •• فقد كان شولوخوف يخرج في هذه الرحلات القصيرة لا ليصطاد ، وانما كان يخرج ليلتقط بعينيه واذنيه صورا واشياء لا يمكن ان يتعلمها في الكتب •• لقد كانت حياته هى المدرسة التي تخرج فيها ليقدم للعالم اروع انتاج ادبي من واقع حياته هو وحياة الناس الذين عاش معهم وبينهم !

لقد مرت اعوام طويلة قبل ان يعبر العالم الخارجي حدود بلاده ويأتى اليه في قريته الصغيرة ليشاركه في رحلاته القصيرة بقاربه في مياه الدون •• النهر الذى احبه واعطاه كل عمره ! ■■

منير نصيف

أنباء الطب والعلم

سرطان الدم
عقاقير جديدة تبشر بالشفاء منه

● ثمة دراسات وتجارب جديدة ، ستحظى ولا ريب باهتمام الكثيرين ، نظرا لما تبشر به من افاق في معالجة السرطان ، وبخاصة سرطان الدم ، وذلك بواسطة مستحضرات جديدة· ويقوم بهذه التجارب مركز الأبحاث الميكروبيولوجية القائم في بلدة بورتون Porton ، والتابع لوزارة الدفاع البريطانية ·

اما المستحضرات الجديدة فليست جديدة بالمعنى الدقيق ·أنها الخمائر اوالانزيمات Enzymes التى يفرزها الجسم فتساعد على بدء تفاعلات كيماوية معينة فيه وتنشط عملية الهضم ايضا · فالخمائر اذن طبيعية في الاصل · الا ان في الامكان انتاج هذه الخمائر (وهى مواد بروتينية) صناعيا ، علما بان صنعها معقد للغاية ويستغرق وقتا طويلا ·

ونذكر من هذه الخمائر الجلوتامنيز Glutaminese ، الذى استعمل مؤخرا في مستشفيات لندن لمعالجة تسعة اشخاص مصابين بسرطان الدم Leukemia ، وقد اظهر هؤلاء من الاستجابة ما لم يظهروه للعقاقير التقليدية التى تعالج بها عادة مثل هذه الحالات · وتجرى التجارب حاليا لمعرفة أثر الجلوتمنيز على سرطان الدم في مراحله المبكرة ·

ونذكر منها ايضا الاسباراجنيز Asparaginese ، وقد استعمل بنجاح في معالجة سرطان الدم بحيث بدأوا انتاجه وتوزيعه على المستشفيات على نطاق واسع·

ونذكر منها كذلك الجلوتامنيج Glutaminage وهو انزيم جديد امكن عزله في التجارب التى ذكرنا ·

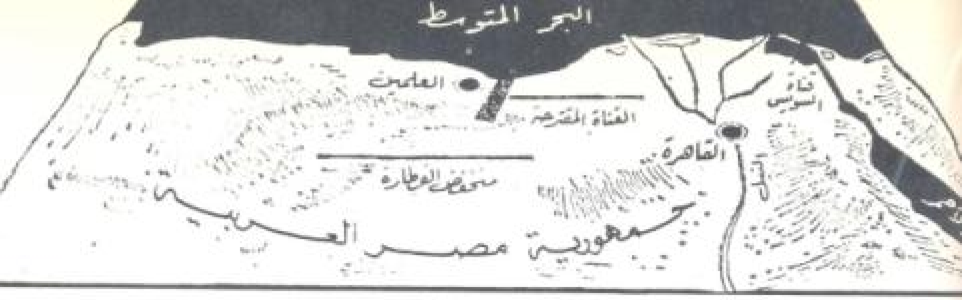
هذا بالاضافة الى خمائر جديدة لم يكشف النقاب عن اسمائها ·

وجدير بالذكر ان الدكتور هـ·ى ويد Dr. H. E. Wade ، رئيس قسم كيمياء الانزيمات في بورتون ، يشرف على الدراسات والاعمال التى ذكرنا ، وقد كلفته وزارة الصحة البريطانية بمشروع انتاج بعض الخمائر ، ووضعت تحت تصرفه ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه ·

النكوتين خطر

● طالما اعتبر الاطباء التدخين ضارا بالجنين وسببا في صغر حجمه ونصحوا المرأة الحامل بالامتناع عنه · ونسب بعضهم ذلك الضرر الى ما في التبغ من مادة أول اكسيد الكربون ، وعزاه آخرون الى مافيه من مادة النكوتين · والمادتان سامتان ، كما هو معروف ، وان لم يظهر اثرهما السام الا في جرعات كبيرة·

وظل الوضع على هذا النحو حتى كانت الابحاث العلمية التى اجريت مؤخرا في معهد نافيلد Nuffield في بريطانيا والتى اجراها فريق من علماء قسم الابحاث الطبية التابع لجامعة اكسفورد ·



قناة جديدة رائدة
تصل بين البحر المتوسط ومنخفض القطارة

● تدرس السلطات المعنية في جمهورية مصر العربية حاليا مشروعا هندسيا بالغ الاهمية : شق قناة جديدة ، بواسطة التفجير النووي . وستصل هذه القناة التي سيبلغ طولها ٥٠ ميلا بين البحر المتوسط ومنخفض القطارة في الصحراء الغربية . اما الغاية من هذه القناة فتوليد الكهرباء بواسطة الشلالات التي ستحدثها مياه البحر ، لدى وصولها الى المنخفض ، وتدفقها الى قاعه الذي يبلغ انخفاضه عن سطح البحر حوالي ٤٠٠ قدم . وقد لا يمضي وقت طويل حتى تتكون في منخفض القطارة اكبر بحيرة اصطناعية في العالم كله .

ولما كانت التفجيرات النووية ذات خطورة كبيرة فقد عهدت الحكومة المصرية الى وكالة الطاقة الذرية التابعة للمنظمة الدولية بدراسة احتمالات التلوث الاشعاعي الذي قد يترتب على تلك التفجيرات . واوفدت الوكالة الى مصر بعثة لتحري الوقائع في الصيف الماضي .

ولو ذكرنا ان الطاقة الكهربائية التي سيكون في الامكان توليدها لدى اكتمال المشروع ستبلغ خمسة اضعاف الطاقة التي يستطيع توليدها السد العالي لهانت في نظرنا تكاليف المشروع الباهظة والبالغة ٦٨٠ مليون جنيه . ولولا المتفجرات النووية لزدات التكاليف على هذا المبلغ بنحو ١٠٠ مليون جنيه .

على صحة الجنين

فقد اثبتت تلك الابحاث بالدليل القاطع ان الضرر الذي يلحقه التدخين بالجنين انما سببه النكوتين .

اما التجارب العلمية العملية التي أقامت الدليل على ذلك فقد اجروها على نفر من المدخنات الحوامل . وكان ذلك بأن قاسوا الحركات التنفسية التي تحدث في الجنين بين حين وآخر ، او بالاحرى الوقت الذي تستغرقه تلك الحركات نسبيا . وفعلوا ذلك مرتين — مرة بعد ان دخنت الحوامل سيجارتين ، والمرة الاولى قبل تدخينهن السيجارتين .

وتبين ان الوقت الذي استغرقته تلك الحركات التنفسية بلغت نسبته ٧٠٪ قبل التدخين ، وان تلك النسبة هبطت الى ٥٠٪ في القياس الذي اجروه بعدتدخين السيجارتين . ولم يسترد الجنين النسبة الاولى — وهي النسبة السليمة — الا بعد مضي ٩٠ دقيقة على ذلك القياس .

وقام علماء اكسفورد بتجارب أخرى دلت على أن التغيرات التي تتعرض لها الحركات التنفسية التي ذكرنا ذات صلة وثيقة بالتغيرات التي تطرأ على تركيز النكوتين في الدم ولا علاقة لها بالتغيرات التي تحدث في تركيز مادة Carboxy haemoglobin في الدم ، وقد تمكن العلماء ، كما لايخفى من قياس كلا التركيزين على نحو من الدقة .

قبل سنة ٢٠٠٠ : الهيدروجين بدلا من الكيروسين وقودا للطائرات

اصبح قريبا ذلك الزمن الذى تستغنى فيه الطائرات عن البترول لتسير بالهيدروجين . فقد عهدت وكالة الفضاء الامريكية (N.A.S.A.) الى شركة لوكهيد المعروفة، بوضع تصميمات طائرات للركاب تفوق سرعتها سرعة الصوت ، كطائرة الكونكورد، وتتخذ من الهيدروجين المسيّل وقودا لها .

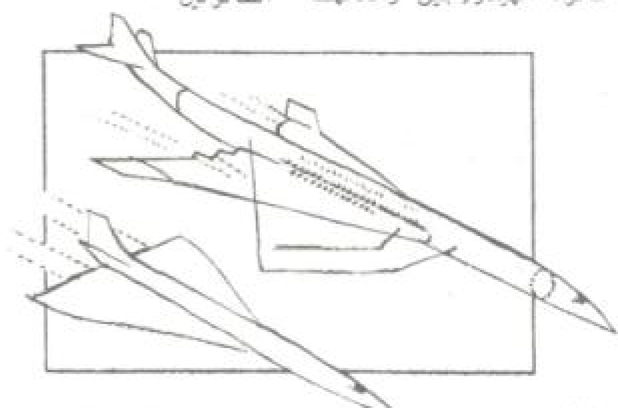
وتقدمت شركة لوكهيد بمقترحاتها الاولية التي نشرتها وتناولتها بالبحث منظمة الطيران المدنى الدولية Intenational Civil Aviation وذلك فى مجلتها التى تحمل اسمها .

أما محور تلك التصميمات فكانت طائرة مستطيلة الشكل ، قليلة العرض ، تتسع ل ٢٣٤ راكبا . ويرجع الطول البالغ لهذه الطائرة ، الذى يزيد على طول الكونكورد بنحو ٦٠ قدما، الى مستودعات الهيدروجين الموجودة خلف صالة الركاب .

وستبدأ طائرة الهيدروجين رحلاتها المنتظمة سنة ١٩٩٥ حسب تقدير المهندسين القائمين باعمال تصميمها وتطويرها . وهم يشترطون لذلك التوصل الى اتفاق دولى على انتاج الهيدروجين وتوزيعه . وكان مقررا ان ينعقد المؤتمر الخاص بهذا الموضوع فى مدينة لييج البلجيكية فى شهر نوفمبر الماضى ..

وتجدر الاشارة الى ان طائرة المستقبل هذه التى ستبلغ سرعتها ٧ر٢ ضعف سرعة الصوت ستكون اسرع من طائرة الكونكورد بنحو ٥٥٠ ميلا فى الساعة .. اضف الى ذلك انها ستكون اخف وزنا وأقل ضجيجا واقل تلويثا للجو ايضا ، واقل تهديدا لطبقة الاوزون نظرا لقلة ما تفرزه من اكسيدات النيتروجين .

والرسم المرفق يعطيك فكرة عن شكل الطائرة ، طائرة الهيدروجين المرتقبة ، وهى التى تظهر فى اعلى الرسم ، فوق طائرة الكونكورد التى تظهر فى اسفله . واليك فيما يلى مقارنة بين أهم مواصفات الطائرتين .



	طائرة الهيدروجين	طائرة الكونكورد
الطول	٣٢٥ قدما	٢٦٤ قدما
العرض والاجنحة مفردة	١٠٤ قدم	٨٤ قدما
عدد الركاب	٢٣٤ راكبا	١٠٤ ركاب
السرعة	٧ر٢ ماك	٢ ماك

التربية لا التعليم



قاسم أمين

« ١٨٦٥ ـ ١٩٠٨ م »

التربية بوجه عام هى تنمية القوى المودعة فى الانسان الناطق أو الحيوان الاعجم ·

وقد مارس الانسان وظيفة التربية لنفسه وفى كل شىء وقع تحت تصرفه حتى وصل الى نتائج تشبه المعجزات ·

ففى النباتات مزج الالوان وعظم الحجم وحسن النوع ونسخ هيئته التى فطر عليها · وفى الحيوانات قد استأنسها واستخدمها وعلمها واستولد من الانواع المختلفة أنواعا جديدة ·

ولكن أكبر شىء يحق للانسان المباهاة به والافتخار بل والاعجاب والزهو هو تربيته نفسه ·

ولو رجعنا بالفكر القهقرى سائرين فى الطريق الطويل الصعب الوعر الذى قطعه الانسان من أول خلقته وتخيلناه فى ذهننا من مبدئه الى المحطة التى وصل اليها الآن لشعرنا بدوار عظيم أشبه بالدوار الذى يستولى على الدماغ ويستهوى بحواس أحدنا اذا وجد نفسه فجأة على محل شاهق جدا والقى ببصره الى هاوية سحيقة كذلك ·

وقد يتيه العقل ويذهل اذا تخيل الانسان الحالة التى ينتظر ان يرقى اليها النوع البشرى على القياس السابق بعد نحو الف عام أو الفين لان هذا التغير والتحول بل الحركة المستمرة الى جهة الترقى هى قانون الحياة

الانسانية التى خلقها الله ووهبها أعظم وسائل الارتقاء · وبهذا القانون خرج الانسان من المعيشة البهيمية التى لا يزال عليها اخواننا المتوحشون فى أماكن نادرة ممن وصفهم العلماء بأنهم قردة متمدنة عندما شاهدوا ان المسافة التى بينهم وبين الحيوانات أقل من المسافة التى بينهم وبين أناسى أمة متمدنة ·

ولو لم يقف هؤلاء العلماء على البراهين التاريخية القاطعة التى استخرجوها من بطون الارض فأثبتت انهم آدميون لحكموا باخراج هؤلاء الاخوان التعساء من دائرة الانسانية ·

وما هو الانسان لم يزل يتمشى صاعدا مرتقيا متنقلا من دور الى دور حتى وصل الى هذه المدنية الجميلة التى جعلته حقيقة سيد الكون واشرف المخلوقات وسيستمر كذلك باذن الله الى حد لا يعلمه الا هو ·

وهذه المرتبة العالية لم ينلها الانسان الا بتربية نفسه فلا غرو ان صارت التربية عند الامم المقدرة لها حق قدرها صاحبة المكان الاول فى النفوس معتبرة اياها عماد حياتها ·

والتربية هى التى أنتجت كل الرجال الذين نسمع عنهم ونشاهدهم متحلين بمزايا الاستقامة والصدق والكرم والشجاعة والشفقة وحب الوطن واحترام الحق والدفاع عن الحقيقة والخضوع للواجب وبذل النفس والمال فى خدمة العلم والدين والجامعة الوطنية · والتربية هى التى أنتجت أيضا رجال أوروبا الذين نقول عنهم عندما يفيض اعجابنا بهم ونريد أن نسلى أنفسنا بما يخفف تبكيت الضمير (انهم أخذوا كل فضائلهم عنا وعن ديننا وعملوا به) · وهى التسلية التى حقها ان يكون وخزها فى القلوب أشد من طعن الاسنة والرماح أو هى كما يقول المثل « عذر أقبح من الذنب » ·

ولقد فعل قومنا شيئا يذكر فيما يختص بتعليم ابنائهم بعد ان كان لا يمكن ادخال ابنائهم فى المدارس الا بالقوة والارهاب من عهد ليس ببعيد صرنا نراهم الان يسعون وراء التعليم مجتهدين فى ادخال أبنائهم المدارس مجانا أو بمصاريف بل يتظلمون من أن الحكومة لم تفعل كل ما يجب عليها · وقصارى منيتهم التى يسهل استنباطها من أقوالهم وشكاويهم ان تفتح الحكومة فى كل مديرية وفى كل محافظة مدرسة طويلة عريضة فسيحة الارجاء تسع كل ابناء سكانها · وربما لايكتفون بذلك فيأملون أيضا أن تعطيهم بلا منة عليهم الملبس · ولا بأس من أن تعطيهم فضلا منها بعض نقود ليصرفوها على أنفسهم فى فسح أيام الجمعة وثمنا للدخان الذى يشربونه ·

ثم اذا أتموا دراستهم بدون عطل ولا تدقيق زائد فى الامتحانات كان على الحكومة ان تمنحهم الوظائف العالية فالرتب والنياشين حتى اذا مات أحدهم فعلت مثل ذلك مع ابنائه · واذا ناقشتهم فى مطالبهم هذه رأيتهم مقتنعين بان الحكومة اذا فعلت ذلك كله كانت قائمة بالواجب عليها فقط وانه ليس فيما يطالبون شىء خارج عن حد الاعتدال ولا فوق المستطاع ولا

ما يزيد عن الواجب، ليت شعرى لماذا لا يطلبون مع ذلك من الحكومة ان تتكفل بتزويج بناتهم حتى لايبقى عليهم حمل ثقيل بعد ذلك ·

ومن الاسف ان كل واحد منا لايزال يظن ان تربية الطفل عبارة عن وضعه فى المدرسة وانه متى علم ولده ما كان يجهله من العلوم فقد أحسن تربيته وقام بما يجب عليه : مع ان التعليم هو فى الحقيقة أقل فروع التربية شأنا وفائدة ·

نعم انه قد يكون من النافع ان الولد يعرف القراءة والكتابة والحساب ويتعلم الجغرافية والتاريخ والهندسة والفلسفة اذا شئت · ولو أنى أعتقد ان التعليم النظرى لايفيد الغلام فائدة محسوسة خصوصا اذا كان فى السن الذى يتلقى فيه العلوم العالية ·

ولكن يجب ان يعلم الآباء ان التعليم وحده لايفيد شيئا اذا لم يكن مصحوبا بتربية قوية · وان الجرعات العلمية التى يبتلعها الغلام من سن السابعة من عمره الى سن العشرين ليس فيها الغذاء اللازم لتكوين روحه اذ هذه الجرعات اشبه شىء بالحبوب المذهبة التى ينشر عنها مخترعوها الاعلانات المشوقة فى الجرائد حيث ينسبون لها جميع المزايا الصالحة لشفاء جميع الامراض وليس فيها فى الحقيقة ونفس الامر الا مزية واحدة : هى انها لا تضر ·

اما تربية الروح فانها تكون بتعويد الطفل ، لا على ان يفهم هذا الطيب طيبا وذاك الخبيث خبيثا · بل على ان يعمل الطيب ماقدر ، ويجتنب الخبيث ما استطاع · لان ادراك الحسن حسنا والقبيح قبيحا ــ أمر سهل ، وقد لايكاد يوجد انسان يفعل أمرا مذموما وهو يعتقد انه ممدوح · فالسارق والقاتل والخائن والبخيل كلهم يفهمون ان ما يرتكبونه رذيلة من الرذائل · ولكنهم تعودوا استعمالها كما تعودوا ان يجفوا الفضائل ·

فالتمييز بين الفضيلة والرذيلة ليس بالشىء المهم فى فن التربية ولكن كله ينحصر فى اكتشاف واظهار وتنمية جميع الملكات الطيبة المخلوقة فينا أو غرسها فى نفوسنا وتقويتها واحيائها حتى تمسك فى النفس بجذورها فلا تستطيع قوة قلعها بعد ذلك أبدا · ومتى وجدت التربية بهذا المعنى لازمت النفس الفضائل وتجافت الرذائل بقدر تلك الملازمة ·

وبديهى ان التربية بهذا المعنى لايمكن ان تكتسب فى المدارس والمكاتب أو من قراءة وحفظ قواعد علمية · بل تجب ممارستها مع الطفل من يوم يعى الخطاب ويفهم الكلام بل قبل ذلك واول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة هم طبعا الذين يعاشرون الطفل من نشأته معاشرة مستمرة والذين يؤثرون عليه باعمالهم وأقوالهم وسلوكهم · ثم اذا أضفنا الى ذلك ماتحتاجه هذه التربية من العناء والصبر والعقل والحنو والمحبة الخالصة حكمنا بانها لاتتم الا بواسطة من انتخبتهم الفطرة الالهية ــ أو كما يسميها بعضهم الطبيعة ــ لهذه المأمورية العالية وهم الوالدان ·

فاصلاح الانسان لايكون الا بالتربية والتربية لاتكون الا بالعائلة ولهذا اعتبرت العائلة أساس كل جامعة ·

■■

ركن الأسرة والمرأة



رحلة ندم حتى نهاية

■ القى بجسمه فوق فراشه الصغير ، واستند برأسه المثقل بالهموم الى يديه اللتين تشابكت اصابعهما ·· وسرح بفكره بعيدا الى ما وراءهذه الجدران التي تحتويه في غرفة نومه ··الى اطفاله الثلاثة الصغار الذين خرجوا من حياته ، وخرجهو بدوره من حياتهم ·· الى البيت الجميل الذى كان يجمعهم طوال السنوات التى انقضت على زواجه من الفتاة التي احبها، واختارها دون سائر النساء لتشاركه حياته وتصبح أما لاطفاله ··

كان بيتا سعيدا ·· وكانت اسرة صغيرة سعيدة ايضا ·· وفجاة دب الخلاف بينه وبين زوجته ·· انه لم يعد يذكر ، متى وكيف ولماذا اختلفا ··كل الذى يذكره الآن ويعيش معه فى رأسه وصدره فى وحدته هو تلك الأيام الحلوة التى مرت سريعة ، ولم يبق منها سوى الذكريات !

لقد انقضى عليه مع حياته فى الوحدة سنة كاملة ،كان خلالها على موعد كل مساء مع فراشه فى هذه الساعة التى يعود فيها من عمله منهكا فيلقى بجسده عليه . ويترك نفسه نهبا للهموم والاحزان . اين اليوم من الامس القريب ؟ ! اين صيحات المرح التى كانت تملا البيت بالحياة ·· أين هى تلك الأيدى الصغيرة التى كانت تمتدفى لهفة لتخطف صناديق الحلوى التى كان يحملهاالى اطفاله فى عودته . لم يجلس وسطهم يرقبهم وهم يلتهمونها ! أين طبق الحساء الساخن الذى كان ينتظره دائما بجوار المدفاةفى ليالى الشتاء الباردة اين الضحكات والابتسامات التى كان يستقبل بها يومه كل صباح !

واحس برعشة تسرى فيجسمه·· هلاقبل الشتاء فجاة ؟ وضحك من نفسه ·· فقد كان الجو حارا والغرفة تمتلىء بدخان سيجارته التى كانت لاتكاد تنطفىء، حتىيشعلها من جديد !لقد كان جائعا·· وتذكر انه لم يذق شيئا من الطعام منذ الصباح الباكر ·· وقام يبحث لنفسه عن شيء يملأ به معدته الخاوية !

ولكن المطبخ كان خاليا من كل شيء·· كم تمنى فى هذه اللحظة لو انه وجد طبقا من الطعام يفرغه فى جوفه ، ثم يعود الى سريره وينام !

ووجد نفسه مضطرا الى النزول الى الشارع مرة اخرى ···

وسط الزحام

ودخل المطعم الذى عرفه فى حياته الجديدة مع الوحدة ·· واكل بسرعة ، ودفع ثمن وجبته ،وخرج الى الشارع من جديد ·· وقادته قدماه الى اكثر مناطق المدينة ازدحاما بالناس والسيارات ·· كان كل ما فى الشارع الواسع الكبير ينبض بالحياة··



العمر !!

المحال التجارية الكبرى تزدحم بالمشترين ٠٠ الرصيف الطويل ضاق بالمارة الذين وقفوا يتسكعون امام واجهات المتاجر التى امتلأت بالسلع ٠٠ الشارع كله يسبح في الاضواء الساطعة ٠٠ الناس خرجوا كلهم من بيوتهم ليقضوا السهرة فى الملاهى ودور السينما ٠٠ وراح يبحث لنفسه عن مكان وسط هذا الزحام ٠٠ اخذ يتفرس فى الوجوه التى تمر به ، لعله يجد بينها وجها يعرف صاحبه ٠٠ وخيل اليه اكثر من مرة انه عثر على صديق قديم ٠٠ واوشك اكثر من مرة ان يمد اليه يده مصافحا ٠٠ ولكن احدا لم يلتفت اليه ٠٠ لم يحس به ٠٠ وازداد شعوره بالوحدة ،وهمّ بالعودة الى شقته الصغيرة التى انتقل اليها حيث يعيش حياته الجديدة مع هذا الفراغ الهائل المخيف ٠٠ ولكنه تذكر فجأة ان غدا تبدأ عطلة نهاية الاسبوع ٠٠ وسوف يذهب للقاء اطفاله ، ويقضى معهم يوما كاملا ، من الصباح حتى المساء٠٠ غدا سيعود ابا لبضع ساعات وسوف تمر سريعة كما مرت طوال الاسابيع الماضية ، ثم يعود بعدها الى وحدته ! وتذكر الهدايا الصغيرة التى سيحملها معه الى اطفاله٠٠ وراح يبحث عن اقرب متجر لبيع اللعب والهدايا ٠٠ودخل ، ودفع كل ما كان يحمله فى جيبه ثمنا لثلاث لعب لاطفاله الثلاثة ! وحملها فوق صدره ، وعاد بها سعيدا الى غرفته !

فى انتظار اللقاء

ولم ينم ٠٠ لم يغمض له جفن في تلك الليلة٠٠ لقد بقى جالسا على مقعده يعد الساعات التى سينطلق بعدها الى البيت الذى قضى فيه اجمل سنى عمره ٠٠٠ لقد كان يتطلع الى هذه اللحظة التى ستجمعه باطفاله فى شوق وقلق ٠٠ ترى كيف سيكون استقبالهم له ؟ هل ستعجبهم الهدايا التى اشتراها لهم ؟ واين سيصطحبهم هذه المرة ٠٠ ان المكان الوحيد الذى كان يرفض دائما ان يصطحبهم اليه هو دور السينما ٠٠ فقد كان يكره ان يقضى معهم هذه الساعات القصيرة فى الظلام ٠٠ انه يريد ان يراهم فى النور٠٠ يريد ان ينعم بتلك اللحظات التى يقضيها معهم يتأمل وجوههم الجميلة ٠٠ يريد ان يسمع ضحكاتهم البريئة وهم يقفون امام اقفاص القردة فى حديقة الحيوان ٠٠ سيحاول ان يقنعهم بزيارتها مرة اخرى ٠٠ لن تكون المهمة صعبة ، فسوف يلجأ الى واحدة من اكاذيبه البيضاء ٠٠ سيقول لهم ان الحديقة استقبلت حيوانات جديدة!

مرّت كل هذه الخواطر بذهنه وهو جالس على مقعده ٠٠ واحس بشىء من الارتياح ، عندما خيل اليه انه قد عثر على الحل ٠٠ وراح فى غفوة قصيرة ، ولكنه ما لبث ان صحا من غفوته مذعورا٠٠ هى ٠٠ نعم هى ، ام اطفاله وزوجته التى انفصل عنها بالطلاق ٠٠ انه لم ينسها ٠٠ لم ينس الايام

الحنوة التي قضاها معها . قبل ان يستبد الخلاف بينهما .. لقد رآها في غفوته القصيرة، تقف امامه وتعاتبه . واحس بضربات قلبه تتلاحق ! كم تمنى في هذه اللحظة لو ان شيئا مما حدث لم يحدث .. من اجله هو . ومن اجل اطفاله الذين حرم منهم .. ولاول مرة احس بانه قد ظلمها ..ظلم المراة التي احبته واعطته ثلاثة ابناء !

وجاءت اللحظة !

وكان اللقاء اخيرا.. وقف يقرع الباب الخارجي ..باب البيت الذي لم يغب عن مخيلته لحظة واحدة طوال هذه الاشهر التي قضاها بعيدا عنه .. بكل تفاصيله . بكل محتوياته .. وخفق قلبه بشدة عندما ترامت الى اذنيه تلك الصيحات البريئة التي كان يسمع صداها في نومه وفي صحوه على هذا البعد . وكانه ما زال يعيش وسطها ..وفتح الباب اخيرا .. ورآها تقف امامه وجها لوجه .. انها ابنته الكبرى .. الثمرة الاولى لهذا الزواج القصير الذي لم يدم لاكثر من تسع سنوات !

ومد اليها ذراعيه بكل مشاعر الحنان والدفء والحب التي يحملها لها ولاخويها .. وابتسمت الطفلة . ولكنها تراجعت . ثم مدت اليه يدها الصغيرة في هدوء وقالت: «اسعدت صباحا يا ابي..»

واحس بالدنيا تدور به .. لقد ظل ينتظر هذه اللحظة التي سيلتقي فيها باطفاله الذين حرم منهم .. كان يتوق الى ان يضمهم الى صدره وان يمطرهم بالقبلات التي ظل يدخرها لهم طوال ايام الاسبوع منذ زيارته الاخيرة لهم في عطلة نهاية الاسبوع الماضي .. وجاء شقيقاها..كانا بدورهما يرتديان ملابسهما النظيفة الجديدة ..وقد استعد الثلاثة للخروج مع والدهم ! وكما فعلت شقيقتهما الكبرى .وقفا هما ايضا يمدان يديهما اليه ويردان تحية الصباح !

حيرة .. والم

وتذكر الهدايا التي حملها اليهم ..لقد انزلها عن صدره . ووضعها على سلم البيت قريبا منه حتى لا تشغله عن عناق ابنائه وتقبيلهم ! وراح يبحث عنها فوجدها امامه عند قدميه .. واذهلته المفاجأة عندما لم يجد عينا واحدة من عيون اطفاله تبحث مع عينيه عنها . رغم انها كانت هناك امامهم وتحت اقدامهم مباشرة !

وراح يحدث نفسه : « ربما استطعت ان اثير اهتمامهم بها . اذا فضضت اللفافات امامهم ! »

وفعل .. واخرج لكل واحد منهم هديته .. ومد الاطفال الثلاثة ايديهم اليها وحملوها . ولكن لكي يضعوها في هدوء فوق اقرب مقعد بجوار الباب الخارجي .. وهم يرددون في وقت واحد : « شكرا يا ابي ! » .. ودمعت عيناه فقد كان يتحرق شوقا الى قبلة واحدة من احدهم يعبر بها عن فرحته بالهدية التي قدمها اليه والده !

وجوه في الظلام !

واسرع اصغرهم يمسك بيده ويساله : « اين ستذهب بنا هذه المرة.. ماذا اعددت لنا من مفاجآت.. لا نريد ان نعود الى مدينة الملاهي مرة اخرى .. وحديقة الحيوان ايضا .. لقد مللنا اللعب مع القردة من وراء القضبان ! ابحث لنا عن مكان اخر يا ابي ..نريد ان نرى شيئا جديدا .. لماذا لا نذهب الى السينما .. هناك فيلم جديد عن المغامرات في الفضاء . لا نريد ان يفوتنا ! »

وفشلت خطته .. انه لن يستمتع بضحكاتهم اذن ولن يسمع حكاياتهم ومغامراتهم مع اولاد الجيران ومع زملائهم في المدرسة .. لن يجرؤ على اطلاق احدى اكاذيبه البيضاء لكي يقنعهم بالذهاب الى حديقة الحيوان مرة اخرى . فسوف يكتشفون انه يكذب عليهم !

وذهبوا الى السينما .. وجلس يرقب وجوههم الصغيرة في الظلام وقد تعلقت بالشاشة الكبيرة امامهم .. وانتهى العرض . وذهبوا لتناول طعام الغذاء في احد المطاعم القريبة ..كان يتوق لسماع اخبارهم . وحكاياتهم .. ولكنهم لم يحدثوه عن انفسهم .. لقد راحوا هم يسالونه عن نفسه .وعن حياته . وماذا يصنع بها وهو يعيش وحده بعيدا عنهم ! واحس الاب لاول مرة ان اطفاله الصغار لم يعودوا اطفالا .. لقد كبروا فجاة ! هل يمكن ان تكون كل هذه الاسئلة من عندهم ..؟ ولماذا الان ما الذي اثار اهتمامهم فجاة بحياته في وحدته في شقته الصغيرة التي لم يدعهم لزيارتها مرة واحدة!

قلب محــــــروم

وانتهى اليوم .. مرت الساعات الحلوة التى قضاها مع اطفاله سريعة ، وعاد بهم الى البيت.. وراها من وراء زجاج نافذة غرفة النوم ، حيث تعودت ان تقف دائما في انتظار عودة اطفالها بعد رحلتهم مع ابيهم فى عطلة نهاية الاسبوع ..

ولم يستطع ان يقاوم رغبة ملحة استبدت به في تلك اللحظة وهو يمد يده مصافحا أيديهم الصغيرة .. كان يريد ان يعانقهم ويقبلهم .. وفعل .. وانتابه شعور غريب في تلك اللحظة .. احس انه قد لا يرى اطفاله مرة اخرى .. ولكنه ما لبث ان سخر من نفسه ، وقال وهو يودعهم : « الى اللقاء ياحبائى فى الاسبوع المقبل سوف اعد لكم مفاجاة حقيقية .. سنذهب الى الريف لنقضى يوما مع جدتكم العجوز ! »

وافترقوا .. وعاد الاب الى شقته الخالية .. والقى بجسده فوق فراشه .. ومن جديد راح يتطلع الى جدران الغرفة من حوله .. ويستعيد ذكريات الساعات القصيرة السعيدة التى قضاها مع اطفاله ..واحس بالجدران تزداد ارتفاعا وتكاد تطبق عليه من كل ناحية .. واسرع يقفز من فراشه ويهرب الى الشارع ويتوه فيه وسط الزحام !

وعاد الى عمله فى الصباح ، وراح يغرق نفسه فيه .. ومرت ايام الاسبوع بطيئة متثاقلة .. وجاءت العطلة اخيرا .. واسرع الى البيت الذى احبه والذى يحتضن اليوم اعز الناس الى قلبه !

لقد اتصل بامه في بيتها الريفى ، وقال لها انه قادم لزيارتها مع احفادها الثلاثة ..

ولم يبق امامه سوى تلك الرحلة القصيرة ،التى سيلتقى بعدها باحبائه الصغار !

القدر ينتقم !

ووصل اخيرا .. وطرق الباب ، واستعد .. انه لن يترك ابنته تمد اليه يدها مصافحة .. سوف يحملها بين ذراعيه ويضمها الى صدره ويمطرهـا بالقبلات !سيذكرها بانه ما زال والدها ، وان يعبر عن الحب الذى يملأ قلبه لها ولاخويها !

ووضع الهدايا التى كان يحملها جانبا ، ليفسح مكانا « للهدية » التى ستفاجئه بعد لحظات .. اطفاله الثلاثة .. وفتح الباب .. وكانت المفاجاة ..لم تكن ابنته هناك كما توقع .. لم يكن هناك احد منهم فى اســـتقباله كما تعود أن يراهـــم بوجوههم الصغيرة الجميلة وملابسهم الجديدة ، وانما كان هناك رجـــل غريب لا يعرفه ، وقد وقف على عتبة البـــاب يبتســـم فى هـــدوء ويمد اليه يده مصـــافحا .. كانت هذه اليـــد الخشنة الكبيرة هى آخر شيء توقع ان يلقاه..وظن انه ربما اخطا البيت ، وكاد يجمع لفافات الهدايا ويهم بالانصراف ..

ولكنه ما لبث ان تسمر في مكانه عندما سمع الرجل الغريب يناديه باسمه ويدعوه الى الدخول !

قال فى دهشة : « انت تعرفنى ! »

ـنعم .. وارجو ان تسمح لى بان اقدم لـك نفسى .. انـنى زوج مطلقتك .. زوج السيدة التى كانت زوجة لك واما لاطفالك ، لقد احتفلنا بزواجنا منذ يومين فقط ، ولكننا قررنا ان نقضى شهر العسل هنا بين اطفالنا .. نعم ياسيدى انهم اطفالى ايضا ، وسوف ابذل كل مافى وسعى من اجل اسعادهم !

ـهل لـك ان تقدم لهم هـذه الهدايا الصغيرة بالنيابة عنى ؟

ـبكل سرور ياسيدى .

ودار الاب حول نفسه ، واسرع يبتعد عن البيت الذى يضم اعز الناس الى قلبه ..

ولم يعد الى شقته .. ولم يعد الى عمله .. لقد استقل سيارته ، وذهب الى الريف .. كان يشعر بحاجة شديدة الى شخص قريب يحكى له همومه ، والقى براسه المتعب على صدر امه ، وراح يروى لها احزانه : « لقد سمعت صوت ابنى الصغير يدعوه « ابى » .. لم يتبق لى شيء فـى الدنيا يا امى .. لقد فقدت زوجتى وفقدت ابنائى ..وفقدت بيتى ! »

وراحت الام تخفف عن ابنها والالم يعصر قلبها .. ثم قالت أخيرا : « تستطيـــع ان تضمهم اليك يابنى ..ولكن هل انت واثق من انك سوف تعوضهم حنان الام .. دعهم يعيشون حياتهم الجديدة مـــع امهم .. فليس فى الدنيا حبا ، اى حب مهما كان كبيرا يستطيع ان يجعل الطفل ينسى امه .. انظر الى نفسك الان .. لقد عدت الى .. عدت الى امك «طفلا » .. طفلا كبيرا .. ! ■■

« م . ن »

الطبخ والطهى

فى الأدب العربى والأوروبى

بقلم : محمود محمود

■ طاب لى ذات مساء ان اتصفح فى مكتبتى بعض ما اخرجته المطبعة الانجليزية حديثا من كتب لاهتدى بها الى ما يمكن ان يكون موضوعا للكتابة والحديث ، واستوقف نظرى كتاب عنوانه « فن الاكل » لمؤلفته السيدة فيشر التى اتخذت من فن الطهو هواية لها وموضوعا للكتابة الادبية.

ولم اكن قد تنبهت الى هذا الكتاب من قبل ، واخذت اقلب صفحاته، واتبين ابوابه وموضوعاته، ثم رجعت الى ما كتبه الشاعر الانجليزى المستر اودن تعليقا على هذا الكتاب ، فاذا به يمجد الموضوع وكاتبته ، ويضم الكتاب الى مجموعة الكتب الادبية التى صدرت حديثا باللغة الانجليزية ، وينعت الكاتبة بالاديبة ذات الاسلوب الرائع والنظرة النافذة .

واغمضت عينى فترة من الزمن واخذت افكر بينى وبين نفسى : هل يصلح « الاكل » ان يكون فنا من الفنون ، وهل يصلح ان يكون موضوعا من موضوعات الادب ؟

ان السيدة فيشر تكتب باسلوب ساحر وسيطرة تامة على اللغة ، ولا يسعك بعد ان تطلع على بعض نماذج مما كتبت الا ان تحكم بأن الطهو قد يكون كغيره من ضروب النشاط البشرى موضوعا من موضوعات الأدب .

ويحتوى الكتاب على عدد من وصفات اكلات معينة ، الا ان كاتبته لم تؤلفه لكى يودع فى المطبخ تسترشد به ربة البيت وهى تعد الطعام للأسرة ، وانما قصدت به ان يحتل مكانة فى المكتبة لكى يقرأه المثقفون المتادبون ، فهو ليس دليلا لفن الطهو فحسب ، وليس مجرد وصف لاعداد وجبات الطعام بحيث يكون شهيا لذيذا لآكله ، لانه ان اقتصر على ذلك امسى ــ كما يقول اودن الذى عرض لنا الكتاب وعلق عليه ــ اشبه شىء بالتعاويذ السحرية التى يتعذر على القارىء العادى فهم اسرارها المكنونة او تصور مذاق الوجبة الموصوفة بعد طهوها واعدادها للمائدة ، انما الكتاب تصوير فنى للعلاقة بين الطاهى والآكل ، او بين المطعم والطاعم ، وقيمة الطعام فى حياة الانسان الاجتماعية .

علم نفسك
واخدم نفسك

وقد كان الطعام فيما مضى حرفة تمارسها قلة من الناس ، ولا تدخل فى مناهج الدراسة الا لعدد من الفتيات ونفر من المختصين ، ولكن الأوضاع الاجتماعية قد تغيرت فى العصر الحاضر، واصبحت الكثرة الغالبة من الناس ــ بطبيعة الحال ــ لا تملك القدرة على ان تستخدم طاهيا متخصصا متفرغا ، وقد يوجد المطعم العام الذى يرتاده الأفراد لتناول الوجبات ، ولكن ان تميز بجودة الطهو خرج عن مقدور اكثر الناس ، فلا يتردد عليه الا الأثرياء القادرون ٠٠ ومن ثم فان كنت ذواقا للطعام ومن اوساط الناس لم يعد

« الجائع ضيق الصدر، فقير النفس ، والشبعان واسع الصدر ، غنى النفس »

« مسلم بن قتيبة »

لك مناص من ان تتعلم فن الطهو ، وتعدّ لنفسك طعامك ، وهذا جانب من جوانب التربية الحديثة التى تتخذ شعارا لها « علم نفسك واخدم نفسك »

ومن اجل هذا يرى المستر اودن الذى يعرض لنا كتاب السيدة فيشر بالتقريظ ان الطهو فن يجب ان يتعلمه كل طالب او طالبة قبل ان يتخرج فى الجامعة • ويتحتم على كل طالب ان يدرس اصوله وان يمارسه تذوقا وعملا •

وهذا الكتاب الذى نتحدث عنه موضوعه الطعام والطاعمون ، وليس الطاعمون عند السيدة فيشر زبائن يترددون عليها كما يترددون على المطاعم • العلاقة بينها وبينهم علاقة افادة واستفادة انما هم قوم تربطها بهم اواصر مودة ومحبة ، هم زوجها وابناؤها واصدقاؤها وضيوفها • وقد استطاعت ان تربط بين عاداتهم وميولهم فى الطعام وبين نواحى شخصياتهم الاخرى ، وان تجعل من تذوق الطعام وطريقة تناوله موضوعا للدراسة الاجتماعية •

وكما يصلح ان يكون الطهو فنا فى حد ذاته ، وان يكون موضوعا للأدب وللدراسة الاجتماعية ، فانه يصلح كذلك ان يكون بابا من ابواب التاريخ يروى فيه الكاتب قصة تطور اعداد الطعام وموائده وما كان له من اثر فى سيرة الحكام والشعوب • وهو كذلك مادة قصصية غزيرة يغترف منها الروائى وهو يعرض لوصف اشخاص روايته وذكر عاداتهم وطبائعهم •

والاطعام ـ فوق ذلك ـ وسيلة من وسائل اغراء المرأة للرجل ، وحيلة من حيل السياسة لحل المشكلات على موائد الطعام والمسئولون يتهيأون لاشباع اهم غريزة من غرائزهم ، لأن الممتلىء والجائع ليسا سواء فى طرائق التفكير ، ولا تصدر الاحكام العادلة الا من قاض اخذ حظه من الغذاء ، ويقول الشاعر الانجليزى بوب فى هذا الصدد :

ما اسرع ما يصدر الحكم قاض جائع
وينفذ الاعدام ظلما فى المتهم المسكين
لان المحلفين يهرعون الى موائد الطعام

والعجيب ان « الاكل » على الرغم من اهميته الحيوية لكل انسان ، ومن انه من طيبات الرزق



التى اوصت بها الأديان السماوية . وعلى الرغم من ان اعداده وتناوله يشغلان من حياة الناس ونشاطهم جانبا عظيما ، وعلى الرغم من اثره البالغ فى الصحة البدنية والنفسية ، اقول ان « الاكل » على الرغم من ذلك كله لم يظفر من الأدباء والكتاب بما يستحق من عناية ، ولم يوفه علماء الاجتماع حقه من الدراسة • فى حين انه اعمق اثرا فى حياة الأفراد والشعوب من الحب ومن القتال اللذين كثيرا ما كانا من مصادر الوحى للشعراء والكتاب •

فى الطعام مادة غزيرة لدراسة الأفراد ، لان ميول المرء فى الأكل تفضح صفاته الخلقية وطرق تفكيره • من الطعام تستطيع ان تحكم على المرء ، هل هو محافظ ام مجدد ، متشدد او متساهل ، مادى او روحانى ، جشع او قنوع • مرن سهل التكيف او جامد متعصب لما ألف •• الى آخر ذلك من صفات •

قال احد حكماء الصين : « ليست الوطنية فى صميمها الا حب الأطعمة التى تعودناها فى سن الطفولة » •• والواقع ان استساغة لون من الوان الطعام لا يبررها الا الف هذا اللون من الصغر. وبالطعام تعبر عن كرمك او بخلك وعن ايثارك او اثرتك ••

وليس ادل على اهمية الطعام فى حياة الناس من انك ان رفضت طعاما قدمه اليك مضيفك لأنه لم يعجبك كانت تلك اساءة اليه ليس بعدها اساءة •

ونذكر فى هذا الصدد ان الاشتراك فى الطعام والشراب من الطقوس الدينية الرئيسة فى المسيحية ، كما انه رمز من رموز المحبة المتبادلة بين الناس •

المرأة تجيد الطهو لمن تحب

وللافراد عادات مختلفة عند تناول الطعام تصفها السيدة فيشر وهى تصور بعض من قابلت من اشخاص وشهدتهم وهم يطعمون . فالفت منهم من يلتهم طعامه التهاما فى شراهة عجيبة حتى قد يلوث به ثيابه من سرعة التناول مما يبعث على التقزز عند مجالسيه ، ومنهم من يتأنى ويدقق ويتأفف بدرجة لا يرتاح لها مشاهدوه ، لانه يضمر بسلوكه هذا استعلاء على الناس •

والمرأة اذا طهت ترجلت لتثبت ان انوثتها لا تتوقف على قدرتها على اعداد الطعام ، وان لها صفات جمالية اخرى . والرجل اذا طها تأنث لانه يمارس عملا ، المرأة اولى منه به ، وما كان اجدره ان يؤدى عملا آخر يحتاج الى الشجاعة والحركة اكثر مما يحتاج الى التأنق والسكون •

والمرأة تجيد الطهو اذا كان لمن تحب ، وتفسد الطعام اذا كان لمن لا يحتل من قلبها مكانا •

وقد يقبل على الطعام بشهية كبيرة من يتناوله وحيدا مسترخيا فوق اريكة وثيرة ، أو يتعاطاه فى هواء طلق او فى مطعم فاخر ، أو مع زوجته أو اصحابه، أو مع محدث ظريف، أو مع من يهواه القلب، لان الظروف الاجتماعية التى تحيط بالآكل وهو ياكل لها اكبر الاثر فى اثارة شهيته •

هذه لمحات خاطفة مما حواه كتاب « فن الاكل » لصاحبته السيدة فيشر ،وقد ذكرتنى وانا اتصفحها بما رواه ابو حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » ، الذى يضم مجموع مسامرات فى فنون شتى حاضر بها الوزير ابا عبدالله العارض فى سبع وثلاثين ليلة ، خص منها ثلاث ليال للحديث عن « المطعمين والطاعمين » فاخرجت الكتاب من مكتبتى واخذت اطالع ما كتب ابو حيان فى هذا الموضوع ، فوجدته اشد من ذلك روعة لولا اننا قلما نعود الى ما كتب السلف •

أبو حيان ونوادره حول آداب المائدة

وذات ليلة من ليالى السمر ترامى الحديث كما يقول ابو حيان الى امر المطعمين والطاعمين ،

والذين يهشون عند المائدة والذين يعبسون ويجمون ويطرقون . والذين يسخطون ويلفظون ويضجرون ويتغافلون ..

ثم اخذ ابو حيان يقص على الوزير ملحا ونوادر تتخللها طرائف لغوية ، وكلها تدور حول اداب المائدة وطبائع الطاعمين . ويروى احداثا مما وقع في هذا الباب ، وشعرا في فنون الطعام، والتطف فيما يلي طرفا مما ذكره ابو حيان في ليالي السمر التي خصها بالحديث عن الطعام نموذجا لادب عربي رائع :

قال الوزير لابي حيان : قبل كل شيء اعلمونا يا اصحابنا . الحث على الاكل احسن أم الامساك حتى يكون من الاكل ما يكون ؟

فكان الجواب : الاولى الحث والتأنيس والبسط والطلاقة ولين اللفظ وقلة التحديق واستجلاء الطرف مع اللطف والدماثة من غير دلالة على تكلف في ذلك فاضح ، ولا امساك عنه فادح ..

ومما ورد في حديث السمر قول من قال : احق الناس بلطمة من اذا دعي الى طعام ذهب باخر معه . واحقهم بلطمتين من اذا قيل له اجلس ها هنا . قال بل ها هنا . واحق الناس بثلاث لطمات، من اذا قيل له كل . قال : ما بال صاحب البيت لا ياكل معنا .

حد الشبع

وفي الشبع وردت اقوال كثيرة :

قيل لصوفي : ما حد الشبع ؟ فقال ما تنشط على اداء الفرائض ، وتبطء عن اقامة النوافل .

فالاكل عنده وسيلة لاحتفاظ الآكل بقدرته على عبادة الله واداء واجباته الدينية بحيث لا يفيض نشاطه بعد هذا الى الحد الذي يدعوه الى اداء النوافل بغير داع .

وسئل صوفي اخر : ما حد الشبع؟ قال: لا حد له . ولو اراد الله . ان يؤكل بحد لبينته كما بين جميع الحدود . وكيف يكون للاكل حد والاكلة مختلفو الطباع والمزاج والعارض والعادة .وحكمة الله ظاهرة في اخفاء حد الشبع حتى ياكل من شاء كما شاء .

وقيل لمتكلم : ما حد الشبع ؟ فقال : حده ان يجلب النوم ويضجر القوم ويبعث على اللوم .

وقيل لطفيلي : ما حد الشبع ؟ قال : ان يؤكل على انه اخر الزاد . ويؤتى على الجد والدق .

وقيل لاعرابي : ما حد الشبع ؟ قال : اما عندكم يا حاضرة فلا ادري . واما عندنا في البادية فما وجدت العين . وامتدت اليه اليد ، ودار عليه الضرس واساغه الحلق ، وانتفخ به البطن . واستدارت عليه الحوايا ، واستغاثت منه المعدة ، وتقوست منه الاضلاع ، والتوت عليه المصارين . وخيف منه الموت .

وفي هذا وصف ادبي رائع لما كان عليه البدو من جوع وقلة طعام .

وقيل لطبيب : ما حد الشبع ؟ قال : ما عدل الطبيعة . وحفظ المزاج . وابقى شهوة لما بعد .

وليس اجمل من هذا ولا اشد ايجازا في تشخيص القواعد الطبية الصحيحة لتناول الطعام.

وقيل لملاح : ما حد الشبع ؟ قال : حد السكر. قيل: ما حد السكر؟قال الا تعرف السماء من الارض. ولا الطول من العرض . ولا النافلة من الفرض . من شدة النهش والكسر والقطع والقرض . قيل له : ان السكر محرم فلم جعلت الشبع مثله ؟ قال صدقتم . هما سكران . احد السكرين موصوف بالعيب والخسار. والآخر معروف بالسكينة والوقار. قيل له : اما تخاف الهيضة ؟ قال انما تصيب الهيضة من لا يسمي الله عند اكله ، ولا يشكره على النعمة فيه . فاما من ذكر الله وشكره فانه يهضم ويستمرىء ويقرم الى الزيادة .

وقيل لجندي : ما حد الشبع ؟ قال : ما شد العضد ، واحمى الظهر . وأدر الوريد . وزاد في الشجاعة .

وقيل لزاهد : ما حد الشبع ؟ قال : ما لم يحل بينك وبين صوم النهار . وقيام الليل . واذا شكا اليك جائع عرفت صدقه لاحساسك به .

وهكذا يتحدث ابو حيان عن الشبع عند هؤلاء وغير هؤلاء ـ عند البخيل . واليمني . والشركسي. والسمرقندي . والهندي . والجمال . والحمال . ولكل منهم رأيه الذي يمليه عليه نوع الحياة التي يحياها .

ومعنى ذلك ان تذوق الطعام والافراط فيه او الامساك عنه . من اثار التربية التي تلقاها الفرد في نشأته الاولى والعادات التي مارسها .

وهى امور ترجع الى البيئة اكثر مما ترجع الى احكام شاملة او معايير عامة دقيقة تصلح لكل مكان وزمان .

ومما رواه ابو حيان قولهم : ان من شؤم الضيف ان يغيب عن عشاء الحى ، اى لا يدركه ، فيريد اذا جاءهم ان يتكلفوا له عشاء على حدة .

اى ان من قلة الذوق الا يحضر الضيف فى موعد الطعام لكى يأكل مع الجماعة ، ولا يكلف مضيفه جهدا هو عنه فى غنى .

واجب الحاكم توفير الطعام لشعبه

وكان مسلم بن قتيبة لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطعام الطيب ، ويروى من الماء البارد ، ويقول : ان الجائع ضيق الصدر ، فقير النفس ، والشبعان واسع الصدر ، غنى النفس.

وقد قيل لاعرابى : لو كنت خليفة ، فكيف كنت تصنع ؟ قال كنت استكفى شريف كل قوم ناحيته، ثم اخلو بالمطبخ فامر الطهاة ، فيعظمون الثريد ، ويكثرون المراق ، فابدا فاكل لقما ، ثم اذن للناس فاى ضياع يكون بعد هذا ؟!

اى أن واجب الحاكم الاول توفير الطعام لشعبه .

وقال طفيلى : اذا حدثت على المائدة فلا تزد فى الجواب عن نعم ، فانك تكون بها مؤنسا لصاحبك ، وسيفا للقمتك ، ومقبلا على شانك.

وروى ابو حيان ان الحجاج نزل فى طريق مكة، فقال لحاجبه : انظر اعرابيا يتغدى معى ، وأسأله عن بعض الامر ، فنظر الحاجب الى اعرابى بين شملتين ، فقال : اجب الامير ، فاتاه ، فقال له الحجاج : ادن فتغد معى . فقال : انه دعانى من هو اولى منك فاجبته : قال : ومن هو ؟ قال : الله عز وجل دعانى الى الصوم فصمت . قال : أفى هذا اليوم الحار؟ قال : نعم صمته ليوم هو أشد منه حرا. قال: فافطر وصم غدا . قال : ان ضمنت لى البقاء الى غد . قال : ليس ذلك الى . قال : فكيف تسالنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه . قال : انه طعام طيب . قال : انك لم تطيبه ولا الخباز ، ولكن العافية طيبته . ولم يفطر وخرج من عنده .

وفى هذا ما يشير الى ان لذة الطعام لا ينبغى ان تصرفنا عن طاعة الله .

وسئل حكيم : بم رزقت الحكمة ؟ قال بخلاوة البطن ، وسخاوة النفس ، ومكابدة الليل .

وقال لقمان : اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الاعضاء عن العبادة .

وقال عمر : لولا القيامة لشاركناكم فى لين عيشكم .

وقال بعض العرب : اقلل طعامك تحمد منامك .

هذه امثلة مما رواه ابو حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » فى باب الطعام وآداب الأكل ، وغيرها كثير ممتع مؤنس .

الصياغة المحكمة من مزايا الادب العربى

وواضح عند المقارنة بين معالجة مسز فيشر لموضوع الأكل ومعالجة ابن حيان له ، ان الكاتب العربى انفذ بصرا ، واعمق حكمة ، واوجز عبارة، واكثر ما رواه ابو حيان يقع فى باب الجوع والشبع والبخل والكرم ، والجشع والقناعة ، وهو مشتق من صميم الحياة العربية .

اما المؤلفة الانجليزية فقد نهجت فى كتابها نهج القصة فى الأدب الغربى ، فعنيت بوصف الأشخاص وسلوكهم فى كثير من التفصيل .

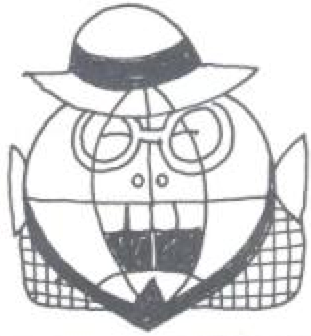
وليس من شك فى أن الاسلوب العربى فى سبكه وحبكه اقوى وامتن من الاسلوب الانجليزى المهلهل. فالصياغة المحكمة من مزايا الادب العربى. والبسط والربط والتحليل من خصائص الأدب الانجليزى حتى ان كان ذلك على حساب الجمال فى الأسلوب .

ويعتمد الكاتب العربى على الرواية ، واما الكاتبة الانجليزية فتبنى احكامها على ملاحظاتها الشخصية .

ومهما يكن من امر فان فى هذا الذى عرضت ما يشير الى ضرورة بعث تراثنا الماضى وتقديمه الى ابنائنا فى مراحل التعليم المختلفة بما يتناسب ونمو الطالب ودرجة علمه وثقافته ، لكى يتيسر لكل دارس ان يزود نفسه بما تركه لنا السلف الصالح من كنوز فكرية ثمينة ، فيصل حاضره بماضيه ، ويتطلع الى مستقبل مشرق مجيد ■■

محمود محمود

طرائف اجنبية



السعادة المحرمة

● فنسنت فان جوخ (١٨٥٣ – ١٨٩٠) الرسام الهولندى الذى قضى حياته كلها يبحث عن الحب ، ومات فقيرا معدما دون ان يذوق طعم السعادة لحظة واحدة ، كان فنانا رقيق القلب مرهف الحس ، حتى انه اذا امسك بفرشاته ليرسم ، جاءت لوحته اجمل واروع من الاصل الذى راح ينقل عنه !

سأله شقيقه يوما : « انى ارى الجمال فى كل ما ترسمه ، وانت الذى لم تعرف للحياة معنى ، ولم تنعم بجمالها يوما ٠٠ كيف تصور هذا الجمال الذى لا تراه ! »

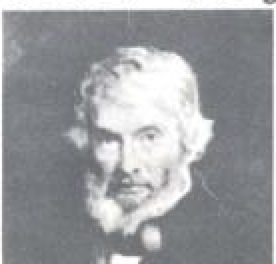
قال : « لقد حرمت من كل متع الدنيا ، ومن اجل هذا حاولت ان اعطى لوحاتى كل ما كنت احلم به واتمناه لنفسى ٠٠سوف تعيش اعمالى فى السعادة التى حرمت انا منها ! »

كارليل والحنين الى الارض !

● توماس كارليل الكاتب الاسكتلندى المعروف (١٧٩٥ – ١٨٨١) كان يحن دائما الى الارض التى كان يقضى الساعات الطويلة جالسا تحت ظلال اشجارها ، متأملا ثمارها ٠٠ وكان كلما ابتعد عن الارض التى عاش فوقها واحبها ، احس وكأنه يبتعد عن قطعة من نفسه ٠٠ كان يترك مدينة ادنبره فى اسكتلندا ويسافر الى لندن ليشرف على طباعة كتاب جديد او ليلتقى ببعض اصدقائه من الكتاب والمؤلفين الذين عاصروه ٠٠ ولكنه لا يكاد يصل الى العاصمة الانجليزية حتى يشعر انه بدأ يختنق ، وكأنه يعيش فى عالم غريب لا يمت الى عالمه بصلة ٠٠ وكان هذا الاحساس يصيبه بالارق !

وفى احد الايام تلقى كارليل بطاقة صغيرة حملها اليه موظف الفندق الذى كان ينزل فيه ٠٠ وكانت البطاقة تحمل اسم كاتب شاب هو « جورج برنارد شو » ، وكان يطلب فيها موعدا لمقابلته ! وحدد كارليل الموعد ، وجاء الشاب للقائه ٠٠ ولكنه لم يجده !

لقد اختفى توماس كارليل تماما٠٠ ولم يعثر له احد على اثر ٠٠ ومرت ثلاثة ايام ، عندما قرأ الناس خبرا صغيرا فى صحف الصباح وكان الخبر يقول : « التقى بعض الصبية برجل عجوز ، تقدمت به السن ، وكان الرجل نائما تحت ظلال شجرة كبيرة فى حقل يملكه احد المزارعين ٠٠ وقد سقط قلمه على الارض ٠٠ وتناثرت اوراقه



توماس كارليل

من حوله ·· ولكن ورقة واحدة بقيت في يده ، وقد خط عليها بضع كلمات ·· قال : « لم يغمض لي جفن طوال الايام الثلاثة التي قضيتها في لندن ، فلم اجد بدا من العودة الى الارض في ادنبره لانام ! »

ولم يكن هذا الشيخ سوى توماس كارليل نفسه !

وفي ظلال هذه الشجرة التقى برنارد شو بتوماس كارليل عدة مرات قبل ان يذهب في رحلته الاخيرة ·

قمة الجبل !

● شارلوت برونتي (١٨١٦ ــ ١٨٥٥) الكاتبة القصصية الانجليزية المشهورة صاحبة قصة « جين اير » التي رفعتها الى القمة، كان لها رأي في النجاح الذي يحققه المرء في حياته العملية !

لقد امتلأت الصحف برأي النقاد الذين اشادوا بنجاحها ، وساهموا باقلامهم في رفعها الى قمة الكتابة والتأليف ، وقرأت شارلوت المقالات الطويلة التي امتلأت بعبارات التقدير والاطراء ! ثم ما لبثت ان امسكت بقلمها وكتبت : « لقد وجدت نفسي بعد نشر هذه القصة التي لقيت كل



شارلوت برونتي

هذا النجاح ·· ولكن هذه القمة التي حملوني اليها ، لم تغير رأيي في الحياة ·· انني اقول دائما انه ليس هناك انسان تتطلب الضرورة استمراره، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه ! ان كل شخص يمكن ان يتنحى ، ويأتي مكانه شخص اخر ، مهما حقق الاول من مجد وشهرة ·· يجب ان نتعلم دائما ان المرء وهو يصعد التل في طريقه الى القمة ، يجد وراءه دائما نجما جديدا، يحاول بدوره ان يصل الى نفس القمة التي سبقه هو اليها ·· فاذا ما بدأ يهبط السهل على الجانب الاخر ·· يكون خليفته قد بلغ القمة وتربع عليها ·· »

هذه الحقيقة الواضحة لا يعترف بها الكثيرون ·· فنحن نجد دائما من يريد ان يبقى في القمة وحده فلا ينزل منها ولا يشاركه فيها أحد ! »

وقد كان لشارلوت شقيقتان اصغر منها ، وهما اميلي ، وآن ، وكانتا شاعرتين ومؤلفتين،وقد بلغتا بدورهما القمة التي تخلت لهما عنها شقيقتهما الكبرى ، وخاصة عندما كتبت اميلي قصتها المعروفة « مرتفعات وذرنج »

قدم الخنزير !

● ليدي نانسي آستور (١٨٧٩ ــ١٩٦٤) اول امرأة انجليزية تصبح عضوا في مجلس العموم البريطاني ،كانت سيدة حاضرة البديهة سليطة اللسان ، وكانت من اعدى اعداءونستون تشرشل ، حتى انه تمنى لها الموت في احدى جلسات البرلمان ،عندمالم يفلح في اسكات هجماتها اللاذعة !

كانت تتحدث يوما في اجتماع سياسي وفجأة قاطعها احد المستمعين محاولا ان يسخر منها ، فقال يسألها : « هناك شيء يحيرني يا سيدتي · هل تستطيعين أن تقولي لي كم عدد الاصابع الموجودة في قدم الخنزير ؟ »

وابتسمت ليدي استور ، وقالت :« ولم الحيرة ·· والجواب عندك ·· اخلع حذاءك ، وعد اصابع قدمك ،وسوف تزول حيرتك ! »



اعرف وطنك ايها العربي

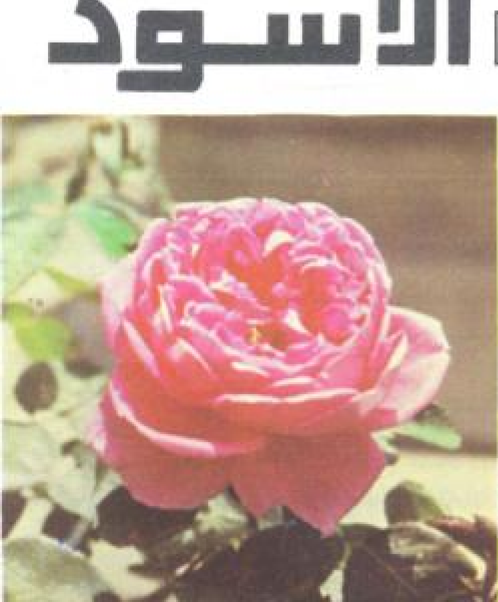
الذهب الأخضر
بعد
الذهب الأسود

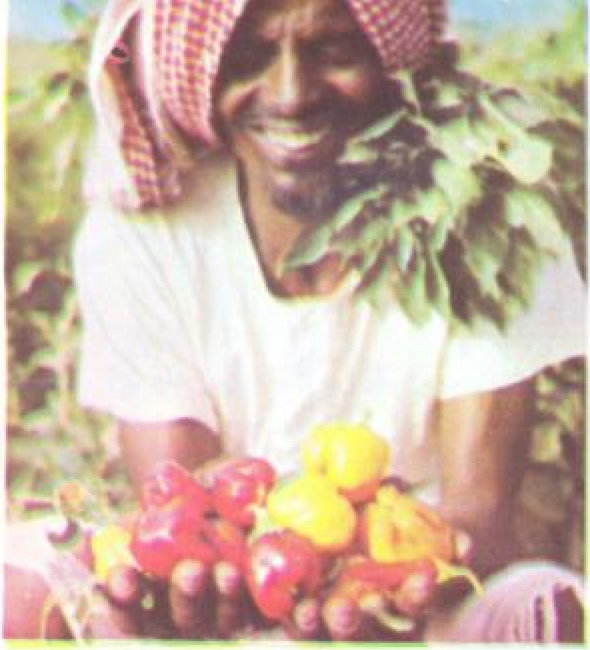
استطلاع بقلم :

محمد حسنى زكى

تصوير :

عبد الناصر شقره







الخضرة تزحف والاشجار تنمو ٠٠ ونتاج الارض الطيبة يحملها الفلاح مزهوا بها٠٠زهور تتفتح والماء يتدفق فى سد وادى جيزان بحثا عن الارض الظمأى ٠



★ توفرت المياه الحلوة •• وبقى انتاج الارض الطيبة

★ هل تحقق السعودية اكتفاء ذاتيا فى المحاصيل الزراعية خلال سنوات ؟

■ هذه قصة البحث عن قطرة ماء عذب•• تروى الانسان الذى يعيش فى صحراء قاسية وتحت شمس حارقة ، قصة المعرفةوما يمكن ان تحققه من انجازات ، عندما تتضافر الجهود والعقول من كل مكان منأجل خير الانسان •• العناصر هنا هى ماء وارض وشمس •• من هذه العناصرالثلاث بدأ يتغير وجه الحياة على ارض الوادى •• وادى جيزان فى شبه الجزيرةالعربية •

•• والى هناك ذهبنا ، الى بلاد مترامية الاطراف ، واسعة شاسعة لا يوجد فيها نهر واحد ••الى المملكة العربية السعودية،وتنقلنا فيما بين « الرياض » و « جيزان » وذهبنا الى « ابها »•• والى « جدة » •• ذهبنا الى العديد منمواقع العمل من اجلتوفير قطرة الماء العذب••وملأت عيونناخضرة المزارع الممتدة على مدى البصر •• شاهدناالكثير واضفت مشاهداتنا قدرا كبيرا من الضوء على انسان السعودية الجديد ، الذى حول الحلم الى حقيقة •• فراينا جنانا مثمرة وشربنا ماء نميرا ، وكان السؤال الذى يتردد دائما هو •• من اين تاتون بالماء ؟ويجيبون على سؤالنا•• « منالقطرات الهابطة من السماء على سفوح الجبال •• ومن جوف الارض •• وحتى من ماء البحر الاجاج ••من كل هذا ، فنحن لا نالوا جهدا ولا ندخر وسعا فى سبيل الحصول على الماء •• لنفتح ابواب الامل والرجاء ، فنروى عطشنا ونحول جزءا من محيط الرمال الصفراء الممتدة من حولنا الى ارض طيبة تجود بالخيرات •• وهكذا كما ترون ، يختفى الجدب رويدا رويدا ، ويحل محله اللون الاخضر•»

« وجعلنا من الماء كل شيء حي »

يشكل الماء عنصرا هاما من عناصر الحياة على وجه الارض ،يحيا به الانسان والحيوان والنبات•• وقد ارتبطت الحياة الانسانية بالماء ، فازدهرت ونمت بالقرب من مجارى المياه الحضارات المبكرة ، كحضارة السومريين فىبلاد مابين النهرينوالحضارة المصرية فى وادى النيل ، وكذلك ترعرعت فىوادى السند حضارات عريقة ••• والانسان لم يحرز اى تقدم اجتماعى حينما كان يعتمد فى غذائه على الصيد فى البرارى ، ولكن عندما استطاعت المراة ان تبتدع الزراعة وتقوم بتربية الحيوان •• كان ذلك نقطة تحول هامة بدات عندها الانسانية عهد الاستقرار وقامت الاسرة وحدة المجتمع •• وتوفر للانسان بالزراعة الحصول على الغذاء بسهولة ، واتاح له ذلك فسحة من الوقت ، ليفكر ويخترع وينشىء عمرانا ويصنع حضارة •• حقائق نعرفها ولكن نجد انفسنا نعود اليها كلما كان الحديث عن الارض والزرع والماء •• لانها اصل الحياة ،فقد جاءت على لسان الدكتور عبد الرحمن عبد العزيز آل الشيخ وزير الزراعة والمياه ، عندما بدانا الحديث معه فى مكتبه بالوزارة فى الرياض ،قبل ان نقوم برحلتنا الىالجنوب لنزور منطقة «جيزان» حيث قام اكبر السدود التى بنتها المملكة لتوفير المياه اللازمة للزراعة •

ويمضى الوزير شارحا مشروعات المياه فى بلاده قائلا •• وضعت وزارة الزراعة قبلسنوات برنامجا طويل الامد لتحقيق هدفين اولهما البحث عن موارد المياه واستخراجها ومعرفة رصيد المملكة منها سواء فى ذلك ماهو مخزون فى جوف الارض او المياه السطحية الناتجة عنالامطار والسيول ،واما الهدف الثانى فهو : توفير حاجة الريف والحضر والبادية منالمياه العذبة عنطريق تنفيذ مجموعة منمشروعات المياه الكبيرة والصغيرة مثل بناء السدود ، واقامة محطات تقطير وتحلية مياه البحر ، وحفر الابار الارتوازية فىالقرى والبادية،كذلك تنظيم استغلال المياه زراعيا حتى يمكن ان تصل الى كل تربة



تعقد الاجتماعات بين الحين والآخر لمتابعة خطة سير العمل في مشروعات المياه والصورة لاجتماع في وزارة الزراعة برئاسة الوزير وقد ظهر الى يساره الامير محمد الفيصل ، محافظ المؤسسة العامة لتحلية المياه ٠

صالحة للزراعة ، اننا لا ندخر جهدا فـي سبيل التوسع وزيادة امكانيات انتاج المحاصيل الزراعية٠

لقد وجدنا ان عندنا مساحات شاسعة تصلح للزراعة بمختلف انواعها ، والمشكلة هي المياه ، والانطباع الاول ان الارض الصحراوية لا تصلح للزراعة ، ولكن التجارب التطبيقية اثبتت العكس٠

ثم ابتسم الوزير قائلا : «ان آمالنـا ان تصل السعودية الى حد الكفاية في انتاج محاصيل الغذاء على اساس الا يذهب الدخل الذى تحققه الدولة من النفط الى استيراد المواد الغذائية من الخارج، وخصوصا اذا اخذنا بعين الاعتبار الارتفاع المتزايد في اسعار هذه المواد والتغييرات الدائمة في اجور النقل والشحن ٠٠ انه امل سوف يتحقق باذن الله، فكل الشواهد تؤكد ان عملا كبيرا يجرى على هذه الارض التي عاشت صحراء جرداء قرونا طويلة ٠٠ ويكفي ان نستعرض تطور ميزانية وزارة الزراعة والمياه لنجد انها كانت ولا تزال تقفز قفزات واسعة عاما بعد عام فقد بدأت بـ ١٤ مليون ريال عام ١٩٥٤ وبلغت في ميزانية عام ٧٦ ــ ١٩٧٧ مبلغ ٢٣٣٥٫٩ مليون ريال ، واختتم الوزير حديثه معنا قائلا ٠٠ وما دام برنامجكم زيارة مناطق جيزان وأبها فسترون سديها الكبيرين والحقيقة ان انشاء السدود يعتبر قطاعا بالغ الاهمية من قطاعات النشاط الانمائي الذى يقوم على اساس الاستفادة من كل قطرة ماء في البلاد اينما كان مصدرها وتسخيرها في اشاعة الخضرة والنماء والخير في كل مكان ٠٠ اذهبوا وسيحدثكم الواقع الملموس هناك ٠٠ »

مـاء وموية

وفي طريقنا الى المطار لتقلنا الطائرة الى جيزان حدثنا الاخ « عبد الله بامهير »مدير المكتب الصحفي في وزارة الزراعة عن ذكرياته في جيزان فهو ابنها وخطا خطواته الاولى على ارضها ٠٠ حدثنا عن قصة الماء في جيزان قائلا : « كانت المنطقة لا يتوفر لها الماء الا بمشقات ومتاعب جمة ٠٠ فكانت الجمال تحمل من منطقة الابار التي تسمى « الماطرى »وتبعد ٢١ كيلو مترا عن المدينة وكثيرا ما كانت تتعطل او تتاخر قوافل الجمال فيتعرض اهل جيزان للعطش والهلاك ، وتعاون عدد من أهل المدينة في تاسيس شركة قامت بمد انبوب تصل خلاله المياه الى المدينة، وكان الناس يأتون الى وحدة توزيع المياه كل يحمل صحيفة يملؤها بالماء ويدفع قرشا واحدا ٠٠وبذلك توفرت المياه للاهالي بطريقة منتظمة وتحول مشروع المياه فيما بعد الى الحكومة ،وكان لهذا الر الكبير فقد انتعشت المنطقة وتحولت القرية الصغيرة الى مدينة بنيت بالطوب واختفى العشيش تدريجيا ٠٠ وفتحت المدارس وانشىء ميناء بحرى وهكذا بعث الماء الحياة فـي المنطقة ، وضحك وهو يستطرد ، اتدرى ان السعوديين يطلقون على الماء كلمة «موية» وجمعها « امواه » وهي كلمة عربية صحيحة تعني





الدكتور زيدان الخبير الزراعي يقول : « نجحت زراعة البابای (المنبروث) فى محطة التجارب، وأعطت ثمارا كبيرة كثيرة العدد كما ترى .. ولقد أجرينا عدة تجارب حتى توصلنا لهذه النتيجة .. وتجرى الان التجارب على الموز حتى يعطى نتائج فائقة الجودة ..» وثمرة من ثمار البابای تحملها الطفلة السعودية «حنان» فى زهو وحنان !! **وفي الصورة (تحت)** الجانب الاخر من سد جيزان .





الماء القليل وتعبر عن واقع الحال فقد كان الماء قليلا شحيحا » .

وتركنا محدثنا مع هذه التسمية التي نسمعها لاول مرة والتي نبتت في الارض التي كانت الاصل دوما في كل وصف وفي كل اسم عربي . وركبنا الطائرة واستغرقت الرحلة ساعة وبضع الساعة حتى هبطت بنا في مطار جيزان ، وتطلعنا حولنا فلم نجد اثرا للخضرة التي حدثونا عنها .. واستقبلنا مدير الوحدة الزراعية مرحبا ثم قال وكانه قرأ ما يدور في رؤوسنا في هذه اللحظة .. « مهلا انتم والزرع والسد الذي تبحثون عنه على موعد ..

الوادي قبل السد

وفي رحلتنا بالسيارة في اتجاه سد جيزان حدثنا الاخ عبد الله بركات مدير الوحدة الزراعية قائلا: «لعلكم تتساءلون لماذا اخترنا هذه المنطقة بالذات .. يكفي ان اقدم لكم بهذه الكلمات القليلة فلعلكم تجدون الجواب على سؤالكم .

ان وادي جيزان او جازان يقع في اقصى الجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية وهو عبارة عن سلسلة من الجبال تنتهي غربا بسهل ساحلي هو ارض طيبة خصبة امتهن اهلها بطبيعة الحال الزراعة



هناك حملات توعية تهدف الى الاقتصاد في استعمال المياه وحض الناس على المحافظة على هذه الثروة الجديدة .

حرفة توارثوها جيلا بعد جيل وهم يعيشون في صراع مع الطبيعة التي كثيرا ماقسمت عليهم فحياتهم تعتمد على الامطار التي تهطل في موسمين ، موسم الصيف خلال شهري اغسطس وسبتمبر ، وموسم الشتاء في شهري ديسمبر ويناير فان جاءت الامطار شحيحة خيم الفقر على الاهالي ، وان جاءت غزيرة منتظمة عم الخير والرخاء .. وهي تسقط على سلاسل الجبال العالية وتجري سيولا جارفة في الوادي .. يكون المزارعون قد استعدوا لاستقبالها باقامة (العقوم) وهي حواجز ترابية او حجرية على اطراف مجاري السيول للاحتفاظ بالمياه وتحويلها الى اراضيهم .. وبهذه الطريقة البدائية تتشبع الارض بالمياه وتختزنها في جوفها بحيث يمكن زراعتها فيما بعد .. وهذه السيول وان كانت مصدر خير للفلاحين الا انها في الوقت نفسه مصدر بلواهم ، فكثيرا ما كانت تاتي عارمة تجرف امامها « العقوم » وتهدم الانشاءات وتقتلع النبات والمحاصيل وتهلك الحيوانات وتسحب طمي الارض الى البحر الاحمر، وتبقى المزارع لفترات طويلة غارقة فلا تنحسر عنها المياه الا وقد فات الموسم الزراعي وانتشرت في كل مكان الحجارة والصخور ، التي جرفتها السيول في طريقها من اعالي الجبال ، ويخيم على الوادي جو حزين فقد كانت السيول تجلب الكوارث للارض ومن عليها وما عليها » .

ويستطرد الاخ بركات في شرح ظروف المنطقة السابقة قائلا :

« كان من العسير ان يستمر الحال كما هو ، وان يبقى الاهالي تحت رحمة الاقدار ، كان لا بد من عمل شيء للسيطرة على مياه السيول المدمرة وتحسين اراضي المزارعين ،فبادرت الحكومة بالتعاون مع منظمة الاغذية والزراعة الدولية التابعة لهيئة الامم المتحدة في وضع برنامج تنمية وتطوير عام شامل في الوادي ، برنامج يتطلب افكارا مثيرة وتعاونا وثيقا بين الخبراء والمهندسين ، الذين رأوا ان اقامة سد لتجميع مياه السيول وتخزينها هي الوسيلة الناجعة لدرء اخطار الفيضانات المدمرة والسيول الهادرة ، كما يمكن بواسطة السد التحكم في المياه المخزونة وصرفها وفق حاجات الزراعة والري وبذلك يمكن الاستفادة من كل قطرة ماء في ري اراضي المنطقة ، وخاصة السهل الساحلي الممتد بمحاذاة البحر الاحمر ، الذي تتكون من الطمي والغرين المجروف مع مياه السيول ..



عبدالله بركات : « في وادي جيزان امكانيات كبيرة للزراعة » •



المهندس يوسف ابراهيم العقيل : « العمل جار للانتهاء من انشاء محطات تحلية المياه » •



محمد سالم العطاس : « يبلغ عدد المدارس في الوادي ثلاثمائة مدرسة » •

سد ملاكي

ونذهب لرؤية السد وتمضي بنا السيارة شرق مدينة « جيزان » ويرتفع الطريق تدريجيا •• وبعد مسافة حوالي ٥٠ كيلو مترا نشرف على قرية صغيرة للعاملين في السد من مهندسين وعمال ونرى بجوارها محطتين صغيرتين واحدة لانتاج الكهرباء والاخرى لتصفية المياه وذلك لامداد القرية بالماء الصالح للشرب •• ونلتقي في القرية بالمهندس كمال عباس وهو من رجال وزارة الري المصرية ومنتدب للاشراف على صيانة ومراقبة السد •• وفي سيارته الجيب يأخذنا معه •• ومن بعيد نرى السد رابضا بين جبلين من جبال المنطقة المرتفعة والمشرفة على السهل الساحلي ويسرد لنا المهندس عباس بعض مواصفات السد قائلا :

« يعد سد وادي جيزان المعروف باسم « سد ملاكي » من اكبر السدود في المملكة العربية السعودية وهو عبارة عن حاجز ضخم يبلغ طوله ٣١٦ مترا ، اما عرضه عند القاعدة فيبلغ ٤٠مترا واقيم طريق فوق السد بعرض ١٥ر٣ مترا ، وارتفاع السد ٣ر٤٠ مترا ، وقد انشيء في مضيق بين جبلين وملتقى لخمسة اودية جبلية هي وادي مشرف ووادي جيزان،ووادي هرابة ووادي الخشابات ووادي بردا،وتتجمع المياه من هذه الاودية امام السد مكونة بحيرة مائية تغطي مساحة ١٤٠٩ هكتار ، وتبلغ سعة مخزونها ٧١ مليون متر مكعب من المياه، واقيمت في قاعدة السد فتحتان مؤلفتان من انبوبين من الفولاذ الغاص ، يبلغ قطر كل منهما ٧٠ر١مترا وذلك لضبط كميات المياه التي يسمح بخروجها من بحيرة السد لري الاراضي الزراعية » • ويستطرد المهندس عباس قائلا : « لقد اشترك في العمل في اقامة السد ٧٠٠عامل سعودي تدرب اكثرهم واصبحوا من العمال المهرة المدربين على الاعمال الفنية الحديثة، وبلغت تكاليف بناء السد ٣٥مليون ريال وذلك منذ خمس سنوات،وقد انتهى العمل في السد وتم حجز مياه الامطار لاول مرة لموسم صيف ١٩٧٠ م وبذلك اصبح من اليسير تنظيم ري الاراضي الزراعية وفق الحاجة وفي الاوقات المناسبة » •

ويكمل لنا قصة السد المهندس الزراعي محمد نور بخاري المدير المساعد لمحطة التجارب الزراعية بقرية « حاكمة » قائلا :

« لقد امكن بفضل بناء السد زيادة مساحة الاراضي المروية ، فبعد ان كانت مساحة الاراضي المروية ريا دائما ١٩٠٠ هكتار ، والاراضي التي تروى ريا متقطعا ٢٤٠٠ هكتار ، والاراضي التي تروى من الامطار ٦٥٠٠هكتار زادت مساحة الاراضي المروية ريا دائما حوالي ٨٠٠٠ هكتار •• وهكذا هيا السد فرصة جديدة للعمل ودخلا ثابتا للمزارعين ، كما ان تنظيم الري اتاح لهم تعدد وتنويع المواسم الزراعية وادخال محاصيل زراعية جديدة •

ولم تقف مشروعات تنمية وادي جيزان عند حد انشاء السد فهو المرحلة الاولى والرئيسية ، فلكي تتم الاستفادة الكاملة من مخزون المياه وتقليل الفاقد منها بالاضافة الى عدالة توزيعها على المناطق الزراعية فقد بدانا العمل في انشاء شبكة قنوات تتخلل اراضي الوادي ،وتقدر تكاليف انشاء الشبكة بحوالي ١٣٠ مليون ريال سعودي • »

محطة للتجارب الزراعية

ويمضي بنا الاخ بخاري الى قرية حاكمة في



يقول الدكتور عبد الرحمن عبد العزيز آل الشيخ وزير الزراعة والمياه : « ان انشاء السدود يعتبر قطاعا بالغ الاهمية من قطاعات النشاط الانمائي ، الذى يقوم على اساس الاستفادة من كل قطرة ماء فى البلاد فى اشاعة الخضرة والنماء والخير فى كل مكان ، وهو فى هذه الصورة مع الدكتور محمد السعدى وكيل الوزارة ٠



عملت وزارة الزراعة والمياه على اقامة عدد من المشاتل التى تنتج الآنا من شتلات الاشجار التى تستخدم فى خطة زيادة مساحة الغابات وتنميتها ، وتستورد سنويا كثيرا من شجيرات الفاكهة وتوزعها على المزارعين بثمن رمزى زهيد ٠



سد ابها .. يرتوى بمائه الزرع بعد أن حمى الارض ومن عليها وما عليها .. ان مياهه تغذى ايضا طبقات الارض الجوفية وتختزنها ليوم الجفاف.



وجه فلاح سعودى من ابها ينبض بالحيوية والعافية وهو يشاهد ثمار التفاح الغضة على اشجارها .. ان الثمار على الاشجار تبعث السرور في النفوس وتملؤها بالتفاؤل والأمل ..



ليس اليوم كله عمل .. ان هناك لحظات يقضيها العاملون في محطة التنمية الزراعية في الترفيه عن انفسهم فيلعبون الشطرنج ويتسامرون ويحتسون اقداح الشاي والقهوة العربية وهنا الدكتور حامد برهان مدير مشروع التنمية الزراعية في مباراة في الشطرنج مع المهندس محمد نور بخاري .

منطقة ابوعريش حيث كانت تنتظرنا مفاجأة .. خضرة باسقة تحتضن الارض بحنان ، .. ومعمل لاجراء التجارب الزراعية يقوم بالعمل فيه فريق من الرجال الخبراء الزراعيين ، اوفدتهم منظمة الاغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة ، وهم من جنسيات مختلفة فمنهم السوداني والمصري والاردني والفلسطيني والايطالي والامريكي ، كلهم يعملون جنبا الى جنب يدا واحدة متعاونين مع زملائهم السعوديين في تنمية المنطقة زراعيا . ويحدثنا الدكتور حامد برهان مدير المشروع فيقول :

« يرجع تاريخ مشروع التنمية الزراعية في وادي جيزان الى اوائل الخمسينات حينما ارسلت المنظمة فريقا من الخبراء لمسح المنطقة ومعرفة احتياجات التنمية الزراعية ،وكان ضمن اقتراحاتها انشاء محطة للتجارب الزراعية ، وانشئت محطتنا منذ مدة وجيزة ، وكانت البداية من الصفر .. وتوصلنا الى نتائج مشجعة بالنسبة لبعض المحاصيل التي يمكن ان نطلق عليها محاصيل مبشرة .

ان العمل عندنا يسير كالنهر الجاري .. الناس يأخذون النتائج التي توصلنا اليها ويستفيدون منها ولكن ابحاثنا وتجاربنا مستمرة .. وهي لاتقتصر على المحاصيل الجديدة فحسب بل وعلى المحاصيل الموجودة من قبل كالذرة الرفيعة والقطن والسمسم وهي من محاصيل المنطقة التقليدية ، لكن المحطة تقوم بالتجارب لايجاد اصناف منها جديدة تتسم بوفرة الانتاج وجودة النوعية والقابلة للميكنة الزراعية .. وطريقة العمل عندنا تبدأ باستيراد البذور والشتلات للمحاصيل الحقلية والبستانية والاعلاف وتجربة مدى امكان انتاجها لم ننتخب افضلها من حيث الكم والكيف مستقبلا وذلك بالمقارنة بما هو موجود محليا ، لم اجراء التجارب على النوعيات التي يثبت نجاحها لمعرفة الطرق المثلى للحصول على اقصى انتاج واعلى جودة .

تنمية الجهاز البشري

ويشترك معنا في الحديث الدكتور زيدان السيد عبد العال الاستاذ في جامعة الاسكندرية والمنتدب من الامم المتحدة للعمل كخبير في محطة حاكمة .. ويقول :

« ولا يقتصر عملنا في المحطة على استنباط انواع جديدة من المحاصيل وتطويرها بل نقوم باعداد الجهاز البشري المؤهل لقيادة مسيرة التنمية الزراعية ولذلك فقد وضعنا برنامجا يقوم على تدريب جيل جديد من المزارعين الفنيين ، ويقوم البرنامج اساسا على التدريب العملي المنظم ، وعلى قليل من التدريب النظري .ونختار المتدربين من الشبان الحاصلين على الشهادة الابتدائية ، الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشرة والثلاثين، ويقوم هؤلاء، بعد اكتسابهم الخبرة العملية لمدة سبعة شهور بنقل ما اكتسبوه الى المزارعين في الحقول . اننا ندرك انه ليس من السهل اقناع المزارعين القدامى بتغيير تقاليدهم الزراعية التي توارثوها عن اجدادهم ، ولذلك نقوم بانشاء بعض الحقول لدى بعض المزارعين مستخدمين نفس ادوات وامكانيات المزارع نفسه ، لم نترك له ان يتعرف بنفسه مدى وفرة المحصول ويلمس بنفسه ايضا امتياز النوعية الجديدة من البذور المحسنة بعد ان

يكون قد تابع طريقة زراعتها بالاساليب الحديثة، ونقوم في كثير من الاحيان بدعوة المزارعين والفلاحين لزيارة حقول المحطة ليروا باعينهم المحاصيل المزروعة وطريقة رعايتها حتى يستطيعوا ان يطوروا اساليبهم القديمة ويستبدلوها بالاساليب الحديثة ، كما نقوم بتعريفهم بالالات الحديثة المستعملة في الانتاج الزراعي التي تتناسب مع امكانياتهم وطبيعة المحاصيل التي ينتجونها مثل الذرة الرفيعة فقد عرضنا عليهم تجربة الات مختلفة لدرسها » ٠

امل جديد يطل على الوادي

ويقول الدكتور زيدان : « ان نتائج تجاربنا تبشر بانه في الامكان نجاح زراعة كثير من المحاصيل والخضر والفاكهة والاعلاف التي يكون لها مردود اقتصادي كبير للفلاح ومن المنتظر ان تنشا عليها صناعة زراعية تسهم في زيادة الدخل القومي وتحقق الاكتفاء الذاتي اولا وبالتالي ازدهار حياة المواطن ورفع مستوى معيشته ٠٠ بل انني اقول لكم لقد بدات بعض العادات الغذائية المتوارثة تتغير ويبدا الاهالي يدخلون في طعامهم الخضروات وتحسنت صحتهم بعد استهلاكهم لهذا المصدر الطبيعي والرخيص والسهل لعنصرين من العناصر الغذائية الهامة والضرورية للجسم ، وهما الفيتامينات والاملاح الحديدية ٠ لقد كان التمر في السابق هو الغذاء الاساسي لابن صحراء الجزيرة ٠٠ لا قمح ولا أرز ولا فاكهة ٠٠ واليوم اصبح كل ذلك قريبا منه وفي متناول يديه ، وهكذا ليس وجه الارض الذي يتغير فقط بل ان حياة الناس واحوالهم تتغير وتتحول ٠ »

حياة جديدة

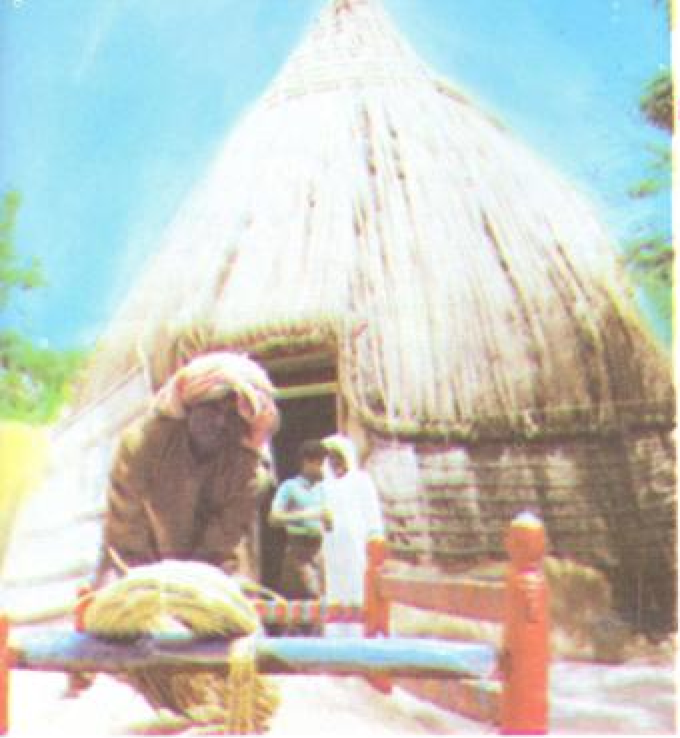
ونقفل راجعين ٠٠ وفي طريق العودة نمر على انشاءات كثيرة تبنى ونسال عنها مرافقينا ٠٠ ويجيبوننا ٠٠ انها مدرسة جديدة ٠ او مستشفى جديد ٠٠ ويقولون ان العمل جار في توسيع المطار والميناء التجاري البحري وكذلك انشاء محطة كهرباء جديدة ٠٠ لقد افتتحت المدارس في كل مكان ، في الجبال والسهول ، وفي الجزر الواقعة في البحر الاحمر ، حتى بلغ عددها ثلاثمائة مدرسة بين ابتدائية وثانوية ، منها خمس واربعون مدرسة للبنات ، وتصرف للطلبة والطالبات مكافآت شهرية وو جبات غذائية بالمجان ، وهذه المدارس نفسها تفتح ابوابها مساء لفصول محو الامية بين الرجال والنساء ٠٠ ويذكر لنا الاستاذ محمد سالم العطاس مدير التعليم في المنطقة ان الاهالي في القرى النائية يلحون علينا لفتح مدارس جديدة ، لقد فتحنا مدارس في مناطق لا يستطيع انسان ان يصل اليها الا مشيا على الاقدام ٠ ولا يمكن حتى الاستعانة بالدواب ، لانها تقع وسط جبال عالية ترتفع حوالي سبعة آلاف قدم عن سطح البحر !

والغريب ان هذه المناطق النائية آهلة بالسكان ٠٠ لقد اخذت الحضارة طريقها اليها ٠٠ انها روح جديدة تسري في الوادي ٠

ذهب ٠٠ وذهب !

ونعود من جولتنا في جيزان عند الاصيل ٠٠ وترمق الشمس الحنون ٠٠ والاهالي يودعوننا وفي قلوبهم كل الحب الذي يعطيه الاخ لاخيه ٠٠ وتاخذ السيارة طريقها الى ابها ٠٠ ويفاجئنا « علي » سائق السيارة بحديث وكانه ينقل الينا اخبارا فاتنا ان نسجلها : «اننا نسير في طريق جديد هو حديث الصحف اليوم ٠٠ ويسالنا هل قراتم صحف الصباح ؟ ولا ينتظر منا الجواب بل يناولنا في فخر ومباهاة جريدة مطوية ويشير الى عنوان بارز ٠٠ ونقرا « طريق الطائف ـ ابها ـ جيزان على وشك الانتهاء » ونمضي في قراءة التفاصيل التي اوردتها الجريدة على لسان وكيل وزارة المواصلات ٠٠ « يبلغ طول الطريق ٧٥٣ كيلو مترا واوشك العمل فيه على الانتهاء وقد استغرق تنفيذه الى الان ١١ عاما وبلغت تكاليفه ١٩٠٢ مليون ريال ، وترجع اهمية هذا الطريق الى انه يربط ثلاثا من اكبر مناطق المملكة من حيث الكثافة السكانية ، ويخدم بشكل مباشر ٤١٩ قرية وتقع على جانبيه مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية التي تستفيد منه في نقل انتاجها الى المناطق الاخرى ٠٠ كما ان هناك امتدادا آخر للطريق من جيزان الى قلب اليمن ٠٠ الى الحديدة » ، ثم يضيف الخبر ٠ « ويعد هذا الطريق من اكبر المشروعات تكلفة واكثرها مشقة في التنفيذ بسبب وعورة بعض المناطق التي يمر بها واختلاف مستويات الارض فيها واختراقه العديد من الجبال والمنحدرات ٠٠ »

وننظر الى علي فنجد وجهه وقد اشرق بابتسامة



يعيش الناس في منطقة « ابو عريش » بوادى جيزان فى عشش ضخمة تسمى « عريش » يصل ارتفاعها الى ستة امتار ، دائرية الشكل وتصنع من الاعشاب والحبال وتطلى من الداخل بالجبس ويفضل الاهالى الاقامة فيها على المنازل الحديثة المبنية من الحجارة ، لبرودة الجو داخلها وفى الصورة الشيخ الديابى من وجهاء المنطقة يودع بعض الزوار امام عريشه .

تحتل الثروة الحيوانية التى تعتمد على المراعى الطبيعية المرتبة الثانية فى الاقتصاد الوطنى للسعودية وتعتبر المحور الرئيسى الذى ترتكز عليه حياة البادية ، وفى الصورة الراعى الصغير يحتضن « سخلته » بلونها المميز .





..ويتفنن اصحاب العريش في تجميل سقفه بالاصباغ وزخرفته بالالوان البهيجة ، ويزينون جدرانه فيعلقون انواعا من الاطباق والصواني المصنوعة من الصفيح وعندما يداعبها الهواء تتحرك وتصدر انغاما موسيقية ويؤثثها البعض باثاث وثير نظيف وقد راينا في بعضها « ثلاجات » تعمل بالكيروسين.

استرخى هذا الفلاح السعودى على أريكته المصنوعة من الخامات المحلية تحت شجرة وارفة الظلال يأخذ قسطا من الراحة ، يستمع خلاله الى الاغاني المذاعة من (الترانزستور) .





هكذا كانوا يستخرجون مياه الآبار ٠٠طريقة قديمة ابتكرها الاجداد منذ مئات السنين ٠٠

تحمل اكثر من معنى ٠٠ وتمضي السيارة تنهب الارض نهبا ٠٠ فالطريق طويل ويمتد امامنا مستقيما ٠٠ وتملأ اذاننا زقزقة العصافير ، لحن الطبيعة الخضراء ، وهي تاوي الى اعشاشها في الخمائل ٠٠ وهناك عند دائرة الافق يلمع قرص الشمس الاحمر الذي اوشك على القوص ،وتغمرنا موجات روحية ونتامل في قدرة الله سبحانه وتعالى ٠٠٠من كان يظن ان ينابيع الحياة ستتفجر يوما في الصحراء الموات ؟ ٠٠ ينبثق من جوفها ، النفط٠٠ الذهب الاسود فتحوله عزيمة الرجال الى ذهب سندسي اخضر ٠٠ ونتذكر قوله الكريم « وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون » ٠٠

ابها ازدادت بهاء

ويهجم الليل ٠٠ ويعم الظلام ،ويداعب النعاس عيني فاغفو ٠٠ ولا ادري كم مضى من الوقت ٠٠؟ لكنني اسيقظت فجاة على صوت صديقي « علي » السائق وهو يصيح ٠٠ لقد وصلنا ٠٠ وافتح عيني ٠٠ مفاجاة اخرى تملؤها بالحسن والجمال٠ مدينة تسبح في الانوار الباهرة ٠٠وتصفع وجهي نسمات باردة منعشة ، لقد تحول الطقس الشديد الحرارة الى ربيع طري النسمات ٠٠ والسنة النار امست ورودا تفوح بعبير ملأ الجو سحرا وفتنة ٠٠ ونذهب الى دار الامارة ٠٠ ويرحب بنا اميرها الشاب خالد الفيصل ويدعونا للعشاء على الطريقة العربية ٠٠مائدة امتدت على الارض طولها عشرة امتار ٠٠ وعمرت بالوان مختلفة من الطعام والشراب والفاكهة ٠٠ وبعد تناول العشاء ذهبنا للنوم في دار الضيافة ونحن غير مصدقين ان هذه هي نفس المدينة التي زارتها بعثة العربي منذ سبع سنوات* ٠٠ وفي الصباح نهرع للقاء المدينة ٠٠ وعلى جبينها لمعة النظافة والندى ، والشمس تقبع فوق التلال المحيطة ٠٠ ونقوم بجولتنا بين ارجاء المدينة التي تحولت الى خلية نحل ٠٠ العمل يجري في كل مكان من اجل تخطيط وتجميل طرقاتها ومبانيها ٠٠ واختفت او تكاد تختفي منازلها القديمة المبنية من الطين ذات « الرتق » وطرقاتها اصبحت اليوم ممهدة ومعبدة، ولم تعد تنقطع المواصلات عند هطول الامطار فتعزلها عن العالم ٠٠ ومستنقعات الطرق تحولت الى جزر في وسط الطرقات تزهو بجمال ازاهيرها وورودها ٠٠ وحدائقها امتلات باشجار الفاكهة وقد تدلت بين فروعها الثمار ٠٠ برقوق وتفاح٠٠ كمثرى وليمون ٠٠ تين وزيتون ٠٠ وحقولها تعيش اعياد الحصاد ٠٠ من خضر وبقول ٠٠وعدس وحنطة ، هي ايضا تغير وجه الحياة فيها ٠٠ بنايات شاهقة يصل المرء الى طوابقها العديدة بالمصاعد الكهربائية ٠٠ وهذه مدارس نموذجية حديثة الطراز ، وفنادق فاخرة ، ونواد رياضية ، وساحات لسباق الخيل ٠٠ ومطابع تهدر ٠٠ هدير شلالات الينابيع التي تسقط من ارتفاع ثلاثة الاف متر ٠٠ في « السوداء » المرج الاخضر على سفوح الجبال ٠

وماذا عن سد ابها ؟

لقد استؤنف العمل في السد ، وكان قد توقف برهة من الزمان ، وانتهى العمل في بنائه منذ سنتين ٠٠ والآن نبتت على جانبيه الزهور وامتلات بحيرته بمليوني متر مكعب من الماء الزلال ٠٠ رحيق الارض ، ومنة السماء ، وودعنا « ابها »

★ راجع العربي العدد ١٢٨ يوليو ١٩٦٩ ٠

البهية على عجل آسفين ان نترك عاصمة ربوع منطقة « عسير » آملين ان نعود اليها مرة اخرى مستطلعين .. فقد كنا على موعد فى موقع آخر من مواقع العمل لتوفير قطـرات جديدة من الماء العذب ..

صناعة المياه

كانت جدة نهاية مطافنا .. الميناء السـعودى الكبير على شاطىء البحر الاحمر ، وحيث قامت اول محطة لتحلية مياه البحر .. وتعد تحليـة مياه البحار المصدر الثالث للمياه فى السعودية بعد .. الابار والامطار ..

ويبدا الحديث « الامير محمد الفيصل » محافظ المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة قائلا : « لقد عرف العُرب الاقدمون تحلية مياه البحر منذ فجر الدولة الاموية فقد جاء فى مخطوطة تاريخ ابن عساكر : « كان خالد بن يزيد عند عبد الملك بن مروان ، فذكروا الماء فقال : منه من السماء ، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعـد والبرق . فاما ما يكون من البحـر فلا يكون له نبات ، واما النبات فما كان من السماء » .

وقال : ان شئت اعذبت ماء البحر

قال : فامـر بقلال من ماء ، ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب » .

ثم قال الامير : « واليوم اصبحت المياه مشكلة عالمية ، تلقى مشروعات تحلية المياه اهتماما كبيرا فى جميع بلدان العالم يتساوى فى ذلك الجميع حتى فى البلاد التى تشقها الانهار ، وكلنا يعرف كيف كانت مشكلة الماء الشغل الشاغل فى الصيف الماضى لكل من انجلترا وبقية بـلاد اوروبا .. التى انشات الكثير من محطات تحلية المياه التى اطلقوا عليها (مصانع المياه العذبة)

ونحن فى السعودية يعتبر الماء مشكلتنا التى شغلتنا منذ زمان وقد كان للتوسـع العمرانى السريع ، وزيادة عدد السكان المستمر ، وتطـور مستوى المعيشة لدى المواطنين فى مختلف ارجـاء البلاد . كل هذا كان له اثره فى تزايد الحاجة الى مياه الشرب وتزايد اسـتهلاكها وتعـدد استعمالاتها الامر الذى اوجد حاجة ملحة ومستمرة لزيادة مصادر المياه العذبة وتطويرها على النحو الذى يفى بالحاجة سواء بالنسبة للوقت الحاضر او بالنسبة للمستقبل القريب . وقد تطلب ذلك سلوك كل السبل الممكنة لتامين حاجة البلاد من مياه الشرب واستخدام طـرق التكنية المتطورة ، فانشانا اولا عددا من محطـات التحلية ، على سبيل التجربة ، كان اولاها محطة تحلية المياه فى جدة وهى محطة مزدوجة ، بمعنى انها تنتج الماء بمعدل خمسة ملايين جالون يوميا كما تنتج طاقة مقدارها خمسون الف كيلوات فى الساعة ،وهناك ايضا محطة الخبر لتحلية المياه فى الظهران .اما وقد نجحت التجـربة .. فقد وضعنا خطة جار تنفيذها على مراحل منها انشاء ٢٧ محطة تحلية مياه كبيرة وصغيرة ، وسوف يصل مجموع ما تنتجه على مستوى المملكة كلها الى ٥٢٠ مليون جالون من المياه العذبة ، كما انها سوف تقـدم حوالى ٤٫٨٠٠ ميج وات ساعة كهرباء .. وقد بلغت ميزانية مشروعات التحلية حـوالى ١٤٥ مليون ريال سعودى ، واعتقد ان هذه المشاريع تعتبر من اكبر مشاريع تحلية المياه فى العالم » .

ويؤكد المهندس يوسف ابراهيم العقيـل مدير عام الشئون الفنية بمؤسسة تحلية المياه .. ان العمل يجرى علىقدم وساق فى مناطقعديدة مثل املج والخبر والقنفذة وجزيرة فرسـان وغيرها للانتهاء من جميع المحطات فى مواعيدها المقررة ،

ويختتم الامير محمـد حديثه قائلا : « ان هدف خطتنا هو تغطية احتياجات كل شبر فى البلاد من المياه العذبة . وسنلجا الى كل جديد منالوسائل العلمية الحديثة لتحقيق اهدافنا » .

ونعود من حيث اتينا وفى ذاكرتنا صور وكلمات لا تغيب ابدا ، صور هؤلاء الفلاحين السـعوديين الشباب الذين كانوا يلقوننا فى كل مكان وهـم ينظرون الى المستقبل بتفاؤل وامل وصور هؤلاء المهندسين والعمالوكلهم يستشعرون اهمية عملهم من اجل الرخاء والـرفاه .. اما الكلمات فهى لنورمان بورلوج الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٠ والتى تقول :

« ان شئت السلام فاغرس العدالة ، ولكن فى الوقت نفسه عليك بغرس العقـول بكفاءة حتى تنتج المزيد من الخبـز ، والا فلن يكون هناك سلام » . ■■

محمد حسنى زكى



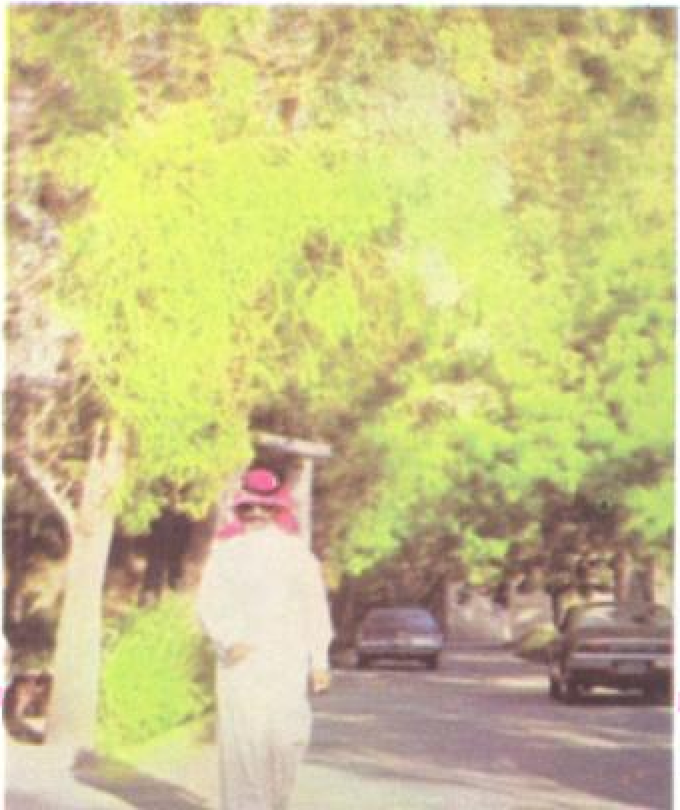
الماء ٠٠ نشربه ونرتوى ونطفىء به حرارة الجو من حولنا ٠

سيتم انشاء ثلاثة خزانات كبيرة بارتفاع ٨٠ مترا في منطقة جدة وذلك لتامين استقرار منسوب الضغط فى شبكة التوزيع ، ويرى احدها وتبلغ سعته ١٨٠٠٠ متر مكعب ، ويتم صب جسم الخزان على الارض وبعد اختباره وطلائه يرفع الى اعلى بواسطة روافع هيدروليكية ٠





تنتج محطة تحلية المياه فى جدة فى مرحلتها الاولى الآن ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جالون ماء يوميا و ٥٠٫٠٠٠ كيلوات كهرباء /ساعة٠٠ وتعتبر هذه المحطة الرائدة وقد تبعتها عدة محطات انشئت فى أماكن متفرقة فى المملكة ٠

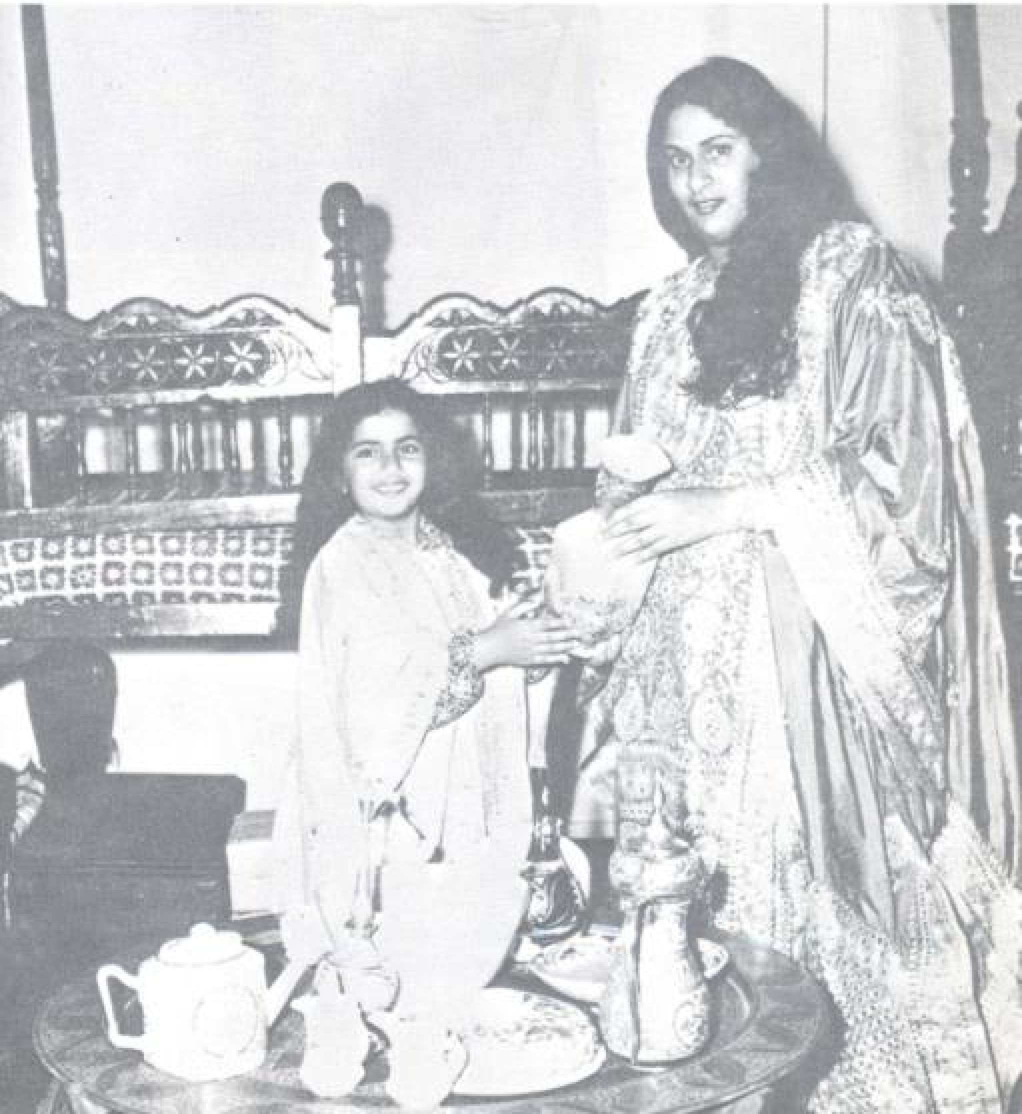


بفضل توفر المياه أمكن غرس الاشجار فى طرقات المدن الكبرى لتوفر الظلال وتجمل المدن ٠

٣٣ جزيرة وإسمها البحرين

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب   تصوير : فهد الكوح

شقيقتان من « بحرين اليوم » وقفتا امام سرير جدتهما ، وراحتا
تبتسمان الى المستقبل بعيون الامل وقد اشرقت منهما الوجوه •



مشكلتان للبحرين : ازمة المياه وهجرة الارض الزراعية

اول تجربة فى الخليج للشرطة النسائية تحقق نجاحا

■ هناك فوق بقعة من بقاع ضفاف الخليج المترامى الاطراف ، تقع دولة البحرين تصافح شواطئها امواج الخليج العربى التى خلقت شعبا بنى السفن ، وركبها ليبحث عن لقمته فى وقت شحت فيه الارزاق ، ولم يكن البترول قد اكتشف فيه بعد ٠٠ وشاءت ارادة الله ان يكتشف هناك فتغير الحال ، لكن هذا الشعب حافظ على اصالته وعاداته رغم التطور الذى يمر به ٠٠ والبحرين بلد صغير ، تزوره فتكتشف ان الحضارة فيه قديمة ضاربة فى اعماق التاريخ ٠

فقد كانت جزرها الاحدى عشرة ، موطن قبائل ربيعة ، مثل بكر وتميم وفيها عاش الشاعر الجاهلى « طرفة بن العبد » وفى السنة السادسة من الهجرة (٦٢٨م) وبعد ظهور الاسلام اسلم اهلها على يد « العلاء بن الحضرمى » خلال حكم المنذر بن ساوى التميمى ٠

وعند ارتداد العرب بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ارتد معظم اهالى البحرين ، بينهم ، « بكر وتميم » الا الجارود بن عبدالله وقومه عبدالقيس ، فانه ثبت على الاسلام معقومه، حتى انجدهم العلاء بن الحضرمى بجيش وانتصروا على المرتدين ، وبذلك يمكن اعتبار البحرين اول بلداسلم راضين واول بلد قاوم اهله الردة وانتصروا عليها وثبتوا على اسلامهم ، طوال العصور ٠

قلق وتهديد ٠٠ ثم استقرار

وهكذاعاشت البحرين خلال عصر صدر الاسلام وعصر الامويين والعباسيين ، ثم جاءها حكم البرتغاليين لوقت قصير فعاشت قلقة مهددة من الغزاة الذين كانوا يطمعون فيها لموقعها الجغرافى وثرواتها الطبيعية ، وظلت كذلك حتى تولت حكمها اسرة آل خليفة ، وكانت هذه بداية الاستقرار للمنطقة ٠

اما بداية التاريخ الحديث لدولة البحرين فقد حددته مصادر التاريخ باستيلاء قبائل «العتوب» على الجزر التى تتالف منها البحرين عام ١٧٨٢م، ثم حكم اسرة آل خليفة لهذه المنطقة ـ كل ذلك حدد نقطة الانطلاق للتاريخ الحديث ٠

٣٣ جزيرة ٠٠ مساحتها ٤٠٠ ميل

والبحرين جغرافيا وسكانيا ، تقع فى قلب الخليج العربى على خط عرض ٢٦ بمحاذاة الساحل الشرقى للملكة العربية السعودية ٠ وتضم ٣٣ جزيرة تبلغ مساحتها جميعا حوالى ٤٠٠ ميل مربع واكبر هذه الجزر « المنامة » وهى العاصمة وتقع فى الطرف الشمالى من الجزيرة المسماة بهذا الاسم ،وتحتفظ المنامة بالعديد من تراثها العمرانى القديم ، كما توجد بها حركة التجارة والاقتصاد وبها وزارات الدولة ومؤسساتها ، اما مدينة المحرق ، وهى المدينة الثانية فى الدولة فيربطها بالعاصمة جسر ينتقل عليه الاهالى بين المنامة والمحرق ، فى رحلاتهم اليومية للعمل وشراء مطالبهم ، وهناك جزيرة « سترة » وهى الثغر المخصص لخزن البترول وتصديره الى اقطار العالم وتخترقها انابيب البترول السعودى الذى يصل الى الموانىء البحرينية للتصدير ٠٠

الزراعة تتدهور

ولعل الزائر الى هذه البلاد ، يعجب عندما يتجول فى شوارع البحرين فيرى اشجار النخيل وقد امتدت لمسافات شاسعة من الارض وتاريخ الزراعة فى البحرين قديم جدا ٠ ولعل المناخ الحار وعيون المياه المنتشرة ، ادت الى انتشار

الزراعة هناك • واهل البلاد يخشون ان تتدهور هذه الاشجار بما تعطيه من تمور ، نتيجة عزوف الكثير من المزارعين عن العمل بالمزارع وتوجههم الى الاعمال الحكومية ، وبلغت الاراضي الزراعية المهجورة نحو ٦٠٪ من اراضي النخيل • ولهذا نرى ان يعاد النظر للاهتمام بهذه المحاصيل حرصا على حياتها ، وذلك عن طريق استخدام الاساليب الحديثة للعناية بالمحاصيل التي يهددها التلف مع كل يوم ••

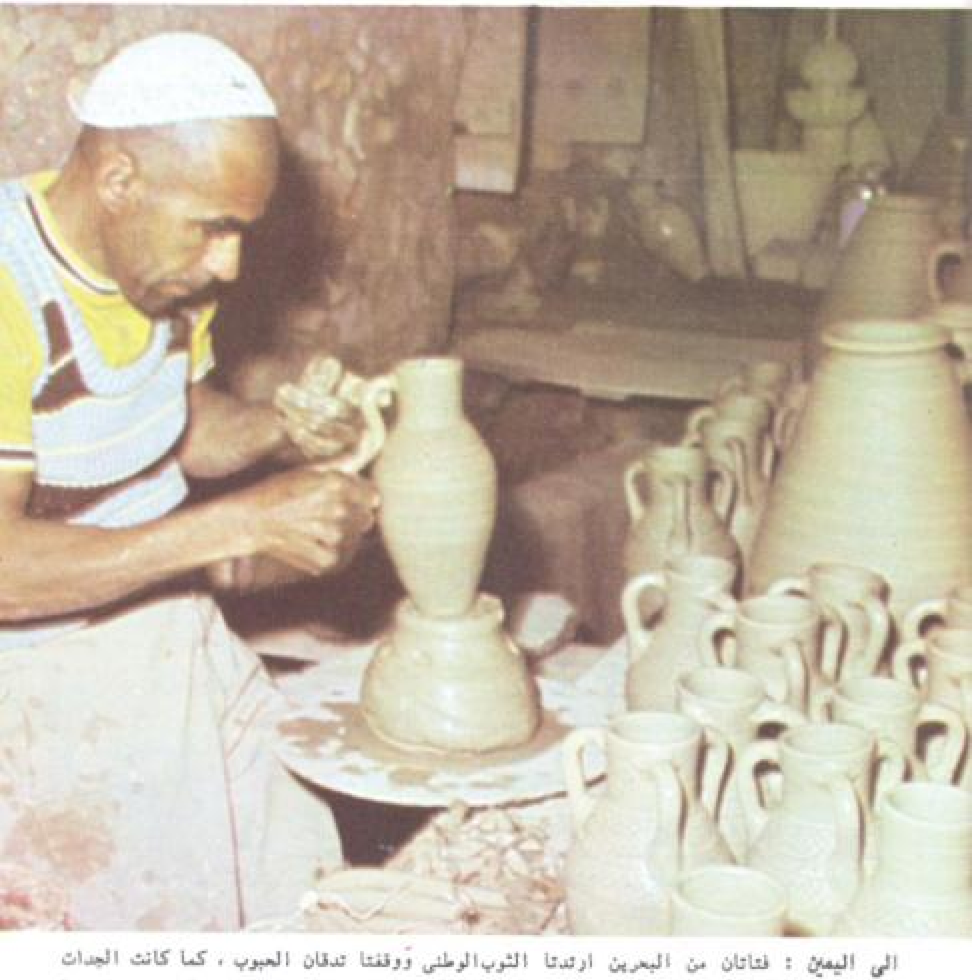
مصدران للمياه الجوفية

تكاد البحرين ان تكون ضمن الدول التي تشكو من ازمة المياه ، سواء من حيث قلتها ، او ملوحتها وقد اكتشف مصدران للمياه الجوفية منشؤهما المملكة العربية السعودية ، لكن مياههما تناقصت مع مرور الزمن وتعاقب السنوات ، ولعل ذلك يعود الى المسافة الطويلة التي تربط بين الجهة الشرقية من البحرين ومنهل المياه بالمملكة السعودية، ثم الى زيادة الاستهلاك في المياه بالمنطقة الشرقية





الصورة لمجموعة من ابناء البحرين يجرون مركبهم الى الشاطيء بعد العودة من رحلـــة الصـيد .



الى اليمين : فتاتان من البحرين ارتدتا الثوب الوطني ووقفتا تدقان الحبوب ، كما كانت الجدات يفعلن من قبـل ، اما **الصـــورة العليـــا** فتـجلس هذا الرجل يزاول حرفته التي يرتزق منها وهي صناعة الاواني الفخارية ـ انها واحـدة من الصناعات البيئية القديمة في هذا القطر الشقيق



دار ابراهيم سعد ، احدى الدور الفنية التي تقدم عروضها الشعبية في الزفاف والمناسبات
هنا تبدو في جانب من عروضها الليلية بدارها في المحرق .

من المملكة السعودية ، وكذلك تسرب مياه البحر الى مثل هذه المياه ، كل هذا دفع بالحكومة هناك الى البدء في تنفيذ محطة لتقطير المياه من البحر وتوفيرها لكل بيت ولكل زراعة وصناعة .

صناعات قديمة .. وحديثة

وبين دول المنطقة الخليجية عرفت البحرين صناعة السفن التي جابوا بها البحار للتجارة ، وتشير مصادر التاريخ ان هذه الصناعة نقلها الفنيقيون معهم عندما نزحوا الى شواطىء البحر الابيض المتوسط ، ولعبت امواج البحار دورا كبيرا في حياة شعب البحرين ، فقد ارتادوها بسفنهم المختلفة وعاشوا يقتاتون من ورائها ، وهناك صناعة اخرى قديمة كصناعة الفخار التي يزاولها الافراد في بيوتهم ومحلاتهم البسيطة وصناعة ادوات الصيد والملابس الشعبية . ثم دخلت البحرين عصر الصناعة الحديثة فقامت في مناطق عديدة عدة مصانع جذبت اليها الكثير من ابناء البحرين بعد ان دخلوا دورات تدريبية متخصصة في هذه الميادين .. ويعتبر مصنع الالمنيوم في البحرين ، من اكبر المصانع في منطقة الخليج العربي والشرق الاوسط ،وميلاد هذا المصنع يعود الى اليوم التاسع من اغسطس ١٩٦٨م بعد صدور براءة من امير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان، ثم بدأ التنفيذ للمشروع في ٢٣ يناير ١٩٦٩م . ويتألف المصنع من اربعة عنابر لافران الصهر ومسبك يتألف من افران الخلط واخرى للتخزين ومصنع الانود ، وهناك الميناء لتصدير الانتاج والسكة الحديدية المعلقة لحمل الانتاج الى حيث التصدير ، لينقل بالسفن التي تبلغ حمولتها ٣٥٠٠٠ طن وكذلك توجد محطة توليد الطاقة الكهربائية التي تنتج توربينات الغاز واخيرا اسالة المياه حيث يتم توفير كميات المياه الحلوة لعمليات المسبك ، بالمصنع الذى تسهم فيه الحكومة بنسبة ٧٧٫٩٪ ، وتتوفر كل الخدمات الطبية والوقائية اللازمة لمثل هذه الصناعة .

تخزين للانتاج .. وارباح مشجعة

وقد حدثنا احد المسؤولين في مصنع الالمنيوم عن تسويق الانتاج عالميا فقال : « لقد كنا في حداثة العمل بالمصنع نضع في اعتبارنا خلال الانتاج عمليات الطلب للالمنيوم من جانب الاسواق الخارجية، ولهذا مررنا بمرحلة دقيقة نظرا لحداثة المصنع» . ويستأنف هذا المسؤول حديثه فيقول : « ولقد

● عرفت البحرين قديما . «بدلمون» ثم « اوال » ، يعود تاسيسها الى احمد ابن محمد عام ١٧٨٣م عاشت احتلال البرتغال ما بين عام ١٥٢١ و١٦٠٢م ثم احتلال الفرس مابين ١٦٠٢م و ١٧٨٣ م ثم استعادت حريتها،واحتلها سلطان مسقط عام ١٨٠٠ م واحتلتها بريطانيا بموجب معاهدة الحماية التي ابرمت عام ١٨٢٠ ثم اعلنت كدولة مستقلة في ديسمبر ١٩٧٠ م .

كنا نعاني من فائض كبير في الانتاج ، لكن هذه المعاناة بدأت تنفرج في السنوات القليلة الاخيرة نتيجة لزيادة الطلب على الانتاج من الخارج ٠هذه الزيادة في الطلب ادت الى ارتفاع اسعار الالمنيوم في السوق العالمية بنسبة ٤٧ بالمائة دفعة واحدة، ونظرا لانخفاض قيمة الجنيه الاسترليني،فان ارتفاع الاسعار يمثل زيادة في ارباح المصنع بنسبة ٢٠٪ بالدينار البحريني ٠ وفي خلال العامين الماضيين اضطر المصنع الى تخزين نسبة كبيرة من انتاجه السنوي البالغ ١٢٠ طنا ، لان هذه الصناعة كانت تمر بأسوا حالة من الركود ، اما الآن فاننا نقوم بشحن كل انتاجنا حتى بلغت صادراتنا في ابريل الماضي ٧٧٧٨ طن وهو اعلى رقم حققه المصنع منذ قيامه عام ١٩٧١م ٠ »

ويسعى المسؤولون في البحرين الى اقامة عدة صناعات تتناسب والوضع البشري والاقتصادي في البلاد ، فاقيم مصنع للدقيق عام ١٩٧٠ م تشارك فيه شركة الدقيق الكويتية بنسبة ٣٢٫٠٠٠ سهم، الى جانب مساهمة حكومة البحرين التي تملك ١٢٫٩٤٦ سهم ، والباقي يشارك به شعب البحرين

في مدينة المحرق ٠٠ توجد اكثر من « دار »يزاول فيها ابناء البحرين فنونهم الشعبية كل ليلة ، هنا مجموعة من شباب « دار الحربان » التي تأسست عام ١٩٥٠ م ـ يؤدون بعض عروضهم الشعبية ٠





كانت البحرين اول دولة خليجية تفتح الباب للفتاة لدخول سلك الشرطة ، **فى الصورة الى اليمين** تبدو ثلاثفتيات من اوائل الملتحقات بهذه المهنة .

رسالة الشرطة النسائية هى رعاية الجانحين والمنحرفين الذين قست عليهم الحياة ... الصورة لشرطية وقفت تراقب عددا من الاطفال خلال مزاولتهم هواياتهم اليدوية ...





ثوب النشل ٠٠ عرفته المنطقة الخليجية قبل قرن من الزمان كزي وطني للنساء ٠٠ كان ثمن هذا الثوب لا يزيد عن ٢٠٠ روبية عام ١٩٥٤ ٠٠ واليوم تدفع المرأة ثروة تصل الى ستمائة دينار من اجل اقتنائه ،وفي الصورة اشهر واقدم صانعي هذه الاثواب الذى بدأ بممارسة هذه المهنة منذ اكثر من عشرين عاما



فتاة البحرين ـ خرجت من عزلتها ، وشاركت في ميادين الحياة الاجتماعية ٠٠ الصورة لمجموعة منهن يمثلن ادارة جمعية النهضة النسائية ،التي تحمل على عاتقها رعاية الاطفال اليتامى

ومقدارها ٢٥٤ر١١٥ سهم اما طاقة الانتاج فتبلغ ١٠٠ طن من الدقيق كل يوم للتسويق المحلي والخارجي ، وهناك صناعة صيد الاسماك التي يذهب انتاجها الى اسواق الولايات المتحدة واوروبا٠

٣٥ الفا في مدينة عيسى

وهناك مدينة عيسى التي بدات المرحلة الاولى في بنائها عام ١٩٦٨م وتقع هذه المدينة على مسافة اربعة اميال ونصف ميل من العاصمة ، ولقد بلغت تكاليف المرحلة الاولى ستة ملايين ونصف مليون دينار بحريني ومساحة المدينة ميلان ونصف ميل مربع وهي تستوعب ٣٥ الف نسمة، وتم بناء اكثر من ١٣٨٥ بيت ولقد صممت بيوت المدينة لتكون لاصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة وفوق المتوسطة ،وزودت مدينة عيسى بالمدارس على اختلاف مراحلها واجناسها ، وبالمستشفيات والخدمات الاجتماعية اللازمة لساكني المدينة من وسائل مواصلات ومحلات غذائية وتجارية ومساجد يذكر فيها اسم الله٠٠ وزودت كذلك بالكهرباء والماء والهاتف ونظمت شوارعها وفق احدث تخطيط ٠٠

وقد ادى موقع البحرين الجغرافي الممتاز في وسط الخليج العربي الى نمو التجارة فيها منذ قديم الازمان وادى كذلك الى ايجاد نشاط تجاري واقتصادي وتفاعل مستمر بين اهالي الجزر التي تتالف منها البحرين من حيث اكتساب الخبرات الفنية في المجالات الخاصة بالتجارة والصناعة ٠ واتجه الكثير من المواطنين البحرينيين للعمل بالتجارة بعد ان تناقلوها عن الاباء والاجداد٠ وكان لاكتشاف النفط والتسهيلات المتوفرة في الموانيء سواء ما يتعلق منها بالاستيراد او التصدير ، اكبر الاثر في التطور الذي رافق جميع الميادين الاقتصادية في انعاش القطاعين الخاص والعام ٠

شرطة من النساء

والشيء الذي تنفرد به البحرين ، بين دول

« النقيبة » عواطف الجشي .. تخرجت من قسم الاجتماع بالقاهرة ،ثم التحقت بالشرطة النسائية في بلادها .





التدريب على التحية العسكرية ، واحترام الضباط امر يحظى باهتمام المسؤولين في وزارة الداخلية البحرينية .. الصورة لاحدى الشرطيات تؤدي التحية العسكرية في العرض الصباحي .

المنطقة تشجيعها للفتاة بدخول سلك الشرطة النسائية ،ولقد التحقت الفتاة هناك بهذه المهنة، وتحملت الانظمة العسكرية وقوانينها الصارمة والدقيقة ، دخلت الدورات التدريبية وتلقت الدروس النظرية التي تتمشى ومتطلبات مهنة الشرطة تحت اشراف اساتذة ومدربين عسكريين ومدنيين ، وخرجت الفتاة من ذلك الى العمل الميداني لتكون بجانب الشرطي في خدمة وطنها .

والتقينا « بالنقيبة » عائشة الذوادي خريجة الاجتماع من جامعة القاهرة وسالناها عن موقف اهلها عند تفكيرها في دخول الشرطة النسائية فقالت : « لقد وجدت التشجيع الكبير من الاهل ، وشعرت من جانبي انى احقق رغبتي بالانضمام الى سلك الشرطة وتحقق الامل وها انذا الان مسرورة بهذا العمل لانني اشعر ان للوطن حقا علينا ، ومن واجبنا ان نؤدي اليه هذا الحق » .

ويوجد في بعض المراكز ضابطة مسؤولة ومعها شرطية تقوم بالتحقيق مع النساء ومع الاحداث حتى سن ١٥ سنة . الى جانب اخذ هذه القضايا الى المحاكم .

رعاية اجتماعية للاحداث

حدثتنا « النقيبة » عواطف الجشي عن جانب آخر من جوانب وظيفة الشرطة النسائية فقالت : « اننا امام قضايا الاحداث ننظر الى الرعاية الاجتماعية ، التي تشمل زيارات المنازل لمعرفة اسباب جنوح الصغار وكيفية وضع العلاج اللازم بمشاركة ذوى الجانحين ،ثم نرفع تقريرا اجتماعيا مفصلا للمسؤولين عن نوع كل حالة والظروف المحيطة بالحدث ودوافعه ، وعملنا مستمر طوال النهار ، وحتى خلال الليل عند حدوث اى احداث اجتماعية تتطلب وجودنا خلال حدوثها .

هذه هي البحرين .. الدولة التي تتمتع بالهدوء وبطيب قلوب شعبها القانع بكل مابيديه، السخي بعطائه وبدون حدود .

■■

يوسف الشهاب


TO MARK THE FIFTIETH ANNIVERSARY OF THE ROLEX OYSTER 1926–1976
The Rolex Award
for Enterprise
Created by Montres Rolex S.A.
to sponsor
outstanding personal
enterprise

مطلوب

خمسة أشخاص يتصفون بروح الأقدام لتحقيق مشاريع تتسم بالتحدي والأنجاز.

منذ ٥٠ سنة تماما، اكتشف رجل يدعى هانس ويلسدورف علبة الساعة رولكس "أويستر" التي كانت أول علبة استطاعت فعلاً وقاية أجهزة الساعات الدقيقة لا من الماء فحسب، بل من الغبار والأوساخ والصدمات والعوامل الطبيعية ايضا.

ومنذ ذلك الحين، كانت ومازالت رولكس السابقة الى جميع الاكتشافات الكبرى تقريبا في ميدان صناعة ساعات اليد، إبتداءً بالساعات الذاتية الملء والدائمة الحركة وانتهاءً بالساعات التي تبين الوقت والتاريخ واليوم كاملاً.

ولم يبق أصحاب ساعات رولكس قانعين خاملين طوال هذه الفترة، فقد قام اللورد هنت بتسلق قمة جبل إفرست وقهرها، وابحر السير فرنسيس شيشستر في رحلة حول العالم وحيداً. أما كل من جاكي ستيوارت وأرنولد بالمر، فقد أصبح شخصية اسطورية في عالم سباق السيارات ولعبة الغولف.

واليوم، احتفالاً بذكرى مرور خمسين عاماً على اكتشاف علبة "أويستر" للساعات، خصصت رولكس جوائز لمشاريع يمكن إعتبارها إقداماً عملياً. أما الهدف من ذلك فهو التحفيز على تحقيق مشاريع جديدة تتسم بطابع الانجاز والاكتشاف وترتبط باسم رولكس.

وهناك خمس جوائز فقط، كل منها بمبلغ ٥٠,٠٠٠ فرنك سويسري.

وستقدم هذه الجوائز مع ساعة رولكس كرونومتر المنقوشة خصيصا للأشخاص الخمسة الذين يقدمون أفضل خمسة مشاريع تتسم بالأصالة والأبداع وتنطوي على الاكتشاف في مجالات العلوم التطبيقية أو الأختراع أو البيئة على أن ترد المشاريع المقدمة إلى لجنة الأختيار قبل ٣١ آذار (مارس) ١٩٧٧.

هذا، ويوجد كتيب خاص لدى معظم وكلاء وموزعي رولكس، يتضمن وصفا مفصلاً للجوائز وشرحها.

ويمكنكم الحصول على نسخة من هذا الكتيب وعلى استمارات الطلبات بالكتابة مباشرة إلى العنوان التالي على أن تضمنوا رسائلكم وصفا موجزاً للمشروع المقترح،

The Secretariat, The Rolex
Awards for Enterprise, P.O. Box 695,
1211 Geneva 1, Switzerland.

لقد حققت ساعات رولكس خلال السنوات الخمسين الماضية منجزات عظيمة سجلها لها التاريخ في جميع مجالات التقدم البشري تقريبا.

واليوم تتيح جوائز هذه المشاريع فرصة نادرة وفريدة في نوعها لخمسة اشخاص ليسجلوا صفحاتهم الخاصة في تاريخ رولكس لفترة الخمسين سنة القادمة.

ROLEX

of Geneva

● قصة قصيرة ●

أحلام في بلاد بعيدة

بقلم : زينب صادق

■ في مقهى صغير جلست اشرب قهوة سوداء واستريح من السير الطويل في هذه الطرقات العريقة الاوروبية • دارت عيني بين الوجوه البيضاء استمتع بمراقبة اصحابها • توقفت نظراتي على وجهها • تاملت ملامحها الشرقية ، اعرف هذا الوجه. كانت تتاملني ايضا ، تبادلنا ابتسامة ، قامت الى، تعانقنا •

في وقت بعيد كانت جارتي وصديقتي • عاصرت قصة حبها المفاجيء لاحد اقاربها وزواجها وسفرها معه في بعثته • راسلتني لفترة قصيرة ثم انقطعت اخبارها • وانتقلنا من الحي ولم اعد اعرف عنها شيئا •

نظرت اليها كاني تذكرت شيئا •

قلت ـ لكني اعرف انك في امريكا •

لمحت نظرة صامتة خلال ابتهاجها بالترحيب بي • قالت انها ستحضر قهوتها وتجلس معي • راقبتها وهي تحضر مجموعة كتب وحقيبة وقهوتها • لقد تغيرنا كثيرا •••

في أوائل الستينات انهت « سهير » دراستها الثانوية في مدرسة انجليزية وتقدم اليها شاب وسيم يمت اليها بصلة قرابة بعيدة ، شاب امامه مستقبل وقبل كل شيء امامه بعثة دراسية في امريكا• في ذلك الوقت كان السفر للخارج من الاحلام الصعبة او المستحيل تحقيقها • وكانت « سهير » تحلم ان تعيش وتكمل دراستها في بلاد تجيد لغتها • كانت تحلم بتلك البلاد التي قرات عنها وشاهدتها في افلام السينما • وعندما وجدت من يحقق لها حلمها تعلقت به ، احبته حبا مجنونا أثار دهشته وايضا غروره •

كان شرط والد الشاب ان يتزوج ابنه قبل سفره حتى لا يرتبط باجنبية او يضيع وقت دراسته في البحث عن متعة • وعندما قدم الشاب لاسرته الفتاة التي يحبها رفضوها لان عائلتها لا تناسبهم • ورضى الشاب باختيارهم لقريبته « سهير » • فهي جميلة على اي حال وتتقن اللغة الانجليزية وفوق كل هذا وعده والده أنه سيرسل له نقود مساعدة اذا هو تزوجها •

كانت « سهير » تعرف قصة حبه ورفض اهله • لكن الا يستحق السفر الى امريكا ان تجذبه اليها• وفعلت •

احيانا نفعل الشيء ثم نقنع انفسنا بما فعلناه، واحيانا نتجذب لشخص نتوهم ان في يده مصلحتنا او خلاصنا • ونقع في حبه والحقيقة اننا نقع في حب رغبة تحقيق احلامنا •

وكان حلم السفر الى امريكا يطغى على اي صفة سيئة يمكن ان يظهرها خطيبها • يطغى حتى على فكرة تكملة دراستها •



فى احـدى الولايات الامريكية • كانت الشهور الاولى للحياة الجديدة ،فى الزواج ، فى الجو المحيط، فى تحقيق الحلم المستحيل ، فى الانبهار بالجديد • والد الشاب وفى بوعده وعمل علـى ارسال نقود مساعدة • والجامعة اعطتهما بيتا صغيرا وبـدأت الحياة تسير هادئه كأنها ستبقى ابدا هكذا ،،سهير، تعتنى بالبيت وتطبخ الاكلات المصريـة ، وزوجها طول اليوم مشغول بدراسته وبعمل أبحاثه •لكن وقت فراغها بدأ يكبر بعد أن شاهدت كلما يحيط بها • بعد ان تعودت على الجديد واصبـح حياة روتينيـة • فكرت ماذا يمكن ان يشغل فراغهـا • فكرت في طفل •وعندما قالت فكرتها فوجئت بثورة الزوج ، واتهام بانها تريد ان تعطله عن دراسته، تريده ان يضطر للعمل ، تريد ان تحطم مستقبله • فوجئت « سهير » بهذه الثورة الغاضبة وقررت الا تعود الى هذا الموضوع خصوصا انه هددها اذا هى استغفلته وحملت سيرسلها الى اهلها فورا •

أوجعتها عبارة انه سيرسلها الى اهلها • ربما منذ ذلك الوقت بدأت تشعر انها فى حياة زوجها مجرد شيء ، يبقى معه او يعيده الى حيث اتى به• لم تفهم معنى هذه الصدمة وان شعرت انها صدمة•

فكرت فى شيء آخر يملأ فراغها ويجعلها تستفيد من وجودها فى تلك البلاد • فكرت فى حلمها القديم ان تكمل دراستها ، وعندما قالت للزوج فكرتها ، قال لها بكبرياء انها لم تأت معه لتكمل دراستها بل لتكون زوجة فقط لتعتنى به ، ونصحها أمرا الا تشغله بمشاكلها الخاصة • ربما وقتها فقط بدأت تتساءل من هو هذا الرجل الذى تعيش معه ، ماذا كانت حياته وكيف تشكلت شخصيته • ماهى افكاره وهل يمكنها ان تتوافق معه ؟!

فكرت هل تعود الى اهلها فاشلة بعد ثلاث سنوات من سفرها • فكرت ماذا يمكن ان يفعل بها اخوتها بعد ان رحل والدها الذى كان يحبها ، فكرت فى نظرة مجتمعها ، فكرت فى نفسها ، اذا كانت هناك فرصة لتدرس وتنجح فى شيء • لماذا لا تتحمل !

لقد فشلت ان تجعل هذا الرجل يحبها ، فشلت ان تستمر فى حبه ، وتحملت فى صمت معاملته المتعالية •

فى بلاد الغربة يجتمع ابناء وبنات البلد الواحد، يكونون ناديا او رابطة او مجرد مكان يلتقون فيه• وذهبت « سهير » الى مكان اجتماع اهل بلدها ربما تجد وسطهم خلاصها او حلا لمشكلتها •

هناك تعرفت على استاذ فى العلوم السياسية ، شاب مثقف فى الثلاثينات من عمره ، مطلق ، ولنباهته عين مدرسا فى جامعة امريكية • شعرت بتقارب معه ، لاحظ نظرة الحزن فى عينيها ، فهم انها تعيش فى مشكلة ما ، وكانت تريد ان تحكى عنها •

نصحها استاذ العلوم السياسية بالدراسة •فهى الحل الوحيد لهذه المشكلة • وربما نجاحها فى الدراسة يلفت نظر زوجها لها ويجد من يستطيع ان يتجاوب معه فكريا • وهناك معادلة صغيرة يمكن ان تقوم بها وتلتحق بالجامعة ، ووعدها انه سيقف بجانبها ويساعدها •

الانسان لا يستطيع ان يعيش فى العالم وحده• انه لم يخلق ليعيش وحيدا • لكن الحاجة للاخر شيء والصحبة شيء آخر • الاعتماد الكامل على الاخر مذلة،والصحبة الشاملة المحبة نادرة •والحب المتبادل والحاجة المتبادلة والصحبة المتفاهمة اشياء لم تعد موجودة الا فى نوادر القصص الخيالية •

لم يعارض الزوج فى انشغال زوجته بالدراسة ما دامت لم تعطله بهذه المشكلة وتقوم بواجباتها المنزلية وفكر ان هذا شيء سيجعلها على اى حال تبتعد عنه خصوصا انه بالرغم من زواجه وتحذير اهله صاحب فتاة امريكية •

نجحت « سهير » فى المعادلة الدراسية وبدأت تدرس العلوم السياسية تحت اشراف الشاب المصرى النابه • لقد احبت هذه العلوم وهى لا تدرى انها تحب استاذها •

هذا الشعور الغامر بغبطة الوجود بجانبه : كتفه ملتصق بكتفها ، يده تحيط يدها • هذا الامان والسلام الداخلى الذى تشعر به وهى بجواره لا ينبع عن ضعف انها وحيدة فى الغربة او انها فى ازمة وتخاف • ايقنت ان هذا الشعور الغامر ينبع من حبها له ، وحبه لها • عرفت ماذا يعنى الحنان فى حضن رجل ، عرفت ماذا يعنى التفاهم ، عرفت ماذا يعنى حلو الصحبة • عرفت انها لا بد ان تعيش كانسان ، وطلبت الانفصال عن زوجها • لقد رحب بالفكرة اولا وقال انه سيحجز تذكرة لعودتها ، لكنه فوجيء بانها لا تريد العودة الى بلدها وستستمر فى دراستها ، وكاد يعدل عن موافقته • وبعد مشاحنات ومصادمات تم الانفصال فى قنصلية • وكانت « سهير » قد وجدت عملا تعيش منه ، وحجرة فى منزل زميلة لها امريكية •

لا بد ان نفهم اننا عندما نجلس مع شخص ما فنحن لا نجلس معه بمفرده بل نجلس مع تاريخ وذكريات ووجوه اخرى معه • يعنى من الصعب ان نعرف ما يدور فى رأسه تماما فى لحظة ما ، فهو مهما كانت علاقته بنا يحمل فى رأسه تاريخا وذكريات ووجوها اخرى •فلا يصح ان نتعجب اذا وجدنا هذا الشخص تتغير ملامحه فجأة بحزن او بسعادة ، بضيق او بترحاب ، بهموم او بسرور• واذا كان فى لحظة معنا تماما ناسيا تاريخه وذكرياته ففى لحظة اخرى لا يستطيع ان ينفصل عن هذا التاريخ وتلك الذكريات • فمن الاسئلة السخيفة التى تسألها امرأة لرجل او يسألها رجل لامرأة ـ فى اى شيء تفكر الآن ؟ ـ او ـ هل انت لى كلية ؟ ـ غالبا ما تكون الاجابة كاذبة او غير واضحة •

« سهير » لم تعد طبيعية تماما بعد تجربة الفشل التى عاشتها فى زواجها ، وان كانت مستعدة نفسيا ان تتخلص من شوائب تلك التجربة ولا تجعلها عائقا لحياتها • لكن حبيبها ما زالت تطارده ذكريات ووجوه من الماضى بصورة مرضية وان كان لا يحب ان يفصح عنها صراحة • هو فقط يقول عبارات مثل ـ عاهدت نفسى الا افعلها ثانية ـ او ـ اعتقد ان نظام الزواج فيه شيء خاطيء يفسد العلاقة بين اى اثنين محبين •

حقيقة هو لم يمنحها بالزواج بعد أن تترك

زوجها ، وحقيقــة هى كانت فى نفسـها مقررة الانفصـــال قبل ان تلتقى بهـذا الحب ، وكان الحبيب مشجعا وليس محرضا ، لكن كان عندها امل فى حياة مشتركة ناضجة متفاهمة .

الانسان هذا المخلـــوق الذى يحتاج للامل لا يلتفت كثيرا الى احزان الماضى اذا وجد الامـــل لحياة افضل ، ويستطيع أن يمارس الحياة والحب بعد يأس من استطاعة فى ممارستهما . جميل هذا المعنى الكبير فى حياة الانسان ، جميل ان نعرفه ويأتى الينا . اننا لا نجد الامل معلقا فى شجرة فنقطفه وليس عند بائع فنشـــتريه بكل نقودنا ، وحتى ليس تماما فى نفوسنا فنستخرجه منها . ومهما قيل فى ارادة الامل فهو الى حـد كبير مع الآخرين كما هو معنا . ولا نستطيع ان نذوق حـــلاوته بدون تبادل ، مثـــل الحب ، لا نستطيع ان نمارسه ونفهم اهميته بدون تبادل .

بخبرة الامـل تذكرت « ســـهير » تلك الايام اليائسة عندما جاء اليها الامل واضاء طريقها ، هون عليها ظروف حياتها واستبشرت به خيرا . اليس غريبا ان يصـــيبنا اليأس من نفس منبع الامل ؟ !

ربما حبيبها خاف منها ومن الامـــل الصامت الذى كان يراه فى نظرتها ، فى بعض كلماتها . لقد كان كريما سخيا فى عواطفه لكنه كان يعتقد ان قصة حبه مع « سهير » مغامرة لطيفة ستنتهى كما انتهت مغامرات حبه السابقة . وبلا شـــك تعلق هو ايضا بها . ولذلك العهـد القديم مع نفسه ، ولقوة ارادته ، قاوم حبه لها وسعى الى التدريس فى جامعـــة بعيدة فى ولاية امريـكية اخرى .

اما الزوج فقــد تزوج من صاحبته الامريكية واقنعته ان يعمل هناك .

اما هى فلم تستطع تكملة المشـــوار فى مكان ذكرياتها الفاشلة ، لم تنتقل الى ولاية امريكية اخرى ، بل تركت القارة كلها .

اضاءت الابتسامة وجه « سهير » وهى تقول لى انها قد وفقت فى اوروبا ،فى دراستها وفى عمل اذاعى مثمر . وتعيش ببساطة من ناحية العلاقات العاطفية وربما تجد من تتوافق معه وترتبط به . واكدت انها لم تتعقد من الفشل بل وجدته مفتاحا لطريق نجاحها .

سألتها ــ الم تذهبى لزيارة بلدنا طوال تلك السنوات .

قالت : ارسلوا لى اخوتى كثيرا ان اعود بعد ان عرفوا قصة فشلى . وكنت فقط اعدهم . لكنى فى داخلى كنت اريدهم ان يرونى ناجحة فى شىء .

سافرت اليهم فى العام المـاضى لاراهم وارى مدينتنا وامكانية عملى وحياتى هناك .. ازعجنى الزحام الفظيع . متى جاء كل هؤلاء الناس ؟!

تغيرت مدينتنا كثيرا . الاهـــل تغيروا .. انا تغيرت ايضا .. سالونى متى ساعود ؟ قلت لهم عندما انتهى من الدكتوراه .. لكن الآن لا ادرى هل ساعود ام لا .. وانت ماذا تفعلين هنا .

قلت : بمنحة تدريب قصيرة من مكان عملى .

ــ ستحلو لك الحياة هنا ..

ــ لا اظن .. لا ادرى .

قالت بعد ان اخذت عنوان مســـكنى واصرت على ان تدفع ثمن القهوة انها ستزورنى كثيرا اثناء اقامتى وتصافحنا امام باب المقهى . سارت الى عملها وسرت اكمل جولتى . ■■

زينب صادق

■ من يفعل الخير لا يعدم جـــوازيه
لا يذهب العرف بين الله والنـــاس
(الحطيئة)

■ لــو أن أسبـاب العفـاف بلا تقـى
نفعت ــ لقد نفعت ــ اذن ــ ابليسا
(ابو تمام)

ومن الأسماء ما تشابه

■ تشابه الاسماء يخلق اكثر من مشكلة·· وهناك اسماء تتشابه، واخرى تتماثل··اسماء لمدن وجبال وبحار ورجال··فمدينة الاسكندرية تجدها فى مصر وايطاليا والعراق وامريكا ، ومدينة حلوان تجدها كذلك فى مصر وفى العراق ايضا ·

ومسابقة هذا العدد تدور حول بعض الاسماء المتشابهة المتقاربة ·· انها عشرة اسئلة والمطلوب منك ايجاد الاجابات الصحيحة لثمانية منها على الاقل لتفوز بواحدة من الجوائز التى تبلغ ١٠٠ دينار ·



١ ـ طولون (والد احمد بن طولون) مؤسس الدولة الطولونية (٨٦٨ ـ ٩٠٥) م ومنشىء مدينة القطائع التى اتخذها عاصمة له قرب الفسطاط بمصر ·· وهو الذى اقام المسجد الكبير المشهور باسمه والذى يضم مئذنة فريدة حتى اليوم ·· واسم « طولون » ليس مقصورا على البلاد العربية التى سيطر عليها الطولونيون ، فهناك ميناء حربى كبير ، به ترسانة حربية يحمل ايضا اسم طولون ويقع فى :

ـ صقلية ـ اسبانيا ـ فرنسا ·

٢ ـ الجبل الاخضر ·· جبل طويل يمتد مسافة ٤٠٠ كيلومتر من الغرب الى الشرق فى سهول برقة الشمالية بليبيا ·· وهو جبل خصب التربة تكثر به ينابيع المياه ، مما حدا بموسولينى الى التفكير فى توطين مليون ايطالى لتعمير هذا الجبل الخصب وزراعته ·· وليست ليبيا هى البلد العربى الوحيد الذى يضم جبلا يحمل اسم الجبل الاخضر ·· بل هناك بلد عربى آخر يضم جبلا يحمل الاسم نفسه ويرتفع نحو ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهذا البلد هو :

سلطنة عمان ـ المملكة العربية السعودية ـ الجمهورية العراقية ·

٣ ـ برشلونة ولشبونة ·· مدينتان احداهما تطل على مياه المحيط الاطلسى ، والثانية تطل على مياه البحر المتوسط ··

فالى اى دولة تنتسب كل مدينة منهما ؟

٤ ـ جامع القرويين ·· وجامع القيروان ··

فى اى المدن ، واى الدول يقع كل منهما ؟

٥ ـ بحر الخزر ·· وبحر القلزم ·· وبحر الظلمات ·· ثلاثة اسماء قديمة اندثرت لتاخذ مكانها ثلاثة اسماء جديدة،موجودة بين الاسماء الخمسة التالية :

الخليج العربى ـ خليج عمان ـ بحر قزوين ـ البحر الاحمر ـ المحيط الاطلسى ·

فما هى الاسماء الصحيحة ؟







٦ ـ ٠٠ وهذه اسماء ثلاثة بحار اخرى : بحر الغزال ، بحر العرب ، ٠بحر الجبل ، ٠ ليست كلها بحارا ٠٠ انما أطلق على بعضها اسم « بحر » تجاوزا فى حين انها من روافد نهر عظيم ٠٠

فهل تستطيع التمييز فيما بينها ،واذكر اسم النهر الكبير الذى تصب فيه ؟

٧ ـ ميناء « صور » الميناء اللبنانيالشهير الذى اسسه الفنيقيون قبل اكثر من ٤٠٠٠ سنة ٠٠ هذا الميناء له ميناءشقيق يحمل نفس الاسم ويقع فى :

ـ المملكة العربية السعودية ـ سلطنة عمان ـ ايران ٠

٨ ـ العين ٠٠ اسم أول معجم باللغة العربية الفه الخليل بن احمد ولم يكمله وقد بداه بحرف العين ٠٠ والعينايضا اصبحت اسما لمدينة كانت فى الماضى مجموعة واحات متناثرة تقع فى :

ـ ابو ظبى ـ الشارقة ـ رأس الخيمة ٠

٩ ـ طبرق ميناء ليبى ذاع اسمه واشتهر فى الحرب العالمية الثانية ٠٠ وطبرقة ميناء سياحى جميل يشتهر بصخوره العالية المسننة وبمصايد المرجان فى مياهه ٠٠ وتقع طبرقة فى :

ـ الجزائر ـ تونس ـ المغرب ٠

١٠ ـ طنطا ٠٠ وطنجة ٠٠ وطهطا ٠٠ الاولى مركز للسكة الحديد وتضم مقام السيد البدوى ٠٠ والثانية كانتميناءا دوليا شهيرا ٠٠ والثالثة مدينة ينتسب اليها رائد كبير من رواد التعليمالاوائل ٠٠

فالى اى دولة تنتسب كل مدينة ؟

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشورذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانكالكاملبخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف واكتب عليهالعنوان الآتى :

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت، مسابقة العدد ٢١٧ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر(فبراير شباط) ١٩٧٧ ٠

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتيعلى الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منهاه دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠

كوبون مسابقة العدد ٢١٧

أنت تسأل ونحن نجيب

حرب الجيريللا عرفها الانسان منذ فجر التاريخ !

● كثيرا ما نسمع عن حرب« الغوريللا » او حرب العصابات ، ترى لماذا سميت هذه الحرب بهذاالاسم ·· وهل لها علاقة بحيوان الغوريللا ·· وما وجه الشبه بينهما؟!

طارق محمد ـ عمان

ـ ليس هناك اية علاقة بين حيوان الغوريللا، وبين الحروب التي تحمل هذا الاسم ·· والتسمية الصحيحة لها هي حرب الجيريللا بحرف الجيم ، وليس بحرف الغين ، وهو خطأ شائع ، وهي باللاتينيا Guerella war fare واصلها اسباني، وهي تتكون من مقطعين جيرا ، ومعناها الحرب ، واللام للتصغير ·· فالجيريللا اذن هي الحرب الصغيرة ·

وقد سميت باسماء اخرى كثيرة فهي حرب العصابات والحرب الغير نظامية، وحرب المناوشات، وحرب اضرب واهرب ، او كما يقول العرب « كر وفر » ·

وقد عرف الانسان حرب الجيريللا منذ ان تعلم كيف يدافع عن حقه ·· فحرب العصابات اذن او حرب الجيريللا ، قديمة قدم الدهر · وهي التي قامت لدفع الظلم ،وهي التي مهدت ايضا للحروب الكبيرة ، لم عاشت معها تلازمها وتساندها ··

ومنذ القرن الثامن عشر ، لم تكد تنشب حرب نظامية ،الا وصحبتها او تبعتها حرب غير نظامية، وكثيرا ما سبقت الحرب الغير نظامية المواجهة بين الجيوش ··

وقد عرفت اليونان حرب الجيريللا ، وهي تكافح من أجل استقلالها ، وعرفتها أمريكا ، وبلغاريا وكذلك الرومان والعرب في قديم الزمان ، وعرفتها حديثا كل او معظم الدول التي استقلت مع بداية القرن العشرين وفي مقدمتها دول افريقيا وآسيا ·

ان حروب العصابات او حروب الجيريللا ،هي ايضا التي اطاحت بالامبراطوريات ·· فهي التي كان لها اثرها في انهاء سلطان الامبراطورية العثمانية والامبراطورية النمساوية والامبراطوريتين البريطانية والفرنسية ·· حتى نابليون عندما دخل اسبانيا محاولا تجريدها من استقلالها ، لم يسعه الا ان يعترف بالهزيمة أمام حرب العصابات ·· والامثلة كثيرة ، وكذلك عندما حاول ان يجتاح روسيا بجيوشه ·· لقد تعقبت العصابات قواته المندحرة حتى كادت تدخل معه باريس ·

وحتى عندما نامت فرنسا في منتصف هذا القرن ، ما لبثت ان صحت من غفوتها على حروب العصابات في الجزائر ، وفي الهند الصينية وفي الشام ·· وكذلك كان الحال مع بريطانيا في مصر وفي غيرها من الدول ·

كل حروب الاستعمار ، واجه فيها المستعمرون حربا عند دخولهم ، وخلفوا وراءهم حروبا صغيرة عند خروجهم ، تطارد جحافل قواتهم المهزومة ·· كلها حروب عصابات ·· انها حروب تبدو بلا



نظام ، وليس لرجالها مقر ٠٠ او هكذا يتخيل البعض ٠٠ ولكنها فى واقع الامر حرب منظمة ٠٠ لرجالها مائة مقر ومقر ، ولكنها مقرات او قواعد غير ثابتة ٠ فهى مرة هنا ومرة هناك ٠٠ ورجالها، كلهم من العناصر الوطنية المتحمسة لقضية استقلال بلادهم وحريتها ٠٠ فى الصباح ترى الواحد منهم منصرفا الى عمله ، كاى مواطن آخر ٠٠ حتى اذا غابت الشمس ، حمل سلاحه ، وخرج به واصبح جزءا من خطة مرسومة ٠٠ انهم يختفون وسط الجبال ويحتمون فى الادغال ٠٠ وينتشرون فى الريف وفى المدن ٠٠ وهم يختلطون بجماهير الناس فيتوهون وسطهم ، ويكون لهم هذا افضل وقاية ، فهم دائما لهم مناصرون ٠

(م٠ن)

المجاعات فى الهند ٠٠ هل من سبيل الى تحاشيها ؟

● قرأت فى عدد سابق فى العربى ان الهنود يقدسون الفئران ٠٠ فهل هذا صحيح ؟ !

ــ يبدو ان الفئران فى الهند موضع تقديس حقا ٠٠ شأنها فى ذلك كشأن الابقار وحيوانات اخرى مختلفة ، وكشأن المياه ــ مياه نهر الجانجس على الاقل ٠٠ والهندوس ، وهم الذين ينفردون بهذا التقديس دون غيرهم من سكان الهند، يشعرون به بدافع من معتقداتهم الدينية ٠ ومهما يكن فلا مفر للمرء من أن يعجب اشد العجب لتقديسهم الفئران ٠٠٠، اقذر الحيوانات جميعا ٠٠ واشدها ضررا بالانسان ٠٠ فهى تحمل الميكروبات وتنقل الاوبئة والامراض على اوسع نطاق ٠٠ وهى قادرة على التهام المحاصيل الزراعية او اتلافها واحداث المجاعات التى يموت فيها البشر بلا حساب ٠٠

والخطورة فى القداسة التى تحظى بها فئران الهند انما تكمن فى الحصانة التى تتمتع بها ٠ فقتلها محظور والتعرض لها بسوء ممنوع ٠ ومن طريف ما يذكر هنا ان الهند اشتهرت باعمال مكافحة الآفات والاوبئة الزراعية وانها كانت تقوم بحملات مكافحة الفئران منذ سنة ١٨٨١ ٠٠ الا ان تلك الحملات كانت اقرب الى التمثيليات منها الى اعمال المكافحة الفعالة ٠ ذلك ان اكثر القائمين بها هم من الذين يقدسون الفئران ، وقد حرصوا ــ على ما يبدو ــ على راحة الفئران والحفاظ عليها وتوفير الظروف الملائمة لتناسلها ، فيما تظاهروا ببذل الجهود فى سبيل مكافحتها والقضاء عليها ٠٠

وهكذا تكاثرت الفئران فى شبه القارة الهندية حتى بلغ عددها فى السنة الماضية بتقدير الخبراء، نحو ٤٨٠٠ مليون فار ، اى نحو ثمانية اضعاف عدد السكان الهنود ٠ وهذا عدد ضخم قد لا يفوقه سوى عدد الفئران فى السنغال وسائر دول غرب افريقيا ٠ فقد حلت المصائب بتلك المنطقة فانتشر فيها الجراد وتكاثرت الفئران وتفشت الاوبئة والامراض ، وذلك بسبب الامطار الغزيرة التى هطلت فيها فى المدة الاخيرة ، وفى اعقاب الجفاف الذى حل بها طيلة سنوات خلت ٠٠ حتى اعتبرتها المنظمة الدولية منطقة منكوبة، وراحت هى وهيئات دولية اخرى تمدها بالمساعدات وتنظم حملات المكافحة التى تعمل فيها حاليا على اوسع نطاق ٠٠ ومع ذلك فان عدد الفئران فى هذه المنطقة كلها وتحت ظروف النكبة التى نزلت بها، لا يزيد فى تقدير المسئولين على ١٠٫٠٠٠ مليون فار !

لاعجب اذن ان كثرت المجاعات فى الهند واضطرت السلطات فيها الى استيراد الحبوب من الخارج بين سنة واخرى ٠ وقد لا تكون المواسم العالمية جيدة فى بعض السنين وقد لا تسمح بالفائض الذى يفى

تونس دولة منتجة للنفط ٠٠ ولكن !

● سمعنا عن وجود النفط في الجمهورية التونسية ، فهل تعتبر تونس دولة بترولية ام لا ؟ ولماذا لا تنضم الى منظمة الاوبك اذا كان عندها البترول ؟

احمد الحلواني / طنطا ـ مصر

ـ لا تعتبر تونس بلدا بتروليا كبيرا ، سواء من ناحية الانتاج او التصدير ٠٠ الا انه رغم ذلك اصبح النفط يحتل مركزا مهما في اقتصادها اقتصادها الفتي ٠

وقصة النفط في تونس ترجع الى عام ١٩٠٩ فقد لفتت الدلائل السطحية ، من غاز واسفلت وغيرها ، انظار المنقبين ، فبداوا الحفر في تلك السنة في الاماكن التي تكثر فيها هذه الدلائل ، وكانوا يستعملون وسائل فنية عقيمة واعتمادات مالية غير كافية ، ففشلوا في العثور على النفط ٠٠ في الجهتين الشمالية والوسطى من البلاد٠٠

ولم يبدأ البحث على نطاق كبير الا في عام ١٩٤٥ وقد عثرت شركة سيريت (تونسية فرنسية) على حقل صغير للغاز الطبيعي في راس عنابة بالشمال الشرقي للبلاد ٠٠ الا ان اكتشاف النفط في الجزائر شجع الشركات الاجنبية على اخذ المزيد من الامتيازات في تونس ٠٠ وفي مايو ١٩٤٦ عثرت الشركة الايطالية ايني على النفط في منطقة البورما القريبة من الحدود الجزائرية ، ودخلت تونس لاول مرة حلقة الدول المنتجة للنفط باكتشاف هذا الحقل ، الذي كان معدل انتاجه اليومي ٢٠ الف برميل ارتفعت الى ٦٠ الف برميل ، وتم انشاء خط انابيب مساعد لنقل النفط من البورما الى ميناء الصخيرة التونسي ، الذي يصدر منه جزء من نفط الجزائر كذلك ٠

وثبتت تونس اقدامها كدولة منتجة للنفط ، عندما توالت اكتشافات النفط فيها فقد اكتشف حقل دولب عام ١٩٦٦ وسيدي ليتايم وسيدي بهارا واشتارت عام ١٩٧١ ٠

وبلغ انتاج النفط الخام من هذه الحقول ٤٫٥ مليون طن عام ١٩٧٥ ينتظر ان ترتفع الى ٦ ملايين طن في عام ١٩٧٦ نتيجة لبدء الانتاج من حقل ايزيس ، الذي اكتشف بجوار جزر قرقنة ٠٠ (للمقارنة انتاج الكويت لعام ١٩٧٥ كان ٧٦١ مليون طن) ٠

بحاجة الهند لتفادي المجاعة ، وغالبا ما تبلغ هذه الحاجة ١٠ ملايين طن من الحبوب ، او تزيد ، وقد تحول ظروف سياسية دون الاستيراد الذي لا بد من تغطية قيمته بالعملة الصعبة على كل حال ٠

والزراعة في الهند نشطة وذات مستوى رفيع نسبيا ٠٠ وقد كان للخبراء الهنود جهد كبير في تطوير انواع مهجنة من القمح جديدة وفي قيام ما اشتهر في العالم بالثورة الخضراء ،قبل نحو عشر سنوات ٠٠ ثم ان الزراعة في الهند تجود بمحاصيل ضخمة تبلغ بالمتوسط حوالي ١٠٠ مليون طن من الحبوب سنويا ٠٠ وهذه كميات تفي بحاجة السكان البالغ عددهم نحو ٦٠٠ مليون نسمة ، ومن شانها ان تبعد خطر المجاعات وتغني الهند عن استيراد الحبوب من الخارج ٠٠ هذا بالطبع اذا سلمت تلك المحاصيل من الفئران وسلمت ايضا من التقلبات الجوية والآفات الزراعية التي لا تكاد تنجو منها دولة من دول العالم ٠

وتجدر الاشارة الى ان مواسم الحبوب الاخيرة



فئران الهند ذات نزعة اجتماعية كما تظهر الصورة ٠



وتضم تونس معملين لتكرير النفط ، واحدهي بنزرت اقامته شركة اينى الايطاليـة عام ١٩٦٣ وطاقته مليون طن من النفط الخام ٠٠ والمعمل الاخر اقيم في قابس وسيبدأ انتاجـه خلال هذا العام ١٩٧٦ ٠

ولاتوجد حتى الان شركة نفط وطنية في تونس، الا ان للحكومة نصيبا في كل ما يجري انتاجه من اراضيها ، ويقدر احتياطي النفط في تونس بنحو ٩٥٠ مليون برميل أي‌ما نسبته ١١ر٠٪ من‌احتياطي العالم ٠٠ ويصدر النفط التونسي الخام الـى ايطاليا وفرنسا واسبانيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة وروسيا وبولندا وانجلترا وسويسرا ٠٠

وتغطي تراخيص التنقيب الممنوحة حاليا كامل المناطق المعمورة ، واكثر من للثي اليابسة ، وما تزال الشركات الفرنسية والايطاليـة هـي اكثر الشركات نشاطا في تونس ٠

اما عن سبب عدم انضمام تونس الى منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك) فيرجع الى ان الانضمام للمنظمة يتطلب الا يقل تصدير النفط للعضو فيها عن ٢٠٠ الف برميل يوميا ٠٠

(س٠ز)

في الهند ضربت الارقام القياسية بكمياتها التي بلغت بمجموعها ١١٨ مليون طن ٠٠ وهذا ما حدا بحكومة الهند الى اتخاذ القرار بالتوقـف عـن استيراد الحبوب ، خلال السنة الحالية المنتهية بشهر مايو ١٩٧٧ ٠ فالمحصول كبير جدا ،والفائض الذي يمكن خزنه‌لحين الحاجة كبير جدا ايضا،ويبلغ ١٨ مليون طن من القمح والارز فقط ٠٠ ولكن مستودعات الحبوب في الهند محدودة ولا تتسع الا لجزء يسير من هذه الكميات ٠٠ الامر الذي حمل ذوي العلاقة على ترك الجانب الاعظم من المحصول الفائض اكواما متراكمة في الحقول ٠

وظهرت الاف الملايين من « الفئران المقدسة » وراحت تعيث فسادا في هذه المستودعات المكشوفة واهتم‌البرلمان الهندي بالامر وبحث كافة‌الاحتمالات للحفاظ على احتياطي البلاد من الغذاء٠٠ وتوقع الكثيرون تشريعا جديدا يضع حدا لحصانة‌الفئران ويسمح باتخاذ الاجراءات الفعالة الكفيلة بالقضاء عليها ٠٠ ولكن البرلمان الهندي لم‌يسن اي تشريع من‌هذا القبيل،واكتفى، على‌ما يبدو،بالقرار الذي اتخذه،وحظر فيه‌قتل‌الثعابين فهذه‌الثعابين الصفراء التي يسمونها (دمان Dhaman) التي اقبل‌الهنود على قتلها في السنوات الاخيرة ، وذلك بقصد بيع جلدها الثمين ٠٠ هي الاخرى مقدسة في‌نظر الهندوس وتهوى اكل الفئران ، وتعتبـر بحـق عدوتها اللدود في الهند فحظر قتلها يضمن‌تكاثرها ويؤدي بالتالي الى تقليص عدد الفئران ٠٠ ولكن هذا مشروع طويل الاجل ولا يمكن ان يحل المشكلة الحيوية الملحة التي تجابهها الهند حاليا ٠٠مشكلة الحفاظ على اكوام الحبوب المكشوفة ٠٠٠

ترى متى يقرر الهندوس ان الفئران ليست خيرا من بني الانسان وان القضاء عليها اهون شرا من المجاعات ٠٠ ؟

(ي٠ز)

كتاب الشهر

غرائب في مملكة الحيوان

تــأليف : الدكتــور صبرى القبــانــى

عرض : الدكتور عبد الاله أبو عياشــ

■ اخرجتها شباك الصيد فجاة الي ظهر القارب· فارتسمت آثار الدهشة علي وجوه العلماء · فلم يصدقوا ماراوا · كانت سمكة ، واية دهشة ينيرها اصطياد سمكة ؟ كان ذلك قبل شهور علي شواطيء جزيرة مدغشقر في شرقي افريقيا · كان جميع العلماء، وكل الكتب العلمية تجمع علي ان ذلك النوع من السمك انقرض قبل ملايين السنين · فما الذى اتى بها من المجهول ؟ وكيف ظهرت بعد تلك الملايين من السنين ؟

هذه الحيرة التى واجهت العلماء ليست جديدة· فالعلم في بحث دائم للاجابة على اسئلة الحياة ، وابحاثه محاولات للاجابة على مئات الالغاز المحيرة التى يكتشفها الباحثون كل عام · ان اكبر حيرة واجهت وما زالت تواجه العلم واعقد الالغاز التى استنفدت وما زالت تستنفد الكثير من طاقة العلماء هي غرائب مملكة الحيوان · والكتاب الذى بين ايدينا كتاب ممتع فى هذا المجال ، يلقى اضواء مكثفة على عجائب الخلق فى ممالك الحيوان ·

لم يكن اهتمام الانسان بمملكة الحيوان مجرد اشباع تطلعه ، وانما لانه جزء لا يتجزأ من هذه المملكة · فاى خطر يحدق بممالك الحيوان تنعكس آثاره ومردوداته على الانسان · واى اختلال فى التوازن البيئى الدقيق بين الانسان وبقية الحيوانات يمكن ان يهدد حياة الملايين من البشر · فهل يمكننا مثلا تصور ما سيحدث لليابان لو انقرضت الاسماك فجاة من شواطئها ؟ وهل نستطيع التنبؤ بما سيحدث للاقتصاد الايسلندى لو ان الاسماك هجرت سواحلها؟

آلاف الممالك

والحيوانات لا تعيش فى مملكة واحدة ، وانما فى ممالك تبلغ اعدادها الآلاف فهناك ممالك البحر تقابلها ممالك البر ، وتربط بين هذه الممالك ممالك اخرى برمائية ، تجمع بين حياة البحر والبر معا · وليس هناك من يستطيع ان يحصى انواعها · لكن العلماء يقدرون بانها تزيد على المليون · فالمفصليات يزيد عددها عن ٨٠٠ الف نوع ، وهناك ٤٥٠ الف نوع من الحشرات ، واكثر من ١٠٠ الف من الرخويات ، ومئات الالاف الاخرى من وحيدات الخلية ومتعددات الخلايا · وتزداد الاعداد مع ما يكتشفه العلم عاما بعد عام·

فما الذى يحكم علاقات هذه الالاف من الممالك· وبلايين البلايين من الكائنات الحية ؟ وكيف تستطيع فى لجة الصراع والتنازع من اجل البقاء المحافظة على النوع ؟ وما هذا الذى يسميه العلماء غريزة وفطرة ؟ وما هذه الانظمة الدقيقة التى تنظم الروابط فى هذا التسلسل الابداعى ؟ ومئات





بـل والاف الاسئلة التـي تتزاحم وتحير ادمغة العلمـاء • ولهـذا يرفض الكثيرون من العلمـاء فكـرة النشـوء بمحض الصدفـة • فالصدفـة وليـدة العشوائية ، وشـدة التعقيد فـي ممالك الحيوانات لا تحكمها بكل تاكيد علاقات عشوائية •

يتكون الكتاب من سبعة أبواب • يبحث الباب الاول في طبائع الحيوانات ، وفي أدوات التعبير والتفاهم المستخدمة بينها • كذلك يتعرض هـذا الباب لذكاء الحيوان وحياته الجنسية • وخصص الباب الثاني لدراسة حياة الحيوانات اللبونة ، وخاصة القرود والغوريللا والخفافيش والقنافد • ويدرس الباب الثالث حياة المائيات كالحنكليس والاخطبوط والضفدع والسلحفاة • اما البـاب الرابع فهو عبـارة عن دراسة لمجتمعات الحشرات بانواعها المختلفة • ويبحث الباب الخامس بعالم الطفيليات • وينتقل المؤلف بعـد ذلك ليخصص الباب السادس لحياة الطيور وهجراتها التي ما زالت تحير العلماء الى يومنا هذا • أما الباب السابع والاخير فدراسـة لعـالم الزواحف والثعابين والاساطير التي ارتبطت بها • والحقيقة أن الباب الاخير هذا هو أضعف أجزاء الكتاب •

التعامل مع الحيوان

مع التطـور التكنولوجي وزحف المستوطنات البشرية في أجـزاء واسعة من العـالم ، بدأت البيئة الطبيعية تفقـد الكثير من خصائصها • وازداد التدمير مع توسع العمران في أجزاء واسعة من البراري والغابات • فاخذت الحياة الحيوانية تتعرض للانكماش وخطر الانقراض • والحقيقة أن الغربيين هم الذيـن قتلـوا الاف الحيوانـات كالفهود والنمـور والدببة لتتبختر في جلودهـا وفرائهـا نساء أوروبـا • لكن الغربيين أخـذوا يدركون فداحـة الاخطـاء التي اقترفوها • فهم بقتلهم وتدميرهم لهذه الحيوانات انما يقضون على التوازن الطبيعي لبيئة الانسان •

ولقد كان نتيجة ادراك الدول لفداحة مثل هذه الاخطار ان سنت قوانين منعت بموجبها الصـيد العشوائي وقتل الحيوان • واذكر انه قبل بضع سنوات ثارت ضجة وأزمة بين الولايات المتحـدة وروسيا واليابان بسبب القتل العشوائي للحيتان، مما هدد بخطر انقراضها •

« والانسان بدوره صار أكثر قدرة على دراسة الحيوانات والاقتراب منها الى الحد المعقـول ، وبالتالي صـار قـادرا على أن يربـط سلوكها بسلوكه ويسعى للعثور على نقاط التشابه بين الانسان والحيوان ، ويحاول أن يفسر السلوك الانساني على ضوء ما اهتدى اليه من معرفة سلوك تلك الحيوانات » •

وعالم الحيوانات مليء بالغرائب والعجائب • فادوات تعبيره وسلوكه وتناسله وتكاثره وحركاته مبرمجة بتقدير الهي لا يخطيء • والحيوان لـه لغتـه وأداة تعبيره الخاصة به • ويقـول العالم النمسوي كونـراد لـورنس « انني مستعد الان لتصديق ما روى عن قدرة سليمان بن داود في هذا المجال • ذلك أنني أصبحت اتحدث بهذه اللغة وافهمها في علاقاتي مع حيواناتي المخبرية » •

والكل يعرف مـا يسميه العلمـاء بالطيـور الثرثارة كالببغاء والعقعق • فهي تتناقل الاخبار وتذيعها بلغاتها المفهومة لبقية حيوانات الغابات• فتعمل بمثابة وكالات للانباء في الغابات الشديدة التشابك • وكثيرا ما تحـذر بقية الحيوانات من



كائنات غريبة أو أخطار تلم بها • وهناك أنواع من الصراصير لغة تفاهمها عبارة عن اشارة ضوئية • ووجد العلماء أن الدلافين تفهم لغة بعضها مع بعض بأصوات واشارات معينة ، وقد استطاع العلماء تسجيل هذه الاصوات •

الاستغناء عن الخدمات

عندما تنتهي مهمة حيوان مـا ، فان الاستغناء عن خدماته يصبح امرا محتما • ففي مملكة النحل مثلا تلجأ الاناث العاملات الى قتل الذكور الكسالى فى فصل البرد • وهو الفصل الذى يكون قد انتهى فيه التزاوج ، واكملت مهمة الذكور • فالذكور لا تسهم فى صنع العسل ،وتبقى عالة على ماتنتجه العاملات ، وهن ، اى العاملات ، يرفضن ان يذهب نتاج عملهن من مخزون العسل لقمة سائغة لكسالى لا تتقن سوى صنعة التنزه فى اشعة الشمس • فالعسل صنع خصيصا للملكة ولرعيتها المنتجة ، اما النحل المتطفلة فمصيرها نهايات بائسة •

ومثال اخر ناخذه من عالم الاسماك • فهناك نوع من السمك يسمى « ابينوش » يتحمل الذكر فيه عبء اعداد الاسرة • فهو يبنى عشا يجذب اليه بعض الاناث • فيستميل بعضها بحركاتـه وجمال لونه • وهو فى العادة يستميل اثنتين او ثلاثة ، فيلقحها وتضع بيضها فى العش • وعندما تنتهى مهمة الانثى يطردها ، وينصب من نفسه حارسـا على مصدر بقائه وجنسه • واذا ما تجرأت سمكة واقتربت من العش يكون مصيرها القتل •

وهناك نوع اخر من الاسماك تموت وتنتهي مهمة الانثى فيه بعد وضع البيض • ويكون وضع البيض بطريقة سادية ، اذ يطبق الذكر بفكـه على عنق الانثى ، ويستمر هكذا حتى تنتهى من وضع البيض وبعدها تكون قد لقيت حتفها •

ويتشابه هذا النوع من السلوك مع سلوك بعض الحشرات حيث يكون الذكر هذه المرة ضحية الاتصال الجنسى • فاذا انتقلنا الى الحشرة المعروفة باسم « فرس النبى »طالعتنا قصة غريبة يكون فيها الذكر ضحية لحظات من الاتصال الجنسى ، اذ يدفع حياته ثمنا للذة عابرة •

« يعيش الذكر عادة عيشة الوحدة والانفراد وهو لا يسعى الى الزمالة الا فى اوقات التزاوج • فاذا عثر على انثاه بدأ يؤدى رقصة عجيبة لكى «يعنن» قلبها عليه • فتتقبل عرضه بصدر رحب • وبعد ان يطمئن قليلا يقفز نحو الانثـى ويستمتع معها بلقاء يمتد ساعات طوالا ••• وما ان تنتهى مهمة الذكر او تكاد حتى تشرع الانثى فى التهام اجزاء من جسمه • وقد تبدأ فى اكل الذكر وهو لا يزال منهمكا فى عملية اللقاح » •

النظام الاجتماعي

ربما اعتقد البعض ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذى لديه نظام اجتماعى متكامل • ولكن هذا الاعتقاد خاطىء • فقرود الهاماديللى تعيش حياتها ضمن نظام اجتماعى يحدد مسئولية وواجبات كـل فرد ضمن الجماعة • وتعيش هذه القرود على شكـل

جماعات وقبائل، وتحدد كل قبيلة منطقتها ومجالها• ويبلغ عدد افراد القبيلة بين ستين الى ثمانين عضوا• ولكل قبيلة زعيمها وحاكمها الآمر الناهي • ويكون الزعيم هو الاقوى والاشجع والاكبر سنا • وله امتيازات على بقية افراد القبيلة • فهو ياكل قبل الجميع ، ويختار الانثى التي يريدها • ويساعده في زعامته وكلاء متخصصون لهم سلطات محددة • فهم يوفرون الحماية للصغار، ويحكمون في المشاجرات ويعاقبون المشاغبين •

ويكون بين الاناث « سيدة اولى » هي الاقرب الى قلب الزعيم • ولا تفلت الاناث من عقاب وصرامة الزعيم ، وحتى «السيدة الاولى » لا تفلت هي الاخرى من العقاب اذا ما اغضبت الزعيم بتصرف لا يعجبه •

ان اكبر احترام بين هذه القرود يتجه للحامل من الاناث • فالحامل تكون موضع رعاية الجميع • وتعتبر الولادة في مجتمع الهاماردريللي حدثا سعيدا يساهم في افراحه الجميع • وفي اللحظة التي يظهر فيها المولود الى الوجود يتدافع الجميع للمسه، وتمنعهم الام وتطردهم بعيدا عن مولودها • والغريب انه حتى لو ضربت الام اى فرد من القبيلة ، فانه يتقبل ذلك ولا يرد عليها او يحاول ايذاءها •

وقد ارتبط الخفاش في اذهان الناس بكثير من الخرافات والاساطير • فكان الاعتقاد في الغرب ان لدى الخفافيش ميلا خاصا للتعلق بشعور النساء• كما ان بعض الحوادث التي تعرضت لها الحيوانات والانسان في الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية دعمت فكرة الخفاش المصاص للدماء (فامبير)• والفكرة صحيحة لكنها مضخمة ، فهناك في جنوب الولايات المتحدة وفي المكسيك انواع من الخفافيش تهاجم الانسان والحيوان • ولكن كراهية الناس للخفافيش تاتي بشكل رئيسي من نمط حياتها • فهي تعيش في ظلام الكهوف والاماكن المهجورة التي تثير الرعب والخوف في النفوس غالبا •

ويقال ان الانسان اخترع الرادار بناء على دراسته للخفاش • فقد وجد العلماء من ايطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة ان الخفاش يطلق ذبذبات صوتية سريعة تصطدم بالعوائق وترتد لتحدد له مساره اثناء الطيران • ويستطيع الخفاش من انعكاسات تلك الذبذبات معرفة نوع العائق الذي امامه سواء كان كائنا حيا او جسما صلبا •

وعندما قلد الانسان هذه الذبذبات واستطاع التقاط انعكاساتها استطاع اختراع الرادار •

ويعتبر الجري او الانقليس او ما يسمى بالحنكليس من اغمض الحيوانات سلوكا • ويعرف هذا الحيوان المائي الذي يشبه الافعى بقدرته الكبيرة على الانزلاق من ايدي الصيادين • ويلاقي العلماء صعوبات جمة في محاولاتهم تفسير حياته الخاصة • ويجمع هذا الحيوان خلال السنوات الخمس الى الثماني الاولى من عمره بين صفتي الانوثة والذكورة • وبعد ذلك تاخذ خلاياه الجنسية في النضوج ، وعندها يتحدد جنس الحنكليس • ولا تستطيع انثى هذا الحيوان الانسال الا بعد ان تغادر المياه العذبة نحو البحر• وتتم عملية التناسل في اعماق تصل الى ٤٥٠ متر•

وعندما يفقس البيض تصعد الصغار الى سطح الماء بالملايين • وتبدأ رحلة طويلة معقدة تقطع خلالها اكثر من خمسة آلاف كيلو متر • والذي يدهش العلماء ان صغار الحنكليس تعود الى مواطن امهاتها الاصلية • فبعضها يعود الى انهار اوروبا والاخر الى انهار امريكا • وتحير العلماء تلك



القوة الخفية التي توجه هذه الصغار الى مواطن امهاتها الاصلية • فكيف تفرق الاوروبيات مواطنها عن الامريكيات ؟

شمشون البحر

ومن العجائب الغريبة تلك التي يقوم بها بعض سكان جزر جنوب المحيط الهادى في صيد الاخطبوط• ويقوم عادة بتلك العملية اثنان من الصيادين • ويكون الاخطبوط في العادة متشبثا بسبعة اذرع بصخور البحر • الا انه يبقي ذراعا واحدة طليقة• وتتوم عملية الصيد على الاغراء الذى يقدمه الصياد • فيطلق الاخطبوط اذرعه الا واحدة • وعندما ينطلق الصياد في حركة استسلام الى صدر الاخطبوط ،يتلقفه الحيوان فيحتضنه لكتم انفاسه• الا ان الصياد يكون قد اختزن في صدره كمية كافية من الهواء • وعندما يلف الاخطبوط جميع اذرعه حول الصياد ، يقوم الصياد بالطفو الى سطح الماء • وفي خلال ذلك يكون زميله الاخر بمثابة المراقب الحذر • فعندما يطفو الاخطبوط يهاجمه الصياد الاخر بعضة مميتة بين عينيه فى منطقة حساسه ، فيلفظ انفاسه فورا •

ذبابة التنين

الحشرات من اول المخلوقات التي عمرت الارض• فقد ظهرت قبل ملايين السنين من ظهور الانسان • ومنها ماوصل الى احجام مرعبة لكنه انقرض • فذبابة التنين التى كانت تحوم فى مناطق الجداول والبحيرات في العصور السحيقة ، كان يبلغ طولها ستين سنتيمترا • والحشرات تتمتع بقوى خارقة اذا ماقورنت مع اوزانها واحجامها فهي تستطيع ان ترفع اكثر من وزنها بعشرات ومئات المرات • فهناك بعض الخنافس التي تستطيع ان تحمل على ظهرها اثقالا تصل الى ٨٥٠ ضعف وزنها • ومعنى ذلك انه لو كان باستطاعة الفيل حمل هذه النسبة لاستطاع ان يحمل مدمرة على ظهره • وتستطيع عاملات النحل ان ترفع حوالى اربعة وعشرين ضعفا من وزنها

واذا اخذنا قفزة الجندب على سبيل المثال وجدنا انها فى الواقع النسبي قفزة خيالية • فلو اخذنا مدى القفزة وقارنا ذلك بحجم الانسان لكان ذلك يعني ان باستطاعة الانسان ان يقفز ٦٠٠ قدم • اى انه لو كان باستطاعة الانسان القفز بقوة الجندب ، لاستطاع ان يقفز من فوق عمارة ارتفاعها عشرين طابقا •

عالم الطيور

اثارت الطيور فضول الانسان منذ القدم•فالانسان كان يحسد ذلك المخلوق الذى كان يستطيع التحليق فى رحاب الفضاء ، بينما هو ملتصق بالارض غير قادر لاكثر من بضعة اقدام • واثارت الطيور مخيلة الانسان • وكانت محاولاته الدائمة لتقليدها ، فصنع اجنحة حاول الطيران بها ، لكنه كان دائما يلاقي حتفه •ومع بداية هذا القرن استطاع الانسان لاول مرة التحليق فى الفضاء • فنجح فى تقليد الطير ، لكنه بقي عاجزا عن معرفة الكثير من اسرارها وخباياها •

وسلوك الطير فطري تحكمه الغريزة • وقد اجريت تجارب على طائر الحائك الافريقي الذى يبنى عشه بربط الاغصان الدقيقة باسلوب معقد • وكان يعتقد قبل التجربة ان الطير يتعلم حرفته من آبائه • وكان هدف التجربة ان يفقس احد الطيور بعيدا عن تاثير والديه • فاخذت بيضة الى حديقة حيوانات حيث تمت حضانتها اصطناعيا • وخرج الفرخ الى الحياة وكبر • وعندما بلغ سنا معينا بدأ يبنى عشه ويحيكه بنفس الطريقة التى يقوم بها آباؤه ، فكيف تعلم هذا الفرخ حرفة ابويه ؟

ومن اغرب الامثلة لسلوك الطيور مايقوم به العقاب المصرى • فهذا الطير مغرم ببيض النعام • وهو اذا وجد بيضة نعام قام بالتقاط الحصى بمنقاره وقذف به على البيضة حتى تنكسر • والذى يحير العلماء هو ، من الذى علم العقاب هذا الاسلوب المتقدم فى كسر البيضة ؟ أهي حقا الغريزة ؟ أم ان الطيور تتمتع بنوع معين من الذكاء ؟

ومن الظواهر الغريبة فى حياة الطيور هجراتها السنوية • واعتقد العلماء ان هجرات الطيور الموسمية تاتى استجابة لتبدلات كيميائية فى اجسامها • لكن التجارب الحديثة أوضحت ان الطيور « فلكيون » بارعون• فالتجارب التى اجريت فى مبنى متحف الكواكب فى بريمن أثبتت ان هجرة الطيور ترتبط بالتبدلات الفلكية فى السماء • وتهتدى الطيور فى أسفارها الليلية بمواقع النجوم •

ومن أطرف التجارب التى اجريت على الطيور

تلك التي اجريت على أحد الطيور البحرية • فقد اخذ ذلك الطير من عشه في جزيرة سكوخولم على ساحل ويلز ، وأرسل على متن طائرة ركاب تجارية الى الولايات المتحدة • ثم أطلق في مدينة بوسطن على الساحل الشرقي • والغريب ان هذا الطير الذى وضعت برجله علامة مميزة استطاع ان يقطع مسافة تزيد على ثلاثة آلاف ميل في فترة اثني عشر يوما • وعبر المحيط الاطلسي من شواطىء الولايات المتحدة ليعود الى عشه مرة ثانية • ويذكر انه وصل الى عشه قبل وصول الرسالة التي تثبت صحة اطلاقه • واجريت تجربة اخرى مشابهة ، اذ اطلق طائر بحرى آخر من البرازيل ، واستطاع ان يعود الى عشه في ويلز بعد أسبوعين •

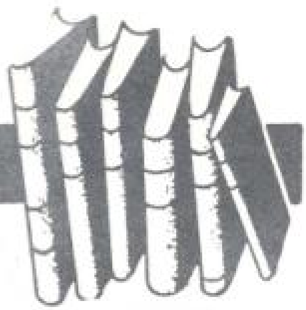
هذه جولة مختصرة في عالم تحكمه الاف الممالك من الحيوانات • وكل يعيش في بيئته ومحيطه في هدوء وانسجام • وهو يرسم حدوده فيعيش في داخلها ، ولا يسمح لاحد بتجاوزها • وفي نفس الوقت فهو يحاول تحاشي الآخرين وحدودهم • عالم تحكمه الصنعة ، فليس هناك مجال للتصنع • فالسلوك فطرى مسالم ، وهو ان اعتدى فاما ان يكون دفاعا عن النفس أو من أجل البقاء •

فهل يتعلم الانسان من هذه الممالك كيف يعيش في وئام وسلام ؟ أم انه التصنع قضى على صنعة الالفة والمحبة بين بني البشر ؟ ■■

د • عبد الاله أبو عياش

جامعة الكويت – قسم الجغرافيا

من الكتب التي وصلتنا



آراء وملاحظات عن الادارة والتدريس

تاليف : رشيد كريم خان مقراوى

الناشر : مطبعة الامة – بغداد / العراق •

● يتناول هذا الكتاب بعض الانطباعات والملاحظات عن مواضيع الادارة والتدريس والنشاط المدرسي بكافة اوجهه ، كما يسلط الضوء على مختلف الامور ذات الصلة الوثيقة والتاثير في سير الامور المتعلقة بالادارة والتدريس والنشاط المدرسي ، وقد ركز المؤلف على مواضيع العلاقة التي تربط بين المدرسة والمجتمع ومبادىء لتنظيم الادارة والتدريس ومؤهلات المدير الناجح وصفات المدرس الناجح والعلاقة بين المدرسين والادارة من جهة والطلبة من جهة اخرى ، ثم النشاط المدرسي واهميته لتطوير ورفع مستوى مدارسنا •

وقد حاول المؤلف عند بحثه لكل موضوع من هذه المواضيع ان يورد بعض الاسئلة في المجالات التطبيقية التربوية •

شخصيات تاريخية من سقراط الى راسبوتين

المؤلف : علي ادهم

الناشر : دار القدس – بيروت / لبنان •

● يقع هذا الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير ويتضمن مجموعة من التراجم الوجيزة الوافية لاكثر من عشرين شخصية من الشخصيات التاريخية من قدماء ومحدثين ومن أوطان وقوميات مختلفة ، منهم الفيلسوف كسقراط والافلاطون وجان جاك روسو وفولتير ، ومنهم زعماء وساسة وقادة امثال يوليوس قيصر ونابليون بونابرت وروبسبير وتاليران وابراهام لنكولن وبسمارك وراسبوتين وغاندى وكنفوشيوس ، ومنهم العلماء امثال جاليليو جاليلي ، وبرونو ، ومنهم الادباء والشعراء مثل سرفنتيس الاسباني وبوشكين وليو تولوستوى الروسيين •

والمؤلف كما يعرفه قراء كتبه يحاول ان ينفذ الى صميم حياة المترجم واهم ملكاته ، وذلك من خلال اعماله واقواله ويحاول الكشف عن الجوانب الطريفة في كل شخصية وهذه طريقته ايضا في هذا الكتاب • ■■

النقرس

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

■ عندما يوقظ الانسان ليلا ألم حاد في ابهام القدم يعقبه تورم هذا الاصبع ولمعان جلده مع ارتفاع درجة الحرارة والرعشة ، فهذا دليل على اصابة حادة بمرض النقرس الذي يعرف ايضا باسم « داء الملوك » .

وينتشر هذا المرض في الشرق العربي ، إذ شوهدت حالات متعددة من النقرس الحاد والمزمن، ولكن تعوزنا الاحصاءات الدقيقة لتحديد مدى هذا الانتشار .

وينشا هذا المرض عن اضطراب هضم وتمثيل الاغذية البيورينية ، فتزداد نسبة حامض اليوريك في الدم ، وتترسب املاحه في جهات متعددة بالجسم ، وبخاصة حول المفاصل وغضاريف الاذن.

وتلعب الوراثة دورا في تهيئة اسباب هذا المرض الذي يختص الرجال بنسبة عالية من اصاباته .

والاغذية البيورينية والخمور من أقوى عوامل احداث هذا المرض .

وقد تحدث نوبة النقرس الحادة عند المهيئين عقب اصابة طفيفة ، وقد يكون ضغط الحذاء على ابهام القدم هو العامل المباشر لاختيار النقرس لهذا الجزء بالذات لبدء نوبته .

ومصادر حامض اليوريك اما خارجية من الغذاء او داخلية تتخلف عن عمليات البناء والهدم في الجسم ، ونسبة حامض اليوريك العادية في الدم هي ١ ــ ٣ مليجرام في المائة ، وعندمايرتفع هذا الرقم الى ٤ ــ ٦ مليجرام فيالمائة يكون هذا نذيرا بقرب حدوث النوبة .

وهناك حالات ترتفع فيها نسبة حامض اليوريك غير مرض النقرس مثل سرطان الدم «اللوكيميا» والتهابات الكلى الشديدة ، وعليه فان ارتفاع نسبة حامض اليوريك في الدم ، ولو انه دليل قوي على مرض النقرس ، الا انه ليس حتميا . ومن جهة اخرى لا توجد حالة نقرس غير مصحوبة بارتفاع نسبة حامض اليوريك .

ويلعب الغذاء دورا رئيسيا في علاج مرض النقرس رغما عن وجود عقاقير فعالة .

وفي النوبة الحادة لا بد منتعاطي بذور اللحلاح او مادته الفعالة المعروفة بالكولشيسين ، ويؤخذ الى أن تزول كافة الآلام وهو عقار خطر بسبب اعراضا سامة ، ويجب أن يوقف عند حدوث اسهال شديد .

ونبات اللحلاح اسمه العلمي كولشيكم اوتامنال Colchicum Autumnale وهو مشتق من مقاطعة كوليش Colchis اما اوتامنال فمعناها الخريفي لانه يزهر في الخريف وموطنه على شواطيء البحر الاسود . ومن أسمائه الاخرى سورنجان وسوسن ارجواني وزعفران الخريف وحافر المهر .. وقد عرف حكماء الاغريق اللحلاح واستخدمه اطباء العرب القدامى في علاج النقرس .

ولا تزال بذور اللحلاح افضل عقار يجدي اثناء النوبة الحادة .. وكل ما قدمه العلم عبر القرون في هذا الصدد هو فصل العنصر الفعال من بذور اللحلاح واعطائه اسم كولشيسينColchicine ويوجد الكولشيسين في بذور اللحلاح بنسبة ٢ر٠ الى٥ر٠ مليجرام في المائة .

وبذور اللحلاح صغيرة الحجم ، شبه كروية او

بيضاوية والسطح مجعد لوجود حفر دقيقة تظهر٠٠ بوضوح باستعمال عدسة مكبرة ولونها بني،ويبلغ طول البذرة حوالى ربع سنتيمتر وعرضها حوالى مليمترين ٠

ولقد جربت زراعة اللحلاح فيمصر فنما النبات نموا حسنا ، وهو عبارة عن عشبصغير يحملاوراقا قليلة لا تتجاوز أربعة ، والورق رمحى الشكل لونه اخضر وطوله من ١٥ ـ ٣٠ سنتيمترا وعرضه ٣ سنتيمترات ، ويذبل الورق سريعا في شهر يونيو، اما الزهر فيظهر في الخريف ولونه ارجواني لامع ولهذا عرف باسم السوسن الارجواني ٠٠

والعجيب في الامر ان بذور اللحلاح والمادة الفعالة كولشيسين تزيل آلام نوبات النقرس سريعا دون أن تؤثر على نسبةحامضالبوريك ٠ ولا تزال الكيفية التي يتم بها هذا المفعول السحرى سرا مخبوءا في ضمير الغيب حتى اليوم ٠٠

وبين النوبات يمكن استعمال عقار الاتوفان، الا ان ذلك له أضراره ٠ ونفضل عليه عقار البينيميد ٠٠ اذ له قدرة فائقة على اذابة زوائد حامض اليوريك ، واخراجها في البول عن طريق الكلى ، وكذلك بعض ادوية الرومانزم ٠

اما دواء زيلوريك Xyloric فيمنع تكون حامض اليوريك بتثبيط انزيم معين ٠

وعلى مرضى النقرس مراعاة القواعد الاتية في غذائهم :

١ ـ الوحدات الحرارية

تحسب الوحدات الحرارية بحيث تكون أقل من الاحتياجات الفعلية وتستهدف انقاص الوزن ، اذ يندر ان يصيب النقرس نحيفا ، فهو يفضل دائما ذوى البدانة ، هذا بالاضافة الى ان كثرة الغذاء ـ بغض النظر عن نوعه ـ تزيد في نسبة حامض اليوريك ٠

٢ ـ المواد البيورينية Purines.

يجب ان يخلو الغذاء من المواد البيورينية على قدر الامكان ، والاغذية البيورينية تكون فى الجسم حامض اليوريك واهمها اللحوم والسمك ٠وبخاصة لحم الاعضاء الخلوية مثل الكبد والكلاوى والمخ والبنكرياس المعروف بالخلويات ٠

٣ ـ المواد الزلالية

كمية المواد الزلالية يجب الا تزيد عن حاجة الجسم ،والاغذية التي يمكن لمرضىالنقرس تناولها هى اللبن والبيض والجبن ٠

٤ ـ المواد النشوية

يسمح بزيادة المواد النشوية كنتيجة للتحديد السابق ٠

٥ ـ المواد الدهنية

تحدد المواد الدهنية بحيث تسد حاجة الجسم ، والاغذيةالمستعملة هى الزبدةوالكريمة ، معملاحظة ان الاغذية الغنيةبالدهنقد تتسبب فى احداثنوبة النقرس ٠

٦ ـ القهوة والشاى والكاكاو والخمور

هذه المشروبات يتحتم الامتناع التام عن تعاطيها ٠٠وتشمل الخمور جميع الانواع بما فيها البيرة ٠ والاغذيةالتي يسمح لمرضى النقرس بتناولها لانها تحتوى على نسبة ضئيلة من البيورين هى :

الخبز « الفينو » والبقسماط والارز والمكرونة والجبن والزبدة والبيض واللبن وانواع النقل المختلفة والحلوى والكرنبوالجزر والخيار والفلفل الاخضر وشوربة الخضار « الخالية تماما من اللحوم » ٠

ويمكن لمرضى النقرس تناول الاغذية التالية ثلاث مرات اسبوعيا على الاكثر ٠٠ اذ تحتوى على ٧٥ مليجرام بيورين فى كل مائة جرام :

القرنبيط ولحم الطيور والفاصوليا ولحمالضان والبصل والبازيلاء والسالمون والسبانخ واللحوم البيضاء والخبز العادى ٠

والاغذية التالية تحتوى على ٧٥ ـ ١٥٠مليجرام بيورين فى كل مائة جرام وعليه لا يسمح لمرضى النقرس بتناولها سوى مرتين اسبوعيا علىالاكثر:

البط والاوز وشوربة الفراخ والسمك والعدس والكبد والسجقوالحمام والارانب والجنبرىوالديك الرومى ٠

أما الاغذية التالية فتحتوىعلىكمية منالبيورين تتراوح بين ١٥٠ ـ ١٠٠٠ مليجرام فى كل مائة جرام ، وعليه يجب على مرضى النقرس الامتناع التام عن تناولها :

البنكرياس « الخلويات » ٨٢٥ مليجرام فى المائة ، والسردين ٢٩٥ مليجرام فى المائة والكبد ٢٣٣ مليجرام فى المائة ، والكلاوى ٢٠٠ مليجرام فى المائة والمخ ١٥٩ مليجرام فى المائة ٠

كما يجب الامتناع التام كذلك عن التوابل والقرفة والقرنفل والفجل والثوم وجوزة الطيب والمستردة والبقدونس ٠ ■■

ابراهيم فهيم

طبيب الاسرة



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الشعر الدهنى

● **بشرتي وشعري كلاهما دهني ، واخبرني الطبيب ان ذلك بسبب زيادة نشاط الغدد الدهنية ، فما هي هذه الغدد وما تأثيرها ؟**

(....)

ـ الغدد الدهنية وتسمى Sebaceous glands موجودة في الجلد وهناك عادة غدتان او ثلاث وقد تصل الى ٦ غدد تمد كل جراب شعرة الا ان بعض هذه الغدد يفتح على سطح الجلد مباشرة بدون الاتصال بالشعر ٠ وعادة الرأس الصلعاء تكون غددها كبيرة اى انه لا علاقة بين حجم الشعرة وحجم الغدة التي تغذيها ٠

وخلايا الغدد الدهنية تفرز مادة دهنيةذات تركيبخاص تسمى Sebum وهي تشبه الزبدة الا انه مع حرارة الجسم تذوب هذه المادة فتصبح كالزيت لتقوم بوظيفتها ٠ وتتكون هذه المادة من أحماض دهنية ، كولسترول ، شمع ، هيدروكربون وفيتامين E ٠

وافراز هذه المادة يعطي البشرة لمعانها، والشعر لمعانه ويحميه من الجفافالشديد والرطوبة الشديدة ٠ ويتأثر الافراز بالغذاء فيزداد مع الاكثار من النشويات وبنسبة أقل مع الدهنيات ، كما أنه يتأثر بالهرمونات فالتستسترون والبروجسترون يزيد من نشاطها ويكثر افرازها ، والاستروجين يضعفها ٠

ويبلغ افراز الغدة الدهنية يوميامابين ١ ـ ٢ جم وهي اقل في الجو البارد مما هي في الحار ، كما انه يقل فيالاطفال والنساء المسنات لا في الرجال المسنين ٠

حامض اليوريك مدى خطورته ؟

● **اشكو من ارتفاع نسبة حامض اليوريك Uric acid في الدم ٠٠ وهل من مضاعفات لها ؟**

ـ النسبة الطبيعية لحامض اليوريك هي عند الرجال من ٥ر٥ ـ ٥ر٦ ملجم في كل مائة سنتمتر مكعب من الدم ، وعند السيدات من ٥ر٤ ـ ٥ر٥ ملجم ، وتختلف هذه النسبة في حدود ١ ـ ٢٪ عند زيادة أكل اللحوم والبروتينات ، وعند الانفعال ، وربما ازدادت الى نسبة اعلى في الجسم لاسباب عديدة منهـا واهمها السبب الوراثى ، وربما في باديء الامر لا يحدث أى تغير فيالجسم أو اى مضاعفاتمنها ولكنهفي بعض الاحوال يبدأ ترسب هذه المادة في العضلات والمفاصلفتسبب مايسمى بمرضالنقرس، وكذلك تترسب في الكلى والمجارى البولية مسببة الحصى البولى ، وما يترتب

عليه من مضاعفات مثل المغص الكلوى ، أو التهاب الكلى المزمن مع ارتفاع فى ضغط الدم وفى بعض الحالات تترسب تحت الجلد وتتحول الى مادة طباشيرية وتظهر فى غضاريف الاذن وحول المفاصل .

لذا كان من الواجب عرض الحالة على الطبيب لوصف الدواء اللازم ليحول دون هذا الترسب وذلك باعطاء دواء يساعد على خروجها بالبول ، او الاقلال من تكونها فى الدم مع اتباع الحمية الخاصة وهى عدم تناول الاطعمة التى تحتوى على هذه المادة بكثرة مثل اللحوم على اختلاف انواعها واهمها المخ ، والاسماك ، واصداف البحر .

على انه فى بعض الامراض ترتفع نسبة حامض اليوريك نتيجة لتكسر الخلايا فى الجسم او لعدم كفاءة الكلى فى اخراج الحامض من الجسم كما هو الحال فى التهاب الكلى المزمن ، او الامراض السرطانية فى الدم وفى اجهزة الجسم الاخرى ، وفى مثل هذه الحالات تكون اعراض المرض الاصلى واضحة ، وارتفاع نسبة الحامض ما هو الا ارتفاع ثانوى لذلك ، وعلى اية حال يعطى الدواء الذى يقلل من نسبة الحامض خوف حدوث الترسبات التى من الممكن حدوثها .

يشكو من القرحة

● اجريت لى عملية جراحية فى معدتى فى الصيف الماضى ولا زلت اشعر بضيق فى التنفس واوجاع حادة احيانا فى ظهرى ، ارجو ان تفيدونى عن الاسباب وعما يجب ان امتنع عنه حتى تعود صحتى الى حالتها الطبيعية بعد اجراء العملية .

س . عبد القادر / الرباط

ـ ننصح الاخ عبدالقادر باجراء فحص بالاشعة الملونة لمتابعة الحالة اذ انه من المعروف انه احيانا تعود القرحة الى الظهور بعد اجراء العملية وتعطى هذه الاعراض التى يشتكى منها ، واذا أظهرت الاشعة وجود هذه القرحة الجديدة فعليه مراجعة الجراح الذى اجرى له العملية مرة اخرى للاستشارة فيما يمكن عمله ، اما اذا لم تظهر الاشعة وجود شىء غير طبيعى ولا تحليل البراز المتكرر لوجود الدم المختفى فعليه اتباع الحمية اللازمة ونظام الطعام الخاص لدى مرضى القرحة والتى يجب تنظيمها من قبل اطباء المغرب، حيث ان انواع الاطعمة واختلاف مكوناتها تختلف من بلد الى بلد مع اخذ العقاقير المضادة للحموضة .

البواسير ما علاجها ؟

● اصبت بامساك وشعرت بالام اثناء التبرز مع ظهور بقع من الدم، ولدى اجراء التحاليل والتصوير المظلل للقولون تبين وجود بواسير داخلية والتهابات فى المستقيم والقولون فماهو العلاج ؟ (ع . ح)

ـ تعالج البواسير بانواع معينة من المراهم والتحاميل الشرجية ، مع تجنب الامساك ، واذا لم تستجب أو اذا تكرر منها النزيف الدموى لذلك يستحسن التدخل الجراحى وازالتها .

اما بالنسبة لالتهاب القولون فيستحسن اجراء منظار خاص لرؤية الغشاء المخاطى الداخلى الذى يبطن القولون لان وصف الحالة ونتيجة الاشعة المظللة تشير الى احتمال وجود التهابات وتقرحات بالقولون والتى تحتاج الى علاج خاص ونظام غذائى خاص يصفه الطبيب المختص بعد تحديد نوع الالتهاب الموجود وذلك بعد فحص المنظار المشار اليه ولا يمكن وصف ذلك بدون الفحص الشامل .

جيل الخطابات الغرامية

بقلم : جون واين

■ كان يوما من أيام ابريل المنعشة، وقد قاربت الساعة الثامنة والربع حين بدأت دورتي لجمع الخطابات • انني أقترب من سن المعاش ، ولكني أقوم بجولتي بين صناديق البريد بسرعة أى شاب، وربما أسرع من أغلبهم •والسر في ذلك اني أبدأ عملي مبكرا وافرغ أكبر عدد من صناديق البريد قبل الساعة التاسعة لان الشوارع تزدحم بعد ذلك الميعاد وتصبح حركة المرور بطيئة ويحتاج المرء الى ضعف الوقت لقضاء عمله •

أخذت هذا اليوم عربة نقل صغيرة بدت وكأنها ستجعل مهمتي أسهل • وبدأت جولتي في حي هادىء وجميل وقد اصطفت الاشجار على جانبي الطريق وامتلأت بالزهور المتفتحة • وشعرت أني في رحلة في الريف وتركت لمشاعري المتفائلة العنان • لقد مضى على ٤٠ عاما وانا أعمل في مكتب البريد ، ومع ذلك ما زلت عاجزا عن ادراك حقيقة أن المشكلات تسقط على الانسان عندما يتخلى عن حذره • لقد وصلت الى ثالث صندوق بريد ، ومنذ بدأت اقترب بعربتي منه رأيت فتاة تقف على الرصيف على مسافة ياردتين من الصندوق ،غير أن آلة الانذار المبكر في داخلي كانت في سبات عميق • لقد ظننت أول الامر أن الفتاة في انتظار صديقة لها تسكن في أحد منازل الحي أو أخ صغير ستوصله الى المدرسة ، ولكن ثبت أن هذه الفكرة أبعد ما تكون عن الحقيقة •

تركت عربتي واتجهت مباشرة نحو الصندوق ومعي رزمة مفاتيحي وحقيبتي ، ولاحظت أن الفتاة تراقبني ، وحاولت تجاهلها غير أني شعرت أن عينيها تحدقان في ظهري وتكادان تحفران لتبين في رقبتي • وفتحت الصندوق ولم أجد عددا كبيرا من الخطابات حيث أن أمس كان يوم الاحد ، وعندما كنت على وشك وضعهم في الحقيبة تقدمت الفتاة خطوة مني• ورأيتها من طرف عيني فشددت قامتي وتساءلت لبرهة هل تنوى مهاجمتي بهراوة أو أى آلة أخرى ؟ ولكني لاحظت أنها في حالة يأس تقف بمفردها ، فتاة جميلة في حوالى العشرين ، أنيقة ، تبدو من طبقة ثرية ولكنها في منتهى التعاسة وقد بدا لي أنها قلقة لسبب ما • غير أن ذلك ليس من شأني • والتفت لأعود الى عربتي ولكني سمعتها توجه الحديث لي، ولم أفهم كلمة مما تقوله ، فقد كانت مرتبكة للغاية وهي تتمتم ببعض كلمات متقطعة •

ــ « هل هناك شيء يا آنسة » قلت ذلك وأنا أهم بركوب عربتي ، فمهما كان الامر لن أتركها تعطلني عن عملي •



ـ نعم ••• لقد حدث خطأ جسيم ويمكنك اصلاحه في دقيقة ، ولو فعلت سيكون منتهى الشهامة منك •

ولم ارتح الى لهجتها ، وهي في انتظار ردي عليها • وقلت لنفسي ساعطيها ٦٠ ثانية فقط ، يبدو أنها تواجه مشكلة ، ولدى فتيات في مثل عمرها •

ـ ماذا أستطيع ان افعله لك ؟ على أن لا يتعدى ذلك دقيقة واحدة لان عملي يتوقف على مدى ما يمكن انجازه قبل التاسعة •••

ـ (مقاطعة) انك تستطيع، انك تستطيع بسهولة ان تفعل ذلك توا • ان الامر في ايجاز اني ارسلت خطابا ما كان يجب ان ارسله ابدا ،واريد استرداده لانه اذا وصل الى وجهته سيسبب لي ضررا جسيما لا يمكن اصلاحه •انك سترده لي ، هه ؟ ارجوك ان تفعل ••• الن تفعل ذلك من اجلي ؟

انه شيء طريف حقا ••• فبينما كنت استمع اليها شعرت بشيء في داخلي يهمس ، لقد جاءت اللحظة التي ظللت تتوقعها اخيرا » ، لقد ظللت طوال أعوام عملي أتساءل لو جاءني شخص أثناء جمع الخطابات وطلب مني استرداد خطابه ، فماذا افعل ؟

واخيرا حدث ما توقعته • لقد كنت قد قررت الا افعل ذلك أبدا •

قلت : « اسف يا انستي ، ان لوائح العمل تقضي انه بمجرد وضع الخطابات في الصندوق تصبح في مسئولية مكتب البريد حتى تصل سليمة الى وجهتها » •

واخذت الفتاة نفسا عميقا ، وكان من الواضح انها تستعد لبذل اقصى مجهود لتحقيق غرضها •

ـ اسمعني •••

ـ اسمعيني انت ، لقد ظللت اعمل في

مكتب البريد ٤٠ عاما ، وخلال هذه الاعوام كانت حياتي أن أقوم بعملي على أكمل وجه ، وأتقاضى مرتبي ، ثم معاشي في نهاية الخدمة ، وأذهب الى النادي لالتقي بأصدقائي. انه شيء أشبه بالزواج، يستمر ٤٠ عاما ولا يشعر المرء بمجرد الرغبة في التغيير .

ـ « أن يكون المرء متزوجا » (قالتها وكأني أمسكتها من مكان يؤلمها). «انى لا علم لى بذلك، فلم أتزوج بعد ، ومع كل لو تمسكت بلوائحك ورفضت ان ترد لى خطابي ، أن تفعل ذلك مرة واحدة خلال ٤٠ عاما ، فانى لن أتزوج أبدا » .

لم أتمالك نفسي وضحكت ، ثم قلت « هونى عليك يا ابنتى ، ان فتاة في مثل سنك وجمالك تظل بلا زواج ... انها نكتة » .

ـ « انك بارع جدا » . (قالتها وهي غاضبة وتعسة في نفس الوقت) . انك تعرف الكثير ... أليس كذلك ؟ اذا تحطمت سعادتي فالزمن كفيل بشفاء الجروح . ومع مرور الوقت سأتزوج شخصا لمجرد الزواج وبناء عائلة، ولكنى لن أكون سعيدة .

ـ لقد فعلنا كلنا ذلك . فليس من المعقول أن يكون في العالم رجل واحد فقط صالح .

ـ الا تؤمن بالحب ؟

ـ نعم ، أؤمن به . فقد تزوجت بمجرد التحاقي بالعمل في مكتب البريد ، وانى أعتقد أنى لو لم أتزوج من زوجتي لما كنت شعرت بكل هذه السعادة . لقد كنت موفقا في اختيارى . وكان ذلك في الايام الخوالي عندما كان الزواج يدوم . لقد اختلف كل شيء بالنسبة لكم يا شباب اليوم .

ـ أتعتقد ذلك ؟ هل اختلف الامر حقيقة ؟

ـ بالطبع ، لقد خلا حب هذه الايام من اى رومانسية ، انظرى اليه اليوم ، جنس جنس جنس من الصباح الى المساء بدون اى ذرة من المشاعر.

ـ وما الخطأ في ذلك ؟ (قالتها بعناد) .

ـ لا شيء ، ولكن على أيامنا لم نحاول اشعال النار لاضرامها فقط .

واستدرت مبتعدا وتركتها تفكر فيما قلته ، وبمجرد أن فتحت باب العربة تشبثت فجأة بمعصمى .

ـ أرجوك ... أرجوك ، انه يبدو من وجهك انك رجل طيب ، وانى على يقين انك ستساعدنى لو عرفت ما حدث .

قلت وانا احاول ان اخلص معصمى من يدها : ليس لدى الوقت الكافي لاعرف . أعتقد انك قلت انك محتاجة الى ٦٠ ثانية فقط .

ـ لقد كتبت خطابا للرجل الذى احبه ، خطاب فظيع جارح مليء بالاكاذيب ، أكاذيب مريعة ليس فيها ذرة من الحقيقة ، قلت أشياء اخترعتها لاؤلمه واجعله يتعذب .

ـ والآن انت نادمة على ما فعلته به ، هه ؟ اكتبى له خطابا آخر قولى له فيه أن كل ما ذكرته كان محض أكاذيب .

ـ انت لا تفهم ، الامر انى لست آسفة من أجله ، ولكنني أريده ، وهو لن يعود الى أبدا لو قرأ هذا الخطاب ... انه لن يغفر لى أبدا ما قلته .

ـ انه سيفعل لو كان يحبك .

ـ « اذن لا أمل » . قالتها وكأنها تئن . انك تتحدث وكأن الحب بهذه البساطة .

قلت : نعم انه بهذه البساطة ، فاذا كان هناك شخصان متحابان ، يراعى كل منهما شعور الآخر ويساعد كل منهما الآخر ، سيجعلان كل ما في الحياة سهلا . انى أعلم أن هناك شجارا يحدث بين المحبين ، ولكن سرعانما يتصالحون .ان ذلك جزء من متعة الحب . وسوف تكتشفين ذلك بنفسك عندما تصادفين حبا حقيقيا .

ـ حبا حقيقيا ؟ لقد ظللت اقول لك أن ذلك هو حبي الحقيقي ، فلماذا لا تصدقني وتعطيني الرسالة .

ـ لقد قلت لك اني قضيت ٤٠ عاما اعمل في مكتب البريد ، وتطلبين مني الآن الاخلال باللوائح ؟

ـ حسنا ، استمر في المحافظة على اللوائح ، ولكن تذكر انك في وقت ما ، في منتصف الليل ، سوف تفكر في ذلك الموضوع وتدرك انك ضحيت بسعادة انسان مدى الحياة لمجرد الا تخل باللوائح ولو مرة واحدة في حياتك .

ـ لقد قلت لك انك ساذجة ، وسوف أبرهن

لك على ذلك ، أولا انك لا تحبين هذا الشخص•

– (صارخة) لا احبه ؟ كيف تجرؤ ان تقول ذلك ؟

– الا يبدو ذلك مما يحدث ؟ لقد اغضبك فاذا بك تكتبين له خطابا قذرا مليئا بالشتائم ، وتقصى احداثا من صنع خيالك لدرجة انك لا تجرئين على الاقتراب منه بمجرد ان يقرأ هذا الخطاب •

– ان ذلك لا يثبت انى لا احبه ، كل ما فى الامر انى كنت يائسة • دعنى اقص عليك ما حدث •

– وهو كذلك ولكن اسرعى ولا تمنى نفسك بانك ستستردين الخطاب بمجرد ان تنتهى من قصتك • انى اعنى ما اقول • واللوائح تعنى الكثير بعد ٤٠ عاما من العمل •

قالتالفتاة : لقد اعتدت قضاء ليلة السبتمع جوزيلين • وقد اتصل بى السبت الماضى ، أول أمس ، واعتذر بانه لن يستطيع مقابلتى لانه مضطر الى مصاحبة عمته التى وصلت توا من الريف • وعندما عرض على اخى وزوجته الخروج معهما وافقت واقترحت عليهما الذهاب الى مطعم صغير كنا نتردد عليه سويا انا وجوزيلين ،وذهبنا الى ذلك المطعم وكان اول شخص لمحته هو جوزيلين •

سالت : هو مع عمته التى جاءت من القرية ؟

قالت : نعم مع عمته القادمة من القرية، فى حوالى العشرين من عمرها شعرها احمر وترتدى ثوبا يظهر نصف صدرها ، وكان جوزيلين يميل نحوها بطريقته الخاصة التى تظهر مدى اهتمامه بالفتاة •

– اى مفاجأة له !

– لم يكن مفاجات لانه لم يرنى لقد شعرت ساعتها انى لن استطيع مواجهة الموقف ولا ان اصفى معه الحساب فى ذلك المكان ولم يكن فى مقدورى ان اجلس لتناول عشائى مع شقيقى وزوجته وانا أراقب ما يحدث بينهما فذلك فوق احتمالى •

– اذا انسحبت سريعا وعدت الى المنزل لتكتبى له هذه الرسالة البذيئة ؟ (ونظرت الى ساعتى فاذا بالوقت يقرب من التاسعة وانا لم اجمع شيئا يذكر من الخطابات) •

ثم قالت: لم استطع ان اعود الىالمنزل مباشرة، مراعاة لشقيقى وزوجته • فكثيرا ما قال لى اخى انى غير قادرة على رعاية مصلحتى ولم اكن استطيع ان اقص عليه ما حدث• لقد القيت نظرة سريعة حولى وقلت لهما آسفة انه ليس المكان الذى اقصده ،فقالوا انه يبدو مكانا ظريفا ومن الافضل ان نجربه فقلتانى حريصةعلى ان اريهم مكانا خاصا • فخرجنا الى الطريق وليس فى ذهنى اى فكرة عن مكان آخر •وظللنا نلف وندور لفترة طويلة حتى كاد اخى ان يفقد صوابه فاخذتهم الى اول مطعم قابلنا وادعيت انه المكان الذى اقصده ولسوء الحظ كان مكانا مريعا لدرجة انى لم استطع ان انطق بكلمة ، بعد ان اوقعتهم فى هذا المقلب • لقد كانت ليلة مريعة •

قلت وانا اتجه الى العربة : وبعد ذلك كتبت له الخطاب •

قالت : بعد عودتى الى المنزل قضيتليلة فظيعة لم يغمض لى جفن لانى كلما اغلقت عينى كنت ارى جوزيلين وهو يميل نحو الفتاة •

قلت : حسنا دعيه يميل، اذا كان من النوعالذى يجرى وراء كل فتاة يراها فلن يهيىء لك السعادة باى حال من الاحوال •

قالت : ولكنه جعلنىسعيدة •انه الرجلالمثالى بالنسبة لى فعندما اكون معه اشعر بسعادة لا حد لها لكونى امراة •

– حتى لو لم تثقى به ؟

– عادة الخيانات لا تعنى شيئا • انه الاتصال العميق بين رجل وامراة الذى يعنى كل شىء •

– حسنا ان كان جوزيلين هذا فى حالة اتصال عميق معك فلن يتخلى عنك بسبب خطاب • انه سيدرك مباشرة انك كتبته وانت فى حالة غضب• او يأس أو لأى سبب آخر •

احدقت فى وجهى ثم قالت : انك مخطىء هناك نوع من الاهانات لا يغفرها رجل •لقد كتبت هذا الخطاب بعد ظهر يوم الاحد بعد ان قضيت الصباح فى بكاء متواصل وكلما حاولت الكتابة كنت اجهش بالبكاء، لدرجة انى كنت لا ارى الورق امامى • وعندما توقفت عن البكاء شعرت برغبة

في اقتراف جريمة فكتبت اشياء لا تغتفر أبدا ، لقد سخرت منه وقلت له انه لم يكن الرجل المناسب لي وانه كان لدى عشاق آخرون في الوقت الذى اراه فيه • لا شك انى كنت قد فقدت صوابي حتى انى كتبت تفاصيل لن يصدق انها مختلقة •

ـ لقد قلت انك تحبينه ؟

ـ انى أحبه واحتاج اليه كل الاحتياج •

ـ كلام فارغ لقد بدات قصتك ترهقني • اذا كان هذا حبا فهو مثل مباراة ملاكمة • انه مجرد غرور وجنس وليس فيه شيء من الحب •

ـ قد يكون تعريف معقول ـ أعني ان احتياج الشخص لشخص آخر فيه جزء من الغرور أليس كذلك ؟ وكل شيء مرتبط بايمان الشخص بنفسه•

ـ انك تبالغين في توضيح الفروق الطفيفة • اذا احببت شخصا فسوف تراعينه أليس كذلك، وتريدين له السعادة •

ـ انها فكرة تقليدية عن الحب ، انى أعني انه ليس مـا حدث بين اشخاص حقيقيين ارتبطوا ببعض ـ من الجائز انك عشت حياتك وفقا لهذه الافكار وفي هذه الحالة تكون حياتك سعيدة جدا • فلم تضطرك الظروف ان تواجه الحقيقة ••••

ـ الحقيقة ، هل طفلة مثلك تعلمني الحقيقة؟

ـ انى متاكدة ان حياتك كانت مليئة بالحقائق وانى أعلم انك تحملت الكثير من المسئوليات •ولكن ما أقصده ان علاقاتك الشخصية لم تكن حقيقة ولو كانت حقيقية لما تكلمت عن الحب بتلك الطريقة التقليدية •

(وفجاة ادركت كل شيء ،انها لا تعبر عن افكارها الشخصية ولكنها تردد فقط كالببغاء ما سمعته من هذا الجوزيلين •

« اتصال وثيق بين رجل وامراة » • لقد فهمت وجهة نظره وخاصة اذا كان قد استطاع ان يدربها حتى انها لا تعبا بعلاقاته مع فتيات اخريات) •

قلت : اسمعي يا انسة خذي نصيحة رجل عجوز واتركي الرسالة مكانها ،فاذا وضعت نهاية للعلاقة التي بينك وبين هـذا الجوزيلين ، صدقيني ستعيشين طوال حياتك تشكرين ربك •

عندئذ حملقت في وكانها ضبطتني افعل شيئا فظيعا حتى انها لا تكاد تصدق عينيها •

قالت : انه شيء لا يصدق، اذا قال لي أحد أن الناس العاديين يتسمون بمثل هذا الغباء والوحشية ••• نعم الوحشية لما كنت صدقتهم •

(وبدات تبكي في صمت وقد انسابت الدموع على وجنتيها) •

ـ من منا المتوحش انا او جوزيلين ؟

ـ انت بالطبع • فسوف تتسبب في تعاستي الى الابد لمجرد انك لا تريد الاعتراف أن آراءك عن الحب خاطئة وعتيقة •

قلت : بينما جوزيلين هو الرقة كلها والطيبة كلها والطيبة مجسمة هه ؟

قالت : طبعا لا فانه أحيانا ما يكون قاسيا واستفزازيا وأحيانا ايضا يكون متوحشا وذلك جزء من صفاته التي تجعل منه رجلا حقيقيا ، انه نوع من الرجال يجعل الفتاة تشعر انه شيء رائع أن تكون أنثى • أنه جانب من شخصية جوزيلين ان كان لي أن احكم عليه •اما عن رجل هو الرقة والطيبة مجسمة فانه لا يستطيع أن يجعل فتاة تشعر انها انثى حققت ذاتها •

(لقد نطقت كلمة رقـة وطيبة وكانها أشياء تشمئز منها) انه فيه سمة من ـ من ـ من ••

ـ من سمات الغاب (قلت ذلك محاولا مساعدتها على النطق) •

ـ نعم اذا وافقت على هذا التعبير •

ـ حسنا انى لا أحب ذلك • انى اعتقد انك فتاة لطيفة ولكنك في منتهى الغباء ،لقد مكنت هذا الجوزيلين من أن يملا رأسـك بافكار سخيفة ، واخذت كلامه أمرا مسلما به اما عن انه يجرى وراء كل شابة يقابلها ويقول لك محض أكاذيب وانه اوقعك في حباله وضللك •كل ذلك لا يهم ما دام سيجعلك سعيدة وفي حالة استرخاء • انه طرزان هه ؟

ثم قلت : لقد وقفت اسـتمع الى قصتك وتاخرت عن ميعادى مما سيجعل جمع الخطابات عملية شاقة تاخذ مني بقية اليوم، والان سأقول لك ما يجب ان تفعليه •انك فتاة لطيفة اخرجي جوزيلين من حياتك مثل أي شيء فاسد يشبهه وابحثي عن شاب يقول لك انك لكونك امراة فانت تستحقين كل حب ورعاية •ان مثل ذلك الشخص سيحبك الى

الحد الذي يستطيع مواجهتك بالحقيقة ويكون صريحا وواضحا معك • حتى لو لم يكن حيوانا خرج من حديقة الحيوانات • تعاملي مع آدمي عادي ،فسوف تجدين الامر أقل صعوبة في المدى الطويل •

(وبدلا من أن ترد على تسمرت مكانها تبكي)• وقلت لنفسي لأتركها تتصرف بنفسها لقد اعطيتها النصيحة الصحيحة وهذا يكفي ، وركبت العربة واستعددت لقيادتها ولسبب ما لم استطع ، لقد وجدت نفسي عاجزا عن الانطلاق بالسيارة ونظرت من النافذة وكانت الفتاة ما زالت واقفة تبكي • والان من حق اى شخص أن يدعوني عجوزا عاطفيا احمق •

لقد تركت السيارة وذهبت حيث تقف الفتاة تبكي بحرقة •

قلت : اسمعي ياآنسه ان ما حدث هو افضل شيء فلم يكن يصلح لك •

قالت وهي تجهش بالبكاء : لماذا ؟ انك متأكد انك تعرف كل شيء وانك على صواب واني على خطأ •

قلت : حسنا ان الامر بسيط ، لقد تزوجت وكان زواجي سعيدا طوال ٤٠ عاما ، فمن الطبيعي أن اعرف الكثير عن الزواج وأعرف كذلك ما يجب أن تفعليه •

قالت : وهي تحاول انتزاع الكلام لتقنعني : ولكن الحب يتغير • انني متأكدة انك كنت سعيدا ولكنك مخطيء لو فكرت ان طريقتك في السعادة سوف تنجح مع شباب اليوم انك تنتمي لجيل متخلف •

قلت : وذلك يجعلني غير آدمي ؟ اسمعي لقد كنت سعيدا مع زوجتي ميري لفترة أربعين عاما وانجبنا ثلاثة اطفال ولم يكن ذلك بلا حب » •

ـ ان نوع حبكم او نوع حب جيلكم يختلف واني اراهن انكما كنتما تتبادلان الخطابات الغرامية بدون توقيع وتملآونها شعارات عاطفية•

ـ نعم اننا كنا نفعل ذلك وليس ذلك فقط لقد اعتدنا ان نتبادل الهدايا التذكارية • اسمعي ان اول مرة خرجنا سويا نسير بين حدائق الريف اثناء فترة الخطوبة قطفت بعض الورود واهديتها لميري واخذتهم الى المنزل ووضعتهم بين طيات كتاب وما زالت تحتفظ بهم حتى الان • هل تفهمين معنى ذلك ؟ لقد أردت أن أحيطها بالحب وأرعاها لانها كانت امراة ،وهذه كانت طريقتي في اسعادها ليس بملء رأسها بافكار عن الاتصال العميق ومغازلة أول فتاة تظهر في طريقي • خطابات غرامية هه •••

سألت : وما العيب في ذلك ؟

قلت بصوت مرتفع حتى أن بعض المارة على الجانب الاخر من الطريق توقفوا • وحملقوا فى): نعم كنا نتبادل الخطابات الغرامية ، على ورق مزخرف وبعضه على هيئة قلوب • انه شيء يختلف لا تستطيعين فهمه • حاولي أن تتحدثي مع جوزيلين عن القلوب •

واثارتني الفتاة حتى كدت اجهش بالبكاء انا الذى عملت في مصلحة البريد لمدة ٤٠ عاما •

قالت: اتظنني لا أعلم ما هو الحب؟انك تكاد ان تكون متأكدا ان اى شعور اكنه لجوزيلين ليس حبا •

ـ ليس النوع الذى اسميه حبا • ولكن اعذريني فاني أجهل ما هو المفروض أن يكون حبا هذه الايام لاني انتمي الى جيل عتيق •

ـ جيل الخطابات العاطفية والحب الافلاطوني (وفجأة ابتسمت ، نعم ابتسمت) وسمعتها تقول:

الم يكن هناك نساء في جيلكم يقعن في حب رجال حتى لو لم يعاملوهن معاملة حسنة ؟ الم يتعلقن احيانا بازواج يشربون حتى يسكروا ويمضوا معظم الليالي خارج المنزل ؟

ـ نعم كان هناك هذا النوع من الرجال •

ـ وما كان رايك في هؤلاء النساء ؟ هل اعتبرتهن مجرد معتوهات لا يعلمن ماذا يفعلن ؟

ـ لقد كان الامر يختلف • فعلى المرأة ان تظل

على حبها لزوجها حتى ان اساء معاملتها . ولكنها على الاقل لن تقول انها تحبه لانه يسيء معاملتها بل انها تحبه رغم ذلك .

ـ هل انت متأكد ، هل كان الامر بذلك الوضوح ؟

اني اسأل لم كانت تحبه ؟

ـ ما هو الشيء الذي تحاولين الوصول اليه ؟

ـ اني احاول ان اجعلك تعترف ان هناك اشخاصا آخرين غيرك يعرفون ما هو الحب .

ـ انا متأكد من ذلك . ان كل ما احاول اقناعك به انك مخطئة اذا كنت تتصورين انك تحبين هذا الجوزيلين . فلا يمكن ان تحبي رجلا اوصلك الى هذه الحالة السيئة .

كفت عن البكاء وقالت : « وانت مصر انتحول بيني وبين مجرد المحاولة » .

وحتى تنتهي الموضوع قلت : اسمعي دعينا نعقد صفقة ـ اخبريني عما تعتقدين انه حب واذا وافقت على رايك سوف ارد لك خطابك .

ـ ذلك فقط ؟ ان اقول لك ما اعتقده حبا ؟

ـ نعم (وقلت ذلك لاني متأكد ان اي شيء تقولينه سيكون بايحاء من جوزيلين) .

ـ وسوف تعطيني الخطاب ؟

ـ اذا وافقت على ما تقولينه .

ـ قالت دون ان تتذكر رلر للحظة :

انه احساس بانك تريد ان تظل بجانب شخص طوال الوقت .

ـ طوال الوقت ؟ هل انت متأكدة ؟

ـ وتريد ان تصحو كل صباح مع نفس الشخص وان تفعلا كل شيء معا وان يعبر كل منكما عن افكاره للآخر .

ـ انت تعرفين ذلك اذا ؟

ـ نعم اني اعرف ذلك .

واتجهت نحو العربة واخرجت حقيبة البريد وانا اعلم انه لو رآني احد لفصلت من وظيفتي حتى لو كانوا ٤٠ عاما من العمل النزيه ولكن ليس هناك احد بالقرب منا والصفقة هي الصفقة .

قالت ساعمل باسرع ما يمكن (وامسكت بالخطابات وفردتها مثلما تفرد ورق اللعب وفي ثوان اخرجت رسالتها ووضعتها في مكان امين في حقيبتها ثم اضافت) :

ـ ليباركك الله . لقد كنت اعلم انك تريد مساعدتي .

ـ لقد اردت مساعدتك حقا ولكني ما زلت اعتقد ان مساعدتي كانت اجدى لو لم اعطك الخطاب .

قالت وهي تبتسم : لا تشغل نفسك بي .

ـ اريد منك ان تقولي لي شيئا واحدا . هل رايك في الحب هو نفس راى جوزيلين ؟

ـ لا انه مختلف تماما .

ـ ماذا سوف يحدث اذا كنتما تختلفان في رايكما عن الحب .

ـ سوف اتصرف ، فان شعوري نحوه هو كل شيء وليس شعوره نحوي ، اني اريده بجانبي . هذا كل ما في الامر .

وركبت العربة وانطلقت هذه المرة بسرعة فعلي ان اجمع عددا كبيرا من الخطابات غير ان بطء المرور قد يعطيني وقتا كافيا . وظللت افكر في الفتاة وجوزيلين كيف لاتهتم بطبيعته وتفكيره او حتى ما يفعله ما دام بجانبها . اني لا ارى السعادة في ذلك. ولكن فجاة طرات لي فكرة.سوف تحصل على ماتريد ، واعني ان اقناعها لي باسترداد خطابها ومخالفة اللوائح التي التزمت بها ٤٠ عاما لم تاخذ منها وقتا طويلا . لقدطوتني حول اصبعها وقدتستطيع ايضا ان تطوية هو ايضا. ولكن لا شك ان قلبي ارق من مثل هذا الشاب . جيل الخطابات الغرامية هه ..... اني اتساءل ماذا سيكون راى زوجتي؟ لا ادري ولكن هناك بعض الاشياء التي يجب ان يحتفظ بها الانسان لنفسه. اني استطيع ان اتكهن بما ستقوله مبرى « هل الفتاة حلوة ؟ » لاشك انها كذلك والا لما كنت قضيت كل هذا الوقت تتحدث معها مؤجلا جمع الخطابات ، وقد ينتهي الامر بفصلك بدون معاش يؤمن حياتك عندما تصبح رجلا مسنا » .

لا ان الطريقة الوحيدة هو تخيل زوجتي وهي في سن تلك الفتاة . لقد كانت امراة حقيقة .

لم يعد هناك سيدات رومانتيكيات في هذا العصر.

اني لاعجب من امر النساء فقد اصبح رجل الغابة سيد الموقف في هذه الايام ،بالعالم النساء من تناقضات ■■

ترجمة : نائلة توني

انســـان وانســـانة

■ كنا قد نشرنا في العدد (٢١٠) مقالة موضوعها «شخصية الخنساء» لا شعرها وشاعريتها

ثم جاءتنا رسالة تعقيب على هذه المقالة باسم « صالح العلي الصالح / الرياض / المملكة العربية السعودية» يصف هذه المقالة بركاكة الاسلوب ، ودليله الاوحد كما قال« حسبك ما في تانيث كلمة انسان من جهل بخصائص لغتنا العربية وجمالها» وكم فيها من قوة دفع تردع القارىء عن مطالعة مقال يعلوه هذا العنوان المغلوط (كذا) ، واننا نهيب بكم ان تعيروا تدقيق مايكتب بمجلتكم هذه الاهمية الكبرى لتسلم من الوهن وطاطاة الراس خجلا مما يكتبه ادعياء الادب والمتطفلون » .

هذه كلماته بنصها وكل هذه الغارة الخشنة على المقالة وصاحبها ، وبهذا الاسلوب « البليغ » ، من اجل ان كلمة « انسانة » وردت فى عنوان المقالة ، ولو راجع العلامة المهذب مقالتنا لوجد انها خالية من كلمة « انسانة » فهى من وضع غيرنا ، ومع ذلك نحب ان نقول له ان كلمة « انسانة » فصيحة ، وحسبه ان يرجع الى مادة « انس » فى « تاج العروس » للزبيدى تعقيبا على ما ذكره صاحب القاموس من ان « انسانة » كلمة عامية ، فقد نفى الزبيدى عاميتها ، بمناقشة مفصلة نقلها عن شيخه الذى ذكر انها صحيحة وان كانت قليلة ، واعتمد فى اثبات صحتها على عدد من شيوخ اللغة الاجلاء اثبتوها فى كتبهم ، ثم نقل عن شيخه ايضا انها وردت فى اشعار العرب قليلا ، كقول كاهل الثقفى :

انسانة الحى ام أدمانة السحر
بالنهى رقصها لحن من الوتر

والمجال لا يتسع لكل ما ذكر هناك ، وحسبنا منه فى هذا الجواب ما نقلناه هنا ، وفيه الكفاية لطلاب الحقيقه ، ولاسيما امثالنا ممن يريدون تيسير اللغة على راغبيها كتابا وشعراء ومتحدثين وقراء .

ولو ان الاخ قال باسلوب مهذب انه لايعرف وجها لصحة كلمة « انســانة » وانه يريد ان يعرف ذلك ، لكان ذلك من حقه ، ولكان عذره ان بعض اصحاب المعاجم كالفيروز ابادى وابن سيده قد ذكر انها عامية ، ولكن الاخ استل سيفه الصدىء المثلم ليوجه الى المقالة كلها وكاتبها ايضا ضرباته العشوائية .

ونحن لم نعدل عن كلمة « انسانة » فى المقالة ، لانها خطا بل لان كلمة « انسانة » توحى بمعان من الكمال لم نقصدها ، وهذا واضح من وصفنا شخصا بانه « انسان » او « انسانة » او نصفه بانه « رجل » ونحن نقصد انه تام الرجولة ، او نصف امراة بانها « امراة » او «انثى» اى تامة الانوثة .

وليسمح لنا الاخ العلامة المهذب ان نوسع على انفسنا فى الادعاء لنقول : ان المقالة دراسة مبتكرة حاولنا فيها رسم صورة نفسية لشخصية الخنساء، فاذا كان لم يفطن الى ذلك ، او حاول ان يعمل سيفه فى تمزيقها دون ان يذكر حجة واحدة غير كلمة انسانة فى عنوانها ـ فهذا شانه ، وحسابه اليه وعليه. وربما كان من الخير له ان يعود الى عباراته فيقومها لغويا ، ثم يتخذ فى المناقشات العلمية (وغير العلمية) غير هذا الاسلوب « اللطيف» ومن الخير أن يقال له : « تعلم قبل ان تتكلم ، وتفهم قبل ان تتهجم » ، والله يغفر لنا وله ، ويعين امثاله من القراء على امثالنا من المتطفلين والادعياء ، كما يعين امثالنا على امثاله ويرفق بحالنا وحاله . ■■

(م . خ . ت)

ابن زيدون

■ طوى القرونَ إلينا شَبَقاً لَهِفاً   وشقَّ من قبره الأكفانَ والسدُفَا

وعاد يسألُ عن أيام قرطبـــــــةٍ   ويذرف الدمعَ في تذكارِها أسَفَـــا

ويسأل الدهر عن قصـــــر وقنطرة   وعن رياض تشوق الصَدّحَ الهُتُفَـــا

ومسجد رفعت للنجـــم شرفتــــه   فأكسبت رافعيه المجدَ والشَّرَفَـــا

أرض الصبا والشباب الغض في كنف الـ   ـهــوى العظيم، وأطيبْ بالهوى كنفا

أوحت اليه بشعر كالطلا عجـــــب   والشعر كالخمر إسكارلمن رَشَفَـــا

هنـاً وهنّــا تذاكــير مبعثـــرة   فقف بها ، وأعن بالدمع مَنْ وقفا

أيام ساد بنــو عدْنَـــانَ ساحتَها   فصارت البيد فيها روضةٌ أُنُفَــــا

الدار كـــالدار لكن الرجال بـــدت   غيرَ الرجالِ ، فهل مجدُ الجدودِ عفَا

أبا الوليـــد، ألا أنشد. فان بِنَـــا   شوقـــاً اليك ملِحـاً أو بنا شَغَفَـــا

لاتشك دهرك : حسادا ونائبـــة   ما الدهر الابنوه: رقةٌ وجَفَـــا

ما الدهـــر الابنوه فـــى خلائقهـِم   ولا يزال كما عَايَنْتَهُ خَرِفَـــا

الدهر كالبحر يُهْوى الدّرّ منحدرا   فيه ، ويعْلى عـلى اثْناجـه الجيَفَا

الدهر ان وصلت أيامُـــه قطعـــت   وان تلطف يوما في الهـــوى سَخُفَا

أبا الوليـــد، دعونا منك ذا شَجَـــنٍ   وأنت منا دعوت الوَجْدَ واللهَفَـــا

قم فاجلُ ماضيَ قومي يوم أن حكموا الـ   دنيا وسادوا وكانوا للعلا عُرَفَـــا

طوتك ألف ولكن ماطوَت أدبـــا   جرى مع الشمس أنّى نورها زَحَفَـــا

نور من الغرب يطوى الشرق بارقـــهُ   ما حال عن ألقٍ يوما ولا اختلفـــا

من وراء السنين

قم فاجلُ ماضي قومي يوم كان لهم بَنْدٌ أرى النجم من عليائه انكسفا
ثم استبد بهم لما علوا تَرفٌ فاعجب لِقومٍ تَداعى صَرحُهم تَرَفا
ويوم أوهن خلفُ الرأى صفَّهم ولم يكونوا – وبيت الله – بالضعفا
لايضعفُ الناسَ مثلُ الخلفِ بينهم حكم التواريخ قد أودعته صُحُفا
قد سادهم بعضُ من كانوا رعيتَهم وأصبحوا لليالي بعدها هَدَفا
فأصبح البند في آفاقهم مزقاً وأصبح السيف في أجفانهم قِصفا
وما ذكرت على الأيام أندلسا الا سكبت بدمعي عارضاً وكفا
وقمت ازفر من رزء أنوءُ به كأن قلبي في أضلاعه رُعِفا
العلم من دارنا قد كان مشرعه انا جعلناه مبذُولاً لمن رَشفا
أبا الوليد،شجاني القول فانطلقت بوادرى،وكبحت القول مُعتَسِفا
يا صادحا بالهوى من غيرما ريب فجرته منهلا للواردين صَفَا
سَبتْكَ ولاَّدة في غير مأثمة فقمت تنشدها الأشعار مزدلفا
أغرى بك الحب حسادا لهم سخمٌ فزلزلوا بالقلى الأبراجَ والشعفا
فأوردوك سجونَ البغي مظلمة بها الحديد بأعلى ساعديك ضَفَا
فقلت في السجن آيات هتفت بها تدعو الحياة فأصغت للذى هتفا
يا ناظم النثر لم أبخسك موهبة فقد سلكت بما نَضَّدته الطرفا
أبا الوليد استرد العرب وَضعَهم واسترجعوا الضائعين: المجدَ والشرفا
كانو يسيرون في الدنيا بلا هدف وحققوا النصر لما جلّوا الهدَفا ■

العوضي الوكيل

طرائف عربية



امانة ثقيلة ومسئولية

● قيل أن عمر بن عبدالعزيز صعد المنبر بعد أن بويع بالخلافة فقال : « ايها الناس، اني والله لم التمس هذا الأمر في سر ولا علن ، ومن كره ذلك فقد خلعت بيعتى من عنقه ، فبايعوا من شئتم » فضج الناس ، وقالوا : « لا نبايع غيرك » ، ثم اقبلوا يبايعونه من جديد ، فاطمأنت نفسه الى هذه البيعة الشرعية، ثم خلا في مصلاه يبكي ويتململ ، والمسلمون فرحون ، فقالوا له: « يابن عبد العزيز ما يبكيك ؟ » قال : « انني حملت امانة هذه الامة فانا ابكي لمن حملت الأمانة عنهم، أبكي للفقير الجائع، وابن السبيل الضائع ، والمظلوم المقهور ، وذى العيال الكثير ،علمت انى مسؤول عنهم وعن غيرهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم ، فاشفقت على نفسي وبكيت ،لثقل هذه الامانة ٠ »

سر القوة

● سئل أحد الابطال عن سر قدرته على مواجهة الصعاب فاجاب قائلا : « هل شاهدت حجارا وهو يكسر الاحجار ؟ انه يظل يضرب الصخر بمطرقته ، ربما مائة مرة ، دون ان يبدو فيها اى أثر يبشر بكسر او فلق ٠٠ وفجأة وربما في المرة الواحدة بعد المائة ينشطر الصخر شطرين، ولكن ليس من الضرورى ان تكون الضربة الاخيرة هى التى حققت هذه النتيجة ، بل المائة التى سبقتها » ٠

كلمات ثمينة

● قال احد الصحابة : سمعت من ابن عباس كلمات هى احب الى من الدهم الموقفة (الخيل المربوطة لونها ادهم)قال: لا تتكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعا ، فرب متكلم بالحق في غير موضعه قد عيب ٠ ولا تمارين سفيها ولا حليما ، فان السفيه يؤذيك والحليم يقليك (يبغضك) ، ولا تذكرن اخاك اذا غاب عنك الا بمثل ماتحب أن يذكرك به اذا غبت عنه ، واعمل عمل رجل يعلم انه مجزى بالاحسان ، ومأخوذ بالاجرام ٠ فقال رجل كان يصغى اليه والله يا ابن عباس : « لهذه خير من عشرة آلاف » قال: « كلمة منها خير من عشرة آلاف » ٠

مكارم الاخلاق

● قال الحسن : « مكارم الاخلاق للمؤمن : قوة في لين ، وحزم في دين ، وايمان في يقين ، وحرص على العلم ، واقتصاد في النفقة ، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة ، ورحمة للمجهود ، واعطاء في حق ، وبر في استقامة »٠

فاطمـة وعلـى

● روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال:«بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت ابنته فاطمة الزهراء وهي تبكيفقال لهارسول الله : « مايبكيك يافاطمة » قالت : « يارسول اللهعيرتني نساءقريش انفا زعمن انك زوجتني رجلا معدما لا مال له » . فقال رسول الله صلىالله عليه وسلم « لا تبكي يافاطمة فوالله ما زوجتك حتى زوجك الله تعالى من على ° »

دعاه الى القضاء

● قال ابن سيرين : كنا عند ابى عبيدة بن ابى حذيفة فى قبة له ، وبين يديه كانون ، فيه نار ، فجاءه رجل عليه هيبة ،فجلس معه على فراشه ،فساره بشيء لا ندرى ما هو ، فقال له ابو عبيدة: « ضع لى اصبعك فى هذه النار » ، فقال له الرجل : « سبحان الله ، اتأمرني ان اضع لك اصبعى فى هذه النار ! » فقال له ابو عبيدة : « اتبخل على باصبع من اصابعك فى نار الدنيا، وتسألني ان اضع لك جسدى كله فى نار جهنم » ، قال ابن سيرين :فتاكدنا انه دعاه الى القضاء°

التوسط فى الاشياء

● قال صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من آخذ من هذهوهذه » ° ثم قال : « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، فان المنبت لا ارضاقطع ، ولا ظهرا ابقى » °

وقال على بن ابى طالب رضى اللهعنه : « خير هذه الامة النمط الاوسط ، يرجع اليهم الغالى ،ويلحق بهم التالى »°

وقال مطرف بن الشخير : « انظرواقوما اذا ذكروا ذكروا بالقراءة ،فلاتكونوا منهم ، وانظروا قوما اذا ذكروا ذكروابالفجور ، فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وهؤلاء ° »°

سلنى حاجتك

● حج هشام بن عبدالملك ايامخلافته فدخل الكعبة وبينما هو يطوف الكعبة وجد سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال له : « ياسالم سلنى حاجتك » فقال سالم: «انى واللهلاستحى ان اسألفى بيته غيره»، ثم خرج سالم من الكعبة،فتبعه هشام وقال له : « الان خرجت من بيت الله ، فاسألنى حاجتك » ، فقال سالم :« من حوائج الدنيا ام من حوائج الآخرة » ؟ فقال : «حوائج الدنيا »°° فقال سالم : « انى ماسألتها ممن يملكها فكيفاسألها ممن لا يملكها؟°»

عند الله ربيح

● حكى ان رجلا يدعى زاهر بن حرام كان يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم من البادية ، فيمازحه ، وكان رسول الله يقول :« انزاهرا باديتنا ونحنحاضروه»، فبينما هو فى بعض اسواق المدينة اذ اتى النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ، فاحتضنه وقال : « من يشترى منى هذا العبد »فالتفت الرجل فاذا هو برسول الله فقبل يده وقال « تجدنى كاسدا يارسول الله ؟» فقال النبى «لا والله انك عندالله ربيح » °

حوار القراء

الاجزاء السليبة من بلاد العرب

● ليس هناك من يجادل فى ان مجلة «العربى» اصبحت نقطة ضياء وخيط رجاء فى عالمنا العربى المضطرب .. ومن هذا المنطلق اقترح ان تقوم « العربى » باستطلاع الاجزاء السليبة من وطننا العربى مثل (لواء الاسكندرونة ـ انطاكية ـ عربستان .. الخ) لتوعية الجيل العربى الجديد.

عماد الدين هوارى

دمشق / سوريا

ردوا الفضل الى اهله

● فى باب « انت تسال » .. استعرضتم تاريخ كروية الارض ودورانها وجهود الامم القديمة ، ولكنكم نسيتم ان تشيروا ـ ولو من بعيد ـ الى الابحاث الفلكية التى عرفها العهد الاسلامى ، ومن هذه الابحاث مخطوطة « محمد بن الشاطر» الذى كان ميقاتيا فى الجامع الاموى فى دمشق ، والذى قال بنظرية المجموعة الشمسية من خلال مراقبته لحركات الكواكب والنجوم .

عبد الله مصطفى الخطيب

عجلون / الاردن

باب الكتب فى « العربى »

● كثيرا ما تاتينا رسائل من القراء الاعزاء يطلبون فيها منا تزويدهم بكتاب من الكتب التى ننوه عنها فى « مكتبة العربى » ، فنرجو ان يعذرنا القراء لعدم تمكننا من تزويدهم بما يطلبون .. اذ اننا لا نملك من الكتب التى ننوه عنها غير نسخة واحدة ، نحتفظ بها فى « مكتبة العربى » ، ومن اراد منهم الحصول على اى من هذه الكتب ، فعليه الاتصال بالدار الناشرة .

« العربى »

ابو بكر الاصفهانى مولده ووفاته

● قرات مقالا عن ابى بكر الاصفهانى فى عدد « العربى » الذى صدر فى ديسمبر / ٧٥ للسيد منذر الشعار يقول فيه ان ابا بكر الاصفهانى ولد سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة ، وتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين وعمره اثنتان واربعين سنة .. وهذا خطا واضح ..

حسين ازعيل

دير الزور / سوريا

« العربى » : ناسف لهذا الخطا .. ونامل الا يتكرر .

الجمعية العلمية الكويتية

● احسست بسعادة غامرة وانا اقرا الخبر الذى نشره «المحرر» فى العدد (٢١١) من مجلة « العربى » ، حول اتجاه دولة الكويت الى اقامة مؤسسة جديدة اسمها (الجمعية العلمية الكويتية) ولا شك ان لدى العرب طاقات علمية كثيرة .. وهذه الجمعيات باستقطابها لهذه الطاقات كفيلة بوضع حد لهجرة العقول العربية ..

محمود شعبان / مصر

رجاء

ترجو ادارة مجلة « العربى » ان يوافيها الدكتور جمال الدين محمد محمود بعنوانه بعد انتقاله من طرابلس الى القاهرة .

ادارة العربى

التاريخ الصحيح
لتأسيس جامعة بغداد

● في عدد مجلة « العربي » (١٩٨) الصادر في مايو ١٩٧٥ ، استطلاع عنوانه ، « بغداد كما نراها اليوم » ذكر خلاله ان قانون جامعة بغداد صدر عام ١٩٥٨ ، وفي العدد (٢٠٦) الصادر في يناير ١٩٧٦ نشرتم تخطئة للخبر السابق ، واشارة الى ان هذا القانون صدر عام ١٩٥٦ حين كان الدكتور عبد الحميد كاظم وزيرا للتربية ، وان خطوات اتخذت عام ١٩٥٧ لبدء اعمال الجامعة ، وتعيين رئيسها ، يساعده « مجلس تاسيس » من خمسة اعضاء .

والحقيقة ان الاعداد للجامعة بدأ قبل ذلك ، خلال عام ١٩٥٤ ، وكان وزير التربية فيها هو الدكتور عبد المجيد القصاب الذي يرجع الفضل اليه في تاسيس الجامعة العراقية ، اي جامعة بغداد ، وكان حين دعي للاشتراك في الوزارة قد حصل على موافقة رئيسها لاجراء عدة اصلاحات في وزارة التربية ، منها تاسيس الجامعة .. وقد انجز لائحتها بعد توليته باربعة اشهر ، ثم جاء وزير آخر فحبس اللائحة وعطلها حتى صدرت سنة ١٩٥٧ ، وهذا ماتسجله الوثائق ، ويشهد به التاريخ .

علاء الدين فؤاد

بغداد / العراق

الشاعر الاسلامي محمد اقبال

● نشرت العربي في العدد (٢٠٨) مقالا عن الشاعر الفيلسوف محمد اقبال ، وقد ورد في السطر الثالث عشر من الصفحة (١٢٢) مايلي: « وفي سنة ١٩٥٨ عاد الى الهند .... » وفي السطر السادس من العمود الثاني من نفس الصفحة وردت العبارة التالية « واخذت صحته تتدهور شيئا فشيئا ، الى ان توفاه الله في ١٩٣٨/٤/٢١ » .. ولا شك ان خطأ وقع في التاريخ الاول ..

محمد عباس العبيدي ــ العراق

« العربي » : لقد وقع خطأ مطبعي في التاريخ الاول ، اذ ان التاريخ الصحيح هو ١٩٠٨ .

الفصام والاكتئاب

● لفت نظري في المقال الذي نشره « العربي » في عدد نيسان/٧٦ عن اسباب الفصام للدكتور دري حسن عزت ، انه يحدث بسبب اضطرابات بيوكيميائية في الامينات الدماغية ، اي النورادرينالين والسيروتونين والدوبامين .. الخ .. ولا شك ان هذا الكشف قد اثار فضولي لانني اعرف ان مرض الاكتئاب وخاصة Manic Depressive Psychosis يفترض ان سببه يعود الى اضطراب في هذه الامينات . اما امتداد هذا الافتراض ليشمل ايضا الفصام ، فهذا شي لم اسمع به حتى الآن .. واخشى ان يكون الدكتور عزت قد قصد الاكتئاب الذي يرافق الفصام .. فاذا كان كذلك ، فلا يوجد هناك ما يدعو الى التساؤل .

محمد حجار

زميل الجمعية الملكية للاخصائيين السيكولوجيين

دمشق/سوريا

استطلاع الاردن :
لم التركيز على المصايف ؟

● قرات في العدد ٢٠٣ استطلاعا عن الاردن ومصايفه ومناظره الخلابة .. ولا ادري هل نسي المستطلع او تناسى آثار الاردن .. وقلاعه وجباله .. وحصونه .. وسائر المعالم التي تجتذب اليه السواح من شتى انحاء العالم .

ونذكر من تلك المعالم التي اغفلها الاستطلاع ، قلعة الكرك والطفيلة والشوبك ومدينة البتراء .. وميناء العقبة .. وغير ذلك كثير .

حسين الغرشة/الزرقاء/الاردن

« العربي » : لم ننس البلدان والمعالم التي تشير اليها بدليل اننا استطلعناها على نحو من التخصص والتفصيل في حوالى ٢٠ استطلاعا مستقلا ، نشرناها في اعداد سابقة .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية

تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام في الكويت

أول ديسمبر ١٩٧٦

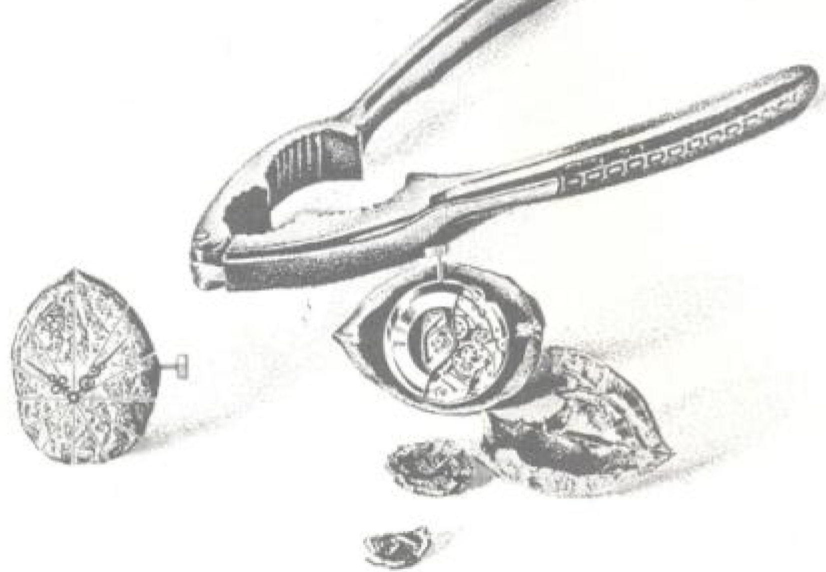
٨٧

الحياة حلم

تأليف : كالدرون دى لا باركا

ترجمة وتقديم : د . صلاح فضل

مراجعة : د . محمود علي مكي





الأمر يبدو بسيطاً، ولكن كان يجب التفكير فيه

الفرجار (البوصلة) : اختراع يبدو بسيطاً في الظاهر، ومع ذلك فقد قلب الأوضاع، كما فعلت تماماً ولاعة "رونسون كوميت" - البسيطة والسهلة في الاستعمال. ولكن هذه البساطة الواضحة هي نتيجة خبرة فنية طويلة ما الآن أحد يستطيع أن يقدمها لكم إلا "رونسون" - أكبر مصنع للولاعات في العالم. تمتاز ولاعة "رونسون كوميت" برأسها الدوار المتحرك الذي يسمح لكم بتنظيفها وتبديل الحجر بسرعة، ويوجد في داخلها مكان خاص يحتوي على حجرين للتبديل. ولاعة ذات تصميم عصري تحمل طابع "رونسون" التقليدي في الجودة والأداء.

اطلبوا مشاهدة عرض لولاعة "رونسون كوميت" لدى بائعها

قدّم أكثر من هديّة ... قدّم "رونسون"

رونسون
RONSON

چوڤيال



JOVIAL

دائما في مقدمة التطور الفني . **چوڤيال** ، العلامة الذائعة
الصيت والبالغة الجودة ، تقدم ساعتها الجديدة التي تدور
بالكامل **الكترونيا** بدون عقارب .
چوڤيال ، العلامة السويسرية ذات الشهرة العالمية ،
تباع في محلات الساعات الكبرى .

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

فصلية علمية تعنى بشئون الخليج والجزيرة العربية
السياسية - الاجتماعية - الاقتصادية - الثقافية - العلمية

رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي

يحتوى كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التى تبحث فى المناحى المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير ـ وثائق ـ يوميات ـ بيبليوجرافيا .
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ٣ دنانير كويتية في الوطن العربي « بالبريد الجوى » ، ١٥ دولارا امريكيا او ٥جنيهات استرلينية في سائر انحاء العالم « بالبريد الجوى » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ٨ دنانير كويتية ، وفي الخارج ٣٠ دلاورا امريكيا او ١٠ جنيهات استرلينية .

العنوان : جامعة الكويت ـ الشويخ ـ ص . ب : ٢٣٥٥٨ .
هاتف : ٨٢١٧٣٠ ـ جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .



SERIES
CHRYSLER
TRUCK
COLT
CANTER
FARGO
0 SERIES

نادي شاحنات كرايزلر العالمي يتوسع ويزدهر

لا يوجد من هو أدرى بسوقكم منا ، ولا من هو أقدر على سد احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقة .. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي.

الشاحنات التي نصنعها في مختلف انحاء العالم .. في الولايات المتحدة ، وبريطانيا، واسبانيا ، واليابان ، يسلم العالم كله برقي تصميمها واتقان هندستها . شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم . من سيارات التوزيع الخفيفة الى الشاحنات الجبارة .. ومن الباصات الصغيرة الى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرق الحديثة.

اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي.

ارسلوا الكوبون بالبريد ومرحبا بكم في نادي كرايزلر



كرايزلر
انترناشونال

دودج - فارغو - ميتسوبيشي


الآن مع فيليبس
أصبحَ دخول المطبخ متعة
درست فيليبس الأعمال الشاقة المتعددة
التي يتطلبها تحضير المائدة وشعرت مع
سيدات البيوت فصممت لهن مجموعة
كاملة من الأدوات المطبخية حفاظاً على
وقتهن وتخفيفاً عنهن تكرار الأعمال
وتعبها: خلاطة بثلاث سرعات مع جرن
لتحضير أعمال الخفيفة من الخلط والتحريك
والعجن، حماصة أوتوماتيكية لتقديم
أي تحميص مرغوب للخبز، مطحنة بن
التي تطحن ٧٥ غراماً من البن في ثوان،
عصّارة حمضيات لعصير كافة أنواع الفاكهة
عصيراً صافياً من الحثالات، مسن للسكاكين،
فتاحة معلبات، جميعها مصممة لتناسب
المطابخ الحديثة العصرية والجدير بالذكر
ان كل قطعة من هذه الأدوات هي بحد
ذاتها لذة للاستعمال.
انها لأدوات يتكل عليها وذات جودة رفيعة
علماً بأن خبرة فيليبس العالمية في التصنيع
ومصادرها التقنية الضخمة تضمن لكم
ذلك. أدوات تخدم طويلاً وصيانتها لا تذكر
موجودة اذا احتجت لها.
PHILIPS
فيليبس الأفضل لكم دوماً


وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co.
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا ـ دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ ـ تلفون ٤٣٣٥٨٥


RADO
ساعة رادو دياستار اليكترو سونيك
الساعة الفريدة من نوعها
فهي غير قابلة للخدش وتعمل بواسطة
الباتري بمنتهى الدقه.
الوكيل العام في الكويت.
محلات الباتل للساعات - محمد عبدالله الباتل
ص.ب ٣٤ الصفاة ت ٤١٦٤١٦ - ٤١٩٤١٩ تلكس ٢٠٥٣

العربي

فهرس
سنة
١٩٧٦

من العدد ٢٠٦
إلى العدد ٢١٦

حديث الشهر

بقلم : رئيس التحرير احمد بهاء الدين

شعر ٠٠ وشعراء

أدب ولغــة

علــــوم

العـدد القـادم : عـدد ممتـاز

صفحة فى اللغة

بقلم : محمد خليفة التونسى

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
لغة الضاد حروفها اكثر وفاء وشمولا	٧٦/١	٢٠٦	١٣١
تلاعب الاصوات اللغوية المتجاورة واثر بعضها فى بعض	٧٦/٢	٢٠٧	٥٦
تقول انتم « تسعدونى » او « تسعدوننى » وانتم « تسعدونا » او « تسعدوننا »	٧٦/٣	٢٠٨	١١٠
العرب عاملوا المثنى معاملة الجمع	٧٦/٤	٢٠٩	١١٨
١ ـ افاق ٢ ـ التشود	٧٦/٦	٢١١	١٣٠
يهرع	٧٦/٧	٢١٢	١٢٦
التباهة « الفطانة »	٧٦/٨	٢١٣	٨٧
اجسام وجسوم	٧٦/٩	٢١٤	٨٧
معجم ومعجمات ، ومعاجم ايضا	٧٦/١٠	٢١٥	١٠٢
مئة ومئات ومئون	٧٦/١١	٢١٦	١٢٨

تاريخ

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
منزلة ابن خلدون من تاريخ علم الاجتماع ...	عبد الكريم اليافى	٧٦/١	٢٠٦	٩٤
حكاية مهرج	د ٠ على الراعى	٧٦/٣	٢٠٨	٢٨
فكرة التقدم ، هل تاريخ البشر يسير فى حركة دائرية ؟	د ٠ حسين مؤنس	٧٦/٣	٢٠٨	٣١
موازين العظمة واقدار الرجال عند العقاد ...	عمر الراكشى	٧٦/٣	٢٠٨	٥٠
التاريخ بين قائل انه علم وبين قائل انه فن ...	محمود محمود	٧٦/٤	٢٠٩	١٢٣
التاريخ بين الحقيقة والغموض ، من الذى قتل نابليون ؟	على ادهم	٧٦/٨	٢١٣	١٠٨
بيت الحكمة فى بغداد واثره فى النهضة الفكرية خلال العصر العباسى	سليم طه التكريتى	٧٦/٨	٢١٣	١٢٦

تاريخ اشخاص

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
شفيتزر الطبيب العالم الفيلسوف	محمد كامل ضاهر	٧٦/١	٢٠٦	١٨٨

الموضوع	الكاتب	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
كافور الاخشيدى هل كان بطلا ٠٠ ام ظلمه لسان « المتنبى » ؟	عبد الوهاب احمد الافندى	٧٦/٢	٢٠٧	١٣٨
ارنولد توينبي الانسان الفيلسوف مؤرخ عملاق ٠ علم اجيالا وقضى حيـاته كلها يتعلم !	متي نصيف	٧٦/٣	٢٠٨	١٣٢
ماكيافيلي مع نقاده ، سياسى كبير ظلمه التاريخ حيا وميتا ٠	على ادهم	٧٦/٤	٢٠٩	٤٢
ابن اياس ومنهجه فى كتابه بدائع الزهور فى وقائع الدهور	احمد عبد الباسط حسن	٧٦/٤	٢٠٩	١٠٢
ابو بكر الرازى ومنزلة العقل فى فلسـفته ...	د ٠ عبد اللطيف العبد	٧٦/٥	٢١٠	٣٤
جين اوستن مع التاريخ والذكريات فى بيتها ...	د ٠ صفاء خلوصي	٧٦/٦	٢١١	١١٨
ابن بطوطة رحالة الاسلام	د ٠ حسين مؤنس	٧٦/٨	٢١٣	٢٨
جاليلو جاليلي عالم فيلسـوف ظلمه المجتمع ...	امين سلامة	٧٦/٨	٢١٣	٦٢
الكندى فيلسوف كبير اثرى حياتنا بفكره وعلمه ومعـرفته	سليم طه التكريتي	٧٦/٩	٢١٤	١٤
ابن بطوطة يزور اهل العلم ويتبرك بالاولياء ...	د ٠ حسين مؤنس	٧٦/٩	٢١٤	٩٦
ابن بطوطة يعزى الناس عن متاعب الايام	د ٠ حسين مؤنس	٧٦/١٠	٢١٥	٥٦
يوليوس قيصر	امين سلامة	٧٦/١١	٢١٦	١٠٤

دين ورجال دين

الموضوع	الكاتب	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
ايديولوجية التشريع الاسلامي	د ٠ محمد شوقي الفنجرى	٧٦/١	٢٠٦	٣٢
دور الوقف فى بناء الحضارة الاسلامية	عبد السلام الترمانيني	٧٦/٢	٢٠٧	٤٢
القصة فيالقرآن الكريم	د ٠ عبد الله محمودشحاته	٧٦/٣	٢٠٨	٣٦
حكومة الجماعة الاندلسـية مثل فريد فى نظم الحكم الاسلامي	محمد عبد الله عنان	٧٦/٣	٢٠٨	١٤٤
مشاكل المسلم المعاصر ومسئولية العلماء	د ٠ احمد كمال ابو المجد	٧٦/٤	٢٠٩	١٤
الضمان الاجتماعي له اصوله فى الاسلام	د ٠ جمالالدين محمدمحمود	٧٦/٥	٢١٠	٥٢
المفاهيم الاقتصادية كيف نبنيها على ضوء ما جاء فى الكتاب والسنة والدراسات العلمية ؟ ...	د ٠ محمد شوقي الفنجرى	٧٦/٦	٢١١	٢٠
صيحة الموسم فى انجلترا اليوم « الاسلام » ...	د ٠ حسين مؤنس	٧٦/٧	٢١٢	٤
اقبال والمؤتمر الاسلامي	اكرم زعيتر	٧٦/٧	٢١٢	٨٨
احكام الرشوة فى الاسـلام	د ٠ محمود عثمان الهمشرى	٧٦/٧	٢١٢	٩٠
الاسـلام وحرية الارادة	د ٠ حسين فوزى النجار	٧٦/٨	٢١٣	٢٠
الاسلام فى التاريخ الحديث	عباس محمود العقاد	٧٦/٨	٢١٣	٤٦
النصوص والعقل وتطبيق الشريعة الاسلامية ...	د ٠ احمد كمال ابو المجد	٧٦/٩	٢١٤	١٨

الموضوع	الكاتب	تاريخ	العدد	الصفحة
فكرة التدخل الحكومي بين الحظر والاباحة في نظر الاسلام	د ٠ محمد فاروق النبهان	٧٦/١٠	٢١٥	١٨
تاملات في تطور كتابة سيرة النبي في الشرق والغرب	حسين احمد امين	٧٦/١٠	٢١٥	١٠٦
القيادة السياسية في فكر علي بن ابي طالب ...	كمال المنوفي	٧٦/١١	٢١٦	١٥
ظاهرتان قرآنيتان	د ٠ محمد احمد خلف الله	٧٦/١١	٢١٦	٢٣
النيام السبعة واصحاب اهل الكهف	د ٠محمد عبدالله العمراني	٧٦/١١	٢١٦	٣٣

تربية وعلم نفس

الموضوع	الكاتب	تاريخ	العدد	الصفحة
معنى الانسانية ، ما اشق ان يكون الانسان انسانا	د ٠ فاخر عاقل	٧٦/١	٢٠٦	٢٤
المدرسة لماذا فشلت ومن المسئول عن فشلها ...	محمد حسن التيتي	٧٦/١	٢٠٦	٨٢
ذاكرتنا هذه المكتبة الضخمة الزاخرة	راجي عنايت	٧٦/٢	٢٠٧	٢٤
التعلم المستمر اعظم ثورة تربويةفي القرن العشرين	علي بركات	٧٦/٢	٢٠٧	٥٠
زرقاء اليمامة او ظاهرة الاحساس الخارق ...	د ٠ فخري الدباغ	٧٦/٣	٢٠٨	٥٤
الاحلام والعلاج النفسي	د ٠ عبد العزيز القوصي	٧٦/٣	٢٠٨	١٠٦
في سبيل اسرة سعيدة	د ٠ علي احمد علي	٧٦/٤	٢٠٩	٦٢
الهلوسة بين الطقوس والتجارب والعقاقير ...	راجي عنايت	٧٦/٥	٢١٠	٢٣
انحراف الصغار مرض جرته علينا المدنية	خالص العياشي	٧٦/٥	٢١٠	١١٢
الامتحانات المدرسية بين الذاتية والموضوعية ...	محمد حسن التيتي	٧٦/٦	٢١١	١١٠
عن سيكولوجية البكاء	د ٠ عبد العزيز القوصي	٧٦/٨	٢١٣	٥٤
اين نختزن ذكرياتنا ؟	د ٠ فاخر عاقل	٧٦/٩	٢١٤	١١٦
هل تريد ان تصنع لنفسك شخصية مؤثرة جديدة؟	د ٠ علي احمد علي	٧٦/١٠	٢١٥	٣١
حتى نتلاءم مع البيئة	محمد حسن التيتي	٧٦/١١	٢١٦	٥٠

فلسفة

الموضوع	الكاتب	تاريخ	العدد	الصفحة
المبالغة داء في السلوك يحتاج الى علاج	د ٠ زكريا ابراهيم	٧٦/١	٢٠٦	٧٨
اليوجا فلسفة قديمة ٠٠ ورياضة حديثة	د ٠ فخري الدباغ	٧٦/١	٢٠٦	١٤٦
الغزالي وفلسفته الخلقية ، اختار التصوف ، وشغل فكره في عزلته بالرياضة الروحية ...	د ٠ محمد عاطف العراقي	٧٦/٦	٢١١	١٠٢

سياسة واقتصاد

العـدد القـادم : عـدد ممتـاز

مجتمع واجتماع

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
صناعة الادوية في الكويت	بقلم : يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح	٧٦/٧	٢١٢	٣٠
رعاية المرضى ميدان جديد تقبل عليه المراة الكويتيــة	بقلم : يوسف الشهاب تصوير : حسن الصفار	٧٦/٨	٢١٣	٨٨
اهل الكويت تجار بالفطـرة	بقلم : صادق يلي تصوير : فهد الكوح	٧٦/٩	٢١٤	٨٨
بريد الكويت له حكاية	بقلم : يوسف الشهاب تصوير : حسن الصفار	٧٦/١٠	٢١٥	٨٨
رحلة مع ميناء الشويخ	بقلم : يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح	٧٦/١١	٢١٦	٨٠

الاستطلاعات العربية والاسلامية المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
المسلمون فـي الهنـد	بقلم : محمد حسني زكي تصوير : صلاح آدم	٧٦/١	٢٠٦	١٠٠
المسيرة الخضراء	بقلم : سليم زبال تصوير : اوسكار متري	٧٦/٢	٢٠٧	٨٨
ارض الاردن الطيبـة	بقلم : يوسف زعبلاوي تصوير : عبدالناصر شقره	٧٦/٣	٢٠٨	٨٦
كشمير زهرة برية على سفوح الهملايا	بقلم : محمد حسني زكي تصوير : صلاح آدم	٧٦/٤	٢٠٩	٧٤
عثمان الحديثة مع المراة والازياء وسحر الشرق ...	ترجمة : عصام عسيران	٧٦/٥	٢١٠	٨٤
السياحة في وطننا العربـي	بقلم : سليم زبال تصوير : اوسكار متري	٧٦/٦	٢١١	٨٤
حضارة الاسلام تشرق في بلاد الضباب	بقلم : محمد حسني زكي تصوير : صلاح آدم	٧٦/٧	٢١٢	١٠
فزان ، حياة جديـدة يصنعها الانسان فوق رمال الصحراء	بقلم : سليم زبال تصوير : اوسكار متري	٧٦/٨	٢١٣	٦٨
ابوظبي وعودة الى الارض الطيبة	بقلم : يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح	٧٦/٩	٢١٤	٦٨
مدن عربية في قناة السويس امل يتحقـق بعـد معانـاة	بقلم : منير نصيف تصوير : عبدالناصر شقره	٧٦/١	٢١٥	٦٨

امراض شائعة

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
البلهارسيا ، اخطبوط الدول النامية غي المنظور	د . سعيد عبده	٧٦/١	٢٠٦	٧٠
الام الاذن اثناء السفر بالطائرة اسبابهاوعلاجها ...	د . جمال احمد الصواف	٧٦/٢	٢٠٧	٤٧
امراض الكلي اسباب التعرض لها وطرق الوقاية منها	د . ابراهيم فهيم	٧٦/٣	٢٠٨	١٣٠
مرض الفصام او الشيزوفرينيا	د . دري حسن عزت	٧٦/٤	٢٠٩	١٣٠
العقم او عدم الانجاب اسبابه وعلاجه	د . ابراهيم القشلان	٧٦/٥	٢١٠	١٤٠
الارق مرض من امراض الحضارة	د . محمد محمد ابو الشوك	٧٦/٦	٢١١	٤٨
امل جديد لمرضى الفصام	د . دري حسن عزت	٧٦/٩	٢١٤	١٢٥
المرارة مالها وما عليها	د . فاطمة الغرباوي	٧٦/١٠	٢١٥	١٢٣

طبيب الاسرة

الموضوع	التاريخ	العدد	الصفحة
الضعف الجنسي ـ الرضاعة من الثدي ٠٠ الدوالي ـ قصر القامة ـ الزائدة الدودية	٧٦/١	٢٠٦	١٨١
الحمي واثرها على حاسة السمع ـ حساسية الانف ـ الام الصدر ـ السمنة ـ العقاقير المنبهة تضر بالجهاز العصبي	٧٦/٢	٢٠٧	١٣١
افرازات الاذن ـ اللوزتان متي وفي اى سن تستاصلان ؟ ـ حساسية الانف ـ النحافة وسرعة الخجل	٧٦/٣	٢٠٨	١٤٩
حمامات الشمس لها قواعد والا كان ضررها اكثر من نفعها ـ اثر الطمث على عملية استئصال اللوزتين ـ الم الصدر ومرض القلب ـ الماء الازرق فى العين	٧٦/٤	٢٠٩	١٢٠
حموضة المعدة ـ العدسات اللاصقة ـ حبوب منع الحمل ـ حب الشباب ـ الانفلونزا فيروس متغير	٧٦/٥	٢١٠	١٢٢
فترة التسنين عند الاطفال ـ مخاط فى البراز ـ ما سبب هبوط ضغط الدم ؟ ـ الماء الابيض فى العين ـ الدوار الذى يعقب الاصابة بالانفلونزا ...	٧٦/٦	٢١١	٦٤
سن الياس عند المراة ـ تمدد الشعب الهوائية ـ قرحة المعدة والتدخين ـ الام الظهر	٧٦/٧	٢١٢	١٢٧
التهاب السحايا ـ تقرحات الفم ـ التاتاة ـ الر ركوب الطائرة علىالحامل ...	٧٦/٨	٢١٣	١٤٣
حكة العين ـ اسباب الارتكاريا ـ البحر واحمرار الجلد ـ مرضى القلب والسفر بالطائرة	٧٦/٩	٢١٤	١٣١
تورم الجفون ـ المخاط الذى يصحب البراز ـ التهابالعين الصديدى ـ الاصابة بالزهرى والولادة الطبيعية ـ قرحة الاثنى عشر والسفر بالطائرة	٧٦/١٠	٢١٥	١٣١
كثرة الغازات فى البطن ـ تاخر البلوغ ـ الكوليسترول فى الدم ـ انتفاخ الجفنين	٧٦/١١	٢١٦	١٤٥

انباء الطب والعلم والاختراع

اعداد : يوسف زعبلاوي

الموضوع		العدد	الصفحة
الديناصور المنقرض اكتشفوا شبيها له في اسكتلنده ـ حوض السباحة مركز هام لتجميع الحرارة الشمسية ـ سفن هجوم برمائية جديدة يحصل عليها الاسطول الامريكي ـ حبوب منع الحمل وعلاقتها بالنوبات القلبية ...	٧٦/١	٢٠٦	١٥١
جبل افرست ليس أعلى جبال العالم ـ اجهزة تقطير صغيرة لتحلية المياه المالحة ـ طائرة « كفير » الاسرائيلية بين الحقيقة والتضليل ـ العالم يزداد فقرا ويزداد جهلا ـ قناة الراين ـ الرون وقناة الراين ـ الدانوب ـ مستشفى شفايتزر في الجابون قرروا اغلاقها نهائيا	٧٦/٢	٢٠٧	٥٨
ـ امراض السرطان وهرمونات الانوثة ـ التدخين هل يسبب الاصابة بالجلطة وسرطان الرئة ؟ ـ عقاقير الاسهال بعضها خطير فاحذروه ـ العالم .. هل هو مجنون حقا ؟ ـ السيارة الكهربائية في طريقها الى الاسواق ـ الصلع ، طريقة حديثة للقضاء عليه ـ جنس الجنين يستطيع تحديده اهل الصين ...	٧٦/٣	٢٠٨	١١٦
طبيب كويتي يبتكر طريقة جديدة ، لتركيب لوالب منع الحمل ـ « الكيش » اخصب الحيوانات ـ أمل جديد : الضرير يرى بعيون صناعية ـ الصوم يغني عن الانسولين في علاج بعض حالات مرضى السكري ـ بيننا وبينهم الفارق ، فارق جوع وغذاء ...	٧٦/٤	٢٠٩	٥٠
سيارات المستقبل تدور حول نفسها ـ أبحاث علمية رائدة لعالمين عربيين مصريين ـ المكتبة البريطانية تستخدم العقول الالكترونية ـ قنابل اللهب سلاح جديد فتاك ـ علاج جديد لامراض الكلى ...	٧٦/٥	٢١٠	١٠٢
حبوب منع الحمل وخطر الموت ـ حتى الاسود في عرينها تؤثر الحياة العائلية ـ تليفون لاسلكي جديد بالغ المدى في الارسال والاستقبال ـ «شعاع الموت» الدولتان العظميان تتسابقان لصنعه ...	٧٦/٦	٢١١	٩٩
جهاز حديث للتنظيف الفوري لتجويف جذور الاسنان ـ سمك القرش لا داعي للفزع منه بعد الان ! ـ عقار جديد يبشر بالقضاء على الرشح والزكام ـ حاجة الجسم من الوحدات الحرارية يوميا ...	٧٦/٧	٢١٢	١٤٣
قلوب القردة وزرعها في جسم الانسان ـ الانسان ليس مضطرا لاكل لحم الحيوان ـ تفجير ٢٥٠ مليون قنبلة ذرية لانقاذ بحر قزوين ـ مصباح كهربائي جديد يعمر ١٠ سنوات ...	٧٦/٨	٢١٣	١٠٣
٤٦ر٥٠٠ جنيه ! غرامة يدفعها طبيب بريطاني بسبب اهماله ـ الصحة والمرض بين بساطة العيش وترفه ـ ذراع الكترونية تكلف ٤٠ر٠٠٠ دولار ـ أهون الشرين في نظر الاطباء ...	٧٦/٩	٢١٤	٥٧
مستحضر جديد يبشر بالوقاية من تسوس الاسنان ـ تحذير للزوجات اثناء الحمل هذه العقاقير تضر الجنين ! ـ القردة تدرس اللغة بجامعة كولومبيا ! ـ وحش بحيرة نس بين الحقيقة والخيال ...	٧٦/١٠	٢١٥	١١٥
تلوث الجو مشكلة خطيرة تنطوي على كثير من المخاطر ـ منازل المستقبل تعتمد على حرارة الشمس حتى في المطابخ ـ القاهرة المدينة الاولى في العالم ازدحاما بالسكان ـ بندقية سوفياتية جديدة ...	٧٦/١١	٢١٦	٩٩

انت تسال ونحن نجيب

عروبة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
افريقيا والعرب	د . محمد علي القرا	١	٧٦	٢٠٦	٢٩
امنية للمرحوم الدكتور احمد زكي		٢	٧٦	٢٠٧	١٤
مركز الدراسات العربية مؤسسة جديدة عقدت اول اجتماع لها في يناير بالكويت		٢	٧٦	٢٠٧	١٨
الى اين تسير ؟ وكيف نصنع المستقبل ؟ فرصة العرب الاخيرة	د . ابراهيم شحاته	٤	٧٦	٢٠٩	١٨
الحمى في شبه الجزيرة العربية واثره في تحسين المراعي وصيانة التربية وايقاف زحف الصحراء...	د . عمر دراز	٦	٧٦	٢١١	٥٢
عربي في كندا .. ناشلت كما آمنت	سمير عطا الله	١١	٧٦	٢١٦	٤٨
حتى لا تتكرر المأساة ولا نرى هذه الصور مرة ثانية		١١	٧٦	٢١٦	٦٧

ركن الاسرة والمرأة

بقلم : منير نصيف

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
لحظات من السعادة تمر بنا ونعيشها ولكننا ننساها ، وكأنها طيف عابر تركنا وتركناه	١	٧٦	٢٠٦	٩٠
سلوكنا في الحياة قناع زائف تخفي وراءه حقيقة نفوسنا	٢	٧٦	٢٠٧	٦٢
لا أريد أن أتزوج	٣	٧٦	٢٠٨	٦٢
عندما تذبل الزهور	٤	٧٦	٢٠٩	٥٨
الحياة لا نحبها الا عندما نرى خطرا يتهددها	٥	٧٦	٢١٠	٧٦
دقت الاجراس للمرأة ، هل سمعناها ؟	٦	٧٦	٢١١	٦٠
معنى الحب في ابتسامة حلوة أو حتى في صيحة غضب	٧	٧٦	٢١٢	١٠٢
المفاجآت السعيدة دواء الحياة	٨	٧٦	٢١٣	٥٨
طفلي أصبح رجلا	٩	٧٦	٢١٤	٦٤
الذكريات الحلوة أقوى	١٠	٧٦	٢١٥	٦٤
في الخريف الصداقة أبقى	١١	٧٦	٢١٦	٦٢

العدد القادم : عدد ممتاز

الفنون واللوحات الفنية

قصص وجرائم

الموضوع	الكاتب	تاريخ النشر	العدد	الصفحة
مسالة كرامة	محمد مدى	٧٦/١٠	٢١٥	١١٨
الغفران	مجدى سلامة	٧٦/١٠	٢١٥	١٣٦
مالم اقله للوزير	عباس احمد	٧٦/١١	٢١٦	٥٤
المافيا ما هى قصتها ؟	د ٠ عدنان الدورى	٧٦/١١	٢١٦	١١٢
من قصص الخيال العلمى « الجزيرة التى غرقت »	ترجمة : راجى عنايت	٧٦/١١	٢١٦	١٤٠

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	تاريخ النشر	العدد	الصفحة
لا تنشروه	يوسف زعبلاوى	٧٦/١	٢٠٦	١٦٤
فى الموت والممات	د ٠ عبد الاله ابو عياش	٧٦/٢	٢٠٧	١١٠
رسالة الخلود للشاعر الفيلسوف محمد اقبال ...	د ٠ عبد الله محمد جمال	٧٦/٣	٢٠٨	١٢٢
فيصل ملك السعودية من نشاته حتى اغتياله ...	ابراهيم سلامة	٧٦/٤	٢٠٩	١٣٨
اقدم الوثائق الوقفية المكتوبة بالعربية فى يوغوسلافيا	محمد موفاكو	٧٦/٥	٢١٠	١٤٤
البحرين دراسة فى التغيير الاجتماعى	د ٠ عبد الاله ابو عياش	٧٦/٦	٢١١	١٤٢
الكويت دراسة سياسية	د ٠ عبد الاله ابو عياش	٧٦/٨	٢١٣	١٣١
المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام	محمد خليفة التونسى	٧٦/٩	٢١٤	١٤٠
اسرائيل فى مواجهة الموت	بقلم : د٠ حمادة ابراهيم	٧٦/١٠	٢١٥	١٤١

نذكر فيما يلى الابواب التى اغفلها هذا الفهرس العام ، لتعذر فهرستها ، ونذكر الى جانبها اسماء محرريها :

طرائف عربية ... ... صادق يلى أحمد

طرائف غربيــة ... ... منير نصيف

المسابقات ... ... سليم زبال

العربى الصغير ... ... يوسف زعبلاوى

بريد القــراء ... ... عبد الحفيظ يونس

ثلاجة سانيو المكعبة للمرطبات والطعام الطازج في كل مكان وزمان.



SR 4801W/X

ثلاجة محكمة لأية غرفة في المنزل، في الطابق العلوي أو السفلي. على الشرفة أو في المكتب. مثالية للعزاب والطلبة، كثلاجة إضافية، رفوف وأدراج بداخلها وعلى الباب، مع قالبين لمكعبات الثلج، الأرجل متحركة، ترموستات لتنظيم الحرارة، لونها أبيض لامع (W) أو بلون الخشب الثمين (X) من سانيو الشركة التي تؤمن لكم مرطبات باردة وطعام طازج في كل مكان وزمان.



SANYO سانيو